ـة الرابعة ـ العدد ٤٩ ـ صفر ١٤٠٠ هـ ـ يناير ١٩٨٠ م

الدوحة

ـجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

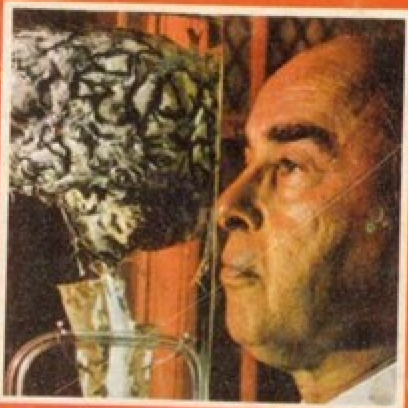

الغوص
في أعماق
العقل

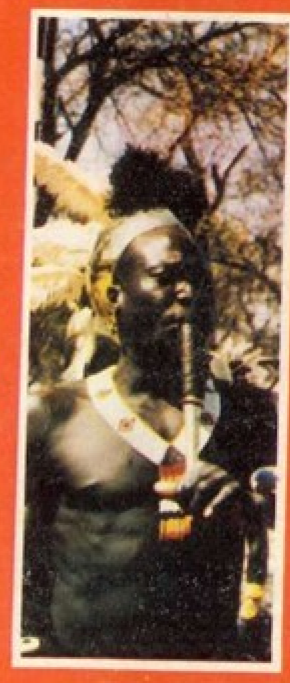

ـذ المد
ـسلامي
ـى أين
ـضى؟

أحمد بهجت

إيقاع الحياة
في جنوب السودان

كمال سعد

ـداية
مسيرة

فدوى طوقان

بيبسي

الدوحة

رئيس التحرير
الدكتور محمد ابراهيم الشوش

قدقدا قطر ٣ ريالات ، البحرين ٢٥٠ فلسا ، الامارات ال ال العربية ٣ دراهم ، عمان ٢٠٠ بيزة ، الكويت ٢٥٠ فل فل فلسا ، السعودية ٣ ريالات ، الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا ، جمهورية اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فل فل فلسا ، العراق ٢٥٠ فلسا ، الاردن ٢٠٠ فلس ، سس سوريا ٢٠٠ قرش ، لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٢٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، الجماهيرية العربية الليبية ٣٠٠ درهم ، تونس ٣٠٠ مليم ، الجزائر ٣ دنانير ، المغرب ٣ دراهم ، باقي دول العالم مايعادل دولارا واحدا .

الاشتراكات : للافراد : داخل قطر : ٣٦ ريالا قطريا . بالدول العربية : ٤٢ ريالا قطريا . في باقى دول العالم : ٤٨ ريالا قطريا .

للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات : داخل قطر : ٧٢ ريالا قطريا . بالدول العربية ٧٨ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٨٤ ريالا قطريا .

الاعلانات : يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الدوحة

مجلة شهرية
تصدرها وزارة الإعلام
بدولة قطر

مدير التحرير
عبد القادر حميدة

المدير الفني
محمد ابو طالب

سكرتير التحرير الفني
أحمد عبد الله

سكرتير التحرير
نبيل خالد الآغا

الإشراف الفني
نائلة محمد فتحي

يناير ٨٠

العدد ٤٩

١٩٨٠

استطلاعات

صفحات الرأي

أدب وأدباء

شؤون عامة

إسلاميات

أبواب ثابتة

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر

العنوان البرقي : المجلة . الدوحة

تلكس : 4521 MAGDO DH

تليفونات :

رئيس التحرير : ٢١٢٢١

التحرير : ٣٢١٢٧٠ ـ ٣٢١٨٥٧ ـ ٢١١٢١

القسم الاداري : ٣٢٣٧٧٨

القسم التجاري : ٣٢١٨٥٧ ـ ٢٦٨٤٦

جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

ما ينشر في المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأي الوزارة او المجلة
المواد لا تعاد الى مرسليها نشرت أو لم تنشر

ها هي ذي الدوحة تبدا عامها الخامس في عمر صداقتهـــا الحميمة والمفيدة بكتابها وقرائها والعاملين فيها . نعم .. نحن نشعر ان الدوحة ملتقانا جميعا . وهي موعدنا اليومي ـ لا الشهري فقط ـ ننصت فيه الى اصوات كتابنا ، ورسائل قرائنا ، ونستشعر حضورهم داخل الغرف ، لكاننا نعمل معا بروح الجماعة ، ولسنا نبالغ اذا قلنا اننا لا نفقد هذا الاحساس لحظة !

ومن المثير للفرح حقا ان تستاثر الدوحة في عيد ميلادها الخامس ، بالرغم من زحام المناسبات الكبرى من حولها .. مطلع القرن الخامس عشر الهجري .. اعياد الميلاد « بداية عام ميلادي جديد » بالرغم من زحام هذه المناسبات .. تستاثر الدوحة بكل هذا الكم من تهاني القراء ، واقول مشاعرهم الدافئة بحق . ونحن نبادل قراءنا التهاني القلبية ، بالتهاني الروحية والعملية معا . فهذا هو العدد الجديد في بداية العـــام الخامس . يستصفي مادته من نخبة الاقلام العربية المهمومة بالعديد من الوقفات المتانية امام الموضوعات الهامة التي تشغل بال ظروفنا الراهنة : الاسلام في حياة الانسان .. الانسان المعاصر وازمة الحضارة .. هذا المد الاسلامي الى اين يمضي ؟ تحديات الغزو الفكري الغربي كيف نواجهها ؟ لا نجاة الا بالاسلام حقا .

والى جانب الاجابات المستنيرة في شئون الدين والمسلمين .. يطالع القراء حصاد هذا العدد في كل جوانب العلم والمعرفة والثقافة .. آملين للدوحة في عامها الخامس المزيد من الحيوية في اداء رسالتها . وللقراء الذين طوقونا بصحبتهم وعناقهم وعواطف التقدير والشكر والمحبة .. نقول لهم : اننا معا على الطريق منذ اربع سنوات .. سعداء برفقتهم .. وبكل البذل والجهد من اجل ان تقدم الدوحة شيئا ينفع الناس . والله يوفقنا معـا ..

د . محمد ابراهيم الشوش

حياتنا المعاصرة

دراسات انسانية

قصص شعر كاريكاتير

لقاءات

فنون

أبواب القراء

مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبيـــة والروحيـة بين الدوحــة وأصدقائها المساهمين في تحـريـر أبواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافآت رمزية على النحو التالى :

من تجاربي الشخصية
١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

رايت . سمعت . قرات
٦٠ ريالا

دوحـة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون في تحـريـر أبواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مـع ذكر اسم الباب عـلى المظروف الخارجي ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية .

شئون عربية

● هلال عبد العزيز
المغرب – الرباط

أدعو المسئولين العرب لبذل قصارى جهدهم والعمل على التحام الفكر المغربي بالفكر المشرقي، ولكي ننهي كما قال عبد الكريم غلاب (في عدد أكتوبر) صبغة الاقليمية التي تطبع انتاجنا العربي ، فنكف عن القول : هذا فكر سوري ، وهذا عراقي ، وهذا كويتي ، ومغربي .. .. الخ ..

ونطلق عليه « الفكر العربي » أيا كان منبعه .

إن هذا الانفصال بين المشرق والمغرب العربيين فرضه الاستعمار، وواجبنا الآن ان نمحو هذه الحدود الثقافية الوهمية .. من أجل ثقافة وطنية موحدة .

● قاسم حسن عباس
العراق – سامراء

كثيراً ما نسمع ونقرأ مصطلح « الشعوب العربية » .. هذا المصطلح يعده المثقفون العرب جريمة بحق العروبة .. فماذا يعنى هذا المصطلح .. ولماذا نرفضه ؟

ان هذا المصطلح يعنى أن هناك شعوبا ذات لغات مختلفة وتاريخ مختلف متعدد وعادات وتقاليد مختلفة وتراث متعدد مختلف وأديان متعددة ولكن هل نجد مثل هذه الخصائص في مجتمعنا العربي ؟ كلا .. مثلا في شعوب الاتحاد السوفيتي ، أو الولايات المتحدة .. أو يوغسلافيا حيث توجد هذه الخصائص بين شعوبهم المختلفة جلية واضحة .

أما نحن فشعب واحد .. لنا تاريخنا الواحد .. ولغتنا الواحدة ومصيرنا المشترك .

● غزوان محمصة
سورية / حلب

مما لا شك ان الدوحة الغراء هي المنبر الحر الذي نتحدث من خلاله بكل صدق وصراحة ولا يسعنى إلا ان أبدى اعجابى الشديد بها وبخاصة الموضوعات التي يكتبها الدكتور الشوش والأستاذ علي سيار والأستاذ نبيل خالد الآغا عن فلسطين الجريحة في الموضوع الأخير (زيارة غير عادية) فقد أثار في صدرى كل حقد العالم على اليهود وألهب نفسى بمشاعر لن أستطيع وصفها وجعلنى أدرك مدى ما يعانيه اخواتنا الفلسطينين من قهر وذل ، واريد ان أصرخ بملء فمي:

هيا أيها العرب ، كفاكم منازعات عقيمة .. لقد سئمنا الكلام .. نريد فلسطين حرة قوية .. نريد القدس نصلى في المسجد الأقصى .. نريد نضالا حتى النصر . وللفلسطينيين هناك أقول : نحن معكم كل دقيقة .. مأساتكم مأساتنا .. ألمكم ألمنا .. يدنا في يدكم فهيا للكفاح .

● صالح رشيد
العراق – نينوى تلعفر

قرأت بالعدد (٤٦) من مجلة الدوحة رسالة للقارىء « محمد ابراهيم عز الدين » جاء فيها : « كانت العلاقة وما زالت بين الشعوب العربية كخيط العنكبوت تعصف به الرياح ... الخ » .

هذا القول مفهوم وصحيح بوجه عام .. لكن ماذا يقصد بالعلاقة .. هنا يكمن الغموض ؟

إن العلاقة بين ابناء الأمة العربية حية متواصلة ومتنامية لا يمكن تجاهلها لوجود دلائل منطقية قومية وتاريخية وحضارية مشتركة لم تخلقها النظريات السياسية بل أكدتها .. نحن ابناء شعب عربي واحد – وليس شعوبا عربية – نمتلك أرضا واحدة ممتدة بدون عوارض طبيعية ، وتاريخا مشرقا صنعه أجدادنا المسلمون ، وحضارة خالدة وفريدة تمتزج في روافدها الروح السماوية المقدسة مع روح الواقع المادى في حركة ايجابية معطاة ومتجددة .. أضم صوتى مع الملايين من شباب الأمة العربية الابطال – وليس شباب شعوب الأمة كما تؤكد – إلى صوتك النقى لرفع راية الوحدة العربية المنشودة فوق روابى الوطن العربي الكبير .

● عبد الباقى حمد محمد حمد
السودان – أم درمان

إن الشعب السوداني شعب عربي افريقى له باع كبير في الحركات التحررية داخل أفريقيا .

وصوت السودان في العالم العربي لا بد ان يسمع فلذلك اننى أرجو أن تكتبوا عن ماضى وحاضر السودان .

أدب وأدباء

● معالى عبد الحميد حمودة
الاسكندرية – ش الجواهر

عرف عن مجلة الدوحة القطرية انها تفتح المجال والأبواب للادباء من الدول العربية قاطبة وليس دول الخليج فقط ومن ثم فهى ترفع بهذا لواء ان المجلة لأبناء الوطن العربي كله .

ويمكن في محاولة لتنظيم تلك اللقاءات .. ان تستحدث المجلة بابا جديداً يكون اسمه (اديب من الوطن العربي) تنتقى فيه المجلة شهريا أديبا من أدباء الوطن العربي الكثيرين ويكون شكل هذا الباب بان يكون مثلا أديب من المملكة العربية السعودية فنقرأ تاريخه الشخصى واعماله الادبية واشهر تلك الاعمال ومتى بدأ كتابته والجوانب الأدبية أو التاريخية في كتاباته وهكذا في كل حلقة أديب من السعودية .. مصر .. الكويت .. دولة الامارات وغيرها من دول الوطن العربي .

ان تلك الفكرة يمكن جداً أن تنقلنا ونحن نتصفح مجلة الدوحة حيث بلد ذلك الأديب وحيث أدبه ونتاج فكره وعصارة ذهنه .

● راسم أحمد محمد
كلية الاقتصاد والسياسة
القاهرة

أشار الأستاذ محمود شقير إلى المجموعة القصصية لغريب عسقلانى .. وبعد التقديم القصير لها استفرد بها وانهال عليها ضربا .. وتجريحاً .

وما أود الاشارة اليه إلى أن دور الأديب هو أن يحمل القارىء إلى عالمه – « الذاتى والموضوعى » والذي أعتقد أنهما تزاوجا لدى غريب عسقلانى – ويجعله يتأمله ويتابعه .. وتكون اللغة والأسلوب والفنية هى أدوات الوصول للقارىء بتكوينه الفكرى والثقافي والنفسى فهل استطاع غريب عسقلانى تحقيق ذلك الهدف أم لا ؟

وبداية أجد نفسى عاجزا عن تصور ما قيل من أن الكاتب (غريب عسقلانى) يعمد إلى التجريب ويغرق في التلاعب بالحدث القصصى والضياع في المتاهات الجزئية المتلاحقة .

أما ما يشير اليه الأستاذ محمود شقير من – حشو مجموعة من الأحداث البارزة – فانا أود السؤال هل هناك ضوابط من أي نوع تمنع تفجر تلك الحوادث وتداعيها – وترابطها مع بعضها البعض خاصة في مثل ذلك الجو من المعايشة اليومية والاستفزاز المستمر .. انا أعتقد غير ذلك والا سنواجه بعملية تزييف متعمدة للمشاعر وما كنت أتصور أن الناقد يطلب «تفصيل» قصة قصيرة لكل حدث – صحيح أنه يمكن استخراج الكثير الكثير من الصور (القصص القصيرة) من داخل كل ظاهرة ولكن هل يمنع ذلك تنازع تلك الحوادث لتفرض نفسها في الصورة (القصة القصيرة) ؟؟

تراجم

● **محمد نجيب لطفي**
مدرس بمدرسة خليفة يونس
ج.م.ع

ان العلاقة الجدلية المطردة بين القارىء والكاتب تخلق في نفس القارىء رغبة جارفة لمعرفة بعض من جوانب كاتبه . كما أن الاستطراد في العلاقة بين الطرفين يزداد عمقاً واتساعا إذا تسنى للقارىء أن يعرف شيئا عن كاتبه وعن حياته وعن مؤلفاته وابداعاته .

ولكل كاتب الجوانب المضيئة والمشرقة في حياته والتي تصلح لكى تكون انماطا عليا في المثل والكفاح .

لذا نرجو من مجلتنا الغراء « الدوحة » أن تقوم بعمل تراجم عن مشاهير كتابها موضحة في ذلك ثقافاتهم ومناهل ابداعاتهم وأهم أعمالهم الأدبية حتى يتسنى للقارىء أن يقرأ لهم أكثر وأعمق وحتى تتسع دوائر العلاقات القائمة بين الطرفين وحتى يرى القارىء أمامه مشاعلا تضيء له طريق ثقافاته ومنهجا لمن يريد أن يسير على نفس الدرب .

علوم معاصرة

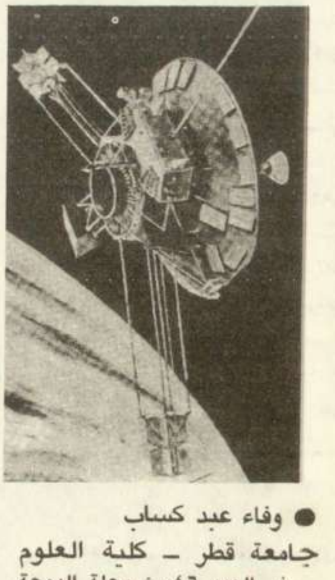

● **وفاء عبد كساب**
جامعة قطر – كلية العلوم

في العدد ٤٦ من مجلة الدوحة نشر موضوع عن بايونير (٢) في باب « حياتنا المعاصرة » باشراف خديجة الصدر ولقد وردت فيه بعض المعلومات التي أثارت دهشتى .

من هذه المعلومات أنه تغطى سطح عطارد صخور طويلة بارزة يعزى تواجدها إلى الضغط والبرودة ثم الانكماش . من اين البرودة وهو قريب جداً من الشمس؟ وكيف تم معرفة أن به صخوراً بالرغم من أنه لم تبعث مركبة فضائية « حسب علمى » إلى ذلك الكوكب بسبب درجة حرارته المرتفعة ؟

كذلك جاء في الموضوع أن بالمريخ ماء ، فكيف وجد الماء على ذلك الكوكب وهو بعيد عن الشمس أي لو كان به ماء فلا بد أن يكون على هيئة ثلوج .

وهناك أيضا ما جاء عن أنه توجد منطقة فوسفورية على سطح المشترى فهل هي مرتفعة الضغط حتى تستطيع ان تحجب هبوب الرياح التي تهب على الكوكب؟ وما السبب في نشوء مثل هذه الرياح؟

وفي نهاية الموضوع هنالك هذه العبارة « في عام ١٩٨٣ يطلق الكوك الفضائي مرتين في رحلة تستغرق ٤ سنوات » فكيف هذا والدكتور فاروق الباز يقول إن أقصى فترة يستغرقها الكوك في رحلاته هى ٣٠ يوماً فقط .

● **خالد مكاوى خالد**
السودان / الأبيض

قرأت باهتمام ما كتبته خديجة الصدر في باب حياتنا المعاصرة عن المركبة الفضائية بايونير (٢) في طريقها إلى استكشاف كوكب زحل وقد أعجبنى المقال بما فيه من صور توضيحية على سطح الكوكب وما يحيط بالفضاء الخارجى .

● **نور الدين بن عيسى**
تونس – نهج النحاس باشا

إنى من القراء الدائمين لمجلة الدوحة وذلك لخصوبة مواضيعها ونوعية أطباقها الشهية التي تقدمها وألتهم محتواها كل شهر .

ومن المواضيع التي اهتم بها بصفة خاصة باب « حياتنا المعاصرة » الذي تشرف عليه الأخت خديجة الصدر . وهنا لا يسعنى إلا أن أشكر مجهوداتها بخصوص هذا الركن الذي يجعل القارىء العربي يساير ركب العلم والاختراعات في كل أنحاء المعمورة .

من عبد الحليم عبد الرحمن بابكر – أم درمان

لفت انتباهى في باب مراجعات وتيارات ثقافية موضوع الطفل والمخدرات ، الذي اثاره محمد عباس نور الدين . انه لعظيم جدا ان يلتفت المجتمع إلى الأطفال والشباب الذين يروحون ضحية هذه الجرائم لتنتفع جيوب التجار غير آبهين بما تتركه تجارتهم من ضرر على المجتمع ، وإنه لاعظم من ذلك ان تهتم جماعات بعينها مثل العصبة المغربية لحماية الطفولة ، والجامعة المغربية لرعاية الطفولة ، وبعض الاختصاصيين بمستقبل الطفل العربى وتنص لتوفير الجو الصالح لنموه

حول مسألة البوظة

انهالت مئات الرسائل على رئيس تحرير الدوحة إثر كتابتى في العدد (٤٣) عبارة عابرة عن البوظة ، وبحكم نشاتى الأولى في مسقط راسى بالعريش – سينا ، أعرف من اصدقاء والدى وصديقات والدتي يرحمهما الله مدى نبل وكرم اخواننا أهل النوبة الذين هم حلقة الوصل الخالدة بين مصر والسودان منذ فجر التاريخ ، وأقدر كل التقدير عمق حساسيتهم وأدرك انهم أهل فن وذوق رفيع وشجاعة ومروءة ، ولكن هنالك فعلا شراب يصنع من الذرة شهي الطعم والرائحة ويباع في منطقة (بولاق أبو العلا) بالقاهرة لمريديه (على أنه اختراع منطقة النوبة) وذنبى في الموضوع اننى صدقت دون تمحيص انه اختراع نوبى في مصر والسودان : ولقد سرنى ما جاءت به تلك الرسائل من أن النوبة لا تعرف هذا الشراب الكريه ولا تقره ، وعسى ان يكون ذلك بشيراً بانقطاعه نهائيا واستبداله بشراب التمر هندى أو العرقسوس أو السوبيا في مظانه المعروفة ببولاق وغيرها من احياء القاهرة وغيرها حيث توجد (البوظة) .

درويش مصطفى الفار

أخطاء شائعة

● **عفاف محمد أمين**
اللاذقية / الجمهورية السورية

تحية للاستاذ عبد الله جابر عن زاويته « الأخطاء الشائعة » التي تساعد على علاج الأخطاء التي يقع فيها اكثر الطلاب وبعض المدرسين . وكذلك أشكر الأستاذ درويش مصطفي الفار على مقاله « في طريق مكة المكرمة وذبائح منى » وأشاركه الرأى في عمل فيلم تلفزيوني يوضح تفاصيل مناسك الحج .

خواطر

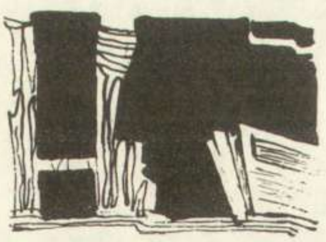

● **علي ابراهيم مصطفي**
مصر – طنطا

لا أستطيع التعبير عما يدور في خاطرى تجاه مجلة الدوحة وكل من يعمل فيها

وبصراحة كانت تأخذنى الحماسة كثيراً لأن اكتب إلى المجلة عما يجيش في صدرى تجاه تلك المجلة ولكن للأسف وقتى ضيق جداً .. ولكن عندما قرأت موضوع الدكتور محمد ابراهيم الشوش في العدد ٤٥ بعنوان « عندما انطلق المارد الأسود » .. وجدت في نفسي شيئا ما أريد أن أعبر عنه وكل ما أملكه عبارة عن ورقة متواضعة وقلم فاخذت أكتب هذه الرسالة لأعبر لكم عن مدى احترامى لهذه المجلة الغراء وكل من يعمل فيها .

الشهر الذي مضى

● عثمان محمد عباس
السودان ـ مديرية الجزيرة
معلم

اطلعت على العدد ٤٧ من مجلتكم العامرة بالمواضيع العلمية والثقافية والسياسية والذي لفت نظري اليها ما تحويه من مادة شهية يلتهمها القارىء ويستفيد منها في حياته .

واعجبت كثيرا بالموضوع الذي كتبه الاستاذ محمد ابراهيم الشوش عن « كسنجر » الوزير السابق للخارجية الامريكية في عهد نيكسون . فبالرغم من ان كيسنجر حلل وكتب عن الرؤساء والوزراء الذين قابلهم وحتى رئيسه نيكسون الا انني اقولها صراحة استطاع رئيس تحرير الدوحة ان يحلل كيسنجر نفسه ويوضح حيله ومكره ونفاقه .

فياله من كاتب بارع ومحلل سياسي مقتدر ، له مني الثناء والشكر .

زاوية الرأي

● صالح رجب الطيار
طبيب بالمملكة العربية السعودية

قرات للاستاذ محمد جابر الانصاري في عدد ذو القعدة ـ ٤٦ مقالا عن العمالقة . وان الذي يقرا ما كتبه الاستاذ الانصاري يظن ان الدراسات الجادة للشوقيات قائمة على قدم وساق ، وان المكتبة العربية في كل عام تضيف مزيدا من الدراسات لتفصل الغث من السمين في اعمال هؤلاء ، وتقدم لنا ما بقى منهم .

ـ اما اذا كان ما بقى من شوقي هو ولاؤه للسلطان .. فالف حسرة علينا . ومع ذلك فان القارىء البسيط يزجي التحايا الى روح شوقي المتقدة فنا وذوقا .. وينثر الكبرياء سياجا حول روح العقاد الجبارة حتى بعد مماتها ..

● محمد أحمد مجذوب
السودان ـ سنار

لقد أورد الاستاذ محمد جابر الانصاري في زاوية الراي في عدد اكتوبر تعقيبا عن العمالقة وان كان في تعقيبه شيء من الاجحاف . ان العمالقة قد تركوا لنا من الادب ما يمكن ان يخلد ولكن العيب والنقص ليس فيما تركوه من تراث وانما في مؤسساتنا التي تهتم بالنقد واجهزتنا التي تتربع على قمة المسئولية دون ان تكلف نفسها عناء الاهتمام بادباتنا ، على سبيل المثال لماذا يخلد شعر ت.س. اليوت الذي يحمل معاناته الشخصية وناخذه نحن ونمحصه وندرسه ولا نفعل ذلك مع شعرائنا ؟ مع وجود شعراء عرب بلغوا درجة عالية من الابتكار في مجالات الشعر . ماذا يعرف العالم العربي عن الشاعر « ادريس محمد جماع » بكل ما يحمل شعره من معاناة ، مع العلم بأن « جماع » يعتبر من انبغ واعظم شعراء الامة العربية في مطلع القرن العشرين ؟.

ماذا يعرف العالم الاوربي ـ بل العربي نفسه ـ عن مسرحيات على احمد باكثير التي لو ترجمت لكان لها أثر في المجتمعات الاخرى ؟ ومسرحيات احمد شوقي ماذا يعرف عنها المجتمع الغربي مثلما نحن نعرف عن شعره وشعرائه ؟

ان العمالقة قدموا لنا الثمين من الانتاج ولكن الماساة اننا في الوطن العربي نعرف اسماءهم فقط ولا نعرف انتاجهم . وليست هناك دراسة منتظمة تتناول انتاجهم بالدقة فكل نصيبهم نتف من اوراق وسطور .

لغة عربية

● الامين محمد أحمد
السودان ـ الطالباب

بالرغم من ان اللغة العربية لغة التخاطب في معظم الدول العربية ، الا أن هناك صعوبات تواجه كل عربي عند زيارته لبلد عربي آخر ، وتتمثل في التخاطب مع عامة الشعب حيث توجد بكل بلد عربي لهجة خاصة به ، واللهجات في الوطن العربي تختلف اختلافا تاما عن بعضها البعض . فمثلا نحن في السودان نجهل لهجات المغرب العربي والشام واللهجة المصرية تختلف عن لهجات الشام واليمن و .. و .. ... الخ .

فيا حبذا لو اهتم باحثو التراث في الوطن العربي بوضع معجم شامل للهجات العربية حتى يتسنى الالمام والمعرفة التامة لتلك الشعوب وذلك بمعرفة عاداتها وتقاليدها وطريقة معايشتها للحياة .

والجدير بالذكر ان اكبر

الجامعات في العالم توجه اهتماما كبيرا نحو تدريس لهجات الشعوب ، لان في ذلك دراسة لذلك الشعب دراسة فلسفية وبذلك يمكن معرفة عادات وتقاليد تلك الشعوب وفلسفتها في الحياة ..

● عبد المنعم عبد الغني
كلية الهندسة ـ أسيوط
ج٠م٠ع

تعتبر الامة العربية مساحة غير هينة على ظهر الكرة الارضية ولكن مستوى الثقافة بالنسبة للانسان العربي اقل بكثير من مستوى الثقافة للفرد الاوروبي والاميركي وغيرهما وذلك لانه توجد عدة

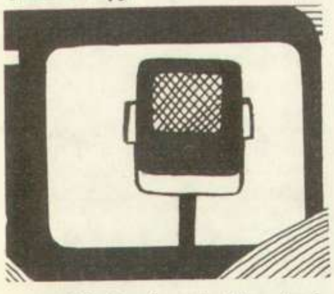

اسباب اهمها ، نسبة الاميه الكبيرة في الوطن العربي حيث انها اكثر من ٨٠٪ وهذه تعتبر نسبة كبيرة جدا . والسبب التالي مباشرة هو عدم اهتمام وسائل الاعلام كالاذاعة والتليفزيون وهي وسائل منتشرة وميسرة للجميع لا تهتم هذه الوسائل الا بالبرامج الترفيهية الرخيصة وتترك البرامج التثقيفية الواعية المدروسة على الهامش .

لا شك ان ارتفاع نسبة الثقافة للمواطن العربي ستساعد على تفهمه للوضع الحالي للامة العربية وستساعده على ابداء وجهة نظره في امور كثيرة تستفيد بها الامة وستساعده ايضا على فهم الاعيب الدعاية الصهيونية .

قضايا الشباب

● **الرفاعي حسن الرفاعي**
معلم بمدرسة المايقوما غرب الخرطوم ـ السودان ٠

في عدد نوفمبر ، طالعت موضوع د٠ حافظ الجمالي بعنوان « الى متى الازمات » ٠ وقد شدني محتوى الموضوع ، وجعلني امسك بقلمي لأشارك الدكتور الجمالي حديثه عن واقعنا الذي اعتبره مؤلما بحق ٠

انني اود ان اتحدث عن التناقضات التي نعيش فيها واثرها على الشباب ، بصفتي احد الشباب العرب ، الذين تفتحت اعينهم عل الدنيا ليجدوها معارك داوية ، وآمالا مطفأة ، وغليانا متصاعد ٠

فان كان الواقع الذي نعيش فيه يصيب الكبار بالاحباط ، فما بالك بالشباب ، انهم يفقدون في ظله قيمهم ومثلهم بل وهويتهم ايضا ٠ فاذا اردنا ان نرى افرازات الحاضر المؤلم فلنستمع الى اقوال الشباب ٠ فاحاديث الشباب وامانيهم وتطلعاتهم كلها بعيدة عن اوطانهم ٠

فالامة العربية تواجه محنة ، ليس لان حاضرها مؤلم ، بل لان مستقبلها مجهول ٠٠ فقد قرانا عن امم كانت متخلفة ، لكنها حين خططت لمستقبلها تقدمت وهدات واستقرت ، لكننا للاسف ٠ نعيش حاضرا اليما ، يشغلنا حتى عن التفكير في تفادي اخطاء الحاضر مستقبلا ٠

● **ياسر السيد مدني**
السودان ـ نيالا

ان الحديث عن قضايا شبابنا ومشاكلهم لا يمكن ان ينفصل عن مشاكل القيم والمثل والصراع بين الحاضر والماضي ٠٠ والخطورة الحقيقية التي تواجه شبابنا تنبع في الاساس من غياب المثل والقيم والمبادىء العامة التي يسترشدون بها وذلك انهم بحكم تكوينهم النفسي والعقلي والاجتماعي يرفضون الواقع ويحلمون بواقعهم الجديد بعيدا عن كل المؤثرات الخارجية ـ ولان هذا الواقع الجديد لا يمكن ان يكون نبتا

شيطانيا او بناء فوقيا لا اساس له ٠٠ لابد من الارتكاز الى التراث والتمسك بكل القيم والموروثات الايجابية والاصلية فيه ٠ وهم يصوغون حياتهم الجديدة ٠ هذا هو الطريق الوحيد لمواجهة الحيرة التي تمزق كيانهم وعاداتهم الموروثة ٠

● **أحمد عبد الله السيود**
المكلا ـ معهد التدريب المهني

ونحن في ظل المعركة الدائمة معركتنا مع الحياة ، ما احوجنا نحن الشباب الى كلمة ارشاد او توجيه او تشجيع او معلومات مفيدة تساعدنا للمضي قدما وبخطوات مدروسة ٠ على الدرب الذي بداناه ٠

انني اهيب بكل الشخصيات العربية التي تمتلك المقدرة على الكتابة باسلوب جذاب ان تعطي لنا خلاصة ما تراه مناسبا للجيل الصاعد من امتنا العربية ليساعدهم على بناء ذاتهم بناء سليما وصحيحا ٠

وفي اعتقادي ان مجلة الدوحة واسعة الانتشار ومن الجدير بها ان توجه هذه الدعوة عبرها الى مفكرينا وعلمائنا العرب ٠

إسـلاميـات

● خيري بغاخ دخيل
العراق – البصرة

لقد اطلعت على عدد – الدوحة – الاخير – ٤٧ – ولفت انتباهي موضوع (جوائز نوبل) ضمن باب « حياتنا المعاصرة » وقد تلقفت وبشغف قراءة موضوع جوائز نوبل هذا المقال العلمي القيم ، وادهشني ان يكون العالم الباكستاني ، عبد السلام ، اول مسلم ينال هذه الجائزة الدولية .

فهل نحن في اسيا وافريقيا وغيرها من الاماكن اقل مستوى للحصول على مثل هذه الجوائز ؟. والذي تبين من المقال نفسه ، ان كل الاشخاص الذين نالوا باستحقاق هذه الجائزة هم من الامم غير المسلمة .

لهذا فنحن نتمنى ان يتزايد عدد المسلمين الذين يستحقون مثل هذه الجائزة لكي يعيدوا مجد امتهم الماضي الذي كان يعج بالعباقرة وعمالقة الفكر والثقافة والعلوم والحضارة ويعود لهم الفضل في كل ما نراه اليوم ، حيث كان يستحق هؤلاء الاجداد العظام والعباقرة جوائز ما فوق (نوبل) . ان المقالة كما قلت رائعة حقا حيث احتوت كل ما هو جديد وقيم . وليتها تزداد المواضيع الثقافية والعلمية والفيزيائية في المجلة .

● حسن مبارك مزمل
السودان – الجزيرة .

قرات لقاء الدكتور مصطفى محمود ، لقد كان لقاء صادقا ومثمرا ، عندما تحدث عن لجوئه الى الفلسفة ، ابتداء بسقراط ، وحتى الديانات الاخرى المتعددة ، الى ان وصل الى الرسالات السماوية ، وفي النهاية وجد العظمة في الاسلام . حقا ان للفلسفة تأثيرا واضحا على كتابات

د. مصطفى محمود ، وهي التي اوصلته الى ذلك الايمان الصادق بالله .

من محمد عبد الجليل عسكر
المنشية – الاسكندرية

طالعتنا الدوحة في أعدادها رقم ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ بسلسلة مقالات في باب « اسلاميات » والتى تناول فيها احمد بهجت موقف الاسلام وقضايا العصر .

جاءت المقالات في صورة سلسة سهلة شاملة موجزة بأسلوب شيق كما عهدناه دائما وقد أوفى هذه القضية التي هي شاغلنا الشاغل الآن بجزء من كثير نحن في انتظاره .

سـينمـا

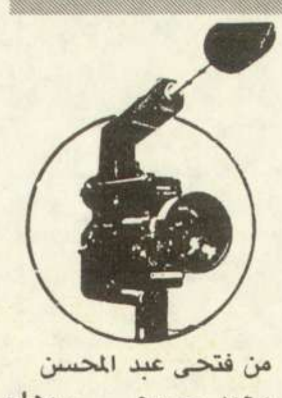

من فتحى عبد المحسن
محمد ج.م.ع – سوهاج

أعجبت أشد الاعجاب بما كتبه رءوف توفيق عن صناعة السينما في اسرائيل وكيف أن اسرائيل تحرك هذا السلاح الخطير لصالحها ، بل وتعمل على تثبيت أقدامها على سلم السينما العالمية . ان معرفة العدو خير من الجهل به .. لقد مضت سنوات عدة والمواطن العربي لا يعرف شيئا عن هذا الجسم الغريب الذي غرس في أرضنا غرسا فكان من نتائج ذلك اننا لم نعرف عدونا المعرفة الصحيحة وكان ما كان .

● عوض محمد با مسلم
اليمن – المحافظة الرابعة

ارجو من الكاتب رءوف توفيق ان يطلعنا على تجارب البلدان العربية في مجال السينما مثل الجزائر – سورية – لبنان ، فهي ايضا بها مجموعة من الافلام الرائدة التي تستحق النقد والتعليق .

نقـد

من عبد الله عبد الكبير كاكوم – عطبرة – جمهورية السودان الديموقراطية . مخازن السكة الحديد

قرأت بمجلة الدوحة تحت عنوان « النقد الادبى رحلة السقوط » موضوعا يتحدث كاتبه عن أزمة النقد المعاصر ، ويكشف علله ، ويحلل بعض جوانبه .. ولا أود الدخول في تفاصيل الموضوع ، ولكن أرجو أن أضيف بعض النقاط التي لم يتعرض لها الكاتب .

فالموضوع – في رأيى في غاية التعقيد ، فليس النقد وحده قد تدهور بل تدهورت قبله القيمة الأدبية نفسها في نفوس مجتمعاتنا ، ولا اخالنى مجانبا الصواب ان قلت ان روح البحث قد ذبلت بين المتعلمين ، وان الذوق الفنى قد انعدم بين الشباب المتطلعين للثقافة والآداب والمشتغلين بها في الجامعات وغيرها . ومرد هذا الأمر في جملته يعود إلى حد كبير لطغيان الحضارة الغربية المادية التي اجتاحت عالمنا العربي ونهج اكثر الناس أقصر السبل للاستزادة منها .

ولكى نصبو إلى الحل السليم هنالك حلقة مفقودة ينبغى أن تملأ وهى أن تتجدد مكانة الأدب في الحياة وتعود له قيمته في نفوس الناس ، ثم يكون اهتمامنا بالتراث وفق خطة شاملة يتم فيها اعداد الأدباء والنقاد والباحثين الذين يمكن أن تسطع آراؤهم فتضيء لنا الطريق وتكون لها فاعلية في حياتنا . فالنقاد الغربيون الذين نتشبث بآرائهم اليوم قرأوا تراثهم اليونانى القديم واستوعبوه ثم صاغوه بلسان عصرهم واستخلصوا استنتاجات جادة هى ثمرة جهودهم وظهرت آثارها في نقدهم وأدابهم وثقافاتهم وتصرفاتهم . أما نقادنا وأدباؤنا العرب حينما أعيتهم قضية التراث والتوفيق بينها وبين الحضارة الغربية الوافدة بحثوا عن أقصر السبل فسايروا الحضارة الغربية ، ولم يتعمقوا في فهمها ولم يبحثوا عنها في مصادرها الأصيلة فجاءت آراؤهم شاذة ومبتورة لا تنتمى إلى هذه ولا تلك ولم يخرج لنا من نقاد هذا الجيل العباقرة الذين يمكن أن يجمعوا بين ثقافات الماضي والحاضر ويؤلفوا بينها ويضيفوا إليها من آرائهم ويستخلصوا منها استنتاجات جديدة تفيد الناس في حياتهم الثقافية .

كـتـاب الشـهـر

● محمد عباس سوركتي
السودان – سودري

مما لا شك فيه أن الاطلاع امر هام بالنسبة لكل انسان يحاول ان ينمي قدراته الذاتية في الكتابة او الفهم . وبقدر ما يطلع القارىء ويهضم تجارب الغير ويفهم اشارات الكاتب التي يرمي اليها بقدر ما نضجت لديه الفكرة وتعمق عنده الأداء ، فيترجم ذلك شعرا او نثرا ولذا فانا اقترح ان يكون هنالك باب في مجلة الدوحة باسم « كتاب الشهر » يعرض واحدا من الكتب بطريقة تمكن القارىء من البحث عنه واقتنائه ليضيف الى مكتبته كتابا جديدا وياحبذا لو اضيف ايضا نبذة عن الكاتب ومجموعة من كتبه التي كتبها وبهذه الطريقة يراجع كل قارىء مكتبته ليضيف اليها الجديد .

بين المجلة وقرائها

من محمد عبد الجليل
الحسن ـ السودان
شندى ـ المدرسة الثانوية العليا للبنين

ان أبواب القراء ساهمت بقدر كبير في جذب معظم الناس فجعلتهم يتسابقون لكى يصبون كل ما في عقولهم من نوادر طريفة وأشياء علمية أخرى يستفيد منها الآخرين .

فأقول ان أبواب القراء أضحت الآن دائرة تعارف بين أبناء الوطن العربي وهنالك عادات وتقاليد غامضة ومدن صغيرة لم نسمع بها من قبل بل تعرفنا عليها من خلال صفحات هذه المجلة كما يمكن أن أضيف ان أبواب القراء صارت الآن تكامل علمى وثقافي بين القراء وأقول لكم بكل صراحة إنها أضحت الصديق لكل مثقف ، والثقافة لكل قارىء .

من بالطاهر بن عيسى
حى زعرورة تيارت
الجزائر

قرأت العدد الأخير من مجلة « الدوحة » وللأسف كان أول عدد أتعرف عليه من هذه المجلة الغالية ، ولذلك اقترح أن تطرحوا في الأسواق المجلدات السنوية لكل أعداد الدوحة حتى يستطيع من يريد اقتناءها ، الحصول على الأعداد التى لم يتمكن من الحصول عليها لنفادها من السوق .

● بخيت الشيخ المبارك
السودان

أود أن تهتم مجلة الدوحة بالموضوعات الاقتصادية مثل « موارد الامة العربية » ، ومشكلة الغذاء في العالم العربي . ليتحقق لنا كل جوانب المعرفة التي تهتم « الدوحة » بتوصيلها للقراء .

من جمعان مقبل ،
وأحمد محمد عبد الرحمن
سيون ـ بحيرة
اليمن الديمقراطية

اننى اتابع ما يكتب بالدوحة من موضوعات جادة ولا سيما موضوع تطور الخط العربي من البدائية إلى فن جميل . كما أعلن أيضا عن اعجابى العميق بالخطاط الشهير / يحيى محمود عمر الذي جعل البسملة على شكل طائر في متحف دبلن .

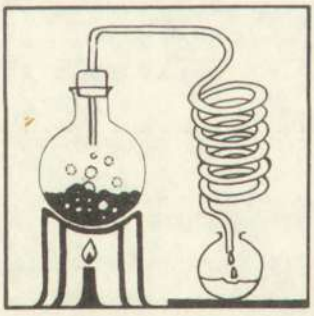

من خالد عبد الله بن تركى
الابراهمية ـ الاسكندرية

ان مجلة « الدوحة » ، من المجلات التي تهتم بتوزيع موضوعاتها ، وخصوصاً تلك التي تهم الشباب ، ولكننى الاحظ تقصيرها من ناحية نشر موضوعات علمية بسيطة تهم النشء ، الذين لا يستطيعون الحصول على المراجع العلمية .. فياحبذا لو خصصت المجلة باباً ثابتا لسرد بعض المعلومات العلمية البسيطة التي يستفيد منها العامة غير المتخصصين .

من اسماعيل عثمان
اسماعيل ـ السودان
تعليم الجزيرة ـ المدينة غرب

اقترح ان يقتصر باب « رسائل إلى المحرر » على تصويب خطا ورد في مقال او موضوع ، وللرد على القراء فيما يتعلق بانتاجهم الادبى ، وليس من الضرورى نشر تعليقات القراء على ما ينشر بالمجلة سواء بالاشادة او النقد .

● صلاح الشيباني
الرياض ـ المملكة العربية السعودية

أود أن اقترح بان يضاف الى صفحات المجلة باب يحكي عن قصص وانجازات عظماء التاريخ مثل الانبياء والصالحين ، ومثل الفلاسفة والمخترعين والجغرافيين وواضعي النظريات ممن كرسوا حياتهم لصالح البشرية . ارجو ان ينال اقتراحي موافقتكم .

● عابر محمد
الجزائر ـ قصر البخاري

اصبحت مجلة « الدوحة » تصلنا بسرعة في الجزائر بعد ان كانت تتاخر ، نشكركم على اهتمامكم بتلبية تلك الرغبة ، ان هذا الاهتمام لدليل على عمق الصلة بين المجلة وقرائها .

● أنور فتح الباب
مصر ـ السويس
حي الأربعين

لسوء حظي لم يتح لى أن أطالع مجلتكم العزيزة قبل شهر يونيو الماضي ، وتأسفت على الأعداد التي فاتتني دون ان اقراها .. وباكتشافي لمجلة الدوحة تفتحت امامي آفاق جديدة للثقافة والمعرفة .. وتبلورت عندي افكار جديدة عن القومية العربية .. لن امدح مجلتكم لانها ليست في حاجة الى مدحي ، ولكني اقدم لكم خالص الشكر لهذا العمل الرائع المتكامل .

من عيد ابراهيم الدسوقي
طناح ـ مركز المنصورة
الدقهلية

أين الأطفال في مجلة « الدوحة » ؟ ، اقترح تخصيص باب خاص يهتم باطفال الوطن العربي ، خصوصاً وان العام الدولى للطفل على وشك الانتهاء ..

العدد القادم

● هل العرب جادون فى تحقيق أهدافهم ؟

● هل وجد العرب طريقهم لاستعادة الأرض المقدسة ؟

● ماذا عن امتلاك العرب للسلاح النووى ؟

● لماذا « تتقدم قضايانا إلى الوراء ؟

...والعديد من الاسئلة الهامة التى تدور حول قضايا الساعة فى الوطن العربى .. يجيب عليها المفكر الاسلامى المعروف :

اللواء الركن
محمود شيت خطاب

د. محمد البهي

الإسلام في حياة الإنسان

رسالة الاسلام شاملة لجوانب الحياة الانسانية . وليست لجانب منها ، دون الجوانب الاخرى ، وهى :

– لسلوك الانسان

– ولسعيه فى الحياة

ولعلاقته مع الآخرين فى مجتمعه ، وفيما وراء هذا المجتمع .

– وهى للفرد فى توازنه بين العقل والغريزة، وللمجتمع فى سياسته وحكمه .

فالفرد مدعو الى جهاد نفسه .. الى ضبط شهوته وهواه . إن استمتع بمتع هذه الحياة الدنيا فلا يسرف فى استمتاعه بها .

(يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد)

(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين)

.. وينكر القرآن على من يحرم الاستمتاع بل : تحريمه إياها فيقول :

(قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده

(والطيبات من الرزق)

(قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)

..والمجتمع مدعو كذلك فى سياسته أن يكون أمره شورى بين أفراده . فيقول القرآن فى وصف المؤمنين :

(وأمرهم شورى بينهم) ..

..ويطلب الله من رسوله الكريم : أن يستمر فى مشاورة ذلك الفريق من المؤمنين الذى تولى عن القتال يوم (احد) رغم أن توليه كان من أسباب هزيمة المؤمنين فى هذه الموقعة :

(فاعف عنهم ،واستغفر لهم ، وشاورهم فى الامر) ..

الدين والدولة

.. والحكومة الاسلامية ليست حكومة إلهية . على معنى انها حكومة غير معصومة عن الخطأ والصواب .. هى تعمل بالكتاب والسنة الصحيحة ، وتجتهد فيما تفهمه وفيما تطبقه منها . فان أصابت كان لها أجران ، وإن اخطأت فلها أجر واحد .

.. ومن هنا ليس هناك فصل فى الاسلام بين (دين) .. و (دولة) . فالاسلام سياسة أمة ودولة ، ومنهج فرد وجماعة . و (العلمانية) لا تقوم على أرض المسلمين ، وليس فى دنيا المسلمين أمور مقدسة تتولى أمرها مؤسسة على نمط الكنيسة ، وأمور اخرى غير مقدسة تتولى أمرها هيئة على نمط الدولة . ولا تقوم على ارض المسلمين كذلك : حكومتان وسلطتان : حكومة تحل فى رئيسها روح الله ، وحكومة اخرى بشرية صرفة .. (والمادة) فى الاسلام ليست نجسة ، ولا شريرة ، وانما النجس فى الاسلام هو الشرك . والشرك هو عبادة غير الله مع الله .

ورسالة الاسلام فوق الزمان : هى للأمس – واليوم – والغد .

وفوق المكان : هى لهذا المكان ولذاك

وفوق القيصرية : هى للعرب وغير العرب .

وفوق الطائفية والفرقة المذهبية : لانها جاءت لطبيعة الانسان وخصائص الانسان التى يتميز بها عن كل ما عداه . فمبادئها تساند الطبيعة البشرية . إن نهت الانسان عن أمر ما فلمصلحة تعود على هذه الطبيعة وإن امرته بشيء ما فالصالح فى هذه الطبيعة أيضا .

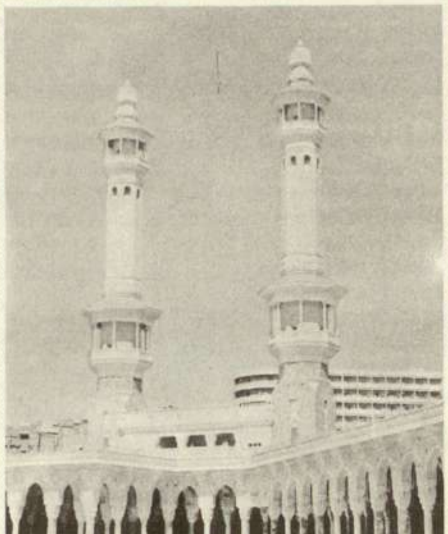

الزمان والمكان

ومن اجل أن رسالة الاسلام فوق الزمان والمكان ، وفوق العنصرية : لايعرف الاسلام حدودا جغرافية بين مجتمع اسلامى وآخر اسلامي ايضا ولا يعرف حدودا قومية بين شعب وآخر . وإنما يعرف مسلمين على أرض إسلامية ، والمسلمون ليسوا غرباء فيما بينهم وإنما هم اخوة فى أى مكان ، وفى أى زمان ، وبين كل شعب . وهم متكافئون على أرض هذا المجتمع من المجتمعات الاسلامية ، أو على ارض ذاك المجتمع الاخر منها . فالرباط بين المسلمين هو رباط الايمان بالله ، فوق القبيلة وفوق التراب والوطن .

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

(واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها)

واذا كانت الارض ، والتراب ، لا يفصل بين مسلم ومسلم فالذى يخرج من هذه الارض كذلك ليس لمسلم دون اخر . وإنما المسلمون فيه سواء . والزكاة إن فاضت عن حاجة بلد توزع على حاجة البلد القريب منه . وهكذا : حتى لا تكون هناك حاجة لمحتاج فى المجتمعات الاسلامية .

وأرض المسلمين إذن لا تعرف تكدسا وكثافة سكانية فى مكان ، واضمحلالا وقلة فى مكان آخر . ومال المسلمين كذلك لا يعرف ترفا عند فريق وحرمانا عند فريق آخر وزكاة الركاز ، وهى خير وبركة للمسلمين فى بقاع الارض . ولكنها لا تنتقل كبقية أنواع الزكاة الاخرى ، حتى تؤدى غايتها فيما وجدت فيه المعاون أولا .

وتطبيق الاسلام يجب أن يكون أولا فى قبول المسلمين لبعضهم كأخوة على أرضهم وليسوا كغرباء فى أى مجتمع من مجتمعاتهم .

وثانيا فى أن يأخذ العدل الاجتماعى طريقه بحيث يكون مال المسلمين فى خدمة حاجة المسلمين . ولا يعنى أن يكون مال المسلمين فى خدمة حاجتهم : أن تقسم

- رسالة الإسلام فوق الزمان .. إنها للأمس واليوم والغد
- الإسلام لا يعرف حدوداً جغرافية بين مجتمعين إسلاميين
- الرباط بين المسلمين فى كل مكان هو رباط الإيمان بالله

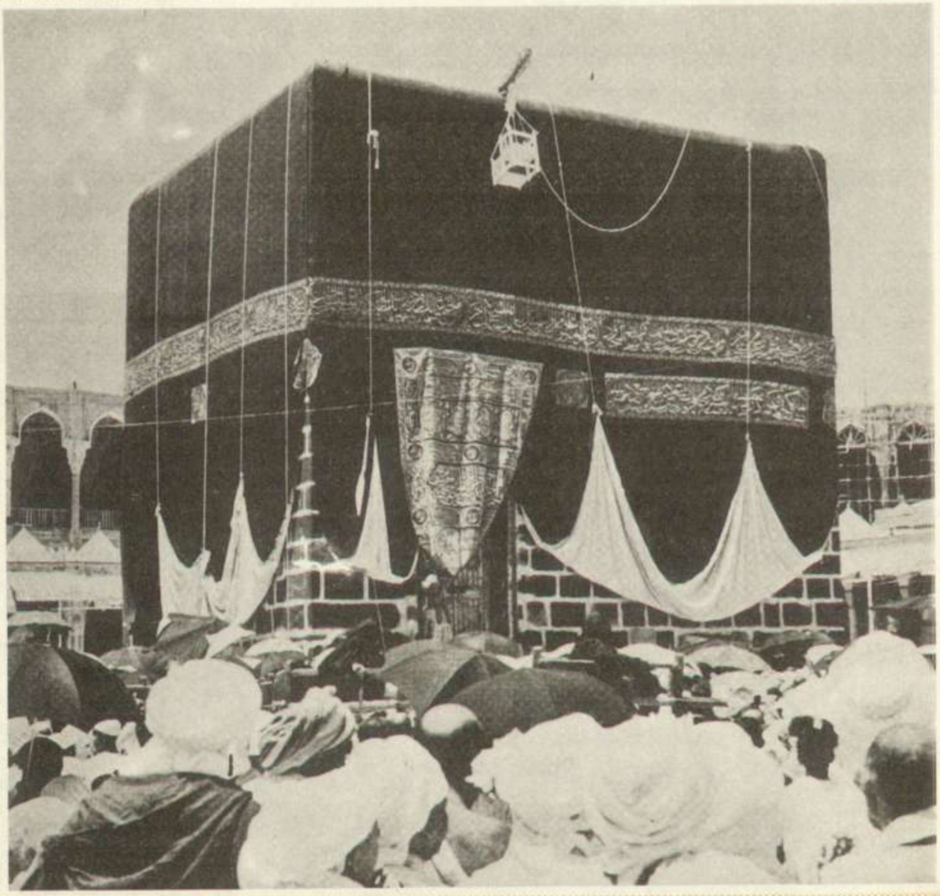

ملكيته فيما بينهم أو تحول الى ملكية عامة وإنما معناه أن تكون زكاة هذا المال ومنفعته لمصلحة المسلمين اينما وجدوا. وهذا معنى قوله تعالى فى سورة النحل :

(والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق)

(فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم)

(فهم فيه سواء)

(افبنعمة الله يجحدون)

فالمساواة التى تطلبها الآية هنا فى المال بين من يملك ومن لا يملك فى قوله — فهم فيه سواء — هى المساواة فى المنفعة وليست فى الملك للمال . لأن الارقاء أو من تسميهم الاية هنا (بمن ملكت ايمانهم) لا يجوز لهم التملك بسبب ملك اليمين . ويبقى اذن بعد التملك : أن تكون المساواة فى المنفعة . ولا شك أن أنصبة الزكاة صورة من صور المنفعة العامة للمال

وبتطبيق المسلمين للاسلام على هذا النحو لاتكون هناك مشكلة للسكان على الارض المسلمين : هنا : انفجار سكانى . ومن أجل ذلك يستخدم ما يسمى بتنظيم الاسرة . وهناك فى مكان آخر قلة ملحوظة من السكان ومن أجل ذلك تستورد الايدى العاملة . وكما لا يخلو تنظيم الاسرة من مخاطر على الاخلاق والصحة ، فان جلب الايدى العاملة الاجنبية قد يحمل من المخاطر ما يهدد الاسلام نفسه فى المجتمع المستورد لهذه القوى العاملة

وبتطبيق الاسلام على هذا النحو أيضا لا تكون هناك مشكلة اقتصادية على الارض الاسلامية تهدد المجتمع الذى يشكو من الفقر والحرمان : بالشيوعية .. وبالصراع الدموى .. ويتقلص ظل الاسلام فيه .

.. وبهذا أو ذاك : يكون الاسلام طاقة ، وصراطا مستقيما لحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية فى المجتمعات الاسلامية ككل .

أما المبادرة لاعلان تطبيق الاسلام فى (الحدود) .. فان تطبيقه فى هذه الدائرة وإن كان أمرا هاما لكن يحيط تنفيذه كثير من الشبهات التى تدرأ الحدود نفسها . فالمجتمعات الاسلامية اليوم فى حاجة ماسة قبل ذلك الى حل مشاكلها الاقتصادية بصورة أو بأخرى ، وحل مشاكلها الاجتماعية : وخاصة مشكلة الاسكان فى بعض المجتمعات فيها.

دعوة الرسالة

ورسالة الاسلام هى رسالة الدعوة الى الانتقال من وضع نفسى واجتماعى للانسان إلى وضع آخر مقابل له تماما . وقد صور هذا الانتقال أوضح تصويره : قول الله تعالى فى سورة ابراهيم :

(الر ، كتاب انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات .. الى النور)

(باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض)

(وويل للكافرين من عذاب شديد الذين :

١ (يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة)

٢ (ويصدون عن سبيل الله)

٣ (ويبغونها عوجا)

(اولئك فى ضلال بعيد)

فهذه الايات الثلاث تقسم المجتمع البشرى الى نوعين لا يلتقيان ابدا : الى نوع مظلم فى اتجاهه فى الحياة .. ونوع آخر مسرق فى سلوكه ، ومعاملاته ، وترابطه وأصحاب الاتجاه المظلم كما تصفهم الاية الثالثة هنا هم اولئكم الذين يؤثرون الحياة الدنيا ومتعها المادية على تطبيق القيم الانسانية فى حياتهم ، وفى علاقاتهم بالآخرين .. والذين يصدون عن سبيل الله

الإسلام فى حياة الإنسان

بكل وسيلة ممكنة بتشويه هذا السبيل ، وانتقاصه ، والافتراء عليه .. والذين يبغون هذا السبيل معوجا لا يستقيم أمره إطلاقاً فى نظر المؤمنين به ، أو فى نظر أولئكم الذين يدعون إليه .

عدم الاسراف

وهؤلاء أصحاب هذا الاتجاه المظلم هم الماديون أو الجاهلون فى كل عهد . هم الذين يكفرون بالله ، واليوم الآخر .. هم الذين يرون الايمان بالقيم الانسانية ضعفا . ولذا كانت منزلتهم عند الله : أنهم فى ضلال مبين .

أما أصحاب الاتجاه المشرق فى هذه الحياة فهم الذين يؤمنون برسالة الله .. هم الذين لا يحرمون على أنفسهم : الاستمتاع بمتع هذه الحياة الدنيا ، ولكنهم يؤثرون عليها :

— أولا أن ينتهى صراعهم النفسى والداخلى بين الشهوة والهوى من جانب ، والحكمة والعقل من جانب آخر ، الى التوازن ، وعدم الميل والانحياز الى الطرف الأول . ومعنى التوازن لديهم : أن لا يسرفوا فى الاستمتاع بمتع هذه الحياة المادية . وبذلك يوجد فى حياتهم ، وفى نعم الله عليهم : مكان للآخرين . وبذلك تسود بينهم جميعا : المودة.. والتعاون .. والاخاء فى الانسانية ..والرحمة من قويهم نحو ضعيفهم .. والمساواة فى الاعتبار البشرى بينهم جميعا .

— وثانيا أن يتحقق العدل بين أفرادهم فى معاملاتهم ، وفى علاقاتهم . على معنى أن صاحب المال فيهم يعطى لمن لا مال له ، وهو فى حاجة الى المال ، من مال الله لديه . وإخراج الزكاة صورة من صور العدل بين الأفراد ، أو صورة من صور التوازن بينهم .

فان زاد فى العطاء من يملك المال على الزكاة ، فقد زاد عن العدل .. وأحسن . واذا زاد صاحب المهنة فى العطاء الانسانى . كالطبيب ، أو المعلم مثلا — فى العطاء من مهنته أكثر من الاجر الذى يعود عليه عادة من ممارسة المهنة ، فقد زاد عن العدل .. وأحسن . والاحسان اذن يأتى بعد العدل عند عطاء فى غير مقابل لصاحب الحاجة الى هذا العطاء .

فالمؤمنون برسالة الله غير — انانيين — ولديهم روح المشاركة الاجتماعية لغيرهم . يحبون الاخرين كما يحبون أنفسهم ، ولكن فى سبيل الله وحده ، وليس لمنفعة خاصة تعود عليهم . وروح المشاركة التى تتمكن منهم هى مصلحة الخير فى المجتمع إذ الخير ليس إلا عطاء فى غير مقابل ، مما ينفع الناس من : مال .. وعلم .. وجاه .. وقوة .

وأى انسان لايكتفى بالعطاء فقط ، بل يكون أيضا بالتهذيب فى القول .. وفى السلوك .. وفى المعاملة . هو مرتبة عليا فى مستوى الانسانية ، بينما العدل مرتبة أدنى منها فى هذا المستوى .

متع الحياة

— ودعوة الاسلام لا تلغى متع الحياة الدنيا بطلب الانصراف عنها وإلا ما بقيت الدنيا داراً للتجربة والاختبار .. والا ما بقيت **فى صلاحية لأن تكون الحياة الانسانية فيها** مميزة بين الناس فى اعمالهم وسلوكهم .

دعوة الاسلام تعترف بالدنيا ، وبالمتع المادية فيها .. وتدعو الانسان الى الاستمتاع بها . ولكن فى اعتدال ، وغير اسراف :

(يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد)
(وكلوا واشربوا)
(ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين)

دعوة الاسلام تريد فقط : أن يتخذ المؤمن بها من عدم الاسراف فى هذه المتع ، طريقا يجنبه الطغيان بالمتع هذه فلا يعبدها من دون الله . ومعنى عبادتها من دون الله : أن يركز سعيه فى الحياة لتحصيلها وينسى نوعية السبيل التى يسلكها فى تحصيلها : أهي سبيل ضارة بالنفس أو الغير ، أو بهما معا ؟ .. لا يسأل عن الحلال ، والحرام : فى اختيار هذه السبيل :

أ — فيرى فى الاعتداء بالسرقة .. وبالنصب .. وباستضعاف الضعيف كاليتامى والنساء والصغار سبيلا مشروعا فى تحصيل المتع المادية .

ب — ويرى فى إضعاف جانب الحق برشوة الحاكم .. أو فى إذلال صاحب الحاجة بالربا .. أو بالاحتكار .. أو بعدم العدل فى المعاملة كتطفيف الكيل والميزان طريقا صحيحا لتحصيل متع الحياة !

جـ — ويرى : التبذير .. والسفه فى انفاق المال .. والترف فى استخدام المتعة ، أمر لا يحق لانسان أن يعيبه على من يملك القدرة على الانفاق فيما يشاء !

معنى عبادة المتع المادية من دون الله : أن تجعل العلاقة بين المادة — والله : علاقة

يسمو فيها اعتبار المادة على ما لله من كمالات تحدد القيم فى العلاقة بين الناس. فمن بين كمالات الله : الخلق — والقدرة — والابداع — والرحمة — وغنى الذات — والعلم — والهيمنة .. الخ وهى كمالات ينعكس الايمان بها على الانسان المؤمن : فى نفسه ، وفى علاقته بالآخرين . اذ المؤمن بالله له من ايمانه : أن يحكى صفات المولى فى ذاته : فيتقرب اليه بعمله الجيد الذى ينطوى على خالقية وابداع .. وبعلمه الواسع ، وبرحمته للآخرين ، وبهيمنته ، وبغناه الذاتى ..وعبادة المتع المادية إذن : تفضيلها فى السعى والهدف للانسان ، على تحصيل ما يتقرب به المؤمن بالله فى ذاته ، حكاية عن كمالاته ، أو عما يدعو اليه المستوى فى الانسانية فى العلاقة بين انسان وانسان من : مودة .. وتعاون — وعدل .. واحسان .. ومحبة .. وإيثار .. الخ

فالعابد للمتع المادية لا يفسح فى نفسه بجانب المال وزينة هذه الحياة الدنيا مجالا لمعنى : الرحمة ، والعدل ، والمودة ، والتعاون ، والعلم ، والابداع .. أو غير ذلك من القيم العليا فى حياة الانسان . ويعتبرها عديمة الجدوى !

والحضارة فى نظر العابد للمتع المادية هى الحضارة المادية وحدها . هى حضارة القوة .. حضارة الصناعة .. حضارة الاستعلاء .. حضارة المال .. وحضارة العمارة .. حضارة الخدمات . وبالتالى لا تمثل القيم الانسانية فى نظره حضارة . فالعفة.. والقناعة .. والمروءة .. والمعاونة .. والتواد .. والمحبة .. وابعاد الاذى والضرر عن النفس والضمير .. والاستقامة فى السلوك .. والعدل بين الناس .. ونحوها :

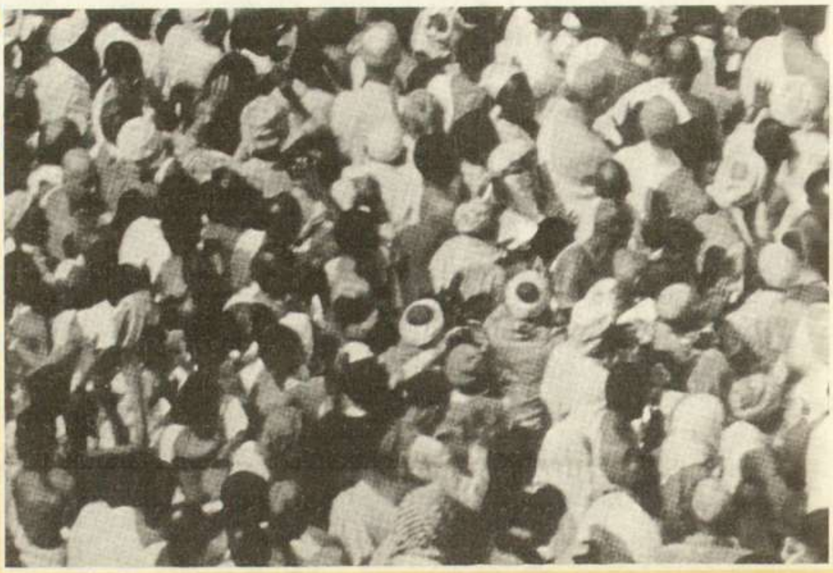

معان بعيدة عن مسمى الحضارة فى نظره . ولا يقيمها إلا عاجز أو ضعيف ، أو صاحب حاجة الى الى الآخرين !

القيم الانسانية

دعوة الاسلام تدعو الى حضارة انسانية أى تدعو الى تحقيق القيم الانسانية العليا فى سلوك الناس ، وفى علاقات بعضهم ببعض . ولكنها لا تنتقص الحضارة المادية .. هى تفصل بين حضارتين ، ولا تربط بينهما . فقد كان المسلمون على عهد الرسول عليه السلام وعلى عهد الرسالة : أصحاب مستوى انسانى فاضل ، وكانت روح التماسك بينهم هى الروح المستمده من هداية الله . وليست روح الطائفية أو القبلية أو الشعوبية والقومية :

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمتة اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) ..ولم يكونوا أصحاب حضارة مادية .. لم يكونوا اصحاب صناعة أو بناء أو تشييد

واليوم توجد حضارة مادية فى قمة الحضارات المادية التى يذكرها التاريخ للبشرية . ومع ذلك تكاد لا توجد معها تلك الحضارة الانسانية ، وهى حضارة القيم الانسانية العليا . حضارة المشاركة وعدم الانانية .. حضارة الاحساس المشترك بين الناس جميعا .. حضارة التعاطف والتواد .. والتعاون ..والمساواه فى الاعتبار البشرى . إن الحضارة التى توجد اليوم : هى حضارة القوى .. حضارة التقدم فى الآلية ، والتقدم فى وسائل التدمير والابادة .. هى حضارة (الصراع) من أجل البقاء ، والاستعلاء .. حضارة العلم للظفر والغلبة .

دعوة الاسلام لا تنتقص الحضارة المادية. ولكنها تريد بجانب ذلك : أن تعيد للحضارة الانسانية وزنها واعتبارها فى حياة الانسان . ولهذه الغاية تعيد تقييم الانسان بعمله الانسانى ، وليس بثروته ، ولا بما يملك من متع هذه الحياة المادية . فقيمته بما يؤديه من عمل لخير نفسه وخير الآخرين ، وليس برقم الثروة التى يملكها . والمال إذن فى ملك الانسان منعزل تماما عن قيمة الانسان . فالذى لا يملك المال قد يكون أفضل عند الله ممن يملك الكثير منه : (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة أى فى الكفر لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبوابا وسورا عليها يتكئون . وزخرفا) .. ورزق الله للانسان لا يدل على تفضيل الله له ، على من يملك القليل أو من لا يملك شيئا منه ، فالكافر أو المؤمن ، سواء فيه :

(كلا نمد : هؤلاء وهؤلاء ، من عطاء ربك (وما كان عطاء ربك محظوراً . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) ..

ودعوة الاسلام فى اعادة تقييم الانسان تعود بالتقييم الى الاصل العام الذى جعلته اساسا ، وهو المساواة فى الاعتبار البشرى بين الناس جميعا .. والتميز بينهم بعد ذلك بالعمل ومدى انطوائه على المستوى الانسانى الفاضل . فجاءت المساواة فى قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) .. وجاء التميز بعد ذلك فى قوله جل شأنه

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن اكرمكم عند الله اتقاكم ، إن الله عليم خبير) ..

.. فنوعية العمل هى التى تميز الانسان عن انسان . فكلما كانت نوعيته لصالح الكثرة من الافراد فى الامة ، كلما تميز بالقيود عند الله .. وكلما ابتعد عن الانانية وعن الشعوبية ، كلما كان أقرب الى الخير والصالح العام .

أما فى مجال السعى فى الحياة من أجل الرزق فقد سوت دعوة الاسلام بين أداء العبارة .. واداء السعى من أجل الرزق . وقوله تعالى فى سورة الجمعة يعلن عن هذه المساواه :

(يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض ، وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) . فالانسان جهده فى الكسب لتحصيل الرزق .. وجهاده ضد هوى النفس فى توجيه العمل نحو خير المجتمع والامة .

الخصائص البشرية

وإذا كانت دعوة الاسلام تستهدف اعادة التقييم للقيم الانسانية فى مواجهة المتع المادية فى حياة الانسان بحيث لا يطغى بالأخيرة على حساب الاولى ، كما هو طابع الحياة فى المجتمع المادى ، فهى دعوة فوق الزمان ..وفوق المكان .. وفوق العنصرية ، أي لا يحدها زمن ، ولا مكان ، ولا شعب . وهذا معناه : أن نزول القرآن باللغة العربية ، وفى مكة ، وفى يثرب ، وفى مواجهة قريش أولا ، ثم القبائل العربية الاخرى ، لا يجعل رسالة الاسلام للعرب وحدهم فى شبه الجزيرة العربية ، كما لا يجعل عهدها فقط هو عهد الجاهلية ، والكهانة ، والوثنية التى كانت بمكة .

فأينما كان هناك اختلال فى ميزان التعادل بين القيم الانسانية من جانب والمتع المادية من جانب آخر .. طالما كان هناك طغيان بهذه المتع فالمكان هو مكان الدعوة الى الاسلام .

وفى أى وقت .. وفى أى شعب وفى أى مجتمع يطرأ هذا الاختلال فى صحبة الطغيان بالمادية ، فالوقت ، والشعب ، والمجتمع ، هو وقت الدعوة الى الاسلام ، والشعب ، والمجتمع كلاهما فى حاجة الى (اعادة التقييم) .. أو فى حاجة الى رسالة الاسلام .

الإسلام فى حياة الإنسان

ويجب أن يكون معروفا: أن الصراع بين الفرس والروم على عهد رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كان المقدمة أو التمهيد لرسالته . فقد كان صراعا بين قوتين عاشتا فى طغيان مادى . وكان لهما من النفوذ المادى ما يجعل العالم أنذاك عالما ماديا ، فاذا كان الرسول عربيا ، ولغة القرآن عربية ، ومكان الوحى فى شبه الجزيرة العربية ، والدعوة اليها بين العرب أولا ، فان ذلك لايخرجها عن كونها نداء ضد طغيان المادية، ودعوة الى القيم الانسانية والى التحول الى مجتمع انسانى . وهى من اجل ذلك دعوة عالمية أو (إنسانية) .. هى دعوة ضد طغيان المادية . والاسلام اليوم له مكان فى العالم المادى صاحب الحضارة المادية المسيطرة والمنتشرة اليوم فى مجتمعات الانسان المعاصر .

الاسلام اذ يطلب اليوم ليس طلبه دعوة الى (الوراء) . والماضى . بل دوره اليوم .. وغدا ، لاعادة حياة الانسان الى مستوى إنسانى ، بعيد عن الانانية وطغيانها .

مكان الاسلام اليوم فى عالمنا المعاصر لا يقل عن مكانه على عهد الجاهلية ، عندما أرسل المصطفى عليه السلام الى الجاهليين فى كل مكان : فى شبه الجزيرة العربية .. فى الامبراطورية الفارسية .. فى الامبراطورية الرومانية .. فى عالم الامس كله ايام بعثة المصطفى عليه السلام اذ لا فارق بين اليوم .. والامس ، فى طغيان المادية فى المجتمعات الانسانية . بالأمس كانت جاهلية .. واليوم توجد الجاهلية . وهى جاهلية البعد عن القيم الانسانية العليا فى حياة الانسان . فاذا صاحبت جاهلية اليوم حضارة مادية فى قمة الحضارات التى يذكرها تاريخ الانسان ، فان ذلك لا يغير من واقع الأمر . وهو واقع الضعف للقيم الانسانية ، أو واقع التلاشى لها .

رسالة القرآن

ويوم أن خرج العرب من شبه الجزيرة العربية يحملون الايمان بالاسلام الى الآخرين فى المجتمعات المادية على عهد الخلافة بعد وفاة الرسول عليه السلام ، لم يكن خروجهم واتصالهم بالاخرين خروجا للغزو ولا إتصالا من أجل السيادة عليهم وإنما كان اتماما للدعوة الاسلامية التى تدعو المؤمنين جميعا الى الوقوف فى وجه طغيان المادية واعادة المنزلة والاعتبار من جديد للقيم الانسانية فى حياة الناس ، فى اى مكان .

ووفاة الرسول عليه السلام ليست نهاية لرسالة الله ، وهى رسالة القرآن . فرسالة الله باقية .. ورسالة القرآن باقية . وجاء الامر بالاستمرار فيها ، فى قوله تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر)
(واولئك هم المفلحون) ..

فطلب مباشرة الدعوة الى رسالة الله بعد وفاة الرسول عليه السلام ، من جماعة غير معينة ، هو أمر بديل عن رسالة رسول جديد فى عهد ما ، طالما أن محمد صلوات الله عليه خاتم الانبياء والمرسلين ، وطالما كان قرآنه مهيمنا على رسالة الله على الانسان .

وهكذا : اتهم اعداء القرآن : المؤمنين ، بأنهم نشروا الدعوة الى الاسلام فى المجتمعات غير العربية بحد (السيف) .. وبالاكراه : ادعاء يحمل الغرض بين جنبيه.

والاسلام فى حياة الانسان هو لمصلحة الانسان الذى يؤمن به .. ولمصلحة المجتمع الذى يتكون من افراده المؤمنين به . إنه لصياغة الفرد والمجتمع صياغة إنسانية ، بعيدة عن الصراع ، والقلق ، والاضطراب (وقل الحق من ربك ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر) ..

- **الروح عماد البدن ، والعلم عماد الروح ، والبيان عماد العلم .**

« ابن التوأم »

- **قالوا : شعر الرجل قطعة من كلامه ، وظنه قطعة من علمه ، واختياره قطعة من عقله .**
- **وقالوا : البيان بصر ، والعي عمى ، كما أن العلم بصر والجهل عمى ، والبيان من نتاج العلم والعي من نتاج الجهل .**
- **حياة المروءة الصدق ، وحياة الروح العفاف ، وحياة الحلم العلم ، وحياة العلم البيان .**
- **كان الناس ورقا لا شوك فيه ، فاصبحوا شوكا لا ورق فيه .**

« أبو ذر الغفاري »

- **لا تطلبوا الحاجة الى ثلاثة : الى كذوب ، فانه يقربها وان كانت بعيدة ، ويباعدها وان كانت قريبة ، ولا الى أحمق ، فانه يريد أن ينفعك فيضرك . ولا الى رجل له الى صاحب الحاجة حاجة ، فانه يجعل حاجتك وقاية لحاجته .**
- **عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه ..**

« المهلب »

علــــى ســـيّار

نقطة حوار

لنعـــترف!

لا وسط ...

ذلك هو مفتاح الشخصية العربية حيث الانسان في وطننا العربي كبندول الساعة أما إلى اليمين واما إلى اليسار ...

في عداواتنا نحن نقف على ابعد خط من خطوط الكراهية والحقد ...

وفي صداقاتنا لا مانع لدينا من أن نضحى بأولادنا اكراما لضيوفنا كما فعل السموءل ..

تاريخنا سلسلة من الأفعال وردود الأفعال التي لا تعرف الحد الفاصل بين حكم المنطق وحكم المزاج ...

في لحظة مزاجية كان الخليفة يتحول إلى (متلاعب) بأموال الدولة حين يامر بمنح زيد من الشعراء مائة الف درهم لأنه قال قصيدة مدح اعجبته ..

وفي لحظة مزاجية اخرى كان نفس الخليفة يتحول إلى نهر من الجنون حين يامر باحضار النطع والسيف لقطع عنق زيد من الناس لأنه قال بيتا من الشعر لم يعجبه ..

لذلك كانت لغتنا أثرى لغات الأرض قاطبة واغناها بقصائد المديح التي كانت تصل بالممدوح إلى درجة قريبة من درجة الألوهية وتصل في هجائها إلى حد لم يتورع فيه احد الشعراء من أن يهجو نفسه بعد أن رأى وجهه ينعكس على صفحة الماء :

أرى لك وجها قبح الله شكله
فقبح من وجــه وقبح حاملــه

ونحن امة تغرق فى عواطفها حتى اذنيها ... فالحزن عندنا لايستقيم ان لم نشق جيوبنا ونضرب صدورنا وان لم نولول صائحين نائحين ...

اننا امة تغرق فى صداقاتها حتى الهوس وتغرق فى عداءاتها حتى الجنون ...

الاحمر عندنا لا يمكن أن يتحول الى برتقالى أو بنفسجى أو أى من هذه الالوان التى تقترب منه حتى ولو مزج بالف لون ولون ...

والاسود عندنا لايمكن أن يتحول الى رمادى ... فنحن نرفض دائما أن نتعامل معه الا على انه لون غير قابل للتغيير

فنحن اما تقدميون واما رجعيون ...
اما وطنيون او عملاء للاستعمار ...
أما ملحدون أو مؤمنون ...

لاتوجد عندنا تلك الدرجة التى تفصل بين التقدمية والرجعية ولا تلك التى تفصل بين الوطنية والخيانة ولا تلك التى تفصل بين الايمان والالحاد .

نحن لانؤمن بان الوطنية درجات والرجعية درجات والايمان درجات ... فكل شيء عندنا اما أبيض واما أسود ولا لون يفصل بين الاثنين ...

وحين تفجعنا الاحداث فان بعضنا يغرق فى الكاس للدرجة التى يفقد فيها ادميته ... وبعضنا يتلبسه الحزن الى الدرجة التى يتلفع فيها بالسواد عاما او عامين ... وربما الى الابد ... بل أن بعضنا يستنفر فى عينيه نهر الدموع بواسطة الندابات والنائحات وبائعى اللوعة الكاذبة ...!

اغنيتنا هنا موال حزين لا نهاية له ...وهى هناك لوعة حب شاحبة موسومة منذ القدم بالعذاب والالم والهجر ... همها أن تبحث عن كلمات تفجر الدموع وتفجع القلوب كأنما لاشيء هناك فى الحب يمكن أن يشيع البهجة فى القلوب أو يرسم البسمة على الشفاه ...

وتسأل عن السر فى ذلك فلا ترى سوى اننا أمة لاتعرف كيف تقف فى الوسط.

صداقاتنا وعداواتنا ـ افرادا أو دول ـ لاتخضع لعلم المنطق بقدر ما تخضع لشفافية المزاج ... فنحن نحب لا لان مصلحتنا تقتضى منا ان نحب ولكن لأن شيئا ما نستلطفه فيمن نحب ..

ونحن نكره لا لان حساب الربح والخسارة هو ميزان هذا الكره ولكن لان شيئا ما لانستلطفه فيمن نكره ... ولذلك ففى كل يوم لنا أصدقاء جدد وفى كل يوم هناك احتمال أن ينتقل اصدقاؤنا من خانة الحب الى خانة الكره ...

ونحن ايضا ـ وفى لحظة مزاج واحدة ـ قادرون على أن ننسى كل إساءات خصمنا مهما بلغت درجتها حتى ولو مست كبرياءنا وشرفنا ... ليتحول هذا الخصم الى (العزيز فلان والعزيز علان) ... اكثر من ذلك ربما ذهبنا فى كرمنا الى الحد الذى نبرر فيه مواقف خصومنا السابقة .. بل والاعتذار عنها .

ومن هنا تحول تاريخنا ـ خاصة الحديث منه ـ الى سلسلة من عمليات الثار والانتقام والثورات والثورات المضادة ... فالتاريخ عندنا مصاب بلوثة القفز العشوائى فوق الخطوط البيانية حيث لا موازين يمكن أن تقومه ولا ضوابط يمكن أن تحدد خطاه واصبحت دولنا كبندول الساعة الذى لايعرف الوسط تتحول ـ وفى لحظات خاطفة يصعب تفسيرها تاريخيا ـ من ديمقراطية الى دكتاتورية الى اشتراكية الى شيوعية الى اوتوقراطية دون أن تضطر الى المرور بالمراحل التاريخية المتدرجة لهذه التحولات المفاجئة السريعة ذات النبض الخاطف الذى لا يخضع لمنطق التاريخ ولا لحساباته ..

لاوسط ...

فامريكا عدوتنا اليوم هى صديقة بالأمس ... وتسأل لم هى صديقة ولم هى عدوة ... ولم نقترب منها اليوم وكنا أبعد ما نكون عنها بالأمس فلا تجد جوابا مقنعا .. بينما امريكا هي هي لم يتغير فيها شيء منذ أن زرعت بيننا (اسرائيل) .. ولكن الجواب يكمن فى خصائص الشخصية العربية وفى تكوينها الفسيولوجى حيث انعدام القدرة على اتخاذ الطريق الوسط ...وحيث القرار الفوقى يخضع (للمزاج) اكثر من خضوعه لعلم الحساب ...!

وبالنتيجة اصبح المواطن العربى عندنا مواطنان ..

مواطن يعادى حيث ينبغى أن يصادق ومواطن يصادق حيث ينبغى أن يعـــادى .. وبين هـــذا المواطن وذاك من الوديان ما لا يمكن أن تردمه كل جبال العالم لو قدر لها أن تتفتت الى صخور ورمال.

بعضنا يعزو كل ذلك الى الاستعمار ... فهو الذى فرق بين صفوفنا وهو الذى افرز معطيات فاسدة لتنبت زرعا فاسدا وهو الذى جعلنا نشمئز من ممارسة الاعمال اليدوية لأنها عيب ما بعده عيب وهو الذى حول العلوم فى مدارسنا من دروس فى معرفة كيف تسير الدراجة وكيف تعمل الساعة وكيف تطير الطائرة الى دروس فى التفريق بين الدجاجة والديك وكم اصبع للبطة وماهى فترة الحمل عند البقرة ...!

قد يكون ذلك صحيحا ... ولكن اكثر صحة من ذلك ان الاستعمار لو لم يجد التربة صالحة لما استطاع أن يحولنا ـ وبهذه السهولة ـ الى أمة متلقية تستانس به وتانس اليه ...وربما وجدت فيه منقذها ومخلصها والمدافع عنها ...!

لا .. ليس هو الاستعمار ...

ولكنه نحن ...

فالأمم لايعيبها أن تَسْتَعْمِر ـ بفتح التاء وكسر الميم ـ ولكن يعيبها أن تُسْتَعْمَر ـ بضم التاء وتسكين العين وفتح الميم ـ .

وعلينا أن نعترف ... فالاعتراف هو حيلة العاجز ... ولا أظننا فى مركز يسمح لنا بغير الاعتراف ...

وما عدا ذلك فلتسقط كل بهارج الكلمات الكاذبة ... ولتنكس كل رايات الغرور الاجوف .. ولتكن البداية من هناك .. عبر قنوات المنطق وعلم الحساب بدلا من هوس الامزجة وهوى النفس ..!

علي سيار

د. عون الشريف

الإنسان المعاصر وأزمة الحضارة

● الحديث عن العرض والجوهر ككل حديث عن البشر .. أمر نسبي بالضرورة

● تاريخ الإنسان كفاح من أجل التخلص من قيود الطبيعة والبيئة والوضع الاجتماعي غير المتكافئ !

بين الجوهر والعرض :

قضايا العلم الكبرى التي يعيشها انسان العصر الحديث أزمات وحروبا وأمراضا وتفسخا ويأسا ليست في حقيقتها الا أعراضا ظاهرية لعلة أعظم خطرا وأعمق جذورا • وينبع خطر علة العلل هذه من أنها تمس صميم الانسان كانسان ، وتستهدف جوهره الاصيل ككائن عاقل يقف في قمة الهرم التطوري للكائنات المعروفة حتى الان •

والحديث عن العرض والجوهر ككل حديث عن البشر أمر نسبي بالضرورة ، اذ قد يكون العرض صورة موقوتة للجوهر ، أو تعبيرا جزئيا عن بعض جوانبه • وليس من العسير على الانسان أن يميز في هذا المجال بين ضربين من القضايا •

أولهما يتعلق بتطور الانسان في السلم الاجتماعي وانتقاله من بيئة متخلفة الى أخرى متقدمة • وثانيهما يتعلق بتطور الانسان (الداخلي) فينا كانسان • ولهذا التمييز أهميته على الرغم من أن الانسان في كلا الحالين هو هدف التطور والقاسم المشترك الاعظم فيهما ، فقد دلت التجارب على أن القضايا الناجمة عن تطور الانسان في بيئاته الاجتماعية المختلفة قضايا مرحلية عارضة ، والاعراض التي تصيب المجموعات البشرية فيها على الرغم من آلامها ومرارتها أعراض معاناة لابد للانسان من أن يدفعها ثمنا للتطور والتقدم ، اذ المرض قد يكون أحيانا زكاة للجسد ، والمراحل التي مرت بها الانسانية في طريقها نحو عالمنا الحديث كلها تشير الى عظم هذه المعاناة والتضحيات الكبيرة التي بذلها الانسان وما يزال يبذلها ثمنا للتحضر • والواقع أن كل تاريخ الانسان كفاح من أجل التخلص من قيود الطبيعة والبيئة ، والوضع الاجتماعي غير المتكافىء • وهو من أجل ذلك في صراع أبدي مع الطبيعة ومع كل الظروف التي تهدر مقومات انسانيته ، فالصراع دائما صراع من أجل (الانسان) • والقضية هنا أن كل هذا التطور وما ينجم عنه من قضايا ، تطور عرضي في صميمه ، بمعنى انه القشرة الخارجية أو الاطار الشكلي لما يمكن أن يكون بيئة صالحة لانسان العصر • لكن ماذا عن هذا الانسان الذي هيأ له جهاده الطويل كل هذه الطيبات ؟ هل

نقول ان التطور الذي مس حياة الانسان في اطارها الخارجي ، ونقلها من مجاهل ما قبل التاريخ وكهوفه عبر كل عصور الظلام والآلام والموت البطيء تحت وطأة الجهل والفقر والمرض الى عصر الذرة ورحلات الفضاء ، قد استتبع بالضرورة تطورا جوهريا في انسانية الانسان ؟

الانسان والبيئة :

لقد تحدث الناس في كل زمان عن علاقة الانسان بمحيطه ، وذهبوا الى أن الانسان ابن بيئته وأقاموا في ذلك النظريات ، وعمق ماركس مفهوم البيئة • المادية وآثارها الكبيرة على فكر الانسان وعلاقاته بالآخرين • وهناك من الشواهد ما يؤيد كل ذلك • فخاصية الانسان كحيوان اجتماعي تجعل الصلة بين انسانيته كفرد والمجتمع الذي ينتمي اليه قوية ومباشرة • وواقع الحال يشير الى ظواهر في حياة البشر تؤكد في ظاهرها ارتباط تطور الانسان بتطور مجتمعه • فانسان العصر على وجه العموم فيما يبدو أكثر عطفا ورقة عن أسلافه سكان الغاب الذين كانوا في صراع متصل مع كل الظروف المحيطة بهم ، فالقسوة والعنف والقتل الفردي والجماعي جزء من حياتهم التي يحكمها قانون البقاء للاصلح ، والاصلح هنا الاقوى على البقاء • وفي المجتمعات المتحضرة التي أفاء عليها العلم من الثروات والامكانيات المادية ما أفاء ، شواهد

● خاصية الإنسان كحيوان اجتماعي تجعل الصلة بين إنسانيته كفرد، والمجتمع الذي ينتمي إليه .. قوية ومباشرة

أخرى قائمة على ذلك · فالدولة في شرق وغرب تسعى في درجات متفاوتة للسيطرة على ميزان التطور الاجتماعي واعادة توازنه لصالح الطبقات المهضومة ، ومعنى ذلك أن الفضائل الفردية في سبيلها الى أن تصبح فضائل جماعية ، وكل ذلك تطور في انسانية الانسان ، وفيه ما فيه من دعم لفكرة التقدم ·

عصر الفوضى والازمات : ـ

ورغم هذه الجوانب المشرقة في تطور الانسان فعصرنا الحاضر يشهد من الازمات وضروب الفوضى واختلال الموازين ما لم تشهده الانسانية في عصر من عصورها · اذ لم تكن هذه الانسانية في يوم من أيامها بمثل هذا الارتباط ، ولذلك لم تعايش الازمات بهذا الاسلوب الجماعي الذي نعايشها به اليوم على نطاق العالم كافة · هل نقول ان أزمات العصر الحاضر تعبير عرضي عن معاناة الانسان في سبيل التطور الاجتماعي ، فهي من هذه الناحية أعراض معاناة ضرورية لتقدم الانسان ، وسيتخطاها الانسان في سيره نحو اليوتوبيا الموعودة ؟ أم هي اشارات لعلة أخطر شأنا لا تتعلق بمرحلة من التطور الاجتماعي وان ارتبطت به ، وانما تتعلق بجوهر الانسان كانسان ؟ ومحاولة الاجابة على ذلك تستلزم التنبه الى ملاحظة أن التطور الاجتماعي للبشر لا يسير في خط مستقيم · فهناك من المجتمعات ما يعيش في العصور الوسطى ، وهناك قلة من البشر تعيش في الثلث الاخير من القرن العشرين· بل ان التفاوت في التطور الاجتماعي ينظم المجتمع الواحد والبيئة الواحدة وأحيانا يتدرج الى أدنى فينظم الاسرة الواحدة · فكم من البشر يسعون بيننا في هذه الساعة ، وهم ينتمون الى مجاهل في التاريخ لا تخطر بالبال ، وكل ذلك يخلق من المشاكل ما لا حصر له ليس في المجتمعات المتخلفة فحسب بل في أكثر المجتمعات تقدما · ولكن الامر الذي يلفت النظر هنا أن معظم شرور العالم الحديث لا تنبعث عن المجموعات المتخلفة بل عن المجموعات المتقدمة ·

فالحروب والاستعمار واستغلال الانسان لاخيه الانسان ، والنازية والفاشية والصهيونية وما اليها من مبتكرات الحضارة الحديثة أبناء شرعيون للشعوب المتقدمة في مجال العلم والتطور الاجتماعي ، والضحايا في كل حالة هي المجموعات المتخلفة ·

هل نقول ان هذا ثمرة التقدم ، وان علينا جميعا كبشر أن ندفع ثمنه استعمارا او تنكيلا وقتلا في طريق مسيرتنا نحو الفردوس الموعود ؟ فالشعوب المستضعفة ستقاوم وتنتصر وتلحق بركب التقدم ، وفي نهاية المطاف سنركب كلنا ـ بنو البشر ـ على سرج واحد على قدم المساواة في مجال التقدم والرقي ؟ ان ما يحدث في عالم اليوم لا يبرر هذا التفاؤل ، ولا يشير الى أن الانسانية وهي تسلك ما تسلكه اليوم سينتهي بها المطاف الى هذه النهاية السعيدة ·

تطور انسانية الانسان :

ان منطق التطور الذي يربط بين تطور البيئة وتطور انسانية الانسان يحتاج الى منطق مقتدر لتبرير انحدار أمة كالأمة الامريكية في وحل فيتنام، وانحدار أمم الغرب جميعا في مناصرتها للشعوبية الصهيونية · فالتقدم تقدم في الانسانية ، وما نشهده في كثير من المجالات انحدار في انسانية الانسان رغم المظهر الخارجي الباهر ، وفي كل ذلك ما فيه من دلالة على أن قضايا العصر الكبرى التي يعيشها الانسان الحديث ليست الا أعراضا لعلة العلل في تطور الانسان الذي لا يعاني أعراضا وقتية بقدر ما يعيش أزمة حضارية بعيدة الغور ·

فالانسان مهيأ بطبيعة تكوينه لحياة المجتمع اذ هو حيوان اجتماعي بحكم حاجته الى الرعاية ومعاونة الآخرين له حتى يبلغ أشده · وهو في ذلك يختلف عن بقية الحيوان · اذ أن الطفل البشري يحتاج ـ لضعفه وعجزه ـ الى فترة رضاع أطول من أي حيوان آخر ، ودلالة ذلك أن يافوخه اللين لا يتصلب وتلتئم عظامه الا بعد فترة لا يشاركه في طولها حيوان آخر فيما ذكر غوردون شايلد· وكل ذلك يسمح لقواه العقلية أن تنمو بنمو تجاربه · والطفل في أثناء ذلك يحتاج لأمه ويحتاج لوالده للتغذية والحماية والتعليم · ومن هنا كانت الاسرة لازمة من لوازم الحياة البشرية ، وهي أساس الاجتماع الانساني ·

ولكن رغم كل هذا التهيؤ لحياة المجتمع ، فان اجتماعية الانسان مكتسبة وليست غريزية · ومعنى ذلك أن اجتماعية الانسان من صنع يديه وثمرة تجربته الخاصة على الارض ، وهي في ذلك تختلف عن الاجتماعية الغريزية التي تنظم حياة طوائف أخرى من المخلوقات كالنمل والنحل وسواهما · فهذه اجتماعية راسخة في التكوين بلغت مبلغ الطبيعة الثابتة والصفة الموروثة يمارسها المخلوق بالضرورة والطبع ، وتوجه سيره في الحياة في آلة صماء مثلها

الإنسان حلقة أخيرة لسلسلة من الأسلاف ضارية في القدم

في ذلك مثل كل قوانين الطبيعة القاهرة اللازمة • ووضع الانسان من هذه الناحية ليس مريحا كل الراحة• فهو من ناحية يعتبر أحدث حلقة في سلسلة التطور لا يتجاوز عمرها المليون عام فيما يزعم أصحاب هذا الشأن ، وقد أنزله ذلك منزلة القمة في سلم التدرج والارتقاء ، واستلزم ذلك انفلاته الى حد ما من قبضة هذه القوانين الصماء التي توجه الحياة والاحياء في رتابة وآلية ، وشق لنفسه طريقا مستقلا على درب (الحياة العاقلة) التي تميز الانسان من الحيوان • ولكن نمو هذه (الملكة العقلية) في الانسان حديث نسبيا لا يجاوز مداه معشار ما قضاه الانسان على الارض • ويكفي أن نعلم أن ما دخل التاريخ من نتاج هذه الحياة العقلية ، وهو حضارة الانسان المسجلة ، لا يتعدى حاجزا زمنيا مداه بضعة آلاف عام ، وما وراء ذلك يدخل في نطاق ما قبل التاريخ • فالانسان ليس قريب العهد بحياة التحضر والاجتماع فحسب ، ولكنه قريب العهد بالحياة العاقلة في جملتها ايضا •

ولكن الانسان برغم انفلاته من خط السير العام لحركة التطور على ما أسلفنا فهو من جانب آخر حلقة أخيرة لسلسلة متصلة من الاسلاف ضارية في أعماق القدم • وقد ورث عنها كل غرائزها ومزاياها الحيوانية التي تكفل له البقاء وتمنحه القدرة على مواجهة تحديات الحياة ومخاطرها • فالحيوان كامن فينا بالغريزة لهذا السبب • ونشاطه يصدر عن جزء من مخنا يسمونه (العقل القديم) • والانسان الذي ثقفه العقل ووجه خطاه في سبيل الحياة المدنية الهادفة يستمد وجوده من جزء آخر في مخنا هو (العقل الجديد) ومهمة هذا الوليد الجديد – الذي عبر عنه كيستلر بانه (فلتة نادرة من فلتات الطبيعة) – أن يحد من نشاط الحيوان القديم فينا ، وأن يكون بمثابة القيد على حركاته حتى تستقيم حياة الاستقرار ويتم للناس قدر من التعاون تصلح معه حياة الاجتماع • والغريب في أمر تطور الانسان من هذه الناحية انه بدل أن يطور عقله الحيواني القديم ظل يحتفظ به في مخه ، وسلك وجهة جديدة في التطور هي التي عبر عنها كيستلر بالفلتة ، اذ نبت له عقل جديد هو مدار الحياة العاقلة فيه • ومن هنا نبعت ازدواجية الانسان • ومن هنا تحدثوا عن الانسان والحيوان في شخصية البشر • ومن هنا أمكن للفرد البشري أن يسمو بانسانيته فيرتفع الى مرتبة الملائكة وأن ينحط بقدراته الى درك الشياطين •

بين الطبع والالزام :

سقت كل هذا الكلام لأصل الى نقطة أراها وشيجة الصلة بأزمة الانسان المعاصر ان لم تكن مصدرها• وذلك أن حياة الاجتماع – وان كان الانسان مهيئا لها كما ذكرنا – امتحان قاس لمقدرة الانسان على احداث قدر من التوازن بين دوافعه الفريزية القوية وبين متطلبات حياة الجماعة • وليست هذه بالعملية السهلة • فان حياة الاجتماع بذل ومجاهدة وارادة • والعناصر البدائية القديمة في كياننا أقوى تعبيرا وأشد تمكنا لاتصالها ببقاء النوع وسر الفطرة ، وهي بالتالي أعنف حركة وأشد اكتساحا • وسرعان ما تطفو على السطح في الوقت الذي يكون فيه الجانب الاجتماعي ، أي الجانب المكتسب الذي هو نتيجة مجاهدة الانسان لتأكيد انسانيته ، مجرد قيد على كل مظاهر العنف الهادرة في أعماقنا • فهذا الجانب المكتسب يقوم مقام القشرة التي تكسو سطح البركان الحيواني ، وبمجرد زوالها تزول الضوابط الانسانية ، ويرجع انسان الغاب فينا في عنفوان حيوانيته •

فاذن حياة الاجتماع والحضارة ليست أمرا غريزيا يحدث للانسان بالضرورة • ومن الجائز أن يصل الانسان الى آلية النحل والنمل في مسلكهما الاجتماعي ان أتيح له البقاء على سطح الارض بالقدر الذي يسمح لعقله الحديث وملكاته الانسانية أن تتطور ، لأن التطور الانساني فيما ذكر جوليان هكسلي سيكون تطورا عقليا ثقافيا لا جسمانيا ، والى أن يصل الانسان هذا الطور البعيد فان حياته الانسانية في كف عفريت لانها ترتكز على قشرة واهية من منجزات الانسان العاقل في مواجهة كل تحديات مخلفات القرون في أعماقنا والتي تسعى لرد الانسان لحيوانيته الاصلية •

وأمام هذا الخطر الدائم سعى الانسان في مختلف عصوره لتأكيد هذا الجانب الانساني بشتى الوسائل، فاستعان بالسحر ، واستعان بالدين ، وكانت فكرة الثواب والعقاب وسلك مسلك الردع عن طريق القانون والشرع ، وقد عبرت احدى شخصيات ديستويفسكي عن فكرة الالزام الخلقي حين قالت (اذا كان الله غير موجود فكل شيء مباح) • والغاية أن يكون السلوك الانساني وليد الطبع وليس وليد الالزام • ولكن كل ذلك بعيد غاية البعد من أن يتحقق ، ولذلك جاءت كل هذه القيود ، واستنبطت كل هذه الوسائل لتردع الانسان وتخيفه وترهبه ليلتزم بالجانب الخير في شخصيته • ومعنى ذلك أن الانسان بمجرد أن تنتفي عنه قيود المجتمع ، وتسقط عنه أدوات الردع يرتد الى حيوانيته ، وتتقلص جوانبه الانسانية المكتسبة بالعرق والدموع والمجاهدة • وليس هذا ضربا من

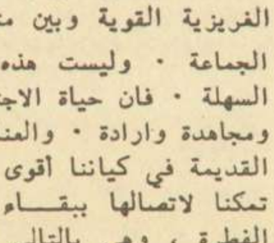

• هتلر

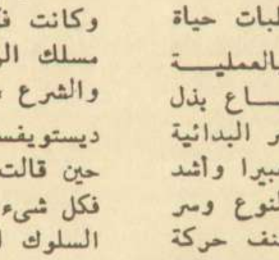

• موسوليني

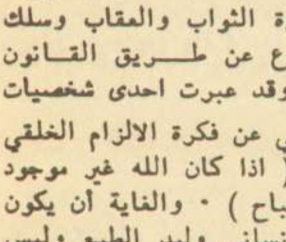

• هرتزل

● الغاية أن يكون السلوك الإنساني وَليد الطبع وليس وليد الإلزام

الخيال . فقد برهن البشر في نصف القرن الذي سلف على أن الامر في ذلك أخطر بكثير مما نتصور . فالانسان لا يرتد الى مرتبة حيوان الناب فحسب ، فذاك محدود الخطر ، ولكنه يرتد حيوانا وفي يده القنابل الذرية ، وفي يده الاخرى وسائل الدمار الاخرى . وما النازية والفاشية والعنصرية والصهيونية وكل النعرات اللاانسانية الاخرى الا تعبير عن هذه الردة وقد اكتست أزياء حديثة . وقد دلت التجارب على أن الانسان اذا تعرض لظروف تبعده عن الامن الذي توفره له حياة الاجتماع يسلك سلوكا لا يخرج عن مسلك قطيع الفئران الذي باشر عليه العلماء تجربتهم .

التطور المادي والمعنوي :

والامر الذي يجعل قضية الانسان من هذه الناحية بالغة الحدة أن تطور الانسان العقلي والروحي والاخلاقي بطيء للغاية . فالانسان من هذه الناحية بالغ المحافظة فهو يخشى الجديد في كل شيء لان الجديد غير مأمون العواقب ، وقد يكون من ورائه الدمار . فلذلك حارب الناس الانبياء والمصلحين ، وفضلوا دائما البقاء على سنة آبائهم الاولين ، لانهم جربوها فأثبتت صلاحيتها . ولكنهم يغفلون عنصر الزمن وعنصر التطور ، لان ما يصلح لزمان قد لا يصلح لزمان آخر ، وعلى الناس اعادة النظر في حياتهم وتجديدها في ضوء سنة التطور ، وهم محتاجون في ذلك الى هزات عنيفة ليسقط من حياتهم ما علق بها من مخلفات الماضي التي فقدت القدرة على البقاء . وقد ترقى هذه الهزات الى مرتبة الثورات الدموية

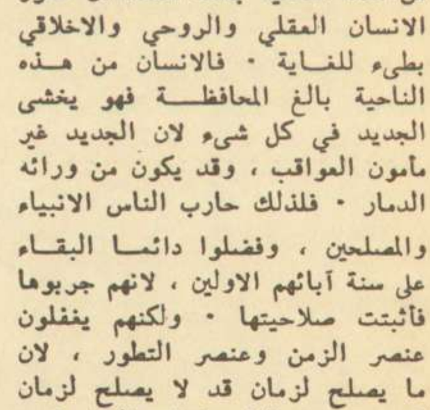

● دو ستويفسكي

حتى تحقق بعض التغيير الذي تهدف اليه .

وعنصر المحافظة هذا طبيعي وهام، وهو من أدوات حفظ النوع التي جبل الانسان عليها ، ولذلك قالوا (من شب على شيء شاب عليه) و (الانسان ابن العادة) و (الطبع يغلب التطبع). والغاية من كل ذلك واضحة . فما دام الانسان لا توجهه الغريزة الصماء في اختيار النظم الاجتماعية والقيم الخلقية التي تتسق معها فهو مضطر الى الاعتماد على التجربة . والتجربة ليست سهلة لانها مغامرة لا يدرى الانسان بعدها أيكون في وضع أحسن مما كان عليه أم دونه . ولذلك قال سيدنا المسيح (اللهم لا تدخلني في تجربة) والخطأ هنا قد يكلف الانسان وجوده . فلذلك فهو دائما شديد الحرص على كل ما جربه واثبت صلاحيته وان تغيرت الظروف الموضوعية اللازمة لبقائه . وهذا أمر مشاهد في زماننا هذا . وما اكثر مظاهر السلوك التي تمت بصلة واشجة لحياة البداوة الرعوية والزراعية في المجتمعات الصناعية الحاضرة .

ومظهر الازمة هنا أن هذا الجانب المكتسب من الانسان يتعرض لتحد في هذا القرن العشرين لم تشهد مثله البشرية في تاريخها الطويل . فقد واكب هذا التطور الداخلي البطيء تطور مذهل في المجال الخارجي بحيث أصبحت الشقة بين الانسان وبيئته المادية بعيدة بعدا لا يسهل تخطيه . وسلامة الانسان تكون دائما في نجاحه في اقامة ضرب من التعادل بين قيمه ومعطيات بيئته . ويتم ذلك في يسر حين يكون التحول الاجتماعي بطيئا . أما حين يزداد معدل التحول الاجتماعي في السرعة تتضاعف الصعوبة في التلاؤم والانسجام مع البيئة بمقدار هذه السرعة . وقد يصل الانسان الى درجة التمزق حين يفلت من يده الزمام ، ويضطرب ميزان التعادل فتختل انسانيته وتنحط ملكاته العقلية . والامر في ذلك ليس مقصورا على سرعة التحول في البيئة المادية وحدها ، وما تلقيه على وجدان الانسان وروحه من أعباء وأثقال ، بل أن هذه البيئة المادية ذاتها لها منطقها الخاص وأثرها المباشر على شخصية الانسان بحيث توسع من شقة الخلاف بين عنصري الشخصية مما يقوي من جانب الحيوان فينا ويضعف من جانب الانسان .

قضية كل الناس :

وكل ذلك يوحي بأن قضايا العصر الكبرى التي يعيشها الانسان الحديث ليست الا أعراضا لعلة الملل في تطور الانسان الذي لا يعاني أعراضا وقتية بقدر ما يعيش أزمة حضارية . وقد تخفف من وقع هذه النتيجة القاسية على قلوبنا وعقولنا بأن نذهب الى القول بأن ما نشهده اليوم على مسرح العالم من قسوة وعنف وسفك دماء، وامتهان لانسانية الانسان ليس الا مظهرا من مظاهر تفسخ الانسان الغربي وانهيار حضارته الرأسمالية. وأننا نحن الذين نعيش في مجتمعات لم تلوثها شرور هذه الحضارة المادية في مأمن من شر هذا المصير الاسود الذي تردى فيه انسان العصر الحديث في بعض مجتمعاته الراقية ، ثم نطمئن أنفسنا من بعد ذلك بأننا ونحن نعاصر مثل هذه المجتمعات المتفسخة ، ما نزال نعيش حياة انسانية أقرب الى حياة الفطرة السليمة لا تشوبها الاوضار ولا تقلقها كل هذه الاعاصير التي تهب عاتية فتزعزع ايمان الناس بانسانيتهم وتدفعهم في طريق الدمار والفناء . ثم نتمادى في الطمأنينة والاسترخاء حين نتذكر أن في تراثنا الروحي والعقلي وفي أخلاقياتنا وأوضاعنا الاجتماعية المتوارثة ما هو كفيل برد عاديات الدهر عنا بحيث نعيش في أمن وأمان داخل سياجها المنيع . وقد يبلغ بنا الغدر مرتبة نجد أنفسنا فيها في منزلة المتفرج الذي تحف به كل وسائل الراحة والهدوء العقلي في منزلة المريح وهو يشاهد عرضا تلفزيونيا عنيفا ، فهو قد يتأثر بما يشاهد من ألوان العنف، ولكنه يعلم ان ما يراه بعيد عنه ولا يتصل بحياته من قريب أو بعيد ، وسرعان ما ينساه فيكون بمثابة

في أزمة الإنسان المعاصر

الحلم المخيف يداهمنا في المنام فنحس بالخطر يتهددنا ولكننا نصحو فاذا كل ما حولنا يبعث على الامن والسلام

والطمأنينة والراحة النفسية والعقلية ، وقد نخطو في هذا السبيل خطوات أبعد من مجرد النسيان فنزعم أن ما شاهدناه وان حدث لأقوام آخرين فهو لا يمكن أن يحدث لنا ، ونشيح عنه بأبصارنا في تعاظم وكبرياء • اذ ما أبعد البون في تخيلنا بين هذه الانسانية المسحوقة في دروب أوربا ومجاهلها تحت وطأة الأثرة والظلم والتفسخ والفردية والاباحية الجنسية وما اليها ، وبين الانسانية التي نمارسها عطفا واخاء ومساعدة للضعيف وبذلا وتضحية واستقامة خلقية وما اليها ، وكل ذلك مما يقوي من رغبتنا في تجنب الانحدار الى الهاوية التي تردت فيها هذه المجتمعات المتحضرة ان استطعنا الى ذلك سبيلا •

وكل ذلك خداع للنفس ودفن للرأس في الرمال ، وما هذه الطمأنينة الوادعة التي تتفيأ ظلالها في خدر واسترخاء الا طمأنينة وقتية تقوم على أوهى الاسباب وترتكز على أضعف الدعائم • فموقف القوة الذي نتخيل أنفسنا فيه هو قريب الشبه بما روته الاسرائيليات عن سليمان الحكيم حين واتته المنية وهو متكيء الى عصاه والانس والجن يحسبونه حيا حتى أتت الأرضة على العصا فظهر ما كان خفيا على الناس • وكل ما في الامر اننا لم نصل بنار التجربة ، وقد كان السيد المسيح يسأل الله دائما أن لا يدخله التجارب ، لان التجارب تكشف عن ضعف البشر وتبرز من عيوبهم ما يجهدون في اخفائه حتى عن أنفسهم • والمجتمعات في ذلك كالأفراد تظن بنفسها الخير مادامت بعيدة عن لظى التجربة • فحمدها يظل حبيس بطنها كما يقول مثلنا العامي حتى (تتفتش) • وعندها تكتشف أن انحصارها في كهف من كهوف التاريخ بعيدا عن التيارات والرياح والامطار كان عاصمها الوحيد من التحلل والانهيار • وان مظهر التماسك والصلابة الذي كان يبدو عليها هو في واقع الامر مظهر خارجي كذلك الذي يبدو على المومياء سرعان ما يتحلل ويتلاشى حين تلمسه اليد ، أو تهب عليه نسمة هواء ، ولذلك حديث آخر •

د• عون الشريف قاسم

● الايمان هو أن نصدق ما لا نراه ، وجزاء الايمان أن نرى ما نصدق •

« سنت أوغسطين »

● اذا أردنا أن نبني أساسا متينا للصداقة ، فان علينا أن نحب أصدقاءنا من أجلهم لا من أجلنا •

« شارلوت برونتي »

● يا الهي •• مثلما منحتني نعمة الحياة امنحني قلبا مفعما بالشكر لك •

« شكسبير »

● ربما كان خطأ أن نبحث عن السعادة • من الافضل ان نخلقها لأنفسنا ، والافضل من ذلك أن نخلقها للآخرين •

« لويد دوجلاس »

● ان المكان الذي نحب هو وطننا • المكان الذي قد تتركه أقدامنا ولكن ليس أبدا قلوبنا • فقد يطول الخيط ، ولكنه أبدا لا ينقطع •

« اوليفر وندال هولمز »

● ان الموت يطلق أسار الروح لتنطلق في الآفاق •

« توماس ماي »

زاوية الرأي

مالم يقله أبو الفرج .. قاله المنسى !

خير طريقة للاحتفال بالعام الجديد لمجلتنا ، مجلة الدوحة ، أن ننظر ماذا قدمت في أعوامها الماضية للثقافة العربية من نتاج له قيمة في ذاته ، بما يتعدى تغطية الأحداث الثقافية الجارية التي يمكن أن تنشغل بها أية مجلة ثقافية .

ولا شك أن مجلة الدوحة قد قدمت لقرائها في أعوامها الماضية أنواعاً متعددة من النتاج القيم القادر على البقاء . ولست هنا بصدد رصده كله في هذه الصفحة المحدودة . لكني أود أن أتناول بالتنويه نتاجاً واحداً استمر طوال السنوات الماضية منذ أن صدرت المجلة واتصف بتجديد وابداع خاص واعتبره اسهاماً جديداً في ميدانه .

هذا النتاج هو سلسلة « شخصيات حية من الأغاني » للدكتور محمد المنسى قنديل .

والأغانى هو كتاب الحضارة العربية الكبير ـ شعراً وأدباً وغناء وتاريخاً وترفاً وفكاهة ـ أعده أبو الفرج الأصبهاني فجاء شغل الأجيال الشاغل منذ صدوره حتى يومنا هذا . وقد كان المعتمد بن عباد ، اذا أزمع على السفر ، يصطحب معه قافلة من الجمال لا تحمل على ظهرها غير مجلدات كتاب الأغاني ، دون غيره من كتب .. وقد حاول كثير من الباحثين « تجديد » كتاب الأغاني باعادة ترتيبه ، أو بتشذيبه وتهذيبه ، أو بانتقاء المختارات منه كما استمد منه دارسو الأدب كمادة خصبة في تصوير الجو التاريخى للحركات الأدبية وفي تحليل نفسيات الشعراء ، وفي اعادة كتابة سيرهم ..

.. ثم جاء محمد المنسى قنديل ليثبت لنا أن كتاب الاغاني ما يزال مصدراً حيا لاعادة تصور التراث وتجديده ، وانـــه ـ فقط ـ ينتظر القادرين على الرؤية الابداعية الحية من أبناء العربية ليعيدوا خلقه من جديد ، بلغة العصر ، وهموم العصر ، ومعاناة العصر .

وكتاب « الأغاني » في ظاهره كتاب امتاع أدبي وتسلية شعرية وتفكهة بالملح والنوادر .. هذا في ظاهره ..

ولكن المنسى قنديل نفذ إلى العمق ، فاستخرج لنا ذلك الاحساس المأساوى الذي يخرج به القارئ النابه للتراث العربي .. الاحساس المأساوي النابع من حرارة الحروب الأهلية بين العرب ، والنهايات الفاجعة لشعراء العربية من احرار الفكر والفؤاد ، والعلاقة الدموية النازفة بين أهل القلم وأهل السلطان والسيف .. واخيراً تلك الهوة المؤلمة بين الواقع المأساوي لصراعات العرب في التاريخ وبين المثال الرائع لقيم الاسلام وعدله واخائه .

هذه الرؤية لما بين سطور كتاب الأغاني ليست بعيدة في الحقيقة عن الفجيعة التاريخية التي يعيشها العرب في العصر الحديث منذ مطلع النهضة ..

وكأن المنسى قنديل قد استمد أحساسه الفاجع المعاصر بالسقوط العربي أمام تحديات العصر ـ منذ هزيمة حزيران بشكل خاص ـ فدمجه برؤيته للتراث العربي عبر كتاب الأغاني ، فجاءت تلك الفصول الرائعة تستمد مادتها الخام من كتاب الاغاني لكنها تستمد الدم والحيوية من صميم الفاجع العربي كله .. ماضياً وحاضراً .. مع الماعات معاصرة من ثقافات العصر وتجاربه وتمخضاته الجديدة ..

هذا ما جعل روايات كتاب الأغاني المتداولة ، المعروفة ، المكررة ، تبدو لنا بمنظار الدهشة البكر وكأنها خلق جديد .. ومع الرؤية القادرة على بعث الدهشة ، تلك اللغة التي لا يملكها غير شاعر رومانسى حاصره الواقع فاخترقه بصبر الروائى الواقعي ، فكان ذلك الأسلوب الجامع بين حزن الشاعر المنغمس في المأساة وصبر المؤرخ المتعالي فوق الجراح ..

هكذا لخص لنا في قصة « وضاح اليمن » تاريخ بني أمية .. « لم يكف الأمويون أبداً عن الحُلم بهذه الاحلام الدامية ، كلما ترامت الدولة وتوالى الخلفاء ، ازداد الاتباع والقصور .. وازدادت التركة المثقلة بدم أولاد الأشراف والصحابة والمنشقين والشعراء .. » .

وفي قصة فضل العبدية التي رفضت حب الخليفة : « للحرير ملمس الشوك .. وللشراب طعم العلقم . ظلت صامته أمام الخليفة . قادها إلى غرفته فكانت المعركة خاسرة . رفضته . رفضت عرش الخلافة ، ولو شاءت لصعدت وحكمت .. » .

ثم هذا السؤال الأبدى في الطريق إلى كل مدينة عربية : « كان ديك الجن يتساءل .. أهذا هو الطريق إلى حمص حقا ؟ هذه القرى ما كانت مهجورة هكذا . ولا الأرض مغطاة بالرمل ولا النباتات مريضة ولا الشمس معادية .. كيف اختل ميزان زماننا ومالت كفتنا للنقصان ؟ » ..

هذا سؤال لا يخص ديك الجن .. وحده .

وبعد .. فقد قيل الكثير عن احياء التراث . ولكن ما فعله المنسى قنديل هو احياء التراث . ولن يقرأ كتاب الأغاني بعد الآن دون تفسير المنسى له . غير أن ما فعله المنسى لم يكتشف بعد . لم يكتشفه النقاد . ولم يكتشفه أكثر القراء .

ومن أراد أحياء التراث حقاً .. فليجمع شخصيات المنسى في كتاب !

د. محمد جابر الأنصاري

فدوى طوقان

بداية المسيرة

خريف عام ١٩٣٥ .. تشارين تهب رياحها على أحراش قرية "يعبد" في قرية جنين .. الارض الحبلى بالاحداث ترهف السمع على انتظار وتوقع .. الشيخ عز الدين القسام يرفع يده العربية المؤمنة .. يقوم بأول طرقة على ابواب الثورة ، فلا يكاد يفعل حتى تفتح له الابدية أبوابها ليدخل الشهيد العظيم مع بعض رفاقه في رهط الشهداء الخالدين .

النار التى قدحتها طرقة الشيخ الشهيد تعود فتنطلق شرارتها فى نيسان عام ١٩٣٦ بين الفئات الشعبية .. يلتهب الفلاحون والعمال .. تعلن يافا الاضراب ويشمل الاضراب عمال الميناء .

تشتد الثورة الشعبية المتصاعدة فتنعطف بمسيرة القيادات التقليدية عنوة واقتداراً لتضعها مع الواقع المشتعل ..

فى ٢٠ نيسان اجتماع وطنى كبير فى نابلس ، تتألق فيه (اللجنة القومية) لتصدر بيانها المعبر عن (سخط العرب على سياسة الحكومة التى تهدف الى ابادة العربى فى بلده العربى) .

ويجرف تيار الاحداث الملتهبة قيادات الاحزاب القومية فيكون الاضراب الشامل . ويبدأ النضال السياسى والمسلح لتشارك فيه مختلف الجماهير الشعبية الفلسطينية ، فتخط فصلا مكثفا من فصول الكفاح الفلسطينى على شعاب الجبال وفى قراها ، ومن هناك يدوى صوت الشعب الخالد :

— إحنا اللي نحمى الوطن ونبوس جراحه

ويتجاوب الصدى مرددا :

— بيع امك واشترى بارودة
والبارودة خير من أمك
يوم الثورة تفرج همك

● ● ●

ابحث عن نفسى الان وأنا التفت الى تلك الايام الفلسطينية ، فأرانى صبيةصغيرة فى (عمان) محاصرة بسبب الاضراب الشامل فى فلسطين ، قابعة فى بيت شقيقى أحمد المنتدب حديثا من قبل حكومة فلسطين ليشغل منصب مدير المعارف فى امارة شرق الاردن .

لا أصلح للتسلية

زوجة أخى تلومه وتشكو تركه لها فى بعض الاماسى للقيام بواجب زياراته (الرجالية) هنا أو هناك :

— ولكنك لست وحدك ، لقد اتيت لك بأختى لتسليك .

— اختك لا تقيم بجانبى الا قليلا . تعتكف وحدها فى الغرفة مع كتبها منذ الثامنة .

كانت زوجة أخى على حق فى شكواها . فما كنت فى يوم ما صالحة للقيام بدور المسلية ، وظللت افتقر الى هذه الموهبة ، موهبة تسلية الاخرين ، فقد كانت موهبة مصادقة النفس من جهة ، ومصادقة كتبى ودفاترى من جهة اخرى هى المسيطرة والمتحكمة فى سلوكى .

كان يحدث احيانا نوع من عدم التوازن أو من الخلخلة فى علاقاتى بالاخرين ، وذلك حين ارتطم بغير المتوقع ، أو حين ينقلب المثال الى صورة مهزوزة ، هنا كنت احس بعجزى عن الالتصاق ، واقع فى حالة من الاغتراب الاجتماعى فالجأ الى مأوای الامين ، الى نفسى وكتبى ووحدتى التى ظلت تشكل العمود الفقرى لوجودى بما تتيحه لى من فرصة المطالعة والتأمل والاحساس بالامان .

ولم تكن اسباب لجوئى الى الوحدة بالضرورة او فى كل الحالات نتيجة لارتطامى بالاخرين ، فحتى فى فترات المصالحة والوفاق مع العالم والناس والاشياء ، ظلت مصادقة النفس التى لا تتم الا فى جو التوحد هى الاتجاه الغالب ، وهذه النزعة الباطنية المتحكمة أصبحت فيما بعد أحد أسباب الصراع النفسى الذى عانيته فى تجربتى الشعرية ، خاصة حين خرجت الى الحياة ، ألمسها بأصابعى وتلمسني .

● ● ●

حرارة شعبية القائد فوزى القاوقجى ترتفع الى أعلى درجة ، واصداء الثورة وانجازاتهاتصل الى سمعى من بعيد ، فيما أنا قابعة فى دار اخى أحمد في عمان . وتثير بطولة فوزى القاوقجى خيالى ومشاعرى فأكب على نظم قصيدة تعكس انبهار الصبية الرومانسية بشخصية قائد الثورة الاسطورى :

بطل الابطال يا زين الشباب
هات حدثنا عن الامر العجاب

وتمر الايام ، ومع افول شعبية القاوقجى وخمود عشق الجماهير له تضيع القصيدة المبهورة مع قصائد المحاولات الفاشلة .

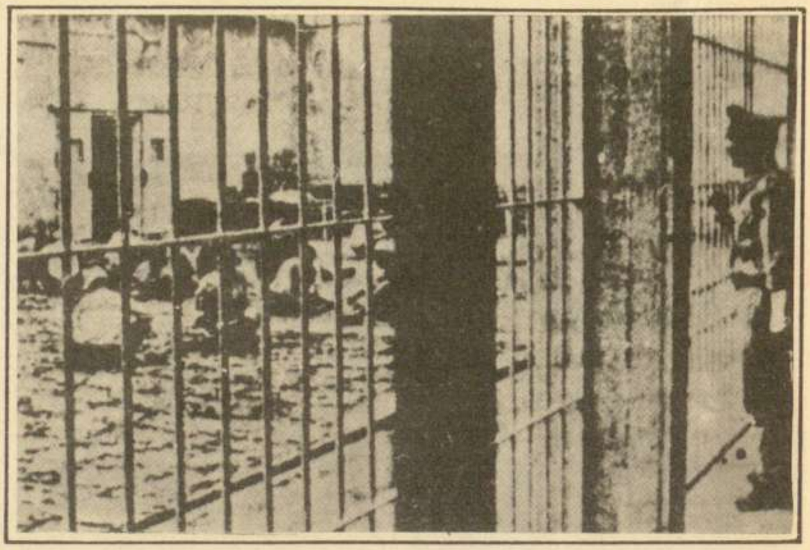

الصمت لغة الغرباء

أواخر تشارين ١٩٣٦ .. القيادة العامة للثورة تطلب فى بلاغ موقع بأسم القاوقجى توقيف أعمال الثورة . أيام قليلة تمر تعلن القيادة بعدها ترك ميدان القتال . الملوك والامراء العرب قرروا ذلك حفظا لسلامة المفاوضات .. واعتمادا على نوايا الانكليز الحسنة تجاه العرب !..

● ● ●

انحل الاضراب فى فلسطين ، وانفك معه الحصار المضروب حولى فى عمان ، فقد أصبح ألسفر الان ممكنا ، وظل عام الحصار فى عمان صفحة حالكةاللون فى رحلة العمر ، فارغة من أى مضمون . لم تعطنى تجارب السفر شيئا ذا قيمة ، كانت عمان ، عاصمة الامارة ، بلد فقيرة ، صغيرة ، تخلو من جاذبية المظهر والمخبر على السواء .

فالمواضعات والقيود الاجتماعية الصارمة لم تكن لتختلف عما هو مألوف فى بقية البلدان العربية المتخلفة . أما أخى أحمد فقد كان هناك دائما ذلك الحاجز الذى يرفعه الاخ الكبير بينه وبين أخواته ، وكانت له علينا سيطرة الاب ، فكانت علاقتى به يغلب عليها صفة الانكماش والتهيب والكلفة الى جانب الصمت ، والصمت لغة الغرباء حتى لو جمعتهم لغة الدم .

عدت الى ركنى الخاص فى غرفتنا الكبيرة فى نابلس (غرفة البنات) .. عدت الى خزانتى وطاولتى وابريق قهوتى وفنجانى ..فعلى مدى حياتى ظلت تقوم علاقة نفسية حميمة بينى وبين أشيائى المتميزة بطابع الخصوصية ، وكان بالنسبة لى طابعا شديد الجاذبية .

● ● ●

فاتتنى فى عمان فرصة معايشة الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ، ولكن ها أنا بعد شهور أعيشها عن قرب اذ تهب من جديد مع ظهور مشروع التقسيم من جهة ، ومقتل حاكم (الناصرة) الانكليزى (أندروس) مع حارسه البريطانى فى أواخر ايلول ١٩٣٧ من جهة أخرى

هيج حادث الاغتيال السلطات الحاكمة ، وبدأت حركة التنكيل وعمليات القمع والاعتقالات الجماعية . وفقدت الهيئة العربية العليا واللجان القومية شرعية قيامها بعد أن اعلنتها السلطات هيئات غير مشروعة. ثم اختفى الحاج أمين الحسينى بشكل غريب . وتشرد بعض الزعماء ونفى بعضهم الأخر إلى (سيشل) ، والثورة تشتد ومعها تشتد عمليات القمع .

كنا نفاجأ باعلان منع التجول في أي وقت من أوقات النهار ، فكان الناس

أمين الحسينى

يحاصرون حيث كانوا ، ولا يسمح لهم بالمغادرة إلى بيوتهم .

وقفت ذات يوم مع أمي في السوق ، ملجلجتين أمام القوات المسلحة وقد اقفلت الطريق إلى دارنا ، ولم نعرف اين نذهب . اشار بعض الجنود بأيديهم نحو الشرق فعرفنا أن علينا أن نتجه نحو الشرق . مشينا إلى (ساحة المنارة) لنطرق باب عائلة صديقة ونقبع هناك إلى أن ارتفع بعد ساعات منع التجول .

أصبحت عمليات مداهمة البيوت للتفتيش أمرا مألوفا ، وكان يحدث ذلك في الليل أو في النهار ، لا فرق . كان فرض الاحكام العرفية على البلاد مؤشرا إلى مدى عنف الصدام بين الجماهير والحكم البريطانى .

مشهد لا ينسى

كان هناك يوم بقيت صورته حية في الذاكرة بكل تفاصيلها . استيقظت واخواتى على طرقات أحذية الجنود الثقيلة في الدار . دخل نفر منهم غرفتنا في غبش الهزيع الأخير من الليل . هببنا من الأسرة بفزع ، وطلبوا الينا المغادرة فوراً . لم يسمح لنا بتغيير ملابسنا ، ولكنا خطفنا معاطفنا من الخزانة بسرعة ووضعنا الاغطية على رؤوسنا كما اتفق وخرجنا إلى السوق مع بقية النساء والرجال والأطفال في حينا ــ حى الياسمينة ــ وعملا بأوامر الجيش المداهم سار الرجال في طريق وسارت النساء والأطفال في طريق آخر ، كان بين النساء نفساء في يومها العاشر تسكن

بجوارنا ، رأيتها وهي ترفع وجهها المحجب إلى أعلى فيبدو عنقها وبعض خصل سالفيها الحمراء ، وقالت وهم يتحسسون لفائف المولود الذي كانت تحتضنه : (ربي يكسر جاهكم ويرمل نسوانكم) ، قالتها بلهجة نابلسية أصيلة ، ناطقة الميم نونا كما في اللهجة العامية . أما عمتي (الشيخة) فكانت تحت وطأة نزلة صدرية حادة ولا تقدر على المسير ، فحملها جارنا (الدحدوح) بائع الخضار على ظهره ومشى في (موكب) النسوه .

انتهت بنا المسيرة إلى منطقة (رأس العين) في جبل (جرزيم) وانتشرنا هناك في العراء وقد بدأ الصبح يتنفس ، أما كهوف الجبل المحيطة فسرعان ما تحولت إلى دورة مياه في ذلك الصباح الباكر .

اطل فجأة من الجانب الآخر في الجبل صف مزدوج طويل من رجال سكان الأحياء المطوقة ، رأيت أبي بينهم مشتملا بعباءته ، فاحسست بالحزن في قلبي وبالحنو يغمر نفسي . ان منظر الشيوخ المتقدمين في السن في مثل هذه المواقف يثير في النفس من المشاعر المرة الحزينة ما لا يثيره الفتية والشبان . ورأيت في صف الرجال المزدوج المغذ في السير رجالا عرفت عنهم الشدة والعنجهية ، فشعرت بتناقض وجودهم مع المشهد الذليل ..

في الأصيل عدنا إلى بيوتنا لنشاهد آثار أسوأ عمليات التفتيش والنهب . وكان قلمي الزيتوني اللون ضمن المنهوبات ، وبقيت إلى مدى طويل افتقده بشيء من الحسرة ، فقد كان أول قلم حبر امتلكه وكان هدية من أخي ابراهيم .

• • •

كانت الثورة قد عمقت الدوافع العدائية الجماعية في أفراد الجماهير الفلسطينية نحو الانكليز ، فوعد (بلفور) كان شيطانا انكليزيا منذ البداية . ولقد كانت ثورة (القسام) في الأصل قائمة على مناهضة الانكليز ومقاومتهم ، فهم أصل الشر والبلاء ، وهم العاملون على تنفيذ المطامع الصهيونية الخطيرة . وحين قال (أبو سلمى) عام ١٩٣٦ :

« لو كان ربي انكليزيا دعوت إلى الجحود »

لمس الوتر الحساس في قلوب الجماهير الفلسطينية ، ونطق بلسانهم ، وعبر عن مشاعرهم المستفزة الغاضبة .

كلمة السر

(جاءت العباية .. جاءت العباية ..) ،

لورد بلفور

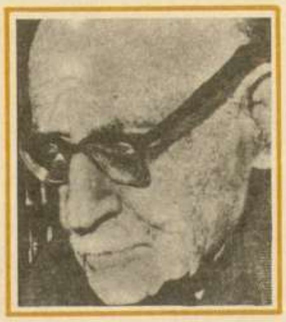

ساطع الحصري

احمد حسن الزيات

كانت هذه كلمة السر في شوارع نابلس وازقتها . فحين تقع المدينة في مأزق أو خطر يأتيها من الخارج يقوم هناك حب (جماعي) بين النابلسيين يربط الناس بعضهم بالبعض الآخر ، وهذا نزوع طبيعي لدى الجماعة الواحدة في كل زمان ومكان ، فالخوف والمخاطر التي يحسها الناس من العدوان الخارجي تثير في نفوس الأفراد مشاعر مشتركة تلقائيا نحو العدو المشترك .

(جاءت العباية .. جاءت العباية ..) ! وتتردد كلمة السر في الأسواق والأزقة ويعرف الناس معها أن قوة عسكرية مداهمة في الطريق اليهم ، فيختفي من يختفي ويحتاط من يحتاط ..

وأصبح اصطلاح (جاءت العباية) فيما بعد من جملة تراث الثورة الشعبي في نابلس .

كانت نابلس ، كالخليل ، من معاقل المقاومة الصعبة ، ولقد جاء يوم اضطرت فيه السلطات إلى نفض يدها من الحكم داخل هاتين المدينتين ولقد بلغ من عنف المقاومة ان ألغيت المحاكم في نابلس ونقلت ملفاتها إلى الثكنة العسكرية خارج المدينة .

الحكايات البطولية ، اخبار العنف والموت والاعتقالات والنفي والخيانات .. كل هذه كانت تخترق جدران الدار الأثرية وتصل إلى سمعي عن طريق الآخرين : اخوتي ، الجرائد ، النسوه الزائرات ، صبي اللحام والبقال واللبان وسواهم . وحين كانت أصوات المتظاهرين تأتي من بعيد ثم تقترب شيئا فشيئا ، كنت اهبط الدرج واركض إلى الصفة الحجرية في الديوان ، فأطل من أحد شبابيكها على السوق ، وتكون الصفة قد غصت بالنسوة القاطنين بجوارنا ، وحين أرى الجماهير الغفيرة الهائجة تغرورق عيناي أو يسيل الدمع على خدي . وقد ظللت فيما تلا من أيام حياتي أبكي واحس بالتأثر العميق ازاء مشهد الجماهير المتراصة . ولعل الدمعة التي كانت تسيل من عيني في مثل هذه المواقف انما كانت بسبب عجزي عن الاندماج في الآخرين والمشاركة الفعلية في الالتحام بهم ، فما عرفت طعم هذا الاندماج ولا تعرفت على زحمة وحلاوة مذاقه إلا بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، فالاحتلال الاسرائيلي هو الذي ارجع إلى الاحساس بنفسي ككائن اجتماعي ، وفي الاحتلال فقط ، حين رحت التقي بالجماهير في قراءاتي الشعرية ، عرفت القيمة والمعنى الحقيقي للشعر الذي يتعتق ويتخمر في دنان الشعب .

في منتصف ليلة من ليالي الخريف ايقظتنا طرقات الجنود البريطانيين باعقاب بنادقهم على باب دارنا . وحين قام أبي اليهم كانت قلوبنا تضطرب وقد تعلقت أنفاسنا على حبل التوقع المتأرجح في الهواء : ماذا بعد ؟

وكنا في أعماقنا نعرف ماذا يأتي بعد ، فحين كانت الأبواب تطرق في مثل تلك الساعة من الليل كان يفهم المرء أن هناك عملية اعتقال .

ولم يرجع أبي ..

في الصباح الباكر كان في طريقه إلى سجن (عكا) مع الدكتور مصطفى بشناق وفائق العنبتاوي مقيدي الأيدي باغلال ليلتقوا هناك بالمئات من ضحايا القمع الجماعي .

ظلت علاقتي الشعورية بأبي تتأرجح بين الحيادية أيام السلام والعافية ، والحنو البنوي أيام السجن أو المرض .

ميلاد قصيدة

مرت أيام ، أسابيع ، شهور ، والأحداث في عنفوانها المتقد . جاءتنا أنباء عن مرض أبي في السجن وكان رقيق البنية بطبيعته . استيقظت في سكون الليل . كان فراشي دافئا ، وبرد الشتاء في الخارج يقطع المسمار . مرت صورة أبي في خاطري

مطروحا ، مريضا بين جدران السجن الجليدية ، واكتسحني حنو عميق . كان أحساسي بالضغط والكبت بسبب حضوره في البيت قد تلاشى تماما ليترك مكانا للوحشة والحنان والشجن .

كانت قطرات الماء في الخارج تتساقط من أوراق الشجر بايقاع منتظم كدقات الساعة ، وكانت لحظة غريبة ، لحظة سايكولوجية في ذلك السكون الشامل ، رأيت فيها بعين الخيال قصيدتي التي لم أكن قد كتبتها بعد منشورة في صفحة الشعر في مجلة (الرسالة) المصرية ، ورأيت ، بعين الخيال ، عنوانها بالخط الأسود العريض : (إلى أبي) !

وهربت اللحظة .

لكن الصورة المتخيلة لم تهرب ، بل ظلت تسكن عيني على مدى أيام ، إلى أن أصبحت صورة حقيقية تنبض على صفحة الشعر في مجلة (الرسالة) ، تلك المجلة التي طالما حلمت بالوصول اليها ، ولم تكن الطريق اليها سهلة المنال .

كانت تجربتي الشعرية في قصيدتي (إلى أبي) حصيلة كل ما تجمع في نفسي وتراكم من انفعالات منذ اشتعال الثورة عام ١٩٣٦ حتى أوائل عام ١٩٣٩ . ما أقل القصائد التي كتبتها بعد الهزة الانفعالية مباشرة . لقد ظللت اعجز دائما عن نظم الشعر وأنا في حالة الفوران العاطفي . لقد أصبت بالبكم الشعري مدة شهرين كاملين بعد حرب حزيران . وبعد هدوء العواصف تعود إلى القدرة على النظم ، فهنا تبدأ القصيدة كالجنين الهلامي ، ولا أعرف في هذه المرحلة ماذا أريد أن أقول ، ثم ، وتدريجيا ، تجد الأفكار طريقها إلى التبلور ، وبصورة غامضة جداً أجد نفسي أكتب أول سطر ثم الثاني ، بعدها يأتي الجهد الشخصي .

وبكيت فرحا !!

كان صاحب مجلة (الرسالة) أحمد حسن الزيات ، يرحمه الله ، يفتح صدر مجلته للكتاب والشعراء العرب البارزين إلى جانب الكتاب المصريين . وكانت الرسالة أوسع المجلات العربية انتشاراً ، وكان الزيات يولي أدب الثورة الفلسطينية الاهتمام الجدير به . في هذه الفترة كانت مصر قد (اكتشفت عروبتها ونشطت في حركة النضال العربي) كما قال ساطع الحصري . ففي أعقاب مشروع التقسيم ، ونتيجة للهياج الفلسطيني الغاضب عقد مؤتمر القاهرة صيف ١٩٣٨ في ظل حكومة (الوفد) المتميزة آنذاك بحرارة شعبيتها ، واشترك في المؤتمر نواب وشيوخ من برلمانات الاقطار العربية وممثلون عن الحركة القومية في المغرب الأقصى . كما عقد في مصر المؤتمر النسائي التاريخي باشتراك ممثلات من المنظمات النسائية في مصر وسوريا ولبنان والعراق وشرق الأردن وفلسطين . وكانت القرارات في المؤتمرين تتضمن تاكيد وتأييد مطالب الفلسطينيين بتأليف حكومة قومية مستقلة ووقف الهجرة ومنع بيع الأراضي .

بيضت القصيدة التي سهرت عليها الليالي لأسبوعين شتائيين . ووقفت متهيبة مترددة أمام رغبتي بمفاجأة ابراهيم بها منشورة في مجلة (الرسالة) التي أصبح حبي لها غراما . كنت احس ان طموحي إلى النشر في تلك المجلة يتجاوز حدودي الأدبية الضيقة الرقعة ، (فالزيات) لم يسمع باسمي الا مرة واحدة ، وذلك يوم نشر لي قبل شهور تعقيبا عاطفيا – بالنثر – على مقال كنت قرأته في مجلته تحت عنوان (هل في الحيوان غريزة الغيب ؟) . كان المقال مناسبا لاتخذ منه جسراً للتعبير عن مشاعري الفلسطينية آنذاك . فكتبت تعليقا عليه تحدثت فيه بعاطفية شديدة عن سكون الليل الموحش الذي كان يكتنف (جبل النار) قبل عودة هبوب الثورة عام ١٩٣٧ ، وكيف كانت بنات آوى ترسل في الجبل ولولتها الموحشة الحزينة وكأنها انذار بما سيقع من مآسي ، وبما سيسقط من ضحايا العدوان والتنكيل بجموع السكان . ثم تحدثت كيف صدقت غريزة ذلك الحيوان في أحساسها المسبق بما وقع بعد ذلك من مآسي الاستشهاد البطولي ، وحين ظهر تعليقي في مجلة الرسالة لم أكد أصدق عيني ، وظللت لأيام عديدة أعود إلى قراءته في المجلة فاستعيد الاحساس بالغبطة والسعادة بما حققت من انجاز أدبي (كبير) .. وكانت هذه البداية منطلقا للذهاب بمطامحي إلى مدى أبعد ، وأصبحت أحلم برؤية قصائدي منشورة في تلك المجلة ذات السمعة الأدبية في العالم العربي كله .

لم يطل ترددي ، وتجاوزت تهيبي ، فقررت تجربة حظي . وقبل اطلاع ابراهيم على القصيدة بعثت بها إلى مصر . ورحت أعد الساعات واستعجل مرور الليالي والأيام .

للمرة الأولى دائما مذاقها الخاص ونكهتها التي لا تعود بالتكرار . لقد توهج اسمي في عيني حين رايته بين الأسماء الأدبية اللامعة المدرجة في فهرس أحد أعداد المجلة الصادر في أوائل عام ١٩٣٩ .

فوجىء ابراهيم بالقصيدة وكان يشغل آنذاك منصب مدير القسم العربي في اذاعة فلسطين في القدس . بعث إلى برسالة بريدية قصيرة بدأها بقوله : (يا أم التمام) ثم هنأني على القصيدة (الجيدة) وقال ان الاستاذ اسعاف النشاشيبي والأستاذ خليل السكاكيني وآخرين قد حدثوه بشأنها وكلهم يثني عليها .

وبكيت فرحاً !

فدوى طوقان

نابلس – الارض المحتلة

فى العدد القادم تواصل الشاعرة فدوى طوقان وصف رحلتها الجبلية الصعبة ، فتتحدث عن « ايام القدس » .

منذ الطفولة والخوف يرافق مسيرة حياتى .

يد عمياء ، لاهبة ، تقترب يمينا وشمالا ، ولا احد بمنجى ، قد ينهار هذا السقف فجاة ، قد يغرق هذا الجبل فى السهل بهزة ، قد تهوى بغتة على الراس مطرقة يحملها صوت ناع ينعى حبيبا من الاحباب ..

لقد ظل حبى لابراهيم مصدر كابة باطنية رافقت تعلقى به طيلة حياته القصيرة . كان شعورى بالسعادة لوجود هذا الاخ الحنون فى حياتى يهزنى احيانا بما يشبه الحزن وذلك لفرط خوفى عليه من موت مبكر .

لا ازال احتفظ حتى اليوم بأشياء صغيرة تركها ابراهيم او اخى نمر الذى اتجهت اليه مشاعر الحب والتعلق بعد وفاة ابراهيم :جزدان جلدى صغير ، مفكرة جيب ، رباط عنق ، مشط صغير ، دفتر للعناوين وارقام التليفونات الخ ...

لا ازال احتفظ بهذه الاشياء ، المسها بحزن وحب ، وكاننى احاول ابعاد البلى والفناء عن الاحبة باحتفاظي باشيائهم الصغيرة ، والابقاء عليها حية فى خزانتى .. ان (للاحياء ارضاً ، وللاموات ارضا ، ولا يصل بينهما إلا الحب) كما يقول ثورنتون وايلدر .

• • •

كنت افكر أحيانا بالهرب من البيت بحثا عن الخلاص ، غير انه كانت لدى رقة قلب بالغة تجاه شيخوخة ابى بالرغم من البعد النفسى الشاسع الذى كان يفصلنى عنه فى تلك الفترة . فما ملكت يوما القلب القاسى الذى لا يبالى بالام الاخريـن فى سبيل نزعاته وتطلعاته . وهكذا لم يكن أمامى إلا الانعزال الكامل فى قلب العلاقات البشرية المتشابكة من حولى والهروب الى الشعراء أو الزمن الروائى ، أو احلام اليقظة.

هذا المد الإسلامي إلى أين يمضي؟

يدين ربع سكان الأرض بدين الاسلام .. أى أن هناك ما يقرب من ألف مليون مسلم من أربعة بلايين إنسان . ووسط آلاف الاسئلة والقضايا المطروحة على المسلمين سؤال جوهرى يقول : متى نطبق الحكم الاسلامى وكيف ؟ .

نؤمن أن جواب السؤال بالايجاب والفورية هو حلمنا النبيل ، ونعرف ان واقع المسلمين يفتقر كثيراً إلى التفاؤل ، وفي الفجوة التي تقع بين الحلم والواقع ، تشتعل قلوب المسلمين بهذا الأمل الغامض ان يكون القرن الهجرى الخامس عشر هو بداية عودة المسلمين إلى مراكز التوجيه والقيادة البشرية ..

ولا أحد ينكر أن العالم الاسلامى يزخر بمد اسلامى يرتفع لحظة بعد لحظة ، ويختلف هذا المد في صوره الظاهرة وتياراته الخفية ، ولكنه يصنع في النهاية هذا الفوران الذي نراه في بحر الحياة الاسلامية ..

وقد وقعت ثلاثة أحداث هامة في نهاية القرن الهجرى الرابع عشر ، وفي أول يوم من القرن الهجرى الخامس عشر ، وفي اليوم الخامس من القرن الجديد :

١ - وقعت ثورة أيران الاسلامية في نهاية القرن الهجرى الرابع عشر .. ومهما تكن النظرة لهذه الثورة أو التحفظات عليها فلا ريب أنها كانت حدثا هائلا كشفت عن طبيعة الروح الاسلامى الثائر ، ولقد لفت انتباه الغرب والشرق إلى هذا العملاق القوى الذى حسب الناس أنه قد اغمض عينيه ونام وانتهى دوره . ثم اكتشف العالم أن الدفعة القرآنية الأولى مازالت حية تؤدى دورها على مسرح الاحداث العالمية.

٢ - وفى فجر اليوم الأول من القرن الهجرى الخامس عشر وقع حادث محزن تمثل فى اقتحام المسجد الحرام فى مكة وتبادل اطلاق الرصاص داخله ، وقد أغلق المسجد الحرام وظل مغلقا خلال ما يقرب من أسبوعين ، وليس هناك عمل يستطيع ان يوقظ المسلمين على لذع الالم المحرق مثل اغلاق المسجد الحرام ..

ولقد وصل هذا الألم الى قلوب ربع سكان الكرة الارضية بعد لحظات من وقوع الحدث ..

٣ - فى اليوم الخامس من القرن الهجرى الخامس عشر ، انعقد فى دولة قطر المؤتمر الثالث للسنة والسيرة النبوية ، وشهدت الدوحة جمعا من علماء المسلمين من أنحاء الارض قلما يجتمعون معا فى مكان .

وهذه الاحداث الثلاثة ، رغم تفاوتها بين حكمة العقل وهدير العنف ، وزغم اختلاف أسبابها ودوافعها واختلاف النتائج السارة والمحزنة الا انها في نهاية الأمر سلسلة من التيارات التي تحرك المد الاسلامى حيث يطفو فوقه السؤال الذي يقول :

الحكم الاسلامى .. متى نطبقه وكيف نبدأ ؟

خريطة العالم الاسلامى

ماذا ستقبل العين لو طافت بخريطة العالم الاسلامى ؟ ان الخلافات التى زرعها أعداء الاسلام وسط المسلمين منذ قرون ، قد اثمرت وادت دورها ووصلت بالعالم الاسلامى منذ قرون ، الى مكانه الذى يقف اليوم فيه ..

وهو مكان قد نختلف عليه ولكننا جميعا نتفق انه ليس هو مكان الصدارة البشرية .. نعرف أن عودة الاسلام الى مراكز التوجيه والقيادة البشرية تقتضى أولا أن يعود المسلمون الى منابع الاسلام الاولى .. ان الاسلام ليس عملا سحريا يستطيع تغيير الحياة بدون مسلمين .. ان الاسلام روح .. والمسلم جسد وبغير الجسد يظل الاسلام روحا من المثل الاعلى الهائم الذى لا يطبق ليس هناك خيار بين المسلمين اذا أرادوا العودة الى مكانتهم الاصلية وأداء دورهم الحقيقى . ليس امامهم سوى العودة للاسلام ..

العنف الاسلامى

ماهى الدروس المستفادة من حكم الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

فى تصورى أن أول الدروس المستفادة هو التوسط والرحمة ، ولعل هذا الامر يصلح ردا على موجات التطرف التى ظهرت فى كثير من البلاد الاسلامية فى الفترة الاخيرة ولعل اهم الظواهر التى يجب رصدها فى العالم الاسلامى فى نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر ، هى ظاهرة الاسلام العنيف ، والدعوة الى اعتبار أغلبية المسلمين خارجة على الاسلام بسلوكها ، والرغبة فى هجرة هذه المجتمعات أو تغيير انظمتها بالقوة المسلحة ..

لا أحد من المصلحين الاجتماعيين ينكر اليوم أننا نعيش وسط جاهلية مختلفة الالوان والاشكال ..

جاهلية ثقافية ، وجاهلية دينية ، وجاهلية علمية .. الى آخر انواع الجاهليات .. ولكن أحدا لاينكر أن جوهر التوحيد باق فى النفوس كافة ، وأن هذا الجوهر يتيح للمصلحين أرضية يمكن البناء عليها والبدء منها . ولا أحد ينكر أن جوهر الشباب هو التطرف والنقاء ، ولهذا الجوهر ميزته فى تناول الاشياء والنظر اليها .. ولكن العنف لم يكن جزءا من جوهر الدعوة الى الاسلام

لقد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله ١٣ عاما وسط مجتمع كافر ، ورغم الاضطهاد والتعذيب لم يرفع الرسول سيفه الا بعدمرور هذه الاعوام الطويلة حين تم تأسيس الدولة وبدأت تتعرض للغزو ..

وفى تصورى أن كل الايام التى مرت على رسول الله منذ بدأ دعوته الى الله حتى رحل الى الرفيق الاعلى كانت حكمة إلهية عليا .. ليس من قبل المصادفة أن الجزء الاكبر من حياة المسلمين تميز بالسلام والرفق التشريعى والتدرج فى الاحكام والتيسير على الناس والتخفيف عنهم ورعاية ما لا يتعارض من مصالحهم مع الشرع .

- شلاثة أحداث هامة فى نهاية القرن الهجرى الرابع عشر
- عصر الخلفاء الراشدين كان خير عصور الإسلام وأنقاها
- ليس هناك خيار أمام المسلمين إذا أراد وامكاناتهم الأصلية

مالذى نعنيه بالعودة الى الاسلام .

ينصح العلماء بالنظر فى بداية الاسلام ، وينصحون بالالتفات الى الدروس المستفادة من حكم الرسول صلى الله عليه وسلم وحكم خلفائه الراشدين ..

وليست هذه النصيحة خطوة الى الوراء كما يحاول البعض إيهامنا لنبقى على تخلفنا ، انما هى عودة الى المنابع الاولى لمعرفة أسباب سر ابطاء النهر وانخفاض مياهه .

لنفرض أن نهرا عظيما قد بدأ يضطرب وينخفض ماؤه فجأة ثم يرتفع فجأة فيغرق الارض ، ثم يعود الى الانخفاض ثم يتراوح بين الارتفاع المفاجىء والانخفاض المفاجىء ..

لنفرض أن هذا وقع لنهر ما .. فهل يبدأ البحث عن السر فى شطآن النهر ام يبدأ البحث عن المنابع ..

إذن العودة الى المنابع الاولى هو العلاج الصحيح للمشكلة ، وبغير هذه العودة سنظل نعالج المرض بالمسكنات علاجا موضعيا ونغفل أسباب الداء الحقيقى .

ليس هذا مصادفة .

نحن مأمورون باتباع النبى والتأسى به فى كل الامور ، وأخطر هذه الامور هو الدعوة الى الله ..

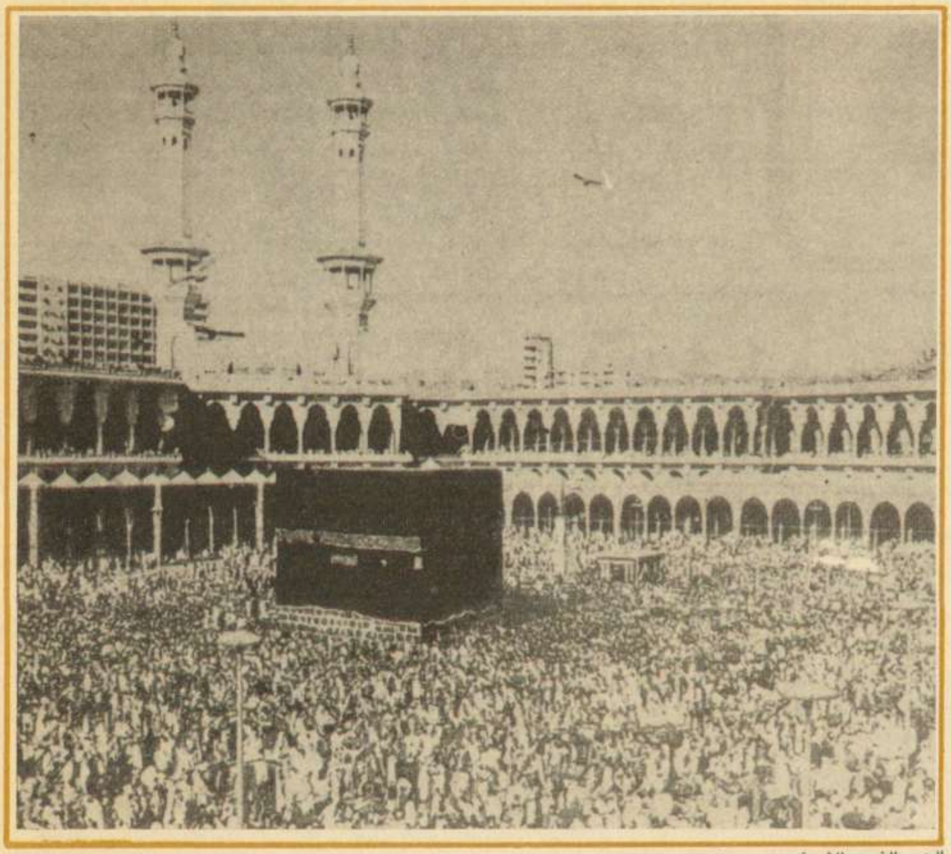

الحرم النبوى الشريف

لقطة من مؤتمر السيرة والسنة

ولقد كان سلوك النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة أشارة موحية الى الدعاة من بعده أن يضعوا الاساس الفكرى للدولة قبل قيام الدولة ..

و قد بدأ الرسول عمله وسط بيئة لاتعرف الله ولا تؤمن بتوحيده ، ولكن الدعاة اليوم يدعون الى الله وسط بيئة تعرف الله وتسلم بوجوده ، ومهمة الدعاة اليوم أسهل اذا نظرنا اليها من هذا المنظور ..ثم إن الرسول تدرج فى التشريع ، وراعى الرفق بالناس ، وهذا ما ينبغى أن يكون واضحا عند الدعاة الى الله أو مؤسسى الدول الاسلامية

ان التدرج سنة نبوية .

والرفق سنة نبوية..

وصحيح أن الدعاة اليوم يواجهون رغم السهولة التى تحدثنا عنها صعوبة تتمثل فى خفاء الجاهلية وانتشار الجهل وابتعاد

الناس عن مصادر الايمان ..

ويمكن القول بلا تردد ان الشيطان قد تطور مع تطور الحياة ، بل لعله بدهائه قد سبق تطور الحياة واعد لكل شيء عدته ، ولم يعد يقدم لأتباعه اليوم تماثيل من الحجارة او العجوة لعبادتها ، انما جدد الشيطان فى اساليبه وراعى عصر الطاقة والفضاء والتكنولوجيا ...

وهكذا اندثرت الاوثان الظاهرية وصارت الاوثان الجديدة خفية كالهوى متلونة كالسلطة تلتبس بأقنعة الحلال ، وربما كانت تعريتها أصعب من تعرية الالهة القديمة ، ومن ثم فان حربها قد تكون أصعب من حرب الاوثان الساذجة الظاهرة

هذا قدر المسلمين..

ومهما يكن من امر فان القضية هى قضية الدروس المستفادة من حكم الرسول .. وأهمها فى نظرنا المبادىء العامة التى بنى عليها التشريع الاسلامى وهى :

- التدرج فى التشريع .
- التقليل من التقنين .
- التيسير والتخفيف .
- مسايرة التشريع لمصالح الناس .

ولو تأملنا هذه المبادىء الاربعة فسوف نجد انها أمانة فى يد من يتصدى للدعوة لتطبيق حكم الاسلام ، لأن تطبيق حكم الاسلام يعنى تطبيق الشريعة الاسلامية ، ولا يمكن الدعوة لشريعة بهذه السماحة بأى اسلوب من اساليب العنف أو القهر، وهنا يجب أن نفرق بين لين الداعية وحنانه ، وصلابته فى الدفاع عن دولة الاسلام اذا هددتها سيوف العدو .

وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كداعية ونبى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وقيل له كجندى من جنود الله (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير)

واضح اننا أمام نصين قرآنيين ..

احدهما نص يمن الله على النبى أن خلق فيه برحمة الله لينا وحنانا جعل الناس تجتمع حوله.. وفى هذا النص يورد الله لفظ غلظة القلب ويمن على النبى أن حماه منها فضمن له الا ينفض الناس من حوله ..

فى النص الثاني يأمر الله رسوله أن يكون غليظا على الكفار والمنافقين الذين يحاولون هدم دولة الاسلام ، وقد وردت هذه الاية فى سورة التوبة ، وهى سورة مدنية كانت ضمن آخر السور التى نزلت من القرآن وهى بهذا الاعتبار تضمنت احكاما نهائية فى العلاقات بين الامة المسلمة وسائر امم الارض .

وتأمل النصين معا يؤكد أن الرسول كان لين القلب رؤوفا بالناس رحيما بهم .. وهذه هى أوصاف الداعية ،،، هذا الداعية نفسه كان مأمورا اذا جاهد الكفار والمنافقين أن يتحول الى الغلظة التى هى مزيج من الحسم والصلابة والصرامة .

ويمكن تلخيص الدروس المستفادة من حكم الرسول بالتوسط والرحمة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والايمان بالله ، وبهذه الخصائص كان المسلمون امة وسطا ، وكانوا خير الامم .

(كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)

الخلفاء الراشدون وجوهر الديمقراطية

بعد نموذج الحكم الذى قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. تعاقب اربعة خلفاء راشدين بعده ..

وهناك اتفاق يشبه الاجماع بين علماء المسلمين على أن عصر الخلفاء الراشدين كان خير عصور الاسلام وأنقاها ، ومن هنا صار النظر فيه وتحليله نظرا فى القدوة وتحليلا لها.

ويجمع جمهور المسلمين على أن حكم الخلفاء الراشدين هو النموذج الشرعى للاسلام ، وبالتالى فهو مصدر رئيسى للاحكام الشرعية حول الخلافة واصول الحكم فى الاسلام ..

وأول درس يحدثنا عنه حكم الخلفاء الراشدين أنه ليس للحكومة الاسلامية شكل محدد متعين بذاته .. ترك الامر حرا واختلف فى كل مرة كحكمة عليا مثلا .. تم انتخاب الصديق ابى بكر على درجتين انتخب بالبيعة الخاصة فى مؤتمر السقيفة .. ثم انتخب بالبيعة العامة التي تبعتها من سائر المسلمين ..

وكان النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته قد أمر صاحبه الاول أن يصلى بالناس .. وكان معنى أمر النبى له بالناس ما يشبه استخلاف الرسول له ..

ثم هناك ما يشبه الوصية من الرسول للمسلمين بشأن ابى بكر وكان هناك انتخابات أجريا ،بشأنه .

اى اننا امام ما نسميه بلغة اليوم ديمقراطية حقيقية تقوم على الانتخاب الحر

واوصى ابو بكر الصديق لعمر من بعده فبايعه الناس .. اى ان ولايته جاءت بعد وصية الصديق وانتخاب الناس له .

والف عمر بن الخطاب مجلسا من ستة اشخاص ليختار أحد أعضائه خليفة ، واختار المجلس عثمان بن عفان فبايعه جمهور المسلمين ، وبعد مقتل عثمان بويع على بن أبى طالب فانتخبه الناس انتخابا حرا..

وسوف نلاحظ أن هذه الاشكال المختلفة من طرق اختيار الخلفاء أجمعت على أمرين

- الانتخاب من قبل جماعة المسلمين ..
- اختيار أفضل العناصر الصالحة لحراسة الشرع وسياسة الدنيا .

ورغم ان على بن ابى طالب كان من أهل بيت النبى ، الا أنه اختير كخليفة رابع ، ورغم انه كان باب مدينة العلم ، الا ان المفاضلة بينه وبين عمر بن الخطاب قدمت

واحدا لم يكن قريب النبى أو نسيبه ، رغم أن قريب النبى كان قمة من قمم العلم والفضل والاسلام .

وهذان الأمران هما جوهر الديمقراطية التى تحلم بها اكثر الانظمة تقدما فى العالم ولقد زاد الاسلام على ديمقراطيته الروحية بهذه المكانة التى جعلها للدعوة ..

كانت الدولة الاسلامية خادما للدعوة الاسلامية ..

وكانت حارسا لحقيقة التوحيد .

وكان الخليفة المسلم يضرب أمثلة عليا فى التواضع والتجرد والجهاد .

كان عمر بن الخطاب آخر من يأكل وأول من يعمل ..وكان ابو بكر الصديق قبل الاسلام رجلا شديد الثراء فصار بعد الاسلام فقيرا فى المال

وفى قمة مجد الدولة الاسلامية صاحت امرأة تعارض عمر حين اراد حل مشكلة المغالاه فى المهور بوضع حد لاتتجاوزه ، واتيح لرجل أن يرد على عمر : لا سمع ولا طاعة حين رآه يرتدى ثوبا طويلا وقد وزع على المسلمين قماشا لايكفيه ، واوقف عمر ابنه ليتكلم فقال الابن : ان ابى اخذ قماش ثوبى وأضافه لثوبه لانه طويل القامة وقماشه لا يكفيه .. وكان عمر يمضى بلا حرس ولا جند ولا هيلمان .

وكان عدله يتيح له أن يضع نعله تحت رأسه وينام فى ظل أى شجرة ظليلة ..

وقد ضرب الخلفاء الراشدون أمثلة فى المساواه ببقية المسلمين فلم يسمح أحدهم لنفسه أن يتميز عن عامة المسلمين فى طعام أو شراب أو ملبس أو مسكن أو أى موضوع خاص ..

وكانت الحرية فى هذا العصر مكفولة بنصوص القرآن وروحه ، باختصار .. كان حاكم المسلمين يرى الحكم أمانة يؤديها ، امانة تزيد من أعبائه ومسئولياته ولا تمنحه فى نفس الوقت أى امتياز خاص سواء كان امتياز له أم لاسرته .

كان الخلفاء الراشدون يؤمنون باخوة الاسلام .. ويؤمنون بأن كلكم لآدم وآدم من تراب ..

السلطة التشريعية

وفى عصر الخلفاء الراشدين .. كانت السلطة التشريعية لعلماء هذا الزمن واخلص القيادات فيه ، وهم اصحاب الرسول أو رؤوس القوم .

وكانت مصادر التشريع ثلاثة .. القرآن الكريم والسنة النبوية واجتهاد العلماء من الصحابة

وكان أهم انجاز انسانى حققه عصر الخلفاء الراشدين من الناحية التشريعية هو جمع القرآن وتدوينه ، وعدم تدوين السنة حتي لاتلتبس بالقرآن . وكانت الخطة التشريعية التى سار عليها رجال التشريع هى نفس خطة الرسول ، وان أضافوا الى القرآن والسنة .. الاجماع والقياس .. وقد خلف هذا العصر ثلاثة آثار تشريعية .

الاثر الاول : بعض الشروح لنصوص الاحكام فى القرآن .

الاثر الثانى : عدة فتاوى اجتهادية صدرت فى وقائع لا نص فيها .

الاثر الثالث : إنقسام حزبى بدأ سياسيا بشأن الخلافة والخليفة ، وانقلب دينيا فكان له أثره الخطير فى التشريع والسياسة .. ومن المدهش أن آثار هذا الانقسام لازالت باقية رغم مرور ما يقرب من ١٤ قرنا عليها .

حدث بعد قتل عثمان ومبايعة على بالخلافة أن نازعه عليها معاوية بن ابى سفيان ، وبدأت الحرب بين الفريقين ، وانتهت الى تحكيم حكمين ، ونتج عن التحكيم انقسام المسلمين الى ثلاثة أحزاب الخوارج .. والشيعة .. والسنة وهم جمهور الامة .

أما الخوارج منهم جماعة من المسلمين كرهوا من عثمان سياسته فى خلافته ، ولم يرضوا على (على بن ابى طالب) لقبوله التحكيم ، ونقموا من معاوية توليته الخلافة بالقوة ، فخرجوا عليهم جميعا ، وكان مبدؤهم أن خليفة المسلمين يجب انتخابه انتخابا حرا ممن تتوفر فيهم الكفاءة للخلافة ولا يهم ان يكون قرشيا أو غير قرشى، حتى لو كان عبدا حبشيا ، وكان من رايهم أنه لا يجب طاعته إلا اذا كان عمله فى حدود القرآن والسنة ، ورأوا انه اذا جاوز حدودهما وجبت معصيته ، وسلكوا فى تأييد دعوتهم كل وسائل العنف والشدة ..

وقد أساء عنفهم المبدئهم اعظم إساءة ، وحصرهم فى دائرة الاقلية .

٢ ـ أما الشيعة فهم جماعة من المسلمين غالوا فى حب على بن ابى طالب وذريته وافرطوا فى هذه المحبة ، وكان رأيهم أن (علي) أحق بالخلافة من عمر بن الخطاب ، وانقسموا فيما بينهم فرقا تتراوح بين الغلو الشديد والاعتدال ، كما اختلفوا بشأن الخلافة فجعلتها كل فرقة فى فرع خاص من ذرية على .. وقام تصورهم على وصية الرسول لعلى بخلافته

(٣) أما جمهور المسلمين فهم أهل السنة والجماعة ، وهم يرون أن الخلافة ليست وصية لاحد .. كما انهم لا يفاضلون بين الصحابة ، ويرون أن الخليفة ينتخب من اكفاء قريش إن وجد .. ومن غيرها إن لم يوجد وقد ترتب على هذا الانقسام بين الاحزاب الثلاثة اثر تشريعى ، صار للخوارج فقه خاص ، واصبح للشيعة فقه خاص .. واصبح للسنة فقههم الخاص ولقد لجأ الخوارج الى العنف فظلوا اقلية قليلة فى المجتمع الاسلامى

ايضا تميز الشيعة بالغلو وصاروا اكبر الاقليات فى الاسلام

وبقى السنيون هم اغلبية العالم الاسلامى .

ومن المثير للانتباه أن القوى الثلاثة تتحرك اليوم .

إن ايران من الشيعة ، وثورة ايران الاسلامية نموذج للغلو

والذين اقتحموا المسجد الحرام من الخوارج اذا نظرنا اليهم من زاوية العنف .

ومؤتمر السيرة والسنة النبوية هو مؤتمر السنيين وحركتهم فى اتجاه تطبيق الاسلام

ويمكن القول ان العودة الى الوجدان الدينى فى الشرق الاوسط لدى اغلبية الجيل الجديد فى الدول الاسلامية ، يشكل ثورة على الفشل الذى تحقق عبر الحياة السياسية العربية والاسلامية التي أعقبت الحصول على الاستقلال من النفوذ الاجنبى..

ويمكن القول ـ ايضا ـ أن الله تبارك وتعالى ـ يدخر للمسلمين نهضة طيبة توحى بها النذر .

نسأل الله أن يوفق المسلمين لاستعادة دورهم فى قيادة البشرية.

أحمد بهجت

عبد القادر رحميدة

السقوط من الذاكرة!

أرثى لصديق
قتلته التخمه ذات مساء !
لم يحفر في ذاكرتي - وأسفى - قبرا
لم ينبت دمعة حزن ساهمة
في ليل الصحراء المتوهج بالغربة ..
والأنواء .
زهرة صبار واحدة في صدرى
لم تــزهر
لم تتلاش الألوان
وما اختلطت في باصرتى
- حين يموت صديق -
كل الأشــياء !!

● ●

كان صديقى
لا ينهش غير لحوم الموهوبين المهمومين
الشرفاء
يترصد أحلى ما في أعينهم من أحلام الانسان
انكفأت في قدميه المتعبتين الطرقات الوعرة
والأوثان !
يحلو أن يلعق من دمهم
في أوقات اللهـو
وفي أوقات الزهـو
وفي أوقات الشــهوه !
فصديقى يبغض أن يشغل عنه بشىء آخر
يتمسح في أذهان المصلوبين صباح مساء .
يهوى أن يصبح نافورة دمع تمساحى
في آذان المسلوبين المصلوبين

أما الدهماء
فخطايا عبرت عفـوا
بحذاء القدمين اللاهثتين بداخله في كل الأنحاء
وذنوب لا يغفرهـــا غير الله !

● ●

كان صديقى
يزعجه أن يلقاك بشوشا
أو إنسانا من ضوء ومحبه
يكره ألا يلقاك مهيضا وذليلا
يعشى في الوهج إذا ماكان نبيلا وكريما وأصيلا

يتآكل إذ يوقن أنك من نور
أو أنك أنقى مما يكمن تحت ردائه .
أصفى من كل براءات الزاهد حتى
فيما يروى شفتين مشققتين
وصديقى يمقت حتى
أن تشتاق لديه
بقايا إنسان
من لحم وعظام ودماء
فصديقى لا يتنفس إلا بغضاء
وإذا ابتسم صديقى
بانت من شدقيه نواياه الصفراء !

● ●

أرثى لصديق
قتلته التخمة يوماً
لا أذكر ذات صباح أو ذات مساء
لكنى أتذكر كيف يموت صديق حى
في ذاكرة الأحياء !!

فى الضباب

للشاعر الألمانى : هرمان هسه
ترجمة : د. عبد الغفار مكاوى

ما أغرب التجوال فى الضباب !
كل أيك وحيد
كل حجر
ما من شجرة ترى الأخرى
كل شجرة تقف وحيدة !

●

كان العالم عندى مليئا بالأفراح
حين كانت حياتى لا تزال مضيئة
والآن حيث سقط الضباب
لا أحد عدت أراه !

●

حقا .. لا يعد حكيما
من لا يعرف الظلام
الذى يفصله عن الجميع
كالقدر المحتوم فى هدوء !

●

ما اغرب التجوال فى الضباب
الحياة وجود وحيد
ما من إنسان يعرف الاخر
الكل وحيد !!

د. حافظ الجمالي

بين الذهول عن الآخر والذهول عن المستقبل

● الذين يعيشون لأنفسهم فقط يُوصَمون بالشذوذ ويُعتَبَرون غير أسوياء..

- ١ -

ذلك الانسان الذي يعيش حاضرا متجددا ، لا ماضي يدعمه ، ولا مستقبل يرنو اليه ، والذي يعيش حياته الخاصة ، منقطعا عن الآخرين، هو حتما انسان غير عادي ، وفي التقييم الاجتماعي أقل من انسان ، والشيء المألوف والعادي أن الانسان قد يكون فرحا جدا بنعمة أصابها ، أو بسعادة رزقها ، وامتلأ قلبه لها حبورا ، وشفتاه ضحكا ، ولكن ما ان يصادف جوا كئيبا ، حتى تنقبض سعادته ، ويتقلص هناؤه ، ويخجل أن يكون سعيدا في موكب التعساء ، أو سليما في جماعة المرضى ، أو غنيا في جمهور الفقراء ، أو الحي الوحيد بين أشلاء الشهداء ، حقا ان ابتسامتنا لتبدو قمة في الوقاحة ، ان كانت الدموع تنهمر من عيون الآخرين ·

ذلك هو الامر الطبيعي · الا أن المجتمع ، أي « الآخر » جملة ، ارتقى بهذا الشيء الطبيعي الى مستوى القيمة الاخلاقية ، واعتبر أن من يعيش في الحاضر وحده ، قصير النظر · وعندما يقال عن انسان ما ، انه لا ينظر الى أبعد من أرنبة أنفه ، فما من أحد يخطر في باله أننا نمدح هذا الانسان · وكذلك عندما يعيش الانسان لنفسه وحدها دون أي اعتبار للآخر ، فانه يوصم بالشذوذ ، ويعتبر غير سوي · فاذا كان ممن يستخدم « الآخر » لمصالحه وحدها ، مستغلا اياه ، ناظرا اليه كوسيلة ، مجرد وسيلة ، فانه يعتبر أنانيا ، أو استغلاليا ·

وليس في هذا أيضا ما يشبه المديح · ذلك أن « الآخر » شيء هام في حياتنا اليومية وفي واقعنا النفسي، بمقدار ما هو قيمة أخلاقية · الا أن هذا الآخر ليس مجرد الانسان القريب منا فحسب ، بل هو الآخر الاجتماعي ، الذي وجد منذ الخليقة، ولا سيما فرعه الذي ننحدر نحن منه ، ونعي انتسابنا اليه ، ونعتبر أننا واياه « كل واحد » يضمنا ويضمه معا ، وهذا الكل الواحد هو الامة بطبيعة الحال ، ان لم نقل الانسانية بوجه عام ·

- ٢ -

ليس من العبث اذن أن يكون لمثول الآخر في نفوسنا ، قيمة أخلاقية ، وان تشتد هذه القيمة ، وتعلو ، بنسبة ما يشتد حضور الآخر ، كما انه ليس من العبث أن يكون مثول المستقبل في نفوسنا ، قرينة على سلامة عقولنا ، وكلا الامرين من الشروط الاساسية لحياة المجتمع ولهذا أعلا الناس دوما بعد النظر على قصره ، واحترم الغيرية ، واحتقر الانانية · أو ليس من الملاحظ بكل وضوح ، أنه كلما ازدادت أنانية الواحد منا ، وازداد ضيق أفقه ، هبطت قيمته لا في نفوس الآخرين فحسب ، بل في ذاته نفسها أيضا ؟ وماذا عساه أن يكون الكرم ، والاخلاص ، والوفاء ، والشرف ، والتضحية ، والحب ، والمودة ، لولا وجود الآخر ؟ ثم ما هي المخاطر الضخمة التي قد نتعرض لها لو لم نعش الا في حاضر أبدي ، لا يستفيد من ذكريات الماضي ، ولا يأخذ منها العبرة للمستقبل ، فكان البعد الاجتماعي أولا ، وحسن التطلع الى المستقبل ثانيا ، مما لا يستغني عنهما في كل وجود انساني يريد أن يرقى قليلا فوق المستوى الحيواني « الخالص الحيوانية » ·

- ٣ -

ان هذا كله مقدمة ، أريد الوصول منها الى بيان مدى توفر هاتين السمتين (حضور الآخر وحتى التطلع الى المستقبل) في الانظمة السياسية التي قامت في الوطن العربي ، منذ عهد الانحطاط ، حتى الآن ، في البلاد العربية كلها ، لا في بلد واحد · وأستبق الشروح كلها منذ الآن لألاحظ مباشرة أنه لولا ذهول الانظمة عنهما بدرجة خطيرة ، لما رددنا الى كل هذا التخلف الذي لف كل ما هو عربي ، من أقصى المشرق الى أقصى المغرب ، ولما تفاقم الانحطاط الى المستوى الذي نحن فيه ، بحيث نجد أننا لا نملك الآن ، لا القدرة على النهضة الجادة فحسب ، بل لا نملك كذلك حتى المحافظة على وجودنا القومي ، وسلامة الارض التي نعيش عليها منذ أربعة عشر قرنا على الاقل ، كما لا نملك حتى القدرة على تجاوز التخلف الذي لا يسعنا الا القول : انه ـ نسبيا ، ورغم كل صور التقدم التي نحققها ، في وجه أو آخر من وجوه حياتنا ، ـ لا يزداد الا تفاقما ·

- ٤ -

ولا أقل الآن ان المجتمع ليس متخلفا بالضرورة لانه أكثر فقرا من

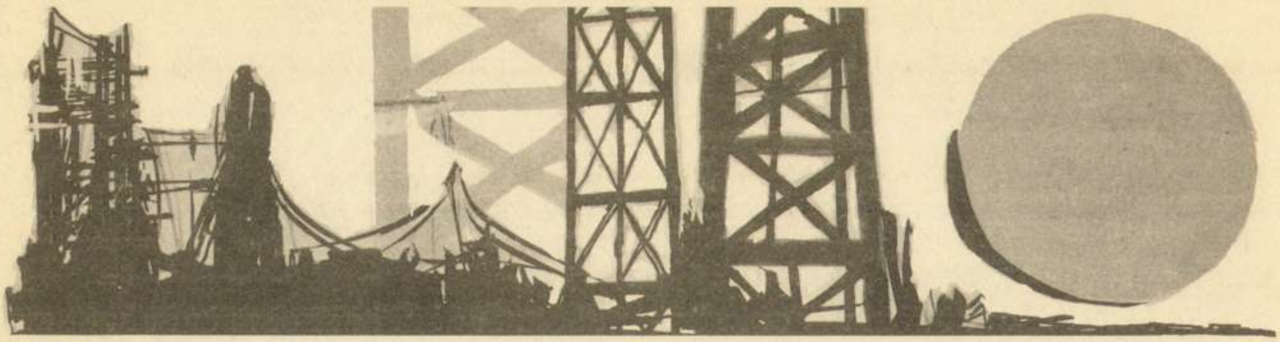

أما أولئك الذين يستغلون الآخرين لمصالحهم وحدهم فهم أنانيون مستغلون

غيره ، اذ أن الارض ، وما فيها من ثروات طبيعية ، هي التي تعين الى حد كبير درجة الغنى التي يمكن أن تملكها ، وهكذا فلابد أن يكون الوطن العربي ، أفقر من الغرب الاوربي ، بحكم أن الاول جملة واحات صغيرة في صحراء كبيرة ، وأن العكس هو الصحيح في الثاني. واذا كنا نملك النفط الآن ، فذلك ثروة عرضية لن يكون لها الا وجود عابر • أما المطر الدائم أو الكثير ، فهو ثروة دائمة الوجود ، متصلة الخيرات ، وهكذا استطاع أحد كتابنا أن يقول : آه ، من يبيعنا ماءهم بنفطنا ! » وحقا فان الفقر تخلف ، ولكنه أحيانا لابد منه اذا كانت الارض التي نعيش عليها صحراء قاحلة •

فهل يقال اذن ان المجتمع متخلف لانه قليل العلم ، ضئيل المعرفة ؟ لا ريب ان كمية المعرفة لبثت ١٥٠٠ عام بعد الميلاد حتى تضاعف حجمها، ثم تضاعفت بين عام ١٥٠٠و١٨٠٠، وبين ١٨٠٠ و ١٩٠٠ ، وبين ١٩٠٠ و ١٩٤٥ ، وبين ١٩٤٥ و ١٩٦٠ ، وأخيرا بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٦٨ ، ولابد أنها تضاعفت مرة أخرى منذ ذلك الحين ، كما تضاعف الانتاج الصناعي ، وبالوتيرة نفسها ، بالتوازي مع تقدم المعرفة • وهنا لا مجال للقول اننا نملك تمثل هذه المعرفة على الاقل ان لم نملك ابتكارها ، فهل نحن متخلفون اذن ، لان أرضنا فقيرة ومعرفتنا ضئيلة ؟ ولهذا السبب وحده ، دون غيره ؟

أما الارض العربية فان فيها ٤٧ر٣ مليون هكتار من الاراضي المزروعة (٥ر٣٪ من مساحة الوطن)، أو ما يقدر بـ ٢ر٣٪ من مساحة الاراضي الزراعية في العالم • ومن هذه المساحة كلها لا نملك الا ٤ر١٠ مليون هكتار من الاراضي المروية ، أو نحو ٦ر٤٪ من الاراضي المروية في العالم • وبالمقابل فان السكان (١٥٠ مليونا تقريبا) لا يزيدون على نسبة ٧٥ر٣ • وبالتالي فانه لا مساحة الاراضي المزروعة ، ولا مساحة الاراضي المروية ، بحيث يشكي نقصهما بالنسبة الى السكان ، في الوقت الحاضر على الاقل • أما في آخر القرن حيث ينتظر أن يصبح العرب ٣٠٠ مليون فان هذا النقص سيكون واضحا جدا بالقياس الى العالم المتقدم • ولكن الاهم من ذلك

هو أن انتاجية الارض العربية ، زراعيا ، هابطة جدا حتى بالنسبة الى البلاد النامية ، فمساحة الارض المزروعة قمحا لدينا تساوي ٤٪ من أراضي العالم ، لكن انتاجها لا يزيد عن ٩ر١٪ من انتاج العالم • وقس على ذلك أكثر المحاصيل •

وبطبيعة الحال فان هذا التخلف انما يرد الى نقص واضح في المعرفة العلمية وتطبيقاتها بالجملة ، ولا سيما في الزراعة • فهل يقال ان شبابنا لا يتعلمون ؟ أو هم غير أذكياء ؟ أو هم ضعفاء الهمة ؟ أو أن التخطيط الصحيح هو الشيء الناقص؟

— ٥ —

الحقيقة أن القضية قضية انحطاط تاريخي ، قلما تساعد الانظمة القائمة أو التي كانت قائمة على التخلص منه رغم المدارس والجامعات ، ذلك أن « الآخر » بالنسبة الى الانظمة موجود كمدد ، لا كقيمة • وهذا الارهاق الذي يعانيه ، والذي أشار اليه الطبيب الفرنسي بيرنييه حتى منذ عام ١٦٧٠ ، هو الذي يقصم ظهر الافراد ، ويقتل الحافز على العمل ، ويسد أبواب المستقبل •

ان كل عمل يحتاج الى زمن • والزمن هنا هو المستقبل • وعندما لا يطمئن الانسان الى مستقبله ، بسبب ارهاق الانظمة ، فان الطموح يتضاءل ، والانتاج يهبط ، والتخلف يزداد • فالانسان الذي لا مستقبل له ، لا طموح له ، والذي لا طموح له لا يحسن الانتاج المادي ولا المعنوي •

بين الذهول عن الآخر والذهول عن المستقبل

والآن .. ألا يصح القول : إن أكثر الأنظمة تشكو كبعض الأفراد الذين نتهمهم بقصر النظر ؟

وأبرز ما في هذه الانظمة هو تركزها على ذاتها ، كأنها هي الاول والآخر ، أما المواطن أو الآخر ، فانه كمية مهملة ، انه ليس بقيمة ، أو قل انه مجرد وسيلة •

والزمن بالنسبة الى هذه الانظمة هو الحاضر وحده • لا شك أن هنالك خططا خماسية أو رباعية ، تشير الى أن الزمن يدخل في حساب الدول ، ويلازم عملها •• ولكن هذا «الطلق» ليس وراءه ولادة • فقليلة هي المشاريع التي تنجح فعلا ، وكثيرا ما تصبح عمليات التنمية أعباء جديدة على التنمية •• أولا يلاحظ أن دولنا تنشيء المعامل ، وتوظف لها الاموال الكثيرة ، ثم تعود ، متى عملت ، فتوظف الاموال لتغطية خسائرها ، فكأننا اذن نسير على مبدأ : راوح مكانك أو عد الى الوراء • وكما حذف الفرد كوجود وقيمة ، فقد حذف المستقبل أيضا أو يكاد •

ولكن المشكلة هى أن الماضي أيضا لا يدخل في الحساب ، تماما كما يتضاءل دخول المستقبل • أو ليس ما نلاحظه من قناعة الانظمة باننا جزء من العالم الثالث ، واننا لا نساس ولا نحكم الا بمؤسسات العالم المتخلف ، دليلا على أن كل الماضي العربي ، وتراثه ، وأمجاده، وتجاربه الناجحة والمخفقة قد الغيت معا ، واصبحنا كالشعوب التي نشأت اليوم أو البارحة ، دون أي ماض غير ذاك الذي نسميه ما قبل التاريخ، بالنسبة الينا ؟

والآن ، الا يصح القول ان اكثر الانظمة تشكو ، كبعض الافراد الذين نتهمهم بقصر النظر (فقدان حس المستقبل ، بالاعتماد على الماضي) وبالتركز على الذات (أو الغاء الآخر) من عيوب هؤلاء ، بنفسها ؟ بل ألا يخطر في بال « هذه الانظمة » أن سلوكها يلاحظ من خلال سلوك من سبقها من القادة ، لا سيما اذا كانت ظروف الطرفين متشابهة ؟ وهل كان في وسع المماليك أنفسهم ، أولئك الغرباء عن البلاد ، أن يقضوا على معاقل الصليبيين في وطننا لو كانوا يتصرفون في قيادة البلاد ، كما تتصرف الآن أكثر أنظمتنا الوطنية ؟

ولقد يمكن القول : ان ملاحظاتنا هذه ، أخلاقية المنحى ، وان مجرد تشابه الانظمة العربية ، بنيويا ، يجب أن يكون شيئا آخر ، غير مجرد التوافق والانسجام بين مختلف الانظمة ، توافقا عرضيا محضا ، أو ليست فترات صعود الوطن العربي حتى القرن الخامس الهجري ، وفترات انحطاطه ، واحدة ، متشابهة، بدأت معا وانتهت معا ، وأن هذا الذي يسمونه نهضة الآن ، يكاد أن يكون قد بدأ في آن واحد ، في أكثر الدول العربية ، واذا هو لم يبدأ في آن واحد ، فتقدم هنا تارة ، وتخلف هناك أخرى ، فانه ، حيثما كان ، ازهر نفس الازهار ، وقدم ذات الثمار ، كما لو أن ذلك كله يعكس مستوى عاما من التطوّر أو مرحلة من مراحله ، لا تملك من الوجهة الاجتماعية ، أن تفرز غير هذه الصورة من الانظمة والمؤسسات، ذات الانتاجية الواحدة ، مهما تعددت فيها الاسماء ؟ لئن قلنا ذلك ، على طريقة الحتميات العلمية ، فقد جعلنا الانسان أداة ، مجرد أداة ، حاكما كان أم محكوما ، وأخضعناه لحتميات خارجية ، ليس لارادته عليها من سلطان ، ولكن كما أن سقراط كأنه القابلة ، لا يزيد على أن يساعد الافكار الموجودة في الانسان بصورة قبلية ، أو فطرية ، على الولادة ، فكذلك اقطاب الاشتراكية العلمية ، كانوا يعرفون أن شخصية الزعيم هي التي تساعد الظروف القائمة على أن تلد ما هي حبلى به ، وحتى ان تعجل بهذه الولادة • أفنكون اذن ملكيين أكثر من الملوك ، وعلميين أكثر من العلماء ؟ وهل يكون لكل ظرف وشرط أثره ، ويحرم على الانسان وحده أن يكون له أثر ؟ أو لا ينبغي القول ان ضعف نجع الانظمة العربية ، أو عجزها عن حرق مراحل التطور ، انما ينشأ عن دخولها في التطور كعامل سلبي ، بسبب ذهولها عن « الآخر » ومن الشروط التي يمكن أن ينتج معها أعظم الانتاج ، والشروط الاخرى التي يتدنى فيها انتاجه الى الحد الادنى ؟ ثم يسبب من ذهولها عن الاستفادة من تجارب الماضي ، وحسن التطلع الى المستقبل ، أو لانها تعيش في حاضر مفرط الضيق ، يبدو وكأنه مقطوع عن كل ما عداه ، وما حوله ؟

ولقد تكون أقوالنا هذه كلها فرضيات ، مجرد فرضيات • ويسعدنا أن تكون ذلك • لكن ألا يجب ، اذا نحن استبعدناها ، أن نجد بديلا عنها ؟ وهل نعود من جديد لنقول : ان الاستعمار وحده هو سبب كل العلل ؟ يا لها من فرضية مريحة ، تعفينا من كل المسؤوليات ، ولكنها في الوقت نفسه تخلد علينا التخلف الى الابد •

د • حافظ الجمالي

العدد القادم

وجه مدينة من فلسطين :

الخليل

مدينة الأنبياء

استطلاع ملون

بقلم : نبيل خالد الآغا

على أبواب القرن الخامس عشر

تحديات الغزو الفكري الغريب كيف نواجهها؟

أنور الجندى

● كان ذلك بعد هزيمة الحروب الصليبية في الحملة السابعة على المنصورة
● الإسلام يعطي مفهومه الجامع كمنهج حياة ونظام مجتمع وعلاقة بين الإنسان وربه
● بفضل النفوذ الأجنبي استطاعت القلة أن تسيطر وتتسلم أعلى المناصب القيادية

اذا كان للمسلمين والعرب على أن يلتقطوا أول الخيط ليحققوا المسيرة الصحيحة نحو الاصالة والحق والايمان بما يؤهلهم لبناء المجتمع الاسلامي الجديد القادر على تأكيد ذاتيتهم القرآنية ومنهجهم الرباني ، فان عليهم أن يذكروا ذلك المنطلق الواضح الذي انطلقت منه تلك المحاولة الخطيرة لتغريب المجتمع الاسلامي بالغزو الثقافي والفكري لتحويله عن طريقه وأسلوب عيشه ومنطلقه ومفهومه الاصيل ٠

كان ذلك بعد هزيمة الحروب الصليبية في الحملة السابعة على المنصورة والتي قادها لويس التاسع والتي أسر فيها لويس في دار ابن لقمان وفيها راجع أبعاد تلك المحاولة التي قامت بها الكنيسة الغربية على الاسلام في دياره وكتب في مذكراته هذه التوصية الخطيرة التي طالب فيها بأن تتوقف الحروب العسكرية على عالم الاسلام لانها لم تستطع أن تحقق شيئا وان تبدأ حرب الكلمة بتحويل المسلمين عن مفهومهم الاصيل وخاصة بالقضاء على مفهوم الجهاد الذي يعطي المسلمين هذه القوة القادرة حين يرون أن من مات دون أرضه فهو شهيد ٠ ودعا الكنيسة الى العمل على تحريف مفهوم الاسلام الصحيح واخراجه من أصالته وتكامله الجامع الى شبيه بمفهوم المسيحية الغربية القائم على أن الدين هو اللاهوت أو العبادة أو العلاقة بين الله تبارك وتعالى والانسان ٠ مع تجاهل علاقة الانسان بالانسان وهو الجانب الذي يعطي الاسلام مفهومه الجامع كمنهج حياة ونظام مجتمع الى جانب أنه علاقة بين الانسان وربه ٠ ومن هنا ظهرت بذور الاستشراق والتبشير تحمل تلك الدعوة المسمومة « العلمانية » التي استطاعت القوى الغربية عن طريق الاستعمار العسكرى والسياسي أن تفرضها على أغلب المجتمعات الاسلامية فتحول بينها وبين تطبيق منهج الله ومن هنا كانت مخططات الغزو الفكري تحمل معها أخطر التحديات :

أولا :

اخراج المسلمين من الشريعة الاسلامية الى القانون الوضعي ٠

ثانيا :

اخراجهم من الاقتصاد الاسلامي القائم على الرحمة والعدل الى الاقتصاد الربوي ٠

ثالثا :

اخراجهم من مفهوم التربية الاسلامية الى أسلوب التعليم الغربي المنفصل عن الدين والاخلاق ٠

رابعا :

اخراجهم من مفهوم الشورى الى الاسلوب الديمقراطي والليبرالي الذي ثبت فشله وزيفه ٠

خامسا :

تزييف مفهوم « الجهاد » القائم على المرابطة في الثغور والاعداد للعدو الى مفهوم الجهاد النفسي على النحو الذي زيفته البهائية والقاديانية ٠

سادسا :

دخول مفهوم الاشتراكية الماركسي الفاسد في محاولة لان يحل محل مفهوم العدل الاجتماعي الاسلامي ٠

ولقد مضت خطة تنفيذ هذا المخطط في أسلوب من العمل الماكر الخبيث وجندت له جماعات من المسلمين والعرب الذين احتضنتهم الثقافة الغربية والاستشراق فكانوا أداة الغزو الفكري في بلاد المسلمين وهم ممن تخرجوا من مدارس الارساليات أو سافروا في بعثات الى بلاد الغرب (وان كان كثير من هؤلاء قد عصمهم الله تبارك وتعالى من خطر الاضواء والتبعية) ٠

تحرير الشخصية الاسلامية

ولكن القلة استطاعت بفضل النفوذ الاجنبي أن تسيطر وتعود وتتسلم أعلى مناصب القيادة والتوجيه في بلادها فكان خطرها شديدا ٠

ولكن الله تبارك وتعالى أراد أن

● حركة اليقظة الإسلامية مطلوب منها أن تتنبه للخطر
● جميع الحركات الوطنية والقومية استمدت قوتها من مصادر الإسلام

يكشف للمسلمين هذه الصفحة فقدم اليهم هذه الحقائق :

اولا :

وقف الدكتور زويمر في احدى مؤتمرات التبشير فقال :

« ليس المطلوب أن ندخل المسلم في المسيحية ولكن المطلوب هو أن نخرج المسلم من الاسلام » .

ثانيا :

وقف رئيس وزراء بريطانيا في مجلس العموم البريطاني وهو يحمل المصحف الشريف ويلوح به للاعضاء ويقول : انه مادام هذا الكتاب باقيا في الارض فلا أمل لنا في السيطرة على المسلمين بل أنه لخطر على وجودنا في بلادنا أيضا .

ثالثا :

نشر المستشرق الانجليزي الكبير (هاملتون جب) تقريرا خطيرا عام ١٩٣٠ تحت عنوان « وجهة الاسلام » كشف فيه لاول مرة تلك المحاولة الخطيرة التي أطلق عليها مهمة « تغريب الشرق » ودرس مع أربعة من المستشرقين خطة التغريب في مصر والشام والمغرب والهند واندونيسيا وعرض للخطوات التي تم انجازها وتساءل عن الوسائل الكفيلة باتمام هذا التغريب .

وكان لابد لحركة اليقظة الاسلامية أن تتنبه الى هذا الخطر كله وان تعرف ما يراد بها فكانت دعوتها الى (الاصالة الاسلامية) والى (تحرير الشخصية الاسلامية) من الاحتواء والتبعية وكان ذلك العمل الضخم الذي قام به أولئك الابرار فى مجال الكشف عن تلك الزيوف وايضاح تلك الشبهات المثارة التي امتدت الى مجالات كثيرة من الفكر الاسلامي ومنها :

اولا :

الدعوة الى هدم الاديان عن طريق علم الاديان المقارن والقول بأن الامم

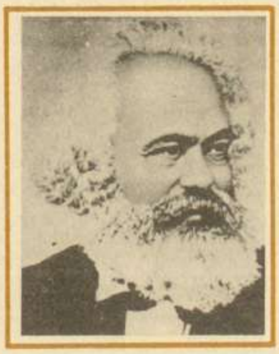

كارل ماركس

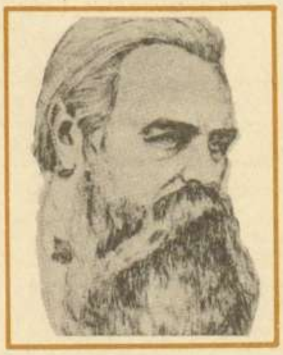

فردريك إنجلز

نابليون بونابرت

بدأت وثنية ثم عرفت التوحيد بعد ذلك .

وهو قول معارض للحقيقة التي جاءت بها الكتب المنزلة والتي تثبتها كل الدلائل التاريخية والكشوف الاثرية . والحقيقة أن البشرية بدأت موحدة ثم أصابتها الوثنية وظلت بين التوحيد والوثنية على ذلك المدى الطويل وقد كان آدم عليه السلام أبو البشر نبيا وكان موحدا .

ثانيا :

الدعوة الى هدم الاخلاق عن طريق مذاهب الوجودية والفرويديه وهدم الاسرة عن طريق مذاهب دور كايم وليفي بريل .

وتحاول هذه المذاهب أن تشكك في ثبات القيم الاخلاقية وارتباطها بالانسان والدعوة الى أخلاق متطورة تختلف باختلاف البيئات والعصور .

ثالثا :

الدعوة الى التماس مفهوم واحد للتاريخ ، هو التفسير المادي الذي طرحه انجلز وماركس بالنسبة لتاريخ الغرب وهو مفهوم ناقص لانه يتجاهل عوامل كثيرة وأخرى لها أثرها في توجيه التاريخ .

رابعا :

الدعوة الى اثارة العصبية والعصرية واعلاء الاجناس البيضاء وذلك في محاولة لفرض النفوذ الاستعماري الغربي على الامم الملونة والقول بوصاية زائفة للجنس الابيض على العالم والبشرية .

خامسا :

محاولة اخراج اللغة العربية من مفهومها الذي تختلف به عن اللغات قاطبة بوصفها لغة القرآن الكريم وفرض مناهج من علم اللغات الغربي للتحكم فيها وتصويرها بأنها لغة قومية فحسب ، أي لغة أمة . واذا كان هذا كقانون تخضع له كل لغات العالم فانه يعجز عن اقرار ذلك بالنسبة الى اللغة العربية لانها الى جانب أنها لغة أمة فهى لغة فكر وثقافة وحضارة ودين وانها تتصل بألف مليون من المسلمين بالاضافة الى انها لغة أهلها العرب . ولا ريب أن هدف الحملة على اللغة العربية هو خلق عامية تقضي على لغة القرآن وتمزق الامة والفكر جميعا .

سادسا :

الدعوة الى احياء الحضارات التي سبقت الاسلام واعادة عرض الوثنيات والفلسفات والخرافات والاوهام .

وتلك محاولة ماكرة مضللة ولكنها فاسدة ، فقد استطاع الاسلام خلال أربعة عشر قرنا أن يقيم منهجا عقليا وروحيا وأن ينشىء مزاجا نفسيا وذوقا خالصا مرتبطا بالتوحيد

- من أخطر محاولات النفوذ الاستعماري إيجاد تضارب بين العروبة والإسلام
- في مطلع القرن ١٥ الهجري علينا أن ننظر في الشبهات المطروحة في أفق الفكر الإسلامي

والقرآن ، ومتصلا بأسباب الايمان بالله تبارك وتعالى له ضوءه الباهر الذي لا تستطيع الظلمات أن تقهره.

سابعا :

الدعوة الى ما يسمى بالادب العربي المعاصر أو الفكر العربي المعاصر أو الثقافة العربية المعاصرة على أن تبدأ هذه الدراسات منذ حملة نابليون وربطها بالارساليات والنفوذ الاجنبي كأنها هي من معطياته .

وهذه محاولة ماكرة الى اجتثاث الفكر عن أصوله والفصل بين حاضر العرب والمسلمين وبين ماضيهم وخلق ثقافة « لقيطة » لا جذور لها وهي محاولة مضللة تهدف الى الحيلولة دون ربط الادب أو الفكر او الثقافة بتاريخها الاسلامي المتصل وماضيها العريق .

اليقظة الاسلامية

ومن الحق أن يقال ان « اليقظة الاسلامية » المعاصرة في الفكر والادب والثقافة جميعا بدأت من دائرة القرآن الكريم وأن جميع الحركات الوطنية والقومية انما استمدت قوتها من مصادر الاسلام وانه لا سبيل الى بناء أدب حديث أو فكر أو ثقافة منفصلا عن اللغة العربية والاسلام .

ثامنا :

محاولة الادعاء بأن منطقة البحر الابيض المتوسط شهدت حضارة واحدة هي التي بدأها الفراعنة والفينيقيون ونماها الاغريق والرومان ثم أتمها الاوربيون المعاصرون وان دور العرب في هذه الحضارة كان دورا ثانويا .

والحقيقة أن هناك حضارتين لكل منهما طابعه المميز هما : حضارة التوحيد وحضارة الوثنية وان الاسلام هو صانع الحضارة التي اتسمت بهذا المفهوم في مواجهة حضارات بدأت بمفاهيم الوثنية وانتهت بمفاهيم المادية وكانت في مختلف مراحلها معارضة للحق والعدل والرحمة والاخلاق فكانت تضرب واحدة بعد أخرى وتسقط لانها تعارض سنن الله في الكون .

تاسعا :

محاولة القاء بذور الشبهات حول صلاحية الشريعة الاسلامية للتطبيق في العصر الحديث والادعاء بأنها شريعة صحراوية موقوتة بعصرها وبيئتها وكل الدلائل العلمية والتاريخية ، تكذب هذا الادعاء وأقربها مؤتمرات القانون الدولي ١٩٣١ ، ١٩٣٧ ، ١٩٥٢ وكلها أشارت الى أن الشريعة الاسلامية شريعة مستقلة لها كيانها الخاص وانها تحمل منهجا انسانيا لم تصل اليه البشرية بعد .

وتجرى المحاولة التي يفرضها النفوذ الاجنبي بالدعوة الى ما يسمى بتطوير الشريعة ووضعها موضع الاحتواء من القانون الوضعي ولقد كان من أعظم المعطيات التي حققتها الامة العربية انها اتخذت من التشريع الاسلامي مصدرا أساسيا للقانون ونصت على ذلك في دساتيرها وميثاق الوحدة ..

وانها تخطو الان خطوات واسعة نحو تطبيق الشريعة واخضاع كل القوانين لمفهوم الشريعة وروحها .

عاشرا :

استطاعت القوى الاستعمارية فرض نظام الاقتصاد الغربي على أغلب أجزاء العالم الاسلامي وهو نظام قائم على أساس الربا ومعارض أصلا لمنهج الشريعة الاسلامية ، ولقد قامت في الامة العربية محاولات طيبة لاقامة المصرف الاسلامي على غير أساس الربا والعمل على وضع نظام أصيل يحرر المسلمين من قيود النظام الاقتصادي الوافد .

حادي عشر :

كان من أخطر محاولات النفوذ الاستعماري ايجاد تضارب بين العروبة والاسلام ومحاولة اقامة مفهوم العروبة على أساس النظريات الوافدة والقوميات الاوربية ولقد تنبه المفكرون العرب والمسلمون الى هذا التحدى الخطير الى أن الاسلام هو الذي شكل مفهوم العروبة الحق ، وان العرب قبل الاسلام كانوا يؤمنون بالقبلية وان الاسلام هو الذي شكلهم كأمة ودفعهم الى الآفاق وكتب لهم أعظم صفحات تاريخهم والعروبة ليست عنصرية وانما هي قيمة ذاتية في مواجهة الخطر الصهيوني ولكنها مفتوحة بالثقافة والفكر والعقيدة على العالم الاسلامي كله وملتقية معه .

ثاني عشر :

تحريف الحقائق بالمبالغة أو الانتقاص كالادعاء بان المسلمين لا يتجاوزون الآن ٥٠٠ مليون بينما تقرر الاحصائيات المتواضعة أنهم يزيدون على الف مليون مسلم وكما نجد في كتب التاريخ من محاولات لتصوير البلاد العربية بصورة مصغرة أو مهينة أو اثارة الشبهات حول مقدراتها وثرواتها أو الادعاء بأنها منقسمة الى مذاهب وكل تتعارض أو تختلف أو تحول دون قيام وحدة فكر عامة بينما الحقيقة غير ذلك وان الخلافات المذهبية الاسلامية هي خلافات في الفروع أما القيم الاساسية فانها واحدة بين المسلمين.

ومن هنا فان علينا أن ننظر في مطالع القرن الخامس عشر الهجري في الشبهات المطروحة في أفق الفكر الاسلامي وأن نكشف زيفها ونبين وجه الحق .

وهذا ما نود أن نتعرض له في بحثنا القادم باذن الله تبارك وتعالى ..

انور الجندي

دراسات في شئون الخليج

د. محمد جابر الأنصاري

بحثا عن ..... إبداع الوطن والإنسان

- مطلوب مركز للدراسات الإبداعية في الخليج
- جلب الأرشيف الأوربي لن يدلنا على الحقيقة كاملة

مع تقدير الاهمية البالغة لمراكز البحث القائمة حاليا في الخليج ، فاني أتمنى لو أضيف اليها ، على كثرتها ، مركز جديد آخر ..وذلك ، لا رغبة في زيادة عددها كميا ، ولكن رغبة في ايجاد نوعية خاصة غير متوفرة حتى الان .

فلقد تقاسمت المراكز القائمة الاهتمام بالتاريخ والاجتماع والنفط والاقتصاد والتنمية ، وبقي جانب الدراسات الانسانية : الادبية منها والنقدية والمسرحية والفنية والفكرية ، في حاجة الى مركز متخصص يتولى جمع وثائقها المتفرقة والمجهولة والضائعة ، ثم يعكف على درسها نقديا وفنيا لملء الفراغ في ناحية هامة ما تزال مهملة في حقل الدراسات الخليجية .

وهي ناحية يمكن أن نطلق عليها « الناحية الابداعية » ، أي كل ما اتصل بابداع الانسان في حقل الادب أو المسرح أو الفن الشعبي أو المعماري أو ما الى ذلك من جوانب العطاء الذاتي الانساني ، وهو الجانب الذي يقاس به ابداع الحضارة وتميزها في كل زمان .

عوامل .. أعاقت

هذه الناحية في تاريخ الخليج وشرق الجزيرة تضافرت عوامل عديدة على طمسها ، أو اهمالها على أقل تقدير .

فهذه المنطقة ظلت لعصور طويلة ومنذ القدم منطقة صراع محلي ودولي متواصل الحلقات ، كما كانت بعيدة عن مراكز الخلافة والحكم القادرة على الاهتمام بالآداب والفنون ورعايتها .

كما لم تقم في المنطقة ذاتها دولة كبيرة ترعى هذه الشئون ، بل ظلت على العكس في حالة تجزئة لا تساعد على ازدهار أدبي .

هذه العوامل مجتمعة أدت الى طمس معالم التاريخ الادبي والفكري لهذه المنطقة .

فعلى كثرة ما ظهرت من دراسات أدبية عن أدب الشام أو الحجاز أو نجد أو المغرب أو الاندلس لم نجد دراسات مماثلة عن أدب شرق الجزيرة في العصور الاسلامية مثلا .

وعلى كثرة ما توفرت من مصادر شعرية ونثرية عن تلك الآداب العربية ما يزال من العسير علينا أن نجد خمسة دواوين شعرية مطبوعة تمثل الشعر الاسلامي في هذه المنطقة ، مثلا ، وقس على ذلك ..

وحتى أدب المنطقة في العصر الحديث ما يزال بعضه ضائعا ومجهولا وغير متصل الحلقات .

هذه المصاعب والمشكلات أدركنا أبعادها منذ ان بدأنا البحث والنقد في أدب الخليج قبل أكثر من عشر سنوات .

مركز لدراسة الابداع

وعلى الرغم من أن الصورة قد تغيرت وتطورت نسبيا الى الاحسن بظهور عدة رسائل جامعية في هذا الموضوع وصدور نتاج ابداعي جديد في النثر والشعر ، وتحقيق عدة آثار قديمة ونشرها ، الا أن الحاجة ما زالت ماسة الى تحقيق تقدم نوعي، وذلك بانشاء مركز للاهتمام بالجوانب الابداعية في تراث المنطقة وحاضرها يجمع وثائق الماضي ومستنداته ، ويتابع نتاج الحاضر ثم يدرس الجانبين تاريخا وعرضا ونقدا .

هذه مشكلة قد تبدو سهلة الحل نظريا ..

ولكنها في الواقع ليست كذلك ..

فنحن يمكننا بالمال والتنظيم أن نجلب الارشيف الاوربي عن الخليج كله ، وأن نجمع أوراق شركات البترول منذ البداية ومعها جميع الدراسات الاستراتيجية ، المنشورة وغير المنشورة ، عن الخليج ، في عواصم الغرب ..

ولكن تراثنا نحن شيء غير هذه الاوراق والوثائق ..

وهو يعاني وضعية أخرى بحكم ما مر به من مؤثرات التخلف ومعوقاته .

العمر الضائع

ويكفي أن نتذكر - مثلا - أنه بينما كانت الوكالات الغربية في الخليج تحتفظ بكل ورقة عما يهمها، ويهم مصالحها ، من شئون ، كان كل من شاعر الكويت فهد العسكر وأديب البحرين عبد الله الزايد يضطران - لأسباب عديدة - الى حرق أو اتلاف أوراقهما الشعرية أو الصحفية التي تمثل حصيلة العمر ..

ومتى كان ذلك ؟..

في النصف الاول من القرن العشرين . قرننا هذا ..

وهذا المثل نورده كدلالة وكرمز فقط . ولو أحصينا الامثلة والتواريخ

عبد الله زيد

فهد العسكر

كانوا يجمعون كل ورقة بينما كان تراثنا يتلف!

المطلوب ما يشبه التنقيب عن حضارة ضائعة

مخطوطات الزايد والعسكر والفيحاني .. هل نكتشفها؟

لتبين لنا أن ما ضاع من تراثنا ، وفي القرن العشرين ، هو أكثر بكثير من ديوان فهد العسكر ومذكرات عبد الله الزايد ، وأوراق محمد ابن عبد الوهاب الفيحاني . وازاء مشكلة كهذه ، فالحل لا يكون بعمل بحثي مكتبي ، بل بعملية تشبه الحفر والتنقيب عن معالم حضارة ضائعة بين كثبان الرمال وتراكم طبقات الصمت والنسيان . هذه ناحية ..

الانسان .. لا الاقتصاد

وناحية أخرى نود لفت الانتباه اليها ، وهي أن الالتفات والانشغال بما مر على الخليج من صراع استراتيجي وتنافس بترولي وتسجيله تاريخا وتحليلا ، هو على أهميته ، يمثل قصة خارجية بالنسبة لانسان هذه المنطقة وأوطانها .

ولا نقصد بهذه الاشارة التقليل من أهمية العوامل الاقتصادية والسياسية في التأثير على المجتمع والانسان تطويرا وتغييرا . لكننا أردنا القول انه ما لم يتحول درس العوامل الاقتصادية والسياسية الى صميم وعي الانسان المواطن في المنطقة ، وما لم يصبح جزءا من ادراكه ومعاناته ، فانه يبقى في أحسن الاحوال سجلا مصفوفا بمراجعه ووثائقه في مكتبات الجامعات وعلى أرفف مراكز البحث يقترؤه الدارسون الاجانب وقلة من الدارسين المختصين من أبناء المنطقة ، دوون أن تتحول العملية كلها الى عملية استيعاب وهضم وتأثر وتأثير في دائرة الرأي العام والوعي الجماعي والعقل الكلي للمجتمع الاصيل في هذه المنطقة .. وبالتالي فهي اضافة خارجية ، مهما بلغت من الاجادة والاحاطة .

ذلك اننا عندما نقرأ اليوم ما كتب من تاريخ عن الخليج ، فانا نقرأ في الحقيقة : تاريخ النفوذ الاوربي في الخليج ، أو تاريخ التنافس الاقتصادي الدولي في الخليج ، ونادرا ما نسمع عن الوطن والانسان في هذه المنطقة .. أي تاريخ لهما . وأي معاناة .. وأي تطور .. واية تطلعات ؟

ولان الجانب الاستراتيجي والاقتصادي ، حتى الماضي القريب ، وتحديدا حتى رحيل الاستعمار قبل عشر سنوات لا أكثر ، كان جانبا خارجيا .. فلا يبقى من شاهد ذاتي - اذن - على الوجود الوطني والانساني غير صوت الادب ، وصوت الفكر ، وصوت الغناء البحري النابع من كدح الغواصين ، وصوت التراث الشعبي والمأثورات المتوارثة عن حياة البحر والبادية ، ثم صوت الصحافة المحلية الاصيلة الرائدة ، على ندرتها .

أين هذه الصحف ؟

وعلى ذكر الصحافة المحلية ، فيكفي أن نذكر أيضا ان جريدة « البحرين » لعبد الله الزايد - وهي أول جريدة في تاريخ الخليج - وان مجلة « صوت البحرين » الادبية الفكرية - وهي أول مجلة ثقافية في تاريخ الخليج أيضا - هاتان الصحيفتان لا أظن حسب علمي ان مركزا من مراكز البحث الخليجي ، على كثرتها ، قد حصل على نسخ كاملة منهما ، ووضعها تحت أيدي الدارسين . وأرجو مع هذا أن يكون ظني هذا مخطئا ..

فهل مما يحتمه استقصاء البحث العلمي وتوازنه ، أن نجمع احصاءات شركات النفط ودراسات معهد السلام السويدي عن الخليج ، ونترك دواوين فهد العسكر والفيحاني والزايد ، واعداد « صوت البحرين » بكل الاقلام الرصينة التي أسهمت فيها ، عرضة للضياع والاهمال ؟

هذه هي أهم الاسباب التي تجعل من الضروري أن تضطلع جهة أو جهات خليجية وعربية بانشاء مركز للدراسات الادبية والفنية لمنطقة الخليج وشرق الجزيرة .

هذا هو الجهاد الاكبر والاصعب في ميدان البحث والتوثيق .

وبدون قيام مثل هذا المركز الابداعي ونجاحه في جمع المصادر والوثائق المهمة عبر العصور ، فان أية دراسة لاستكشاف تاريخ الانسان وتراثه وابداعه في هذه المنطقة ستكون دراسة ناقصة .

نحو تجميع الضوء

وانا على يقين أن هناك « نقاط ضوء » صغيرة متفرقة في أرجاء عديدة من المنطقة تسلط شعاعها البسيط على درب الرحلة الطويلة ومعالمها الكثيرة والمتفرقة والمتباعدة .. ولكن من يجمع هذه البقع الضوئية المتناثرة ليحولها الى قنديل متوهج يكشف المسار الشائق للانسان والوطن في معراج التاريخ ؟

ذلك ما عنيته بمركز الدراسات الابداعية ...

دكتور محمد جابر الانصاري

صلاح خليفة

قضية التعريب فى الوطن العربى

حوار مع مدير مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى

التقيت فى الرباط بالاستاذ عبد العزيز عبد الله مدير مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى، ذلك المكتب الذى يقوم بدور بارز من أجل أن تصبح اللغة العربية هى لغة التلقين الوحيدة للمواطن العربى فى الشرق والغرب ..

– يلاحظ أن الخط العربى فى بعض الاحيان مختلف فى المشرق

● الواقع أن الخط العربى هنا فى المغرب العربى مازال محافظا، أى انه مازال يستعمل الخط القرآنى الاصيل، ولذلك تجد شبها قويا بين الكتابة العربية فى المغرب الاقصى وبين المخطوطات القديمة للقرآن.

– لكن هناك صعوبة لتداول الكتاب المغربى فى المشرق العربى اذا كان مطبوعا بهذا الشكل.

● كان هناك ما يسمى بالمطبعة الحجرية، كانت تطبع المخطوطات فى المغرب بخط اليد . وكانت بفاس . ومعظم ما نشر فى المغرب نشر بالخط العربى بفاس . وهو لايقرأ وأصبح لقلته وندرته يعتبر من المخطوطات . ولكن من حسن الحظ أن المطابع المغربية، بدأت تطبع كالمطابع المشرقية . والشباب الان فى المدارس بدأت معرفته للخط العربى ككل، ولكن هناك تعويض للمغاربة من ناحية اخرى، فالارقام العربية المغربية، وهى ارقام أصيلة، بدأت تغزو المشرق . فالعراق مثلا عدل تماما عن الارقام الهندية، وفى سوريا .. بل أصبح الرياضيون والفيزائيون فى مصر وبعض الاقطار الاخرى يفضلون الارقام العربية المستعملة فى المغرب الان، والتى كانت تستعمل فى الاندلس . هناك مشكلة الصفر . وهى مشكلة عظيمة وقد أبدع الفكر العربى الصفر فى شكل دائرة فى حين أن الصفر فى الارقام الهندية هو عبارة عن نقطة، وهذه النقطة تختلط أحيانا بالنقطة فى الحساب، وهذا خطير جدا فى العلوم والحساب .

مشكلة اللغة

– هناك مشكلة اللغة العربية المستعملة فى المحافل الرسمية وفى الجامعات والمدارس، ولغة الشارع .. نلاحظ أن ابن الشارع يتكلم بلهجة أخرى غير اللغة العربية المفروض أن تستخدم ..

● فى الواقع، هذا كان بسبب الاستعمار .. لأنه كانت هناك بين شقى العروبة حواجز مفتعلة ومصطنعة . وما يصنف فى الشرق لايدخل المغرب . ولكن بعد استقلال الشعوب العربية لم تعد هناك عوائق .. وحواجز . وأصبح المواطن العادى يستمع إلى اذاعات الشرق العربى، ربما اذاعات لم يفهمها فى الاول، ثم أصبح يفهمها تدريجيا .. وهذه كانت فرصة لتقريب العاميات من الفصحى .. ويمكن القول بأن وسائل الاعلام ساعدت التقارب بالعاميات التى ارتفعت للفصحى .

لغة القرآن

– لكن هنا اريد أن استوضح أيضا مرة ثانية . نلاحظ أن تعليم اللغة العربية قاصر فقط داخل المدارس أو الجامعات . وعندما يخرج الطالب إلى الحياة يستعمل اللهجة العادية لدرجة أن استاذ اللغة العربية داخل المدرسة يشرح الدرس باللغة العامية .

● هذا صحيح .. وخطير . وهم أنفسهم يلومون أنفسهم وينادون بضرورة العودة الى اللغة العربية الاصيلة .. وأنه لا يمكن أن تكون هناك زعامة لعامية من العاميات العربية على حساب اللغة الفصحى، بل يجب أن نكتل الجهود لتصبح الزعامة للغة القرآن التى هى لغة موحدة . وهذه اللغة العامية سواء كانت قطرية أو اقليمية يجب القضاء عليها .. ولذلك كان من أول ما وضعته فى هذا الباب دراسة دقيقة مقارنة عن مختلف العاميات فى الوطن العربى .. وأصدرت معجما سميته «نحو تصحيح العامية» ابرزت فيه اصول العربية للعاميات العربية.. وان كان هناك خلافات فى النطق فقط ..أما الاصل فعربى . ويجب أن نعود الية .

حلول جذرية

– هل هناك حل يطرحه مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى للقضاء على هذه المشكلات التى طرحناها .. أو مشاريع مستقبلية للمكتب غير نشر الكتب أو المعاجم التى لاتصل بسهولة الى أيدى العربى العادى ؟.

مشكلة الامية

● الواقع أن حل هذه المشكلة هو نفس الحل لمحو الامية . هناك جهاز لمحو الامية، وجهود لمحو الامية .. أظنها كلها عبث فى عبث ... لأنه لايمكن أن ترفع الامية عن شخص يقضى كل وقته فى البحث عن لقمة العيش . واذا لم يتابع هذا العمل فى فترات متعدده فى حياته فقد يصل الى الاربعين أو الخمسين فلا يجد الوقت لهذا، وربما ينسى ما حفظ . اذن القضية فى نظرى قضية وقت . بتعميم التعليم ستصبح اللغة العربية التى هى لغة التلقين الوحيدة هى اللغة الوحيدة للمواطن العربى فى الشرق والغرب . ثم بتوحيد المصطلح العلمى والانسانى وفى مختلف بقية القطاعات الحضارية ستصبح كلمة واحدة بالنسبة لكل عربى في الوطن العربى . بهذه الصورة ستصبح الكلمة المستعملة هى الفصحى، وتقضى على المقابلات المحلية العامية .

● كان هناك مايسمى بالمطبعة الحجرية وكانت تطبع المخطوطات بخط اليد

● الأرقام العربية المغربية بدأت تغزو المشرق

● عبد العزيز عبد الله

● مخطوطات قرانية

تزايد الامية

الغريب أن الامية المنتشرة فى الوطن العربى لم تكن منتشرة من قبل . لماذا ؟ . اولا :لانه لم تكن هنالك حواجز استعمارية من ناحية ، ومن ناحية اخرى وهى فى نظرى أهم لانه لاينبغى أن نتهم الاستعمار أكثر مما يلزم . الواقع اننا نحن مسئولون ايضا لقد قمت بدراسات لبعض القبائل فى المغرب الاقصى هنا كانت القبائل فى الشمال مثلا فيها الامية كانت لاتتعدى ٥ ٪ اما الان أصبحت الامية تتعدى ٩٥ ٪ لماذا ؟ لان المواطن المسلم آنذاك كان يشعر بأن ايمانه لايكتمل الا اذا حفظ القرآن وحفظ الاحاديث والدعوات .فبماذا يحفظها ؟ باللغة العربية . اذن يجب أن يتعلم ..

اليوم لايهمه .. اليوم الوازع الدينى قل فاليوم هنالك وازع آخر . وازع وطنى وازع المواطنة وازع اجتماعى وهو طبعا أقل بكثير من الوازع الاخر . وكذلك المرأة فى بعض القبائل كانت المرأة مثقفة ١٠٠ ٪ وأصبحت المرأة الان رغم التعليم ورغم تطور المرأة اصبحت تصارع الرجل وتسايره في اميته أيضا .

الجامعة العربية

ــ ماذا عن جهود الهيئات الاخرى غير مكتب التنسيق ؟

● الواقع أن هناك عمل المجامع . فالمجامع تعمل ولكن فى الاطار المتئد لان الاعمال الاكاديمية هى دائما اعمال متئدة علمية رصينة . فهم لا يسايرون سرعة دولاب الحياة ، فى حين اننا فى مكتب التعريب نعرف أن هنالك دولاب يدور بسرعة . وحسب احصائية اليونسكو هنالك عشرات الكلمات التى تتجدد كل يوم بتجدد المفاهيم الحضارية . ونحن وراءنا اربعمائة عام فى التخلف اللغوى بعد الاستعمار والتتريك بعد الاستعمار الاسبانى والبرتغالى فى المغرب الاقصى بالاضافة الى التخلف الحضارى القائم الان لانه اذا كانت فرنسا نفسها تشعربانها متخلفة فى هذا الباب وانها فى عام ١٩٦٩ كانت امامها آلاف الكلمات سنوياً لم تتمكن من حلها أو بدء حلها على الاقل إلا بتشكيل لجان متخصصة تعمل ليل نهار على حل هذا المشكل كيفما كان الامر هنالك ايضا محاولات مثل وحدات البحث العلمى فى مصر وقد زرت هذه الوحدات وعددها ١٢٠ وحدة عام ١٩٦٧ وهى تزج فى السوق بمصطلحات . وكان معى انذاك وزير البحث العلمى وسألته عن علاقتهم مع مجمع القاهرة . فقال أن مجمع القاهرة مجمع علمى رصين يعمل بتؤدة ولكن نحن نواجه مايتطلبه السوق يوميا ونحن نزج فى هذه السوق عشرات الكلمات منها مايعيش ومنها مالا يعيش ولكن دولاب الحياة يدور بكلمة عربية وهذا هو الشىء الجديد الان الذى تنبهت اليه جامعة الدول العربية وتوحدت الجهود والتنسيق بين هذه الجهود والتنسيق بين الجامعات بين المجامع بين الهيئات العلمية المتشابة فى العالم العربى بين جهود الافراد العلميين فى نطاق مكتب تنسيق التعريب الذى يشكل الوكالة المتخصصة التي تصب كل عملها فى مؤتمر التعريب كهيئة تشريعية .

المواد العلمية

ــ مارأيكم فى تدريس المواد العلمية باللغات الاجنبية فى جامعاتنا العربية

● هذا مشكل خطير وأظن أن القضية قبل اليوم هى قضية عاطفية لان بعض العرب كانوا يدعون على أن اللغة العربية ستصبح هى لغة التلقين للعلوم فى التعليم العالى ولم يكونوا يحاولون التدليل على ذلك علميا . ففى عام ١٩٦٧م قمنا بالبحث فى الوطن العربى وأصدرنا العدد السادس من مجلة اللسان العربى خصصناه كله للجواب عن سؤال واحد : هل اللغة العربية صالحة للتدريس فى التعليم العالى ؟ . وأخذنا آراء أقطاب الفكر فى الوطن العربى وخارج الوطن العربى من رجال المهجر فى أمريكا فى اوربا وصنفنا هذه الاجوبة فتبين أنه بقدر ما اللغة العربية قادرة لانها تحتوى على مقدرات وعلى كوامن ذاتية بقدر ما نحن مقصرون، ولهذا بدأنا نخطط تخطيطا دقيقا لهذا . ونلاحظ انه لن يأتى عام ١٩٩٠ م قبل أن نكون قد وحدنا المصطلح التكنولوجى والعلمى فى التعليم العالى فستبقى القضية آنذاك قضية سياسية قضية ارادة عليا للحكام والمديرين . والمسألة ليست عدم قدرة اللغة العربية فاللغة العربية قادرة ولكن نحن يجب أن نخطط لذلك تخطيطا علميا

قضية التعريب فى الوطن العربى

حوار مع مدير مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى

ليصبح المصطلح العربى موافيا مستكملا متقصيا للمفاهيم التكنولوجية والعلمية . ويقوم مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربي بهذه المهمة فى الوقت الحالى . وسيعقد مؤتمر فى عام ١٩٨٠ م ومؤتمر خامس ١٩٨٣ م وبالتوالى كل ثلاث سنوات حتى ١٩٨٩ م لنستكمل توحيد المصطلح العلمى بشرط أساسى وهوالا تتقاعس اللجان الجامعية عن اجابة المكتب عما يطلبه منها وما طلبناه هو شىء بسيط جدا نحن نقوم بكل العمل ، فمثلا طلبنا من الاستاذ فى الجامعة أن يوافينا بقائمة بالالفاظ التى يستعملها فى مادة اختصاصه سواء مستعملة باللغة الانجليزية وحدها أو بالعربيةوحدها أو بالفرنسية أو بأية لغة اخرى وعندما نتلقى كل هذا نجمعه ونصبه ونفرغه فى معجم ثم نرده اليه مرة ثانية ليستفيد منه وليجربه ويطبقه سنة أو سنتين حتى نخرج فى نهاية المطاف بكلمة موحدة فى العالم العربى . وحتى الان توصلنا الى عدة امور . فقد كتبنا الى الجامعات نحدد فيها ما نطلب وبعد ذلك تأتى المرحلة الثانية التى بدأت فيها الجامعات توجه الينا فيها قوائم الاساتذة المتخصصين فى كل قطاع ثم كتبنا الى اساتذة الجامعات مرة ثانية نطلب فيها موافاتنا بالكلمات التى يستعملوها فى مادة اختصاصهم وسنوافيكم بجميع ما يوجد فى العالم العربى من أجل ابداء الرأى وهذا شىء دقيق واضح موقوت فى زمان ونحن لاننتظر من خمسين جامعة فى الوطن العربى أن تجيبنا فاذا اجابنا ثلث هذا العدد أو ربعه يكفى هذا للقيام بعمل أولى فى هذا المجال.

التعريب والترجمة

— دعنى هنا أسأل الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله مدير مكتب التنسيق والتعريب فى الوطن العربى هل هناك فرق بين كلمتى التعريب والترجمة ؟ وما الفرق اذا كان هناك ؟

● الواقع قبل اليوم الدول العربية لم تفهم تماما أهداف المكتب فكان المكتب قد أسس ليهتم بالتعريب والترجمة فى آن واحد فحذفت الترجمة وبقى التعريب لانه اذا تم التعريب فقد تم كل شىء التعريب هو وضع الكلمة العربية التى تقابل المصطلحات الاجنبية وهذا أساس الترجمة . فالترجمة فن يتعلق بكل اللغات وهى تقريبا واحد أما التعريب فله علمه الخاص .. التعريب أساسا توليد الكلمة الاجنبية ووضعها فى قالب عربى .. انما تقريبا سمينا كل ما وضع من مصطلحات عربية مصطلحات معربة فحتى الان هنالك منهاجيات عديدة مثلا معجم القاهرة ــ الجامعات المصرية تقرب أكثر مما تولد ، الجامعات السورية تولد أكثر مما تعرب . ولكن نحن أضفنا أشياء اخرى نحن أضفنا منهجيتنا علاوة على ماأشرت اليه ان لا نوافق على وضع كلمة جديدة الا اذا بحثنا ونقبنا فى تراثنا عن كلمة أصيلة يمكن أن تعبر عن نفس المفهوم .

— هنا ياأستاذ عبد العزيز يحضرنى سؤال فى هذه المناسبة مدى انتشار الكلمات التى يوافق عليها مكتب تنسيق التعريب ؟ هل تنتشر بسهولة وبسرعة فى انحاء الوطن العربي ككل ؟ أم يقتصر استعمالها فقط على الكتب التى فيها

● هذه القضية هى قضية الالزام . إننا حتى الان لم نتجاوز وضع الكلمة والتصديق عليها فى مؤتمرات دولية فى مؤتمرات التعريب التى تعتبر هى الجهة التشريعية فى الوطن العربىلماذا ؟ لأن المجامع والجامعات والوزراء المتخصصين ممثلون فيها . توضع موحدة بالوطن العربى ولكن تبقى حبرا على ورق تبقى معاجم فوق الرفوف فيجب أن ندخل مرحلة الالزام لهذا أثرنا منذ عام ٧٧ فى مؤتمر الجزائر هذه القضية والتزم انذاك وزير التربية أى الدولة المضيفة الجزائرية بأن يستعمل كل مايصدر عن مؤتمرات التعريب السابقة ثم أن رئيس الجمهورية نفسه المرحوم هوارى بومدين التزم انذاك بأن يأتى القضية فى مؤتمر قمة الملوك والرؤساء من أجل استصدار مرسومين على أسماء قمة من أجل الزام العرب

● بعض الدول العربية تصر على استعمال كلمة الهاتف ونحن نفضل كلمة "تليفون"

جميعهم باستعمال ما يصدر عنهم من الفاظ موحدة . ولكن الواقع لم يتم أى شىء . ولذلك فى مؤتمر الخرطوم ، مؤتمر وزراء التربية والتعليم والثقافة الذى انعقد فى الخرطوم فى الصيف الماضى طلبت من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كرئيس لأحد أجهزتها أن تثير القضية واتفق على أن توصى الدول العربية باستعمال كل مايصدر عن المؤتمرات والواقع اننا لانكتفى بهذا ولهذا عمدنا بطريق غير مباشر الى وسيلتين آخريين هما :

وسائل الاعلام

اننا نضع كل ما يوجد فى العالم العربى فى قوائم ونوجهه على الجامعات وعلى وسائل الاعلام فى جميع انحاء العالم العربى ، خمس كلمات فى كل يوم لنشرها والتعريف بها .

من ناحية اخرى لم نكتف بالعمل على الصعيد العربى بل أصبحنا نملأ الخانات المخصصة للغة العربية فى البنوك الدولية للكلمة. وعندنا الان إتصالات بجمعية العلوم الفضائية بروما وبسيمانز بالمانيا ونفس الهيئات فى كندا وفى اتحاد الجامعات الفرنسية وفى المجلس الدولى للغة الفرنسية نمدهم بالمقابلات بملء الخانات العربية المخصصة للغة العربية وقريبا تبدأ الدول العربية تلقى مراسلات من أمريكا باللغة العربية بمصطلحاتهم

ـ هنا سؤال أخر بالنسبة للمصطلحات لبعض الاسماء التى تجد وخاصة فى عالم الصناعة التكنولوجيا المزدهرة فى عالمنا الحاضر ماذا عنها وماذا عن مكتب التعريب ؟

● الواقع أن هذا لايشكل مشكلة أولا : نحاول أن نستوثق إن كانت هنالك كلمة عربية عبرت عن هذا المفهوم من قبل. ثانيا : إذاكانت القضية قضية ترجمة فهذه قضية بسيطة . ولكن أحيانا يقع ما أسميناه فى المكتب بالترجمة من العربية الى العربية . هنالك كلمات عربية أصيلة تقنية أخذها منا الغربيون عندما كانوا يعتبرون اللغة العربية فى العصور الوسطى هى لغة العلم والتكنولوجيا واستعملوها محرفة لأنهم حرفوها ثم جئنا نحن فاخذنا هذه الكلمات على انها أجنبية وحرفناها تحريفا ثانيا دون أن نعرف أن أصلها عربى من مثل كلمة (طار) الطار هى الطار فى المغرب الاقصى والطارة هى معناها الوزن الفارغ . الوزن الفارغ الذى نضعه فى احدى كفتى الميزان التى تعادل الثقل هذه تسمى طارة بالايطالية وطارة بالاسبانية وطارة باللغة الفرنسية وأصلها طرحه أى ما يجب أن يطرح.

المخترعات الحديثة

ماذا بالنسبة للالفاظ التى نستخدمها حاليا للمخترعات الحديثة مثل الراديو والتليفزيون رغم أن أصلها غير عربى ؟

● هذا لايضر لأن هنالك كلمات أصبحت الان دولية مثل التليفون . فبعض الدول العربية أصرت على استعمال كلمة الهاتف وأنا أفضل كلمة تلفزه وافضل كلمة تليفون والسلف الصالح استعملوا كلمات أجنبية كما هى وهذا لم يمنعهم من أن أصبحوا سادة العالم وأن تكون اللغة العربية فى العصور الوسطى هى لغة العلم والتكنولوجيا والحضارة بحيث قالوا (أرثما تيقا) وقالوا (فيزيقا) هما كلمتان شديد تان على السمع العربى ومع ذلك استعملها العرب وقالوا رياضيات وقالوا فيزياء . اذن الفكرة هى أن كل ما استعمل وكل ما سمى بأسماء مكتشفه وأصحابه نستعمله كما هو .

العربية فى اللغات الاجنبية

ـ اذا فتحنا الباب لمثل هذا التعريف أو لهذا المنطق ، الا يضر اللغة العربية ؟

● لا..لا..لايضر لاننا نجد أن ثلث القاموس الاسبانى عربى ونجد فى القاموس البرتغالى (٣٠٠٠) كلمة عربية ونجد فى التكنولوجيا سواء فى اللغتين الفرنسية أو العربية عدداً كبيراً من الكلمات عربى الأصل وهذا ليس التبادل بين اللغات ليس معناه التاخر بالنسبة للغة الانجليزية فاللغة الانجليزية هى اللغة الاولى فى العالم اليوم فى حين أن هنالك كلمات ابرز ما يمكن أن يركز عليه كمنطلق تكنولوجى ومع ذلك يمكن أن يقتبس من اللغة العربية وهذا لايضر والواقع أنه ينبغى بدلا من أن نتجاذب حول اشياء تافهة جدا فنضع كلمات عربية لكلمة (فرملة) فهناك (١٥) كلمة فى العالم العربى تعنى نفس المعنى . الفرملة ـ والحصار ـ والكابح ـ والمكبحة .. الخ فى حين أن كلمة واحدة تغنى عن هذاكله . فى حين أن هنالك فراغات تعد بعشرات الآلاف بالنسبة لمقومات التكنولوجيا المعاصرة

● عندما تقرأ كتابا ، فترتفع معنوياتك ، وتحس بانك ملهم بأفكار نبيلة ، فذلك شهادة بجودة الكتاب وامتيازه ، وصدوره عن عقل عارف ومجيد •

« جن دى لابرديري »

● ان أكثر الكتب خدمة لك ونفعا هو ذلك الذي يقودك الى التفكير ، وأصعب الطرق الى التعلم هي تلك التي تعتمد على القراءة السهلة • فالكتاب العظيم الذي يصدر عن مفكر عظيم هو سفينة للفكر محملة بالحقيقة والجمال •

« تيودور باركر »

د. محمد كامل

ضرورة التعاون العلمي والتكنولوجي بين الدول

● مشكلة استنزاف الموارد الغذائية والطاقة هي أكثر المشكلات العالمية أهمية

● الدول النامية تملك من المقومات الطبيعية ما يكفي احتياجاتها من الغذاء

ان من أهم مشكلات الانسانية في عصرنا انقسام العالم إلى دول متقدمة تملك الثروة والتكنولوجيا ، ودول نامية تتطلع إلى التقدم وتحسين ظروف حياة شعوبها . وقد اصطلح على تسمية هذه المشكلة في المحافل الدولية « التناقض بين الشمال والجنوب » .

وعلى الرغم من التباين الكبير في مصالح ومواقف هاتين المجموعتين من الدول تواجه الانسانية جمعاء مجموعة معقدة من التحديات والمشاكل يتطلب حلها تضافراً وتعاوناً بين جميع شعوب الأرض سواء كانت متقدمة أو نامية .

ويتصل بعض هذه التحديات بأمور تتعلق بالكوكب الذي يعيش عليه البشر جميعا وهو الأرض مثل التغير في الطقس ومشاكل تلوث البيئة والكوارث الطبيعية من زلازل وبراكين وعواصف مدمرة ، ومشاكل تنظيم استغلال مياه الانهار – وثروات المحيطات ومشاكل الأراضي الجافة والصحارى . كما يتصل بعضها الآخر بمسائل اجتماعية ذات طابع عام مثل مشاكل الصحة العامة والانفجار السكاني ومشاكل تحويل الريف إلى حضر والكوارث الاجتماعية مثل ادمان المخدرات والتدخين والبطالة والتفرقة العنصرية .

وبالاضافة إلى ذلك هناك نوع ثالث من المشاكل يتصل إلى حد ما بالاحوال الاقتصادية العالمية كمشاكل نقص الغذاء والطاقة والثروات المعدنية .

واذا كان التعاون بين الدول المتقدمة والدول النامية ضروريا للقضاء على الفجوة الاقتصادية والتكنولوجية الهائلة الموجودة بينها فان تعاونها للتغلب على المشاكل السابقة هو أكثر الحاحا حيث تؤثر هذه المشكلات عليها جميعا بلا استثناء وحيث يشكل ايضا هذا التطابق في الرغبة في حل هذه المشاكل أساسا سياسيا متينا للتعاون بينها في مجالات العلم والتكنولوجيا .

وتتطلب مواجهة هذه المشاكل تطوير القدرات العلمية والتكنولوجية في البلاد النامية حتى تستطيع المشاركة بفاعلية مع الدول المتقدمة في التصدى لهذه المسئولية العلمية .

أهم مجالات التعاون العلمي والتكنولوجي العالمي

ان مشكلة استنزاف الموارد وعلى الخصوص موارد الغذاء والطاقة هي أكثر هذه المشكلات العالمية أهمية على الاطلاق . ومن المعروف الآن في الدوائر العالمية المطلعة أنه إذا لم تحدث زيادة عاجلة في موارد الغذاء في الدول النامية فان هذه الدول سوف تعاني في القريب العاجل من النقص الشديد في الحبوب وسوف لا يكون أمام العالم من وسيلة لتعويض هذا النقص سوى التوسع في مناطق زراعة الحبوب في أمريكا الشمالية رغم ما قد يصاحب هذا الحل من مشاكل بيئية ومشاكل اخرى كثيرة . إن التكاليف المرتفعة لانتاج هذه الكميات الاضافية من الحبوب في أمريكا الشمالية سيؤثر على جميع البلاد متقدمة كانت أو نامية على حد سواء .

وبالاضافة إلى ذلك فان على الدول النامية ان تدرك انه ليس من مصلحتها الاعتماد على مصدر واحد في غذائها إذ أن هذا المصدر كما هو معروف معرض للتأثر بالظروف المناخية والسياسية معا .

ان الدول النامية تملك من المقومات الطبيعية ما يكفي احتياجاتها المتزايدة من الغذاء بالمستوى الحالي للاسعار العاصية وسوف يسهم التعاون العلمي والتكنولوجي بين الدول النامية والدول المتقدمة في المجالات الزراعية المختلفة في اتاحة تكنولوجيا الانتاج الزراعي المتقدمة لفلاحي البلاد النامية . ان توجيه مثل هذا التعاون إلى زيادة انتاجية المزارع الصغيرة

● تسخين المياه عن طريق استغلال الطاقة الشمسية

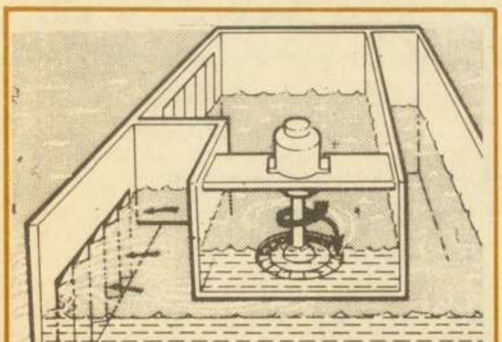

● أحد الطرق لاستغلال الطاقة من مياه البحر

● المحاصيل غير الغذائية من أهم مصادر الثروة أيضا
● من الضروري إكمال الابتكارات التكنولوجية بابتكارات اجتماعية

ومشاكل الأراضي الجافة سيزيد من عوائد الأرض التي يملكها فقراء الفلاحين مما سيقلل بالتأكيد من التدهور الحادث حاليا في الأراضي الزراعية في عديد من البلاد النامية اذ ان من المعروف عالميا ان معظم المشاكل الخطيرة التي حدثت في التربة تنشا من استغلال الفلاحين الفقراء للاراضي الضعيفة مما يقضي عليها تماما ويحولها إلى أراض غير صالحة للزراعة .

ومن أخطر القضايا التي يواجهها العالم أيضا هو النقص الشديد فى الطاقة المتمثلة في احتياطات البترول والغازات الطبيعية والفحم ومساقط المياه واحتياطات الوقود النووى . ويتضاعف الطلب على البترول والغازات الطبيعية مرة كل عشر سنوات أي بمعدل يزيد ثلاث مرات عن معدل النمو السكانى العالمى . وعلى جميع الدول التعاون في ترشيد استهلاك الطاقة والاتجاه إلى أشكال الطاقة البديلة وأهمها في الوقت الحاضر الفحم والطاقة النووية . وحل مشكلات البيئة المتصلة بالاستخدام الواسع لهما . كما أن عليها التعاون في بحوث استغلال التكنولوجيات الجديدة مثل الطاقة الشمسية وطاقة الاندماج النووى وطاقة الايدروجين وطاقة الكتلة الحية وطاقة الغاز الحيوى وطاقة الرياح وطاقة المد والجزر .

ومن المؤكد أن من أكبر المعوقات لترشيد مصادر الثروات الطبيعية العالمية هو استمرار انماط الاستهلاك الحالية في الدول المتقدمة وكذلك انتقال هذه الانماط إلى الدول النامية . إن ترشيد هذه الأنماط التي تعتمد على أساليب انتاج تستنزف مصادر الطاقة والثروات العالمية الأخرى يجب أن يكون موضوعا للحوار العالمى المفتوح في الثمانينات على المستويين القومى والعالمى .

ومن الضروري أن يركز هذا الحوار على البحث عن تكنولوجيات أكثر اقتصادا في استهلاك الثروات الطبيعية وموارد الطاقة كما يجب أن يؤدى إلى قرارات تنفيذية تصدرها الحكومات المسئولة لترشيد الاستهلاك وتغير في أنماط الحياة المبذرة .

ومن أهم مصادر الثروة الطبيعية التي تحتاج إلى اهتمام عالمى أيضا المحاصيل الزراعية غير الغذائية كالجوت والسيسال وغيرها . إذ تعانى هذه المحاصيل في الوقت الحاضر من المنافسة الشديدة من البدائل التركيبية كما تعانى من عدم اهتمام العالم بالبحوث العلمية وكذا جهود التسويق الخاصة بها مما تسبب عنه الذبذبة الكبيرة في أسعارها ونقص الثقة في مستقبلها في حين تتمتع منافساتها من البدائل التركيبية بثبات الأسعار وبتكامل جهود التصنيع والتسويق والمساندة العلمية والتكنولوجية من البلاد المتقدمة المنتجة لها .

ان هذا التنافس غير المتكافىء قد ترتب عليه فقد ثقة المنتجين والمستهلكين فى مستقبل هذه المنتجات سواء فى الدول المتقدمة أو النامية وتآكل أسواقها .

ولا ينطبق ذلك على المطاط الطبيعى والصوف والى حد ما على القطن .

ويمكن اعتبار صمود كل من المطاط الطبيعى والصوف امام منافسة البدائل التركيبية نموذجا عظيما عن امكانية صمود منتجات اخرى أمام منافسة البدائل التركيبية وقد تحقق لهذين المنتجين هذا النجاح عن طريق المساندة العلمية من بحوث انتاج واستخدام نهائى واعمال التطوير والتسويق على أعلى مستوى فى المستويين الوطنى والعالمى . وعلى حكومات الدول النامية والمؤسسات الدولية والاطراف المعنية فى الدول المتقدمة أن تسلك نفس هذا الاتجاه فى مساندة عديد من المنتجات الطبيعية الأخرى التى تجد منافسة شديدة من البدائل التركيبية . ولعل الزيادة المستمرة فى أسعار الكيماويات والطاقة يعتبر حافزا جديدا على ذلك اذ سوف يترتب على هذه الزيادة تغير فى القدرة التنافسية لصالح المنتجات الطبيعية فى القريب العاجل .

إن احد المجالات المشتركة الاخرى للتعاون بين دول الارض جميعا هو العمل معا فى الحفاظ على البيئة والاثار والتراث وعلى سبيل المثال المحافظة على الغابات والحيوانات المهددة بالانقراض والتكوينات الجيولوجية النادرة والاثار والتراث الانسانى وتحويل كل ذلك الى مصادر اضافية للدخل للبلاد المختلفة دون المساس بها .

وسائل التعاون لحل المشاكل العالمية

لقد أدى الاحساس العالمى بوجود أزمة فى الغذاء الى عقد مؤتمر الغذاء العالمى عام ١٩٧٤ وكذا انشاء مجموعة من المنظمات العالمية بالاضافة الى منظمة الزراعة والغذاء التابعة للامم المتحدة وكان من نتيجة ذلك ايجاد نظام عالمى شبه متكامل للتصدى لمشاكل الغذاء .

وتشمل مجموعة هذه المنظمات العالمية المنظمات الاربع التالية :

● المجموعة الاستشارية للبحوث الزراعية العالمية .

وتحدد هذه المجموعة الاحتياجات العالمية من برامج البحوث الجديدة كما تمول شبكة من المعاهد البحثية الزراعية الدولية .

● المعهد العالمى لبحوث السياسة الغذائية .

ويقوم باجراء بحوث السياسات الاقتصادية فى المجالات الخاصة بمشاكل الغذاء العالمية

● الصندوق العالمى لتطوير الزراعة .

ويختص بالعمل فى مجال الاستثمار فى الزراعة فى الدول النامية

● مجلس الغذاء العالمى .

وهو تجمع سياسى لمناقشة سياسات الغذاء .

إن نجاح المجتمع العالمى فى تاسيس وتطوير هذه المجموعة من المنظمات والمعاهد لادارة مشاكل الغذاء العالمى يمكن اعتباره نموذجا للمحاولات العالمية لتصميم اطارات متشابهة لادارة بعض المشاكل العالمية الاخرى وبالاضافة الى ذلك فالعالم فى حاجة الى بذل المزيد من الجهد لتقييم تاثير أى تكنولوجيا جديدة قد تنتج من التعاون داخل هذه المنظمات وذلك في ضوء المعوقات الاقتصادية وغيرها التى تواجه المستفيدين من هذه التكنولوجيا .

ومن الضرورى كذلك أن نكمل الابتكارات التكنولوجية بابتكارات اجتماعية وعمل مؤسسات وسياسات تدعم هذا المجهود .

ويجب أن تعمل الاجهزة العالمية على الارتباط بالاجهزة المحلية فى الدول النامية وتدعيمها واشتراك أجهزة وعلماء العالم الثالث اشتراكا نشطا فى وضع خطط المجهود العالمى

كما أن هناك حاجة أيضا الى التقييم المستمر واعطاء المشورة الفنية الاقتصادية المستقلة لادارة وتقييم البرامج الموجودة ، وتشخيص الفجوات وكذلك دعم الصلات بالمجتمع العلمى والتكنولوجى العالمى (بما فى ذلك العلوم الاساسية) وكذلك تشخيص مجالات جديدة واقتراح التعاون التكنولوجى لحلها .

ويقتضى التعاون الدولى الناجح فى ادارة المشاكل العالمية تقوية القدرات المحلية فى الدول النامية ويجب أن يكون هناك تعاون تام على قدم المساواة من العلماء والتكنولوجيين

ضرورة التعاون العلمى والتكنولوجى بين الدول

وغيرهم من الخبراء والمؤسسات فى العالم الثالث فى تشخيص المشاكل العالمية، وفى تصميم خطط الحل والتنفيذ الفعلى لهذه الخطط وهذا الاسلوب يضمن تعاون الدول النامية فى مساندة الحلول والتوصيات التى تصدر

وبالاضافة إلى ذلك سوف تتمكن البلاد النامية باتباع هذا الاسلوب من تقوية قدراتها الذاتية على حل المشاكل كما انه من الضرورى ازالة اى قيود على استخدام التكنولوجيات المتاحة فى البلدان المتقدمة اذا كانت تلك التكنولوجيات هى انسب التكنولوجيات لحل هذه المشاكل .

ومن الضرورى أن تقوم البلاد المتقدمة بتدعيم القدرات المادية المحلية فى الدول النامية وعليها ايضا أن تشجع علماءها على الاشتراك فى البرامج العالمية مثل برنامج بحوث أمراض البلاد الحارة الذى تتبناه منظمة الصحة العالمية وبرنامج الجو العالمى لجمعية الارصاد العالمية وعليها ايضا إنشاء المؤسسات التى تدعم البحوث الوطنية فى الدول النامية .

وبالاضافة الى ذلك يجب إنشاء صناديق مستقلة تساهم فيها مؤسسات غير حكومية فى الدول النامية على ان تتلقى مثل هذه الصناديق المعونات من حكومات الدول المتقدمة والنامية وغيرها من المصادر الخارجية الثنائية ومؤسسات المعونات الدوليةومن القطاع الخاص والمؤسسات العلمية ، وتقوم مثل هذه الصناديق بتدعيم البحوث التكنولوجية رفيعة المستوى وتساعد على إيجاد الحلول المبتكرة لمشاكل الدول النامية ويمكن لهذه الصناديق ان تكون حلقة اتصال بين القدرات المحلية وبرامج التعاون الدولى .

إن البعد عن البيروقراطية التقليدية والاعتبارات السياسية قصيرة المدى ضرورى لفاعلية المؤسسات التكنولوجية سواء فى الدول النامية او المتقدمة على السواء ، على أن نضع فى اعتبارنا من ناحية اخرى أن الاستقلالية فى حد ذاتها سوف لاتضمن بمفردها توجيه انشطة مثل هذه المؤسسات لخدمة احتياجات المستفيدين من نتائج البحوث .

إن المجتمع العالمى مطالب بالبدء فورا فى تنظيم برامج علمية وتكنولوجية رئيسية طويلة المدى تتعاون فيها الدول المتقدمة مع الدول النامية تبعا لمصالحها المشتركة ويجب أن تستفيد مثل هذه البرامج من الامكانـات العلمية والتكنولوجية اينما وجدت خاصة تلك الامكانات الكبيرة المتوفرة فى الدول المتقدمة ، على أن يكون من الاهداف الرئيسية لهذه البرامج العالمية تدعيم قدرات الدول النامية واتاحة الفرص أمام علمائها لتحمل اكبر قدر من المسئولية التنفيذية التى تمكنهم من القيام بها .

إن مثل هذه البرامج سوف تسهم بلا شك فى تقليل الفجوة العلمية والتكنولوجية بين الامم المتقدمة والامم النامية

على انه يجب أن نتذكر ان القضاء التام على هذه الفجوة يتطلب جهودا وبرامج عالمية اكثر شمولا ولهذا حديث آخر .

دكتور محمد كامل
— القاهرة

- الرجل العظيم هو من لم يفقد قلب الطفل .

« مينكوس »

- لا يمكن أن يكون شيء ما في صالحك اذا كان يضطرك الى الحنث بكلمتك أو اذلال نفسـك .

« ماركيوز ادريبيلوس »

- خذ العمل الذي تحب وانجزه رغم الصعاب . وكن معتدلا في كل شيء ، في طعامك وشرابك ، وكل ما ترغب فيه نفسك . واخدم نفسك بخدمتك الناس . ولا تدع أحدا يقول عنك انك لم تحسن معاملة مخلوق حي . ولا تدع المـال يستعبدك . وليكن هدفك الدائم ادخال بعض ضياء الشمس في حياة كل من تقابله . ولا تدع القلق يساورك . واضحك كثيرا ..
وفي ذلك السعادة لك .

« رالف أمرسون »

- عندما تغلق أبوابك ، وتطفىء المصباح في غرفتك ، تذكر ألا تقول أنك وحيد . فالله معك ، وكذلك عبقريتك . فما حاجتهما للنور ليريا ما أنت فاعله ؟

« ابيكتيتوس »

- ان أهم فكرة كانت تشغلني هي مسئوليتي الفردية أمام الله .

« دانيال وبستر »

- اصبر على نواقص وعيوب الآخرين أيا كانوا لأنك أنت نفسك لا تخلو مما يعيب .

« توماس كمبيس »

- افسح مكانا في نفسك لما هو غامض ، ولا تقلب كل تربتك بمحراث امتحـان النفس . اترك ركنا بوارا في قلبك للبذور التي قد تحملها الريح اليك ، وظـلا للطائر العابر ، ومكانا لزائر غير منتظر .

« هنري فريدريك أميل »

اضغاث احلام

لا نجاة إلا بالإسلام حقا...

منذ أن دحض جابر بن حيان الأزدي (٧٢٢ ـ ٨١٣م) خرافات الاغريق التي كانت مبنية على نظرية أن مادة الكون أساسها عناصر أربعة هي (التراب ، والماء ، والنار ، والهواء) طفق العلماء والباحثون يتقصون أسرار ملكوت الله في معاملهم ومختبراتهم بالتجريب والتمحيص والتدقيق ، حتى توصلوا الى أن مادة الكون قوامها بضعة وتسعون عنصرا ، لكل عنصر صفاته الثابتة السرمدية ، فزيائيا وكيمائيا ، وأنه مصداقا لقول ابن سينا (١٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م) لا يمكن أن نحول العناصر الخسيسة الرخيصة الى ذهب أبريز مهما بذلنا من المال والجهد وطقوس الشعوذة والخزعبلات ‥ وظل العلماء ردحا من الزمن يفرقون بين المادة ، والطاقة (الضوء ـ الحرارة ـ الصوت ـ المغناطيسية) حتى أثبت (على مصطفى مشرفة) عليه رحمة الله (١٨٩٨ ـ ١٦ يناير سنة ١٩٥٠) ان الفرق بين المادة والطاقة انما هو فرق في (السرعة) وان معادلة (البرت أينشتاين الالماني) في العلاقة بين المادة والطاقة صحيحة ‥ وكان العلماء على اتفاق تام في تصور أن ذرات كل عنصر محصنة ضد الهدم والتفتيت ، حتى اكتشف العلامة الفرنسي (بيكريل) (١٨٩٦م) الصفات الاشعاعية لأملاح اليورانيوم واثبت بذلك أن مجموعة من العناصر تتفتت ذراتها بنظام ثابت لا يعتوره فتور أو اضطراب ، تفتتا تلقائيا ، وان كمية من الطاقة الحرارية تنبعث في (صمت وهدوء) من جراء ذلك التفتت التلقائي الخفي، الذي توصل العلامة الباكستاني الالمعي (عبد السلام محمد) ـ مد الله في عمره ـ بدراسته له ، الى أن مكونات الذرة ليست فقط (الكترونات ، وبروتونات ، ونيترونات) ولكنها تحوى عديدا من الجزئيات الاصغر التى لم يك عددها ليخطر على بال أولئك الذين صنعوا قنبلتي (هيروشيما ونقازاكي) في أغسطس سنة ١٩٤٥ ، ممن فتحوا باب استخدام نعمة العلم التي أفاءها الله عليهم ، لتكون نقمة على خلق الله ‥ وفي غضون انشغال علماء الكيمياء والفيزياء ، بدراسات تركيب الذرات والعلاقة بين المادة والطاقة ، كان علماء الجيولوجيا (علم الارض) يتلفتون متلهفين ، بحثا عن معين يستندون اليه في تفسير السر الذي أودعه الخالقفي كرة الارض ، (ذلك الكوكب الضئيل الحقير في خضم تلك المجرات والسدم التي لا تحصى) ، وهو السر الذي يؤدى على فترات ، يمكن حسابها ، الى زلازل وهزات في قشرة الارض ، عنيفة القوة ، ترتفع من جرائها قيعان المحيطات فتصبح جبالا شامخات الذرى ، وتهبط بفعلها ، من خشية الله ، أطواد سامقات ، فتصير صفصفا ، لا ترى عوجا فيها ولا أمتا ‥ وجد العلامة البريطاني (جوللي) الضالة التي يمكن بها تفسير حدوث الهزات والزلازل ، في العناصر المشعة تلك التي تتفتت ذراتها تلقائيا ‥ فقال ان من أسرار فطرة الله تعالى لهذه الارض التي نعيش عليها ، ان ما في مادتها التي تزن بالكمال والتمام زهاء (٦٥٩٥ × ١٠ على ١٨) (أي ذلك الرقم وعلى يمينه تمانية عشر صفرا ، من الاطنان) كمية ضئيلة من (العناصر المشعة) لا تفتا خلال ملايين السنين ، تنبعث منها الطاقة ، حتى تضيق الارض ذرعا بتلك الطاقة ، فتنتفض وتهتز وترتج ، كما يفعل البعير حينما يتكاثر الذباب والقراد على جسمه ، ينهشه بلا أدب ولا رحمة ولا عفة ولا خوف أو حياء ‥ وشان الناس على سطح الارض ، تماما ، كشأن الارض ، حين تختل قياساتهم ، فيزيفون قيمهم ، وما استأمنهم الله عليه واستخلفهم فيه ، وتزيد الهوة بين شمال وجنوب ، وزارع وصانع ، ونائم ومستيقظ ، ويعبد المال والمتاع ، وتصبح مجموعات من العناصر (المشعة) سادرة في غيها لا تلوى على شيء ، تبذر ذات اليمين وذات اليسار في (الطاقة) بحثا عن اللذات واتباعا للاهواء ، ويصبح الرادع الاوحد هو (عزرائيل) لا خالق عزرائيل ، مادت الارض واهتزت وأتاها أمر الله ليلا أو نهارا ، كان لم تغن بالامس ‥ وجاء الاسلام على فترة من الرسل ، ليضع (مكارم الاخلاق) سمة مميزة لبني آدم وحواء على بقية الحيوانات ، وليتخذ الناس من فلسفته منارات تكبح جماح (الاشعاع) المسعور ، وتحد من انطلاق الانسان في الاسراف والترف والركون الى المتعة الذاتية ، والتطلعات البهيمية الهوجاء التي لا تحسب حسابا للارض أن تمور وتهتز فيحترق الاخضر واليابس ولا تقتصر الفتنة على الذين ظلموا خاصة ‥ والعالم كله اليوم على شفا جرف هار ، وقاب قوسين أو أدنى من هزة مدمرة تتهاوى فيها الرءوس النووية عبر المحيطات والقارات والغابات والصحاري ‥ والاسلام دواء قادر على شفاء أدواء الافراد والجماعات ولا تزال نظريته (رغم كل الاحوال الظاهرة من الفوضى والخمول والتبعية التي رانت على اتباعه) بخير وعافية ، بحيث لو اخذ سكان الارض ، مسلمين وغير مسلمين ، بقاعدتين اثنتين منه لتداركوا الأمر قبل فواته ، ولأنقذوا بني البشر من تراكمات (اشعاعات) أحقاد الجوعى تجاه المتخمين ، وخطرها الماثل أمام كل ذي بصيرة ، تينك القاعدتان هما :

١ ـ لا يؤمن الذي يبيت شبعانا ويعلم أن جاره (فردا أو جماعة أو دولة أو اقليما) جوعان ‥

٢ ـ برئت ذمة الله من قرية (أو مدينة أو حي أو قارة) يبيت بها أمرؤ جائع ‥ وبتطبيق هاتين القاعدتين الاسلاميتين (فقط) يمكن (للامم المتحدة) أن تقيد ما تنتجه المصانع والمزارع والمناجم تقييدا لا يترك الحبل على الغارب (للعناصر المشعة) أن تصنع ما تشاء ، من الهراء ، بالأهواء ‥

درويش مصطفى الفار

مـرزوق بشـير

قضايا خليجية

الدراما التاريخية من وجهة النظر الخليجية

تعرض تليفزيونات المنطقة بين حين وآخر ما يسمى بالتمثيليات التاريخية .وتعتمد هذه التمثيليات على المادة التاريخية حينا ، وعلى الحكايات الشعبية أو الأساطير حينا آخر . وللأسف أن معظم ما قدم من هذه الاعمال أبعد ما يكون عن المقاييس الدرامية المتعارف عليها . بدليل عدم تركها أى أثر فنى على المشاهدين بعد انتهائها مباشرة!!

فمعظم هذه الأعمال تتحول فى النهاية إلى سرد مشوه للتاريخ وللحكاية الشعبية أو الاسطورة . كان يكفينا العودة اليها فى الكتب أو فى جلسات السمر ، بدلا من هذا العناء وصرف الأرقام الخيالية التى تذهب مع الريح .... !!

إن معظم المقدمين على اعداد هذه الاعمال يتصور أن الكتابة التي تعتمد على التاريخ والاسطورة هى من اسهل الاعمال التى يمكن تناولها وطرحها .. فهم يعتمدون على حقائق جاهزة من التاريخ نفسه وشخصيات قد اكتملت ونضجت ، وهناك الخلفية التاريخية التى يمكن الاستفادة منها فى الاثارة والبهرج التليفزيونى ، ويتصورون أن العملية لا تحتاج إلى خلق أو إبداع أو استخدام العضلات الفنية فيسافرون فى كتب التاريخ هذا إذا جاءوا على انفسهم قليلا وبذلوا جهداً يستحقون عليه ذلك الرقم الخيالى أو يكتفون بمصدر واحد للقصة التاريخية حتى وإن كان مصدراً غير علمى ويقطعون هذه القصة إلى حوار ومواقف متسلسلة دون أى جهد إبداعى ... وهذه العملية تشبه إلى حد كبير ما يقوم به المسرح المدرسى من مسرحة للمناهج المدرسية لتبسيطها وتقريبها للطلبة .. فهم أيضا يقومون بمسرحة الاحداث التاريخية وتقديمها للناس فى صورة دراما تاريخية .

هل هى فعلا دراما تاريخية ؟ ! ولنناقش الموضوع على أساس إنه يتعرض للدراما وللتاريخ فى نفس الوقت .

من الناحية التاريخية ، من حق الكاتب الدرامى أن يتناول التاريخ بالزوايا وبالرؤية التى يراها مناسبة ومتوافقةمع الشىء الذى يريد أن يطرحه . فالتاريخ والاساطير إرث مشروع لكل الناس لا سلطة لأحد عليه إلا ضمير الكاتب نفسه ، وهو بهذه الحرية الممنوحة له من التاريخ باختيار ما يشاء من الأحداث التاريخية والاسطورية عليه أيضاً ومن الطبيعى كذلك أن يتمسك بالحقائق التاريخية المتعارف عليها ولا يحق له التجنى أو التزوير أو فرض حقائق مخالفة لمجريات التاريخ أو الاسطورة .

ومن حق الكاتب الدرامى أن يستشف من الحقائق التاريخية الرؤى والحقائق الفنية ليقدمها لنا فى قالب درامى وهذا هو دور الفنان المبدع ... لا يكتفى فقط بدور ناقل التاريخ وإنما دوره هو الغوص فى الحقائق التاريخية ليستشف منها البعد الانسانى ...

فهاملت الأمير الدنماركى كان حدثا فى سياق التاريخ ولكنه أصبح بطلاً درامياً تجسدت لنا كل أبعاده التاريخيةوأصبح نموذجا إنسانيا عند شكسبير.

وهذه هى مهمة الكاتب الدرامى : البحث عن الشخصيات التاريخية أو الأسطورية وتحويلها إلى نماذج إنسانية رائعة بعد استقطاعها من التاريخ أو الاسطورة وهذا ما فعله كتاب الدراما على مر التاريخ مع أبطالهم ابتداء من أوديب .. إلكترا .. ماكبث .. وهاملت .. الخ

هل ما يقدم من تمثيليات تاريخية فى تليفزيونات المنطقة هى دراميات حقيقية . !

هى بالفعل تحتوى على احداث تاريخية والشخوص لها أسماء كما كانت فى الواقع التاريخى وكانوا يقومون بنفس الافعال التى كانت سائدة حينذاك — ولكن ثم ماذا.. لاشىء.. سرد ممل وثرثرة .. وأحداث متوقعة عند كل الناس ... أين دور الفن هنا ...؟! الدراما هى الصراع الدرامى .. وهى تطور الأحداث وهى البداية والوسط والحل الخ ... وليس من واجب الكاتب الدرامى الذى يتعرض للتاريخ أن يستخدم كل فترات التاريخ ... هناك فترات معينة فى حياة الأبطال هى التى يجب التعرض لها وهذه الفترات هى التى تسبق حالات التحول المصيرى فى حياة الأبطال وفى حياة كل منا فترات أو لحظات نتحول فيها إلى شىء مختلف عما كنا عليه قبيل هذه الفترة. وفترات التحول هذه هى أكثر الفترات اثارة وديناميكية فهى لحظات تطور ونماء تدفع بالشخصية وبالحدث الدرامى إلى نقطة التأزم . كما أن اختيار فترات معينة من تاريخ الشخصية لا يكون عشوائيا . فيجب أن تفيدنا هذه الفترة ببعديها الزمانى والمكانى فى نمو الشخصية ودفع الحدث إلى الامام .

ومؤلفو الدراما التاريخيةلتليفزيونات المنطقة يصرون على اختيار فترات ساكنة ومملة قد تجرى فيها تحولات نفسية للشخوص، ولكنها تحولات لا تبرز لنا صراعات فعالة . ومعظم هؤلاء المؤلفين يعمدون إلى ذلك لإطالة وقت المسلسل ... لان المحاسبة تتم على أساس الساعات وليس على أساس القيمة الفنية للعمل .

على مؤلف الدراما التاريخية أيضا أن يكون حاسماً فى بعض المواضيع التى قد يكون هناك اختلاف عليها فى الواقع التاريخى . وهذا الحسم يأتى من خلال المقدمة المنطقية أو انطلاقة العمل الدرامى ، ومن خلال رؤية الكاتب الابداعية . فالتدخل الابداعى فى حسم القضايا التاريخية والاسطورية أمر ضرورى وهام .

وعند تناول فترة معينة من التاريخ لتدور فيه أحداث التمثيلية فيجب على الكاتب الدرامى أن يدرك أن تلك الفترة ما عاد لمنطق التاريخ أى دخل فيها ، فلقد أصبحت فى قانون المنطق الدرامى تتأثر به وتتفاعل معه .

قد لا يكون فى التاريخ مثلا موقف للبطل يقف فيه ليتحدث مع نفسه فى مونولوج طويل . ولكن المنطق الفنى يمنح هذا البطل مثل تلك الفرصة .

أيضا قد يتطلب الموقف الدرامى إضافة شخصيةما فى موقف ما ولكن التاريخ لا يمنحنى تلك الفرصة . هل أخضع لمنطق التاريخ أو للمنطق الدرامى .. بالطبع المنطق الدرامى هو الذى يحكمنى الآن .

إذاً كما لاحظنا : التعرض للتاريخ وللاسطورةوالحكاية الشعبيةمن خلال الاعمال الدرامية ليس بالامر السهل أو كما يتصوره البعض عبارة عن مسرحة للتاريخ وهذه هى الخطورة .. ملايين تصرف على أعمال تعرض لمرة واحدة ثم تركن فى الارشيف ، لأن الناس استنفذتها من العرض الأول، واكتفت بالعودة إلى التاريخ والأساطير من خلال الكتب وجلسات السمر .. فهل من إعادة النظر فى الدراما التاريخية التى تقدم الآن من خلال وجهة نظر خليجية ؟ .

كمال سعد

إيقاع الحياة في جنوب السودان

إيقاع الحياة في جنوب السودان

● المثقفون الجنوبيون والدور الكبير الذى لعبوه فى توثيق الرباط الوجدانى بين أبناء البلد الواحد

الحياة في جنوب السودان أصبح ايقاعها سريعا ..

الكل هنا يسعى بكل جهده لتعويض سنوات التخلف الطويلة التي تسلل من خلالها ـ يوما ـ الاستعمار ليحول ابناء البلد الواحد في السودان إلى أعداء يقاتلون بعضهم البعض في حرب أهلية أستمرت ١٧ عاما وتوقفت بعد اتفاقية « أديس أبابا » عام ١٩٧٢ التي أكدت الوحدة الوطنية بين الجنوب والشمال ، وأسقطت كل دعاة الانفصال الذين استعاروا لمنظمتهم « أنانيا » اسم حشرة سامة تعيش في مديرية أعالى النيل . ونادوا بدولة انفصاليةسموها « أزانيا » تهاوت بسرعة فائقة لأنها كانت ضد حركة التاريخ التي أكدت منذ القدم ارتباط الجنوب بوشائج ومصالح لا يمكن أن تنفصم في أي يوم من الأيام عن الشمال !

ومن يصل إلى الجنوب اليوم سيتأكد بصورة قاطعة ، أن كل بذور الاستعمار التي غرسها قديما قد انتهت وذهبت بلا رجعة .. وان معظم ما ترسب في الأعماق أصبح في خبر كان .. بل وتسمعه من الأهالى وكأنهم يروون لك نكتة أو قصة غريبة !

فمن منا يتصور انه في ذات يوم كانت هناك أوامر تحرم على تجار الشمال الدخول إلى الجنوب ، وتبيح التجارة بلا حدود أمام القبارصة واليونانين !

ومن منا يصدق هذه المجموعة من المحرمات التي كان ممنوعا تعاطيها من الجنوبيين مثل التدريس باللغة العربية وتسمية الأبناء بالأسماء العربية وارتداء الجلابية والزواج من شمالية والصلاة في صورة علانية خارج البيت !

كل ذلك وغيره من المحرمات القديمة أصبح يثير الاستغراب عندما يروى لك الأهالي تفاصيله على طول وعرض الجنوب البالغ مساحته ربع مليون ميل مربع ، وان كانوا في نفس الوقت يؤكدون لك أبعاد اللعبة التقليدية للاستعمار الذي كان يهدف – في المقام الأول – إلى غرس بذور الشقاق بين ابناء البلد الواحد ، حتى يتمكن من تحقيق أحلامه ومخططاته الرامية إلى السيطرة والتبعية !

لغة التفاهم

ووقد أعد معهد البحوث والدراسات العربية دراسة عن العلاقات العربية الافريقية ، جاء فيها أن الاستعمار لجأ إلى اضعاف الوجود الشمالي في الجنوب بمختلف الوسائل ، بمنع أبناء شمال البلاد من الدخول إلى الجنوب بمختلف الطرق ثم تصفية الوجود الشمالي في الجنوب ، وفي هذا الصدد لجا إلى اصدار قوانين « المناطق المغلقة » التي تستهدف اغلاق البقاع الجنوبية أمام الشماليين ، وجاء وقت أصبح فيه من السهل على السوداني أن ينتقل في سائر بلاد العالم مما لو تنقل في أرجاء بلاده !

وقالت الدراسة أيضا ، أن غرس بذور عدم الثقة نبتت من الاختلاف الثقافي الذي صنعته سياسة خبيثة طويلة المدى هي سياسة « لا تعريب » جنوب السودان ، إلا أن تلك السياسة تهاوت الآن بعد أن أصبحت اللغة العربية تدرس في جميع المدارس ، واصبحت لغة التفاهم بين سكان الجنوب الذين يتالفون من ١٥ قبيلة رئيسية وعشرات القبائل الصغيرة ، وقد فرضت هذه اللغة نفسها نتيجة لوجود خمسين لهجة محلية تجعل من أبناء القبيلة الواحدة لا يفهمون غير لهجتهم ويجهلون لهجات بقية القبائل !

وهكذا نرى أن بذور التفرقة التي غرسها الاستعمار واجهت الدولة عقب القاء السلاح ، فكان لا بد بداية من اعادة الجسور إلى أصولها الطبيعية .. وقد لعب المثقفون الجنوبيون دوراً كبيراً في توثيق الرباط الوجداني بين أبناء الشمال والجنوب ، وخاصة هؤلاء الذين هجروا الجنوب أيام الاحداث ، وعادوا عقب الاستقرار من الشمال وهم يحملون تفاصيل الحياة التي عاشوها في حب وود مع اخوانهم الشماليين .

وساعد على زيادة تلك الروابط الدور الذي لعبه المعلمون الشماليون وغيرهم من كوادر الخدمة المدنية التي كان لها

البالوونات الملونة أثناء احدى العروض الرياضية

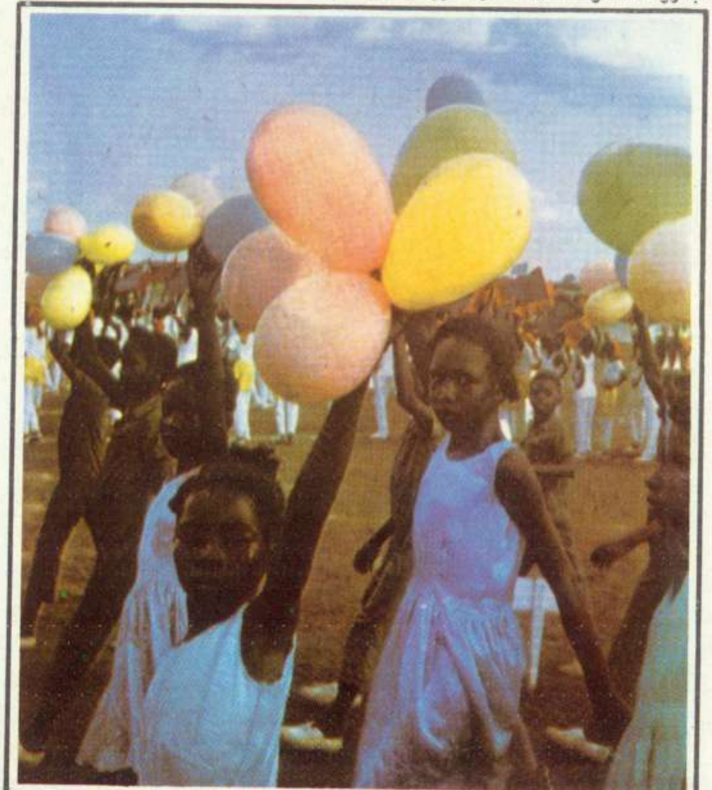

الألوان والبهجة التي تميز الاحتفالات في جنوب السودان

فستان حديث ورمح من اعماق الغابة

الانتقال في القوارب عبر النهر

إيقاع الحياة في جنوب السودان

قبائل الزاندى يعود أصلها إلى بعض العناصر العربية

تأثير كبير على تطور صور الحياة بايقاع سريع في مناطق الجنوب الحيوية ..

الرباط الوجداني

ولا ننسى – في غمرة ما نراه من تطور – ما حدث من تمازج بين القبائل الرعوية كقبيلة الرزيقات التي تعيش على طول الحدود الجنوبية لمحافظات كردفان ودارفور ، وبين شكان المناطق الشمالية من الجنوب .. وكيف أن ذلك التمازج أفرز مصاهرات ونقلات حضارية متمثلة في الزى القومي كارتداء الجلابية للرجال والثوب للمرأة ، وانتقلت بالتالي مكونات التراث الشعبى ، وأصبح من المألوف أن تجد الأسماء العربية يحملها الكثير من أبناء الجيل الجديد في الجنوب !

وقد شهد الاقليم الجنوبي لأول مرة – ومنذ الحكم التركى بالسودان في القرن السابق – قيام أول جامعة وهي جامعة جوبا لتخريج الكوادر التي يحتاجها الاقليم في بناء نهضته الجديدة ، وشهدت المنطقة أيضا قيام مشاريع طموحة للاسكان ، وقيام العديد من شبكات الطرق ، وتحديث المطارات بما فيها مطار جوبا العالمى الذي يربط مشرق أفريقيا بشمالها ، والاهتمام بالملاحة النيلية وتحديث الخطوط العاملة السابقة التي تنظم السفريات بين كوستى في الشمال وملكال وجوبا في الجنوب لنقل المواطنين والمواد التموينية !

واذا كان الاهتمام بتنمية الجوانب الصناعية القائمة على الانتاج الزراعى في الاقليم تحتل الاهتمام الأول ، فان البرنامج الضخم الذي أعد لاستكمال قناة جونجلى سيلعب دوراً رئيسيا في تطوير المنطقة ، فهذه القناة التي تاخذ المياه من بداية المستنقعات لتصب في نهر السوباط على النيل الأبيض ، سيصل تكاليفها إلى ٨٠ مليون جنيه ، بحيث يتم انشاء عدد من القرى النموذجية والمدارس والمستشفيات وكذلك عدد من القناطر والأهوسة على مدخل ومخرج القناة للانتفاع الكامل من النهر وتسخير موارده وطاقته لصالح الانسان الذي تحررت ارادته وقدراته ..

عندما توقفت الملاحة

وعندما تصل إلى مدينة جوبا عاصمة الجنوب وحاضرته سيتضح لك أنها من أكبر المراكز العمرانية في المنطقة ، وتتركز فيها المصالح الحكومية والشركات التجارية والمؤسسات العامة ، وبها شبكة طرق واسعة تربطها بالدول الافريقية ..

وقد اختيرت كعاصمة للمديرية الاستوائية في عام ١٩٣٠ لموضعها الجاف الذي يصلح لقيام المباني المستديمة .. والمعروف الآن أن المديرية الاستوائية أصبحت مديريتين : مديرية شرق الاستوائية ، ومديرية غرب الاستوائية ..

المهم أن مدينة جوبا تحيط بها الأشجار من كل مكان ، وتتجه في انحدار نحو الجبل ، ومعظم مبانيها جديدة لا يزيد عمرها على الخمسين عاما ،، وشوارعها نظيفة ، ودكاكينها مكدسة

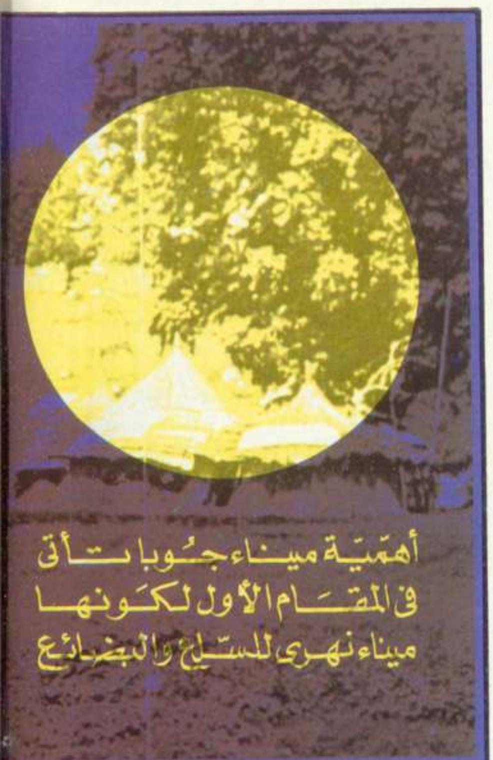

رقصة شعبية وسط الطبيعة الخلابة

بالأقمشة المزركشة ، ومطاعمها الشعبية ذات حوش كبير تتناثر فيه المناضد والكراسى الخشبية ، ومساكنها الشعبية عبارة عن أكواخ قصيرة تشيد من الأشجار وأنواع خاصة من القش تمنع تسرب المياه إلى داخل المنزل ، ولها سقوف مخروطية حتى يمكن للمياه أن تنحدر إلى الأرض عقب الأمطار الثقيلة !

ولا يشارك مدينة جوبا في الحركة الادارية ومجال الخدمات إلا مدينة واو عاصمة بحر الغزال ، التي زادت أهميتها بعد وصول الخط الحديدى إليها في عام ١٩٦٢ ، وهو الخط الوحيد الذي يربط الشمال بجنوبه ، والذي ظهرت أهميته عندما توقفت الملاحة النهرية في النيل الأبيض عام ١٩٦٣ بسبب تراكم أعشاب النيل ، وتعطل النقل بين كوستى وجوبا ، فأصبح امداد المديريات الاستوائية وبحر الغزال بالمواد التموينية وغيرها متوقفا في الأساس على السكك الحديدية !

قبيلة الأذكياء

وعدد السكان في مدينة جوبا يزيد على أي مدينة جنوبية هامة مثل ملكال وواو وياى وكاترى ، ويشتد فيها موسم الأمطار ما بين شهرى أبريل وأكتوبر ، وحرارتها ترتفع في بعض الأيام إلى ٣٧ درجة مئوية ، والرحلة اليها بالطائرة من الخرطوم تستغرق في المتوسط ساعتين وعشر دقائق !

وأهمية مدينة جوبا تاتى في المقام الأول لكونها ميناء نهرى لمعظم البضائع والسلع القادمة من الشمال إلى الجنوب، وايضا لكونها مركزاً لخدمة المشروعات الزراعية في أراضى المنطقة الاستوائية ، وخاصة مشروع الزاندى الزراعي في جنوب غرب المديرية !

وفي المدينة يمكنك ملاحظة اندفاع الشباب نحو تعلم الخبرة في العمل بكل الوسائل والطرق ، وستلاحظ أيضا التغير الذي حدث في حياة المرأة بعد أن تخلصت من العرى وأصبحت ترتدى أحدث الأزياء !

وبمناسبة الحديث عن المرأة في المديريات الاستوائية ، فان نساء قبائل الزاندى اجمل من غيرهن في القبائل الأخرى ، ويرجع ذلك إلى أن بعض العناصر العربية التي هاجرت قديما من الجزيرة العربية وعبرت البحر الأحمر ،

اكواخ القش ذات الطابع المميز وسط مساحات هائلة من الخضرة

فرحة الشباب في المهرجانات

رقصة من الجنوب

إيقاع الحياة في جنوب السودان

حكاية القبيلة التى لا يقتل أفرادها الثعبان .. وكيف يتعرف أبناء قبيلة البارى على المذنب؟

وصلت إلى هذه المناطق وا ختلطت بأهلها وتزاوجت من بينهم !

وأفراد قبيلة الزاندى في مجموعهم يمتازون بخفة الحركة ومتانة البنية والذكاء والقدرة على العمل وحب النظام والطاعة ، ولهم مهارة واضحة في الأعمال اليدوية وخاصة صنع الحراب والأسنة ، كما أنهم يزينون مساكنهم الواسعة بالألوان من الداخل !

وبخلاف قبائل الزاندى ، فان أهم القبائل التي تسكن المناطق الاستوائية قبائل البارى في الشمال التي لا يحب أبناؤها أكل اللحوم رغم أنهم رعاة مواش ، ولا يتزوجون من داخل العشيرة الواحدة .. وأيضا هناك قبائل المندارى واللاتوكا التي يمارس افرادها حرفة الصيد في الغابات والسهول ويصطادون الأسماك بوفرة من الأنهار !

قصص التحدي

وكل أبناء هذه القبائل يجرى الرقص كالدم في عروقهم ، وعندما تدق الطبول تراهم مندفعين وكأنهم في سباق ، إلى حلبة الرقص ، ليعبروا عن كل ما في أعماقهم من حزن وفرح وأفكار وفلسفة خاصة !

ويقف كبار السن من الرجال والنساء للتمتع بحركة الشباب المتدفقة أثناء الرقص ، وأغلب هؤلاء المعمرين اذا ما انفردت بأحدهم فانه يروى لك قصصا لا أول لها ولا آخر من واقع احداث التمرد ضد القوات البريطانية في الجنوب !

وأنا – عن نفسى – سمعت منهم قصة الجنوبي «جويك وندنج» الذي استطاع أن يجمع حوله في أواخر العشرينات مجموعة من المقاتلين بالقرب من قرية نيرول ولم يستسلموا إلا بعد أن

ما أن يبدأ الايقاع على الطبلة حتى يخرج الجميع للرقص

هاجمتهم الطائرات في قسوة بالغة .. وسمعت أيضا قصة مقتل الكابتن الانجليزى فيرجسون على يد أفراد من قبيلة النوير ، وكيف تحدي هؤلاء الأفراد كل القوات المتواجدة وأعلنوا التمرد **واختباوا** في المستنقعات ، ورفضوا الاستسلام إلى أن قضت الطائرات المغيرة على مقاومتهم المستمية !

وقطعا ستذكرنا تلك القصص وغيرها بتاريخ الغزو الاستعمارى لافريقيا السوداء ، الذي ارتبط بالمحاولات التي قامت لاكتشاف منابع النيل ، وكلنا نعرف تفاصيل هذا التاريخ ، إلا أن صورة النهر عند دخوله أرض السودان تظل دائما في مخيلتنا لأننا نعشقه ونجد دائما على شاطئيه أقصر طريق للتعرف على مختلف صور الحياة السكانية !

النهر العظيم

وقبل أن نلتقي بصور الحياة على جانبى ذلك النهر في مديريات الجنوب الست وهي جونقلى ، والبحيرات ، وأعالي النيل ، وبحر الغزال ، وغرب الاستوائية ، وشرق الاستوائية .. لا بد أن نتعرف – ولو بصورة عاجلة – على النهر الذي يصبح عنيفا سريع الجريان بمجرد دخوله إلى أراضى السودان عند نيمولى أو بمجرد لمسه للمديريات الاستوائية ، ويغير اتجاهه في الحال نحو الشمال الغربي ، ليعود إلى هدوئه قبل دخوله إلى شلالات « فولا » بسبب اعتراض الصخور والجنادل ومساقط المياه لطريقه .. وعندما يصل لهذه الشلالات يضيق مجراه إلى درجة الاختناق وتحاصره على جانبيه الصخور المرتفعة وتنفجر منه الينابيع الحارة التي في درجة الغليان ، ويصبح اسمه نهر الجبل لمئات الكيلومترات ، ولا يتخلص من هذا الاسم إلا في الشمال ، عندما يلتقي بنهر السوباط ، فيحمل اسم النيل الأبيض الذي تعترضه مجموعة من الجزر من بينها جزيرة أبا وتشق مجراه إلى قسمين ، ليمضى بعد ذلك في رحلته الشاقة الطويلة ، التي يخرج فيها من سهول السودان هادئا وقورا ، ليلتقى عند الخرطوم مع النيل الأزرق ليواصل رحلته إلى مصر !

هذا هو النهر الذي تستمد منه قبائل الجنوب حياتها وتعتبره مصدر الرزق لها ولماشيتها وأغنامها وزراعاتها المختلفة !

السوق في مدينة جوبا

كوبرى جوبا

الثروة الحيوانية

لا تقتل الفهد

وأشهر قبائل الجنوب هم أفراد قبيلة الشلك الذين يضعون على **وجوههم** علامة مميزة للقبيلة عبارة عن دوائر تحيط بالجبهة فوق الحاجبين وتنحدر على شكل حبات مستديرة على الخدين ، وقد عرف عنهم انهم أهل حرب وشجاعة الا أن البعض يصفهم بالبخل !

وقبيلة الشلك تعيش في أعالى النيل، ومن عاداتهم الغريبة أنهم لا يقتلون الثعبان ،، ويستخدمون في تنقلاتهم « الكنو » وهو مركب صغير مصنوع من جذع شجرة واحدة !

ومن القبائل الهامة في الجنوب قبيلة الدينكا وهى أكبر قبيلة مالكة للابقار في السودان ، وأبقارهم معروفة بطول قرونها ، ويسكن أغلبهم بمديرية بحر الغزال والباقي في مديرية أعالي النيل ، ويمتازون بالقامة الفارعة ويدخنون التمباك بكثرة ، ولا توافق الفتاة على عريسها قبل ان يأتيها بابرة وخيط كرمز لادراكه بأنها ماهرة في صنع الثوب !

أما قبائل البارى ، فأغلبها لا يقتل الفهد ولا يقطع نوعاً معينا من الاشجار وبعضها لا يشرب مياه **الامطار** ويجيدون استعمال الرمح والقوس ويعرفون الكاذب أو المذنب بالقفز فوق الحربة فاذا أدمت قدميه تأكدوا من اتهامه !

وغير هذه القبائل هناك قبائل النوير التي تسكن بين بحر الغزال ونهر السوباط ويشتهر أفرادها بالشجاعة وعزة النفس !

وهناك أيضا في أعالي النيل قبيلة الأنواك التي تعطى لأفرادها صفات النبلاء ، وقبيلة المورلى العاشقة للصيد طوال السنة ، وقبيلة البرون التي يمارس بعض أفرادها السحر ولديهم عادة خطف العروس إلى قرية الزوج بمجرد اتمام مراسيم الزواج !

وفي أرض بحر الغزال تجد قبائل البنقو التي عرفت استخراج الحديد واشتغلت به ، وقبائل الجور الماهرة في الحفر على الخشب وصناعة التماثيل ، وقبائل الشيرى المتميزة بسماحة الخلق والقدرة على تحمل المصاعب والمتاعب !

ويتمتع أبناء جميع قبائل الجنوب بثروة ضخمة من الحيوانات البرية والطيور ، فأرضهم أغنى مناطق للصيد في العالم ، والمنطقة الرئيسية للصيد تقع في مديريات بحر الغزال وأعالي النيل والمنطقة الاستوائية التي تعد نموذجا لمناطق الصيد في العالم لما بها من غابات كثيفة تتخللها سهول خضراء ومستنقعات وجبال عالية تنحدر منها مياه النيل العظيم !

ولايمكنك أن تحصر أنواع وأعداد الحيوانات والطيور فى تلك المناطق بداية من الفيل الذى يعيش قرنا من الزمن ولايبدأ الانجاب إلا إذا بلغ العشرين من عمره ، حتى تمساح النيل الذى يولد قويا قادرا على التهام الغذاء منذ خروجه للحياه !

فنبض الكائنات هنا حار متدفق .. وأعظم هذه الكائنات هو الانسان الذى أصبح لحياته ايقاع سريع ، يسعى به **إلى تعويض** مافاته من سنوات .

كمال سعد

أول مرسم حر في قطر

أبو هشام

- ماهى الخطة التى وُضعت لتفريخ جيل جديد من الفنانين على أساس من الدراسة والرؤى الفنية
- الشباب يقبلون على التجربة بحماس شديد.. لكى يمارسوا هوايتهم تحت إشراف فنى سليم

هذه التجربة الوليده لأول مرسم حر فى قطر ماهى حكايتها ؟ .. وما هو المشوار الطويل للفنان الذى أصبح مسئولا عن ثانى تجربة من نوعها فى دول الخليج بعد الكويت ؟ . . وما هى الخطة التى رسمتها ادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام فى دولة قطر لتفريخ جيل من الفنانين الجدد الذين يعتمدون على الدراسة والرؤيا الفنية ذات الأبعاد ؟. . بل وما قصة المراسم الحرة وكيف نشأت فى تاريخنا العربى وتاريخ العالم الحديث؟. .

كل هذه الاسئلة وغيرها دارت فى مخيلتى وأنا فى طريقى إلى أول مرسم حر فى مدينة الدوحة . .

الدراسات المستفيضة

وقصة المرسم الحربدأت فى الواقع منذ بضع سنوات ، عندما قدم عدد من المسئولين والمهتمين بشئون الثقافة والفنون فى دولة قطر عدة مشروعات وأبحاث تهدف الى إنشاء منتدى فنى يجتمع فيه هواة الفن تحت اشراف أكاديمى لتنمية مواهبهم الكامنة ، وخاصة أن البلاد تزخر بعدد وفير منهم .

وعرض المشروع على سعادة الاستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام ، الذى رأى أن تسرع ادارة الثقافة والفنون في التنفيذ الفورى للمرسم الحر ..

وعلى الفور اهتم مدير ادارة الثقافة والفنون الأستاذ ناصر العثمان بالتنفيذ ضمن تخصصات ادارته ، واختار فنانا له سمعته وممارسته الفنية في العالم العربي ودراساته الأكاديمية وهو الفنان جمال قطب ..

وفي العام الماضى وصل الفنان ليمارس مسئوليته ويضع التخطيط الشامل بعد دراسات مستفيضة للمراسم الحرة في مختلف العواصم العالمية المماثلة ..

وبمجرد الاعلان عن افتتاح المرسم

مجموعة لقطات للدارسين من الشباب القطري في المرسم الحر

الحر في الدوحة ، هرع اليه ما يربو على الخمسين شابا من الشباب القطري ، من ذوى الميول الفنية ، ومن الذين لديهم الرغبة الجارفة في تعلم الفنون الجميلة ..

ورصدت الامكانيات اللازمة لانجاح هذا المشروع ، وخصص له مبنى من أجمل المباني في الدوحة بفريق بن محمود ، حيث يضم العديد من القاعات والحجرات المعدة اعداداً خاصا للمارسة الفنية ، وزود بكل الأدوات والخامات الفنية التي نجدها في أي مرسم متطور في العالم ..

تدريب الحس

وبدأت الممارسة العملية في المرسم الحر منذ أربعة شهور .. وأقدم الشباب بحماس منقطع النظير على ممارسة هواياتهم تحت اشراف فنى سليم ..

وأصبح المرسم الحر ، يضم بجانب خبير الفنون مجموعة من الشباب القطرى ، ممن لهم دراسات فنية سابقة أو ممن حصلوا على بعض الشهادات الأكاديمية من الخارج مثل الفنان حسن الملا والفنان يوسف الشريف .

ويجرى الآن تدعيم جهاز التوجيه بخبرات اضافية من جيل الشباب في قطر ، حتى تجابه استعدادات المرسم لاستقبال الأعداد المتزايدة من المنتسبين ..

وفي الوقت الحاضر ، تقتصر نشاطات المرسم على الدراسات الأكاديمية الأولية التي لا بد منها لكل دارس للفنون الجميلة كالتدريب على النماذج المجسمة والطبيعة الصامتة ، دون التعرض حاليا للموديلات الحية كما هو الحال في المعاهد الفنية ..

وبجانب الممارسة العملية ، هناك بعض الدراسات النظرية كلمحات من تاريخ الفنون وسير الفنانين ومعلومات

الموهبة الصغيرة ممثلة في الطالب احمد عبد الرحمن

أول مرسم حر في قطر

عن علم التشريح ومحاضرات مبسطة في علم الجمال .. والهدف من تلك الدراسات بالطبع هو رفع مستوى التذوق الفنى عند الشباب .. وكما نعلم فالفن والثقافة العامة كل لا يتجزأ ، والتذوق الفنى هو حصيلة تأتى من تدريب العين والحس والعقل على مستويات حضارية متشابكة وسلوك اجتماعي مهذب ، وهذا ما نسميه بالبصيرة أو الاحساس المعنوى للشعور بما يحيط بنا من معان وقيم جمالية !

الواقعية والحداثة

نعود إلى الخطة التي وضعها المسئولون للمرسم الحر لكى يقوم برسالته خير قيام ، فنجد أننا أمام تنظيم دقيق ذى مراحل متعددة : ففي المراحل الأولى تكون الدراسات النظرية والممارسة العملية مبسطة بهدف الترغيب ، فالدراسة حرة في كل جوانبها ، الحضور والانتظام ليس مقيداً الا بالقدر الذي ينسجم مع الجهاز الادارى في المواعيد الرسمية ، والدراسة النظرية حرة تخضع لرغبات المنتسبين وظروف تقدمهم في تدريباتهم ، كما أن الخامات التي ينفذون بها لوحاتهم تخضع أيضا لرغباتهم وميولهم الشخصية ، والحرص كل الحرص في هذه الفترة بالذات على عدم الانزلاق في متاهات الأساليب الفنية الحديثة الا بعد الحصول على قسط وافر من التدريب على الأسلوب الأكاديمى الجاد ، فالالتزام بالموضوعية والواقعية في هذه المرحلة هو التمهيد للانطلاق عقب ذلك إلى تكوين شخصية الفنان حسبما يريد !

وبحثوا مسألة الحوافز لتشجيع الشباب على الانخراط بجدية في التدريب وموالاة الحضور ، ووجدوا أن المقابل الأدبي ممثلا في جوائز أو شهادات تقدير أو اشتراك في معرض أو غير ذلك من التقدير الرمزى هو أنسب الحوافز ، حتى لا يتحول المرسم الحر إلى ما يشبه الوظيفة التي ينتظر الطالب راتبها آخر كل شهر ، وحتى يأتي طالب الفن برغبة فنية صادقة مبعثها الهواية وحب الفن !

أصغر فنان

ويتسع المرسم الحر ـ حتى في ظروفه الحالية ـ لتبنى اقامة المعارض واعداد الندوات والمحاضرات الفنية لكل من يطلب ذلك .. كما أن بالمرسم مكتبة فنية تضم مجموعة من الكتب الفنية باللغتين العربية والانجليزية .. وستشمل اقسام المرسم مستقبلا تخصصات التصوير والحفر والديكور والنحت في أشكاله الزخرفية والرسم الصحفي ، وذلك بعد الانتهاء من مرحلة الدراسة التدريبية العامة ..

وقد اعترضت المرسم مشكلة أن معظم المنتسبين من الطلبة في الجامعة والمدارس ، فعدلت المواعيد لتكون فترة واحدة بعد الظهر ، تبدأ من الرابعة ، ليظل المتدرب إلى أي ساعة يريد !

ونتيجة التعديل الجديد ، أصبح المرسم الحر لا يقف عائقا أمام الطلبة في دراساتهم ، وظهرت من بينهم نماذج مبشرة ، من بينها أصغر المنتسبين سنا وهو « أحمد عبد الرحمن » ابن الثلاثة عشر عاما ، الذي تفوق على الكثيرين من أقرانه ، ،أنجز أعمالا تؤكد انه لو توفرت له الرعاية الدائمة ويسرت له ظروف الاستمرار في ممارسة الفن بدون عوائق لأصبح من أهم فناني الخليج والعالم العربي ..

ولكن : لماذا لم يفتح المرسم الحر قسما خاصا بالفتاة ؟ ..

هذا ما يجرى دراسته الآن ، خاصة بعد وصول العديد من الرسائل والرغبات التي تنادى بتدريب الفتاة على الفنون الجميلة ، واذا تم ذلك فسيكون في حدود المحافظة على التقاليد والظروف البيئية التي تتناسب مع واقع المجتمع المحافظ .. أي أن تخصص مشرفات مؤهلات للدراسة والتوجيه ..

المراسم العالمية

وقد يجعلنا المرسم الحر في قطر نطرح سؤالا يقول : ما هى قصة المراسم الحرة في التاريخ ؟

والاجابة على هذا التساؤل تتلخص في أن المراسم شيء مألوف في الدول الغربية منذ قرون طويلة ، أيام كان الفنانون يتتلمذون في مراسم من سبقوهم من الرواد .. وكثيراً ما تفوق التلاميذ على أساتذتهم كما نرى في فناني عصر النهضة والعصور التي تلته حتى القرن الثامن عشر ، حيث بدأ انشاء الأكاديميات الفنية في أوربا ـ المملكة البريطانية ، والأكاديمية الفرنسية ـ التي قامت بدور معامل التفريخ للفنانين .. وشهدت فرنسا مثلا عصراً ذهبيا في القرنين الماضيين ، حيث التقت جموع المفكرين من شعراء وأدباء وسياسيين تربطهم صلة وثيقة بالفنانين التشكيليين .. وظهرت تبعا لذلك المذاهب العقلانية والفلسفية في الفن ..

ولكن بجانب الأكاديميات نجد المراسم الحرة تتسع لممارسة الهوايات دون أي قيد ، فوجدنا انتشارها بصورة واسعة تتزايد باستمرار مع اقبال أصحاب المواهب وتزايدهم باضطراد ..

أما في عالمنا العربي فنجد أن حركة الفن نشطت في القرنين السابع عشر والثامن عشر في مصر ، وأقيمت أيام الحملة الفرنسية عدة مراسم مشهورة مثل الخرنفش وبيت السنارى ووكالة الغوري في القاهرة ، كما كان بعضها في الاسكندرية ..

وما أن افتتحت أول مدرسة عليا للفنون الجميلة في القاهرة عام ١٩٠٨

حتى كان روادها هم من خريجى هذه المراسم المنتشرة وقتئذ في مصر ..

وكذلك بدأ انشاء المعاهد الفنية في العالم العربي وارسال البعثات الفنية ، ليتسع نطاق الحركة الفنية في مختلف العواصم العربية ..

وفي الكويت أنشيء أول مرسم حر في الخليج منذ بضعة سنوات ، وان كان قد اهتم بذوى الكفاءات المتقدمة المتبلورة ، وأصبح أشبه ما يكون بمراسم للمتفرغين ..

ولذا وضع في الحسبان عند تأسيس المرسم الحر في الدوحة أن يهتم بكلا الجانبين ؛ مهمة التدريب والاعداد الفنى للمنتسبين من القاعدة ، ثم افسح المجال في المستقبل لذوى الكفاءات المتبلورة ليحصلوا على المراسم الخاصة داخل هذا المرسم الحر ..

وهكذا نرى أن المرسم الحر في دولة قطر ، قد أخذ في اعتباره التجارب السابقة ، وبنى كل خطته على أساس تنمية المواهب الشابة تحت اشراف فنى سليم بحيث يساير الركب الحضاري في البلاد .

أبو هشام

عندما يتفرغ الفنان

الفنان جمال قطب خبير الفنون

احدى لوحات متحف الملك عبد العزيز .. من أعمال الفنان جمال قطب بمدينة الرياض

والآن .. وبعد أن تعرفنا على معالم المرسم الحر ، ألا يحق لنا أن نتوقف عند الفنان الذي يشرف على هذا المشروع الجديد ..

ومشوار الفنان جمال قطب مر بمراحل النمو منذ دراسته في المرحلة الثانوية ، ويحدثنا زملاؤه عن انه كان يقيم معارض خاصة وهو في هذه السن المبكرة ويفتتحها كبار المسئولين بوزارة التربية والتعليم في ذلك الوقت

وكانت فترة الدراسة بالنسبة له فرصة ذهبية للاستمتاع الروحى والوجداني !

والجدير بالذكر أن الفنان جمال قطب بدأ ممارسته العملية في الصحافة والاشتراك في المعارض منذ بداية دراسته في كلية الفنون الجميلة ، وما ان تخرج حتى كان الرسام الأول لجميع مجلات دار الهلال التي أصبح مديراً فنيا لمجلاتها وبرز نشاطه في معظم دور النشر العربية في أنحاء الوطن العربي ..

واقام عدة معارض فنية في تخصصه ، وهو الفن التسجيلي المتحفى ، وفن اللوحة المطبوعة ، وفن الغلاف ..

ثم ذهب إلى ايطاليا في زيارات دراسية وتأثر بالفنان العالمى الكبير « والتر مولينو » وتعددت رحلاته إلى الخارج حتى أصبح السفر وزيارة المحافل الفنية والمتاحف والتعرف على كبار الفنانين العالميين هو هواياته المفضلة ، وكان أحدث زيارة فنية له هى زيارة اليابان في أول العام الماضى لدراسة المتاحف الكلاسيكية اليابانية الشهيرة ..

ولعلنا نتذكر متحف الملك عبد العزيز بالرياض بالمملكة العربية السعودية الذي أنجزه بين عامى ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ والذي يضم العشرات من اللوحات التسجيلية التي تمثل الملك الراحل مؤسس الدولة الحديثة في مختلف معاركه وبطولاته ...

كما اننا نلاحظ أن معظم أعمال الروائيين الكبار ممهورة بأعماله التي تزين واجهات المكتبات في انحاء العواصم العربية ..

ولذا فقد جاء إلى قطر بهذه الخبرات العديدة حتى يعمل على اعداد جيل من الفنانين من ذوى المواهب الفنية والتي تعمل الدولة جاهدة على تنميتها ضمن مختلف النشاطات الاجتماعية والثقافية والفنية ..

على هامش الاحتفال بمرور ١٤٠٠ سنة على الهجرة

كيف اتسعت رقعة الفن الإسلامي وامتدت في الزمان والمكان

خليل صفية

تقديم :

لا شك بأن قراءة الفن في تراثنا العربي والاسلامي تختلف من باحث إلى آخر وتتنوع بتباين المواقف والحاجات والدوافع ، وتلك مسألة مشروعة ومبررة ، لكن أن تتجه معظم البحوث والدراسات إلى جانب معين دون غيره في هذا الفن . ثم تعمم النتائج التي وصلت اليها في هذا الجانب ، على الفن بشكل عام ، متناسية عن قصد أو غير قصد الجوانب الاخرى المضيئة في تراثنا ، فهذا يعني أن الحقائق التي كشفت عنها هذه الدراسات لا يمكن ان تمثل جوهر هذا الفن في ميادينه المختلفة ، الرسمية والشعبية ، وعلى صعيد آخر نرى أن العديد من الدراسات التي تبحث في التراث الفني ينطلق أصحابها من مفاهيم النقد الأوروبي المعاصر ، المفاهيم التي تكونت مفاتيحها النقدية من الفن الغربي وعلاقته بواقعه ، واذا كان هناك ثمة علاقة بين الفن والنقد والواقع ، فكيف نعالج تراثنا الفني بمفاهيم نقدية مستعارة .

لماذا نعالج تراثنا الفني بمفاهيم نقدية مستعارة ؟

لقد ميز النقد الأوروبي المعاصر بين التصوير والزخرفة ، وفصل العمل الفني عن الجدار ، وولدت لوحة الحامل « اللوحة المسندية » التي تعرض في صالات مغلقة ، وبالتالي أدخل النقد الأوربي اللوحة سوق الاحتكارات والمزادات، وحولها إلى سلعة يقول أحد مشاهير النقد الأوربي المعاصر « هربرت ريد » : « ان الدافع الجمالي متاصل في الانسان ، لكن إلى أي مدى يربي الدين أو يمنع ذلك الدافع ؟ ان تحريم تصوير الأشكال البشرية كان نافذ المفعول في العالم الاسلامي أجمع وهذا التحريم لا يفترض ضمنا افساداً تاماً للدافع الجمالي ، وان الدافع الجمالي الذي يكبح فيما يخص الاتجاه البشري يلح على ايجاد مخرج ، هذا المخرج اتخذ في الفنون الاسلامية شكل الفن الزخرفي واللا تشكيلي » .

ويأتي من كتابنا العرب من يأخذ بهذا الرأي ، ويذهب البعض إلى أبعد من ذلك ، إلى نفي وجود فن تشكيلي في تراثنا ، وحصر هذا التراث بالأدب ، يقول الدكتور ميشال عاصي في تقديمه لكتاب « الجمالية عبر العصور » : « ان ارثنا الفكري الجمالي هذا محصور في نطاق الفكر الأدبي وحده ، وليس فيه من

معطيات الفكر الفنى خارج حدود الأدب مما يغني بقليل أو كثير لأن معظم النتاج الفني في تراثنا العربي، ان لم نقل كله، لم يتوزع على غير الأدب من انواع الفنون الجميلة الأخرى، كالرسم والنحت والرقص والموسيقى، مما أدى إلى حصر الفكر الجمالى في قطاع الفكر الأدبى وحده ».

ان عملية الفصل بين الزخرف والتشكيل هي نتاج مرحلة من مراحل تطور النقد الأوربي المعاصر، والفصل بين الزخرف والتشكيل لم يكن قائما في تراثنا الاسلامى والعربي، وفي مجمل الحضارات الانسانية القديمة، ومن جهة أخرى تبدو عملية الفصل بين التشكيل والتطبيق – أيضا – نتاج مرحلة محدودة في النقد الأوربي .. ذلك أن هذا النقد يعود الآن لمراجعة حساباته، فالدعوات الحالية القائمة في أوربا تتجه إلى ربط الفن بالعمارة والصناعة « فازاريلى – مثلا » ... أي تتجه إلى تراثنا الفنى الذي سبق الغرب بمئات السنين في ربط الفن بالصناعة والعمارة، لقد تجسد الفن الاسلامي في مختلف أشكال العمارة في المساجد والقصور والحمامات والمباني العامة، كما تجسد في الصناعات اليدوية « الخزف – النسيج – النحاس – الزجاج ... الخ » وفي الكتب.

لقد عرف الفن الاسلامى التصوير لكن من خلال العمارة والكتب والخزف والنسيج والزجاج « التصوير على الجدران – الفسيفساء – التصوير في الكتب والمخطوطات – التصوير على الزجاج – التصوير على الخزف .. » والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى ..

ان الآراء التي نفت التصوير عن الفن

وكاد يزعزع الجمال الشمر وانشد
ما الحج سيرك تأويبا وإدلاجا ولا اغتيامك أجمالا وأحداجا
الحج أن تقصد البيت الحرام على تجريدك الحج لا تبغي به حاجا
وتمتطي كاهل الإنصاف متخذا ردع الهوى هاديا والحق منهاجا

كيف نعالج تراثنا الفنىّ بمفاهيم نقديّة مستعارة ؟

الفن الإسلامى عرف التصوير من خلال العمارة والكتب والخزف والنسيج والزجاج

الاسلامى وحصرته ضمن نطاق الزخرفة قد انطلقت من ركيزتين . الأولى : التصوير بالمفهوم الأوربى « لوحة الحامل » ، والثانية : النقد الأوربى المعاصر . وهذه الركائز تتناقض تماما مع طبيعة الفن في تراثنا ، حيث الجانب الوظيفى النفعى للتشكيل والتطبيق معاً – فلا معنى للفن الا في نطاق استخدامه – وعبر هذه الفلسفة تنامى الفن الاسلامي في الحياة الشعبية وعرف طريقه إلى الحياة اليومية عبر الصناعة والعمارة . ولعل السمة التشكيلية للتصوير الاسلامى تكمن في استخدام الوحدات الزخرفية ، النباتية والهندسية ضمن عناصر مشخصة « حيوانية وانسانية » إلى جانب استخدام الكتابة العربية كقيم تصويرية .. ولعلنا نجد صدى لهذه السمة في بعض نتاجات الفن الأوربى الذي تأثر بالفن الاسلامي فقد استخدم « بول كلي » الكتابات العربية والزخارف في لوحاته ، كما استخدم « ماتيس » مختلف الزخارف الاسلامية في لوحاته ، فهل ننفي صفة التصوير عن « بول كلي » و «ماتيس» ؟!

التصوير في الفن الاسلامى

في حديثنا عن التصوير في الفن الاسلامى لا بد من التنويه باننا لا نتحدث من منظار النقد الأوربي أو مادته « لوحة الحامل » ، لكن نتحدث من خلال

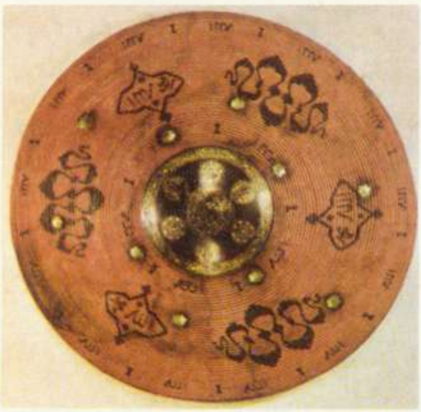

مفاهيم التصوير في الفن الاسلامي التي ربطت وبمنتهى الانسجام بين المتعة الجمالية والمنفعة . وذلك من خلال تجميل العمارة والأدوات التي يستخدمها الانسان في حياته اليومية .

لقد بدأ التصوير على الجدران مع بداية الدولة الاسلامية وملك تمايزه في العصر الأموى ، التمايز الذي انتقل بعد ذلك إلى الأندلس ، وقد استطاع النقد أن يميز بين عدة مدارس للتصوير في الفن الاسلامى ، ولعل أهم هذه المدارس ما انجزه التصوير العربي في بغداد ، حيث ظهرت أولى مدارس التصوير الاسلامى « وكانت المنمنمات هي مجال ابداع فناني العراق الذين غمسوا مراقمهم وخلصوا إلى خصوصية ، وأهم ما قدمته مدرسة بغداد هى تصاوير مقامات الحريرى للفنان يحيي بن الواسطي » .

ويرى بعض النقاد « بأن صورة الجزر الشرقية للواسطي تعتبر علامة لبداية مرحلة هامة جداً في تطور رسم المناظر الطبيعية في الفن الاسلامي » .. ان الوثائق والآثار المتبقية حتى الآن في بعض متاحف العالم تؤكد أن الفن الاسلامى عرف التصوير وبصورة متمايزة وهذه بعض الأمثلة « هناك بعض الرسوم الجدارية الباقية التي كانت تزين قصير عمرا في بادية الشام والذي ينسب إلى الوليد بن عبد الملك وتمثل الرسوم موضوعات الصيد والرقص والاستحمام وقد كشفت هذه الرسوم بعثة علمية كان يرأسها الدكتور موزيل عام ١٨٩٨ – عثر في قصر الجوسق الخاقاني بسامرا « انشاه المعتصم ٨٣١ م » على رسوم كثيرة أهمها ما عثر عليه في جناح الحريم – وقد أورد المقريزي قصصاً عن التنافس بين كبار الفنانين الذين يصورون على الجدران ، ومنها قصة من العصر الفاطمى عن المنافسة بين « قصير » المصري ، و « ابن عزيز » العراقي » . ان القاسم المشترك لمختلف أشكال وعناصر الفن الاسلامي يكمن في خصائص الأرابسك « الخط اللا متناهى – الحركة اللا متناهية » التي جمعت بين أساليب التصوير الاسلامى ومدارسه ..

خصوصية الزخرفة الاسلامية

هل كانت الزخرفة حكراً على الفن

الاسلامي ؟ من المؤكد أن مجمل حضارات العالم قد عرفت الزخرفة عبر فنونها المختلفة في النحت والخزف والتصوير الجدارى . لكن الزخرفة اخذت في الفن الاسلامى صيغة متميزة وايقاع موسيقى خاص ، وقد توصل الفنان المسلم إلى نظام هندسى معقد ، متداخل ، متشابك من خلال وحدات زخرفية بسيطة في تكوينها ، معقدة في تشكيلاتها .. وكما تميز التصوير بخصوصية الارابسك كذلك تميزت الزخرفة بالارابسك ، وتحققت عبر قيم حركية عكست الجانب الروحى والحسى في الفن الاسلامي ، كما ربطت بالعقيدة .

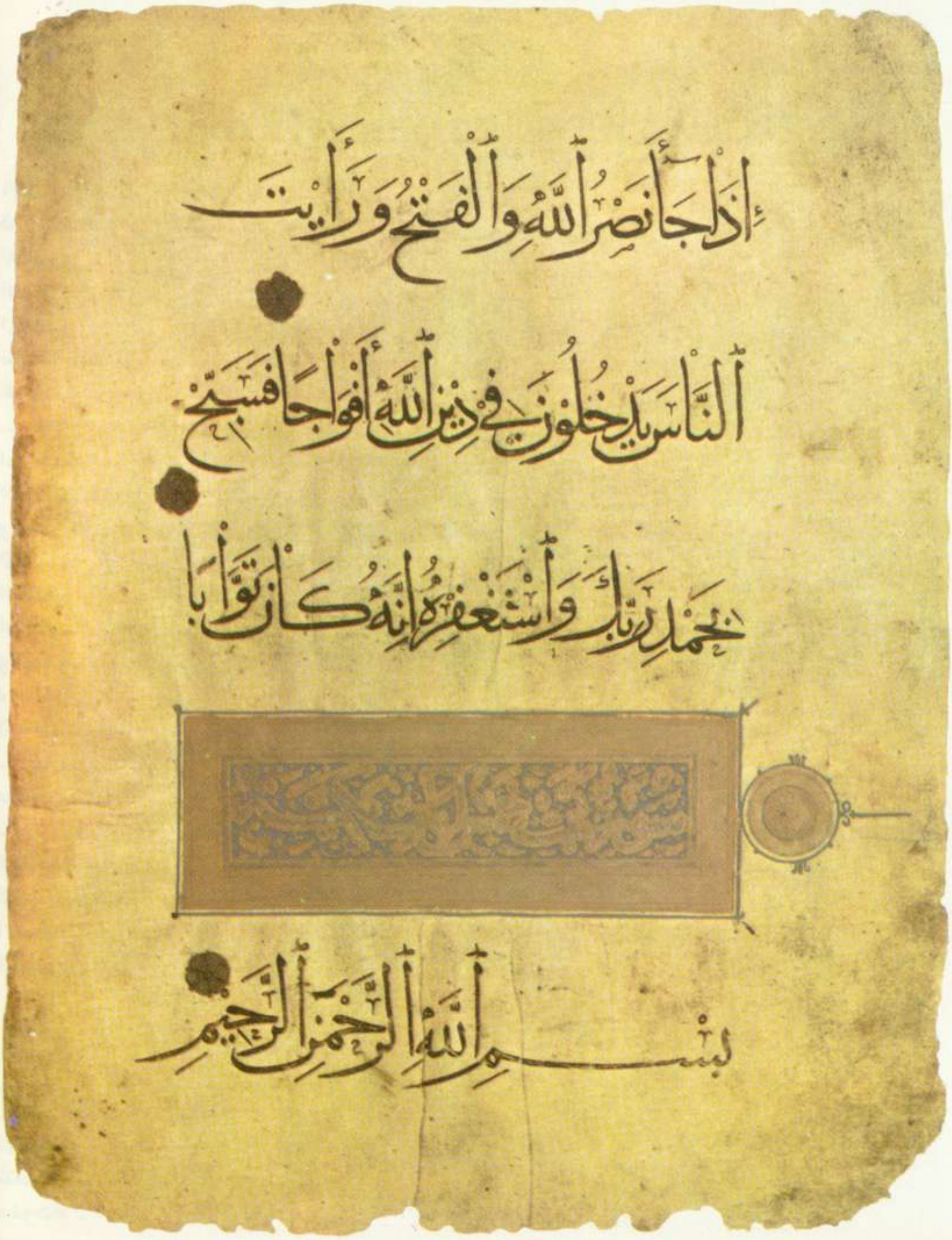

لكن ماذا عن خصائص الزخرفة ؟ هنا يمكن أن نميز بين قيمتين مختلفتين فالثبات والاحكام والاستقرار في الوحدة الزخرفية الهندسية يقابله الحركة والرشاقة والليونة والانسيابية في الوحدة الزخرفية النباتية ، وقد وفق الفن الاسلامى بين هذه الخصائص المتباينة للوحدات الزخرفية واستطاع أن يقنعنا بانسجامها وتآلفها . ومن ثم ربطت الزخرفة بالحركة اللامتناهية وتحاورت مع الكتابة العربية وطبعتها بخصائصها ، الزخرفية الهندسية في الخط الكوفي ، الزخرفية النباتية في الخط النسخي . وقد دخلت الزخرفة إلى مختلف ميادين الفن الاسلامى . دخلت التصوير الجداري في المساجد والمباني « فسيفساء المسجد الأموى – فسيفساء المسجد الأقصى ... الخ » واستخدمت في التصوير في الكتب ثم انتشرت في الحياة اليومية من خلال الأواني والأدوات الخزفية والزجاجية والنحاسية . وكان لها روعتها في المنسوجات « سجاد – أزياء » .

الكتابة العربية من الدلالة الأدبية إلى القيمة التشكيلية

« هناك حقيقة تؤكد أنه قد وجد خط يقال له – الخط النبطي – نسبة إلى الأنباط – الشعب العربي الذي أسس في قرون سبقت ميلاد المسيح وامتدت به – مملكة تتسع من شمال الحجاز إلى دمشق ، وان هذا الخط « الخط النبطي » يحمل في صوره قديمها وحديثها جمهور العناصر التي تألف منها الخط العربي في رسمه واملائه واتصال حروفه وانفصالها ، فيه كل ما يتسم به خطنا من سمات ، كما يشهد بذلك ما كشف عنه من ألواح قديمة في جهات مختلفة »

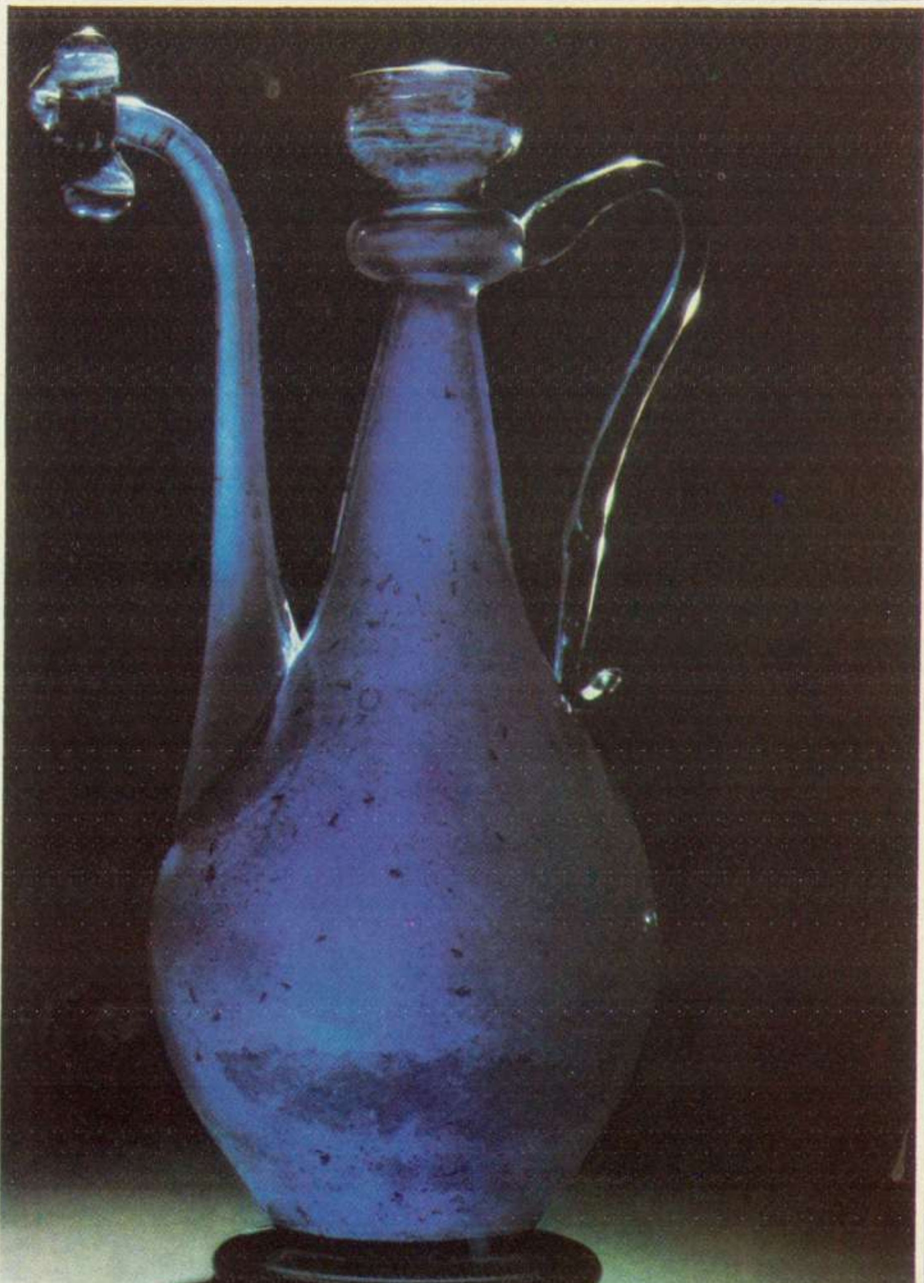

وعلى صعيد الفن الاسلامى هناك نمطان من أنماط الخط ، « النسخي » و « الكوفي » وقد ارتبط الخط منذ البداية بالدلالة الأدبية « المعنى » والتشكيلية « تصوير » حيث اعتمدت الآيات القرآنية كمادة أساسية ، وهذه الدلالة الأدبية أحيطت بشيء من القدسية ، وقد تنوعت مجالات وميادين الكتابة ، كتطبيق وتشكيل ، فهناك الأعمال الفنية التي تعتمد الكتابة كعنصر تعبيرى أساسى « النحت البارز على الخشب » . وهناك الكتابة إلى جانب الزخرفة في التصوير الجدارى والرسم على الزجاج والحفر على النحاس ، أي أن الكتابة العربية كعنصر جمالي قد استخدمت في مختلف ميادين الفن الاسلامى . وقد تحولت في بعض استعمالاتها إلى قيمة رمزية تحمل إلى جانب البعد الأدبى « المحتوى » والتشكيلي « تصوير » والجمالي « التكوين – الحركة » بعداً آخر فلسفيا يعكس علاقة الفنان المسلم بالعالم الخارجي المحيط ، العلاقة الحسية الأكثر حضوراً في نتاجات الفن الاسلامى فالفن الاسلامي لم يكن روحانيا بمجمله بل ارتبط بالحياة وقام بتجميلها أي ربط الفن بالجانب الوظيفي « المنفعة » .

نقول ان الوظيفة الأكثر انتشاراً في الفن الاسلامى تكمن في ربط القيم الجمالية بالمنفعة من حيث تجميل كل الأدوات التي يستخدمها الانسان من الاناء المزخرف الذي يشرب منه إلى السيف المزخرف الذي يقاتل به وهذا الانتشار الواسع للفن الاسلامى عبر الصناعة والعمارة كان العامل الأساسى في تنوع القيم الخطية واللونية ، وقد ملك هذا الفن امكانية التطور واتسعت رقعته في المكان وامتدت في الزمان حتى يومنا هذا .

● دمشق : خليل صفية

نبيل خالد الأغا

نابلس

جبل النار يلتهب

- إنها رئة الجهاد ونبض البطولات، والحرف البارز في موسوعة النضال الفلسطيني
- يضم قضاء نابلس "عمورية" التي صرخت منها المرأة الهاشمية: وامعتصماه.. وامعتصماه
- إنها مدينة عربية صميمة، بناها أجدادنا الكنعانيون منذ ثلاثة آلاف عام تقريبا

ايها الغادي على نابلس
جئت خيرَ الأرض والناس الكراما
الفناء الرحب والعيش الرَّضيّ
والهواء العذب والماء الجماما
بوركَتْ أرضا ولا زال بها
يتوالى السحب وَجْدًا وغراما

انها رئة الجهاد والاستشهاد، ونبض الثورات المتلاحقة، والعنوان البارز في موسوعة النضال الفلسطيني.

انها موطن ثر لمئات الشخوص في شتى قنوات المعرفة، والحياة.

انها منبع الماء ومنبت الخضرة. وموئل الوجه الحسن!

انها نابلس .. إلتي اقترن اسمها بجهادها الطويل، ومقارعتها الغزاة على امتداد تاريخها الموغل بعداً وعمقا.

عندما قصدتها في الصيف الفائت كانت تداعب خاطري نسمات حياتها بماضيها وحاضرها، وتتراءى أمامي اضخم مزارع الزيتون في فلسطين برمتها، وفي جذوع الزيتون البعيدة العمق، العميقة البعد كنت أمعن النظر .. ولعلني كنت استقرؤها شهادة الميلاد، وأخذت أردد مقولة استاذنا مصطفى مراد الدباغ: ان الديار النابلسية هي أرض الشخصيات البطولية الاسطورية ولكنها في الوقت نفسه أرض الفقهاء والعلماء والمثقفين.

شهادة الميلاد

لقد قُسمت فلسطين في أواخر عهد الانتداب البريطاني إلى ستة الوية هي: الجليل، حيفا، السامره، القدس، اللد، غزة ..

وكان لواء السامرة يتالف من ثلاثة اقضية هي: نابلس، وجنين، وطولكرم. وتمتد جبال منطقة نابلس من جنوب «مرج بن عامر» لتنتهي في جبال القدس جنوبا، وأعلى قمم هذه الجبال هي قمة «جبال عيبال» والتي ترتفع عن سطح البحر ما يقرب من ألف متر، وفي مواجهته يقع «جبل جرزيم»، وفي الوداى المنحصر بين هذين الجبلين تقع مدينة نابلس العربية الفلسطينية المحتلة.

وقد عرف لواء السامرة (بمثلث الرعب) أو (المثلث الحديدى) نسبة إلى الشكل الهندسى لخطوط المواصلات

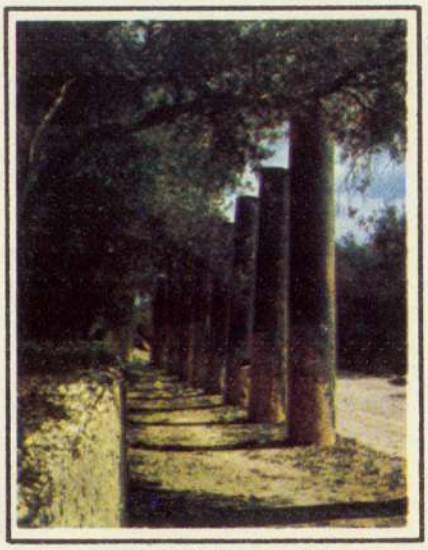

أعمدة «سبسطية» من عصر الاحتلال الروماني.

القائمة بين مدنه الثلاث التي تأخذ شكل المثلث، أما الصفة فقد اطلقت عليه بالنظر لما أظهره ــ ويظهره ــ أهله من الآيات البينات في ميادين البطولة والبسالة والفداء.

ويضم قضاء نابلس أكثر من (١٣٠) قرية عربية من أشهرها: عمورية التي لها ذكر مع الخليفة المعتصم، ومنها المرأة الهاشمية التي صاحت: وامعتصماه، بلاطه، حجه، حواره، كفر قدوم، سبسطية، سلفيت، طلوزه، طوباس.

ونابُلُس ــ بضم الباء واللام ــ بلدة عربية بناها أجدادنا الكنعانيون قبيل أكثر من ثلاثة آلاف عام، وكانت تعرف حينئذ باسم «شكيم» وتعنى المنكب، أو الكتف.

من التاريخ

ويقال بأنه قد نزلتها طائفة من قبيلة «ثمود» فى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد.

بينما كان «الجرزيون» العرب يسكنون فيها خَيَّمَ بالقرب منها سيدنا ابراهيم الخليل بعد أن هاجر من العراق فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، ويقال أيضا بأن الجبل الذى عزم سيدنا ابراهيم عليه السلام أن يقدم ابنه اسماعيل ضحية عليه كان جبل «جرزيم» وليس جبل «موريا» فى القدس كما يقول اليهود

وعندما انتشرت الديانة المسيحية فى البلاد دخلت نابلس، واشتهر منها عدد من القديسين من بينهم القديس

نابلس .. منظر عام

حدثت بمنطقة نابلس عدة حروب فاصلة من بينها : «مجدو» - «عين جالوت» - «صانور»

لقبها المقدسي، بدمشق الصغرى، ووصفها العمري بأنها مدينة لا تحتاج إلى غيرها

« بوستينوس » . وفى القرن الرابع صارت مركزا لاحدى الاسقفيات الشهيرة

ويحدثنا التاريخ بان أشهر المعارك التى حدثت فى منطقة نابلس معركة « مجدو » فى العصور القديمة ، ومعركة « عين جالوت » فى العصور الوسطى ، ومعركة « صانور » فى العصور الحديثة ، وكذلك حروبها مع البريطانيين واليهود فى السنين المعاصرة .

نابلس والفتح الاسلامى

بعد أن فتحت جيوش المسلمين غزة وماجاورها فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه توجهت الى سبسطية ونابلس ، وتم فتحها بقيادة عمرو بن العاص بعد أن طمأنهم على أنفسهم وأموالهم كما حدث فى القدس.

وقد اشتهرت نابلس منذ القدم بمياهها وخيراتها الكثيرة حتى لقبها المؤرخ المقدسى « بدمشق الصغرى » .

أما المؤرخ العمرى فقد وصفها بأنها « مدينة يُحتاج اليها ولا تَحتاج الى غيرها » وذلك نظرا لوفرة خيراتها .

وقد جاء فى « الانس الجليل » روى المشرف بسنده عن كعب قال :أحب البلاد الى الله الشام ، وأحب الشام الى الله تعالى القدس ، وأحب القدس الى الله تعالى جبل نابلس ، ليأتين على الناس زمان يتماسحونه بالحبال بينهم .

وقد زارها الرحالة ابن بطوطة عام ٧٢٥هـ . ومن قبله زارها وذكرها الرحالة محمد بن حوقل عام ٣٦٧هـ - ٩٧٧م فقال « ليس بفلسطين بلدة فيها ماء جار سواها ، وباقى ذلك شرب أهله من المطر ، وزرعهم عليه ، وبها البئر التى حفرها يعقوب ، وهى مدينة السامرة » .

وقد ذكرها يعقوب الحموى فى معجم البلدان فقال عنها : مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها، كثيرة المياه لانها لصيقة فى جبل ، وبظاهر نابلس جبل ذكروا أن آدم عليه السلام سجد فيه .

وقد ذكر المؤرخون العرب بأنه كان بنابلس ٢٢ عينا ثرة بالماء ، وقد شبهها المؤرخ الدمشقى بقصر محاط بحدائق غناء .

بئر يعقوب (السامرية)

تعتبر هذه البئر من أشهر آثار نابلس، وتقع وسط السهل الفاصل بين جبلى عيبال وجرزيم في طرفها الغربي ، ويقال بأن هذه البئر هى التى حفرها النبى يعقوب عليه السلام عندما حضر إلى « شكيم » .

وعند هذه البئر أيضا التقى السيد المسيح بالمرأة السامرية عندما جلس ليستريح من عناء رحلته التى غادر فيها القدس متوجها إلى الجليل ، وعندما شعر السيد المسيح بالظمأ طلب من السامرية ان تسقيه ماء ، فدهشت لطلبه وردت عليه قائلة : كيف تطلب مني ماء وأنت تعلم باني سامرية ؟

وبالقرب من البئر يوجد قبر يعتقد الكثيرون بأنه قبر النبى يوسف عليه السلام .

نابلس والصليبيين

لقد استولى الصليبيون على نابلس في أواخر تموز عام ١٠٩٩ م بقيادة الضابط تنكرد واقام (بلدوين) الأول قلعة لحمايتها على رأس جبل جرزيم .

وقد تعرضت نابلس لأذى الصليبيين عند احتلالهم لها ، لأنها لم تكن محصنة ، وقد عاملوا سكانها بقسوة بالغة نظراً للغارات الليلية التي كان يشنها الأهالى على معسكرات الصليبيين .. وامام هذه النقمة اضطر البعض للهجرة إلى مصر والشام .

ولم يقف الأذى بالنابلسيين عند هذا الحد ، ففي عام ٥٩٧ هـ تعرضت المدينة لزلزال عنيف هز جميع اركانها ، ولم تسلم منه سوى حارة « السمرة » ، وقد توفي على أثر هذا الزلزال حوالى ثلاثين ألف نسمة كما ورد في « النجوم الزاهرة » .

وبقى المسلمون والصليبيون يتداولون نابلس فيما بينهم إلى أن استقرت نهائيا في أيدى المسلمين زمن السلطان الظاهر بيبرس .

شموع نابلسية

لقد أعطت نابلس للمجتمع الاسلامى كثيراً من الشخصيات البارزة التي

نابلس

● لقد ساهم كثير من الشخصيات النابلسية في إضاءة دروب المعرفة الإنسانية

ميدان الساعة في نابلس

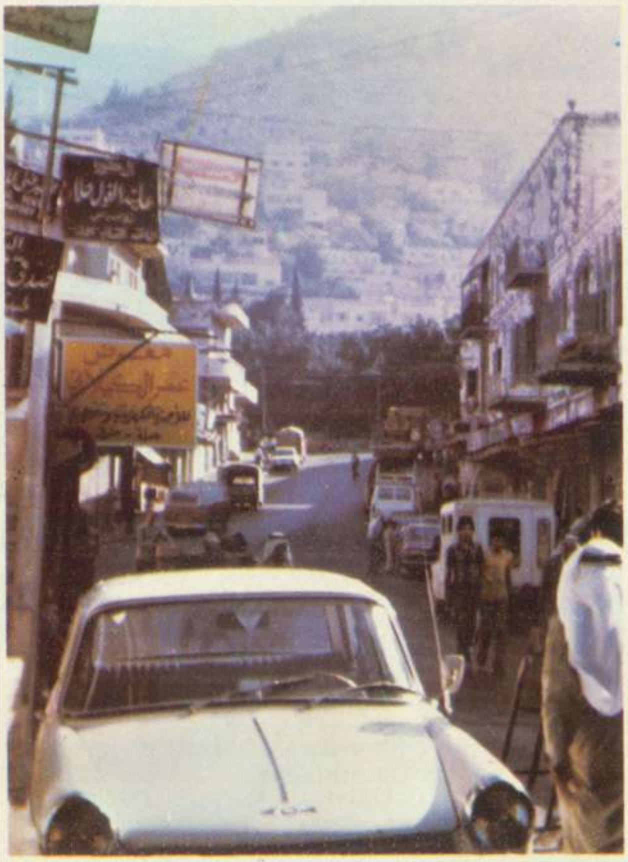

احد الشوارع القديمة في نابلس

صورة ناطقة في غنى عن كل تعليق !!

ساهمت في اضاءة دروب المعرفة الانسانية من شعراء وعلماء وفقهاء ، ومحدثين ، ووزراء ، وقضاة وذلك على امتداد التاريخ الاسلامى من أمثال : الشاعر النابلسى الضرير ، والمصلح محمد بن أحمد الرملي الذي كاد له جوهر الصقلي فأمر بسلخه وحشو جلده تبنا وذلك عام ٣٦٣ هـ ! ادريس بن يزيد النابلسى ، الشيخ نصر أبو الفتح الفقيه النابلسى الشافعي وكان علامة أماما مفتيا متبتلا ، أبو عبد الله الديباجي ٤٦٢ هـ وكان أماما جامعا بين العلم والعمل ، أحمد أبو العباس النابلسى خطيب دمشق عام ٦٢٢ هـ ، والكاتب المشهور أحمد بن مظفر النابلسى . وعبد الرحمن رشيد الدين النابلسى الذي مدح صلاح الدين الأيوبي حين فتح بيت المقدس في قصيدة طويلة قال فيها :

الله أكبر صوت تقشعر له
شم الذرى وتكاد الأرض تنفطر
يا مالك الأرض مهدها فما أحد
سواك من قائم للعهد ينتظر

أما في العصر المتأخر ونظر لازدياد عدد سكان نابلس وزيادة وعيهم ، فقد ظهرت من بينهم شخصيات قيادية أدت دورها ثم انطفأت حياتها ولم تنطفىء آثارها ، ومنهم :

● ابراهيم عبد الفتاح طوقان شاعر فلسطين بلا منازع (١٩٠٥ ـ ١٩٤١) ، وهو شقيق الشاعرة الفلسطينية المعروفة فدوى طوقان الصامدة في نابلس ، والملهبة حماس الجماهير بقصائدها الثوريـة ، ويروى في هذا المجال أن موشى ديان مجرم الحرب الصهيوني قد قرأ قصيدتها المشهورة «سبع ساعات انتظار» فقال معلقا عليها : ان كل قصيدة كهذه كفيلة بأن تنبت عشرة فدائيين !!

● عادل عمر زعيتر (١٨٩٧ ـ ١٩٥٧) كان عضوا بالمجمع العلمي العراقي ، وقد ترجم إلى العربية أكثر من ٣٦ كتابا فرنسيا لألمع كتاب فرنسا وفلاسفتها .

● فائق فريد العنبتاوي (١٨٩٦ ـ ١٩٦٠) وكان علما بارزاً من اعلام الوطنية .

● عوني عبد الهادى (١٨٨٨ ـ ١٩٧٠) ارتبط اسمه بالحركة الوطنية بعد اعلان الدستور العثمائي عام ١٩٠٨ وهو أحد مؤسسى حزب الاستقلال الفلسطيني ١٩٣١ م ، وقبيل وفاته كان يشغل منصب رئيس اللجنة القانونية في الجامعة العربية .

● نهاد القاسم (١٩٠٥ ـ ١٩٧٠) اشتغل فترة طويلة في القضاء ، ثم أصبح مسئولا عن هيئة التفتيش فيه ، وقد شغل عدة مناصب وزارية في الجمهورية العربية السورية .

● من أبناء نابلس : إبراهيم طوقان .. عادل زعيتر .. عوني عبد الهادي .. نهاد القاسم .. قدري طوقان !

● عندما هب اللواء العراقي الباسل لنجدة أهل جنين ، ودحر القوات اليهودية .. !

بعض افراد الطائفة السامرية في نابلس

● الحاج عادل حماد – العلامة قدري حافظ طوقان – عبد اللطيف صلاح – أمين التميمي – روحي عبد الهادي – سليمان طوقان – عبد الرحيم الحاج محمد – عبد الرحيم محمود .

وهناك شخصيات أخرى كثيرة لا تسعفنا الذاكرة لاستحضار اسمائها .

طولكرم

هي ثاني مدن « مثلث الرعب » موقعها متوسط من جميع الجهات ، فهي نقطة اتصال بين السهول الساحلية والمرتفعات الوسطى ، اذ تبعد عن البحر المتوسط ١٥ كم شرقا ، كما انها في موقع متوسط بين أعظم ميناءين في فلسطين حيفا ويافا ، وقد تأسست فيها أول مدرسة زراعية في فلسطين هي مدرسة خضوري الثانوية .

ويروى العلامة العربي (ابن خلدون) ان مدينة طولكرم هي نفسها (اجنادين) التي نشبت فيها معركة اجنادين الشهيرة بين العرب بقيادة عمرو بن العاص وجيوش الروم عام ٦٣٨ م .

وفي قضاء طولكرم نحو (٨٠) قرية عربية من أشهرها : قلقيلية التي تتميز بشبابها المتدين – عنبتا – عتيل – دير الغصون – شويكة – بلعا – عزون – كفر قاسم – الطيبة – الطيرة .

جنين

هي ثالث مدن « المثلث الحديدي » تمتد على شمالها السهول الخصبة ، وتحيط بها بعض التلال التي تشكل مراع جيدة ، ومن هنا كانت شهرتها في المنتوجات الحيوانية .

وقد لعبت جنين دوراً مهما في الحرب الفلسطينية عندما هاجمها الصهاينة عام ١٩٤٨ بست كتائب ، واستطاعوا احتلال معظم ارجائها عدا قلعتها الحصينة ، وبها بعض المقاتلين الفلسطينيين ، فهب لنجدتهم اللواء العراقي الخامس بقيادة البطل عمر علي وتمكن من هزيمة المعتدين ودحرهم منها بعد أن أوقع بهم أكثر من ٣٥٠ اصابة .

ولكنها في السادس من حزيران عام ١٩٦٧ هوت في مستنقع الاحتلال ، ولم تجد من يهب لنجدتها من العرب .

يضم قضاء جنين (٧٤) قرية عربية من أهمها : عرابة – دير غزالة – قباطية – الرامه – صانور – الطيبة – يعبد – اللجون – المزار – أم الفحم .

الطائفة السامرية

تتواجد في مدينة نابلس أصغر طائفة دينية في العالم هي طائفة السامريين ، وقد عاشت هذه الطائفة في صراع مستمر مع اليهود من جانب ومع الرومان من جانب آخر ، مما دفع أفرادها للقيام بثورات مستمرة عام ٤٧٤ م ضد الامبراطور زينو ، فاستشاط منهم غضبا وطردهم من مقر اقامتهم في جبل جرزيم ، وبنى على الجبل كنيسة ضخمة ، وتكرر الأمر ثانية زمن الامبراطور الروماني جوستنيان ، فجدد ايذاءهم مما اضطر بعضهم للهجرة ، والبعض الآخر لاعتناق المسيحية تهربا من الأذى . ولم تشعر هذه الطائفة بالدعة والأمان الا بعد الفتح الاسلامي لنابلس ، حيث أصبح أفرادها يمارسون شعائرهم الدينية بحرية مطلقة .

ومن الطريف ما يروى بأن عدد أفراد هذه الطائفة قد ظل يتناقص باستمرار حتى وصل عددهم في بداية القرن السادس عشر إلى خمسة رجال وخمس نساء !!

أما اليوم فيقدر عددهم بألف نسمة تقريبا .

ويرى السامريون بأنهم ورثة بني اسرائيل ، وحماة التوراة الحافظون لوصاياها العشر ، وهم بقية الاسباط العشر .. أولاد سيدنا يعقوب عليه السلام .

نابلس

لماذا يتم إعدام أطفال الطائفة السامرية في اليوم الثامن لولادتهم

وخلال وجودي في الأرض المحتلة اطلعت على تحقيق صحفي اجراه محرر جريدة « القدس » مع سكرتير الطائفة السامرية ، وقد جاء فيه بأن احد كهنتهم ويدعى « صدقه » قد قام قبل ٣٠٠ عام بجمع شمل العائلات السامرية للاقامة في نابلس حيث كانت موزعة في صرفند وغزة والشام .

وتتكون الطائفة من عائلات خمس هي : الكهنة — اللطيف — صدقة — صداوى — مفرجي .

الجبل قبلتهم !!

وترتكز الديانة السامرية على خمسة اركان : ١ — الاعتقاد بوحدانية الله . ٢ — الايمان بأن موسى أعظم الرسل وخاتمهم . ٣ — التوراة هي كتاب الله المنزل على موسى . ٤ — ان جبل جرزيم هو القبلة ومركز الحج . ٥ — الايمان باليوم الآخر .

وعندما سأله محرر الصحيفة عن الفرق بين ديانتهم وديانة اليهود أجاب : ان أهم خلاف هو أنه ليس للسامريين أي ايمان في القدس ، وايماننا ينحصر في جبل جرزيم فقط ، والخلاف الآخر هو أننا لا نؤمن الا بالعهد القديم من التوراة ، وهو الاسفار الخمسة الأولى من التوراة التي نزلت على سيدنا موسى ، والتي كتبت من قبل الكاهن ناجى بن خضر بن هارون أخي سيدنا موسى ، وان هذه التوراة مكتوبة على جلد ماعز ومحفوظة لدينا ، وقد كتبت بعد موت سيدنا موسى بثلاثة عشر عاما .

أما اليهود فيؤمنون بأسفار أخرى غير الاسفار الخمسة التي نؤمن نحن بها .

والسامريون جميعا يتكلمون العربية بلهجتها النابلسية المحببة ، أما لغتهم السامرية فيستعملونها في طقوسهم الدينية . والسامريون لا يتزوجون الا من بعضهم البعض ، والسامريات يسفرن على السامريين الا انهن يتحجبن عن غيرهم من الرجال . وهم لا يأكلون من أكلات غيرهم ، ولا يجمعون بين أكل اللحم واللبن في وجبة واحدة ، ومن ضمن عاداتهم التي تصل إلى مستوى القانون انهم يحتمون ختان (طهور) الطفل في اليوم الثامن لولادته ، وتقضى شريعتهم بأعدام الطفل اذا لم يتم ختانه في اليوم الثامن ، ولا يمكن قبول أي عذر للتأخير !!

وابناء الطائفة السامرية يحملون جوازات السفر الأردنية حتى هذا اليوم ، وقد نعموا بحرية العبادة وحرية التنقل وجميع الحريات التي كفلها لهم الدستور العربي الأردني قبيل الاحتلال الصهيوني لنابلس عام ١٩٦٧ .

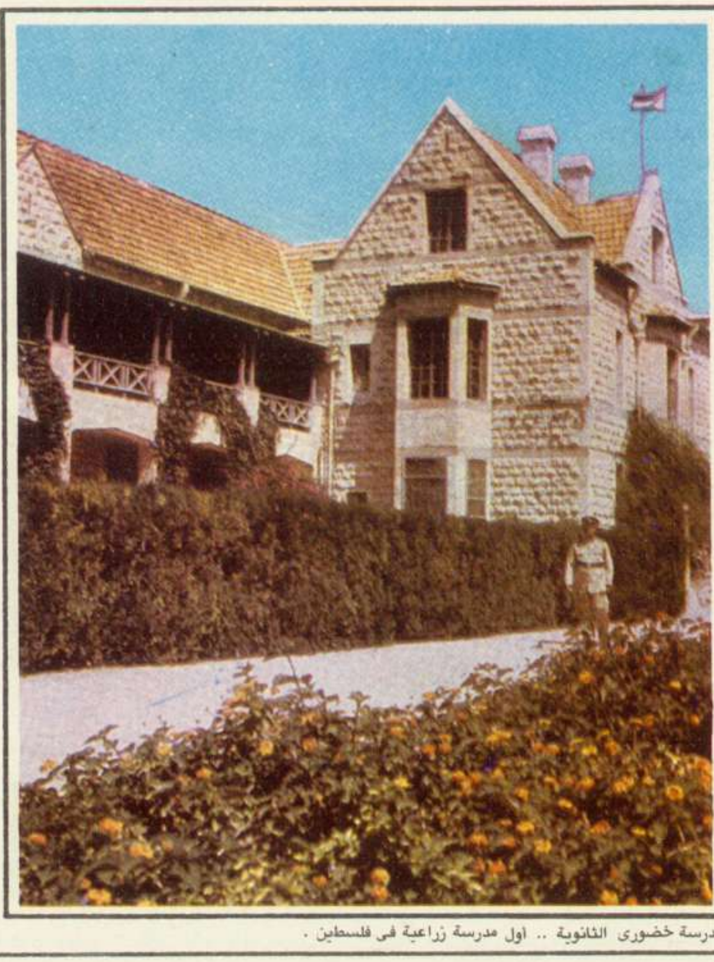

مدرسة خضورى الثانوية .. أول مدرسة زراعية فى فلسطين .

جانب من جبل جرزيم يحتضن جزءا من نابلس.

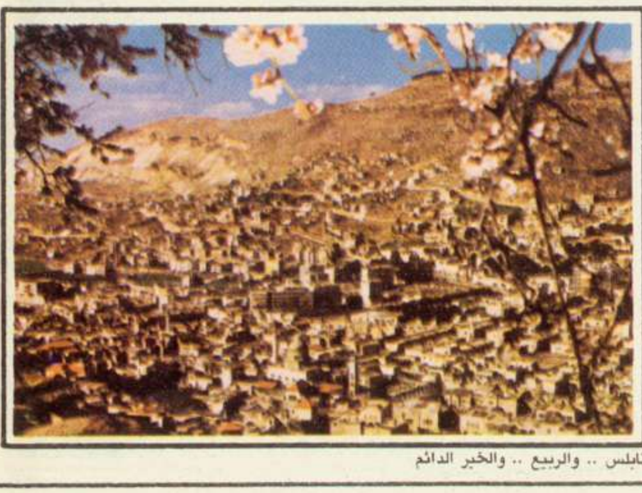

نابلس .. والربيع .. والخير الدائم

● الصابون النابلسى والكنافة النابلسية والزيت النابلسى أسماء معروفة فى الوطن العربى
● إن جبل النار يلتهب .. وسيبقى ملتهبا حتى يصدح التاريخ بأغنية العودة الظافرة

أما اليوم فقطعا لا ينعمون بتلك الحريات ، لأنهم يشعرون في ظل الاحتلال بأنهم في مركز ضعيف من قبل خصمهم الديني والقومي على السواء .

شهرة واسعة

لمدينة نابلس شهرة فائقة في صناعة « الصابون النابلسى » الذي يمتاز بجودته العالمية وباعتماده كلية على زيت الزيتون النقي في تركيبه ، وتطلبه جميع الاسواق في الشرق الأوسط . ويوجد حاليا بنابلس ما يزيد عن ٦٥ مصنعا له . ويرجع عهد أكثرها إلى القرن التاسع عشر .

وقد عمدت سلطات الكيان الصهيونى التى سرقة هذه العلامة التجارية المشهورة وأصبحت تسوق الصابون النابلسى فى كثير من دول العالم ، وتزهو بأن هذه نماذج من مهاراتها الفنية . تماما كما سرقت التراث الشعبى الفلسطينى برمته ونسبته الى ما تسميه تراثها الشعبى.

ان شهرة نابلس بالزيت والزيتون والصابون قديمة العهد ، وقد كتب الانصارى الدمشقي في القرن الرابع عشر الميلادي « لقد خص الله تعالى نابلس بالشجرة المباركة وهي الزيتون ، ويحمل زيتها إلى الديار المصرية والشامية والى الحجاز والبراري مع العربان ، ويحمل إلى جامع بني أمية منه في كل سنة الف قنطار بالدمشقي ، ويعمل منه الصابون الراقي ، ثم يحمل إلى سائر البلاد التي ذكرنا ، وإلى جزائر البحر الرومي » .

وبسبب جودة المراعي في منطقة نابلس جادت بها صناعة الجبن والسمن البلدي الممتاز ، وبسبب مهارة وذوق أهلها تفوقوا وتفردوا في صناعة الكنافة النابلسية ذات الشهرة الواسعة .

وهكذا .. أصبح الصابون النابلسى ، والزيت النابلسى ، والكنافة النابلسية اسماء تجارية معروفة في كافة ارجاء الوطن العربي .

وأصبح « جبل النار » علامة مميزة لصلابة النابلسيين في الحق ، ورمز لنضالهم الدءوب ضد الغاصبين والغزاة وأصبحت جامعة النجاح بنابلس - كما كانت الكلية من قبل - منارة اشعاع للعلم والوطنية . وتمتاز نابلس أيضا بعراقة عائلاتها ذات الجذور البعيدة ، والاصالة القومية .. والدينية .. ونذكر من هذه العائلات : طوقان - عبد الهادي - الشكعة - النابلسى - أبو حجله - العمد - الخالدي - المصري - النمر - كنعان - الطاهر ، وهناك عائلات أخرى عريقة ولكن لا تسعفنا الذاكرة أيضا لاستحضار اسمائها !

جبل النار والاحتلال

ان لجبل النار من اسمه النصيب الوافر ، فأهله الذين صدوا جحافل نابليون ، وهزئوا بجيش الجزار - وسخروا من قوات ابراهيم باشا .. ودكوا قوات بريطانيا يسطرون اليوم ملاحم نضالية مشرفة في سفر البطولة العربية ضد « جيش الدفاع الاسرائيلى » ويتحدون بصلابتهم كل مشاريع الاستيطان الصهيوني .. وسرقة الأراضى العربية . ان اهالي « جبل النار » قد بروا بقسم التضحية الذي أخذوه على أنفسهم .. وها هي قضية رئيس بلدية نابلس « بسام الشكعة » تحتل مكانا بارزا على الساحة العربية والدولية .

وها هي دولة العدوان اليهودية ترضخ صاغرة الجبين أمام صلابة أهلنا في الأرض المحتلة ، وتتراجع عن قرارها بابعاده من وطنه .. وتستقبله نابلس استقبال الظافرين .

ان جبل النار يلتهب ، وسيبقى ملتهبا حتى تميد الأرض من تحت أقدام الصهاينة ، ويصدح التاريخ بأغنية العودة الظافرة إلى فلسطين .

نبيل خالد الأغا

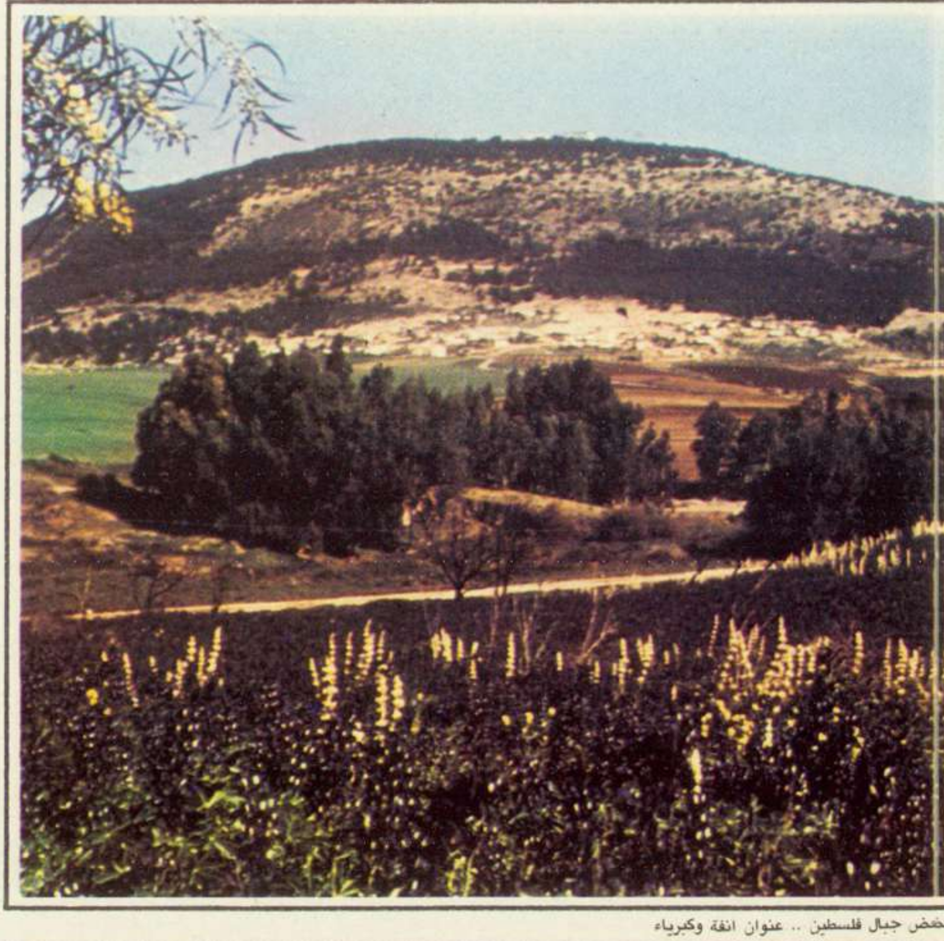

بعض جبال فلسطين .. عنوان انفة وكبرياء

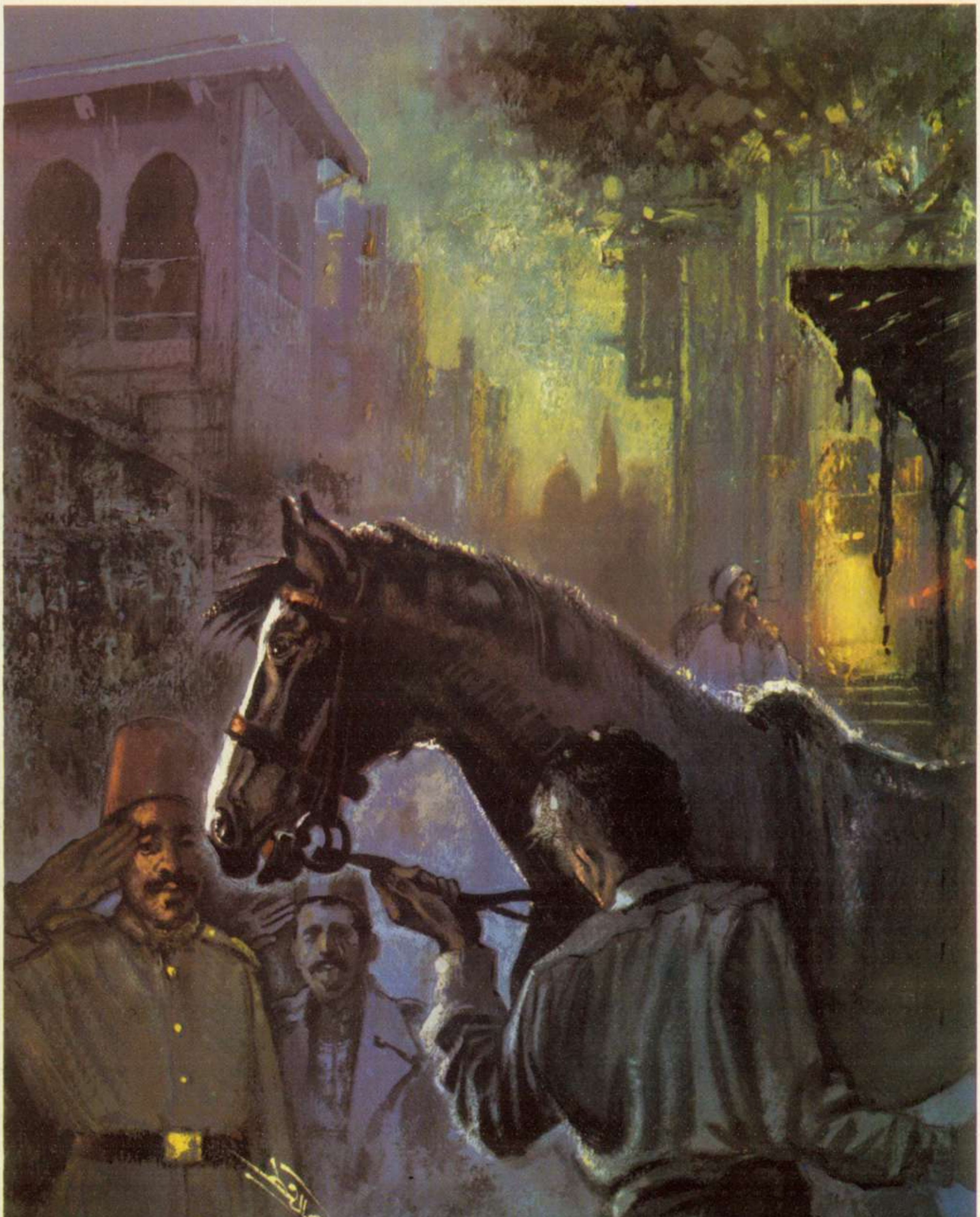

وأخيراً أصبح بطلاً

د. حسين مؤنس

عندما وقعت هذه الحكاية كنت أعمل مدرسا . كنت في مستهل معركتي مع الحياة ، وكنت أقطن في شقة صغيرة في الطابق الارضي من دار متواضعة في شارع صغير متفرع من شارع المنيل بالقاهرة . لم تكن القاهرة قد عرفت زحام اليوم ، وكنت تستطيع التمتع فيها بحياة هادئة معقولة حتى في شقة في الدور الارضي من ذلك الحي الصاخب بالحركة اليوم حتى انك لا تستطيع النوم فيه وان كنت في الدور العاشر من عمارة في المعادي .

وكانت الميزة الكبرى لهذا المسكن انه كان له مدخل خاص به في نهاية ممر طويل . وكانت متعتي أن أغلق الباب الخشبي المهلهل لذلك الممر بعد العشاء فأحس انني أسكن فيلا خاصة بي ، فان هذا المدخل الخاص كان يجعلني بعيدا عن كل سكان البيت وأولادهم الذين كانوا يفوقون العفاريت كثرة وشقاوة .

وفي اليوم الذي بدأت فيه الحكاية كنت أطل من نافذتي على الممر بعد المغيب . كنت متعبا جدا ، فقد كان اليوم في المدرسة حافل بالدروس في المدرسة ، ثم أعطيت ثلاثة دروس خصوصية لثلاثة أولاد في غاية الغباء والنفور من كل ما يقرأ ويكتب .

وفجأة ، والنعاس يملؤ عيني ورأسي حدث ما لم يكن لي في حسبان ..

سمعت ضجة هائلة . خيل لي أن سيارة ارتطمت بشيء ، وتصايح الناس ، ثم تعالى ضجيج الناس من بعيد ، وسمعت أصواتا تصيح : « حوش يا جدع الحصان ! فك وهرب .. دخل من هنا ، من هذه الحارة ! ثم اختلطت الاصوات وتزايد الضجيج ولم أعد أفهم شيئا .

بعد لحظات خيل الي انني أسمع وقع جري حصان . كانت ضربات اقدامه تقترب ويعلو صوتها . ثم رأيته مع أن الظلام كان قد هبط ثم ريعت نفسي وأنا أراه يدخل ممر مسكني ويضطرب ويصهل فيه ، لا أدري ما الذي جعلني أجري واقفز من نافذة تطل على الشارع . ثم أسرعت فأغلقت الباب الخشبي لمدخل الممر . ثم نظرت فاذا عربة يد مركونة الى جانب جدار البيت ، فدفعتها نحو الباب الخشبي لأحقنه . أدركت ان الناس ولا شك سيتبعون الحصان فخفت عليه منهم . أحسست انه هارب من ظلم كبير . طول عمري أحب الخيل ولهذا كنت أفهمها . كان الحصان قد كف عن الاضطراب داخل الممر وسكن تنفسه وأصبح عاديا . عدت الى بيتي من نفس النافذة .

ونظرت من النافذة المطلة على الممر في حذر . لم أكن أريد أن أخيف هذا المسكين . كان ظهره في متناول يدي . بكل حذر مددت يدي ولمسته فنفر وعاد اليه الخوف وتعالى تنفسه . جعلت أمر على ظهره بيدي في خفة مرة بعد مرة . هذه الهدهدة تطمئن الخيل . بعد قليل كانت يدي تمر على ظهره وصوتي يهدئه : لا تخف يا بدر .. لا تخف .. لا تخف .. أنا معك يا بدر .. لا أدري كيف جرى اسم بدر على لساني . كان اسم حصان لي في أرضنا في القرية .

شيئا فشيئا اطمئن الي الحصان ، ودار في هدوء لكي يقترب مني بوجهه ويعطيني رقبته لأمر عليها بيدي . ان الخيل حيوانات عاطفية جدا . انها مرهفة الاحساس ويسرها أن تمر بيدك في رفق على رقبتها وجانبي وجهها . كلما طال الوقت اقترب بوجهه مني فمددت يدي على جبهته وأنا أكلمه وأداعب غرته . كان شعره ناعما كالحرير . هذا حصان أصيل ، ماذا جرى له يا ترى؟

وأقبل الناس من بعيد باحثين عن الحصان وتعالى صياحهم . لم ينفر ولا خاف بل لعله لم يسمع لهم صوتا. هكذا الخيل اذا وجدت من تأنس اليه لم تعد تخاف شيئا . كان يرفع رأسه ويهزه . تلك علامة طيبة . انه مسرور . بعد أن مضى الناس دخلت أبحث عن طعام له . لحسن الحظ كان عندي في المطبخ خستان . أثبته بهما وناولته واحدة فالتهمها التهاما . المسكين كان جائعا جدا . أطعمته الثانية . ثم مضيت فملأت جردل ماء، وفتحت باب مسكني وأنا أناديه باسمه وأكلمه . الان هو يعرفني بصوتي ولا يفزع ، ووضعت جردل الماء فشرب كثيرا جدا وأنا أربت ظهره وأمر بيدي على رقبته وأكلمه . الان هو يقترب مني ويحك وجهه في كتفي .. أصبح حصاني . لابد للحصان من صاحب حنون حتى يستطيع الحياة .

شيئا فشيئا أخذ النوم يستولي عليه . أكل وشرب ووجد مأوى وصاحبا فلم يبق الا أن ينام ، أخذت أجر رأسه الى الارض لكي يرقد ويغرق في النوم . الخيل تنام واقفة ولكنها لا تغرق في النوم الا اذا جلست على الارض . أخيرا جلس وأغرق في النوم وأنا أمر بيدي على ظهره وأخاطبه .

وتركته ودخلت مسكني . تركت الباب مفتوحا . لا يمكن أن يدخل انسان وهذا الحصان هناك .. تركت

النافذة مفتوحة أيضا لكي أنظر الى « بدر » بين لحظة وأخرى ٠

وتعشيت وغسلت نفسي وجلست أصحح كراريسي وقلبي مشغول بالحصان ٠ ثم صليت المغرب والعشاء

وأويت الى فراشي بعد أن اطمأننت على الحصان فوجدته في سابع نومة ولكنني أنا لم أنم ٠٠

عندما رقدت في فراشي تبينت خطورة ما أدخلت نفسي فيه ٠٠

ماذا أعمل بهذا الحصان ؟

انني مدرس متواضع ، أسكن في شقة لا تزيد على سكن البواب الا قليلا ٠ وهذا الحصان يحتاج الى مكان يعيش فيه ، ويحتاج الى عناية ، ثم انه ليس ملكي ، ولا أعلم غدا انسانا يدعى انني سرقته ، ثم ماذا أعمل به الغد وبعد الغد ؟ انه الان نائم سعيدا ، فقد وجد مأوى وصاحبا ، ولكنه لا يعلم ان ذلك المأوى سيقلق دونه من الغد ، وان صاحبه الجديد أحوج الى من يعينه على متاعب الحياة من الحصان نفسه ٠

وظللت ساكنا في فراشي أقلب الامر على نواحيه ولا أجد حلا ٠ وقد تعلقت نفسي بهذا المخلوق البائس الذي يغلب على ظني انه لم يجد قلبا حنونا الا عندما ألقت به الاقدار في حارتي الضيقة ٠

وتردد في سمعي صوت مؤذن الفجر ، فنهضت وصليت ، وعندما رفعت رأسي اتجهت الى النافذة فرأيت « بدرا » متمددا على الارض غارقا في النوم ، فقلت في نفسي : والله لا أسلمنك الى الشقاء ثانيا أبدا وليكن ما يكون ٠٠

وعدت الى فراشي ، فلم يكد ظهري يمسه حتى جاءني الفرج وهتفت : أذهب به الى خالي اللواء محرم ٠٠

وعلى هذه الفكرة نمت بعمق والتقيت في أعماق الاحلام بصاحبي بدر ، ذلك المخلوق الشقي الذي أراد لي الحظ السعيد أن أستخلصه من الشقاء ٠٠

وكان خالي « محرم » باشا هذا ضابطا كبيرا في الجيش محالا على المعاش ، وكان يسكن في فيلا ذات

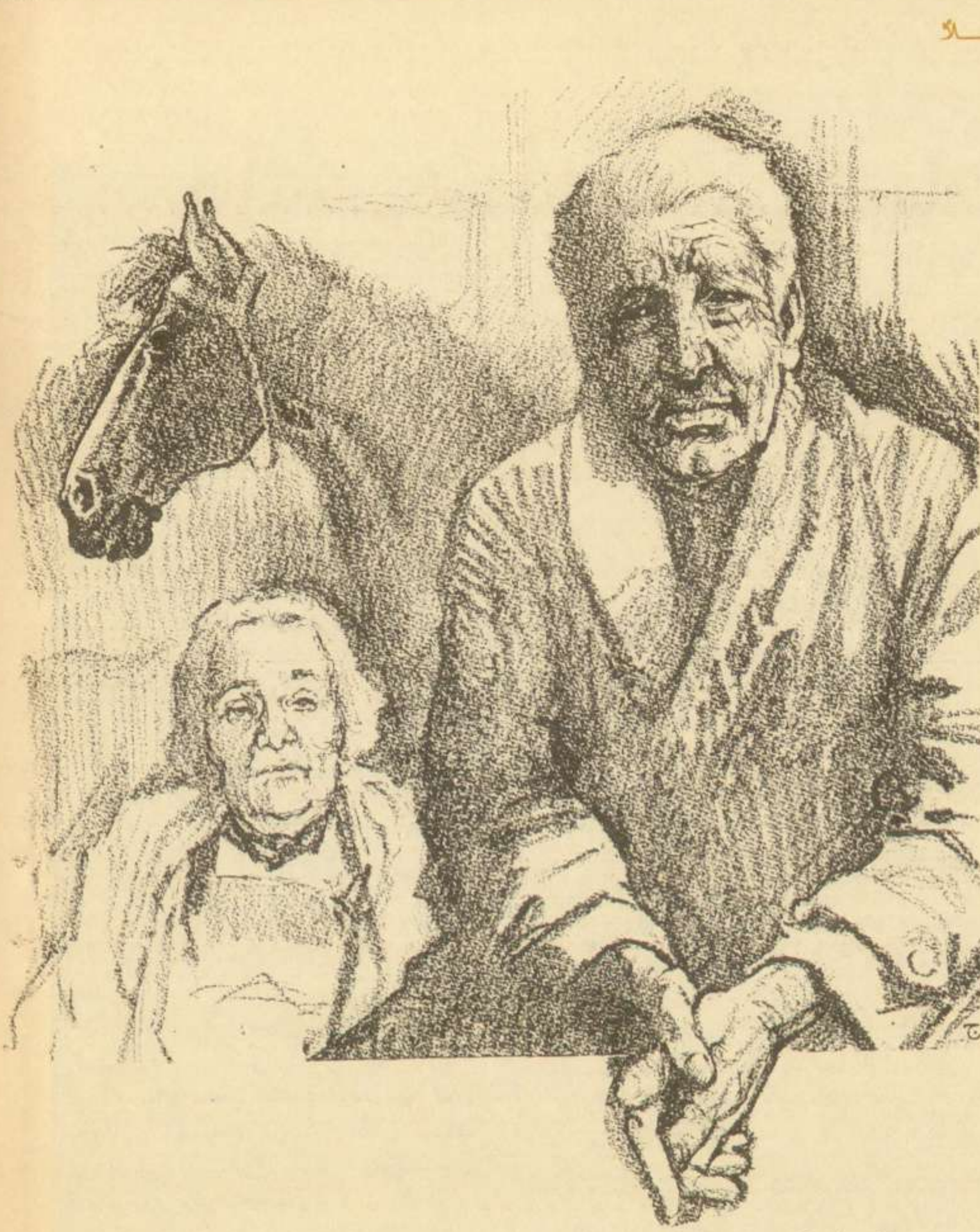

حديقة واسعة في حي الزيتون ٠ وكانت زوجته سيادات هانم سيدة من أكرم من رأيت من النساء ٠ وكانا يعيشان وحيدين في الحياة ، فان ربك الكريم ذا الرحمة لم يرزقهما ولدا وبعد احالته على المعاش قل زواره ، وكنت كثير التردد عليه لانه كان رجلا طيبا كريما صافي النفس ، وكان يحب الكتب والتاريخ ، فكنت أقضي يوم الجمعة عنده مرة أو مرتين في الشهر ، لانعم بعطف سيادات هانم وأطعم من ثمرات عبقريتها في الطهو بما لذ وطاب ، ولم يكن يعكر صفو زياراتي له الا انه كان يصر على أن يقرأ علي شعره ، وهو فيما أحس أسوأ شعر في الدنيا : محطم مكسر وسطحي جاف مثل شعر الالفيات ، ومع ذلك فقد كان يزعم ان ضباط

مصر لم ينبع منهم في الشعر الا اثنان : هو ومحمود سامي البارودي، وكنت أداعبه وأقول : وحافظ ابراهيم، فكان يهز رأسه ويقول : فالصو ! اسمع مني هذه الابيات ويأخذ في انشاد أبيات له قالها في مدح اللواء عبد المهيمن باشا بركات البهنساوي قائد القوة المصرية في القضارف بالسودان عندما نقله الانجليز من القضارف الى كردفان عقابا له على وطنيته التي لم يسمع بها أحد وجهاده للانجليز بقصيدة يتيمة عصماء قالها في مدح السلطان عبد الحميد عدو الاستعمار الانجليزي اللدود ـ في رأيه ٠

واستقر رأيي على أن أعتذر عن عدم الذهاب الى المدرسة من الغد لكي

اظل أحرس بدرا مخافة أن يسرق أو يصيبه أحد بأذى ، وفي المساء أمتطي صهوته وأمضي به الى الزيتون ٠

وقبل أن أظفر بساعتين من النوم صحوت على طرق عنيف على الباب ٠ كانت الساعة السابعة صباحا ، وفتحت الباب فاذا بي أفاجأ بوجه من أقبح وجوه الخلق : وجه المعلم مبتولي أبو حجر ٠ ودون تحية أو سلام اندفع يقول :

ـ جرى ايه ياسيدنا الافندي ٠٠٠ تريد أن تقلب البيت اصطبلا ٠٠٠ مش كفاية البهايم الذين يسكنون بيتي حتى تضيف اليهم واحدا من أقاربك !

ـ يا معلم ماذا جرى ٠٠ اما تسال أولا قبل أن تغضب ٠٠

فصاح :

ـ أفهم ايه يا حضرة الخوجه ٠٠ انت كلك لا تساوي تلاته تعريفه ، وأنا آويك في هذه المخروبة لوجه الله ٠٠

ـ يا معلم ، انني أدفع ايجارا ٠٠

ـ ايجارا ٠٠ أي ايجار ، جنيه ونصف عمياوان ! ثم تأتينا بحصان ٠٠ من أين سرقته ؟

ـ وهل أنا لص يا معلم متبولي؟

لص أم غير لص ٠٠ لا أدري ٠٠ لك ثلاث سنوات تدرس للولد ابني ومع ذلك فها هو راقد مبلط في الخط في سنة ثانية ابتدائي ، ثم تقول انك خوجه ٠٠

ثم سكت قليلا وعاد يقول :

ـ اسمع ٠٠ هذا الحمار الذي تسميه حصانا يخرج من البيت الآن ٠٠

ـ انه حصان خالي اللواء محرم باشا ٠٠ تركه لي أقاربنا ، وفي المغرب سأمضي به اليه ٠٠

ـ ولا كلمة ! قلت يخرج يعني يخرج أو ألقي بك وبه في الطريق٠

ثم اقترب مني وهمس في أذني وهو يبتسم ابتسامته الشيطانية ٠٠

ـ عندي فكرة ٠٠ أتعرف المعلم حشيش ٠٠٠

ـ أي معلم حشيش ٠٠

ـ الجزار يابني آدم ٠٠ أكبر جزار في المنيل ٠٠ انه ـ بيني وبينك ـ يذبح الخيل التي يقررون ضربها بالرصاص ٠٠ يشتريها من الجنود المكلفين بضربها ويذبحها في سلخانته الخصوصية ويبيعها سرا لأمثالك من عديمي العافية الذين يشتاقون الى النساء ويقعد عجزهم عن بلوغ ما يريدون من المتعة ٠٠٠ ما رأيك في أن نبيعه اياه بعشرين جنيها : لك عشرة ولي عشرة ٠٠

ـ قلت لك انه حصان خالي محرم باشا ٠٠

ـ باشا ٠٠ انت لك خال من الباشاوات ٠٠ قل شاويش بنصف شريط ، قل خفير ترع ٠٠ ومع ذلك فحتى هذا لا أصدقك فيه ٠

ـ لا داعي لهذا كله يا معلم ٠٠ في المساء سأذهب به الى بيت خالي سواء أكان لواء أو جاويشا ٠

ـ طيب يا حضرة الخوجه الكحيان الذي تحول الى سايس خيل في آخر الزمان ٠٠ بعد العشاء سآتي مع المعلم متبولي ، فاذا وجدنا حمارك هذا فاما أن نأخذه الى المسلخ أو نجرك الى قسم البوليس ٠

ولم يكد المعلم يخرج حتى أسرعت فخرجت من البيت ٠ كان بدر لازال مستلقيا مستغرقا في نومه ، واشتريت له برسيما وخسا وعدت مسرعا فوجدته قد نهض على قدميه ، وما ان رآني حتى أقبل نحوي يحك رأسه في ذراعي ويمد نحوي عنقه لكي

أمسحه بيدي ٠ ما أرق الخيل وأطيب قلوبها ! هذه المخلوقات الطيبة الجميلة ٠٠ ثم قدمت له الطعام وأتيته بماء جديد ، وبينما كان يأكل كنت أغسل جسده بالماء بفرشاة قديمة كانت عندي ٠ وقد استسلم لي كأنه طفل ٠ وغسلته وجففته ثم لمته ونشفت شعره حتى بدا قامتا حقا ، وأحس هو بجمال هيأته فارتدت اليه كرامته كحصان ، ومضى يأتي بتلك الحركات اللطيفة التي يعبر بها الحصان عن اعتزازه بجماله ٠

وما كادت الشمس تغرب حتى امطتيت صهوته وأمسكته بلجام من حبال ، ووضعت على ظهره خيشتين بصفة سرج أحكمت ربطه بما كان عليه من سيور الجلد ٠٠

ومن يعرف القاهرة يتصور دون جهد متاعبي في هذه الرحلة الطويلة من المنيل الى ميدان السكة الحديد (باب الحديد) عن طريق شارع القصر العيني ثم شارع عماد الدين، ومن ميدان باب الحديد اكتشفت أرضا زراعية من شبرا كانت تصل بين القاهرة وحدائق القبة ٠ ومن هناك الى الزيتون ٠ كان بدر فياضا بالحيوية ٠ كان يريد أن يعدو ولكنني كنت أمسكه بلجامه حتى لا أسقط من عليه ٠ في بعض مراحل الطريق كنت أنزل وأجره بيدي ، العجيب أن أحدا في الطريق ٠ عدا بعض الصبيان لم يستوقفه هذا المشهد ٠ عجيب أهل مصر : لا يدهشهم شيء ٠ كل شيء عندهم عادي ٠

وصلت دار خالي حوالي الثالثة مساء ٠ اعترضني بعض خفراء الليل فكنت أقول لهم ان هذا حصان اللواء محرم باشا ٠ لم يكونوا يعرفون من هو ، ولكنه على أي حال لواء وباشا ٠ وهذا عندهم يكفي حتى ان واحدا منهم وقف « زنهار » وضرب تعظيما لحصان سعادة الباشا اللواء ٠٠

وحدث ما توقعت ٠ كانت غرفة نوم خالي مضاءة ٠ هذا الرجل ينام بعد العشاء مباشرة ويصحو في الثالثة صباحا فيمضي الى غرفة مكتبه ويتوضأ ويجلس يقرأ القرآن في انتظار صلاة الفجر ٠

وأخذت بدرا ودرت حتى صرت بازاء شباك غرفة خالي ، فناديته

متنى وثلاث ورباع حتى تنبه ، ونهض وفتح النافذة . وما سمع صوتي حتى ذهل وأجفل ، فما ياتي بي اليه في هذه الساعة الا أمر غير سار .. ثم أسرع الى الباب وفتح لي ، وما رأى بدرا حتى أجفل وقال :

– ما هذا يا فلان ؟

– هدية لك !

– هدية لي .. ؟ حصان ؟

– نعم انه حصان هدية لك .. ونظر الى بدر في خوف فقلت له :

– لا تخف يا خالي .. هذا حصان جميل ولطيف جدا وستحبه .. افتح لي أولا فاننا – أنا وهو – هالكان من التعب .

وفتح بحذر بالغ ووقف بعيدا ، ومضيت بالحصان الى شجرة جميز كبيرة في حديقة البيت وربطت حبله فيها ، وجعلت أربت على عنقه وأمسح وجهه حتى هدأ روعه وسكن ، ثم نام واقفا ..

وأغلقنا باب الحديقة ، ومضيت مع خالي الى غرفته ، وقصصت عليه القصة كلها فلم تعجبه ، ومضيت أشجعه على قبول الحصان فذكرته بأنه ضابط فرسان ، وانه فارس مغوار طالما كسب المباريات ، وقلت له ان الحصان سيؤكد أن الجيش المصري لم يخرج الا شاعرين : البارودي ومحرم باشا عبد السلام ، فكلاهما فارس وكلاهما شاعر ، أما حافظ ابراهيم فهو فالصو .. أتعرف لماذا ياخالي محرم ؟

– لماذا ؟

– لانه ليس فارسا ، أما انت والبارودي ففرسان في الشعر والميدان واطمأن الضابط الشاعر العجوز ومضينا معا فصلينا الفجر . ثم أويت الى فراشي – فقد كانت لي غرفة في البيت – واغرقت في النوم ..

واستيقظنا في السابعة صباحا على استغاثة سيادات هانم زوجة خالي :

– محرم .. يا باشا .. الحقني . حصان ميت في الحديقة ..

– لا تخافي يا سيادات هانم .. انه ليس ميتا .. انه نائم .

وقصصت عليها القصة ، ولكنها لم تسترح لها ..

ظلت خائفة من الحصان ..

عندما صحا بدر أخذت خالي اليه ومضينا نربت عنقه وظهره ، وأنس الحصان له ، وطرب خالي لانه أحس أن هذا الحصان سيعيده فارسا كما كان ، وأرسل خادمه فاشترى فولا وبرسيما لبدر ، وأكل بدر .. وسعد خالي وهو يحفن للحصان حفنة الفول ويمد حضنتيه لبدر فيأكل ، ويلتفت الي خالي محرم باشا ويقول :

– ألم أقل لك انني فارس .. أتعرف ما علامة الفارس الحق ؟ ان الخيل تحبه ! ألم يقل المتنبي : « الخيل والليل والبيداء تعرفني » فهذه هي الخيل تعرفني وأنا ضابط فارس وشاعر ! حقا ان الجيش المصري لم ينجب الا شاعرين .. أنا والبارودي .

ولم ينقضي اليوم حتى كان بدر قد أصبح أحب شيء لخالي ..

وأنست له سيادات هانم وأحبته وصارت تربت عنقه وتقبل وجهه والزوجان العاقران وجدا في النهاية ابنا : الحصان بدرا ..

وعدت بعد اسبوع فرأيت العجب!

أصبح بدر قرة عين اللواء محرم باشا وسيادات هانم ..

استخرج اللواء سرج حصانه الجلدي المبطن بالمخمل ، واستخرج عدة الفروسية بما فيها بذلة اللواء والسيف !

ومضى يركب الحصان ويخب به حينا ويجري حينا وسيفه في يده ، وبذلته العسكرية كاملة عليه ..

وزوجة خالي سيادات هانم عشقت بدرا عشقا ..

وفي الحق لقد أصبح بدر بفضل عنايتها حصانا أصيلا .

ارتدت اليه عافيته ولمع جلده ونعم شعر غرته . وكان في وجهه هلال أبيض جميل ، وكان محجلا

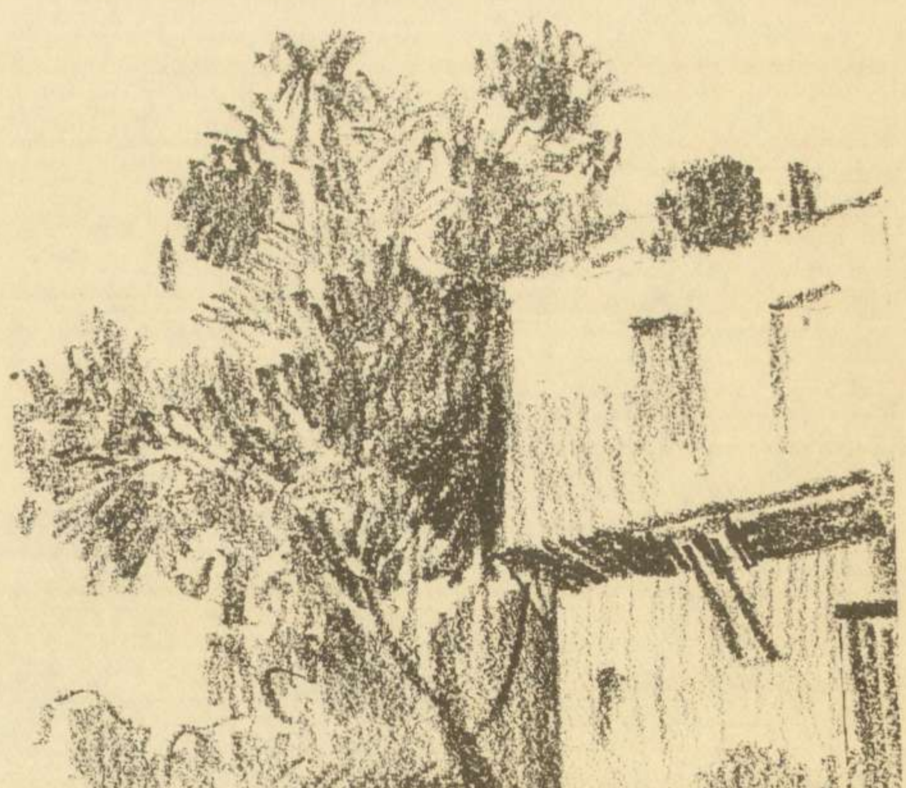

برجل واحدة فعجله بالثانية . لف على أسفل قادمته اليسرى شـاشا أبيض ..

وكما ازهر بدر فكذلك أزهر خالى وارتد الى شبابه ..

لقد أحالوه الى المعاش فجاء بـدر ورده الى الخدمة العاملة ، في حديقة بيته فقط ..

وسعد بدر وسعد خالي وسعدت سيادات هانم .

أتدري كيف كانت نهاية بدر ..

انها أعجب ما في هذه الحكاية ..

في سنة ١٩٣٧ تولت حكم مصر حكومة كرهها الناس . كانت حكومة موالية للانجليز والقصر .

وانقلبت مصر نارا ..

وخـرج الطـلاب من المدارس متظاهرين هاتفـين بسقوط الظلم والاسـتبداد وبسـقوط الـوزارة ورئيسها ..

وثارت مدرسة الزيتون الثانوية، وخرج طلابها في مسيرة صاخبـة الى حلمية الزيتون قاصدة القصر فـي حدائق القبه ..

وصدرت الاوامر لقوات الحـرس الملكي بالتصدي للطلاب عند حلميـة الزيتـون والضرب في المليـان بالرصاص محافظة على مولانا ..

وكان خالي محـرم باشـا يتنزه بجـواده في الطريق بين الزيتـون وحلمية الزيتون . كانت هناك حدائق ومزارع .

كان الرجـل بكامـل ملابسـه العسـكرية ، حتى سـيفه كان في يـده !

وأدركه التلاميـذ واحاطوا بـه وهتفوا : يعيش محرم باشا ..

ومحرم باشا ازدهـاه الفخـر وتحركت في قلبه الوطنية .. فسار في المقـدمة وحواليـه التلاميـذ بالاعلام ..

والفارس العجوز الذي لـم يخض في حياته معركة خاضها ذلك اليـوم ٢٦ نوفمبر ١٩٣٧ .

وعند مدخل حلمية الزيتون كان

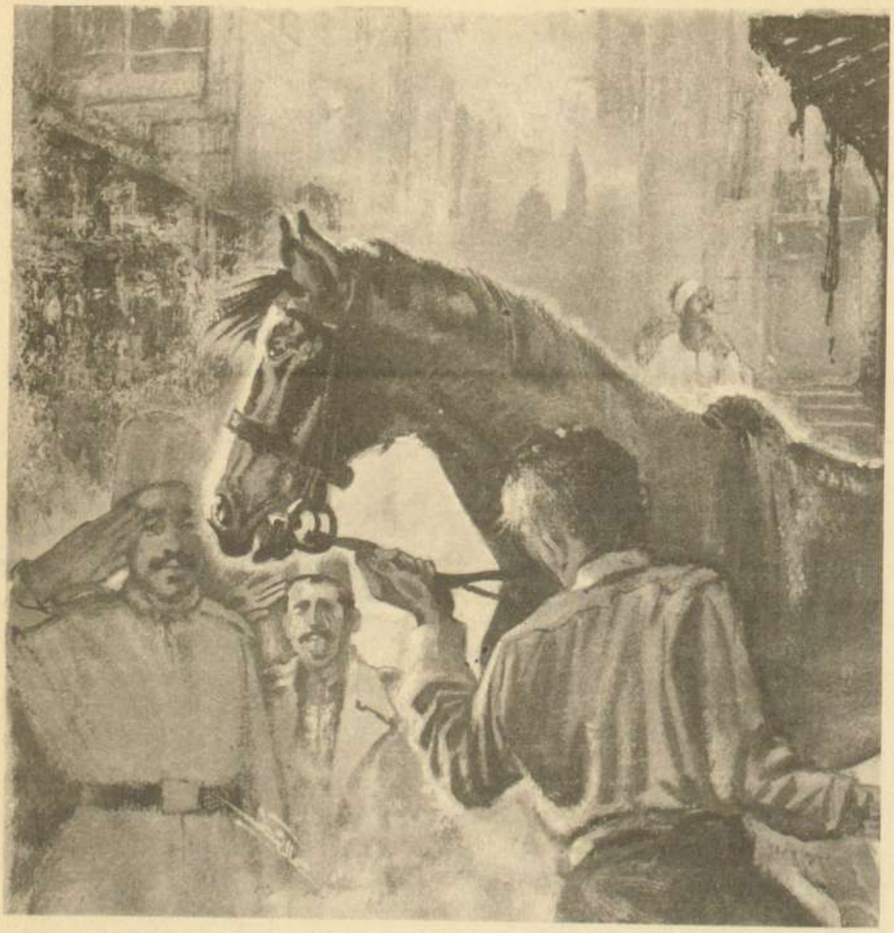

الجنود بكامل السلاح في الانتظار .

واندفع محـرم باشا وبدر ومن خلفهما التلاميذ يهتفون : يسـقط الاستعمار .. يسقط الظلم .. يحيا الدستور ..

وانطلقت الرصاصات تحصـد الطـلاب ..

وكر خالي وبدر واخترقا صفوف الحرس ..

وأصابهما الرصـاص وخـرا صريعين ..

وانتهت المذبحة ، ورجع الجند الى ثكناتهم مخلفين تسعة عشر قتيـلا وعشرات الجرحى ..

ومن بين القتلى كان محرم باشـا وبدرا ..

واليوم عندنا في الزيتون شـارع يسمى شارع الشهيد محـرم باشـا بدر ..

لقد جمع الناس بين الضـابط والفرس في شهادة واحدة ، فكلاهما مات في سبيل مصر وفي سبيل الحرية والدستور .

والحصان المسكين ، الـذي كان صاحبه يذله ويستخدمه في تهـريب الحشيش حتى ضبطه البوليس وفـر وانطلق الحصان لاجئـا الي ، مات مجاهدا في سبيل الحرية .

والضابط العجوز الذي كانت أعظم مفاخره قصيدة عرجاء غير عصمـاء قالها في مديح اللواء عبـد المهيمن باشا بركات البهنساوي عندما نقله الانجليز ـ ظلما ـ من القضارف الى كردفان « في السودان » أصبح فـي النهاية بطلا من أبطال حـرية مصر بفضل الحصان الطيب الشهيد بدر .

والشعب الذي يقدس الابطـال وشهداءه أيا كانوا جمع بين الاثنـين وكتب اسمهما على شارع واحد شارع اللواء الشهيد محرم باشا بدر ..

دكتور
حسين مؤنس

باختصار

اقوالهم ..

الفلاحون في قريتي تمر فوق رؤوسهم الطيور المهاجرة . أما هم فاقدامهم مثل عظام الموتى مغروزة في طين الارض . إذا بعدوا عنها ولو فركة كعب حصدت الغربة ارواحهم قبل ابدانهم . واذا نعس احدهم فوق ظهر حماره فلا توهان لان الحمار أعرف منهم بالطريق بغير مهماز ولا لجام .

يحيى حقي

سيجموند فرويد لص .. وافكاره عتيقة مثل الدينا صور ..

فرانك سولواي
مؤلف كتاب «فرويد عالم العقل»

ان الفكر العربي لم يستطع ان يقنع سياسي هذه الامة المسكينة بابسط البديهيات .. فهم مازالوا يتجادلون بلا طائل حول دور المراة .. والحرية والديمقراطية .. وفوق كل شيء حول الوحدة العربية ..

سلمى الخضراء الجيوسي
الشاعرة والناقدة الفلسطينية

قررت ان ارفض لقب « اللورد » ولكن زوجتي صرخت في وجهي .. « انت مجنون كيف ترفض اللقب وانا تطلعت دائما لأكون بارونه » .. وطلبا لراحة البال قررت ان اقبل اللقب .

اللورد لورانس أوليفيه
الممثل الانجليزى العالمى

انا لمسة حنان . أو لسعة افعى . ذلك يتوقف على الزمان والمكان والانسان .. انا كومة حجر .. ورماد .. وعدد من الكتب المطبوعة وامراة ..

غادة السمان

« سفر الرؤيا الآن » .. يمكن ان يكون البداية او النهاية .. إنه عندما تصل إلى نقطة يجب ان تتحول بعدها إلى الجانب الآخر ..

المخرج العالمى فرنسيس كوبولا

النقد ليس الكشف عن خطايا الآخرين ولكنه يفترض معرفة المفكر بحدود مرحلته التاريخية .

المفكر السوري انطون مقدسي

زوجى طفل كبير .. مرح .. عصبى .. غيور جدا وطيب جدا وسبب فشل زواجه الأول انهم عاملوه كرجل عجوز ولن اكرر هذا الخطا .

يولاندا كوين
زوجة الممثل العالمى انتوني كوين

لم احس يوما اننى انتمى إلى عالم النساء وحده . اننى انسانة . هكذا أعرف نفسى اما اللواتى هن نساء بكل ما في الكلمة من مفاهيمنا التقليدية فانا لا اعرفهن ولا حوار بينى وبينهن .

الكاتبة اللبنانية ديزى الأمير

الثورة على شكل القصيدة بدعة كريهة .. القصيدة العمودية هي القصيدة الحقيقية .

الشاعر العوضى الوكيل

اننى مومياء تسير على قدمين . اشبه فرعون بعث حيا . اننى على يقين من كل شخص يحملق في وجهى . يهمس وراء ظهري ويراقبنى من الخلف .. وينتظر سقوطى ..

من مذكرات الفنان الروسى
ديمترى شوستاكوفيتش

اميل حبيبى الساخر ابدا . في مواسم الانتخابات يأخذنى وهو الخطيب الذي لا يضاهى لأقرأ له وللناس . سجل انا عربي إلى ان تمردت عليه وعليها وقلت له : لا انت سيف الدولة ولا انا المتنبى .

محمود درويش

لمن نكتب قصائد الرثاء ؟ والغزال .. وقاتل الغزال شريكان في الحزن الكبير .

نزار قبانى

حكاية خفيفة جدا

حركة سايكولوجية

بقلم : بوريس نوتكين
ترجمة : عادل الحامل

كم هو مخجل ، ان تعرف كل مادة الفصل ومع ذلك ترتعش لفكرة ان تكون هناك أسئلة اضافية . فكر كوليا بتروشكين بذلك مع نفسه وهو في طريقه لأداء امتحانه الفصلي الأخير . لو انه فقط يحصل على « ممتاز » في هذا الامتحان لاصبحت المرتبة الأعلى مضمونة . ولكن واأسفاه . فان روزا اخميتوفنا مورسكا معروفة بانها بالكاد تعطى درجات عليا . فهى مولعة بطرح أسئلة اضافية تكفى لان تفقد اي شخص صوابه . ولهذا كان الطلاب يكنونها ، فيما بينهم ، « الوردة الشائكة » ! سحب كوليا الرقم (٧) ، فقد كان يعرف اجوبة الأسئلة عنه تماماً . ولكن فجاة خطرت له فكرة مذهلة .

فقال راجيا في صوت خفيض :

ــ « اسمحي لي بان أؤدي اختباراً آخر » .

ــ « هيا ، ولكن لاتعول على درجة طيبة بعد هذا ! » .

وضع كوليا الرقم (٧) جانباً . وتصيد رقماً آخر . وراساً ، قذف بالجواب ، بدون تردد .

قالت روزا اخميتوفنا :

ــ « ليس سيئا البتة . من المؤسف انك ابديت اضطراباً عند الرقم الأول الذي سحبته » .

ــ « عفوا ، ولكني لم ابد اي اضطراب ابداً . فقط بدا لي ان الأسئلة عنه بسيطة جداً . تحققي بنفسك ! » .

وقبل أن يتمكن احد من إيقافه ، انطلق يشرح الرقم (٧) مغطيا السبورة بخطوط بيانية اكثر وبالحلول الصحيحة للمشكلات.. وباختصار ، فقد استعرض مرة اخرى معرفته السليمة .

كان الباب ينفتح تدريجيا أوسع فاوسع . وقد ساد من ورائه صمت تشوبه الرهبة . وكانت روزا اخميتوفنا ، ايضا ، تصغي بدون مقاطعة . وعندما انتهى كوليا ، تناولت السجل وكتبت مقابل اسمه الدرجة العليا .

عندما خرج كوليا ، كان شاحبا مثل الطباشير . فرمى أصدقاؤه بانفسهم عليه .

ــ « هل أفرغت دماغك ؟ ماذا كنت تحاول اقتحامه هناك في الداخل ؟ » .

غمغم كوليا قائلا :

ــ « كانت تلك حركة سايكولوجية . فقد كان على ان اتجنب اسئلتها الاضافية ، مهما كلف الأمر ! » .

عن مجلة « سيوتنك »

ناجي

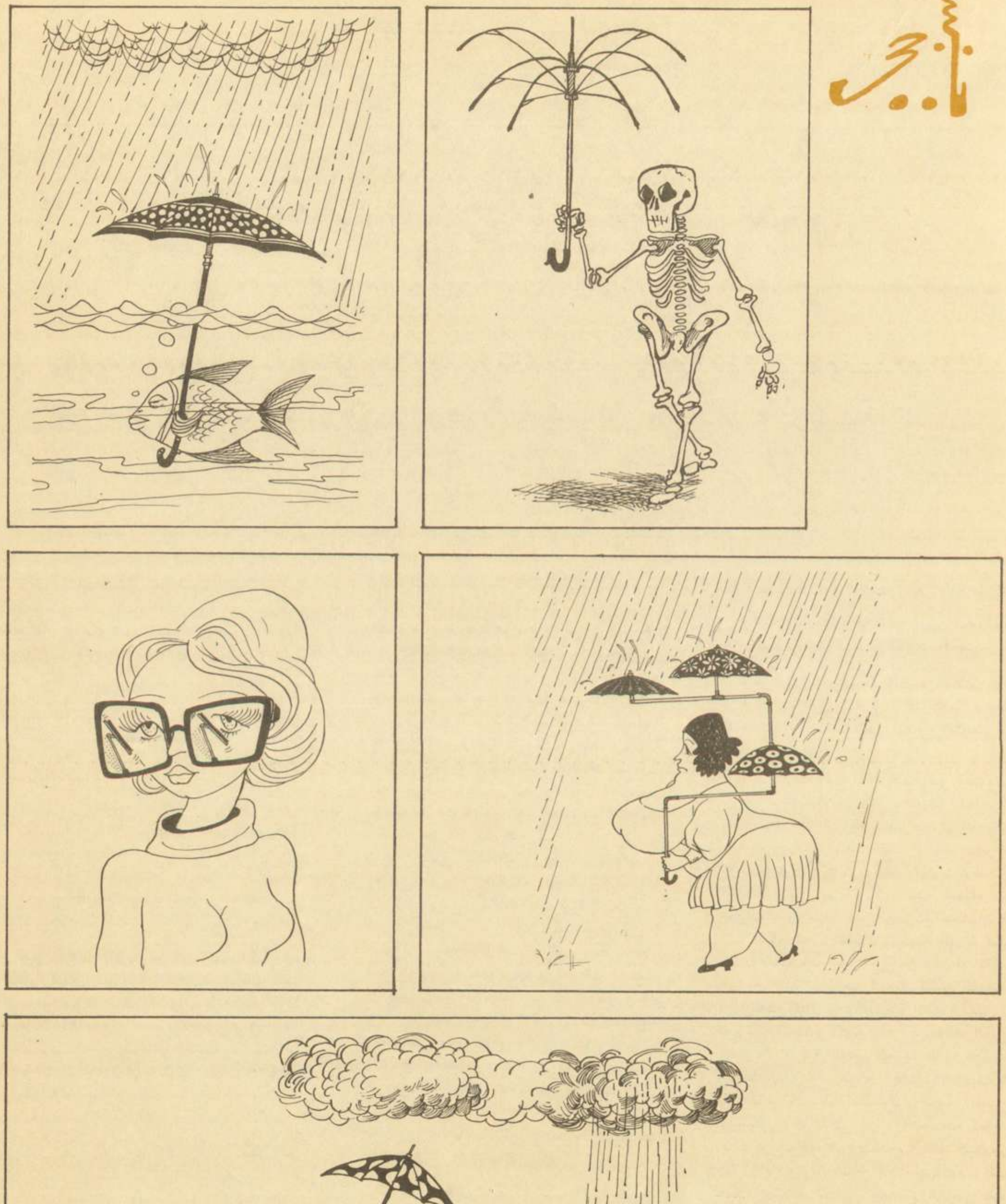

أبو المعاطى أبو النجا

المسرح الكويتى

بين الخشية والرجاء

- معايشة أمينة وصادقة للحركة المسرحية فى الكويت بمعناها الشامل
- دراستان مطولتان : الأولى عن بداية المسرح .. والثانية دراسة مقارنة
- " مهزلة فى مهزلة " عنوان أول نص مسرحى كويتى عمره ٣١ عاما

هذا الكتاب شهادة « عن الحركة المسرحية في الكويت » ، ولكى نتعرف على قيمة هذه الشهادة ووزنها ، فقد يكون من الملائم أن نشير إلى علاقة المؤلف بالحركة الأدبية والفكرية في الكويت .

فالدكتور / محمد حسن عبد الله أستاذ النقد الأدبى في جامعة الكويت هو صاحب كتاب « الحركة الأدبية والفكرية في الكويت الصادر في عام ١٩٧٣ » ، وكتاب « ديوان الشعر الكويتى » (اختيار وتقديم) الصادر في سنة ١٩٧٤ ، والصحافة الكويتية في ربع قرن (كشاف تحليلى) سنة ١٩٧٤ ، وكتاب « الحركة المسرحية في الكويت » (توثيقى تحليلى) سنة ١٩٧٦ ، وأخيراً هذا الكتاب الذي نعرض له الآن عن « المسرح الكويتى بين الخشية والرجاء » .... سنة ١٩٧٨ م .

وقد يلاحظ القارىء أن أكثر هذه الكتب قد وجدت كبذور جنينية في الكتاب الأول ثم نمت واستقلت في كتب منفردة ، وانها في حركة نموها هذه إنما كانت تعكس نمو هذه الظواهر في واقع الحياة الثقافية والادبية في الكويت وتـعكس في نفس الوقت اهتمام الكاتب بهذه الظواهر ومبادرته للتعبير عن مغزى هذا النمو واتجاهاته وأساليبه .

كان لا بد اذن من هذه المقدمة قبل أن نعود إلى كتاب « المسرح الكويتى بين الخشية والرجاء » نقلب في صفحاته ، ونتعرف عليه منهجا وفكراً وأسلوبا لندرك ليس فقط أهمية هذه الشهادة بل لنتفهم اكثر طبيعة المنهج والأسلوب لهذا الكتاب ..

نتاج تجربة ومعايشة

لم يجلس المؤلف على مكتبه عاقداً العزم على وضع كتابه هذا ، وربما كانت المسالة انه جلس يقلب في مجموعة مقالاته التي توفرت لديه مما كتبه عن قضايا المسرح في الكويت في السنوات الأخيرة في الصحف والمجلات ، وعن العروض المسرحية التي شاهدها ، ففوجىء (مفاجاة غير كاملة) بأن ما لديه منها يؤلف كتابا مناسبا فقدمها إلى المطبعة ، وأبادر فأسجل أن هذه الطريقة هى التي تميز هذا الكتاب وتمنحه طابعه الخاص ، فهو بحق معايشة أمينة وصادقة للحركة المسرحية في الكويت بمعناها الشامل ، فهو ليس دراسة في فن المسرح ، وليس مجرد نقد أو عروض مسرحية بل هو ثمرة لهذه المعايشة الحارة للحركة المسرحية في الكويت يناقش أوضاع الفرق المسرحية من مختلف الجوانب ، ويتابع نمو هذه الفرق وازدهارها أو انكسارها ويحلل الأوضاع الاجتماعية المؤثرة في هذا الأزدهار أو الانكسار ، يفعل ذلك بقدر كبير من الجرأة والمحبة التي تستند إلى رصيد علاقته بالحركة الأدبية كلها ، فهو واحد منها ، يعتب ويغضب ويتحمس ويتراجع عن بعض أرائه حين تثبت التجربة خلال الزمن أن بعض مخاوفه لم يكن في موضعه .. وهو يتوجه بنقده للمؤلف والمخرج والممثل ومصمم الديكور وواضع الموسيقى التصويرية ... انه نوع من الكتب الذي يعكس بصدق الحركة الخاصة للواقع والعلاقة الخاصة للمؤلف بهذا الواقع وما يعترى كليهما من تطور ..

دراستان مطولتان

يضم الكتاب دراستين مطولتين : الأولى في بدايته ، وهى عن « المسرح الكويتي بين الخشية والرجاء » ، وقد أضاف إليها بعد ثلاث سنوات من نشرها تعقيبا ضمنه ملاحظاته الجديدة التي تراجع فيها عن بعض تحفظاته ومخاوفه تعقيبا ضمنه ملاحظاته الجديدة التي تراجع فيها عن بعض تحفظاته ومخاوفه في ضوء التطورات التي حدثت للمسرح الكويتى خلال هذه الفترة .

والثانية في نهاية الكتاب وهى دراسة مقارنة عن « الحركة المسرحية في الكويت والبحرين » .

وبين هاتين الدراستين ، تضمن الكتاب عدداً من المقالات تتناول بالنقد والتحليل أهم العروض المسرحية التي قدمت على المسرح الكويتى في السنوات الأخيرة .

الحركة المسرحية في الكويت

في الدراسة الاولى التى يعتبرها المؤلف : وقفة مطلوبة مع الحركة المسرحية فى الكويت » ، بعد مرور ربع قرن على كتابة أول نص مسرحى كويتى وهو « مهزلة فى مهزلة » مسرحية شعرية لأحمد العدوانى سنة ١٩٤٨ . وبعد انتهاء عشر سنوات على اعتبار الفرق المسرحية جمعيات من ذات النفع العام تستحق معونة الدولة ماديا وأدبيا ، وبعد نمو هذه الفرق من فرقة أو اثنتين الى ستة فرق ... لانجد المؤلف شديد السعادة بهذا النمو ، واذا كانت النظرة العابرة يمكن أن ترى فى هذا النمو الكمى مظهرا من مظاهر الرواج الفنى فان الرفيق القديم للحركة المسرحية فى الكويت لايرى هذا الرأى ، فالفرق الجديدة لم تظهر لتلبى حاجات متنامية لدى جمهور المسرح فى الكويت أو لتعبر عن رؤية جديدة لمؤلف جديد أو مخرج مبتكر (صحيح أن ذلك حدث مرة حين ظهرت فرقة مسرح الخليج العربى التى قدمت لمنطقة الخليج وللعالم العربى صقر الرشود مخرجا متميزا ، وعبد العزيز السريع مؤلفا جادا رصينا) الا أن بقية الفرق ظهرت نتيجة انسلاخ أعضاء من هنا ومن هناك راحو يتجمعون فى فرق جديدة لأسباب لاتعكس تطورا أو نموا ، فالجمهور المشاهد فى الكويت بكثافته وثقافته المسرحية تكاد تكفية فرقة أو فرقتان ، والعروض التي قدمتها الفرق الست على مدار عام واحد ، والتى تقترب من المائة عرض يمكن

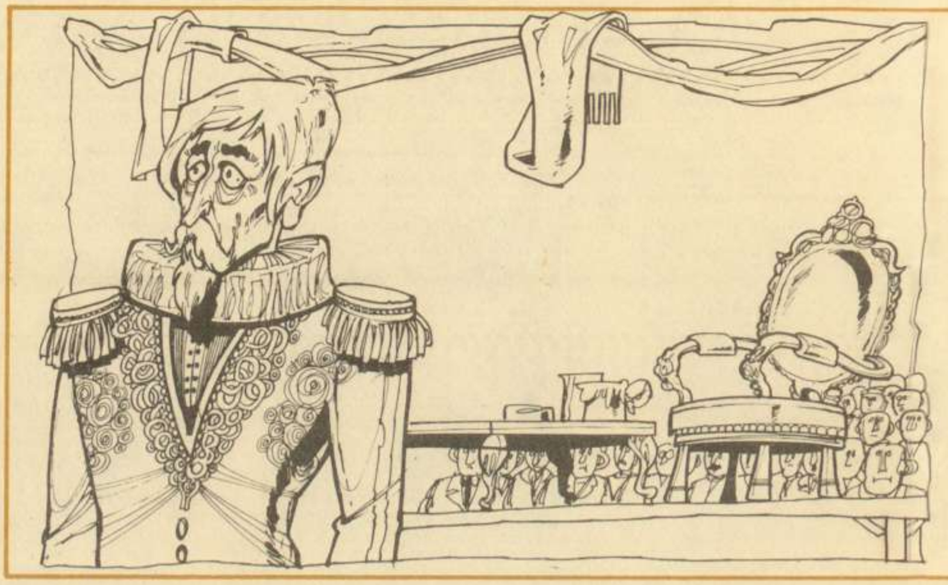

أن تقوم بها فرقة واحدة متوسطة الامكانات ... وأغلب هذه العروض يدور فى فلك الهزل والاضحاك ، ويقدم المشكلات ذات الطابع المحلى بروح تفتقر الى الجراة والشمول والعمق الانسانى ، وتحرص على استرضاء المشاهد ، وعدم مواجهته بما قد يصدم قيمه المحافظة ، واذا حدث ذلك احيانا فانه يحدث بطريقة المصالحة والحلول الوسطى المريحة لكل الاطراف » وفى كلمة فان المؤلف يقرر انك لن تظفر بالكثير اذا حاولت أن تبحث فى أغلب هذه العروض عن الصورة الحقيقية للكويت فى مسرحها (باستثناء نقطة الضوء الوحيدة ممثلة فى عبد العزيز السريع وصقر الرشود) .

تساؤلات أساسية

وينتهى المؤلف الى الشعور بأن هناك خللا ما فى أوضاع المسرح الكويتى هل هو فى مجتمع الكويت ذاته ؟

فى درجة تقبله للقضايا الجادة التى يجب أن يتطرق اليها الكاتب المسرحى ؟ هل هو فى انطواء هذا المجتمع على ذاته وسط مختلف الجنسيات الوافدة للعمل لبعض الوقت أو الكثير من الوقت ... بحيث لايبرز فيه مؤلف يمد بصره الى مشكلات هذا القطاع الكبير من العاملين فيه ؟ فيؤدى هذا بدوره الى كسر الدائرة الضيقة التى يرى فيها الكويتى ذاته ومشكلاته هل هو فى موقف الدولة من المسارح ، والخلط فى هذا الموقف ... بين دور المسرح كضمير للشعب ومثير لشعوره وفكره ومعبر عن نظرته الاكثر نفاذا وحلمه المحلق لصنع المستقبل ، وبين الدور الذى تقوم به جمعيات النفع العام بحيث ترتب على هذا الخلط أن الدولة كانت تمنح معونتها للفرق الست المسرحية دون تفرقة بين فرقة أدت دورها الفنى على أفضل وجه وفرق أخرى تستمر فى وجودها لمجرد توفر الحد الادنى من شروط هذا الوجود كما تنص عليه لوائح جمعيات النفع العام ؟

هل هو فى ثقافة الكاتب الذى لم تتح له أفضل الفرص للاحتكاك والتفاعل مع البيئات الثقافية المختلفة أم هو فى سياسة الفرق التى فتحت ابوابها وأعطت معونة الدولة لمن يستحق ومن لايستحق ؟؟

ويتوقف الكاتب أمام كل واحد من هذه التساؤلات ليناقشه فى جراة وعمق وتفصيل ... كاشفا عن العلاقات المتداخلة بين كل هذه الاسباب مقترحا طرق الخلاص للخروج من دائرة الخشية الى أفق الرجاء ...

واذا كان لنا أن نتوقف قليلا أمام بعض تصورات المؤلف لأبعاد المشكلة أو أبعاد الحل ... فاننا نفعل ذلك من موقف التقدير لجهد المؤلف وصدق معايشته للحركة المسرحية فى الكويت ...وقد كان ذلك الاقتراب الشديد للمؤلف من واقع الحركة المسرحية ومشكلاتها الخاصة فى الكويت هو الذى نأتى به أحيانا عن رؤية هذه المشكلات فى اطار مشكلات المسرح بوجه عام فى الكويت أو فى غيرها ... من البلاد العربية على الاقل ...

فمع تقديرنا لملاحظاته النافذة عن حساسية الجمهور فى الكويت لكل ما يتعلق بنقد مشكلاته وأوضاعه الخاصة ، وتساؤله عن مدى تقبل هذا الجمهور للقضايا الجادة ، الا أن قضية جماهيرية المسرح الجاد » تبقى قضية أوسع نطاقا من أن تكون مسالة كويتية ، ربما كان الخلاف بينما فى الكويت وفى غيرها مجرد خلاف فى الدرجة لا فى النوع .

البحث عن كاتب مسرحى

وتبقى هذه القضية هى قضية الكاتب المسرحى القادر على أن يدرك أنه للقضايا الجادة مكان فى قلوب الجماهير ، وأن المسالة هى قدرة الكاتب على استخدام اللغة الفنية المسرحية القادرة على الوصول الى هذا المكان .. ويمكن أن نقول نفس الشىء عن مشكلة الحرية اللازمة لنمو الحركة المسرحية وازدهارها .

ونوافق الكاتب على كل ما قاله عن مسالة صمت المؤلف الكويتى عن مشكلات قطاع كبير من غير الكويتين العاملين فى الكويت ... ولكننا نحب أن نضيف الى الاسباب التى ذكرها سببًا اخر فهذه الشخصيات الوافدة التى تنتمى إلى جنسيات وأوطان وثقافات مختلفة ستبقى عصية على المؤلف الكويتى ، فى ظروفه وأوضاعه الراهنة ... وقد تظهر فى أعماله أحادية الجانب ، ولن يبرز من مشاكلها النفسية إلا ما يتصل بجانب العمل ، وقد لايظفر إلا بالقليل من عالمها الداخلى الخفى ومن هنا ترتد هذه المسالة بدورها إلى القضية الاساسية وهى قضية المؤلف ، وانه حين يوجد هذا المؤلف القادر فسوف لا تنقسم فى عقلة الظواهر والمشكلات او البشر وسوف لاينتظر أن تهبط الحرية علية كمنحة . بل سيكون هو الريح الباردة التى تحيل السحاب الى مطر ، واذا كنا لانعرف بعد طريقة سهلة لايجاد المؤلفين الكبار فى الكويت أو فى غيرها فلا أقل من أن تبذل الجهود لتوفير المناخ اللازم لايجادهم ...وهذا ماتحدث عنه بافاضة واقتدار الدكتور محمد حسن عبد الله فى كتابه .حين أكد على أن الطريق المفتوح على أفق الرجاء يمكن أن تكون بدايته الحقة وجود المعهد العالى للفنون المسرحية فى الكويت ... على أن يبدأ هذا المعهد فى ارسال بعثات من خريجيه الممتازين لاستكمال دراساتهم وصقل مواهبهم فى البيئات والمعاهد الفنية فى الخارج ...

كما أشار الدكتور إلى ضرورة أن نعود الى البداية التى وضعها« زكى طليمات » حين خصص المسرح العربي لتقديم الأعمال المسرحية الرصينة عربيا وعالميا باللغة الفصحى .. ليكون مثل هذا المسرح القاعدة الأساسية لتربية الذوق المسرحى الأصيل .. وتحقيق التوازن بين دواعى الاصالة والمعاصرة .. على أن يتمتع مثل هذا المسرح برعاية الدولة الكاملة ..

الدعم الرسمى للفرق

وأكد المؤلف على أنه لا بد من اعادة النظر في الطريقة التي تقدم بها الدولة عونها للفرق المسرحية فصيغة «جمعيات النفع العام » ليست بالضرورة أنسب الصيغ ، ومن الأنسب أن تكون هناك صيغة جديدة تستفيد من تجربة السنوات الماضية بحيث تصل اعانة الدولة لمن يستحقها بالفعل ولأسباب تتعلق بالفن وحده وليست لمجرد العضوية في احدى جمعيات النفع العام

ان تصل هذه المعونة حتى للفرق الخاصة التى تمردت عليها حين تثبت هذه الفرق (كما حدث للمنشقين من المسرح العربي) أنها في عروضها أكثر خدمة للفن المسرحى من بعض الفرق المعانة .

المسرح الكويتي

● المشكلات المحلية تفتقر إلى الجرأة والشمول والعمق الإنساني
● طريقة الخلاص للخروج من دائرة الخشية إلى آفاق الرجاء

زكي طليمات

صقر الرشود

عبد الحسين عبد الرضا

احمد عبد الحليم

وهنا أيضا نجد المؤلف لا يناقش قضية « كون المسرح قطاعا عاما أو خاصا » من زاوية مبدئية بحته بحيث يرفض بشكل دائم فكرة المسرح الخاص أو يقبل فكرة المسرح الذي تعينه الدولة . ولكنه ـ وتلك خاصية منهج المؤلف في هذا الكتاب ـ يناقش المسالة من زاوية واقعية عملية . لقد هاجم في البداية المسارح التي تحصل من الدولة على اعانة لا تستحقها ، وطالب بان توزع الاعانة التي تدفع لست فرق مسرحية على فرقة أو فرقتين يستحقانها .

وتخوف من انسلاخ بعض الممثلين الناجحين جماهيريا في شكل فرق خاصة خشية أن يكون ذلك بداية للاندفاع نحو الاسفاف والهزل جريا وراء الربح .. ولكنه حين لاحظ أن بعض هذه الفرق الخاصة تجمع بين القيمة الفنية والنجاح الجماهيري .. مثلما حدث في العروض الناجحة التي قدمها حسين عبد الرضا وسعد الفرج .. وحين لاحظ أن انسلاخ بعض الممثلين الكبار من فرقة المسرح العربي أتاح الفرصة لوجوه جديدة في نفس الفرقة لكى تبرز بقوة في مجالات التمثيل والاخراج والتأليف ..وحين وجد أن عامل التنافس بين الفرق الخاصة والمعانة في ظروف بلد مثل الكويت ، قد دفع بعض هذه الفرق إلى ما يشبه الثورة على نفسها ... فلم تعد تجد مانعا من الاستعانة بكفاءات وخبرات خارج اطارها بل وخارج الكويت .. وتداعت عوامل التجديد فنتيجة للاستعانة بممثلين من خارج الكويت جرى البحث عن نصوص تناسب الجميع .. وهكذا كسر طوق الجمود الذي ران على الموضوعات ذات الطابع المحلى واللهجة المحلية وفتح الباب واسعا أمام المسرح السياسى والموضوعات ذات الطابع الانساني والقومي ... بل أمام تناول المشكلات المحلية من منظور أعمق وأشمل ..

حين رأى المؤلف كل هذه المتغيرات راح يتأملها بموضوعية .. وكتب تعقيبه الجديد الذي يدعو فيه المهتمين بشئون المسرح إلى تأملها معه .. بحيث نحافظ على عوامل التطوير الجوهرية في هذا الموقف الجديد ، ولا ننخدع بالعوامل الطارئة والعارضة ، وبحيث تؤدى كل العوامل الى خلق المناخ المستقر الذي يجعل من الكويت بيئة مسرحية حية ومتطورة ..

ودعا إلى أن تبقى معونة الدولة في هذه المرحلة في شكل منح تقدم للفرق التي تقدم أعمال ممتازة حتى ولو كانت من الفرق الخاصة ..

أهم العروض المسرحية

في القسم الثاني من الكتاب نتعرف على أهم العروض المسرحية التي قدمتها الفرق المسرحية بالكويت في السنوات الماضية ..

من خلال النقد التطبيقى الذي كتبه الدكتور محمد حسن عبد الله عن هذه العروض وربما تفيد الاشارة إلى بعض هذه العروض في الدلالة على مغزى التطور الذي حدث في الحركة

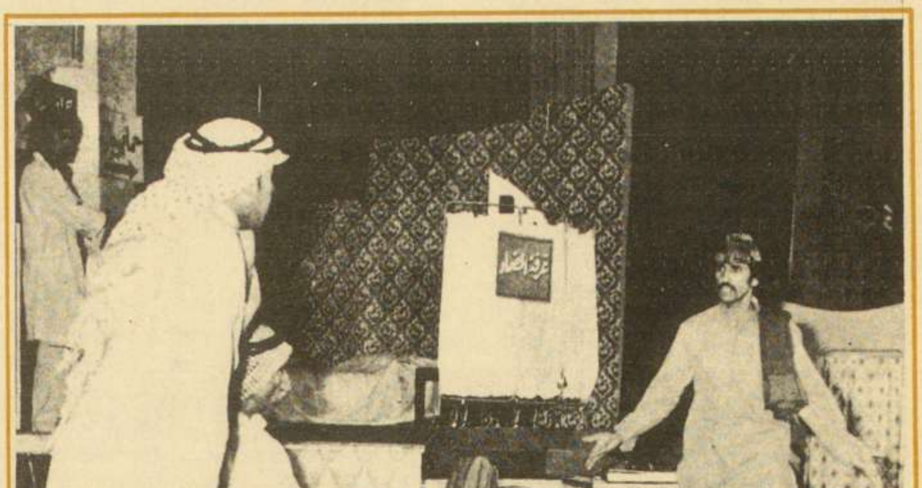

لقطة من مسرحية حفلة على الخازوق

● لابد من إعادة النظر في الطريقة التي تُعان بها الفرق المسرحية
● ماذا عن العديد من الظروف والملابسات التي تحيط بالعرض المسرحي؟

سعد اردش

المسرحية بالكويت . فالناقد يقدم تحليلا نقديا شاملا لمسرحيات :

« ضاع الديك » من تاليف عبد العزيز السريع واخراج صقر الرشود ، و « شياطين ليلة الجمعة» التي يشترك في كتابتها عبد العزيز السريع وصقر الرشود ، و « ضحية بيت العز » التي كتبها وقام فيها بادوار البطولة عبد الحسين عبد الرضا وسعد الفرج ، و « السدرة أو الأشجار تموت واقفة » للكاتب الاسباني « اليخاندروكاسونا » واخراج كرم مطاوع والتي قدمتها فرقة « المسرح الكويتي » وهي احدى الفرق التي ثارت على نفسها بفعل المنافسة وقدمت عملا ممتازاً بالتعاون مع عناصر من خارجها ..

و « حفلة على الخازوق » من تاليف محفوظ عبد الرحمن واخراج صقر الرشود ، و « مغامرة راس المملوك » من تاليف سعد الله ونوس ، واخراج أحمد عبد الحليم وتقديم فرقة المسرح الشعبي ، و « الثالث » و « عشاق حبيبة » من تاليف حسن يعقوب العلي ، و « ورسائل قاضي اشبيلية » لألفريد فرج ومن اخراج سعد أردش وتقديم فرقة المسرح الكويتي ايضا ..

إن هذه التشكيلة من العروض المسرحية لها دلالات نترك للقارىء مهمة استخلاصها ..

منهج النقد الشامل

وسيلاحظ قارىء كتاب « المسرح الكويتي بين الخشية والرجاء » ان المؤلف في نقده لهذه العروض المسرحية يتابع نفس منهجه فهو يقدم ما يمكن أن تسميه بالنقد الشامل ، وهو يناقش العديد من الظروف والملابسات التي قد تحيط بالعرض ، وهو يتابع ظهور أو جمود أو تطور مؤلف أو ممثل أو مخرج ، وهو معنى بالقارىء أو المشاهد في الكويت وكأنه يريد أن يسهم بدوره النقدى في خلق جمهور للمسرح ... وهو يركز في نقده على الجوانب الفنية دون أن يقع في اسر نظرة أيدلوجية محددة .. وحين يتحداه نص مسرحى أصيل فانه ينسى الكثير من هذه المهام ولا يبقى منه الا أستاذ النقد الأدبى فيصل إلى ذروة في التحليل والتفسير النقدى الخاص بالنص . كما فعل في تحليله لمسرحية « السدرة أو الاشجار تموت واقفة » للكاتب الاسباني « اليخاندروكاسونا » وفي مقارناته النقدية بين بعض الملامح والسمات في نصوص « الثالث » و « عشاق حبيبة » ، « على جناح التبريزى » و « حفلة على الخازوق » وقد يكون من الطبيعى أن نمارس هنا أيضا حقنا المشروع في الاختلاف مع المؤلف في تحليلة لشخصية « المساعد » في مسرحية « حفلة على الخازوق » لمحفوظ عبد الرحمن ..

شخصية « المساعد »

يقول المؤلف الدكتور محمد حسن عبد الله :

« ان شخصية « المساعد » من أهم شخصيات المسرحية ، انه مخلب القط لكل الطغاة والفاسدين ، يزين لهم ما يفعلون ، بل يفكر وينفذ ويحتال ليرضيهم ، وليس لحسابه الخاص ، فهو ليس مجرد انسان فاسد بل هو صانع الفساد ، وقد وجدناه دائما نفس الشخص ، فهو مساعد المدير ، والمحتسب ، والوزير وهو اخيراً « الحاجب » الذي سيصبح «وزيراً ، إن شخصية في هذه الأهمية كانت تحتاج إلى معالجة فنية اشد مكراً ، فقد كانت مسطحة فهو مجرد موظف مطيع لرئيسه مع بعض المسايرة ، وليس هذا المسلك أهم معالم الشخصية من هذا الصنف ، صحيح أنها لا تحب الأضواء ، وتفضل أن تبقى وراء مركز الصدارة مباشرة ، ولكنها تفعل ذلك من موقف الدهاء الذي يجعلها المحرك الحقيقى لكل شىء والجاني الحقيقى لكل الثمار ، ولكنها لا تتحمل مسئولية الأخطاء ومن الصحيح أن ترشيح نفس الشخص لمنصب الوزارة يضع هذه الشخصية في إطارها الواجب ، ولكن من الصحيح ايضا أن النهاية لم تكن صادرة من تدابيرها الخاصة ، وما يجب أن تتسلح به من مكر ودهاء ..

« المساعد » كموقف وأسلوب

وليأذن لنا المؤلف في أن نختلف معه قليلا في تصورنا لوظيفة هذه الشخصية في المسرحية .. انها لا يمكن ان تكون شخصية واقعية بالمعنى البسيط والمباشر للكلمة الواقعية ، حتى يمكن أن تخضع لمعايير الحساب التي اشار اليها الدكتور محمد حسن عبد الله ، فواقعيا وفي الأطار العام للمسرحية (الذي لا تسمح ظروف هذا المقال بعرضه كاملا) لا يمكن ان يكون المساعد هو نفس الشخص للمدير وللمحتسب وللوزير ، وكلها شخصيات تتوافق احيانا بسبب مصالحها وتتضارع احيانا بسبب هذه المصالح أيضا .. ولكن الخيط الدقيق الذي ينظم حركة هذا الصراع (بحيث يبقى هؤلاء جميعًا كطبقة متساندة إلى آخر لحظة) هو المساعد .. فالمساعد هنا موقف أو اسلوب يتجسد في هذه الشخصية الرمزية ، وهو يشير إلى المنطق التبريرى الذي يقود كل هذه الشخصيات إلى الهاوية ، انه أسلوب في الحياة يشير إلى نقاط الضعف والحيلة والذكاء الذي لا يغنى في كل هذه الشخصيات .. وهو أسلوب الحلول الوسطى المقيتة التى تسود في الأزمنة الرمادية التي يختلط فيها الحق بالباطل ... على حد تعبير المؤلف ..

ومن هذا المنطلق يمكن أن يكون وجوده الرمزى لا الواقعى مقبولا في المسرحية .. أما مسالة ترشيحه للوزارة فهذا يعنى انه في مثل هذه الأزمنة يفوز منطق الحلول الوسطى والشر الخفى والبرءاة المزيفة ...

كلمة أخيرة

قد لا يتسع المجال هنا لعرض الدراسة الأخيرة من الكتاب عن « الحركة المسرحية في الكويت والبحرين » وعن أوجه الاتفاق والاختلاف بين الحركتين .. وقد يكون من الأنسب أن نترك التعقيب على هذه الدراسة لمن يلم بدقائق الحركة المسرحية هنا وهناك .

تبقى كلمة أخيرة إن هذا الكتاب سيبقى وثيقة من أهم الوثائق عن الحركة المسرحية في الكويت ، وسيبقي شاهداً حيا على روعة ما يمكن أن يقدمه الاهتمام والحب والمثابرة لقضية أو موضوع وهو أمر نحتاج اليه بقدر ما نفتقده .. !

مناقشات وتساؤلات كثيرة حول آخر أفلام.. فلليني..

بروفة أوركسترا أو.. حالة فقدان العقل!

رءوف توفيق

● هذا الفيلم السينمائي التليفزيوني أصاب الفكر الأوروبي بهزة عنيفة!
● طلقة رصاص تصيب الهدف تماماً.. ومخرج واع يملك الرؤية السليمة

يقترب عام ٧٩ من نهايته .. ويرصد عشاق السينما أهم أحداثه السينمائية العالمية .. ويتوقفون بالتقدير والاعجاب لهذه التجربة الفنية الفريدة التي قدمها ساحر السينما الايطالية ، المخرج « فيدريكو فلليني » ، في فيلمه « بروفة الاوركسترا » .

ورغم أن هذا الفيلم من انتاج التليفزيون الايطالي ، ولا يستغرق عرضه أكثر من سبعين دقيقة فقط .. الا أن حجم الضجة التي صاحبت هذا الفيلم مازال صداها يتردد في كل بلد في العالم يعرض الفيلم فيه .. وما كتب عنه من مقالات النقد والتحليل وما أجري من أحاديث صحفية مع مخرجه « فلليني » يفوق بكثير ما كتب عن عشرات الافلام الضخمة التي أنتجتها استوديوهات السينما العالمية وانفقت عليها ملايين الدولارات في الدعاية والترويج لها .!!

واذا كانت حصيلة عام ٧٩ السينمائية قد شهدت عددا من الافلام الهامة لكبار المخرجين العالميين ، أو لعبقريات شابة في السينما . الا أن هذا الفيلم السينمائي التليفزيوني يصيب الفكر الاوربي بهزة عنيفة ، لانه يضرب في عمق الجرح الذي تعاني منه أوربا الان .. وربما يعاني منه العالم ككل .. جرح الفوضى السياسية والاجتماعية والاخلاقية !

ولا يجرؤ على اقتحام هذا الموضوع الشائك ، وبايجاز بليغ أشبه ما يكون بطلقة رصاص تصيب الهدف تماما . غير مخرج واع يملك الرؤية السليمة ووجهة النظر ، ويعرف تماما لغة السينما وكيف يطوعها لخدمة أفكاره .. وهذه الصفات تتوافر في المخرج « فلليني » الذي يستكمل عامه الستين في يناير القادم .

وليس صحيحا ما قاله البعض ، أن هذا الفيلم يكتسب شهرته من اسم المخرج « فلليني » !!.. فالعكس هو الصحيح !.. لان الجمهور لا يعيش دائما على الذكريات .. ذكريات خاصة ، أو ذكريات عامة ارتبط بها في الفن والادب ، ومن أجل هذه الذكريات قد يغفر بعض السقوط والهفوات .. فهذا الجمهور لا يرحم .. وهو نفس الجمهور الذي أدان نفس المخرج « فلليني » في فيلمه السابق « كازانوفا » .

وعلى الفنان الذي يواجه الجمهور أن يعي هذه الحقيقة تماما .. وأن يعمل حسابها الف مرة قبل أن يقدم على عمل جديد .

وفي السطور التالية سنتعرف كيف استمد المخرج « فلليني » لهذا الفيلم القصير .

قصة الفيلم

يبدأ الفيلم بمجموعة أصوات آلات التنبيه للسيارات تتداخل بطريقة مفزعة ومؤلمة .. من بين الاصوات يتسلل صوت آلة تنبيه لسيارة اسعاف ، تحاول أن تجد طريقا وسط الزحام الرهيب الذي لا نراه ولكننا نشعر به مكثفا من خلال الاصوات فقط .. أما على الشاشة فنحن داخل قاعة فسيحة مرتفعة السقف ، حوائطها تدل على القدم والتهالك ، مثبت عليها صور لمشاهير الموسيقيين .. ورجل عجوز يدخل القاعة ليضع النوت الموسيقية على الحوامل العارية المصفوفة في ثلثي القاعة .. الرجل العجوز ينظر للكاميرا — أو ينظر لنا — ويحكي عن هذا المكان وتاريخه .. انه جزء من كنيسة قديمة ، تحول الى صالة لاجراء بروفات الموسيقى .. وان العازفين سيصلون الان .. ويحكى الرجل العجوز عن عشقه الخاص للموسيقى وكيف ارتبط بها ..

لقطات من فيلم (بروفة اوركسترا)

● خليط من البشر .. كل منهم يحمل آلته الموسيقية .. ولكن !
● فجأة تهتز الأرض قليلاً .. ويأتي من الخارج صوت مدو .. !

ويرقص الرجل دليلا على استمتاعه بالموسيقى !

بعد لحظات يبدأ دخول العازفين ، كل منهم يحمل آلة ، وكل منهم له عالمه الخاص ٠٠ منهم من يدخل ليمسح مقعده أكثر من مرة ثم يتشمم رائحته ٠٠ ومنهم من يخرج من جيبه راديو ترانزستور ليستمع الى مباراة كرة القدم وعلى وجهه تتقافز التعبيرات حسب مسار الكرة!٠

وهناك المشغول بتصفح مجلة عارية ٠٠ ومن يدخل مسنودا على عكازه ٠٠ بينما يتشاجر اثنان من العازفين على مقعد ، وكل منهما يقول ان المقعد له ٠٠ وهناك امرأة مشغولة بزجاجة خمر ٠٠ وآخر صامت تماما كأن ما يحدث حوله لا وجود له ٠٠ بينما يجلس عازف متوتر الاعصاب مشدود الانتباه وكأنه مستعد للانفجار في أي لحظة !!

خليط متنوع من البشر ٠٠ كل منهم يحمل آلته الموسيقية ٠٠ ولكن كل منهم مشغول بنفسه وبهمومه التي لا علاقة لها اطلاقا بالموسيقى !!

وتدخل القاعة بعثة تليفزيونية جاءت لتسجل برنامجا عن الفرقة الموسيقية ، وتجرى الاحاديث مع العازفين ٠٠ ويواجه كل منهم

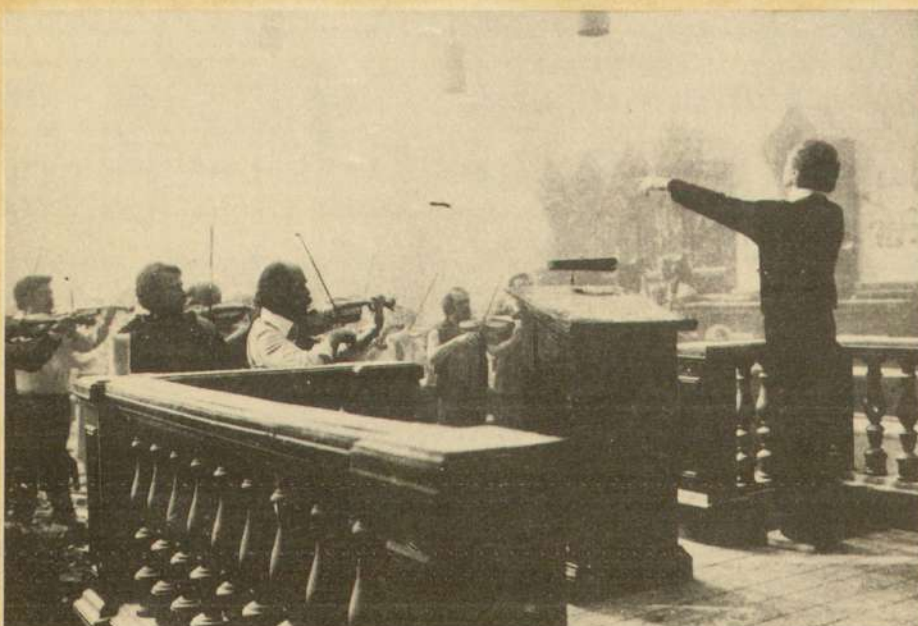

المايسترو يقود الاوركسترا بعد الانهيار مع ملاحظة حركة الوقوف عند المايسترو

الكاميرا ويتكلم مجيبا على أسئلة المذيع الذي لا نراه ولكننا نسمع صوته فقط (قام المخرج فلليني بهذا الدور بنفسه) !

كل منهم يتكلم عن آلته الموسيقية ، وارتباطه بها ، وكل منهم يؤكد أهميته ، وينفي أهمية الاخرين ٠٠ هو أولا وقبل كل شيء، وآلاته الموسيقية هى الاساس وبقية الالات كمالة عدد !!

وتنتقل الكاميرا بين شخص وآخر ٠٠ ويتكرر نفس المعنى بتفاصيل مختلفة ٠٠ واحدى العازفات تصرخ بهلع لانها شاهدت فأرا يتسلل من الحائط ، ويقوم بعض العازفين بمطاردته ٠٠ ويحدث ارتباك بين الصفوف ٠٠ بينما المشغول بالاستماع الى مباراة الكرة ، مازال يضع

مناقشات وتساؤلات كثيرة حول آخر أفلام .. فلليني ..

الراديو على أذنه ويشتعل حماسا .. والعازف العصبي يتململ غيظا .. وتستمر بعثة التلفزيون في تسجيلاتها مع العازفين .

الفوضى .. والانهيار

ويثير أحد العازفين تساؤلا : هل سيحصلون على أجر نظير هذا التسجيل التليفزيوني ؟! . ويبدأ الجدل .. ويتدخل مندوب النقابة الذي كان حاضرا مع بعثة التليفزيون يحاول أن يفرض النظام .. ولكن بلا جدوى . حتى يدخل المايسترو الى القاعة ويقف في مكانه وينظر للعازفين وينبههم الى النظام والهدوء .. ويبدأ العزف .. ولكن المايسترو يعترض على الطريقة، ويوقف العزف ، ويصرخ فيهم باللوم والشتائم .. ويطلب منهم الاعادة . ويتكرر العزف .. وتنطلق النغمة المتجانسة .. ويدب الحماس في العازفين ، ويخلع بعضهم ستراتهم وبعضهم يتخلى عن قمصانهم أيضا ، وينهمكون مع آلاتهم في تلاصق حميم !.

وفجأة تهتز الارض قليلا .. وتتساقط بعض الاتربة من سقف القاعة .. ونسمع في الخارج صوتا مدويا .. ومع ذلك فالعزف مستمر، وكل منهم مع آلته ، تحت قيادة المايسترو .. الا أن مندوب النقابة يطالب باستراحة للعازفين ، فلائحة العمل تنص على الاستراحة .. وينفجر المايسترو في مندوب النقابة لانه يعطل العمل .. ولكن مندوب النقابة يصر على مطالبه . فيترك المايسترو القاعة الى حجرته .. وتبدأ الاستراحة التي تنقلب الى فوضى حقيقية !

بعض العازفين يعتلون المقاعد لكتابة شعارات الاحتجاج ضد المايسترو ، وتمتلىء الجدران بالشعارات .. ويصرخ بعضهم في جنون .. بينما يمارس بعضهم متعته الخاصة .. ويهتف أحدهم بسقوط المايسترو فلا ضرورة لوجوده ، فهم يعرفون عملهم جيدا .. ويصعد هذا العازف المتشنج الى مكان المايسترو ليضع مكانه آلة ضبط الايقاع ويعلل تصرفه بأن الآلة تستطيع أن تقوم مقام المايسترو .. ويرفض آخرون هذا المنطق .. ويدب الخلاف .. وتدوي طلقة رصاص أطلقها من مسدسه ذلك العازف العصبي المنتظر لاي فرصة للاشتباك .. بينما عاشق الكرة يستمع الى المباراة في الراديو !!

كل هذا يحدث فجأة .. مع زيادة تساقط الاتربة من سقف القاعة .. واتساع شروخ الجدران .. واهتزاز الارض .. وانقطاع الكهرباء .. وينزوي أحد العازفين في مقعده يبكي في رعب ويولول : « لماذا .. لماذا ..؟! » .. وينشق حائط القاعة من هول اندفاع كرة حديدية ضخمة آتية من الخارج .. وتتساقط اللوحات من على الحائط .. ويهرع أحد العازفين الى المايسترو يسأله ما العمل ؟. ويتقدم المايسترو بهدوء الى مكانه ، يزيح التراب والاحجار المتساقطة ، ويقف في ثبات ويطلب من العازفين أن يمسكوا آلاتهم .. ويقول لهم في ثقة وبحسم، « أنتم في أماكنكم .. وأنا في مكاني هنا .. ابحثوا عن نوتكم الموسيقية .. اتبعوا النوت .. أنتم موسيقيون . » !

ويرضخ الجميع لتعليمات المايسترو .. وينتصبون في أماكنهم والتراب يتساقط عليهم . والمايسترو يهتف فيهم : « ابدأوا .. البروفة مستمرة » .. ويردد المايسترو بعض الكلمات بالالمانية وكأنه صوت هتلر .. فتنطلق الموسيقى من جديد .. في تجانس .. وفي نظام .. رغم كل الانهيار الموجود !

وينتهي الفيلم .!!

المخرج فلليني احد الممثلين على طريقة الامساك بالآلة الموسيقية.

الفوضى وفقدان العقل .. (لقطة من فيلم بروفة اوركسترا)

محاولات تفسير

وتنطلق التفسيرات والتحليلات . ومحاولات فك رموز الفيلم ..

ما الذي يقصده المخرج « فلليني » بهؤلاء العازفين الذين تستغرقهم مشاكلهم وأمراضهم النفسية ؟ ولماذا تفجرت احتجاجاتهم ورفضهم لقائد الاوركسترا فجأة ؟ وما معنى الانهيار الذي حدث ؟ ولماذا عادوا لطلب المايسترو ؟ ولماذا انصاعوا

الاوركسترا تعزف تحت قيادة المايسترو .. بعد الانهيار

لاوامره ؟ .. وما معنى الكلمات الالمانية التي نطق بها المايسترو وكأنه صوت هتلر ؟!

هل يقصد المخرج « فلليني » أن يشبه الحالة التي وصلت اليها ايطاليا ـ أو أوربا عموما ـ بحالة هؤلاء العازفين الرافضين للنظام ، أو القيادة .. ولكن عندما يشتد الخطر ويبدأ الانهيار يهرعون في طلب القيادة ؟!

وهل يحذرنا المخرج « فلليني » . بأن القيادة عندما تعود في مثل هذه الظروف .. ستكون قيادة ديكتاتورية ؟!

المسألة اذن محصورة في داخلنا نحن .. نحن صناع الفوضى ... ونحن صناع النظام .. وفي كلتا الحالتين علينا أن نتحمل النتائج .. الفوضى ونتيجتها الديكتاتورية .. النظام ونتيجته الحرية والديمقراطية!

وعندما لجأ بعض الصحفيين ، حاملين تفسيراتهم المتعددة لمغزى الفيلم .. وحاصروا المخرج « فلليني » .. رفض أن يستجيب لفضولهم وقال لهم باصرار : « ان لعبة محاولة التعرف على كل المعاني السياسية من خلال الفيلم .. لعبة مؤذية للفيلم .. لانها تقتل براءته . فأنا لا أقدم سوى « بروفة أوركسترا » !

وبالرغم من كل محاولات المخرج « فلليني » للتهرب من تفسير الفيلم .. وترك الامر للمتفرج لكي يستخرج المعنى المطلوب .. الا انه في الكلمة التي قدم بها الفيلم ووزعت على الصحفيين والنقاد في عروض الفيلم الاولى .. كتب يقول :

الخطر يكمن في داخلنا

« انني أعتقد أن هذا الفيلم يحمل عاطفة كامنة من الممكن أن تظهر للمتفرج كصدمة ، رعب ، خجل .. وانني أؤكد بضرورة أن يترك المتفرج لنفسه لكي يواجه هذه المشاعر المتباينة » .

« انني لم أرغب في صنع فيلم سياسي .. بل أسطورة أخلاقية .. لقد أردت ببساطة أن يشاهد بعض الناس تلك الصورة السينمائية فيشعرون بقليل من الخجل » .

« لم أكن أرغب في تقديم موضوع تاريخي ، ولا حتى سياسي أو اجتماعي . ولم أفكر في اصدار أحكام عن النقابات .. ولكن ما نحن أمامه الان هو بروفة أوركسترا ، وليس تاريخ ايطاليا .. والفيلم أيضا تعبير عن جزء مجهول في داخلي يلتقي مع العقل الباطن للمشاهد .. ومن هذا اللقاء تنشأ الصدمة ، الاتصال ، والعاطفة المؤثرة » .

« انني لا أعرف ما الذي يمكن فعله لتغيير المجتمع ، فما أقوله دائما يتعلق بالافراد .. لان الخطر في داخلنا .. وليس خارجنا . وأقول الصدق انني لا أرغب في مناقشة « بروفة أوركسترا » حتى لا يفقد الفيلم خصائصه وشحنته العاطفية على كل مشاهد ، فهذا المشاهد في رأيي ، عليه أن يتحصل على شيء من الفزع .. والعاطفة .. على بعض الخجل والعار » !

وهكذا ينهي المخرج « فلليني » كلمته .. وهو يدعونا ـ نحن المشاهدين للتفكير والقلق على ما يجري حولنا .. وما نشارك فيه . فهو كما قالها بصراحة : « ان الخطر يكمن في داخلنا نحن » !

أرفض النهايات السعيدة

ولكن الحصار حول « فلليني » لا يهدأ ، ولا ينفض .. فقد أثار موضوعا خطيرا وشائكا ، يشغل جميع الاذهان ليس في أوربا وحدها ولكن في العالم ككل .. موضوع العلاقة بين الفرد ونفسه .. والفرد والسلطة ..

ومن سلسلة اللقاءات الصحفية التي أجريت أخيرا مع « فلليني » .. أستطيع أن ألخص بعض افكار هذا المخرج الايطالي العبقري والتي تناولت تحليل وجهة نظره التي ضمنها فيلمه « بروفة أوركسترا » . يقول فلليني عن الفكرة التي

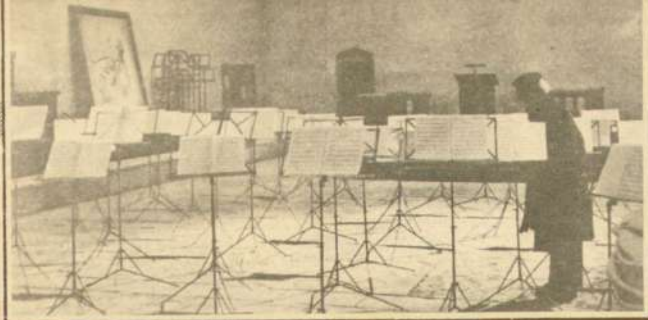

سينما

مناقشات وتساؤلات كثيرة حول آخر أفلام.. فلليني..

استوحى منها الفيلم :

« راودتني فكرة الفيلم منذ زمن طويل .. فعندما كنت أحضر تسجيل الموسيقى التصويرية لأفلامي ، كنت أندهش تماما وأكاد لا أصدق تكرار هذه المعجزة في كل مرة .. هؤلاء العازفين المختلفين عن بعضهم ، يصلون الى قاعة التسجيل ، حاملين آلاتهم الموسيقية وأيضا حاملين همومهم الخاصة ، ومزاجهم السيىء وأمراضهم .. وحاملين أيضا أجهزة الراديو الترانزستور لكي يستمعوا لمباريات الكرة .. وكانت دهشتي من ملاحظة أنه من بين هذه الفوضى ومع تكرار المحاولة تخرج الموسيقى المتناسقة .. هذه العملية من خلق النظام من بين الفوضى ، كانت تترك تأثيرا قويا في داخلي .. وكان هذا الموقف ، يماثل بشكل أو بآخر ، صورة الحياة في المجتمع عندما يظهر تعبير جماعي دون أن يفقد كل فرد شخصيته » .

وقال « فلليني » في تفسيره لموقفه الغامض من قائد الاوركسترا .. فهو مرفوض .. وهو أيضا مطلوب؟!

« الغموض هو الحياة .. وأنا أقدم ضرورة النظام وفي نفس الوقت الخطر منه .. ولقد شعرت بضرورة عدم انهاء الفيلم نهاية سعيدة ، فنحن لا نستطيع أن نبني شيئا جماعيا بدون أن نأخذ في الاعتبار أهمية وجود دافع داخلي .. فاذا ألقينا مسئولية حياتنا الشخصية على عاتق شخص آخر فهناك دائما خطر السقوط في اللامبالاة الجماعية . ومن ثم المغامرة في أن تؤدي هذه الجماعية الى خلق مهزلة السلطة الابوية .. وفي رأيي انه يجب أن تحاول أن تكون أبا لنفسك .. ربما تكون هذه فلسفة شوارع .. ولكن هذا ما أردت أن أعبر عنه .. وأنا أرفض النهايات السعيدة لانها تخلي المشاهد من كل مسئولية . وعلى النقيض .. فاذا انهيت الفيلم بعلامة استفهام فهنا يكون على المشاهد أن ينهي القصة .

وفي كل أفلامي لم أكتب أبدا كلمة « النهاية » على الشاشة » !!

حالة فقدان العقل

وان كان « فلليني » يحاول ألا يسجن فيلمه داخل تفسيرات سياسية محدودة .. فهو يصرخ بوضوح شديد « ان فيلمي الصغير يمثل حالة من فقدان العقل .. وهذا شيء مرعب .. فنحن نواجه هذا بفقدان عقل جماعي .. أي بديكتاتور » !

ولقد تعمد « فلليني » أن يقدم بروفة الاوركسترا في صورة قاتمة .. لكي يثير في داخلنا ضرورة اليقظة لما يحدث حولنا .. فمن الظلمة والقتامة يولد الحنين الى استكشاف الطريق .. فكما يقول فلليني « اننا نسمع ونقرأ كل يوم في صحفنا عن المعارك والاتهامات والاغتيالات الناشئة عن عجز سياسي وأخلاقي .. فالعالم اليوم ينفجر برد الفعل الجماعي .. الفوضى الجماعية » .

ولن يكون الحل بظهور ديكتاتور جديد .. فهذه هي الكارثة الكبرى .. أو كما يسميها « فلليني » بفقدان العقل الجماعي !

كيف استعد فلليني لهذا الفيلم ؟

وهذا الفيلم القصير الذي أثار الفكر العالمي ، وأذهل عشاق السينما ببنائه الفني المحكم ، يحسب للتليفزيون الايطالي انه وافق على انتاجه ضمن محاولاته لاكتساب كبار مخرجي السينما والعبقريات الشابة في صنع أفلام يمولها التليفزيون ولا تخضع لنزوات السوق التجاري !

وهذا هو الفيلم الثالث الذي يخرجه « فلليني » للتليفزيون الايطالي .

وقد حكى المخرج « فلليني » كيف استعد لكتابة سيناريو الفيلم — فهو صاحب الفكرة والسيناريو بالاضافة الى الاخراج — قال :

« قبل كتابة الفيلم .. تناقشت مع مئات الموسيقيين .. قابلت أشهر العازفين المنفردين الايطاليين .. دعوتهم للغذاء .. وكان في ذهني عشرات الاسئلة ولكنني صحفي سيىء جدا ،مشكلتي انني لا أجيد القاء الاسئلة وبالتالي كانت الاجابات لا تعجبني .. ولكني اصطدت من كل واحد منهم علاقته الخاصة بالآلة التي يعزف عليها .. انهم يتحدثون ببلاغة .. وطرافة .. وجهل .. وأحيانا بجنون !!

« بعد هذه اللقاءات .. بدأت أكتب .. وتصورت في البداية انني سأختار أفرادا من الفرق الموسيقية الايطالية الشهيرة لكي يلعبوا أدوار الفيلم .. ولكن بعد فترة استبعدت هذه الفكرة لان ميزانية الفيلم لا تحتمل .. فتصوير الفيلم في أربعة أسابيع منهم أسبوعان للاعداد للعرض ، مع استخدام أشهر الموسيقيين كان معناه تكاليف تفوق الهبوط على القمر .. ولهذا السبب ولمتعتي الخاصة في اختيار الوجوه المعبرة ، فقد بدأت أبحث عن الاشخاص الذين لهم علاقة بآلات الموسيقي .. واخترت ستين شخصا ، منهم خمسون تقريبا مهنتهم الحقيقية هي العزف الموسيقي .. أما الباقون فقد كان عليهم أن يتدربوا يوميا على الامساك بالآلات » .

وهذا الجهد الخرافي ، والدقة ، والامانة في كل التفاصيل الصغيرة، هي التي تعطي للعمل الفني مذاقه الخاص .. وتعطي لأفلام « فلليني » هذه الشهرة وردود الفعل القوية ..

وليس من باب الدعابة ان يقول فلليني :

« ان العمل يعطيني احساسا بأنه لا يوجد من يقهرني .. العمل يمنحني القوة والصحة » !

.. وهكذا يفكرون للسينما .!

رءوف توفيق

محمد العربي الخطابي

العمر الثالث

ترى هل تشهد الدنيا ، فيما تشهده من غرائب التحول والتغير ، أفول عهد، طالما نعم فيه الاطفال بحنان جد أو جدة يملآن — احدهما أو كلاهما — عالم الصغار بالدفء الودود والرعاية الحانية

ويضيئان رحاب الاسرة بنور من الحكمة والتجربة والوداعة ، ويتحدثان الى الاطفال بلغة قريبة من عقولهم ، ويرسلان الكلام مهيلا متقطعا خفيضا ، ويقربان المسافة بين الاجيال ويكملان ألفة الأسرة وانسجامها ؟

فمن ذا الذى أدرك منا جده أو جدته فلم تعلق بقلبه ذكريات حلوة عطرة لايحب أن ينساها ؟ فهذا ينصح برفق أو يعاتب بحنان ، وتلك تحكى أغرب الحكايات وتنطلق من فمها الرخو الأقوال والامثال ونحن نصغى اليهما ونتطلع الى حركاتهما المتراخية وإشاراتهما المتئدة فترتاح نفوسنا وتطمئن قلوبنا فننبسط معهما فى الحديث ونلغو كالحملان الوديعة بلا عناء أو حرج .

تلك كانت سمة الاسر التى يسعفها الحظ فيعيش فيها الجد والجدة حتى يتعرفا الى احفادهما ، وما تزال هذه السمة تطبع الاسر فى كثير من بلدان الله ، الا اننا بدأنا نسمع أو نقرأ أخباراً تأتينا من الاقطار « الراقية» تتحدث عن مصطلح جديد يثير فى النفس بعض التشاؤم وكثيراً من التساؤل ، هذا المصطلح هو « العمر الثالث » يعنون به الشيوخ الطاعنين فى السن من النساء والرجال وما يتصل بهم من مشاكل ويطرأ على شئونهم من أحوال تنعكس آثارها على المجتمعات الصناعية

حرمة الشيخوخة

إن هؤلاء الذين ينسبون الى « العمر الثالث » فى دول الغرب كثيرا ما ينتهى بهم المطاف إلى مايسمونه ببيوت الراحة أى ملاجىء العجزة .

ولوكانت هذه الملاجىء موقوفة على من لاقرابة لهم ولاأهل لهان الامر وبانت المصلحة، وإذ ذاك يمكننا أن نعد هذا الصنيع من الاعمال الخيرية الانسانية ، ولكن الذى يثير الاستغراب والاشمئزاز هو أن يعمد شاب أو شابة الى ادخال أبويهما متى تقدم بهما العمر الى أحد تلك الملاجىء تخلصا من عبثهما أو بدعوى أن جيل الشباب وجيل الشيوخ لايتفقان ، أو أن الدخل لايكفى للنفقة على الأب الشيخ والام العجوز .

العمــــر الثـــالث

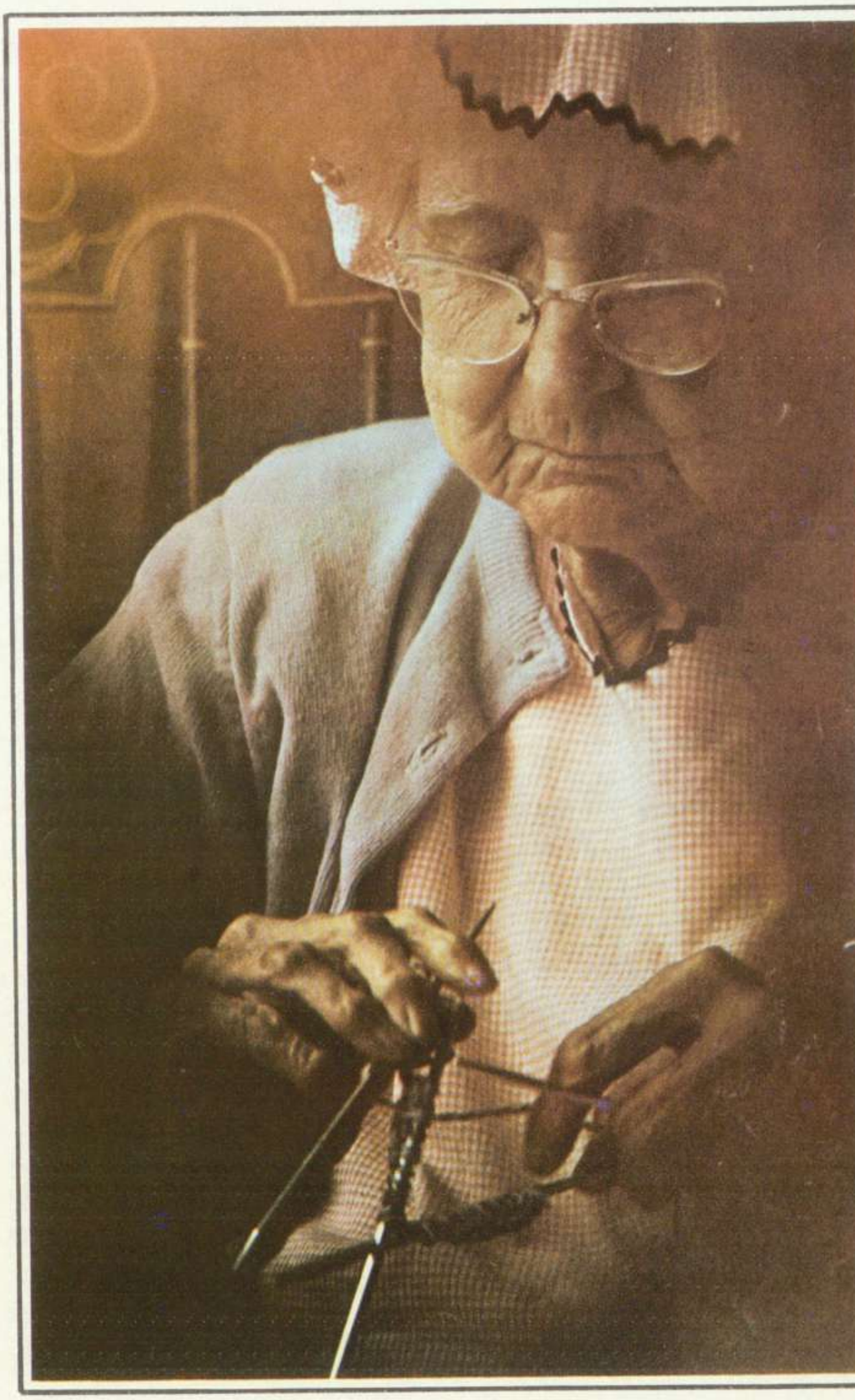

لقد شاهدت أيام سكني في سويسرا برنامجاً على شاشة التلفزيون الفرنسي خاصاً بمشاكل « العمر الثالث » فسمعت بعض ساكني الملاجيء من الشيوخ يحكون مأساتهم ويذكرون أبناء لهم أحياء ، متزوجين أو عزاباً ، يسكنون في بيوتهم قريبا أو بعيداً من مكان الملجأ فلا يزورون آباءهم الذين لم يروهم منذ سنين طويلة .

وكنت أناقش في هذا الأمر زوجين ايطاليين شابين من أصدقائي فتصدت الزوجة تدافع بحماس عن مبدأ ايداع الآباء من الشيوخ المتقاعدين في الملجأ « بيت الراحة» بدعوى التفاوت في المزاج والفكر بين الآباء الشيوخ والشباب ، ورغبة في التخلص مما يسببه الشيوخ من ازعاج وضيق لأولادهم ان هم بقوا يعيشون معهم تحت سقف واحد .

قلت لهذه الزوجة المتحمسة : ماذا لو عكسنا الآية وتصورنا أبوين يقدمان على حمل أطفالهما إلى دور الأيتام بدعوي ان العقول تتفاوت والأمزجة تختلف ، اذ شتان ما بين طفل سانج بريء ورجل مكتمل الرجولة وامرأة كاملة الأنوثة ، فهل يجوز هذا ؟ فاذا جاز ماذا يكون مصير الأسرة وحال المجتمع ؟

ان للشيخوخة حرمتها عند الله وعند الناس ، فاذا كان الشيخ والشيخة أبوين لأحد منا فان الاحترام والعطف والرعاية تصبح من الواجبات المقدسة التي لا يخل بها الا جاهل عاق ، والعقوق في شريعة الاسلام من الكبائر مثله كمثل الشرك وشهادة الزور .

أوصى الخالق الرحيم بالوالدين بروراً واحسانا وجعل لهما في شريعته حقوقا أدناها النفقة عليهما حينما يكبران ويعجزان عن العمل وكسب الرزق . وقد نشأ المجتمع الاسلامي على احترام الوالدين والعطف عليهما والحرص على كسب رضاهما ، وما يزال ذلك من تقاليدنا الحسنة الراسخة حتى في هذا العصر الذي صبغتنا فيه الحضارة الغربية الكاسحة بألوان من محاسنها ومساوئها ، وليس يخطر ببال أحدنا ، غنيا كان أو فقيراً ، نبيلا أو ضعيفا أن يقطع الصلة بوالديه الكبيرين فيرمي بأمه العجوز أو بأبيه الشيخ في عرض الشارع أو يودعهما في ملجأ وهو قادر على النفقة عليهما .

وحتى في الغرب الذي شاعت فيه ظاهرة التخلص من ذوى العمر الثالث بايداعهم في « بيوت الراحة » ارتفعت أصوات بعض ذوى الضمائر النقية استنكاراً لذلك ، ومنهم من عالج هذه المشكلة بروح من الشعور بالمسئولية كاولئك الذيك أحدثوا جامعات خاصة بالشيوخ يختلف اليها من تجاوزوا الستين من عمرهم فتيسر لهم سبل الايناس وملء الفراغ بشكل مفيد . ونذكر في هذا المجال الجهود التي يبذلها السيد بيير فيلاس وهو من رجال القانون في فرنسا ـ وكان صاحب فكرة تأسيس « جامعات العمر الثالث » ، وقد ألف كتابا سماه « النفس الثالث » ـ بفتح الفاء ـ

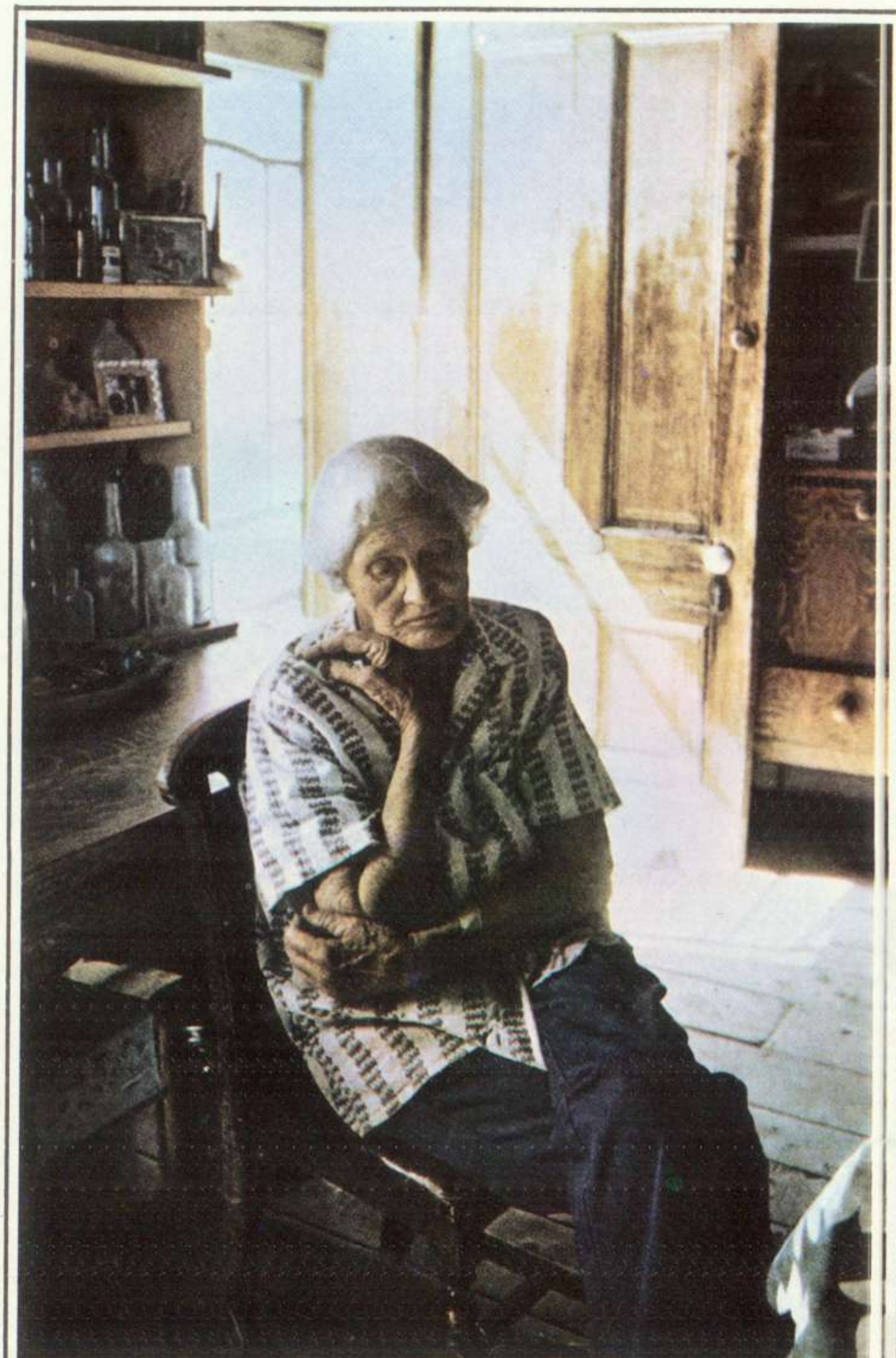

تتحدث فيه عن النجاح الذي لاقته هذه الجامعات البالغ عددها نحو خمسين في فرنسا ، ويتلقى فيها الطلاب الشيوخ ضروبا من المعرفة وفنونا من الرياضة وأنواعا من النشاط الفنى كالمسرح والموسيقى بكيفية تلائم أعمارهم وتجدد نشاطهم وتجعلهم يحسون بجدواهم .

وقد استأثرت هذه المشكلة أيضا باهتمام الأدباء ، ومن الأعمال التي تستحق التنويه رواية صدرت أخيراً في باريس عن دار (دنويل) من تأليف الكاتبة الشابة إنيس كونياتي بعنوان (موزى أو الحرباء التي كانت تبكى) صورت فيها الكاتبة احساس شيخ أدخلته بناته إلى ملجأ خيرى فهاجت همومه وذكرياته حين وروده على هذا العالم الغريب القاحل الذي ينطوى فيه الناس على أنفسهم ، وعبثا حاول (موزى) أن يجد بين الجدران والمقاعد انسانا يبثه شكواه ويقص عليه فصولا من حياته ، فلما أعياه البحث وأحس بالحاجة إلى الجلوس ليستريح قليلا لم يفسح له أحد مكانا بجانبه ، وأخيراً عثر على مقعد بجوار عجوز صامته فجلس

العمر الثالث

بجانبها وأخذ يتكلم بمفرده وهى لا تجيب .

وقد أحببت أن الخص جزءا من هذا « المونولوج » اليائس الذي يشبه الاعتراف ويفيض بالحيوية وينبعث من تلقاء النفس متزاحما خاليا من حدود الزمان والمكان .

« المونولوج » اليائس

يقول (موزي) :

« لست حريصا على الجلوس فوق مقعد اذ بامكانى أن أقعد على حافة الجدار أو أن أفترش الأرض وسط الأعشاب فأنا متعود على ذلك ، غير أن الحارس أخبرنى أن الجلوس على الأرض ممنوع . وهذا يعني أنني اذ شئت أن أستريح قليلا فلا بد لى ان أجلس إلى جوارك ، فأنت بمفردك وليس لك أن تتظاهرى بأن لا مكان بجانبك ، ثم إن من حقى ان أكون هنا أنا أيضا ما داموا قد قبلوني ، ان الدخول إلى الملجأ ليس بالامر الهين كما تعرفين ، قد يظن بعضهم عكس ذلك ولكن الأمر حقا عسير فأنا ، مثلا ، لو لم تكن (ميلاني) ، زوجتي قد ماتت لبقيت في بيتي هادئا أجلس على المقعد تحت النافذة أمام البيت ..

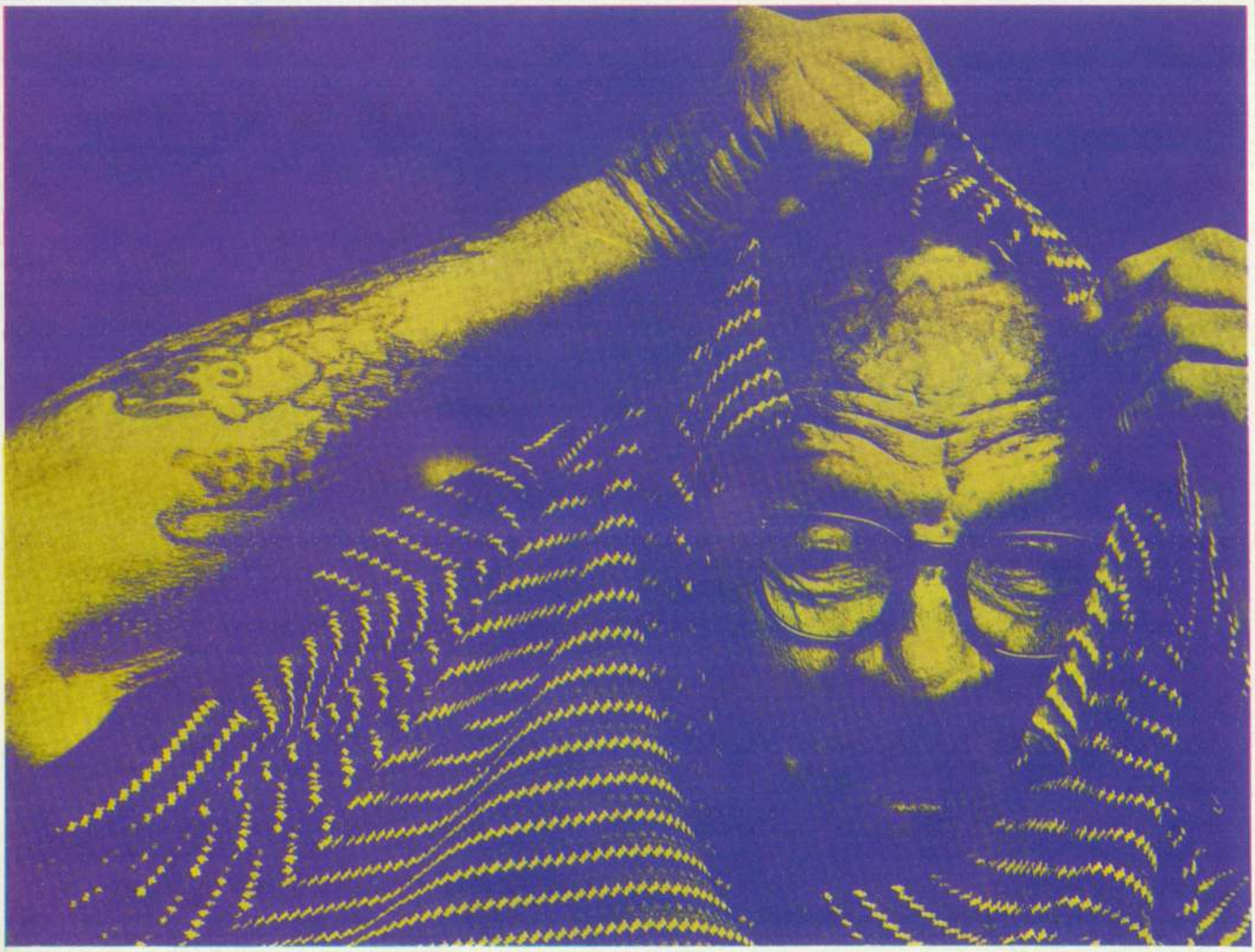

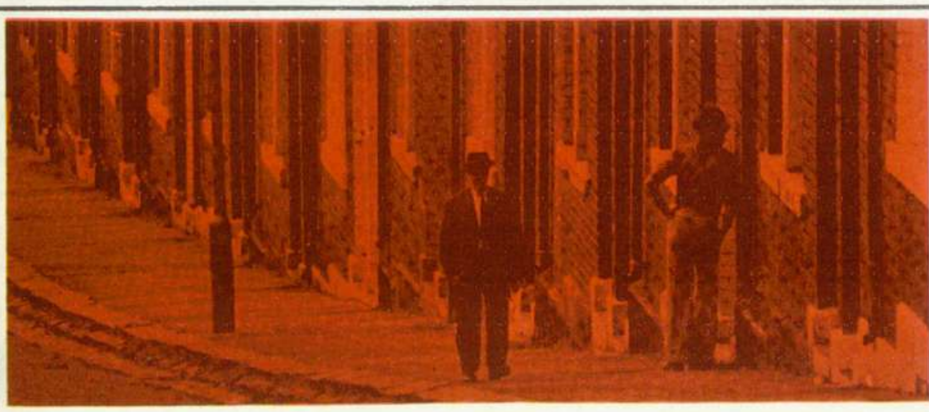

هؤلاء الذين ينتمون إلى العمر الثالث فى دول الغرب .. مآلهم إلى بيوت الاستجمام

مقعد لي وحدي أجلس فوقه حينما تشتهى نفسى مشاهدة لون النهار والحقول والعصافير محلقة تبشر بالزمن والفصول . ولقد أصبحت من فرط المشاهدة أعرف كل العصافير وعاداتها كما أعرف الهواء وطعمه المنبىء عن الطقس وأحواله وعن كل ما يحدث هنالك بعيدا . استمعي إلى ريح هذا اليوم .. إن لها طعما حلوا وهذا يدل على أن هنالك من يعصر عنبا في منحدر تلة أو في الوادى .. انك ان تعلمت كيف تصغين إلى الريح فسوف تعرفين أشياء كثيرة . أما أنا فقد أحببت التعلم دائما .

أراك لا تتكلمين يا سيدتي ، إنى أكلمك لربط أسباب التعارف ، وليس من قصدى أن أسبب لك ضجراً ، الا أنه لا بد لي من أن أجلس على مقعد ، فاني أكاد أكون شيخا ولو أنني أقل شيخوخة منك . لقد اشتغلت كثيراً ، والعمل في الحقول يرهق الناس أكثر مما يرهقهم في أي مكان آخر .. يبدو عليك أنك لست من أهل القرى ، ان هذا يظهر على اليدين ، ثم انك أسبانية ، انني أميز الاسباني عن غيره حتى ولو كان بين ألف من الناس ، أعرفه بلون بشرته المائلة إلى الصفرة ، والأسباني حينما يشيخ يصير وجهه

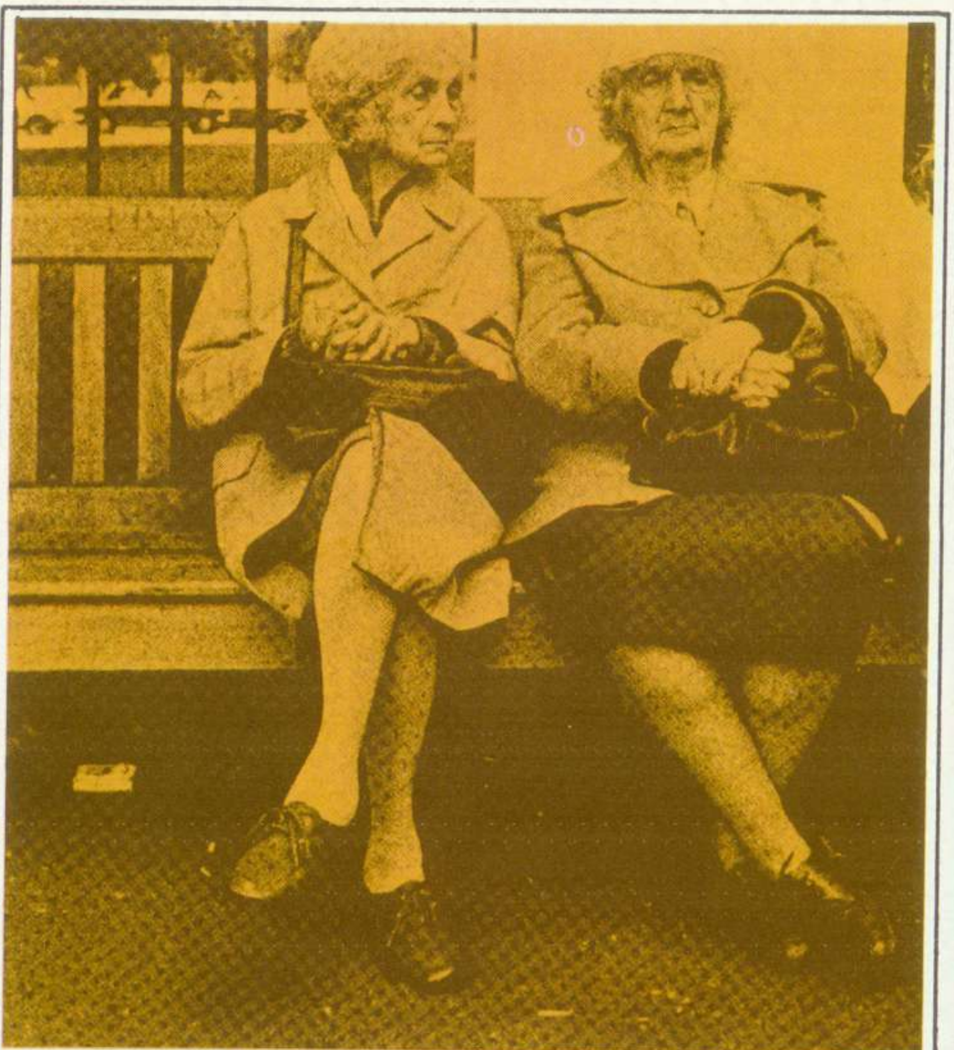

العمر الثالث

كورقة قديمة مدعوكة. أما أنا فايطالي، وفي بلادى لا يشيخ الناس كما يشيخون في أسبانيا، انهم في ايطاليا يحتفظون بخدود وردية خالية من التجاعيد، وأنا أقصد سكان الشمال الايطالي، هذا واضح .. اننا جميعا نزحنا إلى فرنسا في حقبة واحدة، قبل الحرب، وكان الفرنسيون يمقتوننا جميعاً بنفس المقدار .. فالايطاليون انصرفوا إلى خدمة الأرض لأنهم لا يخشون أن تتسخ أيديهم، أما أنتم فمكثتم في المدن اسكافيين وتجارا، وربما عمالا، فانتم لا تحبون الأرض كثيراً أو على الأقل أولئك الذين عرفتهم منكم.

اين حفنة التراب ؟

لقد انفقت خمسا وثلاثين عاما من عمرى في خدمة الأرض فعملت فيها بعناية ونظام، وها أنا الآن في ملجأ للفقراء أنتهى كما بدأت وأنا طفل صغير لا أملك حفنة تراب أهيله على وجهي حينما أموت. من قبل كنا نأكل فنشبع، وكنا نشرب من عصير كرومنا، وقد تمكنا من تعليم أبنائنا، وفي هذا خير وبركة، وهل ينتظر من رجل عادي مثلي أكثر من أن ينهى حياته في هدوء وطمأنينة جالسا قدام بيته يتفرج على الأيام وهى تمر ؟ وإلا فما جدوى العمل يا ترى ؟

ليس لدينا في هذا الملجأ ما نشغل به أنفسنا. سوف أخرج في المساء لاتفسح أما في الصباح فلا بد من عمل شيء ما، فماذا نصنع اذن اذا لم نثرثر قليلا ؟

ان ما يؤسفني هو بعد مقعدك عن الشمس، فهذه مسألة ذوق. أنا، مثلا، أحب الضوء والشمس ... لقد كان الميتم الذي آواني أيام طفولتي أشبه ما يكون بهذا المكان: جدران سميكة لا نوافذ فيها تقريبا، والدفء لا يتسرب إلى الداخل أبداً حتى في فصل الصيف. لا شمس ولا نار نصطلي بحرارتهما حتى غدونا كالدودة في باطن الأرض ... كانت عيوننا تحترق حينما نبصر نور الشمس. انني بسبب ذلك رفضت أن أصبح راهبا، فالكنائس دائما مظلمة باردة ... لقد أدخلونى إلى معمل أحذية حيث كنت أقص الجلود في قبو تعبق منه رائحة البهائم النتنة، وكان عمرى اذ ذاك أربعة عشر عاما وما زلت في هذا القبو حتى بلغت العشرين. كنت حينما أعود إلى البيت لأنام تبقى رائحة النتن ملتصقة

بي . وكنت أغتسل بمياه النافورة الموجودة في ساحة البلدة غير أن الرائحة الخبيثة لا تبرح بدني ... ومع هذا كله فانا لا أشتكي .. ربما يكون الآخرون ما يزالون في ذلك القبو ، أما أنا فقد تمكنت من مبارحته .

في القبو كنت أفكر دون توقف في الشمس التي تشفي كل الأسقام ونحس ونحن تحتها ببعض الرضا . وكنت أفكر أيضا في هواء البحر المتصاعد من جهة مدينة البندقية ... وأذكر أنني كنت أقرأ كتبا كثيرة تتحدث عن هذه الأمور وعن المحيطات البعيدة وعن الشمس الساطعة ليلا ونهارا ، وكنت أقول في نفسي أنني سوف أرحل لمشاهدة البندقية والمحيط والسفن الراقصة المتجهة نحو الجزر المشمسة . كنت أقضي النهار كله محدثا نفسي بهذه الأمور ، وما أزال كذلك حتى يقبل الليل .. وكنت أكلم زوجتي (ميلاني) في كل ذلك فتصغي إلي ثم أخذت تشتعل غضبا حينما فاتحتها برغبتي في الرحيل لمشاهدة المحيط ولو مرة على الأقل . وكانت تغضب أيضا حينما أكلمها عن شغفي بالقراءة ، وكانت تقول لي : ان الشقاء كل الشقاء انما يأتي من قراءة الكتب ... فمن ذا الذي يؤلف هذه الكتب ؟ انهم سكان المدن الذين أتيحت لهم فرصة التعليم ويعيشون عيشة يستحيل عليك تصورها ... ان أفكارهم هي أفكار المدن ، وليس لها أن تكون غير ذلك ... انها افكارهم التي لا شأن لك بها أنت أيها الكلب المسكين ! ان الانسان حينما يخدم الأرض لا يكون في حاجة إلى السفر إلا إلى مشاهدة أشياء تزيد عن حاجته ، وليس من شأنه أن يتكلم كما يتكلم الشعراء .

لماذا ماتت « ميلاني » ؟

وكانت زوجتي تقول أيضا : إن القراءة من عمل الكسالى الخاملين ... هكذا كانت ميلاني ، لا تقبل ان أصنع شيئا لنفسي ، وما كنت أريده هو أن أرحل فأغيب يومين أو ثلاثة فقط ، وعبثا حاولت أن أشرح لها ما كان يدور بخلدي وأحلم به منذ صغري ، قبل أن أدخل الميتم ، حينما كنت أشاهد من بيتنا ذلك السهل الفسيح وأشم الهواء المالح المتصاعد من البحر .

ان للرجل الحق في أن يصنع ما يشتهيه ولو مرة واحدة فقط حتى وان كان هذا الرجل عديم القيمة . إلا ان ميلاني لم تفهم شيئا فأصرت على ألا أفعل شيئا لأنها كانت تريد أن أبقى دائما معها هناك وان أكون مع ذلك رضى النفس .

حقا ، انك لا تتكلمين كثيرا يا سيدتي ، وعلى كل فانت لست مجبرة على الكلام ، انما قصدي هو أن أبين لك لماذا ماتت ميلاني .. إني لم اقتلها ، ولماذا أقتلها الآن وقد تقدمت بنا السن وبعد كل تلك الليالي والأيام التي سلفت ..

ان أسوأ شيء في هذا المكان هو أن الانسان لا يمكنه أن ينتظر أحدا أو شيئا ، حتى ساعي البريد . وعندي أن المرء ينبغي ألا يكف قط عن انتظار أحد أو شيء ما ، حتى ولو كان هذا الشيء هو شمس الصيف ، والا فان الوقت يمضي سدى فيفقد المرء الرغبة في كل شيء ... اننا لا ننتظر هنا سوى وجبات الطعام .

انظري إلى هذا الشيخ المار أمامنا وعلى رأسه قبعة عريضة ، انني أعرفه منذ زمن قديم وهو يتظاهر بأنه لا يعرفني يمكنني أن أقول لك أنه يلبس نفس القبعة التي كان يغطي بها رأسه يوم عرسه .. أترين إلى أي حد أعرفه . ان الناس هكذا لا يحبون التغيير !

لقد حان وقت الطعام .. يمكنني أن أقودك إن أردت ذلك ، اذ يبدو عليك أنك لا تبصرين شيئا بهذه النظارة السوداء السميكة الموضوعة على عينيك ... » .

محمد العربي الخطابي

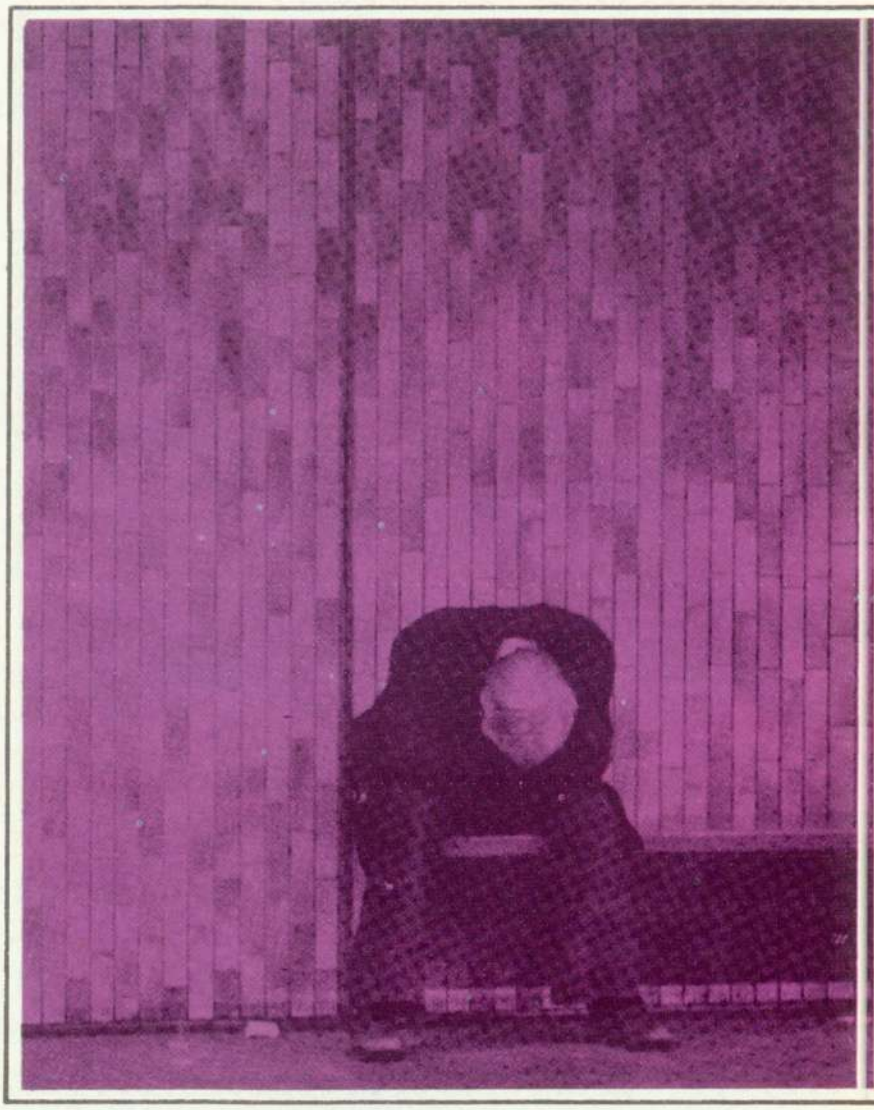

مضت قرون طويلة دون أن يدرى الإنسان وجود هذا الجهاز العظيم فى رأسه

أول من تعرف على العقل كمركز للإدراك الحسى هو: بلينى الأكبر

الغوص فى أعماق العقل

العقل أهم جهاز في الجسم
فما القلب سوى مضخة في نظام التنفس!

نجح الإنسان في خلق الذرّة وصعد إلى القمر.. لكنه لم يلج أسرار الذاكرة

كل الإنجازات ستبدو ضئيلة حين يتمكن العلماء من معرفة وظائف العقل

كثيرة هى المجاهل التى يحاول الانسان ارتيادها لمعرفتها وفك طلاسم خفاياها وأسرارها ..ولكن ما استغلق على فهم الانسان من مناطق فى عالمه وما زال يتحداه سرا مغلقا ، لايحتجب فى اعماق البحار او يتناءى في الفضاء الكونى ، وانما يرقد داخل جمجمته في مادة بلون القرنفل الرمادى ، ولا يزيد وزنها عن ثلاثة أرطال ونصف . ذاك هو عقل الانسان .

وهو أهم جهاز فى الجسم ، فما القلب سوى مضخة فى نظام التنفس ودورة الدم في الجسد. ولكن العقل هو المنظم الاكبر ، والقوة الموجهة لكل فعل انسانى ، وهو مصدر كل فكر وادراك انسانى ، ومنبع العبقرية التى مكنت اسلافنا من البقاء والاستمرار ، وفرض سيطرتهم على اعدائهم الاقوى منهم جسدا ،وتطوروا ليصبحوا أعلى صورة للحياة على كوكب الارض .

وتاريخ الانسان ثمرة لعقله . فهو الذى هدى الانسان الاول الى استخدام الادوات ، ومنح اجياله اللاحقة القدرة على بناء سفن الفضاء والنهوض لاستكشاف الكون . فالعقل هو الذى يجعل الانسان انسانا .

ومع ذلك فقد مضت قرون طويلة دون أن يدرى الانسان وجود هذا الجهاز العظيم فى رأسه ، فيشرع فى محاولة معرفة الكيفية التى يعمل بها. وكان ارسطو يعلم تلاميذه أن المخ لايعدو أن يكون جهازا لتبريد الدم ، وأن القلب هو مصدر التفكير والتدبير .

إن أول من تعرف على العقل كمركز للادراك الحسى هو بلينى الاكبر ، لكن لم تكن له ولاجيال من العلماء بعده المعرفة أو الوسائل لاستكشاف المخ . وقد ساهمت الفلسفة فى اعاقة البحث واجراء التجارب لمعرفة كيفية عمل المخ ، لان العقل كان يعتبر مقرا للروح ، ولذا كانت طبيعته وكيفية عمله أمرا مقدما لايجوز الخوض فيها، ولا يمكن بلوغ كنههما.

لكن الانسان قد استطاع اليوم أن يبدأ الرحلة الكبرى فى مجال اكتشاف العقل ، وفى عشرات المعامل المنتشرة فى كل اركان العالم يعكف الاطباء وعلماء النفس والوراثة والاحياء والفيزياء والكيمياء على دراسة العقل وفى اعتبارهم أن ما يدور فى داخله لايمكن معرفته عن طريق ما يدور خارجه . وقد أخذوا جميعا فى كشف واختبار وتحليل هذا الجهاز الحيوى لمعرفة اسراره .

لقد نجح الانسان فى خلق الذرة ، وفك رموز شفرة الوراثة وعواملها ، وصعد الى القمر ، لكنه لم يلج بعد أسرار الذاكرة وكيفية التعلم والادراك .. ولم يستطع فهم نفسه .

إن الاهتمام الواسع بالابحاث والدراسات

المتعلقة بالعقل ، والنشاط المتزايد فى هذا المجال يوازى نشاطا على النطاق العالمى فى مجال البحوث الخاصة بعلم الوراثة ، والذى سبق إكتشاف جيمس واطسون و فرانسيس كريك فى عام ١٩٥٣ لتركيب جزئية ال دى إن أى

وقد ساهم عدد من العلماء البارزين في مجال الكيمياء البيولوجية والكيمياء الميكروبيولوجية في جذب الاهتمام الأكبر إلى دراسة العقل حين اقروا بأن العقل يشكل التحدي الأكبر بالنسبة للبحث العلمي . وأعلن بعضهم تحوله إلى علم الاعصاب ، ذلك العلم الذي يدرس المخ والجهاز العصبى .

وقد أضاف علم الاعصاب الكثير لمعرفة الانسان وفهمه لعقله ، كما وفر معرفة عملية تطبيقية ، وذلك بما أتاحه فى امكانيات العلاج الطبى والجراحى لعدد من امراض اضطراب الجهاز العصبى كالانقباض النفسى ومرض الفصام النفسى والشلل الرعاشى والصرع ، كما طور وسائل لتخيف الألم والسيطرة على بعض انواع العنف .

لكن كل هذه الانجازات ستبدوا ضئيلة عندما يتمكن العلماء من بلوغ هدفهم الاكبر .. الا وهو معرفة وظائف العقل فى التفكير والذاكرة والادراك والاحساس بالهوية الذى يميز الانسان عن الاشكال الاخرى المعروفة للحياه .

وقد يفضى بنا العثور على مفاتيح لأسرار العقل الى استحداث وسائل أفضل لعلاج الامراض النفسية والعصبية التى تفتك بملايين الناس ، وتحديد مسببات كثير من الاضطرابات العصبية ان تم لنا ان نكشف كيفية عمل المخ . وسيقودنا ذلك الى إحداث ثورة فى وسائل الاعلام والتعليم .

لكن الدرب إلى هذه المعرفة ينطوى على صعوبات جمة لا يستخف بها أحد من العاملين في حقل البحث العلمى الخاص بالنفس والاعصاب لأن المخ جهاز شديد . فان كان أفضل العقول الالكترونية لا يستطيع أن يختزن ويتذكر سوى مائة بليون مادة من المعلومات فان طاقة المخ البشرى بالمقارنة تبدو بلا حدود . وان كان العقل الآلى يقدر على اعداد قائمة طويلة بالرواتب والأجور ، وان يحسب مسار سفينة الفضاء ، فذلك لن يغير من كونه آلة تتحدد قدرتها وفعاليتها بما يرسمه لها صانعوها من الناس . لكن العقل يقوم بأنواع مختلفة من الوظائف المعقدة .. فهو ينظم معدلات عمل القلب واجهزة التنفس ، ويضبط درجات حرارة الجسم ، ويصدر الامر لصاحبه ليبعد يده عن الفرن الساخن .. كل ذلك دون أن يشعر الانسان بهذه السيطرة .

والعقل هو الذي ينظم اتصال الانسان بالعالم المحيط به ، وذلك باستقبال وتبويب وتصنيف المعلومات التي تصله عبر الحواس ، ويضعها بما يمكن الانسان من القيام بفعل ما على ضوء ذلك كله .

والعقل هو الذي يتحكم في عواطفنا ، وينظم غرائزنا ودوافعنا .

ويستطيع المخ أن يصلح التلف الذي يحدث به ، وذلك على العكس من العقل الالكترونى ، كما أنه بمقدور جزء من المخ أن يتعلم أداء وظائف جزء آخر في بعض الحالات . وان كنا نستطيع ايقاف العقل الالكترونى وتشغيله بزر ، فان عقل الانسان يواصل عمله دونما توقف ، في حالة يقظة الانسان ونومه على السواء .

الغوص
في أعماق
العقل

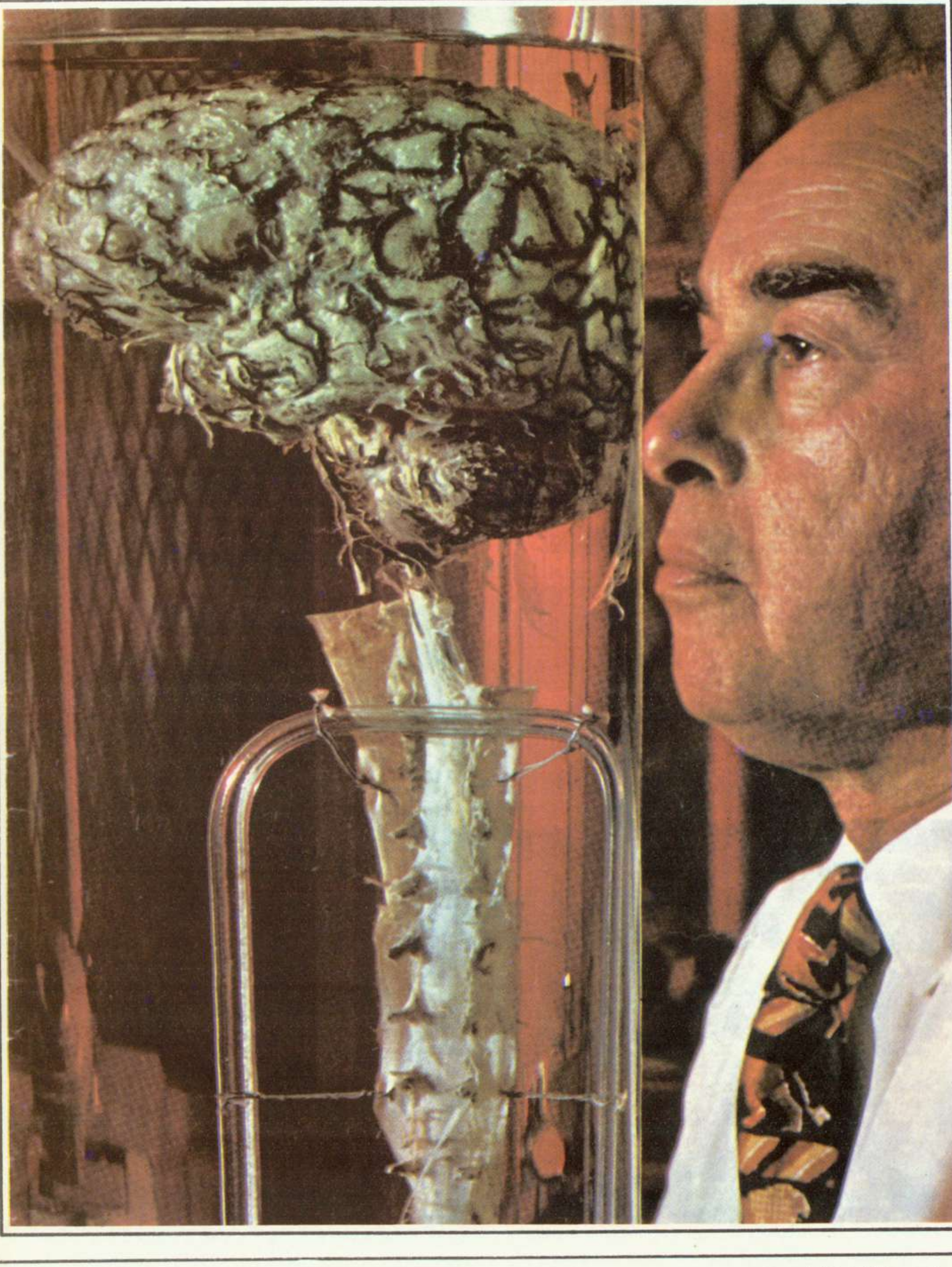

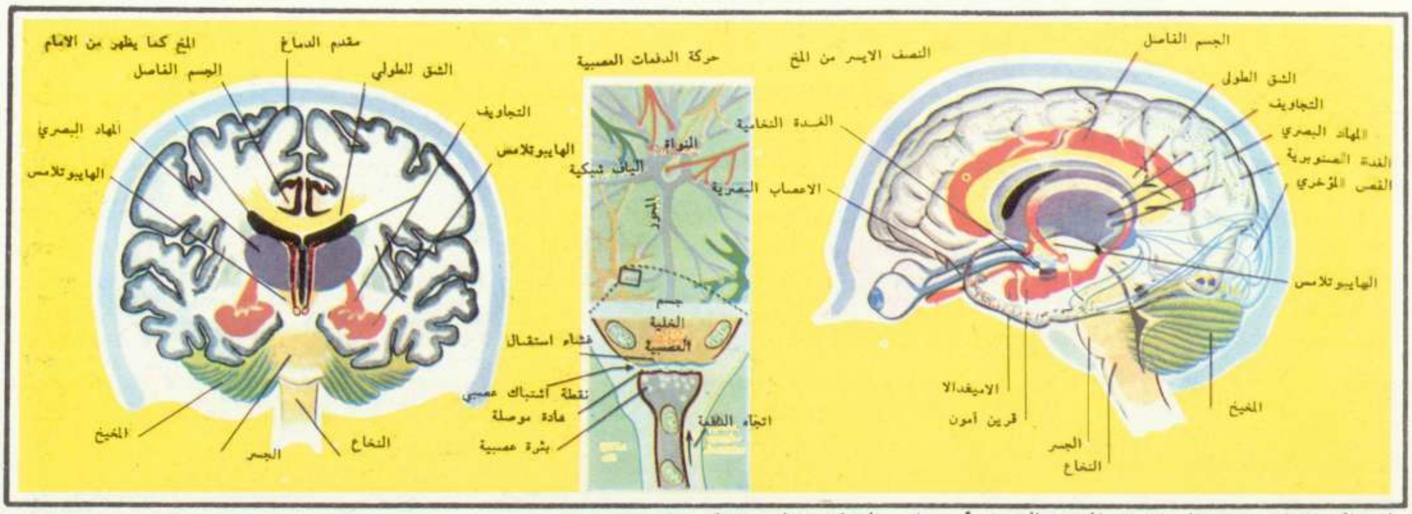

يظهر النصف الايسر من المخ الاجزاء المعقدة التي تنظم حواس الكلام والسمع والبصر .

رسم للمخ اخذ بصورة اكس

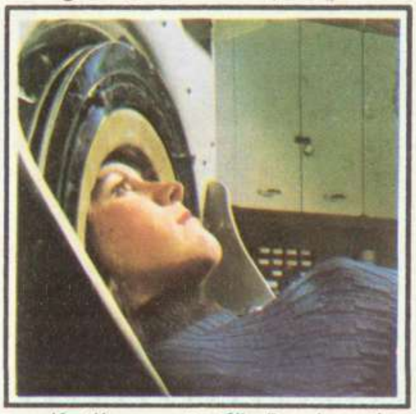

جهاز يتصل بعقل الكتروني يرسم المخ كله

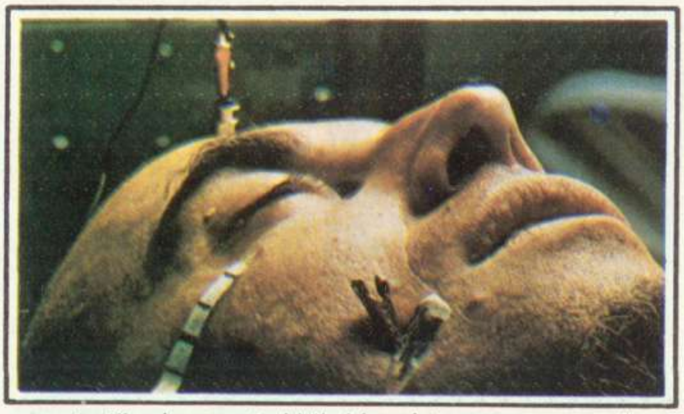

أحد المرضى وهو يسترخي بينما يحاول الاطباء تحديد مجاري الاعصاب .

ان الجهد العلمي في أعماق العقل يجرى في جبهات عديدة تبدو وكانه لا ترابط بينها . فهناك عالم الحيوان تيد بولوك من معهد سكريبس بمدينة لاجولا بكاليفورنيا ، وهو يقوم بأبحاث رائعة في عالم الاعصاب لمعرفة الطرق الداخلية للاتصالات التي يقوم بها المخ ، وذلك لمعرفة كيفية اتصال العقل باقسامه وأجزائه .

اما عالم المناعة ضد الأمراض والحائز على جائزة نوبل في العلوم ، جيرالد أيدلمان من جامعة روكفلر بنيويورك ، فانه يقوم بابحاث غاية في الأهمية ، فهو يرى أن جهاز المناعة الذي يمكن الجسم من الدفاع عن نفسه ضد الامراض يتمتع بالقدرة على التذكر .. ويسجل أن أجهزة مماثلة لتلك التي تجعل الخلايا العاملة على تحصين الجسم ضد الأمراض قادرة على التعرف على المكروبات أو الأجسام الغريبة على الجسم ، وبالتالي فانها تلعب دوراً في نظام الذاكرة والتذكر في المخ ، ويمكن لها أن تخطر الخلايا بالمواقع التي يجب عليها أن تاخذها في شبكة الدفاع اثناء تطورها ونموها .

ويجرى معظم الباحثين أبحاثهم على مستوى الخلايا او ما هو دونه لاعتقادهم بأنه متى ما تمت معرفة كيفية عمل النورونات المفردة سيمكنهم معرفة كيفية عمل العقل نفسه .

ان أكثر الابحاث تقدما ومثاراً للاهتمام والتي تجرى في الوقت الحاضر هى تلك الموجهة لاكتشاف الكيفية التى يدرك بها العقل المعلومات ، ومن ثم يعالجها ويختزنها .

وعملية الاتصال بين الناس عملية طريفة ورائعة . فالانسان يتصل باخيه الانسان بواسطة أصوات يتم استقبالها وفك رموزها ومعالجتها وتصنيفها . وتصبح هذه الاصوات أساساً للمزيد من الاصوات . وهي عملية غامضة ومعقدة . ويقوم روبرت فالأبوس ، وهو أستاذ علوم الاعصاب بجامعة كاليفورنيا ، بمحاولة لتتبع الدوافع الصوتية من الأذن وعبر مؤخرة المخ إلى مقدمته ، كما يقوم فلوويد بلوم ، رئيس معمل الصيدلة العصبية بالمعهد القومي للصحة الذهنية ، بميرلاند بالولايات المتحدة ، ووالى نوتا من ماسشاسيس باستخدام طريقة خاصة هى طريقة البقع اللونية لاقتفاء دروب المخ العصبية ، وذلك لمعرفة ردود فعل المخ لما يحدث في العالم الخارجي .

ويسعى كل من ذكرنا من العلماء إلى تحقيق هدفين رئيسيين ، هما تفسير عملية التعلم والذاكرة . فالمخ ، من ناحية تشريحية ، ليس به مركز محدد للتعلم ، ولا يوجد تفسير لعملية التعلم ، لكنها تحدث . ويعتقد معظم الباحثين أن العنصر الاساسى في هذه العملية ، هو التمثيل البروتينى ، أي خلق جزيئات معقدة . ووجد العالم السويدى هولقر هايدين ، مدير معهد الأحياء العصبية بجامعة قوتينبورغ ، دليلا مقنعا بأن البروتينات تلعب دوراً في عملية التعلم . وكان قد درب عدداً من الفئران ، ثم شرحها لمدراسه أدمغتها ، فوجد أن نوعاً معينا من البروتينات الخاصة بالجهاز العصبي قد افرزت في بداية التعلم ، عندما كانت الفئران تحاول أن تتواءم مع أي مشكلة جديدة . لكن التدريب الذي استمر بعد ذلك لم يفرز أية مستويات أعلى من هذه المواد .

بعدئذ قام هايدين بحقن بعض الفئران بمضادات حيوية ضد البروتين المعروف بـ اس ـ ١٠٠ ، وادى ذلك إلى ايقاف حركة البروتين ، ومن ثمة إلى تقليل استيعاب الفار وتعلمه بشكل واضح .

العقل هو المنظم الأكبر والقوة الموجهة لكل فعل إنساني

الغوص في أعماق العقل

العقل الالكتروني في معاهد الصحة القومية وهو يظهر الخلايا العصبية وهي تتطاير منفجرة ، في مخ القرد ·

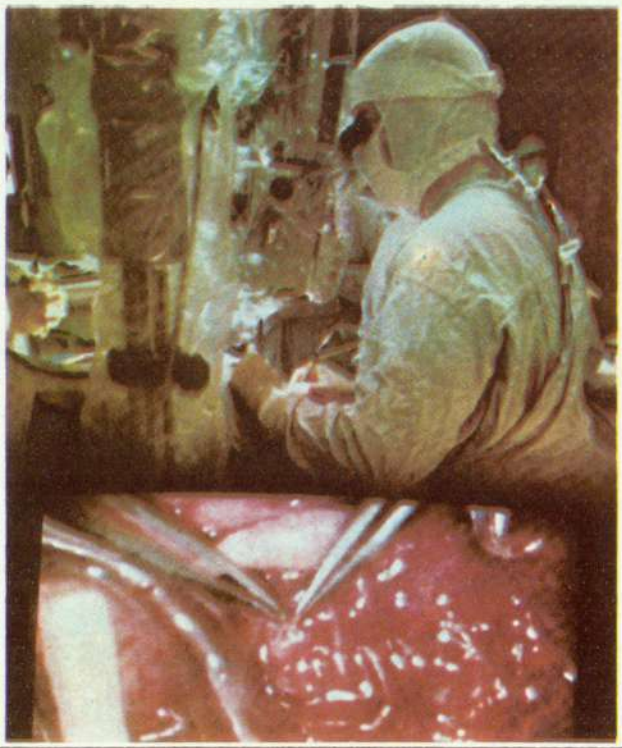

عملية جراحية للمخ متلفزة ·

الخلايا كما يظهرها الميكرسكوب متلفزة ·

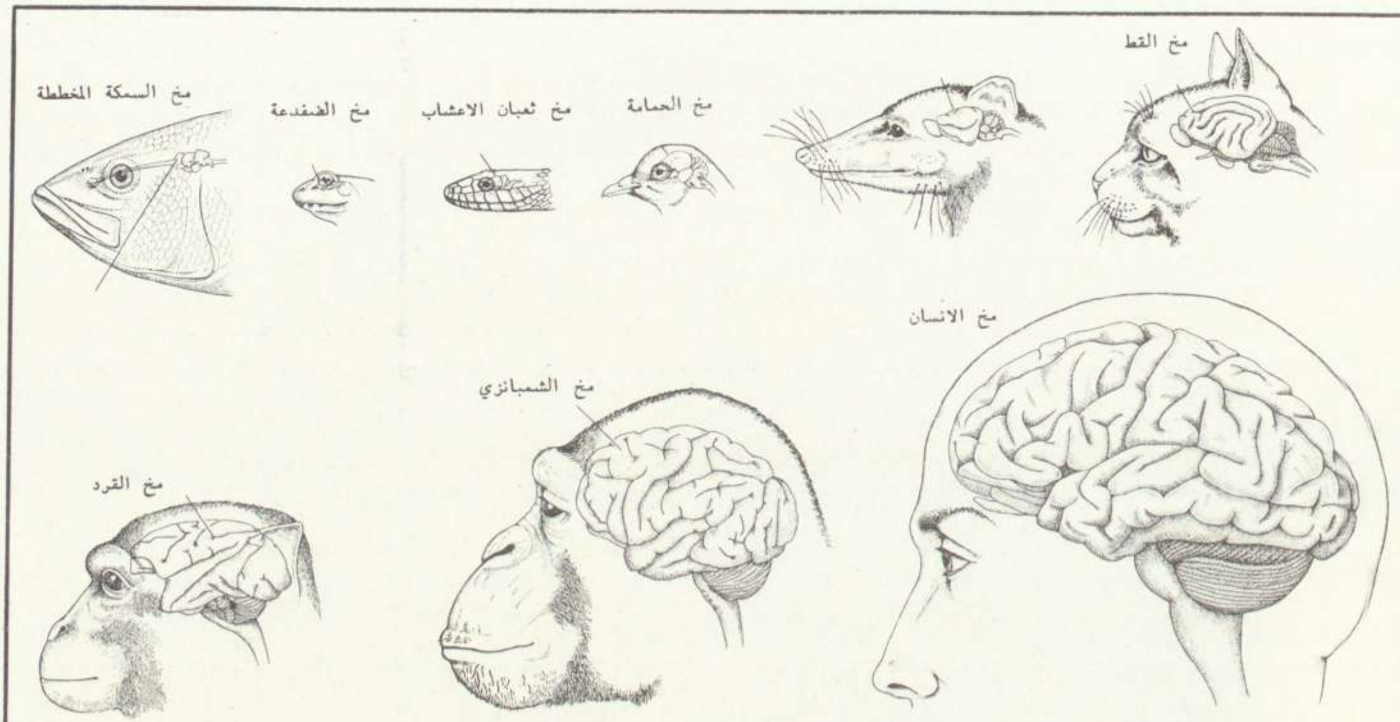

توضح هذه الرسوم ، وكلها بنفس المقياس ، حجم المخ في الحيوانات الفقرية · فهو صغير في الحياة الفقرية الادنى من الثدييات ، لكنه يزداد حجما وتعقيدا·

د· قالا مبوس وهو يفحص اجهزة السمع

د· بلوم وهو يقوم بدراسة خلايا المخ

في كل لحظة من حياتنا تنساب آلاف الصور إلى عقولنا

وهناك نتائج اخرى تدعم هذه النتيجة . فالفئران التي تفتقر إلى البروتين تتعلم في بطء شديد بالمقارنة إلى تلك التي تتمتع بتغذية كاملة .. كما أن الاطفال من أسر فقيرة الذين يعانون من نقص في البروتين يأتون في المؤخرة بالنسبة لأبناء الطبقة الوسطى من ناحية النمو الذهني والتعلم .

والذاكرة ايضا شيء مهول ورائع . فهي قادرة على اختزان المعلومات والخبرات واستدعائها .

وقد تم كشف مهم على يد جراح الاعصاب الكندي الكبير وايلدر بنفيلد حين استطاع أن يثير الذاكرة باستخدام الكهرباء .. فبينما كان يفحص مخ أحدى مرضاه مستخدما القطب الكهربائي (الكترود) ليحدد مصدر حالات الصرع التي تنتابها ، أصابته الدهشة حين تذكرت المريضة الشابة حادثة من طفولتها في وضوح تام ، وتفصيل جلي ، فواصل بنفيلد تجاربه ، ووجد أنه حين يلمس أجزاء الطبقات الخارجية للمخ بالقطب الكهربائي ، فان مرضاه يسترجعون خبرات وتجارب طال نسيانهم لها .

وقد أثبتت تجارب وابحاث لاحقة أن لفصوص المخ الأمامية علاقة بالذاكرة ، لكنها لا تقوم مقام بنك الذاكرة في العقل الالكتروني ، حيث تختزن كل مادة في خلية الكترونية مفردة ، بل ان الذاكرة منتشرة في كل فصوص المخ . وتسبب ازالة نصف فصوص المخ فقدانا كبيراً لطاقة التذكر ، لكن ذلك لا يدمر ذكريات معينة فالتجارب والملاحظات قد دللت على وجود ثلاثة مستويات للذاكرة .. أدناها الذاكرة قصيرة المدى ، ثم الذاكرة لمدى متوسط ، وأعلاها الذاكرة لمدى طويل .

ففي كل لحظة من حياتنا تنساب آلاف الصور الى عقولنا ، وتنسى بسرعة ، بعد ثوان ، وهذه هي الذاكرة الدنيا ، أما الوسطى فانها تدوم بضع دقائق أو ربما بضع ساعات ، وتمكن المرء من تذكر رقم تليفون لوقت كاف حتى يقيم به الاتصال أما الذاكرة العليا فانها تنخل كل المعلومات والانطباعات التي تدخل المخ ، وتحتفظ بتلك التي لها أهمية أو فائدة أو وضوح شديد . وتحتاج هذه الذاكرة لوقت طويل كيما تستقر بشكل دائم في العقل . فإذا تعرضت الفئران لصدمة كهربائية مباشرة بعد أن تعلمت مقدرة جديدة ، فإن تلك المقدرة تضيع ، ولو تأخرت الصدمة لنصف ساعة فان الذكرى تصبح مشوشة . أما بعد مضي ٢٤ ساعة بعد التعلم فإن الجزء الاكبر من تلك الذكرى يبقى .

وللانسان نفس ردود الفعل هذه . ويشعر كثير من الباحثين أن الذكريات تختزن وتستدعى بمجموعة من الجزئيات الكبرى أو جزئيات اكبر حجما ربما لها خاصية الاختلاف فيما بينها . وهكذا نجدهم يرفضون الفكرة التي يروج لها بعض كتاب القصة العلمية الخيالية من ان جزيئات الذاكرة يمكن أن يتم نقلها ذات يوم من شخص لآخر .

وأثناء تركيز العلماء في فحصهم للخلايا المفردة للمخ في سعيهم لمعرفة العقل ، توصلوا الى اكتشاف وسائل علاجية لكثير من الامراض الخطيرة ..منها..

مرض انفصام الشخصية (الشيزوفرينيا)

في الخمسينات كانت المستشفيات وعيادات الامراض العقلية في الولايات المتحدة تستضيف أكثر من نصف مليون مريضا . وكان هذا العدد يرتفع بمعدل عشرة آلاف مريض سنويا . ثم تغيرت الامور بشكل أساسي بفضل الكلوربوومازين ، أول المهدئات الرئيسية ، والهالوبيريدول .

وتقوم هذه العقاقير بتهدئة اضطرابات الذهن

الغوص فى أعماق العقل

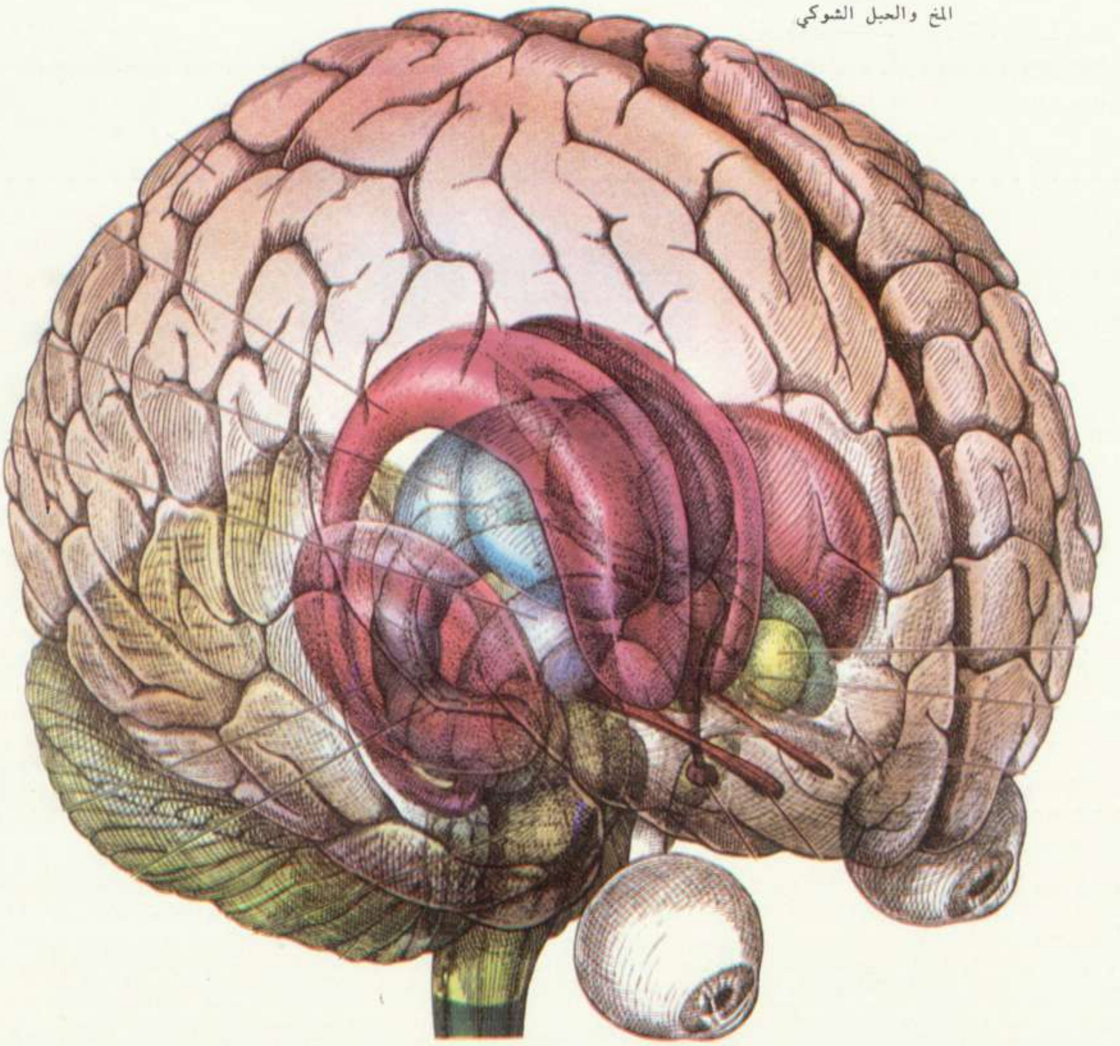

المخ والحبل الشوكي

والتفكير ، والهلوسة ، والتخيلات والانطواء الحاد فى حالة انفصام الشخصية ، وهى حالة نفسية مزمنة تؤثر فى واحد من كل مائة شخص.

وقد يسرت هذه العقاقير امكانية معالجة المرضى بشكل إنسانى ، وساعدت فى اخلاء مستشفيات الامراض العصبية من تلك الاعداد الهائلة التى كانت تضمها ، وأتاحت للمرضى بانفصام الشخصية فرصة العيش بطريقة بناءة فى مجتمعاتهم مع استمرار تناول الادوية .

لكن العقارين المذكورين مضران ان اخذا فى جرعات زائده .. لأن ذلك يؤدى الى ظهور اعراض مماثلة للشلل الرعاشى ، وهو اضطراب عصبى يتميز بارتجاف لايمكن السيطرة عليه ، وفقدان القدرة على التنسيق وينشأ عن فقدان الدوبامين وهو عقار كيمائي يقوم بنقل الرسائل العصبية فى مراكز المخ التي تنسق الحركة . وقد أوضحت الدراسات أن الكلوربوومازين والهالوبيريدول يوقفان عمل الدوبامين ولذا فإن الباحثين يشكون بأن مرض انفصام الشخصية انما ينجم جزئيا على الاقل من زيادة فى الدوبامين .

وهناك سبب آخر لهذا المرض دل اليه اكتشاف أنزيم فى مخ الانسان والحيوان ، يحيل الكيماويات العادية فى المخ ، مثل التريبتامامين الى دبميتلتريبتامامين، وفى ظن العلماء أن هذه العملية لاتتم السيطرة عليها فى حالة انفصام الشخصية .

الشلل الرعاشى (مرض باركنصون)

في الماضى كان هذا المرض لايخف إلا ببتر بعض مجارى الاعصاب العميقة فى المخ مما يؤدى الى اصابة المريض ببعض الشلل الجزئى أو فقدان النطق . أما الان فان المرضى يعالجون بعقار يسمى لادوبا ، وهو من جزئي كيماوى . فالحركة العادية للانسان تعتمد كثيرا على مفعول الدوبامين ، وهو أحد الوسائط الناقلة الهامة فى المخ . وعندما تتحلل الخلايا المنتجة لهذه المادة الكيماوية وتتلف ، يقع الانسان فريسة للشلل الرعاشى . ويقوم لادوبا بانعاش ورفع مستوى الدوبامين فى المخ ، مما يوقف الشلل الارتجافى . كما أن هذا العقار ــ لادوبا ــ قد أعان الاطباء فى اتخاذ خطوات مشجعه باتجاه مداواة داء الرقص ، وهو اختلاج عصبى فى وجه الانسان وأطرافه . وهو مرض عصبى وراثى ، يظهر فى سن الاربعين ، ويقضى على ضحاياه فى ظرف ١٥ سنة.

وقد اكتشف الاطباء أن المصابين بهذا المرض يعانون من فقر فى المادة الناقلة المعروفة بحامض قاما أمينو بوتريك ، أو فى بعض الحالات ارتفاعا فى مستوى الدوبامين . ويقوم الاطباء حاليا بمحاولة تطوير سواء كيمائية تعيد التوازن بين هذه الكيماويات .

الانقباض النفسى

لقد احدثت ثورة العقاقير تحولا كبيرا فى علاج الانقباض النفسى ، وهو أكثر الامراض والاضطرابات العقلية انتشارا ، وأخطرها . وفى أمريكا وحدها يعانى حوالى سبعة ملايين من نوبات مشلة من الانقباض النفسي كل عام .

ومن اعراضه فقدان الشهية والارق الشديد

ثورة العقاقير أحدثت تحولاً كبيراً في علاج الانقباض النفسي

د. بولوك في اختباراته التي يجريها على السمكة الكهربائية و د. موريل يفحص طفلا مصابا بالصرع .

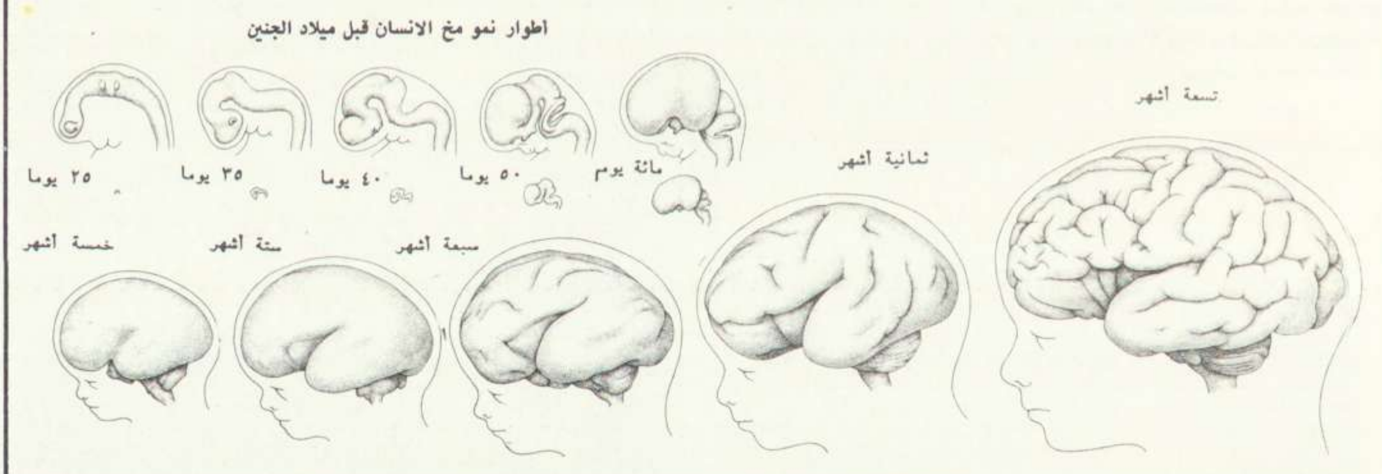

وفقدان النشاط والطاقة الجسدية والجنسية ، واليأس ، والميل الى الانتحار . ويبدو أن الانقباض النفسي يورث فى العائلة ، الامر الذى يدعم القول بأنه ناتج عن عدم توازن فى المواد الكيماوية فى المخ موروث .. أو نوع من عدم القدرة على مواجهة ضغوط الحياة.

وقد يكون الانقباض النفسي ، كما يرى بعض الباحثين ، نتيجة لفقدان بعض المواد فى المخ ، تعرف باسم المونو أمينات ، أو لأنها تتحلل بسرعة . وهناك عائلة من العقاقير الجديدة لتحييد الانزيم الذى يدمر المونو أمينات ، واطالة عمر فاعليتها . وتعرف هذه العقاقير بالعقاقير الكابحة . وقد طورت فى الخمسينات وذلك عندما اكتشف الاطباء فى امريكا أن عقارا جديدا لعلاج السل اسمه ايسو نيازيد قد جعل بعض كبار السن المرضى بالسل حين تناولوه يرقصون فى ممرات المصحات . ولم تكن العقاقير المضادة للانقباض النفسي قد تم اكتشافها انذاك . وكان الصيادلة قد طوروا نوعا من العقاقير التى يسرى مفعولها على مراحل ثلاث ، وذلك قبيل نهاية القرن الماضي ، لكنهم لم يستخدموها حتى الخمسينات من هذا القرن ، وذلك حين لاحظوا أن تركيبها الكيماوى يماثل تركيب العقار المضاد لانفصام الشخصية ، وهو عقار الكلوربرومازين . ولم يكن للعقاقير الثلاثية سوى تأثير ضئيل على المرض بالشيزوفرينيا ، لكنها كانت ترفع الروح المعنوية للمريض .

وللعقاقير المضادة للانقباض النفسى بعض الجوانب السيئة . فهى لاتبدأ فى التأثير على المريض الا بعد سبعة أو عشرة أيام . وخلال تلك المرة يكون المريض في حالة من الانقباض الحاد وربما أدى ذلك الي أخذ حياته بيده الى الانتحار. ولكن ما أن تاخذ فى العمل فانها رائعة التأثير ، اذ أنها تجعل سبعين بالمائة من حالات الانقباض تنفرج وتتحسن بسرعة ، ويسترد المرضى الشهية للطعام والقدرة على النوم ، ويخرجون عن انطوائهم . ومع ان هذه العقاقير لاتؤدى الى علاج كامل من المرض ، فانها تفسح للطبيب النفسانى وقتا ليلج جذور المشكلة

وليست لهذه العقاقير الثلاثية أية مضاعفات جانبية خطيرة . فقد يعانى المريض من جفاف في الفم ، ونوعا من الامساك ، والدوخة الخفيفة ، التى تزول سريعا . ولكن المرضى الذين يتجرعون ال أم آى أو يصابون بنوع من ارتفاع ضغط الدم الخطير ان امتزج الدواء بأطعمة تحتوى على كميات كبيرة من حامض الامينو تيرامين ، كالجبنة المعتقة ، وكبد الفراخ والشوكولاته .

ويقع حوالي ثلث المصابين بالانقباض النفسى صرعى لحالات من الجنون الحاد قبل السقوط في هاوية الانقباض الحاد . وتبدأ حالة الجنون الانقباضى بحالة من الشعور بالنشاط والخفة تسمى المس المعتدل .

ليتيام كاربونيت

كان استخدام عقار الليتيام كاربونيت لأول مرة ايذانا بمرحلة جديدة من مراحل النجاح في الطب النفسى العلاجي . وكان العقار قد استخدم كمهدىء عام ١٩٤٩ ، جربه الدكتور جون كايد الاسترالى ، ووجد أنه يحد من أعراض الجنون .

وفي وقت لاحق اتضح انه يمنع حدوث حالات الجنون . وكان المصابون بالانقباض النفسى يعطون العقار الثلاثى ليعينهم في حالات حدة الهبوط والارتفاع النفسى فاتضح ان اليتيام

كاربونيت يوقف هذه الحالات . كما أنه يخفض حساسية متلقى الدوبامين تماما مثل مضادات الانفصام ، لكن المشكلة الكبرى هى اقناع المرضى بالجنون المصاحب للانقباض بتناوله لعلاج حالات المس المعتدل ، لأنهم لا يريدون التخلي عن مستوى انبساطهم العالي . ويعتقد أن على المصابين بالمس الجنوني ان يتناولوا الليتيام طول حياتهم .

القلق

ويستخدم العلماء حاليا مجموعة من العقاقير المنشطة نفسيا ، والليتيام كاربونيت لعلاج المرضى بالهلع والهستيريا ، والاطفال زائدى النشاط ، والمراهقين الذين يظهرون تذبذبا في احوالهم النفسية .

وقد تاثر ملايين من الذين يعانون من الاضطرابات الاقل خطراً بهذه الثورة في صناعة العقاقير ، اذ صار في متناولهم عقاقير تخفف ضغوط الحياة اليومية كالفاليوم والليبريوم ، ورغم الاهتمام الكبير بالاستخدام المبالغ فيه لهذه المهدئات ، فان كثيراً من الاطباء يوصفونها لمرضاهم دون أن يعرفوهم بآثارها وتاثيرها ، أو محاولة معرفة الأسباب المؤدية إلى القلق ، واجتثاثها . لكن كثيراً من الاطباء النفسانيين يصرون على أن العقاقير حظوة أولية لمساعدة المر ... اجهة العالم الخارجي .

يصرون على أن العقاقير حظوة أولية لمساعدة المرضى لمواجهة العالم الخارجي .

الصرع

يصيب الصرع واحداً من كل مائة شخص ، وهو نتيجة ، لتجمع خلايا المخ كعناقيد او بؤر تطلق موجات كهربائية في نوبات مفاجئة وسريعة ، وتحدث نوعا من النوبات المرضية ينتج عنها التشنج وفقدان الوعى ، ونوبات من التحديق في فراغ ، وحالات من الهياج .

وقد وجد العلماء انه يمكن السيطرة على معظم حالات الصرع بعقار يعرف باسم ديلانتين يعتقد انه يحول دون حدوث الافرازات الصرعية من الانتشار إلى النورونات المجاورة لها .

وقد طور العلماء في امريكا طريقة علمية لعلاج حالات الصرع التي لا يجدى فيها استخدام العقاقير ، وذلك بزرع الكترونات لتحديد الخطو في مخيخ المصاب بالصرع أو من يعانى من شلل ناتج عن مرض بالقلب أو الشلل الارتجافى القاهر أو الديستونيا أو العاهات العضلية التي تجعل أعضاء الجسم تلتوى وتتشوه .

وفي كل هذه الحالات استخدموا جهازاً يثير المخيخ بشحنات كهربائية ذات ضغط منخفض ، مما يساعد في تخفيف الألم .

تخفيف الآلام

ما زال الأطباء يجهلون الكيفية التي يحس بها المخ بالألم . لكن بعض جراحى الاعصاب قد وجدوا سبلا لتخفيف حدة الآلام المزمنة والنوبات الحادة المصاحبة للسرطان القاتل ، وامراض اخرى . وقد وجد الدكتور وليم سويث من مستشفى ماسشوسيس العمومي أنه يمكن تخفيف الألم دون مضاعفات ضارة بتدمير العناقيد الصغيرة للاعصاب في أجزاء مختلفة من المخ أما بالتيار الكهربائي أو بتجميدها .

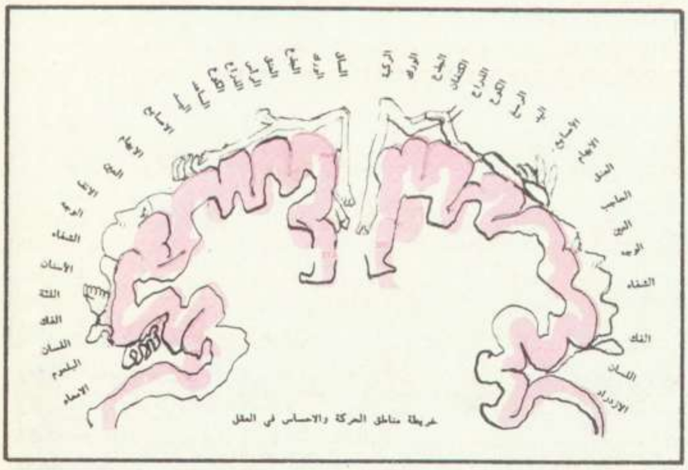

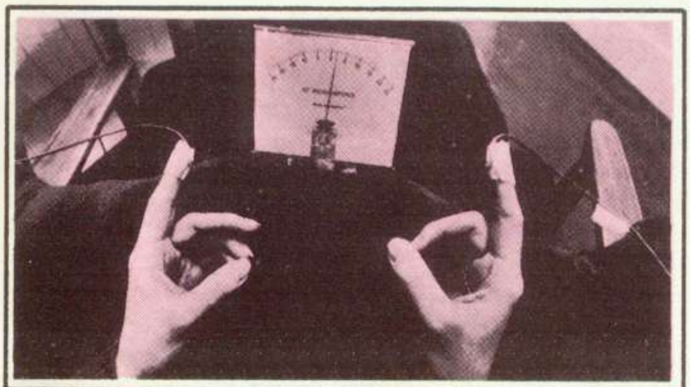
احد المرضى الخاضعين للعلاج وهو يحاول التحكم على درجة حرارة يديه .

للعقاقير المضادة للانقباض النفسى بعض الجوانب السيئة

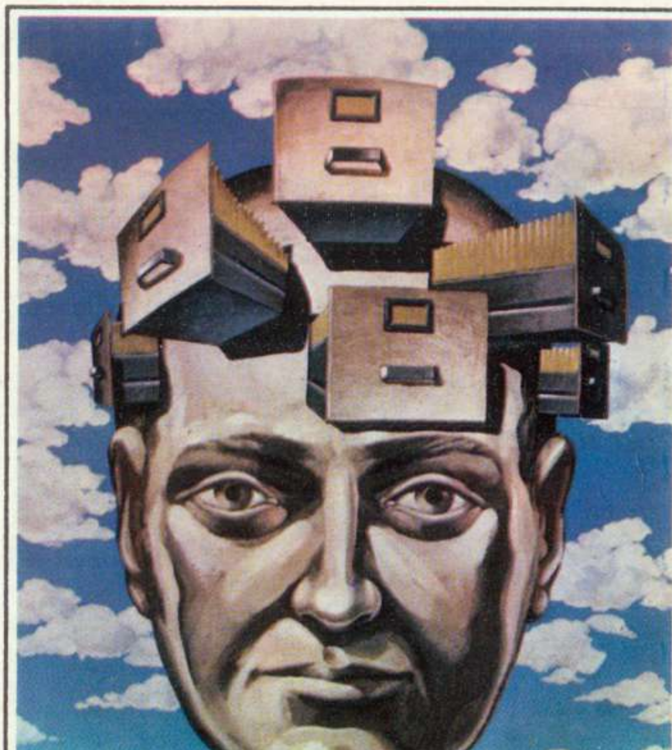
خريطة العقل كما قسمه عالم بفراسة الدماغ

تقليل حدة العنف

وعلى ضوء ما سبق ، تمكن الدكتور وليم سويث ومساعدوه من تسكين نوبات العنف الحادة المفاجئة التي تصاحب بعض حالات الصرع ، وذلك بتدمير اللوزات الموجودة في شعب المخ تدميراً جزئياً أو ازالتها . وليس لهذه العملية الجراحية أي خطر على الذكاء أو القدرة على التفكير .

السيطرة على الحركة اللا شعورية بيولوجيا

منذ قرون بعيدة عرف معلمو اليوجا والبوذية كيفية السيطرة على الوظائف اللا ارادية لاعصاب أجهزة كالقلب ومعدلات التنفس . وفي جامعة روكفلر الامريكية تمكن العالم النفساني نيل ميللر من استحداث وسائل لتحقيق ذلك النوع من التحكم باستخدام اجهزة تجعل المريض يتنبه للوظائف البدنية المختلفة كالدورة الدموية ودقات القلب . وقام ميللر وباحثون آخرون بتدريب المرضى على رفع أو خفض ضغط الدم ، ودرجات حرارة اليد ، ولا تختلف هذه الظاهرة عن أنواع التعلم الأخرى ، لأن أي تعلم يعتمد إلى حد كبير على استرجاع المعلومات .

وعملية التنبه للاسترجاع البيولوجى هى ببساطة وسيلة لاخطار المريض بالزمن الذي يتحكم فيه بوعى على وظائفه اللا ارادية .

اجزاء المخ المستقبلة للمواد المخدرة

اطلقت ثورة العقاقير في عالم الأمراض العقلية سيلا من البحوث التي تهدف إلى معرفة كيمياء العقل . وقد زاد هذا النشاط بشكل ملحوظ في أوائل السبعينات عندما اكتشف الباحثون اجزاء المخ التي تستقبل المواد الافيونية . ويرجع فضل تحديد تلك المراكز إلى الدكتور سولومون سنايدر الحائز على جائزة نوبل ، وزملائه بجامعة جون هبكنز ، وهى مراكز معينة في خلايا المخ يؤثر فيها المورفين والمخدرات الأخرى . ويلاحظ أنها تقع في مناطق المخ التي تتصل بالعواطف .

وقد وجد سنايدر وآخرون أن المخ يحتوى على مواد شبه افيونية مثل الانكيفالين والاندورفين ، ولها خاصية التأثير على أجزاء الاستقبال لايقاف الألم ، وتحصين الشخصية ضد الصدمات النفسية .. كخيبة الأمل وضغوط الحياة . وقد حفز اكتشاف هذه الأجزاء علماء النفس للبحث عن اجزاء تستقبل عقاقير اخرى . فوجدوا اجزاء في الدماغ تتأثر بالفاليوم والعقاقير المتصلة به . فمضوا في بحثهم عن مادة طبيعية في المخ تحتل في العادة مراكز هذه الاجزاء المستقبلة ، ولأن الفاليوم مادة مضادة للقلق ، فربما كانت هناك مادة طبيعية لها نفس القدرة على السيطرة على القلق . ويجرى الآن تجريب عدد من العقاقير والهرمونات في المعامل لاستخدامها في علاج الأمراض العقلية . ويرى بعض الخبراء انه مادامت العقاقير تخفف من أعراض الاضطرابات الفعلية فان عقاقير جديدة ربما طورت لتحسين أداء الناس العاديين . ومن الاحتمالات المتوقعة ايجاد عقاقير لتنشيط الذاكرة ، وتقوية اليقظة والانتباه ، ومساعدة الناس في تقليل ساعات نومهم ، وليس لهذه الاحتمالات حصر . لكن فريقا آخر من الخبراء وغيرهم من الناس يشعرون بأن استخدام العقاقير فيما يتصل بالمخ والعقل قد فات حده ، وان مجتمعا تستعبده العقاقير قد اقيم ، ولم يعد الناس يحبون من يشجعهم على مواجهة الصعاب وحل مشاكلهم .

ومن رأيهم أن على الناس ان يتجنبوا استخدام العقاقير الخاصة بمعالجة الانقباض النفسى والقلق والامراض العصبية الأخرى وذلك بان يحيوا في مجتمعات اقل تعقيداً وتنافسا ، وان يفصحوا عن عواطفهم وضغوط الحياة عليهم ، وان الاتصال والتفاعل الانساني ، والحياة الأسرية المتينة ، والتعاون داخل الأسرة مدخل للصحة النفسية والعقلية .

ولا شك أن للعقاقير المتصلة بالعلاج النفسى قيمتها ومكانها ، بجانب العلاج النفسانى والارشاد للمرضى عقليا ولمضطربي الأحوال النفسية . وقد ساعدت هذه العقاقير كثيراً من الناس ليعيشوا حياة سوية نسبيا بعدما كانوا قبل حقبيتين من الزمان يدخلون المستشفيات ، وقد حكم عليهم أن يعيشوا للابد في قلق مستمر ويأس مميت ، وهواجس مخيفة .

ومن ذلك .. فان استخدام العقاقير لا يمكن الا ان يظل مجرد اجراء مؤقت حتى يتمكن الباحثون في مجاهل العقل من الوقوف على كيفية أدائه وعمله ، ويمدوا للعقل نفسه عونهم بعقاقير طبيعية حين تظهر منه بوادر عجز .

وربما أصبح الانسان قادراً بفضل معرفته للعقل على انجازات فكرية لا حد لها ، وربما أدي العثور على مفتاح أسرار العقل البشرى المعجزة إلى معرفة وتفهم الكثير من أسرار الكون .

ثلث المصابين بالانقباض النفسى صرعى لحالات من الجنون

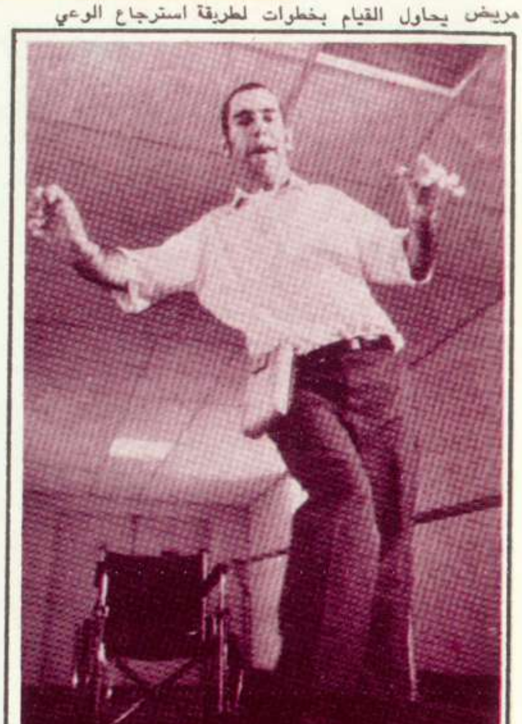

مريض يحاول القيام بخطوات لطريقة استرجاع الوعي

د. ميللر وهو يجهز فارا ليجري عليه اختباراته

د. ديفيد بوديان وهو يتأمل المخ والنخاع الشوكي

قليلون هم الذين يقعون تحت تأثير التوتر النفساني .. ولكن :

كيف تتغلب على النوبة القلبية

يعتبر الدكتور مالكولم كاروثر احد مدراء مستشفى مودسلي في لندن من اشهر اطباء العالم المتخصصين بامراض القلب .

وقد لاحظ بقلق ان تلك الامراض التى كانت حتى زمن قصير تصيب الكهول في غالب الاحيان اخذت اليوم تنتشر بين شبان بعضهم لم يبلغ الثلاثين من العمر .

كذلك زاد عدد الاصابات بين النساء بشكل ظاهر .

وقد وضع الدكتور كاروثر لائحة بالقواعد التي ينصح باتباعها لمن اراد تلافي النوبات القلبية ويعتقد انها تضمن قهر ذلك المرض اذا ما اتبعت بشكل منطقي .

وتاتي حالات التوتر النفساني وجهل سبل تلافيها في راس قائمة مسببات النوبات القلبية ، يقول كاروثر : « انه لمن العار حقا ان يعتقد الكثير من الرجال الذين يستشيروني ان الكبار لا يبكون .. فالواقع ان جلسة عويل تصبح احيانا علاجا يفوق كل العلاجات » .

بعض مرضاه لا يستطيعون البكاء بسهولة فالعدد الاكبر منهم قد « تبرمجوا » على السيطرة على تعبيرات وجوههم بشكل اصبح معه من الضروري تدريبهم على البكاء .

ويعتقد كاروثر انه يتحتم على النساء تدريب ازواجهن واصدقائهن وتشجيعهم على ترك العنان لعواطفهم وابطال مفعول تلك السنوات الطوال من البرمجة .

يقول : « انه لخطا فادح ان تعلم الامهات ابناءهن ان البكاء عيب وليس من شيم الرجال ، لأن ذلك سيؤثر على قلبهم في المستقبل اذا هم عجزوا عن الافراج عن الضيق الذي قد ينتابهم مستقبلا » .

قليلون هم الذين لا يقعون تحت تاثير التوتر النفسانى ولكن الاختلاف يكون في مواجهة ذلك التوتر « والخطورة ليست في مقدار التوتر الذي تتعرض له في حياتك بل في طريقة مواجهتك له».

والنساء اجمالا يواجهن التوتر بالتبرم به علنا وهن بذلك يزدن في افرازات الادرنالين في اجسامهن : وقد يؤدى ذلك إلى احساسات كريهة ولكنها لا تؤذي القلب باي حال .

اما عندما يقع الرجال تحت تاثير التوتر النفساني فان ذلك يؤدي بهم إلى توتر الاعصاب او الغضب او الشعور بالاحباط ، وغالبا ما يسبب ذلك افراز هورمون نيور ـ ادرنالين الذي يزيد الطين بله .

ويضيف الدكتور كاروثر : « في مجتمعات كثيرة تستطيع النساء اظهار شعورهن وتخليص اجسامهن من التاثيرات الضارة . اما الرجال فيخزنون تلك المشاعر في باطنهم لاعتقادهم بانهم ملزمون بكبت مشاعرهم . وهكذا يجد الاطباء انفسهم في بعض الاحيان مضطرين لتعليم مرضاهم من الرجال ضرورة استسلامهم للبكاء » .

ولمساعدة الرجال والنساء على حد سواء في اتباع اساليب اطلاق العنان لمشاعرهم التي لو كبتت لادت إلى تدمير صحتهم ، فان الدكتور كاروثر ينصح باللجوء إلى جلسات تدريب على الاسترخاء ويقول : « هنالك فائدة كبيرة في المشاركة بين الزوج والزوجة معا في اتباع اصول وفنون الاسترخاء هذه » .

الحبوب

وجلسات الاسترخاء يمكن ايضا ان تساعد الذين يشكون من ارتفاع ضغط الشرايين وهم في دور النقاهة بعد اصابتهم بنوبة قلبية .

ولا يؤمن الدكتور كاروثر بتناول الحبوب وينكر على المسكنات والمنومات احتواءها على حل لمشكلات صاحب الاعمال المتوتر الاعصاب او ربة البيت القلقة .

يقول : « المسكنات لها تاثيرات ثانوية ضارة تحول بين متناولها وبين استمتاعه بالحياة . وبالنسبة للنساء فالشك يشابه اليقين بانها تؤدي إلى سرطان الثدي . كما ان هنالك دلائل على ان متناولي المسكنات والحبوب المنومة هم اكثر من غيرهم عرضة لحوادث السيارات » .

ويفضل الدكتور كاروثر الاشارة بالتريض بصورة منتظمة وبالاسترخاء في اوقات مناسبة .

ويعدد ما يسميه الورقات الاربع في لعبة ورق الحياة ، التي فيها خصائص احتمال حدوث نوبة قلبية ، فاذا ما التقط اللاعب تلك الاوراق الاربع دفعة واحدة فان اصابته واقعة لا محالة .

فبعد التوتر النفساني او الطريقة التي يواجه بها ذلك التوتر ياتى التدخين ثم اهمال التريض ثم التغذية غير المناسبة .

لم يكن الدكتور كاروثر نذيرا فقط فهو يبين كذلك ان هنالك خطوات ايجابية بسيطة يستطيع اي زوجين اتباعها لتلافي خطر النوبات القلبية . اولها التعلق بذلك الشعور الجميل الذي هو الاحساس بالحب وقد اثبتت الاحصائيات ان امراض القلب تصيب الذين يعيشون في عزلة كما تصيب غير السعداء في زواجهم اكثر مما تصيب الازواج المنسجمين في تعايشهم .

يقول الدكتور كاروثر انه من الخطا حث شريك الحياة على دخول حلبة السباق نحو المناصب الرفيعة . ولعل الاكتفاء بمنصب في منتصف سلم النجاح انسب من الجري وراء منصب دسم تكون نهايته سريراً في المستشفي .

وتصر قواعد الدكتور كاروثر على ان التدخين اكثر الامور تاثيراً على صحة القلب .

ويضيف : « ليست هذه الامور سهلة التطبيق، ولكن سبل الابتعاد عن مرض القلب عديدة ، لعل من اهمها طبخ الاطعمة بالمرجرين القليل الدسم » .

ولكنه لا يعد نفسه بين اولئك الاختصاصيين الذين يؤمنون بان اي طعام حلو المذاق هو حتما ضار بالصحة ، بل يقول ان الضرر بالواقع ليس

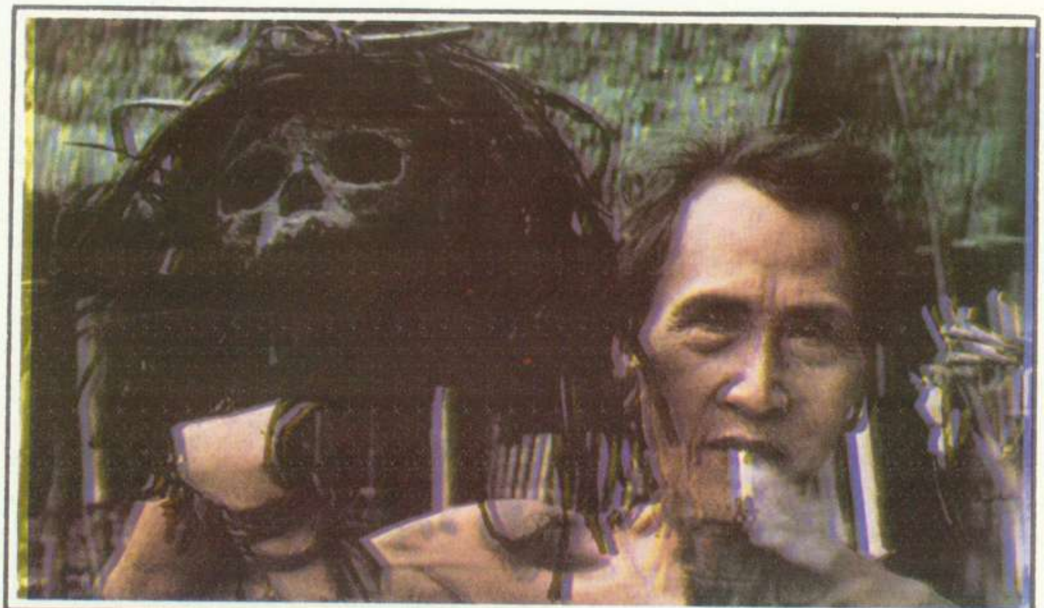

التدخين من اكثر الامور تاثيرا على القلب و العمل مصحوبا بالاكتئاب والتوتر له تأثيره الضار على صاحبه .

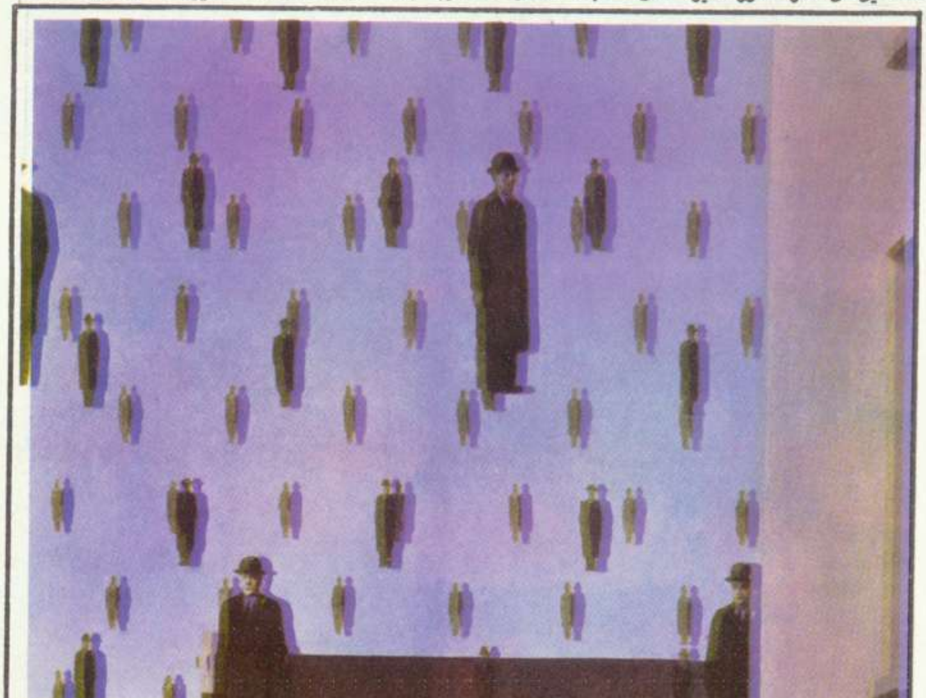

الحرص على تحقيق الذات من خلال المنصب أو المركز الكبير يؤدى بصاحبه الى التوتر .

في ما تاكله بل فيما ياكلك وينهش في قلبك . ولكن اتباع نظام تغذية متوازن امر فيه فائدة اكيدة . ومثل غيره من الخبراء ينصح بالاقلال من الاطعمة الكثيرة الملح ومن الدهن وبالاكثار من الفاكهة الطازجة والخضروات .

ويؤكد الدكتور كاروثر على التريض اكثر مما ينصح باتباع نظام غذائى معين . ويصر على أن العائلة التي تتروض مجتمعة تبقى مجتمعة على قيد الحياة . الا انه يوافق كذلك اخصائى زرع القلب الدكتور برونار على ان « المحبة والسكينة العائلية هي افضل من الرياضة » . وهو كذلك افضل سبيل للتخلص من توتر الاعصاب .

ويتابع قائلا : « في الماضى كان غالب المصابين بالقلب ممن يزورون الطبيب قد تجاوزوا الخمسين من العمر . أما اليوم فبعضهم لم يبلغ الاربعين أو الثلاثين وحتى العشرين احيانا . ويحدث هذا في اماكن مثل بلفاست في ايرلندا الشمالية ، ومن الواضح ان سببه القلق . وقد اخبرنى طبيب من هناك انه فحص اربعة مرضى دون العشرين تعرضوا جميعهم لنوبات قلبية .

ويضع الخبراء اللوم على نمط الحياة الحديثة . وقد وصف الدكتور موريس بطلر المدير الطبى للمؤسسة البريطانية لامراض القلب نوبة القلب المفاجئة لدى الشبان بانها « لعنة الحضارة الغربية » واضاف بانه شاهد شبانا لم يبلغوا العشرين يموتون بمرض القلب .

والاتجاه الحديث لدى النساء بان يعملن في الوظيفة بالاضافة إلى عمل البيت يقود إلى خضوعهن لعقوبات وخيمة وان كانت غير ظاهرة . يقول الدكتور كاروثر « لقد كان هنالك تمييز جنسى بحق من هم دون الخمسين من الرجال حيث كان يبلغ عدد الوفيات بمرض القلب بينهم خمس مرات عدد الوفيات بين النساء . ولكن الامر قد يتحول فاليوم تعيش النساء عيشة

الرجال لذلك من المنتظر ان يمتن ميتة الرجال ايضا » .

ولكن خطر مرض القلب يمكن الحد منه ان لم نقل ابعاده كليا بالعيش بانتظام ومنطق . وحدوث الاصابة لا يعني بالضرورة كارثة فان نوبة قلبية واحدة لا تؤدى حكما إلى نوبة اخرى تكون نتيجتها الوفاة ، بل هي بالواقع درسا وتجربة ليس الا .

المقامرة والصراع النفسي بين الرغبة فى الكسب والخوف من الخسارة تجهد وظيفة القلب .

انذار

فالناس الذين يتعلمون من تلك التجربة كيف يعاملون حالات التوتر النفسي ينجحون اكثر من هؤلاء الذين يستمرون دون الالتفات لما حدث لهم سائرين نحو نوبة قلبية ثانية . وكان الاجدى بهم لو اعتبروا النوبة الأولى بمثابة انذار وادركوا الحاجة إلى الصبر وقتا كافيا يتيح لهم العودة إلى الحالة الطبيعية . وهذا ينطبق على الاخص على هؤلاء الذين يقومون بالعمل في اماكن محصورة أو تحت الضغط أو يؤدون أعمالا تعرضهم لارهاق جسماني . ونصيحته اليهم الا يعودوا مسرعين إلى العمل ويقول :

« أنا شخصيا أفضل الأسلوب الألماني حيث تقام مدارس متخصصة في تصحيح الأوضاع يلتحق بها المصابون ولا يستأنفون عملهم الا بعد اتقان الطريقة الصحيحة لتنفيذ الأعمال .

أما في بريطانيا فننظر إلى ضحية النوبة القلبية نظرتنا إلى غريق في بحر الحياة . نقوم بعلاجه في وحدة العناية المركزة ثم نلقي به ثانية في الماء أما ليعوم أو ليغرق مرة أخرى دون أن نبين له ما يجب عمله بل نصرخ به اسبح ياويلك اسبح !؟ .

القواعد العشر

١ ــ تعلق بذلك الشعور الجميل الذي هو الحب فالذين يعيشون في عزلة وغير السعداء في زواجهم هم أكثر الناس عرضة لمرض القلب .

٢ ــ الغرام افضل من التريض وسكينة الحياة الزوجية هى صمام الامان للشعور بالتوتر .

٣ ــ لا تناكفوا بعضكم البعض .

٤ ــ خذ قسطا وافرا من التريض .

٥ ــ واظب على جلسات الاسترخاء ... وتخلص من المسكنات والمنومات .

٦ ــ امتنع عن التدخين .

٧ ــ اتبع نظاما غذائيا معقولا ومتوازنا . ولكن القليل مما تحبه من المأكولات لن يؤذي .

٨ ــ لا تجهد نفسك من اجل الترقية فان الوظيفة في أعلى السلم قد تقود بك إلى سرير في المستشفى .

٩ ــ إذا كنت بحكم تربيتك تعتقد أن الرجال لا يبكون فالاجدى بك أن تنسى ذلك .

١٠ ــ إذا اصابتك نوبة قلبية فلا تنظر اليها كأنها بداية النهاية ، فما هي بالواقع سوى انذار لك .

النوم المريح المبكر .. يعفى من التوتر ويمنح الصحة .

الاكثار من الحلوى والمؤكولات الدسمة تؤدى الى تراكم الشحوم الضارة بالقلب .

الفاكهة من المناظر المريحة للنفس .. وغذاء صحى للجسد .

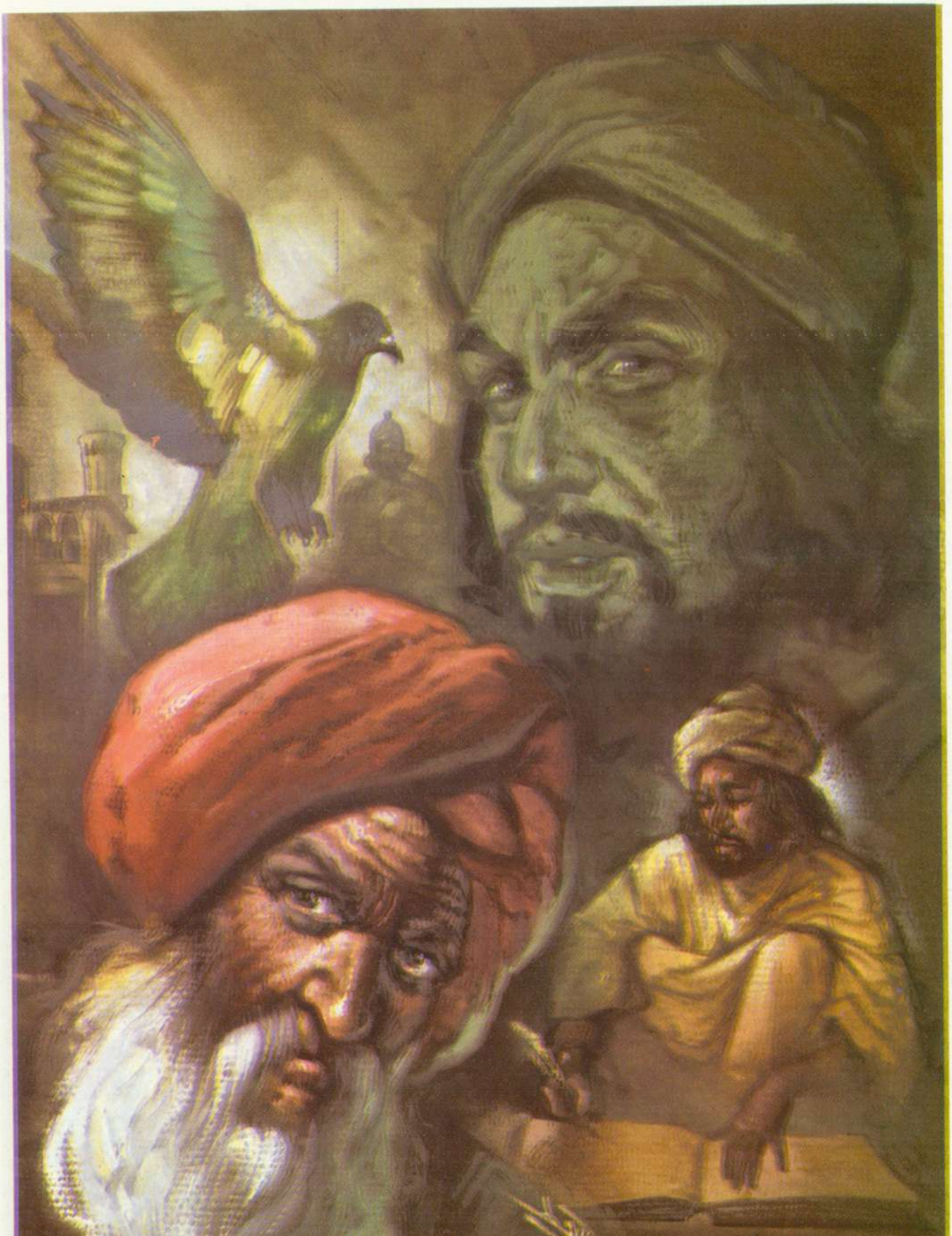

محمد المنسي قنديل

من أين تبدأ الحقيقة؟

عندما تفقد الحضارة قوتها الإبداعية تبدأ كتابة التاريخ في تلك اللحظة

يبدأ التاريخ مثل حلم رائق .. مثل ذكرى .. ثم يتحول إلى كابوس!

الزمن الإنساني يوم طويل يبدأ من الفجر وينتهي بلحظة الغروب الأخيرة

التاريخ لا يعيـــد نفسه • لان الموتى لا ينهضـــون من القبـور • والاشياء تفقد قدسيتها مرة واحدة• والمؤرخ رجل أحمق • تماما مثـــل حركة الزمن • يمتلك شجاعة خارقة في مواجهة كل الاباطرة الماضين •• ويرتعد خوفا من وال صغير معاصر •

تأتي الينا الوقائع التاريخية عبر قرون الصمت الطـــويلة • محملة بالفضـــائح والمـآسى والحـــروب والحضارات التي أكلت نفسها وكل الوان الجنون العظيمة • ويرقـــد المؤرخـــون خلفهـــا مثـــل الاطفال الاشقياء • كل يعيد قصة الخليقـــة على صـــورته • يبحث عن بعض من السكون في الايام المضطربة ويدونها فوق الورق • كل أيام المؤرخـــين العظام كانت مضطربة • مليئة بالدم والعنف وفقدان المعنى • كل واحـــد سجل وقائعه وهو على حافة الخطر • وسن قلمه في مواجهة الطوفان • عندما تفقد الحضارة قوتها الابداعية ويتحول العقل فيها الى قبضة مسيطرة ويشـــعر الناس فيها بالهـــوة التي تفصلهم عن الـــذين يحكمـــونهم فينتقلون من محاكاتهم الى التمـــرد عليهم • تبدأ كتابة التاريخ في تلك اللحظة • لحظة الفراغ التي تسبق عصور الاضطراب • وعليه أن يحفر في داخله جرح الماضى الدامي ويبكي على أيام ماضية ليست أقل ســـوءا ويضمن صـــفحاته توقعات هي اكثر شرا ••

● ● ●

يأتي الطبـــري من طبرستان الي سوق الوراقين في بغداد • والخلافة العباسية في بداية قرنها الرابع وقد دبت فيهـــا الشيخوخة • تحللت الى عشرات الدول الصـــغيرة •• وصعد على عروش ولاياتها المئات من أمراء المؤمنين غير الذي في بغداد •• كانت فارس والري وأصبهان والجبل فـــي أيدي بني بويه • والموصـــل وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر في أيدي بني حمدان • مصر والشام في يـــد الاخشيد • وافريقية في يد الفاطميين والاندلس في يـــد عبـــد الرحمن الناصر الاموي • واليمامه والبحرين في يـــد أبي طاهـــر القرمطي •• وليس في يـــد الخليفة الا بغداد •• وملكا يقـــاس بالاميـــال لا بعـــدد الولايات •• وسلطة صـــورية ليس منها الا الاسم •• والعباءة •• وأخذ الطبـــري يكتب نهـــايات تاريخـــه والحنـــابلة يحاصرونه في المسجد ويقذفون بيته بالاحجار حتى تكوم تل منها أمام بيته • ويستعدون عليـــه الوالي والخليفـــة حتى اضطر في النهـــاية أن يعتكف في بيته ليؤلف كتابا فى الاعتـــذار عن أشياء لم يقلهـــا • ويشيد باناس لم يتعرض لهـــم ••

وشاهد ابن الاثير الجـــزري فلول المغول وهي تتجمع في سهول أســـيا الباردة •• ثم ينقضون عـــلى قلب بغداد •• وبدلا من أن يتحول الدم الهمجي الى قوة تتـــدفق في عروق الحضارة الهرمة •• أصابها بنـــوع من التسمم الدمـــوي •• وكتب في آخر صفحاته مرثية لأروع عواصـــم الاسلام في كل العصور ••

واختبأ ابن تغري بردي داخـــل القصور • يرقب الدراما المملوكية • الصعود من ســـوق النخاســـين حتى العرش •• ثـــم الســـقوط في جب القلعـــة •• أو « العرقانه » •• ويرصـــد الدسائس التي تحولت الى قانون الحياة اليومية •• وعنـــدما تفتحت عيناه على هذا العالم •• كان أبوه – أحد كبار القادة – طرفا في مؤامرة سياسية أطاحت بحيـــاته •• واكتشف أن بنـــي جلـــدته يأكلون بعضهم •• وأن الطاعون يدق عليهم ابواب القصور •• والنيـــل ينحسر ليكشف عن عظام الفلاحين الموتى بلا ثمن •• فحتى متى يظل الصمت ؟•

واستيقظ ابن اياس مذعورا عـــلى صوت دوي • ومدافع بني عثمان تدق أبواب القاهرة القديمة • وجنودها يعلقون المشانق عـــلى باب زويلة •

وأصابعهم تخلع الفسيفساء المطعمة بالصدف وتقلع المشربيات ورحل كل أصحاب المهارات الى اسطنبول ..

وتلفت الجبرتي خائفا في شوارع القاهرة . ان هرب من الفرنسيس لاقاه الغز . وان اختبأ من الانكشارية اكتشف الارناؤوط مكانه . والباشا في القلعة يلعب مع مؤرخه العاصي لعبة القط والفأر .. وانتهى الجبرتي قبل أن ينتهي تاريخه .. وسقط القلم وهو يتلوى من السم الذي دسه له الباشا محمد علي .

يبدأ التاريخ مثل حلم رائق . مثل ذكرى .. ثم يتحول الى كابوس. ويبدو أن العربية هي قدر أكثر من كونها جنسا .. أو لغة .. أو عرقا ننتمي اليه .. نعاني منها وبها من التقادم كأنا على وشك الابادة . ونبقى دون تشكل كأنا حقيقة كونية .. فهل الوقائع هى نفس الوقائع .. وما حدث هو الذي يروى .. أم أن هناك اتفاقا عاما عبر كل أجيال صغار الكتبة وصغار الخلفاء على التزوير ..؟

.. عن الزمن العربي

قال الطبري لتلاميذه ..

ـ اتنشطون لكتابة تاريخ العالم من آدم حتى وقتنا هذا ؟..

قال التلاميذ .. كم يكون قدره ؟..

قال الطبري .. ثلاثون الف ورقة ..

قالوا .. ان هذا مما تفنى الاعمار قبل تمامه ..

قال .. انا لله .. ماتت الهمم .

وبدأ يملي عليهم تاريخ العالم مختصرا ..

« الحمد لله .. الاول قبل كل أول . والآخر بعد كل آخر . والقادر على كل شيء بغير انتقال . والخالق خلقه من غير شكل ولا مثال . وهو الفرد الواحد من غير عدد . وهو الباقي بعد كل أحد .. » ..

كان الطبري شاهدا على الخليقة . وراحلا في عصر الانبياء . وخائفا

في عهد الملوك • والزمن كله من بدء الخليقة حتى نفير القيامة سبعة آلاف سنة • لان الله خلق العالم في ستة أيام • وكل يوم من أيام الآخرة مقداره ألف عام • وقد مر من العمر البشري عندما بدأ الطبري في تدوين كتابه ستة آلاف ومائة عام •• ولم يبق في عمر الكون الا تسعمائة سنة• فاذا شبهنا الزمن الانساني بيوم طويل يبدأ من الفجر فان ما بقى من زمننا هو لحظة الغروب الاخيرة ••

انتهى الزمن ونعيش الآن خارجه• هل يبرر هذا تكاسلنا التاريخي ؟ وخيوط العنكبوت التي تخيم على أفكارنا ؟ ان الطبري يأتي بعشرات الاسانيد على صدق احصائياته •• مضى زمن المعجزات وأظلنا زمن الفتنة وامتد التاريخ مثل حيوان خرافي ••

ولكن •• لماذا التاريخ ••

يقول الجبرتي ••

« الغرض منه الوقوف على الاحوال الماضية من حيث هى •• وكيف كانت • وفائدة العبر بتلك الاحوال والتنصح بها • وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن• ليحترز العاقل عن مثل أحوال الهالكين من الامم المذكورة ويستجلب خيار أفعالهم • ويتجنب سوء أقوالهم ويزهد في الفاني ويجتهد في طلب الباقي •• » ••

لم ينتفع الجبرتي بكل هذه النصائح • وأصبح طرفا في صراعات لا يدري مداها • دفع ثمنها أولا ابنه « خليل » عندما اغتيل في شوارع القاهرة •• ثم أخذ يهرف بالسم •• كان يموت والعالم الصاخب الذي سجل شذرات منه يتحرك من حوله • الاشياء الجليلة والاشياء الحقيرة •• المماليك بخيولهم المزركشة والمدافع تحصدهم في امبابة • وشيوخ الازهر • وعميان الاروقة يقومون بالاضراب ويغلقون باب المسجد •

وتجار الفورية • وخفراء الليل على باب زويلة • والصناجق • وخادم النعال بالمشهد الحسيني • وفيالق

كان الجبرتي طرفاً في صراعات لايعرف مداها. دفع ثمنها ابنه حين اغتيل في شوارع القاهرة

الارناؤوط • والانكشارية القاسمية• والانكشارية الفقارية • وجنود الفرنسيس بملابسهم الزرقاء • وشارتهم المثلثة • وأسعار الغلال واللحم والسمن واللبن والتمرحنه

والبن والفحم وأيام الجوع • وظهور التعاريق • وانحسار النيل • وارتفاع الطاعون • ولكن التيار جرفه فأصبح عنصرا مأساويا وسط

عشرات المآسي التي تحدث عنها •• وكان واهما حين قال ••

« هذا التاريخ •• لم أقصد بجمعه خدمة ذي جاه كبير • أو طاعة وزير أو أمير • ولم أداهن فيه دولة بنفاق أو مدح • أو ذم مباين للاخلاق لميل نفساني • أو جسماني » ••

بدأ الخليفة عمر بن الخطاب التقويم الهجري • حين امتدت

الدولة • وتكاثر الولاة • وكتب أبو موسى الاشعري للخليفة يقول له •• « أنه تأتينا كتب من أمير المؤمنين لا ندري على أيها نعمل •• فقد قرأنا صكا محله شعبان • فما ندري • أهو شعبان الماضي • أم القابل ••؟•• » وجمع ابن الخطاب وجوه الصحابة وقال لهم •

ـ ان الاموال قد كثرت •

وما قسمناه غير مؤقت .. فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك ..؟..

قال الهرمزان .. وهو أحد الولاة الفرس وكان يحكم الاهواز عندما هزم وأخذ أسيرا وأعلن اسلامه على يد الخليفة .

ـ ان للعجم حسابا يسمونه « ماه روز » ويسندونه الى من غلب من الاكاسرة .

ومن « ماه روز » هذه اشتقت كلمة « مؤرخ » ومنها تاريخ وكان التاريخ الاعجمي يبدأ مع كل كسرى جديد يعتلي العرش . وقرر عمر أن يكون هناك تقويما واحدا يبدأ من الهجرة. أي أن يبدأ منذ السبعة عشر عاما الماضية ..

لكن العربية كانت أبعد من ذلك . فالعالم حين خلق . خلق بالعربية .

ـ كما يرى الطبري ـ وسوف ينتهي ـ حين ينتهي ـ بالعربية .. ورغم أن يعرب فيما زعم المؤرخون هو أول من تحدث بالعربية فان لغة آدم في الجنة كانت العربية .. بل وله أشعار عربية في رثاء ولديه ..

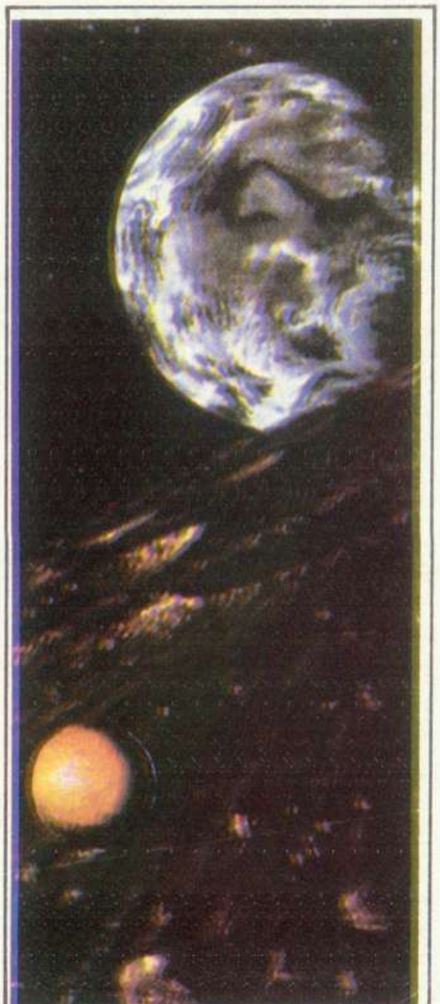

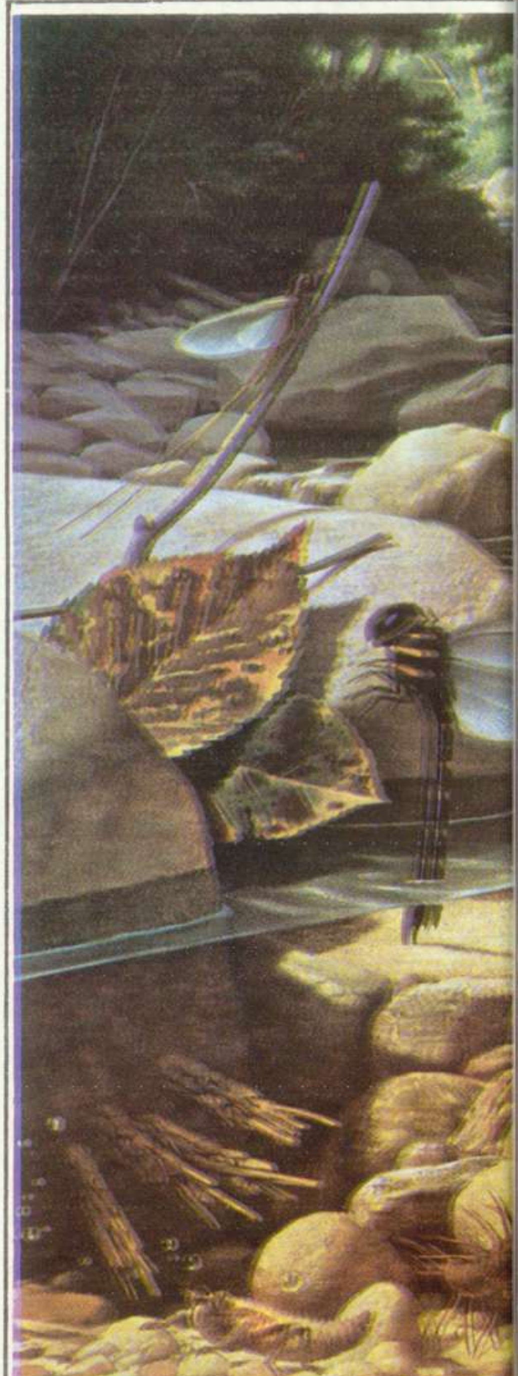

من الذي يستطيع أن يقاوم صورة الأرض المخلوقة على ظهر حوت؟

شاهد على التكوين ..

أول ما خلق الله من شيء . كان القلم . فقال له أكتب . قال القلم: وما أكتب يارب ..؟.. قال له .. اكتب القدر .. فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وبما هو كائن الى الابد . ثم خلق سحابا رقيقا هو الغمام . لف الكون الخالي وكان الكون عماء . ما تحته هواء وما فوقه هواء . ثم خلق عرشه على الماء . وأخرج من الماء دخانا فسما عليه سماء . وقسمها الى سبع سماوات .

ثم يبس الماء فجعله ارضا واحدة . ثم فتقها فجعلها سبع أرضين . وكانت الارض مخلوقة على ظهر النون .. وهو الحوت السابح في بحر الابدية.

وحين أراد الله أن يدحو الارض ويضع فيها أرزاقها . تحرك الحوت فاضطربت الارض وتزلزلت فارسى عليها الجبال فقرت . فالجبال تفخر على الارض .. ثم خلق الظلمة والنور وميز بينهما . فجعل الظلمة ليلا أسود مظلما . وجعل النور نهارا مضيئا مبصرا . وخلق الله شمسين من نور عرشه . وفي بادىء الامر لم يكن يعرف الليل من النهار .. فارسل الله جبريل فمر بجناحيه ثلاث مرات على وجه القمر وهو يومئذ شمس ، فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور .. وبقيت خطوط سوداء على وجه القمر من اثر المحو . ودار الفلك دوران العجلة . فلو اقتربت الشمس لأحرقت كل شيء على الارض حتى الصخور والحجارة . ولو بدا القمر لافتتن اهل الارض حتى يعبدوه من دون الله . وبدأت حركة الزمن في الصيرورة .. كل نهار يتلوه ليل الى يوم القيامة فهو يوم عقيم .. نهار لا يتلوه ليل ..

هكذا . خلق الله الارض يوم الاحد. وخلق الجبال يوم الاثنين . وخلق ما فيها من منافع للناس يوم الثلاثاء. وخلق الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب يوم الاربعاء . وخلق السماء يوم الخميس . وخلق النجوم والشمس والقمر والملائكة يوم الجمعة وبقى من اليوم ثلاث ساعات. فخلق اول ساعة الآجال . من يحيا . ومن يموت ..؟.. وفي الساعة الثانية ألقى الآفة على كل شيء .. وفي الساعة الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر الملائكة بالسجود له . ولم يختر ابليس الوقت المناسب فرفض السجود فطرد في نهاية الساعة الثالثة وفي مثل هذه الساعة تقوم القيامة .

وانتهت الخليقة في هذه الايام الستة . ونسى الطبري أن يضيف كما قالت التوراة .. « وارتاح الله في اليوم السابع » حتى هنا ولم يكتشف مدى تغلغل الاسرائيليات في التصور العربي لبداية التكوين ..

ورغم أنه يذكر أسماء أيام الاسبوع العادية .. فانه يستدرك بان هذه لم تكن الاسماء الاولى التي سجلها القلم حين بدأ الكلمات .. أن أسماء الاسبوع كانت .. أبجد .. هوز .. حطي .. كلمن .. سعفص .. قرشت .. وهي أسماء مركبة من توالي الحروف الابجدية .. فهل كان الطبري يسخر وسط هذه الجدية الصارمة ؟.. لقد كان شاهدا على التكوين . واورد القصة بمختلف الاسانيد .. وحاول - مثل معظم المؤرخين العرب - أن يحتمي بعدد من الاحاديث النبوية التي كان أول من يعرف انها منتحلة .. ويعترف أن اليهود مدفوعين بسوء النية أو برغبتهم في جمع المال قد زيفوا كثيرا من الروايات والاحاديث ..

ويبدو أن الطبري قد أعجب بذلك الخيال البدائي - من الذي يستطيع أن يقاوم صورة الارض المخلوقة على ظهر حوت ..؟ .. أو لعله أعجب بمضمونها الرمزي .. أو لم يجد روايات بديلة .. أو فضل أن يبدأ

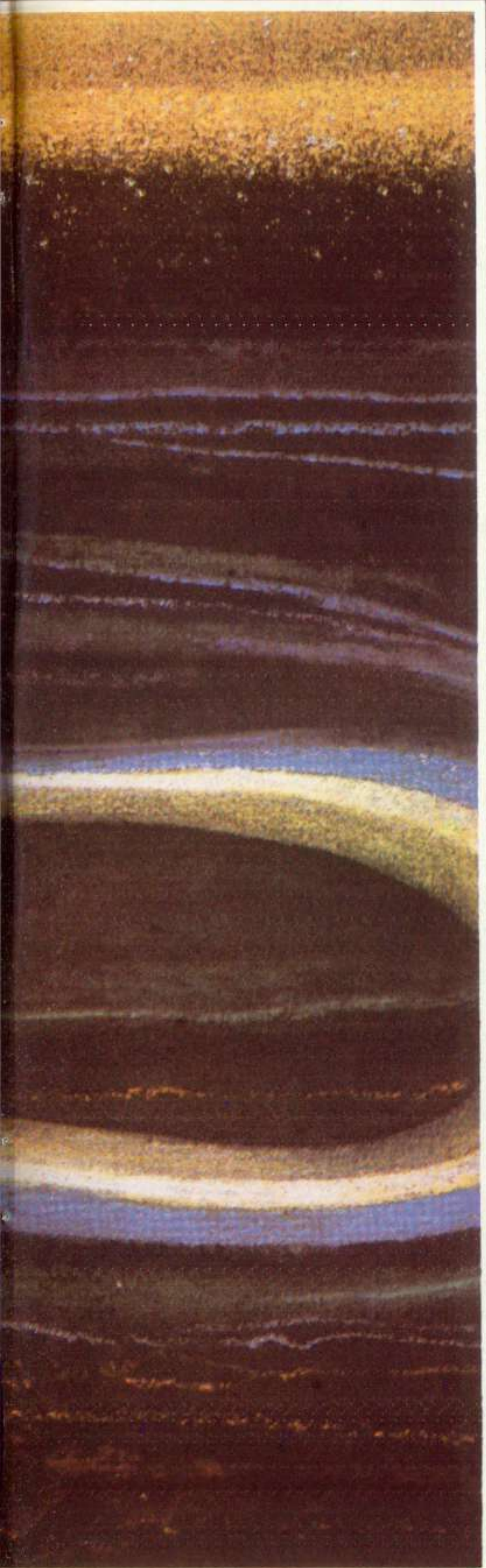

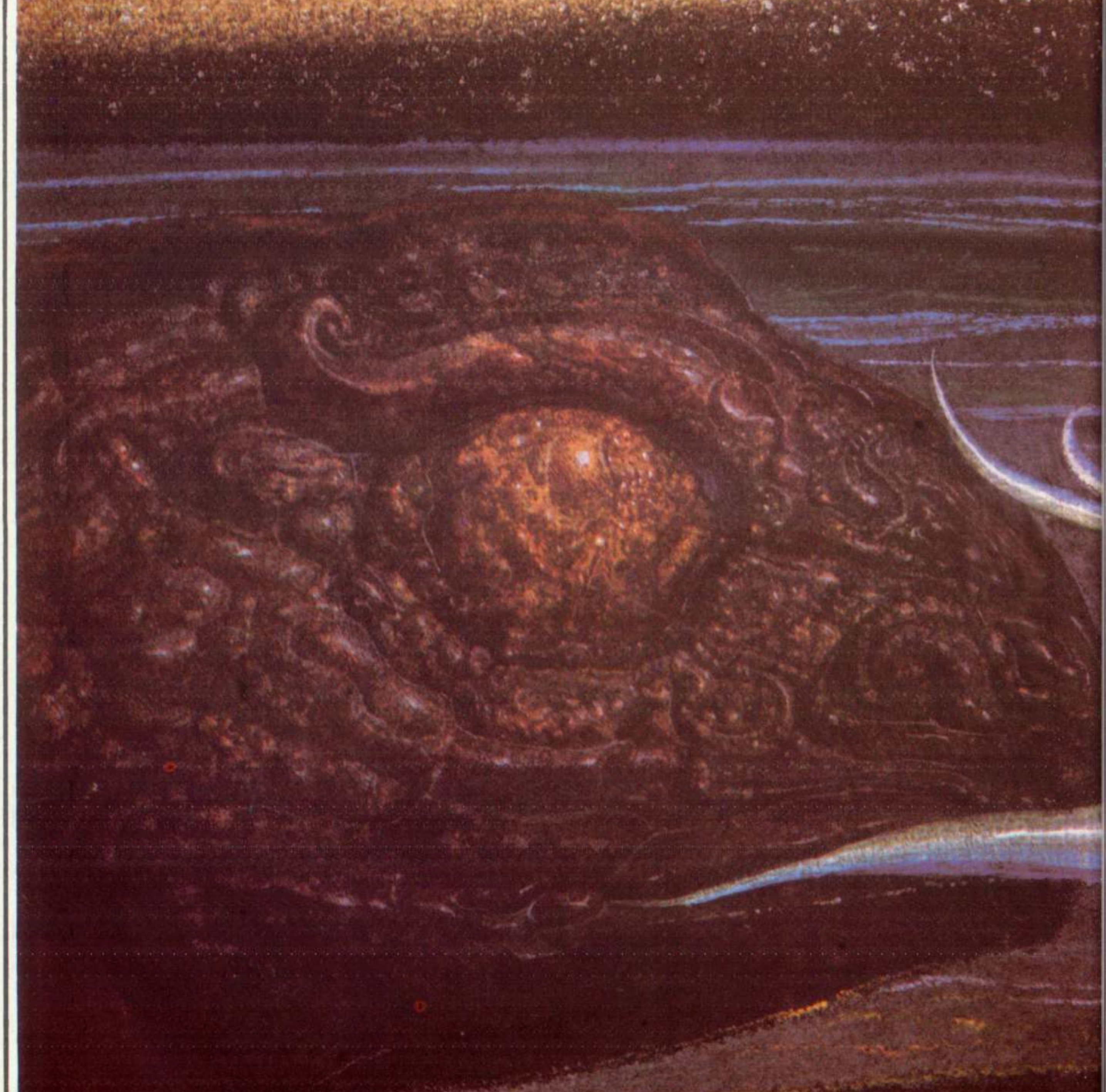

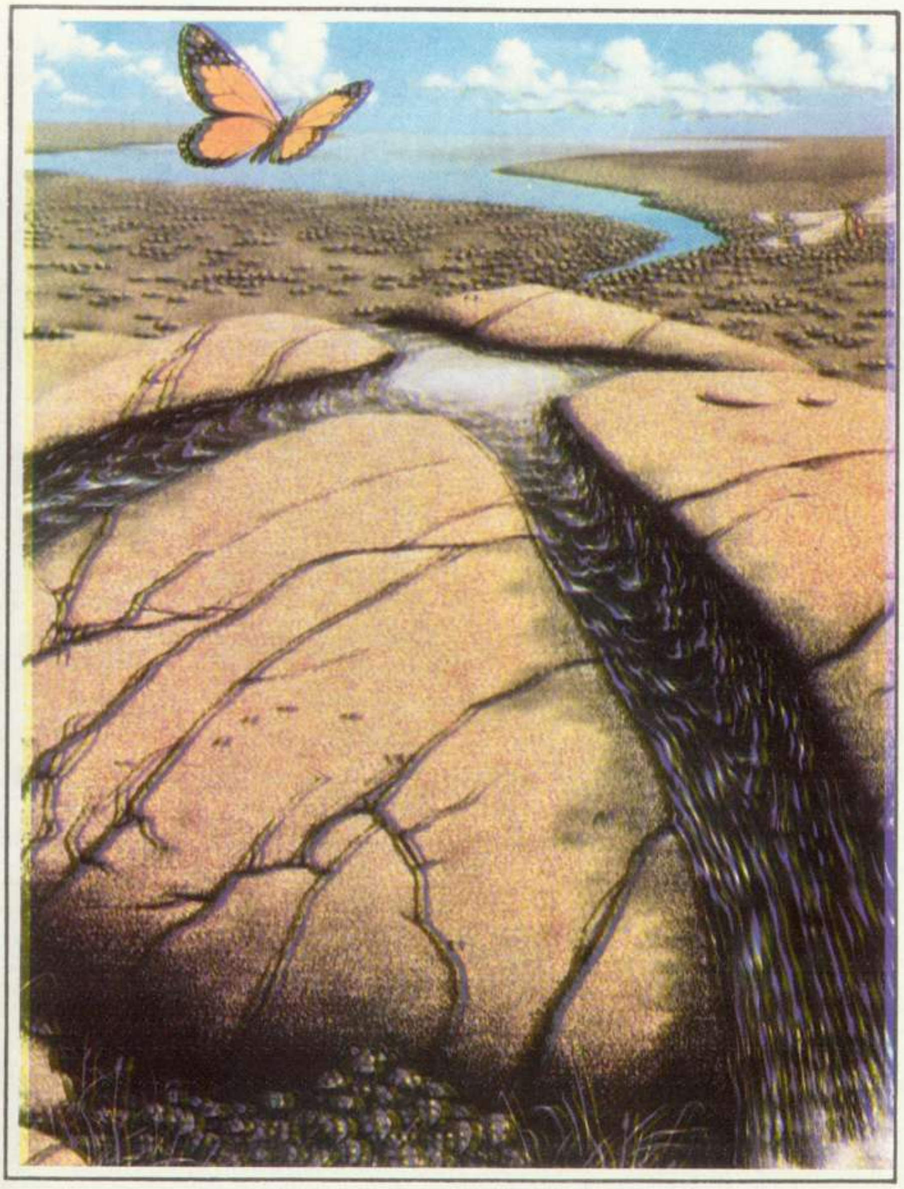

بما لا يعرف حتى اذا دارت عجلة التاريخ وصل الى حيث يعرف ..

على أي حال لقد بدأ الزمن .. وتوالت ساعات الليل والنهار ..

فمن اين جاء العربي الاول ؟.

ساكن الارض المحروقة والفيافي الشاسعة التي يحوطها البحر من جهاتها الثلاث وتصلى الشمس كل حبة رمل فيها . منذ أن انتزعت هذه القطعة من أفريقيا . وشق البحر الاحمر أخدوده بينهما وكفت الهجرات المتبادلة . ولم تستقر القبائل الا بعد مخاض طويل استغرق قرونا طويلة .. وأبيدت أقوام عربية كاملة .. مثل هود .. ولقمان .. وثمود .. وجديس .. وعبيل .. وطسم .. وجاءت أقوام أخرى من الجنوب اليمني .. ومن الشمال السومري . وامتزجا ليصنعا حياة قاسية وسط طبيعة قاسية .

وسط « الحرار » وهي الارض البركانية التي لم تكن تهدأ . باحجارها الصلدة كالرماح .. وباطن الارض قلق مليء بالنذر حتى سجد الناس في جنوب اليمن وعبدوا الحمم التي لا تكف عن التصاعد .. ووسط « الدهناء » ذات الرمال الحمراء وسلاسل التلال المتتابعة ، والاعشاب التي تزدهر سريعا . وتموت سريعا. وصحراء « النفوذ » الواسعة .. ورملها الابيض تذروه ريح لا تهدأ . وسراب لا يروى . تمتد حول الجزيرة أشبه ما يكون بنعل الفرس . وعندما يأتي الشتاء تكتسي هذه الصحراء بمساحة من الخضرة الشاسعة سرعان ما تتبدد مع أول عاصفة رملية . وتكنس ريح السموم الارض كنسا . وهناك « الدارات » وهي الفجوات الضيقة بين الجبال . تمتلىء أحيانا بالرمال الخادعة التي تلتهم كل من يضل طريقه بينهم . وأحيانا بشقائق النعمان لعل عاشقا صغيرا يهدي زهرة الى معشوقته الصغيرة .. وتمتد سلاسل جبال « السرات » عمود الجزيرة الفقري حتى حواف الشام. لا توجد أنهار من أي نوع .. والاودية مهددة بالسيول .. وفي وسط هذا كله .. جاء العربي الاول ..

ينتمي العرب الى جدين . الجد الاول هو قحطان . والجد الثاني هو عدنان . وهو تقسيم رمزي أكثر منه واقعي . ذلك الترادف بين الاسمين يبدي بوضوح أنها الثنائية المألوفة التي نجدها عند كل الشعوب البدائية . ويطلق عليها المؤرخون العرب تسمية غاية في الركاكة .. « العرب العاربة » التي تنتمي جذورها الى قحطان . « والعرب المستعربة » التي تنتمي بجذورها الى عدنان .. فمن أين جاء قحطان . والى أين ذهب عدنان ؟. لا أحد يدري . توجد أقوال عديدة . وأسانيد كثيرة . تشبه في مجموعها الاقوال والاسانيد التي قيلت عن نشأة الكون .. ولكن بنظرة أكثر قربا .. فان عدنان هو الوجه الاخر لقحطان ..

ان قحطان هو الجد الاول للعرب الذين جاءوا من اليمن .. وحكم هذه الصحراوات الشاسعة لمدة مئتي سنة . وأنجب ابنه « يعرب » الذي

ينتمي العرب الى جدين : الأول قحطان والثاني عدنان

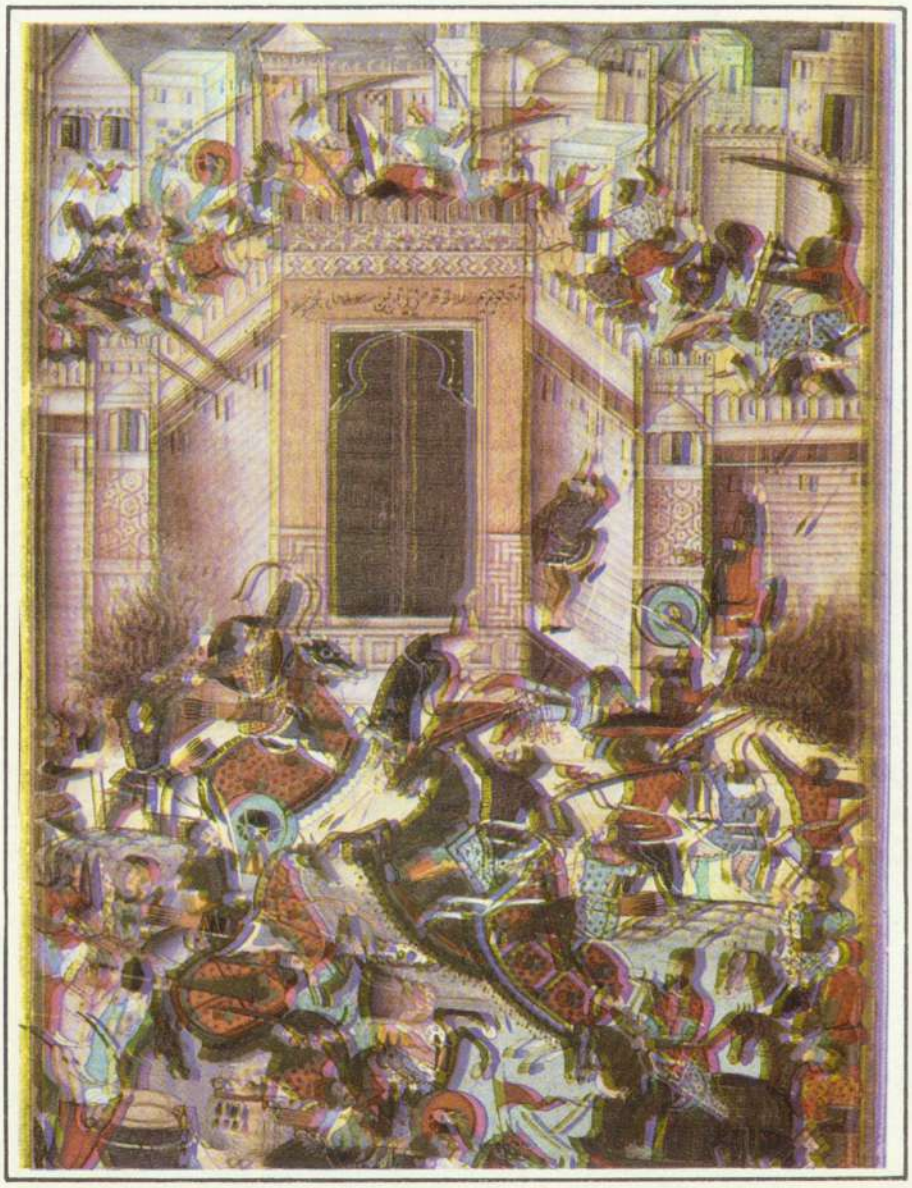

تتسب اليه العربية والعرب .. من أبنائه أيضا « سبأ » صاحب السد المشهور . « وحضرموت » . « ويفوث » . « وهذرم » . «ويأمن».

وأسماء أخرى تفرقت بعرض الصحراء فأعطتها أقوامها ومسمياتها وحولت الخلاء الى أماكن معلومة . والاودية الى قرى .. وتسميت القبائل بأسماء هؤلاء الابناء . كانوا البذرة التي فرعت وأعطت الرجال الصلدين الذين خلقوا هذا النمط الوعر من الحياة .. حيث لا تنام عين . ولا تنطفي نار .. الا وحل الموت ..

ثم جاء اسماعيل عليه السلام من الشمال . وبنى البيت . وكان العدنانيون . وحدث التزاوج بين الشمال والجنوب . وجاء من العدنانيين .. الشعراء والمفكرون والانبياء .. وجاء منهم خير ولد عدنان محمد عليه الصلاة والسلام .. أنهم الوجه الروحي لوجه عدنان المادى وهما معا يكونان جسدا واحدا لاقوام واحدة مهما اختلفوا أو تنازعت أنسابهم . لقد تفاخروا طويلا . وتباهوا بالانساب . كانت ثروتهم المعنوية حين ضنت عليهم الطبيعة بالثروة المادية ــ فلا يكفي أن يحفظ الانسان نسبه حتى آخر جد .. بل يعرف أيضا نسب حصانه . وفصائل ناقته . ومن أي صلب صنع سيفه . ان الارض الرملية تقتلع كل شيء . لا تبقى على أي جذور داخلها . فلم يكن هناك بد من غرس هذه الجذور الفكرية لعلها تبقى حين تقتلع الريح كل شيء .

وتم التزاوج بين المادة القحطانية التي ظلت مضيعة . والفكر العدناني الذي لم يستطع تجميع شذراتها حتى ظهر آخر الانبياء ليقودها . واستلزم الامر كثيرا من الجهد العدناني كي يعيد صياغة هذه العقلية . فهذا العربي الذي يؤمن بالحرية ايمانا مطلقا تجعله عصيا عن التطويع . يفهم من الحرية جانبها الشخصي فقط . لا يذعن بالطاعة لأي سلطة . تاريخ قبيلته هو تاريخ الغزوات . فكيف يخضع لسلطة دينية وسياسية واحدة . كيف يمكن أن يطوع ذلك الذكاء الفطري الذي يعتمد على حسن البديهة والتلاعب بالالفاظ ، الى ذكاء خلاق مبتكر . ويتحول العربي الذي لسانه أمهر من عقله الى عربي عقله أمهر من لسانه .. كيف يفتح آفاق هذا الخيال المحدود الذي يحده الشظف الصحراوي والضرورة الحياتية ويضعه على أعتاب العالم الجديد ..؟

هذا هو السؤال . وهذه هي البداية التي حاول العربي منها اكتشاف العالم . وان يتخلى عن احساسه الدفين بأنه وحده في مواجهة طبيعة قاسية . لا يحميه الا الجلد الذي يكسو عظامه والمقيدة التي تملأ روحه .. وعندما أتيح له أخيرا أن يقيم دولته . أقام بدلا منها « عالما » مليئا بأقوام مختلفة .. ولغات وديانات وثقافات متباينة . لعله يحس بقليل من الأمان والألفة. وصنع من حضارته حلما .. كان جميلا بقدر ما كان قصيرا .. مليئا بأشعار الفخر .. واكثر منها أشعار المراثي ..

تخلق الكون . وجاء العربي الاول .. وبدات الوقائع العربية .

فمن اين تبدأ الحقيقة ..؟..

محمد المنسي قنديل

تونسية

شعر : نور الدين صمود

هذا جمالك ملء القلب يبهرنى
اذا سكت فان العين تفضحنى
رسائل الشوق لم تفتر حرارتها
تبثها مقلتى فى الصحو والوسن
أرجوك أن تفهمى عينى انهما
تحدثانك فى سر وفى علن
ماذا أرى ؟ أى سر دب في جسدى ؟
فكل ما فيك مثل السحر يسحرني
العين باب لما فى القلب يفضحه
وفى عيونك الغاز تحيرنى

قولى – فديتك – ماذا فى عيونك من
اسرار قلبك ؟ إن الصمت يرهقنى
وحسنك الغض أحلى ما تجود به
هذى الربوع وما تعطى من المنن
كنز يفوق كنوز الارض أجمعها
ويملأ الكون بالابداع والفتن
أضحى جمالك فى عينى مزرعة
من المفاتن تضنينى وتسعدنى
قدست أرض جدودى فهى قد منحت
هذا الجمال ، فما أحلاك ياوطنى .

نور الدين صمود

زائـــر منتصف الليـــل

لم يكن من السهل وأنا طبيبة شابة ان استوعب بسهولة هذا المشهد الذي فوجئت به امامى بعد منتصف الليل في بيتى الذي اقيم به في احدى قرى الريف المصري . فعندما قمت من النوم مذعورة على صوت ارتطام بالأرض وكسر زجاج لم احدد سببه ، وما ان اضات النور حتى تملكنى الخوف وانا أصدم بهذا المنظر : رجل غريب وعينيه شاخصة إلى في بريق غريب لا أدرى هل ينم عن توسل أم عن الم وخوف ؟

وكان واضحا ان الرجل الغريب قد أصيب برصاصة في كتفه .. وتصاعدت اناته التي حرص ان يكتمها بقدر الامكان . في تلك اللحظة نسيت خوفي .. نسيت وحدتى .. نسيت انى امام رجل غريب لا أعرف عنه شيئا . وتحركت بداخلى نوازع المهنة ومشاعر الانسانية . لم اتذكر عندئذ الا شيئا واحدا وهو انى طبيبة مهمتها الأولى تخفيف الام الناس .

وبعد نصف ساعة كانت الرصاصة قد استخرجت والرجل يرقد من التعب والانهاك في اغفاءة طويلة .. وعندما استيقظ الرجل في الصباح وسط ضماداته فوجىء بوجود الشرطة الذين استدعيتهم في الصباح وقد ادركت من لقائهم به انه يعرفهم وانهم يبحثون عنه منذ الليل بعد أن حاول الهرب ، وأصيب بطلق نارى أثناء نقله من القسم إلى المحكمة لحضور محاكمته .

وشرح لى ضابط الشرطة الأمر : ان هذا المصاب متهم في احدى قضايا الثأر ولكنه ينفى أي صلة له بالجريمة رغم ثبوت الأدلة عليه .

وتمر الأيام وأفاجأ به يطرق الباب بنفسه . كانت عيناه ممتلئتين بالفرح والأمل بدلا من التوسل والخوف والألم . وبعد أن دعوته للدخول اخبرنى بأن الشرطة قبضت على القاتل الحقيقى الذي اعترف بجريمته .. ومن ثم أطلقوا سراحه .

ورجانى أن يعمل عندى وأقسم أنه سيكون تابعا مخلصا مدى الحياة وفاء بما أسديته له من جميل عندما انقذت حياته من الرصاصة .

ولما كان عملى الحكومى في تلك الضاحية النائية من ريف مصر يحتاج إلى خروجى في أي لحظة لزيارة المرضى وأسعافهم فقد قبلت أن يعمل مساعداً لى .

وعندما تراه الآن يساعدنى في عملى لا يخطر ببالك ابدا أن هذا الممرض والذي اتقن مهنته كان في يوم من الأيام هاربا من تهمة قتل . وكان من الجائز جدا أن تثبت التهمة – زوراً – عليه ، لو لم تتوصل الشرطة إلى القاتل الحقيقى .

درية رسمى أحمد
القاهرة

حيـــاة الخشونة

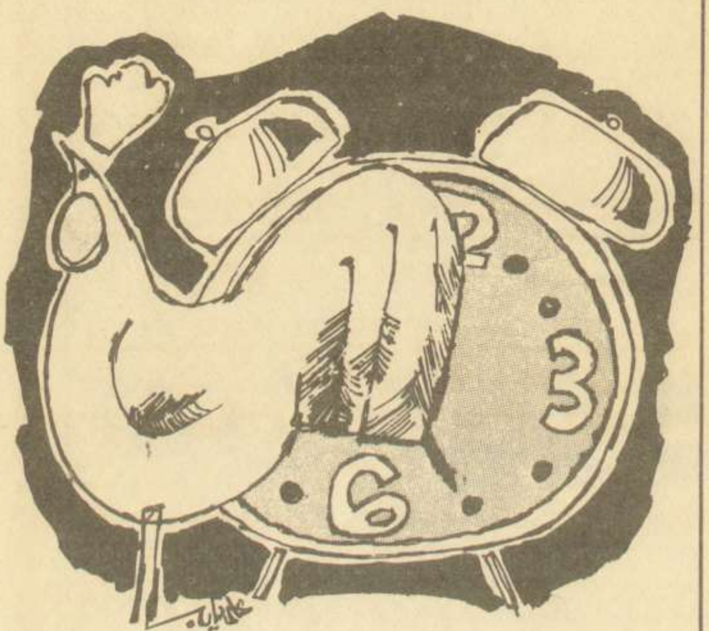

عندما تمر دقائق وساعات هذه الايام المملة ، بهذا المرور البطىء يخيل إلينا أن هذه الدقائق والساعات قد أمست اشهرا أو أعواماً.

فى هذا المعسكر تتشابه خواطرنا وأفكارنا وأهدافنا نحن الطلاب ، وإن اختلفت بنياتنا الجسمية واعتيادنا على الخشونة الجديدة التى عشناها فى هذه الايام

كانت حياة خشنة .. كنا نسهر على ضوء الفانوس البترولى ، وننام علي الفراش الخشن بدون وسائد ، بين الغبار ومع الحشرات المختلفة الانواع

إن حياة هذا المعسكر ليست جديدة على من اعتاد الخشونة منذ صغره ، ولكنها غريبة على انا .. يقال ان هذه الحياه شبيهة بحياة الجنود علي الجبهة ، ولكن المهم .. ما يعصف بكياني ويجعلنى أذرف هذه الدموع السخية . انتابنى شعور غريب لم استطع ترجمته عندما امسكت بالبندقية ، أتدرب عليها وصوبت تصويبها . وعندما اهتز كتفى تأديب : تعال يا ابى .. وانظر لولدك كيف يمسك بالبندقية .

وعندما اصطففنا لنمشى المشية العسكرية ، ووقع خطانا يصم الاذان تذكرت ابى مرة ثانية ، حيث كان يحثنى دائما على عمل اى شيء مفيد خلال الاجازة الصيفية . وهكذا تغير نظام حياتى كلية ، وصار عسكريا . أصحو يوميا من النوم في الساعة الخامسة على صوت البوق ، وأسارع بارتداء ثيابى العسكرية، والحذاء ذى الرقبة ، وأحيانا خوفا من العقوبة كنت ابكى .

يوم الخميس ، كنا نركب السيارة كقطيع الماشية لنقضى يوم الجمعة بين أهلينا .. وفى وسطهم كنت أشعر انني جندى .

ومع ذلك .. لقد أصبحت – ومعى زملائي – شيئا أخر فقد إسمرت بشرتنا بعد بياض وقويت عضلاتنا بعد ضعف ، وتعودنا النظام وطاعة الاوامر بعد الحياة الفوضوية ، وعرفت من هذه التجربة أن الرجل باعتياده الخشونة ، يستطيع أن يواجه الحياة ، وأن يتحمل مشاقها .

بشير شيخ ورق
سوريا .

أسلحة الدمار

والثمن الباهظ

من أجل نزع السلاح أصدرت الامم المتحدة عدة رسومات توضح بها خطر انتاج الاسلحة ودورها في تدمير اقتصاد الشعوب .. وهذه هي اللوحات التي تعبر عن مأساة سباق التسلح في حياة البشرية جمعاء .

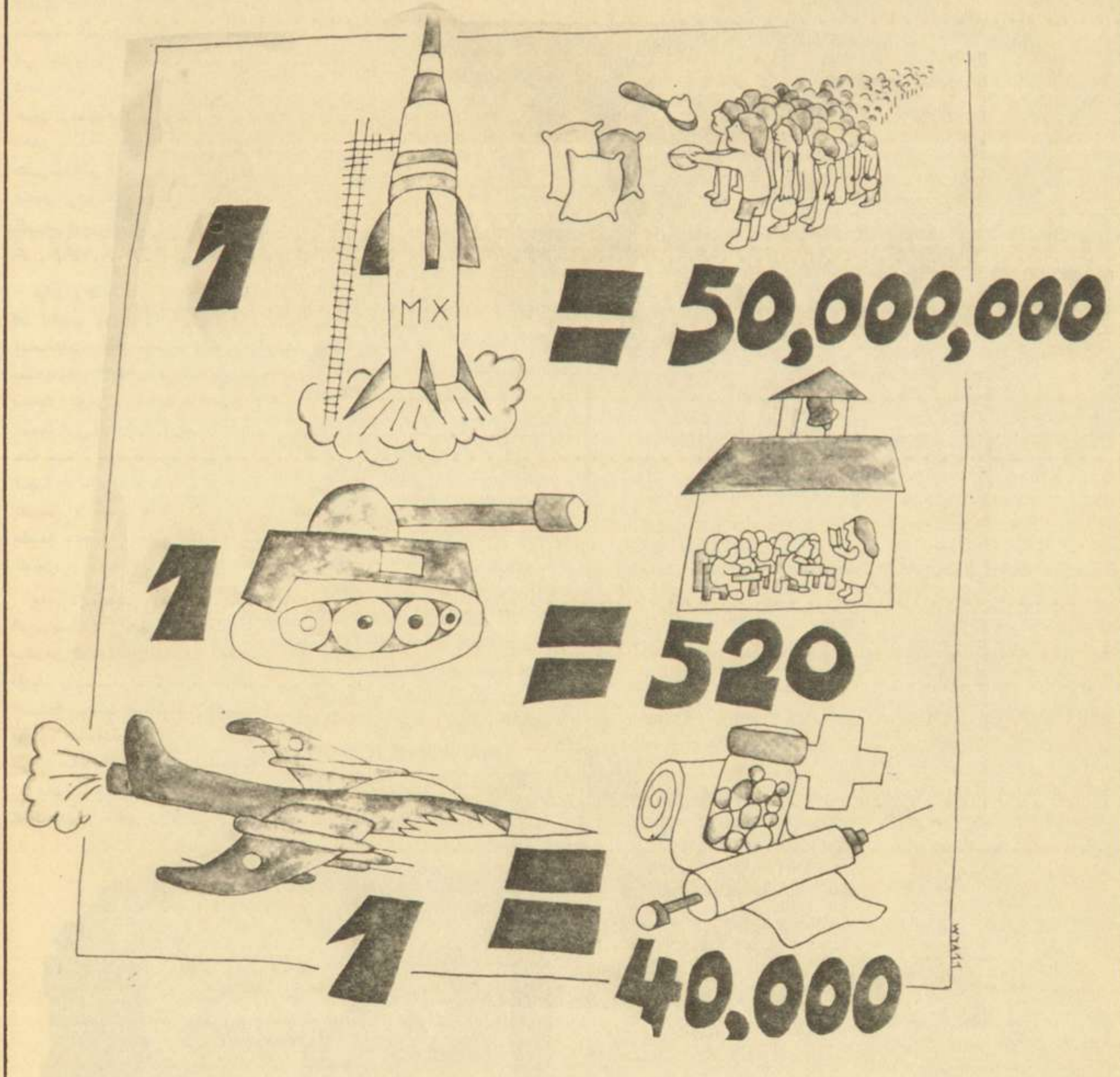

● تكاليف صاروخ جديد عابر للقارات يكفى لاطعام ٥٠ مليون طفل يعانون من سوء التغذية فى الدول النامية .

● تكاليف دبابة واحدة أى نصف مليون دولار يكفى لتجهيز ٥٢٠ غرفة دراسية فى المدارس مجهزة بأحدث المعدات ، تسع كل غرفة منهما ٣٠ طالبا

● تكاليف طائرة نفاثة واحدة مقاتلة تكفى لانشاء ٤٠ الف صيدلية فى المناطق الريفية .

فى حياتى لم يوقفنى أحد فى الطريق ليسألنى أن أتبرع للأسلحة النووية . وهذا ببساطة لايحدث لأن الحكومات تتولى ذلك بنفسها ، ولكننى أرى أكواما من الأطفال الذين يجب أن تهتم بهم الحكومات وكل الناس . إننا فى حاجة إلى خلق عالم جديد ، عالم له قيم مختلفة عن قيم اليوم فالتعليم لايمكن أن يكون لب التغير وإنما يمكن للتعليم أن يكون بداية لعملية تسهيل فهم الواقع ، الواقع الذى سوف يؤدى إلى إحداث التغير فى نهاية الأمر .

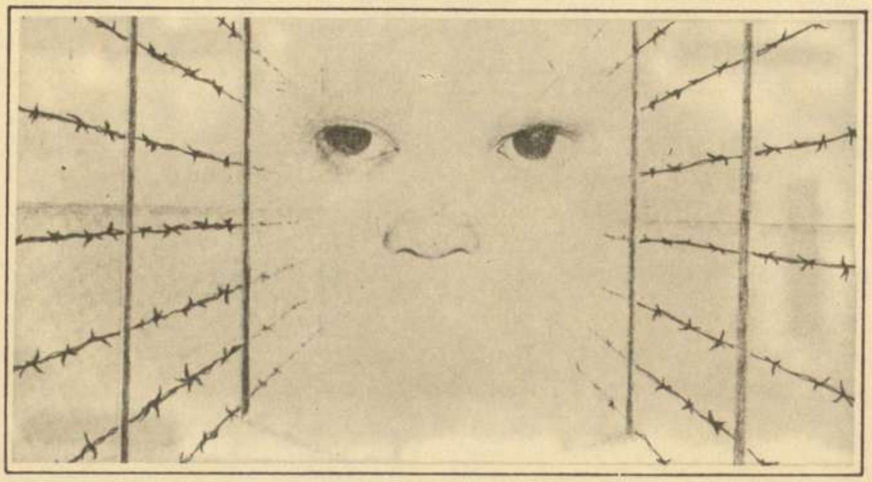

فى عام ١٩٧٨ كانت تكاليف العالم العسكرية حوالى ٤٠٠ ألف مليون دولار بينما كانت تكاليف العالم للتعليم فى نفس السنة ٢٧٠ ألف مليون دولار و ٢٠٠ ألف مليون دولار أنفقت على الصحة ، وأنفقت أيضا ٣٠ الف مليون دولار كمساعدات اقتصادية.

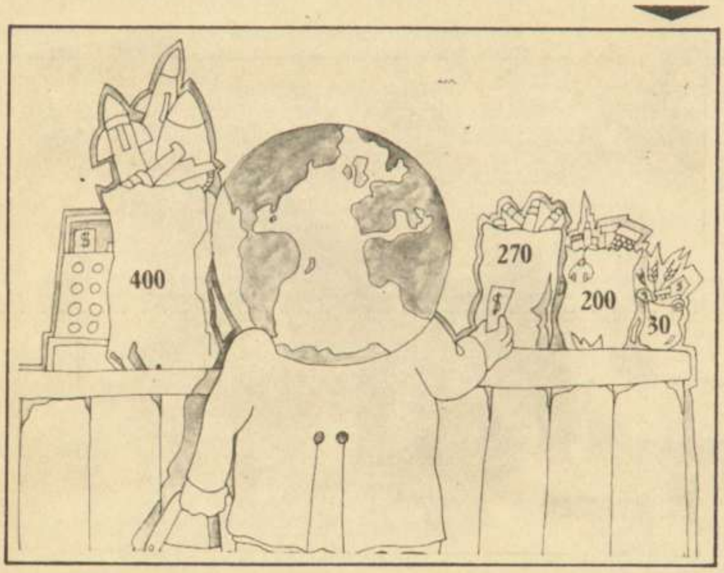

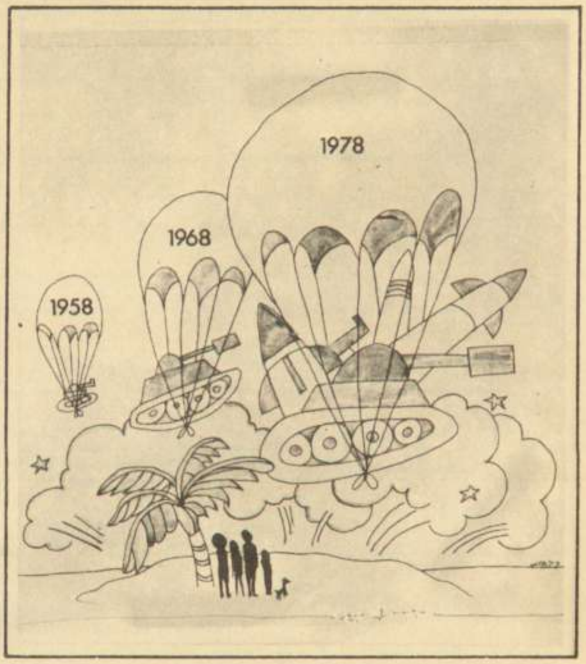

يوضح التصميم قيمة الأسلحة الرئيسية التى تنقل الى دول العالم الثالث .

هذا الرسم يبين توزيع تكاليف العالم العسكرية

رأيت سمعت قرأت

رأيت

المعمل المسرحي

● تعيش بولندا منذ السنوات القليلة الماضية وحتى وقتنا الحاضر تجربة مسرحية خطيرة ، غيرت كثيرا من مفاهيم وتقاليد عالم المسرح في الكرة الارضية ، واصبحت هذه التجربة مثار اهتمام عالمي ، فقد انشا احد المخرجين الطليعيين واسمه « جيرزي جروتسكي » مسرحا جديدا اطلق عليه « المعمل المسرحي » . وهو شاب في الخامسة والثلاثين من عمره درس فنون المسرح في الاتحاد السوفيتي وانتقل بعد دراساته المسرحية الى الصين واليابان والهند ليضطلع على فنون وسحر الشرق الادنى خاصة ، ركز اهتمامه على تمرينات اليوجا والكاتاكالي .. علم التحكم في جسد الانسان واطرافه بجانب دراساته المستفيضة في تراث وتاريخ المسرح الشرقي بكل تقاليده وعاداته من خيال الظل ومسرح الاراجوز .

والتجربة المسرحية تكمن عند « جيرزي جروتسكي » باهتمامه الواعي بالجمهور حتى يمكن ان ينطلق به الى ساحة التفكير الواعي ، فجعل صالة مسرحه لا يزيد عدد مقاعدها عن ثلاثين مقعدا ، وجعل هناك مشاركة فعلية في العملية المسرحية بين الجمهور وما يجري امامهم عن طريق استخدام الرمز والاسطورة والصورة الفنية والنغمة السائدة وكلها تضرب بجذورها في ثقافة المجتمع . هذا من ناحية النص المسرحي اما من حيث المخرج ، فيرى جروتسكى انه حر يتصرف بالنص كما يشاء ، ويمارس ملكاته الخلاقة بحرية بحيث لا يعترف بوجود تكنيك معين او مقدس انما الشرط الاساسي يقدم قطعة فنية وفكرية للجمهور من خلال تكنيك جديد . والممثل في تجربة جروتسكي هو العنصر الهام بعد الجمهور والنص لذا رفض الاستعانة بالديكور والموسيقى والمؤثرات الصوتية والاضاءة والملابس والستائر وانما اراد ان يجعل الممثل امام الجمهور كما هو تماما دون اي ابهار .

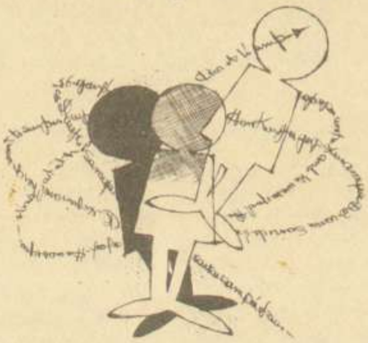

واعتمد جروتسكي في معمله المسرحي على نظريات فرويد النفسية ومسرح دانتوتن آرتوم مسرح القسوة والعنف بحيث يستفز المتفرجين ويهز مشاعرهم ويصدمهم وكانت هذه هي نظريته في ازالة الحائط الوهمي بين المسرح والنظارة في الغاء خشبة المسرح . واعتمد ايضا في تجربته على اللاوعي بالنسبة للمتفرج وكانت فكرته من تجربته ومعمله المسرحي هو تحرر المسرح من القيود المفروضة الصارمة عليه بحيث يتحقق للفنان الحرية التي تتحقق من حرية العمل وفق نظرية جديدة وتكنيك جديد .

محمد كامل
القاهرة

سمعت

الهواء والفلين

قد لا يخطر ببالك ان الفلين من النبات . اي ان سدادات القوارير وما اليها من الاشياء المصنوعة من الفلين ، انما صنعت من قشرة شجر الفلين .

واشجار الفلين هذه تمثل نوعا من شجر البلوط ، فان ورق شجرة الفلين وثمرتها لا تختلف عن ثمرة البلوط العادية . وتجدر الاشارة الى ان لشجرة الفلين قشرتين ، القشرة الخارجية التي تؤخذ لتصنع منها المصنوعات الفلينية والقشرة او الجلدة الداخلية . ولولا هذه الجلدة الداخلية لماتت شجرة الفلين لدى انتزاع قشرتها الفلينية من حول جذعها .

والغريب ان شجرة الفلين تحتاج من ٨ الى ١٠ سنوات لتكون قشرة اخرى جديدة بدلا من القشرة الاولى المنتزعة ..

ولما كانت شجرة الفلين تعيش نحو ١٥٠ سنة ، او تزيد ، كان في الامكان انتزاع قشرتها عنها انتزاعا كاملا حوالي ١٥ مرة على مدى حياتها .

ويزرع شجر الفلين في اسبانيا والبرتغال . ويزرع ايضا في المغرب والجزائر وتونس . ويمتاز الفلين بخفة الوزن . ويعزي ذلك الى كثرة ما في الفلين من ثقوب صغيرة . وهذه الثقوب تمتلىء بالهواء . والهواء خفيف الوزن . ومن طريف ما يذكر هنا ان وزن الهواء الموجود من قطعة من الفلين يزيد على وزن مادة الفلين نفسها في تلك القطعة ..

عمر عبد المجيد
أسيوط - ج.م.ع

قرأت

الوخز بالأحجار

في العصور القديمة قبل اكتشاف الانسان للمعادن . كان الصينيون يلجاون الى قطع من الاحجار ذوات الاطراف الحادة يسمونها بين Pien يستعملونها للضغط على النقاط في الجسم التي يحددها نظام (شنج لو) وقد ورد ذكر علاج الامراض بوخز الاحجار في احدى الوثائق التاريخية التي كتبت في عهد اسرة « هان فيما » بين ٢٠٦ ق.م - ٢٢٠ ب.م. ومع منطق التطور الذي تفرضه السنين تم استبدال الكتل الحجرية بابر حجرية او ابر من العظام او الخيزران . وعندما وصلت حضارة الانسان الى اكتشاف المعادن لجا اطباء الصين الى ابتكار ابر النحاس . والحديد ، والفضة ، حتى وصلوا الى ابتكار ابر الفولاذ غير القابلة للصدأ .

نايف أحمد المعماري
كلية الفقه - العراق

من كل نبع قطرة

ونحن نبدأ عام ..١٤٠٠ هجرية
تجربة مسبوقة وجديدة لأمير الشعراء احمد شوقي

وهكذا دخلنا في « صفر » ‥ الشهر الثاني من العام الاول في القرن الخامس عشر الهجري ‥ دخلناه و « قطر » خارجة لتوها من احتفالها بالمؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية وهو الثالث من نوعه والاول من حيث انعقاده لاول مرة في بلد عربي .

الاول كان في باكستان واستضافت الثاني تركيا ‥ من هنا كانت اهمية هذا المؤتمر الثالث فأولى الناس بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم العرب الذين نزل القرآن فيهم وبلسانهم ‥ وجانب آخر أضاف بعدا جديدا لأهمية المؤتمر واتساعا لفائدته وهو احتفاله الى جانب السيرة النبوية بالسنة المطهرة أي أنه ضم التأريخ كعلم صرف الى السنة كعبادة متجددة ‥ وبهذا جمع المؤتمر فأوعى وفي قطر طاب له المرعى ‥ فدرس وتأمل ، وحلل وتمثل ‥ وكانت الحصيلة ، وافرة نبيلة ، تهدف في مجموعها الى تقديم سيرة نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم لكل مسلم ‥ وربط كل مسلم بسنة نبي الاسلام ‥ وما أروعه من هدف يقصد الى تجمع المسلمين ـ كل المسلمين ـ حول سيرة وسنة الصادق الامين .

أيام مجيدة بحق ‥ تلك التي عاشتها قطر المسلمة العربية فاتحة ذراعيها مرحبة بطليعة وقادة مفكري وعلماء المسلمين ‥ ثم وهي تحتضن عددا من توصيات المؤتمر وتلتزم بتنفيذها وفي مقدمتها انشاء مركز للدراسات الاسلامية ، مهمته التعريف بالاسلام على مستويين « أكاديمي » للمفكرين من غير المسلمين الذين يناقشون الاسلام ويتعرضون لاصوله وقضاياه ‥ و « جماهيري » بالنسبة لعامة المسلمين الذين يحتاجون الى ما يربطهم فكرا وجسدا ‥ تمثلا بقول سيد المرسلين « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » ‥ واذن فمهمة هذا المركز مزدوجة جليلة . معاصرة وأصيلة ‥ ويا أمة « محمد » على البناء ‥!

« وكتاب » هذا اللقاء لا يبتعد بنا عن هذه المقدمة بل هو داخل في صميمها فهو يضم هذه المجموعة من الأشعار التي كتبها أمير شعراء العربية « أحمد شوقي » تحت عنوان « دول العرب وعظماء الاسلام » ‥ وهي مجموعة كتبها في منفاه ـ أسبانيا ـ حينما أبعده الانجليز بعد اشتعال الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ ـ واعلان الحماية على مصر وخلع الخديوي عباس حلمي الثاني بحجة أنه مشايع للاتراك وكانت تركيا الى جانب ألمانيا في وجه انجلترا وحلفائها ‥ وكانت تركيا في هذا الوقت عاصمة الخلافة الاسلامية ولهذا وقف الوجدان الشعبي المسلم الى جوارها وتعاطف مع كل الذين نفتهم سلطات الاحتلال لعلاقتهم بها ‥ وغنى الاطفال في مصر « الله حي عباس جي » ‥ وهي أهزوجة فولكلورية كانت شائعة بين أطفال القاهرة حتى الأربعينات من هذا القرن ‥ المهم أن شوقي تم ابعاده عن مصر لعلاقته الحميمة بالخديوي المخلوع الذي كان آخر من حمل لقب « خديوي » فبعده تولى السلطان حسين كامل ثم السلطان فؤاد فالملك بعد هذا ‥ استقر « شوقي » في أسبانيا وتفجرت مرحلة جديدة من مراحل عطائه الشعري وهي مرحلة هذبها الحنين ورقق حواشيها الشوق والسهر ‥ فانطلقت من منظور عالمي رحب ‥ واشتهر من قصائد شوقي في هذه الفترة ‥ قصيدته التي يخاطب فيها « ابن زيدون » الشاعر الاندلسي ماضيا على نسق « نونيته » الشهيرة وزنا وقافية ‥

يبدأ ابن زيدون قصيدته بقوله :

أضحى التنائي بديلا عن تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ويبدأ شوقي قصيدته قائلا :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا
نأسى لواديك أم نأسى لوادينا
ماذا تقص علينا غير أن يدا
قصت حواشيك جالت في حواشينا !

ابن زيدون كتب قصيدته وهو سجين ‥ وشوقي يعارضها وهو منفي مبعد و ‥ « ان المصائب يجمعن المصابينا » !

وبعد أن يطوف بنا شوقي في أطياف الفردوس المفقود ينفلت ويعود مخاطبا أهله وعشيرته على ضفاف النيل المبارك الغائب :

يا ساكني مصر انا لا نزال على
عهد الوفاء ـ وان غبنا ـ مقيمينا
هلا بعثتم لنا من ماء نهركمو
شيئا نبل به أحشاء صادينا
كل المناهل بعد النيل آسنة
ما أبعد النيل الا عن أمانينا

وتصل هذه الصيحة الملتاعة مصر .. وينهض أكثر من شاعر لاستغاثة شوقي وفي مقدمتهم حافظ ابراهيم الذي قال :

عجبت للنيل يدري أن بلبله
صاد ويسقي ربي مصر ويسقينا
والله ما طاب للاحباب مورده
ولا ارتضوا - بعدكم - من عيشهم لينا
لم تنأ عنه وان فارقت شاطئه
وقد نأينا وان كنا مقيمينا !!

وهذه المجموعة التي أبدعها شوقي خلال نفيه وابعاده عن أهله وبلاده شاء القدر ألا تطبع وتخرج للناس الا بعد رحيل شوقي الى جوار الحي الذي لا يموت .. ظهرت المجموعة في مارس ١٩٣٣ وبعد رحيل شوقي في ١٢ أكتوبر عام ١٩٣٢ .

أسلفنا أن هذه المجموعة حملت اسم « دول العرب وعظماء الاسلام » .. وقد بدأها شوقي وفي ذهنه أنه يقدم تجربة شعرية في مجال الكتابة التاريخية وقدمها بشكل جديد مسبوق .. مسبوق لان تراثنا العلمي عمل عددا من الكتب التي أرخت بالشعر للاحداث الهامة في حياة المسلمين .. وجديد .. لان شوقي كان ينظر لهذا التاريخ من منظور « الغربة » التي بعثت فيه كل هذا الحنين لسيرة الرجال الاولين .

وتتصدر الكتاب مقدمة شعرية بدأها بقوله :

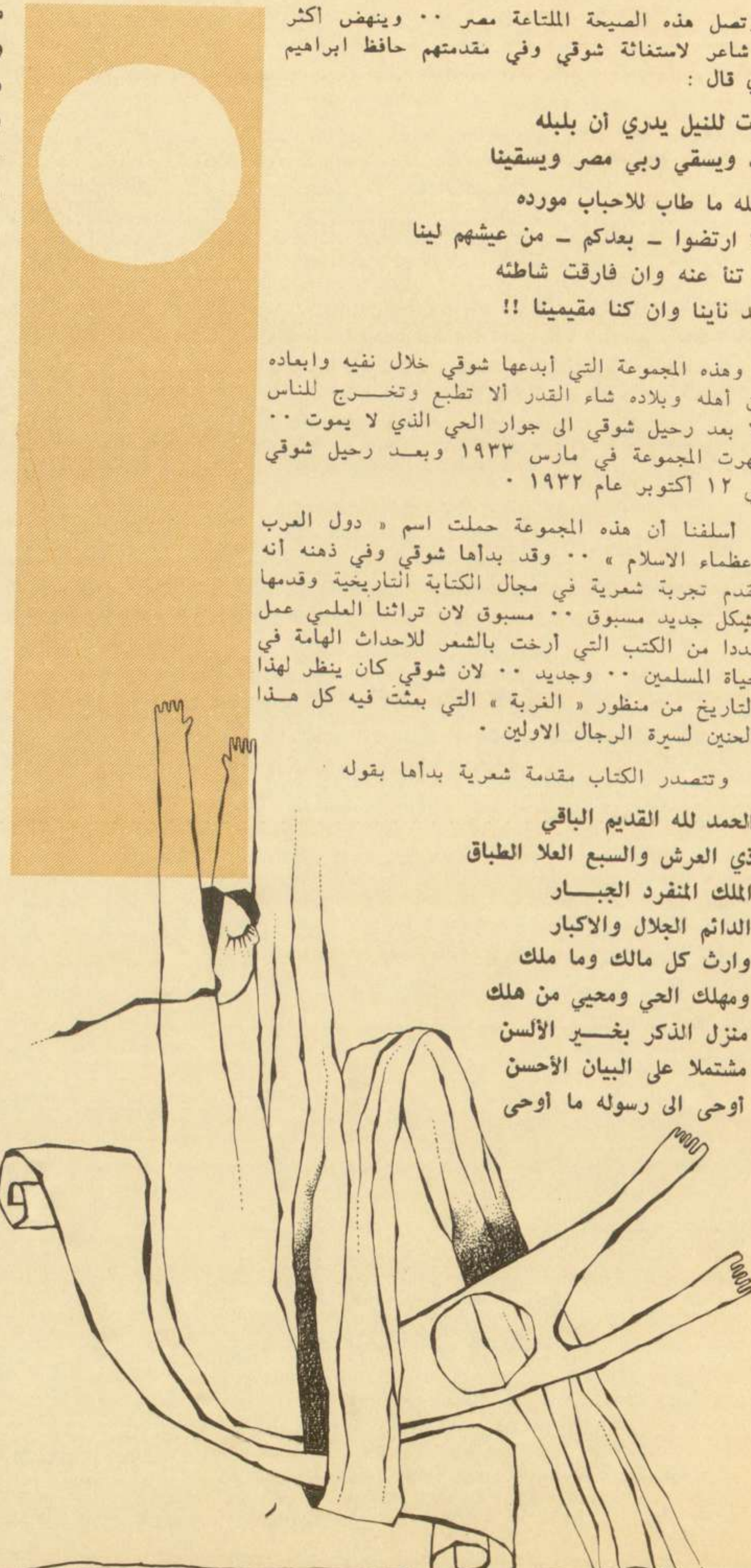

الحمد لله القديم الباقي
ذي العرش والسبع العلا الطباق
الملك المنفرد الجبار
الدائم الجلال والاكبار
وارث كل مالك وما ملك
ومهلك الحي ومحيي من هلك
منزل الذكر بغير الألسن
مشتملا على البيان الأحسن
أوحى الى رسوله ما أوحى
من كل غراء تضيء اللوحا
وقص أنباء القرون في السور
مواثل الحسن كأمثال الصور
وأفضل الصلاة والسلام
على أجل رسل السلام
من بلغت أمته به الأرب
ورفعت همته ذكر العرب
صلى عليه الله في سمائه
وعرشه السابح في أسمائه
وجعل الجنة من رحابه
وزفها لمحسني أصحابه
خلائف الحق أئمة الهدى
الرافعين بعده ما مهدا
الفاتحين بالقنا للحق
المنقذين من قيود الرق
وبعد ، فاسمع يا بني وافهم
لا تأخذ الامور بالتوهم
لما رمى الله بهذي الحرب
على بني الشرق وأهل الغرب
لحكمة يعلمها تعالى
يملأ من أسرارها الأفعالا
يبرزها غدا من الخباء
ان غدا يأتيك بالأنباء
تحركت سواكن الأقدار
واضطردت عوامل الاكدار
وحكم الله بهجرة الوطن
وطالما ابتلي بها أهل الفطن
فكنت أستعدي على الهموم
بنات فكر ليس بالملموم
أستدفع الفراغ والعطاله
وبطل من يقتل البطاله
حتى أراد الله أن نظمت
من سير الرجال ما استعظمت
علما بما تبعث في الأحداث
جلائل الأعمال والأحداث
ان الصبي ان تغذيه اغتذى
أكثر عليه في المثال المحتذى
واخترت بحرا واسعا من الرجز
قد زعموه مركبا لمن عجز
يرون رأيا وأرى خلافه
الكأس لا تقوم السلافه
وقيمة اللؤلؤ في النحور
بنفسه وليس في البحور

ونحن نبدأ عام ..١٤ هجرية تجربة مسبوقة وجديدة لأمير الشعراء احمد شوقي

والحسن ما لم يك في الكلام
عرضك التحسين للملام

● وشوقي في هذه المقدمة يثير عددا من القضايا منها ـ استعداد العود الاخضر للتشكل والتلون .. (وينشأ ناشيء الفتيان منا ـ على ما كان عوده أبوه) ومن هنا وجبت رعاية النشء وتوفير أفضل الوان هذه الرعاية وفي مقدمتها اضاءة حاضره بتفتيح عينه على ماضيه :

علما بما تبعث في الاحداث
جلائل الاعمال والاحداث

والاحداث الاولى ـ صغار السن والناشئة ـ والثانية ـ الوقائع بمعنى « ما حدث » .

قضية أخرى يثيرها شوقي وهي دفاعه عن استخدامه لبحر « الرجز » فليس هو كما زعم القدماء حيلة العاجز لسهولة ايقاعاته وبساطة تفعيلاته .. فالتفعيلة ليست هي المهمة في نظر شوقي .. المهم ماذا ترتدي هذه التفعيلة من ثياب .. وليست الكأس هى التي تحدد جودة الشراب .

والرجز الذي يعتذر شوقي عن لجوئه اليه هو احد بحور الشعر التي نص عليها « العروضيون » وهو بحر

شائع الموسيقى قريب المتناول وايقاعاته :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن .

ومثلها كذلك ويكتمل البيت صدرا وعجزا ـ بضم الجيم ـ .. يتميز « الرجز » كما لاحظنا في النموذج الشوقي بتغير القافية وعدم اضطرادها من بيت لبيت .. واشتهر بحر « الرجز » وذاع .. بل واشتهر شعراء بانهم لا يقولون الا من هذا البحر فسموا « الرجازون » واشهرهم « حجاج بن رؤبة » وهذا اللون من الشعر يطلق عليه « الارجوزة » .. وكان هؤلاء « الرجازون » يتنافسون برجزهم وجها لوجه .. هذا يقول بيتا .. والثاني يرد عليه وعلى السامعين ان ينتصروا لهذا أو يرجحوا ذاك !

والرجز في « اللغة » العتاب والنهي ..

ويقول أحد علماء « العروض » محاولا تأكيد ايقاع هذا البحر في وجدان الطالب والمستمع .

ياراجزي باللوم في البدر الذي
اهوى وعشقي كان فيه المبتغى
مستفعلن ، مستفعلن ، مستفعلن
اذهب الى فرعون انه طغى

نعود بعد هذا الى اعتذار شوقي لاستخدامه بحر الرجز فنرى أنه اعتذار شكلي لا ضرورة لاثارته فمن سبقه من العلماء والمفكرين لجأوا الى هذا البحر وهم يبسطون زادهم التعليمي للناشئة من الطلاب في محاولة « لتنغيم القواعد » ليسهل حفظها وتعاطيها ، وهي ظاهرة انفرد بها تراثنا العربي .. ورأينا النحوي العظيم ، العلامة « ابن مالك » يشتهر بالفيته التي ضمت ألف بيت من الشعر كلها من بحر الرجز وقدم فيها كل قواعد اللغة العربية ـ نحوا وصرفا ـ .. وبسرعة نحاول تعريف قرائنا بها .. فنفتح الصفحة الثالثة من « الالفية » « باب الكلام » :

كلامنا « لفظ مفيد » كـ « استقم »
اسم وفعل ثم حرف « الكلم »

وبعد أن يعرف ابن مالك « الكلام » بأنه اللفظ المفيد يقدم نموذجا مثل « استقم » وهي لفظة أفادت الامر بالاستقامة .. بعد هذا يعرف الاسم بأنه الكلمة التي تقبل « الجر والتنوين والنداء ودخول حرف « أل » والاسناد للاسم .

بالجر والتنوين والندا وأل .

ومسند للاسم تمييز حصل .

أما الفعل فهو يتميز بقبوله تاء المخاطب وتاء التأنيث وياء المخاطبة ونون التوكيد وهو ينجلي ويظهر بكل هذه الامارات والدلائل :

بتافعلت وأتت و « يا » افعلي

ونون « اقبلن » فعل ينجلي !

ويعرف « الحرف » بأنه سواهما ـ الفعل والاسم أي لا يقبل علامات هذا وذاك !

سواهما « الحرف » كـ « هل » وفي ولم

فعل مضارع يلي « لم » كـ « يشم » !

المهم في كل هذا أن ابن مالك وهو يقصد الى هذا الغرض الشريف .. تقييد اللغة بهدف اطلاقها لكافة المتعلمين .. لم يعتذر عن استخدامه « بحر الرجز » فما بال شوقي يعتذر ؟

هل هو بسبب طول عهد الناس بالرجز الراقي أيام عصوره الزاهية بحيث أصبح مرادفا لمجرد السهولة وليس السهل الممتنع كما كان ؟

هل لان « النحاتين » انتهوا به الى نوع من النظم البارد لا روعة فيه ولا اقتدار مما اضطر « شوقي » لمثل هذا الاعتذار ؟

ونحن نطرح هذين الاحتمالين لاعتذار شوقي لا ننسى آخر بيت في مقدمته :

او مر مر الكرماء معرضا !

فان تجد عيبا فكن عين الرضى

ومن حق شوقي علينا أن نستجيب له فنمر مر الكرماء شاكرين له تقديم هذه الافياء .

ثم ماذا عن البقية ، في هذه الرحلة الشوقية ؟ ميعادنا ـ لقاؤنا القادم ـ ان شاء رب البرية .

من البيضة للحراشيف!

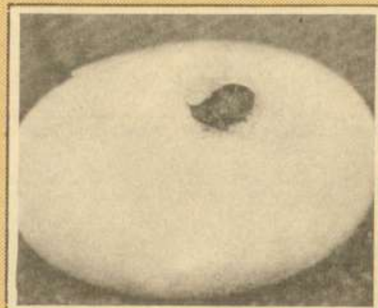

كل كائن حي ، انسان او حيوان او نبات .. ، يخرج للوجود بعيقات اذا دقت الساعة وحانت اللحظة .. من بطن الام .. من البرقة .. من الارض .. من البيضة تنوعت اسباب الظهور واتحدت النتيجة في هذا الكائن الجديد الذي يدق أبواب الحياة.

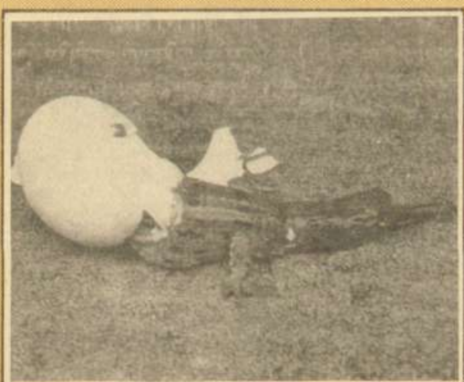

والتمساح هذا الحيوان الشرس الصلب ذو الحراشيف المدببة المسنونة .. يخرج من ، بيضه ، بريئا لا يؤذي طفلا ، تستوقفك محاولته للخروج من الرحم .. فاذا شب عل عوده

أصبح ذلك التمساح المخيف !. وقف المصور الفنان ليعكس بالكاميرا معجزة الفنان الاعظم وكانت هذه الصور السبع من البيضة الى التماسيح الصغيرة .. وسبحان من هذا وجوده .. خالق كل شيء !

صوفي يصف الحسن البصري

الحسن البصري من كبار وعاظ البصرة وعلمائها اشتهر بتقواه وورعه وزهده .. كانت امه «خيرة» مولاة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .. وكانت ام سلمه ترضعه اذا غابت امه .. وقال بعضهم ان هذه الرضاعة المباركة سبب فصاحته وحكمته .

وصف « يونس بن عبيد » الحسن البصري بقوله :

كان اذا اقبل فكأنه اقبل من دفن حميم .

واذا جلس فكأنه امر بضرب عنقه .

واذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق الا له .

وانتقل الحسن البصري الى رياض الصالحين في العام العاشر من المائة الثانية الهجرية .

أحمد عبد الحميد الاجدر
القاهرة

المقامة الكسنجرية

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

قال عبد الشكور المشهور بمعرفة الانام والدور :

حين عرفت الشيخ « حنفي كساب » .. كان لتوه خارجا من مرحلة « القبقاب » ، وهي مرحلة استمرت خلال طلبه النحو والتصريف، في الازهر الشريف ، وحين لم تسمح ظروفه بالمواصلة ، اختصر المسالة ، وعين نفسه معلما في احد الكتاتيب ، وكان هذا آخر عهده بالقباقيب ، فقد لبس المركوب الاحمر ، وراح يمشي به ويتبختر !

في هذه المرحلة عرفته ، وآنست خفته فاحببته ، وكنا ندعوه الى اللقاء ، او يدعو هو نفسه على حد سواء ، فلا يجد منا الا كل ترحيب ، يرده هو الى كونه من اصحاب المراكيب !

وذات صباح خرج ولم يعد ، وانقطعت اخباره عن البلد ، وقال قوم مات بداء المعدة ، وقال آخرون بل هاجر « نيوزيلنده » واتفق الطرفان في نسيانه ، بعد ان غاب عنا بوجهه ولسانه ، ومر على هذا الكلام خمسة اعوام ، واذا بي اري الشيخ حنفي راى العين ، يسوق « فيات » الفين !.. وصحت اناديه : حنفي .. شيخ حنفي .. استاذ حنفي .. حنفي بك .. فتوقف عند سماع « حنفي » الاخيرة ، واطل براسه الظلالة مثيرة .. وعرفني حين رآني ، فنزل واخذته في احضاني .. وقبل ان اساله « كيف وماذا .. واين » ، قال ساحكي لك شرط ان يكون سرا بيننا نحن الاثنين ، فوعدته وواعدته والتقينا ، ودار الحديث الهويني ، قال الشيخ حنفي :

عرفت واحدا من اكابر القوم ، وممن تعلموا في بحر الذهب العوم ، وكان من المؤمنين بالطريقة « الكيسنجرية » ، في انشاء العلاقات الاخوية ، وهي الموسومة عند اهل الخطوة ، بسياسة الخطوة خطوة ، قضيت في ضيافته ليلة ، لن تميل عن خاطري ميله ، ففيها عرفت صنوفا من الاطباق والاواني ، لم يتيسر معرفتها لاخواني ، من دجاج لذيذ، غارق لشوشته في « المايونيز » ، ومن مسلوق ومقلو ، ومعروق ومحشو ، وكانت مفاجاة ليلته ، خروف بليته ، اي والله خروف مرة واحدة ، وهذه يدي شاهدة ، فقد جالت وغالت ، وانحدرت وشالت ، بايقاع ونظم ، عملا بمبدا خير اللحم ما جاور العظم !

ثم انعطفت الى صينية « الماسية » ، من صنع خيرة الحلوانية ، احببت خفق حليبها، وبرق زبيبها ، ونقيع سكرها ، ولين صنوبرها، فجعلتها مسك الختام ، والقوم يوشكون بدء الطعام ، وحين تهياوا للانصراف ، ووضعوا بلاطيهم فوق الاكتاف ، تعمدت الوقوف عنوة، في وجه صاحب الدعوة ، وابديت رغبتي في تكرار هذا اللقاء المفيث ، ولكنه غير الحديث، وقال لي « باي باي » بلا اهتمام ، فجاوبته بتحية الاسلام ، وخرجت من عنده ممتلئا ، ومن سمع كمن راى !

ولما مر اربعة ايام ، سارعت بالذهاب الى مصطفى افندي علام ، وجه الهناء ، وواسطة اللقاء ، والذي اخذ بيدي من حي شبرا ، الى الماكلة الكبرى ، وسالته عن حال الرجل الكريم ، الذي فتح لنا ابواب النعيم وعرفت منه انه مصاب بنوبة برد ، منذ يوم الاحد .. فاختصرت لقاء مصطفى ، وبعد ساعة كنت بباب الكريم واقفا ، اسال عن صحته ، وارجو ان امثل في حضرته ، لمجرد الاطمئنان، والدعاء بالشفاء في اسرع آن ، فادخلوني عليه ، وعندما سلمت هممت بتقبيل يديه ، ولكنه سحبها بلطف وخفة ، فشرعت في الدعاء له بلهفة ، فشكرني وسالني ، من على وعكته دلني ؟ فقلت وهل مثله تخفى انواره، وتجهل اخباره ؟! واخذني الحماس ، وتتابعت الانفاس ، وانا اقسم انه لعلته اعتلت الشمس ، وضعف نورها عن الامس ، واكدت له انه لن يبتسم الكون ، ويعود للورد الرائحة واللون ، الا اذا لبس ثوب العافية ، وعادت ابتسامته الصافية ، فابتسم في رضاء، وسالني ان كنت تناولت الغداء ؟ فاجبت « الحمد لله ، فقال نعم ام لا ؟ اجبته لا ونعم ، يا ولي النعم ، فسالني كيف يجتمعان ، وهما ضدان ، فقلت من راك قنع ، ومن استظل بحماك امتنع ، فلا يضره ظما او جوع ، حتى وان لم ير الطعام لمدة اسبوع ! وضحك ضحكة منطلقة ، لما فهم اشارتي اللبقة ، التي كنيت بها عن سوء حالي ، وقلة مالي ، وعلى الفور امر باطعامي، ورم ما انحنى من عظامي ، ودس في يدي « جنيها » باكمله ، فدعوت له ببلوغ امله ، وفعلت ما لم افعله بالجنيه ، ومن يومها وعيني عليه .

وخجلت ان ازوره طيلة الاسبوع التالي ، وصبرت على فعل الليالي ، ومر شهر ، وانا في غاية القهر ، فذهبت اليه وطرقت الباب بكفي ، وقلت « للبواب » قل له الشيخ حنفي ، جاء يهنيء بالشفاء ، ويدعو بطول البقاء ، وبعد لحظات عاد البواب ، يمد لي يده بخطاب ، وحينما فتحته ، طالعني « الجنيه » فاغلقته ، وجريت بعد ان ربيت على البواب السلام ، فرد الحقير بلا اهتمام، فقلت ومن يكون هذا الهلفوت ، بجانب ارباب البيوت ، انه الحسد والحقد ، على ما نالني من رفد .

ولم يمض اسبوع واذا برسول يجيء ،

بوجه مضيء ، ويقول « فلان يريدك فـي الخامسة » ان تحضر ، والحذار ان تتاخر فلبست من الثياب الحاويات اقل الرقع ، ودعكت باليدين كل البقع ، ودهنت حذائي بريقي ، واخذت بسرعة طريقي ، الى حيث يقبع ولي نعمتي ، في « جاردن ستي » ، ووقفت امام « الفيلا » الرائعة ، في تمـام الساعة الرابعة ، اظهـارا لحسن نيتي ، واهتمـام حضرتي ، ولكنـي جلست حتى الخامسة ملطوعا ، تاخـذني الافكار نزولا وطلوعا ، كسفينة تائهة تبحث عن بر ، حتى اهل وقال عل الفور ، اردت ان اراك ، فهل عطلتك عن شيء هنـا او هناك ؟ فاعلنت بخفيض العبارة اني رهن الاشارة ، وكان واقفا فلم اجلس ، وظل صامتا فلم انبس ، واخيرا قال كله تمام ؟ فاجبت بما يناسب المقام ، واني منذ طلقت مهنة التدريس ، وانا بائس تعيس ، فسوق الادب كاسد ، والبركة في امثاله من الاماجد ، فقال اذن اراك بعد اسبوع ، وانتهى الموضوع .

تبا لي وله ، الهذا كانت المقابلة ؟! بـل وحتى لم يعطني « الجنيه » المعتاد ، ممـا جعلني اضرب اخماسا في آحاد ، ولما عدت لغرفتي تهيات للنوم ، وانا احسب الاسبوع باليوم ، ولما رايت « الاثنين » هو الموعد ، تفاءلت بطيب المورد ، فهو يوم مبروك ، تجود فيه أيدي الامراء والملوك ، وعادني السؤال ماذا يريد مني ، حتى اغمض النوم عيني ، وصحوت جائعا اكثر من المعقول ، وبحثت عن بقية صحن فول ، حتى وضعت يدي عليه ، ولكن الفئران كانت اسبق مني اليه ، وهكذا كان يومي من البداية ، اسود من جنـاح « الحدايه » .

وجاء الاثنين فعبرت بوابة القصر ، ورغم انني ذهبت هذه المرة في الميعاد المضروب ، الا انني لطعت مثل قالب طوب ، حتى جاء حضرته ، واشرقت طلعته ، وسالني « هـل لديك باسبور » ؟ ولم تكن هذه الكلمة قد نزلت لي من زور ، وادرك لخمتي فقال « جواز سفر » ، فقلت استخرجه ان كان لا مفر ، وقال لي ان اخاه مضطر للسـفر الفـوري ، الى بلد خليجي ، لادارة بعض اعمال المقاولات ، في مهمة قد تمتد سنوات ، فقلت وهل يريدني سكرتيرا له ؟ فضحك وقال « لا يا ابله » ، يريدك مشرفا لولده « سونه » ، طفله المحتاج للمعونة ، فبينه وبين المدرسة ، ثارات مقدسة ، ولا يكره في في الدنيا مثـل « العـربي » ومشتقاته ، وباختصار نريد منك تقويم حياته ، فهل انت مستعد ، للسـفر مع الولـد ؟ فابديت استعدادي ، واعتبـاري الولد كاولادي ، فاستمهلني اسبوعا لأجهز اوراقي ، وعليه هو تدبير الباقي ، ولا اطيل عليك وانت خبير ، فبعد اسبوعين كنت اطـير ، لاول مرة في حياتي ، فاتحا صـدري للآتي ، وفي جيبي « باسبور » ، في اكثر من مكان ممهور ! ووصلنا البلد ونزلنا في مطارها ، ثم سكنت في جوارها ، مرشدا للصبي ومعلما ، وناهضا بالامر وقائما ، آكل واشرب بلا سلف او دين ، واتقاضى من الريالات الفين ، وتنفتح لي ليلة القدر ، في مطلع كل شهر ، واحتلت حتى جعلت الالفين اربعة ، بتدريسى خلسة لأبناء ذوى السعة ، ممن يعتبرون الدروس الخصوصية ، مسالة حيوية .

الى ان فوجئت في يوم نحس ، بانه قد انتهى الدرس ، لان الولد ظهرت عليـه ملامح النجابة ، بعـد ان كان في منتهى الخيابة ، وقد تقدم جدا ، وسيكمل تعليمه في لندن ! وكتمت السهم في كبدي ، بعد ان وقعت ولكن على يدي ، وقبل ان اعود ، جمعت ما لدي من نقود ، واشتريت هـذه العربة وصرت مالكها ، وفي القاهرة دفعت جمركها ، وكان بالعملة الصعبة ، اي ورب الكعبة ! واصبحت عل ما انا عليه ، والشكر منه واليه .

ولما سالت حنفي عن رصيده في البنك ، نظر الي بشك ، واقسم بالطلاق ، لا شيء عل الاطلاق ، فضحكت من عقليته ، وهناته بسلامه عربته ، وطلبت منه ان نراه ، فقال : ان شاء الله ، ولكن الشيخ حنفي كساب ، كانه فص ملح وذاب ، ثم سمعنا انه اشتغل بالتصدير ، كما انه مرشح لمنصب كبـير ، وضحكنا هذه الليلة كما لم نضحك من قبل ، وقديما قالوا « رزق الهبل » ..!!!

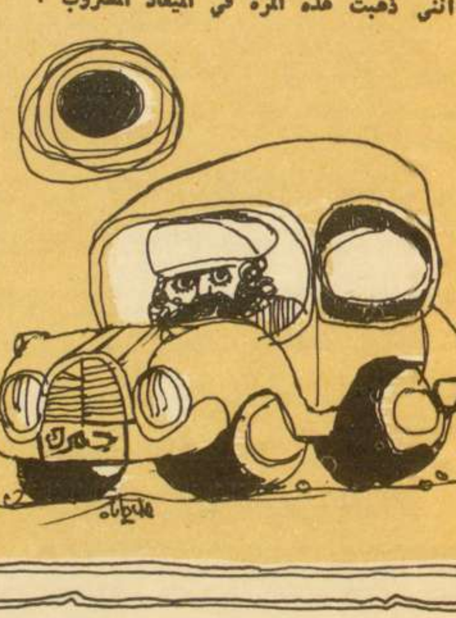

لقطة الشهر

فاز بالجائزة وقدرهـا ١٠٠ ريال القارىء عبد الكافي علي ــ عدن

تشرين والبنفسج الحزين !

كان تشرين والنسيم ياخذني .
يلفني في طيات سحابة بعيدة ..
هنـاك حلمت اني اكبر تنشق
التـربة .. تنبتني .. اغـدو
ريحانا او عطرا ابيض .. كان
جميلا ان احلم وانتظرك ..
انتظر ان تاتيني في الخريف .. في تشرين
كالريح .. كالزلزال عاصفا ..
او هادئا كالبنفسج الحزين ..
فلتـات ..
فلتات يا عابـد النـار
تعلن ان الموت خرافة
وانت خرافة
اني خرافـة
وشعرك وصـوتك
اعظم .. اعظم خرافة

الجيزة ــ ليلى حسين

جحويات

عنزة جحا

ضاق جحا بعنزة هزيلة
عاشت لديه فترة طويلة
كأنما الزمان قد لوعها
فأصبحت مصفرة عليلة
فقال في السوق غدا أعرضها
للبيع ، ثم أخبر الحليلة ..
بعزمه ، فاستضحكت وقالت :
ومن سيشتري البلوة الثقيلة
فقال نامي والصباح آت
أكون قد دبرت أي حيلة
وفي الصباح قال : نظفيها
ومشطي أصوافها النحيلة
واسعي الى السوق بها وانتظري
هناك حيث نصنع المخيله
أما أنا فمشتر وابغي
عنزتك المعطوبة المسلولة
قولي بألف درهم ،
ـ كثير !
عليك بالتنفيذ يا جهولة !
فانه اذا يمر شار
نهز في أعماقه فضوله
وهو يرى « العنزاء » صارت مثلا
في سعرها مابا لهالو « فيله » ؟!
وكان ما أراده سريعا
ولاح انسان طويل التيلة
وصح ما توقعاه ، أصغى
الى حديث الصفقة المهولة

لكنه قال : لعل سرا
دعا « جحا » ليقبل المقوله
هل تجلب الحظ ؟.. أتعطي خلفا
يسد قرص الشمس .. ما الدخيله ؟!
لابد أن سعرها مساو
لسرها وان تكن أمثولة

فقال هل تبيعني اياها ؟
رد جحا عليك بالعمولة !
فقال أعطيك عليها مائة
زيادة ، أجابه : قليلة !
فزاده خمسين حتى يرضى
وكان ما كان من الاحبولة
وقبل أن يسعى بها ساءله
عن سر تلك العنزة النحيلة
قال جحا : لا سر .. غير اني
فكرت في جلودها الصقيلة
لعلها تنفعنا « طبلة »
ندقها في فرح القبيلة !!

الكلمــــات المتقــــاطعــة

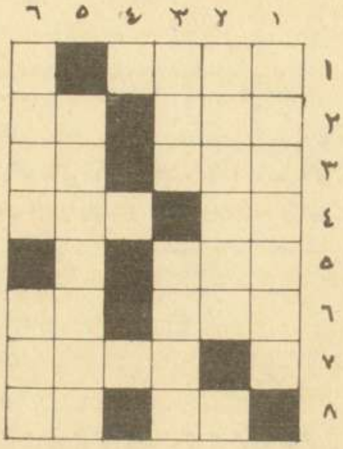

الكلمات الافقية

١ ـ اكبر حقل بترول فى قطر

٢ ـ باضافة حرف الباء إلى اوله يعطى معنى « نقى » بانجليزية .
ـ اصطلاح موسيقى فى الات النقر

٣ ـ يقال للشعاع إذا ظهر
ـ الح فى الامر

٤ ـ اصطلاح فى السلم الموسيقى .
ـ ارق .

٥ ـ ضمير متكلم .

٦ ـ مصيف شهير فى الريفيرا الفرنسية .
ـ توجع .

٧ ـ خالق كل شىء .

٨ ـ كلمة فرعونية ماتزال تستخدم لزجر القطة
ـ اخر حرفين من شهر ميلادى فى اوائل العام .

الكلمات الراسية

١ ـ مؤرخ امريكى معاصر صاحب قصة الحضارة ، مباهج الفلسفة .

٢ ـ زعيم دينى معاصر كبير .

٣ ـ عكس سماء ـ

٤ ـ قاعدة .

٥ ـ الجزء الثانى من اسم شخصية عربية اشتهرت فى السيرة الشعبية ..الجزء الاول « ابو ..» .

٦ ـ بيت الله ـ ماء عذب .

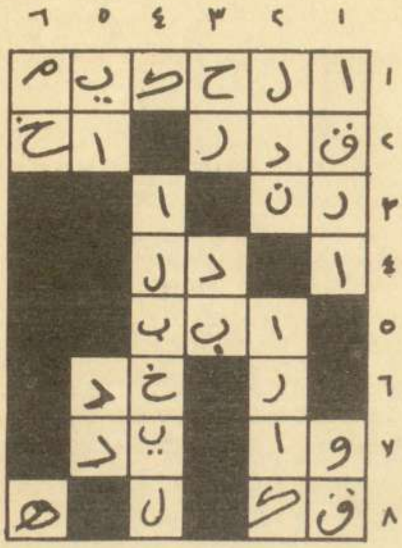

اسماء الفائزين في مسابقة الكلمات المتقاطعة العدد ٤٧

١ ـ حميد احمد بيان ـ سورية

٢ ـ سليم محمد تويدر ـ العريش

٣ ـ محمد راتب ابو ليله ـ الاردن

يارب

● هبني الشجاعة لتغيير ما يمكن تغييره

●● هبني الاستعداد لقبول ما لا يمكن تغييره .

●●● هبني الحكمة للتمييز بين الاثنين !

نجح العلاج

دخل احدهم مقهى وطلب كوبا من الشاي واحضره له الجرسون فشرب نصف الكوب ثم استدعى الجرسون وقذف بالنصف الثاني في وجهه .. وقبل ان يفيق الجرسون من دهشته بادره الزبون بقوله :

● اعذرني فانا مصاب بمرض نفسي يجعلني اقدم على تصرفات تسبب لي حرجا شديدا وخجلا لا حد له !

فهدا الجرسون وسامحه ونصحه ان يذهب الى طبيب نفسي وبعد شهر كرر الزبون مع الجرسون نفس الفعلة فقال الجرسون :

● الم تذهب للطبيب النفسي بعد ؟

ـ لقد ذهبت بالفعل .

● ولكن يبدو انك لم تستفد من علاجه ..

ـ بالعكس لقد افادني العلاج كثيرا فانا لم اعد اشعر بالخجل !

القاهرة ـ هاني وفيق محمد

بلا مقابل

ذهب رجل ومعه طفل الى دكان حلاق ، وبعد ان حلق شعر راسه طلب منه ان يحلق شعر راس الطفل ، وذهب في حاجة صغيرة على ان يرجع بعد قليل ، وحلق للطفل وانتظر ان يعود الرجل بلا جدوى ، فقال للطفل : اين ذهب ابوك ؟

فاجابه الطفل : انه ليس ابي .. لقد قابلني في الطريق وسالني عما اذا كنت احب ان يقص شعري بلا مقابل ..!

حل مسابقة عدد شهر نوفمبر

حل مسابقة مَن - أيـن - مـا

من : صهيب الرومي
اين : الخندمة
ما : عين زبيدة

حل الجـواب الصحيـح

١ ـ هارون الرشيد
٢ ـ ٣١٧ هجرية
٣ ـ رابغ
٤ ـ ثاني اكسيد السليكون
٥ ـ قباء
٦ ـ بلال الحبشي
٧ ـ الطواف
٨ ـ المسجد الحرام
٩ ـ طواف القدوم ـ الوقوف بعرفة ـ المبيت بمزدلفة ـ رمي جمرة العقبة بمنى ـ طواف الافاضة ـ طواف الوداع .
١٠ ـ أحد .

الفائزون بمسابقة عدد شهر نوفمبر

● فاز بالجائزة الأولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة أشهر القارىء محمد أحمد على عطا ـ القاهرة.

● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة أشهر القارىء محمد العربي صالح ـ تونس .

● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة أشهر القارىء عبد الوهاب شرف ـ صنعاء .

الفائزون باشتراك مجاني لمدة سنة
١ ـ سمية محمد شطناوى ـ ابو ظبى
٢ ـ محمد على حسن ابو لبة ـ الاردن
٣ ـ عبد السلام عبد الله دفع الله السعودية
٤ ـ ميسون احمد مارديني ـ سوريا
٥ ـ اياد كمال عبد الكريم ـ الدوحة
٦ ـ جابر محمد حسن خليل كلية الآداب ـ الاسكندرية
٧ ـ عبد المطلب على آدم ـ السودان
٨ ـ صلاح محمود ونيلا ـ السعودية
٩ ـ الأمين الشيخ النور ـ السودان
١٠ ـ السيد محمدى المؤذن ـ ج.م.ع
١١ ـ عبده عبده علي الهربيطى الاسكندرية
١٢ ـ وسام محمد أحمد سعيد الأردن .

من . أين . ما

من : ـ

نبي السلام الذي جاء ذكره في القرآن الكريم بكل محبة واجلال وتعظيم ، والذي لاقى من اليهود كل عسف وجحود هو ومن تبعه من الموحدين المؤمنين بالله وملائكته وكتبه واليوم الاخر والذي بشر بنبي ياتي بعده اسمه احمد .
اسمه مكون من عشرة حروف في ثلاث كلمات :

١ ـ ١٠ ـ ٢ ـ ٧ كثير شامل
٣ ـ ٨ ـ ٤ مشي في آخر الليل قبيل الفجر
٥ ـ ٦ ـ ٩ شيد

اين : ـ
مسجد اسير حزين ضيعه سوء حال المسلمين سياسيا وعسكريا واجتماعيا ولا يعود بغير الجد والصدق وسيادة روح الجهاد بين المسلمين مهما عقدت المؤتمرات واتخذت القرارات وتغلب القول على الفعل .
اسمه من ستة احرف :
٢ ـ ٥ آخذ شيء بغير حق
١ ـ ٤ ـ ٦ اغطى
٣ ـ ٥ ـ ٢ ارومة او عرق

ما : ـ

شراب حرمته الاديان الكتابية الثلاثة ، يظن الحمقى انه من علامات المدنية والتحضر وهو من اسباب تدهور المجتمعات الاسلامية فضلا عن الاسرة الانسانية كلها . اسمه من ثلاثة احرف :
٣ ـ ١ ـ ٢ طيور تاكل الجيفة في الصحاري .

٢ ـ ٣ صمغ شجر عطرى اهداه الحكماء الى السيد المسيح عليه السلام .

الجـواب الصّحيـح

رتب العناصر الاتية طبقا لاوزانها الذرية من الاخف الى الاثقل :

الزئبق ـ الخارصين ـ القصدير ـ الكبريت الهيدروجين ـ الثوريوم .

فتح طارق بن زياد الاندلس بجنوب اسبانيا ، وبذلك وصلت حضارة الاسلام الى اوروبا فاخرجتها من الظلمات الى النور وكان

ذلك بالتقويم الميلادي : سنة ٥٢٠ ـ سنة ٧١١ ـ سنة ١٤٩٢ .

صاحب القصيدة الجاهلية المشهورة باسم لامية العرب هو الشاعر الصعلوك : تابط شرا الشنفري ـ المتنبي .

من اشهر كتب الفقه الاسلامي التي الفها الامام الشافعي رضي الله عنه كتاب :

الام ـ القانون ـ صبح الاعشى

« تصنع مفرقعات (ت.ن.ت.) من احد مشتقات تقطير البترول العربي » .

هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟

النجمة السداسية التي يتخذها الغزاة الصهيونيون رمزا لكيانهم في فلسطين ماخوذة من شكل الدرع الذي كان للملك :

داود ـ سليمان ـ صموئيل .

وطني ان شغلت بالخلد عنه

اكمل البيت واذكر قائله :

ايهما اطول : المسافة من بغداد الى القاهرة ام من بغداد الى صنعاء ؟

الكماة او الفقع من مجموعة النباتات المسماة :

الصنوبريات ـ الفطريات ـ الاشن .

اطول آية في القرآن الكريم تقع في سورة :

الكهف ـ البقرة ـ الحجرات .

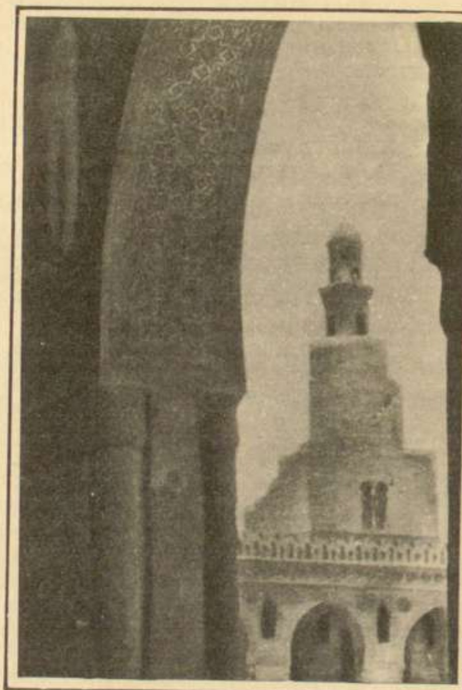

حاول أن تعرف

هذا المسجد

هل تستطيع التعرف على اسم هذا المسجد ومكانه ؟. لقد قال صاحبه عندما اراد بناءه : اريد ان ابني بناء ان احترقت البلاد بقى ، وان غرقت البلاد بقى ، وقد بناه في مكان مرتفع يسمى جبل يشكر ، ويقال ان الذي بناه مهندس بيزنطي .. ومازال المسجد يمثل صورة بارزة في التراث الاسلامي .

المزاح البريء

هذه اللقطة لكلبين يمزحان مع نمر في تايلاند حيث يشتهرون هناك بتدريب الحيوانات الاليفة على الحياة في سلام مع الحيوانات المفترسة .. اكتب تعليق الصورة لتحصل على جائزة ؟

● المؤلف هو : الكس هيلي

● الفيلسوف الايطالي ميكافيللى

حل مسابقة شهر نوفمبر

الفائزون في المسابقة

الفائزون عن الصورة الأولى :

● ايت وارهام احمد ـ مراكش

● مامون يوسف احمد ـ جامعة

الفائزون عن الصورة الثانية :

● نبيل عدنان ابو القاسم ـ ج.م.ع

● عبد الرزاق محمود قدو سوريا

كاريكاتير وتعليق

ضع التعليق المناسب لهذا الكاريكاتير واربح ١٠٠ ريال .

اسماء الفائزين في مسابقة كاريكتير وتعليق

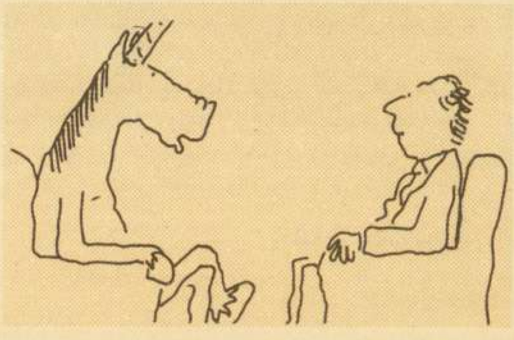

١ ـ لقاء مع مخرج المسلسل التلفزيوني الجديد .

٢ رغم عدم وجود قرن لديك ، فقد استطعنا ان نفهم بعضنا .

٣ ـ طبعا ، ومادام الأمر في نطاق الفكر المنبثق عن القاعدة المنطلقة من المنهاج السلطوي النابع عن العقيدة الوحدوية ، فانه في هذا النطاق يسير في مجراه المنجلى .

● ماجد مصطفى فضل ـ العراق

● سمير ابو اليزيد ـ ج.م.ع

● نجية خليل الكاشف ـ العريش

مصطفى سليمان

سرير.. بروكرست..

في الاساطير الاغريقية قاطع طريق اسمه «بروكرست» كان يمارس هوايته باسلوب غريب ، ومزاج مرعب ، اذ تخضع الضحية التى يشاء لها القدر أن تقع بين يدى « بروكرست » لالوان شاذة من العذاب وهى مستلقية فوق سرير خاص أعده وفق مقاييس محددة لممارسة هوايته الغريبة فى قطع الطرق ، فاذا كانت الضحية الممدة أطول من المقاييس المحددة ، قصها ! واذا كانت اقصر .. مطها ومدها حتى تتوافق بالتطابق مع مقاييس السرير ، المهم مراعاة مبدأ التطابق الذى تحدث عنه « الدوس هكسلى » فى روايته العظيمة (عالم جديد شجاع) حيث يجب أن يراعى مبدأ التطابق فى تصنيع الانسان كيميائيا بين مواصفاته المصنوعة ، ومتطلبات المجتمع الجديد الشجاع.

تلك اذن شريعة قطع الطريق وقوانينها عند « بروكرست » وقد توارثت الانسانية ذلك ومددت فوقه ضحاياها من العظماء النوابغ ، الذين تمردت قاماتهم ولم تكن مقاييسها تتطابق مع مقاييس السرير

هكذا مدد فوق سرير « بروكرست » سقراط و (برونو) و (سافونارولا) و (جاليليو) و (غارثيالوركا) و (الحلاج) و (أحمد بن حنبل) و (بشار بن برد) .... الخ .

وفى روسيا الستالينية نصب (جادانوف) سريره العقائدى ومدد فوقه مئات من الشعراء والروائيين والرسامين ، الذين تمردت قاماتهم علي سريره الحديدى ، فنزل المفكرون الى تحت الارض يكتبون بالرفش والمعول علي ضوء الحرية فى الانفاق الرطبه حيث يهربون الاشعار والقصص وكانهم يهربون (الماريجوانا) أو الحشيش .

وبقى اخرون ، ما يزالون يحفرون الانفاق .. باقلامهم ، ينتظرون الخروج ، ومن تحت الارض خرج (بوريس باسترناك و (الكسندر سولجنتسين) الى الشمس .

وفى امريكا ، نصب (يوجين مكارثى) سريره الليبرالى ومدد فوقه كل مثقف امريكى وردت فى مقالاته كلمة (الاشتراكية) أو (الصراع الطبقى) حتى لو حدث ذلك خطأ مطبعيا..! .

وفى مصر شن (اسماعيل صدقى) مكارثي مصر بإسم محاربة الشيوعية أيضا حملة شعواء على المفكرين الذين تمردت قاماتهم علي مقاييس سرير « بروكرست » ! فاغلق فى ليلة واحدة اثنتى عشرة جريدة ومجلة وارسل كلابه البوليسية تحت جنح الظلام ، لتنبح على مائتين من الكتاب والصحفيين وهم نيام فى هدأة الليل .

تلك شريعة قطع الطرق الثقافية وفق شريعة« بروكرست » وقوانينه . وفى دروب المثقف العربى اليوم تنصب مئات من الاسرة من طراز (بروكرست) المصنوعة وفق مقاييس ثابته محددة .

والويل للعابرين الذين تمردت قاماتهم وثارت على معايير السرير . ولقد بات لزاما على المثقف العربى قبل أن يفكر أو يكتب أن يقيس قامته ، فان توافقت مع سرير (بروكرست) فليكتب ، وليمنح تأشيرة المرور دون الاستلقاء على سرير (بروكرست) ، وان طالت قامته أو قصرت فالويل له ! لان سرير (بروكرست) سيعالج قامته المتمردة.. قصاً ، ومطاً ومدا .. حتى تستقر فوقه وفق المقاييس المرسومة .

لذلك ، ينتشر أدب الانفاق السرية فى الثقافة العربية ، وتهرب الدواوين الشعرية من السجون ، كما يهرب الحشيش اليها ، وتخرج المنشورات الرطبه من تحت الارض لتزفر هواء الحرية ، حتى يستنشقها الساكنون فوق الانفاق ، والذين يخنقهم التنفس فى .. الهواء الطلق ! . ولذلك أيضا تهاجر الصحافة العربية الى لندن وباريس وغيرهما .. ولذلك أيضا تهاجر النوارس المقيدة صوب الشمس خوفا من قص قوادمها أو مط خوافيها ! .. فهل يأتى زمن يقص فيه سرير (بروكرست) ان هو طال ، ويمدد أن هو قصر ليستوعب قامات العابرين ، فيمرون فى مخافر الحدود وقاماتهم متحفظة بمقاييسها هي ، وليس بمقاييس سرير (بروكرست) ؟.

بقلم مصطفى سليمان

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

MIRINDA
ميرندا
بطعم البرتقال الطبيعي

الدوحة
لابد من صنعاء مهما طال السفر
يوم للرفق بالإنسان
بعض الأقلام بعض الأصوات
موقف الإسلام من قضايا العصر
غرة هاشم
تجربة اليابان تكنولوجيا متقدمة ومعتقدات بدائية
هجرة الصحافة العربية لماذا؟
التراث الروحي والتقدم
بين الأهل والأعداء

السنة الخامسة ـ العدد ٥٠ ـ ربيع الأول هـ ـ فبراير ١٩٨٠ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها

د. حسن كامل

في المعركة بين القديم والحديث

د. يوسف القرضاوي

تونس على صهوة حصان الزمن

كمال سعد

أفغانستان

الوكيل العام : علي بن علي

تليفون: ٢٦٢٠١-٢٦٦٨٣ الدوحة - قطر

الدوحة

رئيس التحرير

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

قطر ٣ ريالات ، البحرين ٢٥٠ فلسا ، الامارات العربية ٣ دراهم ، عمان ٢٠٠ بيزة ، الكويت ٢٥٠ فلسا ، السعودية ٣ ريالات ، الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا ، جمهورية اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا ، العراق ٢٥٠ فلسا ، الاردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش ، لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٢٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، الجماهيرية العربية الليبية ٣٠٠ درهم ، تونس ٣٠٠ مليم ، الجزائر ٣ دنانير ، المغرب ٣ دراهم ، باقي دول العالم مايعادل دولارا واحدا .

الاشتراكات : للافراد : داخل قطر : ٣٦ ريالا قطريا . بالدول العربية : ٤٢ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٤٨ ريالا قطريا .

للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات : داخل قطر : ٧٢ ريالا قطريا . بالدول العربية ٧٨ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٨٤ ريالا قطريا .

الاعلانات : يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الدوحة

مجلة شهرية
تصدرها وزارة الإعلام
بدولة قطر

فبراير ٨٠

العدد ٥٠

أبواب ثابتة

استطلاعات

صفحات الرأي

شئون عامة

اسلاميات

التحرير والادارة : ص·ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر

العنوان البرقي : المجلة · الدوحة

تلكس : 4521 MAGDO DH

تليفونات :

رئيس التحرير : ٢١٢٢١

التحرير : ٣٢١٢٧٠ ـ ٣٢١٨٥٧ ـ ٢١١٢١

القسم الاداري : ٣٢٣٧٧٨

القسم التجاري : ٣٢١٨٥٧ ـ ٢٦٨٤٦

جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

تنبع مواد هذا العدد من روافد عدة ·· وهامة :

تنبع من الحوار الدائم الدائر حول الصراع بين القديم والحديث ·· حيث يكتب لنا المفكر والكاتب الاسلامي الدكتور يوسف القرضاوي عن مفهوم كل منهما ، وعن ماهية هذا الصراع وابعاده واهدافه ، وكذلك الحدود التي ينبغي الاخذ بها ، من اجل ان نحافظ على اصالتنا وجوهرنا ، ومن اجل الا نذوب – كامة مسلمة – في غيرنا من الامم ·

وتنبع من اهم واخطر موضوعات الساعة ، ونعني به « حق الشعوب في تقرير مصيرها » باعتباره اساسا من اهم الاسس التي تقوم عليها السياسة الخارجية العربية · وفي هذا الموضوع يسهم القانوني المعروف الدكتور حسن كامل بعدد من الاسئلة والاجابة ، عما اذا كان هذا الحق – حق الشعوب في تقرير مصيرها – قد ظل كما كان مبدا سياسيا ·· ام انه اندمج في القانون ، فاصبح قاعدة من قواعد القانون الدولي العام الوضعي · وهو القانون الذي يتمتع بالقوة الملزمة لدعم حقوق الانسان والشعوب ، والمساهمة في انماء العلاقات السلمية الودية بين الامم ، وبالتالي حفظ السلام والامن الدولي ·

وتنبع من الاحداث اليومية الراهنة في صراعها الدموي العنيف بين القوى الباطشة ، وبين القوى المسلمة في افغانستان ، حيث يحدثنا الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر عن « الارض والناس والاحداث في افغانستان » ·

ومن واقع « ازمة الانسان المعاصر » يكتب الدكتور عون الشريف عن مجتمعات العالم الثالث ، وكيف انها تواجه من الضغوط والازمات في هذا العصر ما لا يواجهه غيرها من المجتمعات · فما هي تلك الازمات والضغوط ؟ وما هي ابعاد تلك المعارك غير المتكافئة التي تواجهها تجاه الاخذ باسباب التقدم ؟

···· والى بقية الموضوعات الهامة التي يطرحها هذا العدد ··

محمد ابراهيم الشوش

حياتنا المعاصرة

اشراف خديجة الصدر

قصص شعر كاريكاتير

فنون

ادب وادباء

ابواب القراء

اشراف : نادية رزق

مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبيــة والروحية بين الدوحــة واصدقائها المساهمين فى تحــرير أبواب القراء ·· فان المجلة تقدم مكافات رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية ١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

رايت · سمعت · قرات ٦٠ ريالا

دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحــرير أبواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مــع ذكر اسم الباب عــلى المظروف الخارجى ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية ·

الشهر الذي مضى

● صالح مبارك عصبان
اليمن الديمقراطية ـ قريم

إن مقال الدكتور محمد ابراهيم الشوش في العدد رقم (٤٧) « كيسنجر جنون الحرب والعظمة » يصور لنا ما يدور في الولايات المتحدة من كتابة المذكرات وتفشي هذه الظاهرة على نطاق واسع وبشكل مثير وعلى نطاق اوسع بحيث شملت المجرمين وشهاد الزور .. وبهذا المقال القيم عرفنا الدكتور الشوش بظاهرة خطيرة تعيشها امريكا .. فتحية من الاعماق

● العيادي الحرابي
قابس ـ تونس
ص . ب ١١٢

اتابع شهريا باهتمام كبير مقال الدكتور محمد ابراهيم الشوش الذي ينعشنا ويغذي أفكارنا بما يكتبه في ركنه المحبوب « الشهر الذي مضى » وقد قرات مقاله القيم « قرن جديد ومسار جديد » في العدد ٤٨ شهر ديسمبر الماضي وما تضمنه من نقد بناء لموقف الفكر الاسلامي تجاه قضايا التحديث والمعاصرة طوال القرن الذي مضى ـ وأضم صوتي الى صوته وندعو الله لوضع امكاناتنا البشرية، والمادية الهائلة في مرضاته سبحانه وتعالى ولاعلاء شان الاسلام وتحقيق رسالته في انتشال الانسانية مما هي مقبلة عليه من جدب روحي وعاطفي .

● محمد حمدان حمود
سلطنة عمان ـ السويق

تحية للدكتور محمد الشوش على كتابته الموضوعية القريبة الى الواقع ، والبعيدة عن المغالاه ، الواعية لمشاكل عالمنا وخاصة الاسلامي العربي ، وارجو ان تكتب في « الشهر الذي سياتي » عن الدولار الامريكي ، والاسباب الكامنة وراء انخفاض سعره رغم انه عملة اقوى الدول .

شئون عربية

● كمال الدين الحسن عثمان
السودان ـ الصحافة

في عدد الدوحة ٤٨ تطرق الاستاذ (جمال الغيطاني) للمسرح العربي المعاصر في لندن وتحدث عن (عادل درويش) الذي قام وبمجهود فردي في تكوين تلك الفرقة التي تمثل قضايا ووجهات نظر العرب إلى رجل الشارع البريطاني ، اربط هذا الموضوع بما نشره في نفس العدد الاستاذ (على سيار) في باب (نقطة حبر) حول النفط .. المال ..الناخب الامريكي .. واوضح فيه انه يجب مخاطبة رجل الشارع الامريكي لأن قرار الناخب ياتي من افكار رجل الشارع الامريكي ... ومن هنا انا شد الدول العربية كافة في إنشاء فرقة قومية مسرحية تقدم مسرحياتها بالعربية للعرب ولجميع العالم بلغاته المختلفة ... حتى يعرفوا مشكلتنا بواسطة الفن

● احمد محمد عبد الله
السودان ـ الخرطوم

لقد اعجبني كثيرا مقال الاستاذ على سيار « النفط .. المال .. الناخب الامريكي » ولي ملاحظة في مثل هذه المقالات .
ان المقال سابق لاوانه تماما في مثل هذه الظروف الحرجة التي تمر بها امتنا العربية في الوقت الراهن ، وكم كان يكون عظيما لو كتب الاستاذ السيار في امر وحدة وكلمة العرب ، وفي القتال في الصحراء ، لتاتي مثل هذه المقالات بعد ، فكيف نريد ان يضغط او يستثمرالعرب سلاح البترول وهم لم يوحدوا كلمتهم بعد

● حسني احمد ابراهيم
كلية الآداب بسوهاج

طالعت في عدد يناير مقال الاستاذ/ على سيار بعنوان (لنعترف) وقد شدني محتوى المقال وجعلني امسك بقلمي لاشاركه الحديث عن الشخصية العربية . اني أود ان اوضح ان النظريات الفلسفية التي تحكم الامة العربية ليست إلا اجتهادات ظهرت وليدة ظروف معينة شانها شان كل الاجتهادات الأخرى التي تفرزها ظروف خاصة وتسقطها ظروف اخرى مختلفة ، ولذلك ينبغي ان يستيقظ المواطن العربي على المتغيرات التي تواجهه كل يوم بل كل لحظة ، وان تطرح فلسفة عربية تتضمن جوهر النظرية العربية لبناء الانسان العربي المعاصر نستخلصها بالعلم الحديث من ظروف وطاقات وامكانات الامة العربية التي تحيط بالاطار القومي العام وتراعي الانتماء الاقليمي الخاص وتكون قابلة للتطور على ضوء مقتضيات العصر الحضارية لتكوين انسان عربي عملاق في عصر لا يعترف الا بالعمالقة ويفرضهم وحدهم في تقرير المصائر .

● احمد محمد السيد
١٠ شارع احمد فايد
محرم بك ـ الاسكندرية

تناول على سيار "نقطة حبر" في موضوع كيفية استغلال إمكاناتنا ومواردنا الطبيعية والمادية من اجل التاثير على الناخب الامريكي لتعريفه بحقيقة قضايانا ودفعه الى إتخاذ موقف ايجابي ومؤثر نحونا .. وإنني اتفق معه في أن المواطن الامريكي ليس معضلة ، فهو إنسان عادي للغاية وبسيط ومن السهل إقناعه بالحجة .. ولكن هذا المواطن ـ بسبب بنائه الاجتماعي ـ ليس لديه الوقت الكافي لتكوين رايه في اية مشكلة إلا إذا وصلت له بطريقة تتناسب مع ظروف حياته العصرية بالغة التعقيد ..
ولذا فان اول شيء اطالب به هو ان نستضيف كبار الشخصيات الاعلامية المؤثرة ، ونحاول خلال تواجدهم في بلادنا ان نعرفهم على حقيقة الموقف العربي ، وعلى الدور الذي تقوم به البلاد العربية من اجل تنمية اقتصادها ، وعلى مدى القصور الذي نعانيه من تزييف الحقائق في الصحافة الغربية ، وغير ذلك من الامور التي تجعل من بين هؤلاء من يقف إلى جوار حقوقنا ومن يرى في قضايانا شرعية ووضوحا فيقف معنا مطالبا بهذه الحقائق العادلة .

إسلاميات

● باسعيد عبد العزيز
غرداية ـ الجزائر .

تحية لمجلة « الدوحة » على اهتمامها بالموضوعات الاسلامية التي تحثنا نحن الشباب على البحث والقراءة ، بعد ان كنا لا نقرا سوى المجلات الاجنبية .

● طه حسين الرحل
سوريا ـ حلب

إضافة وتعقيبا على ما كتبه الاستاذ احمد بهجت بعنوان « اغلاق باب الاجتهاد يعني إغلاق باب الفكر » ، اقول ان هناك ما يشبه التناقض لدى الكاتب ، فهو يعترف بالشيعة كفرقة اسلامية ، الا انه يلجا الى التعميم في دعوته لفتح باب الاجتهاد ، مع العلم ان الامامية لم يغلقوا الباب اصلا ، فماذا يفتحون ؟ .. وهاهي الرسائل الفقهية لعلماء النجف والاشرف وقم المقدسة تشهد على ذلك .

● احمد البيلي
مدير شئون القرآن بالسودان سابقا
أبو ظبي ـ ص . ب ٧

قرات في مجلة الدوحة عدد محرم بالصفحة ١١٣ تحت « احصائية عن القرآن الكريم » ، ان عدد روايات القرآن سبع ، وهذا مجانب للصواب

، والصواب أن يقال : أن القراءات المشهورة سبع ، والروايات المشهورة أربع عشرة رواية ، حيث أنه انشعبت ، من كل قراءة روايتان وهناك ثلاث قراءات غير مشهورة ، ولكل قراءة منها روايتان فجملة الروايات إذن عشرون .

● **عبد الرحيم الأمين ترفه**
مدرسة الحصاصيصا الغربية الابتدائية ـ السوادن

أثار (على سيار) بالعدد رقم ٤٧ (من سوق عكاظ ... إلى سوق ٦ اكتوبر) الحقيقة بعينها ، اصبحت الدول الاسلامية تبلور المناسبات الدينية فى شكل كرنفالات تمزجها بتواشيح دينية فى الاذاعات والتلفزيون . فعلا اصبح المجتمع بعيداً كل البعد عن الاحكام الاسلامية السمحة والغرس الدينى الذى غرسه وسقاه رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم . واصفا المجتمع الاسلامى اليوم بانه يعيش جاهلية اخطر من التى كان يعيشها مجتمع الجاهلية قبل الاسلام . ظل الانسان المسلم متشبثا بالقديم دون المعايشة مع الجديد ، إنها مأساة يعيشها المجتمع الاسلامى عامة .

من عبد اللطيف بشير
السودان ـ الابيض
مدرسة الرويغى الابتدائية

امتعنا الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر بمقاله عن المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية .. ولقد اوضح لنا بحوث المفكرين ، فجعلنا شغوفين بقراءة النصوص الكاملة لهذه البحوث .. ولذا فيا حبذا لو قامت مجلة الدوحة ذات الانتشار الكبير بتقديم هذه البحوث بصفة دورية ، حتى تشبع عطش القراء الى التعرف على فقه الاحوال الشخصية والقيم الاخلاقية والتربوية فى سيرة الرسول الكريم ، وحتى يواجه شبابنا موجة الفساد العالمى وما تركته من بصمات خطيرة فى اعماق الاجيال الجديدة ..

إننا فى حاجة اليوم إلى مواجهة الشكوك التى يثيرها أعداء الاسلام ، وهذا يتطلب منا ان نقحم عقل وقلب المسلم بالدراسات والكتب التى تقف فى وجه كل المروجين للأفكار البعيدة عن تراثنا وعقيدتنا .. ولهذا فمرة اخرى اطالبكم بان تمضوا فى طريقكم لاعلاء كلمة الحق والله يوفقكم .

● **رضا عبد الجواد سلامة**
مصر ـ القلج البلد

هذه خاطرة مسلم يتعذب لما يجرى حوله فى العالم ، وما يخطط ويدبر فى الخفاء والعلن بهدف القضاء على الأمة الاسلامية .

ان ما يتعرض له العالم الاسلامى اليوم وما يخطط له من قوى البغى لاخماد صوته يجعلنا نتذكر تاريخ ضياع الاندلس .والاحداث الرهيبة والمآسى التى حدثت للمسلمين مما يندى له جبين الانسانية . ويأتى بعد ذلك زرع الكيان الصهيونى فى فلسطين ... وتشرد الشعب فى البلاد ... وما احدثه الكيان الصهيونى لا يخفى على احد ! واليوم يأتى الغزو السوفيتى لشعب افغانستان المسلم ، وسحقه بالدبابات والنابالم ، ولهذا فانى .. اتوجه الى القادة العرب .. والحكام فى كل مكان :

لننس كل الخلافات .. لنرتفع فوق الاحقاد .. ولنعمل بقول الله سبحانه وتعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »

● **معتز وحيد الدين الشباسى**
الاسكندرية ـ كلية العلوم

قرأت مقال الدكتور محمد البهى فى عدد الدوحة الصادر أول ديسمبر « محرم سنة ١٤٠٠ » تحت عنوان « سياسة الحكم فى الاسلام » ، واننى لمتفق مع السيد الدكتور فى أن النظام الاسلامى من احسن النظم تماسكاً وترابطاً وتقويماً لبنى الانسان إذا احسن تطبيقه والعمل به لعدة عوامل منها أن المشرع للنظام الاسلامى والمعاملات الفردية بين المسلمين هو كتاب الله عز وجل وسنة رسوله الكريم . إذا فهو لا يحتمل الصواب او الخطا بل هو الصواب بعينه لأن الله عز وجل خلق الانسان وهو اعلم بما يصلح له فى دنياه ، لذلك شرع فى سن قوانين الحياة للمجتمع المسلم عامة ولوحدة هذا المجتمع اى الانسان المسلم خاصة .

● **أسامة محمد ظافر كبارة**
كلية الاعلام ـ جامعة القاهرة

لا شك أن توصيات المؤتمر الثالث للسيرة النبوية الذى انعقد مؤخرا بالدوحة تتميز بالايجابية فى العمل الاسلامى وتشكل دفعة الى الامام فى سبيل الدعوة إلى الله وبداية تكوين العقلية الاسلامية لدى كل مسلم . إلا أن هناك ملاحظات هامة لابد من الاشارة إليها لانها تشكل محدودات اساسية بل وعوامل متلازمة مع التطبيق المرجو تحقيقه مستقبلا فى مجال الدعوة الاسلامية ولو بدانا بمعرفة مشكلتنا الكبرى لوجدنا هوة واسعة بين الفكر الاسلامى والمسلمين . وهى هوة ترسخت لدرجة كبيرة بحكم ضياع الدولة الاسلامية المجسدة لهذه العقيدة ولضعف جهاز الدعوة بل عجزه فى طرح الاسلام من جديد كنظام بديل عن انظمة الشرق والغرب .. ولكن ما نشهده فى هذه الحقبة الأخيرة من الزمن يعطينا مؤشرا يهيؤ الجو المؤاتى لطرح الفكر الاسلامى من جديد خاصة بعد أن لمس المسلمون الترابط العضوى بين الجانب الفكرى والجانب الاقتصادى والسياسى والاجتماعى ووضوح الهجمة الشرسة على ثروات الأمة الاسلامية والتى فى حقيقتها تجسد المنظار الفكرى الذى تنظر به قوى الغرب والشرق لنا ولثرواتنا . فالازمات السياسية الموجودة اصبحت فى عقول كل الشباب والامر يفرض بكل تاكيد ان توضح للناس خطتهم المتدرجة لتحقيق وحدة العالم العربى ثم الاسلامى وذلك منعا من بروز التيارات والحركات المتطرفة والعشوائية التى ينقصها الوعى الكافى ... الأمر الذى يسبب إحباطا فى نفوس المسلمين ويؤدى الى إهدار كثير من الطاقات البشرية والمعنوية وهذا يفترض رسم سياسة إعلامية ضخمة مهما كانت تكاليفها وإمكاناتها والجهود التى ستبذل من اجلها ولكى تتوافق مع حجم المسؤولية الملقاة على عاتق اجهزة الدعوة والحكومات .

شئون الخليج

● **نبيل سعيد ابو الحاج**
المملكة الأردنية الهاشمية
البقعة

لماذا لا يسلط محمد جابر الانصارى الأضواء على تراث الخليج الفلكورى وتطوره ؟ .. ولماذا لا نرى له دراسات عن العادات والتقاليد الاجتماعية فى المنطقة ؟ .. ولماذا لا يقدم لنا تلك الدراسات مع إجراء مقارنة بينها وبين باقى التقاليد والعادات فى باقى اجزاء الوطن العربى الكبير ؟ .. اعتقد لو انه فعل ذلك ، لساهم فى زيادة دواعى الألفة والتقارب ، خاصة وان العادات والتقاليد العربية تلعب دورا بارزا فى الفكر العربى، لأن اصلها مشترك .

جمال سالم محمد
المنوفية ـ بركة السبع

لقد تناولت بين يدى العدد الخاص بشهر يناير ١٩٨٠م ـ وقد شدنى انتباه غريب نحو هذه المجلة العظيمة فى حجمها ـ الكثيرة فى معناها وموضوعاتها المتعددة من شئون عامة .. اسلاميات ابواب ثابته ـ استطلاعات ـ أدب وأدباء ـ دراسات إنسانية ـ فنون .. الخ من الموضوعات القيمة علمية وادبية . كل هذا شدنى وجعلنى امسك بقلم وورقة واكتب هذه السطور ، ليس للمدح والثناء ولكن تلك حقيقة واقعية يقرها العقل واللسان معاً . وقد شدنى الانتباه الأكثر مقال كتب تحت عنوان دراسات فى أدب الخليج : بحثا عن ابداع الوطن والانسان للدكتور . محمد جابر الانصارى فكان حقا واقعياً فى الحديث . وقد اتساءل معه كيف يتسنى لنا طمس أدب كل من عبدالله زيد و فهد العسكر . فياليت تستطيع المجلة أن تضىء لنا السبيل نحو هذين الاديبين لنتعرف على تراثهم الأدبى وما أبدعوه لنا فى كتاباتهم .

رسالة الجامعة

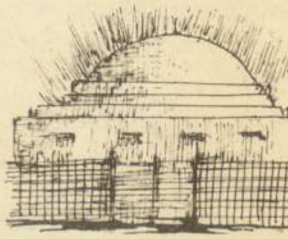

● علاء الدين طلعت
كلية الاعلام ـ جامعة القاهرة

لقد تعددت الآراء حول مهمة الجامعة ووظيفتها وطال الجدل بين الفلاسفة والمفكرين والعلماء واساتذة الجامعات وغيرهم حول هذا الموضوع ، فمن قائل ان مهمة الجامعة الاولى هى نقل حضارات الاجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة ، وعلى ذلك فالتدريس هو المهمة الاساسية للجامعة ، ومن قائل بان الاضافة الى العلم والفكر عن طريق البحث هى وظيفة الجامعة الحقة ، والواقع ان الصورة تشمل تحصيل العلم والاضافة إليه عن طريق البحث ثم نشر هذا العلم بعد تحصيله ، ثم ياتى التطبيق بعد ذلك لصالح المجتمع ، ذلك لأن تحصيل المعرفة عن طريق البحث وممارسة الفكر ليس هدفا فى حد ذاته إذا لم تنشر هذه المعرفة بعد تحصيلها لأن المعرفة إذا لم تنشر كتب عليها الزوال ، كما ان المعرفة بعد تحصيلها ونشرها يجب ان تطبق وإلا فمصيرها الخمول ، بل ولعلنا نذهب إلى ابعد من ذلك فنقول إن فى انتشار المعرفة وتطبيقها فتحا لآفاق جديدة من المعرفة للباحثين عن المزيد منها وإذا ادركنا الطبيعة المتطورة لمستقبل الجيل الحاضر فى عصر ينمو فيه العلم وكذلك تنمو فيه المعرفة بمعدل سريع يجب ان ندرك ايضا الحاجة الملحة إلى تطوير الجامعات بحيث تصبح مؤسسات تعمل على تزويد الرجال والنساء فى كل مراحل حياتهم بالخبرة باستمرار وحتى تتطور الجامعات فى هذا الاتجاه يجب ان يهدم من اساسه ذلك الغرض التقليدى الذى يقصر الهدف الاساسى للجامعات على رعاية الطلاب حتى يحصل كل منهم على درجته الجامعية الأولى .

عودة العمالقة

● محمود بحلاق
سوريا ـ حمص
بير السبع .

كان لموضوع العمالقة فى المقال الذى اثاره الاستاذ على سيار فى عدد اكتوبر ١٩٧٨ اثاره المتعددة واراء متشعبة تناولها عدد من الكتاب على صفحات مجلة الدوحة الراقية ، فظهر مقال محمد جابر الانصارى فى عدد نوفمبر ١٩٧٨ متسائلا « هل كانوا عمالقة حقا » ثم كتب حافظ احمد امين عن اسباب ظهور العمالقة فى عدد مارس ١٩٧٩ ، واوضح الكاتب محمد عباس نور الدين الأسباب الحقيقية لعدم ظهور العمالقة فى عدد يونيو ١٩٧٩ ، واخيرا كتب الاستاذ محمد جابر الانصارى فى زاوية رايه فى عدد اكتوبر ١٩٧٩ ـ بعد ان اطلع على اراء القراء والكتاب فى هذا الموضوع ـ مقالا يؤكد فيه ماقاله فى السابق ويوضح للقراء ما يقصد من عدم هدم شخصيات الادب والفكر العربى مثل شوقى والعقاد ، وإنكار مالهم من فضل او جهاد . واوضح الفرق بين مفهومين للعظمة والعبقرية ثم تحدث عن الشاعر احمد شوقى وام كلثوم ، كمثالين للعبقرية فى الادب والفن. إن روادنا اخذوا مبادئهم وأفكارهم من جذور حضاراتهم التى ينتمون اليها ، ومن تراثهم الاصيل ، فنهلوا منه ، وارتووا من ينابيعه الصافية ، حتى استقر فى اعماقهم ، فخرج نتاجهم اصيلا نافعا ومفيدا للأجيال التى اخذت عنهم . وكما قال الاستاذ على سيار « العمالقة لا يولدون كلهم فى يوم واحد ... ولا يظهرون كلهم فى جيل واحد ... »

غرباء فى وطنهم

● إمام عثمان أرباب
معلم بحلفا الجديدة
السودان

اعجبنى مقال الأستاذ عبد التواب عبد الحى « ليلة السبت فى جوهانسبرج » عن المآسى والفضائح التى تمارس فى قارتنا الحبيبة إفريقيا . فقد صور فيها الكاتب ما يجرى بصدق وامانة ، فى عصر اصبحت الدول فيه تتغنى بحقوق الانسان ، فى حين تتباهى حكومة جنوب إفريقيا البغيضة بالعنصرية المشينة والهمجية . ونرجو ان تكون مجلتنا الحبيبة الدوحة نوراً ساطعا دائما للكشف عن زبانية الشعوب وبرابرتها .

● ابراهيم حسب الله محمد
السودان ـ نيالا .

قرات مقال عبد التواب عبد الحى (ليلة السبت فى جوهانسبرج) الصادر فى العدد ٤٨ عن شهر ديسمبر ٧٩ فهزنى ، انه مقال انسانى أولا ومقال اجتماعى ثانيا . إلا ان السمة الانسانية غلبت ، فقد ذكر الكاتب عن الوان التعذيب والاضطهاد الذى يلاقيه المواطن الافريقى فى حمى وطنه بجوهانسبرج على سبيل المثال وهناك مدن وقرى كثيرة يمارس فيها اساليب القمع ، والفوارق الاجتماعية ، واضحة ومعايشة كما استعرضها الكاتب فى مقاله ، فى مجال الخدمات الصحية ، فى العمل ، فى كل ضروب الحياة المختلفة اى ان المواطن فى جنوب افريقيا غريب فى وطنه ويمر بفترة حالكة بحثا وراء حقه المسلوب فنحن نتساءل اين دور المنظمات العالمية التى ترعى وتنادى بحقوق الانسان ؟ نحن نناشد تلك المنظمات بمختلف انواعها ان تهب وتسعى لحل مثل هذه المشكلة العنصرية وتحل كل المشاكل التى يناهض اهلها أساليب الاستعمار فى بعض انحاء العالم والا تكون الحلول ثمة مناقشات فى مؤتمرات تعقد هنا وهناك واخبار تتناقلها وسائل الاعلام العالمية .

إلى متى الأزمات

● نجلاء نصر الدين الستيلى
صنعاء ـ ص . ب ٥٩

ردا على ما كتبه د . حافظ الجمالى تحت عنوان « الى متى الأزمات ؟ » بعدد نوفمبر اقول ان الروتين الغربى كاف بتسميم الفكر العربى وشله عن اى حركة تخفف من حدة المشاكل ، وليس معنى ان نهتم بهذه

المشاكل . ان نكرس كل اقلامنا وافكارنا لشرح قضايانا وللتحدث عن مشاكلنا حتى نملها نحن اولا قبل غيرنا ، فالحديث عن الفيلسوف هيدجر ليس ـ كما قال الكاتب ـ الحلوى التى نطلبها ، ونحن ليس معنا رغيف الخبز ، فربما تكون فلسفة واراء هذا المفكر نقطة انطلاق وتحول فى حياتنا ودافعا قويا لنفكر جديا فى حل مشكلاتنا ، كما انه يمكن ان يكون قدوة لشبابنا العربى ، فان فى دراسة سيرة العظماء لأعظم فائدة . وليس معنى اننا نكتب عن الاجنبى اننا تخلينا عن قضايانا ومشاكلنا ، وكما قلت ياسيدى الكاتب ان من يهتم بمثل موضوع هذا الفيلسوف هم فئة المثقفين فقط ، ولكن لا تنسى ايضا ان الجامعات العربية تزخر بالملايين من الطلبة والطالبات العرب ، وليس معنى ذلك ان المثقفين ينحصرون فى الطبقة المتعلمة فقط .

قضية المرأة العربية

ابو غفرانى
العراق ـ البصرة

فى العدد (٤٨) ديسمبر ١٩٧٩ لفت انتباهى وفى باب افكار جديدة

موضوع الاخت « فاطمة جامع » والذى كان عنوانه « ماذا ينقص المراة العربية » .
حيث اننى قرات لها فى الفقرة الاخيرة من الموضوع « أما ان الاوان لانصاف المراة وذلك باصدار التشريعات التى تعطيها مثل حقوق الرجل فى الحصول على العلم ، والتوظيف ثم فى حصولها على معاش بعد انتهاء خدمتها حتى لا يظل نصف المجتمع العربى معطلا» .
انا اقول للاخت « فاطمة جامع » ولكل امراة تريد تشريعا يعطيها حقوقها كاملة . ان هذا التشريع هو بين ايدينا ، وهو الذى أعطى المراة حقوقها كاملة .
والى التى تسال عن تشريع لعمل المراة اقرئى فى كتب الله « ومن يعمل صالحا من ذكر وانثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزيهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون » وهو القائل « ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » نعم يامن تبحثين عن تشريع ، انه موجود ولكن على الرفوف فقط ، اما فى باب العلم « فالعلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » فاى تشريع جعل التعليم اجباريا مثلما جعله الاسلام ، واما عن الكسب فاقرئى قول الحق : « وللرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » وبعد هذا فاى كرامة للمراة عندما جعل لها فى القران سورة باسمها . « سورة النساء » .

شعر

● عثمان محي الدين النور
السودان ـ الأبيض

مادفعنى للكتابة شىء لا اخاله خافيا عليكم ، الا وهو ذلك النوع من الشعر الذى يسمى « بالشعر الحديث » وخاصة فى مجلة مثل « الدوحة » ، عندما اقرا اجده لا هو بالشعر ولا بالنثر ، ولاهو بالكلام المفهوم كانه مترجم عن قصيدة اجنبية .
نحن عندما نقرا شعر امرىء القيس والمتنبى وابراهيم ناجى وشوقى .. وغيرهم ، نرى انفسنا فى شوق للمزيد من الطرب والانبهار . إن للشعر مقومات رئيسية لابد منها وهى القافية ، والوزن ، والموسيقى اللفظية ، وهى التى نحكم من خلالها على الشعر من غيره ، واى شعر يفقد هذه المقومات لا يسمى شعراً ، أو يسمى شعرا ناقصا ، فما بالك ياصديقى مما ينشر اليوم من كلام بلا قافية ولا وزن ولا موسيقى .. الم تر كيف كان زهير ينتج قصيدة فى ثلاث سنوات ، ولهذا سميت بالحوليات ، أين زهير الان من شعرنا الذى يكتب فى زمن قياسى ، إنه حقا عصر البوينج ، وعصر الساندوتش ، وعصر « كلنا شعراء » .

● طه مقلد
منيا القمح ـ ج ٠ م ٠ ع

لى ملاحظة على مجلتكم ، وهو انكم تولون الشعر الحديث عناية خاصة ، بينما تفتقر الى الشعر القديم ذى الوزن والقافية الموحدة ، ولذا أهيب « بالدوحة » تخصيص حيز ولو ضئيل لتحقيق رغبات قرائها فى نشر الشعر القديم إحياء للتراث الذى اوشك ان يسدل عليه الستار .

سينما

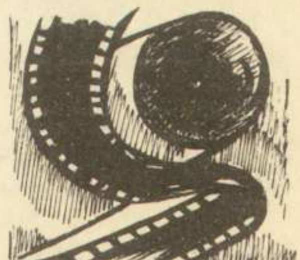

محمد عبد الحى شهاب الدين.
الجيزة ـ امبابة

لقد تعرض الاستاذ رءوف توفيق فى عدد شهر ديسمبر لمناقشة ظاهرة الجمعيات السينمائية فى القاهرة . وايضا لنقد مهرجان القاهرة الدولى وبذا الخصوص فان لى وجهة نظر فى الموضوعين :
اولا : بخصوص انتشار الجمعيات فهى ظاهرة طيبة ومبشرة بتحريك الحياة السينمائية فى مصر حيث تعمل على نشر الوعى السينمائى بزيادة عدد الاعضاء فى هذه الجمعيات وايضا تنشيط حركة النقد البناء ، وذلك بمناقشة الاعمال السينمائية الجادة مما يدفع بالصناعة السينمائية الى الامام . ولكن رغم فائدة هذه الجمعيات إلا انه قد تسلل الكثير ممن ليس لهم شان فى هذا المجال . وجاء اقتحامهم لها لمجرد « الشهرة » او الدعاية الشخصية .. بل ومن المؤسف حقا ان بعض هؤلاء الاشخاص كونوا جمعيات خاصة لهم لكى يتقلدوا المناصب الرئيسية فيها .. ولكن لاباس بكل ذلك مادامت هناك على الطرف الاخر جمعيات هى بحق نموذج حى لما يجب ان تكون عليه الجمعيات السينمائية . اما بخصوص مهرجان القاهرة السينمائى فلقد كانت بادرة طيبة ان يظهر مهرجان سينمائى فى بلد عربى وفى مصر بالذات وهى رائدة فى هذا الفن بين باقى الدول العربية . ولكن بعد ما حدث فى المهرجان الرابع حيث كنت احد المترددين على دور العرض التى كانت تعرض افلام المهرجان فاننى أرى انه من واجب هيئة السينما فى مصر ان تاخذ موقفا من هذا المهرجان بحيث تمنع ظهوره مرة اخرى بهذا الشكل حتى تحفظ للسينما المصرية هيبتها .وعليها ان تفكر فى اقامة مهرجان جديد بالاشتراك مع بعض الجمعيات السينمائية الجادة . على ان تستفيد من خبرات اربع مهرجانات سبق اقامتها بالقاهرة ....وان لم يكن هذا ممكنا فافضل ان يلغى مهرجان القاهرة ...

فنون

● حامد حسن شبير
الخرطوم . ص . ب ٦١٧٤

قرانا للفنان جمال قطب فى عدد الدوحة الاخير « ديسمبر ١٩٧٩ » مقالا عن رائد الفن التشكيلى « لؤى كيالى - لقد كان صادقا فى دفاعه عن الكادحين واليائسين والشاردين ، هؤلاء الضاربين فى رحاب الارض ، يحاولون بسواعدهم وعرق جبينهم ان يزيحوا عن نفوسهم الطيبة الصافية أوشاب الدنيا وجشع الالتصاق بالأرض . وإنه ليحز فى نفسى ان تمتد يد الاقدار إلى مبدعينا وهم فى ريعان شبابهم فتحرمنا بذلك من ابداعاتهم .
ومن هذا المنطلق اناشد الفنان جمال قطب ان يوافينا بدراسات تعريفية فى اعداد قادمة عن الفنان المصرى الكبير سيف وانلى وغيره من المبدعين التشكيليين .

في عدد قادم :
● كيف يمكن إعادة بيت المقدس؟
● هل يمكن اعتبار المسلمين أقلية في شبه القارة الهندية؟
● دعوة الجهاد المقدس : كيف نطبقها عمليًا؟
● ... والعديد من الأسئلة الهامة .. يجيب عليها الداعية الإسلامي الكبير :
أبو الحسن الندوى
الأمين العام لندوة العلماء بالهند

وجهة نظر

● الطحاوى عثمان سعود
مدينة نصر – ج . م . ع

وجدت لزاما على ان ابدى وجهة نظرى تجاه تحقيق كمال سعد الذى نشر عن الخيول بصفتى من اكبر العائلات التى تقتنى اجود الخيول العربية الاصيلة فى الوطن العربى وهى اسرة (الطحاوية) بالشرقية بمصر ... ووجه تعليقى هو اننا نحن (عرب الطحاوية) احدى عائلات قبيلة الهنادى واتينا من نجد ابان الفتح الاسلامى ... واول من سكن موقعنا الحالى جزيرة سعود مركز الحسينية – محافظة الشرقية (مصر) اول من سكن هذه الجزيرة هم اجدادى وفى عام ١٨٨٢ تقريبا استحضروا الخيل من الشام (حمص) عن طريق بعض العرب وكل فرس تاتى معها شهادة بنسبها وعليها شهادة اربع مشايخ واختامهم ومع مر السنين تكاثرت الخيل عندنا وعليها قامت سباقات مصر .وانقسمت السباقات الى خيل عربية هى خيل الطحاوية .. وخيل اجنبية تبع الملك السابق واتباعه . وبعد ثورة ١٩٥٢ الغيت سباقات الخيول الاجنبية وبقيت خيول الطحاوية العريقة الاصل ... ولم تقم الهيئة الزراعية (محطة الزهراء) بمصر إلا بعد الثورة وقامت على اساس خيل (الطحاوية) فلو تتبعنا نسل احد خيولها لوجدناه يعود إلى خيل الطحاوية والتى يوجد بها الانساب الخمسة التى وردت فى الاستطلاع واكثر من الانساب هذه انساب اخرى عريقة الاصل منها (الدهماء – التامرية – المعنقية – الحمدانية – الخرساء) وغيرهم بكثير فبالنسبة لقول رئيس محطة الزهراء انه لا يوجد خيل اصيلة إلا فى محطة الزهراء فهذا احتكار لخيلهم لانهم يبيعون للدول الاجنبية الذين ياتون إلينا كل عام .

لذا اعتبر رسالتى هذه ... تصحيحا لما ورد فى الاستطلاع السابق .

تحقيقات

● يزيد حمدى
جامعة الزقازيق – مصر .

قرات مقال « نابلس جبل النار يلتهب » للاخ « نبيل خالد الاغا » وشعرت بالوفاء ينبع من بين سطوره ، من إنسان يعتز بوطنه ويقدم افخر وانبل معانى الحب والوفاء .

● إخلاص رحمة الصديق
أبو عشر – السودان

يسرنى ان اتقدم بتهنئتى الى مجلتى المحبوبة (الدوحة) على ذلك الاستطلاع الجميل الذى كتبه كمال سعد (رحلة القلب المشتاق) فى عدد ٤٥ شهر نوفمبر ولا شك انه قد سجل حدثا طيبا محمودا لمجلة الدوحة الفتية بذلك المجهود الطيب الذى نامل ان يتبعه المزيد من الاستطلاعات الحية عن تاريخ إسلامنا الزاهر لما به من عقيدة وتراث حقيقين .

حرية الوطن

● احمد كرم الله زين العابدين
الابيض – السودان

كلما احتفلنا فى السودان بعيد الاستقلال ، اجد نفسى انظر الى العلم بالوانه الزاهية وهو يخفق فى ساريته العالية ، فاتخيل وجه الزعيم الخالد اسماعيل الازهرى ، تلك الرجل الذى ضرب المثل الاعلى فى التضحية من اجل امته ..

وانا شخصيا كلما حضرت إحتفالا بعيد استقلال بلادى ، اتمثل قول امير الشعراء احمد شوقى :

وللاوطان فى دم كل حر
يد سلفت ودين مستحق

وانا اقول لاسماعيل الازهرى ان فى دم كل سودانى يد سلفت ودين مستحق .

تعقيبات

قراءة فى العدد « ٤٨ » من الدوحة

● سهام الناصر
العراق – البصرة

كنت اسمع « بالدوحة » يذكرها المثقفون .بالتفرد والخصب وانها « ملتقى الابداع العربى والثقافة الانسانية » وانها « فتح » فى عالم « الاخراج » الصحفى المترف ؛ ولم اكن متيقنة تماما من كل مايقال حتى اقتنيت (العدد ٤٨ ديسمبر ١٩٧٩) فاحسست باننى اطل على عالم سابح معطر رائع من الثقافة الممتعة والمواقف الهادفة والادب الرصين والعلم النافع ، واصبت بعدوى نظرية تولستوى فى الفن ، إذ لم يعد بمستطاعى ان ارغب عن شرائها كل شهر بلده الزمن الجديد .

« وتدعيما للعلاقات الادبية والروحية بين الدوحة واصدقائها المساهمين » اقبلونى صديقة جديدة تحاول من خلال الطاقة التعبيرية التى تمتلكها ان « تساهم » فى إغناء الدوحة . وكمنطلق بناء اورد هنا بعض الملاحظات :

يقول د . محمد ابراهيم الشوش : « يصدر هذا العدد بينما العالم الاسلامى يحتفل بمرور اربعة عشرة قرنا » والصحيح بمرور اربعة عشر قرنا ويكرر « الشوش » الخطا النحوى ثانية فيقول « على مدى اربع عشرة قرنا » .

ويقع على سيار فى « نقطة حبر » فى خطا نحوى هو الاخر اذ يقول : « ينبغى ان يمارسه النفط والمال العربيين » والصحيح العربيان » .

إن درويش مصطفى الفار يعبر فى خلال زاويته « اضغاث احلام » وهو عنوان غير موفق لزاويته ذات إطلالة إيجابية يعبر عن موقف ايجابى حانيا الامة العربية وهى تستقبل القرن الخامس عشر الهجرى ان تركز جهودها « على إعادة النظر إعادة شاملة فى اسلوبها » وقدرتها على التفاعل الخلاق ، إلا انه يقع فى « اشكالية » لغوية حينا واخرى فكرية.

اللغوية : تكراره كلمة « كلما » فى جواب كلما الشرطية . يقول « فكلما كانت المادة اكثر قدرة على التاين .. كلما كانت درجة توصيلها للكهرباء ..اكثر و اشد » هذا التكرار « مطب » يقع فيه العديد من الكتاب والصحفيين .

الفكرية : قوله « رغم انوف الف مليون مسلم بين سنى وشيعى » اذ ما كان اغناه عن ذكر « السنة والشيعة » فى موقف لا يستدعى بالضرورة ذكرهما .

او قوله:« وفى مقدمتهم زهاء مائة وخمسين مليون (والاصح خمسون) فى بنى قحطان وعدنان وغسان » ويكفى ان نرمز للعرب اما بقحطان او عدنان .

وقوله « فهل ياربى ستوفقنا فى القرن الخامس عشر ان نتفق » والاصح ان يقول : الى ان نتفق

وفى « زاوية الراى » يبدو د . محمد جابر الانصارى متحمسا حد المغالاة « للولادات الجديدة » فهو يصف ظهور مسلسل « الايام » فى التلفزيون بانه مفاجاة « كهبوب الهواء الطلق النقى فى سرداب مغلق موبوء او كتسرب ضياء الشمس الى دار استوطنها الليل الف عام » ،انه غلو بلا شك فقد استقبلنا فى التلفاز اعمالا ناجحة كثيرة ولا احسبنى مغالية اذا قلت ان العديد مما انتجته مؤسسة الخليج للاعمال الفنية كانت اعمالا ناجحة . وليس ثمة استغراب اذا ظلت الاعمال الناجحة هى الاستثناء والاعمال القاصرة فنيا هى القاعدة فى مجتمع عربى نام يعانى من تناقضات عديدة فى مقدمتها التخلف والتجزئة .

اما قوله : ان المثقفين حين يستبد بهم الياس يعتبرون التلفاز « نقمة من نقمات عصر الانحطاط » فهو محض « إطلاقية » سائبة فعصرنا لا يمكن ان يوصف بالانحطاط مهما كثرت « نقمه » وانما يوصف بانه عصر الماسى الكبيرة والمنجزات العظيمة .

ويمكن اعتبار قوله « فراينا محمود المليجى الذى جعدته مسلسلات التفاهة فى دور المجرم والبلطجى يؤدى دورا انسانيا نبيلا كشف عن عمق قدرته التمثيلية وتنوعها » يعبر عن « الاطلاقية » ذاتها فمحمود المليجى غادر مواقفه « البلطجية » منذ ان مثل مسلسلة « اغراب » ، ومن الغلو ايضا قوله ان شعبنا العربى « حاصرته التفاهة حتى افقدته

● المادة العلمية صياغة ومضمونا لها أثرها البالغ فى جذب القارئ

انسانيته » فشعبنا العربى يفجر فى كل يوم طاقات يعبر بها عن « انسانيته» وفى مخزونه طاقات كبيرة لم تفجر بعد كما ان له « تفاهات » كثيرة لا يحسد عليها .

وفى زاوية « قضاياخليجية » نلتقى بمرزوق بشير الذى يبدو شديد الغيرة على قضية « امن المنطقة الخليجية » عسكريا وثقافيا ، إلا ان هذه « الغيرة » التى لا تضيف جديدا الى ما قيل توقعه هو الآخر فى اشكالية تعبيرية وفكرية .

فهو يكتب كلمة « ندعوا » هكذا باضافة الف بعد الواو « ندعو » ظانا انها واو الجماعة والصحيح ان واو ندعو هذه اصلها الف قلبت « واوا » فى المضارع . كما ان الركة فى الاسلوب الصحفى تقديم « ايضا » على الجملة الفعلية فى قوله « فايضا يجب أن يعد الانسان فى هذه المنطقة إعدادا فكريا وثقافيا » إذ ان حقها التاخير اما قوله إن « الحرب قد تنتهى بهزيمة او انتصار ، اما الغزو الثقافى فينتهى بهزيمة فقط » فهو محض مغالطة ، فالغزو الثقافى رغم انه اخطر من الغزو العسكرى وارخص منه إلا انه قد ينتهى ايضا بانتصار الشعب المغزو وايقاف نزيف الادمغة ، فما ضره لو رفع كلمة « فقط » هذه التى اعطت الفكرة بعدا اخر يغاير الحقيقة الماثلة مما استدعى بالضرورة التعليق عليها .

ويقع « محمود مختار الهوارى » فى قصيدته « لماذا نزرع الحنظل » التى لا تستاهل ان تنشر فى مجلة رصينة كالدوحة ، فى اخطاء لغوية مشابهه كقوله : « ورغم دروبك الخضراء جوعانة ، ورغم طريقك المفروش بالازهار « حرانة » اذ لا توجد فى العربية صفة مشبهه على وزن « فعلانة » فالمراة « جوعى » و « حرى » والرجل جوعان وحران دلالة على الامتلاء او الخلو .

وفى القصيدة ايضا هذا الشطر الجريح الوزن « ويلقى بذرة الفرحة للانسان » .

واخيرا اقترح أن ترفع الصفحات المخصصة « لجحويات » ، الكلمات المتقاطعة ، الجواب الصحيح ، حاول ان تعرف » لان وجودها لا يليق بمجلة رصينة كالدوحة ، وربما كان ذلك لائقا بمجلات كالصياد ، والشبكة ، والحوادث ، والاسبوع العربى ،، او الوطن العربى ، وتلك التى تترسم نهجها . ويمكن ان يحل محل هذه الصفحات المرفوعة نتاج الاقلام الشابة (فى تجاربى الشخصية ، افكار جديدة ، رايت ، سمعت ، قرات ، دوحة القراء) .

واتمنى ان تظل « الدوحة » مبحرة ابدا فى خضم مستقبل محدد الملامح ومرشدها الاوحد قدرتها على التجاوز والتخطى .

بين المجلة وقرائها

● إبراهيم محمد ابو كواية
السودان ـ جامعة الخرطوم

مجلتنا الغراء « الدوحة » هى حقا ملتقى الابداع العربى والانسانى ، فهى تطالعنا كل شهر ، وبين طياتها كل ثمين ونافع ، وليكتمل العقد اقترح عليكم ان تخصصوا بابا ثابتا تعكسون من خلاله الموروثات والفنون الشعبية العربية . التى يزخر بها وطننا الكبير . وذلك حتى يتسنى لنا الاطلاع عليها والالمام بهذا الجانب الهام من ثقافتنا الأم .

● محمد انس عطية
ج . م . ع ـ الاسكندرية

اطلعت على العدد رقم ٤٨ من مجلتكم الموقرة . ولقد ادهشنى كل باب بها وان صح تعبيرى كل كلمة احتوتها المجلة حقا لقد كان للاسلوب الرائع التى صيغت به المادة العلمية الأثر البالغ فى اجتذاب القارىء .

ومما زاد دهشتى اكثر واكثر هو اختيار وانتقاء الموضوعات وحسن ترتيبها ، مما دفعنى الى قراءة المجلة اكثر من مرة ، حقا كنت اشعر فى كل مرة اقرؤها اننى فى نزهة او رحلة استكشافية ، فاستزيد منها خبرة على خبرة وعلما على علم فكانت مجلتكم تحفة علمية ثقافية سياسية اجتماعية ، ولا يسعنى هنا إلا ان اهنئكم بالنجاح كله .

● جمعة حميد الساعدى
العراق ـ محافظة ميسان

اقترح ان تفرد المجلة بابا خاصا يتحدث عن الصحافة العربية بكل قطر من اقطارنا العربية ، وخصوصا دول الخليج التى لابد من وان بها صحافة طموحة ، وبالاخص دولة قطر .

● عبد الونيس تايه قادرى
عنابة ـ الجمهورية الجزائرية

تعرفت على مجلة الدوحة منذ فترة قريبة ، واعجبتنى فيها موضوعات كثيرة وبخاصة ما يكتبه الدكتور الشوش عن احداث « الشهر الذى مضى » وما يكتبه رءوف توفيق عن السينما الصهيونية ، وما يكتبه نبيل خالد الاغا من استطلاعات مصورة « وجه مدينة من فلسطين » وباب حياتنا المعاصرة باشراف الآنسة خديجة الصدر .

● عمر محمد الطاهر
الجماهيرية العربية الليبية
الكفرة ـ الجوف

من ارض ليبيا التى قال عنها الفيلسوف اليونانى ارسطو « من ليبيا ياتى الجديد » من ارض ليبيا العروبة والاسلام اتقدم لكم بجزيل الشكر على تلك الجهود الفكرية التى تقدمها مجلة الدوحة الى قرائها ولكنى اتاسف لعدم تقديمها اى موضوع عن الجماهيرية وادبائها وكتابها فهى ـ اى مجلة الدوحة ـ تقوم برحلات الى ربوع الوطن عدا الجماهيرية العربية الليبية فلم نقرا عنها فى مجلة الدوحة ، واملنا ان تكتب عن الجماهيرية التى تقوم فيها نهضة فكرية وعن تقاليد هذا الشعب العربى الذى حقق إنجازات فريدة .

● د. جمال محمد فرغلى
ش عمر بن عبد العزيز اسيوط

لقد اعجبنى كثيرا عددكم الاخير « يناير » بشعره قصيدة « السقوط من الذاكرة » و « فى الضباب » ، قصة الدكتور « حسين مؤنس » والقصيدة التونسية ، وكذلك باب الاسلاميات وحياتنا المعاصرة والفنون واللقاءات ، انها أبواب جميلة تجتمع كلها فى مجلة عظيمة لانجد مثلها فى العالم العربى .

اهدى اليكم تحياتى وكل سنة وانتم طيبون مع بدء العام الجديد وهو العام الخامس فى عمر مجلتكم العظيمة .

● طارق صادق على
ج . م . ع ـ الاسكندرية

لم اعتد الكتابة الى اى مجلة برغم قراءاتى المتعددة للكثير من المجلات العربية . ولكن رسالتى الى مجلة الدوحة لها أسباب وهى :

انها صورة مشرفة ونقطة مضيئة على طريق الصحافة العربية .

انها مجلة جامعة تحوى الكثير من المعلومات النافعة والمقالات الشائقة ـ والشائكة احيانا ـ فى جميع فروع العلم والمعرفة .

الاهتمام البالغ برسائل القراء وارائهم ونشرها وهو اتجاه حميد نعتز به كثيرا ..

د. يوسف القرضاوى

فى المعركة بين القديم والحديث

● القديم عندنا ليس كقديم غيرنا .. إنه يعنى خير قرون أمتنا وعصورها
● عندما كانت لغتنا العربية هى لغة العلم فى العالم كله

بدأت المعركة بين القديم والجديد منذ مطلع هذا القرن ، يشتعل أوارها حينا ويخبوا حينا، حتى يخيل لبعض الناظرين أنها انتهت لصالح أحد الطرفين ، والواقع أن الجمر يختفى تحت الرماد ، ينتظر من ينفخ فيه ليعيدها متأججة من جديد .

ولا تزال المعركة مستمرة تحت عناوين مختلفة ، مثل : الأصالة والمعاصرة أو الأصيل والدخيل ، أو الاتجاه الطبيعى ، والاتجاه الصناعى ، أو الاستغناء بالنفس والاستيراد من الغير ، أو المحافظة على التراث والتمرد عليه .. إلى غير ذلك من التعبيرات التى تختلف ألفاظها ، ومضمونها فى النهاية واحد .

والذى يبقى هذه المعركة حية دائما : أن القديم عندنا نحن المسلمين ليس كقديم غيرنا ، إنه يعنى خير قرون أمتنا وازهى عصورها : عصر النبوة الهادية وجبريل فيه رواح غداء ، بين السماء والارض ، بوحى الله وأياته ، وعصر الصحابة ، والتابعين لهم باحسان . والعصور الذهبية التى انطلقت فيها امتنا فى أفاق الأرض ، تعلى كلمة الله ، وتنشر دين الله ، ولغة القرآن ، وتخرج الناس من عبادة الخلق الى عبادة الخالق ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام .

العصور التى كان يهم رب المال فيها ان يجد فقيرا يقبل منه الزكاة ، والتى طلب فيها أحد الخلفاء من ملك الروم أن يطلق أسيراً مسلما بلغه انه أهانه قائلا : وإلا غزوتك بجنود أولها عندك وآخرها عندى !

العصور التى وقف فيها الخليفة يخاطب السحابة شاعراً بعزة الاسلام ، وكأنما يتحداها فى عليائها ، فيقول : أيتها السحابة ، شرقى أو غربى ، وأمطرى حيث شئت ، فسيأتينى خراجك !

العصور التى كانت فيها لغتنا العربية هى لغة العلم فى العالم كله ، وكانت كتب العلم المكتوبة بالعربية هى مراجع العلماء فى الشرق والغرب ، وكانت جامعاتنا الاسلامية قبلة الطلاب من انحاء الدنيا ، وكانت أسماء علمائنا أشهر الأسماء فى هذه المعمورة .

فمن يرفض القديم عندنا فمعناه : انه يرفض هذا التراث الهائل :يرفض القرآن العظيم ، يرفض السنة المطهرة ، يرفض السيرة العطرة ، يرفض السوابق الجليلة فى الفهم والسلوك لخير أمة اخرجت للناس ، للجيل المثالى الذى رباه النبى صلى الله عليه وسلم فى حضانته ، ومن تتلمذ على أيدى هذا الجيل ومن تبعهم باحسان ، يرفض التفوق فى العلم ، والاحسان فى العمل ، والاجتهاد فى التشريع ، والابداع فى الحضارة .

المنطق السليم

صحيح أن بعض الناس يتعبدون للقديم أو للتراث كله ، يريدون أن يرجعوا إليه بخيره وشره ويأخذوه بعجره وبجره ، وجده وهزله ، وصوابه وخطئه ، معتقدين أن القديم دائما خير من الجديد ، وأن الامس خير من اليوم ، واليوم أفضل من الغد ، مرددين قول القائل : ما ترك الأول للآخر شيئا ، وليس فى الامكان أبدع مما كان .

والمعرى حينما قال فى (لاميته) بيته المشهور :

وإنى وان كنت الاخير زمانة
لآت بما لم تستطعه الاوائل !

كان يحاول ان ينفى وهما شائعا ، بل اعتقادا راسخا بأن الأواخر لا يمكنهم أن يفوقوا الأوائل ، وأن الجديد عالة على القديم ، بل كلامه يدل على انه نفسه يؤمن بأن هذا هو الاصل والقاعدة ، وإن جاء هو شاذا عن القواعد ، خارقا للعوائد .

وخطأ هؤلاء لا يقل عن خطأ من اعلنوا كفرهم بكل قديم ، وإيمانهم بكل جديد ، معتقدين أن اليوم خير من الامس ، وأن الغد سيكون خيراً من اليوم ، وأن التطور دائما الى أفضل ، وبه تنتقل الحياة من سيىء إلى حسن ، ومن حسن إلى أحسن .

وكلا الفريقين على ضلال مبين ، فالواجب أن نميز فى التراث بين ما هو إلهى وما هو بشرى . فما كان إلهيا فلا خيار لنا فى قبوله بحكم الايمان ، ومقتضى الاسلام (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله امرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)

وما كان بشريا فيجب التمييز بين ماله صفة العموم والخلود مما أجمعت عليه الأمة ، فيؤخذ به ، وماله صفة المحلية فى المكان والتأقيت فى الزمان ، مما تعددت فيه وجهات النظر ، واختلف فيه أهل الاجتهاد ، فيعطى حكمه .

وبهذا تعلم أن اعتبار التراث كله اجتهاداً بشريا ، أبدعته عبقرية المسلمين ، فكرة غير صحيحة ، واعتباره كله شيئا مقدسا معصوما ، فكرة كذلك غير مقبولة .

وكذلك اعتبار الجديد كله من صنع الملائكة ، أو من وحى الشياطين ، أمر لا يقره عقل ، ولا يقبله الدين .

إن المنطق السليم ما اتخذه اخواننا فى ندوة العلماء بالهند ، من شعار تمثله هذه الجملة الموجزة : الجمع بين القديم النافع والجديد الصالح ، وبين العلم الواسع والايمان الراسخ

أعداء الماضى

وعلى الذين يدعون الى الاسلام أن يعرفوا زمانهم ، كما يعرفون دينهم ، وأن

الجمع بين القديم النافع والجديد الصالح
وبين العلم الواسع والإيمان الراسخ

احمد شوقى

محمد اقبال

كمال أتاتورك

مصطفى الرافعى

يصلوا بين الماضى والحاضر ، ويلائموا بين الواجب والواقع ، وأن ينظروا إلى الاسلام وشريعته بعين ، والى العصر ومشكلاته بالعين الاخرى . وبذلك يتصلون بالماضى ولا ينفصلون عن الحاضر ، وينتفعون بالجديد ، ولا يهملون القديم . ومن الحكم المأثورة : رحم الله امرءا عرف زمانه واستقامت طريقته !

وهذا الموقف يوجب على امتنا أن تقف من الحضارة الغربية موقف المنتخب المتخير ، فتأخذ ما يلائمها ، وتدع ما لا يلائمها ، مفرقة بين الجوانب المادية ـ التجريبية والتكنولوجية والتنظيمية ـ التى لا دين لها ولا جنسية ، فهى عالمية بطبيعتها ، تقتبسها كل الامم بعضها من بعض ، بغض النظر عن اختلافها العقائدى والايدولوجى ـ وبين الجوانب الادبية التى بها تتميز كل أمة عن سواها ، وتتجسد فيها مشخصاتها المعنوية من العقائد والشعائر والقيم والتشريع . فهى فى هذه ملزمة بما الزمها الله به وسنة نبيه وإذا فرطت الأمة فى هذه الناحية ومشت وراء غيرها تقلدهم وتتبع سننهم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، فقد انسلخت من شخصيتها ، وخسرت نفسها ودينها ، واصبحت ذنبا لغيرها .

والى جوار هذا نرى أن التاريخ الحافل ، والواقع الماثل ، يحتمان على امتنا أن تحافظ على اصالتها ، ولا تذوب فى غيرها ، فهى لم تحقق مجدا ، ولم تصنع نصرا فى التاريخ إلا حين تمسكت بدينها وشريعة ربها وفى عصرنا جربت الاستيراد من اليمين واليسار ، والتقليد للغرب والشرق ، فلم تجن إلا الهزائم والنكسات .

والعجب أن اناسا من جلدتنا لايزالون يقولون : كيف تعودون بنا أربعة عشر قرنا إلى الوراء ؟ وكيف تريدون منا أن نتأخر

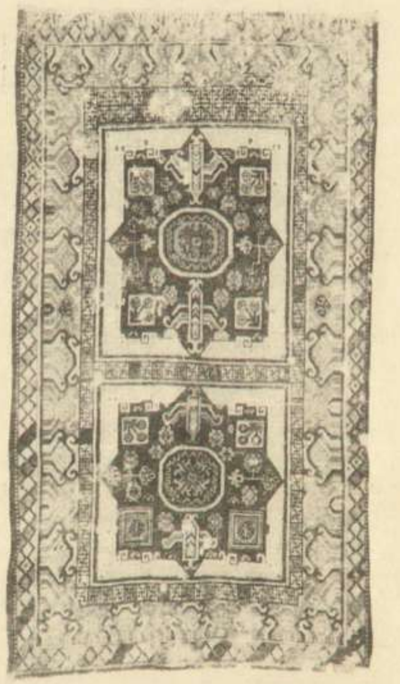

والعالم يتقدم ؟

ان الانسان الراقى هو الذى يتطلع الى الامام ، ولا ينظر الى الوراء .

إن اعيننا قد ركبت فى وجوهنا ، ولم توضع فى اقفيتنا ، لنكشف ما امامنا ، فننطلق بسرعة ونتقدم بقوة ، ولا نظل مشدودين إلى ما خلفنا !

هكذا يفكرون ويقولون ...

ونسى هؤلاء أن الذى وضع عيوننا فى وجوهنا لننظر الى الأمام ، قد جعل فى اعناقنا مرونة نقدر بها على الالتفات إلى الخلف ، لنعرف ماذا وراءنا ، ومن يتعقبنا ، إن السيارة التى تنطلق بسرعة الى الامام ، لا تستغنى عن مراة تعكس لسائقها ما يجرى وراءه ، حتى يأخذ حذره ، ويملك امره

على أن من قصور عين البصر انها لا تستطيع أن تنظر إلا إلى جهة واحدة هى جهةالامام وفى لحظة واحدة هى اللحظة الحاضرة ، وهذا عيب النظر الحسى دائما . اما عين البصيرة ، فانها قادرة أن تستوعب النظر إلى الجهات الاربع كلها : يمنه ويسره واماما وخلفا ، والالتفات الى الزمن كله ، لتعتبر بأمسه ، وتنتفع بيومه ، وتستشف غده .

إن اعداء الماضى ، وخصوم التراث ، والمعارضين لكل قديم ، لا حجة لهم ، وليس لهم منطق يقوم على رجلين . إنهم يدعون (العقلانية) و (الموضوعية) ولكنهم يخلعونها عند الحوار والحجاج فى هذا الموضوع . فلندع الصراخ والهدير ، ولنناقش القضية فى ضوء الفكر والمنطق ، وهنا نقول لهم بكل هدوء واتزان :

غلاة التجديد

إن الرجوع أربعة عشر قرنا إلى الوراء للاهتداء بوحى الله الكريم ، والتتلمذ على رسوله العظيم ، والسير على سنة خلفائه الراشدين المهديين هو فى الحقيقة تقدم إنسانى رائع ، تقدم فى الافكار والمشاعر والأخلاق والتقاليد ، تقدم تحلم به الانسانية الراشدة ، وإن لم يتح لها اليوم فرصة تحقيقه والوصول إليه . وأن من الحمق الذى لا يليق بالانسان العاقل : أن يرفض الشىء ، لا لعيب إلا أنه قديم ، وأن يرحب بشىء ، لمزية ، إلا أنه جديد .

ولقد عرفنا ، وعرف الناس قبلنا ـ بالمنطق والتجربة ـ انه ليس كل قديم سيئا ولا كل جديد حسنا . فكم من قديم فيه أكبر المنافع ، وكم من جديد يحمل أكبر المضار . وهل عاب الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار انها قديمة ، وان عمرها يقدر بالملايين أو البلايين من السنين ؟ !

على أن القدم والجدة أمران نسبيان ،

إن أعداء الماضي وخصوم التراث والمعارضين لكل قديم .. لا حجة لهم ولا منطق

قرب جديد عند قوم ، يعد قديما عند آخرين ، وكم من شيء يعده الناس فى عصر ما جديدا كل الجدة ، فاذا تعمقوا فى الدراسة وجدوه أمرا قديما عتيقا ، عرفته الامم البدائية منذ أقدم العصور ، كالاباحية التى يحسبها بعض الناس من ثمرات هذا العصر ، عصر الحرية والنور ـ كما يزعمون ، وهى لا تزال من سمات القبائل البدائية ، والشعوب الهمجية الى اليوم .

هذا إلى ان الجديد لا يبقى ابدا جديدا ، والقديم لم يكن من قبل قديما ؛ فقديم اليوم كان حديث الامس ، وجديد اليوم سيصبح قديما غدا ، فاذا كان القدم يسلب الاشياء الحسنة حسنها ، وكانت الجدة هى وحدها مصدر الحسن والنفع والخير ، فمعنى ذلك اننا عدنا (سوفسطائيين) نرى ان الاشياء ليس لها حقائق ثابته ، وان القيم ليس لها ثبات ولا خلود ، ومعنى ذلك : أن مرور الزمن وحده هو الحكم على الاشياء ، فهو الذى يجعل الحق باطلا ، والمعروف منكرا !

لهذا وقف أولو الألباب فى العالم الاسلامى كله ضد الغلاة من دعاة التجديد ـ الثائرين على كل قديم ، المنسلخين من كل تراث ـ موقف المنكر الناقد ، والساخط المعارض ، وسخر منهم اديب العربية والاسلام مصطفى صادق الرافعى بأنهم يريدون أن يجددوا الدين واللغة والشمس والقمر !!

وقال أمير الشعراء شوقى فى قصيدته عن الأزهر :

لاتحذ حذو عصابة مفتونة
يجدون كل قديم أمر منكرا
ولو استطاعوا فى المجامع أنكروا
من مات من آبائهم أو عمرا !
من كل ساع فى القديم وهدمه
وإذا تقدم للبناية قصرا !

وسخر (إقبال) من دعوة (كمال أتاتورك) للتجديد ورماه بالانصياع والتقليد للغرب ، واعتبره محروما من كل أصالة وإبداع ، فقال :

(ان ـ كمال ـ تغنى بالتجديد فى تركيا ، ودعا الى محو كل أثر قديم ، وتراث قديم ، ولكنه جهل أن الكعبة لا تجدد ، ولا تعود الى الحياة والنشاط إذا جلبت لها من اوربا أصنام جديدة !! إن زعيم تركيا لا يملك اليوم أغنية جديدة ، إنما هى كلها اغانى مرددة معادة ، تتغنى بها اوربا من زمان ! إن الجديد عنده هو القديم الأوربى الذى أكل الدهر عليه وشرب ! ليس فى صدره نفس جديد ، وليس فى نفسه عالم حديث ، فاضطر إلى أن يتجاوب مع العالم الأوربى المعاصر ، إنه لم يستطع أن يقاوم وهج العالم الحديث ، فذاب مثل الشمعة وفقد شخصيته) .

ماضيهم وماضينا

إن (التقدميين) قوم يزعمون انهم ينظرون ابدا الى الامام ، ولا ينظرون ساعة الى الوراء ، ينظرون الى المستقبل ، ولا ينظرون الى الماضى ، كأن النظر الى الوراء سيئة يبرأ منها ! .. وما الماضى ؟ انه كان بالامس حاضرا حيا ماثلا ، وكان من قبل أمس مستقبلا مرجوا ، وغدا مرتقبا .

إن الله الذى خلق الانسان ومنحه خيالا يحلق به فى استشفاف غده ، جعل له ذاكرة يستوعب فيها أمسه ، فلماذا نطلب من الانسان أن يتطلع الى غده فقط ، وننكر عليه ان يتصل بأمسه ؟ لماذا نريد من المجتمع ان يفقد ذاكرته ، مع اننا نعد الفرد المصاب بفقد الذاكرة مريضا مبتلى محتاجا إلى علاج ؟!

لماذا نريد من الإنسان أن ينسلخ من ماضيه وتراثه حين يحدد منهج حياته؟

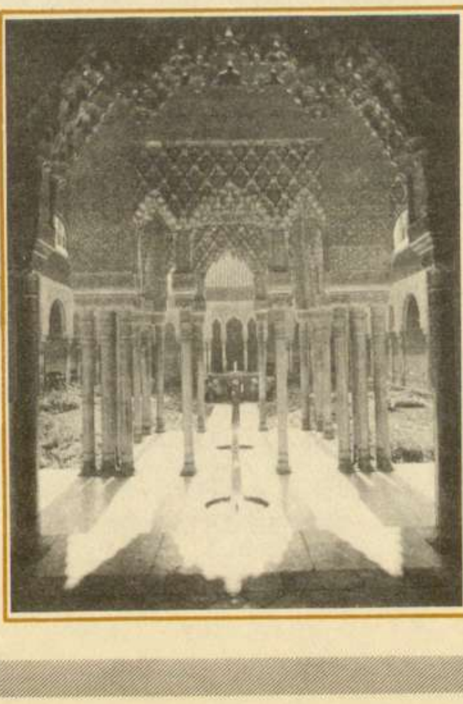

ان الانسان يولد وهو يحمل فى دمه خصائص اسرته وفصيلته ، فضلا عن خصائص نوعه ـ بحكم قوانين الوراثة ـ ومعنى هذا أنه منذ يولد يحمل فى إهابه شيئا غير قليل من الماضى (فطرة الله التى فطر الناس عليها) ولولا هذا الماضى لكان مادة غفلا لا ترتقى الى مستوى الكائن الحى .

فلماذا نريد من الانسان أن ينسلخ من ماضيه وتراثه ، إذا أراد أن يرسم لنفسه حدود سلوكه ، ويحدد منهج حياته ؟

والواقع أن الذين يعادوا الدين والتراث من ابناء قومنا ، لا يفعلون ذلك نتيجة تفكير حر ، أو دراسة موضوعية ، انهم يقفون هذا الموقف مقلدين تابعين ، متقمصين شخصية الانسان الاوربى وموقفه من دينه وتراثه .

ولكن الغربيون معزورون حين ينكرون ماضيهم ، ويشنون الغارة على قديمهم ، وينفرون من كل دعوة تتضمن الرجعة إليه . ذلك لأن الماضى الذى سبق حاضرهم وتقدم نهضتهم ماض عفن خرب ، ليس فيه إلا المناوأة للعلم ، والحجر على الفكر ، وتحريق العلماء والمفكرين ، ليس فيه عدالة ولا تكافل ، ليس فيه للانسان حقوق ترعى ، ولا أخوة يعترف بها ، وليس فيه إلا طبقية صارخة ، وارستقراطية مستكبرة واقطاع متسلط وحكم ظالم وكهنوت يبارك كل هذا الظلم والظلام ، وتؤيده باسم الدين ، باسم الله والمسيح .

فمن دعا الى تحكيم الدين عندهم فى شئون الحياة ، فمعناه أنه يعود بالناس الى لوراء ، الى الجهل ، الى التخلف ، الى التعصب المغلق ، الى التقليد الاعمى ، الى الاقطاع ، الى الطبقية ، الى حكم الفرد المطلق ، الى تسليم الزمام لرجال الكهنوت

اما نحن فالأمر عكس ذلك تماما ، إن ديننا غير دينهم ، ومجتمعنا غير مجتمعهم ،

وماضينا غير ماضيهم (ولا تزر وازرة وزر أخرى) .

مؤرخو الحضاره يعترفون

وينقل المرحوم الاستاذ محمد فريد وجدى عن الاستاذ (درابير) الاستاذ بجامعة (نيويورك) من كتاب (النزاع بين العلم والدين) هذه الفقرات الناصعة عن ماضى المسلمين وماضى أوربا ، فيقول .

(ولو اردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى ، لخرجنا عن حدود هذا الكتاب فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا . واوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم ، والفلكيون من العرب قد اهتموا ايضا بتحسين آلات الارصاد وتهذيبها وبحساب الازمنة بالساعات المختلفة الاشكال ، والساعات المائية . والسطوح المدرجة الشمسية . وهم أول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض . اما فى العلوم التجريبية فقد اكتشفوا الكيمياء ، وبعضا من محاللاتها الشهيرة (بحمض الكبريتيك) و (حمض النتريك) و (الكحول) وقد استخدم العرب علم الكيمياء فى الطب لانهم أول من نشر علم تحضير العلاجات ، و (الاقرباذينات) واستخراج الجواهر المعدنية . اما فى علم (الميكانيكا) فانهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الاجسام ، وكانوا عارفين كل المعرفة بعلم الحركة ، اما فى (الايدروستاتيك) فانهم أول من عمل الجداول المبينة لضروب الأوزان النوعية ، وكتبوا أبحاثا فى الاجسام السابحة ، والغائصة تحت الماء ، أما فى نظريات (الضوء والابصار) فقد غيروا الرأى اليونانى الذى مقتضاه ان الابصار يحصل بوصول شعاع من البصر الى الجسم المرئى ، وقالوا بعكس ذلك أى أن الابصار يحصل بوصول شعاع من المرئى الى العين .

وكانوا يعرفون نظريات انعكاس الاشعة وانكسارها ، وقد اكتشف الحسن بن الهيثم الشكل المنحنى الذى يأخذه الشعاع فى سيره فى الجو ، واثبت بذلك اننا نرى القمر والشمس قبل أن يظهرا حقيقة فى الافق ، وكذلك نراهما فى الغروب بعد أن يغيبا بقليل ، إن نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا فى التقدم الباهر الذى نالته الصنائع فى عصرهم ، فقد استفادت منها فنون الزراعة فى أساليب الرى والتسميد ، وتربية الحيوانات ، وسن النظامات الزراعية الحكيمة ، وإدخال زراعة الارز والسكر والبن وقد انتشرت المعامل والصنائع لكل نوع من انواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن ، وكانوا ينيبون المعادن ، ويجرون فى عملها على ماحسنوه وهذبوه من صنعها وسبكها ، واننا لندهش حين نرى فى مؤلفاتهم من الاراء العلمية ماكنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر ، من ذلك أن مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذى يعتبر مذهبا حديثا كان يدرس فى مدارسهم ، وقد كانوا ذهبوا منه الى مدى ابعد مما وصلنا اليه ، وذلك بتطبيقه على الجمادات والمعادن ايضا) .

ثم قال: ان اوربا فى ذلك العهد كانت غاصة بالغابات الكثيفة من اهمال الناس للزراعة ، وكانت المستنقعات قد كثرت حوالى المدائن ، فكانت تنتشر منها روائح قتالة اجتاحت الناس واكلتهم ، ولا مغيث لهم ، وكانت البيوت فى (باريز) و (لندن) تبنى من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب ، ولم يكن فيها نوافذ ولا أرضيات خشبية ، أما الابسطة فكانت مجهولة لديهم ، وكان يقوم مقامها القش ينشرونه على الارض نشرا ولم يكونوا يعرفون المداخن فكان الدخان يطوف البيت ثم يتسرب من ثقب صنعوه له فى السقف ، فكان الناس فى هذه البيوت معرضين لكل أنواع الاصابات الخطيرة .. وكان الناس لا يعرفون معنى النظافة فيلقون بأحشاء الحيوانات واقذار المطابخ أمام بيوتهم اكواما اكواما ، تتصاعد منها روائح قاتلة ، ولا رقيب ولا حسيب .. وكانت الاسرة الواحدة تنام فى حجرة واحدة من رجال ونساء وأطفال ، وكثيرا ما كانوا يوون معهم الحيوانات المنزلية ، وكان السرير عندهم عبارة عن كيس من القش فوقه كيس من الصوف كمخدة ، وكانت النظافة معدومة لديهم لا يعرفون لها رسما ، وكان الغنى منهم لا يأكل اللحم إلا كل اسبوع مرة ، ولم يكن للشوارع مجار ولا بلاط ولا مصابيح . (هذه الجهالة كان من اثرها على اوربا أن عمتها الخرافات والاوهام ، فانحصر التداوى فى زيارة الاماكن المقدسة ، ومات الطب ، واحييت احابيل الدجالين ، وقد كانوا اذا دهم البلاد وباء فزع رجال الدين الى الصلاة ، ولم يلتفتوا لأمر النظافة فكانت تفتك بهم الاوبئة فتكا ذريعا ، حتى أنها زارت اوربا عدة مرات ، فاجتاحت الملايين من أهلها فى أيام معدودة وقد كان الموت فى اوربا فى هذه العصور بنسبة واحد الى ثلاثة وعشرين ، فصار اليوم الواحد الى اربعين — ثم قال .. لم تكن اوربا العصرية باعلى ذوقا ولا أرقى مدنية ولا ألطف رونقا من عواصم الاندلس على عهد العرب .) .

رسالتنا فى التغيير

هذا هو ماضي الغربيين ، وهو لا شك ماض مظلم ، كما انه ماض اقترن بالكنيسة الغربية وارتبط برجال الدين هناك ، فاذا قام من يدعو إلى سيادة الدين على الحياة هناك فمعناه : سيطرة الكنيسة ، سيطرة الاقطاع والطبقية سيطرة التعصب والهمجية ومن حق كل محب للحرية ، وللعلم ، وللتسامح ، وللعدل وللمساواة أن يثور فى وجه هذه الدعوة الرجعية . فكيف يقاس ماضينا بماضيهم ؟ وأين الثريا ؟ وأين الثرى ؟ .

بيد أن الذى نؤكده ونلح عليه ، ولا نمل من تكراره ، اننا لا نريد أبدا الوقوف عند الماضى نتغنى بمآثره ، ونباهى بأمجاده ، ونقول فى انتفاش وانتفاخ : كنا وكان آباؤنا وأجدادنا ! فما يغنى مجد الآباء إذا ضيعه الابناء ؟ وماذا يغنى عن العظام النخرة أن نقول : كنت فيما مضى جسدا نابضا بالحياة .

إن التغيير المنشود أن نضيف الى القديم جديدا ، يعتز به من بعدنا ، كما اعتززنا نحن بمن قبلنا ، ونعطى البشرية كما أخذنا منها وبذلك نعرف دورنا ، ونؤدى رسالتنا .

إنا وإن كرمت اوائلنا
لسنا على الآباء نتكل
نبنى كما كانت اوائلنا
تبنى ، ونفعل مثلما فعلوا .

د . يوسف القرضاوى

علـــى ســـيّار

نقطة حوار

إنها ليست كارثة واحدة...!

مع نهاية الحرب العالمية الأولى ترددت لأول مرة أصداء كلمات جديدة في الوطن العربي لم تكن مألوفة من قبل .. كلمات مثل الصحوة والبعث واليقظة ... وانتشر في المدارس ما يعرف بالاناشيد الحماسية التي كان ينشدها الطلاب قبل دخولهم الى الصفوف ، وعمت الوطن العربي ، الذي كان ساعتها يعيش حالة شبيهة بحالة فقدان الذات ، رجفة سياسية اتسمت في بعض جوانبها بالبطولة والشجاعة اعادت للأذهان من جديد صور البطولات الخارقة التي كان العربي يخط سطورها على امتداد التاريخ ... وسمعنا وشاهدنا عشرات القصص البطولية التي كانت أحداثها تجري في طرابلس وبيروت ودمشق والقاهرة وبغداد ... وعاش المواطن العربي يسمع كل يوم حكاية بطل ... بعضهم كان يلقى بهم من الطائرات المحلقة في السماء والبعض كان يعلق على المشانق وكثيرون كانوا يطاردون من بلد الى بلد بل من قرية الى قرية ... ومع ذلك كانت الصحوة العربية التي فجرت كل هذه المشاعر الوطنية ماضية في زحفها تهيء العقول والنفوس لتغيير ... لم يحدث بعد .. !

وكان مقدراً للامة العربية، التي رفعت لأول مرة شعار الوحدة في ذلك الوقت ، أن تمضي في الطريق الذي شقه الشهداء بدمائهم وكان ان تحركت عناصر الثورة في كل بقعة

قاسم أمين

عبد الله النديم

على الأرض العربية تلتقي وتناقش وتقدر ، وتقوم باصدار الصحف والمنشورات خارج أوطانها . وخرج في الأمة خطيب كعبد الله النديم في مصر الذي كان يظهر كل يوم في مكان ليشعل فتيل الثورة ثم ليختفي بعد ذلك ... ثم ليظهر من جديد ... وكانت كل هذه الارهاصات تنبيء عن ان التاريخ قد بدأ يتحرك في منطقة ألفت الركود والاستكانة قروناً طويلة لدرجة كاد فيها الناس ينسون حتى تاريخهم ... بل واخذوا يولون وجوههم صوب الغرب حيث الآلة بدأت تغزو الحياة هناك وحيث الأمم تجاوزت (فترة) القلق والتململ واخذت ترسم لنفسها مساراً جديداً هو مزيج من العلم والمنطق واعطاء المحسوسات والموروثات احجامها الحقيقية دون تهويل أو تزويق .

ومررنا بعد ذلك بفترة من التأمل كان مفكرونا يتعاملون فيها مع القضايا بذهنية جديدة بعيدة عن التشنجات والانفعالات كانت تتسم في معظم ملامحها بمحاولة البحث عن موقع تقف عليه الأمة ... وخرج في الأمة رجل كقاسم أمين كان يتصور أن سبب تخلفنا هو المرأة فراح يدعو إلى خروجها من تحت العباءة لتشارك في البناء ... وخرجت المرأة من تحت العباءة ولكن التخلف ظل مكانه لا يريم ... !

ثم جاء آخرون تصوروا أن السبب في تخلفنا يكمن في الذهنية التي تحكم شعوبنا وكان ان رفعوا شعار الديمقراطية ... ولاقت الدعوة ترحيباً واسعاً لا مثيل له ... وارتفعت اعلام الديمقراطية في أكثر من بلد عربي ... ولكن هذه الاعلام سرعان ما انتكست لأنها كانت عملية شبيهة بعملية العربة والحصان ... من يجب أن يكون قبل الآخر ... الديمقراطية أم الوعي ... وفي محاولة البحث الجاد عن الذات ارتفعت رايات كثيرة مختلفة الألوان وترددت أصداء شعارات كثيرة .. وتعرض الوطن العربي كله لهزات سياسية وانفجارات اجتماعية مهدت الطريق لنشوء تيار جديد يدعو الى الوقوف والتأني ومراجعة النفس ... ولكن هذا التيار ضاع مع زحمة الاحداث المتلاحقة التي تعرضت لها المنطقة منذ خرج قرار التقسيم عام ١٩٤٧ الى الوجود حيث اعقبه انفجار القضية الفلسطينية عام ١٩٤٨ بالشكل الذي نعرفه والذي وضع الوطن العربي منذ ذلك الوقت على فوهة البركان المتفجر الذي هدد ـ ومازال ـ أمن العالم وسلامه اكثر من مرة ...

وفي زخم الاحداث المتلاحقة ... وبحثاً عن متكأ نريح عليه رؤوسنا بعد عناء الرحلة المضنية التي تقطعت فيه ارجلنا ذهبنا الى الشرق وارتمينا في احضانه ... ولم نكن ندري انه استقبلنا هناك كما يستقبل عابر الصحراء ثمرة ناضجة تسقط

عليه من اعالى الشجرة ... ومع الشرق كانت رحلة الألم تتضاعف . ففى سوق السياسة الدولية تموت العواطف وتتحول كل الموروثات الانسانية الى شىء شبيه بالاساطير والخرافات... وكان ان عدنا مرة اخرى الى الغرب فى محاولة ثانية للبحث عن متكا نريح عليه الرؤوس المتعبة ولكن الأمر لم يكن بالسهولة التى تصورناها ... فقد كان الغرب الوالغ فى كرامات الامم والهادر ذاته فى سوق النخاسة الاسرائيلية والذى تعرض طوال حقبة طويلة من السنين لعملية غسيل ضاغطة قولبت مفاهيمه ورؤيته ليس بالنسبة لقضية فلسطين وحدها ، ولكن بالنسبة للعرب بصورة عامة .. هذا الغرب لم يكن هو الاخر ليفهم او يتفهم قضايانا من جهة نظر اخرى غير تلك التى تربى عليها ورآها صوراً سينمائية موجهة على الشاشة او حروفاً مكتوبة فى الصحف او نجمة سداسية معلقة على الصدور والنحور ... !

وكان ان رحنا نفتش من جديد عن ذواتنا ... ولكن بعد ان اغرقتنا ماساتنا فى بحر من المفاهيم المتناقضة حيث راح البعض منا يستفز فى داخله نوازع الدين المكبوته لتتحول — فى زخم الماساة — الى هجرة داخل اقبية التاريخ موسومة بالطيش والتطرف وفقدان الاحساس بان لكل عصر سلاحاً يحارب به ...

بينما راح بعضنا الاخر يفتش وسط ركام الفكر الماركسى عن منفذ للنور يضىء له ولو بعض جوانب الطريق المظلمة المعتمة ... ولكن الفكر الماركسى كان هو الاخر يعيش ماساته فقد كان فكراً مهووساً بحب الطبقة الواحدة وهو هوس تنتفى معه حرية المعتقدات الاخرى حيث ارتضى لنفسه ان يقف على طرفى نقيض مع الاديان السماوية التى رفضت ان تتعايش معه او لن تدير حواراً مع مبشريه ... !

والتفت بعضنا الآخر الى التراث والى التاريخ يستنجد به ولكن ذلك لم يجد شيئاً فقد كان ما بيننا وبين الاثنين برزخاً من الجفاء ليس من السهل تجاوزه ... !

وفى جو محموم كهذا ، موسوم بالضياع والبلبلة وتداخل الالوان ، كان لا بد ان تحدث الكارثة ... وهى ليست كارثة واحدة ولكنها سلسلة من الكوارث ... كل كارثة تجر وراءها كارثة اخرى ... وعلى مدى سنوات سيكون مسلسل الكوارث قد بلغ الحلقوم ... !

وحين يبلغ المدى ذلك فلربما تنتفض فى شراييننا حلاوة الروح ... وعندها قد تحدث المعجزة ... معجزة اكتشاف الذات ... !

علي سيار

د. حسن كامل

مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها

في القانون الدولي العام الوضعي

- مازالت هناك شعوب تشعر بالغبن .. لأن مصائرها ليست بأيديها
- القضية الفلسطينية مثال صارخ لانتهاك حق تقرير المصير
- النظام الاستعماري يتجه لنهايته بعد أن فرض نيره على ثلث الكرة الأرضية
- كيف تبدل حال الشعوب بعد نصف قرن من الحرب العالمية الأولى ؟

مبدا حق الشعوب فى تقرير مصيرها من المفاهيم الاساسية التى تبلورت فى ميدان العلاقات الدولية ، منذ الحرب العالمية الأولى . وقد نتج عن استناد الشعوب المستعمرة على هذا المبدا فى المطالبة باستقلالها ، ان انحسر ظل الاستعمار عن معظم البلاد الخاضعة للحكم الأجنبى . بيد ان الاهتمام بمبدا تقرير المصير اليوم ، لم يقل عما كان عليه منذ عشرين او ثلاثين عاما. ذلك ان المجتمع الدولى فى محاولته اقامة نظام عادل يضمن الأمن والاستقرار لكل اعضائه ، يدرك ان شعوبا ليست قليلة ، ما تزال تحس بالغبن بان مصائرها ليست بايديها . ومن ابرز الأمثلة على ذلك ، قضية الشعب الفلسطينى التى تشغل بال كل عربى .

والبحث القيم الذى نقدمه فيما يلى عن مبدا حق الشعوب فى تقرير مصيرها هو تلخيص لرسالة قدمها سعادة الدكتور حسن كامل إلى جامعة باريس عام ١٩٦٠ ، ونال بها درجة الدكتوراه فى « علم السياسة » .

والدكتور حسن كامل من الدبلوماسيين المرموقين فى العالم العربى ، فقد عمل زمنا طويلا فى السلك الدبلوماسى المصرى وبلغ فيه اعلى مراتبه وهى درجة سفير ، وتقلد عدداً من المناصب الرفيعة فى مصر وقطر ، وهو الآن مستشار سمو امير دولة قطر . وقد نال سعادته من جامعة القاهرة ، دبلوم الدراسات العليا فى القانون العام ، ودبلوم الدراسات العليا فى القانون الخاص ، كما حصل على دكتوراه الدولة فى القانون ودبلوم الدراسات العليا فى « علم السياسة » من كلية الحقوق بجامعة باريس . ويعد بحثه الذى نال به درجة الدكتوراه فى « علم السياسة » أول بحث من نوعه ، فلم يكن احد قبله قد درس فى بحث اكاديمى علمى موضوع حق الشعوب فى تقرير مصيرها . ومع أن عشرين عاماً قد انصرفت منذ كتابة هذا البحث ، فان الافكار التى تضمنها ما تزال تنطبق على عالم اليوم .

مبدا « حق الشعوب فى تقرير مصيرها » هو موضوع الساعة الدولى . والاجماع منعقد على ان هذا المبدا باعتباره مبدا سياسيا من انجع الوسائل الكفيلة بتحقيق ما يصبو إليه العالم من امن وسلام ، وبلوغ ماترجوه الانسانية من شمس حياة افضل قوامها الرغبة المخلصة فى التعاون المشترك فى سبيل الخير العام .

وليس ثمة اصطلاح اكثر ذيوعا فى اللغة السياسية فى ايامنا هذه من « حق الشعوب فى تقرير مصيرها » . ويبدو هذا طبيعيا اذا ذكرنا انه عندما اندلع لهيب الحرب العالمية الاولى كان النفوذ الأوربى مسيطرا على الجزء الاكبر من القارة الآسيوية وعلى القارة الأفريقية كلها تقريبا على انه لم يكد ينقضى على ذلك اقل من نصف قرن حتى تبدل الحال غير الحال . اذ استقلت اسيا التى يبلغ عدد سكانها مليار ونصف مليار نسمة اى ثلاثة اخماس عدد سكان المعمورة. كما استقلت اكثرية بلاد افريقيا ، بينما تتقدم الاقلية القليلة التى لم تفز باستقلالها بعد بخطى حثيثة نحو حريتها واستقلالها وبذا يكون نظام الاستعمار ، الذى فرض نيره على ثلث الكرة الارضية اكثر من قرن ، قد اخذ يتجه نحو خاتمة عهده النهائية .

ويقرر الباحثون ان اندفاع شعوب قارتى آسيا وافريقيا نحو الحرية والمساواة هو اعظم الظواهر السياسية الاجتماعية فى عصرنا الحالى ، بل ان هذا الاندفاع هو الظاهرة الكبرى التى تضفى على القرن العشرين طابعه الخاص .

وليس من شك ان نتائج الحربين العالمتين الحقت بمكانة الدول الاوربية وباقتصادياتها جرحا عميقا كان له اثره الكبير فى المعاونة على انطلاق مبدا حق الشعوب فى تقرير مصيرها ودعمه وتعميقه . على ان كل هذه التطورات – رغم خطرها وجسامتها – لم تغير من طابع ذلك المبدا الذى ظل مبدا سياسيا حتى تمخضت الحرب العالمية الثانية عن ميثاق الامم المتحدة الذى سجله باجلى لفظ كاساس لاحد اهدافه الاصلية وهو انماء العلاقات الودية والسلمية بين الامم . ثم جاءت الجمعية العامة للامم المتحدة فقررت ، فى الخامس من فبراير ١٩٥٢ ، ان تفرد مادة من مواد الميثاقين الدوليين لحقوق الانسان المزمع إصدارها للنص على ان لكل الشعوب ولكل الامم حق تقرير مصيرها ، الامر الذى تحقق فعلا بتصدير كل من مشروعى الميثاقين بمادة اولى تنص على ان : « لجميع الشعوب ولجميع الامم الحق فى تقرير مصيرها ، اى الحق فى ان تحدد بحرية نظامها السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، والثقافى » وعقبت الجمعية العامة على ذلك القرار بسلسلة قرارات اخرى اكدت بها ان حق الشعوب فى تقرير مصيرها حق اساسى من حقوق الانسان ينبغى احترامه دوليا . وبين اهم هذه القرارات قرار

الجمعية الصادر فى ١١ من ديسمبر ١٩٥٧ ، ذلك القرار الذى وافق عليه الاعضاء بما يشبه الاجماع ، ونص فيه على ان اغفال حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، اذ يدك اساس العلاقات الودية بين الامم ، يناقض مبادىء واهداف الامم المتحدة ، وان الصالح الدولى يقضى بان تحترمه الدول الاعضاء احتراما حقيقيا وفقا لتلك المبادىء والاهداف .

ولما كان لممارسة حق الشعوب فى تقرير مصيرها آثار وانعكاسات دولية واسعة النطاق وذات خطر كبير لذلك عنيت الجمعية العامة للامم المتحدة بتنظيم مزاولة ذلك الحق وتحديد وسائل وضعه موضع التنفيذ من ناحية وضمان تطبيقه واحترامه من ناحية أخرى .

وعلى اثر كل هذه التطورات الجديدة بدا لى من الاهمية بمكان كبير دراسة ما اذا كان مبدا حق الشعوب فى تقرير مصيرها قد ظل كما كان مبدا سياسيا ام انه اندمج فى النظام القانونى الدولى فاصبح قاعدة من قواعد القانون الدولى العام الوضعى واكتسب القوة الملزمة التى تتمتع بها قواعد هذا القانون . ذلك ان مما لا شك فيه ان اندماج مبدئنا ضمن قواعد القانون الدولى العام الوضعى يكون ، من الناحية النظرية ، تجديدا رائعا فى القانون المذكور . اما من الناحية العملية فغنى عن البيان ان لهذا التجديد خطره العظيم لما له من اثر عميق فى المعاونة على دعم حقوق الانسان والشعوب والمساهمة فى إنماء العلاقات السلمية الودية بين الامم وبالتالى فى حفظ السلام والامن الدولى . ولا ريب ان الاستناد إلى قاعدة من قواعد القانون الدولى العام الوضعى من شانه ان يضفى قوة خاصة على موقف من يستطيع الاحتجاج بها فى المناقشات الدبلوماسية . ولا حاجة بنا الى تكرار الحديث المعاد عن ذلك الخطا الجسيم الذى يرتكبه البعض إذ يتوهم ان النظام القانونى لا وزن له فى العالم السياسى . ذلك ان مما لا يقبل الجدل ان النظام القانونى هو الاطار الذى يدور بداخله تفاعل العوامل السياسية . واذا صح ان القانون الوضعى ليس كل شىء بالنسبة لأى نظام سياسى سواء اكان الامر امر القانون العام الدولى ام القانون العام الداخلى ، فان ذلك القانون عنصر هام للغاية ينبغى معرفته والتمسك به والاستناد إليه .

وعلى ضوء هذه الاعتبارات ، ولأن مبدا حق الشعوب فى تقرير مصيرها هو اساس من اهم الأسس التى تقوم عليها السياسة الخارجية العربية ، حاولت معالجة الموضوع مرة اولى فى عام ١٩٥٦ فى بحث سريع نشر فى المجلة المصرية للقانون الدولى (المجلد الثامن عشر لسنة ١٩٥٦) وتبين لى منذ تلك المحاولة امران هما : اولا – ان هذا الموضوع رغم اهميته الكبرى ورغم انه موضوع الساعة الدولى لم يعالج ، لا عندنا ولا عند غيرنا على وجه الاطلاق فى اى بحث علمى سياسى او اية رسالة قانونية . ثانيا – إن فقهاء القانون الدولى العام لم يعنوا بتاتا بدراسة هذا الموضوع بما يستحقه من اهتمام ، بل اكتفوا بالاشارة إليه إشارات عابرة باعتباره مبدا يستحسن .. سياسيا .. اتباعه .

وفى اواخر عام ١٩٥٨ ، وبعد انقطاع صلتى بوزارة الخارجية التى قضيت فى خدمة بلادى من خلالها زهرة شبابى ، خطر لى – وانا حاصل قبل سنين على دبلوم الدراسات العليا فى القانون العام ودبلوم الدراسات العليا فى القانون الخاص من كلية الحقوق جامعة القاهرة وعلى دكتوراه الدولة فى القانون ودبلوم الدراسات العليا فى « علم السياسة » من كلية الحقوق بجامعة باريس – خطر لي ان اعرض الراى الذى خلصت به من دراستى لحق الشعوب فى تقرير مصيرها فى رسالة علمية بحيث اتقدم بها لكلية الحقوق بذات جامعة باريس للحصول على دكتوراه الدولة فى « علم السياسة » .

وسافرت فعلا الى باريس وبعد استكمال عناصر البحث والدراسة هنك قدمت رسالتى عن « مبدا حق الشعوب فى تقرير مصيرها فى القانون الدولى العام الوضعى » وحصلت على اثر مناقشتها ، فى ٢٧ من يناير ١٩٦٠ ، على اجازة دكتوراه الدولة فى « علم السياسة » بدرجة جيد جدا .

وقد هدفت بهذه الرسالة الى محاولة تحليل ماهية حق الشعوب فى تقرير مصيرها فى وضعه

مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها

اندفاع شعوب آسيا وأفريقيا نحو الحرية هو أعظم ظاهرة سياسية

الحالى بعد التطورات الكبيرة الأخيرة ، السابق الاشارة إليها .

ولعل من الطريف ، بل ومن الغريب والهام فى ان واحد ، ان اذكر للتاريخ اننى بذلت جهودا كبيرة لدى الجامعات الفرنسية ، وبينها جامعة باريس نفسها ، بل ولدى الجامعات السويسرية ، لقبول موضوع « حق تقرير المصير » موضوعا لرسالتى ...« العلمية البحت » ... للحصول على الدكتوراه فى « علم السياسة » إذ اعترض الاساتذة المختصون فى تلك الجامعات على اختيار هذا الموضوع تحت تاثير التيارات السياسية الحكومية المناوئة لهذا الحق . ولست بحاجة لان اشير الى أن الاعتراض فى فرنسا بالذات يرجع الى أن المشكلة الجزائرية كانت قد بلغت ذروة حدتها فى ذلك الوقت السابق على الخطوة الشجاعة التى اقدم عليها الجنرال دوجول بالاعتراف ، فى التصريح التاريخى الذى ادلى به فى ١٦ سبتمبر ١٩٥٩ مؤكدا « باسم فرنسا والجمهورية حق الجزائريين فى تقرير مصيرهم » بيد اننى وفقت بعد جهد جهيد فى نهاية المطاف الى الحصول على موافقة الاستاذ الكبير شارل روسو عميد اساتذة القانون الدولى العام فى فرنسا الذى تراس هيئة الاساتذة المحلفين التى ناقشت رسالتى امامها .

ثلاثة اقسام

ولمحاولة عرض الموضوع بصورة واضحة ، بدا لى ان اقسم البحث ثلاثة اقسام افردت الاول منها لاهم المصادر المثالية التى نبع منها المبدأ منذ القرن السادس عشر ، والمراحل التاريخية التى مر بها كل من الحقلين النظرى والعملى منذ الثورة الفرنسة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى .

وكرست القسم الثانى لدراسة الوضع الحالى للحق فى القانون الدولى العام الوضعى .

اما القسم الثالث فقد خصصته لبحث وسائل وضع الحق موضع التنفيذ وطرق تطبيقه وضمان احترامه .

١ ـ ويبين من القسم الاول من الرسالة ان مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصيرها الذى تمثل بادىء ذى بدء فى صورة فكرة فلسفية ، امتد بعد ذلك الى الاوساط السياسية حيث نما نموا مطردا ودعمته تصريحات هامة عديدة أصدرها الرئيس ولسن فى عام ١٩١٨ ، وايدتها تصريحات حكومات الدول المتحالفة فى ذاك الوقت . على أن هذا المبدأ المثالى الذى الهب رغبة الشعوب الملحة فى التحرر ، والذى اخذت به ، فى نطاق واسع ، معاهدات الصلح التى وضعت حدا للحرب العالمية الاولى وتحرر بفضله ملايين من البشر من حكم روسيا القيصرية والمانيا وامبراطورية النمسا والمجر . هذا المبدأ ذاته كان نصيبه الاغفال الكامل فى مناطق اخرى من العالم وبينها وفى الصف الاول منها منطقة الشرق العربى . ورغم ان المبدأ اثبت وجوده فى كل ارجاء العالم وسجل لنفسه مكانا مرموقا فى التاريخ السياسى ، إلا انه لم ينص عليه صراحة فى ميثاق عصبة الامم ، وبقى مبدأ سياسيا دون ان يفوز بمميزات الحق الكامل الوضعى ودون أن يكتسب اوصاف القاعدة القانونية الدولية .

٢ ـ بيد انه اذا كان هو وضع مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصيرها بالامس عندما وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها وفى ظل ميثاق عصبة الامم ، فقد اصبح الامر الان جديرا بالبحث والدراسة لتبين ما اذا كان ذلك الوضع قد تغيرفى اعقاب الحرب العالمية الثانية بمقتضى ميثاق الامم المتحدة وعلى ضوء قراراتها وهو ما تناولته بالدرس فى القسم الثانى من الرسالة .

احترام حق الشعوب

ذلك ان ميثاق الامم المتحدة ، شانه فى هذا شان ميثاق عصبة الامم ، يهدف اول ما يهدف الى تحويل الشروط العضوية التى لا غنى عنها لاستتباب الامن الدولى ولازدهار تقدم الانسانية

لماذا اعترضت جامعات فرنسا وسويسرا على رسالتى فى حق تقرير المصير؟

وحريتها ـ إلى قواعد قانونية ثابتة . والواقع انه كما تجمعت الشعوب بحكم الغريزة او الضرورة لكسب الحرب ، كذلك كان تجمعها وبذات الدافع لضمان السلم .

ولقد تمخض هذا التجمع عن « اعلان الامم المتحدة » فى أول يناير ١٩٤٢ ، ذلك الاعلان الذى مهد السبيل إليه باصدار ميثاق الاطلنطى الموقع عليه فى ١٤ من اغسطس ١٩٤١ .

ولما كان من الامور المسلمة ان احترام حرية الشعوب وحقها فى تقرير مصيرها عامل من ابرز عوامل الاستقرار الدولى وشرط من اهم شروط اشاعة الشعور بالأمن والطمانينة وإزالة اسباب الخوف والريبة بين الامم وبالتالى اسباب التصادم بين الجماعات البشرية ، لذلك عنى الميثاق بان يؤكد احترام الشعوب فى تقرير مصيرها وتبعه فى ذلك « اعلان الامم المتحدة » . وانطلقت الفكرة تنمو وتشتد ، فاجتمع بموسكوفى ٣٠ اكتوبر ١٩٤٣ رؤساء الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتى والصين ، وقرروا ان المحافظة على السلام والامن الدوليين تقتضى ان تنشا باسرع ما يمكن منظمة دولية تقوم على مبدأ المساواة فى السيادة بين جميع الدول المسالمة وتفتح ابوابها لكافة الدول كبيرها وصغيرها ، وبعد اجتماعات تمت فى دامبرتون اوكس ويالتا ، أعيد على اثرها تاكيد مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، تقرر ان يدعى للاجتماع بسان فرنسسكو فى ٢٥ من ابريل ١٩٤٥ مؤتمر يتولى وضع ميثاق للهيئة المشار إليها . واجتمع المؤتمر وشمل احدى وخمسين امة . ووضع « ميثاق الامم المتحدة » . ولما كان ضمان السلم والامن الدوليين وانماء التعاون بين الامم هما أهم اغراض المنظمة الدولية الجديدة ، وكان الاعتراف بحق الشعوب فى المساواة وفى تقرير مصيرها من اهم وسائل تحقيق هذين الغرضين كما سبق بيانه لذلك حرص واضعو الميثاق على ان يسجلوا فى الفصل الاول منه المتضمن مقاصد الهيئة ومبادئها بل وفى المادة الاولى (الفقرة الثانية) من الميثاق ما نصه :

المادة الأولى : مقاصد الأمم المتحدة هى :

١ ـ . . . .

٢ ـ إنماء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام مبدأ المساواة فى الحقوق بين الشعوب وحقها فى تقرير مصيرها ، واتخاذ التدابير الأخرى الملائمة لتعزيز السلم العام .

ولقد عاد الميثاق فى الفصل التاسع منه الخاص بالتعاون الدولى الاقتصادى والاجتماعى فسجل مرة جديدة فى صدر المادة الخامسة والخمسين حق الشعوب فى تقرير مصيرهامستخدما العبارات ذاتها .

ولما كان مما يتعارض مع المنطق ان يسجل الميثاق بالصورة المشار إليها مبدا حق الشعوب فى تقرير مصيرها دون ان ينص على حق شعوب الاقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى وشعوب الاقاليم الخاضعة للوصاية فى تنمية قدرتها بحيث تستطيع عند حلول الوقت المناسب حكم نفسها بنفسها والتمتع بحريتها واستقلالها ، لذلك عنى الميثاق بتدعيم المادتين السالفتى الذكر ـ بنصوص المادتين ٧٣ ، ٧٦ الخاصتين بشعوب الاقاليم المنوه عنها .

تلك هى نصوص الميثاق المؤكدة لحق الشعوب فى تقرير مصيرها ، ولان الجمعية العامة للامم المتحدة هى الهيئة الموكول إليها اهم التبعات والاختصاصات بصدد حقوق الانسان ، لذلك ـ واستنادا الى سلطاتها فى هذا الشان المستمدة من احكام الميثاق ـ درست الجمعية فى دوراتها المتعاقبة تلك المسالة الحيوية البالغة الخطر ـ مسالة حقوق الانسان وخلصت من الدرس الى وضع سلسلة من القرارات الهامة غاية الاهمية نصت فيها على ان حق الشعوب فى تقرير مصيرها هو حق من حقوق الانسان الاساسية . من ذلك قرارها الصادر فى ٤ من ديسمبر ١٩٥٠ الذى سجلت به المبدا المذكور . وقرارها الصادر فى ٥ من فبراير ١٩٥٢ الذى اكدت فى صدره ذلك المبدا وقررت به ان يشمل كل من الميثاقين الدوليين لحقوق الانسان حكما ينص على « لجميع الشعوب الحق فى تقرير مصيرها » . وقد صدر هذا القرار التاريخى باغلبية ستة وثلاثين صوتا ضد اثنى عشر صوتا وامتناع ست دول . وتنفيذا للقرار المذكور ، اتمت لجنة حقوق الانسان فى عام ١٩٥٤ وضع مشروع ميثاقين دوليين : احدهما بحقوق الانسان السياسية والمدنية ، والثانى خاص بحقوق الانسان الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وصدرت اللجنة كلا من المشروعين بمادة أولى تنص على ان لجميع الشعوب ولجميع الامم الحق فى تقرير مصيرها ... اى الحق فى ان تحدد بحرية نظامها السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى ، وعلى ان جميع الدول دون استثناء ملزمة بان تساهم فى ضمان هذا الحق فى جميع اقاليمها وفى احترام ممارسته فى الدول الاخرى وفقا لاحكام الميثاق .

وفى ١٦ من ديسمبر ١٩٥٢ وضعت الجمعية العامة قرارا جديدا صدرته بتاكيد ان حق الشعوب والامم فى تقرير مصيرها هو شرط سابق ينبغى تحقيقه لامكان تمتع الانسان بحقوقه الاساسية . وعقبت على ذلك بتسجيل وجوب اعتراف الدول الاعضاء بذلك الحق ، وتشجيع تحقيق مزاولته فى كل الاقاليم التابعة لها وفقا لمبادىء الميثاق ونص مواده وروح احكامه ، ودعت الجمعية تلك الدول الى المبادرة باتخاذ الاجراءات العملية ، ريثما يتم تحقيق ممارسة حق تقرير المصير فى الاقاليم المذكورة ، وبغية التمهيد لتحقيق ممارسة هذا الحق ، بقصد ضمان مساهمة الشعوب فى الاقاليم المنوه عنها مساهمة مباشرة فى أعمال الهيئات التشريعية والتنفيذية واعدادها للتمتع بالاستقلال الكامل . كما دعت الجمعية الدول الاعضاء لأن يمدوها من تلقاء انفسهم ببيانات تفصلية عن مدى تطبيق حق تقرير المصير فى الاقاليم التابعة لها وكلفت الجمعية العامة المجلس الاقتصادى والاجتماعى ان يطلب إلى لجنةحقوق الانسان ان تواصل إعداد توصيتها بشان الوسائل الكفيلة بضمان احترام الدول حق تقرير المصير .

ماهى الحجة التى فسرت بها ١٣ دولة سبب امتناعها عن التصويت ؟

وفى ١١ من ديسمبر ١٩٥٧ اصدرت الجمعية قرارا تاريخيا اخر ذكرت فيه بان انماء العلاقات الودية بين الامم على اساس احترام حق الشعوب فى تقرير مصيرها هو احد اهداف ومبادىء الامم المتحدة الاساسية ، واكدت أن عدم احترام هذا الحق يدك اساس العلاقات الودية بين الامم . كما اكدت اقتناعها بانه يناقض اهداف ومبادىء الامم المتحدة . واعادت تاكيداتها بان المصلحة الدولية تقتضى الدول الاعضاء ان يلتزموا احترام ذلك الحق وفقا لتلك الأهداف والمبادىء . وقد صدر هذا القرار باغلبية ٦٥ صوتا بينها صوتا الدولتين الكبيرتين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ولم يعارضه صوت واحد . وامتنعت ثلاث عشرة دولة عن التصويت . وتجدر الاشارة هنا الى ان اغلب الدول التى امتنعت عن التصويت فسرت امتناعها بحجة ان هذا الامتناع لا يقصد به معارضة المبادىء التى تضمنها القرار وانما قصد به عدم تاييد ما انطوى عليه القرار من تفرقة بين الدول المتولية ادارة بعض الاقاليم غير المتمتعة بالاستقلال الذاتى وبين الدول الاخرى . ولا ريب أن نظرة الى نص القرار تكفى لتبين عدم صحة هذا الادعاء .

ازاء النصوص الصريحة المشار إليها سابقا ، تلك النصوص التى تزيد الاعمال التحضيرية التى سبقتها وادت اليها وضوحا فوق وضوحها ، يبدو جليا ان حق الشعوب فى تقرير مصيرها يعتبر ، طبقا لاحكام الميثاق وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة المفسرة والمكملة لتلك الأحكام ، حقا اساسيا بمعنى الكلمة القانونى

من الناحية العملية

تلك هى النظرية التى خلصت بها من دراسة النصوص ومقدماتها واعمالها التحضيرية . اما من الناحية العملية فالثابت ماديا والواقع فعلا انه منذ استقرار الراى على إنشاء منظمة دولية تفتح ابوابها لكل الامم كبيرها وصغيرها ... وتقوم على اساس مبدا المساواة بين الشعوب وحقها فى تقرير مصيرها ، تجدد الوعى العالمى القانونى . فدعم بعض المبادىء الكبرى وعلى راسها مبدا حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، ملهبا امانى الامم فى الحرية والاستقلال . فلم تكن الحرب العالمية الثانية تضع اوزارها ، تلك الحرب التى تمخضت عن ميثاق الامم المتحدة الذى اكد ذلك الحق حتى هبت الشعوب التى حرمت منه تطالب به فى كل مكان . وابدت الحركات القومية الاستقلالية من القوة والتساند بحيث غدا فى مقدورها أن تكتسح كل شىء فى طريقها ووضح أن عهد الاستعمار قد ولى الى غير رجعة . فاعترفت بريطانيا العظمى وحدها بحق تقرير المصير لما يقرب من خمسمائة مليون من البشر تتكون منهم الان الهند ، وباكستان ، وبورما وسيلان ، وغانا ، وجمايكا ، ونيجيريا ، والملايو ... الخ واعترفت فرنسا بذات الحق لشعوب عديدة كسوريا ولبنان وتونس ومراكش وفيتنام وكامبوديا ولاوس وغانا الجديدة ...الخ . وهكذا شاهد العالم فى بضعة اعوام تحرر شعوب كانت بالامس القريب خاضعة للنفوذ الانجليزى او الفرنسى ، الأمر الذى تبدل معه تبدلا عميقا كيان هاتين الامبراطوريتين اللتين شهد القرن التاسع عشر سطوتهما .

كما ان بلاداً اخرى عديدة فازت بحقها فى تقرير مصيرها نذكر منها اندونسيا وشرق الاردن وليبيا وسيام والسودان وكميرون وقبرص ... الخ .

ولقد جاء الاعتراف لعدد هام من هذه البلاد بحق تقرير المصير ثمرة لمناقشات طويلة فى الامم المتحدة التى يجد الضمير العالمى فى منبرها خير وسيلة للكشف عن اتجاهاته .

وازاء ما يلمسه العالم اجمع من اشتداد قوة حق الشعوب فى تقرير مصيرها وعظم ضغطه وتاثيره على الحياة السياسية العملية للجماعة البشرية ، اضطرت دول عريقة فى الاستعمار لان تنص فى دساتيرها صراحة على حق الشعوب

مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها

عندما أعلن الجنرال ديجول باسم فرنسا عن حق الجزائريين في تقرير المصير

فى تقرير مصيرها . من ذلك مافعلته فرنسا فى دستورها الصادر فى علم ١٩٤٦ . ثم دستورها الاخير الذى اجرى عليه الاستفتاء فى علم ١٩٥٨ والذى علد فاكد الحق المذكور . بل ان رئيس وزراء فرنسا اضطر فى ٥ من يونيو علم ١٩٥٩ لان يصرح فى عبارات لا لبس فيها « ان شرعية وجودنا فى الجزائر ، اذا اردنا لها الثبات ، ينبغى ان تقوم على اسلس من رضا اصحاب الشان » .

واخيرا لا اخرا اعلن الجنرال دوجول فى ١٦ سبتمبر ١٩٥٩ قراره المعروف الذى اعترف فيه « باسم فرنسا والجمهورية الفرنسية » بحق الجزائريين فى تقرير مصيرهم . ولا شك ان هذا القرار ، باعتباره موقفا علما ، نصر جديد لحق الشعوب فى تقرير مصيرها . وقد تجدر الاشارة فى هذا المقام الى ان رئيس الجمهورية الفرنسية القى خطابا فى ١١ من نوفمبر ١٩٥٩ جاء فيه ملنصه : « ان التغييرات التى لا مناص منها ستتم رغم كل شىء ... ستتم ان لم تقبلها فرنسا ... بالرغم من فرنسا وفى ظروف سيئة بالنسبة لفرنسا » .

تلك بعض مظاهر انتصارات حق الشعوب فى تقرير مصيرها . ولئن كانت هناك حالات خطيرة معروفة لايزال هذا الحق مهدرا فيها ، إلا ان الثابت ... ولهذه الحقيقة دلالتها الحاسمة ... ان احداً لا ينكر حق الشعوب فى تقرير مصيرها . وحتى الذين ينتهكون هذا الحق بصورة صارخة مفضوحة يرددون الزعم بتمسكهم تمسكا كليا باحترامه .

والخلاصة ان حق تقرير المصير ، ذلك الحق الذى يطالب به الضمير القانونى العالمى منذ قرون ، قد انتهى بان سجل باعتباره حقا بمعنى الكلمة القانونى فى صدر ميثاق الأمم المتحدة اى فى صدر نص من أهم نصوص القانون الدولى الوضعى . ثم اعيد تاكيده بهذا الوصف فى صدر المادة ٥٥ من الميثاق ، الامر الذى يضفى عليه الطابع القانونى الذى يميز القواعد الوضعية التى ينظمها القانون الدولى .

ولقد جاءت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وهى اهم هيئات المنظمة الدولية لانها اكثر هيئاتها تمثيلا للجماعة الانسانية ، فقدمت بقراراتها التى تمت الموافقة على اهمها بما يشبه الاجماع وبتاكيد كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، الطابع القانونى الذى اكتسبه ذلك الحق .

ومن الامور المحققة انه لا يوجد فى العالم الان دولة ايا كانت قوتها تستطيع ان تجهر بالادعاء بان لها ان تنتقص بالقوة من حقوق اى شعب او ان تمس سيادته بدون رضاه . وليس ادل على صحة ما نسوقه من ان الدول التى تنتهك حقوق الشعوب ، سواء كانت من الغرب أم من الشرق ، تصر على ادعاء المناداة بهذه المبادىء وعلى الزعم باحترامها .

ذلك ان حق الشعوب فى تقرير مصيرها ليس ثمرة انفعالات هوائية من انفعالات الناس بحيث يستطيعون اقراره أو انكاره حسب هواهم . بل ان اسبابا انسانية عميقة الجذور وعوامل اجتماعية قومية الأصول هى التى توحى به وتتمخض عنه . لذلك فليس من شك فى أن الخلاف الباقى بين الحق المسجل فى تلك الوثائق القانونية الدولية التى سبقت الاشارة إليها والتى لا نزاع فى انها اهم الوثائق التى عرفها الانسان من نوعها فى شان حقوقه ، وبين حقيقة الواقع السياسى لن يطول امده . كما انه مما لا ريب فيه ان العالم سيطوى ... فى نجاح تام ... المرحلة التى لا تزال بين النصوص المكتسبة بشان حق الشعوب وبين مزاولة هذا الحق بالصورة الفعلية الكاملة . وقد يكون فى الامكان اقامة العقبات بعض الوقت فى سبيل هذا التطور الذى لا محيص عنه ، ولكن ليس فى الامكان شله عن التقدم .

وتجدر الاشارة هنا إلى انه سبق ان كلف مجلس الأمم فى عصبة الامم ، فى عام ١٩٢٠ ، لجنة دولية من فقهاء القانون الدولى العام بابداء الراى فى النواحى القانونية لمسالة جزر « آلان »

الدول الأعضاء ملزمة قانونيا بحق كل شعب في حريته وأمنه

وقد عرضت اللجنة فى الراى الذى ادلت به لموضوع ما اذا كان حق الشعوب فى تقرير مصيرها يعتبر قاعدة قانونية وضعية من قواعد القانون الدولى العام . وجاء فى هذا الراى مانصه : « ولئن كان مبدا حق الشعوب فى تقرير مصيرها مبدا يشغل مكانا هاما فى الفكر السياسى الحديث ، وبخاصة منذ الحرب العظمى إلا ان الملاحظ ان هذا المبدا لم يدمج فى ميثاق عصبة الامم . وتسجيل هذا المبدا فى عدد من المعاهدات الدولية لا يكفى لاعتباره قاعدة من قواعد القانون الدولى العام الوضعى » .

ويبدو واضحا من هذا الراى ان عدم ادماج مبدا حق الشعوب فى تقرير مصيرها بين احكام ميثاق عصبة الامم هو الذى دفع لجنة الفقهاء المشار إليها الى ان تحجم ، فى عام ١٩٢٠ ، عن اقرار صفة القانونية الوضعية لذلك المبدا . ويستنتج من هذا الراى ذاته ان النص المتكرر على الحق المذكور فى ميثاق الأمم المتحدة ، وهو القانون الدستورى لما يقرب من مجموع دول العالم ، يضفى على ذلك الحق صفة القاعدة الوضعية من قواعد القانون الدولى العام . ويقع على عاتق الدول الاعضاء بل دول العالم طرا التزام احترامه باعتباره احد المبادىء العليا المكونة للتراث القانونى المشترك للامم المتحدة

ويتبين من العرض المتقدم ، اننا نرى ان مبدا حق الشعوب فى تقرير مصيرها قد انتقل على اثر التطورات الاخيرة المتقدم ذكرها ، من وضع المبدا السياسى الى وضع القاعدة القانونية الملزمة .

وهناك اعتراضات

بيد ان هذا الراى يثير اعتراضات عدة . وليس خيرا من عرض اهم هذه الاعتراضات عرضا تحليليا لامكان الكشف عن حقيقة الراى الذى نذهب إليه .

والواقع انه ازاء الاسانيد التى يقوم عليها راينا ، تقتصر معارضته على اسباب اهمها :

اولا ـ فقدان الجزاء الذى يضمن احترام حق الشعوب فى تقرير مصيرها .

ثانيا ـ فقدان الصفة الالزامية لقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، لانها ليست إلا توصيات وليس من شانها ان تخلق التزامات دولية .

ثالثا ـ عدم ثبات التطبيق العملى الدولى .

الاعتراض الأول :

يتلخص الاعتراض الاول فى احكام مادتى الميثاق بشان حق تقرير المصير ، شانها فى ذلك شان احكام المواد الأخرى الخاصة بحقوق الانسان عامة ، لا تتضمن اى جزاء يكفل احترام الحق المذكور ، وعلى ذلك فهى لا تنطوى إلا على

مبادىء يقصد بها مجرد التوجيه ولا تهدف الا الى رسم اغراض يرجى تحقيقها ، بمعنى انها ليست قواعد قانونية ملزمة للدول الاعضاء . ويقوم هذا الاعتراض على الراى الذى يذهب إلى ان القانون الوضعى بوجه علم لا يمكن تصوره دون جزاء يكفل احترامه . وان الجزاء هو العنصر الاساسى الذى يميز القانون الوضعى عن العلوم الاجتماعية وبخاصة علم الاخلاق .

تحليل الاعتراض

وهذا الاعتراض بالنسبة لحق الشعوب فى تقرير مصيرها لا يصمد امام ما يمكن الاستناد إليه من حجج قانونية وتاريخية ومنطقية .

الحجج القانونية :

١ ـ لا جدال فى ان الاخذ بالراى المتقدم يقود الى احد امرين هما اما إنكار الطابع الوضعى بالنسبة للقانون الدولى العام علمة وهو امر يكرس الفوضى الدولية ... او قرار الطابع الوضعى لهذا القانون على اساس ان الحرب هى الجزاء المفروض لاحترامه ـ وكلا الامرين شر مستطير .

وواضح ان عيب هذا الراى هو انه يقيم القانون على اساس من القوة ويجعله مرهونا بالضغط الخارجى على الافراد . وذلك نظر خطر يهدر الارادة الانسانية والحرية البشرية ، هذا إلى انه ، فضلا عن ذلك ، يتعارض مع الواقع الملموس . وتكفى الاشارة هنا إلى ان القوانين الدستورية رغم انها مجردة من الجزاءات تعتبر قوانين وضعية بلا منازع بل انها تعد ، فى الدول الديمقراطية على الاقل ، تعبيرا عن القانون الوضعى الاعلى الذى يسمو على كل القوانين الاخرى . ومن الامور المقررة المعروفة انه يوجد فى جميع فروع القانون وبخاصة فى القانون الدولى العام قواعد ذات صيغة قانونية ملزمة ، رغم عدم النص على اى جزاء لمخالفتها . ورجال القانون يعلمون علم اليقين ان الجزاء ليس عنصرا اساسيا من عناصر الالتزام ، وان القاعدة القانونية يمكن تماما ان تكون قاعدة امره على الرغم من انه لم ينص على اية وسيلة قانونية لفرض تنفيذها . وفى هذه الحالة تكون للقاعدة القانونية القوة الالزامية دون القوة التنفيذية .

وهذا هو بالضبط الطابع الحقيقى لاحكام الميثاق فى شان حق الشعوب فى تقرير مصيرها

وليس ثمة حاجة الى التذكير بان الالتزام المرتبط بالقاعدة القانونية له ، وفقا للنظر القانونى السائد ، معنى عميق معنوى واجتماعى فضلا عن معناه الشكلى والقانونى . والمقصود بهذا هو أن الخاضعين للقاعدة القانونية فى عموم يشعرون فى الاعماق هم انفسهم بانهم اولا وقبل كل شىء ملزمون باحترامها وتطبيقها

كيف أعطت الجمعية العامة لنفسها سلطات هامة فى مسائل الأمن الجماعى؟

لحاجتهم إليها . والحقيقة هى ان الرسالة التشريعية للدولة تتمثل فى اكتشاف الحاجة الاجتماعية وترجمتها وتكريس الطابع الالزامى ، بمعناه الاجتماعى ، للروابط الاجتماعية . ومن المسلمات ان الالتزام الاجتماعى لا ينبع من ارادة الدولة ، وان تدخلها لا يعبر عن ميلاد الالتزام الوضعى الذى يسبقه عادة الالتزام الاجتماعى ويعقبه الالتزام القانونى .

٢ ـ إن ميثاق الامم المتحدة اداة دولية ولغته ، دون ادنى شك ، هى لغة القانون الدولى . فاذا كان الميثاق قد عنى بان يؤكد اكثر من مرة وفى اكثر من مادة من مواده ..حق .. الشعوب فى تقرير مصيرها ، فينبغى الاعتقاد حتما بان الميثاق يعتبر هذا الحق حقا بمعنى الكلمة القانونية ويشير بالتالى الى التزام قانونى يقع على عاتق الدول .

وبالرجوع الى الاعمال التحضيرية الاولى والخامسة والخمسين اللتين تنصان على حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، نجد ان الصيغة الاولى للمادتين لم تكن تشمل النص على ذلك الحق . على ان تلك الصيغة عدلت فيما بعد لتتضمن النص الصريح عليه . وليس من شك ان خلو الصيغة الأولى من النص على الحق قدمت تعديلا لصيغة المادتين استبعدت بعد ذلك النص وان هذا التعديل رفض وانتهى الامر بالتمسك بالنص الحالى زاد الأمر وضوحاً . يضاف الى ماتقدم انه جاء فى تقرير اللجنة التى كلفت بدراسة مقدمة الميثاق ونصوصه الخاصة باهدافه ومبادئه ، وقد كان الدكتور فريد زين الدين رئيساً لها مانصه : « ....ان مهمة اللجنة كانت تهدف الى تقديم نصوص احكمت دراسة صياغتها من الناحيتين الموضوعية والشكلية .... » وجاء فى موضوع اخر « ان الفقرة الثانية من المادة الاولى تهدف الى إعلان مساواة الشعوب فى الحقوق وبالتالى حقها فى تقرير مصيرها . ويستتبع ذلك ان المساواة فى الحقوق تنطبق وفقا للميثاق على الدول والامم والشعوب [٢٠]

ويبين هذا التقرير المردد للنص المثبت فى صدر الميثاق بشان حق الشعوب فى تقرير مصيرها أن ذلك الحق هو فى نظر واضعى الميثاق حق بمعنى الكلمة القانونى وليس مبدا سياسيا فحسب . وغنى عن البيان انه من غير المقبول ان يقال ان استخدام كلمة حق بدلا من كلمة « مبدا » ، وفى وثيقة قانونية فى اهمية الميثاق ، جاء وليد الصدفة او الغفلة سيما اذا كانت اللجنة التى كلفت بدراسة النص المتضمن هذا اللفظ تؤكد أن مهمتها كانت تهدف الى تقديم نصوص احكمت دراسة صياغتها من الناحيتين الموضوعية والشكلية . »

٣ ـ إذا صح ان منظمة الامم المتحدة لا تشمل امم العالم باسره ولا جماعة دوله كلها بحيث يصح تماما وصفها بالهيئة التشريعية الدولية العليا ، فليس مما يقبل الجدل ان ميثاق هذه المنظمة هو قانونها الذى يعلو قوانين الدول الاعضاء على الاقل او على حد قول بعض الفقهاء « القانون الدستورى » لهذه الدول ، الامر الذى يعنى ان الميثاق يعلو اى اتفاق تم عقده فعلا بين الدول الاعضاء او يمكن ان يتم عقده بينها فى المستقبل . وليس الامر امر استنتاج بل ان المادة ١٠٣ من الميثاق تنص على ذلك صراحة .

٤ ـ تنص المادة ٥٦ من الميثاق على ان جميع الاعضاء يتعهدون بان يقوموا ، منفردين ومشتركين ، بما يجب عليهم من عمل بالتعاون مع الهيئة لادراك المقاصد المنصوص عليها فى المادة الخامسة والخمسين » ويبين بوضوح من هذا النص ان المادة المذكورة تؤكد التزام الدول الاعضاء التزاما قانونيا باحترام حق الشعوب فى تقرير مصيرها . ذلك انه مادامت المادة المشار إليها تفرض على الدول المذكورة الالتزام القانونى بان يقوموا منفردين ومشتركين بالتعاون مع الهيئة لادراك المقاصد المنصوص عليها فى المادة ٥٥ ، ولما كان القصد الأساسى المنصوص عليه فى هذه المادة هو إنماء العلاقات الودية والسلمية بين الامم ، فليس من المعقول ولا من المقبول الا يقع على عاتق الدول الأعضاء ذات الالتزام القانونى بالنسبة لحق الشعوب فى تقرير مصيرها الذى تنصه المادة ٥٥ ذاتها بانه اساس انماء تلك العلاقات .

الحجج التاريخية والمنطقية :

ولا تقف كل هذه الاسانيد القانونية التى نعرضها وحدها لتفنيد الاعتراض الذى نحن بصدده ، بل ان ثمة اسانيد تاريخية ، ومنطقية لا تقل قوة عن تلك الاسانيد القانونية .

ذلك ان الحرب العالمية الاخيرة التى بلغ عدد ضحاياها اربعة عشر مليون من القتلى وخمسة واربعون مليونا من الجرحى والاسرى ، تلك الحرب التى اهلكت الحرث والنسل ، كانت ، فيما اكده قادة الحرب والسلم سويا ، حرب تحرير .

مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها

ولقد التزم هؤلاء القادة ، أوقادة الامم المتحدة فيما بعد ، بان يكفلوا للافراد وللشعوب احترام حرياتهم ورغباتهم . فكيف يمكن القول بان هؤلاء القادة انفسهم انما قصدوا فى سان فرانسسكو إلى ترك اعضاء المنظمة الدولية احرارا فى ان يحترموا أو ينتهكوا حسب هواهم تلك الحريات والرغبات .

إن ممثلى الدول اجمعوا فى سان فرانسسكو على بذل قصارى جهدهم لارساء اساس متين لسلم ثابت دائم . وكانوا عن بكرة ابيهم يسودهم الاقتناع الكامل بان الشرط الاساسى لذلك السلم المنشود هو احترام حرية الافراد والشعوب وان النظم الاستبدادية تقود بطبيعتها الى الحروب . وليس مما يمكن قبوله ، وقد كان هذا الفهم هو السائد بين ممثلى جميع الدول ، ان هؤلاء الممثلين لم يقصدوا الزام الدول بتحقيق ذلك الشرط الاساسى لحفظ السلام وانما ارادوا ان يتركوه قابلا للاغفال والاهمال .

ان تكرار النص على حق الشعوب فى تقرير مصيرها فى الميثاق ، مرة اولى فى صدره ومرة اخرى فى صلبه ، لم يكن من قبيل زخرفة الوثيقة التاريخية القانونية العظمى . كما انه لم يكن وليد الصدفة . بل انه عمل مقصود جاء ثمرة التفكير المتئد والنقاش الطويل قبل مؤتمر سان فرانسسكو وبعده . بل هو جزء من فلسفة النظام الدولى املاه الدرس الذى اسفرت عنه تجربة النظام القديم وما اظهرته هذه التجربة من نقائض وادت إليه من مخاطر وكوارث .

الاعتراض الثانى :

لما كان احد الاسانيد الهامة المكملة التى يقوم عليها راينا فى ان حق الشعوب قاعدة وضعية ملزمة مؤسس على ان الجمعية العامة للامم المتحدة اكدت هذا الحق بمعناه القانونى وما يترتب عليه من التزام الدول باحترامه فى عدة قرارات لها ، فقد كان متوقعا ان يرد على هذا باثارة النظر السائد الذى يذهب إلى ان تلك القرارات ذاتها ليس لها قوة الالزام .

على ان هذا الاعتراض هو الآخر لا يقوم على اساس صحيح . ذلك ان الميثاق ذاته لايحدد ما إذا كانت قرارات الجمعية العامة ملزمة او غير ملزمة . ولم تدر مناقشات خاصة فى سان فرانسسكو حول هذا الموضوع . وادى ذلك الى قيام خلاف فيما يتصل بطبيعة اختصاصات الجمعية العامة وماهية قراراتها المعبرعنها فى الميثاق بكلمة « توصيات » .

ومن المعلوم ان انصار الراى القائل بان قرارات الجمعية ليس لها قوة الالزام يستندون اساسا على حجتين هما :

اولا ــ ان تجرد قرارات الجمعية من القوة الملزمة يتمشى مع ما يقوم عليه نظام المؤسسة من الفصل بين وظائف هيئاتها . ومشروع « دامبرتون اوكس » اذ وكل الى مجلس الامن مهمة التنفيذ بالقوة انما كشف بذلك عن اتجاهه الى عدم منح الجمعية اية سلطات فعلية لاداء وظائفها التى كانت تعتبر ثانوية نسبيا بمقارنتها بالوظيفة الاساسية التى انيط بها مجلس الامن وهى حفظ السلام والامن الدولى .

ثانيا ــ ان نص الميثاق ذاته يؤيد هذا النظر اذ بينما يتكلم عن قرارات وتوصيات مجلس الامن وينص على ان قرارات ذلك المجلس قرارات ملزمة (مادة ٢٥) نراه لا يستخدم الا لفظ « توصيات » فى المواد المتعلقة بسلطات الجمعية .

تحليل الاعتراض

اما عن الحجة الاولى فيكفى لتفنيدها ان نذكر بما سبق ان سقناه من ان الجزاء ليس عنصرا اساسيا للالزام ، وان القاعدة القانونية يمكن تماما ان تكون آمرة رغم ان السلطة الخاضعة التى وضعتها لا تملك وسيلة قانونية لفرض تنفيذها .

هذا الى انه من المؤكد اذا صح ان المسئولية الاساسية فى حفظ السلام والأمن الدولى تقع على عاتق مجلس الامن ، فمن الصحيح ايضا ان الميثاق يكل للجمعية مهمة تهيئة عوامل حفظ السلام واسباب استقرار الأمن الدولى . وهى مهمة لاتقل اهمية عن مهمة مجلس الأمن . بل ليس فى الامكان تصور احدى هاتين المهمتين دون الاخرى .

ويجب الا يغيب عنا ان معظم المسائل السياسية والمتصلة بالأمن ، التى عرضت على الجمعية ، ادت الى قرارات اصدرتها الجمعية متضمنة اعمالا إيجابية هامة من ناحيتها . وفى حالات عدة ، لم تقتصر الجمعية على التوصية بتدابير معينة لتسوية موقف او نزاع ، بل تدخلت الجمعية فعلا لانشاء هيئات وكلت اليها سلطة القيام بتحقيقات او بمراقبة تنفيذ قراراتها . وادى الامر بالجمعية ، فى العمل ، الى التوصية بتدابير جماعية وتطبيق الجزاءات . بل ان الجمعية ولت نفسها سلطات هامة جدا فيما يتصل بمسائل الأمن الجماعى بمقتضى قرارها المعروف رقم ٣٣٧ الذى اصدرته فى دورتها الخامسة بتاريخ ٣ من نوفمبر ١٩٥٠ ، وهو القرار المسمى « الاتحاد لحفظ السلام » والذى كان الغرض الاساسى منه هو استخدام القوة المسلحة الجماعية لحفظ السلام او لاعادته . وبذا حلت الجمعية نفسها محل مجلس الأمن فى حالات عجز هذا المجلس عن حسم الأمور . وبذلك تكون الجمعية قد اتمت منذ دورتها الخامسة ذلك التطور الذى كان يتجه بها الى كسب سلطات شبيهه وموازية لسلطات مجلس الأمن .

> واجبنا ان نجعل من المنظمة الدولية حكما فى علاقات الشعوب .

ولا شك ان القرارات المشار إليها تنطوى على تعديل فى نظام المنظمة بشان سلطات الجمعية فى المسائل السياسية والمتصلة بالأمن . ولكن العمل اقر هذا التطور . والواقع ان قرار الجمعية رقم ٣٣٧ الآنف الذكر هو الذى اسس عليه تدخل الجمعية فى مسالة العدوان الثلاثى على مصر فى اكتوبر ١٩٥٦ . فعلى اثر عجز مجلس الامن عن اتخاذ قرار حاسم فى شان ذلك العدوان بسبب اعتراض المعتدين ، دعيت الجمعية العامة للانعقاد فى دورة غير عادية ، وفى نوفمبر ١٩٥٦ اصدرت الجمعية قرارات ادت فعلاً الى وقف القتال والى تكوين قوة بوليسية دولية .

واما عن الحجة الثانية التى يستند إليها لاثبات تجرد قرارات الجمعية العامة من القوة الالزامية ، فهى لا تعدو ان تكون رايا فى الموضوع .

ونود اولا وقبل كل شىء ان نذكر انه ليس صحيحا ان مواد الميثاق المتعلقة بسلطات الجمعية تستخدم كلها لفظ « توصيات » إذ ان المادة الثامنة عشرة فقرة ١ ، ٢ تستخدم كلمة « قرارات لا كلمة « توصيات » .

ولما كان الميثاق لم يحدد بالدقة مدى اختصاص الجمعية العامة ولا طبيعة وماهية سلطاتها ، فانه سوغ التساؤل عن الضوابط والطريقة الواجبة الاتباع لتحديد اختصاص الجمعية ، وما هى المبادىء التفسيرية التى ينبغى التزامها بالنسبة لاحكام الميثاق المتصلة بسلطاتها المختلف عليها . ولا شك أن الكشف عن القواعد الواجبة الاتباع فى تفسير الميثاق يقودنا الى تبين ما إذا كانت القرارات التى اصدرتها الجمعية بصدد حق الشعوب فى تقرير مصيرها بالذات ، وهو موضوع بحثنا ، ملزمة او غير مقبولة .

فالمعلوم ان الميثاق لم يحدد هيئة لتفسير مواده . ولكن الثابت من ناحية اخرى هو ان الاتفاق تم فى سان فرانسسكو على ان تختص كل هيئة بتفسير احكام الميثاق المتصلة بوظائفها . ويترتب على ذلك النتيجتان الهامتان غاية الاهمية التاليتان :

١ ـ ان ليس لمجلس الأمن ، مثلا ، اى اختصاص فى شان تفسير اى حكم من احكام الميثاق المتعلقة بوظائف الجمعية العامة وطريقة اداء هذه الوظائف . والعكس صحيح . ولا شك ان هذا النظر يتمشى مع مبدا فصل السلطات فصلا تاما بين هاتين السلطتين وعدم وجود اية رقابة من جانب احداهما على الآخر .

٢ ـ ان الجمعية العامة تتمتع بسيادة كاملة وسلطة مطلقة فيما يتعلق بضوابط تحديد اختصاصاتها ، وانها دون غيرها المختصة بتفسير احكام الميثاق فى شان وظائفها واساليب ادائها . وفى حالة الاختلاف على تفسير طبيعة قراراتها ، وبخاصة تلك التى تصدرها الجمعية داخل اطار اهداف ومبادىء المنظمة ، تختص الجمعية وحدها دون غيرها بالبت فى الأمر . وتكون تفسيرات الجمعية فى هذا الصدد ، وكذلك التدابير التى ترتبها على تلك التفسيرات ، تفسيرات وتدابير قانونية متى فازت باغلبية اصوات الاعضاء المقررة بمقتضى الميثاق . وتجدر الاشارة هنا الى ان محكمة العدل الدولية ليست الهيئة المختصة بتفسير الميثاق ، على ان هذا لا يمنع من ان تطلب اليها الجمعية العامة ، اذا هى رغبت فى ذلك وفقا لحكم المادة ٩٦ من الميثاق ، ابداء الراى فى اية مسالة قانونية . ويكفى الرجوع الى المناقشات التى دارت فى سان فرانسسكو حول هذا الموضوع لتبين استقرار الراى على ما نسوقه .

وإزاء هذه المبادىء المقررة فى شان تفسير اختصاصات الجمعية وسلطاتها، يبدو من العسير انكار طابع القوة الملزمة على قرارات الجمعية التى تقرر الجمعية ذاتها اضفاء هذا الطابع عليها ، وبخاصة عندما يصدر هذا القرار باغلبية كبيرة تكاد تشبه الاجماع . ويزيد فى تاكيد قوة هذا النظر ان الجمعية هى اكثر هيئات المنظمة اهمية بعدد الدول المختلفة الممثلة فيها . كما انها اكثر واوسع تلك الهيئات تمثيلا للراى العام العالمى لانها تضم كل الدول الاعضاء على قدم المساواة .

ويضاف الى ما تقدم ، وهو امر له وزنه الكبير ، ان محكمة العدل الدولية اتجهت فى احدى احكامها الحديثة الىاقرار الفكرة القائلة بان ارادة عدد كبير من الدول تلزم الدول الاخرى . كما ان الفقه الدولى يتجه الى تشبيه الحالة التى يصدر فيها قرار من الجمعية باغلبية هامة كبيرة بحالة صدور قرار جماعى منها .

الاعتراض الثالث

اما الاعتراض الثالث فيتمثل ، كما سبق ان ذكرنا ، فى عدم ثبات التطبيق الدولى فى العمل ، لمبدا حق الشعوب فى تقرير مصيرها .

وردنا على هذا الاعتراض يتلخص فى اننا امام احكام صريحة منصوص عليها فى ميثاق الأمم المتحدة ، وهو « القانون الدستورى » لهذه الامم ، وامام احكام اخرى صريحة ايضا منصوص عليها فى قرارات الجمعية العامة للمنظمة الدولية العليا التى تجمع تلك الامم . وعليه ، فاذا كان التطبيق الدولى فى العمل ليس ثابتا على احترام حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، ذلك الحق المقرر بمقتضى تلك النصوص التى تكون قواعد قانونية وضعية من قواعد القانون الدولى العام ، فلا يمكن ان يكون لهذا الا معنى واحد هو ان تلك النصوص الصريحة الحاسمة محل المخالفة . وغنى عن البيان انه لا يمكن الافادة من مخالفة القواعد الدولية لانكار صفة القوة الالزامية لها . اذ ان الحق لا يتلاشى اذا انتهك حتى ولو وقع الانتهاك فى نطاق واسع . والعدالة الجنائية لا تعد ملغاة بسبب افلات بعض المجرمين منها . كما انه لا يمكن التشكك فى قيام القانون الذى يحرم العدوان على حياة الآخرين لمجرد ان اعمال القتل ترتكب كل يوم ، وذلك لان اقتراف الجرائم لا يهدم قانون العقوبات

يضاف الى ما تقدم انه مما لا ريب فيه ان نظام الاستعمار قد اصبح فعلا وشيك الزوال تماما من عالمنا الحالى . والاصرار على بسط السيطرة بالقوة بصورة مباشرة او غير مباشرة يتعارض مع عقلية هذا الجيل ويثير استنكار الضمير العالمى الى اقصى حد .

واعتقادنا الراسخ ان العقل فى طريقه الى التغلب على رواسب الاتجاهات المنحرفة التى لن تصمد بحال امام الاقتناع العام بانها لا تنطوى الا على الشرور والاضرار .

تلك هى النتائج التى انتهيت اليها ، فى القسم الثانى من رسالتى ، من بحث موضوع القوة القانونية الالزامية التى اكتسبها مبدا حق الشعوب فى تقرير مصيرها .

وكان على ان ابحث فى القسم الثالث من الرسالة وسائل وضع ذلك الحق موضع التنفيذ .

وقد عرضت اولا المشاكل التى يصطدم بها تطبيق حق الشعوب فى العمل وهى :

ا ـ تعريف « الشعوب » و « الأمم » اى الجماعات الانسانية التى تنطبق عليها القاعدة القانونية الدولية موضوع الرسالة .

ب ـ تعريف « حق تقرير المصير » .

جـ ـ وسائل التعبير عن ارادة الأمم والشعوب فى تقرير مصيرها .

د ـ حكم الفقرة السابعة من المادة الثانية من الميثاق التى تنص على انه « ليس فى الميثاق ما يسوغ للامم المتحدة ان تتدخل فى الشئون التى تكون من صميم السلطان الداخلى لدولة ما ، وليس فيه ما يقتضى الاعضاء ان يعرضوا مثل هذه المسائل لكى تحل بمقتضى احكام الميثاق ، على ان هذا المبدا لا يخل بتطبيق تدابير القمع الوارد فى الفصل السابع .

وبعد ان فندت المزاعم التى تثار بسبب تلك المشاكل ، وابديت الراى فى حلها ، تناولت بالبحث وسائل التفنيد التى شملها مشروع الميثاق الدولى لحقوق الانسان المدنية والسياسية ، وكذلك نظام الرقابة الذى يفرضه هذا الميثاق والضمانات التى ينطوى عليها لكفالة احترام حق الشعوب فى تقرير مصيرها .

وبعد ان ابديت الراى فى احكام مشروع الميثاق الدولى المنوه عنه وعرضت للطرق الكفيلة بالانتصار على الموقف السلبى الذى تلتزمه بعض الدول ازاء حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، خلصت من كل ذلك الى التنويه بذلك المبدا الحيوى الذى يجب الا ان يغرب عن الاذهان لحظة وهو المبدا الذى يقضى بانه ليس لاحد ان يقيم من نفسه حكما لاستخلاص حقه بنفسه . ذلك ان هذا المبدا المطبق فى النظام الداخلى للدول اخذ يسير قدما نحو التطبيق العملى فى ميدان العلاقات بين الدول . وقد آن الوقت لان يطبق المبدا ذاته فى ميدان العلاقات بين الدول من ناحية والشعوب من ناحية اخرى . بل ان منظمة الامم المتحدة تصر فعلا على ان تدور بدورها كحكم بين الدول والشعوب . ولا مراء فى ان اصرارها على هذا الدور الذى يفرضه عليها الميثاق تبعه الاضطلاع به ويمنحها سلطة ادائه وفقا لاهدافه ومبادئه ، هو خير وسيلة لضمان وحماية حق الشعوب فى تقرير مصيرها بصورة عادلة مجردة من الهوى تكفل فى آن واحد مصالح الدول والشعوب ذات الشان وصالح الجماعة الانسانية فى عموم .

وليس من شك فى ان منظمة الامم المتحدة اصدرت قرارات . وقد تصدر قرارات لا يمكن اقرارها عليها . ولكن للجماعة البشرية مصلحة كبرى فى ان تحيط هذه المنظمة ، وهى ثمرة قرون من التفكير والجهود والتضحيات ، بكل ما يمكن من الاحترام والتاييد . ولما كانت هذه المنظمة هى اعلى منظمة دولية ، وهى خير ما بلغه الانسان من تنظيم دولى ، فالواجب يقضى بان نقيم منها محكمة ونجعلها حكما فى كل المسائل التى تمس العلاقات الودية والسلمية بين الشعوب ، اى بين اعضاء الاسرة البشرية .

د . حسن كامل

السحابة الذرية تظلل العالم الإسلامي

د. مهندس مظفر صلاح الدين شعبان   مهندس صلاح الدين شعبان

يعتبر اكتشاف الطاقة الذرية واستئناسها من اعظم الاكتشافات ليس في تاريخ القرن العشرين فحسب وانما في تاريخ البشرية كلها .

ان العصر النووي الذي يعيش فيه الجنس البشري والذي قد يموت فيه سريعا ، بدا بالنسبة للجماهير باسقاط قنبلة ذرية فوق هيروشيما في ٦ آب (اغسطس) عام ١٩٤٥ ذهب ضحيتها عشرات الالوف من الناس .. لقد حدد السلاح النووي المخيف معالم العصر الذي نعيش فيه ومستقبله ، كما ترك آثارا واضحة على العلاقات الدولية واتجاهات السياسة العالمية .

الذره والمجتمع الدولي

لقد كان الانفجار فوق هيروشيما بداية معرفة العالم بوجود العصر الذري وبوجود القنبلة الذرية . ففي تموز (يوليو) ١٩٤٥ كان هتلر قد مات واحتلت المانيا كلها وبقيت اليابان . كان الانهيار النهائي لليابان امرا لا ريب فيه . وقتها قام علماء الذرة يعارضون استخدام القنبلة الذرية ضد اليابان ويحذرون الحكومة الامريكية من الاستسلام للوهم القائل بان الولايات المتحدة قد تحتفظ باحتكار السلاح النووي وذكروا باهمية البحوث التي يقوم بها الفيزيائيون الفرنسيون والانكليز والسوفييت . وقد تنبا العلماء وقتها بان تفجير القنبلة الذرية سوف يفتح الباب على مصراعيه امام سباق محموم على امتلاك هذا السلاح المرعب .

الا ان الولايات المتحدة ضربت بهذه المخاوف عرض الحائط ومضت في مخططاتها الموضوعة. ففي ١٦ تموز فجرت القنبلة الاولى في صحراء المكسيك بقصد التجريب ، ثم فجرت القنبلة الثانية فوق هيروشيما ، وبعد ذلك بثلاثة ايام فجرت القنبلة الثالثة فوق ناغازاكي، وفي اليوم التالي اعلنت اليابان استسلامها ووضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها .

تطورت بحوث الذرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية للاستفادة من الطاقة النووية في الاغراض السلمية . وهكذا ظهرت السفن والغواصات ومحطات التوليد النووية وغيرها.

تتشابه جميع هذه التطبيقات في احتوائها على مفاعل نووي يقوم بتحويل الطاقة الناتجة عن انشطار النواة الى حرارة تقوم بدورها بتدوير محركات الغواصة او السفينة او محطة التوليد . اما في القنبلة النووية فلا وجود للمفاعل او تترك الطاقة النووية المتحررة لتنطلق بدون قيود مخلفة الخراب والدمار .

في عام ١٩٤٥ كانت الولايات المتحدة تتمتع فعلا باحتكار السلاح النووي . ولكن هذا الاحتكار لم يدم طويلا اذ تمكن الاتحاد السوفياتي من تفجير قنبلته النووية الاولى في عام ١٩٤٩ وتلته بريطانيا في عام ١٩٥٢ . وتداعت الدول الكبرى الى تشكيل هيئة الطاقة الذرية الدولية في عام ١٩٥٧ التي انضمت اليها دول المعسكر الشرقي ودول غرب اوروبا والتي لعبت دورا هاما في تشجيع البحوث المتعلقة بالتطبيقات السلمية للطاقة الذرية .

وقد تضمنت الاتفاقات الدولية المعقودة بين الدول المتقدمة حظرا على تفجير القنابل الذرية في الهواء وفي البحر ، وكذلك تعهدت الدول بعدم تقديم اية مساعدة لاية دولة قد تستخدم في صناعة القنبلة الذرية وذلك ضمن معاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية التي تم توقيعها في عام ١٩٦٨ . وبناء على هذه الاتفاقات فقد اتخذت العلاقات الدولية اتجاها خاصا متميزا . اذ ان الدول الاخرى (ومنها الدول النامية) لم تقنع ببقائها خارج النادي النووي ، لذلك سعت الى كسر طوق الاحتكار الذري العالمي . واول هذه الدول هي فرنسا التي فجرت قنبلتها النووية الاول في صحراء الجزائر في عام ١٩٦٠ ولحقت بها الصين في عام ١٩٦٤ ثم الهند في عام ١٩٧٤ .

الطاقة النووية تخسر معركة الطاقة

في الستينات نجحت الدول المتقدمة صناعيا ، بالاشتراك مع مؤسسة الطاقة

مظاهرات فى ألمانيا الاتحادية ضد برنامج الطاقة الذرية

يبدو أن المارد النووى قد خرج من قمقمه فى الشرق الاوسط . لقد بدأت الدول النامية ، وبشكل خاص دول المنطقة ، تشعر أن معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية تستخدم أكثر فأكثر لغرض الوصايا عليها لمنعها من بلوغ مرحلة الاعتماد على النفس بشكل كلى فى مجال التكنلوجيا الذرة حتى فى التطبيقات السلمية الصرفة !!

الذرية العالمية في اقناع الدول النامية بان الطاقة النووية تمثل رمزا للتقدم الحضاري. وقد وجدت الشركات الصانعة للمفاعلات في الشرق الاوسط بشكل خاص سوقا ملائمة لبيع منتجاتها . وبناء عليه عمدت بعض دول المنطقة الى رسم مخططات طويلة الاجل تحسبا لليوم الذي ينضب فيه معين النفط .

لكن كثيرا من هذه الدول بدا يعيد النظر في خططه السابقة انطلاقا من ان الطاقة النووية قد لا تكون الحل الملائم لمشكلة الطاقة عندها في المستقبل . وقد ثبت ان تكلفة المفاعلات النووية تزيد كثيرا عما كان متوقعا لها فيما مضى . فالمفاعل الذي تبلغ قيمته ٩٠٠ مليون دولار يكلف عمليا اكثر من ٣٠٠٠ مليون دولار وذلك باخذ المصاريف الاضافية بعين الاعتبار ، مثل نفقات الاستشارات الفنية (تقدر بحوالي ٣٧٪ اضافية) والتغذية الاولى بالوقود النووي (٦ - ١٠٪ اضافية) وغيرها .

ولذلك فقد وجدت بعض الدول غير المنتجة للنفط ، مثل تركيا ومصر ، انها غير قادرة عل تمويل مفاعلها النووي الاول عل الاطلاق . وحتى تلك التي تقدر عل ذلك تتساءل الان عما اذا كان المشروع يستحق المخاطرة . وقد قامت حكومة الكويت في العام الماضي بضغط مخططاتها الرامية الى شراء مفاعل تدريبي لان جميع العروض لانشائه التي قدمتها الشركات الصانعة للمفاعلات كانت مرتفعة التكلفة جدا . كما الغت حكومة الثورة الايرانية كلية البرنامج الذري الذي كان الرابع في العالم من حيث الحجم والذي تقرر انشاؤه في بوشير بمساعدة احدى الشركات الالمانية .

اكثر من ذلك فقد ثبت ان المفاعلات الصغيرة التي اقترحتها مؤسسة الطاقة الذرية الدولية في الستينات غير اقتصادية اطلاقا ، كما انها غير مناسبة لكثير من الدول النامية بسبب استطاعتها الكبيرة بالنسبة لحاجات هذه الدول فتركيز السكان والصناعة المحلية لا تحبذ هذا التركيز الهائل لمصادر الطاقة .

يضاف الى ذلك ان دول الشرق الاوسط قد لاحظت عداء الراي العام الغربي للطاقة النووية ، مما افسح المجال لتساؤلات كثيره تطرحها وسائل الاعلام في المنطقة عما اذا كان من الضروري حقا استيراد التكنولوجيا الذرية ، خاصة بعد ان اجتاحت العالم الغربي موجة عارمة من الرفض بعد حادثة التسرب الذري في مفاعل ثري مايلز آيلاند في ٢٨ آذار (مارس) الماضي والتي كادت تنسف ولاية بنسلفا الامريكية .

ولعل النقطة الاهم التي تجعل كثيرا من الدول النامية مترددة في دخول هذه التجربة هي شعورها بان الطاقة النووية قد ترغمها عل قبول شروط مجحفة تفقدها حقها في الاشراف عل المنشآت النووية التي ستشتريها. فمن شروط بيع هذه المنشآت ان تبقى خاضعة لاشراف الدولة المصدرة لها . وقد ينتج عن ذلك ان تتحول المنطقة مرة اخرى الى طرف ضعيف في صراع الدول العظمى .

لهذه الاسباب مجتمعة فقدت الطاقة النووية جاذبيتها كمصدر بديل للنفط في الشرق الاوسط . ويرد بعض المراقبين سبب الاهتمام المستمر والمتزايد احيانا في الطاقة النووية حاليا الى الرغبة في الاستفادة من الطاقة النووية في المجالات السياسية والعسكرية . وهناك صلة وثيقة بين الاستثمار السلمي لتلك الطاقة واستثمارها عسكريا ، وذلك ما اثبتته التجربة حين اظهرت ان مسالة التمييز بين الذرة السلمية والذرة العسكرية ليست الا مسالة نظرية بحتة . فالولايات المتحدة اقامت اول مفاعل نووي عام ١٩٤٢ وانجزت قنبلتها الذرية الاولى عام ١٩٤٥ . والهند ابتاعت مفاعلها الذري الاول عام ١٩٥٧ وانجزت قنبلتها عام ١٩٧٤ .

ولابد هنا من الاشارة الى عامل هام جدا . ان معاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية الموقعة من قبل ٨٩ دولة فقط ، والمبرمة في وقت كانت تلك المسالة مسالة سياسية بحتة هى معاهدة جائرة وغير فعالة ، بدليل ان دولا كثيرة رفضت توقيعها ودولا اخرى ابدت تحفظها ووافقت فقط عل وضع صناعتها النووية تحت المراقبة الدولية فكان من نتيجة ذلك ان وجدت بعض الدول في بنود تلك المعاهدة التي لا تهدف الا الى فرض وصاية نووية من بعض الدول عل الدول الاخرى ، المبررات الكافية لصنع وتطوير اسلحة نووية خاصة بها . ذلك ما فعلته كل من فرنسا والصين والهند .

وثمة نقطة هامة اخرى .. لقد شعرت الدول النامية في ظل الحظر المفروض عليها من الدول المتقدمة بضرورة الاعتماد عل نفسها . وتشير الدلائل الى تعاظم التنسيق بين الدول الاسلامية وبين الدول النامية ذات الخبرة الاطول في هذا المجال كالهند والباكستان والبرازيل والارجنتين . كذلك تقوم بعض دول الشرق الاوسط بجهود جبارة بغية اكتشاف مصادر محلية للاورانيوم .

موقف باكستان

ان موقف باكستان يسترعي الانتباه بشكل خاص .. نتيجة المفاوضات التي اجريت بين باكستان وكندا في الستينات قامت شركة Canadian Kannvpp ببناء مفاعل نووي في باكستان باستطاعة ١٢ ميغاواط . وقد بدا هذا المفاعل عمله في عام ١٩٧٢ . الا ان تفجير الهند لقنبلتها النووية تحت الارض بعد سنتين (في عام ١٩٧٤) اعطى برنامج باكستان النووي منحى جديدا . وبموجب هذا البرنامج كانت باكستان قد خططت لبناء ٢٠ مفاعل ذري حتى عام ٢٠٠٠ بمساعدة الحكومة الكندية ، وقد وقعت عقدا آخر مع فرنسا لتزويدها بمحطة لاعادة تجهيز الوقود النووي . وهذه المحطات تقوم باستخلاص البلوتونيوم من الفضلات النووية الناتجة في المفاعلات المدنية والعسكرية .

من المعروف ان البلوتونيوم ، وهو عنصر صنعي غير موجود في الطبيعة ، يمثل المادة الاولية الرئيسية الضرورية لصناعة القنبلة الذرية حيث يكفي ، حسب تقديرات الخبراء، ٨ كغ منه لصنع قنبلة ذرية واحدة . وعليه فان البلوتونيوم يتجمع نتيجة تشغيل المفاعلات النووية السلمية . وتؤكد بعض النشرات العلمية ان دولا عديدة ليست الان نووية - بالمعنى العسكري - ستصبح خلال السنين القليلة القادمة قادرة على انتاج الاسلحة النووية ان رغبت ، وان كمية البلوتونيوم التي ستخلفها خلال العشرين سنة القادمة كافية لصنع آلاف القنابل الذرية سنويا .

وهناك مادة اولية اخرى مستعملة في معظم المفاعلات النووية الضخمة ، ويمكن استعمالها في صناعة القنبلة الذرية على حد سواء هي الاورانيوم المركز الذي يتم الحصول عليه من الاورانيوم الطبيعي بعملية معقدة للغاية . وتحتكر الولايات المتحدة وحدها ٩٠٪ من الانتاج العالمي له (خارج المعسكر الاشتراكي).

هذا وقد كان الوقود المستعمل في القنبلة التجريبية الاولى في صحراء المكسيك وقنبلة ناغازاكي من البلوتونيوم ، بينما كان وقود قنبلة هيروشيما من الاورانيوم المركز .

مما لا شك فيه ان محطة اعادة تجهيز الوقود النووي التي تعاقدت عليها باكستان مع فرنسا ستؤمن لباكستان المقدرة على صناعة القنبلة الذرية .. ولكن من يدري فقد يكون الدافع الرئيسي لشراء هذه المنشاة هو رغبة باكستان في ان تكون مركزا ذريا يصدر التكنولوجيا النووية الى المنطقة باسرها .

ولكن نتيجة الضغط المركز الشديد الذي مارسته الولايات المتحدة فقد اصبح تنفيذ العقد الفرنسي امرا مشكوكا به ، كذلك فقد توقفت كندا - التي كان عليها بناء معظم المفاعلات العشرين الجديدة - عن التقيد بالتزاماتها في عام ١٩٧٦ وذلك عندما رفضت باكستان الموافقة على الاجراءات غير العادلة التي فرضتها كندا على البرنامج النووي الباكستاني .

موقف السعودية

في عام ١٩٧٧ صرح الدكتور فاضل قباني ممثل المملكة العربية السعودية بالمؤسسة الدولية للطاقة الذرية انه ليست لدى المملكة اية خطط لشراء مفاعلات نووية لانها لا تحتاج الى هذا النوع من مصادر الطاقة . واضاف انه - رغم ذلك - سيتم انشاء لجنة للطاقة الذرية كما سيتم بناء « مركز بحوث نووي قومي كبير متعدد الاغراض » . وقد اعلن في نيسان (ابريل) الماضي عن بعض تفاصيل المركز المزمع انشاؤه بمساعدة شركة تكيكواتوم الفرنسية .

ومن البديهي ان يحتوي المركز على مفاعل تدريبي بقصد اجراء البحوث عليه ، لكنه سيحتوي كذلك على كلية متخصصة بتكنولوجيا المفاعلات هدفه ارساء اسس التكنولوجيا الذرية في المملكة . وسيقوم المركز ايضا بدراسة امكانية بناء سلسلة من المفاعلات التي تهدف الى انتاج الكهرباء وتغذية منشآت ازالة ملوحة مياه البحر بالطاقة على طول شاطىء الخليج العربي والبحر الاحمر . كما سيقوم المركز بدراسة امكانية بناء منشأة لاعادة تجهيز الوقود النووي وأخرى لانتاج الماء الثقيل . وتعد العربية السعودية العدة للتنقيب عن الاورانيوم ضمن برنامج واسع

مظاهرات ضد الطاقة الذرية فى أمريكا على أثر تصدع مفاعل بنسلفانيا الذرى

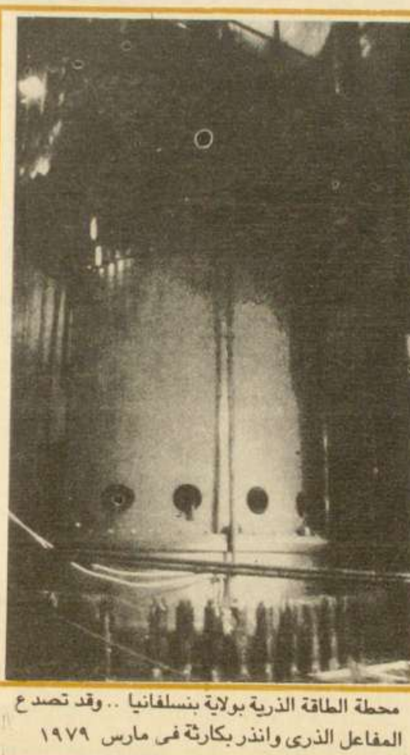

محطة الطاقة الذرية بولاية بنسلفانيا .. وقد تصدع المفاعل الذرى وانذر بكارثة فى مارس ١٩٧٩

النطاق ، خصوصا بعد ان اعطى المسح الاولى نتائج ايجابيـــة مشـجعة عن وجود بعض المكامن .

ولعل ما تبحث عنـه المملكة العربيـة السعودية هو التكنولوجيا الذرية ، خصوصا وان ذكر منشاة الماء الثقيـل يقرب من الاذهان نيتها في استخدام منشآت الاورانيوم الطبيعي غير المركز ، وربما حتى تتجنب التبعية للولايات المتحدة عند التزود بالوقود الذري المصنع من الاورانيوم الطبيعي . وقد تتجه في سبيل ذلك الى كندا ، لكنها قد تسعى الى استخدام تكنولوجيا باكستانية في بناء المفاعلات على الاقل . وربما تقوم بمحاولة شراء المنشآت الاعقد من فرنسا او المـانيا الاتحادية .

موقف العراق

يبدو ان العراق اكثر الدول العربية تقدما في مجال التطور الذري . ومع ان برنامج العراق الخاص بمفاعلات الطاقة متوسط الحجم الا ان لديه مركزا مع مفاعل للبحوث بنـاه الاتحاد السوفياتي ويعمل بصورة مرضيـة منذ عام ١٩٦٨ ، كما انه يبنى الان مركز بحوث اكبر واحدث اشتراه من فرنسا وينتظر لاستكماله مفاعل (Osirak) الذي تبلغ استطاعته ٧٠ ميغاواط . وقد تاخر تسليم المفاعل سنتين كاملتين بسبب عملية تخريبية لنواة المفاعل تمت في فرنسا .

ويتوقع الخبراء الغربيون ان يتوصـل العراق الى القنبلة الذرية قريبا . وقـد استفاد العراق من مفاعل البحوث السوفياتي IRT - 2000 في غضون السنوات العشر الماضيـة في تدريب خبـرائه النوويين المحليين .

كذلك فقد اجرى العراق ايضا اتفاقات تعاون في هذا المجال مع بعض دول العالم الثالث وخاصة مع الهند والبرازيل . ويتكهن تقرير حديث بتوقيع اتفاق « سري » يحصل العراق بموجبه عـلى مادة البلوتونيوم من البرازيل ، وذلك بعد ان تصبح محطة اعادة استخلاص البلوتونيوم ـ التي تبنيها المـانيا الاتحـادية الان بالبرازيل ـ جاهـزة للاستثمار .

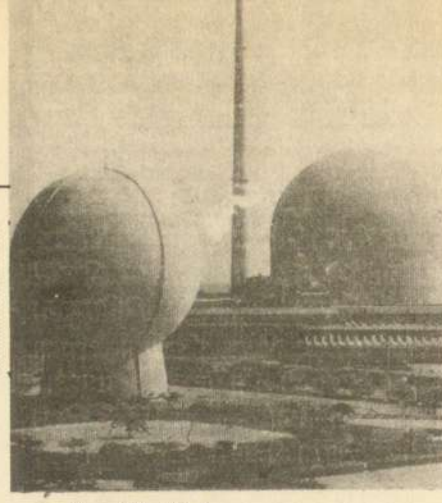

المفاعل الذرى الهندى

موقف ليبيا

ليبيا كذلك تسعى الى امتـلاك السـلاح النووي ، وهي لا تخفي نواياها تلك . في نهاية الستينات حاولت ليبيا شراء اسلحة نووية من الصين . لكن جهودها لم تكلل بالنجاح ، لذا صممت على تطوير قدراتهـا الذاتية . وقد اتمت بناء مركز للبحـوث ومفاعل للطاقة النووية بمساعدة الاتحـاد السوفياتي . كذلك فقد قامت بايفاد مئات المبعوثين الى اوروبا والاتحـاد السوفياتي لدراسة الهندسة النووية ، كما انها تشجع اختصاصيي الذرة من رعايا الدول العربيـة الاخرى لشغل مناصب هامة في المركز النووي الجديد . كذلك فان لدى ليبيا برنامجا ضخم للتنقيب عن الاورانيوم في الصحراء .

وفي نفس الوقت اجرت ليبيا اتصـالات مكثفة بقصد التعاون مع بعض الدول المصدرة « الجديدة » لتكنولوجيا الذرة . فقد قامت في عام ٩٧٤ بتوقيع اتفاقية خاصة بالتنقيب عن الاورانيوم واستخلاصه مع الارجنتين . وفي عام ١٩٧٥ صرحت الهند انها مستعدة لتزويد ليبيا بمفاعل نووي ، كما انها مستعدة لتشغيل اية منشاة نووية قد تحصل عليها ليبيا من الدول الاخرى .

لكن اهتمام ليبيا الاكبر تركز على اتصالاتها مع باكستان . فقد قدمت ليبيا لباكستان مساعدات مادية ضخمة لتنفيذ برنامجهـا الذري ، وقـد يكون ذلك مقابل مساعدة تكنولوجية تقدمها باكستان لليبيا . وقـد ترددت بعض الشائعـات عن قنبلة نووية مشتركة باكستانية ـ ليبيـه تحت الارض يحتمل اختبارها تحت الارض في الصحـراء الليبية في الخريف القادم . وبهذا الطريقة قد تتمكن باكستان من لفت الانظـار الى امتلاكها للتكنولوجيا النووية دون ان تضطر الى نقض معاهداتها مع كل من فرنسا وكندا ومؤسسة الطاقة الذرية الدولية .

ليس من المستغرب ان تقوم الدول الاسلامية بتركيز جهودها في محاولة لانتاج « القنبلة الاسلامية » بعد ان اصبح امتلاك اسرائيـل للقنبلة الذرية شبه مؤكد . ولعل اسرائيل قد استفادت في صنع هذه الاسلحة من اعادة استخلاص الوقود النووي في مفاعل البحوث الذي تمتلكه ذي الاستطاعة ٢٦ ميغاواط الذي يعمل بالاورانيوم الطبيعي في مجمع ديمونا الذي لا يخضع لاي تفتيش دولي .

ومن غير المشكوك فيه ان اسرائيل قـد حققت سرية نووية متطورة ، وهي تتعاون في هذا المجال مع النظام العنصري في جنوب افريقيا التي تمتلك احتيـاطيا كبيـرا من الاورانيوم الطبيعي .

الخاتمـة

يبدو ان المـارد النووي قـد خرج من قمقمه في الشرق الاوسط . لقد بدات الدول النامية ، وبشكل خاص دول المنطقة ، تشعر ان معاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية تستخدم اكثر فاكثر لفرض الوصاية عليها لمنعها من بلوغ مرحلة الاعتماد على النفس بشكل كلي في مجال تكنولوجيا الذرة حتى في التطبيقات السلمية الصرفة . والـدول المتقدمة تساعد الدول النامية بالحد الـذي يبقى هذه الاخيرة تابعة لها بشكل دائم . ولعل ذلك يدل على ان الدول المصدرة للذرة لا ترغب في مواجهة منافسين لها من زبائنها القـدامى في سوق تصـغر بشكل حاد وباستمرار .

وامام محاولات الدول الصناعية هـذه تشعر الدول الاسلاميـة ان اية محاولات لفرض الوصاية عليها من قبل الدول المصدرة للذرة لن يزيدها الا اصرارا على عزمها الاكيد في بناء الصناعات النووية . وقـد يكون السبيل الامثل في هذا المجال هو توحيـد الموارد النفطية للدول الاسلامية مع تكنولوجيا الذرة المتوفرة في دول العالم الثالث ممـا سيولد مزيجا متفجرا يقود الركب الى الهدف المنشود .

روكس العزيزي

هزائم ثلاث في حياة خليل مطران

خليل مطران الشاعر المبدع، المجدد الذي حاسبته سنة الف وتسعمئة وسبع وثلاثين ١٩٣٧ ، محاسبتي لفيلسوف ، اريد اليوم ان انصفه من نفسي ، فانظر اليه شاعرا صادق الرؤية ، دقيق الاحساس ، كما هو في الحقيقة والواقع ...

فمن صدق رؤيته ودقة احساسه ما اوحى به اليه تمثاله ، يوم وقف ينظر اليه ، بعد ان نصب تكريما له وهو حي ، فناجاه وكأنه يقرأ صحف الغيب :

مثالي ، انني أرنو
اليك ، وان بي رمقا
دنا اجلي، فيا جذلي،
ولكن انت قد تبقى
اخاف عليك ان تحيا
ومن يحيا ولا يشقى ؟

أجل، قبل ان يمر على هذه المناجاة عامان ، لبّى الخليل نداء ربه ، مخلفا حسرة في قلوب عارفي فضله ، ومقدري مزاياه . فلقد تفرد الخليل بمزية خاصة به، وهي اجماع القلوب على حبه والاعتراف له بالفضل والسبق - على الرغم من تواضعه الجم - واليك صورة حية من ذلك التواضع المهذب ، الذي لا يزدهي ، ولا يدعي :

هائم في الوجود أسأله الوحي
كما يسأل الغني الفقير
أكبروني ، ولست اكبر نفسي
انا في الفن مستفيد صغير
لا يضيق صدر شاعر بأخيه
يكره الفضل أن تضيق الصدور

والسماوات لو تأملت فيها
ليس تحصى شموسها والبدور
كان جرم يعلو ويصبح نجما
فله حيز ، وفيه يدور
والنجوم التي تلوح وتخفى
ربوات ، وما يضيق الاثير

بمثل هذه السّماحة النفسية ، والصفاء الروحي ، والتواضع الذي لا صغار فيه ، والحب للناس جميعهم ولاخوانه الشعراء ، كان الخليل يواجه الحياة ، فلا يضيق صدره بشاعر ، ولا يخاف مزاحمة احد ، ولا يحاول ان يسد في وجه غيره الطريق .

واذا نقد احدا، رايت نقده موضوعيا ، لا يلمسه من يقرأ للخليل قراءة متسرعة . فاذا وصف (حافظ ابراهيم) ، قال : « هو شاعر اللفظ المختار ، كأن الفاظه در منتقى»:

الست اذا شاقتك ابيات حافظ
حسبت (أبا تمامك) اليوم منشدا ؟

فهذا نقد ، في قمة البراعة يشير الى ان هم حافظ ان يقلد (ابا تمام) فيأتي صورة عنه

واذا مدح (شوقي) قال :

الست اذا انست من عهدنا سنى
لحكمة شوقي ، قلت : حكمة احمدا ؟

فشوقي همه أن يقلد المتنبي ويكون صورة له . ولا يجرؤأحد من اخوانه الشعراء ان يجدد او يبتكر .

شعر عصري

أما الخليل ، فيرد على الذين يعيبون تجديده ، قائلا - في مقدمة الجزء الاول من ديوانه - قال :

بعض المتعنتين الجامدين من المتنطعين الناقدين :

« ان هذا شعر عصري » وهموا ان يبتسموا ...

فيا هؤلاء نعم ، هذا شعر عصري وفخره انه عصري وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر.

هذا شعر ، ليس ناظمه بعبده ، ولا تحمله ضرورات الوزن والقافية على غير قصده ، يقال فيه المعنى الصحيح، باللفظ الفصيح . ولا ينظر قائله الى جمال البيت المفرد ، ولو انكر جاره ، وشاتم أخاه ، ودابر المطلع ، وقاطع المقطع ، وخالف الختام . بل ينظر الى جمال البيت في ذاته ، وفي موضعه ، والى جملة القصيدة في تركيبها، وفي ترتيبها، وفي تناسق معانيها وتوافقها ، مع ندور التصور وغرابة الموضوع ومطابقة كل ذلك للحقيقة ، وشغوفه عن الشعور الحر ، وتحري دقة الوصف، واستيفائه فيه على قدر » .

أجل ، لقد كان الخليل مجددا جريئا ، لا بل ، رائدا في التجديد ، رائدا في الشعر المنثور . ومن تجديده الذي يدل على شجاعة ادبية ، ليس فوقها شجاعة ، خاصة في ذلك الزمن فقصيدته (فنجان قهوة) ثورة على تصميم القصيدة العربية ، وهي جرأة وتجديد ، يسجلان له باعجاب فقد جاء فيها :

البحر ساج ، والسكينة سائدة
والليل داج ، والمدينة راقدة

حافظ ابراهيم

احمد شوقي

السلطان عبد الحميد

● هائم في الوجود أسأله الوحي كما يسأل الغنيَّ الفقيرُ
أكبروني ولستُ أكبر نفسي أنا في الفنّ مستفيدٌ صغيرُ

غمر الظلام هضابها وجبالها
وقلاعها وصروحها فازالها ،
شبه المحيط المستوي وبقاعه ،
ما لا يرى من شمه وبقاعه ،
لا نجم في الافق المحجب سافر
خلل السحاب ، ولا سراج ساهر
واذا أصاخ الى الجهات مطيف
سمعا ، فلا ركز يحس خفيف
الا خطى شبح ضئيل هائم
كالوهم يسري في مخيلة هائم

ومن تجديده الذي يعد ثورة في عالم الادب – حينذاك – قصيدته في رثاء استاذه المرحوم الشيخ (ابراهيم اليازجي) قال في مطلعها

أطلق عبراتك من حكم الوزن والقافية
وصعد زفراتك غير مقطعة عروضا ،
ولا محبوسة في نظام
قل وقد نظرت الى الموت وهو فاعل عامد
ما توحيه اليك النفس لدى رؤية امده الرائع
لا عتب على الحمام هو الظلمة والحياة والنور
هو الاصل الازلي الابدي والنور حادث زائل
فاذا ازهر شارق في دجنه ، فهو يكافحها وينافيها
الى ان ينقضي سببه ، فيتضاءل ، ثم يتلاشى فيها.

ماذا أعدد من تجديده ؟ فهو محلق في الشعر القصصي ، من ذلك

أ– الجنين الشهيد – وهي علواء باهرة

أتت مصر تستعطي باعينها النجل
وعرض جمال لا يقاس الى مثل
غريبة هذي الدار بادية الذل
جلت طفلة عن موطن ناضب قحل
الى حيث يروي النيل باسقة النخل

ب – والطفل الطاهر والحق الظاهر :

لك يا وليد تحية الاحرار
كتحية الجنات والاطيار
تهدي الى سحر من الاسحار

جـ – والطفلة البويرية :

(أدماء) فتاة لعتوب
خفيفة ، ما لها قرار

وقد بلغ الغاية في الشعر الرمزي من ذلك ، قصيدته الساحرة حقا :

أ – مقتل بزوجمهر التي رمز فيها الى استبداد (عبد الحميد) الثاني، والى فتكه في احرار العرب

ب – وشيخ اثينة

جـ – أما ملحمته (نيرون) التي هاجم فيها الجور والطغيان ، وانحى على الشعوب التي تستخذي للذل ، وحاول فيها ان يستنفد من وسائل الشعر الموحد الروي ، في نظم الملحمة ، كما نظمها (هومر) و (دانتي) و (ميلتون) وقد دافع في مقدمتها النثرية عن الشعر الحديث .

١ – مطلع مقتل (بزرجمهر)

سجدوا لكسرى اذا بدا اجلالا
كسجودهم للشمس اذ تتلالا

٢ – مطلع شيخ (أثينة) .

يا عبرة الدهر جاوزت المدى فينا
حتى ليانف ان ننعاه ماضينا

٣ – اما ملحمة نيرون فمؤلفة من ٣٢٧ ثلثمئة وسبعة وعشرين بيتا من الشعر ، على بحر الرمل ، مطلعها :

ذلك الشعب الذي اتاه نصرا
هو بالسبة من (نيرون) احرى

الى ان يقول :

انما يبطش ذو الامر اذا
لم يخف بطش الاولى ولوه امرا

ويختمها ، بقوله :

كل قوم خالقو (نيرونهم)
(قيصر) قيل له ام قيل (كسرى)

ثلاث هزائم

وعلى كل ما اوتي الخليل من براعة والمعية في الشعر ، وتمكن من العلم وسماحة في الخلق ، وذكاء فانه مني بثلاث هزائم كانت سما زعافا لحياته:

١ – **الهزيمة الاولى** : هزيمته في الصحافة . فقد استقال من رئاسة تحرير (الاهرام) وأنشأ (المجلة المصرية) ، وهي مجلة نصف شهرية وقفها على الادب ، لكنه اضطر الى وأدها بعد سنتين ، فانشأ جريدة دعاها (الجوائب المصرية) لاقت في مطلع حياتها تشجيعا ، لكنه كان بسرعة اقباله وسرعة ادباره ، يشبه نار الزحفتين في سرعة شبوبها وهمودها ، فما عتم أن تضاءل ، فانقطع ، لان الاقبال على الصحافة – في زمنه – لم يكن مثله اليوم ، اذ كان المورد الوحيد للصحيفة ما يجود به مشاركوها، فاتفق ان الخليل أرسل مرة جابي الجريدة يطلب بدل المشاركة من احد اصدقاء الخليل ، فماطله ، فلما عاد يطالبه اجاب : « ايه يا اخي هو ده ثمن عيش ؟ » فجاءت كلمة هذا الصديق مع تهديد الوزارة له ومضايقة قانون المطبوعات لتصرفه عن الصحافة ، وهذه هي هزيمة الخليل الاولى . على الرغم من انه ما خلق ليعترف بهزيمة ، لانه واجه مضايقات قانون المطبوعات

وتهديد الوزارة برجولة لا تعرف الخنوع ، فقال يخاطب الوزير :

« انا لا اخاف ، ولا أرجي
فرساي موهبتي ، وسرجي
فـاذا نبـا بي متن بـر ،
فالمطيـــة بطن لـــج
لا قـــول غير الحـق لـي
قول ، وهذا النهج نهجـي
الوعد ، والايعـاد ، ما كانا
لـدي ·طـــريق فلـــج

وكان قد هاجم قانون المطبوعات بقوله فيمقطوعة دعاها (مقاطعة) :

شـردوا أخيارهـا بحرا وبرا
وقتلوا أحرارها ، حرا ، فحرا
انما الصـالح يبقى صالحـا
اخر الدهر ويبقى الشر ، شرا
كسروا الاقلام ، هل تكسيرها
يمنع الايدي ان تنقش صخرا ؟
قطعوا الايدي ، هل تقطيعها
يمنع الاعين ان تنظر شزرا ؟
اطفئوا الاعين ، هل اطفاؤها
يمنع الانفاس ان تصعد زفرا ؟
اخمدوا الانفاس، هذا جهدكم ،
وبــه منجاتنـا منكم ، فشكرا

اجـل ، وقف الخليل في وجـه المضايقات والتهديد ، حتى محاولة اغتياله وهو في فراشه ، وقف في وجه ذلك كله ، جبلا من الشجاعـة والاخـلاق ، لا يتزعزع ، لكنه فقد عزيمته ، الى حد الانهيار ، يوم رأى احد أصفيائه، ينظر اليه ـ صحافيا ـ نظرته الى متسول · فقرر ان يطلق الصحافة طلاقا بائنا ، لا رجعة فيه ، مع علمه ان الصحافة هي التي توقظ الشعوب ـ اذا كانت حرة ـ وتدافع عن الحقوق ، وتحارب الظلم · ومع انه هو مطبوع على محاربة الظلم والاستبداد ، وبرهاننا على ذلك ، ان زيارته الاهرام مرة ، اوحت اليـه بقصيدته الخالدة ، التي قال فيها :

« اني ارى عد الرمال هاهنا

هومر

دانتي

ملتون

خـــلائقا تكثـر ان تعـددا
محنية ظهورهم ، خرس الخطى
كالنمـل دب مستكينا مخلدا
أكلّ هذي الانفس الهلكى غـدا
تبني لفانٍ جـدثا مخلدا ؟

وقد ذهب بعض الشعراء الكثير من هذ القصيدة الخالدة ···

من الصحافة للتجارة

ب ـ والهزيمة الثانيـة كـانت في التجارة، فقد قرر بعد طلاقه الصحافة ان يحترف التجارة ، لعله يسترد من التجـارة ما خسر في الصحافـة ، فتاجر ، وربح ، فاغراه الربح بأن يجازف ويضارب ، فخسر كل ما يملك فشعر بخيبة ساحقـة ، قادته الى التفكير الجدي في الانتحار ، لكنـه عدل عن الانتحار ، لانه رأى فيـه ضعفا وجبنا · فاعتزل الناس مداراة لهمومه والآمه ·· لكن اصحابه ، واصدقاءه ، حاولوا ان يعيدوه الى الحياة العامة ، فابي ، واصر على الاعتـزال في (عين شمس) وفي (عين شمس) نظم قصيدته الباكية بعنوان (ساعة يأس) ثم دعاهـا (الاسد الباكي) جاء فيها :

دعوتك استشفي اليك ، فوافني
على غير علم منك أنك لي اسي
فان ترني والحزن ملء جوانحي
أداريه، فليغررك بشري، وايناسي
وكم في فؤادي من جراح ثخينة
يحجبها بردای عن اعين النـاس
الى (عين‌شمس) قد لجأتوحاجتي
طلاقة جو ، لم يدنس بارجـاس

اسري همومي بانفرادي ، امنـا
مكايد واش أو نمـائم دسـاس

ولعل اروع بيت ، يمكن ان يصور انسحـاق نفسـه ، تصويرا ماديا قوله :

« دعوني أنكس هامتي غير متق
ملامـة رواد ، وشبهة جـواس »

ولما لاحقـه اخوانه ليعيدوه الى الحياة العامة ، والمجتمـع ، نظم قصيدة مؤلفة من اثنى عشر بيتا ، جاء فيها :

ولوا المدينه وجهكم ، ودعوني ،
انا في هواي ، وعزلتي، وجنوني،
عودوا الى البلد الامين وغادروا
بلدا لبعد الناس ، غير امين
عودوا الى حيث النمائم والاذى ،
والعيش بين وســاوس وظنـون
حيث الرذائل في مرافل عــزه ،
حيث الفضائل في غلائل هون ··

لكن اصدقاءه استطاعوا ان ينتزعوه من الصحراء ويعيدوه الى المدينة ، راضيا مرضيا ، على كل المساوىء التيالصقها بالمدينة فاختير كتوما ـ اي كاتم اسرار ـ للنقابـة الزراعية، وظل في هذا المنصب ، الى ان لقى ربه ، وقد كان قانعـا بذلك الدخل الزهيد ، بالنسبة الى عملاق مثل مطران ·

لقد كانت هذه الهزيمة المالية ، سحقـا لنفسـه ، وتدميرا لمركزه الاجتمـاعي ، لان الناس ينظرون الى المال ، نظرتهم الى اله مؤله ·

فهو اللسان لمن اراد فصاحة

وهو السلاح، لمن اراد قتالا ..

لكن الافلاس المالي ، وما جر عليه من اهوال جعلته يفكر في الانتحار، تفكيرا جديا ، كان اقل ايلاما لنفسه وسحقا لقلبة من هزيمته الثالثة – ثالثة الاثافي – أعني هزيمته فى الحب، التي صممها له القدر تصميما عبقريا .

العاشق المهزوم

اسطورة حب الخليل وكيف انهاها القدر ؟

كان اعنف حب استولى على قلب الخليل ، وهو ذلك الحب الذي ساقه اليه القدر ، بطريقة تكاد ان تكون معجزة ، أو اسطورة . كان الخليل مولعا بالرياضة وركوب الخيل ، فسقط مرة عنظهر فرسه سقطةأورثته تشويها دائما في انفه ، فاذا فاتته الرياضة ذهب الى الروضة يتنزه ، وفيما هو يتجول في الروضة رأى فتاة رائعة الحسن ، فاتنة الجمال مستلقية على اريكة في دلال ساحر، فشعر بانه يكاد يندفع نحوها – على كل ما في طبعه من خجل وعلى كل ما تفرضه عليه شهرته من ضرورة السيطرة على اعصابه – لان الشهرة حرمان – وفيما هو يفكر في ذلك ، اذا القدر يخدمه بصرخة تاتي من الفتاة ، فاسرع لنجدتها ، واذا نحلة قد لسعتها في وجنتها فاخذ يطارد النحلة ، وعاد الى الفتاة يطلب خاطرها ، فشعر ان الفتاة قد انست به ومالت اليه ، لانه اهتم بها من دون الناس جميعهم ، وقد اعجبها ما رأت فيه من نبل العاطفة وكرم الاخلاق . فتبادلا النظرات والابتسامات، فكانت جلستهما رباطا ربط قلبيهما بأسلاك المحبة . علم انها من (النمسا) ، وانها تتمتع بذوق أدبي رفيع ، وانها تتذوق الشعر الجديد ، وتحس بما فيه من نشوة ، فنظم لها الخليل بيتين من الشعر في لسعة النحلة هذه قال فيهما :

« أفتدي من لسعتها
نحلة ، تطلب وردا
ظنت الوجنة وردا ،
فاتت ترشف شهدا ..

فرحت الفتاة بهذين البيتين من الشعر

جان جاك روسو

ورددتهما بصوت فيه عذوبة موسيقية سحرت الخليل .. فلما انس منها ذلك ، اخذ ورقة وكتب فيها هذين البيتين من الشعر :

مر بها الحسن على كونه
حلو وقد اغرى بها النحلا
لعلها كفارة ، قدمت
عمن سيقضون بها قتلى ..

وهكذا هام الخليل بهذه الحسناء هياما ، ما وراءه من هيام . فنظم (حكاية شقين) التي تناولت قصة غرامه لا بل هيامه من بدايتها الاسطورية ، الى نهايتها الفاجعة وهي تؤلف ديوانا ، بهذه العناوين : – سعادة الحب – شكوى الحسناء – سعدة منطاد – اعتاب ، استرضاء – ليلة سعيدة – ادم وحواء – اعتذار – اشعة رنتجن – مغاضبة – تذكار – القسم – عتاب – روعة نباء – تكذيب النباء – شفاء الحب – الى حبيب ميت – نغمة وذكرى – الاثر الباقي – المنديل – دمعة على فقيدة – كان – جواب سؤال – شغف وظماء – شكوى .

وبها انتهت حكاية العاشقين لكن حبه لم ينته، فقد انبعث حبه وهو يرى عصفوره ، بقرب تمثال (جان جاك روسو) على شجرة تشبه ان تكون من طيور مصر ، فنظم قصيدته (من غريب الى عصفورة مغتربة) الف ان يرسل مثلها في موعد من كل عام رغبة الى فقيد عزيز في عالم الغيب، وقد جعل مدارها في هذه القصيدة على عصفورة اشتبهت عليه ، بين ان تكون مجلوبة من مصر للاتجار ، أو قاطعة من قواطع الاطيار .

يا من شكت المي معي
طيته في مسمعي
شكواك الطف بلسم
لجراحه المتوجع
سيري وولي صدرك الـ
مشتاق ، شطر المربع ،
حتى اذا ما جئته ،
وشرعت اعذب مشرع
لي في ثراه دفينة
كالكنز في المستودع
تخفي الازاهر قبرها ،
عن أعين المستطلع ،
قولي له ان جئته ،
« يا انس هذا البلقع
أتحس في هذا الثرى
قبضات قلب موجع ؟
هذا حنين من فؤاد
محبك ، المتفجع
عدت العوادي جسمه
عن قرب هذا المضجع
فمضى باحزن ما يكون
اخو الاسى وباجزع

أما قصيدة (المنديل) فلوعة ، تقطر الما اذ وجد الخليل يوما ، وهو يقلب ملابسه في صوانه منديلا ابلاه مرور الاعوام عليه ، ولم يسلم منه الا الموضع الذي طرز عليه حرفان مشتبكان من اسم حبيبته ، فبكى الشاعر وقال :

أعد ايها المنديل ذكرا محببا
وانطق به الطيب الذي فيك مطريا
واطنب بما تحكيه عنها فانه
اذا ساء اطناب حبيبتك مطنبا
فذلك ذكر الحب انت تعيده
بل العمر اشهى ما يكون وأعذبا
وما بك من نشر ففي القلب مثله
طواه الهدى ومازال طيبا

لزمت صواني خافيا منذ عهدها
كانك سر في الطويه غيبا

الى ان يقول بعد ان صور ما في حياته من الام :

وما زلت يا منديل (ليلى) ملازمي
تنشقني الذكرى نسيما مطيبا
أصابك ناب قارض من فم البلى
الى موضع فيه اسمها فتجنبا
وغال فؤادي البين الا بقية
قضى الحب ان احيا بها ، فاعذبا

لقد عاش الخليل سنوات من سنه ١٨٩٧ الى ١٩٠٣ رأى فيها السعادة بحبه ، لانه كان يرى سعادة الحب في وجود الحبيب فنراه يتمنى لو ان منطادا يحمله هو وحبيبته كل الدهر، بعيدا عن عيون الرقباء ، فقضى بعد موتها عشرين عاما ينظم الاشعار التي تفيض الما وحزنا ·

اذا ، فموت الحبيبة ، هو هزيمته الثالثة الكبرى ··

مطران مريضا

يحكم القدر بأن يمرض الخليل مرضا خطرا ، فينصح له الاطباء بأن يسافر الى (الاسكندرية) ، فيفعل ، فتنشغل عنه الحبيبة بتمريض امها ، فلا هي تقدر ان تفارق امها ، ولا هو يستطيع ان يغادر (الاسكندرية) ليلقاها · وتموت ام الحبيبة في (حلوان) فتخبره انها مسافرة الى (النمسا) لعلها تجد بعض العزاء ، فبث الام نفسه في قصيدته الرائعة (المساء) ومنها :

داء ألم ، فخلت فيه شفائي
من صبوتي ، فتضاعفت برحائي ،

الى ان يقول :

متفرد بصبابتي، متفرد بـ
كابتي، متفرد بعنائي
شاك الى البحر اضطراب خواطري ،
فيجيبني برياحه الهوجاء ،
ثاو على صخر أصم وليت لي
قلبا ، كهذي الصخرة الصماء

ينتابها موج ، كموج مكارهي ،
ويفتها كالسقم في اعضائي
والبحر خفاق الجوانب ضائق
كمدا كصدري ساعة الامساء
تغشى البرية كدرة وكانها
صعدت الى عيني من احشائي

الى ان يوازن بين الطبيعة في لحظات الغروب ، وبين ما في نفسه من الم قائلا :

يا للغروب وما به من عبرة
للمستهام ، وعبرة للرائي
أو ليس نزعا للنهار وصرعة
للشمس بين جنازة الاضواء ؟
أو ليس طمسا لليقين ومبعثا
للشك بين غلائل الظلماء ؟

في هذه القصيدة الساحرة ، صور الخليل نفسه مندمجا بالطبيعة كل الاندماج ·

اذا ، فهذه هزائم ثلاث ، مني بها الخليل العظيم ، الاولى جعلته يشك في قيمة الصداقة ، الثانية جعلته يغير نظرته الى المجتمع الذي لا يمجد الا المال ، والثالثة جعلته يكفر بالطب وبالاطباء الذين لم يستطيعوا ان يردوا غائلة الموت عن حبيبته ، ويرى في الطب شعوذة وفي الاطباء دجالين :

قد كذب الطب ، والطبيب الا
انهما علتان للبشر
مشعوذ ، طائف بشعوذة ،
احسر في عقله ، وفي البصر
يحمل بلورة ليدرك ما
ندركه من مجرد النظر

أجل ، هكذا انتهى الخليل من دنياه بمرارة الافلاس ، في الصحافة وفي التجارة ، وفي الحب · ولم يغن عنه تفوقه في عالم الشعر، ولا تجديده ولا عبقريته ، ولا سبقه لزمانه ، فحق له ان يلخص لنا حكمته في الحياة ، وكثيرا ما تكون الحكمة بنت الهزيمة، قال :

- ان العمل اعظم نعم الحياة
- وان الحياة واجب لا متاع
- وان التشاؤم يثبط الهمم ويمنع الابتكار ويبعد عن الخير ·
- كان ينصح للناس ان يحبوا الحياة ، حب من يحاول ان يأخذ منها خير ما فيها ، لا حب الطامع في الاستزادة منها ·

●●

يحق لنا بعد ان عرضنا لهزائم الخليل ، ان نقرر انه انتصر اعظم انتصار في :

تجديده للشعر العربي من غير ان يفرط في رصانة الاسلوب وجزالة اللفظ ، وعمق المعاني · انه كان الفارس المجلى في الوصف، وبرهانه هو :

قصيدته (تذكار حبي)

وقصيدته (الاهرام) التي أغار عليها كثير من الشعراء ، ونهبوا منها ما أشاع لهم حسن الذكر ، وطيب الاحدوثة ·

انه طوع الشعر العربي للقصة ·

انه رائد الشعر الابداعي ·

انه لم يتلون في مبادئه ·

انه لم يحاول ان يعتم على شاعر، وان حاول كثيرون ان ينهبوا ويعتموا عليه ·

روكس العزيزي

STATE OF QATAR
MINISTRY OF ELECTRICITY AND WATER
ELECTRICITY DEPARTMENT
DOHA

دولـــة قطـــر
وزارة الكهربـــاء والمـــاء
ادارة الكهربـــاء
الدوحـــة

TO ALL CONSUMERS

The Electricity Department has issued Identity Cards to its staff working as Meter Readers, Bill Collectors, Electricians, etc. who have to visit consumers' premises to perform their duties. They have strict instructions to carry their Identity Cards at all times and to show the Card on request.

All consumers are, therefore, requested to note the following details to ensure that any Identity Card is valid or for reference/complaints if any:

a) Check likeness to photograph.

b) Check the Arabic year of the Card (validity current year only)

c) Employee's number.

Please insist on seeing an Identity Card before allowing any employee of this Department to enter your home because we can accept no responsibility for imposters claiming to be working for us. Please ensure that the identity card is authentic and has been signed by the Engineer & Manager.

ELECTRICITY DEPARTMENT

الى السادة المستهلكين :

تعلن ادارة الكهرباء للسادة مستهلكي التيار الكهربائي

انها أصدرت بطاقات شخصية جديدة معتمدة للموظفـين

الذين يتعاملون مع السادة المستهلكين في مساكنهم مثـل قارئي العدادات ومحصـــلي رسوم الاستهلاك الكهربائي والكهربائيين • وقد تم التنبيه عليهم مشددا بضرورة حمل هذه البطاقات دائما أثناء تادية واجباتهم وابرازها للسادة المستهلكين عند طلبها منهم •

وعلى السادة المستهلكين ضرورة طلب البطاقة الشخصية من موظفي ادارة الكهرباء للتحقق من تاريخ صلاحيتها للاشارة اليها في حالة تقديم اي استفسار أو شكوى مع ضرورة التاكد من : ـ

١ ـ أن الشخص الموجود لديهم هو صاحب الصـــورة الملصقة على البطاقة الشخصية •

٢ ـ تاريخ السنة الهجرية مكتوب بخط عريض عـلى البطاقة الشخصية • علما بان مدة الصلاحية سنة واحدة فقـــط •

٣ ـ رقم الموظف وهو مدون باللغتـــين العربيـــة والانجليزية •

واذ تناشد ادارة الكهرباء السادة المستهلكين وتحثهـم على ضرورة طلب البطـــاقة الشخصية من موظفي ادارة الكهرباء قبل السماح لهم بدخول السكن لأداء واجبهم • فانها تعلن عدم مسؤوليتها ازاء الاشخاص الذين ينتحلون صفة موظفي ادارة الكهرباء بدون وجـــه حق والذين لا يحملون بطاقات شخصية معتمدة بخاتم الادارة الرسمي وتوقيع مهندس ومدير ادارة الكهرباء •

ادارة الكهرباء

د. حسن عيسى عبد الظاهر

أفغانستان
الأرض والناس والأحداث

افغانستان : هذا الاسم الذى شد انتباه العالم كله ، وردده أجهزة الاعلام ، فى شرق وغرب ، وأصبح حديث المجالس الخاصة ، والهيئات العالمية العامة ، وعناوين الصحف ، وخطب المنابر ، وتحليلات الحاضر .

ما شأنه ؟ وما خطبه ؟ ! .

ولعله من الضرورة ونحن نتعرف عليه أن ندلف إليه من بوابته الضخمة والعتيدة بوابة التاريخ ، ولن نمكث طويلا فى رحاب هذا التاريخ ، بل لنمسك بالخيط من أوله ، وندرج على الطريق كذلك من أوله .

أم البلاد

لقد عرفناه ، وعرفه العالم بأسم (افغانستان) ، ويعنى هذا الأسم : أرض الافغان ،

وارض الأفغان هذه تمثلها الآن دولة حبيسة فى (وسط آسيا) لها فى التاريخ القديم صفحات طويلة ، ولها فى التاريخ الاسلامى صفحات كذلك ولكنها مجيدة ، ولها فى التاريخ الحديث صفحات مجيدة ودامية .

كانت فى التاريخ القديم تعرف بأسم (اريانا) وتعنى ـ الجيد أو النبيل ـ و (اريانا) هذه فى نظر المؤرخين مهد الآرية والآريين الذين هاجروا إليها من سهول تركستان الغربية ، واستقروا بها ، وتحولوا بمرور الزمن من حياة الرعى والارتحال إلى حياة الزراعة والاستقرار ، وبناء القرى وتعميرها حتى تم لهم بناء تلك المدينة التى نصادفها كثيرا فى كتب التاريخ باسم (بلخ) ، والتى عرفها العرب (بأسم ام البلاد) وتقع الان فى مقاطعة (مزار شريف) شمالى أفغانستان .

وفى الوقت الذى كانت فيه (مصر) قد بلغت قمة مجدها على ضفاف النيل كانت اريانا) تقيم بناء حضارتها الفريدة فى ذلك الجزء من العالم ،

كما كانت كذلك (المنبت) الأول للعقيدة الهندوكية التى هاجرت منها الى الهند

وكانت بهذا كله حلقة الوصل والرباط الوثيق بين حضارة الصين وحضارتى الفرات والنيل ، عبر هذا الطريق الهام الذى عرف فى التاريخ بأسم (طريق الحرير) ،

وهى بهذا كانت همزة الوصل بين الحضارتين الآسيوية والافريقية ؛ ومنها هاجر بعض القبائل (الآرية) فاتجه شرقا وعمر سهول الهند الشمالية ، واتجه بعضها غربا فعمر شمال فارس ، وشمال العراق ؛ . وواصل البعض منها هجرته حتى سهل أوربا الشمالى ،

ثم انها اتسعت صفحات التاريخ لها وهو يسجل مجىء الاسكندر إليها غازيا ومحاولا اتخاذها مقرا له فلم تكن له بقرار .

الأمل المنشود

وجاء تاريخها الطويل والمجيد ـ وهو التاريخ الاسلامى ـ وذلك من يوم دخلها

● أرض الأفغان تمثلها الآن دولة حبيسة لها في التاريخ القديم صفحات طويلة
● آريانا في نظر المؤرخين تعني مهد الآرية والآريين الذين هاجروا إليها
● عندما دخلت خراسان التاريخ الإسلامي وارتبطت بشعوب العالم الإسلامي
● الإمام أبو حنيفة ينتسب إلى كابول .. وقد اعتنق جده الإسلام

الاسلام على أيدى الفاتحين المسلمين وكانت وقتذاك فى عهد آخر الأكاسرة (يزد جرد) ، وكانت انذاك تمثل منطقة واسعة فى شرق الامبراطورية الفارسية تسمى (خراسان) ، وعاصمتها (مرو) وتضم (نيسا بور) ، وهراة ، وبلخ ، وطالقان) وغيرها .

وقد وصل إليها الفاتحون المسلمون بعد أن تتابعت فتوحهم فى اقليم (فارس) ، وانتهوا إليها فى اتجاههم من (فارس) نحو الشمال الشرقى ، فدخلها القائد (الأحنف بن قيس) ، وافتتح (هراة) ، ثم تابع مسيره إلى (مرو) وغيرها ؛ ثم جاء بعده القواد المسلمون يطرقون ابواب (كابول) . وأخذت عمليات الفتح منهم وقتا حتى كان عام ٩٤ هـ تم فتح (كابول) على يد القائد المسلم (قتيبة بن مسلم الباهلي) فى عهد الخليفة (الوليد بن عبد الملك) الأموى ، وقد عرفت (أفغانستان) فى العصر الاسلامى وتاريخه باسم (خراسان) — أى (أرض الشمس) وكانت بحكم موقعها ملتقى الفكر الشرقى الوافد عليها من الشرق الاقصى ، والفكر الغربى الوافد عليها من الشرق الأوسط .

فلما بزغ فيها نور الاسلام رأت فيه الأمل المنشود لبناء نهضتها الاجتماعية والسياسية ؛

ودخلت (خراسان) التاريخ الاسلامى ، وارتبطت بشعوب العالم الاسلامي ودوله وقدمت الكثير فى بناء ثقافته وحضارته ، فكان منها الجند الذين حملوا رايات الاسلام وشرقوا بها وغربوا ؛ . وكان منها الأئمة الأعلام الذين أثروا الفكر الاسلامى ، والحضارة الاسلامية بالعطاء الثرى فى كل ميادين العلم والمعرفة .

فقد نبت فيها وعلى أرضها ائمة اعلام وفقهاء أجلاء منهم :
الامام أبو حنيفة النعمان وينتسب إلى (كابول) ، وقد اعتنق جده الاسلام عند فتح المسلمين لها ؛
والامام أحمد بن حنبل ، وقد ولد بمدينة (مرو) ، ومنهم الائمة : البخارى ، والترمذى ، وابو داود ، ومنهم : الرازى ، والسجاوندى ، والزمخشرى ،

بل فى كل جوانب المعرفة الاسلامية نلتقى بأعلام فيها منهم : الغزالى ، وابن سيناء والفارابى ، والبيرونى ، وجابر بن حيان ، والجورجانى ، وابراهيم بن أدهم ، والسكاكى ، والتفتازانى ، والفسقى ، وجلال الدين الدوانى ، ثم جمال الدين الافغانى ؛.
وقد بلغت (خراسان) فى القرن الثامن للهجرة مبلغا نافست به مركز الخلافة الاسلامية فى زعامة المسلمين ونشر الدين الاسلامى فى العالم ؛ .

زنزانة جغرافية

ثم كان تاريخها الحديث : وإذ كانت قد

● يوجد فى أفغانستان بعض الجيوب الصغيرة مِن الهندوس واليهود والزرادشت
● الوضع الاستراتيجى لأفغانستان له تأثير على العالم كله

الاسكندر المقدونى

الرازى

ابن سيناء

الفرابى

جابر بن حيان

جمال الدين الافغانى

عرفت فى القديم بأسم (اريانا) ، وعرفت فى العصور الاسلامية بأسم (خراسان) ، نسبة الى إقليم (خراسان) فى شمالها ، فانها فى العصر الحديث عرفت باسم (افغانستان) نسبة الى قبائل الافغان التى كانت تعيش فى جزء منها ، وقد اطلق عليها هذا الاسم ، وعرفت به منذ أواسط القرن الثانى عشر الهجرى ، الثامن عشر الميلادى ودخلت التاريخ الحديث ، وتعرف العالم عليها ، وعلى احداثها اليوم بهذا الاسم (افغانستان) ؛

فأين هى فى تاريخها الحديث ؟
وأين هى من خريطة الأرض ؟
وأين هى من خريطة الاحداث ؟

هى قطر داخلى يقع فى أوسط آسيا حبيس . فموقعه أشبه ما يكون بزنزانة جغرافية ـ تبلغ مساحتها قرابة ٦٥٠ الف كم مربع ، فى شكل بيضاوى غير منتظم ، وتشترك مع جارات لها فى الحدود من شتى الجهات ؛

فالقادم إليها من جهة (ايران) يدخلها من جهتها الغربية إذ هى تشغل القسم الشمالى الشرقى من هضبة إيران ، ولعله يتبادر الى الذهن من كلمة (هضبة) معنى الارتفاع وهو كذلك ، إلا انك إذا مضيت قدماً من غربها إلى شرقها فسوف تظل ترتقى هضاباً وجبالا ومرتفعات كأنك تصعد الى السماء فى سلسلة من المرتفعات الجبلية الشاهقة والمعقدة . تلتقى فيها بسلاسل جبال (الهملايا) حيث تعرف هذه الجبال فى الجزء الشمالى الشرقى من افغانستان باسم جبال (هندوكوش) ـ أى جبال الأنهار ـ وهى كاسمها منبع كثير من الأنهار ، ويبلغ ارتفاع قممها الى حد ٧٠٠٠ سبعة آلاف متر ولهذا أطلق عليها سقف الأرض .

وجبال الانهار ، هذه تظل تمتد هكذا فى شموخها إلى الشمال من افغانستان ، كما تمتد من الجنوب الشرقى كتلة أخرى متشابكة فى مقاطعتى (كابول ونورستان) ؛ ثم إن (أفغانستان) فى شرقها حيث جبال هندوكوش اكثر ارتفاعا منها فى غربها حيث جبال (بارابا مسوس) ـ ماقبل البامير) ؛ كما تتناثر فى شتى انحائها الجبال والمرتفعات المشهورة (كوه بابا) و (تيرينو) و (كوة سليمان) متفرعة عن السلاسل الجبلية متجهة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ، اما سلسلة جبال سليمان التى تحتضن العاصمة (كابول) فتدخل فى أرض باكستان متجهة فى نهايتها نحو وادى السند ؛

وتتخلل هذه الدنيا من الجبال سفوح ووديان ومعابر بين سلاسلها هى اصلح الأماكن للزراعة والتجمع العمرانى ومن هنا كانت أهمية مدن (كابول ، وهراة ، وقندهار) بمواقعها الطبيعية التى اتاحت لها خصوبة ، وعمرانا قديما وحديثا ،

وينحدر سطح الاقليم انحدارا شديداً فى شمال هندوكوش نحو وادى (جيحون) حيث نلتقى هناك بهذا النهر الشهير نهر (جيحون) ـ أمو ـ الذى ينبع من جبال هندوكوش وقمة البامير ويمر بمقاطعتى (قطعن ، ومزار شريف) فى شمال افغانستان ثم يتجه إلى الشمال حيث يصب فى نهر أرال ،

وإذ قد وصلنا منْ نهر (جيحون) إلى شمال أفغانستان فاننا سوف نجد هذا النهر هو الفاصل بين أفغانستان فى شمالها وبين الاتحاد السوفيتى فى جنوبه .

فهى فى شمالها تشترك مع جنوب الاتحاد السوفيتى فى حدود مشتركة بطول ٢٠٠٠ الفى كم حيث الجمهوريات الأسلامية التابعة لهذا الاتحاد وهى جمهوريات (تركما نستان ، ازبكستان ، طاجكستان) ، ثم نتابع سيرنا مع الحدود من الشرق الى اقصى الشمال الشرقى حيث نجدها هناك تشترك مع الصين فى الحدود ،

ومن الشمال الى الشرق حيث تشترك مع اقليم (جامو) وكشمير ثم باكستان ، وتستمر حدودها المشتركة مع باكستان من الشرق الى الجنوب على امتداد ١٥٠٠ ك تقريبا ؛ ؛ هى إذن تطل من غربها على إيران ومن شرقها على الصين ، ومن شمالها على جنوب الاتحاد السوفيتى ـ الجمهوريات الاسلامية فيه ومن جنوبها على باكستان

الثوار يحملون السلاح فى افغانستان

موقع افغانستان بين دول المنطقة

● نحن نتساءل : هل هذه الأحداث كانت مفاجأة للعالم؟
● أم أنها كانت نتيجة مخاض طويل تولدت عنه تلك الولادة العسرة !؟

نور محمد الطرقى

حفيظ الله امين

بابرك كرمان

بريجينيف

مرورا بممر خيبر ،

ومن هنا كانت الأهمية الاستراتيجية لأفغانستان ، وموقعها وإطلالها على هذه الجارات ، وهذه الطبيعة الجبلية والاستراتيجية تلقى الضوء ، والأثر الواضح على تاريخها واحداثها قديما وحديثا ؛ .

شعب أفغان

ومن الطبيعة الجغرافية الى الطبيعة البشرية حيث نجد مجموعات من القبائل هى فى وحداتها وتعددها تعد اكبر تجمع قبلى فى العالم اليوم .

وقد تكونوا على مدى التاريخ الطويل متجمعين من عناصر هندية ، وأوربية ، وإيرانية ، وغيرها من عناصر وسط آسيا .

ووفدت عليهم واختلطت بهم عناصر عربية من الجنوب وعلى التحديد فى القرن السابع الميلادى مع الفتوحات الاسلامية ،

ثم جاء من بعدهم الاتراك من الشمال ، وتبعهم المغول فى القرن الثالث عشر الميلادى ، ثم العناصر التركية المغولية فى القرن الخامس عشر الميلادى ؛

هذه العناصر كلها مختلطة فى شعب واحد ، أو متميزة فى مجموعات قبلية هى ما يشكل الان شعب الآفغان فى تعداد يقارب

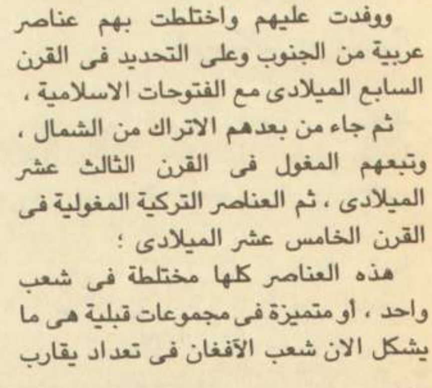

أحد الغزاة السوفيت

العشرين مليونا يدينون بالاسلام إذ أن منهم ٩٩٪ مسلمين منهم ٨٠٪ سنيون ، ومعظم الباقى من الشيعة فى جماعات (الهازار والتاجيك) الجبليين !

ومن الشيعة طائفة قليلة تنتمى الى الطائفة الاسماعيلية .

كما انه يوجد فى افغانستان بعض الجيوب الصغيرة من الهندوس ، واليهود ، والزرادشت ؛ . على انه يمكن تمييز بعض هذه العناصر من السكان مثل (البوشتن) او ما يسمون فى باكستان باسم (الباتان) على انهم هم الافغانيون الحقيقيون إذ يكونون حوالى ٦٠٪ من مجموع السكان ، وينتشرون فوق معظم المنطقة الواقعة جنوب وشمال (هندوكوش) ؛ وقد انقسموا منذ فترة طويلة الى مجموعتين رئيسيتين هما : (الدورانيون و الغلزانيون) ولكل مجموعة قبائلها وبطونها ويشتغلون بالرعى متجولين ، وبالزراعة مستقرين ، ولهم عاداتهم ونظمهم الخاصة ، وهم يتكلمون لغة (البشتو) ، ومنها : (التاجيك) وهم من عناصر إيرانية ، ويمثلون ٢٥٪ من السكان ، ومعظمهم زراع ، وتجار ، وصناع ، وهم مسلمون سنيون يتكلمون اللغة الفارسية ، وينتشرون فى مختلف أجزاء البلاد ومنهم قلة جبليون يشغلون الأودية العليا فى اقليم (باداخشتان) ؛

ومنها (الهازارا) حوالى ٤٪ من السكان وهم من الزراع والرعاة الذين انحدروا من المغول ، ويتركزون فى السلاسل الجبلية بجنوب وسط أفغانستان وهم من الشيعة ، ومنها (الأوزبك) ويمثلون ٥٪ من السكان وهم سنيون ، وهناك غير هؤلاء عناصر أخرى مثل (البالوخيين) فى الجنوب ، و (النوريين) فى الشمال هؤلاء الذين كانوا يسمون (الكافير) وتحولوا الى الاسلام فى نهاية القرن التاسع عشر وسموا بالنوريين .

ومع (لغة البشتن واللغة الفارسية) — وهما اللغتان الرسميتان فى البلاد — تسود اللغة العربية التى دخلت افغانستان مع الاسلام فى القرن الاول والقرن الثانى للهجرة ؛ ومنذ ذلك الحين وهم يعتزون بها تدينا وتعلما ، كما دخلت فى كيان اللغتين (البشتو والفارسية) بنسبة تجاوز الأربعين فى المائة ! .

قوى الصراع

ومع الاحداث نلتقى ونمضى ..

والحديث عن أفغانستان وأحداثها الآن يشغل العالم كله ، ولوضعها الاستراتيجى تأثير كبير ليس على منطقة وسط آسيا فحسب بل على العالم كله ، وربما — فى نظر بعض المحللين — تكون بأحداثها الراهنة منعطفا خطرا يغير مجرى التاريخ ؛

ونتساءل : هل هذه الاحداث كانت مفاجأة للعالم ؟

أم أنها كانت نتيجة مخاض طويل تولدت عنه تلك الولادة العسرة ؟

ويمثل ما شدت أفغانستان انتباه العالم الآن بأحداثها وموقعها من قوى الصراع العالمى (روسيا وأمريكا) فانها شدت إنتباهه كذلك فى القرن الماضى وموقعها كذلك من قوى الصراع العالمى آنذاك (الانجليز والروس) ؛ وطالما جهدت كل منها فى السيطرة عليها بشتى الوسائل ، فروسيا القيصرية حاولت السيطرة على الشمال وفشلت .... والامبراطورية العظمى — آنذاك — حاولت السيطرة على الجنوب من مربضها فى الهند وتكلفت الكثير ودفعت الثمن الغالى ، ذلك أنها بجهد المستميت وصلت الى العاصمة (كابول) .. ولم يستقر لها قرار ؛ فقد خاضت هناك على أرض أفغانستان ثلاث حروب دموية طاحنة كانت محصلتها كالاتى:

الحرب الأولى (١٨٣٨ — ١٨٤٢ م) وفيها فقدت بريطانيا جيشا بأكمله وتحولت (كابول) إلى مقبرة لأكثر من ١٦ الفا من الغزاة عسكريين ومدنيين من الانجليز ، .

الحرب الثانية : (١٨٧٨ — ١٨٨١ م) ومنيت فيها بريطانيا . بخسائر فادحة وهزائم منكرة ؛ .

علاقات الود والإخاء الإسلامى مع العرب على مدى التاريخ الطويل أريد لها أن توضع فى أتون الأحداث فتكالبت عليها قوى الصراع الدولى!

الحرب الثالثة (١٩١٩ م) وانتهت باعطاء افغانستان استقلالها التام فى عهد ملكها (محمد نادر شاه) بعد أن تلقت بريطانيا فيها درسا لا ينسى ،

وكان يحكم (افغانستان) فى تلك المرحلة اسرة (محمد زائى) التى ينتمى إليها (محمد نادر شاه) الذى تمكن من حكم افغانستان على اثر فتنة داخلية تسمى فتنة (بجة سقا) وبايعه الشعب ملكا تقديرا لجهوده فى القضاء على تلك الفتنة ؛ ثم استشهد عام (١٩٣٣ م) ،

وبايع الشعب ابنه (محمد ظاهر شاه) ملكا على البلاد وظل فى الحكم حتى عام ١٩٧٣ م ...

وقد اجتازت (افغانستان) فترة الحرب العالمية الاولى ، ثم فترة ما بين الحربين ، ثم فترة الحرب العلمية الثانية فى حياد تام ؛ وكانت بذلك اول دولة أسيوية عرفت طريقها الى الحياد وتمسكت به خلال تلك المراحل العصيبة من التاريخ الحديث .

وضربت المثل الرائع فى العلاقات الدولية رغم انها تجاور مناطق الاحتكاك وتعايش التماسيح من حولها فقد كانت وما زالت تجاور اكبر دولتين من دول المعسكر الشرقى (الاتحاد السوفيتى والصين) ، واحتفظت بعلاقات ودية مع كل منهما ، كما انها لم تدخل معهما ولا مع المعسكر الغربى (الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا) فى علاقات عسكرية ،

ولم تدخل مع جاراتها (إيران وباكستان) فى احلاف مركزية ،

بداية الأحداث

وظلت على مدى التاريخ الطويل تحتفظ مع العرب بعلاقات الود والاخاء الاسلامى ؛ ثم أريد لها أن توضع فى اتون الأحداث ... وتكالبت عليها قوى الصراع الدولى ....

ذلك انه فى اثناء حكم الملك (محمد ظاهر) بدأت تظهر قوى معارضة (يسارية) واصبحت تشكل تهديدا للوضع الراهن آنذاك ، وكانت المبادرة بالاسراع بضرب هذه الاتجاهات قبل الانتخابات التى كان مقررا لها عام ١٩٥٢ ميلادية .

وتوالت الاحداث .....

فقد تولى الجنرال (محمد داود) ـ ابن عم الملك (محمد ظاهر) وصهره ـ منصب رئيس الوزراء من عام ١٩٥٣ الى عام ١٩٧٣ م واستولى على السلطة عام ١٩٧٣ وواجه خلال حكمه العديد من المشاكل والصعوبات والمؤامرات التى انتهت

استكشاف مواقع الثوار بالطائرات العمودية

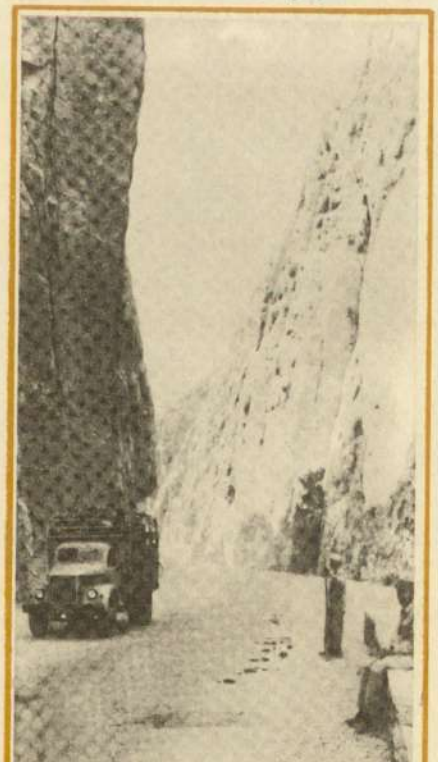

من تلك المناطق بدأت المعارك

بالانقلاب عليه كنتيجة متوقعة وغير مفاجئة لأحد فى ٢٧ إبريل ١٩٧٨ م وقتل فيه (محمد داود) .

واستولى على السلطة ائتلاف (خلق ـ بارشام) ممثلا فى مجلس ثورى ، وتحولت افغانستان إلى (جمهورية ديمقراطية) على راسها (نور الدين تراقى) الذى أختير رئيسا لمجلس الثورة ؛

وكان (نور الدين تراقى) ممن تلقوا تعليمهم فى جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة ، وكان قبل أن يصل الى السلطة يشغل منصب ملحق ثقافى فى سفارة مملكة افغانستان بواشطن .

وحاول (تراقى) فى عهده أن يدعم سلطته ببعض العناصر وسحق الأخرى .

وإذ كان الوضع غير منسجم فى هذا الائتلاف الحاكم بين اليمين واليسار فقد حدث ما كان متوقعا من الاحتكاك .

وتقرر يومها إبعاد (بابراك كارمل) واتباعه من اعضاء حزب (بارشام) من مراكز السلطة وقد كان (بابراك) معروفا بولائه ومساعدته لمحمد داود

تحركات مرسومة

وفى مارس عام ١٩٧٩ م وصل (حفيظ الله أمين) الى قمة السلطة فاصبح رئيسا للوزارة ووزيرا للخارجية فى الوزارة التى الفها (تراقى) ؛

واسند الى (تراقى) مهمة رئاسة المجلس الثورى ، وسكرتارية حزب الشعب الديمقراطى الأفغانى وقيادة الجيش ؛

وبعد صراع قصير قتل (نور الدين تراقى) ، واصبح (حفيظ الله أمين) رئيسا للجمهورية فى سبتمبر ١٩٧٩ م

وبعد ثلاثة اشهر أطيح بحفيظ الله أمين ، واصبح (بابراك كارمل) الرئيس الأوحد الآن فى أفغانستان يناير ١٩٨٠ م يمثل حلقة فى هذه السلسلة المتوالية والتى لا يدرى متى تنتهى

جاء (كارمل) يدعمه تدخل عسكرى سوفيتى مكثف فى تصعيد حاد للأحداث تحولت فيه أفغانستان إلى ترسانة عسكرية ومستودع متفجر .

● هل الغزو السوفيتى لأفغانستان يأتى ضمن مخطط القوى الكبرى؟
● إلى أى مدى ستذهب أمريكا فى حرب المواجهة انطلاقا من هذا الموقع؟

لحظات الغضب والقلق فى انتظار المصير المجهول

مجموعة من الثوار فى مواقع الدفاع بالجبال

وإذا كانت القوى المواجهة ـ فى حلبة الصراع الدولى ـ (أمريكا) قد تحركت فى شبه رد فعل فى صورة تجميد محادثات سولت ٢ ، ووقف شحن ١٧ مليون طن من القمح الأمريكى لروسيا ، وإجراء اتصالات مع الصين ربما تعنى فتح صفحة استراتيجية معها تستقطبها بها إلى رصيدها ،

كل هذا يثير تساؤلات يطرحها الموقف الان من شتى جوانبه على مستوى المنطقة والمستوى العالمى واحتمالات تفترض من هنا وهناك نذكر منها مايلى تمثيلا لا حصرا ولا استقصاء.

هل الغزو السوفيتى لأفغانستان يأتى ضمن مخطط القوى الكبرى فيما يسمى بتأمين وجودها فى اسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ؟

وإلى اى مدى ستذهب أمريكا فى حرب المواجهة انطلاقا من هذا الموقع ؟

التحرك العالمى

وأيا ما كان مجرى هذه التساؤلات فان هناك أمرين لا يغيبان عن الاعتبار :

أولهما : هذا التحرك العالمى وضغوطه من كل اتجاه لمحاولة محاصرة هذه الأوضاع المتفجرة والمتردية ، والدعوة الملحة لخروج الغزاة من افغانستان وليس من السهل ان تتجاهل روسيا هذا التحرك العالمى

ثانيهما : إذا كان معظم دول العالم قد ادان هذا التدخل العسكرى لأسباب مختلفة يأتى فى مقدمتها الانتصار لحق الشعوب فى تقرير مصيرها فان مما يجب أن يعرف أن المؤامرة الشيوعية من أول يوم من غزوها لأفغانستان قتلت أكثر من اثنى عشر الف مسلم أعزل .

ومن المحال أن يصدق العالم أن تقام المجازر البشرية بهذه الصورة لحماية سلطة حاكمة فى افغانستان أو تثبيت دعائم حكم (كارمل) أو غيره ممن سبقوه أو يأتون بعده ، إنما وراء ذلك أهداف لا تخفى على أحد .

وإن الشعب الأفغانى الذى هدم (كابول) فى القرن الماضى على رأس المستعمرين وحولها مقبرة للغزاة من جنود الامبراطورية التى لم تكن تغرب الشمس عنها آنذاك ،

وإن هذا الشعب الأبى المقاتل والذى اجتاز الأزمات العالمية الكبرى بحربيها بصلابة وقوة محال ان يلتهم هكذا بسهولة

إن هذا الشعب يقف الان مجاهدا فى ميدان معركة غير متكافئة لا ليدفع عن نفسه فقط العدوان والغزو ولكن ليحمى العالم كله من كارثة .

واليوم وهو يواصل جهاده وسط ترسانة من اسلحة الدمار اقيمت لابادته لن يكون فى هذا الجهاد وحده ، ولا يصح ان يقف العالم متفرجا .

فهل آن للضمير العالمى ان يقف موقف ايجاب ، ؟

وهل آن للغزاة أن يأخذوا العبر من التاريخ ويتركوا الشعوب تبنى حياتها بعيد عن تكالب صراع القوى فيما بينها ؟

وهل آن للشعوب ان تستيقظ فلا تخدع بالاكاذيب والتضليل ؟

وهل آن للعالم الاسلامى والعربى أن يقف صفا واحدا فى مجابهة مايراد وما يبيت له قبل ان يؤكل يوم أكل الثور الأبيض (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا وأشد تنكيلا)

دكتور
حسن عيسى عبد الظاهر

أزمة الإنسان المعاصر
الإنسان وتحديات التقدم

د. عون الشريف

مجتمعات تولد في الماضي وتعيش حياتها ثم تشيخ وتفنى فناء طبيعيا

تواجه مجتمعات العالم الثالث من الضغوط والازمات في هذا العصر ما لا يواجهه غيرها من المجتمعات ، ومما يضاعف من المخاطر التي تتعرض لها مثل هذه المجتمعات التقليدية المتخلفة رغم كل دعاويها ، انها تواجه معركة غير متكافئة . فهي قد ظلت حبيسة تقاليدها واطرها الاجتماعية والدينية قرونا طويلة حتى تحولت فيها الافكار الى قوالب ، واصبحت الضرورة والعادة هي القوة الدافعة للحياة فيها ، وصار الفكر عنصرا غريبا على حياة الناس ينظر اليه بعضهم بمنظار الريبة والشك والخوف ، ويرى فيه بعضهم الآخر معولا من معاول الهدم والتخريب والبدعة والضلالة . ولا بأس على مثل هذه المجتمعات المحنطة ما دامت بعيدة عن مجرى التيارات . فهي تعيش بقوانينها الخاصة التي تلائم ظروف حياتها وتستقيم مع التطور الاجتماعي الذي بلغته ، فان للانسان مقدرة فائقة على التلاؤم مع ظروف بيئته بحيث تصبح افكاره وعقائده ونظمه الاجتماعية والسياسية سبيلا لخلق ضرب من التوازن والانسجام مع البيئة المحيطة . فهي تستطيع أن تفخر بقيمها وتعجب بتراثها وشخصيتها ، وترى فيها النموذج المثالي الذي لا ينازع ولا يجاري ما دام ميدان الفخر خاليا لها وحدها .

وقد كانت مثل هذه المجتمعات تولد في الماضي وتعيش حياتها ثم تشيخ وتفنى فناء طبيعيا دون أن تحس بالمضايقات والضغوط الداخلية عليها الا في أضيق الحدود . فكم حوت جيوب التاريخ من أمم ومجموعات قامت واندثرت دون أن يحس بعضها بوجود بعض ، وان جمعت بينها المعاصرة في حدود الزمان لا المكان . فقد كان بعد الشقة الذي يفصل بين أصقاع المعمورة بحاجز صفيق ، وصعوبة الاتصال بين المجموعات البشرية مما يسمح بقيام الحضارات والثقافات ذات الطابع الجغرافي المحدود . فتزدهر الحضارة منها بقدر ما أتيح لها من امكانيات النمو ثم تتضاءل السلسلة من الحضارات في غير ما نظام او تدبير كما يشهد بذلك التاريخ . واكثر من ذلك أن الحضارة من هذه الحضارات قد تعيش حقبا طويلة دون أن تترك في جيرانها كبير تغيير لظروف خاصة يعلمها دارسو الحضارة . وقد تموت دون ان تحدث بالمثل كبير أثر على خارطة الوجود بعدها . ففي مثل تلك الظروف كانت المجتمعات شبه مغلقة، ولذلك كانت في وضع يسمح لها بوضع نظمها وأساليب حياتها وفق تجربتها هي ، ووفق موروثاتها المحدودة دون أن يصيبها القلق والتمزق الناجمان عن اختلاف الموازين وتعدد الانظمة بتعدد المجموعات في رقعة الارض الواحدة مما ينجم عنه التأثير والتأثر والتقليد والرفض .

وحدة الانسانية :

ومبلغ الخطر في زماننا هذا ان هذا التطور البطيء للمجتمع الذي تمليه ظروف كل مجموعة من الناس، والذي كان يتم في كثير من الاحوال بمعزل عن المجموعات الاخرى مما يتيح للمجموعة المعينة حرية كبيرة في الاختيار بحيث لا تدخل المجموعة في مغامرة اجتماعية قبل تمحيصها واختبار صلاحيتها في أناة وتمهل بحيث تجيء التجربة في نهاية المطاف منسجمة مع ماضي المجموعة ، متسقة مع عناصر شخصيتها ، هذا التطور البطيء أصبح في زماننا هذا بذخا لايتحمله منطق العصر.فلقد ألغى العلم المسافات وقرب الشقة بين المجتمعات بحيث أصبحت المعمورة كلها وحدة متماسكة تسمع بأذنها الميكانيكية كل ما يصدر عن البشر من أصوات عن طريق الراديو ، وترى بعينها كل ما يحدث في بقاع الارض من أحداث عن طريق التلفزة والاقمار الصناعية . ولم تعد هناك كهوف أو سراديب أو جيوب يتخفى فيها البشر هربا من رياح التطور ، لم يعد للبشر من خيار . لقد أصبح التطور قدرا محتوما على الجميع يتساوى في ذلك أرقى المجتمعات في سلم التطور الاجتماعي واكثرها تخلفا في مجال التحضر ، وينبعث خطر هذه المرحلة من مراحل تطور البشرية من انه لم يعد من مكان لذلك التطور البطيء المتمهل الذي يأخذ ويرفض عن طواعية واختيار . وأخطر منه اننا أصبحنا نرى أمامنا في صفحة الزمان والمكان مختلف المجتمعات في شتى أطوار تقدمها في معركة واحدة يحارب بعضها بالحجارة وجذوع الاشجار وترتدي أزياء اجتماعية قريبة الشبه بانسان الغاب ، ويحارب بعضها بالحراب والسكاكين والسيوف وترتدي أزياء اجتماعية تذكرنا

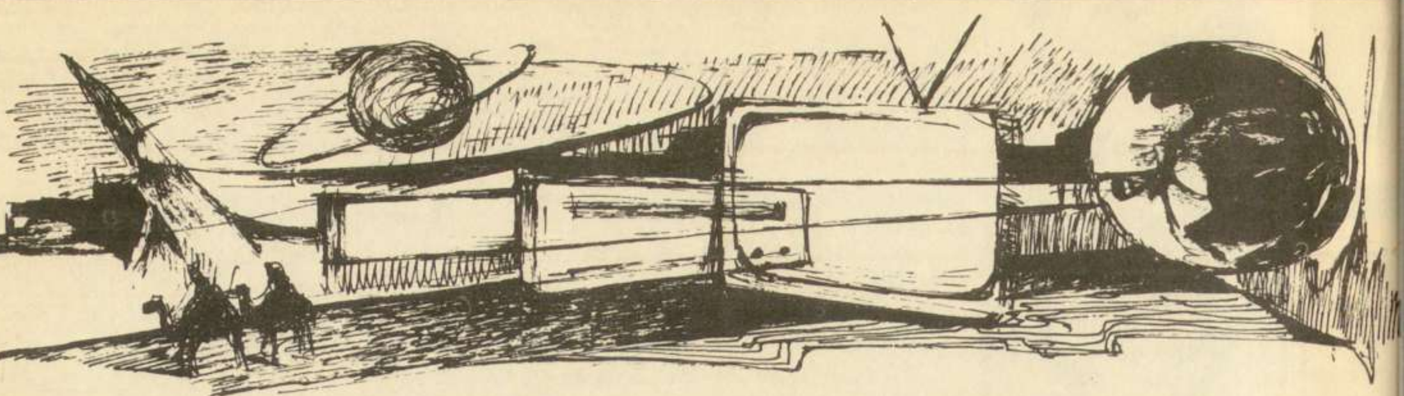

قضية الإنسان في هذا العصر تشغل كل إنسان في كل مجتمع بغض النظر عن المكان

بمرحلة الصيد والرعي . ويحارب بعضها بأسلحة شبه حديثة مما ابتكره الانسان في العصور الوسطى . ويحارب بعضها الآخر بأحدث ما ابتكره العلم من أسلحة الدمار الذري .

معركة غير متكافئة :

من هنا كانت المعركة الحضارية التي نجد أنفسنا في معمعتها معركة غير متكافئة . فالعلم الذي نقل الانسان من الارض للقمر ، والذي يوجه طاقات البشر في المجتمعات المتقدمة لا يمكن أن يقف في مجال المقارنة مع ضروب السحر والخرافة والجهالة التي تكبل خطو البشر وتعوق مسيرتهم في المجتمعات المتخلفة .

ونجم عن ذلك خطران : خطر أول يتهدد بقاء هذه المجموعات المتخلفة التي انتقلت فجأة من مجاهل التاريخ وهي شبه عاجزة عن الحركة ووجدت نفسها وجها لوجه مع الثلث الاخير من القرن العشرين والعالم يسير بسرعة الصاروخ الذري فهي اما أن تندثر وتتلاشي واما أن تنخرط في ركب الصاروخ . فأرجلها العاجزة ووسائلها المتخلفة لا تسمح لها بمسايرة التطور الكاسح ، وفي كل ذلك ما فيه من تحطيم للشخصية البشرية والغاء لكينونتها ، اذ ما اعظم أن يصبح البشر صورا ممسوخة للآخرين لا روح فيها ولا حياة . وخطر ثان يتهدد بقاء البشرية . فما دام قانون التطور الكاسح قد أبطل الى حد كبير مفعول التطور المستقل للمجموعات البشرية وربطها جميعا بقدر واحد فان فرص النجاة أمام البشر قد تضاءلت الى حد كبير . فان انهيار حضارة ما في ماضي البشرية ما كان يعني اكثر من انهيار تلك الحضارة ان لم يعن اخلاء المسرح لحضارة أخرى لتزدهر وتنمو في مكانها او في أي مكان آخر من الارض . لقد كان هناك مجال واسع للانتفاع من الحكمة القديمة التي تذهب الى أن مصائب قوم عند قوم فوائد . أما الآن فقد طغت حضارة القرن العشرين الصناعية وشملت

أقطار الارض بحيث أصبح كل جزء من الارض يعتمد اعتمادا كليا على الجزء الآخر وان اختلفت النظم والافكار . فمصائب القوم تصبح مصائب كل الناس . والازمة الاقتصادية في مكان يحس بها العالم أجمع . وأمام التهديد الذري الذي أصبحت الانسانية رهينة لطغيانه يكون الحديث عن حضارة تذهب لتحل محلها حضارة أخرى ضربا من الخيال الجامح الذي لم تثقفه حقائق الحياة وواقع العصر المرير . وفي مواجهة هذا الخطر المحدق بالبشر جميعا يصبح الحديث عن الهزيمة والنصر حديثا نسبيا ، فالسلام الذري لا يفرق بين منتصر ومنهزم ، وخطره لا يقف عند مكان بعينه بل ينتظم الارض جميعا ويهدد جوها وأرضها بالاشعاع والموت البطيء للانسان والنبات ومختلف مظاهر الحياة الاخرى .

لا خيار لمن لا يختار :

ومن هنا كانت قضية الانسان في هذا العصر قضية تهم كل انسان في كل مجتمع بصرف النظر عن مكان ذلك المجتمع في سلم التطور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي . فما دام مصيرنا جميعا بهذا الارتباط الوثيق وكلنا مشدودون بقدر واحد ، وما دمنا ننجرف بأقصى ما عندنا من قوة نحو دوامة الحضارة الصناعية المادية وكأننا معصوبو العيون ، معطلو الارادة بفعل حيوية هذه الحضارة وطغيانها ، فان واجب المثقف منا أن يكون الرائد لاهله وذويه ينقل اليهم قضايا الحضارة ومآسي الانسان في عصر التقدم ، فانهم قومنا وان لم يعيشوا هذه القضايا في كل أبعادها بحكم مكانهم في سلم التطور ، الا أنهم لا محالة سائرون في نفس الطريق ، فاولئك السابقون ونحن اللاحقون والعبرة قد تفيد وان كان فضل الانسان في كثير من الاحيان الدخول في التجربة مهما بلغت مرارتها بدل الاكتفاء بأخذ العبرة من تجارب الآخرين .

اذن الحديث عن قضايا العصر في أكثر صورها حدة وتطرفا ليس حديثا منبت الصلة بما يجري في مثل مجتمعنا المتخلف الذي لا يشكو من أعراض التخمة وعلل الرفاهية بقدر ما يشكو من ضغط الفاقه وفقر الدم . صحيح أن قضايانا قضايا تخلف ، تنحصر في البناء والتعمير ، وفي كل ذلك شغل شاغل للناس عن الحديث عن أمراض المرفهين من الناس الذين امنوا الفاقه وتهيأت لهم الاسباب للسفسطة العقلية والتفرغ للحديث النظري عن مصير الانسان والاخطار التي تهدد كيانه . لكننا وان كنا في وضع مختلف بالمقارنة بهذه المجتمعات

أزمة الانسان المعاصر

الإنسان وتحديات التقدم

المتطورة الا أننا واقعون ـ شئنا أو لم نشأ ـ تحت تأثيرها . فنحن في معالجتنا لقضايا التخلف الخاصة بنا نتخذ من الوسائل والغايات ما هو في معظم الاحيان وليد تجربة هذه المجتمعات المتقدمة . بل ان الامر في ذلك لأشد خطرا وأعمق غورا مما يظن كثير من الناس . فنحن كأي مجتمع متخلف تعطلت فعاليته وفقد القدرة على الابتكار والتجديد منذ أن أغلق باب الاجتهاد لا قدرة لنا على مواجهة تحديات الحياة الحديثة بأساليبنا البالية التي خلقت لزمان غير زماننا ومجتمعنا مكشوف لفيضان الافكار والمخترعات التي تنهال علينا في غير ما شفقة أو رحمة وتغرينا بكل ما فيها من حيوية واشراق على تبنيها والاستفادة منها في شئون دنيانا ، وكل ذلك يحدث تأثيره العميق في نفوسنا وقلوبنا وعقولنا وليس هناك مجال للاختيار والاختبار فنحن معجلون في امرنا ولا اختيار لمن لا يختار . وأمام هذا الغزو الفكري الصناعي المركز وجدنا انفسنا في موقف يبعث على الشفقة والاسى . فنحن نعيش حياتين في حياتنا الواحدة . حياة باطنية تقوم في جملتها على أسس تقليدية تبدو في كثير من مظاهر سلوكنا الاجتماعي .. وحياة أخرى خارجية تضم في اطارها العام كل منجزات العصر الحديث من أدوات وأفكار فهي بمثابة الزينة التي تغلف هيكل حياتنا القديمة المتوارثة . وليس في طبيعة البشر أن يحملوا في أنفسهم حياتين بهذه الطريقة دون أن يحدث ذلك ارتباكا للنفس أو يحدث صداما بين هذين النوعين من الوان الحياة . فمظاهر الحياة المادية الحديثة ليست مظاهر مجردة من المعاني والافكار بل الامر فيها بعكس ذلك اذ أن كل تقدم أو اكتشاف مادي يفرض منطقه الخاص على المستفيدين منه ويشكل أفكار الناس وحياتهم بالطريقة التي تجعل الفائدة من استعماله تامة ومتكاملة . فأنت لا تستطيع أن تستفيد من الجوانب المادية من الحضارة فحسب وتوقف الآثار الفكرية الروحية والاجتماعية المترتبة عليها والناجمة عنها . والمفارقة هنا اننا نبدو في كثير من المواقف وكأننا ذلك الشمبانزي الذكي الذي يحاول اخفاء حقيقته وراء الاكداس المكدسة من أزياء البشر وزينتهم دونما طائل .

القشور دون اللباب :

ونجم عن ذلك أننا أصبحنا نعيش قشور الحياة المادية الحديثة دون جوهرها وكلما تمادينا في السير وراء سرابها ودفقنا بمائنا في الفلوات وجدنا انفسنا في نهاية المطاف دون مائنا القديم نهبا للعطش والضياع في بلقع من مجاهل الارض فنكون كالمنبت لا ظهرا أبقى ولا أرضا قطع. ونحن في كثير من الاحيان لا نفعل ذلك طائعين بل نجد أنفسنا مساقين اليه قسرا بحكم منطق التطور الكاسح الذي أشرت اليه آنفا . وشر ما في فترة التيه هذه أن الانسان يكون قد تخلى فيها عن أقيم مميزات شخصيته واتخذ لنفسه شخصية أخرى لا علاقة لها بهذه النفس اكثر من كونها مفروضة عليه بحكم ظروف الضغط الحضاري الذي نعيشه في هذه الحقبة . فنحن نرث حضارة الغرب ونرث مشاكلها معها ونصطلي بكل ذلك مثلنا مثل الغرب والفرق الكبير أن الغرب قد عاصر هذه المشاكل وعايشها فأصبحت المعايشة له كآلام المخاض تعقبها الولادة الطبيعية وفي أثناء كل هذه الفترة تتكيف الام بالظروف التي تمر بها وتحاول حل القضايا الناجمة عن مرحلة الحمل والمخاض بحيث يجيء الوليد وكل شيء في وضعه الطبيعي ، وقد وضع حساب كل شيء ما أمكن . وهكذا نجد أمم الغرب التي انتجت هذه الصورة الاخيرة للحضارة الصناعية قد عايشت مشاكلها وقضاياها قرونا طويلة وأعدت لها العدة بحيث جاء تطورها طبيعيا مع ظروف حياتها ، وكان لديها الوقت في أثناء ذلك للاختيار والرفض فجاءت حضارتها متجاوبة بقدر الامكان مع ظروف حياتها في ماضيها وفي حاضرها وان لم تسلم برغم ذلك من الهزات والمحن. وكان علينا نحن أن نهضم في سنوات ما احتاج الغرب الى القرون العديدة لهضمه وتطويعه ، فلذلك وجدنا أنفسنا نعيش أحدث القضايا التي تشكو منها مجتمعات أوروبا الشامخة من جنوح الشباب وجنوح الفكر . ومعنى ذلك اننا وان كنا متخلفين وقضايانا مختلفة عن قضايا الامم المتقدمة الا أننا برغم ذلك محاطون بآثار هذه الامم احاطة السوار بالمعصم . وما يواجهه البشر في هذه المجتمعات المتقدمة يهمنا لانه في كثير من جوانبه يتعلق بتطور الانسان كانسان . فمصيره الواحد المشترك الذي يتجاوز حدود المجتمعات ومدى تطورها ، ويتخطى سياج الاجناس والالوان ، يجعل لهذه المواجهة أهميتها الفائقة في عصرنا هذا الخطير .

بين العرض والجوهر

وكل هذا يعود بنا الى كلامنا ذاك الذي حاولنا أن نميز فيه بين العرض والجوهر في تطور الانسان وذكرنا فيه أن تطور المجتمعات النسبي أدخل في سنخ العرض ، وأن تطور الانسان كانسان سواء أكان في الغرب أو الشرق ، في المناطق المتقدمة أو المتخلفة هو جوهر القضية . وان أزمة الحضارة الراهنة في كثير من جوانبها أزمة تتعلق بهذا الجوهر . فالازمة الحضارية الراهنة ليست في جملتها أزمة مجتمعات مختلفة في مراحل التطور متفاوتة في درجات

نحن نعيش حياتين في حياتنا الواحدة : حياة باطنية .. وحياة خارجية
في هذا العصر تأكدت ذاتية الفرد البشري أكثر من أي وقت مضى

النمو ـ ولكل ذلك قضاياه ومشاكله ـ بقدر ما هي أزمة تطور الانسان والوجهة التي يتجه اليها هذا التطور من الناحية الفكرية والاجتماعية سواء أكان هذا الانسان في أرقى مجتمع من المجتمعات أو كان في أدناها تقدما فالفارق من هذه الناحية فارق في الكم لا فارق في النوع .

لقد تأكدت في هذا العصر ذاتية الفرد البشري أكثر من أي وقت مضى وظهر عامة الناس على مسرح الاحداث كقوة يحسب حسابها حتى سمى بعضهم عصرنا هذا بعصر الرجل العادي . فانتصار فكرة الديمقراطية منحت الافراد قوة ضخمة لتكييف الوضع الداخلي لأممهم ، واتصال شعوب العالم بعضها ببعض بفضل تقدم وسائل الاتصال منحهم قوة ضخمة لتكييف الوضع العالمي ترتكز على قوة الرأي العام العالمي الذي برز الى الوجود في أوضح صورة في هذا القرن .

العلم والقوى الجديدة :

واكتساب الافراد لهذه الحريات والصلاحيات نجم عنه تقلص بعيد المدى في نفوذ القيادات التقليدية التي كانت تسيطر على المجتمعات البشرية : فذهب الاقطاع وانتهت عهود النبلاء وتهاوت عروش الملوك الا قلة ، وكاد ظل الاستعمار بشكله التقليدي أن ينحسر عن العالم .

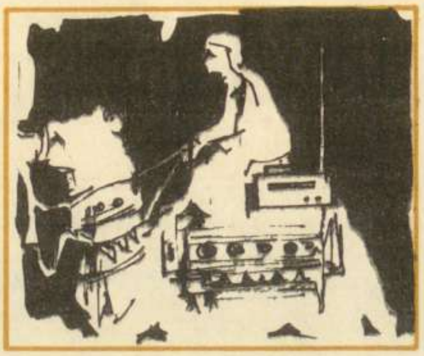

والمشكلة التي نتجت عن هذا الوضع ان مشكلة السلطة لم تحل ، ووضح أن هناك قوى جديدة حلت محل القيادات التقليدية التي زحزحتها حركة الديمقراطية وتبنت تحت ستار الديمقراطية كثيرا من المصالح والشعارات التي استبسلت العهود البائدة في الدفاع عنها .

وكما ناضلت القوى التقليدية القديمة وحاربت الجماهير باراقة الدماء والسجون والقهر ، فان القوى الجديدة تفعل نفس الفعلة لتأمين مصالحها ولكن بطرق مبتكرة هي من صميم الديمقراطية ، والهدف منها ليس قتل الافراد قتلا حقيقيا بل الغاية منها سلب الرجل العادي كل مظهر من مظاهر السلطة الحقيقية واحالة كل مبادىء الديمقراطية (الشعب مصدر السلطات) الى عبارات جوفاء لا معنى لها الا تخدير الجماهير وخداعها . فقد فتح تطور العلم في مدى نصف القرن الاخير آفاقا ما كان يحلم بها الانسان ، ووضع في يد الدولة الحديثة ضروبا من السلطة ووسائل التحكم في حياة الناس وعقولهم مما يشكل أعظم الخطر على حرية الانسان ومستقبله كما وضح ذلك بجلاء كل الذين تطرقوا الى هذه القضية من أمثال الدوس هكسلي في (عالم الطريف) وجورج أورول في (١٩٨٤) و (مزرعة الحيوان) وسواهما . ولذلك حديث آخر .

● احتفل احد مشاهير الساسة الفرنسيين بعيد ميلاده التسعين فساله احد اصدقائه عن رأيه في الحياة في سن التسعين فاجاب السياسي العجوز :
« رائعة ... خاصة إذا فكرت في البديل ! »

● سال احدهم صديقه الكهل عن الطريقة التي يمضي بها وقته بعد تقاعده عن العمل فاجاب :
« في الصباح ياتيني الخادم بكوب من الشاي وصحيفتي المفضلة فاشرب الشاي واقرا صفحة الوفيات في الصحيفة فاذا لم اجد نعيي فيها .. ازاول باقي هواياتي اليومية » .

● تلقى مدير جامعة اكسبردج البريطانية البرقية التالية بمناسبة دخوله احد المستشفيات لتلقي العلاج :
« مجلس الامناء قرر بنسبة ١٨ الى ١٧ صوتا ان يتمنى لكم الشفاء العاجل »

● سال احد الصحفيين الزعيم الصيني الراحل ماو عن رايه في مجريات الاحداث لو اغتيل خرتشوف بدلا من جون كيندي ، فاجاب الزعيم الصيني
« لا اظن ان المليونير اوناسيس كان سيتزوج بارملة خرتشوف »

● كان احد الاسكتلنديين يقوم بجولة له في ارياف استراليا في اول زيارة له للبلاد عندما التقى باحد المزارعين فتجاذب معه اطراف الحديث ثم ساله عما إذا كان عدد الاسكتلنديين باستراليا كبيرا
فاجابه المزارع الاسترالي « نعم يوجد منهم الكثيرون ولكن مشكلتنا الحقيقية هي الارانب البرية »

● كان الكاتب الايرلندي المعروف برنارد شو يقوم بتوزيع الجوائز في إحدى مدارس انجلترا وبد نهاية المراسيم اعتلت الفرقة الغنائية الغنائية للمدرسة خشبة المسرح وبدات تؤدي اغنية ايرلندية معروفة

إكراما للكاتب الكبير ، ولكن الأداء والعزف كانا على درجة عالية من الرداءه وعدم الاتقان واثناء ذلك لمح شو سيدة تبكي على مقربة منه فسالها :

« هل انت ايرلندية ؟ »
فاجابت « كلا ... انا مدرسة الموسيقى بالمدرسة ! »

د. محمد جابر الأنصاري

أصوات من الأدب السعودي

دراسات في شئون الخليج

الأدب السعودي من الاداب العربية الحديثة التى لم تنل حقها من معرفة القراء العرب بها ، حتى ولو كانوا من المهتمين بالادب وشؤونه .

وهذا تقصير عربى متبادل على اى حال . فهناك اشياء كثيرة مهمة ما يزال العربى لا يعرفها عن العربى . وهذه قصة تطول . ولو دخلنا فيها وفى شعابها لانصرفنا عن الأدب السعودى الذى نريد أن نبدأ بتعريفه الى أمور بعيدة عن الأدب والتعريف به .

وابدأ بنفسى فاقول اننى رغم اهتمامى بالأدب فى الخليج ، فانى بقيت بعيد الصلة بالأدب السعودى ، وهو على مقربة منا ، بل انى اكتشفت بعد اول رحلة استطلاع سريعة بين معالم الأدب السعودى ، أن أدب الجزيرة العربية يمثل موضوعاً واحداً متصل الحلقات . والروح العلمية تحتم أن ندرسه كوحدة متكاملة دون فصل بين الاقاليم والمناطق لأن ادباءنا انفسهم ، فى حياتهم وأدبهم ، لم يعترفوا بالتجزئة وعاشوا كأدباء فى جزيرة العرب قبل أن يكونوا ادباء كويتيين أو بحرينيين .

اكتفى بهذه التقدمة العامة السريعة لأنى لا أريد أن أطيل الحديث . واريد أن يقدم الأدب السعودى نفسه بنفسه الى القراء ، بصوته الحقيقى كما هو بلا زيادة أو نقصان

فلو حدثتكم بلسانى عن الأدب السعودى لكنت كالناقل أو المعلق الذى قد يقع فى المبالغة اطراء أو انتقاداً .

فلندع الادب السعودى يتحدث بنفسه من خلال أصواته القديمة والجديدة ، حتى يعرفه القارىء العربى معرفة حميمة عن كثب ولنترك مسألة التعليق والنقد الى مرحلة لاحقة ، بعد أن نتيح للأدب السعودى إسماع صوته أو اصواته المتنوعة .. كما انطلقت اول مرة فى مصادرها وازمانها .. وحالت ظروف الماضى دون أن يسمعها العرب كل العرب

حمزه شحاته

حسن سرحان

نبدأ بهذه المقاطع للأديب عزيز ضياء وهو يصف لنا الجو الفكرى فى الحجاز وبين ادبائه فى العشرينات والثلاثينات من هذا القرن . لنستمع الى ما كان يشغل ادباء الحجاز من اهتمامات فى ذلك الحين ولننظر ماذا كانت طبيعة تلك الاهتمامات وعلى اى مستوى :ـ

(ومازلت اذكر ، ولا ينسى رصفائى من الشيوخ ، كيف كانت تنقضى الليلة من الغسق حتى الفجر فى حوار حول اراء افلاطون فى جمهوريته ، التى اشتريت أول نسخة منها بجنيه ذهبى .... وكانت أول ترجمة للجمهورية ظهرت فى اللغة العربية بقلم (حنا خباز) ... ثم حول الفارابى ومدينته الفاضلة ، بل حول داروين ونظريته فى أصل الأنواع ، وقد ترجم كتابه الاستاذ اسماعيل مظهر . بل لست انسى كيف كنا نتناوب على النسخة الوحيدة من كتاب أو كتب الدكتور شلبى شميل رغم ما كان معروفاً عنه من تطرف فى الدعوة الى التحرر من الآراء والعادات القديمة ومن تسليمه بمذهب داروين .... وهذا الى جانب تهافتنا على جريدة (السياسة الأسبوعية) التى كان يصدرها ويرأس تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل ومن محرريها المازنى ، وطه حسين ، وعبد العزيز البشرى ، وعباس حافظ . ومنهم من لابد أن يعتبر طليعة شعراء التجديد ، المرحوم الشاعر علي محمود طه المهندس الذى نشر فيها قصيدة (البحيرة) لألفونس دى لا مارتين ، وقد نقلها الى العربية شعراً ، ومطلعها :

ليت شعرى أهكذا نحن نمضى

فى عباب الى شواطىء غمض

ومازلت اذكر أول عهدى بكتاب الأغانى لأبى الفرج ولم تكن دار الكتب المصرية قد اصدرت من اجزائه سوى الاجزاء من الاول الى الخامس ...(ويصدر فى هذه الفترة كتاب (فى الشعر الجاهلى) لطه حسين ونقرأ فى الصحف المصرية تلك الضجة التى اثيرت ..فقرأناه وظللنا ندير الحوار حول آراء الدكتور طه وآراء من ثاروا عليه ، ونعود الى ما بين ايدينا من الشعر الجاهلى ، وعلى الأخص المعلقات بشرح الزوزنى فنجد بيننا من يسفه آراء الدكتور ، ومن يعتدل فيتروى ويطيل التأمل فيما قاله ويقوله خصومه والثائرون عليه .

(واذا كنا قد التفتنا الى الدكتور طه حسين بكتابه هذا ، وبالثورة التى أطاحت بوزارة حزب الوطنيين الاحرار ، فلم يكن لنا مناص من التهافت على ما يكتب فى الصحف ، وما ينشره من كتب أو مقالات وعلى الاخص فى جريدة الجهاد .. . (وكنا ننصرف ــ أيضا ــ الى سماع اغانى عبد الوهاب من فيلم الوردة البيضاء من جرامفون نحكم سد بوقه او سماعته بالقطن حينا أو المنشفة المبللة بالماء حينا اخر(كى لا يسمعهم احد فى الخارج) .

(ثم فاجأنا الشيخ احمد حلوانى ــ صاحب المكتبة ــ بكتاب لم يكن مما ينبغى ان نهتم به أو نعنى بقراءته ، اذ لم يكن أدبا ولا فلسفة ، ولكنه يحمل عنوانا مغريا ، كان عنوان الكتاب ــ فقه السياسة لمؤلفه أحمد

● الأدب السعودي يتحدث عن نفسه من خلال أصواته القديمة والجديدة

● حول : الفارابي ومدينته الفاضلة . و.. داروين ونظريته في أصل الأنواع

● أدب المهجر يوقظ المشاعر .. لكنه لا يبني العضلات الفكرية القوية

وفيق – .. وكان فى مجلدين ضخمين – وجاء حمزة شحاته من جده ، فى احدى جيئاته ، ورأى الكتاب فنظمنا ما يشبه برنامجاً للقراءة وسماع أغانى محمد عبد الوهاب بطريقة سد البوق ....)

(ولا أجد بدأ من وقفة عند لطفى السيد باشا ، فقد كنا نتسامع بعبقريته وعلمه وفضله على العلم والعلماء والمفكرين .. كما كنا نتسامع عن ترجمته لكتاب (السياسة) لأرسطو طاليس ، عن الترجمة الفرنسية لبارتى سانت هيلير ..فنتمنى ان نرى هذه الترجمة مطبوعة . ولم تطبع الا فى عام ١٩٤٧ واذكر انى كنت فى القاهرة وكان حمزة شحاته رحمه الله قد استقر فيها ، فما اسرع ما اخذنا نتدارسه معا .. فينقضى الليل وينام من فى البيت ويستيقظون فى الصباح ليجدونا مانزال كما تركونا فى الساعات الأولى من الليل واطباق الرماد طافحة بأعقاب السجاير واكواب الشاى تتثاءب فراغا .. ونواصل الحديث عن ارسطو ، وعن ذلك الغرض البعيد الذى استهدفه لطفى السيد من ترجمة هذا الكتاب بالذات ومقدمة سانت هيلير فيه على الاخص ... بل ذهبنا الى أن لطفى السيد لم ينقل الكتاب الى العربية إلا لينقل هذه المقدمة ..)

وادع جانبا تلك الدفقة الكبيرة من القصص التى نشط لنقلها الى اللغة العربية أساطين فن الترجمة فى مصر من أمثال المازنى فى قصة (ابن الطبيعة) للكاتب الروسى المغمور (هاتز بياتشيف) ... ولهذه القصة فى حياتنا تلك الايام أثر لا ينسى ، فقد كان يطيب لحمزة شحاته رحمه الله ان يسمى كلا منا بأسماء أبطال القصة .... ومن القصص التى لابد أن تذكر وتعتبر من الاسس فى خلفياتنا الثقافية قصة تاييس والزنبقة الحمراء لأناتول فرانس .... واذكر كيف كنا نعض أصابعنا أسفا على جهلنا

جلسة ادبية

باللغة الفرنسية ، لنقرأ المزيد مما كتبه أناتول فرانس ...

واذ اذكر هذه القصة ، لا انسى رواية نقلها الى العربية طانيوس عبده تحت عنوان (أهوال الاستبداد) لكاتب روسى نسيت اسمه . ثم (أنا كارنينا) لتولستوى . ولم تكن قصة (الحرب والسلام) وهى من أشهر أعمال تولستوى قد نقلت الى العربية بعد ، ولكن لم يفتنا ان نقرأ ما كتب عنها فى المجلات والصحف وعن تولستوى نفسه ...)

(أما أدب المهجر وعلى الأخص ادباؤه جبران وابو ماضى ونعيمة فليس بيننا من ينكر أثرهم فى بداية مراحل هذه الثقافة الذاتية ... ولكن ما كدنا نوغل فى الامهات من كتب الأدب العربى وفى الروائع من المنقول الى العربية من الأدب العالمى ، حتى اخذنا نشعر ان أدب المهجر يمكن أن يوقظ المشاعر ويوجهها نحو أجواء الفن ، ولكنه لا ينميها ، ولا يبنى العضلات الفكرية القوية ، وان أدب المنفلوطى يمكن أن يصلح للناشئين اذ يغرى بالقراءة ، ويعين على تكوين محصول قوى أحسن المنفلوطى اختياره من مفردات اللغة العربية التى يسهل تناولها وربما هضمها ... بينما يتعذر هذا الهضم على الناشىء اذا ما قرأ – البيان والتبين للجاحظ – أو – مقدمة ابن خلدون – او اى كتاب لأبى حيان التوحيدى – راجع كتاب حمزة شحاته قمة عرفت ولم تكتشف تأليف الاستاذ عزيز ضياء وتقديم الاستاذ عبد العزيز الرفاعى ، من سلسلة المكتبة الصغيرة رقم ٢١ ، الصفحات ١١ – ٣٣) .

● ●

نعتقد أن الاستاذ عزيز ضياء قد اتاح لدارسى الادب ، بلمحاته تلك عن اهتمامات جيله وجيل حمزة شحاته ، مرجعا خصبا على إيجازه يكشف نوعية قراءاتهم ومؤثراتهم بصورة لم تعرف عن مكونات الأدب السعودى من قبل وعن الجو الأدبى بالحجاز فى بداياته على وجه الخصوص . ونترك النص السابق لتقدير القارىء وفهمه كى يرى مدى عمق الاهتمامات التى كانت تحرك الرعيل الأول من ادباء الجزيرة العربية وكيف أن ثقافتهم لم تكن تقصر عن ثقافة اخوانهم فى مصر والشام . وان ماكان ينقصهم ليس العمق أو الموهبة أو الاهتمام والمعاناة ، وإنما توفر أسباب النشر وامكاناته فاشتهر اولئك وانغمر هؤلاء ..

ولابد أن نضيف فى كلمة أخيرة كم كان الاستاذ عزيز ضياء موفقا فى التفاته الى هذه الخلفية الثقافية وفى كشفه عن خفاياها

أصوات من الأدب السعودى

مقالات ساخرة خفيفة الدم.. ثقيلة الوزن الفكرى والفلسفة

التى كانت عرضة للنسيان لولا هذه الصفحات الشائقة والمثيرة التى اتحف بها دارسى الجذور الادبية الحديثة فى جزيرة العرب وفى الادب السعودى بصفة خاصة

● ●

وننتقل الان الى صوت اخر من اصوات الادب السعودى ، انه صوت الاديب الشاعر حسين سرحان . وانا أعرف ان هذا الاسم غير معروف لدى القراء العرب . ويجب أن اعترف بأنه كان اسما مجهولا لدى حتى بدات قراءاتى الحالية فى الادب السعودى . ولن اقول شيئا عن هذا الاسم الادبى . أريد أولا أن يشاركنى القراء فى التعرف اليه من خلال أحد مقالاته .

يقول حسين سرحان فى مقال بعنوان (كنت اتمنى ان ارى ابن آدم)، وهو مقال نشر فى جريدة (البلاد السعودية) قبل ٣٥ سنة ، وعلى وجه التحديد عام ١٩٤٥ :ــ

اتمنى أن أرى ابن آدم

(كنت بين السابعة والتاسعة ــ فيما ارجح ــ وتلك هى السن التى يستمع فيها الصبى الى أحاديث والدته وجدته وعمته بشوق وفهم فى كل مايقطعنه من أحاديث .. فقررت أن أكون أذنا لا تشبع من السمع وتمسكت بأذيال المتحدثات من أهلى . فكن اذا خلون من عمل جلسن على الشاى والقهوة وأخذن يتسامرن ويتجاذبن أطراف الحديث .

وتسعة أعشار حديث المرأة حيث كانت ماتفتأ تدور وتحور على الرجل ، وما يتصل به من هنا ومن هناك .

اما هن فلهن ان يتحدثن بما شئن . واما جدتى فلها وحدها التعليق الحكيم والراى السليم . وقد أطارت عقلى وبلت ذهنى بما تردده عن ابن آدم .

قلن جميعا : ان فلانا قد طلق زوجته وقدكانت مخلصة له وفية معه شفوقة عليه . فحكت جدتى ذقنها حكا طويلا حتى خفت أن تشرق لها لحية بيضاء جليلة ، ثم قالت : ان ابن آدم لا يحفظ المعروف .

وقلن : لقد اشترى فلان على كثرة ما يملك من بيوت ، بيتا جميلا فى المكان الفلانى فمطت جدتى يغفر الله لها شفتيها استنكارا وهى تقول :

ابراهيم المازنى

برنارد شو

ــ ابن آدم لايشبعه إلا التراب .

وتصايحن قائلات : لقد تزوج فلان على فلانه ، وعنده ام اولاده غاية فى الجمال والكمال ...فتاوهت قائلة : ما أشد خساسة ابن آدم .

وأصاب رأسى الدوار ، وكدت انشق غيظا من ابن آدم هذا ، وذهبت الى الفراش ،وهو يخايلنى من بعيد ومن قريب ، وظللت استمطر اللعنات على هذا المخلوق الأعوج المتعسف الذى لم اسمع عنه كلمة طيبة او خلقا كريما .

وانتابتنى الحيرة ، وتجاذبتنى عوامل مختلفة من الحنق عليه والاشمئزاز منه ووددت لو رأيت ابن ادم هذا ، لابصر عن كثب على أى نمط ركب ، وفى أى خلق استوى هذا المخلوق العجيب .

وبت ليالى كثيرة مسهدا مضطربا احاول بكل ما استطعت ان اتعرف الى هذا الحيوان الذى يسمى (ابن آدم) ..

وتسللت يوما الى جدتى على فراغ منها ، ولثمت جبينها وقلت : ــ

ــ ياجدة ، أين ابن آدم ؟ انى اريد أن أراه ! وكان سؤالا لم يخطر لها على بال ولا يجدى فيه تعليق حكيم ولا سقيم ..

والحق انى ما كنت اتوقع أن هذا السؤال سيزلزل جدتى ويعصف بما فى راسها من ذخائر التجارب والأجيال .

نظرت إلى جدتى نظرة ممسوخة خلت من كل معنى وقالت بعد صمت : ماذا تقول يابنى قلت ــ وكدت أجهش بالبكاء ــ ابن آدم ، ابن آدم ياجدتى ، اريد الان أن أعرفه!

فقامت جدتى لتصلى ، وعلمت أنه سؤال ذهب مع الريح .

فقمت وانا اتميز من الجهل والغضب معا ، على هذه الدابة السخيفة التى ترعن كل هذه الرعونة ولأيمكن مع ذلك ان نتعرف إليها أو نراها

ترى من هو الذى يعرف ابن آدم اليوم.. ؟)

● ●

هذه المقالة لو نسبت الى أديب عربى ساخر مثل المازنى او نسبت الى أديب انسانى متفلسف متهكم مثل برنارد شو لما كانت قليلة عليهما .

وللاستاذ حسين سرحان مقالات ساخرة ، خفيفة الدم ، ثقيلة الوزن الفكرى ، تعد بالعشرات ان لم يكن بالمئات .

وقد احسن النادى الادبى بالرياض صنعا عندما جمع لنا ٥٥ مقالة لحسين سرحان وطبعها فى كتاب ، فلولا هذا الصنيع لظلت هذه المقالات بين طيات الجرائد القديمة ولتوارت عن جيلنا روح الفنان الساخر الذى كان يكتب مثل مقال (ابن آدم) فى قلب الجزيرة العربية قبل ثلاثين سنة وكأنه المازنى أو برنارد شو .

(ولابد من التنويه هنا بجهد الاستاذ يحيى ساعاتى الذى قام بجمع مادة هذا الكتاب)

وليس من قبيل المصادفة أن نجد من بين مقالات الاستاذ حسين سرحان مقالا بعنوان السخر عند المازنى .فيبدو أن كاتبنا قد تعمق فى الادب الساخر لدى اعلامه ، وخاصة لدى المازنى .

ونراه يحاول تعليلا نفسيا للأدب الساخر فيقول : (لابد أن نميز بين سخر وسخر فهناك سخر الحقد والانتقام .. وهناك سخر العطف والرثاء ، وقد احترت ــ وقد قرات للمازنى كثيرا من نظمه ونثره وقصصه ــ اين أضع سخره من هذين السخرين . واحسب أن سخره خليط من هذا وذاك وان كنت لا استطيع أن أرجح لونا على لون (ص) ١١٢ ــ ١١٣ .

● ●

نكتفى فى هذا العدد بهذه الاصوات الباكرة الرائدة فى الأدب السعودى وقد نقلناهابأمانة الى القارىء وبأقل قدر من التعليق الذى هو لمجرد الايضاح ... والى اللقاء مع أصوات أخرى .. فى هذه السلسلة الجديدة من التعريف بالأدب السعودى .

الدكتور : محمد جابر الانصارى

معالم معاصرة في الثقافة السعودية

محمد رضا نصر الله

الدكتور غازى القصيبى

● الشاعر الدكتور غازى القصيبى انتهى من كتابة سيرته الشعرية ودفعها الى المطبعة . السيرة الشعرية تتضمن المؤثرات الباكرة ونوعية التجارب الشعورية والفكرية التى بلورت حياته الشعرية . الكتاب الجديد للدكتور غازى سينضم الى مكتبة « التجارب الشعرية » التى ظهرت فى السنوات الاخيرة واسهم فيها البياتى وعبد الصبور وعبد المعطى حجازى وغيرهم من الشعراء العرب المعاصرين .

وللدكتور غازى اربعة دواوين : « اشعار من جزائر اللؤلؤ » ، « قطرات من ظما » ، « معركة بلا راية » ، « وابيات غزل » . فضلا عن ترجمة انجليزية لبعض اشعاره .

كتاب مختارات من اشعاره سيصدر ايضا بالعربية .وقد اثبت الدكتور غازى فى السنوات الأخيرة انه يمتلك ايضا ناصية الكتابة النثرية ، خاصة فن المقالة بنوعيها الموضوعى والذاتى .

ويحمل كتابه النثرى « من هذا وذاك » نماذج متنوعة لاسهامه فى فن المقالة ، التى جمع فيها بين وضوح الفكرة واعتدالها وبين اللمسة الساخرة الهادفة ،

علمنا من الدكتور غازى فى لقائنا معه بالرياض ان اهتماماته الحالية تتجه إلى مزيد من الاهتمام بالفكر الاسلامى القديم والمعاصر وعلاقته بقضايا الحياة والعصر .

● الأديب الدكتور محمد عبده يمانى وزير الاعلام اطل على الساحة الادبية مؤخراً كروائى طويل الباع فى كتابة القصة ، بعد ان عرفناه باحثاً علمياً وموجها تربويا .

فبعد صدور كتابه القصصى الكبير « اليد السفلى » يستعد لاصدار قصته « فتاة من حائل » التى حدثنا عنها فى لقاء ادبى معه بالرياض .
الدكتور يمانى ، مع مسئولياته الاعلامية العديدة ، يعطى للكتابة جانباً مهماً من وقته باعتبارها عملية انطلاق شعورى وتنفس فكرى يخفف من اعباء العمل .

وقد اتجه فى كتابته القصصية وجهة اجتماعية واقعية لتسليط الضوء على قضايا المجتمع والانسان فى السعودية وعلاقة ذلك بالتطور الحضارى وما ينجم عنه من معاناة ومواقف جديدة للأفراد والجماعات ، بحيث جاءت قصصه سجلا ادبياً لهذه المرحلة من التحول الاجتماعى .
« اليد السفلى » و « فتاة من حائل » ستكونان ضمن اصوات الأدب السعودى التى سنقدمها للقراء فى الاعداد المقبلة .

● الأديب الشاعر عبد العزيز الرفاعى ، المستشار بالديوان الملكى ، حضرنا فى الرياض ندوته الادبية المفتوحة التى يقيمها مساء كل خميس منذ ست وعشرين سنة دون انقطاع .

التقينا هنالك بالباحث الأدبى المصرى الدكتور بدوى طبانة وعدد من المثقفين والأدباء السعوديين والعرب . وكان لنا معهم نقاش ساخن حول العمالقة وعصرهم .. وهل كانوا عمالقة حقا ؟ وهو الموضوع الذى شارك قراء « الدوحة » فيه فى الشهور الاخيرة .

اطرف ما سمعناه فى الجلسة قصيدة قصيدة بالشعر التقليدى والأوزان الخليلية دفاعاً عن الشعر الحر .. !

الأستاذ رفاعى نفسه ينظم قصائد جيدة بالشعر الحر رغم اعتراضات الدكتور بدوى طبانة .. واختلاف « الوزن » لا يفسد للشعر قضيه !

هذه الندوة الأدبية المفتوحة منذ ربع قرن فى دارة الأستاذ الرفاعى ، يصحبها نشر ادبى ضمن سلسلة « المكتبة الصغيرة » حيث يتوالى نشر نتاج الادباء السعوديين والعرب ، فى كتب صغيرة سهلة الانتشار . وقد استعنا ببعض كتب السلسلة فى تقديم اصوات الأدب السعودى على صفحات هذا العدد .

● الأديب السعودى الشاب الأستاذ محمد رضا نصر الله يمثل بمفرده ما يشبه « الحركة الأدبية » ...

فقد بدأ توسيع الملحق الأدبى الاسبوعى بجريدة الرياض ــ اغزر صحف المملكة واوسعها انتشاراً ــ واستقطب اقلاماً معاصرة من مختلف الاقطار العربية ، بالاضافة الى زاويته اليومية فى الجريدة بعنوان :

« اصوات » .. وهى اصوات نافذة إلى صلب الاهتمامات المعاصرة .

وهو يقدم ايضا برنامجا ادبيا فكريا ، هو الاول من نوعه فى التليفزيون العربى السعودى بعنوان « الكلمة تدق ساعة » حيث يستمر الحوار الفكرى مع مجموعة من رجال الكلمة حول قضايا معينة لمدة ساعة تتعدد فيها الاسئلة وتتنوع وجهات النظر ، وتنتقل فيها العدسة من الرياض الى دمشق فالقاهرة فالمغرب لمناقشة ادباء العربية .

محمد نصر الله يكتب ايضا للمجلة العربية ، ويحضر بدايات بحث مطول عن الشاعر الخليجى ابو البحر جعفر الخطى ...

هذا ما استطعنا تسجيله من نشاطاته !

والى اللقاء مع معالم معاصرة اخرى فى الثقافة السعودية فى الاعداد المقبلة .

دكتور محمد جابر الانصارى

أضغاث أحلام

وقفـــــــة لــدى بهلوانيـات التــاريـخ!

قيل ، والعهدة على الرواة ، أن رجلا ظريفاً خفيف الدم دخل على احد الخلفاء (لما كان العرب يحكمون ما بين الهند والأندلس) وعرض بعض الحركات (البهلوانية) ومن بينها انه كان يقذف فى الهواء (إبرة) ويلحقها ، بابرة اخرى قبل سقوطها على الارض ، فتدخل فى ثقبها ، ولست هنا بصدد إقرار الامكانية العلمية او دحضها ، ولكن بصدد أمر ساقه الرواة فى نهاية هذه الاسطورة ، هو ان ذلك الخليفة الذى كان يقول للسحابة فى عنان السماء: أمطرى حيث شئت فسياتينى خراجك ؛ قال للبهلوان الذى احتال له الحجاب أن يحظى بعرض العابه عليه : أمرنا لك بمائة دينار مكافاة على ذلك الحذق وتلك البراعة ، فما كاد البهلوان ان ينصرف (بصرة الدنانير) من مجلس الخليفة ، حتى ناداه ثانية وأمر الشرطة بجلده مائة جلدة بسوط مصنوع من جلد الفيل ؛ فتعجب الحاضرون من ذلك الصنيع الغريب .. مكافاة مالية سخية تتلوها عقوبة بالجلد المبرح فتقدم احد المقربين يستوضح امير المؤمنين الخبر فقال : لقد أمرنا له بمكافاة إعجاباً بفنه وقدراته ، ولكنا اتبعنا ذلك بالسوط ، لأن هذا الرجل يصرف (جهدًا وعبقرية وحذقاً) فى امور لا تنفع الناس ولا تعود عليهم بخير ولا تدرا عنهم خطرا ولا تشخص لهم داء ولا تحل لهم مشكلة .....ولو ساد منطق واسلوب ذلك الخليفة العظيم فى هذا الزمان المعاصر فان تجار السياط (يعنى الكرابيج) سوف يصبحون اغنى بائعى السلاح فى عصرنا الحاضر ولاضحت جلود الفيلة وافراس النهر ـ التى تصنع منها السياط ـ فى السودان ، أهم من مناجم اليورانيوم والكوبالت والتيتانيوم والبورون ومعامل انتاج الماء الثقيل ، وذلك لسبب بسيط جدا : وهو أن عدد (البهلوانات) الذين يضيعون اوقات الناس وأموالهم ويصبون عبقريتهم وفكرهم فى امور لا تعود بالنفع العام ، أو تحل للناس مشاكلهم ، او تشخص عللهم ، يحتاجون لمؤسسة صناعية عالمية لانتاج السياط الكافية لتطبيق فلسفة ذلك الحاكم الفريد المثالى .... ولعل اعجب نوع من (البهلوانات) المعاصرين ، هم اولئك الذين يحاولون اليوم (فى العالم الاسلامى على سعته ومآسيه) ان يجعلوا من نكبة الاسلام فى (افغانستان) ، غطاء يوارى سواة كل ما سبقها من نكبات منذ ابتلاع (موسولينى) للدولة الاسلامية الوحيدة فى اوربا وهى (ألبانيا) ، حين ظهر له الضوء الاخضر (من مصادره) ليتحرك فى ذلك الاتجاه ، ومرورا بنكبات المسلمين فى فلسطين وارتيريا وقبرص وشرق افريقيا والفلبين وجنوب شرق اسيا ، وغيرها من بقاع العالم التى ظهر فيها الضوء الاخضر لاغتيال المسلمين وتصفية سيادتهم وخلخلة عقيدتهم وبث السموم فى أرجائهم ....

(وحيث انه) لا مجال لجلد هؤلاء البهلوانات بالسياط التقليدية، فان السوط الوحيد الذى يمكن أن نجلد به بهلوانيات التاريخ المعاصرة ، فى عالمنا العربى الاسلامى العجيب ، أن نسمح (لكلمة حق) عارية أن تقال ، وان نضع كل النقاط على كل الحروف ، وأن نتاكد أن نكبة المسلمين فى افغانستان عظيمة ولكنها تقف على قدم المساواة أو هى حلقة من نفس السلسلة كحلقة ضياع القبلة الأولى وشيوع كلمة اورشليم بدل بيت المقدس ، أو دفن عشرات المسلمين ومئاتهم فى الابار والخنادق فى قبرص والفلبين أو شنق علمائهم ومفكريهم وإفساد عقول واخلاق ولدانهم وشبانهم ، وهكذا دواليك مما لا مجال هنا لحصره وتسطيره .....لانه كثير طويل قديم ....

فلنجعل من مصيبتنا فى افغانستان منطلقاً (لا بهلوانياً) ونمنح الحرية ، كل الحرية ، لمجموعة منتقاة (من غير البهلوانات) من كل أرجاء العالم الاسلامى (بلا استثناء) لتلتقى فى أى ركن من الجزيرة العربية ، مهد النبوات ، ومنبت الاسلام ، لتحدد النقاط الحقيقية لأسباب مهانة المسلمين المعاصرين وسوء حالهم ، ولنشير بكل أمانة الى الثغرات التى اتى وسيؤتى منها المسلمون ، ثم تعرض على أولي الأمر فى غير ما تنطع ولا تقعر ولا كثير فلسفة وتشدقات ، وبمنتهى الجدية والتركيز ، الحلول التى يراها الاسلام ، لكل أوطان المسلمين ، لتدرا عنهم الأخطار المحتملة القادمة ، ولتحدد بكل الدقة والأمانة ، على سعة العالم كله ، من هم الأفراد والجماعات والحكومات العدوة للاسلام والمسلمين ، ولتضع حدا فاصلاً بين الجد والهزل ولتسلط الضوء الموضح لتبيان السوس الذى ينخر فى داخل المجتمع الاسلامى ذاته كطابور خامس للمتربصين حوله ، ليتقرر من هذا كله إتفاق شامل واضح على علاج المجتمع الاسلامى من داخله بطريقة (علمية عقلانية تامة الوعى والادراك) قبل فوات الأوان وقبل أن يطمئن البهلوانات الى أن الزمان زمانهم والكلمة كلمتهم وانهم هم الذين يصنعون التاريخ ....

درويش مصطفى الفار

إشراف: خديجة الصدر

محاولات للحد من
خطر السكر

في مطلع العقد الثالث من هذا القرن وبالتحديد في منتصف عام ١٩٢١ سجل الطب انتصاراً مدوياً باكتشاف مادة الانسولين التي ساعدت على انقاذ حياة مئات الآلاف من مرضى السكر ولكن ... وبالرغم من اهمية ذلك الكشف العلمي فان مرض السكر ياتي في المرتبة الثالثة من حيث الخطورة على حياة الجنس البشري بعد امراض القلب والسرطان ، فالانسولين يعمل فقط على تخفيف وطاة المرض ويقلل من امكانيات حدوث تعقيدات اخرى عند ظهور اعراض المرض ، والسكر لا يعني فقط ان هنالك نسبة عالية من السكر في الدم ... فهو يكاد يؤثر على جميع اعضاء جسم الانسان . وهنالك الملايين من مرضى السكر الذين يعانون من ارتفاع ضغط الدم والعمى والغنغرينة والاضطرابات العصبية والالتهابات المزمنة .

وبصفة عامة هنالك نوعان من انواع الاصابة بهذا المرض ، الأول منهما ما يعرف بالسكر الحداثة وهو النوع الذي يصيب الأطفال ويستوجب تناول الانسولين في جميع الحالات تقريباً والنوع الآخر هو ما يحدث لدى المتقدمين في السن ويكون اقل خطورة بل وعليه التحكم فيه عن طريق عقاقير تؤخذ بواسطة الفم او باتباع نظام غذائي صارم .

أعراض السكر عند الاطفال

وفي أغلب الاحوال فان أعراض مرض السكر لدى الاطفال تظهر تحت وطاة الظروف والانفعالات النفسية كالمشاجرات أو الامتحانات المدرسية وبعكس ما هو شائع فان عنصر الوراثة يتسبب في حوالي ١١٪ فقط من حالات هذا المرض لدى الاطفال وينجم معظمها عن عجز خلايا البنكرياس في إفراز الانسولين بكميات كافية .

طفلة تعد جرعة الانسولين

الباحثون مشغولون بالبحث في معرفة أسباب مرض السكر . بعضهم يعزوها إلى الإصابة بالفيروسات .. والبعض له رأى آخر

... والكبار

أما الاصابة بالسكر لدى الكبار فغالباً ما تحدث بالتدرج دون أن تكون مصحوبة بالاعراض المعروفة كالعطش وكثرة التبول . وقد تاتى مقدمات المرض على هيئة بثور ودمل وعدم التئام الجروح والتقرحات بصورة تامة . وهنالك العديد من الحالات التى لا يتم فيها أكتشاف الأصابة إلا بعد سنين طويلة على حدوثها فعلا . وتجدر الاشارة هنا إلى أن السكر فى مراحل ما بعد البلوغ يكون ضحاياه فى معظمهم من ذوى الأوزان الزائدة ويتسبب عنصر الوراثة فى حدوث ما يوازى ٨٥ ٪ من الاصابات .

بعد ظهور الاصابة

وعند ظهور الاصابة فان الاطباء يوصون المريض بملازمة سرير المستشفى حتى تسفر المراقبة والفحوصات المتصلة عن التحكم فى معدلات السكر فى الدم ولتحديد كمية الانسولين التي تناسب كل حالة وعدد مرات تعاطيها وكما أسلفنا فان معظم حالات الاصابة بالسكر لدى الأطفال تستوجب تناول الأنسولين كوسيلة وحيدة لدرء خطره ، كما وأن ٢٠ ٪ من مرضى السكر من كبار السن تستلزم حالاتهم تعاطى الأنسولين أيضاً ويعلق الاطباء أهمية كبرى على الربط بين جرعات الأنسولين والنظام الغذائى والحياتى للمريض إذ أن عدم تعاطى الغذاء بدرجة كافية أو الافراط فى التمارين الرياضية قد يؤدى الى هبوط حاد فى معدلات السكر مما يؤدى بدوره الى حدوث ما يعرف بالصدمة أو الغيبوبة .

وبما أن حالات المصابين بالسكر فى سن الرجولة لا تستدعى فى معظمها المعالجة بالانسولين فان تخفيض معدلات السكر فى الدم يتم بواسطة الاقراص المضادة للسكر التى تم أكتشافها فى الخمسينات وقد قل استعمال هذه الاقراص فى السنوات الاخيرة بعد أن ثار جدل طبى حول احتمال تسببها فى إحداث أمراض القلب ، غير أن تعديل وضبط النظام الغذائى مع العمل على تخفيف الوزن يؤديان بالضرورة الى الاقلال من نوبات المرض .

غذاء مرضى السكر

ومن الجديد فى عالم هذا المرض أن الابحاث التى اجريت حديثا فى هذا المجال قد دحضت الفكرة التقليدية السائدة حول نوعية الطعام الذى يوصى به للمصاب . فقد درج الاطباء على توجيه مرضاهم إلى الامتناع كلية عن السكريات والنشويات وتناول كميات كبيرة من البروتينات والدهنيات ولكن نتائج الأبحاث الأخيرة أثبتت أن الدهون تعيق التحول الكيمائى للسكر ، وأن النشويات قد تزيد من معدل مثل ذلك التحول مما حدا بجمعية مرضى السكر الامريكية التى أشرفت على تلك الابحاث أن توصى بوجبات طعام تحوى ما يوازى ٥٠ الى ٦٠ ٪ من السعرات الحرارية المستخلصة من المواد الكربوهيدريتية و ٣٠ ٪ من المواد الدهنية . وتشدد الجمعية على عدم استعمال السكر العادى بتاتا وتوصى بأن تكون مصادر النشويات (مركبة) كما هو الحال فى الارز ومختلف انواع الغلال .

وقد توصل الدكتور جيمس أندرسون من جامعة كنتكى بالولايات المتحدة إلى أن الخضر والبقول التى تحوى الألياف قد تغنى صغار المرضى عن تناول ما يعادل ٢٥ ٪ من جرعات الانسولين التى اعتادوا عليها إذ أن تلك الألياف تقلل من سرعة امتصاص الأمعاء للنشاء والسكر

كيف تتم الأصابة بالمرض

غير أن الشغل الشاغل للباحثين فى هذا المجال هو معرفة المسببات الحقيقية لهذا المرض ، ففريق منهم

يعزى حدوثه إلى الاصابة ببعض الفيروسات ويدعمون رأيهم هذا بظاهرة ارتباط مرض السكر لدى بعض المصابين بأعراض مرضية أخرى كان يظهر المرض عقب الاصابة بالتهابات الجهاز التنفسى وقد دللوا على صحة ما ذهبوا إليه بعد أن توفى أحد الأطفال فى أحد مستشفيات مدينة واشنطن حيث كان يعالج من الانفلونزا ولكن التشريح أثبت أن سبب الوفاة هو السكر الذى نتج عن التلف الكامل لخلايا البنكرياس وتم العثور على الفيروس المعروف طبياً بكوكساكى ب وهو من الفيروسات المعروفة فى التهابات الجهاز التنفسى . وبحقن ذلك الفيروس فى أجسام الفيران ظهرت عليها أعراض مرض السكر

ولكن معظم الاخصائيين يرى أن الربط بين السكر وتلكم الفيروسات لا يميط اللثام بصورة كافية عن لغز المرض إذ لم يحدث إطلاقاً أن ظهر السكر كموجة وبائية كما يحدث فى نزلات البرد ، ويرجحون أن يكون مرضى السكر مزودين بمناعة خارقة تجعلهم قادرين على إفراز أجسام مضادة ضد خلايا جسمهم نفسها ، تماماً كما يحدث لدى المصابين بروماتيزم القلب أو مرضى الكلى المزمن

ولكن الثابت أن أيا من العاملين السابقين لا يلعب دورا فى أحداث السكر لدى البالغين . فالذى يحدث فى بعض هذه الحالات هو أن خلاياهم تهرم وتشيخ قبل الأوان كما فى حالات الشيب المبكر ، أما الغالبية العظمى منهم فقد تبين أن أوعية استقبال الانسولين فى أجسامهم مصابة بخلل عضوى خاصة فى الكبد والأنسجة العضلية . وهذه الاوعية عبارة عن أجزاء من الخلايا يمارس فيها الأنسولين مهمته فى التحويل الكيمائى للمواد الكربوهيدريتية ، فاذا قام المصاب بالتقليل من السعرات الحرارية التى يتناولها فان عدد الأوعية يتزايد بالمقابل ، مما يساعد على تخفيف حدة المرض وبالتالى فقد استنتج الاطباء أن السبب الأول فى فشل تلك الاوعية فى أداء مهامها هو أن المريض يحملها ما لا تطيق من السعرات الحرارية الزائدة .

فى مجال التشخيص والعلاج

وقد شهدت السنوات الخمس الاخيرة من العقد المنصرم طفرات طبية واسعة فى مجال تشخيص ومعالجة هذا المرض . ففى مجال الفحص المختبرى يمكن الان للمريض أن يجرى فحصاً دقيقاً لدمه دون اللجوء إلى اختصاصى وذلك بان يضع نقطة صغيرة جدا من الدم على شريحة من الورق المعد لهذا الغرض ثم يقوم بوضع الشريحة داخل « عداد الجلوكوز » الصغير فيعطى قراءة مضبوطة لنسبة الجلوكوز فى الدم مما يسهل عليه – بعد استشارة الطبيب – أن يحدد حجم الجرعة وعدد مرات تناول الانسولين ويتاتى له أيضاً أن يقوم بالفحص مرة أو أكثر من مرة فى اليوم حسب مقتضى الحال

البنكرياس الاصطناعى

والطفرة الثانية حدثت فى مجال اسلوب تعاطى الانسولين . فقد تم التوصل الى ما يمكن أن يسمى بالبنكرياس الاصطناعى ليؤدى وظيفة مشابهة لرصيفه الطبيعى . ويرجع الفضل فى هذا الاختراع للدكتور فليب فليق وزميله وليم تامبرلين من جامعة

مريض واحد من مائة، عاش ببنكرياس مزروع لمدة أربع سنوات ونصف.. دون الحاجة إلى الإنسلين!

البنكرياس الاصطناعى يتدلى من على الحزام

بيل بأمريكا . وهو عبارة عن مضخة انسولين صغيرة تتدلى من حزام حول الخاصرة وتعمل بالبطارية الجافة وتقدم هذه المضخة بحقن الجسم تلقائياً بكميات الانسولين المطلوبة ، يساعدها فى ذلك جهاز صغير ملحق بها يقوم بقياس نسبة الجلوكوز فى الدم وتحديد الجرعة الدوائية . وقد نجح البنكرياس الاصطناعى هذا فى حفظ التوازن الضرورى بين المواد المختلفة فى الدم لنسبة عالية من مستعمليه.

تجارب زرع البنكرياس

ويؤمل الاطباء أن تسفر عمليات زرع البنكرياس على غرار سائر الأعضاء ، عن حسم نهائى لمعضلة مرض السكر ، وبالرغم من انهم اجروا حوالى تسعين عملية لزراعة البنكرياس فشلت كلها أو معظمها بسبب رفض الاجسام المتلقية للجسم المزروع أو لوفاة المرضى نتيجة لأعراض مرضية أخرى ، إلا أن مريضاً واحداً عاش زهاء أربع سنوات ونصف ببنكرياس مزروع دون ان يحتاج الى جرعات أنسولين الامر الذى دفع الاطباء الى التفاؤل حول مستقبل نجاح زراعة البنكرياس . وعلى صعيد آخر مازالت التجارب المبشرة تجرى على مجموعات أخرى من المرضى وذلك بزرع الخلايا الماخوذة من البنكرياس عن طريق حقنها فى الجسم لتصبح متصلة بالكبد

تفاؤل بالنجاح

وبالرغم من كل العثرات التى واجهت هذه المحاولات إلا أن الباحثين الطبيين فى مجال هذا المرض متفائلون بنجاحهم . فانخفاض نسبة الوفيات بين النساء اللاتى يعانين من السكر عند الولادة ، ونجاح العمليات الجراحية باشعة ليزر للشبكية بالنسبة لمرضى السكر المهددين بالعمى ، والنجاح الاكبر لعمليات غسل وزراعة الكبد كلها بشائر تدل على أنه من الممكن جدا وفى المستقبل القريب أن يتم التحكم والسيطرة على هذا المرض ، بل ومنع حدوثه أيضاً .

منذ لحظة الحمل مباشرة يبدأ جسمك استعداده للقيام بمهمة حمل وتغذية الجنين لمدة تسعة اشهر . فما الذى يحدث ؟ وكيف ؟

إن كثيرًا من النساء ، وخاصة اولئك اللائى سبق أن ولدن طفلاً واحدا على الأقل ، يدركن انهن قد حبلن ، وذلك بزمن طويل قبل ان يكون اجراء اختبار الحمل عليهن ممكنا ، واحيانا قبل أن ينقطع الحيض . وقد تحسين بان شهيتك قد تغيرت ، وربما احسست بميل إلى الغثيان او لاحظت ان تغييرا طرأ على ثدييك ، وانك ميالة الى التبول مرات اكثر مما هو عادة . ويمكن لهذه التغييرات ان تحدث من الحمل . وهى أول واكثر المؤشرات الى الأمور التى ستحدث بشكل درامى فى جسمك لتمكنك من حمل وتغذية الجنين لمدة تسعة اشهر ، فالحمل بالضرورة ، مصحوب بتغييرات مفاجئة فى كيمياء الجسد تؤثر على كل اجزائه . ففى اللحظة التى يشعر فيها جسمك بان تلقيح البويضة قد تم ، وانها استقرت فى جدار الرحم ، يبدأ بث رسائله ـ الهرمونات ـ للشروع فى الاستعداد لأربع مهام أساسية هى :

● الحصول على المواد اللازمة لعملية بناء جسم الطفل .

● الاعداد لتوفير هذه المواد فى الوقت والموضع اللازمين .

● توفير بيئة ملائمة لنمو الجنين ، وتسهيل التخلص من فضلاته .

● تخزين المواد الغذائية التى تؤمن تغذية الطفل بعد مولده .

وسيصبح كل ذلك مفهوما لديك وبطريقة عملية ان القينا نظرة على الاجهزة المختلفة بجسمك .

الدورة الدموية

عندما يبدأ الجنين فى النمو ، فان رحمك يتمدد ويكبر ، وهذا يعنى أن كمية الدم الجارى فى جسمك قد زادت . وهى زيادة بمقدار خمسين بالمائة على الاقل ، لأن الجسم يحتفظ بالماء ، كما أن خلايا دمك الحمراء تزيد ، وتستمد كميات من الحديد المختزن فى جسمك . ويكبر حجم قلبك كيما يتمكن من ضخ هذا الدم الزائد حول الجسم .

وفى الثلاثة أشهر الأولى يرفع القلب انتاجه من الدم ، وبذا يفرض على جهاز الدورة الدموية كله أن يحسن أداءه . وتزداد كمية الدهون فى الدم لأنها لازمة

فى الأشهر الثلاثة الأولى يرفع القلب إنتاجه من الدم لكى يحسن أداء الدورة الدموية

لتصنيع الهرمونات ، وتاخذ بعض الخلايا التى تقوم بعملية التجلط فى التقلص ، مما يترك اثرا جانبياً سلبياً وهو خطر النزيف اثناء الحمل ، لأن المادة الخاصة بتختر الدم وتجلطه قد نقصت ، وبالتالى فان الدم يحتاج لزمن اكبر ليتخثر ويجمد . ولكن ينبغى ألا تجزعى لهذا او ينتابك قلق ، لأن طبيبك يعرف هذا ، ويستطيع القيام بما هو ضرورى لعلاج الأمر .

ويمكن لاى أمراة حامل فى شتاء شديد البرد أن تلاحظ تاثيراً جانبياً آخر ، وهو انخفاض احساسها بالبرد ، وذلك نتيجة للدفء الذى يبعثه الدم الزائد فى الجلد . ولكن هذه الزيادة تسبب نوعاً من التورم فى عروق الاجزاء السفلى من جسمك ، وبالتالى نوعا من الألم يزول بعد الولادة .

ردود فعل معقدة

ولا ندرى بالضبط الكيفية التى تتم بها كل هذه التغييرات ، لأنها عملية معقدة للغاية ، ويعتمد كل رد فعل فيها على استجابة اخرى فى مكان ما بالجسم . ولكن ما ثبت هو ان للهرمونات التى تفرزها المبايض والمشيمة دوراً فى كل هذا . إن جسمك محتاج ، اثناء الحمل ، الى كميات اكبر من الأوكسجين ، خاصة قبيل نهاية التسعة أشهر ، ويوفر جسمك هذه الكميات الاضافية من الاوكسجين بزيادة تنفسه . وهذا التنفس الزائد هو ما يفسر ميل بعض النساء لحالات من الاغماء اثناء الحمل . ويسهم الجسم ايضاً فى زيادة التنفس ، وذلك بتوسيع قفص الصدر ، الذى يرتفع ، وبذا يرفع النهدين ، مما يمكن الرئتين على العمل بكفاءة اكبر . وبالمناسبة .. فان مغنى الاوبرا يقضى سنوات عديدة فى تدريب نفسه على توسيع قفص صدره ليتمكن من اداء الالحان العليا والطويلة دون مشقة .

الكليتان

يشعر عدد كبير من النساء بالحاجة الى التبول مرات عديدة ، مما يسبب لهن بعض الازعاج ؛ وذلك نتيجة لزيادة حجم وتدفق الدم ، مما يكلف الكليتين عملا إضافياً للتخلص من الفضلات التى تفرزها الام وجنينها . وذلك ما يفسر ارتفاع كمية البول منذ الأيام الأولى للحمل وحتى الاسبوع الثانى او الثالث بعد الولادة .

ولا تجد الكليتان ، وقد زاد عملهما وسرعة ادائهما اثناء الحمل ، الوقت الكافى للتدقيق فى ما تفرزانه كما هو امرهما فى الأوقات العادية ، ولذا اظهرت بعض الفحوصات أن النساء يفرزن السكر وبعض الفيتامينات الذائبة فى الماء مثل فيتامين سى . ولكن كل ذلك يتوقف بعد الولادة .

الهرمونات

تقوم الهرمونات ، وخاصة البروقيسترونات ، بتنشيط شهيتك للأكل اكثر فى الثلاثة اشهر الأولى وذلك حتى يختزن جسمك الدهن الضرورى لاطعام الجنين بعد الولادة . وهذا المعدل المرتفع من الهرمونات المتفقة فى الجسم هو السبب فى ذلك الغثيان الذى قد تشعرين به فى الصباح ، والذى تشتد نسبته لزيادة الدهن فى الدم . ولذا فان تقلبات الشهية للطعام ، زيادة او نقصانا ، هو أمر طبيعى . فمثلا ، قد تشعر المراة برغبة جامحة لأكل الفاكهة ، لأنها تتخلص من الفاكهة والفيتامينات عند التبول . ومن آثار هرمون البروقسترون أن يرخى العضلات كيما تسهل الولادة ، الأمر الذى يجعل عملية افراغ المعدة بطيئة احيانا ، ويسبب نوعاً من الحرقان ايضاً .

وتصل هرمونات الجنس الى عشرة اضعاف وجودها العادى فى جسم الحامل ، وكذا الهرمونات الأخرى مثل الادرنالين والنيترويد والكورتزون . وكل هذه الزيادات تحدث تغييرات عديدة : فالثدى يتغير ، والحيض يتوقف ، ويختزن الجسم الدهون ، وتعمل الاجهزة الكيماوية بكفاءة افضل .. حتى ان المراة الحامل تشعر بطاقة هائلة ونشاط كبير فى احايين كثيرة ، فتقرر فجاة أن تقوم باعادة طلاء حجرة ما ، أو القفز وهى فى الشهر السابع من الحمل .

ولأن هذه الهرمونات تجرى فى دفعات فان الحامل متغيرة الاحوال ، فبعد نشاط فياض ، تحس بالخمول وفقدان الطاقة ، وكل ذلك راجع الى نشاط الهرمونات .

ومن آثارها ايضا تلك الخطوط التى تظهر على الثديين والفخذين والبطن . كما انها تؤثر على الرغبة ، فتتارجح بين الحماس الشديد للجنس ، وفقدانها له بشكل كلى .

الوزن

لابد انك لاحظت ان وزنك قد زاد بعد الحمل . ويمكنك أن تتوقعى زيادة ٢٦ او ٢٧ رطلا ، اى بمعدل رطل واحد كل اسبوع خلال الستة اشهر الاخيرة من الحمل . اما فى حالة الحمل لأول مرة ، فان الزيادة المتوقعة فى الوزن اكثر منها فى اى حمل لاحق . ويمثل وزن الجنين ثلث تلك الزيادة تقريباً ، والباقى هو دهون وسوائل ، ربما يصل وزنها الى سبعة ارطال . وغالباً ما تكون فى منطقة الردفين والفخذين والبطن ، وما زيادة الوزن إلا لاعطاء الحامل الطاقة والقدرة لتغذية الطفل لمدة ثلاثة اشهر من لبن ثديها حتى وان كانت تتناول كميات شحيحة من الطعام . وتلك سنة الطبيعة

تغييرات

وتحدث كل هذه التغييرات تقريبا بعد الحبل مباشرة ، ولكن بعض النسوة يشعرن بها قبل اخريات . وعلاوة على التغييرات التى اشرنا إليها آنفا ، ستلاحظين أن حلمتى ثديك وماجاورهما تميلان الى لون داكن . اما وجهك فيميل الى السمرة . وربما لاحظت ايضاً أن جدران المهبل قد تغير لونها ، فصار مائلا الى الزرقة ، وذلك نتيجة لزيادة جريان الدم ودورته . كما أن افرازات المهبل يتغير نسقها وكميتها .

ولا تجزعى إن زادت كمية عرقك ، وشعرت احياناً بامساك ، لان جسمك يحجب الماء عن المصارين .

وليس من الضرورى أن تحدث كل هذه التغييرات لكل النساء وبنفس الدرجة . وستعرفين بعد مناقشة الأمر مع بعض اقاربك وصديقاتك مدى الاختلاف فى التاثر بهذه التغييرات . ومتى عرفت ذلك ، والسبب الكافى وراء كل هذه التغييرات ، فان بالك سيطيب ، وتقل مخاوفك .

وفى النهاية ، نود ان نؤكد أن جسمك قد خلق مزوداً تزويداً كاملا للتكيف مع كل ما يتصل بالحمل والولادة ، وهما امران طبيعيان وصحيان لأنهما جزء من الحياة لا ينفصم عنها .

الوخز بالابر

عرف الصينيون المعالجة عن طريق الوخز بالابر منذ آلاف السنين ، وظلوا على تمسكهم بهذه الوسيلة العلاجية الغريبة حتى انتقلوا بها من طور الفولكلور الطبى إلى عوالم الطب الحديث . فاصبح العلاج بالأبر ممارسة مقبولة في أركان الدنيا الأربعة بعد أن كان مدعاة للسخرية والتهكم فمنظر المريض الذي يتبادل النكات مع اطبائه وهم يستاصلون جزءا من رئته ومنظر السيدة التي تقرأ مجلة اثناء اجراء عملية ولادة قيصرية لها .. دفعا بالعالم الغربي إلى احلال الاشادة والتقدير محل السخرية والتهكم .

وقد بنى الصينيون نظرياتهم عن العلاج بالوخز على أساس الفكرة القديمة القائلة بان المادة والطاقة البدنية عنصران مكملان ومتصلان ببعضهما . ويؤمن الصينيون بان الطاقة الحيوية تسرى خلال الجسم البشرى عبر قنوات معينة تقابل الأعضاء الأساسية او الرئيسية في الجسم فاذا توقف ذلك السريان او حدث فيه اختلال ، فان ذلك يقود إلى الألم والمرض . ويمكن تفادى ذلك بايلاج الأبر في مواقع معينة عبر تلك القنوات مما يؤدى إلى إزالة الألم واستكمال العافية .

وقد حدد الطب الصينى القديم اكثر من ٣٦٠ موقعا أساسيا صالحا لاستعمال الأبر على الجسم إلا أن الاطباء تمكنوا فيما بعد من تبسيط المسالة وحصر المواقع والأقلال منها.

وقد نجحوا بصورة خاصة في حصر المواقع التي يمكن ممارسة العلاج عليها فاصبح من الممكن أن يؤدى الوخز في نقطة واحدة فقط إلى إزالة الألم في مواقع معينة من اجزاء باكملها من الجسم البشرى .

ويثبت ما توصل إليه الصينيون صحة ما ذهب اليه الطب الشعبى في عالمنا العربي عن أهمية الدلك لمكافحة أمراض معينة في العضلات والعظام ، فهم ينصحون بممارسة العلاج الذاتى في بعض الحالات عن طريق الضغط والدلك الخارجى في نقاط معينة وفقاً للنظرية الأساسية للوخز بالأبر .

وبما اننا نتناول المسالة هنا ببعض التفصيل فاننا نؤكد أن ما نخوض فيه يقصد منه أولا واخيراً التنوير والاحاطة بالعلم فكما ان وفرة الاسبرين لا تغنيك عن استشارة الطبيب ، فان ما نتطرق إليه من اساليب المعالجة يجب الا يحملك على تجاهل الدور الحيوى للطبيب .

ونعود إلى صلب موضوعنا فنقول ان الضغط الخارجى على مواقع الألم حسب النمط المتبع في العلاج بالوخز لبعض الأمراض يؤدى إلى زوال الألم ولو بصورة مؤقتة تماما كما لو كان المريض قد تناول العقار الكيمائى المرسوم لذلك المرض المسبب للألم وقد أمكن معالجة ظاهرة مرضية مثل الأرق عن طريق تدليك بعض أجزاء الجسم بالضغط بالأبهام .

ولا تتعدى مساحة اي موقع من مواقع الضغط الخارجى نصف مليمتر مربع غير انها على صغرها سهلة التحديد لحساسيتها وحيويتها مما يجعل الضغط عليها مسببا للألم .

عملية استئصال رئه خدر فيها المريض بابرة واحدة أعلى الذراع .

وطريقة الضغط الخارجى سهلة للغاية فيمكنك مثلا وعلى ضوء الرسوم التوضيحية المصاحبة لهذا الموضوع ان تحدد الموقع الذي تختاره ثم تضغط عليه مستعملا أقوى الاصابع (الابهام) مع هزه وتحريكه من اليسار إلى اليمين ويمكن التوصل إلى نتائج أحسن باستعمال الغطاء البلاستيكى الموجود في مؤخرة اقلام الحبر الجافة .

١ ـ التواء الكاحل

في حالة الكسر الذي يستوجب التصوير بالاشعة يمكنك اجراء تدليك يساعد على تخفيف الألم لحين وصول الطبيب .

اضغط باصابعك في الموقع الذي يقع أسفل عظمة الكاحل البارزة من الداخل أو الخارج حسب موقع الورم على ان يكون الضغط بطريقة عمودية لا تعمل على تغيير موقع العظام المهشمة إذا كان الورم مركبا .

٢ ـ الاغماء

قد يكون مصدر الاغماء امراً خطيراً كاضطرابات القلب ولكن معظم حالات الاغماء لا تشكل خطورة وقد يكون سببها مثلا خبر مفاجىء سىء ويحدد اخصائيو الوخز بالأبر أسفل العقلة الأولى من الاصبع الصغير (البنصر) لممارسة الضغط ويحسن أن يكون الشخص المتلقى للعلاج راقداً على ظهره .

٣ ـ التسمم

وهنا نعنى التسمم الكحولى أو الناجم عن تعاطى عقار مخدر والنقطة المثالية للضغط في هذه الحالة هي جانب الجمجمة في المنطقة الواقعة اعلى الأذن بحوالي بوصتين وفي حالة التسمم الكحولى يمارس الضغط على أرنبة الأنف

الطب الصيني القديم حدد أكثر من ٣٦٠ موقعاً صالحاً لاستعمال الإبر

الضغط الخارجي على مواقع الألم لبعض الأمراض يؤدي إلى زوال الألم

معظم حالات الإغماء لا تشكل خطورة .. فربما حدثت نتيجة خبر مفاجئ

برقة حتى لا يسبب الضغط التقيؤ لدى المتلقى .

٤ ــ التقلصات

وهى نوعان الاول منها يتصل بالأوعية الدموية والثاني بالعضلات والأخيرة منها كثيراً ما تعقب ممارسة الرياضة بصورة عنيفة خاصة في بطن الساق ولازالة الالم في ذلك الموقع يتم الضغط على بطن الساق عند منتصف المسافة من الركبة إلى الكاحل وبصورة اكثر تحديداً بين عضلتى الساق اللتين تبرزان إذا وقف الانسان على أطراف أصابعه ويكون الضغط شديداً لعمق الفجوة بين العضلتين .

٥ ــ الانقباض النفسى

يستدعى الانقباض النفسى الشديد المعالجة الطبية السريعة ولكن اخصائيي الوخز يرون ان احسن السبل لمنع تفاقمه تكون بالاستلقاء على الظهر في استرخاء كامل ثم بتدليك منطقة الرسغ في كل من اليدين بعدها تدلك المنطقة الواقعة بين السرة والاضلاع وكاجراء اخير يمارس التدليك بالضغط على أعلى نقطة على الرأس اي حيث يلتقى الخط الموصل بين الأذنين .

٦ ــ الصداع

أفضل مواقع التدليك في حالات الصداع هى ذلك الجزء من اليد الذي يجس منه الطبيب النبض على أن يتم تدليك ذلك الجزء على اليدين بالتناوب .

٧ ــ الغثيان عند السفر

يفقد كثير من المسافرين فرص الاستمتاع بالرحلات التي يقومون بها لما ينتابهم من غثيان وميل نحو التقيؤ ويكون الأمر خطيراً لدى الاطفال لان ذلك قد يعرضهم لفقدان السوائل ولتفادى ذلك يمكن التهيؤ للسفر بممارسة التدليك الخفيف على النقطة الواقعة في منتصف المسافة بين السرة ونقطة التقاء الضلوع .

٨ ــ آلام العادة الشهرية

تستوجب اضطرابات العادة الشهرية غير الطبيعية مقابلة الطبيب فوراً دون اضاعة اي وقت وينصح الاطباء الصينيون بتخفيف الآلام عن طريق تدليك الاصبع الكبير في القدم في المنطقة اللينة التي تقع أسفل الظفر غير ان نقطة الضغط والتدليك في جميع حالات أمراض النساء تقع على قصبة الساق من الداخل على ارتفاع ما يوازى خمسة اصابع من عظمة الكاحل .

٩ ــ عسر التنفس

قد يكون عسر التنفس عرضا لمرض خطير وقد يكون بالمقابل ناجما عن التهابات عارضة او انفعالات عاطفية وللحصول على الراحة السريعة يجب أن يستعين المصاب بشخص آخر ليدلك له مفصل العظمة الفقارية الثالثة من أسفل الظهر .

١٠ ــ آلام الاسنان

ونقطة الضغط في هذه الحالة هى نهاية العقلة الأولى من السبابة فيما تحت الظفر ويكون تحديد السبابة اليمنى أو اليسرى حسب موقع الضرس أو السن المسبب للألم ويقول الاطباء الصينيون ان هذا العلاج قد يغنيك عن استعمال المخدر عند انتزاع الضرس التالف .

١١ ــ الأرق

يمارس الجسم حالتين من النوم احداهما ثقيلة عندما يكون الجسم مسترخيا والأخرى خفيفة وهى التي تقود إلى عالم الاحلام وهي مسالة ضرورية وحيوية بالنسبة للصحة العقلية والمعروف ان معظم الحبوب المنومة تقود إلى النوم العميق وكثيراً ما يصحو المؤرق وهو يعانى من آثار المخدر ولعلاج الارق بصورة طبيعية ينصح اطباء الوخز بالابر بممارسة التدليك الخفيف على العقلة الأولى من الاصبع الثاني في القدم المجاور للاصبع الغليظ ويمكن ايضا تدليك المفصل الأخير لأصبع القدم الكبير .

نقط الوخز بالابر الصينية باليدين لعلاج الامراض

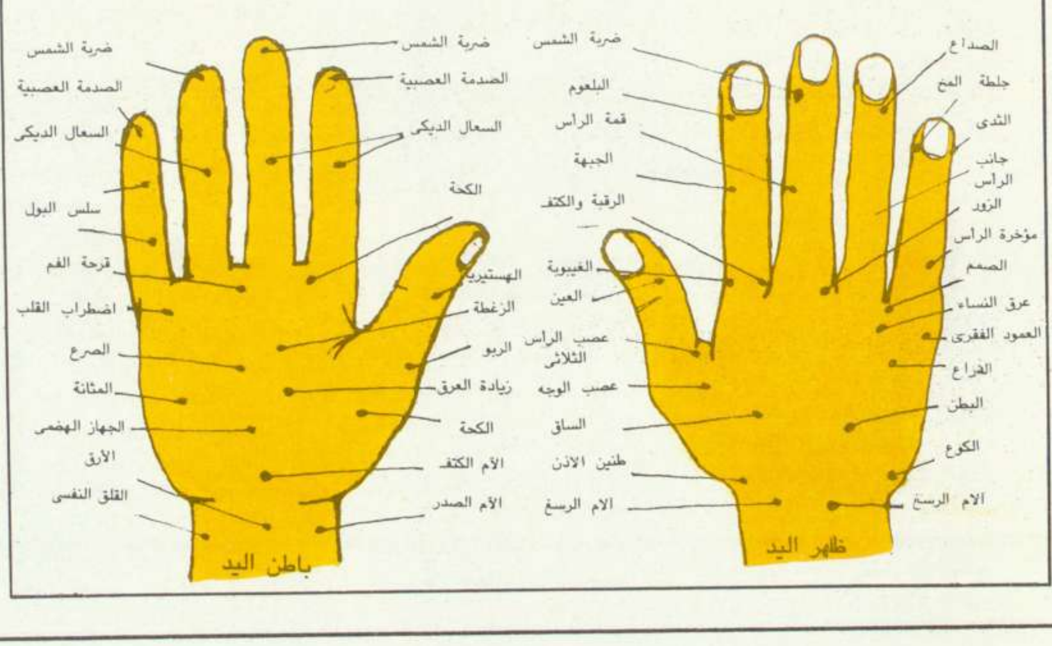

حكايات علمية

الدهون .. لا تقى من أمراض الجلطة

كتب البروفسور المتقاعد واستاذ الطب السابق بجامعة لندن سير جون ماكمايكل مقالا لصحيفة (بيريتش ميديكال جورنال) قال فيه أن الطعام الذى تكثر فيه الدهون غير المشبعة يتلف عضلات القلب ويزيد مخاطر حصوة المرارة وسرطان الامعاء . وقال ان هذه الدهون لا تحمى القلب من اخطار النوبات .

وقد ساد إعتقاد منذ عام ١٩٦٧ بفائدة الدهون غير المشبعة في الوقاية من أمراض الجلطة الدموية والشريان التاجى وكان هذا الاعتقاد مبنى على تقرير الكلية الملكية في هذا الموضوع . لقد تسبب هذا التقرير في تناول الناس للدهون بنهم كبير للوقاية من تكونات الكلسترول في الدم .

والدهون غير المشبعة مصدرها بعض الزيوت النباتية وزبدة المارغرين الناعمة ، كما توجد في اللحوم ومنتجات الالبان خاصة الزبدة والجبن . وقد جاء الربط بينها وبين ارتفاع الكلسترول في الدم وتصلب الشرايين .

يقول سير جون ماكمايكل والذى كان رئيسا للمؤتمر الدولى لامراض القلب في عام ١٩٧٠ : احاول دائما زراعة الأمل في قلوب مرضاى ولكنى لم أجد يوماً البرهان القاطع على أنهم إذا تناولوا زبدة المارغرين يساعدهم في الشفاء . لقد أذهلنى تقرير الكلية الملكية والطريقة التي استخدمتها به الاطماع التجارية وقررت ان اكتب بحثا أفند فيه الحجج الباطلة التي ساقها ذلك التقرير حتي لا تصبح حقيقة بكثرة التداول .

ويؤكد سير جون انه على الرغم من حقيقة كون الطعام الذى يحتوى على دهون غير مشبعة يقلل الكلسترول في الدم إلا أن ذلك ليس برهاناً قاطعاً على تقليل النوبات القلبية . ومن ناحية اخرى فان تخفيض كلسترول الدم قد يؤدى إلى تضخم الكبد والقناة الهضمية الأمر الذى قد يؤدى إلى حصوة المرارة وسرطان الامعاء .

تعرض البروفسور المتقاعد سير جون ماكمايكل إلى هجوم عنيف وما زال الحوار مفتوحاً في هذا الموضوع إلا ان قسم الصحة البريطانية قد شرع في اعداد كتيب سيصدر قبل نهاية هذا العام ينصح فيه الناس بالتقليل من تناول الدهون .

سيجارة جديدة قطران ونيكوتين بنسبة كبيرة

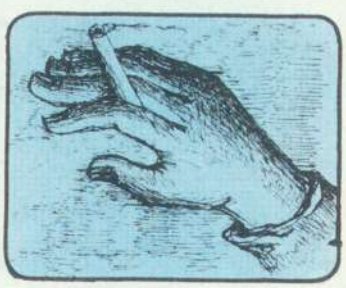

معظم شركات السجائر تسعى إلى تقليل نسبة القطران والنيكوتين في سجائرها ولكنها لا تستطيع ذلك بالنسبة لمادة ضارة اخرى هي غاز أول أوكسيد الكربون .

الا ان مصانع دخان يونيكو اليابانية تمكنت من صناعة فلتر خاص يخفض هذه المواد السامة بنسب كبيرة . ويقول المسئولون فى مصانع يونيكو أن هذا الفلتر الذى يحتوى على محلول (فوق أوكسيد الهيدروجين) يزيل السموم بنسب تصل إلى ٥٦٪ من القطران و ٨٥٪ من النيكوتين ، و٨٠٪ من غاز أول أوكسيد الكربون .

أصغر كاميرا في العالم

قدمت شركة اساهى للبصريات اليابانية أصغر واخف كاميرا في العالم من ذوات العدسة الواحدة . والكاميرا اسمها نظام (پنتاكس ١٠) وهي في حجم علبة السجائر ووزنها ست أوقيات . ورغم صغر حجمها وخفة وزنها فهى لا تقل كفاءة عن الكاميرات الكبيرة ، بل تمتاز عليها بنظامها السهل في تركيب الافلام حيث تعمل على افلام (كاسيت ١١٠) بدلا عن بكرات ٣٥ ملم .

الكيمياء وعلاج سرطان الرئة

أعلن في واشنطن مؤخراً عن أول نجاح كيميائى في معالجة بعض أنواع سرطان الرئة الفتاكة وأصعبها علاجاً . وهذا النجاح يعطى أملا في الخلاص من هذا المرض الخبيث .

واليكم نتائج هذا العلاج فى العديد من المراكز الطبية .

● قام الدكتور أريل هولنجزهيد من جامعة جورج واشنطن بتحضير بعض المضادات من الاجزاء المصابة بسرطان الرئة وقد نجحت هذه المضادات في علاج بعض حالات سرطان الرئة وعاش المرضى لمدة خمس سنوات . وكانت نسبة النجاح ٨٠٪ من ٥٢ مريضا تم علاجهم في جامعة اوتاوة بكندا .

● ويقول الأطباء في المعهد القومى لمكافحة السرطان أن ١٠٨ من المرضى بسرطان الرئة قد عاشوا لفترات تتراوح بين عامين وسبعة أعوام بعد التشخيص وذلك نظراً لعلاجهم بتركيبات من المضادات الكيميائية .

● ويقول الدكتور جيرالد فوسيكا من جامعة منيسوتا أنه تمكن من علاج احدى حالات سرطان الرئة المميتة بواسطة مستحضر كيميائى يسمى (لوموزتين) وقد عاش ذلك المريض خمس سنوات دون متاعب السرطان .

ان علاج حالة واحدة لا يمكن أن يصبح مقياساً لنجاح الطب في علاج سرطان الرئة ولكن لما كان مرضى السرطان لا يعيشون طويلا فان العلاج الكيميائى يعتبر نجاحاً كبيراً حقق ما لم تحققه العمليات الجراحية ، التي نجحت في بعض الأحيان .

● ومن العمليات الجراحية هناك العملية التي اجريت للممثل جون واين في عام ١٩٦٤ ، فزال خطر السرطان حتي هذا العام حيث أصابه سرطان في البطن . كذلك هناك العملية التي أجريت لآرثر جودفرى والتي تم فيها استئصال جزء من رئته في عام ١٩٥٩ .

وهناك حالات قليلة جداً يتم تشخيصها في الوقت المناسب لاجراء العملية . وبالنسبة لكل مرضى سرطان الرئة ، سواء تم التشخيص في وقت مبكر أم لا فان نسبة النجاة والحياة لخمس سنوات هى ٩٪ للبيض و٦٪ للسود ، طوال الفترة من عام ١٩٦٧ وحتي ١٩٧٣ ، هذا بخلاف حالات سرطان البنكرياس الأشد فتكاً .

يقول الدكتور فوسيكا أن هناك برامج للعلاج الكيميائى ستساعد على إزالة خطر السرطان وربما الخلاص منه .

وتقول تقارير العديد من المستشفيات أنه حتي في الحالات المتاخرة التشخيص فان ١٠٪ من المرضى يمكن شفاؤهم لعامين أو اكثر .

فينوس الجمال والحرائق

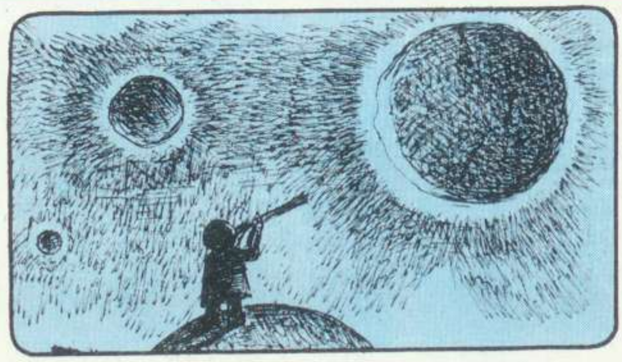

وصل إلى كوكب فينوس عدد من المكتشفين وأرسلوا من هناك بعضاً من المعلومات المفيدة . ولكن الأهم هو أنهم وضعوا حداً للأحلام التي غرق فيها كوكبنا عن فينوس . فالرواد السوفيت اثبتوا بالدليل القاطع أن فينوس لا يشبه الكوكب الذى عشنا نرسم له الصور الرومانسية . ألا أن جنوح اخيلتنا وأحلامنا وتلك الصور ، أمور لها ما يبررها فكوكب فينوس هو أكثر الكواكب أشراقاً وبريقاً ، ذلك لقربه من الأرض ، فهو يبعد عنا بحوالى أربعين مليون كليومتر (٢٥ مليون ميلا) . وسبب آخر من أسباب بهاء ذلك الكوكب هو قدرته الهائلة على عكس الضوء . وهو مغطى بالسحب الأمر الذى إليه يرجع تفسير قدرته على عكس الضوء .

لقد ظل هذا الغطاء من السحب ، مصدراً لأسرار فينوس وسبباً في عجزنا عن فهمه . فالسحب التي تغطيه ليست صافية ، وبالتالى لم يتمكن مراقب على الأرض – مهما كانت قوة منظاره – من رؤية سطح فينوس .

ومن الظواهر التي أثارت جدلا كثيراً حول هذا الكوكب ، (ضوء آشن) وهو أسم أطلق على الضوء الخافت الذى ينبعث من فينوس عندما يكون الجزء المظلم منه قبالتنا ، فيشع كالهلال . وأول من تتبع ضوء (آشن) هو الفلكى (جوان شرويدر) . ومثل هذه الظاهرة تحدث للقمر بسبب الانعكاس من الأرض على سطحه ، غير أن كوكب فينوس ليست له كواكب سيارة تدور في فلكه مما يجعل تفسير ضوء (آشن) أمراً صعباً . ومن التفسيرات الطريفة إعتقاد الفلكى الألمانى (فرانز فون باولا) ، الذى ظن أنه وجد الأجابة على ضوء (آشن) فقال : إنها حرائق الغابات . واقترح أن الضوء ربما أتى من نيران كبيرة أشعلها سكان الكوكب في الغابات ، إحتفالا بانتخاب حكومة جديدة في فينوس . ولكن علماء اليوم يردون تفسير ذلك الضوء إلى عوامل داخلية في الطبقات الجوية العليا للكوكب ، وليس إلى قرابين الفوز في الانتخابات .

وما تزال الآمال معقودة في العيش على سطح فينوس ، إلا أن المشكلة هى الحرارة الشديدة لقربه من الشمس ، ولكن الآملين في الحياة هناك يرون أن الطبقات السميكة في الكوكب ستكون عازلا للحرارة يجعل سطح فينوس يشع بالدفء والأمان . ويزيد في أملهم إعتقاد أثنين من الفلكيين الامريكيين هما (ف . ويتل) و (د . هـ . منتسل) بأن فينوس مغطى بالمياه ويضيفان أن ثان أوكسيد الكربون سيكدر تلك المياه ويحيلها صوداً . إذا صح ذلك يكون فينوس مثل الأرض قبل ٦٠٠ مليون سنة وتكون بداية الحياة فيه .

كلها أفكار رائعة ولكن العلم لا يظل رومانسياً على الدوام . لقد قامت أول بعثة كشفية إلى كوكب فينوس في عام ١٩٦٢ باكتشاف حرارة سطح الكوكب التي تصل إلى ٤٨٢ درجة سنتغريت (٩٠٠ فهرنهايت) ، وأن الضغط الجوى يساوى تسعين ضغطا زيادة عما هو على الأرض وعند مستوى البحر ، وأن كميات ثانى أوكسيد الكربون هائلة وأن هناك احتمال أن السحب التي تغطى الكوكب تحتوى على حامض الكبريتيك ، وأن سماء فينوس تمطر ماء قاتلا من ذلك الحامض الفتاك .

زورق نجاة

يقضى الغواصون الذين يعملون في تجهيز معدات حقول النفط البحرية ساعات طويلة لاستعادة توازن الضغط بعد خروجهم للسطح . وإذا كان لا بد من هجر المكان كالسفينة أو الرصيف قبل أن يستعيد الغواص توازن الضغط ، فان ذلك يكون سبباً في تعرضه لأمراض قاتلة تنتج عن تراكم النيتروجين في الدم . ولحماية الغواصين في مثل هذه الأحوال ، صمم النرويجى مولرودين قارباً للنجاة أسماه (رسكيوميت) . والقارب مجهز بنظام يجعل الغواص يحصل على الضغط المطلوب في سرعة وأمان ، كما يساعده على الانتقال من مكان لآخر بواسطة نفق خاص تحت الماء . ويتسع القارب لثمانية من الغواصين بالاضافة لغرفة تتسع لأربعة من البحارة الذين يراقبون عملية ضغط الهواء . والقارب مزود بأشياء ضرورية كجهاز الراديو ، والأدوية ، وماء الشرب ، والاطعمة .

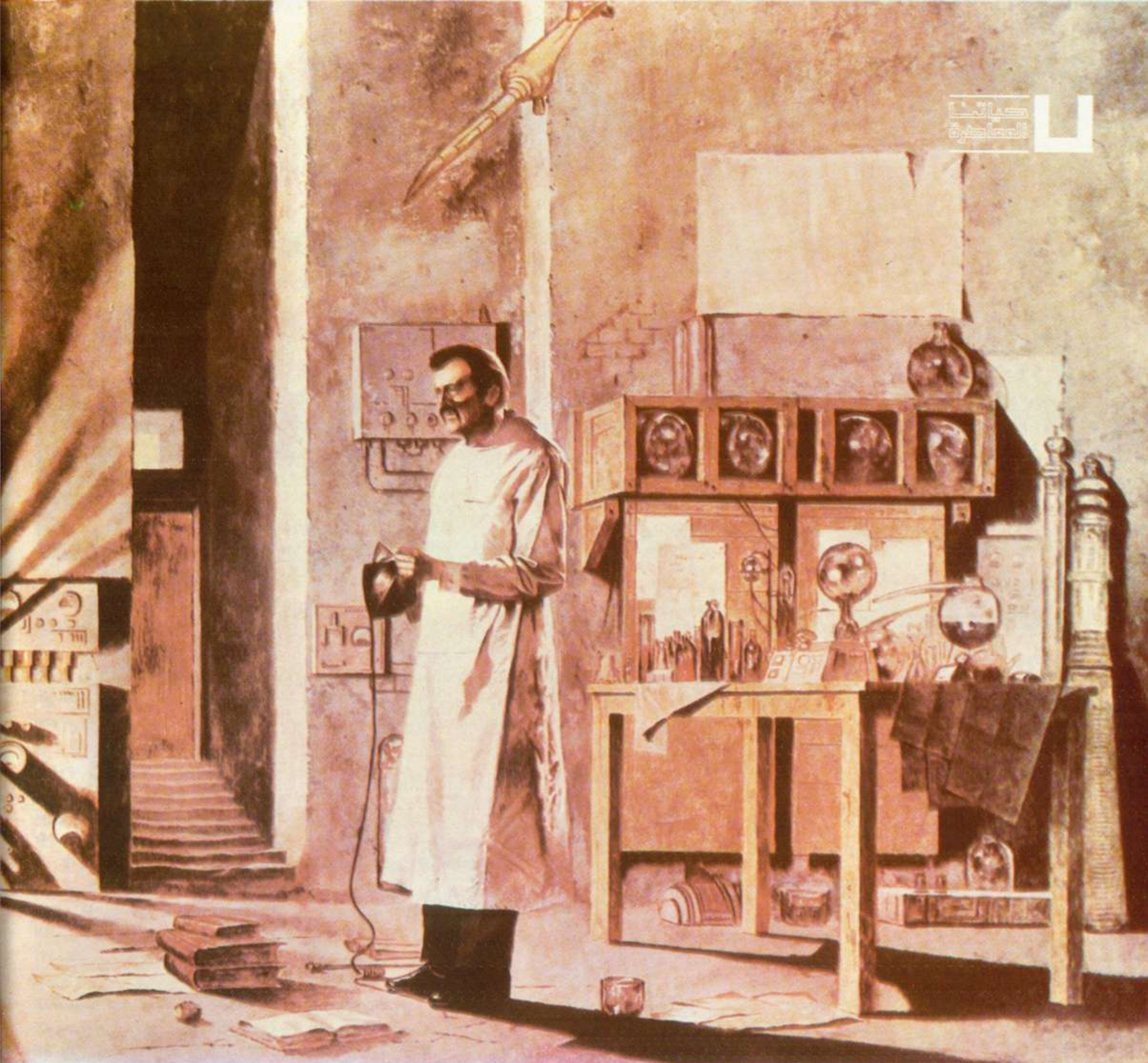

صور طبيعية من عوالم غريبة

سوف نظل نحن البشر نحمل بداخلنا شوقا عارماً لاستشراق عوالم مجهولة خارج دائرة ما ابغناه واعتدناه من واقعنا وطبيعة ارضنا وفضائها واعوارها . إن بداخلنا فضولا لا يتوقف نحو معرفة دقائق كائنات وحيوات نتصور وجودها وقدراتها ومشاركتها الحياة فى عالمنا دون أن تفصح عن وجودها لأعيننا ، إلا إذا فتحنا عليها أعين الخيال والقصور ! ليس هو الفضول فقط . وإنما الرغبة الكامنة لأن يبسط الانسان إمكانياته الذهنية والحسية من اجل استشراق آفاق المستقبل ، والكشف عن تجارب روحية وممكنات جديدة للانسان .

وهذه أربعة عوالم من الخيال كتبها أربعة من كبار كتاب قصص الخيال العلمى .. وحققها بالصورة الملونة أربعة من الفنانين التشكيليين المبدعين .

آلــة الــزمَــن

« قادنا المسافر فى الزمان ، ودلف بنا هابطين دهليزاً طويلاً اشتد فيه تيار الهواء حتى بلغنا معمله . فرأينا نموذجا اكبر للجهاز الذى كنا قد ابصرناه يختفى امام اعيننا . وكان قرص الشمس احمر ملتهبا جاثما فى الافق . ولم تعد السماء المطلة من عل زرقاء كعهدنا بها .. ولا حول لى او قدرة لانقل لكم الشعور الباهظ بالكآبة الذى كان يخيم على العالم . »

« هـ . ج . ديلز »

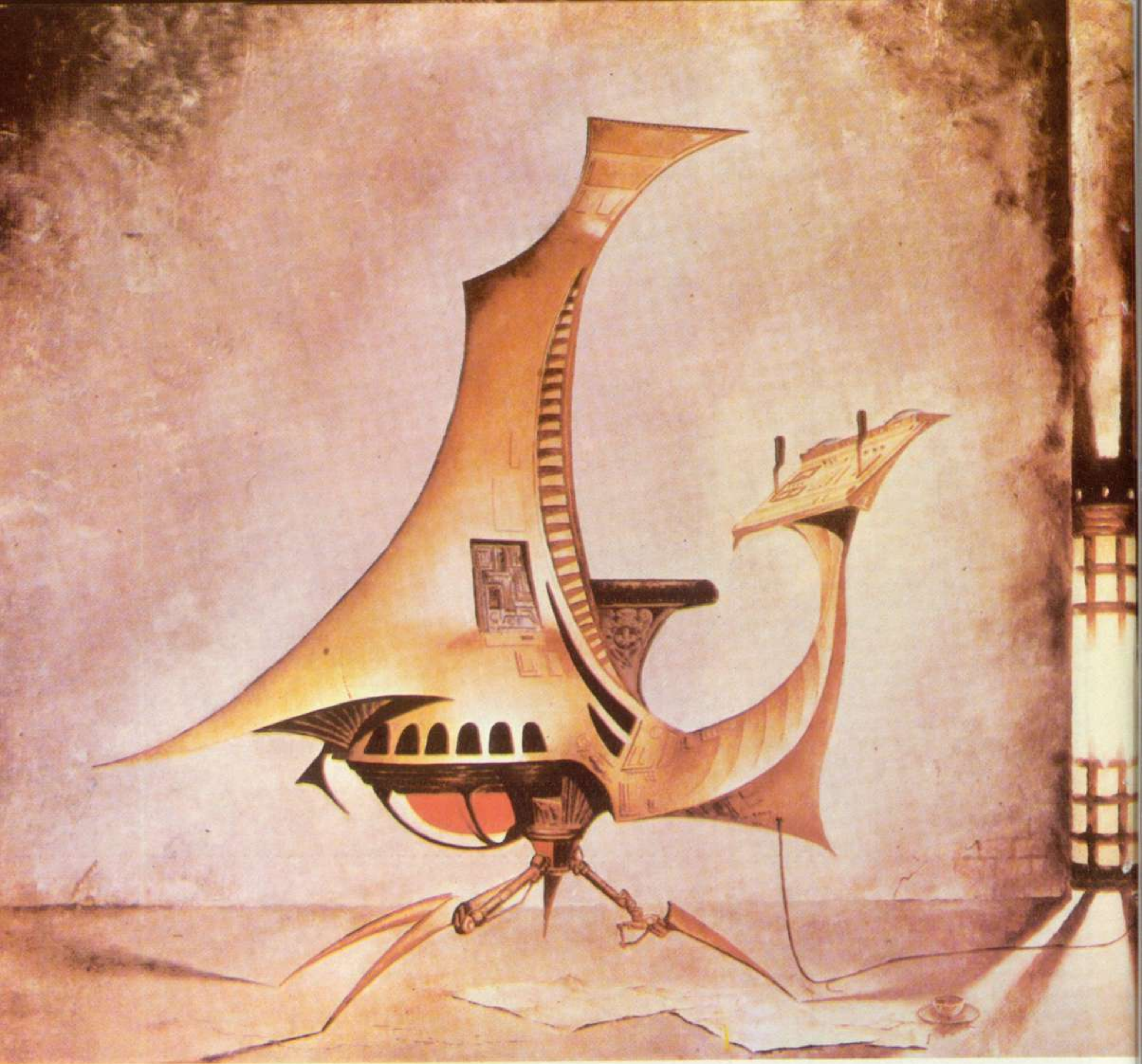

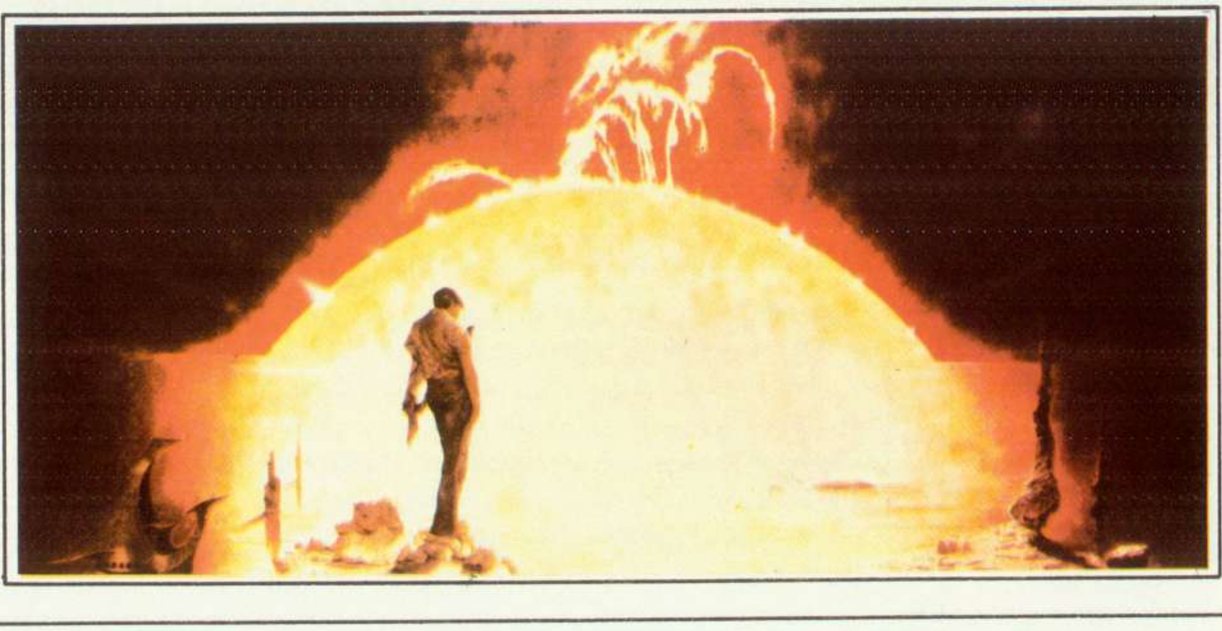

ومن جسر على الخط الحديدى .. جلس "كريس" صامتاً يرقب مدينة سكرانتون وهى تستعد للإقلاع .. كطائرة

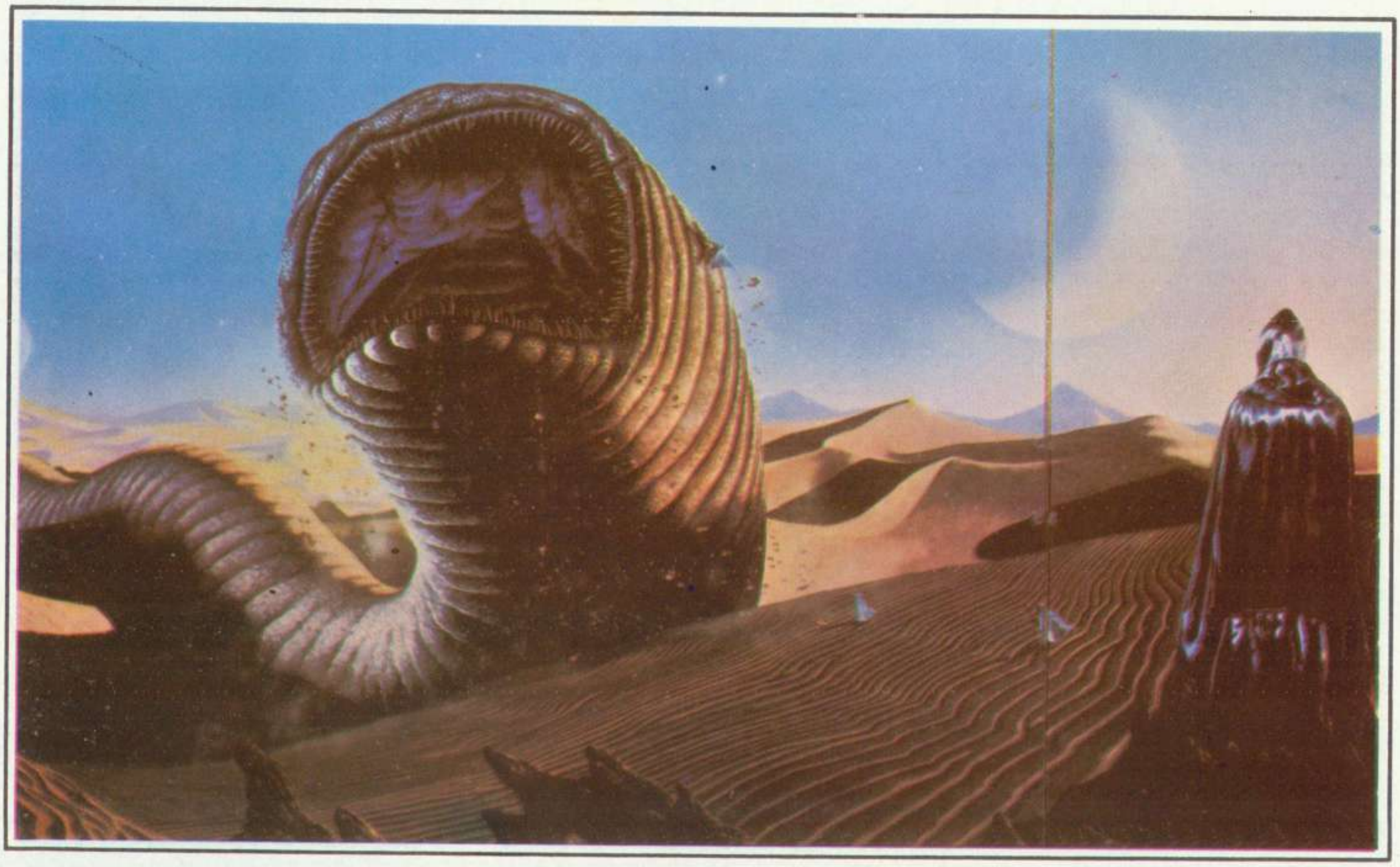

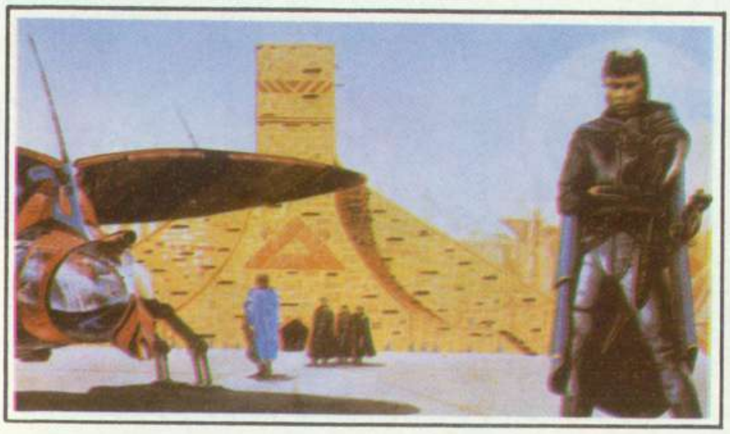

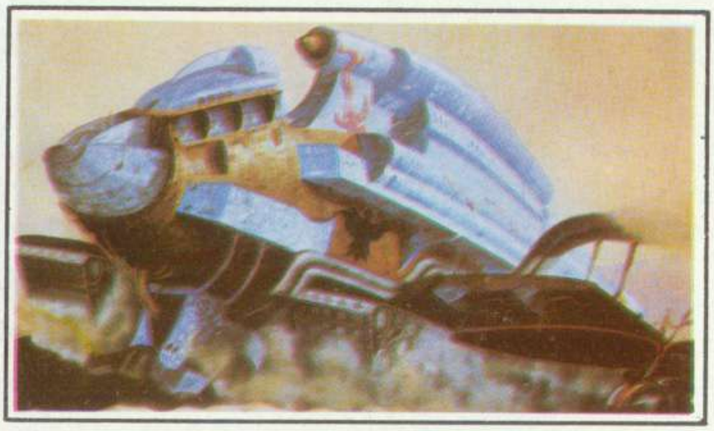

كثيب

« كانت بقع من الغبار قد ظللت الرمال المحيطة بالسفينة الضخمة التى بدات تفقد توازنها . واخذ إعصار رملى هائل يتجمع .وبعد حين ابصروه ! وبرزت حفرة واسعة من بين الرمال .وبرق ضوء الشمس من الدرجات البيضاء التى بداخله .وكان قطر الحفرة ضعف طول السفينة على اقل تقدير « ياإلهى ! ماافظعه » تمتم رجل كان يقف بالقريب من « بول » . وعقد الرجال حلقة حول « بول » يحدقون فى خوف عميق . »

« فرانك هيربرت »

نظر «پول» تحته فرأى الرمال وهى تنبثق من المعادن والبلاستيك الذى يرقد تحتها، وكأن الرمال خنفساء ذات لون أزرق وأسمر ضارب إلى الصفرة

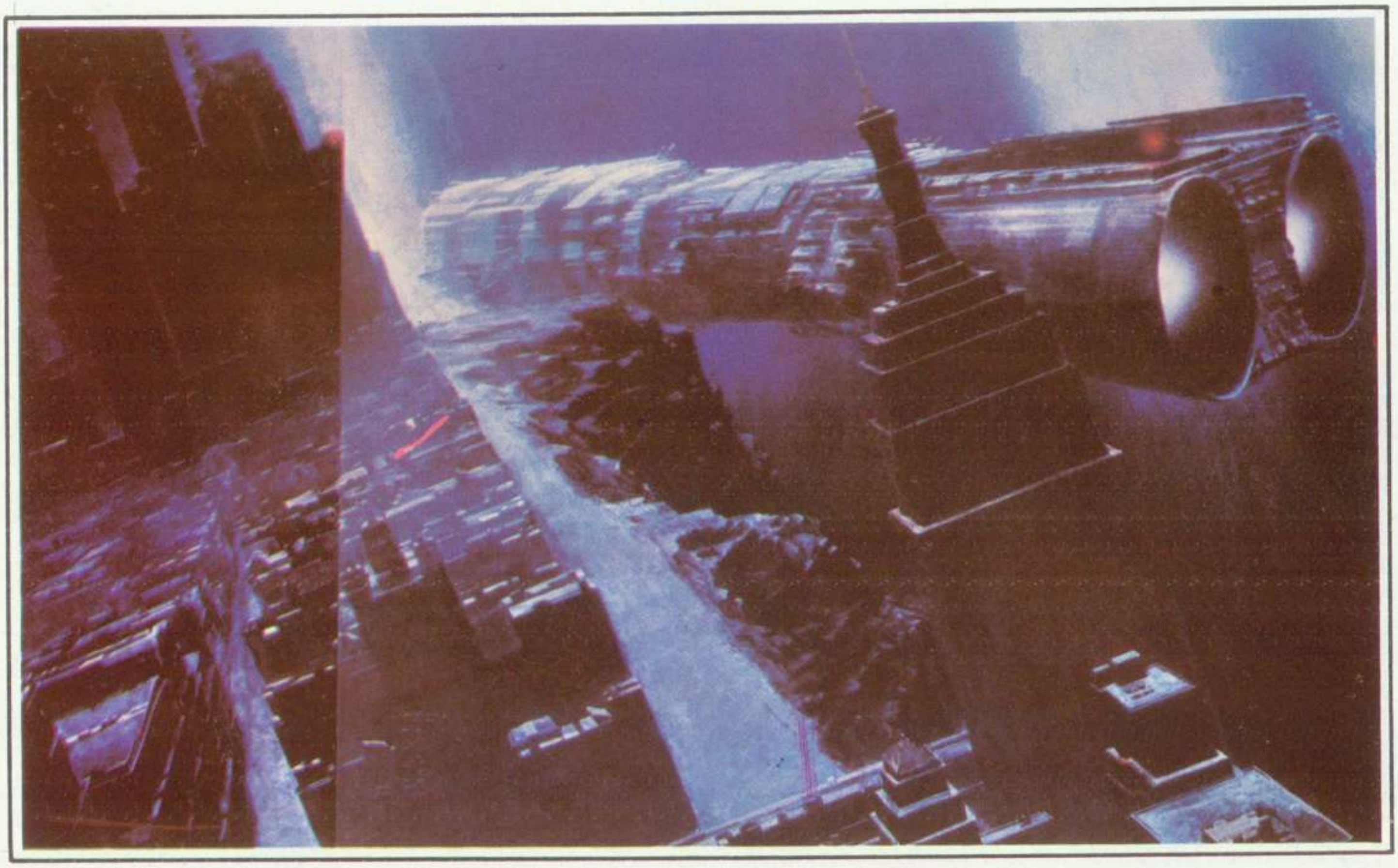

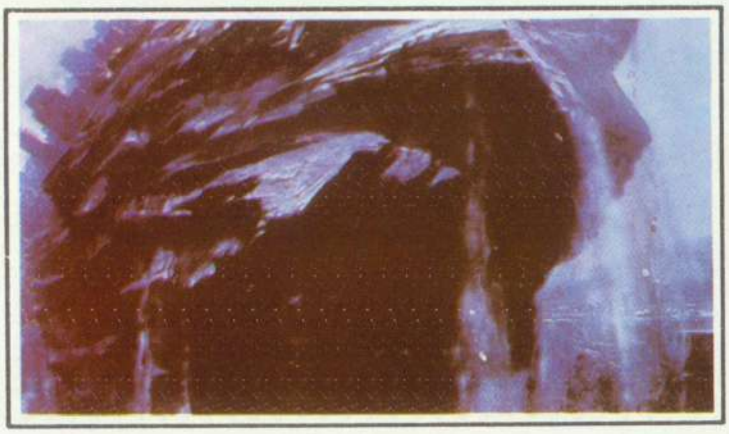

المدن الطائرة

« لم يعد هناك أى سبب لكى تظل المركبات التى تعبر الفضاء صغيرة وضيقة . وسوف يصبح بالامكان رفع اضخم الاجسام وقذفه بعيدا عن الارض ، وحمله الى اى مكان . وذلك عندما تصبح الجاذبية المضادة حقيقة هندسية . إن مدنا باكملها يمكن تحريكها ونقلها »

« جيمس بليس »

"وبدأ الإنسان الأرضي يدرك مدى جبروت رياح غبار المسكالين، وقوتها المدمرة رغم هذه الجاذبية.."

الجاذبية

« عجيب هو عالم المسكالين فالقطر عند خط استوائه يبلغ ثمانية واربعين الف ميل والمسافة بين قطبيه تسعة عشر الف ميل ودورته حول محوره تطيل النهار بمقدار سبعة عشر دقيقة وثلاثة ارباع الدقيقة عن ليله وفى خط استوائه يكون وزنى اربعة مائة وثمانين رطلا ، اما فى اى من قطبيه ، فانني استطيع ان ارفع واحمل ستين طنا . ولا تشرق الشمس فى نصف الكرة الجنوبى منه لمدة ثلاثة ارباع السنة ، فيتكون بذلك غاز الميثان المتجمد بدلا من المحيطات . وتهب العواصف الهوجاء فى خط استوائه ، فتحمل بخار غاز الميثان عندما يصبح نصف الكرة الجنوبى دافئا للمخلوقات التى يجرى غاز الميثان السائل فى اعضائها .. هل كليمنت

بريشة
الفنان
عَبد السّلام نُور

طيّب جدًّا جدًّا

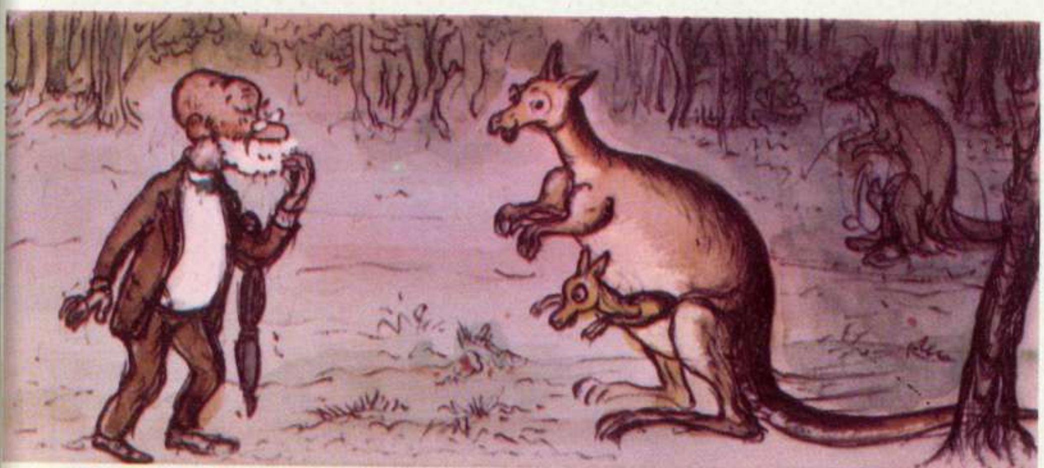

إلا الشعر.. يا مولاى!

فتحى سعيد

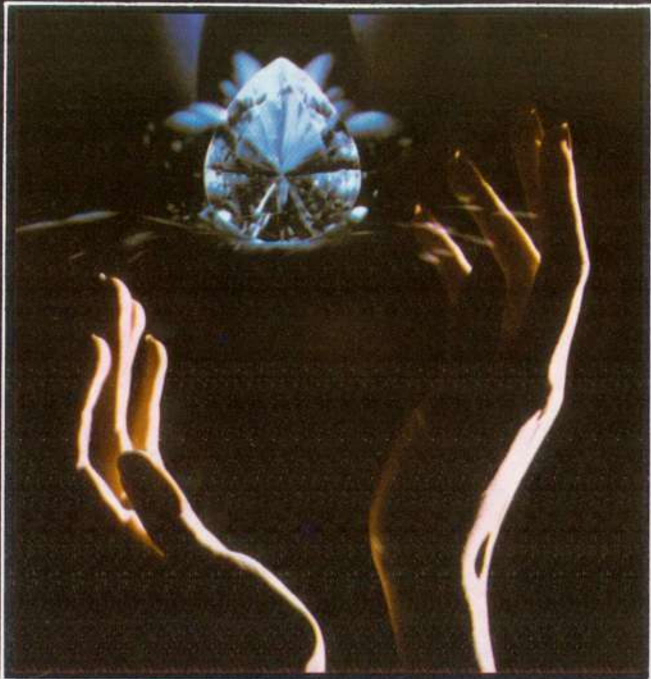

كان السلطان الجالس في قصره
يغتبق ‥ فقال لشاعر عصره
والشمس بقايا تنحدر رويدا خلف الاشجار
شفت كالكأس ‥ مزاج من كافور وعقيق ونضار
قال السلطان وقد حف السمار
علمني يارب الاشعار :
علمني الحكمة والصمت ،
وفن اللعب على مختلف الاوتار
علمني الفطنة واللغو ،
وتاريخ الفلك ‥ وفن الابحار
علمني فن العوم مع التيار وضد التيار
علمني المنطق والجبر وأصل العائلة وفلسفة انتيجان
علمني الموسيقى ‥ كي أعزف أغنية
حين يجن الليل وتدركني الاشجان
والرقص ‥ لأعقد خصر حبيبي بالكفين
نكاد نذوب مع الألحان
علمني الرسم ‥ لأرسم وجه حبيبي
حين يطل وتأسرني العينان ‥

• • •

قال الشاعر للسلطان :
ذلك ميسور يا مولاي
اغرف من نبع المعرفة كما شئت
فلا حرج على الملك النعمان ‥
أن يتقن فن العزف على مختلف الالوان ‥!

• • •

كان السلطان الجالس في قصره
يغتسل ‥ فقال لشاعر عصره
وفتات المسك يضوع وعبق العنبر يعبق في البستان
والشمس شعاع يحبو كالطفل ‥
ويتسلق سور الشرفة والاغصان ‥
قال السلطان وقد ثمل الندمان
علمني يا شيخ الكهان :
علمني الشعر ‥ فان الشعر خلود الازمان
نفس قد قيل من الرحمن ‥
علمنيه ‥ فانك أدرى بالقافية وبالخافية من الاوزان
علمني كيف أصوغ من الكلمات عقود اللؤلؤ والمرجان
وأتوج جيد حبيبي ‥ بقلائد در وجمان
اجعلني فارس هذا الميدان وسيد كل الفرسان ‥
لا تجعل في الشعر ولا في الشعراء سواي

• • •

قال الشاعر للسلطان
علمتك كل فنون الانسان
وحكيت بألسنة الطير وألسنة الجنة والانس وألسنةالحيوان
أمـا الشعر ‥ فعذرا يا مولاي ‥!

فنان أفريقيا المضيئة

جمال قطب

كثيرا ما نسمع ونقرأ عن الرحلات الاستكشافية والسياحية الى أفريقيا . ولكن قصة « دافيد شبرد » مع الغابات والاحراش في هذه القارة الاسطورية المثيرة .. هي من نوع فريد .. فلم تقتصر على مجرد المخاطرة الفردية في رحلة سياحية عابرة أو مغامرة بطولية للبحث والاستكشاف ، ولكنها تتطرق الى تفاعل عاطفي وتعاطف ودود ازاء القارة وحيواناتها وطبيعتها الخلابة الآسرة !

تلك العلاقة الوطيدة بين فنان من ألمع فناني الغرب المعاصرين وأفريقيا المزدهرة اليانعة ، قد أسفرت عن تسجيل عناصر الجمال الدفين بين غابات وأدغال هذه القارة الساحرة ، وأصبحت حيواناتها المفترسة ووحوشها الضارية ، مادة ابداع في لوحات عالمية تتسابق المتاحف والمحافل الفنية وجامعو التحف الى اقتنائها بأغلى الاثمان ..

ويتألق اسم الفنان البريطاني الاشهر دافيد شبرد كأول فنان عالمي أوقف حياته وفنه الرفيع على تخليد مكامن الجمال الافريقي ممثلا في رسم الحيوانات والمناظر الطبيعية الخلابة التي تزخر بها غابات أفريقيا ، وكأنها عالم سحري مليء بكنوز الاثارة والأسرار والجمال الاسطوري الفريد !

بداية صعبة

في طفولته الاولى .. كان دافيد يعكف الساعات الطوال مشدودا بكل حواسه الى الكتب والمجلات التي تحكي قصص الرحالة والمستكشفين في أفريقيا .. وكانت صور الحيوانات الكاسرة التي تزخر بها الغابات الافريقية تثير خياله وتلهب مشاعره، وبخيال الطفل الخصيب يصنع لنفسه عالما خاصا من المغامرات الوهمية في ربوع هذا العالم الغامض .. ولم يجد وسيلة أو متنفسا لعواطفه الجياشة الا أقلامه وألوانه .. يعبث بها على صفحات الاوراق البيضاء ، ليخط رسوما جميلة تعبر عن الغابات والحيوانات الافريقية العملاقة ألتي كثيرا ما يرى صورها أو يقرأ عنها بشغف كبير ، وشب الفتى ، وقد تبلورت أحلامه ، ووضع نصب عينيه هدفه الكبير ، ألا وهو السفر الى أفريقيا ليرى على الطبيعة ما لم يستطع أن يحيط به من خلال القراءة أو مشاهدة الصور المطبوعة التي تفتقر الى الحياة .. وفي الثامنة عشرة من عمره ــ مضحيا بكل مدخراته المالية المحدودة ــ قطع آلاف الاميال الى نيروبي عاصمة كينيا أملا في الحصول على أي عمل في احدى شركات الغابات والحدائق ، وكان قد قرأ عن حاجتهم لمن يشغل مثل هذه الوظائف الصغيرة قبل رحيله من بريطانيا ، ولكنه لم يوفق في تحقيق هذا الامل ، وعاد مخذولا الى وطنه ..

وساقه حبه الشديد لفن الرسم الى السعي للالتحاق في احدى مدارس الفنون الجميلة ، ولكن امكانياته المادية المتعثرة حينذاك حالت دون ذلك ، ولم يجد أمامه الا أن يعمل سائقا لاحدى السيارات العامة لنقل

- قصة دافيد شبرد مع الغابات في هذه القارة الأسطورية .. من النوع الفريد
- أول فنان عالمي أوقف حياته وفنه على تخليد مكامن الجمال الأفريقي
- وعمره ١٨ عاماً قطع آلاف الأميال إلى نيروبي .. لكنه عاد مخذولاً إلى وطنه !

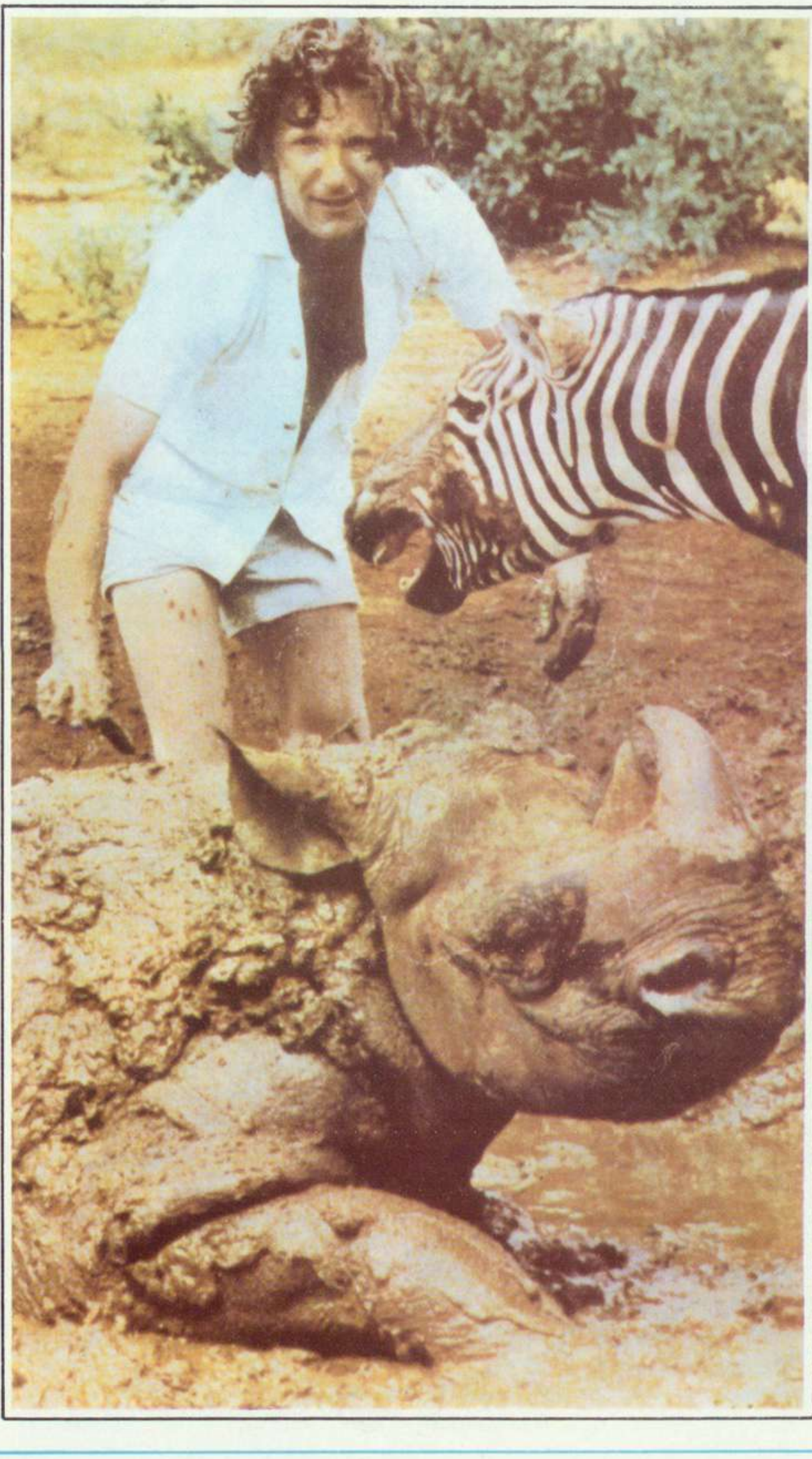

الركاب ٠٠ ولم ينس يوما أن ينمي موهبته في فن الرسم متأثرا ومسترشدا بما يقرأ عنه أو يراه في المتاحف والمعارض ٠٠ وكان يحلو له دائما أن يحكي لأصدقائه سير الفنانين العظام وكيف شقوا طريقهم الوعر حتى أصبحوا في النهاية ملء سمع العالم وبصره !

فلا غرو أن نرى دافيد وهو يمضي سحابة يومه الشاق في ممارسة الاعمال المتواضعة ليكسب قوته ، ويقضي ليله البارد الطويل قابعا وسط أكداس الاوراق والالوان والاقلام يمارس فنه الجميل !

حب الافيال

ولم يقف به طموحه عند هذا الحد ، فقد صمم على أن يحترف الفن مهما لاقى في مسيرته من عثرات ومتاعب ، وكانت فرصته السانحة في الحركة والتجوال وبصيص من الامل لتحقيق أحلامه ، عندما التحق بسلاح البحرية البريطانية كرسام ، فاستغل تلك الفرصة في اشباع رغباته الفنية ، وسجل في لوحات ملونة كل ما وقعت عليه عيناه من الجنود والآليات والمناظر وحياة البحر المثيرة، ومن يوم الى يوم ، ذاعت شهرته ، وأصبحت لوحاته التي تحمل بصماته المميزة ، تحتل مكانا مرموقا في مكاتب القادة والمتاحف البحرية وقاعات الوثائق الحربية البريطانية٠

وفي عام ١٩٦٠ استطاع أن يكون ضيفا على سلاح الطيران في قاعدته الجوية في عدن ، فصمم على أن يحقق حلمه القديم بأن يتجه غربا في البحر الاحمر عبر المضيق ليزور أفريقيا وغاباتها وحيواناتها الشهيرة على الطبيعة ٠ واستمر في تجواله حتى وصل الى كينيا ، واستقر في نيروبي وقد عزم على أمر في نفسه وكيف لا وقد زود هذه المرة بالنضوج والتجربة والخبرة وبما يكفيه مؤقتا من المال !

وظل عامين كاملين يرسم الحياة

الافريقية مركزا اهتمامه في تسجيل الحيوانات على وجه الخصوص ، وشغف اعجابا بالفيلة العملاقة ، فعكف على دراستها ومراقبتها وتسجيل حركاتها وسكناتها حتى أصبحت حبه الاول في موطنه الجديد ٠ وكانت محصلة هذا العمل المتواصل الذي سعى اليه الفنان بالحب الخالص والرغبة الصادقة ، مجموعة رائعة من اللوحات الزيتية أقام بها معرضه الاول في أكتوبر عام ١٩٦٢ في العاصمة البريطانية ٠

كان المعرض حدثا جديدا وفريدا في عين المشاهد البريطاني الذي طالما سمع عن حياة الادغال الاسطورية في وسائل الاعلام ٠

الشخصيات البارزة

وفوجيء دافيد بتهافت الجمهور على اقتناء لوحاته ، فرفع أثمانها الى أرقام مبالغ فيها بالنسبة اليه كفنان يقيم أول معرض في حياته ، ولكن طلبات الشراء - بالرغم من ذلك - أخذت تتوالى على ادارة المعرض ، وبيعت كل المعروضات في ساعات قليلة !

ومنذ افتتاح هذا المعرض ، قرر دافيد شبرد ألا يعود الى الوراء !

واتخذ قراره الحاسم : لقد نذر نفسه وفنه لأفريقيا (ولأصدقائه) من الفيلة وباقي الاسرة الحيوانية في أدغالها المثيرة !

وحظى الفيل بالمكانة الخاصة في أعمال الفنان ، وأطلق عليه اسم التدليل الشهير - والذي اقترن باسم دافيد نفسه - (جامبو) ، وكلما ذكر اسم جامبو ضمن مستحدثات الالفاظ الانجليزية المعاصرة ، قفزت الى الاذهان قصة الصداقة الوطيدة بين الفنان والفيل الافريقي المدلل ! فلا عجب أن نرى معظم لوحات الفنان الكبير وقد احتلت صورة صديقه جامبو المكان البارز فيها وقد أضفى دافيد عليه جمالا فنيا يحس ازاءه بالتعاطف والحب والاعزاز ٠

وبجانب لوحاته عن الفيلة وغيرها من حيوانات الغابة الافريقية ، مارس

دافيد شبرد بكفاءة واقتدار رسم المناظر الطبيعية والآليات والصور الشخصية PORTRAIT وأبدع فيها أيما ابداع ٠ ومن أبرز أعماله في رسم الشخصيات البارزة ، صورة الملكة الام وسمو الشيخ زايد رئيس دولة الامارات العربية المتحدة ، وكينيث كواندا رئيس جمهورية زامبيا والعديد من قادة الحرب والشخصيات البارزة في بريطانيا ٠

القاطرات البخارية

ويعرف عن شبرد ولعه الشديد بالقاطرات البخارية القديمة ، حتى أنها مثلت الاهتمام الثاني عند الفنان بعد الفيل الافريقي الشهير ، وبلغ هذا الاهتمام مداه حتى أنه أشترى من هيئة السكك الحديدية البريطانية قاطرتين بخاريتين (زنة ١٤٠ طن) من الطراز الفيكتوري الجميل ، بل وتحقق للفنان أكثر من ذلك ، فاستطاع بشهرته وامكانياته المالية الوفيرة ، أن يشتري محطة كاملة تمتد ثلاثة أميال ، لتتهادى عليها قاطراته الكلاسيكية الرائعة ، وجعلها مزارا عاما للجمهور من مختلف أنحاء العالم ٠ وقد سجل العديد من اللوحات لهذه القاطرات البخارية المنقرضة ، وأضفى عليها جوا رومانسيا يلهب الخيال ، ويعود بالذكريات الى عصر البخار ٠٠ عصر الحب والهدوء والرخاء !

ولعل حب دافيد وولعه بالفيلة ، تلك الكائنات الداكنة العملاقة الدائبة الحركة ، هو الذي جعل الفنان شغوفا بالقاطرات البخارية الرشيقة، واذا نظرت الى احدى لوحاته عن قاطرته وهي تشق الغبار مجللة بسحب البخار ينبعث من حولها ، ستجد تشابها كبيرا بينها وبين الفيل الافريقي الضخم وهو يهرع الى مصادر المياه في هيبة ورهبة محاطا بنفس ما يحيط بالقاطرة من سحب الغبار أو الابخرة المتصاعدة من أكداس الاوراق والحشائش الرطبة المتراكمة في أحراش الغابة ٠٠

ويتعجب دافيد : كيف يطلق على الاسد « ملك الغابة » بالرغم من أنه اكثر الحيوانات كسلا وخمولا وبلادة على الاطلاق ؟!

واستمر الفنان في عطائه الفريد عن أفريقيا ، وطبعت أعماله على الملايين من البطاقات السياحية والتهنئة والاعياد والمناسبات• لبراها العالم أجمع ، وازداد اسمه تألقا ، وتسابق هواة جمع اللوحات والاثرياء والمتاحف وأصحاب القاعات الفنية الى حجز لوحاته حتى قبل أن يشرع في رسمها • كما تزاحمت دور النشر في عروضها السخية لتحظى بطبع أعماله في مجلدات فنية أنيقة ، وأرسلت العديد من الحكومات الافريقية والمؤسسات العلمية في طلب أعمال الفنان وتكليفه بانجاز اللوحات عن أفريقيا • وأصبح دافيد من كبار أصحاب الملايين ، وقفز ثمن بعض معارضه الى أكثر من ربع مليون جنيه استرليني • وفي عام ١٩٧١ اشترى طائرة من نوع (الهليوكوبتر) لتنقلاته الخاصة بين أحراش آفريقيا• ولقب بأنه أحسن فنان بريطاني يكسب من بيع لوحاته •

كما أنه يعتبر على رأس قائمة الفنانين الذين تطبع أعمالهم أولا بأول وتنتشر في مختلف أنحاء العالم •

عناصر الثراء الفني

ومما هو جدير بالذكر آن دافيد شبرد بثرائه الواسع وشهرته المتالقة كفنان جماهيري ، لا يمكن بأية حال من الاحوال أن يكون هذا الثراء التجاري من أعماله ، سببا في انقاص قيمته كفنان مبدع له سمعته ووزنه الفني الرفيع ، فليس من المستساغ في عالمنا المعاصر أن يظل الفنان قابعا في صومعته ، ليعمل في انطوائية وتجرد ، وأن يخلط دمه بألوانه في صمت رهيب بعيدا عن مجتمعه ، ومحروما من أضواء الشهرة والذيوع حتى يقال عنه أنه فنان لا يعني بالمال •• أو أنه لم ينزلق الى الكسب المادي متخذا فنه سلعة يتاجر بها ! أعتقد أن هذا رأي عقيم عفا عليه الزمن !

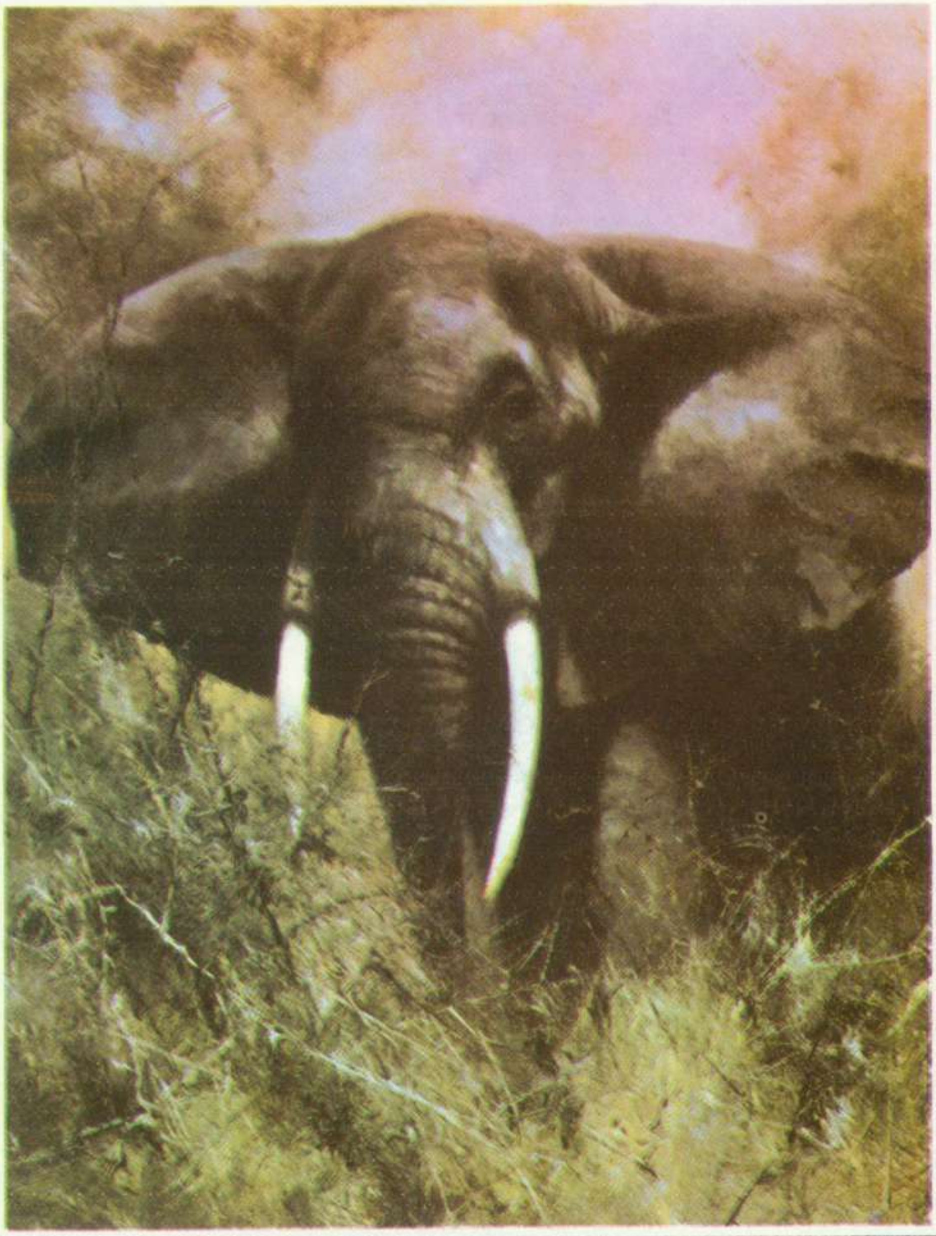

كما أن الآليات قد مارس الفنان رسمها ودراسة تفصيلاتها عندما كان بسلاح البحرية في فترة نضوجه الاولى ، لذلك كله ، نجد أن دافيد لم يكن رساما يسجل الصور المرئية تسجيلا شكليا فحسب ، بل نراه يتفاعل عاطفيا مع مرئياته ، ويطلق عليها أسماء التدليل وكأنها كائنات بشرية تربطه بها أقدس الوشائج أو أوثق الصلات ••

نجومه المفضلة

والملاحظ لأعمال الفنان في الغابة الافريقية ، يرى جليا عمق هذه المشاعر في تمجيد الطبيعة والكائنات الحية وكلها من ابداع الخالق عز وجل ، فلا يملك المشاهد الا أن يسلم بعظمة الخالق •• ممثلة في هذا الجمال الطبيعي الذي أخلص الفنان في تصويره بصدق حواسه ورهافة مشاعرة وتفاعله بحب واعجاب مع عناصر الهامه !

نعود الى اهتمام الفنان الاول •• فنجد أن (جامبو) نجمه المفضل ، يليه النمر في المرتبة الثانية ، ثم تتوالى باقي الحيوانات حتى نصل الى آخر أسماء القائمة لنجد الاسد !

لذلك نرى أن دافيد شبرد يرد على التساؤلات بشأن ثرائه الواسع قائلا: « وهل لابد من حياة البؤس والفاقة لكي أبرهن على أنني فنان ؟! » ٠

حقيقة ، أن دافيد لم يبتكر مدرسة فنية كمنهاج أكاديمي يخلده في كتب تاريخ الفنون ، وهذا لا يتأتى بالافتعال مهما بلغ الفنان قمة البراعة والعبقرية ، ولكنها حقبات زمنية متتالية يترك الفنان خلالها قريحته لكي تجوب آفاق الابداع ٠٠ بل ربما لكي تنحدر الى أحط المستويات في نظر مواطنيه (كما حدث عندما استحدثت المدارس الفنية التأثرية أو الوحشية أو التكعيبية أو السريالية ثم التجريدية) ولكن الحكم في النهاية الى حركة الابداع عامة ٠٠ والى مدى ما يضيفه الفنان الى التراث الانساني من عناصر الثراء الفني الشكلى أو العقلاني ، وربما ـ كما هو حادث الان ـ من عناصر الغرابة والخروج عن المألوف مما أسميناه مجازا بالتجديد !

المهم في كل الاحوال هو الاخلاص في البحث والممارسة دون أن نضع في اعتبارنا ما قد يصل اليه عملنا أو ما قد تتبلور عنه أبحاثنا الفنية ، وكثيرا ما كانت الصدفة وحدها هي العامل الاساسي في خلق هياكل فنية وعلمية خالدة ٠

حماية الحيوانات

واذا كنا نورد اليوم فنانا كدافيد شبرد حقق من المجد الفني والثراء المادي ما لم يتحقق لغيره من الكثيرين ممن سبقوه أو عاصروه ، فهو مثل نابض بالحياة للفنان المخلص الذى يتأثر بالحياة والطبيعة وينهل من مواردها الالهامية ، كما يؤثر في مجتمعه ويضفي عليه لمساته الفنية

الواعية .. كما أنه يسعد وجدانيا بعمله وابداعه ، وفي نفس الوقت يكون مركز اشعاع ومبعث سعادة للملايين من البشر ! فالانطوائية في مجالات البحث في هذا العصر (عصر الشموليات وسرعة التأثر والتأثير) لم تعد مثار اسعاد أو محل افادة حتى للباحث أو للفنان نفسه ! لأن عناصر السعادة والاسعاد تخطت حدود الاشباع الخاص الى عناصر أخرى من أهمها المال والشهرة والذيوع . ولعل تلك العناصر هي في حد ذاتها أقوى الدوافع الى الاجادة والاستمرار ! وان كان هذا هو رأي كاتب هذه السطور ، فليس - بالقطع - هو الرأي الوحيد !

عودا الى فناننا الذي أصبح الفن والاعلام كما أصبح مرجعا وخبيرا في كل ما يتعلق بغابات أفريقيا وحيواناتها من أصدقائه . فنراه -كعرفان بالجميل - يهتم بتأسيس الجمعيات العلمية التي تهدف الى الحفاظ على الحيوانات الافريقية وتعمل على حمايتها من الاخطار والانقراض ، وتعتبر أن تأمين سلامتها واسعادها هو أهم أهدافه في السنوات الاخيرة . وبلغت مساهماته في هذا المجال مئات الالوف من الجنيهات ، ويفسر دافيد تصرفه هذا بأنه رد ووفاء لدين في عنقه لأسرة الحيوانات الافريقية الوادعة ! وأن ما يفعله من أجلها حاليا هو وفاء ضئيل لعطاء كثير .

ويحدثنا عن هذا العطاء الذي حظى به من رسمه لحيوانات الغابة الافريقية فيذكر أنه أقام أحد معارضه عام ١٩٦٩ في (جوهانسبرج) بجنوب أفريقيا ، وكالعادة ، فقد تم حجز جميع لوحات المعرض مقدما قبل الافتتاح .. ولكن الغريب في الامر أن اللوحة الواحدة كان يحجزها أكثر من عشرين شخصا في وقت واحد . ولم يجد الفنان أمامه الا أن يبيع لوحاته بطريق القرعة لسعداء الحظ الذين يفوزون في عملية الاقتراع ، والذين دفعوا برضى وعن طيب خاطر مئات الالوف من الجنيهات ..

التفاعل والوفاء

ولعلنا نتساءل عن العناصر التي جعلت للوحات دافيد هذا الصدق الجمالي في الطبيعة الافريقية تلك التي حولت لوحاته الى نافذة مضيئة تطل على الجمال الافريقي الساحر .

اننا نلحظ في أعماله تلك الاصالة الخيرة ، والنظرة الواقعية المفعمة بالتعاطف والحب والاعجاب ، فنرى الجمال الشكلي متمثلا في صورة بصرية متلألئة ، بجانب الجمال الفني بعوامله ومقاييسه المحسوبة بدقة وكفاءة نادرة ، وازدواج هذين العاملين يقودنا الى قضية الفن عموما عندما تتفاعل الاشكال بالمضمون الحسي وترتبط بالوجدان وبشفافية البصيرة عند الفنان .

وقضية الجمال في حد ذاته عندما يصبح عملا فنيا فهذا موضوع آخر . وهناك نظرية في (علم الجمال) تقول : « ليس كل ما هو جميل يعتبر عملا فنيا ، ولكن كل عمل فني جميل » .

وقد استطاع دافيد شبرد بأن يصوغ مكامن الجمال الشكلي في اطار فني رائع ! تلك هي عوامل نجاح أعماله ، بعيدا عن طلاسم النظريات الفنية أو التعبيرات المتخصصة المبهمة ! ويرجع ذلك الى حبه - غير المحدود - للطبيعة الافريقية . فطالما رأينا العديد من اللوحات التسجيلية عن أفريقيا لغيره من الفنانين والباحثين والمغامرين ، ولكن الكثير منها لم يترك في النفس أثرا أو ميلا الى الاعجاب والتأمل ، فكانت أشبه بالمعادلات الحسابية أو النظريات العلمية أو المراجع الوثائقية .. لانها افتقدت لمسة الحنان ونظرة الحب والشعور بالتعاطف . بينما نرى أن دافيد - وقد تفاعل بأحاسيسه وعواطفه مع الواقع الافريقي - قد كشف عن الجمال الذي أدركه وافتتن به كهدف في حد ذاته ، وأصبحت لوحاته وسيلة للتغني بهذه المشاعر النبيلة الفياضة . فلم يذهب الى أفريقيا بهدف عدواني .. أو بنظرة متعالية مدفوعا بأحقاد بيئية أو عنصرية متسلطة ، لذلك ، نرى أن الفنان يؤدي رسالته المثالية وهي : الاحساس والرغبة والانفعال ، ثم التفاعل والاستيعاب والاقتناع .. ثم الايمان والصدق والعطاء !

ذلكم هو دافيد شبرد ... الذي يمارس اليوم قصة الوفاء للمهتمة الجميلة أفريقيا .. ويطلق عليها القارة المضيئة .

لعله أن يزيل من الاذهان تلك التسمية المجحفة : القارة المظلمة أو القارة السوداء ..

وفي قصره الفسيح ، وبين الخمائل المترامية الزاهرة ، تتخللها الجداول البراقة والبحيرات الناعسة في ربوع الريف البريطاني الوادع ، ينظر الفنان الى الافق الجنوبي صوب القارة المضيئة الساحرة ، ثم يقول في صوت خفيض أشبه بالهمس أو المناجاة :

أرجو أن تبلغ أصدقاءك يا « جامبو » بأنني أعترف بفضلكم جميعا على ، وفيما بقى من عمري ، سأرد لكم الجميل !

جمال قطب

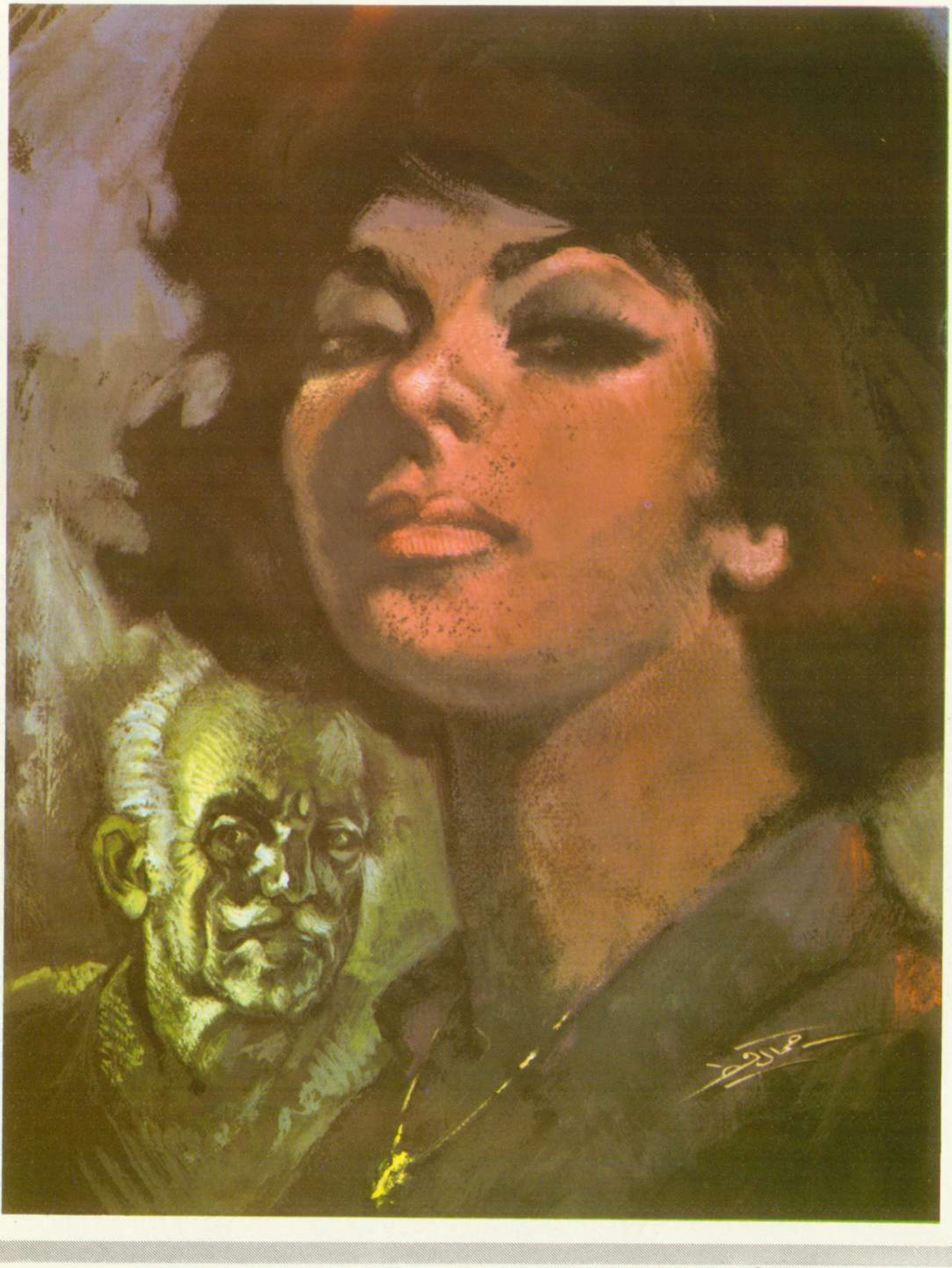

زمن الراحة

محمد العربي الخطابي

ما كل شيء قد بدأ يتغير في نظر عبد الرؤوف بعد أن قضى نحوا من خمس وثلاثين سنة منقطعا الى شؤون وظيفته فى الحكومة ، فلا أقل من أن يبدأ منذ الان بالتفكير فى «مستقبله» وأن يخطط لحياته القادمة وينظم ما سوف يتاح له من أوقات الفراغ • فها هو يتأهب للاستظهار بحقه فى التقاعد - كما يقول الفرنسيون - وانها للحظة حاسمة طالما ملأت نفسه بالمخاوف فكان يؤثر ألا يفكر فى حلولها •

وعبد الرؤوف هذا موظف صغير ، غير أنه ، بحكم الواقع والممارسة ، مسؤول واسع النفوذ ممتد السطوة يتصرف فى أمور مئات الموظفين ويحكم شرعه فى قضاياهم •

كيف لا وهو المسؤول المباشر عن حفظ ملفات المستخدمين الصغار يعرف أوراقهم المختلفة من عقد العمل الى شهادة الزواج والحالة المدنية وكشف الخدمات والترقيات والتنقلات ، كما لا يغيب عن علمه شيء مما يتعرض له بعضهم من عقوبات ادارية مختلفة •

ومع هذه السطوة لم يكن لعبد الرؤوف مكتب معلوم فى الادارة بل كان يقضى جل أوقات العمل فى قبو طويل عريض أسفل البناية تحيط بجدرانه رفوف معدنية ضخمة مكتظة بالأضابير ومجلدات الجريدة الرسمية، وفى وسطه مائدة طويلة من الخشب الرديء تتبعثر فوقها الاوراق والمحافظ من مختلف الالوان والاحجام •

ويدخل الداخل الى هذا القبو ، بعد أن ينزل فى سلم ملتو وضيق ، فتستقبله رائحة الرطوبة والعفونة الممزوجة بدخان التبغ ، ويشاهد فوق البلاط مقاعد وأرائك وموائد مبعثرة بعضها مبتور الرجل أو الذراع • هذا ويشاهد الداخل الى القاعة أيضا خريطة معلقة على الجدار محت الرطوبة ألوانها وطمست ما عليها من كتابة وعلامات كانت تبين مواقع البلدان والانهار والجبال وطرق المواصلات ، ولم يكن عبد الرؤوف فى حاجة الى هذه الخريطة العتيقة التى تجاوزها الزمن ، الا أنه كان محافظا بطبعه لا يميل الى التغيير كما أنه كان يرى فيها مظهرا يكسب منصبه نوعا من الوقار والاعتبار •

غير أن المفخرة الوحيدة التى جعلت عبد الرؤوف يحس بالعلو على أقرانه هي آلة جديدة لاستصدار النسخ المصورة عهد بها اليه رئيسه الاعلى وامنه على أسرارها فأكسبه بذلك ميزة جديدة ونفوذا أوسع •

وقد كان من دأب ذوى الحاجات من المستخدمين أن يترددوا على هذا القبو حيث يلقاهم عبد الرؤوف بغير اكتراث ويتعمد تركهم واقفين بين الرفوف مدة معلومة من الزمن قبل أن يسألهم عما يريدون باشارة من عينيه مفهومة • وبعد أن يفصح المستخدمون عن الغرض الذي جاءوا من أجله تأتى اللحظة الحاسمة حينما يمد أحدهم يده على استحياء ويضع فى كف عبد الرؤوف « شيئا » مبتورا ، وبذلك تقضى حوائجه فما يغادر المكان الا والوثيقة المطلوبة فى جيبه والمعلومات الضرورية فى رأسه •

نعم ، لقد اعتاد عبد الرؤوف أن يتقاضى « أتعابا » على ما يسديه لذوى المصالح من خدمات ادارية ، فهو يقبض عن كل خدمة مبلغا من الدراهم معلوما يحتفظ بثلثه لنفسه ويدفع الثلثين الباقيين الى رئيسه الاعلى الذى يتولى التوقيع على الاوراق ويمهرها بخاتم الادارة •

ومن هنا كانت سلطة عبد الرؤوف متمكنة نافذة تتجاوز جدران القبو الذى يعمل فيه • وقد كان شعاره المثل المغربى القائل « ادهن السير يسير » •

• • •

باقتراب تاريخ التقاعد بدأ عبد الرؤوف يتحول من موظف عملى واقعى الى رجل مستسلم لاحلام اليقظة يستبد به الخيال فيشرد ذهنه ويحلق فكره فى كل سماء ، وقد أخذ ينظر الى المستقبل بقلق كبير وحيرة أكبر • فكل شيء يبدو أمام عينيه غامضا معتما ، وانه ليسأل نفسه باستمرار : هل سيتحمل مفارقة قبو قضى فيه زهرة عمره ؟ هل تستطيع الدولة أن تستغنى عنه وفى دماغه سجل حي مملوء بالاسماء والاوصاف والتواريخ والاعداد ؟ ترى ، من هو هذا الموظف الذى يستطيع أن يخلفه فى عمله والحال أنه لم يكن له مساعد متمرس بالمهنة مطلع على خفاياها قادر على حل عقدها ؟

أسئلة من هذا القبيل يطرحها عبد الرؤوف على نفسه من غير أن يكلف ذهنه عناء تصور أجوبة مقنعة عنها ، فهو يؤثر ان يصرف تفكيره الى أمور تخص مستقبله هو •

أخذ عبد الرؤوف يفترض أنه قد أحيل بالفعل على التقاعد وأن عليه أن يسرع فى تنظيم أوقات يومه : لقد كان من دأبه ، زمن الخدمة ، أن يستيقظ فى الساعة السادسة صباحا فيتوضأ ويصلى ثم يتناول فطوره ويغادر بيته فى الثامنة فيقضى فى الطريق الى عمله حوالى نصف ساعة يقرأ خلالها الصحيفة وهو يمشي راجلا ببطء في شوارع المدينة ، ويكون أول من يصل الى الادارة من المستخدمين •

وفي الصحيفة يقرأ عبد الرؤوف أخبار المجتمع : من تزوج ومن أنجب ومن توفاه الله ومن نال ترقية في وظيفة أو في عمل ، كما يقرأ أخبار الحوادث المختلفة والاعلانات المبوبة، أما السياسة فانها لا تعنيه بحال من الاحوال ينفر بطبعه من مشاكلها ويحرص جهده على ألا يخوض في شأن من شؤونها •

ويتراءى لعبد الرؤوف أن حياة التقاعد لابد وأن تفرض عليه تغيير كثير من العادات التي دأب عليها كان

زمن الراحة

يؤخر ، مثلا ، موعد النهوض من الفراش حتى يستوفي حقه كاملا من الراحة والطمأنينة فلا يغادر فراشه الا في التاسعة ، وبعد نصف ساعة يجلس لتناول فطوره ثم يتفرغ لترميم بيته الصغير الذي اشتراه بما اقتصده من مدخول « الاتعاب » التي كان يتقاضاها مقابل ما يؤديه من « خدمات اضافية » .

نعم ، ان في البيت جزئيات لابد من العناية بها : فحجرة الجلوس في حاجة الى ستائر جديدة ، والحمام من المرافق التي تتطلب اصلاحا جذريا ، وبعض اركان غرفة النوم قد عفنتها الرطوبة فلابد من ترميمها، والحديقة الصغيرة لم تمتد اليها يد بالري والشذب منذ زمن طويل فينبغي اذن احياؤها وتزيينها بالعشب الاخضر والزهور .

ولم يغفل عبد الرؤوف عن التفكير في أدوات الطبخ العتيقة فبعضها مثقوب أو مكسور أو معوج ، وبعض السكاكين في حاجة الى شحذ نصولها أو تغيير مقابضها ، ولابد أيضا من استبدال بعض مفاتيح الكهرباء ..

فليكن هذا هو شغل الصباح ، أما أوقات ما بعد الظهر فيمكن استغلالها على الوجه الافضل بعد الغداء يستسلم لغفوة لذيذة لا يفيق منها الا في الخامسة فيغادر البيت ليبدأ جولة طويلة ممتعة في أنحاء المدينة يزور خلالها سوق المزاد وسوق الجملة وحارة النجارين ، فلعله يعثر في تجواله هذا على خردة محتوية على معدات ولوازم زهيدة الثمن تمكنه من انجاز مشاريعه الاصلاحية في البيت بأقل النفقات . وقبل نهاية الجولة يعرج على بعض دور السينما فيتفرج على صور الافلام ويقرأ عناوينها وأسماء الممثلين ، وينتهي به المطاف الى قهوة (الوداد) حيث يمكنه ان ينصرف الى اللعب والثرثرة وان يحتسي ما يطيب له من كؤوس الشاي الاخضر المنعنع فلا يعود الى البيت الا في التاسعة ليلا .

كان عبد الرؤوف ، وهو يستعرض شريط هذه الترتيبات في مخيلته ، يتوقف من حين لآخر ليتدبر في أمور

جوهرية أخرى كانت تشغل باله ويحدث بها نفسه منذ زمن طويل .

وكانت سعاد من القضايا الرئيسية التي تستأثر بتفكيره . انها امرأة في العقد الثالث من عمرها تعمل في قسم الحسابات بالادارة التي ينتسب اليها عبد الرؤوف ، مكتبها مجاور للقبو المعلوم ، وهي ذات قوام مصقول ، وجهها مستدير أبيض مشوب بحمرة ، وعيناها واسعتان يشع منهما بريق المكر والحذر ، وهي مع ذلك سليطة اللسان حادة الطبع لا يقدر أحد على معاكستها أو التبسط معها في الحديث ، وقد كان هذا سلاحها تصد به فرسان الادارة وذئابها .

وكان قد استقر بذهن عبدالرؤوف منذ حصوله على الترقية الاخيرة في حياته الادارية ، أن يخطب هذه المرأة لنفسه ويتخذها زوجة ثانية ، وكانت هذه الرغبة تزداد عليه الحاحا كلما اقترب موعد احالته على التقاعد فيختلق المناسبات ويقبل كل فرصة تسنح له ليتحدث الى سعاد ويلاطفها بجمل وعبارات يقتبسها من بعض المجلات الرخيصة ، وذلك لان الملاطفة لم تكن من طبعه .

ولم يجسر عبد الرؤوف على مفاتحة سعاد في أمر الزواج وذلك بسبب عائقين كبيرين لم يدر كيف يتغلب عليهما : العائق الاول هو زوجته رقية التي كان يعلم من أمرها أنها لن تقبل بحال ضرة شابة تقاسمها بيتها وزوجها بل انها سوف تقيم الدنيا وتقعدها اذا علمت بنية عبد الرؤوف ، وهي لن تتردد في أن تجعل حياته جحيما . أما العائق الثاني فهو عاهة لازمت عبد الرؤوف منذ صغره ، فقد سقط وهو طفل من علو شجرة تين فكسرت رجله اليسرى وبقى بها عرج ظاهر تفضحه مشيته المتمايلة ، وكانت سعاد تتندر بهذه العاهة وتتهكم من صاحبها كلما رأته مقبلا نحوها .

أما مسألة فارق السن بين عبد الرؤوف وفتاة أحلامه فلم تكن في نظره عائقا ذا بال لا سيما وأن العرف المتبع يبيح للرجل مهما كانت سنه أن يتخذ زوجة في عمر بناته، ثم ان سعاد كانت متزوجة فتوفى عنها بعلها ، وعبد الرؤوف يبدو صحيح البدن موفور العافية لم تبرحه الفحولة بالرغم من أعوامه الستين .

ينتهي عبد الرؤوف من التفكير في هذه المسألة فيخطر له خاطر سعيد سرعان ما يتبلور في ذهنه ويستأثر بأكبر نصيب من اهتمامه . ويتحول الخاطر الى مسعى حميد يستجمع له كل شجاعته فما يشعر الا وهو في مكتب رئيسه المباشر .

— أنت تعلم أنه لم يبق بيني وبين موعد الاحالة على التقاعد سوى بضعة أشهر ، وانا — كما تعلم — مازلت مكتمل القوة موفور النشاط قادرا على

الحركة والعمل ، والقوانين المعمول بها تجيز للمتقاعد ان يستمر في خدمة الحكومة ، بصفة استثنائية .

وقاطعه الرئيس قائلا :

ـ لقد فهمت مقصدك . اطمئن . سوف أدبر لك عملا مناسبا بعد احالتك على التقاعد ، وسوف يصلك مني اشعار بهذا حينما يحين الوقت ، فانصرف في أمان الله .

وينصرف عبد الرؤوف مسرورا وهو يقول في نفسه : ان نجاح هذا المسعى يعني أنني سأضرب عصفورين بحجر واحد ، مواصلة العمل في الادارة والبقاء قريبا من سعاد . ومن يدري ؟ فقد يتكفل الزمن بازالة ما بيننا من عوائق فيتحقق حلمي بالزواج منها . الزمن أبو العجائب ، كما يقولون !.

تأتي اللحظة الحاسمة فيحال عبد الرؤوف على التقاعد ، وقبل أن يغادر الادارة يلقي نظرة اشفاق على القبو ، وتقع عيناه على الخريطة العتيقة فيتأملها بمرارة ثم يتطلع الى آلة الاستنساخ الفوتغرافي فتغرورق عيناه بالدموع وتمتلىء نفسه حسرة ويصيبه الذهول : انها ساعة الفراق الرهيبة !

ويبدأ عبد الرؤوف حياته الجديدة الا أنه لا يغير الا قليلا من عاداته القديمة ، يستيقظ في الساعة السادسة كما كان يفعل من قبل ويخرج من البيت في الثامنة ويقطع نفس الطريق وهو منشغل بقراءة الابواب المفضلة لديه في الصحيفة الصباحية،

وتقوده خطواته الى مكان عمله القديم، يمر عليه من غير أن يدخل ثم يعود للبيت فيقبع في غرفة الجلوس حيث يتصفح بعض أوراقه الادارية القديمة ويقرأ صفحات من الجريدة الرسمية. ولا سيما الابواب المتعلقة بترقيات الموظفين وتسميتهم وانتقالاتهم ، ومن حين لآخر يدخل الى المطبخ ثم يخرج الى الحديقة ويعود الى غرفة الجلوس حيث يشرد ذهنه وتتسلط عليه الاوهام ويساوره القلق فيتأوه ويسأم ويغمض عينيه ، ويبقى على هذه الحال حتى يحين موعد الغداء فيتناول طعامه ثم يقضي أوقات الظهر والمساء كما قضى سويعات الصباح .

أما الاصلاحات التي كان ينوي انجازها في البيت فانه كان يتهرب حتى من مجرد التفكير فيها فيتعمد نسيانها ، وعبثا تحاول زوجته ان تقنعه بتشغيل نفسه وملء أوقات فراغه في أعمال مفيدة داخل البيت أو خارجه ، وكثيرا ما شجعته على فتح متجر صغير لبيع الفواكه الجافة التي كانت تصلها منها كميات لا بأس بها من مزرعة أبيها في الارياف . والحقيقة أن رقية كانت تضيق بوجود زوجها في البيت طيلة النهار . أما هو فقد كان فكره مشغولا بأمرين : سعاد والخطاب الذي وعده رئيسه المباشر بارساله اليه ، ولذلك فانه كان يتطلع الى مرور ساعي البريد تطلعه الى رؤية سيدة أحلامه .

ومرت عدة أشهر وصاحبنا على حاله من الفراغ والقلق والسأمة . وذات صباح طرق ساعي البريد باب البيت وسلم لعبد الرؤوف رسالة فض غلافها على التو وقرأ محتواها :

« بعد التحية ، تلبية لطلبكم يسرني أن أخبركم أنني قد عثرت لكم على عمل يناسبكم بمخازن الادارة . فمن حسن حظكم أن الحارس الليلي الذي كان مكلفا بالخفر قد توفاه الله اليه فرأيت أنكم خير من يخلفه نظرا لأمانتكم وتمرسكم بشؤون الخدمة . وسوف يصرف لكم أجر يومي قيمته عشرة دراهم .

فارجوكم أن تتصلوا عاجلا بدائرة المستخدمين .

وتفضلوا ... »

وما أن أتم عبد الرؤوف قراءة الخطاب حتى اكفهر وجهه واحتدم غضبه وتقوضت كل أحلامه : كيف . أبعد خمس وثلاثين سنة من العمل الدؤوب في الادارة والتفاني في خدمة الرؤساء أصبح مجرد حارس في المخازن أسهر الليالي وحيدا ومحروما هذا جزائي بعد كل ما قدمته من خدمات ثمينة لرؤسائي ؟

وأحس عبد الرؤوف ، لاول مرة ، أنه أصبح متقاعدا بالفعل ، وانه بدأ يدخل مرحلة الشيخوخة من بابها المظلم الكئيب . فلا كانت سعاد ولا كانت الخدمة !

وما أن هدأت نفسه حتى أخذ يستجمع شتات ذهنه ثم بدأ يفكر جادا في مشروع متجر الفواكه الجافة الذي كانت زوجته رقية قد اقترحت عليه فتحه .

محمد العربي الخطابي

عزالدين صغيرون

الأزمة الروحية في الرواية المعاصرة

■ وهذا هو الدواء الأمثل كما يراه المنتمون عادة

■ حب الحياة يجيء حينما يضعف إحساسنا بالزمن

هل ما يعانيه « عمر » بطل رواية نجيب محفوظ حالة مرضية ؟ ام ازمة روحية ؟

انه محام ناجح ذو مكانة إجتماعية « راقية » ووضع مالى مريح ! متزوج وله بنتان وولد ، ورغم هذا يذهب الى الدكتور بدعوة انه مريض فى حاجة ماسة للعلاج . وحينما يساله الطبيب ـ بعد الفحوصات الطبية اللازمة ـ بماذا يشعر ؟ لا يجد فى ذهنه اجابة محددة مقنعة يستطيع ان يصف بها مرضه . ولكنه يجيب قائلا : « شد ما كرهتها ـ الحياة ـ فى الايام الاخيرة » فينصحه الطبيب بقوله « اعتدل فى الطعام .. قلل من الشراب .. والتزم برياضه منتظمة كالمشى .. فلن تلقى ما تخشاه » . ويتبع هذا النصح الطبى ويذهب فى اجازة طويلة للاسكندرية . وهنالك يطبق هذا النظام الحياتى المثالى ـ فى نظر الاطباء ـ ورغم هذا يعودُ الى بيته فى القاهرة وداء « كره الحياة » لم يفارقه .

ونجد بالمقابل « كيغان » بطل مسرحية برنارد شو « جزيرة جون بول الاخرى » يحس بنفس الاعراض ، اي بما يسميه هو « لا معقولية الحياة وانه يكره هذه الحياة ، ويناقشه « بورد بينت » على أن الحياة معقولة وجميلة ، وانه مقتنع بها كرجل عاقل ، وان بعض الشرود فيها ـ فيما ينسى كيغان ـ وهو يعانى من نفس حالة « عمر » :

ـ وعلى ذلك فانت تحس بكامل حريتك فى هذا العالم ؟

ـ بورد بينت : بالطبع ! الا تحس انت ايضاً بذلك

ـ كيغان (من الصميم) : لا .

ـ بورد بينت (ببساطة) : جرب حبوب الفسفور .. اننى استعملها كلما شعرت بتعب ذهنى .

هذا هو الدواء الامثل كما يراه المنتمون عادة . فهم يرجعون كل نفسية وروحية مضادة الى اسباب فسيولوجية . او على احسن الفروض ينصحون كما قال كولن ويلسون بالذهاب الى المحلل النفسانى !

ما هى المشكلة ؟

نستطيع ان نضع لها قالباً ، او صيغة ، مرتبكة بعض الشيء ، الا انها توضح بصورة بسيطة ما نعنيه بها على المستويات المعقدة . الا وهى مشكلة الحياة الانسانية . ورغم اتساع وشمولية مفهوم « الحياة الانسانية » الا اننا نعنى بها ذلك الصراع والتضاد الدائمين بين « الكائن الطبيعى » و « الكائن المعنوى » فى بنية الانسان . وهذا يعنى بالطبع ازدواجية تركيب الانسان ، ككائن طبيعى يعيش ضمن استقضابات الطبيعة وقوانينها الصارمة من ناحية ، وكائن معنوى يعيش تجربة روحية خاصة به وبتطوره الروحى من ناحية اخرى .

اما الصراع فيتاتى من واقع كون أن الانسان هو الكائن الوحيد الذى لا تقوم علاقته مع الطبيعة على التكيف . بل هو ـ على العكس ـ يحاول دائماً ان يوظف ويكيف الطبيعة وفق اغراضه هو . وهذا اساس الصراع بين العقل والطبيعة . لأن العقل كطبيعة مضادة ـ يقف فى مواجهة الطبيعة ليفعل بها ما يشاء ويتصور . وحينما ينسحب هذا الصراع على كامل بنية وتركيب الانسان ، نجد ان السلوك الانسانى الامثل ، وهو السلوك المتحرر من قيود الغريزة ، والنابع او المبتدع من العقل . وهذا عكس سلوك الحيوان عموماً ، والذى يقوم على الغريزة ، كانعكاس جسدى . ومن هنا طور الحيوان قابلياته الجسدية على التكيف الحركى .. وفقدها الانسان .. الذى حاول ان يخضع جسده ـ كجزء من الطبيعة ـ لعقله . ويستطيع هذا ان يفسر لنا الحضارة ـ كشىء منفرد عن الطبيعة ـ ، بل ويصلح هذا لان يكون مدخلا متفهماً لقول شبنغلر فى « تدهور الحضارة الغربية » من ان كل سيكولوجيةهى فيزياء مضادة .

مشكلة الحرية

وبهذا نكون قد خطونا اول خطوة فى معاينة قضية « عمر » .. وتتحدد هذه بتعريفنا لها بانها مشكلة « الحرية » . ماذا نعنى بالحرية ؟ انها التحرر من استقطابات الطبيعة وقوانينها الصارمة . إلا انها ليست كذا وحسب . لانها فى هذا المستوى انما تكون مشكلة سياسية واجتماعية . بل هو يضيف اليها الشرط الثانى والذى يعطيها المفهوم الاشمل والمدلول الاعمق ـ الشرط الفلسفى ـ مفهوم الايجابية : كيف اسيطر على جسدى .. واطلق صراح روحى .. لاكون إنساناً حقيقياً وحراً ؟ وتستطيع ان تجد بانه منذ البدء كان يحس احساساً مبهماً بهذه المشكلة . ففى اولى صفحات الرواية يعلق على لوحة معلقة امامه « هاهو الافق ينطبق على الارض ، دائماً ينطبق على الارض من اى موقف ترصده ، فياله من سجن لا نهائى » .

وهذه هى المشكلة على وجه التحديد : المحدودية التى تجابهه فى كل حياته على المستوى الطبيعى ، اى محدودية حياته ككائن طبيعى . ولذ فهو يغتاظ من الطمانينة المتجسدة فى عيون الابقار فى تلك اللوحة ، ويعلق قائلا : لم تمتلىء عيون الابقار بالطمانينة؟ .. وقوله هذا يشبه حسد ت . ى . لورانس مؤلف « اعمدة الحكمة السبعة » للجندى الذى يداعب كلباً وهو خال من التوتر و اقتناعه اللامبالى بوضعيته الانسانية المهينة ، لان حريته لا تسبب له قلقاً ولا ارقاً .

فى المرحلة الاولى كانت المشكلة عنده ، مشكلة الخلاص الذاتى ـ الخلاص من عبودية الجسد ـ وهو رمز الانسان ـ الكائن الطبيعى المتناهى . ونجد عمر يجسد لنا هذا المفهوم حينما يردد قول الطبيب له « من الان فصاعداً انت الطبيب » يردده فى نفسه ويقول « من الان فصاعدا انت الطبيب . فانت حر . والفعل الصادر عن الحرية نوع من الخلق . وحتى ولو كان مقاومة مستمرة لشهوات البطن . ولنقل ان الانسان لم يخلق ليكتظ بالاطعمة . وبتحرر المعدة تتحرر الروح كذلك وتخلق » ص ٢٨ ـ وهو بهذا انما يردد القاعدة التى تلتقى عندها كل الاديان ـ والتى تنص على انه ليس بالخبز وحده يعيش الانسان .

● الأفكار لا تموت .. وهي وحدها التي لها قوة البقاء فوق الزمن

● الإنسان لا يزال يضع قدماً في أرض العقل .. وأخرى في أرض الطبيعة

الزهد فى الناس والأشياء

وتتطور القصة ، وتتصاعد احداثها بعد ذلك . ويتطور داؤه معها ، فنجده بعد قليل يزهد فى زوجته وبيته ويقول « لا أرى فى زينب العزيزة ـ زوجته ـ الا تمثالا لوحدة الاسرة والبناء والعمل » وفى صفحة ٥٦ يقول « إلهى . انهما شىء واحد . زينب والعمل » . والداء الذى زهدنى فى العمل هو الذى يزهدنى الان فى زينب .. هى القوة الكامنة وراء العمل .. هى الرمز . هى المال والنجاح والثراء ، واخيراً .. المرض ، ولانى اتقزز من كل اولئك فانا اتقزز من نفسى . او لأنى اتقزز من نفسى فانا اتقزز من كل اولئك » .

وهنا ملاحظة مهمة يمكنها ان تلقى الضوء ، وتوضح اكثر ، مانريده ، فالانسان ككائن طبيعى انما يتحرك بفعل قواه الغريزية . تماما مثل الحيوان . وكل قواعده السلوكية فى هذا المستوى « الطبيعى » تتحكم فيها القيم الغريزية وهى تقوم اساسا على قاعدة البقاء ، ومنها يتفرع حب السلطة والقوة بكل اشكالهما ومفاهيمهما المادية الطبيعية . قوة الجسد وقوة المال .. الخ . وهذا ماحققه « عمر » وهى على هذا نهاية .. او متناهية . فانت كما يقول برنارد شو لا تستطيع ان تاكل اكثر من المعدل الذى حددته لك الطبيعة .. لابد فى حد تقف عنده ،

ومن هنا إرتبطت فى لا شعور الانسان قاعدة الا وهى : ان الحياة ضمن استقطابات الطبيعة حياة محدودة ومتناهية . فهى قيد وموت . لان الموت لا يحدث إلا فى التاريخ الانسانى الجسدى .والموت هنا هو نهاية « الانسان ـ الجسد » .

بينما الخلود قيمة معنوية وروحية .. فالافكار لا تموت ـ وان مات المفكر ـ وهى وحدها التى لها قوة البقاء فوق الزمن .. ووراء الزمن . وهذا ما نخلص منه الى قاعدة اخرى هى : ان الانسان يكرر نفسه ولا يتجاوزها حينما ينغمس فى الحياة العملية اليومية .. والبير كامو يستطيع ان يفسر لك هذا ، بقوله فى « اسطورة سيزيف » : الفجر يأتى فى نهاية افعال الحياة الميكانيكية . ولعلنا واجدون ان كلمة الفجر هى قرار الجواب الذى تعود إليه فصول رواية الشحاذ ، وباشكال مختلفة متنوعة .

والان فان المسالة تبدو على هذا النحو : تقرر الفلسفات الانسانية المادية ـ وطبقا لتفكيرها الاجتماعى ـ ان حياة الانسان لا ينقصها سوى توفير احتجاجاته وضرورياته المادية المعيشية ، ليصير حراً ، وتاخذ فلسفة الوجودية الخيط الى نهايته فنسال : هل تنتهى مشكلة الانسان بذلك ؟ الا نجد بان الاحساس بتفاهة الحياة وبالضجر تجتاح حتى الاثرياء ؟ وتصير المشكلة فى نظر الوجودية بعد ذلك كالآتى : ان الانسان يحتاج دائماً لان يعيش حياته بايجابية وبلا كره او احساس بالتفاهة بها ، اذا استطاع ان يكسب

نجيب محفوظ

برنارد شو

حياته « المعنى » .. وحياة الانسان لا تكتسب هذا المعنى مالم تكن مرتبطة ببرهان او تحد .. لان الانسان لا زال يضع قدما فى ارض العقل والواقع العقلى ، وقدما فى ارض الطبيعة والواقع الطبيعى .. ولذا فهو مالم يجد محرضا يحركه فانه سيحس بخواء الحياة وتفاهتها وافتقارها الى الهدف والمعنى .. فالضجر الذى اصاب الكاتب سكوت فتز جرالد كان يعود الى هذا .. إذ انه جعل الثراء والحياة الرفهة والتفوق الاجتماعى غاية له .. ولكنه لما وصل الى نهاية الطريق الاجتماعى احس بفشل حياته وخوائها وعبثيتها كلها .. فمات موتا مجانيا عبثيا !

هل من خلاص ؟

الانغماس فى حياة جنسية مكثفة ، يمكن ان يمنح الانسان تلك الكثافة المعنوية التى تبدد ابخرة الضجر والقلق .. وتملأ فراغات حياة الفرد. الا انه مخدر ، وحل مؤقت .. قل انصرافى وهروبى وغير حقيقى ، وقد مشى فيه المركيز دى ساد حتى نهايته .. الا انه لم يحقق له شيئا . بل انتهى به فى نهايته الى التكرار الميكانيكى للفعل ـ ولما اصابه الضجر ـ العدو الاول عمد الى خلق تنويعات فى اللحن الاساسى ـ وهو الفعل الجنسى ـ فصار مجرما مثل المجرم الجنسى فى رواية كولن ويلسون « طقوس فى الظلام » . وكل انواع الاجرام الجنسى ، انما هى فى جوهرها علامة على الافلاس و الضجر من الممارسة الجنسية .. التى هدفت ـ عن طريق الخطا ـ الى اشباع الرغبات الروحية العميقة . لقد انحرف بها وبغايتها ، للاستعاضة بها ، لاشباع حاجات تختلف ـ اختلافا كميا كبيرا يكاد ان يصبح نوعيا ـ عن الجنس .

السقوط فى المتع الحسية

ونجد عمر فى بحثه عن الخلاص ، ينغمس فى علاقات جنسية متعددة ومتباينة . ويقول لصديقه مصطفى « كلما رايت انثى خيل إلي اننى ارى الحياة على قدمين » . وصحيح الى حد بعيد ان الانثى هى رمز للحياة . ولكن الحياة الطبيعية وهو كان يعانى من تشوش فى معرفته لمشكلته الحقيقية ، لذا لم يدر ما يريده على وجه التحديد . لأن قلقه فى النهاية اساسا لم يكن إلا البحث عن عالم الطبيعة المضادة ، وهذا لا يقود الى طريق المراة .. بل على العكس . يقود الى « ضد المراة » .. اى ضد الاعتياد والاستقرار . ولحسن الحظ ترك هذا الطريق فى الوقت المناسب ـ اى قبل ان يستبد به الضجر الذى يدفعه الى الشذوذ الجنسى ، او الاجرام ، الى القتل . وقد كاد ان يفعل . ونجد فى صفحة ١٢٦ مايلى « وهو يضم منى ـ غانية ـ فى حضنه ارعشته رغبة غريبة فى قتلها .. وتخيل انه يشق صدرها بسكين فيعثر فى داخله على ما يبحث عنه . القتل هو الوجه الخلفى للخلق وهو تكملة الدورة الملغزة التى لا تتكلم » . ويخيل لنا ان قتله للمراة كان سيكون محاولة لقتل الحياة الميكانيكية ضجراً ـ التى هى رمزها وسرها الاكبر ـ ، والقتل كان سيكون محاولة للتجاوز ، بحثا عن الجوهر الأصيل ـ للحياة ، فيما وراء هذا الشكل الهش الزائف لها . ولكنه قبل ان يقتل يصل الى نتيجة مؤداها فيما يقول ص ١٢٠ « نشوة الحب لا تدوم ونشوة الجنس اقصر من ان يكون لها اثر » وهذا حصيلة ما قلناه عن الخلاص عن طريق الجنس . فينتهى الى تبرمه منه قائلا : الحق اننى اكره النساء » وهذه خطوة فى الاتجاه الصحيح .

وتعود الان الى مشكلة الهدف او المحرض . فلما كان الرجل قد فقد كل هدف وغاية فقد فقد بالتالى كل رغبة فى الحياة . وهذا واضح من الحوار الذى جرى بينه وبين صديقه مصطفى ـ وقد كان حديثهما عن الهدف فيما هو واضح ، فقد قال مصطفى :

ـ الحقيقة ان عملك قد جاوز بك ابعد غايات النجاح .. وان زوجتك تعبدك فلم تعد امامك غاية تتطلع اليها .

ـ هل اسال الله فشلا فى العمل .. وخيانة فى الزوجية ؟ !

ـ لو استجاب لك لمنحك حب الحياة من جديد (ص ٦٠) .

وحب الحياة يجىء حينما يضعف احساسنا بالزمن . اى حينما نعيش وراء قيود الزمن ووطاتها . واللحظات السعيدة فيما نعلم دائما قصيرة حتى ولو طالت يوما بحاله . ولحظات الضجر والشقاء طويلة ولو كانت دقائق

معدودات . وفى « العودة الى ميتو شالح » لبرنارد شو تعرف حواء ان هنالك طريقا للخلاص من مصيدة الزمن .. طريق الفنان وصاحب الرؤى . وقد جرب « عمر » بطل « الشحاذ » طريق الفن ، فى شبابه . فقد كان شاعرا بشبابه وطبع ديوانا ، الا انه هجر الشعر ، لأن العلم فيما يقول بطلاسمه والغازه وعظمته زحزح الشعر عن مكانه » .

رفض الرومانسية والشعر

وفى الواقع نستطيع ان نعرف السبب الحقيقى الذى يجعله يرفض العودة الى الشعر ، وهو يتمثل فى الرومانسية ، لأن عمر الرجل تجاوز الشباب ، وقضى حياة علمية وعملية ناجحة وطويلة .. ولذا فهو يحس بان عودته الى الشعر ستكون سخفا .. وعودة الى الوراء .. الى الشباب والرومانسية . التى فيها من الضعف ما يجعله — وبتجربته العلمية والعملية الطويلة — ينأى به عن الطريق الصحيح نحو النضج والتحرر النهائيين . ويقول هللر فى رواية هرمان هيس « ستيفن وولف » : « ليس الانسان شكلا ثابتا غير متوقع . انه تجربة وانتقال . انه لا شيء .. اكثر من جسر خطر ضيق بين الطبيعة والروح .. ان المصير الكافى فيه يدفعه إلى الروح والى الله ، اما حنينه الكامن ايضا فانه يعود به الى الطبيعة » .

والطريق الى الله وإن ابتدأ بالرومانسية الا انه لا يعود اليها ثانية . ويقول هيس « ان العودة الى الطبيعة ثانية طريق مزيفة تقود الى اللامكان انها تقود الى العذاب والياس . كل شيء مخلوق ، حتى ابسط الاشياء هو من اساسه خاطيء متعدد .. ان الطريق الى البراءة الى اللامخلوق الى الله ، تقود باستمرار ، لا إلى الخلف ، الى الذئب او الطفل ، وانما ابعد نحو الخطيئة .. اعمق نحو الحياة الانسانية .. وبدلا من ان تقوم بتضييق عالمك وتبسط روحك ، ستاخذ العالم كله فى روحك مهما كلفك ذلك » .

وهذا ما يمنع عمر من العودة الى الخلف .. الى الشباب واحلامه الوردية .. الى الشعر . وهو كما قلنا للتو يملك من ذخيرة التجربة الحياتية العميقة ما يعصمه عن التردى فى هاوية الرومانسية الحالمة . والمشكلة انه بجانب هذا يريد ان يتخلص من مصيدة الزمن فيقول « لماذا يثيرنى الكلام العاقل هذه الايام ؟ » ص ٢٩ ـ وبصدد تحطيم بوتقة الزمن لا شعوريا ، وتحطم اطره التقليدية المتحجرة الثابتة الازلية على هذه الاطر والقوالب العقلية الجامدة فيقول فى ص ٤٨ : « الاجابة العاقلة تخنقك وكانها تستفزك . التصرفات العاقلة تغضبك بلا سبب .. ما اجمل ان يثور البحر حتى يطارد المتسكعين على الشاطيء .. وان يرتكب السائرون على الكورنيش حماقات لايمكن تصورها .. وان يطير الكازينو الكبير فوق السحب .. وان تتحطم الصور المالوفة إلى الابد . فيخفق القلب فى الدماغ ، وترقص الزواحف والعصافير » وكل هذا انما هو محاولة لهدم وتقويض العالم الخارجى المتماسك ببلادة وغباء . وهنا نحس بتدخل عنصر الحلم والخيال وثورة القلب ضد العقل . وربما كان العنصر الاساسى المشترك هنا هو الاحساس ببعثية الوجود الانسانى برمته .

البحث عن اليقين

ماذا اذن ؟ كيف يتم الخلاص ؟

يتاكد ما قاله كولن ويلسون فى ان الرؤية فى الشيء الذى يسعى إليه اللامنتمى . فتواتى عمر الرؤية فى الصحراء وهو وحيد ووصفها وصفا جميلا وافيا من الصفحات ١٣١ ـ ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ وقال عنها بعد ذلك : « هذه هى النشوة .. اليقين بلا جدل ولا منطق .. انفاس المجهول وهمسات السر » واخيراً تساءل وهو يزيد من سرعة سيارته عائدا بعد ان انتهى من الرؤية وانحسر مدها : الا يستحق ان ينبذ كل شيء من اجله ؟ » ونفهم الان لماذا الثورة ضد العقل . لانه الرؤية والنشوة الحقيقية تجيء حينما نتحرر من قيود العقل والزمن . زمن الحياة فى المستوى الطبيعى . وهذه اللحظات الرؤيوية هى لحظات الاسهام والمعرفة والثقة والمعنى . وهى عين اللحظات التى واتت ارشميدس فى الحمام — لا فى المعمل — فوجد الحل الرياضى الصعب ، انبثق من دواخله — لا من الخارج — فركض عاريا فى الشارع وهو يصرخ « يوركا .. يوركا » انى وجدتها .. وجدتها . وهى اللحظات التى اكتشف فيها نيوتن قانون الجاذبية حينما كان مضجعا وسقطت التفاحة عليه من الشجرة فاتضحت مسالة الجاذبية فجاة وسقراط جعل عبداً يحل مسالة هندسية صعبة ليؤكد بعد ذلك ان حل المسالة كان يوجد فى دواخل العبد الا انه غفل عنه بالانغماس والانشغال بشؤون الحياة اليومية وجزئياتها التافهه . فالمعرفة فى داخلنا ولكننا ننشغل عنها بجزئيات حياتنا اليومية البسيطة ولكننا فى لحظات الرؤية نستجلى هذه القوى المخباة فى داخل اعماقنا . والمشكلة بالنسبة للوجودية الجديدة هى : كيف نسيطر على هذه القوى ونوجهها متى وكيف ما نريد .

وتنتهى القصة او تكاد هنا . لتجد صاحبنا عمر وقد نبذ الحياةالعامة ، والعمل نفسه وملبسه وماكله وبيته وكل الدنيا .. وكرس نفسه ليستعيد هذه الرؤية التى فاجاته فى الصحراء . ويغيب عن نفسه وعن ما حوله فى الحدائق العامة . ونجد مقاطع شعرية مكثفة جميلة .. بل من اجمل ما كتب فى الروايات الحديثة . الا انها تثير قضية خطيرة للغاية هذه الرواية ، بسياقها هذا .

والقضية تتركز فى الغاية من حياة الانسان ، وجعل الرؤية او لحظات الرؤى هى غاية حياة الانسان وهدفها الاساسى .. ومن خلال هذه القضية يمكن ان يوجه النقد للنظرية الوجودية التى جاء بها كولن ويلسون .. وغاية ما نقوله هنا : تصلح الرؤية ، لحظات التركيز الذاتى العميق لأن تكون « لعبة » نحاول ان نكتشف ونتاكد بها من صحتنا الروحية وهل هى على مايرام ! والمقياس الذى نقيس به لياقتنا هو : مدى استطاعتنا السيطرة على هذه اللحظات لأطول مدة ممكنة ، او استحضارها متى شئنا .. فى الزمان والمكان اللذين نريدهما .

ولكنها لا يمكن ان تكون غاية لحياتنا كما يتصور ويلسون . لماذا ؟

لانها لحظات عارضة ، سرعان ما تذهب وتتبدد .. لتتركنا كما نحن .. بكل ضعفنا ورخاوتنا .. وانسياقنا وراء التوافه . وهذا ينبع مَن طبيعة لحظة الرؤية ذاتها .. انها تصاعد وفوران روحي . ولكنه ليس سموا روحيا مستمرا وقائما على اسس ثابتة .. بقدر ما هو تصاعد وفوران روحى عاطفى مؤقت وعنيف . ومحاولة جعل هذه اللحظات غاية للحياة ، ترمى بالشخص بعيداً عن صراع الحياة وتجعل منه حالما محلقا سرعان ما ينتحر او يموت او ينتهى بالجنون اذا فشل فى استعادة هذه اللحظات .. او حتى إذا ادمنها بشدة .

وربما كانت الخطوة الاولى فى الاتجاه الصحيح فى حالة « عمر » يستطيع ان يقدمها كولن ويلسون بقوله « ان الانسان الذى يريد ان يتطور دون ان يقضى على قابلياته يجب ان يسيطر على « كليبان » — الوحش — فى ذاته — وهو شخصية مشوهة يعتبرها شكسبير الصلة بين الانسان والارض ، او الانسان والحيوان وذلك فى مسرحية العاصفة — الوحش الذى سماه بليك الشبح . وهذا الشبح هو العدو ، وقد كتب بليك قائلا :

كل انسان هو فى قبضة شبحه ،
حتى تحين الساعة ..
التى تستيقظ فيها انسانيته
وتلقى بشبحه الى البحيرة .

ولم ينته الحديث بعد ذلك عن المشكلة ، ولكننا وقفنا حيث وقفت رواية نجيب محفوظ العظيمة « الشحاذ » الا انه ربما جاءت مناسبة اخرى نتحدث فيها عن اقتراح الطريق الصحيح وبتوسع اكثر واوفى ..

عز الدين صغيرون

فى عدد قادم :
محمود حسن إسماعيل
شاعر البحث عن السر
بقلم : فاروق شوشة

ملصقات على باب العامود

شعر: أحمد المصلح

ـ ١ ـ

الصولجان :

يسقط الليل على الليل
وتشتاق الرحيل
في اتجاه الضوء ...
والدرب طويل
ـ هل تعبت ؟؟
ـ لم أجد بعد طريقي
خطوة أو خطوتين
ودخلت الدائرة
راقصاً أدهش حتى السحره
وعلى وقع الطبول
قلدوك الصولجان
عاشقاً للوهم في هذا الزمان
ـ خذلتك الذاكرة
فاذا الشوق بعينيك ذهول
والمسافات دخـــان

ـ ٢ ـ

الجوال :

يكبر الوهم وتشتاق الرحيل
في اتجاه الصحو ...
والخطـــو ثقيل
ـ هل عرفت السر ،
قـــالت .....
قد دنت ساعته
إنني أعرفـــــه
نائماً يمشي إلى الصحـــو
فيصحو نائمـــاً
نائماً يطفو على حلم جميل

ـ ٣ ـ

الصرخة :

يكبر الجرح على الجرح ،
ويدعـــوك الرحيل
في اتجاه القدس شمساً ودليلاً
ـ هل صحوت ؟؟
ـ لم أجد بعد خلاصي
يا رؤوساً أينعت بعد القطاف
في انتظار المعجزه
يهجر المـاء الضفاف
والفتاوى جـــاهزه
إنه العشق النبيل
صرخة الأرض ترج الذاكره

ـ ٤ ـ

النهـــار :

يكبر الطفل ويجتاز الحصار
ويلاقي الخامســـــة
وعلى مد الجهات الناعســـه
يزرع الأرض نهـــار

عندما يستعير الصبي المراهق سيارة والده فانه يطرح خمس سنوات من عمر السيارة ويضيف نفس العدد من السنين إلى عمر والده !

●

منح عازف الارغن الشهير كونراد ايدن الدكتوراه الفخرية تقديراً لأساهمه الموسيقى فصار معروفاً لدى الناس بالدكتور ايدن حتي بعد أن تقدمت به السن وترك العزف لسنوات طويلة .

وفي ذات ليلة رن التليفون في منزله وكانت المتحدثة امراة تطلب العون من الدكتور إيدن لأن زوجها يعانى من الام حادة.

فردت عليها زوجة الموسيقار : « ان الدكتور إيدن ليس من الدكاترة الذين يمكنهم القيام باى عمل مفيد تجاه اى انسان » .

سالت الأم ابنتها عن انطباعاتها في يومها الأول بالمدرسة فاجابت الصغيرة :

« لم تعجبني كثيراً .. ربما لانني لا احب الاطفال » ..

●

كان الرئيس الامريكي لنكولن يطالب القادة العسكريين بابلاغه بكافة التفاصيل حول ما يدور على كل الجبهات اثناء الحرب الأهلية .

في احدى المرات بعث له الجنرال مكللان وقد عرف بطاعته العمياء للأوامر ببرقية نصها : « لقد أسرنا ست بقرات فماذا أفعل ؟ »

وفي نفس الليلة جاءه مظروف سرى وعاجل من البيت الأبيض فضه الجنرال بسرعة ليجد الرد :

« احلبها ..... » !!

رءوف توفيق

عصر جديد للسينما .. يبدأ

● التفاؤل والحماس يواكبان بداية الثمانينات .. وهناك آمال كبرى فى حركة انتعاش ومنافسة قوية بين صناع السينما العالمية

لقطة من فيلم (هير) للمخرج ميلوش فورمان

لايختلف اثنان من النقاد أو المراقبين لحركة السينما العالمية .. على أن العام المنقضى ـ ٧٩ ـ شهد بداية ما يمكن تسميته بعودة الحياة الى السينما كفن .. وكفكر .. وكصناعة !

ومن هنا فان قدرا كبيرا من التفاؤل والحماس يواكب بداية الثمانينات ، ويتنبأ بحركة انتعاش ومنافسة قوية بين صناع السينما العالمية.

ويأتى هذا التحول بعد أن كادت السينما الأمريكية ـ اقوى واغنى سينما فى العالم ـ أن تشهر إفلاسها ، وتغلق استوديوهاتها ، وتصفى اعمالها .. نتيجة انهيار أسواق التوزيع المحلى والخارجى .. وانفضاض الجمهور عن دور العرض السينمائى ، والاكتفاء بمشاهدة التليفزيون داخل بيوتهم

واستمرت هذه الازمة الطاحنة من آواخر الستينات .. والى منتصف السبعينات تقريبا .. وسط محاولات مستميته من جانب خبراء صناعة السينما الامريكية لدفع الدماء من جديد فى الجسد المريض .. وقيل أيامها أن السينما الامريكية تعيش فى غرفة الانعاش !

وتنوعت محاولات الانقاذ ، ما بين تكتل شركات الانتاج الكبرى .. وما بين الاتجاه الى تقديم الافلام التى تعجز شبكات التليفزيون عن انتاجها وتقديمها .. وظهرت أفلام الرعب والكوارث مستخدمين فى ذلك كل الامكانيات المتطورة فى حرفية الصناعة السينمائية من خدع وحيل فنية .. مستهدفين أساسا استثارة غرائز الجمهور ودفعهم للتخلى عن مكانهم المريح امام التليفزيون داخل بيوتهم .. والنزول الى الشارع والاتجاه الى دور العرض السينمائى . !

ومهما كان رأينا فى نوعية أفلام هذه الفترة .. الا أنها بالتأكيد افلام مرحلة انتقال من عصر الى عصر فى الفن السينمائى ..

وأعتقد انه عندما يكتب تاريخ السينما عن العشرين عاما الماضية .. سيتوقف الباحثون طويلا أمام موجة أفلام الرعب والكوارث .. لا لتحليل موضوعاتها بحثا عن قيم الجمال والفكر .. بل كدليل على براعة خبراء السينما الأمريكية فى مواجهة الأزمة وإعادة إغراء الجمهور لارتياد دور العرض

ولأنها افلام مرحلة انتقال لا يمكن أن تستمر أو أن تعيش طويلا .. فقد فتحت

أرقام الإيرادات سجلت أرقاماً هائلة بالملايين

جين فوندا — مايكل دوجلاس وجاك ليمون فى فيلم (اعراض صينية)

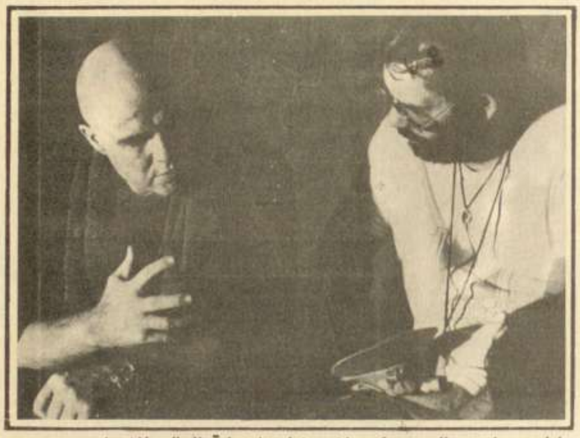

مارلون براندو والمخرج كوبولا — فيلم (نهاية العالم الان)

سلفستر ستالون فى فيلم (روكى)

شركات الانتاج السينمائى مع مرحلة الانتعاش المؤقت ، لاصحاب المواهب الشابة والجادة لكى يعدوا انفسهم لتقديم افكارهم ومشروعاتهم للمرحلة التالية من تطور الصناعة السينمائية .

وجاء عام ٧٩ ليشهد الثمار الأولى من افلام المرحلة الجديدة فى السينما .

ولم يخيب جمهور المشاهدين الظن .. وسجلت أرقام الايرادات فى دور العرض السينمائى داخل الولايات المتحدة الامريكية ، وخلال عام ٧٩ ، زيادة قدرها ٢٥٠ مليون دولار .. عن العام السابق له أى أن الجمهور بدأ يعود من جديد للسينما .. وبدأت السينما تستعيد مجدها القديم ..

● الافلام الثلاثة العملاقة

ويمكن تسجيل بداية المرحلة الجديدة فى السينما بعرض الافلام الثلاثة التالية : (نهاية العالم .. الآن) للمخرج فرانسيس كوبولا — (أيام السماء) للمخرج تيرنس ماليك — (هير) للمخرج ميلوش فورمان . فهذه الافلام الثلاثة وإن اختلفت موضوعاتها .. إلا أنها تتفق فى نقطة جوهرية وهى انها حولت الشاشة الى فيض من المتع البصرية والسمعية .. باستخدام راق وعبقرى لامكانيات التصوير والمؤثرات الصوتية المجسمة ، بحيث تضع المتفرج فى قلب الأحداث ، مشاركا بكل عواطفه وأحاسيسه ، مستمتعا بكل الميزات التى تنفرد بها السينما عن التليفزيون كوسيلة عرض !

ويتحقق فى وصف هذه السينما ما قاله منذ زمن الفنان المخرج الأمريكى اورسون ويلز :(لا يصبح الفيلم جيدا حقا ، إلا حينما تكون الكاميرا عينا شاعر) وما عبر عنه أيضا المخرج الفرنسى رينيه كلير (ان ماهو سينما .. هو ما لايمكن روايته) !

حيث تصبح هذه الشحنة الهائلة والمتدفقة من الاحاسيس التى يتلقاها المتفرج ، أقوى من القدرة عن التعبير عنها أو روايتها بالكلمات .. فجزئيات الصورة والصوت تصبح كقطعة من الموسيقى لا يمكن ترجمتها الى عبارات مقروءة أو منطوقة .. فهذه الموسيقى تظل موسيقى .. وهذه السينما تظل سينما ..

والبراعة فى الوصول الى هذه الصيغة الفنية الجديدة للسينما ، لا تنهض ، ولا تعيش على أساس من الوهم أو الكذب .. بل لابد أن تقوم على أرض صلبة من الواقع والحقيقة .

وهذا ما تميزت به الأفلام الثلاثة .. وهذا ما أعطاها دفعة الريادة للمرحلة الجديدة فى السينما .. انها أفلام تقول أشياء كثيرة عن الواقع الانسانى وتخاطب العقل الانسانى فى أى مكان على الأرض من خلال قيم العدل والحق والحب

ففيلم (نهاية العالم .. الآن) للمخرج كوبولا .. يناقش قضية الحرب فى فيتنام .. أو بمعنى أشمل قضية القوة الغاشمة التى تحاول أن تفرض سيطرتها على الآخرين !

وفيلم (هير) للمخرج فورمان .. يناقش نفس القضية من منطلق حق الشباب فى الحياة والحرية والحب .. فى مواجهة نفس القوة الغاشمة التى تحاول استخدامه كوقود لمعاركها وانتصاراتها الكاذبة .. كل هذا من خلال الموسيقى والرقص والغناء !

وفيلم (أيام السماء) للمخرج ماليك .. يقدم قصيدة شعرية بالسينما عن القوى الشريرة داخل الانسان عندما تفسد كل ما حولها من حب وجمال وعطاء .. انه فيلم عن الطبيعة بكل ما فيها من خير وتفتح .. وإنسان بكل ما فيه من طمع وشهوة وخراب نفسى ! .

ومن الملامح الهامة لهذه الأفلام الثلاثة .. انها اعتمدت تماما على الوجوه الجديدة من الممثلين ، فيما عدا فيلم (نهاية العالم .. الآن) الذى استعان مخرجه بالممثل مارلون براندو ليظهر فى الدقائق العشر الاخيرة من الفيلم !

وهذا ما يؤكد أن هذه السينما تعتمد أولا واخيرا على قدرة المخرج فى فرض موضوعه ، والتحكم فى كل عناصره الفنية دون الاعتماد على أسماء أو شهرة بعض الممثلين ..وهذا ما يعنى نهاية أسطورة النجوم ..

فالنجم أصبح هو الفيلم ككل ..

وقد اثبتت إيرادات هذه الافلام أن الجمهور لم يعد عبداً للاسماء الكبيرة ، بقدر ما

لقطة من فيلم (مانـهاتن) يظهر فيها وودى آلن مع ديان كيتون

أصبح متشوقا لأن يكتشف الجديد وأن يقتطع من ماله ليرى موضوعا يهمه !

● مباراة أمريكية

والتنوع المدهش والمثير الذى شهدته السينما الأمريكية فى عام ٧٩ .. تضمن أيضا الفيلم الجديد لعبقرى الكوميديا الأمريكية (وودى آلن) الذى كتب ومثل وأخرج فيلمه (مانهاتن) وتعمد أن يصوره بالابيض والاسود كنوع من التفرد بين زحام الافلام الملونة ، وكتعبير عن موضوعه الذى يسخر فيه من الحياة الامريكية والمادية التى سيطرت على كل شيء حتى أصبح الانسان العادى الذى يحمل قدرا من الثقافة ، غريبا ، وحيداً ، غير قادر على الاتصال بالآخرين .

ويعود (روكى) مرة أخرى .. انه الممثل (سيلفستر ستالون) الذى كتب ومثل فيلمه الأول (روكى) وحصل به على جائزة أحسن فيلم منذ ثلاث سنوات .. هاهو يعود مؤلفا وممثلا .. ومخرجا للجزء الثانى من (روكى) ويحقق نجاحا جماهيريا كبيرا .. ووصل الايراد إلى مليوني دولار كل اسبوع فى العشرين اسبوعا الأولى لبداية عرض فيلمه داخل الولايات المتحدة فقط !! .. ومغامرة هذا الممثل المغمور الذى ارتبطت شهرته بفيلم روكى .. هى فى الواقع مغامرة الانسان البسيط الذى يواجه المجتمع المتشابك الخبيث ولا عليك من أسلحة غير النقاء والحب .. وينتصر الممثل فى مغامرته .. وينجح الفيلم لأنه يخاطب الحلم داخل كل إنسان مقهور .. وما أكثر هذا الانسان فى عالمنا اليوم !!

وتشارك الممثلة الامريكية (جين فوندا) التى اشتهرت بمواقفها السياسيه الشجاعة ، وتشارك فى فيلم (أعراض صينية) الذى سبق الأحداث وتنبأ بالأخطار التى قد تحدث فى تسرب الأشعاع من المفاعلات النووية .. فقد صنع هذا الفيلم وعرض قبل أن تتوارد الأخبار المفزعة عن الكارثة التى هددت ولاية بنسلفانيا الأمريكية نتيجة ما حدث فى المفاعل النووى والفقاعة الهوائية التى عطلت العمل فى المفاعل وأفزعت أمريكا كلها من احتمال الانفجار المرعب ..

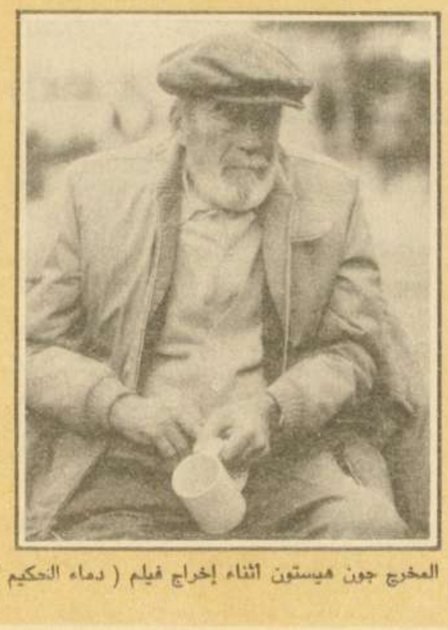

المخرج جون هيستون أثناء إخراج فيلم (دماء الحكيم)

ويأتى فيلم (اعراض صينية) لمخرجه جيمس بريدجز .. ومنتجه الشاب العبقرى مايكل دوجلاس الذى شارك فى تمثيل الفيلم مع جاك ليمون وجين فوندا .. يأتى هذا الفيلم ليحقق نظرية أن السينما ليست وسيلة تسلية وترفيه .. بل وسيلة تحذير وايقاظ للغافلين عما يحدث حولهم .. أو ما قد يحدث أيضا !

وهذا المنتج الشاب (مايكل دوجلاس) هو الابن الاكبر للممثل المعروف (كيرك دوجلاس) ، وهو نفس الشاب الذى انتج من قبل فيلم (أحدهم طار فوق عش المجانين) وحصل الفيلم على خمس جوائز اوسكار هامة .. وكان ذلك الفيلم هو أول انتاج له فى السينما ولم يتجاوز الثلاثين من عمره !

● إكتساح جيل الشباب

والملاحظة الهامة التى يجب الا نتجاهلها .. أن غالبية الذين صنعوا اهم افلام ٧٩ .. هم من جيل الشباب الذين يتراوح اعمارعم بين الثلاثين الى الأربعين وهذا دليل حيوية السينما الأمريكية واقتناعها بالمواهب الشابه ، وأن الشباب هم الذين يملكون مفتاح التخاطب مع جيل الشباب أمثالهم الذين يسجلون أعلى نسب التردد على دور العرض السينمائى .

ورصيد السينما الأمريكية من المخرجين لا يتوقف .. فالاستديوهات تفتح أبوابها للجديد دائما .. سواء فى الاخراج أو التمثيل .. أو بقية فروع الصناعة السينمائية

لقطة من فيلم ايام السماء (للمخرج تيرانس ماليك)

لقطة من فيلم (إحنا الاثنين) للمخرج كلود لينتوش

.. وتتكفل وسائل الدعاية الضخمة بتقديم هذا الجديد والترويج له .

وتمتلىء الصحف الامريكية الآن بالحديث عن مخرج جديد (روبرت بنتون) الذى أخرج فيلم (كرامر يواجه كرامر) من بطولة(داستين هوفمان) يقدم من خلاله مشكلة الابناء عندما يحدث الانفصال بين الأب والأم .

وليس معنى سيادة جيل الشباب فى السينما .. واكتساح النجاح ليس معناه توقف جيل الكبار وعجائز االفنانين عن العمل أو اثبات الوجود .. فنحن نتوقف بالاعجاب امام آخر أعمال المخرج الامريكى الكبير جون هيستون (٧٤ عاما) الذى يناقش قضية الدجل الدينى وهوس احد الشبان لاعلان نفسه نبياً جديداً وكل التورط الذى اندفع إليه حتى يرتكب جريمة قتل .. وهذا الفيلم (دماء الحكيم) يأتى من خلال رؤية رجل محنك وكأنه يطلق نذير الخطر لما يحدث فى المجتمع الغربى .

● ملامح اخرى من الخريطة

وإذا كانت السينما الامريكية تمتلك الامكانيات المادية الضخمة ، وقدرة خبرائها على تجاوز الازمات ، وابتكار الأساليب الفنية الجديدة للابقاء على صناعة السينما كصناعة قومية يشبهونها احيانا بآبار البترول التى لا تنضب .. فان السينما الايطالية تقف فى الساحة شامخة ، قوية ، تجدد نفسها دائما ، وتثير قضاية انسانية ساخنة من خلال رؤية مجموعة من مخرجيها الكبار وجيل الشباب الرافض لكل الزيف والقيم البالية .

وقد شهد عام ٧٩ بالنسبة للسينما الايطالية ، عددا هاما من الافلام منها : (عندما توقف فى ايبولى) للمخرج فرانشيسكو روزى — (بروفة اوركسترا) للمخرج فللينى وقد أشرت الى هذين الفيلمين بالتفصيل فى اعداد سابقة من (الدوحة) — وفيلم (عنق الزجاجة) للمخرج لويجى كومنشين الذى يعبر فيه عن أزمة الاختناق التى تواجه العالم من خلال أزمة المرور فى أحد الطرق الرئيسية بروما — ويعود المخرج الشاب العبقرى (برناردو برتولوتشى) صاحب فيلم التانجو الأخير فى باريس وفيلم ١٩٠٠ .. يعود الى دائرة الاهتمام والجدل الفنى من خلال فيلمه الجديد (القمر) الذى يناقش قضية العلاقات الانسانية المحرمة

وتتحرك سينما المانيا الغربية لتأخذ موقعها على الخريطة العالمية من خلال اشهر افلامها لهذا العام (الطبلة) للمخرج فولكر شولندروف .. وفيلم (نو سفيراتو) للمخرج فرنر هيرتزوج .

وتحاول السينما الكندية أن تلحق بالطابور العالمى من خلال الاغراءات المتعددة التى تقدمها لنجوم هوليود ومخرجيها لكى يتعاونوا فى تقديم الافلام الكندية

اما السينما الفرنسية فهى تحاول جاهدة الا تلفظ انفاسها الأخيرة وتتشبث ببعض الاسماء اللامعةمن مخرجيها لعلها تلفت انظار العالم إليها من جديد .. فهى تقدم المخرج البولندى الأصل المهاجر إليها (رومان بولانسكى) وسط جو كثيف من الدعاية لآخر أفلامه (تيس) الذى صور فى فرنسا بعد أن حصل على الجنسية الفرنسية وتحاول أن تروج لآخر افلام (كلود ليلوش) الذى تجاهله النقاد والجمهور بعد تكرار فشله فى الافلام السابقة .. إلا أنهم فى فرنسا يتشبثون به الى آخر رمق ويقدمون للعالم فيلمه الجديد (نحن الاثنين) من بطولة كاترين دينيف .. والذى لم يلق أيضاً النجاح المتوقع .

● هل يستسلم التليفزيون

ان السينما الغربية تموج الان بالنشاط والحماس .. وإذا كان عام ٧٩ قد بشر بميلاد عصر جديد للسينما .. فان عواصم العالم الغربى التى تهتم بصناعة السينما تحاول جاهدة أن تثبت وجودها ، وانها قادرة على التطور واللحاق بالعصر .

ومن هنا يتأكد لنا أن الثمانينات ستشهد عودة الحياة للسينما .. وعودة الجمهور لها بعد أن أصابه الملل من التليفزيون .

وهذا لا يعنى نهاية الحرب بين السينما والتليفزيون .. فكل له أسلحته .. ولن يستسلم التليفزيون لهجوم السينما .. والمعركة ستشهد فصولا ساخنة .. ولكنها فى النهاية هى لصالح المتفرج .

رءوف توفيق

من تجاربك الشخصية

عودة طائر الكناريا

داخل كل انسان طائر يهرب بعيداً بجناحيه ، لانه لا يجد وسط الآخرين ارضه ، وتستمر رحلته أعواما بين الأمل المجنون ، والحزن العاقل حتى تحدث الصدمة فيتوقف عن الهرب .. ويطل من جديد داخل نفسه .. ويكتشف أن وطنه التائه ليس جناحيه .. وانما قلبه .. ففي يوم من أيام يونيه في منتصف السبعينات .. وفي لحظة من لحظات الخلود إلى النفس تعرف اخى على أسرة ثرية تقطن في القاهرة وتحضر كل صيف لقضائه في مدينتنا عند اقاربهم ، كان لهذه الأسرة حسناء صغيرة تعرف عليها ورحبت به الاسرة ترحيبا مطلقا .. وبعد ايام سمعنا ان علاقته توطدت .. بل زعمت الأم انها تريد أن يقترن بابنتها .. أنه نوع من فلسفة الحياة .. ولعبة تحدى الزمن .. حدث هذا دون علم احد منا .. بل أنه احس بشعور غريب يدفعه نحو فتاته ، أن ذهنه الذي اعتاد أن يفكر على أسس من المنطق لم يقو على مقاومة فتنتها .. ترى لجمالها .. أم لثرائها .؟ مضت أيام وشهور وهو لا يحضر إلى البيت قط .. بل أنه ذهب ليقطن معهم في القاهرة .. كان على أن أعرف أشياء كثيرة ، وكثيرة فات

أوان معرفتها .. بدأت أشعر بالقلق يلتهمنى .. أنه امتحان رهيب دون ريب .. وبعد ثلاثة اشهر حضر إلى البيت .. كان الليل يطرز سمرة وجهه .. حبات الدمع اغرقت وجهى .. احسست أن العالم يتضاءل .. اكتشفت مشاعرى في تلك اللحظة .. وفي نفسى بحر من الآمال موقنا أنه ترك فتاته ، ولكن بعد جدال عنيف ومحاورات كثيرة .. اخبرنا بانه لم يتركها ، وليس في مقدوره تركها .. بعدها أيقنا أنه ينضج في معمعة المشاكل ، لقد حار قلبى بين غروب الآمال وفجر الخيبة حتى أصبح مزيجا منهما ، ولكنه يعاند ولا أعرف لماذا القتاد .. وأشعل شمعة جديدة مكان الشمعة التي ذابت مع الأمانى .. وبينما كانت الشمعة الأخيرة تلفظ نورها الأخير .. انتظرنا أن يفوه بشىء لكنه اصر بعناد على الصمت .. كان الصمت يريح أعصابه ، وجهه يطفح بالغضب ، وتلتهب انفاسه .. اذن فلا جدال في أن خطراً يلاحقه .. ولم تمض سوى دقائق حتى جاء صديقه عصام ليخبرنا بعد الحاح شديد أنه قد كتب عليه شيك بدون رصيد .. حتى لا يفلت من زواج ابنتها ..

بعدها جلسنا نتسامر للوصول إلى حل .. وطاف بنا الأمر أن تعرض هذه المشكلة على احد المحامين ولكن المحامى أيقن أنها في النهاية ضارة بنا .. وشعرت بان هناك شيئا ما ينغص عليه حياته ، ويقض مضجعه .. لقد قلت له مرة يا أخى إن تفكير الانسان ينضج في معمعة المشاكل ..

ولكن لا انكر أن شعورى كان يتخلله الخوف من المجهول مع الشوق إلى معرفة النهاية .. لقد سكتت الدنيا يومها لتنصت إلى حديثنا .. وبدأ قلبى الصغير ينبض باحساس لم المسه من قبل .. الصفاء تجاوز النقاوة .. ومات الكلام على فمى .. وقطع صديقه عصام مسترسلا : بعد ايام قليلة ستقترن شقيقتها في مدينتنا ..

وجاءت تلك الليلة الموعودة .. فاخبرهم بانه سيسبقهم إلى القاهرة للراحة حتى صباح اليوم التالى ليرجع ايابا إلى بنها حيث عمله هناك .. فذهب إلى القاهرة ودخل الشقة مدعيا الأصابة اثر اصطدامه بدراجة .. وعلى يقينه ان ابنها الأكبر هناك فقال له الابن : ما الذي حدث لك فقال : لقد صدمت بدراجة فجزعت ذراعى فارجوك بان تحضر لى رباطا ضاغطا من الخارج .. فذهب الابن في محاولة لشراء الرباط .. وعندئذ راح أخى يبحث عن الشيك في عدد من الادراج دون جدوى .. بعدها تصور أنها نهاية البداية أو بداية النهاية ولم يعد أمامه سوى درج واحد في الغرفة المقابلة .. فلم يتردد في اقتحامها والبحث عنه وسط سيل من الأوراق المتراكمة .. وفجأة وقع بصره عليه وسط عشرات الجنيهات بل المئات .. خفق قلبه خفقات تكاد ان توقف القلب .. وعلى وجه السرعة غادر البيت ليستقل سيارة حتى مدينتنا . جاء فرحا .. وحين لقينى في انتظاره ارتسمت على شفتيه ابتسامة مشوبة بالفرح والحزن . الفرح لأنه تخلص من المازق . والحزن : لأن ما سرق منه في وضح النهار .. لم يكن متاحا له أن يسترده بغير السرقة في غفلة من الآخرين !

رضا عبد الفتاح الكاشف
ج.م.ع — بور سعيد

الوفـــــاء

قادتني ظروف الحرب الثانية لاختيار قرية في جبال الالب قريبة من البلدة الفرنسية « غرة نوبل » لتمضية اشهر الصيف فيها اتناول طعاما مغذيا افتقر اليه في باريس لفقدان المواد الغذائية آنذاك • والحياة في القرية تسمح لي بادخار بعض المواد الغذائية لنقلها معي عند عودتي •

وهناك وفي وسط القرية فوجئت بنصب تذكاري لكلب • فتساءلت ! ما شان هذا الكلب ؟ هل أنقذ انسانا متدحرجا في هوة وسط الثلوج الكثيفة أثناء قيامه برياضة التزلج ؟ ام له قصة اخرى استحق عليها اقامة هذا التمثال وقادني فضولي حيث عرفت القصة •

عاش الكلب صاحب هذا النصب مع صاحبه فترة طويلة ، وكان هذا الرجل فاقد البصر يذهب صباح كل يوم من قريته الى محطة القطار التي تبعد عن القرية اربعة كيلو مترات ليستقل القطار الى « غرة نوبل » ليعمل في وظيفة تبعد عنه شبح الحاجة• يعود الكلب بعد سفر القطار بمفرده الى منزله • ويعود الرجل مساء فيشعر بوجود الكلب الذي

ينتظره في موعد عودة القطار دون اي تاخير ويحتك به بركبته فيقبض عل مقوده ليذهب به الى منزله في القرية •

بقي الامر كذلك يتكرر كل يوم مدة طويلة الى ان توفى الرجل فبقى الكلب ، عل عادته ، يذهب صباحا الى محطة القطار بمفرده ويعود مساء ينتظر صاحبه ثم يرجع الى المنزل بعد ان يقطع الامل من عودته ، وبعد شهر وجدوا الكلب ميتا عل محطة القطار بعد ان تعب ويئس من انتظار صاحبه •

دكتور جميل محفوظ
سوريا

مبتسما وعابسا

شعر: كمال عمّار

حين يهل الليل كل ليلة ، انتهز انشغال
حارسي الموانىء ٠

في نوبة التغيير ، أنثني من بينهم أطير ٠
وجهي اليك ، يعرف الطريق جيدا ، حتى اذا
دخلت أفقك السحري ٠
أشد في يديك ، في عينيك ٠٠ اتحد
في قسمات وجهك النبيل الدافىء

●●

أركض في شوارع المدينة التي
صاغت طفولتي
من الزجاج والحديد والامواج والزبد ٠
أركض في شوارع المدينة التي ٠٠
أنجبت ابتسامتي ٠
وشيب لمتي ٠
أركض في شوارع المدينة الحزينة المبتسمة
أوقظ كل النائمين الاشقياء الناعمين
يشربون نخب عودتي ٠
في الليلة الطيفية الملثمة ٠

أسترق الجناح لا أزال والطريق معشب
ومجدب وصاخب وهادىء

●●

حين يهل الليل كل ليلة انتهز انشغال
حارسي الموانىء ٠
في نوبة التغيير انثني من بينهم ٠٠ أطير
لكنني حاولت ما فعلت الف مرة ومرة ، لم
أستطع !
في هذ الليلة كنت بين قبضة الحرس
مبتسما وعابسا مقسم البدن
بين الحدود والجنود والحدود والجنود
وعدت مثلما أتيت اسحب ابتسامتي
وحزن خطوتي
مغتربا بلا ثمن
متهما بأنني أهرب الاشواق للوطن
وأنقض العهود والسدود ٠٠ والمبادىء !

عبد الوهاب الأسواني

العلماء العرب في الخارج

- هم يقولون: لا أحد يوفر لهم الجو العلمي الذي يبتكرون فيه!
- بعض هؤلاء العلماء يرون بشدة أن الملفات سخيفة!!
- ليس المطلوب منهم سوى عبارة "مرفوضة لأنها ليست من اختصاصنا"!
- التقرب من رئيس المصلحة يعطى الموظف ميزات لم يكن يحلم بها

كثر الكلام فى الآونة الأخيرة عن هجرة العلماء العرب إلى اوربا وامريكا، سيما وان اكثر هؤلاء العلماء قد نجح هناك وأصبح من المشهورين ..

هم يقولون انهم اضطروا للهجرة لاننا لم نوفر لهم الجو العلمى الذى يمكن أن يبتكروا فيه، وهذا كذب وافتراء، لاننا لم نقصر فى هذه الناحية .. بدليل اننا وفرنا لكل منهم وظيفة محترمة بمجرد تخرجه من الجامعة، وجعلنا له راتباً شهرياً يتقاضاه قبل نهاية الشهر باربعة ايام، واعددنا لكل منهم مكتباً - له خمسة ادراج واربع ارجل! - يجلس أمامه طول النهار .. بل وزودنا هذا المكتب بما لايقل عن سبعين ملفاً لكى تحفظ فيها الأوراق المليئة بالكتابة! .. ولا تخفى عليكم المكانة الاجتماعية التى يرتفع إليها الشخص الذى يجلس امام مكتب فوقه كومة ملفات عليها ختم الحكومة ذاتها!.

بعض هؤلاء العلماء وصل بهم نكران الجميل إلى الحد الذى وصفوا فيه هذه المكاتب بانها تافهه، ونعتوا الملفات بانها سخيفة ولا تضم بين دفتيها إلا كل ما يعطل مصالح الناس، أما عن المرتبات التى يتقاضونها، فانها - كما يقولون - لا تفى بحاجاتهم الضرورية، بينما هم مطالبون بشراء الكتب العلمية والمراجع الهامة واقتناء المعامل، وكلها اشياء مرتفعة الثمن. فضلا عن إنهم - كما يزعمون - فى حاجة أساساً الى البعد عن الارهاق النفسى الذى تسببه لهم الوظائف الحكومية بمشاكلها الصغيرة التى تستنفد طاقاتهم بلا جدوى...

نقول لهؤلاء العلماء، إن هذا الكلام افتراء على نعمة الله، فنحن لم نرهقهم اطلاقا، وكل ما كنا نطلبه من الواحد منهم - فى الفترة التى يقضيها فى مكتبه - ان يفحص حوالي ثلثمائة شكوى من شكاوى المواطنين، ولا يفعل شيئاً بعد هذا الفحص غير ان يكتب مذكرة مطولة عن كل شكوى، ثم يحول الشكوى والمذكرة الى زميله المختص الذى يجلس الى المكتب الملاصق لمكتبه، وهذا بدوره يكتب مذكرة اخرى ويحولها الى جاره، وهكذا .. حتى إذا اخذت الشكوى دورتها كاملة - كما تقضى بذلك قوانين الكون! - ووصلت إلينا - نحن أصحاب المستويات العليا - كتبنا اسفلها بالقلم الاحمر عبارة «مرفوضة لانها ليست من اختصاصنا» ..

ويعلم الله ان كل هدفنا من كتابة هذه الجملة لم يكن الا تخفيف العبء عن كاهل هؤلاء العلماء لكيلا تعود إليهم الشكاوى من جديد فيضطروا الى كتابة مذكرات اخرى ..

وعلى الرغم من كل هذه التسهيلات التى قدمناها لهؤلاء العلماء، فانهم يفضحوننا الان فى الصحف الاجنبية، مما يدل على انهم مثل القطط التى تاكل وتنكر .. فقد صرح احدهم بان عملية الابتكار العلمى تشبه عملية الابداع الفنى .. فى حاجة الى شىء من المرونة من جانب الأجهزة الوظيفية فى العالم العربى .. بمعنى انه كان من الواجب أن يعفى العالم المبتكر من مسالة التوقيع فى دفاتر الحضور والانصراف، لكى يستطيع ان يتفرغ للبحث والابتكار ..

وردنا على هذا الكلام بسيط للغاية .. هو اننا كنا فعلا نعفى بعضهم من التوقيع فى دفاتر الحضور والانصراف .. فما ان نتوسم فى احدهم خفة الظل بحيث يستطيع اضحاك رئيسه فى المصلحة التى يعمل فيها، ويملك المقدرة على إزالة الهم من فوق قلب سعادته، حتى نطلب منه ان يتاخر عن موعده الرسمى بالساعتين والثلاث ساعات ..

حقا إن من نكتشف فيهم ثقل الظل او تجهم الوجه قد نعامله بطريقة تدفعه الى التفكير فى الانتحار ولكن هذه النقطة بالذات تحسب لنا وليست علينا .. فهى تدل على اننا نحاول تطوير سلوكيات المواطنين إلى الأفضل ..

وحتى ثقيل الدم هذا، كنا نتساهل معه، وقد نعفيه من الحضور الى العمل نهائيا، فى حالة ما اذا كان يؤدى خدمات خاصة لرئيسه .. مثل شراء ما يحتاج اليه البيت من لحوم وخضروات، فضلا عن تنظيم المائدة فى حالة وجود ضيوف، ثم رفع الاطباق وغسلها، الى اخر هذه الاشياء التي يوجبها الاحترام ..

بل يمكن القول أن الذى نكتشف فيه انه موهوب فى هذا المجال، كنا نجعل له اجراً اضافيا قد يصل الى اربعة اضعاف مرتبه .. وهذه المسالة الاخيرة بالذات، تدحض الحجة التى تقول أن المرتبات لم تكن تكفى الحاجيات الضرورية لهؤلاء العلماء .. فالعيب - كما ترون - ليس منا بقدر ما هو راجع الى المحرومين من المواهب التى ذكرناها ..

اغرب ما فى الامر أن احد هؤلاء العلماء قال مرة اثناء ظهوره فى احد البرامج التليفزيونية بباريس، انه لا

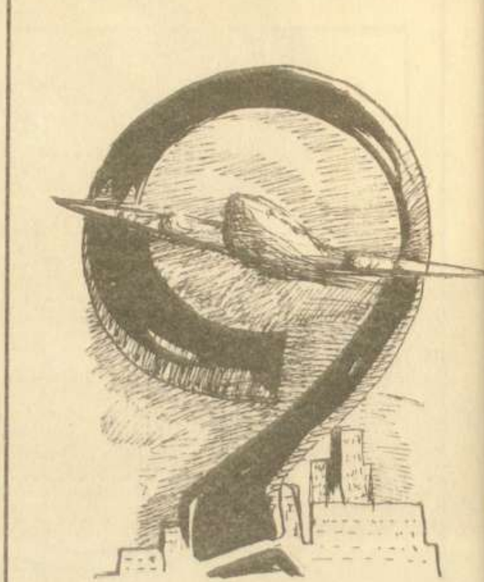

يهمه أن يتقرب من رئيسه فى العمل ، مالم تكن هناك علاقة علمية أو فكرية تربطه به ..

وبصراحة نحن لم نفهم ماذا يقصد صاحبنا بهذا القول .. فهذه أول مرة فى حياتنا نسمع فيها عن حكاية العلاقة العلمية او الفكرية هذه .. فقد درجنا على أن العلاقة بين الموظف ورئيسه ، هى علاقة التابع والمتبوع .وهى علاقة نؤيدها ونشجعها حيث انها نابعة من صميم مجتمعاتنا الشرقية ذات العلاقات الفوقانية !

ثم أن التقرب من رئيس المصلحة ، يعطى الموظف ميزات لم يكن يحلم بها .. بحيث يصبح مرهوب الجانب من زملائه الى الدرجة التى يتولاهم فيها الفزع بمجرد ان يظهر بينهم فجاة ، ومن ثم يضطرون الى قطع احاديثهم والتودد إليه .. بل يمكن ان يكون له من النفوذ الواسع ما يتيح له فصل اى زميل يتجرا على تعكير مزاجه ..

ولا نعتقد أن احد هؤلاء العلماء يمكن أن يصل إلى هذه المرتبة فى اوربا حتى لو اخترع قنبلة تبطل مفعول القنبلة الذرية ..

أما حكاية العلاقة العلمية او الفكرية التى ينادون بها ، فواضح انها من الفكر المستورد الذى يهدف الى تدمير تقاليدنا العريقة ، وتحطيم مقوماتنا القومية ذات المليون سنة من الحضارة .. ومن هنا يتضح أن هؤلاء العلماء لو اقاموا بيننا ، لأفسدوا عقول بقية موظفينا الطيبين الطيعين ، فالحمد لله الذى أراحنا منهم بان (غاروا) الى حيث ألقت !.

مونولوج جماعى

إسماعيل مصطفى تامر

حدث مرة أن وقف عصفور يغرد على غصن شجرة بجانب النهر العظيم فكان أن سالته نقطة ماء حائرة ؟!

ــ كيف تغرد ولماذا ؟ ألست خائفاً ؟!

ــ (بسذاجة) ولماذا أخاف .

ــ لأن الخوف يرتبط بنا من لحظة شعورنا بالحياة .. إذ ان المقابل لحياتك الذي هو « غير انت » الخوف .. الخوف!!

ــ (متضاحكاً) ولماذا تفرض على هذا الموقف ؟

ــ إنها الحقيقة !

ــ كيف عرفت ؟

ــ بحياتي التي عشتها حتي الآن ؟

ــ ومن قال لك إن هذه هي حياتك التي يجب أن تعيش!

ــ افرض أنني معك حسماً لكثرة الكلام .. ولكن كيف أعرف واجبى وحياتي ؟!

ــ باحساسك الأول !

ــ افرض انني لم اصل إليه .

ــ فباحساسك الثاني .

ــ وافرض كذلك انني لم أصل إليه ؟

ــ فباحساسك الثالث .

ــ (بنرفزة) ألا تنتهي لديك الأرقام .. لماذا لا تقول « اي » رقم وتخلص ..

ــ يمكن ذلك .. ولكن على شرط !

ــ (بلهفة) ما هو ؟

ــ (بهدوء) أن تصل إليه بتأن وتعمق .. ولكن عليك أن تصبر لتعب الطريق .. لقد اخترت طريقاً شاقاً مرهقاً لم يكلفك أحد به !

ــ (متشاغلا كمن لا يريد التركيز على الأمر ثم متذكرا) ولكن قل لى .. خلال حواري معك لم تقطع تغريدك لحظة واحدة .. الم تمل بعد من هذا الترداد المحدود للأصوات .. اقصد ألا تشعر بالرتابة على نحو ما ؟!

ــ بالنسبة إليك ، قد ترى في الأمر رتابة .. أما بالنسبة لي .. فهي ايقاع انسجامي وغيابي عن نفسى .. تصور لقد خرجت عن نفسى خلال حواري معك وحضرت إليها من غيابي .. من اجلك .. من أجل خوفك هذا ؟

ــ (بانفعال واستعلاء) ألا تقل لي ما معنى هذا التعالى السخيف وأنت عصفور لا تعدو لقمة في فم .. ماشاني بغيابك وحضورك ؟!

ــ إذا وصلت في غضبك هذا إلى قانون التفاضل .. فانا الآن أفضل منك !

ــ (باستغراب) أفضل مني .. كيف .. هل جئت تبدل القوانين ؟!

ــ لم أُنْهِ كلامي بعد .. قلت لك أنا الآن .. أما أنت (متوقفاً) .

ــ ما هذه « أما أنت » ؟!

ــ عنيت بها .. أنك في لحظة وجودك أفضل منا جميعاً .. بل نحن ذرة تافهة أمام وجودك .

ــ ما هذا التناقض ؟!

ــ ذلك ما يجب أن تدركه وإلى ذلك الوقت فانا أغرد في غير عالمك !

وانطلق العصفور يغرد ، بينما نقطة الماء الحائرة في ذلك النهر العظيم تمضى دون أن تدرك أنها قطعت مسافات خلال حوارها مع ذلك العصفور وعندما اخذت بالتساؤل وبدأ الحوار يكبر .. وجدت نفسها تنزلق في مسقط النهر إلى البحر الهائل الكبير ، وهناك حيث لا رجعة للضفاف القريبة كان عليها أن تبحث عن السؤال الأكبر في عالم لا تصل شاطئه مرتين !!

اسماعيل مصطفى تامر

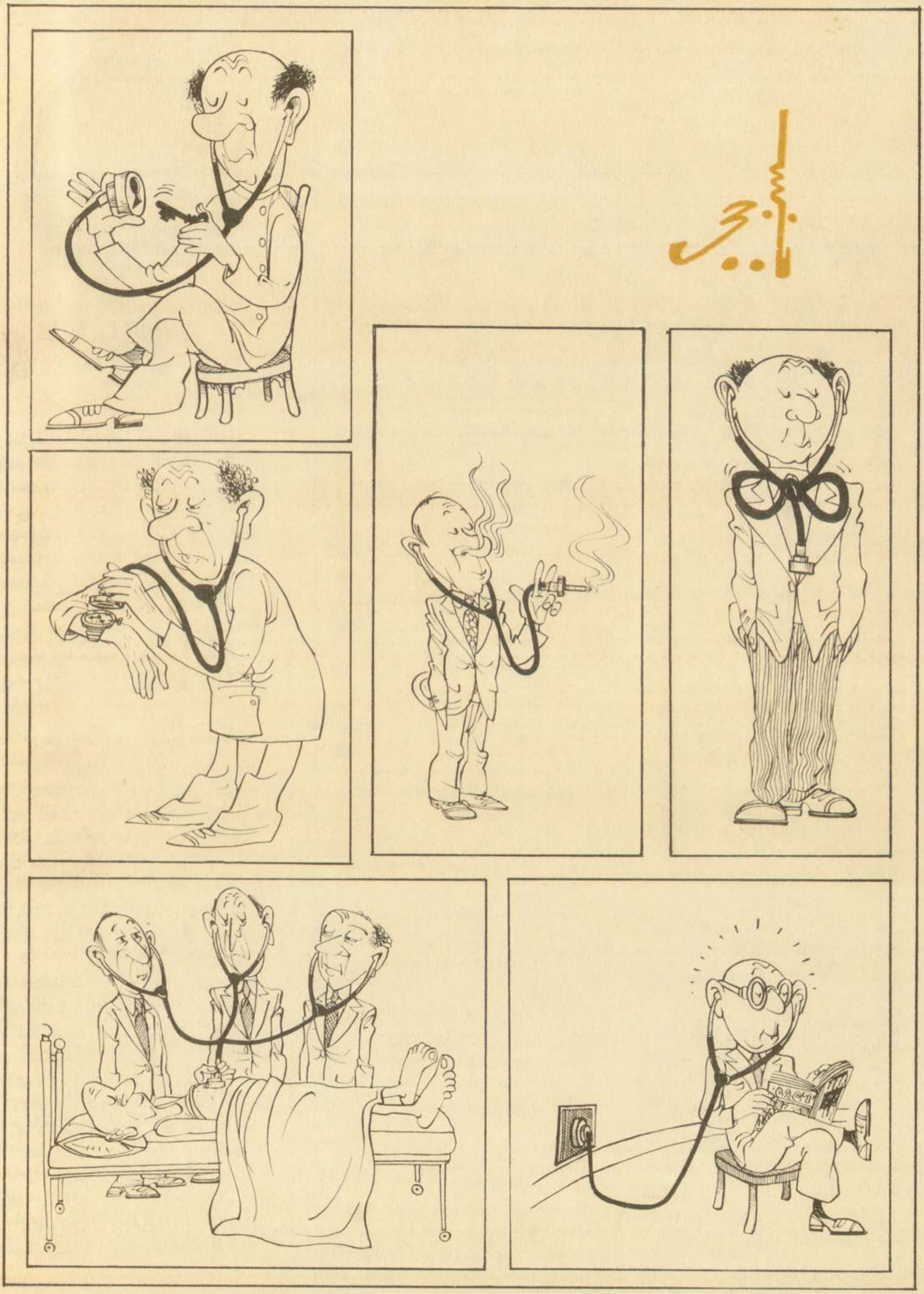
ناجي

تونس

على صهوة حصان الزمن

تحقيق يكتبه : كمال سعد ● عدسة : محمد أبو طالب

غرقت فى مدن تونس حتى النخاع مع حكايات المجد الغابر .. وذكرتنى لمعة اسنة سيوف الحق بهمومى الشخصية التى اكتسبتها من واقعنا العصرى الذى غرقنا فى طوفانه ونحن لا ندرى ماهى جذوره ولا اين الابعاد .. وتمنيت لو عدت الى الوراء لأولد فى عصر فارس عظيم هو عقبة بن نافع الذى صاح فى اباء وشمم وهو يدخل بفرسه فى مياه المحيط الاطلسى : « اللهم اشهد إنى قد بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت فى البلاد اقاتل من كفر بك حتى لا يعبد احد من دونك » ..

لكم هزنى هذا المشهد رغم مضى اكثر من ١٤ قرنا على حدوثه .. ولكم توقفت قليلا عند تفاصيله الشيقة ومعانيه التى لا تنضب .. ولكم انبهرت بتلك الروح العظيمة التى أعطت الجيوش الاسلامية قوة خارقة جعلتها لا تستسلم لعدو ولا تلين امام من يطمعون فى كل شبر من الأرض ..

نهاية قرطاجنة

كنت قد قررت ان ادخل تونس هذه المرة فوق حصان الزمن .. ان ابدا رحلتى إليها بتلك الايام التى حفرت فى اذهاننا اسئلة عديدة لم نجن اثناء البحث عن اجوبتها ، سوى الآسى والترحم على المجد الزائل .

وقطع بى حصان الزمن مئات السنين .. ولم يأخذنى إلى لحظة وصول الجيوش الاسلامية إلى تونس ، قبل ان يقطع بى مشواراً يمهد به لهذا الحدث الهام ..

فقبل الميلاد بثمانمائة وثمانون عاما كانت هناك اميرة فينيقية تسمى « عليسة » تحركت باسطول ضخم من مدينة صور فى لبنان الى شمال افريقيا ونزلت على شاطىء قريب من مدينة تونس الحالية ، واشترت قطعة كبيرة من الارض اسمتها قرطاجنة او الأرض الحديثة ، وكونت للقرية مجلساً من التجار والأعيان ، سرعان ما سيطر على تجارة البحر المتوسط !

تونس

● مات "يوغرطة" البربرى فى السجن عندما أراد مناطحة روما!

منظر عام لتونس العاصمة يبدو فيه شارع بورقيبة

وبدات روما تشعر بالخطر ، فزحفت جيوشها من جنوب ايطاليا لتنتصر على القرطاجنيين فى صقلية .. وشجعهم هذا النصر المحدود للزحف على قرطاجنة ذاتها بجيش كبير بقيادة « روغلوس » دفن بكامله تحت أقدام القرطاجنيين فى عام ٢٥٥ قبل الميلاد !

نشوة الانتصارات

وكعادة الرومان فى تنظيم المدن أصبحت قرطاجنة مقسمة الى ساحل يخضع لحكمهم المباشر أما بقية أرضها فى الوسط والجنوب مع نوميديا فيتولى أمرها أمراء البربر بتوجيه منهم !

ويبرز من بين هؤلاء الامراء « يوغرطه البربرى » نتيجة لاهتمامه بالزراعة وسعيه الحثيث لتعمير البلاد وتقويتها .. وتجعله تلك الشهرة يفكر فى طرد الاجانب باعلان الحرب عليهم ، الا أنه لم

وجه من شمال تونس

يستطع بالطبع مناطحة جيش روما فى اوج مجده ، فاخذوه أسيرا ليبقى فى السجن حتى الموت ، وليضموا ـ عقب هذه التجربة ـ كل أراضى البلاد الى الحكم الرومانى المباشر ، مع الابقاء على مقاطعة نوميديا فى ايدى امراء البربر ، على أن يتم الاشراف عليها عن طريق مندوب من الحكومة الرومانية أو مقيم عام ثقافته رومانية !

وشجع الحكم الرومانى أهالى روما على النزوح إلى المنطقة باعطائهم الارض الزراعية ، التى استخدموا فى اصلاحها وزراعتها اهالى البلاد الاصليين الذين كانوا يعاملون معاملة العبيد الارقاء !

وأدت حركة انشاء المستعمرات الى الاعتناء بالابار والصهاريج والقنوات ، وظهور المدن الجديدة ، وارتفاع تعداد

استنجد الملك المخلوع بأصدقائه فجاءوه بجيوش تملأ عيون الشمس !

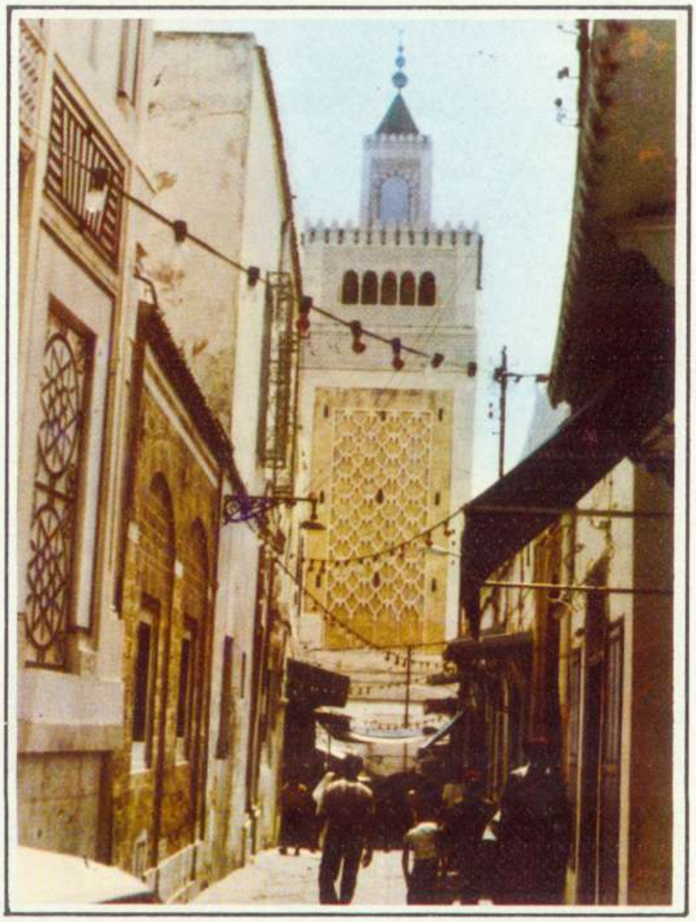

الطريق إلى جامع الزيتونة

الصناعات التقليدية بجوار جامع الزيتونة

السكان إلى ما يقرب النصف مليون نسمة !

وتحت وطأة ظلم السكان الاصليين للبلاد إزدهرت قرطاجنة تحت الحكم الرومانى ، ولم ينقذ الاهالى من هذا الظلم الفادح إلا استنجاد حاكم افريقيا الرومانى « بونيفاس » بجنسريق ملك الوندال الذى كان يحكم اسبانيا ، ووجدها فرصة ذهبية لتجهيز جيش يغزو به شمال أفريقيا ، فزحف الى المنطقة غير عابىء بمن استنجد به ، وهاجم هذا الجيش بونيفاس ـ نفسه ـ الذى ولى هارباً !

وعقب سيطرة الوندال اتجهوا الى روما واستولوا عليها بسهولة ، ولكن نشوة الانتصارات وكثرتها أصابتهم بالغرور وحب الترف وابتلتهم بداء الصراع على السلطة !

وكان من الطبيعى أن يفرز هذا الوضع حاكما غاية فى الضعف هو « هلدريق » لم يستطع جيش الوندال أن يتحمل ضعفه فانزله من الحكم ليضع مكانه « جليمار » الذى كان من نفس أفراد عائلته !

وتتكرر قصة أول سقوطللحكم الرومانى فى قرطاجنة عندما يستنجد ملك الوندال المخلوع باصدقائه البيزنطيين ليساعدوه فى العودة الى العرش ، فيأتونه فى صورة جيوش تملأ عيون الشمس ، ويستولوا على تونس لتظل تحت حكمهم ١٠٨ عاماً ، أى من عام ٥٣٤ ميلادية حتى عام ٦٤٢ ميلادية وطوال تلك الفترة كان أهالى البلاد فى ثورات مستمرة على حكم الروم البيزنطيين الذى فرض الضرائب الباهظة وعمم الظلم والرشوة ، وجعل الانغماس فى الملذات من ضروريات الحياة كأنه الماء والهواء !

ويبدو أن تلك الأحداث ، كانت تمهد لدخول حصان الزمن الى أزهى فترات نضال الأمة العربية .

فارس كالحلم

المشهد بالغ الروعة ..

شمس الاسلام تزحف على شمال افريقيا فتبدد الظلام وتغمره بنور الحق والشمس الزاحفة ممثلة فى ٢٠ ألف مقاتل مسلم يقودهم عبد الله بن سعد بن ابى سرح والى مصر فى عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وهم يستعدون لمواجهة مائة ألف مقاتل يقودهم القائد البيزنطى جرجير !

ويتقدم صفوف المسلمين سبعة فرسان كلهم يحملون نفس الاسم : عبد الله !

● مَن هو ذلك الفارس الذى شق صفوف الأعداء باحثاً عن قائدهم ؟

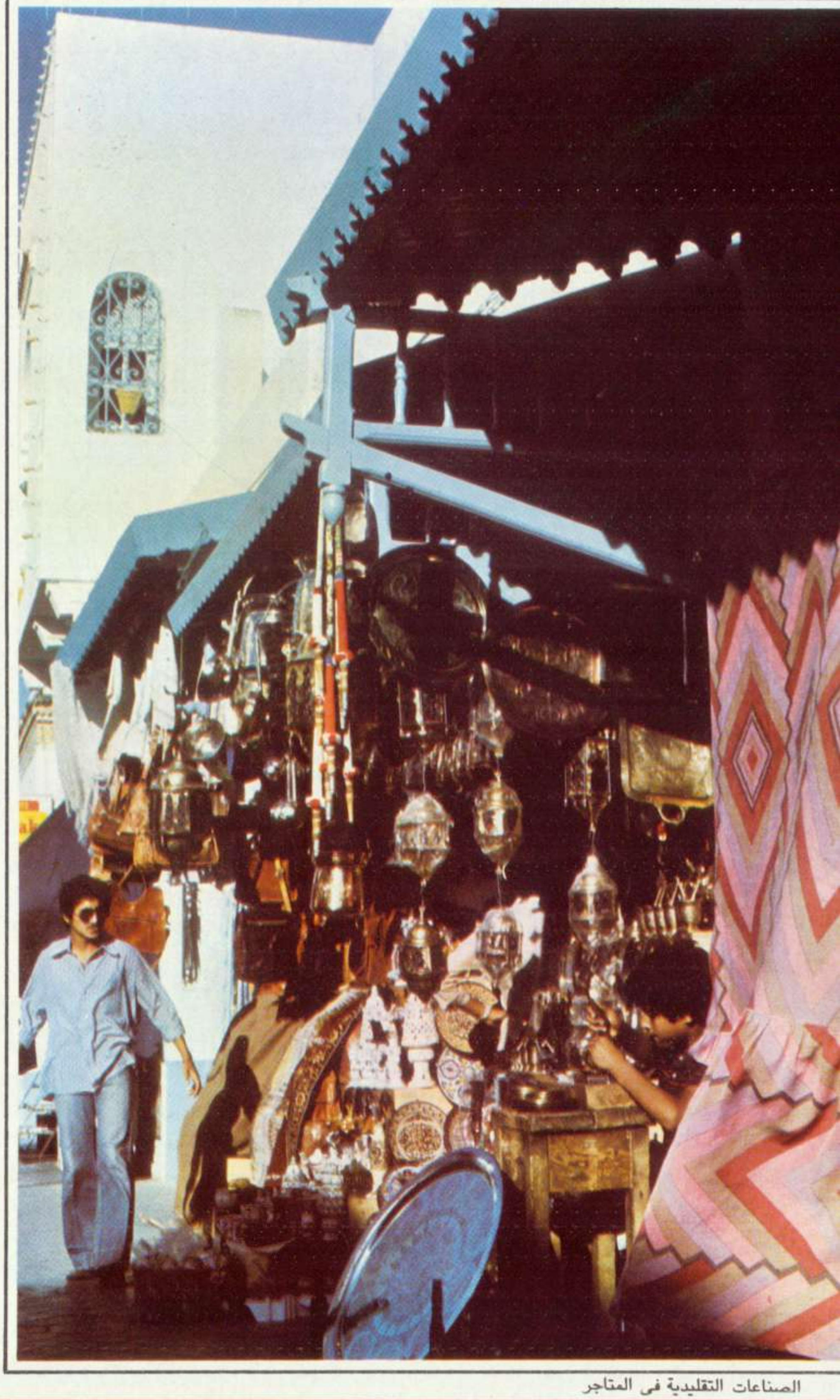

الصناعات التقليدية فى المتاجر

إنهم عبد الله بن سعد ، وعبد الله بن الزبير بن العوام ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب ..

ويلتحم الجيشان على أرض سبيطلة بالقرب من القيروان فى معركة اسميناها معركة العبادلة السبعة !

ويبرز من بين صفوف المسلمين فارس كالحلم يمتطي حصاناً بالغ الرشاقة ويلف رأسه حتى الجبين بعمامة كبيرة بيضاء ، ويقبض على سيف بتار فى يده ، يشق به صفوف الاعداء باحثاً عن قائدهم جرجير ، الذى ما إن وصل إليه حتى ضربه بسيفه ضربة قوية شقت رأسه ، وجعلت المسلمين يكبرون ، واندفع عبد الله بن سعد ليقبل جبين المقاتل الفدائي ، الذى أحدث فوضى هائلة بين صفوف العدو بعد مقتل قائدهم فكان الاختيار الوحيد أمامهم هو تولية الأدبار تاركين خلفهم سبيطلة فى أيدى المسلمين !

وعاد جيش المسلمين الى مصر بعد هذا الانتصار مكتفياً بقبول دفع الجزية التى كانت عبارة عن ٣٠٠ قنطار من الذهب ..

غير أن جيوش المسلمين عادت مرة أخرى فى عام ٤٥ هجرية لمحاربة الروم فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، وكانت بقيادة ثلاثة قواد :

● معاوية الكندى الذى هزمهم فى موقعة الجم

● عبد الملك بن الزبير الذى فتح مدينة سوسة

● عبد الملك بن مروان الذى فتح جلولا قرب القيروان وهى الواقعة التى استشهد فيها الصحابى أبو زمعة عبيد الله البلوى الذى مازال قبره فى مدينة القيروان .. وقد اتجه عبد الملك بن مروان أيضاً إلى بنزرت فدخلها بجيوشه

معارك عقبة

وتتوالى الاحداث او المشاهد عقب ذلك

● نفض عقبة بن نافع تراب المعارك العديدة ليجد في انتظاره مؤامرة!

● قصة القائد الذى استرجع مدينة القيروان واستشهد على سواحل برقة !

الأيدى مخضبة بالحناء

لوازم العرس التقليدية

الأبناء يرثون سر المهنة

معاوية الكندى يعود الى مصر ليحل محله عقبة بن نافع الفهرى ، فيخطط بمجرد وصوله لمدينة القيروان ويشيد بها مسجدا

وبعد خمس سنوات من وصوله للمدينة يتركها هو الآخر ليحل محله دينار أبو المهاجر .. ثم يعود فى عهد يزيد بن معاوية فى مهمة أكبر هى فتح شمال افريقيا ، ويصر على الاستمرار فى مهمته إلى أن يصل إلى المحيط الاطلسى ، وينفض تراب المعارك العديدة من على كاهله بعد أن حقق كل ما أراد ، وينظر حوله ليحص عدد الجنود الذين تبقوا له بعد تلك المعارك فيجد أنهم لا يتجاوزون الثلاثمائة مقاتل ، فيعود مع جيشه الصغير وأفكاره بعيدة كل البعد عن الدسيسة التى دبرها ضده زعيم البربر « كسيلة » وصدقها الذين التفوا حوله ، ليقاتل هو وجنوده حتى آخر رمق من حياتهم وليدفنوا جميعاً فى منطقة الزاب بالقرب من قسطنطينة !

ولكن هل يضيع دم عقبة بن نافع هكذا وببساطة ؟ !

بالطبع لا .. فهاهو عبد الملك بن مروان يستقبل الخبر فى غضب شديد ، ويدعو عامله على طرابلس « زهير بن قيس البلوى » مطالبا إياه بضرورة استرجاع المدينة ، ويسترجع فعلا مدينة القيروان ، ويقتل « كسيلة » الذى خان الأمانة ، ويعود بعد الثار لتهاجمه

تونس

● كيف انتشرت الثقافة الإسلامية بين جميع أبناء قبائل البربر ؟

جيوش الروم ويقاتلها حتى الاستشهاد على سواحل برقة !

ويعود عبد الملك بن مروان إلى غضبه من جديد .. ووقتها كانت ثورته اشد .. فجهز جيشاً كبيرا وضع على راسه حسان بن النعمان الغسانى فى عام ٧٧ هجرية ، وطالبه بان يضع نهاية لكل تلك الحروب بتحقيق نصر شامل ، وتحرك الجيش ليدك قرطاجنة تماما كقاعدة اساسية للروم وليواجه البربر فى جبال الاوراس ، فتهزمه فى البداية أميرتهم « دهيا تابتت » فيعود إليها باستعداد أكبر ليهزم قواتها تماما ، ولترفرف راية الاسلام فى أفريقيا ، ولتستمر بعد ذلك جيوش المسلمين فى توطيد هذه الراية ، فنرى موسى بن نصير بعد أن ترك مكانه فى أفريقيا إبنه عبد الله !

وادت هذه الفتوحات إلى تثبيت فتوحات الاسلام فى تونس والاراضى الافريقية ، وانتشرت الثقافة الاسلامية بين جميع ابناء قبائل البربر الذين أصبحوا من أكثر المدافعين عن العروبة والاسلام .. وحتى ابناء أميرة البربر « داهيا تابتت » أصبحوا من ضمن قواد الجيوش الاسلامية المكبرين باسم الله فى كل معركة يخوضونها !

القباب فى مدينة الحمامات

شاعر كالعاصفة

ويعبر بى حصان الزمن السنين والاحداث ، مرور ابو الى افريقيا عبد الله بن الحبحاب الذى بنى جامع الزيتونه فى عام ١١٦ هجرية الى دولة الاغالبة التى استقلت فى عهدها افريقيا واصبحت مرتبطة بالخلافة العباسية ، إلى الدولة العبيدية الفاطمية التى اسسها عبيد الله المهدى بعد أن انقذ من سجنه فى المغرب ، الى الدولة الموحدية التى استطاع مؤسسها عبد المؤمن بن على الكومى أن يوحد المغرب الاقصى والاوسط قبل وفاته فى عام ٥٥٨ هجرية ، الى الدولة الحفصية التى شقت جهود توحيد البلاد فى عهد الدولة الموحدية والتى ظل حكامها فى صراعات أدت الى تعاون احدهم وهو الحسن بن أبى عبد الله

الأسواق فى مدينة نابل

اعتمدوا على التراث القديم من أجل التمسك بالشخصية العربية

ارتفع صوت شاعرهم العظيم أبو القاسم الشابي ليوقظ يأس الراقدين !

مع الأسبان فدخلوا تونس ونهبوها واستباحوا كل شيء فيها ، ولم ينته دور هذه الدولة إلا بدخول تونس تحت حكم الدولة العثمانية !

وتاتى حرب عام ١٨٧٠ وتخرج منها فرنسا مهزومة أمام المانيا ، إلا أنها ترغم الباى صادق على توقيع معاهدة باردو فى ١٢ مارس عام ١٨٨١ التى احتلت على أثرها البلاد التونسية ، وتظل مقاومة الاستعمار فى صور عديده من بينها الاصرار على إنشاء المدارس العربية والمقاومة الوطنية بما فيها الكفاح السياسى الذى أدى الى الاستقلال فى عام ١٩٥٦ ، والى خروج آخر جندى فرنسى من قلعة بنزرت فى ١٥ أكتوبر عام ١٩٦١ ، وبداية مرحلة من الاصلاح الداخلى ..

وخلال معركة الاستقلال يعود بى حصان الزمن مرة اخرى إلى اللحظة التى واجه فيها ابناء تونس روح التحدى فى سبيل استعادة الكرامة وتمسكوا بالحياة العربية والشخصية العربية معتمدين على التراث القديم .. ووقف بى أمام شخصيتين :البشير صفر الذى كان من بين الذين ايقظوا القومية العربية فى نفوس ابناء تونس وعملوا على إحياء نهضة فكرية متحررة .. والشاعر العظيم ابو القاسم الشابى الذى رأى بلاده وكأنها مزرعة زيتون وفواكه ورأى المستعمر وهو يعتبر تونس وطنا له ويسهل خروج ابنائها من الجنسية التونسية ، فارتفع صوته فى قوة ليوقظ يأس الراقدين :

ليت لى قوة العواصف يا
شعبى فالقى إليك ثورة نفسى
إننى ذاهب إلى الغاب علي
فى صميم الغابات أدفن بؤسى
ثم انساك ما استطعت فما
انت باهل لخمرتى ولكأسى
سوف اتلو على الطيور أنا
شيدى وافضى لها باشواق نفسى
فهى تدرى معنى الحياة وتدرى
ان مجد النفوس يقظة حسى

وتبلغ ثورة شاعرنا فى وجه المستعمر عندما يخاطبه باقوى الكلمات :

رويدك لايخدعنك الربيع

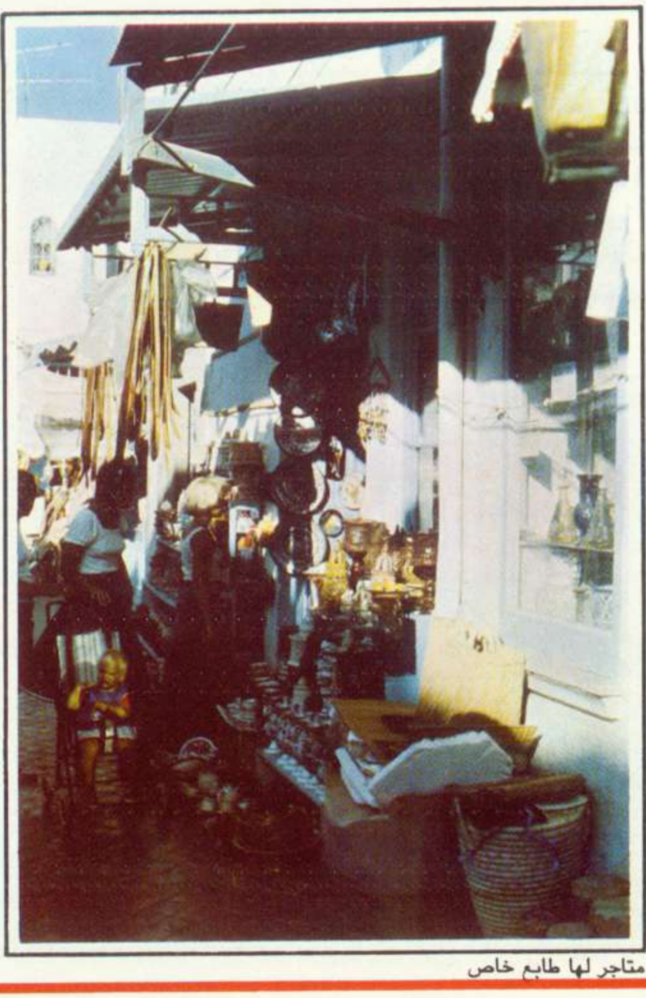

متاجر لها طابع خاص

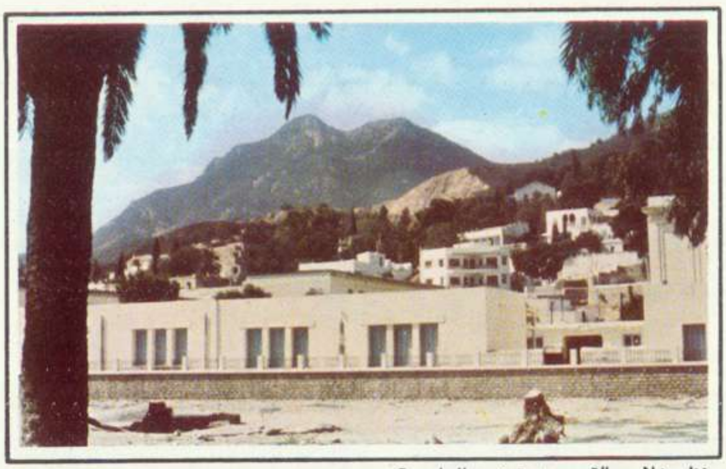

منظر خلاب بالقرب من تونس العاصمة

شاطىء المرسى من أجمل شواطىء تونس

تونس

● ماذا عن فن المسرح والإنتاج السينمائى والفنون الشعبية فى تونس؟

وصحو الفضاء وضوء الصباح
ففى الافق الرحب هول الظلام
وقصف الرعود وعصف الرياح
ولا تهزان جنوح الضعيف

فمن يبذر الشوك يجن الجراح
تامل هنالك إنى صعدت
رؤوس الورى وزهور الامل
ورويت بالدم قلب التراب
واشربته الدمع حتى ثمل
سيجرفك السيل سيل دماء
وياكلك العاصف المشتعل

ويظل شاعرنا الشابى فى أناشيده ، مرة يحاول تحريك السكون ، ومرة اخرى يداعب الامل ، واحياناً ترى فى كلماته الحب والثورة ، وايضاً مناجاة الوطن بقلب مشتاق لم يحتمل النبض سوى ٢٥ عاماً ، فودع الحياة تاركا خلفه زوجة عاصرت سنوات الاستقلال والاصلاح وما زالت تعيش فى مدينة بنزرت ، وولدين أكبرهما محمد صادق الضابط فى سلاح المشاة وجلال المهندس !

احياء التراث

ويطوف بى حصان الزمن فى تونس أو البلد التى اصبحت تنتمى إلى حوض الحضارات وإلى اخصب المناطق فناً وتقاليدا .. وأرى كيف انطلقوا لانقاذ الشخصية القومية التى حاول الاستعمار طمسها ، وكيف جمعوا كل مظاهر الثقافة

البيت العربى من الداخل

الشعبية بما فيها من فنون واساطير واشعار ورقص وعادات ، فالشعب التونسى لديه نزعة قوية لاحياء التراث العربى ممثلة فى الأعمال التشكيلية وفى النصوص المسرحية وحتى فى الاقتباس من الطراز العربى الاسلامى فى المبانى الحديثة ..

وأسهر مع الفرقة القومية بما تقدمه من لوحات تظهر أزياء المدن التونسية والأغانى العتيقة ذات الاصل الاندلسى والرقص الجماعى وتعبيرات المرح المليئة بالفتوة والسعادة وحياة الصحراء وتقلباتها وفرحة الحياة !

ويبادرنى انسان بسيط بقوله مزهوا : هل تعرف أن ابن خلدون صاحب المقدمة الفلسفية الشهيرة تونسى المولد ؟ ..واقول له أعرف ذلك ، وأعرف أيضاً أن بشير صفر أسس مدرسة الخلدونية عام ١٨٩٦ لاحياء ذكرى المؤرخ العربى الكبير ..

وأسال عن شاعرات تونس فلا اجد من بينهن غير فاطمة الدريدى ، فرصيد الشاعرات قليل ، واسمع بعض أبياتها التى تقول « لأن » الكتابة بالنور لثمة .. وحرفى عنيد يسابق نجمه .. وقلبى حكايات يحن حزين .. يمن اشتياقاً لأصداء نغمة » وهذه الابيات بالطبع لا تعطى عنها فكرة كاملة !

وما ينطبق على شاعرات تونس ينطبق ايضا على الشعراء ، فلم نعد نسمع عن شعراء موهوبين فى نفس مستوى أبو القاسم الشابى وعبد الرزاق كرباكة وسعيد ابو بكر والطاهر الحداد ، فقد كان هؤلاء الشعراء ثورة على الظلم وتعفن الاوضاع الموروثة والتواكل والتخاذل والجبن ، وكانوا دائماً يدعون الى التحرر من الاستعمار وإلى حرية التعبير !

والادهى من هذا إننى صادفت كتاباً فى تونس مازالوا يلجاون الى التعبير باللغة الفرنسية لاعتقادهم بان من يكتب باللغة العربية لاتظفر آراؤه بالرواج المنتظر لها فى العالم !

مهرجان قرطاج

وقد رايت فى تونس مكتبات قديمة تضم

التصوير الشعبى للبطولات الاسلامية

الرقص الشعبى

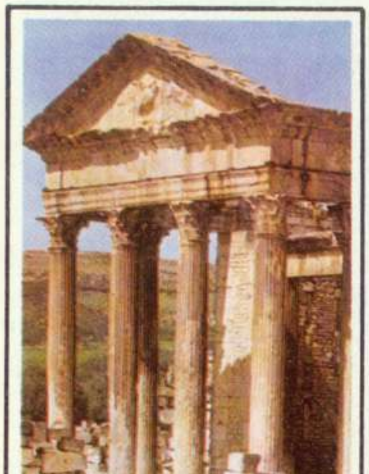

معبد رومانى قديم

هل ماحدث كان مواكباً لأحلام المجتمع التونسى فى الحياة ؟

كتب نادرة فى التراث ومخطوطات هامة تحتاج الى تحقيق واعادة نشر ..

وجذبتنى الصناعات اليدوية التقليدية بما تستخدمه من خامات محلية وبما تتميز به من زخارف اسلامية والوان براقة ..

ووصلت الى الجامعة التونسية التى مضى على انشائها عشرون عاما لاجد داخلها شباباً يفيض بالحركة والحيوية والتفاعل مع المجتمع ..وتذكرنى جامعة تونس بالعام المنصرم الذى احتفلت فيه الكلية الزيتونية للشريعة واصول الدين بذكرى تاسيس جامع الزيتونة وقدمت فى المناسبة دراسات حول الاشعاع الثقافى والعلمى للجامع الأعظم عبر العصور التى تجاوزت ١٢ قرناً !

ولكن ماذا عن المسرح ؟ ..

رايته بكثافة فى المحافظات ، وعرفت أن الفرق الفنية تركز اليوم على اللغة العربية الفصحى وتعالج مشكلات عديدة أهمها مشكلة الهجرة إلى اوربا ومشكلة نزوح أهل الريف الى المدينة

والمسرح التونسى كما نعرف قد بدأ فى العشرينات ، وإن كان النص المسرحى التونسى قد عرف منذ ١٥٠ عاماً ، وقد اعتمد فى بدايته على الخطابة لاتصاله بالحركات الوطنية ، وفى عهد الاستقلال جاء الفنان زكى طليمات من القاهرة وبدأ عدة محاولات لتكوين فرقة مسرحية متماسكة ، وقد

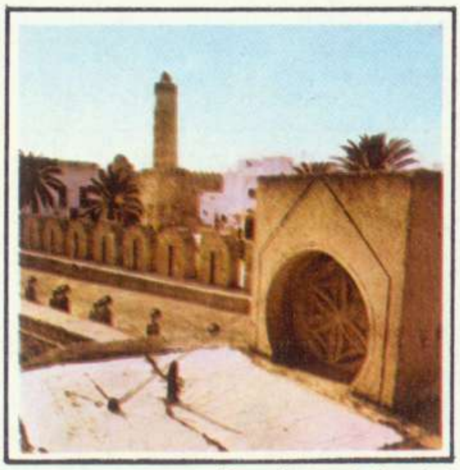
الجامع الأعظم بمدينة سوسة

تأسست فى عام ١٩٥٤ فرقة مدينة تونس على يد الفنان على بن عياد ويديرها اليوم الفنان المنصف السويسى

أما الانتاج السينمائى فى تونس فهو قليل ، وفى هذا العام تنعقد الدورة الثامنة لأيام قرطاج السينمائية وهى التى تهدف الى النهوض بالسينما العربية والافريقية وتعمل على تشجيع روح التنافس من اجل البحث عن وسائل تعبير سينمائية جديدة ..

أحلام المجتمع

واثناء جولتى على صهوة حصان الزمن ارى فى انحاء البلاد مراجعة شاملة تهدف للبحث عن إجابات لأسئلة تطرح : هل كان ماحدث مواكباً لأحلام المجتمع التونسى ؟ .. وما هو وضع تونس من الناحية الاقتصادية والجغرافية والسياسية ، وماهى مكانتها وما ينبغى أن تكون عليه هذه المكانة ضمن المحيط الذى تدور فيه ؟.. وهل فى امكانية تونس مايسمح لها بأن تستمر على هذا النسق السريع وخاصة فيما يتعلق بمجموعة التحولات الاجتماعية وفى مقدمتها ما ينفق على التعليم ؟

كل تلك الاسئلة وغيرها تبحث عن اجابات لمستقبل البلد الذى وصل فى مجال التنمية ـ حسب تقرير البنك الدولى ـ إلى المرتبة الخامسة بين بلدان العالم الثلث ، والذى ينصرف اهتمامه الحالى الى وضع حد لازدياد الاستهلاك ، والذى يشجع العمل الزراعى باعتباره العمود الفقرى للاقتصاد ، فهو ينطلق من منطلق يقول انه لا يمكن تحقيق تقدم مطرد فى الصناعة او فى قطاع الخدمات مالم نحقق لانفسنا حدا ادنى من الاستقلال الذاتى من حيث الغذاء !

ولا تتوقف رحلتى مع حصان الزمن فى تونس ، فانا عاشق لقبابها المستديرة ومآذنها وأسواقها القديمة المتعرجة المسقوفة وقلاعها وحماماتها ومساجدها وبساتينها وسواحلها الممتدة لحوالى ١٢٥٠ كيلو مترا وسهولها الخضراء التى التى لاترويها أنهار ولكن تنساب إليها المياه من الهضاب المرتفعة ..

عاشق لكل مافيها من قديم موغل فى القدم .. ولكل ما يتمتع به سكانها من طيبة وبشاشة وجه وصراحة تجعلهم عندما يصفون اى انسان بالفساد يقولون عنه انه يشبه طير الدورى ، وهو الطير الصحراوى الذى يفسد المزارع ويعبث بها فى قسوة بالغة !

عاشق لابنها البار أبو القاسم الشابى الذى قال يوماً :

الا ايها الظالم المستبد
حبيب الظلام عدو الحياة
سيجرفك السّيل سيل الدماء
ويأكلك العاصف المستقل

كمال سعد

كرنفالات سياحية فى الحمامات

صلاح خليفة

القيروان
مدينة العلماء والوثائق النادرة

القيروان هي فاتحة التراث الاسلامي باعتبارها العاصمة الأولى ، وقد جعل ذلك منها أحد المواقع البارزة في تاريخ هذا الوطن الى وقتنا الحاضر ، وخاصة في أشكال مبانيها وطرز العمران فيها ، وأيضا الحياة الفكرية التي عرفتها عبر القرون وهي عاصمة بعيدة عن مركز الحكم.

ولذا فان تلك الحقائق وغيرها جعلت هذه المدينة تتميز بتراث لا مثيل له بين المدن التونسية ، وقد أثرى هذا التراث هؤلاء العلماء الذين تركوا خلفهم مصنفات ودواوين نادرة !

وثائق نادرة

ومدينة القيروان تذكرنا بابن رشيق ابو على الحسن القيرواني (٣٩٠ – ٤٥٦ هـ) الذى ولد فى المسيلة وتعلم فيها ورحل إلى القيروان وعاش فيها اكثر عمره وغادرها الى احدى مدن صقلية حيثتوفى هناك ، وقد اشتهر بكتابه « العمدة فى صناعة الشعر ووصفه » وله كتب اهمها « انموذج الزمان فى شعراء القيروان » و « قراضنة الذهب فى نقد العرب » ..

وهى من المدن البعيدة عن سواحل البحر ، ولعل اختيارها كعاصمة للملك فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، يرجع لهذا السبب الذى كان يجعلها بعيدة عن غارات الاعداء ..

واذا كانت مدينة القيروان تقع في وسط الجمهورية التونسية ، وتتصل بشبكة مواصلات تربطها بتونس كلها. فهي تمتد فوق سهل منبسط من الارض تحيط به مجاري بعض السيول ، التي استطاعوا التحكم فيها أخيرا بانشاء بعض السدود !

وطبيعة هذه المدينة الاسلامية أنها قارية ، تمر بها بعض الفترات الحارة في الصيف والباردة في الشتاء وهي منطقة زراعية هامة بشكل انعكس على اقتصاديات المدينة بعد أن عرفت فترة طويلة من الخمود !

في المدينة كميات ضخمة من المصاحف المكتوبة بماء الذهب على الرق !

عمارة القيروان لا شبيه لها في العالم الإسلامي وهي من الوثائق النادرة!

أما لو تحدثنا عن قيمة المدينة التاريخية فسيطول في ذلك الحديث، فمعالم المدينة كثيرة ولو أحصيناها لتجاوزت المائة أثر ..

والقيمة الوثائقية لهذه المعالم بالغة الاهمية ، اذ توجد في مدينة القيروان أقدم وأكبر مجموعة من المخطوطات المكتوبة على الرق والتي عرفت في العالم الاسلامي كله ، وهي توزن بالاطنان ، وتم نقل أكثرها الى دار الكتب الوطنية بتونس ، بانتظار استعادتها لتكون موضع حفظ في مركز الدراسات الاسلامية برقاده .

وفي هذه المجموعة كمية ضخمة من المصاحف الجميلة جدا التي كتبت على الرق الازرق والرق الابيض الناصع البياض ، وبأحبار مختلفة بما فيها الذهب ، ثم توجد أكبر مجموعة قديمة لمخطوطات كبار قضاء المالكية المعروفين . فنحن نعرف أن المذهب المالكي ولد في المدينة لكنه نضج وأخذ منزلته بين يدي علماء القيروان ، ويكفي أن تعلم أن المدونه التي تجمع فقه مالك بن أنس هي من رواية سحنون بن سعيد القيرواني .. وكتب المذهب المالكي القديمة الاصلية من عهد عبد الله بن أبي زيد وسحنون بن سعيد وعيسى بن مسكين وغيره توجد بخطوط أصحابها على نسخ من الرق في القيروان !

البرك المائية

وقد اتبع المسئولون خطة جديدة في صيانة مدينة القيروان ، فبدلا من صيانة معالمها اتجهوا الى صيانة موقع طبيعي كامل بكل ما احتوى عليه من الازقة والمسالك والانماط المعمارية، وبدل أن تحافظ قوانين الاثار على المعلم فقط أصبحوا يحافظون على كل ما هو داخل المدينة حتى يبقى متجانسا ولا تطغى عليه أساليب التغيير التي نستعملها الان في الابنية الحديثة ، فالمدينة لها متسعات خارج المنطقة التاريخية وليفعلوا بها ما شاءوا ، لكن الموقع التاريخي يجب أن يظل محافظا على مدينة القيروان التاريخية ..

وتقوم وزارة الشئون الثقافية بجهد واضح في صيانة هذه المعالم والانفاق عليها .. لكن أصبحت المعالم من الكثرة والاهمية بحيث أن الوزارة استحدثت مشروعا لتحسين العالم الاسلامي العربي بأهمية هذه المدينة فوقع احتضان هذا المشروع من طرف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وأطلق نداء لصيانة مدينة القيروان ، ووجه هذا النداء الى العالم العربي والاسلامي ليسهم بامكانياته وخبراته ووسائله في مساعدة مدينة القيروان على البقاء والصيانة .

البسملة المنقوشة على خزانة المصاحف فى جامع يوسف داى

جامع عقبة تتجلى فية الحجارة الصافية

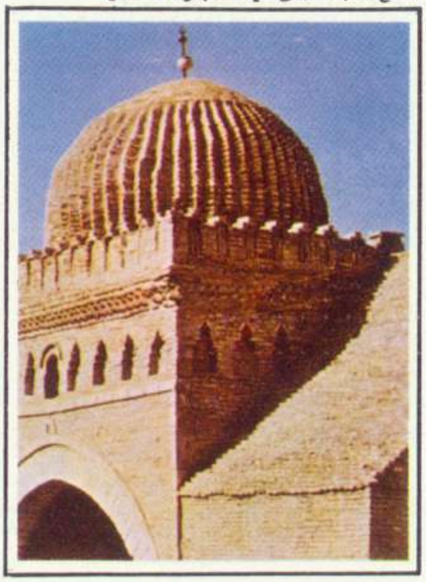

مسجد القيروان

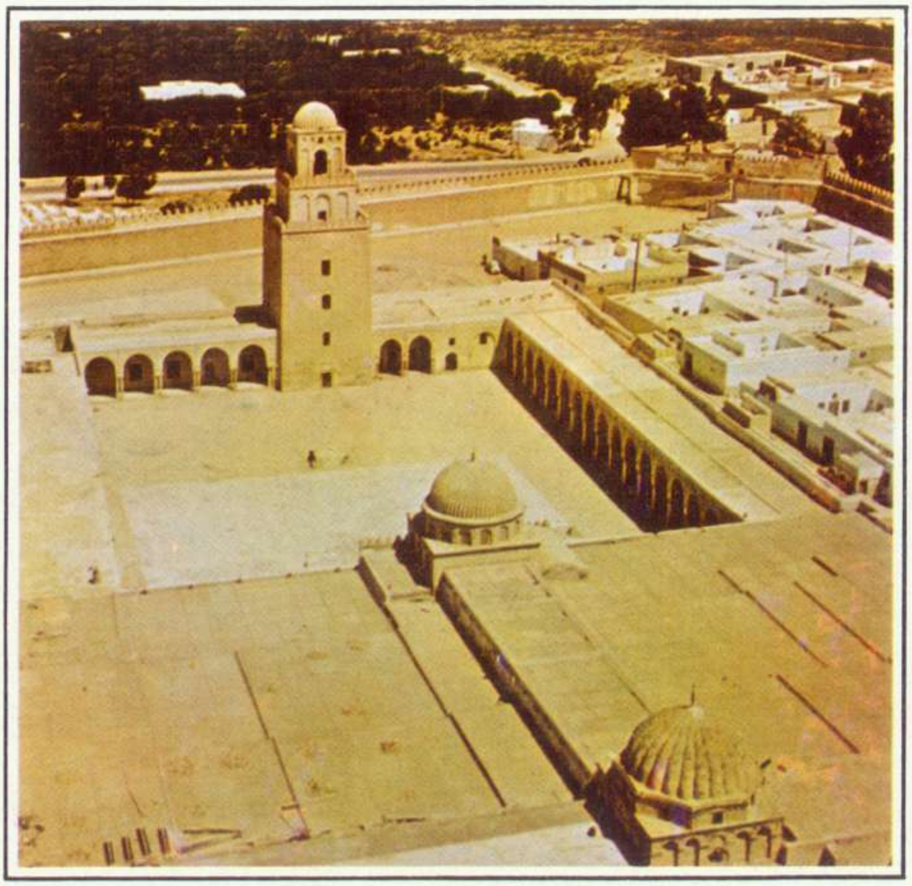

جامع القيروان

أما عن ميزة عمارة القيروان ، فقد وجد بها أربعة أو خمسة معالم تعد من الوثائق الوحيدة من نوعها التي لا يوجد لها شبيه في العالم الاسلامي ‥ وتحتوي المدينة أيضا على الاساس الذي يغطي سقوفها وجدرانها في تلك الفترة ‥

وهذا الامر ليس امتيازا لمدينة القيروان فحسب بقدر ما هو وثائق عن الحضارة الاسلامية عامة في ذلك الوقت ‥ مثلا اذا أخذنا جامع عقبة ابن نافع ودخلنا اليه وقارناه بالمساجد الاسلامية الكبرى التي كانت معروفة في ذلك الوقت مثل جامع أحمد بن طولون في مصر أو الجامع الاموي في دمشق ، ولو أنه يوجد قبله ، وكذلك جامع أبي دلف في سامراء وجامع بغداد ، فبعض هذه الجوامع اندثر تماما كما حدث بالنسبة لجامع بغداد ، والمساجد الاخرى جردت من كل المحتويات التي تمت الى العصر العباسي ‥ فجامع ابن طولون سقوفه جددت في عصر السلطان لاشين ، والجامع الاموي احترق عدة مرات آخرها في القرن التاسع عشر ، وجامع سامراء ليس له سقوف وليس به محتوى ‥ أما جامع القيروان فما زال يحتفظ بالسقوف الملونة المنحوتة التي صنعت في القرن الثالث الهجري ‥ أما عن المنبر فلا توجد منابر قديمة في الجوامع الاسلامية القديمة ، أما جامع القيروان ففيه المنبر الذي صنعه ابراهيم أحمد بن الاغلب سنة ٢٤٨هـ اذن فهو أقدم منبر فريد من نوعه في العالم الاسلامي ووثيقة عن عصره ‥

الاسوار القديمة

ولان العصر الاسلامي كما عرفته كل البلاد الاسلامية عصر يتميز بنوعية التراث المتبقي منه فان مظاهر العمران المدني تكون عرضة للتلف لانها تفتقد المؤسسات التي تستطيع ضمان بقائها ، وذلك عكس المؤسسات الدينية التي لها وازع ودوافع داخل الانسان للعناية به فقد حفظت معالم ممتازة جدا وكبيرة مثل جامع القيروان الذي لا يجهله أحد وأيضا الكثير من الاسوار القديمة التي ترجع للقرن الثالث .

وبالمناسبة فان تونس تشتمل على مجموعة من آثار الاسلام التي ترجع الى الفترة التي توازي الفترة العباسية في القرن الثالث على وجه التحديد في الشرق وفي الوقت التي ضاعت أمثال هذه المعالم في الشرق نفسه .

فقد حافظوا على أغلب التراث الثابت المبني بمواد ثابتة وصحيحة حيث يحترم الانسان هذا التراث ‥ وظل هذا الاحترام تقليدا الى اليوم واذا ما استعرضنا القوانين البلدية

والقوانين التي يشرف عليها ويوجهها المعهد القومي للاثار لوجدنا أنها تراعي في الدرجة الاولى المعايشة والاحياء بين الماضي والحاضر !

وهكذا نرى أن تونس زاخرة بالاثار العريقة ، وان على رأس هذه الاثار مدينة القيروان ذات التاريخ الاسلامي العريق والتي يأتيها السواح من كل مكان ‥

صلاح خليفة

مدينة خليل الرحمن بها رفات الانبياء : ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف ولوط ويونس .

الخليل مدينة الأنبياء

نبيل خالد الآغا

عندما دعاني هاتف الشوق لزيارة الخليل لم أتردد برهة في تلبية هذه الدعوة التي تمت بعد ظهيرة يوم رمضاني مبارك .

كانت خان يونس هي نقطة انطلاقي الى مدينة خليل الرحمن ، العريقة في عروبتها واسلامها ، المعطرة بأريج النبوة الكريمة ، الحاضنة لقبور الكثير من الانبياء والصحابة والتابعين والشهداء .

لقد تباركت ذرات التراب الفلسطيني في الخليل فضمت بكل الحنو والتحنان رفات أنبياء الحق : ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف ولوط ويونس ، فاستحقت بجدارة لقب مدينة الانبياء ، اضافة الى لقبها الاول مدينة خليل الرحمن . قال تعالى : « واتخذ الله ابراهيم خليلا » .

وقد ورد ذكر أبينا ابراهيم سبعاً وعشرين مرة في القرآن الكريم .

وقد ورد في الانس الجليل أن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم قال :

« من لم تمكنه زيارتي فليزر قبر أبي ابراهيم » .

لقد عشت مع الخليل كما المرء يعيش مع جزء غال من وطنه ، قرأت تاريخها ، وعشت بوجداني امتداد هذا التاريخ ، وعاشرت العديد من

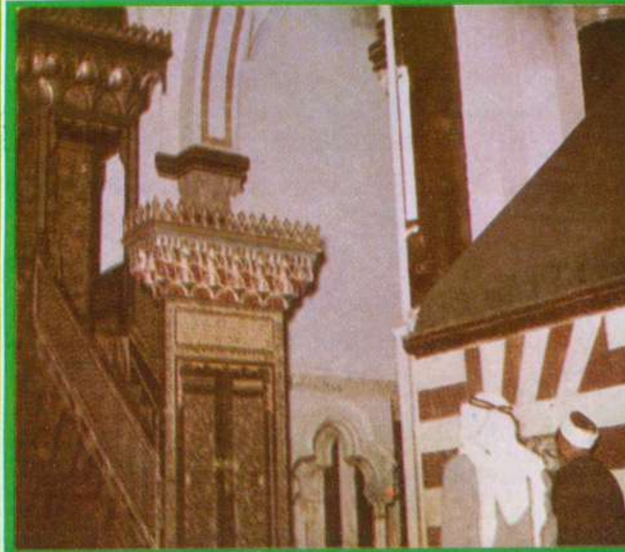

منبر الحرم الابراهيمي ويعود تاريخه الى أيام الدولة الفاطمية

الترحيب بالقادمين الى الخليل

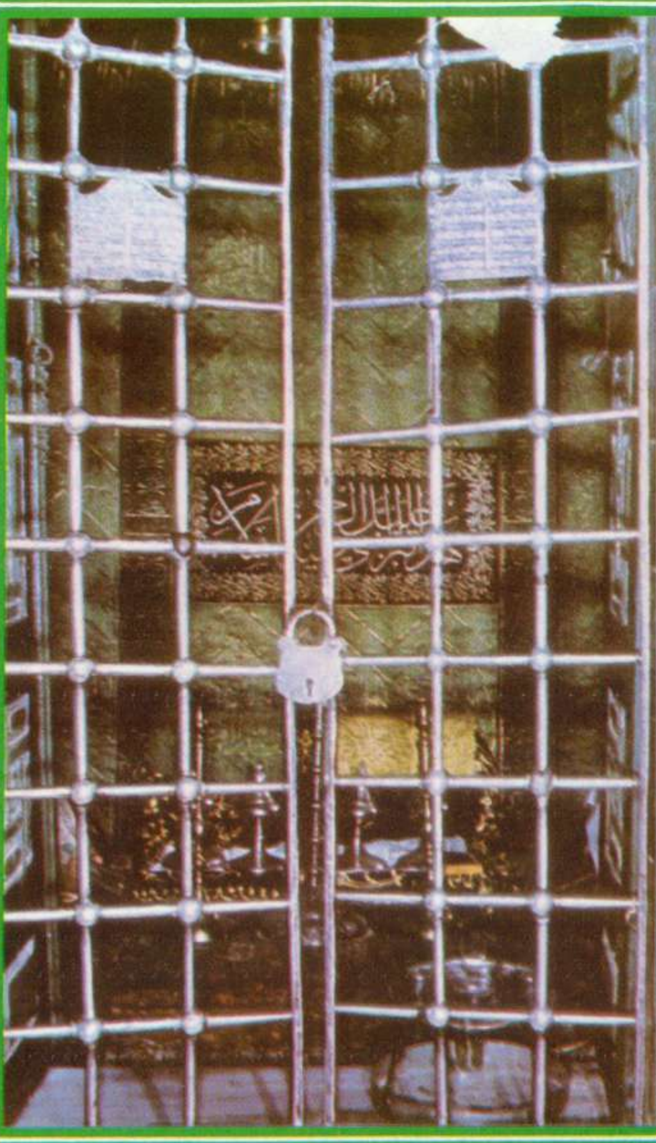

قبر سيدنا ابراهيم الخليل

- قبل حوالى أربعة آلاف عام نزل الكنعانيون العرب ديار الخليل
- لم يستقر إبراهيم طويلا بفلسطين.. فارتحل إلى مصر ومنها إلى الحجاز
- مضاجع الأنبياء الكرام تقع داخل المغارة الشريفة

أبنائها فلمست أصالة المحتد والأرومة • وصدق الكلمة وصفاء الوداد والوجدان •

لكنني مع هذا الادراك كله لم أشرف من قبل برؤية الخليل ، حتى كانت تلك اللحظات الرمضانية العذبة التي زرت فيها ثاني أقدس المدائن الفلسطينية بعد القدس •

ها هي السيارة تنطلق بنا شرقا •• وهانذا أعبر شقا متواضعا في بوابة تاريخ الخليل •

جذورها الاولى

قبيل حوالي أربعة آلاف عام تقريبا نزل العرب الكنعانيون ديار الخليل ، فاقاموا فيها وانشأوا بعض المدن والقرى التي ما يزال بعضها قائما حتى اليوم •

ومن ضمن القرى المنشأة « قرية اربع » وهي احدى الاسماء القديمة لمدينة الخليل الحالية • وتقول التوراة بانها بنيت قبيل « تانيس » عاصمة مصر السفلى بسبع سنين أي حوالي سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد !

ويروي لنا التاريخ بأنه عندما ضيق أهل « اور » الكلدانية الدائرة على سيدنا ابراهيم هجر الجنوب العراقي واتجه الى ارض فلسطين التي بارك الله فيها للعالمين • وقد أقام ابراهيم بعض السنين تحت شجرات بلوط في شمال الخليل ، وما تزال واحدة منها قائمة حتى الآن (الصورة) اذا صدق الرواة !

لكن ابراهيم لم يستقر بفلسطين طويلا ، فارتحل الى مصر ، ومنها الى الحجاز ، وقام مع ولده اسماعيل ببناء البيت المحرم • واقامة صرح الكعبة المشرفة • قال تعالى : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » • وهناك ترك زوجته هاجر مع ولدها اسماعيل « ليقيموا الصلاة » ، فخاطب ربه خاشعا متضرعا : « ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » •

● الحرم الابراهيمي الشريف ويبدو السور الضخم الذي يحيط به

عاد ابراهيم ثانية الى فلسطين حوالي عام ١٩٠٠ قبل الميلاد ، وألقى عصا التسيار في الموقع الذي تقوم عليه مدينة الخليل اليوم ، حيث اشترى من « عفرون الحيثي » حقله الذي في « المكفيلة » بأربعمائة شاقل من الفضة « الشاقل حوالي ١١ جراما » •

وعندما توفيت « سارة » زوج ابراهيم دفنها في مغارة « المكفيلة » وهذا اسم سام معناه « المغارة المزدوجة » •

وعندما توفى سيدنا ابراهيم عن مائة وخمس وسبعين سنة دفن في المغارة ذاتها حيث دفنت زوجته ، ومن بعده ولده « اسحق » وزوجته « رفقة » دفنوا كلهم فيها • كما دفنت أيضا « ليئة » زوجة سيدنا يعقوب عليهما السلام •

وقد ورد في العهد القديم من التوراة أن يعقوب توفي في مصر الا أن يوسف واخوته قد حنطوا جثة أبيهم وجاءوا بها الى « قرية أربع » في موكب حافل ودفنوها في مغارة « المكفيلة » •

ولما مات يوسف في مصر تم تحنيط جثته ، وعندما خرج اليهود بقيادة موسى من مصر نقلوها معهم وتم دفنها في نابلس • الا أنهم نقلوها بعد ذلك الى « قرية أربع » • هكذا تروي بعض المراجع •

وفي زمن وجود يوشع دعيت الخليل « بحبرون » نسبة الى أحد أقطاب اليهود الذي مات ودفن فيها • وحبرون اسم يهودي معناه « الرباط » •

الحرم الابراهيمي

يرجح بعض المؤرخين بان السور الضخم الذي يحيط بالحرم الابراهيمي الشريف اليوم هو من بقايا الامبراطور الآدومي هيرودوس الذي شهدت أواخر أيام حكمه ميلاد السيد المسيح عليه السلام •

ويبلغ طول ضلع السور ١٩٨ قدما ، وعرضه ١١٢ قدما ، وارتفاعه ٤٠ قدما ، وبالنظر لهذه الضخامة فلا غرابة أن نقرأ ونسمع رواية أخرى بأن سيدنا سليمان هو الذي أمر الجن وسخرهم لبناء هذا السور !!

وتعلو السور منارتان احداهما ناحية الشرق والاخرى ناحية الغرب •

واذا دخل الزائر الحرم من وسط السور الشرقي رأى على ميمنته صحنا مكشوفا يقسم المكان الى جزئين : الجزء الجنوبي ويشمل الجامع الذي يضم ضريحي ابراهيم وسارة على هيئة قبتين مسدستي الاضلاع ، وفي واجهة الجامع يوجد محراب رائع من الرخام مزين بالفسيفساء المذهبة ، وفوقه نافذة ملونة • أما الى جانب المحراب فيرتفع منبره البديع الذي يعود تاريخه الى أيام الدولة الفاطمية ، وهو مصنوع من خشب الجوز ومطعم بالعاج وبعض ألواحه الأمامية مصنوعة من خشب الابنوس •

والمحراب بشكله العام يعتبر آية خلاقة من آيات الفن والاتقان ، ويعد من أقدم منابر العالم الاسلامي وأبدعها ، وقد أحضره صلاح الدين الأيوبي من عسقلان بجنوب فلسطين حيث كان موضوعا بمشهد الحسين ابن علي بعد أن خشي عليه من الصليبيين •

مضاجع الانبياء

اما مضاجع الانبياء الكرام وزوجاتهم فتقع داخل المغارة الشريفة وما الأضرحة العليا الا مجرد مشاهد

● ضريح سيدنا اسحق وضريح زوجته السيدة « رفقة »

فقط ، وللمغارة ثلاثة منافذ ، أحدها مواجه للمنبر ، وثانيها واقع بين ضريحي اسحق وزوجته ، وثالثها تحت القبة مباشرة • ومن الجدير بالذكر أن أحدا لم يدخل هذه المغارة منذ أكثر من ٧٠٠ عام •

وقد جاء في دليل (بدكر) المطبوع عام ١٩١٢ عن الحرم الابراهيمي الشريف ما يلي : لا يسمح لغير المسلمين دخول الحرم الشريف ، ولم يدخله من غير المسلمين الا أقلية ممتازة من الاوربيين ، انما كان يسمح لليهود وغيرهم الصعود الى الدرجة السابعة فقط من سلم الحرم ، وعند الدرجة الخامسة يوجد ثقب يعتقد اليهود انه يمتد داخل الحرم الى أن يصل بالقبور ، وفي كل جمعة يأتون الى الدرجة المذكورة يبكون وينوحون شانهم في ذلك شان نحيبهم عند جدار المبكى في بيت المقدس » •

ضيافة دائمة !

خلال العهد الاسلامي الاول ذكر المؤرخون والرحالة مدينة الخليل بأسماء عدة منها :

مسجد ابراهيم – حبرى – حبرون مشهد الخليل – الخليل •

وينسب الى قبيلة « لخم » العربية القحطانية التي نزلت فلسطين ناحية « حبرى » الصحابي (تميم بن أوس الداري) الذي قدم بين جماعته من « الدارية » لمقابلة رسول الله بمكة المكرمة ، فقال تميم موجها حديثه الى الرسول الكريم : يا رسول الله ان لي جيرة من الروم بفلسطين لهم قرية يقال لها « حبرى » وأخرى يقال لها « بيت عينون » فان فتح الله عليك الشام فهبها لي ! قال الحبيب : هما لك • وكتب كتابا بذلك ومما جاء فيه « •••• ان له قرية حبرى وبيت عينون قريتها كلها ، سهلها وجبلها وماءها وحرتها وانباطها وبقرها ولعقبه من بعده » •

نزل الخليل عام ١٦٢٧ م الشيخ المقري صاحب « نفح الطيب » فقال : زرت مقام الخليل ومن معه من الانبياء ذوي المقامات الشريفة فانشدت قول ابن مطروح :

خليل الله قد جئناك نرجو
شفاعتك التي ليست ترد
أنلنا دعوة واشفع تشفع
الى من لا يخيب لديه قصد
وقل يا رب اضياف ووفد
لهم بمحمد صلة وعهد
اتوا يستغفرونك من ذنوب
عظام لا تعد ولا تحد
فيا مولاهم عطفا عليهم
فهم جمع أتوك وأنت فرد

شموع خليلية

لقد ظهر في ديار الخليل كثير من العلماء والادباء والفقهاء والمجاهدين وغيرهم • ومن أشهر مشاهيرها •

● القائد الفذ موسى بن نصير أحد صانعي التاريخ الاسلامي ، والذي مهد بفتوحاته العظيمة قواعد الامبراطورية الاسلامية في أوربا • وهو سليل أسرة نصير الخليلية ، وقد اكد هذه الحقيقة ياقوت الحموي في « معجم البلدان » •

● أبو فروة كيسان ، وهو الذي أكرمه حيي الله عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقد اشتهر من أحفاده أبو الفضل الربيع بن يونس ، وولده الفضل بن الربيع أحد الوزراء الدهاة في بلاط هارون الرشيد •

● الشيخ علي البكا ، وهو عابد زاهد مجاهد مكرام ، اشترك في حصار ارسوف عام ٦٦٣ هـ ولا زال ضريحه وزاويته معمورين بالزوار حتى اليوم •

● الشيخ الامام محيي الدين الخليلي الداري ، الذي أنشا المدرسة المجدية الخليلية عام ٦٦٥ هـ في القاهرة •

والفقيه شرف الدين قاسم الحوراني وهو الجد الاول لعائلة القواسمة العريقة بالخليل ، وعمر ابن عبد العزيز التميمي وكان وزيرا خيرا وعفيفا ، والشيخ الامام أبو أسحق ابراهيم الجعبري الخليلي « أحد العلماء المرضيين والأئمة المشهورين » كما وصفه ابن بطوطه عند زيارته الخليل ، وشيخ الاسلام برهان الدين أبو اسحق الانصاري الخليلي الشافعي ، والشيخ حسن علي قويدر وكان « كثير المعارف والفنون ، غزير اللطائف ، غاية في الزهد والديانة » ، والشيخ خليل التميمي

• الغار •• حيث حط سيدنا ابراهيم رحاله

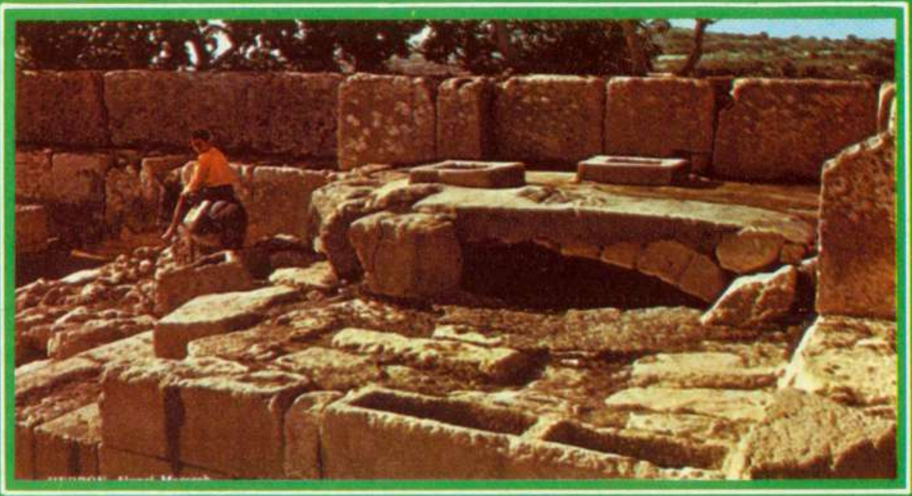

الداري ، ومحمد بن الشيخ أحمد التميمي وهو أول من أبرز رواية بالعربية في فلسطين سماها « أم حكيم » ، والمصلح الاجتماعي الحاج حسين الدويك ، مخلص الحموري ، عبد الرحمن عمرو ،

ومن الوجهاء الذين برزوا في بلاد الخليل الشيخ درويش الجعبري الحاج صالح عبد النبي ـ الاستاذ رشاد الخطيب التميمي مغدي عمرو عيسى البطاط ، عبد الحليم الجيلاني الملقب « بالشلف » ، والشيخ عبد الحفيظ أبو الفيلات ، والشيخ محمد صبري عابدين وغيرهم الكثير • وهناك شخصيات حية أخرى لم تسعفنا الذاكرة لاستحضار أسمائها ممن لحقوا بالرفيق الاعلى •

الخليل وثورة البراق

اشترك أهل الخليل وبلادها في جميع الاضرابات والثورات العديدة التي خاضها عرب فلسطين ضد الحكم البريطاني الغدار وحلفائه اليهود • ومن أبرز حوادث الخليل ابان الحكم المذكور خروج اليهود من المدينة على اثر ثورة البراق عام ١٩٢٩ ، ولم يعودوا اليها الا بعد اليوم الثامن من حزيران الاسود عام ١٩٦٧م •

وفي الاجراءات القضائية التي اتخذتها السلطات الاستعمارية أصدرت أمرا بشنق ثلاثة شبان من العرب هم الشهداء : عطا الزير ، ومحمد جمجوم وهما من الخليل ، وفؤاد حجازي من صفد • وقد نفذ فيهم أمر الاعدام صباح الثلاثاء ١٧ من حزيران عام ١٩٣٠ في سجن عكا ، وقد تم اعدام حجازي في الثامنة صباحا ، وجمجوم في التاسعة ، والزير في العاشرة •

وقد طلب الشهيدان الخليليان حناء خضبا بها أيديهما حسب عادات وتقاليد أهل الخليل في افراحهم وأعراسهم •

وقد خلد شاعر فلسطين المرحوم ابراهيم عبد الفتاح طوقان ذلك اليوم بقصيدة مجيدة أسماها « الثلاثاء الحمراء » •

مستودع الرجال

وحين اختصت سلطات الاستعمار البريطاني لابس الكوفية والعقال بالمطاردة والتنكيل باعتباره زي ثوار فلسطين أصدرت الثورة أمرا بتعميم هذا الزي وطلبت من جميع السكان ان يرتدوا الكوفية والعقال • وتم ذلك فعلا فاستحال على المستعمرين التفريق بين الثائر والرجل العادي •

واضطر المستعمرون بعد ذلك أن يفرضوا حمل الهوية الشخصية ، فاصدرت الثورة أمرا بقتل كل فلسطيني يحمل الهوية ، ولم يحملها أحد •• وفشلت مرة أخرى خطة بريطانيا للقضاء على الثورة الفلسطينية ، وكان أهل الخليل أسرع الناس تنفيذا لهذه الاوامر ، ولاغرابة في ذلك •• فالخليل كانت وما برحت مستودعا غنيا بالرجال الاشداء الذين يرفدون الثورة ويغذونها •

وجدير بالذكر ان أول من نفذ اضراب البلديات في فلسطين عام ١٩٣٦ هو المرحوم ناصر الدين ناصر الدين رئيس بلدية الخليل •

آثارهم الخالدة

في أواخر العهد البريطاني كان قضاء الخليل يضم ٨٣ قرية من أشهرها : حلحول ـ بني نعيم • بيت جبرين ، عجور ، الدوايمه ، الضاهرية ، دورا ، السموع ، صوريف ، يطه ، زكريا ، العروب ، اجنادين •

يوجد في قرية حلحول مقام نبي الله يونس بن متى عليه السلام ، ويوجد على المقام مسجد ومنارة بنيا عام ٦٣٢ هـ •

وفي قرية « دورا » مزار يعرف بقبر النبي نوح الذي ذكر بالقرآن الكريم في ثلاث واربعين موضعا •

والى هذه القرية المجاهدة تنتسب عائلة (عمرو) التي تعود بنسبها الى بني جذام بن عدي •

وفي قرية « كفر بريك » المعروفة اليوم ببني نعيم قبر ينسب الى النبي لوط عليه السلام •

وفي موسوعة النضال الفلسطيني ارتبطت بني نعيم بمعركة حامية دارت في جبالها عام ١٩٣٨ بين وحدات من الجيش البريطاني وبعض فصائل الثورة الفلسطينية التي تولى قيادتها سعيد العاص وعبد القادر الحسيني • وقد قرر العدو مؤخرا سرقة أكثر من ٦٠٠ دونم من أراضي بني نعيم لاقامة مستوطنة عليها •

أما قرية « صوريف » فاليها ينسب المجاهد القائد ابراهيم أبو ديه أحد أبرز قادة الجهاد في فلسطين خلال الاربعينات •

أما قرية أجنادين فلها تنسب معركة اجنادين الشهيرة بين المسلمين والروم

عام ١٣ هـ . ومن الصحابة الذين استشهدوا فيها : عبد الله بن الزبير ابن عم رسولنا الاعظم ، وعمرو ابن سعيد بن العاص وأخاه أبان ، هيار بن سفيان ، سلمة بن هشام وأخوه الحارث ، عكرمة بن أبي جهل ، هشام بن العاص ، والاخوة الابطال الاربعة : تميم ــ العجاج ــ الحارث سعيد ــ أبناء الحارث بن قيس ، نعيم بن عبد الله المعروف بالنحام ، عبد الله بن أبي الجهم ، جندب ابن عمرو ، عمرو بن الطفيل .

بيت جبرين : وهي بلدة قديمة كانت عاصمة لأكبر مقاطعة في فلسطين أيام العهد الروماني ، وبعد أن فتحها المسلمون صارت تابعة « لجند فلسطين » ثم نزلها قوم من جذام واقاموا فيها ، وقد اتخذها الصحابي واثلة بن الاسقع مسكنا له، وتضم بيت جبرين قبر الصحابي تميم الداري .

خليلي يا عنب !

لقد عرف الخليليون بانهم « من أشد الناس استمساكا بدينهم وأرضهم وقوميتهم ، كاملو الذمام والوفاء ، وقد لا يفوقهم في اكرام الضيف أحد » كما يقول أستاذنا الجليل مصطفى مراد الدباغ في موسوعته « ديارنا فلسطين » .

ويبدو أن جيرتهم لهذه الكوكبة الكريمة من أصفياء الله رضوان الله عليهم قد صبغت حياتهم بالخصال البديعة التي اكتسبوها على تعاقب الايام ، ولعل هذا يفسر لنا المعنى المستتر وراء عدم وجود دار للسينما في الخليل حتى اليوم ، أما من يرغب من أبنائها الشباب في مشاهدة بعض العروض السينمائية فعليه الذهاب الى القدس التي تبعد ٣٦ كيلو مترا عن الخليل ، وعليه الا يشعر أحدا بنيته تلك ، والا أصبح موضع تجريح من كبار السن !!

ان موارد الخليل الاقتصادية محدودة ، برغم وجود بعض الصناعات فيها ، ومن أشهر هذه الصناعات التقليدية صناعة الزجاج والخزف ، والمعاطف والدباغة والفخار والنسيج ــ والمعلبات ، كما يوجد بها حاليا مصنع ضخم لقضبان اللحام الكهربي . وهناك بعض المنتوجات الزراعية ومن أشهرها العنب ، وعنب الخليل يتمتع بشهرة واسعة النطاق « لتفرده بكبر حجمه ، وشدة حلاوته، وقلة بذوره » .

حبهم لمصر

لقد وصل التجار الخليليون ــ منذ القرن الثامن عشر ــ الى مناطق نائية نظرا لما عرف عنهم من حب للمغامرة وطلب الرزق بالكد والتعب، وقد استقر جزء كبير منهم في عمان بعد الحرب العربية الصهيونية الاولى، أما في مصر فقد انطلقت اليها ثلاث موجات : الاولى حينما استولى ابراهيم باشا على الخليل وأجزاء أخرى من فلسطين ، وكذلك أخذه مجموعة من شباب الخليل وضمهم الى الجيش المصري ، الثانية : في أواخر الحكم العثماني وفي حومة الحرب العالمية الاولى . والثالثة بعد الهزيمة العربية الاولى عام ١٩٤٨ .

وقد كون الخليليون في مصر جالية ثرية يزيد عددها عن عشرين ألف نسمة مقيم أغلبها في القاهرة ، وأعضاؤها يتمتعون بكافة الحقوق والمزايا التي يتمتع بها اخوانهم المصريون ، وهذا ما كرس حبهم لشعب مصر العريق .

ومن هذه العائلات المعروفة بصدق أقوالها ، واستقامة معاملاتها ، ووفاء عهدها :

• صناعة الزجاج والفخار من الصناعات التقليدية في الخليل

العجيل ـ جمجوم ـ القواسمه ـ زيتون القاضي ـ الشريف ـ قويدر ـ الزرو وغيرها • وما زالت جذورها الاولى راسخة في الخليل ، واضافة لما ذكرنا فهناك من عائلات الخليل العريقة والشهيرة : النتشه ـ الدويك التميمي ـ الجعبري ـ ملحم ـ بدر المحتسب ـ الحرباوي ـ العزة ـ العناني ـ طهبوب ـ حجازي ـ احمرو دودين ـ المناصرة ـ عمرو ـ أبو خلف الشخادمه ، وهناك عائلات أخرى عريقة تغذلنا الذاكرة في استجلاب أسمائها •

ولقد سرني ما عرفته عن « رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل » التي تأسست عام ١٩٥٣ وعملت بموجب نظامها الاساسي على رفع مستوى المحافظة علميا وثقافيا واجتماعيا ، وأشرفت على تبني وانجاح عدة مشاريع هامة تهم أبناء المحافظة ، ولعل من أبرزها مساعداتها المالية لحوالي ٨٠٠ طالب أتموا دراستهم الجامعية ، وهذا يعكس جانبا واحدا لحقيقة التضامن والتعاضد بين أبناء الخئولة والعمومة في خليل الرحمن! لذا فلا تعجب حين يتكرر على مسامعك استعمال أحدهم للفظ : يا خالي •• وهو يناديك أو يخاطبك حتى ولو لم يكن يعرفك !

الخليل تقارع الغزاة

لقد كانت الخليل من ضمن عدة مدن فلسطينية نجت من السرطان اليهودي عام ١٩٤٨ • وقد بقيت منذ ذلك العهد تنعم بالدعة والسكينة والدفء في أحضان المملكة الاردنية الهاشمية ، وقد شهدت المدينة خلال تلك الفترة نهضة شاملة في كافة قنوات النهضة والتقدم •

وفي حزيران الاسود عام ١٩٦٧ تمكن اليهود من احتلال المدينة بعد أن بقوا يحلمون بها عدة قرون !!

لقد ظلوا يرفعون شعار « العودة الى حبرون مدينة الآباء » ، وتحت هذا الشعار داسوا كل القيم ، وأهانوا كل الفضائل ، فاقتحموا الحرم الابراهيمي الشريف وأعلنوه كنيسا يهوديا سموه « كنيس مكفيلة » ،

● بلوطة الخليل ابراهيم ترتكز على الاعمدة الحديدية

وقام حاخام اسرائيل الاكبر باقامة قوس للحاخامية • بجوار ضريح سيدنا ابراهيم الخليل ووضع التوراة عليه بدلا من القرآن الكريم ، وعقد مراسم زفاف ثمانية جنود صهاينة على ثماني مجندات من بينهن ابنة مجرم الحرب موشي ديان •

وقد منع المسلمون مؤخرا من دخول معظم ساحات الحرم والتي خصصت لصلوات اليهود وتجدر الاشارة الى أن حكومة الانتداب البريطاني لم تكن تاذن لليهود بدخول مسجد الخليل طيلة حكمها لفلسطين الذي استمر ثلاثين عاما ، بل انها لم تسمح لهم بتعدي الدرجة السابعة من درجات سلمه •

وتحت شعار « العودة الى حبرون » استولت سلطات العدو على آلاف الدونمات التابعة لأراضي الخليل • وفي عام ١٩٧٠ باشر العدو ببناء أكبر وأخطر وأول مستعمرة يهودية في تلك المنطقة واسماها « كريات أربع » في محاولة آثمة لاعادة دعواهم « بيهودية » الخليل ، فقد قال سفاح دير ياسين ميناحيم بيجن : ان استيطان الخليل هو استيطان ميرائي لليهود !

وكريات اربع قائمة على ثلاثة آلاف دونم ، وهي أول مستوطنة صهيونية جرى انشاؤها فوق الاراضي العربية المحتلة بعد الاحتلال وتشرف على جميع أنحاء مدينة الخليل، بل ان الخليل مهددة بالذوبان في هذه المستعمرة العسكرية الزراعية التي تاوي حوالي عشرة آلاف يهودي • علما بأن نسبة عدد اليهود في الخليل قبل عام ١٩٤٨ كان أقل من واحد بالألف بالنسبة لعدد سكانها ، وكانوا يمتلكون ثلاثة بالألف من مجموع مساحتها فقط !

اهانة القيم

لقد حقق الصهاينة اليوم خطوات واسعة للاستيلاء على مدينة الخليل العربية بعد العبث بمقدساتها ، وتغيير وجه المدينة الحضاري ضمن سياسة توسعية مرسومة ، تماما كما يحدث مع القدس الحبيبة •

ان كل القيم والفضائل تغيب في هذا الكيان العدواني ، وتبرز أنيابه الوحشية الفاشية من بين كل الالوان الزائفة التي يدعيها ويلصقها بالحضارة والديمقراطية والدين !

لقد أعطت هذه الديار المقدسة للبشرية بعدا حضاريا ، وعمقا انسانيا ، حتى غدت وجهة لكل عباد الله من مسلمين ومسيحيين ويهود ، الا أن العدو الصهيوني قد أهان كل المواثيق وداس كل القيم لأنه لا يرى في الاديان والرسالات الا وسيلة تبرر غاياته الاستيطانية المحمومة •

وأخيرا •• فاننا نجد أنفسنا ملزمين لطرح السؤال التالي : هل هناك من يعتقد برغبة المحتلين الصهاينة في بناء صرح السلام الحقيقي المنصف والعادل ؟

سؤال طرحته على نفسي وأنا أغادر مدينة الخليل بعد أن استجبت لدعوة ملحة للافطار من أحد أبناء الخليل الذي تعرف علي قبيل أن يرفع مؤذن الحرم الابراهيمي آذان المغرب ببعض ساعة !!

نبيل خالد الاغا

الكتاب والناس
في مدينة الدوحة

- كيف يصبح الكتاب سلعة بعيدة عن الربح والخسارة؟
- هل تغطي معارض الكتاب احتياجات القارئ القطري؟

تحقيق : نادية رزق

هل نحن نعد فعلا المناخ المناسب للقراءة ؟ وهل نوفر المناخ للكتاب والمجله والصحيفه لتكون في متناول الجميع بسهوله ·· أم هل القراءه اصابها ما أصاب بقيه جوانب الحياة فصارت مؤسسات تطرح في حسبانها الربح والخسارة بفعل النظرة التجارية ؟

في السنوات الاخيرة تصاعدت نغمه مخدرة من زحف أجهزة الاعلام المرئية والمسموعه على مساحة زمن الكتاب في حياة الناس ، وعلت أصوات الخائفين على غياب المطالعة والقراءة الجاده ·

ولكن ما وقع هذه النغمة في مدينه عربية مثل الدوحة ·· هذا ما حاولت البحث عنه من أجل التعرف على إجابات شافية وتلمس بعض ما في الحقيقة من تفاصيل ··

المهرجانات العملية

وبداية فلا شك أننا ندرك ما في المعارض من فرصة للتنافس بين دور النشر في العالم العربي ، ففيها

الكتاب والناس في مدينة الدوحة

- الفتيات أكثر إقبالاً على شراء وقراءة الكتب
- طلبة الجامعة يطالبون بإقامة معرض سنوي للكتاب

يلتقي الناشرون والموزعون وجها لوجه أمام القارىء ، ليتعرفوا على اتجاهاته في القراءة .. كما أن تلك المعارض يجد فيها القارىء دائما فرصة للتمتع بمهرجان عقلي وعلمي ينتقي منه ما يشاء ..

وهذه الاهداف النبيلة جعلت معارض الكتاب في دولة قطر تجد قبولا عظيما من جمهور القراء ، بل ينتظرونها بفارغ صبر ، حتى أن آخر معرض للكتاب أقيم بالدوحة في نهاية عام ١٩٧٧ ، بيعت فيه كل الكتب المعروضة ، وكانت تبلغ ١١٩٫٨٣٣ كتاب ، اشترى الرجال منها ٧٠٫٨٩١ كتابا ، واشترت النساء ٤٨٫٩٤٢ كتابا . واشتركت به واحد وعشرون دار نشر تمثل كل الدول العربية .

وان دلت هذه الارقام على شيء ، فانما تدل على مدى تعطش القارىء القطري لكل فنون المعرفة الانسانية ..

أما أول المعارض التي اقيمت بمدينة الدوحة فكان في ديسمبر عام ١٩٧٢ واشتركت به عشر دول عربية هي الاردن ، البحرين ، سوريا ، الكويت ، لبنان ، مصر ، العراق ، فلسطين ، تونس ، بالاضافة لدولة قطر ، وبلغ عدد العناوين المعروضة حوالي ستة آلاف عنوان .

أما المعرض الثالث فكان لكتاب الطفل بديسمبر عام ١٩٧٩ ، وكان مساهمة لعام الطفل الدولي ، ولقي اقبالا شديدا من الاطفال والشباب .

وكان آخر المعارض هو الخاص بالمؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية الذي أقيم بالدوحة أثناء انعقاد المؤتمر في مدينة الدوحة ، وبيعت كل كتبه وكان به قسم خاص لعرض نوادر المحفوظات الاسلامية ..

ولا شك أن اقامة مثل هذه المعارض بدولة قطر يمثل مهرجانا عقليا وعلميا لأحدث ما نشر في العالم العربي والغربي على السواء ، وذلك بالاضافة الى أنه فرصة للمكتبات المحلية حتى تسوق ما لديها من كتب

● جميع الأعمار تلتقي للقراءة بدار الكتب

● في مكتبة جامعة دولة قطر

كما أنه يساعد على تحديث المكتبات المدرسية على حد قول كامل كامل بكري أمين دار الكتب بالدوحة ، ويشجع على تكوين وبناء المكتبات في الدوائر الحكومية ، ويتيح الفرصة لكثير من الأفراد بتكوين المكتبات المنزلية ، حيث تكون الفرصة أمام القارىء هي انتقاء ما يشاء من المعروض أمامه ..

ولهذا فان الكثير من طلبة الجامعة ومن بينهم على سالم الكواري بالسنة الثالثة قسم التاريخ والمكتبات بجامعة قطر ، يطالبون بضرورة اقامة معرض سنوي للكتاب بالدوحة ، لانه يتيح الفرصة للمتخصصين في ايجاد ما يطلبونه من الكتب والمراجع التي يصعب وجودها بالمكتبات التجارية لقلة الطلب عليها .

تجارة الكتب

والمكتبات التجارية في وقتنا الحاضر لها دور كبير في نشر الثقافة والمعرفة ، ويقول سمير محمد رسمي نائب مدير مكتبة الثقافة بالدوحة أن هناك فئات من جميع الاعمار تقبل على شراء الكتب وخاصة الفتيات اللاتي يقبلن على شراء الكتب الدينية، والكتب التي تبحث في شئون تربية الطفل والتدبير المنزلي .

أما الشباب فبالاضافة الى اهتمامهم بالقراءات الدينية فانهم يقبلون على الكتب الادبية وفي مقدمتها القصص التي تحمل أسماء لكتاب مشهورين ثم كتب الشعر ، وخاصة الشعر الخليجي الحديث ..

أما الكتب الجامعية والمدرسية فتقريبا لا تطلب لالتزام الجامعة والمدارس بتسليمها للطلاب .. الا أن أساتذة الجامعة والمتخصصين يقبلون على شراء الكتب العلمية والمراجع ، وأحيانا تطلب خصيصا لهم !

● لماذا الاتهتم المكتبات بالدراسات الخليجية والكتب المتخصصة؟
● تشجيع انتاج الشباب في أول دار للنشر في مدينة الدوحة

● مناقشة في مكتبة الجامعة بين الطلبة أثناء القراءة

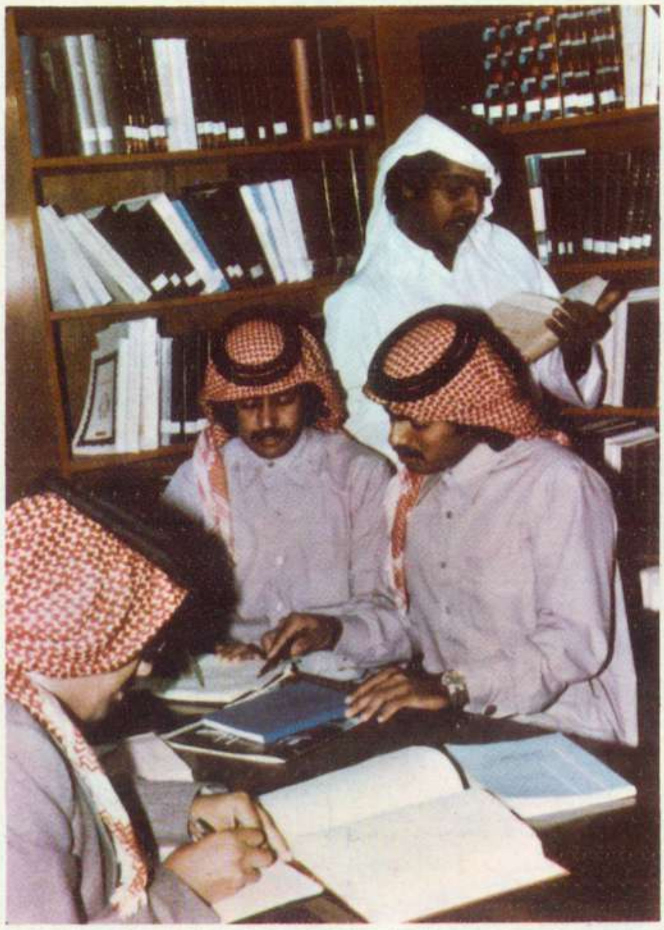

● قراءة المجلات هواية كثير من الشباب

واكثر الكتب مبيعا حتى الآن في مكتبات الدوحة هي كتب التفاسير مثل تفسير « الجلالين » و « ابن كثير » و « ظلال القرآن » ، وكتاب « رياض الصالحين » ، برغم ارتفاع أسعارها قياسا للكتب الاخرى !

نقص المراجع

وبنظرة سريعة على المعروض بالمكتبة ، لاحظت أن أغلب الكتب اما دينية أو اقتصادية أو علمية وادبية أو كتب خاصة بالاسرة والاطفال ، وأثناء تواجدي بالمكتبة التقيت بعبد الرحيم كافود المدرس المساعد بقسم اللغة العربية بجامعة قطر ، وهو حاصل على ماجستير في الادب القطرى الحديث ، وكان يبحث عن أحد مصادر بحثه حيث يستعد حاليا للحصول على الدكتوراه في موضوع « النقد الادبي الحديث في الخليج العربي » ••

وقال لي انه يعاني من نقص المراجع الخاصة بهذا الموضوع ، ويلجأ أحيانا لدار الكتب ، أو يطلبها بمعرفته من الناشرين أو من مؤلفيها

مباشرة ، ورغم أنه استطاع تكوين مكتبة منزلية خاصة يبلغ عدد كتبها حوالي ٢٧٠٠ كتاب ، أغلبها في النقد والادب الحديث الى جانب بعض الكتب الاجتماعية والتاريخية ، فانه يتمنى أن تنشط حركة النشر والترجمة بدولة قطر حتى يجد الباحث كل ما يحتاجه للدراسة أو القراءة الخاصة ، كما يطلب من دار الكتب الاهتمام بالدراسات الخليجية، وهو يرى أن وسائل الاعلام تساعد الشباب على الاتجاه للقراءة بما تطرحه من رؤوس موضوعات • ولذلك يجب الاهتمام بما يذاع وينشر لما له من تأثير واضح على سلوك الشباب اليومي ••

انتاج الشباب

وصناعة النشر صناعة رابحة بدليل أن ترتيبها يأتي في فرنسا مثلا قبل صناعة الطائرات النفاثة ومنها الكونكورد !

ولكن صناعة النشر شانها شان أية صناعة أخرى مثل الملابس وغيرها في حاجة الى ادارة وتمويل وحسن اقتناء كما يقول خليل الفزيع رئيس تحرير دار العهد للصحافة والنشر •

وهذه الدار هي أول دار تقوم بنشر وتوزيع انتاج الشباب القطري من قصص وشعر ودراسات وغيرها ، وذلك بهدف تشجيع الشباب على القراءة والكتابة •

والعجيب أن انتاج الفتيات الذي ينهال على الدار بحثا عن النشر يفوق انتاج الشباب حجما •

وقد نشرت الدار حتى الآن اربعة

الكتاب والناس في مدينة الدوحة

● أقدم كتاب في الدوحة نسخة من مصحف سيدنا عثمان
● أقدم مخطوط هو ديوان المتنبي وعمره ثمانية قرون

● خليل الفزيع

● د . محمود عباس حمودة

● محمد عبد الرحيم كافود

● علي سالم الكواري

● مخطوطات اسلامية نادرة معروضة بدار الكتب بالدوحة ــ قطر

● يطالب الطلبة بزيادة معارض الكتب بقطر

كتب أولها « الشعر والنخلة » لخليل الفزيع ، « وانت وغابة الصمت والتردد » لكلثم جبر ، و « ناندا » لمحمد الصويغ ، و « النساء والحب » لخليل الفزيع ، وهناك قائمة طويلة يتصدرها انتاج الفتيات تنتظر دورها في العرض على لجنة مختصة للقراءة .

وهذا المشروع لا يتيح ربحا تجاريا حتى الآن ، لأن هدفه الاول والاخير هو تشجيع الانتاج المحلي على أمل أن يحقق ربحا بعد ذلك .

ويدخل تحت صناعة النشر وتجارته أيضا « المطابع » ، والمطابع بقطر أغلبها يعتمد على طباعة الكتب المدرسية والجامعية ، وبعض الصحف والمجلات التي تصدر بالدوحة .

والحقيقة أن الشكوى من ارتفاع أثمان الكتب يرجع الى تذبذب سعر الورق ، وارتفاع تكلفة الطباعة ، مما يرفع أسعار الكتب والمجلات بين وقت وآخر فضلا عن ارتفاع أجرة الايدي العاملة بهذا المجال .

أما اذا اراد أحد المؤلفين طباعة كتاب على نفقته الخاصة فيصبح الامر صعبا بالنسبة له حيث يرتفع ثمن الطباعة ارتفاعا كبيرا ، وقد يكون هذا أحد أسباب عدم انتشار طباعة الكتب ونشرها . وان كانت الدولة تتيح الفرصة لمن يستحقها بمساعدته ، وأحيانا بالنشر والطباعة على نفقتها .

مخطوطات نادرة

وفي دار الكتب بمدينة الدوحة ، وهي الدار التي تحل مشكلة غير القادرين على اقتناء الكتب وطلاب الجامعات والمعاهد ودارسي الدراسات العليا ، كان اللقاء مع مدير الدار محمد حمد النصر الذي قال ان اغلب المترددين من بين طلبة وطالبات جامعة قطر حيث يقومون بتكملة أبحاثهم المطلوبة .. ويلي الطلبة في التردد على الدار موظفو الدوائر والشركات وطلبة المدارس وأيضا ربات البيوت !

وقد لا يعرف الزائر لدار الكتب انها تحوي ١٣٠٠ مخطوطا نادرا عربيا واسلاميا ، وانها تضم مجموعة من كتب المراجع والمصادر التي يهتم بها أساتذة الجامعة وطلابها والباحثون عامة ، وانها تضم مجموعة نادرة من الكتب الاجنبية ، وهذا بخلاف ما بها من قاعات متخصصة تضم أعداد ١٢٠ دورية ومجلة متخصصة ..

الانتاج الفكري

وكلنا نعرف أن غزارة الانتاج الفكري في عصرنا الحديث ، جعلت من المستحيل على أية مؤسسة مهما كان حجمها أن تستوعب هذا الانتاج، ففي كل عام يصدر في العالم أكثر من نصف مليون عنوان وأكثر من مائة ألف دورية علمية ، وهو عدد ضخم يستحيل تجميعه جملة واحدة ، لا من حيث حجم المصاريف المادية ، ولا من حيث المساحة ، ولهذا فان شراء الكتب لتزويد دار الكتب القطرية بها يتم وفقا لأسس واعتبارات أهمها الحصول على المطبوعات التي تناسب كافة الاعمار وجميع مستويات القراءة ، وتمكين المطالعين الباحثين من التعرف على الانتاج العالمي عن طريق تجميع كل المراجع والفهارس والمعاجم من مختلف مكتبات العالم تمكينا لرواد الدار من متابعة ما ينشر في العالم ، وهي أيضا تمكنهم من اقتناء ما يختارونه سواء عن طريق الشراء أو التبادل ، وهذا التبادل بالذات يمثل عنصرا هاما في اقتناء الكتب ، ولا يجب اغفال الاهتمام بتكوين مكتبة خليجية لاقتناء كل ما يصدر في هذا المجال ، والحصول على أحدث الطبعات من الكتب والمراجع ، ولسد الفجوات في مجموعات الكتب القديمة بالدار ، ومحاولة بناء مكتبة كاملة للمراجع العامة والمتخصصة .. كما تهتم دار الكتب حسب قول أمين الدار بطلبات الهيئات .

ظاهرة خاصة

وتنفرد دار الكتب القطرية بظاهرة خاصة لتشجيع القراءة وهي تجهيز مجموعات من الكتب واهدائها للهيئات والأفراد على السواء وأغلبها من الكتب الدينية المطبوعة على نفقة حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ، والتي

● أكثر الكتب المباعة في قطر هي كتب التراث والمؤلفات الدينية
● الدراسة الجامعية تعتمد على المكتبة بنسبة تصل إلى ٢٥ في المائة

● من رواد دار الكتب

تنير للمواطن طريقه الى الهداية ، وذلك الى جانب بعض الكتب الادبية والاشعار النبطية .

وقبل أن أترك دار الكتب بالدوحة، ألقيت نظرة سريعة على سجل الاعارة الخارجية فوجدت أن عدد المقيدين للاعارة ٢٥٨٠ قارىء بينهم ١٥٧٣ من الرجال و ١٠٠٧ من السيدات .

وتشجيعا للقراءة والاستعارة ، فقد افتتحت دار الكتب فروعا لها بمدينة الغور ، ومدينة الشمال .

واقدم الكتب بالدار نسخة من مصحف سيدنا عثمان مصورة عن مكتبة لينتجراد .

أما أقدم المخطوطات فهي ديوان المتنبي ، ويرجع للقرن السابع الهجري .

قاعة للنساء

وهناك ظاهرة جديرة بالملاحظة وهي ازدياد عدد المترددات على دار الكتب ويرجع ذلك كما يقول كامل بكري أمين الدار الى افتتاح الجامعة بدولة قطر ، وتكليف الاساتذة للطلبة والطالبات باعداد الدراسات والبحوث اللازمة .

الا أن الدار بصدد تخصيص قاعة مطالعة خاصة بالنساء اللاتي يتعاملن حاليا مع الدار من خلال الاستعارة الخارجية فقط .

ومن سجلات الاستعارة اتضح لنا أن أكثر الكتب اقبالا عليها هي العلوم الاجتماعية ثم الآداب ويدخل تحتها القصص والروايات والتاريخ والعلوم وأخيرا المعارف العامة .

ومن شروط مزاولة مهنة استيراد وتوزيع الكتب بدولة قطر ، الحصول على موافقة مسبقة قبل البدء بذلك العمل من ادارة المطبوعات والنشر ، وعلى كل مكتبة أن تزود هذه الادارة بقائمة لما سيطلب تتضمن أسماء المطبوعات وأنواعها ، لتتأكد من موضوعاتها وهل هي صالحة لتغذية عقول الناس وتنمية مداركهم ومعارفهم الانسانية ..

ماذا يقولون

وعندما ذهبت الى مكتبة جامعة قطر التقيت بالدكتور محمود عباس حموده الاستاذ المساعد بقسم التاريخ والمكتبات والمشرف على مكتبة الجامعة، وقال لي أن نظام التدريس بالجامعة يتيح للطلبة والطالبات فرصة القراءة المتعددة والمتنوعة ، فالطالب مطلوب منه أن يقرأ ما بين ٤٠ و ٦٠ كتابا لاعداد البحوث ، أي أن المكتبة تشارك بنسبة ٢٥ في المائة من التدريس الجامعي .

وفي رأى د . حمودة أن اقبال الطلبة والطالبات على القراءة واضح، بدليل كشوف الطلبات التي يملؤونها لكتب يطالبون الجامعة بشرائها ولا تختص بالمواد التي يدرسونها فقط بل بكل أنواع المعرفة ..

وداخل مكتبة الجامعة ايضا تحدثت مع يوسف جاسم غريب ، بالسنة الثالثة قسم التاريخ الذي قال لي ان قراءاته دينية وتاريخية وأدبية . وانه كون مكتبة تحتوي على مائة وستين كتابا أغلبها تاريخي وادبي ، ويطلب من المكتبات جلب الجديد مما يصدر عن دور النشر ، لافتقار السوق لأحدث الكتب !

وأيضا كان حديثي مع محمد سعد، بقسم المكتبات الذي طالب الشباب بالقراءة حتى يمكن تكوين مواطن قيادي صالح مدعم بالعلم والمعرفة ، وشكا من قلة عدد النسخ المعروضة بمكتبات الجامعة ودار الكتب فهي لا تحقق كافة الرغبات !

ومع شرائح اخرى في مدينة الدوحة التقيت بالمهندس عبد العليم سليمان الذي قال بانه عندما يود قراءة كتاب متخصص في مهنته ، يصعب وجوده ، فيضطر الى طلبه بنفسه من الناشر مما يكلفه الكثير، أما باقي الكتب التي يقراها واغلبها ادبي فانه يعثر عليها بسهولة سواء من دار الكتب أو من المكتبات التجارية .

وقالت حليمة سعد المسيري المدرسة بالثانوية ، انها لا تجد صعوبة في الحصول على ما تريد من الكتب ، فدار الكتب بها اغلب ما تحتاجه ،

وهي تخصص مبلغا شهريا لشراء الكتب ، الا أنها تطالب باصدار طبعات شعبية مما تصدره دور النشر ليصبح سعرها في متناول الجميع !

الكتاب للجميع

وهكذا نرى أن هناك جهودا تساعد وتشجع على الاهتمام بالنشر والقراءة في دولة قطر ، وان كنا نأمل أن تتخطى تلك الجهود كل المصاعب التي تقف امام نشر العلوم والمعرفة وتوسيع النطاق العددي للقراءة ، وذلك بايجاد المطبعة المناسبة والناشر المناسب ، ثم التوزيع المعقول الذي يقدم الكتاب بأسعار مقبولة للجميع ، ليس فيها أي نوع من الجشع أو الرغبة في تحقيق الربح السريع .

نادية رزق

جرش

مدينة الينابيع والبساتين الخضراء

أسامة شهاب

الساحة العامة لآثار مدينة جرش وبهو الأعمدة

مدينة جرش .. تلك المدينة الهادئة العفة الورعة الحالمة ، لا يملك الزائر اليها إلا أن يشعر بالطمانينة والاسترخاء الذي ينشده الانسان في يوم عطلته ، حتى ان « كاميرتك » ستعجز عن اخذ أي صورة ! لأن كل مشهد يستحق التصوير ويخلب اللب .. إنها ليست مدينة فاضلة أو جمهورية مثالية ولكنها مدينة حقيقية .. والحضارات الماثلة أمامنا تشهد على هذا !

في مصر والعراق ثمة نشاطات قام بها غربيون حافزهم الأول تزويد متاحف العواصم الأوروبية بكنوز لا تزال صفوة مقتنياتها . ولم تحظ الأردن وفلسطين حينئذ باهتمام مشابه لأن هؤلاء الباحثين عن الكنوز لم يتوقعوا أن تكشف الحفريات فيها عن تماثيل ضخمة ومسلات ورسومات بارزة وغير بارزة كتلك التي يعثرون عليها في مصر وفي العراق ، وذلك لمعرفتهم أن العهد القديم من الكتاب المقدس يحرم مثل تلك التماثيل والرسومات ، ولذا اقتصرت نشاطات الغربيين في بلدنا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر على عدد من الرحالة والحجاج إلى الديار المقدسة كان من ابرزهم « سيتزن » الذي زار جرش سنة ١٨٠٦ ولفت انتباه الغربيين إليها ، فهل من كاتب يلفت انتباه الشرقيين اليها .. نحن أبناء الوطن العربي الواحد ؟!

- الفتح الروماني نقطة تحوّل في تاريخ جرش
- الرومان واليونان فشلوا في نشر ثقافتهم
- جرش تبادلت الأعمال التجارية مع الأنباط
- عين البركتين وعين القيروان وعين السوق تصنع بساتين جرش
- عملية الجرش هي التقشير وأكل الشيء الخشن.

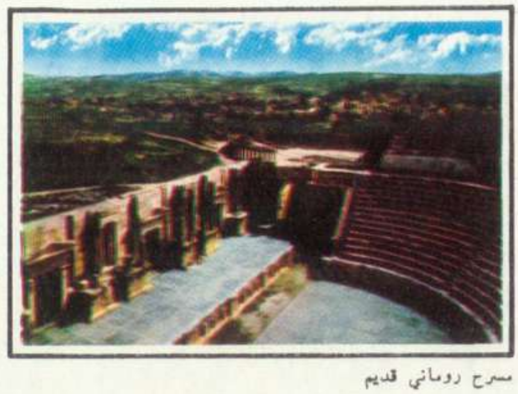

مسرح روماني قديم

مستعمرة رومانية

في عام ٣٦ قبل الميلاد سقط الشرق الأدنى بيد الرومان ، ويعتبر الفتح الروماني نقطة تحول هامة في تاريخ مدينة جرش . فقد اهتم الرومان باسكان الجاليات الرومانية فيها كما فعل اليونان من قبلهم !

ولكن الرومان واليونان قد فشلوا في نشر ثقافتهم التي لم تتجاوز الطبقة المترفة من ملاك الاقطاعات الواسعة ، وظلت جرش تتمتع ببعض مزايا الحكم الذاتي خلال الحكم الروماني شأنها في ذلك شأن الفترة اليونانية السابقة ، فدخلت في أوائل العهد الروماني حلف المدن العشر الحرة التي كونت معاً حلقة دفاعية لصد عدوان القبائل الغازية وحماية قوافل التجارة ، فأتاح لجرش جوا من الازدهار الزراعي والتجاري فترتب على ذلك أن أخذت جرش تتبادل الأعمال التجارية الناجحة مع الانباط خلال القرن الأول ق.م والقرن الأول بعد الميلاد . واستفادت جرش في تطورها من النقد النبطى ومن الهندسة المعمارية ومن معتقدات الانباط أيضا .. كيف لا وهم أهل البتراء !

مدينة جرش تقع على بعد ٥٨ كيلومترا إلى الشمال من عمان عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية ، وعلى بعد ٤٠ كيلو متراً إلى الجنوب من مدينة اربد ، وعدد سكانها الآن يزيد على خمسة عشر الفاً ، وتقع على هضبة منخفضة ترتفع ٥٥٨ م عن سطح البحر وتحيط بها من كل جهاتها جبال عجلون المغطاة بالغابات الكثيفة .. والوادي يشق جرش من الشمال إلى الجنوب ويزداد عمقاً وضيقاً كلما اتجه نحو الجنوب حتى يلتقى بوادي نهر الزرقاء . ويعترض مجرى الوادي شلالان احدهما في طرف البلدة الجنوبي (حيث كان يمتد السور القديم) ويبلغ ارتفاعه ١٨ متراً ، والثاني إلى الجنوب وعلى بعد كيلو متر تقريباً من الأول ويبلغ ارتفاعه ٢٥ متراً .

تشتهر جرش بمياهها الغزيرة التي تتدفق من ينابيعها العديدة ، واكبر هذه الينابيع « عين البركتين » وتبعد نحو ٣ كيلو مترات إلى الشمال من المدينة وتسقي مياهها سهل جرش الشمالي المسمى بوادى الدير . وهناك ايضا « عين القيروان » داخل البلدة وتسقي سهولها الجنوبية ، وعين السوق إلى جوار طريق عمان ، وهناك عيون أخرى مبثوثة على جانبي الوادي تمده بالمياه الغزيرة التي بفضلها اشتهرت جرش ببساتينها واراضيها الزراعية التي تنتج مختلف أنواع الخضار والفواكه .

والهضاب المحيطة بجرش مراع صالحة لتربية الاغنام والماعز والابقار ، فهذه المراعي – بالاضافة إلى اعشاب العلف التي تزرع في الأراضى المروية – جعلت لجرش شهرة طيبة أيضا بالألبان ومنتجاتها .

ولعل أحد التفاسير في سبب تسميتها بهذا الاسم هو انتاج أراضيها البعلية مختلف أنواع الحبوب وعملية الجرش هي التقشير واكل الشيء الخشن .

أيام النسيان

تتصل جرش بكل من مدينتى عمان واربد بطريق معبدة ، والطريق اليها من عمان تمر بمناظر مختلفة لا يملها النظر ، من سهول وجبال ووديان ، إلى غابات كثيفة جميلة ، بحيث يعتقد الناظر انه يجتاز جبال لبنان المكسوة بالأرز ، ولكن هذه الجبال مكسوة باشجار الحور والجوز والسرو والسنديان .

تقع البلدة الحديثة في الجانب الشرقي من الوادي ، أما البلدة الأثرية ففي الجانب الغربي ، وقد انشئت البلدة الحديثة عام ١٨٧٨ حين اقتطعتها الدولة العثمانية لجماعة من مهاجري الشراكسة الذين هاجروا من بلادهم في قنقاسيا ، ثم ما لبثت أن سكنها بعض العائلات الشامية من التجار اتخذوا منها مركزا لتجارتهم مع القرى والعشائر المجاورة ، ثم ما لبث أن انتقل اليها أيضاً عدد من سكان تلك القرى المجاورة خاصة بلدة « سوف » والتي تبعد عنها سبعة كيلو مترات ، وكذلك نزح اليها عدد من نازحي الضفة الغربية وبذلك أصبح السكان فيها مزيجا من هؤلاء جميعاً !

وتعتبر هذه المدينة من أبرز أماكن السياحة في الأردن اذ تجتذب أعداداً كبيرة من السياح في كل عام وقد أولتها الحكومة بعض العناية ، وفهمت من بعض مسؤولي وزارة السياحة والآثار أن « عين البركتين » ستصبح بركة سباحة حديثة يحيط بها متنزه وبلاجات – إن صح التعبير – وذلك لاجتذاب السياح .

نهر الذهب

ولما انحسر ظل الدولة العثمانية عن هذه البلاد وتأسست الأمارة الأردنية عام ١٩٢١ تولت دائرة الآثار أعمال الحفر والتنقيب والترميم في جرش ، فقامت بمجهودات لا بأس بها حتى صار بالامكان معرفة تاريخ هذه البلدة التي وجدوا بها كمية كبيرة من الأدوات الصوانية من جملتها بعض المعاول اليدوية الصغيرة التي تدل على

عدد هائل من الاعمدة التاريخية في المدينة

عين المـاء في مدينة جرش

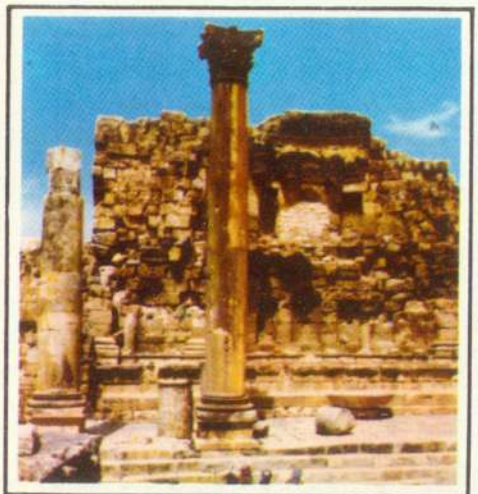

أن جرش كانت مأهولة بالسكان في العصر النيولوتي (حوالي ٦٠٠٠ ق.م) ويبدو أن الكهوف المطلة على الوادي كانت مأهولة بالسكان في تلك الفترة، أما في العصور البرونزية والحديدية فلم يعثر حتى الآن على أماكن سكن تعود إلى تلك المرحلة، إذ أن من الطبيعي أن تندثر وتدفن أية بقايا لأماكن السكن أن وجدت، بعد أن انشأ الرومان مدنهم على تلك الأماكن !

إلا أنه من الصعوبة تحديد التاريخ الذي انتقل فيه هؤلاء الناس من مواقعهم المشار اليها إلى موقع البلدة الأثرية الحالية، فالنقوش التي عثر عليها تدل على مزاعم متضاربة، فبعضها يعزى إلى الاسكندر الكبير نفسه عندما اقتحم الشرق بجيوشه المظفرة، وراودته فكرة توحيد العالم ودمج الشرق بالغرب وانشاء مراكز في الشرق واستقدام جاليات يونانية اليها لتعميم الحضارة اليونانية، والبعض يعزو بناءها للجنرال « بارديكاس » في القرن الرابع ق.م. كما ورد اسم بطليموس فيلادلفيوس الثاني أيضا الذي غير وضع عمان إلى بلدة يونانية، ولا يستبعد أن كل واحد من هؤلاء قد ساهم نوعاً ما في بناء جرش !

وتذكر النقوش المدونة في بركة السبيل « النمفايوم » أن هذه البلدة كانت تدعى باسم « انطاكية نهر الذهب » نسبة إلى انطوكيوس احد الملوك السلوقيين، أما نهر الذهب فهو اسم السيل المتدفق الذي ما زال جارياً حتى الآن، وأما اسم البلدة الحالي « جرش » فمشتق من اسمها السابق جراسا !

أما الزيارة الشخصية التي قام بها الامبراطور « هادريان » لمدينة جرش (١٢٩ ـ ١٣٠ م) فقد كانت ايذاناً ببدء حركة جديدة من النشاط العمراني المزدهر، كان من أبرزها تشييد قوس النصر تخليداً لهذا الحدث الجلل، كما بدأ العمل في برنامج للتوسع والبناء. وهناك عدد من الكتابات تشير إلى تبرع المواطنين بالهبات والعطايا واقامة المذابح ونصب التماثيل.

وانتقلت مدينة جرش لتصبح من نصيب الدولة البيزنطية بعد انقسام الدولة الرومانية إلى قسمين: الدولة الرومانية الغربية ومركزها ـ كما هو ـ روما، والدولة الرومانية الشرقية وعاصمتها بيزنطة.

ما بعد الفتح الاسلامي

وفي عام ٦١٤ ميلادية غزاها الفرس، إلا أن الغازى هرقل لم يستمتع بنشوة انتصاره، فقد داهمته جيوش الفتح الاسلامي مندفعة من الجزيرة العربية، وفتحها قائد عظيم هو « شرحبيل بن حسنة » ..

ومضت السنوات تتعاقب عليها هزات وزلازل أهمها في عامي ٧١٧، ٧٤٦ ميلادية، وهى الزلازل التي هدمت معظم ما في المدينة من مبان !

وخفت صوت المدينة عقب هذه الكوارث، وسبحت في بحر من الصمت، حتى أن الشاعر العربي « تليد الضبي » الذي عاش في زمن عمر بن عبد العزيز قال:

ألا ليت شعري هل أقودن عصبة قليل لرب العالمين سجودها
وهل أطردن الدهر ماعشت هجمة معرضة الافخاذ سجحاً خدودها
قضاعية صم الذرى فتربعت حمى جرش قد طار عنها لبودها

تمثال للمنتصر

لن أطيل عليك فأصف رحلتي من الزرقاء إلى عمان إلى جرش ولكني اضعك هناك .. في مدينة الألف عمود .. في مدينة مضيافة ترحب بكل الناس دون أن تنظر إلى الهوية أو العنوان !!

نحن الآن امام قوس النصر المعروف باسم « باب عمان » تتألف هذه البناية من قوس كبيرة مرتفعة في الوسط يبلغ ارتفاعها عن الأرض ٣٩ قدماً وعرضها ٢١ قدماً وعمقها إلى الداخل ٢٢ قدماً، وتبدو على واجهتي البناء أعمدة بارزة في الجدار، كانت تعلوها تيجان تشبه بزخارفها أوراق شوك الجمل !

إلى يسار قوس النصر وجدنا فضاء واسعاً محاطا ببقايا جدار يتصل ضلعه الجنوبي بالواجهة الشمالية لقوس النصر .. إنه « الهيبودروم » وقد كان يحيط بهذه الساحة مقاعد يظهر منها حتى الآن بقايا صفين أو أربعة في الجانب الغربي، وقد عثر عند طرفي القسم الشمالي على حجارة ذات ثغرات خاصة بلعبة البولو « الصولجان » يرجع تاريخها إلى الغزو الفارسي.

وقد كانت البلدة محاطة بسور يبلغ محيطه حوالي أربعة كيلو مترات ونصف

المسرح الجنوبي أقيم بمهارة بالغة

من الـزرقـاء إلى عمـان إلى جـرش إلى مدينة الألف عمود

الزخارف الحجرية ونقوش النافورة فريدة في نوعها

الكيلو متر ، ولهذا السور أهمية عظيمة لأنه يعطى فكرة عن جو المدينة وتقدمها . وقد صمم السور بحيث يشتمل على أبراج منيعة مربعة الشكل يبعد كل برج عن الآخر مسافة خمسين مترا وكانت الغاية من بناء هذا السور حماية المدينة من الهجمات والغارات الفجائية لا لصد الحملات القوية المسلحة اذ لا يحيط بالسور خندق على غرار الخندق الذي ضربه الرسول (ص) حول المدينة .

وفي الندوة الرومانية أو « الفوروم » هذه الساحة المبلطة المتسعة لعلها أقرب إلى شكل حدوة الحصان ... ولهم فيما يرون مذاهب .. حاولت وصحبي تفسير الأمر ولم نجد له حلا .

يحيط بهذه الساحة أعمدة يبلغ عدد القائم منها خمسة وخمسين عموداً يعلو كل منها تاج على الطراز الأيوني ، يرجع تاريخ بناء هذه الندوة إلى القرن الأول الميلادى .. كانت هذه الندوة تستعمل كمجمع عام (منتدى) يتداول فيه أهل هذه البلدة أمور بلدتهم بموجب امتيازات الحكم الذاتي الذي كانوا يتمتعون به ، كما كانت بمثابة سوق عامة لهم تعرض فيها منتجات المنطقة والسلع المجلوبة والتي كانت تمر بهم من تدمر والحجاز .

وعندما وصلنا إلى المدرج الجنوبي والذي بني في القرن الأول للميلاد ، وعلى الجدار الكائن تحت مقاعد الصف السفلى لاحظنا عدة اسطر محفورة على الحجر باللغة اليونانية تعني أن ضابطا احتياطيا من جيش تيطس الذي حارب اليهود سنة ٧٠ م اقام تمثالا يرمز للنصر وان هذا التمثال كلفه ٣٠٠٠ دراخمة وهذا مبلغ ضخم في ذلك الزمان . أما المدرج نفسه فيتألف من ٣٢ صفاً من المقاعد الحجرية تستوعب أكثر من خمسة آلاف متفرج . ولا تزال المقاعد السفلى تحمل الأرقام التي نقشت عليها ولعلها كانت تحجز سلفاً من قبل النظار كما هي العادة في المسارح الحديثة !

الزخارف الحجرية

تابعنا سيرنا لنرى شارع الأعمدة ، وأصدقكم القول بأن قلمي عاجز هنا عن وصف هذا الشارع ومجده التليد ، وان شبهته بشىء فلن أشبهه الا بشارع الشانزلزيه ولن أكون مبالغاً .. — مع الفارق الزمني طبعاً !

يمتد هذا الشارع من الندوة العامة باستقامة نحو الشمال حتى البوابة الشمالية ويبلغ طوله ٦٠٠ متراً ، ويلاحظ اختلاف طراز الأعمدة المقامة على جانبيه فهي على الطراز الأيوني من البوابة الشمالية حتى مفترق الطرق الشمالى وعلى الطراز الكورنثي إلى الجنوب .. وعلى طول الشارع تبدو الأرصفة على الجانبين ، وثمة أحواض للمياه أكبرها « السبيل » كما احدثت فتحات على جانبي الشارع وتحت الرصيف تنساب منها مياه الامطار إلى المجاري الواسعة تحت الشارع الرئيسى .

وتوجهنا من شارع الأعمدة إلى السبيل « النمفيوم » بعد سؤال احد زملائي عن هذا الحوض ... ولعله أشبه ما يكون بالنافورة في وسط المدينة ، على هذا الحوض أسود تتدفق من أفواهها المياه إلى مصارف تحتها ما زالت بادية ويظهر أحدها وقد صنع على هيئة أربع سمكات . ان الزخارف الحجرية والنقوش الظاهرة في هذه النافورة فريدة في نوعها لا يضاهيها بين آثار جرش دقة وجمالا واتقانا وروعة أي منظر آخر .

ثم عشنا في حديث عن هيكل «ارتميس» حامى المدينة الذي بناه في منتصف القرن الثاني الميلادي ، ووصلنا إلى قبة قيل لنا أنها الوحيدة الباقية من مجموعة قباب معلقة أخري تبين لنا أنها كانت تستعمل كحمامات .

أما المسرح الشمالي فلم تمتد اليه ايدي التنقيب والحفر إلا على سبيل التسلية ويبدو أنه أصغر من المسرح الجنوبي ... ، بعد هذا كله خرجنا من الباب الآخر لهذه الحضارة العظيمة انها البوابة الشمالية بشكلها الظاهر الآن والتي بنيت عام ١١٥ في عهد « كلوديوس سفيروس » نائب الامبراطور تراجان الذي جدد تعبيد الطريق من بيلا إلى جرش . وهو قبو واسع كان جزءاً من أساس فناء هيكل ارتميس .. شاهدت بعض القطع الأثرية التي عثر عليها بين آثار جرش كالنقوش الحجرية وقطع البلاط من الفسيفساء وبعض بقايا التماثيل .

وقيل لنا ان بعض موجودات هذا القبو قد وضعت في متحف الآثار الموجود في المدرج الروماني في عمان وبالفعل تحققت من هذا وشاهدتها في المتحف المذكور .

وقبل ان أختم حديثي عن هذه المدينة الأثرية العظيمة ارجو أن انوه بأن هذه المدينة تمتاز بجمعها بين حياة المدينة والريف ، وان أهلها يتمتعون بالعادات والتقاليد والقيم العربية الأصيلة ويرتدون الألبسة القومية التقليدية التي تعبر عن الأصالة والاحتشام وصدق الانتماء ، واتركم الآن لأتوجه وصحبي إلى أحد دواوين الضيافة لتناول المنسف العربي واحتساء القهوة العربية !

أسامة شهاب

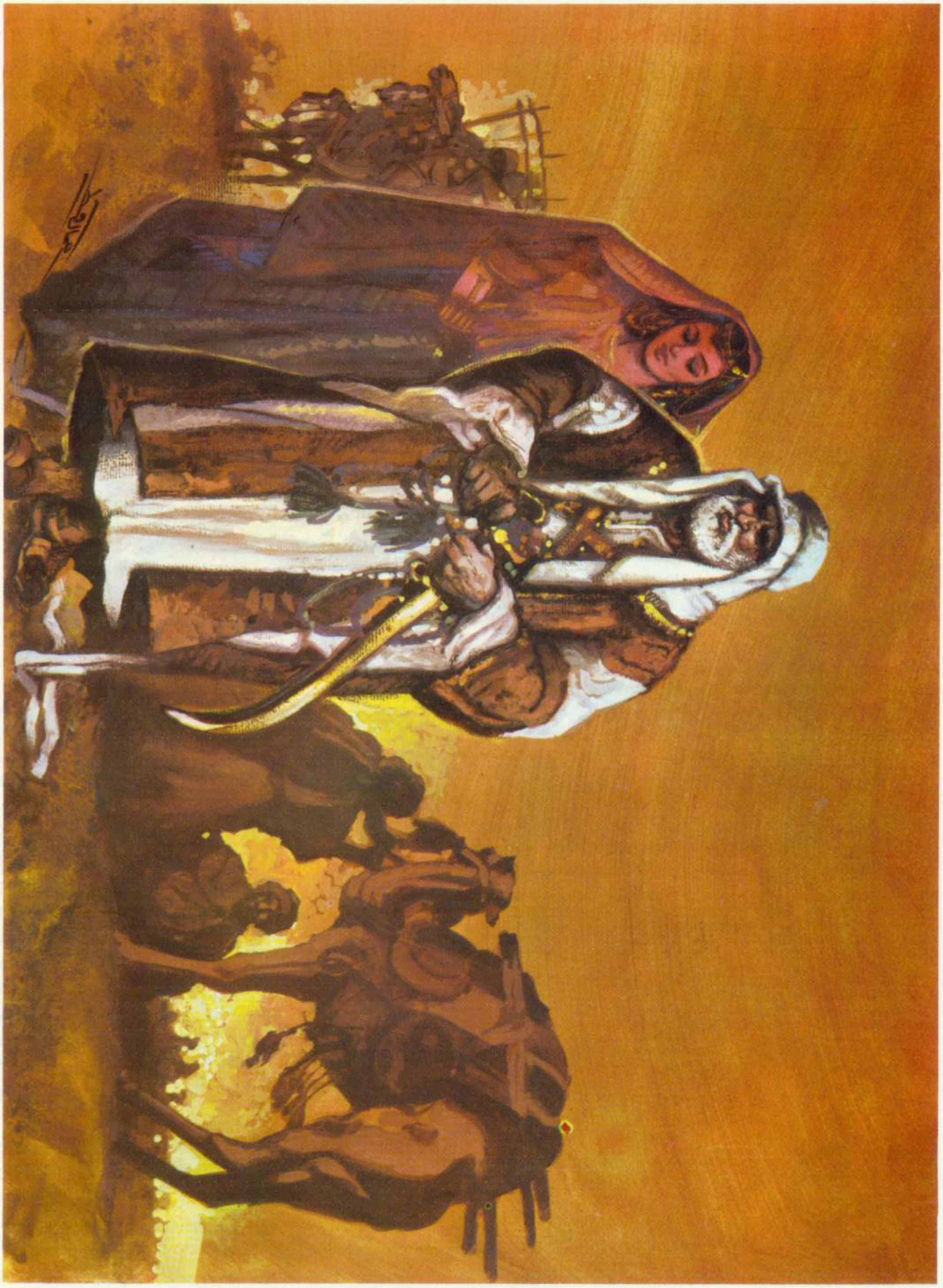

وقائع عربية

محمد المنسي قنديل

الرحيل إلى أرض تميم

ماذا يبقى في الرمل بعد عشرات السنين .. بعد أن حولتم عيون الماء إلى مخابئ ؟

صاح أحدهم والسيوف مازالت تصطك : ويلكم، أما تملون القتال؟

كانوا يقاتلون في غير زمن القتال .. وخذلتهم امرأة عند أول منعطف !

ناديت عليك يا تميم في الآبار القديمة. فلا صدى . الربع خال . والاحياء دارسة . والصحراء صامتة . وكراهيتي لكم تملأ قلبي . انني تائه يا بني يربوع . ضائع يا بني دارم . غريب يا حنظلة . فقدت هويتي عند اول بئر . ولم يزدني السفر الا عطشا . خرجت معكم في الغارات . قتلت ولم اسر .. فقسمت الاسهم وقت الغنائم وضاع نصيبي . ذهبت الى « الوقيط » فوجدت فرسان بكر يسلبون جثث قتلاكم . وفي « جدود » لم اجد الا الطيور السوداء وقد اتخمها اللحم الميت . وفي « اياد » كانت كل الينابيع ملوثة بالدم .. وفي « قشاوة » .. « والوقبى » .. « والشباك » ..

اني اكرهكم . حولتم كل الربوع الى مواقع . وعيون الماء الى مخابىء . وهمسات العشق الى صيحات انذار . فماذا يبقى في الرمل بعد عشرات السنين . وهل جاء ذلك النفط الاسود اللزج الا من عظام موتاكم ونخاع اعدائكم .. فلماذا لا تظهرون وتنحدرون نحوي كالسيل . تاخذون بمشورة اكبركم وتاتمرون بامر اصغركم . تحاصرونني وتجلدونني . وتطلبون فديتي من حشاش الارض ..

تميم من مضر . ومضر من نزار . ونزار من عدنان . تناسل الآباء . وتصارع الابناء . وتفرقت القبائل مع التضاريس . كانت تميم ثلث العرب . وجهها شطر الصحراء وظهرها للخليج . امامها قبائل ربيعة .. بكر وتغلب وشيبان .. وخلفها بضع من فقراء الصيادين ..

كل صعاليك العرب قابلوني . وسالوني في دهشة .. ولماذا تميم وانت تكرههم ؟ قلت .. لانهم يتحركون خارج مثالية التاريخ . يحملون اخطاءهم الانسانية ويرحلون . ينتصرون انتصارات خاطفة . وينهزمون هزائم مرة . وقال لي الشيوخ العجائز . اذا اردت تميما فتوجه الى مغارات الملح . قلت في دهشة .. مغارات الملح ؟.. في وسط الصحراء ..؟.. قالوا وهم يعبثون في لحاهم .. مع تميم عليك ان تتوقع اي شيء ..

كنت اعرف ذلك . مع تميم عليك ان تتوقع اي شيء . عندما شعروا بالضعف وقرروا ان يدخلوا الاسلام . وتوجهوا الى يثرب قال كبيرهم .. ان النبي يحرم الغزو. فماذا لو غزونا غزوتنا الاخيرة في الطريق ثم نعلن توبتنا .. وفي الطريق الى يثرب غزوا احد القبائل . وقسموا الغنائم وجلسوا بين يدى الرسول .. سعداء .. شبعى .. واعلنوا اسلامهم وهم يتنهدون في راحة ..

مع تميم عليك ان تتوقع كل شيء . حين انقسم المسلمون وبداوا عصر الشتات مبكرا . تقابل جمع من الخوارج مع جنود الخليفة الاموي . وظلوا يتقاتلون النهار باكمله . واطبق عليهم ظلام الموت والسيوف مازالت تصطك . وقالت فئة منهم : ويلكم . أما تملون القتال . قالوا : كلا حتى تملوا انتم . سالوهم : من اين انتم . قالوا : من تميم . وتواصل القتال ..

مع تميم عليك ان تتوقع كل شيء .. يقاتلون في غير زمن القتال . ويهجمون لمجرد نزوة سانحة . ويهزمون قبائل مجتمعة .. ولكنهم ينهزمون شر هزيمة امام بطن واحدة من البطون وهم الوحيدون منذ ان توالى الرسل والانبياء الذين اخرجوا نبيا انثى . عندما جاءت سجاح بنت الحارث تهتف بهم . انما انا امراة من بني يربوع .. وان كان ملك فالملك ملككم . وكان كل واحد من تميم يعتقد انه ملك في المنفى . وتبعوا سجاحا دون وعي . كان النبي الحقيقي قد مات . واخرجت كل قبيلة نبيها الخاص . ولكن النبي .. المراة خذلتهم عند اول منعطف . تقابلت مع مسيلمه الكذاب وقال لها .. « اتزوجك فآكل بقومي وقومك العرب .. » فتزوجته لأسباب بعيدة عن النبوة . وكان صداقها ان رفع صلاة العشاء . وصلاة الفجر عن كاهل قومها .. وجاءت جيوش ابن الوليد واجتاحت كل شيء ومع تميم تتوقع كل شيء ..

الرحيل الى مغارات الملح ..

بدات رحلتي الى مغارات الملح . لعل احدا يدلني اليهم . اشتعل الدم في عروقي وانا اواصل الليل بالنهار . كنت لا اتلفت خلفي حتى تتم سفرتي . في الصحراء لا يلتفت الا العاشق حتى يعود . كنت افعل كل ما يفعله التائه . اقلب ثيابي واصيح في اذن ناقتي . واصفق . واهتف . النجاة النجاة .. النجا النجا . الساعة الساعة .

لعلي انجو من مفازات الصحراء . اعوذ بكل اصحاب الوديان . وكل ساكني الهضاب . واشعل نارا لاترك ذكرى ..

وفي النهاية وصلت الى مغارات الملح . تركت ناقتي وقناعي وسيفي الصدىء في الخارج . ودخلت لم الق سلاما . ولم اتل تعويذة . وحاصرتني اعمدة الملح . كنت محملا بصهد الصحراء . وببضع من شمسها والمغارات مليئة برطوبة الزمن المتحجر . هتفت يا تميم ثلاث مرات . في الاولى جاوبني الصدى كالبكاء . وفي الثانية عوت كل حيوانات البرية . وفي الثالثة ظهر الفرزدق . قبيح الوجه كما هو . شاحبا كما لم يكن من قبل . عباءته الدمشقية مغطاه بالملح والتراب .. قال في هدوء كأنما كان يتوقع مجيئي .

ـ انا دليلك الى تميم .. قبيلتي ومنفاي.

سرت وراءه صامتا . اخذني فجاة الى عالمه الملحي . كان مغارة الملح كانت موجودة في داخلي . كل شيء يتكسر هشا حين تلمسه . اشار الفرزدق بيده . جسد امراة ممدد امامنا . ذراعاها متقاطعان فوق صدرها والملح يحيط بها من كل جانب كأنه كفن رمادي رقيق وقال في صوت متهدج .

ـ هذه هي « النوار » زوجتي وابنة عمي المسكينة . تزوجتها رغما عنها وليلة عرسنا هربت واخذت اطاردها من قبيلة الى قبيلة .. كل واحدة جرؤت على ايوانها هجوتها اشنع الهجاء . حاربت العرب كلهم بلساني فلم تجد ملجأ الا بيتي ولكن الموت اجارها . لم يرهبه هجائي .. ولم يستهوه مديحي ..

سرت خلفه صامتا . لم يكن يبدو نادما . كان تميميا قحا . وغدا حتى النخاع . اشار الى رجل آخر نائم في غلالة الملح الرمادية وقال في همس خائف ..

ـ وهذا قطري بن الفجاءة . من الافضل الا نتكلم عليه والا هدم الخليفة المغارات فوق رؤوسنا ..

بدات اشك في نواياه . لماذا كان هو التميمي الوحيد الذي بقي حيا . وكيف قاوم الملح والرطوبة . اشار الى رجل آخر مفتوح العينين ينظر الينا في حنق .. قال متوجعا ...

ـ وهذا جرير . عدوي وتوام روحي .

كنا نلتقي خلسة بعيدا عن الجميع . نشرب سويا ونتناشد الاشعار . فاذا افترقنا تهاجينا وتناقضنا كما يهوي العامة والسلطان ..

لم يخدعني صوته المتهدج . كنت احس بتميم وهي تنتقض . تحتج على هذا التقديم الرسمي الباهت . تملأ المغارات بضجيجها وعنفها واخطائها البشرية . وتصنع من كل هذا شمسا صغيرة باهتة . جاء عمرو بن يربوع . حكى لي قصة زواجه بانثى الغول. كان سعيدا معها . وكانت هي لا تخشى شيئا الا برق السماء . ولكنها ذات ليلة فاجاها البرق فصرخت . وفرت هاربة في عرض الصحراء. ولم يرها بعد ذلك . كان يتحدث عن جمالها الوحشي . وعشقها المليء بالشراسة . وجاء بشارة العنبري الاعور حين حذر قومه من هجوم قبائل ربيعة فلم يصدقوه وخرقوا عينه الاخرى . ونهم متمم بن نويرة يبكي اخاه مالكا . ان الشجا يبعث الشجا . والعالم كله مغارة ملح واسعة . كان مالك سيدا سمحا كريما . وفي زمن الردة وقع اسيرا في يد خالد بن الوليد . وحدث الخطا الماساوي وقتل مالك . وزادت فداحة الخطا عندما تزوج ابن الوليد من زوجة قتيله حتى قبل ان تكمل عدتها .

كانت تميم تنهض . وخيولهم تصهل . يستعدون لبعث جديد ولغزوة جديدة . وصدى الطبول يتردد عبر المغارات الموحشة تختلط باصوات الملح وهم ينفضونه من على ثيابهم .. وجاء الى خيبري بن عبادة . امتشق حسامه وهتف بي في حدة ..

ـ هل تذهب معنا الى « المشقر » ..

ولم اجب . ولكن اصواتهم ارتفعت تهدر . انتقلوا من الصمت الى الغضب في سرعة تميمية هائلة .. استفزتهم صرخة الحرب وهتفوا جميعا .. هيا الى « المشقر » سوف نبدا من هناك ..

الرحيل الى زمن « المشقر »

على شاطىء الخليج ينتصب حصن المشقر. بلا شموخ . ولا وقار حصن بدائي من ترسبات البحر . والمحار الفارغ . والطحالب الصلبة والصخور الجيرية . بابه الخشبي عليه سلسلة حديدية صدئة . والحصن كله مترب . فيه عفونة دائمة تنبعث من سردابه الممتد الذي لا يخلو من القتل ابدا . وكان « المكعبر » عامل كسرى على البحرين والشاطىء الشرقي للخليج قد آل على نفسه الا يدع من تميم عينا تطرف وجلس ينتظر مقدمهم من عرض الصحراء ..

وكان هوذة عامل كسرى على اليمامة ينتظر قدوم القافلة السنوية التي يرسلها كسرى انوشروان الى اليمن تحمل الاسلحة والاوامر الجديدة وحكام المقاطعات وكل ما يهم الحامية الفارسية التي تحتل جبال اليمن الوعرة .

وخط سير القافلة السنوية لا يتغير . تخرج من المدائن في حراسة الاساورة حتى الحيرة. ويرسلها الملك النعمان بن المنذر في حراسة جنوده حتى تصل الى اليمامة . فيحرسها هوذة وجنوده حتى تخرج الى ارض تميم فتتولى حراستها حتى حدود اليمن . ولان تميما لا تدين بالولاء الا لتميم فهي ولابد ان تقبض ثمن هذه الحراسة .

ولكن هوذه لم ينس ابدا ان تميما قتلت اباه . وانه عاجز عن ان يدرك ثاره . وعندما وصلت القافلة تحمل الطعام والمال ثمنا لخفارة تميم قال للاكاسرة ..

- انظروا الثمن الذي تدفعونه لتميم فاعطونيه وانا اكفيكم امرهم واسير بها معكم حتى تبلغوا مامنكم ..

ووافقه الاكاسرة . وجمع هوذه فرسانه ورفع الاعلام الفارسية . وسار حتى آخر أودية اليمامة . ثم توغلوا في ارض تميم . ولكن الانباء سبقتهم . حملتها ريح الصحراء الى تميم المترقبة . ان يمنعوا من خفارة القافلة حتى اليمن فهذه اهانة . وان تمنع عنهم الاموال التي ارسلها كسرى فذاك شيء لا يرده الا الدم .

وهجمت تميم في غضبتها العارمة . ضربت الاكاسرة . وقتلت الحرس . وسلبت العير واخذت هوذة اسيرا . وكان قائد تميم اكثم بن صيفي الاسدي بسنواته التسعين . ووجهه المتغضن المليء بالجروح جالسا في وسط المضارب يتطلع الى هوذه ..

- اخذت اجر خفارتنا . وسلبت تميما حقها .. وسوف تكون حياتك هي الثمن ..

ارتعد هوذة وشبح ابيه المهدر الثار امام عينيه . قال .

- فان شئت افتديت نفسي وعوضت خسارتكم ..

قال اكثم .. ليس اقل من ثلثمائة بعير .

سار هوذه وسط فرسان لتميم الى هجر . ذليلا . حوله بضع من الاكاسرة المهزومين الممزقي الثياب . واخذت تميم كل ما في مراعيه من ابل . كانوا ثلثمائة ينقصون ثلاثة . ثم انطلق هوذه الى المدائن . وكان كسرى يتميز غضبا وهو يتامل وجوههم المهزومة . قال لهوذة .. كم ولد لك ؟ قال : عشرة .. قال كسرى : فايهم احب اليك ؟.. قال : غائبهم حتى يقدم . وصغيرهم حتى يكبر . ومريضهم حتى يبرا . قال كسرى في سخرية ..

- الذي اخرج منك هذا العقل اعجزك حتى طلبت مني الوسيلة . هؤلاء الذين قتلوا اساورتي واخذوا مالي هل بينك وبينهم صلح ؟.

قال هوذه ..

- بيني وبينهم حساء الموت . هم قتلوا ابي . واقتادوني ذليلا الى بلدي ..

- كيف لي بهم ..

- ان ارضهم لا تطيقها اساورتك وهم يمتنعون بها . ولكن احجب عنهم الميرة فاذا فعلت ذلك بهم سنة ارسلت معي جندا من اساورتك فاقيم لهم السوق .. فاذا اتوها اصابتهم خيلك ..

.. كانت السنة مجدبة . والمراعي مقفرة . والماشية هزيلة . والغارات لا تؤتي اكلها . وادركت تميم خطأها عندما منع كسرى الميرة عنها . لم يعد هناك امل في اية مساعدة . او طعام الا ان تكون ذاكرة كسرى ضعيفة فينسى ويغفر ويرسل الميرة . لكن الذي جاء هو هوذة ومعه الف من الاكاسرة . ذهبوا الى « المشقر » ونودي في الاسواق والبطون والمضارب .

- ان كسرى قد بلغه الذي اصابكم في هذه السنة وقد امر لكم بميرة فتعالوا وامتاروا .

وصدقت تميم لانها كانت تريد ان تصدق . وانساها الجدب الحذر . هرعوا جوعى الى « المشقر » ووقفوا امام بابه المغلق. وجاءت اوامر الحرس الا يدخلوا الا فرادى واحدا خلف الاخر . وفتح الباب فتحة ضيقة فدخل اولهم . ثم فتح من جديد ودخل الثاني . وفي الجو رائحة غريبة . خليط من سخونة الخليج وقيظ الصحراء . ودخل ثالث . لم يبق الا الاحساس بالجوع . والخوف من فصل مجدب آخر . ودخل رابع . وخامس . وسادس . ولم يعد هناك من يحصى . والابل تثغو في ضعف . ما اغرب ذلك الشبع الذي يجعلهم يدخلون ولا يخرجون .. وآخر .. وآخر .. كان خبيري بن عبادة يتامل ما بقى حوله من جوعى تميم .. يدخلون ولا يخرجون . تامل الشيوخ والاطفال .. يدخلون ولا يخرجون صرخ ..

- ويلكم .. اين عقولكم .. فوالله ما بعد النهب الا القتل ..

جرى ناحية الباب . وامتدت يد احد الحراس يحاول ان يمنعه . ولكنه هوى بالسيف فقطع يد الحارس وقطع السلسلة التي على الباب . فاذا تميم رؤوسا مبتورة . ودم على الارض . وذبيحة مخدوعة . واذا هوذة قد ادرك ثاره غاليا .. وصرخ خبيري بالتميم .. الفرار .. الفرار ..

الى اين ..؟..

من الجحيم الى الجحيم .. من المشقر المليء بالجثث الى المضارب المليئة بالارامل والثكالى .. الى الصحراء وقبائلها المعادية . الى اين ..؟..

الرحيل الى زمن « الكلاب »

في اول ليلة من ليالي الحزن جلسوا وسط المضارب الخالية .. بلا فرسان ولا ازواج ولا اخوة . وجلس حكماء تميم السبعة واكثم بن صيفي وسطهم محطما .. محني الظهر .. قال :

- اوقع بنا كسرى واوهن قوانا . وان الناس قد بلغهم ما لقينا واخاف ان يطمعوا فينا . واني قد قاربت المائة . وقلبي بضعة من جسدي نحل كما نحل جسدي . وبعد اليوم لن نقدر على الغزو . ولن يخرج للرعي الا الفتيان . فليعرض كل واحد رأيه فاني متى اسمع الحزم اعرفه ..كانوا بقايا حطام .. يهذون بلا جدوى .. واكثم صامت. حتى قال النعمان بن جساس ..

- لننظر الى اي ماء نجتمع حوله . لا يعلم الناس اين هو حتى نقوى ونشتد ونضمد كل جروحنا ..

ووافق اكثم . رحيل شامل لكل ما بقى. لا يبقى الا الطلل الخالي . الى ماء يقال له « الكلاب » يحميه جبل عال . ويفصلهم عن بقية القبائل العادية مفازة موحشة . حطوا رحالهم والتفوا حول بعضهم وتناسوا كل الخلافات القديمة . والتفاخر الاحمق بالانساب وكان في « الكلاب » نوع من الفراء لكل الارامل والثكالى .. وهدا الزمان قليلا وهدأت حدة القيظ ..

ومر بهم مسافر من مذحج .. اثارته رؤية الفتيات اللاتي يقمن بالرعي والابل

حملت ريح الصحراء الأنباء.. فهجمت تميم في غضبة عارمة!

التي بدات تسترد قواها . وانطلق من فوره الى قبيلته وهتف بهم ..

— هل لكم من جارية عذراء ومهرة شوهاء وبكرة حمراء . تلكم تميم القاء مطروحين على ماء « كلاب » ..

كانت القبائل قد انهكها البحث عن تميم لقد وجدوهم اخيرا . ضعفاء كما لم يكونوا من قبل . وسارت الرسل من مذحج الى قضاعة الى بقية القبائل المتحالفة . صاح كاهنهم . لا تغزوا .. فلم يستمع اليه احد . لا احد يبالي بالنبوءات عندما تتعارض مع الصالح .. وهذه تميم .. مهيضة .. مكلومة ..

خرج اربعة من قادة القبائل اليمنية . كل قائد معه الفان من الفرسان . ثمانية آلاف مجتمعة . ومعهم عبد يغوث . شاعر بني الحارث وفارسهم . كانه جيش وحده . وساروا جميعا يبغون البقية الباقية من تميم ..

وبدت طلائع الجيش . فزعت تميم . لم تر من قبل تجمعا بهذه الضخامة . كان اكثم ابن صيفي يحتضر . وتلفتت تميم فلم تجد غيره .. هرعوا اليه ..

— حقق لنا هذا الامر فانا قد رضيناك رئيسا ..

قال اكثم وهو يلتقط انفاسه في صعوبة :

— لا حاجة لي في الرياسة فان الموت في انتظاري . ولكن اشير عليكم .. لتنزل حنظلة بالدهناء . وسعد ورباب بالكلاب .. فاي الطريقين اخذ القوم كفى احدهما صاحبه ..

كانت هذه هي وصاياه الاخيرة ..

— اقلوا الخلاف على امرائكم . واعلموا ان كثرة الصياح من الفشل . يا قوم تثبتوا فان احزم الفريقين الركين . واتزروا للحرب . وادرعوا الليل فانه اخفى للويل . وان عز اخوك فهن . البسوا جلود النمور والثبات افضل من القوة . واهنا الظفر كثرة الاسرى . وخير الغنيمة المال . ولا ترهبوا الموت عند الحرب . فان الموت من ورائكم . وحب الحياة لدى الحرب زلل .. ومن خير امرائكم النعمان ابن جساس .

وتقدم النعمان ليمسك يد اكثم ولكنها سقطت في يده . باردة ميتة . لم يكن هناك وقت للرثاء . ومذحج وقضاعة واحلافهما قد حاصروا الجبل . استولوا على الابل والماشية واسروا الفتيات . وبدت المعركة محسومة مقدما . ونزلت حنظلة الى الدهناء . وتوجهت سعد ناحية الماء . وقال ضمرة بن لبيد لقومه من مذحج ..

— انظروا وانتم تستاقون الابل . فان اتت الخيل عصبا عصبا وثبتت الاولى للاخرى حتى تلحق بها فان امر القوم هين . وان لحق بكم القوم فلم ينظروا اليكم حتى يردوا الابل ولا ينتظر بعضهم بعضا فان امر القوم شديد ..

وانحدرت تميم . واكتسبت من اندفاعها سرعة السهم وحدته اخترقوا مذحجا وصفوفها حتى وصلوا الى الابل وكل واحد يحارب كانها معركته وحده في مواجهة كل القبائل . وصرخ النعمان بن جساس .

— يا لتميم لا تقتلوا الا فارسا فان الرجالة لكم ..

ولكنه قتل في نهاية اليوم . وانسحبت تميم وباتوا طوال الليل يحرسون بعضهم بعضا وظنت مذحج ان الصباح الجديد سوف يحمل الهزيمة لتميم وفوجئت تميم بنفسها وهي تنتصر . حتى عبد يغوث سقط اسيرا في يد فتى صغير من بني عميرة . ما لبث ان اقتاده مسرورا الى امه . فرات الاسير عظيما جميلا . فسالته . من انت ؟ قال عبد يغوث في خجل . انا سيد القوم . وضحكت الام وهي تقول .. قبحك الله من سيد قوم حتى اسرك هذا الاهوج .

وتواصل القتال . كان تميما يتضاعف عددها . كان كل حواملها يلدن ويدفعن باطفالهن الى المعركة .. فيكبرون وينضجون ويتشحون بدم القتل . وصرخ عبد يغوث . يا بني تميم . اقتلوني قتلة كريمة .. اسقوني خمرا ودعوني انح على نفسي .

وضعوا امامه دنان الخمر .. وقطعوا عرق الاكحل .. وتركوه ينزف ويموت ويرثي نفسه ..

الا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا ..

فما لكما في اللوم خير .. ولا ليا ..

كانت تميم تنتصر . انتصارا رائعا وغريبا . والملح يذوب في مغارات الملح . وعبد يغوث يموت . وفلول مذحج تنسحب . وانا اعشق تميما . قنعت من رحلتي بالعشق بعد الكراهية . لا ابالي ان هزمتهم بطون عامر . او شردت خيامهم حرب الردة .. لا ابالي اخطاءهم وضعفهم الانساني وكراهية المؤرخين لهم . الطبري والاصفهاني وابن الاثير والمسعودي .. فانا اعشقهم . اعشق اخطاءهم الرائعة . وكثرة الثوار والمتمردين منهم وثورتهم على اكفان الملح وكراسي الحكم واستفزاز الرواة ومنتحلي الاشعار . اعشقهم رغم حصار التاريخ الرسمي . ولا اتوقف عن السفر الى ارض تميم .

محمد المنسي قنديل

حكايــــة صغيـــرة

الحطاب الذى يحلم

كان الحطاب نائما عندما جاء الوزير الاول وركله فى ظهره ركلة قاسية . استيقظ الحطاب مذعورا .. وزاد ذعره عندما شاهد الوزير أمامه وهو يقول..

ـ مولانا الملك يشعر بالبرد الشديد .. وهو فى حاجة الى بعض الاخشاب .. ولم يصدق الحطاب إذنيه . طار النوم منه كعصفور . الملك يطلب منه هو دون باقى الحطابين فى المملكة . شحذ فاسه وذهب الى الغابة .. كانت الغابة تحلم حلما اخضر . وقال الحطاب دون أسف حقيقى . ياأعزائى الاشجار . إنى حزين . ولكن الملك يريدكم . إرتجفت الغصون وتجمدت العصارة رعبا . وفكر الصياد ، سوف يكافئنى الملك . ستدهشه مهارتى فيجعلني وزيرا . وفى كل شتاء أوفر له الدفء . كانت الاشجار تترنح . وأعشاش العصافير تهوى . والفراشات تتمزق أجنحتها . والحيوانات تفر فى ذعر .. لم يغن إلا الصياد .. سأغدو وزيراً .. سأغدو وزيراً .. وكان الغناء يزيد من قوة ضرباته ..

وفى المساء . كانت الغابة كلها كومة كبيرة من الخشب فى فناء الملك ،، كان الجو شديد البرودة . ولكن كمية الخشب كافية لتدفئة دولة بأسرها . وعاد الحطاب الى كوخه سعيدا . والتصق هو وزوجته وأطفاله الثلاثة جميعا لأنه لم يكن فى الكوخ قطعة خشب واحدة .. ونام الحطاب حتى الصباح وهو يحلم أحلاما جميلة ..

وبعد عدة أيام كان الحطاب لايزال حطابا . وجاء الوزير الاول وركله بقسوة وقال له برقة..

ـ مولانا الملك مازال بردانا وهو فى حاجة ملحة لبعض الاخشاب .. إنتفض الحطاب من الفرح . حمل فاسه وسار مسرعا الى الغابة .. ولكن الغابة كانت خرابا . أشجاراً مجتثة . وبقايا أعشاب . ونباتات ذابلة .. اثار الاغتيال واضحة

سار الحطاب بفاسه الى كل الاعمدة الخشبية فى المملكة . قطع أعمدة الكهرباء والتليفونات وأشارات الطريق وحوامل الاعلانات وحواجز الطرق وكل ما يربط المملكة بالممالك الأخرى . وفكر الحطاب . سيكتشف الملك مهارتى وحسن تصرفى وسيختارنى وزيرا بالتأكيد . كانت المملكة تغرق فى الظلام الدامس . والبرد يتكاثف على جلدها العارى . وتكومت كومة من الاخشاب فى فناء القصر .. لم تكن كبيرة كالاولى ..ولكنها كانت كافية لتدفئة الملك والحاشية والامراء والقادة . وذهب الحطاب الى زوجته وأولاده الثلاثة وناموا جميعا فى الظلام وحلم الحطاب أنه قد أصبح بالفعل وزيراً ..

وبعد عدة أيام كان الحطاب مازال حطاباً . وجاء الوزير وركله بقسوة وقال له برقة ..

ـ مولانا الملك بردان .. من غيرك يقدر على أن يأتيه ببعض من الخشب ؟

ونهض الحطاب متعبا . الغابة خالية . والشوارع مقفرة . والبيوت مظلمة . والبرد يغطى كل شىء .. وعيون الناس تحدق فيه بكراهية .. لايهم مادام الملك راضياً عنه .. وعندما يصبح وزيرا ستمتلىء كل هذه النظرات بالحب .. ولكن عليه أولا ،، أن يجد للملك ما يطلبه ..؟ .. أين .. لا يدرى .. !

سار طويلا فى الشوارع . سأل الجميع فلم يجاوبه أحد .. وإبتعد الاطفال عن طريقه .. هذه هى المرة الثالثة .. الاختبار الثالث .. لو فشل سيضيع كل ما فعله من قبل .. عاد الى كوخه . الى زوجته وأولاده الثلاثة . نظروا اليه.. لم يكن يحمل شىء .. لا وعدا .. ولاإعتذاراً .. ولا أسفا .. فأس.. مجرد فأس حاد .. رفعه وهوى به على الكوخ .. صرخ الاطفال ولكن أمهم ضمتهم الى صدرها وإبتعدت .. وظل هو يهدم .. ويهذى .. ويهذي .. هذه المرة .. سوف يقدر الملك تضحيتى.

وبعد فترة تحول الكوخ .. والاسرة .. والمقاعد الى كومة صغيرة من الخشب فى فناء القصر.. كومة صغيرة ولكنها كافية لتدفئة الملك على الاقل .. وقال الحطاب وهو ينصرف .. يكفى انني هونت عليه هذا الشتاء القاسى ..

عاد الى كوخه . الى حيث كان يوجد كوخه . زوجته وأولاده الثلاثة واقفين فى العراء . ينتظرون عودته . لم يكن هناك وقت للوم .. او لعتاب .. أو حتى للاستفهام . التف الخمسة حول بعضهم وناموا جميعا على الارض وفوقهم غطاء ممزق . وريح باردة وسماء بعيدة وملك دافىء. ووزير قاسى الركلات . وأناس عيونهم كلها كراهية .. وحاول الحطاب أن ينام لكن الصغير نظر اليه وعيونه مليئة بالرعب .. فقال الحطاب..

ـ لو مرت هذه الليلة دون أن نتجمد من البرد .. فسوف أصبح وزيراً غداً ..

(م ...)

البروتين من النفط .. هل هو أمل أم حقيقة ؟

د. فاروق مخيمر

ان معدلات الزيادة في عدد سكان العالم تفوق معدلات انتاج الغذاء ، ولذلك فان حوالي ٧٠ بالمائة من السكان يعانون من نقص الغذاء او من سوء التغذية او من كليهما ، والبروتين هو اهم عناصر الغذاء فهو ضروري لبناء خلايا الجسم ووقايتها من الامراض ، ويقدر النقص حاليا في البروتين الطبيعي في العالم بحوالي عشرة ملايين طن سنويا .

البروتين الطبيعي

البروتين الطبيعي نوعان ، بروتين حيواني يوجد في اللحوم والسمك والبيض واللبن ، ويحتوي على اهم الاحماض الامينية اللازمة للانسان ، وبروتين نباتي يوجد في البقول والبذور والحبوب ، ويفتقر الى بعض الاحماض الامينية الموجودة في البروتين الحيواني ولذلك فان قيمته الغذائية منخفضة ، وسكان البلدان الغنية يحصلون على قدر كاف من البروتين الحيواني ، اما الدول النامية فان غذاءها يعتمد في معظمه على البروتين النباتي .

ولا يقتصر استهلاك البروتين الطبيعي على الانسان فقط ، ولكن الحيوانات المجترة والدواجن تستهلك كمية كبيرة اخرى على هيئة اعلاف تعتمد على البذور الزيتية مثل فول الصويا ، وعلى مسحوق السمك ، والحيوان المجتر يلتهم اربعة اطنان من البروتينات النباتية لكي يعطي طنا واحدا من البروتينات الحيوانية .

وهذه الموارد من البروتين الطبيعي يمكن ان تساهم في سد جزء من العجز البروتيني لسكان العالم في حالة ايجاد مصدر بروتيني آخر مناسب ، ولذلك بدأ التفكير في انتاج البروتين الصناعي .

البروتين الصناعي

في الخمسينات من هذا القرن اكتشف ان بعض الكائنات الدقيقة وحيدة الخلية يمكن ان تنمو بسرعة فائقة على مخلفات النفط ، ووجد ان هذه الكائنات تحتوي على نسبة كبيرة من البروتين عالي الجودة ، وقد كان ذلك بداية الاهتمام بانتاج البروتين الصناعي

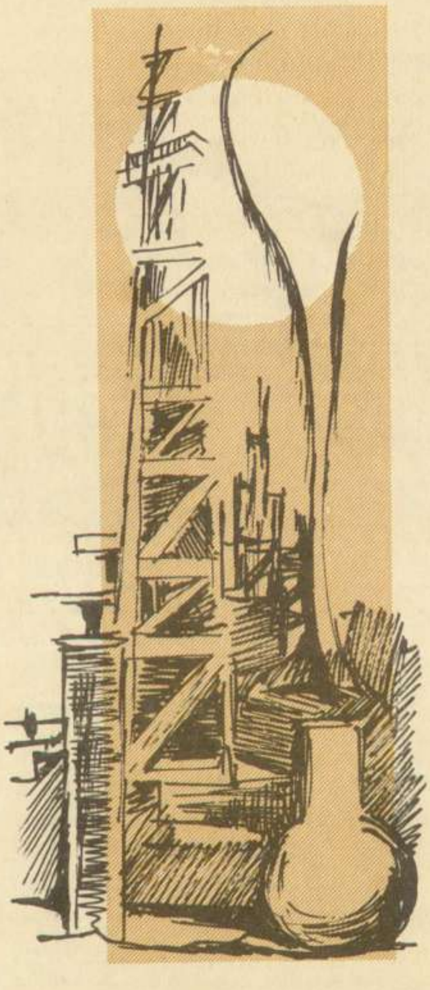

المسمى « البروتين وحيد الخلية » .

واهم الكائنات الدقيقة التي استخدمت هي البكتريا ونباتات الخميرة وهي يمكن ان تنمو على المخلفات النباتية العضوية مثل المولاس، وكذلك على الهيدروكربونات من النفط والغاز الطبيعي اما بصورة مباشرة باستخدام البرافين والميثان ، او بصورة غير مباشرة باستخدام الميثانول والايثانول .

وتوجد مصاعب عديدة في استخدام المخلفات النباتية حيث ان كمياتها محدودة وتركيبها غير ثابت مما ينتج عنه اختلاف في تركيب المنتج ، اما استخدام هيدروكربونات النفط والغاز الطبيعي فقد اصبح اهم اتجاه في العالم لتوفير المادة الخام وثبات مكوناتها ، واهم المواد الخام التي اعطت نتائج مشجعة هي البرافين حيث امكن استخدامه على المستوى التجاري .

وتتلخص هذه الطريقة الانتاجية في تغذية نباتات الخميرة على البرافين العادي وبعض المعادن والامونيا حيث يتم تكاثر هذه الكائنات بسرعة فائقة ، ثم تفصل هذه الكائنات وتجفف ، ونسبة البروتين بها تتراوح بين ٦٠ - ٧٥ بالمائة .

ويتكلف انتاج الطن الواحد من البروتين وحيد الخلية حوالي ٦٠٠ دولار وهو يعتبر غاليا بالمقارنة بسعر الطن من فول الصويا وهو حوالي ٤٥٠ دولار ، ولكن نسبة البروتين فيه اعلى من فول الصويا التي تحتوي على ٤٧ بالمائة فقط من البروتين ، زيادة على ان مصنع انتاج البروتين وحيد الخلية يمكن اقامته خلال ثلاث سنوات ، في حين ان التنمية الزراعية تتطلب اضعاف هذه المدة .

للحيوانات فقط

البروتين وحيد الخلية يحتوي على بروتين يصلح لتغذية الانسان والحيوان ، ولكنه غير مقبول كغذاء آدمي وجميع التجارب التي اجريت عليه حتى اليوم كانت في استخدامه كمصدر بروتيني لتغذية حيوانات المزرعة ، ويضاف بنسبة ٥ - ١٠ بالمائة في علف الابقار والدجاج ، كما يضاف بنسبة ٤٠ بالمائة في غذاء الاسماك ، وتغذية الحيوانات المجترة عليه غير اقتصادي لارتفاع ثمنه ، ويجب ان يكون الاستخدام الرئيسي في تغذية الدواجن ، وفي هذا المجال بمفرده يحتاج العالم العربي الى حوالي ٣٠٠ الف طن سنويا من البروتين وحيد الخلية . وقد اثبتت التجارب ان هذا النوع من الغذاء لا يقل في اهميته عن مصادر البروتين الاخرى وهي فول الصويا ومسحوق الاسماك .

موقف الهيئات الصحية

اجريت العديد من الاختبارات على البروتين وحيد الخلية اثناء انتاجه واثناء استخدامه

البروتين وحيد الخلية يحتوي بروتينا يصلح لتغذية الإنسان والحيوان لكنه غير مقبول كغذاء آدمي!

وتشير التقارير الى أن الاختبارات التي اجريت عليه لم يسبق تطبيقها على اي غذاء آخر للانسان او للحيوان ، وتوضح النتائج ان نسبة البروتين فيه تتفوق على نسبته في فول الصويا .

ويوجد في بريطانيا مصنع منتج بطاقة اربعة آلاف طن سنويا ، يتم تسويق انتاجه منذ عام ١٩٧٣ في دول السوق الاوربية المشتركة فيما عدا ايطاليا ولوكسمبرج ، ويوجد انتاج في الاتحاد السوفيتي ولكن المعلومات غير متوفرة عنه .

وبالرغم من ذلك فان الهيئات الصحية في العالم ليست مجمعة على صلاحية هذا البروتين كغذاء للحيوان الذي سوف يستخدم لغذاء الانسان ، فقد توقف في ايطاليا اكبر مشروعين في العالم لانتاجه وطاقتهما ٢٠٠ الف طن سنويا بسبب عدم موافقة الهيئات الصحية ، ولهذا السبب أيضا اوقفت اليابان وفرنسا ورومانيا مشروعات اخرى ، ويدور الشك ايضا حول امكانية حدوث تحول ما في تركيب هذه الكائنات الدقيقة يجعلها خطرة على الصحة ، وحول احتمالات حدوث مرض السرطان .

وتزعم الشركات المختصة بان توقف الانتاج يرجع لأسباب سياسية وتجارية وليس لأسباب صحية ، وبالرغم من أنها لا تنكر وجود بقايا ضئيلة من البرافين في دهن الحيوان الذي يتغذى على هذا المنتج ، فهي توضح ان ذلك غير ضار بصحة الانسان الذى يتغذى بهذه الحيوانات .

وخلاصة القول ، انه يمكن حاليا انتاج البروتين وحيد الخلية على المستوى التجاري بواسطة عدة طرق انتاجية اهمها استخدام نباتات الخميرة والبرافين المستخرج من النفط ، ولكن استخدام هذا النوع من البروتين كمصدر بروتيني لتغذية حيوانات المزرعة مازال يتارجح بين الامل والحقيقة ، حيث يشوبه الشك في بلدان كثيرة في العالم ، ولعل الهيئات الصحية في العالم تستطيع الوصول الى راي حاسم في صلاحية هذا المصدر البروتيني الهام .

أخبار ثقافية من فلسطين المحتلة

● خليل السواحرى

● كتب جديدة

عن دار الكاتب فى القدس صدر كتاب — جنينات — لمؤلفه محمد كمال جبر ، ويتضمن ثلاث مسرحيات من ذوات الفصل الواحد ، وقد حاول الكاتب من خلالها شحن الشكل المسرحى المحلى بمضامين جادة متخطيا الأطر الكلاسيكية لمسرح الحكاية فى رصده لمشاعر شخوصه عبر لحظات الصدام الداخلى والخارجى .

● الوجه والعجيزة

عن منشورات الصوت فى عكا صدر — الوجه والعجيزة — للقاص احمد حسين شقيق الشاعر راشد حسين وبعض هذه القصص نشرها احمد حسين فى مجلة « الجديد » تحت اسم مستعار هو احمد ناظم وبعضها نشرته مجلة الشراع .

● رحلة الشوق والعناق

صدر عن مكتبة المجتمع فى الناصرة المجموعة الشعرية الأولى للشاعر الفلسطينى محمود عبد الله الصح تحت عنوان « رحلة الشوق والعناق » .

● جعفر ينهض من قبره

عن منشورات الاسوار فى عكا صدرت باكورة اعمال الشاعر عبد الحكيم سمارة وهى بعنوان (جعفر ينهض من قبره) والمجموعة عبارة عن قصيدة مطولة .

● طليعة الفكر التقدمى

صدر عن منشورات الاسوار فى عكا كتاب « طليعة الفكر التقدمى والثقافة الوطنية » ومن بين الذين تناولهم الكتاب : فدوى طوقان ، غسان كنفانى ، محمود درويش ، سميح القاسم ، على الخليلى ، حنا ابراهيم ، محمد نفاع ، ممدوح عدوان ، محجوب شريف ، محمد كمال جبر ، زكى درويش ، فاروق شوشة ، يوسف القعيد ، فاضل جمال على ، د . خليل احمد خليل ، د . نوال السعداوى والمحامى عمر الغزاوى .

● منشورات صلاح الدين

من منشورات دار صلاح الدين فى القدس صدر حديثا كتابان هما الحركات الاجتماعية فى الاسلام للدكتور اميل توما ، واغانى العمل والعمال فى فلسطين لعلى الخليلى .

● المجلات

● العدد ٥ و ٦ من مجلة البيادر

صدر فى القدس العدد الخامس والسادس من مجلة البيادر ويشتمل العدد على عدة دراسات متنوعة وقصص قصيرة وقصائد واخبار ادبية وثقافية وعلمية . ومن ابرز الدراسات فيه مسح تاريخى لربع قرن (١٩٢٥ — ١٩٤٨) من نضال الطبقة العاملة الفلسطينية ، ومقالة للدكتور قسطندى شوملى حول البنائية وعلم اللغة الحديث ، ومقالة الفن فى الزمن الحالى لكمال بلاطة، اضافة الى عدة مقالات اخرى وقصائد لحمزة غنايم وعبد الناصر صالح وحسن ابو لبدة وندوة حول لزمة المسرح المحلى فى المرحلة الراهنة ، هذا وقد اشارت افتتاحية العدد الى ان صدور عددين فى عدد واحد هو بسبب الضائقة المالية والفنية التى تحاول المجلة تجاوزها فى المرحلة الحالية .

● العدد الثانى من مجلة الكاتب

صدر العدد الثانى من مجلة الكاتب التى يراس تحريرها الشاعر اسعد الاسعد . محتويا على عدد من الموضوعات من بينها : ندوة حول مجموعة غريب عسقلانى — الخروج عن الصمت ودراسات لمحمود امين العالم وسليمان بشير ومحمد ايوب .
وقصص لكل من زكى العيلة وفضل الريماوى ويعقوب اسماعيل وسميح البرغوثى وامل الغضبان وقصائد لكل من خليل توما ومحمد الاسمر ووليد الهليس . بالاضافة الى المراجعات والزوايا العلمية والفنية .

● ندوات

● محاضرة علمية فى جامعة النجاح

القى الدكتور صالح قعدان محاضرة عن طفل الانابيب بدعوة من مجلس طلبة جامعة النجاح ، وقد لقيت المحاضرة اهتماما واسعا واثارت نقاشا علميا .

● لقاء ثقافى فى جامعة بيت لحم

اقام النادى الثقافى فى جامعة بيت لحم بالتعاون مع مركز تدريب المعلمين — رام الله لقاء ثقافيا تضمن عدة فقرات.

● ندوة فى جامعة بير زيت

اقيمت فى جامعة بير زيت ندوة تحت عنوان — الوحدة الوطنية — تحدث فيها كل من رياض الصلح وهاشم ابو كشك ويوسف فرحات وصلاح الدميرى حيث ركزوا فى كلماتهم على ضرورة الوحدة الوطنية بما يتطلبه واقع القضية الفلسطينية فى هذه المرحلة .

● محاضرات حول الشعر الفلسطينى

نظمت اللجنة الثقافية لنادى الهلال المقدسي فى القدس محاضرة للدكتور عبد الحليم زهد حول الشعر الفلسطينى فى ميزان النقد الادبى . وحول المناهج الادبية فى نقد الشعر الفلسطينى ودعا المحاضر الى النقد الموضوعى النابع من تراثنا الاصيل .

رأيت
سمعت
قرأت

رأيت

عيون الحامي

● تنتشر العيون بكثرة في بلدتنا « الحامي » ، بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، فيوجد بها اكثر من خمس وعشرين عينا من صفاتها انها مياه معدنية ، وتبلغ درجة حرارتها حوالي ٥٥ درجة مئوية الى ٧٠ درجة مئوية ٠٠ كما ان هناك بعض العيون مياهها باردة ٠

ولهذا السبب ، ولشهرة عيوننا المعدنية يأتي الناس اليها من كل مكان بالجمهورية ، لكي يغتسلون في مياهها ، حيث تشفي مرضى الروماتيزم لاحتوائها على العديد من المعادن ٠٠ كما توجد بعض العيون الاخرى التي تبعد عن البحر بحوالي عشرة امتار فقط ، وبها ماء حلو الطعم ٠٠ اليس هذا من قدرة الله ؟٠

عبد الله حبيشان
عدن

قرأت

موزار

موزار احد كبار الموسيقين الذين عرفهم التاريخ ٠ عاش في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وقضى حياته في مدن المانية وايطالية مختلفة ، اهمها فينا وميلانو ٠٠ على ان موضوع حديثنا هذا ليس الموسيقى الرائعة التي لحنها موزار نفسه ٠ ذلك ان هذا الفنان كان نابغة او عبقريا يتمتع بكفايات ممتازة ومواهب فريدة ٠

وكان في الخامسة من عمره حينما بدأ التلحين فلحن مقطوعته الاولى ، وكان كذلك دون الخامسة حينما بدأ العزف على البيانو والكمان وغيرها من الآلات الموسيقية التي ما لبث ان اتقن العزف عليها ٠٠ ولم يجاوز السادسة من عمره حينما طاف بعواصم ومدن اوربية مختلفة وذلك بصحبه ابيه واخته ٠٠ وعزف موزار في جولته وغنى بالاشتراك مع اخته التي كانت تكبره بخمس سنوات ٠٠ وما اكثر ما صفقت الجماهير للشقيقين ، وما اقل تأثر موزار بذلك التصفيق ٠٠ وارهق الفتى نفسه في تلك الجولة بل ارهقه ابوه فمرض وتعرض للموت مرتين اثناءها ٠

ومضت الايام وذاع صيت الفتى الموهوب موزار في كل مكان ٠ وكانت دار موسيقى الاوبرا في ميلانو قد كلفت موزار بتلحين اوبرا كاملة لها ، وهو لا يزال في الثالثة عشرة من عمره٠ ولعل في ذلك اعترافا بنبوغ الفتى ودليلا على قدرته ٠٠ واحرزت تلك الاوبرا نجاحا باهرا ، فتضاعفت شهرة ملحنها موزار وكثر الحديث عن مواهبه وبالرغم من ذلك كله فان موزار عاش فقيرا طول حياته ، وبخاصة ايام شبابه فيما بين سن السابعة عشرة والخامسة والعشرين ٠ فقد سدت ابواب الرزق في وجهه في تلك السنوات العجاف ولم يكلفه احد بتلحين اية مقطوعة ـ اوبرا او غير اوبرا ٠٠

ولكن موزار وقع في الحب في تلك الاثناء ٠ كانت الفتاة مغنية، ما لبثت ان تخلت عنه ، حينما اصابت بعض النجاح وظفرت ببعض المال ٠٠ تخلت عن الفنان دون ان تفكر بالصدمة النفسية التي ستحل به بسبب تخليها عنه ٠ وكانت صدمة عنيفة ، ولا ريب ان عبقرية موزار كانت اقوى من الصدمات ٠ لا عجب اذن ان راح يعمل ليل نهار في تلحين الموسيقى وعزفها ٠

وابتسم الحظ لموزار ثانية بعد بلوغه سن الخامسة والعشرين ٠

فقد كلفته دار الاوبرا في مدينة ميونيخ الالمانية ، ومن بعدها دار فينا ، ودار براغ ٠٠ كلفته هذه الدور بتلحين الاوبرات لها ٠ وكان النجاح المنقطع النظير حليفه في كل تلك الحالات ٠٠ واعترف اهل فينا لموزار بعد ذلك بانه اعظم ملحني الموسيقى الاوربيين آنذاك ٠٠ وتبع ذلك تعيينه في فرقة قيثار الموسيقية الملكية سنة ١٧٨٧م وهو العمل الذي طالما رنا اليه نظرا لما يكفله له من استقرار ودخل ثابت ومما يذكر ان موزار كان قد تزوج قبل ذلك وهو في العشرين من عمره ٠٠ ولم تكن زوجته سوى شقيقة الفتاة التي تخلت عنه وعن حبه الاول وانجبت له زوجته ستة اطفال ، مات منهم اربعة ٠ وكان للزوجة اثر في ذلك ٠ اذ كانت مهملة وكسولة بقدر ما كانت حادة المزاج ومسرفة وقد نغصت على موزار حياته ، وانزلت فيها النقمة بدلا من النعمة بيد ان هذه الظروف لم تقف حجر عثرة في طريق الفنان العبقري ٠ فقد بقي موزار يلحن ويعزف حتى آخر ايام حياته ٠ وقد مات سنة ١٧٩١م عن عمر يناهز الخامسة والثلاثين وخلف ثروة كبيرة من الحانه تقدر باكثر من ستمائة مقطوعة ٠

عبد الحليم محمد فضل
السودان

سمعت

شجاعة

كان ابرع الطيارين الانجليز في الحرب العالمية الأخيرة ، قد اسقط وحده ضعف عدد الطائرات التي اسقطها أمهر طيار في سلاح الطيران البريطاني . وسقط بطائرته ذات يوم فاضطروا إلى قطع ساقه ، وركب له الاطباء ساقا صناعية من الالومنيوم وأمر رؤساؤه بنقله إلى وظيفة كتابية لأنه لم يعد يصلح للطيران !

ولكنه اصر على أن يحارب بساقه الصناعية .. وسجل عدداً جديداً من الانتصارات ، وفي احدى المعارك خلع ساقه الالومنيوم وراح يطارد احدى الطائرات الألمانية ، ولكن الطيار الألماني اصاب طائرته بقنبلة نسفت مقدمتها ، فقفز بالباراشوت بساق واحده ! وتعجب الطيار الألماني من الطيار صاحب الساق الواحدة ، فراح يدور حول الطيار الاعرج عدة مرات !

وكان في استطاعة الطيار الألماني أن يصرعه رمياً بالرصاص .. ولكنه لم يطلق عليه رصاصة واحدة .. لقد لوح له بذراعه وكانه يقول له حظا سعيداً !

ويقول الطيار الاعرج (دوغلاس (بادر) في مذكراته « صراع نحو السماء » انه كانت هناك تقاليد محترمة وغير مكتوبة بين الطيارين الانجليز والألمان ومن بين هذه التقاليد عدم مطاردة طيار يهبط بالباراشوت . ولكن قصة هذا الطيار وهبوطه بالمظلة لم تنته عند هذا الحد ، لقد تحطمت ساقه السليمة عند ارتطامها بالارض .. واضطر الجراحون إلى قطعها أيضاً ، وركبوا له ساقين صناعيتين من الألمونيوم .. وعاد إلى الطيران مرة أخرى ، وسجل ارقاماً جديدة في عدد الطائرات الألمانية التي اصطادها .. حقاً ان الشجاعة لا تحتاج إلى ساقين .

مأمون كامل الشوربجى
الدوحة ـ قطر

من كل نبع قطرة

ونحن نبدأ عام ١٤٠٠ هجرية [٢]

أمير شعراء العربية بين الشعر والتاريخ

احمد شوقى

وشوقي في هذه المجموعة « دول العرب وعظماء الاسلام » يصول ويجول فيفتن العقول ولاني احب امير شعراء العربية تمنيت ان اقول :

وشوقي في هذه المجموعة « يرود ويجوب فيفتن القلوب » ٠٠ ولكن للحق فان النزعة التعليمية التي غطت هذه المجموعة والطابع الارشادي الذي لبسته يجعل علاقتها بالعقول املا وأثبت وصلتها بالقلوب أهدأ وأخفت !

من اجل هذا لا يسلم البعض ــ وانا منهم ــ لــ « بريخت » بالنموذجية المسرحية مفضلين « تنسي وليامز » ٠٠ وكلاهما سباح ماهر غير ان الاول يغوص في بحر المجتمع ٠٠ والثاني في بحر النفس الانسانية ٠٠

ومن اجل هذا سيعيش « تشيخوف » في ذاكرة الاجيال اكثر من «جوركي» مع ان الاول يهمس ٠٠ والثاني يصلصل كالجرس ! ولكن يبدو ان الهمس الدافىء والاضاءة الخافتة يريحان اذن وعين الانسان مهما اختلفت المجتمعات وتباين اللسان ٠

ونعود ألى « شوقي » ــ معتذرين له ــ عن هذه الانعطافة ٠٠ وان كان هو موحيها باعتبار الحديث عن الطابع التعليمي الذي غلب على مجموعته التي بين يدينا ٠٠ وهذا الطابع نجده اوضح ما يكون في النصف الاول منها الذي يقدم « المجردات » ــ دول العرب ــ عكس الثاني ــ عظماء الاسلام ــ الذي يكثر فيه التجسيد والتشخيص

وكمثال لهذا الطابع التعليمي والمنزع الارشادي يقول شوقي في قصيدته « لغة العرب » :

لسانك الاول في الكتاب
ولغة الصبوة والعتاب
فخض عباب فقهه وسره
وغص على صحيحه وحسره
لا ترض منه مبلغ الرعاع
وحصة الاعمى من الشعاع
واقرأ علوم السلف والاعلام
فانها معالم الكلام

ولــ « حافظ » قصيدة شهيرة يحض فيها على حب « العربية » وتمثلها قاعدة ونموذجا ٠٠ يقول على لسانها :

انا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي
وسعت كتاب الله لفظا واية
وما ضقت عن أي به وعظات

شوقي يفتن العقول ٠٠ وحافظ يفتن القلوب والاثنان شاعران خالدان في فم الزمان ٠٠ وان قصر رداء احدهما عن الاخر في موضوع اشتركا في ولوجه وغشيانه ٠٠ فقد طال رداء كل منهما في كثير مما انفرد به وصار له السهم النافذ فيه وقبل ان نغادر هذه القصيدة نتوقف عند « بيت » فيها ٠٠ لفت اهتمامنا فأعدنا قراءته ودخلنا من خلاله الى فترة من تاريخ « مصر » كان الجديد فيها يرفض لمجرد انه جديد فترة اشتهرت بالضجة التي احدثها « طه حسين » او احدثها كتابه « الادب الجاهلي » ٠٠ وكتاب ثان عظيم « الاسلام واصول الحكم » ــ علي عبد الرازق ــ الذي رد فيه امر حكم المسلمين الى اصلحهم ولاية ٠٠ وأكثرهم اجماعا ٠٠ وأسف شديد فان الكتاب لم ينقد من خلال منطق علمي أو « ديني » ٠٠ أو « تاريخي » بل كان الهجوم عليه من خلال الدفاع عن « شرعية » فؤاد ملك مصر « سلطانها في ذلك الحين » ٠٠ وهو كتاب قيم بحق ٠٠ واتمنى لو يعيد قراءته من سبق اليه ويبحث عنه من لم يقع في يديه ٠٠

في هذه الفترة التي كان الجديد يواجه فيها حساسية شديدة ونفورا وازورارا ٠٠ اشتهر من هذه الفترة « اعلام » ممثلون غير حقيقيين لما اعتقدوه ٠٠ أو غير هاضمين لما قرأوه وبالتالي غير مضيفين اليه ٠٠ وأمثال هؤلاء يكونون بسلوكهم ونداءاتهم حربا على الجديد الذي هو « هم » !! وقد قيل « اقصى اليسار هو اقصى اليمين » باعتبار المردود والناتج ٠٠ والى اقصى هذا اليسار يشير « شوقي » في ختام قصيدته عن « اللغة العربية » الى « شبلي شمل » محذرا من طرقته في النداء للجديد فجديده الحاد ، وحصيده رماد ٠٠ وايمانه نفي الايمان ٠٠ وأين ؟ ٠٠ في مصر حضن ال البيت وأروقة الازهر ومزارات الاولياء الصالحين ٠٠ ولما كان لا غنى لنا عن الجديد وجب ان نمشي في طريقه بحذر نميل نحو ما يلائم وننحرف عن عيره وعلى حد قول شوقي :

بين الجديد والجديد ميل
لا تتبع طريقة « الشميل »

والمقصود هو الكاتب والمفكر والطبيب « شبلي شميل » احد اعلام مجلة « المقتطف » التي كات ذائعه الصيت في الجيل قبل الماضي وكان « شبلي » صاحب مذهب في التجديد يعتمد على ما كان يذاع من اراء

حول فكرة النشوء والارتقاء ٠

ويختم «شوقي» قصيدته عن اللغة العربية بنصيحة اخرى واخيرة يحذر من الخلط بين الثقافات في محاولة تلفيقية تجعل مقتنعها يحجل في مشيته بين هنا وهناك ٠

لا تزلط الاعجام بالاعراب
تحجل ـ وقاك الله ـ كالغراب

ثم ينتقل الى قصيدته عن «التاريخ» مؤكدا انه نشأ في احضان الاحجار وحوائط المعابد والاثار ٠٠ يقول :

قد نشأ التاريخ فيحجر الحجر
بفتح الحاء
وشب ما بين الكهوف والحجر
بضم الحاء
اليس في الصخر وفي الاديم
جل حديث العالم القديم ؟

ومن خلال انتقالنا مع قصيدة « شوقي » عن التاريخ من بيت لبيت يتضح لنا مفهومه للتاريخ وهو « حكاية ما حدث » ٠٠ تعريف كما ترى غاية في البساطة ومع ذلك فلا لوم على شوقي ولاتثريب فهو ليس بالمنظر التاريخي ٠٠ هو شاعر يبسط على كل العلوم والنشاطات روحا شعريا لا شان له بالتعقيد والتقعيد ولهذا فلن ننتظر منه ان يتبنى نظريه « اكتون » التي بسطها في « تاريخ كمبردج الحديث » ٠

ومؤداها ان « التاريخ » عمليه « اصطلاحية » وليس هناك « تاريخ نهائي » ٠٠ كذلك لا نتوقع منه ان يتبنى « النظريـة » المضادة التي قدمها « جورج كلارك » وتعلن ان التاريخ « معرفة الماضي » التي جرت صياغتها بواسطة العقول البشرية وعليه فهي لا تستعصى على التغيير وباختصار « لا توجد حقيقه تاريخية موضوعية » ٠٠ نظريتان كما ترى متعارضتان ٠٠ الاولى : تعكس وجهة نظر العصر الفيكتوري المؤمن بالمسلمات والحقائق النهائية ٠٠ والثانية : تعلن عن حيرة وشك الجيل الوجودي ٠٠ ومع ذلك وكما قلنا لا ننتظر من « شوقي » الشاعر ان يكون شوقي المنظر التاريخي فلنأخذ « فكرته » عن التاريخ بنفس البساطة التي قدمها بها ٠٠ رغم تأكيدنا في بداية هذا الحديث ان شوقي في هذه « المجموعة » يفتن العقول ٠٠ فليس بالضرورة ان يكون ما يفتن العقـل ـ دائما ـ هو « المركب » والمحاط بعديد الاقواس والحدود في سعي نحو تعريف جامع مانع ! ٠٠ وان الاوان لنتابع بعض ما لمع من ابيات قصيدة شوقي عن « التاريخ » :

سبحانه قص حديث ادم
على تنائي العهد والتقادم
ورفع التاريخ اعلى منزلة
بنصه في كتبه المنزلة
بين الاناجيل علت اصوله
وفي « الحواميم » غلت فصوله

وليسامحنا « شوقي » اذا عبرنا

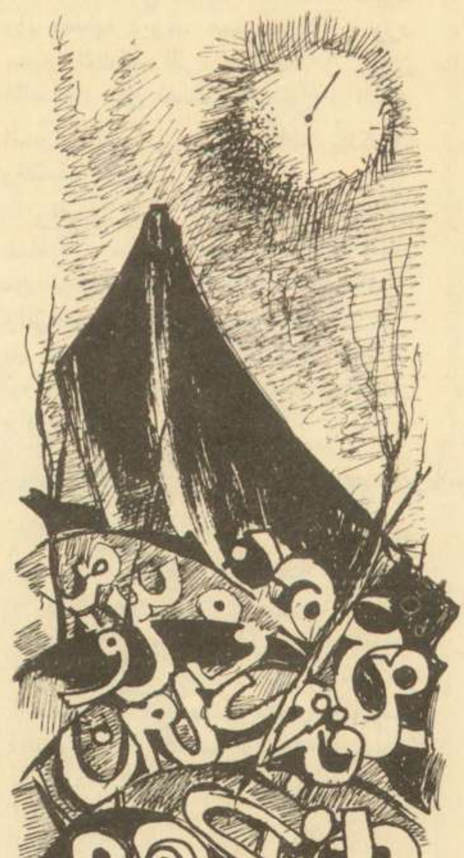

الى هذه الابيات غير مسبوقة بما قبلها وشفيعنا انها تكاد ان تستقل بمفردها لاتحاد وتسلل فكرتها اضافة الى اقترابها كثيرا من اعلى مستويات الجودة المتوقعة من هذا اللون من الكتابة الشعرية ٠

ذاك كتاب الناس والايام
من ادم الجد الى القيام
تانق الدهر به ما شاء
واتقن التاليف والانشاء
يكبر ان يطويه السجل
وعن نوائب البلى يجل
عال على كف المغير الماحي
ولو مشت عليه بالرماح
لا يمحي من الجميل ما رسم
ولا يزول في القبيح ما وسم
فان وجدت خاطرا مطالبا
ونازعا من الطباع غالبا
فقف على اثار أعيان الزمن
واغش الطول وتنقل في الدمن
فالروح في التاريخ « الاعتبار »
وحكمة تودعها الاخبار
وخذه من محقق امين
وميز الغث من السمين
ما أقبح الكذب على الرفات
وانه من ارذل الصفات
من غش نفسا جمع المظالما
ماذا ترى فيمن يغش عالما ؟!

وفي البيت الاخير ـ الذي فوق هذه الجملة مباشرة ـ يستجمع شوقي ما بقي من نفسه الشعري ويطلق حكمة هي مسك الختام وخلاصة الكلام في عبارة رشيقة مختصرة موحية فيها كل مواصفات « الحكمة » التقليدية التي نطالعها بوفرة في شعرنا القديم ويقول عنها بعض النقاد « بيت القصيد » ٠٠ أما نحن فلا نلتزم بهذا القول لاننا نرى في القصيدة اكثر من التماعة فكيف نسميها « بيت القصيد » اليس من التجاوز اطلاق الجزء على الكل والمفرد على الجمع ؟!

ونحن نبدأ عام ..١٤٠٠ هجرية
— ٢ —

ثم يطوف بنا شوقي في جولة شجن وهو يتحدث عن « الوطن » وهو لا يخرج عن قطعة من الارض صغرت ام كبرت ومع ذلك فهي ملء القلب والعين والذاكرة ·

وجانب من الثرى يدعى الوطن
ملء العيون والقلوب والفطن
ونزعة الناس الى أوطانها
كنزعة الابل الى اعطانها
يحبه الاقوام منذ كانا
ولا يساوون به مكانا
اذا اتاهم أيسر النداء
منه جروا لغاية الفداء
او ذكر الحنين والحفاظ
لم تجر الا باسمه الالفاظ
كم من دماء سلن حول حوضه
ومن عروض زلن دون عرضه

ولان الوطن خصب كريم ·· رءوف رحيم ·· فقد وسع الكل. ·· ولهذا تحدث الكل باسمه ·· الاخيار والاشرار والدجالون والشرفاء ·

وباسمه كم تاجر الفساق
وانقادت الناس لهم فساقوا

ولكن ومهما « انساق الناس » في ضوء بريق الغواشي والاضاليل ·· فليس علو الصوت مقياسا للموت من اجل الوطن ·

ثم يعبر « شوقي » بنا الى قصيدته « البيت الحرام » والحديث عنها اكثر من وارد « فالبيت الحرام » كان منذ شهرين هدفا للئام الذين استحلوا حرمته وأباحوا قدسيته ، ولكن القادر الذي اوحى ببنائه الى ابراهيم وأبنائه ، قادر على حفظه وحمايته ، واستدامة رايته خفاقة ما خفق قلب مسلم الى ان يرث الله الارض ومن عليها ·· وصدقت يا عبد المطلب في كلمتك الخالدة « للبيت رب يحميه » وقد حماه ورعاه ، ورد سهم الظالم الى حشاه ·· وان فالحديث عن قصيدة شوقي « البيت الحرام » يأتي في ميعاده بالكمال والتمام ·

والحق يقال انها قصيدة سابغة ضافية ، سائغة صافية ، ولكنه ليس من نوع الصفاء الساكن الاوصال ، والوضوح الذي يلاشي الظلال ·· بل هو صفاء يحج اليه ، ويطاف حوله ·· ويسجد له سجدة الشعر واقرأوا معي :

تلك جباه الرسل في ترابها
وخد « ابراهيم » في محرابها
تواضعت بين شعاب الوادي
لم تتخذ تبدخ الاوطاد
لايد «خوفو» ارهقت فيها البشر
ولا« سليمان » لها الجن حشر
بل صنع شيخ مقبل مزاول
أعين بابن يافع مناول
الله يوحي والامين يشهد
وتخشع الارض ويعلو المعهد
حتى تجلت قبة الايمان
ممدودة الظل على الزمان
دعائم من خشية وتقوى
على تطاول الزمان تقوى
وما بنى الحق له الثبوت
وما بنى الباطل.عنكبوت !

أرأيتم ؟ ·· هل كنت أبالغ حين قلت عنها « سابغة ضافية ، سائغة صافية » !

ومن التعميم للتفصيل ·· والشمول الى الدخول ·· يكون مدار لقائنا القادم ·· هذا اذا شاء الله ، وأبقانا الى اللقاء ·

الزوجة الوفية

لما استشهد الخليفة الثالث « عثمان بن عفان » ، ومرت اسابيع على استشهاده نظرت زوجه « نائله » الى مرآتها فلفت نظرها اتساق اسنانها التي بدت كالدر المنتظم المسلوك ·· فأخذت « نائله » حجرا صغيرا وحطمت به مقدمة هذه الاسنان الجميلة !

سألوها ·· « لماذا » اجابت :
الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، فخفت ان يبلى حزني على عثمان فأتزوج بعده ··

وفي الاتجاه المضاد ـ تماما يروون ان احد الحكماء كانت له زوج جميلة تتباهى بوفائها امامه وكيف انها لن ترضى بعد وفاته بغيره بديلا

ولما كان الزوج حكيما ·· بل وحكيما جدا ·· فقد طلب منها ان تعاهده فقط على عدم الزواج اذا مات الا بعد أن يجف قبره ، واستنكرت الزوجة الجميلة « الوفية » هذا الطلب ·· ولكنه ما زال بها حتى قبلت ·· وبعد ايام « تموت » الزوج وكان قد اتفق مع صديق صدوق له على هذا الامر وجهزا « دمية » بحجم للحكيم وأقيمت لها الجنازة ومراسيم الدفن ·· واختفى الحكيم عند صديقه وفي اليوم التالي ذهبا لزيارة « المقبرة » ·· وكانت المفاجأة ! ·

الزوجة الجميلة « الوفية » جدا · تمسك بمروحة تحرك بها الهواء ليجف بناء القبر في اسرع وقت ·· دنيا !!

مصرع عنترة بن شداد

الشاعر الفارس العاشق الذي رفعه سيفه من العبودية الى الحرية ورفعه حبه الى مرتبة العشاق الخالدين .. كيف انتهى به المطاف وبالتحديد كيف مات .. هل على سريره ؟ .. هل في معركة ؟ .. اسفا .. فليس في فراشه .. ولا بين وميض السيوف وارتطام الرماح!

فهو قد عاش وامتد به العمر - ارذل العمر - حتى صار قعيدا عاجزا .. لا يسر ولا يضر ! .. وكان ما زال يعيش في مضارب « عبس » فتركه القوم لبعض الشئون فانقضت صاعقة من السماء فاصابته ومات بها لفوره .. شيخا مقعدا .. وحيدا .

هكذا كانت نهاية الشاعر الفارس العاشق !

زوجتي والمصعد

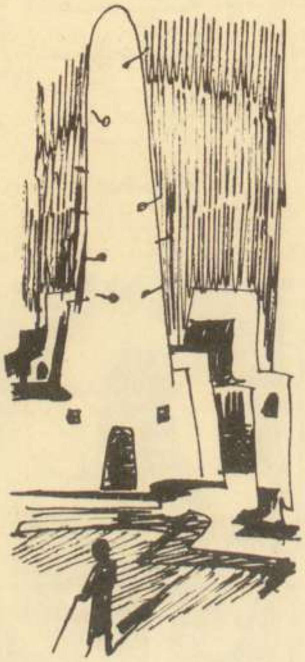

دفعته بعض الشئون الى مغادرة قريته للمرة الاولى الى المدينة حيث رأى « المصعد الكهربائي » للمرة الاولى أيضا !

ووقف صاحبنا يتأمل باعجاب هذه الغرفة الصاعدة الهابطة بمجرد لمسة .. وفيما هو كذلك رأى « الاسانسير » يصعد بسيدة عجوز ثم يهبط وتخرج منه فاتنة حسناء .. وهنا لم يتمالك صاحبنا نفسه فأخذ يتمتم « آه .. ليتها جاءت معي .. » ويبدو أن التمتمة كانت أعلى مما يجب فقد التفت اليه رجل وسأله : من هي ؟

فأجابه : زوجتي .. زوجتي يا سيدى !

داود سليمان بطيخ
العراق - بغداد

لقطة الشهر

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال القارىء خليفة سعيد الهتيمى - دولة الامارات العربية .

يارب

لا تجعلني من من :

- اذا استغنى بطر
- وان افتقر قنط
- وان سال ألح
- وان سئل منع
- وان قال لم يحسن ، وان قيل له لم يفهم !

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

المقامة المشيخية

قال عبد الشكور المشهور بمعرفة الانام والدور :

سكنت في احد المنازل ، في حي شعبي متآكل ، واخترت السكنى في اعلا طابق ، ليس فوقه الا السماء والطارق ، اتقاء لضجيج الحارة ، وعجيج الجار والجارة ، وتحملت صعود السلم ، ونصف درجاته مهدم ، كل هذا املا في هداوة البال ، وروقان الاحوال ، وكنت في هذا اكثر من واهم ، وما نابني الا صعود السلالم ، فقد كان صوت النقار والشجار ، يصك اذني من سابع جار ، وسلمت امري لصاحب الامر ، ورضيت من « الكريم شكولاه » بالتمر .

وكنت اذا صعدت الغرفة ، سارعت باغلاق الشرفة ، لأحجب انكر الاصوات ، ولكن هيهات ، ولعنت عبد اللطيف رجب . باعتباره السبب ، ومن كان دليله الغراب ، سعى به للارض الخراب ، وهي غير ارض « ت.س. اليوت » ولو عانى ما عانينا لمات او استموت ، من عطانة تفوح ، وتصعد للسطوح ، وطفل يبول ، في حضن امه الجهول ، ورجل يبعق ، ونهار ازرق ، وصبايا عجفاوات ، في صفرة البلح الامهات ، وجلبة وصراخ ، من الانام والبهائم والفراخ .. وباختصار كان شعار « حارة تفاحة » ، لا وقت للراحة !

وتعرفت في منزل التعذيب ، على اعجوبة الاعاجيب ، الشيخ مصطفى سلامه ، له وجه كالشمامة ، نحيف عريض المنكبين ، وحاجب كثيف فوق كل عين ، في وجه كالقفا .. انتهت اوصاف الشيخ مصطفى !

ولكن اوصافه الداخلية اعجب ، والباطنية اغرب ، اذا تحدث اضحك ، ولخبط جمعك وطرحك ، خفف عني اشجاني ، وانساني اني اعاني ، وكان يسكن غرفة في حوش المنزل ، ويزورني اذا رآني صعدت ولم انزل ، عرفني بنفسه على انه كان من الاعيان ، ثم ضاق به الزمان ، بعد ان احب فتاة شعبية الاوصاف ، وبسببها دخل مع عائلته في خلاف ، فهم يريدون له بنت فلان « بيه » ، اما هو فقلبه يناديه ، وكما تنازل « وندسور » عن العرش ، فعل هو كذلك في لحظة طيش ، ورضى بحرمانه من الميراث ، ويضحك ويقول ثم طلقتها بالثلاث ، وتسأله من ؟ فيجيب : زوجتي ، التي كانت طامعة في ثروتي ، فلما حرموني الريع ، غلب الطبع على التطبيع ، تذمرت وتنمرت واجفلت وولولت ، فرددتها الى اهلها مصحوبة ، بيمين ثلاثية مكتوبة ، وصدق من قال :

ان النساء شياطين خلقن لنا
نعوذ بالله من شر الشياطين

فاعابثه .. بل صدق من قال :

ان النساء رياحين خلقن لنا
وكلنا يبتغي شم الرياحين

فيقول الا انا فقد شممت ، وانزكمت ، ووقفت امام القاضي الشرعي ، الذي امر بحبسي وبيعي ، وفاء لمؤخر الصداق وتعويضا لها عن الطلاق ، بل والزمني بالأتعاب ، وثمن الشاي والسجائر للحجاب ، حتى صرت الى الفنا ، وانا من انا ! واصبحت موظفا بوزارة الاوقاف، غرفة نومي عبارة عن لحاف ، ومطبخي موقد عتيق ، لا يشتعل الا بنشفان الريق ، ولكن ملابسي لا تزال جديدة ، لانها بقية الايام السعيدة .

وانظر الى ملابسه ، فاجدها بقية من وساوسه ، قفطان لا لون له وعمامة غاية في البهدلة ، وجبة واسعة قصيرة ، تخرج منها ساقه المغيرة ، اما الحذاء ، فهو واللاشيء سواء ، تبدو منه اصابعه ، ويحاول ثنيها فلا تطاوعه .

ويظل ياخذ في الوان الهذر ، حتى وقت السحر ، وينزل بعد ان يتعشى ، زاعما انه سيتمشى !

وفي ليلة سألته عن عمله بالوزارة ، فاجاب في مرارة ، انه على خلاف كبير ، مع سيادة الوزير ، بسبب بعض الاخطاء ، التي كشف عنها الغطاء ، واستدعاه الوزير لا ليشكره ، بل ليزجره ، فالمخطيء كان يمت للوزير بصلة ، من ناحية السلسلة ، وبان على وجهي اني لم افهم ، فواصل موضحا ما ابهم ، « السلسلة » .. اي الظهر وما حواه ، هي علة الحياة، ولولاها لما كان الانجاب ، ولا انفتح لمولود باب !

ولما كنت اعلم انه لا علاقة بين ظهر الانسان ، وانجاب البنات والصبيان ، فقد ابتلعت ريقي علامة الرضاء ، وواصل هو بلا ابطاء ، صاحبنا قريب الوزير ، له وجه ابله مستدير ، فضلا عن كونه تخين ، كلوح العجين ، المهم ان هذه الصلة ، جعلته غاية في التنبلة ، فاخطأ في حساب الارقام ، ولولاي لكان على الوزارة السلام !

فسألته وهل يجيد الطرح والقسمة ؟ فعلت شفتيه بسمة ، وقال نعم يا سيدي ، كما اني لا استخدم في العد يدي ، فالذكاء هبة ، والبقاء للموهبة .. المهم بعد هذا الخلاف العارض ، لزمت بيتي بحجة المرض مع اني متمارض ، واول كل شهر ابعث بصاحبي ، ليقبض مرتبي ، وتوفرت انا على العبادة ، والمسبحة والسجادة !

وسألته الهذا لبس العمامة والجبة ؟ فقال : أليست افضل من ازياء اوربه ؟ اذا جلست بها استريح ، واذا مشيت تكاد تحملني الريح ، وكان بها موتورا خفيا ، وعجلا سحريا ، فسألته ان كان سبق وارتدى البنطلون ؟ فاجاب : نعم وكان «شارلستون»، وكان التنافر بين قوله والحال ، يدعو للضحك بلا جدال ، فلما فعلتها ظنني من المكذبين ، فراح يتمتم وصاح « آمين » ، يسخطني رب الخلق ، ان كنت اقول غير الحق !

ورغم صعوده المتكرر الى مكاني،

فلم يحدث مرة ان دعاني ، وكان هذا يحيرني ، لكنه من ناحيته لم يغيرني ، فقد احببت خفة ظله ، وطيب مستهله ، الى ان حدث والتقينا ، وانا اصعد السلالم الهوينى ، فاخطر لدعوتي ، وقبلت وانا اكتم ضحكتي ، لعلمي انها دعوة المضطر ، انتي لا يتوقع صاحبها اي خير ، واستاذنته لشراء علبة سجائر ، فابدى استعداده لشرائها كالحمام الطائر ، فعند البقال زحام كثير ، وانا في رايه مهم وخطير ، ومن كان من فصيلة السباع ، لا ينبغي له مزاحمة الرعاع فلما رفضت اصر على اصطحابي ، والسير في ركابي ، وسرنا وجاوزنا البقال وزحامه ، فلم ينبهني مصطفى سلامه ، الى ان وقفت امام الفاكهي ، واشتريت منه كيلو يوسفي ، واثنين من البرتقال ، وعدنا في الحال ، يحمل مصطفى الاكياس ، وانا امشي كاولاد الناس .

وحين فتح بابه خرج فار هزيل، وهو يلعن السنفيل ، وسوء حظه الذي اوقعه ، في هذه الغرفة المدقعة التي تناثر فيها نحو خمس زكائب ، بعضها مربوط وبعضها سائب ، وجاء بطبق وقال هل لك ، في تذوق هذا الكعك؟ فذقت بعضه مجاملة له ، وقد واجهتني مشكلة ، فقد كان مختلف الاشكال والمضامين ، من ناحية المذاق والعجين ، واخفيت له بما افكر فيه ، فقال انه من اكثر مكان يشتريه ، ولهذا يا عم ، يختلف الشكل والطعم ، واغتبطت لانه تناسى تقديم الفاكهة ، فما قصدت بزيارتي الا السماع له .

ومرت الايام مر السحاب في الفضاء ، وعلمت أن احد الاصدقاء اشترى « مدفنا » جديدا ، بثمن يكاد يكون زهيدا ، فقد دفع فيه « خلو عظم » ، الفي جنيه على سبيل الجزم ، ولتواضع هذا الرقم في عالم ازمة الطاقة ، رجوت صاحبي ان يشتري لي طباقه ، فطلب ان اعاين ما اشتراه ، لاقرر ما يختص ببيت ما بعد الحياة وبالفعل ذهبنا ، وفي « القرافة » جبنا ، وملكتني العظة وداخلني الاعتبار ، وانا افكر في الرحلة من دار لدار ، الاولى فانية ، والاخرى خالدة ، نعيمها للزاهد والزاهده ، تفكير كما ترى ميتافيزيقي ، لم يخرجني منه الا صوت فقي ، وايقنت فورا اني اعرف هذا الصوت ، فنظرت وتلفت ، فاحصا مستكشفا ، واذا به الشيخ مصطفى ، الذي رآني وكانه ما رآني ، وملكتني المفاجاة فوقفت في مكاني ، وعلا صوته المتحشرج الرزين ، « والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

ويا شيخ مصطفى لا باس عليك فمن انا حتى اعفو عنك ؟ وانت لم ترتكب اثما ولا ذنبا ، ولكنها الدنيا سلكت بك مسلكا صعبا ، فاضطرتك الى الاختفاء ، وقديما قال القدماء ، لابد للمستور من ظهور ، وان توالت الايام والدهور اهذا اذن سر الكعك المختلف الدقيق والمذاق والاشكال ، والجبة التي تسع ثلاثة رجال ؟

واصل القراءة لا باس عليك ، وحسبك انك لا تمد يديك ، وانما تقدم عظة للاحياء ، ورحمة للراحلين الاعزاء ، واصل القراءة واصل ، وسادعوك الليلة الى عشاء ، مفاصل ، وهي التي يسميها العامة ، كوارع ، . ويتحدثون عن سرها الباتع ، لم اذهب بك الى حلواني اللطافة ، لتلتهم ما شئت من الكنافة ، فقد قلت لي بالأمس ، لا اطلب من الدنيا اكثر من خمس ، فخدة ضان ، وصحن ارز له شان ، وخرطة كنافة ، في عسل كالسلافه ، وشاي ثقيل وسيجارة تمام الجميل .. كل هذا سيكون لك ، فواصل ولا عليك .

من هنا ومن هناك

● أقصى خطيئة يرتكبها الذهن هى أن يفشل في توجيه قدر كاف من الانتباه لصاحبه .

● الحياة يمكن فهمها فقط بالرجوع الى الوراء ، ولكننا يجب أن نحياها بالتقدم الى الامام .

● تأخر عن بعض الوزراء نديم : فقال يا غلام : هات النديم الذي لا يتغير ولا يغيب قال الغلام من هو ؟ قال الوزير : الكتاب .

● لو تحطمت كل مظاهر الحضارة الحديثة وبقيت المكتبات لتمكن رجال العصر من اعادة بناء هذه الحضارة ولكن لو تحطمت المكتبات فان عصر القوى الآلية وعصر الذرة يصبحان شيئا من آثار الماضي .

عبد الفتاح محمد عبد الرحمن
السودان

حقوق الأبناء

شكى رجل الى بعض الخلفاء من عقوق ابنه فاستدعاه الخليفة وانبه فقال الولد : أليس للابن حقوق يا امير المؤمنين ..؟ قال « بلى » .. فساله الولد ما هي ..؟ فقال الخليفة أن ينتقي أمه مصداقا لقول الرسول « تخيروا لنطفكم » وأن يحسن اسمه فلا يختار له ما يستقبح وقد غير الرسول اسم أحد المعاصرين له من « صعب » الى « سهل » .. ثم ويعلمه الكتاب « القرآن » .

فقال الولد : أما أمي فزنجية كانت متزوجة من « مجوسي » وقد أسماني « حفرة » ، ولم يعلمني حرفا واحدا من الكتاب !

فالتفت الخليفة الى الاب وقال : لقد عققته أن يعقك .. والتفت الى الولد وقال « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة »

زين الدين فريد العثماني
المغرب

جحويات

الجائع والباربيكيو

جاع فقير ساعة الغداء
وكان قد افطر بالهواء !
فدار في البيت على رغمه
منقبا خوافي الاشياء
فلم يجد الا رغيفا به
اثار سن الفار والعرساء
فمد كفيه له حاملا
وغاسلا اطرافه بالماء
وسار في الشارع حتى رأى
فحما ولحما طيب الاناء
في مطعم صاحبه واقف
ببابه كالصخرة الشماء
وراح ياكل الرغيف شاكرا
وحامدا للغيمة الدخناء
« ادامه » رائحة كانها
ازكى من المسك القريب النائي
وحينما اوشك ان ينتهي
من اكله فوجىء بالشواء
يمسكه من كفه طالبا
اجر الهواء دونما حياء
فقال من اين ؟ وماذا جرى
مني؟ فدعني، خل واترك ردائي
فقال : هذا اللحم ملكي انا
وذلك الدخان في اجوائي
واشتبكا، وكان يمضي «جحا»
فاحتكما اليه في العوصاء
اصغى «جحا» اليهما ولما
انتهيا من نشرة الانباء
امسك دينارا وراح يهوي
به على « البلاطة » الصماء
وقال للبائع ماذا ترى ؟
قال : رنين الفضة البيضاء
رد «جحا» هذا الرنين مشبه
في امره روائح الشواء
فاسمع باذنيك كما تشتهي
واغرفكما شئت من الاصداء !

للعلم فقط

سكان استراليا الاصليون ليس في لغتهم من الأعداد الحسابية الا رقمي « واحد واثنان » أو كما يقولون « نتان ـ نايس » فاذا أرادوا عد ثلاثة قالوا « نتان ونايس » واذا ارادوا « أربعة » كرروا « نايس » أربع مرات .. وهكذا الى سبع ومازاد عن ذلك يصفونه بأنه كثير !

وبالمناسبة فان عدد اللغات المعروفة والتي أمكن للعلماء حصرها يتراوح بين ٤٠٠٠ الى ٦٠٠٠ لغة ولهجة .

وبالمناسبة أيضا فان قاموس اللغة الانجليزية يضم ٢٥ الف كلمة والعربية نحو ٨٠ ألف كلمة بما فيها من مستعمل ومهجور غير مشهور .

سمى الفاروق
مصر ـ الجيزة

الكلمــات المتقــاطعــة

الرأسي :

١ ـ منظمة بترول عربية
ـ اسم فعل امر بمعنى اسكت
٢ ـ الاسم الثاني لزعيم تترى
ـ صوت فرقعة
٣ ـ وحدة التعامل النقدي في قطر
٤ ـ من انواع الجاتوه ـ مال
٥ ـ صوت معدني ـ عظمه
٦ ـ كشف ـ ابصر
٧ ـ باضـافة حـرف ثالث للوسط يصبح ضد البعد

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨
١							■	
٢			■					
٣					■			
٤		■				■	■	
٥				■	■			
٦	■						■	
٧		■	■					■
٨				■		■		

الافقي

١ ـ حي من احياء مدينـــة الدوحة رابعه « كاف »
٢ ـ واحـــد بالانجليزية ـ يتحرك
٣ ـ الابن الاول ـ من اعضاء البطن الحيوية وبفتح الوسط بدل على التعب
٤ ـ فعل « يكاد » مجزوم
٥ ـ فعل تجده في المثل « لكل جواد كبوه » ـ صدع
٦ ـ فن شعري عرفه اللاتـين على يـد « هوميروس » .
٧ ـ مساعدة
٨ ـ اول من بناه خوفو
ـ حرف عطف للاستدراك

اسـماء الفائزين في مسابقة الكلمات المتقاطعة العدد ٤٨

١ ـ زهير الرمحي ـ الكويت
٢ ـ احمد الخضر ـ السودان
٣ ـ السيد حامد ـ المنوفية

حل مسـابقـة شهر ديسمبر ١٩٧٩

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨
١	ا	ل	ت	ي	ج	ا	ن	ي
٢	■	ب	■	ق	ب	ر	■	هـ
٣	ع	■	خ	ط	■	ض	هـ	ن
٤	ط	ب	■	ي	ق	ا	ل	■
٥	س	ن	■	ن	س	ل	ب	■
٦	■	■	هـ	■	■	ب	و	ق
٧	ن	■	س	ر	■	ش	ر	ح
٨	ب	د	و	■	ح	ر	ن	■
٩	أ	ض	ع	ا	ث	■	■	ن

واحـــدة بـثـــلاثـــة

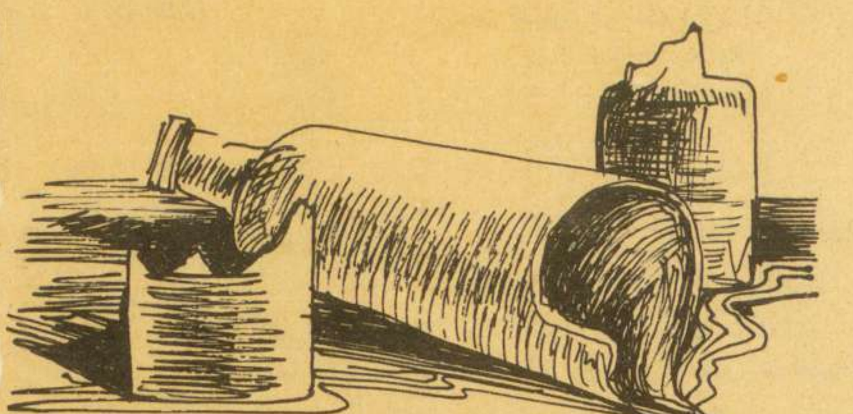

استأجر أحدهم حمالا ليحمل لـه قفصا فيه قوارير ، على أن يعلمه ثلاث خصال ينتفع بهـا . فلما بلغ ثلث الطريق ، قال الحمال : هات الخصلة الاولى .

فقال : من قال لك ان الجوع خير من الشبع فلا تصدقه .

قال : نعم .

فلما بلغ الثلث الثاني قال : هات الثانيـة .

فقال : من قال لك ان المشي خير من الركوب فلا تصدقه .

فقال : نعم .

فلما انتهى الى باب الدار قال : هات الثالثة .

فقال : من قال لك أنه يوجد حمال أجهل منك فلا تصدقه .

فرمى الحمال بالقفص فكسر جميع القوارير وقال :

ـ من قال لك أنه بقى في القفص قارورة لم تتكسر فلا تصدقه .

سليمان محمود سليمان قنديل
القاهرة

حل مسابقة من - أين - ما

حل مسابقة شهر ديسمبر ١٩٧٩

من :
أبو حفص
أين :
دار الارقم
ما :
الايمان

١ - والعفو عند رسول الله مأمول
قائله : كعب بن زهير
٢ - الكامبري - الديفوني - الطباشيري
٣ - ١٩٧٩
٤ - النيكل
٥ - ابن سينا
٦ - ١٩١٧
٧ - الامير محمد السديري
٨ - لا العبارة ليست صحيحة علميا
٩ - كامل الشريف
١٠- مرتين اثنتين

نتيجة مسابقة ديسمبر

● فاز بالجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة أشهر القارىء مصطفي ميرغني - السودان

● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة أشهر القارىء محمد الشاذلي - القاهرة

● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة أشهر القارىء جواد عبد الجبار - العراق

الفائزون باشتراك مجاني لمدة سنة

اسامة الريس - دمشق
عبد الله الضو محمد - السودان
محيى الدين حسين - العراق
طارق موفق جمعه - دمشق
الصديق علي الحسن - السودان
سعدية خليل مصطفى - مصر
طاهر علي الحرازي - صنعاء
عماد أحمد الاسطى - سوريا
عز الدين الديجاني - اليمن
عبد الحميد طه مروان - مصر
عبد القدوس علي - اليمن

من . أين . ما

● يهودى زنديق نادى بمحاربة الأديان معتمداً على أن كثيرا ممن يدعون التدين يمتصون دماء الشعوب ويعيشون مترفين متخمين بينما يجوع الآخرون . اسمه من كلمتين وتسعة احرف :
٢ - ٤ - ٨ - ٣ - ٥ صفة حاتم الطائى
١ - ٦ - ٩ - ٧ صفة للوحش

● قطر عربى لو استثمر العرب جزءاً من اموالهم لزراعة أراضيه بالطرق العلمية لاصبحنا مصدرين للحبوب والمنتجات الزراعية الكثيرة بدل اعتمادنا الكلى تقريباً على استيراد طعامنا فى كل الأقطار العربية بلا استثناء . اسمه من سبعة احرف :
٤ - ٢ - ٥ بمعنى إبن
١ - ٣ - ٥ ملك من الملوك

● نبات حبذا ان يستخدمه العرب بدل المشروبات المستورده لانه ينمو فى الصحارى وله فوائد صحية جمة اسمه من كلمتين فى ستة احرف :
٦ - ٢ - ٣ اخذ خفية
٥ - ٤ - ١ عكس ضيق

الجواب الصحيح

● المستشرق الذى وصف العالم المسلم أبا الريحان البيرونى بأنه أعظم عقلية فى التاريخ هو :
إدوارد سخاو - جولد تسيهر - ماسينيون

● خططت الحدود الدولية بين مصر وفلسطين فيما بين رفح شمالا وبير طابا جنوبا بالاتفاق بين بريطانيا وتركيا العثمانية فى سنة :
١٨٨٨ - ١٨٩٢ - ١٩٠٦

● إذا كان احد عقارب الساعة عند الرقم (١٢) والعقرب الآخر عند الرقم (٣) تكون الزاوية بين العقربين مقدارها :
٥٥ درجة - ٦٣ درجة - ٩٠ درجة

● الشاعر الجاهلى امرؤ القيس بن حجر كان من قبيلة :
الحويطات - كندة - تميم - بلى - الطوارق

● الكعبة الشريفة مبنية من احجار الرخام »
هل هذه العبارة صحيحة ؟

● اول عالم تنبا بوجود موجات كهرومغناطيسية هو :
كلارك ماكسويل - محمد خليل عبد الخالق - جوليلمو ماركونى .

● توفى العالم العبقرى المصرى الدكتور على مصطفى مشرفه باشا فى السادس عشر من يناير سنة :
١٩٤٨ - ١٩٥٠ - ١٩٥٢ .

● وقعت معركة الكرامة التى دحرت فيها القوات الصهيونية أمام التعاون بين الجيش الاردنى والثوار الفلسطينيين فى مارس سنة ١٩٦٧ - سنة ١٩٦٨ - سنة ١٩٧٠

● « السيف أصدق انباء من الكتب ...»
اكمل البيت واذكر اسم قائله ومتى ؟ .

● يتكون اللون الاخضر من امتزاج لونين من الالوان التالية :
الازرق - الأحمر - الأصفر - البنفسجى

العيون معصوبة .. والايدي مربوطة الى الخلف .. وطلقة القناص اصدرت حكمها على هذا الرجل الذي في مقتبل العمر ..

حاول ان تجد تعليقا يعبر عن محنة الانسان !

مدينة عربية سياحية يقصدها الكثير من الاوربيين والعرب .. تشتهر بشاطئها البديع .. وقع بها زلزال رهيب في الستينات .. وهي من المدن العصرية المشهورة بدفء جوها . ترى هل يمكنك التعرف على المدينة ؟

حاول أن تعرف

حل مسابقة حاول أن تعرف عدد ٤٨

الفيلسوف الاجتماعي هو ابن خلدون .

- الفائزون عن الصورة الاولى :

● توفيق باحكيم - عدن

● كامل خليل - سوريا

البناء هو برج بيزا المائل .

وعجائب الدنيا السبع هي :

١ - برج بيزا ٢ - اهرامات الجيزة ٣ - منارة الاسكندرية ٤ - حدائق بابل المعلقة ٥ - سور الصين العظيم ٦ - هيكل ديانا ٧ - تمثال زيوس .

الفائزون عن الصورة الثانية :

● محمد العربي - تونس

● بشير فرح - الاسكندرية

أسماء الفائزين في مسابقة كاريكاتير عدد ٤٨

● موظف الاستقبال : غريبة ! انها لا تشبه عروس الشهر الماضي .

وليد ابو رية - الدوحة

● موظف الاستقبال : هل تريد نفس الجناح الذي قضيت به شهر العسل الماضي ؟

بثينة السيد - الدقهلية

● موظف الاستقبال : عفوا سيدي .. اانتما معا ؟

كوثر حسين - الجيزة

● موظف الاستقبال : معذرة يا سيدي .. لقد انتهى شهر العسل .. نحن الان في شهر فبراير .

احمد عبد الغفار - محافظة الغربية

كاريكاتير وتعليق

ضع التعليق المناسب لهذا الكاريكاتير واربح ١٠٠ ريال

د.عمادالــدين خـــليل

نـــوح وبداهـــات الـــوراثـة

وهاكم واحدة من نماذج سوء الفهم في التعامل مع معطيات القرآن الكريم ·· سوء الفهم الناتج عن ضيق الافق ، وعدم القدرة على الاستشراق ، وانعدام الرؤية الشمولية ·· ناهيك عن ترسبات العواطف الجانحة والقلق الفكري ·· وهي جميعا تقف كالجدران امام فهم القرآن وتمثل عطائه المعجز الكريم ·

قال لي احدهم يوما وملامح الحيرة وشيء من الامتعاض يرتسمان على وجهه ·· قال ولكن هذه !! وراح يتلو دعاء نوح عليه السلام (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا · انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) ·· هذه الآية الاخيرة تمثل تناقضا صريحا مع معطيات القرآن نفسه ، فهل من المحتوم الا يلد الكافر الا فاجرا ؟ وهل من المنطق ان يتحمل الابناء وزر الآباء ، بينما يؤكد القرآن في اكثر من مكان على ان الانسان يحمل مسؤوليته ولا يؤخذ بجريرته احد فهو يقول (كل امرىء بما كسب رهين : الطور) ويقول (ولا تزر وازرة وزر اخرى : الانعام) ويقول (وان ليس للانسان الا ما سعى : النجم) (تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم : البقرة) ويقول (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه : الاسراء) ·· الى آخره ·· فكيف به ها هنا يحمل الابناء وزر الآباء ويدفع نوحا الى الدعاء باستئصال شأفة الآباء كي لا تتسع قاعدة الكفر في العالم ؟!

تركته يتحدث على حريته ، فلما انتهى من كلامه ، وهدات انفعاليته ، وخف تشنجه الذي لم اجد له ايما مبرر ·· قلت له : انك يا هذا لم تفهم الآية المذكورة ولم تتعامل معها بما يليق بك كمثقف واسع الاطلاع ··

عاد اليه تشنجه مرة اخرى واراد ان يتكلم ، فاسكته قائلا : لقد اعطيتك مجالا واسعا للحديث فدعني اتم حديثي انا الآخر ·· ان نوحا عليه السلام يدعو ها هنا من موقع الغضب والانفعال على قوم دعاهم للايمان تسعمائة وخمسين سنة فلم يستجيبوا ·· جاءهم من الف طريق وطريق فلم يستجيبوا · قدم لهم مائة دليل ودليل فلم يستجيبوا · ومن ثم جاء رد الفعل عنيفا قاسيا ·· وانت تعلم ان لكل فعل رد فعل يساويه في القوة ويخالفه في الاتجاه ···

وتصور كيف يكون غضب تسعمائة وخمسين سنة من دعوة اناس كانوا يضعون اصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم كيلا يتسرب الى عقولهم قبس من نور الكلمة التي جاء بها هذا النبي الدءوب ··

انه دعاء من موقع الغضب ·· والقرآن لا يفعل اكثر من ان يخبرنا عما جرى حينها دون ان يبين ، ولو تلميحا ، خطا او صواب هذا الدعاء ·· لان هذه مسالة اخرى ، ما دام ان القرآن في هذه السور بصدد عرض تاريخي مكثف لنبوة نوح عليه السلام ·· والاخبار شيء ·· واتخاذ موقف ازاء الحدث التاريخي ، او الراي ، شيء آخر ··

هذه واحدة ، ولكن الامر لا يقف عند هذا الحد ·· فلو اننا وسعنا افق نظرتنا الى المعطيات القرآنية ، وانتقلنا الى سورة اخرى لمتابعة مواقف نوح عليه السلام لوقعنا على آية اخرى تكمل الصورة وتجلو اي غبش قد يساور الذهن او الوجدان ·· نوح وهو يدعو الله ان ينجي ابنه المارق من الفيضان المدمر (رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين : هود) فها هو نوح يدعو مرة اخرى من موقع العاطفة الابوية ، المعاكس تماما لموقع دعائه الاول ان يعينه الله والا يجعل ابنه في الهالكين ·

موقع العاطفة مرة اخرى ·· ومقتضيات النبوة واخلاقياتها شيء آخر تماما ·· صارم كالارقام ان يتجرد النبي عن كل ميل او هوى، وان ينطلق الى هدفه على خط مستقيم ·· ومن ثم يجيبه الله سبحانه بكلماته القاطعة (·· يا نوح ، انه ليس من اهلك ، انه عمل غير صالح ، فلا تسالني ما ليس لك به علم ، اني اعظك ان تكون من الجاهلين : هود) · ويبتدىءالعطاء القرآني بتكامله المتالق الفريد ·· ان نوحا عليه السلام في الحالتين يدعو من مواقع الانفعال ، والقرآن الكريم يحدثنا بامانة عن هذا الدعاء ·· على سبيل الاخبار ·· ولكنه في المرة الثانية يكشف عن الجانب الآخر من الحدث ، وهو حكم القرآن في الموقف ·· انه الرفض القاطع ·· فليس ثمة في معيار الايمان علاقة ما بين الآباء والابناء ·· يختار الاب طريق الايمان ، ويصر الابن على المضي في طريق العصيان ·· وهنالك (يجب) نعم (يجب) ان يستل الاب من نسيج وجدانه اية محبة او تعاطف مع ابنه المارق ·· لان في ذلك انحيازا عن الحق الى الهوى ·· والضلال·

قلت لصاحبي ذاك ·· واننا لنلمح في الرد القرآني على دعوة نوح عليه السلام ، وفي الموقف عموما ، شيئا آخر غاب عن ذهنك وانت تقرر التعارض الموهوم بين بداهات العلم والوراثة وبين معطيات القرآن ·· انه ليس ثمة على الاطلاق ابناء يجدون انفسهم مسوقين، بما لا حيلة لهم في دفعه ، في السير على خطى الآباء ·· ان يكون الآباء كفارا فليس ثمة حتمية تجعل من ابنائهم كفارا ·· ان يكونوا مؤمنين فليس ثمة من يرغم ابناءهم على الايمان ··

وما اكثر الكفار الذين التقينا بهم في عهد الصراع القاسي في مكة ·· ينجبون ابناء يختارون طريق الدعوة الجديدة ، ويستمعون للنداء ·· ونظرة سريعة الى قوائم المجاهدين والشهداء في معارك الاسلام الاول في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ترينا ، ايضا ، كيف قاتل الابناء آباءهم ، ولم تثنهم عن اهدافهم ايما عاطفة قد تنحرف بهم عن الطريق ·· ترى ·· قلت له في ختام حديثي : كم من الاخطاء قاد اليها سوء الفهم ، وضيق الافق وعدم القدرة على الاستشراف ·· في الحكم على معطيات القرآن *

طبعت بمطابع علي بن علي
Ali Bin Ali Printing Press - Doha

للفنان محمد الجيدة

السنة الخامسة ـ العدد ٥١ ـ ربيع الثانى ١٤٠٠هـ ـ مارس ١٩٨٠ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربى والثقافة الانسانية

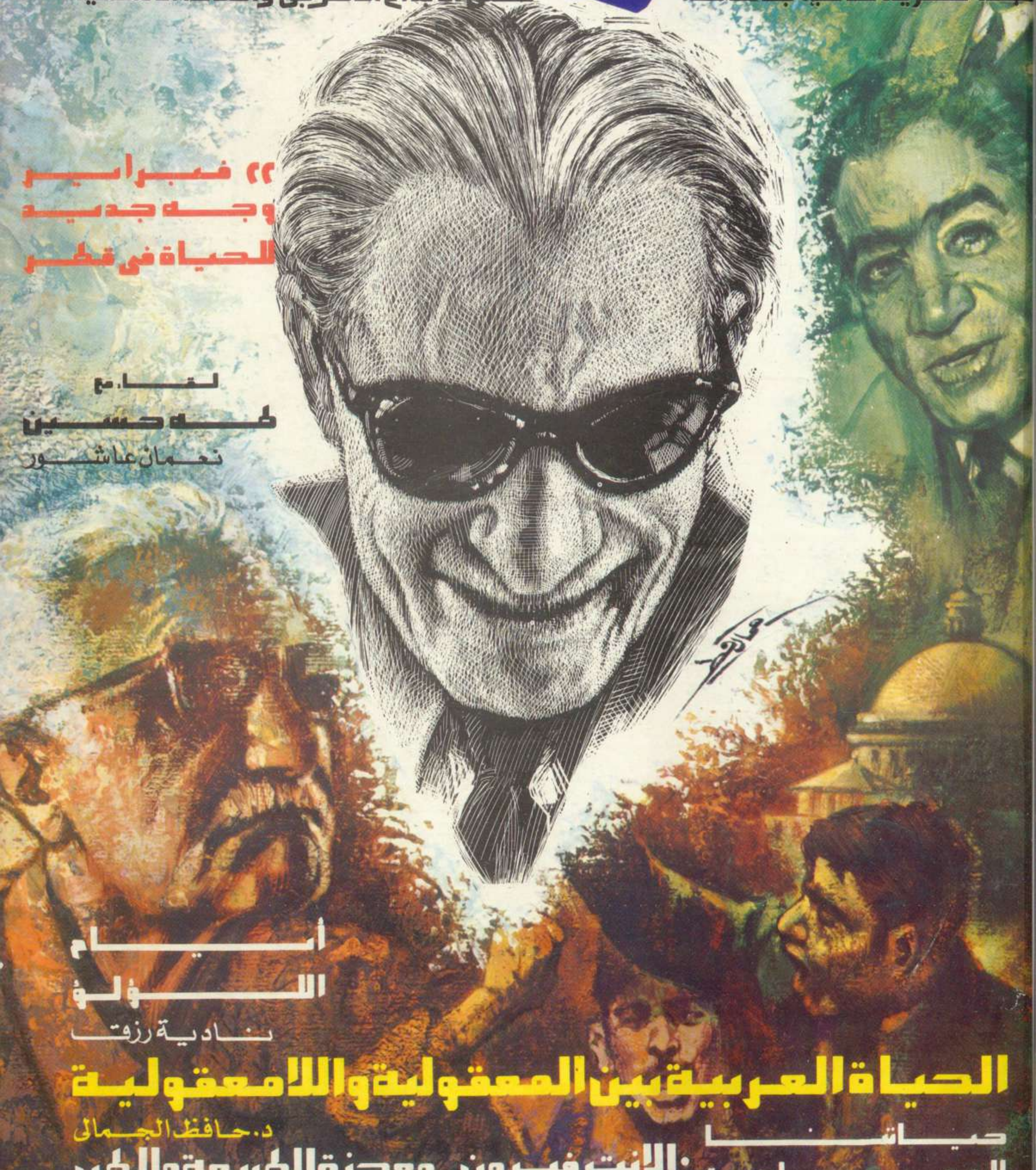

بيبسي

الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة قطر

مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة

قطر ٣ ريالات ، البحرين ٢٥٠ فلسا ، الامارات العربية ٣ دراهم ، عمان ٢٠٠ بيزة ، الكويت ٢٥٠ فلسا ، السعودية ٣ ريالات ، الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا ، جمهورية اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا ، العراق ٢٥٠ فلسا ، الاردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش ، لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٢٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، الجماهيرية العربية الليبية ٣٠٠ درهم ، تونس ٣٠٠ مليم ، الجزائر ٣ دنانير ، المغرب ٣ دراهم ، باقي دول العالم مايعادل دولارا واحدا .

الاشتراكات : للافراد : داخل قطر : ٣٦ ريالا قطريا . بالدول العربية : ٤٢ ريالا قطريا . في باقى دول العالم : ٤٨ ريالا قطريا .

للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات : داخل قطر : ٧٢ ريالا قطريا . بالدول العربية ٧٨ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٨٤ ريالا قطريا .

الاعلانات : يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الدوحة

رئيس التحرير
الدكتور محمد ابراهيم الشوش

خبير شئون الخليج : د. محمد جابر الانصاري

مارس ٨٠

العدد ٥١

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر
العنوان البرقى : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير: ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير :
٣٢١٢٧٥ ـ ٣٢١٢٧٦
٣٢١٢٧٧ ـ ٣٢٣٧٧٨
القسم التجارى :
٣٢١٨٥٧ ـ ٢٦٨٤٦
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

شئون عامة

اسلاميات

صفحات الرأى

ابواب ثابتة

مراجعات وتيارات ثقافية

هذا العدد

حياتنا المعاصرة

استطلاعات

ادب وادباء

من بين مواد هذا العدد تقدم الدوحة احاسيس الحفاوة الشعبية فى مناسبة الذكرى الثامنة لتولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر مقاليد الحكم فى البلاد . تقدمها بالصورة والكلمة فى إطار النهضة الكبيرة الشاملة التى تعم كل مرافق الدولة .

ومن بين مواد هذا العدد تقدم الدوحة حصاد المؤتمر الخامس لوزراء الاعلام فى دول الخليج العربية ، والذى دعت إلى إقامته ، وقامت باستضافته دولة قطـــر .

وهاتان المناسبتان هما محور الرسالة الخاصة التى يتوجه بها رئيس التحرير إلى القراء واما عن بقية المواد التى يحتشد بها هذا العدد ، فاننا نتركها تقدم نفسها إلى القراء باقلام كتابها ، لكى نبشر فى هذه السطور السريعة ببعض الجديد فى مواد العدد القادم .. عدد اول ابريل :

لقد حصلت الدوحة على ثلاثة مقالات لم تنشر من قبل للكاتب والمفكر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد . وهى مقالات وإن كتبت قبل رحيله من عالمنا ــ اى منذ اكثر من خمسة عشر عاما ــ إلا انها تمس قضايا هامة تشغل عالمنا هذه الأيام . نحن إذ نشكر ورثة الكاتب الكبير الذين خصوا الدوحة بهذه المقالات الثلاثة كى ترى النور لأول مرة على صفحاتها ..يسعدنا فى نفس الوقت ان يكون التخصيص موجها إلى قراء الدوحة ، الذين سيصافحون مقالات الكاتب والمفكر الكبير ابتداء من العدد القادم على التوالى .

ولقد حصلت الدوحة ايضا على حق نشر ذكريات الكاتب المسرحى المعروف الأستاذ نعمان عاشور ، والشاعر الكبير الاستاذ صلاح عبد الصبور مع تجربة كل منهما فى المجال الثقافى والابداعى على مدى ربع قرن . إنهما ــ من موقع الأطراف الممارسة والمنتجة والمؤثرة فى مجال كل منهما ــ يرصدان كل باسلوبه ورؤاه نبض الحركة الثقافية فى الربع قرن الماضى .وهى إضاءة لابد ستعيد إلى الذاكرة حيوية تلك السنوات ، بعد ان هبطت كفة الثقافة فى الأونة الأخيرة !

وفى العدد القادم ايضا يعود ــ من وعكته الاخيرة ــ القاص والروائى الكبير الدكتور يوسف إدريس إلى قراء الدوحة بارائه المركزة الجريئة اللاذعة .. مثلما يعود إليهم فى العدد الذى يليه باحدث انتاجه فى القصة القصيرة تحت عنوان : الرجل والنملة

.. وإلى مزيد من الجديد والنبض والحيوية فى اعدادنا القادمة من الدوحة .

" الدوحة "

فنون

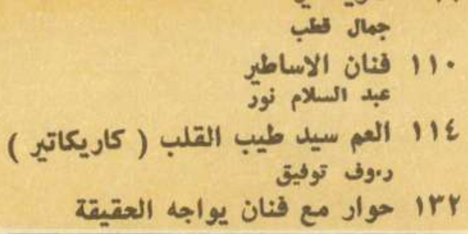

ابواب القراء

مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبيـــة والروحية بين الدوحـــة واصدقائها المساهمين فى تحـرير أبواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافات رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية ١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

رأيت • سمعت • قرات ٦٠ ريالا

دوحـة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحـريـر أبواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مـع ذكر اسم الباب عـلى المظروف الخارجى ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية .

طبعت بمطابع علي بن علي

في عــدد قــادم ..

ولان لا أبشع من السجن والمنتظرين المحاكمة من كلمة اعتراف ، فقد وقفنا على أطراف تحفزنا أنا وحمزة ونحن نساله بماذا اعترف ولماذا اعترف ؟ قال وهو يشيح بيده : وأنا وسط العذاب ، فى منتصف المسافة بين كونى نملة وكونى ذكر نمل إنكسرت إرادتى ولم احتمل ، وقلت كل ما عندى بامل ان يتوقف أمر يونس بحرى وان يكف العذاب . وبرغم الاعتراف لم يوقف المجرم الأمر ، وحتى لو كان اوقفه فانا نفسى كنت غير قادر لحظتها أن اوقف عذاب التحول .. إرادة أن اكون بشرا افلتت وصارت لى إرادة نملة لاتقوى أبدا على الكتمان ...

من أحدث قصة قصيرة بعنوان

الرجـل .. والنمـلة

بقلم :
د . يوسف إدريس

ابتداء من العــدد القــادم :

تنفرد الدوحة بنشر ثلاث مقالات
لم تنشر من قبل للمفكر الكبير
عباس محمود العقاد
المقال الأول

الإنسان غدا ..

ماذا يمكن أن يكون ؟

يكتب الشاعر الكبير : صلاح عبد الصبور
سلسلة من المقالات التى ترصد وتضىء
على الحركة الثقافية خلال الربع قرن الأخير

مشارف الخمسين

المقال الأول
العجوز والجريدة

يعود الكاتب الكبير الدكتور يوسف إدريس
إلى قراء الدوحة بآرائه الجريئة
والثاقبة فى الإنسان والحياة والوجود
مقال العدد القادم
تحت عنوان : **نبتة صالحة**

تحية إلى قطر ...

شهد الشهر الذى مضى يومين هامين من أيام قطر الفتية .. يوماً مشرقاً للتاسيس والانطلاق الى رحاب العمل التنموى الخلاق .. هو الذكرى الثامنة لتولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، أمير البلاد المفدى ، مقاليد الحكم فى البلاد ؛ ويوماً لفعالية التضامن والتعاون الأخوى الرشيد عندما اجتمع فى الدوحة وزراء الاعلام فى دول الخليج لمواجهة محاولات الحقد والدسيسة الصهيونية لاستلاب وتشويه الملامح الحضارية والانسانية لابداع المسلمين والعرب فى تاريخ العالم المعاصر والحضارة الانسانية بوجه عام .

وثاني هذين اليومين ثمرة طبيعية ومنطقية لأولهما . ففى الثانى والعشرين من فبراير عام ١٩٧٢ تولى سمو الأمير سلطاته الدستورية متحملا مسئوليته تجاه الشعب والوطن ، منطلقا من أهداف سامية لأحداث وثبة حضارية شاملة توظف قدرات الأنسان القطرى واصالته وقيمه وتراثه وثروات بلاده باستخدام حصيف لمنجزات الانسانية فى حقلى العلم والمعرفة النافعة لخير الوطن والامة والانسانية جمعاء .

وكان لحرص سمو أمير البلاد المفدى ، يوم تولى مقاليد الحكم ، على إضاءة البلاد بفيض من التحديث والمعاصرة آثاره الفعالة لا فيما انجزته دولة قطر من تقدم وعمران ونهضة كبرى شاملة غيرت وجه الحياة بصورة جعلت من ذلك اليوم الخالد مناسبة قومية مجيدة فى تاريخ الشعب القطرى فحسب بل فيما افاءت به من حيوية على علاقات الأخوة الحميمة والتعاون الوثيق والتكامل والتنسيق فى كل ما يدفع عجلة التقدم والرخاء والارتقاء فى منطقة الخليج وأمنت للعمل العربى المشترك امكانات قادرة لجمع شمل الأمة العربية وتعزيز وزنها الدولى وقوتها التى تكفل لها القدرة على النصر فى معاركها الكبرى ضد الصهيونية والاستلاب المادى والمعنوى لحقوقها وأراضيها ومقدساتها ، وفى طليعتها القضية الفلسطينية التى تقف دولة قطر بامكانياتها المادية والأدبية الى جانب الاشقاء العرب لتحمل مسئولية استعادة الاراضى العربية المحتلة وفى مقدمتها القدس الشريف ، واسترداد حقوق الشعب العربى الفلسطينى ، وفى مقدمتها حقه فى وطنه وفى تقرير مصيره فوق أرض هذا الوطن .

وقد حرصت دولة قطر تحت قيادة سمو أمير البلاد المفدى الرشيدة على القيام بدور بناء فى تدعيم التضامن الاسلامى بغية تفجير طاقات العالم الاسلامى الروحية والانسانية والاقتصادية والسياسية لمنح الانسانية فجرا جديدا من السلام والعدالة والحيوية فى العلاقات المبنية على القيم المثلى والمبادىء الرفيعة . وما أستضافة دولة قطر للمؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية ، واستقبال القرن الخامس عشر الهجرى بهذا العمل الاسلامى الجماعى والفكرى الا تمكينا لوحدة الأمة الاسلامية وتعريفا بالشخصية الاسلامية لكل الدول المشتركة فى المؤتمر .

وهذا الوعى نفسه هو الذى تسترشد به مساعى دولة قطر لدعم أواصر التعاون والتضامن مع الدول الافريقية ، التى تربطها بالعرب والمسلمين روابط تاريخية وثقافية وجغرافية جعلت تقديم العون والدعم لها ضرورة قومية .

ان أهتمام مجلة الدوحة بهذا الحدث التاريخى انما ينبع من كونها هى نفسها ثمرة من ثمرات هذا التطور التاريخى الحضارى لدولة قطر ، والذى أكد الدور الفاعل للثقافة والعمل الثقافى .. لقد كان الهم الاول لحضرة سمو الأمير هو تكوين الانسان القطرى بحسبانه هدف التنمية المادية والروحية ، ودعامة التطور والتقدم ، وأثمن رأسمال فى عملية بناء الوطن والاضطلاع بقضايا الامة العربية ، والاسلامية لا من باب استرجاع دور مفقود وانما كايقاظ واع لمساهمة الانسان العربى المسلم فى التاريخ والحضارة ، وذلك بتحريره وتخليصه من رواسب وآثار الاستلاب المادى والثقافى الذى قام به منتهبو ثرواته ومغتصبو أراضيه .

والمجلة لا تسعى بما تسجله هنا للتوثيق فذلك أكبر من أن يسعه كتاب ، وانما تعمد الى التذكير ، وخاصة فى عالم يبدو فاقداً للذاكرة حالما يتعلق الأمر بتطور وتقدم ومساهمات العالم العربى والاسلامى فى شتى الميادين .

وفى التاسع من الشهر الذى مضى ، وفى زمن اشتدت فيه الحملة الاعلامية الجائرة على العالم العربى والاسلامى ، وعلى انسانهما وقيمه وحضارته ودوره ومساهمته الانسانية والمادية والثقافية ، انعقد المؤتمر الخامس لوزراء الاعلام فى دول الخليج ، وكان المؤشر المهم فى هذا المؤتمر هو الاعلام الخارجى وموقف العرب فيه . وقد تم تناول الموضوع لأول مرة بجدية متناهية ، وأخضع للتخطيط العلمى المدروس لينفذ ويتابع ويطور .

ويجد القارىء فى صفحات هذه المجلة ، التى تحاول هى نفسها أن تكون منبرا ايجابيا فى مجال خدمة الأنسان العربى المسلم والتلاقح الحضارى الأنسانى الأمثل ، ما سمح به نطاقها من تسجيل لما أجمع عليه ذلك المؤتمر .

رئيس التحرير
محمد ابراهيم الشوش

الشهر الذى مضى

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

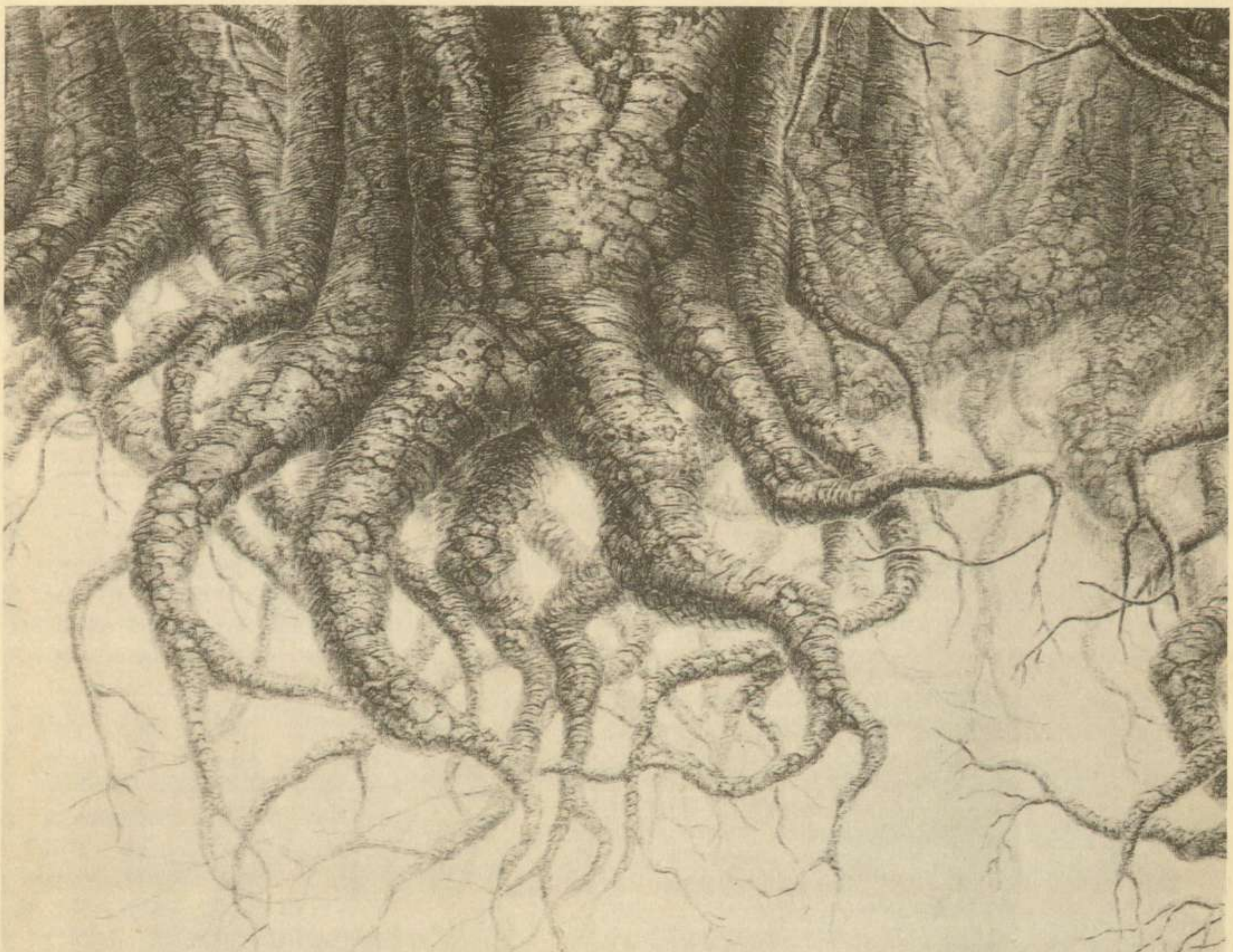

التوفيق بين الأصول والمؤثرات الحضارية

إن القول الذى تجهر به بعض اجهزة الاعلام وتتناقله بعض الاقلام انطلاقا من عدد من الاحداث الدرامية المعاصرة الايجابى منها والسلبى ، التى انطلقت مؤخرا فى انحاء متفرقة من العالم الاسلامى ، بأن عالم اليوم يشهد بوادر انطلاقة فكرية اسلامية تقوم على احياء حضارى مخطط مدروس ينتظم الجماهير الاسلامية بقيادة مثقفة واعية ، ووفق فلسفة اسلامية محددة المعالم متينة الاسس واضحة الاهداف ، هو قول يتجاوز الحقيقة الى التمنى والوهم الخادع ، ويدخل فى دائرة التهويل الاعلامى الذى تعودناه ، والذى يسمى الاشياء بغير اسمائها ، ويجعل ـ كما يقول أهلنا الطيبون ـ من الحبة قبة ، ومن افتتاح مدرسة ثورة تربوية ، ومن رصف شارع ثورة عمرانية ، ومن بناء مصنع لم تكتمل له الدراسات الأولية ثورة تنموية عملاقة ، ومن قرارات مؤتمر ـ لا يذكر احد منه شيئا سوى لحظات الانس والحبور ـ منعطفاً تاريخيا خطيراً ، ومن تبادل التحية والمجاملات الودية توافقا كاملا فى وجهات النظر .

وحقيقة الامر ان هنالك وعيا متزايدا لدى الجماهير المسلمة العريضة بواقع انتمائها الدينى ، ورغبة صادقة فى أن تلعب من خلال هذا الواقع دوراً فعالا فى اطار الحضارة الانسانية المعاصرة ، لا موقف المتفرج الحالى ، ولا موقف المستهلك المنقاد ، ولا موقف الرافض قولا المستكين فعلا وواقعا ، ولكن موقف المؤثر فى الاحداث . ولكنه فى مجمله وعى لا يزال يفتقر الى الاطر الفكرية المعاصرة التى يتحرك فى فلكها وهى الاطر التى تعتمد على وجود قيادة فكرية مؤمنة شجاعة ومثقفة . وهو موقف تكمن خطورته فى ان تستنفد هذه الطاقة التى تفجرت فى النفوس دون أن تبلغ من غاياتها وأهدافها شيئا أو ان ينحرف بها المنحرفون ـ فى غياب القيادة الفكرية الامينة ـ الى غير ما يراد لها .

وحقيقة الامر ايضا ان هنالك اهتماما ملحوظا هذه الايام فى الغرب بما يحدث بين ظهرانينا من احداث مهما تفهت وصغرت ، يسلط عليها ضوءه الكاشف الذى يعشى الابصار ، وإذ كل تصرفاتنا وما يعتمل فى عقولنا ووجداننا فى الماضى والحاضر وحتى المستقبل تحت مجهره ، لا تخفى عليه خافية كل حادثة ترصد وكل مسئول أوشبه مسئول ـ كان من قبل فى اعلامهم كماً مهملا ـ تفسح له الان الصفحات العراض يتحدث بما يعرف ومالا يعرف ويتحدث بما يعنى ومالا يعنى .

وصحيح ايضا ان احاديث الغرب وتاليفه عن الاسلام قد ازدادت وكثرت وطفح بها الكيل هذه الايام بعضها مغرض جاهل ، وبعضها يحاول تحرى بعض الحقيقة فلا يبلغ من ذلك شيئا . ولكن هذا الاهتمام كله لا لاننا نشكل تحديا حضاريا ولا لاهمية مايدور فى عالمنا ـ فكريا وثقافيا ـ لا يجب ان نخدع انفسنا ـ ولكن فقط لاننا نحتل الموقع الاستراتيجى الذى يمكن ان يعوقه فى صراعه الكونى ونملك الخامة التى يمكن ان تخنق تطوره وتقلق راحة مواطنيه .

دراسة التجارب السابقة

ولكى يتحول هذا الاحساس الوجدانى الذى ينتظم الامة الاسلامية حالياً الى حركة احياء فكرية حقيقية واعية تفجر طاقاتها ، لا بد من التصدى الشجاع من قبل القيادات الاسلامية المثقفة لقضايا التحديث والمعاصرة بصورة تمكن من التفاعل الايجابى مع الحضارة الانسانية الماثلة والتاثير فيها فى اطار المحافظة على كيان العقيدة الاسلامية : تفاعل المبدع الخلاق لا تفاعل المتقاعس المستهلك .... وان يتم هذا التوافق فى جو من الحرية بعيدا عن مزالق التعصب البغيض والاتهام العشوائى والارهاب الفكرى ....

هذا التصدى ينطلق من تامل التجارب السابقة ودراستها دراسة علمية موضوعية متانية بعيدة عن الغرض . واستخلاص النتائج التى تحمى هذه الانطلاقة الفكرية من مواطن الزلل والخطأ . وكما ان دراسة التجربة وحدها لا تقوم بديلا فى النهاية عن الاجتهاد الفكرى الذى يتوصل الى تصور فلسفى واضح فانها بداية لابد منها للوصول الى ذلك الهدف .

من هذا المنطلق تنبع الاهمية الفكرية القصوى بل والحاجة الآنية الملحة لاطروحة الدكتوراه التى قدمها للجامعة الامريكية الزميل الدكتور محمد جابر الانصارى حول

التوفيق بين الأصول والمؤثرات الحضارية

النزعة التوفيقية فى الفكر العربى المعاصر . ولعل مجرد تناول رسالة جامعية لقضية مصيرية كهذه يعتبر فى حد ذاته انجازا علميا مقدرا ، فقد ظلت رسائلنا الجامعية فى اغلبها وبخاصة فى مجال الدراسات الانسانية والاجتماعية تسبح فى فضاء السلامة باسم الموضوعية العلمية ، بعيدا عن اجواء الصراع واحداث العصر ، تتناول بالتفصيل الممل والتمحيص المستغرق والتدقيق الدءوب قضايا لا تتصل بهموم العصر ولا تهم أحدا .

حقيقة المشكلة

والقضية الاساسية المطروحة الآن أمام الفكر الاسلامى والتى ظلت مطروحة فى صورها المختلفة عبر القرون هى قضية التوفيق بين الاصول الدينية التى لا تقبل التعديل والتبديل ، والمؤثرات الحضارية الوافدة عبر الازمان المختلفة فى التاريخ الاسلامى دون خروج واضح أو ضمنى عن هذه النصوص . وهى قضية تصبح أكثر الحاحاً وضرورة عملية فى اطار الواقع الحضارى الغربى المعاصر ، وهو واقع يفرض شمولا جغرافياً يتعدى كل الحدود التى كانت تقف من ورائها الحضارات الانسانية القديمة لا تتعداها . فقد استطاعت هذه الحضارة بحكم طبيعتها المادية وقدراتها التكنلوجية الهائلة ان تجعل من العالم الحديث وحدة متصلة الحلقات فى كل مجالات النشاط الانسانى السياسى والثقافى والاقتصادى . لكنها برغم شمولها الانسانى الكونى وبرغم انها نتاج كل الحضارات التى مرت بها البشرية ولنا فى ضلعها اسهام كبير ، الا ان منطلقها العصرى منطلق غربى يضرب بجذوره فى اعماق التقليد الفكرى الغربى الوثنى فى ماضيه البعيد والمتشرب بالروح المسيحية فى تاريخه القريب ، والغرب بموروثاته القديمة ونمط حياته وتفكيره المعاصر هو الرافد الذى يمدها الآن بمقومات وجودها وتطورها ويحدد اتجاهاتها وخطواتها ..

هى إذن حضارة بحكم شمولها وطغيانها الكونى لا يمكن اغفالها أو ادارة الظهر لها أو تجاهل وجودها ، وهى بحكم جذورها الفكرية والفلسفية وبحكم نظرتها المرتبطة بالتراث الوثنى ثم المسيحى الغربى لا يمكن قبولها أو الانصهار الكلى فيها من واقع الايمان بالعقيدة الاسلامية والتى لا انفصام فيها بين الايمان الروحى والحياة المادية للمسلم .

وهنا يكمن لب الاشكال

فالذين يعتقدون أن السبيل الوحيد للمحافظة على كياننا الاسلامى يكمن فى رفض الحضارة الغربية المعاصرة وتجاهلها كلية وإلغائها من حياتنا يتوهمون .

والذين يعتقدون بامكان الانصهار فى تيارها الغالب

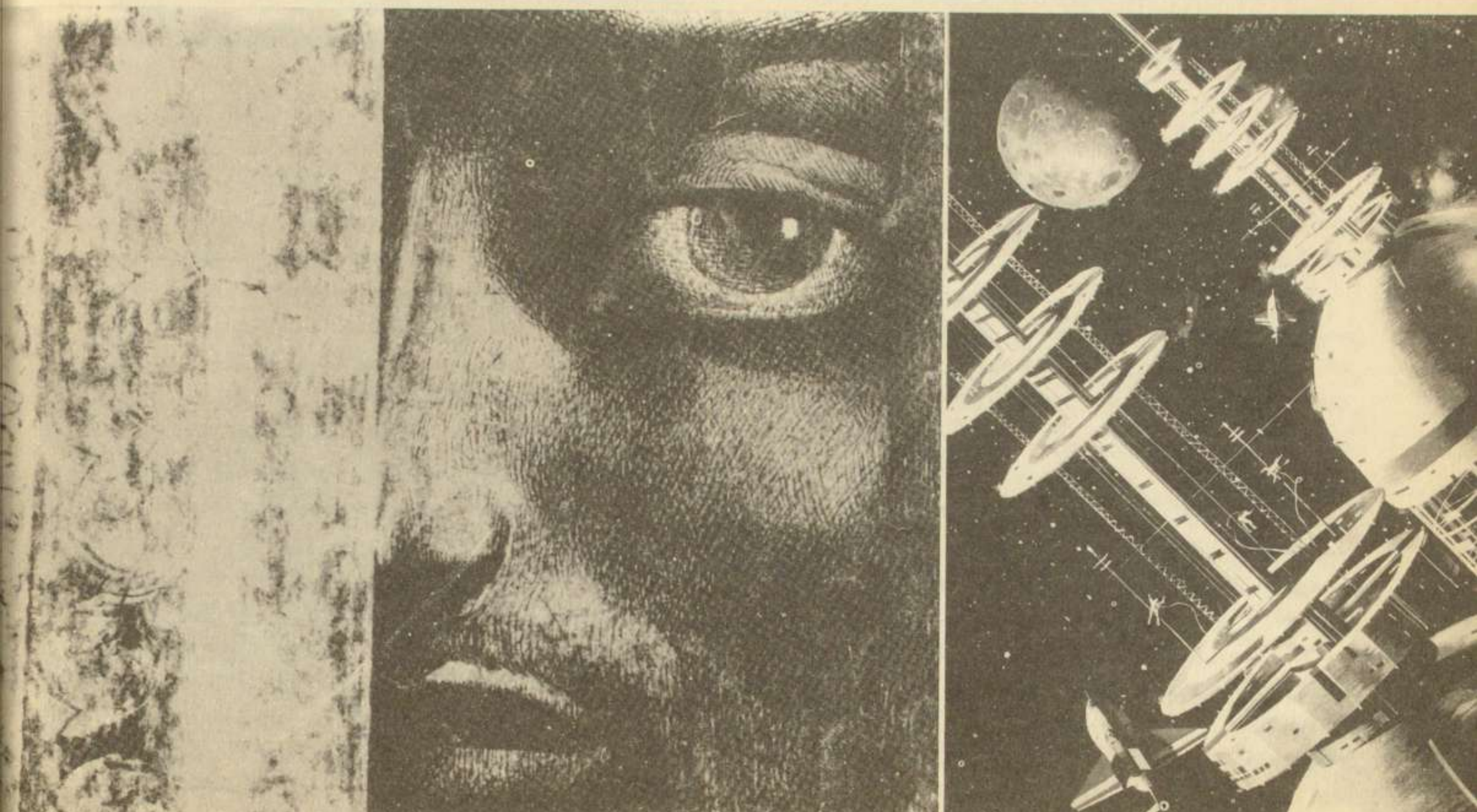

وتقبلها بكل علاتها باعتبار أن ما يصلح للغرب يصلح لنا ضربة لازب ، أو من منطلق حتمية السلوك الذى يفرضه التقدم والأخذ بأسباب الحضارة مع امكان المحافظة فى نفس الوقت على التعاليم والمفاهيم الاسلامية يتوهمون .

والذين يعتقدون ان لدينا غربالا وميزانا منصوبا يمكننا من اختيار ما يتمشى معنا ورفض ما يتعارض معنا ، هكذا فى بساطة متناهية وبلا عناء فكرى ولا صراع ، معتقدين بامكان الفصل بين الواقع المادى المعاش فى اطار مفهوم حضارى معين ، وبين القيم المنبثقة عن ذلك الواقع والمرتبطة به واهمون .

والحـــل ؟

والحل الوحيد هو الذى توصل اليه التفكير الاسلامى النشط عبر التاريخ والذى يتمثل فى المحاولة الدائبة للتوفيق بين الاسلام كعقيدة روحية وواقع معاش وبين متطلبات العصر المادية والثقافية والفكرية ، بصورة تزيل فى نفس المسلم المؤمن اى تناقض بين ما يعتقده وما يحتمه الواقع الذى يعيشه فكرا وممارسة .

والتوفيقية نشاط فكرى يقوم على تعمق للاصول وفهمها فهماً مثقفاً واعياً ، وعلى ادراك عميق مماثل ومواز للمؤثرات الحضارية الوافدة ، مادية كانت أم ثقافية ، ثم محاولة فكرية على ضوء هذا الفهم للمعادلتين لاعادة صياغة العنصر المستعار بما يتلاءم مع روح الاسلام ، أو تاويل النص الدينى عقليا ليحصل هذا التوافق . كل ذلك مع قدرة على جعل هذا التكوين التوفيقى مقبولا لا يصدم مشاعر الرأى العام الدينية ولا يتعارض مع معتقدها . وبالتالى فالمتبحرون فى الفقه والاصول وحدهامهما بلغ من تبحرهم ليسوا بقادرين على هذا النشاط الفكرى ، والمتعمقون فى بحر العلوم الحديثة مهما بلغ من تعمقهم ليسوا بمؤهلين للتصدى له .

والذى عمدت له هذه الرسالة الجامعية هو اعطاء تصور تاريخى علمى مستنير لهذه المحاولات الفكرية وماصاحبها من مد وجزر وما احاط بها من صعوبات وما حققته من انجازات .

والمؤلف الباحث يتخذ منذ البدايةموقفا توفيقيا فى تناوله لهذه القضية برمتها . فهو يبدأ بطمانة القوى السلفية ـ والتى يعرف وان لم يصرح كم هى عاتية اذا اشهرت اسلحتها ـ وذلك بتاكيد حقيقة مبدئية وهى ان الخاصية الاساسية للفكر العربى كما برزت فى اعمال الفلاسفة المسلمين الاوائل كالكندى والفارابى وابن سيناء وابن رشد هى رفض فكرة الصراع بين النقائض والثنائيات وبالتالى انتفاء التحيز لنقيض دون آخر وتاكيد وحدة الحقيقة . كما يؤكد ان الاسلام بطبيعته الجامعة المانعة يرفض الازدواجية ـ التى تدين بها المسيحية ـ والتى تقبل فكرة الفصل بين الجانب الروحى من حياة الانسان والجانب المادى . فالعقيدة الاسلامية والفكر العربى يقومان على منهج التوفيق والتوسط . كما أن المناخ الاجتماعى الذى يقوم على وجود طبقة تجارية متوسطة فى صدر الاسلام اتاح لهذا الاتجاه ان ينمو ويتغلغل فى حياة الامة الاسلامية وتفكيرهـــا .

اذن فالاتجاه التوفيقى فى نظر الكاتب اتجاه نابع من داخل التقاليد الفكرية الاسلامية وليس من خارجها كما انه جزء لا يتجزأ من التكوين العقلى العربى . وبرغم اننا نتعاطف مع الكاتب فى محاولته ان ينطلق من منطلق اتفاق مع التيار العام باضفاء صفة الشرعية والقبول للاتجاه التوفيقى إلا ان التاريخ العربى ـ بكل أسف ـ يكذب هذا الظن . فالعقل العربى قد يميل الى منهج التوفيق والتوسط بطبعه إلا فيما يتعلق بالارتباط العضوى والغريزى بالماضى فهو اقرب الى المحافظة ميال الى الرجعة الى الماضى يستمد منه السند والثقة والطمانينة ... ولقد كان المنطلق الاول والاساسى لرفض العرب للاسلام فى مبتدأ الدعوة انه دين محدث وافد من خارج تقاليدهم وتراثهم لم يؤمن به اسلافهم بل ذهبوا الى القـــول انه لو كان حقا لامن به آباؤهم واجدادهم ، حتى تبين لهم أن الدين الاسلامى ليس محدثا وانما هو دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام . ثم تجمعت ظروف فكرية وتاريخية وثقافية وسياسية حتمت الرجعة الى الماضى

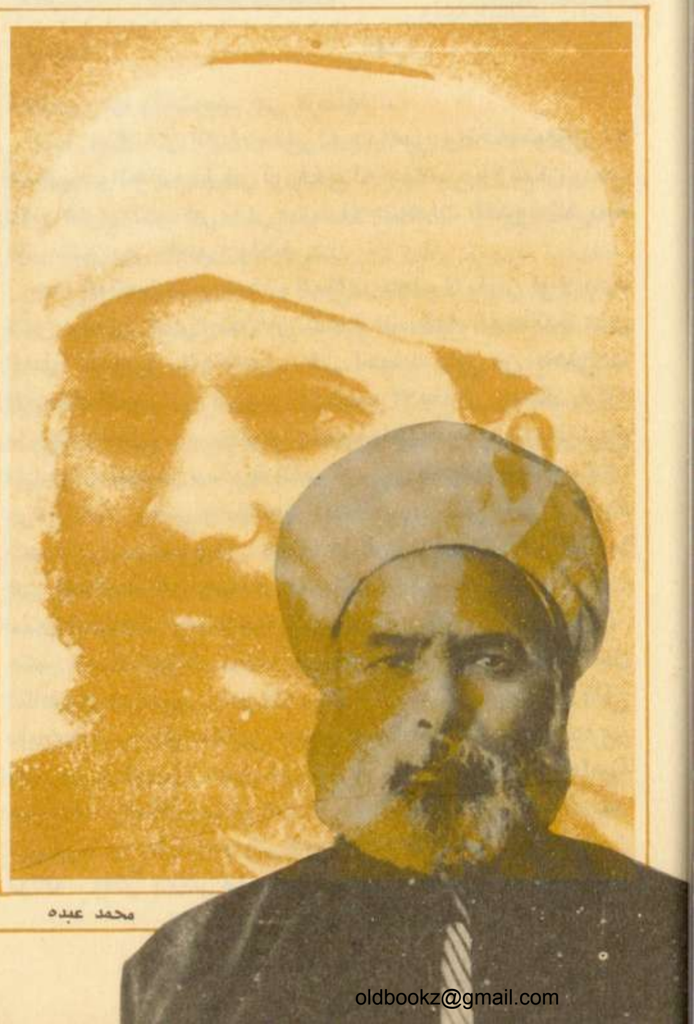

جمال الدين الافغانى

محمد عبده

التوفيق بين الأصول والمؤثرات الحضارية

نابليون

واستعادة نصوصه لحسم عدد من القضايا الدينية والمذهبية واللغوية ، فالرجوع الى القرآن الكريم باعتباره أساس كل تشريع اسلامى والى الحديث النبوى الشريف لحسم كثير من قضايا التشريع ، أمر يتصل بصلب العقيدة الاسلامية ونظامها الذى لا يعطى للخليفة أو لأى سلطة بشرية حقا فى سن التشريع الاسلامى او ابطال العمل به أو تعديله كالذى يتمتع به البابا فى المعتقد المسيحى الكاثوليكى . ولقد كان من اسباب اختلاق الاحاديث النبوية فى صدر الاسلام وبخاصة فى اوائل العصر العباسى ، رغبة الافراد والجماعات فى تاكيد صحة مذاهبها لا عن طريق الاقناع الجدلى وانما بايجاد نص صريح يسندها ويحسم الخلاف . ولقد ادى ظهور بدع مستنكرة فى العهدين الاموى والعباسى الى بروز نموذج تاريخى ناصع يتمثل فى فترة الخلفاء الراشدين يعود اليها الناس يلتمسون منها المثل الصالح والقدوة الحسنة . ومن الناحية الادبية أيضا ادى اضطرار اللغويين والنحويين المكلفين بوضع قواعد لضبط اللغة الى العودة الى الشعر الجاهلى لحاجتهم الى شاهد ، باعتباره يمثل اللغة البدوية الصافية قبل أن تدخلها الالفاظ المولدة الهجينة ، وقد أدى هذا الى الفهم الخاطىء بأن قدم الشعر ميزة فنية له واعتبر اهتمام اللغويين له دليل عافيته وامتيازه فكان التقليد لنماذجه بل واختلاقه والتقليل من شأن شعر المولدين .

أيدلوجية التوسط

ومن ناحية اخرى فان المؤلف ـ بعد ان يؤكد اصالة الاتجاه التوفيقى وشرعيته فى العقيدة والفكر يتجه فى تحديد مسيرته التاريخية منحى لا اعتقد اننى اوافقه عليه . فهو يضع الاتجاه التوفيقى فى مرتبة المنزلة بين المنزلتين فيضعـه فكريا بين نقيضين : الاول الاتجاه السلفى الملتزم حرفيا بالنص لا يحيد عنه ولا يتقبل اية مؤثرات خارجة عنه مهما بدت لها من ضرورة ، ولا يقيم اى وزن لتغيير الاحوال المعيشية وتطور اساليب الفكر والحياة ، بل ويعتبر مرور الزمن الدنيوى بعداً عن نبع الطهارة الدينية الأولى ، والثانى الاتجاه الرفضى للاصول الاسلامية وتقبل الافكار الوافدة وان كانت متعارضة مع الدين والايمان المطلق بحدس الباطن أو قوة العقل . فوضع الفكرة بهذه الصورة قد يوحى بأن الاتجاه التوفيقى موقف فكرى مذهبى كالاتجاه السلفى أو الرفضى ...

والحقيقة ان هنالك اتجاهاً واحدا سائدا بين الجماهير العريضة وهو الاتجاه السلفى المحافظ والذى يعتبر التيار الفكرى الاساسى بينما الاتجاه التوفيقى والمواقف الرفضية ليست الا مجرد محاولات يقوم بها افراد بين الحين والآخر يصيبون احيانا ويخطئون احيانا . تجد افكارهم قبولا لدى الجماهير السلفية احيانا وتجد الرفض والتعنت احيانا حسب الظروف التاريخية كالتعرض لغزو او لتهديد خارجى او نحوه وعلى قدر معقولية الافكار المطروحة وطبيعة

ابن سيناء

الفارابى

القائمين بها واسلوبهم فى عرضها ..

ليس هناك اذن اتجاه سلفى له جماهيره واتجاه توفيقى له جماهيره واتجاه معارض او رفضى له جماهيره ولا يمكن وضع تقليد فكرى غالب فى نفس منزلة الاجتهادات الفكرية الفردية التى تبرز بين الحين والآخر .

هذا المنحى الذى اتخذه المؤلف جعله لا يفطن أو لا يأبه كثيرا بالدور الذى يمكن ان تلعبه السلفية المستندة على السند الغريزى الجماهيرى فى احباط كثير من محاولات الاجتهاد التوفيقى حتى ولو كان شديد الاعتدال ، وبخاصة اذا ما وجدت محرضاً يستثيرها عاطفيا وديماجوجيا ... والتاريخ ملىء بالامثلة ومن سخرية القدر أن رسل الحضارة الغربية قد عرفوا كيف ومتى يستغلون ذلك لضرب القيادات الفكرية المستنيرة . وعدم وجود هيئة دينية عليا فى الاسلام تقرر ما هى العقيدة الصحيحة المستقيمة استغلته الاتجاهات المتطرفة لتعطى نفسها قوة غير محددة وغير منضبطة ، وهذا عكس مايراه المؤلف عندما يقرر بأن « عدم وجود ذلك الفاصل القاطع (الرسمي) بين العقيدة والانحراف هو الذى اتاح نشوء تيار وسطى متحرر عريض (التوفيقية) بين التيارين الآخرين النقيضين دون أن يتعرض لادانة فقهية اجماعية صريحة » والمؤلف ينسى ان الادانة الفقهية الاجماعية تعتمد على بينة واضحة وهو أمر لا يخشاه المفكر اذا كان واثقا من موقفه . ولكنّ اخطر ما يخشاه صاحب الفكر اتهام عشوائى

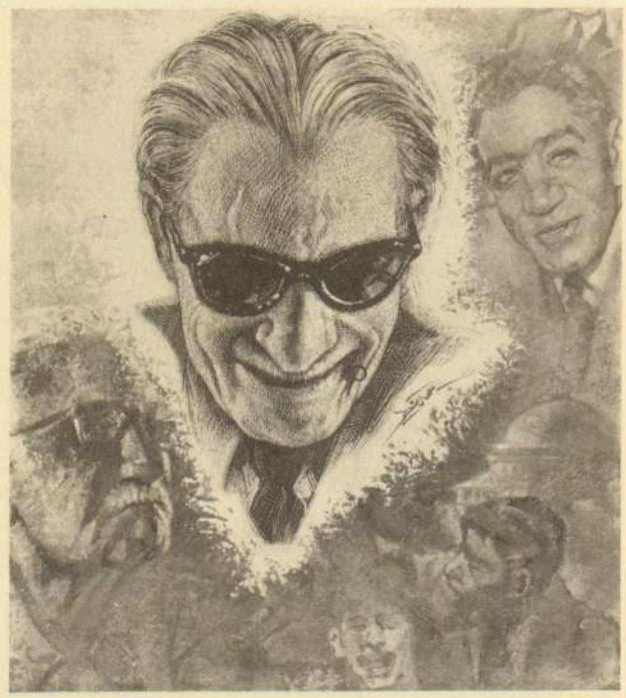

ياتيه من حيث لا يعرف وينتشر فى اوساط الجماهير دون بينة ودون امكانية دفاع .

المقاومة والرفض

ولقد خلا المسرح فى مستهل الاتصال بالحضارة الغربية المعاصرة من هؤلاء الافراد المجتهدين المصلحين التوفيقيين لأن التوفيق انما يكون بمعرفة المؤثرات الوافدة وفهمها . ولم يمر وقت كاف لتكوين طبقة مثقفة عليمة بجوانب هذه الحضارة الحديثة الوافدة.وكان طبيعيا أن يكون التيار الغالب رافضاً ومعادياً لهذه الموجة الحضارية الجديدة التى برزت أول ما برزت بوجه استعمارى كالح يمدل بقوته المادية الجديدة التى برزت فى هيمنتة العسكرية ، معتز بحضارته- لايرى للآخرين وجودا أو حقاً فى الوجود . وكان النفور منه ينسحب ايضاً على كل ما جاء وبشر به ... وقد رات الامة الاسلامية فى هذا الوجه بعض الملامح التى راتها ابان الهجمات الصليبية وتغلبت عليها . فكان طبيعيا أن تعتبر الذى حدث مجرد حلقة جديدة من سلسلة هذه الهجمات التى تصدت لها من قبل .. ولقد نفذ الكاتب الى الحقيقة بقوله :

« لقد وقعت السلفية العربية الحديثة فى أيهام تاريخى عندما فاتها التمييز بين الاستعمار الغربى الحديث (ومن ورائه حضارته الحية الجديدة) وبين الحملات الصليبية ، (وارثها الدينى الوسيط) وهى الحملات التى نجحت السلفية فىصدها ثم ركدت مطمئنة الى انتصارها ، الأمر الذى فوت عليها ادراك خمسة قرون من النهضة الانسانية الحضارية الجديدة . »

بيد أن المقارنة والبحث عن أوجه التشابه التى ركز عليها الكاتب واسبغ عليها أهمية كبرى بين الظروف التى صاحبت الاتصال الاسلامى بالمؤثرات الخارجية فى أوج ازدهار الحضارة الاسلامية فى العصر العباسى ، والظروف التى صاحبت الاتصال بين الأمة الأسلامية والحضارة الغربية المعاصرة ، ومظاهر التفاعل والتوفيق فى الحالتين ، قد يؤدى الى نتائج خاطئة تبعدنا عن فهم الصعوبات الحقيقية التى تواجه اى اتجاه توفيقى معاصر . فليس هناك ثمة مقارنة بين ما حدث فى العصر العباسى من اتصال بالافكار الفلسفية الاوربية القديمة وبين ما حدث ويحدث فى هذا العصر . لقد كان ذلك تلاقحا طبيعيا عرفت مثله جميع الحضارات فالتراث الاغريقى والهلينى والرومانى هو تراث انسانى عام وما من حضارة اغلقت على نفسها النوافذ والابواب . وما كان لحضارة حية فى أوج ازدهارها كالحضارة الاسلامية أن تغفل عن هذا التراث الانسانى وما تم نقله واستيعابه من التراث الفلسفى الاغريقى امكن امتصاصه فى اطار التيار الفكرى الاسلامى الغالب حينذاك . وعندما تكون الحضارة غالبة واثقة بنفسها وعمق مجراها فان ما يصب فيها يتحول الى مجرد رافد والحضارة الغربية المعاصرة فى غلبتها وهيمنتها لا تستنكف من النقل حتى من تراث اقوام وأمم لا تتمتع بأى ازدهار حضارى ...

ذلك شىء واخذنا من هذه الحضارة الغالبة شىء آخر تماماً ... فلسنا فى موقف القوة ولسنا فى موقف الاختيار كما ان وجود معادلة لتكيفنا مع هذا الوضع فى اطار معتقدنا الدينى أمر عاجل لا يحتمل التاجيل والا جرفتنا وجرفت أجيالنا اللاحقة مؤثرات خطيرة لا نملك لها ضبطا ولا نملك عليها سيطرة ، ويكون الطوفان ولا حول ولا قوة إلا بالله ... وكل يوم يمر دون التوصل إلى هذه المعادلة التوفيقية يجعل من الصعب مغالبة هذا التيار الذى يحيط بكل أوجه الحياة

احمد امين

على عبد الرازق

ويجرف أمامه كل السدود الفكرية الرخوة وتلك التى شاخت ونخر فى اساسها الصدأ ...

وبنفس القدر ليست هنالك مقارنة بين النشاط التوفيقى المعتزلى الذى انصب على استيعاب مؤثرات فكرية فى اطار حضارة اسلامية غالبة ، وبين المواجهة الفكرية الضارية الحالية للتوفيق بين العقيدة والتمسك بمبادىء الاسلام الجوهرية ، والتكيف مع المتطلبات الفكرية والمادية لحضارة تحيط بنا احاطة السوار بالمعصم رضينا أم كرهنا . لأن مثل هذه المقارنة التاريخية قد توقعنا فى نفس ما وقعت فيه السلفية حين ربطت فى ذهنها بين هجمة الحضارة الغربية المعاصرة وهجمة الصليبيين فى ظلمات العصر الوسيط .

واذا كان جمال الدين الافغانى ١٨٣٩ ـ ١٨٩٧ ومحمد عبده ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ قد استطاعا فى مستهل هذا الاتصال بالحضارة الغربية أن يحققا بعض النجاح ، ويكتسبا الكثير من الثقة ، ويواجـها القليل من ردود الفعل العنيف الذى لازم الرعيل الثانى من التوفيقيين ، فذلك لأن معالم الحضارة الغربية لم تتضح أبعادها بعد حينذاك ، ولم يبد خطرها الكاسح ، ولم يتغلغل تاثيرها فى نفوس الجماهير المسلمة . ولقد كان التأويل والاجتهادات التوفيقية تتناول قضية لا تزال بعيدة عن هموم عامة الناس وكان التأويل يتصل بقضايا تشريعية لا تصل إلى لب العقيدة .... وفى نفس الوقت لم يتكون بعد قطاع قيادى متزمت قادر على التصدى من منبر علمى كما حدث لطه حسين ومنصور فهمى حيث خرج التكفير ، وارتفعت اصوات الادانة من داخل الحرم الجامعى .

المد العقلانى

أما الرعيل الثانى من التوفيقيين فقد جاءوا فى زمن اتسع فيه المد العلمانى عالميا ونفضت تركيا يدها من الخلافة الاسلامية وبدا كما لو أن غلبة التاثير العربى العلمانى المادى أمر حتمى لا مناص منه ولا محيص وبدأ احتكاك الطبقة المثقفة يزداد بهذا التيار الفكرى الجديد عن طريق رسلهم فى البلاد المحتلة ، وعن طريق البعثات العلمية الى أوربا . واستمع هؤلاء الشباب الى الكثير مما وجدوه يتعارض ظاهرياً وما يعتمل فى جوانحهم من إيمان وتمسك بالعقيدة يرقى بعضه الى درجة الاتهام الذى يحتاج تبريرا ودفاعاً . يتمثل بعض هذا فيما أثاره اللورد كرومر حين تحدث ، من منطلق التفكير الغربى ، عن الدور المتخلف للمرأة فى الاسلام ، والتغاضى عن نظام الرق ، وجمود الشرع وقطعية العقيدة .

وقد تعرض هذا الرعيل من المفكرين لعنف هذه الهجمة قبل أن تكتمل أدوات دفاعهم وفى وقت كان الانبهار والاعجاب بمظاهر هذا الوافد الجديد لا يزال يملأ وجدانهم ويبهر أنظارهم ... ولم يكن غريبا أن ينبرى هذا الرعيل فى مبدأ حماسه وعنفوان شبابه لبعض هذه المشاكل الحساسة الشائكة من منطلق الاعجاب والاقتناع بالمنطق الغربى الحديث ، متحفزا فى الوقت ذاته لتجربة ما تعلمه حديثا من منهج علمى متحرر من كل قيد . فكان أن تعرض أحمد لطفى السيد لقضية القومية المتحررة والمنفصلة تماماً عن الدين ،

ابن خلدون

هجمة الصليبيين فى ظلمات العصر الوسيط

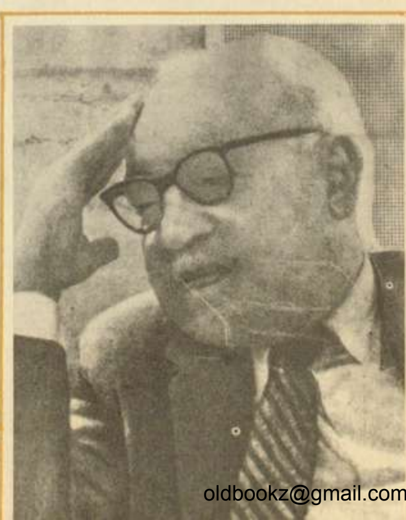

احمد حسن الزيات

ومنصور فهمى لحالة المرأة فى التقاليد الاسلامية وتطوراتها ١٩١٣ ، وعلى عبد الرازق لقضية الاسلام وأصول الحكم ١٩٢٥ . وطبق طه حسين فى كتابه الشعر الجاهلى المنهج النقدى الغربى على الاصول الدينية والفكرية الاسلامية بما فى ذلك نصوص القرآن الكريم وانبرى محمد حسين هيكل يغرف من نبع التراث الغربى فى لهفة المتعجب المنبهر .

ولم يكن الطريق ممهداً ، كانت الهوة التى تفصلهم عن وجدان الرأى العام المسلم كبيرة ، ما فطنوا لعمقها.

وكانت الحملة الضارية وكان التهديد والوعيد والاتهام . وفقد كل من طه حسين ومنصور فهمى وظيفتيهما واوذى اسماعيل احمد ادهم (احد العقلانيين الغلاة) فى بدنه وسمعته وقضى منتحراً . وبدأت هذه الموجة من التفكير المتحرر فى الانحسار بعد عام ١٩٣٠ لتفسح المجال لمد رومانسى مرتبط بالتراث يضفى عليه هالة من المحبة والتقديس والتعلق الروحى .

يرجع المؤلف ذلك الى عوامل نفسية داخلية لدى هؤلاء المفكرين انفسهم تمثلت فى احساسهم بخيبة الأمل من موقف الغرب المتناقض بين ما يبشر به من تقدم وتحديث وما يفرضه على الدول التى يحتلها من تخلف وجهل وحيلولة قسرية عن كل مظاهر التحديث لتظل أسيرة استغلاله وجشعه وكذلك إلى اضمحلال شعور الاعجاب بالغرب بعد ما تبين من أعراض مرضية فى كيانه الفكرى انعكست فى انهيار مؤسساته الاجتماعية والاقتصادية ابان الأزمة التى اجتاحت العالم فى عام ١٩٣٠ ، وأدت الى ظهور المؤسسات الفاشية العسكرية وجرت العالم الى ويلات الحرب العالمية الثانية . وازداد الاحساس بالخيبة والمرارة لموقف الغرب من فلسطين .

ولكن المفكرين انفسهم ومعاصريهم يرجعون هذا الانحسار فى التفكير المتحرر الى عوامل خارجية لا دخل فيها لاقتناع المفكرين انفسهم أو تراجعهم التطوعى الذاتى .. فقد عزا احد المعاصرين هذا الانحسار الى « عامل الرأى العام الذى كان قويا مسلحاً فتغلب وانتقم وأصبحت له السلطة التامة وانهزم امامه فريق المفكرين الصرحاء هزيمة منكرة » . وطه حسين نفسه يرجع ذلك الى « السياسة التى تدخلت وافسدت الفكر » ويعنى بذلك قمع الحكومة للمفكرين ارضاء للجماهير واستغلالا لمشاعرها الدينية المحافظة.كما يرجعه الى تخلى الجمهور المثقف عن مساندة هؤلاء المفكرين حين تعرضوا للمحنه . فهو يقول بأن ذلك «يعود على الجمهور المثقف الذى صفق من بعيد ، ثم انقطع دعمه للمفكرين الاحرار فى ساعة التجربة والامتحان ».وهذا الرأى يؤكده احمد أمين فى أوائل الثلاثينات حين يدلل على صحة الحركة النقدية العقلية بقوله:« كان يؤلف الكتاب الدينى مثل كتاب الاسلام وأصول الحكم فتنشب معارك حامية وينقسم

التوفيق بين الأصول والمؤثرات الحضارية

طه حسين

العقاد

احمد لطفى السيد

محمد حسين هيكل

المفكرون الى معسكرين وفى كل معركة شحذ للاذهان وتمحيص للحقائق وكان ذلك علامة حياة أدبية وثورة فكرية. ثم يحدثنا متحسرا كيف حدث هذا كله .

« وهل اتاك نبا ما كان منذ شهرين إذ نشر شاب رسالة فى الحديث النبوى وتعرض فيها للرواية والرواه فاجتمع مجلس الوزراء وقرر مصادرة الرسالة مع ان المعتزلة منذ الف سنة قد انكروا أكثر الاحاديث إلا ما أجمع الرواة على صحته ولم يكفرهم أحد من أجل ذلك . ألا يدل هذا وامثاله على اننا أصبحنا أضيق صدرا وأقل حرية ؟ ومن الغريب ان أحداً لم يحرك لهذا ساكنا ولم يفه ببنت شفه ، ولو وقع هذا الحادث من عشر سنين لقام له الكتاب الاحرار وقعدوا ودافعوا ونقدوا »

ومهما يكن من تبرير لهذا الاندفاع فان السبب الرئيسى يعود الى انبهار إنفعالى بالغرب لا غرابة فيه ، نزع بهم منزعاً اخرجهم عما كان يجب ان يتحلوا به من حذر ، فكان الصدام مع المشاعر المسلمة . ولقد كان من الطبيعى ان يعمد هؤلاء المفكرون بحكم اصالتهم وصدق مشاعرهم الدينية إلى ذلك التوازن الذى اختل لحظة الانبهار والدهشة الأولى وذلك بالانكباب على الاصول ودراسة العناصر الذاتية فى الاسلام ، إذ أن ذلك هو الطريق الوحيد للربط والملاءمة العلمية السليمة مع مظاهر الحضارة المعاصرة ومؤثراتها . وكان مفتاح هذه الدراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبار هذه الدراسة المنطلق الرئيسى الأول لهذا الاستبطان الداخلى ، وهو ، ما أشار إليه أحمد حسن الزيات حين قال بان « شخصية الرسول الكريم وسيرته أصبحت اليوم فى الشرق والغرب موضع الدرس المفصل ، وموضع التحليل العميق . حاول هيكل تعريف هذا الاشراق الالهى عن

طريق العقل فاتخذ الدليل ، وحاول طه حسين ان يصوره عن طريق القلب فاصطنع الاسطورة وحاول توفيق الحكيم ان يمثله عن طريق الغريزة فاستعمل الحوار »

معالم الطريق

إن السؤال الذى يطرح نفسه ويطرحه الكاتب صراحة بعد هذا العرض التاريخى هو : ثم ماذا بعد ؟

إن الكاتب لا يعمد ـ ولا يدعى انه يعمد ـ الى ايجاد حل او صيغة للحل او تحديد موقف ذاتى تجاه حل قضية الاصلاح الدينى فى الاسلام فى ارتباط بالواقع الحضارى المعاصر ، لكنه يكتفى بتوضيح الصورة التاريخية ثم ينفذ دون تفصيل الى التعرض لبعض الملامح التى قد تعين فى إنارة الطريق المؤدى الى هذا الحل .

فهو يؤكد حقيقتين اساسيتين : اولهما ان اى اصلاح للامة الاسلامية قد ارتبط عبر تاريخها بالدين ، مستندا فى ذلك على قول مشهور لابن خلدون يصف فيه جمهرة المسلمين بانهم « لا يخضعون ولا يقادون الا لرسالة دينية او نحوها ، والى قول المستشرق المعاصر برنارد لويس « إن جميع الثورات فى تاريخ الاسلام إصطبغت بالصبغة الدينية وكانت ثورات باسم الاسلام وضمن نطاقه لا ضده ولا بقصد الخروج عليه » .

اذن فان الطريق الى الاصلاح إذ اريد له ان يكون اصلاحا حقيقيا جادا مستمراً فلابد ان يتم عن طريق الدين ....

والتجارب المعاصرة التى تعرض لها الدكتور الانصارى بالتعليل والتدقيق العلمى تشير الى ان التمسك بالاصل مع تفسير متعنت يرفض اية فكرة لتقدم البشرية واكتسابها تجارب جديدة تثريها وتنميها على مر العصور بما وهبها الله من عقل وارادة ، أمر لا يؤدى الى هذا الاصلاح المنشود .

والخروج الكامل عن دائرة الدين والانقياد الأعمى غير الناقد لكافة المؤثرات الخارجية والتى هى وليدة ظروف مختلفة وبيئات متباينة، منهج لن يؤدى الى هذا الاصلاح .

وتبقى التوفيقية هى المدخل الوحيد لهذا الاصلاح المنشود ، وتعنى ذلك المفهوم الواعى للتجديد من داخل الاطار الدينى ذاته يستوعب النظرة التقدمية ويحاول التوفيق بينها وبين الأصول . أو كما يقول المؤلف « يحاول التوفيق بين ظاهرة التطور وظاهرة الثبات فى ديمومة حياة الأمة والحضارة بتركيز محور ثابت يسمح بدوران المتغيرات ويتيح تحركها الدينامى موفراً لها القاعدة التى تمدها بالاتساق والاتزان » .

هذا هو الهدف ولكن كيف ومن اين نبدأ ؟

نبدأ بمناقشة فكرية حضارية موضوعية جادة ندعو لها كافة القيادات الفكرية المثقفة فى عالمنا الاسلامى ، نفسح لها مجالا واسعاً فى اطار الرسالة الثقافية التى اضطلعت بها هذه المجلة منذ نشأتها متخذين من هذا العمل العلمى الخلاق مدخلنا اليها ، والله الموفق الى قصد السبيل .

د. محمد ابراهيم الشوش

من مواد العدد القادم والأعداد القادمة

حكومة الرسول كانت تجسيداً الروح الحرية
بقلم: أحمد بهجت

الكلام فى السياسة
بقلم: د. حسين مؤنس

تطوير الأزهر : عقبات فى طريقه
بقلم: د. محمد البهى

المستشرقون فى الإسلام
بقلم: د. عبد الجليل شلبى

اللغة العربية فى مواجهة التحديات
بقلم: أنور الجندى

شكسبير مصدر إلهام فى كل العصور
بقلم: محمد محمد الخطابى

إيليا أبو ماضى
بقلم: د. عيسى الناعورى

جبران .. والمرأة
بقلم: بلند الحيدرى

رحلتى المغربية
بقلم: جمال الغيطانى

كهوف الرعد
بقلم: أحمد عبد السلام البقالى

نعـــمان عاشـــور

لقـــــــاء مع

طه حسين

لم يكن طه حسين الكاتب الهين الذى يقال له : اكتب فيستجيب لذلك

ترددت فى زيارة عميد الأدب العربى خوفاً من تقريعه واستنكاره للعامية

لا يحب الكلام فى التليفونات لكنه لا يستطيع أن يغفر هذا العنوان السخيف

الذى اذكره وكان ذلك فى السنوات الاولى من الستينات .. اننى كنت اقوم بتحرير باب ادبى اسبوعى بجريدة الجمهورية التى تصدرها دار التحرير ربما عام ١٩٦٢ او ما بعدها . وذات صباح وانا اقدم مواد الباب للمراجعة والنشر فاجانى الزميل الصديق المرحوم سامى داود بانه مكلف من المشرف على الدار .. الصاغ صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة باستكتاب الدكتور طه حسين بوصفه من كتاب الدار . وكان سامى رحمه الله محرجاً من هذا الطلب ... صحيح ان الدكتور طه حسين معين ومن المفروض ان يوالى الجمهورية بكتاباته ولكن طه حسين لم يكن الكاتب الهين الذى يقال له اكتب فيكتب ... ولم يكن احد يدرى لماذا انقطع طه حسين عن الكتابة ولفترة طالت لعدة شهور انتهز المرحوم سامى داوود فرصة تقديمى للباب الذى احرره ... وطلب الى بصفتى مسئولا عن الجانب الادبى ان اقوم بهذه المهمة نيابة عنه ... ولكننى لم اطاوعه رغم تلهفى على لقاء طه حسين خصوصاً انه كان ايامها يكلف سكرتيره بابلاغى عن رايه فى كل مقال اكتبه ... وايامها كنت اقوم بالدفاع عن كتاباتى للمسرح ... وكان الدكتور طه حسين يتابع مقالاتى ساخطا لاصرارى على كتابة الحوار بما كان يعتبره اللغة العامية « او لغة الكلام الدارج بدلا من استعمال العربية الفصحى » ... ترددت فى زيارة طه حسين خوفاً من تقريعه ولما كان يبديه من استنكار لمسرحياتى بالعامية ولم احاول من قبلها بل صراحة لم اكن اجرؤ على أن اطلب من سكرتيره الذى شجعنى اكثر من مرة على مثل هذه الزيارة ... فلما عاد سامى داوود رحمه الله يلح فى ضرورة ذلك ... عرضت عليه ان اصحبه ولا اذهب وحدى ... وتواعدنا على اللقاء فى موعد حدده لنا طه حسين ولكنه لم يحضر فى الموعد ...

المفاجاة والتانيب

بعد بضعة ايام ... نشرت الجمهورية مقالا لطه حسين فى الصفحة الاولى فادركت ان سامى داوود لابد وان يكون قد قابله وحده ... ولكن اتضح بعد ذلك انه لم يذهب لان طه حسين كان قد اجل الموعد المحدد ... واكتفى سامى باخطار سكرتيره عن السبب فى محاولة لقائه . ... وهو رغبة الدار فى ان تحظى جريدة الجمهورية ببعض مقالاته . وبالفعل ارسل المقال ونشر ولكنه نشر فى نفس العدد الذى كانت فيه كلمة لى كتبتها بعنوان « اللغة العامية من تانى » . فاذا بى افاجا بمكالمة تليفونية والمتحدث هو الدكتور طه حسين بنفسه قال انه لايحب الكلام فى التليفونات ولكنه لا يستطيع ان يغفر لى هذا العنوان السخيف وتطاولى على اللغة الفصحى

طه حسين وزوجته

الى هذا الحد ولدرجة ان اختار عنوانا لمقالى بهذا الشكل ... وحاولت وانا فى غاية الذهول من المفاجاة ان اعتذر .. ولكنه رفض قبول اى اعتذار « عن هذا الجرم » وترك السماعة لسكرتيره كى يطلب الى ان اقابل طه حسين فى مساء نفس اليوم بفيلا « رامتان » بالهرم ...

الاستعداد للمقابلة

ذهبت اجرجر اذيالى كما يقولون ... كان الموعد فى السادسة بعد الظهر فوجدتنى ارتدى ثيابى قبلها بساعات ... ولما كنت اقطن بالجيزة فقد قررت ان اذهب ماشياً على قدمى لان المسافة لم تكن بعيدة ... وكان اللقاء المنتظر قد بعث فى نفسى من الرهبة ما جعلنى اشبه بالطائر الجريح الذى يرفرف بجناحيه فى الهواء ولا يدرى فى اى مكان سيقع ... وهذا اللقاء كنت اخشاه دائماً وقد حاولت تلافيه لعدة مرات ... لانه كان لقاء خاصاً ... ومع من .... مع طه حسين ... طه حسين . الشخصية الكبيرة الضخمة التى عشت فى ظلها منذ عرفت القراءة والكتابة ... منذ كنت صبياً فى الخامسة عشرة . حين قرات كتابه عن الادب الجاهلى ثم الجزء الاول من « الايام » .. اننى لن اقابل رجلا .. بل ساقابل تاريخاً طويلا حافلا شامخاً ذلك كان احساسى وانا اسير بخطى ثقيلة فى الطريق اليه وصادفت فى اتجاهى نحو شارع الهرم على بداية النفق ... احدى المقاهى التى تعودت الجلوس فيها ... فسارعت الى مقعد بعيد وطلبت فنجاناً من القهوة السادة ... كان باقيا على الموعد اكثر من ساعتين .. وسبح خيالى لينقض على شتات من ذكرياتى . هذه ليست المرة الاولى التى اقابل فيها طه حسين ... ولكنها المرة الاولى التى يحادثنى تليفونياً وينتظرنى فى لقاء خاص ببيته ... ياسبحان الله ! ! كان يخيل الى اننى اعيش فى حلم !!!!

الاعتداء على طـه حسين

وارتدت بى الذكرى بعيدا ... فى الثلاثينيات ... كنت قد بدات اشغف بكتابات توفيق الحكيم ... ولكن شخصية طه حسين وكتاباته كانت هى التى تظلل كل حياتى وكيانى المنبعث نحو هذا العالم الشاسع الساحر عالم الادب والفكر ... وكان طه حسين هو معبودى فى تلك الفترة .. ومن اجله سحبت اوراقى بعد شهر كامل من كلية الحقوق لالتحق بكلية الاداب الذى كان هو عميدها مغاضباً والدى واهلى جميعاً ... طه حسين الذى دخلت الى حجرته بكلية الاداب عام ١٩٣٦ وانا لا زلت طالبا فى الثانوى مع جمع من الطلاب الآخرين لنحميه من محاولة الاعتداء عليه من جانب اعدائه السياسيين من الطلاب التابعين للأحزاب المعادية للوفد وهو من ابرز رجاله ...تلاحقت الذكريات تجر بعضها بعضاً ... كيف وقف بشجاعة لمقاومة الهجوم وهو يضحك ساخرا بينما كانوا يهتفون فى وجهه بانه كافر وملحد وعدو للعرش ... وكيف احطنا به وهو يغادر الغرفة فى ثبات حتى اوصلناه الى سيارته فراح يشكرنا لوفائنا واخلاصنا للحرية ... ثم حين عرضت عليه اوراقى لقبول تحويلى من كلية الحقوق الى كلية الاداب فاستدعانى كطالب علم ... وراح يختبرنى ليتبين مدى صدقى واحقيتى فى الالتحاق بالآداب .. اننى لازلت اذكر السؤال البارع الذى وجهه الى وانا مرتبك فى وقفتى عند الطرف البعيد من الغرفة .. ماذا قرات من كتب الادب ؟!! فلما اجبته باننى قرات الايام ... استبعدها جانباً .. وهو يردد .. والكتب الاخرى .. فسارعت الى ملاحقته .. مسرحيات شوقى والديوان للعقاد

توفيق الحكيم

لقاء مع طه حسين

طه حسين

طه حسين في مكتبة بيته

طه حسين مع عبد الناصر

والمازنى واهل الكهف لتوفيق الحكيم .. وكل روايات المنفلوطى وجورج زيدان .. فهز رأسه باسماً وهو يقول لمن حوله : «يقبل تحويله فورا » .

العلم كالماء والهواء

مرة اخرى بعد التحاقى بكلية الاداب وكان قد ترك العمادة ..... ذهبت الى داره مع جمع من الطلاب . وكان ايامها لا يزال يقطن فى الزمالك .. فرضوا علينا ونحن فى نهاية عام التخرج ان ندفع المصروفات المتاخرة والا حرمنا من الامتحان ... وهذه المصروفات كان قد اعفانا منها فى ايام عمادته للكلية ... فالعلم كالماء والهواء لا يباع ولا يشترى ووعدنا خيرا ، وحذرنا بان لا نوقع على اى تعهد بدفع هذه المصروفات من مرتباتنا بعد التخرج والحصول على وظيفة كما قرروا او اشترطوا ... كان لا يزال عضوا فى المجلس الاعلى للجامعات .. وقال ان مثل هذا الاجراء لن يتحقق طالما هو موجود ... وفى اليوم المحدد لاجتماع المجلس .. احطنا به وهو فى طريقه الى الجلسة فطلب الينا ان ننصرف فى هدوء ومنعنا من اى هتاف ... وعقد المجلس ... وكانت الجلسة علنية ويراسها لطفى السيد باشا وامتلات طرقات إدارة الجامعة بالطلبة ولم يستطيعوا ان يبعدونا عن القاعة ... ووقف طه حسين بعد ان أعطى الكلمة فقال انه يعتبر ما يجرى نوعا من الابتزاز .. لأن الذين عادوا الى فرض ضريبة على العلم وبهذه الصورة الجبرية .. تلقوا جميعهم التعليم بالمجان ... فلماذا يطالبون اليوم بتحريمه على غيرهم .. .وسكت وطلب بقية الاعضاء ابعادنا عن القاعة وتحويل جلسة المجلس الى جلسة سرية . وانتهى المجلس بعد ساعات الى قرار نهائى : اعفاء الطلبة من دفع المصروفات المتاخرة عليهم والسماح لهم جميعا بدخول الامتحانات . انا ساقابل هذا الرجل الذى كما قدر لنا أن نتم تعليمنا ؟

وعادت بى الذكرى الى لقاء آخر فى عام ١٩٥٦ بعد وقوع العدوان الثلاثى على مصر .. منحنى المجلس الاعلى لرعاية الاداب والفنون « مدالية» تقديرا لمسرحيتى « عفاريت الجبانة » التى قدمها المسرح القومى اثناء العدوان ... وكان ترتيبى الاول فى الجوائز وحضر الحفل الدكتور طه حسين . فلما انتهى توزيع الجوائز استدعانى وهو واقف فى حديقة المجلس ... وقال مشجعا ... أنا سمعت « الناس اللى تحت » ... وعجبتنى ولكن للأسف ...لماذا لم تكتبها بالفصحى وحاولت أن أجيبه ولكنهم كانوا قد استدعوه الى حفل الشاى ..

استئناف المقابلة

تذكرت كل هذا وانا أخطف الطريق بأقدامى متجها الى الموعد ، وأخيرا عثرت على الشارع الذى تقع به فيللا « رامتان » ... كانت الساعة قبل السادسة بدقائق ... والموعد فى السادسة .واخذتنى الحيرة والارتباك ...ولكنى اندفعت لأدق الجرس ... اخذونى الى صالة واسعة نوعا ... وقالوا ان « الباشا» وكان هذا هو اللقب الذى تعودوا أن يطلقوه عليه ... سيقابلنى فورا ..جلست على المقعد المقابل لمقعده .وسارعت الى اخراج سيجارة ... كنت فى حاجة الى ما يشجعنى على ملاقاته ... وانقضت دقائق قليلة كانت وكأنها ساعات ... وبعدها أقبل طه حسين مستندا الى يد سكرتيره ... حياني باسما ببسمته الشهيرة الساخرة ولكنها كانت هذه المرة .بسمة صامته لا يصاحبها صوت الاستخفاف الملازم لها دائماً ... وجلس على مقعده وكنت لازلت واقفا بعد استقباله فطلب الى أن أجلس ... ولم أدهش أمام هذه اللفتة منه فقد سبق أن دخلت ذات مرة الى محاضرة له فى أحد فصول الدراسات العليا أيام كان عميدا للكلية ....تسللت من الباب وراء أحد المعيدين فما كان منه الا أن تنحنح معلقاً أن الحجرة دخلها أكثر من واحد ولعله لايكون مدسوساً .. وكنت أنا هذا الواحد ولكنى لم أجرؤ على أى تعليق وانما عدت فخرجت ثانية مغلقاً الباب ورائى بصوت .مسموع .

طلب سيجارة واشعلتها له وبعدها مباشرة أفهم سكرتيره أنه لا يريد أى مقاطعة تليفونية أو غير تليفونية ... معنى هذا انه كان شديد الاهتمام بوجودى !!!

رفاعة رافع الطهطاوي

احمد لطفي السيد

اسمعنى حتى النهاية
أنا المتكلم وأنت المستمع
ولهذا طلبتك للحضور

لم يكن يعيش فى ماضيه
بقدر ما كان ينتفض حبا
فى الواقع الذى نعيشه

قال وهو ينفث دخان السيجارة ... اظنك تحسب اننى لا اعرفك .. انت اصلا لست من تلاميذى ... فاجبت مسرعاً .. كلنا تلاميذك يادكتور .... صمت لحظة ثم ضحك ساخراً ... لا .. تلاميذى لا يكتبون باللغة العامية ابدا . وعبثا حاولت أن ارد حين لمحت سكرتيره يشير على بالصمت ومن طرف المكتبة ... بينما الدكتور طه يتابع كلامه انا اعرف تماماً جميع الحجج واللغة الدرامية التى تقول عنها ... كلام فارغ .. يمكن أن يغتفر لو انك لم تكن صاحب اسلوب عربى جيد وقادر على الصياغة بافصح عبارة .. لا . لا انت تكابر وقد غرك النجاح الجماهيرى ... وعدت لمحاولة الرد ..

ولكنه اوقفنى قائلا ... اسمعنى حتى النهاية ... انا المتكلم وانت المستمع ... ولهذا طلبتك للحضور .. لناخذ مثلا عنوان كلمتك ، هذا العنوان السخيف « اللغة العربية من تانى » .. لماذا استعملته على هذه الصورة فاجبته تلقائياً .. كلمة « من تانى » اوقع واكثر دلالة وتعبر عن المعنى بصدق وحرارة .. فاندفع يقهقه ساخرا ثم سألنى .. هل تظن ذلك .... وحاولت الاستشهاد بما قرره رفاعة الطهطاوى عن صلاحية اللغة العامية فى احيان كثيرة للتعبير الاقوى فلاحقنى قائلا ومع ذلك فلم يكن يكتب إلا بالفصحى ... ووجدتنى مجبرا على الصمت فليس فى طاقتى أن احاجى طه حسين خصوصاً بعد ان لاحظت علامات الغضب تتجمع فوق شفتيه ...

وانقضت ثلاث ساعات لا تنسى وانا جالس انصت إليه ... كنت احيانا اجيب بكلمة واحيانا اعتذر بعدم المعرفة ...

وكان الرجل يتحدث بكل حرص واهتمام عن رايه فى الحياة الادبية القائمة ايامها ... والتيارات الجديدة التي تعتمل فى داخلها .. وشعرت من خلال كلامه انه لم يكن يوجه الي شخصيا وانما يطلقه على الرقعة المتسعة لأوضاعنا العامة وكان يلمح الي بان افيد منه فيما اكتب ... ولم يخل الحديث من حملة صارخة على جيلنا الذى امثله جيل يخطف القراء خطفاً كما كان يقول دائماً ... لكن اهم انطباع خرجت به من هذه الجلسة .. ان طه حسين لم يكن يعيش فى اسر ماضيه ومجد ماضيه بقدر ما كان ينتفض حيا فى الواقع الماثل الذى نعيشه بفكره الواعى النفاذ وانطلاقاته الحره المتصلة التى عرف بها دائماً فى كل مراحل عمره ... لم يتوقف به الفكر للركون عند مفاهيم جامدة ولم يفارقه الوعى الكامن المتجدد الذى كان يمكن ان يقف به جامدا وهو على مشارف الشيخوخة .. حقا ان الفنان والمفكر لا عمر لهما .. كان يقرع ويلوم ويرفض ويسخر من كل مالا يوافق عليه أو يرضاه ... ولكنه كان يتقبل بل اكاد اقول يسبق فى نظرته الكثيرين من الذين يضنيهم الكلف بالمستقبل ولعل مرجع ما كنا ننعاه عليه ايامها من عنت انه صاحب منطق حاسم وباتر وحاد لا يخلف وراءه إلا الصدمة المباغته . وتلك صفة اضفتها عليه ثقافته الفرنسية ذاتها .

افلاس وتناقض

لكن هذا لم يكن لقائى الاخير بطه حسين ... فقد ظل اتصالى به مقطوعا حتى اننى لم احظ بمقابلته إلا بعدها بسنوات .. وبمناسبة غريبة ايضاً ... تتعلق بعملى الصحفى ... فى ختام ١٩٦٤ وكنت لا ازال فى جريدة الجمهورية صدر امر بنقلى ضمن اكثر من عشرين كاتبا للعمل فى هيئات ومؤسسات القطاع العام . وكان طه حسين على راس القائمة التى استبعدت من الجريدة . ولم يكن من اللائق تعيينه فى مؤسسة او هيئة . ولذلك اكتفوا بقطع مكافاته الشهرية المقررة ... كان موقفاً مشيناً أثار ضجة غير هينة فى داخل الدور الصحفية وخارجها بقدر ما أثار غضب واستنكار كافة المثقفين ... وكان طبيعيا الا يعبأ طه حسين بمثل هذا التصرف وان يقابله بالسخرية ان لم يكن بالغضب وحدث بعدها مباشرة ان التحقت بدار اخبار اليوم ... وكنت اتولى كتابة اليوميات وتحرير اكثر من باب ادبى وثقافى ووجدتنى غير قادر ان اسكت . كان استبعاد طه حسين من الكتابة الصحفية فى الصحف يعنى اكثر من التحريم السياسى ... فالرجل معروف بانه كان من رجال الاحزاب السابقين ولم تكن أوضاع السلطة السياسية القائمة تتحمل وجودهم ... ولكن استبعاد طه حسين كان له معنى كبير اخر فهو يعنى توجيه ضربة قاسمة

لقاء مع
طه حسين

طه حسين مع اسرته في حديقة داره

لصرح ثقافى شامخ .. واذا كان قد امكن ذلك بالنسبة لطه حسين فما أسهل أن يتم بالنسبة لأى كاتب آخر من تلاميذه .

وطه حسين مهما كان موقفه لم يكن يعادى ثورة ١٩٥٢ بدليل حفاوتها به فى البداية كواحد من كتابها وبدليل اختياره عضوا مؤسساً للمجلس الاعلى لرعاية الآداب والفنون .. الخ . الخ .. والحق انه كان موقفا غير مفهوم وتناقض يبعث على الحيرة ربما ادت اليه حالة الافلاس التى كانت تعانيها الجريدة ايامذاك وان ما حدث انما كان من باب التوفير بسبب العجز المالى .. لكن وقع مثل هذا التصرف لم يكن هينا ... لان طه حسين كان من أشد الملتزمين بقضايا التقدم الجوهرية .. قضية حرية الراى والديمقراطية بل انه كان من قبل الثورة احد المنادين بالعدالة الاجتماعية ثم ان مواقفه معروفة ومشهودة بالنسبة لاهم القضايا الثقافية . وهو صاحب الدعوة الى ان التعليم كلماء والهواء وانه حق طبيعى لكافة المواطنين ويجب ان يكون بالمجان وفى جميع المراحل ... تماما كما اخذت بذلك ثورة يوليو من البداية فى صلب مبادئها الاساسية ....

لكن ... هل كان من الممكن ان يتكلم طه حسين ؟ وان يسمح بعد ذلك بنشر كلامه ؟ . قدمت اقتراحاً الى مجلس التحرير باستكتاب طه حسين فى الاخبار واخبار اليوم .. وتاجل الاخذ به .. فلم يعد امامى الا ان اذهب لملاقاته بنفسى ... فاتصلت تليفونياً بسكرتيره الاستاذ فريد لتحديد موعد مع الدكتور العميد ... وانصرم اسبوع واكثر بكامله قبل ان اتلقى المكالمة المنتظرة وان الدكتور يرحب بلقائى فقطيلزم ان احدد موضوع اللقاء ، كان هدفى أن أطلب اليه الموافقة على الكتابة ... وبالفعل صارحت الاستاذ فريد غير انه اشار علي أن لاافاتحه فى ذلك ابدا ... فعرضت أن يقبل اجراء حوار معه حول القضايا الادبية الملحة والمشهد الثقافى العام كما يراه ... فترك السماعة وذهب يستشيره ثم عاد الى مكالمتى ... الدكتور موافق ... اتفضل بكرة الساعة السادسة .

آخر لقاء

وكان هذا هو آخر لقاء لى مع طه حسين ... كنت قد نويت ان اخذ نفسى على حد تعبيره بالتزام الصمت ... ولكنى ماكدت اجلس اليه حتى وجدته يطوى ذراعيه على صدره ويطالبنى بالكلام .. وفى البداية أرجعت موقفه هذا الى مرضه .. لان وجهه كان مصفرا وكان يتململ فى ضيق ويتكلم بصوت خافت وقد زايلت شفتيه البسمة الساخرة المعتادة .....اكيد ان صحته لم تكن على مايرام ... وطال الصمت من جانبى فتنحنح مبتسماً وطالبنى بالكلام ... تلعثمت قليلا ثم اندفعت لاعتذر له عما حدث فنهانى بقوله ... دعك من هذا الموضوع ... ورحت اساله رايه فى شتى القضايا والمشاكل الثقافية والادبية القائمة وانا حريص كل الحرص على أن أسجل كلامه حرفياً ... كان يتحدث ببطء وكانه يعرف اننى اكتب كل ما يقول ... ودار الحديث فى كل مدار ... حول مهمة الادب واهمية الثقافة ... ونظرته الى المسرح ورأيه فى جيلنا الخ .. الخ .. من الموضوعات التى نشرتها فى صفحة كاملة بالاخبار . ولم تخرج فى مضمونها الكلى عن آرائه المعروفة عن كل هذه القضايا .

وانتهت المقابلة ... وكان هو الذى انهاها بعد ساعتين احسست انه متعب ومرهق ويتحامل على نفسه ..وابتسم وهو يقف ليودعنى قائلا ... لا احسب اننى اتيت بجديد فيما قلت ولكنى احب دائماً ان القاك .. وشكرته على هذا التقدير ... وفيما انا انصرف .. اخذت يده وقبلتها وعيونى تغمرها الدموع .. وسحب يده بسرعة وقد بدا عليه التاثر وذقنه ترتعش وقد تقطب جبينه ... لقد فوجيء الرجل بما فعلت .. وانا نفسى لم يكن فى نيتى أن افعل ما فعلت .. فلم يحدث أن قبلت يد احد فى حياتى غير يد والدى وانا صغير جدا .. وكتبت ذلك كله فيما نشرته عن هذا الحديث معه فى جريدة الاخبار فاتصل بى سكرتيره بعد ذلك ليبلغنى تحية الدكتور العميد وشكره الخالص العميق .. فى حين واجهنى اكثر من زميل وصديق صحفى باللوم والتقريع .. لأنه ما كان يليق فى نظرهم ان اقبل يده لانى اديب وكاتب مثله ..

يا سبحان الله .. كيف كان يمكن ان يحدث غير ذلك وقد كنت لازلت اعتبر ما فعلت اقل ما يستطاع من وفاء بشخصية ومكانة واثر طه حسين على حياتى بل وعلى حياتنا جميعا نحن صناع الكلمة فى كل مكان على ارضنا العربية ..

نعمان عاشور

في أزمة الانسان المعاصر ٣

الإنسان ومخاطر التطور

د. عون الشريف قاسم

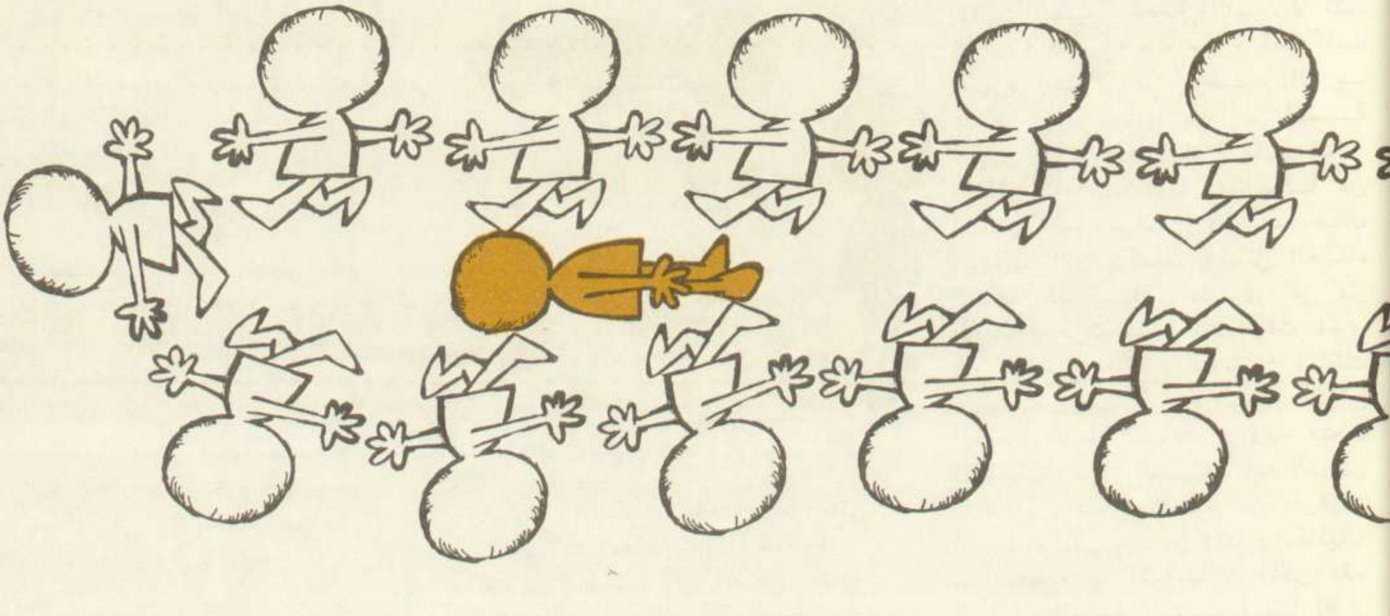

يوحي ظاهر الحال بأن مقدرات الحضارة الحديثة موجهة لتدريب ملكات الانسان وتثقيف عقله . فانتشار التعليم النظامي وتعدد وسائل الاتصال الحديثة من اذاعة وتلفزيون وسينما وصحافة وما اليها جعلت الثقافة والمعرفة في متناول الرجل العادي بعد ان كان ذلك مقصورا على طبقات بعينها في المجتمع . ومن هنا ذهب الذاهبون الى أن وجهة التطور ستصبح عقلية لا جسدية . ولكن الامر المشاهد في مظم المجتمعات يوضح ان مجرى الحياة الحديثة يميل في كثير من مظاهره الى اللاعقلية . فقد كان من نتائج نجاح فكرة الديمقراطية ان اتجهت الطبقات الحاكمة الى غزو الحياة العقلية للجماهير وتشكيلها بالطريقة التي تضمن لها استمرار السلطة . فالانسان في عصر الحرية والديمقراطية ليس في حاجة كبيرة الى وسائل القرون الوسطى في القهر والاستعباد فقد ابتكر العلم الحديث من الوسائل الخفية للتأثير على الجماهير ما لا يرقى الى مستواه تعذيب أو ارهاب . فقد وضح ان الانسان العاقل الذي يختلف عن الحيوان بتميزه بملكة التفكير قد يؤتى من هذه الناحية ومن مأمنه يؤتى الحذر . اذ التفكير مهمة شاقة تكلف الانسان الشطط وتقلق راحته . ونحن في معظم اوقات حياتنا نحلم احلام اليقظة ونجتر ذكريات الماضي أو نقلد ولا نفكر تفكيرا جديا الا مضطرين . ومعظم نشاطنا العقلي قوالب جاهزة يصنعها اجماع المجتمع . وقد وضح ان الانسان في عمومه ميال الى التقليد سريع الى تقبل الايحاء الخفي ومن هنا نجح الشيطان في مهمته في اغراء الناس اذ انه يوسوس في صدور الناس وكاد المصلحون ان يفشلوا اذ انهم يصدعون بما امروا بتبليغه من هداية .

العلم وحرية الرأي

فحرية الرأي وحرية الاختيار التي هي عماد الشخصية الانسانية معرضة في عالمنا الحديث ليس فقط لأخطار الكبت والاضطهاد والمصادرة التقليدية التي تقوم على القوة والبوليس ، وانما هي معرضة خاصة في المجتمعات الديمقراطية الى خطر أخطر وأضل سبيلا وذلك باستغلال استعداد الانسان للايحاء والتلقي ، وذلك بأن توحي الى الجماهير بشتى وسائل الاعلام برأي بعينه لانه يخدم مصالح معينة او مجموعة معينة . ومن اوحى لك بأمر وجعلك تنفذه فقد اجرم في حقك وان كنت انت المجرم الفعلي، ولا فرق كبيرا بين هذا النوع من الايحاء وفكرة التنويم المغناطيسي حيث تنشل قوى الفرد ويفعل ما يوحي به المنوم ، وواضح ان الموحي يستغل ضعفا بشريا عاما لابد من التنبيه اليه اذا أريد للناس أن يحكموا عقولهم لا عقول الآخرين المغرضة . لقد وضع العلم في أيدي المتسلطين وسائل رهيبة في هذا المجال يمكنهم بواسطتها احداث ما يشاءون من

وسائل الإعلام الحديثة أحدثت ثورة في ميدان التسلية والترفيه والتعليم فقط

انطباعات في عقول ضحاياهم واستغلوا وسائل الاعلام المختلفة التي توحي الى الناس ايحاء دون عنف وطبقوا في ذلك النتائج الخطيرة التي كشف عنها علم النفس فيما يسمونه بسايكولوجية الاعماق التي بدأ استغلالها أولا في الدعاية للسلع ثم بدأت تستغل لترويج الحروب وانتهت في بعض الحالات بتغيير عقول الناس فيما يسمونه بغسيل المخ ٠

العنف والمزيد منه

ان الاعتماد على العنف لا ينجم عنه الا المزيد من العنف ، ومستقبل البشرية الآن وعلى المدى البعيد يقبع فيما يظهر على كف عفريت مارد ، ليس خياليا كما كان الشأن في الماضي ، بل هو عفريت حقيقي يتمثل في السلاح الذري ٠ وصنع هذا السلاح وتخزينه يتطلب تمركزا في الاقتصاد والسياسة والحياة العقلية أيضا ٠ وضرورات هذا التمركز تتطلب توجيه الراي العام الوجهة التي ترتئيها الدوائر الحاكمة والمصالح التي تستفيد من امكانيات المجتمع المادية ٠ وواضح أن التقدم العلمي الآن موجه في معظم صوره واضخمها نحو عجلة الحرب والتسلطولابد أن يترك كل ذلك آثاره الخطيرة على حياة الافراد والجماعات ٠ لقد رأينا بعيوننا كيف تضلل شعوب العالم في وضح النهار بنشر الاكاذيب والدعايات المغرضة ٠ وقد شاهدت بنفسي ما قالت به الدعاية الصهيونية أبان حرب يونيو في تضليل الشعب البريطاني الى الحد الذي يدفع به الى العمل ضد مصالحه الحيوية في الشرق الاوسط خدمة للمآرب الصهيونية والاستعمارية ٠ ومثل هذا يحدث على نطاق أوسع في أمريكا وغيرها من الشعوب الغربية ٠ ويكفي ما حدث بالامس من نازية وفاشية وعنصرية ٠

وكل ذلك لا يتم بالعنف وانما بوسائل الاغراء والتكرار والايحاء ٠ فقد أحدثت وسائل الاعلام الحديثة

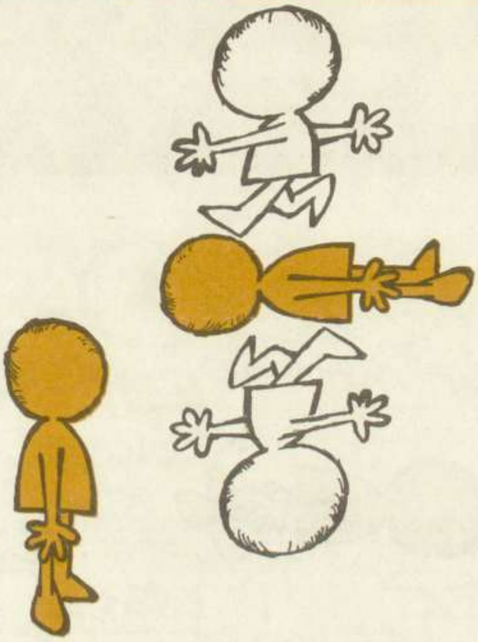

ثورة ليس في ميدان التسلية والترفيه والتعليم فحسب ، بل في ميدان القيم والاخلاق والنماذج البشرية التي على الجماهير احتذاءها واتخاذها قدوة ٠ وانصرف الجهد الى التركيز على المظاهر البراقة واللباقة اللفظية وخداع الجماهير بكافة الحيل والاحابيل ٠ واستطاعت عجلة الدعاية أن تخلق من (الفسيخ شربات) حتى في أرقى المجتمعات ٠ لقد تطور فن الاعلان والاغراء وتطورت البحوث التي تجرى عن كيفية السيطرة على الجماهير عن طريق التنويم الجماعي بحيث أصبح خطر الديمقراطية بالكيفية التي تدار بها الآن في معظم المجتمعات الحديثة أكثر من نفعها ٠

الخطر على حقوق الانسان

ان الخطر على حقوق الانسان ينبع في كثير من الاحيان من داخل الانسان ذاته ففي النفس البشرية مواطن ضعف كثيرة وثغرات ينفذ منها أصحاب المآرب من ساسة وتجار وغيرهم ٠ ومع أن هذه الحقوق تبدو ظاهرة وبديهية ومفروغ منها وضرورية لانسان الغاب كما هي ضرورية لانسان المدنية الحاضرة الا انها لم تتأكد الا في العصور الحديثة ٠ ومن هنا احتاج الانسان الى أن يتعلمها ويتدرب على ممارستها ٠

وما دامت غاية المجتمع الحديث خلق جنة على الارض يجد فيها جميع البشر الشبع والري والكساء والسكن فامكانيات العلم الحديث الذي سخر طاقات الطبيعة لخدمة الانسان لا تقف في هذا السبيل عند حد ٠ لقد كانت جمهرة البشرية في ماضيها القريب تكدح طوال حياتها من أجل لقمة العيش وتهلك دون بلوغ غايتها ٠ ولذلك كانت مشغولة بعذابها عن التفكير فيما سواه ٠ واختلف حال البشرية الآن وكفلت وسائل الحياة الحديثة للجماهير مستوى أعلى من الحياة ووفرت كثيرا من الوقت الذي كان يستغرقه الكدح اليومي ٠ وبذلك واجه الرجل العادي مشكلة الفراغ الصحراوي في حياته ٠ وقد فتحت امكانيات الحياة الحديثة أمامه الفرص للاغتناء واشباع كثير من الرغبات التي لم يكن يجد من وقته وامكانياته ما يستطيع به اشباعها ٠ ولكن هذه الرغبات الحسية لا تشبع ومهما أغرق الانسان فيها فهو مضطر الى المزيد من الاغراق فيها بحيث تصبح حلقة مفرغة لا يدري الانسان أين طرفاها ٠ فالمتع الحسية لا تنتهي ٠ والانسان في ذلك ليس كالحيوان تنظم دورته البيولوجية غريزة متحكمة تضبط نشاطه وتحدد مداه ٠ بل هو يعتمد في توجيه عواطفه على عقله وقد رأينا أن تطورنا العقلي والروحي مواجه بخطر كبير من جراء تطورنا المادي فمن هنا نلحظ هذا الاسراف في اهدار طاقات البشر في المتع الحسية التي أفاءتها علينا الحياة المادية الحديثة ٠

وكان من آثار ذلك أن أصبحت أهداف الناس محصورة في تحسين أحوالهم المادية فغاية الجميع الثراء والكسب المادي ، وأصبح المال رأس كل قيمة واستوى الها معبودا يخضع كل شيء من أجله ٠ ولكنه اله من قش ٠ اذ قيل منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال ٠ وقد وضح أن الجنة الموعودة على الارض لم تشبع كل طموح الانسان بكل أموالها

الخطر على حقوق الانسان ينبع في كثير من الأحيان من داخل الإنسان وهناك خطر الملل الحضاري في مجتمعات تتجه لإشباع الرغبات

وملذاتها ومتعها الحسية . فماذا بعد أن يشبع الانسان جنسه ورغبته في المال وما اليه ؟ هل يستمر في الحلقة المفرغة التي لا تنتهي والتي يعقبها اليأس والقنوط فالانتحار ؟

الخطر المحدق بالبشرية

ان الخطر المحدق بالبشرية في رأي برتراند رسل ليس خطر الفناء الذري بقدر ما هو خطر الملل الحضاري في مجتمعات كل ما فيها موجه لاشباع رغبات الحس في أفرادها . ومن هنا احتاجت هذه المجتمعات لكسر حدة هذا الملل بالبحث عن الاثارة والهاب غرائز الجماهير التي لا تشبع فكان التركيز بعد المال على الجنس والعنف والقتل واشعال الحروب وأصبح كل ذلك تجارة رائجة وصناعة مربحة . ومن هنا كان هذا الاغراق الذي نشهده في الاثارة والجنس والعنف في السينما والتلفزيون والصحف والمجلات وفي الحركات الاجتماعية التي تعاورت على المجتمعات الغربية بعد الحرب العالمية الثانية . فالملل وحياة الدعة والفراغ وعدم الاثارة مما يجعل الحياة رتيبة فالجنس والعنف الصارخ ضرب من التسلية ونوع من التعويض . وقد يكون ذلك تصويرا لحالة المجتمع المادي الذي همه الثراء بأي ثمن ، أو تصويرا لحالة العصاب الذي يتعرض له الافراد في هذا المجتمع التنافسي المليء بالتحديات القاسية .

هل يكفي أن نقول ان كل هذه القضايا نتيجة حتمية لتعفن النظام الرأسمالي الغربي الذي يهدف الى الربح والمزيد من الربح وان أدى ذلك الى تدمير أقدس مقدسات الانسان : انسانيته ؟ أم أن ما حدث هناك أمر ملازم لتطور الحضارة الصناعية حيثما كانت ؟ وكل هذه الفوضى العارمة نتيجة حتمية لتغير القيم والمفاهيم بتغير وسائل الانتاج والعلاقات الاجتماعية في المجتمع الصناعي ؟

قد يكون كل هذا صحيحا فقيم الانسان ومفاهيمه كانت وليدة ظروف

برتراند راسل

المجتمع الرعوي والزراعي ، وقد تغير المجتمع تغيرا شاملا في كل شيء ولذلك لابد أن تتغير المفاهيم والاخلاق . والانسان ليس في حاجة الى الحديث عن نسبية التقاليد والاخلاق فما يصلح لزمان قد لا يصلح لآخر ، وما يكون في مجتمع فضيلة قد يكون في مجتمع مجاور رذيلة .

القيم والتعبير عنها

ولكن الانسان مضطر الى أن يفرق هنا بين القيم الانسانية والتعبير عنها . فالقيم الاساسية مما نعبر عنه بالمثل العليا لا تتغير كثيرا لانها نابعة من تجربة الانسان في حياة المجتمع وقد توصل اليها بعد جهاد مرير ضد كل قوى الحيوان والاثرة في نفسه وفي غيره ولخص فيها الشروط اللازمة لبقائه في حياة المجتمع . فهذه القيم الانسانية قبل أن تكون مثلا عليا مجردة كانت ضرورات حيوية رأى فيها الانسان الحد الادنى من الضمانات التي تكفل له الحياة في مجموعة يتعاون أفرادها في سبيل الصالح العام . فحرم القتل وحرم الزنا والسرقة وما اليها ودعا الى التعاون والحب والكرم وما اليه لان كل ذلك ضرورة لازمة لبقاء حياة الاجتماع . فهذه القيم وأمثالها باقية بقاء الانسان ولكن التعبير عنها يختلف باختلاف الازمان والمجتمعات .

ولعل سر القضية هنا يكمن في الربط بين قيم الانسان والدين . فقد لخص الانسان منذ فجر نشأته تجربته الحضارية في اطار الدين ، فكانت النظم الدينية تعبيرا على المستوى الفكري والروحي والاخلاقي لعلاقة الانسان بالطبيعة وبما وراء الطبيعة وبالمجتمع . وحاجة الانسان الروحية نابعة من طبيعة تكوينه وانفصام شخصيته الى جسد وعقل أو روح . فهو دائم البحث عن أفق أعلى من مستوى حاجاته الجسدية . وهو دائم التسامي الى ما فوق نزوات الجسد ومن هنا سعى دائما الى التعبير عن احساسه الروحي فخلق الاساطير واكتشف السحر وتلمس طريقه الى الدين فخلق من أوهامه في بداية أمره آلهة ورسم لها صورة مثل صورة مجتمعه . وهو يسعى دائما الى التجريد والى التجسيد في ذات الوقت فالانسان يتأرجح بين الرمز والصورة . فالاله رمز ولكن لابد له من صورة ، ومن ثم عبد الانسان الاصنام وظواهر الطبيعة وخلط بين الشعائر وما وراءها من قيم . وهو يريد تجسيم كل شيء وتلخيصه في شكل مقبول بحيث يحسه ويعتاده . ولذلك عبر عن القيم المجردة بأشكال محسوسة واتخذ من طقوس الدين أدوات لترسيب كثير من المفاهيم والقيم والاخلاق المهمة لحياة المجتمع . فالانسان ابن العادة وهو محتاج الى التعليم بالنموذج والتكرار وهو في ذلك يختلف عن الحيوانات الغريزية التي تكون معارفها في معظم الاحوال غريزية . فالدين مستودع كل هذا التراث الانساني وهو في ذات الوقت عنصر هام من عناصر الالزام الخلقي والردع الاجتماعي لما فيه من ترغيب وترهيب وثواب وعقاب . وفي الالتزام بقيمه التزام بفطرة الله التي فطر الناس عليها وجاءت رسالات السماء تذكر الناس بهذه الفطرة وتردهم اليها بالأحكام والشعائر والعبادات والمعاملات .

● إذا حُرِمَ الإنسان من التعبير عن تطلعاته الروحية بشكل تقليدي عالج محاولاته الأخرى بأسلوب تقليدي

ولكن الدين يرتكز في أساسه على الايمان بقوة علوية خارجة عن ارادة الانسان توجه مسيرته وتتحكم في مصيره • وقد زعزع تطور العلوم الطبيعية في القرون الاخيرة كثيرا من ايمان الناس ودفع بالكثيرين منهم الى البحث عن مصدر الالهام في نفوسهم بدل ان كان النظر متجها الى خارج الحياة الانسانية ورأينا تركيزا على حياة الانسان العقلية وقامت دعوات عديدة بعضها يرتكز على العلم وبعضها على أسس لا تمت للعلم بصلة وكلها تحاول تفسير الظاهرة الانسانية وترسم للانسان طريق المستقبل • ولا يبعد الانسان ان قال أن كثيرا من هذه الدعوات العقلانية قد استبدلت الديانات التقليدية السماوية بديانات حديثة ارضية لها كتبها وطقوسها وسدنتها وان تغيرت الاساليب والمظاهر • ولا ينسى الانسان ما حدث ابان الثورة الفرنسية حين حاول بعض قادة الثورة فرض عبادة العقل على الناس بحسبانه الها تقام له الشعائر والطقوس •

حاجات الانسان الروحية

وليس في كل ذلك عجب • فحاجات الانسان الروحية أمر نابع من طبيعة تكوينه الذي فطره الله عليه واذا حرم الانسان من التعبير عن تطلعاته الروحية بشكل تقليدي عالج كل محاولة أخرى بما لا يخرج عن الاسلوب التقليدي •

والامر الذي يشغل البال هنا أن نفور الناس من الدين التقليدي في العصر الحديث لاختلاط كثير من جوانبه برواسب القرون الطويلة حجب عن كثير من الاذهان المتطلعة الى كل جديد مبتكر أن الدين وسيلة الانسان للاهتداء لأمثل السبل التي يحقق بها انسانيته وفق قوانين الله التي فطر الخلق عليها ، وهو من هذه الناحية الوسيلة الوحيدة الفعالة لحفظ تراث الانسان المترسب عن سعيه الدائب خلال القرون لاكتشاف هذه الفطرة في نفسه وفي علاقا بالآخرين • فهو تجسيد لقيم حيه منتزعة من تجربة معاشة جاءت كل الرسالات تأكيدا لها وارتقاء بها حتى يتطابق مسلك الانسان ومعايير الفطرة فيحقق خلافة الله في الارض • وقد أدى رفض هذا الاطار الديني الى ازالة معظم الضوابط الاجتماعية بالبديل ، وأهم من ذلك عنصر الردع الخلقي في الدين • فمن الواضح أن الكثيرين من البشر مدفوعون الى الفضيلة بدافع الخوف ولذلك قال دستويفسكي : اذا كان الله غير موجود فكل شيء مباح •

ولعل المشكلة التي تواجه الاديان في العصر الحديث هي أنها مستودع الجواهر والاعراض • بمعنى أنها تضم القيم والمثل العليا ولكنها في ذات الوقت تعبر عن هذه القيم في أشكال محددة • فالأسس العامة أو الرموز الباقية لابد أن تجسد في أشكال يمكن تطبيقها وتكرارها ليستفيد منها الناس • وهذه هي القضية • فهذه الاشكال التي بقيت صورها لا تقبلها كل العصور وان قبلت القيم التي تقف وراءها وحاولت التعبير عنها بأشكال مختلفة •

والسؤال الذي يوجهه كل مفكر في مجال الحديث عن القيم والاخلاق هو هل هناك مجال كبير أمام البشرية لاحداث تغييرات جذرية في هذه القيم بحيث تكون تجربة الانسان الطويلة في حياة المجتمع والتي لخصها في صورة أو أخرى في الاديان غير صالحة لمواكبة التطور الحديث في عصر الصناعة والذرة ؟ أم أن ما درجت عليه القرون في هذا السبيل هو في جوهره – وان اختلفت أعراضه وصوره – الحد الادنى الذي يلخص تجربة الانسان في حياة المجتمع ويكفل له تحقيق انسانيته في كل العصور ويقيم ميزان التعادل بينه وبين عالمه المحيط من جهة وبينه وبين نفسه من جهة أخرى ؟

الجنس وحياة المجتمع

لنأخذ حياة الجنس مثلا والتي تعرضت في حضارتنا لكثير من التجارب • فالجنس غريزة حيوانية غايتها حفظ النوع وهي ضرورة حيوية من هذه الناحية ولكنها ليست ضرورة حيوية كالطعام والشراب والهواء اذا فقدها الانسان يموت بفقدها • فهي غريزة تتصل بالجانب الروحي والعاطفي من الانسان • ويلاحظ الانسان في هذا المجال أنه ليست هناك قوانين لتنظيم غريزة الاكل والشراب وكل الغرائز الحيوية الاخرى ما عدا الجنس لانه لا يخص الفرد وحده بل

- هل هناك مجال أمام البشرية لإحداث تغييرات جذرية في قيمها؟
- التغير الاجتماعي يبدو كمن يأخذ شكل الثورة على كل قيم الماضي

هو الصلة التي تربط بين الافراد ومن ثم تربط بينهم وبين المجتمع ولهذا السبب فالعنصر الاجتماعي يكاد أحيانا يطغي على الجانب البيولوجي فيه ومن هنا جاء التعقيد في المسائل الجنسية واختلفت النظرة اليها باختلاف المجتمعات والازمان . ومن

هنا اختلف الانسان عن الحيوان فاضطر الانسان لتعلمه وضبطه والتحكم فيه في الوقت الذي يمارسه فيه الحيوان بدافع طبيعي غريزي منظم . فالجنس كالنار قد تحرق وتدمر ان تركت دون ضابط ويكون فيها النفع أو نظمت وتمت السيطرة عليها . ولذلك احتاج الانسان للتحايل على الجنس بخلاف الحيوان فاضطر الى التستر والزينة وطقوس الزواج وما الى ذلك . والواضح ن سلامة المجتمع وسلامة العلاقات فيه تعتمد على تنظيم العلاقات الجنسية ومن هنا تم الربط بين قيم المجتمع وبين الجنس ومن هنا كانت محاولة كبت الغريزة الجنسية لأغراض اجتماعية لا بيولوجية .

والاتجاه الحديث هو السعي لتجريد الجنس من مضمونه الاجتماعي وعدم ربطه بأي قيمة كالشرف والعرض وما اليه بحيث يصبح ضرورة بيولوجية لا غير كالأكل والشرب والهواء التي لا تحتاج الى قوانين . وتأرجحت بعض المجتمعات بين الاباحة والتقييد ويذكر الانسان في هذا المجال تجربة الاتحاد السوفياتي الذي أحس بالاخطار الاجتماعية الناجمة عن الاباحة المطلقة فعدل كثيرا من قوانين الزواج بعد عام ١٩٣٦ لتحول دون انتشار هذه الادواء الاجتماعية . وما يشاهده الانسان الان في بعض المجتمعات الحديثة من تكالب على الجنس واغراق فيه لا يدل على ظاهرة صحية بقدر ما يدل على أعراض مرض خطير يصيب الامم في حالة تحللها وانحدارها كما علمتنا تجارب الماضي .

اضطراب ميزان التعادل

هل نقول ان التطور غير المتكافىء

في محيط الانسان المادي بالقياس الى تطوره الروحي والعقلي هو الذي أحدث هذه الهزة العنيفة في موازين الانسان الاخلاقية وقيمه الاساسية ؟ وانه خلال العصور كلما جدت مثل ظروف الرفاهية التي يعيشها انسان العصر حدثت مثل هذه الهزة ، ولذلك اقترن الثراء والسلطة دائما بالفساد: (الفراغ والشباب والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة) ، « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة » ؟ وفي مثل هذه الظروف يجد الحيوان فينا فرصة الاشباع فيجور على الانسان فينا فيكون الاسراف في الشهوات والمتع ويحدث التطرف وينجم عن ذلك التمزق فالانهيار فيضطر الانسان اضطرارا الى الرجعة الى ميزان التعادل القديم ليكبح جماح شهواته وعواطفه ويؤكد عنصر الانسان فيه الذي هو دائما وسط بين نقطتي التطرف ؟

ولكن هذا الكلام لا يعني أن ميزان التعادل هذا الذي هو وسط بين حدي الافراط والتفريط هو أمر يسهل الرجوع اليه في كل حين . فالقيم الانسانية باقية ولكن ترجمتها الى واقع معاش يلائم حياة الانسان من أصعب الاشياء . فالمجتمع ليس في حاجة الى شعارات جوفاء وقوالب مثالية هي أدخل في باب الوعظ والارشاد بل لابد لهذه الشعارات من أن تتحول الى عمل يحقق به الانسان ذاته ، ولابد لهذه القوالب من أن تمتلىء بما يلائم طبيعة العصر من أشكال وألوان . وصعوبة المسالة هنا ناجمة من أن السلوك الانساني الذي هو التعبير الفعلي عن القيم وهو الشكل الخارجي الذي يتغير بتغير الازمان لا يتغير بالسرعة التي تتم بها التحولات البيئية نسبة لروح المحافظة عند الانسان ، ولذلك يحدث هذا الاحتكاك والتنازع بين أنماط السلوك التي فرضتها ظروف الحياة في فترة سابقة والانماط الجديدة التي تفرضها ظروف الحياة الماثلة . وبما أن القيم يصعب فصلها عن أشكالها التعبيرية يزداد أمر التحول تعقيدا ويختلط الجوهر بالعرض ويبدو التغير الاجتماعي وكأنه ثورة على كل قيم الماضي ومواضعاته .

ومن هنا كانت قضية الانسان في العصر الحديث تهمنا وتهم مجتمعنا لأننا على الدرب سائرون وقد تفيدنا العبرة وان فضل الانسان دائما الدخول في التجربة .

الخرطوم ـ د. عون الشريف قاسم

في عدد قادم ..

لقاء مع المازني

العدمية في الأدب

نعمان عاشور

أحمد بهجت

الإسلام وقضية الحرية

● ليست السماء حرة فى التصرف بالشكل الذى تختاره وليست الأرض حرة فى الدوران فى الفلك الذى تريده

يختلف موقف الكون عن موقف الانسان من قضية الحرية ..

وعلى المستوى الكوني ، تتضاءل حرية الكون تماما ، وتنعدم قدرته على الاختيار بين البدائل المختلفة ، وليس أمامه سوى الطاعة ..

ليست السماء حرة في التصرف بالشكل الذي تختاره ، وليست الأرض حرة في الدوران في الفلك الذي تريده ..

إنما يخضع الكون كله بمجراته الهائلة لقانون المشيئة الالهية الحاكمة . قال تعالى في سورة فصلت (ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين) .

تعنى الآية القرآنية ان الله تبارك وتعالى أمر السماء والأرض فأطاعت السماء والأرض ، وقوله تعالى (طوعا أو كرها) يعنى انعدام حرية السماء والأرض في الاختيار ، ويعنى أن السماء والأرض مأمورتان بالطاعة ، محكومتان بنواميس الله وقوانينه ..

وهناك من يفسر هذه الآيات فيتصور أن الله عز وجل قد خاطب السماء والأرض ، وردتا عليه سبحانه بالانصياع والطاعة ، وهناك من يعتقد ان الله تبارك وتعالي صور ما حدث بأسلوب الحوار لتقريبه من الذهن وتأكيد معناه وايضاحه ، وكلا التفسيرين جائز ..

المهم أن الآية القرآنية تثبت الحقيقة التالية ..

ان الكون ليس حراً ، انما هو مأمور مسخر موجه تحكمه قوانين الله ، ولهذا السبب ليس الكون مكلفا بالتكليفات الشرعية ، ليس مسئولا عن حركته أو افعاله ، وبالتالى فلا حساب على الكون يوم القيامة لأنه ليس حراً . نحن نعيش في كون يفتقر إلى الحرية ، كون هو عبد طائع لله .. عبد طائع بحكم خلقه وحكم تكوينه ، عبد لا يملك حريته ، عبد يخضع لنظام محكم لا تفلت منه ذرة من ذرات النجوم أو المجرات أو الكواكب .

اذا كان هذا حظ الكون من الحرية .. فما هو حظ الانسان منها ، وأي قدر منحه الله له ؟

يحدثنا الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم عن قصة خلق النوع البشرى .. وسوف نجد الجواب على سؤالنا في القرآن .

قبل الخليقة

يفتح ستار الخليقة على مشهد حوار جليل بين الله عز وجل وملائكته .. يقول تعالى فى صورة البقره .. قال ربك للملائكة إنى جاعل في الارض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون .

مرة ثانية توحى الايات اننا أمام حوار بين الله سبحانه وتعالى .. ومثلما حدثنا الله عز وجل عن خلق السماء والارض بأسلوب الحوار ، حدثنا عن خلق الانسان بنفس الاسلوب ، ومن المهم أن نفهم أن اخبار الله تعالى للملائكة ليس استشارة منه سبحانه ، كما أن سؤال الملائكة ليس اعتراضا منهم وجدالا ، فالله يتعالى على استشارة أحد من خلقه ، كما أن الملائكة أكرم من أن يعترضوا على الله عز وعلا ، يقول تفسير القرطبى أن الله سبحانه وتعالى كان قد انبأ ملائكته انه اذا جعل فى الارض خلقا افسدوا وسفكوا الدماء ، فلما حدثهم الله أنه سيجعل فى الارض خليفة قالوا أهذا هو الخليفة الذى حدثتنا عن إفساده فى الارض وسفكة للدماء أم خليفة غيره ، واذا كان هو نفسه فلماذا اختاره الله بينما الملائكة يسبحون بحمد الله ويقدسون له .. كانت دهشة الملائكة هى التى تحركهم الى سؤاله سبحانه وتعالى . وقد اجاب الله على سؤالهم باحالتهم الى علمه المحيط وعلمهم القاصر فقال إنى أعلم مالا تعلمون .

وبهذا الجواب أفهم الله تعالى ملائكته الكرام أن هناك حكمة تكمن فى خلق هذا الكائن المسمى بالانسان..

وهى حكمة تتوفر رغم افساد الانسان وسفكه للدماء ، وسنرى فيما بعد أن هذه الحكمة تنبع من الحرية .. وتستهدف المعرفة .

(وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضها على الملائكة فقال انبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ، قال ياآدم انبئهم بأسمائهم ، فلما انبئهم بأسمائهم قال الم أقل لكم أنى أعلم غيب السماوات والارض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون) ..

يمضى سياق القصة القرآنية فنرى الله تعالى يعلم آدم أسماء الاشياء، أي يعلمه القدرة على المعرفة واستخدام الرموز ، وهى قدرة لم يؤت مثلها الملائكة ، وهى قدرة تتعلق باعجاز الله اذ يخلق من طين بشرا يملك ادوات المعرفة ..

ترينا الايات كيف هدى الله الملائكة فى حيرتهم ، وكشف لهم أن دهشتهم من استخلاف ادم فى الارض قامت لأن علمهم قصر عن إدراك الحكمة ..قبل أن نرى ذلك سنسمع صوت الله تبارك وتعالي وهو يصدر أمره للملائكة أن يسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم .

وقد صدر الأمر للملائكة قبل أن يخلق الانسان .. وحدد الأمر توقيتا معينا للسجود .. هو نفخ الروح الالهى فى آدم .

الأمر الأول

قال تعالى في صورة (ص) :

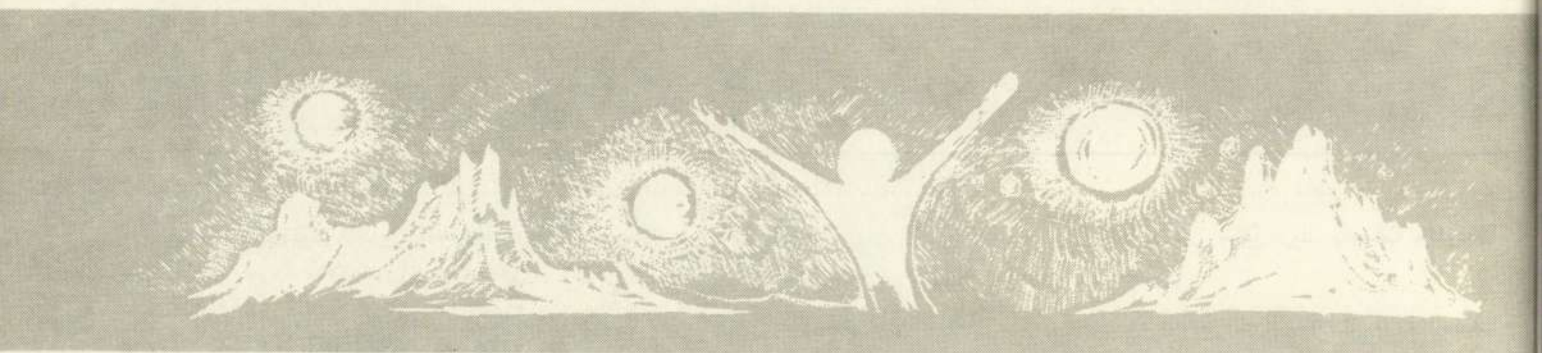

(اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، الا إبليس استكبر وكان من الكافرين) .

حين فتح آدم عينيـــه عـــلى الحياة ، كان أول ماشاهده هو تحية الملائكة له ، ورفض ابليس واستكباره . ولقد اتيح لآدم أن يشهد بعد خلقه مباشرة ، قدر الحرية التى يعطيها الله لمخلوقاته المختلفة ..سأل الله تعالى ابليس لماذا لم يسجد لآدم . (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ، استكبرت أم كنت من العالين ، قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ، قال فاخرج منها انك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين ، قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون ، قال انك من المنظرين ، الى يوم الوقت المعلوم ، قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ، قال فالحق والحق أقول ، لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين)

وقع هذا الحوار بين الله عز وجل وابليس بعد اللحظات الاولى من خلق آدم ، وكان وقوع هذا الدرس أمام آدم يحوى مغزى عميقا ، فهاهو الستار يفتح على خلق النوع الانسانى بحوار يدور بين الله ــ جل جلاله ــ وعبد كافر هو ابليس .. ورغم ذلك فقد أعطاه الله الحرية ليتكلم ..

رغم أنه عبد .. وكافـر..

لقد رفض إبليس أن يسجد لآدم ، كان الله تبارك وتعالى يعلم قبل خلق آدم وخلق ابليس أن إبليس سيرفض السجود لآدم ، كان يعلم إنه سيعصى ، وكان الله يملك ان ينسفه نسفا ، أو يحيله الى حفنة من تراب ، أو قطعة من الحجارة، كان الله يستطيع أن يخنق كلمة الرفض فى فم إبليس ، غير أن الله يعطى لمخلوقاته المكلفة قدرا من الحرية لايعطيه غيره أحد ...انه يعطيهم حرية مطلقه تصل الى حد رفض اوامره سبحانه ، ويمنحهم حرية الانكار وحرية العصيان ، وحرية الاعتراض عليهسبحانه لا ينقص من ملكه أن يكفر به الكافرون ، ولا يزيد فى ملكه أن يؤمن به المؤمنون ، انما ينقص ذلك من ملك الكافرين أو يزيد فى ملك المؤمنين أما هو فتعالى عن ذلك ..

فهم آدم أن الحرية نسيج اصيل فى الوجود الذى خلقه الله .. فهم أن الله يمنح حرية كاملةلعباده المكلفين ..ويرتب على الحرية أثرها المباشر وهو مسئولية المكلفين ..

نفهم من هذا أن الستار رفع على خلق الانسان بتجربة من تجارب الحرية .. وهى تجربة كانت نتيجتها خروج ابليس من رحمة الله وصيرورته رمزاً للعصيان والشر ..

تجربة في الجنة

بعد هذه التجربة الأولى التى شاهدها آدم لمخلوق يمارس حريته ويخرج من الرحمة ... الخ اتيح له أن يجرب حريته هو الآخر تجربة شخصية ، وقد قادته تجربته إلى الخروج من الجنة .

(وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ، فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) .

تحدثنا الآيات ان الله تعالى أدخل آدم الجنة ، واباح له أمورا ونهاه عن أمر ، أباح له أن يأكل رغدا كما يشاء ، ونهاه عن شجرة معينة ، وضمن الله له الا يجوع ولا يعرى ، ولا يظمأ ولا يضحى ، ووسوس الشيطان إلى آدم ، هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ، وظل يوسوس إليه حتى نسى آدم تحذير خالقه وأكل من الشجرة المحرمة .

كان آدم حراً كل الحرية حين مارس تجربته ، ولهذا ترتبت على التجربة مسئوليته الكاملة فخرج من الجنة إلى الأرض .. محققا ما سبق اليه علم الله عز وجل ..

وكانت التجربة كلها ركنا من أركان الخلافة في الأرض ، ليعلم الانسان انه حر . ويعلم انه مسئول عن افعاله ، ويعلم أن الشيطان عدوه الأول .. ويعلم أن طاعته للشيطان تخرجه من جنة الرضا إلى جحيم الصراع على الأرض .

قال تعالى (اهبطا منها جميعا ، بعضكم لبعض عدو ، فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) .

موقف الاسلام

ما هو موقف الاسلام من قضية الحرية ؟

ان الاسلام هو دين الله الذي أنزله على عباده ، ولله المثل الأعلى ، وقد كشف الله لعباده بقصة إبليس وقصة آدم قدر الحرية الذي منح لهما ، وقدر المسئولية المترتب على هذه الحرية ، كما كشف القرآن الكريم بآياته المتعددة عن الفرق بين حرية الله المطلقة ومشيئته المطلقة ، وحرية المخلوقات المقيدة بالمسئولية ..

فالله تبارك وتعالى له الخلق وله الأمر وهو لا يسأل عما يفعل ..

يقول تعالى عن ذاته (له الخلق والأمر) .

ويقول عن مشيئته (فعال لما يريد) .

ويقول عن أمره (انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون) .

ويقول عن مآل افعاله (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) .

● في عقيدة الاسلام : المسلم مكلف أن يرحم العباد لأن الله رحيم

● هناك مناطق محترمة إذا دخلها الإنسان انسلخ من الإيمان

وبهذه الآيات تثبت الحرية المطلقة لله ، وتمتنع على غيره ، والانسان المسلم مأمور ان يتخلق باخلاق الله في كل شيء ، باستثناء ما هو من صفات الالوهية كالكبرياء والعظمة وعدم الخضوع للمسئولية أو المساءلة ..

في عقيدة الاسلام : المسلم مكلف أن يرحم العباد لأن الله رحيم ، وان يكرم الناس لأن الله كريم ، وان يتجاوز عن اخطائهم لأن الله عفو غفور ، وهذا هو التخلق باخلاق الله ..

لكن هناك مناطق محرمة اذا دخلها الانسان كان هذا يعنى انسلاخه عن الايمان ودخوله منطقة الشرك ..

هذه المنطقة هى اعتقاده ان له وحده حق الأمر أو الحكم أو عدم المساءلة . ليست هذه المحاولة غير محاولة للجلوس في كرسى الله ، وهى محاولة تخرج صاحبها من خيمة الاسلام .. والاصل في الله تعالى ان له الحاكمية على البشر ، وأي حكم مطلق هو في نهاية الأمر اعتداء على حق الله .

الاسلام اذن ضد الاستبداد السياسى لأنه شرك ، فالمستبد السياسى أو غيره من المستبدين لا يسأل عما يفعل ، ولا يسمح بأن يسأل عما يفعل .. وهذا وذاك صورة من صور ادعاء الالوهية ، فادعاء الالوهية قد يكون بالقول ، وقد يكون بالفعل ..

والادعاء بالفعل أخطر كثيراً من ادعاء القول .

ليس الحكم الاستبدادى مهما ارتدى الاقنعة غير حكم خارج على الاسلام ، ولايهم هنا أن يدعى هذا الحكم أنه حكم اسلامى لأن عدم مسئولية الحاكم أمام الله وشعبه تعنى انه يدعى الالوهية ... ولا يغنى عنه ان يحاول الايهام بأنه يطبق الاسلام أو يسعى لتطبيقه أو يأخذ بقشوره أو يرتدى عباءته .

لا يغنى هذا عن الحقيقة الاصلية ..

ماذا نفعل اذن في العصور الاسلامية المستبدة ، هل نعتبرها س الاسلام ونحسبها عليه ..

هذا ما فعله المستشرقون وكل علماء الغرب حين تصدوا للاسلام من الناحية التاريخية ..

وهذا ما ينبغى ان يصححه اليوم علماءنا المسلمين .. أي عصر من عصور الاستبداد السياسى في التاريخ الاسلامى ليس عصراً اسلاميا ، انما هو عصر استبداد عادى يرتدى عباءة الاسلام ...

ويجب أن يدرس على هذا الأساس تبرئة للاسلام وتنزيها له .

موقف الاسلام من الحرية واضح ..

الانسان حر ومسئول .. الحاكم حر في اختيار الأسلوب ولكنه مسئول أمام شعبه .. وامام الله في النهاية ، والانسان حر في اختيار طريقه ولكنه مسئول أمام مجتمعه .. وامام الله في النهاية ..

وأي محاولة لقطع سلسلة المسئولية ليست غير وثنية جديدة .

بين الحرية والسيف

الحرية اذن نسيج أصيل من انسجة التركيب البشرى ، والله هو الحرية المطلقة ، والانسان حرية مسئولة ولهذا فهى نسبية ، والحكم في الاسلام ليس استبدادا من الحاكم ، لأن الله تعالى يقول لرسوله الذي يوحى اليه والذي هو معصوم من الخطأ (وشاورهم في الأمر) .

واذا كان هذا الكلام يوجه لسيد البشر وخير خلق الله واكملهم وانقاهم ، فكيف يدعى أي حاكم لنفسه ما ليس حقا للرسول .

ان موقف الاسلام كدين من قضية الحرية واضح .. لقد دعا الله عباده إلى الاسلام .. ولكنه لم يقهر أحداً عليه ، قال تعالى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) .

ويرتب الله تعالى على هذه الحرية مسئولية العباد الكاملة .. وموقف الاسلام كفكر من قضية الحرية ايضا واضح ، ان الاسلام يدعو الناس إلى الله فيقول للرسول (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) .

ولا يسمح الله للرسول أن يرفع السيف للدعوة إلى الله ، انما يرفع السيف دفاعا عن حق الداعية في الدعوة إلى الله ، لا لقهر البشر على الايمان وهناك فرق كبير بين الموقفين ، ومن هنا جاءت حروب الرسول لتحرير الانسان في الجزيرة العربية ، وتحرير الانسان خارجها ..

وتثبت الدراسات المنصفة لتاريخ الفتوحات الاسلامية ، انها لم تتم الا دفاعا عن حق الدولة الاسلامية في البقاء ، ولم يرفع الرسول سيف الا حين وجد سيوف العدو تمتد إلى المسلمين لقتلهم ، أو منعهم من الدعوة إلى الله ..

والأصل في المجتمع المسلم أنه مجتمع لا يعيش فيغرق في حياته الأرضية دون رسالة أو هدف .. وهدف المجتمع المسلم هو العيش في سلام العبادة والتوحيد والدعوة إلى الله ، فاذا اعترضت السيوف هذا الهدف لجأ الاسلام إلى الحرب .

ويشهد التاريخ للاسلام ان سيفه لم يرتفع الا كما يرتفع مبضع الجراح ، وفي جميع المرات التي سقط فيها ضوء الشمس أو ضوء القمر على سيف الاسلام ، كانت الحياة ترتد إلى الشفاء وتعود لها الصحة .

وفي الدول التى دخلها المسلمون ، كانوا يبدأون بالدعوة إلى الله ، من آمن بهم صار له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن شاء ان يظل على دينه الكتابى بقى عليه ودفع الجزية ، وهى ثمن حماية المسلمين له ودفاعهم عنه ، ومن رفض هذا وذاك ورفع سيفه على المسلمين رد الاسلام عن نفسه بالسيف .

اي حرية يمنحها نظام في الأرض للناس مثل حرية الاسلام ..

هذا هو موقف الاسلام من قضية الحرية ..

كيف طبق هذا الموقف في عهد الرسول والخلفاء الراشدين ؟ .

احمد بهجت

اضغاث احلام

قصة بين مصر وفلسطين

فيما قبل ابتلاء مصر بالاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢ ، لم يكن اهالى سيناء بدوا وحضرا يعترفون بوجود حدود بين مصر وجنوب الشام (فلسطين) وكنت ترى القبيلة او العائلة لها فروع ممتدة بين محافظة الشرقية (عبر سيناء) وارجاء الشام ، وبلغ الامتزاج بين مصر وجنوب الشام (فلسطين) ان القوم فى سيناء الشمالية يعتبرون البحر الابيض المتوسط واقعاً الى (الغرب) فيقول الواحد للآخر (انا اليوم مُغَرِّبٌ الى البحر) وذلك لأن البحر جغرافياً يقع غرب الشام جملة ، بينما هو فى سيناء واقع جغرافياً الى الشمال ، وتلك ولا شك ظاهرة من ظواهر الوحدة صنعها التاريخ ... وكنا صغارا قبل نكبة سنة ١٩٤٨ ، حين يخرج اهلونا على ظهور الابل لحضور موسم الحصاد فى فلسطين حول (غزة وبئر سبع والعوجة وعبسان وبنى سهيلة والمنطار) ، نسمع العجائز يدعين لهم بالسلامة والتوفيق ويختمون الدعاء بقولهن « الله ينجيكم من أولاد .....) وكنا انذاك لانعرف معنى « أولاد ..... » ولا ندرك لها بعدا ..... وقبل نكبة سنة ١٩٦٧ ، قرات فى صحيفة محترمة بحثاً ضافياً قام به رتل من اساتذة الجامعات ، يفيد بانه قد ثبت لهم بالبحث الدقيق والتحرى الصبور ان عدد المواليد (الذين لايعرف اباؤهم) منذ وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها سنة ١٩٤٥ ، يبلغ فى دولة (ما) ما لايقل عن ٤٠٪ بالكمال والتمام ، ممن يولدون فى تلك الدولة .... وعند ذاك تذكرت دعوات العجائز للرجال الذين كانوا يذهبون للحصيد فى فلسطين (قبل سنة ١٩٤٨ طبعا) ، إذ لاشك ان عددا وفيرا من اولئك (الأربعين فى المائة) قد بلغوا فى هذه الفترة من الزمان مبلغ الرجال ، وآلت الى بعضهم ، لاشك ، كثير من مقاليد الأمور ، حلا وربطا فى السياسة العالمية ، بخفاياها الرهيبة ، سلماً وحرباً ، وان اقرانا لهؤلاء فى تلك الدولة قد ظهروا ، فى دول اخرى ، وان الجميع يشكلون اليوم عصبة ، لاتجدى فى قمعها دعوات عجائز العالم كله من (صالحات) اليهود والنصارى والمسلمين ولو كان بعضهن لبعض ظهيرا وان مايعانيه المستضعفون فى ارجاء الارض ممن يسمون بالدول (النامية) إنما هو من نسج أولئك الرجال الذين كانت عجائزنا يخفن منهم على الحصادين ... وانه لابد من قناعة تصل الى نخاع العظام وكريات الدم وخلايا الانسجة كلها (بما فيها انسجة المخ والاعصاب) إلى انه لا نجاة للمستضعفين من شعوب الأرض إلا بوقفة صادقة حازمة تجاه تلك (العصبة) من الرجال الذين (لا آباء معروفين لهم) ، بعيدة عن الخطابة والعنتريات والنفاق (الظاهر والخفى) ، لتضع حدا لهذا التيار الكاسح الذى ينفثون سمومهم به فى المجتمع البشرى باخلاقيات الغاب ، وسلوكيات الفيكروبات والجراثيم ..... وليكن البدء الجاد ، وخاصة فى بلاد الاسلام والعروبة بالصوم لمدة عام كامل ، عن شراء كل الكماليات التى عاش اجدادنا (اصحاء اقوياء عظماء سعداء) ، قروناً مئين ، على ظهر هذه الصحراء بين المحيط والخليج ، بدونها . وليحزم كل منا ، حاكماً او محكوماً ، امره على الاكتفاء بما تحت يديه من مقتنيات ، لفترة الصوم المقترحة ، لا يستجيب لأوامر النفس فى اقتناء شىء جديد قط ، ايا كان هذا الشىء ، وانا واثق كل الثقة اننا بهذا الصوم لن نموت ، ولكننا سنثبت اننا قادرون على مجابهة كل ما يحيط بنا من بلاء ، وما يرصد لمستقبلنا من فناء ..... وستنمو بداخلنا قدرات جديدة للتحدى ، وسندرك ان اول انحطاطنا كان عدم القدرة على كبح جماح انفسنا إزاء التطلعات الغريبة ، التى ادت باولئك الى اختراع اجهزة ومعدات (لنا نحن خصيصاً) لكى نسترسل فى تحطيم كل مقومات تراثنا وكرامتنا وعزتنا ..... وفى اعتقادى أن مواجهة من هذا النوع ، الصوم ، عن بعض الحلال ، فضلا عن الحرام ، سوف تكون المنطلق الصحيح ، لتحقيق مضمون دعوات عجائز سيناء للحصادين الذين كانوا يتوجهون إلى فلسطين ....

درويش مصطفى الفار

اصيب الحاضرون بالملل وهم يستمعون إلى خطبة طويلة يلقى بها احد الثقلاء فى نهاية الحفل مما حدا باحدهم ، وكان يجلس فى الصفوف الخلفية ، ان يقوم بالقاء زجاجة فارغة فى اتجاه الخطيب ولكن الزجاجة اخطات طريقها إلى راس احد الجالسين جواره مما ادى إلى إغمائه وبعد عدة محاولات مضنية قام بها الحضور لانعاشه رفع المجنى عليه راسه ونطق هامسا :

« ارجو ضربى مرة اخرى فان صوته مازال يرن فى اذنى »

اراد احد الشبان ان يدخل السرور على قلب جدته التى كان يعلم انها قد اوصت له بجزء من ثروتها فاشترى ببغاء وقضى اكثر من عام كامل يلقنها مقاطع من شعر وليام شكسبير وكان يعرف مدى ولع جدته باشعاره ثم بعث إليها بالببغاء .

وبعد إنقضاء اسبوع على إرساله لهديته اتصل بجدته يسالها عما إذا كانت قد استلمت الطائر

فردت عليه « نعم .واشكرك عليه فقد كان شهيا »

الحياة العربية
بين المعقولية واللامعقولية

د. حافظ الجمالي

منذ مدة تزيد على السنة ، كتب الشاعر اللامع (أدونيس) مقالا في صحيفة بيروتية تساءل فيه بصورة لا أوضح ولا أصرح ، عن السبب الذي يجعل (الغرب) كلي القدرة ويجعل أمتنا كلية العجز ؟ ومع انني قرأت هذا المقال منذ أشهر كثيرة ، فاني لم أنسه قط . الا أنني ذكرته اليوم بعنف اكبر ، وأنا أشتري قطعة تبديل تافهة للسيارة ، ماتخيلت قط أنها تساوي اكثر من خمس ليرات سورية ، لانها سهلة ، يسيرة ، بسيطة الى أبعد حد ، ولاأظن انها بحاجة الى علم هام يزيد على ما يعرفه كهربائي بسيط ، وعندما أظهرت عجبي من غلاء السعر ، قال لي صاحب المتجر ، وماذا تظن أن الدول المصنعة تفعل ؟ اننا متى زدنا عليها سعر النفط ، بنسبة ٥٪ ردت هي فورا بزيادة أسعار منتجاتها بنسبة ٣٠٪ . ومع ذلك فقد قدرت أنها لو زادتها مئة بالمئة لما كان لهذه القطعة التي أشتريها أن تبلغ نصف الثمن الذي دفعته ، لا ريب اذن أن أسعار المواد المصنعة ، هي في الاصل مرتفعة جدا ، بصورة غير معقولة ، ولكن عملية النهب بالمعنى الصريح للكلمة قانون سلوك للغرب تجاه الشرق ، مادام هذا الاخير لا يرفض أن ينهب. ولا أضرب هنا الا مثلا واحدا ، فلقد زرت عام ١٩٧٢ ، فيما أظن ، معامل فيات ، السيارات الايطالية المشهورة، وطرحت على مستقبلي هذا السؤال الخاص : ترى ماذا يكون ثمن أية سيارة من سياراتكم ، لو اشتريتها أنا كأجزاء متفرقة ، كل على حدة ، ثم جمعتها لتكون سيارة ؟ وبتعبير لا أبسط ، ولا أوضح ، كان الجواب: أن الثمن سيتضاعف عشر مرات تقريبا . حقا ان الغرب كلي القدرة ونحن كليو العجز ، ولكن لماذا ؟

التساؤل المؤلم

ومن الممكن ولا ريب ، أن يخطر هذا السؤال على بال الغربي ، والشرقي معا ، بل على بال اول هذين الاثنين قبل الآخر ، حتما ، وعلى سبيل المثال أيضا ، اذكر ان اول من طرح هذا السؤال على نفسه بالنسبة الى الشرق ، كان طبيبا فرنسيا ، اسمه « برنييه » وذلك منذ عام ١٦٧٠م اي قبل انفجار الثورة الفرنسية بما يزيد عن مئة وعشرين

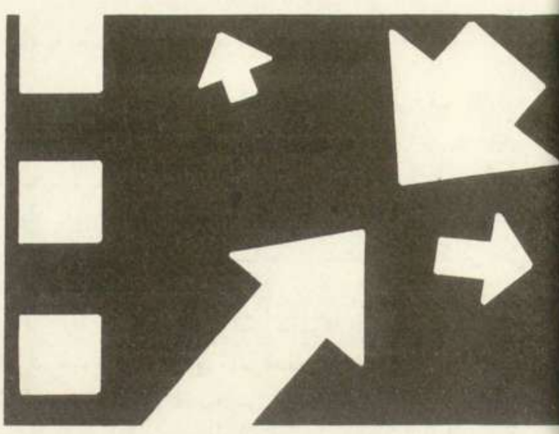

عمليـة النهب قانون سلوك الغرب تجـاه الشـرق

العربي يطرح السؤال مجروح الكبرياء .. والغربي يطرحه متألمـا

جنسية الأخبار غير الطيبة .. دائمـا غير عربيـة !

المشـكلات العربيـة لا ينجو منهـا الأغنيـاء والفقـراء

إذا كان الرغيف غير مضمون .. فما هو المضمون إذن ؟!

معادلة صعبـة : عندما يتقدم التخلف ويتخلف التقدم !

عاما ، وكان هذا الطبيب قد عمل في بلاط الامبراطور المغولي « أورانغ ـ زيب » وبقي لديه حوالي الثماني سنوات ، وقضى أربعا أخرى في الهند ، وكان قبل ذلك قد زار مصر وسورية ، ولم يعد الى فرنسا الا عام ١٦٦٨ ، اي بعد أن غاب عنهـا أربع عشرة سنة ، وكتب لدي عودته قصة رحـلاته بين عامي ١٦٧٠ ـ ١٦٧١ ، وطرح على نفسه فيها قصة تخلف الشرق ، وما يمكن أن يكون سببا لهـا • وبطبيعة الحال ، فانه لم يتساءل هذا السؤال ، يوم كتابته أو نشره لمـا كتب حول رحلته ، وفي ذلك اليوم بالضبط ، بل انه حتما كان يطرحه على نفسه من قبل • ولو أن بلاده كانت في مثل التخلف الذي عرفه لدينا ، لمـا كان له أن يطرح هذا السؤال • لكن الفـرق كان من الكبر بحيث اضطره الى طرح هـذا التساؤل ، اذ لا حساسية الا مـع الاختـلاف ، والفرق ، بين حـال وأخرى • وكان يجب أن ننتظـر صيحات الافغاني حـوالي الستينات من القرن الماضي ، حتى يطرح هذا السـؤال عندنا ، طـرحا نظريا وعمليا •

ولقـد قلت ان من الممـكن ـ ولا ريب ـ أن يخطر هذا السؤال على بال الغربي ، والشرقي معـا ، متى كان في ذهنه متسع للتساؤل عن غير ما يهم حياته الفردية ، في اضيق الحدود ، الا أن الوضع النفسي في الحالتين مختلف جدا • فالعربي يطرح هذا السؤال ، بائسا قلقا ، مجروح الكبرياء ، مفعما بالشعور بالنقص • أما الغربي فانه يطرحه بشيء من الالم ، على ما لابد منه ، ولكن من موقع الهدوء • والاطمئنان• والشعور بالتفوق ، والاسف الانساني على الشرقيين المساكين ، وبالجملة ان طرحـه أقـرب الى التسـاؤلات الأكاديمية ، أما طرحنا ، فانه يختلط بأعماق حيـاتنا ، اختـلاطا قويا ويملؤها قلقا ، وبالجملة انه لدينا سؤال « حياتي » لا أكاديمي •

لا احب الاخبار

ولأعتـرف هنـا انني لا أحب الاستماع الى الاخبار لا في الصحف ، ولا في الاذاعات ، ولا سيما المحلية منها • ذلك أن الاخبار لا تعدو أن تكون مفـرحة ، أو مسيئة • أمـا المفرحة ، فليست من حصـتنا • وعندما نسمع هذا النوع من الاخبار (كصنع طائرة جديدة ، أو سـلاح أكثر تدميرا ، أو عقار شـاف من بعض الامراض ، أو حصول احـد النابهين على جائزة نوبل ••• الخ) فنحن نعرف سلفا أنه لا يخصنا • أما اذا سمعنا أخبارا سيئة (كالتوتر بين جهتين عربيتين ، أو الهجوم على جنوب لبنان ، أو قتل بعض القادة العرب في بيروت او في العواصم الغربية ، أو انخفاض سعر الدولار، وخسارة بعض المليارات من الودائع العربية) فان من المؤكد أنها تخصنا حتما • ان جنسية الاخبار الطيبة هي دوما غير عربية •

وفي يوم من أيام القرن الثاني عشر ، كان هنالك راهب فرنسي مشهور ، اسمه أبيلار ، وكانت لـه آراء في العقيدة الكاثوليكية تعرضه احيانا لنقد زملائه والاحبار الكبار أو الصغار فكتب يقول : ما من مرة سمعت بالتداعي لاجتماع يعقد بين رجال الكنيسة ، الا قلت في نفسي: لا ريب أنه اجتماع يعقد لادانتي بالهرطقة • وأقول أنا ، بوحي من هذه العبارة ، انه ما من مرة قيل لي هنالك خبر أو جملة اخبار أذيعت ، الا قلت في نفسي : ترى كم سيكون وزن البؤس الـذي ستضـيفه الى حياتنا • وعندما يخطر في بالي أن ذلك يصدر مني عن طبع متشائم ، واحاول أن أبحث لدي الآخرين عن مبررات للتفاؤل ، فيقينا لا أجده لديهم الا لغة واحدة ، كل مضمونها الخوف والاضطراب والتمزق •

المشكلات المتزايدة التعقيد

وبطبيعة الحـال ، فان المشكلات العربية ، كثيرة ، « مفرطة الكثرة والخطـورة معا » ، لا ينجو منهـا لا أغنيـاء العـرب ولا فقراؤهم ، لا السـابقون الى الحضـارة ، ولا المتخلفون فيها ، لا أصحاب النظم التقدمية ، ولا الاكثر اغراقا فـي الرجعيـة ، لا الـذين أكثروا من التصنيع ، ولا الذين أقلوا منه • واترك الآن مشـكلة اسرائيـل ، واللاجئين الفلسطينيين ، وتزايـد عـدد المستوطنات الاسرائيلية فـي

ما من مشكلة لدينا تعرف طريقها إلى الحل! أقل الأدوات استعمالاً في حياتنا هو العقل!!

الضفة الغربية ، وجنوب لبنان ، وصور الامية العلمية والحضارية التي نعاني منها ، وأقف على ما جرت العادة على تسميته بمشكلة الامن الغذائي في الوطن العربي ، لأوضح كيف أنها ليست مشكلة قائمة ، منذ سنوات غير قليلة ، بل كيف أنها مشكلة تزداد حدة ، يوما بعد يوم ، على الرغم من كل ما يقال عن الجهود المبذولة لحلها ·

ففي كتاب « السكان والتربية والتنمية في البلاد العربية ، الصادر عن مكتب اليونسكو الاقليمي للتربية في البلاد العربية ، عام ١٩٧٧ في بيروت ، أن سكان الوطن العربي ، سيتراوح عددهم آخر هذا القرن ، بين حد أعلى هو ٣٢٨ مليونا ، وحد أدنى هو ٢٦٦ مليونا · أقرأ ذلك في هذا الكتاب ، وأذكر مباشرة أن بلادنا استوردت في ذلك العام (٧٧) ما يعادل ٤٩٪ من حاجتها الى القمح، أي النصف تقريبا ، وأن سورية بالذات ، على سعة مواردها الزراعية – كما يقال عادة – استوردت في تلك السنة نفسها ١٩٠ الف طن (و ٩٪ من جميع المستوردات العربية) مما يعني أنها استوردت أكثر من النسبة التي تستحقها ، بالقياس الى نسبة سكانها الى مجموع سكان البلاد العربية ، اذ أنها لا تزيد على ٦ر٥٪ من مجموع العرب ، ومع ذلك فانها تستورد ٩٪ مما استوردوه وبشيء من القسر ، نقول انها هي الاخرى استوردت نصف حاجتها ، كما يفعل العرب جملة ·

وأتساءل هنا : اذا كان رغيفنا غير مضمون فماذا عساه اذن أن يكون مضمونا من السلع الاخرى ؟ وهذا الشعب الذي لا ينتج من عمله وأرضه ، حتى الغذاء الذي هو بحاجة اليه ، أتراه يغطي هذا النقص مما ينتجه من سيارات ، وأدوات ، ومصانع ، ومعامل ؟

وأطرف ما في هذا كله ان هكتارنا ينتج في المتوسط ١٠٤٤ر٤ كج من القمح ، مقابل متوسط عالمي هو ١٨٩٤ كج ومتوسط للبلاد النامية قدره ١١٩٨ ، ومتوسط آخر للبلاد المتقدمة هو ٢١٧٥ كج ، أي أننا ننتج ما يعادل ٦٢ر٧٪ من الانتاجية العالمية و ٤٨٪ من انتاجية المتقدمين· يا الله ما أعظمنا ! اننا لم نطق مضاهاة هؤلاء تقدما ، فبارزنا المتخلفين في التخلف ، وفي هذه المرة كان فوزنا عظيما ! لكن هذا المثل ليس الا مثلا ، وفي وسعنا تعميمه على أكثر المحاصيل الاخرى · ما أرقى ما نفعل ومتى ؟ تماما في الوقت الذي يعاني العالم كله من أزمة المجاعة ، وتأمين غذاء المستقبل ، ونعاني نحن فوق ذلك أزمة في الامن على الوجود ، ترى هل يتقدم لدينا شيء غير التخلف ؟ وهل يتخلف شيء غير التقدم ؟ وهل ما ننتجه بعراقتنا في عالم الزراعة سيكون أقل أو أكثر مما ننتجه بعراقتنا المشهورة التقليدية ، في عالم الصناعة ؟

معاناة المواطن

ومنذ عام ١٩٤٨ على الاقل ، يشعر كل عربي بذل خارجي ، مصدره ان كل العرب لم يستطيعوا حماية اخوانهم في فلسطين · وقامت اسرائيل كسيف مصلت على كل الرقاب العربية ، وجاءت نكبة ١٩٥٦ ثم نكبة ١٩٦٧ ، فأكد هذا كله مشاعر الذل التي لم يقدر لجيل عربي آخر ان يشعر بمثلها الا في أيام الصليبيين ، والمغول ، ولكن دون أن تعدم تلك الاجيال ظروفا ملائمة أحيانا ، تسترد بها الكرامة ، وتستعيد الشعور بالثقة ، وجاءت الخاتمة فمحت الذل ، نهائيا ، وقضت عليه · أما لدينا فنستطيع أن نؤكد أنه ما من مشكلة تعرف لدينا طريقها الى الحل ولو صح ذلك لكان الامر عجيبا ، وكيف يمكن في ظروف الذل الخارجي والداخلي معا ، أن يملك المواطن من العزم ، ما يقاوم به أي شيء ؟ ان في وسعنا الاطمئنان الى ان كل يوم سيفاجئنا بمشكلة ، كالمريض الضعيف البنية ، الذي يرحب جسمه بكل جرثومة طائرة في الهواء ، فيزيد بها أمراضه دون أن يقوى على شفاء نفسه من أي مرض سابق ، ولهذا كان من الواضح أن مشكلاتنا العربية في عام ٧٩ أكبر منها في عام ٧٣ وفي عام ١٩٦٧ اكبر منها في عام ١٩٥٦ وفي هذا العام الاخير أكبر منها في عام ١٩٤٨ ، وأخشى ما أخشاه أن يتتابع عمل هذا القانون للعقود التالية ، فنكون عام ١٩٨٥ أسوأ من عام ١٩٨٠ · فاذا حدث هذا ، فليس هناك أي مجال للاستغراب ·

المعقولية واللامعقولية

والسؤال الآن : هل نفكر جديا بحل مشكلاتنا ويتأبى علينا حلها ؟ أما عندي فانه ما من مشكلة تظل هي هي قبل التفكير بحلها وبعده · ولئن لم يستطع الفكر حل هذه المشكلة فانه يحل منها جزءا ، اليوم ، ليحل الجزء الآخر غدا ، واذا لم تحل المشكلات ، بأعمال الفكر فيها ، فبماذا عساها أن تحل ؟

وهكذا نستنتج منطقيا ، وحتى من ملاحظة الواقع ، أن أقل الادوات استعمالا في حياتنا هو العقل ، وان المفضل عليه دوما ، هو الرغبات والمصالح الآنية ، والنزوات الطائشة دون تفكير ، أو بأقل تفكير ممكن · وأصبح الصحيح هو أن حياتنا تشكو ما تشكو منه ، لا من فيض المعقولية، ولكن من فيض اللامعقولية · ولئن كان الغرب احتاج الى عقل ما ، لكي يتقدم ، فعلينا نحن ، لكي نلحق به ، أن نستخدم عقله مضاعفا ألف مرة ، ترى ماذا نفعل ، ونحن من نحن وما نحن ، ان لم نكن نختصر عقله ذاك الف مرة أو نقلبه فنضع رأسه مكان رجليه ، ورجليه مكان رأسه ؟

٢٢ فبراير

وجه جديد للحياة فى قطر

منذ ثمانية سنوات ـ وعلى وجه التحديد ـ فى يوم ٢٢ فبراير عام ١٩٧٢ ولدت حياة جديدة على أرض دولة قطر وادى هذا الميلاد الجديد الى إحداث نهضة شاملة ووثبة حضارية فى كافة ربوع البلاد ..

واصبح هذا اليوم الخالد مناسبة قومية فى تاريخ الشعب القطرى ، ففيه تولى سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى امير البلاد المفدى مقاليد الحكم بتاييد من كافة قطاعات الشعب التى تدرك تاريخ كفاحه المجيد ..

وانطلق بالبلاد ـ مجندا كافة الامكانيات ـ نحو تحقيق أهدافها فى التطور المنشود القائم على التنمية المثلى للموارد الاقتصادية ..

واستطاع فى سنوات قليلة أن يقيم صرح الدولة الفتية على قاعدة قوية واساس متين ، وبذلك احتلت دولة قطر مكانها المرموق على المستوى الداخلى والخارجى ..

حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر

سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة

الدوحة فى النهار

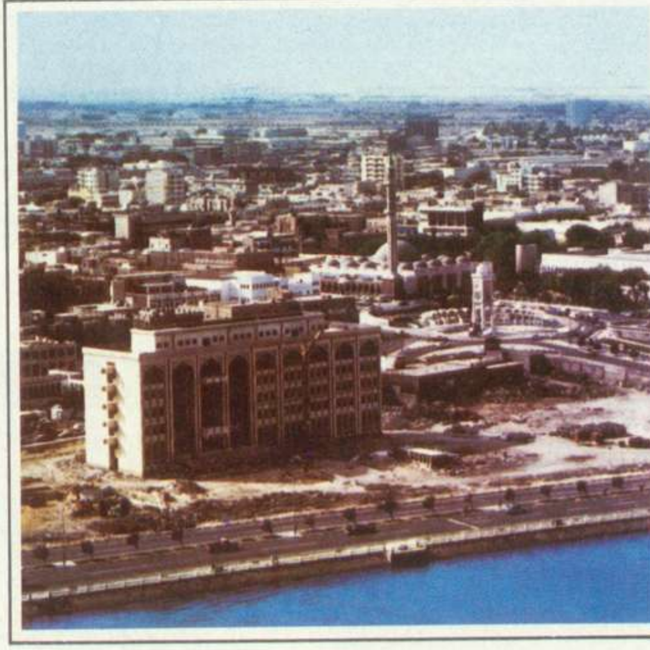

الدوحة فى الليل

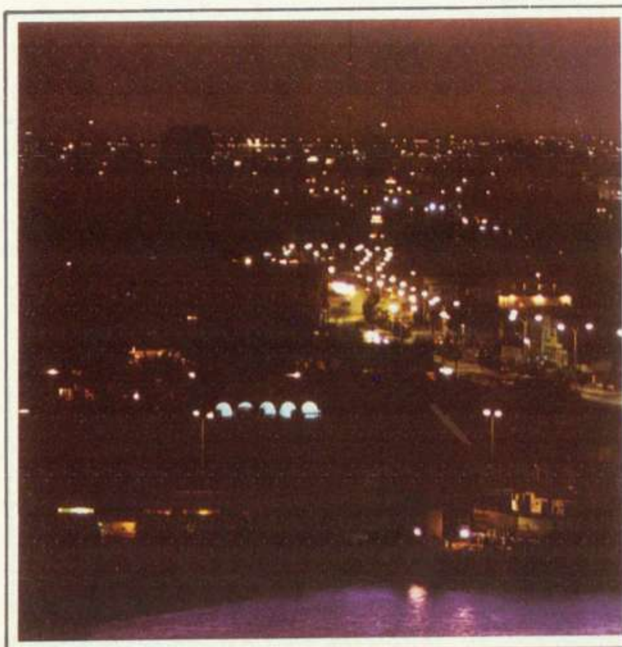

متطلبات التحديث

وخلال مشوار التطور المنشود ، اعتمدت دولة قطر فى تحقيق أهدافها على الانسان باعتباره غاية الغايات ، ودعامة الانتاج المستمر والمثمر فى كافة المجالات ، فوفرت له كل ما يحتاجه من الرعاية الاجتماعية إلى الخدمات العامة .. وحددت دور ذلك الانسان وقيمته بمدى مساهمته فى بناء المجتمع والارتقاء به الى المنزلة اللائقة ، فطريق الأمم لم يكن فى أى زمان أو مكان طريقاً مفروشاً بالورود ، ولكنه كان وسيظل دائماً كما قال – قائد المسيرة – طريقاً صعباً ، يتطلب من كل فرد فى المجتمع الناهض بذل أشق الجهود ، والحرص كل الحرص على تماسك وحدتنا الوطنية الخالصة ، وتعزيز روابط تعاوننا الاخوى الصادق ، بحيث يقدم كل منا لاخيه ، من موقع الخدمة العامة الذى يشغله ، كل ما يمكن من عون ومؤازرة ، تحقيقا لهدفنا المشترك ، وهو خير كل منا الفردى ، الذى يتكون من مجموعة خير مجتمعنا الجماعى ...

وحدد سمو الأمير المفدى الركائز الجوهرية التى يجب أن نعتمد عليها اثناء الاستجابة لمتطلبات التحديث وهى تنحصر فى : القيم التراثية السامية والتعلق بأهداب المثل العربية الرفيعة ، والحفاظ على أصالتنا الدينية التى نعتز بها كل الاعتزاز .. حتى نصون شخصيتنا القومية التى نتفاخر بها بين الأمم ..

خطوات التعليم

واتجه التعليم فى دولة قطر بخطوات واسعة نحو مجاله الرحيب ، بفضل توجيهات ورعاية قائد المسيرة ، ليساير ركب التطور ويواجه خطط "التنمية الطموحة فى البلاد بتوفير الكفاءات فى كافة المجالات .. وبذلك وصل عدد الطلاب والطالبات هذا العام الى أكثر من ٣٨ الف طالب وطالبه فى المدارس ، وهذا بخلاف ٥٢٩٢ دارس ودارسة فى مراكز محو الأمية وتعليم الكبار ..

كما احتلت جامعة قطر مكانة مرموقة بسعيها المستمر للوصول الى آفاق جديدة ورحاب أفسح ، ووصل عدد طلبتها هذا العام إلى ٢٥٠٠ طالب وطالبة منهم ٦٠٠ طالب وطالبة من المستجدين ، وأصبح فى رحابها معيدون ومدرسون من أبناء قطر ، وتم إيفاد البعض للحصول على درجة الدكتوراه من الخارج ..

وقد بلغ عدد البعثات للدراسات الجامعية والعليا ٢٧٩٣ طالباً وطالبة عن العام ١٩٧٩ ، أى بزيادة ٣٦٧ طالباً وطالبة عن العام الذى قبله !

رعاية الشباب

ولكى تتم تنمية الشباب بالصورة اللائقة والمعبرة عن أهداف الأمة ، تم إنشاء المجلس الأعلى لرعاية الشباب برئاسة سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولى العهد ووزير الدفاع ، ليصبح هذا المجلس مسئولا عن كل ما يتعلق بشئون الشباب ، وفى هذا العام صدر قرار بانشاء أربعة أندية رياضية جديدة وزيادة مكافآت الأندية ومساعدتها فيما تدفعه من إيجارات سنوية ، حتى تقوم بمسئوليتها الكاملة فى نشر الرياضة بين النشء والارتفاع بمستوى الألعاب

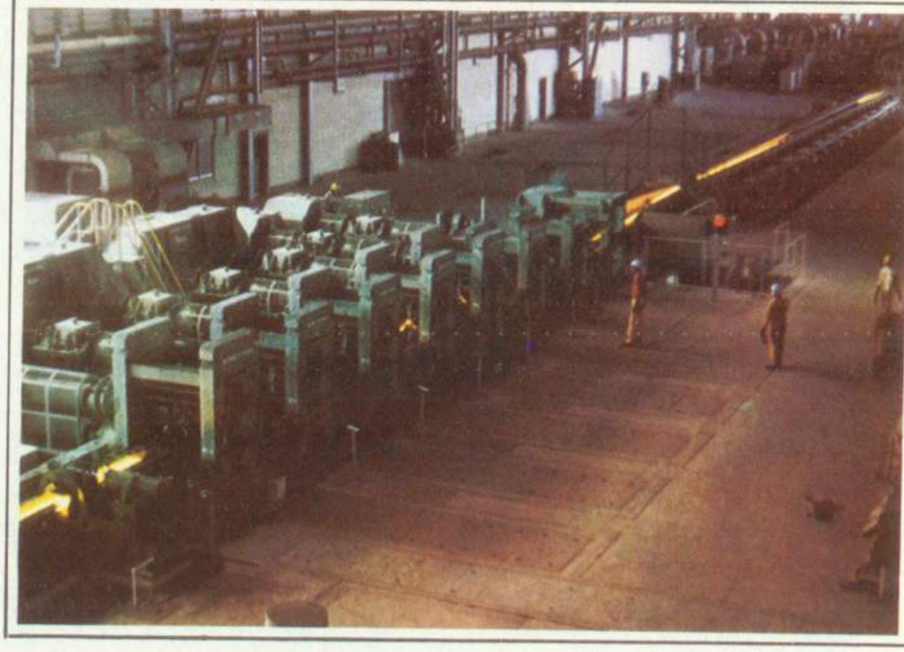

الشعبية ..

وإلى جوار الاندية الرياضية ، أصبح فى قطر اتحادات متعددة ، وأصبحت مدينة خليفة الرياضية من المعالم الرئيسية فى البلاد ، حيث يوجد بها استاد رياضى يتسع لحوالى ٤٠ ألف متفرج ، وفى السنوات القادمة تكتمل إنشاءاتها الرياضية ..

تنويع المصادر

وعلى أرض قطر تجرى اليوم نهضة صناعية كبرى ، تمثل علامة بارزة ومضيئة فى البناء الشامخ الذى يرتفع يوما بعد يوم ، معتمدا على المبادىء التى أرساها سمو أمير البلاد المفدى ، والتى وضعت نصب أعينها تنويع مصادر الدخل فى البلاد ..

وبعد السيطرة على الثروة النفطية فى البلاد التى يبلغ إنتاجها الحالى حوالى نصف مليون برميل يوميا ، بدأت نهضة صناعية كبرى لاقامة الصناعات القادرة على الانطلاق والنمو والمنافسة فى الاسواق ..

وفى ميزانية هذا العام بلغت مخصصات تمويل المشروعات الصناعية ٢ر١٦٦٥ مليون ريال ، مقابل ١٠٦٤ مليون ريال للسنة السابقة ، أى بزيادة بلغت نسبتها حوالى ٦٠ فى المائة ، وذلك بالاضافة إلى ملخصص لاستكمال المشروعات الصناعية أو الانشاءات اللازمة ..

وجه الصناعة

وهكذا نرى أن عصر البترول الذى فرض نفسه على الحياة فى الوقت الحاضر ، اندفع بكل طاقته ليجعل من الانتاج الصناعى هدفا جديدا للبلاد ..

وفى صناعة الحديد والصلب بلغت الزيادة فى الانتاج هذا العام ـ عن الخطة الموضوعة ـ حوالى أربعين ألف طن من القضبان الحديدية ، ووصل إنتاجه فى النصف الأول من عام ١٩٧٩ إلى ١٨٠ ألف و ٢٠٢ طن ، وارتفع فى النصف الثانى لنفس العام ليصل إلى ١٩٦ ألفا و ٥٧٢ طنا ، وبذلك وصل إجمالى انتاج المصنع فى العام الأخير حوالى ٣٧٧ ألف طن من القضبان ..

ومصنع انتاج الأسمدة الكيماوية وصل انتاجه فى عام ١٩٧٩ إلى ٣٦٠ ألف طن من الأمونيا و ٤٧٥ ألف طن من سماد اليوريا ، بزيادة فى الانتاج ـ عن الخطة الموضوعة ـ حوالى ٤٠ ألف طن أمونيا و ٦٠ ألف طن من سماد اليوريا ..

ويتم الآن بناء مصفاة جديدة للبترول تصل طاقتها الانتاجية إلى خمسين ألف برميل يوميا ، وستضم هذه المصفاة وحدة لأنتاج الأسفلت لمواجهة المشروعات الانتاجية والعمرانية فى البلاد .. أما المصفاة الأولى فقد أجريت عليها عدة تحسينات .

وقد الحق بمصنع الأسمنت ـ الذى يبلغ انتاجه ٣٣٠ ألف طن سنويا ـ مصنع الانتاج الجير الحى وبعد اضافة الفرن الرابع للمصنع ستزداد طاقته الانتاجية بمقدار ٣٠٠ ألف طن سنويا ..

وقد بدأت الدولة فى تنفيذ مشروع كبير لتسييل الغاز المصاحب للبترول المستخرج من البر والبحر ، ستصل تكاليفه إلى ١٧٠٠ مليون ريال قطرى ، ويضم المشروع وحدتين خصصت احداهما لتسييل الغاز البرى والاخرى للبحرى ، ويبدأ انتاج الوحدة الأولى فى عام ١٩٨٠ .. أما بالنسبة للغاز غير المصاحب ، فقد أعدت الدولة الدراسات الاقتصادية لاستغلال هذا الانتاج الهائل من الغاز لتسييله والاستفادة من الغازات المستخرجة فى التنمية الاقتصادية للدولة ، وقد قدرت التكاليف المبدئية لهذا المشروع بحوالى ٣٥٠٠ مليون دولار ..

ويتم بالتعاون مع فرنسا إقامة مصنعين للبتروكيماويات احدهما فى فرنسا والآخر فى قطر ، وافتتح المصنع الأول فى مدينة دنكرك الفرنسية فى العام الماضى لينتج ٢٢٥ ألف طن إيثلين و ١٤٠ ألف طن بولى إثيلين سنويا ، اما المصنع المقام على أرض قطر فسيبدأ إنتاجه بطاقة إنتاجية تصل إلى ٤٢٠ ألف طن سنويا ، وذلك فى عام ١٩٨٠ ..

وهذا غير الصناعات الاخرى القائمة ، والصناعات المستقبلية التى يعكف المتخصصون فى المركز الفنى للتنمية الصناعية على دراستها ومدى ملاءمتها للموارد والاحتياجات ..

خدمات للازدهار

وتهتم دولة قطر بالتنمية التجارية وتعمل على ازدهارها باقامة كل ما تحتاجه من مرافق اقتصادية وشبكات ضخمة من الطرق البرية ، وهذا بخلاف التسهيلات اللازمة فى الموانيء البحرية والجوية ، علاوة على إنشاء وتطوير شبكات الاتصال السلكية واللاسلكية التى تم فيها إضافة ١٧ ألف خط هاتفى جديد خلال ثلاث سنوات ، وتم تشغيل بدالة التلكس الأوتوماتيكية ، وعن طريق المحطة الارضية للاتصالات الفضائية يتم نقل المخابرات الهاتفية والبرقية مباشرة مع جميع البلدان .. وتجرى الدراسات حالياً لانشاء المحطة الأرضية الجديدة للاتصالات الفضائية مع المحيط الاطلسى ، لتتيح الاتصال المباشر مع كندا والولايات المتحدة الأمريكية ودول أمريكا اللاتينية ..

وفى مجال توليد الكهرباء يتم تركيب وتشغيل وحدات التوربين القوية الجديدة فى مناطق متفرقة من البلاد ، لتوليد الكهرباء وتحلية المياه ..

وكذلك فقد امتدت شبكات المياه بالأنابيب إلى ١٢ منطقة فى الدوحة ، وتم بناء العديد من خزانات المياه الأرضية ، وهذا غير الانتهاء من شبكة المياه فى مدينة أم سعيد وتمديد خط مياه محطة تقطير أبو فنطاس إلى الخزانات وخطوط دفع المياه فى مناطق عديدة ، وقد أنشئت وحدات تقطير المياه فى رأس أبو عبود ورأس أبو فنطاس .. وفى مدينة أم سعيد والدوحة يتم إنشاء خزانات أرضية وأبراج للمياه

مزارع خاصة

واهتمت الدولة بالزراعة ، وأدرجت المخصصات اللازمة لاقامة المزارع الخاصة بالتجارب المستخدمةفى دراسة وتحسين الانتاج الزراعى ، واعداد مسح شامل لمعرفة امكانية الاستفادة من الأرض الزراعية والمياه الجوفية ومصادر المياه الأخرى للرى والتشجير ، وقد تم حفر أكثر من ١٥٠٠٠ بئر فى مناطق متعددة فى البلاد ، واجراء مسح مائى فى أكثر من ٤٦٦ مزرعة .. وتوصلت الدراسات إلى أن مساحة الأراضى الصالحة للزراعة فى قطر تبلغ ٢٨ ألف هكتار بينما المساحة المزروعة منها ٧ آلاف هكتار ..

وقد أنشئت ثلاثة مراكز للارشاد والخدمات الزراعية كما تم زراعة أشجار الغابات فى مختلف مناطق البلاد.

وهذا بالأضافة إلى الاهتمام بالثروة الحيوانية ، ففى مزرعة أبو سمرة أصبح فيها ١٣ ألف رأس غنم تعطى سنويا خمسة آلاف رأس معد للذبح ، وأصبحت مزرعة الأبقار الحلوب فى منطقة أم قرن

طفولة المستقبل

مهرجانات رياضية

الأرض الخضراء

الرعاية الصحية

جامعة قطر

تضم فى مرحلتها الأولى ٣٥٠ بقرة وتعطى أكثر من ألف طن من الحليب سنويا ، ويلحق بها مصنع للألبان ..

ووصل الانتاج من البيض والدجاج إلى مليون دجاجة وعشرة ملايين بيضة سنوياً ...

وتجرى الدراسات الضرورية لتطوير استخدام الثروة السمكية من أجل التصدير ، وانتهت دراسات المشروع الاقليمى لمسح وتنمية الثروة السمكية فى عام ١٩٧٩ ..

صحة المواطن ومستوى المعيشة

وتعتبر صحة المواطن من الركائز الاساسية فى المجتمع ، ولذا توفر الخدمات الطبية بالمجان للجميع .. وفى مدينة الدوحة وحدها ١٥ مستشفى .. وأحدث مستشفى ينفذ الآن هو مستشفى حمد العام الذى يرتفع خمسة طوابق ويضم عددا من الأجنحة ، وبه أحدث وسائل التقدم التكنولوجى فى عالم الطب ..

وتنتشر المستوصفات والمراكز الطبية فى جميع انحاء البلاد ، وهناك مركز للتدريب الصحى فى الدوحة ..

ويطبق قسم الصيدلة قانون مزاولة مهنة الصيدلة

وقد أصدر أمير البلاد المفدى فى الذكرى الثامنة للاستقلال قرارا أميرياً برفع مرتبات جميع العاملين المدنيين والعسكريين ، كما أصدر قرارا آخر برفع المعاش المستحق للأرامل والمطلقات والأيتام وحالتى العجز الكلى والشيخوخة ، ورفع الاعانة التى تمنح لطلبة المدارس من القطريين المحتاجين

وكما نعرف فان الدولة تعطى اهتماماً كبيرا لتوفير السكن الصحى لذوى الدخل المحدود ببناء المساكن وتوزيع الأراضى ..

الأعلام القطرى

وأهتمت الدولة بتطوير الأجهزة

مراقبة إنتاج البترول

الأعلامية ، حرصاً على الدور الكبير الذى يضطلع به الاعلام فى البناء الفكرى والاجتماعى المنشود ..

وقد رأينا جهود الاعلام القطرى داخل الاتحادات والاجتماعات والمؤتمرات الاعلامية

وفى مجال الاذاعة المسموعة فى قطر ، رأينا العديد من التطورات فى الارسال ومحتوى المادة الاذاعية من ناحية الكم والكيف ، فأصبحت اذاعة قطر تبث من خلال تسع محطات أرسال اذاعية ، لمدة ١٨ ساعة يومياً باللغة العربية ومثلها باللغة الانجليزية ، كما تم مع بداية هذا العام افتتاح محطات جديدة مثل محطة الاذاعة الشعبية والاذاعة باللغة الاردية

أما التلفزيون القطرى الذى افتتح فى عام ١٩٧٤ ، فهو يتابع اداء رسالته للمواطنين بصورة مشرقة .. وقد وصل متوسط ساعات الارسال اليومى فى محطة التليفزيون الى تسع ساعات ونصف يوميا ، وأصبحت البرامج المحلية تمثل ٤٠ ٪ من مجموع ساعات الارسال .. وقد افتتحت محطة تقوية الارسال بالجميلية .. وهناك عدة مشروعات جديدة لتطوير الخدمات التليفزيونية

ولتزويد الاذاعة والتلفزيون بالكفاءات والعناصر المدربة ، انشىء فى مدينة الدوحة أول مركز تدريب اذاعى وتلفزيونى فى منطقة الخليج ..

وفى مجال الاعلام المقروء ، تم فى أكتوبر ١٩٧٩ اصدار القانون الجديد للمطبوعات والنشر الذى يعتبر سياجا يحمى مصلحة المواطن من كل ما من شأنه الاضرار بمصالحه .. بالاضافة الى اصدار العديد من الكتب والنشرات واعداد الدراسات والابحاث وتوفير الصور والمعلومات وتوطيد العلاقات مع الصحف فى الداخل والخارج للتعريف بدولة قطر على كافة المستويات المحلية والعربية والعالمية

أما الصحافة القطرية فهى تحظى برعاية بالغة ، بعد أن أصبح هناك العديد من المؤسسات الصحفية المحلية التى تصدر الصحف والمجلات

وادارة الثقافة والفنون التى تطور الحركة الثقافية والفنية فى دولة قطر تشجع المواهب القطرية والحركة المسرحية وتستضيف العديد من رجالات الفكر والأدب خلال موسمها الثقافى وتقيم المهرجانات الشعبية المحلية وطبع كتب التراث وكتب الاطفال بمناسبة العام الدولى للطفل .. وتهتم بتسجيل التراث متمثلا فى الفرقة القطرية للفنون الشعبية والصناعات والحرف الشعبية ومن أحدث مشروعاتها التى ظهرت للوجود أول مرسم حر ، يضم الموهوبين فى الفنون التشكيلية .

التراث الحضارى

وفى حقل السياحة والآثار ، تتولى ادارة السياحة والآثار بدولة قطر مهمة الارتقاء بالمستوى السياحى والاثرى فى البلاد

وقد بدأت ادارة السياحة والاثار فى تنفيذ مشروع النادى السياحى البحرى ومشروع اقامة مظلات شمسية على الشواطىء ومشروع ترميم الابنية الاثرية والتاريخية

وأصبح متحف قطر الوطنى هو الصورة الصادقة لماضى قطر العريق وحاضرها

وبعد كل هذا العرض الموجز للنهضة الشاملة فى البلاد ، ألستم معنا فى أن هذه الأرض رأت ميلاد حياة جديدة فى يوم ٢٢ فبراير الخالد ؟ .

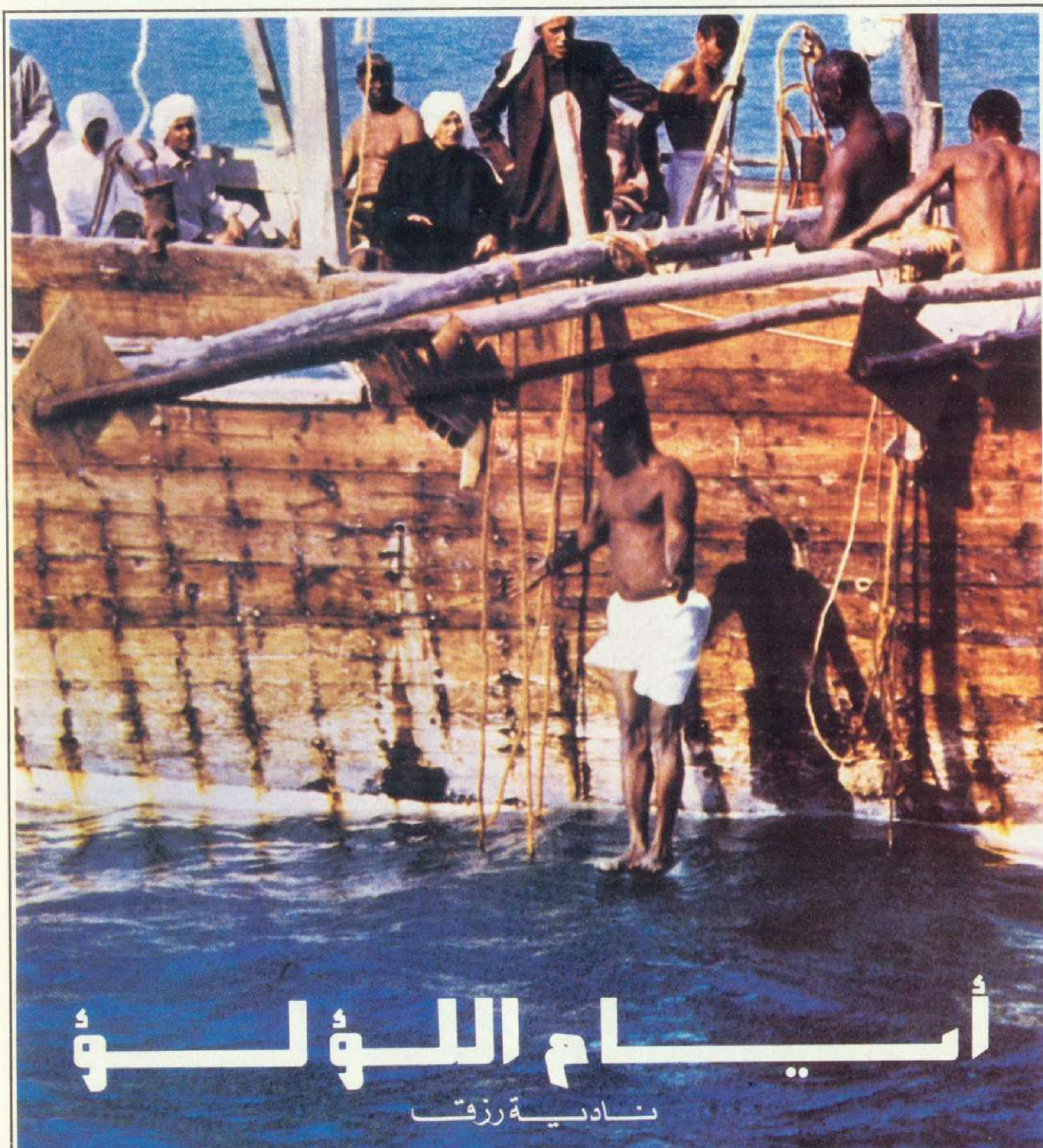

أيام اللؤلؤ

نادية رزق

إذا أردنا كتابة تاريخ الانسان القطرى خاصة ، والخليجى عامة ، فلابد من العودة الى البحر فالبحر هنا له تاريخ طويل لأنه يسجل عناد الانسان وتصميمه وطموحه وشموخه عبر رحلة الزمن .

وقبل ظهور البترول كان البحر هو كل شىء فى حياة الناس .. فهو مصدر فرحتهم حينما يعود الرجال سالمين محملين بالخيرات .. وهو أيضاً سبب حزنهم فى كثير من الاحوال ، حينما تغضب أمواجه وتاخذ فى طريقها السفن فتحطمها وتنهى حياة الغواصين الباحثين عن اللؤلؤ فى عصره الذهبى ..

سفن الغوص

ولو عدنا الى الوراء .. وعشنا بقلوبنا وعقولنا مع تلك الرحلات الطويلة والشاقة، لوجدناها مليئة بقصص وحكايات ذلك الغواص الذى ودع أهله وهو لا يدرى أى مجهول تخبئه له الأمواج !

وقد لا يتصور اليوم أى أحد ، مدى المتاعب والمشاق التى تحملها الرجال للحصول على حبات اللؤلؤ التى تزين بها المرأة أصبعها أو أذنيها أو تعلقها على صدرها فى قلادة جميلة !

فهذه المشاق تبدأ بالطبع منذ صناعة السفن الخاصة التى تعتمد عليها مهنة الغوص ، فهذه السفن تكون مصممة بطريقة تختلف عن سفن صيد الاسماك ، فهى مقسمة من فوق ، وبها عدة أماكن من الداخل تسمى « خن » تصلح لحفظ الطعام وبراميل الماء ، والحبال الكثيرة وأدوات الغوص وكل ما يتحتاجونه من مواد ..

وفى السفن الكبيرة كنت ترى أكثر من شراع وعدد من المجاديف التى يختلف حجمها ومهمتها فى مساعدة السفينة على السير باستقامة دون الميل لاحدى الناحيتين.

وكثيرا ما كان البحارة يستخدمون المجاديف لدفع السفينة عند اختفاء الهواء

كما كان بكل سفينة عدد من الأغطية التى يرفعونها على أعمدة لتحمى البحارة من لفحة الشمس الحارقة !

ويقول محمد طالب الدويك ــ أحد المهتمين بتجميع التراث الشعبى القطرى ، إن أصحاب تلك السفن كانوا يسمونها باسماء خاصة مثل الباشا ، والقائد ، وجالبوت ، وفتح الخير وغير ذلك .. كما كان التجار يوكلون صناعتها إلى أشخاص يسمون « قلافون » ، وكان الخشب فى ذلك الوقت متوفراً فى البلاد

وكانت مهنة صناعة السفن والمراكب مصدر رزق لكثير من أبناء البلد ، كما كان يتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد ، وكانت سفن الغوص إما كبيرة تكفى لحمل ثمانين شخصاً بمعداتهم وزادهم ، أو صغيرة تحمل ما بين عشرة إلى خمسة عشر فرداً بالمعدات والزاد أيضاً

ذكريات الماضى

وعندما التقيت باحد الغواصين القدامى الذين عاصروا زمن الغوص وعصر اللؤلؤ ــ واسمه سعيد البديد ــ قص علي بسعادة غامرة وشوقه الى تلك الأيام البعيدة ، التى لم تكن فيها النقود كثيرة، ورغم ذلك كان الجميع سعداء

البحارة يستخرجون اللؤلؤ بعد جمعه

برزقهم وملتفون حول بعضهم البعض ..

وقال إن الاستعداد لرحلة الغوص كان يبدأ قبل الاقلاع باشهر عديدة ، وبالتحديد فى نهاية فصل الشتاء .. وتستغرق خمسة شهور فى السنة وكان المسئول الأول عن تلك الاستعدادات « النواخدة » أو رئيس الغوص الذى يعتبر المرجع الاول والاخير بين البحارة عند حدوث اية خلافات .. وهو فى العادة ذو راى سديد ، وكلمة مسموعة ، حتى يستطيع أن يحظى بطاعة الجميع ، وحتى يتمكن من السير بالسفينة بدون مشاكل !

ومثل هذا النوع من الرجال يكون عليماً باصول الغوص ، واماكن تجمع اللؤلؤ ، ومتقناً لكل شئون العمل البحرى

كان « النواخذه » يجتمع ببحارته عند البداية ويعطيهم « التسجام » أى النقود والأرز والتمر ، كجزء من حساب الرحلة ، ثم يبدأ الجميع فى إعداد السفن واصلاحها ، وبعد الانتهاء من هذه المهمة يعطيهم سلفة أخرى تحت الحساب ..

وقد جرى العرف على أن يكون لرئيس الغوص نائب يسمى « المجدام » يحل مكانه عندما يكون مشغولا أو مريضاً ، وبالطبع لابد أن تتوافر فيه نفس شروط رئيس الغواصين ..

أما ربان السفينة فهو مسئول عن تسييرها فى الطرق البحرية الصحيحة حتى لاتتوه أو تصطدم بشىء

وكان جامع اللؤلؤ أو « الغيص » مسئولا عن النزول الى الماء واستخراج المحار الكامن بداخله حبات اللؤلؤ ، بينما يتابعه من فوق السفينة بحار يدعى « السيب » ، مسئول عن حياة الغواص طوال تواجده تحت الماء ، ومطلوب منه ان يكون يقظاً وحذرا ولماحاً ، يفهم الاشارات التى يرسلها له الغواص من تحت الماء ، ولو غفل ــ فقط لعدة ثوان فان حياة الغواص قد تضيع !

وهذا البحار اليقظ هو ايضاً الذى يساعد الغواص اثناء خروجه من الماء !

ومن رجال السفينة كان هناك عدة اشخاص آخرين مثل « الرضيف » الذى يقضى حاجات البحارة وطلباتهم ، فضلا عن المغنى الذى تصحبه بعض المراكب لبث الحماس فى النفوس أثناء العمل ، ولتسليتهم فى اوقات الفراغ بعد عناء يوم مشحون بالعمل .

أدوات الرحلة

كان الاستعداد للابحار يشتمل على تجهيز الأدوات التى يستخدمها البحارة أثناء رحلتهم ، مثل البدلة التى يرتديها « الغيص » وهى ليست بلون معين وتغطى الجسم كله حتى القدمين لحمايته من أذى الأسماك والأعشاب البحرية !

وكان الغواص يضع على انفه المشبك أو ما يسمى بالفطام ، وهو مصنوع من مادة جامدة .. وكان يضع يديه فى قطعة من الجلد ، ليحميها من الجروح التى تصيبه من جراء التلامس بالاعشاب البحرية الحادة ، وهذا بخلاف حجر كبير من الرصاص يزن حوالى ستة كيلو جرامات ، ليساعد على دفع الغواص بسرعة لأسفل !

وطوال فترة بقاء الغواص تحت الماء يمسك بيده حبلا ويعطى به إشارات للشخص الذى يمسك بطرفه الاخر فوق السفينة .. وهذا الحبل كان دائماً مربوطاً بوعاء ، له فتحات كالشبك يتدلى من رقبة الغواص ، ليضع فيه المحار بعد جمعه !

رحلة إلى المجهول

وفى بداية فصل الربيع ، كان الجميع يستعدون للرحيل ، وبعد تزويد المركب بالمؤن التى تحتاجها وادوات الطهى وفناطيس المياه وأدوات التسلية مثل الطبول والدفوف والشاى والقهوة .

وكان زاد السفينة يكفى حاجتهم لفترة شهرين !

وعندما يتم تجهيز كل ذلك يدفعون مراكبهم الى الماء ، ويفردون الاشرعة ، وتتجمع اسر البحارة على الشاطىء — من نساء وشيوخ وأطفال — لتوديع الرجال ..

ومن بعيد كانت النسوة تقفن على البر ، وعيونهن معلقة بالآباء والأبناء والأخوة وأولاد العم والخال ، الذين يجدفون بايديهم القوية متجهين الى رحلة مع المجهول ..

ويتعمق العشاق السمر فى البحر ، تظللهم الشمس ، ولتلفح وجوههم نسمات الهواء النقى ، فهم على موعد مع تلك الملحمة التى سيكتبونها بايديهم واحاسيسهم واعصابهم ، والتى قد يقدمون فيها للبحر حياتهم الغالية ..

وتتقاذف الريح والأمواج قافلة المراكب ، بينما الجميع يرددون الأغانى التى تزيد من حماسهم وتقوى عزائمهم ، وايضاً تذكرهم بالأهل ، الواقفين على الشاطىء فى انتظار عودة الاحباء !

وكثيرا ما كانت النساء يغنين للبحر ببعض المقاطع التى تدعوه إلى سرعة إرجاع الرجال ..

وفى بعض تلك المقاطع كن ينادين البحر قائلات :

ثوب ثوب يابحر
يا بحرنا البحرى
هات سمبوك ابن محرى
يابحرنا يا ندند
هات سمبوك المسند
ياحنايا يا المعجون
خل الغواويص يجون
عينى ، متى يجون

البحث عن اللؤلؤ

وكانت المراكب تتجه فورا بأمر رئيس الغوص إلى أماكن تجمع اللؤلؤ ، وهى

أوانى نحاسية لتصنيف اللؤلؤ

معروفة بالخبرة ، يصلون إليها بدون خرائط، ويبدأون فى القيام ببعض الاختبارات مثل قياس عمق المكان .

وهناك بعض الاماكن كانوا يستطيعون النزول إليها ببساطة والوقوف فيها على قدميهم بدون حاجة للغوص فهى بالقرب من الشاطىء !

وقبل أن يهبط الغواص إلى العمق كان يردد :

عدينا وبالله اتقينا
ياوالينا وياحامينا
بر وبحر

وفى قاع البحر يبدأ فورا فى البحث عن محار اللؤلؤ ، بعد أن يفك الحبل المربوط بقدمه حتى يتمكن من التنقل فى حرية !

وينقب « الغواص » عن المحار باداة صلبة يمسكها بيده وتسهل عليه استخراج المحار من بين الأعشاب ، وهذه الاداة يسمونها « الأجدا » !

وعندما يعثر الغواص على ضالته بين انياب البحر ، كانت تغمره نشوة عارمة .. ويظل على تلك الحال حتى يشعر بحاجته إلى التنفس ، فيجذب الحبل ، ليصعد إلى اعلى ، ويفرغ ما فى جعبته من محار ، ويستريح قليلا ، ثم يعود مرة أخرى إلى رحلته مع الحظ !

الغواص الصغير

وقد عرفت من بعض الغواصين القدامى أن أمهر غواص كان لا يمكث تحت الماء لأكثر من ثلاث دقائق ، وأن اعمق مكان يستطيع الغواص النزول إليه لا يزيد عمقه على خمسة عشر باعا ، والباع لايزيد على خمسين مترا !

وكان مما قاله الغواص القديم سعيد البديد ، انه جمع فى احدى الرحلات ١٧٠محارة فى تبة واحدة — أى فى غطسة واحدة — وانه بدأ يغوص وعمره احد عشرة عاما ، فقد كان مسئولا عن إعالة أسرته ، واستطاع من رزق الغوص ان يشترى مركبا لحسابه سماها « جميلة » وبعدها اشترى مركبا أخرى سماها « رابحة » وعلى كل مركب من مراكبه كان يعمل سبعون بحارا كلهم من بين أبناء قطر ..

اللؤلؤ الجيد

فى أثناء غطس البحار ينتظره على المركب زملاؤه لاستخراج اللؤلؤ أولا بأول ، ويمسك البحار المحارة بيده اليسرى وفى يده اليمنى أداة حادة منحنية لاحدى الجهات تسمى « المغلقة » تستعمل لفتح المحارة والبحث عن اللؤلؤ بين اللحم الموجود بداخلها ، وعندما يجدها يرميها للخارج ليضع بعد ذلك اللؤلؤ الصغير فى إناء والكبير فى إناء آخر .. وبعد أن ينتهى البحارة من هذه العملية كان رئيس المركب يتسلم اللؤلؤ ليزنه ويبيعه الى « الطواش » تاجر اللؤلؤ ..

حسن جلوف من الغواصين القدامى

وكان النواخدة يستطيع معرفة اللؤلؤ الجيد من الردىء بمجرد اللمس ، فمن اسماء اللؤلؤ الممتاز الجوين واليكة والجروة والبدلة .. واللؤلؤ الجيد يعرف بلمعان لونه ودورانه ، ويخيل لمن يراه أن بداخله لونا آخر مثل الاحمر أو السماوى ، أو الكحلى ، وكلما ازداد اللؤلؤ فى القدم كلما ارتفع ثمنه وازدادت قيمته ..

مخاطر البحر

وعندما يتحدث الراوى ببساطة عن أيام الغوص ، لابد أن يتذكر المخاطر والأهوال التى كان يتعرض لها البحارة أثناء رحلتهم ، ففى أعماق البحار تكمن الأسماك المتوحشة والسامة مثل «الذيبة » التى التهمت مرة سبعة أشخاص فى يوم واحد وسمكة الدجاجة المعروفة بسنها القاتل ، وذلك فضلا عن أسماك القرش ، وسمكة « لخمة » الشائع وجودها فى قاع الخلجان الرملية ولها شوكة سامة ، وسمكة الرماى ذات الشوك الكبير.

وكان البحارة يأخذون معهم أعشابا برية لمداواة الجروح ، ولكن كثيرا ما فقد الكثيرون منهم عينه أو قدمه أو يده ، وأحيانا حياته بسبب هذه الاسماك !

فرحة العودة

إلا أن هذه الأخطار لا يبددها إلا عودة السفن بالخير الوفير من حاصل بيع اللؤلؤ .. وبعودة السفن الى الشاطىء تعود الحياة الاجتماعية الى طبيعتها ، وتقام « الحجال » وهى حفلات الرقص ، وحفلات الزفاف والأعراس .. وتدب الحياة بصورة زاهية فى القرية .. فقد عاد الرجال الى بيوتهم سالمين .. إلا أن حياة الاستقرار لا تستمر طويلا فسرعان ما يبدأ الاستعداد لجولة أخرى فى البحر بحثا عن اللؤلؤ !

العودة إلى البحر عودة إلى تاريخ طويل يسجل عناد الإنسان وبطولاته

كميات من اللؤلؤ

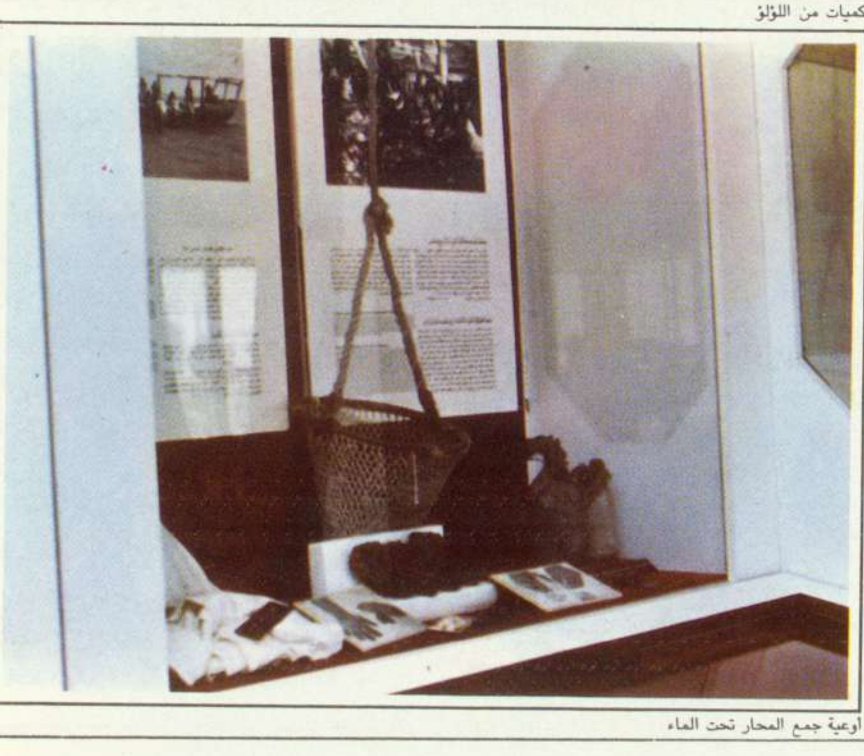

أوعية جمع المحار تحت الماء

تجار اللؤلؤ

وبهذه المناسبة فان التجار الذين كانوا يشترون اللؤلؤ من النواخدة ، يذهبون لمراكب الغوص فى عرض البحر ويزنون اللؤلؤ ويشترونه أولا بأول ..

وكان هؤلاء التجار يأتون من فرنسا أو الهند ..

أما حصيلة بيع اللؤلؤ من إحدى السفن الكبيرة فكانت لا تقل عن مائة ألف روبية يأخذ رئيس الغواصين خمسها ويعطى نصف هذا الخمس للغواص ، والباقى يوزع على باقى طاقم المركب ، بعد خصم ما أخذوه مقدماً قبل الخروج الى الرحلة .

مراكز الصيد

وقد روى لى حسن عوض جلوف ، وكان يغوص بحثاً عن اللؤلؤ لأكثر من ثلاثين عاماً كيف أن مدينة الزبارة كانت لفترة قصيرة فى أواخر القرن الثامن عشر، مركزا لتجارة اللؤلؤ فى الخليج

وفى القرن التاسع عشر برزت الدوحة نفسها باعتبارها مركزا من مراكز صيد اللؤلؤ ، ثم اصبحت بعد ذلك عاصمة للبلاد القطرية التى توحدت ..

وكانت مستوطنات اللؤلؤ تعكس كل ملامح الخليج ، كالحصون والدكاكين والمخازن ومصانع السفن التى تمخر عباب البحر . اما أهم مراكز صيد اللؤلؤ فكانت فى الدوحة والوكرة وسميسمة وظفين وذخيرة وابو ظلوف وفويرط وخورحسان والرويس .

وفى الثلاثينات من هذا القرن ، لم تتمكن حرفة صيد اللؤلؤ من الصمود للضربة التى تلقتها حين تمكن اليابانيون قبيل اكتشاف النفط بقليل من

حكايات أولئك الغوّاصين
الذين ودّعوا عائلاتهم
إلى المجهول بين الأمواج

جلسة لاستعادة ذكريات أيام اللؤلؤ

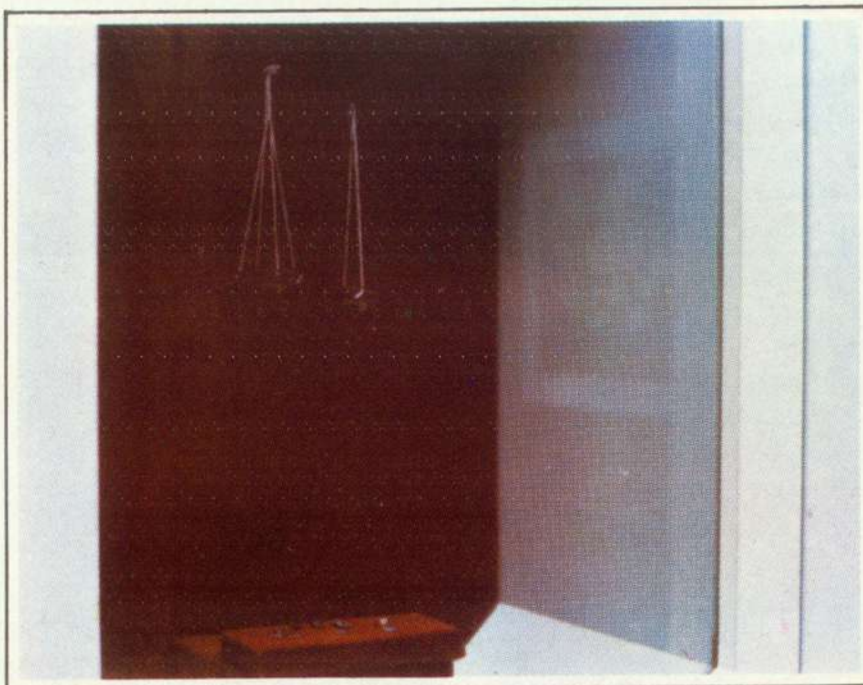

ميزان اللؤلؤ

إتقان طريقة لانتاج اللؤلؤ الصناعى ، وقد أدى ذلك عملياً الى القضاء على المصدر الوحيد من مصادر الثروة الحقيقية التى كانت متيسرة للقطريين ، فتدهورت حرفة صيد اللؤلؤ حتى هجرها الناس ، ثم اكتفت القرى والمدن بصيد الاسماك !

ومن هنا فان اكتشاف النفط كمصدر بديل للرخاء كان من نعم الله على البلاد وكان من نتائج هذا الرخاء الجديد أن صيد السمك لم يعد حرفة تجتذب الاهتمام !

تراث البحر

ومواكبة لروح العصر ، ارتأت حكمة القيادة السياسية الرشيدة لدولة قطر فى

شخص سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، ضرورة انشاء متحف قطر الوطنى ليقوم بحفظ وتسجيل تراث وصور وقيم الماضى الأصيل .

وأصبح متحف قطر الوطنى يضم اليوم بين أقسامه نماذج توضح حياة البحر ، وتصور أيام الغوص الذهبية ، وكل ما يتعلق باستخراج اللؤلؤ فى الزمن الماضى من أدوات وموازين ودفاتر حساب .. واستعان المتحف ببعض البحارة والغواصين الذين عايشوا تلك الفترة ، للاستعانة بخبراتهم فى الحفاظ على هذا التراث الهام وتسجيله صوتاً وصورة قبل أن يصبح فيما بعد ذكرى يقصها الأجداد للصغار ..

وهكذا نرى أن المتحف القطرى استطاع أن يحافظ على تاريخ الانسان فى هذا المكان ، وان يجعل ذكرى حياة الغواصين الباحثين عن اللؤلؤ فى عصره الذهبى ، من الذكريات الغالية التى مازالت تعيش فى القلوب والعقول .

نادية رزق

فنون الأزياء الشعبية

سائد درويش

اشتهرت دولة قطر منذ زمن بعيد بصناعة الملابس والمنسوجات ، وقد وصلت شهرتها الآفاق حتى أنه جاء فى « معجم البلدان » وقد عرفت قطر قديماً بانواع الثياب والمنسوجات القطرية الى ما بعد ظهور الاسلام حيث ارتداها الرسول الاعظم محمد (صلى الله عليه وسلم) وكذلك زوجته السيدة عائشة « رضى الله عنها » كما كان لعمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ازار قطرى مرقوع برقعة من الجلد .

وعملية التطريز بالزرى أو « التخوير » كما يطلق عليها فى منطقة الخليج ، هى أهم ما يميز الملابس الشعبية القطرية بل والخليجية .

والزرى هو « القصب » ويكون على شكل خيوط رفيعة ذهبية أو فضية كل مائة متر منها تسمى توله وكل ٢٥ تولة .. تسمى لولة .. والحائك أو الزرى القطرى فنان موهوب برع فى تطريز الزرى على الملابس الشعبية القطرية التى يمكن تقسيمها الى قسمين رئيسيين احدهما خاص بملابس الرجال والآخر بملابس النساء .

والملابس الشعبية للمرأة القطرية يمكن تناولها فى مراحلها المختلفة منذ الميلاد ثم الطفولة فالبلوغ وما بعد البلوغ . « فاللفاليف » هى عبارة عن البسة خفيفة تلبسها المولودة عند ميلادها ، وتكون ملونة بالالوان الزاهية ومطرزة باشكال جميلة .

وتنتقل فى سن الثانية الى مرحلة الطفولة فتلبس الثوب الطويل الذى يكون مطرزا عند الصدر والاكمام . وتظل تلبس هذا الثوب الى سن السابعة حيث يضاف « البخنق » الى الثوب القطرى « والبخنق » من أكثر الملابس شهرة عند المرأة .. بحيث تلبسه الفتاة القطرية فى هذه المرحلة . ليغطى رأسها ولا يبرز منه الا استدارة الوجه العربى الجميل . ويكون البخنق مطرزا بالزخارف البديعة وخاصة فى المنطقة التى تغطى صدر الفتاة .

وتظل هذه الملابس مع الفتاة الى سن البلوغ ، فتلبس عندئذ « البوشية » وهو غطاء للوجه من قماش الحرير الاسود تغطى به الفتاة وجهها عند الخروج . وفى مرحلة ما بعد البلوغ فان المرأة القطرية تلبس ثياباً أكثر احتشاماً فتلبس « الدراعة » وهو ثوب طويل يتعدى أخمص القدمين ليجر وراءها . كما تلبس البتولة « وهى عبارة عن برقع أسود يغطى جميع الوجه ما عدا العينين ومطرز بالزرى من الأمام وعند الاطراف باشكال زخرفية بديعة لها صلة وثيقة بالزخارف الاسلامية التى سادت جميع الفنون فى هذه المنطقة . »

طفلة ترتدى الزى الشعبى

ويلاحظ أن الملابس الشعبية القطرية الخاصة بالنساء انما جاءت فى جميع مراحلها متسمة بالحشمة ونابعة من التعاليم الاسلامية الحنيفة .

أزياء الرجال

أما عن ملابس الرجال فتتميز بالبساطة حيث يلبس الرجل منذ الصغر الثوب القطرى (الدشداشة) ويكون طويلا حتى أخمص القدمين وفضفاضاً ليسهل الحركة .. ولونه أبيض ويلبس تحت الثوب سروالا أبيض أيضا ثم يلبس على رأسه « الغطرة » ذات اللون الأبيض والعقال ذا اللون الاسود ، ويضع تحت الغطرة والعقال طاقية بيضاء تسمى « القحفية » تساعد فى تثبيتهما على رأسه ويلبس فى رجليه « النعال » وهو عبارة عن حذاء بسيط يكون على شكل الشبشب يلبس ويخلع بسهولة . وملابس الرجال لا يدخلها التطريز كثيرا وانما يكاد ينحصر فى « النعال » وربما يرجع ذلك الى التقاليد الاسلامية التى تعتبر التزين خاصاً بالنساء وليس بالرجال .

ومن الملاحظ أن اللون الأبيض يغلب على لباس الرجل وهذا اللون يعكس ضوء الشمس الحار فى فصل الصيف الطويل فى هذه المنطقة ولذلك فان لون الثوب فى فصل الشتاء يتغير الى اللون الداكن والقماش الثقيل ، واللون الابيض كذلك أكثر الالوان المحببة فى الاسلام . كما أن ملابس الرجال والنساء دائماً فضفاضة وهذا أيضاً يتناسب مع جو البلاد الحار كما انها تسهل الحركة بالنسبة للرجل .

العبـاءة لبـاس عـربي إسـلامي أصيـل وكـانت أكـثر انـتشارًا في المـاضي

العباءة والبشت

العباءة والبشت هى الملابس الرسمية للرجل والمراة .. والعباءة خاصة بالمراة والبشت خاص بالرجل والعباءة تصنع غالباً من قماش الحرير أسود اللون .. بينما يصنع البشت غالباً من قماش وبر الجمال ويكون متعدد الالوان كالاسود والبنى والأبيض والبيج

والعباءة ترتديها المراة دائما اما البشت فيلبس عادة فى الزيارات الرسمية والمناسبات الهامة .. ولذلك اهتم القطريون فى صناعتها ويدفعون ثمناً لها مبالغ كبيرة قد تصل الى عشرة الاف ريال . واهم ما يميز صناعتها هو الزرى الذى يطرز على أطرافها بطريقة يدوية بديعة تفنن الترزى القطرى فى صناعتها واتقانها .

وعملية التطريز هذه تتم على مراحل متعددة يقوم بها ستة عمال فنيين متخصصين ... يصعب وصف عملها ولكننا سنحاول ابرازها بالصور التى يتضمنها المقال . وصانع العباءة أول مايبدأ يعمل « القلامة » ولعلها سميت القلامة لانها مستديرة كالقلم ثم يسلمها الى صانع « الهيلة » التى تستغرق هى الاخرى يوماً آخر وتكون عريضة ومبسطة . ثم يتم تركيب « الداير » الذى يشبه « القلامة » ويصنعه نفس الشخص الذى صنعها ثم يأتى صانع « البروج » الذى يضيف يوماً رابعا الى تطريزالعباءة او البشت . اما « المكسر » فهو أشهر وأدق ما فى عملية التطريز كلها .. حيث يتم تطريز المكسر حول اطراف العباءة أو البشت كلها ، ويستغرق عمل « المكسر » يومين كاملين . وبعد ان تتم عملية التطريز التى استغرقت خمسة ايام وقام بها أربعة عمال مهرة .. وتاتى بعد ذلك عملية الصقل والتى تسمى « البرداخة » وذلك لتنظيف وتهذيب ما تم صنعه وازالة كل ما هو زائد بعد عملية التطريز . وهذه تستغرق يوما سادساً . ويأتى بعد « البرداخة » العملية النهائية لتطريز البشت وهى تركيب « القيطان » وهو عبارة عن خيط سميك يثبت جزء منه على طرف العباءة المقابل للصدر ويستخدم فى ربط البشت أو العباءة عند الضرورة .

ان العباءة او البشت من أكثر الملابس الشعبية اهمية وشهرة . وهو لباس عربى اسلامى أصيل وكانت أكثر انتشارا فى الماضى ، ولكن قل استعمالها هذه الايام مثلها مثل غيرها من المواد الشعبية التى قل استعمال بعضها وانقرض البعض الاخر .

فن قديم

والمعروف أن « التخوير » اصطلاح خليجى يعنى التطريز ، والتطريز فن قديم جدا عرف منذ البداية مقترناً بفن الزخرفة ، بل إن فن الزخرفة القديم يعتبر أساساً هاماً من أسس التطريز . فالزخارف لها مجالات متسعة منها الزخارف المعمارية وزخارف الجلود والاخشاب والخزف ، ثم زخارف النسيج

ولم يكن فن التطريز قديماً يقوم على نظام مدروس ولم توضع له الكتب كغيره من الفنون ، الى أن جاء عصر النضة وظهر الشعور القومى عند الاوربين ، فدفعهم الى المحافظة على تراثهم القديم الاهتمام يتزايد بالصناعات المنزلية التى كانت تستخدم قديماً فى تزيين الملابس (بالتطريز) ، وبدأ البحث فى هذا الفن حتى استطاع أن يجد مادته فى الاديرة .. حيث يعتبر فن التطريز من الكنوز التى كانت موجودة بها ، وهذه الكنوز الفنية تعتبر وثائق تاريخية تثبت قدم هذا الفن ، ولقد اثبتت إحدى الباحثات أن التطريز كان فنا من فنون الفراعنة والمتاحف المصرية تعتبر مجالا كبيرا للبحث والتنقيب فى هذا الميدان حيث أنها تضم هذه الكنوز الفنية .

صناعة النسيج

ولما كان التطريز فنا ملحقا بصناعة النسيج .. ولا يمكن أن يتم بدونه فلابد من التعريف بهذه الصناعة الهامة التى تلازم الانسان وتعتبر متممة لكيانه الحيوى كانسان يحتاج الى ما يستر عورته ويقيه شر التقلبات الجوية ،

بائع القماش

وتكسبه المظهر الذى يتفق ومستلزمات المجتمع الذى يعيش فيه .

وكان ورق الشجر هو أول ما استخدمه الانسان الأول ثم تدرج الابناء الى استعمال الحشائش والأغصان والألياف فصنعوا منها نسيجاً بسيطا فى بادىء المآزر من جلد الحيوان وفرائه .. بعد ذلك توصلوا الى طريقة لنسج الخيوط نسجا بسيطا فى بادىء الامر ، ثم بدت زخرفته ليتخذ اشكالا جميلة يشعر الانسان وهو يرتديها بالزهو والخيلاء . هذا ولم يحدد التاريخ وقتاً محددا لبداية النسيج .. ولكن الباحثين أثبتوا أنه كان معروفا أيام الفراعنة

النسيج فى العصر الاسلامى

ثم انتقلت صناعة النسيج من عصر الى عصر حتى جاء العصر الاسلامى ، فكان المسلمون فى أول الامر يكرهون الترف ويميلون الى التقشف . ولكن الامور تطورت فى العصور التالية فاحتاج الأمراء والخلفاء إلى مكافاة رجال الدولة وشعرائها وضيوفها بالخلع والملابس الفاخرة .. فلقيت صناعة الملابس الحريرية وزخرفتها عناية وتشجيعا كبيرين. وتفوق النساجون العرب فى صناعة الحرير وصنعوا نوعا من الحرير الشفاف سموه الموسلين نسبة الى مدينة الموصل .

تطور فن التطريز

إن تطريز الزخارف على النسج عملية قد تتم بالطريقة الآلية أو بالتطريز اليدوى ..وسوف نركز فى دراستنا هذه بصفة أساسية على التطريز اليدوى

لم يتوقف تطور فن التطريز بانتهاء العصر الفرعونى الذى قدم قطعا من

احد الصناع المهرة

المنسوجات المطرزة فى غاية الدقة والابداع بل امتد فن التطريز فى سلسلة متصلة الحلقات الى العصر المسيحى الذى يدخل فيه الفن الاغريقى والرومانى والبيزنطى والقبطى ، وقد اختلفت أشكال الزخارف عن العصر الفرعونى . كما عرف فى العصر القبطى التطريز الوبرى الذى يستخدم فى زخرفته المنسوجات السميكة كالفرش والبسط وغير ذلك ما عدا الملابس .

التطريز فى العصر الاسلامى

يعتبر العصر الاسلامى من أزهى العصور وأكثرها عناية بفن التطريز ، فالبرغم من أن صناعة التطريز لم تكن فى بداية العصر الاسلامى متعددة الانواع واقتصرت على تطريز الكتبات العربية الاسلامية التى كان يطرز عليها اسم الخليفة والموضع ومكانه وكذلك الشاش المستخدم للعمائم والاوشحة وكان يسمى هذا « الطراز » وكانت الاماكن التى يتم فيها التطريز تسمى دور الطراز ...الا أن هذا الفن تطور وأصبح هذا الشريط الكتابى عبارة عن زخارف متعددة ومختلفة من العصر الفاطمى والايوبى والمملوكى (القرن الثانى عشر الى القرن الخامس عشر الميلادى) وكذلك ظهر التطريز بالمعادن فى العصرين الفاطمى والمملوكى . واستمر التطريز بالخيوط المعدنية حتى العصر العثمانى ، ولم يقتصر ذلك على تلك الخيوط ، بل تعداها الى التطريز باللؤلؤ والاحجار الكريمة . واستخدم الترتر والخرز على اختلاف أنواعه والوانه وأحجامه .

هذا وقد تميزت الزخارف الاسلامية التى كانت تطرز على النسيج بالاشكال الهندسية والنباتية والحيوانية والطيور والرسوم الادمية . ولكن بصفة خاصة منها الزخارف النباتية الاسلامية .

التطريز بالزرى (القصب)

ولقد كان التطريز بالخيوط الذهبية والفضة شائعا منذ عصر النهضة وما قبلها وكان أكثر استعماله فى الكنائس والمعابد لتزيين ملابس الكهنة والقساوسة .

ويدين الأوروبيون لبلاد المشرق فى اقتباس هذا الفن وخاصة اسبانيا وايطاليا وفرنسا والمانيا . وهذا الفن مازال يستخدم فى عصرنا هذا لتزيين الكسوة الشريفة التى تصنع فى كل عام وتكسى بها الكعبة المكرمة . وقد تخصص فى هذا النوع من التطريز عمال مدربون ، توارثوا هذه المهنة عن الآباء والاجداد .

إن هذا الفن العربى الاصيل قد زاحمته بدون شك الآلة التى جاءت نتيجة التطور ، واصبحت توفر الكثير من الوقت والجهد الذى تستغرقه عملية التطريز اليدوى على الملابس ، ولكن الآلة مهما تقدمت واستخدمت من أنواع خاصة من إبر التطريز .. الا أن التطريز اليدوى بابرته البسيطة يستطيع أن يقدم لنا من فنون التطريز وابداعاته ما لا يمكن أن تصل إليه الآلة فى يوم من الايام . تماماً كما لايمكن للؤلؤ الصناعى أن يصل فى يوم من الايام الى جمال وروعة اللؤلؤ الطبيعى .

سائد درويش

محمد بن عيسى

الصورة المميزة للانسان العربي

من بين كافة الاقطار العربية ، امتدادا من الخليج الى المحيط ، تعتبر منطقة الخليج من أكثر الدول العربية تجانسا تراثيا وحضاريا وتطوريا • ورغم أن تفاوت درجة هذا التجانس قد تختلف من مجموعة أقطار الى أخرى ، فان كل الدراسات الاجتماعية والابحاث الانمائية - خاصة خلال فترة التطور المعاصرة - تشير الى أن ما يتقاسمه الانسان العربي في منطقة الخليج ، يتميز بشمولية التجانس القائمة على ما تتقاسمه شعوب هذه المنطقة من دين واحد ، ولغة واحدة ، وامتداد جغرافي متواصل ، وتقاليد وممارسات حضارية تجعل من هذه الاقطار - اذا هي استغلت استغلالا علميا وعمليا نموذجا ديناميكيا للتعاون والتكافؤ والتكامل • ومما لا شك فيه أن أحد القطاعات الانمائية التي يمكن - بل يجب - أن توظف خصائص هذا التجانس لخدمتها هو قطاع الاعلام أو الاتصالات بمعناها الشامل المتكامل •

وبالمثل ، فانه بقدر ما تبرز مظاهر هذا التجانس على الجوانب الجغرافية والحضارية للانسان العربي في منطقة الخليج ، بقدر ما تطغى حاجة هذه الشعوب لوضع خطط اعلامية اتصالية موحدة لدعم عمل التنمية بها وتصحيح الصورة المميزة لظروف هذه الشعوب وطموحاتها ومكتسباتها • بل أكثر من ذلك الحاجة لاستغلال هذه الخطط الاعلامية لابراز مساهمة حكومات هذه الاقطار في تمويل وانجاز العديد من مشاريع التنمية في بلاد العالم الثالث •

وشعورا بهذه الحاجة لوضع برامج اتصالية اعلامية متطورة فقد بذلت دول الخليج العربية جهودا جبارة لتحديث الهياكل الارتكازية الاعلامية في كل قطر ، وتوفير القدرات البشرية التقنية والفنية ، بهدف الاستجابة لتحديات العصر وضمان ما يمكن ضمانه من برامج اخبارية وتثقيفية وترفيهية • ورغم ذلك فان الدراسات المتوفرة تشير الى حاجة بعض أقطار الخليج الى الموارد البشرية الفنية والتقنية • ولكن هذا في حد ذاته لا يعتبر عاملا سلبيا اذ أن ٨٠٪ من المهارات « المستوردة » التي تعمل في قطاع الاتصالات ، خاصة في شبكات الاذاعة والتلفزيون وجانب من الصحافة المكتوبة هي مهارات عربية •

ولكن الثغرة الكبرى التي يتميز بها وضع الاتصالات والاعلام عموما

الصورة المميزة للإنسان العربي

في أقطار الخليج تكمن في قطاع الاتصالات الانمائية أو Development Communication ، سواء على الصعيد العمودي (اخباريا) أو على المستوى الافقي (اتصاليا ـ اجتماعيا) فحصة ما ينتج أو ما يبرمج من مواد وفقرات اذاعية وتلفزيونية تسجل الجهود الصحيحة التي يبذلها كل قطر في مجال التنمية الشاملة (بما في ذلك استقطاب الموارد البشرية اللازمة واشراكها في بناء البلاد والحفاظ على المكتسبات) حصة ضئيلة جدا . وبجانب هذا العجز فان نسبة ما تتبادله أقطار المنطقة من برامج اتصالية اعلامية تهتم بقطاع التنمية نسبة ضئيلة جدا هي الاخرى .

وتتسع دائرة الهوة الاتصالية الاعلامية لتتعدى أقطار منطقة الخليج الى أقطار عربية أخرى ، فالحضور الاتصالي ـ الاعلامي السليم لأقطار الخليج العربية (باستثناء العراق) يعتبر ضعيفا جدا في أغلبية الاقطار العربية الاخرى ، خاصة الاقطار العربية الافريقية .

وتخبو معالم هذا الحضور في الاغلبية العظمى من دول العالم الثالث . وقد أثبتت الدراسات أن المواد الاعلامية التي تنتجها شبكات الاتصالات الاجنبية في الدول المتقدمة صناعيا ـ على الرغم من جودتها التقنية في كثير من الاحيان ـ تساهم الى حد كبير في ترسيخ صورة للانسان العربي وبالتالي تثبت بأسلوب غير مباشر السلبيات وروح التحامل التي تشبعت بها أذهان ومشاعر شعوب هذه البلاد منذ عصر النهضة وطول الفترة الاستعمارية للاقطار العربية .

وقد تنبه المسئولون والباحثون الاعلاميون في معظم بلاد العالم الثالث ـ وخاصة في الوطن العربي ـ الى روح التحامل والتحيز التي يتميز بها الانتاج الاتصالي ـ الاعلامي ، في الدول المصنعة ازاء حق انسان العالم الثالث ، وبصفة خاصة الانسان العربي . وسواء كان مصدر التحامل والتحيز هو الرغبة في تشويه صورة هذا الانسان أو مجرد سذاجة في المعرفة وقصور في البحث والتحري ، فالواقع هو أن ما تنتجه معظم وسائل الاتصالات في الدول المصنعة يعتبر مشينا للشعوب في البلاد النامية ومتحاملا على حكومات هذه البلاد ومنظماتها .. وفي أغلب الاحيان تتجاهل هذه الوسائل الاتصالية تماما جهود البلاد النامية في مجال التنمية والتطور وتتعمد التركيز على اثارة الصغائر التي تجعل منها كبرى الفضائح .

وزادت حدة الشعور العربي بهذا التحيز والتحامل المقصود منذ بداية ما يسمى بأزمة الشرق الاوسط أو التصفية الفلسطينية .. منذ سنة ١٩٤٨ . وتفاقم هذا الشعور بشكل أعمق وأمر منذ اندلاع ما يسمى بأزمة الطاقة .. منذ سنة ١٩٧٣ ، حيث سخرت موارد اعلامية هائلة لايهام الرأي العام أن التضخم المالي العالمي والفتور الاقتصادي في السبعينات وما ترتب عنهما من أزمات في الموازنات التجارية وارتفاع نسبة البطالة .. الى آخره ، كل ذلك تسببت فيه أو ساهمت فيه الى حد كبير الدول المنتجة للنفط !. سخرت لهذا الغرض حتى فعاليات التجانس الحضاري العربي لتطعيم مختلف جوانب روح التحامل والتحيز في البرامج الاتصالية الموجهة التي ينتجها عدد كبير من مؤسسات الاعلام في الدول المصنعة .

وغني عن القول أن سلوك عدد من الميسورين والاثرياء العرب في العواصم الغربية ونوع الحياة غير اللائقة أخلاقيا وحضاريا التي يمارسونها في المجتمعات الغربية تعتبر التربة الخصبة التي يزرع فوقها خصوم العرب بذور التحامل ضدهم والتشويه بهم ، وتزيد التناقضات السياسية والاقتصادية وبالتالي التناقضات الاجتماعية والثقافية التي تسود عددا من المجتمعات العربية من خصوبة التربة ومن سيولة مادة التحيز والتحامل .

ورغم أن كل بلاد العالم الثالث تقريبا تعاني من « سلبية الصورة » وعنف التحامل التي تمارسها وسائل الاعلام الغربية ضدهم ، فان الدول العربية ، وبالذات الدول الخليجية العربية ، يسلط عليها الجزء الاكبر من عبوات التشويه والتدليس والامتهان ، ولعل كل عربي يعرف الاسباب الحقيقية المباشرة منها وغير المباشرة التي تجعل صورة الانسان العربي معرضة أكثر من غيرها لحملات الجنس والتضليل والشماتة .

وبالرغم من كل ذلك .. بالرغم من الشعور العربي الرسمي بشمولية القضية وأهمية الرسالة الاتصالية الاعلامية التي على عاتقهم لمعادلة الحملات الاعلامية ضدهم ، فان ما يقوم به المسئولون العرب مشتركين لا يعدو أن يكون غير نقطة في محيط وما تستثمره بعض الدول العربية منفردة ، رغم ضخامة الكلفة . يضيع أمام عمق القضية وحجم الرسالة . وحتى فعاليات الجامعة العربية في هذا الميدان تعتبر هي الاخرى غير كافية ، وليس سرا أن نقول ان « الفلسفة الاعلامية » للجامعة هي انعكاس صريح لواقع المنظمة ومعاناتها من البيروقراطية والاعتبارات السياسية الظرفية التي تشل حتى أصغر المبادرات الاعلامية التي قد يتقدم بها بعض العاملين في المنظمة من الحرفيين والمجربين .

لذلك كانت ـ في رأينا ـ مبادرة دول الخليج العربية لتنظيم مؤتمرات سنوية على مستوى وزراء الاعلام بغرض التعاون من أجل تنسيق

البرامج الاعلامية ومراكز التدريب والانتاج وتنظيم أساليب التبادل الثقافي ـ الاعلامي ، مبادرة توحي بالجدية والواقعية وبالتفاؤل • ولقد تم حتى الان تنظيم ست مؤتمرات كان آخرها مؤتمر الدوحة في دولة قطر في فبراير ـ شباط ١٩٨٠ •• الذي شاركت فيه الكويت وقطر والامارات العربية المتحدة والبحرين وعمان والمملكة العربية السعودية والعراق •

ولكن فعالية العمل الاعلامي المشترك لدول منطقة الخليج قد تبقى محدودة اذا لم تستهدف تغييرا جذريا في أسلوب واستراتيجية ومضمون العمل الاتصالي الاعلامي • فمما لا شك فيه (وقد أثبتت الدراسات التي قام برنامج الامم المتحدة الانمائي بها) أن دول الخليج تتوفر على أحدث التجهيزات التقنية الاعلامية التي قلما نجد لها نظيرا في عدد كبير من بلاد العالم الثالث وبالمثل فان نفس أقطار الخليج تعاني من نقص ملحوظ في الاطر (الكوادر) الوطنية ذات الكفاءة، خاصة على مستوى قطاعات التخطيط والانتاج والتوزيع • ومن ثم فان الاسبقية يجب أن تعطي للعناية بهذه القطاعات وعلى كافة المستويات •

ولعل أكبر عمل اعلامي يجب أن تعني به استراتيجية الاعلام في الخليج هو الاسهام في تصحيح الصورة المميزة للانسان العربي بالنسبة للمستهلك العربي نفسه ، وكذلك بالنسبة للمستهلك الغير عربي • وتبقى الاختيارات التراثية والثقافية المعاصرة الارضية السليمة الوحيدة التي يمكن أن تسخر في عملية التصحيح هذه • وبدون ضمان توزيع محكم (سوق استهلاكية) قائم على دراسة دقيقة لكل منطقة من مناطق العالم ، فان أي انتاج مهما كان موفقا ومرضيا للمخطط الاعلامي المتبع لا يمكنه أن يضمن المردودية المتطلبة• وقد ينهي في كثير من الاحيان في رفوف مكاتب السفارات والمراكز الثقافية في الخارج •

وبجانب العمل المشترك داخل مجموعة أقطار الخليج أو في نطاق منظمة الدول المصدرة للنفط ، فانه في الامكان توظيف قنوات الانتاج والتوزيع المتوفرة لدى المنظمات الدولية واغنائها هي الاخرى ببرامج عن تجربة التنمية والتطور في منطقة الخليج • ولعل اعتبار هذا الجانب في وضع السياسة الاعلامية لدول الخليج قد يضاعف من قوة المصدقية في الرسالة الاعلامية ويؤمن لها الرواج والتداول • ولقد سلكت الدول المصنعة هذا المسلك في سياستها الاعلامية خلال الخمسينات والستينات وبذلك ضمنت لانتاجها الاعلامي أسواقا متنوعة في البلاد النامية والبلاد الصناعية المتقدمة على السواء•

وقد يكون في اتباع هذا الاسلوب في الانتاج المشترك بين دول الخليج ونظام الامم المتحدة أحد السبل لتجاوز العراقيل الظرفية التي تحول دون استمرار التبادل الاعلامي فيما بين الدول العربية نفسها وفيما بينها وبين بلاد أخرى من بلاد العالم الثالث •

ومن شأن هذا الاسلوب المشترك أيضا اتاحة الفرصة لدول منطقة الخليج لابراز الدور الذي تقوم به في تمويل ومساعدة برامج التنمية داخل الامم المتحدة في البلاد النامية الاخرى في افريقيا وآسيا • وسبيل آخر من سبل العمل المشترك لابراز هذا الدور هو ايفاد بعثات صحفية من الدول المصنعة لزيارة المشاريع الممولة بالمساعدة والقروض المالية العربية في البلاد الافريقية والآسيوية • وفي امكان قسم الاعلام ببرنامج الامم المتحدة الانمائي تنظيم هذه الرحلات ضمن خطة تمويلية مشتركة تساهم فيها دول الخليج مجتمعة •

وتبقى عملية تصحيح الصورة المميزة للانسان العربي البند الاول في أي تحرك اعلامي سواء داخل العالم العربي نفسه أو في العالم الآخر ، خاصة في الدول المصنعة • ان عملية تصحيح الصورة المميزة لأي شعب ، حتى بالنسبة لأفراده ، تتطلب جهودا كبيرة ووقتا طويلا من البحث والاستكشاف الذهني للمقومات الصحيحة لحضارة الانسان وتراثه وأصالته • والمخطط الاعلامي العربي يجب أن يقوم على الاستثمار اعلاميا في أطفال وشباب اليوم •• واضعي سياسات الغد •

ومسئولية وضع الخطط الاعلامية العربية ليست وقفا على المسئولين الرسميين و « خبراء الاعلام » أو السياسيين • ان القطاعات الرائدة ثقافيا وابداعيا في أغلب الدول العربية لا تعمل في الدوائر الحكومية والقيادات الفكرية والادبية والابداعية في العالم العربي ربما تعاني أكثر من غيرها من الصورة المشينة التي تلتصق في ذهن العربي نفسه وفي ذهن الملايين من الابرياء في الشرق والغرب • ومهما وضعنا من خطط ورصدنا لها من اموال وحددنا لها من أسواق للعرض والاستهلاك فاننا أساسا يجب أن نحدد في أنفسنا بكامل الموضوعية والشجاعة الصورة المميزة التي نريد عرضها عن هذا الانسان العربي •• أو بالاحرى علينا أن نبدأ باستفسار أنفسنا عن أنفسنا•

من هو هذا الانسان العربي الذي نريد تصحيح صورته ؟ وماذا نريد من تصحيح هذه الصورة ؟ وأين يجب أن تتم عملية هذا التصحيح لصورتنا المميزة ؟

على أن مخططا اعلاميا هادفا يقوم على « استراتيجية » واضحة وبرنامج زمني مدروس ، ويتبع في تنفيذه أسلوب علمي متكامل ، يتطلب عملية تقييم مستمرة •• (وهذا انما يبنى على التجارب وردود الفعل التي تعكسها هذه التجربة) •

علي هاشم

الإعلام العربي من الدفاع إلى الهجوم

المؤتمر الخامس لوزراء الاعلام فى دول الخليج العربية كان منعطفا اعلاميا ليس على الصعيد الخليجى فحسب ، بل على الصعيد العربى

دولة قطر المضيفة أعطت المؤتمر الاحساس بالمسؤولية واخرجته من الروتين نسبة الى المؤتمرات السابقة .. وقد يكون للهجمة الاعلامية الشرسة التى تتعرض لها دول المنطقة ، والاخطار التى باتت تحيط بها بسبب صراع القوتين العظميين على الاستراتيجية والنفط ، أثر كبير فى إعطاء المؤتمر اهمية بالغة انعكست جديته فى المناقشات ، وفى عدد الحضور المشاركين وفى القرارات والتوصيات وأخيرا « البيان » الذى يعتبر وثيقة تاريخية على صعيد الاعلام على الساحة الدولية : الولايات المتحدة الامريكية ، اوربا الغربية واليابان .

ظواهر ايجابية

تميز المؤتمر بظواهر ايجابية عدة يمكن تلخيصها بالاتى :

١ ــ المشاركة العربية الفعلية فى مؤتمر خليجى كان يعتبر إلى ما قبل مؤتمر الدوحة مؤتمرا إقليميا . هذه المشاركة كانت فى دعوة عدد من مديرى مكاتب الجامعة العربية فى العواصم الأجنبية الكبرى ، ثم مطالبة سفراء الدول العربية فى العواصم الأجنبية الكبرى ذات التأثير والنفوذ باختيار ممثلين عنهم فى المؤتمر ، وكان اختيارهم سفراء عرفوا بنشاطاتهم السياسية والاعلامية ، ليس على أساس إعلامى ضيق . كما تمت دعوة عدد من رؤساء الهيئات والتنظيمات ذات الصفة الدولية ، وهم من العرب ليشاركوا فى المناقشات وابداء الرأى واتخاذ القرارات والتوصيات . المؤتمر خرج بهذا العمل ، الذى انفردت به وزارة الاعلام فى دولة قطر بصفتها دولة مضيفة من دون الدول المضيفة الأخرى ، وهذا يعود بالطبع الى الوضع المتردى من حيث الصراعات الباردة حتى الآن ، والحملة الاعلامية الغاشمة التى تتعرض لها دول الخليج العربى ... وقد كانت وزارة الاعلام فى دولة قطر ذات اذن لاقطة لحساسية الظروف فاستنت تقليدا جديدا جعلت من المؤتمر الخليجى الاقليمى محورا اعلاميا عربيا على الساحة الدولية ، إضافة إلى بث كل الامور العائدة إلى شؤون الاعلام ، بمتفرعاته كلها على صعيد المنطقة .

ماشاهده ولحظه المؤتمر الخامس لوزراء الاعلام فى دول الخليج العربية لم يكن للمؤتمر الخامس نفسه ، بقدر ما كان وسيكون للمستقبل ولكل مؤتمر اعلامى ـ عربيا عاما أو خليجيا إقليميا ـ مادامت المؤتمرات كلها تسعى الى الظلامة وسياسة التشويه التى يتعرض لها العرب من محيطهم الى خليجهم .

فعالية التنظيم

اضفاء الجو العربى العام ، وعلى مستوى راق ، لم يكن الظاهرة الايجابية الوحيدة .

من الظواهر التى لفتت الانتباه التنظيم الجيد الذى شهده المؤتمر والتسهيلات التى قدمت إلى الصحافيين والمراقبين فى المؤتمر، خطوط هاتفية دولية وآلات كاتبة ، وخطوط (تلكس) مفتوحة على العالم وصحف يومية ومكتب (سكرتارية) يقدم التقارير اللازمة لأى وفد وأى صحافى أو مراقب .

كما كانت المواصلات نسبة الى أعضاء الوفود مؤمنة وموظفى ادارة العلاقات العامة يقدمون التسهيلات كلها ، اضافة الى الادارات الاخرى فى الوزارة من الثقافة والمطبوعات والنشر والاذاعة والتلفزيون .

وقد احس كل من شارك فى المؤتمر أو حضره كمراقب أنه داخل دوامة مؤتمر على صعيد دولي .

جدية واختصار الوقت

وللمرة الأولى ينتهى مؤتمر عربى قبل

موعد انتهائه ... لا بسبب التقصير أو الاختصار ، بل بسبب تكثيف المناقشات والاجتماعات والبت فى الأمور بايقاع سريع

عاش الوزراء والخبراء يومين فى اجتماعات ومداولات استمرت ليلاً ونهاراً ، حتى فوجئوا بأنهم أنهوا ما كان عليهم أن ينهوه فى ثلاثة أيام ، وحقق المؤتمر فى ذلك المقولة : خير الكلام ما قل ودل .

جدول الأعمال درس فى مجمله واتخذت فى شأن مضمونه ومواده القرارات والتوصيات ورفعت الى الجلسة الختامية .

إعلان الوثيقة

حتى الان لم يصدر مؤتمر عربى ، ولو على صعيد القمة ، إلا فى حالات معينة ، إعلانا ..هو فى مضمونه سياسى ، أى انه يضع السياسة فى نطاق الاعلام ، والاعلام فى نطاق السياسة بحيث أن الواحد يرتبط بالآخر .

وثمة ملاحظات على هذا الاعلان الوارد نصه فى مكان آخر من هذا العدد يمكن إيرادها للأهمية :

للمرة الأولى يصدر عن مؤتمر وزراء الاعلام فى منطقة الخليج العربى أو فى العالم العربى ككل بيان يشير إلى الحملة الجائرة التى توجه إلى الأمة العربية

ويشير البيان الى المداولات والمشاورات والمناقشات التى جرت وفقا لورقة العمل القطرية التى كانت معدة لتبيان أصول التحرك الاعلامى على الساحة الغربية (أمريكا وأوربا واليابان) ثم كانت النتيجة بعد أخذ آراء جميع المشتركين وما طرح من اقتراحات الى تحويل هذه القضية إلى لجنة تبتها فى أسرع وقت لوضع صندوق الطوارىء المقترح للانفاق على الخطة والتحرك بمشاركة جميع الفرقاء العرب على الساحة الدولية .

(بيان) الدوحة هو من أهم منجزات المؤتمر وهو وثيقة يجب أن تضم الى وثائق الجامعة العربية للاستعانة بها الآن وفى المستقبل .

المشاركة فى المسئولية

القرارات والتوصيات الأخرى التى صدرت عن المؤتمر ذات أهمية بالغة ولكن ثمة أمورا يجب ألا تغيب عن أذهاننا ، وهى

اننا فى هذا الظرف العصيب مدعوون أكثر من أى وقت آخر إلى العودة الى انفسنا ونقد ذاتنا ومحاسبة كل منا على ما عمل وعلى ما قد يعمله فى المستقبل .

نحن جزء من هذا العالم مطموع به للموقع الاستراتيجى الذى تحتله بلادنا . للطاقة التى تختزنها أرضنا .

عندنا نحن ، ونحن فقط الى حيث ، الدم الذى يمر فى شرايين العالم ويدك صناعته : أى قلبه وكبده وكلاويه ... الخ ...

أهميتنا ، ليست فقط فى الموقع الحضارى الذى قدمناه إلى الانسانية منذ ١٤٠٠ قرن ، بل فى ما نقدمه لهذه الانسانية لتستمر وتعيش .

العالم اليوم ، كما من قبل ، يتقاتل لا على بيت شعر أو قصيدة أو قول مأثور أو تمثال أو مبدأ .

انه يتقاتل على رغيف الخبز .

على ما يؤمن استمرار صناعته .

على الصناعة التى تؤمن العمل للمواطن وكذلك الانتاج .

فى يدنا نحن هذه الطاقة التى تدك

الإعـلام إن لم ترافقـه أعمـال بقيمتـه وقوته .. فـإنـه يبقى كلامـا فى الهـواء

صناعة الانسان خارج حدودنا وتؤمن له العمل والعيش ، وما يعتقد أنه رفاهية .

لذلك نحن محسودون .

هذا الحسد يجب أن يعود علينا بفائدة من ناحية أولى أن نستغل ما عندنا لنبنى أنفسنا ونضمن استمرارية أجيالنا المقبلة ، أى أن نستغل ثروتنا فى سبيل مصلحتنا ، لا أن نهدرها على التوافه ، ليأخذها الحسود علينا حجة،على رغم أنه يبذر -اذا استطاع-اكثر منا بكثير .

ثم علينا أن نحسن صورتنا فى الخارج ، وسمعتنا كذلك مع أن (البيوت ذات السمعة السيئة) هى بيوتهم ، واذا كان عندهم من موبقات فهى من صنعهم ومن أفعالهم يقع بعضنا فى شراكها وحجتهم ترد إليهم .

ولكن ليس بالكلام وحده يحيا الانسان

الاعلام ، إن لم ترافقه أعمال بقيمته وقوته ، يبقى كلاما فى الهواء .

السبيل إلى ذلك هو القوة .

القوة معنا ،

علينا أن نلتفت الى نواحى الضعف عندهم كما هم يستغلون نواحى الضعف عندنا فننجح .

المؤتمر الخامس لوزراء الاعلام فى دول الخليج العربية الذى استضافته قطر ، يبقى وسيظل منعطفا تاريخيا ، إذ خرج من (الروتين) ووضع الأسس لسياسة إعلامية حقيقية ، لا تتحرك فى المنطقة وعلى الساحة العربية فحسب ، بل نظر إلى ما بعد أنفه ، أى المستقبل ، الذى يريدونه لنا مظلما ، ولكن الطاقات التى عندنا ، اذا أحسنا استغلالها ، لغيرت وجه التاريخ .

توصيات المؤتمر

- التحرك الاعلامى الموحد على الساحة الغربية
- إنشاء مكتب دائم للمؤتمر
- التبادل الإخبارى بين دول الخليج العربية

اتخذ المؤتمر العادى الخامس لوزراء الاعلام فى دول الخليج العربية (الدوحة ٢٣ ــ ٢٨ ربيع الاول ١٤٠٠ هـ الموافق ٩ ــ ١٤فبراير ١٩٨٠م) القرارات والتوصيات التالية :

اولا : تقييم ما تم تنفيذه من قرارات المؤتمر الرابع لوزراء اعلام دول الخليج :

قرر المؤتمر ضرورة انجاز الفعاليات التى لم تنفذ فى العام السابق ١٩٧٩ خلال العام الحالى ١٩٨٠ ومن قبل الدول ذاتها المكلفة بهذه الفعاليات .

ثانيا : توصيات اجتماع الخبراء واللجان :

١ ــ التحرك الاعلامى الموحد على الساحة الغربية :

ا ــ قرر المؤتمر ان تتولى دولة قطر اعداد دراسة مفصلة لخطة التحرك الاعلامى الموحد على الساحة الغربية فى ضوء المناقشات التى تمت والوثائق والمقترحات المقدمة وعرضها على الامانة العامة لجامعة الدول العربية (الادارة العامة للاعلام) للافادة منها فى اغناء الخطط الاعلامية العربية المشتركة على الساحتين الامريكية والاوربية طبقا لقرارات الدورة الخامسة عشر لمجلس وزراء الاعلام العرب ..
وحث الادارة العامة للاعلام على البدء بتنفيذها باسرع وقت ممكن .

ب ــ التذكير بضرورة تسديد الانصبة المالية المترتبة على الدول الاعضاء فى جامعة الدول العربية لتنفيذ البرنامج الذى اقره وزراء الاعلام العرب فى اجتماعهم الاخير بتونس .

جـ ــ اصدار التصريح التالى عن هذا المؤتمر باسم « اعلان الدوحة » :
ان وزراء الاعلام فى دول الخليج العربية المجتمعين فى مؤتمرهم الخامس فى الدوحة بدولة قطر ، انطلاقا من القيم والمبادىء الاسلامية التى يؤمنون بها وبوحى من الرسالة الحضارية التى توجه التطلعات المستقبلية لشعوبهم ودولهم وتحدد مواقفها من التطورات والاحداث التى يمر بها العالم اليوم ، وادراكا منهم لما للاعلام من اثر بالغ فى توجيه الراى العام .....
وبعد ان اجروا مشاورات ومداولات مستفيضة حول الحملات الاعلامية الجائرة التى توجه الى الامة العربية وبصورة خاصة الدول العربية فى منطقة الخليج من قبل اجهزة الاعلام الاجنبية ، فانهم يرون ان على الدول العربية واجبا قوميا هو القيام بجهود اعلامية منسقة ، وفى اطار نظام اعلامى عربى جديد يوضح التوجه الحقيقى الصادق لشعوب الامة العربية وسعيها الدائم لخدمة الحضارة والتقدم الانسانيين ، ومناصرة الحقوق المشروعة وترسيخ الاستقرار ونشر الرخاء والسلام فى ارجاء العالم .
لقد عرفت الامة العربية عبر التاريخ ، وبهدى من دينها الاسلامى السمح برغبتها الشديدة فى التعاون من اجل الخير والعدالة ونصرة الحق .. وانطلاقا من هذه الحقيقة فان وزراء الاعلام فى دول الخليج العربية فى سعيهم من اجل احلال الحوار والتفاهم كمبدا ثابت فى العلاقات الدولية ليأملون من اجهزة الاعلام العالمية ان تتحرى الصدق والموضوعية وان تتوخى النزاهة فى تغطيتها لاخبار العالم العربى عند عرضها لاوضاعه وتناولها لقضاياه . وهم اذ يأملون فى تجاوب بناء مع هذا التوجه من قبل جميع الاطراف ليرجون ان يوفق الله جميع العاملين من اجل خير الانسانية حتى يحققوا تقدما اكبر ورخاء اشمل وسلاما يعم البشرية جمعاء ..

والله ولى التوفيق ،،،

٢ ــ انشاء مكتب دائم للمؤتمر

قرر المؤتمـــر :
ا ــ ان يعهد الى دولة قطر بانشاء سكرتارية للمؤتمر القادم على ان تتعاون فى ذلك مع سلطنة عمان .
ب ــ ان تظل الدولة المضيفة مسؤولة مسؤولية كاملة عن الاعداد للمؤتمر ومتابعة اعماله على ان تقوم كل وزارة بتعيين ضابط ارتباط لتسهيل الاتصالات .
جـ ــ ان يتم تقييم هذا العمل فى المؤتمر القادم ويتخذ على ضوئه قرار بشان اقامة السكرتارية الدائمة للمؤتمر .

٣ ــ الاعلام البترولــــى :

وافق المؤتمر على ما جاء فى المذكرة المقدمة من وفد دولة الكويت بشان خطة الاعلام البترولى لعام ١٩٨٠ وقرر ان تقوم الدولة المعنية بتحويل انصبتها الى وزارة الاعلام فى دولة الكويت التى تقوم بتنفيذ الخطة الموضوعة بالتعاون مع منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول (اوابك) ويجوز لبعض الدول تنفيذ جزء من الخطة بعد الاتفاق على ذلك مع لجنة التنسيق والتخطيط للاعلام البترولى فى دولة الكويت على ان يخصم ما ينفق على هذا الجزء من نصيبها المالى .

٤ ــ الانشطة الاعلامية والثقافية :

قرر المؤتمر ان يتم تنفيذ الفعاليات التى لم تنفذ فى العام السابق خلال العام الحالى ١٩٨٠ مع اضافة فعاليتين رئيسيتين لها هما معرض الفنون التشكيلية ومعرض الكتاب الخليجيين وبالشكل التالى :
١ ــ مهرجان الاغنية فى دولة البحرين
٢ ــ ندوة الشعر فى سلطنة عمــان

تحقيقات إخبارية عن دول المنطقة .. بالتعاون مع وكالات الأنباء

التأكيد على الأهمية القصوى لتبادل الأخبار التلفزيونية في دول الخليج

٣ ــ مهرجان الفنون الشعبية فى الجمهورية العراقية
٤ ــ مهرجان المسرح فى دولة الامارات العربية .
٥ ــ مهرجان الطفل فى المملكة العربية السعودية .
٦ ــ مهرجان الخليج للانتاج التلفزيونى فى دولة الكويت .

كما قرر ان تقام هذه الفعاليات مرة كل سنتين .. اما بالنسبة لمعرض الكتاب الخليجى ومعرض الفنون التشكيلية فيقام كل منهما سنويا وينتقل من بلد الى اخر مع تكليف جهاز تلفزيون الخليج بنقل وقائع هذه الانشطة وتعميمها على الدول الاعضاء بالتنسيق مع الدول المعنية وقد تقرر ان يقام معرض الفنون التشكيلية فى الجمهورية العراقية عام ١٩٨١م ومعرض الكتاب الخليجى فى دولة الكويت ضمن معرض الكتاب العربى الذى ستقيمه على ان يفرد له جناح خاص فى المعرض .

٥ ــ التوثيق الاعلامى :

اوصى المؤتمر الدول الاعضاء بالمصادقة على اتفاقية انشاء مركز التوثيق الاعلامى ببغداد الموقع عليها فى هذا المؤتمر .. وحث الدول الاعضاء على تسديد انصبتها وفق القرار المتخذ فى المؤتمر السابق .

٦ ــ مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك :

اثنى المؤتمر على جهود المؤسسة فى مجال الانتاج البرامجى المشترك و قــــرر :

ا ــ تخفيض اسعار بيع برنامج افتح ياسمسم لاتاحة الفرصة امام جميع الدول العربية للاستفادة من هذا الانتاج وحث المؤسسة على انجاز انتاج مسلسل الحضارة العربية والاسلامية بمناسبة الاحتفالات بالقرن الخامس عشر الهجرى .

ب ــ الاقتصاد فى تكاليف الانتاج مع مراعاة نوعية الانتاج وجودته والعمل على انتاج بعض البرامج فى الدول الاعضاء كلما كان ذلك ممكنا .

جـ ــ تطبيق انظمة الضمان الاجتماعى المعمول بها فى بلد المقر على العاملين فى المؤسسات المشتركة بالدول الاعضاء .

د ــ دراسة اوجه التعاون بين مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك وبين منظمة اذاعات الدول الاسلامية بما يدعم اهدافها المشتركة على صعيد البرامج الاذاعية والتلفزيونية .

٧ ــ جهاز تليفزيون الخليج :

يشكر المؤتمر معالى رئيس مجلس ادارة جهاز تليفزيون الخليج ومديره العام على جهودهما فى بناء الجهاز وتطويره ويصادق على قرارات وتوصيات الاجتماع الرابع لمجلس ادارة جهاز تلفزيون الخليج المنعقد فى الدوحة فى ٢٥ ربيع الأول ١٤٠٠ هـ الموافق ١١ فبراير ١٩٨٠ م .

٨ ــ تطوير جهاز تلفزيون الخليج :

قرر المؤتمر تاجيل الموضوع لاستكمال دراسته من قبل دولة قطر بالتعاون مع مجلس ادارة جهاز تلفزيون الخليج وتقديم الدراسة للمؤتمر السادس لوزراء الاعلام فى دول الخليج .

٩ ــ التبادل الاخبارى بين دول الخليج العربية :

درس المؤتمر المذكرات المقدمة من دولة الامارات العربية المتحدة ودولة قطر وتوصيات الاجتماع السابع للجنة اخبار التلفزيون المنبثق عن اتحاد اذاعات الدول العربية المنعقد بالكويت فى شهر فبراير الحالى بشان تعزيز التبادل الاخبارى بين دول الخليج العربية وقرر ما يلـــى :

١ ــ حث المؤسسات الصحفية بدول الخليج على تبادل زيارات الصحفيين بحيث لاتقتصر عملية التبادل على القيام بالزيارات الاطلاعية التقليدية .

٢ ــ حث المؤسسات الصحفية والاعلامية فى الخليج على تعيين مراسلين لها فى دول الخليج .

٣ ــ يحث المؤتمر وكالة انباء الخليج على :

ا ــ التوسع فى الاستفادة من الاخبار المحلية التى تبثها وكالات الانباء الوطنية فى الدول الاعضاء .

ب ــ اعداد تحقيقات اخبارية عن دول المنطقة بالتعاون مع وكالات الانباء المحلية .

جـ ــ ضرورة الابقاء على « واخ » وكالة خليجية بمعنى ان اهتمامها الاساسى يبقى الاخبار الخليجية او التى لها انعكاسات مباشرة على قضايا المنطقة .

د ــ التاكيد على ضرورة قيام وكالات الانباء فى دول الخليج العربية باعادة بث الاخبار التى تبثها « واخ » على شبكاتها الداخلية او على شبكات خاصة .

٤ ــ التاكيد على الاهمية القصوى لتبادل الاخبار التلفزيونية بين دول المنطقة بشكل متواصل ومباشر ... وحث المعنيين فى هذه الدول على تدعيم التبادل الاخبارى التلفزيونى على النحو التالى :

ا ــ ارسال البرامج الصالحة للتبادل الى منطقة الحقن الاوربية لتضمن فى احدى رسالتى التلفزيون الاوربى وتحمل التكاليف الناشئة عن ذلك . والى حين وضع نظام محدد للتكاليف .

ب ــ اهمية استمرار التعاون القائم حاليا فى مجال التبادل الاخبارى سواء كان جماعيا ام ثنائيا وبكافة الوسائل المتاحة .

جـ ــ دعوة جميع الدول الى تبادل الشرائح المصورة وصور المسئولين والخرائط ووسائل الايضاح المختلفة .

د ــ التاكيد على ضرورة استكمال وصلات شبكة الموجات اللامتناهية بين دول الخليج وذلك لاستخدامها فى تسهيل عملية التبادل الاخبارى والبرامجى فيما بينها .

توصيات المؤتمر

هـ ـ التاكيد على الحاجة الى تدريب الكوادر البشرية فى مجال الاخبار والتبادل الاخبارى .

و ـ دراسة امكانية تعزيز مركز التبادل الاخبارى التلفزيونى بالكويت بحيث يكون نواة لشبكة التبادل الاخبارى وذلك بتزويده برسائل تلفزيونية اخبارية من دول المنطقة يتم تجميعها واعادة بثها فيما بعد الى جميع تلك الدول فى وقت واحد وذلك وفق نظام مالى يتفق عليه .

ز ـ التاكيد على اهمية نقل المناسبات العامة والرياضية والفنية والمعارض الزراعية الهامة الى دول المنطقة بشكل ثنائى أو اكثر أو جماعى .

٥ ـ دعوة محطات الاذاعة والتليفزيون بالمنطقة لتعزيز وتكثيف تبادل التقارير الاخبارية الخليجية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية والرياضية فيما بينها باستخدام جميع الوسائل المتاحة .

٦ ـ عقد اجتماع للمسئولين عن الاخبار فى محطات الاذاعة والتلفزيون ووكالات الانباء فى دول الخليج العربية لتحقيق التعارف فيما بينهم وتعميق التعاون بما يكفل تعزيز التبادل الاخبارى بين دول المنطقة

١٠ ـ ندوة القدس

استمع المؤتمر الى التقرير المقدم من رئيس وفد المملكة العربية السعودية عن الاثار الايجابية الواسعة للندوة الدولية للقدس الشريف التى عقدت فى لندن من ٣ ـ ٥ ديسمبر ١٩٧٩ وهو اذ يشكر المملكة العربية السعودية على مبادرتها هذه يحث على التوسع فى عقد مثل هذه الندوة فى اكثر من بلد .

١١ ـ توحيد الجهود لجمع وتدوين التراث الشعبى لدول منطقة الخليج العربية :

« اطلع المؤتمر على المذكرة المقدمة من وفد دولة قطر بشان توحيد الجهود لجمع وتدوين التراث الشعبى لدول منطقة الخليج العربية وقرر الموافقة عليها من حيث المبدا على ان تقدم دولة قطر دراسة تفصيلية

١٢ ـ تنسيق البرامج الاذاعية الاجنبية فى الاذاعات الخليجية :

« اطلع المؤتمر على المذكرة المقدمة من وفد دولة الامارات العربية المتحدة حول تنسيق البرامج الاذاعية الاجنبية فى الاذاعات الخليجية وقرر الموافقة على عقد اجتماع للمسئولين عن هذه البرامج فى دولة الامارات العربية بدعوة منها وذلك خلال شهر ابريل عام ١٩٨٠ لدراسة الموضوع وتقديم مقترحاتهم بهذا الشان .»

١٣ ـ الشئون الفنية والتدريب :

١ ـ تشكيل لجنة هندسية دائمة لمؤتمرات وزراء اعلام دول الخليج . كلف المؤتمر جهاز تلفزيون الخليج بالاسراع فى تشكيل اللجنة الهندسية المختصة التى نص عليها ميثاقه وذلك لدراسة الامور التى وردت فى مذكرة دولة قطر وكذلك دراسة اية امور هندسية اخرى قد تطرا الحاجة لدراستها .

٢ ـ نتائج مؤتمر الراديو العالمى وتاثيرها على دول الخليج .

قرر المؤتمر أن :

ا ـ تقدم الدول الاعضاء مقترحاتها وآرائها بشان المشاركة فى المؤتمرات الهندسية العالمية الى جهاز تلفزيون الخليج ويقوم الجهاز بالدعوة لعقد اجتماع مشترك بين الدول الاعضاء بفترة لا تقل عن ثلاثة اشهر قبل انعقاد المؤتمرات العالمية المعنية لدراسة المقترحات والاراء للوصول الى صيغة موحدة تمثل وجهة نظر الدول الاعضاء .

ب ـ ترسل الدول الاعضاء الى جهاز تلفزيون الخليج جدولا باحتياجاتها فى الموجات الاذاعية والتلفزيونية التى تفى بخططها الحالية والمستقبلية بهدف التنسيق مع الجهات المعنية بوزارات المواصلات .

جـ ـ ترسل الدول الاعضاء الى جهاز تلفزيون الخليج جدولا بخططها الحالية والمستقبلية الخاصة باستخدام قنوات التردد المتناهى فى العلو ويقوم الجهاز بالتعاون مع الاتحاد الدولى للمواصلات بوضع جدول مرحلى لتوزيع القنوات فى حيز التردد المتناهى فى العلو وتقديمه الى مؤتمر وزراء الاعلام القادم مع اشعار جهاز تليفزيون الخليج باسرع وقت ممكن بمشروعات الدول الاعضاء لعام ١٩٨٠ م .

د ـ يؤكد المؤتمر ضرورة حل مشاكل تداخل القنوات بين دول المنطقة بلقاءات ثنائية لايجاد الحلول الملائمة مع الاستعانة بجهاز تلفزيون الخليج على أن تقوم الدول بناء على الجدول المرفق باشعار جهاز تلفزيون الخليج بالاجراءات التى اتخذت من قبل الدول المعنية لتلافى التداخل .

٣ ـ توحيد اجهزة الفيديو فى دول الخليج :

قرر المؤتمر ان :

يترك للدول الاعضاء حرية اختيار النظام الملائم على ان تحاول جهد الامكان استخدام النظام المعمول به حاليا فى معظم دول المنطقة .

٤ ـ المركز العربى للتدريب الاذاعى والتليفزيونى فى دمشق :

قرر المؤتمر :

ا ـ ان يتم تحويل مبلغ ثلاثة ملايين دولار لانجاز المراحل الاساسية للمركز العربى للتدريب الاذاعى والتلفزيونى بدمشق حسب انصبة الدول الاعضاء فى المشاريع الاعلامية المشتركة (تحفظ وفد سلطنة عمان على هذا البند) .

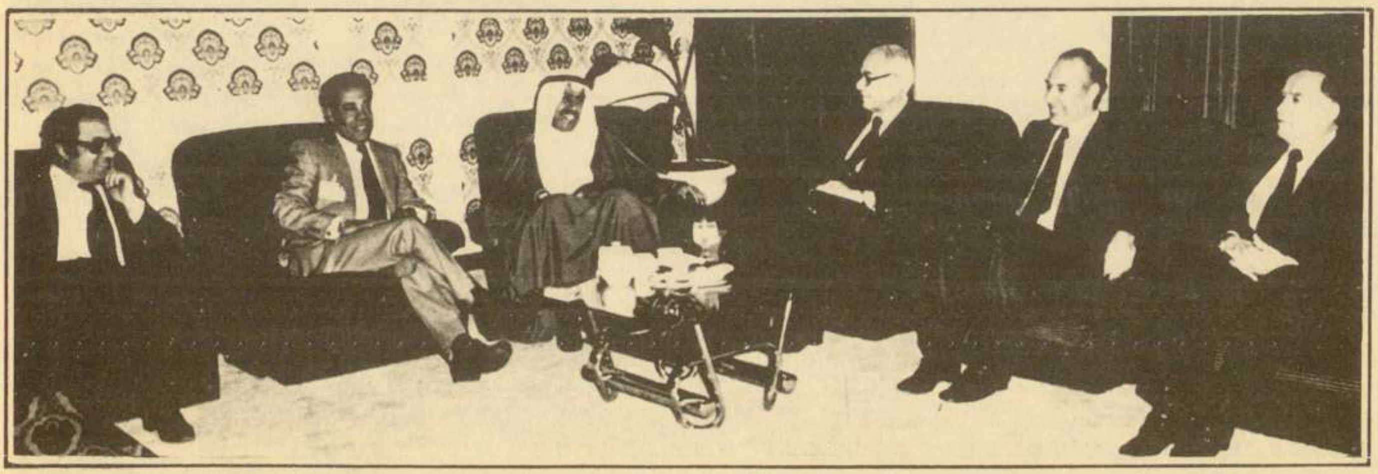

ب ـ الاسراع بتشكيل مجلس ادارة المركز من الدول المساهمة يتولى كافة مهام المشروع .

جـ ـ تفويض مجلس ادارة المركز واللجان منه بتحديد اولويات التجهيز والتشغيل واتخاذ القرارات اللازمة لذلك فى ضوء المبلغ المقرر للمركز .

د ـ موضوعات ونتائج التدريب الاذاعى والتلفزيونى :

اولا : قرر المؤتمر ان :

أ ـ يقدم المركز الخليجى لتنسيق التدريب الاذاعى والتلفزيونى فى الدوحة للمؤتمرات القادمة ورقة مستقلة عما تم بالنسبة لخطة التدريب فى السنة السابقة تتضمن الراى والتقييم العلمى السليم فى الدورات التى تمت . وان يكون ذلك من خلال دراسة دقيقة بين المركز والدول التى اقيمت فيها الدورات .

ب ـ تقدم ورقة اخرى بخطة التدريب للعام التالى موضحا بها المصادر التى بنيت عليها الخطة .

جـ ـ تكافىء الدولة المتدرب المكافاة التى تراها مناسبة فى حالة اتمامه الدورة بنجاح .

د ـ منح المتدرب شهادة اتمام الدورة من الدولة المضيفة .

هـ ـ الاعتراف بهذه الشهادة بين وزارات اعلام دول المنطقة .

و ـ تعطى الاولوية فى البعثات لمن اتموا الدورات التدريبية فى احدى دول المنطقة .

ز ـ تحرص الدول المشاركة فى الدورات التدريبية ان يكون مندوبوها على مستوى مقبول من الخبرة والدراسة .

ثانيا: خطة التدريب لعام ١٩٨٠ :

أ ـ فى مجال الاذاعة :

البرامج الدرامية (اعدادها واخراجها بالاذاعة فى شهر سبتمبر ١٩٨٠م فى دولة قطر .)

وقد اختيرت دولة قطر مقرا للدورة ..

ب ـ فى مجال التلفزيون :

١ ـ برامج الاطفال (اعدادها واخراجها) فى المملكة العربية السعودية وستحدد المملكة العربية السعودية موعد الدورة وتقوم باخطار مركز التنسيق .

٢ ـ الاخبار واستخدام الاقمار الصناعية لمدة ١٥ يوما فى النصف الثانى من شهر سبتمبر ١٩٨٠م فى دولة الكويت يشارك فيها اثنان احدهما مهندس والاخر اخبارى

٣ ـ الاخراج التلفزيونى مع العناية بالاخراج السينمائى واستخدامات الكروملكى

فى دولة قطر يبدأ من شهر ابريل ولمدة ٦ اسابيع .

٤ ـ الديكور والاكسسوار

فى الجمهورية العراقية يبدأ من ٢٥ / ١٠ / ٨٠ ولمدة شهر .

٥ ـ الاضـــاءة

فى دولة الامارات العربية المتحدة ولمدة ١٥ يوما تبدأ فى شهر اكتوبر ١٩٨٠ م .

٦ ـ كتابة واعداد البرامج فى الاذاعة

فى الجمهورية العراقية يبدأ من ٣/٥/١٩٨٠م ولمدة شهر .

ثالثا : وافق المؤتمر على عقد اجتماع بين مديرى برامج محطات دول الخليج ومديرى الهندسة وعدد من مديرى المحطات الاجنبية فى لندن اثناء انعقاد مؤتمر (اى . بى . سى) على ان يدعو جهاز تلفزيون الخليج مدراء كل من الـ بى بى سى والتلفزيون الدنمركى والتلفزيون السويسرى لهذا الاجتماع ويقوم تلفزيون الخليج بالتعاون مع مركز التنسيق للاعداد لهذا الاجتماع على ان تتحمل كل دولة نفقات مبعوثيها ويتولى جهاز تلفزيون الخليج تحمل نفقات الضيوف المشار إليهم .

رابعا : يستمر المركز الخليجى لتنسيق التدريب الاذاعى والتلفزيونى بالاعمال المناطه به للتنسيق فى الدورات التدريبية التى ستعقد فى دول المنطقة فى حدود الامكانيات المتاحة له .

خامسا : يشكر المؤتمر الجمهورية العراقية على مبادرتها الطيبة بمنح زمالات دراسية اعلامية .. ويرى تعميم مذكرتها بهذا الخصوص على دول المنطقة .

سادسا : حث الدول الاعضاء على ارسال البيانات الخاصة بالاستبيان الموجه للمؤسسات الاذاعية والتلفزيونية المقدم من دولة الامارات العربية المتحدة .

١٤ ـ ندوة لندن :

يشكر المؤتمر دولة الامارات العربية المتحدة على اقامة ندوة لندن للصحافة الدولية لعام ١٩٧٩ ويرى المؤتمر ضرورة قيامها بعقد الندوة الثانية فى باريس خلال العام الحالى ... ويطلب المؤتمر الى دولة الامارات العربية المتحدة تقديم دراسة مفصلة حول اقامة رابطة او جمعية او مكتب للصحفيين الاوربيين والعرب فى اوربا لمناقشتها فى المؤتمر القادم .

١٥ ـ العمل الاعلامى المشترك بين اجهزة الاعلام فى دول الخليج وبرنامج الامم المتحدة الانمائى :

بحث المؤتمر اجهزة الاعلام فى دول الخليج على التعاون مع مكتب الدول العربية الاقليمى التابع لبرنامج الامم المتحدة الانمائى فى ابراز جهود الدول الخليجية من اجل التنمية الذاتية ودورها فى التعاون الدولى وذلك عن طريق تنظيم رحلات صحفية دولية للمشاريع الانمائية والانتاج المشترك للمواد الاعلامية فى مختلف مجالات التنمية وتوزيعها فى كافة انحاء العالم .

١٦ ـ وكالة انباء الخليج :

اجتمع مجلس ادارة وكالة انباء الخليج بحضور رؤساء الوفود المشاركة فى المؤتمر واقر الميزانية المصدقة من المحاسبين القانونيين كما وافق المجلس على ان يدعو رئيس مجلس الادارة الى اجتماع لخبراء الوكالات فى الدول المشاركة يعقد فى مقر الوكالة فى خلال شهر وذلك لاقرار خطة العمل لتطوير الوكالة فنيا وبشريا فى اسرع وقت ممكن .. كما اقر المجلس تعيين مراسلين للوكالة فى الدول الاعضاء باسرع وقت ممكن

١٧ ـ وافق المؤتمر على الدعوة الكريمة الموجهة من معالى الاستاذ عبد العزيز الرواس وزير الاعلام فى سلطنة عمان لاستضافة المؤتمر السادس لوزراء الاعلام فى دول الخليج فى النصف الاول من شهر فبراير ١٩٨١م.

●●●

يرفع المؤتمر جزيل شكره ووافر تقديره الى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثانى امير دولة قطر وسمو ولى عهده الشيخ حمد بن خليفة ال ثانى على كرم الضيافة .. كما يوجه الشكر والتقدير لسعادة الاستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام على ما وفرته الوزارة من تسهيلات لانجاح اعمال المؤتمر .

دراسات في شئون الخليج

د. محمد جابر الأنصاري

أصوات ساخرة في الأدب السعودي

لماذا اخترت هذه الشواهد من الادب الساخر بالذات من بين النماذج المتعددة التي أنقلها الى القارىء العربي من أصوات الادب السعودي ؟

ان ظهور الادب الساخر دليل ارتقاء في الذوق ، ودليل روح تسامت على ألم الحياة فحولته الى ابتسامة حكيمة تشف عما وراءها من ادراك فلسفي لمفارقات الحياة وتناقضاتها ٠

ولا يظهر الادب الساخر الا عندما يصل أدب الامة الى مرحلة من النضج ينتقل فيها من التعبير البدائي المباشر عن همومه الى التعبير المتفنن غير المباشر ٠

والادب الساخر بعد كل شيء أمتع أنواع النقد الاجتماعي والانساني فهو ذلك الوخز الناعم الذي يمس الجلد ويحرك فيه الدم دون أن يجرحه أو يؤلمه ٠

وهو يقول أشياء واشياء دون أن يلزم نفسه صراحة بأي شيء ٠٠ غير الابتسامة اللاذعة ٠

وتتكون رحلتنا هذه في الادب السعودي الساخر من ثلاث محطات متباعدة زمنيا ونوعيا :

● المحطة الاولى مع « حمار حمزة شحاته » ٠

● والمحطة الثانية مع حسين سرحان في « أديب يسخر من نفسه » ٠

● والمحطة الثالثة مع الدكتور غازي القصيبي في تصويره لذلك الكائن الاجتماعي الغريب الذي أطلق عليه اسم « الرشوقراطي » ٠

قبل حمار الحكيم

حمار حمزة شحاتة ، يذكرنا على الفور بحمار الحكيم ٠ والفرق بينهما أن حمار الحكيم اشتهر من خلال وسائل النشر المتاحة للادب المصري منذ وقت طويل ، ولم يشتهر حمار حمزة شحاته لانه لم يظهر في كتاب الا عام ١٩٧٧ على الرغم من أن تاريخ كتابته تعود الى أكثر من ربع قرن ٠

والاهم من ذلك أن الاستاذ عبد الله عبد الجبار ، المحاضر بمعهد الدراسات العربية بالقاهرة ، يرى أن حمزة شحاته قد سبق توفيق الحكيم ، على الارجح ، الى معالجة هذا الموضوع الساخر ٠

يقول عبد الله عبد الجبار في مقدمته لكتاب حمار حمزة شحاته :

ـ « ثم هي بعد ذلك فكرة جديدة، على الاقل في احساس كاتبها الاديب السعودي ، فهي حين كتبها قبل اكثر من ربع قرن لم يكن توفيق الحكيم الاديب الجهير قد أصدر كتابه « حمار الحكيم » و « حماري قال لي » ، ولم يترجم كذلك رائعة خمينيز « أنا وحماري » ٠ واذا رجعنا أنه قرأ كتاب « خواطر حمار » للكونتيس دوسيجور ، فاننا نلاحظ انه لم يسرق من ذلك الكتاب ولم يتأثر بتلك الخواطر او المذكرات التى يرجح أن توفيق الحكيم قد تأثر بها واقتبس منها » ٠

ولسنا هنا في معرض تحقيق مسالة الاسبقية بين الحكيم وشحاته ٠ لكنا نريد التنبيه فقط أن «العمالقة» الذين تألقوا في مرايا الاعلام والنشر في تاريخنا الادبي الحديث ليسوا بالضرورة هم الوحيدون الذين يستحقون هذا الوصف ٠ أن الاضاءة الاقليمية المتحيزة قد « لمعت » بعض الادباء وأجحفت بحق البعض الآخر عندما أبقتهم في الظل ٠ فاقتصرت العبقرية « والعملقة » على قطر عربي أو قطرين ، وبدا وكأن الاقطار العربية الاخرى لا روح فيها ولا ابداع ٠ وذلك ما لا تقبل به روح العلم ولا روح العدل ٠ ونأمل ان تؤدي حركة البحث التي تشمل مختلف أقطارنا العربية الى انصاف كل موهبة عربية أيا كان موطنها ، دون التأثر بمظهر « الانتفاخ » الذي يحاول أن يظهر به أدباء هذا القطر العربي أو ذاك ، مستغلين الدعاية التي أتيحت لهم ولم تتح لغيرهم ٠

ونعود الى « حمار حمزة شحاته » كنموذج رائد للادب الساخر في الجزيرة العربية لنقرأ منه المقاطع التالية ضمن هذه الاصوات التي تتحدث عن نفسها من الادب السعودي الحديث :

حمار حمزة شحاته

« في الحمير شيء جدير بالاحترام والدراسة ، والعناية بالحمار ليست فضولا فانه رفيق الانسان منذ كانا ٠٠ وما نشك انه من أكثر الحيوانات طيبة ، وان ما دخل على أخلاقه وغرائزه من الشذوذ المنكور انما جاءه من قسوة الانسان وعنته ،

- ثلاثة أصوات من الأدب السعودي الساخر في فترات مختلفة
- الرشوفراطي للأسف الشديد يتمتع عادة باحترام الناس
- السخرية من النفس هي أدق أنواع الأدب الساخر
- أدبنا كالذهب الأسود الكامن في باطن الأرض يستحق التنقيب الدؤوب
- علينا أن نكتب تاريخنا الأدبي من جديد بعيداً عن أهواء دور النشر

الدكتور غازي القصيبي

وليس هذا وحده ما يجعله أجدر باهتمامنا .. فان في الحمار جاذبية .. وفيه أناقة ووجاهة يفوقان كثيرا من الآدميين . وله ابتسامة محجوبة يدركها ويدرك موضع السحر والفتنة فيها كل من يعنيه من أمر الحمير ما عنانا .

« وقد أساء الانسان فهم الحمار وركبه بالسخر والدعابة حتى أصبحت كلمة حمار منذ أجيال سبة الآدميين وموضع تنادرهم ، والحمار في هذا أخسر الاحياء صفقة مع الانسان .. ولا نشك أن صدفة من الصدف السيئة قضت على سمعته هذا القضاء الظالم .

« ولعل حمارا من حمير التاريخ القديم تمكنت منه الفلسفة ، أو تمكن منه الضعف والخوف ، ونشأ عن هذا اخلاله بواجباته المفروضة عليه اخلالا يدل على الغباء والذهول حتى اشتهر أمره ، وتنادر الناس ببلادته وغبائه ..

« وفي الحمار خفة ، وفي حركاته حلاوة ، ونظراته لا تخلو من معان تفيض منها العذوبة . وفيه ديمقراطية تصرفه عن الخيلاء .

« ويركبه الصبيان أو أشباههم من ذوي اللحى والشوارب ، ويعملون فيه أيديهم نخسا وأقدامهم رفسا .. ويعاني الحمار المنكوب من هذا شر ما يعانيه حمار من راكبه ، ثم لا يكون منه الا احتمال هذا الاذى ، والمسايرة فيه ، فاذا مس السوط جلده ، وجن جنونه وقام على رجليه الاماميتين والقى راكبه ، قيل حمار حرون شرير ، وما به شر ولا حران لكنه فساد ذوق الانسان وتحجر عواطفه .

« وصوت الحمار من أنكر الاصوات ما ننفي هذا ، أو هو أنكرها ان كنا نعتبر النعومة والاعتدال كل مقومات الصوت الحسن ..

« وقد يخطر لحمار أن يرفع عقيرته مغنيا ليطرب أمثاله من الحمير فيضحك الناس ويمطرونه وابلا من الشتائم والازدراء . وفي هذا حجر لا شك فيه على الحرية الشخصية (للحمار)، كان من الواجب أن يتنزه عنه الانسان تساميا بذوقه . وماذا يبقى للحمار من الحقوق ان حرم الحرية في استعمال هذا الحق ؟

« أما حماري الذي أمهد للحديث عنه بهذه المقدمة فهو بدع بين الحمير. وأقسم بالله انه لو كان انسانا لكان مكانه بين من تشتغل الدنيا بذكرهم من العظماء والفنانين ظاهرا مرموقا .

« وقد أنس حماري مني هذا الشعور الطيب أو تمثله من وجهي أول ما تلاقى نظرانا ، فانفرجت شفتاه عن ابتسامة فاتنة ، فمسحت له عنقه ، ولعبت أناملي بأذنيه الناعمتين ردا لتحيته الرقيقة ، فأخذ صدره يعلو وينخفض تأثرا بهذه العاطفة التي بادلني اياها بشهقات حارة .

« ولاح لي بعد خطوات أن مزاج حماري من الامزجة الميالة الى الاستقلال ، فلم أشأ أن أثقل عليه . واني أعترف في سرور بأنه لم يكن مقصرا فيما يجب عليه كحمار كامل !!.. وكان يسرع في الارض السهلة المتسعة ، ويتئد في المضايق والوعور . ووجدت بعد لحظات ان في وسعي الاقتناع بوجاهة تصرفاته، علاوة على أنها في مصلحتي .

« والحمار طيب القلب ، يساعده على أن يكون هكذا دائما ضعف ذاكرته . فهو لا يستطيع أن يحتفظ بالحوادث المؤلمة طويلا .

« ونشر الليل أرديته على الوادي فزاده جلالا ، وكان كل شيء صامتا كأنما يصغى الى همس الطبيعة .. فودعنا هذه الحياة النابضة ، وكنت أتمثل في نظرات حماري معنى بيت المتنبي : —

أبوكم آدم سن المعاصي
وعلمكم مفارقة الجنان

« وبعد ، فهذه ذكرى صحبتنا الهادئة أبعثها كتحية الى ذلك الرفيق الطيب » ..

على هذا النحو تحدث حمزة شحاته عن حماره . وقد عمد الكاتب الساخر الى نفي الصفات المرذولة التي اشتهر بها الحمار بين الناس ، وأخذ يظهر من محاسنه ما لا تراه العين العادية . وهذا الدفاع عن صفات الحمار هو في حقيقته المبطنة انتقاد لاذع لرذائل الكائن الانساني . فالغرض الحقيقي لمثل هذه الكتابة ليس مجرد التفكه بالحديث عن حمار طيب حكيم ، وانما هو الكشف الشفاف عن نقائص ابن آدم ومفارقاته المثيرة .

اديب يسخر من نفسه
بقلم : حسين سرحان

والسخرية من النفس هي أدق أنواع الادب الساخر • انها نوع من « الاعتراف » الذاتي الضاحك اللاذع الذي يتخذه الاديب وسيلة لنقد نموذج اجتماعي شائع من خلال نقده البريء لنفسه !

يقول الاديب والشاعر السعودي حسين سرحان في مقالة يعود تاريخها الى عام ١٣٧٢هـ الموافق ١٩٥٢ :

« أنفت من صغري أن أطرد ثعالب النوم عن عيني مبكرا • فما يزقزق أول عصفور في العالم الا وأنا أبادله الصداح والجذل • وبعد عرك العين وفرك اليد الملم أطرافي — حفظني الله — وأشرف الحمام التركي بزيارتي الصباحية المشهورة حتى اذا قضيت منه وطرا تراجعت أدراجي بكل وقار وسكينة الى البهو العامر — كلأني الله برعايته — وعندئذ يلتف الاولاد والخدم بعميدهم المبجل الذي هو أنا ولله الحمد •

ويمد خوان الافطار ويؤتي بصحاف الطعام من كل لون ، ومما يجدر ذكره اني — عافاني الله — اتبع نظاما خاصا في الاكل من شانه أن يجعل الغدد (الزرقاء) تتفاعل مع (الكريات الحمراء) •• وبالرغم من بساطة ماكلي فانه — على أرجح الاقوال — لا يزيد عن لحم طير مما تشتهون ، ودجاج أمريكي مما تسمعون ولا تأكلون •

« حتى اذا انفض السامر عن تدمير العامر مما في الصحاف ، أمرت بصوان الملابس — رعاني الله — فجيء به الى ، والغالب اني لا ألبس الا ما يتفق مع الحشمة والتجمل ، فمن عباءات عربية مزركشة الى عمائم سويسرية مزخرفة ولا أزيد • وعلى ذكر هذا فاني أتفق تماما مع توماس كارلايل في « فلسفة ملابسه » التي يعلقها — الفلسفة لا الملابس ! في مشاجب صوانه » •

« وأتريث قليلا حتى أتأكد من أن السكينة والوقار قد حفا بي فعلا — أدام الله بقائي — وعندئذ أرفل في كل ذلك حتى أسمع لهذا الرفل حفيفا مثل حفيف أوراق الشجر في الهواء اذا خطر ••

« ثم أكرم الاسواق بزيارتي اليومية التي تناقلتها الركبان وشنفت الآذان في كل زمان ومكان ، على اني لا أسمح للناس أن يقوموا في كراسيهم أو يخرجوا من حوانيتهم ، ولكني أكتفي بايماءة من هنا واشارة من هناك قياما بواجب السلام في بلاد الاسلام •

وحينما تتوسط الشمس سرة السماء ، اعود في كمال منقطع النظير الى الدار الرحبة الفناء ، الواسعة الابهاء ، حيث أطلب حالا حالا حالا بل حالين ، وأحيانا عشر حالات وجبة الغذاء الشهي وهي لا تزيد — اذا علمنا أن القناعة كنز لا يفنى — عن وجبة الافطار الا بطا ووزا •• وهكذا في العشاء أيضا •• مد الله في عمري وأبقاني ذخرا للاوراق والاقلام ••

« وفي غرة عام ١٣٦١هـ توفزت همتي العالية وصدرت ارادتي السامية الى محاسيبي وخدمي أن يتأهبوا للسفر الى بلاد عسير وكنت على يقين من أن السلامة سترافقني في الترحال والاقامة باذن الله •• وعندما بدأت الرحلة رأيت طيورا بيضاء ترفرف فوق رأسي الفخم فأشرت بيدي اليها وقلت لرفقائي : ما هذه ؟

« فأجابوا كلهم — ما أشد اخلاصهم لي — هذه أطال الله عمركم طيور السلامة التي عهد اليها ان ترافقكم في الترحال والاقامة ••

« وبعد أن سدد الله خطاي ووفقني الى ما يحبه ويرضاه وصلت الى أبها عاصمة عسير ، وعندئذ تفضلت فأذنت لطيور السلامة بالعودة الى أن أطلبها عند القفول من السفر •• وسأحدث القراء في درة غالية من درري ، وكلمة ثمينة من كلمي في عدد آت من هذه الصحيفة التي أخصها وأشرفها بالرائع من بياني •• سأحدث القراء عن أبها عاصمة عسير التي كان الترك يوم كانوا يحكمونها يسمونها (كشك اسطنبول) ، فلينتظر القراء بفارغ الصبر ، على أحر من الجمر ، ودمتم سالمين وادامنا الله لكم فانا عليكم بالكرم والجود لكالسحابة الهطالة » (راجع كتاب « مقالات حسين سرحان » من منشورات النادي الادبي بالرياض ص ١٦١ — ١٦٨) •

« الرشوقراطي »
للدكتور غازي القصيبي

وننتقل الى الفترة المعاصرة لنرى نموذجا مختلفا من الادب الساخر ، أصبح أكثر وضوحا وصراحة في نقده ، مع احتفاظه بخاصية الكشف عن المفارقات بلمسات لاذعة • وهذا النوع يمكن أن نطلق عليه الادب الساخر الملتزم • لان اهتمامه بالاصلاح يفوق اهتمامه بالنقد الساخر المجرد •

يقول الدكتور غازي القصيبي في مقالة له بعنوان « عن الرشوقراطية » :

— « في جميع بلاد العالم ، وفي البلاد المتخلفة على وجه الخصوص ، توجد داخل الطبقة البيروقراطية طبقة أخرى يختلف حجمها باختلاف الظروف والاغراءات والروادع ، هي طبقة الرشوقراطية التي تضم الموظفين الذين طوروا أخذ الرشوة الى فن معقد رفيع ••

« ولهذه الطبقة ، وعلى اختلاف الاوضاع والبلاد ، ملامح واحدة •

« الرشوقراطي في العادة ، نتيجة لما يمارسه من فساد ، ثري ينعم بمستوى عال من المعيشة • من الرشوقراطيين من تتجاوز فواتير الكهرباء في منزله راتبه الرسمي

بأكمله · بالاضافة الى ما يملكه من الاراضي والبيوت وحسابات البنوك · ومنهم من يملك ما لا يستطيع أن يحصيه ·

« والرشوقراطي في العادة شديد الذكاء · ومنذ قرون شكا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قوة الخائن وعجز الامين · وذكاء الرشوقراطي هو الذي يمكنه لا من البقاء حيث هو وانما من التدرج الى وظائف أعلى فأعلى ··

« والرشوقراطي في العادة شديد النشاط ، بل ان من الرشوقراطيين من ينجح في بناء سمعة طيبة كاداري ممتاز لا يمكن الاستغناء عنه · ونشاط الرشوقراطي يجذب اليه صلاحيات أكبر فأكبر كان من الممكن لولا نشاطه أن تنصرف الى موظفين آخرين ··

« والرشوقراطي في العادة كثير الحديث عن المبادىء والاصلاح · وهو يتبع سياسة (الهجوم أفضل دفاع) ، فلا يضمه مجلس الا وتحدث عن الفساد وضرورة التطهير ، وعدد الكثير من معدومي الضمائر ··

، والرشوقراطي في العادة ، وللاسف الشديد ، يتمتع باحترام الناس ، وهل من المستغرب أن يحظى شخص ثري ذكي نشيط دائم الحديث عن الاصلاح بالاحترام والتقدير ؟

« والرشوقراطيون ينجحون بطرق مختلفة في التعايش مع أنفسهم · اذا كان الرشوقراطي ينتمي الى بلد غني أقنع نفسه بأن ما يأخذه قطرة من بحر لا تقدم ولا تؤخر · واذا كان ينتمي الى بلد فقير صور لنفسه ان ما يأخذه ليس سوى حق مشروع له مقابل ما قدم للبلاد من خدمات لا تقدر بثمن · ومن الرشوقراطيين من يقنع نفسه بأنه يحسن أوضاعه دون اضرار بالمصلحة العامة على اعتبار أن ما يتقاضاه مأخوذ من أرباح المقاولين لا من ميزانية الدولة · ومنهم من يعمى عن المسألة الاخلاقية تماما ويتصرف كما لو كان قبول الرشوة أمرا طبيعيا كشرب الماء والاكل والتنفس ··

حمزه شحاته

حسين سرحان

« ولكن الرشوقراطي رغم هذا كله لا يعرف السعادة :

« لا يستطيع الرشوقراطي أن يسعد بثروته · فهو من ناحية مضطر الى ستر الجزء الاعظم من ماله · بل ان بعض الرشوقراطيين يدعون ضيق اليد بطريقة مبتذلة بذيئة يأنف منها أشد الناس فقرا · وهو من ناحية أخرى مشغول بجمع المال عن الاستمتاع بانفاقه ··

« والرشوقراطي لا يستطيع أن يسعد بذكائه · فهذا الذكاء مشغول باستنباط طرق جديدة من طرق الرشوقراطية أو بحماية صاحبه من الانكشاف دون أن يترك له المجال ليبدع أو ليحقق هدفا ساميا يتجاوز الذات ·

« والرشوقراطي لا يسعد بنشاطه الذي يتحول الى لعنة عليه لا تدع له دقيقة للاسترخاء · والرشوقراطي في العادة متوتر الاعصاب ، ولا يجد وقتا يقضيه مع عائلته وأولاده ·

« والرشوقراطي لا يستطيع أن يسعد بحديثه عن المبادىء والاصلاح · بهذا الحديث رنة خداع تقرع سمعه قبل أن تقرع آذان المستمعين · حديث الرشوقراطي عن المبادىء كعزف العود ذي الاوتار المقطعة ·

« والرشوقراطي لا يسعد باحترام الناس · فهو يدرك أن الاحترام موجه الى مركزه قبل أن يكون موجها الى شخصه · وهو يدرك انه لا يستحق الاحترام · وهو ينسحق بتفاهته عندما تلتقي عيناه بعيني موظف آخر تعرض للمغريات فكان أكبر منها ، وآثر أن يعيش بجيب خال وصدر مليء بالحب والثقة والايمان ··· وكيف يستطيع الرشوقراطي أن يحترم نفسه وهو يدرك أن روحه ، والروح أثمن ما لدي الانسان ، مطروحة في المزاد كأي قطعة من أثاث قديم مستعمل ·· » ·

والحقيقة أن موضوع « الرشوقراطية » من الموضوعات التي تستأثر باهتمام الناس في كل البلاد العربية دون استثناء · ولمواجهة هذا الداء تبذل معظم محاولات الاصلاح والتطهير الاداري · ولم أجد كاتبا عربيا عالج هذا الموضوع بمثل هذه الجراة وهذه البراعة التصويرية الفنية كما فعل الدكتور غازي القصيبي · واذا كان ذلك يدل على براعة الكاتب وصراحته ، فانه يدل أيضا على قدر من مناخ الحرية التي أخذ يتمتع بها الادب السعودي ·

وبعد ··· فتلك ثلاثة أصوات من الادب السعودي الساخر من فترات مختلفة ··

وهي أصوات تركناها تتحدث عن نفسها ، ونترك الان للقارىء أن يحكم على المستوى الفني والموضوعي الذي تتصف بـه ·

واذا جازت لنا كلمة أخيرة فهي أن أدبنا في الجزيرة العربية والخليج كاللؤلؤة التي في المحارة يستحق الغوص الطويل النفس ·· وكالذهب الاسود الكامن في باطن الارض الطيبة يستحق التنقيب الدؤوب الصبور ·· وان علينا أن نكتب تاريخنا الادبي من جديد بعيدا عن أهواء دور النشر والدعاية في القاهرة أو بيروت ·· تلك الدور التي نعتبرها مسئولة عن « عملقة » بعض الاقزام ·· وتقزيم بعض العمالقة !!

الدكتور محمد جابر الانصاري

صور كاريكاتيرية

عبد الوهاب الأسوانى

حديث مع رجل نقى السريرة

لم أر فى حياتى انساناً يحب الجنس البشرى ويدافع عنه كما يفعل هو ..

التقيت به فى إحدى الندوات الثقافية فجلست بجواره وانا اشعر بالأمان المطلق .

قبل ان ابدا معه حديثى ، اشار الى رجل كان يتكلم فى الندوة وسالنى : اتعرفه ؟

ـ وجهه ليس غريبا عنى ..

ـ انه الاستاذ سليم سالم السالمى ..

ـ الكاتب الصحفى ؟

قال بحماس أبوى :

ـ هو من افضل من انجبتهم الصحافة العربية فى تاريخها لولا الموضوع الاخير ..

ـ اى موضوع ؟

ـ فى لحظة ضعف اختلس ربع مليون جنيه وكاد مستقبله يتحطم لولا ان سارع الموسيقار الكبير (طلعت الازرق) باستخدام نفوذه فى تسوية المسالة كرد للجميل ايام الضجة ..

ـ اى ضجة ؟

لوح بيده قائلا فى ضيق :

ـ هذه المسائل تافهة ولا ينبغى ان نشوه بسببها سمعة اعلامنا الكبار الذين صنعوا نهضتنا الحضارية ، سيما واننى اعتبر الموسيقار (طلعت الأزرق) هذا شيئاً اساسيا عندنا .. كانه الهرم الاكبر او نهر الفرات ، ويكفيه انه كشف لنا موسيقى ابراهيم الموصلى ..

ـ إبراهيم الموصلى من ؟ .. أتعنى ذلك الموسيقى الكبير الذى كان يعيش فى العصر العباسى الأول ؟

ـ هو بعينه .. فقد ترك لنا تراثاً موسيقياً ضخماً ، أهمل على مر العصور حتى جاء (طلعت الازرق) وقدمه لنا ..

ـ ولكن مبلغ علمى ان مؤلفات الموصلى ـ ومعها الموسيقى العربية القديمة ـ ضاعت كلها لأن التدوين الموسيقى لم يكن معروفاً فى ذلك الوقت.

ضحك وهو يقول :

ـ هذا مفهوم خاطىء وقعنا فيه جميعا .. لأن الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر ، عثر على مدونات (الموصلى الموسيقية وحاول أن يفك طلاسمها فلم يستطع ، فاستعان بمفخرتنا الموسيقية الحديثة (طلعت الأزرق) ، ومن هنا كان سبب تورطه مع المخابرات

ـ أى مخابرات ؟

ـ طلعت الأزرق أذاع موسيقى (الموصلى) على الناس على أنها من تاليفه ، فغضب جان بول سارتر ، ونشر مقالا فى صحيفة فرنسية ، اتضح لنا منه انه هو الذى فك طلاسم مدونات ، (الموصلى) .. فانتهزت مخابرات العدو الفرصة ، وساومت طلعت الازرق على ان تسوى له الموضوع فى الصحافة

الفرنسية بشرط ان يتعاون معها فوافق ! .. ولما كشفت مخابراتنا الامر ، تكشفت معها مسالة الموسيقى اليونانية ..

ـ اى موسيقى يونانية ؟

ـ اعنى تلك التى دونها ابراهيم الموصلى ونسبها الى نفسه !

ـ هل افهم من هذا ان (الموصلى) سرق هذه الموسيقى ؟

تجهم وجهه وقال بعصبية :

ـ قلت لك الف مرة ما ينبغى أن نشوه سمعة اعلامنا من اجل هذه الصغائر ، سيما وان (الموصلى) ليس اسوا من جان بول سارتر الذى اتضح انه كاذب لان الذى فك طلاسم هذه المدونات هو « بيتهوفن » ..

ـ اتقصد « بيتهوفن » الموسيقى المعروف ؟

ـ هو بذاته .. وهذه المدونات هى السبب المباشر فى الصمم الذى اصابه بعد الصدمة المشهورة ..

ـ اى صدمة ؟

ـ صدمة البوليس وهو يقتحم بيته ويعلن على الناس ان جميع سيمفونيات بيتهوفن مقتبسة من هذه المدونات !

ـ بيتهوفن ؟!

ـ لاتنس ان بيتهوفن يعتبر ملكا للبشرية كلها ولا ينبغى ان نشوه سمعته سيما وانه كشف لنا الكثير عن اسرار حرب المغول ..

ـ وما علاقة حرب المغول بالموسيقى المسروقة ؟

ـ البوليس عثر على المدونات المسروقة على مجموعة رسائل متبادلة بين المؤرخ القديم « ابن الأثير » وبين زوجة « هولاكو » الاسترالية !

ـ وهل كان لهولاكو زوجة استرالية ؟

ـ كانت من اجمل نساء الأرض واعلمهن .. لها مؤلفات فى الأدب والفلسفة والنقد الموسيقى .. وسبب مراسلاتها مع المؤرخ العربى « ابن الاثير » هو المدونات الموسيقية التى نحن بصددها .. فهى التى اكتشفت أن (الموصلى) قد سرقها من الفنانين اليونان !

ـ واضح طبعاً ان الموسيقى المسروقة من تاليف الفنانين اليونان ..

ـ اليونان قدموا للبشرية تراثاً ضخماً فى كل المجالات ، ولا احد يستطيع ان يحط من قدرهم ، رغم ما هو ثابت من انهم نهبوها من فارس القديمة !

ـ نهبوها ؟

ـ الم ينتصر الاسكندر المقدونى على الفرس ؟ .. أيامها آلت الفلسفة والعلوم والفنون ـ ومعها الموسيقى المذكورة ـ الى اليونان مع غنائمهم فى هذه المعركة

ـ اذن الموسيقى التى نتحدث عنها ، من نتاج ذهن ابناء فارس القديمة ..

ـ فارس القديمة لها افضال على الجنس البشرى كله ، مع احترامنا لما قالته زوجة هولاكو الاسترالية فى رسائلها من ان فارس القديمة قد اغتصبت كل هذا التراث العلمى والفنى من الشعوب التى اخضعتها !

ـ ومن اين جاءت زوجة هولاكو بهذه المعلومات ؟

ـ انا لا اشك فى هذه المراة الفاضلة التى عاشت مع هولاكو ما يقرب من ثلاثين عاماً تنشر العلم والفن الى الدرجة التى لم يكن يستطيع العيش بدونها حتى انه لم يطلقها إلا بعد اكتشافه للخديعة !

ـ اى خديعة ؟

لوح بيده فى وجهى كانه ينهرنى :

ـ مايجب ان نخوض فى اعراض الناس ، سيما وان المراة من اعلام الانسانية ، لكن يمكنك أن ترجع الى هذه الواقعة فى تاريخ (الطبرى) ، بالذات فى الجزء التاسع من حوادث

السنة التى قدم فيها البراهين على ان كل تاريخ « ابن الأثير » مقتبس !

ـ الطبرى قال هذا ؟ !

ـ هو اضطر الى اثبات هذا بعد ان كان « ابن الاثير » قد ذكر فى تاريخه قصة « عامر بن قحطان » ..

ـ عامر بن قحطان من ؟

ـ كيف لا تعرف مفخرة الامة العربية .. المهندس الذى بنى سد مارب ؟!

ـ اتعنى سد مارب العظيم ايام ازدهار الحضارة العربية فى اليمن ؟

ـ هو نفسه .. وحينما كان هذا المهندس العبقرى يقيم فى بيت الجد الاعلى للطبرى ، استولى هذا منه على التاريخ !

ـ اى تاريخ ؟

ـ تاريخ الطبرى

ـ لا افهم ..

ـ ساشرح لك .. المهندس العبقرى كان يحمل معه كتب التاريخ ـ التى نعرفها الآن باسم « تاريخ الطبرى » ـ بغرض توصيلها الى صاحبها الأصلى .. فانتهز الجد الأعلى للطبرى فرصة ذعر المهندس من البوليس اليمنى ، فسلمه للبوليس ، واخفى الكتب عنده ، ولما ولد حفيده ـ الذى نعرفه ـ نسب الكتب الى نفسه !

ـ ولماذا كان المهندس مذعورا من البوليس ؟

ـ هذه عبقرية هندسية علينا ان نحافظ عليها من اى تشوهات ، ولكن هل تستطيع ان تنكر واقعة انهيار سد مارب

ـ لا كل الروايات التاريخية تقول انه انهار فجاة ..

ـ ها انت قد توصلت الى السبب بنفسك .. فالمهندس احتفظ لنفسه بالعشرة ملايين دينار ـ ثمن الحجارة التى كان ينبغى أن يبنى بها السد ـ ووضع مكانها تراباً معجوناً بالقش ، ولما انهار السد ، هرب !

ـ انتبهنا على موجة عالية من التصفيق استقبلت بها الندوة المتحدث الجديد ، وكان فناناً تشكيليا معروفا ..

اشار اليه وقال لى فى حماس ابوى :

ـ هو اعظم فنان تشكيلى فى منطقة الشرق الاوسط لولا الفضيحة الاخيرة !!

د. محمد جابر الأنصاري

زاوية الرأي

من المسألة الكروية.. إلى المسألة الإتحادية

لست من المتحمسين للكرة .. ولست من المولعين بالتلفزيون ومع ذلك فالفكرة شدتنى لمشاهدة المباراة التى كانت تعرض على الشاشة الصغيرة ..

كان هناك من جهة فريق المانى ..

وكان هناك من جهة اخرى فريق خليجى مشترك من الكويت والبحرين وقطر والسعودية والامارات ..

ولاول مرة اشاهد فريقا خليجيا مشتركا يواجه « قوة اجنبية » على ساحة دولية ..

صحيح أن « القوة الاجنبية » هى فريق كرة قدم المانى .. لا اكثر ..

وصحيح أن « الساحة الدولية » هى ساحة ملعب رياضى .. لا اخطر ..

ولكن « الرمز » فى المشهد كله يبقى له مدلوله العميق .. لقد تعودنا أن نرى فرقنا الرياضية « تتوحشن » على بعضها فى اغلب المباريات .. وتمارس عصبياتها المحلية فى اكثر المناسبات .. ولكن هاهى قد تمازجت واخرجت افضل ما عندها فى فريق مشترك واحد ، يخوض مباراة واحدة ، من اجل هدف واحد .. هو مواجهة الفريق الالمانى الاجنبى ..

وكان خبرا سعيدا جدا ان استطاعت بلداننا الخليجية « الاتفاق » على تكوين فريق رياضى موحد .. والخير لقدام .. وتفاعلوا بالتوحيد تجدوه ..
ويشاء القدر أن يعطينا عظة من سير المباراة ..
ينتصر الفريق الالمانى على الفريق الخليجى فى البداية بخمسة اهداف .. وتبدو الهزيمة شبه مؤكدة ..

ولكن يعدل الفريق الخليجى صفوفه ، ويستخرج طاقاته ، ويخرج العناصر الضعيفة من الساحة ويعود الى الاحتياطى الذى تحت تصرفه من بلدان الخليج كلها ، ويغير هنا ويستبدل هناك حتى إذا نزلت الطاقات « الكروية » الخليجية كلها الى الساحة ، تبدل الموقف ، ورد فريقنا الضربات الى الفريق الاجنبى واحدة بواحدة .. وخرجنا ونحن متعادلون مع المانيا ...

مشهد رمزى جميل وعميق لو كنا نفقه ونفكر ، ونتجاوز حماس « الكورة » الى جدية المصير القومى ..
لماذا لا نؤلف كلنا ــ كشعوب وأوطان وجيوش وحكومات ــ فريقا مشتركا واحدا لمواجهة فريق الأطماع الدولية ، والتصدى لفريق القوى الاستعمارية والصهيونية التى تحيط بساحتنا العربية من كل جانب ؟

اليست هذه هى المباراة المصيرية ؟
اليست هذه هى الساحة الحقيقية ؟
اليس هذا هو « الفريق » الموحد المطلوب منا بالحاح تكوينه قبل فوات الأوان ؟

العجيب الغريب فى المسألة الاتحادية عند العرب ــ ولنترك الكرة جانبا ــ انهم جميعا مؤمنون بالوحدة والاتحاد على المستوى النظرى والكلامى ... لا يوجد بينهم « انفصالى واحد ولله الحمد من اكبر المسؤولين الى أصغر المواطنين .. وعندما تسأل أيا منهم : هل تؤمن بالوحدة ؟ يبادرك بالتأكيد على انها اغلى امانيه واعز غاياته .. وهات يا قاموس البلاغيات العروبية ..

ولكن عندما تصبح الوحدة مسألة تجاوز للحدود الصغيرة والمصالح الذاتية ، فانها تحتاج ــ عندئذ ــ الى دراسة متانيةلا باس اذا امتدت للقرن الحادى والعشرين وما بعد .. وحتى لو تم تقسيم بلاد العرب والاسلام بين الجيش الاسرائيلى فى القدس والجيش الروسى فى افغانستان ... وياويحنا لو اقتصر « اتحادنا » على ملعب الكرة .. وحماسة الكرة .. وبهرج الكرة ..

عندها سيقول عنا التاريخ هؤلاء قوم استطاعوا أن يتحدوا فى ساحة اللعب .. وعجزوا عن الاتحاد فى ساحة الجد والمصير ولكن مالنا ولهذا الهم والغم الذى لايريد سماعه احد ؟ لقد كانت مباراة ممتعة ومسلية جدا ..
والعب كورة .. العب !!

هكذا تقول اغانى « التعبئة » الجماهيرية فى المواسم الكروية .. فهيا نلبى النداء ... !!

دكتور محمد جابر الانصارى

إشراف : خديجة الصدر

عقار الأنترفيرون
إعجاز الطبيعة والطب

لا حديث فى الاوساط العلمية والطبية هذه الايام إلا هذا الدواء المعجز ـ الانترفيرون ـ الذى يشع الامل فى قلوب ملايين المرضى الذين يعانون من ويلات السرطان ومختلف الامراض الخطيرة التى تسببها الفيروسات .

وهو السلاح الذى أودعه الله سبحانه جلت قدرته فى جسم الانسان يشهره للدفاع عن نفسه متى تعرضت خلايا الجسم لغزو من الفيروسات او الاحماض النووية .

عقار الأنترفيرون

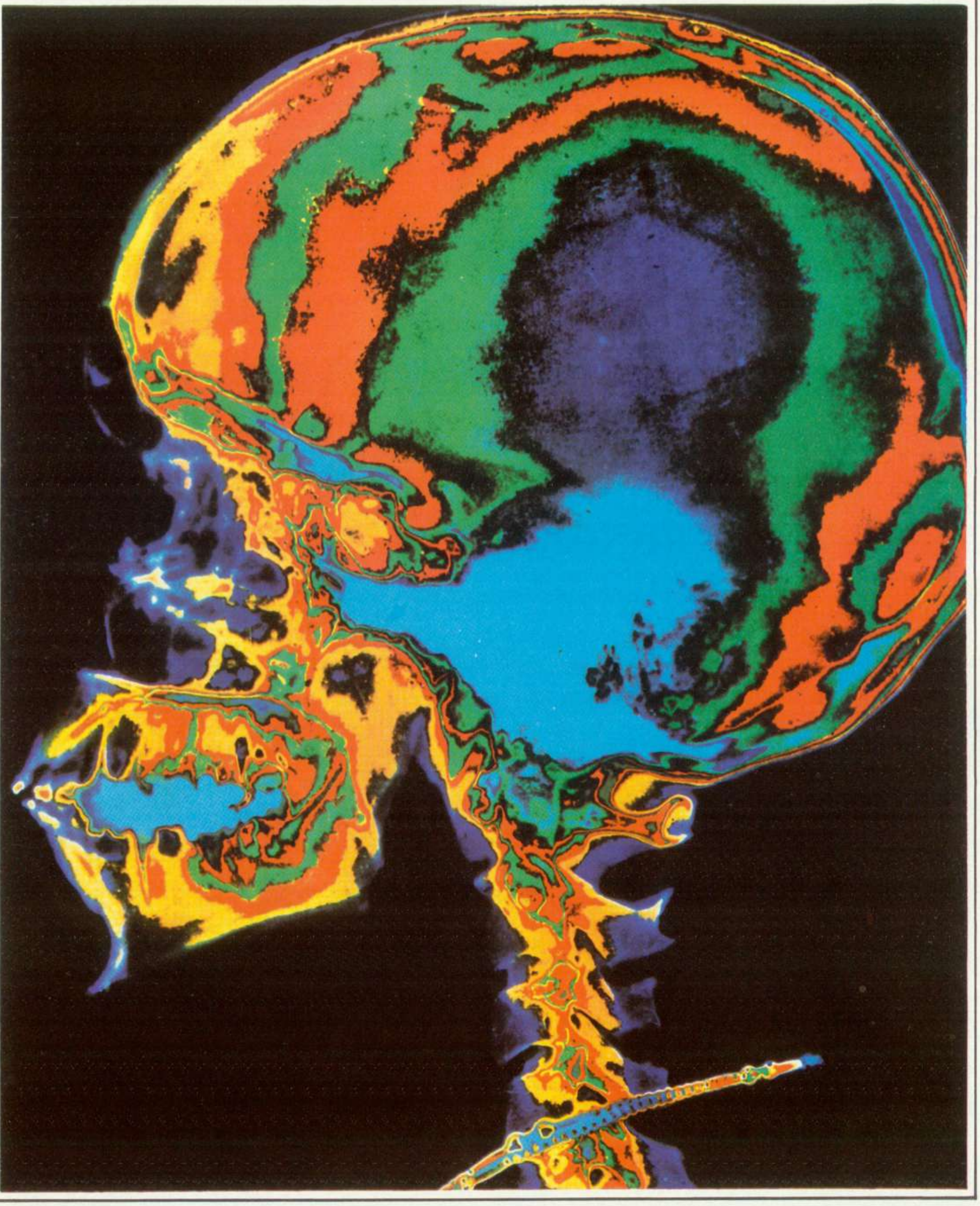

وهذا العقار عبارة عن بروتين كبير الجزيء ويشبه الهرمون ، تفرزه الخلايا فى كل الحيوانات الفقارية . وقد تم اكتشافه عام ١٩٥٧ فى المعهد القومى للبحوث الطبية بجامعة اكسفورد بانجلترا ، عندما كان عالم الفيروسات البريطانى السيد اليك آيزكز والعالم السويسرى جان ليندمان يقومان بتقصى ظاهرة غريبة وهى أن الانسان لا يصاب بالعدوى إلا من فيروس واحد فى المرة الواحدة ، فقد وجدت من واقع التقارير الطبية حالات عن اسر كاملة أصيب أفرادها بمرض الجدرى ما عدا طفل صغير كان وقتها مصاباً بالحصباء ، وكأنما الاصابة بالحصباء قد وفرت له حماية من مرض أشد خطرا هو الجدرى .

ولايجاد تفسير وتعليل لهذه الظاهرة ، قام الباحثان بحقن خلايا من أجنة الدجاج بفيروس الانفلونزا ، وحصلوا على مادة تحمى خلايا الصوص (الكتاكيت) من فيروس الانفلونزا وفيروسات اخرى واشتقا لهذه المادة اسم انترفيرون ، لأنها تتدخل فى عملية العدوى بالفيروسات .

والانترفيرون مادة نشطة وفعالة للغاية ، رغم أن الوحدة البيولوجية الواحدة منه لا تزن إلا واحدا على مليون من المليون من الجرام ، ولسرعته وتعدد قدراته ، فان الانترفيرون ينشط ضد الفيروسات فى ساعات ، وبذا يسبق بزمن كبير فى تاثيره ما يعرف بدفاعات المناعة فى الجسم .

وقد جرب الانترفيرون ضد مجموعة واسعة من الامراض التى تسببها الفيروسات ، كالزكام والجديرى وأمراض العيون والتهاب الكبد (الصفراء) والحصباء والقوباء الموضعية .. فجاءت النتائج مبشرة ضدها جميعاً .

وهو ليس مادة مضادة للفيروسات فحسب بل أنه يبطىء نمو الخلايا ، ويغير ويضبط تردد فى نظام المناعة فى الجسم . وربما كان هذان الأثران الاخيران وراء ما تردد عن أثره المضاد للأورام ، والذى أثار الاهتمام الفائق بالقيمة العلاجية للانترفيرون .

ويجرى استخدام الانترفيرون فى مكافحة انواع معينة من السرطان ، لأنه يبطىء عملية انتشار الخلايا السرطانية ويحدث تحسناً فى الاستجابة ضد الخلايا السرطانية فى نظام المناعة الطبيعية للجسم . ويبدو أن الانترفيرون يصعد نشاط نوعين من خلايا المناعة ، هما الخلايا الفاتكة عموما ، والخلايا المتخصصة ، القاتلة طبيعيا والتى تهاجم الاورام . ولم يعرف بعد على وجه التحديد الكيفية التى يؤثر بها الانترفيرون فى عملية انشطار الخلايا ، وعلى نظام مناعة الجسم ، ولكن تمت معرفة الكثير عن الكيفية التى يحمى بها الخلايا فهو يعمل على النحو التالى:

١ ـ عندما تصاب الخلية بالفيروس ، فانها تفرز الانترفيرون ، ولكن ما تفرزه لا يقوى على انقاذها ، فالغرض منه هو حماية الخلايا المجاورة لها ، والتى لم تصب بعد ، وبذا فان الانترفيرون الذى افرزته الخلية المصابة يسيل منها ويتحد بالخلايا المجاورة لها .

٢ ـ ويقوم هذا الانترفيرون المتدفق من الخلية المصابة بتنبيه الخلية الجارة لتقوم بانتاج مادتين لهما تخصص فائق متى هاجمها الفيروس .

٣ ـ احدى هاتين المادتين انزيم يستعير بعض الفوسفات من مادة الخلية نفسها ويقحم هذا الفوسفات فى مادة يحتاج الفيروس اليها لينتج بروتينه . وبهذا الاقحام تبطل عملية تركيب تلك البروتينات التى يحتاج الفيروس اليها .

٤ ـ والمادة الثانية هى انزيم آخر أيضاً ، يحث عملية انتاج مركبات فريدة وانزيماً آخر هو الذى يقوم بتدمير جبينات الفيروس .

فالانترفيرون هو أحد أنظمة الدفاع الطبيعى فى الجسم . ويتكون من نوعين من خلايا الانسان هما الليوكوسايت (كريات الدم البيضاء) والفيبروبلاست (وهى من خلايا الجلد والعضلات وبعض انسجة الربط الاخرى) ويعتقد أن كل نوع من انواع الحيوان ينتج نوعاً خاصاً به من الانترفيرون ، وان الانترفيرون رهين للنوع الذى ينتجه ، أى أن الانترفيرون الذى ينتجه جسم الانسان هو وحده الذى يتمتع بمفعول على الناس . وهنا تكمن صعوبة انتاجه على نطاق تجارى واسع .

ويشكل استخلاص الانترفيرون من خلايا الجسم معضلة كبرى لأنه ينتج فى كميات على نطاق محدود ، ولأن خلايا الانسان يصعب تطويعها لطرق الانتاج التجارى الواسع

ويمكن للانترفيرون الذى تنتجه الكريات البيضاء أن يكون مثالياً للعلاج الذى يعتمد على الحقن ، وذلك لسرعة انتشاره وجريه فى الدم متى تم حقنه . اما الانترفيرون المستخلص من الفيبروبلاست فانه يميل الى الالتصاق بأول شىء يجده أمامه ، ولذا فهو يصلح للعلاج الموضعى ، ولكن الكريات البيضاء لا تعيش طويلا خارج الجسم ، ولا يمكن زراعتها فى المختبر ، بل يتوجب استخدامها مرة واحدة ودون ابطاء .. ثم تلفظ .

وينتج معظم الانترفيرون المتوفر حالياً من فنلندا ، حيث يتم استخلاصه بتكلفة عالية من كريات الدم البيضاء التى تجمع من الدم المتبرع به للصليب الاحمر وقد قام الدكتور كارى كانتيل بالمختبر المركزى للصحة العامة بهلنسكى بتطوير طريقة للحصول على كميات مستمرة من الكريات البيضاء وذلك باستخلاصها من مخلفات الدم بعد أن يتم تقسيمه الى بلازما وكريات حمراء ومواد نافعة أخرى . وتنتج الشركة حوالى مائة ملليجرام من الانترفيرون (أى ١٠٠٠ بليون وحدة) سنويا من مقدار ٦٥ الف زجاجة من الدم ، وبتكلفة خمسة ملايين دولار . وتكفى هذه الكمية لعلاج ٥٠٠ مريض بالسرطان . ويكلف الواحد من المليون من الاوقية من الانترفيرون حوالى الف وخمسمائة دولار ، أى أن الرطل منه يكلف ٢٤ بليون دولار .

ومن الجلى أن الحاجة ماسة لكميات أكبر من الانترفيرون وبتكلفة اقل حتى يمكن اختباره للتحقيق من فعاليته فى علاج السرطان والكيفية التى يتم بها ذلك . ولذا فان البحث ما زال مستمرا فى المجال الطبى والعلمى لايجاد طريقة اقتصادية لتوفير الانترفيرون وانتاجه على نطاق تجارى اجمالى . ولو تم ذلك لتحقق انجاز كبير فى المعركة ضد أنواع معينة من السرطان اذا صدقت التجارب الاولى لاستخدام الانترفيرون

عقار الأنترفيرون

فى كونه قادرا على ايقاف الفيروسات وكبح نمو خلايا الاورام

إن القيمة الكبرى للعقار الطبيعى أنه لا يسبب تلك المضاعفات الجانبية التى تصاحب العلاج الكيمائى التقليدى للسرطان . وبالطبع فان شركة الادوية والعقاقير التى ستنجح فى ايجاد طريقة لانتاج الانترفيرون على نطاق واسع ستحتكر السوق ببضاعة لا حد للربح فيها . ولذا فان الحافز على تطوير صناعة الانترفيرون كبير للغاية ، الامر الذى يعطى أملا فى الشفاء لمئات الآلاف من مرضى السرطان والمصابين بأمراض فيروسية خطيرة .

واليوم فان العيادات ذات الامكانيات المالية الكبرى هى وحدها التى تقوى على التنافس للحصول على الكميات الضئيلة الموجودة من الانترفيرون . فالعلاج التجريبى لمريض واحد بالسرطان ، مثلا ، تكلف مايتراوح بين عشرة آلاف الى عشرين ألف دولار .

وقد أعدت شركات عديدة برامج لانتاج الانترفيرون لتضيف الى ما تصنعه هلسنكى .

وقد أعدت المؤسسة القومية الامريكية لتطوير البراءات مصنعاً رائدا لانتاج الانترفيرون فى وقت مبكر من هذا العام . ويقدر انتاجه السنوى المتوقع بثمانين بليون وحدة من الانترفيرون . ولكن ذلك لن يكفى إلا لعلاج ٣٠٠ مريض بالسرطان .

وقد طورت معامل بارد ـ ولكام بلندن طريقة أخرى لانتاج الانترفيرون المستخلص من الكريات البيضاء من « خلايا محولة » والخلايا المحولة هى خلايا بشرية عادية يمكن معالجتها لتنمو كالخلايا السرطانية . ويمكنها ان تتكاثر فى يسر فى راقود التخمير (وعاء التخمير) ، مما يعطى مؤشراً بامكانية تطوير هذه العملية الى مستوى عال نسبيا من الانتاج التجارى الواسع . ولكن تصاحب هذه الطريقة بعض السلبيات .. أولها خطر التلوث الفيروسى ، فالخلايا العادية يجب أن تخضع للعدوى بفيروس معين كيما يتم انتاج الخلايا المحولة ، وهذا الفيروس هو الذى يسبب الحمى الفطرية للنواة الآحادية، كما أنه يدخل فى نوعين من أنواع حالات السرطان فى الانسان ، وهو حين يصيب الخلية لايجعلها تفرز المزيد من الفيروسات ، بل يسبب تكاثراً فى الخلية المصابة عن طريق التوالد المستمر ولذا فان ضرورة الحرص على التنقية الشديدة أمر حيوى .

وهناك احتمال آخر يسعى الباحثون لتحقيقه .. وهو أن يتم حفز طاقة الجسم نفسه لينتج الانترفيرون . ويتم حالياً فحص مواد كثيرة معروفة بأنها تحفز الجسم على انتاج الانترفيرون . ولا يخلو هذا أيضاً من مشاكل وصعاب .. أولها حدوث تأثيرات جانبية كالتسمم . كما أن الاختبارات التى أجريت على الحيوانات تشير الى أن الجسم يطور مقاومة لهذه الحوافز نفسها . وبالرغم من ذلك يرى الباحثون فى أمريكا انه يمكن التغلب على هذه المعضلة بمزيج من الحوافز ومركبات شبه هرمونية تسمى البروستاقلانديـنات .

ويبدو أن هندسة الجينات تعطى الامل الاكبر لانتاج الانترفيرون بشكل تجارى .. وذلك بربط الجينة التى تصدر الامر بانتاج الهرمون أو البروتين المطلوب بنوع من البكتريا

التى لا ضرر منها ، ثم حفز هذه المصانع الدقيقة على انتاج كمية لا حد لها من البروتين . وقد استخدمت طريقة ربط الجينات وجدلها من قبل فى انتاج الانسولين البشرى والسوماتوستاتين ، وهو هرمون يكبح النمو ، ويستخدم فى السيطرة والتحكم فى تضخم الغدة الصماء .

وتجرى المنافسة بين مجموعات عديدة فى محاولة القيام بربط الجينات التى تامر بانتاج الانترفيرون فى جسم الانسان وتلك عملية طويلة ، شاقة ، مخادعة ، كما يجرى البحث لتحديد تركيبها . ومتى تحقق ذلك سيصبح من الممكن انتاج الانترفيرون نقياً ، صافياً .

وفى منتصف يناير أعلن فريقان هما شركة بيوفن للتكنولوجية البيولوجية ، ومقرها بجنيف بسويسرا ، ومعهد روبش للأحياء الجزيئية ، انهما قد توصلا بنجاح الى حفز بكتيريا هـ.كولى على انتاج الانترفيرون البشرى . وقام بتطوير هذا العمل لشركة بيوفن أستاذ الأحياء الجزيئية بجامعة زيورخ ، وزملاء له من سويسرا وفنلندا واليابان .. وذلك على النحو التالى :

ان خلايا جسم الانسان كلها تقريباً تفرز الانترفيرون . وهذه الخلايا تتلقى الاوامر بانتاج الانترفيرون من جينة معينة فى احماضها النووية وتمر هذه التعليمات الى مراكز انتاج البروتينات بواسطة جزيىء جينى يعرف برسول الحامض النووى . وقد استخلص هؤلاء العلماء هذا الرسول من كريات الدم البيضاء التى تنتج الانترفيرون ، واستخدموها فى اجزاء من الاحماض النووية كانوا يؤملون أن تحتوى على الجينة المطلوبة .. وذلك عمل شاق لأن كريات الدم البيضاء تحفل بما يقارب الألف رسول حامضى ، ولكل واحد منهم تعليمات خاصة عليه تنفيذها . وواحد منها فقط موكل إليه التعليمات الخاصة بانتاج الانترفيرون .

ثم قام الفريق بربط اجزاء الاحماض النووية الى جينات الباكتيريا هـ. كولي ، وقامت هذه البكتيريا بانتاج نظائر لنفسها بعد ان تغيرت ، واخيرا تمكن الفريق من انتاج ٢٠ ألف صورة نظرية من البكتيريا .

ولتحديد واحدة من بين هذه الصور النظيرة للبكتيريا تكون هى الحاملة للحامض النووى للانترفيرون ، وقام العلماء بتحليلها على مجموعات متتالية فى تناقص اعدادها .. فبدأوا بخمسمائة منها فى المرة الواحدة ، ثم باربع وستين ، ثم بثمانية ، ثم عزلوا الجينية فى كومة من التبن .. فكانت البكتيريا الحاملة للأحماض النووية للأنترفيرون .

● هنالك عقبات أخرى لابد من السيطرة عليها

● أصبح الأمل كبيرًا فى كسب المعارك ضد الفيروسات والسرطان

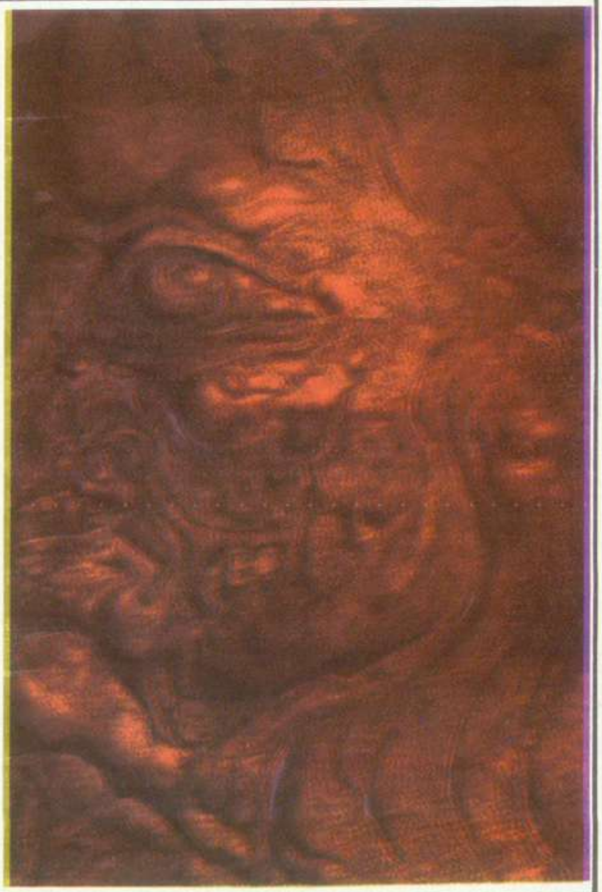

وبعد عثورهم على واحدة من هذه البكتيريا تمكنوا من تحديد اخريات فى سهولة ، واستخلصوا جزيئات الاحماض النووية ، ثم قام الفريق بتوزيعها على أماكن مختلفة ، وبدأت البكتيريا فى انتاج شبيه بالانترفيرون ... ولكن الكمية التى انتجتها هذه المصانع الصغيرة الدقيقة كانت قليلة جدا ، وغير نقية ، ومع ذلك فهى خطوة مبشرة .

ويامل فريق شركة بيوفن فى تطوير نوع من البكتيريا عالية الانتاج خلال مدة تتراوح بين ستة أشهر وسنة . وهناك عقبات اخرى لابد من السيطرة عليها ، منها ما يبدو من عدم قدرة البكتيريا على ربط السكر الموجود فى البروتين الاساسى للانترفيرون ، وربما كان ذلك غير مهم . فالبروتين الاساسى يرجح أن يكون هو نفسه ذا نشاط بيولوجى ، ولا يعرف أحد على وجه التحقيق دور هذه الملحقات السكريات فى جسم الانسان ... ومدى أهميتها أو عدمها فى تأمين التصاق الانترفيرون بالخلايا التى يطلق عليها ليحميها من الاصابة ، وربما كانت تلك ملحقات من السكر لتساعد على جعل الانترفيرون مامونا ، وذلك بازاحته مباشرة بعد تأدية واجبه فى الجسم لأن الانترفيرون قوى الفاعلية ، ويستبعد من الجسم الحى فى سرعة .

ومهما كانت الصعاب الفنية المرتبطة بانتاج الانترفيرون البشرى نقياً ، فليس هناك أدنى شك فى انه يقدم أملا كبيرا فى كسب المعارك ضد الفيروسات والسرطان .

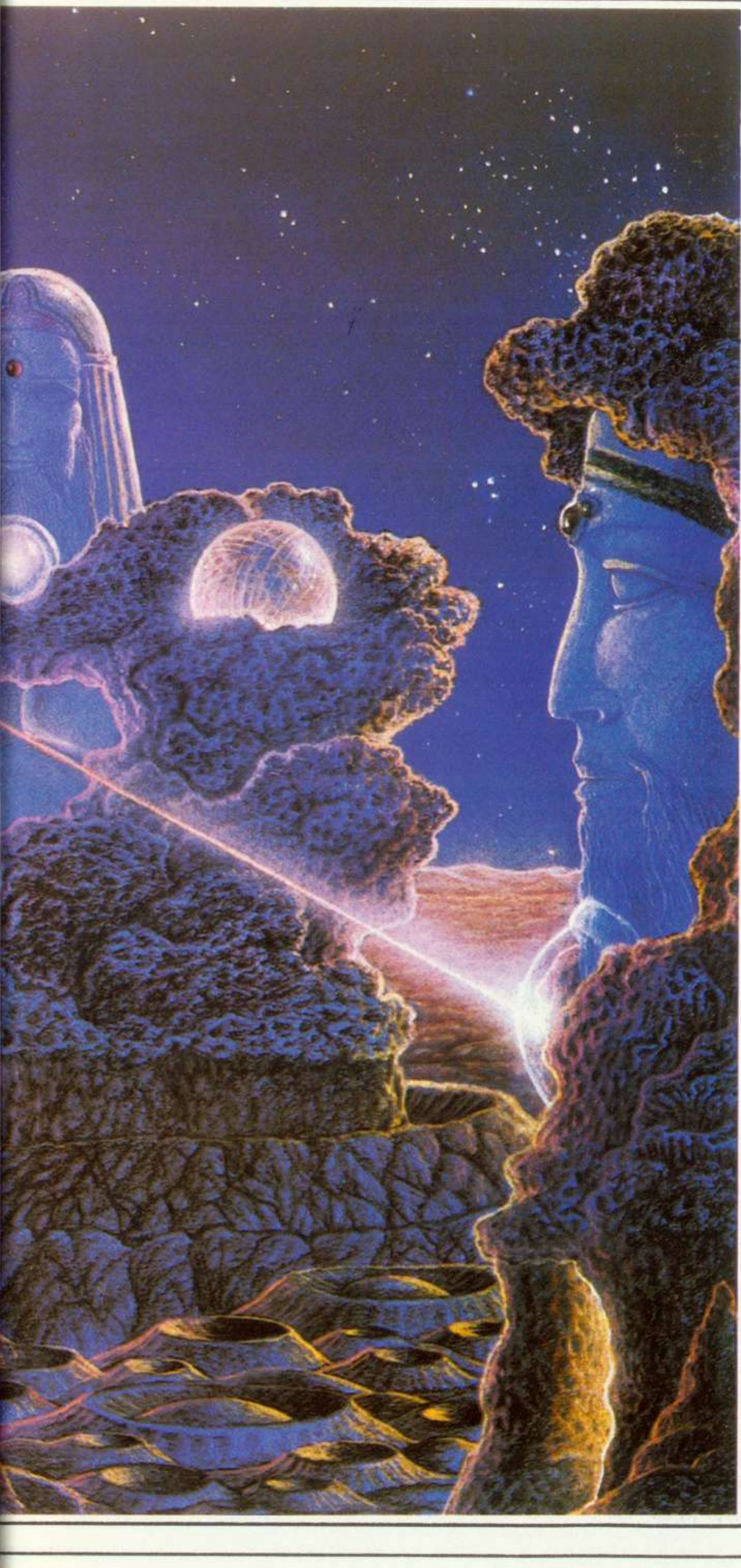

حياتنا المعاصرة

حاجة الدول النامية إلى مزيد من العلماء

لم تف الدول الغربية الصناعية المتقدمة بتوفير مراكز علمية دولية لطلاب الدول النامية .

وينادى البروفيسور عبد السلام العالم الاسلامى الحائز على جائزة نوبل للسلام بضرورة انشاء جامعات عالمية جديدة تحت ادارة منظمات هيئة الامم المتحدة لاتاحة المجال للبحوث وتدريس العلوم لطلاب بلدان العالم الثالث النامية .

وقد جاء هذا النداء الملح فى الخطاب الذى القاه أمام اللجنة التنفيذية لليونسكو بوقت قصير بعد منحه جائزة نوبل للفيزياء وميدالية أينشتين من قبل اليونسكو .

والبروفيسور عبد السلام باكستانى الجنسية ويشغل منصب مدير المركز العالمى للفيزياء النظرية .

مر تاريخ العلم مثله فى ذلك مثل تاريخ الحضارة كلها بدورات ومراحل مختلفة .

لقد خرج اسكتلندى معدم يدعى مايكل من واد صغير معزول فى هضاب بلاده قاصداً مدينة طليطلة بأسبانيا يملكه حب الحياة والعمل فى الجامعات العربية فى مدينتى طليطلة وقرطبة حيث كان العلماء العرب يعلمون أجيالا كاملة قبل ذلك التاريخ .

كان ذلك قبل سبعمائة وخمسين سنة

وقد وصل مايكل الأسكتلندى الى طليطلة عام ١٢١٧ م وشرع فى تحقيق انجاز طموح هو تقديم الفيلسوف اليونانى الشهير أرسطو الى أوربا

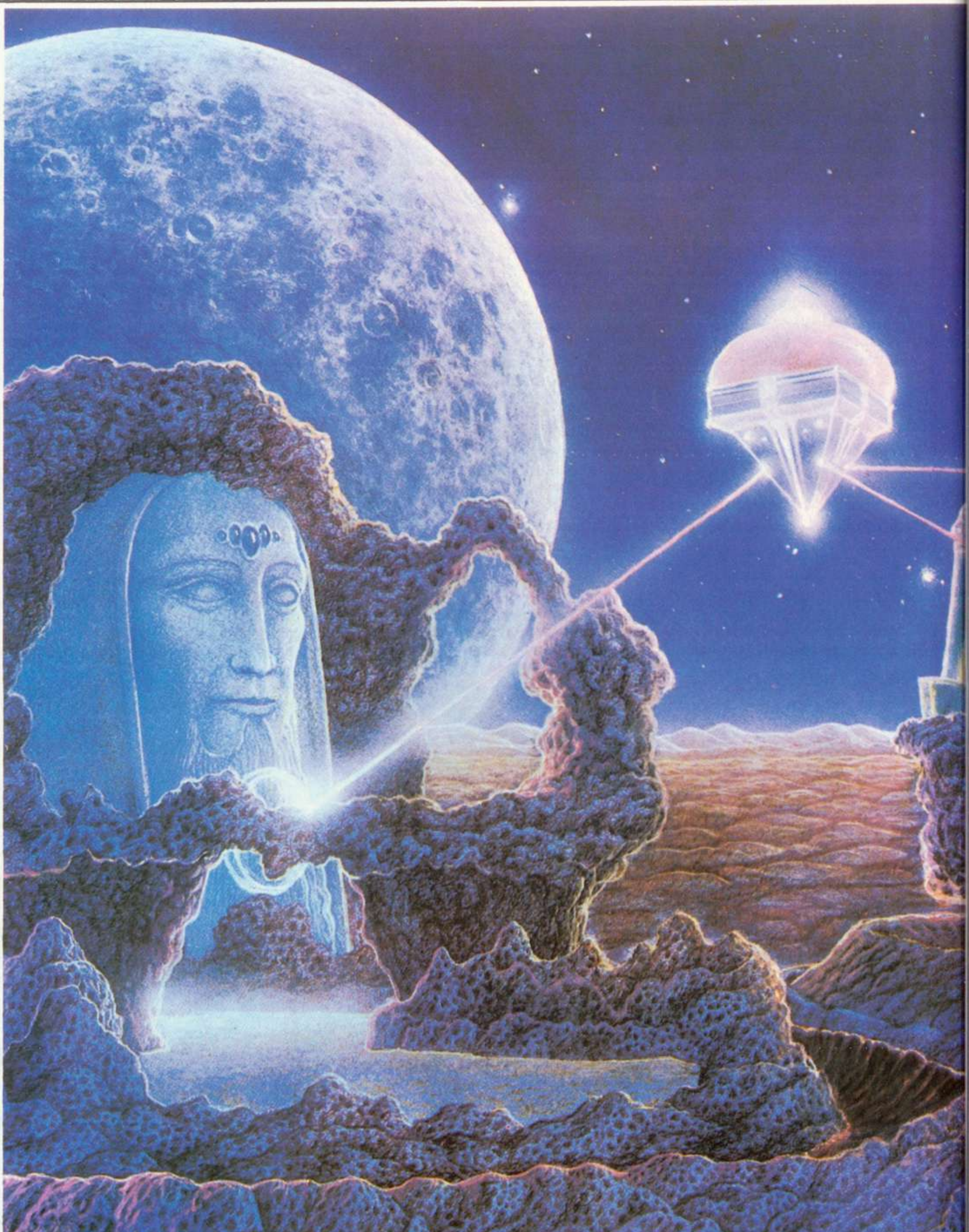

اللاتينية وذلك بترجمة أعماله لا من أصولها باللغة اليونانية التى كان يجهلها ، بل من الترجمة العربية لتلك الأعمال ، والتى كانت تدرس فى أسبانيا .

كانت جامعة طليطلة التى جسدت أروع تلاقح وتآلف بين الدراسات العربية والاغريقية واللاتينية والعبرية خير شاهد على التعاون العالمى فى مجال العلم . وكان يفد إليها والى جامعة قرطبة علماء من دول الشرق الغنية ، كسوريا ومصر وايران وافغانستان ، مثلما يفد اليها علماء من دول الغرب النامية كاسكتلندا .. وما كان سبيل التعاون العلمى العالمى آنذاك خالياً من المشاكل والمعوقات ، وذلك بسبب التفاوت الاقتصادى والفكرى بين اجزاء العالم المختلفة ، تماماً مثلما هو واقع اليوم ولم يكن رجال مثل مايكل الاسكتلندى ومعاصره الفريد الانجليزى سوى أفراد أفذاذ وحالات نادرة لا تمثل اى مدارس للبحث والدراسة لها انتعاشها وحيويتها فى بلادهم . وبالرغم من كل النوايا الطيبة فى العالم كان الشك يساور اساتذتهم فى طليطلة فى جدوى تدريبهم وحكمته وقيمته لأى بحث علمى متقدم وبالفعل ، نصح احد الاساتذة السيد مايكل الاسكتلندى بالعودة الى موطنه لجز صوف الأغنام وصناعة الملابس الصوفية !

وتتضح مسالة التفاوت العلمى فى المراحل التاريخية اذا دققنا فى التفاصيل المادية . لقد اختار جورج سارتون فى مؤلفه الضخم الذى يقع فى خمسة اجزاء حول تاريخ العلوم أن يقسم قصة الانجاز العلمى الى عصور ، يدوم كل عصر منها نصف قرن ؛ وخص كل نصف قرن بشخصية رئيسية . وبذا اسمى الفترة من عام ٤٥٠ الى عام ٤٠٠ قبل الميلاد عصر افلاطون ، ويليه عصر أرسطو ، ثم عصر يوكليد وارخميديس وهلم جرا . اما الفترة من عام ٦٠٠ الى ٦٥٠ ميلادى فهى العصر الصينى ، حيث تربع هسوان تسانج . ويليها عصر شبنخ من ٦٥٠ الى ٧٠٠ م .

ثم تتوالى العصور العلمية حسب تقسيمه من عام ٧٠٠ الى عام ١١٠٠ م ، اى لمدة ٣٥٠ سنة متصلة ، هى عصور العلماء المسلمين ، عصور جابر والخوارزمى والرازى والمسعودى والوافى والبيرونى وعمر الخيام ، وهم عرب واتراك وافغان وايرانيون ، ينتمون الى حضارة الاسلام وثقافته .

ولم تظهر طلائع العلماء الغربيين من امثال غيرارد من كريمونا ، وجاكوب اناطولى وروجر بيكون إلا بعد عام ١٠٠٠ ميلادية ، ولكنهم لم ينفردوا بالشرف وحدهم ، إذ شاركهم فيه رجال مثل ابن رشد وموسى بن ميمون والطوسى وابن نفيس الذى مهد لنظرية العالم هارفى فى الدورة الدموية .

وبعد عام ١٣٥٠ م ياخذ نجم علماء الشرق فى الافول ، غير أن ومضات من نبوغ علمى تشع فى بعض الاحيان ، مثل أعمال علوج بك فى سمرقند عام ١٤٠٠ م والمهراجا جاى سينج فى جيبور عام ١٧٢٠م ،

والذى صحح بعض الاخطاء الخطيرة فى جداول الكسوف والخسوف عند الغربيين الى ما يقارب الست دقائق . وكما هو الحال فى ميدان العلم فان الوسائل التى استخدمها سينج قد تم تجاوزها بعد تطوير التليسكوب فى أوربا وكما كتب احد المؤرخين آنذاك ، فان كل العلوم فى الشرق قد خبت حين اسجى جسد سينج فى المحرقة ـ كما هى العادة فى الهند .

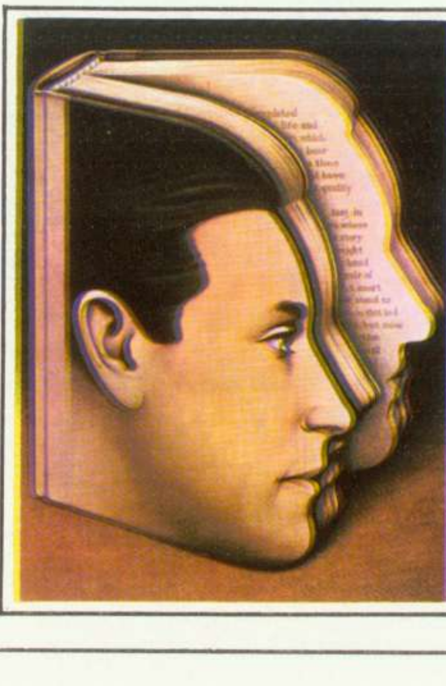

وهكذا ندخل هذا القرن حيث تم للدورة التى ابتداها مايكل الاسكتلندى ان تكمل دائرة كاملة ، فنجد نحن ابناء الدول النامية انفسنا متوجهين الى الغرب لنيل العلوم . وكما كتب الكندى قبل ١١٠٠ سنة ، يجب الا نخجل من الاعتراف بالحقيقة والانتفاع بها والعمل بها اين جاءت وان كان ذلك من قوم غيرنا غرباء علينا ، لأن من يقدر الحقيقة لا يرى قيمة لشىء غيرها ، وهى لا تحط من شانه ، ولا تحقره .

وفى عصرنا هذا كان أول اسم نبغ فى عالم الفيزياء هو س. ف. رامان الذى حاز على جائزة نوبل لعام ١٩٣٠ . وهناك يوكاوا وتوموناغا و. اساكى ، ولي ويانق ، وتينق .. والسير آرثر لويس ، الاقتصادى الجمايكى العظيم الحائز على جائزة نوبل فى الاقتصاد لعام ١٩٧٩ .

إن السؤال الذى يطرح نفسه فى هذا الأطار وينتظر اجابتنا هو « هل وقف العالم النامى باقدام راسخة على الطريق المؤدى الى بعث فى العلوم ويقظة ، مثلما فعل الغرب فى القرن الثالث عشر الميلادى على أيام مايكل الاسكتلندى ؟ »

ان الاجابة مع الاسف هى النفى . هناك شرطان لابد من توفرهما لمثل هذا البعث العلمى ، اولهما وجود اماكن مثل طليطلة للقاء العالمى حيث يمكن للمرء ان يوقد شمعة من شمعة ..

وثانيهما هو ان تتوفر فى العالم النامى الرغبة القوية لأعطاء اولوية قصوى لنيل المعرفة ، وازاحة كل الحواجز الداخلية التى تحول دون هذه الغاية . ولكن التكهن بما يمكن أن يحدد فى هذا الصدد غير بين ، وغير مبشر . ففيما يختص بالنقطة الأولى ، نجد أن الفرص المتاحة للقاءات العلمية عالميا اخذة فى التناقص السريع ، لأن الدول التقليدية كالمملكة المتحدة وامريكا قد فرضت قيودا متزايدة على قبول الطلبة الاجانب ، وبينهم طلاب الدول النامية ، بجامعاتها وقد أصبح جلياً أن الدول النامية تحتاج الى مؤسسات وجامعات للعلوم تحت ادارة الامم المتحدة ومنظمة اليونسكو ، ليس فقط جامعات علمية للبحث ، وانما لنوع عال من

التعليم لتدريس التكنولوجيا التقليدية والعلوم نظرياً وتطبيقيا .

لقد كان من الممكن الا يحظى العالم باينشتين .بسبب بعض الحوادث العارضة كالمعوقات والمشاكل المالية والاقتصادية وغيرها ، والتى كانت تشله حتى فى بلد مثل سويسرا . ومع الاسف فان نفس الشيء مازال يحدث فى البلدان النامية ، وبصورة أشد تعقيدا . يتضح كل ذلك باستعراض حالى : انا شخصيا لقد صرت باحثا فى علم الفيزياء بفضل احداث طارئة ثلاثة .. أولها الحرب العالمية الثانية ، فما ان اظهرت بعض القدرة والنبوغ فى العلوم حتى خطط لى كل من يريد لي الخير ، والدى واقاربى ، ان التحق بالخدمة المدنية الهندية التى كانت ذات شهرة آنذاك . وبنشوب الحرب اجل امتحان الخدمة المدنية .. ولولا ذلك لصرت موظفا عاماً الى يومنا هذا . وللحرب ايضاً يد فى بعثتى الى كمبردج للقيام بدراسات وبحوث ، إذ أن رئيس وزراء البنجاب ، وطنى آنذاك ، كان قد جمع اموالا للمجهود الحربى . فما ان وضعت الحرب أوزارها حتى بقيت تلك الاموال دون توظيف فقرر انشاء صندوق يقدم المنح لابناء صغار المزارعين للدراسة فى الخارج . وقدر لى أن اكون احد المحظوظين ، وتم اختيارى ، وسافرت فى نفس العام ١٩٤٦ م الى كمبردج . وقد قدمت منح اخرى ولكن اصحابها لم يجدوا سوى وعد بالقبول بالجامعات الغربية فى الاعوام المقبلة ، وبعد حين تم تقسيم شبه القارة الهندية ، وبذا اختفت المنح الدراسية . فكان النجاح الوحيد الذى اصابته جهود رئيس الوزراء آنذاك هو ايفادى للدراسة والبحث فى كلية سنت جون بجامعة كمبردج حيث البروفيسور ديراك .

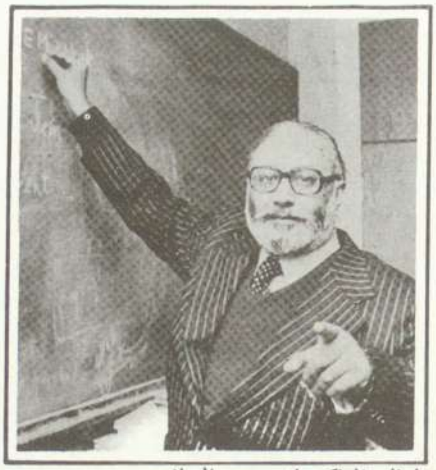

العالم الباكستاني عبد السلام

أرسطو

أفلاطون

الرازى

جابر بن حيان

ابن رشد

عمر الخيام

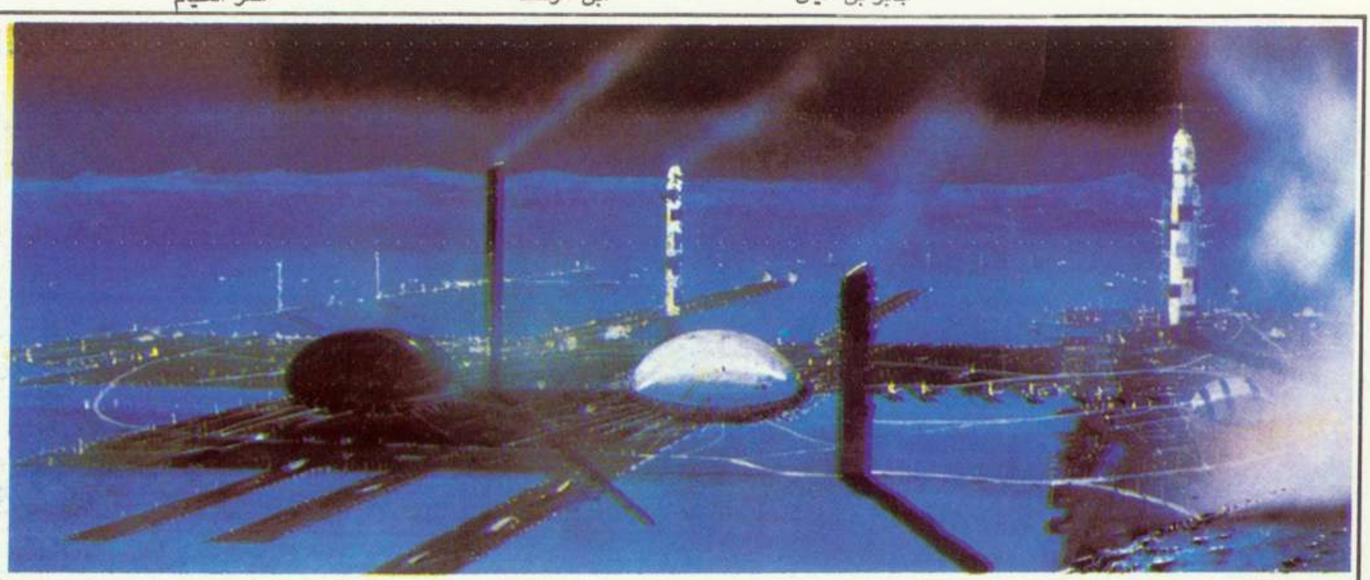

مركز الفيزياء النظرية

ووقع الحادث الثالث بعد عودتى الى الباكستان لأقوم فى آن واحد بالتدريس وبمحاولة تاسيس مركز للبحوث . وقد وضحوا لى بشكل صريح استحالة ذلك . وكان على ان اختار بين البحث فى مجال الفيزياء أو موطنى فاستقر رايى فى ألم وغم شديدين على اختيار المنفى . وهذا الالم هو الذى دفعنى الى أن اقترح انشاء مركز عالمى للفيزياء النظرية تتعهده الباكستان برعاية كبيرة وفعالة وتشترك معها دول نامية اخرى . وتقوم الفكرة على أن يمنح المركز ما نسميه الانتساب ، حتى يتسنى لكل شاب يستحق هذا الانتساب ان يقضى اجازته فى بيئة عمل مشجعة ومنشطة ، بين رصفاء له فى التصاق حميم ، يستمد لذهنه الحيوية والافكار الجديدة ، وتبقى له مع ذلك فترة تسعة أشهر من عامه الدراسى يقضيها فى جامعة ببلده .
وقد انشىء المركز بعون فعال من اليونسكو ومساعدة كريمة من حكومة إيطاليا ومدينة تريستا ، بواسطة الوكالة العالمية للطاقة الذرية فى تريستا عام ١٩٦٤ . ودخل اليونسكو فى شراكة متكافئة مع الوكالة فى عام ١٩٧٠ م وخلال الخمسة عشر عاماً لوجود المركز انتقل اهتمامه من الفيزياء الاساسية والأولية الى مواد ذات صلة بالفيزياء النظرية والتطبيقية كفزياء المواد ، وفيزياء المفاعلات ، وفيزياء المصادر الشمسية وغيرها من المصادر غير التقليدية ، والفيزياء الجغرافية ، وفيزياء المحيطات والصحارى ، وتحليل النظم ، بالاضافة الى فيزياء الطاقة العالية ، وجاذبية الكم ، وعلم الكونيات ، والفيزياء الذرية والنووية والرياضيات . وفى كل سنة ، يقضى قرابة ١٥٠٠ فيزيائى ، نصفهم من الدول النامية ، حوالى ستة أسابيع أو اكثر فى هذا المركز ، ويحضرون ندوات مطولة ، ويشتركون فى حلقات عملية للبحوث وقد أصبح المركز مفخرة لليونسكو ، وقوى موقف الفيزياء فى العالمين النامى والمتقدم ، ولكننى فى الخمسة عشر عاماً التى قضيتها فيه ، كنت أحس باطراد باننى مقيد ، وخاصة فى الوقت الحاضر . لقد كنت دائم الاعتزاز والفخر باننى أقضى نصف يومى فى البحث ونصفه الاخر فى الادارة ، لكننى وجدت أن ذلك أضحى مستحيلا فى الخمس سنوات الأخيرة . ليس ذلك لأن العمل الادارى زاد وصار مرهقاً ، وانما لان شهرة المركز نفسه ووضعه فى جو المؤسسات العالمية قد زادا ، وصار وجوده نفسه غير مؤكد من سنة لأخرى . وباختصار ، فان نصف ميزانية المركز تدفعه الحكومة الايطالية وتتقاسم دفع نصفه الثانى وكالة الطاقة الذرية الايطالية ومنظمة اليونسكو .
اننى مدرك تماماً محدودية اليونسكو فى الاضطلاع بمسئوليات مثل هذه المشاريع ، فقد حدد اليونسكو التزامه المفوض له فيما يخص مثل هذه المؤسسات منذ ٢٤ عاماً . فهو يقوم بمبادرة انشائها ويسهم فى خلقها ، ولكنه لا يخطط برنامجاً طويل المدى لدعمها . ان حقائق الوضع الحالى تتطلب مراجعة هذا الالتزام المفوض له ، وايجاد أموال ثابتة لتحقيق ذلك . وكما قلت سابقاً فان العالم يحتاج اليوم الى مؤسسات دولية تتمتع بالاستقرار وشروطه على الصعيد التطبيقى للعلوم ، مؤسسات مثل معاهد البحوث فى مجال القمح والارز والتعليم والفيزياء كالمركز العالمى للفيزياء النظرية .
ولزملائى الكرام فى اللجنة التنفيذية لليونسكو أقول : اننا ان لم نجد طرقاً ووسائل لابقاء المبادرة التى اتخذناها عام ١٩٧٠ حية ، خاصة وقد حظيت باعتراف وتقدير عالميين لاهميتها القصوى لعافية الفيزياء وسلامتها فى العالم النامى ، فمن غيرنا يستطيع ذلك أو يريده ؟
ان مؤسسات كالمركز العالمى للفيزياء النظرية يجب ان تصبح جزءا حيا ومستمراً ومألوفاً ومستقرا فى هيئة الأمم المتحدة ، وإلا فان الهوة فى العلوم والتكنولوجية بين الشمال والجنوب ستظل كما هى الى الابد .
أن عالمنا ينقسم فى مجال العلوم كما فى غيره من المجالات الى عالم فقير وآخر

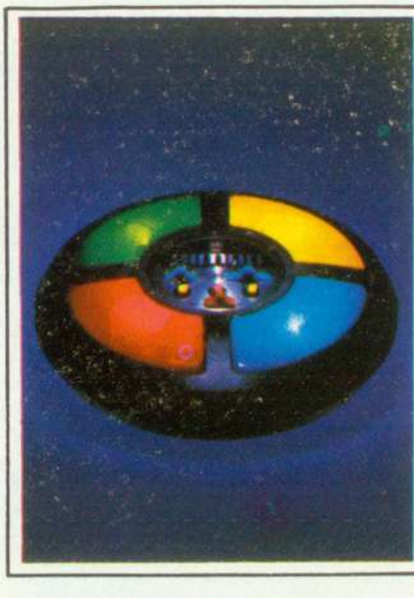

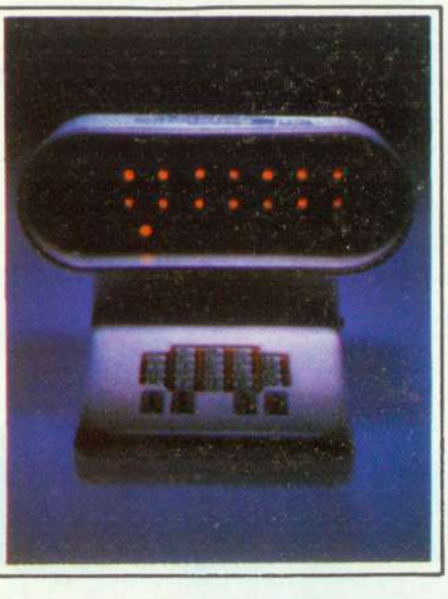

ثلاث نداءات إلى المجتمع الدولى: حكومات وعلماء

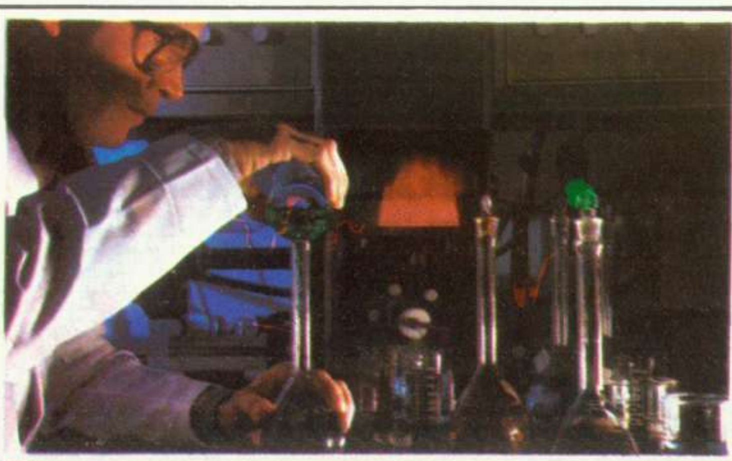

غنى ونصفه الغنى هو الشمال الصناعى وذلك الذى يخضع لادارة مركزية .. ويتمتع بدخل يبلغ خمسة ترليون دولار . وهو ينفق ٢٪ من هذا الدخل ، أى ١٠٠ بليون دولار فى العلوم غير العسكرية وبحوث التنمية .

أما النصف الآخر من الانسانية ، الجنوب الفقير ، الذى لا يتمتع باكثر من خمس دخل الشمال الغنى الصناعى ، أى واحد ترليون دولار فهو ينفق بليونى دولار على العلوم والتكنولوجية ، وذلك يعنى بحساب النسبة وبالمقارنة الى ما تنفقه الدول الغنية انه كان ينبغى أن ينفق عشرة أضعاف هذا المبلغ ، أى ٢٠ بليون دولار . وفى مؤتمر العلوم والتكنولوجية الذى عقد فى فيينا فى اغسطس الماضى تحت اشراف الامم المتحدة ، طالبت الدول الفقيرة باعتمادات مالية دولية ليرتفع المبلغ من بليونين الى أربعة بلايين دولار . وقد تلقوا وعودا لا بالمبلغ كله أو حتى نصفه وانما بواحد على سبعة منه .

نداءات ثلاثة

وفى الختام ، أرجو أن أوجه ثلاثة نداءات ، أولها الى المجتمع الدولى ، حكومات وعلماء .

ان عالماً ينقسم الى أغنياء وفقراء فى مجال العلوم والتكنولوجية لن يطول بقاؤه وليس هنالك فى الوقت الحاضر سوى مركز عالمى واحد للفيزياء النظرية بميزانية تبلغ مليونا ونصف المليون من الدولارات ، لخدمة أكثر من مائة دولة نامية .. فقارنوا هذا بالمشاريع الأوربية المشتركة الخاصة بالفيزياء وحدها والتى يرصد لها نصف بليون دولار سنويا

ونداءى الثانى أرفعه الى الدول النامية نفسها لأن انتشار العلم والتكنولوجية فيها هو مسئوليتها . وكواحد من ابناء هذه الدول النامية اقول :

ان رجال العلم بينكم هم راس مالكم الثمين ، فقدروهم ، وابسطوا لهم الامكانيات ، وامنحوهم المسئوليات لتنمية بلادهم علمياً وتكنولوجيا . ويجب أن يظل الهدف هو زيادة عددهم ومضاعفته عشرة أمثال ما هو عليه الآن ، ورفع مبلغ البليونى دولار التى تنفق حالياً على العلوم والتكنولوجية الى ٢٠ بليون دولار . فالانفاق على العلم سيثمر عشرة أمثاله .

واخيرا أرجو أن اتقدم بكل تواضع بنداء خاص الى اخوتى فى الاقطار المسلمة .

لقد أسبغ الله نعمته على بعض منكم وصار دخل هذا البعض ستين بليون دولار . وعلى ضوء المعدلات العالمية يفترض أن يتم انفاق بليون دولار سنوياً على العلوم والتكنولوجية من هذا الدخل . لقد كان اسلافنا هم الذين حملوا مشاعل البحث العلمى عالمياً فى القرن الثامن والتاسع والعاشر والحادى عشر فكونوا كرماء ، وابذلوا بليون دولار على العلوم العالمية حتى أمسك الآخرون عن البذل والانفاق . واقيموا صندوقاً لرعاية الموهبة العلمية ، وهى وفيرة ، فى العالم الاسلامى والعربى والدول النامية حتى لا يضيع أى عالم موهوب .

ان مساهمتى الشخصية المتواضعة لأنشاء هذا الصندوق هى كل ما ملكت يداى من مال ــ ستون الف دولار ، منحتنى إياها فى سخاء الاكاديمية السويدية .

الجرى
رياضة محببة أم مخاطرة صحية؟

شهد العقد الماضى من هذا القرن اهتماما بالغا بالصحة واللياقة البدنية ، خاصة بعد ان أستقر فى اذهان الناس ان الانتظام فى التمرين البدنى العنيف يبعد شبح مرض القلب واخطاره وقد اكتسب الجرى المتمهل شعبية طاغية ، وبولغ فى الكتابة والاعلان عنه والترويج له كوسيلة لتحقيق اللياقة وإطالة العمر ، فاصبح مظهرا مالوفا وشعبيا فى اوربا ، وخاصة الجرى فى جماعات كبيرة تنظم له دورات سنوية تجتذب آلاف المشتركين كما فى استراليا ونيو زيلندا وبريطانيا التى اشتهرت فيها الدورة القومية للجرى البطىء التى ابتدعتها جريدة الصنداى تايمز ، وجذبت فى عاميها الأولين اكثر من ستة عشر الف مشترك .

واندفع القادة والسياسيون يبرزون عضلاتهم الرياضية ، ويظهرون ريادتهم ورعايتهم لهذه الرياضة الجماهيرية الأولى ، فقادوا حملات قومية للجرى المتمهل ليكسبوا لياقة عند جماهيرهم ، ويساهموا فى خفض تكاليف علاج مرض القلب ، والذى يفتك فى بريطانيا وحدها باكثر من ٢٥٠ الف شخص .

ولكن لذة هذا الجديد ومتعته لم تدم طويلا ، اذ اخذ الشك فى فائدة هذه الرياضة الشعبية يطغى ، خاصة بعد ان خرجت الصحف الغربية بعناوين بارزة مروعة عن موت بعض عشاق الجرى المتمهل ، مثل طبيب الفريق القومى الانجليزى لكرة القدم ، الذى خر ميتا اثناء احد التمارين .. مما جعل بذل المجهود البدنى العنيف يبدو وكانه ينهى العمر بدلا من إطالته .

واكثر ما روع الناس فى موت العدائين فى

- هنــاك أدلة إيجابيّة فى صــالح الجــرى يُقــدّمها د. كافـــانا
- الجــرى البطىء جــُـزء من بــرنامــج عــلاجى لمــرضى القلب

تمهل هو انهم كانوا من بين الذين اعتادوا التريض ، ويمكن اعتبارهم اكثر لياقة بدنية من متوسط الناس . فالمستر بيتر باروز ، طبيب الفريق الانجليزى القومى ـ ٥٣ سنة ـ كان يعتبر من المهووسين باللياقة . فقد كان يقوم بتمارين عنيفة مع الفريق الانجليزى ، ويمارس لعبة الاسكواش ، ويجرى بانتظام . ولكنه مات فى العام الماضى بالسكتة القلبية بعد أن جرى مائتى ياردة فقط من مشواره اليومى الذى يقطعه فى تمهل .

اما موت الرياضى النيوزيلندى دنيس ستيفنصون ـ ٥٣ عاماً ايضاً ـ فقد كان اكثر ترويعاً . كان رياضياً طول حياته ، وكان من ابرز عدائى المسافات الطويلة فى بلده . فهو صاحب الرقم القياسى للمائة ميل وبطل الجرى لمدة ٢٤ ساعة . وقد اصيب بنوبة قلبية مميته بعد يوم من اشتراكه فى سباق الماراثون .

وفى كلتا الحالتين كانت الحقائق اشد تعقيدا مما نشرته الصحف فى عناوينها البارزة . ورغم أن الرجلين كانا يظهران فى اتم صحة وعافية ولياقة ، فقد اظهر التشريح انهما كانا يعانيان من الترسبات الدهنية فى شرايين التاج ، والتى تسبب تصلب الشرايين الحاد .

كان بيتر باروز قد لاحظ وأحس بعلامات منذرة قبيل موته ، منها الم فى صدره وتعب ينتابه اثناء لعب الاسكواش . وكان احياناً يضطر الى ايقاف سيارته اثناء سيره الى عيادته . وقد اخضع نفسه لرسم بيانى للقلب ، ولكنه لم يظهر اى شىء شاذ حتى حين قام بالجرى صعودا وهبوطاً للسلم ليستعيد تلك الآلام التى انتابته من قبل لكن المرض كان كامناً فيه .. حتى لقى به حتفه .

اما دنيس استيفنصون ، فقد شعر هو بدوره بانذار بدائى ، إذ شكى اثناء احد التمارين من دوخة ساورته ، واغمى عليه ذات مرة اثناء احدى المحاضرات بالجامعة .. كما شعر بالآم فى صدره وذراعيه . وفى سباق الماراثون الذى كان فى اليوم السابق لموته ، أحس بان لونه مخطوف .. واكمل السباق فى زمن بطىء للغاية .

ان اول سؤال يتبادر الى الذهن بعد موت باروز واستيفنصون هو : كيف يمكننا ان نقول ان التمرين النشط يبعد مشاكل مرض القلب بعد أن لقى اثنان من الرياضيين حتفهما فى سن مبكرة نسبياً ، وبتصلب فى شرايين التاج ؟ .

وتبدو الاجابة منطوية فى حقيقة أن بعض الناس معرضون لمرض القلب ، ومهيئون له ، مهما فعلوا .. ولا يتغلب الجرى المتمهل على المخاطر الأخرى مثل الغذاء الغنى بالكلسترول ، وكثرة التدخين وارتفاع ضغط الدم والاجهاد .

وكان بيتر باروز قد وصف نفسه بانه حالة كلاسيكية لمرضى تصلب شرايين التاج وكما قالت زوجته : كان ذا مزاج متقلب ، وكان الاجهاد جزء من حياته العملية كطبيب عمومى ، ولذا فقد عاد الى التمارين الحادة فى أواخر الثلاثينات من عمره ، كان يعود مجهدا متوترا من عيادته فيجد فى التمرين سلوى وراحة نفسية كما تقول زوجته

اما استيفنصون ، فيغلب أن ارتفاع ضغط الدم كان وراء موته إذ يرى طبيب القلب الذى درس نتائج تشريح الجثة أن فرط ضغط الدم هو مرض عضوى يمكن أن ينشا فى وقت مبكر من عمر الانسان ، ولا صلة له بلياقة الشخص البدنية ، وانه يتاثر بعدد من العوامل المختلفة ، عند مختلف الناس واذا اخذنا الناس فى مجموعات ودرسنا حالاتها ، فاننا سنجد أن فرط ضغط الدم يقل كثيرا عند ذوى اللياقة البدنية منه عند غيرهم .. ولكن ذلك لا يعنى بالضرورة أن كل فرد فى المجموعة التى تتمتع باللياقة خال من ضغط الدم ، واذا كان شخص ما معرض لضغط الدم كما فى حالة دينيس استيفنصون ، فان التمارين مهما كان قدرها لن توقف ذلك بشكل كلى .

وهذا يقود الى سؤال آخر ...

فاذا افترضنا أن السيدين باروز واستيفنصون كانا مهيئين لتصلب شرايين التاج ، فهل كان موتهما نتيجة لتمرينهما فى ذلك اليوم ؟

إن الادلة المتوفرة لا تقطع باجابة شافية . لقد

الجـــرى

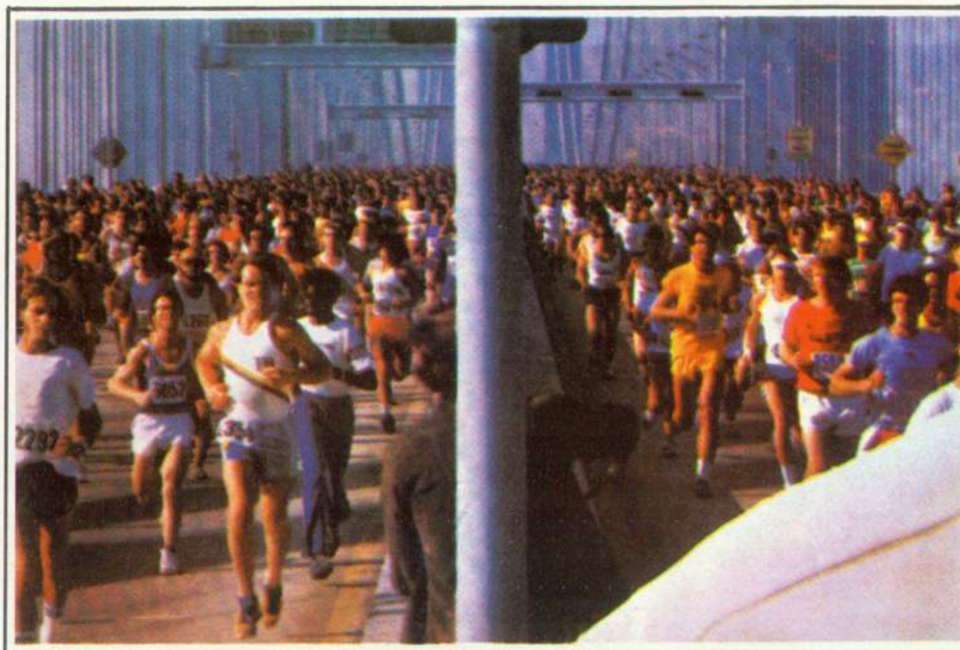

اتضح لكثير من المؤلفين فى مجال الطب الرياضى أن ثمة علاقة بين الموت الفجائى والنشاط الرياضى ، ولكنهم لم يجمعوا على ذلك كلية . وقد قدم الدكتور شيبارد حجة نظرية تشير الى أن التمارين الرياضية يمكن أن تكون سبباً لسكتة القلب ، ولكنه وجد أن هذه النظرية لا تجد السند من الدراسات التى أجريت على حالات الموت الفجائى . ولا تتوفر سوى احصائيات لا تشكل أدلة قاطعة .

ففى دراسة اجريت فى فنلندا على ٢٦٠٠ حالة من حالات الموت الفجائى ، تاكد أن ثلث تلك الحالات ارتبط بالاجهاد الجسدى أو النفسى .. ومن تفاصيلها أن اثنين كانا يركضان ، وستة عشر كانوا يتزحلقون على الجليد ، وسبعة وستون كانوا يستحمون تحت البخار .

اما الدراسة التى اجريت فى توردنتو ، وكانت على نطاق اضيق ، فقد أظهرت أن الربع من بين ٢٣٣٨ حالة من حالات السكتة القلبية كان متصلا بالنشاط الرياضى .. وشملت حتى المشى (١٣ حالة موت فجائى) وجرف الثلوج (٩حالات) والجرى (٨ حالات) والتزحلق على الجليد (٤ حالات) والعمل المنزلى الشاق (١٥ حالة) . وهذه الاحصائية تبين أن ضروبا من النشاط المتواضع يمكن أن تكون مميتة اذا ما توفرت ظروف معينة كامنة فى الشخص . ويتحتم أن يتم حصر الناس الذين ينتظمون كل ساعة فى نشاطات مختلفة قبل أن تتضح النسبة الثابتة لاخطار الرياضة التى تؤدى الى الموت الفجائى .

وقد دللت السباقات التى تجرى فى نيوزيلاندا واستراليا للمتعة على أن الوان السباق التى تقتصر على مسافة سبعة او ثمانية أميال ، لم تسجل أية حالة من حالات الموت المفاجىء .. حتى حين اشترك فيها عداءون لأول مرة فى حياتهم . وفى السباق الذى تنظمه الصنداى تايمز للمتعة فان الحسابات المبنية على احصائيات تتصل بالوفيات المرتبطة بامراض القلب فى بريطانيا كل عام لا تستبعد ولا تجد غرابة فى موت من هم فى الخامسة والاربعين الى الرابعة والستين من عمرهم .

وهناك دليل إيجابى فى صالح الجرى المتمهل يقدمه الدكتور تيرنس كافانا من تورونتو ، وهو يوظف الجرى البطىء كجزء من برنامج علاجى لمرضى القلب ، وهو يقرر أن المرضى فى عيادته ـ ٢٣٣٧ شخصاً فى الفترة بين عام ١٩٦٨ و ١٩٧٨ ـ قد قطعوا جريا قرابة مليون ميل أثناء التمرين . ولم يعاود مرضى القلب سوى ٥٨ منهم فقط . وكما يقول الدكتور كافانا ، فان هذه الحالات التى كان علاجها يقوم على التمارين البدنية كانت حالات خطيرة للغاية ، ونسبة الموت بينها من جراء ارتداد النوبة القلبية هى سبع مرات الى احد عشر مرة اعلى مما هى عند غيرهم من نفس الاعمار الذين لم يصابوا بنوبة قلبية من قبل . ولكن نسبة ارتداد المرض فى عيادته قليلة جدا ، وهى حين تقع ، تحدث دون

كيف يمكن لإنسان عادي بلغ منتصف عمره أن يتخذ قرارًا بممارسة الجري المتمهل ؟

ماذا تفعل قبل أن تبدأ رياضة الجرى البطىء ؟

تذكر أن قلب الانسان حين يبلغ منتصف العمر هو كالسيارة المستعملة .. ولا يمكنك أن تنطلق بسيارة مستعملة الى الطريق الخلوى لتقودها بسرعة ثمانين ميلا فى الساعة .

ان هذه القاعدة نفسها يمكن تطبيقها بالنسبة للتمارين الرياضية .. ولذا يجب على من تجاوز الاربعين من عمرهم أن يراجعوا اطباءهم قبل ممارسة الجرى البطىء ، وسيقوم الطبيب بفحص ضغط الدم ، والوزن ، ويستوثق من تفاصيل طبية أخرى . كما يجب أن يعرف شيئاً عن اسلوب حياتك وعملك وعاداتك فى التدخين والشرب والاكل و ويستحسن فى بعض الحالات اجراء رسم للقلب .

وهناك طريقة بسيطة لتعرف وحدك إن كان التمرين المعتدل سيسبب لك أى إجهاد ، وذلك بان تسير سيرا حثيثا لمدة خمس دقائق ، أو أن تمضى دقيقتين فى هبوط وصعود سلالم لا تتعدى العشر عتبات فاذا شعرت بأى ألم فى الصدر أو ضيق ، أو اذا لم تهبط درجات قلبك الى معدل مائة ضربة فى الدقيقة بعد عشر دقائق ، فيجب أن تستشير طبيباً .

ويجب الا تزيد سرعة جريك فى البداية عن سرعة مشيك كما يجب الا ترفع التمارين معدل نبضك الى أكثر من ١٣٠ ضربة فى الدقيقة .

ما الذى يُحدث نوبات القلب ؟

إن ما يحول دون تحديد العلاقة بين التمارين الرياضية العنيفة والموت الفجائى هو اننا لا نعرف إلا نذرا قليلا عن سبب وقوع نوبات القلب فى لحظة معينة دون اخرى .

والسبب الرئيسى لمعظم حالات الموت بالسكتة القلبية هو شرايين التاج التى يمكن أن تصبح ضيقة بواسطة تراكم الترسبات الدهنية ، وليس توقف القلب نفسه عن النبض هو الحدث الحاسم . وحتى الجلطة التى نخشاها كثيرا ليست هى بالضرورة اكثر مظاهر الموت الفجائى .

ومع ان النظرية الشائعة عن النوبة القلبية تقوم على مسألة انسداد الشريان التاجى ، فان رأياً آخر يرجح بعض الأسباب الكيمائية البيولوجية فى عضلة القلب نفسها ، كما ان رايا ثالثا يقول بان اجزاء ميكروسكوبية (مجهرية) من الدم قد تكون هى التى تعترض تدفق الدم الى ممرات القلب الموصلة للكهرباء ، ومن ثمة تسبب الاختلاج العضلى ، او ربما كان هناك جهاز يسبب تقلصات عضلية او تشنجات لا ارادية فى الشريان التاجى ، وإن لم يتم تفسير تلك التشنجات بعد .

وينظر بعض الاخصائيين الى نوبة القلب من وجهة نظر سيكولوجية كاشارة بعدم القدرة على التحمل ومواكبة الحياة .. او حتى كنوع من الانتحار !

وقد شبه الأطباء سقوط الرئيس الامريكى كارتر اثناء الجرى الجماعى بنوبات القلب التى عانى منها اثنان من الساسة الكنديين فى ظروف مماثلة عندما كانا يحاولان فى جزء ان يتركا انطباعا حسنا فى جماهيرهما

ومهما يكن السبب الحقيقى للموت بنوبات قلبية ، فليس هناك ادنى شك فى أهمية الدور الذى يلعبه الاستعداد والتهيؤ للمرض فى الشجرة التاجية ، والذى تدور اغلب المناقشات الطبية حول كيفية تجنبه .

اعتبار لما يقوم به المريض من نشاط او خلافه ، فقد تحدث اثناء النوم ، او الجرى أو قيادة السيارة .. ومن بين هذه الحالات الثمانية والخمسين التى ارتدت فى علاجها ، كانت وفاة ١١ فقط مرتبطة بالتمرين البدنى ، بينما مات نفس العدد فى سررهم ، وواحدة فقط اتصلت بالجرى المتمهل .. وان لم تقع اثناءه

ويقول الدكتور كينيث كوبر ، وهو من انصار علاج القلب بالتمرين الرياضى ، ان الاهتمام الكبير بالتمارين البدنية قد بدأ فى منتصف الستينات ، وبحلول عام ١٩٧٨ ارتفع عدد ممارسى رياضة الجرى المتمهل الى ٢٥ مليون شخص منتظمين فى الولايات المتحدة . وكان نقاد هذه الرياضة يتوقعون أن يرتفع عدد حالات الموت الفجائى بالقلب نتيجة لذلك . ولكن ، وفى كل عام من الحقبة الماضية كان عدد حالات الموت الفجائى بالقلب يتناقص ، وفى الحقيقة فان نسبة الموت بالقلب لعام ١٩٧٨ هى اقل بنسبة ٢٨٪ مما كانت عليه فى عام ١٩٦٨ .

وهناك آراء اخرى اكثر تطرفاً .. إذ يرى الطبيبان الأمريكيان توماس بازلر وجاك اسكاف أن عدائى الماراثون الدائمين يتمتعون بحصانة دائمة من نوبات القلب ، وان حالة موت دينيس استيفنصون لا تناقض ذلك ، إذ ان الدكتور نورمان شارب يرى أن هذا العداء ربما كان قد وجد بعض الحماية من تمارينه العنيفة ، وربما كان المرض قد داهمه بوقت مبكر ، خاصة وهو مهيا لارتفاع ضغط دمه ، ان لم يكن عداء . وبالطبع ، فهذه مجرد وجهة نظر .

وتعتقد زوجة الطبيب باروز أن الجرى وممارسة لعبة الاسكواش قد مدا فى عمر زوجها ، والذى كان يرى أنه لن يعمر الى الاربعين باسلوب الحياة الذى كان يتبعه ، ولذلك اخذ نفسه بالتمارين العنيفة ، وهى ترى أن ذلك قد أطال عمره ومنحه البهجة والطلاقة أيضا

وهناك مؤشر بان المجهود الجسدى العنيف لا يمثل سببا اساسيا فى مرض القلب .. وذلك يتضح من تحليل مائة حالة من الوفيات التى اعتبرت مفاجئة جدا وغير متوقعة ، واجرى عليها البحث فى مدينة نيو كاسل بانجلترا ، وقد تبين ان للاجهاد النفسى الحاد والنشاط البدنى المعتدل تاثير اكبر من التمرين العنيف فى هذه الوفيات .

ولكن .. كيف يمكن لانسان عادى بلغ منتصف عمره ان يتخذ قرارا بممارسة الجرى المتمهل او التخلى عن هذه الفكرة بعد أن يقف على هذه التقارير المتضاربة ، وبعد أن يسمع بموت طبيب الفريق القومى الانجليزى لكرة القدم ، وموت عداء الماراثون النيوزيلندى ، وموت صبى فى الخامسة عشر من عمره لم يكن ليشكو من اى آلام فى القلب ؟

ان المشكلة ، كما يقول الدكتور دان تونستول بيدو اخصائى امراض القلب بمستشفى سنت بارثلوميو بلندن ، هى بالرغم من فائدة التمارين للسواد الأعظم من الناس إلا انها ضارة لبعض الناس .. ولا يمكن التنبؤ بمن هذه الاقلية من الناس ، وان كان يمكن تحديد نوع الناس الذين يحتمل ان تكون التمارين فى ضررهم .. من واقع الاحصائيات . ويمكن القول ايضاً بان الذين يشكل التمرين مجازفة كبرى لهم ، يجب ان يتخذوا بعض الاحتياطات .. مثل أن يراجعوا أطباءهم ، أو يحرصوا على اجراء فحص كلى قبل الشروع فى مثل هذه الهوايات .

ويذهب الدكتور روى شيبارد الى حد القول بانه حتى فى حالة الرياضيين الذين يتمتعون بعافية مكتملة فى منتصف عمرهم ، ويمارسون ألعاباً عنيفة كالرجبى مثلا ، وفى فترات منتظمة ، فان خطر موتهم بالقلب اثناء فترة نشاطهم الرياضى هو نسبة تزيد بثلاثة او اربعة ارقام عن نسبة موتهم فيما لو كانوا يجلسون للقراءة فى بيوتهم . وهذا المستوى من المجازفة ضئيل للغاية .

هناك مجازفة طفيفة ، كما يقول الدكتور شيبارد ، ولكن اذا قام المرء بالجرى المتمهل بطريقة معقولة وفى حذر وتدرج ، فان حاله بعد عام سيكون أفضل مما لو اختار الجلوس فى منزله دون ممارسة هذه الرياضة الخفيفة .

ويقول الدكتور تونستول بيدو : اننا جميعاً نتمرن كلما مشينا فى الطريق ، والمسألة كلها مسألة درجة ونسبة المخاطرة . فالناس الذين يحلو لهم الجلوس فى بيوتهم ، ويزيد وزنهم هم ايضا يزيدون من نسبة الخطر عليهم ، ولذا يجب أن يكونوا اكثر حذرا . »

أن ما حدث لدينيس استيفنصون ، العداء النيوزيلندى ، ينبغى أن ينبه الرياضيين إلى ضرورة اجراء فحص طبى لأنفسهم مثلهم مثل اى شخص اخر .. وان ينتبهوا الى اى اعراض غريبة يحسون بها . والطريق الواضح لتصحيح كثير من هذه المشاكل هو أن يغير المرء نهج حياته . ولكن المفارقة العجيبة هى ان السبيل الوحيد لتغيير نهج حياة الناس فى الغرب هو ان يخرجوا الى الجرى المتمهل .

وربما لم يكن الجرى وحده هو الذى يفيدهم ، بل أن كل ما يرتبط به مفيد . وحقيقة الأمر هى أن مئات الآلاف من الناس الذين بلغوا منتصف العمر يعانون من تصلب شرايين التاج .. ولكنهم رغم ذلك يجرون ..

وقد احسنوا صنعا واختيارا .

حياتنا
المعاصرة
CHENEY

سيرة ذاتية لعروة بن الورد

شعر: سهام الناصر

(١)

جاءوا من دارين ومروا بالدهناء ثقالا ،
صحبك يا عروة يا ابن الورد
اضافوا عندى
وحليك البسها الان
وبمسك من دارين تطيبت
ظللت اترقب عودتك الموعودة
ولكنك فارقت الأحباب ،
وثمة اسياف لك بعد معلقةبجوار المراة
واذكر كنت تقول بان لوجهى فى ليلك تاثيراً مثل السيف
تاتم به فى الحرب واثناء القيلولة ،
تلجأ احيانا للحلم باصوات مسموعة
يكفى ان تجلس لحظات تدفئنى شمس حضورك
اذ ترحل يدخلنى الحزن كهوفاً لا مخرج منها
اصبح كالصحراء شفاهى تتلمظ من عطش
واحسك قدامى غيماً يمطر اشواقاً « نجديه »

(٢)

فارسِ الشهم ،
ظللتَ هنا انتظر العودة
لن اجرؤ ان افتح « بحر » حقائبك
الملأى بالذهب ، الصندل والمسك واشياء اخرى
احرص ان لا اذكرها الآن ،
فقد كنت تمازحنى فيها غب تدار الكاس
وتستعر الاشعار « الذهبية » فى صدرك :
يا انثى ما حملت إلا قيصوم الريح
ياآكلة قلبى
موتاً للقلب اسميك لوناً ، وثناً ، نهراً
لولاه لظل الرمل يشق الى اذنى صهيل قبور
الاشجار نساء فيهن اراك
اشجاراً رائعة ، رائعة ، فتكونين الاشجار ظلالا وارفة
اتفياها فى قيظ ،
فالصعلوك محال ان يسال اين مذاهبه ؟
او اين تروح به الخطوات الصعبة
او تاتى !

(٣)

اسالهم صحبك هل « حم قضاؤك ؟ » إنى ،
لن اصدع بالأمر ،
محال رغم الألفة مابين الموت وبينك ،
انتظر الليلة عودتك الموعودة ،
هل تاتى ؟
صحبك يهذون باشعارك والفجر تبدى
والصعلوك محال ان يسال :
اين مذاهبه ؟
(احيانا لا ينقذنا إلا الموت)
لقد كنت تقول لهم :
(ان ياتى الموت لنا او ياتى النصر فسيان)

(٤)

ـ من جاء بك الان الى حيث اموت ؟
ـ او لم يرسل صوتك فى طلبى
ما سافر نحو رفاقتك ياابن الورد سوى صوتى

(٥)

الفجر تبدى
كبد الافق تعانقه الشمس ،
تحنت بدمائك يا ابن الورد ،
القيظ يحاصرنى ،
وارى ثم رماداً وخيولا تجرى ،
اسمع اصواتا تضحك او تبكى

(٦)

الطفلة فيك اكتابت
والتحقت فى عينيها الأحزان !
ـ اتبكين ؟ !
(صوتك ياتينى)
ـ لا بل ماء الحب تحدر عن مجراه
ففاض بعينى الموج ! ،

(٧)

الاشجار ظلال لا « تورف »
موتك يا ابن الورد
خناجر ترحل فى لحمى
كنت الامثل والانقى
وصعاليك كل بنى أسد

البصرة : سهام الناصر

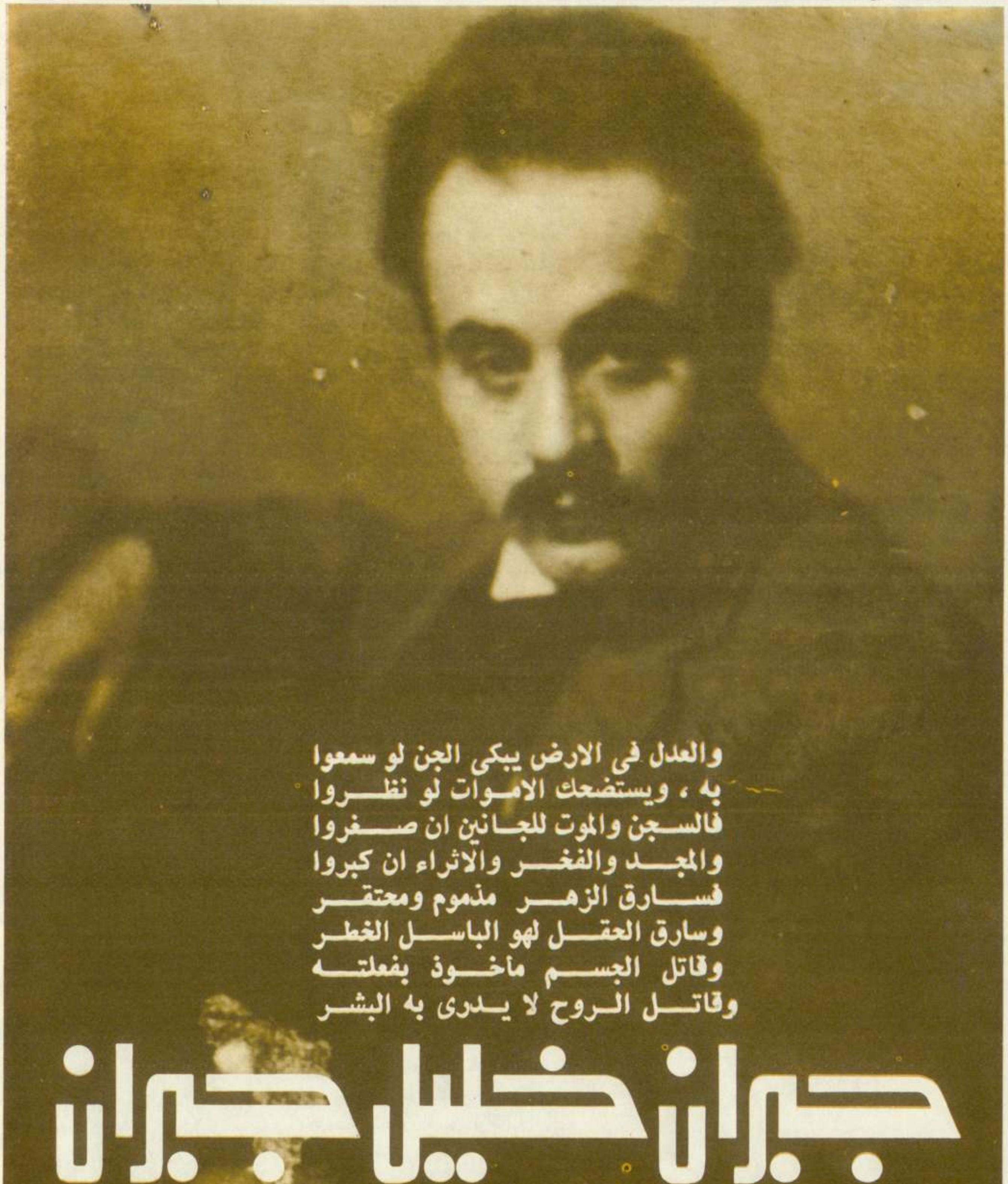

والعدل فى الارض يبكى الجن لو سمعوا
به ، ويستضحك الاموات لو نظروا
فالسجن والموت للجانين ان صغروا
والمجد والفخر والاثراء ان كبروا
فسارق الزهر مذموم ومحتقر
وسارق الحقل لهو الباسل الخطر
وقاتل الجسم ماخوذ بفعلته
وقاتل الروح لا يدرى به البشر

جبران خليل جبران

الأديب والشاعر والرسّام وعميد الأدب المهجريّ

بقلم : د. عيسى الناعوري

فى السادس من شهر كانون الاول عام ١٨٨٣ ، وفى قرية « بشرى » الجاثمة على سفح جبل الارز ، والمتربعة بكبرياء وجلال وبهاء على كتف وادى قاديشا ـ او الوادى المقدس ، كما يدعونه أيضا ـ فى الشمال اللبنانى ، ولد جبران بن خليل جبران وكامله رحمه • وفى عام ١٨٩٤ ، وجبران بعد صبى فى الحادية عشرة من عمره ، اخذته أمه ، مع أخيه الاكبر بطرس وأختيه سلطانة ومريانا الى أميركا الشمالية ، ونزلت بهم فى حى الصينيين فى بوسطن • وهناك فتح بطرس دكانا صغيرا ، ودخل جبران المدرسة ، وامتهنت الام وابنتاها الخياطة •

وفى المدرسة بدات موهبة جبران الصغير فى الرسم ، واسترعت انتباه معلميه • ولكنه لم يلبث أن عاد الى لبنان عام ١٨٩٦ ودخل مدرسة (الحكمة) فى بيروت ، حيث بدأت تبرز موهبته فى الخيال الشعرى •• وقضى عطلة الصيف مع أبيه فى بشرى • وهناك لامس الحب قلبه لاول مرة ، اذ عرف فتاة أكبر منه بسنتين تدعى (حلا الظاهر)• ولكن ذوى الفتاة قابلوا حبه بالزجر •• فحمل الفتى العاشق آلامه وعاد الى أميركا عام ١٩٠١ • ولم تلبث قصة هذا الحب المبكر أن ظهرت فى رواية صغيرة دعاها جبران (الاجنحة المتكسرة) شحنها بالثورة العارمة على الطبقة الاجتماعية وعلى رجال الدين فى لبنان ، كما جاءت فى عبارتها الرومنتية اشبه برواية (آلام فرتر) للشاعر الالمانى الشهير وولفغانغ غوته ، من حيث الحرارة ، ولهفة الحب ، والالم الذى يرافق الحب وينغص هناءة المحبين • وأما فى عبارتها العربية ، فقد كانت لونا جديدا من الادب العميق ، والعبارة المؤثرة بحرارتها ولطف خيالها ، ورهافة استعاراتها وتشبيهاتها الجديدة •

الى باريس

وفى بوسطن مضى الفتى جبران ينمى موهبتيه فى الرسم والادب معا • وهناك راحت الاقدار تقصف أغصان الاسرة من حوله : فقضى السل على سلطانة ، شقيقة جبران ، ثم على أمه وأخيه بطرس • وأصبح جبران وحيدا مع أخته مريانا فى ديار الغربة • واضطرت الاخت الى مضاعفة العمل لكى تعول شقيقها الفتى ، وشرع هو يكتب كتاباته الاولى • وفى عام ١٩٠٤ نشر اول مقال له فى جريدة (المهاجر) ، كما أقيم اول معرض لرسومه • وكان هذا المعرض سببا فى تعرف المعلمة الاميركية مارى هاسكل به فدعته الى عرض رسومه فى مدرستها ، وأبدت اعجابها برسومه وبموهبته المتفتحة ، ورات ان فى وسعها أن تكون له اما ومربية ومرشدة معا • فأرسلته الى باريس لدراسة الرسم على نفقتها مدة ثلاث سنوات : من عام ١٩٠٨ الى عام ١٩١٠ •

ولم تنقطع رعاية مارى هاسكل ومساعداتها المالية لجبران طوال حياته ، فقد ظلت تمده كل شهر بخمسة وسبعين دولارا ، حتى بعد أن نال الشهرة والمجد والثروة عن طريق رسومه ومؤلفاته العربية والانكليزية • وقد أراد جبران أن يكافئها ، فعرض عليها مرارا أن يتزوجها ، غير أنها كانت تشعر دائما بأنها قد تصلح أن تكون له أما ، لا زوجة ، لانها تكبره بعشر سنين ، كما كانت ترى أنها آخذة بالهبوط فى سلم العمر ، وهو ماض فى الصعود • ولذلك رفضت عروضه وقنعت منه بالصداقة الدائمة •

ميخائيل نعيمة

فى القائمة السوداء

أول كتاب ظهر لجبران كان (الموسيقى) عام ١٩٠٥ ، ثم تلاه (عرائس المروج) عام ١٩٠٦ ، ثم (الارواح المتمردة) • وهذا الكتاب وسابقه متشابهان من حيث التمرد والثورة على الاقطاعية وعلى رجال الدين فى لبنان ، لتعاونهم على اذلال صغار الفلاحين وأجراء الارض • ولهذا قام رجال الدين الموارنة فى لبنان بجمع نسخ (الارواح المتمردة) وحرقوها فى بيروت ، ولهذا أيضا أضيف اسم جبران الى (القائمة السوداء) التى كان محظورا على الكاثوليك أن يقرأوا مؤلفات أصحاب الاسماء الواردة فيها • ثم كان الكتاب الرابع (الاجنحة المتكسرة) ، وهو قصة حبه فى بشرى ، مكتوبة بأسلوب رومنتى حار وثائر معا • وأرى أن أقدم هنا نموذجا قصيرا من عبارته الجديدة المشرقة ، والتى لم يكن مثلها مألوفا فى الادب العربى فى ذلك العهد ، وهى عبارة شعرية رقيقة مرهفة وشديدة الحرارة :

« فى تلك السنة شاهدت ملائكة السماء تنظر الى من وراء أجفان امرأة جميلة ، وفيها رأيت أبالسة الجحيم يضجون ويتراكضون فى صدر رجل مجرم • • ومن لا يشاهد الملائكة والشياطين فى محاسن الحياة ومكروهاتها ، يظل قلبه بعيدا عن المعرفة ، ونفسه فارغة من العواطف ••• لا تحدثنى عن السعادة ، لان ذكرها يؤلمنى كالتعاسة ، ولا تصور لى الهناء ، لان ظله يخيفنى كالشقاء ، ولكن أنظر الى لاريك الشعلة المقدسة التى أوقدتها السماء بين رماد صدرى •• ان المحبة المحدودة تطلب امتلاك القلوب ، أما المحبة المتناهية فلا تطلب غير ذاتها •• » ••

أسلوبه الخاص

وفى عام ١٩١٤ صدر لجبران كتاب (دمعة وابتسامة) وهو يضم خطرات من الشعر المنثور ، المفعم بالخيال المجنح والتعبير الفنى بالرشاقة • وفى هذا الكتاب ، كما فى الاجنحة المتكسرة ، كان جبران يتميز عن غيره من الكتاب العرب بعبارته الشعرية ، الفنية بالخيال ، والملأى

بالاستعارات والتشبيهات الجديدة المشرقة . واصبح لجبران أسلوبه الخاص المتميز ، وتفكيره المستقل ، وأصبح تصويره لمشاعره من لون جديد غير مالوف . وقد بدأ بذلك يسترعى انتباه الكتاب فى المشرق بشكل يثير الدهشة .

وفى عام ١٩١٩ صدرت مطولته الشعرية (المواكب) وقد بناها على صوتين ، أو تيارين متناقضين ، يمثل أولهما ظاهر الحياة البشع وحقائقها البغيضة ، ويمثل الثانى جوهر الحياة المنسجم أو الوحدة الروحية البسيطة الحرة كحياة الغاب .

يقول الصوت الاول ، مثلا :

والحق للعزم ، والارواح ان قويت
سادت ، وان ضعفت حلت بها الغير
ففى العرينة ريح ليس يقربه
بنو الثعالب ، غاب الاسد أم حضروا
فان رأيت ضعيفا سائدا ، فعلى
قوم اذا ما رأوا أشباههم نفروا

فيرد عليه الصوت الثانى قائلا بمرح واستبشار بروح الحياة الحرة :

ليس فى الغابات عزم
لا ولا فيها الضعيف
فاذا ما الاسد صاحت
لم تقل هذا المخيف
ان عزم الناس ظل
فى فضا الفكر يطوف
وحقوق الناس تبلى
مثل أوراق الخريف
أعطنى الناى وغن
فالغنا عزم النفوس
وأنين الناى يبقى
بعد أن تفنى الشموس

جبران الداعى الى القوة

فى هذه المطولة الشعرية يبرز لنا أول لقاء بين الشاعر العربى جبران وفيلسوف القوة الالمانى فريدريك نيتشه . ثم كان اللقاء بينهما بعد ذلك فى كتاب (النبى) الذى كتبه جبران بالانكليزية ، وفيه يبدو أثر نيتشه قويا بارزا فى تفاصيل كثيرة يلتقى عنده الرجلان : الشاعر والفيلسوف وقد نال هذا الكتاب من الشهرة والذيوع ما يندر جدا أن يلاقى مثله كتاب آخر فى

فردريك نيتشة

العالم . فلقد تكرر تمثيل فصوله فى بعض الكنائس الاميركية أعواما متلاحقة ، وترجم الى جميع اللغات الغربية ، وتلاحقت طبعاته فى الغرب والشرق عشرات المرات . وفى أثناء الحرب العالمية الثانية طبعت منه طبعة خاصة للجيوش الاميركية المحاربة فى جبهات القتال المختلفة .

فى هذا الكتاب نجد جبران القوى ، والداعى الى القوة التى لا ترحم الضعفاء والعجزة ، وجبران الانسان الشديد المحبة لبنى البشر ، بحيث يتساوى عنده المحروم وذو النعمة البطر ، ولا يرى فرقا بين العوسجة الكثيرة الاشواك والزهرة الناعمة الندية . وأقواله فى هذا تضع فى الواقع أسسا للتعامل الانسانى ، وتعلم المحبة والتسامح والاخاء . ومن هذا الكتاب نقتطف ما يلى :

ان الريح لا تخاطب السنديانة الجبارة بلهجة أحلى من اللهجة التى تخاطب بها أحقر أعشاب الارض . والعظيم العظيم ذلك الذى يحول هينمة الريح الى أنشودة تزيدها محبته حلاوة ... ان

الارض تقدم لكم ثمارها . ولو عرفتم كيف تملأون ايديكم من خيراتها لما خبرتم طعم

لاتحدثنى عن السعادة
لأنك ذكرتها
يؤلمنى كالتعاسة

الحاجة فى حياتكم ، لانكم بغير مبادلة عطايا الارض لن تجدوا وفرا فى الرزق ، ولن يشبع جشعكم ..

ولم يكن (النبى) أول كتاب ظهر بالانكليزية لجبران ، فقد سبقه (المجنون) الذى صدر عام ١٩١٨ ، ثم (السابق) الذى قصد جبران أن يجعله سابقا للنبى . ومضى جبران بعد ذلك يكتب مؤلفاته بالانكليزية وان لم ينقطع تماما عن الكتابة بالعربية ، ولا سيما لجريدة (السائح) ، ملتقى اقلام الرابطة القلمية . وتذكر بربارة يونغ فى كتابها (هذا الرجل اللبنانى) أن جبران كان يضع كتبه بالعربية أولا ، ثم يترجمها الى الانكليزية . ولكننا نعلم أنه لم ينشر قط كتبه الانكليزية بأصلها العربى ، ان صح ما قالته بربارة يونغ . ومع ذلك فنحن نصدق كلامها ، فقد كانت سكرتيرته ، ورفيقة أعماله فى الاعوام الاخيرة من عمره، ثم وكيلة أعماله بعد وفاته . ولعل آخر كتاب ظهر لجبران بالعربية كان (العواصف) الذى نشرته دار الهلال فى مصر سنة ١٩٢٠ .

بعد (النبى) تلاحقت مؤلفات جبران الانكليزية ، وهى (رمل وزبد ـ يسوع ابن الانسان ـ آلهة الارض) ، وهذا الاخير صدر قبيل وفاة جبران بقليل . وفى تلك الاثناء كان جبران قد وضع فصول كتابه (حديقة النبى) الذى لم يقدر له أن يصدر الا بعد وفاة جبران . وكان قد شرع كذلك فى كتابة فصول كتابه (التائه) ولكنه لم يتمه فى حياته ، بل عكفت وكيلة أعماله الاديبة بربارة يونغ على جمع أوراقه وتنسيقها وترتيبها ونشرها لدى (ألفريد نوف) ناشر أعمال جبران الانكليزية .

الرابطة القلمية

ان الحديث حول جبران يستوجب الحديث عن (الرابطة القلمية) كذلك ، وكان جبران عميدها ، وقد تأسست فى أميركا الشمالية عام ١٩٢٠ لتجمع شمل الادباء والشعراء العرب المغتربين هناك . وكان أعضاؤها عشرة أشخاص ، ولكن البارزين والمؤثرين الفعالين فيها كانوا : جبران ، ونعيمه ، وأبو ماضى ، ونسيب عريضه ،

ويليهم فى الاهمية والفعالية المؤثرة الشاعر رشيد أيوب ، شاعر الحنين المزدوج الى الوطن والى عهد الشباب ـ وكانت جريدة (السائح) التى كان يصدرها عبد المسيح حداد ، عضو الرابطة ، هى الملتقى الذى تلتقى فيه أقلامهم المبدعة ، ومنها تنتشر فى المهاجر وفى البلدان العربية • وسرعان ما أصبحت الرابطة ذات أثر بارز وفعال فى تجديد الادب العربى ، وفى نهضته المبدعة الجديدة •

وظهر فى العالم العربى تعبير جديد هو : (الاسلوب الجبرانى) أو (الانشاء الجبرانى) أو (النثر الجبرانى) يتردد فى الصحافة العربية • ذلك أن جبران كان عنصر الابداع والتأثير الاول والاهم فى أدب الرابطة القلمية المهجرى • وكان أسلوبه جديدا فعلا ، لم يألفه الادب العربى فى كل العصور السابقة ، وكان يمتاز بالرقة ، والرشاقة ، والطلاوة ، والجدة فى التعبير وفى الخيال وفى التصوير ، كما رأينا فى ما قدمناه من شعره ونثره ـ وهو قليل جدا •••

وظلت الرابطة حية بأعضائها العشرة حتى وفاة جبران عام ١٩٣١ ، ومن هناك بدأت تتبعثر ، ويمضى أعضاؤها تباعا الى الابدية ، فلم يبق منهم الآن سوى ميخائيل نعيمه الذى بلغ التسعين من عمره ، وهو يقيم فى لبنان منذ سنة ١٩٣٢ • لقد كان جبران روح الرابطة القلمية وموجهها الفكرى ، وكان نعيمه ناقدها الادبى ، وايليا أبو ماضى شاعرها • وبهم تركت الرابطة بصماتها بارزة سخية الاثر فى الادب العربى المعاصر •

فى حداثة جبران ماتت أمه ، وأخوه بطرس ، وأخته سلطانة بالسل • وقد قضى على جبران أن ينشأ كذلك عليلا ، وأن يتعذب بالمرض سنين طويلة من حياته الفنية بالكفاح وبالعطاء الادبى والفنى وبالمجد • وقد صارع جبران الامراض والارهاق بصبر وجلد •• وفى أواخر أيامه أصيب بتحجر فى الكبد مع بداية سل فى احدى رئتيه • حتى كان اليوم العاشر من نيسان عام ١٩٣١ ، وثقلت وطأة المرض على جبران ، فنقل الى مستشفى سانت

•• من لا يشاهد الملائكة والشياطين فى محاسن الحياة ومكروهاتها ، يظل قلبه بعيدا عن المعرفة ، ونفسه فارغة من العواطف •

لا تحدثنى عن السعادة لان ذكرها يؤلمنى كالتعاسة • ولا تصور لى الهناء لان ظله يخيفنى كالشقاء • ولكن أنظر الى لأريك الشعلة المقدسة التى أوقدتها السماء بين رماد صدرى • ان المحبة المحدودة تطلب امتلاك القلوب أما المحبة المتناهية فلا تطلب غير ذاتها !

« جبران »

أيتها الوحدة السعيدة : أنت السعادة الوحيدة ! المحبة المحدودة هى التى تطلب امتلاك القلوب فقط

فنسنت فى نيويورك ، ومات فيه قبيل منتصف الليل •

كثير الحنين الى لبنان والى جوار الارز •• فابتاع فى قريته بشرى ديرا صغيرا فى سفح جبل الارز يدعى (دير مار سركيس) تترامى أمامه ومن تحته غابة كبيرة جميلة وارفة الظلال ، وكان يعتزم العودة ليقيم هناك بقية عمره • ولكن القدر القاسى شاء ألا يعود جبران الا فى قلب تابوت ، ليثوى فى المكان الذى ابتاعه ليقيم فيه حيا •

يقول جبران فى الحنين الى لبنان :

« ان نفسى تطالبنى بعزتها ، وفكرى يطالبنى بحريته ، وجسمى يطالبنى براحته، ولن أستعيد عزة نفسى وحرية فكرى وراحة جسدى الا فى لبنان •• سنعود الى قمم لبنان الطاهرة ، وأوديته الهادئة ، وسنأكل من عنبه وبقوله ، ونشرب من خمره وزيته ، وسننام على بيادره ، ونسرح مع قطعانه ، ونسهر على شبابات رعاته وخرير غدرانه ••

كذلك قال جبران لزميله « نعيمه » مرارا، ولكن أمنيته لم تتحقق كما أراد ، بل كما أراد القدر •

وفى ٢١ آب عام ١٩٣١ وصل جثمان جبران الى بيروت ، بعد وفاته بأربعة اشهر • ومن هناك نقل الى دير مار سركيس فى بشرى ، ووضع فى صومعة محفورة فى قلب الصخر ، خلف حاجز زجاجى يسمح للزائرين برؤية التابوت المعدنى الذى يضم جثمان جبران وكتبت فوقه على قوس الكهف العبارة التالية : (هنا يرقد نبينا جبران)• ولكن كلمة (نبينا) لم تلبث أن تحولت بعد سنين الى (بيننا) • وأما مدخل الغابة فقد وضعت عنده لافتة مكتوب عليها باللاتينية :

0 Beata Solitudo
0 Sola Beatitudo

ومعناها بالعربية : (أيتها الوحدة السعيدة ، أنت السعادة الوحيدة) ••

د• عيسى الناعورى

د. محمد عبد الحي

ت. س اليوت والقارئ العربي ٣

صلاح عبد الصبور في شبابه بين ناظم حكمت وت. س اليوت

● الألفاظ الدارجة جاءت أقرب إلى اللغة التي راجت مع تأثير الشعر الواقعي العالمي في العالم العربي

● هذا التآلف بين إليوت وحكمت في شعر عبد الصبور كان من الأمور المدهشة التي دخلت في تكوين الشعر العربي

ولد صلاح عبد الصبور كشاعر ـ فيما يقول ـ « بين صفحات كتب المنفلوطي وجبران خليل جبران » ـ استعبده جبران وادخله « الى عالم غريب ومفزع هو عالم نيتشه · » ولكنه فزع كثيرا حين شعر بينابيع التجارب الذاتية التي ظل ينهل منها في شعره يغور وينضب ، كما آن قراءاته وسماعاته من الاصدقاء في اواخر الاربعينات وبداية الخمسينات قد زلزلت نفسه زلزالا كبيرا ويقول عبد الصبور انه تعرف على اشعار اليوت عن طريق صديقه وزميله في الجامعة عبد الغفار مكاوي الذي قدم اليه « بعض قصائد اليوت ورلكه مع شعره الرومانتيكي الصافي ، وقرانا وتناقشنا وتبادلنا قصائدنا واراءنا · »

حقا ، ان عبد الغفار مكاوي اهتم بشعر اليوت في وقت مبكر ، وترجم له « الرجال الجوف » عام ١٦٥٢ · ولكن يبدو لي ان مقالة لويس عوض المنشورة في (الكاتب المصري) عام ١٩٤٦ ، وفي كتابه (في الادب الانجليزي الحديث) عام ١٩٥٠ ، وكلمة سلامة موسى في كتابه (الادب الانجليزي الحديث) ـ الطبعة الثانية ، عام ١٩٤٨ ، وقد اشرنا الى كل ذلك في المقالة السابقة ثم ديوان (بلوتولاند) المنشور عام ١٩٤٧ بما فيه من محاولات للنسج على منوال اليوت ـ وسناتي الى ذلك في مقالة لاحقة ان شاء الله ـ كل ذلك لابد انه مما جذب انتباه الشباب الجديد المهتم بالشعر ، لا سيما لصلتها الوثيقة بالفكر الواقعي ، في مصر انذاك ·

●●●

وقد ارتبط اهتمام عبد الصبور باليوت ، كما يظهر في شعره في ديوانه (الناس في بلادي) باهتمامه بالفكر الواقعي في نفس الوقت ، فكتب شعرا لا يخلو من تاثر بالاثنين. يقول :

« حين توقفت عند الشاعر ت· س· اليوت في مطلع الشباب لم تستوقفني افكاره اول الامر بقدر ما استوقفتني جسارته اللغوية · فقد كنا نحن ـ ناشئة الشعراء نحرص على ان تكون لغتنا منتقاة منضدة ، تخلو من اي كلمة فيها شبه العاميه أو الاستعمال الدارج · »

وعند اليوت وجدوا معجما شعريا ينقل « الصورة التي هدف اليها الشاعر » بصدق ، فهو لا يتورع حين يقدم صورة الفتاة العاملة التي تسكن وحيدة في شقة منزل ، حينما تعود لمقرها في المساء ، لحياة خالية من المعنى والهدف ، ان يستعمل كلمات مثل (التايبيست ـ الشاي ـ علب الصفيح ـ الغسيل المنشور ـ الاطقم الداخلية ـ الجوارب ـ الشبشب ـ المشدات) ·

« وقد تاثرت بهذه السمة الجديدة في عهد باكر ، أعلنت عن تاثري في قصائدي « شنق زهران » حين حاولت ان ارسم صورة صادقة لهذه الشخصية الريفية في ملبسها وطابعها الانساني (···) (···) وفي قصيدة « الملك لك » ·

وهكذا في قصائد اخرى · وقد كتب صاحب مقدمة ديوان (الناس في بلادي) مؤكدا هذا التاثر باليوت ليس في « الجسارة اللغوية » فحسب وانما في طرق اخرى للتعبير مثل التضمين والاقتباس ، وغيرها من « المظهريات الاليوتية » الشائعة ·

ناظم حكمت

صلاح عبد الصبور

اليوت

● حين توقفت عند إليوت لم تستوقفني أفكاره بقدر ما استوقفتني جسارته اللغوية

ان قصائد مثل « شنق زهران » و « الملك لك » و « الناس في بلادي » تحمل في طواياها فكرا واقعيا — وقد يكون صلاح عبد الصبور قد تأثر فيها بشيء من اليوت ، بما في ذلك « الجسارة اللغوية » ، رغم ان جسارتها اللغوية لا تخرج عن استعمال الفاظ دارجة ، وأمثال وتعابير شعبية ، بينما جسارة اليوت اللغوية لا تخلو من « سفسطائية » مثقفة ، ولا يمكن ان نسلخ الالفاظ اليومية التي يستعملها من البيئة التي يضعها فيها ، أو يعارضها به ، أو يجانسها معها ، ولديه دائما لمسة نارية اخيرة يرفع بها لغة الحديث العادي الى مرتبة الرمز ٠ أما استعمال الالفاظ الدارجة في قصيدة مثل « الملك لك » — وبالرغم من ان عنوانها قد يكون مما اخذ عبدالصبور من « الرجال الجوف » — فهو اقرب الى اللغة التي راجت مع تأثير الشعر الواقعي العالمي في العالم العربي منها الى طريقة اليوت — ان اليوت يستعمل الالفاظ « التي لم نعتد استعمالها في الشعر » — في قول عبد الصبور حينما يتكلم عن السأم والضجر وفقدان المعنى في حياة المدينة الحديثة المنفصلة عن الينابيع الروحية للوجود، وترتفع لغته وتأخذ طابعا كلاسيكيا نقيا مع ارتفاع احساسه بتفجر تلك الينابيع في نفسه وشعره ٠ أما في قصيدة مثل « الملك لك » ، فاللغة الشعبية وسيلة لتمجيد الحياة الشعبية — مع الاحتجاج على الفقر :

حنيني غريب
الى صحبتي
الى اخوتي
الى اخواتي
الى حفنة الاشقياء الظهور ينامون ظهرا على المصطبة
وقد يحلمون بقصر مشيد
وباب حديد
وحورية في جوار السرير
ومائدة فوقها الف صحن
دجاج وبط وخبز كثير

●●●

ويبدو لي ان تأثير اليوت قد اختلط في ذهن صلاح عبد الصبور في شعره في (الناس في بلادي) بتأثير شاعر اخر تغلغل تأثيره في الشعر العربي الواقعي تغلغلا عميقا، هو الشاعر التركي ناظم حكمت — هذا التآلف بين اليوت وحكمت في شعر صلاح عبد الصبور في ذلك الديوان من الامور المدهشة التي دخلت في تكوين الشعر العربي بعد الحرب العالمية الثانية — وهو جزء من تلك المعادلة التي ارادت ان توحد بين طريقة اليوت وبين الفكر الثوري ٠ وقد راج شعر ناظم حكمت في ترجمة الدكتور علي سعد عام ١٩٥١ ولعل لمقدمته للقصائد المترجمة نفس اهمية مقالة لويس عوض في ت٠ س اليوت فقد كتبت بنفس الروح التبشيرية ، وقدم فيها علي ابو سعد ملخصا لطريقة ناظم حكمت في كتابة الشعر وعرض لارائه الثورية ، ولعودته « بالهامه الى الينابيع الشعبية المحلية في امته » ، فشعر ناظم حكمت يزخر بالحكايات والتعابير والصور والامثال الشعبية ٠

وقد حقق بذلك « ثورة عميقة » في القاموس الشعري ، فقد نجح في توسيع افاق الشعر التركي وتجديدها باعطاء هذا الشعر الطابع الجديد الذي يعكس عالمنا وعصرنا الحديثين:

صلاح عبد الصبور في شبابه بين ناظم حكمت وت.س اليوت

● ذوق التخلف الذي يعنى بالزينة أكثر مما يعنى بالصدق .. هو الذي خلق ما نسميه : القاموس الشعري

«فقد حطم الاطارات الشكلية الخانقة التي فرضتها التقاليد العربية والفارسية على الشعر التركي فنقله من مجال الجمال اللفظي الى تيار الحياة الحقيقية .»

«وبتحقيق هذه الخطوة فصل ناظم حكمت عربة الشعر التركي من ركب الاداب الشرقية التي لا تزال تحتضر في جو البلاغة الآسن حيث تتخبط ارستقراطية فكرية بعيدا عن احاسيس الجماهير وروحها ، و سير شعر بلاده في اتجاه الشعر الغربي المعاصر . (...) (...) .»

« وانك لتعجب لهذا الشاعر كيف يستطيع ان ينقل اليك اكثر الاشياء والاحداث والاشخاص قربا منك والتصاقا بواقع عيشك وعيش المجتمع دون ان يبتعد بك عن الشعر وعن الرعشة الجمالية . »

لقد وسمت هذه اللهجة التبشيرية والدعوة الحارة لطريقة شعرية جديدة تحطم « الحدود بين الحياة والشعر » ، وتنقذ اللغة الشعرية من ان « تحتضر في جو البلاغة الاسن » اغلب المقالات والمقدمات التي قدمت للقارىء العربي شعراء غربيين ذوي اتجاهات مختلفة مثل فدريكو غارسيا لوركا ومايكوفسكي وبول ايلوار واندريه بريتون وسان جون بيرس ورينه ماريا ريلكه . لقد قدم هؤلاء الشعراء وترجموا من قبل شعراء ونقاد متبايني النزعات مختلفي الأساليب والمعتقدات ، ولكن يكاد يلتقي الجميع في اللهجة التبشيرية التي تدعو الى الاستفادة من الشعر الاجنبي لابتداع لغة جديدة للشعر العربي تستطيع ان تحمل التجارب

جارسيا لوركا

لويس عوض

والهموم التي استجدت مع العصر بعد انضعفت لغة الشعر الرومانتيكي وفقدت قوتها وحيويتها . وفي ذلك يقول صلاح عبد الصبور :

« كنا قد خرجنا من عباءة المدرسة الرومانتيكيه العربية التى تتناثر فيها الالفاظ ذوات الدلالات المجنحة ، والايقاع الناعم . وكنا قبل ذلك كله اسرى للتقليد الشعري العربي الذي يؤثر ان تكون للشعر لغته الخاصة ، المجاوزة للغة الحياة ، والبعيدة عنها في بعض الاحيان .

(...) (...)

ولكن ذوق التخلف الذي يعني بالزينة اكثر مما يعني بالصدق هو الذي خلق ما نسمية « بالقاموس الشعري ».

وبالرغم من انه يجعل من اليوت معلمه الاول في الخروج من حدود القاموس الشعري ، فان اثر ناظم حكمت في (الناس في بلادي) عميق لا يمكن انيتجاهله الناقد. فالقصيدة التي جعل عنوانها اسما للديوان مثال واضح لذلك التأثير في اللغة والامثال والتعابير والنماذج البشرية الشعبية :

وعند باب قريتي يجلس عمي مصطفى
وهو يحب (المصطفى)
وهو يقضي ساعه بين الاصيل والمساء
وحوله الرجال واجمون
يحكي لهم حكاية .. تجربة الحياة
حكاية تثير في النفوس لوعة العدم
وتجعل الرجال ينشجون
ويطرقون
يحدقون في السكون
في لجه الرعب القديم والفراغ والسكون
ما غاية الانسان من اتعابه ؟ ما غاية الحياة ؟
(...) (...)
بالامس زرت قريتي ، قد مات عمي مصطفى
ووسدوه في التراب
لم يبتن القلاع (كان كوخه من اللبن)
وسار خلف نعشه القديم
من يملكون مثله جلباب كتان قديم ..
الخ

عبد الصبور يحتذي هنا تلك النماذج البشرية الفقيرة التي يتحدث

عنها ناظم حكمت في شعره بتعاطف شديد وحب غير مصطنع مثل (يونس الاعــرج) و (يوسف المسكيـن) وجمهرة الفــلاحين الذين تغص بهم قرى الريف التركي حيث :

البيوت الواطئة

المكفهرة الوجوه

تتساند رؤوسها

حول ازقة كمسارب المناجد

وحملة العمائم المزركشة

ذوو عيون الجن

واحاديث اليمام

يقعدون القرفصاء في الحوانيت

وامامهم لابسو الاخفاف

بأقدامهم المشققة

الخ

ولعل الوضع الصحيح للامر هو ان نقول ان هناك توترا بين ما يمكن ان نطلق عليه « القطب الاليوتي » و « القطب الناظمي » في القصائد الرئيسية فيديوان (الناس فيبلادي) انحسر بعدها تأثير ناظم حكمت مع تبلور فكر الشاعر ونضج شعــره في دواوينه التالية .

د. محمد عبد الحي
جامعة الخرطوم

في عـــدد قـــادم ..

الحبّ له وجه ثالث

شعر:
عبدالمنعم عواد يوسف

مونولـــــوج جمـــاعى

إسماعيل مصطفى تامر

ـ سالت سمكة جارتها فى البحر الكبير :

ـ قولى لى اين تذهب مياه هذا البحر

ـ ما الذى جعلك تسالين هذا السؤال ؟

ـ لاننى سمعت ان الشمس تسرق كل يوم من مياه البحر

ـ ولكننى ايضاً سمعت بانه يعود إليه فى كل يوم مقدار ما تسرقه الشمس وبذلك لا ينقص البحر ابداً

ـ افرضى لننى وافقتك .. ولكن كيف خطر لك مثل هذا الكلام ؟

ـ تلك حكاية طويلة سمعتها بالصدفة من صديقنا النورس . ـ احقا .. إذن هو يختصك بالحكايا .. اما انا فلا يهم . . على كل عندما اراه ساتفاهم معه

ـ هل تريدين سماع الحكاية .. أم تريدين منى ان استمع لتهجمك الذى لا معنى له على صديقنا « النورس » بالمناسبة انت تبالغين فى اتهامك إياه ... رغم انه يحمل لك الكثير من المودة والمحبة ...

ـ صحيح .. إذا كان الامر كذلك .. فاخبرينى عن الحكاية ؟

ـ عندما صعدت مياه البحر مع اشعة الشمس .. شعرت بانها تحررت من إسار كبير كان يربطها ولاول مرة .. تشعر نقطة الماء بشكلها الجديد ، بعد ان كانت ذائبة فى المحيط الكبير

ـ وماذا يعنى انها شعرت بشكلها الجديد .. ولماذا ايضاً نقطة الماء من دون المياه جميعاً

ـ أولا انت لا تستطيعين تقدير هذا الشعور لانك لا تملكينه .. وثانيا إن الماء الذى يخرج من البحر يصبح نقاط ماء كثيرة وبذلك تفترق عما كانت عليه قبلا .

ـ ولكن ماذا يعنى هذا الفرق ؟

ـ يعنى الكثير ...ولقد كانت قبل تعيش فى إطار المحيط . لها علاقة بالكل علاقة الصميم ، اما الآن فهى تعيش فى إطار ذاتها ولا مكان يحدها وعلاقتها بالكل .. علاقة ذكرى كثيفة كالضباب !

ـ المهم !!

ـ المهم .. ذهبت نقطة الماء لايحدها الفرح ونسيت تماما خلال تجوالها مكانها فى المحيط .. ونسيت ايضاً .. ان البحر الكبير لن يقر له قرار من دونها . سيقلب لها الارض ويمهد امامها المجارى وسينسف جبالا تقف فى طريقها من اجل أن ترجع إليه

ـ كل ذلك من اجل نقطة ماء ؟!

ـ بل واكثر .. فالبحر لا يحتمل النقص حتى ولو بنسبة نقطة ماء صغيرة !

ـ أليس ذلك بخلا .. ؟

ـ بل تفوقا وكمالا !

ـ يكمل بنقطة ماء ويتفوق بها ..؟!

ـ تلك حقيقة ! !

ـ وبعد .. اكملى الحكاية . . !

ـ ذهبت نقطة الماء فى تجوالها اكثر فاكثر ، لكنها كانت بين فترة واخرى تتساءل بحيرة فى ذات نفسها

ـ عم تتساءل ؟

ـ لقد انتبهت الى أن المجارى تفتح أمامها .. والجبال تنزاح بقوة من طريقها ، ومع ذلك فقد كانت تهرب من واد لآخر .. لكنها كانت تجد أن المظاهر ذاتها تتكرر ولكن بطريقة مختلفة !!

ـ بطريقة مختلفة ؟!

ـ نعم لقد كانت تحس فى الجميع انها مدفوعة باتجاه ما . . كانت تحس لهفة لا تعرف كنهها وحنينا لا تدرك مبتغاه .. مما دفعها للتساؤل العميق ، فقد كان عليها أن تجد المبرر لكل ذلك

ـ اكملى هذه الحكاية ولا تتوقفى !

ـ وبدات ذاكرتها المنسية تعود اليها شيئا فشيئا .. ولكنها مع ذلك لم تستطع أن تنكر وجودها الجديد

ـ وبعد .. ؟

ـ بعد العذاب واستتبع الصراع !

ـ وبعد .. ؟

ـ وجدت نفسها تندفع فى دوامة لا نهاية لها

ـ وبعد .. ؟

ـ وصلت اخيرا الى البحر الكبير متعبة منهكة ... يكبر سؤالها بحجم المحيط ويرجع إليها الجواب بحجم نقطة الماء !!

ـ هكذا .. ؟

ـ تلك حكاية النورس !

ـ هيه . . إلى أين تذهبين ؟

ـ لقد تذكرت . . هناك صياد جائع ينتظرنى منذ مدة طويلة !!

حدود البحث فى الأدب الأفريقى ومشكلاته خارج مجال اللغة العربية

علـى شلـش

تعرضنا فى مقال سابق لمشكلة المفهوم فى الادب الافريقى ، واتعرض اليوم فى هذا المقال لمشكلة البحث فى هذا الادب « خارج مجال اللغة العربية » وهو التعبير الذى انتهيت إليه فى المقال السابق دفعا لتعبير « جنوب الصحراء » الذى يستخدمه بعض المستفرقين والافريقيين على السواء .

حدود البحث

لقد واجه العالم ظاهرة ادبية جديدة خارج مجال اللغة العربية فى افريقيا ، وهى ظاهرة ترعرعت فى هذا القرن على وجه التخصيص ، الا وهى ظاهرة الكتابة بلغات اجنبية وافدة، التى تختلف كثيرا عن ظاهرة الكتابة بالانجليزية فى فى امريكا الشمالية او الكتابة بالاسبانية والبرتغالية فى امريكا الجنوبية . وذلك لان المستوطنين الجدد فى تلك البقاع بداوا يكتبون بلغاتهم التى جاءوا بها ، وعلموها للاهالى الاصليين ، وفى الوقت نفسه لم يغادروا او يهاجروا ، بل ذابوا فى مستوطناتهم وصاروا امما جديدة لها ادابها وفنونها . اما فى افريقيا فقد جاء المستوطنون الجدد، او المستعمرون بتعبير ادق ، وحاولوا الكتابة بلغاتهم ، كما حاولوا تعليمها – بل فرضها على الاهالى الاصليين . ولكنهم مالبثوا ان غادروا تحت وطاة الكفاح العنيف ضد وجودهم ، ومع ذلك بقيت لغاتهم وانتشرت ، وكادت فى اوقات كثيرة ان تحتكر التعبير الادبى ، وان تقصى عنه اللغات المحلية العديدة التى لم يكن معظمها يتمتع بابجدية مكتوبة .

يقول المستفرق الالمانى يان هاينزيان :

« إن ادب افريقيا التقليدى ادب شفاهى . ولكن منذ ان بدأ الافريقيون فى الاتصال بالثقافتين العربية والغربية انتجوا اعمالا ادبية مكتوبة »

الأدب الافريقى المكتوب

ويوضح يان مجل هذه الاعمال المكتوبة فيضيف قائلا :

« لقد جاء ادب افريقيا المكتوب من منطقة (التشابك) بين ثلاث ثقافات هى : الافريقية والعربية الاسلامية والغربية . اما الادب الذى جاء من المنطقة التى اشتبكت فيها الثقافتان الافريقية والاسلامية فساسميه (الادب الافرو عربى) واما الادب الذى جاء من المنطقة التى اشتبكت فيها الثقافتان الافريقية والغربية فساسميه (الادب الافريقى الجديد او المستحدث) »

وعلى الرغم من ان يان يستخدم كلمة « افريقى » على نحو غير موضوعى كمرادف لكلمة « زنجى » او « اسود » إلا اننا نحب ان نمضى معه فى تحليله هذا الى النهاية . فيقول :

الادب الافريقى الجديد إذن ، وريث تراثين : الادب الافريقى التقليدى والادب الغربى . والعمل الادبى الذى لا يكشف عن اية مؤثرات اوربية – بما فى ذلك عدم تدوينه – ينتمى الى الادب الافريقى التقليدى ، لا الافريقى الجديد . والحد الفاصل بين الاثنين من السهل رسمه : إنه الحد الفاصل بين الادب الشفاهى والادب المكتوب . وبالمخالفة فان العمل الذى لا يكشف عن اية سمات اسلوبية افريقية او انماط للتعبير تنتمى للادب الغربى لا يعتبر ادبا افريقيا جديدا حتى لو كتبه افريقى . وعلى الرغم من بساطة هذا التمييز من الناحية النظرية فمن العسير تحققه من الناحية العملية . وذلك لانه يفترض ان الاساليب وانماط التعبير والنزعات التى تنتجها التقاليد الافريقية مسالة معروفة للجميع

لغات التعبير الأدبى

لا باس بهذا التحليل ، ولا باس ايضا بالنتيجة التى توصل إليها . فكلاهما يعكسان واقعا موضوعيا لظاهرة الادب فى افريقيا خارج مجال اللغة العربية ، وهو – فى الوقت نفسه – واقع غنى متعدد الابعاد . فليست اللغات الاوربية الثلاث الوافدة – الانجليزية والبرتغالية والفرنسية – هى وحدها التى تحمل مهمة التعبير الادبى . فثمة لغات اخرى محلية ، بعضها ذو ابجدية مكتوبة مثل السواحيلية فى الشرق والهوسا فى الغرب والسوتو والزولو فى الجنوب ، وبعضها الآخر – وهو الغالبية العظمى – لم يعرف ابجدية مكتوبة بعد . وهذا البعض الاخير لم يدرس الدراسة الكافية بعد ، ولم تجمع كل إفرازاته الادبية الشفاهية بعد .

ولنعد الى القائمة التى نشرها يان ، والحقها بكتابه « الادب الافريقى الجديد : تاريخ للادب عند السود » . فقد بداها يان من القرن السادس عشر وانتهى بها الى عام ١٩٦٧ ، واحتوت على اربعة آلاف عنوان لكتب مطبوعة فى شتى اشكال الادب ، بما فى ذلك دواوين الشعر ومجموعات القصص والروايات والسير الذاتية والمنتخبات والمسرحيات . ولكن قبل ان نناقش حصيلة الارقام فى هذه القائمة يحسن بنا ان نتوقف قليلا لنجيب عن سؤال هام : لماذا بدأ يان قائمته من القرن السادس عشر ؟ والجواب انه يعتقد ان راهبا برتغاليا من اصل زنجى افريقى يدعى افونسوالفاريز كان « اول كاتب من اصل افريقى كتب اعمالا ادبية بلغة اوربية » وقد عاش الفاريز هذا فى لشبونة خلال النصف الاول من القرن السادس عشر . غير اننا نتساءل مع يان نفسه : هل هذا يجعل الفاريز اول كاتب للادب الافريقى الجديد ؟ او بعبارة اخرى : هل هذا يجعله اول اديب فى تاريخ الادب الافريقى الجديد بالمفهوم الذى سبق ان بيناه نقلا عن يان ، اى على اساس ان الادب الافريقى الجديد هو حصيلة لقاء الثقافة الافريقية والثقافة الغربية ؟

لقد اكتشفت فى بحثى عن جذور الدراما الافريقية ان ثمة كاتبا معروفا فى التراث المسرحى الاوربى فى العصر الرومانى قد جاء من اصل افريقى . وهذا الكاتب هو ترنتيوس او تيرنس الذى كان عبدا اعتقه سيده وخلع عليه لقب اسرته ولكنه احتفظ له بكنية « الافريقى » وقد كتب تيرنس جميع اعماله باللغة اللاتينية . ويقال انه ولد فى قرطاجة بشمال افريقيا عام ١٨٥ ق . م . واشتراه سيده من هناك ثم نقله الى روما صبيا حيث عاش إلى وفاته عام ١٥٩ ق . م . وقد تحدثنا بالتفصيل فى كتابنا الصغير « الدراما الافريقية » (دار المعارف . سلسلة : كتابك ، رقم ١٠٠) ولكن قد يقال ان تيرنس جاء من شمال افريقيا ، اى من المنطقة التى عرفت فى العصرين الاغريقى والرومانى باسم افريقيا ، على حين ان يان قد عنى بالمنطقة التالية للصحراء الكبرى جنوبا ، تلك التى اطلق عليها بطليموس اسم « اجيسيمبا » . ولعله – اى بطليموس كان يعنى بها « المجاهل » اى الارض التى لم تكتشف او تعرف لها حدود . ومع ذلك فان المصريين القدماء قد سبقوا بطليموس – المصرى بالاقامة – فى اقتحام تلك الرقعة التى كانت على عهده تعتبر من المجاهل . كما ان تيرنس – كما يتضح من صوره التى تخيلها المصورون ومن مسرحياته الباقية – ينتمى لاصل زنجى او مولد على الرغم مما قيل من انه ولد بشمال افريقيا . وبذلك يكون تيرنس اول كاتب من اصل افريقى كتب بلغة اوربية

قائمة بكتاب افريقيا

ولنعد الآن الى قائمة يان . فلا شك انها تلقى ضوءا رقميا إن صح التعبير على ظاهرة الادب خارج مجال اللغة العربية .

يقول يان إنه يوجد فى افريقيا جنوب

الصحراء (اجيسيمبا) ٨٠٥ كاتبًا ، اكثر من نصفهم (٤٢٥ كاتبا) يكتبون بلغات اوربية . اما الباقون (٣٨٠ كاتبا) فيكتبون بلغات افريقية ، وان نحو ٩٠٠ عمل ادبى قد كتبت بلغات اوربية ، وان نحو ٥٦٠ كتابا قد كتبت بلغات افريقية ، وانه يوجد فى تلك الرقعة نحو ٧٠٠ لغة منها ٤١ لغة ذات ابجدية مكتوبة . ويقع معظم هذا الادب المكتوب فى افريقيا الجنوبية بمعنى ان ٣٩٤ عملا ادبيا الفها ٢٦٥ كاتبا فى ١٨ لغة مختلفة من لغات الجنوب مثل الزوسا والزولو وغيرهما . اما فى غرب افريقيا فيوجد ٧٩ كاتبا انتجوا ١٠٦ اعمال فى ١٣ لغة مثل اليوربا والفانتى والهوسا ، على حين يوجد فى شرق افريقيا ومدغشقر ٣٥ كاتبا انتجوا ٥٩ عملا فى ٩ لغات مثل السواحيلية والملاجاشية (لم يضم يان الأدب فى اللغة الامهرية بدعوى انها ليست لغة اجيسيمبية !)

اما اللغات الأوربية الوافدة فيوجد ٩٠٠ عمل فى افريقيا جنوب الصحراء ، منها نحو النصف (٥٠٠) بالانجليزية ، ونحو الثلث (اكثر من ٣٠٠) بالفرنسية ، فضلا عن ٦٠ عملا بالبرتغالية ، بالاضافة إلى خمسة اعمال باللاتينية وسبعة بالافريكانية وستة بالألمانية وعمل واحد فى كل من الهولندية والاسبانية .

كما يوجد ١٣٣ منتخبا او كتب مختارات من الادب الافريقى الحديث فى العديد من اللغات الأوربية والاسيوية . ولكن إذا كان عدد السكان فى افريقيا جنوب الصحراء (اجيسيمبا) يبلغ ٢٠٩ ملايين نسمة كما يقول يان فان نسبة عدد الكتاب (٨٠٥) الى عدد السكان تصل إلى : كاتب واحد لكل ٢٦٠ الف نسمة ، كما تصل نسبة عدد الكتاب باللغات الأوربية (٤٢٥ كاتبا) إلى كاتب واحد لكل ٤٩٢ الف نسمة .

وقد علق يان نفسه على هذه الارقام فقال إنها تعكس وضع الكتاب فى هذه الرقعة من القارة باعتبارهم اقلية ، وباعتبار ان هذه الاقلية جزء من « الصفوة » ، وان هذه الصفوة يزداد حجمها فى افريقيا الناطقة بالفرنسية بالقياس إلى ضالة حجم التعليم ، على حين يتسع حجم التعليم ومعرفة القراءة والكتابة فى افريقيا الناطقة بالانجليزية ، فضلا عن أن الرقم الاجمالى للكتاب (٨٠٥) يمكن ان يزداد اذا وضعنا فى اعتبارنا اولئك الكتاب الذين قصروا نشر انتاجهم على الصحف والمنتخبات . وقد استبعد يان من قائمته هذه المستوطنين الأوربيين فى جنوب افريقيا ممن يكتبون بالانجليزية .

ما تقول الارقام

غير ان هذه الارقام تعكس ايضا بعض الحقائق المتعلقة بالكتابة والكتاب . ولا باس من إجمال هذه الحقائق فى ثلاث على النحو التالى :

اولا ـ ضالة الحصيلة النهائية للكتاب (٨٠٥) والكتب (٩٠٠) بالقياس إلى عدد سكان الرقعة الممتدة جنوب الصحراء (٢٠٩ ملايين) ويعنى ذلك حداثة عهد هؤلاء بالادب المكتوب ، مع ان البدايات الأولى كانت مبكرة جدا ، سواء فى اللغات التى تاثرت بالعربية مثل الهوسا فى الغرب والسواحيلية فى الشرق ، او فى اللغات الأوربية الوافدة .

ثانيا ـ ضالة حجم اللغات المستخدمة فى التعبير الادبى المكتوب ، سواء كانت لغات محلية او اجنبية بالقياس إلى مجموع اللغات المتاحة للتعبير . ويعنى ذلك ان فرص ازدياد حجم التعبير الأدبى كبيرة ، وان تدوين اللغات غير المدونة واجب قومى ووطنى .

ثالثا ـ انقراض عدد من اللغات الاوربية الوافدة كاداة للتعبير الأدبى مثل اللاتينية والاسبانية والألمانية والهولندية ، مع سيادة ثلاث لغات اوربية هى الانجليزية والفرنسية والبرتغالية على التوالى .

مع ان يان استبعد الامهرية من مجال بحثه على اساس أنه معنى بتلك الرقعة المجهولة جنوب الصحراء ، وكذلك على اساس ان الامهرية لم تكن مجهولة على عهد بطليموس ، فان اى بحث موضوعى فى الادب الافريقى خارج مجال اللغة العربية لا يمكن باى حال ان يستبعد هذه اللغة العريقة القليلة الاثار الأدبية .

يتضح من ذلك كله ان حدود البحث فى الادب الافريقى خارج مجال عربيتنا لابد ان تشمل كافة اللغات المستخدمة فى التعبير الأدبى ، وكذلك كافة الاثار التى انتجتها هذه اللغات ، سواء كان التعبير الأدبى بلغة افريقية مكتوبة او غير مكتوبة او بلغة اوربية وافدة .

مشكلات البحث

يتعرض الباحث فى الأدب الافريقى خارج مجال العربية لبعض المشاكل الأساسية التى تتعلق بالموضوع او تتعلق بالمنهج . ونستطيع ان نجمل هذه المشاكل فى ثلاث على النحو التالى :

اولا ـ مشكلة الأدب الشفاهى

لا شك ان الادب المكتوب باللغات الاوربية او الافريقية يشكل مساحة ضئيلة على خريطة التعبير الأدبى فى افريقيا خارج مجال العربية . ولا شك ايضا ان هذه المساحة الضئيلة تعتبر احدث واقل شهرة من تلك المساحة العريضة التى يحتلها الأدب الشفاهى او ما نسميه « الأدب الشعبي » الذى لا يعرف مؤلفا محددا وتتناقله الشفاه من مكان إلى مكان ومن جيل إلى جيل . وهو ادب اعتبره البعض ركيزة للادب الحديث المتكوب اشبه بالأدبين الاغريقى والرومانى حين اصبحا ركيزة للادب الاوربى الحديث . ولا شك انه كان وما زال من اهم المؤثرات فى الأدب المتكوب بلغات وطنية او اجنبية .

وعلى الرغم من ان هذا الأدب الشفاهى قد بدأ جمعه على ايدى الاوربيين منذ نحو قرن إلا ان عملية البحث فيه ودراسته مازالت فى مرحلة مبكرة جدا كما قال يان بحق . وقد جاء على القارىء غير الافريقى حين من الدهر كان يقبل فيه على منتخبات هذا الادب الشفاهى إقبال جمهور السينما على افلام الأدغال وطرزان . وكان المعقبون على هذه المنتخبات فى الصحف يحيونها على اساس انها تاخذ القارىء إلى عالم مجهول او غريب الاطوار او طريف !

محاولات جمع الأدب الشفاهى

لقد ظهرت اول محاولة اوربية هامة لجمع الوان هذا الادب فى المانيا عام ١٨٩٦ . وقد اعدها المستفرق الألمانى اوجست سيدل فى صورة منتخب كبير من الأدب الشفاهى بعنوان « قصص الافريقين وحكاياتهم » وكتب سيدل مقدمة لمنتخبه هذا دعا فيها القارىء إلى رؤية الافريقى المتوحش وتخيله وهو يفكر ويشعر ويتخيل وينظم الشعر مثل بقية البشر ! ثم جاء المستفرق الالمانى ـ ايضا ـ ليو فروبنيوس فنشر منتخبا من الحكايات والقصص بعنوان « الديكاميرون السوداء » وهو عنوان مستوحى من الكتاب الايطالى القديم الذى ضم مجموعة من القصص بعنوان « الديكاميرون » او « الليالى العشر » وتلاه بعد ذلك زميله ماينهوف بكتاب عنوانه « حكايات جن افريقيا » نشره عام ١٩١٧ . وفى عام ١٩٢١ اعاد فروبنيوس الكرة فبدأ فى نشر منتخبه الضخم « اطلانطيس » (القارة المفقودة) الذى ظهر فى ١٢ جزءا حتى عام ١٩٢٧ واحتوى على ٤١٢٨ صفحة ، وضم مئات

القصص والاساطير والخرافات وحكايات الجن .

وقد تميزت هذه المحاولات وغيرها بان اصحابها كانوا على دراية بافريقيا على عكس بعض المحاولات الاخرى التى نقلها اصحابها عن غيرهم دون ان تكون لهم صلة وثيقة بالقارة مثل محاولة الشاعر الفرنسى بليز سندرار المسماة « المنتخب الزنجى » كما تميزت هذه المحاولات وغيرها بان معظم اصحابها كانوا رجال دين وتبشير . اما محاولات الافريقيين انفسهم فلم يشتد ساعدها إلا فى فترة مابين الحربين العالمتين ، ولم يقودوا عملية جمع هذا التراث الشفاهى إلا مؤخراً فى عصر الحرية والاستقلال ، على الرغم من وجود محاولات افريقية مبكرة ترجع إلى عام ١٨٤٣ .

ويرى يان ان محاولات سيدل ومانيهوف وفروبنيوس قد وضعت اساس النظر الى هذا التراث كمصدر جديد وغنى لمؤرخى الأدب . ولكنها — مع غيرها فى النهاية — لم تعامل معاملة ادبية إن صح التعبير فقد دخلت علوم اخرى مثل الانثروبولوجيا واللاهوت وعلم اللغة وصارت عاملا مساعداً فى فهم هذه العلوم فلم ينظر الى محتوياتها كنصوص ادبية قابلة للدراسة او المقارنة .

وهكذا اصبحت دراسة الأدب الشفاهى مشكلة امام الدارس ، على الرغم من انها دراسة واجبة وضرورية لفهم الأدب المتكوب نفسه . ولكن من المفيد بالطبع دراسة الأدب الشفاهى من الجانب الدلالى دون إغفال دوره كمنبع من منابع الأدب المكتوب وكمؤثر من اهم المؤثرات فيه .

ثانيا — مشكلة المراجع

لا شك ان الادب المكتوب قد حل المشكلة حلا عمليا ، بما اتاحه للقارىء والدارس معا من فرص الاطلاع والبحث . كما ساعدت الببليوجرافيا من ناحية اخرى على حل المشكلة بما اتاحته من قوائم وفهارس منظمة باللغات الأوربية . وكذلك ساعدت الترجمة على تيسير المراجع بالنسبة للغات الأوربية بصفة خاصة . ومع ذلك فان جانبا هاما من هذا الادب المكتوب — بلغات افريقية — مازال بعيداً عن متناول الدارس غير المتخصص فى هذه اللغات . ولا شك ان الترجمة كفيلة بحل المشكلة ، وهو حل يملكه الافريقيون انفسهم بما عندهم اليوم من تخصصات وخبرات . ولا شك ايضا ان الأدب الشفاهى غير المكتوب لم يجمع حتى اليوم بطريقة شاملة ومنظمة ، وهو امر يملكه الافريقيون انفسهم ايضا .

غير ان المشكلة فى النهاية — مشكلة المراجع تظل عقبة حقيقية امام الدارس بلغة مثل لغتنا . فما نقل الى العربيةمن اثار وغيرها فى افريقيا قليل ومبعثر ، وما زال فى مرحلة مبكرة جدا . وما انجزناه فى مجال البحث والدرس نادر ندرة كبيرةمن ناحية ، كما انه يردد اراء المستفرقين ومن سار على هديتهم من الافريقيين من ناحية اخرى .

جان بول سارتر

الرئيس السنغالى

ثالثا — مشكلة المنهج

على الرغم من الوفرة النسبية فى الأعمال الادبية للافريقيين خارج مجال لغتنا ، وعلى الرغم ايضا من الامتداد الزمنى الطويل نسبيا لتاريخ هذه الابداعات ، وعلى الرغم اخيرا من وفرة المنتخبات التى جمعت اعمالا مختلفة من الأدب الشفاهى ، إلا ان حجم الدراسات التى عقدت حول الأدب الشفاهى والأدب المكتوب معاً مازالت محدودة للغاية ، وتعتمد اعتمادا كبيرا على المستفرقين ولا يمكن بالطبع ان يعفى اقسام الادب بجامعات الدول الجديدة فى عصر الحرية والاستقلال من مسئولية البدء فى فحص هذه الاداب ودراستها والتاريخ لها . فمن المطلوب والمفروض معا ان نجد فى نيجيريا مثلا كتابا حول تاريخ الأدب فى لغاتها المحلية او لغتها الانجليزية الوافدة ، وقس على ذلك اية دولة اخرى عدا نيجيريا .

ولقد مضى حين طويل من الدهر كان النمط السائد فى دراسة الابداع الادبى فيه هو المنتخب او كتاب المختارات الذى يجمع فيه محرره عددا من الاعمال الادبية يقدم بمقدمة من عنده او يعهد بها إلى سواه ، على نحو ما فعل سنجور فى كتابه « منتخب الشعر الزنجى والملاجاشى الجديد فى اللغة الفرنسية » (١٩٤٨) الذى كتب مقدمته جان بول سارتر ، او ما فعله زميله ليون داماس فى منتخبه « منتخب الشعر الزنجى بالبرتغالية » (١٩٥٨) ، او ما فعلته ان تيبل فى كتابها « الأدب الأفريقى بالانجليزية » (١٩٦٥) ، وغير ذلك من كتب كثيرة اتخذت شكل المختارات مع مقدمة وصفية او تاريخية او تحليلية .

ظل هذا النمط سائدا حتى منتصف الستينات تقريبا حين استقرت اوضاع كثير من الدول الافريقية ، وانشئت دوريات ادبية رافقت ظهور الجامعات الجديدة واقسام الادب التى انتشرت فى شرق القارة وغربها . وعندئذ بدأ فى الظهور نمط اخر من الدراسة الشاملة المتانية التى توخت التحليل والمقارنة للادب المكتوب باللغات الاوربية . واتخذ هذا النمط فى صورتين اساسيتين : صورة المقال او البحث الموجز ، وصورة الكتاب . اما صورة المقال والبحث الموجز فقد تولت نشرها الدوريات او منتخبات الدراسات النقدية مثل كتاب « الدراما فى افريقيا» وهو مجموعة من المقالات النقدية نشرت عام ١٩٧٦ ضمن سلسلة « الادب الافريقى اليوم » التى تصدرها دار هاينمان الانجليزية ، او المقالات التى تنشرها مجلة « الوجود الافريقى » التى تصدر بالفرنسية فى باريس . واما صورة الكتاب الذى يخصص لدراسة ظاهرة الأدب الجديد فى افريقيا فهى اقل كما من الصورة السابقة ، ومن امثلتها كتاب « الأدب الافريقى فى القرن العشرين » الذى الفه اوسكار رونالد داثورنى عام ١٩٧٦ ، وحاول فيه ان يؤرخ للأدب خارج مجال لغتنا تاريخا وصفيا وتحليليا عاما ، واقتصر على الاداب المكتوبة دون ان يتناول الأدب الشفاهى غير المكتوب . ومن هذه الدراسات الشاملة المتأنية ما تعلق بظاهرة جزئية واحدة او اديب واحد فى هذه الآداب مثل « روايات تشينوا اتشيبى » لكيلام ، او « شعر ل.س. سنجور » لميزو ، او « مقدمة للرواية الأفريقية » لبالمر ، وكلها كتب اصدرتها دار هاينمان الانجليزية لأفريقيين ومستفرقين .

قضية تصنيف الأدب الأفريقى

والحق ان المنهج الذى سار عليه داثورنى لا غبار عليه من حيث المبدا ، ولكنه يثير سؤالا هاما : إلى اى مدى يستطيع الباحث ان يربط باللغة كاطار عام كما حدث هنا وليس كاداة للتعبير تختلف من كاتب إلى كاتب ومن نص إلى نص ؟

لقد عالج المستفرق الألمانى يان هذه القضية وهو يعالج تصوره لآداب القارة . قال : « لم يعد من الممكن اليوم ان يصنف الادب على اساس اللغة . فقد تغلغلت اللغات الأوربية واللغة العربية خارج مناطقها التقليدية . ولكن الآداب لا يمكن ان تصنف ايضا على اساس جغرافى ، لأن الجغرافيا لا تقدم فئات واصنافا ادبية . فالأدب الافريقى الذى يضم فى مجموعة واحدة — بلغة الجغرافيا — كلا من افريقيا الشمالية وافريقيا جنوب الصحراء والبوير فى جنوب افريقيا من شانه ان يخلق من التباين ما يفوق ما يخلق من المشابه ، وكذلك ان يتجاهل العلاقات الوثيقة بين افريقيا والبحر الكاريبى ، وبين شمال افريقيا والشرق الادنى . ومثل هذا التصنيف لا يهتم بالثقافة او التاريخ او الاسلوب ، ولا علاقة له بالأدب »

ويستطرد يان قائلا :

« بل ان الأدب — اخيرا — لا يمكن ان يصنف على اساس بشرة الأدباء او مسقط رؤوسهم ، التى تعتبر بدورها فئات خارج الأدب ، ولقد حاربت لسنوات طويلة عبارات مثل « الادب الزنجى » ، « الأدب الأسود » ، « ادب السود » ، وذلك لأن الذين يستخدمون مثل تلك المصطلحات إنما يعبرون — ربما بشكل تلقائى — عن معتقد مؤداه ان لون بشرة الأديب كاف لتحديد الأسرة الأدبية التى ينتمى إليها . »

أدب أفريقيا التقليدى أدب شفاهى .. ولكن منذ بدأ الأفريقيون فى الاتصال بالثقافتين العربية والغربية أنتجوا أعمالاً أدبية مكتوبة

واخيرا يصل يان إلى البديل عن اللغة والجغرافيا ولون البشرة ومسقط الراس كاساس لتصنيف الأدب ودراسته . فيقول :

« لا يمكن ان تصنف الآداب إلا على أساس الأسلوب والمواقف التى تعرضها : وبدقة اكثر اقول على اساس دراسة الأعمال المفردة وتحليل اساليبها ، وتصنيفها بعد ذلك ، ثم مطابقتها على تقاليد الأساليب والمواقف المشابهة . ولا يمكنك ان تامل فى وضع الأعمال الأدبية فى « اسرها » الصحيحة مالم تفحص هذه السمات . ومالم تحلل عملا محددا فانت لا تستطيع ان تحدد الأدب الذى ينتمى إليه ذلك العمل »

ويسوق يان مثلا عمليا لتحقيق هذا المنهج بقوله :

« لابد ان نفحص العمل ، وليكن مثلا عملا لأديب من اليوروبا يكتب بالانجليزية ، لا سعياً وراء الأفكار الحديثة التى يحتوى عليها وتاثيرات النماذج الانجليزية فحسب ، وانما ايضا وراء الخصائص الأسلوبية وانماط التعبير التى تاتى من ادب اليوروبا الشفاهى فى لغة اليوروبا »

والحق ان يان قد اوقعنا فى مشكلة حين نحى الجغرافيا الطبيعية والبشرية معا عن مجال تصنيف الأدب ودراسته . وكان قد سبق – فيما عرضنا له من آراء – ان ربط الأدب بالارض التى تنتجه والبيئة التى يعبر عنها . ونخشى ان يوحى ذلك بالتناقض . إذ ان الارض والبيئة مسالتان جوهريتان فى الأساس . ولكن ، لأن الجغرافيا الطبيعية لم تكن فى يوم من الأيام عاملا حاسما فى وجود التعبير الأدبى او عدمه ، ولأن التعبير الأدبى فى اساسه نشاط إنسانى يتعلق بالانسان حيثما ظهر او كان ، ولأن اداة هذا النشاط الانسانى نفسه هى اللغة فان الأدب فى النهاية مرتبط باللغة قدر ارتباطه بالارض والبيئة . وليس معنى تغلغل اللغات الأوربية واللغة العربية خارج مجالها التقليدى ان نصنف او ندرس الأدب فى نيجيريا مثلا بمعزل عن اللغة الانجليزية ، ولا ان ندرس الأدب فى لغة مثل الهوسا بمعزل عن اللغة العربية كمؤثر خارجي .

اما التباين الذى خشى يان ظهوره عند دراسة الأدب الأفريقى بالمعنى القارى العام فهو امر طبيعى يواجهه دارس اى ادب فى اية قارة حتى لو كانت امريكا الشمالية او استراليا اللتين توحدتا سياسيا وتاريخيا . اما مسالة تجاهل العلاقات الوثيقة بين ساحل افريقيا الغربى والبحر الكاريبى ، او بين شمال افريقيا العربى والشرق الأدنى فان حديث يان عنها لا يزيد على ان يكون مجرد افتراض نظرى ليس له ما يبرره ، تماما مثل الافتراض النظرى الذى قد يتجاهل جزيرة مدغشقر او غيرها عند الحديث عن افريقيا . والعبرة فى النهاية هنا بالمنهج الذى يستخدمه الدارس والأدوات والمادة العلمية التى تحتديه . وقد اتاح لنا علم الأدب المقارن – وهو علم حديث بلا شك – العديد من الأدوات والمناهج فى مجال تصنيف الأدب على مستوى قارة واحدة او عدة قارات ، لا على مستوى ادب واحد او عدة اداب داخل قارة واحدة .

المنهج التحليلى النقدى

واما البديل الذى يطرحه يان بدراسة الأعمال المفردة وتحليل اسليبها ، ثم تصنيفها على اساس الاسلوب والمواقف التى تعرضها فلا يزيد على ان يكون مجرد افتراض نظرى ، فضلا عن انه يتعلق باللغة التى سبق ان اعترض عليها ، بل إنه هو نفسه لم يطبق هذا المنهج فى كتابه ، وانما اقترحه اقتراحا . ولكن ليس معنى انه افتراض نظرى خلوه من اى قيمة ، وإنما معناه انه افتراض ينتظر من يحققه . وإذا اتيح له ذلك فهو فى النهاية مرحلة متقدمة لابد ان تسبقها مراحل اخرى من الفحص والدرس الأدبيين . ماذا كان يان يدعو – بالمثل الذى ساقه عن اديب اليوروبا الذى يكتب بالانجليزية – إلى ضرورة وضع مؤثرات البيئة اللغوية المحلية فى الاعتبار عند دراسة مثل هذا العمل المكتوب بلغة اجنبية ، فلا شك انها دعوة سليمة . وقد تحقق شىء منها على ايدى بعض الأفريقيين ممن درسوا روايات الكاتب النيجيرى اموس توتولا الذى ينتمى لليوربا ويكتب بالانجليزية . وقد اثبت هؤلاء ان توتولا يستوحى التراث الافريقى لا الأغريقى – فى الاسطورة .

مشكلة المنهج إذن مسالة طبيعية ولكن الحال جد مختلفة مع القارىء العربى العام – – غير المتخصص – ونظيره الأوربى او غير العربى بصفة عامة . فالقارىء العربى العام بالنسبة لموضوع الأدب خارج مجال العربية فى افريقيا اشبه بالقارىء الأوربى فى مطلع هذا القرن حين كانت بضاعته من الأدب الافريقى قليلة، وحين كان هو نفسه يقبل على هذه البضاعة بعقل تغذى على الأهواء والتحيزات . وقد تغير اليوم موقف القارىء الأوربى كثيراً ، ولكن القارىء لا يزال واقعا فى تلك المرحلة التى مر بها نظيره الأوربى ، لا من ناحية الأهواء والتحيزات ، فهذا امر لا وجود له منذ ايام عنترة العبسى الأفريقى الزنجى ، ولكن من حيث قلة البضاعة . ومن ثمة يكون اصلح منهج فى مثل هذه الظروف لمعالجة موضوع كهذا ، لقارىء كهذا ، هو المنهج التاريخى الوصفى مع ما يمكن ان يتسع له ذلك المنهج من تحليل ومقارنة واستقراء .

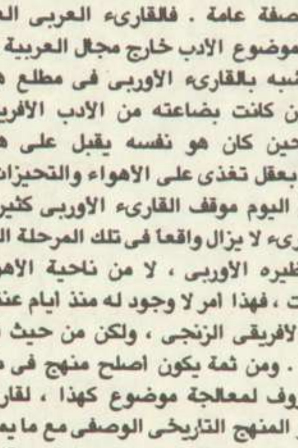

● الصحفيون هم اقصر الناس عمرا . في عام ١٩٧٩ فقط قتل ١٧ صحفيا أثناء العمل . وتعرض ١٣ صحفيا لعدوان مباشر واستضافت السجون ٢٥ صحفيا وتم استبعاد ٢٨ صحفيا مع تعرضهم للاهانات المريرة .

« تقرير منظمة اليونسكو »

● بعد ان حصلت عل جائزة مؤسسة الاناقة العالمية لم يعد يهمني الحصول عل جائزة نوبل .. ان اكون رجلا انيقا افضل بكثير من أن اكون مجرد مفكر اصلع .

« البرتو مورافيا »

● العالم مليء بالمجانين وانا العاقل الوحيد . ولقد بحثت عن نهر الجنون لأشرب منه واصير مثل بقية الناس .. ولكن لم اجد هذا النهر حتى الآن .

« الفنان العالمي سلفادور دالي »

ناجي

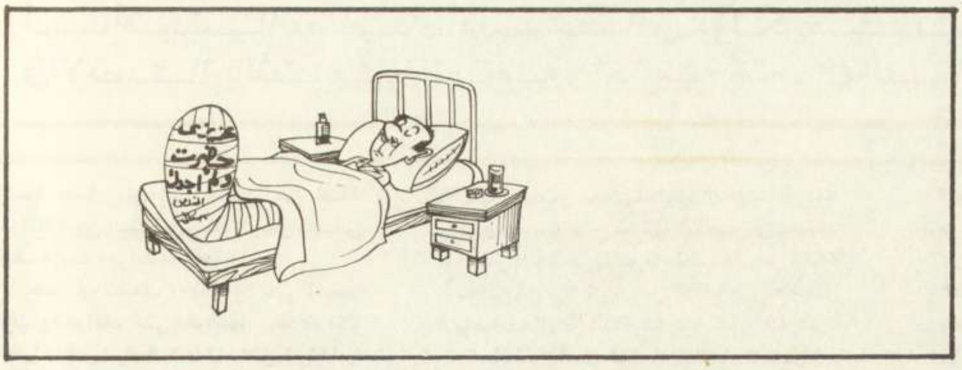

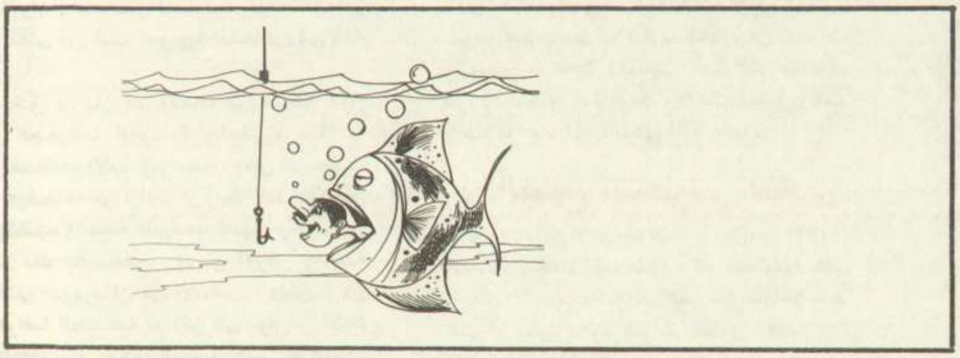

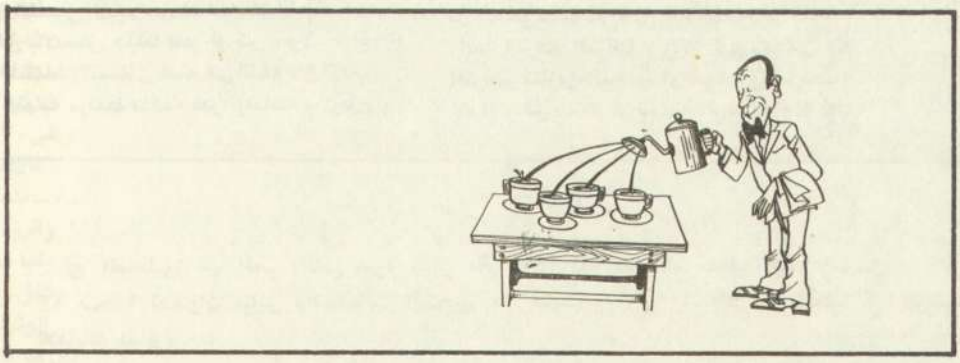

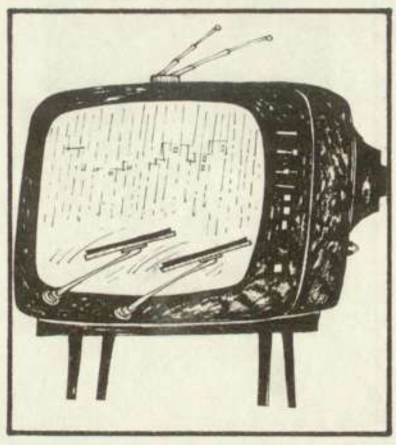

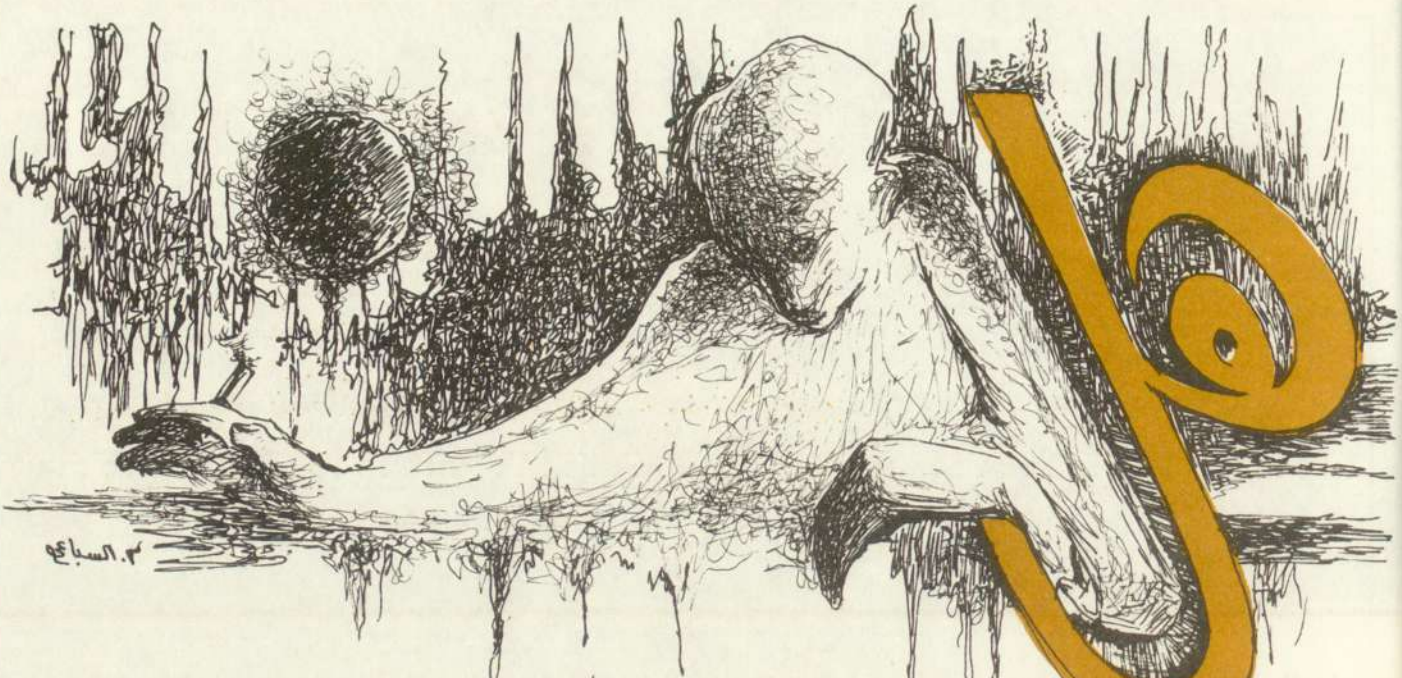

هل أنت بخير؟

شعر: كمال عمّار

الله عليم فيما نفعله هذا اليوم
ان كنا نفعل ما يرضينا ..
أو ما يرضيهم ....
أو ما يرضيه !
في كل صباح نبدأ رحلتنا في التيه
فالبعض يباع بسوق النخاسين
والبعض يبيع
والبعض الآخر لا يعنيه من باع ومن بيع بوادينا
يتساوى الأمر !

• • •

● قدحك ...
ـ ما زلنا في أول ساعات الليل
● أعلم .. لكنا في منتصف الويل
حسب التوقيت المأساوي
للمدن الصماء البكماء
فاذا نطقت .. شهقت
واذا سمعت .. فزعت
واذا ... قدحك ..
قدحك هذى المرة لا غير
ـ هل .. انت بخير ؟!

• • •

من للشعر السحر ، الشقشقة المستغلقة على الافهام
في كل فصول تراجيديا الكذب الاخضر
لم يكتمل النظارة بعد
لحظات ويكاد العرض يمد اليد
والصالة فارغة الا من انسان
يتثاءب ويدخن سيجارا وهميا ويفكر
فيمن دفعوا ثمن بطاقات الرؤية ثم ولا أحد ياتي ..
ويقولون قطارات الليل تتوه كثيرا والعجلات تشذ عن القضبان .
والاحلام الرمل نواصيها تنحل وتتكسر
والانسان
يتثاءب من ألفي عام
ويدخن سيجارا وهميا ويفكر
أنا من ضيع في الأوهام
أيام العمر !

نبيل خالد الأغا

وجه مدينة من فلسطين
صفد زنبقة الجليل

غريب انا ياصفد ..
تقول البيوتُ : هلا
ويامرنى ساكنوها ابتعد
علام تجوب الشوارع
يا عربى .. علاما ؟
اذا ما طرحتَ السلاما
فلا من يرد السلاما
لقد كان اهلُك يوماً هنا
وراحوا .. فلم يبق، منهم احد ! !
على شفتى جنازة صبح
وفى مقلتى مرارة ذل الأسد
وداعاً وداعاً صفد ! !

بهذه الكلمات الدامعة ... أوجز الشاعر الفسطينى سالم جبران حال مدينة صفد بعد سقوطها فى حماة الاحتلال الصهيونى يوم الحادى عشر من مايو عام ١٩٤٨ .

ان مما يضاعف تقريح الاكباد ان تعيش صفد على امتداد تاريخها عربية ابية وفجاة يمسخ الظالم وجهها الصبوح ، ويغيّر هويتها ، ويصبغها بالصبغة الصهيونية ! وربما تكون صفد هى المدينة الفلسطينية الوحيدة فى الجليل لا يتواجد فيها عربى واحد سواء كان مسلماً أو مسيحياً ! !

لقد حرص الصهاينة على تهويد صفد ، وصهينتها تماما ، فما كادت دولة العدوان تثبت اقدامها فى فلسطيننا الحبيبة حتى بادرت باقتلاع جذور مواطنى صفد الشرفاء ، وقذفتهم بعيدا عبر دروب التيه والضياع .

لقد استاصل أعداء أمتنا قلب مدينة صفد العربى ، وزرعوا مكانه قلباً يهودياً رمادياً ، واستبدلوا شرايينها الصلبة النقية ، وحطموا عمودها الفقرى ، وازالوا كل وشم عربى حفره التاريخ على وجهها وذراعها وحدقات عيونها ، ولم يعد الزائر العربى لصفد يرطب فؤاده بصوت المؤذن مترنما بعزة الاله .

إن من واجب صفد علينا أن نقرأ تاريخها ، ونتبصر امورها ، فربما يظهر من بيننا امرؤ تدركه شهامة صلاح الدين او نخوة الظاهر بيبرس يطهرها من صليبيي اليوم كما طهرها بنفسه من صليبيي الأمس.

قلعة الجبل

تقع مدينة صفد فى الجليل على سفح جبل كنعان ، وقد سُمي بهذا الاسم نسبة الى كنعان بن نوح الذى دعاه سيدنا نوح كى يركب معه فى الفلك المشحون لكى لا يغرقه الطوفان ، فرفض دعوة والده وقال له : ساوى الى جبل يعصمنى .

وتقع صفد فى اعلى نقطة فى شمال فلسطين حيث جبل الجَرْمَق ، وهو اكثر جبال فلسطين ارتفاعاً حيث يعلو بمقدار ١١٩٨ مترا عن سطح الأبيض المتوسط. مكانها بين سوريا شرقا ، ولبنان شمالا وقضائى طبريا وعكا جنوبا وغربا .

تمتاز المدينة بموقعها السوقى (الاستراتيجي) الممتاز ، فهى قلعة الجليل بلا منازع ، كما تمتاز بمناظرها الطبيعية الساحرة فهى زنبقة الجليل بلا منازع !

ترتفع عن سطح البحر المتوسط بما يقرب من ٩٠٠ متر ، وعن سطح بحيرة طبريا بـ ١٠٥٠ مترا ، وهذا الموقع الجميل أكسبها طقسا صيفيا فريدا ، ومما يزيد من جمالها احاطتها باشجار الصنوبر والتين والزيتون وكروم العنب. وقبيل النكبة العربية الاولى عام ١٩٤٨ كان قضاء صفد يضم حوالى سبعين قرية عربية ، اما بعد النكبة فقد ازال الصهاينة اغلبها ، وحولوها الى مستعمرات تستوعب مهاجريهم ، ولم يبق من هذه القرى العربية سوى ست فقط !

● ● ●

ذكر بعض المؤرخين ان اسم صفد الحالى مشتق من « صفاة » الكنعانية العدنانية ، وهى تعنى الصخرة الصلدة ، ثم حرفت فيما بعد واستقرت على وضعها . وهناك قول آخر بانها قد اخذت اسمها من « الصفد » بالفتح ، بمعنى العطاء والوثاق جمعها أصفاد . قال تعالى فى سورةَ ابراهيم « مقرنين فى الاصفاد » . وفى المثل : « الصفد صفد » أى ان العطاء قيد.

صفد والصليبيين

بقيت صفد معزولة على قارعة التاريخ فترة من الزمن ، حتى انها لم تذكر فى احداث التاريخ الاسلامى ، ولا فى مؤلفات العرب ورحالتهم من امثال البلاذرى واليعقوبى والطبرى والمقدسي .. وبقيت مغمورة حتى القرن الحادى عشر حينما احتل الصليبيون ديار الشام ، فلفتت صفد انظارهم بسبب موقعها الحصين ، فامر القائد الفرنسى « فولك أنجو » بتشييد قلعة حصينة على ربوة صفد عام ١١٤٠ ميلادية « وقد صار لهذه

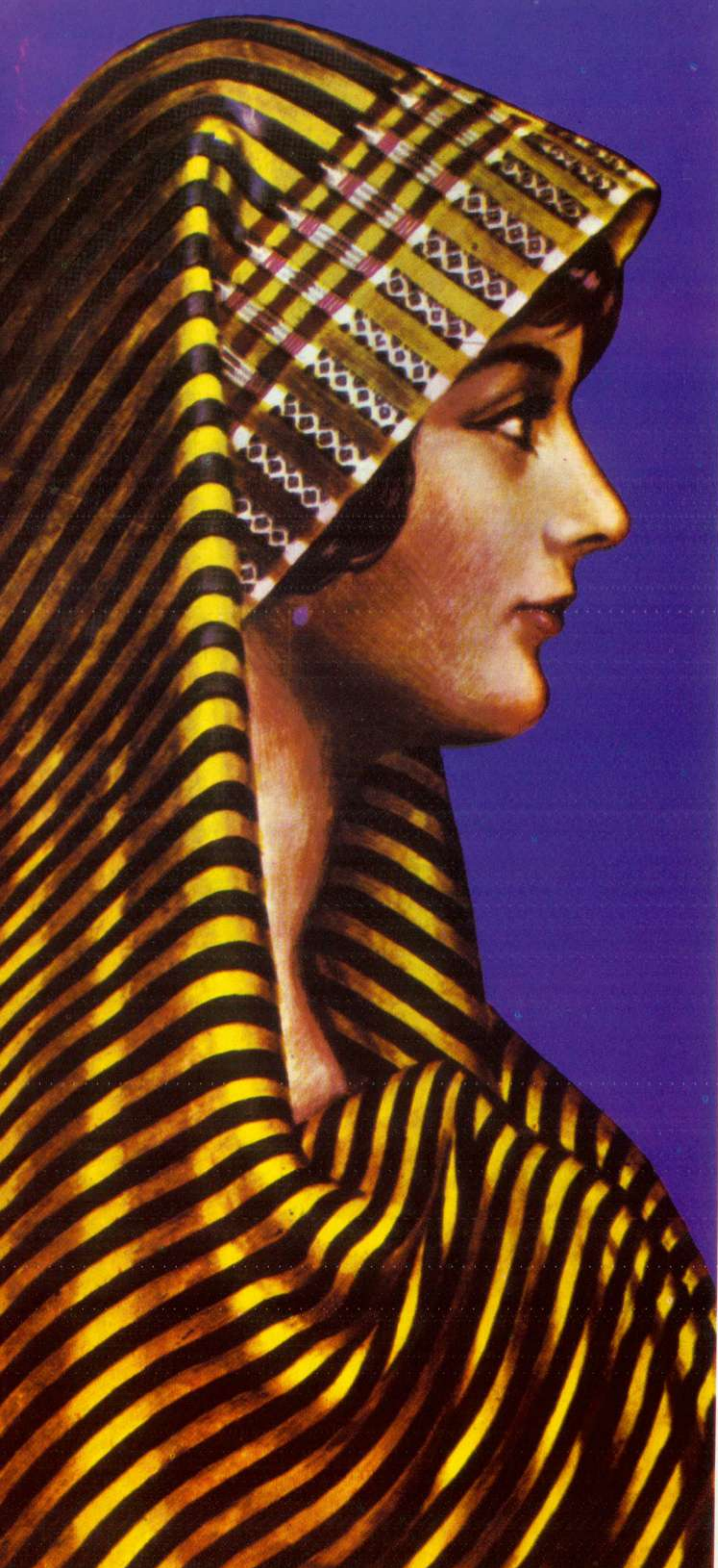

اسمها مشتق من "صفاة"
الكنعانية العدنانية..
وهى تعنى الصخرة الصلدة

بقيت صفد معمورة حتى
القرن الحادى عشر حينما
احتل الصليبيون ديار الشام

القلعة شأن كبير فى الحروب الفرنجية نظرا لموقعها الفذ الذى يشرف على الجزء الشمالى من اقليم الجليل ، وعلى الطريق بين دمشق وعكا ، ولذلك كانت تلك القلعة من آخر المعاقل الصليبية التى استطاع المسلمون الاستيلاء عليها فى القرن الثالث عشر » .

وفى عام ١١٥٧ لجأ الى قلعة صفد خامس ملوك مملكة بيت المقدس الفرنجية بلدوين الثالث على اثر هزيمته أمام جيوش نور الدين زنكى .

وفى عام ١١٦٨ عهد أمرليك الاول حماية قلعة صفد الى فرسان الداوية.وكلنا يعلم بأن البطل المسلم صلاح الدين الايوبى قد حقق انتصاره الباهر على الصليبين فى معركة حطين الشهيرة عام ١١٨٧ ميلادية، وفى الرابع عشر من شوال فى ذات العام رفع راية النصر على قلعة صفد بعد أن دحر أعداءه منها .

نكسة عابرة

أن القارىء لتاريخ الايوبيين فى تلك الفترة يعلم بالنزاع الذى دب بينهم حول اقتسام دولة صلاح الدين بعد وفاته . وقد بلغ الهوان ببعضهم مبلغه ، ونتيجة لخوف الصالح اسماعيل من غدر الملك نجم الدين اتصل ببعض زعماء الحملة الصليبية طالباً مناصرته على ابن عمه ، وقد أباح لهم بعض المناطق التى يسيطر عليها بما فيها صفد . ولم يرد الله لهذه الامة نكسة طويلة ، فسرعان ما قيض لها « رجلا قفقاسياً بيع فى أسواق الرقيق بحلب بسبعة عشر ديناراً ، ولكن الاسلام صقل نفسه وهذب خلقه ، فتوصل هذا

فتاة صفد .. ترتدي الملاية الصفدية المشهورة

● القارئ لتاريخ الأيوبيين يمكن أن يتعرف على النزاع الذى قام حول اقتسام دولة صلاح الدين بعد وفاته

بعيرة طبريا ٠٠ ترتفع عنها صفد بحوالي ١٠٥٠ مترا

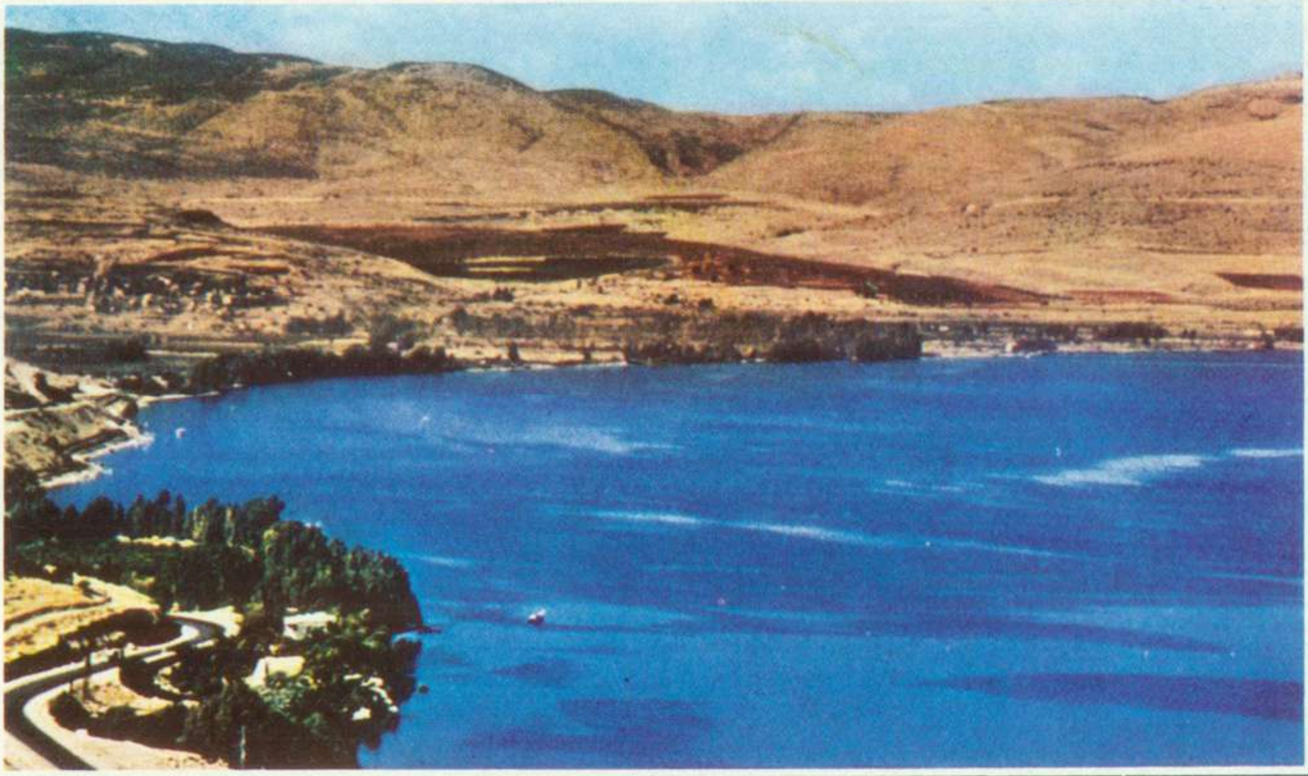

المملوك الى أعلى مركز فى دولة الاسلام وخاض الملك الظاهر بيبرس عدة معارك مع الصليبيين . وفى اليوم الخامس عشر من شوال عام ٦٦٤ هجرية (١٢٦٦ ميلادية) تمكن من تحرير صفد ، واستحق بجدارة أن يلقب « بركن الدين والدنيا » وماتزال أسوار القلعة تحمل نقوشاً تدعو هذا السلطان المجاهد بانه « اسكندر زمانه ، وعمود دينه » .

بيت الاحزان

يقول الرحالة التركى (أوليا شلبى) وهو يصف رحلته من اسطنبول الى بلاد الشام عام ١٦٧١ ميلادية : قبل أن أصل الى صفد تذكرت أن أول بلد عمرت بعد الطوفان كانت « الجودى » التى استقرت عليها سفينة نوح قرب الموصل ، ثم أن سام بن نوح لما فرغ من بناء دمشق بنى صفد ، وقد اتسع عمرانها وسكنتها طوائف عديدة من البشر ، ولما قضى الرومان على عصيان اليهود بعد المسيح بـ ٧٠ سنة نامت هذه البلدة نوماً عميقاً ، واختفت فى طيات الزمان ، حتى اقام فيها الفرنج حصناً كان شجاً فى حلوق المسلمين ، حتى جاء السلطان صلاح الدين وفتح صفد ، وأخيرا لاحت لنا المدينة كأنها حمامة بيضاء تتحفز للطيران ، وحالما وصلت اليها هرولت مسرعا الى مغارة « بيت الاحزان » حيث حزن يعقوب على يوسف ، وابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم ، ثم ارتد إليه بصره حينما جاءه البشير بقميص يوسف ، وهذا المقام الشريف يتوسط مقبرة تضم عشرات من الابرار الصالحين الاخيار رضوان الله عليهم .

يقال بأن الدموع التى سحّها يعقوب على امتداد أربعين سنة قد فتتت الصخور ، ثم تساقطت على الارض ، وفى هذا المكان نزل سيدنا جبريل الامين على يعقوب بواسطة شق اراده الله ، « ولا يزال هذا الشق لامعاً كأن النحات تركه فى التو والساعة » .

كما يدعى اليهود بانه تتواجد فى هذا المزار قبور سيدنا يعقوب واولاده الاثني عشر، ويذهب الكثيرون من اليهود الى الاعتقاد بضرورة زيارته ولو مرة واحدة فى الحياة ، اما فى حالة رفض اليهودى لتأدية هذه الزيارة فهو آثم قلبه . اما اذا انتوى ولم يستطع فامامه ثلاثة خيارات : أن يعفروجهه بترابها ، أو يشرب من مائها أو يستنشق دخان أشجارها !

وعلى عتبة الغار نقشت الآية الكريمة « فلما أن جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا » .

صفد ... ونابليون

فى مطلع عام ١٧٩٩ ، انطلقت القوات الفرنسية من مصر الى فلسطين بقيادة

● فى مطلع عام ١٧٩٩ عجزت القوات الفرنسية عن اقتحام عكا برغم طول الحصار
● خضعت صفد للحكم المصرى تسع سنوات حين قام إبراهيم باشا بفتح بلاد الشام

منظر عام لمدينة صفد المحتلة منذ عام ١٩٤٨

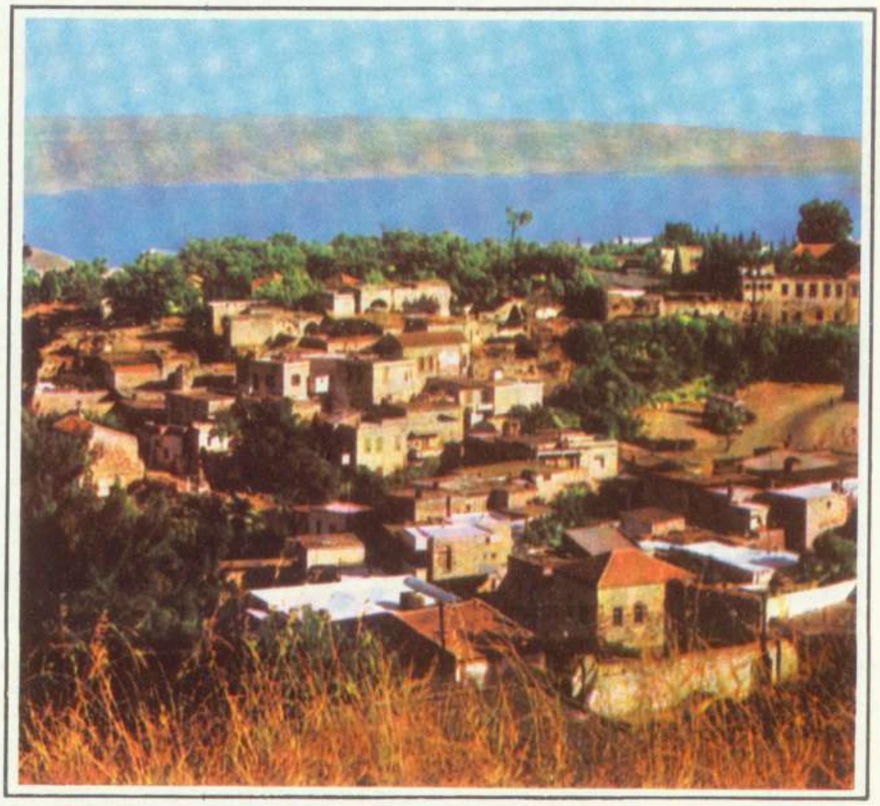

نابليون بونابرت ، وقد استولت على السواحل الفلسطينية ، الا أنها عجزت عن اقتحام عكا برغم طول مدة الحصار المضروب عليها والذى استمر سبعين يوماً فأخذ نابليون يرسل جنوده فى اتجاه المناطق الجبلية بقصد الاستكشاف والتغلغل فى البلاد . وبعث بمفرزة من جنوده بقيادة الملازم « ديلانيل » لاستطلاع طبيعة الديار الصفدية ، واكتشف الصفديون تحركاتها ، فانقض شبابهم المتحمس على افراد المفرزة فأبادوهم عن بكرة ابيهم ، بينما استسلم القائد ، ونكاية فى نابليون ساقوه الى عكا ، وقدموه هدية لواليها أحمد باشا الجزار .

وبعد فترة أشتعل اوار احدى المعارك مع الفرنسيين واستطاع الفرنسيون الاستيلاء على صفد ، وانتقموا من أهلها شر انتقام ، وتقول إحدى الروايات الفرنسية « ... ان عساكر الشام انهزمت ، وجموع العربان تقهقرت ، واستولى الفرنسيون على غنائم كثيرة حتى انهم وجدوا خياماً ملأى بأنواع الحلوى والملبس ، فملأوا جيوبهم وحقائبهم ، وأحرقوا ما زاد عن حاجتهم ، وفى الليل أشعلوا النار ، وتناولوا العشاء ثم سمروا »

مع الحملة المصرية

خضعت صفد للحكم المصرى مدة تسع سنوات (١٨٣٢ ـ ١٨٤١) حينما بعث محمد على باشا بابنه ابراهيم لفتح بلاد الشام .

ويبدو ان ابراهيم باشا كان متعطشاً لشهوة السلطة ، فما كاد يتمكن من البلاد حتى أصدر أوامره بجمع السلاح ، وزيادة الضرائب ، واحتكار الحرير ، وتجنيد ابناء البلاد ليكونوا فى خدمة أطماعه . واستاء الناس لهذه التصرفات ، فعمت النقمة والثورة كل الارجاء الفلسطينية بما فيها الديار الصفدية ، وقد عهد محمد على باشا لصديقه الامير بشير الشهابى فى جبل لبنان مهمة أخماد ثورة الصفديين بالذات ، فاستجاب الامير ، وعسكر فى قرية بنت جبيل فى الجنوب اللبنانى ، وحينما علم الصفديون بتواجده آثروا السلامة فانابوا عنهم وفدا رفيع المستوى بقصد تقديم الولاء والطاعة فقبلهامنهم وتوجه الامير بنفسه الى صفد فقابله وفد يهودى ، واشتكى اليه بأن مسلمى صفد قد نهبوا أموالهم بعد انسحاب الفرنسيين من عكا عام ١٧٩٩ .

وزعموا انهم قد فقدوا ما يزيد عن أربع وتسعين خزنة من الذهب !!

فطلب الامير الشهابى من أعيان صفد أن يقدموا هذا المبلغ « فاقسموا له باغلظ الايمان أن كل مايملكه يهود صفد لا يوازى عشر معشار ما أدعوه » فلم يستمع لكلامهم بل ضبط بيوتهم وارزاقهم وأخذ يعذبهم حتى هرب الكثيرون .

ولم ينته الامر عند هذا الحد بل أن القناصل الأوربية قد بالغوا فى قيمة الخسائر اليهودية ، على الرغم من أن عملاء هؤلاء القناصل قد أوصوا اليهود بالمبالغة فى تقدير الخسائر لأنها ستدفع لهم من خزينة الدولة المصرية ، وقد جاء فى وثيقة محفوظة فى السجلات الملكية بالقاهرة « ... لكن مادام أصدقاؤنا القناصل قد أصروا وصمموا ، وتخلصاً من هذه القائلة ، فقد صدرت الاوامر خطياً الى سليمان باشا ببيع أملاك وعقارات هؤلاء الفقراء (من أهل صفد) لتقسيم اثمانها على المدعين كذبا وبرغم هذا التهالك الذى أظهره محمد على باشا الى بريطانيا والنمسا وروسيا وبروسيا الا أنهم لم يرضوا عنه ، وقاموا بتحريض ومساعدة العثمانيين ضده ، مما اضطره الى سحب جيشه من الشام ، ومن ثم عادت البلاد الى حكم الاتراك .

● اليهود يعتبرون صفد واحدة من المدن الاربع المقدسة اضافة الى القدس والخليل وطبريا

اليهود فى صفد

تعتبر صفد واحدة من المدن الاربع المقدسة لدى اليهود اضافة الى القدس والخليل وطبريا . وبالنظر لما ورد فى التلمود (الكتاب المقدس الثانى عند اليهود) فان المسيح الذى يرتقبونه سيضع سريره فى أخريات الايام بصفد .

يقول مؤلفا كتاب « ولاية بيروت » : أن الوفا من شيوخ الرجال والنساء من الطائفة اليهودية يؤمون هذه الديار ليموتوا فيها لا ليعيشوا فى محيطها . فتراهم يشكلون أقذر الطبقات وأحطها ، شعورهم طويلة ، وجوههم لاتعرف النظافة والماء ، ثيابهم قذرة ، وقباتهم قد اسودت من الدهن ، يحملون فى ايديهم توراة أو تلمودا ولا ينفكون عن تلاوته فى الازقة ، لا يعبأون بالاقذار والعفونات ، وان الانسان ليحتاج الى قوة فوق طاقة البشر حتى يقدر على احتمال شم الروائح حين مروره فى محلة اليهود ، ولا ريب أنهم يعتقدون بان هذا الانحطاط هو علامة الزهد والتقوى .

هذا من ناحية كهنة اليهود والمتقون منهم.

أما من ناحية شبابهم ورجالهم فانهم يقبلون على الحياة فى نهم شديد ، ويصارعون من أجل تحقيق وتوطيد اقدامهم وتحقيق حلمهم الذى يمتد من النيل الى الفرات .

وبالنسبة لمدينة صفد ، ففى نهاية القرن الثامن عشر هاجرت عشرات من الاسر اليهودية الى فلسطين واقامت فى فلسطين . وقد تكفل المليونير اليهودى البارون روتشيلد بالانفاق عليها ، وفى عام ١٨٩٦ تأسست على حسابه مستعمرة (المطلة) بنصف مليون فرنك

الحياة الاجتماعية

لقد استطعنا أن نتعرف على بعض العادات الاجتماعية التى كانت سائدة فى صفد أيام الانتداب البريطانى الاسود على فلسطين . ومن هذه العادات أن

مرتفعات الجولان السورية المحتلة تستطيع رؤيتها من صفد.

أبناء صفد المسلمين كانوا يتزوجون فى سن مبكرة ، ويدفعون جميع مايملكونه الى الزوجة على سبيل المهر ، وهذا سبب من أسباب الحاجة والعوز لدى الكثيرين منهم . كما أنهم لايهتمون بالمهر المؤجل ، وأعلى مهر مؤجل فى الاسر الكبيرة لايتجاوز ٥٠٠ قرش ، اما المهر المعجل فيبلغ احيانا خمسة الاف قرش !

وإذا رغب الصفدى فى الزواج فانه لا يرى وجه الفتاة التى يرغب فى الارتباط بها ، اما اذا تم الزواج فليس من عادة الزوج أن يترك بيت أبيه . بل يعيش هو وزوجته مع اسرته وذلك بقصد التقليل من تكاليف بناء بيت جديد للزوجين .

أما عند يهود صفد وبخاصة طائفة « السفارديم » فيجب على الزوجين أن يسكنا عاماً واحدا فى بيت والد الزوج ، وعاماً اخر فى بيت والد الزوجة ويدفع العروسان مهرا متساويا ، ثم يجمعا فى صندوق واحد حيث يوضعا فى حوزة الزوج ليشتغل به فى بداية حياته الزوجية !

ولما عرفت عن هذه العادة لدى اعدائنا قلت فى نفسي : ما أحرانا أن نتبع هذه الطريقة مع تعديل بسيط ، حتى نضع حلا لمشكلة غلاء المهور المستعصية فى كثير من أقطار وطننا العربى !

● عثرت على قائمة طريفة تبين أسعار بعض الحاجيات فى مدينة صفد لعام ١٩٢٤ مبينة بالقرش الفلسطينى المساوى للقرش الاردنى أو الكويتى تقريبا : كيلو لحم ضأن بسبعة قروش ، كيلو لحم بقرى بخمسة قروش ، كيلو سمن بلدى بتسعة قروش كيلو عدس بنصف قرش ، عشر بيضات بقرش واحد ، كيلو سكر بثلاثة قروش !

● فى احدى واجهات قاعة الاستقبال بقصر الوالى العثمانى تم نقش هذين البيتين :

الا يادار لا يدخلك حزن
ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار تؤوى كل ضيف
اذا ما الضيف ضاق به المكان

شخصيات صفدية

لقد انجبت صفد مئات من الشخصيات السياسية والدينية والادبية والاقتصادية على امتداد تاريخها . وبالنظر لاحوال صفد السياسية حالياً وما رافقها من هجرة الصفديين وتشتتهم فانه يصعب علينا حصر جميع شخصياتها البارزة ، ولكن هذا لا يمنعنا من ذكر من عرفنا منهم :

● على رضا النحوى (١٨٩٠) قاضى صفد ، وأحد رؤساء بلديتها .

● أحمد بن محمد الخالدى (١٦١٥) كان عالما تقياً نقياً ، له عدة مؤلفات ، يعتبر جد اسرة قدورة الصفدية العريقة

● أنجبت صفد مئات الشخصيات السياسية والدينية والأدبية والاقتصادية على امتداد تاريخها
● جاهدت صفد جهاداً مشهوداً ضد الإنجليز واليهود وشاركت في جميع الثورات الفلسطينية

● أحمد بن حامد النحوى (١٨٨٥) عمل قاضياً فى المحاكم الشرعية بفلسطين
● شهاب الدين بن خفاجة الصفدى (١٨٣٠) له مصنفات عديدة ، يعتبر الجد الاعلى لاسرة النحوى الصفدية العريقة .
● محمد سليمان شما (١٨٥٥) مؤرخها وقاضيها ، وعالم انسابها ، واحد رؤساء بلديتها .
● الشيخ احمد الاسدى (١٨٦٤) له زاوية معروفة باسمه ، يعتبر الجد الاول لاسرة الاسدى الصفدية العريقة .
● سعيد أفندى مراد (١٨٨٠) استاذ الاجيال فى صفد ، عمل مفتشا لمدارس القضاء ورئيساً للبلدية .
● أبو الفرج المفتى (١٨٩٥) شغل منصب الافتاء فى صفد ، وعدة مناصب أخرى .
● نصوح منور (أبو غاندى) كان ضابطا فى جيش الثورة العربية انعم عليه المغفور له الحسين بن على بوسام النهضة .
● محمد برادعى العباسى : عمل مستشارا قانونياً ، ويتقلد وسام الاستقلال الاردنى من الدرجة الاولى .
● شكيب الاموى : خطيب بليغ ، ووطنى صادق ، من كبار رجال الاعمال فى جدة .

ومن رجالات صفد المرموقين أيضاً : الحاج ابراهيم قدوره ـ محمد سعيد مراد ـ سعيد عزيز عيسى ـ نور الدين عيسى ـ عثمان توفيق صفدى ـ نايف نمر خرما ـ فهمى شما ـ المجاهد صبحى الخضرا ، المجاهد عبد الرحمن الخضرا . وغيرهم كثيرون .
ومن شعراء صفد الموهوبين محيي الدين الخضرا الملقب (بمعرى صفد) ، ومحيى الدين الحاج عيسى ، وله ديوان مطبوع بعنوان « من فلسطين وإليها » وقد أصدره فى حلب نجله الدكتور اياد الذى يعمل صيدلياً فى حلب ، وقد اخترنا من شعره هذه الابيات :

قد كنت ياصفد الحبيبة قلعة
صمدت لكبير الحقد والارهاب
بل كنت صرحا للبطولة والندى
عربية الاحساب والانساب
إن غير الاعداء وجهك فالدجى
يمحوه صبح من رءوس حراب

● ● ●

وبرغم نكبة صفد وتشريد ابنائها فما زال الصفديون محافظين على تقاليدهم وعاداتهم التى ورثوها عن أجدادهم ، وقد برزت فى دائرة الشرف والفضيلة والاخلاق الحميدة عشرات من العائلات الصفدية العريقة والوجيهة نذكر منها : قدوره ـ النحوى ـ الخضرا ـ السعدى ـ الصباغ ـ رستم ـ العيادى ـ الاسدى ـ البغدادى ـ البيطار ـ منور ـ شما ـ فانوس ـ عباس ـ البرغوثى ـ دله ، وغيرهم .
بعد النكبة العربية الاولى هاجر الصفديون ـ الا قلة منهم ـ الى سوريا الشقيقة وقد احتضنهم أبناء الشعب السورى الاصيل ووقفوا معاً يساهمون باخلاص فى عمليات البناء والتشييد ، وهم يتمتعون بكافة الحقوق والمزايا الممنوحة لاخوانهم السوريين . ولا غرابة فى ذلك فصفد تعتبر ابنة الشام فى كثير من الامور كطلاوة اللهجة وصلة النسب ، ومفاخر الاطعمة ، والشجاعة ، وصدق الوداد .

سقوط صفد

كبقية القرى والمدائن الفلسطينية جاهدت صفد جهادا مشهودا ضد البريطانيين واليهود ، وقد شارك الصفديون فى جميع الثورات الفلسطينية التى أشتعل اوراها على امتداد ثلاثين عاماً من الانتداب البريطانى الاسود على فلسطين .
وقد كان لصفد دور بارز فى حادث البراق عام ١٩٢٩ ، وقدمت واحدا من شبابها المناضل لحبل المشنقة البريطانية الجائرة ، وهو الشهيد فؤاد حجازى ، غير أن صفد وقعت ضحية المؤامرة البريطانية اليهودية ، وفى عشية اليوم التاسع من مايو عام ١٩٤٨ قام اليهود بهجومهم الاخير على صفد ، واستولوا عليها بعد أن انسحب رجال جيش الانقاذ التابع للجامعة العربية ، ولما رأى السكان جيش العرب ينسحب بلا قتال يذكر اضطروا الى النزوح عن مدينتهم خوفا من تكرار مذبحة دير ياسين فى صفد ! أما شباب صفد الذين يدافعون عن القلعة فيقول عنهم شيخ مؤرخى فلسطين عارف العارف : «استشهد من حامية صفد يوم سقوطها ٩٩ رجلا ، كانوا أثناء القتال فى داخل القلعة ، ورفضوا الاستسلام عندما تغلب اليهود عليهم ، فقتلهم هؤلاء عن بكرة أبيهم ، وقتلوا قائدهم ممدوح عاطف البريدى وهو من القدس » .
قال لى احد شيوخ صفد الاجلاء : يابنى ... انكم معشر الشباب تجهلون كثيرا تصرفات وعمليات جيش الانقاذ الذى ترأسه فوزى القاوقجي ... لقد أضرنا ذلك الجيش أكثر مما نفعنا ... عن طريق مجلة « الدوحة » طالبوا المسئولين فى الجامعة العربية أن يفتحوا خزائنهم المغلقة عن اسرار ومخازى جيش الانقاذ فى فلسطين .. فقط هذه امنيتى من مجلة « الدوحة » .

حاضر صفد

ظاهرتان ملفتتان للنظر فى صفد اليوم ... الظاهرة الاولى أن العدو قد حولها الى مدينة صناعية ...
أما الظاهرة الثانية فهى أن العدو قد أبقى جزءا كبيرا من الاحياء العربية كما هى على حالها القديم ، وتحولت صفد الى مركز عالمى للفنون الجميلة ، وفيها مدارس للفن ، والنحت ، والرسم ، والتصوير ، وكلها فى حي خاص
لن نقول لصفد كما قال لها الشاعر سالم جبران وداعاً ياصفد ... بل نقول لها كما قال سيدنا يعقوب عليه السلام «صبر جميل والله المستعان » .

نبيل خالد الأغا

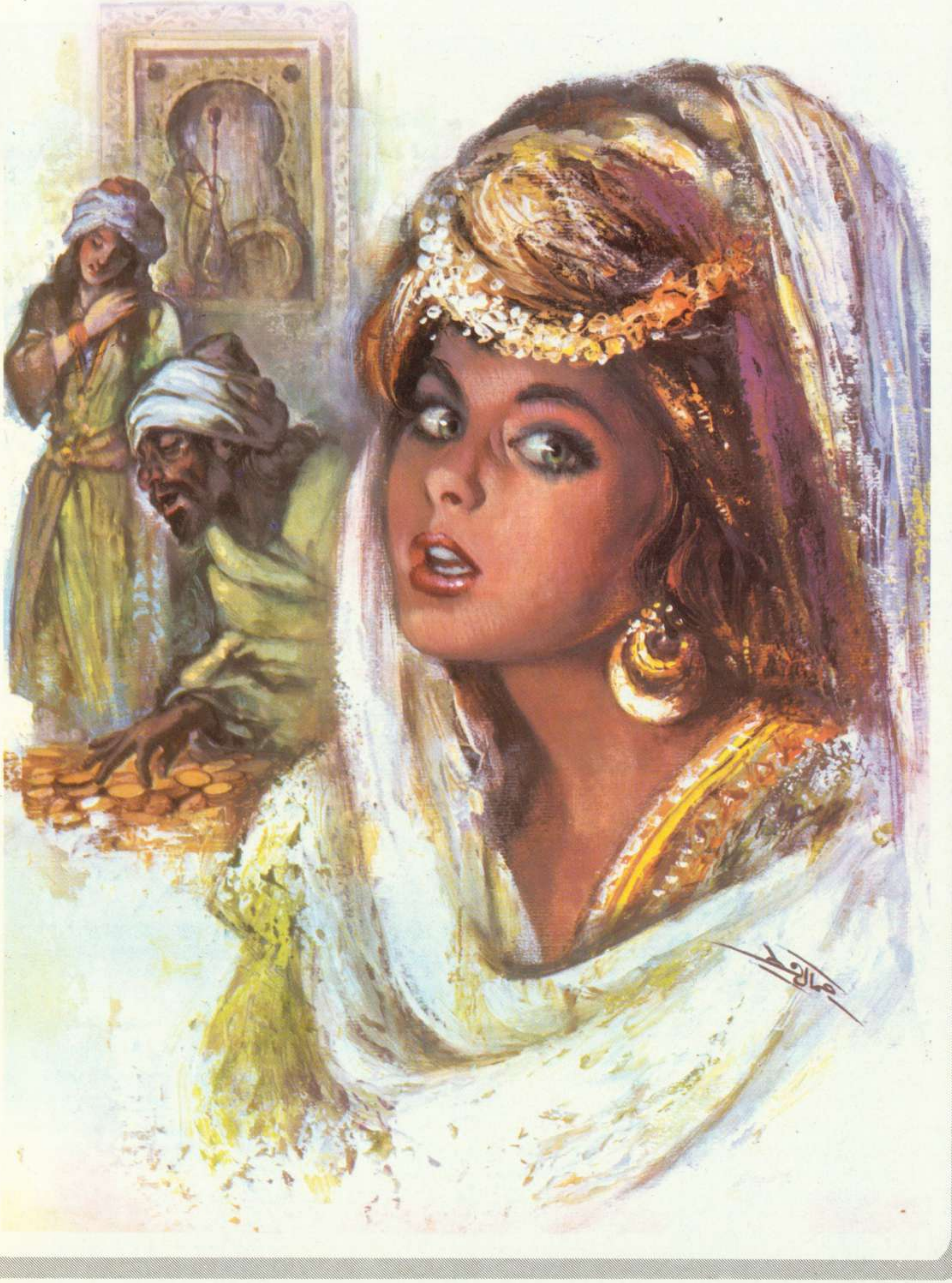

وقائع عربية ٣

محمد المنسى قنديل

أيام الجوع

● كان النيل أيامها يمشي غائضاً متكسر الموجات .. ومصر كلها نائمة

كان « ياسف » اليهودي الملتزم بدار ضرب النقود يستعد للسفر الى اسطنبول • متاعه قليل ورحلته طويلة • وزوجته « ساره » واقفة في الركن المعتم تراقبه دون ان تقدم له المساعدة • كان ياسف يلهث وهو يجذب الرباط •• وحين تطلع ياسف نحوها •• قالت :

ـ سوف ارحل معك الى اسطنبول ••

توقف ياسف في حيرة •• تمتم مرتبكا •• ولكن سأقابل السلطان لاقدم له تقريرا عن •• وقاطعته سارة في برود • ولن تقابل السلطان الا وانت معي ••

هبط ياسف الى حارات « بولاق الموحله » •• كان الوقت صيفا •• ولكن الوحل لا يجف ابدا •• وقال « صارفيم » صانع الكعك •• احضر لي حفنة من تراب صهيون وخذ وعدا من السلطان •• ومرة اخرى تمتم حائرا •• اي وعد ؟ •• واشاح صاروفيم وهو يقول •• وعد بأي شيء •• يكفي ان يعدك السلطان ••

دخل ياسف من باب المعبد •• مسح قدميه في الحصير المجدول فازدادتا وسخا •• كانت التمتمات العبرانية والمزامير الخافتة تبعث في داخله شعورا بالوحشه •• تعيده طفلا صغيرا • ووقف الحاخام بلحيته السوداء • وجد ياسف نفسه وهو ينحني امامه في ضعة •• وقال الحاخام امرا في اختصار ••

ـ لا تعد الا ملتزما للديار المصرية •

تحت وطأة الكابوس العثماني

أيام الكابوس العثماني

كان النيل يمشي غائضا متكسر الموجات • ومصر كلها نائمة تحت وطأة الكابوس العثماني • كابوس ترك ترابه المظلم عبر القرون على القصور والمساجد والخانات والوكالات والاسواق المسقوفة والحارات السد • بدأ الكابوس وقد فقدت مصر خمسين صنعة انتقلت بصانعيها الى اسطنبول •• ولم ينته الا بعد ان فقدت مصر كل شيء •• كان المساجين في سجن « العركانة » يحفرون نقبا في الجدار لعلهم يخرجون الى شمس جديدة• والباشا قد غضب فجأة على « كتخذاه » ونديمه وشريكه في المكوس فلم يتردد لحظة في خنقه وهبطت جثته من القلعة بدعوى انه مات من التخمة • وكان اضراب العميان في الجامع الازهر يدخل اسبوعه الثاني وقد اغلقوا المسجد وعطلوا الشعائر واوقفوا الاذان لعل الملتزمين يفرجون عن اموال الاوقاف التي نهبوها •

وجاء الخبر الى القاهرة ان السلطان مصطفى خان قد انجب توامين فعلقت الزينات ابتهاجا كأن الدنيا ينقصها المزيد من السلاطين • وهبت ريح شديدة محملة بالتراب الاسود فاظلم الجو • وكانت صلاة الجمعة قائمة وتحطم المنبر الذي يقف عليه امام جامع ابن طولون • وصاح صائح ان القيامة قد قامت والساعة قد ازفت • فهرع المصلون وتدافعوا من باب المسجد ومات خلق كثير تحت الاقدام •• ولم تقم القيامة ولم يعرف القتلة • وخرج « قبطاس بك » على راس تجريدة عظيمة لتاديب الاعراب الذين يقطعون طريق الحج فهزمهم الاعراب شر هزيمة•

وجاء من الفيوم سيدنا «العليمي» اخر الانبياء الكذبة وجمع خلفه المستضعفين والفقراء والشواذ واللصوص والبغايا وكل من له مظلمة •• وكل من يحلم بالخلاص•• وكل من في صدره نقمة •• وتبعوه •• من شارع الى شارع •• وهو يهذي بكلمات غامضة فيوقظ الاحلام من تحت الرماد •• وادعى الولايه وجاء اليه الناس من كل البلدان والكفور واختلط النساء بالرجال فقامت عليه العسكر وقتلوه ودفن بناحية مشهد السيدة نفيسة ••

أيام الغواية

وقف « ياسف » خاشعا امام مراد بك الدفتردار ملتزم كافة عموم الديار المصرية • وكان ميناء الاسكندرية مزدحما بالحمالين وموظفي المكوس •• وقال البك ••

ـ من معك يا ياسف •• ؟ ••

اعتذر « ياسف » لانه اضطر لاصطحاب زوجته • وتطلع البك اليها •• كانت تقف على مقربة منهما، كل شيء كان ينبيء انها امرأة

وحشيه الجمال · واعترف البك بينه وبين نفسه ان ياسف قد احسن الاختيار · لم يكن غير موظف صغير بدار الضرب يقوم باحصاء الوارد والمنصرف · ولن يقف امام السلطان الا دقائق معدودة · يذكر فيها أرقاما مبهمة يثبت فيها ان مجموع الجزية السنوية يتناسب مع دخول الزراعة ومكوس التجارة وسوف يصرفه السلطان وهو يتثاءب .. ولكنه بمثل هذه الزوجة يستحق اكثر بكثير.

وكان ربان السفينة أرمنيا ذا لحية كثة حمراء · دفع « ياسف » الى مؤخرة السفينة وكاد ان يلقي متاعه في البحر · وترفق البك بالزوجة ولمس يدها وهو يصعد السفينه وأيقن ان هذه الرحلة التي كانت طويلة دوما سوف تكون ممتعة هذه المرة ..

ازداد احساس ياسف بالضآله · ونزل البك الدفتردار في « قمرة » فاخرة · وحين سارت « سارة » الى الجانب الاخر من السفينه اوشك ياسف ان يختنق بالبكاء وقد ادرك انها ذهبت اليه .. ولكنها عادت بعد فترة غير كافية لفعل اي شيء وكان منها القبطان ذو اللحيه الحمراء واشار له فحمل الامتعة وأنزله في قمرة قذرة ولكنها أفضل من مراقبته الجرذان في قاع السفينة · ولم يجرؤ على النظر الى وجه سارة · وابتعدت الاسكندريه والارض والنورس · وغاصت السفينة في زرقة صافية ..

ووقف على سور السفينة شاردا فرأى الحاخام يصعد من جوف البحر ويأمره ان يعود ملتزما .. والتفت الى الخلف فوجد مراد بك الدفتردار واقفا امامه .. يحدق فيه وهويزفر انفاسه في غيظ · ووجهه الارناءوطي الاحمر أصبح قرمزيا .. ومد « ياسف » يده في استعطاف ولكن مراد بك هوى على وجهه بلطمة قوية ثم انصرف مسرعا ... قال ..

– ماذا حدث ؟ ..

قالت .. هذا البك الدفتردار جاء الى القمرة وحاول الدخول ·

واحس ياسف بيد باردة تعتصر قلبه .. وقال في لهفه :

– وماذا فعلت ؟ ..

وحين قالت بلا مبالاة .. لقد طردته .. ازدادت درجة فزعه .. لم يكن يريدها ان تطرد البك الدفتردار، عاد الى سطح السفينة كالمجنون · امره القبطان الارمني ذو اللحيه الحمراء بالعودة فورا لان هناك عاصفه على وشك الهبوب .. كانها لم تهب بعد .. وكانت سارة امام مرآتها وقد تكاثرت زجاجات العطر واصداف البحر المتألقة .. وثلاث لالىء منثوره فوق المخمل لم يرها من قبل .. وكانت هادئه تماما حتى أنه لم يجرؤ على أن يسألها أي سؤال ..

وفي الأيام التالية بدأ البك معه لعبه غريبة .. يصبح راضيا ثم ينقلب غاضبا .. يبدأ معه بالاغراء ثم ينقلب الى تهديد.. لم يكن يدرك ان ياسف لا يملك امرا · وانه مجرد ملتزم حقير في دار ضرب النقود .. ومثلما يحصي النقود الذهبيه دون ان يملكها .. يتزوج ساره الجميله دون ان يملكها ايضا ...

معركة تغري بالخسارة فيها عشرات المرات · كان ياسف متاكدا ان البك ما زال يحاول .. وانه مازال يطرد .. ولكن الهدايا الغريبه تتكاثر .. وثقة سارة في نفسها تزداد ...

وتحول البك الى وحش بالغ القسوة .. تعمد ان يهين ياسف علانيه أمام صغار البحارة والملتزمين والمسافرين وحين بدت اسطنبول انتاب ياسف نوع من الشلل وقد ادرك انه لن يرجع حيا .. أو على الاقل لن يرجع وسارة معه .. وحين جلسا في الفراش معا في الليلة الاخيرة قبل الوصول .. قالت سارة بصوت خافت ..

– ماذا طلب منك الحاخام حين ذهبت الى المعبد .. ؟

● حين مروا على الحقول الخالية والأرض المتشققة!

ضحك ياسف بمرارة وقال ..

– طلب مني الا اعود الا ملتزما للديار المصرية ..

وقالت سارة بهدوء ..

– كنت اعرف انه سيطلب منك ذلك ..

ولم يغمض عينيه .. رأى على الوسادة شعرة حمراء .. خشنه .. ملفوفة في حلقات .. أمسكها .. ثم التفت نحوها وهو يصرخ ..

– سارة أيتها اللعينة .. لماذا رفضت البك الدفتردار اذن .. ؟ ..

أيام الانتظار

كانت مصر تنتظر حين تتوالى الفصول وتتغير الالوان على وجهها .. في « ابيب » و « مسري » و « توت » تصبح مصر لؤلؤة بيضاء .. حين يفيض النيل المبارك .. وتصبح الضياع على روابوتلال مثل الكواكب الغرقى والماء يحيط بها من كل جانب .. ثم ياتي شهر « بابة » و « هاتور » و « كيهك » فتصبح مصر مسكة سوداء · حين ينكشف الماء عن الارض المخصبة بالغرين · المحملة بالوعود · وتبدأ الزراعات في التفتح كضحكات الاطفال .. ويأتي شهر « طوبة » و « أمشير » و « برهمات » لتصبح مصر زمردة خضراء .. ترتفع النباتات والحشائش وتتفتح زهور البرسيم وحبات القمح ويطن النحل وتغني العصافير كأن مصر لن تعرف الجوع ابدا .. ثم تاتي شهور « برمودة » و « بشنس » و« بؤونة » فتصبح مصر سبيكة حمراء .. وتحين مواسم الحصاد فيبيض الزرع ويصفر القمح وتتورد الحشائش مثل سبيكة من ذهب ..

ومصر ما زالت تنتظر لان ايام الجفاف لا لون لها · فالنيل ينحسر ليظهر الحصى ·وينحسر ليظهر عظام الغرقى والمغدور بهم والمغتالين .. وينحسر ليظهر السمك الميت فتبدأ ايام الجوع · والمقياس عند الروضه ينتصب مثل شاهد قبر .. ينعي موت المياه المقدسة التي تصب

من أنهـار الجنـه · لان النيل سيد الانهار وحين خلقه في اول ما خلق سخر كل نهر من المشرق الى المغرب فاذا اراد الله ان يجري نيل مصـر امر كل نهر ان يمده فامدته الانهار بمائها وفجر الارض له عيونـا ·· فلماذا لم يف الميعاد هذا العام · ؟·

حين يرتفع الماء الى ثلاثة عشـر ذراعا تفي مصر بخراجها ·· واذا تواصل الارتفاع الى خمسة عشـر ذراعا كان في ذلك كفايتهـا وري جميع اراضيها ·· واذا ارتفع الى ستة عشر ذراعـا استبحر من مصر ربع الارض · اما اذا بلغ ثمانيـة عشر ذراعا جاء الفيضان كالطوفان يلطم البيوت الطينيه ويخنق البذور · وينحسر الماء فلا يترك خلفـه الا الوباء ·

ولكن النيل اخلف الميعاد · شعر بهذا الفلاح في القرى البعيدة ·· حين اخذ في كفه حفانا من المـاء فاذا به رخو فاتر بارد اخضر بلون الطحلب الراكد ·· لو وفى النيـل لاصبح الماء حارا فائرا بالزبد ·· متوهجا بالغرين الاحمر ·· خصبـا بالحياة ·· وشعر بذلك جباة القرى ·· حين مروا على الحقول الخالية ·· والارض المتشققة · وتطلعـوا بطرف أعينهم للحيوانـات والطيور التي يربيها الفلاح حتى يضمنوا وفاء ضرائبهم ·· وشعر بذلك الملتزم وهو يعد خيله وسوطـه ليقـوم بجـولة ارهابية ·· ليخيف الفلاح·· ويرعب النهر · ولن يشعر الباشا الا متأخرا ·· ولن يشعر به السلطان في اي حال ·· مهما حدث يجب أن يصل خراجه اليه والا قبض على الباشا وعـزل الوالي وشنق النهر واعدم كل الفلاحين ··

ايام الصعود على الأعناق

وقف « ياسف » امام السلطان · يمسك كشوف الحساب وهو يرتعـد كـان مبهورا من كل شـيء ·· من حارات بولاق الموحلة الى بلاط الباب العالي · لم ينم · ولم تدعه « سارة » ينام · سهرت طوال الليل تعيد ترتيب كل شيء معه · والبك يغلي ·

كان السلطان مصطفى خان ضخما كما يليق دائما بسلطان ·· ووقف مراد بك الدفتردار في المقدمة يتكلم ويقدم تقريره المالي بلهجـه رتيبـة مملة وهو يبالغ في الانحناء والاعتذار

ثم أشار الى « ياسف » ليتقدم اكثر .. وينحني اكثر واكثر .. ثم اخذ يتلو الارقام . وبعد فترة انتبه السلطان . واصفر وجه الدفتردار . واقترب الصدر الاعظم .. الارقام تقول شيئا مخالفا للخراج . ان خراج مصر اكبر مما يجمع بكثير .. لان الزراعة لا تحصد جيدا . والتزامات القرى اقل مما يجب .. وحتى فلوس التجارة تهرب لصغار الموظفين .. ولو ان هناك ملتزما جيدا فسيجمع ضعف هذا الخراج .. واشار السلطان بيده فصمت « ياسف » . والقى نظرة على البك فازداد وجهه امتقاعا .. وقال السلطان لياسف ..

ـ اتعني انه يمكن ان يزيد خراج مصر الى ضعف هذا الرقم ..

انحنى « ياسف » وهو يلهث .. وقال السلطان متشككا :

ـ هل تستطيع ان تقوم بجمعه .. ورد « ياسف » في صوت واضح :

ـ اجل .. يا مولاي ..

وفض السلطان مجلسه واوشك البك ان يصرخ .. واوشك ان يصرخ اكثر عندما اكتشف ان ياسف مدعو لحفل عشاء اقامه السلطان هو ليس مدعوا اليه . مرت سارة بذهنه وهي تتألق . كان امله أن يتقدم له أحد من الحاشية .. ولكن ان يدخل السلطان نفسه في اللعبة .. هذه هي الكارثة ..

كان « ياسف » متضائلا فلم يأكل الا القليل . ولم يقرب شراب السلطان . وكانت سارة متألقة كالعهد بها .. وقد تحول السلطان مصطفى خان الى عين براقة .. وفي الصباح صدر « بيور لدي » سلطاني يعلن وضع مراد بك الدفتردار في السجن . وتعيين « ياسف » اليهودي ملتزما عاما لكافة الديار المصريه ..

وسارت السفينة من اسطنبول الى الاسكندرية . الى مصر التي أخلف النيل فيها ميعاده . وتركها في مواجهة عام قاس مليء بالجوعى والموتى . وخرج الباشا والوالي وخلفه فقهاء الازهر . وقساوسة القبط وحاخامات اليهود الى جبل الجيوشي .. كل يستجير بطريقته . الاتراك يتمتمون بالتركمانية . والمسلمون يصلون صلاة الاستسقاء . والقساوسة يبتهلون للعذراء المقدسه .. واليهود ينتظرون قدوم « ياسف » . والسفينة تخترق المتوسط وليس للربان لحية حمراء ، والدفتردار في السجن . والقرى التي كانت آهلة قد خلت من ساكنيها . ماتت الدجاجات قبل ان يستولى عليها الجابي .. والماشية التي بقيت كانت هزيلة .. مريضة .. على وشك الموت . والارض مشققة . تجري فيها ديدان غريبة لا تظهر الا في وقت الجوع . والسفينة تسير وسط زرقة صافية كانها تسبح الى السماء . وكانت سارة أجمل مما ينبغي .. وكانت تتمنى أمنية ..

ـ سوف نترك منزلنا في بولاق .. ونسكن في قصر على بركة الرطلي ..

وضحك « ياسف » وهو يقول ..

ـ نسكن وسط المسلمين .. ونحن يهود بولاق ..

وامتلأ البحر بالنوارس . وامتلأت شوارع القاهرة بالجوعى من اهل القرى والكفور .. وجاءت خلفهم جرذان الحقول الجائعة .. وامتلأت الازقة بالشحاذين والعميان وجثث الموتى . يخرجون من مخابئهم كالوباء ليهاجموا الاسواق وأفران الخبز . واجتمع الفقراء .. رجال ونساء وصبيان . وصعدوا الى القلعة .. الى حوش الديوان الذي يطل عليه اسماعيل باشا وهتفوا :

ـ جوعى ياباشا .. فقراء ياباشا .

والابواب مغلقة . محصنة والنوافذ بزجاجها الملون تتطلع اليهم في سخرية . وحمل الجوعى الاحجار وقذفوا الابواب الصامته وهشموا الزجاج الملون ثم هبطوا من حوش الديوان الى حواصل الغلال في « الرميلة » وحواصل الفول والشعير والقمح التي يملكها كتخدا الباشا . وهجموا عليها .. وكسروا الابواب .. ورفع احدهم يديه الممتلئتين قمحا .. فبكت كل النساء .. وفرد الجميع ثيابهم يعبئونها خليطا من القمح والفول والشعير ولم ينتظر الكثير منهم فأخذوا يمضغون الحبوب لعلها تعيد اليهم بعضا من العافية . وجاء فرسان « النيكرجية » وخيولهم تصهل .. هذه المرة لم تكن في ايديهم سياط لتاديب الرعاع ولكن سيوف باترة .. اختلط الدم بالقمح . ورؤوس الاطفال بالفول والشعير . وركض الجميع .. من موت السيف الى موت الجوع .. وبدأ الغلاء يعم كل شيء ....

.. ودخلت السفينة التي تحمل « ياسف » ميناء الاسكندريه ..

● كانت مفاجأة للباشا حين انضم الصناجقة للعامة

أيام الطاعون اليهودي

كانت الرحلة من الاسكندريه الى القاهرة اشبه بالرحيل داخل مقبرة . واصبح وجه سارة كئيبا وفقدت الكثير من جمالها .. من الذي يحلم بحكم الموتى .. وفي شوارع القاهرة كانت جثث الطاعون لا تجد من يدفنها .. والنيكرجية والقاسمية والبكوات وعسكر الوجاقات دخلوا خلف الاسوار ، وتركت المدينة نهبا مباحا للوباء ..

وفي بولاق كان اليهود في انتظاره وانحنى امام الحاخام وهو يعرض أمامه « البيور لدى » السلطاني .. لم يجد « ياسف » يهوديا جائعا .. ولا مصابا بالطاعون . كانت السنوات السمان والسنوات العجاف قد تركت انذارا مترسبا عبر كل أجيال التيه .. ومد الحاخام يده يبارك « سارة » ثم امر « ياسف » بالانتظار ..

وهدأت حدة الوباء قليلا .. وبدت مياه النيل التي تقطع رحلتها من خط الاستواء حتى المصب في المتوسط في مائة وخمسين يوما .. بدات تتحرك لتطمر الطين وتخفي كل ما في قاعها

من احزان . وحان الوقت ليصعد « ياسف » الى القلعة . وسار يهود بولاق خلفه .. جمع من الارديه والقلاسين السوداء عبر الشوارع التي هدها الجوع ..

وبدأ « ياسف » يحكم القاهرة .. ويحكم مصر. وكان اول امر اصدره هو الاستيلاء على قصر مراد بك الدفتردار على بركة الرطلي . وركبت سارة فوق بغلة مزينة من بولاق الى قصرها الجديد وتبعها حرس يحميها

الارض شراقي ، والنباتات تموت قبل ان تصعد ولكن الضرائب تتصاعد والمتاجر خالية الا من اعلانات المكوس . والاسواق فارغة الا من الحرس المسعور . امتلأ سجن العرقانة . وسجن المقشرة .. وجب القلعة . وانتشر اليهود مثل الغربان السود .. ومثل البثور على وجه المدينة .. داهموا بيوت اولاد الناس ونقبوا جدران المتاجر وحاصروا الصناع داخل احيائهم واوقفوا جراية الازهر .. واسماعيل باشا صامت لان السلطان راغب . ولانه يتوقع مكافأة مجزية لقاء هذا الصمت ..

وسارة تستقبل امراء الحرب من كل نوع وتعقد حلفها الخاص مع كل اطراف المماليك المتنازعة .. وياسف يحكم ..

وأمره الحاخام ان يسلم الارض المصادرة من الفلاحين لليهود . وكانت موافقة اسماعيل باشا شكلية. وتحول الملاك الى اجراء. وتلاصقت ضياع المماليك والاتراك واليهود .. ولم يبق شبر خال للفلاح .. ومرة اخرى غادر الفلاحون قراهم غرباء .. الى شوارع المدينة . وساحات المساجد وماوي الشحاذين والعميان.

- لابد من قتل ياسف ..

وصرخت جميع الاصوات . خرج الباعة والتجار والفلاحين والحرفيين .. من الازهر الى بركة الرطلي ..

الى قصر الدفتردار .. وصرخت سارة ونهض « ياسف » فزعا من على مائدة الغذاء .. تطلع من خلف الستائر الى الوجوه الغاضبة . احس بانفاسهم الساخنة تلفح وجهه. ولم يكن هناك وقت للتفكير . اسرع هو وسارة من الباب الخلفي. وهربا متخفيين عبر الحواري الى القلعة .

واحس اسماعيل باشا بالرعب .. ولم يكن امامه الا ان يخبيء ياسف خاصة بعد ان وقع بصره على « سارة » ..

وجاءت جموع الناس من البركة الى القلعة .. وكانت مفاجأة للباشا حين وجد الامراء والصناجقة قد انضموا للعامة .. والكل يهتف .. يطلب ياسف .. وصعد الامراء والصناجقة اليه ..

وتوصل الباشا الى حل يرضيه .. ويرضي الامراء ..

- سوف نضعه في سجن العرقانة ونرسل الى اسطنبول .. ثم ننظر في امره بعد ان يهدأ الجميع ..

ورضي الامراء . وانتقل «ياسف» الى العرقانة .وبقيت سارة في حماية الباشا ولكن الناس لم ترض .. لقد خدعت طويلا .. وجاعت طويلا .. وصرخوا ..

- اعطونا ياسف ..

وتضاعف الجمع وهم في طريقهم الى العرقانه . وكانت سيوف الحرس اعجز من ان تصدهم. وبوابات السجن الصدئة اضعف من وقف زحفهم .. وهرب الحراس قبل ان يهرب السجناء .. وظفر الناس بياسف اخيرا ..

صعدوا به تل المحجر وهو حي . وهبطوا به الرميلة وهو ميت .. ساروا به الى سوق السلاح تحت القلعة . جمعوا الحطب والاخشاب حول جثته .. وفي المساء ارتفعت السنة اللهب . اسدل الباشا ستائره .. وتنهد الناس في ارتياح منذ مدة طويله .. وظلت النيران مشتعلة .. لعلها تضيء طريقا ما .. خلال ليل الكابوس العثماني ..

محمد المنسي قنديل

جمال قطب

فنان الاساطير

بين جموح الخيال وإيقاع العصر الحديث

الذكاء والموهبة لعبا دوراً رئيسياً فيما وصل إليه فقد ساير روح العصر وخاطب كل المفاهيم والمستويات

من حقنا أن نتعرف على فنان الاساطير الامريكي « فرانك فرازيتا » الذي حقق من المجد الفني والشهرة والثراء ما جعله حديث المحافل الفنية الامريكية كافة ، والاكاديميات بوجه خاص ، حيث منحته جائزتها التي لا تقدمها الا لأحد العمالقة الافذاذ، ممن أضفوا على المسيرة الفنية العالمية مجالا وأبحاثا جديدة ..

وقد لعب الذكاء ـ بجانب الموهبة ـ دورا رئيسيا فيما وصل اليه (فرانك) فقد ساير روح العصر بايجاد المجالات المثيرة التي لم ينافسه فيها فنان غيره ، آخذا في اعتباره عناصر الذيوع والانتشار ومخاطبة كل المفاهيم والمستويات ، ولذلك ـ وبعد جهد شاق لا يقدر عليه الا الافذاذ ـ استطاع أن يجني ثمار نجاحاته المتوالية بسخاء وافر ، وأن ينعم بما تدره عليه أعماله ، ليعيش الان محاطا بمظاهر الثراء الواسع والمكانة الفنية الرفيعة .

ولعل روح العصر الحديث بمتطلباته المادية المعقدة ، تفرض على الفنان والعالم والباحث والمفكر بوجه عام أن يحيا حياة كريمة تتفق مع مكانته الخلاقة المبدعة ، وأن ينال حظه من متاع الدنيا لا كهدف في حد ذاته ، ولكن ، كوسيلة لامكاناته في العطاء الدائب وهو في مأمن من الضغوط القاسية التي يتسم بها طابع العصر فالفنان ـ بطبيعته ـ مرهف الحس والبصيرة ، ولكم يحدثنا التاريخ عن الفنانين من الرواد العظام ، وقد سحقتهم الظروف الصعبة ، فاستسلموا صاغرين ، بل وأسلموا الروح ذاتها واحترقوا بنار العبقرية التي أضاءت

للعالم عقله وبصيرته ، وبقيت أعمالهم الخالدة شاهدة على نبوغهم .

العمالقة الجدد

بعد أن تربع « نورمان روكويل » ـ فنان أمريكا الذائع الصيت ـ على عرش الاضواء منذ أوائل هذا القرن وحتى سنوات خلت ، لم تتحدث المحافل الفنية باعجاب كما تتحدث اليوم عن « فرانك فرازيتا » فقد اتخذ الفنان من الاساطير مجالا لابداعه ، وحلق بخياله الخصيب في أجواء الخيالات والاحلام ، وأخرج فنا فريدا هو موضع حديثنا اليوم !

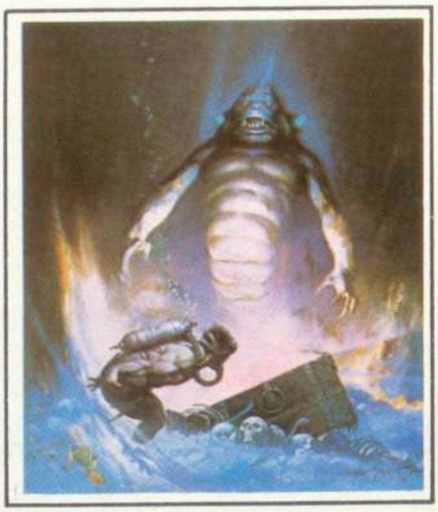

ولو عدنا الى طفولة « فرانك » الاولى في « بروكلين » لنجد أن ظاهرة غريبة قد بدأت بجذب الانظار في محيط عائلته : اذ كيف يتسنى لطفل في الثالثة من عمره أن يخط بالقلم رسوما متكاملة لأشخاص ومسميات من السهل التعرف عليها .

وكان أفراد الاسرة يجتمعون كل ليلة حول طفلهم المعجزة ، يتسلون برؤيته - بثقة وتمكن - كل ما تقع عليه عيناه الصغيرتان !

وشجع الوالد طفله بأن وفر له الاقلام والاوراق والالوان ، كما حشد الكثير من اللعب والاشكال الهندسية حوله في كل مكان .. حتى اذا ما بلغ الطفل الثامنة ، التحق بمدرسة متوسطة للفنون ، وسرعان ما اكتشف أساتذته موهبته المبكرة ، فنصحوا والده بالحاق هذا الفنان الصغير على الفور بأكاديمية بروكلين للفنون الجميلة ، حيث تقبل

روح العصر الحديث تفرض على الفنان والعالم والمفكر بوجه عام أن يحيا حياة كريمة تليق به كمبدع

كيف يتسنى لطفل في الثالثة من عمره أن يخط بالقلم رسوما متكاملة لأشخاص ومسميات من السهل التعرف عليها ؟

هذه الاكاديمية أصحاب المواهب من سن الثامنة حتى الثمانين ، ولا يشترك فيها الا أصحاب الاستعداد الفني فقط !

وقبل الوالد على مضض ، اذ كيف يوفر النفقات اللازمة لابنه الموهوب في مثل هذه الاكاديمية الشهيرة ، ولحسن الحظ ، سمع فنان أمريكي كبير يدعى (ميشيل فالانجا) من أحد أصدقائه بالاكاديمية عن هذا الطفل النابغ ، فاستقدمه الى مرسمه الخاص محتضنا اياه بعطف وحنان تعوضه عن رعاية والديه الفقيرين ، ولم يبخل الاستاذ على تلميذه بشيء فعلمه الكثير .. وأفاد التلميذ افادة ما كان ليحصلها في عشرات السنين لولا هذا الاستاذ الكريم ، وأظهر بدوره نبوغا أهله لان يشق طريقه في الحياة بثقة واطمئنان . ولم يطل العمر بالفنان (ميشيل) ففارق الحياة .. وكانت قد مضت ثمان سنوات على الفتى (فرانك) نهل منها من علم وخبرة أستاذه في مرسمه قبل أن يموت !

الطابع المميز

ووجد (فرانك) نفسه ـ وهو في سن السادسة عشر ـ وحيدا لاول مرة في حياته ، وكان عليه أن يشق طريقه بنفسه ليكسب قوت يومه ، ولم يجد بدا من أن يتطلع الى ممارسة (الفن التجاري) ، حيث تزخر أمريكا بالمئات والآلاف من دور النشر والطباعة تتلقف أي موهبة لديها من الاستعداد الفني والاجادة ما لدى فرانك ، لكي تغدق عليه لترهقه بالاعمال اليومية المتلاحقة .

وابتدأ الفنان طريقه من أوله : عمل رساما مساعدا للفنان (جون جينتا) الذي تخصص في رسم كتب (الكارتون) للاطفال وهو ما يعرف باسم (الكوميكس) . ويوما بعد يوم ، اكتسب فرانك خبرة ومهارة جعلت (جون) يكتشف أن مساعده كثيرا ما يتفوق عليه في الرسم ، وعرض فرانك أعماله القديمة التي أنجزها في مرسم أستاذه على (جون) .. فاعجب بها وصمم على طبعها في كتب مستقلة تحمل اسم فرانك لأول مرة في حياته .. ومما لفت النظر أن تلك الاعمال اكتسبت طابعا خياليا خاصا يتناول الاساطير بطابع مميز .. وكان ذلك عام ١٩٤٤ . ولم يحد الفنان عن هذا الاتجاه .. والى أكثر من خمسة وثلاثين عاما حتى اليوم .

الخيال المثير

ومن المؤكد أن اهتمام فرانك برسم الاسطورة ، وصنع تلك الاجواء الغريبة الغارقة في التصوير والخيال، لهو اهتمام نادر بين مئات الاساليب والاتجاهات المعاصرة ، فاشكاله تأخذ بالالباب وتبعث الدهشة والاستغراب، وتحلق بالوجدان الى آفاق رحبة من الخيال والغموض ..

وحتى النماذج البشرية العملاقة من المحاربين والمغامرين يرسمهم فرانك وهم يصارعون أنواعا خرافية من الوحوش والزواحف في أجواء يلفها الدخان والسحب والاطياف ، فتنقلنا الى عالم أسطوري تبدو شخوصه كالاشباح والرؤى .

ثم نلاحظ المهارة الفائقة في معالجة نماذجه تلك من النواحي التكنيكية ، مراعيا أصول فن التصوير كاعلى ما تكون عليه القيود والموازين الفنية من حيث التكوين والتجسيد والتلوين .

كما نلاحظ جليا مقدرته الفائقة

في ابراز العضلات بتناسق معجز ، وكأنه يستعرض عضلاته الفنية على غيره من منافسيه !

وفي عام ١٩٤٩ وصل به طموحه الى أن يعمل في ثلاث من دور النشر الكبرى في وقت واحد ! ابتكر خلالها شخصيات جديدة دخلت عالم الطفل حيث توالت مسلسلاته الشهيرة باسم (بك روجرز سيرياس) ٠

ثم أفردت مجلة (بلاي بوي) واسعة الانتشار صفحاتها للوحاته الملونة ، وتلقفته الجرائد اليومية ٠٠ وأغدقت عليه بأكثر مما يطلب ٠٠ ونشرت رسومه تباعا ليملأ اسمه الاسماع والابصار !

وفي عام ١٩٦٤ صعد نجمه الى عنان السماء عندما رسم لوحات خاصة كأغلفة لكتب ومطبوعات (ادجار رايس) عن شخصيته الشهيرة (طرزان) ٠٠ وجاءت الاحصاءات لتؤكد أن الملايين من هذه المطبوعات وبكل لغات العالم ، يباع معظمها لا لمحتواها ، ولكن لاقتناء لوحات فرانك الفنية !

وأرهق الفنان ارهاقا شديدا بين ضغوط آلات الطباعة الهادرة ٠٠ وأضواء الشهرة المتلألئة ٠٠ وكان قد وصل الى درجة ممتازة من الخبرة والاجادة ! فقرر أن يرفع لوحاته الى مستوى التحف الثمينة ، فما كان منه الا أن تغالى في أثمانها الى حد الارقام المذهلة ٠٠ وكتب عنه حينذاك أن فرانك انتهج في فنه أسلوبا جميلا ورائعا ٠٠ ولكنه انتهج في أثمانها مذهب اللامعقول !

وكان الهدف من هذا التغالي أن تتاح له فرصة لالتقاط أنفاسه وأن ينعم بقسط من الراحة بعد أن وصل الى هذه المرتبة من الشهرة والمستوى الرفيع ٠ ولكنه فوجىء بغير ما توقع، مخالفا تماما لمنطق الاشياء ! وهكذا جنون الشهرة والمال في أمريكا !

العالم الاسطوري

لقد تضاعفت الطلبات على أعماله وبالحاح غريب ! فلم يجد بدا من مضاعفة الجهد والغوص في أعماق عالمه الاسطوري المثير ، ليبدع بالمزيد من التفوق والاتقان !

انهالت عليه الاموال من كل جانب، وطارت شهرته حتى عمت الآفاق ، فاشترى قصرا فخما والحق به مرسما فسيحا رائعا ، وأحاطه بحديقة غناء، تتخللها حمامات السباحة المرمرية المضيئة ٠ وظهر اتجاه جديد بين كبار الناشرين ومحتكري الاعمال الفنية : فقد تسابقوا الى جمع لوحاته لا من أجل تزيين كتب الآخرين بها ٠٠ بل لكي يصدروا منها سلاسل فنية خاصة تتناول أعمال الفنان !

وظهرت مجلدات فنية تحمل اسم « عالم فرانك فرازيتا العجيب » ٠ وأعيد طبع الجزء الاول ست مرات ، وباع أكثر من مليوني نسخة ، واستخلصت لوحاته لأكثر من غرض ، فمنذ أربعة أعوام يقوم فرانك برسم نتيجته السنوية الانيقة يطبع عليها لوحاته وبأحجام مختلفة ٠ وبلغ التهافت عليها الى الحد الذي يضطر الناشرون ازاءه الى اعادة طبعها عدة مرات في أوائل كل عام ٠٠ وتوالت أجزاء المجلدات الفنية عن أعماله في الظهور ونشر منها حتى الآن ثلاثة ٠٠ تنفد عن آخرها بمجرد ظهورها الى الاسواق !

الفن الجميل

ويقف (فرانك) متصدرا حفلا مهيبا في قاعة المهرجانات بأكاديمية الفنون الجميلة في نيويورك ، ومحاطا بحشود الصفوة من رجالات الفن والفكر من أنحاء الولايات الامريكية، ليستمع الى مدير الاكاديمية وهو يتلو شهادة التقدير والاكبار لفنه وعبقريته المبدعة والتي قررت الاكاديمية منحها له عرفانا لدوره في اضافة ثراء جديد الى عالم الفنون الجميلة ٠٠ ويتسلم الفنان الجائزة الرفيعة ، ويسرح بخاطره الى سنوات كفاحه الطويلة ٠

ثم يجيل بنظراته في الصفوة الممتازة من الحضور ، ويغيض البصر فيما بين يديه من هذا التقدير الادبي الذي يسمو فوق أموال العالم بأسره ٠٠ ويهمس بالشكر لهذا الجمع الحاشد ٠

بل للبشر أجمعين ٠٠ ويعود الى قصره الرائع وهو أكثر حماسا للمضي في طريق المعاناة والاستمتاع ٠٠ طريق الفن الجميل !

جمال قطب

العمّ سيّد طبيب القلب

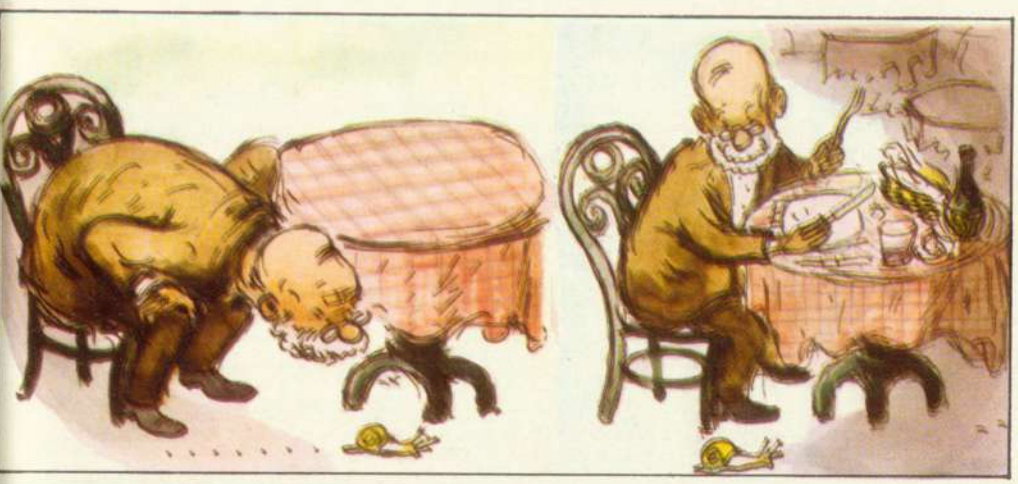

بريشة
الفنان
عبد السلام نور

أصول المهنة

توقف تعليمي الاكاديمي عند الثانوية العليا ـ واخذت اطرق ابواب العمل ، جبت عاصمة بلدي « الخرطوم » مكتبا مكتبا ـ وتزاحمت الاحرف المعهودة في ذاكرتي ـ لاتوجد وظائف شاغرة ـ تصفحت كل الصحف ، اليوم بعد اليوم حيث الاعلانات . وكل يوم لا اجد غير الوظيفة التي في حجم اكبر من مواصفات درجتي التعليمية الاكاديمية ـ واحيانا تكون في حجم درجتي الاكاديمية باضافة خبرة ، والتي هي ايضا تنقصني .

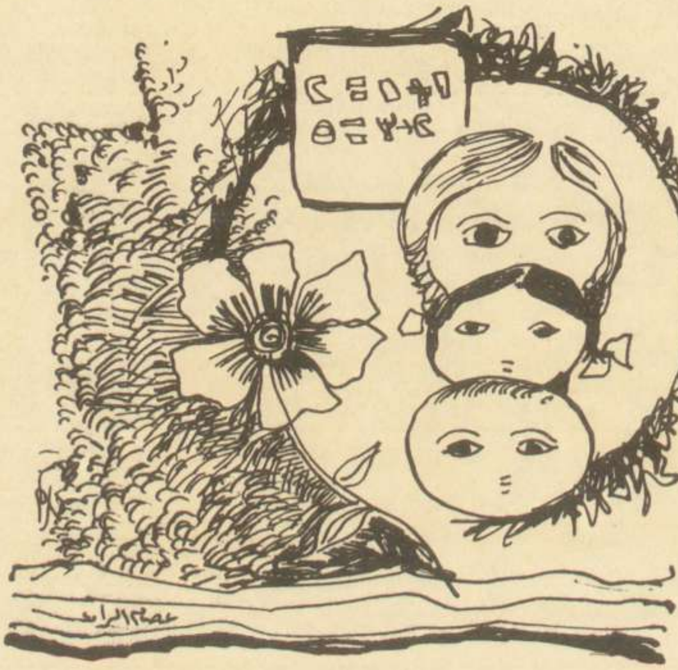

اخيرا علمت ان وزارة التربية والتعليم في بلدي اتاحت الفرصة لخريجي المدارس الثانوية العليا للعمل بالمدارس الابتدائية . اقبلت على المهنة بنهم المتعطش للمرتب .

تسلمت جدول عملي باحدى المدارس في مديرية الجزيرة ، وعمري لا يتجاوز التاسعة عشر .

القيت اول محاضرة لي وكانت بالصف الاول الابتدائي وكانت دهشتي شديدة في ذلك اليوم . اخذت اجوب الفصل يمينا ويسارا ، شرقا وغربا ، ورؤوس الاطفال تتبعني وعيونهم تعبت ورقابهم لا ادري ما اصابها وفي الشرح اخرجت كل ما في جعبتي من فصيح الكلمات وظننت اني اوفيت واخلصت وعلمت ، وعند سؤالي عن ما قلت وجدت اني كاني ما قلت ـ والدهشة بادية في وجوه الاطفال ـ وعندها ادركت ان كلامي كان قلعة جبارة امام جيش ضعيف العدة والعتاد ـ اعدت الكرة تلو الاخرى وما اجدى التكرار ـ فثار غضبي على الاطفال صغار ، واخذت اعالج عقولهم بالضرب المبرح ، فتكررت المأساة مع الفصول المختلفة . وعندما انتهى اول يوم دراسي لي في معركتي ، رجعت المنزل منهك القوى والاعصاب ، وقلبي ينزف دما من غباء الاطفال الصغار .

ودارت الايام وشعرت بمرارة العمل المضني . اندفاع شديد وثورة امام الاطفال لأتفه الاخطاء ـ واخذت ارثي لحالي ، فكرت كثيرا في ترك المهنة ، كان يجول بخاطري اني احترق دون جدوى. ثورتي مع الاطفال عرضتني للمشاكل مع آبائهم . واستمرت معاناتي ثلاث سنوات عندها ورد اسمي مع زملائي لتلقى فترة تدريبية بمعهد التربية لتدريب المعلمين .

وفي المعهد تلقيت دروسا في علم النفس والوسائل التعليمية وتقنية التدريس واسلوبه وفنه . وتلي الفترة التدريبية فترة اخرى . وعندئذ عرفت لماذا كان الاطفال اغبياء ؟ ادركت اني كنت غبيا في اسلوبي وعلمت لماذا كنت اجهد نفسي ؟ واقتنعت ان ثرثرتي كانت غباء وان ثورتي كانت طيشا . وشعرت بعظمة عملي ومهنتي ومسئوليتي . واصبح الان الطفل صديقي . وعلمت ان ضعف استيعابه ضعف في كفاءتي واسلوبي . واب الطفل الذي كان عدوا لدودا اصبح احد الاركان التي اعتمد عليها في تحديد سلوك تلميذي ومواهبه والآن اخذت ازور اطفالي في منازلهم وازور آباءهم . فالتلميذ صديقي وابوه والدي واخي . ومهنتي شرف اعتز به لا ارضى له بديلا .

مصطفى احمد دفع الله
السودان

● على مدى شهور ١٩٧٩ لم يمض يوم واحد على الاطلاق دون ان يسقط شخصان على الاقل قتل بالرصاص أو بالسيف أو اية وسيلة اخرى للاعدام . وبلغ عدد الذين قتلوا بناء على اوامر رسمية ٧٠٠ شخص على الاقل .

« وكالة رويتر »

● اكره السياسة . الفكر السياسي لم يعط لتاريخ الانسانية الا بعض المرضى بجنون العظمة الذين يتوهمون انهم يستطيعون حل المشاكل الكبيرة فيفسدون كل شيء ..

« الممثل العالمي وودي آلن »

المملكة العربية السعودية

القصة في المملكة العربية السعودية

محمد منصور الشقحاء

فن القصة في المملكة العربية السعودية

« الخبز والصمت » قصص قصيرة لمحمد علوان ، و « النساء والخيل » مجموعة اخرى لخليل ابراهيم الفزيع ، « وموت على الماء » مجموعة ثالثة لعبد العزيز مشري ..

المجموعة الاولى طبعت عام ١٣٩٧هـ بالقاهرة ، والثانية عام ١٣٩٨هـ بالدوحة والثالثة عام ١٣٩٩هـ بالرياض .

لم يكن اختياري لهذه المجموعات بطريق الصدفة او لعلاقة خاصة بالمؤلفين .. رغم انه في هذه الاعوام الثلاثة صدرت اكثر من عشرين مجموعة قصصية ورواية في المجلة العربية السعودية ، منها ست مجموعات قصص قصيرة ، وروايتان صدرت كلها عن نادي الطائف الادبي ثلاث مجموعات ضمن سلسلة القصة التي يحاول النادي اصدارها بشكل جماعي ومنتظم لخدمة الباحث والكاتب الذي يبحث عن نماذج القصة السعودية للاستعانة بها في تحديد هويتها .

ومحمد علوان من الكتاب الشباب في دنيا القصة ، وقد قام القصاص يحيى صفي بتقديم المجموعة فقال عنه (انني واثق ان المؤلف سيحقق املي فيه ، فهو يثبت لنا في قصته الاتجاه شرقا انه قادر على ان ينطق هذا الانسان الذي يحدثنا من خلال السطور بالايمان ، بالحياة ، والخير وقيمة الجهاد لنصرة الحق) .

اما عبد العزيز مشري فقد حدد علي الدميني كاتب مقدمة المجموعة ملامحه حيث قال :

مع كل الملاحظات التي حددناها في هذه المقدمة الا ان مجموعة عبد العزيز مشري القصصية تتميز بسمات بارزة منها :

١ ـ النحت الخاص للمفردة .

٢ ـ الصدق الفاجع في التعبير .

٣ ـ الكم الشعري المتدفق في عباراته .

٤ ـ التشكيل الاقرب الى الرسم في تلوين الصورة ودمج مفرداتها .

هذه الملامح تعطي للكاتب نكهة خاصة تكمن بوضوح في قدرته الفنية على نحت الكلمات وبنائها في نسق لا يكرر نفسه ولا يقلد غيره ، ولعل موهبته كفنان تشكيلي ساعدته على محاولاته الدائمة لاعادة كتابة قصصه اكثر من مرة وبصيغ متجددة من الناحية الفنية .

اما خليل ابراهيم الفزيع فهو كاتب قصة متمرس له اكثر من مجموعة ، وقصصه القصيرة منتشرة في جميع الصحف العربية وان كان يلاحظ عليه (اتباع اسلوب النصح والارشاد والحكاية الطريفة) .. انما الملاحظ ايضا عليه الاستعداد الكامل لان يكون كاتب قصة قصيرة في عداد كتاب القصة العرب .

اذا لماذا عندما نجد احد النقاد العرب يتحدث عن القصة يتجاوز ولي اعمال القصة السعودية التي كانت بدايتها مع النهضة الادبية العربية ، وكانت لها اوليات ، ولكن ذات طعم خاص ومذاق مميز ..

اذ ان بداية القصة السعودية لم تكن ترجمات او تعريب كما كانت البداية في مصر وسوريا ولبنان بل كانت البداية من التراب والبيئة التي انطلقت منها ، اذ ان القصة القصيرة السعودية كانت (عربية البذار والاروحة) غير مجهولة النسب ..

وعندما تحدثت مجلة الثقافة السورية في عددها لشهر تموز ١٩٧٨ عن فن القصة في المملكة العربية السعودية ، قالت (التاريخ لبداية فن القصة في ادب المملكة العربية السعودية بصورة دقيقة يكاد يكون ضربا من الوهم لاننا قلنا انه بدا على صفحات الدوريات من صحف ومجلات ابان بواكيرها وهذه البواكير قد ضاع معظمها) .

وفي البحث الذي قدمه الدكتور منصور الحازمي لمؤتمر الادباء السعوديين المنعقد عام ١٣٩٢هـ . بعنوان الرواية في الادب السعودي الحديث ان الاستاذ عبد القدوس الانصاري صاحب مجلة المنهل اصدر عام ١٩٣٠م وقبل تاسيسه لمجلة المنهل بحوالي سبع سنوات قصة طويلة في شكل كتيب تحت عنوان « التوامان » . وكتب على غلافها (اول رواية صدرت بالحجاز) . ثم قسم فن الرواية الى انواع اربعة :

١ ـ الرواية التعليمية الاصلاحية .

٢ ـ الرواية التاريخية .

٣ ـ رواية المغامرات .

٤ ـ الرواية الفنية .

فمن النوع الاول حدد الاسماء التالية « التوامان » للاستاذ عبد القدوس الانصار . « والبعث » للاستاذ محمد علي مغربي « وفكرة » للاستاذ احمد السباعي .

وتحت لواء الرواية التاريخية « امير الحب » للاستاذ محمد زارع عقيل .

اما رواية المغامرات فقد كان حظها من الانتاج غزير منها « الارقاء » لمحمد عالم الافغاني « والزوجة والصديق » لمحمد عمر توفيق ، « وعذراء المنفى » لابراهيم الناصر « وثقوب في رداء الليل » لابراهيم الناصر ايضا ، « والقصاص » لعبد الله سعيد جمعان « وثمن التضحية » لحامد دمنهوري . الخ .

اما الرواية الفنية فقد حدد بروايتي

المرحوم القاص حامد دمنهوري « ومرت الايام وثمن التضحية » وان كانت الروايتان تندرجان تحت لواء الرواية المغامرة .

اذا نصل الى ان فن القصة في المملكة العربية السعودية قائم بذاته وبدايته كبداية القصة الادب العربي وان اختلفت في الاصول .

وقد شارك ادباؤنا المشاركة الداعية . ولكن كان التجاوز والاهمال من الدارسين العرب للقاص السعودي مرجعه عدم الانتشار رغم ان ٥٠٪ من هذه القصص او الروايات تم طبعها خارج المملكة في مصر وسوريا ولبنان .. ولكن الملاحظ ايضا ان الاصوات الموجودة كانت لا تفي هذا التواجد وهي تعيش التطاحن في الداخل .

لهذا وانا احاول ان اقدم شيئا من التعريف للفن القصصي في المملكة العربية السعودية من خلال الاصوات الحديثة في دنيا الادب . لا اقصد من خلال ذلك التقييم او النقد ..

فبالاضافة الى الاسماء الثلاثة المدونة في بداية حديثي هذا ، هناك اسماء عديدة منها على حسب المثال لا الحصر :

ناصر العديلي وحسين علي حسين وفهد الخليوي وفوزية البكر وحصة التويجري وعبد العزيز صالح الصقبي وعاشق الهذال وعبد الله باقازي وهدى عبد المحسن الرشيد وغالب حمزة أبو الفرج .

اذا هناك اسماء لامعة في القصة السعودية ومنتشرة صحفيا ولها مجموعات منها ما طبع في الداخل .. ومنها ما طبع في عالمنا العربي .. لكن كان حظها من الانتشار في عالمنا العربي رديئا جدا ، وهذه اضاءة لعلي بها استطيع ان اقدم شيئا لكل باحث يهتم بالتدوين ويحرص على ان يكون عمله كاملا.. وبالله التوفيق ..

محمد المنصور الشقحاء
الطائف

دولة الإمارات العربية المتحدة

مدخل لدراسة التراث الشعبي

أسامة فوزي

في مطلع السبعينات بدأت حركة جمع المأثورات الشعبية ونشرها في كتب مطبوعة تأخذ طابع المنافسة بين اكثر من طرف واكثر من جمعية وقد ادى هذا التنافس الى ظهور عدة مؤلفات خلال فترة قياسية لاتزيد عن ثلاث سنوات ، فظهر (معجم الالفاظ العامية) لفالح حنظل في ٦٨٦ صفحة من القطع الكبير ، وقد اشار مؤلفه الى انه قضى ست سنوات في جمع الالفاظ وتبويبها وتدقيقها ، كما ظهر كتاب (العادات والتقاليد في دولة الامارات) لمؤلفه الشيخ (احمد بن الشيخ حسن) رئيس لجنة التراث والتاريخ في (١٤٠) صفحة وظهر كتاب (الشعر النبطي) للدكتور (احمد امين المدني) وكتاب (الامثال الشعبية في الامارات) لمؤلفه (ابراهيم راشد الصباغ) و (بادية الامارات عادات وتقاليد) لحسن قايد و (التراث الشعبي في الامارات) لكاتب هذه السطور بالتعاون مع خمسة من طلابي ، كما صدرت عن مركز الوثائق والدراسات مجموعة شعرية مشتركة لشعراء شعبيين معروفين ، وقد علمت مؤخرا أن الدكتور (عاطف واصف) استاذ العلوم الاجتماعية في جامعة الامارات قد فرغ من اعداد بحث عن (الحكاية الشعبية) أو (الخروفة) في الدولة وبهذا الجهد يكون الباحثون قد طرقوا جوانب مختلفة متنوعة ومكملة لبعضها من التراث الشعبي في الامارات رغم اختلاف مناهجهم في البحث ، ورؤيتهم لعملية الجمع واسلوبهم في الكتابة .

● ● ● ●

هذه الدراسات تمكنت من الاحاطة باكثر الابعاد اهمية في هذا البحر الزاخر من المأثورات الشعبية .

● فمعجم فالح حنظل (الالفاظ العامية في الامارات) استطاع ان يحيط باكثر من سبعين في المائة من الالفاظ العامية الدارجة في الدولة فكان بحق (نواة لموسوعة شعبية حاوية كل الوان الادب الشعبي والممارسات الشعبية) من ماكولات شعبية الى العاب الى عادات زواج وطلاق الى رقصات واشعار الى وسائل شعبية للعلاج كما تضمن المعجم مقارنات لغوية مهمة وقد وفق مقدم ومراجع المعجم (غسان الحسن) في الكشف عن الاصول اللغوية للالفاظ العامية وربط كنوز العامية بالفصحى وقد رتب واضع المعجم مفرداته حسب صيغتها التي هي عليها دون الرجوع الى جذرها المجرد لأن في ذلك تسهيلا .. فالعامية قد (تستخدم صيغة معينة من الجذر الواحد ولا تستخدم الجذر نفسه او ما يتفرع عنه من صيغ اخرى) وهكذا ...

● ● ● ●

● أما كتاب (العادات والتقاليد) للشيخ محمد بن احمد بن الشيخ حسن رئيس لجنة التراث والتاريخ ، فمنهجه يقوم على الفصول التي تتوزع العادات والتقاليد والامثال الشعبية بينها ، فهناك فصل الزواج بكل تفصيلاته وشروحاته ثم فصل المراة ولباسها وحليها ...

وفصل الامثال الشعبية ومناسباتها ، ثم الاكلات الشعبية فالعلاج الشعبي وغير ذلك ومع أن المؤلف اكتفى بالايجاز في معظم هذه الموضوعات ومال الى التكثيف والتركيز في الشرح والعرض إلا انه توسع في باب الامثال الشعبية فاحاط باهمها ، وشرح اصولها بلغة عربية سليمة يكثر فيها السجع وحسن التقسيم

دولة الإمارات العربية المتحدة

والاحالة وغير ذلك من سمات النثر العربى القديم .

● واذا كان كتاب (العادات والتقاليد) قد احاط « لمسا » باكثر من وجه للمأثورات الشعبية فى الامارات فان كتاب (الشعر النبطى) للدكتور (احمد امين المدنى) قد مال الى التخصص ، حيث اضاء المؤلف كل ما يتعلق بالشعر النبطي من الانواع والخصائص فميز بين ستة انواع هى على التوالى (القصيد) و (المربوع) و (الرزحة) و (العازى) و (الميدان) وقد مثل لكل نوع بمقاطع من الشعر المعروف المتداول ... كما افرد فصلا ليترجم لأشهر الشعراء الشعبيين في الامارات من امثال (ابن ظاهر) و (ابن قطامى) و (سالم العويس) وغيرهم وقد ظهر منهج الدكتور العلمي فى البحث كاوضح ما يكون وفى الشرح والتحليل وربط الظواهر بعللها ومسبباتها .

● ويشترك كتاب (الامثال الشعبية فى الامارات) لابراهيم راشد الصباغ مع كتاب الدكتور المدنى بخاصية الاحاطة بموضوع واحد ... والتخصص به ... واضاءة مختلف الابعاد التى يطرحها .. وقد وفق المؤلف فى جمع مئات الامثال الشعبية وسرد حكايات بعضها وشرح الفاظها ثم عقد فصولا للمقارنة بينها وبين مثيلاتها فى الدول العربية : « فلسطين » والاردن » و « مصر » ولكن دون ان يعمق فى شرح هذه العلائق والخصائص الامر الذى افقد هذه الصفحات الكثير من اهميتها .

● ويلتقى كتابا (بادية الامارات) و (التراث الشعبى فى الامارات) فى اكثر من نقطة ولكنهما يفترقان كذلك فى اكثر من زاوية ، فنقطة الارتكاز فى الكتابين محاولة طرق اكثر من موضوع مثل : (الرقصات الشعبية) و (النخيل) و (الجمال) و (الماكولات الشعبية) لكن الاختلاف يتركز فى عملية الشرح والتقديم ففى حين يعقد (حسن قايد) فى كتابه (بادية الامارات) اكثر من مقارنة بين الامس واليوم ثم يطنب فى الشرح والعرض باسلوب الصحافة ويعطى بين الفينة والفينة بعض النصائح المباشرة نجد ان كتاب « التراث الشعبى » يحاول أن يرسم صورة لما كانت عليه هذه العادات والتقاليد دون ان يتدخل الباحثون كثيرا فى عملية التسجيل اللهم الا فيما يتعلق بشرح المبهم من المصطلحات وانماط السلوك ، مثل تفسير معنى كلمة (عيّالة) ــ وهى الرقصة الشعبية المعروفة فى الكويت باسم العرضة ــ وغير ذلك من شروح ولعل ميل (حسن قايد) للشرح والتوضيح وتقديم النصائح يرتبط بعمله كصحفى خاصة وان معظم فصول كتابه كانت قد نشرت كمقالات وتحقيقات ميدانية فى جريدة (الاتحاد) اليومية الصادرة فى (ابو ظبى) .

● ومع ان البحوث التى قدمت حتى الآن تعطى ابعادا جديدة فى تقييم الفنون الشعبية كما تلقى اضواء على جوانب هامة من الابداع الشعبى الا اننا نشعر بان الطفرة التى حدثت فى هذا الميدان البكر خلقت نوعا من (الفوضى) و (التضارب) سواء فى المقدمات او النتائج أو حتى طرق التسجيل ومناهج البحث المعتمدة

ففى الوقت الذى اعتمد فيه الدكتور (احمد امين المدنى) على منهج علمى فى البحث ينبع من صلب المادة الشعبية التى احاط بها وهى (الشعر النبطى) نجد ان الدكتور (عاطف وصفى فى بحثة عن (الحكاية الشعبية فى الامارات) يحاول ان يفرض منهجا اوربيا على البيانات التى جمعها وذلك من خلال الارتكاز في بحثه على نظرية الامريكى (وليام باسكرم) التى تحدد ثلاثة جوانب عند دراسة عناصر التراث الشعبى وهذه الجوانب هى :

(١) السياق الاجتماعى
(٢) السياق الثقافى
(٣) الوظائف التفصيلية

وباسلوب مبالغ فيه عرض الدكتور هذه المحاور الثلاثة على البيانات الخاصة بالحكاية الشعبية دون ان ياخذ بعين الاعتبار ان نظرية (باسكرم) هذه خليط من نظريات متباينه لا يمكن الركون إليها فى فهم وتحديد وظائف الحكاية الشعبية فى الامارات وهى خلاصة نظريات خاصة جدا فى فهم الاسطورة ، نتجت عن تجارب خاصة ومحدودة ايضا فالعالم الانثروبولوجى (مالينوفسكى) وضع نظريته عن الدور الذرائعى الذى تلعبه الحكاية والاسطورة ــ وهى النظرية التى اخذها عنه باسكرم ــ بعد تجربة خاصة جدا قضاها بين القبائل البدائية فى المحيط الهادىء وبالتالى فان فهمه للدور الذرائعى الذى تلعبه الاسطورة ناتج عن دراسة محدودة جدا لعينات بشرية متخلفة جدا لا يمكن باى حال تعميم نتائجها على الشعوب الاكثر تحضرا .

● ومع ان هذا الماخذ ينسحب على دراسات غالبية الباحثين العرب الذين يعملون فى جمع وتحليل المأثورات الشعبية الا ان الكم الذى يقدمه هؤلاء لشرح وتحليل تراثهم تخلق نوعا من التوازن بين وجهات النظر وتعطى بالتالى الرؤية الغربية للتراث مكانها المحدد غير المتضخم الذى لا يزيد عن كونه وجهة نظر فى بحر متلاطم من وجهات النظر الاخرى ، ولكن الخطورة هنا ــ فى الامارات ــ ان الدراسات التراثيةمازالت بكرا وان عمرها لا يزيد عن عدد اصابع اليد الواحدة كما انها كلها كانت فاتحة لغيرها فهى اذن دراسات رائدة قد تصبح فيما بعد منهجا وطريقا يحتذى كما ان نتائجها قد تريك اى باحث جديد يختار منهجا عربيا ، لان النتائج التى سيتوصل اليها الباحث الجديد ستختلف بالتاكيد مع نتائج سابقيه من مقتبسى المناهج الاوربية الذين لم يوفقوا فى تطويعها لتوافق طبيعة المادة الفولكلورية العربية .

ثم اننى اميل الى الاخذ بمبدأ سبق واشاراليه الاستاذ (صفوت كمال) فى مقالته عن (مناهج بحث الفولكلور العربى بين الاصالة والمعاصرة) المنشورة فى مجلة (عالم الفكر) لعام ٧٦ وهو ان عملية جمع وتسجيل مواد المأثورات الشعبية هى الاساس ثم تاتى بعد ذلك خطوة الدراسة الوصفية لهذه المادة ولأن البحث الفولكلورى فى الامارات مازال بكرا فان الحاجة تدعو الى تشجيع مبدأ الجمع والتسجيل فقط فى هذه المرحلة بالذات وبعد اكتمال الجمع والتسجيل او على الاقل ، بعد قطع شوط لا باس به تبدأ خطوة ثالثة لوضع منهج عربى فى بحث الفولكلور يتوافق مع طبيعة المادة من ناحية والمجتمع الذى انتهج هذه المادة من ناحية ثانية .

وبغير هذه الخطوات لن يتمكن الباحثون من اجراء الحوار الذى تحدث عنه الفيلسوف الفرنسى الشهير (جاك بيرك) ... فهو يقول :

(التراث هو الماضى يحاور الحاضر عن المستقبل وهو ليس مجموعة مكدسة من الانجازات الكلاسيكية بل لعله الامكانات والكوامن التى غطتها تلك الانجازات وعلينا ان نرد تلك الكوامن الى نشاتها واستلهام قيمتها الخاصة ومنطق تطورها الخــــاص)

. اسامة فوزى

العين ــ

الامارات العربية المتحدة

تــونــس

الشعر التونسي على ابواب الثمانينات

محمود الماجري

تميزت الحركة الادبية فى تونس بركود نوعى بعد انتهاء تجربة الطليعة فى السبعينات واستقالتها من الميدان الابداعى من ذلك لاحظنا انه منذ ١٩٧٢ الى الآن لم نر حركية فى ميدان نشر المؤلفات ولم نشاهد تجمعا ادبيا خرج بالادب التونسى الى الجمهور . لكن الظاهرة الصحية التى بدات تدب فى الميدان الثقافى يمكن أن تبشر بميلاد حركة جديدة من ذلك الايام الشعرية التى نظمتها دار الثقافة ابن رشيق على امتداد اسبوع كامل بداية من ١١ كانون الثانى (جانفى) ١٩٨٠ حتى ١٧ منه والتى جمعت الشعراء : الميدانى بن صالح ونور الدين عزيزة والبشير القهواجيى وعلى دب والطاهر الهمامى ويوسف رزوقة وعبد الحميد خريف والمنصف المزغنى .وسوف عبيد .وسويلمى بو جمعة ومحمود الماجرى ومحمد العونى ومحمد الطاهر الضيغاوى وعزوز الجمين وادم فتحي ومحمد الحبيب الزناد .

إن اغلب اشعار هذا الفيلق من الشعراء تندرج ضمن البحث عن كتابة جديدة تبتعد عن بعض القوالب الجاهزة التى اصبحت ممجوجة محاولة بذلك الاضافة الى رصيد الشعر فى تونس دون التنصل من الهوية العربية الاصيلة ودون السقوط فى الغموض والابهام لكن هذا لا يعنى ان الاصوات التى استمعنا إليها متشابهة الى حد اطلاق حكم نقدى يعنيها كلها بل هناك خصوصيات تتعلق بكل شاعر على حدة وذلك يظهر فى نوعية الانتماء الفكرى وفى كيفية التعامل مع اللغة لاخراج القصيدة الى حيز النور. فتجربة كل من سوف عبيد ومحمود الماجرى ومحمد العونى مثلا لها مناخاتها الخاصة وعندما ننظر فى بعض اشعارهم نلاحظ مدى اختلاف الكلمة عند كل منهما .

يقول سوف عبيد فى إحدى القصائد :

الشجر ...\
كان ينفرنا الضما\
الرمل ...\
كنا فى سرير العشق\
المطر ...\
كنا نخلع ثيابنا ونرقص

ويقول محمود الماجرى :

يقاتلنى الشوق اليك\
تهجرنى العيف\
تقفو خطاك\
وانت الخطيئة\
يقاتلنى الحزن عليك\
اسير\
تحملنى الرجل\
صوب طيور ماء البحيرة\
اقول اصيد طيورا\
فاذ المصب ينادى الطيور

ويقول محمد العونى فى قصيدة : ابو القاسم الشابى

وانت الذى جذره\
فى قرارة ضلعى\
واطرافه فى السماء\
شموس النوازع والرغبات\
تداهمنى عند بدء الصباحات\
بالكبرياء .....\
ترى من تكون ؟

ونظرا لهذا الاختلاف الواضح بين الشعراء كانت اهم القضايا التى طرحت للنقاش مختلفة ايضا ومتنوعة ومن القضايا التى فرضت نفسها فى اغلب الايام : الغموض الابهام والتقريرية والمباشرة والمعادلة بين الشعر والسياسة والخصوصية والكونية وطرق التعامل مع التراث ان هذه القضايا مرتبطة عضويا بالكتابة الشعرية وبدون طرحها يبقى الشعر هامشيا ويصبح نوعا من التسلية الرخيصة كذلك لا مفر من طرحها واعادة طرحها فى كل المناسبات . واخيرا لقد سمح هذا اللقاء لمتتبع الحركة الشعرية فى تونس من القرب ، ان يلاحظ ان الشعراء التونسيين يطرقون بوابات الثمانينات باصرار وان الجمهور التونسى على عكس ما يقال : متعطش الى سماع اصوات متميزة تساهم فى الدفع بالحركة الثقافية الى الامام .

محمود الماجرى

لبــنــان

أول بيبلوغرافيا لأديب عربى

في اليوبيل الفضي لاقامة متحف فيلسوف قرية الفريكة اللبنانية امين الريحاني كرم الاديب اللبناني الراحل بأن اصدرت عنه اول بيبلوغرافية عربية يمكن ان تصدر لأديب في كتاب ضخم يقع في (٥٥٠) صفحة من الحجم الكبير .

واعلن البرت الريحاني شقيق الاديب الراحل ان البيبلوغرافية التي تسمى (أين تجد امين الريحاني) استغرق انجازها حوالي تسع سنوات ما بين تحقيق وطباعة واخراج وتكمن قيمة هذا العمل في اعتباره دليلا ادبيا مفصلا وموسعا في الوقت الذي تندر فيه ادلة الادب او كتب البيبلوغرافية العربية .

وتحتوي البيبلوغرافيا عوضا عن سيرة الريحاني ونتاجه بل عل ما كتب في السيرة وما اتى عليه من نشاطات مختلفة تتناسب مع مواضيع كتاباته المتنوعة في الفكر والادب والسياسة والفلسفة والاجتماع والاصلاح وفي الوجوه النقدية المتعددة .

وتجدر الاشارة هنا ان المؤسسة العربية للدراسات والنشر قد تولت طباعة هذا الكتاب باللغتين العربية والانجليزية وينوي الناشر نشر الاعمال الكاملة للريحاني ومنها ما ينشر للمرة الاولى مثل « قصتي مع مي » و « شذرات الصبا » و « وصيتي » و « ورسائل سياسية » وهي غير الرسائل بينه وبين الملوك العرب هذا عوضا عن مخطوطاته الانجليزية التي ستجد طريقها للنشر ايضا مثل قصة « دكتور ديلا بلا » ورواية « جيهان » و « درس في الف ليلة وليلة » و « من قبائل الميا في المكسيك » من وحي زيارته المكسيكية عام ١٩١٧ بالاضافة الى رسائل بينه وبين ادباء وبينه وبين زوجته وبعض الرسائل السياسية .

من كل نبع قطرة

شوقي .. والدوران حول رأس الرجاء الشعري

واليوم ختام جولتنا مع دول العرب وعظماء الاسلام والتي امتدت ثلاثة لقاءات ٠٠ نلتقي اليوم أيضا بهذه القصيدة التي بشرنا بها والمحنا اليها وحكمنا باستحقاقها لسجدة الشعر لتمكن « شوقي » فيها من جميل التناول وأصيل الالتفات الى الاشارات والدلائل ٠

ومع أنها على غير ما اعتاد شوقي في مطالعه وكيف أنها استهلال وتمهيد لهدف القصيد ٠٠ وهو ما درج عليه الشعراء القدامى ٠٠ يبدأون بالنسيب ويتخلصون منه الى هدفهم بذكاء أحيانا وافتعال أحيانا ويتفاوتون في رتبهم الشعرية بقدر تفاوتهم في حسن العبور وكفاءة التخلص ٠٠ ولكن شوقي لم يمهد ولم يعبد ولم يحاور بالمحسنات أو يناور بالدوران حول « رأس الرجاء الشعري » ٠٠ لم يفعل شوقي شيئا من هذا بل رشق سهمه منذ البداية وحدد هدفه ليس في أول بيت ٠٠ بل وفي أول كلمة :

« محمد » سلالة النبوة
ابن « الذبيح » الطاهر الأبوة

وهل هناك استهلال أروع من اسم « محمد » ؟٠ وفي هذا البيت الذي لا يتجاوز سبع كلمات يطوف « شوقي » بملمحين بارزين فمحمد صلى الله عليه وسلم من « سلالة النبوة » وأسرة الرسالة المصطفين بالوحي والتنزيل ٠٠ والثانية ـ عليه الصلاة والسلام ـ ابن « الذبيح » ٠ الذي هو اسماعيل بن ابراهيم والذي افتدته السماء بذبح عظيم ، ويقول النحاة والصرفيون ان ذبيح على وزن « فعيل » بمعنى مفعول « مذبوح » وانما لقب اسماعيل كذلك باعتبار أنه كان في حكم « المذبوح » وكان ما بين رقبته والسكين يسمح بالكاد للشعرة أن تمر ٠٠ وأتنحى قليلا

احمد شوقى

لنسمع صوت شوقي أمير الشعراء في منتخبات من هذه القصيدة الفريدة :

محمد سلالة النبوة
ابن الذبيح الطاهر الأبوة
العربي طينة نبيلة
القرشي الباذخ القبيلة
قد نزل اليتم به جنينا
لم يتهيب سيد البنينا
وشب حلوا سمته ودله
ليس له من اليتيم ذلة
منحرفا عن الدمى صبيا
وهكذا من يجتبى نبيا
مبرءا من ترق وطيش
وخيلاء في بني قريش
قد حاز من مواهب السعادة
ما لا يحوز بشر في العادة
اكرم من صوب الحيا نصابا
وأجود الناس بما أصابا
وقائد الخيل فتى وكهلا
وكان في المهد لذاك أهلا
ان حاد في الكرب الكماة لم يجد
قد علمت ذاك حنين وأحد
وزائد الحقوق والمحامي
عن جاره وواصل الارحام
الاصبح الافصح في المجامع
الحلو في العيون والمسامع
من جرية الوحي على لسانه
أعيا المجيدين مدى احسانه
حديثه حلاه اسماعيل
وبله بريقه جبريل
حلية من صاغ الكلام وعلم
وكيف لا وهو جوامع الكلم
كان رسول الله في شبابه
لا يدع الرزق وطرق بابه
أي رسول أو نبي قبله
لم يطلب الرزق ويبغ سبله
موسى الكليم استؤجر استجارا
وكان عيسى في الصبا نجارا
لما أخال الرشد والهداية
وانقشع الضلال والغواية
دعاه داع لم يكن بالبال
الى انتياب أروس الجبال
يصعد مثل « النجم » فيها موفيا
وينزل « الكهف » بها مستخفيا
بات على « الاخلاص » و « الايمان »
وطالت « السجدة » للرحمن
و «الكافرون» و «قريش» و «البلد»
« لم يكن » الأمر لهم على خلد
حتى أتى « الفتح » وجاء « النصر »

واستقبل « النبا » العظيم « العصر »
وهبط « النــور » عليـه وحيــا
ونزل « الفــرقان » فيه تحيــا
منـــزلا بحســب الزمـــان
مفصــل اللؤلــؤ والجمــان
كان ابتــداء الوحــي فــي حــراء
فاتحـــة الرســـالة الغـــراء
الله خــير خلقــــه اعطـــاها
وحمــل الأمــر العظيــم طــه
ناجاهمـــو ببينـــات ربـــه
فـآمنت « بنت خويــلد » بـــه
فقيــل فيهــا أســبق الانـــاث
وفي « عـــلى » أسبق الاحـــداث
وفي الرجــال « لأبي بكر » يـــد
بالسبق لـم يبلغ مداهـــا ســيد
وكانت الدعـــوة بالكتـــاب
وحجـــة الله عـــلى المرتـــاب
فلم تزل حتى انثنت بحمـــزة
وانقلبت بعمـــــر فعـــزت
ودخـــل المستضـــعفون فيهـــا
وكلهم خـــوف الأذى يخفيهـــا
عذب بعضــــهم ربيط الجـــاش
وبعض التجـــا الى النجـــاشي
حتى أظـــل العرب الاســـلام
وشــــمل الجـــزيرة الســـلام
وبلغ الصـــم بـــلاغ الداعي
وأسمعتهـــم حجـــــة الـــوداع
هنـــاك ....
حـــــان أجــــل الطبيـــب
وحــــكم المحب فــي الحبيب
سبحان من لـه البقاء دون حــد
وليس فوق الموت دونه احـــد

● ●

وقـــد اجتزأنا فلم نبســط كما بسط ، وانما اخترنا ليس ما يناسب المقام فكلها مناسبة وانما ما يتوافق ومقتضيات المساحة المتاحة ·· ورغم هذا الاجتزاء والاختيار ـ وهـــذه حسنة للقصيدة ـ فاعتقادي تسليمكم معي بأهلية استحقاقها لسجدة الشعر لما فيها من جميل التناول وأصيل الالتفات الى الاشارات والدلائل ·

والحق أن اشـــاراتها ذكيـــة واستدلالتها أكثر ذكاء والطف لمحا · فشوقي حـــين ســـاق الحديث عن « محمد » اليتيم ·· نظر الى « اليتم » على أنه ظاهرة انســـانية ·· فالموت لا يفرق بين والد النبي وغيره من الآباء العاديين ، بل ان محمدا تيتم قبـــل أن يولد حـــين توفى أبوه « عبد الله » وهو ما يزال جنينـــا في بطن أمه « آمنة » والتي رحلت هي الاخـــرى فعرف محمـــد اليتم المزدوج وهو لم يجاوز السادسة من عمره ·· نعم لـــم يتهيب الموت سيد الابناء « محمدا » ، وكيف له أن يخشاه وهو رمز من رموز القضـــاء وشارة من شارات القدر ·· ثم البيت الذي يقول فيه :

فشب حلـــوا ســـمته ودله
ليس لـــه من اليتيم ـ ذله

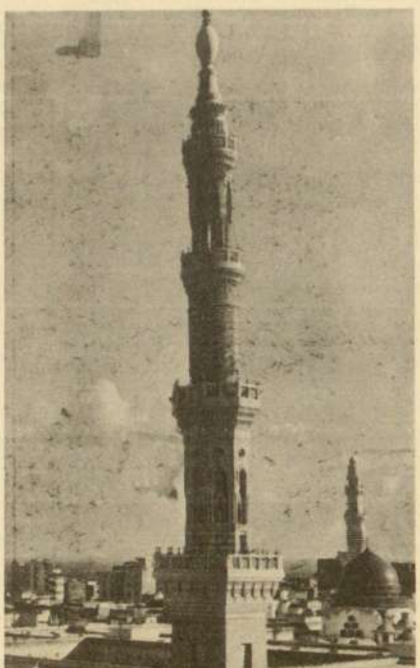

تجد أن شوقي قد احاط فيـــه بناحية أفاض فيها علماء فن التربية وأساتذة علم النفس ·· فاليتيم عادة ما يكون ذليـــلا منكسرا في سنواته الاولى ، خفيض النبرة اذا تكلم ، محزون العينين اذا لمح ·· فهو يحلق بجناح واحد « الأم » أو « الاب » فما بالنا بمحمد وقد فقد الجناحين معا ؟ كان حريا اذن أن يكون أكثر ذلا وانكسارا ، لولا أن نهض بأمره من لا تأخذه سنة ولا نوم وصـــدق تعالى وهو يقول « ألم يجدك يتيمـــا فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجـــدك عائلا فأغنى » ·

ثم ان شوقي يصف فروسية محمد بأنه قائد الجيش فتى وكهلا وكان في المهد لذاك أهلا ·· وهنا نلاحظ بداية خروج هذا البيت من عباءة القرآن الكريم ومن سورة آل عمران وبالتحديد من قوله تعالى « ويكلم النـــاس في المهـــد وكهـــلا ومن الصالحين » ··

ويســـمح لنـــا شوقي العظيم ان نلاحظ انـــه لـــم يســـتغل الموسيقى الداخليـــة أكمل استغلال رغم توفر الامكانية « قائد الخيل ـ وكان في المهد » ·· واكتفى « بالميزانين » دون تلميعه وترشيقه ·· ولو أنه ـ مثلا ـ استبدل الخيل « بالجرد » جمع أجرد ـ الحصان قصير الشعر سريع العدو وأصبح البيت :

وقائـــد الجرد فتى وكهـــلا
وكان في المهد لذاك أهـــلا

لو فعل للعب حرف الدال المكسور في ثاني كلمة من الصدر وثالث كلمة من العجز دورا لا ينكر في تأكيـــد جرس الموسيقى الداخلية التي نعنيها والتي يحرص عليها شوقي ·

وخروجا ثانيا من عباءة القرآن موظفا بأناقة ومزخرفا برشاقة وذلك حين أورد أسماء ١٨ سورة من سور القرآن في سياق حديثه الشعري وفي مدار المسار الطبيعي بحيث لا يمكن استبدال اسم السورة بكلمة أخرى تشغل نفس المساحة الايقاعية وهكذا أطلقت الكلمة اشعاعين في لحظـــة واحدة ومن هذه السور « النجـــم والكهف والسجدة وقريش والفتـــح

والنور والفرقان » ٠

والحق أن اختيار شوقي لهذه اللمحات النبوية لم يكن بالاختيار العشوائي او مجرد تحصيل تراكمي بل اختار من المجموع ابرزه واقواه واشده دلالة على رسم الصورة العامة فهو حين يشير الى فروسية الرسول التي لم تفارقه من المهد الى الكهولة كان لابد وأن يدعم تقريره هذا بملمح واقعي وقد فعل في قوله :

ان حاد في الكرب الكماة لم يحد
قد علمت ذاك حنين وأحد

« حنين » و « أحد » يومان مريران عاشهما المسلمون وتعرضوا فيهما لألوان من الهول وحق لشوقي أن يصفهما بأنهما من أيام الكرب وكان في امكان شوقي بل والمتبادر الى الذهن أن يقول « ان حاد في « الحرب » بدلا من « الكرب » ٠٠ لو فعل هذا لصدق مع المعنى والوزن ولكنه تجاوزها فكان أكثر صدقا حين اختار الكلمة الاكثر ايحاء والاقرب للتعريف الجامع المانع فكل كرب حرب وليس كل حرب كرب !٠٠ وهذا سر من أسرار التمكن الشعري كان شوقي به فاهما عليما وهل كان تأمير الشعراء العرب له الا اعترافا بتمكنه من العربية ليس شعرا فحسب بل لغة وفقها ومنطقا وصرفا ٠٠ ثم ان الثبات يوم الكريهة أكثر بلاغة في التعبير عن الفروسية الحقة من الثبات يوم الانتصار والفوز ٠٠ وفضيلة الثبات في الحالين واحدة ولكنها في « الكرب » تتألق ويتحدد معدنها الاصيل رغم متغيرات دراما الحرب ما بين ذروة الانتصار في « بدر » ووهدة الانكسار في « أحد » ٠

وبعد حديث الحرب والكرب ٠٠ ينتقل شوقي بيسر وليونه الى حديث رسول الله :

حديثه حلاه اسماعيل
وبله بريقه جبريل

واقرأوا البيت ثانيا وأجيبوني يا أولى الابصار هل بعد هذا رشاقة وشاعرية ولطف في التعبير عن اشراقة الفصاحة المحمدية ٠

وهكذا تمضي القصيدة تطالعنا بصور متعاقبة من حياة الصبي والشاب والرجل والكهل والمتأمل والمتبتل والغازي والفاتح والقاضي والمشرع٠

وصلى الله وسلم على محمد نبي الامة، ورحم الله شوقي المتبتل في حضرته بأصفى نغمة ، رقيقة وافية ، عميقة صافية في هذه المجموعة وغيرها من « همزية ولد الهدى » و « ميمية ريم على القاع » قاصدا بها كل ما وعد به في البداية من تحبيب سيرة الرسول وتاريخ المسلمين الى الناشئة والنابتة ، مستلهما العبرة من توالي الاحداث وتغير الفصول ٠

ونتمنى لمجموعة شوقي « دول العرب وعظماء الاسلام » أن تصافح وجدان قراء اليوم في طبعة جديدة تكون في المتناول على ثقة من أنها خير زاد في أيام نحن أحوج ما نكون فيها للدرس المستفاد ٠٠ ثم هل نطمع أن تكون هذه الطبعة بين يدي عشاق شوقي وعشاق فن العربية الاول ٠٠ في اكتوبر القادم حيث تحل الذكرى التاسعة والاربعون لرحيل شوقي العظيم أمير شعراء العربية وصوتها الرنان منذ المتنبي الى اليوم ؟!

جحويات

صلى الفرض ونقب الأرض !!

جاء ابنه وقال يا أبتا
انظر ٠٠ فهذا مسجد نبتا
في حينا يزهى بمئذنة
تقول للانظار ها أنتا !!
بناه شيخ التجار قد ظهرت
آثاره والفضل قد ثبتا
فاخرج بنا فالناس قد خرجت
ليبصروه رائعا سمتا
قال جحا « فلان » أين له
كل الذي يا غر قد قلتا ؟

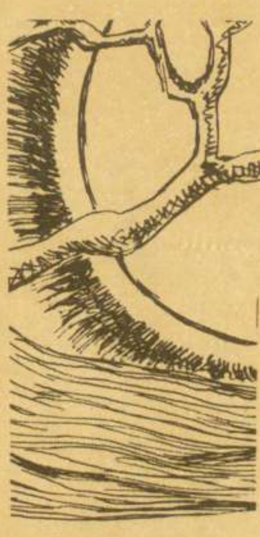

قد غال فينا واحدا واحدا
وشال حتى الفول والزيتا
الدين ياتيه مخايلة
للناس لكن قلبه اعتى
من قلب فرعون الذي جحدت
عيناه حتى أبصر الموتا
مثل الذي تعني فليس له
نسك ولم يخشع وما قنتا
قد صح فيه قولهم في الذي
قد بات عن اخراه منبتا
أطال في السجدة ثم انثنى
بعد الصلاة تسور البيتا

احتجاج أهل الكهف

بعد ان عاد توفيق الحكيم من باريس كتب مسرحية « اهل الكهف » يصور بها احساسه الفاجع بتاخر الشرق وتقدم الغرب .. وظل السؤال « هل يستطيع الشرق ان يلحق الزمان ؟ » . يلح على خاطره . ومع ذلك كان الزمان هو المنتصر والغالب في المسرحية .. ويقول بمليخا الراعي :

– اننا اشقياء .. لا امل لنا في الحياة الا في الكهف فلنعد اليه .. ليس لبعضنا سميع ولا مجيب الا البعض !

– وقال مرنوش :

– لا فائدة من نزال الزمن

وقال ميشيلينا :

– آه .. لقد تعبت .. تعبت من الكلام والتفكير والحياة !

وقبلها ادرك طغيان الزمن حين قال لبريسكا

« بيني وبينك خطوة بيني وبينك شبه ليلة فاذ الخطوة بحار لا نهاية لها واذ الليلة اجيال . وامد يدي وانا اراك حية جميلة امامي فيحول بيننا كائن هائل جبار هو التاريخ » .

وعاد الثلاثة – ورابعهم كلبهم – الى الكهف الذي خرجوا منه ليرقدوا ويموتوا .. بحق هذه المرة !

أقصر رسالة لطه حسين

حينما اخرج عميد الادب العربي د. طه حسين كتاب « في الشعر الجاهلي » الى الناس ، قامت الدنيا ولم تقعد حتى اليوم.. فقد رمى في البحيرة الساكنة حجرا مازال يحدث دوائر تنداح وتتسع .. وتتلاقى وتفترق .

أول اجراء صدر ضد طه حسين قرار هيئة علماء الازهر ان الكتاب كفر صريح وطالبوا بمصادرته وحجبه عن القراء .. وتوالت قوائم الاتهام .. وانزعج والد الدكتور طه حسين وهو في مدينة المنيا بالصعيد وكتب الى ولده في القاهرة خطابا حزينا وصفه الدكتور زكي مبارك بان عباراته تجعل الصخر يبكي .. والد شيخ قلق على مستقبل ابنه الشاب وحريته . وأراد طه حسين ان يطمئن والده فكتب له هذه السطور القلائل :

ابي ..

انت اوصيتني بان لا اصدق كل ما اسمع وانا اوصيك بان لا تصدق كل ما تقرا .. لك من زوجي ومني اطيب التحيات ..

طه حسين

نصف أعمى ونصف مُبصر

المتنبي يهجو .. وما اكثر اهاجيه فقد كانت عكس مدائحه اكثر توهجا وصدقا لانها بعض ذاته لا بعض ذات الممدوح .

المتنبي يهجو « ابن كروس » – كاف مفتوحة وواو مشددة مفتوحة – وكان المهجو بعين واحدة ..

فيابن كروس يا « نصف اعمى »
وان تفخر فيا « نصف البصير »
تعادينا لانا غير لكن
وتبغضنا لانا غير عور

وهذا يذكرنا بالشاعر الذي ذهب الى خياط اعور اسمه عمرو ومعه قطعة قماش يبغي تفصيلها .. وبالغ الشاعر في مواصفاته ومقاييسه فقال له الخياط .. ساصنعها لك بحيث يحار الناس عندما يرونك .. هل ترتدي جبة او قميصا .. فقال الشاعر .. وانا ساقول فيك بيتين من الشعر من يسمعهما يحار هل هما مدح او هجاء ..

وتسلم الشاعر الجبة او القميص وتسلم الخياط الاعور هذين البيتين :

خاط لي عمرو رداء
ليت عينيه سواء
قل لمن يسمع هذا
امديح هذا ام هجاء؟

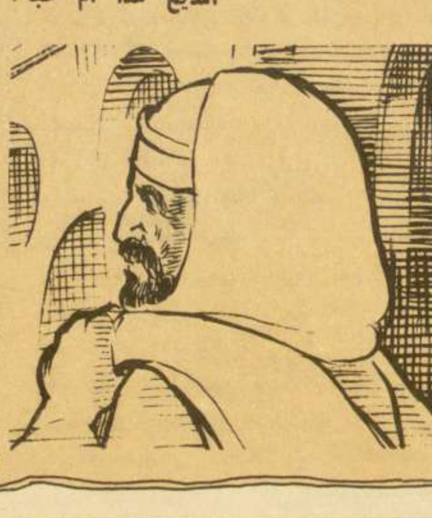

المقامة الموسيقية

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

ذات عصر كنت اعبر الطريق باحتراس ، لازدحامه بالباص والناس ، وبينما اتاهب لنزول الرصيف ، لفتنى صوت شاب « كفيف » يرجونى ان اعبر به ، ففعلت وانا جد منتبه ، فالطريق مزدحمة ، والفوضى ملتحمة .

ورغم عاهته ، لاحظت رشاقة خطواته فاعلنت استعدادى لحيث يريد ، فشكرنى بادب شديد ، فالححت عليه بجدية ، فطلب ان يذهب معهد الموسيقى العربية ، .. ومع انا كنا اقرب لميدان العتبة ، فقد لبيت بسرور طلبه ، فلا شىء ورائى ، .فضلا عن أن المشى ينشط لعضلاتى ، وبهذا نصحنى الطبيب من وقت قريب .

وهكذا مضينا معا ، متحدين خطوة واذرعا ، وعلمت منه انه طالب مقيد ، بذلك المعهد ، وان اسمه « شوقى عبد المعبود » ، وتخصصه عزف العود ، ولما سالته عن طبيعة الدراسة ، اجاب فى سلاسة ، انها تنحصر بالكمال والتمام ، فى ثلاثة اقسام : الموسيقى من حيث هى عنصر مجرد ، والتدريب الجماعى والمنفرد ، ودراسة مشاهير ارباب المغانى ، من « معبد » و« سلامة » إلى «المظ » و« القبانى » .

ولما اقتربنا دعانى الى تشريف «بوفيه» المعهد ، فلم اتردد ، ووصلنا ودخلنا ، وكان هو القائد هذه المره ، وهو غاية فى المسره ، ومضى بى الى البوفيه ، وكانه راقص بالبيه ، ولما جلسنا نادى يا « عبد » ، فلم يجبه احد ، فاعاد النداء بصوت جرىء ، فاتانا جرسون قمىء ، وبصوت متاكل النبرات ، قال ماذا تشربون ياحضرات ؟ ، سالنى مضيفى : هل ارغب ، فى فنجان سحلب ؟ ، فاجبت لا باس ، وانصرف الجرسون وكانه يمشى على خمس !

وسالنى الشاب .. ماذا اعمل ؟ فقلت اتجول ، خلف الابواب وبين المتاريس ، فقال : حضرتك « بوليس » ؟! ، فنفيت ذلك الظن فقال .. وإذن ؟! فقلت : انا ضيف على الوجود ياأخ شوقى عبد المعبود .. واسمى عبد الشكور وصفتى المشهور : بمعرفة الأنام والدور !

فاختلجت عيناه اختلاجة خفيفة ، وتابعت تعريفه ، واتصلت بيننا الكلمات ، ورحت اتامل من حولى من المخلوقات ، فهذا شارد مبحلق فى السقف ، وذاك فارد منتفخ كالبقف ، وثالث يقرا فى المساء جريدة الصبح ، ورابع كف عن الكلام المباح ،واخرج من جيبه ورقة «سلوفان» مطوية ،وابتلع منها شيئا اسود الهوية ، وصاح : ياعبد الجليل ، واحد شاى ثقيل

كانوا مختلفى السحن والالوان والاعمار ، وحولهم تناثر العود والقانون والجيتار ، وعلمت من مضيفى أن ثلاثة ارباع هؤلاء ، ياتون فى المساء ، بعضهم لاجراء بروفة ، وبعضهم لمسح الجوخة ، وفريق يكتب الاغانى والأشعار ، ويبحثون لها عن طبال ومزمار ، بعضهم اصيل ، ومعظمهم دخيل ، وماذا نفعل يا استاذ- ؟ ، وقد اختلط « العراق » و «الحجاز » ... وعجبت لخوضه فى الشئون العربية ، ثم فهمت انها اصطلاحات موسيقية ، يميزون بها اللحن عن سواه ، ولا علاقة لها بمستواه ، وتعرف باسم « المقامات » جمع « مقام » واختصار الكلام ، فالمقام ركيزة النغم الاساسية ، ومنه يتفرع على امتداد الصورة اللحنية ، ويعود فى النهاية ، الى نقطة البداية ، وعذرا لهذه الاستطراده ، التى اشبهت قفزة الجرادة ، ولكننا خشينا اختلاط « المقام » «بالمقامة» .. ، فيحدث ما لا يحمد ختامه!

وقطفنا من الحديث الوانه ، ووصف لى بيته وعنوانه ، رجاء ان اشرفه بالزيارة ، فى بيته المطل على أول الحاره ، فشكرته وانصرفت سعيدا لانى لم اشرب ، فنجان السحلب ، فانا اعلم انه فى هذه الاماكن ، عبارة عن دقيق داكن ، مذاب فى السكر ، ... لا اكثر .. !

ومر ما لا أدرى على هذا اللقاء ، وذات مساء دخلت احد الاحياء ، فاكتشفت قربى من بيت الاستاذ إياه ، فعرجت على ماواه ، ولما سمع صوتى ذكرنى ، وبالترحيب غمرنى ، وقال إن حظى من السماء ، فميعاده الليلة مع بعض الاصدقاء ، من النوع الذى يطيب لي ان اراه ، باعتبارهم نماذج حياه ، مادام عبد الشكور ، يبحث عن الاسماك فى البحور ، ولم امانع فذهبت معه ، وسمعت مالم اسمعه ، ورايت مالم اره، ، فى هذه الامسية العابرة .

كانوا جماعة من اهل الموسيقى ، وكل واحد اختط طريقا ، وفى مجموعهم راحوا ينقدون وينتقدون ، ويعدلون ويبدلون ، لا يعجبهم العجاب ، حتى ولا «عبد الوهاب

وقدم احدهم نموذجا لغفلة مؤلفى الاغانى ، وكيف انهم يحشرون فى كلماتهم الكانى والمانى ، من فارغ القول ، وماليس له قوة ولا حول ، بل وما يتناقص فى مجموعه ، مع اساه ودموعه ، وإلا فما

معنى (وقل له « يشاور عقله » وينسى يوم ويجينى!) فكيف ينسى بعد أن يشاور عقله ويعمل فكره ؟ اللهم إلا أن تكون ذاكرة خاسره ، وخاطرة غير مبصره .

فانبرى له احد الجالسين ، مستنكرا الحقد على النابهين ، والطعن فى المبدعين ،فمشاورة العقل ليست فى التفكير والتدبير ،بل كنية عن اختصار التفكير الكثير ، واجعل وجدانك ، ينسى هجرانك ! ... ولكن المعترض لم يهدأ ، وواصل الثبات على المبدأ ، ... نعم واجيبونى ، مامعنى « وكل من شافنى ابكى ، يفتكره خلقة عيونى » .. أليس هو قول القائل :

اتراهـــا لكثرة العشـــــاق
تحسب الدمع خلقة فى الماقى

وانقسموا بين مؤيد ومعارض ومحبذ ومناقض ، واستمر الحال ، على هذا المنوال ، لم يتركوا مطربا إلا عابوه ، ولا ملحنا إلا خطاوه ، حتى امسك احدهم بالعود ، فكفوا عن الاسئلة والردود ، وانطلق صاحبنا الآلاتى ، يعبر عن «السيكا» إلى « البياتى » وهو غير الشاعر إياه ، الذى فى القاهرة عرفناه .

وحين انتهى صاحبنا من العزف ، اجال فى الحاضرين الطرف ، وكان بعضهم قد نام ، وبعضهم تكلف الانسجام ، وفريق بين بين ، آثر بالحياد إحدى الحسنيين ، ولم يقنع العازف المغوار بهذا المشوار ، فركن عوده ، وواصل مجهوده ، وراح يتحدث عن مزايا « لحنه » ، وكانه الوحيد فى زمنه ، ويبدو ان هذه هى عادته ، فقد تغامز عليه صحبته ، وراحوا يستفزونه ، ويموهون عليه ويعابثونه ، حتى اضطروه إلى نوع من التصريحات ، لا يوجد إلا فى نوع خاص من المستشفيات ، يعرف فى مصر باسم « العباسية » ، وفى الشام «بالعصفورية » ، ويدخلها كل من اعتقد أنه بتهوفن او هارون الرشيد ، او هتلر او « ابن العميد » ممن انحلت عراهم ، وعراهم من خفة العقل ما عراهم ، وقد قالوا « المجانين فى نعيم » .نساله سبحانه حسن الخواتيم .

ولما سكت صاحبنا بعد طول جدال ، دخل فى المجال ، مطرب شاب ، لا يزال غصن الاهاب ، راح يغنى لسيد درويش «ينفعل ويجيش ، وينتقل من اغنية السقايين الى الحمالين ، إلى آخر ماعرف به « السيد » من اغان معظمها جيد ، ومال على صاحبى بهمس ، هذه الاغنية من مقام « الفالس » .. وكانت :

إنس الهموم انســك يــــدوم
د اللى يلوم يفضـل يعــانى

واقول الحق والسلام ، لقد اعجبنى الغلام ، اقصد غناءه ، واعنى اداءه ، وتمنيت ان اسمع ما شجانى ، فيما مضى من زمانى ، واعلنت « شوقى » برغبتى على الفور ، فسالنى عن اسم الدور ، فقلت على عجل « جفنه علم الغزل » .. فكست وجهه الحيره وقال أليس هناك غيره ؟ فسالته : ألا يحسن غناءه الفتى .. ، فاجاب : بلى ، ولكن ياحسرتاه ، فاستوضحته سر الحسرة وسبب الأنين ، ما دام الفتى به من العارفين ، ثم هو دور مشهور ، وغير منكور ، .. وكان الفتى وقتها ينشد بصوت رخيم ، « طلع الصباح فتاح يا عليم ، والجيب ما فيهاش ولا مليم .. إحنا الصنايعية المظاليم » وهمس شوقى فى اذنى ، صاحبنا لا يحب إلا هذه الالوان الوصفيه والحماسية ، ويعتبر ما عداها تخلفا ورجعيه ، وواصل حديثه متمما ، وعبد الوهاب ــ بالذات ــ يكرهه كره العمى ! ، وتماسكت فلم اضحك للمفارقة ، وسالته بمنتهى الثقة : تقصد من يكره الثانى .. ، فقد التبس الامر على وجدانى .. فمال على اذنى اكثر وقال : ، وهل هذا سؤال ! صاحبنا هو « الكاره » لعبد الوهاب ، فقلت : غريبة .. وما الأسباب ؟!

فقال وهو يكتم ضحكته ، ويخفى نبرته ، لان عبد الوهاب ، فى نظر هذا الشاب ، مطرب امبريالى ، وسيد درويش مطرب عمالى !. فسالت : وهل حب الوطن فرض عليه من الامبريالية- ؟ .. « شفتيى بتاكلنى انا فى عرضك » من الوطنية !! ، فلم يجبنى صاحبى واعتدل فى جلسته ، واعاد ترتيب هياته ، ورحت اتامل الفتى المغنى ، وكلام شوقى يرن فى اذنى ، ولاحظت أن المغنى الشاب لايهتم بما يرتدى من ثياب ، وصحيح انه إن لم يكن انيقا فهو نظيف ، ولكن .. ماذا فى صدره من تجاويف ؟! ، ايمكن ان يصل العتة لهذه الدرجة.. ثم باى منطق وحجة ، يحكم العوام على الائمة ، ويناطح السحاب القمة ؟! ازفت الآزفة ، ليس لها من دون الله كاشفة .

وسالنى شوقى ونحن فى الطريق ، إن كنت شعرت بضيق ، فقلت لم يضايقنى إلا اجتماع حسن الصوت ، وجهل كالموت ، وطلبت ان يزيدنى تعريفا بالفتى المطرب ، فقال امره غريب مغرب ، يزعم انه تعلم الغناء بنفسه ، ولم يشرب إلا من كاسه ، ولا فضل لاحد عليه فالتراث استاذه ، وملجاه وملاذه ، فقلت : إلى هنا لا غبار ، ولكن ما نسبته إليه من افكار ، فقال تقصد الامبريالية وهذى الامور ؟ .. هذا كلام لم يفصح عنه إلا من شهور فقلت : الم ترشدوه ، وتاخذوا بيد هذا الجميل المعتوه ؟ فقال .. الحق ان معظم الجماعة سعدوا بهجومه على كل من يغنى فى الاذاعة ، وكل يغنى على ليلاه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .. فسالته ومن « ليلى » فتانا ؟ فاجابنى لا ادرى .. فهكذا اتانا ، وقدم نفسه على انه معجب بنضالنا وشقانا ، فطلبت منه ان ارى الفتى على انفراد ، فقال ارتب لك معه الميعاد ، فربما استطعت ان تهديه ، وتاخذه مما هو فيه ، واتفقت مع شوقى ان اراه بعد غد ، فى بوفيه المعهد ، ليخبرنى بالموعد الذى حدداه ، هو والفتى إياه .

وجاءنى شوقى فى البوفيه مذعورا ، وقال ان امورا قد جرت وامورا ، فقد قبضوا على صاحبنا عدو الامبريالية ، بتهمة سياسية ! فسالته مندهشا متى حدث ذلك ؟ فقال بعد نزوله من هنالك ، قبضوا عليه في شارع الغورية ، هو وابن عمه عطيه ، .. فقلت واين ذهبوا به حتى .. ، فقاطعنى : من قال لا أدرى فقد افتى ... وسكت هو وسكت ... وبعد برهة سالنى ماذا ياترى دفعه؟ ، فقلت له وهل كنت معه ؟! قال اقصد كيف رمى بنفسه فى النار ذات الاخدود؟ ، فقلت دعنى فى حالى ياعبد المعبود !

فصمت صاحبى ، ولكنه ظل بجانبى ، حتى كتابة هذه السطور .

انتهت اقوال عبد الشكور .

العدو

قصة بقلم: ڤى . إس . نايبول
اقتباس: جمال الكنانى

قصة بقلم فى.إس. نايبول ، اعظم كتاب الانجليزية المعاصرين الاحياء .. انحدر نايبول من اصل هندى وولد فى ترينيداد من جزر الهند الغربية عام ١٩٣٢ ورحل الى لندن عام ١٩٥٠ حيث التحق بالجامعة ... زاول الكتابة ــ ولم يزاول غيرها من الاعمال ــ عام ١٩٥٤ وفاز بمعظم الجوائز الأدبية التى تقدم للروائيين والكتاب ، ومن ذلك جائزة جون لويلين ريس التذكارية عام ١٩٥٧ وجائزة سومرست موم عام ١٩٥٩ ، وجائزة هوتورندن عام ١٩٦٣ ، وجائزة دبليو.اتش . سميث عام ١٩٦٧ وغيرها أشهر مؤلفاته رواية بعنوان « بيت المستر بسواس » يقال انها سيرة ابيه ، اما قصة « العدو » التى نقدمها فهى واحدة من مجموعة قصص قصيرة نشرت فى كتاب عنوانه « علم على جزيرة » .

طالما اعتبرت هذه المرأة ــ أمى ــ عدوى اللدود ... كانت تسىء الظن بكل ما اعمل ... وتطورت الامور حتى أصبحت اؤمن انها لا تقر بوجودى أو ترضى عنه ... كنت ابنها الوحيد ، ولكنها كانت تعتبرنى طفلا زائدا ، فائضا عن الحاجة .. أكثر من اللازم ..

كانت تكره أبى .. وظلت تكرهه حتى بعد موته

كانت تنظر الى وانا ألعب ، أو اقوم بأى عمل ، تكرر عبارتها المألوفة .. (واصل ماأنت بصدده ... أنت ابن أبيك .. لست ابنى .. أتسمع .؟ لست ابنى)

قررت أمى ذات يوم أن تنفصل عن أبى .. وان تصحبنى معها

ورفضت الذهاب معها .

كان أبى مريضا طريح الفراش .. وكان قد وعدنى بصندوق من الاقلام الملونة اذا بقيت معه واخترت الاقلام .. وابى

كنا فى ذاك الوقت نعيش فى (كونوبيا) وكان أبى يعمل (سائقا) فى احدى مزارع قصب السكر .. ولكنه لم يكن سائقا للعبيد ، لأن عمال المزرعة كانوا أحرارا .. لكنه كان يتصرف إزاءهم وكأنهم من العبيد ... كان يركب حصانا بنى اللون هزيلا قبيحا مجردا من كل رشاقة .. (ويفرقع) كرباجه فى الهواء فوق رؤوس العمال وسمعت من كان يتهمه بركل العمال أحيانا وإن كنت لا أصدق هذه التهمة ..

أنا لا أصدق التهمة لأن أبى عاش عمره فى

(كونوبيا) وهو لايعرف تماما أن أهلها لايقبلون الضيم ويشجبون الاهانة .. حتى ولو بعد عمر طويل .

كنا – أول الامر – نعيش فى مخيم المزرعة .. وهو مأمون يسهر عليه الحراس .. لكن أبى قرر أن ينتقل الى بيت خشبى غير بعيد .. عارضت أمى ولكنه لم يأبه .. فرضخت على مضض .. انتقلنا الى البيت الخشبى .. وعشنا فيه فترة .. وزارنا رجل ادخل الرعب فى قلب أمى .. كان أبى ساعتها فى العمل .. وبعدها .. كان أبى يحمل بندقيته اينما سار ..

كنا فى الليل نسمع ، أو يخال لنا أننا نسمع أصواتا مرعبة .. وكان أبى يقول (إنهم هناك .. يريدون أن أخرج لأتحرى !)

فى الفجر كنا نسمع وقع أقدام .. تبتعد عن الدار

كلما غابت الشمس واقترب الليل احكمنا قفل الابواب والشبابيك .. وتركنا كلبنا الضعيف – واسمه طرزان – خارج البيت .. يعوى و(يخربش) الباب بأظافره .. يضرع .. ويستجدى رحمة من يدخله .. وصدق إحساسه ولم يعمر طويلا ذات صباح وجدنا (طرزان) قطعا واشلاء مبعثرة على درجات السلم الخارجى واخذ ابى يعلق على الجدران لافتات تحتوى عبارات تمتدح الشجاعة .. وزاد ضيق صدره بأمى .. وزاد العراك ... وبرم بأمى ووجد عليها .. فرحلت الى بيت أمها .. وبقيت وحدى مع أبى ..

كان أبى يقضى جل وقته فى سريره .. وانا راقد بجواره .. وتوطدت صلتى به .. وفتح قلبه لى .. وشدتنى إليه بنوتى وشدته الى ابوته .. وعلمنى ثلاثة اشياء ...

قال .. (ولد ! من ابوك ؟)

قلت (ابى ، انت)

قال (خطأ)

– (ماذا تعنى .. خطأ ؟)

قال– (تريد أن تعرف من ابوك الحقيقى ؟ .. الله هو ابوك)

– (وماذا تكون ؟)

– (أنا ؟ من أنا ؟ دعنى افكر ... أنا ابوك الثانى .. لست اباك الحقيقى)

وكان فى هذا الذى علمنى متاعب لى .. وخاصة مع امى .

الشىء الثانى الذى علمنيه ، كان (قانون الجاذبية)

كنا – هو وانا – على السرير ... أمسك بعلبة كبريت ثم تركها تسقط من يده وسأل :

(ولد ! قل لم سقطت العلبة ؟)

قلت : (كان لابد ان تسقط .. ماذا تريد ؟ اتريد من العلبة أن تتحرك فى الهواء بدلا من أن تسقط على الارض ؟)

قال : ولد ! اسمع ... سقطت العلبة بسبب قانون الجاذبية ..

وحاول أن يشرح لى تجربة .. جردل فيه بعض الماء يحمله ويديره بسرعة كبيرة فوق كتفه (انظر لن ينسكب الماء)

وانسكب الماء وغرق هو فيه وتبللت ملابسه ... ولم ييأس ... اعاد التجربة بكمية اقل من الماء ونجح ...

أما الشىء الثالث الذى تعلمته من أبى فكان مزج الألوان ... كان ذلك قبل موته بقليل

قال : أين الاقلام الملونه ؟

وقدمتها اليه

– تريد أن ترى سحرا ؟

– أتعرف السحر حقا يا أبتاه ؟

اخذ اللون الاصفر ولون به احد المربعات

– ولد ! أى لون هذا ؟

– أصفر

– هات القلم الازرق .. اغمض عينيك تماما .. تماما

ولما فتحت عينى قال : (ولد ! وأى لون هذا ؟)

قلت: أنت لا تغش ؟

واستغرق فى الضحك .. وشرح ان اللون الاصفر اذا خلط باللون الازرق ، تولد اللون الاخضر

الله هو الذى يخلط الالوان فى الطبيعة .. الله ... ابوك

وصرفت وقتا احاول ابتكار حيلة أو لعبة ارد بها على سحره ... كل ما نجحت فيه هو أن وضعت راسى عودين من الكبريت معاً ثم أشعلتهما فالتصقا .. ولكنه كان يعرف هذه اللعبة .. ووقفت غاية الامر واكتشفت لعبة لا يعرفها ابى .. ولكنى لم اتمكن من شرحها له ... لأنه مات فى تلك الليلة ..

كان اليوم شديد الحرارة .. وأخذت السماء تنخفض وتثقل وتسود وكان أبى فى كرسيه (الهزاز) لما بدأ المطر يهطل فى جنون .. احسست أن ألف قبضة حديدية تطرق سقف البيت .. وخيم الظلام فأوقدت السراج ، وتوقف الكرسى (الهزاز) عن الحركة .. وثبت فى مكانه .. وهمس أبى .. (ولد ! إنهم هنا الليلة)

ودفع الريح الشباك .. وهدر الرعد .. فأغلقت الشباك

– ولد ! لا تخف .. كرر وردد ما علمتك إياه

واخذت اتمتم ... راما ، راما ، سيتا راما

وصرخ أبى .. انهم هنا .. اسمع اصواتهم تحت البيت

– لاتخف ياأبى .. معى قطعة حادة من الزجاج .. ومعك بندقيتك .

– لكن الظلام حالك دامس .. يارجل

أنا رجل ! .. ورحت نحو الطاولة انقل السراج قريبا منه لتطمئن نفسه وصرخ .. الظلام الظلام .. ياإلهى ..

وتهت فى دنيا السواد .. وأخذت أصرخ حتى خاف الرعد وسكت واستحال المطر رذاذا .. ونسيت اللعبة التى كنت قد أعددت لأبى .. الصابون الذى حككت فى راحة يدى حتي جف واختفى ...

اتفقت الآراء على أن ارحل مع أمى حتى لايعيرنى الناس ان ابى مات خوفا وفرقا .. والناس لابد يضحكون من ذلك ... ورحلنا الى (بورت أوف سبين) وهناك رأيت بعينى كيف تكون العلاقة الطبيعية بين الاب والابن ... علاقة لا تزيد عن العلاقة بين الضارب والمضروب وحمدت الله لما رأيت ذلك .

اهتمت أمى ببسط سلطتها وسلطانها على ، ومحو كل ما علمنى ابى ... ولكنها لم تثابر على ذلك ... وسرعان ما تركتنى وشأنى أسرح والعب فى الشوارع .. فكانت لا تضربنى الا بين حين وحين ، لما تعود الى نفسها نزعة تربيتى بحزم .

ذات يوم ، حجزتنى أمى فى البيت – (لا تذهب اليوم الى المدرسة .. أصرف اليوم فى تعلم كيف تربط رباط حذائك حتى تجيد ذلك ... لقد سئمت ربطه انا كل يوم)

ولم يكن ذلك من العدل فى شىء .. فأنا أقضى معظم وقتى عارى القدمين ... حاولت ربط الحذاء .. مرة بعد مرة .. وفشلت مرة بعد مرة ، وضربتنى مرة بعد مرة .. وانقضى اليوم وانا على جهلى .. ولم اتعلم كيف أربط ذلك الرباط الملعون ... ولكنى أهتديت الى حل .. ارغمت أمى على ان تشترى لى حذاء جديدا أيزيد مقاسين عن حجم قدمى ... وربطه البائع وهو على قدمى فى الدكان واحتفظت بالربطة .. كنت ادخل قدمى واخرجها من الحذاء دون فك الرباط ....

لم تكن قسوة أمى على صرفة خالصة .. كنت ألمح أحيانا بعض ومضات الحنان ...

ذات يوم ، كنت اغسل الكاسات الزجاجية ... وسقط احدها من يدى وكسر ... ورأت امى ما حدث .

ــ كيف كسرت الكأس ؟

ــ افلت من يدى لانه أملس .. جدا

ــ الشرب من كاسات زجاجية عادة سخيفة .. فالزجاج سهل الكسر .

ولم تعلق امى باكثر من ذلك ... وقلقت على صحتها !!

ولم تقلق هى قط على صحتى .

كانت تؤمن بأن جرعة من (الملح الانجليزى) تشفى كل علة وتطيب كل داء .. وكان على أن اتناول منه جرعة كل شهر .. فاذا استعصى على امى فهم اية علة لا تشفيها (شربة الملح الانجليزى) بعثت بى الى (حكيم الصحة) ......

وقبل ان تتم جملة (يادكتور انا احس ..) يكون حكيم الصحة قد وصف لك الدواء ودواء كل الامراض عنده واحد لا يتغير ... ماء فيه راسب وردى اللون تراه فى قاع الزجاجة ......

امى تعتبر مركز الصحة مكانا صالحا لامثالى ... فاشتراكه السنوى ٢٤ سنتا فقط ثم إن من يزوره لابد وأن يقضى فيه سحابة يومه على الاقل .. فهو يريح امى منى يوما باكمله .

انا لم اكن ملاكا ... كانت تتملكنى نوبات عناد تجعلنى ارفض جميع ما يصدر لى من اوامر .. والغريب انها كانت تنتابنى ، بصفة خاصة ، فى الاوقات التى كانت أمى تحاول ملاطفتى فيها ...

بعد اليوم الذى انقذنى فيه (هات) من الغرق كتبت موضوعا انشائيا فى المدرسة بعنوان (يوم على الشاطىء) لا اظن أن معلمى قرأ اجمل منه فى حياته .. تحدثت عن حادث الغرق .. حين واجهت الموت بشجاعة وانا أقول لنفسى (إذن .. هذه هى النهاية) .. سر معلمى بما كتبت واعطانى ٩ درجات من عشرة وقال (اعتقد انك عبقرى موهوب) .

وعدت الى البيت وحكيت لامى ما جرى فى المدرسة .

(موضوع الانشاء الذى كتبته اليوم .. اعطانى ٩ من ١٠)

(كيف تكذب بكل هذا الهدوء والبرود ؟ اتريد ان اصفع وجهك ؟)

اقنعتها بصدقى فى نهاية الأمر .

ورقت وهى جالسة على سريرها .. تعال واجلس الى جانبى

وركبتنى نوبة من نوبات عنادى

لا ... لن اجلس بجوارك

فضحكت وحاولت اقناعى

وزاد غضبى

وذاب ما بيننا من صداقة وود ... وتلاشى .. واستحال الود صراعا بين إرادتين ... وكنت على استعداد للتضحية بأى شىء

قلت لك تعال واجلس الى جانبى

ــ لن أجلس

اخلع حزامك

وخلعت الحزام وقدمته لها ... وانهالت على ضربا .. وسال الدم من انفى ولكنى ... لم اجلس بجانبها ...

ــ لو كان أبى حيا لما تصرفت معى بهذا الشكل ...

وبقيت هى عدوى اللدود .. لابد أن اهرب منها عندما ابلغ سن الرشد ... وكان هذا ما يحبب بلوغ سن الرشد الى .

كان الامريكيون يصرفون الاموال فى ترينيدا بسخاء .. وظهرت علامات الرخاء .. وبدأت المراحيض البدائية تختفى من البيوت .. ويبنى الناس مراحيض حديثة .

(هات) قرر بناء مرحاض حديث فى بيته .. وبادر شباب الحى الى مساعدته ... ولم أكن قد بلغت العمر الذى يسمح لى بتقديم المساعدة .. فرحت أشاهد ما يجرى هناك ..اخذوا يهدمون الجدران واحدا بعد واحد .. وبقى جدار أخير

قال (هات) ــ (مارايكم ان نسقط هذا الجدار ككتلة واحدة ؟

وكان ...

ترنح الجدار ومال نحو الارض

وفقدت عقلى للحظات ... فى لمح البصر حاولت ان اكون (شمشون) الجبار ، واحول دون سقوط الجدار ... كل ما اذكر هو صوت يقول (ياإلهى .. حاذر) ....

كنت فى أحد الباصات التى تنقل الناس بين (بورت أف سبين) و (بتى فالى) والباص مشحون بالنساء فى ملابس زاهية الألوان . . يحملن سلالا مليئة بالبطاطس والموز وغير ذلك .. فى الباص دجاج .. ترتفع اصواته لتنافس اصوات النساء .. شعرت براسى يكاد ينفجر .. حاولت أن اصرخ لتسكت النساء .. ولم استطع فتح فمى .. حاولت ثانية .. لكن كل ما سمعت كان رغى النساء ...

الماء يصب فوق راسى ..

كنت تحت حنفية ... وفوقى وجوه تحملق فى وجهى

ــ بدأ يفيق .. لعله بخير

قال (هات) ــ كيف حالك ؟

قلت وأنا اتكلف الضحك ــ بخير

قال صوت ــ اتشعر بأى الم

هززت رأسى

فجأة بدأت الآلام تمزق جسدى .. حاولت تحريك يدى .. فآلمتنى كثيرا

ــ اظن ان يدى قد كسرت

ووقفت .. وارغمونى على المشى حتى بلغت دارى

قال واحد منهم ــ (ياولد ... لقد سببت لأمك هما وقلقا شديدا)

ونظرت الى دموع امى .. وكدت اشاركها البكاء ... اكتشفت انها يمكن ان تقلق على وتهتم بأمرى ...

تمنيت اننى آلهة الهندوس وأن لي مائة ذراع ... كسرت جميعها ... لأنعم بتلك اللحظة ...

وأرى دموع امى

اقتبس القصة

جمال الكنانى

● العالم لـم يعد بحاجة الى ثوريين . لقد اصبحنا على وشك الكارثة . نحن في حاجة الى مصلحين ذوي افكار متواضعة لعلهم ينقذون شيئا من حطام الانهيار .

« المفكر الفرنسي روجيه جارودي »

● انجلترا جزيرة وسط بحر من الفضائح . ونستون تشرشل ليس هو نهاية المطاف . هناك فضائح اخرى لسياسيين كبار لم يحن الوقت للكشف عنها .

« ثريا خاشجقي »

رأيت
سمعت
قرأت

رأيت

الأمومة

شب حريق باحدى منازل قريتنا واتى الناس من كل اتجاه . والشيء المألوف عندنا في القرية انه في مثل تلك الامور يشمر الكل عن ساعديه وترى المعونة مقبلة على المنكوب وبينما نحن كذلك في حالة نشيطة من العمل لانقاذ ما يمكن انقاذه ، رأيت قطة تحمل قطيطة صغيرة وهي تجري بها باقصى سرعة ممكنة حتى وصلت الى مكان آمن ووضعت القطيطة واخذت تدثرها بالرمل ثم عادت مرة اخرى واتت بثانية لها وفعلت بها مثلما فعلت بالاولى .. وعندما حاولت الرجوع للمرة الثالثة كانت النيران قد اشتد لهيبها فلم تستطع القطة ان تفعل مثلما فعلت سابقا وتحملت ما فوق طاقتها من حروق لفحت جسدها . وحينما لم تستطع بعد ان اخفقت كل محاولاتها اصيبت بحالة فزع هستيري فصارت تجري هنا وهناك وتموء بصوت يزلزل الكيان . واطفيء الحريق ولكن لوعة القطة على وليدها لم تنطفيء !

نجيب لطفي
الفيوم

قرأت

السماء الزرقاء لماذا؟

كلنا نعرف ان السماء زرقاء .. ولكن هل سأل احد نفسه لماذا هي زرقاء ؟

ان ضوء الشمس ، الذي يضيء لنا الارض ، لونه ابيض مكون من الوان كثيرة . الاصفر والبرتقالي والاحمر والاخضر والازرق والبنفسجي . والاشعة الزرقاء (وكذلك الاشعة البنفجية) تكون قصيرة .. اقصر من اشعة الالوان الاخرى ، ولانها قصيرة، فان ثنيها وكسرها يكون اسهل بكثير من الاشعة الطويلة ..

والهواء المحيط بالارض ، به اجزاء صغيرة من الغبار ، وهذه الاجزاء تقوم بتكسير الاشعة القصيرة الزرقاء وتبعثرها في الجو بينما تخترق الاشعة الاخرى ولا تتشتت .. ونحن عندما ننظر للسماء لا نستطيع رؤية الاشعة الطويلة ، لانها تخترق السماء بسرعة شديدة جدا .. اما الاشعة الزرقاء القصيرة فانها تصطدم بالغبار والماء المعلقين في الجو ، فتنتشر في السماء ونتمكن من رؤيتها زرقاء ، والحقيقة ان السماء لا لون لها . ولكي نتأكد من ذلك : ـ

● املا كوبا بالماء .. واضف له نقطتين او ثلاثا من اللبن الحليب .. سيتعكر الماء وهذا السائل الجديد يمثل لنا السماء .

● احضر بطارية جيب صغيرة واظلم الغرفة .. وجه نور البطارية نحو الكوب .. ان نور البطارية يمثل ضوء الشمس الابيض .. عليك فقط ان تقرب النور من الكوب ، وتجعله عموديا عليه ، ستجد ان السائل داخل الكوب لونه ازرق ، لماذا ؟ ان نقط اللبن القليلة المذابة في الماء قد شتت اشعة الضوء الازرق ، بينما مرت جميع الاشعة الاخرى خلال الكوب دون تشتت .. نفس الذي يحدث عندما تشتت جزيئات الغبار في السماء، فيبدو لونها ازرق .

رشيد العامري
المكلا ـ اليمن

سمعت

ذاكرتك بين يديك

كثير من البشر يشكون من ضعف الذاكرة . وهم في نفس الوقت يعتقدون ان الذاكرة هي منحة من الطبيعة لفئة من البشر ولكن الحقيقة ـ كما يؤكد العلماء ـ غير ذلك تماما ..!

فكل انسان مسئول الى حد كبير عن ذاكرته وتدريبها

وتنميتها . فالذاكرة مثل العضلة اذا دربت جيدا نمت وقويت . واذا لم تدربها ضعفت واضمحلت . وتتوقف الذاكرة في عملها على الصحة الجسدية والعقلية معا. وتعتمد في تدريبها على التركيز في كل ما تفعله وما تقوم به من اعمال ..

وهناك تدريبات مسوقة تستطيع ان تقوم بها بنفسك مثل اختبارات قوة الملاحظة . كان تغمض عينيك وتحاول ان تتذكر كل ما في حجرتك من اثاث وادوات او ان تتذكر ما هو لون شعر الفتاة التي كنت تحدثها منذ قليل وهل كان قصيرا او طويلا .

او ان تقرا فقرة ما من كتاب مرة واحدة وتحاول ان تجيب بعد ذلك على اسئلة توجهها لنفسك . وتلعب تغذية المخ بصورة جيدة دورا هاما في تقوية الذاكرة . ومن اهم العناصر التي يحتاج اليها المخ املاح الكالسيوم والفوسفور وهي متوافرة في اللبن والجبن والسمك والبيض وكذلك املاح الماغنسيوم التي تتوافر في الخبز الاسمر والملح الخام والخضروات الطازجة بالاضافة الى فيتامين (ب) الذي يوجد في الخميرة واللبن ويحذر الاطباء من تناول الاطعمة شديدة الحموضة او شديدة القلوية . وكذلك الطعام الدسم والمواد الكحولية وهم يؤكدون على اهمية طعام الافطار وضرورة تنفس الهواء النقي بطريقة سليمة .

واخيرا .. اذا قرات كل ما سبق وجربته فسوف تدهش من نتيجته .. فهل تتذكره ؟.

منال الانصاري
جامعة الاسكندرية

إعلان رقم (١) لسنة ١٤٠٠ هـ

تعلن وزارة التربية والتعليم عن حاجتها لمدرسين ومدرسات للعام الدراسي القادم (١٤٠٠ هـ / ١٤٠١ هـ) (٨٠ / ١٩٨١ م)ويفضل من لهم ارتباطات اسرية مقيمين في دولة قطر ويتعهدون بتأمين السكن اللازم لهم والتخصصات المطلوبة كما يلي : ـ

أولا : مدرسون ومدرسات بالمرحلتين الثانوية والاعدادية والتخصصات المطلوبه هي :

الوظيفة	المؤهل والتخصص
١ ـ مدرس ومدرسة علوم شرعية	ليسانس شريعة او ليسانس اصول الدين للمدرسين وليسانس الدراسات الاسلامية او دار العلوم للمدرسات.
٢ ـ مدرس ومدرسة لغة عربية	ليسانس اداب لغة عربية أو ليسانس اداب وتربية لغة عربية او دار العلوم .
٣ ـ مدرس ومدرسة لغة انجليزية	ليسانس اداب لغة انجليزية أو ليسانس اداب وتربية لغة انجليزية .
٤ ـ مدرس ومدرسة رياضيات حديثة	بكالوريوس علوم تخصص رياضيات حديثة او بكالوريوس تربية تخصص رياضيات حديثة .
٥ ـ مدرس ومدرسة علوم	بكالوريوس علوم تخصص طبيعة (فيزياء وكيمياء) وتخصص كيمياء واحياء أو بكالوريوس علوم وتربية تخصص طبيعة . (فيزياء وكيمياء) وتخصص كيمياء (كيمياء واحياء) .
٦ ـ مدرس ومدرسة تربية فنية	بكالوريوس كلية الفنون الجميلة تخصص رسم او زخرفة أو أشغال
٧ ـ مدرس ومدرسة تربية رياضية	بكالوريوس المعهد العالي للتربية الرياضية وخبرة في احد التخصصات التالية : كرة سلة أو طائرة أو يد او العاب قوى او جمباز أو مبارزة .
٨ ـ مدرس ومدرسة تاريخ وجغرافيا	ليسانس اداب تخصص تاريخ أو جغرافيا او ليسانس اداب وتربية تخصص تاريخ وجغرافيا .
٩ ـ مدرس ومدرسة فلسفة واجتماع	ليسانس اداب وتخصص فلسفة واجتماع .
١٠ ـ امين وامينة مكتبة	ليسانس اداب مكتبات ووثائق .
١١ ـ مشرف ومشرفة اجتماعية	بكالوريوس خدمة اجتماعية وخدمة في المجال التربوي بالمدارس الحكومية لا تقل عن ثلاث سنوات
١٢ ـ محضر مختبر ومحضرة مختبر	دبلوم المدارس الثانوية الصناعية ودورة تدريبية في المختبرات وان يكون له خبرة لا تقل عن خمس سنوات في مختبرات المدارس الحكومية .
١٣ ـ مدرس تربية مسرحية للتدريب في عدد من المدارس المختلفة المراحل .	بكالوريوس المعهد العالي للفنون المسرحية قسم القاء وتمثيل على ان تكون له خبرة لا تقل عن ثلاث سنوات في تدريب المسرح المدرسي واقامة حفلات المدارس مع احضار برامج وشهادات تثبت ذلك

١٤ ـ مدرسة تربية نسوية — بكالوريوس اقتصاد منزلي تخصص تدبير منزلي او خياطة وتفصيل ·

ثانيا : مدرسون للمرحلة الابتدائية والتخصصات المطلوبة هي : ـ

الوظيفة	المؤهل والتخصص
١ ـ مدرس علوم شرعية ولغة عربية	دبلوم معلمين (سنتان بعد الثانوية العامة أو خمس سنوات بعد الاعدادية تخصص علوم شرعية او لغة عربية ·
٢ ـ مدرس لغة انجليزية	دبلوم معلمين (سنتان بعد الثانوية العامة أو خمس سنوات بعد الاعدادية تخصص لغة انجليزية ·
٣ ـ مدرس رياضيات وعلوم	دبلوم معلمين (سنتان بعد الثانوية العامة او خمس سنوات بعد الاعدادية تخصص رياضيات وعلوم ·
٤ ـ مدرس تربية فنية	دبلوم معلمين (سنتان بعد الثانوية العامة أو خمس سنوات بعد الاعدادية تخصص تربية فنية ·
٥ ـ مدرس تربية رياضية	دبلوم معلمين (سنتان بعد الثانوية العامة أو خمس سنوات بعد الاعدادية تخصص تربية رياضية ·
٦ ـ مدرس تربية خاصة صم/بكم ·	دبلوم معهد تربية خاصة صم/بكم/ تربية فكرية ·

شروط عامة :

١ ـ يشترط في المتقدم لهذه الوظائف ان يكون لديه خبرة بعد التخرج لا تقل عن ثلاث سنوات في مدارس حكومية رسمية ·

٢ ـ ان لا يزيد عمره عن اربعين عاما ·

٣ ـ الراتب : يحدد وفقا لسلم الدرجات والرواتب المعمول بها على ضوء المؤهل والخبرة ·

٤ ـ العقد : لمدة ثلاث سنوات تبدأ من ١٥ سبتمبر (ايلول) ١٩٨٠ م قابلة للتجديد من سنة الى اخرى ويخضع لفترة تجربة مدتها سنة واحدة ·

٥ ـ اثبات اللياقة الطبية قبل مباشرة العمل ·

٦ ـ السكن : على مسئوليته وبمعرفته الخاصة لمن له ارتباطات اسرية ، وتدفع له علاوة السكن المقررة ، ويؤمن سكن اعزب فقط لمن ليس لهم ارتباطات اسرية بدولة قطر ·

٧ ـ ان يقبل المتعاقد معه العمل في اي جهة من مدن وقرى دولة قطر ·

٨ ـ يشترط في المدرسة ان يكون لها زوج او محرم شرعي في قطر ويجب ان يتضمن الطلب اسم الزوج أو المحرم ونوع قرابته ومكان عمله وعنوان اقامته في قطر ·

٩ ـ الاسفار : تمنح تسهيلات السفر المجانية من مكان التعاقد ومقر العمل عند التعيين وانتهاء الخدمة للموظف وعائلته وثلاثة من اولاده ممن هم دون الثامنة عشرة ·

١٠ ـ العلاج : مجانا للموظف وافراد عائلته المقيمين معه في قطر ·

١١ ـ المكافاة : بمعدل شهر واحد عن كل سنة كاملة في الخدمة (خدمة فعلية) وفقا للقواعد التي تقررها انظمة الموظفين بدولة قطر ·

تقدم الطلبات باسم وكيل وزارة التربية والتعليم ـ الدوحة ـ قطر ـ ص· ب (٨٠) وخلال شهر من تاريخ نشر هذا الاعلان ، ويذكر فيها الاسم الكامل والجنسية وتاريخ الولادة والديانة والمؤهلات العلمية ومدة الخبرة والوضع الاجتماعي (اعزب/متزوج) والعنوان الكامل ورقم الهاتف (ان وجد) ويجب ان يرفق بالطلب صورة فوتوغرافية حديثة لمقدمه ، وكذا صور عن شهادات المؤهل والخبرات وهي غير قابلة لاعادتها لاصحابها ، هذا ولا حاجة لارفاق اصول الشهادات مع الطلب ، على ان تبرز للجنة حين استدعاء الشخص للمقابلة ويكتب على زاوية المغلف (طلب وظيفة مع ذكر التخصص بالوظيفة التي يطلبها) وكل طلب غير مستوف للشروط اعلاه، سيهمل ، وسوف لا ينظر الى الطلبات التي ترد قبل هذا الاعلان ·

رءوف توفيق

حوار مع فنان يواجه الحقيقة

● الفروق الأيدلوجية بين الدول العربية تتسع وتضيق في مساحات متفاوتة

● لابد من الاتفاق أساساً على الحد الأدنى من حرية التفكير الفني

هناك تقدير خاص فى محيط السينما العربية ، للمخرج يوسف شاهين .. فما من فيلم يقدمه للشاشة العربية ، إلا ويثير جدلا واهتماما كبيرا .. لانه واحد من المخرجين القلائل الذين يبرعون فى تقديم وجهة النظر داخل إطار فنى متميز .. وسواء اقتنعت أو لم تقتنع بوجهة النظر هذه ، الا انه لا يمكن تجاهل الجهد والاخلاص للغة السينما المتطورة .. ومحاولة الاضافة والتجويد من فيلم لفيلم . !

وهذا الخط البيانى المتصاعد لهذه الموهبة الفنية .. يدعم موقفه دائما بين السينمائيين الشبان فى الوطن العربى .. فما من مهرجان او لقاء فنى يجمع بين السينمائيين الشبان ويوسف شاهين ، إلا ونجد هذا الاهتمام والنقاش الحار والجلسات الممتدة فى حب وتقدير .. وقد يحدث الاختلاف كثيرا ولكن هذا لا ينفى أبدا حالة الاعجاب !

وهذه الظاهرة نادرا ما تتكرر فى العلاقة بين السينمائيين الشبان وجيل المخرجين الكبار فى السن — على الاقل — ولا اقول الكبار فى التجربة والعمل الفنى .. لأن هناك احساسا ربما يكون معلنا او غير معلن بين غالبية السينمائيين الشبان ، بأن هؤلاء الكبار هم الذين أفسدوا السينما العربية ، وهم الذين عودوا المتفرج على نوعية معينة من الافلام .. أصبح من العسير الخلاص منها وتقديم النوعية الجديدة التى يحلمون بتقديمها !

ولكنهم مع المخرج يوسف شاهين .. يختلف الوضع !

المخرج يوسف شاهين

وعندما كنت اتحدث أخيرا مع يوسف شاهين .. وسألته عن النبض الجديد فى السينما العربية متمثلا فى هؤلاء السينمائيين الشبان الذين يحاولون تقديم انفسهم من خلال اعمال فنية تتخطى الدائرة التقليدية من الافلام العربية .. وجدت يوسف شاهين متحمسا وسعيدا .. واخذ يعدد لى بعض أسماء هؤلاء المخرجين الشبان من الجزائر إلى سوريا ، إلى العراق ،إلى تونس والمغرب ، إلى الكويت .. ثم توقف فى قلق ليقول لى :

(ان الاسماء كثيرة .. والتجارب اكثر .. واخشى أن أنسى احداً .. فأرجو الا تذكر أسماء .. ولنتحدث عن هذا الميلاد ككل .. انه شيء رائع حقا ..) !

وعندما أمتد بنا الحديث الى الظروف الصعبة التى قد تحيط بمحاولات بعض السينمائيين الشبان فى بعض الدول العربية وتمنعهم من العمل .. أو تدفعهم للتنازلات ، وتقديم أعمال مبتورة .

ثار يوسف شاهين واحتد وخرجت الكلمات عنيفة تدين هذه المؤسسات الثقافية والفنية ولوائحها ورقابتها .. وتوقف قلمى عن تسجيل كلماته .. فنظر لى بدهشة وهو يقول بنفس الحدة (لماذا لاتكتب رايى .. انا لا اخاف من عقاب هذه المؤسسات .. واذا لم أقل أنا هذا الرأى فلن اكون يوسف شاهين)!!

وازددت اعجابا به .. خصوصا فى ظروفه الاخيرة وهو يعانى من ضائقة مالية حادة وأزمة نفسية ، نتيجة بعض الآراء التى قيلت عن فيلمه الاخير (اسكندرية .. ليه) ، والتى تسببت فى منع توزيع وعرض هذا الفيلم فى بعض الدول العربية !

وانا هنا لا أناقش هذه الآراء .. ولا

فيلم الارض

يوسف شاهين ممثلا في فيلم « باب الحديد »

اتحدث أساسا عن فيلم (اسكندرية .. ليه) ..ولكننى اتوقف بالتأمل عند ظاهرة هذا النان المتأجج بالحيوية ، العاشق لعمله ، والذى تقويه الازمات والضربات فيتحدى بالفن ويعكف على فكرة يعذيها كل يوم حتى تنضج وتصبح ثمرة ملفتة للانظار !

أنه يقول عن نفسه : اننى حر تماما فى احتيار موضوع فيلمى .. وحر تماما فى طريقة تنفيذه .. والمتفرج حر أيضا فى طريقة تقبله لما اريد أن أقوله .. حر فى الرفض .. حر فى القبول .. كل ما أطلبه أن يعاملنى الناس بقلب مفتوح .. وألا يحملونى أشياء لم اقصدها ، وأفكارا لم أقلها !

● الحساب مع النفس

ويوسف شاهين يقترب عمره الان من عامه الرابع والخمسين (من مواليد عام ١٩٢٦) تخرج من كلية فيكتوريا بالاسكندرية عام ٤٦ .. وحقق حلمه بالسفر الى أمريكا لدراسة الفن فى معهد (باسادينا بولاية كليفورنيا .. وتخرج من هناك عام ٤٨ (وحلم السفر الى أمريكا ، يعبر عنه بتسميته — الحلم الهوليودية — الذى ولد داخله نتيجة تردده على دور السينما التى تعرض غالبا — بل دائما — الافلام الامريكية وانبهر بها ، وبهذا العالم الوردى الملىء باستعراضات — استر وليامز — .. (وهو ما حكى عنه فى فيلمه الاخير اسكندرية .. ليه) إنه الآن يسخر من هذا الحلم الهوليودى .. وبعيد اكتشاف مراهقته بعد سنوات النضج والمعاناة ..

يقول لى : (بعد هزيمة حرب يونيو ٦٧ .. افقت لنفسى وبدأت اتساءل كثيرا عما يحدث حولى .. وكانت افلام — الارض — و الاختيار و — العصفور — و — عودة الابن الضال —

وفى عام ٧٧ .. تعرضت للموت .. اكتشفت أن قلبى غير سليم واحتاج لجراحة سريعة ودقيقة .. فى هذه اللحظات بين الحياة والموت .. بدأت أواجه حقيقة نفسى .. الحقيقة كما يجب وبلا خجل .. بدأت أرى اهلى كما هم .. احبهم كما هم .. بدأت أشعر اننى اريد أن أحكى شيئا مختلفا .. وان اعيد اكتشاف نفسى بعيدا عن الحلم الهوليودى .. وبعيدا عن فترة القلق والتساؤل .. ومن هنا جاء فيلم (اسكندريه .. ليه) وقد شعرت بالسعادة الغامرة أثناء عملى فى هذا الفيلم ، حتى اكاد أجزم بأننى لم أشعر بالسعادة فى حياتى إلا اثناء تنفيذ هذا الفيلم .. فاننى أحكى عن مدينة احبها من خلال أهلى وأصدقائى وسنوات مراهقتى ، والحلم باثبات الذات والحنين الى العلم واستكمال الدراسة فى ظل ظروف صعبة .. فى هذا الفيلم اردت أن أؤكد على أن الموهبة وحدها لا تكفى ، وان العلم هو الحقيقة .. وفى فيلمى القادم سأقابل نفسى ككل ، انها مرحلة الحساب مع النفس)

● مهرجانات وأسابيع

ويصل يوسف شاهين الى هذه المرحلة الفنية بعد رحلة عمقها ٢٤ فيلما طويلا وثلاثة أفلام قصيرة .. بدأت الرحلة بشكلها العملى داخل الاستوديوهات عام ٤٩ ، أى أنه بدأ فى الاخراج وعمره ثلاثة وعشرون عاما فقط .. وكان أول أفلامه (بابا امين) .. ثم توالت الافلام حتى كانت مفاجأته المذهلة التى لفتت الانظار إليه بقوة ، فيلم (باب الحديد) الذى شارك فى بطولته .. وكان هذا فى عام ١٩٥٨ ، وفى العام التالى قدم (جميلة الجزائرية) .. ثم كانت القفزة الأخرى عام ١٩٦٣ فى فيلم (الناصر صلاح الدين) ويبدأ بعدها مرحلة البحث والقلق الاجتماعى التى ظهرت بوادرها مع فيلم (فجر يوم جديد) عام ٦٥ .. ثم تضطره ظروفه المادية لنقل نشاطه الى لبنان ليستقر فيها لمدة أربعة أعوام يخرج خلالهافيلمين (بياع الخواتم) و (رمال من ذهب) .. ويعود الى مصر عام ٦٩ ليخرج (الأرض) وتتكثف كل التساؤلات الاجتماعية والسياسية فى ثلاثية (الاختيار) (العصفور) (عودة الابن الضال) حتى كان فيلمه الأخير (إسكندرية .. ليه) والذى فاز بجائزة لجنة التحكيم الخاصة فى مهرجان برلين السينمائى لعام ٧٩ .. وعرض الفيلم فى أكثر من مهرجان بعد ذلك .. وفى اكثر من اسبوع لأفلام يوسف شاهين .. حتى بلغ عدد المهرجانات والاسابيع التى عرض بها فى ٢٧ دولة آخرها اسبوع افلام يوسف شاهين فى الهند ، واسبوع لافلامه فى السويد ..

وفى شهر مارس الحالى تقيم بولندا

فيلم العصفور

مهرجانا سينمائيا تحت عنوان (مواجهة ٧٩) تقدم فيه أهم الافلام التى انتجت فى العام خلال سنة .. وقد اختارت ادارة المهرجان فيلم (اسكندريه .. ليه) ليشترك فى هذا المهرجان .

وفى الاسابيع السينمائية التى تقام لعرض أهم افلام يوسف شاهين .. دائما ما يوضع فيلم (باب الحديد) فى المقدمة كأحد العلامات البارزة فى فن هذا المخرج .. بل أن كثيراًمن النقاد فى الغرب أعتبروه اهم افلامه !

● السينما العربية .. والسلطة !

ويوسف شاهين عندما يتحدث عن وضع السينما العربية وما تواجهها من مشاكل وصعوبات .. فهو لا يفتقر إلى الصراحة أو الوضوح .. إنه يرى الأزمة سببها الذين يشرفون على صناعة السينما .. ومخاوفهم الشديدة من الافلام التى تحمل وجهة نظر !!

ويقول : (لا ينقصنا السينمائى العربى .. ولا الناقد العربى .. ولا المتفرج العربى .. انما ينقصنا السلطة العربية التى تحترم مواهب الغير وتستخدم الفنان كسلاح يحقق غرضها هى فقط كسلطة .. فبعض مؤسسات السينما العربية تشكلت من أفراد لا علاقة لهم بالفن ولكن لمجرد انهم أصحاب ثقة) !!

ويلخص الحل بقوله : (أعطوا المسئولية لأصحاب المهنة .. فهم أدرى بها .. وأكثر حرصاً عليها .. لأنها هى مستقبلهم وكيانهم)

● اتحاد سينمائى عربى

وعندما أحكى ليوسف شاهين عن حلمى الخاص الذى طالما اشتاق لرؤيته واقعا عربيا مجسدا .. بأن يتجمع السينمائيون العرب فى شبه اتحاد ـ لا يهم اين يكون مقره ـ المهم أن يصبحوا كتلة واحدة يملكون أدواتهم الفنية المختلفة .. وهم بذواتهم الشخصية والفنية هم رأس المال الفعلى .. ومن خلال هذا الاتحاد يخططون لانتاج سينمائى عربى عن طريق التمويل بالأسهم والتى تطرح فى الاسواق العربية .. ويقومون ايضا بتوزيع افلامهم عربيا وعالميا .. بمعنى توحيد الفن العربى .. وظهور الفيلم العربى .. فى المهرجانات والاسواق العالمية ..

بهلوانا .. ولا راقصا .. وكما اننا نحتاج للعسكرى فى المعركة .. فنحن نحتاج للقلم وللكاميرا .. وبنفس الأهمية) !

ويحدد يوسف شاهين موقفه .. وتأييده لقيام مثل هذا الاتحاد السينمائى العربى ، وبالشروط التى ذكرها .

والفكرة مطروحة للنقاش على صفحات (الدوحة) .

● السينما البديلة

وننتقل بالحديث الى السينما المصرية .. وهذه النغمة التى تتردد بين الحين والآخر تطالب بقيام (سينما بديلة) تتخلص من كل عيوب السينما المصرية .. وتواجه متغيرات العصر .. يرد يوسف شاهين بهدوء شديد .. (أنا لا اسميها سينما بديلة .. ولكن سينما مكملة .. بل اننى اطالب بأن تكون السينما العربية هى بديلة ككل عن السينما الامريكية والسينما الصهيونية .. واننى اتساءل بمرارة كيف تخاف إحدى الدول العربية من عرض فيلم عربى انتجته دولة شقيقة .. ولا تخاف هذه الدولة أو أى دولة أخرى من عشرات الافلام الامريكية الفاسدة المخدرة .. ان جميع دور العرض فى الوطن العربى تعرض أسوأ ماتنتجه السينما الامريكية والايطالية .. افلام مليئة بالسموم المستوردة .. وهذا من أغرب الأمور فى الوطن العربى .. ولابد من محاسبة ومحاكمة هذه اللجان أو الهيئات التى تقرر استيراد مثل هذه الافلام .. اننى عندما اسمع ما يقال عن السينما البديلة .. فانا لا اتصور قيام سينما بديلة عن السينما المصرية .. أو بديلة عن السينما الجزائرية .. بل اتصور ان نعطى هذه السينمات المزيد من الفرص والتشجيع .. واننى أقرر أنه ليس هناك بديل عن الفيلم الجيد .. وان الفيلم الجيد ليس له جنسية ..

● ●

الى هذه النقطة ينتهى هذا اللقاء مع يوسف شاهين .. واعتقد ان هناك اكثر من فرصة لفتح النقاش فى بعض ما قيل .. وليتنا نتحاور حتى نصل الى اتفاق يجمع شمل السينمائيين العرب .

هل هذا مستحيل ؟ !

رءوف توفيق

فيلم اسكندريه .. ليه !

فيلم عودة الابن الضال

والوطن العربى لا تنقصه الكفاءات أو المواهب الفنية .!

ولا تنقصه الموارد المالية !

ولا تنقصه قوة الارادة .. إذا أراد ..!

فما الذى يمنع من تحقيق هذا الحلم

يوسف شاهين يستمع .. ويتحمس .. (إنه سيكون عملا عظيما .. وانا مستعد منذ هذه اللحظة أن أساهم فيه)

ثم يتردد قليلا .. وفى ذهنه كل الحسابات العربية .. أو بمعنى أدق كل الحساسيات ..

يقول : (ولكن هناك بعض المخاوف .. أولا .. الفروق الايدلوجية بين الدول العربية تتسع وتضيق فى مساحات متفاوته ولا بد من الاتفاق أساسا على الحد الادنى من حرية التفكير الفنى ..

(ثانيا .. الذى سيساهم فى تمويل هذا الاتحاد .. إلى أى حد سيفرض سيف التمويل على حرية الابداع الفنى ؟)

ويتمعن يوسف شاهين فى فكرة هذا الاتحاد .. ثم يعود لحماسه : (هناك اتفاق تام على الاحتياج لمثل هذا الاتحاد .. ومن الممكن التوصل بعد اجتماعين أو ثلاثة إلى الحد الأدنى من الاتفاق على نصوص التفكير والتعبير الفنى .. إن أى سينمائى جاد يرحب بأى اتحاد يحميه ويعطيه فرصة للانطلاق .. ولكن كل الخوف من القيود والصعوبات أثناء العمل) !

ويؤكد يوسف شاهين بأنه لا يمكن فصل السياسة عن الفن .. (أنا لست مهرجا .. ولا

المخرج المسرحي جندي مجهول أم ديكتاتور غاشم؟

حافظ أحمد أمين

المخرج المسرحي أحد ثلاثة أنواع :

أما النوع الاول فهو المخرج المثقف ، أو مخرج النص ، وهو الذي يختار المسرحية والممثلين ، ويدير عروض الاعداد (البروفات) ، وكل همه توصيل ما يريد أن يقوله المؤلف .

هذا النوع من المخرجين ، يضع نصب عينيه دائما النص المسرحي ، ويحترم أكثر ما يحترم مؤلف المسرحية ، يرجع اليه — ان كان من الاحياء القريبين — يسأله فيما غمض عليه ، ويطلب منه ايضاح فكره ، ويرجوه الحضور لمتابعة عمله ، وابداء رأيه فيه .

فان كان الاتصال بالمؤلف أمرا شاقا أو مستحيلا ، استعان المخرج بما كتبه النقاد والمفسرون عن المسرحية ، وبذل معظم جهده في تحليل النص وكشف أغواره .

ومخرج النص هذا يوزع الادوار — عادة — على ممثلين مثقفين ، متحمسين هم أيضا للنص المسرحي ، مدركين ماذا يريد أن يقوله المؤلف على السنة شخصيات المسرحية ، راضين بأن يكونوا جنودا مجهولين في عرض لا يراد منه الا توصيل فكرة المؤلف الى الجمهور كأحسن ما يكون التوصيل . وفي هذه الحالة يكون المخرج المسرحي أكثر زهدا من الممثلين في الشهرة والظهور ، ذلك لأن ثقافته ، ودراساته الادبية والفنية ، حصرت أهدافه في خدمة المناخ المسرحي ، وانعاش المسرح الجاد .

ويزدهر مثل هؤلاء المخرجين وتكثر عروضهم في الفترات التي ينتعش فيها المسرح الجاد ، ذلك بسبب توافر المسرحيات الحية النابضة ، واقبال الجماهير على العروض الهادفة ، وحرية المؤلفين في تصوير المشكلات العامة ، والصراعات الجوهرية .

مخرج الممثل

أما النوع الثاني من المخرجين ، فهو المخرج التجاري ، أو مخرج الممثل ، وهو الذي يعتقد بأن معظم رواد المسرح يقبل عليه من أجل رؤية أبطال المسرحية ، وهو يريد ارضاء الجمهور وتلبية رغبته ، فهو — لذلك — يستخدم النص المسرحي لاظهار مواهب الممثلين ، واستعراض كمية (الحضور) التي يتمتع بها كل ممثل ، ولا بأس في هذه الحالة من عرض نصوص ضعيفة ، ولا بأس من خروج الممثلين عن النص المقدم، ما دام الهدف ينحصر فقط في ابهار المتفرجين بقدرات الممثلين .

هذا النوع من المخرجين يوزع الادوار — عادة على ممثلين محبوبين ، ذوي حضور ضخم ، وحبذا لو كانوا من نجوم السينما ، وفي هذه الحالة يكون من أهم أعمال المخرج اذلال المؤلف وتصغير شأنه ، وحبذا لو منعه منعا باتا من حضور التجارب (البروفات) تجنبا للمشكلات ، بل

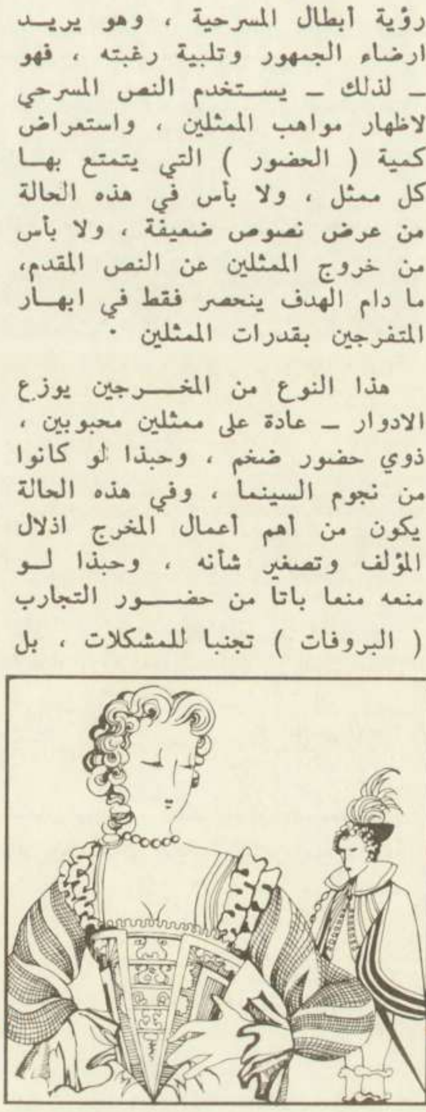

ومن أهم أعمال هذا النوع من المخرجين أن يكبحوا جماح أنفسهم ، فلا أبطال في هذه العروض الا الممثلين ، فان ابتغوا الشهرة قاموا بأدوار رئيسية في المسرحيات التي يخرجونها .

ويزدهر مثل هؤلاء المخرجين وتكثر عروضهم في الفترات التي ينتعش فيها المسرح التجاري ، بسبب تهافت الجماهير على متابعة أعمال نجومهم المحبوبة .

والمخرجون من النوعين : الاول والثاني ، جنود مجهولون ، لا يبغون من عملهم الا انجاح عروضهم المسرحية ، وان لم تلمع أسماؤهم مع هذا النجاح .

والاختلاف بين النوع الاول والثاني ينحصر في تعريف كلمة (النجاح) ، فالاول : يبغي النجاح الادبي ، والثاني : النجاح التجاري، ويلمع في الحالة الاولى اسم المؤلف ، وفي الثانية أسماء الممثلين .

مخرج الازمة

أما النوع الثالث : من المخرجين فهو الدكتاتور الغاشم ، أو مخرج المخرج ، الذي لا يهتم الا بنفسه وبمكاسبه الشخصية ، ولا يحترم الا ذاته وفنونه في الاخراج من أجل أن يلمع وحده، دون غيره من المؤلفين أو الممثلين .

ويظهر هذا النوع من المخرجين — عادة — في فترات انكماش المسرح — الجاد والتجاري على السواء — ويزدهرون مع ركود المناخ المسرحي، ويعملون على استفحال الازمة وعلى استمرار الانهيار .

والمؤلف بالنسبة لهذا النوع الدكتاتوري صغير الشأن ، والممثل

- المخرج الذى يضع النص المسرحى نصب عينيه احتراماً للمؤلف
- لماذا تكثر عروضهم فى فترات انتعاش المسرح الجاد؟
- حين يتولى المخرجون إدارة الفرق.. تزداد الأزمة تفاقماً

أداة يستخدمها في خدمة حيله المسرحية ، وفي ابهار المتفرجين باستعراضاته في فنون الاخراج ، من حركة ومناظر وملابس ومؤثرات موسيقية وضوئية وغير ذلك ، يكتب اسمه في الاعلانات والنشرات المطبوعة بحجم يساوي أضعاف الحجم الذي يكتب به اسم المؤلف وأسماء الابطال من الممثلين .

ويعتقد مخرج المخرج هذا ، ان وظيفته الاساسية هي الادارة ، ليست فقط ادارة العرض المسرحي ، ولكن ادارة الفرقة المسرحية بأكملها ، فلا يستريح الا اذا عين رسميا في هذا المنصب ، وهو أمر نراه مألوفا في أوقات الازمة والكساد ، حيث يتولى المخرجون من النوع الثالث ادارة الفرق المسرحية ، ومن هنا تزداد الازمة تفاقما ، ويستكمل الكساد حلقاته .

فعندما يتولى مخرج المخرج منصب مدير الفرقة ، فان أول فشل يقع فيه هو طريقة اختياره للنصوص ، واختيار النص هو أول أعمال المدير، وعلى أساسه يتحدد أكثر من تسعين في المائة من نجاح العمل أو فشله ، لأن تحقيق أهداف الفرقة المسرحية يتحدد منذ البداية بالطريقة التي يتم بها اختيار النص ، فان كان المدير يدير فرقة جادة ، اختار المسرحية الحية الهادفة ، وان كان المدير صاحب فرقة تجارية اختار المسرحية التي تظهر مواهب ممثليه ، أما اذا كان المدير من النوع الثالث من المخرجين فلن يختار من النصوص الا ما يناسب مزاجه وتخصصه ، وهو في هذا شبيه بالمهندس شديد التخصص عندما يتولى ادارة شركة انتاجية ، فيحصر همه في متابعة الاعمال الهندسية دون غيرها ، أو بضابط يتولى ادارة مؤسسة فلا يهتم فيها الا بأعمال الضبط والربط .

الدفع للعازف

والمخرج من النوع الثالث هذا يخطىء عندما يظن انه قادر على أن يفرض نفسه بطلا للعرض المسرحي ، فأبطال العروض المسرحية يكونون اما مؤلفين أو ممثلين ، ويندر أن يقبل مشاهد المسرحية على العرض من أجل المخرج . صحيح أن مخرج الفيلم السينمائي يعد احد أبطال العرض - بسبب أهمية الحيل والمناظر وفنون الاخراج في الفن السينمائي - وصحيح أن مخرج المسرحية هو البطل الاول أثناء اجراء تجارب الاعداد ، وأن عمله يساهم في نجاح العرض أو فشله ، ولكن هذا لا يغير من حقيقة واضحة في مجال المسرح ، وهي أن المخرج المسرحي الناجح يجب أن يكون جنديا مجهولا، يضع نفسه في خدمة المؤلف أو في خدمة الممثلين .

حالة واحدة فقط يكون فيها المخرجون من النوع الثالث أبطالا للمسرح ، ذلك عندما تنكمش الحياة المسرحية ويأتي زمن الكساد ، في هذه الحالة نرى معظم مديري الفرق المسرحية يعينون من المخرجين الدكتاتوريين ، الذين يطردون كبار المؤلفين والممثلين خارج الحياة المسرحية - وربما خارج البلاد كلها - ولا يتعاملون الا مع مؤلفين وممثلين من الدرجة الثالثة ، الذين يرضون بالنظم التحتانية التي يضعها هؤلاء المخرجون لتوزيع الدخول والاعمال ، دون رقابة أو منطق ، اللهم الا منطق (يا بخت من نفع واستنفع) .

وشيئا فشيئا يتحول هؤلاء المخرجون المديرون الى (مقاولي أنفار) ، يتحكمون في أرزاق كل من يعمل في مجال المسرح ، ومن يتحكم في أرزاق رجال المسرح يتحكم في الحركة المسرحية كلها ، أو كما يقول الانجليز (من يدفع للعازف ، يطلب ما يروقه من الحان) .

حافظ أحمد أمين

كان الطبيب يقوم باجراء الكشف الطبى على احد المجندين لاداء الخدمة العسكرية إبان الحرب الاخيرة ، وبعد ان اجرى له الاختبار الخاص بقوة الابصار تبين له ان المجند يكاد لايبصر شيئاً على الاطلاق ولكنه كان يحس فى قرارة نفسه بان المجند قد قام بخداعه .

وصدق حدسه فى اليوم التالى إذ التقى نفس المجند فى دار للسينما فى قلب لندن فالتفت الطبيب باحثاً عن الشرطة العسكرية وهنا لمح الرجل الطبيب فتقدم نحوه ووضع يده على كتفه متسائلا : « سيدتى ، هل هذه هى الحافلة المتجهة الى ليفربول ؟ »

كان مغنى الاوبرا الانجليزى يغنى امام جمهور إيطالى مرة وظل الجمهور يطالبه بترديد المقطع الأول كلما انتهى منه مما حدا بالمغنى ان يرفع يديه طالبا السكوت :

« سيداتى سادتى اشكركم على هذا التجاوب المذهل ولكننى يجب ان اكمل بقية الاوبرا »

هنا اعترضه احد المستمعين الطليان :

« انت لا تفهمنا جيدا فنحن لا نريد ان تتوقف عن اداء الاوبرا ... إننا نطلب منك التكرار حتى تستطيع ان تؤدى المطلع بصورة صحيحة .»

المحولجي

خوان خوسيه أريولا

ترجمة : محمد عبدالله الشفقي

وصل الغريب الى المحطة المهجورة وقد تقطعت أنفاسه . لم يصادف من يعرض عليه مساعدته في حمل حقيبته . وكان متعبا للغاية . مسح وجهه بمنديله ، متطلعا الى القضبان التي تلاشت في الافق .. نظر في ساعته يائسا مهموما : ان القطار يجب أن يغادر المحطة في هذه اللحظة على وجه التحديد .

وثمة من يربت على كتفه . ويستدير الغريب ليجد قبالته عاملا من عمال السكك الحديدية : رجل عجوز ضئيل ، يحمل مصباحا أحمر اللون . نظر الى الغريب مبتسما ، وسأله الغريب :

« هل رحل رجل القطار ؟ »

« من الواضح أنك لم تفد الى هذا البلد الا منذ فترة وجيزة » .

« يجب أن أرحل في التو واللحظة ، لابد أن أصل الى (ت) غدا على الاكثر » .

« انت تجهل تماما ما يجري . عليك أولا أن تبحث عن مكان تأوي اليه في فندق المسافرين » وأشار الى مبنى رمادى غريب يبدو وكأنه سجن .

« لا ارغب في الاقامة ، وانما أود أن أستقل القطار » .

« انما انت بحاجة الى استئجار غرفة فورا ، هذا اذا توافرت غرفة . اذا استأجرتها لشهر فسيكون ذلك أرخص ، وستكون الخدمة أفضل .

« هل جننت ؟ لابد أن أصل الى (ت) غدا على الاكثر » .

« الواقع انه حرى بى أن اتركك لحظك . ومع ذلك سأزودك ببعض المعلومات » .

« أرجوك » ..

هذا البلد ، كما تعلم ، مشهور بقطاراته . الى الان لم يتسن ترتيبها على نحو سليم ، لكن تم تحقيق انجازات كبيرة في مجال نشر جداول المواعيد وبيع التذاكر . ان دليل الطرق الحديدية يضم كل مدن الامة ، ويربط بينها جميعا ، ويتم بيع تذاكر حتى الى أصغر القرى وأبعدها . غير أن القطارات تفشل في ترجمة المعلومات الواردة في الدليل الى واقع ، ولا تمر في الواقع بتلك المحطات . ومواطنو الامة يتوقعون هذه المخالفات ، وان وطنيتهم لتمنعهم من التعبير عن أي ضرب من ضروب السخط » .

« لكن ، ألا يمر قطار بهذه المدينة ؟ »

« ان التأكيد بعدم مرور قطار أمر تعوزه الدقة . ها أنت ترى أن القضبان موجودة ، وان كانت تعاني من عدم الاصلاح . وفى بعض المدن لا يدل على وجود قضبان الا خطان رماديان على الارض . وعلى ضوء الظروف الراهنة ليس هناك ما يلزم قطارا بالمرور في هذه الناحية ، لكن بعضها قد يمر . وخلال سنى عمرى شهدت قطارات عديدة تمر من هنا ، واعرف مسافرين نجحوا فى ركوب تلك القطارات . فاذا أنت انتظرت ، والمفروض أن تنتظر ، فقد يكون لي شرف مساعدتك على الصعود الى عربة جميلة ومريحة من عربات القطار » .

« فهل سيوصلني هذا القطار الى (ت) ؟ »

« ولماذا تصر على أن تكون المحطة (ت) ولا شيء غيرها ؟ حرى بك أن تسعد حين تنجح في ركوب قطار . ما أن تجد نفسك داخل قطار حتى تتخذ حياتك وجهة أو أخرى . ماذا يهم ، اذا لم تكن الوجهة (ت) ؟ »

« الواقع أنى أحمل تذكرة وجهتها (ت) و من المنطقي ان أؤخذ الى ذلك المكان ، ألا توافقني على ذلك ؟ »

« ليس هناك من ينكر أنك على صواب . ستتاح لك ، فى فندق المسافرين ، أن تتحدث الى أشخاص احتاطوا للامر فاشتروا عددا هائلا من التذاكر . وبصفة عامة فان أصحاب النظر البعيد يشترون تذاكر لكل مكان في البلاد . ولقد أنفق البعض ثروات هائلة على شراء مثل هذه التذاكر » .

« ظننت أني بحاجة الى تذكرة واحدة فقط كي أصل الى (ت) » .

« الامتداد القادم للسكك الحديدية الوطنية سيتحقق من اموال شخص واحد أنفق لتوه رأس مال ضخم على تذاكر ذهاب واياب تغطي رقعة تحتاج الى عديد من الانفاق والجسور ، رقعة لم يصدق مهندسو الشركة بعد على رسومها » .

« لكن ، ألم يتم بعد تسيير القطار الذي يمر بـ (ت) ؟ » .

« لا يقتصر الامر على هذا القطار وحده . الواقع أن الامة تضم عددا هائلا من القطارات ، وبمقدور

المسافرين أن يستخدموا هذه القطارات كثيرا نسبيا ، على أن يؤخذ في الاعتبار ان الخدمة ليست منتظمة وقاطعة . وبعبارة أخرى لا أحد يتوقع ، وهو يستقل قطارا ، أن ينقل الى المكان الذى يرغب » .

« كيف يحدث هذا ؟ » .

« ان الشركة ، التواقة الى خدمة الجمهور ، تجد نفسها مضطرة الى اتخاذ اجراءات يائسة . لديها قطارات للسير في أراض لا يمكن اجتيازها . بعض هذه القطارات يسير أحيانا لسنوات ، وهنا يتعرض وجود المسافرين لتحولات هامة . بات من المعتاد حدوث وفيات ، ومن اجل هذا تلحق الشركة بتلك القطارات عربة تضم كنيسه صغيرة لمراسم الجناز ، وعربة أخرى تضم المدافن . سيحين اليوم الذى ستودع فيه الجثة على رصيف المحطه الواردة فى تذكرة الميت . ومن حين لاخر تسير القطارات في مناطق اختفى منها أحد القضبان وهكذا يهتز جانب كامل من العربة اهتزازا مؤلما ، فالعجلات ترتطم بالعوارض الخشبية للطريق الحديدى غير أن ركاب الدرجة الاولى – انصياعا منهم لاوامر الشركة – يجلسون عند الجانب الذى يوجد ناحية القضيب الوحيد . أما ركاب الدرجة الثانية فيحتملون الضربات بتسليم . لكن هناك مناطق يختفي منها القضيبان ، هنا يتساوى كل الركاب في المعاناه ، الى أن تحين اللحظة التي يتحطم فيها القطار تماما » .

« سبحان الله ! »

« ظهرت قرية (ف) نتيجة لحادث من هذا القبيل . وصل القطار الى أرض يستحيل اجتيازها . أخذت الرمال تسحق العجلات الى أن تاكلت حتى محاورها . لبث الركاب مجتمعين زمنا طويلا ، الى أن أثمرت أحاديثهم التافهة صداقات حميمة . وأسفرت بعض هذه الصداقات عن زيجات ، وانتهى الامر الى ظهور قرية كاملة ، هى القرية (ف) ، العامرة بالاطفال الذين ينبضون بالحيوية ، ويلعبون بما تبقى من قطع القطار الصدئة » .

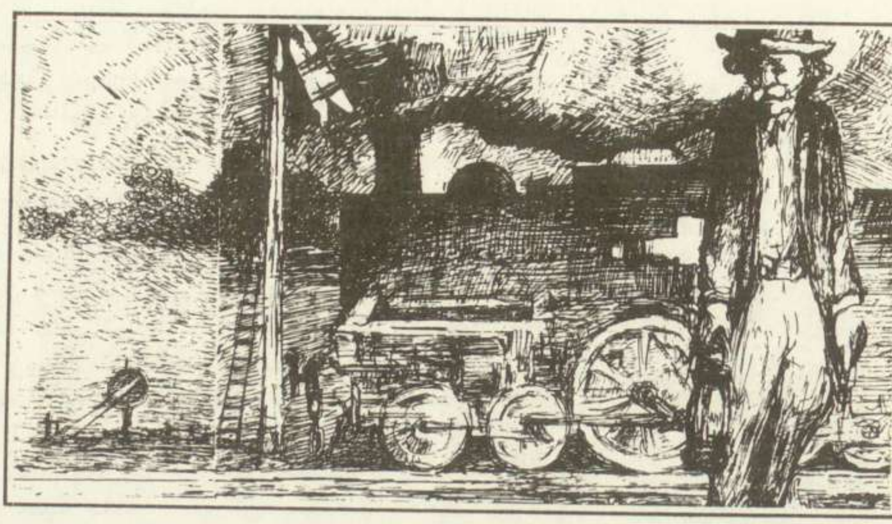

« الهى ، لا قبل لي بمثل هذه المغامرات ! » .

« عليك أن تشرع في استجماع أطراف شجاعتك ، من يدري ، ربما صرت بطلا . فدائما ما تسنح الفرص أمام الركاب كي يكشفوا عن شجاعتهم وقدرتهم على التضحية بالذات . في احدى المناسبات صار مائتا راكب أبطالا ، فقد حدث خلال احدى الرحلات أن لاحظ المهندس ، في الوقت المناسب ، أن ثمة جسرا مفقودا في الطريق ، جميل .. بدلا من أن يعود أدراجه تحدث الى الركاب ، وحقق على ايديهم الجهد اللازم للتحرك قدما . ففي ظل اشرافه الذى لا يفتر تم فك القطار قطعة قطعة ، وعلى اكتافهم حمل الركاب هذه القطع واجتازوا بها الوهد الذى يتدفق في قاعه نهر ثائر . كانت نتيجة هذا الانجاز جد مرضية لدرجة أن الشركة صرفت النظر نهائيا عن اقامة جسر ، بعد أن وافقت على اجراء تخفيض مغر على تذاكر الركاب المستعدين لمواجهة هذه المتاعب الاضافية » .

« لكن ، يجب أن أصل الى (ت) غدا على الاكثر ! » .

« من الواضح أنك لا تريد التخلى عن مشروعك . أنت رجل يؤمن بشىء ! فالى أن يتحقق مطلبك فان أفضل ما يمكن أن تفعله هو أن تقيم بالفندق وتستقل أول قطار يمر من هنا . لا أقل من أن تحاول هذا رغم أن الف شخص سيحاولون الحيلولة دون ذلك . عندما يصل قطار فان المسافرين الذين طفح بهم الكيل لطول الانتظار ، يتدافعون خارج الفندق ويغزون محطة القطار . وكثيرا ما يتسببون في حوادث مرجعها افتقارهم الى الذوق والحكمة . وبدلا من أن يستقلوا القطار بطريقة منظمة يسحق الواحد منهم الاخر تحت الاقدام ، وأهون ما يحدث هو أن كل واحد يحرم الاخر من الصعود الى العربة ، وهكذا يتحرك القطار مغادرا المحطة تاركا الركاب يتقاتلون فوق الرصيف » .

« الا يتدخل البوليس ؟ » .

« حاولت الشركة تنظيم قوة بوليسية في كل محطة ، غير ان هذه الخدمة باتت عديمة الجدوى ، وجد مكلفة ، بسبب استحالة التنبؤ بموعد وصول القطارات يضاف الى هذا أن البوليس بين منذ البداية أنه مرتش ، فلقد خصص كل وقته لمساعدة الركاب الاثرياء فقط .

وازاء هذا تقرر انشاء مدرسة خاصة يتعلم فيها الركاب السلوك الحميد ، وكيف ينفقون ما تبقى من عمرهم في القطارات . يضاف الى هذا أنهم يتعلمون الطريقة الصحيحة

للصعود الى قطار متحرك ، كما يزودون بدروع تحميهم من غيرهم من المسافرين » ·

« لكن ، هل تنشب متاعب جديدة بعد الصعود الى قطار ؟ »

« نعم ، بعض المتاعب · عليك أن تكون متيقظا حتى تتعرف على المحطة التى تريدها · قد يتراءى لك أنك وصلت الى المحطة (ت) ، ثم يتضح أن ذلك محض أوهام · هناك محطات ظاهرية فقط ، انها مقامة في قلب الاحراش ، وانها لتحمل اسم مدينة هامة · غير أن أدنى قدر من الانتباه سيكشف عن الخدعة · انها شبيهة بديكور المسرح ، والناس هناك عرائس حقيقية محشوة بنشارة الخشب ، ومظهرها يكشف عن الدمار الذى يحدثه التعرض للظروف الخارجية · وهى أحيانا صورة متقنة للواقع : ان وجوهها تحمل آثار الارهاق الذى لا نهاية له » ·

« من حسن الحظ أن المحطة (ت) لا تبعد عن هنا كثيرا » ·

« لكن ، ليس بيننا وبينها خط مباشر في الوقت الحالي ·

وقد تصل الى (ت) غدا على الاكثر ، وتلك هى رغبتك · رغم أن تنظيم السكك الحديدية غير كفؤ ، الا أنه لا يستبعد رحلة بدون توقف·

هناك أشخاص لم يدركوا ما يجرى حولهم · انهم يشترون تذكرة للذهاب الى (ت) · ويصل قطار ، ويستقلونه ، وفي اليوم التالي يعلن السائق · نحن الان في المحطة (ت) ، ودون أية احتياطات يغادر الركاب القطار فاذا بهم يجدون انفسهم حقا في (ت) » ·

« ما الذى أستطيع صنعه كي أصل الى نفس النتيجة ؟ » ·

« هناك بالطبع ما يمكن صنعه · لكن ، هل سيفيدك هذا ؟ ذلك ما لا نستطيع الجزم به · ومع ذلك، حاولْ · اركب القطار وقد سيطرت عليك فكرة الوصول الى (ت) » · لا تتكلم مع أي مسافر · فقد

يربكونك بحكاياتهم، بل قد يتجسسون عليك » ·

« ماذا تقول ؟ »

« القطارات مليئة بالجواسيس ، هؤلاء الجواسيس ، ومعظمهم من المتطوعين ، يبثون الروح البناءة للشركة · يحدث أحيانا أن تتكلم لمجرد الكلام ، لكنهم سرعان ما يأخذون في اعتبارهم شتى

المعانى التى قد تحملها عبارة ما · انهم يعرفون كيف يستخلصون رأيا مدانا من ملاحظة بريئة · اذا ارتكبت اتفه تهور فسيقبض عليك دون امهال ، وستنفق ما تبقى من حياتك في عربة السجن ، أو قد يجعلونك تغادر القطار عند محطة وهمية ، ضائعة فى الاحراش · الافضل لك أن تسافر مفعما بالايمان ، متناولا أدنى كمية من الطعام : ولا تغادر القطار الا حين تلمح في (ت) وجها تعرفه » ·

« لكنى لا اعرف مخلوقا فى (ت) » ·

« فى هذه الحالة يجب مضاعفة الحذر ، أوكد لك انك ستصادف فى الطريق مغريات كثيرة · اذا أطللت من النافذة فقد تقع فى شرك سراب · ان النوافذ مزودة بأجهزة ذكية توهمك بشتى التصورات · ثمة اجهزة تدار من القاطرة فتجعلك تتصور - منخلال الضجة والحركة - ان القطار يسير حقا · ورغم ان القطار يربض فى مكانه بالمحطة لاسابيع يعتقد المسافرون انهم يشهدون مناظر طبيعية خلابة تمرق امامهم من وراء نوافذهم · »

« ما هي الفكرة من وراء هذا؟ »

« ثمة هدف سليم منوراء هذا، ان الشركة تريد التخفيف من قلق المسافرين ، والقضاء بقدر الامكان على الاحساس بالحركة · ان الامل معقود على ان يستسلم المسافرون يوما للصدفة تماما - فلا يعودون يهتمون الى اين هم ذاهبون أو من اين هم قادمون · »

« وانت هل سافرت كثيرا بهذه القطارات ؟ »

« أنا يا سيدى، مجرد محولجى متقاعد ، يظهر من حين لاخر ليستعيد الايام الخوالى · لم اسافر أبدا ، وليست لدى رغبة فى السفر · غير ان المسافرين يسرون الى بتجاربهم · واعلم ان القطارات أسفرت عن مدن عديدة غير القرية (ف) ، التي

حدثتك بأمر نشأتها . يحدث احيانا ان يتلقى قائدو القطارات أوامر غامضة . عندئذ يدعون المسافرين الى مغادرة العربات كى يستمتعوا بمنظر طبيعي ما - انهم يحدثونهم عن وجود كهف ، مساقط مياه ، اثار دارسة شهيرة ، ويقول السائق في عذوبة « وامامكم خمس عشرة دقيقة للاستمتاع برؤية هذا الكهف وذاك » وما ان يبعد المسافرون عن القطار حتى يهرب القطار بأقصى سرعة . »

« فما هو مصير الركاب ؟ »

« فى البداية يهيمون على وجوههم من مكان الى اخر ، وقد استبد بهم اليأس ، لكن الامر ينتهى بهم الى التجمع ، وانشاء مستعمرة . هذه الوقفات غير المتوقعة تتم في مناطق مناسبة ، انها بعيدة عن المدينة ، غير ان بها موارد طبيعية كافية ، ان القطار يخلف وراءه مجموعات منتقاه من الشباب ، مع كثير من النساء . الا تحب ان تقضى ما تبقى من عمرك فى ركن مجهول خلاب ، بصحبة فتاة شابة ؟ » .

غمز العجوز الضئيل بعينيه ، وللحظة حملق بطريقة شريرة فى المسافر ، وفى نفس الوقت يبتسم ، مفعما بالعطف . فى هذه اللحظة تناهى من بعيد صوت صفارة . وبضيق شديد قفز المحولجي وبدأ يعطى بمصباحه اشارات هوجاء ، مضحكة .

تساءل الغريب « أهو القطار ؟ »

شرع العجوز الضئيل يهرول فوق الخط الحديدى ، وعندما صار على مسافة من الغريب استدار وصاح :

« . أنت محظوظ .. غدا ستصل الى محطتك الشهيرة . ماذا كان اسمها ؟ »

أجاب المسافر « (اكس ! .) »
واختفى العجوز الضئيل وسط الصباح الرائق . لكن النقطة الحمراء المنبعثة من مصباحه ظلت تهرول وتقفز - بشكل خطر - بين القضبان ، فى طريقه الى استقبال القطار .

وكان القطار يقترب محدثا جلبة .

أنت أولا

شعر: محمد الظاهر

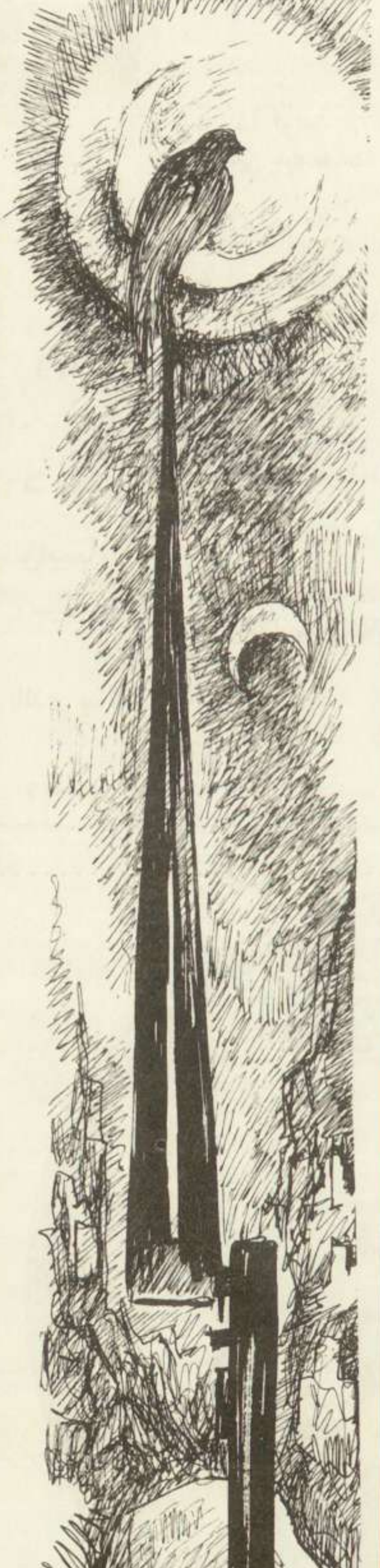

استهلال :
« والتين والزيتون
والشمس والقمر
ما كان موطنى عباءة للآخرين
ولا دمي حجر »

●●

كانت الأرض تبكى وتوقف دورتها
والمواسم تحرق غلتها
والقوافل ترمي بضاعتها
ورجال القبائل فوق الخيول العتاق
يعودون من ساحة السلم للسلم
والنفس تبلغ حد التراقي

●●

فلسطين
عودت قلبي ان ناح يرتاح ، لكنه لن ينوح
وعودت جسمي رفض الجراح ولكنني اعشق الآن
كل الجروح
الماء والدم سيان ،
انى أهز دم الآخرين ولكنه لا يفيق
والبنادق تثمر في كل عام ، ولكن بحر الأماني يضيق
فاكتبي بدمي اسمك الغجرى
واجعلي أحرف الفاء ، واللام ، والسين ، والطاء
والباء ، والنون
جنداً تحاصرني في المساء
وتفجؤنى في الصباح البهي

●●

دعيني اوحد أجزاء جسمي بهذا الدم العابر الآن
افقي
دعينى اجدد عشقى
فمن غيرك الآن يعطى لحنجرتي صوتها
وأوردتى دمها
وخارطتى حجمها
ويعيد التوازن للأرض كي تستفيق لتكمل دورتها

●●

فلسطين
إن الفصول عجاف
فلتكن للفصول إذن دورة في دمي
ولتكوني إذن سنبلة
ودمي وردة في الضفاف

- ●● -

هامش :
فلسطين عادة
فلسطين زنبقة واطار
فلسطين معجزة تتحدى القبائل
صور النبيين ، تبعثهم من قبور الذهول
إلى مُوكب نابض بالشهادة

كلمات لها معنى ..

ـ للجمال مصدران .. المرأة والطبيعة .

(سقراط)

ـ البيوت بدون النساء الصالحات قبور .

(بلزاك)

ـ الذي يولد ليزحف .. لا يستطيع ان يطير .

(تشيكوف)

ـ لم يخلق الانسان في الحياة ليفهمها وانما خلق ليحياها .

(سانتيانا)

ـ ان الزمن هو أقوى النقاد جميعا ، فهو الذي يسقط الباطل ، ويعلي الحق .

(طاغور)

ـ انس نفسك اذا اردت ان تقدم عملا يذكره لك الناس بعد رحيلك .

(فولتير)

ـ اذا اردت ان تعرف اخلاق رجل من الرجال ، فضع في يده سلطة .. ثم انظر كيف يتصرف .

(مونتسكيو)

ـ ان العالم بلا زهور كوجه بغير ابتسام أو كوليمة لا يرحب فيها اصحابها بالمدعوين .

(شاتوبريان)

ـ ذوو النفوس الدنيئة يجدون اللذة في التفتيش عن اخطاء العظماء .

(شوبنهور)

ـ اذا اطعمت كلبا جائعا ، فثق انه لن يعضك أبدا .. وهذا هو الفارق بين الكلب والانسان .

(مارك توين)

احمد عبد الله عبد القوي
كلية التجارة ـ جامعة الاسكندرية

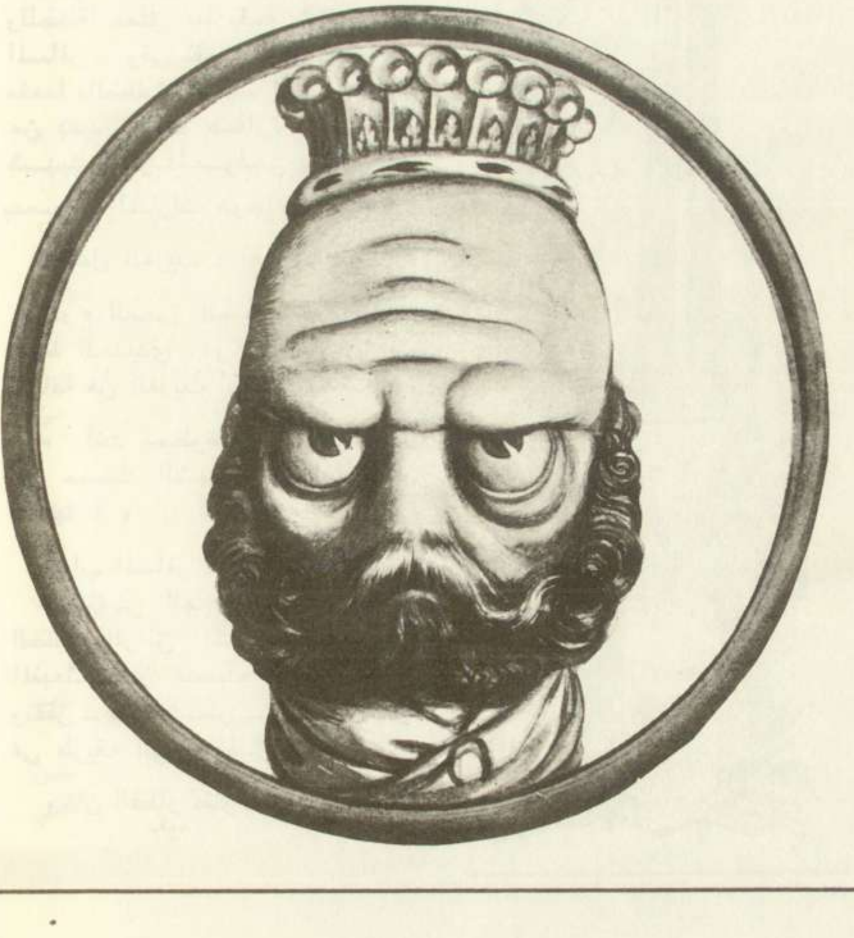

عزيزي القارئ .. إذا لم يعجبك هذا الوجه العابس .. اقلب الصفحة !!

جراحة بدون الم

● ان الطبيعة جهزت بعض السحالي باسلوب من اغرب الاساليب واعجبها للدفاع عن النفس . فحين يهدد الخطر سحلية ما ، تحرك السحلية بعض عضلات وعصائب خاصة ، فتجري عملية بتر عجيبة بغير اراقة دماء !. ذلك ان تحريك هذه العضلات والعصائب ، يفصل ذيل السحلية عن بقية جسمها ، ويبقى الذيل متلويا متحركا على الارض ساعة تقريبا ، فيسترعي بحركته ولونه الزاهي نظر متعقب السحلية . وتنجو من الخطر . وبعد قليل ينمو لها ذيل طويل جديد ..

على نجف ابراهيم
البصرة ـ العراق

الكلمات المتقاطعة

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٤٩

١ ـ لنا عبد الرحيم ـ الاردن

٢ ـ محمد عبد الصمد ـ طنطا

٣ ـ محمود الاسدي ـ ليبيا

حل مسابقة شهر يناير ١٩٨٠

	١	٢	٣	٤	٥	٦
١	د	خ	ا	ن	■	م
٢	ب	و	ر	■	ا	س
٣	و	م	ض	■	ل	ج
٤	ر	پ	■	س	ه	د
٥	ا	ن	ا	■	ل	■
٦	ن	ى	س	■	ا	ن
٧	ت	■	ا	ل	ل	ه
٨	■	ب	س	■	ى	ر

لم يتمكن مدير الشركة من تلبية الدعوة المقدمة إليه لحضور الحفل الموسيقى الذى كانت تحييه كبرى فرق العزف بالمدينة والذى كان مخصصا لتقديم السيمفونية الناقصة لشوبير فاعطى التذكرة للمستشار المالى للشركة .

وفى صبيحة اليوم التالى سال المدير المستشار عما إذا كان الحفل ممتعا وبدلا من ان يجيبه الاخير شفهيا ، قدم إليه المذكرة الخطية التالية:

ا ـ لفترات طويلة من الحفل كان عازفو الات النفخ الاربعة يجلسون ضمن اعضاء الفرقة دون ان يؤدوا عملا يذكر لذا أقترح إنقاص عددهم او توزيع اعبائهم على بقية الاعضاء

ب ـ كانت الكمنجات وعددها اثنتا عشرة تؤدى نفس النغمات وفى هذا إسراف لا مبرر له فلذا كان الغرض من وجود هذا العدد هو إحداث صوت مرتفع فيمكن الاستعاضة عن اكثر من نصف الكمنجات باستعمال مكبر صوت كهربائى .

جـ ـ حسب علمى فان بعض النغمات كانت ما يعرف بانصاف او ارباع « التون » ولا ارى داعيا للاستعانة بعازفين محترفين لاداء مثل هذه النغمات .

د ـ ظلت الات النفخ تردد نفس الانغام الصادرة من الالات الوترية فلذا تم الاستغناء عن مثل هذا الحشو لاختصر زمن الحفل من أربع ساعات إلى ساعة ونصف فقط .

هـ ـ لم يكن هنالك داعيا لاختيار سيمفونية ناقصة وهنالك عدد كبير من السيمفونات المكتملة .

جلس الفار يرتعد داخل جحره عندما سمع مواء القطة ولكنه استعاد الطمانينة عندما سمع نباح الكلب الذى اعقبه صمت مريح للاعصاب تسلل الفار على إثره خارجا من الجحر فانقضت عليه القطة وامسكت به وهى تقول :

« الان عرفت اهمية إجادة لغة ثانية » مصطفى حسين طه

السودان

البخلاء في نعيم

هاجر احد افراد عائلة اشتهرت بالبخل ، ومكث في المهجر عشر سنوات ، وعندما اراد الرجوع حضر اخوته لملاقاته ، وعبثا اخذ يبحث عنهم . واخيرا .. اقترب منه ثلاثة اشخاص ملتحين وبادره احدهم قائلا : ما بك يا اخي ، الم تعرفنا ؟ فتفرس الرجل فيهم وقال : ولكن لماذا اطلقتم لحاكم هكذا ؟.

فاجابه احدهم بغضب : وماذا نفعل وقد اخذت معك آلة الحلاقة ؟.

عز الدين الشيخ
ولاية سكيكدة ـ الجزائر

من الذي حفرها ؟ !

جاءت التلميذة الصغيرة باكية وارتمت في حضن جدتها التي استوضحتها سبب البكاء .. فقالت التلميذة من خلال دموعها معلمة التاريخ وبختني .. قالت الجدة :

ولماذا ؟

اجابت الصغيرة .. سالتني من هو الذي حفر قناة السويس .. فلم استطع الاجابة ..

نظرت الجدة الى حفيدتها في شك وريبة : اياك ان تكوني انت التي حفرتها ايتها الشيطانة !

مريم محمد احمد
السودان ـ كسلا

حل مسابقة من - أين - ما

شهر يناير ١٩٨٠

من :

عيسى بن مريم

أين :

الاقصى

ما :

خمر

١ ـ الهيدروجين ـ الكبريت ـ الغارصين ـ القصدير ـ الزئبق الثوريوم

٢ ـ ٧١١م

٣ ـ الشنفري

٤ ـ الام

٥ ـ العبارة ليست صحيحة علميا

٦ ـ داود

٧ ـ نازعتني اليه في الخلد نفسي ـ أحمد شوقي

٨ ـ من بغداد الى صنعاء

٩ ـ الفطريات

١٠ـ البقرة

من . أين . ما

من :

● شخصية اسطورية او حقيقية فى الادب العربى ، تثبت ان المسلمين كانوا ابطالا ومعلمين فى مجال اكتشاف مجاهل الدنيا ونشر المعرفة والحضارة بين الشعوب . اسمه منكلمتين فى اربعة عشر حرفاً :

١ـ١٠ـ٧ـ١٢ـ٥ـ١١ بمعنى المتقوس الظهر

٩ـ٢ـ١٣ـ٣ـ٤ تقاد به الدابة

٨ـ٦ـ١٤ عضو فى دولة الامارات العربية المتحدة

أين :

● بلاد ربما تكون هى بلاد « واق الواق » التى ذكرت فى قصص ذلك الرحالة . اسمها من سبعة احرف :

٦ـ٢ـ٧ـ٣ـ٢ اطول الانهار

١ـ٥ـ٤ـ٧ اظهر

ما :

● طيب اشتهر فى اشعار العرب كان مما تتهادى به الملوك . اسمه من خمسة احرف :

٤ـ٢ـ٥ اتخذ طريقاً

٣ـ١ـ٤ حجر كريم

الجـواب الصحيح

١ ـ « اذاب جابر بن حيان الذهب فى حامض الكبريتيك »
هل هذه العبارة صحيحة علمياً وما الصحيح ؟

٢ ـ يصنع الورق من لب الخشب الذى قوامه مادة :
النشا ـ السليولوز ـ الجلوكوز

٣ ـ نفى الاحتلال البريطانى الزعيم المصرى سعد باشا زغلول فى جزيرة :
سرنديب ـ سيشل ـ سانت هيلانة

٤ ـ نقل رباعيات الخيام من الفارسية الى العربية الشاعر :
معروف الرصافى ـ احمد رامى ـ ابو القاسم الشابى

٥ ـ الرشاش المعرف باسم « برن » طلقته من عيار :
٩ مم ـ ٣٠٣ ـ ٦ر٧ .

٦ ـ صاحب العبارة التاريخية الشهيرة « ويل للمغلوب » هو :
خالد بن الوليد ـ هانيبال القرطاجى ـ فون مولتكة .

٧ ـ أبو السيدة العذراء مريم أم السيد المسيح عليه السلام كان اسمه :
سليمان ـ عمران ـ زكريا .

٨ ـ اسم العملة « الريال » أصلها :
عربى ـ أسبانى ـ صينى ـ فارسى

٩ ـ السمكة ذات الحبر تتبع فصيلة :
الرخويات ـ الغضروفيات ـ القشريات

١٠ ـ صدر وعد بلفور البريطانى فى نوفمبر ١٩١٧ وصدر قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين فى نوفمبر سنة :
١٩٢٧ ـ ١٩٣٧ ـ ١٩٤٧ ـ ١٩٥٧

نتيجة مسابقة شهر يناير ١٩٨٠

● فاز بالجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة أشهر القارىء دردوري طارق الجزائر

● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة أشهر القارىء : تاج الدين أبو الحسن السودان

● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة أشهر القارئة : فوزية محمد عياد جمهورية مصر العربية

الفائزون باشتراك مجاني لمدة سنة

قمر الزمان عبد الغني ـ الاردن
صديق على عبد الله ـ السودان
السيد رحماني أحمد ـ الجزائر
مريم عبد الله غلوم حسين ـ قطر
جمال حميد عمير ـ سلطنة عمان
مسعد عبد الحافظ عبد العال ـ ج٠م٠ع
أحمد مزيد ـ موريتانيا
مبارك مساعد حسين ـ السعودية
قاسم ذيب ـ سوريا
سلطان محمد حربان ـ البحرين
ابراهيم محمد سلمان ـ الاردن
محمد سلمى مسلم ـ ج٠م٠ع

حاول أن تعرف

صورة تاريخية

روائى فرنسى مشهور .. هذه الصورة التقطت له فى عام ١٨٥٧ ، وبيعت منذ شهور بما يوازى ١٦ الف دولار .. له ابن يحمل نفس الاسم وهو روائى شهير أيضاً .. هل يمكنك التعرف عليه ؟

من هو

فتاة تقرأ كتابا .. اسم لوحة لفنان فرنسى عاش فى القرن التاسع عشر ، وهو من اتباع المدرسة التاثيرية فى التصوير .. ترى من هو ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف عدد ٤٩

مسجد احمد بن طولون بالقاهرة – ج ٠ م ٠ ع

- اسماء الفائزين عن الصورة الاولى ٠

● محمد رضا – ج٠م٠ع

● عبد الرزاق درويش – الجزائر

- اسماء الفائزين عن الصورة الثانية ٠

لا تامن النمر في مزح ولا انس

ولو بدا لينا ياكلب فاحترس

سيف الدين جميل – سوريا

- انتهت شريعة الغاب بين الحيوانات ٠٠

فهل تنتهي بين الآدميين ؟

رافع السقا – مصر الجديدة

أسماء الفائزين في مسابقة كاريكاتير عدد ٤٩

● الزوج – اما زلت راغبا بخطبة ابنتي ؟

نزيه الشبعان – سوريا

● الزوج – الم اقل لك بالا تشرب سجائر امامها ؟

انس الجاليس ابراهيم – القاهرة

● الزوج للضيف – هذه هي الطريقة التي تستعملها زوجتي في اطفاء السجائر ، ولذلك اقلعت عن التدخين !٠

ابراهيم بسيوني – الاسكندرية

الزوج : هذه عادتها في انهاء المناقشات معي ايضا !!

عماد الدين اسماعيل – العراق

كاريكاتير وتعليق

ضع التعليق المناسب لهذا الكاريكاتير واربح ١٠٠ ريال

الـــورقـة الأخيـرة

نحو وجه مشرق

الامتداد العربي لمؤتمر وزراء اعلام دول الخليـــج العربية الذي انعقد في الدوحة تكرس عبر دعوة نخبة من الاعلاميين والسفراء العرب في مختلف أنحاء العالم خصوصا مناطق التأثر بالحملة التي تشن ليس على دول الخليج فحسب بل على العرب أجمعين ٠٠ وأكثر من ذلك على جوهر الاسلام ٠٠

وادراك دول الخليج لأبعاد الحملة الغربيـــة التي تستهدف تشويه صورة العـــربي واستحضـــار روح الصليبية في مواجهة البعث الاسلامي القادم مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري ، هـــذا الادراك جعـــل المناقشات تأخذ الاطار العربي سواء من حيث الخبرات التي استقدمت أو من خلال الحملة المضادة التي تدرس وقد كلفت بها دولة قطر ٠٠

اننا يجب أن نعترف كعرب ومسلمين أن نظرة الغرب الينا لم تولد من فراغ ، فعـــلاوة على النظرة الصليبية المتأصلة في ضمير الغرب ، والطمع بثروات المنطقةوالحنين الى عهود الاستعمار فان أخطاءنا قد عززت من حملة الغرب علينا ، وحرضت الدهماء من خلال حملة ممارسات رعناء في الخارج لا توحي بشيء بقدر ما تشـــير الى جهلنا في استقطاب الاصدقاء أو تحييدهم ٠

وليس من مفر في القول أن الصهيونية العالميـــة ـ وقولنا هنا ليس جزافا ـ قد وجدت في كل هـــذه الاجواء فرصتها السانحة لتختلق المزيد من الصـــور ، ولتضاعف الحملة ، ولتؤلب العالم كله ضدنا ليصب هذا كله في قناة انكار الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني العربي ٠

لقد أخذت أخطاؤنا علاوة على ذلك كله أكثر من وجه ومن الشجاعة أن نواجه أنفسنا بنقد ذاتي يقودنا الى الرؤيا الواضحة ونحن نريد أن نستفيق من هواجسنا وهي شتى ٠٠

أولا : يجب علينا أن نقر بعجزنا الذاتي عن خلق اعلام واع في صفوفنا يتولى عرض الحقيقة ٠٠ وخلق المجتمع الواحد الذي يلتقي في مناحي كثيرة ولا تنقصه الا الارادة الموحدة ٠

وهذا يجرنا الى الحديث عن الدور الاعلامي للفرد اذ أن الاعتماد الكلي على الاعلام الرسمي سيظل ناقصا مبتورا ، ويقيننا أن هذا الدور للفرد العربي يمكن أن يكون ذا تأثير لو حرص كل منا على أن يكون اعلاميـــا واعيا ٠ سفيرا مشرفا لوطنه العربي الكبير أينما كان ٠

ثانيا : ان صورة الاعلام العربي الراهنة صورة باهتة لا تعكس الا الترهات السائدة بين الدول العربية في خضم المشاحنات والخلافات واضطراب الواقع السياسي الذي أريد له أن يبقى كذلك لتكريس استحالة بناء الوطن العربي الواحد ٠٠ وقيام الامة العربية الواحدة لب وطليعة أمة الاسلام ٠

ثالثا : على الرغم من الوسائل المختلفة التي استخدمت لتحسين صورة العرب في الخارج ولمواجهة الصهيونيـــة فهي تتخبط اما لقلة امكانياتها ، أو انعـــدام الخبرة والكفاءة في القائمين عليها ، أو لخضوعها لزمرة من الطفيليين المستفيدين ٠

رابعا : لا زالت الرسمية العربية في كثير من مواقفها ترى أن عملية تنظيم الاعلام العربي في الخارج من قبيل الترف وهو ما يساهم في اخفاق كثير من الجهود لدفع العملية نحو الأمام ٠٠

وبعـد ٠٠٠

فانا لا أقول انه ليس هناك من ايجابيات ، بل لانني أردت أن نعرف أنفسنا قبل أن نعرف الآخرين ، فقـــد سجلت هذه النقاط وقد عايشت أجواء مؤتمر الدوحة والتقيت بنخبة الاعلاميين العـــرب المشاركين مما عكس كثيرا من الاوجه السلبية التي يجب أن نواجه بها ٠٠

ان البدائل التي تغفر لنا هذه الاخطاء متيسرة وليس أقلها بناء الذات وخلق واقع سياسي واجتماعي سليم والحد من كل ما يسيء الينا من ذاتنا ، لان هذا بالتأكيد سيجدد فينا روح الحضارة العربية التي نتغنى بأمجادها القديمة ويعيش الغرب على آثارها التي فـــي عصرنا هذا ٠٠

فهلا عدنا الى الجذور ٠٠ مع مزيد من التطلع لصهر حضارات العصر وتفاعلها مع ما يفيـــد الانسانية ٠٠ لنؤكد التوفيق بين الاصالة والحداثة ٠٠

انها البداية لنقدم وجها مشرقا للعالم ٠٠

صـــالح زيتـــون

MIRINDA
ميرندا
بطعم البرتقال الطبيعي

منظر لمدينة الدوحة
se of modern Doha
oeil sur la ville moderne
f die moderne Stadt
a de la ciudad moderna
rcio della città moderna

السنة الخامسة ـ العدد ٥٢ ـ جمادى الأولى ١٤٠٠هـ ابريل ١٩٨٠م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

الإنسان غدًا ماذا يمكن أن يكون؟

مقال لم ينشر من قبل للعقاد • مقال لم ينشر من قبل للعقاد

عباس محمود العقاد

أبو طالب

عجوز والجريدة

صلاح عبد الصبور

كهوف الرعد

مذكرات عربي عاش في إسكندنافيا منذ ألف عام

احمد البقالي

باريس

وجه لا يعرف التجاعيد

كمال سعد

worked Milanese bracelet.
Gilt dial, jet indexes,
sapphire crystal.
74 Ref. BA 811.1147.001.
Bezel set with 2 turquoises,
2 lapis and 40 diamonds
(0.80 carat).
– Also available only with
lapis.
75 Ref. BA 811.1143.001.
Bezel set with 2 corals,
2 onyx and 40 diamonds
(0.80 carat).
– Also available only with
corals.
Registered models.
bracelet watch. Coral dial,
bezel set with 12 corals
and 48 diamonds (1.28
carats). Chain bracelet.
Sapphire crystal.
– Also available in white
gold with black onyx.
Registered model.

الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة قطر

قطر ٣ ريالات ، البحرين ٢٥٠ فلسا ، الامارات العربية ٣ دراهم ، عمان ٢٠٠ بيزة ، الكويت ٢٥٠ فلسا ، السعودية ٣ ريالات ، الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا ، جمهورية اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا ، العراق ٢٥٠ فلسا ، الاردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش ، لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٢٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، الجماهيرية العربية الليبية ٣٠٠ درهم ، تونس ٣٠٠ مليم ، الجزائر ٣ دنانير ، المغرب ٣ دراهم ، باقي دول العالم مايعادل دولارا واحدا .

الاشتراكات : للافراد : داخل قطر : ٣٦ ريالا قطريا . بالدول العربية : ٤٢ ريالا قطريا . في باقى دول العالم : ٤٨ ريالا قطريا .

للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات : داخل قطر : ٧٢ ريالا قطريا . بالدول العربية ٧٨ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٨٤ ريالا قطريا .

الاعلانات : يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الدوحة

رئيس التحرير
الدكتور محمد ابراهيم الشوش

خبير شئون الخليج : د. محمد جابر الأنصاري

هيئة التحرير

مدير التحرير
عبد القادر حميدة

المدير الفني
محمد أبوطالب

المحرر العام
كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج
مرزوق بشير

التحرير العام
النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
نادية رزق

سكرتير التحرير
نبيل خالد الأغا

البحوث والمعلومات
مبارك عثمان العشى

الإشراف الفني
محمد نبيل حداد
نائلة فتحي

سكرتير التحرير الفنيان
احمد عبد الله
على دياب

ما ينشر في المجلة لا يعتبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة ● المواد لا تعاد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر

ابريل ٨٠

العدد ٥٢

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر
العنوان البرقى : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير: ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير :
٣٢١٢٧٥ ـ ٣٢١٢٧٦
٣٢١٢٧٧ ـ ٣٢٣٠٧٨
القسم التجارى
٣٢١١٥٧ ـ ٢٦٨٤٦
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

شئون عامة

اسلاميات

صفحات الرأى

أبواب ثابتة

هذا العدد

أسرة تحرير هذه المجلة لا تخفى سعادتها بان يكون « العقاد » واحدا من كتابها على مدى ثلاثة اعداد ، ابتداء من هذا العدد . لا لاننا ــ فقط ــ نكن للعقاد العظيم ولقلمه الثرى العنيد كل التقدير والاحترام . وليس ــ فقط ــ لأن « العقاد » ياتينا صوته الفكرى البكر من وراء الصمت ستة عشر عاما ، فى مفاجاة لم تكن متوقعة ولا تخطر على البال . وإنما ايضا لان العقاد العملاق ، يدلى ــ من وراء الموت ــ بصوته العميق الواثق ، فى اخطر القضايا والهموم التى تستبد الآن بالانسان فى كل مكـان .

ولابد أن القراء ستسعدهم هذه المفاجاة قدر سعادتنا بها . مثلما سيسعدهم كذلك بقية الرحلة فى هذا العدد الحافل بشتى نتاجات الكتاب العرب وتنوعها ، وتحلقها حول هدف واحد هو ان يقولوا كلمة تنفع الناس وتمكث فى الأرض .

لسنا نريد ان نستطرد ، فنتوقف بالتنويه امام الموضوعات البارزة فى هذا العدد ، لاننا نعتقد ان كل مادة فيه ، إنما جاءت فى وقتها ، ولحاجة فى نفس القارىء .

لكننا نريد ايضا أن نبشر بسلسلة مقالات جديدة سوف نتابع نشرها ابتداء من العدد القادم تحت عنوان « من مذكرات شاهدة ربع قرن » وهى مذكرات تنصت وتحاور وتناقش وتدلى برايها فى العديد من المتناقضات والمواقف التى عاشها كتاب ومفكرون عرفتهم الساحة الأدبية فى الربع قرن الأخير .

ومرة اخرى نريد ان نشير إلى قصة « الرجل والنملة » احدث كتابات الروائى المعروف الدكتور يوسف إدريس ، بعد غيبة طويلة عن ميدان القصة القصيرة . مثلما نشير كذلك إلى أن العدد القادم يستضيف على صفحاته واحدا من أبرز الكتاب البريطانيين هو روبرت ستيفنز احد رؤساء تحرير الأوبزرفر ، فى مقال يحكى فيه عن مشاهداته فى حضر موت .

ايها القـراء الاعـــزاء :

إن هذه المجلة ترفض السكون ، وتعشق إثارة الحركة فى العقل ولعلنا ــ على الطريق ــ نؤدى هذه الرسالة .

د. محمد ابراهيم الشوش

ابواب القراء

مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبية والروحية بين الدوحة واصدقائها المساهمين فى تحرير أبواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافات رمزية على النحو التالى :

من تجاربي الشخصية
١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

رايت . سمعت . قرات
٦٠ ريالا

دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحرير ابواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجي ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية .

طبعت بمطابع علي بن علي

بين المجلة وقرائها

● الدكتور (طبيب) غريب جمعة ـ الجيزة القاهرة

ارسلت إليكم رسالة سابقة على هذه الرسالة محييا ومعجبا بمجلة «الدوحة» ولكن تلك التحية وذلك الاعجاب لا يمنعنى من كتابة هذه الرسالة ايضا إليكم وإن كانت على غير ماتشتهون به ولكن ارجو ان تكون من القلب . لقد اطلعت على عدد مارس ١٩٨٠ من مجلة الدوحة ولى عليه ما ياتى :

اولا : لاحظت أن صورة الدكتور طه حسين تتصدر الغلاف بشكل يطغى على الصور المحيطة بها ثم تكررت الصورة زهاء سبع مرات فى اوضاع مختلفة ضمن الصفحات التى تضمنت الاشارة إليه والحديث عنه . ولست ادرى ما هو المقصود من وراء ذلك كله ؟ هل هو التحدى المباشر لكتابات متعددة عن الدكتور طـه حسين لاكثر من كاتب فى اكثر من وطن عربى بدات تراجع نفسها فيما كتبه الدكتور طه حسين وغيره من اراء بدافع من الوعى المتزايد لديهم كما اشرتم الى ذلك فى افتتاحيتكم بقولكم «وحقيقة الامر ان هناك وعيا متزايدا لدى الجماهير المسلمة العريضة ..الخ ؟!» ام هو بداية المناقشة الفكرية الحضارية الموضوعية الجادة التى تدعون إليها كافة القيادات الفكرية المثقفة فى عالمنا الاسلامي والتى تفسحون لها مجالا واسعا فى إطار الرسالة الثقافية التى اضطلعت بها مجلة الدوحة منذ نشاتها (كما قلت فى ختام الافتتاحية) ؟ .

ياسيادة الدكتور ...

ليس بنا من ضيق فى الافق ـ علم الله ـ ولا تعصب لاحد ولا نحن ضد احد ولكننا لا نبغى إلا وجه الحق والحق وحده سواء غضب علينا الناس او رضوا عنا وتقديرنا للكتاب (احياء واموتا) اساسه ما قدموه من عمل يخدم العقيدة والاخلاق والمجتمع فى اطار المفهوم الاسلامى الصحيح الذى لا التواء فيه .

ثانيا : تلك الهالة التى تخلعونها على الدكتور يوسف إدريس وحكمكم على ارائه بانها ثاقبة دون انتظار راى القارىء ولا اريد ان اعجل بالحكم حتى اقرا للرجل فقد يكون لديه من الجديد ما يجعلنى اجدد رايى فيـــه ولا احب ان يعاودنى الشعور بالوحشة نحو مجلة الدوحة مرة اخرى ...

ومرة اخرى ارجو ان تكون هذه الرسالة من القلـــب .

● سعيد مكاوى الدوحة ـ قطـر

لم تعد مجلة « الدوحة » ملتقى الابداع العربى والثقافة الانسانية فقط .. وإنما صرنا نتوقع منها جديدا فى كل عدد . جديدا فى التحرير وجديدا فى الاخراج وجديدا فى مختلف المواد العلمية المعاصرة والتى تشكل جوانب هامة من جوانب المعرفة والثقافة الانسانية بحق .

ومن الجديد المثير للدهشة والثقة فى ان .. حصول « الدوحة » على ثلاثة مقالات لم تنشر من قبل للكاتب العربى العظيم عباس محمود العقاد . إنها « خبطة » كما يقولون بلغة الصحافة ، نتمنى للدوحة المزيد من النبش فى مخلفات كتابنا ومفكرينا العظام ، الذين رحلوا من عالمنا ، ومازلنا نحملهم بين شغاف قلوبنا وعقولنا .

ولقد اسعدنى كذلك عودة « شهريات » الكاتب الروائى والقصصى الكبيرالدكتور يوسف إدريس . ليس فقط باعتباره واحدا من اصدق واشد الكتاب حماسة لهموم الوطن العربى ومشكلاته الراهنة . وإنما لان عودة « الشهريات » كذلك تعتبر اشارة إلى عودة الصحة للدكتور يوسف إدريس بعد رحلة المرض الشاقة التى طالعنا انباءها وتابعناها فى الشهور الاخيرة .

تهانينا للدوحة بجهودها المشرفة من اجل كلمة الحق النظيفة فى كل مجالات الثقافة .

● نصر محمد قائد قرية سفيان لحج اليمن

من السهل على المرء ان يحصل على عبارات الود والمجاملات والمديح فى اية قضية من القضايا التى يطرحها للنقاش مع زميل او صديق اذا كان اللقاء شخصيا ومباشرا . ولكن الامر يختلف اذا كان اللقاء غير مباشر اى كالذى يحدث عبر الاثير او بواسطة الكتب والصحف والمجلات . إذ ان النتيجة المتوخاة متروكة للمشاهد او المستمع او القارىء ، بان يقول رايه او ملاحظاته متى اراد تجاه القضايا والمواضيع التى يسمعها او يقرؤها بكل حرية وصراحة دون ان يقع تحت تاثير ووطاة الاحراجات والاعتبارات الشخصية والعاطفية المباشرة . وانطلاقا من هذا الاساس الموضوعى اود ان اعبر عن مشاعرى واحاسيسى كقارىء لاعداد مجلة الدوحة بكل امانة وصدق وبدون مجاملات او رتوش . لانى لست مرغما على ذلك . فالمجلة برغم حداثة تكوينها وصدورها استطاعت ان تستقطب الاف القراء داخل الوطن العربى وخارجه بقناعاتهم ورغباتهم الذاتية . ولعل اراءهم ومساهماتهم المنشورة فى اعداد المجلة خير شاهد على ما نقوله لاولئك الحاقدين على كل فكر وثقافة عربيتين متحررتين .

● محمد ابو ابراهيم الجقام ابو حجار ـ السودان

عندما اقرا الدوحة اشعر بانها تعطى اوجه نشاطات الحياة فى المجتمع . بل وتحمل فى ثناياها هموم الشعوب العربية وتطلعاتها . ولكنى افتقد على صفحات المجلة اهتمامها بقضية الصحافة العربية . اعتقد جازما بان المساهمات والبحوث التى تقدم يجب ان تنال الصحافة العربية جزءا منها خاصة وان الصحافة العربية تقف فى مفترق الطرق بين صحافة شبه رسمية وصحافة مذهبية وتضيع هيبة الصحافة فى الصراع السياسى الذى يحتـدم فــى بعض الاحيان بالحملات النفسية والتشهير السياسى والصراع الذى لا ينتهى . ان هذا الوضع الذى تعيشه الصحافة العربية لا يقدم شيئا لقضية التضامن بين الشعوب العربية والاسلامية ، ولا يزيد النفوذ الدبلوماسى العربى والاسلامى ، ولا يحمى الوحدة الداخلية لشعوب المنطقة . بل يفتت المقدرات المتاحة للشعوب العربية ، وإنى ارجو صادقا ان ترسى مجلتكم التقاليد الممتازة للصحافة وان تسلط الاضواء على قضية الصحافة العربية التى تعيش الضياع والتشتت ولا تكون رايا عاما عربيا .

وعلى الصحافة العربية ان تلتزم جانب الشعوب العربية وتدافع عن قضية التضامن لبناء الحياة الجديدة للانسان العربى ، تدافع عنه مرتبطا بماضيه الثرى ومتطلعا لحاضره الجديد .

● بدر الدين يحـيى السودان ـ الخرطوم

إن مجلة الدوحة اصبحت المنتجع الوحيد الذى يجد فيه القارىء العربى كل ما يريد ان يعرف عن ذاته من حيث الحضارة العربية والعلوم وكذلك شتى ضروب المعرفة التى تنشر فى رحاب المجلة بايدى ادباء عرب وتحليل لكثير من الموضوعات العالمية والموضوعات التى تهم عالمنا العربى والافريقى . هى بالاضافة الى ذلك تعتبر مجلة جامعة للاصدقاء فى جميع انحاء العالم العربى والافريقى حيث يدلون بارائهم حول المسائل الادبية وشتى الوان المعرفة المختلفة . كما تزودنا بمعلومات عن بعض الادباء الكتاب العرب والاجانب الذين لم نكن نعرف عنهم غير اسمائهم او بعض الكتب التى تصل إلى المكتبات

● لمـــاذا فشــلت معظـــم المحـــاولات التـوفيقـيـة - إن لم يـكـن كـــلها - حــــتى الآنــ ؟

الشهر الذى مضى

● **وفاء صبرى واصف**
القاهرة ـ شبرا

اشتقنا الى القصص المسلسلة الطويلة ، التى كانت تنشر فى «الدوحة» ننتظر قصة جديدة للمشاهير من الكتاب امثال د. يوسف ادريس ، والطيب صالح ، ونجيب محفوظ .

● **دكتور سامى عزيز**
حدائق القبة ـ ج.م.ع

لماذا لا يكون هناك باب بالمجلة عن الفنون التشكيلية يبحث فى كل عدد فى صورة مرسومة لفنان من الفنانين العالميين المشهورين .. الصورة بالالوان على صفحة من صفحات المجلة وعنوانها واسم الفنان صاحبها فى اسفل الصورة ... وبهذا يمكن للقارىء الاحتفاظ بها ثم مقالة ميسرة تتناول نبذة مبسطة مختصرة عن الفنان صاحب الصورة وحياته واشهر اعماله الخ .. اظن ان هذا الموضوع من الموضوعات المحببة إلى الجميع

● **محمد سيد زيان**
مصر ـ باب الشعرية

من واقع ايمانى بالدور الذى تلعبه مجلة الدوحة فى نشر الوعى الفنى والذوق الجمالى لدى المواطن العربى ... اقترح ان تقوم الدوحة فى كل عدد بنشر إحدى اللوحات الفنية العالمية ، ومعها نبذة عن حياة الفنان صاحب اللوحة ، ونقاط عن اهم خصائصه الفنية . على أن يراعى سهولة فصل اللوحة عن المجلة كى يتمكن القارىء من الاستفادة بها كعمل مستقل .

● **عيد ابراهيم الدسوقى**
الدقهلية ـ مصر

لماذا لاتهتم مجلة الدوحة بالاطفال ، بتخصيص باب لهم يشمل القصص والمعلومات الأدبية والعلمية المبسطة ، والالغاز التى تولد لديهم روح البحث ، خصوصا ان اطفال اليوم هم روح الغد وهم اساس العصر المقبل .

● **نبيل سعيد ابو الحاج**
البقعة ـ الاردن

اسمحوا لى بتقديم هذا التعقيب حول ما جاء فى مقالة السيد رئيس التحرير فى العدد الحادى والخمسين من شهر مارس « آذار » تحت عنوان التوفيق بين الاصول والمؤثرات الحضارية .

ثمة سؤال يتبادر الى الذهن قبل الحديث عن التوفيقية فى الدين الاسلامى ، الا وهو لماذا فشلت معظم هذه المحاولات ، إن لم يكن كلها ، حتى الآن ؟!

هذه محاولة بسيطة للرد على هذا التساؤل الكبير ، إن الدين الاسلامى كفكر وعقيدة ، لا يحتاج الى توفيق ، ولا إلى اعادة نظر فيه ، وهذا ما يرنو إليه معظم دعاة التوفيقية .

فالدين عقيدة الهية سلمية ، صالحة لكل زمان ومكان ، ولا يمنع ذلك من النقاش والجدل حولها ، وهذا سر بقاء هذه الدعوة ، فان الفكرة ، ايــة فكرة اذا لم تتناولها الاقلام بالشرح والتفصيل ، والنقد ، فالحكم على فشلها ، وهو ما دعا إليه اللــه فى الكثير من اياته من حيث التفكير والتمعن فى امر هذه العقيدة . فتقبلها عن فكر واقتناع يزيد المرء طمانينة وثباتا فى الفكر لا يتزعزع ، وهذا ما نامله من الجميع ، ومن دواعى فشل النزعات التوفيقية فى الماضى والحاضر ، ان اصحابها لا ينطلقون من ميزان العقيدة الاسلامية ، بل انهم ينطلقون من ميزان مغاير لها ، ومهما يكن هذا الميزان دقيقا ، فــان مصيره الفشل ، لانه انطلق من فكر انسانى محدود . ولان الفكر الانسانى سيظل عاجزا عن خلق بديل لعقيدة الهية ، ليست من صنع بشر .

ألم يحارب ابو بكر ما نعى الزكاة انها نزعة توفيقية تقول بتادية كافة اركان الاسلام . ما عدا هذا الركن ، فهو لا يضر فى نظرهم ، ولا ينقص من إيمان المرء ومجار للفكر المعاصر فى زمانهم ، وقس على ذلك الكثير ...

وهذا لا يعنى رفضنا للجديد . علينا بتقبله ليست كفكرة بديلة ، لا بل وسيلة تعيننا على النمو والازدهار ، بعد صهر هذا الجديد وصبغه بصبغة لا تتنافى مع هذا الدين تاييدا لقول الدكتور الشوش : « وما كان لحضارة حية ، فى أوج ازدهارها ، كالحضارة الاسلامية ان تغفل عن هذا التراث الانسانى ، وما تم نقله واستيعابه من التراث الفلسفى الاغريقى ، امكن امتصاصه فــى اطار التيار الفكرى الاسلامى حينذاك » .

● **الأديب السودانى منير صالح عبد القادر**
دار الوثائق المركزية ـ الخرطوم

السيد رئيس التحرير

افترانى مداعبك ام معاتبك ام محاسبك ؟

ام ترانى اقوم بهذه الوجوه الثلاثة تعبيرا عن الود والتقدير !! لقد احسسنا وانت فى ذلك القطر الشقيق ان الواحة واحة فعلا . ونحن نعرف الواحات وما قيل فيها من شعر وما تردد فيها من انفاس المتصوفة والعشاق . ورايناك فى الدوحة تفتن فى اخراجها واعدادها لتواجه العالم ولتتحدث عن نفسها بنفسها فالبقاء للاصلح قانون معروف .

وكنا نرجو الا نلحف فى عتابنا لو جعلت لنا مقيلا فى فيىء الدوحة لنخاطبك من خلال الظلال ، ولتســمع لنا من وراء الظلال ، لتصل خواطرنا الى ابعد من حدودنا المحلية مشاركة فى العمل الفكرى . ولعلك تعلم ـوانت استاذ تخرجت الافواج على يديه من طلبة الجامعة الذين اعطيتهم من ذات نفسك ما يفخرون به . وقادك طموحك لتعمل فى جامعة اكبر ، وهل جامعة اكبر من جامعة الصحافة ففيها يكون التفوق الادبى والعلمى لخلق حياة متفوقة هى مزيج ياخذ به الشرق العربى من تراثه ومن موروثاته ليضيف شيئا جديداً هو بعد جديد .

وقد راينا اقلاما بعينها تطالعنا فى مطلع كل شهر تزف إلينا مجلتنا ذات الظلال والنوار ، ـ ونحن هنا فى السودان نحب هذه الاقلام كما نحب لها ان تقرا لنا كما نقرا لها ، ليحدث نــوع من اللقاء عبر الحروف والكلمات ـ ولكن هيهات .

ونقرا بامعان مجلة الدوحة ونصافح الاقلام البعيدة عنا والقريبة منا فهى تقريبا اقلام ثابتة وراسخة رسوخ الاصابع فى الراحتين ونحن نحترمهــا ونكن لهــا الحب ونفخر بها شريطة ان تتنوع ، وان تتعدد بجانبها اسماء اخــر .

ومن اكثر رواد بابك الذى يلتقى فيه القراء برسائلهم . جمهرة الادباء السودانيين الذين يجدون فى ساحة القراء ما يرضى طموحهم ، وكان الاديب السودانى ليس له باع ولا ذراع فى الاسهام الجاد فى مصطرع الاقلام المتعاركة ثقافة وعلما واسلوبا . ولا اريد منك ان تؤثرنا للرابطة التى تربطنا بك فنطالب بما هو ليس من حقنا ليكون حقنا بحكم تلك الرابطة ـ بل اننى اطالبكم باسم تلك الرابطة ان تتيح لنا فرصة لنستجــم فى ظلال الواحة البهية . فانك إن فعلت اعطيتنا بعدا جديدا فى فهم الانطلاق الى الآفاق البعيدة فتحسن بهذا العطاء وتفتح الكوى للنور ـ لعلى بهذا اكون قد بلغت غاية المداعبة وارجو الا تكون مداعبة خشنة ، واكون قد بلغت غاية المعاتبة وارجو الا تكون غليظة ـ كما اكون كذلك قد بلغت غاية المحاسبة التى ارجو ان تخرج بمعادلة نشر الادب والفكر السودانى لانه لابد من نشر هذا الفكر والادب ليقف الناس على شعب تقف فيه انت فى القمة فلا يكون شعبا عقيما غير ولود . ففى الزيادة بركة ياابن اصحاب البركة والكرامات وسلامى عليك .

منير صالح عبد القادر

● **عمر محمد الكرار**
السودان ـ المعيلق .

تحية لكل كتاب الدوحة ، وعلى الأخص الدكتور محمد ابراهيم الشوش على كتاباته التحليلية المفيدة ، وموضوعاته الجادة التى يتناولها ، والتى تواكب العصر بكل مافيه من متناقضات واهوال وطرائف

جنوب السودان

● مارتن مادينق
ص.ب ٣٣ – البرارى الخرطوم

قرات بالعدد ٤٩ من مجلة الدوحة موضوع الايقاع فى جنوب السودان للاستاذ كمال سعد وقد اعجبنى المقال والطريقة التى استعرض بها الموضوع ومع احترامى الشديد لكاتب المقال إلا انى لا اوافق الاستاذ فى بعض ما ورد تحت عنوان (قبيلة الاذكياء) لقد خص الكاتب قبيلة معينة ووصفها بالذكاء دون سواها من القبائل . لا يااستاذ والف لا الذكاء شىء موجود فى كل القبائل ، ولقد اضاف ايضا ان هذه القبيلة لها اصول عربية انحدرت من الجزيرة العربية ربما تكون والله اعلم ، ولكن كل ما نعرفه هنا فى السودان هو ان العرب حين دخولهم السودان تاثر بهم فقط قبائل المنطقة الشمالية ولم يظهر إلا فى المناطق المجاورة للحدود الشمالية للاقليم الجنوبى وقد اضاف الكاتب وصف تلك القبيلة بجمال بناتها ولكن الجمال صفة خلقها الله واوجدها فى كل قبائل الارض هل يعنى الاستاذ ان القبائل غير العربية فى جنوب السودان وغيرها من البلدان ليس فيها اى جميل ؟ الجمال صفة موزعة بنسبة معينة بين قبائل الارض على اختلاف اللون والجنس كانت عربية أو غير عربية . اما من ناحية خفة حركتهم فلا جدال فى ذلك لأن تلك هى سمة قبائل افريقيا فهم ميالون دائماً للرقص وكذلك موسيقاهم . والنقطة الاخيرة ما ذكره الاستاذ بان الفتاة لا توافق على عريسها قبل ان ياتيها بابرة وخيط كرمز لادراكه بانها ماهرة فى صنع الثوب ، واقول لكاتب المقال إن لدينا فى الاقليم الجنوبى اكثر من عشر قبائل تتحدث بلهجة الدينكا ولذا اطلق عليها اسم الدينكا وكما ذكر الاستاذ انها تتوزع فى ارجاء المديريتين بحر الغزال واعالى النيل فان عاداتهم كثيرة بكثرة عددهم ولكنها لا تختلف من قبيلة إلى اخرى وخاصة عادة الزواج لاتختلف كثيرا اللهم إلا فى بعض الشعائر التى تؤدى فى ايام العرس وإذا صح وجود مثل هذه العادة يكون عظيما لو كتب الاستاذ المنطقة التى وجد فيها هذه العادة حتى نكون جميعا على بينة واخيرا اكرر مع القراء اعجابى بالمجلة وارجو ان يوفق الله الامة العربية لانتاج المزيد من الجديد والجميل .

● محجوب على كوكو
السودان – الجزيرة ابا

الاستطلاع الذى كتبه الاستاذ كمال سعد فى عدد الدوحة « ٤٩ » عن جنوب السودان كان صورة واقعية وجغرافية بقدر النزعة الخيرة فيه ، الداعية لتقريب المسافات بين اقطار الوطن العربى من خلال نقل التجربة وعكس الواقع .

● جمال محمد على الطاهر
السودان – قرية ازرق بالجزيرة

اطلعت على العدد ٤٩ من مجلتكم العظيمة واعجبت ايما اعجاب بالموضوع الذى كتبه الأستاذ/ كمال سعد والذى جاء بعنوان « إيقاع الحياة فى جنوب السودان » . فقد حوى الموضوع تعريفا شاملا عن جنوب السودان وتحدث عن القبائل التى تقطن فيه وتحدث ببراعة تفوق الوصف عن اسلوب حياة هذه القبائل وطرق معيشتها وعاداتها وتقاليدها وثرواتها الحيوانية . كما تحدث عن وقوفها فى وجه المستعمر . والدور الذى لعبه مثقفو هذه القبائل من توثيق الرباط الوجدانى بين الشمال والجنوب . ثم التطور الذى حدث فى المنطقة بقيام المشاريع الزراعية ومشاريع الاسكان وشبكات الطرق النيلية والبرية وتحديث المطارات .. فشكرا للكاتب وللمجلة .

● ابو بكر محمد عبد المجيد
السودان – امدرمان .

قرات باهتمام ماكتبه كمال سعد فى باب استطلاعات عن « جنوب السودان » وكان نابضا بالحياة وحافلا بالصور الجميلة ، ارجو منه ان يتحفنا باستطلاعاته الشيقة دائما لنلم بمعرفة وطننا العربى الكبير .

تقرير المصير

● ابراهيم محمد البقرى
باحث قانونى بوزارة الرى
القاهـــرة

قرات فى العدد « ٥٠ » مقالا للدكتور حسن كامل بعنوان مبدا حق الشعوب فى تقرير مصيرها فى القانون الدولى العام الوضعى واننى كقانونى اوجه شكرى وتقديرى للدكتور الكاتب لانه تناول الموضوع بايجابية زادتنا تبصرة بان مبدا حق الشعوب فى تقرير مصيرها يعد من انبل الحقوق التى يحرص عليها المجتمع الدولى المعاصر وذلك فى ضوء القرارات التى اصدرتها الامم المتحدة فى المادة «٥٥» من ميثاقها حيث اضفت على الحق الطابع القانونى الذى يميز القواعد الوضعية التى ينظمها القانون الدولى .

ولكن الدكتور حسن كامل قد اضاف فكرا قانونيا خلابا وذلك فى شرحه لمبدا الجزاء الذى يلحق بالقاعدة القانونية لضمان تنفيذها ولكن قبل ان تقترن القاعدة بالجزاء لضمان تنفيذها يجب ان تنبع من داخل الجماعات الدولية نفسها ومن واقع الحرص الأولى على تنفيذها .

بين القديم والحديث

● بابكر محمد عثمان
كركوج الجزيرة – السودان

يطيب لى وانا اتصفح عدد الدوحة « فبراير » ان اشيد بمقال د. يوسف القرضاوى « فى المعركة بين القديم والجديد » وكل أملى ان يطلع عليه كل من يظن أن الاسلام يصد زويه عن طريق التقدم وهو الدين الذى دك حصون الجهل واخرج من ظلماته قوما اصبحوا بنعمته حملة فكر وقيم وحضارة لم تشهد مثلها الانسانية .

● خالد عبيد رحمة
الابيض – السودان

لقد وجدت فى مقال الدكتور يوسف القرضاوى فى المعركة بين القديم والحديث ، الذى تصدر عدد فبراير غذاء فكريا فقد عالج هذا الموضوع المصيرى الحساس بروح عالية من الموضوعية وليت الذين يتصدون لمثل هذه المواضيع الدينية يديرون النقاش بهذه الروح العلمية المتفتحة .

● عوض عبد العزيز طـه
مرسى مطروح – ج . م . ع

دلل الدكتور يوسف القرضاوى فى مقاله « .. المعركة بين القديم والحديث » على بطلان الدعاوى القائلة بان العودة إلى الاسلام ... دعوة للردة والتخلف واثبت ان الاسلام دين كل العصور والأزمنة متجدد تجدد الحياة بكل زخمها من حضارة وابداع ومكتشفات حديثة .

العلماء العرب

• عزت الحاج حسن
منيح – سوريا

كثيرا ما قرات فى مجلة الدوحة وفى كثير من الصحف العربية عبارة العالم العربى وهذا تعبير تستخدمه وسائل الاعلام والصحف الغربية الاستعمارية وذلك لتوطيد الدولة العبرية ومعنى تلك العبارة وجود عدة لغات وامم وديانات فنحن نقول العالم اى كل العالم ولا نقول مثلا العالم الفرنسى او العالم الصينى او العالم الامريكى . فالرجا ان تكتبوا الوطن العربى بدلا من العالم العربى .

• حمواشو عبد الملك
تطوان – المغرب

قرات باهتمام حوار صلاح خليفة مع الاستاذ عبد العزيز عبد الله مدير مكتب تنسيق التعريب بالرباط عن قضية التعريب فى الوطن العربى واوافقه الراى بان مشكلة الامية قضية وقت ، ولقد عرف الاستاذ عبد العزيز التعريب بانه توليد الكلمة الاجنبية ووضعها فى قالب عربى واضيف ايضا ان قضية التعريب يجب ان تشمل تعريب العامية ايضا .

• عبد الله محمد زغيم
جامعة دمشق – سوريا

من خلال قراءتى للعدد الاخير ٥٠ ربيع الاول ١٤٠٠هـ وفى زاوية «اضغاث احلام» وتحت عنوان (وقفة لدى بهلوانيات التاريخ) سرت فى ذهنى حمى التفكير فى واقعنا العربى والاسلامى المعاش بدءاً بالاحتلال الصهيونى والهجمة الاستعمارية « قديمها وحديثها » ومرورا بواقع التجزئة والتخلف والجهل والفقر والمرض واستعرضت شريطا يحمل صوراً شتى لحالتنا فى الماضى والحاضر ولا اكثر بك القول اننى تصورت حالة مشئومة للمستقبل إذا ما استمرت هذه الحال .

دعا الاستاذ درويش الفار إلى لقاء فى اى ركن من اركان الجزيرة العربية لتحدد النقاط الحقيقية لاسباب مهانة المسلمين المعاصرين وسوء حالهم .. وإنى لأرى انها دعوة جادة نتدارك فيها الأمور قبل فوات الاوان .

ليرحمنا اولو الامر من دوامة الصراع العربى – العربى فالمعركة بين العروبة والاسلام من جهة والاستعمار والصهيونية والقوى العظمى المستغلة من جهة اخرى قائمة ولن نتخطى كل العقبات إلا بوحدة الفكر والتحليل العميق وتجمع الصفوف والتصدى لكل إعتداء صهيونى إستعمارى يهدف إلى مسخ تراثنا وما اروع أن تجمعنا لحمة القربى والنضال فى خندق واحد هو التصدى للعدو الصهيونى من خلال كل الجبهات وعلى ارقى مستويات الجهاد « فالكلمة جهاد » والبندقية أعلى مراتب هذا الجهاد .

• اكتاوى جيلالى .
بروكسل – بلجيكا .

كان هذا القرن مليئا بالاحداث ، فالحربان العالميتان انفجرتا فى النصف الاول منه ، وتحقق فيه النزول الى القمر . فضلا عن احداث اخرى عديدة كان مضمونها خدمة الانسان وتحقيق التقدم .
وضمن هذه الدائرة الكبيرة التى تؤثر فى الاحداث يختفى اثر العرب ، ويكاد ينعدم دورهم ، واذا بحثنا عن السبب وجدنا العرب انفسهم هم السبب وراء هذا الاختفاء ، فياليتهم يلحقون بالعالم ، ويحاولون إبراز دورهم الحضارى ، بدل تلك الخلافات الجانبية التى تقوم بينهم من وقت لآخر ، وتصرفهم عن تصحيح مفهوم العالم عنهم .

• خضر سيد احمد عمر
السودان – بورتسودان .

اننى اتفق مع الاخ خالد مندوة جويلى فى كلمته المنشورة بالعدد ٤٦ « لقد ضعفت الامة العربية وتقطعت اوصالها فى حين انها امة عربية مسلمة تنادى بالاسلام » فاين الاسلام الان ؟ هل هو الاسلام الحق الذى كان فى عهد رسولنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام ؟ لقد تكالب علينا الاعداء وصارت امة الاسلام امة ذليلة بعد ان كانت امة قوية دكت قلاع الفرس والروم وصارت كلمة الاسلام هى العليا ولكن اين الاسلام الآن ؟ فلنبحث عن سبب الهزيمة فى انفسنا اولا . وان كنا نريد حقا اعادة مجد الاسلام . فلنترك مظاهر التحلل وعوامل الهدم والتدمير التى افسدت الاخلاق واوهنت العزائم وجعلت الافراد يستسيغون حياة الترف الذليل . ولنتحد الامة وتسلك الطريق الى ارض المعركة بقلوب مشبعة بالايمان عندئذ تدنو ساعة الخلاص ويحقق الله وعده للمؤمنين بالفتح المبين

• عبد العال محمد احمد
الاقصر – ج . م . ع

مدينة الاقصر بصعيد مصر حيث الحضارة الانسانية الاولى والتاريخ الزاهر والآثار الرائعة التى تتحدى الزمن منذ اكثر من خمس الاف سنة ، تستحق من الدوحة استطلاعا !

إن « طيبة » الخالدة تناديكم حتى يطلع المواطن العربى فى كل مكان على صفحات عظيمة من تاريخ حافل مجيد .. فهل تلبون النداء ؟

العالم العربى

• ابو هيثم البعيرى
قابس – تونس

تحت عنوان العلماء العرب فى الخارج كتب الاخ عبد الوهاب الاسوانى بالعدد ٥٠ من مجلة الدوحة الغراء شهر فبراير ١٩٨٠ مقالا تمنيت لو كان اطول من ذلك ، ابدى فيه رايه فى هجرة العلماء العرب الى الخارج واننى اضم صوتى الى الاخ عبد الوهاب مع اننى مقتنع من ان هذا الموضوع يحف بجوانبه الاشكال والعسر . فقد كثر الحديث فيه دون جدوى ولم نصل الى ما يشفى الغليل .

واغتنم هذه الفرصة لابدى بعض الملاحظات والتى ابدؤها بهذا السؤال الذى ابى ان يغادر فكرى . الم يكف هذه الدول انها امتصت حضارتنا ؟ وبعلومنا شيدت صرحها الشامخ ؟ – هذا فى ايام زمان – واليوم تعود لتختطف منا ابناءنا وادمغتنا التى بذلنا من اجل اعدادها النفس والنفيس ؟ فمتى ينتهى هذا التيار الجارف ؟ ومتى تقف الامة العربية ضد هذا التيار ؟

فى المؤتمر العاشر لجامعة الدول العربية المنعقد بتونس وفى البيان الافتتاحى الذى ادلى به رئيس الجمهورية التونسية امام الرؤساء والملوك العرب قال : إن لنا ادمغة عربية مهاجرة وهى عدد كبير خاصة فى العلوم التقنية فلا بد من استغلالها – واستبشرنا خيرا ولكن ويالالأسف بقيت الايدى مكتوفة .

إن التكالب على المادة فى عصر المادة جعل هذه الادمغة تتناسى الدين الذى تدين به لأوطانها اضاعته فى تيار الحياة فى لندن وباريس ونيويورك من اجل كمشة دولارات يلاقون من اجلها لوعة الغربة فاستيقظوا من غفوتكم وثوبوا لرشدكم !

• ابراهيم على حسن العلى
المنيا – مصر

لفت انتباهى مقال الدكتور حافظ الجمالى « حول المعادلة الشخصية» واثارت فى نفسى افكارا قديمة كنت افكر بها عن الدين والمثل العليا ، والصراعات الداخلية المضرمة فى النفس الانسانية . فالدين ككل هو مثل اعلى مجرد ، ولكن يضيع تجريده بين عامة الناس ، كما ان المذاهب الدينية والفلسفية والصوفية تصنع قوتها عندما يفسرها الناس وفق ما يتسع له عقلهم . كذلك نظرتنا للدين تبقى محدودة ما دمنا لا نعتقد ان ما نقوله شمولى ، وما دمنا نقيد الابداع الحر الذى يعيش داخلنا ، ونسخره لخدمة نظرتنا الضيقة والمحدودة .

ما احوج الانسان الى معادلة شخصية بينه وبين نفسه وذاته ، ليخرج بعدها شمولى النظرة ، وما احوج حياتنا الفكرية الى مبدعين منطلقى النظرة لا يحدهم ذلك الافق الضيق للنظر للاشياء .

إســلاميـــات

● محمد فضل الله
بخت الرضا ــ السودان

عدد من المسلمين ليس بقليل خلط بين بداية القرن الخامس عشر الهجرى هل هى فى اول محرم ١٤٠٠هـ ام فى أول محرم ١٤٠١هـ. وبالأمس القريب دار نقاش هنا فى معهد بخت الرضا فى أن القرن الخامس عشر الهجرى لم يبدأ بعد ورأى آخر هو اننا الآن فى هذا القرن وبعد نقاش مستفيض وتمحيص وغربلة وتعريف للقرن بطريقة حسابية وصل الناس هنا إلى نقطة اتفاق بان القرن الخامس عشر الهجرى سيبدأ ببداية المحرم ١٤٠١ هـ باعتبار ذلك بداية للمائة الجديدة التى سيبدأ بها القرن ومثال لذلك أن القرن الأول الهجرى بدأ اعتبارا من أول محرم سنة واحد وانتهى بنهاية المائة الأولى كاملة القرن الثانى بدأ فى واحد محرم سنة ١٠١ هـ وهكذا.

ولكن وانا اطالع صفحات مجلتكم الغراء « الدوحة » عدد يناير ١٩٨٠ وجدت بعض الآراء اعتبرت ان القرن الخامس عشر الهجرى قد بدأ مع بداية محرم ١٤٠٠ هـ مع أن هذه فقط بداية للسنة الأخيرة من المائة الرابعة عشرة فهذه المائة لم تنته بعد بل بدأت آخر سنة فيها وبمعنى آخر نحن الآن فى سنة ١٣٩٩هـ وشهر واحد، فعندما نكون فى سنة ١٤٠٠ وشهر واحد نكون قد اكملنا ١٤ مائة وبدأنا قرنا جديدا ببداية أول سنة فى ذلك القرن وهى بداية المحرم ١٤٠١هـ، فقد وجدت فى صفحة ٢٨ من العدد المذكور من مجلة « الدوحة » ما نصه:

« وقد وقعت ثلاثة احداث هامة فى نهاية القرن الهجرى الرابع عشر وفى أول يوم من القرن الخامس عشر الهجرى .... وفى فجر اليوم الأول من القرن الهجرى الخامس عشر وقع حادث محزن تمثل فى اقتحام المسجد الحرام فى مكة ... الخ !! ثم فى صفحة ١٢٨ ورد:

« وهكذا دخلنا فى (صفر) .. الشهر الثانى من العام الاول من القرن الخامس عشر .. »

والخلاصة فى حديثى ان السؤال مازال باقيا: اين نحن الآن ؟ هل بدأ القرن الخامس عشر ببداية محرم ١٤٠٠ هـ ام انه سيبدأ بحلول محرم ١٤٠١هـ ؟

● احمد عيد عطيات
عمان ــ الاردن

اورد الاستاذ احمد بهجت فى مقاله « .. المد الاسلامى إلى اين يمضى ؟! » ان الاسلام تدرج فى التشريع، واقول ان الاسلام لم يتدرج فى التشريع بل احكامه جاءت حلولا لمشاكل وقعت فى الفعـل ــ وإلا كيف نزلت الشرائع قبل حدوث الوقائع ؟!.

ثانيا ــ « الديمقراطية » كلمة غربية مستحدثة ــ وفى معناها الغربى «سيادة الشعب » ــ والاسلام يخص الله وحده بالسيادة ومنها جاء حق التشريع.

● صلاح الجعيدى
المكلا ــ اليمن الديموقراطية

فى صفحة « ١٣٩ » من مجلتكم عدد « ٤٧ » نوفمبر ٧٩م فى كلمة بعنوان « غاية المنتصر وردت جملة من القرآن الكريم هكذا « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس إن الله يحب المحسنين » والصحيح هو « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » والخطأ هو فى زيادة حرف «إن».

● محمد احمد جمعة
السودان ــ كوستى
الارشاد الزراعى

ان الامة العربية والاسلامية تعيش ظروفا سياسية قاسية وتمر بمنعطف خطير لابد لها وان تراجع حساباتها وتعيد مخططاتها السياسية وان تلتزم بالنهج الاسلامى القويم حتى ينهض فى وجه التيارات المعاكسة والأمواج المتلاطمة فى هذا الخضم الكبير.

وها نحن اليوم على اعتاب القرن الخامس عشر الهجرى نسأل الله أن تكون فاتحة خير على عالمنا الاسلامى، فعلى أيدى المسلمين أرسى قواعد العدل وساد العالم حياة التمدن والرقى وانتشر نور العلم الى الشرق والغرب الى أن اضمحلت تلك الحضارة واهتزت بعض الافكار من ذوى الايمان الضعيف وما علق بالنفوس من انحلال وعاش المسلمون حياة الضعف، وعلى الرغم من ذلك نهضت ثورات اسلامية بقيادة المصلحين فى كل من اسيا وافريقيا حتى اجتاحت اوربا وتضاءلت امامها كل النظريات والافكار وعاد بذلك الكيان الدولى والاجتماعى للمسلمين الا أن موازين الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى هذه الظروف من الزمان بدأت تهدد مرة اخرى وعلينا ان نصمد فى وجه هذا التحدى الخطير متمسكين بالاسلام نهجا وتشريعا.

● صلاح محمد حمد النيل
ضرائب الخرطوم .
السودان

فعلتم عظيما بتغطيتكم لوقائع مؤتمر السنة والسيرة النبوية والذى جمع رهطا من علماء المسلمين الذين تفاكروا وتناقشوا فى امر الاسلام والمسلمين .. وهم الذين يقع على عاتقهم رد الروح إلى الاسلام فى نفوس ابنائه، بعد أن هددته تلك الافكار والاتجاهات المناوئة له والتى وجدت الساحة خالية فعملت على بث افكارها بكل السبل وجندت لذلك كل طاقاتها .. فالكتب والمجلات والنشرات التى تحمل تلك الافكار يجدها الشباب بسهولة.

وفى الجانب الآخر نجد الكتب الاسلامية والتى رغم ندرتها تتميز بارتفاع اسعارها ولا تتلاءم ومقدرة الشباب الشرائية ومعظمهم من طلاب المدارس ... الأمر الذى يجعلهم ينصرفون عنها الى الاخرى .. فتزداد الشكوك وتعم البلبلة ..

● محمد عبد القادر الجمل
مصر ــ طنطــا
زفتى

اقرا باهتمام واتابع ما يكتب فى مجلة الدوحة من موضوعات ثقافية جامعة ولا سيما ما كتبه الدكتور محمد البهى عن الاسلام فى حياة الانسان فى العدد « ٤٩ » وما فيه من شمول رسالة الاسلام لجوانب الحياة الانسانية فى كل زمان ومكان وما فيه من يسر. كما احب ان اقرا له عن الأسرة فى الاسلام ورأى الاسلام فى تجديد النسل.

● عثمان يوسف
علوم الازهر

كنا ــ نحن شباب السودان، نفتقد الى ينبوع من الثقافة، فالمجلات فراغ، والكتب المدرسية محشوة، والكتب الدورية لا تفيدنا، واهم من ذلك كله، لم نكن نجد من يناقش معنا « الدين » بروح العصر، وتباينت الثقافات من حولنا وتناقضت، وعشنا فى غربة عن ديننا وذواتنا، لأن التيار الغربى كان غالبا ومسيطرا، كانت معلوماتنا عن بلادنا وتاريخ اجدادنا ولغتنا مجرد شذرات يعطيها مستشرق من هناك، ومستغرب من هنا، حتى كدنا ان نقع تحت عجلة الحضارة التى تسمى «المادة » ..

ولما صدرت الدوحة، توقعنا ان تكون كغيرها من المجلات المحشوة بالكلام غير المفيد، ولكن والحق يقال: هى مليئة بما يغنينا عن البحث فى أماكن اخرى، ففيها الثقافة الاسلامية، والموضوعات الحية، والعلوم المتقدمة، والأدب، فضلا عن الدراسات الجادة. فتحية «للدوحة»، ونرجو ان تظل على الدوام تسد الفراغ الثقافى فى حياتنا.

● محمد السمانى حسن .
السودان

لاحظت ان الدكتور صلاح الشماع اورد فى الورقة الأخيرة، ان العرب هم رواد القرآن وحملة مشاعره، ولكننى اقول ان الصحابة كان من بينهم من هو ليس بعربى مثلا سالم بن حذيفة احد اربعة قال الرسول لصحابته « خذوا القرآن من اربعة » ولم يكن سلمان الفارسى عربيا.

ان استعمال الكاتب لكلمة العرب فى كل عباراته ظلمت كثيرا من المسلمين، فما اكثر المسلمين ذوى اللسان غير العربى.

● حسن ابراهيم خليفة
السودان – بورسودان

تابعت بتمعن موضوع ابو الأعلى المودودى وجهاد نصف قرن فى الاسلام الذى كتبه د. حسن عيسى عبد الظاهر . وعشت عبر سطوره لحظات روحية صادقة .

ان مثل هذا العمر الذى قضاه البعض سعيا وراء مطالب الحياة ولذات النفس وقضت عليه الحياة دون ان يخلق لها اثرا يذكر .

إنها دعوة إلى الشباب المسلم تعيد لعالمه الاسلامى عزته والى حياته صفحات باقية على مر التاريخ .

وإنى اوجه الدعوة الى كتابنا الاسلاميين فى السودان امثال د. عون الشريف قاسم . ليبرزوا للعالم الاسلامى شخصيات قضت عمرها من اجل الاسلام فى ربوع السودان امثال الشيخ على بيتاى الذى جعل الرعاة فى شرق السودان يحفظون القران عن ظهر قلب رجالا ونساء واطفالا .

● على سعيد السويدى
قطر – الوكرة
ص.ب : ٨٠٠٧٧

لقد قرات ما كتبت الاخت فاطمة جامع من السودان الشقيق عن المراة العربية فى العدد ٤٨ من شهر محرم سنة ١٤٠٠هـ . وإنى لأشاطر الاخت الكريمة رايها فى الاهتمام بقضايا المراة ورفع مستواها الاجتماعى والثقافى والاقتصادى ، ولكنى اخالفها الراى عندما ذكرت بالحرف الواحد «اما ان الاوان لانصاف المراة وذلك باصدار التشريعات التى تعطيها مثل حقوق الرجل فى الحصول على العلم ، والتوظيف ، ثم حصولها على معاش بعد انتهاء خدمتها حتى لايظل المجتمع العربى معطلا» لقد من الله علينا بهذه النعمة وتصدى سبحانه وتعالى لمثل هذه القضايا بل إن ديننا الحنيف انصف المراة خير إنصاف ووضع التشريعات التى ضمنت ونظمت حقوق المراة .

فاذا كانت الاخت تقصد هذا المعنى ، فانها قد اجادت التنويه ، وإن كانت قد قصدت اتباع القوانين الوضعية على نهج الدول الاوربية فلا ، ويا للأسف ما اكثر ما اغرت هذه الحضارة من الامم الاخرى برونقها الزائف .

د. عون الشريف والإسرائيليات

● بوشى محاو
المملكة المغربية

يقول الدكتور عون الشريف بالعدد « ٤٩ » (فموقف القوة الذى نتخيل انفسنا فيه هو قريب الشبه بما روته الاسرائيليات عن سليمان الحكيم حين واتته المنية ، وهو متكىء إلى عصاه والانس والجن يحسبونه حياً حتى اتت الارضة على العصا فظهر ما كان خفياً على الناس).

إن هذه القصة موجودة بالقران ، وليس من الاسرائيليات كما يقول الكاتب ، ولذلك ارجو ان ارى تصحيحاً لهذه الواقعة فى احد الاعداد القادمة .

● مهندس : بكر حسين
ج . م . ع

موضع ملاحظتى فى باب – فى ازمة الانسان المعاصر – العدد ٤٩ يناير ١٩٨٠ فانى أعتب على د. عون الشريف قاسم الذى اتابع كتاباته فى اكثر من مجلة عربية اخرى انه قد خانته الدقة فى ختام موضوعه حيث كتب يقول :

« فموقف القوة الذى نتخيل انفسنا هو قريب الشبه بما روته الاسرائيليات عن سليمان الحكيم حين واتته المنية وهو متكىء إلى عصاه والانس والجن يحسبونه حياً حتى اتت الارضة على العصا فظهر ما كان خفياً على الناس » .

فكيف تكون هذه الرواية من الاسرائيليات والقران العظيم (سورة سبا) الآية ١٤ يقول « فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين »

وارى انه حينما يكون هناك نص قرانى صريح فى حادث معين فانه يجب ان يقفل باب الاجتهاد وان يوصد باب الجدل والله الموفق .

● محمد عبد الحليم
معهد التكنولوجيا – الخرطوم

قرات بالعدد «٤٩» من مجلتكم الغراء مقالا للدكتور عون الشريف

قاسم بعنوان « الانسان المعاصر وازمة الحضارة » وردت فى خاتمته العبارة التالية :

« فموقف القوة التى نتخيل انفسنا فيه هو قريب الشبه بما روته الاسرائيليات عن سليمان الحكيم حين واتته المنية وهو متكىء إلى عصاه والانس والجن يحسبونه حيا حتى اتت الارضة على العصا فظهر ما كان خفيا على الناس »

واقول : ان هذه القصة ليست من الاسرائيليات بل هى حقيقة ثابتة بنص القران الكريم فى سورة سبا الآية (١٤) :

بسم الله الرحمن الرحيم « فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » صدق الله العظيم .

أفغانستان

● محمد احمد يوسف
العين – ابو ظبى

لقد جاء فى موضوع « افغانستان الارض والناس والاحداث » عدد فبراير ١٩٨٠ للدكتور حسن عيسى عبد الظاهر المعلومات التالية :

« الامام ابو حنيفة النعمان وينتسب إلى (كابول) وقد اعتنق جده الاسلام عند فتح المسلمين لها » .

« الامام احمد بن حنبل وقد ولد بمدينة (مرو) .

ولكن بعد مطالعتنا وقراءتنا لمجلة (منار الاسلام الصادرة فى ابو ظبى العدد الثانى – السنة الخامسة ربيع الاول ١٤٠٠ هـ فبراير ١٩٨٠م وفى باب « منكم وإليكم » اعداد موسى شرف المعلومات التالية :

« الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت أقدم الائمة الاربعة مولدا ولد بالكوفة عام ٦٣هـ وقيل ٧٠ وقيل ٨٠ وهو المشهور وتوفى ببغداد عام ١٥٠هـ ودفن فيها فى حى الاعظمية نسبة إليه حيث يلقبونه الامام الاعظم »

« الامام احمد بن حنبل هو ابو عبد الله احمد بن حنبل الشيبانى ولد فى بغداد ١٦٤هـ وفيها نشا وتوفى عام ٢٤١ هـ » .

ومن قراءة الموضوعين ترى الاختلاف واضحاً فى ورود المعلومات بينهما . ونرجو ان تشيروا لنا بما هو صحيح حتى نكون على بينة من امرنا .

● الرشيد محمد دفع الله
السودان – المناقل

بهرنى تناول موضوع « .. افغانستان .. الارض والناس والاحداث » المنشور فى عدد شهر فبراير الماضى هناك غبن كثير تئن تحت وطاته العديد من شعوب الدول الاسلامية .. ارجو أن نجد متابعة لذلك من قلم الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر .

● عبد الله أدم رحمة
أم درمان – السودان

قرات مقال الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر عن افغانستان الارض والناس والاحداث اكثر من مرة جذبنى لقراءتها علماء افغانستان المسلمون الذين اسهموا فى الحضارة الاسلامية وتذكرت قول الرسول الكريم (ترى المسلمين فى تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد) فقلت فى نفسى ما ابعد هذا عن مسلمى اليوم – يعذب اخوان لهم ويسلبون وكان الأمر لا يهمهم بل ان البعض منا لا يعرف ماإذا كان سكان افغانستان مسلمين ام هندوس لولا كتابة الدكتور فجزاه الله عنا كل خير – ونتمنى ان يكتب لنا عن باكستان ، بنجلاديش ، الفلبين فما احوجنا الى المعرفة والتذكير .

● الشخصيـــة العربيـــة شخصيـــة إنسانيـــة كسائـر الشخصيـــات الأخرى

فلسطينيّات

● شفيق زكى
عمان ـ الأردن

أشيد « بفلسطينيات » الاستاذ نبيل خالد الأغـا ـ ومحاولته الطيبة لابقاء خارطة وطن القضية فى القلب ، وفى الذاكرة .
لكم تتزايد الحاجة للتذكير بالقدس وبالخليل ، وبالجليل الأعلى ...
« والشكر كل الشكر للدوحة »

● العدوى عادل
شاب عربى

غير خاف علينا ـ ونحن بصدد العام الهجرى الجديد ـ ان الامة العربية والاسرة الاسلامية ، كلتيهما تختار ساعات دقيقة وخطيرة من حياتها .
غير خاف علينا ايضا أن شعبا من ارضنا وبلادنا لا يزال يسبح فى محيط من الآلام . شعب ينبغى ان تصطف من اجله من المحيط إلى الخليج ، لكى نفك عنه حلقة الطغيان والظلم الاستعمارى الصهيونى . إن موقفنا الجماعى من اجل قضية فلسطين وشعب فلسطين ، لا ينبغى ان يكون تحت عنوان « مساعدة » أو « عون » . وانما هو واجب وطنى ودينى . وعندئذ يدرك كل فرد منا أن استرجاعنا لفلسطين واجب وفرض لابد من تاديته على احسن وجه ، لا مساعدة نعتز ونتشرف بها امام الظروف الصعبة التى يواجهها الشعب الفلسطينى .

● حسن عبد الغفور
إمبابة ـ ج . م . ع

لقد قرأت المقالة التى كتبها « نبيل خالد الأغا فى العدد ٤٦ تحت عنوان « ايام بين الاهل والاعداء » وتأثرت جدا كما يتأثر كل عربى يحب بلاده بما يفعله اليهود بالاخوة الفلسطينيين فى ارضنا السليبة . ونحن .... إن لم نكن معكم ونشارككم فى هذه المأساه باجسامنا فاننا نشارككم فيها بقلوبنا وان شاء الله سيأتى اليوم الذى تتحرر فيه فلسطين وتعود الأرض الطيبة الطاهرة إلى اهلها وترتفع راية فلسطين عالية خفاقة ويتردد صياح العرب « الله اكبر » .

● عبد الحكيم عمر التميمى .
اليمن ـ تريم
حي الشهداء

اوجه التحية الى نبيل خالد الاغا ، الذى صحبناه فى رحلة الى قطعة غالية من أرضنا العربية فلسطين . لقد هزتنا كلماته من الاعماق ، وهو يعبر عن حنينه إلى وطنه ، والمتناقضات الصعبة الأليمة التى واجهته عائدا إلى الوطن بعد ان غاب عنه إثنتى عشر عاما . وإنا لندعو الله ان تتحرر فلسطين وان تعود إلى ما كانت عليه حرة عربية .

سهـــام النـــاصر

● من محمود ممتاز الهوارى
ملـوى ـ مصر

جاء بالعدد « ٥٠ » من مجلة «الدوحة» ص١٠ بعنوان « تعقيبات » قراءة فى العدد «٤٨» من الدوحة للقارئة سهام الناصر تعقيبا على قصيدة « لماذا نزرع الحنظل » ما يلى :
« ويقع محمود ممتاز الهوارى فى قصيدته « لماذا نزرع الحنظل » التى لا تستاهل ان تنشر فى مجلة رصينة كالدوحة ، وفى اخطاء لغوية مشابهة كقوله : « ورغم دروبك الخضراء جوعانة » و « ورغم طريقك المفروش بالازهار حرانة » .
إذ لا توجد فى العربية صفة مشبهة على وزن « فعلانة » فالمرأة «جوعى» وحرى والرجل « جوعان » و «حران» دلالة على الامتلاء أو الخلو .
ولو أن القارئة ـ التى تحاول من خلال الطاقة التعبيرية التى تمتلكها أن « تساهم » فى اغناء الدوحة ! ـ كلفت نفسها شيئا من الجهد والبحث فى كتب اللغة وعادت الى «القاموس المحيط» لوجدت ما يأتى على سبيل المثال :
١ـ كلمة « سكر » كفرح وهو سكر وسكران وهى سكرة وسكرى و(سكرانة) على وزن « فعلانة » .
٢ـ كلمة « عطش » ايضا كفرح فهو عطش .. وعطشان الآن وعاطش غدا .. وهى عطشة وعطشى وعطشانة على وزن « فعلانة » .
٣ـ كلمة « غضب » كسمع فهو غضبان وهى غضبى وغضوب وغضبانة « على وزن فعلانة » .
وتيسيرا على القارئة انقل لها ما جاء فى كتاب « النحو الوافى » للاستاذ عباس حسن الجزء الرابع ص ٢١٧ تحت عنوان « المسالة ١٤٦ » هامش (٣) :
« يشترط أكثر النحاة ألا يكون المؤنث على (فعلانة) ويمثلون للمستوفى الشرط : بعطشان ، وغضبان ،وسكران .. مع أن كتب اللغة كالقاموس ـ تأتى للثلاثة بمؤنث مختوم بالتاء وبمؤنث آخر ليس مختوماً بها . فلا مناص من حمل الشرط النحوى على الاكثر الأغلب فى (فعلانة) بأن يتجرد مؤنثه من التاء فى المشهور أن تعددت مؤنثاته . وبهذا يصرح ابن جنى فى كتابه (المحتسب) جـ ٢ ص ٧٢ ـ حيث يقول ما نصه :
(يقال رجل سكران ، وامراة سكرى ؛ كغضبان وغضبى . وقد قال بعضهم (سكرانة) كما قال بعضهم : (غضبانة) .. »
ملاحظة هامـــة :
أخذ المجمع اللغوى القاهرى بالمذهب الكوفى ، وبلغة بنى أسد فى الحاق تاء التانيث جوازا بكلمة «سكرانة» ونظائرها . وقرار المجمع ، وما يتصل به من مذكرات وتقريرات مدون فى ص ٨٣ و ٩١ من المجلد الشامل للبحوث والمحاضرات التى القيت فى مؤتمر الدورة الثانية والثلاثين المنعقد ببغداد سنة ١٩٦٥ وفيما يلى نص القرار كما قدمته اللجنة المختصة ،ووافقت عليه اغلبية المؤتمرين واخذ به المجمع نهائيا :
« ان تانيث فعلانة » بالتاء لغة فى بنى اسد (كما فى الصحاح) ـ أو لغة بنى أسد (كما فى المخصص) وقياس هذه اللغة صرفها فى النكرة (كما جاء فى شرح المفصل) . والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء وإن كان غير ما جاء به خيرا ، (كما فى قول ابن جنى) .
لذا يجوز أن يقال : عطشانة وغضبانة ، وأشباهها ؛ ومن ثم يصرف « فعلانة » وصفا ، ويجمع «فعلان» ومؤنثه « فعلانة » جمع تصحيح « ا هـ » .
ما سلف هو نص ماجاء بكتاب «النحو الوافى» ونخلص منه الى أن ما ورد بقصيدة « لماذا نزرع الحنظل صحيح وسليم لغة ولا يعتبر وقوعاً فى الخطا كما قررت القارئة ، واخذ به المجمع اللغوى القاهرى نهائياً كما سبقت الاشارة .
وطبيعى أن يترك للشاعر فى حدود السلامة اللغوية أن يتخير الكلمة التى يحس أنها أكثر أداء للمعنى الذى يريده ، وقد فعلت . وإذا كانت القارئة « سهام » لما تزل « غضبانة » فالاجدر بها أن توجه سهام غضبتها المضرية الى : بنى أسد ، وابن جنى والمجمع اللغوى القاهري . أما قولها بأن القصيدة لا تستاهل أن تنشر فى مجلة رصينة كالدوحة فهذا ليس بنقد أدبى ، بل هو أشبه ما يكون «بسهام طائشة» لا يخفى ما بها من ايعاز وتحريض ، وهو أسلوب أتعفف عن وصفه واترك للقارئة الفاضلة « ولطاقتها التعبيرية » وصفه بما يليق .
اخيرا أرجو التكرم بنشر هذا الرد وضعاً للأمور فى نصابها الصحيح .

محمود ممتاز الهوارى

● يوسف أحمد عبده
الجـيزة ـ مصـــر

جاء بالعدد ٥٠ من مجلة « الدوحة » ص ١٠ ، ص ١١ بعنوان تعقيبات ـ قراءة فى العدد ٤٨ من الدوحة للقارئة سهام الناصر ذكرت بعض الماخذ اللغوية ونشكر القارئة لاجتهادها اللغوى . ولكن الا تحس القارئة أيضا أنها هى نفسها قد وقعت فى اطلاقية معيبة غير لائقة . فمن الذى قال إن النقد يعنى ذكر العيوب فقط وإهدار كل قيمة جمالية للعمل الفنى من أجل كلمة هنا أو هناك .
إن الشعر خاصة لا يجب أن ينظر له هذه النظرة الضيقة رغم أن القارئة تقول إنها تمتلك طاقة تعبيرية تحاول من خلالها أن تساهم فى إغناء الدوحة .

وتطبيقا لاطلاقياتها الفجة تزعم مثلا أن قصيدة «لماذا نزرع الحنظل لا تستاهل أن تنشر فى مجلة رصينة كالدوحة ولم تذكر لماذا .. ولعلها لا تعرف .. بل لعل اهتمامها بالجانب اللغوى فقط ووقوعها على كلمة مثل «جوعانة» وأن المؤنث اللغوى هو جوعى لعل هذا قد ملأها غرورا بانها قد وقعت على ما يهدم القصيدة كلها من جميع جوانبها . ولعل هذه الحالة التى وقعت فيها جعلتها لا تستطيع أن تتذوق إيحاءات هذه القصيدة المليئة بالصور المعبرة والاحساسات الصادقة الأصيلة التى يستشعرها القارىء والموسيقى الداخلية الجميلة التى تتسع كروافد النهر ثم تعود لتتجمع فى مجراه الكبير .

ولو كان الشعر يهدم بمثل نقدها لما بقى احد من كبار الشعراء فى ديوان الشعر العربى قديمه وحديثه

يوسف أحمد عبده

الأسوانى و العلماء العرب

● امام عثمان ارباب
حلفا الجديدة — السودان

« فى عدد الدوحة ٥٠ قرات مقال الاستاذ عبد الوهاب الأسوانى بعنوان (العلماء العرب فى الخارج) فوددت لو حوى المقال ، بجانب استنكاره لتصريحات بعض العلماء العرب ، الذين يمكن ان نصفهم بالقلة الشاذة ، من ذوى النفوس الضعيفة ، التى اطارت لبها بهرجة الغرب وزيفه فجحدت وتنكرت ، وددت لو شمل المقال ايضا هؤلاء الخيرة من علمائنا فى الخارج ، والارجح انهم الأغلبية اضحوا اوسمة على صدر كل عربى بعلمهم ومسلكهم ، شقوا طريقهم بصمود ومثابرة ، فنجحوا الآن فى مصاف كبار علماء اوربا وامريكا ، تطالعنا ابداعاتهم ، يوما وراء يوم ، فى شتى المجالات تلهج السنتهم بالشكر والعرفان كلما اتى ذكر الوطن ومن فيه . لا يتوانون فى تقديم عونهم وخدمتهم من خبرة وعلم لوطنهم الام . ليس من الانصاف أن نصف الكل بالجحود والنكران نتيجة لتصرف البعض .

وإذا كانت جميع المعوقات ، التى ذكرها البعض كذب وافتراء ، كما ورد فى المقال وانها متوفرة من جو علمى مهيىء ، وراتب كبير ، وبعد عن الارهاق النفسى ، فلماذا إذن الهجرة ؟ إن تداول هذا الموضوع وتحليله ، وباشراك بعض من العلماء العرب فى الخارج ، ذو فائدة واثر لما فيه من توضيح وإدراك ، ولما فيه ايضا من استقطاب ، لجهود هؤلاء العلماء ومعرفة ردهم وحلولهم ، واقتراحاتهم إذا كان هناك وضع علمى خاطىء ، كما يزعمون . ونرجو أن تكون الدوحة رائدة دائما كما عودتنا » .

إمام عثمان ارباب

● من طارق عبد الله
كلية طب عين شمس — القاهرة

ورد فى عدد فبراير ١٩٨٠ مقال بعنوان «العلماء العرب فى الخارج» للاستاذ عبد الوهاب الأسوانى وفى اعتقادى أن عنوان المقال شىء ، ومضمونه شىء آخر .

ولقد ساق الكاتب مجموعة احاديث أدلى بها بعض علمائنا فى الخارج ولم يتطرق مطلقا للاسباب التى دفعت هؤلاء للهجرة ونسى الجريمة التى ترتكبها مجتمعاتنا العربية فى حق هؤلاء العلماء ، وفى اعتقادى أننا جميعا نعرف ما هى هذه الجرائم . ولنا أن نتساءل : هل وفرنا لهؤلاء العلماء المناخ العلمى الأمثل لنجعل عبقرياتهم تنمو وتزهر

لقد هدم الكاتب ما بقى فى نفوس هؤلاء العلماء من الشوق للعودة للوطن حتى ما وفرت لهم الامكانيات العلمية ، وانا أعرف الكثير من ذوى النبوغ فى شتى المجالات لم تضعهم حكوماتهم فى اماكنهم المناسبة فكان البديل لهم أن يذهبوا إلى حيث يبدعون فى مجالاتهم الاصلية وفى اعتقادى إنهم على حق ونحن أولى بالمحاسبة .

طارق عبد الحكيم عبد الله

محمّد العربى الخطابى

نفسح المجال في افتتاحية هذا العدد للاديب المغربي المعروف محمد العربي الخطابي في حديث شيق طريف عودنا اياه يصفه باللغو وما هو كذلك حول قضايا الالتزام والابداع ، وسيلتقي القراء في العدد القادم مع حديث الشهر الذي مضى الذي يتناول فيه رئيس التحرير قضية تحديات التنمية الاقتصادية في الدول المصدرة للنفط على ضوء مدخل الدراسة الميدانية الهامة لكفاءة اداء المشروع العام في الاقطار المنتجة للنفط في الجزيرة العربية التي اشرف عليها الاقتصادي القطري الدكتور علي خليفة الكواري ٠

صورتان من لغو الكلام

أنا من عشاق المقاهي وروادها المداومين ، وقد لامني في ذلك قوم فقبلت لومهم بصدر رحب غير أني لم أرعو ، فهذه بلية ما لي عليها من سلطان ٠

في المقهى يتاح لي أن أتأمل وأفكر وأن أقرأ وأكتب وكأن أحدا غير موجود ٠ والمقهى عالم صغير مليء بالمتناقضات والمتنافرات ، تلتقي فيه أصناف من الخلائق وأنماط من الناس ويكثر فيه الضجيج واللغط ، وتختلط الروائح : القهوة والشاي ودخان التبغ وأنفاس الجالسين والواقفين ٠

هذا شاب بجانبي يشرب لا أدري ماذا ، ويتصفح بدون انتباه كتابا ، ويراقب في نفس الوقت حركاتي ٠

وقد أحسست أنه يريد أن يربط الحديث معي ، فما أن التقت عيناي بعينيه حتى بادرني بالتحية وقال :

ـ أنا أقرأ لك ، ولست أدري كيف أصنفك ٠

حمدت الله على أن تصنيفي أمر يستعصي على بعض الناس ٠ وهل أنا بضاعة حتى أصنف ؟

ـ أنا طالب جامعي ، أحب القراءة، وأراك ، فيما تكتبه ، تهيم في متاهات التصوف والعشق أحيانا ، ويجرفك الخيال الجامح أحيانا أخرى ، غير أنك تكون في بعض المرات واقعيا ثابت القدمين على الارض اليابسة ، فهل أنت يميني أم يساري أم ماذا ؟

قال الشاب موضحا :

ـ أنا يميني حينما أجلس للكتابة وللاكل فأتناول القلم أو اللقمة بيدي اليمنى ٠ وأنا يساري حينما أمشي على يسار الطريق اذا كانت الجهة اليمنى مزدحمة بالمارة ٠ وعلى كل حال ، ان عقيدتي تجعلني أحرص على أن أكون من أصحاب الميمنة ، وأستعيذ بالله من أصحاب المشأمة !

ـ أنا انما أقصد هل أنت كاتب

● وزهدني في الخلق معرفتي بهم وعلمي بأن العالمين هباء

● فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

ملتزم ، وهل تأخذ بايديولوجية ما ؟

وكنت قد فهمت قصد الشاب منذ البداية الا أنني تعاميت · قلت مجيبا عن سؤاله الاخير :

– وهل الانسان في حاجة الى أن يتوسل بايديولوجية ما ليكون مفكرا أو أديبا ؟ ثم اني لا أحب كثيرا هذا المصطلح فقد ابتذلته الالسن والاقلام حتى بعد أو كاد عن مدلوله الاصلي · ان المفكر الفرنسي (دي تراسي) – الذي ابتدع لفظ الايديولوجيا – ومعناها علم الافكار – لم يكن يقصد به اكثر من نهج علمي لدراسة الافكار ونشاتها وتطورها · ثم جاء « هيجل » و « ماركس » فحشرا أنفهما في المسألة وغيرا مداول هذه الكلمة ·

أنا مسلم ·· وهذا يكفيني ويغنيني ومعنى ذلك أنني صاحب عقيدة ، والعقيدة موصولة الاسباب بالله ، أولا ، ووثيقة الصلة بالتجربة الانسانية الشاملة ثانيا : لا حدود ولا طبقات · واذا كنت آخذ عن الغرب شيئا – وكثيرا ما أفعل – فانني أغربل ما آخذ وأنقيه من الشوائب التي لا تتفق مع عقيدتي وطبيعة تكويني ، ولست أترك لأي غزو مدمر بابا مفتوحا ينفذ منه الى فكري · فالعقل من نعم الله الكبرى ، والقدرة على التمييز خير ما في العقل · أما الالتزام في الادب فلي فيه راي لا أخالك مستعدا لتقبله ·

قال الشاب :

– يهمني أن أعرف رأيك فيه ·

قلت :

– كان المعري أول الملتزمين من الادباء في العالم ، فهو صاحب « لزوم ما لا يلزم » ، وهو انما التزم ضربا من العناء الفكري ليعرب عن رأيه في الحياة والناس بموسيقى شعرية توافق ما أراده ، فالتزم في القافية حرفين ، الروي وما قبله ، وقد رخص له الله التزام حرف واحد – كما قال طه حسين – والحقيقة أن المعري قد التزم أشياء أخرى ، أليس هو القائل :

وزهدني في الخلق معرفتي بهم
وعلمي بأن العالمين هباء

ثم ، ألم يقل أيضا :

فالفيت البهائم لا عقول
تقيم لها الدليل ولا ضياء
واخوان الفطانة في اختيال
كانهم لقوم أنبياء
فاما هؤلاء فاهل مكر
واما الاولون فاغبياء

ربما يقول قائل : ان المتنبي كان ملتزما أيضا · وقد يكون هذا الكلام صحيحا ، غير ان أبا الطيب لم يعلن على رؤوس الملأ التزامه ، مع أنه كان ذا طموح سياسي وميول الى بعض الحكام ونفور من آخرين ، وكانت له آراء في مسائل العقيدة والحكم والخلائق ، غير أنه كان ضنينا بها لا تظهر جلية على شعره ولا يستشفها الا من أوتي قدرة على البحث والتمييز ، أليس المتنبي هو القائل :

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني
ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

وقاطعني الشاب ، منفعلا :

المتنبي

– ما هذا النوع من الالتزام أقصد ، ان الذي أريد معرفته هو ما اذا كان على الاديب أن يلتزم ، فيما يكتبه ، بقضايا بلاده وبشؤون الناس ·

فقلت :

– على رسلك ! لقد فهمت قصدك ، وانما أمهد لكلامي كي يزداد وضوحا · ان الالتزام ، بالمفهوم الذي تقصده ، دعوة أطلقها بعض كتاب الغرب اليساريين ، ولا سيما سارتر ، وتلقفها بعض أدبائنا الذين يفترون أحيانا بالاشياء المستجدة كما تفتن الغادة بالجديد من الازياء ، ولذلك روجوا لها من غير اعتبار لاختلاف الظروف الفكرية والاجتماعية والسياسية بين الغرب والبلاد العربية · وقد ارتفعت حمى الالتزام هذه في الوقت الذي راجت فيه قشور سطحية من « الفكر الوجودي » فتصاعدت قيمة أسهم جان بول سارتر ورفيقته الكئيبة « سيمون دي بوفوار » في الاسواق العربية ، ونشطت حركة الترجمة عنهما نشاطا « تجاريا » ملحوظا في الاعوام الستين ، ووضعتهما بعض المجلات العربية في مقام الاصنام المعبودة ، وبقي الامر كذلك حتى انكشف سارتر على حقيقته حينما تحول الى أداة من أدوات الصهيونية بعد نكسة ١٩٦٧ ·

والامر الغريب أن « سارتر » نفسه لم يكن ملتزما ، بالمعنى الذي أراده ، الا في مقالاته ودراساته ذات الطابع السياسي · وهو في غير ذلك من مؤلفاته الفلسفية والروائية والمسرحية حرص على بث أفكاره الوجودية في « الكون والعدم » وفي « نقد العقل الجدلي » الذي مد فيه قنطرة بين الوجودية والماركسية · ولم تخل كتبه ذات الطابع الادبي من التبشير بتصوراته الفلسفية · ففي « الغثيان » يدور بطله المثقف (روكنتان) في فراغ رهيب يصبح فيه الوجود ضربا من العدم يسوده العبث ، وحيث الحقيقة الوحيدة هي الوعي بذلك الوجود التافه الزهيد ، وقد أطلق سارتر على كتابه هذا اسما يطابق محتواه : « الغثيان » ·

وفي « عصر العقل » و « وقف التنفيذ » – وهما كتابان لسارتر أيضا – يبشر المؤلف بأخلاق عارية ،

صورتان من لغو الكلام

قوامها : أن على الانسان أن يخترع بنفسه مصيره ، وأن يختار حريته ، وأن يقيم لنفسه سلما من القيم يؤمن بها فيتحمل تبعة وجوده الفردي بمعزل عن كل نزوع الى الرضا بما عند الآخرين · ولا يعني سارتر بالروابط الانسانية وبالصراع بين المثل الاعلى والفعل الا في مسرحياته : « الذباب » و « الباب المغلق » و « العاهر الوقور » و « الايدي المتسخة » ، فأين هو الالتزام الذي يزعم الزاعمون أن سارتر قد بشر به ؟ ألم تفسد مؤلفات سارتر العدمية أخلاق الشبان ؟··

وهنا قاطعني الشاب مرة أخرى وقال :

ـ انك تبتعد عن الموضوع ، ثم مالك لا تذكر أدباء آخرين ؟

قلت :

ـ اذا كنت قد ذكرت سارتر ـ الذي لم يعد يأبه به أحد ـ فلأنه استحوذ سنين على عقول بعض شبابنا ومشاعرهم · والامر المدهش حقا أن الذين تاجروا باسم هذا الكاتب البائس لم يقدموا لقرائهم أسماء لامعة يتسم أصحابها بالعمق والاصالة أمثال « سلين » الذي طاردت الصهيونية العالمية كتبه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، ومع ذلك ما يزال اسمه لامعا مشرقا في دنيا الادب الرفيع ، وما أقوله عن « سلين » يمكن أن يقال عن « جراهم جرين » و « مارسيل بروست » ـ الذي لم تتناوله الايدي العربية بالترجمة الا أخيرا في دمشق ـ و «فرانسوا مرياك» الذي برع في الادب وكرس مع ذلك قلمه الصحفي للدفاع عن حرية الشعوب المغلوبة على أمرها ·

اعلم يا صديقي ، أن الاديب الحق لا يلتزم الا بفنه ولا يصغى لشيء غير احساسه وعقله ، ولا دخل لأية اديولوجية في موهبته وعطائه · نعم ، ان الاديب ـ بوصفه مواطنا وانسانا ـ له أن يهتم بشؤون بلاده وبقضايا الناس وما يعترضهم في معاشهم

سارتر

هيجل

سيمون دي بوفوار

وسعيهم من صعاب أو معوقات ، وما يفرض عليهم من قيود ، وهو في هذه الحالة ينبغي له أن يلتزم بنفسه لا بفنه ، أي أن يكون حاضرا بذاته في قلب المعمعة يشارك الناس في معاناتهم ويشاطرهم أتراحهم وأفراحهم ، فهذه مسألة سلوك انساني ومدني تفرضه المواطنة والمشاركة الوجدانية · ولا على الاديب بعد ذلك أن يكرس فنه لمناجاة العصافير ، ومراقبة البراعم ، وقراءة العيون ، والاصغاء الى همس الرياح أو هواجس النفس اذ كانت قدرته الابداعية تسع ذلك · وليس لأحد أن يفرض عليه ، بوصفه أديبا أو فنانا ، أن ينتقد تشريع العمل اذا كان لا يضمن للعمال حق التأمين الاجتماعي أو أن يقضي وقته الفني متحدثا عن العدالة وحقوق الانسان ، فهذه الاشياء مجالها الصحف السيارة والكتب المتخصصة والهيآت الوطنية والدولية ·

وسوف أعطيك أمثلة ليتضح لك قصدي · فهذا الاديب الفرنسي الراحل « أندري مالرو » لم يتردد ـ بوصفه مواطنا غيورا على بلاده ـ أن يخوض معركة التحرير المسلح ضد الاحتلال النازي ، وهو في سبيل ذلك خاطر بنفسه وضحى بكل شيء · ولكن « مالرو » الاديب لم يلتزم الا بفنه فيما أبدعه من أدب رفيع فلم يخضع في ذلك لأي سلطان خارجي ·

قد تقول : ان مالرو كان عدوا للاديولوجية الماركسية ، فهو بذلك لا يصلح مثالا في هذا المقام · اذن

هاك مثالا آخر : الشاعر الكاتب «لوي أرغون» ، وهو عضو عامل ونشيط في الحزب الشيوعي الفرنسي · وذلك لم يمنعه من أن يكرس بعض دواوينه للتغني بزوجته (السا تريولي) ، فكتب « عينا السا » و « مجنون السا » و « العيون والذاكرة » و « قوافلي » و « الرواية غير المكتملة » ، فأتى في ذلك بالعجب العجاب ، وحلق في أجواء الرومانسية والسريالية والغنائية الشعرية بتلقائية تثير الاعجاب · ومن الذي يذكر الآن أن للأرغون كتابا رخيصا اسمه « من أجل واقعية اشتراكية » نحا فيه الى تمجيد الروايات السوفيتية التي تمتدح المخطط الخماسي !؟

وشاعر آخر من أمريكا اللاتينية ، كذلك ، ألم يكتب ديوانيين ليس فيهما غير قصائد الحب بأسلوبه الفني الذي ارتضاه لنفسه · أقصد بابلو نيرودا ·

حاول صديقي أن يقاطعني مرة أخرى ، فقلت لأختم هذا اللغو :

ـ ان من حق الاديب ـ وكل فنان آخر ـ أن يحس بدبيب النملة وهفهفة شجيرات الدفلي والنسرين ، وأن يحتفل بالسحب البيضاء أو الداكنة تتأرجح في السماء ، وأن يشهد بنشوة تفتح زهور اللوز في أواخر الشتاء أو أن يرقب باشفاق الشيخ الهرم وهو يعد خطواته بعكازته ، وان من حق الاديب كذلك أن يفرغ مشاهداته وأحاسيسه في القالب الجمالي الذي يرتضيه ، فنجاحه أو فشله متوقف على

قدرته الابداعية ومدى تجاوب قرائه معه . ولان يوقد الفنان في القلب شمعة حب خير له من أن يشعل السماء كلها حقدا وكراهية .

اذن ، لا حرج على الاديب أن يلبس احيانا مرقعة الناسك ، وأن يكون احيانا أخرى خياليا أو واقعيا ، ولا عليه أن يثور قلمه مرة أو أن يهدأ مرارا ، وهو حر في أن يرى القمر في واضحة النهار أو أن يحس بالدفء في أوج البرد وضراوته . المهم في كل ذلك صدق الاحساس وسلامة الطبع ونقاوة الضمير .

والاديب لم يكن في يوم من الايام مسؤولا عن خطايا الناس ، وهو غير مطالب بتقويم اعوجاجهم واصلاح فساد العالم ، وان هو أراد ذلك فليلبس زي المواطن بعد أن يخلع حلة الاديب ، وليخض الغمرات بذاته لا بفنه الا اذا فرض عليه فنه ذلك .

في الشارع

ـ كم الساعة ؟

ـ العاشرة وخمس دقائق .

هكذا بدأت المحادثة بيني وبين رجل لا أعرفه كان واقفا بباب السوق ، وكنت أنا واقفا هنالك أيضا من غير ان أدري لماذا . وبعد تبادل المعلومات عن أحوال الطقس وأسعار الخضر واللحوم ، قال الرجل :

ـ اتعرف أن ثمن الخبز قد ارتفع في هذه الايام ؟

وكنت اكره الحديث عن الخبز وثمنه وبائعيه ، فغيرت مجرى الحديث قائلا :

ـ من الغريب الا تجد في هذا اليوم سمكة واحدة في السوق .

ولكن صاحبي اصر على أن يتحدث عن الخبز فقال :

ـ ان الاوربيين لا يكثرون من اكل الخبز مثلنا ، بينما نعد نحن من أكثر الشعوب استهلاكا للحبوب والسكر والشاي .

كارل ماركس

اندري مالرو

ـ لعل ذلك راجع الى أننا نستعين بالشاي على بلع الخبز الذي يأكله بعضنا حافيا ، في الغالب . أما الاوربيون فهم يستعينون بالزبدة والنبيذ . فالشاي عندهم من الكماليات .

ـ وماذا تقول عن الفلاح الذي يتخذ خبزه من الذرة ويأكله يابسا . انهم في القرى أصحاء البدن .

ولأنهي حديث الخبز وما يجر اليه قلت :

ـ انه الجوع المزمن قد توطن فلم يعد يحدث أثرا . ان سوء التغذية قد جعل أهل القرى وكثيرا من سكان المدن عندنا ذوي أجسام يابسة متخشبة كجذع الشجرة الميتة ، كما أن التخمة المستديمة جعلت بعض الناس أشبه ما يكونون بالخنازير المعلوفة .

ـ يبدو عليك أنك من المشتغلين بمناوأة الحكام .

ـ وما دخل الحكام في حديث الخبز ؟ هراء .. انني اكره حديث الخبز لانه يجر الى ذكر سوء التغذية والتخمة .

ـ اذا كان أحد يشكو من مغص في بطنه أو عرى في سوأته ، فهل معنى هذا أن الحكام مسؤولون عن ذلك ؟ ماذا تقول عن الارزاق المقدرة؟

ـ وماذا تقول أنت عن الابواب الموصدة ؟

ـ أية أبواب تعني ؟

ـ أبواب الرزق .

ـ ومن اغلقها ؟

ـ هي على كل حال مغلقة في وجه كثيرين .

ـ ألا تتمتع أنت وغيرك من النساء والرجال بالحقوق المدنية ؟

ـ وما دخل الحقوق المدنية في كلامنا ؟ من الخير أن نعود الى حديث الخبز ولو أنني أكرهه .

ـ الخبز .. الخبز ! البطون لا تشبع أبدا وليس يملأها الا التراب . اعلم أنه لابد من الغني والفقير ..

ـ ولابد من اللص ، والمحتال ، والمستغل .. ليحدث التوازن .

ـ انك تأتي بكلام هدام مدسوس . انت فتان .

ـ وأنت انتهازي .

ـ وأنت فوضوي .

ـ وأنت عديم الراي .

ـ وآراؤك أنت مستوردة من الخارج . ألم اقل لك انك تناوىء الحكام .

ـ الساعة الآن الثانية عشرة . ربما تتأخر عن موعد القطار . يبدو عليك انك غريب مسافر .

ـ لا . لست مسافرا . انا عاطل لا شغل عندي . انما احب أن أقضي وقت الفراغ في الحديث ، غير أنني اكره السياسة .

ـ وأنا اكرهها ايضا . سأدخل الى السوق علني أجد سمكا طريا . ربما وصل شيء منه . الصيادون لا يقنطون .. وأنا أحب السمك الطري . استودعك الله ..!

محمد العربي الخطابي

د. محمد البهى

الإنسان فى نظر الإسلام

لا يرقى إلى مستوى الإله

ولا ينحط إلى مستوى الحيوان

- الوثنية مصدر ازدراء الإنسان لنفسه عندما يعبد صنمًا والشرك مصدر نفاق للإنسان إزاء إنسان آخر ذى نفوذ وقوة
- "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ"

الانسان الاول في الصدق وفي العصمة في التبليغ ، وفي الامانة على دين الله ، وفي التطبيق لمبادىء هذا الدين : هو محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، رسول الله الى الناس جميعا • ومع ذلك فهو بشر له خصائص الطبيعة البشرية : في الاكل، والشرب، والنسل والحياة والموت •• وميزته في خصائص هذه الطبيعة ان الله أنعم عليه بنزع الحقد من نفسه على الاخرين ويذكره سبحانه بهذه الميزة في قوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك ؟ » أي ألم ننزع من صدرك في حياتك الدنيوية : الغل والحقد ، وعجلنا لك فيها للمؤمنين بما وعدنا بانه يقع في جزائهم الاخروي ، كما تقول الاية الكريمة في وصف المؤمنين في الجنة : ـ

« ونزعنا ما في صدورهم من غل، اخوانا على سرر متقابلين » •

معاملة الاسرى

وهذا الانسان الاول جرى عليه ما يجري على الاخرين من البشر • فعاتبه الله على بعض ما راه في شئون الحياة ، وباسلوب يوقظ فيه بقوة ما يجب ان يتبع في سياسة الحرب والسلام • فقد عاتبه جل جلاله على اختيار راي ابي بكر رضي الله عنه في شأن بعض المشركين الذين وقعوا في « بدر » أسرى في أيدي المؤمنين • وقد كان هذا الرأي أن يفديهم بمال ، تتطلبه مصلحة الجماعة المؤمنة اذ ذاك بينما كان يرى عمر رضي الله عنه : ان يقتل هؤلاء الاسرى كسبيل يحمل المشركين على التفكير قبل اقدامهم مستقبلا على الاعتداء على المؤمنين • وجاء عتاب الرسول عليه السلام في قول القران الكريم :

« ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض» (أي حتى يثبت ويتمكن في الارض أي حتى يكون قويا في مواجهة الاعداء) » •

« تريدون عرض الدنيا » (أي تريدون المال وهو عرض زائل) •

« والله يريد الآخرة » (أي يريد المبادىء التي يقوم عليها مجتمع من المؤمنين ينشدون الحياة الاخروية قبل الحياة الدنيا) •

« والله عزيز حكيم » (مع العلم بأن الله لا يغالب اذ له التفوق المطلق في القدرة • وهو كفيل بمدكم بما تحتاجون اليه حتى لا يهزمكم عدوكم بسبب الايمان • وهو جل جلاله كذلك حكيم فيما يطلب منكم من اتباع ما ينصح به) »

وعندما قوي مجتمع المؤمنين في مواجهه المشركين جاء التخيير في شأن الاسرى بجواز : المن عليهم باطلاق سراحهم من غير مقابل •• او بافدائهم بأسرى المؤمنين عند المشركين أو بمال منهم يدفع للمؤمنين عوضا عن بقائهم في الأسر • وهذا بجانب ما يخير فيه الامام من قبل : من الاسترقاق، أو القتل • جاء الاذن بالمن أو الفداء في قول الله تعالى :

« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم (أي تمكنتم منهم بالظفر عليهم) « فشدوا الوثاق » (فاسروا الاحياء منهم) •

« فاما منا بعد » (أي بعد الاسر) « واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » (ويستمر وضع القتال ، والاسر حتى تنتهي الحرب بينكم وبين أعدائكم) •

« ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم، ولكن ليبلو بعضكم ببعض » (والامر في الحروب بالنسبة لكم ايها المؤمنون هو امر اختيار لايمانكم ومساندة بعضكم لبعض في مواجهة اعدائكم •• الامر امر بشري يخضع النصر، والهزيمة فيه الى التفوق في الايمان بالله أو الى ضعف الايمان به • أما جانب الله فهو جل جلاله قادر في كل لحظة على الانتصار من اعداء رسالته • ولكن مشيئته تترك الامر للجانبين لاظهار مدى قوة الايمان في كل جانب) •

« والذين قتلوا » (منكم ايها المؤمنون) « في سبيل الله » أي (وليس في سبيل الحرب •• أو في سبيل القومية • أو في سبيل التراب) « فلن يضل اعمالهم » (أي فلن يترك قتلهم في ضلال وتخبط وحيرة وانما لهم الجزاء الاوفى) • « سيهديهم ، ويصلح بالهم » (في الحياة الدنيا) • « ويدخلهم الجنة عرفها لهم » •

الميل الانساني

وقد عاتبه سبحانه وتعالى كذلك عندما شاح بوجهه غاضبا عن احد الضعفاء سعى اليه ليتزود ببعض تعاليم الدين ، في الوقت الذي اقبل فيه عليه السلام يرضي بعض زعماء قريش ويتودد اليهم في كسبهم الى جانب دعوته • فقال القران الكريم :

« عبس وتولى• ان جاءه الاعمى• ومايدريك لعله يزكى• أو يذكر فتنفعه الذكرى • »

« أما من استغنى فانت له تصدى وما عليك أن لا يزكى » •

« وأما من جاءك يسعى • وهو يخشى • فانت عنه تلهى » •

« سواء أكان الذي جاء يسعى هنا الى الرسول عليه السلام ، هو عبد الله بن سريح بن مالك ، بن ربيعه الفهري المعروف بابن أم مكتوم » أو غيره هو الذي أغض الرسول عليه السلام الطرف عنه ، عندما سأله عن الاستزادة في شأن الدين ، واتجه في الوقت ذاته الى غيره من زعماء قريش : فان الطبع الانساني يميل الى كسب الزعماء ، واصحاب الامر في المجتمع قبل غيرهم من عامة الناس •

الإسلام يستنكر أن ينحط الإنسان عن مستواه الإنساني وما دون المستوى الإنساني في الإنسان

●

الإنسان الذي يسترسل في إشباع شهواته وهواه .. يظل بعيدًا عن الاستقرار النفسي في الحياة

●

الاعتدال في الاستمتاع فيه كرامة الإنسان وحسن سلوكه وهدايته إلى السبيل السوي القويم.

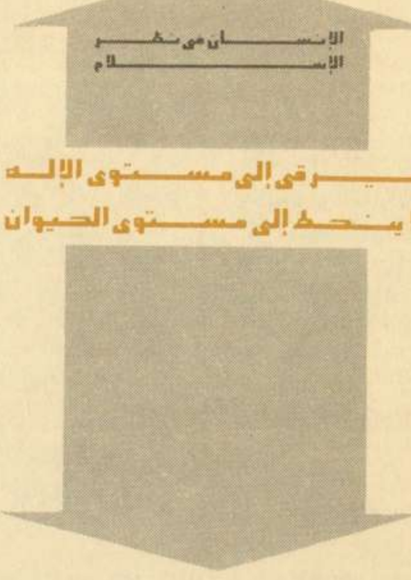

فالسورة اذ تقول : « عبس وتولى · أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى · أو يذكر فتنفعه الذكرى · أما من استغنى» (وهم زعماء قريش · اذ ليسوا بحاجة في الابقاء على زعامتهم الى قبول الدعوة) « فانت له تصدى » (أي تتجه وتقبل عليهم) « وما عليك ان لا يزكى » (أي ولست مسئولا عن تحولهم من طغيان المادية الى الايمان بالله وطهورهم من دنس الشرك) · « واما من جاءك يسعى · وهو يخشى » (أي وهو طائع يخشى الله) « فانت عنه تلهى » · انما تعبر عن خصيصة من خصائص الانسان · وهي لا تتخلف في أي من بني الانسان بوجه عام ·

وعتاب الله هنا للرسول عليه السلام هو في ان اختياره للرسالة يجب ان يبعده عن الميل الانساني بقدر الطاقة البشرية على معنى : أنه يجب ان ينظر الى الهدف من دعوته دون تأثر بعادة أو بتقليد المجتمع · وهدف الدعوة هو توضيح رسالة الله للناس كافة · ويفضل اذن من بينهم : من يقبل عليها ، ويتحمل المشقة في سبيل التصرف فيها أيا كان وضعه الاجتماعي · والعادة الانسانية التي قد يتأثر بها الانسان ويسر بها هي كسب ود القادة والزعماء في المجتمع · لان كسب ودهم سيجعل غيرهم من المستضعفين في المجتمع على ان يسلكوا مسلكهم ويتبعوا سبيلهم · فالرسول عليه السلام عندما أعرض عمن سعى اليه من الضعفاء في وقت انشغاله ببعض زعماء قريش ، كان متأثرا بالميل الى كسب هؤلاء الزعماء الى جانب دعوته ·والواجب لمصلحة الدعوة يقضي بمقاومة هذا الميل ، والاقبال على السائل · لانه راغب في الايمان بينما غيره من الزعماء مستنكف منها ومستعل عليها · والرجاء في ان يتبع المستضعفون زعماءهم عندما يقبلون الدعوة هو رجاء خادع لان المستضعف اذا لم يقبل الدعوة عن اقناع وايمان ذاتي ، من اليسير عليه ان يرتد غدا عما أعلن عنه اليوم من ايمان ·

واذن : اذا كان اختيار الرسول محمد بن عبد الله للرسالة ميزة وتفضيلا له عمن سواه في عهده ، فان تميزه بفضل الله بالرسالة لا يخرجه عن الطبيعة البشرية وخصائصها ، وان جعل مستواه في الانسانية مستوى الكامل، وصاحب القدوة الحسنة التي يجب أن يقتدي بها غيره ·

متع الحياة

ودعوة الرسول عليه السلام اذ تؤكد وحدة الالوهية فانها تريد ان تقف بالانسان عند مستوى الانسانية كما تريد ان تقف بغيره من الموجودات عند حد طبائعها وخصائصها التي وجدت أو خلقت عليها · ودعوة الرسول الى وحدانية الالوهية دعوة جميع الرسل السابقين عليه : هي دعوة الرسالة الالهية الى الانسان منذ اختيار ادم وحواء في الجنة :

« وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه : أنه لا اله الا انا فاعبدون » ·

والاثم الكبير الذي لا يغفره الله للانسان اذا ما اذنب وهو الشرك به كان عظمه في الجرم لعظمه في الخطورة على البشرية فلو كان امر الشرك هنا عند الله لوجدت الوثنية ووجد الشرك طريقه في يسر الى اعتقاد الانسان ·

والوثنية مصدر ازدراء الانسان لنفسه، عندما يعبد صنما أو ما يشبهه من صنعه · والشرك مصدر نفاق للانسان يدفع به الى الانتقال من انسان معبود ضعيف اليوم الى انسان اخر يأخذ طريقه الى النفوذ والقوة، ولو لفترة من الوقت ·

والانسان اذ عبد ما هو ادنى منه في الخصائص ·· أو عبد ما هو متغير مثله في الحياة والموت ، وفي القوة والضعف ، وفي الامكانيات التي تثبت على وضع معين : فقد كرامته ، وفقد معنى المساواة في الاعتبار البشري مع انسان اخر اذ هو الان عابد لانسان يشركه مع الله في العبادة ، ترقبا لمنفعة أو دفع ضرر منه · وغدا ينتقل بهذه العبادة لانسان اخر يرجى منه ما هو أكثر· فبالامس كان يرى معبوده من البشر أفضل منه · وهو ليس ذلك في حقيقة امره ، في نظره · بدليل أنه يهجر اليوم عبادته الى معبود اخر وفي الواقع هو يعبد المنفعة المتوهمة أو المترقبة والمنفعة التي تجذب الانسان هي المنفعة المادية لهذه الحياة :

« زين للناس حب الشهوات من النساء ، والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة والانعام ، والحرث » ·

« ذلك متاع الحياة الدنيا » ·

تغلب الانانية

واذا كانت هذه من متع الحياة الدنيا ، فهي كذلك من نعم الله على الانسان · وطلبها والسعي في تحصيلها في ذاتها ليس امرا مبغضا عند الله فهي من العناصر الضرورية التي تكون جو الاختبار في هذه الحياة وبدونها لا تكون الدنيا مرحلة في حياة الانسان عامة · ولكن المبغض في طريق تحصيلها هو استغراق الانسان في هذا التحصيل وأمارة هذا الاستغراق : ان يفقد الانسان في تحصيل اي منها : كرامته أو اعتباره كانسان فيشرك مع الله الها اخر يعبده ، يتمثل في واحدة من هذه النعم السابقة ، أو في من لديهم هذه النعم ·

وتعبير الاية في قول الله تعالى : « زين للناس حب الشهوات فتذكر : الشهوات دون ان تقول فقط حب النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ·· الخ ليشير الى هذا الاستغراق ·

« فالشهوة اذا كانت مصدر الحب والرغبة ، فهنا يكون خطر الانحراف ··خطر تغلب الانانية في السلوك الانساني على ذكر الله فيه : فينسى الانسان صاحب الشهوة أو صاحب الانانية ربه ينسى دعوته وهدايته الى القيم الانسانية العليا في ترابط الافراد بعضهم مع بعض · ولن يكون هناك تطبيق لهداية الله مع سيادة الانانية على سلوك الانسان، وتفكره واحساساته · أما الحب أو الميل نفسه فهو امر طبيعي في الانسان · وغرائزه هي مصادر هذا الحب والميل والشيء الوحيد الذي يكمن فيه خطر الغريزة هو انطلاقها في دفع الانسان نحو السلوك والتصرف ، دون تحديد من عقل وحكمة ، أو من هداية الله في كتابه أو في سنة رسوله عليه السلام · وهكذا التعبير بالشهوة في الاية يراد به في التعبير السيكرلوجي انطلاق الغريزة وعندما يقال في الكلام الشائع : « الشهوة تعمي » ·· أي تحمل الانسان على تجاوز العقل والحكمة وتجاوز هداية الله فيما أقبل عليه الانسان من تصرف وعلى ان يترك للغريزة وحدها : العنان فيه ·

العصمة المطلقة

وتبعا لتاكيد وحدة الالوهية في كل رسالة سماوية نزلت الى الانسان على هذه الارض وتبعا لان اصطفاء الله لاى رسول من الناس لا يخرجه عن طبيعته البشرية، على نحو ما تقول الاية في سورة الفرقان :

« وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ، ويمشون في الاسواق » (أي الا انهم بشر لهم خصائص البشرية قبل الرسالة وبعدها) تبعا لهذا وذاك : فان رسالة الله في القران الكريم تستنكر تأليه أي رسول من اتباعه الذين أرسل اليهم بسبب رسالته :

فهي تنكر على أهل الكتاب من اليهود والنصارى : ان يؤلهوا رسلهم واحبارهم ورهبانهم ويجعلوا منهم شركاء الله ·· وتعلن : أن رفع الانسان الى مستوى الاله في التصور والاعتقاد، لا يقدم عليه الا الخارجون عن دين الله :

« وقالت اليهود : عزير بن الله »

« وقالت النصارى : المسيح ابن الله »

« ذلك قولهم بأفواههم » (أي ليس له مدلول في الواقع) « يضاهون

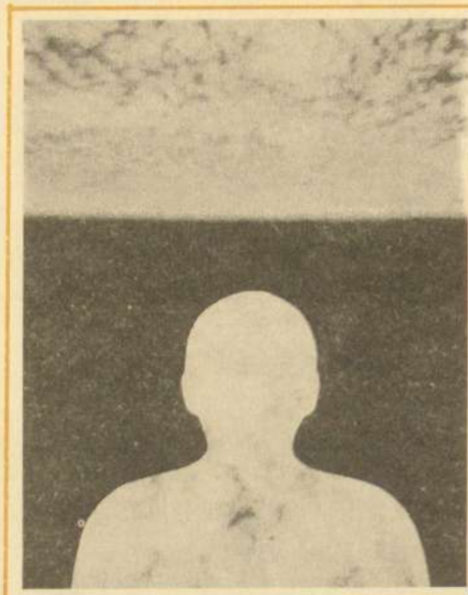

قول الذين كفروا من قبل » (أي يحاكون به قول من سبقهم في الخروج عن رسالة الله) ·

« قاتلهم الله انى يؤفكون » ·

« اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله، والمسيح بن مريم» – وبالاضافة الى تاليه رسلهم فانهم يؤلهون زعماءهم ، ويدخلون معهم المسيح بن مريم في دائرة الالوهية ·

«وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا، لا اله الا هو سبحانه عما يشركون» ·

« يريدون » (أي بتأليه الانسان ورفعه الى مستوى الاله) « أن يطفئوا نور الله بأفواههم » (أي يحاولون بهذا الادعاء بأفواههم فقط، دون ان تكون له حقيقة في الواقع : أن يلقوا ظلا على نور الله يحول دون هدايته « ويأبى الله الا ان يتم نوره ، ولو كره الكافرون » (ولكن ارادة الله ستتم رسالته الى الرسول محمد عليه السلام ، رغم كل ادعاء ··ورغم جميع العقبات التي يقيمها المعارضون وسيسطع نورها هدى للناس نحو وحدانية الله) ·

« هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (وقد تحققت رسالة الله بدين المصطفى عليه السلام وسيظل هذا الدين عزيز الجانب مهما اعترض طريق وحدة الالوهية فيه ادعاءات من يقحمون على مجال الالوهية فاقد الاهلية لها) ·

ويصف القران بالغلو كل من يرفع الانسان من مستواه الانساني الى مستوى الاله ··· الى مستوى العصمة المطلقة ، والقداسة المطلقة ، والقدرة على المحو والاثبات في سجل هذا الوجود ، فيدعو الرسول عليه السلام ان يوجه الخطاب الى اهل الكتاب السابقين بسبب انحرافهم في تاليه بعض رسلهم وزعمائهم :

« قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق » ·

« ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل » ·

والذين ضلوا من قبل برفع الانسان الى مستوى الاله وأضلوا كثيرا غيرهم بحملهم بوسيلة أو بأخرى على تصديق ما يدعونه، وضلوا عن سبيل الله وهو سبيل الاعتقاد بوحدة الالوهية : ليسوا قوما بعينه بل كل من حاد عن الطريق السوي فأله الانسان باحترامه وعبادته : في الماضي وفي الحاضر والمستقبل ·

المنفعة الخاصة

الانسان سيظل انسانا وان اختلف أفراده في مستوى الانسانية · والقول بحلول روح الاله في الانسان قول يقوم فقط على الرغبة في تحقيق مصلحة أو منفعة خاصة من هذا الادعاء ·

وطالما الاسلام يؤكد بشرية محمد ابن عبد الله عليه السلام ، فدين هذا النبي الامي سوف يرفض كل ادعاء من أتباعه أو من بعض طوائفه أو من معارضيه حالا او مستقبلا بالوهية اي انسان لسبب من الاسباب· فكتابه هو القائل في هذا المجال :

« لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله »

« ولا الملائكة المقربون » وهو الذي يحاج أهل الكتاب بحجته الواضحه اذ يقول ·

« لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح بن مريم »

« قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم ، وامه ومن في الارض جميعا » ·

··واذ يقول ايضا في اعتبار انفسهم انهم يميزون على غيرهم في مستواهم :

« وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه »

« قل فلم يعذبكم بذنوبكم »

« بل انتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ·· »

الإنسان في نظر الإسلام

لا يرقى إلى مستوى الإله ولا ينحط إلى مستوى الحيوان

الانحطاط الانساني

وكما يستنكر الاسلام ادعاء رفع الانسان الى مستوى الاله ، غلوا في تقديره ٠٠ ورغبة في تحقيق مصلحة خاصة من هذا الادعاء : فانه يستنكر ان ينحط الانسان عن مستواه الانساني٠ ومادون المستوى الانساني في الانسان : هو مستوى الحيوان وتمثل الغرائز فيه هذا المستوى ٠

فالانسان المنطلق في الاستمتاع بما غير حد وفي غير رعاية لموجود اخر أو لسلامة الذات نفسها : هو انسان ضعفت فيه حكمة العقل ، وابتعد عن هداية الاسلام والقران في وصف هؤلاء المنطلقين في الاستمتاع بغير حدود يقول :

« والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام » (ويقصد بهم الماديين أي من شأنهم ان لا يروا حدودا للمتعة بما يستمتعون به ، كانعام٠ لانهم يصدرون في الاستمتاع عن انانية وحب للذات ومن اجل ذلك ينظرون الى مرحلة الدنيا على انها حياة ابدية وهكذا وجدت ٠٠ وستظل دون فناء : « أن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، «وما نحن بمبعوثين » ٠ ففي الدنيا تتعاقب الاجيال البشرية في نظرهم : يفنى جيل ٠٠ ويخلفه جيل اخر يجيء بعده ٠٠ والعقاب فيها يمثله الحرمان من متعها ٠ والثواب فيها يمثله الاستمتاع بها ٠ والانطلاق في الاستمتاع بمتعها هو اذن شريعة الحياة فيها ٠ والقيود التي توضع على الاستمتاع هي ضد طبيعة الاشياء : ضد طبيعة الانسان في خصائصها الغريزية ، وضد مصادر المتعة نفسها لانها وجدت ليستمتع بها » ٠

بينما القران لا يرى منهج الحياة الانسانية في الانطلاق في الاستمتاع بمتع الدنيا المادية ٠ اذ انطلاق الانسان في الاستمتاع في واقع الامر هو اتباع لشهوته وهواه ٠ في غير رقابة ٠ والانسان الذي يسترسل في اتباع شهوته وهواه يظل بعيدا عن الاستقرار والاطمئنان النفسي في الحياة وشأنه عندئذ شأن الكلب الذي يحس دائما بالقلق وعدم الرضا ، سواء في حالة تتبع الانسان له ، او في حال تركه بدون تتبع واضطهاد :

« ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » ٠ وفي تصوير هذا الوضع يقول تعالى :

« واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين» (والاية هنا لاتقصد فردا ، أو فريقا معينا ٠ وانما تصف الانسان الذي تجيئه هداية الله في كتابه في اي وقت وفي اي مكان فيبتعد عنها ويصبح عرضة لاغراء الشهوة واغراء الهوى فيخضع لهما) ٠

« ولو شئنا لرفعناه بها » (اي ولم يشأ الله ان يحول بينه وبين السقوط عن مستوى الانسان بان يوجهه الى الايمان بايات الله وكتابه ٠ وعن هذا التوجيه يظل فوق الدنايا ويمارس انسانية في السلوك) « ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه » (أي ولكنه سقط وانحط الى مادون المستوى الانساني ، واتبع هوى النفس ٠ ومع ذلك لا يحس بالسعادة ، بل يسيطر عليه القلق) « فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث » (فلا الاستمتاع بالمتعة الان يرضيه ويسعده ، ولا الحرمان منها لا يبعد عنه جو القلق النفسي بسببه) « ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » ٠

الإنسان المسرف في الاستمتاع يعرض نفسه لارتكاب الفواحش الظاهرة منها والخفية

●

الإسلام يريد الإنسان أن يرقى إلى مستوى الإنسانية دون ادعاء

عدم التوازن

القران يرى فقط ان يقيد الاستمتاع بمتع هذه الحياة المادية ، عندما ينصح بالاستمتاع بها ، في قول الله تعالى : « يابني ادم ، خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا، واشربوا »

« ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين »

٠٠ والاسراف هو ما يفيض عن حاجة الانسان في الاستمتاع ٠٠ الى الترف والعبث فيه ٠٠ أو ما يزيد عن قدرات الانسان البشرية في استيعاب ما يستمتع به ٠ وتقييد الاستمتاع هو لصالح الذات المستمتعة ٠٠ ولصالح الذين يعيشون مع هذا المستمتع في مجتمعه الكبير أو الصغير ، والحقد – وهو سبيل الهدم في العلاقات لا ينمو الا في جو ينعدم فيه التوازن ٠٠ الا في جو يسيطر فيه التطرف بين اثنين ، احدهما يسرف في الاستمتاع ٠٠ والاخر يطحنه الحرمان ٠

وحتى يؤكد القران نصحه للانسان في الاستمتاع بمتع الحياة المادية يعلن : استهجانه لمن يحرم هذا الاستمتاع في ذاته فيقول :

« قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده ، والطيبات من الرزق »

« قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا » (أي هي حلال لهم في هذه الحياة الدنيا) ٠

« خالصة يوم القيامة » (بينما هي في الاخرة ستكون قاصرة على المؤمنين وحدهم) « كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون » ٠

٠٠ ولكي يوضح القران نتائج ما نهى عنه من الاسراف في الاستمتاع يذكر :

ان الاسراف في الاستمتاع بالمتع المادية كثيرا ما يصل بالمسرف فيها الى ارتكاب الفواحش وفي مقدمتها : الزنا وانتهاك الاعراض ٠٠ والى البغي والاعتداء على حرمات الاخرين في اموالهم ، وفي مساكنهم ، والى الشرك بالله بما لا يتصور ان يكون شريكا له جل جلاله ، كعبادة المال ، والحاكم الجائر ٠٠ والى الكذب والافتراء على الله في تشويه سبيله ودعوته الى تأكيد القيم الانسانية في العلاقات بين الناس جميعا ٠

ولذلك يعقب على استهجان تحريم الاستمتاع بالمتع المادية كتبرير لهذا الاستهجان وكتبرير ايضا في الوقت نفسه للنهي عن الاسراف في الاستمتاع الذي نهى عنه بقوله :

١ ـ « قل : انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن »

٢ ـ « والاثم والبغي بغير الحق »

٣ ـ « وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطان »

٤ ـ « وان تقولوا على الله مالا تعلمون »

التفوق الانساني

والانسان المسرف في الاستمتاع يعرض نفسه اذن لارتكاب الفواحش الظاهرة والخفية منها ، كما يعرضها لاقتراف الاثام والمعاصي، وليس له عاصم من ارادة ، او ضمير أو ايمان ينقذ به نفسه ، اذا ما ورطه هواه وحسنت له شهوته ، ان يستغرق في المتع المادية · واذا فقد الانسان الارادة ، والضمير والايمان ، فقد التميز في الاعتداء على نفسه أو على غيره · وانسان بلا ارادة وبلا ضمير ، وبلا ايمان هو كائن حي له سمة الانسان ، وليست له روح الانسان ·

وفي الاعتدال في الاستمتاع : كرامة الانسان ·· وحسن سلوك الانسان ·· وهداية الانسان الى السبيل السوي في الحياة ·

الاسلام يريد للانسان أن يرقى في مستوى الانسانية ولكن لا يريد له : ان يدعي أو يدعى له : انه فوق مستواها · فان في هذا الادعاء ضلاله وضلال الاخرين معه ·

يريد للانسان ان يظل صاحب التفوق بخصائص الانسانية من ارادة وحكمة وايمان على ما عداه في الوجود · ولذا ينكر عليه ان يلغيها في حياته بالانطلاق في اتباع شهوته وهواه ·

الاسلام لا يتاجر بالانسان فيقبل الادعاء بحلول روح الله فيه، لامر ما·

الاسلام لا يخدع الانسان باغرائه نحو متع الحياة ودعوته الى الاستغراق فيها فضلا عن ان يطلب منه سفك الدماء في سبيلها ·

سيظل وحي الله الى رسوله محمد عليه السلام قائما يتلى على الاجيال البشرية جميعها الى ان تقوم الساعة ، وهو ما جاء في قوله جل جلاله :

« يمنون عليك أن أسلموا »

« قل لا تمنوا علي اسلامكم »

« بل الله يمن عليكم : ان هداكم للايمان ، ان كنتم صادقين » ·

د . محمد البهى

نزار قباني

أحمد بهجت

الأم تيريزا

● منذ القرن الماضي لم تظهر موهبة ادبية جديرة بان يتحدث العالم عنها ويبدو ان الادب لم يصبح موهبة بقدر ما اضحى صناعة يحترفها المريدون !

« الناقد الفرنسي جاك فيليب »

● كل الذين سيشتركون في اولمبياد موسكو في الصيف القادم يجب ان يحملوا معهم طعامهم لانهم لن يجدوا في روسيا كيلو لحم واحدا صالحا للاكل ·

« وزير الزراعة الامريكي روبرت بيرجلاند »

● عندما تطفا الانوار في منتصف الليل · احتفالا برحيل سنة وميلاد سنة لا ابحث عن امراة اقبلها ·· وانما ابحث عن وطن ابكي عل صدره ·

« نزار قباني »

● المشكلة ان الانسان يموت اذا باع قلبه ماديا وادبيا · وليس هناك موتى اغنياء .ويتوقف كسب الانسان اذا مات · وهكذا يتاكد ان شيئا في الوجود لا يعدل القلب البشري ·

« أحمد بهجت »

● لماذا تحاولون ان تجعلوا مني قديسة · هل تحسبون ان طاقة الانسانية والخير الموجودة داخل كل منا ضئيلة الى هذا الحد ·

« الأم تريزا »

● سوف يشهد عام ١٩٨٠ خسارة نسائية كبيرة ·· ففي امريكا وحدها سوف تفارق ٣٢٠٠٠ امراة الحياة بسبب اصابتهن بسرطان الرئة عن طريق الافراط في التدخين ·

« تقرير الجمعية الامريكية للدراسات السرطانية »

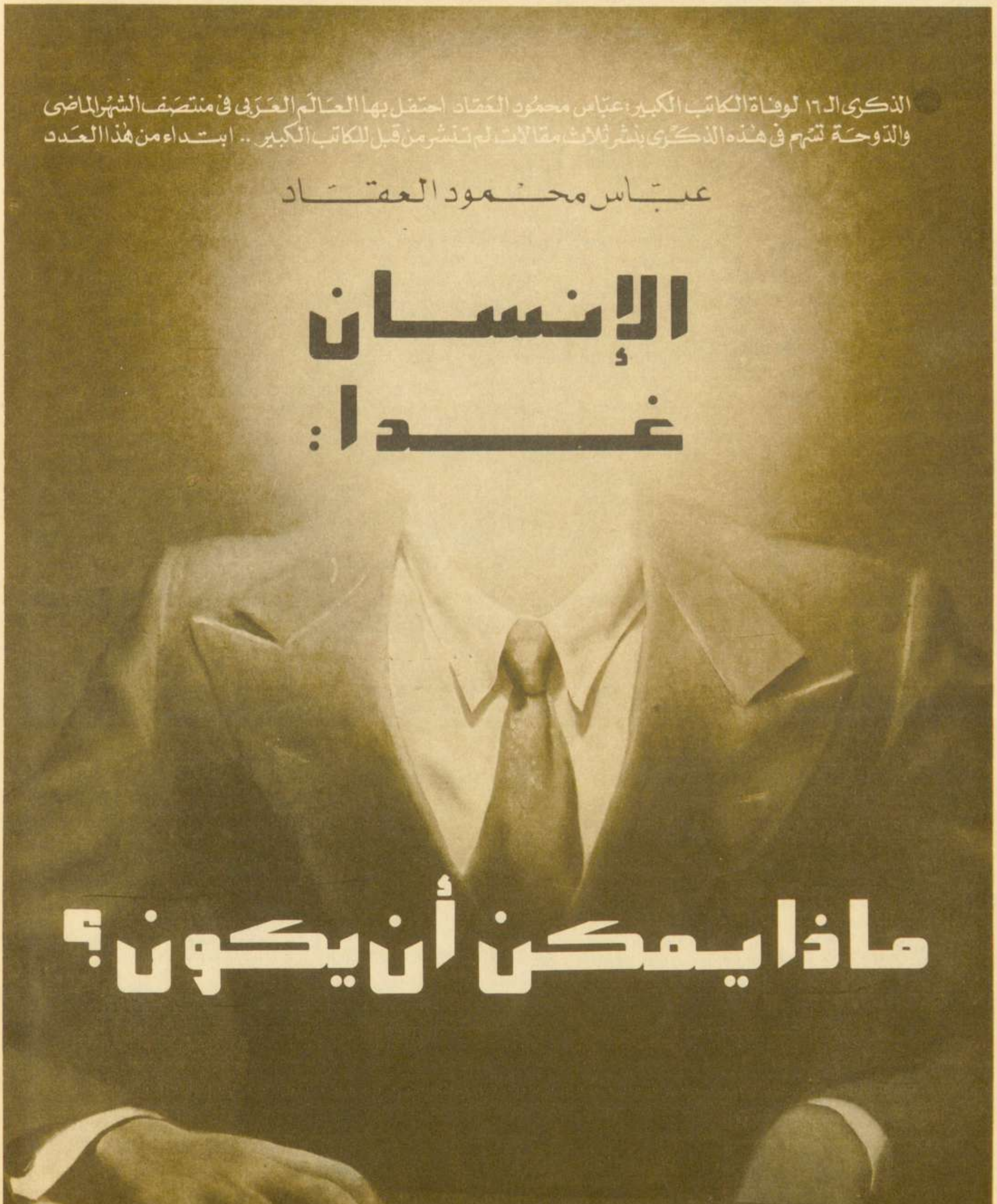

● الذكرى الـ ١٦ لوفاة الكاتب الكبير: عباس محمود العقاد احتفل بها العالم العربي في منتصف الشهر الماضي والدوحة تسهم في هذه الذكرى بنشر ثلاث مقالات لم تنشر من قبل للكاتب الكبير.. ابتداء من هذا العدد

عباس محمود العقاد

الإنسان غدا:

ماذا يمكن أن يكون؟

تقدمت العلوم الطبيعية تقدما سريعا فى ثلاثة قرون . تقدمت فى وسائلها كما تقدمت فى مكتشفاتها وتقدمت فى طريقة البحث كما تقدمت فى نتائجه . فحققت فى ثلاثة قرون مالم يحققه العلم فى ثلاثين قرنا من الزمن القديم .

ولكن يلاحظ مع هذا التقدم السريع انها تتواضع . او تتراجع . فى دعواها كلما امعنت فى البحث والمعرفة وأكثرت من الكشف والاختراع . كان أناس من العلماء يقولون قبل مائتى سنة أن العلم قد رفع الستار عن أسرار الطبيعة . وأن ما بقى من هذه الاسرار وشيك أن ينكشف بعد قليل .

كان هؤلاء العلماء واتباعهم يقولون بأن الطبيعة لم يبق فيها سر مغلق بعد كشف قانون الجاذبية ودورة المنظومة الشمسية وأن الدورة الدموية ومذهب التطور وعلم الجراثيم كفيلة بكشف الحجاب عن أعمق أسرار الحياة . من يقولون بهذا القول فى العصر الحاضر اقل بكثير ممن كانوا يقولون به قبل مائتى سنة . مع أن علماء اليوم أوسع معرفة بالعلوم الطبيعية من زملائهم فى القرن السابع عشر والقرن الذى تلاه . علماء الطبيعة اليوم يقررون كلهم أو أكثرهم . أن العلم وصاف وليس بكشاف أى أن العلم يصف ما يراه ويسجله . ولكنه يقف دون العلل الاولى للأشياء . فلا يجزم بعلتها . الا ما كان من قبيل وصف الحوادث وترتيبها كما تتكررامامه على الدوام . من أين جاء هذا التواضع . أو هذا التراجع . فى دعوى فريق من العلماء بين القرن السابع عشر والقرن العشرين . جاء أولا . من سعة العلم

للكاتب والمفكر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد .

لأن زيادة العلم كما هو مشهور . نقص فى الغرور . وجاء ثانيا . عن زيادة المجهول مع زيادة المعلوم .

يروى عن جهل الطفولة أن طفلا صغيرا سئل عن سنه وسن اخيه فقال . انه أكبر منى بسنتين ولكننى ساكون اكبر منه بعد ثلاث سنين . إن هذا الطفل الصغير قد تصور انه يكبر وحده وأن الزمن يحسب فى سنه ولا يحسب فى سن اخيه . ومثل هذا الطفل ذلك العالم الذى يظن أن العلم يزداد ولكن الحقائق المجهولة تبقى عنده كما هى . ولا تزداد .

إن علماء العصر الحاضر قد أدركوا أن الحقائق أيضاً تزداد كما تزداد العلوم . ادركوا ما يجهلونه حين ادركوا ما يعلمونه . فاذا المجهول لا يزال أكثر وأكبر من المعلوم .

من هؤلاء العلماء جورج رسل هاريسون صاحب كتاب « الانسان غدا .. ماذا يمكن أن يكون » وخلاصته أن الانسان يمكن أن يكون أنساناً تاما بشخصية تامة ولكنه لا يكون كذلك الا اذا التفت الى كل جانب من جوانب الشخصيه الانسانية ولم يقصر التفاته إلى جانب المادة أو جانب البدن منها لأن الشخصية الانسانية عاطفة وعقل وضمير وليست مجرد أعضاء ووظائف وخلايا وأعصاب .

لو عرف الانسان كل شىء عن تركيب بدنه لما احاط بأسرار قواه الشخصية ولما نفذ الى حقيقة سر الحياة . اننا لا نعرف « الموسيقى » إذا عرفنا كل دقيقة وجليلة من الأخشاب والمعادن — والاوتار التى تدخل فى تركيب العود والجيتار والبيان .

وبعض علماء الحياة يراقبون تغذية الحيوان ويلاحظون مثلا . أن العواطف تتأثر ببعض الأغذية فتنتقص أو تزيد . لاحظوا أن الفارة التى يقل المنجنيز فى غذائها تهمل صغارها ولا تعطف عليهم وانه لحسن منهم أن يلاحظوا هذه فوصلوا منه إلى زيادة حصة الحيوان من ذلك الغذاء ولكنهم إذا جاوزوا ذلك فقالوا أن عاطفة الأمومة هى مقدار معلوم من المنجنيز فهم مخطئون . وخطأهم فى هذا الرأى كخطأ القائل إن نغمات الموسيقى أخشاب وأوتار . ان نقص الغذاء ينقص حركة الجسم وحركة الدوافع الحية .. ولكن مادة الغذاء وعاطفة الحياة شيئان مختلفان . ومن الواجب أن نعرف تركيب الجسم وتركيب كل مادة فيه . ولكننا لن نعرف الشخصية الانسانية من معرفة هذا التركيب . لان هذه الشخصية الانسانية تكوين عجيب يعجزنا الآن أن نسبر أغواره . ولكننا قد نلمحها لمحاً اذا لاحظنا الفوارق التى لانهاية لها بين إنسان وإنسان . أو بين شخصية وشخصية .

لكل انسان صوته . لكل انسان ملامحه . ولكل انسان خطوط أصابعه

● لو عرف الإنسان كل شىء عن تركيب بدنه .. لما أحاط بأسرار قواه الشخصية

● نحن لا نعرف الموسيقى إذا عرفنا كل دقيقة وجليلة من الأخشاب والمعادن والأوتار التى تدخل فى تركيب العود والجيتار والبيان

● لكل إنسان صوته وملامحه وخطوط أصابعه وفصيلة الدم وخلايا البروتين . وكذلك لكل إنسان قابليته للصحة والمرض والمقاومة والإصابة

ماذا يمكن أن يكون؟

ولكل انسان كتابة لا يكتبها غيره . ولكل انسان تركيبه فى فصيلة الدم وخلايا البروتين . ولكل إنسان قابليته للصحة والمرض والمقاومة والاصابة .

هذا فى المحسوسات التى ندركها بايسر نظرة . أما الخفايا فمنها ما يجهله الانسان نفسه فى وعيه الباطن أو فى وعيه الذى لا يتضح للشعور . ونعلم أن أدواتنا العلمية لا تمكننا من كشف هذه الخفايا اذا علمنا انها تكمن كلها فى الخلية التى يولد منها الانسان . وأن جميع الناسلات التى يولد منها النوع الانسانى يمكن أن توضع فى فنجان .

وسيبقى الانسان محجوبا عن نفسه مادام محجوبا عن أعماق هذه الشخصية ومادام منصرفا عن جانب الضمير منها . أو مادام متجها الى الخلط بين مادة جسمه وبين العوامل الحية التى ترتبط بتلف المادة . لأن الحان الموسيقى لا توضع ولا تفهم او تتذوق بمعرفة الاخشاب والاوتار . كلا ولا بمعرفة العلامات والاشارات التى تضبط بها الالحان والنغمات .

وهنا ينبغى أن نتساءل كما تساءل المؤلف . ماهى حقائق الضمير- ؟

والجواب . اننا لا نعرفها جميعاً . وان ما نعرفها قد يختلط عند بعض الناس بالجهالة أو بالهوى والضلالة . ولكن ما نجهله أو نخطىء فيه لا نتركه ولا نحتقره بل نثابر على طلبه لنصحح خطاه وجهله . ولو اننا تركنا كل حقيقة حملناها واخطانا فهمها لما بقيت عندنا معرفة بالمادة ولا بالضمير . وهنا يضرب المؤلف مثلا بالطفل الذى يبيت ليلة عيد الميلاد وهو يحلم بالهدايا التى يضعها « سانت كلوز » أو القديس راعى الاطفال . إلى جانب وسادته . فان هذا الطفل يحلم ولا ريب بخيال ــ ولكنه خير من الطفل الذى لايتخيل شيئا عن فرحة عيد الميلاد ولا عن هدايا الغيب وشوق الانتظار الذى يخامر جميع النفوس فى أمثال هذه الاوقات . وما دام عيد الميلاد موجودا فالطفل الذى يدركه على صورة من الصور حسبما يستطيع فى خياله وفكره أصح إدراكا من الطفل الذى لا يدركه إدراك الصغار ولا إدراك الكبار .

وعلينا فى هذا العصر خاصة أن العلم بالمحسوسات الظاهرة لا يستدعى انكار الغيب أو ما وراء المحسوسات . فى هذا العصر خاصة ينبغى أن نذكر هذا ونفهمه ولا ننساه . لأن علمنا بالعادة المحسوسة قد انتهى بنا او كاد ان ينتهى بنا ، إلى عالم الغيب وراء المحسوس او وراء المعقول .

عناصر المادة كلها ذرات . وما هى الذرة ؟ جسم صغير ينغلق ثم ينطلق فيصبح شعاعا . وما هو الشعاع ؟ حركة فى الأثير . وما هو الأثير ؟ شىء لا وزن له ولا حركة ولا رائحة ولا مذاق محسوس وغير منضبط بغير الحساب والتقدير . وإذا كان هذا نهاية علمنا بالمادة فى عصرنا فان عالم الغيب فى عصرنا يتسع ولا يضيق ويقول المؤلف بحق ان كبار العلماء لا ينكرون الغيب او أن اناسا لا يزالون معدودين من أكبر العلماء كانوا يؤمنون بما وراء المحسوس .

كان نيوتن مكتشف قانون الجاذبية يصلى ويؤدى فروضه الدينية فى مواعيدها بغير انقطاع وكان جاليلو مكتشف دوران الارض يؤمن بالله والدين وكان « اينشتين » يقول « إنك اذا اردت

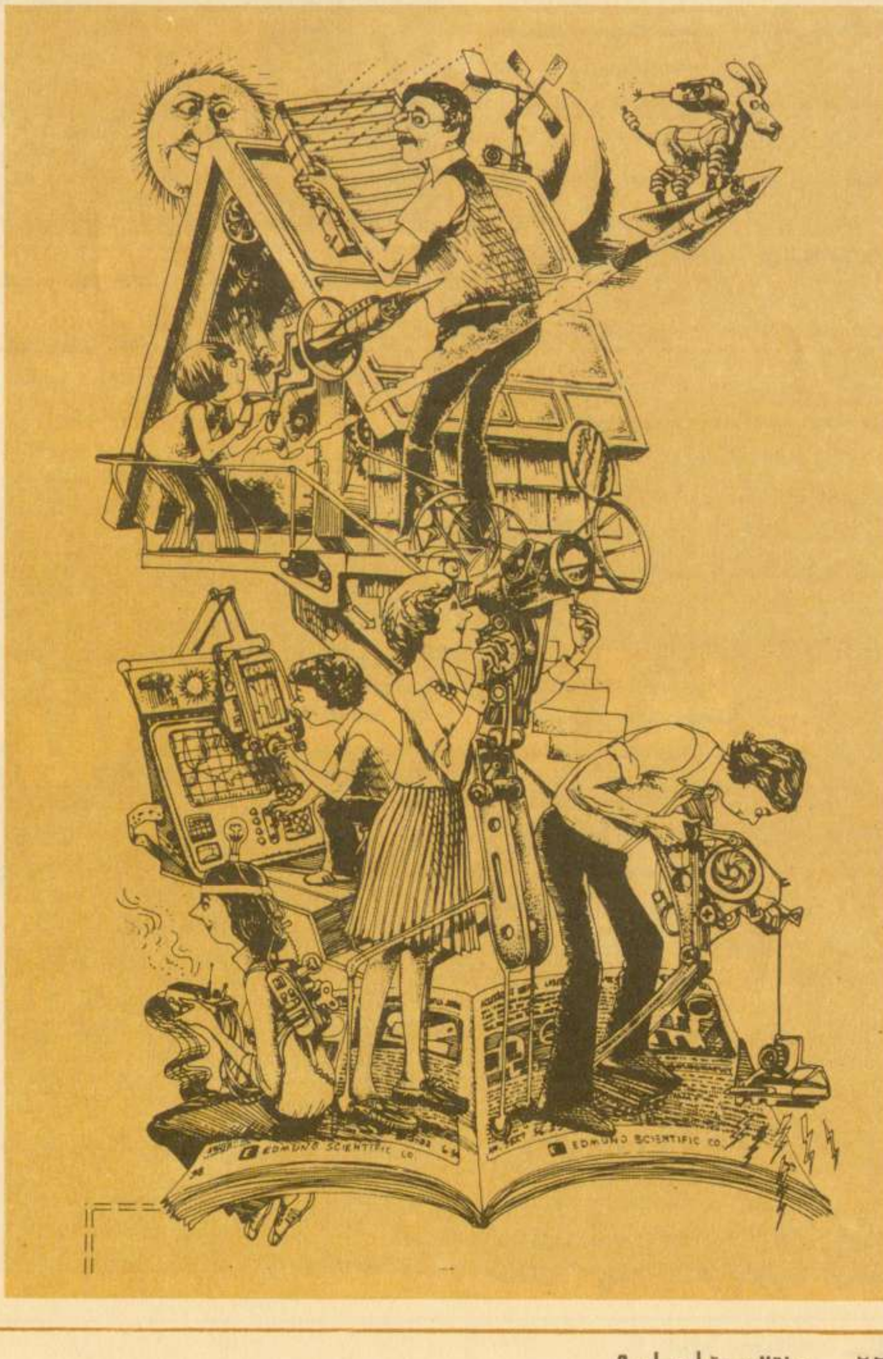

أن تعرف غاية الحياة فمعنى ذلك أن تكون متدينا . وكثير من خلفاء هؤلاء العلماء فى العصر الحاضر يرجعون الى الغيب كلما أوغلوا فى العلم بالمحسوسات »

ويردد المؤلف قول القائلين إن الخوف كبير فى عصرنا من شطط الانسان فى استخدام معلوماته ومن الجائز أن يكون حتف النوع الانسانى كله فى هذه الطاقة المخيفة . إذا أسيىء استخدامها فى الحروب . ولكن المؤلف يعود فيقول إن هؤلاء المتشائمين يبالغون فى الخوف من عوامل الشر والهدم التى ينطوى عليها طبع الانسان . ولا يعطون عوامل الخير والبناء حقهما من الأمل والثقة ، قياساً على الماضى فى أحوال كأحوال العصر الحديث .

لقد كان اختراع النار يكفى للقضاء على عمران الانسان كله فى زمانه . ولكنه عزز هذا العمران وعلمنا أن نخترع أنواعا من النار لم تكن معروفة فى عهد أجدادنا الغابرين . فكل ما اخترعناه من أنواع الوقود فهو توسع فى استخدام النار . ولكن قد حسن استخدامها فى أوقات وساء استخدامها فى أوقات وكلها فى النهاية قد أضاف الى العمران ولم يكن سببا للقضاء عليه . ولا خطر على الانسان فى الغد على هذا الاعتبار . ولكننا لا نقنع بالأمان من الخطر اذا استطعنا أن نتصور أنفسنا ، ونحن قادرون على إتمام أنفسنا إذا عشنا بشخصية متوازنة بين عوامل الجسد وعوامل العقل والعاطفة والضمير .

هل معنى ذلك أننا سنعرف كل ما فى أنفسنا من الخفايا والأسرار ؟ لا ريب أننا نزداد علما بتلك الخفايا والأسرار جيلا بعد جيل . إلا أننا لا يلزمنا أن ننتظر طوال الأجيال لنعرف عنها كل ما يستطاع لأننا نعرف مطالب العقل والعاطفة والضمير . نعرف التطلع الى الحقيقة ونعرف الشوق الى جمال الطبيعة والفنون . ونعرف كرامة المبادىء الرفيعة والأمثلة العليا فى الأخلاق والآداب . ونعرف مطالب الضمير من العقيدة الروحية وما نعرف من هذه الجوانب المتعددة فى الشخصية الانسانية فهو حسبنا

للموازنة بينها وبين مطالبنا البدنية . هو حسبنا للحذر من مسخ طبيعتنا بالاستسلام الى جانب منها دون سائر الجوانب . وهو حسبنا للتقدم فى طريق التمام .

وعند المؤلف أن هناك غاية أعلى من غاية الموازنة بين جوانب البدن وجوانب العقل والعاطفة والضمير . إن عباقرة العالم قلما يتوازنون فى جميع الجوانب . ومنهم من تغلب عليه نزعة تغطى على جميع نزعاته وبها يمتاز على سواد الناس ويتمكن من خدمتهم بالفتوح الجديدة فى ميادين العلوم والفنون والاخلاق .

الا أن العبقريين يوسعون « شخصيتهم » بهذه النزعة الغالبة ولا يضيقونها . انهم ينمون بها ولا ينقصون وهم الاستثناء فى هذه القاعدة ولا تخلو قاعدة من استثناء .

وبعد فنحن فى ختام هذا المقال عائدون الى سؤال العنوان عن الانسان غدا « ماذا يمكن أن يكون ؟ »

وليس جواب المؤلف أنه سيعلو على الانسانية الى طبقة السوبر مان « التى حلم بها دعاة القرن التاسع عشر » وإنما جوابه أن الانسان يتمم نفسه غداً فلا يحاول التحليق بجناح واحد . وأن المستقبل يعرف حق البدن ولا ينسى حق العاطفة وحق الروح والضمير .

عباس محمود العقاد

عبد الكريم غلاب

الإعلام بين الأوروبيين والعرب

ما يزال الشعب العربى يعيش تحت ارهاب الاعلام الأجنبى ، الأمريكى منه والأوربى على السواء . وما تزال شعوب أوربا وأمريكا تعيش تحت ما يمكن أن نسميه ايضا إرهاب الاعلام العربى فرق كبير بين الارهابيين ومصادر الارهاب فى كل من الاعلامين .

مظهر الارهاب فى الاعلام الأوربى بالنسبة للوطن العربى أن الدول العربية تقع فى نطاق التخلف ، وأن المواطن العربى جاهل ومع ذلك يعيش – معظم شعوبه – حياة ذليلة من الفقر والبطالة والجوع ، وهو يحقد على الانسان غير العربى وغير المسلم ويبادر بالشتيمة وغير قابل للتعاون . وهو عنصرى يكره اليهود ويطاردهم وإذا امتلك قوة اشهر عليهم الحرب وحاول تدميرهم ورميهم إلى البحر . وهو عنيف حتى مع ابناء بني جلدته . وهو يضطهد المرأة ويقسو على الطفل ويقتل القطة والكلب ...يتعلم ولا يتثقف ، يرتشى ويبعثر المال ، ولا يتعامل مع الحضارة الغربية إلا من جانبها القذر . والبلاد العربية تمتلك مصادر الطاقة ولكنها ترغب بواسطتها أن تخنق الحضارة الحديثة فترفع الأسعار وتحد من الانتاج وتسبب للعالم تضخما ساحقا ، وتهدد من حين لآخر بتفليس الدول الكبرى عن طريق سحب أرصدتها من البنوك الغربية . وهى تلعب بين الشرق والغرب فلا يستقر لها قرار ، وتساهم فى التوتر الدولى وهى لا ترغب فى الاعتراف بدولة صغيرة مظلومة وجدت وطنها اخيرا هى اسرائيل ...

تلك هى الصورة التى ترتسم أمام الاعلام الأجنبى عن الوطن العربى والمواطن العربى ويذيعونها فى بعض فترات النكبة العربية فى تلفازهم ملونة وسوادا على بياض وبكل فنون التصوير ولا تعدم هذه الصورة القاتمة المقيتة بعض ملامحها فى اقلام بعض الأدباء الذين يغذون اقلامهم من قصاصات بعض بعض الصحف ، وتتسرب هذه الصورة إلى المد الارهابى الاعلامى فيندفع – إنطلاقا منها – لينفخ الرماد من النار وليصب الزيت على الفتيل فيحرض دولة عربية على أخرى ، ويصور اى نقاش أو خلاف جزئى بين دولتين عربيتين فى صورة الحرب والضروس ليتخذ من نفسه وصيا على (الحقيقة) وعلى (السلام) لينصر هذه الحكومة على تلك وليسعى من وراء عمله أن يستفيد من ميزانية إعلام هذه الدولة على حساب تلك .

ومن هذا المنطلق يأخذ (الحق) فى توزيع الالقاب وتحليل المذاهب والسياسات والغوص العميق فى أعماق العثرات والمشاكل التى يتخبط فيها كل بلد عربى ، وما البلاد العربية إلا نموذج للمشاكل التى تتخبط فيها كل شعوب العالم .

مصادر الارهاب

مصادر هذا الارهاب فى الاعلام الأجنبى هى فيما نحسب :

– الصورة القديمة التى اخذها الأجانب عن الوطن العربى قبل احتلاله واثناء استعماره . وهى صورة رسمها الطابور الخامس الذى مهد للاستعمار ويتكون من مؤرخين وجغرافيين وصحفيين وكتاب سياحة ومخربين وعسكريين وحكام تولوا مناصب الحكم فى الوطن العربى ، ولم يأخذوا من معنى الحكم إلا صبغة (التحكم) .

وقد ظلت هذه الصورة المقيتة تنتشر وتفعل فعلها فى النفوس والعقول حتى تلقفها الاعلام الحديث كأساس يبنى عليه

● تبقى مسئولية الإعلاميين العرب .. إنهم مدعوون إلى اختراق الحجاب الذى تضربه إسرائيل حول القضايا العربية

الرؤية الجديدة لهذا الوطن .

– العداء الذى استحكم فى بعض الطبقات التى مرت من هنا كمستعمرين ومغتصبين للأرض أو للاقتصاد والمعادن والمناجم والمال والحكم والسيادة والسلطة ، ويوم استقلت شعوب الوطن العربى واحدا بعد الآخر حسب هؤلاء أن هذه الشعوب تغتصب منهم ما امتلكوه – ولو بوضع اليد – وان استرجاع الوطن العربى لشخصيته وهويته وأرضه وثرواته إنما سرقة تستحق صاحبها العقاب والاعلام المضاد إحدى وسائل العقاب .

– الحملة المسعورة التى تقوم بها الصهيونية العالمية ضد الوطن العربى ، وهى حملة منظمة مدروسة علميا تشمل مختلف انحاء العالم والقطاع الغربى منه على الأخص . لا تهتم بميدان الصراع مع العرب من اجل قضية فلسطين والأراضى العربية المحتلة فحسب ولكنها توسع مجال الحملة لتشمل مختلف القطاعات العربية ومختلف البلاد العربية ، وتستهدف هدم كل ما يبنيه العرب من جسور التعاون العالمى فى الميادين الاقتصادية والثقافية والتكنولوجية .

– الاحتكار الاعلامى المسيطر على مختلف أجهزة الاعلام فى العالم الغربى وهو احتكار فى معظمه ايدولوجى رأسمالى يخدم مصالح معينة معظمها كانت لها سيطرة على اقتصاديات الوطن العربى فى مشرقه ومغربه ، ومعظمها لا يزال يمد أخطبوطه فى العالم العربى وسوءه أن يتحرر أى جزء من الوطن العربى من هيمنة احتكاراته . ولذلك فهو يسخر أجهزة الاعلام عن طريق الارهاب ليسمم الرأى العام ضد الوطن العربى . وهو لا يريد أن يخدم مصالحه فحسب ، ولكنه يستهدف تأليب الرأى العام فى أوربا وامريكا والبلاد التى تخضع إعلاميا للأجزة الممتدة من هاتين القارتين ضد الوطن العربى والمواطن العربى . والرأى العام يضغط على الحكومات حتى لا تكون مي أى اتجاه تحررى اقتصادى أو اجتماعى أو عسكرى فى الوطن العربى .

ومعروف ان أسرائيل تشارك فى هذه الاحتكارات الرأسمالية الاعلامية عن طريق

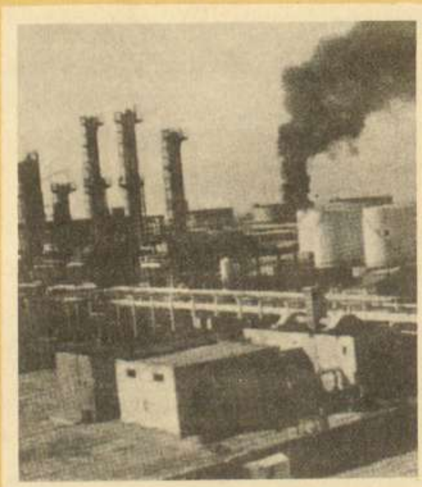

الشركات والشخصيات التى لأسرائيل نفوذ عليها وهى تستغل هذا النفوذ أوسع استغلال لتحاصر الوطن العربى إعلاميا . والمحاصرة الاعلامية إسهام كبير فى المحاضرة السياسية والعسكرية .

هذا الارهاب ، الذى يتجلى أساسا فى المظاهر التى تحدثنا عن بعضها يؤكد ان الاعلام الغربى عموما ، ومنه الاعلام الأوربى ، لم يدرك بعد حريته . الحرية الحقيقية لا تتجلى فى القوانين التى تبيح النشر والتعبير ، ولا فى ممارسة هذه الحرية الظاهرية فحسب ، فهذه الحرية ادركها الاعلام الغربى منذ عشرات السنين ولكن الحرية الحقيقية هى الا تتحكم فى التعبير عن الرأى الحر افكارا عدائية مسبقة صادرة عن استعمار أو استغلال أو كراهية عنصرية أو عرقية أو احتكارات رأسمالية تدافع عن مصالح إقطاعية خاصة . ومن المؤسف أن التوجيه الصحفى والاعلامى عموما وأن العقول المفكرة فى الميدان الاعلامى والاقلام المتحركة لم تتحرر من هذه السيطرة رغم ما يبدو من أن الاعلام الغربى مدرك حريته متمتع بكامل صلاحيته .

الصورة المقابلة للارهاب الاعلامى الغربى هى التى يقدمها ما يمكن أن نسميه بالارهاب الاعلامى العربى ولنبحث الان عن ظاهراته علنا نضىء خطواتنا فى طريق البحث عن التخلص من ردود فعل هذا الارهاب أو ذاك .

وتتمثل الصورة فى الفكرة التى يأخذها العرب عن الغرب الأوربى خصوصا وهى منطلقة من الصورة التى قدمها الاستعمار الغربى عن بلاده . صورة الظالم المستغل المتعصب السارق لخيرات البلاد المتحكم فى الانسان إلى درجة الاستعباد القاتل من خلال حروبه التى شنها على الوطن العربى ومن خلال أحكام محاكمة وأعواد مشنقته ، المضطهد من خلال الميز العنصرى الذى استعمله فى ميدان التعليم والصحة والاسكان . والفرص غير المتكافأة فى ميدان الاقتصاد والاجتماع والعمل والكسب والأداء المغتصب من خلال الأرض التى انتزعها من المواطن العربى ليقدمها للمستعمر الغربى وليجعل من صاحب الأرض عبدا مسخرا فى خدمة وارث الأرض الجديد . المتآمر من خلال زرع كيان غريب فى الوطن العربى قوامه لقطاء من مختلف انحاء العالم ، اعطاهم الأرض والدولة والحكم والسلاح وصفة الشعب ووقف خلفهم يحميهم بقوة السلاح والمال والسياسة والدبلوماسية ، ويمكنهم من الانتصار فى كل حرب يشنونها على الشعب الذى اغتصبوا أرضه والدول التى احتلوا أجزاء من اطرافها .

انطبعت هذه الصورة على الاعلام العربى ، بل على الأدب العربى كما انطبعت الصورة المعاكسة على الاعلام الغربى والصهيونى وعلى الأدب الغربى والصهيونى .

العلاقات بينهما

فى وسط صراع الاعلامين المتناقضين كان الخاسر هو العلاقات بين الشرق والغرب بين العرب وبلاد أوربا على الأخص . كثير من المظاهر التى يصورها الاعلامان – وخاصة الاعلام العربى عن الغربى صحيحة – ولكنا لا نحاكم اليوم هذا الاعلام أو ذاك من وجهة نظر مؤرخ أو أخلاقى . غير أن الاعلام العربى لا يستند إلى قوة تعادل أو تقترب من القوة الاحتكارية الخطيرة التى يستند إليها الاعلام الغربى فى هجمته الشرسة على الوطن والمواطن العربى . بل أن الاعلام العربى يقع ضحية أجهزة الاعلام الغربى المتحكمة ، فكل وسائل جمع الأخبار وتدفقها وإذاعاتها بين يديه ويملك كل مصادر الأخبار والتجهيز

الإعلام بين الأوروبيين والعرب

والفننى والخبرة الاعلامية . وهو لا يتعامل مع الوطن العربى فى هذا الميدان من منظور تجارى صرف ، ولكنه يتعامل من منظور الموقع الاستراتيجى للاعلام ومدى اثره فى توجيه السياسة والدبلوماسية والاقتصاد . ولذلك فهو يتخذ من الاعلام الذى يصدره ويصدر تجهيزاته وأدواته وسيلة ضغط وتحكم ، كما يتخذ من المادة الاعلامية التى يصدرها وسيلة توجيه وغزو فكرى .

فى هذا الاطار غير المتكافىء بين الاعلامين تعيش العلاقات التى يراد لها أن تتجدد فى ميدان الاقتصاد والتجارة والخبرة التكنولوجية بين الوطن العربى واوربا .

أوربا انفتحت على تاوطن العربى اقتصاديا. وكان ذلك منذ ظهر النفط ، ولكن الشركات الغربية كانت تتحكم فى النفط فكانت اوربا (تتفتح) على شركاتها إذ كان المال مضمونا ، .. وكان الوطن العربى غير متفتح إلا على الجانب التجارى الاستهلاكى وهذا ايضا كان مضمونا وكان متفتحا على شىء اخر هو الادخار فى البنوك الاوربية والامريكية من جهة ، والاستهلاك السياحى من جهة أخرى . وهذا ايضا كان مضمونا .

ولكن تاميم النفط ـ كلا أو بعضا ـ فى الوطن العربى والتحكم فى انتاجه وتسويقه واستخدامه كسلاح بعد حرب رمضان لفت النظر إلى هذا المصدر الضخم من مصادر الثروة والطاقة بشكل يومى بأن هؤلاء الذين التفت نظرهم لم يكونوا يعرفون أن هناك شيئا إسمه النفط وبلاد النفط .

اقترن ذلك بالاندفاع الهائل فى المنطقة العربية نحو البناء الاقتصادى : صناعى وعمرانى وسياحى . المشاريع الضخمة التى تقوم فى البلاد العربية النفطية لفتت الأنظار ، أنظار الشركات المنتجة والحكومات فى الغرب الى الثروة الوافدة مع هذه المشاريع . ومن هنا انطلقت الأقطار العربية لتحتل رأس قائمة البلاد التى تستورد مشروعات ضخمة : طرق وبنايات ومعامل ومصانع وخبرة وتكنولوجية

التطور الاقتصادى هذا وضع البلاد الأوربية والغربية عماما موضع الحاجة الى الوطن العربى لاتقل عن حاجة البلاد العربى إلى اوربا .

واقترنت هذه (الحاجة) المتبادلة بالأزمة الاقتصادية التى بدأت تطل على الغرب ، والتى دفعت بكثير من الملاحظين الاقتصاديين ان يقولوا ان العالم سيشهد ازمة شبيهة بازمة ١٩٢٩ واقترنت الأزمة بالتضخم والبطالة المتفشية حتى أن كثير من المعامل بدأت تستغنى عن نسبة مهمة من عمالها . كا ذلك لا ينفى تضاعف ارباح الشركات الكبرى الاحتكارية وفى مقدمتها شركات البترول التى حققت أرباحا ضخمة إضافية من ارتفاع سعر البترول .

هذا كله ليس إلا مظهرا لخلل اقتصادى ونقدى نتيجة لعجز الراسمالية العالمية عن اكتشاف نظام اقتصادى متجدد ويستجيب لتطور العالم وحاجات الانسان ويجيب عن الحاجة إلى توازن بين العالم الثالث والعالم المتقدم اقتصاديا وصناعيا ، بل يجيب عن الحاجة ايضا إلى توازن بين طبقات العالم المصنع نفسه .

الاضطراب الاقتصادى والنقدى فى الغرب وفى أوربا بخاصة عمق الرغبة فى الاضطراب الاقتصادى والنقدى فى الغرب وفى أوربا بخاصة عمق لرغبة الغرب فى البحث عن مجالات العمل والاستثمار فى الوطن العربى . وهذا ما أعطى بعدا كبيرا للمصالح المتبادلة بين الطرفين . وهذه المصالح المتبادلة فى حاجة إلى إعلام يخدمها .

الاعلام هو الذى يوضح ابعاد هذه المصالح ، وهو الذى يقدم أحد الطرفين للآخر . وهو الذى يهدم السدود التى تقف دون تفاهم الطرفين ، وهو الذى يزيب الجليد الذى تراكم من عهد العلاقات السيئة بين الوطن العربى وأوربا ، وهو ـ بكلمة واحدة ـ الذى يستطيع أن يقيم علاقات جديدة على اسس جديدة من التفاهم والتعاون بحسن نية ، أو يهدم هذه العلاقات .

فهل الاعلام الحالى قادر على ذلك ـــ

الاعلام فى وضعه الذى وصل إليه ـ عربيا كان أو أوربيا ـ لم يتحرر بعد من رواسب الماضى ولذلك فهو غير قادر على أن يخدم ما يأمله الطرفان من بناء عهد من التعاون يعتمد على أن يقدم كل من الطرفين ما يملكه من مال او طاقة أو خبرة أو صناعة او تكنولوجية لبناء جسر من التعاون لمصلحة التنمية الاقتصادية والثقافية والفكرية والفكرية ، لبناء عالم يسوده السلام والأمن والتفاهم .

ولكن هذه الوضعية ليست حتمية ولهذا يجب التفكير فى خلق سبل للاتصال والتفاهم بين رجال الاعلام فى أوربا والوطن العربى . وكان هذا هو موضوع الحوار العربى الأوربى فى ميدان الاعلام الذى دعا إليه اتحاد الصحفيين العرب ، ونظم فى بغداد فى أواخر شهر يناير (كانون الثانى) .

والذى نامله هو أن يكون الحوار قد أسقط الاقنعة عن المظاهر السلبية للاعلام وحطم السد الذى بناه الاعلام المنحرف بين العرب والأوربيين . وهو امل لا يمكن أن يتحقق بمجرد لقاء بين مجموعة من رجال الاعلام عرب وأوربيين ، ولكنه قد يأخذ طريقهللتحقق إذا بذلت لجنة المتابعة التى انبعثت عن الحوار مجهودات متجددة لتحقيق أهداف الحوار ، والحد الأدنى الذى أعلنه البيان الصادر عن الملتقى فى القضايا الأساسية وفى مقدمتها القضية الفلسطينية .

وتبقى بعد ذلك مسؤولية الاعلاميين العرب وهم مدعوون إلى اختراق الحجاب الذى تحاول اسرائيل أن تضربه حول القضايا العربية ، وإلى إيضاح الصورة المشوهة التى يرسمها الاعلام الاسرائيلى والاعلام الاوربى المتعاطف مع اسرائيل للوطن العربى . إعلامنا قادر على المساهمة فى تغيير الصورة إذا مااقتحم الميدان الاعلامى فى أوربا باللغات التى يفهمها الأوربيون وبالمنطق والعقلية الأوربية وبالخبرة والممكنات اللذين يملكهما العرب .

لقد هاجرت اقلام عربية ومجلات عربية إلى باريس ولندن ، ونقلت معها خبرتها ، وتستثمر اموالا طائلة عربية فى أوربا لتخدم القارىء العربى . حظ أوربا من هذا الاعلام استثمار رؤوس أموال وتحقيق أرباح وصرف أموال وكل هذه المجلات والصحف كان يمكن أن تصدر عن عواصم عربية فتتحول مردودية الاستثمارات الصحفية إلى أبناء العرب وتصرف الأموال المتحركة فى هذا القطاع بين مواطنين عرب .

وهنا تبرز مسئولية الاعلاميين العرب لتحويل هذا المجهود لمخاطبة القارىء الغربى فى قضايا الوطن العربى بالمنطق الذى يفهمه واللغة التى يقرأ بها .

وتلك إحدى وسائل الحوار الذى نأمل أن نصل عن طريقه إلى إقناع .

الرباط : عبد الكريم غلاب

أضغاث أحلام

جحا : وتعليم الحمار

من مأثورات تراثنا الشعبى أن (جحا) رحمه الله ، كان ، على ظرفه وفكاهته ، لا يخلو من المكر والمادية والجشع ، إذ يقال أن ملكا ، فى زمان جحا (الذى لم يحدده علماء التاريخ ، بعد ، تحديدا دقيقا) أعلن ، بوسائل الاعلام فى عصره ، أنه فى حاجة إلى رجل حصيف عاقل ، ليعلم (حمار الملك) القراءة والكتابة !! ووضع خبراء الروتين واللوائح فى البلاط شروطا تتلخص فى :

أ - أن يتم تعليم حمار الملك القراءة والكتابة عند نهاية ثلاثين سنة من توقيع العقد .

ب - أن يتقاضى (المعلم) راتبا شهريا (طوال ثلاثين سنة) قدره ألف دينار ، ذهبا عينا ، بالاضافة الى منحه سكنا مؤثثا بالأرائك والطنافس والقوارير والديباج والحرير والجوارى الحسان ، فضلا عن بغلين وأتان لتنقلاته الخاصة الداخلية والخارجية .

جـ - أن تقطع رأس المعلم ، على رءوس الاشهاد فى ساحة السوق ، بمقصلة من الفولاذ المصنوع من أجود خامات الحديد والكروم والمنجنيز ، إذا فشل فى تعليم الحمار القراءة والكتابة بعد ثلاثين سنة ...

وتوافد العلماء وأهل الخبرات فى التعليم (والبيداجوجيا) من أقاصى البلاد وأدانيها ، للأطلاع على الشروط ، ودراسة شجرة العائلة والسلالة التى ينتمى إليها حمار الملك ، ولكنهم جميعا كانوا يعودون ، دون توقيع أى عقد مع الملك ... وكان جحا انذاك ، فى احدى جولاته ، فما أن ترامى إليه نبأ القصة حتى قطع الرحلة ، وعاد إلى العاصمة ، واتصل بالمسئولين الذين حددوا له موعدا للمقابلة ، خرج على إثره متهلل الوجه باسم الثغر ، وضاح الجبين ، حاملا بيمينه (نسخة) من العقد ، ممهورة موثقة بتوقيعه ، وخاتم الملك ، وشق طريقه نحو (الاسطبل) لاستلام (التلميذ) ... فاعترض طريقه نفر من الناس الطيبين ، وصاحوا به : ويحك ياجحا ، لقد عهدناك رجلا عاقلا فطنا ، فما الذى دهاك حتى توقع مع الملك عقدا بتعليم حماره القراءة والكتابة ، هـل جننت ياجحـا ؟؟ فاجابهم جحا بابتسامة الواثق ، ساخرا ، إنما أنتم والله المجانين ، فانا أعرف يقينا ، كما تعرفون جميعا ، أن الحمار (ولو كان حمار الملك) لن يتعلم القراءة والكتابة ، ولكن ياأيها الحمقى : سوف يحدث خلال الثلاثين سنة ، أحد ثلاثة أمور ، إما أن أموت أو يموت الملك أو يموت الحمار فاذا لم يحدث شىء من هذا ، فلسوف تقطع رأسى ، أجل ، ولكن بعد أن أكون قد تمتعت بهذا المرتب وتلك النعمة ثلاثين حولا كاملا ، فضلا عما ساضعه لعيالى فى البنوك أمانا لمستقبلهم !!!

ولاشك أن كثيرا من واضعى المشاريع الكبرى فى السياسة والاقتصاد والتخطيط قد استوعبوا قصة جحا هذه تمام الاستيعاب ، ويطبقون فلسفتها بكل الدقة فى التطبيق ، وكل هدفهم الذى يسعون إليه هدف شخصى تماما مثل هدف جحا ... وفى اعتقادى أنه من المفيد ، أن يكون هنالك ، فى كل مكان يحتمل أن يكون به (جحا حديث) ، هيئة مهمتها وضع المشاريع التى تحتاج (ثلاثين سنة فاكثر) كى تؤتى أكلها سياسيا واقتصاديا أو أجتماعيا على بساط البحث (الضميرى الأخلاقى العلمى) ومعرفة ما إذا كان فى مخططها فعلا (قيام عزرائيل) بانقاذ الموقف قبل اتضاح الحقيقة ، ولا أدرى على وجه التحديد كم من أموال هذه الأمة سوف يستنفذ من براثن اسلوب المكر (الجحوى) فى قصة تعليم (حمار الملك) ، ولكن فى هذه الأيام .....

درويش مصطفى الفار

● فوجىء اصدقاء الرجل عندما عرفوا منه انه اشترى عقاراً بمائة الف دولار فسالوه عن مصدر الثروة ، فاجابهم :

« بعض هذا المال ثمرة الجهد والاجتهاد فى العمل وبعضه نتيجة الاقتصاد وعدم الاسراف و ٩٩٪ من هذا المال ورثته من عمى الثرى الذى أوصى لى بالمبلغ عند وفاته »

● استاء الرجل الوقور من الفتاة التى كانت تقف الى جواره اثناء الحفل لثرثرتها وحذلقتها فالتفت إليها متسائلا :

« عزيزتى .. الا تفكرين اطلاقا فيما تقولين ؟»

فاجابته بعذوبة وبراءة :

« وكيف افكر قبل ان اكون قد سمعت ما ساقوله »

شهيات

د. يوسف إدريس

نبتة صالحة

● هذه الدمدمات التى تحدث فى منطقتنا وفى العالم ليست إشارات غامضة!

فى هذه الفترة حدثت احداث فى العالم ، وفى قلب منطقتنا العربية الشرق اوسطية قلبت الدنيا راسا على عقب . وليس هذا كل شيء ، فتوقعاتى أن كل ما حدث ، رغم ضخامته وخطورته – لا يمثل سوى الدمدمات الأولى لبركان لن يبقى ولن يذر كعادة البراكين ، ولكنه سيعيد تنظيم منطقتنا وربما بالتالى سيعيد تنظيم كل العالم من حولنا . فالعالم يحيا فى فوضى ، اعجب مافيها . أن المتأمل لها عن قرب ، يتصور أنها فى منتهى الدقة والانتظام ، بينما الرائى لها ، عن بعد ، أو ذلك الذى يراها حين يستقطب نظره الى داخله ، ويستقرىء ماهو مكنون فى باطنه ، يدرك كم هى مرتبكة اشد الارتباك ، مجرمة فى ظلمها اشد الاجرام . العالم فى حاجة الى عدالة جديدة ، ليست عدالة القانون الرومانى أو قانون نابليون ، ولكنها عدالة الله ، فالله هو العدل المطلق ، أليس اسمه – سبحانه هو العدل ؟ .

هذه الدمدمات التى تحدث فى منطقتنا وفى العالم ، ليست – رغم كل ما تحفل به من مآس وقسوة – إشارات غامضة ولكنها واضحة لذوى الألباب ، وقد عجز القائمون على العدل وعلى البشرية ان يعدلوا كفة الميزان ، لانهم هم الذين فى

● نحن قد نكون قريبين جداً من يوم الساعة الأرضى الذى سيعيد تنظيم العدالة

● شفافيتى تكاد أن تحس مايختلج فى ورقة النبات كلما طوحت بها الريح

الغالب يجعلون كفة الظلم هى التى (تطب) فربما إزاحتهم هم وحدها كفيلة باقرار العدل ، وربما هذه الاشارات الربانية كفيلة وحدها بان تلقى الرعب فى قلوبهم ، فيعملوا على اعتدال الميزان ، وإلا لحقهم الطوفان .

حسن تماما ـ نحن قد نكون قريبين جدا من يوم الساعة ، يوم الساعة الأرضى ، واذا كان يوم الساعة السماوى هوالذى سيحاسب الحساب المطلق فيوم الساعة الأرضى هو الذى سيعيد تنظيم العدالة ، أو تنظيم الظلم ، بحيث يعتدل مسرى الحياة قليلا او كثيرا الى ان تحين لحظة الحساب الأكبر .

● ●

شغلتنى وشغلتكم احداث عالمنا الخاص والعام طوال الشهور الماضية . ولا اكتمكم سرا ـ والغريب انى مع قراء الدوحة اجد نفسى وكانى اتحدث الى نفسى ، صريحا غاية ما تكون الصراحة ، اتحدث هكذا وكانى اتحدث ، ليس الى ذاتى فاحيانا اخدع ذاتى ، وانما إلى صديق عارف حكيم متاكد انى حتى لو اعترفت له بكل ذنوبى واخطائى فانه لن يستنكر وابدا لن يلوم ، بل ربما يعذر ويغفر ـ لا اكتمكم سرا ، فقد كانت تلك الفترة ، فترة تجربة روحية خطيرة ، خضتها جسدا وروحا ، وصهرتنى ، وادمجتنى جسدا وروحا ، حتى صرت كلا عقليا نفسيا جسديا ، احدا يكاد يكون مصنوعا من صدق خالص .

ليس معنى هذا انى تحولت الى ولى من اولياء الله ، ولكن ، مااستطيع البوح به ، فليس كل ماحدث استطيع له بوحا ، ان اقول انى قد أصبحت اقرب ما أكون الى الانسان الذى حلمت يوما ان اكونه ، ذلك الذى ينصهر إحساسه باحاسيسه بمداركه بفراسته بقدراته وحواسه السادسة والثامنة والعاشرة ، كتلة اخاف منها لانها مامن شىء تحس به إلا ويكون الحقيقة ، ولا تسبر غور انسان إلا وتصل إلى اعماقه ـ باختصار نقلت الى برج آخر ، ليس معلقا فى السموات العلى وانما ضارب باطنابه الى باطن الارض وانسان الأرض ونبات الارض وحيوانات الارض . شفافيتى تكاد تحس ما يختلج فى ورقة النبات كلما طوحت بها الريح ، أو زقزقة العصفور اذا زقزق دون وليف ..

● ●

اعزائى قراء الدوحة ..

بدلا من ان ارسل بخطاب خاص الى كل من استفسر وسال ، او كبتها فى نفسه ولم يسال ، هانذا أرسلها كلمة ، قد تصيب ، وقد يقرؤها قارىء يظن بى الظنون ، ولكن حسبى أن تصل الى قارىء واحد ، فمعنى هذا انى بلغت ، واللهم فاشهد .

● ●

اعزائى ...

تعودتم فى هذه الشهريات ان اتناول موضوعا واحدا او عدة موضوعات تتوخى فائدتكم التى هى ديدنى من الكتابة فى المجلة الثقافية الاولى فى عالمنا العربى ..

هل تعتبرون أن هذه الرسالة موضوعا ؟

هل تظنون ان له فائدة ؟

انا شخصيا اعتقد ذلك ، واعتقد لو انه لم يكن له من فائدة ، لما أمكن لقلمى أن يخط سطرا واحدا باكمله . ولكنها فائدة قد تستعصى على بعضكم ، بل قد تستعصى على انا نفسى ، لو لم اؤمن ايمانا كاملا انى ، وإن كنت لم اذكر كل ما أريد قوله ، وان كنت لم اذكر موضوعا واحدا ذا فائدة محددة فاننى على الاقل حومت حول واد من أودية المناطق الغامضة فى النفس البشرية التى ما اجهلنا بها . ماكان اسهل على أن اتناول موضوعا عاما أو خاصا ما ، حادثة أو قصة أو ذكرى ، واوغل لكم فى وصفها وذكرها والحديث عنها ... ولكنى اثرت ان احدثكم حديث الموضوع اللاموضوع ، واللاموضوع الموضوع ، ذلك الحديث الذى لن يحرك بعض عقولكم ولكنى متاكد انه سيحرك مناطق من وجداناتكم ووجدانى ايضا ، قبل ان تتحرك .

فاذا لم يفعل فاعذرونى

وان فعل ، فلن تتصوروا ابدا مقدار ما سيحدثه من تفتح الوجدان ، وجدانى ووجدانكم .

وما اكثر ما نتحدث الحديث المعقول الذى نفهمه ! ويدخل من هنا ويخرج من هناك .

وما أقل ما نتحدث ذلك الحديث ، الذى يدخل من هنا ولا يخرج ابدا . يستكن فى النفس ، استقرار البذرة ، التى حتما ولا بد ، ستنتج نبتا ، له سبع سنابل ، فى كل سنبلة مائة حبة .

ليس لأنه عمل صالح فقط .

ولكن لانه عمل صالح يغرس فى تربة صالحة .

وما أروع الخصب الذى تحفل به أرضنا الصالحة الداخلية .

كل ما فى الامر أنها كانت تنتظر بذرة متواضعة صالحة .

وآمل ان تكون كلمتى تلك النبته .

والى اللقاء .

د. يوسف ادريس

تحقيق : نادية رزق

تصوير : عثمان الصلحي

الطفل القطري ومكانه في المجتمع

- من مجتمع الصحراء وصيد اللؤلؤ إلى مجتمع يعتمد في اقتصاده على البترول وصناعة البتروكيماويات
- فرصة السفر إلى الخارج تتيح الاطلاع والخبرات الجديدة
- الإحساس بالعمل الجماعي ينمي القدرات الذاتية لدى الأطفال ويغرس فيهم الحماس

تتاثر شخصية الطفل فى قطر بعدة متغيرات مثل التحول من مجتمع الصحراء وصيد اللؤلؤ الى مجتمع يعتمد فى اقتصاده على انتاج البترول وصناعة البتروكيماويات ، وما صاحب ذلك من ازدهار فى الحياة وتوفر استخدام نتائج التقدم العلمى الذى اجتاح العالم فى هذا القرن ، ثم التطور الذى حدث فى النظم التعليمية ووسائل الاعلام من تليفزيون واذاعة وصحافة ..

كل هذه المتغيرات تلقى بتأثيرها على الاطفال بصورة مباشرة وبنتائج بعيدة المدى عميقة الاثر !

وذلك فضلا عن وجود وافدين للعمل بكل أوجه الحياة ، يجلبون معهم حضارة مختلفة ولغة مختلفة واسلوب تنشئة مختلفا !

وبالطبع لن ننسى تلك المؤسسات التى تشترك فى تربية الطفل القطرى اجتماعيا مثل دور الحضانة ورياض الاطفال ، والمدارس، والمكتبات ، والمتاحف وغيرها ..

كما ان فرصة السفر الى الخارج والاطلاع والاختلاط بثقافات جديدة ، متاحة بصورة كبيرة للطفل القطرى ..

المتغيرات الاجتماعية

وكل تلك الخصائص وغيرها لابد أن تؤثر فى شخصية الطفل ، خاصة وان هناك متغيرات اجتماعية واقتصادية تمت فى سنوات قليلة .. فمثلا الأب والأم اللذان تربيا فى بيئة تتميز باختلافات حضارية واقتصادية جذرية ، وكانت مسئولية تربيتها تقع على الاسرة فحسب ، مثل هؤلاء أسرتهما قطعا تختلف فى تكوينها عن اسرة اليوم ، اما الطفل اليوم فيعيش فى اسرة تشترك فى تربيتهما عدة مصادر متعددة ..

وعندما أردت التعرف على دور المدرسة كمؤسسة اجتماعية تهتم بالطفل وتنشئته بصورة سليمة فى مرحلة الطفولة الأولى ، ذهبت الى واحدة من تلك المدارس وهى مدرسة عثمان بن عفان الابتدائية بالمنتزه ، وهناك التقيت بوكيل المدرسة عبد الرحمن عبد الله الذى قال لى أن خبراء التربية يعتبرون أهم فترة فى حياة الطفل تبدأ من سن السادسة ، فبداية من هذا السن يستطيع الطفل اكتساب مهارات للألعاب العادية ، ويتدرب بصورة تلقائية على كيفية التصرف مع زملائه فى الفصل ، وهذا بخلاف تنمية مهاراته الأساسية للقراءة والكتابة والحساب ، وشعوره بالاستقلال الذاتى ،

الهوايات العلمية

واثناء رؤيتى للنشاطات المختلفة فى مدرسة عثمان بن عفان وجدت أن مشرفيها يحاولون باستمرار تقريب وجهات النظر بين الاطفال ، باتاحة الفرصة لكل منهم حتى يبرز مواهبه ويعبر عن نفسه من خلال ما يحبه ، فمثلا كونت المدرسة جماعات وأسراً ينتسب لها الطالب حسب هواياته وميوله ، فهناك الطالب الذى يهوى العلوم ولديه موهبة اختراع الاشياء البسيطة ، مثل هذا الطالب يستطيع الاندملج فى اسرة العلوم لتنمية موهبته ..

وقد رأيت فى اسرة العلوم نماذج لبعض الطائرات والمراكب التى صنعها الطلاب بأنفسهم تحت اشراف المدرسين ..

اما الطالب الذى يميل الى التمثيل والغناء فيستطيع الانضمام الى جماعة التمثيل أو فريق الموسيقى ، وقد قام فريق التمثيل بنفس المدرسة بعرض مسرحية « الصحة تاج على رؤوس الاصحاء » على مسرح نجمة خلال المهرجان المسرحى للمدارس فى هذا العام ..

وتعتبر جماعة الزراعة من الجماعات الجديدة التكوين بالمدارس الابتدائية ، وفيها ينضم الأطفال الراغبون فى القيام بالأعمال الزراعية ابتداء من غرس البذرة وحتى تنبت الزهور أو الأشجار ،

والأشياء العملية دائما تلفت نظر

تنمية الميول الفنية

الصحافة المدرسية

الاطفال ، ولذلك تبنى مدير المدرسة على فرج الأنصارى إقامة متحف علمى مبسط ، يحتوى على بعض الحيوانات والطيور والزواحف والاسماك التى تعيش فى البيئة ، والتى يحضرها الطلبة بأنفسهم خلال رحلاتهم أو معسكرات الكشافة التى يقيمونها ، وبمساعدة المشرف يقومون بتحنيطها وحفظها

معارض دولية

وهكذا نرى أن الطفل القطرى فى المدرسة الابتدائية يزداد إحساسه بالاشياء وتتضح قدراته من خلال الأنشطة التى يمارسها .

كما أن قدرة الطفل على التعلم تختلف من المدرسة عن البيت ، فمستويات الرفاق فى اللعب والمشى والكلام والملبس شىء جديد عليه ، كما أن التنافس يزيد من حماسهم للعمل وتحصيل الدروس ، ولذلك نرى الاطفال يرتبطون بمعايير جديدة ويتبعونها بكل دقة مثل مواعيد الدروس ، واحكام بعض اللعبات !

ويهتم كثير من الأطفال القطريين بهواية الرسم والتربية الفنية يشجعهم على ذلك توفير المدرسة للأدوات من ورق وألوان وخلافه ..

التربية الرياضية

ودولة قطر تشترك فى المعرض السنوى الذى يقام باليابان والخاص برسوم الاطفال عن طريق مدراسها .. وعادة ما يحصل طلاب المدارس القطرية على ميداليات ذهبية وفضية من هذا المعرض .

ماذا يقرأ الطفل ؟

وأطفال المدارس الابتدائية الصغار يهوون قراءة القصص المصورة ، أما الأطفال الكبار، بداية من الصف الرابع ، فيحبون القصص والمجلات وروايات المغامرات والبطولة التى تبهرهم !

وسن الطفولة يعد فترة نمو عقلى ، وهو سن يتميز بالمزيد من الرغبة فى المعرفة وحب الاستطلاع والاستفسارات ولذلك يوجد بكل مدرسة مكتبة خاصة للأطفال ، يمكنهم الاستعارة اليومية منها خارج المدرسة

إلا أنه يتبقى أن يهتم القائمون بشئون التربية والتعليم بدولة قطر باعداد كتب التراث بطريقة مبسطة يستوعبها الأطفال، وإصدار مجلة خاصة بهم تعبر عن البيئة القطرية نظراً لأن ما يقرءونه حالياً لا يخرج عن كونه مواد مقتبسة قد لا تتفق مع احتياجاتهم وتقاليدنا .

ويقترح عيسى هزاع وكيل مدرسة طارق ابن زياد ، أن تتولى وزارة التربية والتعليم هذا المشروع بعد تحديد الأسس التربوية والنفسية والاجتماعية

القراءة ودورها فى تكوين شخصية الطفل

، ووضع تصور لما يجب أن يقرؤه شباب المستقبل .

ولا يجب إغفال ضرورة إنتاج مواد وبرامج اذاعية وتليفزيونية خاصة بالاطفال لأن مايراه الاطفال الآن أغلبه مترجم ، ويمكن فى هذه الناحية استشارة بعض الجهات المتخصصة

شخصية الطفل

إن فكرة بناء الشخصية ونموها أشبه ما تكون بالطريقة التى نقيم بها حائطاً من الطوب حيث توضع طوبة طوبة ويسير البناء من أسفل الى أعلى ، بحيث ترتبط قمة البناء بأساسه ، وهذا ما لاحظته وزارة التربية والتعليم بدولة قطر ، وعلى أساسه وضعت المناهج التى تنمى عقل الطفل بالتدريج .

وهذه المناهج تعتمد على الأسس العلمية لأحدث ما وصلت اليه تربية الأطفال فى العالم ، .. فهم يتبعون القول القائل « الطفل أبو الرجل » بمعنى أن الاساس الذى سيوضع فى الطفولة هو الذى يحدد ما سيكون عليه الفرد عندما يكبر ويصبح رجلا يساهم بدوره فى المجتمع .. ولذلك يتبعون اسلوب التربية القائم على اساس من الحب ، لينمو ضمير الأطفال ، بدون الجنوح نحو العصيان والطغيان والمبالغة فى المطالب ! .

القدرات الذاتية

والاحساس بالعمل الجماعى ينمى القدرات الذاتية لدى الاطفال ، ويجعلهم يشاركون فيما يطلب منهم بحماس ولذلك اقامت مدرسة طارق بن زياد معسكرا للعمل خلال بعض أيام الجمع ، اشترك فيه أكثر من خمسين طفلا ، .. و قام الأطفال بتنظيف المدرسة ، وتشجير السور المحيط بها ، وزراعة الزهور فى الحديقة ، وكتابة اللوحات وتعليقها

وبالمدرسة جماعات متعددة يستطيع الطالب من خلالها أن يمارس هواياته ، فهناك طلاب يتولون الاشراف وادارة المقصف ، وجماعة تتولى الصحة المدرسية بعد تدريبهم على بعض الاسعافات الاولية ، وآخرون ينتظمون بالفرق الرياضية والتدريبات التى

الألعاب الذهنية

طلبة المدارس فى عرض مسرحى

تساعد على التنمية السليمة للأجسام والعقول .

الطفل والدين

والاقبال على الجماعة الدينية فى المدرسة لايقل عن اى جماعة أخرى ، فالشعور الدينى حسب قول المربـين يبدأ مع الاطفال عند التميز بين الصواب والخطأ ، وبين الرديء والحسن ، بعد سن الرابعة ، أما قبل ذلك فالطفل غير قادر على فهم الآراء الدينية .. وابتداء من سن الرابعة يبدأ الاطفال فى توجيه بعض الاسئلة مثل من الذى صنع أمى ؟ ! من الذى خلق الاشجار ؟! .

وفكرة الطفل عن الدين فكرة محسوسة وملموسة ، وينطبق هذا على أدائهم للصلاة ، ويعدها الطفل أولا وسيلة للحصول على بعض مطالبه ، ولكن بتقدم الطفل فى العمر ، يدرك أن دعواته لا تجاب كلها ، ولابد أن يؤمن بقيمة العمل حتى تجاب مطالبه ، لأن الدين يطالبنا بالعمل ..

صحة التلاميذ

ولا يغفل القائمون بشئون التربية والتعليم بدولة قطر أهمية الدور الاجتماعى فى حياة الاطفال ، ويرى نبيل عبيد الأخصائى الاجتماعى أن الاطفال فى كثير من الاحيان لا يجدون من يصغى إليهم سواء فى المنزل أو المدرسة ، ولذلك يلعب الأخصائى الاجتماعى دوراً كبيراً فى توجيه مثل هؤلاء الأطفال ومعرفة ما يضايقهم ، أما الاطفال المتخلفون فى دراساتهم فلهم دراسة خاصة تتناسب مع ذكائهم ومعرفتهم أو يتم ذلك بالتنسيق مع الصحة المدرسية التى تتبع التربية والتعليم مثل اكثر الدول تقدماً من الناحية التربوية كفرنسا

من الناحية الصحية لا يختلف الطفل القطرى عن باقى أطفال العالم من حيث تعرضه لبعض الأمراض العادية مثل النزلات واللوز والحصبة والغدة النكفية

والرعاية الصحية كما يقول د. عثمان السعيد مدير الصحة المدرسية تشمل الصحة الجسدية والنفسية على السواء ، حيث تحولت هذه الخدمة من رعاية فقط للتلاميذ الى برنامج صحى متكامل يستهدف رفع مستواهم الصحى مع التركيز على النواحى الوقائية والتربوية

ومع تطور الفكر الصحى لوحظ أن نسبة من تلاميذ المدارس ــ تختلف من مكان لآخر ــ تعانى من بعض المشاكل التى تعوقها عن التحصيل الدراسى الكامل مثل ضعاف السمع وضعاف البصر ... ولو توفرت لهؤلاء رعاية صحية وتربوية مناسبة لأمكن زيادة قدراتهم على التحصيل ، أو تأهيلهم لأعمال تتفق وقدراتهم الصحية ،

ويوضح د. عثمان السعيد أن هناك ارتباطا بين الصحة المدرسية والتربية الاجتماعية بالمدارس ، فكلاهما يقوم باجراء الدراسات المشتركة للتعرف على الظروف الاجتماعية والنفسية للمجتمع المدرسى ،

اسلوب نموذجى

اما التخلف الدراسى ، فمتابعته تتم بصورة منتظمة فمثلا الطفل الذى يرسب أكثر من سنتين ، يحول الى عيادة توجيه الصغار والبالغين التابعة للصحة المدرسية ، ويجرى له فحص اكلينيكى ونفسى واختبار ذكاء وبحث اجتماعى ، للتعرف على الأسباب التى تعوقه عن التحصيل الدراسى .

وللتغلب على هذه العقبات يوجه النصح لاسرة التلميذ ، وللمدرس أو المدرسة بالطرق الكفيلة للتغلب على هذه الظاهرة ، كما تتم متابعة كل حالة عن طريق البطاقة الصحية والفحص الشامل كل ثلاث سنوات ، أى أربع مرات فى عمر التلميذ الدراسى حتى نهاية التعليم الثانوى .

وبذلك نقدم الخدمة الصحية للأطفال على خير وجه .

وليس أدل على ذلك من تقرير خبيرى اليونيسيف د. مارسيل أوتريت و د. سمير ميلادى اللذين زارا الدوحة خلال عام ١٩٧٩ ، وقالا فيه :

« إن الخدمة الصحية للتلاميذ بدولة قطر تعتبر نموذجا لما يجب أن تكون عليه الخدمات الصحية المدرسية » وناشد الخبيران دول المنطقة نهج نفس الأسلوب الذى اتبعته دولة قطر للنهوض بخدماتها الصحية .

ومن كل ذلك نرى أن الاهتمام بدراسة الاطفال وخبراتهم وسلوكهم والمحافظة على اجسامهم سليمة ، أصبحت مسألة حيوية فى نظم التعليم فى دولة قطر ، وأصبحت تجند من أجلها كافة الامكانيات ، فالقائمون على التعليم فى قطر يؤمنون بأهمية العناية بالبراعم الصغيرة التى ستنبت رجال وأمهات الغد .

نادية رزق

جمـال الغيطـانى

رحلتى المغربية

فاس القديمة

هذا الحنين الغامض إلى زمن مضى !

منظر عام لمدينة فاس

« .. يرتبط المغرب بما هو غير عادى ، قد يكون الغموض ، ربما مبعث ذلك فى نفسى ، هذا الرجل الذى كان يطوف حوارى الجمالية ، او قرى الصعيد الجنوبية ، مرتديا الجلباب المغربى ذا غطاء الرأس المثلث ، ويمسك بحقيبة تتضمن السحر والاسرار ، كان ينادى «افتح الكتاب » ، واذ يستدعيه أحد ، يجلس متمتما ، ثم يحاول النفاذ عبر المجهول الى المستقبل ، وأحيانا كان يعد الاحجبة المثلثة أو المستديرة ، تلك التى تعالج الأوجاع أو تقى من الآلام ، ربما لأن المغرب كان يمثل فى الزمن السحيق حدود العالم القديم ، حيث تلامس شواطئه مياه البحر المحيط الذى لم تكن تبدو له ضفة ولا يدرى أحد المجهول الذى يخفيه الأفق ، وكثيرا ما كان الخيال يجنح الى المغرب العربى ،

ومع حلول نهاية عام ١٩٧٩ ، كانت الطائرة المغربية تتوقف فى مطار « الدار البيضاء .

كانت المناسبة هى انعقاد مؤتمر الرواية العربية الحديثة فى المغرب الذى نظمه اتحاد كتاب المغرب .

أجتزنا صالات مطار الدارالبيضاء الصغيرة التى تخللتها الاجراءات المعتادة ، كان فى انتظارنا اديبان

باب جلود

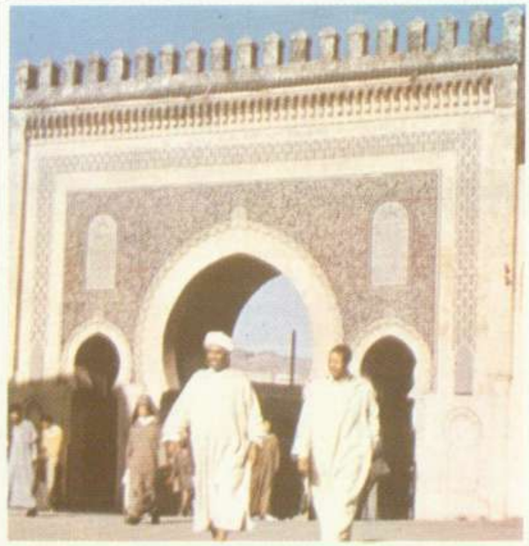

مقابر أثرية

هنا كانت تصدح عرائس الشعر والأدب

الزى التقليدى

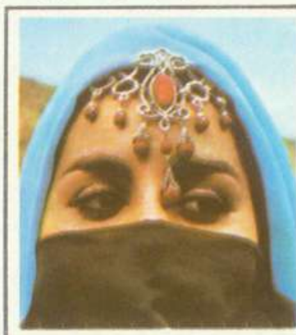

من المدينة القديمة

مغربيـان تطوعا لنقلنا من الدار البيضاء الى مدينة فاس التى تبعد حوالى أربعمائة كيلو متر عن الدار البيضاء

ملامح المكان

توالى الطريق بسرعة ، وعبرنا مدينة الرباط (سأعود إليها فيما بعد) ، وكانت الخضرة كثيفة ، وبدا لى كأن الوجود فى المغرب يعرض نفسه من خلال لونين ، الابيض والأخضر ، الأبيض الشاهق ، الناصع ، يحتوى البيوت . الحديث منها والقديم ، البيوت متعددة الطوابق ، وذات الطابق الواحد ، والخضرة كاطار ، ولكن هذه الخضرة تكتسب بعدا أعمق عندما بدأت السيارة تتجه لعبور جبال أطلس الوسطى ،

كنا نبعد عن شاطىء المحيط ، نتجه الى الوسط .

فى الطريق توقفنا دقائق أحتسينا أكواب الشاى الاخضر المحلى بالنعناع

المثقفون والتراث

نعود الى الطريق ، ونمر بمدينة « مكناس » تبدو لنا أسوارها القديمة والضباب الشتوى يضفي عليها لون الحلم ، نستمر ، وندخل الى مدينة فاس ، فى الفندق وعند المدخل ، التقيت بالصديق الروائى العربى عبد الرحمن منيف ، كان قد وصل لتوه ، وكان قد مضى ثلاث سنوات كاملة منذ أن رأيته آخر مرة ، وكان ذلك فى بغداد ، وسوف يتحدث منيف عن تجربته الروائية فى الندوة ، وسيكون من أصدق المتحدثين ، تبدو ملامح منيف الجادة ، وكأنه على وشك أن يتحدث بصوت مرتفع ، ولكنه يظل صامتا ، وعندما يتحدث يكون واضحا ، قليل الكلمات ، وتبدو من انفعالاته ذلك اللهب الذى يضطرم فى أعماقه .

كانت الندوة بلا مبالغة من أهم الندوات الأدبية التى عقدت فى العالم العربى ، بل أتجاوز ذلك فاقول ، والعالم الثالث أيضا ، إذ لأول مرة يجلس عدد من الروائيين المبدعين مع مجموعة من النقاد والدارسين ، ويتناقشون فى الموضوعات المتعلقة بالرواية الحديثة فى العالم العربى ، كانت الندوة رفيعة المستوى ، ومن خلالها أمكن لى ملاحظة بعض العناصر الاساسية المكونة للمثقفين المغاربة خاصة الجيل الجديد إن قربهم من أوربا ، خاصة فرنسا جعلهم متتبعين لأهم التيارات الأدبية واحدثها ، ولكن هذا لم يكن سببا فى انفصالهم عن تراثهم العربى ، بالعكس ، فهم شديدو الصلة به ، ولا ينظرون إليه بتقديس أعمى ، أو تعالى مترفع ، واعتقد أن مسار الثقافة فى المغرب العربى سيشهد تطورات هامة فى المستقبل ، خاصة فى مجال تلاقى الثقافتين العربية والأوربية ، وولادة مزيج منهما .

الكلمة لا تموت

كان من أهم الآثار العميقة التى تركتها الندوة فى نفسى ، هو ان الابداع الحقيقى لا يهمل ، ولا يمكن أن يطفيه الغبار

كانت أهم الاعمال التى نوقشت فى الندوة ، والتى كانت مثار اهتمام

رحلتي المغربية
فاس القديمة

كان من الصعب على القوات المهاجمة في العصور القديمة أن تتسلق هذه المرتفعات الوعرة

أبواب القصر الملكى

الباحثين ، أعمال لاتوجد على خريطة الأدب الرسمى فى البلدان او الاقطار التى ينتمى اليها كتاب تلك الاعمال نظرا لبعض الظروف الخاصة أما ما رفع معنوياتى إلى حد الذرى هو أنه مامن كلمة صادقة تموت أو تبهت فى عالمنا العربى الفسيح ، وان المبدعين الذين يكتبون بحس الاستشهاد ويقدمون فنا جيدا يجب ألا يحزنوا لأن هناك ثقافة عظيمة وعميقة تحتوى أعمالهم ، إنها ثقافتنا العربية .

فاس القديمة

..فى كل مدن المغرب قسمان رئيسيان ، الأول يضم المدينة القديمة ، تقبع داخل الأسوار ، أو فى الحدود التى لم نتخطها مع الزمن ، وعلى مسافة قد تطول أو تقصر حتى التلاشى تقوم المدينة الحديثة ، هكذا تغلبت المغرب على المشكلة التى تبرز فى كثير من البلاد العربية وهى غلبة الطابع الحديث على المناطق القديمة والأثرية ، هكذا الامر فى فاس الحديثة ، حيث الفنادق المكيفة والمبانى الشاهقة ، والمقاهى ذات الطابع الباريسى ، ثم ننتقل الى حى « الملاح » ، وفى كل مدينة مغربية يوجد أيضا « ملاح » وهى المنطقة السكنية الخاصة باليهود .

باتجاه « فاس » القديمة نصل إلى بوابة « أبو الجلود » وتشبه معظم بوابات المغرب ، والبوابات الاندلسية ، حيث الأعمدة تسند مقطعا دائريا يشبه الخطوط الخارجية لثمرة البصل ، الباب كبير مرصع بنقوش دقيقة ، إنه مدخلنا الى قلب مدينة « فاس » وللمدينة سبعة أبواب رقم سبعة السحرى ذو الدلالة والمعنى هناك باب الحديد ، وباب المحروق ، وباب الفتوح ، وباب الحمرا ، وعلى عكس معظم المدن التى رأيتها ، فان فاس عند اختيار موقعها لم تبن فوق مرتفع . أو فوق جبل ، وذلك تفاديا للحصار أو الفيضان ، بل شيدها فى واد منخفض تحيط به مرتفعات جبلية صخرية .

قلب المدينة

وقفت فوق نقطة مرتفعة تشرف على فاس القديمة ، أو (فاس البالية) كما يطلقون عليها فى المغرب ، كانت معالم المدينة تبدو بوضوح ، والبيوت الصغيرة البيضاء ذات النوافذ الخضراء ، بينما يحيط المدينة أطار جميل من الخضرة التى تكسو الجبال ذاتها ، لقد كان من الصعب على القوات المهاجمة فى العصور القديمة أن تتسلق هذه المرتفعات الوعرة ، وبالتالى فان المدينة تقبع فى هذا السهل أمنة يحيطها السور الحجرى ، بينما روعى فى تصميمها الداخلى اعتبارات حربية أيضا ، فالشوارع ضيقة إلى حد أنها فى بعض المواضع لا تتسع لأكثر من مرور شخص واحد ، وأحيانا كانت المسافة لا تكفى لفتح مظلة متوسطة الحجم للوقاية من المطر ، وكثيرا ما يكون مدخل الحارة محدوداً بارتفاع معين حتى يجبر الداخل على الانحناء ، وهذا نجده متبعا لغرض آخر حول مقام سيدى أدريس الثانى ، حيث تمتد عوارض خشبية لتضع حدا من الارتفاع لا يسمح لرجل متوسط القامة بالمرور الى منطقة الضريح ، بدون أن يحنى رأسه ، ورءوس كل الداخلين احتراما ، لا ترى منشات فاس القديمة من مسافة بعيدة أو متوسطة ، فجأة تجد نفسك فى داخل ضريح ادريس الثانى ، أو فى جامع القرويين ، المسافات ضيقة ، والجدران متقاربة ، والحركة داخل المدينة منذ اجتياز بوابة أبو الجلود تشبه الحركة داخل بيت كبير، تتحقق هنا الوحدة المكانية نتيجة التكدس والتجاور ، ولكنه ليس تكدسا خانقا ، يمكن أن أقول أنه صميمى ، جزء من طبيعة المكان .

إن المدينة تستدرجك اليها على مهل ، وفى بطء من خلال طريقين رئيسيين ، الطلعة الكبرى ، والطلعة الصغرى ، سلكنا الطلعة الكبرى ، وبالطبع عند الدخول تصبح منحدرا متجها الى القلب ، وعلى الجانبين تتوالى الاسواق ، نفس التكوين الخاص بالاسواق العربية فى جميع المدن التى زرتها ، لكل سلعة قسم خاص ، ولكل حرفة مساحة معينة تحتلها ، وتتفرع الحارات الضيقة ، تبدو أبواب البيوت متواضعة المظهر ، أعلاها شبه دائرى ، ويبدو واضحا أن الباب الرئيسى لا يؤدى إلى المدخل مباشرة إنما لابد من أجتياز باب آخر يشكل مع الباب الرئيسى زاوية قائمة ، وذلك لحجب الفناء الداخلى عن المارة لحظة فتح الباب الرئيسى .

الرقص المغربي مزيج من الرقص العربي والأفريقي

الموشحات الاندلسية

اننى أصف دور الطبقة المتوسطة ، اما القصور الصغيرة أو الكبيرة فلها شان آخر ، ان الدار المغربية تعزل المقيم فيها عن ضجيج العالم وصخبه ، حيث الهدوء لازال كما هو ، بالضبط كما كان الامر فى العصور الخوالى ، وفى الطابق الارضى غرفة الاستقبال ، وحول الجدران تصطف ارائك بدون مساند خشبية (كنب) انما توضع حشايا لاراحة الظهر ، وعند تناول الطعام توضع مناضد منخفضة دائرية توضع فوقها مفارش بعدد أصناف الطعام التى ستقدم الى الضيوف ، وعادة تقدم « الباستيلة » فى البداية ، وهى فطيرة مغربية لها طعم خاص ، وتجمع بين النقيضين السكر والملح ، باطن الفطيرة يحشى عادة باللحوم أو الدجاج ، وسطحها يغطى بالسكر ، ثم يزال المفرش الاول ببقايا الطعام ، ثم يجيىء الدجاج المطهو بزيت الزيتون ، ويليه اللحم الذى تتوسطه القراصيا حلوة الطعم ، أما الكسكس فهو الطبق المغربى المميز ، ويوضع فوقه الخضروات المطهوة واللحوم ، وذلك بعكس الكسكس العربى الذى يؤكل بالسكر واللبن ، وهناك صنف آخر من الطعام اسمه « الحريرة » أو الشوربة المغربية ، يصنع من الدقيق ، واللبن .

وتشهد البيوت المغربية حفلات فنية خاصة فى المناسبات ، وتحيي هذه الحفلات فرق فنية تؤدى الموشحات الاندلسية، أو « الملحون » وهو شكل من انشاد القصائد الشعبية على الحان بسيطة تؤديها فرقة موسيقية مكونة من أربعة أو خمسة أفراد ، وعندما تأخذ النشوة بأفئدة الرجال يقومون للرقص على أنغام الدف ، والرقص المغربى مزيج من الرقص العربى والافريقى ، خلو تماما من التخنث ، فيه رجولة ، وأصداء داخلية وحشية .

تبدو الدار المغربية عالماقائمابذاته ، لا يسمح لعوامل الضجيج والكدر الخارجى بالتسرب الى الداخل ، صاحب بيت مغربى أشار الى جدران بيته المرصعة بالنقوش الجصية والرخامية .

.. فى فاس ، نقول إن دارا كهذه تفرح وتقدح ، أى انها تفرح العائلة كلها فى العرس ، وتحزن أهلها عندما يخرج أحدهم بلا رجعة .

حفلة الشاى

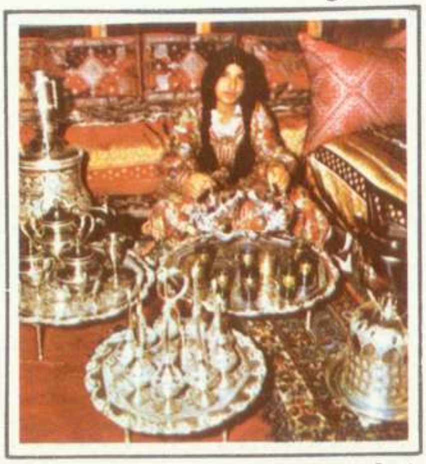

باب قديم

عاصمة الصناعة

نعود الى طرقات فاس المتشابكة ، ولنمر بالدكاكين الصغيرة ، التى لا تتسع أحيانا إلا لصاحبها الذى يطل على المارة والزبائن من طاقة ضيقة ، ان الاسواق لا تتجاور هنا فقط ، وإنما تتضمن الورش التى تصنع فيها الحرف معظم المتاجر هى أيضا عبارة عن ورش ، تعتبر فاس عاصمة الصناعة التقليدية منذ العصور الاولى ،وقد وصف « الحسن الوزان » فى القرن العاشر مصانعها ، ولاحظ أن الضفة اليمنى لوادى فاس كانت تضم مصانع التغذية والملابس والبناء ، بينما كانت صناعة الجلود والمعادن تعالج خارج عدوة الاندلس ، لقد اعطى مختلف الرحالة وصفاً شاملا عن صناعات فاس فى عصور مختلفة ، كانت الصناعة الفاسية الكبرى تتمركز حول قنوات ساقية مصمودة ووادى فاس غرب المدينة وجنوب غربها ، وكان بها ٥٢٠ معملا للنسيج ، و٣٦٠ طاحونة ، وفى عام ١٩٠٤ كان قد تبقى منها ١٦٠ ، وذكر الجزائى فى « زهرة الآس ص ٣٣ ، ان فى زمن المنصور محمد الناصر كان عدد الاطرزة بفاس ٣٠٩٤ ، ودور الصابون ٤٧ ، ودور الدباغة ٨٦ ، والصباغة ١٦١ وتسكيك الحديد والنحاس ١٢ والزجاج ١١ ، وافران الخبز ١١٧٠ .

وقال المراكشى فى « المعجب » .. ما أظن فى الدنيا كمدينة فاس أكثر مرافق وأوسع معايش وأخصب جهات ، وذلك انها مدينة يحفها الماء .. لقد كان هذا الازدهار ، نتيجة لتفاعل عناصر عديدة فى فاس ، خاصة ازدواج الحضارتين الاندلسية ، والمغربية ، فقد هاجرت ثمانية آلاف عائلة من قرطبة الى فاس ، فى الوقت الذى وجدت فيه قبل ذلك جالية قيروانية سبقتها الى المدينة ، كان العرب يعملون ويتاجرون ، وكان الاندلسيون يشتغلون بالفلاحة ، التقى فى فاس علم قرطبة ، وعلم القيروان ، وصبا فى رافد الثقافة المغربية ، ولا تزال فاس تنقسم الى قسمين ، عدوة الاندلسيين ، وعدوة القرويين ، والمدينة التى نتجول فيها الان ، اسست فى زمن ادريس الاكبر سنة ٧٢ هـ (٧٨٨ م) . فوق أحد المواضع هنا ، صعد المنبر ، بعد أن تم بناء المدينة والمسجد ، ودعا قائلا « اللهم انك تعلم انى ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ، ولا مفاخرة ، ولا رياء ، ولا سمعة ولا مكابرة » ، اتسعت فاس فى أيام بنى مدين ، اتخذها أمير المسلمين أبو يوسف على مقرا لملكه فى ٦٧٤هـ (١٣٢٣م) ، وبنى امتدادا لها يعد مدينة قائمة بذاتها ، كانت فاس مباركة لا يموت فيها خليفة ، ولا يخرج منها جيش قط إلا وعاد مظفراً ، ولم يعقد بها لواء الا نصر . هكذا يقول المؤرخون ..

جامع القرويين

وننتقل من درب الى آخر حتى نجد انفسنافى قلب جامع القرويين أهم معالم المدينة ، وأحد مراكز الاشعاع الحضارى فى العالم خلال القرون الوسطى .

لأن المدينة ضيقة ، لاتوجد فيها ساحات فسيحة ، أو ميادين متسعة ، لهذا لا يمكن رؤية جامع القرويين بشكل مكتمل الا من خلال صحنه الداخلى ، أو

رحلتي المغربية
فاس القديمة

من فوق الجبل المحيط بفاس، فجأة نجد انفسنا أمام أسواره، ونعبر رخامة بيضاء تصل بين ضفتى الطريق، لم يكن يعبر فوقها إلا الطلبة، عند خروجهم من الميضأة، وعند تجاوز الباب نجد قناة يتدفق فيها الماء بسرعة، والماء لا يتدفق هنا فقط، انما يسرى فى عروق فاس كلها، تجده فى الطرقات الضيقة، وخلال الجدران، يسيل من ثقوب ضيقة، ويقال أنه لا يوجد مثل هذا النظام إلا فى غرناطة، وفى مدينة فاس، حيث يتم تدفق الماء فى جميع أوصال المدينة طبقا لنظام دقيق، إن هذا التدفق المستمر يكسب المدينة حيوية خفية خاصة، الى جانب حيوية الحركة، والزحام واستمرار الحياة، تحف بالصحن المكشوف للجامع زخارف أندلسية، ومنمنمات دقيقة، وخطوط مختلفة تعتبر متحفا حيا للخط العربى الجميل على فترات تاريخية متفاوتة، أقدم لوحة نجدها فى القبة الرابعة، يرجع تاريخها لاواسط القرن الثالث الهجرى، أكتشفت مدفونة تحت الجبس، مكتوبة بالخط الكوفى العتيق، طولها أربعة مترات واربعة وسبعين سنتيمتراً، نعرف منها ان فاطمة الفهرية التى تطوعت ببناء القرويين، وان الاساس حفر فى أول رمضان ٢٤٥هـ، وانها لم تزل صائمة طوال مدة اعمال البناء، وان العمل كان يباشر بواسطة العاهل الادريسى يحيى الاول، لقد استغرقت اعمال البناء ثلاثة عشر سنة اذ انتهت فى ٢٦٣هـ، فى القرن السادس الهجرى قام المرابطون باصلاحات هامة فى القرويين، فى الصحن المكشوف ساعتان شمسيتان، وساعة مائية، تعد الوحيدة من نوعها التى لاتزال متبقية فى العالم، هناك قباب سبعة ذات ابعاد واسعة، فى الصحن المغطى نجد ثلاثمائة وخمسة وستين عمودا رخاميا، أى بعدد أيام السنة، ونلحظ شبها قويا بين هذا الصحن، والصحن الداخلى لمسجد الازهر بالقاهرة، ربما يرجع ذلك الى أن الازهر بنى فى عهد الدولة الفاطمية بمصر التى جاءت جيوشها من المغرب، فى الداخل نجد منبرا خشبيا نفيسا وصل إلينا من عصر المرابطين، طرز بآيات من القرآن الكريم بالصدف الثمين والعاج، ونلاحظ ان الخط المستخدم به كوفى واندلسى، لقد خصص للمنبر فى الزمان القديم غشاءان، احدهما من الجلد، والثانى من الكتان، يزاحان عنه كل يوم جمعة، وذلك حفاظا عليه.

خاصّية مميزة لا يُدركها العقل بسهولة

مدينة العلماء

ويضم جامع القرويين آثاراً هامة من عصر الموحدين، اذ توجد ابواب داخل المسجد تنفذ من قاعة الصلاة، الى قاعة الجنائز، تعرف تحت اسم «ابواب الروح»، مصنوعة من الخشب، تحمل نقوشا منحوتة من الزهور والسلاسل، تحمل آيات قرآنية، وبيتين من الرجز...

ياواقفا لدى أن .أبصرت منى ما ترى

جد بالدعا لصانعى . بجاه سيد الورى .

لقد صنعت هذه الابواب فى سنة ٥٧٨هـ، من عصر الموحدين أيضا، نجد الثريا الكبرى التى صنعت بفاس سنة ٦٠٠هـ، واذا عدنا الى صحن المسجد فسنجد شباكا من الرخام الابيض يحتوى على مائة واربعة وعشرين خاتما، ويحتوى هذا الشباك تكوين بديع عرف باسم «خصة العين» أو «الخصة الحسناء» ويوجد تحتها خطوط نسخية تؤرخ تاريخ الصنع وتاريخ دخول الماء الى المسجد سنة ٥٩٩هـ، فى الجامع نجد ستة نواقيس كبيرة غنمها المسلمون اثناء حروبهم فى اسبانيا، أحد هذه النواقيس يحمل عبارة بالاسبانية.

«على الروح الطيبة أن تشكر الله على أن أنقذها من الضلال»، ويتصل بالجامع خزانة ضخمة للكتب، تضم تراثا هائلا من المخطوطات النادرة، لقد درس هنا ابن طفيل، وابن رشد، وابن باجه وعدد آخر من المفكرين والعلماء المسلمين، بل أن كثيراً من الاوربيين جاءوا الى القرويين للدراسة. أحدهم أصبح بابا روما فى القرن السابع عشر، كانت القرويين احد ثلاثة مراكز فى العالم الاسلامى، الى جانب الزيتونة فى تونس، والازهر فى القاهرة، يقف جامع القرويين، بتراثه الموغل فى القدم، وما يحتويه من آثار عربية تمثل العديد من المدارس الفنية، يقف وسط صخب الحياة، مزروعا فى قلب مدينة فاس فكأنه جزء مما يحيطه من بيوت، عبر رحلة مقدارها أكثر من ألف سنة حتى وصل الى عصرنا، ومع ذلك فلا زال غضاً، يفيض بالحيوية، والثراء.

نخرج من جامع القرويين، نعود الى الأزقة المثقلة بعبق تاريخى، نتوقف أمام متجر مغلق محلى بزخارف غامضة ونمضى فى الطرقات قاصدين خارج المدينة صاعدين الطريق الذى انحدر بنا عند النزول، ولنودع مدينة عرفت كيف تقاوم البلى مع ان اسمها فاس البالية، وتحتفظ بحيويتها عبر مئات السنين، وهذا ما أكسبها خاصية مميزة، قد لا يستطيع العقل ادراكها بسهولة، ولكنها تترك فى النفس هذا الحنين البطىء الغامض الى زمن مضى، ولن يعود..

جمال الغيطانى

مدرسة العطارين

العدد القادم

٢ـ رحلتى المغربية: عندما أصبحت طنجة مهرا لأميرة.

الدوحة

في العدد القادم يكتب للدوحة
الكاتب الصحفي البريطاني المعروف
روبرت ستيفنز
عن مشاهداته في وادي حضرموت

ويصاحبه في الرحلة: المصور العالمي
جون بلمر

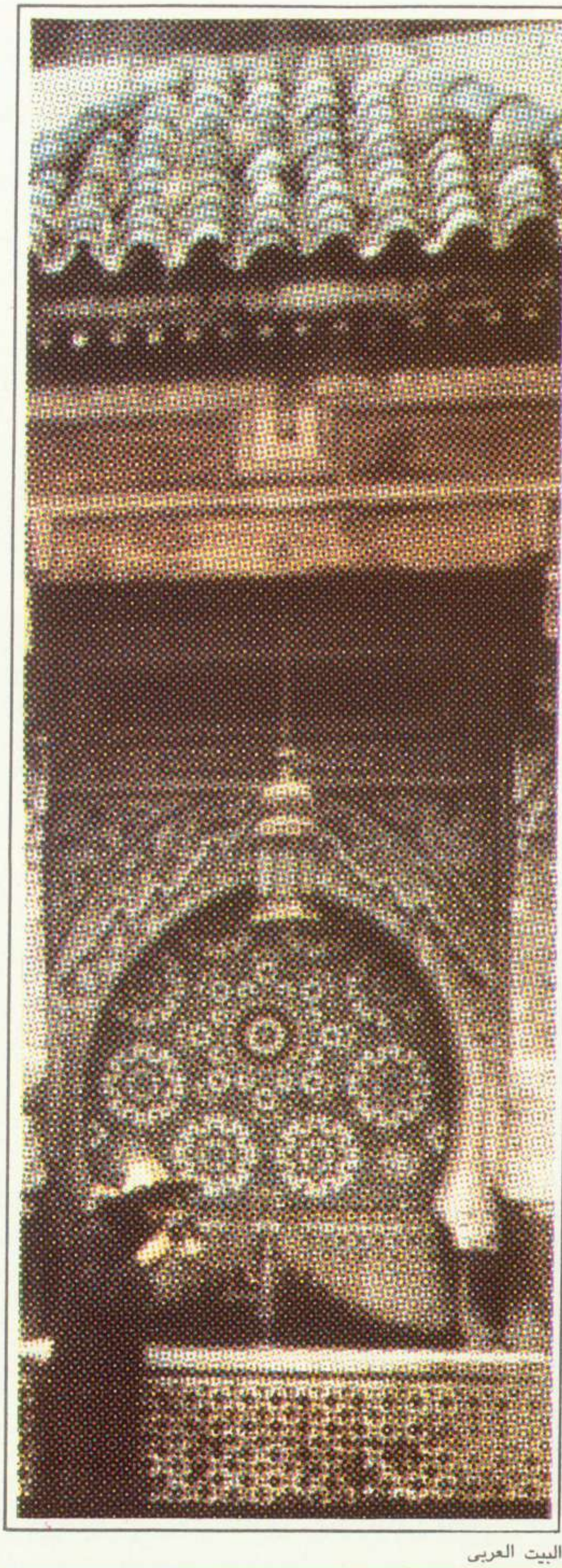

البيت العربي

تحقيق يكتبه: كمال سعد • عدسة: محمد أبو طالب

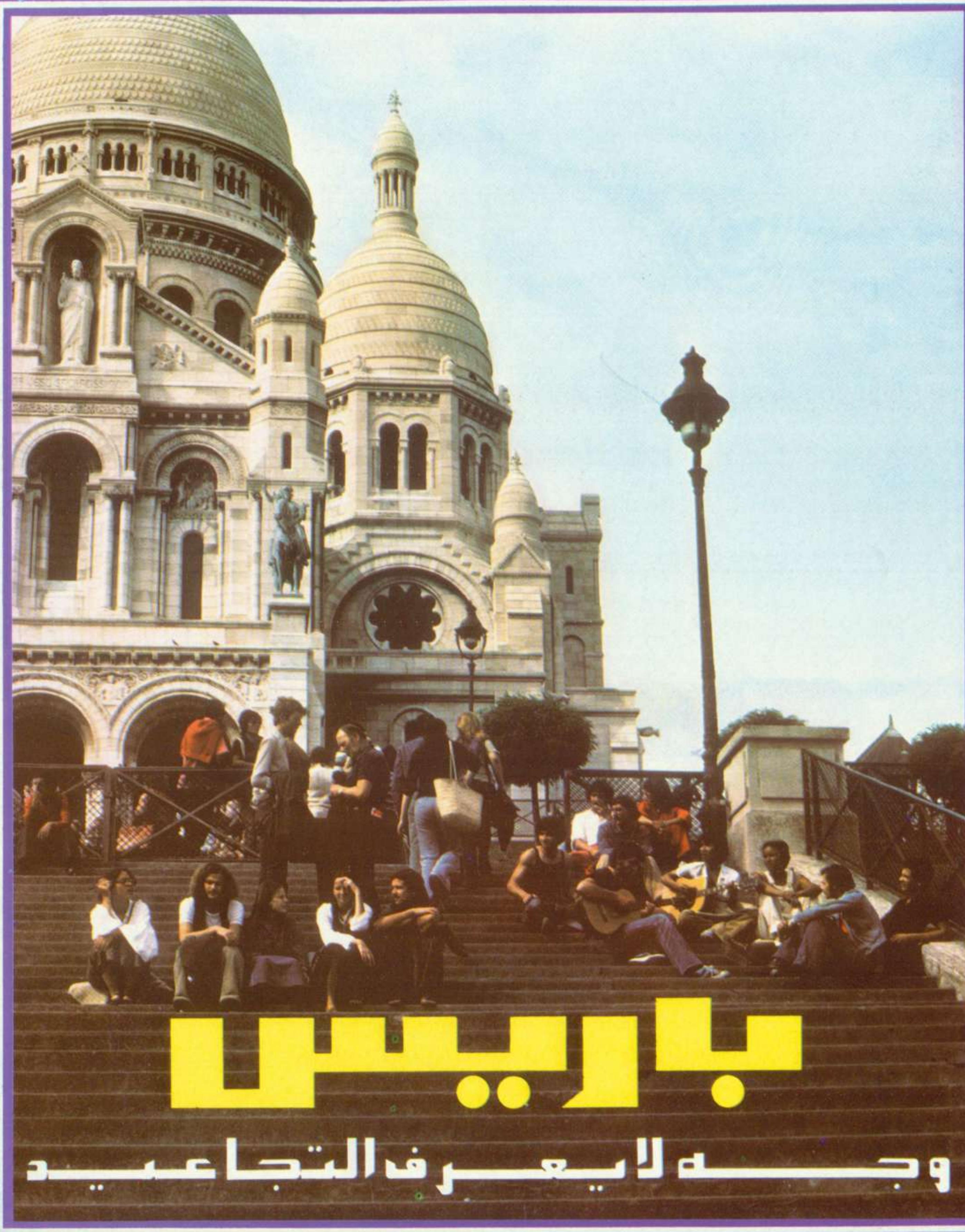

باريس
وجه لا يعرف التجاعيد

الشارع الفرنسى بكل ما فيه من نشاط

برج إيفل من فوق

طرقات باريس مغسولة بمياه الأمطار .. وبيوتها القديمة وأبراجها ومتاحفها وأشجارها وغاباتها مازالت رغم البرد القارص تبعث الدفء فى القلوب .. والعطر الفرنسى برائحته النفاذة المجنونة ، وسجائر الجلواز بمذاقها الساخن ، وكلمات فولتير وراسين وفاليرى وإيلوار وكامى وسارتر بما فيها من مواقف فلسفية لا تفصل الانسان عن عالمه الحقيقى ، ومسلحات الألوان والزمن فى لوحات رينوار وجوجان وسيزان و كلود مونيه ، والانسان المحب للانتماء والحياة والعدالة والوضوح والذى يجدد ويتمسك فى نفس الوقت بقديمه لانه متعصب لحضارته التى تراكمت على مر العصور .. كل ذلك وغيره ، قد تشعر به ــ مثلى ــ عندما تسير على جسور نهر السين المتعرج ذى المياه الصافية الهادئة .. فمتعة الدنيا ــ فى رأيى ــ هى أن تتامل وجه مدينة لا تعرف مرارة زحف التجاعيد ، فهى تجدد شبابها بصفة مستمرة ، وتزخر بشتى أنواع المتع الذهنية والحسية التى تدفعك إلى التفكير والاعتراف بسلطان الجمال !

وصور باريس الامس لا يمكن أن تقتلعها الأيام من ذهنى .. فكلما رايتها تراءى لى طـه حسين ينهل من ينابيع حرية الفكر والضمير ، ويستغرق باحثا وراء كل ما يدعم المنهج العلمى .. وتراءى لى ايضا توفيق الحكيم ــ زمان ــ بجسده النحيل وعينيه الواسعتين واحلامه الزاهدة التى لا تتطلع إلى سلطان أو جاه غير سلطان الحق ، ورايت نظرته المتاملة لتمثال الشاعر « الفريد دى موسيه » وهو يستوحى عروس الشعر بينما نقش على قاعدته عبارة تقول « لا شىء يجعلنا عظماء غير الم عظيم » ، وكيف كانت تلك العبارة تدفعه الى تامل وجه الشاعر تتساقط من عينيه قطرات المطر كالعبرات ، فيدفع ذلك قلبه الى التحرك وفمه إلى السكوت !

المهزوم المنتصر

وتذكرنى باريس دائما برفاعة رافع الطهطاوى الذى غاص فى فكرها وواقعها اثناء رحلته الشهيرة فى القرن التاسع عشر ، والتى عاد بعدها لينقل أروع ما

سياح من جميع انحاء العالم فى مونمارتر

فى عقل فرنسا والغرب إلى اللغة العربية .. وهى تذكرنى ايضا بجمال الدين الافغانى عندما أصدر منها صحيفة « العروة الوثقى » بمساعدة زميل كفاحه الشيخ محمد عبده ، لتصبح صرخة توقظ يأس الراقدين .. وهى بالطبع الام شاعر الشعب بيرم التونسى فى منفاه ، وهو يبدى خوفه من ان يموت بعيدا عن وطنه فى ملاجىء البلاد التى انجبت الشاعر العظيم « لا مرتين » :

يا باريز يام بلاد بره
يا مربية لا مارتين
بعتت لك ام الدنيا
شاعر فى الشعر متين
يعمل اشعاره لصعايدة
وتلامذة وفلاحيـن
إياك ما يموتش عندك
فى بيوت المساكين

وفى باريس اتخيل دائما وجهين لا يغيبان عن الأذهان مهما طال الزمن : جوليبت ادم صاحبة المجلة الجديدة واهم زعيمة نسائية فرنسية فى منتصف القرن التاسع عشر ، وهى التى دفعها إيمانها بالحقوق الانسانية العادلة إلى الوقوف إلى جوار الزعيم مصطفى كامل فى نضاله من اجل الاستقلال .. اما الوجه الثانى فهو لرجل ذى عينين نفاذتين ولحية سوداء وملابس بيضاء نعود إلى استقباله فى قلب باريس فى منتصف القرن التاسع عشر ، وبعد ان ظل ١٧ عاما يحارب فرنسا فى بسالة وشجاعة منقطعة النظير ، لقد اصطف الباريسيون لرؤيته كما لو كان منتصرا وليس مهزوما ، واطل عليهم الأمير عبد القادر الجزائرى منتصب القامة متماسك النظرات ، لتتابعه عيونهم بالاعجاب ، فكان اسيراً لبلادهم ، وكانوا هم أسرى شجاعته ونبله ، وحنكته السياسية والعسكرية !

الحلم بالاختراع

وقفة الذكريات والتامل تنقلنى دائما إلى التعامل مع الواقع .. وعندما اتعامل مع الانسان وجها لوجه فى باريس أو فى مدينة النور ـ كما يسمونها منذ ان اضيئت روائعها بالكشافات فى عام ١٩٢٩ ـ اجد نفسى امام نموذج حى ، يفتخر اولا بلغته الفرنسية ، ويعتبرها ضرورة لاى مثقف فى العالم حتى يمكنه التعرف بدقة على الفلاسفة والفنانين والكتاب والمهندسين والعلماء الفرنسيين الذين اضاءوا الحضارة للبشر اجمعين .. كما ان هذه اللغة ظلت لسنوات قريبة لغة الدبلوماسية ومازالت حتى يومنا هذا لغة الرقة والاحساس الجميل !

والباريسى بحكم تكوينه التاريخى يؤمن بحريته الشخصية ، ويعشق المعارضة ، والمبادىء فى نظره هى المقياس الذى يكشف به المزيفين ..

ومتعة الباريسى أن يقول لك ماذا سيفعل .. وهو يتعامل ويتقدم بحذر .. ويحب القلق .. ويقيس كافة المسائل بالعقل ويبحث عن الأسباب ، ولذلك فان كبار الفلاسفة فرنسيون .. ويحلم بالاختراع فى اى مجال ، واضعا أمامه

أمام لوحة الموناليزا فى متحف اللوفر

قوس النصر فى شارع الشانزليزيه

فنانة فرنسية ترسم على الرصيف

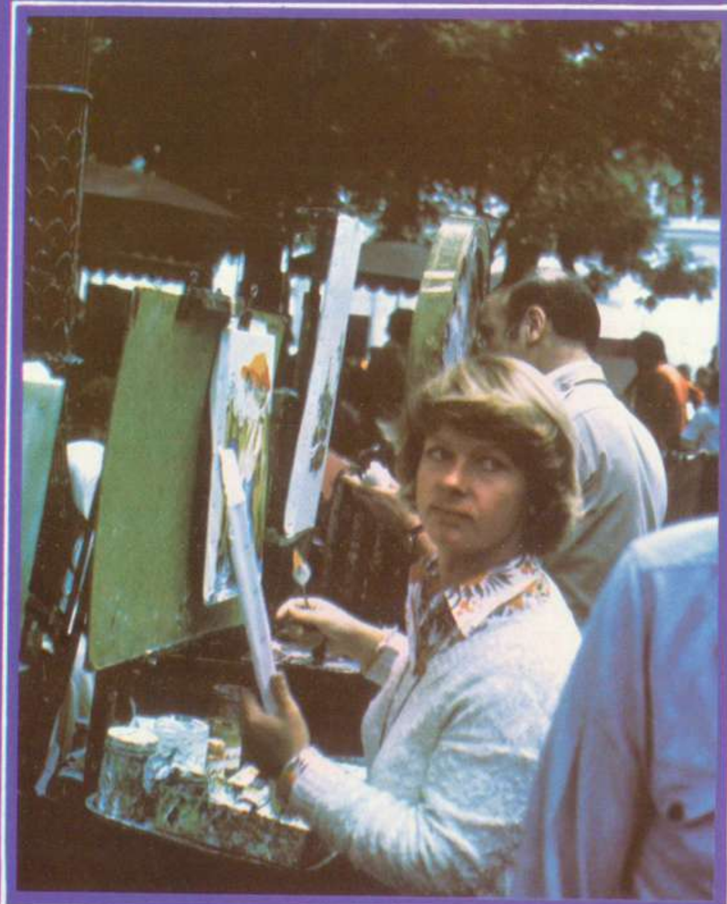

كل نماذج الفرنسيين الذين نبغوا فى العلم امثال مارى كورى وزوجها واكتشافهما للراديوم فى عام ١٨٩٥ ، ولويس باستير (١٨٢٢ – ١٨٩٥) والثورة التى احدثها فى علم البكترولوجى ، ولويس و اوجست لوميير واكتشافهما لصناعة الفيلم وتقديم اول فيلم عن عمال المصانع فى عام ١٨٩٥ ، والاخوين جوزيف وإتيان مونتجو لفير أول من شيدا عمليا البالون ذا الهواء الساخن (١٨٧٢) ،ولويس بلروا الذى عبر القنال الانجليـزى من كاليه إلى دوفر فى عام ١٩٠٩ فى اطول مسافة طيران ، وفقد إحدى عجلات طائرته عند الهبوط ، ثم أبى الكيمياء انطوان لافوازييه (١٧٤٣– ١٧٩٤) الذى اخترع كلمة أوكسجين وشرح لماذا هى هامة فى عمليات الاحتراق وإن كان قد ودع الحياة بماساة دامية عندما قطعوا راسه خلال الثورة الفرنسية !

القلعة المحصنة

والباريسى بوجه عام يميل الى التاكد باستمرار من قدرته على التذوق فى كافة مجالات الحياة بداية من الطعام إلى الفنون .. وتقوده قيادة السيارة دائما إلى العصبية ، فيسلح نفسه ببعض ما فى قاموس الشتائم التى قد يحتاجها فى الدفاع عن نفسه ضد اى وقاحة تصدر من سائقى السيارات !

والغريب فى الامر ، انه شغوف بالاوامر ، فى نفس الوقت الذى لا يحب فيه الخضوع لاية سلطة .. كما انه محب للنظام بشرط ان يكون لشخص غيره !

وتراه دائما يتباهى بنفوذ مدينته فى عالم موضة الازياء والعطور والمدارس الفنية والادبية الحديثة !

ويرى فى بيته قلعة محصنة ، على عكس ما يتصوره البعض من تحرر الباريسيين ، ويصله دائما بعد يوم

الباريسى يحب القلق.. ويتعامل بحذر.. ويؤمن بحريته الشخصية

مشحون بالعمل ، ليشعر داخله بانه قد عاد إلى عالمه الصغير ، حيث الاستقرار والهدوء والراحة النفسية ..

وهذا المسكن عادة ما يزخرفه باسلوبه الخاص الذى يعود فيه إلى التراث كلما امكن ، ويختار له الاثاث الغالى ذا الطراز التاريخى المشهور !

ولان الباريسى نادرا ما يصل منزله قبل السابعة مساء ، فان شمل العائلة لا يكتمل إلا بالليل ، فالعمل يستغرق كل وقت الاب والام بحيث لا يشاهدان اطفالهما إلا فى فترات قليلة من النهار ، فالمصانع والشركات لا تسمح لافرادها إلا بساعة او ساعتين اثناء الغذاء وهما غير كافيتين للذهاب والعودة من المنزل ، كما ان الواجبات المدرسية للابناء عديدة ، وهم دائمايتناولون وجبتهم الغذائية فى المدرسة !

فن المعدة

وفى الليل يجتمع افراد العائلة حول جهاز التليفزيون إذا كان هناك شىء يستحق المشاهدة الجماعية ، فهم

اوبرا باريس

عازف فرنسى ولحن على الرصيف

يفضلون قضاء اوقات فراغهم إما فى الحديث او القيام ببعض الألعاب الذهنية او القراءة او الاستماع إلى الموسيقى ..

ومازال الباريسى ـ حتى يومنا هذا ـ ورغم ظهور العديد من النجوم وبلوغهم قمة الشهرة ، ينظر إلى جان مورو وبريجيت باردو و ايف مونتان و آلن ديلون و جان بول بلموندو على انهم اعظم ممثلين عرفهم .. ويرى فى المغنية « ميراى ماتيو » بصوتها المميز اجمل الأصوات التى تخاطب احاسيس كل فرد على إنفراد ..اما لويس دى فينيس بما قدمه من افلام كوميدية فهو النموذج المثالى لروح النكتة الفرنسية !

وينظر الباريسى إلى المقهى على انها ملتقى للاصدقاء ، فكل واحد له مقهاه الخاص ، واغلبية رواد تلك المقاهى يفضلون الجلوس عليها فى هدوء لمراقبة العالم الذى يسير امامهم .. ومن اشهر مقاهى باريس مقهى دى فلور ، وهناك مقهى فى الشانزليزيه خلف قوس النصر بنيت فى عصر نابليون ، كما ان هناك لوحة شهيرة للفنان ديجا (١٨٨٠) سجل فيها ملامح وجهين على مقهى باريسى !

ورغم أن الطعام باهظ التكاليف فى باريس ، فان الباريسى ينفق الجزء الأكبر من دخله على معدته ، ويختار الأطعمة المفيدة وذات المذاق ، ويفضل المياه المعدنية ، ويحرص على شراء الخبز من مخبز يباشر صاحبه بنفسه الاشراف على انتاجه .. اما إعداد الطعام ومهارته فهو فن اكتسبوه جيلا بعد جيل .. والحديث الدائم المشترك والمحبب للقلوب هو الحديث عن المائدة ، وهذا يجعل الكثير من الناس يتساءلون : هل ياكل الباريسى ليعيش أم يعيش لياكل ؟!

العقل والقلب

وباريس هى مدينة موليير العظيم الذى كرس حياته لمحاربة انواع النفاق والقوانين الظالمة .. وهى المدينة التى ولد فيها فولتير العاشق للحرية .. وهى التى رات استمرارية فكر جان جاك روسو بما فيه من دعوة لاصلاح الحياة الاجتماعية .. وعاش بها فى بيت صغير

هكذا يرى المشاهد باريس من مونمارتر

فى ميدان « الفوج » لأكثر من ١٦ عاما الشاعر العظيم فيكتور هوجو الذى كان يكتب قصائده على منضدة وضعها إلى جوار نافذة ليستلهم الوحى باستمرار من شجرة البلوط .. ومر عليها طابور طويل من العظماء والمشاهير الذين أثروا الحياة الانسانية وحفروا بصمات ستظل باقية ما بقى الانسان فى اى مكان !

وقد ظلت باريس عاصمة لفرنسا وأعظم مدنها على الاطلاق لأكثر من الفى عاما .. وكانت وحدة فرنسا تتحقق دائما من خلال دور باريس المركزى ، او كما يقول المؤرخ الفرنسى « دانيال مونتيه » قامت فرنسا وإنتشرت بداية من باريس ..

ولذا فباريس اليوم هى العقل الادارى والقلب السياسى لفرنسا ، يعيش بها سدس السكان ، وينطلق منها النشاط السياسى والاقتصادى ، وهى مركز الموضة والتعليم والفنون ..

ومعنى ان تسير فى شوارع ودروب باريس هو أن تمضى عبر تاريخ فرنسا .. فكل أثر فى المدينة يمثل سجلا للاحداث التاريخية الكبيرة .. وكل مكان يحكى قصة الناس وعصورهم بما فيها من امجاد وانتصارات وهزائم وآلام ..

وجمال باريس المدينة يكمن فى قصورها الشبيهة بالقلاع ونافوراتها الجذابة وتماثيلها ومتاحفها ونهرها الحالم .. ويزيد من هذا الجمال ساحات الكونكورد والكوميدى فرانسيز والسوربون والمكتبة الوطنية وغابات بولونيا ، وايضا متحف بومبيدو الذى اصبح يضم اكبر معارض الفنون المعاصرة فى العالم ..

واضخم شوارع باريس هو الشانزليزيه الذى يضم احدث بيوت الأزياء ويجذبك بمنظره الجميل وفتريناته ومقاهيه .. اما السان جيرمان فترى فيه خليط من الناس مع تنوع فى الحياة .. وإذا اردت ان تثير رغبتك فى المعرفة والدهشة فلا طريق امامك إلا فى البيجال ..

وستجد الفن والشعر والجنون فى قلعة مونمارتر التى كانت قرية على حدود باريس واصبحت اليوم مركزا لحياة الباريسيين بما فيها من ملاهى

داخل المتاحف

ومطاعم .. وفى الحى اللاتينى يمكنك ان ترى الفنانين وادعياء الفن ومعظم اللوحات فى هذا الحى تدور حول بيوت باريس القديمة وتدخل فى متاهات المدارس والاتجاهات الفنية الحديثة !

الكارثة الفنية

وإذا اردت أن ترى باريس من ارتفاع ١١٠٠ قدم فيمكنك ان تفعل ذلك من فوق برج إيفل الذى يصل عمره إلى حوالى مائة سنة ، والذى يعتبر رمزا للمدينة ، فقد اختاره دون كل الآثار الزعيم النازى هتلر عندما دخلت القوات النازية إلى باريس فى عام ١٩٤١ ، وطلب من المصورين أن يلتقطوا له صورة تذكارية إلى جواره .. والمعروف انه عندما إنتهى المهندس جوستاف إيفل من بنائه اشاع البعض أن هذا البرج قد يصبح بمثابة موصل او جاذب للصواعق التى قد تؤدى إلى قتل الأسماك فى نهر السين ، وصدق سكان المدينة القصة لولا أن سخر بانى البرج من سخافة هذه الاشاعة بان اختار لنفسه سكنا فى أعلاه !

وهناك معالم فى باريس إذا لم تر‌ها فكانك جئت إلى المدينة وخرجت منها دون أن تفعل شيئا ..

أول هذه المعالم متحف اللوفر الذى يضم روائع العالم الفنية ، وكان فى البداية قلعة ملكية لحماية غرب باريس

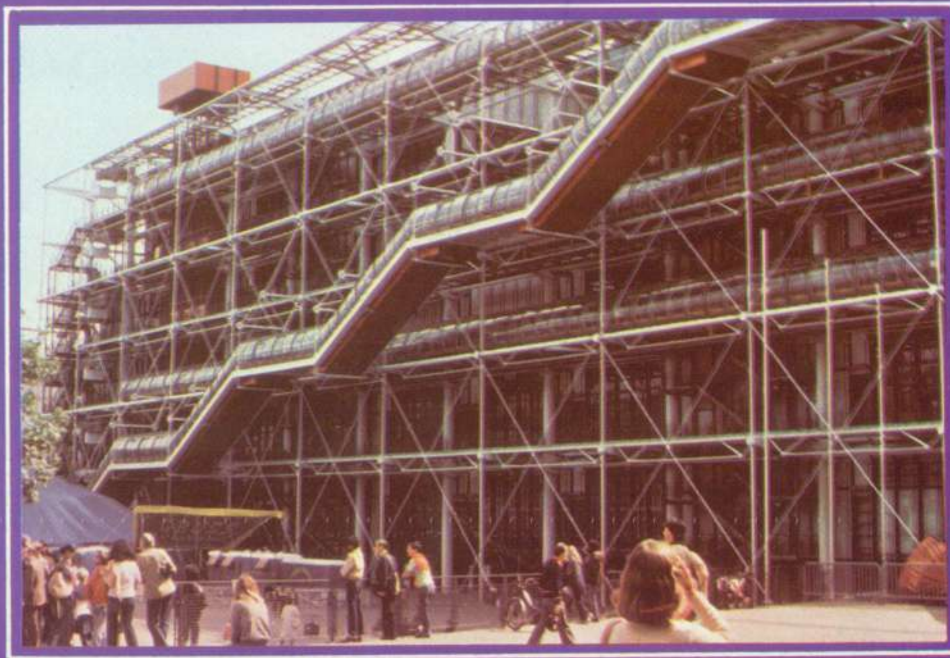

مركز جورج بومبيدو

، وكان سجنا لخصوم الملك ، ثم قصرا ، وهو الآن من أشهر متاحف العالم بما يحتويه من كنوز فنية تسجل تاريخ الحركة الفنية فى العالم ..

وثانى هذه المعالم قصر فرساى الذى ارتبط بلويس السادس عشر ومارى انطوانيت بما فيه من حشود من اللوحات الفنية ، وقد أسسه لويس الرابع عشر ، وبناه جيش من ٣٦ الف صانع ، وتعرض لعدوان إجرامى فى عام ١٩٧٨ تسبب فى تدمير ثلاث قاعات تحتوى على معطيات فنية وأثرية تعود إلى العهد النابليونى وحدثت أضرار فى العشرات من قاعات العرض الأخرى ، مما احدث ضجة عالمية بسبب ما يحتويه من ذخيرة لما انتجه الفنانون العالميون فى القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر لتكون شاهدا على عظمة فرنسا ، وقد اعتبر هذا الاعتداء اكبر كارثة فنية وقعت فى القرن العشرين !

انحسار السينما

اما السينما الفرنسية فى قلعتها باريس ، فهى تعانى اليوم من انحسار نتيجة انغلاقها داخل حدود فرنسا واهتمامات الجمهور الفرنسى وحده ، وما يؤكد ذلك فشلها فى العام الماضى فى الحصول على جوائز مهرجان كان الذى تنظمه فرنسا سنويا على شواطئها فى الجنوب ..

وقد وصلت هذه السينما إلى قمتها فى الستينات بظهور الموجة الجديدة الفرنسية بمخرجيها العظام أمثال كلود شابرول وآلن رينيه وجان لوك جودار وغيرهم ..

ونحن نعرف مدى مساهمة هذه الموجة فى تطوير السينما العالمية ونوعية افلامها التى عالجت الموضوع المحلى معالجة واقعية جعلته يتخطى المشكلة المحلية إلى إطار إنسانى اشمل واكبر ..

وفى هذه الأيام تنتج السينما فى باريس الدراما المنزلية التى تعالج مشكلات المرأة مثل « زوجة جان » او تعالج الموضوعات العاطفية مثل « ضوء إمراة » و « تحدث دائما انت تهمنى » .. أو الموضوعات البوليسية مثل « سبعة موتى بالأمر » .. ولم يعد من هذه السينما اليوم غير « روبرت بريون » العجوز المقل الذى يفاجئنا بانتاجه العظيم ، أما المخرج آلن رينيه فقد اصبح قليل الانتاج أيضاً ، وجان لوك جودار اتجه بفنه إلى الهموم السياسية والمجال التسجيلى ، وفرانسوا تريفو مازال يقدم الترفيه الجيد ، وغير هؤلاء اصبحنا لا نرى من الأعمال الجيدة غير محاولات تعد على الاصابع ، مثل رحلة شاعرية للكاتب والمخرج ميشيل ديفى ، والذى يعد من احسن الأفلام التى افتتح بها عام ١٩٨٠ ، فقد بحث الكاتب فى أعماق امرأتين أدت دورهما جيرالدين شابلن ودومينيك ساندا .. وكذلك فيلم «تشجعوا لنهرب» الذى يجتاز فيه المسكين « مارتان » أحداث التاريخ ومشاكله اليومية دون أن يتغلب على وراثة قاتلة هى الجبن الذى يجرى فى عروقه والذى يجعله يؤمن بعدم جدوى الكفاح !

ومثل السينما ، نجد المسرح الباريسى يمر بأزمة لعدم وجود مؤلفين جدد ، مما يضطر المسارح لتقديم أعمال كلاسيكية عالمية لمؤلفين أصحاب شهرة واسعة أمثال شكسبير وموليير وبريخت

وبالطبع فان الموسيقى الكلاسيكية لها مكانتها فى باريس ، ولا تؤثر فيها مطلقا إقبال الكثيرين على الموسيقى الحديثة الراقصة .. كما أن المكتبات عامرة بالمؤلفات الجديدة التى من احدثها روايات وقصص سوزان بـرو وروجيه فريينى ولوك بيريمون ، وفى المكتبات اليوم كتاب حديث عن جورج صاند بمناسبة مرور أكثر من قرن على ميلادها ، وفيه دفاع عنها ضد النعوت التى وصفها بها بعض الكتاب ، ومن اسانيد الدفاع انها لم تتخل عن تقاليد مجتمعها وعاداته فى صالونها الأدبى الذى يجتمع فيه كبار مثقفى فرنسا ومفكريها ، وأنها كانت تهدف فى تحقيق حرية المرأة إلى الا يكون هناك تمييز لرجل على إمراة إلا بالعمل المبدع الخلاق .

وفى باريس اليوم تقوم موجة ادبية لاعادة شوامخ التراث العالمى والفنى والمخطوطات ..

وهذه الموجة الأدبية تجعلنا لا ننسى أن باريس قد تربعت على عرش الأضواء الفنية فى النصف قرن الأخير ، حين ظهرت فيها جميع المدارس التشكيلية الحديثة ، وكان بيكاسو وبراك وماتيس وغيرهم عم عمالقة هذه الفترة ..

ثم .. لا يمكن للذهن أن يتوقف فى باريس .. ولا يمكن للقلب ان يمل متعة الرؤيا والاندهاش .. فاننى فى مدينة تجدد شبابها بصفة مستمرة .. مدينة لا تعرف زحف التجاعيد !

كمال سعـد

زاوية الرأى

تشريح الحضارة العربية

مواقف المفكرين العرب من الحضارة الغربية تفاوتت ، بل وتناقضت . فمن طه حسين الذى يدعونا لأخذ الحضارة الغربية حلوها ومرها ، خيرها وشرها ؛ إن شئنا – فى رأيه – دخول العصر الحديث واستيعاب تقدمه ... الى سيد قطب الذى يحذرنا من أسس الحضارة الغربية وأصولها المنحرفة ويدعونا أن نقصر اقتباسنا منها على أحوج الحاجات وفى أضيق الحدود العملية والتقنية ، دون النظرية والقيمية الاخلاقية .

وبين طـه حسين وسيد قطب تنفرج أمامنا مروحة قوس قزح بألوانها المتعددة ، وكل مفكر عربى يأخذ بلون مما يروقه مائلا الى هذا الاتجاه أو ذاك على امتداد الخط الشاسع بين «علمانية» طه حسين و «سلفية» سيد قطب ..

ووسط ضجيج الآراء والاتجاهات المتباينة والمتناقضات بشأن هذا الموضوع الخطير أقرأ مقالة وجيزة ، من السهل الممتنع ، بعنوان «نحن والحضارة الغربية» فأجد من المفيد تلخيص محتواها لما تنطوى عليه من وضوح فى الرؤية تجـاه هذه القضيـة التى لم تتضح حلولها بعد .

تبدأ المقالة بالقول إن الدعوة لمقاطعة الحضارة الغربية ورفضها دعوة غير ممكنة عملياً وتطبيقياً : «ولو كانت هذه الدعوة تطلب منا رفض حضارة قبيلة من قبائل الأسكيمو لما أثارت اهتمامنا» . أما والأمر يتعلق بالحضارة الغربية التى لعبت دورا حاسمـا فى تطـور البشرية والتى حققت من التقدم المادى والعلمى مالم تحققه حضارة قبلها والتى تمسك اليوم بيدها مفاتيح الحرب والسلام ... فـلا بـد من وقفة هادئة نناقش فيها هذه الدعوة ثـم ننتقـل الى الحضارة الغربية فنتساءل عن الموقف الذى يجب أن نتخذه منها» .

ويرى الكاتب أن : «أشد الناس عداوة للحضارة الغربية يلبس ثياباً صنعتها مصانع الغرب ويروح ويغدو فى سيارات من صنع ديترويت ولندن . وحتى الاقلام التى تدبج أبلغ قصائد الهجاء فى الغرب ، مصنوعة فى الغرب !» . ثم أن الدعوات التى تنادى برفض الحضارة الغربية «مبنية فى الغالب الأعم من الحالات على فكرة سطحية عن هذه الحضارة أو على جهل تام بها .»

ذلك : «ان الحضارة الغربية بخلاف ما يعتقده قراء مجلات الاثارة من غربية وشرقية ، لاتبدأ وتنتهى بالشعور الطويلة وحفلات الجنس والمخدرات» .

إذن فالحضارة الغربية ظاهرة لا يمكن تجاهلها ، ولابد من مواجهتها وفهمها وغربلتها واستيعابها نقدياً وتحليلياً لنقرر ما نختار منها وما نتفهم وما نهمل وما نرفض بما يتفق مع حضارتنا الاسلامية وتراثنا القومى وقيمنا وتقاليدنـــا .

ويرى الكاتب أن نقوم بتشريح الحضارة الغربية ونحلل جوانبها المختلفة حسب التدرج التالى :

١ – جوانب لا مناص من اقتباسها إذا أردنا الخلاص من تخلفنا الراهن ، وهذه الجوانب تشمل التكنولوجيا والعلوم الطبيعية والاجتماعية وطرق الادارة وأساليب التخطيط العلمى . فى هذه المجالات تقود الحضارة الغربية بلا منازع العالم بأجمعه . كل ما يتم من تقدم فى هندسة الصواريخ وفى جراحة القلب وفى نظريات الاقتصاد وفى تحسين الكفاية الانتاجية يتم فى الغرب على يد علماء غربيين يتحدثون بلغات غربية .

٢ – هناك جوانب فى الحضارة الغربية يحسن أن نلم بها دون أن يتبع ذلك بالضرورة نقلها أو اقتباسها وهذه الجوانب تشمل التراث الغربى فى السياسة والفلسفة والأدب والقانون .. وهنا يجب أن نقف موقفاً وسطاً ، فلا نقر الذين يدعوننا الى أن ننقل من الغرب تراثه السياسى والفكرى والقانونى ، ولا نتفق مع الذين يريدون حرماننا حتى من دراسة هذا التراث والالمام به .

٣ – وهناك جوانب فى الحضارة الغربية نسميها «الجوانب المحايدة» ولا تضيرنا معرفتها كما لا يضيرنا الجهل بها كطرق الاكل وأنواع اللباس ونظم التعامل والتزاور .

٤ – هناك جوانب يجب أن نكون حذرين عندما نقتبسها كفلسفة الاعلان التجارى – مثلا – التى اصبحت تطبع العالم الغربى بطابعها .. وكظاهرة المنافسة الشديدة القاسية التى تنشر القلق والتوتر النفسى .

٥ – وأخيرا هناك جوانب لابد لنا من رفضها رفضاً تاماً لا لأنها تتعارض مع بيئتنا الشرقية فحسب ، بل لأنها تتعارض مع كل منطق سليم . من هذه الجوانب موضوع الازياء والموضات .. والمؤسف أن هذه الناحية بالذات هى الناحية التى برعنا فى نقلها من الغرب ..

هذا التحليل المتدرج ، التحليلى والنقدى ، لعناصر الحضارة الغربية هو بلا ريب جهد موضوعى ومستقل ينأى عن انفعال الرافضين واعجاب المتقبلين على حد سواء .

بقى أن أشير ان صاحب هذا الجهد ، وهذه المحاولة الفكرية الرصينة ، هو مفكر وأديب من جزيرة العرب ..

إنه الدكتور غازى عبد الرحمن القصيبى فى كتابه «عن هذا وذاك» وهو صوت أضحى من العلامات المميزة للوعى الفكرى فى الجزيرة العربية .

دكتور محمد جابر الانصارى

جيل الأمل
في عيد العلم

سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثانى وزير التربية والتعليم

السيد/ عبد العزيز عبد الله بن تركى وكيل وزارة التربية والتعليم

إعداد شبابنا إعداداً متكاملاً في إطار تربية تستلهم تراثنا الأصيل بما فيه من قيم

من واقع التركيز على الانسان القطرى الذى يشارك فى صنع حضارة الغد المشرق تحت رعاية امير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى، احتفلت قطر فى الشهر الماضى مارس ١٩٨٠ بيوم العلم التاسع عشر ..

وقد نبعت فكرة يوم العلم من واقع تكريم العلم والمعرفة وتقدير الركيزة البشرية الأساسية للتنمية ودفع عجلة التطور فى البلاد ..

وقد شهد الحفل سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثانى وزير التربية والتعليم الذى تحدث فى الاحتفال عن الشباب المثقف الواعى القادر على قيادة مجتمعات الغد والصانع لحضاراتها بكل كفاية وقدرة وفاعلية ، عن طريق الايمان الثابت والعلم النافع والقيم الجليلة والاخلاق النبيلة ، تلك وحدها هى الثروة التى لا تعادلها ثروة ، والمقدرات التى لا تعظم عليها مقدرات ..

وقد اكد سعادة الوزير أن التربية هى السبيل الأمثل والطريق الأقوم لاعداد شبابنا اعدادا شموليا متكاملا فى اطارتربية متوازنة تستلهم تراثنا الأصيل بكل ما فيه من قيم ونبل ومثل عليا ، وتاخذ بمعطيات العصر الذى تعيش فيه من تقدم كبير فى مجالات العلم والثقافة والمعرفة ، وترنو بابصارها الى توقعات الانطلاق الحضارى فى المستقبل القريب والبعيد فى مختلف مجالات الحياة موضحاً الأسس الثابتة التى ارتكزت عليها الدولة فى بناء شبابها عدة مستقبلها وثروتها الحقيقية ، والتى من اهمها :

● مجانية التعليم مجانية مطلقة فى كل مراحله فى الداخل والخارج وإلى اعلى الدرجات العلمية حسب إمكانات كل طالب وقدراته .
● اقرار مبدا تكافؤ الفرص بين جميع ابناء قطر .
● اقرار مبدا التعليم للجميع حيث يلتحق بمدارس قطر كل من يعيش على ارض قطر .
● التوسع المتواصل فى التعليم راسيا وافقيا ليشمل كل مراحله .
● النهوض الدائم والمستمر بمستوى المعلم تاهيلا وإعدادا بالتعاون مع جامعة قطر .
● تقطير الوظائف القيادية فى ميدان التربية والتعليم واعداد الشباب وتاهيلهم لهذا الدور .
● تطوير الكتب والمناهج والوسائل التعليمية تطويرا مستمرا .
● تطوير المبنى المدرسى ليحقق متطلباته التربوية .
● الافادة بالمعلمات القطريات لتعليم الأطفال الصغار بما لديهن من قدرة وإمكانيات على تربية الأطفال بكفاية وفاعلية .
● التطوير المستمر لبرامج محو الأمية وتعليم الكبار .
● تكوين لجان لوضع السياسة التربوية لدولة قطر ووضع استراتيجية تطوير التربية .
● اصدار ميثاق اخلاقى لمهنة التربية فى دولة قطر وذلك لضبط مسار التربية ضمن المثل والقيم الاسلامية النبيلة .

وبعد هذه اللمحة الموجزة عن تطور التربية قال سعادة الوزير : « إننا إذ نلتقى اليوم ، إنما نكرم العلم فى أشخاص ابنائنا الذين اجتهدوا وثابروا حتى حققوا النجاح ، آملين أن ياخذوا دورهم فى بناء غد مشرق ومستقبل زاهر لهذا الوطن .. وإننى أؤكد أن هذه الوزارة ما كانت لتحقق ما حققته من نجاح مطرد متواصل إلا بفضل الله وتوفيقه أولا ، ثم بفضل الدعم المتواصل والتوجيه السديد والرعاية الدائمة من لدن صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى ، وكذلك التاكيد والتوجيه من سمو ولى عهده الأمين الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى » .

وبعد أن ذكر بالاعزاز والتقدير جهود العاملين المخلصين من اسرة التربية والتعليم ، ختم كلمته مهنئا الوطن بشبابه ، وطالب الشباب بأن

العسكريون أمام المنصة

كلمة الخريجين

الخريجون أثناء استلام الجوائز

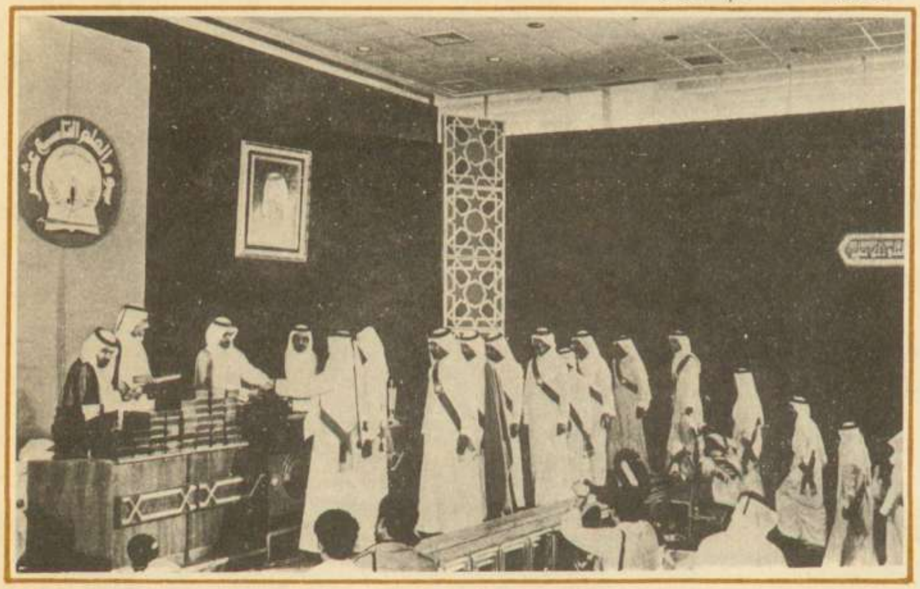

الأجيال التى درست وتخرجت هى الثروة الحقيقية لهذا الوطن

يكونوا عند حسن ظن الوطن بهم فهو فى حاجة الى عملهم وعقولهم . وافكارهم فى معركة البناء ..

ثم توالت الكلمات ، التى استعرض فيها السيد عبد العزيز عبد الله تركى وكيل وزارة التربية والتعليم الانجازات التربوية الهامة التى تحققت عبر عام مضى ..

فقد أصبح مجموع الطلاب والطالبات هذا العام ٣٨ الف طالب وطالبه .. تبلغ نسبة الطالبات منهم ٥ر٤٨٪ .. وهى من أعلى النسب العالمية .. الامر الذى يؤكد الدور الريادى للفتاة القطرية ومسارعتها لاكتساب العلم والمعرفة ..

وأصبح عدد الملتحقين بمدارس محو الامية وتعليم الكبار ٦٠٥٥ منهم ١٥٨٠ دارسة وبذلك تهيات الفرصة كاملة أمام المراة والفتاة القطرية لتعويض ما فاتها .

أما عن المبعوثين للدراسات الجامعية فقد بلغ عددهم ٢٤٢٢ طالبا وطالبة .

وقد استوعبت جامعة قطر ١٢١٠ طلاب وطالبات .

كما التحق بالجامعات العربية والأوربية والامريكية ١٢١٢ طالبا وطالبة .. يدرسون مختلف التخصصات التى تحتاجها البلاد .

.. وبلغ عدد المبعوثين للدراسات العليا ١٠٢ طالبا وطالبة .. لنيل درجة الماجستير أو الدكتوراه .

وقد تخرج من البعثات الخارجية حتى هذا العام ٦١٣ خريجا وخريجة .. منهم ١١٢ فتاة قطرية .

وبلغ عدد من تخصص فى الفروع الادبية النظرية ٤٨٧ خريجا وخريجة .

كما تخصص فى الفروع العلمية والتطبيقية ١٢٦ خريجا وخريجة .

ونجد بين هؤلاء النجباء ٢٣ حصلوا على ارقى الشهادات فى الدراسات العليا « الماجستير والدكتوراه » .

كما نبغ ١٥ خريجا فى علوم الطب .. وحصل الكثير منهم على اشهر الزمالات الطبية العالمية .

وبلغ عدد الذين انهوا تخصصاتهم فى حقول الهندسة المختلفة ٨٤ مهندسا .

وقال ان عدد خريجى الشهادة الاعدادية العامة والتخصصية لهذا العام وحده بلغ ١٧٣٥ طالبا وطالبه .

كما بلغ خريجو الشهادة الثانوية العامة والتخصصية لهذا العام ١١٠٨ طلاب وطالبات .

وتضمنت كلمة السيد وكيل الوزارة الحديث عن التطور فى العملية التربوية وخاصة ما يتعلق منها بمجال اعداد المعلمين وتأهيلهم ، وميدان المناهج والكتب المدرسية ، والوسائل التعليمية ، والدراسات والبحوث التربوية ، والرؤيا المستقبلية التى تحدد مسارات التعليم وتوثيق الصلات بأهم المؤسسات التربوية والعلمية ..

وقال ان الدولة رصدت فى هذا العام أضخم ميزانية تربوية فى تاريخ البلاد إذ بلغت ٧٦٩ مليون و ٤٢٤ الف ريال قطرى ، وذلك خير دليل على حقيقة الدعم الكامل والمتواصل للتربية فى بلادنا ..

ثم القى كلمة الخريجين الجامعيين السيد ناصر محمد خطاب الكعبى الذى قال انه وزملاءه الخريجين يعاهدون الله على ان يبذلوا كل جهدهم لخدمة مجتمعهم ووطنهم .

وتوجه بالشكر فى كلمته إلى من سهروا على رعايتهم .. ووجه كلمته إلى إخوانه الخريجين بقوله :

« تذكروا انكم الثروة الحقيقية لهذا الوطن ، وبعملكم البناء يسمو ويزدهر » ..

صلاح عبد الصبور

العجوز والجريدة

● كان حلم حياتى ومعى جيل من صحابى أن نعدل هذا الكون المقلوب.. وبعد قليل أدركنا اليأس .. ثم ما لبثنا أن وقفنا على رؤوسنا !

أتقدم الان نحو الخمسين ، ولو استطعت أن أوليها ظهرى لأعود الى أيامى السالفة القديمة لفعلت ، فأنا أحس بوطأة مقدمها وبينى وبينها سنة وبضعة شهور ، فكيف لو سقطت فى هوتها مسلوب الحول ، ولكن هكذا مضت الأيام ، وسقط يوم ميت فى آخر مولود حتى انتبهت ذات مساء أو صباح فاذا العمر فى مغربه .

يومئذ ، أو ليلتئذ ، لا أدرى أحسست ذلك الاحساس الذى يجسمه لنا الوجوديون ، حين يحدثوننا عن ذلك الشخص الجالس فى قاعة السينما ، يتأمل الشريط المعروض ، ويعايش أبطاله الذين توشك الحياة أن تدب فى عروقهم . وينفعل بفصول القصة المتتالية ، وقد يتخذ لنفسه مثالا من أحد أبطال القصة ، فيحزن لحزنه ، ويفرح لفرحه ، ويعشق لعشقه . ويكاد يتوهم أن مايراه واقع دافىء بصخب الحياة وعنفها ، وفجأة ينقطع التيار الكهربائى ، ويتوقف الشريط ، ويعود المتفرج الذى أوشك أن يكون مشاركا الى ذاته الفقيرة ، ووحدته الباردة ويدرك فجأة أن مارآه كان خيالا ، وما ارتداه من أحاسيس كان قناعا ، وان الرواية لم تكن عن حدث وقع ، بل رواية عن خيال سانح

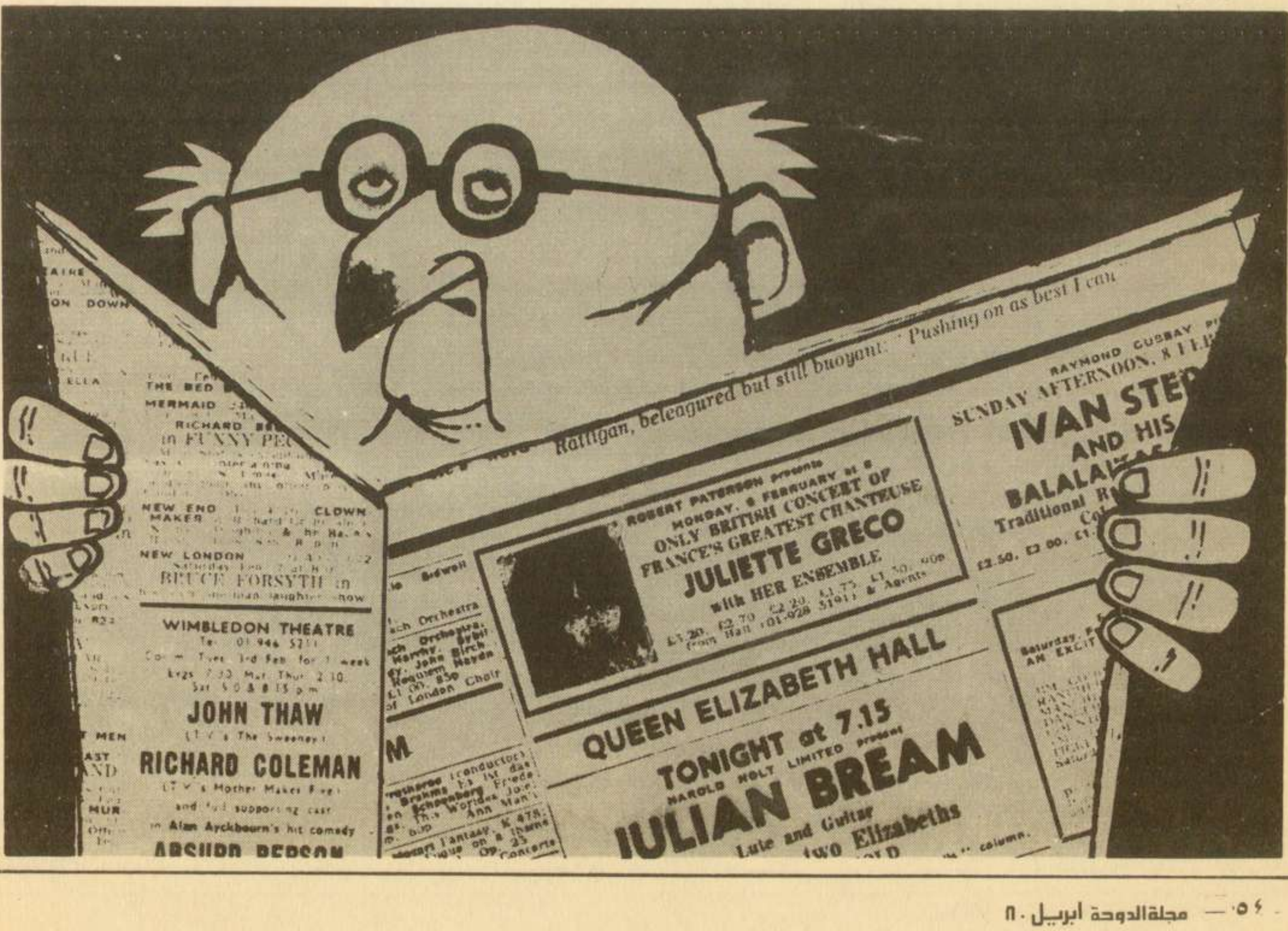

ماهى مخاوف الشيخوخة ؟ هل هى مخاوف فحسب .. أم هى إحباطات ماثلة ؟

ما أقصر طريق العمر ! وآه لنا عندما نحلم بعودة الزمن المفقود !

ووهم ملفق .

ولكنى عشت هذه السنوات بحق وألم وتأمل ، الا أن يسقط منها سنوات الطفولة الأولى . وليس توهمى لها كشريط من الوهم والصور الملفقة إلا محاولة للتخلص من وطأة ذكرياتها ، ونير احزانها ، فلست اذكر فى هذه السنوات فرحا خالصاً إلا ظلالا كالسحاب العابر ، وإن كنت اذكر فيها لى ولمن حولى كثيرا من الخيبة الممضة والألم المقيم .

يأسف ابراهيم ناجى فى بعض أبياته انه قد عاش حتى رأى الكون مقلوبا على رأسه .

عشت وامتدت حياتى لأرى
فى الثرى ماكان قبلا فى القمم
انهيار المثل العليا وانكار
الكرامات وكفرا بالقيم
واذا انحط زمان لم تجد
عاليا ذا رفعة إلا الألم

وانا ايضا عشت لأرى الكون مقلوبا على رأسه ، بل تفتحت عيناى فى شبابى والكون مقلوب على رأسه ، ، وكان حلم حياتى ، انا وجيل من صحابى أن نعدل هذا الكون المقلوب ، وادركنا اليأس بعد قليل أو كثير ، ثم مالبثنا ان وقفنا على رءوسنا لكى نستطيع ان نتواصل بالحياة والبشر .

واسأل نفسى أحيانا ..

أليس ذلك الشعور هو ما يخامر جميع الناس حين يهبطون جانب التل ، إذ يدركون أن الحياة قد أعطت أملا واسعا وقدرة محدودة . وان ما تخايل لأعينهم فى ايام الصبا الذهبى كان مدى واسعا لا يمتلك إلا لأهل الخطوة الماشين على الماء أو السابحين فى الهواء ... أليس الانسان محكوما عليه بالاحباط فى هذا الكون المتشابك المتناثر الشذرات . وهل عرفنا كل ماكنا نريد ان نعرف ، وقرأنا كل ما كنا نريد أن نقرأ من كتب ، ووطأنا كل ما كنا نريد أن نطأ من ارض ، وتحلينا فى عيون كل من احببنا من نساء .

تعود الى ذهنى الان قصيدة لشاعر اليونان السكندرى كفافيس ، عن ذلك العجوز ، وارجح الظن انه الشاعر ، الذى يجلس على المقهى وحيدا محاولا أن ينبش فى ذهنه ليوقظ ذكرياته الحلوة ، ولكن الاحباط مايلبث أن يغزو روحه .

عجوز معه جريدة — يجلس وحيداً الى مائدة فى مقهى تحيط به الضجة — ولكنه غارق فى الذهول .

هذا هو المشهد الاول ، او السينة الاولى بلغة السينما والتليفزيون فى هذه الايام . وهو مشهد ظاهرى ، مشهد متلصص ، وكأن الراوى أدار بصره فى ميدان واسع من ميادين الاسكندرية ، لعله ميدان محطة الرمل ، أو محطة مصر ، بما فيه من مقاه متناثرة ، وزحام من الغادين والرائحين ، والرجال والامهات والحبالى ، والفقراء والصعاليك والمتأنقين ، وعربات الترام والخيل ، بل والحمير (كان ذلك فى أواخر عشرينات هذا القرن) ، ثم مالبث أن اجتذب هذا العجوز الذاهل فى وسط الضجة بصره، فحاول ان يتسلل إلى نفسه .

كان يفكر دون تورع فى مخاوف الشيخوخة ، ويتأسى حزينا لقلة ما استمتع بسنى عمره .

ما مخاوف الشيخوخة تلك التى داهمت العجوز ، أهى مخاوف فحسب ، ام هى احباطات ماثلة ، لنذكر عندئذ أبيات الشاعر العربى :

وهت عزماتك عند المشيب
وما كان من حقها ان تـهى
وانكرت نفسك لما كبرت
فلا هى انت ولا انت هى
اذا ذكرت شهوات النفوس
فما تشتهى غير ان تشتهى

وأذكر انى ماأحببت الجناس وغيره من المحسنات اللفظية كما أحببته فى هذه الأبيات ... علقت بذهنى من عهد الصبا ، ولعلى لا اذكر شاعرها ، ولا اريد أن أعتمد على الظن ، فيتصدى لى عندئذ محقق عالم ثبت طويل الباع ، فيصوبنى ، ويسخر منى ومن جهلى .

لقد أدرك الرجل أنه عجوز — ولا شك فى ذلك — ولكن ايام الشباب رغم ذلك مازالت تخايله

آه لنا عندما نحلم بعودة الزمن المفقود ، إن كفافيس يتحدث عن قدرة الحس والبدن ، ولكنى كثيرا ما اذكر قدرة العقل ، اين هو الزمن الذى كنا نستطيع فيه أن نعانق أجمل الأفكار ، واصبا الأمانى ، واكثر الكتب إغراء وإغواء ... أسأل نفسى أحيانا لماذا لم اكتب بعض كلماتى المجنونة الباعثة على الجنون حين كنت ممتلئا بها ... لماذا لم اخرج فى رحلتى المستبسلة نحو الحقيقة واليقين طارحا عن نفسى ثوب التكلف الزائف ، طارحا عن قلبى غشاء الخوف المقيت .

ما اقصر طريق العمر — كان فى أمسه الذاهب يؤمن بالتبصر والتعقل — ولكم خدعه هذا التبصر الكاذب فى لفظه ومعناه — كان يقول لنفسه : مازال هناك وقت لهذا الفعل أو ذاك . فى يوم آخر سوف افعل ...

التبصر ... أليس التبصر مثل الحلم .. كل حلم اتى بغير اقتدار حجة لجأ إليها اللئام ... إن للخوف سبعة أقنعة أولها ادعاء التبصر ، ولو مضينا مع المتنبى لقلنا إن احتمال البلادة والخمول ورؤية الآفاق الممتدة أمام النفس والروح هى الغذاء الذى تضوى به الاجسام .

لقد كبتت الأشواق فى ماضى زمانه ، ولقد قدم فرحته قربانا للحكمة (المزيفة) ...

إيه .. أيها الاغريق الأقدمون .. إنكم تعيدوننى إلى إلهيكم القديمين .. ديونيزيوس إله اللهو والمرح ، وابو للو إله التصميم والحكمة والاحكام .. أهما حبلان مشدودان ... الجسد والروح ... المادة والعقل . الفرحة والحكمة ، ولكن الأمور كثيرا ما تتشابه وتشتبه ، وتصبح الحكمة التى هى بنت المعرفة كسلا عقليا وروحيا فاترا . ولقد عرف العجوز ذلك ، ولكنه حين عرفه معرفة اليقين ، كان ذهنه قد أدركه التعب ... ياللمأساه !

ولكنه فى تلك اللحظة — رغم أفكاره العميقة وذكرياته الماثلة — غفا وغلبه النعاس — وحيدا على المائدة .

وهكذا يغلبني أنا أيضا النعاس ، وحيدا على مائدة الكتابة وحولى أوراقى واقلامى وكتبى ، أحس أنها هى المكان الوحيد الذى انتمى إليه فلا يرفض انتمائى أو يضيق به ، ولكن هل أخلصت لهذا الانتماء كل الأخلاص ، وهل عشت حياتى (ابن قلم) كمانقول (ابن سبيل) أو (ابن أصول) ...

لعلى هنا اريد أن أستعرض فصول حياتى فى الايام الماضية وما ذلك لغرابتها أو تفردها ، ولكن لأنها قد تكون صورة متكررة لحياة كثير من المثقفين فى بلادى ، من الذين تفتحت عيونهم على الحياة بعد الحرب العالمية الثانية ، والذين حاولوا امتلاك المستقبل بالمعرفة فعاشوا زمنا من الامل العظيم واليأس العظيم .

ولست أريد ان أدخل فى تفاصيل السياسة والاحداث الاجتماعية فهى أرسخ فى نفوسنا وارواحنا من ان أحاول زحزحتها لأتأمل جثومها وصلادتها . ولكنى اريد ان أبعث ذكرياتى العقلية والوجدانية ، وان أحيي فى نفسى ما عرفت من رجال افكار ومن أفكار رجال . أما صبواتى فلن اتحدث إلا عما فعلت بنفسى وعقلى ، تاركا ما دون ذلك للجلسة الذاهلة الوحيدة على مائدة المقهى ... ان امتد العمر .

● ● ●

كيف عرفت انى شاعر ؟

لقد قرأت لأحد الشعراء حين سأله سائل مثل هذا السؤال قوله (أنا لا أكتب الشعر ، ولكن الشعر هو الذى يكتبنى) .

وفى ظنى أن هذه الكلمة صادقة فى حالين ، أولاهما هى حال الانطلاقية الأولى الى عالم الشعر ، إذ يدرك الصبى أو الحدث فجأة أن اذنه تستطيع دون عون ان تفطن الى نغمات الشعر وعروضه وان ذاكرته تستطيع أن تحفظ بعض ما يقرأ منه ، وان صوره تستوقفه حتى لتبدو كأنها عالم عيانى محسوس .

ويطمع الصبى أو الحدث عندئذ الى تقليد ما يحب ، وهنا يأتيه هذا العالم المموسق المصور مجانيا ، وتبرز القصائد والمقطعات التى قد يكون الكثير منها ركيكا وكأنها تريد أن تكتب وتتحقق ، وكذلك كان

يُتاح لكثير من الشعراء أن يقتربوا من دائرة النار مرة فى حياتهم

حالى فى سنوات الصبا الأول ، أما الحال الثانية ، حين يكتبك ما تكتبه ، فهى حال اكثر عمقا . إنها حال الكاتب حين يقترب من دائرة النار ، فيلمس الحقيقة العميقة ، ويقترب من الحب العميق أو الرعب العميق أو اليأس العميق ، فهو يبدأ كتاباته لاهيا كما يفعل لاعب السيرك ، حتى اذا حلق على الحبل المشدود فوق الهاوية ، كان الايقاع الموسيقى والجسم البشرى وحدهما هما اللذان يتجليان . والجسم البشرى هنا هو مجموعة اداته العضلية المركبة ... هو لون من تجريد الجسم البشرى فى كمال أدائه ، فهو ليس جسم انسان بعينه . ولكنه الجسم فحسب .

يتاح لكثير من الشعراء والفنانين أن يقتربوا من دائرة النار مرة أو مرات فى حياتهم ، وهم حينئذ يذهلون عن ذواتهم ليقتربوا من هذه الذات اللافحة . ولكن هذا

ابراهيم ناجى

كفافيس

الاقتراب محفوف بالمخاطر ، إذ أنهم حين يعودون الى عالمهم العادى بعد هذا الاغتراب المخيف تظل هذه الأقباس التى حازوها مشتعلة فى نفوسهم ، فتنعكس بعد ذلك على رؤيتهم للحياة ، وعلى تصرفاتهم اليومية العادية . فلن يستطيع شاعر وصل الى قلب دائرة اليأس العميق أن يبتسم بعد ذلك . ولن يستطيع قصاص لمس قلب الجنون أن يتعقل ، ولنذكر عندئذ جى دى موباسان . فهو أحد الذين كتبهم ما كتبوه .

وقد تكون هذه الحال بدرجة أقل .. درجة يشترك مع الشاعر فيها وعيه الظاهر ، فالشاعر فى مطالع حياته يرسم لنفسه صورته الاجتماعية ، ويبدأ فى التعبير عنها بشعره ، ويقوده شعره إلى الامعان فى رسم هذه الصورة حتى تتجلى ملامحها وقسماتها ، ثم ماتلبث هذه الصورة أن تتملكه حتى لا يستطيع عنها تحولا .

لقد اراد أبو النواس مثلا منذ مطلع حياته أن تكون صورته الاجتماعية هى صورة الشاعر المتهتك الخليع ، وعبر عن هذه الصورة فى أول الأمر فى نغمات ساذجة ، ثم ما لبثت هذه النغمات ان ازدادت تنوعا وثراء وعمقا ، فكأن ابا نواس كان يستكشف نفسه بكل أبعادها من خلال التعبير عنها . فاذا استوى هذا التعبير ، واستوت هذه الصورة الاجتماعية ، أصبح أبو نواس الشاعر عبدا لها ، وصح عندئذ القول أن قصائده قد كتبته .

ما علينا ، هذا حديث طويل سأعود إليه فى الحديث عن بودلير ورأى سارتر فيه ، ولكن قصدى الآن هى حال الصبا الأول ، حين يجد الصبى أو الحدث ان قصائده تكتبه ، فما يلبث أن يقترب من عالم الأسلاف الشعرى .

ويبدو لى الان ان كل زمان يحفل بشعرائه الذين يستحوذون على اهتمام الناشئة ، وفى زمنى وفى مصر ، وفى السنوات بين (١٩٤٥ ــ ١٩٤٨) كان شاعرا القمة هما محمود حسن اسماعيل ، وعلى محمود طه .

ولسوف اتحدث عما تركا من أثر فى نفسى ووجدانى فى حديث مقبل .

د. محمد جابر الأنصاري

بواكير الوعي البترولي في الأدب السعودي

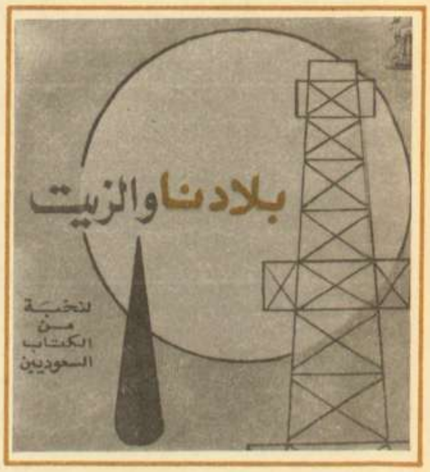

● ممارسة حرية الرأى فى الصحافة السعودية لها جذور قديمة لا يعرفها البعض خارج المملكة

● النفط ثروة محايدة يمكن أن نستغلها فى الخير والإصلاح أو نهدرها فى الترف والخمول

● أفضل استثمار للنفط هو فى بناء الأجيال الجديدة .. وليس بناء العمارات الشاهقة

كنت أتصور أن تحليل ونقد (الظاهرة البترولية) فى منطقة الجزيرة والخليج من اهتمامات جيلنا الشاب وحده ، وانها من نتاج وعيه الاقتصادى والاجتماعى الجديد ... إلى أن وقع فى يدى كتاب : (بلادنا والزيت) من جمع وتقديم الأديب السعودى الرائد الاستاذعبد الله بن خميس مؤسس دار (الجزيرة) الصحفية ، فتسنى لى أن اصحح تصورى هذا وأن أطلع على مواقف ادبائنا المخضرمين من هذه القضية قبل عشرين سنة ، فاذا بها مواقف وآراء وتحليلات ناضجة وجريئة أين ما نكتبه اليوم منهـا .

هذه الآراء تثبت أن ممارسة حرية الرأى فى الصحافة السعودية لها جذور قديمة ، وليس كما يتصور البعض خارج المملكة . ثم أن هذه المعالجات لعلاقة النفط لا تقتصر على المجتمع السعودى وحده ، بل تنداح دائرتها لتشمل المجتمعات العربية فى المنطقة كلها ، وكيف أثر النفط سلبياً وايجابياً فى تركيبها وتطورها . فما سنعرض له من نقد — إذن — هو تشخيص لأبعاد الظاهرة النفطية فى مجتمعات المنطقة كلها دون اقتصار على مجتمع بعينه .

فى صحيفة (الجزيرة) وقبل عشرين عاماً ، اجرى الاستاذ عبد الله بن خميس استفتاء دعا إليه أهل الرأى والقلم ، وكان محوره السؤال الاساسى التالى :

هل افادنا النفط أم أضر بنا ؟ وهل جاء نعمة أم نقمة ؟ .

ويرى الاستاذ ابن خميس نفسه ، فى تقدمة الكتاب ، أن هذا السؤال قد يبدو غريباً وفى غير محله لأول وهلة . فكيف نضع فوائد النفط ونعمه الكثيرة موضع تساؤل وهو الذى ظهر فى بلاد فقيرة منعزلة عن العالم وذات حظ متواضع من التقدم ، فأغناها ووصلها بالدنيا كلها وجعلها محط انظار العالم ومكنها من سبل التعليم والتطبيب والادارة الحديثة والعمران المتوسع ؟ أفبعد هـذا يجـوز أن نتسـاءل إن كان النفط نعمة أم نقمة ؟

وهنا يعمد الاستاذ ابن خميس الى وضع ايدينا على سر هذا التساؤل عندما يقول بصريح العبارة :

« فاجاتنا ثروة الزيت ونحن نزرع وناكل ، ونصنع ونستعمل ، وننسج ونلبس ، ونربى الماشية ونرعاها ، فنستفيد فوائد متعددة منها وتنشا الاسرة كلها .. كادحة ، منتجة ، جلدة ، خشنة ، ونعيش البساطة فى مظاهر حياتنا كلها ، وحمانا مهاب ، وكياننا مرهوب ... فما الذى حدث بعد اكتشاف الزيت ، وانثيال ثروته فى مجتمعنا ؟ إن أول هدف من أهدافه هو اختفاء المظاهر التى عددنا آنفاً . والهبوط بتلك الامة الكادحة المنتجة القوية الجلدة الى درجة من الخمول لا تحسد عليها » .

ويمضى ابن خميس فى معالجته الاجتماعية الصريحة هذه قائلا ان الأمة لا تعتبر متقدمة حقاً :

« ولو سكنت ناطحات السحاب ، وامتطت المراكب الفارهة ، وانغمست فى ملذات المدنية وأرائك الترف . فانها قشور ياتى عليها يوم فتذهب ، لتعود الأمة تفتش عن ذاتها وتبحث عن مقوماتها فلا تجدها .. وهل النهاية إلا ذلك ؟ »

وبنظرة مقارنة بين انتاجية أمم الصناعة واستهلاكية مجتمعات النفط ، يقول :

« لماذا الولايات المتحدة ، والألمان ، واليابان ؛ وهم أكثر منا ثروة وأصل مدنية ، لم تلههم هذه المظاهر عن العمل؟ مما جعلهم يغرقون أسواقنا بمنتجاتهم الزراعية والصناعية ،

ويمتصون ثروتنا .. ويضعونها في الوجهة التي تتلاءم وسياستهم ؟ »

ومن منطلق هذا التساؤل وهذا التحليل شارك الأدباء السعوديون في هذا الاستفتاء المصيري ، في تلك الحقبة من تطور المجتمع ، فكيف جاءت اجاباتهم وكيف بدت رؤيتهم لهذه المسألة المتعددة الجوانب ؟

يرى الاستاذ محمد عمر توفيق ان النفط ثروة محايدة يمكن أن نستغلها في الخير والاصلاح ويمكن أن نهدرها في الترف والخمول . فالبحث إذن ليس في الثروة من حيث هي ، وانما في طريق استثمارها ، وفي ذواتنا نحن .. هل نحن مجتمع صالح وأفراد صالحون نعرف كيف نتصرف بما في ايدينا من ثروة ؟ وعليه فان العلاج الناجح يجب أن يتركز في اصلاح الفرد والمجتمع قبل كل شيء ، وقبل البحث في موضوع النفط كشيء منفصل بذاته . فان صلحت الأمة ، صلحت طريقتها في استثمار ثرواتها كلها ، ومقدراتها كلها من نفط وغيره .

وينبه الاستاذ محمد احمد جمال الى ضرورة الاستفادة من عنصر الزمن بوضع خطة تنمية شاملة زراعياً وصناعياً ، ذلك أن تأخير هذه التنمية هو الذي يبرز سلبيات النفط في مجتمعاتنا ويقلل من ايجابياته .

ويشارك الاستاذ غزالي حرب في هذه الدعوة رابطاً بين اخلاقيات التنمية وآداب العمل المنتج في الاسلام ، بحيث يغدو النهوض للتنمية واجباً اسلامياً مقدساً .

أما الاستاذ علي الحصين فيرى أنه :

« كان من الممكن ان تكون فائدتنا من الزيت أعظم لو اتخذنا للأمر عدته ، ولو حاولنا أن نجعل من التطور الذي أحدثه الزيت في حياتنا تطورا جذريا يصل الى الأعماق ، ولا يكتفي بالسطوح ، يعنى بالمخبر قبل عنايته بالمظهر ، ويهتم باللباب قبل أن يلتفت الى القشور » .

وهو يرى انه حتى العناصر المنتجة في مجتمعاتنا قد نقصت قدرتها على الكدح والانتاج بعد اكتشاف النفط . ذلك :

« ان تجار وفلاحي عصر الزيت هم قوم مترفون ، مرهفو الاحساس ، تؤذيهم أدنى حادثة ، وتؤرقهم أقل نكبة ، ويحد من محاولاتهم ما يتوقعون حدوثه من تغير الأسواق ، أو ركود التجارة ، أو قلة المحصول . »

عبد الله خميس

حسين سرحان

وهذا التحول في المقدرة على الثبات والعمل من شأنه ان يفقد الأمة كلها :

« صفات الكفاح والصمود والمغامرة والجهاد »

ويجعلها عرضة سهلة لتحديات العالم المتحضر

أما الاستاذ محمد عبد الله بن حمدان ، فينظر للأمر من زاوية تربوية قائلا :

« أوجدوا جيلا قويا مثقفا واعيا »

ويرى أن أفضل استثمار للنفط هو في بناء هذا الجيل ، لا بناء العمارات العالية . ونعتقد أن جزءاً من هذا الأمل قد تحقق بعد عشرين عاماً . فها نحن نرى هذا الجيل يتقلد زمام العمل والانتاج في مجتمعاتنا ، وإن كانت الدعوة ما تزال قائمة لمزيد من التربية المثمرة الحقيقية .

ويتنبه الأستاذ محمد بن عبد الله حميد ، منذ ذلك الوقت الباكر ، إلى امكانية نضوب آبار النفط ، فيطالب بأخذ العدة للأمر ، وبالاتجاه نحو اقتصاد الانتاج ، والتقليل من نزعة الاستهلاك ومن :

« اعتمادنا المطلق على منتجات الدول الخارجية من ضروريات وكماليات » .

ورغم ما تحقق من تنمية وتصنيع ، فان هذا التنبيه وهذه الدعوة مايزالان جديرين بكل اهتمام .

ويقوم الدكتور يوسف الحميدان بتشريح الظاهرة النفطية فيرى أن خير النفط يتركز في كونه :

« قوة اقتصادية بحتة ، وقوة سياسية احتياطية ، وقوة اجتماعية بناءه » .

أما شره النسبي فيتلخص في آثاره الوقتية على المجتمع الراهن . وقد تمثل في

١ ـ تدهور الزراعة والصناعات المحلية لانشغال الناس بالنفط واعتمادهم على دخله .

٢ ـ تدهور الثروة الحيوانية .

٣ ـ انشغال الافراد بالقشور من المدنية دون اللباب ، وعليه فان الواجب كما يقول وضع (فرامل تقي مزالق الخطر) لاستخراج خير النفط ، واتقاء شره .

ويميل الاستاذ عبد العزيز عبد الله الربيعي الى الرأي القائل :

« ان مضرته إلى الآن أكبر من نفعه » .

ثم يضم صوته الى صوت المنادين بالاسراع في التنمية الشاملة التي أخذت ملامحها تظهر بعد هذه الدعوات المخلصة الجادة .

ويتناول الكاتب الساخر الاستاذ حسين سرحان هذا الموضوع بريشته الشيقة ، فلا يدخل في تنظير ونظريات وانما يعود بالذاكرة الحية الى عهود ما قبل النفط عندما كانت البلاد تنتج بسطها وملابسها وحيواناتها ومزروعاتها دون أن تحتاج الى استيراد الكثير من الحاجيات .

أما الجديد في رأي الاستاذ محمد علي السوسي فهو اشارته الى اهتمام اصحاب رؤوس الاموال عندنا بالربح العاجل السريع ، في المشروعات الجانبية والاستهلاكية والطفيلية ، وعدم توجههم الى استثمار رساميلهم في المشروعات الانتاجية الأساسية الطويلة المدى والأمد وهي المشروعات التي قامت على أمثالها نهضة الغرب الصناعية .

وينظر الأستاذ علي حسن فدعق الى المسألة من زاوية تاريخية مقارنة فيخرج علينا بهذا الرأي المتميز الذي أخذ الكثيرون يتمثلون به في أيامنا الحاضرة .

يقول :ـ

« أعتقد أن الجزيرة العربية شهدت منذ نشأتها حتى اليوم حدثين خطيرين في تاريخها الطويل .. الحدث الأول هو رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ... والحدث الثاني هو ظهور الزيت

فى الجزيرة العربية ، مما جعلها محط انظار العالم . »

ولكن هـذه المقارنة يجب أن ترتبط بتحفظ أساسى . وهو أن الحدث الأول ، أى الاسلام ، عندما جاء فرض على الأمة الجهاد والعمل والتحضر فجعلها أمة حية وفاعلة فى التاريخ . أما الحدث الثانى ، أى ظهور النفط ، فقد ارتبط حدوثه بالاتجاه الى الدعة والترف وقلة الانتاج فى البداية على الأقـــل .

فاذا أردنا أن تستقيم هذه المقارنة فلا بد ان تتحول الأمة بتأثير النفط الى أمة منتجة عاملة لا أمة مستهلكة . وإلا فان هذه المقارنة ستبقى مقارنة عكسية بمعنى أن النفط أبعد الأمة عن روح الجهاد وكدح العمل وغير ذلك من قيم الحدث الاصيل الأول الذى هو الاسلام . فعلى النفط أن يعلن اسلامه بهذا المعنى .

ويرى الاستاذ فدعق أن ظهور النفط نعمة ، ونعمة كبرى بلا ريب ولكـــن :

« **نحن الذين جعلنا حصيلة الزيت استهلاكية كلها فى اشياء لا تعود على مستقبلنا بأى فائدة ، واهملنا هذا الجانب الانتاجى من حصيلة الزيت** » .

ويخالف الاستاذ ابراهيم المحرج الرأى القائل ان النفط هو السبب فى صرف الناس عن الاشتغال بالزراعة والصناعة . فلو انا وفرنا للعاملين فى الزراعة والصناعة المستوى ذاته المتوفر لعمال النفط لما تركوا زراعتهم وصناعتهم وتهافتوا على

محمد عمر توفيق

إنهــا أفكار رائدة لجيــل الآبــاء من حـمـلة القــلم

منذ عشرين عامًا برزت هذه القضية الملحة فى الصحافة السعودية

العمل فى ميدان النفط دون سواه . فيجب الاهتمام إذن بكافة قطاعات الانتاج بدرجة متساوية

ويؤكد الاستاذ هاشم عبده هاشم هذا الرأى بقولـــه :

« **نامت مواردنـــا الاخـــرى** » . بمعنى أن النفط استحوذ على اهتمامنا وكفانا حاجاتنا المادية فلم نلتفت الى ما فى بلادنا من مصادر ثروة أخرى ربما كانت اقدر على الاستمرار والانتاج من النفط ذاتـــه .

على هذا النحو سارت هذه الاجابات التى تمثل فى نظرنا بواكـير الوعى البترولـى فى أدب الجزيرة العربية .. وكما نرى فانها آراء لا تفتقر إلى الجدة ، ولا إلى العمق ، ولا إلى الصراحة . وكل من يريد من باحثينا الشباب معالجة "**الظاهرة البترولية**" او جانبًا من جوانبها ، فى سلبياتها وايجابياتها أن يعود الى هذه الآراء والنظريات التى أحسن الأستاذ عبد الله بن خميس صنعاً عندما جمعها فى كتاب حديث ضمن سلسلة كتاب الشهر الذى يصدره النادى الأدبى بالرياض ، فاتاح لجيلنا أن يتعرف على الأفكار الرائدة لجيل الآباء من حملة القلم ، فيتواضع أمامهم رغم ما يحمله من مؤهلات ودرجات ويتمتع به من معاصرة لأحداث اليوم ... ويستمع الى ذلك الصوت النبيل القادم من جيل شهد أصالة الحياة الكادحة الخشنة البسيطة ، فلم يغتر ، كما اغتر بعض جيلنا ، بما شاهد من مظاهر العمران ومغريات الترف .

ثم أنها شهادة تاريخية للأدب السعودى ، تثبت من خلال ثلاثين صوتا أدبيا وفكريا ، ان هذا الأدب لم يكن بمنأى عن المسألة النفطية ، وانه كان يعالجها ويحللها ويتأملها منذ البدايات الصعبة .

أما الفضل الأكبر فيعود بلا ريب للأستاذ عبد اللــه بن خميس الذى أثار هذه القضية الملحة فى صحيفته قبل عشرين سنة ، والذى ظل مرتبطاً بها ليطرحها من جديد بعد عشرين سنة . فله قصب سبق الرواد فى الحالتين .

د. محمد جابـر الانصارى .

كان الرجل اول سفير لبلاده فى تلك الدولة الاوربية وكان يعلم جيدا ان الصحف الغربية قد درجت على إثارة الشائعات حول عادة اكل لحوم البشر فى بلاده ... وعلى ظهر السفينة وهو فى طريقه إلى مقر عمله اتاه خادم المطعم بقائمة المؤكلات فنظر إليها مليا ثم قال :

« لا تحوى هذه القائمة شيء يناسبنى ... اعطنى قوائم الركاب »

اتصل مدير البنك بالمستر ليفى هاتفيا ليبلغه ان حسابه مكشوف وان سحوباته الزائدة بلغت المائتى جنيه ودارت بينهما المحادثة التالية :

المستر ليفى : ما هو الغريب فى الامر ؟

المدير : الا تدرك خطورة ان يكون حسابك مكشوفا ؟

المستر ليفى : كم كان رصيدى فى الشهر الفائت ؟

المدير : كان رصيدك سبعمائة جنيها .

المستر ليفى : هل حدث ان اتصلت بك لالفت نظرك لهذه الحقيقة ؟

غضب اليهودى من مواطنه مدير مكتب تسهيل الزواج وانفجر امامه هامسا :

كيف تدعى صداقتى وتختار لى عروسا على هذه الدرجة من الدمامة وسوء الذوق

فقاطعه مدير المكتب قائلا :

لا داعى للهمس فهى فاقدة لحاسة السمع ايضا .

كان الضابط يستعرض الشكاوى التى تقدم بها افراد فرقته فتقدم إليه احد الجنود وشكا من وجود كميات من الرمل فى المرق .

فرد الضابط عليه « لا تنس ايها الجندى إنك موجود هنا لتتدرب على خدمة وطنك »

فاجاب الجندى « نعم سيدى لأخدمه ... وليس لآكله »

العدمية في الأدب

نعمان عاشور
لقاء مع المازني

بدأ تأثري بالمازني مبكرا في أوائل الثلاثينات ٠٠ وكنت لا أزال في مراحل دراستي الثانوية ونحن لازلنا نقيم في مدن الريف ولم نغادرها الى القاهرة بعد ٠ وكان أهم ما لفت نظري اليه وحببني فيه ٠٠ ما كان يقدمه من ترجمات لبعض الاعمال الادبية العالمية من القصص والكتب وأحيانا الروايات تنشر في « السياسة الاسبوعية » وفي بعض مجلات دار الهلال وغيرها ، وبأسلوب غير مسبوق يجمع بين دقة التعبير وسلاسة السرد ، وبساطة اختيار العبارات والالفاظ ٠_٠ وزاد اهتمامي به حين أهداني أستاذي مصطفى عبد اللطيف السحرتي وكان موجهي ٠٠ الاول في دراستي للادب وتعلقي به ٠٠ كتابيه الشهيرين « قبض الريح » و « حصاد الهشيم » وكان أستاذنا « السحرتي » لا يزال يفتتح مكتبه للمحاماه في المدينة ويحاول جاهدا أن يدفعني للقراءة ٠٠ انه من مواليد نفس بلدنا ومن القلائل الذين يخلصون في رعايتهم لكل أديب ناشيء ٠٠ وكانت طريقته أن يعيرني الكتاب الذي أقرأه ٠ ثم نلتقي في المساء على النيل أو فوق الكوبري الفاصل بين ميت غمر وزفتى أو في رحاب شبه الجزر المنتشرة على الساحل ٠٠ في أحضان الطبيعة ٠٠ وهي أقوى ما تلقاه في أدب السحرتي وشعره الباكر ٠٠ ويروح يناقشني فيما خرجت به من الكتاب ٠٠ والحق انني لم أنطبع كثيرا بكتابي المازني ٠٠ لا بحصاد الهشيم ولا بقبض الريح٠ ولعل السبب كان لانني قليل الميل الى ما عرفناه بعد بأنه من أدب الهروب وكان كتابا المازني يحملان هذا الطابع رغم ما فيهما من جدة وطرافة ٠٠

احتراف الكتابة

لكني عرفت المازني بعد ذلك من « الديوان » وهي الدراسات التي أخرجها مع العقاد للاعلان عن مدرستهما الجديدة في الشعر المناهضة لكلاسيكية شوقي وحافظ ٠ الشيء الغريب أن المازني رغم ارتباطه اللاصق بالعقاد كان يمثل بالنسبة لي وفي تقديري وتذوقي شخصية مستقلة لانه بالفعل يتميز بطاقة ابداعية خلاقة كان يمكن ان تأخذه الى بعيد في عالم القصة والرواية ٠٠ وشاهدي على ذلك روايته « ابراهيم الكاتب » رغم موضوعها المقتبس ٠٠ فالمازني صاحب أسلوب روائي أكثر منه شاعرا أو كاتب مقال ٠٠ لكن ظروف حياته وامتهانه للكتابة كحرفة الزمته أن يهدر طاقاته الخلاقة في بيع الكلمة لضمان القوت المتصل ٠٠ وهذه جناية كبرى لا يدركها الا من عمل في الكتابة اليومية المتصلة لكسب المعاش وتغطية نفقات الحياة ٠ ولهذا عشت من أيامها أتابع المازني في اعجاب يشوبه الاشفاق وأتطلع الى نفسي من خلاله ، لو فرض وانني كما كنت أحلم أيامها ، أصبحت مثله من الكتاب أصحاب الاقلام ٠ وهو ما حدث ٠٠ وما جنبتني اياه تجربة المازني نفسه٠ ولهذا عشت دائما على التشبث بالوظيفة المضمونة المرتب ولم أحاول أبدا أن أبتعد عنها الا قهرا ٠٠ فاحتراف الكتابة الادبية كان ولا يزال من مستحيلات مجتمعاتنا العربية ٠

تابعت المازني بعد ذلك فيما كان يكتبه في الجرائد اليومية ٠ مقالات ٠ أحيانا بامضاء وأحيانا بدون امضاء وفي صحف متعارضة الاتجاه يعبر فيها عن مختلف هذه الاتجاهات رغم تناقضها ومع ذلك فلم أفقد تعلقي به ٠٠ كان المازني بكتاباته يكون ركنا دافئا في واعيتي الادبية المتفتحة ٠٠ وكنت أحس بكتاباته وعمقها وغزارتها وأسلوبه المتفرد بما لا أحسه بالنسبة لمن أتطلع اليهم من العمالقة الآخرين ٠٠ طه حسين أو العقاد أو حتى توفيق الحكيم ٠٠ المازني كان شيئا آخر تماما ٠٠ كان صاحب أسلوب فني بديهي يستحيل أن يخرج الا من قلمه ومن العسير أن يقلده فيه أحد ٠ تقرأه فتشعر وكأنك تأكل ما يشبه البسكويت في حالة الطعام ٠٠ شهي المذاق لذيذ الطعم تتمنى ألا تنتهي صفحاته لانه خال من كل العثرات ٠ نبراته مختلفة متعددة الالوان ، لكنه ينساب في نغمة متكاملة تأخذك الى آخر كلمة في آخر سطر فتجد نفسك في حاجة الى أن تعيد ما قرأته من جديد لانك لم تشبع منه بعد ٠٠

عزلة المازني

هكذا كان تأثري بالمازني ٠٠ ولهذا اندفعت الى محاولة لقائه عدة مرات ولكنني لم أوفق ٠٠ لم يكن هناك من أعرفه وهو على صلة به ٠٠ والذين عرفوه كانوا يحذرونني منه ٠ فالرجل نفور منعزل بنفسه عن معظم الناس ولا يطيق أن يتطفل عليه أحد ٠٠ انه حتى لا يكاد يقابل من يعمل معهم في الصحف ومن يكتب لهم

● كان صاحب أسلوب فني يستحيل أن يقلده فيه أحد

● نبراته مختلفة متعددة الألوان .. لكنه ينساب في نغمة متكاملة

● الذين عرفوه كانوا يحذرونني منه فالرجل نفور منعزل بنفسه عن الناس

المازني

في المجلات وقد أرسلت له خطابا ذات مرة على احداها وهي جريدة « المقطم » أطلب لقاءه ·· فلم يعبأ بالرد على وربما لا يكون قد استلم الخطاب ·· كانت مثل هذه اللقاءات مع الكبار الذين نقرأ لهم ونأخذ عنهم ، من أهم ما يشغل تفكيري دائما ، لانني كنت أتطلع الى هؤلاء الناس باكبار وقداسة لا يعادلها الا اكباري لما يكتبون وتقديسي لما ينتجون ·· وهذا في الواقع اتجاه صحي كان يلازمني دائما حتى بالنسبة لاستاذي في المدرسة ·

مسابقة القصة

وفقدت الامل لسنوات عديدة في محاولة لقاء المازني أو حتى رؤيته من بعيد ·· ولعل الظروف الثقافية كان لها اكبر دخل في ذلك ·· لان المازني على ختام حياته كان قد بدأ يزوي في داخليتي ويأخذ مكانه كاتب جديد آخر هو توفيق الحكيم ·· ومع ذلك تشاء الظروف وكان هذا على ما أذكر عام ١٩٤٨ أو قبلها بعام · أن ألقي المازني وأن أجلس اليه لساعات طويلة وأن يدعوني الرجل

الى لقائه ·· كنت في ذاك الوقت قد انغمرت في كتابة القصص القصيرة التي تتكون منها مجموعتي الاولى « حواديت عم فرج » وكان قد نشر لي منها أكثر من قصة في المجلات العديدة التي كانت تصدر في تلك الايام · وحدث أن أعلنت الادارة الثقافية لوزارة التربية والتعليم (وزارة المعارف كما كانت تسمى أيامها) أعلنت عن مسابقة للقصة القصيرة وحددت شروطها وجوائزها ولا أدري بالضبط ما الذي لفت نظري الى هذا الاعلان ·· ربما لقلة

العدمية في الأدب

العقاد

طه حسين

او ندرة الحصول على مجال للنشر .. او لأنني كنت أيامها قد فرغت من كتابة قصة جديدة .. المهم اني اندفعت بعد اتمامها .. فأرسلتها من ثلاث نسخ على عنوان المسابقة .. وكانت القصة تدور حول أسطورة ريفية شائعة عندنا في القرى على النيل .. مؤداها .. ان هناك جنيه من جنيات الماء تسكن في داخل النيل وتطلع الى الشاطىء بين وقت وآخر لتختار لها حبيبا من بين أهل القرية تأخذه الى قاع النيل ليعيش معها في قصرها هناك .. ثم تعود به بعد فترة ليعاود الحياة في القرية من جديد بعد أن تكون قد منحته ما لا يتوقع من أسباب المتعة والنعمة والثراء .. وصورت الاسطورة . فجعلت الجنيه تخطىء في الاختيار وتجتذب احدى فتيات القرية من اللواتي يملأن جرارهن من النيل .. لكنها لا تستطيع وتتسبب في غرقها . ورحت أحلل الواقعة على أن الفتاة الغريقة انما انزلقت الى الماء بتأثير الاسطورة الشائعة وكما توهم الناس لان الجنيه جاءت فجذبتها من قدمها ، والسبب أن الجنيه كانت تعشق خطيبها .. أي بدافع الغيرة منها .. وطبيعي أن أسفه ذلك في سياق القصة وأرجعه الى سيطرة وهم الاسطورة على عقولهم وبالذات الفتاة الغريقة ..

الجائزة

مرت شهور .. ونسيت خلالها كل ما يتعلق بهذه القصة واشتراكي بها في المسابقة .. حتى كان صباح .. أقدم ساعي البريد الى منزلنا وكنا انتقلنا لسكن الجيزة .. وسلم والدي رحمه الله خطابا باسمي من وزارة المعارف لم يتردد والدي في فتحه فاذا به يفاجأ بوجود شيك بداخله بمبلغ أربعين جنيها وخطاب اخطار وتهنئة عن فوزي بالجائزة الاولى لمسابقة الوزارة في القصة القصيرة . كانت مفاجأة جعلت والدي بعدها وكان دائما يعنفني على كثرة الكتابة والقراءة .. يندفع الى تشجيعي على مواصلة ما أنا غارق فيه من كتابات .. وذهبت الى الوزارة .. فاذا بي افاجأ بأن الذي اختار قصتي لتمنح الجائزة .. هو المازني الذي كان يرأس لجنة تقدير الجوائز .

وأخيرا جاءت الفرصة المواتية للقاء الرجل .. ولكنهم قالوا لي انه لا يحضر أبدا الى الوزارة .. وان القصص كانت ترسل اليه في منزله ويقرأها ثم يعيدها مشفوعة برأيه فيها .. أخذت العنوان .. كان في نهاية مصر الجديدة على أطراف الصحراء ولا أحد يعرف الوصول الى البيت الا سائق الموتوسيكل الذي يحمل اليه مثل هذه المواد .. وكان السائق قد نقل ولا احد يعرف له مكانا لكنها فرصتي الوحيدة ولا سبيل غيرها ولا مثلها لكي ألقاه .. كنت أيامها في غاية الزهو والفخر بما نالني من وراء تقديره ماديا وأدبيا . وطفقت أسأل كل من أعرف عن كيفية العثور على المازني .. وبطريق الصدفة المحضة أخبرني صديق كان يعمل أيامها في الجامعة العربية على أن المازني يحضر يوميا الى الجامعة بعد الثانية عشرة ظهرا لانه يقوم بتقديم مواد مترجمة لهم هناك .

مباغتة اللقاء

وكانت المباغتة بعدها مباشرة .. في اليوم التالي قصدت مبنى الجامعة العربية القديمة وكان يقع بالقرب من ميدان الازهار وسط القاهرة .. وقفت على الباب ولم أجرؤ على الدخول منعوني لان المازني لم يكن موظفا ثابتا في الجامعة العربية وصديقي الذي أعرفه والذي دلني على وجوده هناك .. لم يكن في مكتبه .. وظللت لأكثر من ساعة رائحا غاديا على الرصيف المقابل لمدخل الدار .. وبعد نصف ساعة تقريبا . رأيته وهو ينزل السلالم الطويلة المؤدية الى باب الخروج .. كان قصيرا نحيلا وبه عرج خفيف ... يمشي في هدوء وقد بدأ الشيب الخفيف يجتاح رأسه .. كان دقيق الخطوة يتطلع من حوله وكأنه يخشى أن يداهمه أحدا أو شيء وكانت عيونه تبرق في ذكاء . وهو يسير في عصبية ظاهرة ويحمل في يده بعض الاوراق . ترددت ان ألقاه على مدخل الدار .. ولكني ظللت أترصده وأتابعه حتى أصبح أمامي على نفس الرصيف وحينذاك ناديته لاهفا ..

ــ استاذ مازني ..

التفت الى واجما وهز رأسه .. ولكنه لم يتكلم ..

ــ تسمح لي أكلمك ..

ــ عاوز تقول ايه ؟

وحرت وتلعثمت ٠٠ ولم اجد ما اقوله ٠٠ فاستدار الرجل ليكمل سيره غير عابىء بوجودي ٠٠ وبعد لحظة ٠٠ يبدو انه قد احس خلالها بأنني اتابعه ٠٠ التفت وراءه قائلا :

ـ انت مين يا ابني ؟٠٠

واسقط في يدي فوجدتني أبادره خوفا من أن يشيح عني ٠٠

ـ أنا كاتب قصة قصيرة ٠٠ حضرتك اديتني الجائزة عنها ٠٠

ـ قصة ايه ؟٠٠

ـ أم شوشه ٠٠ كانت في مسابقة ادارة الثقافة بوزارة المعارف ٠٠

ـ موضوعها ايه ؟

ـ جنية الميه اللي بتطلع من النيل ٠٠

ـ آه ٠٠ هو انت ٠٠ قصة كويسة ٠٠ أنا اديتها الجائزة ٠٠

ـ متشكر ٠٠

ونظر الى نظرة فاحصة هذه المرة· وهو يتطلع الى قامتي ٠٠ كنت أطول منه قليلا ٠٠ ثم أردف ٠٠

ـ يا ابني أنا لا أعرفك ٠٠

ـ ولكني يا سيدي أعرفك معرفة جيدة وأعيش معك في كل خطواتك القلمية ٠٠

وابتسم راضيا وهو يتمتم ٠٠

ـ لا أحسبها خطوات ثابتة ٠٠

ـ يا استاذ انت أثبت من قرات لهم ٠٠

وهز رأسه وهو يدوس بطرف لسانه على شفته السفلى بما معناه ٠٠٠ « دعك من النفاق » ثم وضع يده في ذراعي ٠٠ وطلب الي أن أصحبه الى مقهى الحرية العتيد في ميدان الازهار حيث تعود أن يجلس ليلتقط أنفاسه من التردد على الجرائد والمجلات التي كان يكتب فيها وكلها تقع قريبا من هذا الميدان ٠٠

جلسة مع المازني

طلب لي مشروبا وطلب لنفسه قدحا من القهوة السادة وكان قد وضع أوراقه على مقعد بجواره ٠٠ ثم فاجأني بسؤاله المفجع ٠٠

ـ انت عاوز مني ايه بالضبط ؟٠٠

لا .. لن تعرفني .. أنا نفسي لا أكاد أعرف نفسي .. وأفضل لو ظلت معرفتك بي مقصورة على كتاباتي.

توفيق الحكيم

اتشرف بمعرفتك وأشكرك ٠٠

ـ لو ان قصتك لم تعجبني لما اعطيتك الجائزة ٠٠

ـ يا أستاذي انما يسعدني ان اقول في يوم من الايام انني جالست المازني وتحادثت اليه ٠٠ وعرفته ٠٠

ـ لا ٠٠٠ لن تعرفني ٠٠ أنا نفسي لا أكاد اعرف نفسي ٠٠ وأنا أفضل لو ظلت معرفتك بي قاصرة على ما أكتبه ٠٠ أما أنا شخصيا فلا فائدة لك من معرفتي ٠٠

ـ أتتلمذ عليك ٠٠

ـ سخافة ٠٠ الكاتب أو الفنان لا يمكن أن يكون تلميذا لأحد ٠٠ هذا ضد طبيعة الادب وحقيقته ٠٠

الاديب خالق نفسه ٠٠ أعني صاحب انتاج لا يصدر الا عن نفسه مهما تأثر بالآخرين ٠٠

واستمرت جلستنا أكثر من ساعة · كان يصمت خلالها أحيانا لفترات طويلة ولكني كنت أنتزعه من صمته بأسئلة مباغتة ٠٠ ولم يحدث أن أجابني عن احداها بالموافقة أبدا ٠٠ انه متناقض مع كل ما هو سائد أو متعارف عليه من الآراء الدارجة ٠٠ ومن الواضح أن فلسفته بالنسبة لعديد من الامور فلسفة ثابتة لا تحتمل التغيير ٠٠ لكن الشيء الذي استلفتني حقا في المازني ٠٠ انه يقول ما يكتب ٠٠ أعني أن كتاباته تستمد قوامها من فكره وهو فكر سوداوي حاد يميل الى ما نسميه العدمية ٠٠ تسانده في ذلك سخرية قاسية يخيل لك معها أن الرجل قد من الضجر ٠٠ لكنه مع ذلك لا يخلو من ومضات العاطفة والاحساس الدائم بحيوية ما حوله من الكون ٠٠ وقد أفزعني وهو يهب واقفا ليدفع الحساب للجرسون ٠٠ ثم يعتذر عن عدم امكانه متابعة الجلوس وسط كل هذا الضجيج الذي يعم المكان ٠٠ وطلب الى أن أظل جالسا ولا أقف لتحيته ٠٠ وخرج مسرعا وأنا أتابعه في استغراب وذهول ٠٠ وكان أول ما فعله حين أهل على الشارع ووقف على رصيف المقهى أن نادى تاكسيا وركب في الحال ولم يلتفت وراءه لرائي ٠٠ بل دلف الى مقعده في السيارة ٠٠ وقبع في ركنها القريب غارقا في صمت ووجوم ٠٠ وأنا أسائل نفسي هل هذا هو المازني ؟!!

وعدت ادراجي لأسترجع جلستي معه ٠٠ ولا تزال ترن في أذني حتى اليوم وبعد طول هذه السنين اجابته المفجعة « لا ٠٠٠٠ لن تعرفني ٠٠٠ أنا نفسي لا أكاد أعرف نفسي » ·

نعمان عاشور

الجبال ٠٠ ايتها الجبال دعيني احبك
كمن يداعب سبحة من الاساطير والهمسات
دعيني احبك على الركبتين كما الفلاح وارضه
لأدعك تتهادين بين تدافعات الهواء الحار

قصيدة « لبنان »
بالفرنسية للشاعرة : ناديا تويني

د. عبد الجليل شلبي

المستشرقون والإسلام

اصبحت كتابات المستشرقين عن الاسلام ذات اهمية كبيرة ، ويجدر بنا نحن المسلمين ان نعنى بدرسها وبتفنيد ما تقص به من افكار جامحة او اتهامات للاسلام لا دليل لهم عليها فكتب المستشرقين الان تنتشر انتشارا واسعا في الاقطار الشرقية والعربية على السواء ، وقد نجحت نجاحا كبيرا في تشويه الاسلام والصد عنه، ومن المؤسف ان اللغة العربية لم تنل الى الان تقدما في البلاد النائيه عن المحيط العربي ، فقد عمل الاستعمار على طمسها وحال بين الشعوب التي استولى عليها وبين اللغة العربية ، حتى ان بعض الدول الافريقية كانت تكتب لغتها بالحروف العربية فجبرت على كتابتها بالحروف اللاتينية ، فكان حائلا اخر دون تعلم العربية ، والذين يرغبون ان يقرأوا شيئا عن الاسلام مضطرون أن يقرأوه في كتب المستشرقين ، فيقرأون تهما مفتراة ومعايب مفتعلة ، فلا تتجه نفس واحد منهم الى معرفة كثير عن الاسلام فضلا عن اعتناقه او الدفاع عنه ٠

ويتخذ المبشرون — وما اكثر مدارسهم واوسع نشاطهم — من كتب المستشرقين عونا لهم على رسالتهم ، وهم لا يبشرون ويدعون بقدر ما ينفرون من الاسلام وينالون من نبيه والمستشرقون والمبشرون ظلوا ردحا طويلا من الزمن اعوانا للمستعمرين فقد كان هؤلاء يتخوفون كل جماعة اسلامية وكل دعوة تعرف بالاسلام وتشرح حقائقه ، فيعملون بمختلف الطرق والوسائل على قتل هذه الدعوات او اضعاف نشاطها ، ويجدون في المبشرين والمستشرقين وسائل فعالة لما يريدون ٠ وكثيرا ما بذلت الاموال

يتخذ المبشرون من كتب المستشرقين عونا لهم على أداء رسالتهم

المبشرون والمستشرقون ظلوا ردحا من الزمن أعوانا للمستعمرين

لمؤلفي الكتب التي تطعن الاسلام ، وللعاملين في المدارس والمستشفيات التبشيرية، ثم قام النشاط الصهيوني باعمال اوسع واعمق واتخاذ اساليب ملتوية مضللة ولكنها تنتهي الى طعن الاسلام وتشويه تاريخه وتصويره بصور منفرة رهيبة ٠ وهذا النشاط الان بكل فروعه اكبر حجما واوسع دائرة مما كان في اي وقت سابق

الكتب المزيفه

ونستطيع ان نقول في اجمال ان المبشرين والصهيونيه السافرة والمادية الجرينة الطاغية ، كلها ترمي غرضا واحدا هو الاسلام ٠ وكل نوع من هذه الانشطة يحتاج الى شرح واسع وبيان مستفيض ولكن حسبي الان ان اشير اليها مجرد اشارة ، فاني لست بصدد الحديث عنها ، وانما اذكر ان الكتب الاستشراقية وسيلة من وسائلها جميعا ٠ فاذا لم يكن في استطاعتنا ان نفتح مدارس وننشىء مستشفيات، ونعلم لغتنا على نحو ما يفعلون فايسر ما نفعله هو ان نبين ما في كتبهم من زيف ، وان نظهر براءة الاسلام وطهارته، وسموه ونزاهته عما يقولون ٠

وليست ردودنا هذه ضائعة هباء ولا قليلة الفائدة ، بل هي ذات فوائد في العوالم النائية وفي عالمنا العربي ايضا ٠

ان طلابنا في الجامعات تضطرهم دراساتهم للفكر الاوروبي الى قراءة ما يكتب اعلامه ، سواء في ذلك ما يتناول الاسلام مباشرة او ما يناله من طريق غير مباشر ، حتى القصص التي هي عماد الادب الاوروبي كثيرا ما تحوي الحادا ، واتجاها ماديا بحتا ، وكثيرا ما تمس قوانين الاسلام ونظمه وقراء هذا الادب من ابناء جامعاتنا الشرقية ليس لديهم دراسة اسلامية تمكنهم من الدفاع عن دينهم ، وربما احرجهم بمحتويات هذا الادب من ليسوا من المسلمين ، والكتب الاوروبية التي تؤلف في اي من لغاتها تقرأ في اللغات الاوروبية الاخرى وتدرس في مدارسها ، وطلابنا في الجامعات الشرقية يقرأون على سبيل المثال في اللغة الانجليزية اثار تولستوي ، وجوركي، وسارتر ، ومورافيا ، وكيرك جارد ، وليس فيهم واحد انجليزي ولا كتب شيئا باللغة الانجليزية، والوجوديون والماركسيون تنقل كتبهم الى لغات عديدة منها اللغات الهندية المتعددة، والملاوية والماليزية والاندونيسية ، واللغات الافريقية من السواحلي والهاوسا والفولاني وغيرها ٠ ولا ييأس مترجمو هذه الكتب اذا لم يجدوا قراء كثيرين او يجدوا فيما بعد قراء كثيرين ، وهو نشاط مستمر على اي حال ، فيا عجبا من تضافر القوم وتعاونهم على الباطل ومن

● في كل أنحاء العالم مسلمون متعطشون للرد على المستشرقين

● علينا أن نستفيد من مناهج البحث الاستشراقي ونردها إلى الصواب

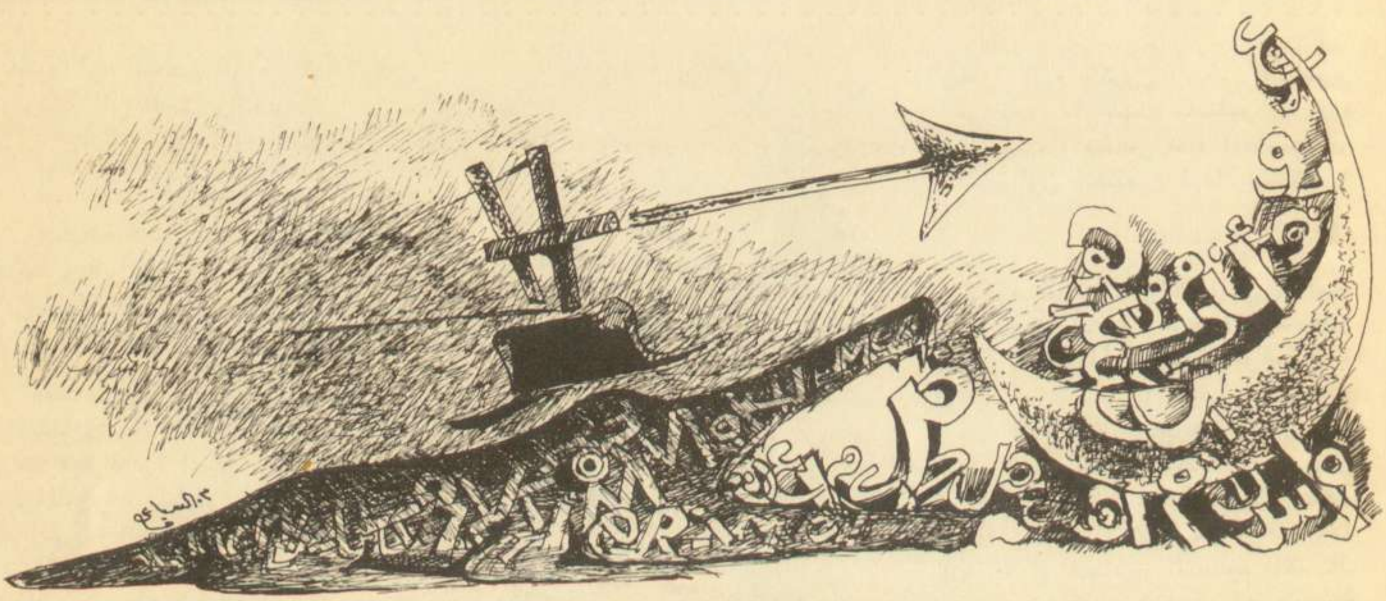

سكوتنا كل السكوت وتكاسلنا عن الحق !! .

على اننا نجد في كل جوانب العالم مسلمين متعطشين الى الرد على المستشرقين ، ويسرون جدا حين يظفرون بما يفند ما لهم من اباطيل ، ووجود قارىء عربي أو نفر قليل ممن يقرأون العربية يؤدي جانبا كبيرا أو غير كبير من واجب المسلمين نحو الدفاع عن دينهم ، ولقد كتبت مرة في مجلة الدعوة ـ السعودية ـ ردا على المستشرق الانجليزي ـ الفريد جيوم ـ فتلقيت رسالتين من جنوب افريقية كيب تاون ومن كوالا لامبور ـ كل منهما يخبرني انه اتخذ من هذه المقالات دروسا يلقيها على طلا المدارس ، لانهم يقرأون كتب هذا المستشرق ، واذن فكتابتنا العربية تجد لها صدى ان لم يكن له كل الفائدة فله فائدة ما .

الروايات الواهنة

وهناك شيء لا ينبغي ان نتغاضى عنه في كتب المستشرقين ، وهو منهجها العلمي ، واحاطة مؤلفيها بالمراجع المتعددة ، وهضم الموضوع الذي يتعرضون له ، والربط بين اطرافه ، ومحاولة ايجاد صلات بين احداث التاريخ ، ولكنهم لكراهيتهم للاسلام ولما وقر في اذهانهم عنه يبحثون عن هنواته ، ويتصيدون الروايات الواهنة والاقوال المرجوحة ليتخذوا منها سندا لما يريدون . فاذا تغاضينا نحن عن هذه المغالطات او كشفنا ما بها من فساد وجدنا منهجا دراسيا يجب علينا ان ننهجه ولسنا جهدا كبيرا في البحث والتنقيب وفي حسن العرض والتبويب فضلا عن الفهارس الوافية الدقيقة ، وتصنيف المراجع وبعد الاستنتاج . وهذا ما ينبغي ان نستفيده وننسج على منواله ، وان كنا نختلف معهم في النتائج والاغراض .

كان الفريد بتلر يعيب المؤرخين العرب انهم كتبوا التاريخ الاسلامي من جهة واحدة ، وأغفلوا الجانب المعارض ، وبهذا قدموا صورا تاريخية غير وافية ، فقد ذكر هؤلاء انتصارات المسلمين على الفرس وعلى الروم ووضحوا شجاعة الجيش الاسلامي تارة وتضحياته الاخرى ، ولكنهم لم يذكروا شيئا عن حال الدولتين العدوين واسباب فشلهما وهزائمهما ، وقد افتتح هو كتابه « فتح العرب مصر » بحديث مفصل عن الوضع الذي كانت عليه الدولة البيزنطية ابان الفتوحات العربية ، وتحدث عن كل من الامبراطورين فوكاس وهرقل حديثا شائقا لايستفيد منه المؤرخ فقط بل يستفيد منه كل حاكم وكل باحث اجتماعي أو رجل سياسة . ولست اعني أن هذا الكتاب قد خلا من النقد والعيوب ولكن منهجه كان ذا اثر في توجيه من تناولوا هذا الموضوع وامثاله من بعده .

لماذا الحبشة ؟

واذن فعلينا ان نستفيد من مناهج البحث الاستشراقي بقدر ما

• ترجمتان للقرآن الكريم مشحونتان بالأخطاء وبالخلط المرفوض!

• حول التوفيق بين آراء المسلمين.. والجامعيين الأوروبيين

علينا ان نمحص اراء المستشرقين ونردها الى الحق والصواب ·

مشكلة متكررة

والمشكلة المتكررة امام المستشرقين دائما وعلى مختلف اقطارهم هي من اين حصل محمد (ص) على هذه المعلومات التي جاءت في القران ·

هناك أمران بارزان استوقفا نظر المستشرق الايرلندي · منتوجومري وات هما دعوة النبي محمد (ص) الى التوحيد المطلق ـ بمعنى ان اله العالم كله اله واحد ، وهو اله مجرد عن المادة وعن التركيب ، والامر الثاني ما جاء في القران من حديث عن الامم السابقة وعلى الاخص انبياء بني اسرائيل ، وأعمال المسيحيين ·

وغرابة المسألة الاولى في نظره مما كان معروفا لدى اليهود من ان يهوه كان اله اليهود وحدهم ، وظلوا على ذلك ردحا طويلا من الزمن حتى بعد انقسام الدولة الى مملكتين ، ثم كان النبي اليجا أول من جهر بأنه اله العالم كله ، وجهر هذا النبي بشيء اخر كان غريبا على اليهود ايضا ، وهو ان حكم الاله يجري على الملوك كما يجري على ابناء الشعب ، ومعروف ان الملكة ايزابلا وزوجها احاب قررا قتل هذا النبي واضطر الى الهرب من البلاد ·

وبهذا نرى ان الديانة اليهودية لم تكن ديانة موحدة بالمعنى الحقيقي انما كانت ديانة توحيد بالنسبة لجيرانها ـ فقد كان لدى الاخرين الهة متعددة للزرع والمطر والخصوبة والنجوم ـ كل له اله خاص ، واذن فالتوحيد الاسلامي نوع فريد في كل

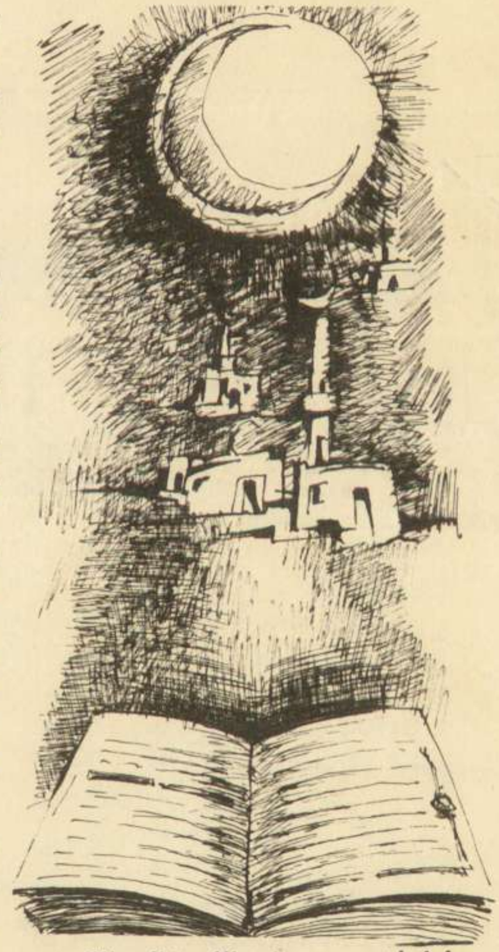

ما أعلنه من صفات الله خالق الكون سبحانه ·

واما المسألة الثانية فان القران لم يذكر فقط قصص الانبياء الاسرائيليين أو رسل المسيح ، بل ذكر قصص هود وصالح والخضر وشعيب وسبأ ·· والكتاب المقدس اقتصر على ذكر الشعب المختار وتاريخه ، وهو لم يتم بوضعه الحالي الا بعد القرن الثاني الميلادي ·

وهذه الحيرة كما ذكرت ليست خاصة بواحد من المستشرقين ، ولكن اجاباتهم عنها تختلف بين كاتب واخر

ونظرا لانهم ينكرون الوحي السماوي على نحو ما يفهمه المسلمون ، فهم يبحثون عن مصدر هذه المعلومات ، ولا يزالون مختلفين فيما يستنتجون

التراجم الخاطئة

وقد عرض « وات » في كتابه « محمد في مكة » ابرز المستشرقين الذين تعرضوا لمثل هذا الموضوع ، فوشاخت الالماني، ولامنس الفرنسي وجب الانجليزي وغيرهم ، ولست ادري لماذا اهمل استاذ « بل » وهو لم ينشر كتابه الا بعد ان عرضه عليه وبعد ان عدل له كثيرا من ارائه، كما انه اهمل الصديق الحميم الاستاذ وهو اربيري وكلاهما له ترجمة قرانية ، وكلتا الترجمتين مشحونة بالاخطاء ، وزاد « بل » أن نقل ايات من موضع الى موضع اخر كي تكون الايات ذات الموضوع الواحد مجمعة بعضها بجانب بعض ، وهو خلط غير مقبول ·

وقد انتهى وات الى ان محمدا نال معلومات ممتزجة من اليهودية والمسيحية معا ، وفي سبيل الاستدلال على ما اراد بذل جهدا واسعا ، وقال انه يحار في التوفيق بين اراء الجامسيين الاوروبيين ، واراء المسلمين ، واخذ على نفسه اذا ذكر اية ان يقول جاء في القران ، ذلك ليتحاشى ان يقول قال الله أو قال محمد ·

ومناقشة وات بها شيء من الجدة وقد سبق ان ناقشنا اراء الاخرين في كتابي ـ « الاسلام والمستشرقون » و «صور استشراقية» ـ وهي مناقشات ليست مكررة ، ولعلي اجد متسعا لعرض اراء وات ومناقشتها ·

عبد الجليل شلبي

إشراف: خديجة الصدر

التدخين.. أم العافية؟

الأمراض المقترنة بالتدخين هل هي مقصورة على العالم الصناعي؟
العائد الشريع من التبغ لا يمكن قياسه بالأضرار الاجتماعية والصحية
مليون رجل وامرأة على الأقل .. ضحايا التدخين كل عام!
هل المرأة مستثناة من الأمراض المرتبطة بالتدخين؟

يشكل التدخين خطرا كبيرا على حياة كل من يدخن ومن تضطره الظروف على البقاء فى بيئة ملوثة بدخان السجائر ، وقد تنبهت السلطات الصحية والحكومات الى الحظر الذى ينطوى على التدخين بالنسبة لصحة شعوبها وذلك منذ عام ١٩٦٤ عندما ظهر تقرير الجراح العام فى أمريكا متهما التدخين ومنذرا بأنه اصبح وباء متفشيا لاسيطرة لأحد عليه . ولكن ما تم حتى الان ليس كافيا لتوعية الناس بحظر التدخين أو للحد من نشاط شركات التبغ العالمية ذات النفوذ والثراء ، التى تروج وتسوق هذه السلعة الضارة بصحة الأنسان والخطرة على حياته . ولو قدمت السجائر اليوم كنوع جديد من العقاقير أو كمادة لاستهلاك الناس لرفضته السلطات الصحية . لأنه اصبح عادة اجتماعية متاصلة فى مجتمعات عديدة ، فقد أصبح أكثر صعوبة على السلطات أن تعالج المشاكل الخطيرة التى يسببها تدخين السجائر .

كانت التقارير السابقة توحى بأن خطر التدخين يهدد الرجال بشكل خاص ؛ ولكن اتضح الان أن الخطر يشملنا جميعا : رجالا ونساء وأطفالا . وحتى الأجنة فى بطون امهاتهم .

وكان الاعتقاد السائد ، على ضوءتلك التقارير ، أن الامراض المقترنة بتدخين السجائر كسرطان الرئة والنوبات القلبية وتصلب شرايين التاج وامراض الجهاز التنفسى وغيرها قاصرة على العالم الصناعى ومدنه الملوثة الى حد كبير . ولكن الأمر ليس كذلك ، فالدول النامية مهددة الآن بهذا الوباء الذى يسببه الانسان لنفسه وغيره . وإذا لم تفعل شيئا سريعا ستواجه نفس المشاكل الصحية والاجتماعية والاقتصادية وبدرجة من الفظاعة أكثر مما يعانيه العالم المتقدم .

ولقد مات ملايين الناس كنتيجة مباشرة للتدخين ، وتعانى ملايين أخرى مشاكل صحية دائمة ، كما أن عدداً لا يحصى من الناس يعانى من الآثار السلبية الاقتصادية والاجتماعية للتدخين .

والسجائر غالية ليس فقط من حيث السعر وانما يكلف انتاجها الكثير أيضاً وهى ترهق امكانيات الخدمة الصحية ، والتى كان يمكن توظيفها فى حل مشاكل أخرى . وهى تستنزف الاقتصاد من حيث العمالة ، إذ أن التغيب عن العمل بين المدخنين أكثر منه بين غير المدخنين . فاذا لم تتحرك الدول النامية وتفعل شيئا سريعا ، فانها ستواجه فى ظرف العشر أو العشرين سنة اعباء جساما من جراء الامراض المصاحبة لتدخين السجائر .

ان استهلاك السجائر فى الدول النامية يزداد بشكل ملحوظ كلما اتجهت الشركات العالمية ذات النفوذ والقوة الى البحث عن اسواق جديدة فى العالم الثالث لا قيود تشريعية أو رقابية على التدخين بها . ولأن المستهلك فى العالم الثالث يجهل اخطار التدخين ، فهو يدخن أنواعا من السجائر أكثر خطرا ، فهى بلا فلتر ، وتحتوى على ضعف كمية القار والنيكوتين ، وسموم أخرى ، موجودة فى السجائر المطروحة للبيع فى أسواق الدول المتقدمة . وما تقوم به شركات التبغ والسجائر إنما هو التخلص من الانتاج الذى يحظر بيعه فى العالم الصناعى باغراق العالم الثالث به .

والتبغ مصدر دخل كبير لعدد من الدول

التدخين..

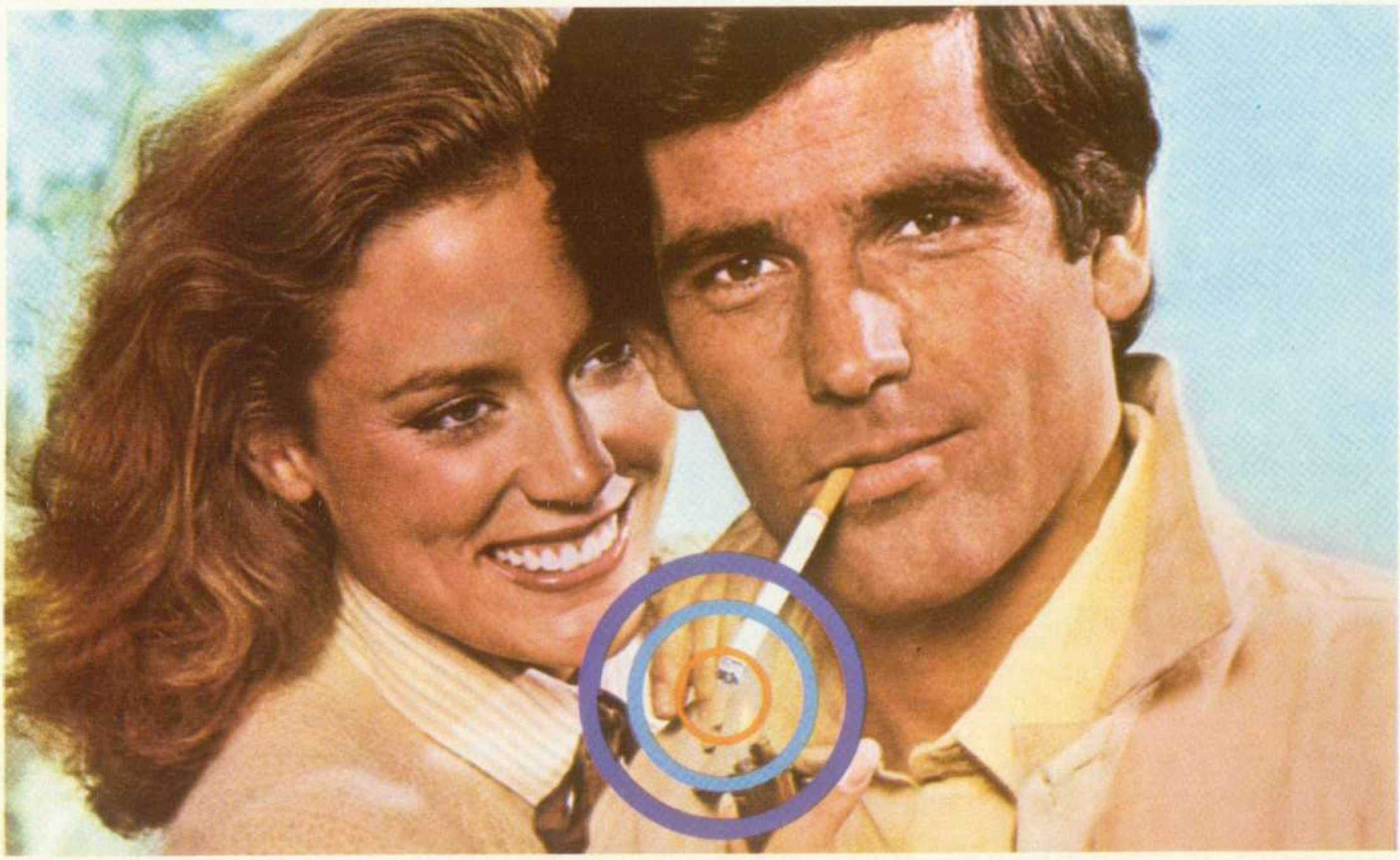

فى كل من العالمين الصناعى والنامى ، ولذا فان كثيرا من هذه الدول لا يبدى استعدادا لتغيير سياسته ، ولكن ذلك قصر نظر منها ، لأن العائد السريع من التبغ والضرائب المفروضة عليه ، ومن بيعه للشركات العالمية الكبرى لا يمكن قياسه بالاضرار الاجتماعية والاقتصادية والصحية التى يسببها .

ومن الضرورة بمكان أن تتبنى كل دولة سياسة حازمة للتبغ تتم بها حماية شعبها الآن وفى المستقبل ، وقد بدأت منظمة الصحة العالمية حملتها الخاصة ضد التدخين تحت شعار : « التدخين أم العافية » ونذرت يوم ٧ ابريل ، يوم الصحة العالمية ، لمكافحة التدخين . وأخذت تبث المعلومات والنصائح حول مشاكل التدخين ، ووزعتها على الحكومات والسلطات الصحية ووسائل الاعلام .

ومع ان التبغ قد أصبح متوفرا منذ القرن السادس عشر عندما جلبه المكتشفون والتجار إلى أوربا من أمريكا حيث وجدوا بعض مجموعات الهنود الحمر تزرعه لتدخينه فى احتفالات معينة ، فهو لم يصبح متفشياً بشكل وبائى فى العالم الصناعى إلا منذ الحرب العالمية الأولى . وكان فى البداية عادة رجالية ، ثم دخلت المرأة عالم التدخين بعد أن صارت أكثر تحررا ، واصبحت تتحمل مسئوليات أكبر اثناء غياب الرجل فى الحرب العالمية الثانية ، وبالطبع ما كان ممكنا فى البداية معرفة الاخطار المصاحبة لتدخين السجائر . واستغرق ظهور آثاره الكاملة سنوات طويلة ، واستغرق اقتناع أهل الطب والجمهور بالخطر المريع الذى يهدد به التدخين زمنا أطول .

السرطان وأمراض القلب

ولا يمكن انكار اضرار التدخين فهو يسبب عملية مرضية تحدث بدورها وبانتظام ضررا لا يمكن علاجه ، ويكون الاثر النهائى معادلا بشكل أو بآخر للجرعة التى تراكمت عبر سنوات من التدخين .

وتوضح الاحصائيات أن التدخين يسبب بصورة مباشرة موت ٩٠٪ من المصابين بسرطان الرئة ، وموت ٢٥٪ من المصابين بأمراض القلب ، وموت ٧٥٪ من المصابين بالالتهاب الرئوى المزمن . ويعنى هذا بتقدير متحفظ أن مليون رجل وأمرأة على الاقل يموتون كل سنة بسبب التدخين .

أما الامراض الأخرى الاكثر شيوعا بين المدخنين فهى سرطان الشفة واللسان والفم والحلق والزور والمرىء والمثانة . كما أن اصابات القرحة بين المدخنين هى ضعفها عند غيرهم .

فالسجائر قاتلة سفاك عتيد . ومع ذلك بَيَّنَ المسح أن الناس على استعداد لقبول مخاطره والاستمرار فى ممارسة هذه العادة ، وقد أجرت جمعية السرطان الامريكية فى وقت قريب مسحاً

● التدخين خطر على المرأة الحامل ويهدد صحة أطفالها
٧٥٪ من المدخنين يعرفون خطر التدخين .. لكنهم يدخنون!

بين المدخنين أتضح منه أن ٧٥٪ يعتقدون انهم سيصابون بسرطان الرئة ، ولكن ذلك لم يردعهم ليتخلوا عن الاستمرار فى إدمان النيكوتين .

التدخين بين النساء

كانت التقارير الأولى التى شجبت التدخين توحى بأن المرأة مستثناةمن الامراض المرتبطة بالتدخين التى تفتك بالرجل . ولكن تلك الاسطورة قد نقضها الجراح العام فى الولايات المتحدة عندما قدم تقريره الثانى عشر قبل فترة وجيزة ، والذى كان مخصصاً للتدخين بين النساء .

وقد أوضح أنه فى الوقت الذى أخذ عدد المدخنين فى الدول الصناعية يميل إلى الانخفاض ، وان أكثر من اقلعوا عن التدخين هم من بين الرجال المتعلمين والمهنيين ، فان النساء قد تخلفن فى هذا ، وان اعداد المدخنات فى تزايد بين من هم فى سن السابعة عشر الى الرابعة والعشرين ، واللاتى يزيد عددهن عن عدد الرجال المدخنين من نفس السن ، وأنهن يدخن بنفس الشراهة التى يدخن بها الرجال .

وربما كان ذلك لأن المرأة ترى فى التدخين اسلوباً لفرض تحررها ، أو تشعر بأن ذلك يجعلها تبدو أكثر نضجاً وشهرة وثقافة ، حيث انها فى الواقع تقع فى براثن الاستعباد وتحكم على نفسها بالموت بسرطان الرئة والتهاب الشعب الهوائية ، وأمراض شرايين التاج .

ان خطر النوبة القلبية الحادة بين النساء اللاتى يدخن ٣٥ سيجارة أو أكثر فى اليوم الواحد ، ويستعملن حبوب منع الحمل فى الوقت ذاته ، هو أعلى عشرين مرة بالمقارنة الى خطره على غير المدخنات .

ولا يضر التدخين بصحة المرأة فحسب ، بل هو خطر على قدرتها على الانجاب ، كما انه يهدد صحة اطفالها . فالحامل التى تدخن تزيد نسبة خطر الاجهاض ، وولادة اطفال وزنهم أقل من الوزن الطبيعى ، أو ولادة طفل ميت ، أو ولادته قبل الأوان . أو موته فى الشهر الاول بعد الولادة .

والعلاقة بين تدخين الأم واصابات جهاز التنفس لدى الطفل واضحة جلية .. إذ انه يصاب بضعف ما يصيب طفل غير المدخنة من نزلات حادة والتهاب رئوى .

ولذا يجب على الآباء والأمهات مراجعة موقفهم وبجدية ، وذلك لمصلحة وسلامة أولادهم فى المقام الأول إن لم يكن لصحتهم هم أنفسهم .

التدخين والأطفال

لقد ثبت أن هناك علاقة وشيجة بين التدخين وأمراض جهاز التنفس . ففى العام الأول من عمر الطفل يصاب طفل المرأة المدخنة بضعف ما يصيب طفل غير المدخنات من التهابات فى الشعب الهوائية والتهابات الرئة ؛ وهو فوق ذلك معرض لأمراض جهاز التنفس فى المستقبل . وليست العلاقة بين تدخين الآباء والاطفال قاصرة على استنشاق الأطفال لدخان سجائر آبائهم فقط ، بل هناك جانب ضار بشكل إيجابى ، فالاطفال نادرا ما يدخنون فى المرحلة الابتدائية من تعليمهم ، ولكنهم يتأثرون فاذا كانوا يرون أباءهم وأمهاتهم ومعلميهم وأشخاصا آخرين مرموقين يدخنون ، فان الاحتمال الاكبر هو أن ينشأ الأطفال على تقبل هذا السلوك باعتباره سلوكا اجتماعياً مرغوباً ومطلوباً .

ولذا لابد من القيام بحملة ضد التدخين فى حصص التربية الصحية . ولكن الاطفال يتعلمون أكثر بالقدوة الحسنة .

وفى المرحلة الثانوية يزداد عدد المدخنين بين التلاميذ ، ويستمر ٨٠٪ منهم فى مواصلة هذه العادة عندما يكبرون . وكلما كان التدخين مبكرا ، كان الموت اسرع .

ويتعرض الاطفال الذين يدخنون للكحة وأمراض الصدر أكثر من غيرهم ، بين أقرانهم ، وأكثر تهربا من واجباتهم .

والتدخين عند كثير من الصغار والكبار يعنى النضج ورفعة الذوق وحياة الشهرة والمجد . وهذه افكار يروج

الـتدخين..

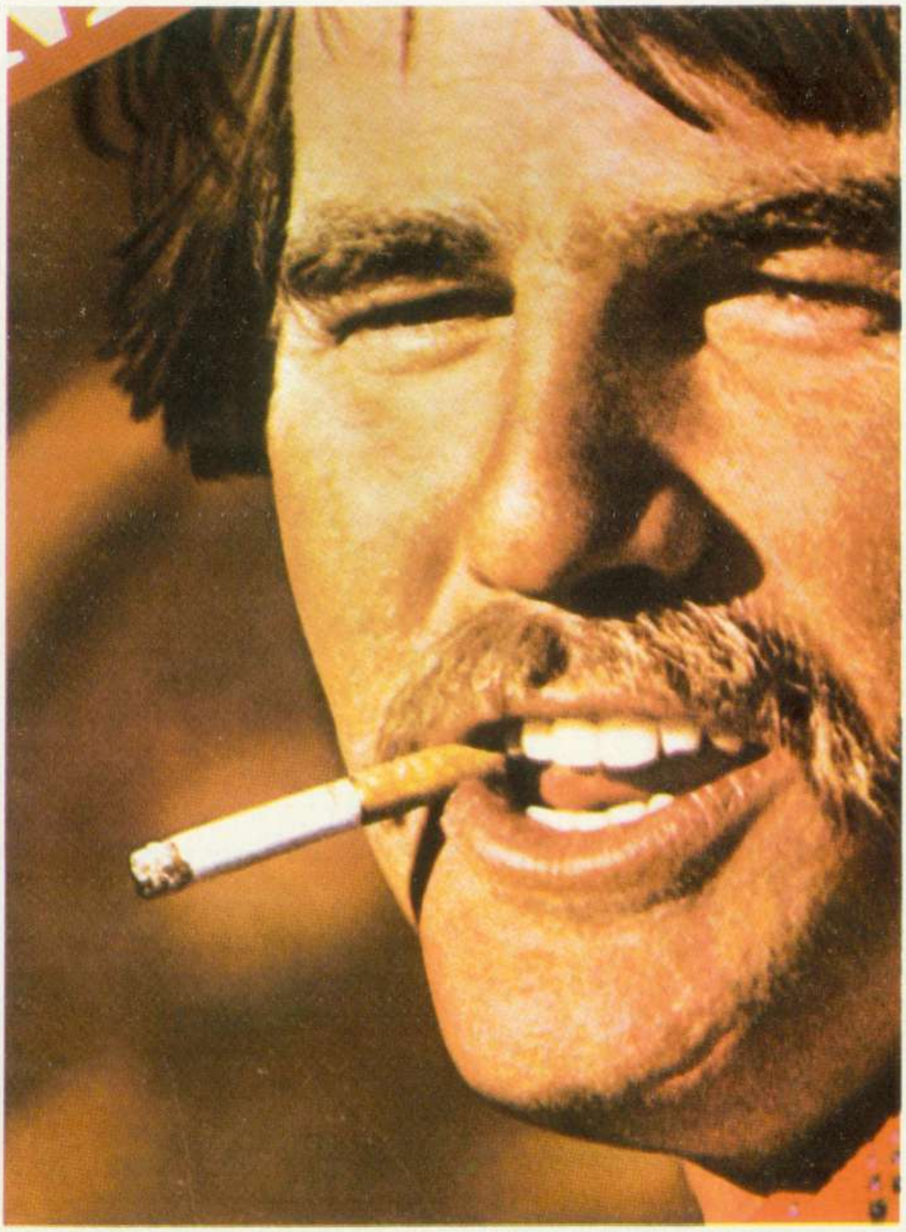

وتوفر الدول النامية فى الوقت الحالى أكثر من نصف التبغ الخام لصناعة السجائر . كما يوفر العالم الثالث أكبر سوق لهذه الصناعة ، خاصة بعد أن أخذ استهلاك السجائر يهبط فى العالم الصناعى .

وتقوم الشركات الغربية بتشجيع المزارعين فى العالم الثالث على زراعة المزيد من التبغ بدلا من المحاصيل الغذائية . وغالباً ما تجد التأييد والسند من منظمة الزراعة والاغذية التابعة للأمم المتحدة .

وهذه الشركات السبع هـى :
شركة التبغ الامريكية البريطانية .
الشركة الملكية البريطانية
شركة فيليب موريس
شركة ر . ج . رينولدز
شركة جلف ووستيرن
وشركة اميركان براندز بالولايات المتحدة .
ومجموعة روبرت ورمبرانت وروثمان فى جنوب أفريقيا .

وتغطى هذه الشركات العالم كله بمئات الانواع من السجائر بميزانية للدعاية والاعلان تبلغ ٦ر٣ بليون دولار امريكى فى العام ، وبنفوذها الضاغط وبالضرائب والرسوم التى تدفعها للحكومات الوطنية . وتمتاز تجارة التبغ والدخان بانها تجارة محصنة ضد الضرائب والركود ، لأنها تبيع سلعة يدمنها الناس ، ولذا يجدون سبيلا الى اقتنائها حتى وان كان ذلك على حساب ضرورياتهم أو أسرهم .

وقد انتشرت السجائر المستوردة فى كل مكان بالشرق الاوسط ، وتباع البلايين منها كل عام . ولا يبدو أن سعرها يشكل مشكلة للمشترين ، إذ ان كثيرين ينفثون فى الهواء ربع دخلهم اليومى كل يوم . وقد اصبحت علبة السجائر الغربية رمزاً لوضع الشخص ومكانته ، ودليلا على نجاحه فى نظر الآخرين .

وقد واجهت شركات التبغ والدخان بعض النقد لنجاحها فى الشرق الاوسط لها التليفزيون والسينما والصحف ، وقد آن الأوان لتقديم صورة أخرى عن المدخنين ، تبرز أنهم أضعف وأقل عافية من غيرهم ، كما يجب تقديم برامج تبرز ايجابيات الصحة الجيدة والتريض لتشجيع الاطفال وغيرهم على عدم التدخين .

شركات التبغ والدخان ذات الجنسيات المتعددة

نسيطر على صناعة التبغ فى العالم سبع شركات ، تبيع ما جملته ٣٢ بليون دولارا أمريكيا فى العام . وقد انتقد مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية فى واحد من أكثر التقارير الصادرة عن الأمم المتحدة شدة ، هذه الشركات . وورد فى التقرير ، وهو عن تسويق وتوزيع التبغ ، أن الارباح العائدة من زراعة التبغ فى العالم الثالث تحددها بشكل كامل قرارات الشركات الامريكية والبريطانية المسيطرة على أسعار وكميات وتصنيع وتوزيع وتسويق التبغ فى كل انحاء العالم .

- مطلوب حملات ضد التدخين فى حصص التربية الصحية.
- متى يصبح عدم التدخين هو السلوك الاجتماعى العادى؟

إذ اتهمتها الاوساط الصحية فى الولايات المتحدة وبريطانيا بالازدواجية .. فهى ترفع نسبة خطر المرض فى الدول النامية ، بينما تتبع القيود فى اوطانها .

ويرميها فريق آخر بأنها تغرق اسواق العالم الثالث بسجائر ذات نسبة عالية من القار . وهو اتهام حقيقى وثابت .

ولكن شركات التبغ والدخان تدافع عن نفسها بأنها انما تقدم للمدخنين ما يطلبونه ! سجائر قوية ، ذات نسبة عالية من القار .

ومن المحزن أن شركات التبغ والدخان وبائعى السجائر أسرع نشاطا وتغلغلا فى المناطق النائية من السلطات الصحية نفسها ، والتى عليها ان تغطى مناطق شاسعة بميزانيات ضئيلة ، ورغم ذلك كله عليها أن تصرف منها على التغذية والصحة والتخطيط الصحى .

وتشجع شركات التبغ الفكرة التى ترى فى التدخين دليلا على الحياة المنعمة الراقية ، التى تشهد بالتقدم .

وغالباً يصور التدخين فى الاعلانات كعادة راقية تدل على الرجولة ، وتمنح المتعة ، وتقود إلى النجاح الاجتماعى والشهرة . وتتبنى هذه الشركات الرياضيين ومباريات كرة القدم ، وسباق السيارات ، ومعارض الأزياء ، ومسابقات اختيار ملكات الجمال ، كوسيلة لكسب شعبية واسعة لبضائعها . وبذا ـ يجد الناس أنفسهم معرضين لكل وسائل اغرائهم وتشجيعهم على التدخين .. فى عالم لا يفرض أية مسئولية على شركات التبغ لتبصر مستهلكى هذه السلعة بأنهم انما يشترون موتاً بطيئاً ومؤلماً وأكيدا . ولا يزيد عدد الدول التى تفرض على منتجى السجائر أن يضعوا تحذيرا عن مضار التدخين واخطاره على علب السجائر واعلانات التبغ عن عشرين دولة . وكان منتجو السجائر ومؤيدوهم يدافعون عن حقهم فى الترويج بحرية عن سلعة تسبب الموت والمرض ، وكانوا يحتجون بأن الناس قادرة على اتخاذ قرارات مسئولة وذكية .

تشريعات وخطوات للسيطرة على التدخين

يؤكد تقرير لجنة منظمة الصحة العالمية عن الرقابة على التدخين أن سن القوانين جزء حيوى فى برامج الحجومات للسيطرة على التدخين . ولكن افضل ما يمكن فعله هو فرض الحظر التام على الترويج للدخان .. وهو مع الاسف غير ممكن نسبة لقوة ضغط شركات الدخان ، الأمر الذى جعل حكومات كثيرة تبحث عن حلول وسط واتفاقيات اختيارية من جانب تلك الشركات لصرف النظر عن بعض انواع الترويج حتى تتجنب فرض تشريعات تحظره .

أما الحظر الجزئى ، كمنع الاعلان عن السجائر فى التليفزيون ، فهو غير كاف .. لأن شركات التبغ قد استعاضت عن ذلك بالاعـلان عن تبـغ الغليون ، وقامت برعاية الرياضة واحدات اخرى حتى تضمن التغطية التليفزيونية المستمرة لأسماء منتجاتها ؛ كما زاد انفـاقها على الهدايا والكوبونات ونشاط علاقاتها العامة .. ونشطت فى الاعلان حتى فى الصحف والملصقات .

ويمكن أن تقوم الحكومات بوضع جداول توضح نسب القار والنيكوتين فى السجائر وتلزم المنتجين ألا يبيعوا أى منتجات تزيد نسبة القار والنيكوتين فيها عن الحد الاقصى الذى تعينه الحكومة ، وأن يتم تخفيض هذا الحد الاعلى تدريجياً حتى تقل حدة التبغ

المشبع بالنيكوتين والقار الى أدنى حد .

وزيادة فى الحماية للعالم الثالث اقترحت منظمة الصحة العالمية ألا تسمح حكومات الدول النامية لأى منتج للدخان بتصدير تبغ لا يبيعه للمدخنين فى بلده لارتفاع نسبة القار فيه . وهذا الاجراء ، إن تم ، سيوقف اغراق العالم الثالث بما يرفضه العالم الصناعى .

ويجب على الدول النامية أن تدرك أنها ضحية لاستغلال شركات الدخان التى تدفعهم لزراعة واستهلاك التبغ ، مما يؤدى الى معاناة مخاطر صحية وخسائر اقتصادية .. وأن تزرع محاصيل غذائية ونقدية بدلا من التبغ . ويمكن لهذه الحكومات أيضا أن تزيد من انفاقها على الصحة التربوية وتوعية المستهلكين ، وأن تصعد الضرائب على السجائر ، وتسن تشريعات تحظر بيعه للأطفال ، وتدخينه فى الاماكن العامة كوسائل المواصلات العامة وأماكن اللهو والترفيه ، وقاعات الاجتماعات ، والمصاعد ، والمكاتب الحكومية .

ويمكن لمثل هذه القيود على التدخين أن تظهر للشباب أن التدخين عادة غير محببة ، وان للناس حقاً مشروعا فى تنفس الهواء النقى . والغاية من كل ذلك هو تغيير المناخ الاجتماعى حتى يصبح عدم التدخين هو السلوك الاجتماعى العادى ، وينظر الى التدخين كسلوك غير اجتماعى تجب محاصرته داخل جدران منزل المدخن . وهى غاية جريئة للغاية ، يمكن تحقيقها مع الزمن .

لقد كانت الأوبئة فى الماضى بسبب المرض والجوع ، وتمكن الناس من السيطرة عليها بمجهودهم الانسانى . لكن الانسان قد نكب نفسه بهذا الوباء . وبعد أن اتضحت النتائج الوخيمة لهذا المرض يستطيع الناس مرة أخرى استخدام قدراتهم وان ينهضوا لوقف زحف هذا الوباء . ويتطلب ذلك شجاعة وجهدا منسقاً من كل الناس الذين يدركون مدى حاجة الانسان للصحة الجيدة ، ضد مصالح كثيرة ثابتة وقوية .

وتَذَكَّر : التدخين أو الصحة .. ولك أن تختـــار .

العلم ولعبة الأرقام

هل هى أدمغة إليكترونية ذات ذكاء مطلق .. أم أنها وحوش خرساء تفعل ما تؤمر به فقط!

كانت البداية فى عام ١٩٦٩ عندما جرى تكليف الشاب الامريكى م . إى .هوف المتخرج حديثا فى جامعة ستانفورد ، بالاشراف على القسم الذى يتولى انتاج المركبات الصغيرة المستخدمة فى الآلات الحاسبة المكتبية القابلة للبرمجة لحساب شركة انتل فى الوقت الذى كانت تزمع فيه شركة يابانية منافسة انتاج نفس الوحدات بغرض تسويقه عالميا .

وبعد أن استعرض العالم الصغير هوف مجموعة الدوائر الكهربائية التى اقترحها المصممون اليابانيون ادرك حجم المصاعب التى تواجهه فى مهمته وعلى رأسها العدد الهائل من القطع والشرائح المعدنية باهظة الثمن والتى تعتبر قطب الرحى فى الحاسبات الاليكترونية وازاء هذه المعضلة هداه تفكيره الى محاولة حصر الدوائر الحسابية « والذهنية » للحاسبة على شريحة واحدة من السيليكون مع وضع وحدات الاستقبال والارسال والبرمجة على شرائح مختلفة .

وبعد جهود مضنية افلح هوف فى تركيز كافة عناصر الوحدة المركزية لمعالجة المعلومات على شريحة السيليكون فتاتى له بذلك حصر القلب الاليكترونى للعقول الحاسبة على تلك الشريحة محققا بذلك سبقا علميا وتجاريا لما عنته تلك الخطوة من تخفيض للتكلفة الكلية للأجهزة الحاسبة الاليكترونية .

الانطلاقة

بحلول عام ١٩٧١ كشف النقاب عن هذا الاعجاز العلمى وعرف العالم لأول مرة لغز هذه الحاسبة المصغرة ذات الشريحة الواحدة والتى اشتهرت تجاريا فيما بعد تحت اسم سى .بى. يو.

وللتدليل على جسامة هذا النصر العلمى ، ينبغى أن نعرف أن الحاسبة الواحدة تحوى ٢٢٥٠ وحدة ترانزستور فى مساحة تساوى سدسا فى ثمن بوصة بينما قدراتها الحسابية تضاهى ما عرف عن تلك العقول الاليكترونية الضخمة البشعة (اينياك) التى ظهرت إلى حيز الوجود عام ١٩٤٦ وتقوم ايضا بنفس المهام التى يتولاها الكمبيوتر المعروف أى . بى . ام والذى ظل سيدا متفردا فى ساحة الاليكترونيات منذ عام ١٩٦٠ بتكلفة قدرها ٣٠٠٠٠ دولار .

ونسبة لما تمتاز به شريحة السيليكون من صغر فى الحجم مع قلة التكلفة فقد أمكن استعمالها لأغراض أو بعبارة أدق لكل الاغراض التى تستوجب بعض « التفكير » مثل الآلات الكاتبة الكهربائية المزودة بذاكرة الكترونية واجهزة التصوير وموازين السلع بالاضافة الى

● ظلت أوروبا أسيرة للأمية الرياضية حتى مطلع القرن ١٩

● فى عام ١٩٨٢ تم تصميم آلة الفروق لحل المعادلات المتعددة

معظم الادوات المنزلية .

وبما أن وحدة البرمجة موضوعة على شريحة منفصلة فمن الممكن أيضاً استغلال الجهاز الواحد لاداء اكثر من مهمة وذلك بتزويدة بشريحة برامج عليها التعليمات الجديدة المطلوبة ومن أشهر ما تم فى هذا المجال ما قامت به شركة برو ـ لوج بولاية كاليفورنيا الامريكية عندما قامت بصناعة ساعة رقمية وباستبدال شرائح الذاكرة فيها تم تحويلها الى مكبر للصوت ثم جهاز للاختزال الصوتى واخيرا إلى بيانو كهربائى .

وقد كان لشركة بـل للخدمات التليفونية الفضل الأول فى أحداث الثورة الاليكترونية باختراعها للترانزستور فى مطلع عام ١٩٤٨ وتمكن العلماء بمساعدة ذلك الاختراع الدقيق والذى يعمل بشحنات كهربائية بسيطة من استحداث المذياع (الراديو) الصغير واجهزة التسجيل و ...الأهم من كل ذلك ... الكومبيوتر .

ولولا الترانزستور لظلت العقول الاليكترونية محتفظة باحجامها الكبيرة البلهاء التى كانت مثقلة بالاف من الانابيب المجوفة الضخمة ويحتاج تشغيلها الى شحنات هائلة من الطاقة الكهربائية كما وانها كانت تولد حرارة شديدة كثيراً ما تسببت فى احتراقها .

ولما كان الاتجاه العام فى التصنيع الحديث هو الميل نحو انتاج اجهزة صغيرة فقد تقلص حجم الترانزستور نفسه ، وفى عام ١٩٦٠ اهتدى العلماء إلى الليثوغرافيا الضوئية (الحجرية) الأمر الذى مكنهم من تجميع العديد من الترانزستورات والعناصر الاليكترونية على مربع صغير جدا من السيليكون .

وقد أدى أكتشاف الدوائر المتكاملة إلى تقليص حجم وتكلفة واستهلاك المعدات التى استعملت فى صناعتها وبصورة خاصة الحاسبات الاليكترونية على اختلاف احجامها والتى تتحدد سرعة ادائها بمعدل التيار الكهربائى الذى يسرى وينبض فى الاسلاك الموصلة أى حوالى قدم واحد فى كل واحد على البليون من الثانية وبالاضافة إلى السرعة فان الدوائر المتكاملة زادت من طاقة التشغيل فى الحاسبات ومكنتها من تذليل أكثر المعضلات تعقيدا .

وكما الحال فى ادارة الخطوط الحديدية فان هذه الدوائر عبارة عن أجهزة تحويل تقوم بتوجيه النبضات الكهربائية فى كافة الاتجاهات حسب الطلب بمساعدة اجزاء اليكترونية أخرى تتولى فتح وقفل مسار التيار الكهربائى .

النقلة الكبرى

وشهد عام ١٩٦٠ أيضا اقتراح النظام التكاملى الموسع الذى يسمح بوضع عدة دوائر ذات مهام مستقلة على شرائح منفصلة بعكس الدوائر المنفردة التى كانت تؤدى وظيفة واحدة فقط غير أن هذه الطفرة جاءت مصحوبة ببعض السلبيات إذ استوجب استعمال الدوائر الموسعة استحداث قوالب صلبة بعيدة عن المرونة مما ألهم العالم الامريكى الشاب هوف إلى إضافة شريحة أخرى مزودة بتعليمات خاصة بالتخزين والذاكرة فاصبح من الممكن توجيه العقل الاليكترونى للقيام بأى عمل بغض النظر عن تعقيده أو بساطته فقد يطلب منه توجيه مسار صاروخ فى الفضاء الخارجى أو شواية صغيرة لأعداد الكباب .

لقد أكتسبت تلك العقول شهرة فائقة لقدرتها المدهشة واقترنت بالاساطير فى الأخيله الشعبية واصبح العامة والخاصة يتخيلونها

العلم ولعبة الأرقام

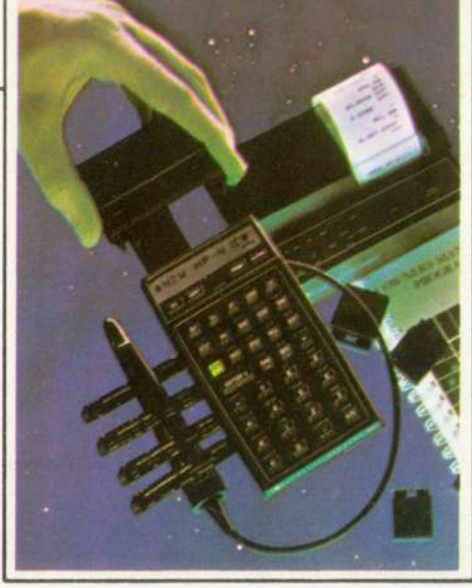

العقول الآلية الجبارة ستكون مدعاة للسخرية بعد عقد واحد من الزمان أمام الذاكرات الفقاعية

ادمغة اليكترونية ذات ذكاء مطلق فى حين أن معظم العلماء يرون فيها وحوشا صماء خرساء لا تفعل إلا ما تؤمر به دون أية اضافة ولا تجيد إلا لغة الارقام حيث يمكنها معالجة ملايين الاعداد فى الثانية الواحدة وتخزين ومضاهات وتجهيز المعلومات فى سرعة خارقة .

عود على بدء

مارست البشرية الحساب منذ فجر التاريخ فقد ابتدع انسان العصر الحجرى تقويما قمرياً بتخطيط مراحل القمر على عظام الحيوانات كما حاول البعض استعمال قطع الحصى فى مجالات العد والاحصاء بل وأن الكلمة اللاتينية لحساب التفاضل والتكامل تعنى الحجارة كما وأن الصين القديمة عرفت طبليات التاج التى تستعمل حاليا لتعليم الاطفال ابجديات الحساب .

غير أن الجنس البشرى لم يلجا إلى وسائل العد الآلى إلا فى القرن السابع عشر الميلادى فى ذيول التقدم العلمى الذى واكب الكشوف الفلكية والجغرافية فقد اقتضت الضرورة استخدام جداول رياضية مطولة لبعض الامور الحسابية الأولية كاللوغريتمات وجيب الزاويةوجيب التمام

ومع هذا فقد ظلت أوربا اسيرة للأمية الرياضية حتى مطلع القرن التاسع عشر ولم يكتب لها الخلاص إلا على يد تشارلس بابدج الذى اقترن اسمه بكاسحات القضبان الحديدية وجهاز قياس سرعة الدوران (تاكو ميتر) والذى اشتهر بولعه بالدقة الحسابية .

فى عام ١٨٢٢ شرع بابدج فى تصميم جهاز اسماه بالة الفروق لحل المعادلات متعددة الحدود وقد اعجب وزير المالية البريطانية آنذاك بهذا الاختراع وجدواه فى المجالات الملاحية والحربية فقدم له الدعم المالى اللازم لتطوير اختراعه ذاك ، غير أن بابدج كان يطمح فى ابتكار آلة ذات قدرات تحليلية تتيح لها تناول كافة المسائل الرياضية وشرع فعلا فى تجميع نول مستعيرا الفكرة من التنوير الذى تم فى مجالات الغزل والنسيج باستخدام مجموعة من اللوحات المثقوبة بطريقة استراتيجية تسمح بمرور خيوط الغزل مع حركة المكوك واراد بابدج لهذه الثقوب أن ترمز الى مجموعة التوجيهات الآلية التى تتم العمليات الحسابية بمقتضاها .

وبالرغم من وفاة بابدج عام ١٩٧١ دون أن يستكمل علمه إلا أن مصممى العقول الاليكترونية فى الاربعينات من هذا القرن ذهلوا من بعد نظره وذهنه المتقد الذى انعكس فى الرسومات الايضاحية التى خلفها وراءه .

ويقول عالم الفيزياء الامريكى جيرمى بيرنستين عن أول حاسب آلى تم تركيبه فى جامعة هارفارد « لقد كانت الحجرة الضخمة التى يشغلها كما لو أنها مليئة بعشرات السيدات اللاتى يغزلن ويثرثرن » وقد كانت الاصوات صادرة عن آلاف المفاتيح التى كان يجرى فتحها واقفالها بسرعة شديدة ومع هذا فقد كانت العمليات الحسابية التى يجريها خارقة بمقاييس ذلك العصر وكانت طاقته القصوى تتمثل فى ضرب عددين يتكونان ثلاثة وعشرين رقما فى زهاء خمس ثوان .

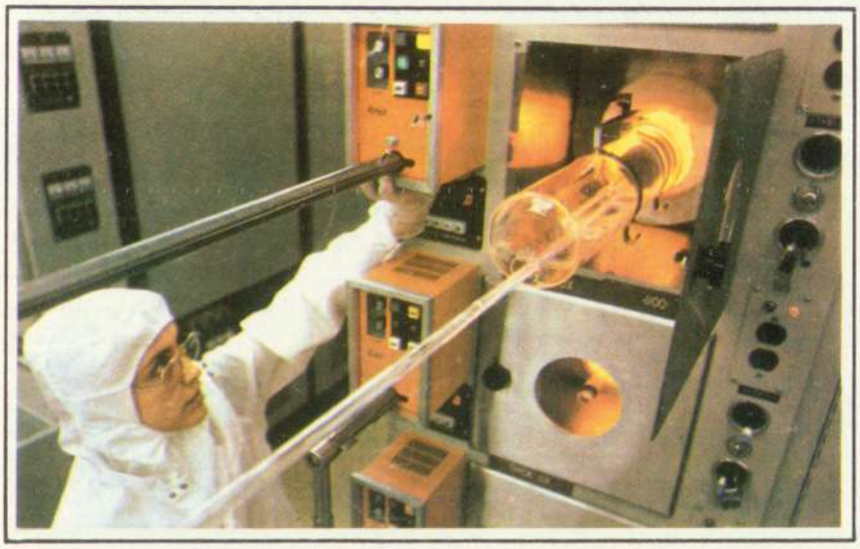

وتبدأ العمليات الحسابية للكومبيوتر بتزويده بالمعلومات الاساسية من مختلف القنوات فيتم تحويلها الى شفرة مفهومة لديه وحده وكما حاول بابدج الرائد الاول فى هذا المجال فان العديد من البطاقات والاشرطة المخرمة مازالت قيد الاستعمال ولو أنه استعيض عنها بالاشرطة والاسطوانات المغنطيسية التى تتولى ترجمة الحروف والارقام والرموز والاشارات والاصوات ونقط الحبر الممغنطة إلى نبضات كهربائية مفهومة لدى العقل الاليكترونى .

الذاكره

اطلق بابدج على هذه الوحدة اسم « المخزن » وهو ينطبق تماما على الوظيفة التى يؤديها فهى تختزن المعلومات لتوزيعها على أجزاء الآلة المختلفة متى احتاجت إليها ، وطول العقدين الماضيين ظلت الذاكرة ذات القلب المغناطيسى هى الأكثر رواجا .

ويجرى الآن إبدال هذا النوع من الذاكرة بأخرى مصبوبة على شرائح معدنية بالاضافة

إلى أنواع أخرى ارخص ثمنا وأكبر طاقة تساعد على تخزين المعلومات .... بالجملة .

الحساب والمنطق

يعتمد الحاسب الآلى على هذه الوحدة فى تناول وتوجيه ومعالجة طوفان المعلومات التى يتغذى بها ، لذا أسماها بابدج بالطاحونة لأن الأرقام تتعرض فى هذا القسم للغربلة والتمحيص والهضم .

التحكم

هذه الوحدة بمثابة شرطى المرور فى الحاسب الاليكترونى إذ تتولى تفسير المعلومات المخزونة فى الذاكرة وتنظيم انسياب المعلومات بينها وبين وحدة الحساب والمنطق وفوق هذا فهى القسم المسؤول عن اصدار التعليمات لخروج المعلومات الجاهزة .

بث المعلومات

ويمكن تسمية هذه الوحدة أيضا بالارسال فى مقابل الاستقبال إذ أنها تقوم بتحويل المعلومات المختلفة إلى نبضات كهربائية لاغراض لا حصر لها قد تتراوح بين الحروف المكتوبة أو الارقام المنطوقة أو تقليد الاصوات أو توجيه الاوامر الى كومبيوتر آخر أو تحديد مسار صاروخ فى الفضاء الخارجى .

وقد أسهم العالم الرياضى المجرى الاصل جون فون نيومان فى مجال تطوير الجهد الاليكترونى بابتكاره للطريقة التى بموجبها تتم (كتابة) المعلومات المراد استخلاصها والتعليمات الضرورية لهذه العملية على ذاكرة واحدة باستخدام نفس الشفرة فى الحالتين مما جعل الآلة الاليكترونية قادرة على تناول التعليمات كما لو كانت جزءاً من المعلومات ، وبذلك اصبح ممكنا لبرنامج معين أن يغير أو يعدل برنامجاً آخر .

وفيما مضى كان على مصممى تلك العقول أن يزيلوا كل الشبكة السلكية فى حالة تغيير التوجيهات المراد تزويدها كما وانهم كانوا يقومون بتحريك الأف المفاتيح تماما كما يفعل فنيو صيانة الهاتف ، أما الكومبيوتر المعاصر فبوسعه أن يستوعب تلك التوجيهات فى صيغ تقارب اللغة المتداولة بين الناس .

ومن المعروف فى عالم الصحافة الغربية المعاصرة أن استخدام الكومبيوتر قد وفر ٧٥ ٪ من الوقت والجهد المبذول لاعداد الصحف بل وانه وفى بعض الحالات عاد بنتائج سلبية إذ قاد الى الاستغناء عن معظم الكوادر البشرية العاملة فى هذا المجال كما حدث فى جريدة التايمز اللندنية التى أرغم العاملون فيها الادارة بالتمسك بأساليب الاعداد والطبع العتيقة .

ويتولى الكومبيوتر حالياً الرد على التساؤلات وتجهيز البيانات المتداولة بين المكتب الرئيسى لمجلة تايم الامريكية وثمانية وعشرين من مكاتبها الفرعية كما وانه يقوم بوضع التصاميم والتبويب وبث المواد المراد نشرها إلى المطبعة رأساً عبر خطوط الهاتف كما وانه يتسنى لجميع المحررين الاطلاع على الشكل النهائى لكل صفحة من صفحات المجلة قبل أن تطبع .

نظرة إلى المستقبل

يعلم علماء الاليكترونات قبل غيرهم أن هذه العقول الآلية الجبارة التى نحيطها اليوم بهالات الاعجاب ستكون مدعاة للضحك والسخرية بعد عقد واحد من الزمان فالتجارب الجارية تدل على امكان استخدام ذاكرات على هيئة فقاعات أو جيوب مغنطيسية يجرى تحريكها بواسطة تيار كهربائى أو مجال مغناطيسى خارجى عبر ممرات منتظمة ولدى مرورها بمحطات ثابتة يتم رصد المعلومات على ضوء ظهور أو اختفاء تلك الفقاعات وعلى هذا فانه من الممكن وفى المستقبل القريب جدا أن يتم تزويد ذاكرة واحدة بمحتويات دائرة معارف باكملها مضافا إليها مكتبة فلمية أو صوتية .

وقد اهتدى العالم البريطانى برايان جوزيفسون إلى نظرية فيزيائية اتاحت له الفوز بجائزة نوبل عام ١٩٦٢ وتقول تلك النظرية أن سريان التيار الكهربائى ـ أو تدفق الاليكترونات فى درجات للحرارة تقارب الصفر (٤٥٩٫٦٩ درجة فهرنهايت) يمكنها من اجتياز حواجز لا تقوى عليها فى الاحوال العادية .

وعلى ضوء تلك النظرية فقد أدرك العلماء أن الاليكترونات قادرة على عبور أى حاجز كما يحدث فى الترانزستور مع فارق اساسى وهو أن طريقة جوزيفستون لا تستوجب استخدام أى تيار إلا بكمية فى غاية الضآلة مما يقلل من كمية السخونة التى تتولد عند التشغيل فيصبح بذلك ميسوراً أن يتم تجميع دوائر أكبر فى قالب أصغر ويقدر باحثو شركة آى . بى . ام المعروفة أن الثمانينات ستشهد ظهور حاسبات صغيرة جدا يتم تبريدها داخل خزانات من غاز الهليوم السائل وتشغيلها بسرعة تفوق اداء الآلات الحالية بمئات المرات .

ولا أحد ـ بما فى ذلك العلماء أنفسهم ـ يدرى ، إلى أين سينتهى المطاف بالبشرية فى سعيها الدءوب نحو تصغير العقل الاليكترونى مع تطوير قدراته وفعاليته وهل وصل العلماء الى التصغير الذى لا تصغير بعده؟ إن العلماء الطموحين يشيرون الى ذلك الكم الهائل من المعاملات التى تختزنها مثلا بعض الكائنات التى لا ترى بالعين المجردة وتقف فى نظرهم دليلا على أن باب التصغير لا يزال مفتوحاً ، وكما جاء على لسان احد علماء الحاسبات الامريكيين : « حتى الاميبيا البدائية أصغر حجماً وأكبر طاقة وجهدا من أية شريحة توصل إليها العقل البشرى حتى الآن » .

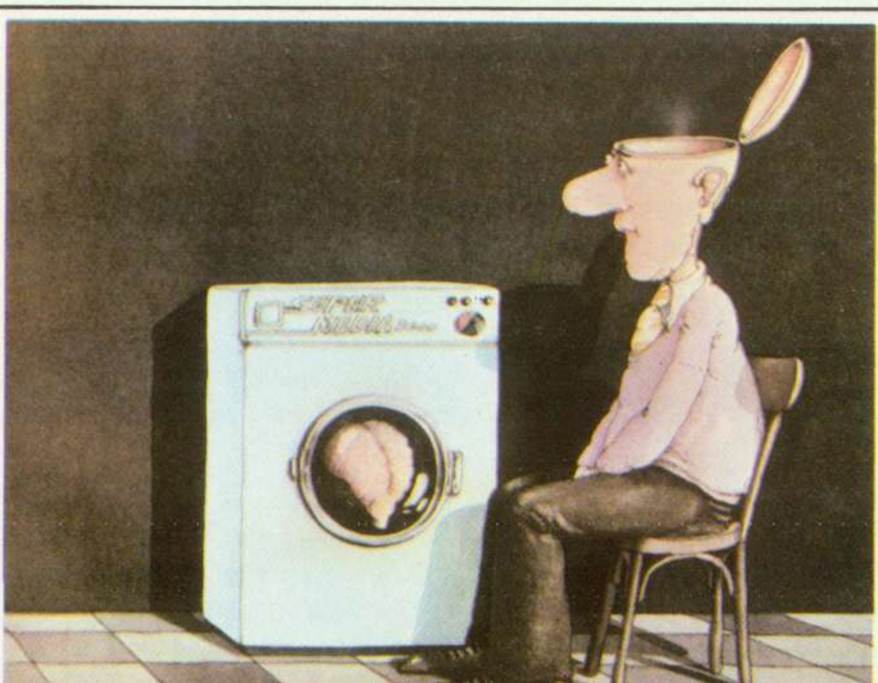

بعض حالات إصابات العيون

معتقدات وخرافات تقترن ببعض المواقف التى تؤذى العين

مع تقدم الإنسان فى العمر تقل كمية الدموع

الغدة الدمعية تفرز سائلا وظيفته تنظيف القرنية وتليينها

لأن العين هى أغلى ما يمتلك الانسان فان من المفيد أن نعرف الظروف التى تؤثر فيها وتتطلب العناية الطبية ، وتلك التى يمكن أن يتولى امرها الانسان بنفسه فى منزله ، وفيما يلى بعض الارشادات التى يمكن اتباعها :

الدموع

تفرز الغدة الدمعية سائلا يجرى فوق سطح العين وظيفته تنظيف القرنية وتليينها اثناء تعرضها اليومى للأتربة والغبار وتقلبات الطقس وظروفه . ويقوم الجفن بمهمة مسح ووقاية العين ، وتمسح الثقوب الدقيقة فى اطراف الجفن بتصريف الدموع الى قاع الحلق . وعندما نقشر البصل او نبكى فاننا نصنع فائضا من الدموع

ولكن مع تقدم الانسان فى العمر تقل كمية هذا السائل . وإذا جفت العين منه تماما فان القرنية تصبح معرضة أكثر للعدوى بسبب تراكم تلوثات الجو بها . وفى هذه الحالة يجب مراجعة الطبيب ليرشد الى نوع القطرة التى يمكن استعمالها .

واذا كانت الدموع أغزر مما ينبغى ، فانها تبقى راكدة فى عين الطفل الذى عادة ما تكون مسارب تصريف الدمع فيه مغلقة لم تتفتح تماما عند ولادته ، مما يسبب له التهابا فى العين يستدعى علاجه استخدام قطرة من مضادات حيوية ، وعندما يبلغ الطفل عامه الأول تصبح مسارات الدموع واسعة بما يكفى لتصريف الدمع ، وإذا لم يتم ذلك ، يمكن أجراء جراحة طفيفة .

إن جريان الدمع فى العين لا يؤذيها ، ولا يعنى عند الكبار سوى انسداد فى مسارب التصريف ويمكن معالجته بغسل هذه المسارب ، أو باجراء عملية جراحية ، أما فى حالة كبار السن ، فمن المحتمل أن تكون عضلات الوجه قد ارتخت بشكل لا يمكن الجفن الاسفل من حفظ الماء بركن العين . وعلى المرء أن يحتمل هذا الماء ، لأن الجراحة فى هذه الحالة لا تنجح دائما . وينصح بمسح العين بقماش نظيف ، والا يشد الجفن الى اسفل اطلاقا .

القذى

وهناك أجزاء من المادة صغيرة الحجم تطفح وتتحرك فى منتصف مقلة العين ، ويمكننا أن

نراها احيانا . وكلما تقدم المرء فى العمر تتقلص مقلة العين ، وتكثر حركة هذه الجزئيات الطافحة

ويجب استشارة الطبيب الاخصائى اذا احس المرء بالتماعات ضوئية أو شعر بنوع من الحجاب فوق العين .

النظارات

ان لبس النظارات المناسبة لا يضر بحالة العين كما يخشى بعض الناس . وغاية الأمر أن العين تتعود على العدسة وتكيف نفسها معها فاذا خلع المرء النظارة ، عانت العين .

ويزداد قصر النظر فى العادة حسب حجم ونمو العين ، ولا يتوقف الا عندما تكف العين عن النمو — بغض النظر عن استخدام النظارة أو عدمه .

ويجب أن يلبس الاطفال قصيرو البصر النظارات حتى يمكنهم قراءة ما على السبورة أو الخرائط دون كبير عناء . أما الاطفال من ذوى النظر الطويل أو ذوى العيون اللابؤرية فليبسون النظارة لتصحيح المسافة أو للنظر القريب لتفادى عدم تطور مقدرة القراءة ، أو تاخرها .

أما بعد سن دخول المدرسة ، فان اتخاذ قرار بلبس النظارة يعتمد على عوامل نفسية أو الرغبة فى الرؤية الواضحة ودرجة التعب الذى يتم الشعور به .

ويجب على سائقى السيارات لبس النظارات التى تصحح النظر .

وهناك عدد من الحالات التى تستوجب لبس النظارة ، مثل تصحيح التوازن الخطى للعيون ، أو عندما يكون انسان العين كبيرا ، أو بالعين شقرة تلون تنظيم كمية الضوء التى تدخل العين وفى مثل هذه الحالات ينتج شعور بالصداع أو ازدواج المرئيات اذا خلعت النظارة .

وهناك بعض المعتقدات والخرافات المقترنة ببعض المواقف التى تضر بالعين ، والتى يمكن تجاهلها لأنها غير صحيحة . فمشاهدة التلفزيون مهما جلس المرء قريبا من الجهاز لا تضر بالعين كما أن القراءة لا تضر بالنظر ، وإن كانت العين تشعر بالتعب وتحتاج الى راحة .

بعض حالات إصابات العيون

أما مايضر بالعين بالفعل فهو النظر الى كسوف الشمس بالعين المجردة ، إذ انه يدمر شبكية العين تماماً ، كما يدمر الاعصاب الراقدة فى مؤخرة العين . وذلك لأن التعرض للأشعة فوق البنفسجية يحرق القرنية مؤقتاً .

العين جسم حساس

وهناك اشياء كثيرة تحدث كل يوم وتؤثر على بصرنا . فاحمرار العين ناتج عن التهابها ويظهر ذلك فى شكل قذى ابيض فى العين ، ويجب فى هذه الحالة غسل العين بمحلول البايكاربونيت واستخدام قطعة من القماش منفصلة لكل عين مرة واحدة فقط .. ثم تلقى . فاذا استمر هذا الصديد الأبيض اكثر من ثلاثة أيام وجبت استشارة الطبيب . اما الالتهابات الناتجة عن الحساسية والتى يعانى منها ذو الحساسية من حمى الربيع ، فهى غير معدية ، ويمكن علاجها بالقطرة .

ويسهل على الاجسام الغريبة أن تدخل العين ، وترقد تحت الجفن الأعلى أو تلتصق بالقرنية ، أو تظل فى بياض العين ، ويظهر وجود جسم غريب بالعين من احمرارها واكلانها وتجمع الماء بها ، والذى يساعد على إظهار الجسم الغريب ودفعه للطفو ، فاذا أمكن رؤيته فى بياض العين ، فان اخراجه بقماش ناعم أو بغسيل العين ممكن ، فاذا شك المرء بان اذى غائرا قد اوقع بالعين ، كما فى حالة هجوم على الشخص أو حادث طارىء فى العمل أو الطريق أو اثناء الرياضة ، وخاصة بالنسبة للابسى النظارات ، فان الذهاب الى قسم الحوادث بالمستشفى أمر ضرورى .

ويجدر بلاعبى الاسكواش والبادمنتون أن يلبسوا نظارات واقية ذات زجاج غير قابل للتشتت بعد الكسر . وعلى السباحين ان ينزعوا النظارة الواقية فى حظر عندما يبغون تفريغ الماء عنها ، حتى لا ترتد بقوة فتؤذى عيونهم ، وعندما يعمل المرء فى الحديقة فى تشذيب الشجيرات والنباتات ذات الاشواك أو يقوم بتجميل فى المنزل عليه أن يتذكر أن العين يمكن أن تتعرض لأذى جسيم اذا دخلتها قطع من الحديد أو النبات بسرعة عالية ، حتى وإن لم يشعر بالم كبير لحظتها .

ويجب أخذ استمرار احمرار العين أو تدهور النظر اذا وقعت ضربة على العين المغمضة ماخذ الجد . وفى هذه الحالة يجب مراجعة قدرة العين على الرؤية وذلك باقفال عين وفتح اخرى ويمكن لعين أن تفقد القدرة على الابصار ولا يكتشف ذلك لعدد من الشهور ، ولكن العلاج يكون اسهل كلما اكتشف ذلك فى وقت مبكر .

إن غسيل العين ، الذى ربما استخدمناه جميعا فى وقت أو آخر ، لا يضر بالعين ، إلا إذا كان بها أذى جسيم . وينصح باستعمال سائل ملطف ، أو بايكاربونيت الصودا المحلولة فى ماء مغلى يتم تبريده . كما أن حمام العين بالمياه الساخنة مفيد ، وتعالج البؤر الدقيقة التى تنبت فى طرف الجفن أو تلك الأورام التى تتكون داخل الجفن نتيجة لانسداد غدة دهنية ، ويتم ذلك بلف بعض القطن بملعقة خشبية وغمسها فى ماء دافىء ، ثم تقريبها من العين لتبخير الجزء الملتهب منها .

حالات طبية عامة

هناك حالات ثلاث تعانى منها العيون أكثر من أى شىء آخر ، وهى إما أن تكون عند الأنسان منذ ولادته أو تتطور فى الجسم دون أى سبب خارجى وهى :

الحَوَل

بعد الاسبوع السادس من ولادته يربى الطفل فى العادة الاستجابة لتوازن العينين خطياً

ويحدث الحول عندما تعجز عين عن النظر فى نفس الاتجاه كالعين الأخرى . وفى حالات كثير من الأطفال ينمو جلد متجعد عبر قصبة الأنف ، ثم يزول تدريجيا ويختفى كلما كبر الطفل ، ولكنه اثناء وجوده يغطى الجزء الداخلى من كل عين ، فاذا أديرت العين قليلا الى الجانب يخفى هذا التجعد فى الجلد جزءا من الجزء الملون من العين ، ويبدو الطفل احولا .

ويمكن للحول أن يظهر فى أى وقت قبل أن يبلغ الطفل الرابعة من عمره وخاصة إذا كانت الأسرة فى ماضيها تعانى من ضعف العيون أو كسلها .

وكلما ظهر الحول مبكرا ، سهلت معالجته بنجاح . ويمكن لبس النظارة .. التى يسهل على الطفل الصغير أن يتعود عليها قبل دخول المدرسة .

إعتام عدسة العين

وهو غالب الظهور فى كبار السن . ويمكن استعادة البصر فى الغالب إذا غيرت النظارة ولكن الافضل والأكثر فاعلية هو أن تجرى عملية جراحية لاستئصال العدسة المعتمة ، مما يعيد البصر إلى قوته إذا كان قعر العين سليما . وبعد ذلك يمكن تصحيح النظر بنظارة سميكة أو بعدسات لاصقة . كما يمكن زرع عدسات من البلاستيك اثناء العملية الجراحية .

الماء الأزرق (القلوكوما)

فى هذه الحالة تتصلب العين ، ويقع ضغط على أعصاب البصر قد يدمر النظر تماما . وهى حالة تصيب الأنسان فى منتصف العمر أو فى الكبر ، وغالباً ما تكون وراثية . ويمكن أن يستشرى فى سرعة ، فتحمر العين وتؤلم وتعشى ويمكن أن تبدأ هذه الحالة بلا ألم أو عدم وضوح فى الرؤيا ، وتبقى دون أن تكتشف حتى يغيض البصر . ولذا تجب مراجعة الطبيب فوراً حالما يشك المرء باصابته بالقلوكوما . ويمكن إيقاف المرض بالعلاج ، وإن كانت الجراحة والعناية مدى الحياة ضرورتين.

العدد القادم

شمس العرب

بديل جديد للطاقة

بقلم : د. أحمد إسماعيل

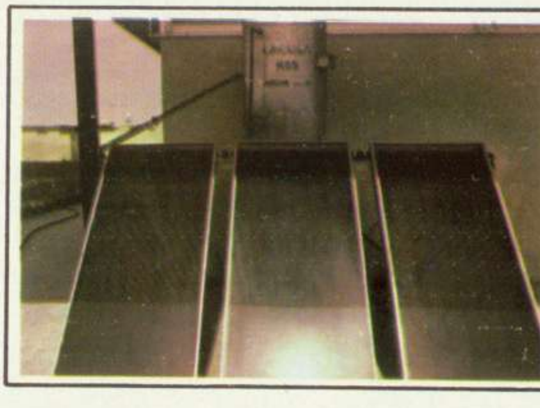

إنفصام الشخصية

انفصام الشخصية من اخطر الأمراض التى تعانى منها الانسانية اليوم وسؤالك حول امكانية علاجه لا يزال موضع جدل العلماء المختصين . وهذا المرضيصيب واحداً بين كل مائة بغض النظر عن الوضع الاجتماعى او المالى أو السياسى أو الجغرافى أكان من اقصى الشمال أو اقصى الجنوب . وتوضح الأحصائيات فى المملكة المتحدة أن ثلث نزلاء المستشفيات البريطانية مصابون بهذا الداء .

وهنالك تساؤلات بخصوص هذا المرض : هل هو داء يصيب العقل البشرى نتيجة تفاعلات لتغييرات طبيعية ثانوية ؟ أم أن هنالك مرضا مجهولا يصيب جسم الانسان أولا ثم ينتقل تاثيره للمخ فيصيبهبظاهرة انفصام الشخصية هذه هى الأسئلة التى دارت ولا زالت تدور بخلد الباحثين وأطباء الأمراض العقلية والعصبية وعلماء النفس ، ولم يجدوا لها جواباً واحداً مقنعاً ولم يستقر لهم رأى وقد تسبب هذا الأخفاق فى التوصل الى رأى قاطع بشانه إلى الأخفاق فى علاجه بصورة كاملة وشاملة .

وهنالك أربع نظريات حول مرض انفصام الشخصية :

فالعالم لينج يفسره على أساس انه استجابة ورد فعل لابد منهما لعالم مريض وغير طبيعى ، وان الشخص المصاب بهذا المرض هو الوحيد القادر والمتفهم على معرفة دنياه والحياة من حوله .

والعالم شاز يشك أساساً فى وجود مثل هذا المرض ويؤكد أن وجوده توهم مقصود أو غير مقصود لأطباء الامراض النفسية والعصبية

انفصام الشخصية

الذين اخترعوا تكأة سهلة ليفسروا على ضوئها كل ما يواجهونه من أمراض نفسية يستعصى تفسيرها عليهم .

والمدرسة الثالثة تقبل بوجود الشخص المنفصم الشخصية على أساس أنه أصبح عليلا نتيجة ضغوط وإجهاد نفسى وعصبى لشخص كان من قبل صحيح البدن والعقل .

وهنالك مدرسة رابعة تقول بأن المرض موجود فعلا فى عالمنا اليوم ولكنه لا يعود إلى أسباب نفسية وانما هو نتيجة إضطرابات كيمائية طبيعية ادت إلى إصابة عضوية للعقل البشرى نتج عنها شذوذ فى شخصية المصاب .

وبالفعل فان كل العلماء والاطباء المشتغلين اليوم فى ابحاث وطرق معالجة هذا المرض إتخذوا من التفسيرين الثالث والرابع منطلقا لهم ـ باعتبار أن هذا المرض نتاج موحد لاضطرابات نفسانية وكيمائية احدثت خللا فى العقل البشرى المصاب .

أما التعرف على مرضى انفصام الشخصية فهو أمر لا يشكل صعوبة إلا فى حدود تشابه الاعراض التى لا يمكن فصلها إلا عن طريق طبيب متخصص وعلى ذلك يمكن أن نشير الى عدد من الاعراض التى تظهر على المصابين بهذا المرض ولكن لا يعتبر مجرد ظهورها دليلا قاطعاً على انفصام الشخصية :

منها أولا مجموعة معقدة من الاضطرابات وعدم انتظام فى السلوك والأدراك المتعارف بين الناس .

ثانيا يحس الشخص المصاب ويكون ردود فعل عاطفية غير واقعية وبعيدة كل البعد عن الظروف الحقيقية التى من حوله وكان هاتفياً داخلياً يسيطر على تفكيره وسلوكه وعواطفه ، هذا غير الاصوات التى يسمعها المريض ، والهلوسة والهذيان المصاحبة له دوماً .

ثالثا يلازم الشخص المصاب شعور داخلى بانه مضطهد اجتماعياً ومن أقرب الناس إليه وأن هنالك بعض الاشخاص يتتبعون خطاه وأن أعينا تراقبه وتتجسس عليه فى تصرفاته وسلوكه فى حله وترحاله .

رابعا بالرغم من هذه الصفات التشخيصية للمصابين فالأشخاص المصابون بهذا المرض لهم إحساس مرهف ، ويحترمون القانون العام وليس هنالك أى دليل على إنهم ينحرفون فى سلوكهم أكثر من الأشخاص العاديين .

خامساً تقل خصوبة المصابين بهذا الداء عن الناس العاديين .

سادساً فى بعض الحالات النادرة يمكن ، أن يسببوا الأذى لأنفسهم دون احساس بالألم ويمكن أن يسببوا أذى لغيرهم وحتى لأقرب الناس إليهم دون سابق انذار .

وقبل ثلاثين سنة فقط وبينما كان الجراح البحرى لابورريت (الفرنسى الجنسية) يعطى عقاراً مضاداً لبعض مرضاه المصابين بالديدان فى جهازهم الهضمى لاحظ هذا الطبيب أن عقار الكلوربرومازين ليس فقط له تأثير على الديدان ولكنه ذو تأثير مهدىء على المرضى أنفسهم .

ومن ثم أوضحت كل التجارب التى أجريت على الكلوربرومازين ومشتقاته أن لها تأثيراً قوياً على مرضى إنفصام الشخصية ليس بالتهدئة والسكون فقط بل بتقويم وتصحيح الأعوجاج فى سلوكهم وإدراكهم وتفهمهم للأوضاع التى من حولهم ولو بصورة مؤقتة ومن هنا كانت العلاقة بين الكيماويات وتصرفات الانسان المصاب بانفصام الشخصية .

وفى الخمس عشر سنة التى خلت توصل العلماء إلى نتائج إيجابية وخصوصاً فى كشف القصور الكيمائى الذى يصاحب عقول المصابين بهذا المرض . فقد توصل فريق العلماء (أ) فيليب سمانز فى تورنتو بكندا و (ب) تم كراوز فى لندن . على أن هناك علاقة بين وجود مادة الدوبامين (بأكثر ما يحتاجها الجسم العادى) فى أمخاخ المصابين بهذا المرض .

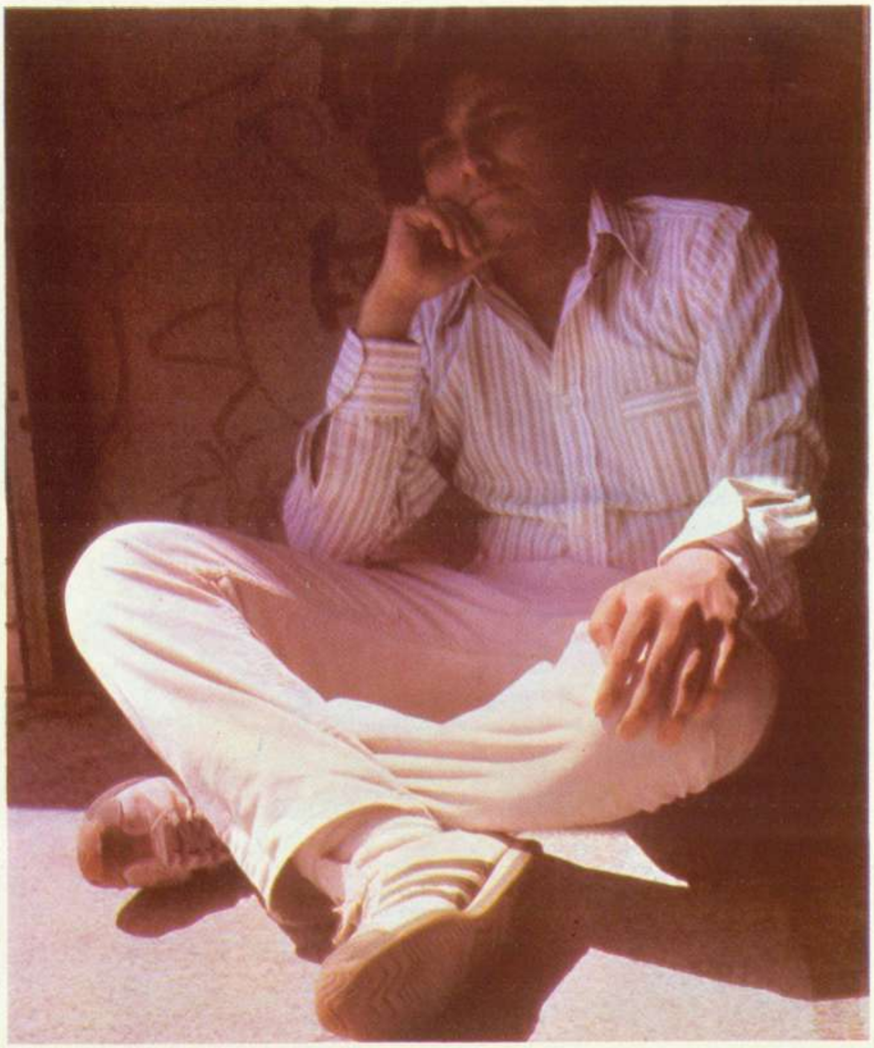

● التعرف على مرضى انفصام الشخصية أمر لا يشكل صعوبة إلا في حدود تشابه الأعراض

كذلك فى عام ١٩٧١ توصل الدكتور ديفيد هوربن (معمل البحوث الطبية بمونتريال بكندا) إلىأن هرمون برولاكتين له كذلك علاقة بمرض انفصام الشخصية أى انه توصل بالفعل إلى أن مادة الدوبامين الموجودة فى النسيج المخى توقف إفراز مادة البرولاكتين من الغدة النخامية . واستمر الدكتور هوربن فى تجاربه الناجحة ولكن هذه المرة على انسجة عضلات المجارى الدموية للفئران . وتوصل الدكتور إلى نتيجة تعتبر حدثاً كبيراً فى عالم الكيمياء الحيوية الطبيعية . إذ توصل إلى أن مادة البرولاكتين هى الاساس لكى تفرز مادة البروستاقلدين من مكوناته التأسيسة من الدهنيات الحمضية ؛ وكذلك توصل إلى أن مرضى انفصام الشخصية ليست لهم المادة الكافية من البروستاقلدينز (وهذه مواد أو مركبات غير ثابتة تتكون من احمضة دهنية أساسية وهذه الاحمضة الدهنية الأساسية لا تتكون فى جسم الانسان وإنما هى كالفيتامينات توجد فى الاطعمة والخضروات التى يتناولها الانسان وإن مادة البروستاقلدينز هرمونات لها نشاط حيوى محدد بين الخلايا ومن خلية لاخرى) وكان لاكتشاف هوربن فضل كبير فى معرفة الكثير عن مرض انفصام الشخصية . فقد توصل العلماء الباحثون بعد ١٩٧١م للحقائق المذهلة التالية :

١ ـ إن فى عالمنا اليوم مرضى بأعداد كبيرة يشكون من روماتيزم المفاصل وان المصابين بهذا المرض تفرز فى أجسامهم مادة غزيرة من البروستاقلدينز . وكانت دهشتهم عندما توصلوا كذلك إلى أن مرضى انفصام الشخصية لا يمكن أن يصابوا بروماتيزم المفاصل .

٢ ـ إن المصابين بمرض انفصام الشخصية يقاومون كل انواع الآلام التى تنتج من اصابات مثل الكسور والشقوق المركبة والالتهابات مثل التهابات الزائدة الدودية . وكان التفسير الاولى لهذه الظاهرة أن عقول المصابين لا يمكن أن تدرك وتحس وتترجم الشعور بالآلام فى أى شكل ملموس وملاحظ ولكن أخيرا وجد العلماء أن الانسان العادى الذى يمكنه أن يشعر بمرارة هذه الآلام يفرز مادة أكثر من البروستاقلدين التى تلعب دورا كبيرا واساسياً فى الشعور والاحساس بالمرض.

٣ ـ لاحظ ابوقراط « ابو الطب » من قديم الازمان وكل من جاء بعد أبى قراط وبحث فى هذا المجال أن مرضى انفصام الشخصية يتغيرون إلى أناس عاديين ولو لمدة بسيطة عندما يصابون بأى نوع من الحمى . وكان الرد العلمى المباشر لهذه الظاهرة أن مادة البروستاقلدين يزيد افرازها فى الجسم وتتمركز اكثر فى النسيج المخى عندما ترتفع درجة الحرارة عند أى انسان

٤ ـ فى سنة ١٩٧٥م وفى مستشفى قاى بلندن قام طبيبان عربيان باجراء تجربة عن إفراز مادة البروستاقلدين من الصفائح الدموية لأشخاص عاديين غير مصابين ، ولأشخاص مصابين بمرض الانفصام وتوصلوا لنتيجة إيجابية ـ ألا وهى أن الصفائح الدموية عند الأشخاص العاديين استجابت لمعاملاتهم الكيمائية وافرزت مادة البروستاقلدين فى حين أن الصفائح الدموية لمرضى الانفصام رفضت الاستجابة .

وهناك فريق من العلماء يرى أنه ليس فقط كثرة مادة الدوبامين هى المسئولة الوحيدة عن نقصان البروستاقلدين بل (أ) الهرمون ميلاتونين الذى يفرز من الغدة الصنوبرية (أو العين الثالثة كما يسمونها) و (ب) مادة الأبوويد لهما دخل كبير فى افراز هذه المادة الحيوية الهامة . وقد لاحظ دكتور سميث فى جامعة برادفورد بانجلترا أن المصابين بمرض الانفصام لا تفرز غددهم الصنوبرية هرمون الميلاتونين كما يجب

ولنا أن نتساءل هل نقصان مادة البروستاقلدين هى السبب فى مرض الانفصام أم أن الاضطرابات النفسية والضغوط العصبية والاجهاد الذهنى تسبب اختلالا فى موازنة بعض الهرمونات (الدوبامين ـ البرولاكتين ـ الميلاتونين وغيرها) مما ينتج عنه شح فى افراز مادة البروستاقلدين ؟ والاجابة على هذا السؤال سوف تظهر فى خلال العام الحالى ١٩٨٠م عندما تصحح معدلات البروستاقلدين عند مرضى انفصام الشخصية . والله الموفق .

أجرى الحوار : صالح زيتون

في طريقي الى الفندق لاعقد هذا اللقاء مع الشاعر محمد الجواهري استعرضت مسيرة هذا الرجل منذ احتضنته النجف الاشرف مع بزوغ هذا القرن وحتى آخر عهدي به حين تالق بامسيته الشعرية في الدوحة ، يلقي الشعر بروح شاب لا يزال يروم دنيا العاشقين ..

وطرأت في ذهني ذكرى اول مرة سمعت فيها الجواهري وأنا طالب صغير حين كنا نردد في وله قصيدته « يافا » ، وعندما التقيت به وجها لوجه لأول مرة حاولت أن اتعرف على الشاعر فيه والانسان . أردت أن استبطن من خلال الحديث منه بعض لمحات تجارب سنواته الثمانين ، قلت مبتدئا الحوار والتعلم :

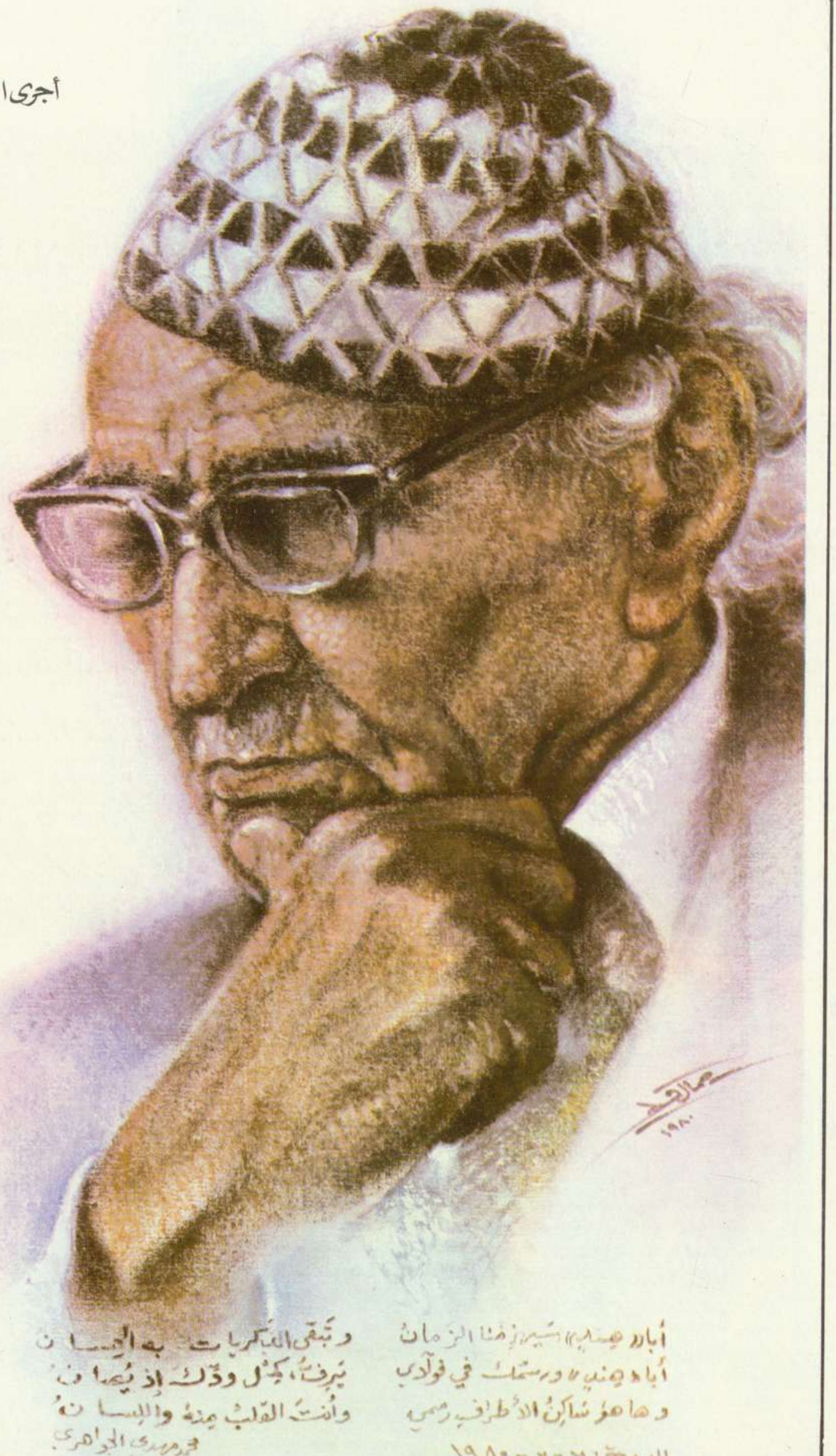

على مشارف الثمانين:

الجواهري يفتح ملف الذكريات

— اراك لا تزال تولى الشعر العمودى بأوزانه وقوافيه التقليدية اهمية قصوى فى اشعارك التى القيتها علينا بالأمس ....فكيف توفق بين ذلك الالق الشاب الذى لمسناه فى روعة شعرك والقائك وتمسكك بالقديم لا تحيد عنه ؟

● **القافية والوزن هما مقياس هام للقصيدة ... بدونهما لا يكون الشعر إلا كلاما قد يحمل فكرة جميلة دون اطار جميل ...**

نعم للقافية كل همى وتركيزى وذلك متاصل بى منذ الصغر ... حيث كنت فى الشباب مع اترابى اتراهن معهم حول امكانية التصرف بالقوافى المتينة التى غرسها المتنبى والبحترى فى اشعارهما .. وهل بالامكان استبدال هذه القوافى بقواف غيرها ... واعترف اننا كنا جميعا نخسر الرهان .. كنا نعجز عن التصرف بشعر هؤلاء العمالقة .

— القافية هى اذن على ما يبدو معيارك للحكم على قوة القصيدة ؟

● **بالطبع ، وحين اتطلع الى قصيدة ما اركز فى المبتدأ على قافيتها فاذا اكتشفت ان بالامكان تبديلها بغيرها ادرك هزالها تركيبا ومضمونا وروحا شاعرية .. وانا من الذين يؤمنون بقول الشاعر : الشعر صعب وبعيد سلمه ..**

ومن هذا المنطلق فانا اعارض ما يسمى بالشعر الحديث أو الحر فهو ليس حديثا .. بل هو شعر ركيك . والحداثة لا يمكن ان تعنى الركاكة .. بل هى تجديد لروح الشعر العربى وتطور نحو الافضل والشعراء الذين يدعون الحداثة انما يفعلون ذلك عجزا . فهم يستسهلون الصعب ويغلفون كلامهم بالغموض ليوحى للقراء بشىء من الرهبة .. وانا اقول لهذا الجيل من ناظمى الكلام الحر انكم استرحتم من حيث تعب الكرام.

يفهم من كلامك هذا انك ضد جيل طويل عريض من الشعراء ذوى الاسماء اللامعة ابتداء من نازك الملائكة وبدر شاكر السياب ونزار قبانى وادونيس !!

● **لا انكر ريادة نازك فى الشعر كما أن بدرا كان شاعرا ولكنه ظلم بعد وفاته بالهالة المبالغ فيها . اما نزار فيبقى صديقى ولا استطيع ان اصنف هذه الاسماء جميعا حتى لا اخلق حساسية لمن اتبادل معهم الحب والاحترام ... ولكننى اريد ان اقول اننى احب ادونيس رغم كثرة معارضيه ... وفى هذا الصدد يمر بخاطرى سعيد عقل كشاعر احبه وان كنت آخذ عليه نزعته الشوفينية وما ظل يتخذ هذا الخط المعادى لروح اللغة العربية فانا اكثر من عدو لذلك ولكننى فى مجال تقييمى لسعيد عقل لا أستطيع أن احذف الرجل كاملا واتناسى الجوانب المشرقة فى ثقافته وحرفه العربى النقى ، وانا اتساءل كيف يجتمع هذا مع رغبته فى التنصل من ارتباطه بالعروبة والدعوة الى الفينيقية ولكتابة العربية بالحروف اللاتينية واعتماد العامية المحلية .**

— وادونيس ؟

● **ايضا لا استطيع أن الغيه الغاء كاملا .. ويكفى أن اشير الى مقدمته المثقفة المبدعة للمختارات الشعرية ..**

— اشارتك العاجلة لبدر شاكر السياب توحى انك لست شديد الاعجاب بشعره ؟

● **بدر كان صديقا عزيزا ولقد كنت أول من نشر قصيدة الرثاء الهمزية له فى شهداء الوثبة .. وكنت استعين به لترجمة بعض الاعمال لصحيفتى مقابل أن نتقاسم وارد الجريدة التى كنت صاحبها .. ولا انسى أن اقول أن الهالة المبالغ فيها حول بدر اضرت به من قبيل القاعدة التى تقول (الزائد اخ للناقص) وحسبما يقول المثل الشعبى العراقى « اللى يموت .. تطول كرعانه » اى من يمت تطل قامته .. وهذا هو بدر بعد موته قيل الكثير فيه .. الى درجة تصويره اسطورة ، واعترف أن بدرا يبقى مذكورا ومعدودا لكننى أصر على ضرورة أن يتجاوز الجيل القادم جيلنا انا وبدر .**

— ننتقل من الشعر الى الحديث عنك وعن حياتك الحافلة ؟

● **من اين تريد ان تبدأ ؟ .**

— صلتك الفكرية والروحية ببراغ .

● **فى عام ١٩٥٩ واجهتنى ظروف عصيبة ، تالبت علي من جميع الوجوه ، سياسيا ، وصحافيا ، وصحيا ، إذ كنت يومها نقيب الصحافيين العراقيين ، وصاحب جريدة ورئيس اتحاد الادباء ، ومرد هذه المعاناة الى الموقف الذى اتخذه منى عبد الكريم قاسم حيث فتح معى معركة انتهت بان وضع قدمى واسرتى على أول طريق الغربة والنفى ، وكانت النية تتجه لدى بالسفر الى المانيا للاستشفاء ، والاقامة الى أن تنتهى ذيول هذه المعركة ، وكان أن مررت بالعاصمة التشيكوسلوفاكية « براغ » وطاب لى الجو اياما للاقامة قبل مواصلة السفر ، فسمع بامرى اتحاد الادباء التشيكوسلوفاكيين فهب اعضاؤه الي فى الفندق حيث كنت اقيم ، واستمعوا الى معاناتى وتعجبوا لما لاقيته من عسف واضطهاد من السلطة وانا رئيس اتحاد الادباء ونقيب الصحافيين ولم اكن املك فى ذلك الوقت اكثر من راتبى المتواضع وعجبوا اكثر حين علموا كم الاديب مهان فى عالمنا العربى ولا يكرم ، وكانوا يعتقدون اننى كرئيس لاتحاد الادباء ونقيب للصحافيين كان يجب ان احظى بمكانة مرموقة فى المجتمع تليق بمكانتى الادبية**

وتاثرت بما لاقيت ، تكرم الاتحاد ووزارة الخارجية فى براغ بان ابديا الاستعداد لاستضافتى الى أن تنتهى محنتى وكنت مكرما غاية فى التكريم ، وانا احس بالفرق بين تكريم الكلمة فى بلدى .. وفى براغ . ولقد احببت براغ كما احببت النجف وبلدى العراق ففيها قضيت عمرا طويلا .. ولى فيها اجمل الذكريات ... ويكفى اننى شعرت بمكانتى كمبدع بالكلمة ... واجمل قصائدى قلتها فى براغ ... هذه هى براغ التى اعشق ولا أمل من زيارتها كلما سنحت لى الفرصة

— وكيف ومتى عدت الى العراق ؟

● **الحت علي الحكومة العراقية عام ١٩٦٨ للعودة الى بلدى واحتلال المكانة الادبية التى استحقها ... ولا اكتمك فحنينى الى دجلة والفرات وكانا يسكنان فى قلبى ، هذا الحنين شجعنى على العودة حيث لقيت كل تكريم يليق باديب عاد له اعتباره وهاانذا الان عدت رئيسا لاتحاد الادباء العراقيين وقدمت لى الدولة مسكنا لائقا وراتبا تقاعديا محترما بدرجة وزير يكفينى ما تبقى من عمرى ولكننى لا استطيع نسيان براغ التى احببت فحين جاءتنى الدعوة بالعودة الى العراق سارع الي الادباء التشيكوسلوفاكيون راجين بالا اتركهم متعهدين بتقديم المسكن هدية متواضعة واستمرار التكريم حتى نهاية العمر ... ولذلك لا أستطيع نسيان هذه المكارم .**

— وهذه القبعة التى اشتهرت بها ماسرها ؟

● **هذا يفرض العودة لتذكر مكارم الاخوة الادباء فى براغ الذين اوفدونى للاستشفاء فى مدينة تقع على البحر الاسود اسمها سولتشى وتشتهر بمياهها المعدنية وتوفر المشافى فيها ... واهتم الاطباء بى غاية فى الاهتمام ، وقد قيل لى ان الغرفة التى لازمتها فى ذلك المستشفى كان نزيلها فى الماضى احمد سوكارنو رئيس اندونيسيا ، وقد فهمت انهم يعاملوننى معاملة**

على مشارف الثمانين:

الجواهري يفتح ملف الذكريات

● مازلت عاشقاً بالطبع إن روحي هي العاشقة لأنها مازالت شابة

● حالي كحال من يشرف على الغرق ويستغيث بأصابعه في الموج ليحميه

الجواهري

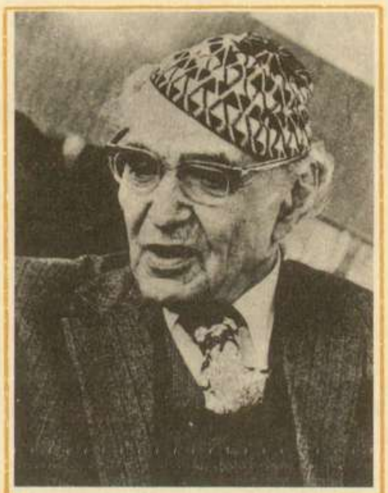

رئيس دولة .. هذا هو الاديب عندهم .. غاية في التقدير والاحترام ...

وانتهت الفحوصات التى اجريت علي على اننى لا اعانى من شيء عضوى بقدر ما اعانى من حساسية مفرطة فى راسى واعصابى وتتصاعد هذه الحساسية فى البرد والحر على السواء وعليه فلابد من ارتداء واق على الراس ... ولم اجد بدا بعد خروجى من المستشفى من التوجه الى الاسواق القوقازية الاسلامية هناك حيث اخترت هذه القبعة التى البسها حتى الان ومنذ عشرين عاماً وقد اشتريت مجموعة منها للتبديل كلما اتسخت واحدة وقد خصصت احداها للنوم وقد لا تصدق اننى إذا احسست اثناء نومى بانزلاق القبعة عن راسى فاننى اقفز مهتاجاً باحثاً عن شيء ضرورى ينقصنى ولا اشعر بالراحة إلا حين اعيدها الى موضعها .. لانام بعدها مطمئناً ..

ـ وأولادك الى أي مدى تأثروا بك شاعراً ؟

● يكاد يكون ابنى الاكبر فرات هو المتفرد فى اخوته باخذ هذا التأثر لكونه يعمل صحافياً، لكن الباقين ابتعدوا عن ذلك لما رأوا معاناة ابيهم ، فهذا فلاح يعمل طبيبا متخصصاً فى الاشعة . وهذا كفاح يحمل دكتوراه فى النفط واربع بنات هن نجاح المهندسة واميرة المدرسة وخيال المتخصصة بالمكتبات وظلال التى تحمل الماجستير فى اللغات من احدى الجامعات الامريكية ...

ـ ألاحظ التسميات التى تشع منها روحك لاسماء ابنتيك الصغيرتين ظلال وخيال وكأنك تقول من خلالهما قصائدك ؟

● وما عسى الشاعر ان يقول غير الشعر ، وهذا يذكرنى بقصيدة كنت كتبتها خصيصاً لاحد المؤتمرات النسائية التى شاركت فيها ابنتاى ظلال وخيال حيث طلب مني نظم قصيدة عن المرأة فلم اجد إلا الحديث عن ظلال وخيال حيث قلت فى مطلع القصيدة :

لي طفلتان اقنص « الخيالا »
عبريهما والعطر و « الظلالا »
اسوء حالا كي يسر حالا
وكي يراح استلذ التعبا .

ـ والمرأة فـي شعـرك ؟

● قد تبدو لك هذه مفارقة ولكننى اؤكد لك اننى رجل مثالى عائلياً .. إذ اعتبر نفسى رجل عائلة ملتزم اهتم ببيتى واولادى قبل كل شيء ... ولكن ماذا افعل إذا كنت شاعرا .. وزاد الشاعر الغزل ..

ـ يذكر لك قراء شعرك ملهمتك الكبرى .. أنيتا التـي قلـت فيها ملحمتك الرائعة التى اسميتها ملحمة أنيتا .. فالى أي مدى تؤثر فيك انيتا كمثال للمرأة ؟

● سؤالك ياتى مصادفة غريبة فقد كنت افكر فى امرها هذا الصباح ... اتدرى ما كنت فى صدده .. كنت احسب كم صار عمرها الان منذ افترقنا عام ١٩٤٩ ... لعلها صارت على مشارف الستين من العمر ولكن انيتا تبقى الملهمة ...

ان وجه الدجى « انيتا » تجلى
عن صبح من مقلتيك اطلا
وغياض المروج اهديتك طلا

ـ هـل ما زلت عاشقـاً ؟

● مازلت عاشقاً بالطبع .. فروحى هى العاشقة لاننى مازلت أشعر بها شابة ... بل لعلها اكثر عشقاً للحياة الان وتشبثاً بها شعوراً أمنا بأن ما بقى من العمر قليل ... وحالى كحال من يشرف على الغرق ويتشبث باصابعه فى الموج ليحميه ...

ـ وبعد هذا العمر هل ترى انك حققت طموحاتك ؟

● طموحاتى عجيبة ... ذلك انها كانت طموحات لا تحتاج الى معجزات او معاناة ... وأرى اننى حققت طموحاتى بحبى للحياة واعتقد اننى رأيت ما يكفينى .. وكفانى حب الناس لي كفنان وشاعر استطعت تادية رسالة الفنان لهم نسبياً حسبما تقتضينى طاقتى البشرية ..

صور كاريكاتورية

عبد الوهاب الأسواني

إتكا الأستاذ الشيخ فى مقعده المريح وقال لتلميذه الفتى :

ـ اسمع يابنى .. افعل ما يحلو لك فى الحياة ، لكن لا تغير اتجاهك الفكرى ..

ـ أنا لا أغير فكرى أبدا ياأستاذى ..

ـ تعجبنى !.. وأحب ان اقول لك ، ان الناس عادة ، يعتقدون أن الذى يستولى على أموال الآخرين ، عن طريق المخادعة والاحتيال ، رجل فى غاية السوء ، بينما الحقيقة عكس ذلك !

ـ مـاذا ؟!

كانت الدهشة تملأ وجه التلميذ الفتى وهو يحدق فى وجه استاذه الشيخ الذى استطرد :

ـ المقياس الحقيقى للرجل المفكر ، هو الكلمة المكتوبة .. فما دمت تحافظ على المبدأ الذى تؤمن به ، فيما تكتب ، فلا غبار عليك فى أن تمد يدك لتدخلها فى جيب الرجل الذى يجلس بجوارك فى القطار أو الطائرة لتستولى على حافظة نقوده !

ـ لكن ...

ـ لكن ماذا ياتلميذى الفتى ؟

ـ هل هناك تفرقة بين الكلمة المكتوبة وبين السلوك الشخصى ؟

ـ طبعا .. فلو أن احدا طلب منك أن تكتب بحثا يتعارض مع المبدأ الذى تؤمن به ، فلا تفعل .. إياك .. فهذا شيء فى غاية الحقارة .. أما إذا كنت فى حاجة إلى المال ، واستطعت أن تحضر شحنة أسلحة فاسدة لجيش بلادك ، لكى تكسب منها بضعة ملايين ، فلا تتردد فى أن تفعل !

ـ سلاح فاسد ؟!

كادت سبابة الأستاذ الشيخ أن تخرج عين تلميذه الفتى وهو يقول :

درس في المبادئ اللولبية!

– اسمعني .. الست صاحب مبدأ ، وهذا معناه انك في حاجة الى ان تحصن نفسك اقتصاديا ، لكي تكتب ما يمليه عليك ضميرك ، لا ما يفرضه عليك الآخرون ؟

– نعم ..

– إذن ، افعل اى شيء في سبيل جمع المال ، بما في ذلك السطو على المصارف ، وذهب المتاجر ، والتزوير في الأوراق الرسمية ، وكتابة الشيكات بدون رصيد!

– اجمع المال عن طريق السرقة ياأستاذي الشيخ ؟!

– شوف يابني .. السرقة تنقسم الى ثلاثة انواع : سرقة مورفولوجية ، وسرقة ميتافيزيقية ، وسرقة بنفسجية ..

أما السرقة المورفولوجية ، والميتافيزيقية ، فانني لن أشرحهما لك ، لأن عقلك المحدود لا يرتقي الى المرتبة التي تمكنك من الفهم ! ..

– لمــاذا ؟

– لأن اللغة التي يجب ان استخدمها في الشرح ليست لها كلمات تقابلها في اللغات الحية .. ومادام الأمر كذلك ، فدعني أشرح لك الأسس الفلسفية للسرقة البنفسجية .. هل معك سيجارة ؟

– معي يا أستاذي ..

تناول الأستاذ الشيخ السيجارة ، واخرج من جيبه ولاعة من الذهب الخالص ، لها شكل الآلة التي يحملها رؤساء العصابات لفتح الخزائن ، واشعل السيجارة ، ثم جذب منها نفس عميقا ، طويلا ، يدل على ان الأستاذ الشيخ من ذوي التجارب الواسعة في دنيا (الماريجوانا) واخواتها ، ثم اخرج الدخان من منخريه في خطين رماديين طويلين ، صعدا الى السقف وعادا من جديد في تشكيلات فنيه رائعة تدل على أن المرحوم بيكاسو قد استقى منها خطوطه العظيمة قبل أن يدخل في مرحلته الزرقاء !

– هل انت معي يا تلميذي الفتى ؟

– معك ياأستاذي الشيخ ..

السرقة البنفسجية هي التي تكون من اجل الدفاع عن مبدأ .. هي مثل الذي يحارب الأعداء ويستولي على اسلحتهم .. هذه الأسلحة كلفت أصحابها اموالا طائلة .. وحينما تستولي عليها ، فكأنما سرقت الأموال التي دفعها فيها أصحابها .. أليس كذلك ؟

– نعــم ..

– إذن ، هذه هي الأسس الفلسفية للسرقة البنفسجية .. هي سرقة من اجل الخير .. انها أشبه بنجدة الانسان الجائع الذي طلب منك كسرة خبز ، ولم يكن في جيبك مال .. في هذه الحالة انت مطالب بالهجوم على أول رجل تلتقي به على قارعة الطريق ، لتفتح في وجهه المطواه .. على فكرة .. هل تحمل في جيبك مطواة ؟!

– لا ..

– خطأ ! .. المفكر الحق ، صاحب المبدأ ، مطالب بحمل مطواة في جيبه !

– ثم اخرج الأستاذ الشيخ من جيبه مطواة طويلة ، علاها الصدأ ، لها شكل قرن الغزال ، وقال :

– افهمت ؟!

– فهمت !

– نعود الى سياق الحديث .. ماذا كنا نقول ؟

– تحدثنا عن السرقة البنفسجية ..

– آه .. لكن اين وصلنا فيها ؟

– سحبنا المطواة في وجه الرجل !

– رائع !.. عليك بعد ذلك أن تطلب منه تسليم ما معه من أموال ، وإلا فانك ستضطر الى أن تنزل كرشه بين قدميه!

– ولنفترض انه رفض تسليم ما معه من أموال ؟

– انزل كرشه فورا !

– وادخل السجن ؟!

– وماذا في هذا ؟ .. الست صاحب مبدأ ، والمبدأ عادة يؤدي بصاحبه الى السجن ؟!

– لكني سادخل السجن كسارق ..

– قلت لك ، سرقتك هذه بنفسجية .. هي أسمى سرقة عرفتها البشرية في تاريخها الطويل .. هي السرقة التي تمكنك من تامين نفسك اقتصاديا لكي تتفرغ ..

– اتفرغ إلى ماذا ؟

– لكي تنتج فنا وفكرا ، تعيد به صياغة العقلية العربية من جديد .. فانت صاحب رسالة .. مطلوب منك أن تنمي في قومك الفضائل ، وتشيع بينهم المثل العليا ، حتى يتجنبوا الكذب والسرقة والخيانة .. انك تسرق لكي تنشيء انفسا وعقولا .. هل وعيت الدرس جيدا ؟

– وعيته !

– إذن هات سيجارة اخرى ..

– هاهي .. تفضل ..

– هه ؟ .. ما هذا ؟ .. كيف حدث هذا ؟ .. هــه ؟

– مالك ياأستاذي الشيخ ؟ .. لماذا تفتش في جيوبك هكذا بطريقة هستيرية

– أين ولاعتي الذهبية ؟ .. ثم ، ياالله ، أيـن حافظة نقـودي ؟!

لقاء مع الناقد البولوني جون كوت

شكسبير

مصدر الهام في كل العصور

● الوجه الآخر لشكسبير.. يعني تأثير النهضة الإيطالية عليه

● النص الأدبي البشري يحاور نفسه .. بل يمكن القول إنه يتحدث إلى النصوص الأخرى التي سبقته

نشر ملحق « فكر وفن » لجريدة البابيس مؤخرا (اقوى الجرائد الاسبانية وأوسعها انتشارا في الوقت الراهن) حوارا مع الناقد البولوني الاصل « جون كوت » الذي يعد من الشخصيات المتخصصة في عالم شكسبير وواحد من هؤلاء المثقفين الكلاسيكيين القلائل الذين ما زالوا على قيد الحياة الابن الشرعي لهذا القرن وما به من مفارقات عجيبة • ولد في بولونيا ١٩١٤ • درس في باريس وشارك في حرب المقاومة ضد النازيين في بلاده • كان على اتصال بالمنشقين البولونيين • يعيش الآن في الولايات المتحدة الامريكية حيث يعمل أستاذا محاضرا في جامعاتها (ستوني بروك ، وبالى) • تعود شهرة « كوت » أساسا الى كتاب له عن شكسبير بعنوان : « شكسبير الذي يعاصرنا » ولقد ترجم هذا الكتاب الى ٢٨ لغة عالمية ، وبيعت منه حتى الآن أكثر من نصف مليون نسخة•

جون كوت

يعرف عن (كوت) أنه من المتخصصين البارزين فى شكسبير وبتعبير ادق فى اعمال شكسبير المختلفة . فقد كتب عنه حتى الآن ثلاثة كتب وسيلا من المقالات المنشورة فى أشهر المجلات العالمية المتخصصة ، لقد كان (كوت) وما يزال يمعن النظر فى مختلف أعمال عبقرى الانجليز . فهو يقول (إنى مازلت أعتبر نفسى متخصصا فى شكسبير لأسباب عملية ، السبب الأول والرئيسى هو اننى مازلت مكلفا بتدريس مادة (الأثر الشكسبيرى) فى جامعة ستونى بروك بنيويورك ، ومازلت ادون عاما بعد آخر ملاحظاتى عن هذا العبقرى ، ثم ان هناك سببا آخر وهو أنى قارىء نهم عاشق لكل ما خلفه لنا شكسبير ، وانا فضلا عن ذلك مازلت انام وكتب شكسبير فى يدى أى ما أزال احتفظ بعادتى القديمة وهى قراءة مختلف أعماله قبل الخلود إلى النوم .

كانت أول كتبى عنه عبارة عن محاولة للتعريف بآثاره على اوسع نطاق . ولقد صدر هذا الكتاب منذ عشرين عاما وعلى الرغم من أن المدة ليست ببعيدة فان هذا الكتاب يعد بالنسبة لى قديما ، واريد الآن أن اقدم شكسبير على ضوء المفاهيم المعاصرة ، ولهذه الغاية انتهيت منذ أيام من تأليف كتاب جديد عنه وهو يختلف اختلافا كليا عن كتابى السابق ، وعنوان الكتاب الجديد هو (شكسبير لم يعد معاصرا لنا) وقد يفهم البعض اننى اتوخى قولا عكس ما ينطق به عنوان الكتاب . بل أن غايتى هى التعريف بالوجه الآخر لشكسبير اعنى تأثير النهضة الايطالية عليه. ولا يمكن أن يفهم هذا الكتاب بدون قراءة كتاب آخر لى بعنوان (غذاء الآلهة) وهو عبارة عن مجموعة من المقالات النقدية تعالج اعمالا أدبية مختلفة تنصب أساسا على المؤلفات الاغريقية القديمة ، كما تتناول جانباً هاما من اعمال شكسبير المعروفة ، وأن الأعمال التى يعالجها الكتاب تعد بمجموعها إرثا ثقافيا لا يقدر بثمن وهى – على الرغم من قدمها – ما زالت تعبر تعبيرا حيا عن العالم الذى نعيش فيه . إننى ما أزال الهث وراء اعمال شكسبير كما كان عهدى به منذ قرأت له لأول مرة ، وكلما عدت لقراءة هذه الأعمال عثرت على شىء غاب عنى فى قراءة سابقة . إننى دائما اجد فيه الجديد وأن اعماله تشبه الادوات الموسيقية الكلاسيكية التى لا يمكن ان تصنع مرتين بنفس الاتقان والجودة الاولين).

لقد فتح شكسبير لهذا العاشق الولهان جميع الأبواب بما فيها أبواب الشهرة والمجد . فقد سبق لجون كوت أن عمل مع أسماء معروفة من رجالات المسرح وعالم

محمّد محمّد الخطابي

شكسبير

السينما كبيتر بروك ، وجيروجيو ستريلر ، وبرجمان الخ ، كان دائما خير مستشارلهم فى عدة أعمال اكتسبت فيما بعد شهرة وصيتا بعيدى المدى ، وبصفته دارسا متخصصاً فقد فتح هو الآخر ابواباً وشق مسالك لا شك أنها اسهمت بقسط وافر فى التعريف ليس فقط بمعشوقه شكسبير بل بأعمال ادبية اخرى ذات قيم عالمية .

هاملت شبح الايدولوجية المعاصرة

(اننا لا نستطيع أن نعرف بالضبط مدى ما توصل اليه شكسبير فى فكره واعماله ، بل أنه ليس فى مقدورنا التعرف بالتحديد على مايريد قوله شكسبير من خلال اعماله ان نصوصه ذاتها هى التى تفكر ، إن النص الادبى الشكسبيرى بنية تفكيرية قائمة الذات ، فان أول ما يهمنى فى المقال الأول من هذه النصوص هو ما تفوه به وتعبر عنه أو ما تفضى اليه من معان سامية وقيم لا تفنى ، ان النص الأدبى كائن قائم الكيان وان الدراسات النقدية المخلصة لا تفتأ تبذل قصاراها من أجل استكناه ما به من أسرار أو رموز ، إن النص الثرى يجاور نفسه بل يمكن القول كذلك انه يتحدث الى النصوص التى سبقته أو التى تليه وأن النص الأدبى يكتسب قيمته من عالم الرموز لقد رأيت منذ مدة ليست ببعيدة عرضا لاحدى مسرحيات شكسبير بدوبرونيخ وهى مدينة سياحية جميلة بيوغسلافيا ، فعندما يخرج الشباب عن وعيه ويرتمى فى أحضان الرذيلة يجىء (هاملت) ليقدم لهذا الشباب مالم يعد موجودا بيننا . يقدم لهم (القيم) لقد كان عرضاً رائعاً وذكياً ، ان هؤلاء الشباب هم اناس اليوم ، أما (هاملت) فقد كان يسير فى اتجاه معاكس لهذا التيار . لقد كان فى العمق بمثابة شبح يظهر فى عصر الايديولوجيات فى هذا المجتمع الغربى الذى نطلق عليه مجتمع الاستهلاك والرقابه ليضعنا أمام اختيار صعب . فالنصف الثانى من القرن يكاد ينتهى وهو ينكر النصف الأول منه . كل ذلك دفع بى الى تغيير وجهة نظرى فى الكتاب الآخير) .

مايشير اليه (كوت) هنا له علاقة كذلك بصفة مستمرة بكتابه ــ غذاء الآلهة ــ ففى هذا الكتاب يرتكز على الدراما الاغريقية من خلال عدة اعمال ذات شهرة عالمية ، ولكن الدراما ذاتها ليست كافية فى عصر سيطرة اللامعقول على مختلف الجوانب من حياتنا !

أعماق المأساة

(ان المسميات أصبحت بلا معنى ، لقد امست الدراما تعيش بين ظهرانينا اليوم تحت سماء ليس فيها أمل مرتقب ، انها سماء خالية وان المجتمع الذى تحتها يملى علينا أوامره وليس لنا سوى الخنوع ، وتلك هى أعماق المأساة انه شىء فوق تصورنا وعقولنا ، اننا نشعر أن هناك شيئاً ما يثقل كاهلنا ويؤرقنا ولا يمكن أن يكون هذا الشىء سوى الفراغ الذى يملأ حياتنا الجديدة . إنها حقيقة وياللأسف أقوى من الحقيقة ذاتها ، إننى اعترف أن احسن رؤاى عن هذه المأساة وأقوى شعورى بهذا اللامعقول يرجع الفضل فيهما الى (االبير كامو) اليس هو القائل : (ان المطلق ليس هو اللامعقول ، بل ان اللامعقول هو شعور الانسان بعدمية الكون) .

إن (كوت) شديد الاعتزاز بانتمائه الى بلده (بولونيا) الذى يشعر نحوها بحب ليس له حدود ، وهو من ثم مثال حى للغربة والاغتراب ، انه يتحاشى دوما الحديث عن هذا الموضوع لكثرة ما يسبب له من ألم وحسرة . ويقول (منذ ثلاثة عشر عاما وانا بعيد عن بلدى . أن ثلاثة عشر حولا بعيدا عن الوطن الأم كثيرة جدا بالنسبة لى ، اظن اننى لن أعود ابدا الى موطنى ، لقد كافح البولونيون كفاحا مستميتاً من أجل استقلال بلادهم ومن أجل حقوق الانسان وفى سبيل حرية الفكر والتعبير وان الصراع الذى فرضته عليهم الظروف يشبه الى حد ما صراع الأسبان ضد جميع اشكال الدكتاتورية والحكم المطلق . لقد كانت المقاومة فى ــ بولونيا ــ قوية ومنظمة وكانت

تضم بين صفوفها شبانا يتمتعون بمستوى ثقافى ممتاز ، لقد كانت ظروف حياتنا متشابهة وكان الفقر هو عدونا الأول كما أن الحياة الثقافية فى كل من بولونيا واسبانيا كانت موالية للفكر الكنسى ، غير أن الكنيسة فى ـ بولونيا ـ كانت تساعد وتؤيد المقاومة اذ سرعان ما اختارت الخط التقدمى وقد يفسر ذلك سبب وجود ـ بابا ـ بونونى الآن على راس الفاتكان ! إن الكنيسة جزء من ضميرنا الوطنى وحتى هؤلاء الذين لا يؤمنون هم بشكل أو بآخر مؤمنون فى العمق) ان ما ذهب اليه كوت على صواب غير ان اسماء بعض الفنانين البولونيين تجعلنا نشك فى شعورهم الدينى بل قد يذهب الأمر إلى أبعد من ذلك فماذا مثلا عن الكاتب المسرحى (فيتكيفكس) الذى عاصره كوت وتعرف إليه . انه يقول عنه (كان ينتمى الى الجيل السابق أنه ابن القرن التاسع عشر . غير انه يعتبر من المعاصرين لنا بكل ما تنطوى عليه هذه الكلمة من مفاهيم ، لقد كان مجددا فى إبداعاته وكان متأثرا بالناقد الفنى والأدبى (غوغين) . لقد ترك لنا (فيتكيفكس) آثاراً قيمة فى الأدب البولونى المعاصر ، وان الجيل الجديد لمدين له بالكثير . كانت نظرته للحياة نظرة تشاؤمية وقد تنبأ بنهاية الانسان ومحنته المعاصرة وفقدان القيم وأزمة الفكر الغيبى والفلسفات . وعندما غزا الألمان بولونيا وهاجموها انتحر حيث كان طاعناً فى السن . ولقد تنبأ قبل غيره ببداية عصر انحطاط المجتمع الحديث وكان ذلك إرهاصاً بظهور اللامعقول ورأى أن ثورات القرنين التاسع عشر والعشرين ستنتهى الى دكتاتورية والى صراع اليسار واليمين ،كما تنبأ بأن هذا العالم سيتحول الى قرية صغيرة ما يحدث فيها انما هو راجع لمحض الصدفة والحظ . وتعد كتبه الآن من أوسع الكتب انتشاراً واكثرها اصالة وان العالم الذى نعيش فيه اليوم هو نفس العالم الذى تخيله ، لقد كان سابقاً لزمانه .

جيل المقاومة

(لقد تعرفت على الكاتب الروائى والمسرحى قبل نشوب الحرب ، كان ينتمى الى جيلى وهو ما أطلق عليه جيل المقاومة والعصيان ، ولقد غادر بولونيا بالضبط عندما انهيت دراستى فى باريس وعدت الى ارض الوطن . حينئذ انتقل إلى الأرجنتين

كانت نظرته إلى الحياة تشاؤمية وقد تنبأ بمحنة الإنسان

تاريخ الجيل الذى أنتمى إليه يبدأ مع الحرب الأهلية الأسبانية

واستقر بها ، ولقد كان صديقاً حميماً لفيتكيفكس ، وينبغى أن اقرر هنا حقيقة لا جدال فيها وهى أنه كان من أعظم كتاب عصره . كان قوياً وكان ذا مزاج متفائل ، ولن اتطرق هنا الى المزايا المتعلقة بنبله وانسانيته ، واننى صديق عام لأرملته . عندما كان فى مقتبل العمر كان شبيها بمجنون . كنا نذهب الى بيته ونلتقى فى المقاهى ، وكان يروقه دائماً التعمق فى شخصية الآخرين ، كان يقول أن الانطباع الذى يتركه وجه الانسان يدل على شخصيته وكانت معرفته بالآخرين بمثابة مغامرة أو صراع ، كان شديد الغضب ويثير الجميع بشخصيته الغريبة وهو فى استطاعته خلق اقل حكاية لتفجير موقف قوى .وبالجملة كانت حياته عرضاً مسرحياً صادقاً للمرارة والمعاناة)

وبالمقارنة مع حياة (غومبروفيكس) و (فيتكيفكس) العظيمين فان حياة (جون كوت) تعد نغما إضافيا ثالثا فى سيمفونية الأدب البولونى المعاصر بعبقريته وانتاجه ونضاله ومعاناته هو الآخر . بل إن هناك شيئا آخر مثيراً فى حياة هذا الكاتب . يقول (لقد كنت ابن تاجر بسيط ، لم يكن والدى ميسور الحال ، غير أنه راهن على دفع التزاماتى الدراسية لسبب بسيط وهو ان الالتحاق بالجامعة البولونية لم يكن يكلف شيئا كبيرا فى الحقيقة ، وعندما نشبت الحرب الأهلية الاسبانية كنت قد عدت الى فارسوفيا ، وكانت هناك لجنة خاصة لتأييد الجماعات المحاربة ضد الغزو الأجنبى فى أى بلد . ولقد كنت أحد أعضاء هذه اللجنة ، كان لى عدة أصدقاء يحاربون ضد الفاشية ، كانوا شجعانا والتحق بعضهم بأسبانيا ومات بها . كانت لجنتنا تلك تسمى باللجنة السابعة . كنت ذا مزاج ثورى ويصعب على

الان ان اصنف أو اضع نفسى مع اليسار الجديد أو اليسار اليمينى . ان تاريخ الجيل الذى انتمى اليه يبدأ مع الحرب الأهلية الاسبانية وينتهى بغزو تشيكو سلوفاكيا (١٩٦٨) .

الموت فى المنفى

لقد امتنع كوت فى البداية عن الحديث عن منفاه ، ولكنه صرح بعد ذلك قائلا إننى لأول مرة أفعل ذلك (كنت أعمل بجانب المقاومين البولونيين كنت أقطن الشارع ولم يكن لى منزل أو مأوى ألجأ اليه ، وكانت تقف بجانبى صديقة لى حميمة كنا نخبىء المنشورات السرية والأسلحة فى منزلها ، ونعقد به بعض الاجتماعات ، كانت رفيعة الدراسة وعلى قدر عال من الجمال ، وصادفتها بعد ذلك احداث فظيعة .وبعد تحرير بولونيا كنت اكتب فى الصحف . ولقد امتنعوا مرة عن نشر قصة لي لانها كانت تتضمن حقائق عن حياتى الخاصة ، كنت صديقا حميماً للفيلسوف الكبير (كولا كوفسكى) الذى يعيش فى المهجر هو الآخر مثل كثير من المثقفين البولونيين ، وعندما دعيت من طرف جامعة أمريكية لالقاء بعض المحاضرات تعرفت على كثير من الحقائق المرة ، وتفاقم الشعور بالغربة فى نفسى عندما أقمت هناك ، ورأيت أنه من الخير أن أنتظر لأبت فى امرى واخيرا فضلت الاستمرار فى منفاى ، لم يكن ذلك من وحى أفكارى بل لقد أرغمت أن اظل خارج بولونيا لان معظم زملائى الذين عادوا إليها نزعوا عنهم أستاذيتهم ووظائفهم وتركوا لهم حرية الاختيار فى البقاء ببولونيا أو مغادرتها ، اظن اننى سأموت بعيداً عن موطنى (فى هذه اللحظة اعترت وجه جون كوت مرارة حزينة وقطوب شديد وإحساس حقيقى وصارخ (بالمأساة) التى تحدث عنها قبل قليل . لقد بدا اكثر إيمانا بصديقه فى المعاناة (كامو) وقال فى الأخير (اننى رجل محكوم عليه بالغربة وسأموت بين احضانها) ثم أضاف : إننى اذكر انه عندما كان غومبروفيكس يعيش فى منفاه بفرنسا سألته إحدى الصحفيات وهو فى فراش المرض عما يتمناه فى تلك اللحظة ، فقال على الفور : الموت ، وينطبق ذلك على الآن فخير ما أتمناه أنا الآخر هو الموت .

مدريد : محمد محمد الخطابى

جمال كناني

رولاند تولكين

صانع الميثولوجيا الإنجليزية

● لا تضحكوا مني فقد حدث ذات يوم أن فكرت في خلق هيكل كامل من أساطير متصلة!

● الأرض الوسطى هي نفس عالمنا لكن ما يجري عليها من أحداث هي من خيال المؤلف

● صغار الجن والأقزام والأرواح الشريرة في أساطيره كانت تمشي على الأرض!

كان الأدب الانجليزى حتى مستهل الخمسينات من هذا القرن أدبا ناقصا تعوزه الميثولوجيا، فكان كتابه وشعراؤه لا يجدون أمامهم غير الميثولوجيا الأغريقية يقتبسون منها ... فلما كتب تولكين كتابه (رب الخواتم) فى ١٩٤٩/ ١٩٥٠ تغير وضع الأدب الانجليزى تماما .

ولكم تردد تولكين فى الاقدام على ما وصفه صاحبه جفرى سميث بأنه مشروع (لا نظيرله ولا مثيل فى تاريخ الأدب كله) .. ذلك هو خلق ميثولوجيا بأكملها ...

ولنبدأ القصة من أولها ونقول أن تولكين الصغير ، كان منذ طفولته يهوى اختراع كلمات ولغات غريبة جديدة يطلقها على ألسن ما يرسم بخياله من جنيين واقزام ومخلوقات .. ومن هنا تولدت فى نفسه فكرة خلق الميثولوجيا للانجليز على هدى ما كان للأغريق وهو فى هذا يقول (لاتضحكوا منى .. فقد حدث ذات يوم أن فكرت فى خلق هيكل كامل من أساطير متصلة ، منها ما هو أساطير كونية ومنها ما هو أساطير صغيرة لا ترتفع عن مستوى قصص الجن) .

أولى أساطير تولكين التى وردت فى كتابه (سلماريليون) تروى قصة خلق الكون وبناء العالم الذى اسماه تولكين (الأرض الوسطى) وارض تولكين هى نفس عالمنا إلا أن ما يجرى عليها من أحداث، وليد خيال المؤلف نفسه ، وزمن وقوع الاحداث هو الزمن القديم يوم كان شكل الأرض يختلف عن شكلها الحالى .

وعالج تولكين فى كتابه (سلماريللى) طريقة تكوين الجواهر الثلاث التى يملكها صغار الجن ، وكيف سرق مورجوث الشرير تلك الجواهر من مملكة فالينور وما أعقب ذلك من حروب شنتها صغار الجن لاسترداد تلك الجواهر .

والذى يلفت النظر هو أن تولكين ــ الاستاذ الكاتب الفحل ــ كان يؤمن إيمانا راسخا بأن ما يرويه فى تلك الأساطير هو الصدق الخالص ... لا لأنه كان يعتقد أن صغار الجن والأقزام والأرواح الشريرة التى صور فى اساطيره كانت تمشى على الأرض أو تقوم فعلا بما وصف من حركات والاعيب واعمال ، ولكن لأنه كان يحس أن الصدق نفسه يتجسم فى مضمون تلك القصص دون أن تكون القصص من النوع الرمزى ، وهو نوع من الأدب لا ترتاح إليه نفس تولكين الذى كان يؤمن وهو يكتب الميثولوجيا الكاملة ــ أن كتاباته ليست مجرد ابتكار لقصة لأن تلك الاساطير كانت تخطر بباله أولا كمعطيات تمر فرادى أمام خياله ثم تظهر بينها روابط تضفى عليها صفة التسلسل وكان على حد قوله ــ يحس طول الوقت أنه يكتب عن شىء موجود قائم

رولاند تولكين

فعلا وليس عن شيء اخترعه أو ابتكره .

ولعل تولكين كان أوفر حظا من غيره من الكتاب المعاصرين لأنه كان يقرأ مالم ينشره من كتاباته على جماعة من أفضل أهل العلم والأدب – جماعة الانكلنج التى شكلها عام ١٩٣١ تانجى لين ، ايام كان طالبا فى الكلية الجامعية فى اكسفورد ... كان يهتدى بآراء أصدقائه من امثال تشالز وليامز قبل النشر .

سيرة تولكين

فى مارس ١٨٩١ ابحرت الانسة ميبل صفيلد الى جنوب أفريقيا لتلحق بخطيبها آرثر تولكين ، الذى كان يعمل مديرا لفرع كبير من فروع بنك أفريقيا ... وفى ١٦ ابريل ١٨٩١ تزوج آرثر بميبل ورزقا بأول أولادهما جون رولاند يوم ٣ يناير ١٨٩٢ ... ثم بغلام ثان بعد ذلك .

عاشت الاسرة فى مدينة بلوم فونتين عيشة نكدة لأن جوها القارى لم يلائم الأم ولا ابنها البكر رولاند .. وبعد خمسة اعوام امكن الأم أن ترحل بطفليها إلى انجلترا على أن يلحق بها زوجها بعد قليل ... وابحر ثلاثتهم فى ٤ ابريل ١٨٩٥ .

علمت ميبل بعد أشهر بمرض زوجها الذى مات فى فبراير ١٨٩٦ ودفن فى مقر عمله دون أن يخلف الصغار شيئا يذكر .

وجرى نهر الايام وئيدا بين ضفاف الزمن ... وواجهت الأم مشكلة تعليم اولادها فقررت أن تتولى ذلك بنفسها أول الأمر ، واستقرت فى بيت متواضع فى قرية مجاورة لمدينة برمنجهام ، وفرح الطفل رولاند لبعده عن المدينة لأنه كان يؤثر حياة الريف التى كان لها أثر ملحوظ على حياته الأدبية .

وبدأ رولاند وأخوه يألفان رطانة أهل الريف وما فيها من الفاظ غريبة مشتقة من ظروف المكان وأخذ رولاند (يصنع) كلمات جديدة ، يصوغ منها لغة جديدة ، يتحدث بها مخلوقات يشكلها خياله الخصب .

فى عام ١٩٠٠ ارتدت الام عن مذهب البروتستانت واعتنقت الكاثوليكية وتبعها ولداها ... وغضبت الاسرة وثارت .. ولكن احد اعمام رونالد تولى دفع الرسوم المدرسية لما جاز روبرت امتحان القبول ... ولبعد المدرسة عن القرية أضطرت الأم للسكن فى برمنجهام نفسها وحزن رولاند لذلك .. ولكنه قبل ما ليس منه بد .

تعرفت الاسرة فى برمنجهام على قس كاثوليكي – فرانسيس مورجان – كان له أثر كبير على حياة رونالد التعليمية ، وخاصة بعد ان اصيبت أمه بمرض السكرى عام ١٩٠٤ وماتت فى نهاية نفس تلك السنة .

وليس ادل على مدى تعلق رونالد بأمه من انه كتب بعد موتها بتسعة أعوام (كانت أمى من الشهداء حقا .. كان أعظم ما منحنا الله ، انه اعطانا أما قتلت نفسها كدأ وهما لتضمن لنا حياة طيبة وتصون لنا إيماننا) .

قرر الاب فرانسيس أن ينقل رونالد واخاه بعد موت أمهما إلى بيت سيدة كانت تشتغل بتعليم الموسيقى ، اسمها المسز فوكنز كان زوجها يتجر بالنبيذ ويستهلك منه اكثر مما يبيع .. وكان فى البيت الى جانب هؤلاء فتاة فى التاسعة عشرة اسمها إيدث برات .. كانت تقضى معظم وقتها فى الخياطة .. وكانت إيدث هذه ذات جمال وسحر وفتنة .. وعرف الشقيقان أنها بنت سفاح .

وعلى الرغم من تفاوت السن ، نمت علاقة غرامية بين رونالد وإيدث .. فكانا يلتقيان تحت ستر الظلام .. ورونالد إذ ذاك يستعد لدخول جامعة اكسفورد ويعلم أن امتحان الدخول صعب .. وفعلا فشل .. ولم ينجح .. وأدرك أنه لابد أن يبذل جهد الجبابرة ليحصل على إحدى المنح الدراسية التى تقدمها الجامعة كل عام .

وقرر الاب فرانسيس أن يفصل بينه وبين إيدث .. فلما عاد الى اكسفورد عام ١٩١٠ نجح ونال جائزة علمية متواضعة .

واعلنت الحرب العالمية الأولى ولكن تولكين أصر على أن يتم دراسته .. وأتمها وتزوج إيدث فى مارس ١٩١٦ وبعدها ابحر مع فرقته الى فرنسا .. برتبة ملازم ثان .. فلما اعلنت الهدنة عاد الى اكسفورد ليشترك فى إعداد قاموس أكسفورد الجديد

وفى عام ١٩٢٤ عين تولكين أستاذا للغة الانجليزية فى جامعة ليدز ثم اختارته جامعة اكسفورد بعد ذلك استاذا للغة الانجلوسكسونية .

وتوج تولكين حياته الجامعية لما عين استاذ مرتون للغة الانجليزية فى جامعة اكسفورد . ولم يتخل عن كرسى الأستاذية إلا عام ١٩٥٩ .

والذى ماز تولكين عن غيره ، أنه كان فى تدريسه الجامعي يلقى على طلابه وغيرهم من المستمعين تفسيرات واضحة تلقى على النصوص ضوءا شديدا وأنه كان محبوبا من طلابه الذين كانوا يقدرون فكاهاته ويطربون لها ، وكانوا يجدون فيه إنسانية لا تتوافر لغيره .

حياته الأدبية

كان من الممكن أن نقول إن حياة تولكين الأدبية اقتصرت على كرسى اللغة الانجلو سكسونية الذى شغله لمدة عشرين عاماً ، وشملت انتخابه بعد ذلك استاذ مرتون للغة

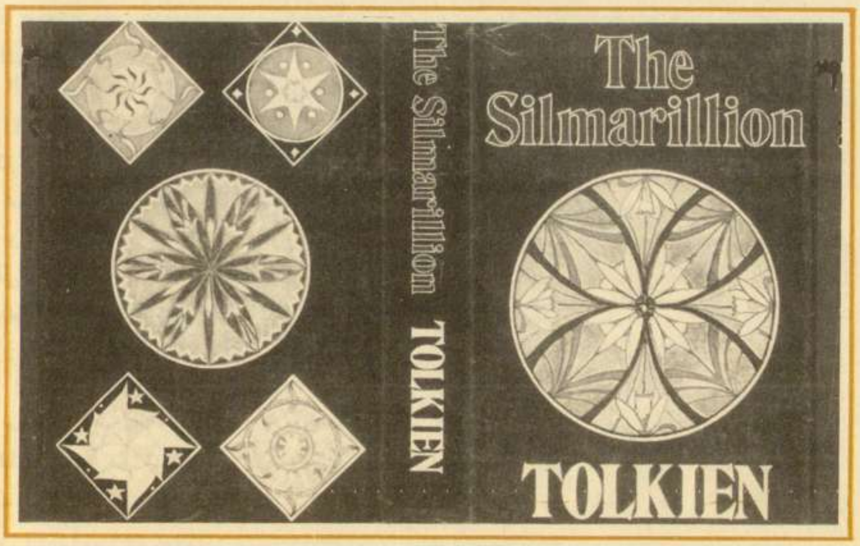

الانجليزية وآدابها ، وإن هذه الحياة تتصف ببراعة اكاديمية ، ولكنها براعة فى نطاق محدود لا يهم القارىء فى قليل أو كثير .

كان من الممكن أن نقول ذلك ونصدق القول ، لو أن تولكين لم يؤلف خلال هذه الفترة كتابين نالا اكبر قسط من الرواج إذ بيع من كل منهما عدد يفوق ما بيع من أى مؤلف آخر ... فالذى بيع مـن كتاب (رب الخواتم) يزيد كثيرا عن ثلاث ملايين نسخة ولسنا نعرف على وجه التأكيد عدد ما بيع من كتاب (ذى هوبت) .

استطاع تولكين أن يخلق شخصية يود ع فيها كل ما احب هو فى الجزء من انجلترا الذى نشأ فيه ، وهى شخصية المستر بلبو باجنر (الهوبت) .. كان المستر بيلو باجنز قريب الشبه من تولكين الذى يعترف بوجود هذا الشبه بين (الخالق) و (المخلوق) ويقول (أنا فى واقع الأمر ــ هوبت ــ إلا من حيث الحجم ، احب الحدائق والاشجار والمزارع غير المميكنة ، ادخن غليونى واحب الطعام العادى ، واكره الطبخ على الطريقة الفرنسية ، وعندى من الشجاعة ما يمكننى من لبس صدرية مزركشة) (ولا يرجع اصل جماعة الهوبت الى مافيهم من صفاتى او مميزاتى) ــ فالهوبت فى راى تولكين (جماعة بسطاء من الريف الانجليزى ، احجامهم صغيرة لأن خيالهم محدود عادة ، ولكن شجاعتهم وقوتهم الكامنة لاتحد) . أى أن جماعة الهوبت التى خلقها تولكين تجمع بين صفات الخيال المحدود والشجاعة النادرة وهى (كما لمس تولكين بنفسه وهو فى الخنادق ايام موقعة نهر السوم) ، التى غالبا ما تعين الانجليز على البقاء فى وجه المخاطر .

وعلى الرغم مما فى القصة من ميثولوجيا إلا انها اساسا قصة للاطفال كان كاتبها يقرأ حلقاتها على أطفاله قبل النوم ... كان اسم التنين فيها أول الأمر (برفتان) واسم كبير الاقزام جاندلف ، أما الساحر فهو بلادورثين وسرعان ما تغير اسم التنين الى (سموج) وهى كلمة مشتقة من أخرى جرمانية معناها (يمر خلال خرق أو فتحة) .

بدأت هذه القصة للتسلية فقط ، ولم يهدف تولكين الى نسبة عالم (بلبو باجنز) البورجوازى الى العالم الميثولوجى العريض الذى رسمه (سلماريلون) إلا أن عناصر الميثولوجيا بدأت تزحف الى القصة بالتدريج وسرعان ما تبين باجنز ، ان طريق رحلته هو ورفاقه تقع عبر ركن من أركان

تولكين

(الأرض الوسطى) ... وفى ذلك يقول تولكين (ولعل هذه هى الأرض التى داسها باجنز لما ضل الطريق) ... ولما كانت احداث القصة الجديدة قد وقعت بعد احداث (سلمار ليون) بفترة طويلة ، ومادامت (سلمار ليون) تسجل تاريخ العصرين الأول والثانى من عصور (الأرض الوسطى) فيبدو أن (هوبت) هى قصة العصر الثالث .

المعروف أن تولكين بدأ هذه القصة عام ١٩٣٠/ ١٩٣١ وأنه تركها عندما بلغ الفصل الأخير . فلما اقنعته إحدى تلميذاته باتمامـها عام ١٩٣٦ ، بدأ العمل فيها ثانية وهو يقول (كدت انتهى من كتابة هوبت) ... واخيرا وصلت القصة الى يد الناشر .. ولما كانت قصة (للاطفال) ــ سلمها الناشر لولده ليقرأها .. فأعجب بها .. ونشرت عام ١٩٣٧ .. وطالب القراء بالمزيد عن حياة (الهوبت) ولكن تولكين لم يكن يريد مواصلة الكتابة عن هذه المخلوقات ، بل كان كل همه ان يبدأ الكتابة الجدية ليعد الميثولوجيا الكاملة التى كانت تشغل عليه فكره . فأخذ يركز هذا التفكير حول (الخاتم) ويكتب الحوار بين بنجو والجنى الصغير (جلدور) ويشرح طبيعة الخاتم الذى يقول الجنى انه واحد من عدة خواتم صنعها نكرو مانسر .. ويبدو أنه هو نفسه الذى يبحث عن الخاتم ... وهكذا أخذت الاحداث تتطور والسياق يضطرد فى راس الكاتب الذى رأى أن يكون خاتم بلبو هو الخاتم الرئيسى ــ الخاتم الحاكم ــ وأن تعود الخواتم الاخرى الى موردور ، ويظل الخاتم الرئيسى مفقودا ، فهذا الخاتم هو خاتم صورون ومصدر قوته . وصورون هو بدوره السيد الخفى لموردور .

واطمأن تولكين الى هذا الوضع وارتاحت نفسه الى هذا الهيكل لأنه يرتفع بكتابه الجديد فوق مستوى (الهوبت) وقصص الاطفال .. الى عالم أعظم يمثل البطولة الرومانسية .. وقرر تولكين بعد ذلك أن يكـون عنـوان قصتــه الجديدة (رب الخواتم)

والكتاب قصة طويلة تتألف من مليون كلمة ، استغرقت كتابتها ثلاثة عشر عاما ، ولم يفرغ تولكين من كتابته إلا فى أواخر ١٩٤٩ .. وبعث تولكين بالخطوط الى صديقه سى.لويس الذى قرأه ثم كتب الى تولكين يقول :

عزيـــزى :

جرعت الكأس الدسمة حتى رويت .. واعتقد أن القصص ــ بعد أن يتسلق القارىء ذلك التل الذى يصادفه أولا ــ لا نظير له فى كل ما قرأت من أدب .. يتميز كتابك بما يبتكر من شخصيات وشخوص وغير ذلك وكأنها تأتى من معين لا ينضب .. كما يتميز الكتاب بوزنه وما فيه من قوة الجذب .

اما تولكين نفسه فقد قال للناشر (إنه كتاب مكتوب بدم حياتى .. ولهذا فمهما يكن من امره فأنا عاجز عن كتابة غيره .)

وبعد خلاف طويل دب بين تولكين والناشر وافق المؤلف على أن ينشر الكتاب فى ثلاثة اجزاء صدر أولها وثانيها عام ١٩٥٤ وصدر الثالث عام ١٩٥٥ وفيما بين ٥٤ــ١٩٥٦ اعيد طبع الكتاب فى انجلترا وحدها أربع عشر مرة وترجم الى جميع اللغات الأوربية والاسكندناوية والعبرية والسلافية .

ماتت إيدث ، زوجته وحبيبته فى نوفمبر ١٩٧١ وتركت الدنيا فراغا حول تولكين فلما احست جامعة اكسفورد بوحدته وجهت إليه دعوة ليكون زميل شرف وخصصت له شقة فى مبانى الجامعة وخصصت له من يسهر على خدمته ...

ولعلنا نذكر أن لتولكين اكثر من أربعين مؤلفا شملت الأدب القصصى ومتن اللغة والشعر وغيرها ...

أحس تولكين فى أواخر ١٩٧٢ بآلام فى معدته زادت من آلام وحشته .. واراحه الله فلفظ آخر انفاسه فى صباح الأحد ٢ سبتمبر ١٩٧٣ .

فاذا كان تولكين هبة من الله فان الميثولوجيا هبة تولكين للأدب الانجليزى والأدب العالمى .

جمال الكنانى

الإسلام .. وأفريقيا

بقلم : د. رأفت غنيمي الشيخ

تشيع فى كتابات الاوروبيين ان أفريقيا كانت مجهولة للعالم قبل مجيء الرجل الاوروبى اليها اثناء مرحلة الكشوف الجغرافية فى القرن الخامس عشر الميلادي وحتى القرن التاسع عشر ، وقد ساعد على شيوع ذلك قلة المصادر التى تتحدث عن افريقيا قبل مجيء الاوروبيين اليها ، بل وقلة المصادر التي كتبها الافريقيون انفسهم بالمقارنة بما كتبه الاوروبيون بعد ان تجولوا فى انحاء افريقيا وحققوا مصالح دولهم فى اراضى القارة .

وهذا القول فيه تجن على الحقيقة لان لافريقيا تاريخا حافلا طويلا قبل مجيء الرجل الاوروبي اثناء عملية الكشف التاريخي وان هذا التاريخ حفل بقيام حضارات وظهور ممالك وامارات عديدة ، ومهما قيل عن تواضع الحضارة الافريقية القديمة فان حضارة فراعنة وادي النيل والفنيقيين بشمال القارة والاتصالات التي تمت بين مواطن هذه الحضارات واجزاء من القارة فى الشرق والغرب تشير الى ان الحضارة الافريقية حضارة راسخة .

كما انه عند انتشار الديانة المسيحية وجدت طريقها الى افريقيا واقيمت الكنائس والمؤسسات الدينية المسيحية فى انحاء من القارة الافريقية واعتنق كثير من الافارقة الدين المسيحى واقاموا علاقات مع اخوانهم فى الدين فى الدول المطلة على البحر المتوسط استمرت حتى ظهر الاسلام فى شبه الجزيرة العربية واخذ يتجه صوب افريقيا .

الاسلام فى أفريقيا

ويعتبر دخول الدين الاسلامى الى افريقيا من الامور ذات الاثر الكبير فى تاريخ القارة ، وهذا لان العرب المسلمين اصحاب الدين الجديد لم

يؤمنوا يوما بنظرية تفوق الاجناس أو وجود جنس نقى ، بل تزاوجوا واختلطوا بجميع الشعوب والقبائل الافريقية شمال القارة ووسطها فى الصحراء الكبرى . وربطت بين الافريقيين شمال القارة ووسطها وشرقها وغربها حتى اصبح عدد المسلمين فى القارة الافريقية اليوم يوازي ثلث سكان القارة يسكنون انحاء القارة شمال وجنوب خط الاستواء .

والاسلام يمثل قوة كبرى فى القارة الافريقية ، ولا تقتصر هذه القوة على القيمة العددية للافارقة المسلمين فقط بل تشمل هذه القوة ايضا النشاط الثقافى والاقتصادى والاجتماعى الذى يمارسه مسلمو افريقيا الى جانب اشتراكهم الحالى فى الحركات التحريرية لاوطانهم الواقعة تحت نير الاستعمار الاوروبى

وان نظرة الى الاحصائية التي وردت فى بعض المصادر عن اعداد الافارقة المسلمين فى كل قطر من الاقطار الافريقية يتضح ان الدين الاسلامى فى انتشاره بأفريقيا قد اخترق نطاق الغابات فى غرب افريقيا ، كما انتشر على طول الساحل الغربى ، ودخل مع بعض المهاجرين الى الكنغو ، وكذلك الحال فى الشرق فقد نفذ الاسلام الى جنوب السودان وهضبة البحيرات وتدفق الى قلب الهضبة الحبشية ، وتخطى ساحل شرق افريقيا الى المناطق الداخلية ، كينيا وتنجانيقا ، ودخل جنوب أفريقيا مع المهاجرين المسلمين من سكان شبه القارة الهندية .

وكان الاسلام يأتى مع موجات من العرب المسلمين المحملين بالرسالة من شبه الجزيرة العربية ، وكل موجة تؤدى دورها من حيث نشر الدين الاسلامي واللغة العربية والاختلاط بالسكان الاصليين لافريقيا . وكانت كل موجة تستقر فى المكان الذى تنزل به اول الامر وسرعان ما تتجه الى المناطق المجاورة لها لكي تنشر فيها نور الايمان بالاسلام ، ولعل الموجة العربية التي وفدت الى شمال افريقيا كانت انشط الموجات العربية الاسلامية حيث ان هذه الموجة الزاحفة من ليبيا فى اتجاه الجنوب الافريقى عبر الصحراء الكبرى قد ساعدت على نشر الدين الاسلامي والتأثير فى زنوج غرب افريقيا تأثيرا اجتماعيا قويا جعل هناك ارتباطا بين غرب القارة وشمالها قائما حتى اليوم .

طريقان الى افريقيا

وقد نفذ الاسلام الى افريقيا مستخدما عدة طرق اهمها طريقان هما :

أولا : طريق شبه جزيرة سيناء وبرزخ السويس ، وهو الطريق الذى تدفقت منه وعبرته الجماعات والجيوش والقبائل العربية الاسلامية الى مصر وشمال افريقيا بصفة خاصة ، ومن شمال افريقيا امتد الاسلام محاذيا للمحيط الاطلسى حتى تغلغل فى حوض نهر النيجر وأقطار غرب افريقيا ، وقامت جماعات من القبائل العربية الاسلامية بدور كبير فى انتشار الاسلام واللغة

● أفريقيا تاريخها طويل حافل قبل مجىء الرجل الأوربي

● الإسلام يمثل قوة كبرى فى القارة الأفريقية

● الدين الإسلامى فى أفريقيا اخترق نطاق الغابات

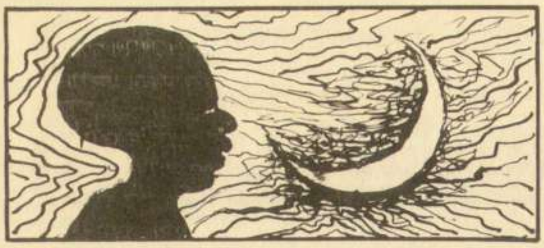

العربية فى تلك المناطق كما نهضت حركات دينية تزعمها مشايخ الطرق الصوفية بنشر الدين الاسلامي ، واللغة العربية فى غرب ووسط القارة الافريقية ، وما زال لهم دور واضح حتى الان .

ثانيا : كان الطريق الاول ـ طريق سيناء وبرزخ السويس ـ طريقا بريا بينما كان الطريق الثاني الذي نفذ منه وعبره الاسلام الى افريقيا هو الطريق البحرى المتمثل فى مياه البحر الاحمر ، وخليج عدن ، وباب المندب، والمحيط الهندى . وهذا الطريق هو المسئول عن انتشار الاسلام فى شرق ووسط وجنوب القارة عن طريق نزول جماعات اسلامية الى هذه الجهات سواء كانت هذه الجماعات من العرب أو من الهنود .

وبالنسبة لانتشار الاسلام داخل القارة فقد كانت الصحراء وسيلة لعبوره من منطقة لاخرى ، وقد رأى بعض المؤرخين ان الصحراء تعتبر حاجزا اعاق انتشار الاسلام انتشارا سريعا ، ولكن المؤرخين المنصفين يرون عكس ذلك ، فـ « جون جنتر » فى كتابه « داخل افريقيا » يرى ان الصحراء كانت جسرا يربط بين شمال القارة وجنوبها وسهلت للدين الاسلامي الانتشار فى افريقيا الى الساحل الغربى والساحل الشرقى مارا بوسط القارة .

ومن الامور الجديرة بالملاحظة انه عند دخول الدين الاسلامي الى القارة الافريقية ومعه ثقافة العرب تشربها الافارقة الذين اعتنقوا الدين الاسلامي ، وحاولوا التوفيق بين عاداتهم وتقاليدهم المتوارثة اى ثقافتهم على تواضعها ، وبين الثقافة العربية النشطة الحديثة .

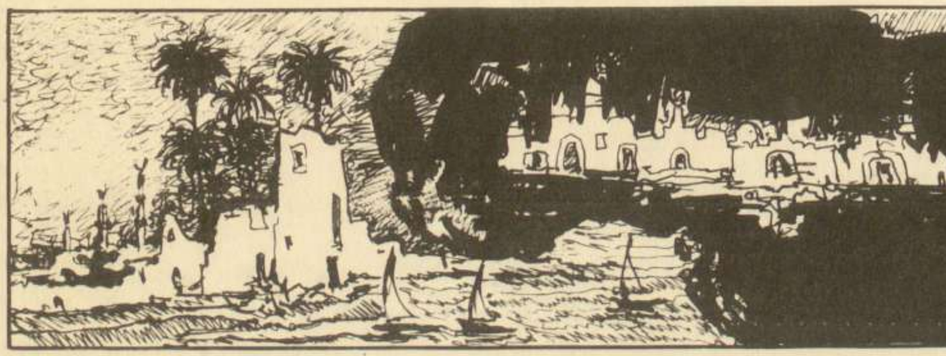

ضد الغزو الاستعمارى

واستمر الاسلام والثقافة العربية على نشاطهما فى افريقيا حتى اصبحت بعض الاقطار والمدن الافريقية مراكز اشعاع للحضارة العربية المزدهرة، من امثلتها مصر بعواصمها الاسلامية المتعاقبة: الفسطاط والعسكر فالقطائع ثم القاهرة ، والقيروان فى تونس وفاس بالمغرب الاقصى ، وفي غرب افريقيا اصبحت مدينة تمبكتو طوال القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين من مراكز الثقافة العالمية، وعلماؤها يبارون علماء المدارس الاسلامية الاخرى فى القوة والانتاج العلمى ، وامتدت هذه النهضة الى سنار، والي هرر، ومقدشيو، وكيلوه وزنزبار وغيرها من مراكز الاسلام فى افريقيا .

ولكن الثقافة العربية الاسلامية في أفريقيا غلب عليها مع مرور الزمن التقليد دون التجديد ، فى الوقت الذى نهضت فيه اوروبا خاصة في القرن التاسع عشر فكريا وماديا بسبب انفجار الثورة الفرنسية وحدوث الانقلاب الصناعى ، والتقت

الثقافة الغربية الاوروبية المتحررة النشطة المادية بالثقافة العربية الاسلامية المتمسكة بتقاليد من صنع المسلمين لا تساير متطلبات العصر،

حدث هذا اللقاء على الارض الافريقية كما حدث على غيرها من اجزاء العالم ، وكانت الثقافة الغربية الاوروبية المادية النشطة مؤيدة بمطامع استعمارية اداتها القوة المسلحة الحديثة ، ومن ثم بدأت الثقافة الاوروبية تتصدر الميدان فى أفريقيا لا لصالح الافارقة ولكن لمصلحة المستعمرين الاوروبيين انفسهم وأوطانهم .

ولم يكن هذا عيبا فى الاسلام وثقافته العربية ، بل كان عيبا فى عقول المفكرين المسلمين غير المتطورة بدليل ان المسلمين فى افريقيا وغيرها عمتهم نشوة دينية ضد الخطر الاوروبي الاستعماري، وخاصة خلال القرن التاسع عشر والعشرين، واخذ قادة هذه النشوة الدينية أو الحركات السلفية والاصلاح الدينى يستنهضون الشعوب الاسلامية لتنقية الاسلام مما علق به من بدع وخرافات بالرجوع الى المصادر الاصلية للدين الاسلامي وهى القران الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وتعددت الطرق الصوفية والدعوات الاصلاحية الدينية فى افريقيا وكلها تدعو الى الرجوع بالاسلام الى سيرته الاولى أيام الرسول والخلفاء الراشدين، كما تدعو الى الوقوف ضد الغزو الاستعمارى للبلاد الاسلامية فى أفريقيا وغيرها.

أجرى الحوار: نبيل خالد الأغا

المفكر الإسلامي محمود شيت خطاب للدوحة
وحدة العسكرية العربية هي قضية الساعة

خلال انعقاد المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية في قطر في نهاية العام الماضي، التقت « الدوحة » بالمفكر الاسلامي الكبير اللواء الركن محمود شيت خطاب وتم التحاور معه في قضيتين جوهريتين ٠٠ الاولى تركيز الضوء على تاريخ أول جيش اسلامي بناه وأسسه وقاده (الرسول القائد) محمد صلى الله عليه وسلم ٠٠ مع فكرة موجزة عن مؤلفات مفكرنا في المجالات العسكرية الاسلامية ٠

والثانية عن تصوراته بالنسبة للاسلحة النووية وضرورة امتلاك العرب لها ٠٠ وكذلك ضرورة تدعيم الجبهة الشرقية في مواجهة العدو الصهيوني

واللواء الركن « محمود شيت خطاب » غني عن التعريف ، فقد شغل العديد من المناصب في الجيش العراقي ، ومنصب الوزارة في عدة وزارات مختلفة ، وصاحب المجلدات الضخمة والجهد غير المسبوق في التاريخ العسكري العربي والاسلامي ٠ والمعجم في المصطلحات العسكرية العربية والاسلامية ورئيس لجنة معجم القرآن الكريم بالازهر ، وعضو المجامع العلمية ببغداد ودمشق والقاهرة ٠

● ارجو ان تعطى قارىء الدوحة فكرة موجزة عن آخر الدراسات التى كتبتها .

اخر الدراسات التى كتبتها هو البحث الذى تقدمت به للمؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة بعنوان « تاريخ جيش النبى صلى الله عليه وسلم » .

وقد تحدثت فيه عن مجمل السيرة وهى عبارة عن توحيد من اجل الجهاد ، وجهاد من اجل التوحيد . فبالتوحيد اشاع النبى صلى الله عليه وسلم الانسجام الفكرى بين المسلمين فجعل التعاون بينهم ممكنا ويؤدى الى النصر .

ثم تحدثت بعد ذلك عن رسالة المسجد العسكرية ، وذكرت ان الهجرة الى المدينة معناها حشد المسلمين فى قاعدة امينة ، وقد بادر النبى (ص) ببناء المسجد ليكون مقرا للقيادة ، ومكانا للتدريب العسكرى ، وموجها لتعاليم الجهاد ومنطلقا للمجاهدين ، ومثابة لعودتهم ، ومحلا لتضميد الجرحى ، ومكانا للتجمع اذا داهم المدينة خطر.

لقد كانت رسالة المسجد العسكرية مادية ومعنوية على حد سواء ، وكان المجاهدون الاولون من خريجى مدرسة المسجد .

● ثم تحدثت عن بناء الجندى والقائد المسلم ، وذكرت ان النبى صلى الله عليه وسلم بنى المجاهدين بعوامل ثلاثة هى :

ـ العقيدة الراسخة ..وهى التى تجعل المؤمنين يستقتلون دفاعا عنها ، ويسترخصون الاموال والانفس لاجل اعلاء كلمة الله ، ولكن القول بان العقيدة الراسخة وحدها كافية لا يغنى عن كل قول ، لان العقيدة كما جاءت فى الكتاب العزيز والسنة النبوية موجودة كما كانت فى عهد النبي (ص) ولكن العاملين الاخرين فى بناء الانسان المسلم اللذين طبقهما الرسول (ص) يكادان ان يكونا غائبين . هذان العاملان هما : الاسوة الحسنة ، واستخدام الرجل المناسب فى العمل المناسب .

ـ اما الاسوة الحسنة فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يامر بشىء إلا ويفعله شخصيا بغاية الدقة والامانة ، ولا ينهى عن شىء إلا ويبتعد عنه اشد ما يكون البعد ، وبذلك جعل من نفسه قدوة حسنة للمسلمين ، كما اثبت عمليا ان الامور التى يظن انها لا يمكن ان تكون يمكن ان تكون ، فكان عليه الصلاة والسلام هو التطبيق العملى لتعاليم الاسلام بشرا سويا ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق .

ـ اما العامل الثالث وهو استخدام الرجل المناسب فى العمل المناسب فقد كان (ص) يعرف كل رجل من رجالات المسلمين معرفة دقيقة فيكلف كل واحد منهم بواجب يستطيع انجازه افضل من غيره ، ولا يولى رجلا لا يتميز بالتقوى والحرص والكفاية والامانة ، والذى له قابلية للقيادة يوليه قيادة الرجال ، والذى له قابلية ادارية يوليه الولاية والفقيه يوليه تفقيه الناس .

بناء الرجال

● كيف كان رسولنا الاعظم يتصرف فى بناء الرجل المسلم ؟

لقد كان الرسول يعلم ان كل بشر له مزايا وله نواقص فيستفيد من مزاياه ويحاول اصلاح نواقصه ، ويتكتم عليها . خذ مثلا ، لقد ولى القيادة خالد بن الوليد بعد اسلامه مباشرة لانه كان متميزا بقابليته القيادية ، وما يقال عن خالد يقال عن عمرو بن العاص . وقد استفاد الرسول (ص) من ثراء عثمان بن عفان ، ولم نسمع عن انه كلفه بمصاولة الاقران فى الحرب ، وكان ابو بكر الصديق رضى الله عنه يتميز بالتفكير الثاقب فاستفاد من مشورته . وكان حسان بن ثابت شاعرا فذا فاستفاد من شعره . فلما التحق بالرفيق الاعلى خلف عددا لا يحصى من القادة والولاة والمحدثين والجباة والقضاة ... الخ .

هذا هو الدرس الذى يجب ان نتعلمه من الرسول القائد عليه الصلاة والسلام الذى يبنى الرجال لمصلحة المجتمع الاسلامى ولا يحطمهم لانه لا يولى احداً اذا كان بعيدا عن التقوى والكفاءة والامانة وهذه الميزة الفذة فى الرسول

● كانت رسالة المسجد العسكرية مادية ومعنوية على حد سواء

● العقيدة الراسخة تجعل أصحابها يستصرخون كل شىء دفاعاً عنها

● الجيوش العربية تتحدث لغة عسكرية واحدة .. بعد أن كانت لغات شتى

● كرامة العلماء : كتاب للتذكير بعلماء المسلمين ومكانتهم

جعلت الفرد المسلم يثق بقيادته ويؤمن بانه لا يتقدم الا بتقواه وكفايته ، وبذلك يطمئن على حاضره ومستقبله فيبذل قصارى جهده لاثراء كفاياته وتعميق عباداته . كما يجعل المجتمع يثق بانه يقاد ويدار ويسلس بافضل القمة من افراده .

● ماهى الادوار التى مر بها جيش الرسول عند تكوينه ؟

تسالنى عن الادوار التى مر بها بناء جيش الرسول فاقول لك بان هذا الجيش العظيم قد مر باربعة ادوار هى :

١ ــ الدور التمهيدى

وهو عبارة عن اعداد المجاهدين الذى بدا من مبعثه الى هجرته للمدينة واقتصر هذا الدور على نشر العقيدة الراسخة ، وتكوين مجتمع الأخوة « انتما المسلمون اخوة »

٢ ــ دور الدفاع عن العقيدة

منذ نزول الاذن بالقتال (اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) والى انتهاء غزوة بدر الكبرى التى اثبتت نتائجها انتصار العقيدة الاسلامية على المشركين . وقد امتد هذا الدور الى اندحار الاحزاب فى غزوة الخندق ، وفى نهاية هذا الدور وبعد انسحاب المشركين قال صلى الله عليه وسلم « اليوم تغزوهم ولا يغزوننا » .

٣ ــ دور التعرض

يبدا بعد غزوة الخندق الى غزوة حنين . وفى هذا الدور اصبح الجيش الاسلامى قوة ضاربة سحقت اعداء الاسلام من مشركين ويهود ومنافقين .

٤ ــ دور التكامل .

ويمتد من بعد غزو حنين الى غزوة تبوك التى قادها الرسول (ص) فكانت نتيجتها العظيمة إيذانا بمولد الدولة الاسلامية .

وبهذا الجيش استطاع النبي صلى الله عليه وسلم ان يوحد شبه الجزيرة العربية تحت لواء الاسلام ، هذا التوحيد الذى جرى لأول مرة فى التاريخ ولآخر مرة حتى هذا اليوم .

كانت خاتمة البحث هى خطبة النبى صلى الله عليه وسلم في بعث سرية اسامة بن يزيد بالتعرض بالحدود الجنوبية لارض الشام حيث كان الروم مسيطرين على تلك البلاد . وبذلك وجه المسلمين وجهة معينة بدا بها صفحة جديدة من صفحات الفتح الاسلامى العظيم الذى امتد من الصين شرقاالى سيبيريا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا الى قلب فرنسا غربا . فكان صلى الله عليه وسلم هو الذى انشا هذا الجيش افرادا وجماعات وجنودا وقيادات ، وكان هو المخطط الاول للفتح الاسلامى العظيم والموحد الاول لشبه الجزيرة العربية .

مادة الفتح الاسلامى

● ماهى آخر مجهوداتكم فى الدراسات العسكرية ؟

من ناحية الدراسات العسكرية عن قادة الفتح الاسلامى فقد صدر لى منها : الرسول القائد ــ قادة فتح العراق والجزيرة ــ قادة فتح الشام ومصر ــ قادة فتح فارس ــ قادة فتح المغرب العربى .

اما الجزء الخامس فهو تحت الطبع ويتناول : قادة فتح المشرق الاسلامى الذى يشمل فتح ما وراء النهر وافغانستان وباكستان وتركستان وازبكستان والمناطق التى تمتد الى شمال بخارى وسمرقند .

ويبقى من سلسلة قادة الفتح الاسلامى جزءان هما : فتح الاندلس والبحار وقادة فتح اوربا ، وبذلك تستكمل سلسلة قادة الفتح لاول مرة فى التاريخ القديم والحديث ، حيث الفت كتب فى طبقات الشعراء والمحدثين والادباء والاطباء والفقهاء وحتى طبقات المغنين وبقيت طبقات القادة غائبة حتى اليوم !

كما وفقنا الله لاصدار كتب خاصة عن خالد وعقبة ، والفاروق القائد ، ومحمد بن القاسم وقتيبه بن مسلم ، والمهلب بن ابى صفرة ، وابى موسى الأشعرى ، وعدد كبير من القادة الاخرين . ولئن جعل الله فى العمر بقية وامدنى بعون من عنده لاخرجن للناس سلسلة عن معارك الفتح .

وحدة العسكرية العربية هي قضية الساعة

● هل اقتصر عملكم هذا على التاريخ الاسلامى والفتوحات والقادة فقط ؟

لا لم يقتصر عملنا على التاريخ الاسلامى والفتوحات والقادة المسلمين ، بل عملنا فى محاور ثلاث اخرى . ذكرنا المحور الاول فى الاجابات السابقة ، اما المحور الثانى فهو اللغة العسكرية ، حيث نشرنا واصدرنا كتاب المصطلحات العسكرية فى القران الكريم (جزءين) ، والمصطلحات العسكرية فى كتاب المخصص ، واهمية توحيد المصطلحات العسكرية فى الجيوش العربية ، ثم توجنا هذا العمل اللغوى العسكرى ضمن توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، فاصدرنا مع لجنة مؤلفة من ضابط واحد من كل جيش عربى « المعجم العسكرى الموحد » باربعة مُجلدات كل مجلد يضم الف صفحة تحتوى على ٠٠٠و٨٠ (ثمانون الف) مصطلح عسكرى تغطى جميع القنوات العسكرية ، والتدريب العسكرى والتعليم بما فيه اسماء الرتب العسكرية والمصطلحات السوقية (الاستراتيجية) والتعبوية والآليات والطائرات والمدافع والحرب الجرثومية والكيماوية والنووية بادق تفرعاتها واسماء اقسامها .

وهذه المعاجم هى : المعجم العسكرى الموحد (انجليزى ـ عربى) ، المعجم العسكرى الموحد (عربى ـ انجليزى) ، والمعجم العسكرى الموحد (فرنسى ـ عربى) والمعجم العسكرى الموحد (عربى ـ فرنسى) .

وبذلك اصبحت الجيوش العربية تتكلم لغة واحدة ، وكانت فيما مضى تتكلم لغات عسكرية شتى ، وحسبى ان اذكر ان وفدا عسكريا من احد اقطار المغرب العربى زار الجيش العراقى فلم يستطع الوفد التفاهم مع العسكريين العراقيين إلا بعد استقدام احد الذين يحسنون اللغة الفرنسية !

فاذا كان الامر كذلك فى السلم فكيف يتم التعاون فى الحرب ؟ .

ومما ادخل السرور فى نفسى ان جيشا عربيا كان يتكلم بلغة اجنبية وليس فى مصطلحاته العسكرية مصطلح عربى واحد ، فاصبح هذا الجيش ـ وبالذات بعد صدور المعجم العسكرى يتكلم بلغة عربية فصحى ليس فيها كلمة واحدة اجنبية .

اما المحور الثالث فهو محور العسكرية الحديثة ، فقد كنت اول من درس العسكرية الاسرائيلية بعد هزيمة ١٩٦٧ م فاخرجت كتاب (الوجيز فى العسكرية الاسرائيلية) والذى صدر عن معهد الدراسات العربية العليا فى القاهرة . واتبعته بكتاب العسكرية « العسكرية الاسرائيلية » للعسكريين العرب المختصين .

كما اصدرت كتاب « دراسات فى الوحدة العسكرية العربية » الذى صدر عن معهد الدراسات العليا بعد إلقائه محاضرات على طلابه . واتبعته بكتاب « الوحدة العسكرية العربية » لأننى شعرت أن الوحدة العسكرية هى الجوانب او هى قضية الساعة التى تقضى على العدو الصهيونى قضاء مبرما .

كرامة العلماء

● فى آخر لقاء بيننا فى عام ١٩٧٤ بالقاهرة حدثتنى عن نيتك فى اصدار كتاب عن كرامة العلماء . فماذا تم بشأنه ؟

ان الذى اريده بعد هذه الرحلة الطويلة هو ان اخرج للناس كتابا بعنوان « كرامة العلماء » فقد وجدت ان كل من هب ودب يستطيع ان يكون ذا سلطان بطريقة من الطرق ، ولكن ليس كل من هب ودب يستطيع ان يكون عالما ، ولقد يقول و السلطان كلمة فى العالم فتنشرها الصحف او المجلات ويقراها الناس يوما او بعض يوم ثم ينسونها الى الابد !

ولقد يقول العالم كلمة فى صاحب السلطان فيسجلها التاريخ وتبقى مابقى التاريخ ! هذا الكتاب « كرامة العلماء » اذكر به علماء المسلمين بمكانهم ومكانتهم ، فقد كان السلف الصالح من العلماء يعتبرون العلم عبادة من اجل العبادات ، فليس لاحد من العلماء او المدعين ان يجعل العلم من اربح التجارات .

ان تاريخ علماء المسلمين طافح بالعلماء العاملين المخلصين المحافظين على كرامة العلماء ، وقد اراد هارون الرشيد ان يستقدم الامام مالك الى بغداد لتعليم ولديه الامين والمامون فاستعصى عليه مالك ، فقال هارون الذى كان ملكه يمتد من الصين الى فرنسا الى المحيط الهندى قوله لا تزال ترن فى اذن الزمن « تكبر علينا علم مالك فاستفدنا منه » !! .

لقد بدات باعداد هذا الكتاب قبل ثلاثين عاما ، فجمعت فيه قصصا عن عزة العلماء لا نظير لها فى الاديان او الامم الاخرى .

● كيف ترانا نستطيع التغلب على أعدائنا بعد أن ضاقت بنا السبل ؟

اننى أصدقك القول باننا فى ظروفنا الراهنة بحاجة ماسة الى قادة متميزين كخالد وسعد ، والمثنى ، وطارق ، وموسى بن نصير ، وقتيبة بن مسلم ، ومحمد بن القاسم الثقفى ، نحن بحاجة الى امثال هؤلاء العباقرة كى نستعين بهم لرفع العار عن العرب والمسلمين فى معركتهم ضد اليهود ، ولكننا بحاجة اكبر الى قادة من العلماء كالأئمة الاربعة رضوان الله عليهم ، وابن تيمية ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب . والامام الشعبى ، والعزيز بن عبد السلام ، والشاذلى ، نحن بحاجة لامثال هؤلاء العلماء المجاهدين الذين يامرون الناس بالبر ولا ينسون انفسهم ، يرتدون الكفن ويتقدمون الحشود ، ويحرضون على الجهاد ، ويرددون نشيد النصر : الله اكبر . حين ذاك سيقول اليهود كما قال اسلافهم من قبل : ان فيها قوما جبارين ، ويومئذ يفرح المسلمون بنصر الله .

● هل ترى العرب والمسلمين قد وجدوا طريقهم لاسترداد فلسطين الحبيبة ؟

التقدم الى الوراء

طالما سئلت هذا السؤال ، لقد كثر الحديث عن فلسطين خطبا وقصائد واذاعات مرئية ومسموعة ، وكلمات مقروءة فما اجدى الكلام فى هذا المجال فتيلا ، بل تقدمت هذه القضية الى الوراء كانما تسير بلا مهل ولا تتقدم !! فكيف نطمئن الى ان العرب وجدوا طريقهم لاسترداد الارض المقدسة ؟ .

وجوابى على ذلك ان هناك مؤشرين يدلان على ان العرب جادون فى تحقيق اهدافهم لاسترداد الارض المقدسة :

الاول ـ هو منافسة العرب للعدو الصهيونى فى مجال العلوم التطبيقية ومحاولة اللحاق بذلك العدو تمهيدا لاحراز السبق عليه ، والعدو الصهيونى لم يضيع من وقته دقيقة واحدة فى الاعداد العلمى من اجل الحرب ، فمنذ مولد كيانه بدا فورا بانشاء المفاعلات النووية واعداد العلماء واستقدام الخبراء واستيراد المواد ، واستطاع ان يتقدم فى المجالات العلمية عامة وفى مجال انتاج السلاح النووى خاصة .

وكان النشاط الصهيونى مكشوفا إلا بالنسبة للعرب الذين يعتمدون سياسة النعامة فما خرب العدو بيتها ولكن النعامة هى التى خربت بيتها بيدها . وبدلا من ان يزج العرب بكل طاقاتهم المادية والمعنوية فى معركة العلوم التطبيقية استنفدوا هذا الجهد وتلك الطاقات فى الحرب الكلامية التى لا تفيد صديقا ولا تضر عدوا . ان الدول العربية تملك مصارف كثيرة فى الشرق والغرب وتمول مصارف اخرى كثيرة شرقية وغربية ، وهذه الاموال الطائلة التى تتضاعف عاما بعد عام تسحق العدو الصهيونى سحقا لو ان العرب صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ومن المعلوم ان اسرار انتاج الاسلحة النووية اصبحت مكشوفة ، وبامكان كل دولة ان تمتلك السلاح النووى .

لقد حاولت إحدى الدول العربية فى الستينات ان تنتج سلاحا نوويا ، ولكن دولة اجنبية صديقة كبرى نصحت تلك الدولة العربية ان

تقفل ابواب مشاريعها النووية بحجة انها ستقدم هذا السلاح للدول العربية اذا احتاجت إليه !

انى اريد ان اقدم حقيقة لامتى العربية لا يشك فيها عاقل ابدا هى ان الاسلحة النووية ليست من البضائع التى تعرض فى الاسواق ، واذا اراد العرب الحصول على هذا السلاح فلابد لهم من ان ينتجوه بانفسهم وكل ادعاء يخالف هذا محض افتراء .

لقد كانت هناك حرب بين ايطاليا الفاشية والحبشة عام ١٩٣٦ ، فاستخدم الايطاليون الغازات السامة ضد الاحباش لأنهم يمتلكون هذا السلاح ولا يمتلكه الاحباش ، وفى الحرب العالمية الثانية التى امتدت من سنة١٩٣٩ الى عام ١٩٤٥ بين الحلفاء من جهة والمحور من جهة ثانية لم يستعمل الطرفان المتحاربان الغازات السامة لأن المحور والحلفاء يمتلكان هذا السلاح.

وفى سنة ١٩٤٥ كانت اليابان تقاتل بعيدا عن ارض الوطن وتمتد الاراضى الشاسعة التى تسيطر عليها الاف الاميال برا وبحرا ، وكانت قواتها البرية والبحرية والجوية لا تقل شانا عن اعدائها ، وحين استعمل الامريكان السلاح النووى على هيروشيما ونجازاكى وقف الميكادو بنفسه ليعلن فى المذياع اليابانى بان العدو استخدم سلاحا رهيبا لاطاقة لنا بمقاومته ، فليس لدينا إلا الاستسلام !

اما اليوم فمن اسباب امتداد عمر السلام بين الشرق والغرب هو ان الطرفين يمتلكان السلاح النووى .

والنتيجة ان العدو الصهيونى اذا امتلك السلاح النووى دون ان يمتلكه العرب فانه يؤثر فى معنويات العرب حتى قبل استخدام هذا السلاح !

اما من الناحية العملية فسيستعمله (حتما) فى المكان والزمان المناسبين ضد العرب ، ولن يثنيه عن استخدام هذا السلاح إلا امتلاك العرب له .

تكوين الجبهة الشرقية

ـاما المؤثر الثانى الذى يدل على ان العرب وجدوا طريقهم لانقاذ فلسطين فهو تكوين الجبهة الشرقية ، وحشد كافة طاقاتهم المادية والمعنوية فى هذه الجبهة . ان تقدير الموقف العسكرى فى تقرير اهمية الجبهات العربية المحيطة باسرائيل يثبت ان :

اولا ـ الجبهة المصرية جبهة ثانوية لان على القوات التى تريد غزو اسرائيل ان تقطع سيناء والنقب ، واماكن ومدنا ماهولة لتصل اخيرا الى القدس او تل ابيب بعد اجتياز هذه المساحة الطويلة التى تتيسر فيها الموانع الدفاعية .

ثانيا ـ الجبهة الاردنية بحدودها الطويلة الواسعة والتى تبعد عن اهداف اسرائيل الهامة كالقدس وتل ابيب بضع دقائق قد لاتتجاوز الساعة بالوسائط البرية وخمس دقائق بالطائرات . فهذه فى الواقع هى الجبهة الحيوية بالنسبة للعرب وبالنسبة للعدو الصهيونى ، وهى كالسلاح ذى الحدين ، اذا تعرضت اسرائيل باتجاه الاردن فمن السهل اختراق الجبهة لسعتها ، ولخلوها من القوات المناسبة للدفاع عنها ، وكذلك فان العرب اذا هياوا الجبهة الشرقية تهيئة دقيقة وتعرضوا للعدو استطاعوا ان يخرقوا الجبهة الاسرائيلية بسهولة ويسر

● امتلاك العرب للسلاح النووى يمنع إسرائيل من استخدامه ضدنا

● كل العرب يبكون.. فمن هو المقصر فى حق قضايانا؟

● عدونا الصهيونى ، كيف تراه الآن ؟

اجل ، ان من واجب العرب ان يدرسوا تاريخ الحروب لياخذوا منها العظات والعبر ، وعلى العرب ان ينتجوا السلاح النووى ليصاولوا به العدو الصهيونى دفاعا عن انفسهم وحقوقهم واستنقاذا لارضهم وعرضهم ، والا فسيصبحون لاجئين اليوم او غدا .

انى انذر .. وعلى صفحات مجلتكم فهل من سميع مجيب ؟ أم على قلوب اقفالها ؟

ويستعيدوا اهدافا هامة فى الاراضى المقدسة خلال بضع ساعات !

طالما شبهت الجبهة الاسرائيلية بقشرة البيضة يمكن كسرها من كل مكان بغاية السهولة ، بالنسبة للعدو الصهيونى فى تعرضه وبالنسبة للعرب فى تعرضهم اذا اعدوا للجبهة الشرقية ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل ، والجبهة الشرقية ينبغى ان تضم قوات عراقية وسورية وليبية وتونسية وجزائرية ومغربية وسعودية ويمنية برية وجوية ، وان تكون بقيادة موحدة تحتل كل من تلك القوات المناطق المخصصة لها تنفيذا للخطة المرسومة ، وحين ذاك يستطيع العرب الدفاع عن الجبهة الاردنية فى حالة تعرض العدو الاسرائيلى ، كما يستطيع العرب التعرض بهذه القوات فى الموعد الذى يقررونه .

اما بقاء الاردن بقواته وحدها فالخطر داهم على الاردن وعلى البلاد التى لها حدود معها وهى سوريا والعراق والسعودية ودول الخليج .

من ذلك يتضح ان الدفاع عن الاردن هو دفاع عن الامة العربية ، فلابد ان يبذل العرب عمليا كل مايستطيعون من اموال وانفس فى دعم الاردن وشد ازره ، ولن يتم ذلك إلا باعادة تنظيم الجبهة الشرقية وقيادتها الموحدة .

ذلكما هما المؤشران اللذان يدلان على ان العرب وجدوا طريقهم لاستعادة الارض المقدسة بعد ان ضلوا وعاشوا فى التيه طويلا .

اما ان يكتفى العرب بالاقوال فلن يسر العدو الصهيونى شىء مثل اكتفاء العرب بالاقوال دون الافعال .

الاكذوبة الكبرى

ارجوك ان تثق فى كلامى .. اننى اعتقد ان العدو الصهيونى اكذوبة كبرى فقد كنا نستهين به قبل كل حرب ، اما بعد كل حرب ضده فنضخمه ونبالغ فى قدراته العسكرية لنسوغ امر هزيمتنا ، وما هكذا تورد ياسعد الابل ، لأن الامم الاخرى تبالغ وتضخم قوات العدو قبل الحرب لتستعد له بكل طاقاتها مدخلة فى حساباتها اسوأ الاحتمالات ، اما بعد الحرب وبعد النصر فمن حق تلك الامة ان تستهين بعدوها لأنها انتصرت عليه.

لست اجد عربيا واحدا إلا ويتباكى على فلسطين ، وهذا التباكى يذكرنى بقصة الواعظ الذى وعظ الناس فاستدر الدموع ، فكثر البكاء والنحيب من السامعين ، ثم التفت فوجد مصحفه الذى يتلو منه على سامعيه قد سرق ! فقال : كلكم يبكى فمن سرق المصحف ؟ !

فكل العرب يبكون ، فمن المقصر فى حق فلسطين ؟ ولماذا تتقدم قضيتنا الى الوراء ؟ !!

نبيل خالد الاغا

● العارف هش بش ، بسام يبجل الصغير من تواضعه كما يبجل الكبير ، وينبسط من الخامل مثل ما ينبسط من النبيه .

ابن سيناء

● العارف شجاع وجواد لانه بمعزل عن تقية الموت ومحبة الباطل . وهو صفاح للذنوب ، نساء للاحقاد لأن نفسه اكبر من ان تجرحها ذات بشر ، وذكره مشغول بالحق .

● خير الشيم القناعة ونماء العقل بالتعلم .

« ابن سيناء »

جمـال قطب

السجاد الاسلامي

لمسة فنية جميلة على لوحة الحضارة

أن الفن الأصيل فى أى مجتمع يعبر أول ما يعبر عن المحليات البيئية ذات الطابع الذى يميزها عن غيرها من المجتمعات . لذلك نرى أن كثيرا من البلاد التى تكونت منها الامبراطورية الاسلامية الواسعة ، ذات حضارات عريقة ازدهرت بفنونها الضاربة فى أعماق التاريخ قبل العصر الاسلامى ، وشجع حكام المسلمين هذه الاصالة الفنية ولم يفرضوا اية قيود على مسيرتها .. إلا أن الفنان من تلقاء نفسه قد تأثر بمثاليات الاسلام وروحانياته ، وأضاف على فنه بعض الاساليب الجديدة التى تلاءمت مع الاحداث الاجتماعية الناشئة عن الدين الجديد . ونتجت عن هذا الامتزاج فنون ذات طرز وأساليب جديدة تختلف عن فنون البلاد الأصلية ، ولقد نسبت هذه الاساليب الاسلامية الجديدة الى مدارس فنية ازدهرت بتشجيع من الاسر الحاكمة . ومن الطبيعى أن تكون العصور السياسية المتتالية ، مؤثرة فى تشكيل المدارس الفنية شكلا ومضمونا لكى تواكب الأحداث والظروف . وهذه رسالة الفن الخالدة .

وإن كانت الفنون الاسلامية تشد انظار العالم حتى اليوم بانجازاتهاأو بمعجزاتها الفنية فى العمارة والزخارف والتصوير والنسيج والسجاد وغيرها من الفنون التطبيقية فذلك يرجع إلى عدة عوامل :

الفن الاسلامى وروعته التى تصل الى حد الاعجاز تعود اصالته الى الالتزام الوجدانى الصادق عند الفنان ، يمارس إبداعه فى روحانية واخلاص وتجرد وكأنه يمارس العبادة نفسها ، كما أن القيود الدينية التى فصلتها السنة الشريفة فى تحريم المجسمات والصور الآدمية ، جعلت طاقة الفنان مركزة فى اتقان تخصصات محدودة ليس أمامه إلا اجادتها والتفوق فيها ، وهناك العامل الحاسم فى الابداع الفنى وهو التشجيع .. فنرى الفنان المسلم لا يتجه للفنون الترفيهية أو الاساليب الغامضة التى تكون بمثابة أبحاث ذاتية لاستمتاعه الشخصى ، ولكنه ينتج فناً تطبيقيا نافعا يوزع لمساته على الحياة اليومية بكل متطلباتها وأدواتها .. أى أن انتاجه ليس مرغوبا فقط ولكنه ضرورى كأحد العوامل الاساسية للحياة . واذا أضفنا إلى هذه العوامل عاملا نفسيا هاماً وهو جو الامان وضمان الحياة الكريمة تحت مظلة الاسلام ، وجدنا أن الابداع يشع من منطلق نورانى وبصيرة وضاءة مطمئنة .

ولنتناول اليوم إحدى لمسات الفنان المسلم على لوحة التاريخ الحضارى .. ألا وهى : السجاد !

السجاجيد .. لوحات فنية

فى النصف الاول من هذا القرن العشرين .. ظهرت نزعات فنية حديثة ــ ضمن الاتجاهات المستحدثة العديدة ــ فى اوربا ، لنسج اللوحات ذات الطابع التجريدى والهندسى التى ظهرت أولى اهتماماته نحو عام ١٩١٣ ، على أنسجة صوفية أو مخملية تحاكى روائع السجاد الاسلامى الشهير ، بل إن الفنانين الاوروبيين قد اقتبسوا الوحدات الزخرفية الاسلامية واستخدموها فى عمل الحواشى وملء الفراغات داخل لوحاتهم حتى تكسبها نفس الطابع الاسلامى الذى عرف « بالارابيسك » واصبح منهلا لكثير من المدارس الفنية الحديثة . وأصبحت اللوحات فى مجملها عبارة عن معرض للسجاد تجمع رسومه أحدث الاتجاهات المعاصرة مطعمة بفن الارابيسك الاسلامى العريق . بل إن كثيرا من المؤسسات التى تعنى بتخليد الاعمال الفنية وترويجها عالمياً ، قد قامت بنسج اللوحات الشهيرة لكبار الفنانين من مختلف المدارس الفنية التقليدية والمعاصرة على أبسط صوفية أو مخملية وزينتها باطر اسلامية ويحتفظ العديد من المتاحف العالمية بمثل هذه الاعمال التى طبعت عليها بصمات الفن الاسلامى الخالد .

ولعل السجاد ــ بخاماته التقليدية ــ هو الامتن والاقدر على الخلود وتحمل المتغيرات الجوية عبر السنين ، ولكن المؤكد أن السجاد الذى تفنن فى تشكيله الفنان المسلم ، كان له فعل السحر فى الاستحواذ على إعجاب المهتمين بمسيرة التشكيل الفنى وتطوره فى العصر الحديث .. أما تحف السجاد الفنى النادرة .. والتى تطالعنا أنباؤها كل يوم كأثمن المقتنيات عند الهواة وجامعى التحف ومجمعات الآثار والمتاحف ، فقد بلغت من القيمة المادية ما ينافس لوحات الفن الخالد لكبار فنانى التاريخ ، وأصبحت المتاحف العالمية تتفاخر باقتنائها قطعا من السجاد

الفن الإسلامى تصل روعته إلى حد الإعجاز .. وتعود أصالته إلى الالتزام الوجدانى عند الفنان

تحفة من السجاد الهندى النادر ونلاحظ اختلاف الوحدات الزخرفية عن مثيلاتها من السجاجيد الايرانية والتركية .

الفنان المسلم لايتجه إلى الفنون الترفيهية أو الأساليب الغامضة التى تكون بمثابة أبحاث ذاتية

سجادة صلاة تركية (أوائل القرن السادس عشر)

الاسلامى .. وتعلو نبرات هذا التفاخر ، كلما أوغلت التحفة عبر القرون فى قدمها واصالتها التاريخية .

فن وتخصص

وربما نشات صناعة السجاد من أقدم العصور عند القبائل الرحل التى تعيش على رعى الأغنام والابل والماعز ، ومن ثم تتوفر المادة الخام من الصوف اللازمة لهذه الصناعة .. ولا تزال صناعة السجاد من أهم الحرف عند القبائل الرعاة حتى اليوم . وازدهرت صناعة السجاد فى بلاد الاسلام وبخاصة منذ القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ، ولذلك فان فن السجاد يعتبر من احدث الفنون الاسلامية .. إذا ما قورن بالفنون الاسلامية الأخرى كالعمارة والمخطوطات والتصوير والفنون التطبيقية العديدة . والتى واكبت الاسلام منذ ظهوره وحتى اليوم . وانتشرت صناعة السجاد بصفة خاصة فى إيران والاناضول وما حولها مثل وسط آسيا والقوقاز ، ثم عرفت فى كافة انحاء بلاد الاسلام مثل الجزيرة العربية ، ومصر ،وسورية ،وشمال افريقيا ،والاندلس وشبه القارة الهندية وغيرها ويعتبر السجاد المعروف بذى الخمل او ذى الوبر المعقود ، أرقى الانواع كافة فهو يمتاز بالمتانة وقوة الاحتمال وحسن الملمس فضلا عن مستواه الفنى الرفيع ويستخدم الصوف غالبا فى صناعة السجاد ، وقد يستخدم الحرير أو الكتان او القطن ، وفى السنوات الاخيرة ، ابتكرت بعض المصانع انواعا مختلفة

السجاد الاسلامى

من الخيوط المصنوعة من المواد (البلاستيكية) ومنتجات البترول والكيماويات الاخرى ، ولكنها غير ذات قيمة فنية على الاطلاق . اما ما نعنيه فى استعراضنا اليوم فهو السجاد اليدوى العريق ، حيث انه فى بعض الانواع الفاخرة ، تضاف خيوط الذهب أو الفضة وتلف العقد عادة حول خيوط السداة ، بحيث تكون اطراف العقد عند وجه السجادة ، وقد عرف الصناع المسلمون انواع مختلفة من العقد فى تشكيل السجادة أهمها : العقدة التركية ، والعقدة الفارسية ، وكلما كثر عدد العقد وازدادت شدة حبكها ومتانتها ، كلما ارتفعت قيمة السجادة .

صناعة السّجّاد .. تخصّصت فيه بعض الأسر فى بلاد الإسلام وتوارثتها جيلاً بعد جيل .. وصار لكل منها أسلوب خاص

هناك أنواع مختلفة من العقد فى تشكيل السّجّادة أهمها : العقدة التركيّة والعقدة الفارسيّة .. وكثرة العقد ترفع قيمة السّجّادة

إحدى روائع السجاد الايرانى المسمى بسجاد الحدائق لتميزه بالزخارف النباتية

من اهم تحف السجاد الايرانى النادر من مقتنيات متحف فيلادلفيا
جزء من سجادة إيرانية من العصر الصفوى : عرضت بمهرجان الفن الاسلامى بلندن سنة ١٩٧٦ .

وكما أسلفنا فان الصوف هو المادة المستخدمة غالباً فى صناعة السجاد وتتوقف جودته على موطن القطيع الذى يؤخذ منه هذا الصوف ، بل إن نوع الكلا ومياه الشرب تؤثر فى نوعية الصوف ومدى جودته ، ومن المعروف فى عالم هذه الصناعة الفنية العريقة ، أن اجود الصوف هو مايؤخذ من الكتف ، اما اردؤه ما يؤخذ من البطن والارجل . وقد يستخدم الصوف بالوانه الاصلية ، اما إذا استخدمت الاصباغ فان خبراء السجاد — وللسجاد خبراء متخصصون — يفضلون الاصباغ المستخرجة من مواد طبيعية — عضوية او نباتية — عن الالوان الكيمائية الحديثة . ويتوقف جمال الألوان فى النهاية على مدى لمعان الصوف ونعومة ملمسه .

وصناعة السجاد — كعمل فنى متكامل — تخصصت فيه بعض الاسر فى بلاد الاسلام ، وتوارثتها جيلا بعد جيل ، بحيث صار لكل منها اسلوبها الخاص سواء فى طريقة الصناعة او فى الوحدات الزخرفية المستخدمة . وحرصت كل فئة على إتقان اسلوبها وتطوره .. ومن هذا التنافس المبدع ، حظى التراث الحضارى بهذه المقتنيات التى تزخر بها المحافل الفنية فى شتى انحاء العالم . وكما تاثرت الاساليب من فنان لآخر ومن أسرة لأسرة ، نرى ان الطرز قد اختلفت ايضاً بحسب الاقطار التى نهضت بها هذه الصناعة .

السجاد الايرانى

وربما حازت إيران قصب السبق فى هذا المجال ، وانتجت انواعاً عديدة من السجاد نذكر منها السجاد ذا الجامات والرسوم الحيوانية ، وذا الزهريات ، وسجاجيد الأشجار والحدائق وسجاد هراة وتبريز واصفهان وفارس .. وغيرها

سجاجيد الصلاة التركية تتميز بمحراب على شكل زاوية يحملها ضلعان مستقيمان

ويعد العصر الصفوى عصراً ذهبياً لصناعة السجاد الايرانى ، حيث زاد انتاج السجاجيد لكثرة الطلب عليها فى بلاد الغرب حيث تأثر به الفنانون الغربيون – تبعاً لذلك – واقتبس المصورون الذين تخصصوا فى تصوير المخطوطات فى القرن السادس عشر الميلادى ، تصميمات السجاجيد الصفوية ، واستخدموا العناصر الآدمية والنباتية بنفس الاشكال التى صاغها الفنان الايرانى آنذاك . ويمكن إرجاع أقدم السجاجيد الصفوية إلى عهد الشاه (اسماعيل) ، فقد اشتهرت مدينة تبريز فى عصره وعهد خليفته الشاه «طهماسب» بكونها أهم مركز لصناعة السجاجيد ، كما اشتهرت أيضاً بالسجاد المصنوع من الحرير ، ومن أشهر هذا النوع ، سجادة توجد الآن بمتحف «فكتوريا والبرت » بلندن ، وهى تحفة فريدة من حيث الشكل والخامات المستخدمة فى صناعتها ، فقد استخدمت فيها العديد من الرسوم الحيوانية تتناسق وتتداخل فى إيقاع فنى جميل ، كما استخدمت فى صناعتها عقد من الحرير متعدد الألوان تتخلله خيوط الذهب والفضة ، وتظهر فى أطراف السجادة زخارف لآدميين مجنحين ، وهذه الزخارف الاخيرة فى حد ذاتها هى مبعث الغرابة فى تصميمها

.. واغلب الظن أن أحد مصورى المخطوطات فى ذلك العهد هو الذى ربما رسم تصميمها مقتبساً رسوم الملائكة من بعض المخطوطات الكنسية . ومن الطريف أن بعضاً من هذه السجاجيد الحريرية النادرة ، ظلت ترد فى كتب التاريخ على انها مصنوعة فى بولندا ..

لأنها اكتشفت ضمن تحف عديدة من الصناعة البولندية القديمة .حتى تحقق – الآن – بصفة قاطعة ونهائية على أنها من صناعة مناسج البلاط الصفوى فى أصفهان أو قاشان خلال حكم الشاه عباس الذى ربما يكون قد أهداها إلى حكام بولندا فى خلال سنوات حكمه .

السجاد اليدوى مازال يحتفظ بقيمته الفنية بالرغم من تعدد أساليب الصناعة الحديثة

السجاد التركى

وتكاد تركيا تلحق بايران فى شهرة سجادها فنرى انواعا منها ذات شهرة كبيرة مثل سجاجيد هولباين وذات الطيور وسجاد ترانسلفانيا ، وقد بلغت هذه التخصصات الفنية فى عمل السجاد أوجها فى بلاد الأناضول فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر بعد الهجرة (السابع عشر والثامن عشر للميلاد) وتتميز سجاجيد الصلاة التركية بصفة عامة بمحراب ذى عقد على شكل زاوية يحملها ضلعان مستقيمان ، كما تتميز باستخدام رسوم الأزهار التركية فى الزخرفة ، أهمها السنبل البرى وقرن الغزال وزهرة القرنفل ، كما أن الوحدات النباتية فى السجاد التركى يستخدمها الفنان بشكل محور تحويرا شديداً يبعده عن أشكالها الطبيعية ، وهناك عنصر هام

سجادة صلاة تركية من القرن السادس عشر الميلادى .

نستطيع أن نميز به السجاد التركى عن السجاد الايرانى وهو ندرة الكتابة أو استخدام الحروف الهجائية ، بعكس السجاجيد الايرانية التى تسرف فى استخدام الخطوط ، وكتابة الكلمات والجمل والاشعار .

إلا أننا نلاحظ فى السجاد التركى ظاهرة ملفتة للنظر ، فمنذ القرن العاشر الهجرى لاحظنا أن ثمة اختلافاً جوهريا قد طرأ على تشكيل السجاد من حيث الوحدات الزخرفية المستخدمة .. ومن حيث ألوانها كذلك ، وقد وجدنا أن بعض المؤرخين لمسيرة الفن الاسلامى يطلقون على فن السجاد فى هذه الفترة « السجاد المصرى » ! فقد كانت مصانع القاهرة وفنانوها هم مصادر الانتاج للسجاد وليست تركيا ، ويرجع ذلك الى أننا اذا تدارسنا احوال مصر فى العصر المملوكى فى الفترة التى استولى فيها العثمانيون من المماليك على مقاليد الأمور فى أوائل القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) نرى أن كثيرا من الصناعات الابداعية قد تمركزت فى القاهرة .. بل أن أعداداً كبيرة من المهارات والخبرات المصرية قد ذهبت إلى تركيا لتكون عوامل تطعيم فنى لكثير من الصناعات الدقيقة وكنتيجة لذلك وجدنا تغييرا مفاجئاً فى ألوان السجاد وزخرفته بوحدات لاتمت بصلة إلى الطرز القديمة التى كانت شائعة فى تركيا من قبل . فنرى اللونين الاحمر والأخضر وتناسق الوان الاطار مع الألوان الداخلية أصبحت طابعاً مميزا للسجاد التركى منذ ذلك الحين .

وفى العصر الحديث ، وقد تعددت أساليب الصناعة .. وطغت الآلة على المهارات والابداعات الفنية الدقيقة مازال السجاد اليدوى الذى اشتهرت به دول الاسلام يحتفظ بقيمته الفنية بصرف النظر عن القيمة التاريخية التى تميز التحف الاسلامية كافة وتضفى عليها هالة الاعزاز فى جو يعطره عبق الاصالة والتاريخ ..

جمال قطب

أحمد عبد السلام البقالي

مقدمة

منذ ما يزيد عن الف سنة ، بعث الخليفة المقتدر بأحمد ابن فضلان سفيرا له الى بلاد الصقالبة ، على رأس بعثة من ثلاثة الاف عالم ، وعامل ، ومهندس ، وطبيب لتحصين مملكة الصقلب (بلغاريا) المسلمة من هجوم الخزر اليهود .

وفى طريقه الى (بلغاريا) اختطفه (الفايكنج) ، سكان اسكنديناڤيا ، بايعاز من قهرمانتهم ليكون العضو الثالث عشر فى بعثة لانقاذ مملكة (روثغار) من هجوم (الفندول) .

وقد كتب ابن فضلان مذكراته عن هذه الرحلة المهولة ، الممتعة ، فى شكل تقرير رفعه الى بلاط المقتدر ، بعد نجاته من عدة أهوال ، وعودته من اصقاع اسكانديناڤيا الباردة المتخلفة الى مدينة السلام ، بغداد ، عاصمة العالم المتحضر ومركز الاشعاع الفكرى ، والعلمى ، والادبى ، والفنى .

وهنا سأنقل للقارىء الكريم فصلا من تقرير (أحمد بن فضلان) ، كما أصدره (مايكل كريتشن) فى كتابه (أكلة الاموات) . وهو كاف لاعطاء صورة عن اسكنديناڤيا وسكانها كما رآهم وعاشرهم ابن فضلان منذ ألف سنة خلت .

تعقيب

اثار وصف ابن فضلان للفندول جدالا حادا بين علماء الانتروبولوجيا فى الجامعات الغربية . ويمكن تلخيص الجدل الاكاديمى الذى احتد سنة ١٩٧١ بين طائفتين من العلماء أحداهما تقول بأن وصف ابن فضلان (للفندول) ينطبق على انسان (النياندرتال) الذى ساد الاعتقاد بأنه اختفى بدون أثر منذ ٣٠ أو ٤٠ ألف عام .

ويتزعم هذا الفريق الاستاذ (جيوفرى ورايتوود) من جامعة أكسفورد .

أما الطائفة الثانية فيتزعمها (غود ريتش) ، وهو عالم بيولوجى من جامعة فيلادلفيا ، معروف بالتشكك ، ويتبنى وجهة نظر مخالفة فيقول (١٩٧٢) : « ان دقة ابن فضلان فى الوصف قد تغرينا بالتجاوز عن بعض المبالغات الواردة فى مخطوطه وهى كثيرة . وهى صادرة اما عن التكييف الحضارى السابق ، أو من رغبة حاكى القصص فى التأثير على سامعيه . فهو يصف الفايكنج بالعماليق ، مع انهم لم يكونوا كذلك بكل تأكيد . (وهذا مردود على غود ريتش) فالعملاق بالعربية لا يعنى دائما العملاق الاسطورى الذى لا يوجد فى الحقيقة . ويكفى أن يكون أطول قامة من المعتاد ليصفه العربى بالعملاق ، كما نصف اليوم سكان تكساس والسويد) . ويؤكد ابن فضلان المظهر القذر للاسكندنافيين وافراطهم فى السكر ، الاوصاف التى لم تثر انتباه عدد من الملاحظين الاقل حساسية من ابن فضلان . ففى تقريره عما يدعى (بالفندول) اعطى أهمية كبيرة لشعر جلودهم ، ومظهرهم الهمجى ، بينما ربما لم يكونوا شعرانين لتلك الدرجة ولا همجيين بل ربما كانوا مجرد قبيلة من البشر العاديين يعيشون فى عزلة ودون المستوى الحضارى .

ربما كانوا مجرد قبيلة من البشر العاديين الذين عاشوا فى عزلة حضارية

كنت أعانى من الصداع وقت أن أخبرنى بالاستعداد للهجوم من البحر

أصابنى الفزع عندما أفهمنى أننا سننزل بالحبال إلى الجرف

ويمضى (غود رتش) قائلا :

« بأن هناك داخل كتاب ابن فضلان ما يدل على أن (الفندول) بشر . مثل التماثيل الصغيرة التى عثر عليها عندهم لنساء حوامل . فهى شبيهة بالتماثيل المصغرة التى عثر عليها فى فرنسا ، والنمسا ، بالطبقة (٩) من الحفريات . وهى تقترن اساسا بالانسان الحالى ، وليس بانسان (نياندرتال) .

كهوف الرعد

قبل انبلاج الفجر ، ركب (بوليويف) وفرسانه ، وانا من بينهم ، وغادرنا مملكة (روثغار) سائرين على حافة الجرف المشرف على البحر .

لم أكن فى تمام العافية فى ذلك اليوم ، فقد كنت اعانى من صداع فى رأسى ، وحموضة فى معدتى من احتفالات الليلة السابقة . ولابد أن جميع فرسان (بوليويف) كانوا يحسون بنفس الاحساس ، ولكن شيئا من ذلك لم يظهر عليهم .

واسرعنا المسير على حافة الجرف الساحلى الوعر ، المرتفع جدا ، والعمودى الانحدار والمكون من صخر رمادى ينتهى الى موج البحر الراغى المزبد تحتنا .. وفى بعض الاماكن ، على طول هذا الشاطىء ، كانت توجد سواحل صخرية ، ولكن غالبا ما كان البحر والارض يلتقيان رأسا ، تتكسر الامواج على الحائط الصخرى كالرعود ..

ورأيت (هيرغر) الذى كان يحمل على حصانه حبالا من جلود الفقمة التى يصنعها الاقزام ، وحثثت ركوبتى لاسير بجانبه . وسألته عن هدفنا هذا اليوم .

وفى الحقيقة لم يعد يهمنى ذلك كثيرا لما كنت اعانيه من صداع وبشم .

قال لى (هيرغر) :

« هذا الصباح سنهاجم أم (الفيندول) فى كهوف الرعد وسوف نهجم من البحر كما قلت البارحة » .

ونظرت من فوق حصانى الى البحر الذى كان يتكسر على صخور الجرف الشاهق وسألت :

« هل سنهجم بمركب ؟ »

فضرب بيده على حبال جلد الفقمة .

ففهمت منه اننا سننزل معلقين بالحبال على الجرف ، ومن ثم سندخل الكهوف بطريقة ما . وفزعت جدا لما ينتظرنى .

فلم أكن أحب أن أتعلق بالاماكن العالية ، حتى المباني المرتفعة في مدينة السلام كنت اتجنبها . وقد قلت له ذلك .

فرد على (هيرغر) :

« أحمد الله ، فانت محظوظ .»

فسألته عن سبب سعدى فأجاب :

اذا كنت تخشى الاماكن المرتفعة فسوف تتغلب على خوفك اليوم . وستكون قد واجهت تحدياً كبيرا ، وسيحكم عليك بأنك بطل . »

فقلت له :

« أنا لا أريد أن اكون بطلا . »

فأجاب ضاحكا :

« أنت لا تقول هذا إلا لأنك عربى » .

ثم أضاف : « ولأن لك رأسا صلبة » ويعنى بذلك عند أهل الشمال الخمار ، أى وجع الرأس الذى يعقب السكر . وهذا صحيح ، كما سبق أن قلت .

وصحيح كذلك اننى كنت منزعجا من فكرة نزول الجرف معلقاً بحبل . وقد كان انزعاجى من الشدة بحيث كنت افضل عمل اى شىء على وجه الارض ، سواء كان ذلك الشرب من قدح من ذهب ، أو أن آكل روث خنزير، أو أن افقأ عيني ! وحتى الموت نفسه كنت افضله على النزول معلقاً من الجرف !

وكان مزاجى منحرفاً ، فقلت (لهيرغر)

– انت وبوليويف ، ورفاقكم جميعا يمكنكم ان تكونوا أبطالا كما يحلو لكم ، ولكن لا دخل لى أنا فى هذا الشأن ، ولن أكون واحداً منكم ».

وضحك (هيرغر) من كلامى ، ثم نادى (بوليويف) ، وكلمه بسرعة ، فأجابه (بوليويف) من فوق كتفه . فقال لى (هيرغر) :

« بوليويف يقول انك ستفعل ما نفعل»

وغرقت فى اليأس ، وقلت (لهيرغر) :

« لا أستطيع عمل هذا . واذا أرغمتمونى عليه فسأموت بكل تأكيد »

فقال (هيرغر) :

« كيف ستموت - ؟ »

فقلت : « ستفلت الحبال من قبضتى »

فضحك (هيرغر) بشدة لجوابى واعاد ماقلته على رفاقه فضحكوا جميعا على ماقلت . وعندئذ نطق (بوليويف) بكلمات ، فقال لى (هيرغر) :

« يقول لك (بوليويف) أن الحبل سيفلت من قبضتك فقط اذا فتحت يديك ولا يفعل ذلك الا أحمق . ويقول بوليويف ، وانت لست بأحمق » .

وهنا يبدو جانب حقيقى من طبائع الرجال : فقد قال بوليويف بطريقته اننى استطيع التعلق بالحبال ، وقد صدقت انا كلامه بقدر تصديقه له ، واحسست فى قلبى بشىء من الاغتباط .

ولاحظ ذلك (هيرغر) فقال :

– كل شخص يحمل نوعا من الخوف خاصاً به ، فهناك رجل يخاف الاماكن العالية ، وآخر يخشى الغرق ، وكلاهما يضحك من الآخر ، ويدعوه بالمغفل . ولكل خوفه المفضل . مثل تفضيل امرأة على أخرى ، أو الخروف على الخنزير أو الكرنب على البصل . ونحن نقول الخوف خوف .

ولم يكن مزاجى مستعداً لفلسفته ، وقد عبرت له عن ذلك ، ففى الحقيقة كنت أقرب الى الغضب منى الى الخوف .

فضحك (هيرغر) فى وجهى وقال :

– أحمد الله الذى جعل الموت فى نهاية الحياة ، وليس فى مقدمتها.

فأجبت بجفاف بأننى لا أرى فائدة من التعجيل بالنهاية . فأجاب (هيرغر):

– حقيقة .. ولا أحد يفعل ذلك .

كُلّ إنسان يحمل نوعًا من الخوف خاصًّا به ورغم ذلك يضحك من الآخرين فى سذاجة

ثم قال :

– انظر الى (بوليويف) أترى كيف يمتطى صهوة جواده مستقيماً ، وكيف يتقدم الى الامام ، رغم انه سيموت قريباً

فأجبت :

– أنا لا أعرف انه سيموت .

فقال (هيرغر) :

– نعم .. ولكن (بوليويف) يعرف . ولم يحدثنى بشىء بعد ذلك .

وسرنا مدة طويلة حتى توسطت الشمس السماء . وأخيرا أعطى بوليويف الاشارة بالوقوف وعند ذلك ترجل جميع الفرسان ، وأخذوا يستعدون لدخول كهوف الرعد .

كنت أعرف أن هؤلاء الشماليين شجعان لحد الطيش . ولكن عندما نظرت الى هاوية الجرف تحتنا التوى قلبى داخل صدرى ، واحسست اننى على وشك افراغ ما فى جوفى فى أى لحظة . فقد كان الجرف منحدرا بشكل عمودى ، وخال تماما من كل مقبض لليد او القدم ، وسينزل مسافة حوالى المائة خطوة . وكانت الامواج المتكسرة تحتنا من البعد بحيث كانت تبدو صغيرة جدا كرسم دقيق . ولكنى كنت أعرف انها كبيرة كأى موج على الارض ، حين ينزل المرء الى مستواها .

وكان النزول الى هذه الهاوية ، فى نظرى ، جنونا تعدى جنون أى كلب مسعور . ولكن الشماليين كانوا يزاولون عملهم بطريقة عادية . كان بوليويف يوجه اعمال دق الاوتاد الخشبية القوية فى الارض وحولها ربطت حبال جلد الفقمة ، ورميت اطرافها من فوق حافة الجــرف .

واكتشفنا ان الحبال كانت أقصر من مسافة الجرف ، فكان لابد من سحبها مرة أخرى واضافة حبلين آخرين إليها لتصل الى القعر .

وحين انتهينا من ذلك ، كان لنا حبلان يتدليان على وجه المنحدر . وعندئذ خاطب (بوليويف) جماعته قائلا :

– سأنزل انا الاول ، حتى اذا بلغت الارض سيعرف الجميع ان الحبال متينة وان الرحلة يمكن اتمامها . وسأنتظركم على الحافة الضيقة التى ترونها تحت .

ونظرت الى هذه الحافة الضيقة فوجدت ان وصفها بضيقه مثل وصف

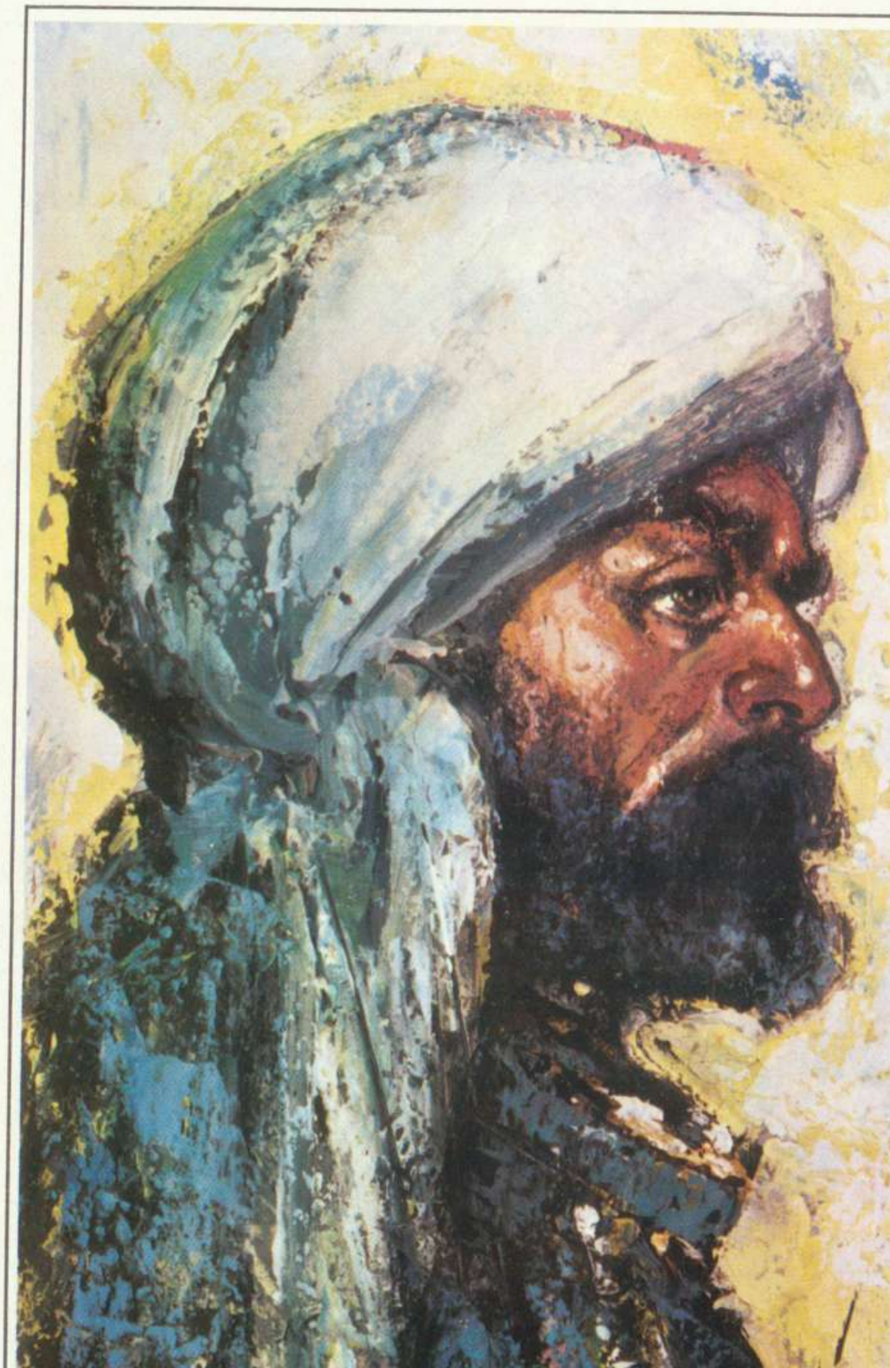

الجمل بالطيبة . فقد كانت فى الواقع مجرد شريط من الصخر الاملس يتكسر عليه الموج ويغطيه باستمرار .

وقال بوليويف :

ـ وحين نصل جميعا الى القعر سنهاجم أم (الفندول) فى كهوف الرعد . كان يتكلم بصوت عاد كما لو كان يأمر أمة بطبخ أكلة عادية ، أو القيام بأى عمل منزلى . ودون ان يزيد على ذلك شيئا ذهب الى حافة الجرف .

وهذه هى الطريقة التى نزل بها والتى اثارت اعجابى . ولكن الشماليين اعتبروها شيئا عادياً . فقد قال لى (هيرغر) انهم يستعملون هذه الطريقة لجمع بيض طيور البحر فى بعض اوقات السنة ، حين تبنى الطيور اعشاشها على وجه الجرف . وهذه هى الطريقة : يربط الهابط من خصره بمقلاع ، ويدله الجميع على جانب الجرف ، بينما هو ممسك بالحبل الثانى المدلى الى جانبه . وبالاضافة الى ذلك يحمل الهابط عمودا قويا من خشب الارز ، مزودا فى نهايته بسير أو حزام جلدى ليربطه على رسغه ليستعمله فى التحرك يمنة ويسرة اثناء هبوطه على وجه الحائط الصخرى .

وبينما كان (بوليويف) يهبط ، ويبدو لعينى أصغر فأصغر ، رأيت أنه يستعمل الحبل والسير والعصا بمهارة ، ولم انخدع فاعتقد أن ذلك عمل هين . فقد رأيت انه صعب ويحتاج الى تدريب .

وفى النهاية وصل الى القعر ووقف على الحافة الضيقة ، والموج يتكسر عليه . وفى الحقيقة صار صغير الحجم بحيث كنا نراه بصعوبة وهو يلوح لنا بيده مشيرا الى أنه وصل سالماً . وسحبنا المقلاع ومعه عصا الارز . والتفت (هيرغر) الى قائلا :

ـ ستنزل انت بعده .

فقلت اننى أحس بضعف ، واننى اود ان أرى رجلا آخر ينزل حتى أدرس جيدا طريقة النزول .

فقال :

ـ ان الامر أصعب مع كل هبوط ، لانه كلما نزل واحد نقص عدد الافراد الذين سينزلونك ، فالرجل الاخير سينزل بلا مقلاع بالمرة ، وسيكون ذلك هو « إكثغو » لأن ذراعاه من حديد . ونزولك الان هو علامة اكرام منا لك .

وفى عينيه رأيت أنه لا أمل فى التأخير . فوضعت فى المقلاع ، وأمسكت بالعصا فى يدى اللتين كانتا تنزلقان من العرق ، كما كان جسدى بأكمله يتصبب عرقا ، وكنت أرتعش فى مهب الريح وانا اتخطى حافة الجرف . وكانت تلك آخر مرة رأيت فيها السكنديناڤيين الخمسة وهم يمسكون بقوة بالحبل ، وقبل ان يختفوا عن نظرى وفى النهاية وصلت .

وخطر ببالى أن أتوجه الى الله بالدعاء الكثير ، وان اسجل فى عين عقلى ، وذاكرتى التجارب العديدة التى يمر بها الانسان وهو معلق بالحبال على جانب هذا الجرف الصخرى فى مهب الرياح . ولكن حين غاب عنى أصدقائى السكندناڤيين الذين كانوا يدلوننى من فوق نسيت كل ذلك وطفقت أهمس واهذى بكلمات كالخارج عن عقله ، أو كالعجوز البالغ ارزل العمر الذى كف دماغه عن التفكير ، أو كطفل أحمق .

وفى الواقع لا أذكر كثيرا مما حدث . ولم يعلق بذهنى غير هذا : وهو ان الريح يعصف بالفرد يمنة ويسرة بسرعة تعجز معها العين على التركيز على حائط الجرف الذى كان عبارة عن ضباب رمادى ، واننى ارتطمت بالحائط عدة مرات جارحا عظامى وسالخا جلدى ، ومرة صدمت رأسى فرأيت نقطاً بيضاء تلمع كالنجوم أمام عينى وظننت اننى سيغمى على ، ولكن ذلك لم يقع . وبعد مدة بدت لى كأنها عمرى بكامله ، وأكثره ، وأخيرا وصلت الى القعر فضربنى (بوليويف) بيده على كتفى وقال لى اننى عملت جيدا

وارتفع المقلاع ، وانكسرت الامواج على وعلى (بوليويف) بجانبى وكافحت من أجل حفظ توازنى على هذه الحافة الزلاقة ، واستولى هذا على اهتمامى لدرجة اننى لم أشاهد الآخرين وهم ينزلون . فقد كان هدفى الوحيد الا انجرف الى البحر . وقد رأيت أمواجا أعلى من قامات ثلاثة رجال يقف الواحد منهم على كتف الاخر . وحين كانت تتكسر الموجة كنت اقف دون احساس داخل دوامة قوية من الماء المثلج ، وصرعتنى الامواج عدة مرات ، وابتل جسدى بكامله ، وصرت ارتعد بعنف لدرجة ان اسنانى كانت تصطك كوقع حوافر فرس يركض .

ونزل مقاتلو (بوليويف) جميعا سالمين ، وكان آخرهم (أكثغو) الذى استعمل قوة ذراعيه الشديدتين ، وحين وصل الى الارض أخذت ركبتاه ترتعدان بشدة دون أن يستطيع السيطرة عليهما وكأنه رجل يحتضر . فانتظرنا قليلا حتى عاد اليه هدوءه .

وحينئذ تكلم بوليويف :

ــ سننزل الى الماء ، ونسبح داخل الكهف . سأكون الاول . أحملوا خناجركم بين اسنانكم حتى تبقى سواعدكم طليقة لمكافحة التيار .

ونزلت على سمعى هذه الكلمات الجنونية الجديدة فى وقت لم أعد استطيع فيه احتمال شىء أكثر . فى نظرى كانت خطة (بوليويف) حماقة ما بعدها حماقة !

ورأيت الامواج تنسحق وتنفجر على الصخور المسننة ، ورأيتها ترتد فى قوة عملاق لتستجمع قوتها وتندفع الى الامام من جديد .. ونظرت اليها موقنا انه

كانت العجوز محاطة بالأفاعى .. وعندما هاجمها "بوليويف" أطلقت صرخة مخيفة

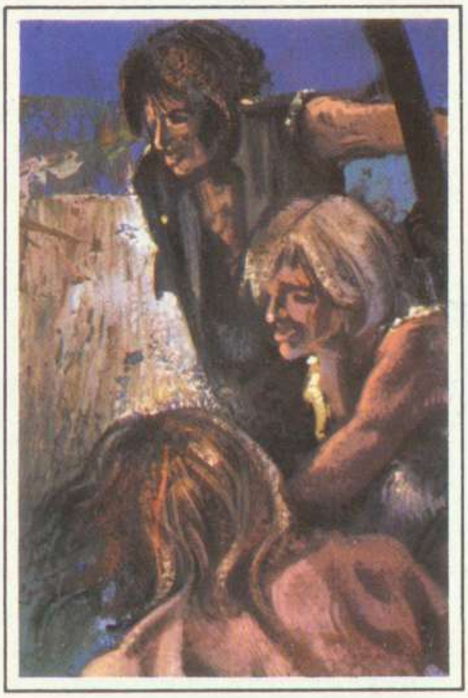

لا أحد يستطيع السبح فى ذلك الخضم دون أن يسحقه ويحيله الى فتات من العظم فى الحال .

ولكننى لم أحاول الاحتجاج ، فلم أعد أدرك أى شىء . فقد كنت فى نظرى اقرب الى الموت بحيث لم يعد يهمنى أن اقترب منه أكثر . فأخذت خنجرى وادخلته فى حزامى لان اسنانى كانت تصطك بشدة بحيث استحال على الامساك به فى فمى .

اما رفاقى السكانديناڤيون فلم يظهروا أية علامة على البرد او التعب ، بل كانوا يستقبلون كل موجة كمنشط جديد ، وكانوا الى جانب ذلك يبتسمون سعداء فى توقع للمعركة القادمة ، وقد كرهتهم من أجل ذلك .

وانتظر (بوليويف) ، وهو يراقب الموج ويختار الوقت المناسب ، ثم وثب وسط الموج ، وترددت انا ولكن أحداً ــ واعتقد انه هيرغر ــ دفعنى فغطست الى قعر دوامة البحر المخدر من شدة البرودة . وغزلتنى الدوامة رأسا على عقب . ولم أكن أرى غير الماء الاخضر . وبعد ذلك رأيت (بوليويف) يسبح تحت الماء فتبعته ودخل فى شبه ممر بين الصخور ، ففعلت مثله وهذه طريقته :

كان الموج يجذبه الى الوراء بقوة محاولا اخراجه الى عرض البحر ، وكذلك أنا حينئذ كان (بوليويف) يقبض بشدة على صخره حتى لا يجرفه التيار ، وكنت أنا أفعل مثله . وكانت رئتاى توشكان على الانفجار وانا أمسك بالصخرة بقوة وبعد لحظة كان يندفع الموج فيرمى بنا الى الامام بسرعة مفزعة فنرتطم بالصخور والحواجز ، ويرتد الماء فننجذب معه الى الوراء كما فعل أول مرة ، فكنت أفعل مثل (بوليويف) واتمسك بالصخرة . واحسست برئتى تحترقان كأنهما على نار ، وايقنت اننى لن استطيع الاستمرار مدة أطول فى هذا الماء المثلج .

واندفع البحر فرمى بى الى الامام ، وانا اصطدم هنا وهناك ، حتى وجدت نفسى فجأة فوق الماء اتنفس الهواء .

وقد وقع هذا بسرعة كبيرة ، وفوجئت لدرجة اننى لم أشعر بالراحة التى كان ينبغى أن أحس بها ، ولا فكرت فى حسن طالعى ونجاتى . وتنفست بقوة ، وحولى رؤوس مقاتلى (بوليويف) فوق سطح

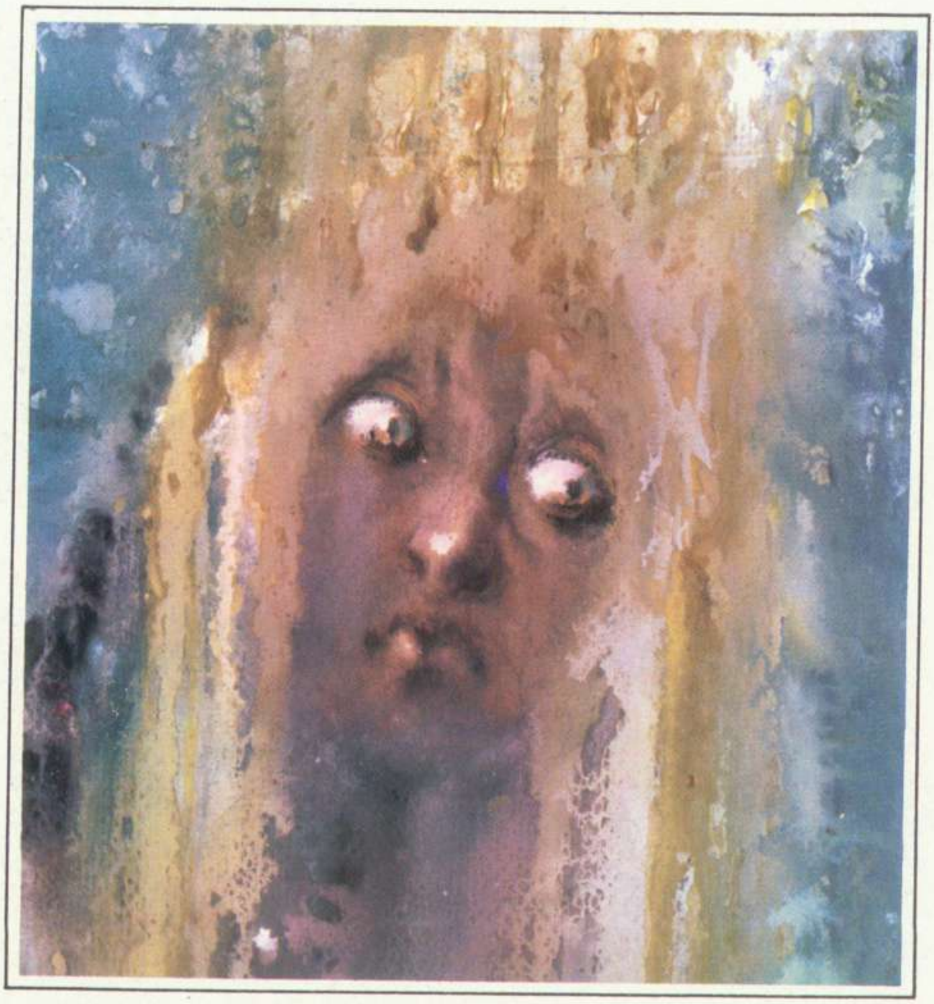

الماء يفعلون نفس الشىء .

ووجدنا انفسنا فى شبه بركة أو بحيرة داخل كهف سقفه قبة من صخر أملس ، وله مدخل من البحر هو الذى دخلنا منه . وامامنا مباشرة كانت ارض صخرية مسطحة . ورأيت ثلاثة أو اربعة أحجام قاتمة مقعية حول نار تتغنى بأصوات عالية .

وفهمت لماذا سمى المكان بكهف الرعد ، فقد كان يهتز مع اصطدام كل موجة ويحدث صوتا رعديا يوجع الآذان ، ويبدو أن الهواء نفسه يمتد ويضغط .

فى هذا الكهف هجم بوليويف واصحابه ، وانضممت انا اليهم ، فقتلنا الشياطين الاربعة بخناجرنا القصيرة .

ورأيتهم بوضوح لأول مرة ، فى ضوء النار التى كان لهيبها يعلو ويستشيط مع كل ارتطام للامواج . أما شكل الشياطين فكان شبيها بشكل الانسان فى كل شىء ، ولكن ليس كأى انسان على وجه الارض . فقد كانوا قصارا ، عراضا ، مقوسين ، يكسو الشعر جميع اطرافهم ماعدا أكفهم واخامص اقدامهم ، ووجوههم . وكانت وجوههم وافواههم وفكوكهم كبيرة وبارزة ، وبشعة المظهر ، ورؤوسهم كذلك أكبر من رؤوس الانسان العادى ، وكانت عيونهم غائرة فى رؤوسهم ، وحواجبهم كانت كبيرة ، وليس لكثافة الشعر ، بل لضخامة العظم . وكانت اسنانهم كبيرة وحادة ، رغم ان اسنان بعضهم كانت مسطحة من التآكل .

أما فى بقية الملامح الجسمانية الاخرى فكانوا يشبهون البشر . وسمعت من أحد تلك المخلوقات ، وهو يحتضر ، أصواتا تشبه الكلام ، ولكننى لا أستطيع تأكيد ذلك ، فأرويه كما سمعته . ووقف بوليويف ينظر الى المخلوقات الاربعة الميتة بجلودها الفروية الكثة ، وبينما نحن كذلك اذ سمعنا ترتيلا كأناشيد الجن يتردد صداه ، فيرتفع وينخفض مع اصوات الرعد الاتى من ارتطام الموج بالصخر . كان الصوت يأتى من داخل الكهف فقادنا بوليويف نحوه .

واتينا على ثلاثة من تلك المخلوقات ، وهم منبطحون على الارض ، ووجوههم ملتصقة بالتراب ، وقد رفعوا أيديهم فى استعطاف لمخلوقة عجوز كامنة خلف الظلال .. كانوا يرتلون الاناشيد فلم يشعروا بوصولنا . ولكن العجوز رأتنا واطلقت صرخات بشعة لاقترابنا وقلت لابد أن العجوز هى أم (الفيندول) ، ولكن اذا كانت أمرأة فلم أر عليها علامة للانوثة فقد كانت من الكبر بحيث يصعب تمييز جنسها .

ووقع بوليويف وحده فى عبادها الاربعة فقتلهم جميعاً ، بينما أنسحبت الام العجوز الى داخل الظلال وهى تصرخ صراخاً فظيعا . ولم أكن أراها جيدا . ولكنى استطعت أن أرى انها كانت محاطة بالافاعى التى كانت ملتوية عند قدميها ، وحول يديها ، وعنقها ، هذه الافاعى بدأت تهس وتحرك السنتها وبما انها كانت تحيط بالعجوز من كل جانب حول جسدها ، على الارض ، لم يجرؤ أحد من مقاتلى بوليويف على الاقتراب منها .

وعند ذلك هاجمها بوليويف ، فأطلقت صرخة مخيفة حين غرس خنجره فى صدرها غير عابىء بالافاعى . وطعنها عدة مرات فلم تسقط ، بل ظلت واقفة ، رغم أن الدم كان ينزف منها كأنما يفور من نافورة ، وطوال الوقت كانت تصرخ صرخاتها المرعبة .

وفى النهاية انهارت وسقطت ميتة ، فدار بوليويف وواجه رجاله ، وعند ذلك رأينا أن هذه المرأة ، أم الفيندول ، آكلة الاموات ، قد جرحته ، كان دبوس فضى كالذى يستعمل للشعر ، مغروسا فى بطنه ، وكان الدبوس يرتعش مع كل نبضة من نضبات قلبه . ونزعه بوليويف فتدفق الدم من الجرح . ولكنه لم يسقط من الضعف ، بل وقف واعطى الامر بمغادرة الكهف .

وخرجنا من المدخل المواجه للبر . وكان محروساً ، ولكن جميع الفيندول هربوا عند سماع صراخ امهم وهى تموت.

وغادرنا المكان دون مضايقة . وقادنا بوليويف من الكهوف الى حيث كانت خيلنا ، وهناك فقط انهار على الارض .

أحمد عبد السلام البقالى

منظر جانبى ليافا السليبة .. وتبدو بعض بقايانا !

نبيل خالد الأغا

وجه مدينة من فلسطين

يافا

حديقة النجوم

كانت يافا واحدة من المدائن الفلسطينية التى اشرأبت امنياتى لرؤيتها ، فطالما سمعت بها ، وقرأت عنها وعاشرت كثيرا من أهلها سواء فى مسقط رأسى ، أو فى مهابط اقدامى بديار الغربة.

ولعلنى ما برحت اذكر أول مرة سمعت فيها باسم يافا .

كنت واسرتى نقيم فى مدينة خان يونس ، وفى عام ١٩٤٨ أتت الى بيتنا اسرة يافية صديقة يحمل افرادها حاجيات بأيديهم وعلى رءوسهم ، فاستقبلهم ابى ، ورحبت بهم أمي ، وكان من بينهم شاب جريح يدعى يوسف ، لم يلبث بضع ساعات حتى أدركته الوفاة ، وفى حديقة البيت قام بعض الرجال بغسله ، بينما انتزعت أمي غطاء أبيض عن بعض الأسِرَّة سرعان ماصار كفنا ليوسف !

لقد كان محزنا ان يموت يوسف ، لكن الاكثر حزنا أن لايُستطاع نقله الى مقره الاخير وسط أجواء الحرب والموت والدمار . وكان منتظرا ان يمكث دون تورية مدة ما ، لكن سرعان ماأدركته العناية الالهية ، فقيض الله له شابا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يافا اليوم .. ويلاحظ وجود مئذنة وضريح .

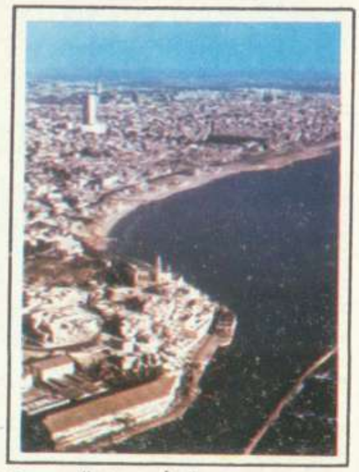

تل أبيب من الجو .. وتبدو مرابعنا الخضراء الجميلة .

البطل اليمنى الذى حمل جثمان يوسف على عربة يد وسط أجواء الحرب والدمار

عند الفالوجة تذكرت بطولة الجيش المصرى.. والشهيدين على مكى طه وأحمد عبد العزيز

يمنيا شجاعا تكفل بنقله الى المقبرة على عربة يد بمساعدة والد يوسف الهرم هذا الشاب اليمنى مازال اسمه منقوشا فى ذاكرتى نظرا لمواقف مماثلة وقفها بايمان وشهامة ورجولة ، وما فتئت احيي فى البطل « صالح سرحان المقدشى » كل الاخوة اليمنيين الشرفاء .

وخلال تلك الفترة البعيدة تداخلت فى مخيلتى كل المعانى ، كل الخطوط والصور والالوان ، ولم يستطع العقل ذو السنوات الست ان يميز الاشياء عن اللاأشياء ، غير أنه اختزن فى بؤرة ذاكرته اللدنة بخمسة امور : اليهود ، يافا المندوب السامى ، يوسف ، الموت . ولما بلغ العقل أشده أدرك أبعاد العلاقة بين هذه المسميات ايما ادراك !!

انهم يحبون الصبر

كنت متشوقا لان ارطب خاطرى برؤية يافا ، وحضر سائق السيارة فجرا ليقلنى مع اثنين من اصدقائى ، وغادرت البيت وانا اترنم بأصداء دعوات أمى وهى تضرع الى الله سبحانه وتعالى أن يصرف عنى شر اليهود وأشباه اليهود !

كانت السيارات تجوب المدينة وكنت أرى مئات من الشباب والرجال راكبون وراجلون ، واقفون وجالسون وكأنّ الوقت قد أضحى ضحى لا فجرا ، قال صديقى : اظن هذا المنظر غير مألوف لديك ، قلت : بالفعل انه غير مألوف . قال : هؤلاء هم العمال العرب الذين يعملون فى عمق وطننا مع الشركات والمؤسسات اليهودية المختلفة ، حيث تنقلهم السيارات الى مقار أعمالهم فى تل أبيب وهرتسيليا وناتانيا والمجدل ... الخ ، ولا يغرب عن بالك ان هذا اليوم هو يوم الاحد ، وهو يعنى بالنسبة للأنظمة اليهودية بداية الاسبوع . بعض هؤلاء العمال يمكثون فى عملهم ستة ايام حيث يعودون الى اسرهم مساء الجمعة ، وبعضهم الاخر يذهب صباحا ويأتى عشاء .

وعندما وصلت ضاحية « السطر » الفاتنة قلت لاحد الاصدقاء : أين أشجار الصبر « التين الشوكى » التى كانت ممتدة حول هذه المنطقة ؟ قال : لقد أزالتها الجرافات الصهيونية بحجة أنها كانت تشكل مخابىء طبيعية للفدائيين . فقال السائق : لقد أزالوها وهم يتلمظون على ثمارها . انهم يحبون الصبر كثيرا ، لذلك أحضرت معى صندوقا لتوزيعه على « الخواجات » اذا صادفتنا مشاكلهم فى الطريق !

وواصلنا المسير ، مررنا بالقرارة وأبى هولي ودير البلح والنصيرات والمغازى والبريج وغزة وجباليا ثم قرية بيت حانون وهى التى كان يمر منها خط الهدنة قبيل عام ١٩٦٧ فيفصل بين قطاع غزة وفلسطين المحتلة .

أمنية بلا رائحة

وحين مررنا بمنطقة المجدل تذكرت المعارك الشجاعة التى خاضها الجيش المصرى الباسل عام ١٩٤٨ فى هذه المنطقة برغم ظروفه القاسية التى كان يمر بها.وقفز امامى اسم الشهيد علي مكي طه باعتباره أول شهيد عربى مصرى فى تلك الحرب ..وكذلك الشهيد البطل أحمد عبد العزيز باعتباره اعظم قائد عربى مصرى امتزج دمه بتراب فلسطين فى ذات الحرب .

قال حامد : نحن اللحظة على مشارف يافا وكاد القلب يهوى بين الضلوع ، اذن لقد تحولت الامنية الى حقيقة ، ولكنها حقيقة مهيضة الجناح ،كسيحة القوادم

يافا حديقة النجوم

بقيت يافا في حوزة الصليبيين حوالى ثمانين عاما حتى حررها الظاهر بيبرس

ازدهرت التجارة والصناعة في يافا.. وكانت مركزاً حيوياً لكافة الأنشطة الثقافية

هانذا سارى يافا .. لكنها رؤية بلا لون ولا طعم ولا رائحة ! .

نداء خفى يقدح زناد تفكيرى الذى أوشك ان يصاب بالشلل: استيقظ يارجل فهذه يافا ...يافا التى تثلمت قرائحكم فى مدحها ، وامتلات دواوينكم فى وصفها هذه يافا التى نزع الجلاد خمارها ، فنهب طهارتها .. واستباح عروبتها !!

وفى ميدان الساعة بالثغر الحزين شهقت أسى ، وزفرت غيظا ، ووجدتنى اردد مع الشاعر الشهيد/ راشد حسين :

يافا التى رَضَعَتْ من اثدائها حليبَ البرتقال
تعطش ،.. وهى من سَقَتْ أمواجُها المطر
يافا التى كَسَّرت الايامَ فوقَ هذه الرمال
ذراعها تُشَل ، حين ظهرها انكسر
يافا التى كانت حديقةً أشجارها الرجال
قد مُسِخَتْ ، مَحْشَشَةً تُوزعُ الخَدَرْ !

...وبدانا نجوب الشوارع القديمة بالمدينة ، وجلسنا على مقهى عربى عتيق فى الهواء الطلق ، وتحت سماء يافا الزرقاء اخذنا نلملم بعضا من تاريخ يافا .

خزانة فلسطين

يافا .. كلمة محرفة عن اصلها الكنعاني (يافي) وهى تعنى « الجميل » ، ويافا القديمة تقع على مرتفع طوله ١١٦ قدما عن سطح البحر .. وقد اشتهرت بمينائها الطبيعى الواقع فى منتصف الساحل الفلسطينى ، ويعتبر من أقدم موانىء العالم التى اسسها الكنعانيون العرب منذ أربع آلاف سنة تقريبا . وقد ذكرت ضمن رسائل « تل العمارنة » التى تعود بتاريخها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .. وقد وقعت يافا كغيرها من البلاد الفلسطينية تحت حكم المصريين والآشورين والبابليين ، و الفرس ، واليونان ، والرومان ... واخيرا اليهود الذين يدعونها « يافو » .

وفى عهد الفتوحات الاسلامية تم فتح يافا . قال البلاذرى فى فتوح البلدان « ثم فتح عمرو بن العاص مدينة لد وارضها ، ثم فتح يبنا ، وعمواس ، وبيت جبرين ، وفتح يافا ويقال فتحها معاوية ، وفتح عمرو رفح » . ووصفها « المقدسى » مؤرخ فلسطين وجغرافِيّها بانها « خزانة فلسطين وفرضة الرملة » وإبان الحملات الصليبية على ديار المسلمين وقعت يافا فى قبضتهم عام ١٠٩٩ ميلادية ، وقام « جودفرى » بتحصين المدينة واتخذها ميناء رئيسيا لدولة « بيت المقدس »ليخدم تجارتهم ، وامنهم وحجاجهم !

بعد انتصاره فى موقعة « ارسوف » عام ١١٩١ ميلادية دخل ريشارد يافا ، ونعمت جيوشه بقضاء سنة فى ربوعها .. وبعد عام واحد هاجمتها قوات المسلمين يوم ١٥ من رجب عام ٥٨٨ هجرية.وكان فى طليعة المهاجمين البطل صلاح الدين الايوبى وعلى ميمنته ولده الملك الظاهر وعلى ميسرته أخوه العادل ودخل المسلمون يافا ، إلا انهم لم يتمكنوا من احتلال قلعتها الحصينة ، مما أدى الى توقيع صلح الرملة الذى نص فى أحد بنوده على بقاء المنطقة الساحلية الممتدة من صور الى يافا بأيدى الصليبيين . ومكثت يافا فى حوزتهم ما يقرب من ثمانين سنة ، وبالتحديد حتى عام ١٢٦٨ ميلادية حيث قاد الظاهر بيبرس حرب تحرير يافا ، ومنذ ذلك الزمن نعمت بالحياة فى حديقة الاسلام حتى اليوم الرابع عشر من أيار عام ١٩٤٨ حيث سقطت من التقويم العربى !! ومابرحت تنتظر عودتها ، ونرجو ألا تيأس من طول الانتظار !

جنون العظمة

بعد ان سقطت غزة فى قبضته بدأ نابليون فى محاصرة يافا فى الثالث من مارس عام ١٧٩٩ ميلادية ، وبعد لأى استطاع جنوده أن يفتحوا إحدى الثغرات ودخلوا المدينة ، وصبوا جام غضبهم على أهلها، فارتكبوا مجزرة رهيبة شهد بفظاعتها الكثيرون من قادتهم . فقد قال الميجر ديتروا: «...وراح الفرنسيون يقتلون اعداءهم كالمجانين طوال ذلك المساء كله ، إن كل من له وجه انسان سقط صريع جنونهم ».

وقد حدث ان وجد الفرنسيون داخل قلاع يافا الاف الجنود الذين رفضوا الاستسلام برغم نفاد الجزء الاكبر من ذخيرتهم ، ولكن الامبراطور وعدهم بتامين حياتهم اذا استسلموا بدون قتال وما كادوا يفعلون ذلك حتى هاجت فى دمائه طواغيت العظمة والغرور فعهد الى فرقة « بون » بمهمة تصفيتهم . واقتادتهم الفرقة الى التلال الرملية ـ

فتاة الاعلان اليهودية .. تمضغ البرتقال اليافاوى جراح شعب .

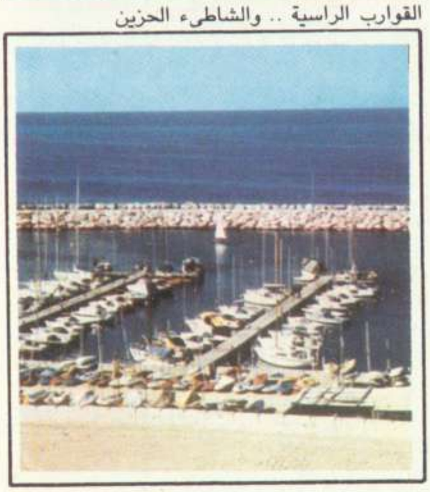
القوارب الراسية .. والشاطىء الحزين

تل ابيب بدأت بستين اسرة .. وتزيد اليوم عن النصف مليون نسمة .

المقامة مكانها اليوم مستعمرة بيت يام — وبها قابلوا وجه الله الكريم .
ولقد أدى تراكم الجثث التى زادت عن الاربعة الاف جثة الى تسمم الهواء وانتشار الطاعون ، الذى أصاب — اول ما أصاب — جنود نابليون ، فكان هذا الوباء من أهم اسباب فشل حملة نابليون على فلسطين ، حيث تمزقت احلامه باستعمار الشرق العربى .

● ● ●

بعد رحيل القوات الفرنسية نهضت يافا من كبوتها ، واخذت تلملم جراحها ، فنمت فى عمرانها ، واتسعت فى مساحتها ، وتأسس حي المنشية ، وحى العجمى اضافة الى الاحياء المعروفة مثل : أرشيد ، الجبلية ، اهريش . أما الاحياء المعروفة « بالسكنات » فتقع بين مزارع « بيارات »البرتقال ومنها « سكنة درويش » ، و « سكنة أبو كبير » وغيرها . كما تمت توسعة الميناء لمواجهة الحركة التجارية ولكى يستوعب المزيد من زائرى القدس بحرا ، ولأجل تامين راحة هؤلاء الزوار فقد تم انشاء أول خط حديدى فى فلسطين عام ١٨٩٢ ميلادية يربط بين يافا والقدس وطوله ٨٧كم .

البرتقال اليافاوى

تحيط بالمدينة من جهاتها الثلاث — الشمال والشرق والجنوب — بساتين البرتقال الواسعة المعروفة لدى أهل فلسطين « بالبيارات » . اما البحر المتوسط فيحتضن المدينة من الجهة الغربية .

ويتمتع البرتقال اليافاوى « الشموطى » بشهرة عالمية وبخاصة فى الاسواق العربية والاوربية ، وقد استغل العدو الصهيونى هذه الشهرة فى تسويق منتجاته فى السوق الدولية .
ومثلما ازدهرت التجارة والزراعة فى يافا فكذلك نهضت الصناعة . وقبيل عام ١٩٤٨ كانت تقوم بها مصانع عديدة للصابون والبلاط والنسيج والورق ، والزجاج والسجائر . كما اشتهرت يافا باعتبارها مركزا حيويا للانشطة الثقافية والادبية فى فلسطين ، ومنها أيضا كانت تصدر أهم الصحف والكتب الفلسطينية

الصحف اليافية

تعتبر جريدة « القدس الشريف » أول جريدة ظهرت فى فلسطين فى اليوم الاول من سبتمبر عام ١٩٠٣ ميلادية . وهى الجريدة الرسمية لمتصرفية القدس .
وبعدها بست سنوات صدرت جريدة «الأخبار» لصاحبها « بندلى غرابى » . وبعدها بعام ظهرت جريدة « الترقى » لصاحبها عادل جبر ، وبعدها بعام أيضاً صدرت جريدة « فلسطين » لمنشئيْها عيسى العيسى ، ويوسف العيسى ، اضافة الى ثلاث جرائد اخرى . وبذلك بلغ عدد الجرائد الفلسطينية خلال العهد العثمانى سبع جرائد .
أما فى عهد الانتداب البريطانى الاسود على فلسطين (١٩١٧_١٩٤٨) فقد صدرت خلاله عدة صحف فى يافا . فى العشرينات صدرت جرائد : « السلام » لنسيم ملول و « الجزيرة » لحسن الدجانى ومحمد الدجانى ، « الصراط المستقيم » للشيخ عبد الله القلقيلى ، «صوت الحق» لفهمى الحسينى .
وفى الثلاثينات صدرت « الجامعة الاسلامية » للشيخ سليمان التاجى الفاروقى ، « الدفاع » لصاحبها ابراهيم الشنطى ، وكانت « الدفاع » من أقوى الصحف الفلسطينية وأوسعها انتشارا . « الجهاد » لمحمد المسلمى ، ومجلة « الفجر » لعارف العزونى ، والدكتور اسكندر حلبى ، ومحمود سيف الدين الايرانى .
وفى الاربعينات صدرت جريدة «الشعب» لحلمى حنون وآدمون روك . وكانت آخر ماصدر من جرائد قبيل النكبة .

السقوط .. السقوط

كان قضاء يافا قبيل النكبة الاولى يضم ٢٣ قرية عربية من أهمها : يازور ، بيت دجن ، السافرية ، سَلَمة ، العباسية الشيخ مُوَنِّس .
فى مقابل هذه القرى كانت توجد ٣٣ مستعمرة يهودية تحيط بالمدينة . اربع فقط منها أنشئت فى العهد العثمانى ، والباقى فى عهد الانتداب البريطانى .
وعلى أثر صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود بتاريخ ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٧ ، أخذ اليهود يسلطون على يافا مدافعهم الثقيلة ، فصبوا عليها أربع الاف قذيفة خلال ثلاثة أيام مما أدى الى تدمير المدينة ، وقد استبسل المجاهدون فى الدفاع عنها ، برغم التساؤلات العديدة التى مازالت تطرح حول تصرفات قادة «جيش الانقاذ » فى منطقة يافا .
يقول سفاح دير ياسين ميناحم بيجن « ... لقد هاجمنا يافا بأفضل قواتنا واحسنها تدريبا ومرانا فى القتال ، هاجمنا خمس مرات فى يومين وليلتين ، وفى المرات الخمس رُدِدنا على أعقابنا ، وحملنا فى ميادين المعركة ابطالا أعزاء علينا ، حملناهم مضرجين بدمائهم ، وبلغ من صلابة حماتها ان فكرنا

يافا
حديقة النجوم

اشتهرت فى يافا عائلات عربية عريقة .. وشخصيات مرموقة لها مكانتها الرفيعة

تل أبيب : مدينة ذات أضواء . لكنها مقطوعة الصلة بالجذور التاريخية والدينية والفكرية

الفنادق الحديثة بتل أبيب منتصبة على قبور موتانا !

بالعدول عن اقتحامها ، واصدرنا الاوامر الى وحداتنا الامامية بالانسحاب ، ولكنها ولأول مرة فى تاريخ منظمة « الارغون » خالفت الاوامر وبقيت تحارب » .

وسقطت يافا تحت سمع وبصر «جيش الانقاذ» التابع لجامعة الدول العربية ، ونزح معظم السكان بطريق البر والبحر ، واتجه أكثرهم الى قطاع غزة ومصر ، وبعضهم الآخر مازال قابعاً فيها ، ويبلغ عددهم حاليا عشرة آلاف نسمة تقريبا .

شخصيات يافية

لقد عُرفت يافا بأنها من أكثر المدن الفلسطينية انفتاحا على العالم ، واكثرها رقيا وازدهارا فى كافة المجالات ، وكان بعض القاطنين بعيدا عنها يتباهون بأنهم قد زاروها أو اقاموا فيها ، أو ابتاعوا شيئا منها . وانه لمعروف عن أهلها بأنهم أكثر الفلسطينيين تمدينا والتصاقا بالحضارة الاوربية !

وانى لأرى يافا قريبة الشبه بالاسكندرية حتى فى تكرار اسماء بعض الاحياء السكنية فى كلا الثغرين الفاتنين ، كالمنشية ، والعجمى ، والنزهة ،اضافة الى اشتراك السكان فى النضال الوطنى ، وحسن الضيافة ورهافة الحس واللباقة وطلاوة اللهجة .

واشتهرت فى يافا عائلات عريقة المحتد ، قديرة المنزلة ، ذات جذور عربية نبيلة ، من أشهرها : الدجانى — الدباغ — الفرخ — هيكل — أبو لبن — العيسى — العزونى — سكر — كشكش — البيطار — بيدس — السعيد — خلف — جلاد — الدلق — شموط — ابو زناد — عون ابو غزالة

ومن الشخصيات اليافية البارزة :

● الشيخ عمر اليافى ١٧٥٩ — ١٨١٨ كان فقيها ومتصوفا ، انشأ زاوية النصر ببيروت ، وهو جد اسرة ابى النصر اليافي المعروفة .

● حافظ بك السعيد ١٨٤٣ — ١٩١٦ عمل مديرا لنواحى الرملة وبيت لحم ، وطولكرم . وكان نائباً فى « مجلس المبعوثان » العثمانى .

● فيليب جلاد ١٨٥٧ — ١٩١٤ تولى تحرير المجلة الرسمية للمحاكم الاهلية ، والف قاموس الادارة والقضاء بالعربية والفرنسية .

● ابراهيم مصطفى الدباغ ١٨٨٠ — ١٩٤٦ . ولد فى يافا ، وارتحل الى القاهرة ، واصدر جريدة « الانسانية » عام ١٩٠٤ . وله عدة مؤلفات . قال عنه صديقه محمود تيمور « كان ذرب اللسان ، عذب الكلام ، فكه الروح ، كان آية عصره فى قوة الذاكرة ، وحضور البديهة » .

● الحاج خالد الفرخ ١٩٠١ — ١٩٦٦ عمل فى الصحافة ، ثم التحق بصفوف المجاهدين ، واصبح أمينا لسر القائد «ابى درة » توفى ببيروت .

● عمر العزونى ١٩١٢ — ١٩٦٨ درس الحقوق بجامعة كامبردج ، تولى عضوية الوفد الفلسطينى الدائم فى الولايات المتحدة ، عمل قبل وفاته مستشارا للوفد العربى السعودى فى الامم المتحدة .

● الدكتور يوسف هيكل . درس الحقوق فى جامعة مونبيليه ، وفى جامعة باريس حصل على دكتوراه الدولة فى الحقوق والاقتصاد ، ثم على دكتوراه الفلسفة فى العلوم السياسية من جامعة لندن ، عمل رئيسا لمدينة يافا ، وبعد النكبة عمل فى السلك السياسى الاردنى حتى عام ١٩٦٥ حيث كان سفيرا فى الصين الوطنية واليابان .

● مصطفى مراد الدباغ (ابو عمر) من مواليد عام ١٨٩٨ . عمل فى فلسطين مفتشا للتعليم فى الوية نابلس ويافا والقدس ، ويعود اليه الفضل فى انشاء كثير من المدارس بالقرى والمدن الفلسطينية ، قدم للمكتبة العربية كثيرا من الكتب القيمة فى المجالات المدرسية والقومية وبخاصة فى تاريخ فلسطين القديم ، وقد توج مجهوداته باصدار الموسوعة الشاملة عن « بلادنا فلسطين » وتقع فى ١٦ جزءا من الحجم الكبير ، عمل مديرا لوزارة المعارف فى دولة قطر فى بداية الستينات .

وهناك شخصيات وعائلات يافية وجيهة مرموقة لم نستطع ذكرها لقصور فى ذاكرتنا ليس إلا.

تل أبيب (تل الربيع)

هذه المدينة اليهودية المنشأ، العربية الفلسطينية الموقع ، طالما سمعنا بها ، ورددنا اسمها ، ونقمنا عليها وارتبطت فى أذهاننا بالغدر والعدوان

فنانون يهود على احدى روابى يافـا ..

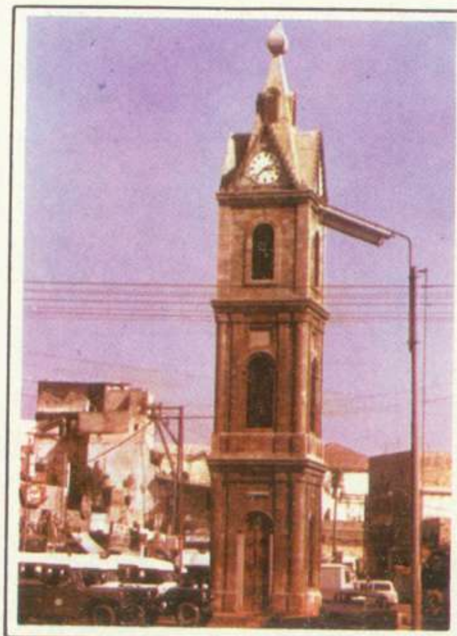

(ميدان الساعة) .. أشهر معالم يافـا .

والارهاب ، ماذا نعرف عنها أكثر من اسمها ؟

بجوار حى المنشية اسس بعض افراد اليهود حيا خاصاً بهم فى عام ١٨٨٦ . وفى عام ١٩٠٩ تمكنت بعض العائلات اليهودية من بناء حوالى ستين بيتا ومدرسة ثانوية على قطعة أرض حصلوا عليها بمباركة بريطانية ، وقد اعطوها اسم تل (أبيب) وتعنى بالعربية تل الربيع .

أخذت تل أبيب تنمو وتتسع شيئا فشيئا حتى بلغ عدد بيوتها ٨٠٠ بيت فى عام ١٩٢١ . وحينذاك أصدرت الحكومة البريطانية قرارا بفصل تل أبيب عن يافا بقصد استقلاليتها عن المدينة العربية التى كانت تشكل ضاحية من ضواحيها . وجعلت لها بلدية مستقلة تحت رئاسة «ديزنكوف» الذى اطلق اسمه فيما بعد على أضخم شوارع تل ابيب . وطفحت المدينة بعد ذلك باليهود الذين بلغ عددهم ٤٦ر١٠١ فى عام ١٩٣١ ، بينما قدر عددهم فى عام ١٩٤٥م ٦٦٠ر١٩٤ . اما فى عام الهزيمة العربية الثانية فقد زاد سكانها عن ٠٠٠ر٤٢٠ نسمة !

وعلى اثر اضراب عام ١٩٣٦ فى فلسطين قررت الحكومة البريطانية انشاء ميناء خاص لتل أبيب كان له أعظم دور فى تفريغ المهاجرين اليهود والسلاح اليهودى .

وبعد النكبة الاولى انصهرت يافا وتل أبيب معا ، فأصبحت يافا تمثل الحى القديم من تل أبيب ، وقد اتخذها فنانو اليهود مركزا لابداعاتهم والهاماتهم المختلفة ! .

وتتركز اليوم فى هذه المدينة أكثر الصناعات اليهودية الحقيقية ، كما انها أكثر مدن الوطن المحتل كثافة بالسكان .

اما عن نشاطاتها العلمية فقد تاسست بها (جامعة تل ابيب) فى عام ١٩٥٣ ، وهى تضم سبع كليات ، اضافة الى أربعة معاهد عليا ، وقد بلغ عدد طلابها عام ١٩٧٨، ١٠٦٥٠ طالبا أكثر من نصفهم طالبات . ومن ضمن معاهد تل أبيب العلمية العالية : معهد المعادن ومعهد النظائر المشعة ، ومعهد العلوم الفضائية ، والمعهد الأفروآسيوى وغيرها .

• • •

إن عمر تل أبيب لا يتجاوز السبعين عاما ، وهذا يعنى انها عديمة الاهمية من النواحى التاريخية والدينية ، أما

بعض أثارنا فى يافـا .. نخيل ومسجد ومئذنة .

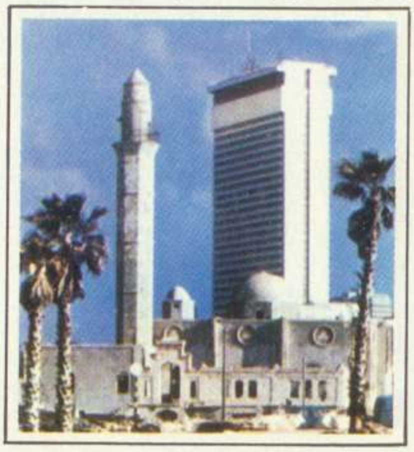

الملفت للنظر فيها حقا فهو مبانيها الشاهقة ، وشوارعها الفسيحة ، وميادينها العامة ، كما ان بها العديد من الفنادق العالمية ، والى الشمال من تل أبيب تقع مستعمرة « رامات جان » « ١٩٢١ » ، ويوجد بها أضخم استاد رياضى فى وطننا المحتل يتسع لـ ٠٠٠ر٦٠ شخص . والى شمال يافا تقع مستعمرة « هرتسليا » « ١٩٢٤ » وهى منسوبة الى « هرتسل » مؤسس الحركة الصهيونية العالمية . وتعتبر من المراكز الصناعية والزراعية المهمة ، وهى ذات موقع ممتاز لذلك تطلق عليها الدعاية الصهيونية « ريفيرا أسرائيل » .

أشكو الى الله

فى طريق إيابنا الى خان يونس نظرت الى يافـا فقلت لها مودعا : يا حديقتنا التى اقفرت من شوارعك خطواتنا ، وأفَلَتَ عن مرابعك نجومنا ، لن أجد ترجمة للواعج الاسى ابلغ من كلمات شاعرك محمود الحوت وهو يناجيك :

يافا، لقد جَفَّ دَمْعى فانتَحَبْتُ دَمًا
متى أراكِ ؟ وَهَلْ فى العُمرِ من أمدِ؟
أُمسى وأُصْبِحُ والذكرى مُجَدَّدَةٌ
محمولةٌ فى طوايا النفسِ للأبَدِ
تَعِبْتُ لكننى مازلت فى تَعبى
أشكو الى اللهِ لا أشكو الى أحدِ

....وسلام على يافا يوم قامت ، ويوم ضاعت ، ويوم تؤوب .

نبيل خالد الاغـا

وقائع عربية

بقلم: محمد المنسي قنديل
رسوم: جمال قطب

رحلة الأعمى إلى بغداد

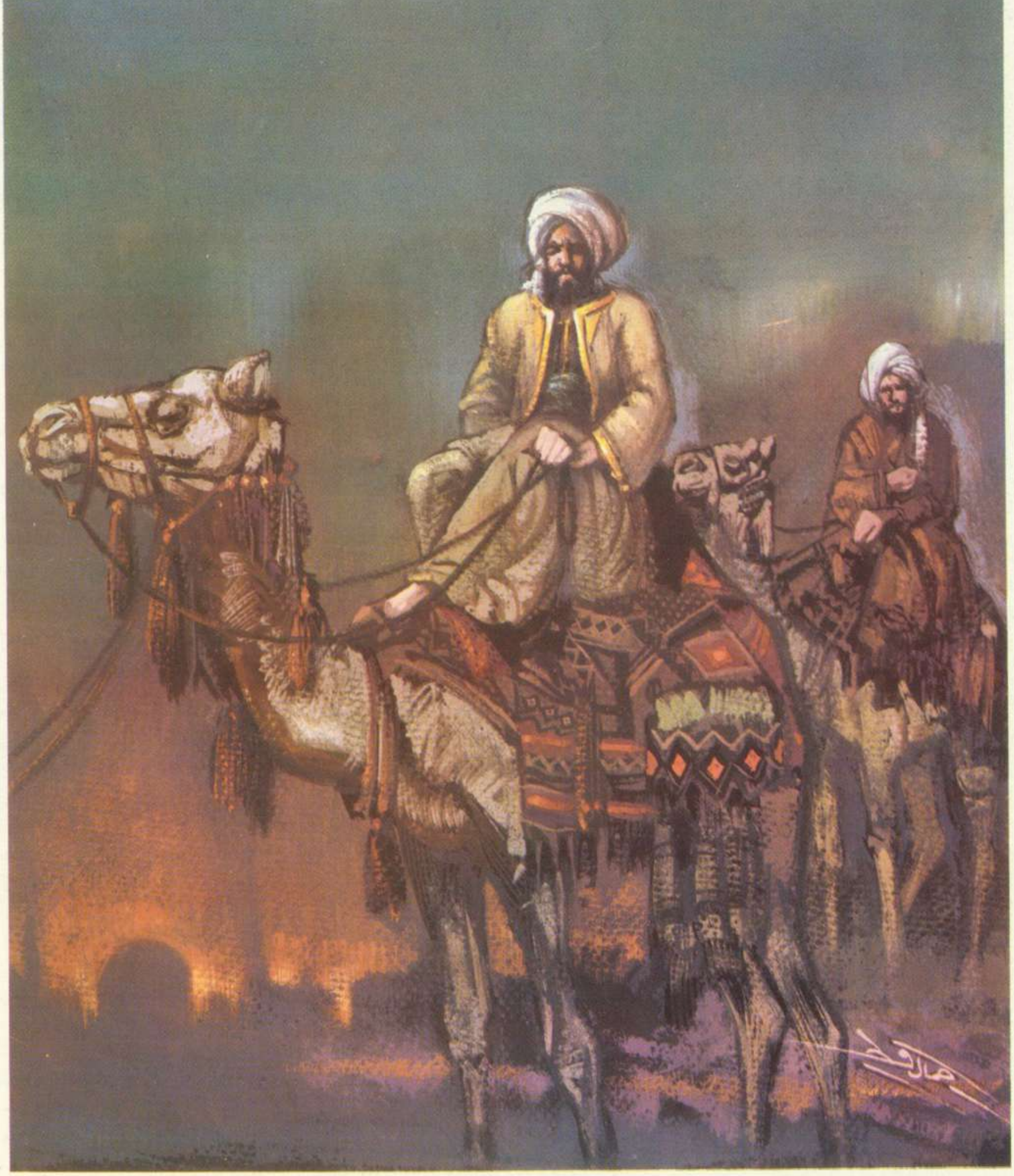

● ياشيخ المعرة: أنا حادى القافلة .. وأريد شعراً أتغنى به . هل عشقت يوماً ؟

● لم يبق فى ذاكرته غير بقايا لهب النار ووهج النجوم الغاربة!

● اكتشف منابع المعرفة السرية وأدرك ما وراء الكلمات من عورة

● .. وانطلق الشعر الحبيس من صدره . لم ترهقه الغربة ولا طول التجوال

قال له صوت حازم فيه بعض القسوة.

– اخفض راسك ياأعمى .. هاهنا شجرة .

فاخفض راسه . وكتم نفسه .. وواصلت القافلة السير . هذى كانت بداية الرحلة إلى بغداد . وهذا زمن يخفض فيه المبصرون رؤوسهم .. فما بالك بالعميان .٠٠ ؟ ..

رحلة طويلة .. وصحراء تطل عليها شمس سوداء . وقمر معتم .. وابو العلاء خرج من قوقعته « معرة النعمان » ليبدأ رحلته إلى عالم الآخرين .. كانه يركض فى سرداب مظلم .. من الانبار الى القادسية . ومن القادسية الى بادية الشام .. إلى بغداد .. المحيط الذى تصب فيه كل الانهار .. ولا يعرف ابو العلاء كم ستطول الرحلة . ولكنه يهبط من على ناقته حين يامرونه بذلك . ويسكن عن الحركة كانه نائم . ويمد يده للطعام فلا يدرى اى شىء دخل جوفه واى شىء لطخ ثيابه .. يتوضأ متيمماً . ويجمع الصلوات . ويختصر النوافل . ويواصل الرحيل الى بغداد ..

اقترب منه رجل وصاح فى صوت مرتفع ..

– ياشيخ المعرة .. أنا حادى القافلة واريد شعراً اتغنى به ونقطع به الطريق .. هل عشقت يوما .٠٠ ؟ ..

سؤال وقح غريب . وجرح يتفتح على غير انتظار .. اتكأ على سنام ناقته وقال

يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر
لعل بالجزع أعوانا على السهر
ماسرت إلا وطيف منك يتبعنى
سرى أمامى وتأويبا على أثرى

وتمتم الحاوى .. ياله من شعر .. وانصرف إلى مقدمة القافلة يحاول معالجته بالغناء .

انطفأت كل البروق

«قضى علي وانا ابن أربع لا أفرق بين البازل والربع » .. فى هذا العمر المبكر انطفأت كل البروق . وزحف الجدرى على جسده .. ألبسوه ثوبا احمر ليخفف من وطاة المرض ولكن الظلام أطبق على كل شىء .. لم يبق فى ذاكرته إلا شذرات من حمرة الثوب . من بقايا لهب النار ووهج النجوم الغاربة .. وبقى من طفل الرابعة الصغير وجه متاكل . وعين بارزة . واخرى غائرة .

بدءوا يقرءون عليه القرآن .. ويعلمونه الحديث .. ويلقنونه كل ما يريدون ولم يكن يملك اى حرية للاختيار .. ولكن عقله نما متفرداً .. اكتشف منابع المعرفة السرية .. وبدأ يدرك أن الكلمات لا تعنى شيئا بذاتها .. وإن ما تخبئه خلفها اشد وعورة من ظاهرها .. من لحظتها بدأ يبنى عالمه الخاص . ويستقل به وينفج رغما عن أنف الجميع .. وعندما بدأ يجلس مع المبصرين .. ويلاعبهم الشطرنج كان يعد الفرصة ليزيد من اكتشافه لهم ..

ودوت أصوات أجراس عالية فتوقف الحادى عن الغناء .. وانتاب القافلة حركة غريبة . واشرأب ابو العلاء .. دير آخر .. رهبان جدد .. هتف ..

– يارئيس القافلة .. ماهذا الدير ؟ ..

وأتاه الجواب همساً خافتاً ..

– إخفض صوتك ياشيخ .. سوف نغير اتجاه القافلة .. فى هذه الأيام لا نعرف من يسكن الأديرة .. أهم الرهبان أم قطاع الطرق .٠٠ ؟ ..

وظل ابو العلاء حائرا .. والقافلة تغير طريقها عبر التلال .. والأجراس تدوى .. كأنها تناديه .. فى رحلته الأولى إلى «انطاكية » نادته نفس الأجراس .. وقاده راهب عجوز واهن الصوت كريه الرائحة . هبط به الى سراديب الدير .. وكانت صحائف الكتب رطبة متاكلة . لمسها ابو العلاء فسرت فى جسده قشعريرة غريبة .. فى هذا السرداب يتصادق الفلاسفة والعناكب .. وتشرب حقائق الكون من الرطوبة .. لا إمامه إلا للعقل . ولا عزيمة إلا للبحث . ولا فرحة إلا فرحة الاكتشاف .. فى هذه الصحائف وضع الحكماء كل الاسئلة المحيرة .. عن الزمن .. والموت والبعث .. وعبثا حاولوا الاجابة .. وهذا الراهب العجوز الذى قاده الى السراديب هو لص .. سرق منه يقينه الداخلى الصبيانى الذى خرج به من معرة النعمان .. وجعله يعود جائعا .. لم يعد يقنع ببلده الصغيرة .. وليس هناك إلا بغداد تسد رمق هذا الجوع .

تواصلت ايام الرحيل .. وتسلخ فخذاه وإزدادت ظلمة الصحراء .. واخيراً هب هواء غريب .. محمل بعشرات الاصوات .. وهتف به نفس الصوت ..

– إخفض راسك ياأعمى .. هذه هى بوابة بغداد ..

بغداد فى الظهيرة

دخل بغداد فى وقت الظهيرة .. وكانت مظلمة . شم هواءها المختلط بالحنظل والبهارات وصحائف الوراقين وانفاس الترك والديلم وسمع ركض الخيل وثرثرة البائعين وضحكات الجوارى .. ونهره شحاذ وحسب انه جاء لينافسه . وقاده طفل صغير عبر الطريق وكان الجو حاراً فاحب أن يذوب فى صهد الظهيرة . لكن كل الذين سالهم دلوه على المكان الخطأ .. وفى المساء بات فى أحد المساجد

وكان قد وصل بغداد فى الظهيرة .. وكانت مظلمة ..

بغداد خزف سريع الكسر .. أبو العلاء يسعى فى شوارعها تائهاً .. والخليفة يهرع فى شوارعها خائفا .. إسمه مثل صفته « الطايع » .. لا يرد كلاماً .. ولا يعصى أمراً .. ترك مقره وهرع الى قصر « بهاء الدولة » قائد الديلم .. وبايعه بالامارة كانما يتوسل إليه .. خلع عليه سبع خلع . وطوق عنقه بطوق كبير من الذهب .. وقبل بهاء الدولة الأمارة تفضلا منه .. ورفع حجاب الديلم سيوفهم يحيون الأمير الجديد فانخلع قلب الخليفة وهرول الى قصره .. ترك الديلم والاتراك يلعبون لعبة الحكم التى لم يعد يجيدها أحد من العباسيين . إذا مات عز الدولة جاء عضد الدولة .. وإغتاله شرف الدولة .. وقفز عليه صمصام الدولة .. وانقلب عليه بهاء الدولة .. وبين كل هؤلاء تتفتت الدولة ..

ويسعى أبو العلاء .. الى بيت الحكمة الذى انشاه المنصور حين كان الزمان رخيا .. يسعى الى مجالس العلم والأدباء والشعراء .. يراهم بأذنيه ولكن .. لاأحد يراه .. كانت بغداد مشغولة عنه بالصراعات اليومية وأخر الحروب بين الترك والديلم .. وأخر المنازعات بين السنة والشيعة .. ولم يكن امامه إلا أن يسعى إلى بيت النقيب « الشريف الطاهر » ليتعرف عليه وعلى ولديه الشريف الرضى والمرتضى .. ولكن البيت كان غارقاً فى السواد .. مات الشريف الطاهر والمعزى مزدحم باشراف بغداد .. وحين حاول الدخول منعته يد . وصاح فيه صوت خشن ..

— إلى أين يا كلب .. ؟ ..

ياله من استقبال .. حسبوه من طلاب الصدقة .. قال للرجل فى حدة

— الكلب من لا يعرف للكلب سبعين إسما ..

ولم يفهم الرجل مذا يعنى هذا السباب البليغ . ودفعه الى آخر المجلس وسط الفقراء والمعوزين ، وكان الشعراء يتلون مراثيهم . وابو العلاء ينتفض . يريد أن يعلن عن وجوده .. يبرز هويته فى وجه بغداد التى انكرته حتى الآن .. نهض من مجلسه السفلى .

تقدم رغم الاعتراضات حتى وصل الى منتصف المجلس .. أو هكذا خيل إليه .. وبدأ ينشد قصيدته فى الرثاء يرتجل من عمق اللحظة .. من عمق الاهانة .. والتحدى الذى وضع نفسه فيه .. يقدم نفسه لهم .. ويتحداهم أن يرفضوه أو يتجاهلوه .. وانطلق الشعر الحبيس من صدره لم ترهقه الغربة ولا طول التجوال .. انتهت القصيدة فساد صمت مطبق .

انبعث بكاء خافت من مكان ما . وأمسك رجلان بذراعيه وقاداه الى مكان مرتفع .. وقال أحدهما ..

— لعلك أبو العلاء المعرى ..

أخيرا وجد فى بغداد من يعرفه .. ووجد مجلساً عاليا بين الشريف الرضى والشريف المرتضى . أى شهادة أخرى يبتغيها .. لقد دخل بغداد محنى الرأس .. وأثبت نفسه من خلال مأتم ..

وبدأت خطواته فى بغداد .. وئيدة مظلمة . جلس فى مسجدها الكبير يروى الاخبار .. ويفتى الفتاوى ويجيب فى المسائل . دخل خزائن العلم وتسكع فى سوق الوراقين .. وبدأ يشبع جوعه النهم الى المعرفة . ذهب الصيف .. وجاء الشتاء وخرج بهاء الدولة ليحارب صمصام الدولة فى نواحى جرجان .. ولم تبال بغداد .. فالعائد اليها منهما سيكون السلطان وسيسعى إليه الخليفة ليبايعه .. وسوف يبقى الخطأ الفاسد فى تركيبها .. نزاعات الترك والديلم لا يحسمها إلا الدم ..

ولكن اخطر ما فى الأمر هو اكتشاف ابى العلاء أنه أعمى .. فى سكون المعره كان يمكن أن يخفى عاهته .. ولكن هنا وسط الحركة الصاخبة والتحديات اليومية .. وهو يسعى كل ليلة فى الحوارى الضيقة على حافة الخطر .. وهو يجلس وسط طوفان من المبصرين .. وسط كل هذه الصراعات دون أن يحسم موقفه .. لم تعد كلمات الكتب تاتى اليه خالصة .. بل تاتى محملة بكل نذر الفتن وعلامات الانهيار المنتظر .. لم يذهب الى مجلس الخليفة . فما جدوى المديح فى مزايا الطاعة .. ولم يذهب للسلطان فالديلم بحاجة للسيف اكثر من حاجتهم للشعر ..

وعاد بهاء الدولة بعد أن انتصر على « صمصام الدولة » وكان على بغداد أن تدفع ثمن هذا الانتصار .. الخزائن مفلسة والجند قد اعلنوا تمردهم لانهم لم يتسلموا رواتبهم .. وكان ابو العلاء نائماً عندما هجموا على الزاوية الحقيرة التى ينام فيها وفتشوا ثيابه البالية وتركوه نصف عار يرتعد تحت برد الطريق .. واكتشفوا انه لا يملك شيئا فاظهروا اشمئزازهم منه ومن وجهه المجدور .. ولكنها بغداد .. اغنيته العذبة القاسية وعليه أن يتحملها ..

لم يجمع بهاء الدولة شيئا من حملته .. واشار عليه مستشاره أن المال الذى يريده لا يوجد إلا عند الخليفة « الطايع » واختمرت الفكرة فى ذهن بهاء الدولة وللمرة الأولى تنازل عن كبريائه وذهب الى الخليفة فى قصره .. وكان الخليفة جالساً على عرشه يقضى فى بعض الأمور التافهة وحين قبل بهاء الدولة الأرض بين يديه وقف شعر رأسه وقبل ان يفر بجلده تقدم الديلم وجذبوه من فوق كرسيه ولفوه فى احد الستائر وساروا به الى سجن بغداد وهو يصيح باكيا طوال الطريق :

– إنا لله وإنا اليه راجعون ..

وجاء الخبر مريرا فى الصباح إلى ابى العلاء .. تذكر حلب حين تسقط فتسقط معها معرة النعمان وتسقط معها حدود العالم .. مرة فى أيدى الحمدانيين .. ومرة فى أيدى الفاطميين .. ومرة فى أيدى الروم .. السقوط هو القانون ..

الوداع .. الوداع .. يابغداد ..

ازدادت الطعنات من حوله .. لم يتعود البغداديون مثل ذلك الجدل المتفتح والمناقشة فى كل الأمور .. ارتعش عقلهم المحافظ التقليدى .. ذهب الى مجلس ابى الحسن بن عيسى إمام النحو فى بغداد واستاذن فى الدخول عليه .. وسمعه يهتف لخادمه ..

– ليصعد الاصطبل ..

يريد أن يستعرض عليه مهارته اللغوية .. فالاصطبل هو الاعمى .. والأعمى لا يرضى طعنة جديدة .. استدار وانصرف دون رفيق .. كان ماواه الأخير فى بيت الشريف المرتضى .. ما زالت له فيه مكان الصدارة منذ أن قال مرثيته فى ماتم ابيه .. جلس صامتا .. يسمع ولا يرد .. والشريف المرتضى يتحدث فى الشعر .. عن المتنبى .. يعدد عيوبه ومثالبه ويبحث عن الابيات السخيفة من شعره ليستشهد بها .. وجميع من فى المجلس يتمتمون بالموافقة فى طريقة آلية ..

– السيد النقيب أعرف .. السيد النقيب أعرف .

ولكن النقيب يريد الموافقة كاملة على رايه .. التفت إلى أبى العلاء وهو يقول :

– وانت ياأبا العلاء .. ماذا ترى فى المتنبى.. ؟ ..

وفوجىء الجميع بأبى العلاء وهو يتخلى عن الجواب التقليدى الذى يعتصم به الجميع وهو يقول :

– لو لم يكن للمتنبى من الشعر إلا قصيدته « لك يامنازل فى القلوب منازل » لكفاه ذلك فضلا ..

وفوجىء الحاضرون بالشريف الرضى وهو يصرخ فى عنف ..

– ويحك يا أعمى .. خذوه .. جروه من رجله والقوه فى الخارج ..

وهجم الخدم على ابى العلاء .. جروه من رجله عبر المجلس .. وطرقة البيت والساحة والباب الخارجى ،ووحل، الطريق وانهالوا عليه بالضرب .. وقال السيد المرتضى ..

– اتدرون اى شىء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة رغم ان للمتنبى ما هو اجود منها لم يذكرها .. ؟..

قالوا بالية ..

– السيد النقيب أعرف

قال المرتضى ..

– أراد قول المتنبى :

وإذا اتتك مذمتى من ناقص
فهى الشهادة لى بانى كامل ..

.. تخبط أبو العلاء فى الطرقات الغريبة . مبللا . موحلا . مهانا . وليس من معجزة تنقله إلى المعرة .. هذى كانت نهاية الرحلة .. والحلم .. وليس هناك سوى العودة بكل الخسائر والجروح .. فى اى وقت منذ الآن .. أى قافلة تحمله واى ناس يرتضون به .. وكيف تتاتى له القدرة على قول الشعر مرة اخرى .. وكيف ينام الليل بدون كوابيس .. ووجهه ملطخ بالدم .. وثيابه ملطخة بالوحل ..

فى اليوم التالى كانت حكايته على كل لسان فى بغداد ووافقت احدى القوافل على اصطحابه .. وسار عبر الصحراء والبلاد الغريبة .. فأمروه فركب الناقة .. وأمروه أن ياكل .. وحين امروه أن يخفض رأسه أدرك أن الرحلة قد انتهت .. وان اخبار المهانة قد سبقته إلى معرة النعمان .. وليس من يحميه سوى جدار بيته الصغير ..

الفردوس الأرضى

فى داخل البيت الصغير بدأت رحلة التسعة والاربعين عاما . لا فرق فيها بين ليل ونهار . حين وصل المعرة لم يكن هناك احد فى انتظاره .. لا احد ينتظر المهزومين .. وكانت صدمته هائلة عندما

● وسط هذا الجحيم الأرضى والعزلة القاسية .. لم لا يصنع فردوسه الخاص ويرتحل فى دروبه ، لا يتحسس طريقه ولا يقوده غريب ؟

وجد امه قد ماتت .. المرأة الوحيدة التى كانت فى حياته .. لم يعرف قبلها .. ولن يعرف بعدها ..

لم يكن يملك إلا إيراداً صغيراً لا يتجاوز الثلاثين دينارا . كان يعطى نصفها لخادمه وينفق النصف الآخر .. لا يأكل إلا العدس والتين . ولا يلبس إلا غليظ القطن . ولا ينام إلا على اللباد فى الشتاء وعلى الحصر فى الصيف . وجاء إليه بعض طلاب العلم من الفقراء الذين لايملكون القدرة على الذهاب الى العواصم المزدهرة .. ولكن شيئا لا يعوض هزيمته فى بغداد . لكأنها اغتيال مبكر . وجاءت إليه الرسل من مصر محملة بالوعود .. لقد سمع عنه الحاكم بامر الله الفاطمى وهو يريده مكرماً بجانبه .. ورفض ابو العلاء الدعوة .. لم يكن فى حاجة إلى مهانة جديدة « ما اعتزلت حتى جددت وهزلت فوجدتنى لا أصلح لجد ولا هزل . فعندها رضيت بالازل .. »

وتواصلت أيام العزلة . وكل يوم تزداد قسوتها .. كان فى حضرة تلاميذه يأكل عسلا فتساقط شىء منه على ثيابه . وسمع همسهم . وتحسست الآثار اللزجة بأصابعه ثم قال ..

– العمى عورة

وانصرف إلى نفق مظلم فى بيته . لا يأكل إلا فيه ولم يره أحد يأكل بعد ذلك أبداً. وظل أعمى . أضاءت داخله عشرات البصائر وظل أعمى .. محروم من أى متعة .. نزوة .. امرأة .. ولد ..

ثم جاءت رسالة ابن القارح من حلب . رجل لم يره ولم يعرفه قبل الآن .. كانت رسالة غريبة .. هذا الرجل هو وجهه الآخر وصورته المناقضة . لم يترك متعة واحدة لم يجربها . ولم يشاهد كأساً لم يشربها . ولم يلمح جارية دون أن يسعى خلفها . جلس مع الشيعة وتشيع ، ومع الزنادقة وتزندق ، ثم أرسل الى ابى العلاء يطلب صك التوبة .. لقد عاش كل المتع الأرضية وهاهو يريد أن يضمن فردوسه السماوى .. وتلقى ابو العلاء الرسالة بسخرية مرة .. يطلب منه هو الذى يعيش الجحيم الأرضى أن يمنحه الغفران للفردوس .

ولكن .. لم لا ؟ .. وسط هذا الجحيم الارضى والعزلة القاسية لم لا يصنع فردوسه الخاص ويرتحل فى دروبه . لا يتحسس طريقه ولا يقوده غريب . وسط ألوان صريحة ومباشرة لا يغفلها اللون الأحمر . ويجلس مع الشعراء والمتكلمين يحدثهم ويحدثونه .. لا يعيره أحد بعماه . ولا يسحبه أحد من ساقيه .. فردوس لا يوجد فيه وحل .. أى وحل ..

وأمسك القلم ليكتب « رسالة الغفران » .. وجاء الشعراء والصعاليك والأفاقون والعشاق القدامى والفرسان بسيوفهم الصدئة والمهرجون ليشاركوا فى طقسه الخاص .. وحضر الجن كما حضر البشر .. وامتزجت السخرية المريرة برحلة البحث عن منفذ لهذا الفردوس العسير المنال ..

● وقف أبو العلاء وحيداً على حدود المعرة التى رفضته .. فهل يجد فيها مكاناً لقبره؟

لا يهم ماذا يحدث بعد ذلك .. لقد عزى نفسه بنفسه .. وصنع سلواه الخاصة .. لا أهمية للتفاهات التى تحاصره والألسنة التى تقتحم عليه عزلته .. كانت الاتهامات بالزندقه تتناثر حوله كالسهام .. كل من أعجزه أن يفهم بيتا .. أو جملة .. أو اشارة .. اسرع يتهمه .. وعندما وصلت رسالة الغفران الى ايديهم تحول شكهم إلى يقين دامغ .. هل افزعهم أن يكون له فردوسه الخاص ..

جاء القاضى القزوينى لمقابلته .. وليناقشه فى الشعر .. وقال له ابو العلاء

– لم أهج أحداً قط ..

فقال القاضى بتخابث ..

– صدقت .. إلا الأنبياء ..

واصفر لون أبى العلاء .. أدرك انه سوف يظل يعانى الكثير من قصورهم العقلى .. وبعد برهة جاء قاضٍ آخر إلى منزله .. كأنه نوع من التحقيق الخفى .. وساله..

– ماهذا الذى يروى ويحكى عنك ؟

قال أبو العلاء ..

– حسدونى فكذبوا على وأساءوا إلى

قال القاضى ..

– على ماذا حسدوك وقد تركت لهم الدنيا والآخرة ..

وتمتم أبو العلاء فى مرارة ..

– والآخرة أيها الشيخ .. والآخرة.

وظل يردد الكلمة .. كان عذابه بلا نهاية . وكان خطيئته كانت يوم ميلاده .. احتقرته بغداد وعادته المعرة ورغم سنوات العزلة فان الفضاء حوله خانق لحد الموت .. دخل فى ظلام نفسه وظلام بيته .. ومع ذلك فهاهم يتجمعون امام بيته ويصيحون ..

– اخرج من بيننا يازنديق ..

ومن قال انى بينكم .. من قال ان هذا الجسد الهزيل المجدور الاعمى جسدى .. اقتربت لحظة الموت ولكنهم لايريدونه ان يموت بسلام ..

ثم جاء صالح بن مرداس حاكم حلب .. ودخلت المعرة فى النزاعات السياسية ضد الحاكم . وقبض على سبعين منهم فثاروا ضده .. ورد عليهم بان سار بجيوشه إليهم وحاصرهم .. ولم يكن أمام اهل المعرة غير ابى العلاء الزنديق الأعمى .. لعل صالحاً يستجيب لشفاعته ..

وخرج أبو العلاء من عزلته للمرة الأخيرة .. وان يسير الى حدود البلدة .. لايهم .. رحلة اخرى خاسرة .. ولكن صالحاً استقبله استقبالا حافلا .. استجاب لشفاعته .. أمر جيوشه بالانسحاب .. وقال له ..

– قد وهبت لك المعرة ياشيخ ..

ووقف أبو العلاء وحيداً على حدود المعرة التى رفضته .. أصبحت هبة خالصة له . فهل يجد فيها مكاناً لقبره ..

سوف يموت .. وسوف تحاصره المزيد من الاتهامات .. وسينسى أهل المعرة أشعاره ومراثيه .. ولكن المعرة قد وهبت له .. وهبت لاسمه مدى الحياة .. تذكر معه أو لا تذكر على الاطلاق .. وعندما يقف على قبره ثمانون شاعراً يرثونه بالقصائد الطوال لن تساوى أبيات الشعر الحاره جملة صالح المرداس .. قد وهبت لك المعرة ياشيخ . لم يملك شيئا ولم يرد شيئا . وسيمضى دون شىء .. ولكن المعرة له .. فالوداع الوداع يابغداد . لم تكن هزيمتى كاملة.

محمد المنسى قنديل

الدوحة

●

من مواد العدد القادم والأعداد القادمة

●

نادى العزاب

رواية
خليل إبراهيم الفزيع

عندما تشرق شمس الحياة .. وتعلن مع بداية كل فجر مولد صراع جديد .. يظل افق حياته بلا صراع .. خواء وعبث يلونان كل سطر من سطورها .. ويعكران رغبتها الملحة فى الانطلاق من كل شىء .. وفى الافق تظل لمحات الامل تخبو كتنين ارهقه افتراس ضحاياه فلم يعد يرغب فى سواها ، والسوداوية الملحة فى قمر نفسه، تحيل امامه كل خير الى تشاؤم يفغر فاه ويلتهم ايمان العاجزين حتى عن الصمت ، الى ان كان يوم .. تحول فيه التائه الى انسان يعرف هدفه ، فوجد التفاؤل حتى فى اشعة الشمس عندما تلقى بنفسها عند اقدام الشجيرات المنتشرة فى حديقة منزله ، او عندما تتسلل من خلال الزمن عبر نوافذ غرفة نومه .

عندما قابلها وجد فيها السر الكبير الذى ظل يبحث عنه طوال سنواته الماضية دون أن يدرى ، حتى انه كان يسخر من زملائه كلما تكلموا عن الزواج وما يحققه من سعادة كان يكره الزواج .. ويكره المرأة .. ويكره الحياة .. رغم كل الانتصارات التى حققها على كل صعيد حياتى قذفته أمواج الحياة اليه .. ورغم كل الامال العريضة التى استطاع ان يحققها .. رغم كل شىء .

ولكنه عندما وجد نفسه .. اصبحت الدنيا لا تسعه ..

لم يكن اعجابه بها هو جمالها .. كما لم يكن سر اعجابه هو سيطرتها على مشاعره منذ التقت عيونهما ، ولكن هناك شيئا فى داخله يهتف به أن الهدف الذى لم يتحقق فى السابق قد تجسد فجأة امامه .. في شخص مها اخت صديقه انور .. مها .. ما أجمل هذا الاسم ! ياانشودة الامل الضائع ، الذى تجسد فجأة لحما ودما وغاية ، كانت برفقة صديقه انور عندما التقى بهما فى امسية ربيعية باسمة وأصر على دعوتهما الى داره ، وبدون ان يدرك كنه شعوره فى البداية .. ظل فى انتظارهما على أحر من الجمر ، حتى تحقق اللقاء ، فانسابت الكلمات من شفتيها .. جداول رقة وانهار عذوبة ، حتى عندما تعارضه الرأى كان هناك سر دفين يؤكد عثوره على الامل المنشود .

فى اليوم التالى كان أول من تكلم مع زملائه عن المرأة والزواج والحياة الزوجية ، فأثار تعجب زملائه .. فهلل له البعض وغضب منه البعض الآخر ، وفوجىء الجميع بقرار اقدامه على الزواج .

قال له أحد زملائه متعجبا :

ـ هل انت جاد فيما تقول يا محسن .

ـ نعم .. ولم لا ؟ . لقد كنت مخطئا فى رأيى . وليس عيبا ان يكون الانسان مخطئا والعيب أن يصر الانسان على خطئه بعد اكتشافه لذلك الخطأ ، ولست الوحيد الذى ينفصل على نادى العزاب .

ـ ولكن هذا تغير مفاجىء ، خطير ، وقد لاتكون راضيا عن نتائجه .

ـ اطمئن .. اننى اتحمل دائما نتائج تصرفاتى ، لذلك فأنا مقتنع ان هذا هو خير طريق اختاره ، وبالتالى ليس هناك ما يخاف منه .

ـ أتريد نصيحتى ؟ .. دع موضوع الزواج لغيرك .

ـ وفر هذه النصيحة لنفسك حتى اطلبها منك .

وترك زميله غاضبا . وتركه زميله وهو أشد غضبا .

عرف الجميع عن عزمه على الزواج وانفصاله عن نادى العزاب الذى كونه مع بعض زملائه ، وفى اجتماع طارىء لمجلس

ادارة النادى اعلن استقالته من رئاسة النادى ، وعليهم اختيار رئيس جديد للنادى .. الى الجحيم هم مع ناديه.

نادى العزاب .. هراء .. ليتهم يعرفون ماعرف عندما قابل مها مع صديقه أنور الوافد بأسرته الكبيرة من بلاد الشام الى هذه المدينة الساحلية الصاخبة .

وفى المساء قرر زيارة صديقه انور ، بعد ان ازال عن نفسه فقاعات التردد التى طفت عليها فترة خالها طويلة رغم ان الامس كان حدها الزمنى ..

وطرق الباب وقلبه يكاد يقفز من مكانه بعد ان شعر بالتردد ، والخوف من ان تخونه نفسه عن التصريح بما يريد ، رغم ايمانه بأن الحياة بدون مها لاتساوى قلامة ظفر ، الا ايها القلب الواجف .. اثبت حتى ينتهى اخطر دور تمر به ، وانت ايها العقل التائه استقر حتى تنتهى اقسى تجربة تخوضها ، وانفرج الباب .. فاذا بصديقه انور يملؤه ، والسعادة تكاد تطفر من عينيه ، وراح يرحب به بصدق لم يخف تساؤلا عن سبب الزيارة غير المتوقعة ، لاسيما انه صرح بعدم تمكنه من زيارته عندما دعاه اثناء زيارته له فى الامس ، إذ سيكون كما قال مشغولا بالعمل الاضافى خلال هذا الاسبوع والاسبوع القادم ، كان التساؤل باديا على وجهه .. مهلا ياانور .. بعد قليل ستعرف لماذا حضرت بلا موعد .. ستفرح من اجلى عندما تعرف اننى ساطلب يد اختك التى حدثتنى عنها كثيرا فى أعوامك الماضية قبل ان تحضر اسرتك معك .

ــ اهلا وسهلا .. زيارة مفاجأة .. اننى سعيد أن تهتم بزيارتى .

ــ شكرا يا أنور .

واراد ان يقول شيئا ولكن الكلمات تتجمع فى حلقه حتى تكاد تخنقه ، وبدون ان يدرى تذوب بين شفتيه فلا يستطيع تمييزها ، بينما راح انور يمطره بعبارات الترحيب والمجامله .

وعندما اجتمع بقية افراد الاسرة للترحيب به والجلوس معه ، كانت مها آخر من حضر ، ودارت احاديث فى مواضيع شتى كلها تافهه ، حتى قدر لانور اخيرا أن يقول :

ــ ما هذه الاخبار التى سمعناها عنك .. ارجو الا تكون صحيحة .

وبدأ الهواء يتخثر من حوله بشكل هلامى عفن .. وارتبك :

ــ أى اخبار ياأنور ؟

ــ سمعنا انك تنوى الزواج .

وبدت الفرصة سانحة وعليه الا يجعلها تفلت منه .

ــ وهل فى هذا ما يسىء ؟

ــ ابدا ليس فيه مايسىء .. كنت فقط متعجبا لموقفك الاخير .. فقد عرفت بعدائك للمرأة .

ــ كنت مخطئا يا أنور حتى قابلتها .

ــ وما السبب ؟

وتدحرجت نظراته لتستقر على مها ، فنسى سؤال صديقه أنور .

وفكر .. يجب أن أتزوجها فلماذا لا أصرح له بهدف زيارتى .. كلا .. كلا .. قد يستاؤون من هذا التصرف ، إذ يجب ان نتكلم فى هذا الموضوع بمفردنا ، حتى مها يجب ان تكون اول من تعلم برغبتى فى الزواج منها ، لا بأس .. سادعو أنور لزيارتى او سأزوره فى مكتبه وهناك سأتمكن من اخباره بالامر ، وسيرحب بالفكرة باعتبارى صديقه .. طبعا سيطلب منى انتظار رأيه النهائى الى ان يستشيرها ويعرض الامر على بقية افراد الاسرة ، وهذه تصرفات تقليدية ستكون نهايتها فى صالحى ، ولكن لم الانتظار . ان مثل هذه الامور لاتحتاج الى التردد ، بل تحتاج الى البت السريع .. سأصارحه بكل شىء مهما كلف الامر ولكن سأنتظر حتى تحين الفرصة ،ولن أخرج من هذا البيت حتى اعرض الامر على الجميع ..

ــ فى ماذا تفكر يا محسن ؟

فاجأه انور بهذا السؤال فأجابه :

ــ لا شىء كنت اصغى لما تقولون .

كانوا يتكلمون فى موضوع اخر اتاح لهم انشغاله فى التفكير والتوغل فيه ، والابتعاد نهائيا من موضوع الزواج ، وعاد ينظر الى مها بشكل ملفت للآخرين ، فالتفت بكليته الى انور ، واندمج معه فى حديث لم يفلح فى صرف ذهنه عن التفكير فيها ، وعندما كانت تتدخل فى الحديث ، كان يصغى الى ما تقول بكل جوارحه .

الفرصة ليتها تحين حتى يفضى بما فى نفسه .. ولكن الاحاديث تتشعب وتبتعد عن موضوع الزواج ، فقرر ان يجعلهم يعودون للحديث فى هذا الموضوع .

وانتهز اول فرصة سكت فيها الجميع ، فقال بعد ان تذكر أن سؤال صديقه أنور ظل بلا جــواب .

ــ كنت قبل قليل تسألنى عن سبب عزمى على الزواج .

ــ حقا .. لقد نسيت هذا الموضوع . فهل لك أن توضح الامر ..؟

ــ الامر لا يحتاج الى توضيح .. كل ما فى الامر اننى وجدت من احلم بها .

وبدون قصد نظر الى مها بطرف عينه ، ولكن أحدا لم يلحظه كما يبدو اذ انشغل الجميع بالاصغاء الى كلامه .

قال أنور :

ــ لابد ان تكون جميلة .. فليس من السهل ان تغير وجهة نظرك .

ــ انها جميلة جدا .

وفى تلك اللحظة كانت خصلة من الشعر قد انسدلت على طرف جبهتها ، ولكنها لم تنعزل عن الشعر الذهبى المتهدل على كتفيها كشلالات السعادة ، كانت جميلة الى اخر حدود الجمال .

ــ الا تريد ان تعرف من هى ؟

ــ إن كان هذا لا يضايقك ؟

وكان جرس الباب يعوى بعنف .. ثم توقف فجأة ، فشعر بالفراغ والسكون ، كان هناك زائر لا زالت تفصله عنهم خطوات .

قال لصديقه انور بعد ان احس برغبة ملحة فى انهاء الامر قبل ان يفلت زمامه .

ــ لكى اخبرك يجب ان نكون على انفراد

وعندما اكمل حديثه . كان القادم قد وصل ، فتهللت أسارير الجميع بما فيهم مها ، مما جعله يشعر بالنفور من هذا الشاب الذى يدل مظهره على انه واحد من خيــر هذه البلاد .. مثلهم .

وعندما صافحه مسلما قال أنور بينما لازال الشاب يشد على يده :

ــ هذا محسن صديقى ، وهذا أحمد .. ابن خالتى وخطيب اختى مها .

خليل ابراهيم الفزيع

ثلاثة أسباب لأزمة المسرح

حافظ أحمد أمين

لايزدهر المسرح – فى رايى – إلا اذا توفرت ثلاثة عناصر :

احاسيس مشتركة نحو المشكلات العامة للمجتمع .

نصوص مسرحية حية تعبر عن هذه الاحاسيس .

مناخ يسمح بعرض هذه النصوص .

إن غاب عنصر واحد من هذه العناصر ، وقع المسرح فى ازمة .

السبب الاول للازمة هو تدخل السلطة لمنع المسرحيات التى تعالج المشكلات الحقيقية للناس ، سواء كانت هذه السلطة هى سلطة الحكومة ، أو سلطة الجماعات ذات القوة والنفوذ ، أو سلطة التقاليد والعادات الراسخة فى نفوس الناس .

السبب الثانى للازمة هو عدم ملاحقة مؤلفى المسرح للمشكلات الحقيقية للناس ، وهو سبب قد يكون فى بعض الاوقات – كما هو الحال فى وقتنا هذا – أهم واخطر من السبب الاول ، ويحدث هذا فى عصور التغيرات السريعة العنيفة ، حيث تصبح الاعمار الفنية للمؤلفين قصيرة ، وتحدث الازمة عندئذ نتيجة عقم الاجيال القديمة – فنيا – مع استمرار احتكارهم لوسائل العرض .

والسبب الثالث هو ان تكون مشكلات المجتمع غير مشتركة أو متبلورة ، وهو اخطر الاسباب جميعا ، ذلك لانه يعنى تفكك المجتمع الى أفراد غارقين فى مشكلاتهم الخاصة ، لاتجمعهم احاسيس مشتركة، ولا يشعرون برغبة فى الاجتماع – فى مسرح او فى غير مسرح – لمتابعة عروض تعبر عن اهداف جماعية متبلورة ، وهنا تكون أزمة المسرح فرعا من ازمة اكبر واشمل هى ازمة الثقافة ، وتكون أزمة الثقافة فرعا فى أزمة

● منع المسرحيات التى تعالج المشكلات الحقيقية للناس من العرض والتداول

● عدم ملاحقة المؤلفين لمشكلات الجماهير فى ظروف التغيرات السريعة العنيفة

● عندما تكون أزمة المسرح فرعا من أزمة أكبر وأشمل هى أزمة الثقافة حضاريا

اكبر واشمل هى ازمة الحضارة ، وهى ازمة اخطر واعمق من ازمة نقص الحريات او ازمة عقم المؤلفين ، ذلك لانها تنتج من انتشار مشاهر اللامبالاه : لا مبالاة بالصالح العام فقط ، ويكون هذا بسبب الفساد والانحلال ..... أو لامبالاة بالصالح العام والخاص معا ، ويكون هذا بسبب تفشى مشاعر اليأس والقنوط .

السبب الأول .. دائما

ويحب صديقى العزيز الاستاذ نعمان عاشور وكثير من زملائه – عند تفسيرهم لازمة المسرح العربى فى السبعينات – أن يضعوا كل الأهمية على السبب الاول ، فيركزون اللوم كله على ادارات الرقابة الحكومية أوعلى جماعات أخرى ذات نفوذ ، يصفونها بالجماعات الرجعية ، وهم بذلك يستشهدون بالامثلة التاريخية ، عندما كان خنق الحريات أهم أسباب انكماش المسارح وعندما كانت الديمقراطية من اهم اسباب انتعاشه .

يحكون كيف رسم قلم المطبوعات حدود المسرح فى مصر عام ١٩٢٤ فهاجر الريحانى الى أمريكا ، وسافر يوسف وهبى الى تونس ، وحلت فاطمة رشدى فرقتها ، وغادر جورج ابيض مصر .

ويحكون كيف عرضت فرقة يوسف خياط مسرحية (المظلوم) على مسرح الاوبرا فى القاهرة فطردها الخديوى اسماعيل من مصر ، وكيف اغلق الخديوى اسماعيل مسرح يعقوب صنوع عندما نقد الادارة الحكومية .

ويحكون كيف افزع الشيخ سعيد الفرا قيام مسرح القبانى فى الشام ، فشد رحاله الى الآستانة ، وانتهز فرصة وجود السلطان عبد الحميد الثانى فى صلاة الجمعة ، فانبرى من بين صفوف المصلين ، وصاح متحمسا لينذر خليفة المسلمين :

ادركنا ياأمير المؤمنين ، فان الفسق والفجور تفشيا فى الشام ، فهتكت الاعراض ، وماتت الفضيلة ، ووئد الشرف ، واختلط النساء بالرجال .... .

فصدرت الأوامر السنية ، والارادة الشاهانية الى حمدى باشا – والى الشام – بمنع التمثيل العربى فى سوريا ، واغلق مسرح أبى خليل القبانى .

الخديوى اسماعيل

فاطمة رشدى

يوسف وهبى

نجيب الريحانى

ليست نفس المشكلات !

وان كان السبب الاول ـ نقص الحريات من أهم اسباب ركود المسرح فى الماضى ، فان السبب الثانى هو الذى يقف ـ فى رأيي ـ وراء أزمة المسرح العربى فى عصرنا فلا شك ان المسرح العربى كان أكثر ازدهارا فى الستينات عنه فى السبعينات ، ولا شك ايضا أن الامة العربية ـ على وجه العموم ـ قد تمتعت خلال السبعينات بحريات لم تتمتع بها فى الستينات ، فلا يمكن أن يكون نقص الحرية هو سبب ازمتنا الحالية .

كذلك فان معظم مؤلفى المسرح الذين عرفناهم فى الستينات ، لم يفقدوا خلال السبعينات حيويتهم ومواهبهم وحبهم للمسرح ، بل أحيانا مناصبهم الكبيرة فى وزارات الثقافة . فلا يمكن ـ ايضا ـ أن يكون نقص المؤلفين هو السبب .

أزمة المسرح العربى فى السبعينات سببها ـ فى رأيى ـ ان المشكلات العامة ، التى كانت تؤرق معظم الناس خلال الخمسينات والستينات ، مثل التحرر من السيطرة الاجنبية ، والتخلص من الظلم الاجتماعى ، والتى عبر عنها مؤلفو المسرح خلال الستينات ، لم تعد هى نفسها المشكلات التى تؤرق معظم الناس خلال السبعينات بنفس الدرجة ، وانما أصبحت تؤرقهم مشكلات جديدة لم يدركها مؤلف الستينات ، الذى واصل تأليف المسرحيات على نفس المنهج ، فلم تلق نجاحا كبيرا ، أو ادركها ولم يستطع التعبير عنها فتوقف عن التأليف .

ولما أحس هذا الجيل من المؤلفين والمخرجين ومديرى المسارح بالفشل أو بالعقم ، اراد أن يسد الطريق أمام الجيل الجديد ، القادر على العطاء .

فى هذه الحالة ، لايخرجنا من الازمة ـ فى رأيى ـ إلا هدم المؤسسات المسرحية القديمة ، بكل ما تحويه من نظم وايديولوجيات ، وإعادة بنائها بأفراد جدد ، وعلى أسس جديدة .

التفكير والاستعداد

نقرأ أحيانا ما يكتبه بعض المهتمين بقضايا المسرح ، من أن الازمة أزمة جمهور أو ممثلين او نقاد ، أو ازمة مسارح أو رقابة أو مناخ ، وكلها تفسيرات محدودة ، لا ينظر كل صاحب رأى الا فى حدود تخصصه .

والحقيقة ان الجمهور قد هجر المسرح ، وكذلك الممثلين والمؤلفين والنقاد ، لأن هناك أزمة مسرح ، وليس العكس .

والحياة المسرحية ـ كجزء من الحياة الثقافية ـ تمر بدورات من الانتعاش والانكماش ، وكما توجد الدورات السياسية ـ من ديمقراطية وحرية وسيادة قانون ، الى دكتاتورية وشمولية وكبت ، ثم الى ديمقراطية وحرية من جديد . وكما توجد الدورات الاقتصادية من ازدهار ورخاء الى فقر وكساد ثم الى ازدهار جديد . كذلك تتشكل دورات انتعاش المسرح وانكماشه .

فان جاء زمن الانتعاش ، وظهرت المسرحيات الجديدة ، وتكونت الفرق ، واقبل عليها الجمهور ، ونشط المؤلف والمخرج والممثل والناقد .

وان جاء زمن الانكماش ، واختفى التأليف الجيد الحى ، وهرب المخرج والممثل ، وصمت الناقد ، وهجر ما بقى من عروض مسرحية .

هذه الدورة من الانتعاش الى الانكماش الى الانتعاش من جديد ... سنة من سنن الحياة ، كدورات الليل والنهار ، ودورات الصيف والشتاء ، فهى التى تعمل على استمرار الحيوية والنشاط ، وهى التى تمد الانسان بالقدرة على مواصلة الكفاح والصراع ، وهى التى تقضى على مظاهر الضعف والوهن ، أو تقضى على الضعيف الواهن .

ولهذا فان الازمة الحالية للمسرح لاتثير الحزن والغضب بقدر ما تثير التفكير والاستعداد لمرحلة جديدة من الازدهار ، تنتج من وضوح الاهداف الجديدة للمجتمع ، وظهور جيل جديد من المؤلفين ، يعى المشكلات الجديدة لوطنه ، ويقدر على التعبير عنها فى أعمال ناجحة نابضة بالحياة .

حافظ احمد أمين

رءوف توفيق

السود فى السينما

رحلة طويلة من السخرية إلى الإعتراف !

الزنوج . الاضطهاد .. والأهانة .. لقطة من احد الأفلام

أصبح ظهور الزنوج فى الافلام والمسلسلات الامريكية شيئا طبيعيا .. بعد أن أصبح وجودهم فى المجتمع الامريكى ، شيئا طبيعيا !

ولكن المتأمل للشخصيات الزنجية فى بعض هذه الاعمال الفنية ، يكتشف أحيانا ان وجودها لا يضيف شيئا .. مجرد ادوار ثانوية بسيطة وعابرة ولكن الاصرار على تقديمها ، يعنى فى الحقيقة مخاطبة ود هذه النسبة الهائلة من الزنوج الذين يترددون على دور العرض السينمائى .. والتى

اعترف ملوك السينما فى أمريكا انه من أجل هذه الاعداد المتزايدة من المشاهدين السود ، اصبح من الممكن صنع افلام خاصة بهم .. يخرجها زنوج .. ويمثلها زنوج .. وتدور موضوعاتها حول المسائل التى تهم الزنوج .. !!

وهكـذا ..

انتهت حقبة السبعينات بهذا الاعتراف الصريح فى الفن .. بعد رحلة طويلة بدأت مع بداية ظهور السينما الصامته !!

رحلة مثيرة ومؤلمة فى نفس الوقت .. فيها السخرية والأهانة والاحتقار من جانب البيض .. والاعتراض والدفاع عن النفس من جانب السود ، ومحاولة اثبات الوجود .. وتأكيد الكرامة .

حرب قاسية بين الابيض والاسود .. فى صلب بنيان المجتمع الامريكى .. انعكست على الشاشة بمزيد من الخبث .. والضراوة !

والان .. لم يعد الفرد الابيض قادرا على إنكار الواقع الفعلى .. فالسود يشكلون قاعدة منتجة فى الاقتصاد الامريكى .. واحتلوا أرقى المناصب ، وتولوا أخطر

● بعض البيض مازالوا يعيشون بالعقلية القديمة ويرفضون المساواة

● أول فيلم ناطق فى تاريخ السينما عن الزنوج .. الفيلم الأمريكى "مغنى الجاز"

شيرلى تمبل ترقص مع المغنى الراقص بيل روبنسون فى فيلم الكولونيل الصغير

المهام التى تتعلق بالسياسة الامريكية .. إلا أن بعض البيض مازالوا يعيشون بالعقلية القديمة ويرفضون .. بينهم وبين انفسهم أو يعلنونها بصراحة — أن يتساوى الابيض والأسود .. فالأسود أقل درجة .. مواطن فعلا .. ولكن من الدرجة الثانية . !

ويحاول البعض الآخر .. التطرف فى اظهار الترحيب بالسود .. لاحساس منهم بعقدة الذنب .. ويعترض البعض الثالث بشدة .. اننا لانعانى من عقدة الذنب .. بل السود هم الذين يعانون من عقدة الاضطهاد !!

والمسألة نفسيا .. مازالت شائكة وغير مستقرة ..

ولا أدل على هذا التخبط .. من حالة الدهشة والشفقة والاعجاب .. التى صاحبت عرض مسلسل (الجذور) فى أمريكا وأوربا .. وكأن مشاهدى التليفزيون أعادوا أكتشاف جيرانهم السود .. أو كأنهم محتاجون بين حين وآخر لمن يذكرهم بما فعله اجدادهم البيض فى عمليات خطف الافريقيين من ديارهم وأوطانهم ، ومهانة تجارة الرقيق ، وعذابات النفس البشرية التى تحملت كل هذه القسوة والبشاعة لمجرد اختلاف لون الجلد !!

وهاهو الجزء الثانى من مسلسل الجذور .. فى طريقه للعرض .. لينعش العواطف أكثر .. ويحكى المزيد من هذه المأساه الانسانية !

مرحلة السينما الصامتة

والزنوج ظهروا فى أول أفلام السينما الامريكية ، مع أول عروض سينمائية قدمها (توماس إديسون) ! .

وسجل تاريخ السينما .. ظهور الزنوج فى افلامهم : (الرجال الثلاث الراقصون — سنة ١٨٩٤) و (رقصات الزنوج — ١٨٩٥ و (الراقص الاسود — ١٨٩٧) .

وفى تلك الفترة .. دخلت شركة سينمائية أخرى تنافس عروض (توماس إديسون) واتجهت نفس الاتجاه فى الاستعانة بالزنوج فى افلامها الصامتة القصيرة .. وقدمت فيلما بعنوان (رقصات سوداء) سنة ١٨٩٧

ومن المعروف أن تلك العروض السينمائية كانت أشبه بالاسكتشات القصيرة التى تدلل على هذا الاختراع المدهش .. ولم تعتمد هذه الافلام على قالب درامى محدد .. وبالتالى لم يكن هناك دور للزنوج فى تلك الافلام إلا لاظهار بعض رقصاتهم المميزة .

وفى كتاب صدر أخيرا عن السود فى السينما الامريكية لمؤلفه (جيم بينيس) قال تعليقا على هذه المرحلة :

(كانت أفلام الزنوج فى العروض السينمائية الأولى .. مفيدة .. ليس فقط من الناحية الترفيهية والتى كانوا يقومون بالنصيب الاكبر منها .. بل ايضا — وهذا هو المهم — كانت مفيدة للتعريف بهم) !

وما يقصده المؤلف بالطبع .. هو التعريف بوجودهم على الارض الامريكية !

والبدايات لا يمكن التركيز عليها .. أو ادخالها ضمن أطار تطور دور الزنوج فى السينما الامريكية .. فالبدايات كانت مرحلة تجريب لهذا الفن .

ولكن مع التطور الذى صاحب صناعة السينما .. ومع أوائل القرن العشرين بدأت

محمد على كلاى وفيلم الأعظم

تظهر بالفعل افلام يقوم فيها الزنوج ببعض الادوار .

وللأسف .. كانت غالبية الادوار لا تتعدى حدود الشخصيات الضعيفة التى تعبر عن مفهوم البيض من ان هؤلاء السود .. بشر اقل قيمة .. اقل ذكاء .. واقل انسانية .. وبالتالى لا يصلحون إلا فى ادوار الخادم المطيع .. أو المهرج الذى ينال الصفعات .. أو هذا المتوحش الهائج الطباع حامل السكين !! .

والغريب تماما أن افلام تلك المرحلة من السينما الصامتة بالرغم من انها كانت تعتمد فى بعض ادوارها على الشخصيات الزنجية .. إلا أن الممثلين كانوا من البيض (!!) يلونون وجوههم باللون الاسود ويبالغون فى تحديد ملامح الفم والعينين باللون الابيض تاكيدا فى التشويه والسخرية !!

وفى عام ١٩١٥ ظهر أول فيلم سينمائى يحترم شخصية الزنجى .. ويقدمها داخل اطار انسانى صادق .. كان هذا فى فيلم (مولد امة) للمخرج الامريكى العظيم (ديفيد جريفيث) الذى تناول فى فيلمه الحرب الأهلية الامريكية .

كان الفيلم صامتا .. ولكن اعتبر فى وقته مفاجأة فنية مذهلة على امكانية التعبير بالسينما ، وما يمكن أن تتناوله من موضوعات .. ومازال هذا الفيلم حتى الان يمثل قيمة فنية رائدة .. ويعتبر أول بداية حقيقية للسينما الامريكية ذات المستوى العالمى ..

واطلق على المخرج (جريفيث) لقب المعلم الاول وابو الفن السينمائى فى العالم .. وفى قائمة الروائع للسينما العالمية للمؤرخ الشهير جورج سادول .. يضع فيلم (مولد امة) على راس القائمة .. انه الفيلم رقم واحد حسب الترتيب الزمنى .

● ونطقت السينما .. بمغن زنجى !

وتشاء الظروف أن يكون أول فيلم ناطق فى تاريخ السينما .. هو الفيلم الامريكى (مغنى الجاز) الذى يحكى قصة هذا المغنى الزنجى فى محاولاته للشهرة والمجد .. ولم يكن هذا المغنى الزنجى إلا الممثل المغنى الابيض (آل جولسون) الذى دهن وجهه باللون الاسود وحدد عينيه وفمه باللون الابيض !!

وسجل تاريخ السينما يوم ٢٣ اكتوبر عام ١٩٢٧ كميلاد للسينما الناطقة ، بعرض هذا الفيلم .. ولكن هذا الفيلم لم يتميز بأية قيمة سوى انه ناطق ..

وأشتهر هذا الممثل الابيض (آل جونسون) بأدائه لدور المغنى الزنجى .. ويتوقف مؤلف كتاب السود فى السينما .. ليعلق على طابع هذا الممثل واستخدامه للمكياج الأسود لطلاء وجهه .. فيقول :

(فى الافلام الصامتة .. كان هؤلاء البيض خلف اقنعتهم المدهونة بالسواد ، وبحركاتهم الساذجة .. كانوا يؤمنون حقيقة بأنهم اصبحوا زنوجا .. وكانوا يفعلون ذلك بطريقة مريضة .. أما الممثل آل جولسون فلم يكن مهتما بتقليد الزنوج .. ولكن كان يستلهم صورة الوجه الاسود لأسباب درامية خاصة بدوره .. وكان يبدو كمهرج فى سيرك اكثر من كونه زنجيا مزيفا) !

أول فيلم حقيقى عن الزنوج

وبعد أن نطقت السينما بعامين .. أى فى عام ١٩٢٩ .. ظهر فيلم (هاليلويا) للمخرج الامريكى (كينج فيدور) .. واطلق على هذا الفيلم .. الفيلم رقم واحد .. الممتاز .. عن الزنوج فى السينما الناطقة .

ويأتى هذا الفيلم ليسجل مرحلة اخرى تالية لفيلم (مولد أمة) حيث تمتزج تكنولوجيا الصناعة السينمائية بعدالة النظرة لقضية الزنوج فى المجتمع الامريكى وتدور احداث فيلم (هاليلويا) فى مزرعة قطن بالجنوب الامريكى .. مع التركيز على وجود الزنوج وعملهم الدائب الصبور فى جو من الغناء الفلوكلورى والرقص والصلاة .. وأشاد النقاد بهذا الفيلم ، خصوصا الرغبة المخلصة عند المخرج (فيدور) فى تقديمه زنوج الجنوب فى شخصيات انسانية تفيض بالمشاعر .. وظل هذا الفيلم يحتفظ بمبادرته فى تقديم الزنوج بشكل مشرف وصادق .. حتى بعد نهاية الحرب العالمية الثانية الثلاثينات والاربعينات .. حيث عادت السينما الامريكية الى مفهوم الرجل الابيض فى تقديم السود فى قوالب ساخرة وشخصيات متهافته .. كالخادم التقليدى .. أو المهرج الذى ينال الصفعات ! .

النجم الذى ابتلعته نجوم السينما

وفى كتاب صدر فى أمريكا فى اوائل السبعينات بعنوان (ثلاثون عاما من الخيانة) يقدم مؤلفه (ايريك بنتلى) فصولا عن الزنوج الذين خانوا قضيتهم .. ومن بينهم الممثل الفنى الشهير (بول روبسون) .. حيث كانت أمام هذا الفنان كل الفرص المتاحة للدفاع عن حقوق السود خصوصا زملاءه الفنانين الذين كانوا يتعاملون مع المؤسسات الامريكية سواء السينما أو المسرح او التسجيلات الغنائية .. ولكنه لم

يفعل شيئا .. بل كان موقفه مرتبكا . !

ينقد بشدة طريقة معاملة هوليود للسود .. وفى نفس الوقت يشترك فى افلام ضد السود !! كما حدث مثلا فى فيلم رمال الشاطىء (١٩٣٥) حيث لعب دور الامريكى الخائن .. وكان عذره ان قصة الفيلم حكيت له - قبل أن يبدأ التصوير - بطريقة توحى بأنها فرصة لاظهار ثقافة ومواهب الافريقيين .. وبعد أن مثل الفيلم دعى لمشاهدته .. فوجد أنه يشارك فى مهزلة تبارك الامبراطورية والاستعمار الانجليزى .. وبالرغم من ذلك لم يستطع أن يهاجم الفيلم !! .. بل ظهر بعد ذلك فى ثلاثة أفلام انجليزية من نفس النوع الذى يستحل دماء الافريقيين وثرواتهم (أغنية الحرية عام ٣٧ - الرمال السوداء عام ٣٨ - كنوز الملك سليمان عام ٣٨ أيضا) !!

وبالرغم من أن (بول روبسون) كان نجما محبوبا وصوتاً عذبا وشخصية مليئة بالحيوية .. إلا انه للأسف لم يستطع أن يحمى نفسه .. أو يحمى زملاءه السود ! (ابتلعه ملوك صناعة السينما فى أمريكا) .!

تعادل الأبيض والاسود

ومع فترة الخمسينات بدأت تظهر بوضوح الافلام التى تعرض لمأساة التمييز العنصرى .. وغالبا كانت القصة تدور حول الانسان الأسود وهو يدافع عن وجوده وكرامته من بين أنياب الانسان الأبيض . لعبة الاثارة والعنف كما أرادها صناع السينما .. ولكنها لعبة محسوبة بحسابات دقيقة .. وبميزان لا يسمح بأن يعطى للسود اكثر مما يريد البيض .

ويبرز فى تلك المرحلة فيلمان على قدر من الأهمية :

الفيلم الاول (شىء من القيمة) للمخرج ريتشارد بروكس - عام ٥٧) .. والذى يصور فيه كينيا تحت الاحتلال الانجليزى .. ويقدم فيه شخصية الزنجى الباحث عن وضـعة الاجتماعى والباحث ايضا عن ذاته

الفيلم الثانى .. للمخرج (ستانلى كرامر) والذى ظهـر فى عام ٥٨ بعنوان

سيدنى بواتييه (ممثلا ومخرجا)

مرح السود .. لقطة من الفيلم الامريكى (غسيل السيارات)

(حطمت قيودى) حيث يتخطى شخصية الزنجى الطيب المدافع عن نفسه .. ويقدم شخصية الزنجى الواثق من نفسه ، العنيف ضد كل ما يمس كرامته ، القريب من القلوب لانسانيته وحكمته .. هذه الشخصية فى مقابل شخصية الابيض ، الحاد الطباع ، الكاره للزنوج .. ويضع المخرج هاتين الشخصيتين المتناقضتين فى قيد حديدى واحد .. هاربين من السجن .. باحثين عن الحرية .. والعلاقة بينهما تتعثر حتى تصل الى لغة مشتركة من التفاهم .. والانسانية .

وربما كان هذا النسيج الدرامى من النوعية النادرة فى الافلام الامريكية حيث يتعادل الابيض والاسود فى الموقف !

وقد لعب بطولة الفيلمين .. الممثل الاسود البارع (سيدنى بواتييه) .. فى الفيلم الاول أمام (روك هدسون) .. وفى الفيلم الثانى مع (تونى كيرتس) .

اشهر ممثل اسود

والممثل (سيدنى بواتييه) يعتبر من اشهر الممثلين السود .. فقد أرتبط اسمه بعدد كبير من الافلام .. ربما كان أهمها فى فترة الستينات .. واوائل السبعينات .

ويعتبر فيلمه (فى لهيب الليل) الذى عرض عام ٦٧ .. أحد ابرز افلام مرحلة الستينات فى سينما السود .. ففى هذا الفيلم نتعرف على شخصية رجل البوليس الزنجى الواعى المرموق مهنيا الذى يستخدم عقله وذكاءه وحكمته بعكس شخصية مأمور البوليس (لعب الدور الممثل رود شتايجر) الذى يفكر بعضلاته .

وقبل هذا الفيلم .. كان قد حقق سيدنى بواتييه نجاحا هائلا فى فيلم (الى استاذى مع حبى) عام ٦٦ .. من اخراج (جيمس كلافيل) حيث قدم قصة المدرس الزنجى فى مواجهة طلبته الذين استثارهم لون جلده .. فبدأوا يحتكون به ويهزأون منه وهو يجادلهم بالمنطق حتى كسب الجولة .

وفى نفس العام ٦٦ .. عاد المخرج (ستانلى كرامر) صاحب فيلم (حطمت قيودى) ليخرج فيلما آخر عن الزنوج والتفرقة العنصرية .. من بطولة سيدنى بواتييه) ايضا الذى يلعب دور استاذ جامعى يقع فى حب فتاة بيضاء والدها صاحب جريدة وطالما كتب مطالبا المساواة بين الابيض والاسود .. ولكنه عندما يقع شخصيا فى مأزق فان شخصا أسود يطلب الزواج من ابنته .. يثور ويفقد السيطرة على نفسه ويحاول إفشال هذا الزواج (لعب الدور الممثل القدير سبنسر تراسى) . فالكلام سهل .. والفعل صعب ..

والأصعب ان يتخلص الابيض من عقدة اعتبار الاسود .. انسانا أقل قيمة ! وكان هذا الفيلم (خمن من سيأتى للعشاء) الذى حصل على ثلاث جوائز اوسكار عام ٦٧.. كأحسن فيلم .. وأحسن سيناريو ..

واحسن ممثلة (كاترين هيبورن) التى مثلت دور الام ، فى مزيج مدهش من الغضب والحيرة وقبول الامر الواقع .. وفى احد مشاهد الفيلم تقول لزوجها فى أسف وسخرية : (ان ابنتنا تصرفت كما ربيناها على الحرية والمناقشة .. كنا دائما نجيب على اسئلتها .. وطالما قلنا لها .. انه لا معنى اطلاقا ان ننظر الى الزنوج نظرة مختلفة .. لانه لا فرق بين الاسود والابيض والاصفر والاحمر .. قلنا لها ذلك .. واقتنعت به .. وبدأت تعامل الحياة على هذا الاساس .. ويبدو انه كان لابد أن نضيف .. (ولكن حذار أن تقعى فى غرام أحد الزنوج !!) .

سنوات الانطلاق

وإذا كانت مرحلة الستينات .. تمثل (سنوات النضج) بالنسبة لسينما السود .. فان مرحلة السبعينات .. تمثل (سنوات الانطلاق) حيث اصبح فى مقدور صناع السينما الامريكية تقديم السود فى صورة أفضل وبأقل قدر من الحساسيات .. بل وصلت مغازلة صناع السينما للسود الى مرحلة تقديم السوبرمان الاسود .. وجيمس بوند الاسود .. وظهرت افلام تتخيل صورة أول رئيس اسود للولايات المتحدة الامريكية واعترفت هوليود بالسود -كمخرجين .. واخرج سيدنى بواتييه أول فيلم له عام ٧٢ .

وظهر ممثلون جدد من السود .. ولمعوا .. وتعددت الاسماء .. والافكار .

وهذا الانطلاق .. هو نتيجة طبيعية لكفاح السود فى مجال السينما .. والفن عموما ..

ولكن .. هل انتهت تماما عقدة البيض تجاه السود ؟!

لا أعتقد .. !

رءوف توفيـق

كمال الدين الحناوى

عيناها

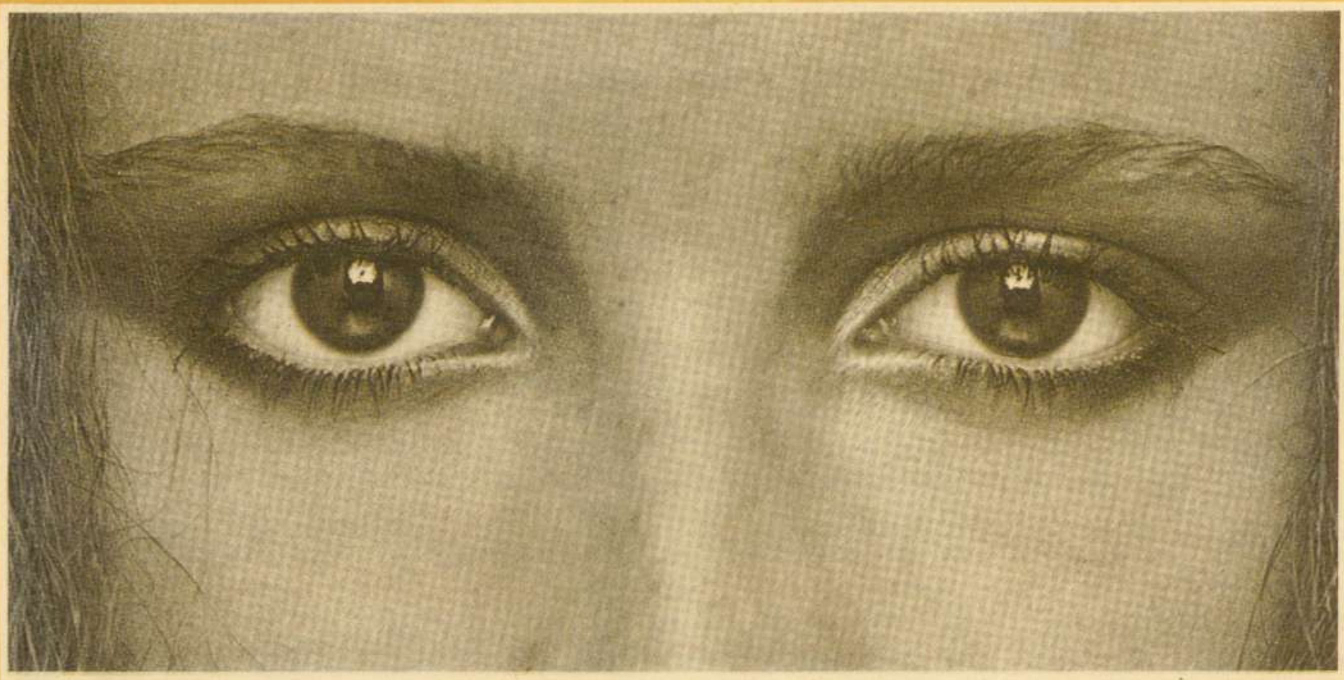

سألت الرأي في عيني—
ك هل أبقيت لي رأيا
كفاني منهما أني
ألاقي فيهما الوحيا
وأني منهما احيا
من الاحلام في دنيا
وان أمسيت ظمآنا
وجدت لديهما الريا
هما ينبوع الهامي
ومصدر نشوتي العليا

•••

كفاني منهما صفو
يذيب غيوم أشجاني
كأني منهما نور
يضيء على وجداني
كفاني منهما روح
تشيع بكل الحاني
كفاني انني احيا
لارعاها وترعاني
كفاني فيهما سر
نعمت به وأعياني

•••

غموض فيهما يبدو
يثير الشك في نفسي
ويؤنس مرة روحي
ويوقظ مرة حسي
وفيه رأيت امالي
ومنه بليت باليأس
فكوني اللغز يلهبني
ويعيي حله رأسي
فما أحببت الاستقر
ار في يومي ولا امسي

•••

سمعت الرأي في عيني—
ك قد أبدعته لحنا
وهذي انت من فني
وهذي عينك الوسنى
وهذا بعض ما توحـ—
ين يادنياي من معنى
وهل ينساك ذاك الوالـ
ـه الحيران ان عنى ؟
وقد فتكت به عيناك
حتى خلته يفنى ؟

الوفـــــاء

قادتني ظروف الحرب الثانية لاختيار قرية في جبال الالب قريبة من البلدة الفرنسية « غرة نوبل » لتمضية اشهر الصيف فيها اتناول طعاما مغذيا افتقر اليه في باريس لفقدان المواد الغذائية آنذاك . والحياة في القرية تسمح لي بادخار بعض المواد الغذائية لنقلها معي عند عودتي .

وهناك وفي وسط القرية فوجئت بنصب تذكاري لكلب . فتساءلت ! ما شان هذا الكلب ؟ هل انقذ انسانا متدحرجا في هوة وسط الثلوج الكثيفة اثناء قيامه برياضة التزلج ؟ أم له قصة اخرى استحق عليها اقامة هذا التمثال وقادني فضولي حيث عرفت القصة .

عاش الكلب صاحب هذا النصب مع صاحبه فترة طويلة ، وكان هذا الرجل فاقد البصر يذهب صباح كل يوم من قريته الى محطة القطار التي تبعد عن القرية اربعة كيلو مترات ليستقل القطار الى « غرة نوبل » ليعمل في وظيفة تبعد عنه شبح الحاجة. يعود الكلب بعد سفر القطار بمفرده الى منزله . ويعود الرجل مساء فيشعر بوجود الكلب الذي ينتظره في موعد عودة القطار دون اي تاخير ويحتك به بركبته فيقبض على مقوده ليذهب به الى منزله في القرية .

بقى الامر كذلك يتكرر كل يوم مدة طويلة الى ان توفى الرجل فبقى الكلب ، على عادته ، يذهب صباحا الى محطة القطار بمفرده ويعود مساء ينتظر صاحبه ثم يرجع الى المنزل بعد ان يقطع الامل من عودته ، وبعد شهر وجدوا الكلب ميتا على محطة القطار بعد ان تعب ويئس من انتظار صاحبه .

دكتور جميل محفوظ
سوريا

رد الجميـــــل ...

كان عم عبد الله قد تجاوز الخمسين من عمره ، يظهر عليه تعب السنين ، وهمومها الكثيرة منذ ان تقع عيناك عليه لاول مرة ، فدائما وجهه عابس لا يعرف الابتسامة ، وحين كنا نساله عن احواله ، كان يجيب بكلمات قليلة مقتضبة ، ولما سالته ذات يوم عن سبب عدم زواجه ، رد على بان قطار الزواج قد فاته .

وعم عبد الله كما يناديه كل الناس ــ لا يملك من الدنيا سوى عربة خشبية صغيرة يحمل فيها حاجيات الاخرين ، وينقلها من مكان إلى اخر ، مقابل بعض الدراهم القليلة التى يعيش منها .

وذات يوم رايت الناس تتجمهر حول عربة العم عبد الله ، وشابا يبدو فى الخامسة والعشرين من عمره ، يخيل إليك من حسن مظهره انه يعمل بوظيفة مرموقة ، إذ كان يرتدى افخر الثياب .. ، وكان يتكلم بخشونة مع عم عبد الله ، وتناهت إلى سمعى بعض العبارات « قلت لك ابتعد عنى » ، اننى « لا اسمح لك بزيارة بيتى ثانية » ، هل « تريد ان تحرجنى امام اصدقائى » وفجاة راينا الرجل العجوز ينهار ويصرخ فى الشاب بكلمات مرتبكة ومتقطعة « هل هذا جزائى ؟ .. انك ولدى ، وانا ابوك ، وقد رعيتك منذ وفاة والدتك ، وبذلت كل جهدى لتعليمك وإسعادك ، كنت احرم نفسى من الطعام لادفع لك مصروفات الجامعة ، وهاانت جئت لتمنعنى من رؤيتك .»

ودهشت كما دهش الحاضرون عندما علمنا بان عم عبد الله اب لهذا الشاب الجاحد الذى كان يحاول ان يمنعه من رؤيته ، لانه كان يستكنف من ابيه وعمله المتواضع .. ثم غادر الشاب المكان بينما راحت عيون الجميع تتبعه ، وتعجبت كيف يفعل بعض الأبناء هكذا بآبائهم بعد كل التضحيات التى قاموا بها من اجلهم ، اما كان اجدر بذلك الشاب ان يريح اباه من عمله المضنى ، وياخذه ليعيش معه فى بيته ، اليس هذا اقل القليل لرد بعض الجميل ؟..

يوسف جابر العراق

رأيت
سمعت
قرأت

رأيت

متحف الشمع

حرصت أثناء زيارتى إلى لندن ان ازور متحف الشمع الشهير والمعروف باسم متحف (مدام توسو)وهى فرنسية الاصل ، ولكنها هاجرت الى لندن سنة ١٨٠٢ ويعتبر هذا المتحف من اشهر متاحف الشمع فى العالم وهو يضم ما يزيد على خمسمائة تمثال باحجامها الطبيعية ، وملابسها المعروفة ومزينة بنفس لون شعر اصحابها الحقيقيين حتى لتحس انها اقرب إلى الحياة ، وان الحياة تكاد تدب فيها .. وقد صنعت مدام توسو عددا كبيرا منها بنفسها ، والباقى صنعه ابناؤها واحفادها . وعرفت عائلتها باحتكار هذه المهنة والتى تقوم برسم اهم الشخصيات السياسية والاجتماعية والفنية والفكرية .. وقد توفيت مدام توسو سنة ١٨٥٠ عن عمر يناهز التاسعة والثمانين . وقد عرفت منهم ان الفضل فى نشوء هذا النوع من الفن يعود إليها فهى سويسرية الجنسية ، وقد اقتبست هذه الصناعة عن خالها وتفوقت عليه بدرجة كبيرة ثم انتقلت الى باريس فى عمر السادسة عشرة وراحت تمارس هوايتها وكان من زبائنها فولتير الكاتب الشهير ، الملك لويس السادس عشر وزوجته مارى انطوانيت .. وعندما قامت الثورة واطاحت برءوس الأسرة المالكة حرص الثوار على سلامتها وكلفوها بصنع التماثيل الشمعية للقتلى ، ثم ياخذون رءوس التماثيل ويرسلونها للجماهير فى الاقاليم ليعرف الشعب انتصار الثورة وكان الناس يحسبونها رءوسا حقيقية من فرط الدقة .

ومازالت متاحف الشمع تجتذب إلى اليوم اعجاب الناس على اختلاف مشاربهم واعمارهم .. والفضل فى ذلك لهذه السيدة النابهة او مدام توسو .

أمال محمد جاد
القاهرة

قرأت

برتراند راسل

تاتى الذكرى العاشرة لوفاة الفيلسوف « برتراند رسل » يوم ٣ فبراير ١٩٨٠ والعالم يضطرم بالاحداث والمتغيرات الدولية التى توشك على الانفجار من خلال ضباب الحروب .

كان صوته يدوى فى السماء ثائرا ومنذرا « لابد للعقل ان يسود ، ولابد للحكمة ان تنتصر ، ولابد للتسامح ان يدك معاقل التعصب ، ولابد لحمامة السلام ان ترفرف على وجه الارض » ولقد لقى من اجل دعوته إلى السلام العالمى الكثير من الوان العنت والاضطهاد ، فلقد نشا فى اسرة عريقة كانت تتوارث الجاه والسلطان والنفوذ السياسى . ولكنه كان يسخر منها ، وخرج على التقاليد الفكرية المالوفة فى حياة الفكر الانسانى عامة وحياة الفكر الانجليزى بوجه خاص .. حيث يؤمن بجوهر الديمقراطية الليبيرالية باسلوب يواكب القرن العشرين بقدر ما يؤمن بالمذهب العقلى العملى ولا يرتضى بغير مقياس العقل والمنطق بديلا .. كما لا يؤمن بوجود حقيقة مطلقة ويستهدف تطبيق الاسلوب العلمى فى التفكير ومواجهة المنازعات السياسية .. بمعنى ان تعالج الخلافات السياسية بقدر ما يعالج الانسان معادلة رياضية .. اى بالجنوح عن الذات واخضاع الخلافات لمنطق العقل فهو الضمان الوحيد للوصول الى الحقيقة الموضوعية ، وعلى هذا يؤمن بان المنهج العملى فى التفكير يحمينا من التعصب وضيق الافق ومن الشطط والتطرف والاضطهاد .

برتراند راسل

لقد حارب الحرب وحمل رسالة السلام وراح يبشر بها .. سالوه وهو يحتفل بعيد ميلاده التاسع والثمانين : كيف نجد السعادة على هذه الارض .. ؟ فقال : اذا استطعنا ان نجد فى عالم اليوم اعدادا كبيرة من الناس تسعى لاسعاد نفسها اكثر مما تسعى لاتعاس غيرها .. فسوف يتحول عالمنا المريض المضطرب خلال سنوات قليلة إلى جنة على الارض ، وقال وهو يتسلم جائزة «نوبل» تقديرا لجهوده من اجل منع الحروب .. « اذا كان الانسان ميالا بطبعه للحرب ، فاننا نستطيع ان نرضى هذه النزعة فيه دون ان يكلفنا ذلك الكثير من الارواح .. اننا نستطيع ان نشيد حمامات السباحة ونملاها باسماك القرش التى يطيب لها اكل لحوم البشر .. او ان نبنى حولها الشلالات الصناعية التى تتدفق منها المياه بقوة وعنف ... ثم ندعو بعد ذلك كل داع للحرب بان ياتى بقاربه ويجدف فى مياه الحوض الذى امتلا بهذه الوحوش الضارية والمياه المتدفقة »..!!

محمد جلال النطاط
منوف — ج . م . ع

سمعت

حقائق عن الجوع

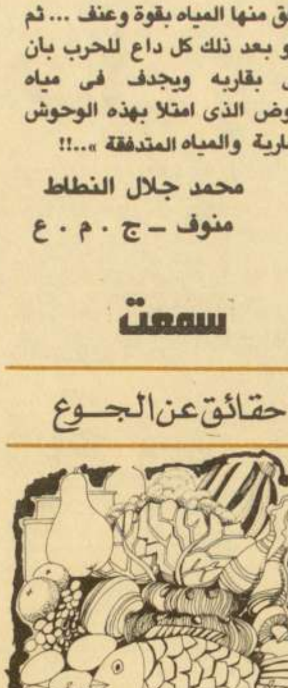

ان للجوع دوافع فسيولوجية ينطبق عليها ، والدراسات والابحاث دلت عل ان نقص المواد الغذائية وفي الدم هو العامل الاساسي لظهور دافع الجوع فحينما تقل المواد الغذائية في الدم تحدث حالة توتر وتقلصات في جدران المعدة ويزداد النشاط العام في البدن وبها نشعر بالجوع والرغبة في الاكل وخلال تجارب عديدة يتبين لنا ان تقلص المعدة ليس هو العامل الاساسي والوحيد في احساسنا بالجوع بل الدم الكيميائي هو العامل الاساسي الاول في ذلك . اما المعدة ، فبعد التجربة وجد ان استئصالها عند بعض الحيوانات او قطع الاتصال العصبي بينها وبين المخ لم يقض عل دافع الجوع . وقد وجد أيضا انه اذا حقن كلب غير جائع بدم كلب جائع تقلصت معدة الكلب غير الجائع ، كما يحدث عادة في حالة الجوع ، كما وجد أيضا العكس ، أي اذا حقن كلب جائع بدم كلب شبعان توقف تقلص معدة الكلب الجائع ومن هذه التجارب يوحى لنا ان نقص المواد الغذائية في الدم يسبب حالة كيميائية خاصة في الدم فتبعث بعض الهرمونات التي تسبب تقلص المعدة والشعور بالجوع .

وللجوع نشاطه الخاص ، مما يدل عل انه لا يضعف النشاط البدني او العقلي ، كما يظن البعض ويمكننا ان نستنتج من ان الصيام لا يسبب الخمول البدني والعقلي كما يتوهم البعض بل انه العكس ، يبعث نشاطا روحيا وفكريا ولكن لفترة معينة بالطبع !.

وكما تبين كذلك ، ان الاحلام تكثر اثناء النوم عند تقلص المعدة ، والفائدة هنا ان ياكل الانسان قبل النوم اكلا خفيفا كي لا تزعجه الاحلام .

ابن تركي مسعودة
الجزائر

في موســم اليــاسـمين

أليفة رفعت

القى براسه على مسند مقعده ، وقطار الصعيد مراكز ، يترنح به ، موقعا على القضبان لحنا كئيبا .

مسح وجهه بمنديله ، فازال ذرات الرمال المتطايرة ، ومع ذلك ظلت الرؤية فى عينيه مغبشة ، تتهلوى من خلالها اعمدة البرق مع اشباح النخيل ، متفتتة الى اطياف ضبابية ، تندثر بسرعة ، مخلية صفحة السماء الصفراء لغيرها تظهر لتختفى بنفس السرعة .

يتصيد نظره بعض الصبية ، يلقون بانفسهم عرايا فى شق ترعة الابراهيمية الطويل المتعرج يبتردون فى مياهه الضحلة ، والوهج يشتد ويشحن النسمات القليلة فيحولها الى قيظ لافح .

الوقت راكد جاثم على انفاسه ، فيعبث بربطته السوداء فى سام ، وهو يلقى بانظار تائهة الى أرصفة المحطات الصغيرة التى يمر عليها القطار ، يتلهى بمراى الرجال الاشداء وهم يحتضنون بنادقهم على اكتافهم باعزاز ، تماما كالنساء المفترشات الرصيف يحملن اطفالهن بحنايا حريصة ، بينما تقبع على رؤوسهن اقفصة الدواجن التى يتاجرن بها فى الاسواق .

البرقية التى تلقاها فى الصباح ، فى جيب سترته:

« والدك . الحاجا بلله شلبى توفى واكرام الميت سرعة دفنه » . كلمات لها ثقل الزلط فى حلقه ، بالرغم من ان اباه فى مقام الميت نفسه من زمن طويل ، منذ ذلك اليوم الذى اقصاه عنه الى المدرسة الانجليزية فى المعادى ، بعد مدة من وفاة امه .

كانت امه تضع الابريق الفضى بين يديه كل صباح ، فيهرول الى حيث يجلس الوالد على طرف سجادة الصلاة ، وقد شمر عن ساعديه ، ومد كفوفه فوق الطست الفضى الصغير ، فيصب عليهما الماء برفق وفى عينيه نظرة اكبار لابيه وهو يتوضا . ثم يعود يصب الماء على قدميه وقد نزع عنهما الجوارب . لا يذكر انه خالف اباه مرة . حتى عندما حمله وخرج به الى حيث الرجال ، فوضعه على صهوة عنتر وهو يضحك مفاخرا مهللا :

« ابنى (حسان) راجل ، فارس هوارى ابن هوارة شجعان .» ولم يجفل يومها . ولا نظر ناحية الشباك الذى تتلصص منه عينا امه ، وقد اختلط الكحل فيهما بدموع الشفقة . وانما لف ساقيه القصيرتين حول الجيد الدافىء ، شالحا طرف جلبابه فى فمه ، متشبثا بيديه بالشعر الطويل . فرمح به «عنتر» مجتازا الجسور المتقاطعة حول البلدة ، ورجع به يتبختر بين تهليل الرجال وتكبيرهم .

وحتى « منتهى » الفتاة الحلوة الخجولة ، ذات الضفائر السوداء الغزيرة ، حينما حضرت للبيت ، بصندوقها الاحمر فى هودجها على صهوة الجمل ، من النجع المجاور ، فحملها ابوه ودخل بها الى فراشه حيث تنام امه من قبل ، احبها والتصق بثوبها اللامع المعطر فى غدوها ورواحها بالدار ، مؤتنسا بها عن الوحشة المضنية التى قاسى منها بعد فراق امه .

وفى غربته بين المربين الاجانب احتضرت طفولته سريعا ، وتجمد الحب لابيه ، فتحول الى رجل راق متحضر لا يابه كثيرا للعواطف ، وانما اصبح يرضخ كل امر لموازين الحكمة والتقاليد ، وضاع الحنين فى نفسه على مر الايام لبلدته «بهبشن» . وطمست الليالى ذكرى مراتعها فى مخيلته .

ولما كبر ، كان يقوم بواجب الزيارة كلما رزق والده بمولود جديد ، حتى لا يقال عنه انه يضيق بالاخوة الذين سيتقاسمون معه اراضى ابيه . وحين افتتح مكتب المحاسبة ، ندرت زيارته لانشغاله بعمله ، ثم انقطعت الزيارات ،بعدما تزوج من زميلته التركية « لوجا هانم طوبجى » ويومها ارسل برقية لأبيه يقول : « تزوجت الليلة »

وقابل الوالد الخبر المفرح بالصمت . وحين رزق بابنته عاد فبعث بالخبر السعيد لأبيه ، فاكتفى «الحاج» بالرد ببرقية يقول فيها : «اسموها ياسمين » .

وانقلبت زوجته على مر الايام متافففة ، يغلب عليها غطرسة قومها ، فتحملها صابرا ، حتى اليوم الذى صرخت فيه :

« انا .. لوجا هانم طوبجى يصبح اسمى مدام

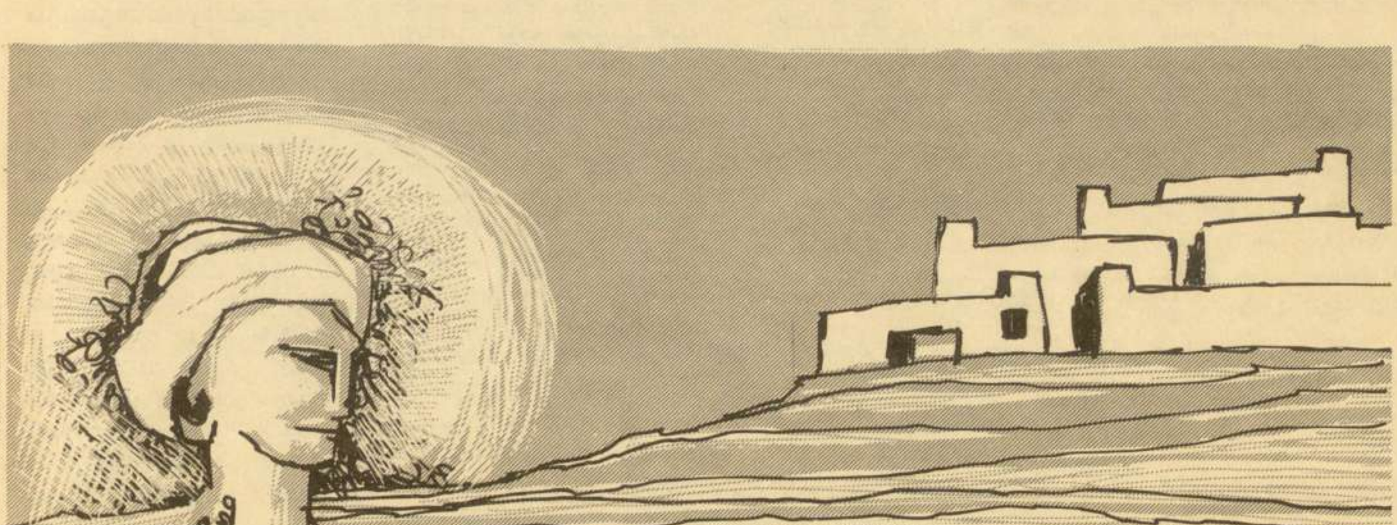

شلبى ؟ »
وبهدوء رهيب قال لها :
« ارجعى اليهم »
فحملت ابنته وذهبت لبيت طوبجى بالزمالك ، وبقى هو فى شقته بقلب القاهرة لا يبالى بوحدته ، أهملها ليكسر انفها العنيد ، فركبت راسها ولم تعد . ولم تفكر فى زيارة البلد فقد طوته دوامة اعماله . واليوم ربما تنقطع الصلة بباقى الأهل بعد موت الاب ، فيبقى بغير جذور .

توقف القطار بمحطة « بوش » مركز بلدته ، فتناول حقيبته التى دس بها مع منامته الكفن الذى اشتراه قبل ان يغادر القاهرة . النار تاكل وجهه ان لم يات بالحرير الابيض والاخضر والشال الكشمير ، ويحيي ليلة ماتم فخمة . فى جيبه مبلغ كبير سحبه من مدخراته بالبنك ليقوم بالواجب .

نزل من القطار ، فتلقفته ايدى الرجال تبث فيه العزاء ، فرغلى الذى كان يسرق ديوك السيدة «كرمل» زوجة كاتب الصحة ، فيسحبها بسنارته وهو صغير واصبح نائبا عن الفلاحين ، طواه فى احضانه داخل عباءته الغالية وهو يتمتم .

« البقية فى حياتك ياأستاذ حسان . »

رمش بعينيه وهمهم بشفتيه بكلمات مبهمة . ثم تلقفت يده كف « الشيخ حماد » القوية خولى والده فضغط باصابعه الخشنة على يد « حسان الملساء فى استهانة وهو يناوله. أسرع «عنتر» قائلا :

« الحر شديد يارجالة وحرام علينا الميت نتركه للقيالة . »

قفز « حسان » على صهوة « عنتر » والشمس ترسل نصالها حامية عمودية على راسه العارية ، والرجال يشدون على ركائبهم ، وقد ارخوا شيلان عمائمهم ، تحجب عنهم وقدة الحر .

رفع بيده جريدة الصباح كما يفعل بالقاهرة ، ثم عاد فردها جانبا ، حين وجد صف بنات مصنع الياسمين واقفات يحملقن فيه وهو يمر بينهن .

لفحة الهواء الساخن المحملة بعطر الياسمين ، وتلتصق رائحته النفاذة بذرات الرمال المتطايرة ، فتتوغل فى الصدور وتحشرج الانفاس على مر الايام ، حتى تسبب السعال المزمن لأهل الناحية . وما تكاد تهدأ حتى تدور الايام ويهل الموسم التالى .

هو قد نجا من الداء باقامته فى القاهرة ، ولكنه يسعل بشدة بمجرد استنشاق العبير . سالت دموعه مع السعال حتى احمرت عيناه وانتفختا ، وعنتر يجرى به على الجسور بين الحقول ، حتى توقف أمام السور الحجرى الذى يحيط الدار .

قال الشيخ « حمادة » :

« تصريح الدفن جاهز والمشايخ حاضرين »

بمجرد دخوله علت الاصوات بالعويل من النسوة الجالسات أرضا يهلن التراب على رؤوسهن .

تقدم عواد اخوه الصغير يحمل الطست والابريق الفضى ليتوضا وفى وجهه ذبول وحيرة كالتى اعترته يوم ماتت امه .

ربت على كتفه مواسيا وتوضا ثم دخل غرفة الميت . ارتجفت ساقاه فى هزة مفاجئة ، وهو يتقدم للسرير النحاسي حيث جثة ابيه . نزع طرف الملاءة التى تغطى وجهه ، فطن الذباب ثم عاد يحط عليها فى الحاح . همس بشفاة ، جافة وهو يحملق فى وجه ابيه :

« السلام عليكم ورحمة الله .»

ثم الصقها بالجبهة الباردة الشاحبة . يقينا يسمعه الميت ، ولكنه لا يستطيع رد سلامة . ترقرق الدمع فى عينيه بلورات غامت لها ابعاد الحوائط ومادت متراقصة فى عينيه اللوحة المكتوب عليها الاية القرانية بخط كوفى كبير فوق الفراش :

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ــ صدق الله العظيم . »

علت أصوات المشايخ بالذكر . ترتل اسماء الله الحسنى . تقدم « الشيخ عبد المقصود » الحانوتى فنزع الجلباب الابيض وفك من حول الخصر حزام جلد الثعبان الاسود الذى كان يتمنطق به الحاج وقد تصيده ببندقيته بعدما بعث الرعب طويلا فى « بهبشين » .

قلب « الشيخ عبد المقصود » الحزام فى يده وبرقت عيناه الغائرتان بالفرحة ، ثم امسك بيد الميت فنزع عنه خاتمه الذهبى الكبير ، فكل هذا قد اصبح من حقه ، غنيمة تركها اهل الميت له صدقة على روحه ، ثم رفع الجسد المتصلب مع مساعده فارقده على اللوح الخشبى المطروح فوق طست النحاس الكبير .

ناول الكوز النحاس « لحسان » وقرب منه وعاء الماء الطاهر وهو يقول له :

« امسك نفسك ياابنى لاحسن دموعك تنجس الميه . »

شد « حسان » على اعصابه وبيد ثابته صب الماء على الراس والجسد الذى يدلكه « الشيخ عبد المقصود » بالصابون .

وعندما علت الاصوات بالقران اقاموا للميت شعائر الوضوء ، ثم جففوا الجسد . مزقوا القماشة

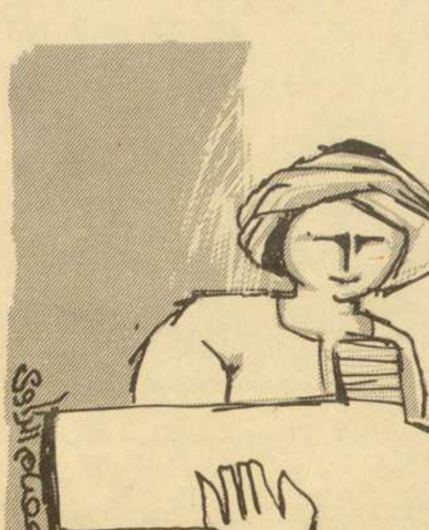

الكفن بصرير عال اهتزت له اعصاب « حسان » ولكنه تماسك وهم يخيطون الاثواب ويلفونها على الجسد ويربطونها على الساقين وعلى قمة الراس باحكام . فرشوا غطاء السرير فى داخل النعش الخشبى وارقدوا الجثة عليه ثم غطوها بالشال الكشمير .

• •

دخل « الشيخ حماد » ففك الفراش النحاسى واصوات النساء تعلو بالعويل ، وارتفعت بينهن صرخة حادة ، لا شك انها صدرت من الأرملة المفجوعة . فالسرير النحاسى قد نصب منذ زواج « الحاجا بالله » الاول واسلمت الروح عليه « أم حسان فتزوج بـ « منتهى » ووضعت عليه اولاده الآخرين ، ولكن بموت سيد الدار لابد للسرير أن يزال ، ولا يقام مرة اخرى الا بعد انقضاء مدة الحداد .

سعل « حسان » فى حدة وعبق البخور يهيج حساسية انفه حتى سالت الدموع من عينيه غزيرة مدرارة ، فطاف على وجهه بمنديله متجلدا ، وتقدم يحمل احد ذراعى النعش الاماميتين مع الشيخ حماد ، الذى تناول الاخرى ، وحمل الخلفيتين رجلان من الخلصاء ، فسندوه على اكتافهم ، وخرجوا للفناء .

طرح « عويس » كلاف البهائم فحل جاموس امام النعش ، وجرى على عنقه سكين « حامد » القصاب . فتدفق الدم غزيرا على الرمال الحارة المتوهجة فداء للميت .

تخطى بركتها الرجال حاملين النعش خارج السور الحجرى وانتظمت مسيرة الجنازة صفوفا وراءهم .

اسرعوا بالنعش يهرولون وهم يجارون بشهادة التوحيد فى صوت اجش ، وهرولت النساء وراءهم متدثرات بالشجة التى تنسدل على اجسادهن كالخيمة ، لا تظهر منهن سوى بريق العيون .

كانت الشمس قد جاوزت كبد السماء ، ومازالت ترسل بشواظها على الرمال ، فتنفذ سخونتها لاسعة من خلال النعال .

اجتازوا دروب القرية ، وهبطوا مع تعرجاتها الى حيث المسجد الوحيد ، يتوسط الطريق المؤدى الى التل الآخر الذى تقوم عليه القبور المتهالكة ، صفوفا فى سفح الجبل .

خلعوا النعال ، ودخلوا بالميت فوضعوه فى المحراب . كبروا سبع مرات واقاموا صلاة الجنازة. ثم عادوا لحمله والسعى به وهم يهرولون الى المقبرة ، وقد اعدها الحفار ففتح فوهتها وازاح التراب من مدخلها ، وازاح الميتين القدامى ، فلملم عظامهم وصرها فى اكفانهم البالية ، ورصها بجوار الحائط الداخلى المطلى بالجير ، وفرش الرمال الناعمة مخلوطة بالحناء ، استعدادا لرقدة الميت الحديث .

ازداد ثقل التابوت على حامليه ، وهم يبرطعون لاهثى الانفاس ، تكاد تنخلع منهم الاكتاف ، كان الميت يقاوم تهيبا من القبر ، حتى مالت بهم ناحية البيوت براس النعش ، مسيرتهم فتقدموا

قصـــة

في مـوسـم الـيـاسـمـين

بخطوات جانبية ، وعيدان الذرةفى احواض المزارع تنفث بخارا ابيض يزيغ النظر ، وراء شرارات حمر تنفصل عن نصال الشمس الحادة . اغمضوا الاعين المكدودة حين وصلوا للفوهة المفتوحة بعد ما وضعوا النعش امامها .

وضع « الشيخ حماد » مقصا صغير فى يد «حسان» وهو يقول من بين اسنانه :

« ياللا ياراجل قم بواجبك ، قصقص الكفن لكى لا يسرقه النجس حرامى الترب . قسما عظما ما يقع فى إيدى الا اشنقه عالشجرة اللى جار المسجد . »

ثم بصق على الارض يعلن اشمئزازه .

امسك « حسان » المقص بيد متربصة ، وهبط وراء الجثة الى ظلمة القبر الرطيب . تملكت جسده رعدة شديدة وهطل العرق من وجهه حتى بلل صدر قميصه ، وصوت مجموعة المقرئين يعلو بترتيل القران بسرعة وكانهم على موعد مع اخر .

مرقت سحلية من بين قدميه ، وبرقت عيناها ، ثم اختفت فى الظلام . جثا على ركبتيه بجوار ابيه ومد يده بالمقص وراح يقطع فى الكفن وكله حرص على الا يمس سن المقص الحاد جلد الميت العزيز . ربت على كتفه الحفار وهو يتمتم:

« قوم ياشيخ ربنا يستر . »

فنهض . وسار خلفه متراجعا بظهره وهو يلقى السلام حتى خرج الى النور . وقف فى وسط الرجال حتى اتم اللحاد مهمته ، فاهال التراب على الفوهة وسكب عليها الماء ، ثم روى شجر الصبار المجاور لها .

كانت الشمس الآن معلقة على قرن الجبل ، بدت القبور متشابهة مع البيوت المتناثرة فى غبشة الغروب ، وصاح قائل :

« وحـــــدوه . »

فجار الجميع بصوت عميق :

« لا اله الا اللـــــه . »

وقال اللحاد :

« كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . »

والقى « حسان » فى يد اللحاد بعض النقود خفية ، واستدار راجعا فتبعه الحشد الى فناء البيت .

● ●

جلس الرجال على المقاعد الخيزران المرصوصة تتوهج فوق رؤوسهم الكلوبات ، تدور عليهم فناجين القهوة كلما فرغ المقرىء من ترتيل سورة ، يستمعون اليها فى خشوع ويترنحون علي الوقع ، حتى اختتم المقرىء آيات الله بفاتحة الكتاب وقد انتصف الليل ، فبسط الرجال اكفهم ، ثم مروا بها على وجوههم فى ابتهال .

قال الشيخ « حماد » وهو يرمق « حسان » بنظرة جانبية « الله يرحمه ، كان ابا عطوفا على الجميع ، وكان اجدع خيَّال بالنواحى . »

فرد عليه « فرغلى » وهو يهدهد كتف «حسان» ليصد عنه اللمز :

« الخياله كتير يابوى ! لكن ميزته ، إنه كان يميل بودنه على الرملة ، ويقول فلان الفلانى على الجسر الفلانى وحايوصل بعد قد كده ، ويطلع كلامه زى الجنيه الدهب . »

طاطا « حسان » براسه فى صمت واسى .. ربما يعرفه هؤلاء الرجال خيرا مما عرفه هو ، ولكن ، لم يكن هو المتسبب فى الجفوة بينه وبين أبيه ، اخرج من جيبه حفنة من المال ، دفعها فى يد «الشيخ حماد» وهو يقول بصوت قاطع :

« اصرفها على الطلبات ، الليلة كلها على حسابى الخاص . »

ونصبت على الطبالى صوانى العشاء تحمل اناجر الثريد المرصوص عليها قطع اللحم المسلوق فقام « حسان » يدعو الرجال اليها ويزدرد بعضها بصعوبة منتظرا حتى انفض الجميع فاطفئت الكلوبات .

دخل البيت يجتاز غرفه فى وحشة ، يمر بين النساء اللاتى على الحصير متشحات بالسواد ، وقد انهكهن كثرة الصراخ والعويل . انتصبت من على الارض بينهن خيمة سوداء تحركت تجاهه واطلت من خلال فتحتين صغيرتين عينان عسليتان متقرحتان عرف فيهما عينى « منتهى » زوجة ابيه ، فابرزت يدها بمفتاح وهى تتمتم بصوت ذبيح من كثرة ما بكت :

« الحاج الله يرحمه سلمنى مفتاح الخزنة امانة اوصلها لك » .

التقط المفتاح وهو يتمتم :

« شدى حيلك .»

مرق الى مكان الخزانة التى يعلم موضوعها منذ طفولته فادخل المفتاح بها وجذبها إليه .

زاغت انظاره للحظة فى المياه اللامعة نجوما صغيرة على ارض الغرفة المتخلفة من غسول الميت .

عثرت يده برزمة اوراق مالية ضخمة ، وورقة مدون بها اسماء من رصد من اجلهم المبلغ .

توقف نظره على اسم ابنته « ياسمين » مذكورا كواحد من اسماء الورثة . غامت الكلمات فجلس على حافة الحَشية المبسوطة على الارض ، المعدة لنومه مكان السرير المفكوك ومازالت بعض قضبانه تستند بركن الجدار ، فاسند راسه بيديه ليقاوم الدوار .

قال :

« اسموا الطفلة ياسمين .»

كان يحبها فذكرها كواحدة من ابنائه فى وصيته . كان اذن يفكر فيها فلم لم يطلب رؤيتها ؟

اكثر من مرة قال « للوجا هانم » قبل القطيعة الاخيرة بينهما :

« لازم نسافر البلد علشان ابويا الحاج يشوف عيـــلتى . »

كانت تشيح بانفها الانيق فيسكت هو . كان يسكت كثيرا .

قال « الحاجا بلله » فى احدى لقاءاتهما : « السنة الجاية نحج سوا ياوله ياحسان »

ثم كركر بشيطانية طفل عفريت حين راى الاستياء على وجهه وهو ينادى بين الرجال «بياوله» . ومرت السنون وانتهى عمر ولم يحققا الامنية ، ابتسم فى اسى للذكرى ودهشة تنتابه . كيف سرقتهما الايام ولم يذهبا ؟ انفجر فى صدره شوق مفاجىء لابيه .. افاق من شروده على ذئاب الجبل تعوى وتردد الصدى الافاق . هل فعلها النجس ؟ وترك فوهة القبر مفتوحة ؟.

فار الدم متصاعدا الى عنقه بحزن مرير يضغط بخناقه مخليا جسده كومة ملقاه على الخشبة ، مهدما متصدعا كمن تلقى على التو علقة حامية من « زجلة » الحاج الشهيرة . لم يذق طعمها ابدا . كان يكفيه وهو صغير ان يهزها «الحاجابلله» فى وجهه زاعقا :

« العصى لمن عصا . »

ليرتعد جسده الضئيل تحت وقع الضربات الوهمية .

« الوحدة مفزعة ؟ الليل فى القبر رهيب ؟ يضنيك فراقنا ؟ ماذا ترى فى عالمك الجديد يخيفك ؟ . »

وتعول الرياح خلال خوص النخيل وهى تهيم فى وحشة الضياع فى افاقها المجهولة ، ثم ترق النسمات فيتصاعد هديل الحمام فى الابراج أعلى البيوت مرتلا الدعاء . ثم ينتشر النور متانيا .

ويصيح الشيخ « حماد» من الخارج :

« يااستاذ حسان المامور بعت الجيب توصلك المحطة وفاضل على القطر نص ساعة » .

ويدخل عواد حاملا الطست والابريق ، وتدخل فى اثره منتهى ومازالت محلولة الشعر بجلباب نومها تحمل صينية الافطار .

ويخرج الى العربة قافزا إليها ملوحا للرجال ، فتتحرك به وخلفه دوامة من التراب ، سرعان ما طوت عيالا افاقوا على التو من نومهم وتجمعوا على صوت العربة محاولين اللحاق بها بسيقانهم السمراء النحيلة شامرين الذيول فى اسنانهم .

اليفـة رفعت

مونولوج جماعى

الفيل .. والعصفور

إسماعيل مصطفى تامر

فى لحظة رهيبة مثيرة ، حيث تتوحد جميع التفاصيل فى سؤال واحد عنوانه : لمــاذا ؟ !

كان هناك فيل عجوز يجر سنواته بصمت فى دروب الغابة ، إلى كهف اجداده الموتى ، حيث يستسلم هناك إلى الموت !!

ومن بين عصافير الغابة .. وقف عصفور يرقب منظر الفيل بحيرة لا يستطيع جناحاه الصغيران ان يطيرا بها .... !!

ــ سيدى الفيل (بالحاح) سيدى الفيل !

ــ (بتثاقل) نعم ايها العصفور ؟

ــ هل صحيح انت ذاهب لكهف الموت ؟!

ــ نعم .. لقد ان الآوان !!

ــ ولكن كيف عرفت ..؟

ــ ببساطة .. حاولت رفع خرطومى لتحية زوجتى فلم استطع!

ــ هكذا ..؟! .. سيدى .. لااكتمك خوفى من فكرة الموت ولكن اطمئنانك هذا الذى تمضى به .. يجعلنى اخاف اكثر ...

ــ ولماذا تخاف الموت ..؟!

ــ (متنهدا بحسرة) لاننى لا استطيع ان اتصور .. ان كل ما عرفته فى حياتى سينمحى من ذاكرتى فى لحظة واحدة ... قل لى ماالذى يبقى من عصفور إذا جمد جناحاه ؟

ــ (ببرود) نفس الذى يبقى من الفيل إذا سكنت جوارحه !!

ــ هل تصدق ذلك ... كيف نعود جميعا الى صيغة واحدة ..؟! ... أليست الحياة مثالا واضحا على افتراقنا ؟!

ــ يا عزيزى .. إن اصغر شىء فى الوجود لا يعدم ان يجد مكانا واسعا فى هذا الكون ترتاح فيه احلامه ... وليس الجبل باكبر دلالة من الحصاة على هذا الكون الكبير ...!!

ــ ماالذى تريد قوله سيدى الفيل؟

ــ حدث مرة ياعزيزى العصفور .... وانا بعد فى مقتبل العمر .... حدث ان دهست زهرة كانت تقف فى طريقى الى النهر .. حيث استحم ... ولم اكن لأبال بالامر فالقصة لا تعدو ان فيلا ضخما دهس زهرة فى طريقه للنهر .

ــ يبدو ان القصة مشوقة !!

ــ تحكم بنفسك .. المهم .. عندما كنت استحم شعرت لأول مرة بان المياه لا تنعشنى كما كانت تفعل فى السابق .... !

ــ وبعد ..؟

ــ رجعت معكر المزاج .. إلى حيث تجتمع العائلة .. وفى الطريق .. كان كل شىء يتغير امام نظرى .. كل شىء صار معتما .. وقاتما .. حتى لكان الالوان انسحبت من الاشياء .. وتلاشت .. !! وعندما وصلت الى حيث عائلتى واصدقائى ، وجدت الجميع عابسين بوجهى .. حتى صديقتى الشجرة صارت لا ترتاح إلى كتفى عندما يستند إليها ...

ــ وبعد ..؟

ــ نمت تلك الليلة .. وفى المنام وجدت تلك الزهرة التى دهستها تقف باكية وهى تشكونى بصوت مفجع ...

ــ تشكوك لمن ..؟!

ــ إلى فيل لم ار نهاية له .. اكبر من تصورى .. المهم كنت اقف امامه وانا لا اجرؤ على النظر إليه .

ــ هذه القصة عجيبة ... اكملها بحياتك ..

ــ حاولت ان ادافع عن نفسى باننى لم ارها عندما دهستها .. تصور ماالذى واجهتنى به..؟ لقد قالت بان مامن شىء فى الوجود إلا وسمع صراخها وهى تستغيث منى ... لكننى انا الوحيد الذى لم اسمعها .. تصور !

ــ وكيف تاكدت من ذلك ..؟

ــ نظرت الى الجميع فوجدتهم يشهدون معها ضدى .

ــ غريب .. رغم ان الحفيف الحفيف .. يصل إلى اذنيك الكبيرتين .

ــ لقد فاتنى ان الزهرة تتحدث عبر اريجها ...

ــ صحيح .. ذكرتنى ..

ــ المهم .. انتهت القصة .. بعد ان تعهدت امام ذلك الفيل الذى لا نهاية له ان لا ادوس زهرة فى حياتى او ان اتجاهل صرخة كيفما كانت لغتها ... !!

ــ وانتهت القصة ..؟!!

ــ لا .. لانك لم تسالنى عن اغرب ما فيها .

ــ هات .. قل لى .. إننى لم الحظ غرابة الامر !

ــ الغرابة جاءت .. بعد النهاية .. قبل ان اصحو فى اخر الحلم .. وجدت الزهرة التى كانت تشكونى بانتظارى لارافقها الدرب .. وعند ذلك سالتها سؤالا خطر فى بالى .. قلت لها .. كيف خطر لك ذلك الفيل الذى لا نهاية له حتى شكوتنى إليه ؟

ــ فاجابتنى بسذاجة .. ولكننى لم اشكوك إلى فيل كبير لا نهاية له .. من اين جئت بهذه الفكرة .. هل انت تحلم ..؟ لقد شكوتك إلى الزهرة التى لا نهاية لها ... ولا حدود ... الم تكن تقف معها .. هل نسيت ..؟!

ــ هكذا ..؟!

ــ وعند ذلك .... تابع الفيل دربه إلى حيث يستسلم قرب اجداده للموت .. بينما ارتفع العصفور محلقا بجناحين قويتين .. يبحث عن ذلك العصفور الذى لا نهاية له ولا حدود .

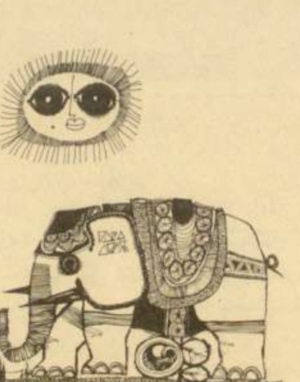

اسماعيل تامر

كاسك ياوطن:

● أمنية إنسان بسيط فى طفلة صغيرة يسميها "أحلام" رمزاً للمستقبل

قدمت فرقة تشرين المسرحية السورية عرضا مسرحيا على مسرح سينما الخليج باسم « كاسك ياوطن » من تاليف الشاعر السورى « محمد الماغوط » بطولة واخراج الفنان السورى « دريد لحام » الذى يعد من أهم ممثلى الكوميديا فى سوريا منذ أن صعد على خشبة المسرح ليقدم اعماله التى كان من أشهرها : عقد اللولو ، مرايا ، ضيعة تشرين ، غربة ...

ومسرحية « كاسك ياوطن » تحكى قصة بعض السلبيات الاجتماعية والثقافية والانسانية فى أسلوب فكاهى ساخر لاذع من خلال بعض اللوحات الدرامية المطروحة فى ساعتين متواصلتين . وكانت المسرحية مكونة من عشر لوحات متواصلة استغنت عن لوحتين عند العرض ويبدو أن هذا اثر كثيرا على بنائها الدرامى .

يفتح الستار عن محطة اذاعية « تسمى ..عرب كارلو » ويقدم ضمن برامجها الفنية الثقافية الكثير من المواد والخدمات الاذاعية فى مجال الاغنية والمسلسل والاعلان والموسيقى والخبر ، ولكن سرعان ما ياخذ المطرب الاذاعى الميكروفون من مذيعة البرنامج ويقدم نفسه فى اناشيد حماسية تحت اسم الشكل الجديد فى الغناء مع وجود بعض الاعلانات ... ولكن المذيعة سرعان ما تقدم « كاسك ياوطن » كعرض مسرحى فى نفس الوقت الذى تقدم فيه مسلسلا إذاعيا أطلق عليه « غوار وابنته احلام » وفى

- لوحات كوميدية عبر سلسلة من المفارقات الساخرة
- عندما يضطر الأب لبيع أطفاله فى الطريق العام
- الإخراج بسيط وبعيد عن التعقيدات والرموز
- الديكور أعطى المكان والزمان كل مكان وزمان
- القضية المطروحة على المشاهدين هى الأساس

المسلسل الاذاعى تظهر لنا امنية غوار الانسان البسيط الذى يامل من الله العلى القدير ان يهبه طفلة صغيرة ليطلق عليها اسم « احلام » فقد يحقق بها احلامه فى مستقبل سعيد عندما تصبح طبيبة تداوى المرضى ..

ويسير العمل المسرحى الذى يقوم ببطولته الفردية الفنان « دريد لحام » ويتحرك بنفسه من لوحة كوميدية إلى اخرى عبر سلسلة من المفارقات والمصادفات الدرامية ذات الهدف الساخر طارحا العديد من الهموم فى مشاهد متوالية مملوءة بالنكات اللفظية المعبرة عن انماط انسانية باهتة اللون والطعم والرائحة فلا يمكن ان تقول انه كانت فى المسرحية شخصية مكتملة دراميا .

ورغم نجاح المؤلف الشاعر السورى « محمد الماغوط » فى اختياره لأسم المسرحية وفكرتها ، إلا انه فشل تماما فى خلق مواقف درامية صلبة التكوين والهدف والبناء ، فالموقف الدرامى لديه مهزوز وهو لا يقدم مجموعة من العلاقات الانسانية الواقعية بقدر ما يبتعد عن التفاصيل ويلجا الى الأحداث غير الواقعية عندما يلجا «غوار» فى النهاية ليبيع اولاده فى الشارع ، وبذلك نجح فقط فى خلق انماط تقليدية تتحرك على خشبة المسرح بشكل الى اشبه بالعرائس والدمى المتحركة ، وهذا يجعل القدرة على حذف مشاهد باكملها امراً وارداً وهذا ما حدث بالفعل .

فالملاحظ أن المشاهد التسعة التى قدمت بالمسرحية مفككة البناء من حيث الوحدة العضوية كعمل متكامل ، وهى لا تتضمن خطا دراميا واضحا ، بحيث يعطى بعدا واضحا للمضمون ...

واذا انتقلنا بعد ذلك الى مناقشة الاخراج المسرحى نكشف انه لم يلتزم بمدرسة او مذهب مسرحى معين ، وانما راح يقدم اكثر من اسلوب ، ودريد لحام نفسه يقول انه لا ينتمى الى مدرسة مسرحية بعينها وكل ما يريد ان يفعله هو ان يقدم العرض بابسط الاشكال وابعدها عن التعقيد ، وهو لا يلجا الى الرمز أو الديكور الضخم ، ويحرص على ان تكون للكلمة والقضية المطروحة على المشاهدين الدور والمقام الاول .

وان كان ذلك لا ينفى قدرة « دريد لحام » منذ بداية العرض المسرحى فى استغلال عواطف المتفرج ، بحيث يخرج المشاهد مشحونا بشحنة عاطفية وليست عقلية ، فقد طرح العديد من القضايا ولكنه لم يتقن عرض المشكلة ، فقد خلط بين كثير من القضايا والمشاكل ، أو على ابسط التقديرات لم يقدم الرؤى والتصورات الصحيحة لهذه المشكلات ....

اما الديكور الذى قدم عبر المسرحية فلم يصور الاماكن الواقعية التى تعطى انطباعا لمكان او زمان أو حدث ، وإنما ابعدت المشاهد عن التاثر بواقعية المكان ، حتى تتيح الفرصة لابراز الحوار الدرامى المطروح فوق خشبة المسرح ، ولذا فقد ارتبط مصمم الديكور المسرحى والمناظر بعرض شرائح عديدة ومتنوعة من اشكال ومجسمات ومناظر متنوعة القيمة والمعنى والهدف ، تعتمد فى معظمها على قصاصات الصحف والمجلات الصادرة فى الوطن العربى ، اراد بها أن يعبر عن تفكك الانسان العربى وسط مايراه أمام عينيه من خلافات .

وقد جاءت الموسيقى جزءاً من المسرحية بحيث كانت تزحف تحت كلمات الحوار المسرحى فى سهولة ويسر وتعطى انطباعا وجدانيا للشخصيات والمواقف الدرامية ...

واذا انتقلنا لاداء الممثلين دراميا فاننا نكشف دقة الاختيار وإن كانت المسرحية فى مجملها أعتمدت على صفة الفردية ، فهى تقوم على مسرح النجم الأوحد .. وإن كنا نرى أن فرقة تشرين السورية اصبحت اليوم ضمن علامات الفرق المسرحية البارزة فى العالم العربى كفرقة مسرح الخليج بالكويت التى اسسها المرحوم الفنان « صقر الرشود » ، ولبعض الفرق المسرحية التى تركز على النقد الاجتماعى فى مصر ، وفرقة الحكواتى بلبنان ، وفرقة الطيب الصديقى فى المغرب ، وعز الدين المدنى فى تونس ..

إعلان

رقم (٢) لسنة ١٤٠٠هـ

دولة قطر / وزارة التربيـــة والتعليم

تعلن عن حاجتها لشغل الوظائف التالية بادارة الصحة المدرسية ابتداء من العـــام الدراسي القادم (١٤٠٠ ١٤٠١هـ) (٨٠/١٩٨١م) الموافق ١٥ سبتمبر (أيلول) وبموجب الشروط التالية :

اولا : الأطبـــاء :

التخصصات المطلوبة	المؤهل العلمي	مدة الخبرة في مجال التخصص
١ ـ طبيب اخصائي طب طبيعي	ـ بكالوريوس طب وجراحة ـ دبلوم دراسات عليـــا فـــي التخصص ٠	ـ لا تقل عن خمس سنوات بعـــد الحصول عـلى الدبلوم ٠

● الراتب الشهري لهذه الوظيفة بالريال القطري (٥٠٠٠) ـ (٥٧٥٠) وبراتب شهري أساسي مبدئي قدره (٥٠٠٠) ريال في الشهر ٠٠

التخصصات المطلوبة	المؤهل العلمي	مدة الخبرة في مجال التخصص
٢ ـ طبيب وطبيبــة (مدرسي وقائي)	ـ بكالوريوس طب وجراحـــة ويفضل الحاصل على دراسات عليا في مجال الصحة العام (صحة مدرسية)	ـ لا تقل عن عشر سنوات في مجال الخـدمات بالصـحة المدرسية ٠٠٠
٣ ـ طبيبـــة امراض نساء	ـ بكالوريوس طب وجراحـــة ـ دبلوم دراسات عليـــا فـــي التخصص ٠	ـ لا تقل عن خمس سنوات في مجال التخصص بعد الحصول على الدبلوم
٤ ـ طبيب أسـنان	ـ بكالوريوس طب وجراحـــة الاسنان ويفضل الحاصل على دبلوم دراســات عليـــا في التخصص ٠	ـ لا تقل عن عشر سنوات في مجال التخصـص ٠
٥ ـ طبيب اشعة	ـ بكالوريوس طب تخصـــص أشـــعة ـ دبلوم دراسات عليـــا فـــي التخصص ٠	ـ لا تقل عن خمس سنوات في مجال التخصص ٠

● الراتب الشهري للوظائف المشار اليها في ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، بالريال القطري (٤٠٠٠) ـ (٤٧٥٠) وبراتب أساسي مبدئي (٤٠٠٠) ريال في الشهر ٠

ـ كما يمنح بالاضافة للراتب الشهري ما يلي :

(أ) علاوة بدل طبيعة عمل بمعدل (٢٠٪) من الراتب الشهري الأساسي ٠

(ب) علاوة بدل تنقل بمعدل (٦٠٠) ريال فـــي الشهر ٠

(جـ) سلفة مقـــدارها (١٥٠٠٠) ريال لشراء سيارة ، ويسدد هذا المبلغ على أقساط شهرية ٠

ثانيا : فنيون بادارة الصحة المدرسية :

الوظائف المطلوبة	الراتب الشهري بالريال القطري	المؤهل العلمي	مدة الخبرة في مجال التخصص
١ ـ فني أسنان	٢٣٥٠	ـ شهادة الثانوية العامة أو ما يعادلها + شهادة في تخصص صب المعادن وخصوصا في عمل الكروم كوبلت	ـ لا تقل عن ثلاث سنوات في صب المعادن وعمل الكروم كوبلت والقيام بالتركيبات الثابتة والمتحركة ٠
٢ ـ محلل مخبري ٣ ـ مساعد صيدلي ٤ ـ فني اشعة ٥ ـ ممرض ٦ ـ ممرضة	١٩٥٠	ـ الشهادة الثانوية العامة أو ما يعادلها + دراسة في التخصص المطلوب ٠	ـ لا تقل عن ثلاث سنوات في مجال التخصص بوحدات الصحة المدرسية أو المستشفيات الحكومية ٠

● بالنسبة لوظيفة (ممرض) تقبل طلبات حملة الشهادة الاعدادية العامة مع شهادة دراسة في التمريض، أما بالنسبة لوظيفة (ممرضة) فلابد أن يكون المؤهل شهادة تمريض أو دبلوم الزائرات الصحيات الاجتماعيات ٠

● كما يمنح بالاضافة للراتب الشهري ما يلي :

(أ) علاوة بدل تنقل بمعدل (٤٠٠) ريال في الشهر ٠

(ب) سلفة مقدارها (١٠٠٠٠) ريال لشراء سيارة ويسدد هذا المبلغ على اقساط شهرية ٠

شروط عامة :

١ ـ يمنح من يقع عليه الاختيار لشغل احدى هذه الوظائف كافة المزايا الملحقة بالوظيفة كالأجازة السنوية والسكن المجاني المؤثث بصورة مناسبة في حالة توافره لدي الدولة أو علاوة بدل السكن ونفقات السفر المجاني بالدرجة السياحية له ولزوجته ولثلاث من أولاده دون الثامنة عشرة ميلادية ومكافاة نهاية الخدمة وعلاوة بدل التنقل والعلاج الطبي المجاني ، وذلك كله طبقا للقواعد المقررة بقانون الوظائف العامة المدنية ولائحته التنفيذية بدولة قطر ، كما سيتم ايضاح هذه المزايا لكل وظيفة عند التعاقد ٠

٢ ـ تقدم الطلبات باسم وكيل وزارة التربية والتعليم/ الدوحة ـ قطر / ص٠ب / ٨٠ ويذكر فيها : الاسم الكامل ـ الجنسية ـ مكان وتاريخ الولادة ـ الديانة ـ المؤهلات العلمية ـ مدة الخبرة والوضع الاجتماعي (اعزب / متزوج) والعنوان الكامل ورقم الهاتف (ان وجد) ٠

٣ ـ يلصق بالطلب صورة شخصية لمقدم الطلب مقاس (٥ × ٦) سم ، كما يرفق بالطلب صورة عن شهادات المؤهلات العلمية والخبرة ، وهي غير قابلة لاعادتها لصاحبها ، على أن يكون مستعدا لابراز الشهادات لهذه المؤهلات والخبرات فور طلبها ـ ويكتب على زاوية المغلف (طلب وظيفة بادارة الصحة المدرسية) مع ذكر التخصص بالوظيفة ، اعلان رقم (٢) لسنة ١٤٠٠ هـ ٠

ـ هذا وسوف لا يلتفت الى الطلبات التي وردت قبل هذا الاعلان ٠

٤ ـ آخر موعد لقبول الطلبات (خلال شهر واحد من تاريخ نشر الاعلان) ٠

حكاية قصيرة جداً

النجمة والطفلة

ممنوع استعمال اى ضوء بعد الساعة السادسة مساء .... امر جديد . وظلام كانه الموت يلف البيوت والشوارع والساحات . ولكن الطفلة كانت تملك نجمة صغيرة .. ما ان ياتى المساء حتى تتالق بالضوء كانها اغنية من اغنيات الفرح . ويتوهج داخل البيت المتداعى ويتحول كل ما فيه إلى مخلوقات ساطعة . وعند النوم تاخذ الطفلة نجمتها فى حضنها وتنام . كانت صغيرة ولا تعرف الخوف . ولكن ابوها هو الذى كان يرتعد من الخوف .. كل ليلة حين تتالق النجمة كان يسرع لاغلاق الابواب والنوافذ واى ثقب يمكن ان يتسرب منه الضوء حتى ولو كان ثقب المفتاح . المشكلة ان الشرطى لا يملك نجمة .. ولا رئيس الشرطة .. والمشكلة ايضا ان الضوء محرم بقرار رسمى .. فى الصباح حين تكون النجمة مجرد حجر معتم صامت يفكر الاب فى كيفية التخلص منها .. ولكن فى المساء .. حين يشاهد الفرح فى عينى طفلته والضوء عتيد .. يتراجع عن كل ما فكر فيه ..

ليس من السهل ان تقتل نجمة .. هكذا كان الاب يفكر كل مساء ..

وفى هذا المساء الشتوى كان المطر غزيرا . والسماء تضىء رغما عنها بضوء البرق والبيت المتداعى يرتعد تحت عصف الريح . وكانت الطفلة فزعة فى اول الامر . وعندما تالقت النجمة زال فزعها . واخذ الاب يتلو الادعية .. ولكن الريح اشتدت فجاة وضربت النافذة ففتحتها على مصراعيها وقفز الضوء الى الشارع الضيق الموحل .. وهدا كل شىء .. توقف المطر .. وسكنت الرياح وامسكت المدينة انفاسها . ما اجمله من ضوء . واسرع الاب فاغلق النافذة وحجب الضوء . وجرى بالطفلة ونجمتها الى الغرفة الداخلية وجمع كل الاغطية الثقيلة ووضعها على النجمة ولكن الضوء الساطع لم يختف .. والنجمة لاتكف عن التالق ..

ودق الباب وحين فتح الأب .. وجد الشرطى واقفا يتامل البيت بشك واضح .. وقال ..

ـ ماذا هناك .. ؟ ..

قال الاب فى ارتباك ..

ـ إننى اقوم بالطهى ..

وقال الشرطى فى سخرية

ـ هل تقوم بالطهى على الضوء .. ؟

وانصرف مسرعا . فاغلق الأب الباب وعاد مسرعا الى ابنته . كانت قد اخرجت النجمة من تحت الاغطية الثقيلة واخذتها فى حضنها ونامت .. ووقف الاب حائرا وهو يرقب تلك الابتسامة الهادئة الوديعة على وجهها ..

وطرق الباب من جديد .. هذه المرة كان رئيس الشرطة شخصيا .. وخلفه الشرطى واخرون من رجال الشرطة .. ازاحه الرئيس من امامه .. وسار الى الغرفة الداخلية .. تامل الطفلة النائمة ثم صاح ..

ـ هيا ... استيقظى ..

ونهضت الطفلة فى فزع .. وتاملت وجه الشرطى .. ثم بحثت عن وجه ابيها .. ثم احتضنت النجمة المتالقة واوشكت على البكاء .. وقال رئيس الشرطة فى حنق ..

ـ كيف تجرؤين على امتلاك نجمة وتخالفين الاوامر ؟

واجهشت الطفلة فى البكاء . واحتضن الاب ابنته . وحاول ان يهدىء من روعها .. وقالت فى صوت باك متقطع ..

ـ ماذا يريدون منى يابى .. ماذا يريدون من نجمتى .. ؟

ولكن رئيس الشرطة كان مغتاظا .. تقدم الى غرفة الطفلة وصاح وهو يحرك اصبعه فى الهواء مهدداً ..

ـ كيف تجرؤين .. طفلة صغيرة مثلك تمتلك نجمة .. اعطنى هذه النجمة ..

انزوت الطفلة فى سريرها واحتضنت نجمتها اكثر .. وقال الاب معتذرا :

ـ إنها مجرد طفلة .. ياسيدى

ولكنه ازداد غضبا وصرخ

ـ اخرس .. سوف اقتلك .. كيف تخالفين اوامرى .. هيا .. اعطنى النجمة

كانت الطفلة اكثر تعقلا وهدوءاً .. مدت يدها واعطته النجمة فابتسم فى انتصار وهو يقبض عليها باصابعة .. لكن الضوء اخذ يخبو .. ويخبو فى يده .. والنجمة تتحول إلى قطعة من الحجر الصامت المعتم .. وساد الظلام .

واشعل رجال الشرطة عشرات العيدان مالبثت ان انطفات فاشعلوا غيرها وانطفات وتوهج وجه رئيسهم غاضباً اكثر من مره فصرخ فى غيظ بالغ ..

ـ خذوهم الى السجن .. الاب .. والطفلة .. والنجمة ايضا ..

وتقدم ستة من رجال الشرطة .. اثنان قبضا على الاب .. واثنان على الطفلة واثنان قبضا على النجمة وساروا جميعا عبر الشوارع المظلمة .. عبر الريح والمطر والوحل . عبر مدينة خائفة مرتعدة . وكان باب السجن واسعا كما هو الحال فى كل السجون ، وكانت الزنزانة ضيقة كما هو الحال فى كل الزنازين .. ادخلوا الاب اولا .. ثم الطفلة .. والقوا النجمة على الارض واغلقوا الباب وانصرفوا .. وهمست الطفلة بعد قليل ..

ـ ابى .. لقد وجدت النجمة .. نجمتى

ويلمح الاب قطعة صغيرة من الوهج .. بدأت النجمة تتالق فى يد ابنته .. يزداد ضوؤها قليلا كانها تولد من جديد .. وانتشر الضوء فى الزنزانة فهربت العناكب والحشرات .. وخرج الضوء من تحت الباب وملا طرقة السجن .. تسلل الى الزنازين المجاورة فاستيقظ السجناء .. وخرج الضوء من النافذة فاستيقظت العصافير .. ولم يجرؤ احد من الحراس على القاء اى اوامر .. وتوقف المطر قليلا ..

● تصبح الثورة عندما تقوم قيامتها هي الزمن والوجود والتاريخ بعدما كانت مجرد برهة تاريخية فيفقد الشعر قدرته عل النطق في هذه القيامة ويبقى فاقدها الى ان تبتعد البرهة التاريخية فيستعيد الشعر آنذاك صوته فيصبح هو ديمومتها او هو اياها .

« عبد الوهاب البياتي »

● كثيرا ما سمعنا الشعراء الرجال يتغزلون بالمراة .. والآن جاء دور المراة لتتغزل في الرجل .. انني احاول من خلال اشعاري الغزلية رد الجميل لشعراء الغزل .

« الشاعرة العراقية لميعة عمارة »

ناجي

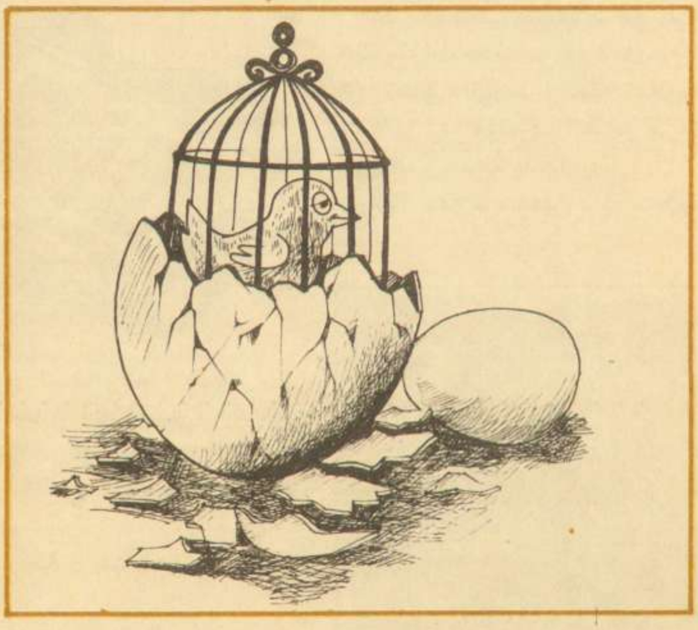

حل مسابقة من . أين . ما
شهر فبراير ١٩٨٠

من :

كارل ماركس

أين :

السودان

ما :

عرق سوس

١ ـ ادوارد سخاو

٢ ـ ١٩٠٦

٣ ـ ٩٠ درجة

٤ ـ كندا

٥ ـ غير صحيحة

٦ ـ كلارك ماكسويل

٧ ـ ١٩٥٠

٨ ـ في حدة الحد بين الجد واللعب لأبي تمام بعد فتح عمورية

٩ ـ الازرق والاصفر

من . أين . ما

من :

ضابط شاب خطير لعب دورا كبيرا فى تاليب العرب على الاتراك فى الحرب العالمية الاولى وامتنع عن قبول وسام من دولته لتحيزها لليهود واصدارها وعد بلفور الذى كان بداية قيام اسرائيل . اسمه مكون من ستة احرف :

٢ـ٣ـ١ اسم حيوان زاحف

١ـ٦ـ٤ـ٥ عضو فى راس الحيوان

اين :

جزيرة يقال ان عصابات المافيا نشات فيها من فلول العرب الذين قاوموا الغزو النورماندى لها اسمها من خمسة احرف :

٣ـ٢ـ٤ عثر على

١ـ٥ فعل امر بمعنى اسكت

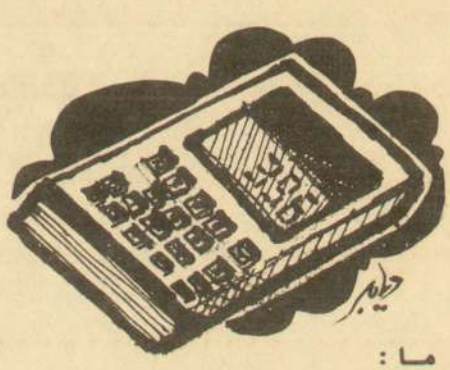

ما :

جهاز من نتاج التكنولوجيا المعاصرة لو احسن العرب استخدامه لجعلوا مستقبل اجيالهم فى امان من الانحلال والتدهور والضياع . اسمه مكون من ثمانية احرف :

٦ـ٥ـ٣ـ٤ـ٧ـ٨ يصنعون نقودا مغشوشة .

١ـ٦ـ٢ نبات ذو الياف للنسيج

الجواب الصحيح

١) ضع كلمة تاريخية قديمة تناسب كل كلمة مما يلى :
منارة ـ برج ـ سفينة ـ عصا ـ ناقة .

٢) « الف ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة فى القرن الرابع الهجرى ».
هل هذه العبارة صحيحة ؟

٣) كان الدكتور احمد زكى مؤسس مجلة العربى الكويتية، رحمه الله ،استاذاً فى مادة :
القانون ـ الجغرافيا ـ الكيمياء ـ الأدب العربى .

٤) مؤلف كتاب (القانون المسعودى فى الرياضيات) هو العلامة المسلم :
على مصطفى مشرفة ـ أبو الريحان البيرونى ـ محمد مرسى احمد .

٥) تحقق لليهود إقامة كيانهم فى فلسطين بعد مؤتمرهم الشهير فى مدينة بازل السويسرية بمقدار :
مائة سنة ـ سبعين سنة ـ خمسين سنة .

٦) معلقة امرىء القيس من بحر الشعر :
الطويل ـ الرجز ـ الوافر

٧) العلامة الدميرى مؤلف كتاب حياة الحيوان كان عربيا من :
تونس ـ مصر ـ العراق ـ زنجبار .

٨) الفيل والدلفين ينتميان إلى مجموعة من الحيوانات ماهى ؟

٩) فى الامبراطورية الاسلامية كانت افغانستان جزءا من اقليم :
النهروان ـ خراسان ـ سجستان

١٠) ثلاث مواد من الآتية تتكون من عنصر واحد :
الجرافيت ـ الكبريت ـ الماس ـ البزموث ـ الفحم ـ السليكون

نتيجة مسابقة شهر فبراير ١٩٨٠

● فاز بالجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك مجاني لمدة ستة أشهر القاريء : محمد القاضي ـ المغرب

● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك مجاني لمدة ستة أشهر القاريء : عبد الحق محمد ـ قطر

● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطري واشتراك مجاني لمدة ستة أشهر القاريء : محمد علي العمودي ـ تونس

الفائزون باشتراك مجاني لمدة سنة

أحمد الادريسي ـ المغرب
محمد محمود حمد ـ سوريا
منير موسى حمزة ـ مصر
رياض نوري محمد الموسى ـ الاردن
عبد المنعم محمد محجوب ـ ليبيا
أحمد الحاج جلال الدين ـ السودان
ابراهيم كداس ـ سوريا
مصطفى علي سعود ـ مصر
محمد لطفي الخوالدة ـ الاردن
عمر شريف علي ـ الخرطوم
صائب جمال سليم ـ الاردن
نبيل ابراهيم محمد جادين ـ الاسكندرية

حاول أن تعرف

مطلوب تعليق

مثل كل البسطاء يخرج فى الصباح إلى العمل .. فقد تعود على هذا المشوار كل يوم لادراكه بأن الدنيا ارزاق .. حاول أن تكتب تعليقا من وحى الصورة .

ما اسم المدينة

مدينة اوربية ، شهدت لقاءات لعدة زعماء من دول عدم الانحياز .. يعتبر رئيسها احد ابرز الزعماء الذين ساهموا فى مولد هذه الحركة ..

كاريكاتير وتعليق

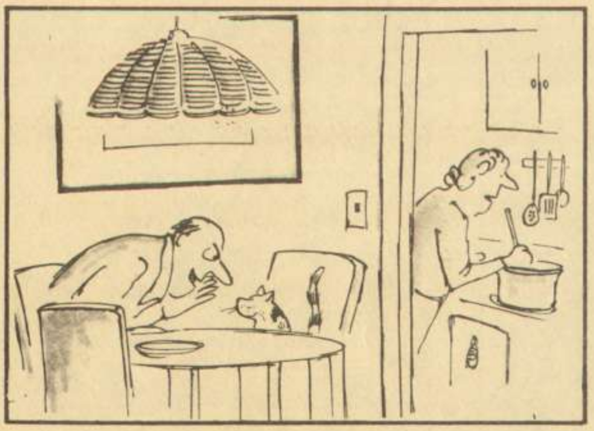

ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال

حل مسابقة حاول أن تعرف عدد ٥٠

اسماء الفائزين

التعليق على الصورة الاولى :

● متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا !!

ابراهيم احمد محسن ـ البحرين

● ولكن ! هل سينتظر القناص حتى نجد تعليقا لهذا الموقف ؟!

ماهر رحمون ـ سوريا

التعليق على الصورة الثانية :

مدينة اغادير بالمغرب

ناجي محمود السيد ـ مصر

ليلى الطاهر ـ قطر

اسماء الفائزين في مسابقة كاريكاتير وتعليق العدد ٥٠

الببغاء : ـ منذ ان تزوجك سيدي ، وانت لا تعطيني الفرصة لأنطق بكلمة واحدة !

خالد ناصيف ـ سوريا

● السيدة : هل حقا تستطيع الكلام ؟..

الببغاء : وهل تستطعين انت الطيران ؟..

ماجدة حسن ـ القاهرة

● الببغاء : غريبة ! يخلق من الشبه اربعين !

انوار الحايكي قطر

● الببغاء : لماذا تنظرين الى باستغراب ؟ الم تر احدا يشبهك من قبل ؟..

سليمان الكرد ـ مصر

● لا تحمل الامس فوق ظهرك ، لانك لو فعلت ، فسوف تسير وحدك محني الظهر وسط هامات عالية . فالامس موت ، وغدا حياة .. والموتى لا يعودون .

« بلزاك »

● نحن لا نستطيع ان نتوقع من ارنب صغير ان يصنع ما تصنعه الاسود .

« أديث شتاين »

● انني اومن – بقوة – في العمل من اجل شراء كعكة لذيذة لأضعها امام من احب . ولقد امضيت حياتي كلها اطبق – بجشع – هذا المبدأ .

« آنجيلا تريكل »

● اننا نعيش لنتعلم ، ولكن عندما يجيء الوقت الذي نشعر فيه اننا قد تعلمنا ، نجد انه لم يعد في العمر بقية .

« كارولين ويلز »

● اعاجيب الدنيا كثيرة . ولكن اعظمها على الاطلاق هي الانسان نفسه .

« سوفوكليس »

سعاد بحراوي المحمدية – المغرب

تأمين

الاول : سيارتي ٢٠٠٩ لقد اشتريتها من تعويضات التامين التي حصلت عليها بسبب السيول ، وانت من اين اشتريت سيارتك ؟

الثاني : لقد اشتريتها ايضا من تعويض التامينات على خسائر الحريق !.

واردف بعد قليل قائلا :

– ولكن قل لي كيف استطعت ان تحدث السيول ؟.

سيد آدم
السودان

لقطة الشهر

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال
القارىء هشام مصطفى عبد الله – الاردن

تقاليد عن الزواج

العريس المنتظر

الشخص المرشح للزواج في اقليم يوسينا بوسط يوغسلافيا يعامل بطريقة مهذبة للغاية . فهو يدعى الى حفل عشاء في منزل الفتاة حيث يناقش موضوع الزواج وامكانياته المادية . وفي آخر الحفل تقدم له القهوة .. فاذا كانت محلاة بالسكر فهذا يعني انه مقبول كعريس .. واذا قدمت القهوة سادة .. فهم العريس ان عليه ان يبحث عن عروس اخرى ؟!

تقليد غريب

في احدى جزر المحيط الاطلنطي تقليد غريب فالفتاة التي تصل الى سن الزواج تضع خلف اذنها اليمنى وردة حمراء . وذلك اذا كانت ترغب في تلقي عروض الزواج . اما اذا وضعتها خلف اذنها اليسرى .. فمعنى ذلك انها لا ترغب في الزواج او انها مخطوبة او متزوجة ..!!

الكوتشينة العجيبة!

اوراق الكوتشينة مصممة حسب ارقام تقويم السنة على النحو الآتي : في السنة اربعة فصول وانواع الكوتشينة اربعة وفي كل فصل ٣ شهور وفي الكوتشينة ثلاثة انواع من الصور . في السنة ١٢ شهرا وفي الكوتشينة ١٢ صورة .

في السنة ٥٢ اسبوعا واوراق الكوتشينة ٥٢ ورقة . في اليوم ٢٤ ساعة وفي الكوتشينة ٢٤ نقطة في ١٢ صورة كل اثنين منها في صورة . في كل يوم ليل ونهار وفي الكوتشينة لونان اسود واحمر في الشهر ٣٠ يوما هي مجموع الارقام المزدوجة . في الساعة ٦٠ دقيقة هي مجموع الارقام المزدوجة الحمراء او السوداء .

عماد الدين موافي
مصر الجديدة

نصيحة للزوجات !

يجب على الزوجة ان تكون:
كالساعة الدقيقة في محافظتها على الوقت .

كالسلحفاه تؤثر سكنى بيتها فلا تبارحه .

كالصدى تجيب على كل ما يوجه اليها من حديث .

- ولكن يجب ان تختلف عن الساعة في اسماع صوتها لاهل المدينة كلها ، وعن السلحفاة في حمل كل ثروتها على ظهرها ، وعن الصدى في ان يكون دائما صاحب الكلمة الاخيرة .

ياسين صويلح
سوريا

رقابة من على البعد!

فرغ الزوج الذي سافرت عنه زوجته من اكمال هندامه للذهاب الى الحفل الذي دعي اليه ، وادخل يده في جيب بذلته الانيقة ليجد ورقة كتب عليها :

انت الان في كامل زينتك ، وترتدي احسن ثيابك .. فالى اين تريد الذهاب ؟..

مكرم بكير
المغرب

العكس تماما !

سال الشاب الفتاة التي يريد ان يتزوجها بعد ان زار اسرتها في اليوم السابق .

- والان ما راي والديك في شاني ؟

قالت الفتاة : لا ادري ..

قال : كيف ..؟ اليس لهما راي ؟

قالت : المسالة ان ابي لم يصرح بعد برايه وامي تنتظر ما سيقوله ابي لتقول عكسه تماما !

بفاشي عبد الحكيم
الجزائر

من كل نبع قطرة
بقلم : كمال عمار
العدد القادم

الورقة الأخيرة

من جديد

حول الحب والعقاب

الضجة التى ثارت على صفحات الجرائد ، لم يهدأ غبارها بعد ..

هناك انسان فى السجن .. ارتكب جريمة بشعة .. والناس يطالبون برأسه ؟ .

والحقيقة اننى لا أعنى فى هذه القضية بالجانب القانونى لأن القانون قوالب جامدة والحياة ، دائما ، اغنى من النظريات ومن القانون . ولكنى أعنى بالجانب الانسانى وبالموقف الحضارى من مشكلة الجريمة والعقاب . منطلقاً فى ذلك من مفاهيم علم النفس ، مفاهيم الربع الأخير من القرن العشرين . لأن الجريمة ليست تصرفاً لنفس شريرة ، فليس هناك نفوس شريرة ، ولكنها افراز اجتماعى للتشكيلة الموجودة .

من جديد نعود الى المسألة الانسانية الرئيسية ، وهى العلاقة الجدلية بين الحب والعقاب .

سبق لى أن كتبت فى هذا الموضوع منذ أكثر من عام ، وتعرضت بسبب ما كتبته الى اللوم من قبل بعضهم . وقلت آنذاك أن العقاب ، كمؤسسة حقوقية ، أثبت افلاسه تاريخياً لأن المجتمع عندما يستعمل السوط والنطع لردع الناس ، فانه يضع المسألة على رأسها بدلا من أن تمشى على قدميها ؟.

فالجريمة نتيجة اجتماعية لأسباب عميقة ، والعقاب يعنى اننا نسارع الى اطفاء الحريق دون أن نزيل أسباب الحريق .

ليس دفاعاً عن الجريمة ، ولكنه بحث فى وسائل منعها واستئصال جذورها . نحن هنا أمام جريمة جنسية ، ناتجة عن البؤس الجنسى الذى يلقى بثقله على الناس جميعا . والكبت الجنسى هو فى اساس جميع الانحرافات ، ووراء جميع الامراض العصبية التى يعانى منها الناس ، لأن الطاقة التى لا تجد المجرى الصحيح لتصريفها ، سوف ترتد وتؤثر على كافة نشاطات الانسان . بل اننى اذهب الى ما هو ابعد من ذلك فالمجتمع الذى يعانى من الكبت ولا يجد الحل الانسانى له المتمثل فى الزواج وقداسة الاسرة وترابطها يخلف افرادا غير قادرين على التفكير السليم ، مشوهين داخلياً ، وذوى ميول عدوانية .

وإذا كان من المتفق عليه أن الاحكام تتغير بتغير الازمان ، فان من المفيد جدا أن نستذكر من جديد .. ان الظروف هى التى تصنع الانسان وانه إذا كانت الظروف هى التى تصنع الانسان فيجب أن نوجد ظروفـاً انسانية لا تنمو فيها الجريمة

ومادام الاكثرية يعيشون فى ظروف غير انسانية فان من العبث ان نطلب إليهم أن يتصرفوا بأكثر مما تمليه عليهم ظروف حياتهم القاسية . ماذا يستفيد المجتمع إذا قطف رأس انسان ؟؟ .

الـــردع ؟

اقولها بكل صراحة ، ان الردع لا يردع احداً ، ولو كان العقاب مانعاً للجريمة لزالت الجريمة من حياة الناس .

ان الاحصائيات والارقام هى المقياس ، فالجرائم فى العالم فى تصاعد مستمر ، والسلطة لا تدخر نوعاً من العقاب لمواجهة الخارجين على المجتمع ونظمه واخلاقياته ، وانتاج المصانع من القيود والحديد والخيزارانـات يتزايد كل يوم ويحقق ارباحا خيالية للمساهمين فيها . ولكن صدقونى فان حجز حرية الانسان أو قطف راسه ، أو جلده . كل ذلك قد يطفىء الحريق ولكنه لن يمنع اندلاع حريق آخر .

ومن جديد ، أرى التساؤل فى عيون الجميع ... أراكم تقولون :

ولكن ، إذا الغى العقاب اصبحت الدنيا فوضى . وأكل الناس بعضهم ..

وأنا اقول لكم اطمئنوا فلن يأكل الناس بعضهم لأن البديل الوحيد للعقاب هو الحب بمعناه الانسانى الواسع . هو مخاطبة العنصر الانسانى فى الانسان .

القمع ووسائل العقاب اشياء ورثناها عن انسان الغابات .

وإذا اردنا ان ننتهى إلى الأبد من عنصر الانسان الدابه ، وأن ندخل عصر الانسان الانسان . فيجب أن نبحث عن القبس الخير الموجود فى أعماق كل انسان وان نحول هذه الجمرة الخافتة تحت الرماد الى لهيب يضىء آفاق السماء ...

انك لن تستطيع أن تأخذ من الانسان أكثر مما تطلب منه .

وبصورة أدق فان من الضرورى كخطوة اولى تحويل الظروف الاجتماعية البائسة التى يعيش الناس فى ظلها ، الى ظروف انسانية ، وستجدون أن الخير لا يمكن أن يكافأ إلا بالخير .

وان الثقة بالانسان هى كلمة السر ، هى افتح ياسمسم ، التى ستطلق المارد من القمقم وتحرك الجبال ، وعندها لن تكون هناك حاجة الى القضاة والمحاميـن . وسنسجل اسماءنا فى سجلات العاطلين عن العمل .

وربما الف كتاب فى المستقبل عن هذه المهنة التى كانت سائدة فى عصر سابق . حيث لم يكن الانسان قد أكتشف انسانيته بعد

واتخيل ، بعد مئات السنين ، عندما تغلق السجون وتحول إلى متاحف ، اتخيل معلمة صبية شعرها كذنب الفرس ، تدور مع تلاميذها فى الحدائق ، يقطفون الزهور وتقول لهم :

كان ياما كان ، فى سالف العصر والآوان ، سجون ومحامون وقضاة وسجانون وكان الجلاد يقف بسيفه يقطع الرؤوس .

ويشهق التلاميذ وتغرورق عيونهم الصغيرة بالدموع ويصلون لراحة اجدادهم الذين كانوا على هذه الدرجة من البربريـــة ؟ .

بقلم المحامى : مصباح الغفرى

نة الخامسة ـ العدد ٥٣ ـ جمادى الثانية ١٤٠٠هـ مايو ١٩٨٠م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربى والثقافة الانسانية

فى وادى حضرموت

استطلاع مصور
بقلم
روبرت ستيفنز

شمس العرب بديل جديد للطاقة

د. أحمد إسماعيل

الرجل والنملة

أحدث قصة قصيرة
بقلم
يوسف إدريس

مقال
لم ينشر
من قبل
للعقاد

اينشتين على المائدة

بيبسي

الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة قطر

مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة

قطر ٣ ريالات ، البحرين ٢٥٠ فلسا ، الامارات العربية ٣ دراهم ، عمان ٢٠٠ بيزة ، الكويت ٢٥٠ فلسا ، السعودية ٣ ريالات ، الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا ، جمهورية اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا ، العراق ٢٥٠ فلسا ، الاردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش ، لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٢٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، الجماهيرية العربية الليبية ٣٠٠ درهم ، تونس ٣٠٠ مليم ، الجزائر ٣ دنانير ، المغرب ٣ دراهم ، باقي دول العالم مايعادل دولارا واحدا .

الاشتراكات : للافراد : داخل قطر : ٣٦ ريالا قطريا . بالدول العربية : ٤٢ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٤٨ ريالا قطريا .

للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات : داخل قطر : ٧٢ ريالا قطريا . بالدول العربية ٧٨ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٨٤ ريالا قطريا .

الاعلانات : يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الدوحة

رئيس التحرير
الدكتور محمد ابراهيم الشوش

خبير شئون الخليج : د. محمد جابر الانصاري

هيئة التحرير

مدير التحرير
عبد القادر حميدة

المدير الفني
محمد أبو طالب

المحرر العام
كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج
مرزوق بشير

التحرير العام
النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
نادية رزق

سكرتير التحرير
نبيل خالد الآغا

البحوث والمعلومات
مبارك عثمان العشي

الإشراف الفني
محمد نبيل حداد
نائلة فتحي

سكرتير التحرير الفني
أحمد عبد الله
علي دياب

مايو ٨٠

العدد ٥٣

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ــ الدوحة ــ قطر
العنوان البرقي : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير: ٢١٢٢١
مدير التحرير: ٢١١٢١
التحرير ـ ٣٢١٢٧٥ ـ ٣٢١٢٧٦
٣٢١٢٧٧ ـ ٣٢٣٧٧٨
القسم التجاري :
٣٢١٨٥٧ ـ ٢٦٨٤٦
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

هذا العدد

حياتنا المعاصرة

استطلاعات

ادب وادباء

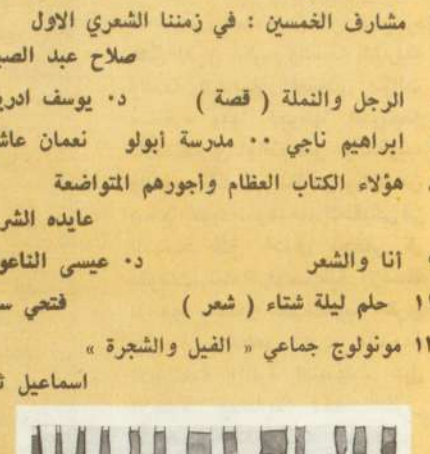

الدوحة المدينة والدوحة المجلة : كلتاهما تفتح ذراعيها للمفكرين العرب بلا حدود .

لاتقف دولة قطر عند حدود البث الفكرى العربى فقط عبر وسائلها الاعلاميةالرصينة . ولاتعنى فحسب بمد الجسور الثقافية بينها وبين مختلف الخبرات من شتى بلدان الوطن العربى . إنها ـ دولة قطر ـ وفى ضوء من تعدد الانشطة الاقتصادية والثقافية والفنية ، تعى أن المفكرين والاخصائيين العرب ، لا ينبغى فقط أن يقرءوا أو يسمعوا عن دولة قطر ما يكتب عنها أو منها . مثلما لا ينبغى فقط أن تقرأ لهم دولة قطر ، وأن تسبر اغوار فكرهم وثقافتهم وتخصصاتهم من خلال الكلمة المكتوبة والمسموعة والمرئية . ومن هنا تأتى عناية الدولة باستقدام المفكرين والعلماء والخبراء والكتاب والشعراء والفنانين العرب . فليس أجدى من تبادل الحوار مباشرة ـ بالعين والعقل واللسان ـ بينهم وبين براعم الحياة والشباب فى هذه الدولة التى تجذب مستقبلها بكل وسائل الخصب فى العصر الحديث . وتلك خطة فى ضميرها إثراء الحياة العربية العامة ، وتهجينها بحصاد ومنجزات العقل العربى المتقدم . بل هى على وجه التحديد خطة هدفها مزج العقل العربى المفكر بكل تراث هذه الامة التى كانت خير أمة اخرجت للناس .

نقول هذا وفى ذكرياتنا البعيدة والقريبة تلك المؤتمرات العربية فى كل جوانب البحث والموضوعات المتصلة بقضايا الساعة والمستقبل تتنفسبها مدينة الدوحة عربيا ، بين الحين والحين ، تعبيرا عما يجيش بصدرها من صفاء الأحلام لخير الأمة العربية . وفى ذكرياتنا كذلك تلك الأمسيات الفواحة بعطر الشعر والأدب والفنون فى ليالى الدوحة ، وعلى صفحات الدوحة ، ليس آخرها أمسيات الشاعر الكبير محمد مهدى الجواهرى ، الذى يعيد للشعر العربى فروسية القصيدة العمودية ، ولن يكون آخرها أيضاً أمسيات الشاعر الكبير صلاح عبد الصبور ، الذى يملأ ليالى الدوحة هذه الايام بأصفى وارق وأدفا الأغنيات من أجل الانسان .

الدوحة

فنون

أبواب القراء

مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبية والروحية بين الدوحة واصدقائها المساهمين فى تحرير ابواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافآت رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية ١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

رايت . سمعت . قرات ٦٠ ريالا

دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحرير ابواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجي ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية .

طبعت بمطابع علي بن علي

حـول الحب والعقـاب

(● ابراهيم باجس احمد
الجامعة الاردنية ..

ــــ ــــ ــــ

اننى احد قراء هذه المجلة منذ فجر ولادتها ، ولكنى كنت اقرا المقالات وابدى اعجابى بها بينى وبين نفسى ، وكم همست مرات ومرات بأن ارد على بعض المواضيع أو ابدى إعجابى بها أو انقد بعضها ، لكنى هذه المرة قررت أن اكتب إليكم وذلك لشدة اعجابى بالعدد (٥٢) . ونظرا لما جاء فى طياته من مواضيع علمية وادبية غنية بثرواتها ومعلوماتها القيمة . لكنى اخص بالذكر « الورقة الاخيرة التى تحمل عنوان (من جديد حول الحب والعقاب) للمحامى مصباح الغفرى ، فاننى اود أن اقول أن الاستاذ مصباح قد عرض مقالته بطريقة جيدة وطرح افكارا قد يستهزىء بها الكثيرون إذا قرأوا مقالته بسطحية ولم يتعمقوا مغزاها وخاصة اولئك الذين لا يعرفون من العلوم الانسانية شيئا وخاصة علم النفس واقولها صريحة بان كل كلمة كتبها الاستاذ مصباح جاءت فى موقعها الحقيقى وفى زمانها بالذات ويجب علينا أن نحول مثل هذه الافكار الى حقيقة واقعية بدلا من أن تظل مطبوعة على صفحات من الورق ولابد لهذا العالم أن يتوقف عن صعوده نحو الهاوية واقول كذلك بان انزال العقوبة على الشخص المرتكب للجريمة هى جريمة بحد ذاتها وكاننا بعملنا هذا نطفىء النار بالزيت ولابد يا استاذ مصباح ان يحصل ما توقعته ونصبح عبرة بل وموضع سخرية ، من الاجيال التى ستقرا عنا اننا كنا نقلم الرؤوس كما نقلم اغصان الاشجار ، ولابد ان يشهق التلاميذ وتغرورق عيونهم الصغيرة بالدموع على اجدادهم الذين كانوا على هذه الدرجة من البربريـة !! .

لـيس دفـاعـا عن العقـاب

بقلم المحامى : موسى فهـد

لايختلف اثنان فى ان الجريمة افراز اجتماعى ، يعكس رفض الفرد لبعض ضوابط المجتمع ، ووصف الجريمة بالافراز الاجتماعى يوضح لنا دوافعها التى غالبا ما تجد جذورها فى المجتمع نفسه ، ولكن الغاء دور من اخرج هذا الافراز الى حيز التنفيذ بارادة ، لا يستقيم مع العلاقة الجدلية بين الحب والمجتمع التى هى اعمق جذورا وارسخ اساسا من العلاقة الجدلية بين الحب والعقاب ، فالانسان اجتماعى بطبعه ، ولم يكن كذلك إلا للضرورة التى اقتضتها الحياة المشتركة التى تهدف الى البقاء والامن ، فقد كان حب الانسان لمجتمعه تعبيرا عن رغبته فى ترسيخ بقائه ، وليس نظرية « العقد الاجتماعى » التى جاء بها « روسو » إلا تصويرا منطقيا لهذه الرغبة فى البقاء المبنية اساسا على ضرورة اشباع الحاجات ، والجريمة بهذا المنظار لا تعدو ان تكون خروجا اراديا على هذا الالتزام الهادف الى البقاء الأمن لكل فرد فى المجتمـع .

ان القول بأن الجريمة هى وليدة الظروف الاجتماعية قول مقبول بتحفظ فالظروف الاجتماعية هى الدافع للجريمة وليـس صانعتها ، ذلك أن الجريمة كفعل لابد لها من ارادة ، وهذه الارادة هى التى تخرج الجريمة الى حيز الوجود ، والمجرمون فى مجتمع ما هم بعض مما تؤثر فيهم هذه الظروف الاجتماعية ، ولو كانت هذه الظروف هى التى تصنع الجريمة لالفينا غالبية المجتمع من المجرمين .

ان نظرية العقاب « كرادع » سواء كان الردع للفاعل بهدف عدم العـود (كالسجن مثلا) أو كان المقصود بالردع المجتمع ممثلا بافراده ، نقول ان هذه النظرية قد بدأت منذ زمن طويل تفسح المجال لنظرية اخرى لتحل محلها هى « نظرية الاصلاح » ، فقد اصبحت فكرة اصلاح المجرم هى المعنية بالعقاب فى ايامنا هذه واصبحت فكرة الايلام الجسدى او المعنوى فكرة يتردد الكثير من صناع القوانين ومنفذيها فى قبولها إلا بالقدر الذى يحقق فكرة الاصلاح .

يؤيد هذا المنحـى أن عقوبة الاعدام ـ وهى اخطر انواع العقاب ـ لم تعد مقبولة على المستوى الانسانى ، وان العالم يحث الخطى فى سبيل الغائها وان السجن قد اصبح مؤسسة تعليم وتاهيل وتقويم وتهذيب . وقد نجحت تجارب السجون المفتوحة حتى فى بعض المجتمعات النامية .

ان الدعوة إلى مجتمع ليس فيه سجون ومحامون وقضاة دعوة طوبويه كالدعوة الى وجود مجتمع بدون قوانين ـ (إلا إذا اغرقنا فى الفذلكة لنقول إن عدم وجود القانون هو فى حد ذاته قانون) ـ والقول بذلك يسلتزم وجود مجتمـع يتماثل ويتطابق فيه الافـراد وانماط سلوكهم وتتساوى فيه رغباتهم وحاجاتهم ، الأمر الذى يخالف التركيبة الخلقية الطبيعيـة لبنى البشر .

فكما لكل كائن بشرى تركيب « بصمات » يختلف عن سائر بصمات البشر الآخرين ، فلكل كائن بشرى رغباته وحاجاته التى تختلف فى الدرجة عن رغبات وحاجات الآخرين ، كما ان لكل كائن بشرى تفكيره وتقديره واسلوبه فى فهم الامور وقياسها ، الامر الذى يجعل من مؤسسة القانون الحاوية لمؤسسة العقاب ضرورة حتمية لبقاء المجتمع البشرى ، والقـول بغير ذلك دعـوة الى الفـوضى .

إسـلاميـات

(● احمد عبد المقصود عجيلة
الحضرة البحرية ـ الاسكندرية

ــــ ــــ ــــ

قرات بامعان شديد ما كتبه الدكتور « عبد الجليل شلبى » تحت عنوان « المستشرقون والاسلام » بعدد ابريل ١٩٨٠ من مجلة الدوحة الغراء حيث تعرض لنماذج من كتابات المستشرقين المسمومة تجاه الاسلام وكيف أن المبشرين يعتمدون على هذه الكتابات الحاقدة فى أداء رسالتهم الخبيثة .. ثم عرج على بعض التراجم الخاطئة للمستشرقين ومنها ترجمة للقرآن الكريم مشحونة بالاخطاء لكل من الكاتبين « بل وأربيرى » هذا بجانب الافتراءات على شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فافتروا على الله كذبا .

والقرآن الكريم حدثنا عن حقدهم فقال :

« إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليحيدوا عن سبيل الله فينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » واسال المولى عز وجل ان تجـد هذه القضية التى طرحها الكاتب المتابعة من المفكرين والكتاب المسلمين المنصفين لان المؤامرة علىَ القرآن الكريم والسنة الشريفة واللغة العربية الفصحى مازالت مستمرة ولها خيوطها المرتبطة بالاستشراق ، والتبشير ، والتغريب والغزو الفكرى والثقافى وكلها من صنع اليهود .. وهدفهم الحقيقى فى النهاية خلق اجيال تحتقر كل مقومات الحياة الاسلامية الاصيلة لذا فهم يعملون على تشويه القرآن والسنة والطعن فى الشريعة الاسلامية وإثارة الشبهات حول الاسلام ومحاربة لغة القرآن والعقيدة والثقافة لغة الألف مليون مسلم ..

ويمكن التصدى لهؤلاء الحاقدين على الاسلام والمسلمين عن طريق اجهزة متخصصة يقوم عليها دعاة متخصصون من كبار علمائنا المسلمين ويملكون ولو لغة اجنبية واحدة على الاقل لتمكنهم من دحض هذه الافتراءات

والتشويشات ليردوا كيدهم وليكشفوا زيفهم ، ولكى يبينوا للناس حقائق الاسلام النورانية الجليلة .

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

* احمد عبد المقصود عجيلة

● يوسف حمدين سالم
جامعة عين شمس ـ القاهرة

انتهز الفرصة لابلغكم اعجابى بما تتناولونه من موضاعات وقضايا تهم الفكر العربى كما تهم الانسان المسلم فى كل مكان ، واناشدكم الافاضة فى تناول وطرح قضايا المجتمع الاسلامى فى مرحلة ظهرت فيها الحاجة ملحة لبلورة الشخصية العربية الاسلامية بوضوح ودقة حتى تتضح الرؤية امام الشباب العربى الذى اصبح نهبا للغزو الثقافى من الغرب ومن الشرق معا وهو يستسلم لهذا الغزو دون ان يدرى أن الهدف الحقيقى هو محو شخصيتنا الثقافية والفكرية والتى إن تحددت معالمها لقامت بالدور القيادى الرئيسى فى رقى الانسان ماديا وفكريا فى وقت عجزت فيه الفلسفات المادية عن تحقيق تلك السعادة والرفاهية .

* يوسف حمدين سالم

(● احمد عيد عطيات
عمان ـ الأردن

اننى كشاب من الامة الاسلامية اشكر لكم جهدكم الذى تبذلونه فى ايجاد الوعى عند الشباب المسلم .. وذلك بما تقدمونه .. عن الاسلام فى مقالات عديدة ... ولاسيما مقالات السادة : محمد البهي وعون الشريف واحمد بهجت و انور الجندى وغيرهم ... وانا إذ اشكرهم ايضا ... إلا أن لى كلمة حق فى الموضوع الذى كتبه الاستاذ احمد بهجت فى العدد ٤٩ تحت عنوان (هذا المد الاسلامى الى اين يمضى) وقد اجاد الاستاذ احمد بهجت فى مقاله فاثابه الله ... إلا انه على علمه ووعيه الواسعين وقع فى بعض الهنات ومنها :

ـ التدرج فى التشريع .. ذلك ان الاسلام نزلت احكامه حلولا لمشاكل قد وقعت بالفعل .. ولم يكن من الممكن ان تنزل قبل حدوث تلك الوقائع (المشاكل) اما اليوم فالمشاكل واقعة ... فلا داعى للتدرج ولابد من تطبيق الشرع كله ...

ـ ما سماه الاستاذ احمد بالديموقراطية الحقيقية او جوهر الديموقراطية قائلا انه كان موجودا فى عهد الخلفاء الراشدين (رضى الله عنهم) ليس بصحيح .. فالديموقراطية لم ولن تكون فى الاسلام ذلك انها مفهوم غربى تقوم على فكرة ان « السيادة للشعب » والحريات الاربع (حرية التدين ، والتملك ، والراى ، والحرية الشخصية) هذه مخالفة للاسلام ... فالسيادة (حق التشريع) فى الاسلام هى لله عز وجل ...والحريات لا وجود لها إذ ان الاصل فى الافعال هو التقيد بالحكم الشرعى ، ومخالفة الحكم الشرعى هو مخالفة للشرع . اما الامثلة التى ضربها الاستاذ احمد كقصة (عمر والمراة) او عمر والاعرابى والثوب وغيرهـا فهى من باب المحاسبة ... والمحاسبة هى اصطلاح اسلامى .. وهى فرض على الامة تجاه الحكام .

* احمد عيد عطيات

صفد .. زنبقة الجليل

تلقت المجلة العديد من الخطابات والمكالمات الهاتفية ـ من داخل قطر وخارجها ـ حول موضوع « صفد .. زنبقة الجليل » .

وقد تركزت اهتمامات الاخوة والاخوات الذين خاطبونا على اتهامنا بالسهو والتقصير فى ذكر اسماء بعض العائلات الصفدية اننا عبر عنوان « وجه مدينة من فلسطين » نحرص على تقديم اقصى ما نمتلك من امكانات محدودة لتقديم اوضح الصور وانقاها عن كل المدائن الفلسطينية ، وان ما نذكره من اسماء بعض اشهر العائلات انما هو بمثابة نموذج ليس إلا .

نبيل خالد الأغـا

العـالم العـربي

من حسين سعيد حسين عمار
جامعة المنيا ـ مصـر

هذه الرسالة محتواها اجلال للدوحة وموافقة فى الراى للاستاذ الدكتور محمد جابر الانصارى لما كتبه فى زاوية الراى فى عدد مارس ١٩٨٠ من الدوحة تحت عنوان « من المسالة الكروية إلى المسالة الاتحادية » .

إن الوحدة العربية لا شك اصيلة ..فالاسلام يجمعنا ..واللغة العربية تدمجنا .. والحضارة الواحدة تضمنا .. والمصير المشترك يوحدنا .. والهدف الواحد يربطنا .

فالطريق الى الوحدة سهـل وميسور ولكنه يحتاج إلى ذوى العقول المتفتحة المتزنة .. وإلى ذوى النوايا الطيبة .. وإلى ذوى القلوب الخيرة .. وإلى رجال يضحون بالمناصب والثروات والحكم فى سبيلها .. الطريق كما ارى يحتاج كما احتاج تحويل الهزيمة إلى نصر فى المباراة التى رويت سيادتكم احداثها وتقلباتها يحتاج الى تصحيح الأخطاء والافادة منها وترميم المتصدع فى المبنى وتعديل الصفوف وتغيير التفكير .

نعم كما تقول استاذى .. كل العرب مؤمنون بالوحدة والاتحاد ومباركيها ومباركوه .. مؤيديها ومؤيدوه .. ولكن ذلك على المستوى النظرى والكلامى فقط اما على المستوى العملى أو على المستوى التطبيقى فهى لم تصل حتى إلى مرحلة تمهيدية أو طور أولى أو تفكير جدى .

حسين سعيد عمار

أزمـــة الإنســان المعــاصـر

(● محمد احمد الحفناوى
القاهـرة ـ ج . م . ع

قرات باهتمام ما كتبه الدكتور عون الشريف تحت عنوان « ازمة الانسان المعاصر» وذلك نظرا لتعرضه لقضايا هامة من قضايا العالم الثالث اهمها قضية التحول المفاجىء من مجتمع تقليدى الى اخر حديث .

وإننى أود أن أوضح اهمية وخطورة اجهزة الاعلام فى الدول النامية كوسيلة أساسية لحل مشاكل الانسان الحضارية بشرط ان تكون هناك سياسة إعلامية متكاملة للمحافظة دائما على التوازن بين «ضرورة التجديد» و «الحاجة الى الاستمرار» .

ونظرا للفروق العديدة بين ظروف التطور فى كل مجتمع نام ، فيجب مراعاة انه فى كل مرحلة من مراحل النمو او التطور تحتاج الدولة إلى سياسات إعلامية مختلفة تلائم طبيعة المرحلة والدولة معا . ولكننا نستطيع أن نقول أن الدول النامية تنتظر من أجهزة الاعلام فى النهاية أن تؤدى عدة مهام أساسية منها : العمل على تنمية الولاء القومى وتعليم الشعب مهارات جديدة مع غرس الرغبة فى التغير التدريجى نحو مجتمع متحضر .

ومن الملاحظ أن الرغبة فى التغير والتطلع الى المستقبل لهماتاثيران هامان جدا . فاولا: تحث الناس لتحمل المصاعب لتحقيق حياة افضل . وثانيا : تهيئهم لمواجهة المسؤوليات الجديدة .

واخيرا لكم اطيب تحياتى . . .

محمد احمد الحفناوى

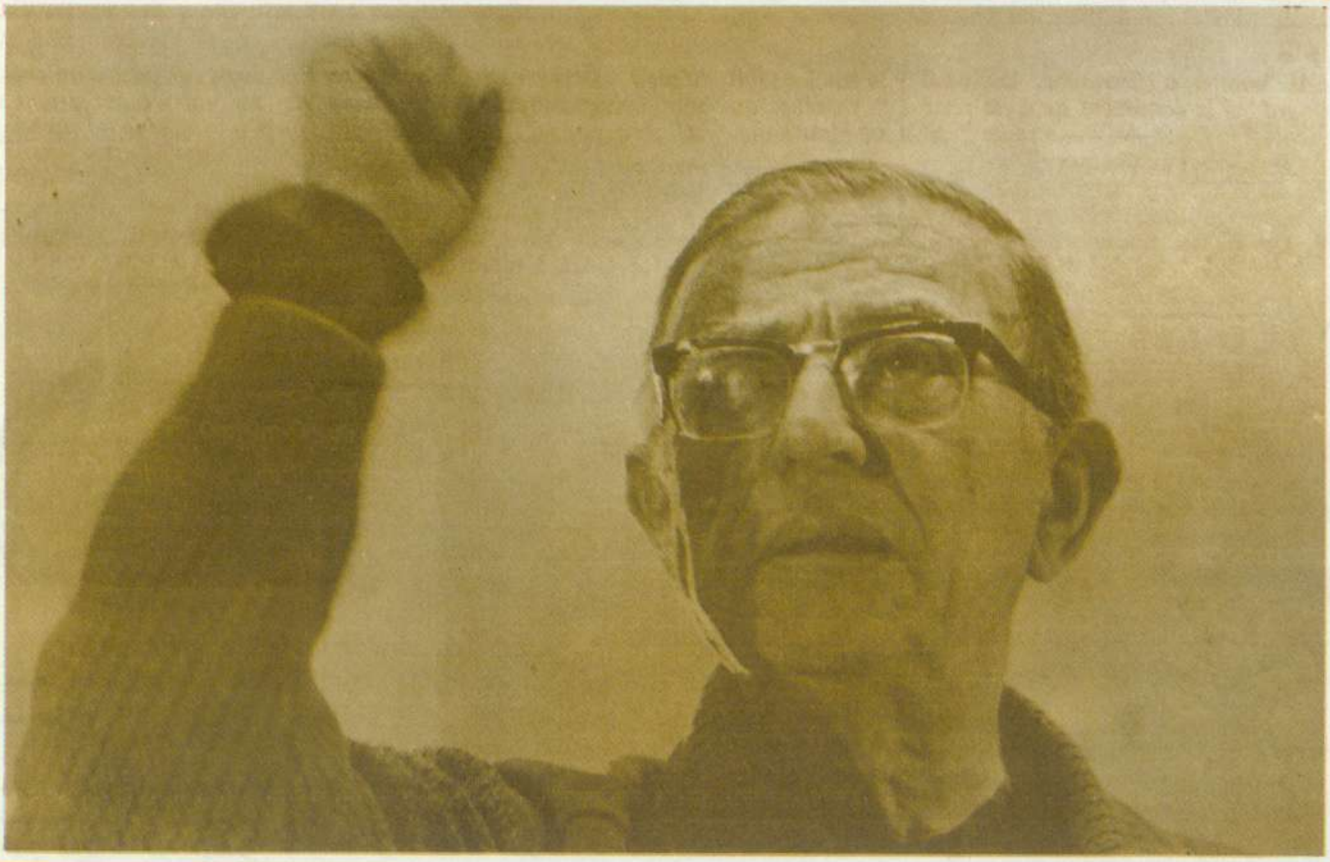

الشهر الذي مضى

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

سارتر

هوس العصر وضميره ومرآة فراغه الروحي

- هل كان يؤمن بما يقول .. أم كان يستدر عطف الجماهير ويستغل التهاب مشاعرها ؟
- الأجيال التي استهوتها الوجودية .. كانت تعيش حالة من الانهيار الاقتصادي والسياسي والخلقي

فى منتصف الشهر الذى مضى ، وبالتحديد فى يوم الثلاثاء الخامس عشر من ابريل (نيسان) عام ١٩٨٠ ، توقف - إثر نوبة حادة - قلب واحد من أشهر فلاسفة العصر ، وأغزرهم انتاجا ، وأعلاهم صيتا ، وأبعدهم تأثيرا فكريا وأدبيا وسياسيا وفلسفيا ، وأكثرهم اثارة للجدل والمعارك ، جان بول سارتر الفيلسوف الوجودى الفرنسى والروائى والكاتب المسرحى والناقد الأدبى والمحلل السياسى والصحفى والناشر ، عن عمر يناهز الرابعة والسبعين .

وبالرغم من إختلافنا الجذرى معه فى الكثير مما يدين به فكريا وعقائديا وأسلوب حياة ، وبالرغم من امتعاضنا من كثير من مواقفه المتناقضة المضطربة المتذبذبة والمتطرفة من قضايا العصر السياسية ، وبالرغم مما يصيب وجدانه الاخلاقى من عطب احيانا فى الحكم جعلته يقف فى خضم نشاطه السياسى المنفعل موقف المدافع والمبرر للتطهير والقهر الستالينى ، ومعسكرات العمل الاجبارى فى صقيع سيبيريا ، وواقع الاحتلال الصهيونى ، وبالرغم من فقدانه للكثير من مواقعه الفكرية والسياسية والادبية فى سنى عمره الأخيرة ، وبالرغم من انه هو نفسه قد تخلى عن كثير مما شغل به نفسه وشغل به الناس عبر اعوام طويلة ، وبرغم ميله الاستعراضى الذى جعله قبلة السواح يهرعون إليه من العالم القديم والحديث والنامى والنائم والمتقدم بآلات تصويرهم معلقة على اكتافهم ، يجوبون مقاهى الشاطىء الغربى فى مونبارناس وسان جيرمان دى برى ، لالقاء نظرة عليه ، وجعل جوقات الفلسفة ذوى اللحى من الشباب العاطلين المتبطلين ، الملوثة دماؤهم بعقاقير الهوس والجنون يتحلقون حوله اينما يذهب ويتخذونه اماما يروجون عنه الفاظا لا يعرفون لها معنى كالعبثية واللاانتمائية والوجودية والذات والاستلاب . ويرددون عنه مفاهيم حولوها الى شعارات سوقية مثل البرجوازية المتعفنة ، والحياة لا جدوى منها ، والآخرون هم الجحيم ، وحولت الوجودية من مذهب فكرى معقد التركيب الى موضوع اجتماعى تلوكه الألسن فى حفلات الكوكتيل وحانات باريس ، وتتشدق به حسناوات المجتمع الباريسى وهن ينفثن دخان سجائرهن من مقابضها الذهبية الطويلة .

برغم كل ذلك وربما بسبب بعض ذلك سيظل جان بول سارتر معلما فكريا بارزاً من معالم القرن العشرين لا يمكن تجاهله أو الغض من أهميته لأن تجاهل تأثيره هو تجاهل لخطره أيضاً، كما أن حضوره الفكرى هو حضور واقع بالفعل لا مِنَّةً أو تشريفا نسبغه عليه من عالمنا البعيد هذا ونحرمه منه إن اختلفنا معه .

وما كان المئات من قادة الفكر وأرباب القلم الذين هرعوا بلا اعلان وبدون دعوة الى تشييع جثمانه ، وساروا وراء نعشه وهو يجوب شوارع باريس لساعات طويلة ليستقر فى مثواه فى مونبارناس،من حواريه أومريديه بل كان اغلبهم ممن ناصبه العداء،وخالفه الرأى ، وما كان الآلاف الذين انضموا الى الموكب بصورة عفوية من اتباع فكره أو مؤيديه بل ربما لم يقرأ جلهم سطرا واحدا مما كتب ، ولم يستوعبوا الكثير مما اتيح لهم الاطلاع عليه من اعماله . ولكنهم جميعا كانوا يرون فيه منارة فكرية وإن لم يستضيئوا بنورها .

هو أيضا فرنسا

قال عنه شارل ديجول وهما فى أوج الخصومة والعداء ، رافضا فكرة اعتقاله من اجل موقفه المعادى للحكومة

- كان أشهر فلاسفة العصر وأعلاهم صيتاً وأكثرهم إثارة للجدل والمعارك
- حين تحولت مفاهيم الوجودية إلى شعارات سوقية
- كان وجدانه الأخلاقي يُصاب بالعطب أحيانا.. فيبرر القهر والاحتلال
- السواح وجوقات الفلسفة من المتبطلين كانوا يتحلقون حوله

أن ماري والدة سارتر

سارتر فى عام ١٩٤٦

سارتر
طالب الفلسفة عام ١٩٢٤

سارتر فى سن الثالثة مع والدته

الفرنسية بسبب موقفها من الثورة الجزائرية « إنه ايضاً يمثل فرنسا » .

والرئيس الفرنسى جيسكار ديستان والذى ظل هدف تهجم سارتر وسخريته ونقده اللاذع قال حين تلقى نبأ وفاة الفيلسوف المشاكس فى لغة عاطفية ما عرفت عن الرئيس الفرنسى : « اننى كقارىء شاب لمؤلفاته اثناء الحرب العالمية الثانية ، وبعد فترة التحرير أشعر بأن اختفاءه هو بمثابة خمود انوار الفكر الوقاد فى عصرنا . ففى ادراكه للتطور المأساوى للانسان تجاوب بتفتح ذهنى وأريحية نفسية ربما تكون قد عَبَّرت عن نفسها بشىء من الحِدَّة والتصلب والتعسف أحياناً، ولكنها كانت صادقة مع نفسها ثائرة متجددة . وبرغم رفضها لكل التصانيف والقوالب الفكرية ، فرنسية الطابع والهوية » .

واعترف له رئيس الوزراء الفرنسى ريمون بار ـ خصم آخر من خصومه السياسيين ـ بأنه من اعظم فلاسفة العصر .

وقالت عنه صحيفة (النيوزويك) الأمريكية فى عددها الصادر فى ٢٨ ابريل (نيسان) الماضى إنه أعظم المفكرين شهرة فى عصرنا هذا ، ووصفته مجلة (تايم) الصادرة فى نفس التاريخ بأنه كان ـ خلافا لما عهد فى الفلاسفة ـ يملك اسلوبا سلساً رشيقا يحيل أكثر المفاهيم الفلسفية تعقيدا الى فكرة درامية واضحة . وبذلك أصبح سارتر فيلسوفا مؤثرا على جماهير عريضة فى فترة من التاريخ لم يعد للفلاسفة تأثير على أى انسان . وقالت صحيفة (التايمز) اللندنية عقب وفاة سارتر فى عددها الصادر فى ١٧ ابريل ١٩٨٠ بأن وفاته تعنى اختفاء واحد من أميز وانبغ الكتاب من مسرح الأدب والفلسفة والسياسة ، وأفول نجم واحد من أكثر الفلاسفة المعاصرين اصالة فى التفكير حملته أن يَجمع فى محاولة فكرية جريئة بين آراء ماركس وفرويد وهسيرل وهيدجر وماو وماركوز فى اطار فكرى منسجم ومتكامل ، وان يؤثر بصورة مباشرة وجادة أكثر من أى مفكر غربى معاصر ـ فى تفكير معاصريه واتجاهاتهم . كما وصفته بأنه فرنسى فى اتقاد عاطفته وميله للفكر المجرد، أوربى باتساع اهتماماته الشاملة لكل مناحى الفكر الغربى الاوربى قديمه وحديثه ، عالمى بتأثيره الفكرى العام ، وبما اثاره من اهتمام بمشاكل العالم ، واحاطة بتعقيدات العصر ، بصورة تجعل من المستحيل على أى كاتب مسرحى أو روائى أو فيلسوف أو عالم نفسى أو مفكر سياسى ، فى أى مكان فى العالم ، أن

- قال عنه ديجول : إنه أيضاً يمثل فرنسا .. ووصفه ديستان بأنه فرنسى الطابع والمزاج
- فرنسى فى اتقاد عاطفته ، أوربى باتساع اهتماماته ، عالمى بتأثيره الفكرى العام
- كان يريد لصوته أن يصل إلى مدى لا تتسع له غرف المطالعة والدرس
- حين يترك الإنسان للآخرين تحديد ذاته يتخلى عن مسئوليته تجاه نفسه

يتحقق له إدراك حقيقى لمشكلات العصر دون أن يأخذ آراء سارتر فى الاعتبار . ووصفته صحيفة (الايكونومست) فى عددها الصادر فى ١٩ ابريل ١٩٨٠ بأنه واحد من اقدم واشجع المناكفين والمشاكسين فى مجالات الفكر والادب والسياسة .

مفتاح شخصيته

ولا شك أن وقتا طويلا سيمر قبل أن تفتر محاولات التنقيب فى مكامن هذه الشخصية المتناقضة المعقدة ، المتشابكة الاهتمامات ، المتغيرة الاتجاهات والغريبة الاطوار .وربما كان مفتاح هذه الشخصية يكمن فى المؤثرات الأولى المكونة لحياته وطفولته والتى تناولها فى تفصيل معجز فى سيرة حياته فى كتابه (كلمات) الذى اصدره فى عام ١٩٦٤ . ولكن ذلك لايكشف إلا حياته وهو دون العاشرة من عمره وقد كتبها بحكمة السن المتقدمة ، وتفسيرات الكهولة الواهمة .

والذى يعرفه الناس من تفاصيل حياته أنه ولد فى باريس فى ٢١ يونيو (حزيران) عام ١٩٠٥ من ابوين يختلفان فى الجنسية والمعتقد الدينى . ويقولون ان هذا المزيج المختلط قد أكسبه كما أكسب اندريه جيد قبله عنصر التطرف فى حياته .

وعندما بلغ الثانية من عمره توفى والده الفرنسى الجنسية. يقول فى ذلك حين يستولى عليه الصوت المزيف ، ويتقمص شخصية البهلوان الفكرى وعينه على جمهوره : «لقد كانت وفاة والدى وانا فى هذه السن المبكرة ضربة حظ بالنسبة لي فقد ابعدت عن حياتى شبح ذاتية طاغية مهيمنة كان يمكن أن تفرض على ذاتى الخاصة كيانا ودورا ليس لهاولم تختاره بمحض ارادتها ».قال ذلك تحت تأثير فكرته عن الحرية الفردية المطلقة فى الاختيار ، وما أكثر ما كانت تقوده الافكار المجردة الى القول المبتسر

بين الأدب والفلسفة

بعد وفاة والده عاش مع والدته الألمانية الاصل (آن مارى شفايتزر) ابنة عم الطبيب المبشر الشهير (البير شفايتزر) وتأثر بجده لأمه (كارل شفايتزر) استاذ اللغويات . هذه الصلة العضوية بالثقافة الألمانية بالاضافة الى اتقان اللغة الألمانية، ربما كانت من الاسباب التى جعلته يتجه الى الفلسفة الألمانية ينهل منها ويقتدى بها . فبعد حصوله على الشهادة الجامعية فى الفلسفة والتدريس لبعض الوقت أمضى عاما دراسيا فى المدرسة الفرنسية فى برلين بين عامى ١٩٣٣ و ١٩٣٤ . ومكنته لغته الالمانية من استيعاب فلسفات هيدجر وجاسبر وهوسيرل . ولقد كان المزج بين فلسفة هؤلاء الثلاثة ، بالاضافة الى آرائه الخاصة ، ومفاهيمه حول الحرية والمسؤولية هى التى كونت مجمل فلسفته الوجودية التى اكتسبت شهرة لا نظير لها فى الاربعينات والخمسينات .. ربما لأنه عمد الى أطر أدبية عدا المؤلفات الفلسفية المباشرة فى حمل آرائه الى الجمهور .

فلم يكن سارتر بطبعه ميالا الى الانغلاق فى برج الاكاديمية المرتفع ، إذ لم يحاول أبدا أن يحصل على اجازة الدكتوراه مطلقا ، ولم يسع ليكون استاذا جامعيا . كان يحب أن يصل صوته الى جماهير واسعة لا تتسع لها غرف المطالعة والدرس . فبالاضافة الى مؤلفاته الخمسة الجوهرية ، طور سارتر آراءه الفلسفية هذه فى تسع مسرحيات واربع روايات .

فالى جانب اعماله الفلسفية كالمتخيل ١٩٣٩ والكينونة والعدم ١٩٤٣ حملت اراءه بصورة أكثر فعالية وأشد تأثيرا عدد من الروايات والقصص القصيرة اهمها : (الغثيان) ١٩٣٨ و (الجدار) ١٩٣٩ والمسرحيات مثل (الذباب) ١٩٤٣ و (جلسة سرية) ١٩٤٤ و (الأيدى القذرة) ١٩٤٨ ، وكتب النقد الأدبى مثل (بودلير) ١٩٤٦ ، و (القديس جينيه كوميديا وشهيدا) وسيناريو فيلم مثل (تمت اللعبة) ١٩٤٧ ، وكتيبات جماهيرية مثل (الوجودية نزعة انسانية) ١٩٤٦ ، الى جانب مجموعة من المقالات الصحفية المبسطة التى كان يكتبها لمجلته الشهرية (الأزمنة الحديثة) التى انشاها فى عام ١٩٤٥ ، وكذلك مقالاته الأدبية التى كان يكتبها فى الفترة بين ١٩٤٧ ـ ١٩٧٢ وضمنها الاجزاء التسعة من (مواقف) . كان فى كل هذه الاعمال يهدف الى التوجيه والدعوة لفلسفته . فقد كانت هذه فى نظره هى رسالة الأدب لا رسالة له غيرها .

موقف فكرى

وبرغم تعدد اهتمامات سارتر الفكرية والأدبية والسياسية كما سنرى فقد عرف واشتهر اساسا كمفكر وجودى . والوجودية لفظ شائع ، وربما كان من الصعب تحديده تحديدا

● لا شيء يضمن لنا النجاح ولا شيء يمكن أن يقنعنا بحتمية الفشل

● اللقاء الذي ارتد فيه سارتر عن أهم معتقداته وآرائه الفلسفية

قاطعا لكثرة ما تحمل من تعريف وتحريف . وهو يطلق على موقف فكرى ، كما يطلق على حركة فكرية محددة فى اوساط عدد من المفكرين الأوربيين . ولم يكن سارتر برغم ما حظي به من شهرة كفيلسوف الوجودية ، هو مبتدع الفكرة أو الاسم . بل يدين للفكرة لعدد من الفلاسفة الألمان وبخاصة مارتن هيدجر،بل ويذهب البعض الى حد نفى أى قدر من الاصالة فى آراء سارتر الوجودية . وقيل انه كان ينقلها حرفيا من الفلاسفة الألمان ومن باسكال على وجه الخصوص بعد أن يصوغها بأسلوبه الخاص .

واهمية الوجودية فكريا انها تقلب المفهوم الاساسى الذى ظل يسيطر على الفكر الفلسفى منذ افلاطون والذى يقول بأن الانسانية هى جوهر الانسان ، لتصل الى معادلة مبسطة مؤداها أن الوجود يسبق الجوهر أى بمعنى آخر (أن تعريف ذاتك يتحدد بما تفعل) فالوجودية هى اذن فى تبسيط شديد محاولة ايجاد معنى للأشياء من داخلها لا من خارجها .

وربما لم يكن سارتر مبتدع الافكار التى كان يدعو لها بل ربما لم يكن يؤمن بها أصلا كما اعترف ببعض ذلك فى أخريات حياته ، ولكنه قطعا هو الذى فتح ابوابها المغلقة للجماهير الواسعة ، وهو الذى منح كيانها المجرد اتجاها واقعيا ، وجعل منها برنامج عمل .

الحرية والمسؤولية

وملخص الفكرة الوجودية كما برزت فى كتابه (الكينونة والعدم) ١٩٤٣ ، أنه ليست هناك طبيعة تحدد ماهية الانسان وهويته ومساره ، وبالتالى فان الانسان هو وحده الذى يتحمل مسؤولية تحديد ذاته بنفسه ــ وهو يفعل ذلك فى كل لحظة عن طريق اختيار فعله بحرية كاملة . فالجبان هو الذى يجعل نفسه جبانا لأنه يختار بمحض ارادته أن يقوم بعمل جبان . والبطل هو الذى يجعل من نفسه بطلا لأنه وبمحض إرادته يختار أن يقوم بعمل بطولى . وهو يقر بأن الاختيار أو اتخاذ القرار إنما يتم فى اطار وضع ما ، ولكن الوضع نفسه يمكن أن يتغير بقرار ، وبالتالى يصبح هو نفسه جزءاً من مسؤولية صانع القرار . هذا الاختيار هو الذى يعطى القيمة للفعل ، وأى شىء لا ينفذ عمليا ولا يتضمن أى فعل هو شىء لا قيمة له . وبالتالى يؤكد سارتر بأن الانسان لا يستطيع أن يحدد ذاتيته عن طريق احلام لم تتحقق،أو آمال خائبة أو توقعات فاشلة . فالانسان حين يلقى اللوم على غيره إنما يتهرب من المسؤولية ويرتكب عملا مشينا وغير أمين،« يسميه سارتر سوء الطَّوِيَّة ». وكذلك يتخلى عن مسؤوليته تجاه نفسه من يترك شيئا ما خارجه،أكان ذلك زوجا أو عدواً أو مجتمعاً يحدد له شخصيته

فانه حينئذ يصبح آلة لا إنسانا ، وهذا يمثل اللعنة الحقيقية التى اصابت شخصيات روايته الرباعية (دروب الحرية) ١٩٤٥ ــ ١٩٤٩ وكذلك شخصيات أشهر مسرحياته (لا مخـرج) ١٩٤٤ ، والذين يدركون فجأة أن الجحيم هو الآخرون .

يقول فى (صورة ذاتية من السبعين) :

« ... إن التغيير القادم سيكون مختلفا عما سبقه ، سيكون مستمراً ودائماً وسيكون أكثر صرامة . سيكون هناك تقدم وتقهقر ونجاح ونكسات حتى يبرز فى النهاية مجتمع جديد يستغنى عن كل اوجه السلطة والنفوذ الخارجى لأن كل فرد فيه يملك السلطة الكاملة على نفسه . لا شىء يضمن لنا النجاح ولا شىء يمكن أن يقنعنا بحتمية الفشل » .

ولما كانت الحياة هى سلسلة من الاختيارات المستمرة فهى متجددة دوما يمحو الحاضر فيها الماضى ويلغى المستقبل الحاضر . ويتصل بهذا الاطار الفردى المطلق الكامل ارتباط الحالة الانسانية ارتباطا لافكاك منه بحالة من اليأس والقلق والتشاؤم والاحساس بِعَبَثِيَّةِ الوجود ولا جدوى الحياة ...

وقد وجدت هذه الأحاسيس طريقها فى كثير من اعماله التى اكتسبت صدى شعبياً كبيراً كرواية « الغثيان » ومسرحية « لا مخرج » ولقد كانت الوجودية لذلك تبدو للكثيرين فلسفة سلبية لا ترى للحياة معنى أو جدوى،ولكن سارتر يخالف ذلك ويدعى أنها بعكس ذلك تماما ، تحث الناس للعمل بأن تفتح أعينهم على مدى اتساع نطاق حريتهم ومسؤولياتهم تجاه تحديد مصيرهم . ورغم هذا الاحتجاج فلم يكن الوجه المشرق للوجودية ظاهراً للعيان بصورة مقنعة .

سارتر معلم الفلسفة مع زملائه فى كلية أفر ١٩٣٤ ــ ١٩٣٥

- علاقة الأخوة والأسرة والعشيرة هى التى يجب أن نبحث عنها ونحققها فى مجتمعنا الآن
- لم يكن له عذر : كان يَعْرِف ، وكان يخضّ الطرف ، وكان يبحث عن التبرير

سارتر فى أوج مجده الادبى ١٩٤٦

كابوس الحرب

ولم يكن غريبا أن تجد هذه الافكار القاتمة المتشائمة غير المضيئة بنور الايمان صدى واسعا وتقبلا وانتشاراً فى أوساط الجيل الذى عاش فى الثلاثينات فى الغرب تحت ظلال جو سياسى كان يتدهور بسرعة مذهلة بعد الانهيار الاقتصادى الذى هز العالم الغربى فى عام ١٩٣٠ . فقد كانت الوجودية تتجه الى أولئك الذين كانوا يحسون بمقدم الفجيعة التى تحملها مخالب النازية وهى تلقى بظلالها الكثيفة على أوربا،بعد أن فقدوا كل الثقة فى الأطر والنظم الاخلاقية والسياسية التقليدية السائدة حينذاك . وكانت الوجودية تتجه أيضا بعد ذلك الى جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية والتى خرجت منها أوربا منهوكة القوى مضعضعة القيم،إنهارت أكثرها استسلاماً وتعاوناً مع قوى الباطل ، ما أستطاعت أن تصمد أمام زبانية هتلر والشر الشيطانى الذى أطلقه فى العالم . خرجت منه اوربا لا لتستقبل سِلْماً،وإنما لتواجه حرباً باردة تظللها سحابة دمار نووى شهد العالم بعض مظاهره . وفى البحث عن طريق الخلاص فى عصر انهارت فيه القيم وأصبحت كل الافكار ، كل الأطر التقليدية موضع شك أو تجاوزتها الأحداث . كانت الوجودية تبدو لكثير من هذا الجيل التائه الضائع ملاذاً لأنها ترفع المسؤولية عن كاهل مؤسسات لم تعد أصلا موضع الثقة لتضعها فى الانسان نفسه وهو الذى يتولى ايجاد المعنى والموقف الاخلاقى الفردى فى عالم لا يمنح تفسيرا لماهيات الاشياء فى نفسها .

التراجع الفكرى

والتساؤل الذى سيحدد فى النهاية الحكم على سارتر انسانا ومفكرا هو ، ما إذا كان سارتر صادقا مع نفسه فيما كان يدعو إليه ، أم انه كان ممثلا حصيفاً وجد مناخاً لأفكار معينة ، فتبناها طلباً للشهرة وحبا للمظهر ؟ وبمعنى آخر : هل كان سارتر يؤمن حقا بما كان يدعو إليه ؟ .

إن ميل سارتر الطبيعى الى التظاهر والتمثيل كان واضحا منذ البداية ، وهذا الميل هو الذى اعطى للوجودية ذلك الاطار الشائع الذى لا صلة له بالفلسفة ذاتها وإنما هو مظهر من مظاهر انحلال القيم وتفسخها فى المجتمعات الغربية التى كان يمثلها نفر من الشباب ممن اسموا أنفسهم بالشباب الوجودى،بشعورهم الطويلة ولجاجتهم الفارغة فى مقاهى سارتر (لى فلير) و (لى دى ماجو) فى (سان جيرمان دى برى) وفى مقاهى (الحى اللاتينى) .

وربما لم يكن لسارتر حيلة أو ذنب فيمن كانوا يتحلقون حوله ، أو يتحدثون باسمه وباسم الفلسفة التى يدعو لها . ربما ! ولكن سارتر قد عَرّى نفسه تماما فى مقابلة اجريت معه فى أخريات ايامه لا اعرف لها نظيرا فى تاريخ الفكر . وقد أجرى هذه المقابلة (بينى ليفى) استاذ الفلسفة الذى كان يلازم سارتر بعد أن اصيب بالعمى . وقد جرت المقابلة قبل فترة قصيرة من وفاته . وقد نقلت المقابلة صحيفة (الاوبزيرفر) البريطانية فى عددها الصادر فى العشرين من ابريل (نيسان) الماضى ١٩٨٠ .

والمثير فى هذه المقابلة أن سارتر يتنصل من كل معتقداته والتى تمثل حجر الزاوية فى فلسفته الوجودية . كما يعطى لاعتناقه لها ، أو إدعاء اعتناقها ، اسباباً مثيرة ليست بالقطع مما يشرف كاتبا فيلسوفا له صيت سارتر .

فقد انكر فكرته الأساسية والتى كانت محور مسرحيته (لامخرج) بأن الجحيم هو الآخرون ، بقوله : « إذا كنت قد تخلصت من التشاؤم المطلق المتضمن فى هذه الفكرة ، فلأن ذلك يعود فى المقام الأول الى اننى أحس فى نفسى

● رفض جائزة نوبل لأنه لا يريد أن يكون أداة فى ساحة الصراع بين الشرق والغرب
● لم تزده مواقفه المتطرفة إلا عزلة عن المجرى الفكرى الجاد

سارتر المحرض السياسى عام ١٩٧٠ فى مظاهرة عمالية

بحاجات محددة أدرك ايضا أنها حاجات كل انسان آخر » .
وهكذا يدرك سارتر حقيقة بديهية هى اساس مجتمعنا الانسانى ، بانه ما من انسان مهما بلغ شانه يمكن أن يكون جزيرة معزولة . وقد عَبَّر سارتر عن تغيير موقفه هذا فى سلسلة مقالات اسبوعية كان يكتبها فى السنوات الأخيرة من عمره فى صحيفة (نوفيل اوبزيرفاتير)،إذ يقول فيلسوف الالتزام الفردى إنه كان مخطئاً عندما اعتقد ان الجحيم هو الآخرون .

يقـــول :

« لقد جعلت كل انسان مستقلا أكثر مما ينبغى عن الآخرين من حوله فى نظريتى ولكنى ادرك الآن أن الشىء الوحيد الحقيقى هو ما يربطك بى ويربطنى بك . » .

وقد كشف فى مقابلته مع (ليفى) أنه وان كان يقف مهاجما كل قيم المجتمع البرجوازى إلا أنه كان فى حقيقة نفسه يتوق الى كثير من هذه القيم العاطفية البرجوازية كالأمل وعلاقات الأخوة، وارتباطات الاسرة والديمقراطية ، فقد اعلن فى شيخوخته عن اقتناعه بأن اليسار لم يعد موجودا ،وأن الطريق الديمقراطى هو الذى يجب أن يسود باعتباره اسلم الطرق التى يجب أن يعيش فى ظلها الانسان . بل ذهب به الحنين الرومانسى الى ذلك العالم ذى الكيان الاجتماعى البدائى البسيط غير المعقد ، والذى يقوم على روابط الاسرة والعشيرة . يقـــول :

« قبل آلاف السنين كانت الوحدة الاساسية هى العشيرة المتحدة العقيدة والهدف والاسلوب،وكانت العلاقات السائدة هى علاقة الأخوة والمحبة . وهذا هو الذى يجب أن نبحث عنه ونحققه فى مجتمعنا الآن » .

ولا تكمن الغرابة فى التغيير الذى طرأ على فكره فى بعض القضايا الجوهرية ، فذلك أمر طبيعى . ولكن الغريب هى الاسباب التى ساقها لهذا التغيير . فهو يؤكد أنه لم يغير افكاره بل هو أصلا لم يكن يعتنق ما كان يدعو له ، وانما فعل ذلك لأن تلك كانت بدعة العصر والنمط السائد . فهو يقول بأن هذه المفاهيم لم تنبع من داخله،ولم تعبر عن احاسيسه الداخلية ، ولكنها كانت مجرد موجة، فكرية ركبها تظاهرا وحباً للشهرة . فقد ذكره (ليفى) فى المقابلة بانه ـ أى سارتر كان قد اعترف بأن حديثه عن اليأس كان عابرا،وكان يمثل موقفا سطحياً ، لأن الحديث عن اليأس كان حينذاك شائعا فى الاوساط الثقافية وكان بدعة العصر،فأمن سارتر على ذلك بل ذهب الى القول بانه شخصيا لم يجرب اليأس مطلقا . ولم يتخيل أن يكون لليأس ـ بأية درجة مهما كانت طفيفة ـ أى تأثير عليه،وانه انما فعل ذلك بتأثير (كيركاغارد)السائد حينذاك . وأضاف سارتر :

« كان ذلك هو نمط التفكير فى ذلك العصر . ولقد احسست أن هنالك شيئا مفقودا فى ادراكى وفهمى الذاتى لنفسى ، وهى التى جعلتنى لا أحس بهذا اليأس الذى يتحدثون عنه » .

● انصرف عنه الشباب والطلاب والعمال .. ثم أصيب بالعمى فاكتملت عزلته

● حين قال سارتر : لقد فقدت المبرر الوحيد لوجودى

وفى محاولته لايجاد تبرير لهذا الانسياق ، يقول :
« ... وقد لاحظت هذه الظاهرة بالنسبة للكثيرين من الفلاسفة . فقد تشغلهم فكرة فلسفية مافيتبنونها عن الآخرين حولهم فى المرحلة الأولى من تكوين فلسفتهم ، ويمنحونها حيزا كبيرا فى كتاباتهم.ثم يتخلون عنها تدريجيا حين يدركون ان الموضوع لاوجود حقيقى له بالنسبة لهم ، وانما التقطوه من الآخرين ،فانا شخصيا لم اعرف القلق مثلا .ولكن القلق كان المحور الرئيسى للفلسفة بين عامى ١٩٣٠ ــ ١٩٤٠ وقد نبعت الفكرة من هيدجر . وقد يستعير الانسان هذه المواقف ولكنها لا تعنى شيئا بالنسبة لى . »

حتى المواقف السياسية بالنسبة له مجرد تكتيك ومحاولة لكسب جماهير معباة اصلا . سئل مثلا عن تأييده لبعض العناصر المتطرفة فلم يقل أنه يؤمن بمبادئهم أو يؤيدها ، ولم يعمد الى الدفاع عن مواقف هذه الجماعات التى ساندها بكل قواه بل اعطانا سببا غريبا :

لم أكن اعتقد اننى ساغير العالم وحدى عن طريق افكارى لقد أدركت أن هناك حاجة ملحة لايجاد مستقبل للمجتمع . ولقد احسست بوجود قوى اجتماعية تحاول أن تبرز للوجود ، وقررت أن يكون موقعى فى وسطها . كنت فى حاجة الى مجموعة من الناس . لأن الانسان وحده أو بالاشتراك مع وحدات منعزلة متفرقة ــ لا يستطيع أن يهز كيان المجتمع ويقوضه،يجب أن يبدأ الانسان مع مجموعة من الناس لديهم القدرة والاستعداد للنضال » .

كل شىء ، كل احساس عَبَّر عنه كان يأتيه من الخارج لا ينبع من الداخل . حتى شيخوخته لا يحس بها إلا فى عيون الآخرين . فعندما ساله(ليفى)إن كانت الشيخوخة قد غيرت من مفاهيمه ؟ اجاب بالنفى ،موضحاً ذلك بقوله :

« إننى افهم بمراقبتى للآخرين ما تعنى الشيخوخة لأولئك الذين ينظرون اليها من الخارج . وبالنسبة لى فاننى لا احس بتقدم العمر ولهذا فان شيخوختى ــ والتى لا وجود لها بالنسبة لى ــ لا يمكن أن تعلمنى شيئا . ولكن الذى يعلمنى هو نظرة الآخرين لى وموقفهم منى . وهكذا فان شيخوختى هى الآخرون ».

الالتزام السياسى

ولما كان الاطار الفلسفى لا يمنحه ذلك المنبر الجماهيرى الواسع الذى تتوق إليه نفسه المسرحية الهوى،فقد أخذت افكار سارتر تتجه بصورة متزايدة فى الخمسينات نحو العمل السياسى النشط.ومن ناحية أخرى كان سارتر يؤمن انه لا يمكن الفصل بين الحياة الفكرية والعمل العام . ويرى أن الجمع بينهما يشكل التزاماً اخلاقيا . وقد عبر عن هذه الفكرة فى كتابه « ما هو الأدب ؟ » الذى اصدره فى عام ١٩٤٤ . وهكذا تميز الجزء الأخير من حياة سارتر بالانغماس الكلى فى المسائل السياسية . وربما كانت بذور هذا التحول قد بدأت مع

٢٠ يونيو ١٩٧٩ مع زميله المفكر ريمون ارون

الاحتلال النازى لفرنسا حينما تعرض للاعتقال فى عام ١٩٤٠ ثم اطلق سراحه فى عام ١٩٤١ حيث بدأ يكتب سراً فى صحف المقاومة . وقد كتب فى هذه الفترة مسرحيته (الذباب) عام ١٩٤٣ . وبالرغم انها تمثل ظاهريا إعادة صياغة (مأساة أخيل) إلا أنها كانت تحتمل مغزى سياسيا يؤكد بأن أى عمل من اعمال المقاومة ضد الاحتلال النازى ، حتى وان تضمن ارتكاب جريمة قتل ، هو عمل مُبَرَّر فى طريق النضال من أجل الحرية . وقد ادركت قوات الاحتلال مغزى المسرحية فأمرت بمصادرتها .

بيد أن تحوله الى الميدان السياسى قد برز بوضوح كما إتضح موقفه السياسى العام فى اوائل الخمسينات ،حين نشر روايته (الشيطان) ١٩٥١ ، وانفصل فكريا عن صديقه وزميله البير كامو ، بسبب هجوم الأخير على الشيوعية والقهر الستالينى فى (الانسان الثائر) الذى نشره عام ١٩٥١ وخاصم لنفس الاسباب صديقه الآخر وزميل دراسته موريس مارليو بونتى .

ولم يكن غريبا أن يكون خطه السياسى العام ، متمشيا مع مناخ العصر وروحه ، ومع تكوين شخصيته الميالة الى الاستعراض والتطرف وابتداع التقليعات والبدع ، تمجيد اليسار وتبرير أعمال المعسكر الاشتراكى ، وبالتالى معارضة أمريكا وحكومات الدول الغربية معارضة مبدئية ، والهجوم المنظم والمستمر والثابت على كل مُسَلَّمَات الطبقة البرجوازية المتوسطة وقيمها وأسلوب حياتها ، والتى كان يراها من اشد اعداء الحرية والأمانة الخلقية .

وكما كانت مبادىء الوجودية من قلق ويأس ولا جدوى وتغريب هى بدعة العصر المحببة ، كانت كذلك هذه المواقف السياسية بدعة العصر ولعبته السياسية المفضلة ، ومعايير واقف المشرفة التى هى سمة المثقف إن تحدث أو كتب أو

سيمون دى بوفوار فى عام ٥٨

مع سيمون دى بوفوار سنة ٧٠

خطب . ولم يكن سارتر من الذين يمكن أن تغيب عن حدسهم الجماهيرى حلاوة الحكم على الدنيا وعلى الاشياء من هذا المنطلق الديماغوجى الذى يبسط الأشياء والأمور،والذى يستهوى قلوب الشباب ويشعل خيالهم .

وإذا كان المناخ الفكرى فى انجلترا فى الثلاثينات قد سار فى هذا الاتجاه ، وجذب نحوه رجالا مثل (ستيفن سبندر) و (اودن) ، فقد كان لهم عذرهم أنهم كانوا يعيشون تحت ظل تهديد نازى ، ولم تتكشف لهم بعد حملات التطهير ومعسكرات العمل . لكن سارتر وهو يسير فى نفس الاتجاه فى الخمسينات لم يكن له من عذر.كان يعرف وكان يغض الطرف وكان يبحث عن التبرير . قال عن ذلك العنف الذى رفض أن يدينه : « .. انه لا يعدو أن يكون مرضاً عارضاً كالذى يصيب الاطفال عادة ثم يتجاوزونه».

وفى غمرة هذا الحماس المندفع عاد من الاتحاد السوفيتى بعد رحلة رسمية قصيرة فى عام ١٩٥٤ ليعلن فى صحيفة جماهيرية مسائية بأن الاتحاد السوفيتى هو البلد الذى يتمتع بالحرية المطلقة،وهو القول الذى تبرأ منه فى أخريات حياته حين قال فى مقابلته مع (ليفى) اننى احسنت الظن انذاك أو ربما منعت نفسى من أن اسىء الظن .

ولم يفته فى تلك السنوات أن يمتدح ثورة الصين فى عام ١٩٥٥ وثورة كوبا فى عام ١٩٥٩ . لكن ضغط الأحداث السياسية وخيبة الأمل كانت أقوى من تبريراته وتعاطفه . ومن هنا اضطر الى شجب الغزو السوفيتى للمجر فى عام ١٩٥٦ ولبراغ فى اغسطس ١٩٦٨ ، ولأفغانستان عام ١٩٧٩ . حتى أنه كان أكثر تصلبا من الحكومة الفرنسية نفسها إذ أيد بكل قواه دعوة الولايات المتحدة الأمريكية لمقاطعة دورة موسكو للألعاب الاولمبية . بل ذهب به الحنق فى عام ٦٨ حين غزا الاتحاد السوفيتى تشيكوسلوفاكيا الى القول بأن «الاتحاد السوفيتى قد اصبح العدو الاكبر للاشتراكية وأن على شعوب أوربا الشرقية واجب المقاومة بكل ما أتوا من قـــوة . . » .

ولقد شهدت الستينات ظهور أهم اعماله الفلسفية السياسية وهو كتاب « نقد العقل الجدلى » الذى صدر عام ١٩٦٠ ، والذى حاول فيه أن يمزج بين الوجودية والماركسية . كما شهدت مواقف سياسية علنية ودرامية ارتبطت بسارتر . ففى عام ١٩٦٠ كان من أشد المعارضين للحكومة الفرنسية فى محاولاتها قمع الثورة الجزائرية ، وكان يدين أساليب القهر والتعذيب التى كان يمارسها الجيش الفرنسى فى الجزائر معرضاً نفسه لمغبة الاعتقال ، ولكن ديجول رفض أن يمنحه هذا الشرف .

وفى عام ١٩٦٤ وقف موقفا مشهودا حين رفض جائزة نوبل للآداب باعتبارها تمثل نمطا من التفكير والممارسة البرجوازية التى يبغضها ، وهو نفس السبب الذى جعله يرفض من قبل وسام الشرف الذى منح له فى عام ١٩٤٤ على إثر تحرير فرنسا . كما رفض أن يعرض أيا من اعماله للتقويم من قبل أية هيئة تحكيم لمنح جوائز ، وهو التقليد الذى كان سائدا فى الوسط الأدبى فى فرنسا . ولقد كان التبرير الذى اعطاه لهذا الرفض أنه لا يريد أن يكون أداة فى ساحة الصراع الثقافى بين الشرق والغرب.وقال بأن الكاتب يجب أن يرفض أن يحوله الآخرون الى مؤسسة .

وفى عام ١٩٦٥ سجل أول اعتراضاته ضد سياسة أمريكا فى فيتنام وذلك برفضه العلنى للدعوة التى وجهتها له جامعة (كورنيل) بالولايات المتحدة لالقاء محاضرات فيها . وعلى مدى السنوات الثلاث التى تلت ذلك ظل موضوع (فيتنام) بالذات شغله الشاغل . ففى سنة ١٩٦٦ قبل دعوة برتراند رسل لعضوية (هيئة المحاكمة الصورية لجرائم الحرب الامريكية فى فيتنام) التى عقدت فى (استكهولم) . ولقد لعب دورا بارزا ورئيسيا فى هذه المظاهرة الاعلامية الكبرى التى انتهت بادانة امريكا بارتكاب حرب إبادة فى فيتنام . وحتى لا تحيد عنه الاضواء الكاشفة لحظة واحدة ، اعلن سارتر فوق ذلك وفى نهاية الجلسة الأخيرة بتطرفه المعهود ان جرائم أمريكا ضد الفيتناميين شبيهة بجرائم النازية ضد اليهود .

التطرف والعزلة

ولقد كانت احداث الحركة الطلابية العنيفة فى مايو عام ١٩٦٨ نقطة تحول فى تفكير سارتر ونشاطه السياسى ، فقد تضافرت عوامل كثيرة : فشل الحركة،واحساسه بالعزلة عنها،وانصراف الشباب عنه،لـدفعه الى مواقف شديدة التطرف كان اهمها تأييده للحركات الماوية المتطرفة وبعض النشاطات الطلابية،وهجومه المطلق على الثقافة باعتبارها نشاطا برجوازيا لا قيمة له .

كان يحاول عبثاً أن يستعيد نضارة الأيام الأولى حين كان محط انظار الشباب ، وذلك باتخاذ مواقف سياسية متطرفة لم تزده إلا عزلـة وابتعـاداً عـن المجـرى الفكـرى العالمى الجاد ، وكان أكثرها جسارة تأييده العلنى لأندرياس بادر احد زعماء حركة (بادر ماينهوف) الارهابية المعروفة .

وهكذا بدأ سارتر يفقد الحدس الذى جعله ينجح فى تجميع الشباب من حوله .. وربما كان احد اسباب ذلك عدا التغيير فى المناخ الفكرى والسياسى العالمى حيث لم تعد شعارات اليسار هى المسيطرة على الوسط الفكرى ، إلى ذلك التحول الاساسى فى فلسفته الوجودية والذى برز فى كتابه (نقد العقل الجدلـــى) ١٩٦٠ حيث اختفى الانسان الفرد فى خضم مجموعات كبيرة . وهو التحول الذى عبرت عنه (مارى وارنوك) الناقدة الانجليزية بقولها : « .. ان الهدف المطلوب لم يعد فردياً وإنما هو الحرية السياسية .. » .

ولما قامت حركة الطلاب فى ١٩٦٨ كان بريق آرائه ومواقفه قد خبا ــ ووجد ــ سارتر ــ نفسه ــ بعيدا عن الاحداث لم يأبه

سارتر مع سيمون دى بوفوار
فى عام ١٩٤٨ وفى عام ١٩٧٨

له احد من القائمين بالحركة ، لدرجة أنه أضطر الى أن يرسل رسالة الى « دانيال بانديت » احد زعماء الحركة الطلابية ليسأله إذا كان وقته يسمح بزيارته ليوضح له ـ أى لسارتر ـ الأبعاد الحقيقية لهذه الحركة الطلابية .

وحتى طبقة العمال التى صرف وقته وجهده للدفاع عنها قد انصرفت عنه بدورها الى حد أنه تعرض فى عام ١٩٧٠ لهتاف معاد ومهين من عمال مصنع سيارات (رينو) فى (بيلانكو) حين ذهب إليهم محاولا كما يقول تكوين الصلة بينهم وبين القوى الطلابية .

وفى عام ١٩٧٤ اكتملت مظاهر العزلة المضروبة حوله حين اصيب بالعمى،واضطر الى التوقف كلية عن الكتابة يقــــول :

« ... لقد فقدت بذلك المبرر الوحيد لوجودى » وفى مقابلة صحفية حديثة أجريت معه وصف حياته الجديدة باقتضاب :

« ... اننى أمشى قليلا ، وتُقرأ لى الصحف ، واستمع الى المذياع واحاول متابعة مايجرى على شاشة التليفزيون بأذنى . وكلها نشاطات لقتل الوقت ، فقد كان الهدف الوحيد لحياتى أن أكتب . » .

ولقد كان منظراً مألوفاً ومحرجاً فى الوقت ذاته أن يرى الناس كل يوم أحد،رجلا عجوزا هو من أكـبر مفكرى العصر فى فرنسا ، رجلا كان ملء السمع والبصر ، وكان الناس يتكالبون على مجرد رؤياه ـ يسير متكأ على ذراعى صديقة عمره سيمون دى بوفوار ليتناول طعام غدائه فى مطعم (لاكوبول) ـ فى (مونتبارناس) دون أن يفطن إليه أحد أو يأبه لمرآه احد .

عن المستقبل

وسيظل السؤال قائماً .. ماالذى يبقى للمستقبل من تراث سارتر ؟!

ان القضايا التى كانت محور تفكير سارتر والنظريات التى جهد فى استخلاصها ، لم يكتب لها أن تعمر طويلا بعد السبعينات . بعضها تخلى عنها صاحبها فى حياته ، وشاهد موتها بعينيه . وبعضها تجاوزه الزمن وقزمتها الاحداث . والكثير منها اثبتت الايام خطلها وفسادها .

ولأن الوجودية التى رفع لواءها تقوم على اساس فكرى واه ، وفــراغ روحى عقيم . فـلم تكن أكثر من مجرد بدعة عصر مؤقته ، إنصرفت عنها الجماهير ولفظتها بنفس السرعة التى اقبلت بها عليها . فما عاد يدين بها اليوم إلا نفر قليل يتقلص يوماً بعد يوم بعد كان يجهر باعتناقها من يفهمها ومن لا يفهمها . وقد عبرت عن ذلك ربما فى قسوة (مارى وارنوك) حين قالت فى مستهل عام ١٩٧٠ « ... بأن الوجودية لم يعد لها وجود، وانها قد استقرت نهائيا فى سلة القاذورات » وتوضح بشعور التعالى الذى يحسه البريطانيون تجاه الفرنسيين عادة : « ان الفرنسيين مغرمون عادة بالافكار المهووسة، والمفاهيم المجردة، وقد وجدوا ضالتهم الآن فى (ليفى ستراوس) فاتخذوه بديلا لسارتر » .

وسارتر نفسه يحاول فى شيخوخته ان يحكم على هذا الدور المستقبلى حين رد على السؤال الذى طرح عليه ما إذا كان قد حقق احلامه التى راودته حين بدأ الكتابة يقول :

« أعتقد أننى من الناحية الميتافيزيقية قد فشلت . أعنى اننى لم استطع أن اخلق اطارا فكريا أو أدبياً متكاملا يمكن أن يصمد فى وجه الزمن كما فعل شكسبير أو هيقــل .... واعنى اننى فشلت بالمقارنة لما كنت اريد أن أحققه بالفعل .» ثم استطرد :

« ولكن اجابتى هنا تبدولى كما لو كانت مزيفة . فانا بالطبع لست شكسبير، ولست هيقــل، ولكننى قدمت اعمالا صغتها بقدر ما استطعت . بعضها كان فاشلا ، وبعضها كان دون ما أردت ، وبعضها حقق نجاحاً ، وهذا يكفينى ... واعتقد اننى استطعت أن افعل كل الذى قدرت عليه، وهذا فى حد ذاته انجاز ... وسيبرهن المستقبل خطئى فـى كثير من آرائى . وكل الذى اتمناه ان يصمد بعض ما توصلت إليه من نتائج لاختبار الزمن » .

ربما لا تتحقق أمنية سارتر فى أن تصمد افكاره لمنجل الزمن القاسى ، ولكن التاريخ سيذكره لا كمنظّر لعصره ، ربما ! ولكن حتما كانسان ـ قد يختلف الناس معه ولكنه كان متوقـد العاطفة مهتمــا ، ومناضلا من أجل ما يؤمن به يعيش وفق ما يؤمن ، لا ينافق . رافضا أن يكون مجرد متفرج صامت على احداث العصر . وقد وصف لذلك بأنه كان ضمير هذا الجيل . وربما اعطاه ذلك أكثر مما يستحق . فقد كان حدسه يخيب كثيرا فى تقويمه لأحداث العصر التى كان يتصدى لها ، كما خاب فى اطار الفلسفة التى شاء أن يعتنقها ، ولكنه بلا شك كان مصدر اثارة فكرية موقظة للقوى السلبية فى المجتمع . ولقد جعلته هذه الاثـارة أكثـر النـاس تعرضا للحب والكراهية فى عصره ، كما كان روسو وفولتير وزولا فى عصرهم . ولقد شاء أن يتحمل مسئولية آرائه خصاماً وعزلة وخيبة أمل، ولم يستسلم لليأس حتى وهو يرى موج الزمن الطاغى يغطى على كثير من آرائه التى كان يدعو لها . قال فــى عام ١٩٧٨ :

« أعرف اننى سأموت وأنا ملئ بالامل . اعنى الامل فى حدوث ذلك التغيير الذى سيحقق مجتمعاً افضل وأكثر عدلا . عندما يكون الانسان على علاقة طيبة مع أخيه الانســان » .

د. محمد ابراهيم الشوش

التقدم بين جدلية العقل والأشـ

د. حـافظ الجـمالى

كان لنا فى اوائل الخمسينات (من هذا القرن طبعا) أستاذ فى السوربون يدرس مادة الفلسفة العامة والمنطق . وهو استاذ مشهور اسمه بوارييه . وكان من بين الاساتذة المشاهير الذين استمعت الى دروسهم ، وليسوا بقلائل ، الاستاذ الوحيد المتفرد بشىء خاص به ، أو بعدة أشياء على الأصح . ومن خصائصه هذه انى كنت استمع الى دروسه ، فأشعر كأن هناك فى كل جملة من جمله ، سهما من الضوء يسقط علي وأن جمله مجتمعة لاتزيد على أن تكون جملة سهام مضيئة تلقى علي . يضـاف الى ذلك انـه الوحيد الـذى آتـى لأسمع درسه ، فاذا به ، أحيانا ، يكرر محاضرة سبق لنا أن سمعناها منه فى الأسبوع السابق . وكان يمهد لذلك بقوله : (أعيد محاضرة الاسبوع الماضى ، استجابة للطلبات الكثيرة التى انهالت علي ، حول ضرورة إعادتها ، أو رجاء إعادتها على الاصح .

وفى كثير من المرات ، كنت استمع منه الى ملاحظة تتكرر ، لاسيما عند المقابلة بين نظريتين متناقضتين فى أمر من الأمور . فالمعرفة مثلا هى إما بنت العقل ، وإما بنت التجربة.والحقيقة انها بنت الاثنين معا ولكن يأتى من يؤكد بالدرجة الاولى على أهمية العقل ويصبح ذلك نظرية (العقليين) . ويأتى بعده ، ورداً عليه ، من يؤكد على أهمية التجربة ، فيصبح ذلك نظرية (التجريبيين) . ولكن يظهر بعد التمحيص أن الذى قلل من أهمية التجربة ، قد بالغ ، كما أن الذى قلل من أهمية العقل قد أفرط ، فنعود من ذلك الى نظرية (الحس السليم) التى ترى أن لكل من العقل والتجربة أثره فى إنشاء المعرفة . وما النظرية كلها إلا إفراط بدرجة معينة ، فى تغليب عامل على آخر ، يفهم منه فى النتيجة أن عاملا واحداً هو كل شىء . وأن العامل الآخر لا شىء ، مما يؤدى الى ألف صورة من صور سوء التفاهم والجدل الحاد والعقيم معاً.

وكل ماأريد هنا هو القول أن الكثيرين

ـيـاء

يرون أن التقدم الحضارى منشأ عن الانسان ، وعقله . ورده الناجح على التحديات المعتدلة القوة (مثل توينبى) ، كما أن كثيريـن آخريـن يرون أن هذا التقدم نتيجة الأشياء الخارجية . أو المؤسسات ، أو الأنظمة ، أو القوانين أو التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية . وكل من الفريقين يستند إلى نظرية قال بها أحد اللامعين المشهورين ، إلا أنه لا يلبث أن يبسطها تبسيطا لا شك أن صاحبها لم يرده كل الارادة ، ولكن سيق إليه ، بحكم رد الفعل . فاذا بنا تجاه جدل يتكرر المرة بعد المرة ، والجيل بعد الجيل ، ويعنف عقائدى أحيانا يصل الى حد التكفير . فاذا أنت لم تقل بأن التقدم وليد طبيعى لتشكيلة اجتماعية اقتصادية ــ معينة ، فكأنما كفرت بالله ، والعياذ بالله وهدفنا فى هذا البحث أن نخوض فى هذا الجدل العقيم مع الخائضـين ، لا لأننا نرى اية فائدة فيه ، ولكن لأنه أمر لابد منـه . فبعض النظريات سرعان ما تنقلب إلى ــ دين ــ له آلهته ، وطقوسه ، وصلواتـه ، وعباداته وتسبيحاته ، ويكون نوعاً من الكفر أن لا تقبل به . ولئن هان عليك أن تشعر بعقم الجدل مع المؤمنين بـه ، فلن يهون عليك أبداً أن ترى هذا الدين يسود ، وتعلو كلمته ، لأنك تعرف بالتجربة أن ما فيه من انحراف ، سيؤدى بك الى جهنم ، أو سيجعلك وغيرك من الناس كائنا مسحوقا ، لا قيمة له إلا أنه من التراب وإلى التراب يعود .

قراءة النظرية

وأقرأ منذ مدة مقالا فى عدد أسبوعى راق لمجلة بيروتية مقالا للدكتور خليل النعيمى بعنوان مثير : الحل ليس فى الديمقراطية ... وأجد فى النهاية اسم الكاتب واختصاصاته وهى حقاً جديرة بالاحترام و الحفاوة . فالرجل عضو فى الجمعية الجراحية الفرنسية ، وماجيستير فى الفلسفة المقارنة . وهكذا جمعت لـه الامجاد من أطرافها ، فلا العلم ينقصه ، ولا الفلسفة غريبة عنه وبالتالى فان لآرائه التى تذاع على الناس قيمة يجب الا تكون قليلة . وحتى لا يشعر أحد بأن ما أقوله فى هذا المقال ينبىء عن كراهية خاصة للأفكار ، أو تحسس من نوع ما تجاه الأسلوب ، فان على أن أعلن أن المقال ، كمقال ، أعجبنى ، وراقنى ما فيه من ثقافة ، وفكر ، وقدرة على انتقاء التعابير . وابتكار مصطلحات وجدتها موفقة ، منها مثلا قوله ذرر المجتمع بمعنى أنه جعله ذرات متناثرة ، أو قوله : لتكن الدولة العربية وطنية ، أو تقدمية ، أو اشتراكية ... إنها ليست بعد إلا مستبدة . وليس التعبير هو الذى يروقنى فى الجملة الأخيرة ، بل هو الأشارة الى حقيقة ظاهرة ، ولو انصف الرجل أكثر مما فعل لقال : لتكن الدولة ديمقراطية ، أو ديكتاتورية ، تقدمية أو رجعية ، اشتراكية او اقطاعية ، إنها ، فى كل الاحوال ، لن تكون إلا مستبدة ، فى الوضع العربى القائم اليوم .

ويتضح من مطالعة المقال أننا أمام ثلاث افكار أساسية .

١ ــ أولاها أن العربى مستبد حتى بنفسه ، وأن هذا الاستبداد معمم أو مؤمم ، ــ وأنه يتميز باستمراريته الطويلة ، وأنه لم يقف عند حد الاستبداد بالبعد الجسدى للفرد ، بل مضى إلى الاستبداد حتى بثروته . مما منع تراكم الثروات الذى كان سينشىء الطبقة البورجوازية ويؤدى حتما الى التمايز الطبقى ، فالصراع بين الطبقات ، فالانتقال بالأمـة من المفهوم القوى الساكن ، البعيد عن الصراع السياسى ــ الاجتماعى العميق والمتقوقع فى مشروع أدبى نافل ــ مبنى على العاطفة القومية ووقائع التاريخ النائية والاخلاق ، إلى المفهوم الممارس ــ الحركى ، المتنامى المستند أساسا إلى فاعلية القوى المنتجة ، والنابع من مصلحتها المباشرة.

٢ ــ إن الاستبداد المؤمم والمعمم ، دعم نفسه بالطبقة المثقفة ، وبالمجاملين من رجال الدين ، وألزمهم جميعا بالتحالف مع النظام والدفاع عنه مما أدى إلى النتيجة نفسها : أى سكونيـة الأمة ، وركودها ، وانقطاعها عن حركة التقدم .

وبالتالى فان الحل لن يكون بالديموقراطية التى نشأت فى أوروبا فى ظروف تاريخية خاصة من التطور الاقتصادى ــ الاجتماعى كالثورة الصناعية ، والنهضة العلمية ، والتطور السياسى ، لأن هذه الظروف لن تتكرر فى مجتمعنا . ومن جهة أخرى فان الديمقراطية ، القائمة مبدئيا لتحقيق العدل ، قد تآكلت الآن ، وحلت محلها دولة البوليس المصنعـة المبنية على القمع المعقلـن والمقنن ، ولهذا فان الاستبداد الذى يشكو منه العربى ومن استمراريته ، وتجميده لحركة التقدم ، لن يزول بالجرى وراء سراب الديمقراطية البورجوازية ، بل بالعمل لانشاء ديمقراطية اجتماعية مباشرة(كاملة) تؤسس فعلا ، علاقات اجتماعية جديدة غير مبنية على مبدأ السيطرة ، وتحرر حقاً طاقات الفرد . لاسيما وأن كلا الطموحين: الطموح الى تحقيق الديمقراطية البرجوازية والطموح الى تحقيق الديمقراطية الكاملة ، يقفان على بعد واحد منا ، وليس أحدهما بأسهل منالا من الآخر . ومادامت القضية قضية ..منى .. أو .. أمان .. أو أحلام مثالية .. أو طوبائية ، فلن يرهقنا أن نطمح إلى أعلى الأعالى ، مادام هذا الطموح لا يكلفنا جهدا أكبر من الجهد الضرورى للطموح إلى ما هو أدنى من هذه القصور الاسبانية .

أفكار لا شخصية

هذه هى أفكار الكاتب أنقلها بأمانة ، هى ما أستطعته من الأمانة . ولئن كنت اناقشها ، فليس ذلك لأنها أفكار شخصية أو من بنات أفكار الكاتب ، كما يقولون ، إلا أنها أفكار لا شخصية تنحدر من عقائدية معروفة لا يصعب على أحد أن يعرف هويتها ، ومن جهة أخرى ، فأنا لا أدعى كذلك اننى ارد عليها بتفكير شخصى محض . ليس لى منه إلا القليل ، أفضـل التأليف والجمع على الأكثر ، بل أرد عليها بتفكير شائع لدى من لا يقبل هذه النظرية ، أو يراها شديدة الافراط فى التأكيد على جانب واحد من جوانب الحقيقة ، لا على كل الجوانب ، مما سيعيدنا من جديد الى انكار (بواربيه) الذى يلاحظ أن كل النظريات المتعارضة تسرف فى التأكيد على عامل واحد من عوامل الحقيقة ، وتهمل ماعداه ، وأن الناقديـن سيلاحظون هذا الاسراف من جانب وآخر ويعودون من ذلك كله إلى الرأى السليم الذى يعطى لكل عامل حقه ودون أن ينسوا طبعاً أن المؤمنين بأية نظرية ينسون أو يذهلون منها عن جانب (رد الفعـل) فيها ، ويبسطونها بأكثر مما أراد أصحابها ، بحيث يتنـاول الـرد والنقـاش لا أصحـاب النظريات الأوائل أو المبتكرين بالدرجة الأولى ، بل يتناول الآخذين أو المؤمنين بهذه النظريات ، واقعين منها على عناصر أفقر دوماً مما احتوته فى الأصل .

●●●

١ ــ وحقا فانى اسأل لم كان العربى مستبدا ؟ ولم استمر هذا الاستبداد كل

● شروط تحقيق الديمقراطية .. هل توافرت في المجتمع العربي، ثم لم تتحقق.؟
● التقدم والقضاء على الاستبداد يحتاج إلى ماشئت من الشروط الاقتصادية والاجتماعية

هذه القرون؟ ولم يتغير شكل الدولة ، ونظامها ، ودستورها ، ودرجة ما تدعيه من تقدمية ، أو ما تنطوى عليه من رجعية ، وتبقى مع ذلك مستبدة ؟ إن هذا كله يذكرنى بأفكار عبد الله العروى الذى يرى أن الداعين الى التقدم ظنوا بالتتابع أن الدولة لا تتقدم إلا بعد الاستقلال لا قبله ، وبعد أن تصبح ديمقراطية ، لا قبل ذلك ، ثم ، أخيرا ، بالتصنيع والانتاج بغض النظر عن أى عامل آخر إلا أن تجاربهم كلها اخفقت .

ولكنى أقطع حبل تداعى الأفكار ، وأتساءل : أيكون العربى مستبدا بالطبع ، لا يغير من استبداده شيء ، مهما تطورت الصور الخارجية للدولة التى يعيش فيها ؟ لا شك أن عهد الاستبداد طال طويلا ، على الرغم من أن التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية ، للدول العربية قد تقترن فى الظاهر ، تغيرات عميقة . فهل العربى إذن يحب الاستبداد بالطبع ؟ وهل هذا الطبع مطلق أول لا يتغير أبدا . وعندئذ نتساءل لم احتاجت الديمقراطية إلى ألف شرط وشرط لتنشأ ، وتولد ولادتها المباركة أو غير المباركة ، ولم يحتج الاستبداد فى وجوده إلى أى شرط ؟

أما عندى فان الاستبداد (كمطلق أول) لم يوجد ولن يوجد وأنه عندما يوجد ، فلأسباب وشروط لا تقل جدية عن أسباب وشروط ولادة الديمقراطية . فلم نفكر بصورة علمية عندما نبحث فى نشوء الديمقراطية ، ونستغنى عن العلم ، ونلجأ الى الميتافيزيقيين عندما نريد البحث فى الاستبداد؟ أو لم تكن الدولة العربية خلال الخمسين سنة الأولى من وجودها ديمقراطية بأوسع معانى الكلمة ؟ أو لم يتدرج نشوء الاستبداد خطوة فخطوة حتى وصل إلى ما نعرفه عنه منذ عدة قرون؟ وهل كان يحتاج الاستبداد إلى معونة المنافقين من المثقفين وغير المثقفين والعسكريين . والممالئين من رجال الدين لو أنه طبع أول ؟ وهل إذا كان كل منا مستبدا بالطبع ، يستنكر أن يكون الآخرون على شاكلته ؟ .

٢ ــ هل توافرت شروط تحقيق الديمقراطية فى المجتمع العربى ، فى أى عهد ، ثم لم تتحقق.إن الديمقراطية أو بعض صورها (الكافية لنا فى أيامنا هذه) قد تحققت فى عدة دويلات يونانية قبل ارسطو وبعده ، وفى روما ، على يد مجلس الشيوخ ، وفى مطلع الدولة الاسلامية ، وفى دولة الخوارج فى شمالى أفريقيا ، وفى عمان عهد الامراء الاباضيين ، وفى عهد الرستميين الأول.ترى هل كانت شروط نشوء هذه الديمقراطيات القوية أو الواهية متشابهة ؟

وفى عهد النهضة كانت الدول ــ المدن (مثل فلورنسا ــ وفينيسيا ــ وجنوه ــ وغيرها) دولا ديمقراطية بمعنى ما ، ليس هو الاستبداد على كل حال . وبعد العهد الصناعى ، صارت دول كثيرة ديمقراطية ، من نوع أو آخر . فهل تشابهت كل هذه الشروط هناك ، ولم تنتف دوما إلا فى بلادنا ؟ .

ولئن كان الاستبداد لا يزال ماثلا فى بلادنا حتى الآن ، أفلا يعنى ذلك أن التغيرات التى طرأت على حياتنا ظاهرية ، شكلية ، صورية لا جوهرية ولا حقيقية ؟ .. وهل إذا كنا مستبدين بالطبع ، يمكن أن نشعر بحرج أو نكره استبداد الآخرين ، أو نغالى فى كرهه ؟

٣ ــ إن الديمقراطية الكاملة نظام سياسى أعقد بكثير من النظام الديمقراطى الناقص ، أفيعقل أن نحقق الأكمل قبل الأقل كمالا ، وهل هذه سنة التطور؟

الانسان والمصير

٤ ــ وعندما نضع عنوانا لمقالنا هو : الحل ليس بالديمقراطية ، أفلا يمكن أن

ارنولد توينبي

يتخذ ذلك حجة ضد المطالبين بها ، وهم كل الناس ما عدا المستفيدين من الحكم الاستبدادى ؟ وهل اتخمتنا ديمقراطية ، ولم نجد معها حلا لمشاكلنا ، فأصبحنا نوصى بالعدول عنها ؟ ؟

إن التقدم والقضاء على الاستبداد يحتاج إلى ماشئت من الشروط الاقتصادية والاجتماعية . ولكنه ــ فيما أرى ــ يحتاج الى الانسان الذى يختار مصيره ، فيهيىء الشروط المعدة لهذا المصير ، قبل أن تهيئه هى له . ومن الممتع ولا ريب أن يطالب الدكتور النعيمى باختيار الديمقراطية الكاملة ، بديلا عن الديمقراطية البورجوازية . وما دام يطالب بهذا الاختيار فان ذلك يعنى حتما أنه يؤمن بأن لهذا الاختيار أثرا فى توجيه الأشياء والحوادث هذه الوجهه ، بل الأثر الاول . ومرة أخرى نلاحظ أن جدلية التطور بين الانسان وما حوله ، قد لا تستغنى (عما حوله) ولكنها بالتأكيد لن تستغنى عنه هو بالدرجة الأولى إن الانسان هو صانع الحضارة بالدرجة الأولى ، ولكنه لا يصنعها إلا بمواجهته للتحديات ، وأن الحضارة لدينا لا تنمو ، لأننا لا نملك حرية المواجهة ، أو لا تترك لنا هذه الحرية أو ليس بعض الديمقراطية إذن ضروريا لهذه الحرية فى المواجهة؟

ولنشر أخيرا إلى أننا لا نناقش كاتبا معينا فى افكار ذاتية له . بل هى أفكار كثيرين نضيع فى الجدل حولها جهدا كبيرا ولو كانت الدنيا تتسع للأمانى ، إذن لتمنينا الا يكون هنالك جدل ، وأن ينفق الجهد

الموازى له فى مواجهة التحديات ، لا فى النقاش حولها ، وفى إيضاح ما كان يلازم تاريخ الانحطاط العربى من غياب للانسان ، أو غيبوبته ، وما جعل كل محاولات الاصلاح المتجهة من المحيط إلى المركز ، أى من الاشياء إلى الانسان (كتغيير اللباس) وتغيير الحروف ، واتخاذ عادات غريبة ، والعطلة يوم الاحد بدلا من يوم الجمعة ... وإيجاد نظام برلمانى مشوه ، يقوم دوما على انتخابات غير جدية ، وانشاء صحافة لا تكتب إلا أردأ الاقلام ، واقامة شبكة إذاعية تلفزيونية ، لا يبث فيها إلا ما ليس له علاقة مباشرة بالواقع الحار ، وحتى انشاء جامعات يدخل فيها الذكى والغبى على حد سواء ، فلا يرقى مستواها عن وسط متواضع بينهما ، ولا تكون من التقدم إلا على صورة منشئيها، والقيمين عليها .. الخ نقول ، كل ما جعل محاولات الاصلاح المتجهة من المحيط الى المركز تخفق أكبر الاخفاق .

ويقينا ما التقدم إلا جدلية بين الانسان وما حوله من أشياء ... لكن إذا كان فى حدى هذه الجدلية أولوية طرف على طرف ، فلا شك أنه طرف الانسان أولا . ولئن لم تكن الديمقراطية هى السبيل الى حل مشكلات التخلف .... فلا بد أن الطريق يجب أن يمر بهذه الديمقراطية ، ولاسيما بحرية التعبير وشعور الانسان المخلص ، بالأمن والطمأنينه ، ولا مجال للقفز فوق كل الحواجز وحرق المراحل والمضى قدما من أقصى النقص إلى أكبر الكمال .

د. حافظ الجمالى

الدوحة

العدد القادم

عقبات فى طريق تطوير الأزهر

بقلم : د . محمد البهى

محمد فى مكة

بقلم : د . عبد الجليل شلبى

نظرة إلى تاريخ الإسلام فى مواجهة التحديات

بقلم : أنور الجندى

العرب وتحدى المرحلة

بقلم : أنطون مقدسى

هل يمكننا اللحاق بالغرب ؟

بقلم : أحمد عبد السلام البقالى

عبّاس محمود العقّاد

أينشتين على المائدة

من انواع المؤلفات عند الغربيين تصنيف شائع يطلقون عليه في معظم الاحيان اسم « حديث المائدة » ويجمعون فيه ألوان الاحاديث التي يفوه بها العظماء والمشهورون في المجالس والاندية ، وفي البيوت والاسواق، وفي مناسبات الحديث العامة أو الخاصة التي لا يرتبطون فيها بتكاليف المنصب أو الدراسة العلمية، ويرسلونها على السجية كما يتحدث المرء على مائدة الطعام ·

ولا يلزم أن نجري هذه الاحاديث على المائدة ، أو يكون عنوانها على المائدة ، فانها قد تجري عرضا أثناء السير في الطريق ، وقد يسمونها أحاديث البيت ، أو أحاديث المنازل ، أو مناجاة الراحة ، وما شابه ذلك من العناوين التي يفهم منها جميعا معنى واحد : وهو أن الاحاديث من قبيل السمر الذي يدور على المائدة ، ويسوغ للسامع وهو جالس الى طعامه وشرابه ، من قبيل التسلية والترويح، وفي غير حاجة الى البحث وطول التأمل ، ولو كان في مواضيع العلوم أو كان فيه المام سريع بجلائل الامور·

من هذا النوع من المصنفات كتاب ظهر حديثا في مجلدين ، عن الفيلسوف العالم « ألبرت أينشتين » صاحب مذهب النسبية ، وهو المذهب الذي قال بعضهم عنه انه فلسفة يفهمها اثنى عشر انسانا في الكون كله ، ان لم يكن فيه سكان على غير الكرة الارضية !

وليس هذا الكتاب بطبيعة الحال ، في موضوع تلك الفلسفة ، ولكنه يؤدى عن صاحبها أحاديث المائدة وما يشبه أحاديث المائدة ، ويجمعها من أقوال أصدقائه وزملائه الذين سمعوها من فمه ، أو نقلوها من رسائله وأخباره وعدتهم عشرة علماء يخاطبون الناس في هذا الكتاب كما يخاطبونهم في ساعات الفراغ ، ويصورون أستاذهم في صورته المعدة للنشر والتداول ، بين قراء النسبية ومن لم يعرف منها ، ولا يعنيه أن يعرف عنها ، غير العنوان ·

ان تراجم أينشتين متفقة على بساطته في حياته ، وعلى نفوره من المظاهر والتقاليد ، وصدق رغبته في التجرد من كل مظهر وكل تقليد لا حاجة اليه في صميم عمله ·

ولكن أينشتين مثل من الامثلة

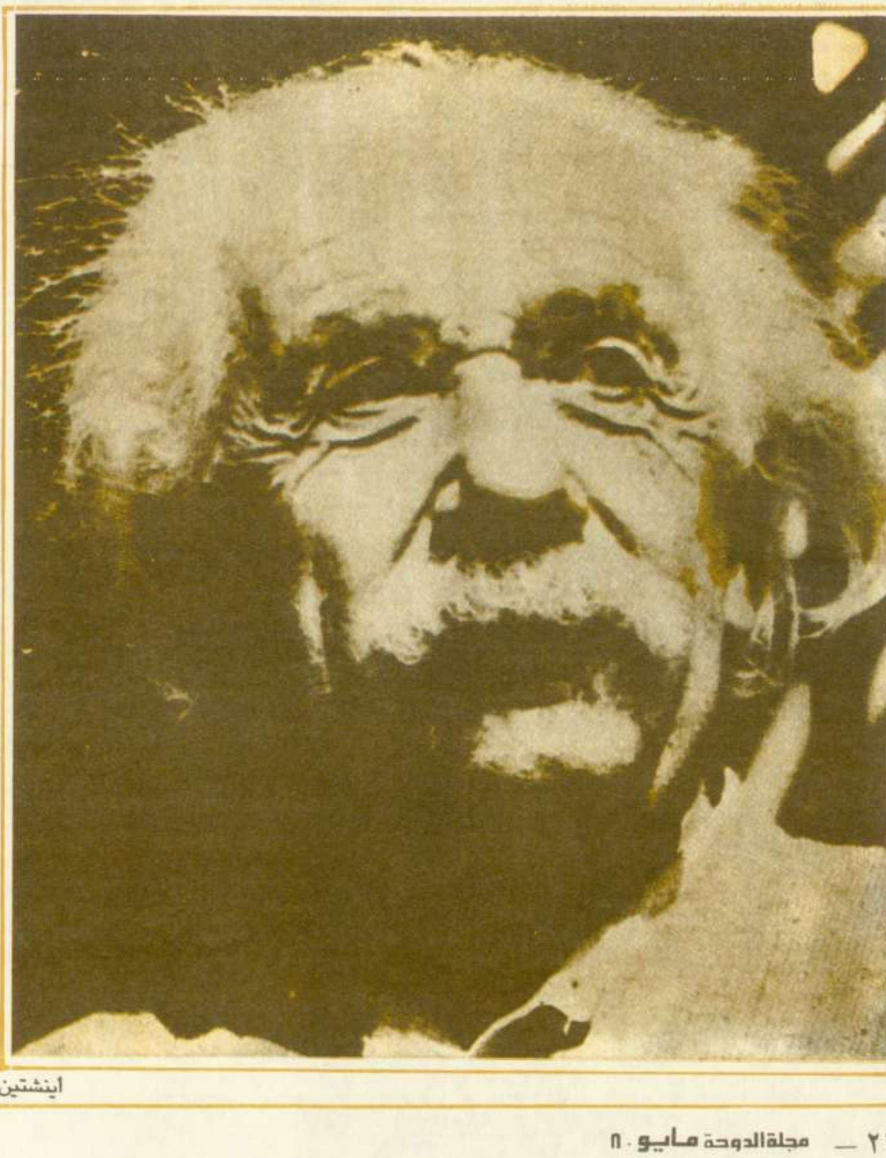

اينشتين

الكتاب يؤدى عن أينشتين أحاديث المائدة وما يشبه أحاديث المائدة

كل إنسان يستطيع أن يكون بسيطاً إذا خرج مع طفله الصغير للرياضة الخلوية

صاحب النسبية كان ينقد مذهب إسرائيل فى أصول الأخلاق والخوف والرهبة

النادرة على غرابة البساطة في بعض الاحيان • فليس معنى البساطة التي يوصف بها أينشتين انها صفة شائعة متكررة ، نلقاها في كل ساعة ، وفي كل مكان •• وليس معناها انها صفة سهلة مطروقة لمن يريدها ، ومستطاعة تحت الطلب لكل من يحاولها • بل هي تلك البساطة التي يقول عنها علماء البلاغة أنها السهل الممتنع ، أو يقول عنها علماء الطبيعة أنها بساطة النور الابيض الذي تلتقي فيه جميع الالوان • فهي بساطة أصعب من التركيب ، وبساطة غير قابلة للتقليد !

فكل انسان يستطيع أن يكون بسيطا في مثل بساطة أينشتين اذا خرج مع طفله الصغير للرياضة الخلوية ، بين الخدم والمرضعات •

وكل انسان يستطيع أن يكون بسيطا مثله اذا أراد أن يذهب الى القصور الملكية مشيا على الأقدام ، ولم يخطر له أن الملوك يرسلون سياراتهم الفخمة للقاء ضيوفهم الممتازين •• ولكن ليس في وسع كل انسان أن تبلغ به البساطة مبلغ الزهد في أربعين ألف دولار يقبضها كل أسبوع ، ولا يكلفه الامر الا الظهور أمام اللوحة البيضاء من حين الى حين• وليس في وسع كل بسيط أن يعلم مواضع الصفحات بحوالة مالية تساوي آلاف الجنيهات ، ثم ينساها حيث وضعها منذ عدة سنين •

وهذا هو موضع الغرابة في هذا الانسان البسيط النادر ، لانه بسيط عادي يشبهه ألوف وعشرات ألوف ، لانه في الوقت نفسه بسيط غير عادي، يعد أمثاله في زمانه فلا يزيدون على الاثنى عشر الذين يفهمونه ، فيما قيل !

مثل هذا البسيط النادر تسمع منه كلماته البسيطة النادرة ، لانها لا تسمع من كل قائل ولا تسمع في كل يوم ، وفيها ما يساعدنا على فهم الطبيعة الانسانية كما نراها على الدوام ، ويساعدنا على فهمها كما نراها في فلتات النبوغ وحالات الاستثناء والشذوذ •

والذي يهمنا من أحاديثه أن تسمع أينشتين « العادي » •• كلما خطر على البال أننا سنسمع منه شيئا من خوارق العادات ، أو نسمع منه شيئا يفصل العبقرية عن الانسانية ، ويخيل الينا أن العبقري مخلوق يمكن بحال من الاحوال أن يفلت من فريضة الانسانية عليه •

كان أينشتين من بني اسرائيل ، ونشأ كما نشأ أبواه وأجداده من قبله في بيئة اسرائيلية عريقة في التقاليد اليهودية ، ولكن الذين عشروه وعرفوه عن قرب كانوا يستغربون أن يكون هذا الرجل يهوديا عريقا من البيئة اليهودية ، لاختلاف عاداته ومقاصد حياته ، ولتلك البساطة التي كانت تلازمه في معيشته اليومية وفي شئون معاشه على التعميم ومن علاقاته بمن يعمل معهم أو يعملون معه ، ونذكر أن كاتبا أوربيا سأل منذ نحو ثلاثين سنة : أين هو اليهودي في باطن هذا العالم الفيلسوف ؟•• قال الكاتب الاوروبي ذلك ردا على حركة الاضطهاد والتي أصابت الطائفة اليهودية على أيدي النازيين وأصابت هذا العالم الفيلسوف في جملتها ، كأن الناس اعتقدوا يومئذ أن أينشتين اليهودي لا وجود له ، وأن الذي بقى موجودا أمامهم هو أينشتين صاحب مذهب انسان وانسان •

وصحيح هذا الى حد صحيح أن صاحب النسبية كان ينقد مذهب اسرائيل في أصول الاخلاق وينكر الدعوة القديمة التي جعلت الاخلاق والفضائل قائمة على الخوف والرهبة من غضب السماء ، ويرى أنها كانت أحق بأن تقام على الواجب من حب الله ومخلوقاته •

وصحيح أن صاحب النسبية كان ينسى التقاليد الموروثة ويستهدف للغضب بين قومه من جراء نسيانها واهمالها •

صحيح أن الذي كان يبحث عن اليهودي في باطن العالم الفيلسوف ينصب في البحث ويطيل الانتظار ولكنه ليس بصحيح أنه كان يتعب على غير جدوى ، وانه كان يتعب في البحث عنه ولا يجده في النهاية !

كلا ان القارىء يجد اليهودي أينشتين فى آخر الطريق ، يلقاه أحيانا قبل منتصف الطريق ، ويلقاه دائما فى كل مكان ، وفى كل شيء ، تتمثل فيه اليهودية بقضها وقضيضها، ولا تضع فيه بتمثيل جزء منها •

اينشتين اليهودي هو الذي يقول « ان التضامن الانساني يجد التعبير عنه في اليهودية ، وان هذا هو السر فى ظهور الدعوة الاشتراكية على أيدي أناس من اليهود » •

يقول ذلك حين يذكر العصبية ولا يقوله حين يذكر التاريخ القريب

أينشتين على المائدة

والتاريخ البعيد ، فان التضامن الانساني لا يتحقق على أيدي الدعاة الى رب قبيلة واحدة تحتكر الرضوان الالهي والعبادة الالهية ، ولها دون سواها خلقت الامم ، واليها دون غيرها يرجع زمام العالم من يد الله .

وأينشتين اليهودي ـ وليس أينشتين العالم الفيلسوف ـ هو الذي يقول ان فلسطين ليست ملجأ لليهود الهاربين من أوربا الشرقية ، وعاشت أفرادا متفرقين زمنا طويلا ، وآن أن تعود أمة في وطنها القديم .

ان الفيلسوف العالم لا يقول هذا الا اذا نسي أنه عالم فيلسوف ، ولم يذكر الا أنه يهودي بل صهيوني متطرف . لان العالم الفيلسوف يذكر على الاقل أن فلسطين لا تتسع لامة تعدادها نحو عشرين مليونا ، ولا يقال انها وطن الامة اليهودية بالتناوب بين المقيمين والزائرين ، بل لا يقال انها وطن أمة وهي تطرد الامة الفلسطينية التي لا وطن لها من قديم الزمن في مكان غير فلسطين !

وليس أينشتين العالم هو الذي يقول ان العالم الغربي آن له أن يعرف ديونه لليهود ، وأن يذكر انه تلقى منهم ديانته ، وتلقى منهم على الاكثر ميراث الفلسفة اليونانية المفقودة .

كلا . ان اليهود لا يعطون العالم دينا ينكرونه ، وأن الغرب قد تلقى الفلسفة اليونانية من العرب ، ومن العرب أيضا تلقاها اليهود .

ويختفي أينشتين العالم الفيلسوف، حتى حين يكون فيلسوفا يختار بين الفلاسفة فانه لا يختار حينئذ غير الفيلسوف « سبنوزا » وهو الوحيد الذي ظهر من اليهود بين فلاسفة القرون الوسطى !

قبل أن يصل أينشتين الى الولايات المتحدة كان الشبان الامريكيون يتحدثون عنه وعن آرائه ، وكان رجال الدين يحذرونهم منه ويتهمونه بالالحاد وانكار الدين في كل ملة ، وأراد حاخام نيويورك هربرت جلوشتين أن يرفع الشبهة عن ابن ملته فأبرق اليه يسأله : هل تؤمن بالله ؟ فجاءه الجواب البرقي على الاثر :

« نعم . أومن باله سبينوزا الذي يتجلى في النظام المتناسق بين أجزاء الكون .. » .

فلماذا انفرد سبينوزا وحده بهذا الاختصاص ؟ لماذا لم يكن هذا الاختصاص من حق جردانو برونو أستاذ سبينوزا في الايمان بوحدة الوجود ؟ لماذا لم يكن « ابن العربي » أستاذ برونو وسبينوزا معا وصاحب المذهب قبل برونو بعدة قرون ؟

لماذا باروخ سبينوزا اليهودي وليس جردانو برونو المسيحي ، ولا أبا بكر ابن العربي المسلم ، وكلاهما أستاذ باروخ أو باروك ؟

الجواب على ذلك سهل قريب اذا عرفنا أننا استمعنا الى « أينشتين » اليهودي ولم نستمع الى أينشتين العالم الفيلسوف .

على أن العالم الفيلسوف لا يستحق اللوم لان العلم والفلسفة لم ينسياه ملته وابناءها ولم يقطعاه عن هذه الصلة الانسانية التي لا فكاك منها ، ولكننا نلاحظ على العبقري النادر أنه كان « يهوديا عاديا » ولم يكن يهوديا غير عادي في نجدته القومية . وأحرى به أن يذكر قومه ولا ينسى الحق والتاريخ وأن يذكر أن القومية العمياء قومية « عادية » مبتذلة ، وليست هي قومية العالم الفيلسوف .

وقد أصاب أينشتين حين قال صريحا ان العلم لا يوجب الحيده على العلماء في معترك النزاع بين الامم والدول ، وأصاب حين قال ان واجب العلم لا يسقط عن العالم واجب القومية وأصاب حين كتب في رسالته الى المحتفلين بذكرى لنكولن يدعوهم الى تأليف عصبة من العلماء والمفكرين تحمي حرية التعليم وحرية الرأي وتؤدي واجبها في أزمات الوطن والازمات العالمية .

الا أنه في صوابه وخطاه يلقى على الناشئين وعلى المتشبهين بالعلماء درسا لا غنى عنه في عصرنا هذا : عصر العلم والدعوة الى الوحدة العالمية .

فان أدعياء العلم يحسبون أن العالم الكبير اذا أصبح عالميا انسانيا وجبت عليه الحيدة بين قومه وغير قومه من أمم العالم وأبناء الانسانية ، وامتنع عليه أن يتحيز لوطنه بين سائر الاوطان ، وأن تكون له صداقة وعداوة في سبيل الوطنية والعقيدة .

● ●

ان أينشتين يلقى الدرس الذي

الانفجار النووى الرهيب

يصحح هـذا الخطأ ، لانه طراز من أصحاب العبقرية والشهرة العالميـة قليل النظير في زمانه ، اذا فهمنا من غلوه في العصبية شـيئا فلنفهم أن الطبيعة الانسانية لا تلغي الوطنية في سبيل الوحدة العالمية ، فاذا أبينا أن نغلو في العصبية كما غلا هذا العالم الفيلسوف فـلا تنجرد من طبيعـة الانسـان في صـوابها وخطاهـا وفي شططها واعتدالها ، ولنكن وطنيين انسانيين قواما بين الافراط والتفريط ، وبين الغلو والاعتدال ٠

ويسمع من مائدة أينشتين رأيه أو حكمه الأخلاقي ، على صنيع يده فـي اختراع القذيفة الذرية ٠ ولا شك أنه كان من أوائل القائلين بامكان اختراع هـذا السلاح وامكان استخدامه فـي الحرب العالمية ، فماذا يقول بعد أن صار الممكن واقعا ، وبعد أن وقـع المحظور بفعل يديه ؟

أدعياء العلم يحسـبون أن العـالم الكبير إذا أصبح عالمًا إنسانيًا وجبت عليـه الحَيدة بين قومـه وغير قومـه

انه لم يصرح بغرضه من المشاركة في اختراع الاسلحة الذرية ولكننا نفهم من حملته المتواصلة على هـذه الاسلحة أنه كان يحسب أنها تستخدم في اخضاع النازية وتحطمها ، وأنه سمع أن النازيين جادون في تحقيق هذا الاختراع ولابد أن يستخدموه في حرب أعدائهم واضطرارهم الى التسليم السريع ، فاختار بين قذيفة ذرية في أيدي النازيين يملكون بها العالم وبين قذيفة ذرية تسلط على النازيين ويرجى أن يوضع لها نظام يحمي العالم من شرها بعد توقف القتال ٠

والظاهر انه لم يتوقع أن تستخدم في حرب اليابان دون الالمـان ، وأنه أحس بتبعتهـا فارادته التكفـير عن اختراعه بالسـعي الحثيث الى تنظيم الاشراف عليه ، ولكن لا يرى أنهـا سلاح مقاله المشهور الذي يقول فـي عنوانه « ان المشكلة مشكلة القلوب الانسانية » ويلخص فيه حل هـذه المشكلة فـي كلمتين : « التعـاون لا التنافس » ويفرض هذه السياسة « أولا » على أقوى الطرفين فمن كان من الاعداء أقوى وأقدر فهو المسئول عن كبح هذا السلاح ، وفارق العالم الفيلسوف دنياه ودعوته الاقوياء الى كبح أنفسهم بأيديهم حلم في انتظار التأويل ٠٠

عباس محمود العقاد

« قرأت كتابا اسمه العدو السابع »

وفي هذا الكتاب يصف المؤلف أعداء البشرية في كل مكان ٠٠ زيادة السكان الجوع ٠٠ نقص الموارد والمصادر الطبيعية ٠٠ تدهور ظروف البيئة ٠٠ سـوء استخدام الطاقة النووية ٠٠ التطـور العلمي الذي لا يستطيع الانسان الرقابة عليه ٠٠ هؤلاء الاعداء ٠٠ ستة ٠٠ فمن هو العدو السابع اذن :

الجواب : نحن ٠٠٠ اي الانسان نفسه ٠٠

الانسان الذي لا يعرف مصلحته ٠٠ ومصلحة اخيه ٠٠ الانسان يحارب جاره ٠ والدولة التي تحارب جيرانها مما يؤدي الى الاضطراب العالمي وبدلا من توجيه الجهد للخير لزيادة الانتاج والتغلب عل الاعداء الستة نضيف لانفسنا عدوا سابعا هو اخطر الاعداء ٠٠

ونحن ٠٠ عندما نتكلم عن مشاكلنا يجب ان نضيف اليهم عدوا سابعا هو المسئول عن هذا كله ٠٠ هذا العدو هو انا وانت ٠٠ اقصد نحن ٠

تاملات في الحيـاة

لعل المتغيرات الدائمة في الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في رحلة الحياة ٠٠ تجعلك تحلم لك ولغيرك احلاما ووردية زاهية ٠٠ مرة تقترب بك من الياس ٠٠ فتتمسك بصبر الصابرين ٠٠ هذا الصبر والامل والحلم والياس وكانها جميعا ـ طبق سلطة ـ نتناوله عل الطبيعة كل يوم ٠٠

وليست هذه شكوى ولكن في اعتقادي ان الانسان الواقعي يعايش الحياة بحلوها ومرارتها محاولا ألا ينسى ايجابياته قبل سلبياته ٠٠ فالحياة تعذب من يراهـا من خلال منظار اسود فقط او أبيض فقط فهي في حقيقتها وطبيعتها غزيرة الالوان بحيث لا تحصى ولا تقف عندحد ، ولهذا جدير بنا أن نروض انفسنا عل معايشـة اليوم بل الساعة واللحظة معا بكل ما تحمل من دوافع المعاناه والامل ٠٠

الإسلام
وقضايا العصر

أحمد بهجت

حكومة الرسول كانت تجسيدا لدعوة الحرية

كان خاتم النبيين أعظم الدعاة الى الحرية ...

وجاء جوهر الاسلام – بوصفه آخر الديانات – تعبيرا عن الحرية والسر فى هذا أن الرسول جاء يدعو الناس الى التوحيد ، أما الاسلام فقد حمل إلى الناس أمانة الوعى بجملة قصيرة تبدأ بالنفى وتنتهى بالاثبات .. جملة قامت عليها جميع الرسالات الالهية (لا اله إلا الله) .

ما الذى تعنيه الكلمة .. ؟

تعنى الكلمة الوعى بالخالق ، والخالق هو الحرية المطلقة ، وتعنى الخضوع لهذه المشيئة المطلقة والانقياد لها ، ويؤدى هذا الخضوع إلى تحرر الانسان بحق من عبادة غير الله وإسلام وجهه لله .

ولهذا السبب نستطيع أن نفهم غضب المجتمع المكى على الرسالة كان المجتمع قبليا تحكمه قبائل تعيش على التجارة أو الحج ، وكانت هناك آلهة ظاهرة وآلهة خفية . أما الآلهة الظاهرة فكانت هى الاصنام الخشبية أو الحجرية فى الكعبة ، أما الآلهة الخفية فكانت مصالح الكبار وهواهم وباعلان الرسول عن دعوته لله ، وباعلان (لا إله إلا الله) أدرك القائمون بالحكم فى مكة أن هذه الرسالة الجديدة تهدد وجودهم من أساسه ، ومن ثم بدأت الحرب ضد الاسلام تستخدم جميع الوسائل ، ابتداء من الدعاية والتهجم والاضطهاد ، وانتهاء بمؤامرات القتل ..

كانت دعوة الرسول إذن دعوة الى الحرية .

كان الناس أسرى عشرات الاشياء والقوى ... كانوا أسرى التقاليد الفاسدة ، وكانوا أسرى الهوى الحاكم ، وكانوا أسرى المصالح المؤقتة والحالية ، وجاء الرسول يحدثهم عن الحقيقة ، وكانت الحقيقة فى حد ذاتها تحريرا للانسان من كل أسريه .

قضية القرآن المكى

وقد مكث الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى الاسلام ما يقرب من ثلاث وعشرين سنة ، منها ١٣ سنة تقريبا فى مكة ، وعشر سنوات فى المدينة ، و القضية

● كانت دعوة الرسول دعوة إلى الحرية .. إذ كان الناس أسرى عشرات الأشياء والقوى

الاساسية التى جاهد للدفاع عنها فى مكة هى قضية الالوهية والعبودية ، وراح الوحى الالهى على امتداد ١٣ سنة يجلو حقيقة هذه القضية .. حتى صارت قضية الالوهية والعبودية هى قضية القرآن المكى بصفة خاصة ...

وفى مكة تم تعريف الألوهية الحقة ، وبيان خصائصها من الربوبية والقوامة والحاكمية ، كما تم تعريف العبودية وحدودها التى لا تتعداها ، وبذلك تم اخضاع الناس لله ، أو اسلامهم له سبحانه ، وبهذا الخضوع لله وحده كسر الانسان المسلم سجن العبودية لغير الله وحصل على حريته . والواقع أن حياة البشر فى الارض لا تستقيم إلا إذا استقامت هذه الحقيقة فى اعتقادهم وتصورهم ، واستقامت بعدها فى حياتهم وواقعهم ..

إن تاريخ الألم الانسانى فى الارض يرتبط ارتباطا وثيقا بحقيقة الالوهية والعبودية ، وفى اللحظة التى يترك الناس فيها عبادة الله إلى عبادة الاصنام ، تحتضر روح الجمال فى الانسان ، ويعتلى القبح عرشه داخله ، وينهزم الانسان – وهو المخلوق الجميل – من الداخل وينتكس العقل البشرى ، ويزيد ظلم الظالمين وذل المظلومين ، كما يزيد فقر الفقراء وقسوة الاغنياء ، ويتحول الوجود الانسانى كله إلى تجربة معاشه من تجارب الجحيم ..

وقد اثبت التاريخ أن الضمان الوحيد للمساواة بين البشر يكمن فى عبوديتهم جميعا لله ، وكون الله هو خالقهم والمشرع لهم ، فاذا ضاع هذا الضمان ، وادعى أحد من الناس أو زعم احد الانظمة لنفسه حق الالوهية ، فقد هلكت حرية الناس تماما ..

هذه المأساة التى تتمثل فى ضياع الانسان كانت متوفرة فى مكة ، وقد جاهد النبى عامين وبضعة أشهر فى الدعوة بشكل سرى ، ثم جاهد ما يقرب من عشر سنوات فى الدعوة العلنية ، وفى نهاية العهد المكى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع حوله صفوة من الرجال الاحرار .. هم المؤمنون بدعوته ..

وبهذه الصفوة تم تأسيس الدولة الاسلامية فى المدينة بعد الهجرة . وليست هجرة الرسول التى يؤرخ بها المسلمون عامهم الهجرى سوى اشارة موحيه إلى أهمية وجود الدولة الاسلامية .. وخروج الاسلام من الحصار المضروب حوله إلى طبيعته الأولى وهى الانتشار فى الارض والدعوة الى الله ..

وقد تميزت الفترة المكية عن الفترة المدنية ، لان وضع المسلمين فى مكة كان وضعا محزنا ، فهم أفراد قلائل مستضعفون مضطهدون لم تتكون منهم أمة وليست لهم شئون دولة، وكان هَمُّ الرسول وشاغله الاعظم هو بث الدعوة الى التوحيد وتحويل وجوه الناس عن الاوثان إلى الله ، واتقاء كيد اعداء الاسلام ، ولذلك لم يكن هناك مجال ولا داع الى التشريع وسن انقوانين المدنية والتجارية وغيرها ..

أول حكومة اسلامية

كانت السلطة التشريعية فى مكة لله عز وجل ... أما السلطة التنفيذية والقضائية فكانتا معطلتين مؤقتا لعدم وجود الدولة ، وحين تم تأسيس الدولة الاسلامية فى المدينة .. بدأ عهد جديد .. وظهرت أول حكومة اسلامية ..

كانت حكومة مثالية ، كما كانت حكومة غير عادية ..

لماذا كانت غير عادية .. ؟

كان الله عز وجل هو المشرع .. أى أن السلطة التشريعية كانت مرتبطة بالوحى ، وهو أمر غير عادى ، وقد انقطع وحى السماء بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أيضا كانت الحكومة غير عادية لأن السلطة التنفيذية والقضائية كانتا مركزتين فى يد الرسول وأصحابه ، ووجود رسول على رأس الحكومة أمر غير عادى .

أما كون هذه الحكومة مثالية فلا يحتاج إلى بيان .

وقد قامت الدولة الاسلامية الأولى أو الحكومة الاسلامية الاولى على أساس من أخوة العقيدة ، (انما المؤمنون أخوة) .. كما قامت على الشورى رغم وجود الوحى ووجود رسول لاينطق عن الهوى ..

وكان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يؤلفون ما يشبه مجلس وزراء ، (د. حسن صعب) وكان الرسول يستشيرهم ، واحيانا كانت الاغلبية تخطىء والاقلية تصيب ، واحيانا كان الرسول يأخذ برأى الاغلبية فتصحح له آيات القرآن هذا الرأى كما وقع فى حادث الاسرى الذين افتداهم أهلهم من الرسول وكان عمر قد اقترح ضرب اعناقهم واقترح أبو بكر افتداءهم وأيدته الاغلبية ، ثم نزل القرآن يبين أن رأى عمر كان هو الرأى الصحيح .

وقد جعل القرآن الشورى قاعدة عامة ، كما حملت أحدى سور القرآن اسم (الشورى) ، وقال تعالى فيها :

(وشاورهم فى الامر)

(وامرهم شورى بينهم)

وكان المجلس فى اوقات السلم هو مجلس الشورى ، كما كانت أى بقعة من الارض فى الحرب الميدانية هو مجلس الشورى ، والارض عند المسلمين كلها مسجد..

الحرية والاخوة والشورى

أى أن الدولة الاسلامية قامت على الحرية .. والاخوة .. والشورى فى اصطلاحنا الحديث اليوم هى الديمقراطية .

ماهى مصادر التشريع فى عهد الرسول ، ومن تولى السلطة التشريعية فى ذلك العهد؟

كان للتشريع فى عهد الرسول مصدران ، الوحى الالهى ، واجتهاد الرسول نفسه ، فاذا طرأ ما يقتضى تشريعا من خصومة أو واقعة أو سؤال أو استفتاء ، أوحى الله الى رسوله بآية أو آيات فيها حكم ما اريد معرفته حكمه ، عندئذ يبلغها الرسول للمسلمين فيصير هذا قانونا واجب الاتباع ..

فاذا طرأ ما يقتضى تشريعا ، ولم يوح الله الى رسوله بشىء ، اجتهد الرسول فى معرفة الحكم واجاب على السؤال ، فيصير جوابه قانونا واجب الاتباع ..

وفى حكومة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كانت السلطة التشريعية فى هذا العهد لرسول الله وحده ، وهى سلطة مستمدة من الله لأنه سبحانه هو المشرع ، وما كان لأحد من المسلمين غير الرسول أن يستقل بتشريع حكم لنفسه او لغيره ، لأن وجود الرسول بينهم لم يسوغ لاحدهم أن يفعل ذلك ..

الإسلام وقضايا العصر

السلطات الثلاث

يمكن القول: إذن التشريع فى عهد الرسول كان إلهيا كله لأن مصدره لا يخرج عن ثلاثة :

(١) وحى الله فى القرآن

(٢) اجتهاد الرسول النابع من الالهام الالهى ..

(٣) اجتهاد الرسول ببحثه ونظره ، وهذا محفوف برعاية الله له ..

أما السلطة التنفيذية فى المدينة فكانت للرسول وصحابته ، وقد رأينا الرسول يستشير ما يشبه الوزراء من صحابته ، كما رأيناه فى أهم غزواته يختار مكانا لا يصلح من الناحية العسكرية للقتال ، فلما راجعه واحد من صحابته وسأله :

ـ أهذا منزل انزلكه الله فلا يجوز أن نتأخر عنه أو نتقدم ، أم أنها الحرب والمكر والخديعة ؟

وحين أجاب الرسول انها الحرب ، صحح الصحابى الموقف واختار مكانا يتيح لجيش المسلمين أن يشرب ويسد منابع الماء على جيش العدو .

وكان الرسول ـ رغم أنه يوحى إليه ـ يستشير صحابته ، وينزل على آراء الخبراء منهم ، ولم يكن صحابة الرسول أو وزراؤه شخصيات عادية ، انما كانوا هم صفوة الصفوة وافضل العقليات المؤمنة يومئذ .

أما السلطة القضائية فكانت للرسول وصحابته

السلطة القضائية والاجتهاد

ولقد انكشف جوهر الحرية فى السلطة القضائية ، فكان الأصل الحاكم فيها هو الاجتهاد والحرية العقلية ..

وقد ورد اجتهاد الصحابة فى عهد الرسول ، وعرفنا أن فيهم من قضى باجتهاده فى بعض الخصومات أو استنبط باجتهاده حكما فى بعض الوقائع . بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابن أبى طالب قاضيا وقال له :

ـ ان الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك ، فاذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول ، فانه أحرى أن يتبين لك القضاء .

وبعث معاذ بن جبل الى اليمن وسأله : بم تقضى اذا عرض لك قضاء ولم تجد فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ما تقضى به-.؟

قال معاذ : اجتهد رأيي .

قال رسول الله : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله .

أيضا ارسل الرسول حذيفة اليمانى للقضاء بين جارين اختصما فى جدار بينهما ، وادعى كل منهما أنه له ..

وحكم حذيفة واقر الرسول حكمه ..

وقد بلغ تأسيس الرسول للاجتهاد حده الأعلى حين قال لعمرو بن العاص يوما :

ـ احكم فى هذه القضية ..

قال عمرو: اجتهد وانت حاضر-؟

قال رسول الله : نعم ان أصبت فلك أجران وان أخطأت فلك أجر ..

نريد أن نتوقف عند هذا الأفق الأعلى الذى وصل إليه نظام الحكم فى عهد الرسول ، وصلة هذا النظام بالحرية العقلية .. ان الاجتهاد فى هذا العصر ـ وهو حرية عقلية بحته ـ كان له أجران إن أصاب وأجر إن اخطأ ..

لم يكن هناك عقاب على الخطأ .. بل ثواب عليه .

انكشف جوهر الحرّية فى السّلطة القضائيّة فكان الأصل الحاكم فيها هو الاجتهاد والحرّية العقليّة

إذا جلس الخصمان بين يديك فلا تقضينّ حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول

كان الرسول يجتهد مهتديًا بالقانون الإلهى وروح التشريع وتقدير المصلحة ومشورة أصحابه

اذا كان هذا شكل الحكومة الاسلامية فى عهد الرسول ، فماذا كانت الخطة التشريعية فى هذا العهد ، وما هى المبادىء العامة التى بنى عليها التشريع الاسلامى-؟ .

الخطة الاساسية للتشريع

نقصد بالخطة التشريعية الطريق التى يتبعها رجال التشريع فى الرجوع الى مصادر التشريع (د. عبد الوهاب خلاف) .

ولما كان هذا العهد هو عهد التكوين ووضع الأسس التشريعية ، فقد كانت الخطة التشريعية فيه هى الخطة الاساسية للتشريع الاسلامى .

أما الطريق التى اتبعه الرسول فكانت هى :

(١) انتظار الوحى

أو (٢) الاجتهاد واعمال العقل ..

وكان الرسول يجتهد مهتدياً بالقانون الالهى وروح التشريع وتقدير المصلحة ومشورة أصحابه ..

أما المبادىء العامة التى بنى عليها التشريع الاسلامى فكانت أربعة.

المبدأ الأول : التدرج فى التشريع ، فقد مكث القرآن يتنزل على قلبه لمدة ٢٣ سنة ، وكانت حكمة التدرج الزمنى انه ييسر معرفة

القانون مادة مادة ، وييسر فهم احكامه بالوقوف على الحدث الذى اقتضى التشريع ولم يكن التدرج زمنيا فقط ، وانما كان نوعياً أيضا ، فلم يكلف المسلمون فى أول عهدهم بالاسلام بما يشق عليهم فعله أو ما يشق عليهم تركه . بل أخذهم الله والرسول بالرفق والاناة والحلم ..

فى أول الأمر لم تفرض الصلاة خمس مرات فى اليوم ، بل طلبت منهم صلاة مطلقة بالغداة والعشى .

أيضا لم تفرض على المسلمين الزكاة والصيام إلا بعد الهجرة بسنة ، أى بعد ١٤ عاماً تقريبا من بداية الأسلام .. وكان التكليف قبل ذلك بما يستطيعونه من صدقة وصوم ..

أيضاً لم يحرم الخمر والميسر وكثير من عقود الزواج والربا إلا بالمدينة .. وتم تحريم الخمر على ثلاث مراحل .

فى البداية قيل عن الخمر (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) .

ثم نزل قوله تعالى (لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى) .

ثم صدر التحريم القاطع بقوله تعالى (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) .

وكانت حكمة التدرج فى التشريع هى اصلاح النفوس الجامحة واخذها بالرفق لتقبل التكليف من غير ضجر ولا عنت ، وهو من الحكمة فى الدعوة .

المبدأ الثانى : التقليل من التقنين ، فجاء التشريع على قدر الحاجة ونهى القرآن والرسول عن الاكثار من الاسئلة التى تقتضى التشريع ..

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) .

والحكمة من تقليل التشريع هو ترك المجال للأجيال القادمة لتؤدى دورها فى التشريع فيقتصر كل عصر على تشريع ما اقتضته مصالحه ، ومن المبادىء المقررة فى الشريعة الاسلامية ان الاصل فى الأشياء الاباحة فلا حرج إذن من تقليل التقنين ، بل ان الحكمة تستوجب تقليله .

المبدأ الثالث : التيسير والتخفيف ، وهو أجلى ظاهرة فى التشريع الاسلامى كما

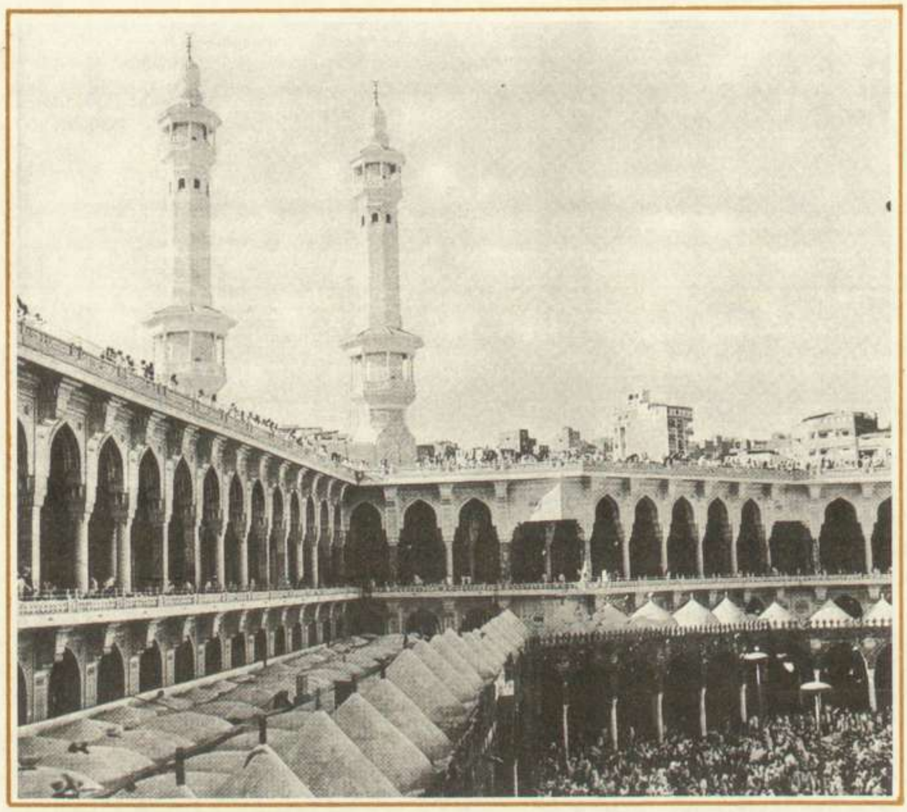

لاحظ العلماء ، وقد وردت فى القرآن نصوص قاطعة الدلالة فى أهمية التيسير والتخفيف ..

قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .

وقال عز شأنه (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفاً)

وقد ورد فى صحيح السنة أن الرسول كان اذا خير بين أمرين اختار ايسرهما مادام حلالا ، وفى حالات المشقة شرعت الرخصة وابيحت المحظورات عند الضرورات ، وابيح ترك الفرض والواجب اذا كان فى اداء أحدهما حرج (تاريخ التشريع الاسلامى) واعتبر الاكراه والمرض والسفر والخطأ والنسيان والجهل من الاعذار التى تقتضى التخفيف .

المبدأ الرابع : مسايرة التشريع لمصالح الناس .. وبرهان ذلك أن الشارع علل كثيرا من أحكامه بمصالح الناس ، ودل بالشواهد على أن المقصود من تشريع الاحكام هو تحقيق مصالح الخلق ، وقرر ان الاحكام تدور مع عللها وجودا وعدما ، ولهذا شرع الله بعض الاحكام ثم أبطلها ونسخها حين اقتضت مصلحة الخلق تعديلها ، فقد فرض الاتجاه فى الصلاة الى بيت المقدس ، ثم نسخها وفرض الاتجاه فى الصلاة الى الكعبة ، وفرض عدة المتوفى عنها زوجها حولا ، ثم نسخها وفرضها أربعة أشهر وعشرة أيام .

وهذا النسخ والتبديل والتعديل فى وقت التشريع برهان على أن التشريع الاسلامى ساير مصالح الناس ، ومن مصالح الناس ان تراعى عاداتهم وما جرى به العرف مادام لا يجلب ضررا ولا يعارض أصلا دينياً .

وحين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان عدد آيات الاحكام المتعلقة بالعبادات والجهاد نحو ١٤٠ اية ، وعدد الآيات المتعلقة بالمعاملات والاحوال الشخصية والجنايات والقضاء والشهادة نحو ٢٠٠ آية . وعدد احاديث الاحكام فى انواعها المختلفة نحو ٤٥٠٠ حديث .. كما ذكر ابن القيم ..

وفيما عدا ذلك .. ترك العقل حرا وتمام الحرية فى الاجتهاد .. وبموت الرسول .. اسدل الستار على هذا النموذج من الحكم الالهى .. وبدأ عصر الراشدين ...

أحمد بهجت

صلاح عبد الصبور

مشارف الخمسين

فى زمننا الشعرى الأول

كان لات الشعر وعزاه فى زمننا الأول هما محمود حسن اسماعيل وعلى محمود طـه ، إذ لم تكن الأصوات العربية تصل الينا ، فلست أذكر انى قرأت « الياس أبو شبكة » أو « عمر أبو ريشة » أو « محمد مهدى الجواهـرى » إلا حين أوغلت فى دروب الشعر . فكانت قراءتى لهذه الأصوات قراءة المستطلع الناقد ، لا قراءة المحب الشغوف . ولكن ثلاثة من شعراء العصر العرب استطاعوا بالصدفة المحض أن يدخلوا الى عالمنا الصغير فى المدرسة الثانوية ، وأن يزاحموا محمود حسن اسماعيل وعلى طـه فى وجداننا . وإن كانت حبة القلب لهذين الشاعرين . وكان لكل من هؤلاء الشعراء الثلاثة طريقة . فقد غنى عبد الوهاب لأولهما ، وهو ايليا أبو ماضى قصيدته الطلاسم ، فالتمسنا القصيدة كاملة فى مكتبة بلدية الزقازيق ، وهناك نسخناها فى كراساتنا ، وأحببنا الشاعر حباً قريبا من الفتنة ، وإن كان صوته ظل غريبا عما ألفناه من الشعر العربى ، إذ أن ايليا ابو ماضى شاعر مرهف العقل كما هو مرهف الحس . وكان ثانـى هؤلاء الشعراء وثالثهم هما أبو القاسم الشابى التونسى والتيجانى يوسف بشير السودانى . ولقد ساقنا إليهما أديب من أدباء ذلك الزمان هو « محمد فهمى » الذى جمع لهما ولثالثهما الهمشرى المصرى كتاباً من المختارات . وكان ما يربط بينهم جميعا هو انهم لقوا الموت فى شرخ الشباب .

ولم يكن محمد فهمى ـ متعه الله بالعافية إن كان حياً وبالخلد إذا كان قد اخترمه الموت ـ لم يكن غريبا عنى ، فهو بلدياتى ..ننتمى معا لنفس المدينة الصغيرة ، وكان زميلا لأحد أخوالى فى الدراسة الثانوية ، وحين حصل على شهادته الثانوية فى عام ١٩٣٧ فيما أذكر عين موظفا بمصلحة الرى . ولقد قرأ فهمى ذات يوم كتاب « توفيق الحكيم » الدافىء الرفيع ... زهرة العمر ... فرآه يتحدث عن باريس والفن وتمثال الفريدى دى موسيه الرابض فى الميدان ، فاقتصد محمد فهمى من مرتبه القليل ، وشد الرحال الى باريس ، ليكون راهبا من رهبان الفن والفكر ، ولكن باريس كانت اقسى عليه مما ظن وخال ، فأنفق فى رحابها شهورا عاد بعدها وقد فقد عمله ومدخراته . ومن ذلك اليوم حتى هجر محمد فهمى مصر منذ ما يزيد عن عشرة اعوام وهو يعيش فى أرجاء القاهرة عيشة الفنان الذى لا يقيم وزناً لجوع أو شبع ، ولا يأبه هل اطلـه سقف أم أظلته السمـاء .

ولقد كان فهمى قليل الانتاج ، فقد كتب فى هذه السنوات التى تزيد عن ربع قرن بعض الاشعار وبعض المقالات ، وجمع هذا الكتاب عن البلابل الثلاثة التى اخترمهـا الموت ، وربما كانت ابدع قصيدة كتبها فهمى هى حياته التى نذرهالليل والمشى فى مناكب المدينة والسمر مع الاحباب . وكان فهمى لمكانـه من اسرتى يعدنى أحد اتباعه ، وكنت أمد له حبل الولاء راضيا رعاية لهذا المكان . ولكنى كثيرا ما أذكر له أن أبى فزع فزعاً شديدا حين كاشفته بأننى أريد أن أكون كاتباً وأديبا ، وقال لى فى لهجة بالغة الاستنكار :

كامل الشناوى

ـ هل تريد أن تكون صعلوكاً مثل فهمى ؟

وعندئذ كنا نتضاحك ، ونسرى عن انفسنا بأن أهل الدنيا لا يفهمون أهل الفن ... من أمثالنا .

ولقد مرت السنوات منذ عرفت فهمى حتى تخرجت فـى الجامعة ، وعملت فى الصحافة ، وأصبح لى مكان ضئيل فى دولة الأدب ، وقلت لفهمى ذات مرة إن صحفيا كبيرا و شاعرا هو كامل الشناوى يؤثرنى بمكان فى نفسه ، وأننى استطيع أن اخاطبه ليجد لفهمى مكاناً فى جريدة « الجمهورية » . وقال لى فهمى بدون حماسه : كامل ... أعرفه منذ عشرين عاما .. ماذا يفعل الان ؟

ـ هو رئيس تحرير جريدة الجمهورية

ـ كلمه إذا أردت ...

وكلمت كامل الشناوى ، ورحب كامل بالفكرة ، وإن كان قد افاض فى التنـدر عليه . وذهب فهمى إلى كامل الشناوى ، ثم لقيته بعد ذلك ، فلم يحدثنى عن نتيجة مسعاى . وسألت كامل الشناوى ، الذى كنا جميعا نناديه بكامل بك إكراماً للبكوية التى نالها حين كانت فى مصر رتب والقاب ، وحرصاً على أن ننادى من نحب بأحب الاسماء إليه عملا بالوصية المعروفة . وقال كامل :

ثلاثة من شعراء العصر العرب استطاعوا بالصدفة أن يدخلوا عالمنا الصغير محمود حسن إسماعيل كأمنية أولى.. وعلى محمود طه كأمنية رابعة أو خامسة

كان زكريا الحجاوى يحتفى بصغار الأدباء يفسح لهم فى مجلسه ويفيض عليهم من مجاملته

أبو القاسم الشابى

التيجانى بشير

عمر ابو ريشة

الياس ابو شبكة

ـ لقد دخل على فهمى شديد الكبرياء فاترا كانه كان معى بالامس فقط ، واخذ يقول لى : إزيك ياكامل .. عاوز منى إيه ياكامـل ...

وأضاف كامل الشناوى :

ـ لقد خاطبنى كأننى أنا محمود فهمى ، وهو كامل الشناوى ..

زمن مضى بأهله وناسه ، فكأنه وكأنهم أحلام كما يقول الشاعر القديم

● ●

هذا هو بعض حديث فهمى وشعرانه المختارين ، ولكنى لو كنت سئلت وأنا انزل القاهرة طلباً للعلم فى الجامعة فى عام ١٩٤٧ عن أول ما أريد أن اراه فى القاهرة ، لقلت دون تردد : محمود حسن اسماعيل كأمنية أولى .. ثم على محمود طـه كأمنية رابعة أو خامسة .

ولقد اسعف الزمان ، ورأيت محموداً فى أوائل ١٩٤٨ .

كان يزاملنا فى الجامعة ، ويتقدمنا ببضع سنين طالب متعدد المواهب ... يغنى ويمثل وينشد الشعر ويلقى الفكاهات هو جمال أبو رية .. كاتب أدب الاطفال .

سألنى مرة : لماذا لا تأتى لتجلس معنا على قهوة محمد عبد الله فى الجيـزة ؟ .

وسألته : ماذا فيها ؟

وقال : مجموعة من الادباء تعال لأعرفك بهم .

وذهبت معه الى القهوة أو المقهى .. إن أردت الصحة اللغوية ، وكان قطبا المقهى هما زكريا الحجاوى وأنور المعداوى .

كان زكريا الحجاوى أقرب الى القصر والسمنة ، يتحدث إليك فى صوت منغوم عذب ، ويحتفى بصغار الادباء فيفسح لهم فى مجلسه ويفيض عليهم من مجاملته وتقديره . ولم يكن لزكريا عمل نعرفه آنذاك ، وكلنا أدركنا أن له مكاناً فى إحدى المصالح الحكومية لا يكاد يراه . وعرفنا أيضاً أنه شىء بين الفيلسوف والفنان ، وأن له مذهباً أدبياً يروج له ، كما أنه محب للموسيقى ، وبخاصة موسيقى سيد درويش .

كان خيال زكريا رحمه الله يضيق بواقعه ، وكثيرا ما كان يحدثنا بحكايات عن لقائه ببعض الأدباء العالميين وحديثه إليهم ، ولا نكاد نسأل أنفسنا متى تم هذا اللقاء حتى نكتم هذا الخاطر السخيف ، ونقنع بالسياحة مع خيال زكريا فى الآفاق الممتدة للزمان والمكان .

وكان أنور المعداوى طويلا جسيما . أبيض الوجه لامع الشعر ، أول ما ياخذ عينيك فيه هذه الثقة فى نبرات الصوت والايحاء ، وكان عندئذ أحد كتاب مجلة « الرسالة » المرموقين .

لقد أسمعت كلاهما شعرى ، واستقبلاه استقبالا مجاملا ، الى أن سألت أنور ذات يوم قائلا : هلى لى أن أرى محمود حسن اسماعيل ، فلقد ذكرت أنه صديق لك ...

وضحك أنور ضحكته المجلجلة ، وأشار إلى ركن فى المقهى قائلا :

ـ هذا هو محمـــود .. قم بنا أعرفك بـــه .

وجلسنا إلى محمود فى حياء .. من جانبى على الاقل .. وقدمنى إليه أنور قائلا :

ـ فلان طالب فى كلية الآداب ... وشاعـر ...

وأخذت أتأمل فى وجه محمود ... وجه صعيدى حاد الملامح وسيمها .. وعينان غريبتان احداهما أوسع من الأخرى وأكثر حدة وتحديقاً ، وصوت قوى ولكن فيه نبرة من الضيق .

واسمعت محمود بعض شعرى فى ذلك الزمان ، ولا أعلم هل أرضيته أم أسخطته ، ولعله كان قد سمع كثيرا من أمثالى فما عناه عندئذ أن يزيدوا واحدا . وكنت عندئذ لم أتم السابعة عشرة من

كان أقرب الشعراء إليه هما المتنبي وأبو تمام .. وكلاهما من كبار الشعراء وكبار المداحين

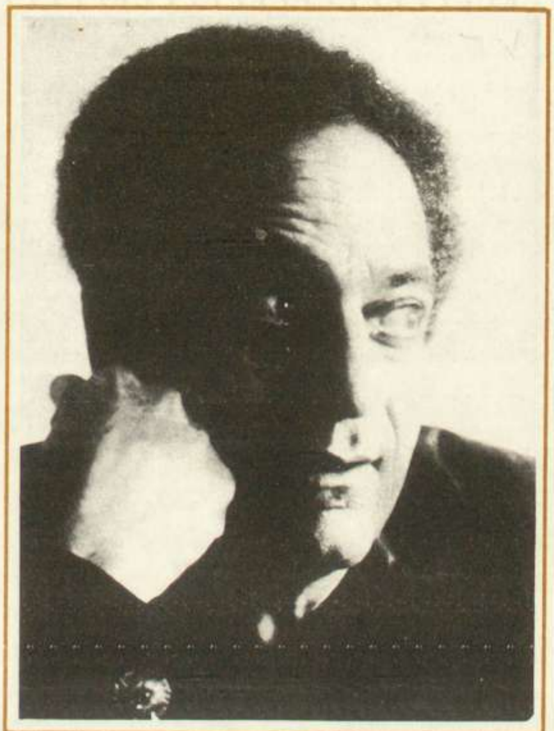

محمود حسن اسماعيل

على محمود طه

زكريا الحجاوى

عمرى بعد ، وها أنذا أطوى بعدها سنوات لأجد محمود حسن اسماعيل صديقاً عزيزاً ، وأجمع على مدى عشرين عاما أو تزيد ، من شذرات لقاءاتنا أفانين من الشعر والمودة والصفاء ...

● ●

لم يكن ما يصدر من دواوين الشعر ليوجد فى مدينتنا الصغيرة بين اعوام الأربعين والخمسين ، فكنا نلجأ الى المكتبة العامة المسماه بمكتبة البلدية ، وفيها قرأت جبران خليل جبران واتممت قراءة المنفلوطى الذى رأيت عبراته ونظراته فى بيتنا ، كما قرأت روايات روكامبول والفرسان الثلاثة وغيرها من ادب المغامرات مترجما الى العربية بقلم طانيوس عبده وسواه .

وفى مكتبة البلدية وجدت أول ما وجدت لمحمود حسن اسماعيل ديوانه « الملك » ومن نافلة القول أن اذكر أن هذا الديوان كان تعس الحظ إذ انه لم يطبع إلا طبعته الاولى ، إذ تغير الحكم فى مصر فى عام ١٩٥٢ ، بل أن محمود نفسه كان يفزع لذكر ذلك الديوان كانه ثمرة خطيئة قديمة . ولم يكن الديوان يمثل لى شيئا عندئذ إلا اجماله الموسيقى والفنى ، فلم أكن منذ وعيت محبا لملك مصر السابق . ولكن قراءة شعر هذا الديوان كانت تلقى أمام عينى غلالة رقيقة تحجب هذه التفاصيل العابرة ، ولا يتالق من خلالها إلا الشعر وحده .

والواقع أن شعر محمود حسن اسماعيل فى الملك فاروق نمط من أروع الشعر . فهو ليس شعر مناسبة استجداء فلم ينل محمود من الملك شيئا يذكر كما حدثنى فيما بعد ، ولكن هذا الشعر شعر محبة ، فلقد خيل لمحمود ذات يوم أنه جدير بأن يقف من فاروق موقف المتنبى من سيف الدولة ، وخيل له وعيه السياسى المحدود أن الحياة لابد أن يكون فيها ملك وشاعر ، وأن ما هو غير ذلك هباء وهواء . ولعل مما ساعد «محمود» على هذا التصور أمران ، أولهما أنه نشأ فى ظل التراث العربى ، وكان أقرب الشعراء إليه هما المتنبى وأبو تمام ، وكلاهما من كبار الشعراء وكبار المداحين ، وثانيهما أن محمود حسن اسماعيل كان يلوذ فى مطلع شبابه بزعيم الاحرار الدستوريين فى مصر محمد محمود باشا وهو سليل أسرة من اعرق الاسر المصرية ، وهو أيضا الخصم الأول لمصطفى النحاس زعيم الوفد وزعيم الحركة الشعبية المصرية ولقد حدثنى محمود حسن اسماعيل ذات يوم كنا فى بلدته بصعيد مصر ، وهى قريبة من بلدة محمد محمود باشا ، أن هذا الباشا كان يحبه ويؤثره ، رغم الفارق الكبير بينهما من حيث الاصول الاجتماعية بل كان يقدمه على بعض «الذوات» من اعوانه .

ولقد قاده حبه لمحمد محمود باشا الى مدح فاروق ، ولم يكن مدحا مما جرت به العادة عند اوساط الشعراء ، ولكنه مدح عالى القدر من الفن ملىء بالصور البيانية الرائعة ، جليل بالايقاعات والوشى الموسيقى . لقد صدر هذا الديوان فى عام ١٩٤٦ ، وحين قرأناه (أنا وأصحابى فى المدرسة من شداة الشعر) أوشكنا أن نحفظه ، ثم قادنا

● أما التحدى الثانى فهو نشوء حركة الشعر الحديث بما أرسته من آفاق جديدة

محمد محمود باشا

مصطفى النحاس

هذا الديوان الى ديوانيه السابقين ... أغانى الكوخ ... وهكذا أغنى .

وأكتملت بقراءة هذين الديوانين دائرة العشق ، ورجعنا الى الصفحة الاولى لنجد أن أولهما قد صدر فى عام ١٩٣٥ ، وصاحبه طالب فى دار العلوم ، وثانيهما قد صدر فى عام ١٩٣٨ . وفى الديوان الأول لا ملك إلا الشعر ذاته ، ولا ملهم الا الريف المصرى بنخيله وزهره وسنابله وغربانه . أما فى الديوان الثانى فقد بدأت النغمة « الملكية » تستأثر ببعضه ، فى لهجة ناضجة متمكنة .

فاروق حبك فى القلوب عقيدة
أخذت سراها فى القلوب مع الدم
قسمت مع الايمان قدس مكانه
فى الروح ، وهو لغيرها لم يقسم
والشرق يقرأ فى جبينك آية
فجر الربيع بنورها لم يوسم ... الخ

ولكن « فاروق » لا يستأثر فى هذا الديوان إلا بثلاثين صفحة من صفحاته التى تجاوز المائتين . أما بقيتها فهى حديث شاعر يخلع على الطبيعة اثواب خياله ، ويتغنى بمواجده واحزانه ، وهو الى ذلك يمتلك قدرة لا تطال على تكوين الصورة الشعرية ولم عناصرها على غير ما الف جيله من الشعراء حتى ليكاد يصدق فيه ما قيل عن أبى تمام من أنه قد تجاوز عمود الشعر التقليدى الى عمود شعرى جديد .

إن عناصر خيال محمود حسن اسماعيل تختلف كثيرا عن عناصر خيال الرومانسيين من معاصريه ، فهم يذكرون لك الورد والطير والشجر والأسى ، أما محمود فقاموسه غريب عنهم . إن قاموسه هو التهاويل والجنون والرفات والهشيم والهياكل والرهبان والبوم والدجى والصخور والضجيج .... عالم مليىء برقة كأنها العنف وموسيقى كأنها الصخب .

استمع إليه يصف نفسه حين غابت عنه حبيبته :

جاثم فى التراب كالأمل الخا
ئب فى خاطر ذبيح الشكاة
كالشجى فى اللهاة كالسهم فى المه
جة كالموت فى ربيع الحياة
كرمام القبور كالبيدر المهجور
كالرجس فى جنوب العصاة
كأنين الغريب فى وحشة الليل
كلطم النوادب الثاكلات
كنشيج الأيتام ملوا من الدمع
وملوا برعشة الاهات
كجبين المشنوق خط عليه الموت
أسكار عمره النحات
هكذا صرت بعد ما غبت عنى
فى الأسى والنحوس ضاعت حياتى

● ●

تغيرت الحياة فى ناظرى محمود حسن اسماعيل بعد عام ١٩٥٢ ، وبخاصة وقد نقلته الحكومة الجديدة من عمله بالاذاعة الى التدريس وهو عبء أكبر من أن تطيقه روحه القلقة ، هنا لاذ محمود فى شعره الذى ابدعه بعد ذلك بعالمه الداخلى ، يحاول أن يستقطر فمه بعضاً من حكمة الحياة والموت . وكان ذلك هو التحدى الأول لموهبته التى نشأت فى ظل التراث العربى المعنى بظاهر الحياة ، وما فيها من ألم الجب أو لذة المدح والهجو . أما التحدى الثانى لتلك الموهبة فهو نشوء حركة الشعر الحديث بما أرسته من آفاق جديدة للشعر وأسلوب جديد للموسيقى الشعرية .

ولقد قال لى محمود أكثر من مرة انه أول من شق للشعر الحديث طريقه وأسمعنى بعض شعره التفعيلى الذى كتبه فى أواسط الثلاثينات ، ولعله كتب هذه الخاطرة فى إحدى المجلات بعد ذلك . ولقد وافقته على أنه من رواد الشعر الحديث إذا عنينا بالحداثة حداثة التجربة واصالتها ، ولكن واقع الامر أن دواوين محمود حسن اسماعيل التالية لديوانه الرابع (أين المفر) كان فيها سعى شاعر عظيم إلى امتلاك المعانى التى لاتتصل بالتجربة والانفعال بقدر ما تتصل بالتأمل والفكر .

● ●

قلت لأنور المعداوى ، وكانت له مقالات متتابعة فى «الرسالة» عن « على «محمود طـه » الذى نسب إليه مذهبا فى الشعر هو مذهب « الاداء النفسى » .

– اريد أن أجلس إلى على طـه .

وقال لى أنور :

– إنه لا يأتى إلى هذا المقهى ، ولكنه يجلس فى محل « جروبى » بميدان سليمان باشا .

وذهبت الى جروبى عدة مرات ، واختلست النظر حتى رأيته ... هيئته ليست هيئة شاعر ، ولكنها هيئة عين من الاعيان . وخفت رهبة المكان ، فخرجت .

ولم يسعف الزمان فمات على محمود طـه فى عام ١٩٤٩ ، وبعدها بقليل مات الاعجاب به نفسى . وأكاد أقول ان على طـه لم يعد يقرؤه أحد من شداة الشعر فى هذا الزمان رغم أنه كان يوماً نجما لامـع البريق .

....لنحاول معا كشف هذا السر فى حديث قـادم .

صلاح عبد الصبور

زاوية الرأى

كلمة السر فى وجه العاصفة

العالم كله يعيش هذه السنين ، بل هذه الاشهر ، مناخ تغيير كبير ... ومن الضرورى والمصيرى أن ندرك حقيقة ذلك لنستعد لمواجهته ، ونحوله الى عنصر قوة لنا ، بدل أن يجرفنا باندفاع حركته المذهلة ونحن نتفرج مشدوهين ونوزع بيانات «الادانة» لهذا الحدث «والاستنكار» لذاك :

● الوضع العالمى كله تحول من الوفاق الى الحرب الباردة بين الكتل الدولية . وهذا لا يعنى مجرد تغيير فى المواقف السياسية . إنه يعنى تحولات فى المواقف العقائدية والاجتماعية والنفسية وتبدلا أساسياً فى تفكير قيادات الدول الكبرى وطريقة رؤيتها لحقائق العالم .

● فى عالمنا العربى حدثت تغييرات وتبدلات لا داعى للدخول فى تفاصيلها لأنها أصبحت واضحة ومفهومة لدى المواطن العربى وخلاصتها إن انقلاباً فى المعادلات العربية قد حصل قومياً وفكرياً ونفسياً . وهذاالتحول لم يؤد الى نتيجة ثابتة بقدر ما فتح المجال لتطورات لاحقة مجهولة ، فى ظل التشتت الحالى الذى أحدثه . ومن علائم هذا التشتت والقلق تلك الاحداث الفجائية العنيفة التى تظهر على السطح فى البلاد العربية ، مع ما يرافق ذلك من اشتداد التيار السلفى بين الاوساط العربية الشابة على امتداد العالم العربى ، فى ظل خيبة عميقة من الغرب وحضارته ومسلكه السياسى ، وفى ظل العجز العربى ذاته تجاه اسرائيل ثم تجاه الغزو الروسى لأفغانستان ، مع الاخفاق فى استيعاب حضارة العصر بشكل فعال ، وافتقاد حس الحرية والعدالة ، فى معظم التجارب القائمة وأكثر الاوضاع الراهنة .

● وفى العالم الاسلامى الكبير المحيط بنا لا يقل الأمر خطورة عما هو عليه فى الوطن العربى ، ففى ايران ذهب نظام عمره أكثر من خمسين سنة بكل ما كان يمثله من اتجاهات وأفكار وعلاقات ، وجاء نظام مختلف عنه تماماً بكل مؤثراته ومتغيراته الداخلية والاقليمية والدولية . وفى أفغانستان جاء تواجد قوة كبرى توسعية وذات صبغة ايديولوجية معينة ، بكل مخاطره وما يترتب عليه من نتائج فى هذه المنطقة الحساسة من العالم أما فى تركيا فتتعرض تجربة أخرى عمرها خمسون سنة أيضاً لاهتزاز عنيف . إن التجربة الكمالية التغريبية تنشطر اليوم فى تركيا بين الاستقطاب اليسارى والاحياء الاسلامى . ولا ندرى كيف ستستقر الأمور فى النهاية ولكن المؤشرات تدل على أن تخمرات عميقة تنضج تحت السطح .

● فى الشرق الجديد المستيقظ لا تقل علائم التغيير عمقاً ودلالة . ففى الصين جاءت قيادة جديدة مختلفة عن القيادة القديمة فى تفكيرها وتعاملها مع الوضع الداخلى والدولى .

وفى الهند ذهب اتجاه سياسى وجاء مكانه اتجاه آخر مضاد له بنظرة جديدة الى الداخل والخارج على حد سواء .. هذا حتى لا نذكر التحولات والتقلبات التى نسمع عنها كل يوم فى القارة الأوربية المشهورة باستقرارها ، وفى اسواق الذهب والعملات الصعبة ، وفى بلدان أفريقيا وأمريكا اللاتينية ..الخ .

● ومن حسن حظ العرب إن التيارالعنيف من العاصفة يدور فى الشريط المحيط بهم ولم يضرب فى العمق العربى بعد .. أقول من حسن حظهم .. لأن التاريخ – ربما للمرة الأخيرة – قد اعطاهم الفرصة لرؤية هذه الاحداث العاصفة عن قرب ، والاتعاظ بها ، وأخذ العبرة من معانيها ، ليتفادوا حدوثها عندهم بالشكل المخيف الذى حدثت به عند جيرانهم وليدركوا بوضوح وصراحة : أن التغيير التاريخى أمر لابد منه ، ولا يمكن التهرب منه ، والتحايل عليه ، وتأجيله بالمهدئات والمسكنات .

● لايمكن تغيير جزء من المجتمع وترك الجزء الآخر على وضعه القديـــم .

● ولا يمكن السير على النهج التقدمى فى الصناعة والتنمية والاقتصاد والسير على النهج المحافظ جداً فى التقاليد الاجتماعية ووضع المراة فى المجتمع فذلك تناقض وازدواجية ، بل انه علة الانشطار والصراع والتمزق .

● التنمية فى الصناعة .. تحتم التنمية فى التفكير والمعرفـــة .

● التنمية فى التربية .. يجب أن تواكبها تنمية فى الحياة الاجتماعيـــــة .

● التنمية فى الحياة الاجتماعية .. تتطلب التنمية فى الحياة السياسية وقس على ذلك ...

● إن النمو المتكامل هو ضمانة المستقبل .

● ولا يمكن أن يعيش مخلوق ، فرداً كان أم جماعة ، إذا تنامت عضلاته – مثلا – وبقى عقله أو قلبه محدود النمو .. هذا ضد قانون البقاء .. ذلك القانون الذى نعلمه لصغارنا فى المدارس عندما نقص عليهم نبأ انقراض الديناصور .. فهل يجوز أن ننسى هذا القانون الحتمى عندما نفكر فى بقائنا كأمة ومجتمعات وأوطـــان ؟ .

« التقدم والتغيير – بشكل متوازن – فى كافة مجالات الحياة » هذه كلمة السر فى عالم اليوم ... بل خشبة الانقاذ لمن أراد أن يحيـــا ...

دكتور محمد جابر الأنصارى

هواية الصقور فى قطر

تحقيق نادية رزق عدسة : كمال راشد

عندما سأل أبو جعفر المنصور أبى دلامة عن أحب أنواع الطيور إلى قلبه قال : أحب الصقر الطويل النفس ، الأسود الجنس ، إذا صاد أشبع ، وإذا أمات أوجع ، يصيد الكبير ويعفو عن الصغيـر .

وهذه العبارة تلخص ميزات الصقر الجيد حتى وقتنا الحاضر ..

وهى ميزات يضعها دائما فى الحسبان هواة الصقور فى قطـر ، فهم يقتنون انواعا عديدة من الصقور منها الباز ، واحسن البزاة ما خف ريشه مع حدة فى عينيه واتساع واحمرار ، ورأسه صغير وعنقه طويل ، وله ساقان ضامرتان ، وفخذان مملوءتان باللحم ..

ويقال عن الباز أنه اسرع من السهم ، لأن طيرانه سريع وهو محب للنظافة ، ويقبل على المدرب النظيف ويجلس مطمئناً بين يديه ، وينفر من الشخص كريه الرائحة ويصل حد النفور إلى درجة التأثير فى شهية الصقر ورغبته فى الصيد ! .

أمهر الصيادين

ومن الانواع الأخرى التى يحبذ اقتناءها هواة الصقور ، نوع لا يتحمل الجوع الشديد ولا الشبع الشديد ، يسمى الشاهين ، يغضب بسرعة إذا ما حاول مدربه أن يؤذيه ، وهو مدلل لا يتحمل التعب والمشقة ، ولكنه من أكثر الطيور مراوغة فى تعقب فريسته من حيث الاقبال والادبار ، إلا أن ذلك لا يتم إلا فى مسافة قصيرة !

والشاهين يستغرق وقتا طويلا فى تدريبـه لرفاهيتـه وحدة مـزاجـه ، كما أنه ينسى سريعا ما يتعلم .. وهو يحب العيش بالقرب من الشواطىء ويأكل من طيورها !

وعلى خلاف الشاهين ، نجد الصقر الحر يهوى الحياة فى الصحراء وفى الأجواء الحارة ، حيث يجد طعامه من الفئران والأرانب والطيور بعد جولات شاقة من البحث !

وينظر القطريون إلى هذا النوع من الصقور نظرة اعجاب ، فهم يعتبرونه من أمهر الصيادين لأنه قادر على الطيران لمسافات طويلة بدون تعب ، وطباعه

هواية الصقور في قطر

الصقر الجيد هو الصقر طويل النفس الأسود الجنس إذا صاد شبع .. وإذا أمات أوجع .. ويعفو عن الصغير !

طائر الحبارى الذى اصطاده الصقر

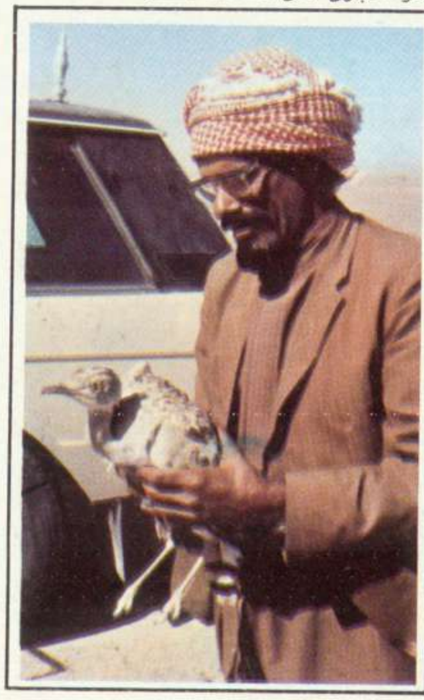

الصقر أثناء التدريب

عكس طباع الشاهين ، فهو يتحمل الجوع والعطش ، ولا يرفض أى نوع من الطعام يقدم إليه ..

وهناك أنواع أخرى من الصقور مثل الوكرى الحر ، وهو يشبه الى حد كبير الحر فى كل طباعه وهناك أيضاً الجرموشة ، والباشق ، وتبع الشواهين ، وأوكرى الشواهين وهى كلها من نفس فصيلة الصقور السابقة ..

موسم الصيد

وأكبر متعة للقطريين فى رحلة الصيد هى عندما يخرجون بصقورهم لصيد الحبارى ، وهو طائر له طعم الدجاج والبط ، يطير لمسافات طويلة ، وموطنه الأصلى فى أفريقيا حيث يعيش فى الحقول الفسيحة والبرارى ، ويكره العيش فى الغابات .

والحبارى عادة تحب العيش منفردة أو فى جماعات صغيرة ، وإن كانت تجد نفسها مضطرة لقبول حياة الجماعة فى وقت الهجرة ، خاصة عند الطيران من أوربا وآسيا الوسطى باتجاه الجنوب ، حيث تذهب فى الشتاء صوب باكستان والهند ، والجزيرة العربية والخليج وصحراء مصر .. وهنا يبدأ موسم الصيد ويتجه الهواة من القطريين إلى باكستان ، وسوريا ، وأحياناً بالقرب من المملكة العربية السعودية ..

وعندما سألت هواة الصيد عن معلوماتهم الأخرى عن الحبارى ، قالوا لى ان منها الصغير والكبير والمتوسط ، ولكنها تشترك كلها فى القوة وكبر الرأس وغلاظة الرقاب ، ولها أقدام بثلاثة أصابع وجناحان مستديران ، وريشها كثيف وقوى وبرغم ثقل جسمها إلا أن سرعة طيرانها فائقة .

مقاومة الصقر

وقد عرف العرب الحبارى منذ القدم ، ويروى عن أبى داود والترمذى عن يزيد بن عمر مولى رسول الله ، عن أبيه ، عن جده ، أنه قال : « أكلت مع رسول الله حبارى » .. وللحبارى طريقة فريدة فى الدفاع عن نفسها ضد الصقور ، فقد سلحها الله بكيس فى مقدمة جسمها تحتفظ فيه بسائل لزج رقيق ، وتظل تحاور فى الصقر عندما يريد اقتناصها ، وتصعد وتهبط ، وتتجه لليمين واليسار ، وعندما تجد الفرصة ملائمة ، تلقى بالسائل فى وجهه ، فاذا أصابه التصق ريشه ببعض ، وأصبح مشلول الحركة ، فتسارع هى الى الهرب سريعا .. أما إذا أخطأ السائل وجه الصقر فان الصراع يستمر وتظل المحاورة من كل الجوانب ، ويطير فوقها وتحتها حتى ينقض عليها

الامساك بالفريسة

رحلة الصيد

فى الحال ، ويأتى بها إلى مدربه الذى يسارع إلى ذبحها إذا كانت سليمة أما إذا كان الصقر قد بدأ فى التهامها فتترك له .

وفى كل مرة يصطاد فيها الصقر فريسة ، لابد من مكافأته باطعامه كثيرا من اللحم حتى يدرك قيمة المكافأة التى تنتظره عقب اصطياده لكل فريسة ..

والفريسة هنا ليست فقط الحبارى ، فالصقور تصيد البط والدجاج والأرانب وبعض الطيور الأخرى ..

أدوات الصيد

ورحلة هواة الصقور فى قطر تبدأ عندما يحصل القانص على الصقر سواء بالصيد أو بالشراء ، فعندئذ يبدأ فى تعليمه وتهذيبه ..

ومن أدوات التعليم البرقع وهو يغطى وجه الصقر كله عدا فتحة يخرج منها أنفه ، يضعها مدربه على وجهه عندما يضطرب أو يخاف من وجود الناس ، والبرقع عادة من الجلد .

ومن الأدوات أيضاً المنقلة وهى قطعة من الخيش مغلقة من الخارج بقماش سميك أو من الجلد أو المخمل وتكون قوية وسميكة لتحمى يد المدرب من مخالب الصقر الفتاكة ، وهى عادة تكون بحجم يد المدرب حتى الزند ، ولها فتحة من الأمام يستطيع من خلالها أن يخرج يده .

أما السبوق فهو الخيط الذى يربط من أحد طرفيه أرجل الصقر والطرف الآخر يربط فى أداة تسمى المرسل ، وهى عبارة عن خيط مكون من ثلاثة أجزاء يفصل بينها مشبك من الحديد بمنتصفه صامولة تدور فى كل اتجاه ، وهى تسمح للصقر أن يتحرك بسهولة ، والجزء الثالث من المرسل يربط فى الوكر وهو عبارة عن وتد من الحديد رأسه اسطوانية ، محشوة بالقش ومكسوة بجلد طرى ، ويقف عليه الصقر للراحة بعد الأكل ، ويثبت هذا الوكر فى الأرض جيداً حتى لا يتأرجح يميناً أو يساراً .

وغير ذلك هناك المخلاة ، وهى كيس يضع فيه المدرب الحمام الحى الذى يستخدمه كطعم لارجاع الصقر إذا ما طار بعيدا ، كما يضع فيه بعض قطع اللحم ، وسكينا لذبح الفريسة بمجرد اصطيادها !

تدريب الصقور

ولا يستطيع المدرب تدريب أكثر من صقر واحد خلال موسم الصيد ، غير أن هناك قلة تستطيع تدريب اثنين من الصقور فى وقت واحد ، وهذا دلالة على

عرض الصقور

صقر يطارد فريسته

أن التدريب يستغرق وقتاً ومجهوداً ..
يبدأ المدرب بتغطية عينى الصقر حتى يتعود على صوت صاحبه ويألفه وهو يطعمه ، حتى يأنس صوته ، ثم يضعه على الوكر ليهضم فى هدوء .

وقبل أن يرفع المدرب البرقع عن عينى الصقر لابد من التأكد من أنه قد آلف صوت صاحبه واطمأن لوجود الناس ، وبعدها يبدأ المران الفعلى وذلك بربط قدم الصقر بحبل وابتعاد المدرب عنه لمسافة قريبة ومناداته ، وعندما يتأكد مساعد المدرب من أن الصقر قد التفت ناحية الصوت ، يرفع عنه البرقع بسرعة فيتجه الصقر ناحية صاحبه الذى يعطيه بعض الطعام مكافأة له ..

ثم يكرر المران بمسافة أكبر ، ويظل ينادى على الصقر ، ليبدأ المران الفعلى عند وصوله فى هذه المرة إلى يد صاحبه الذى يراوغه وفى يده قطعة لحم مغطاة ببعض الريش على شكل أحد الطيور ومربوطة بحبل فى يد الصياد ويحاول الصقر الامساك بالطائر بينما المدرب يجذب الحبل يتركه ، حتى يتمكن الصقر فى النهاية من الانقضاض على الفريسة ، وفى هذه الحالة لابد لمدربه من أن يضع أمامه كل اللحم حتى يشبع تماماً ، ثم يأخذه إلى المنجلة ليستريح !

ويستمر التدريب مرتين يومياً ، وبملاحظة التحسن فى الانقضاض ، يطلق الصقر بدون الحبل ليطارد فريسته حتى يمسك بها ، وهنا يكون الصقر قد انتهى تدريبه ، وتحول إلى طائر يطيع أوامر مدربه بصورة عمياء !

ولابد لكل مدرب من أن يهتم بصقره ويرعاه نفسياً وصحياً ويعامله بطريقة تدل على العطف والحب ، فيربت على ريشه فى حنان ، وقد يحدثه ، وينظف ريشه باستمرار لحمايته من الأمراض ، ويعتنى بطعامه ويختاره له حسب مزاج الصقر نفسه ، وحتى أثناء الهضم يقف المدرب لملاحظة طريقة هضم الصقر وهل هى سليمة أم أنها تحتاج هى الأخرى لمران خاص !

● لابُدّ لكل مُدرّب أن يهتمّ بصقره ويرعاه نفسيًّا وصحيًّا .. وأن يعامله بعطف وحُبّ

المكافأة بعد رحلة الصيد

عقب العودة من رحلة الصيد

والواقع أن هواية الصقور تجرى فى دماء أهالى قطر وأهالى الخليج بصفة عامة فهى جزء من التراث العربى ، وكتب التراث نفسها تذكر أن أول من صاد بالصقور ودربها كان الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة ، فبينما هو واقف ذات يوم وبجانبه صياد نصب شبكته لاصطياد العصافير ، وبعد أن اصطادت الشبكة عصفوراً ، انقض عليه أحد الصقور وأخذ يأكله ، وما لبثت أن علقت الحبال بجناحى الصقر ، فأخذه الحارث الى بيته وصار يطعمه ويسقيه ، ويحاول تعليمه القنص ، وبينما هو سائر مرة بالطريق رأى الصقر حمامة فطار وراءها حتى امسك بها والتهمها ، فأمر الحارث بتعليمه وتهذيبه .. ومنذ هذه الحادثة عرف العرب رياضة القنص بالصقور ، فكان أشهر من صاد فى فجر الأسلام حمزة بن عبد المطلب ، أما فى العصر العباسى فكان أبو العباس ، والرشيد ، والمعتصم الذى كان يخصص مبلغاً كبيرا من ميزانية الدولة لنفقات الصيد .

وتعد رحلة الصيد بالصقور هواية محببة يمارسها القطريون بمهارة ، وعادة يخرج الهواة فى مجاميع كبيرة لاتقل عن عشرين شخصاً ، ويصل عددهم أحياناً الى ستين شخصاً أو أكثر ويتجهون بقافلة من السيارات إلى أماكن الصيد المعروفة لديهم حيث تنتشر السهول والوديان التى توجد بها الطيور والأرانب والبط وخلافه ، وهنا تنطلق السيارات بالصيادين ، يحملون فوق أيديهم الصقور المغطاة العيون ، التى تنتظر لحظة الانطلاق ، لتدخل فى سباق مع الفريسة ينتهى غالباً بانتصار الصقر والمضى مرة أخرى فى رحلة البحث عن فريسة ..

نادية رزق

البيوت البيضاء ذات الطابع الخاص

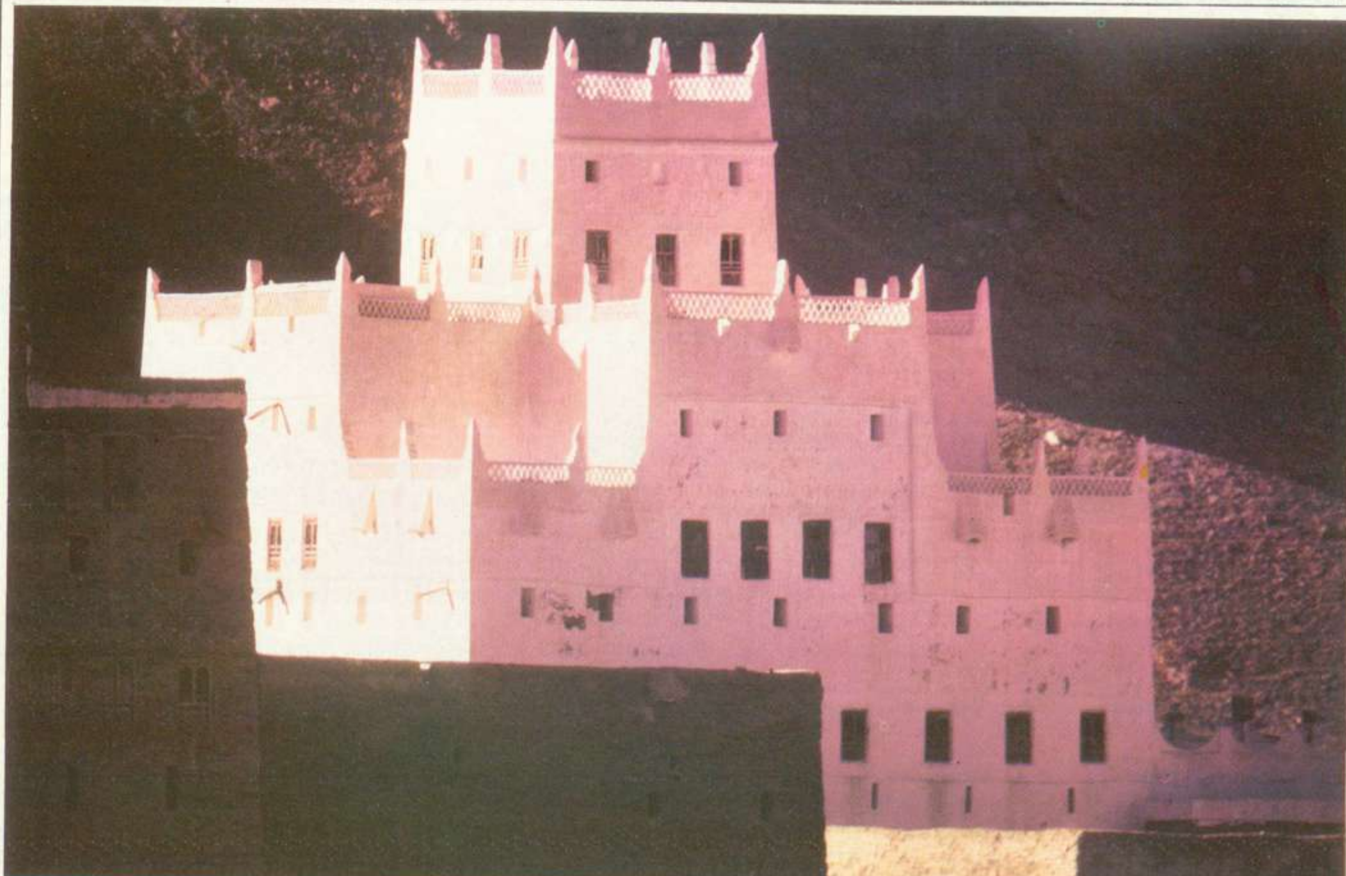

فى وادى حضرموت

استطلاع خاص لـ الدوحة — بقلم الصحفى البريطانى : روبرت ستيفنز

أدت ظروف تاريخية وايدولوجية شبيهة بتلك التى حاقت بالمانيا وكوريا إلى تقسيم اليمن الى دولتين: الجمهورية العربية فى الشمال ، وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فى الجنوب . وباتت العلاقات بينهما تتأرجح بين حروبات الحدود والمناداة بالوحدة .

وتمثل الجمهورية العربية اليمنية قلب الاراضى اليمنية المحافظ ، حيث يقدر عدد السكان بستة ملايين ، وهو أكبر تعداد سكانى فى شبه الجزيرة العربية . أما الجنوب فان عدد سكانه لا يتجاوز المليون ونصف ، يعيش الربع منهم فى مدينة عدن ، الميناء الرئيسى والعاصمة . ويتفرق باقى السكان للعيش فى الجبال والصحارى التى تشكل معظم مساحة اليمن الجنوبى ، التى لا تقوم بها إلا زراعة شحيحة فى بعض الوديان .

وأكبر هذه الوديان هو وادى حضر موت الذى يشق طريقه من النصف الغربى للبلاد ، من أطراف الربع الخالى مخترقاً الجبال لمئات الاميال فى انحداره الى المحيط الهندى . وهو قلب مملكة حضر موت القديمة التى قامت على تجارة العطور والبهارات .

ولبلوغ هذا الوادى ومدنه الاسطورية المبنية من الطين ، قررنا السفر بالطائرة من عدن الى المكلا ، بوابة حضر موت ، والميناء الرئيسى والعاصمة للمحافظة الخامسة فى اليمن الجنوبى ، ومنها ، جوا أو برا ، الى سيون المركز الرئيسى لوادى حضر موت .

وبدت لنا منازل المكلا من الجو بيضاء ورمادية عالية ، ومكدسة فوق شريط ضيق بين البحر ورابية الجبل

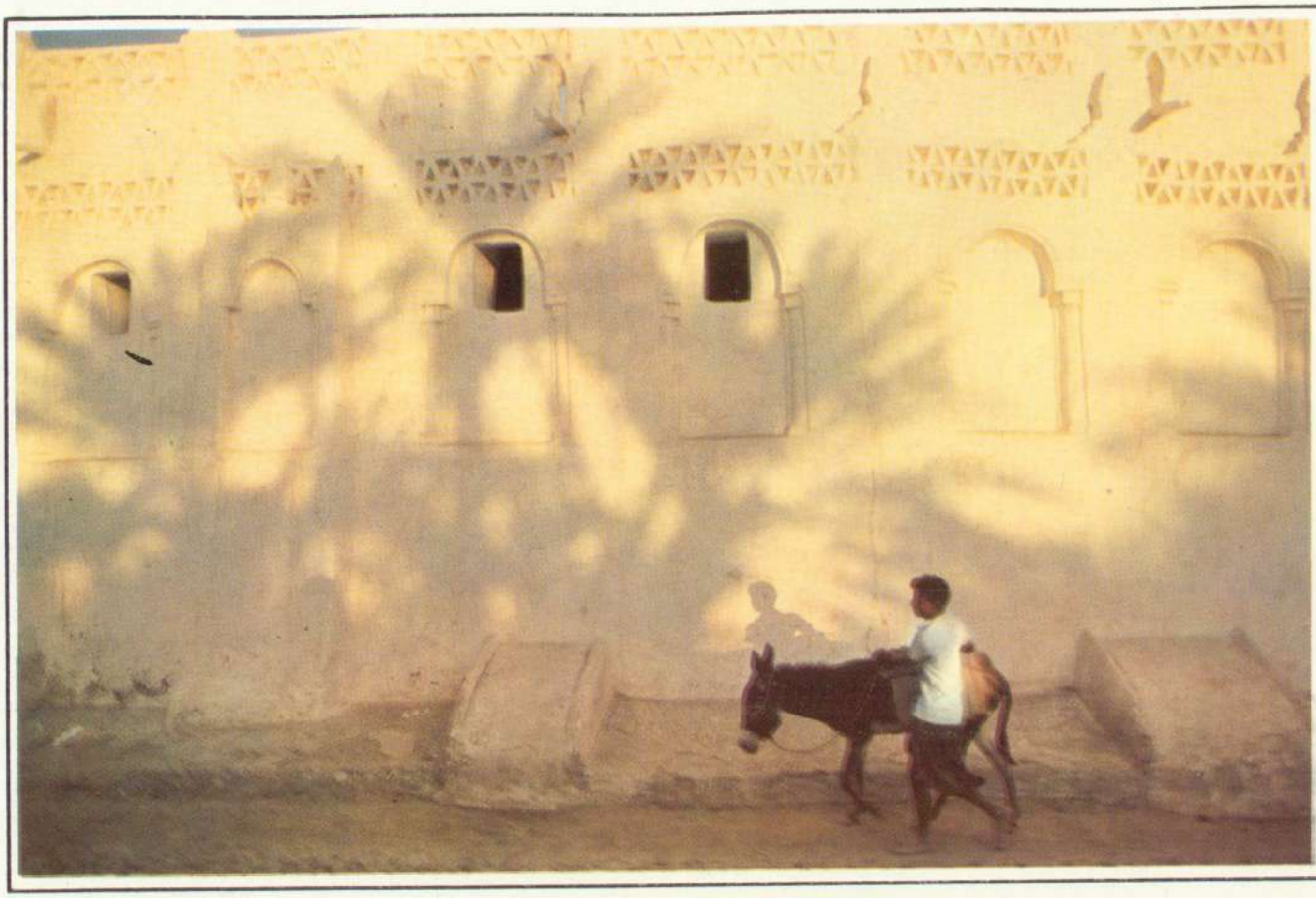

من الجو بدت منازل المكلا بيضاء ورمادية عالية ومكدسة فوق شريط ضيق بين البحر ورابية الجبل

انتهى عصر القوافل يوم كان أكثر من ٥٠ ألف جمل تنطلق من المكلا إلى داخل البلاد.

عدسة: جون بلمر

الجرداء . وقام قصر السلطان السابق على حافة الماء حيث يزدحم الميناء القديم بأسطول من مراكب الصيد المجودة الصنع ، وكان العمل جارياً فى بناء ميناء يستقبل بواخر تصل حمولتها الى ١٤ الف طن ، وهو خارج المدينة ، تجاوره ثلاثة مصانع جديدة لتعليب الأسماك .

وكانت المكلا قبل الاستقلال عاصمة للسلطان القعيطى الذى حكم الجزء الاكبر من حضر موت حكماً مطلقاً . وكان يقضى معظم وقته فى الهند ، التى هرب إليها عندما انتصرت الجبهة القومية لتحرير اليمن . وقد بنى قصره على الطراز الهندى . وهو الآن متحف خصص الطابق الأعلى منه لعرض ما يصور حياة آخر سلطان كان يطلق له أحد عشر مدفعاً تحية له .

نهاية عصر القوافل

ويجرى الشارع الرئيسى لسوق المكلا محاذياً البحر ، وتتفرع منه أزقة ضيقة بين منازل عالية منسقة الجمال ، ذات أبواب خشبية منقوشة ، وسرج مستديرة للأضاءة ، وأقواس مدببة على نوافذها .

ويظهر الأثر الهندى فى المكلا فى قصر السلطان الصيفى أيضاً ، وهو على بعد ٣٥ كيلو مترا على الساحل . وقد أحيل الى استراحة حكومية ، تناولنا بهـا طعام الغداء ، وتحدثنا الى معلم من المكلا فى الأربعين من عمره ، هو أصغر عشرة بنين لصياد سمك فقير ، استطاع أن يجد فرصة للتعليم الأولى فى أيام السلطان . « أما الآن ، فليس هناك أى امي فى اسرتنا ، لا بين الرجال ولا النساء . إننى أخصص وقتا كل يوم لتعليم والدتى القراءة والكتابة . وقد انضمت نساء الاسرة الأخريات لفصول محو الأمية . وأختاى بالمدرسة . » .

لا يستقبل مطار « سيون » سوى طائرات ذات محركين ، ولذا كان علينا أن

استطلاع خاص لـ الدوحة

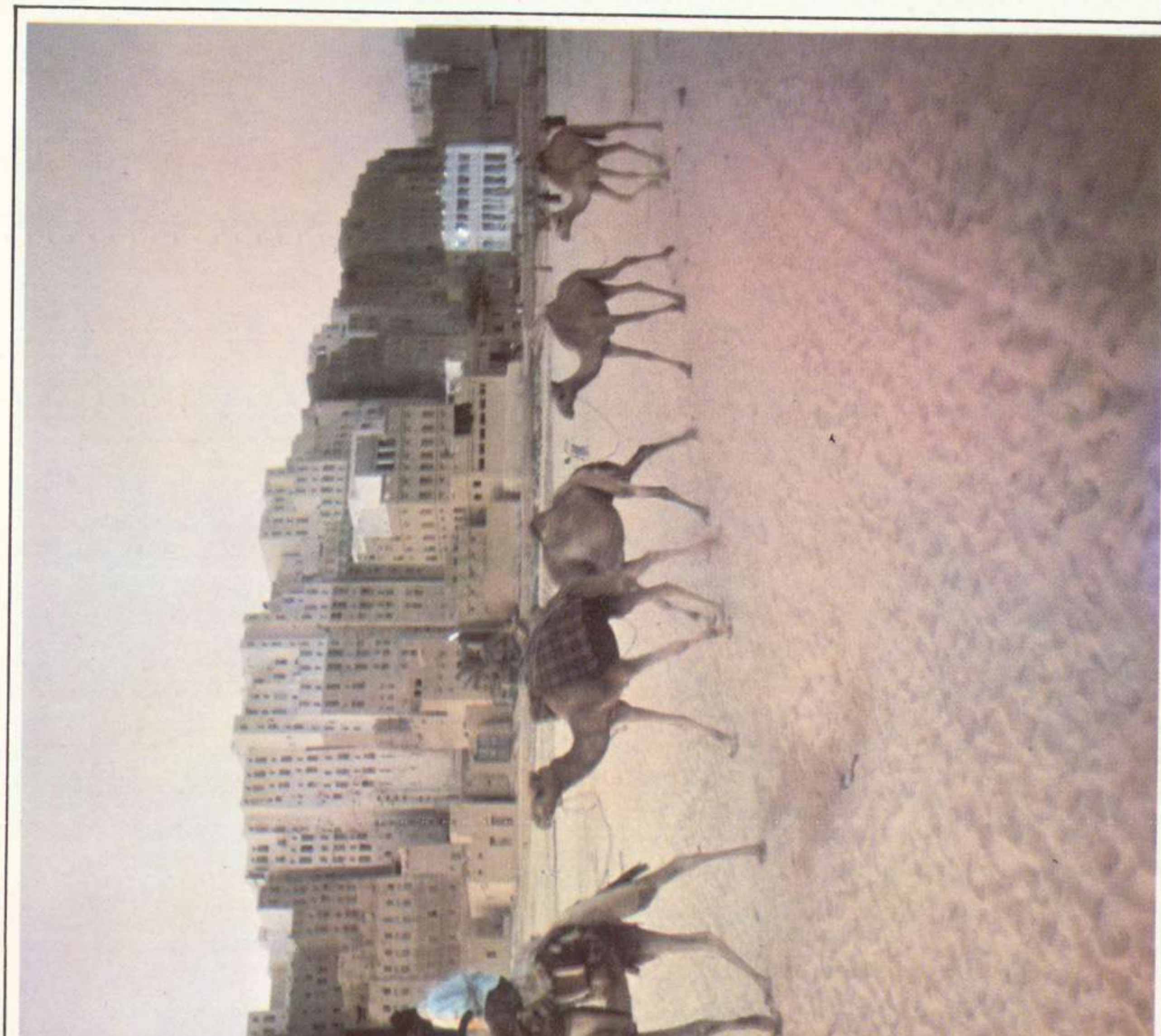

قافلة الجمال

نقطع مسافة ٢٠٠ **ميل** بالسيارات على طريق غير معبد، ولمدة ثماني ساعات.

ولقد انتهى عصر القوافل يوم كان أكثر من ٥٠ ألف جمل تنطلق من المكلا الى داخل البلاد. ويقال ان **الجمال** نفسها هى التى حملت خرابها، حين نقلت أول سيارات استوردها المغتربون اليمنيون فى أندونيسيا الى حضر موت قبل خمسة وأربعين عاما. وكانت السيارات قد فككت الى أجزاء، حملتها الجمال فى رحلة استغرقت ثمانية عشر يوما.

وبعد حين توغل الطريق الى الداخل عبر تلال رمادية حمراء، تتناثر فوقها اشجار صغيرة خضراء، وتلوى فى انحناءات حادة وضيقة، صاعدا الجرف المؤدى الى الجول، أو الهضبة العالية. وكان المنظر خلابا، وكنا نسر كمن يهبط سلما صخريا عاتيا، حتى خرجنا أخيرا الى وادى حضر موت الذى أسرنا بمشهده الرائع المهيب.

ويتلوى هذا الوادى العريض الخصيب فى بعض أجزائه لمئات الاميال حتى يبلغ البحر، وتطوقه من كل جوانبه جدران من الصخور الرملية التى يبلغ ارتفاعها ثلاثمائة متر. ويضم الوادى ثلاث مدن هى سيون و شبام و تاريم، بقلاعها وقصورها الريفية، ونخيلها وجنائنها وحقول قمحها.

القلاع الصغيرة

وكانت اقامتنا بفندق السلام، وهو استراحة حكومية فى اطراف مدينة سيون. وعندما نظرنا الى الجنوب الغربى نحو الوادى اثناء سيرنا فى غبشة المساء، أحسسنا من جديد بجود الساحر. وغمرنا احساس من يقف أمام لوحة من القرون الوسطى. وبشعر بأن الزمن قد توقف، وان هناك وفاقا وتناغما بين الطبيعة والناس واعمالهم. وأن الرابطة بين المدينة والريف أمر طبيعى، رغم الحروب المتكررة فى حضر موت. وكانت الحقول المزروعة تمتد حتى تلمس أسوار المدينة، دون أن تعترضها **ضواح**. وبدت النسوة العاملات فى **المزارع** بملابسهن الطويلة السوداء، وقبعاتهن المخروطية العريضة الاطراف وكأنهن ساحرات عصر قديم.

كان هناك جمال الطبيعة وروعة الضوء فى تبدله وتغيره. ورشاقة المبانى التى بدت كأروع ما تكون الجرار شكلا، وامتزج اللون الترابى

صبية يلعبون

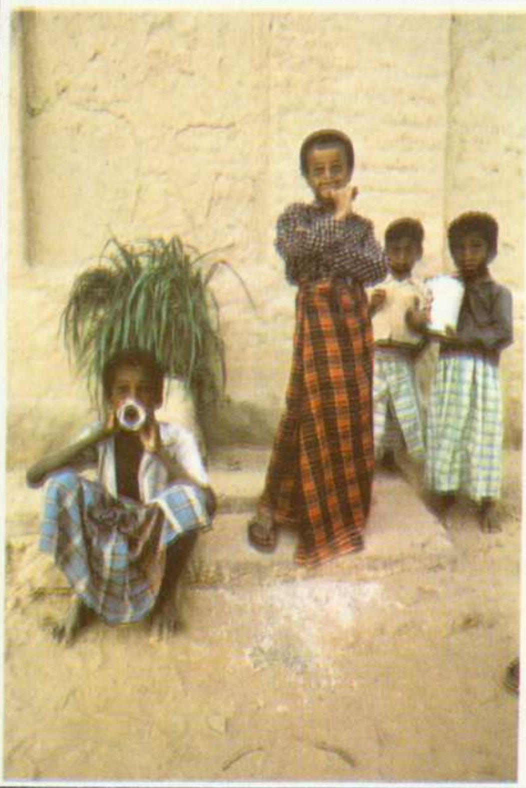

كمن يهبط سلما صخريا عاتيا.. خرجنا أخيرا إلى وادى حضرموت المهيب،

بجدرانه الصخرية الرملية التى يصل ارتفاعها إلى ثلاثمائة متر

وجه من حضر موت

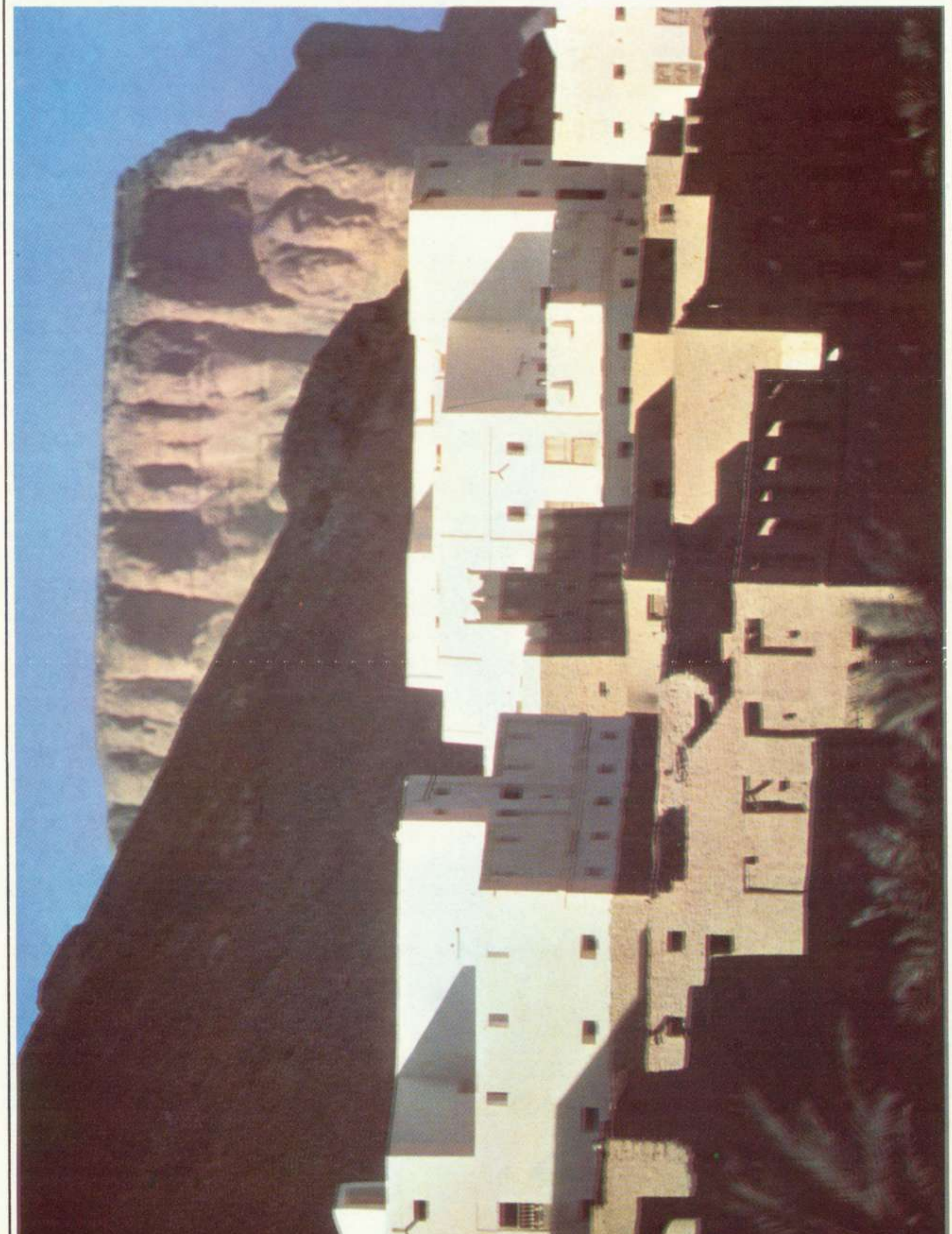

فى سفح الجبل

■ البيوت ضخمة.. والقلاع شامخة واضحة تحت ضوء شمس الصباح والمشهد غاية في الروعة

■ النقوش والكتابات والجواهر والحجارة الكريمة والأطلال تنبئ عن مدينة عالية في تطورها

العمارة فى حضرموت

تدريب الفتاة

الساحل

للقلاع الصغيرة القائمة خارج المدن والقرى مع لون جنات الوادى . وتبدت نفس القلاع بيضاء أمام خلفية من المرتفعات المظللة أو بواسق النخل داكنة الخضرة . وخلف ذلك كله جثم الوادى نفسه ، بمرتفعاته وربواته التى تشكل هيكلا دراميا آسرا حيثما نظر المرء ، عبر الحقول ، أو فى نهاية شارع .

وسيون مدينة تجارية ، ذات بيوت واسعة قائمة وسط النخل والحقول المروية . ويحتل قلبها قصر السلطان الكثيرى السابق وقلعته ، التى صارت نقطة للشرطة والجيش وهو مبنى ضخم رفيع ، ذو طوابق عدة ، جدرانه من الطوب الأخضر ، مدهونة بالابيض والاخضر والليلكى . وتروى اسطورة محلية أنه كانت هناك قلعة فى نفس الموقع ، دامت قرابة السبعمائة سنة أما المبنى الحالى فقد وضع أساسه قبل مائة سنة .

وكان آخر سلاطين الكثيرين فتى فى الخامسة عشر من عمره عند الاستقلال . نحته عن الحكم جبهة التحرير ، فلاذ بانجلترا ، والتحق باحدى جامعاتها .

المنازل القديمة

وأجمل مدن حضرموت هى شيبام على مسافة عشرين دقيقة بالسيارة من سيون . ويخترق الطريق اليها حقولا زاهية الخضرة فى جوف الوادى الكبير . وتقف البيوت الضخمة والقلاع شامخة واضحة تحت ضوء شمس الصباح

هنا قامت تجارة العطور والبهارات فى الماضى

الباكر ، وخلفها زرقة الجبال المظللة .

وتبدو المدينة وكأن قلاعها العالية طالعة مباشرة من القاع الرملى لمجرى نهر قديم جاف ، ويمكن تشبيهها بأنها مانهاتن عربية . مدينة ذات ابنية بنية ، بياضها يعشى النظر ، وذات طوابق ستة أو سبعة مجتمعة فى تجاورها كأنها سحاب على طول الازقة الغائرة الضيقة المتربة ، وحول الميادين المغلقة . ولا يزيد عدد منازلها عن الخمسمائة فى الوقت الحاضر ، ولذا لا يمكن بناء أى منزل جديد الا على انقاض آخر . وبها عدد من الجوامع ذات منارات سامقة مبنية من اللبن أيضاً ، ومطلية باللونين الأبيض والأخضر ، ويقال أن عمر بعض المنازل يقارب الثلاثمائة سنة .

وقد بنيت أسوار المنازل من الطين اللبن وغطيت بطين ممزوج بالجير .وعادة ما يتم البناء طابقا بعد طابق بالمال الذى يرسله فى دفعات المغتربون فى **الخارج** . وأبوابها كبيرة من خشب النخيل المزين بعوارض من الخشب وزينة معدنية ، واقفال عربية قديمة ومسامير ملولبة . وهياكل نوافذها منقوشة . وبها مشربيات تمكن النساء من رؤية ما يدور فى الشوارع دون أن يراهن أحد .

وحدثنا رب اسرة قمنا بزيارتها أنه ورث المنزل عن والده الذى بناه قبل خمس وستين سنة . واستغرق بناؤه ثلاث سنوات وكلف حوالى ٢٥٠٠ **جنيه** استرلينى . أما اليوم فان تكلفته لن تقل عن ٥٠ ألف جنيه استرلينى .

« ما **احتجنا** نصلحه أو نجدده أو حتى نعيد طلاءه » كما قال » ويمكنه أن يبقى هكذا ٢٠٠ سنة أخرى » .

تراث مدينة

أما المدينة الثالثة المهمة فى حضر موت فهى تاريم ، على مسافة ساعة بالسيارة من سيون . وهى ، كسيون ، مقر لأغنى وأحدث التجار المهاجرين ، وأكثر السادة الورعين . وتمتاز بأنها أكثر المدن الثلاث تنوعاً وروعة فى معمارها . وبها جامع فريد فى روعته . له مئذنة شامخة ، رفيعة ، مائلة ، مبنية من الطين اللبن المطلى بالابيض والأخضر الفاتح والوردى . وعمره ثلاثمائة سنة . لكن **المئذنة جديدة ، إذ بنيت قبل ستين عاماً فقط . وصعدنا ١٨٥ عتبة داخل المنارة حتى بلغنا قمتها الضيقة لننظر المدينة من هناك . وكانت البيوت التى رأيناها خليطا من انواع المعمار المختلفة ، فسألنا احد البنائين الكبار فى تاريم ، ليفسر لنا كيف تبنى تلك البيوت الكبيرة، ذات الطوابق العديدة ، من اللبن وبتلك المتانة ، وكيف لا تسقط وليس لها أساس متين من الصلب أو الاسمنت أو الخشب .. فحدثنا السيد العبيد مبارك بريك أنه تعلم الصنعة من أبيـه .. وقال :**

« أننا نحفر الأساس حتى نبلغ أرضية صلبة من الصخور ، ثم نضع الاساس ، ونبنيه بالحجر حتى يصل مستوى نتأكد أن الماء سواء من المطر أو الرى لن يؤثر فيه . ثم نضع الطوب الأخضر فوقه . »

« وإذا كان البناء حاذقاً ودقيقاً فى مقاساته فلن يحدث شىء يضر بالبناء ، فالطوب الأخضر مقوى بالقش قبل حرقه تحت الشمس . ونغمس كل طوبة فى الطين قبل أن نضعها على الأخرى .

« وبعد اكمال بناء البيت ، نقوم بتبييضه من الداخل ، ثم من الخارج بالجير الذى نحرقه فى أفران ثم يتم سحقه ثمانى مرات حتى يصبح ناعماً ، ويخلط بالماء ، ويصبح لونه زاهى البياض ، ثم نضع وجها آخر ونجلوه حتى يلمع . »

وفى سيون أيضا قابلنا واحداً من الاساتذة البارزين هو جعفر السقاف ، المسئول عن المتحف والمركز الثقافى بالمدينة . وقد جمع لنفسه مكتبة تضم أكثر من ألف كتاب ومخطوط ، ورث بعضها عن والده الذى خط الكثير منها بيده ، كما خط المصحف الشريف وبعض الدواوين لشعراء من سيون .

ومازال أمام علماء الحفريات والآثار الكثير مما يجدر البحث والتنقيب عنه فى تاريخ حضر موت وجنوب الجزيرة العربية . وحتى يتم ذلك فان الحقائق القليلة الراسخة والمقبولة لدى العلماء تعتمد على التراث المروى عن الماضى ، والذى أصبح السقاف حجة فيـه .

طريق البهار

لقد اتى ذكر حضرموت فى سفر التكوين ، كما ذكرت تحت اسماء مماثلة مختلفة فى اعمال جغرافيي الأغريق والرومان . وفى أعمال الرحالة . وهى واحدة من سلسلة من الممالك التى قامت فى جنوب الجزيرة العربية ثم انهارت حوالى الألف قبل الميلاد والمائة الثالثة بعد الميلاد ، وضمت أوسان وقطابان وسبأ وحمير . وزعم أن سبأ هى المملكة التى قامت ملكتها بزيارة سليمان فى القدس .

وقد تركت ممالك جنوب الجزيرة العربية آثارها فى النقوش والكتابات والجواهر والحجارة الكريمة والاطلال الدارسة التى تنبىء عن مدنية عالية فى تطورها ، قامت على ثروة جمعت من تجارة التوابل والعطور والزراعة المروية .

وكان طريق البهار يبدأ من ظفار فى عمان ، وبعد اعادة شحنه فى قنا على ساحل اليمن الجنوبى فى منتصف الطريق بين المكلا وعدن ، يحمل البهار الى داخل البلاد الى شبوا التى كانت عاصمة حضر موت فى زمن غابر ، ومنها

الى مصر وسوريا وأوربا .

وقد بدأت حضارة جنوب الجزيرة العربية فى التداعى والانهيار عندما ألغت التجارة بحرا تجارة القوافل ، ونخبت الحروب المستمرة نظام الري ، حتى كانت الفاجعة الكبرى يوم انهار سد مأرب العظيم فى القرن السادس .

ما بعد الطوفان

ثم كان ظهور الاسلام فى القرن السابع الميلادى .

ويروى الحضارمة أنفسهم تاريخهم بصور مختلفة ، ففى رواية لهم أن جنساً من العمالقة من ابناء عاد جاءوا إلى حضر موت بعد الطوفان تحت قيادة شديد وابنه شداد ، وبنوا مدينة من الذهب والفضة طوبها ، مدينة تجرى بها أنهار العسل .. ولكن الله أبادهم عقاباً على خطاياهم .. ثم جاء بعدهم أبناء قحطان .

ويعتز التقليد الحضرمى بنبى الله هود كرمز لأصلهم ، وهو أول نبى عربى بعد ابراهيم واسماعيل ، وقبره فى أقصى الشمال الشرقى لوادى حضر موت ، كان ومازال مركزا يزار .

ويروى السقاف أن مدينتى شيبام وتاريم جزء من دولة حمير ، وأنهما ظلتا آهلتين لما يربو على الألف سنة . أما سيون ، فانها أقل من ألف سنة لأنها لم ترد فى قائمة مدن الجزيرة العربية التى أعدها الجغرافى العربى الشهير الحمدانى ، المولود فى صنعاء قبل الف سنة . ولكنه ذكر شيبام .

وشهدت نهاية القرن الخامس عشر وصول سلاطين الكثيرين ، الذين استخدموا جيشا مأجوراً من القبائل وانتزع السلطة لنفسه أخيرا . وكان القعيطيون أشدهم بأساً ، ومركزهم المكلا . واستقر الحال بعد التدخل على الساحل وعلى جزء من وادى حضرموت حتى شيبام نفسها .

وكان الكثيريون يسيطرون من عاصمتهم سيون على بقية أجزاء وادى حضر موت بما فيه تاريم .

ومع ذلك فان كثيرا من القرى كانت تشكل دويلات مدن صغيرة ، لا تعترف بأى سلطة عليها ، ولم تعرف سوى الاحتزاب فيما بينها وكانت مبنية ومجهزة كقلاع .. وقد أدى ذلك إلى ابتعاد الاجانب عن حضر موت ، وشجع على الهجرة للعمل والحياة فى الخارج .

وقد تخصص المهاجرون والمغتربون فى التجارة والعقارات ، وأثروا ثراء كبيرا . كانت الهجرة بنسبة ٣٠٪ من الرجال الى الهند وسنغافورة وماليزيا واندونيسيا وشرق افريقيا ومصر وثغور البحر الأحمر وفى وقت متأخر هاجر كثيرون إلى السعودية ودول الخليج العربى البترولية .

وقد ساعد المال الذى ظلوا يحولونه بانتظام فى إعاشة أسرهم التى تركوها وراءهم ، والتى يعودون إليها فى آخر المطاف .. كما تم بها تمويل بناء البيوت الفخمة فى مدن وادى حضرموت .

روبرت سيتفنز

بيوت قديمة

التعليم

العم سيد طبيب القلب

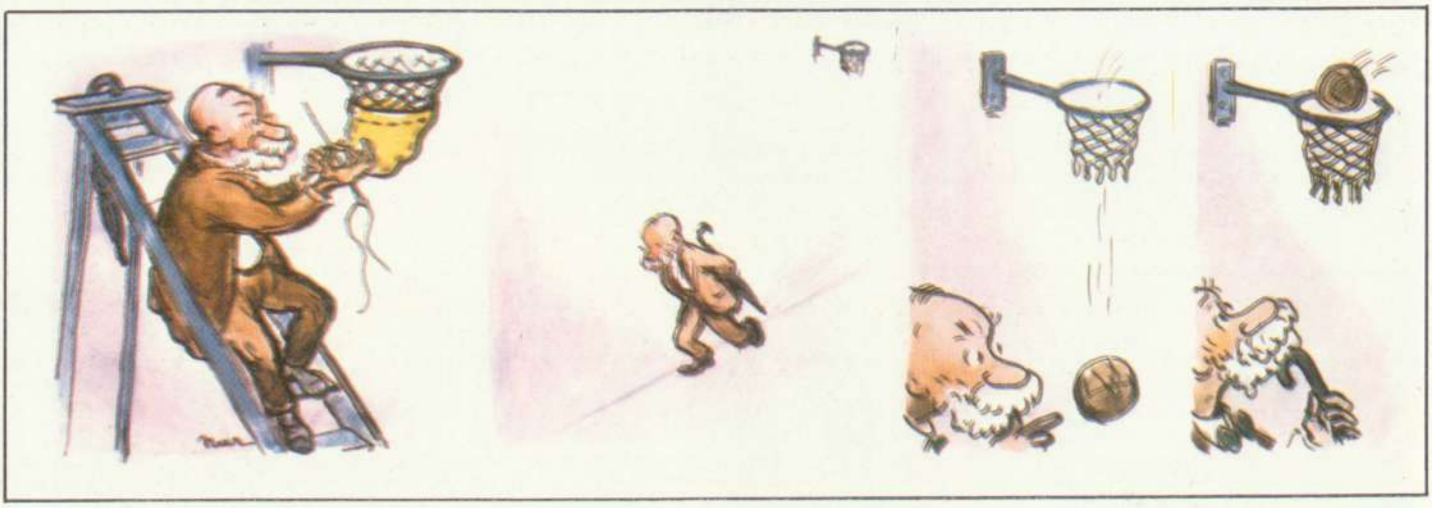

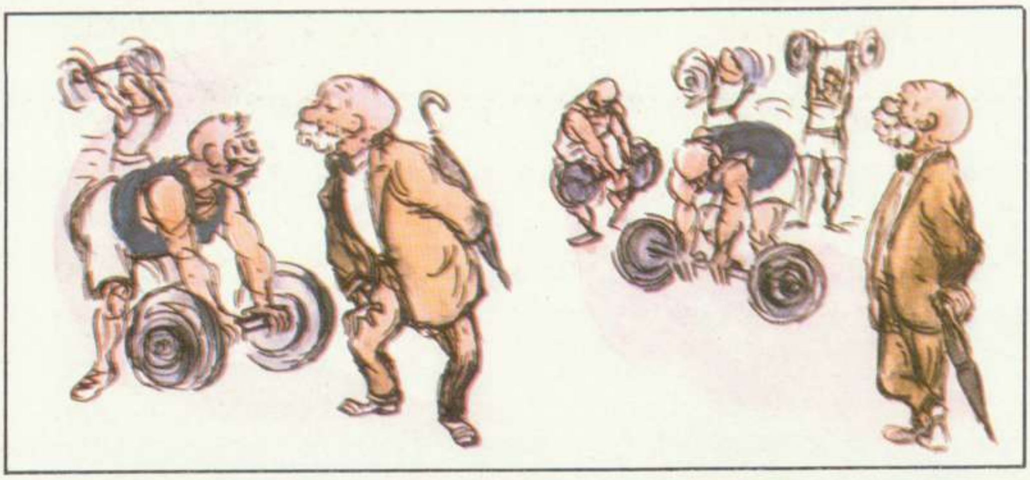

بريشة
الفنان
عبد السلام نور

قصة قصيرة

الرجل والنملة

د. يوسف إدريس

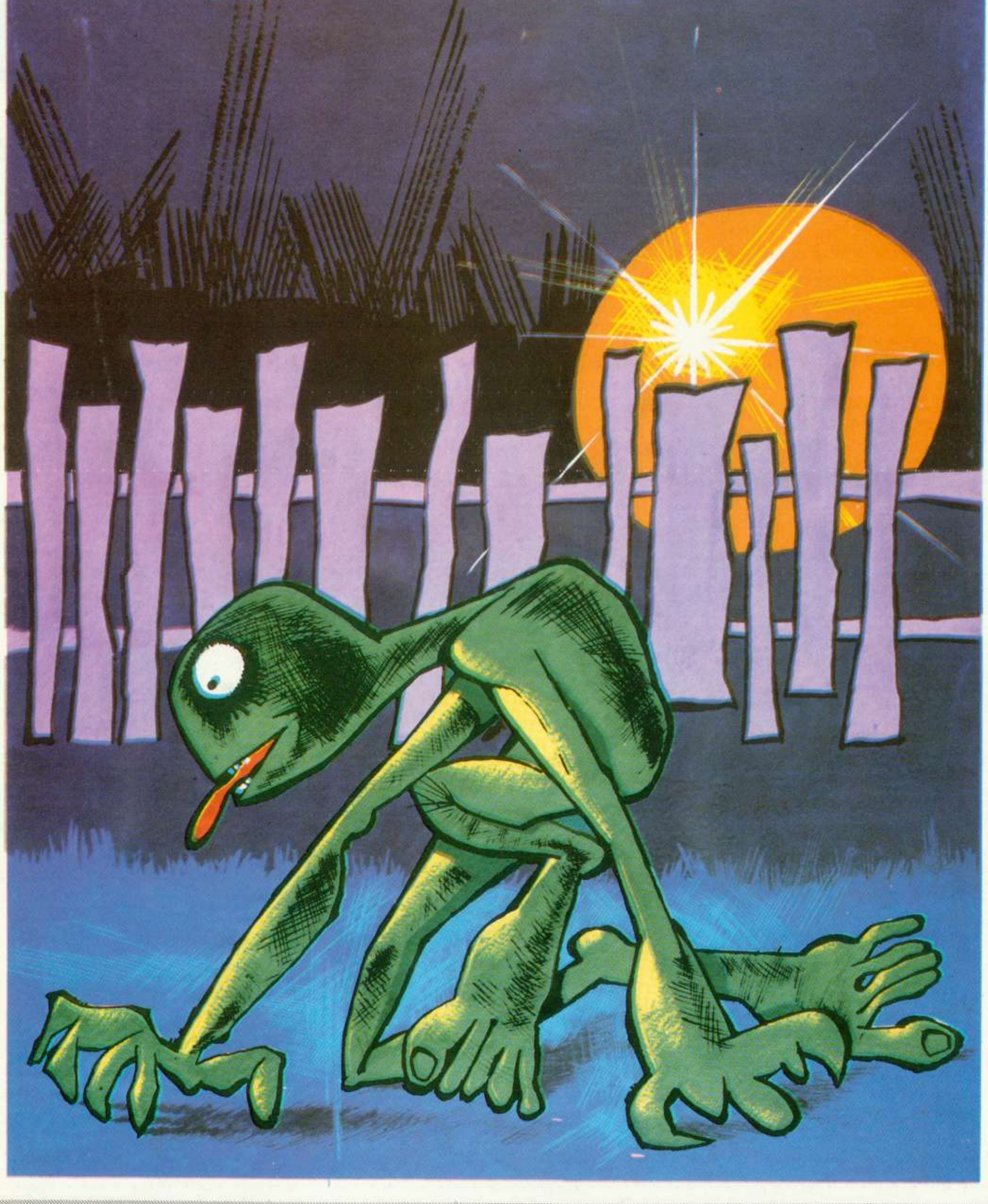

بعيون فاغرة رحنا نراقب الباب وهو بالعصبية الشديدة يفتح والكتلة البشرية تدفع من خلاله لا نتبينها إلا حين فقط تستقر فى ركن الزنزانة الفارغ حتى السباب المعتاد الذى كان لابد يصاحب الفتح والاغلاق والتكويم ، من فرط الدهشة ، لم نتبينه إذ قد حل الصمت لا نجرؤعلى قطعه مخافة أن يجد جديد وأن يكون وراء البداية ماوراءها .

يتعانق الظلام فى العادة بعد التمام . الخامسة تماماً موعده . النزلاء صامتون لمقدمه إذ المفروض أن يحل الصمت ليتمكن حراس الليل من التغيير مع حراس النهار ويتمكن شاويش النهار من تسليم شاويش الليل ، صمت يهيىء للصراخ أن يتعالى إذ حدث خطأ وأفلت نزيل من الاحصاء وارتبك العدد . الباشاويش هو المخطىء ولكن الشتائم تنهمر فوق رأس النزلاء،وثمة جرى ، وصوت الكوالين الحديد يزأر وأبواب أخرى تنهد حتى لتكاد تهد الحائط الحجرى ، وأخيرا ، يجرى الزئير النهائى لمفصلات باب العنبر الكبير ، وتخفت الاصوات مع الأقدام مبتعدة ، ويحل الصمت . ويستمر . للتأكد أنهم جميعاً ذهبوا ، وأن النهار المتعب انتهى . ثم ، وكأنما فجأة ، تنفجر من الصدور الزعقات والقهقهات والشتائم مكونة مولد المغربية المعتاد .

السكوت فى العنبر طوال النهار أحد الأوامر الصارمة ، الألسنة تتيبس فى الافواه لقلة ما تتحرك ، الحناجر مخشوشنة من فرط السكوت ، فقط حين تذهب قوة النهار ويترك العنبر فى حراسة ثلاثة حراس ليل عواجيز فى الغالب وقريبى الاحالة الى المعاش ، فقط حين يطمئن الجميع إلى ذهاب الجميع يفرج كل نزيل عن لسانه ويبعث الحياة فى شفتيه وفمه وصدره ويزعق ويشتم بكل ما يملك من قدرة وقوة يصرخ ويشتم وينتقم من السكوت وأوامر الشلل ويزاول الغريزة التى طال حبسها غريزة أن يشتم ، فمن فرط ما يتلقى النزيل من شتائم طول النهار وهو عنها ساكت وبالأمر متسامح فتتكون له فعلا غريزة الشتم تنهال بها كل زنزانة على زنزانة ، ويتبارى فى مزاولتها الجميع .

فى احيان قليلة جدا يحدث ، أن ، فجأة ، يدور المفتاح فى قفل الباب الكبير ويفتح العنبر ، وهنا ، وفى لمحة خاطفة واحدة يتسمر كل شىء فى مكانه ويحل أعمق وأغرب صمت ... صمت الترقب الرهيب لما عساه يكون السبب فى فتح الباب ..

وتتعدد الأسباب وتكثر ، وذات مرة تجد السبب باب زنزانتك وهو لروعك يفتح ، وكتلة بشرية ما تدلق ليعود الباب فيغلق قبل أن تسأل أنت القادم أو يفتح هو من تلقاء نفسه فمه للكلام تنهمر مئات الاسئلة من قريب ومن بعيد ومن أقصى الدور الثالث نفسه تتساءل عن حكاية هذا الذى دخل ، فلا تدخل بعد التمام إلا حكاية مهولة ، لابد فى الحال أن تعرف ، وهكذا إن لم تبادر وتحيب ، حتى قبل أن تعرف أنت ما هى الاجابة ، تنهمر عليك انت الشتائم هذه المرة وتؤرق عظام أمك وأبيك احياء كانوا أم أمواتاً . تغص حياة رهيبة يتولى فيها أناس حبس أناس وخنق أناس وضرب أناس وحشدهم وتكديسهم هكذا فى علب محبوكة من الزنازين والحجرات .

ـ ما بك ياعم ... خير ..

سمعت أنا وحمزة زميلى فى الزنزانة الذى تصادف أن اسمه يشبه اسم قائد السجن الحربى حيث تتم كل ألوان التعذيب ، تشابه كان يجعله وبالتالى يجعلنى هدفاً لتعليقات ونخزات وتعذيب لا حد لها .

ـ مالك ياعم مالك ، ؟

قالها حمزة هذه المرة بأمل أن يجيب القادم . ومكوماً فى الركن لا يتحرك كان لا يزال . الاسئلة تترى تخترق باب الزنزانه المصنوع من قضبان متوازية من حديد ، لا إجابة ، والنتيجة سيول من الشتائم تلعننى وتلعن حمزة .. ما أغرب قدرة الانسان على تعذيب نفسه وتعذيب الآخرين إذا وقع عليه عذاب لا يملك منعه . معذبون يعذبون معذبين . ما أبأسه من محبس داخل محبس وعذاب فى قلب عذاب .

لا رد ولا تحرك ولا يبدو عليه أنه سيرد . أيكون ما نسمعه منه ليس تنفساً عميقاً إنما هو نشيج وبكاء ، بكاء الصامتين لا حول ولا قوة . وجدنا أنفسنا نقترب من الرجل نحيط به مشفقين . أيدينا تطبطب عليه وتستخرج كنزنا الثمين ، الشمعة الوحيدة التى نملكها وندخرها للحظات الحاجة القصوى ، أشعلناها .بضوئها الذى بدا باهرا ، مددت يدى ورفعتها من الكتف إلى الرأس أعدله وأرى الوجه .

كدنا نموت أنا وحمزة رعبا . فكلانا طبيب ونعرف ماذا تعنيه تلك الصفرة المتكاثرة المتشاحبة التى لونت الوجه . الحدقات الواسعة المفتوحة وهى تمعن النظرفى الفراغ وفى اللاشىء مالم ننبهه مات . أنهلنا عليه بالاسئلة نستفسر إن كان قد ضرب وأين ضرب وأى مكان من جسده يؤلمه أكثر . قسنا النبض وعددنا مرات التنفس . الصدمة فعلا واضحة ولكن لا أثر لأى إصابة فى الجسد ، لا جرح ، لا خدش ، لا بطن منفوخ ، لاشىء . تنفيذا للمعاهدة المعقودة مع الحارس الليلى ساومناه على كوب القهوة أصر على عشر سجائر ونحن لا نملك إلا علبة . وافقناه على مضض كثير . أخيرا اصبح فى يد الرجل كوب قهوة معجز المذاق فى تلك اللحظة ، وسيجارة (وينجز) بأكملها ، وعلى ضوء الشمعة دماء قليلة بدأت تسرى فى الوجه الخراب ، وهمهمة تمتمة ، تنهدات الكل يختلط بالكل والكلمات بالاصوات والاشارات .

ورفض أن يفصح .

نلح عليهبكل ما نملك من طاقة الحاح ، والرفض البادى على هيئة صمت هو وحده الجواب . تشاورنا أنا وحمزة ؛ نتركه ؟ نخفف الوطء عنه ؟ نترك كل شىء للصباح ؟ ولكن حب الاستطلاع فينا لا يمكننا نحن أنفسنا مقاومته ، والالحاح ، إلحاحنا وإلحاح بقية الحجرات والزنازين كلما زاد كلما احتمى الرجل بصمته ، وتداخلت رغبته فى الافضاء كما يتداخل حيوان القواقع إلى عمق القوقع كلما شعر بلمسة الأصبع .

تركناه . حتى كاد يغلبنا النوم وعلى الالسنة المطالبة فى الخارج قد سكنت .

الرجل والنملة

ـ هل سأموت ؟

رفع الرأس فجأة بالسؤال ، وكأنها إجابة متأخرة جدا عن قولنا له : نحن اطباء ، لا تخف . فضفض حتى تستريح ، ولا تخف ، فنحن نريد مصلحتك ، نحن أطبـاء .

ـ هل سأموت ؟

ودون أن نتفق ، لم نجب . رحنا فقط ننظر إليه ولا نجيب .

لم نكن نريد ازعاجه حتى لا يتمسك بموقفه .

فجأة وجدت حمزه ينفجر فيه غاضباً مؤنباً إياه على هذا الموقف الطفولى الذى لا معنى له بالمرة . معتقل سياسى ، ألست كذلك ؟ كان واضحاً من ثيابه المدنية أنه ليس مسجونا . إذن لماذا هذا التشبث بالصمت . أخائف هو على نفسه ، وماذا يمكن أن يحدث له أسوأ من هذا الذى حدث والذى جاءوا به الى هنا بسببه وعلى تلك الحال القريبة من صدمة الموت ؟!

فعلا .. يعنىح يكون جرى لك إيه ؟

للحـق تنفس وتنهد وقال ببطء ونظراته تعود تنغمس فى الفراغ :

ـ أوحش شىء على ظهر الأرض .

وكدنا نبتسم فى رثاء . ماذا يمكن أن يكون ؟

وعاد يقول :

ـأوحش شىء على ظهر الارض . حدث لى مالم يحدث لبشر .

ومرة أخرى استخففنا بكلامه وكدنا نقهقه . سبعة عشر شهرا ونحن فى هذه الزنزانة معاً . كان سجن مصر محطة يتوقف القادمون فيها من السجن الحربى فى طريقهم لطره وأبو زعبل والواحات ، والقادمون من تلك الليمانات فى طريقهم للمستشفى أو للافراج أو لعذاب آخر فى السجن الحربى . وارد وصادر وحركة دائبة جعلتنا نصادف كل ما يمكن أن يخطر على البال من تهمة ومتهمين ومعتقلينوأسباب اعتقال ، وتعذيب ، ومعذبين . النفخ والضرب وكىنصف البطن الاسفل وكل شىء ، ولم تبق وسيلة لم نعرفها أو يات لها ذكر . وكل متهم ـمثل هذا القادم ـ يعتقد أنه الوحيد الذى حدث له هذا أو مارسوا معه ذاك .

ماذا يمكن أن يكون قد وقع لهـ ؟

ـ أوحش شىء على ظهر الأرض .

ـ ماذا فعلوا ؟.

ـ نمت مع نملة .

ـ وانفجرنا ضاحكين .

طبعا هو لا يبدو مختل العقل وإن كان واضحاً أنه فى طريقه لاختلال عقله . وبوجه جاد صارم يحمل كل ما فى هذا العالم من ندم يقولها . نام مع نمله . وانفجرنـا ضاحكـين .

وإلى الصباح التالى ظللنا نضحك . ونتذكر ملامحه وهو ينطقها فتصاب معداتنا بالمغص من فرط ما نتثنى

ونضحك . وعلى رأى كليلة ودمنة قلنا له فى الصباح التالى ـ وكان تقريبا لا يزال على نفس جلسته وقرفصته . وانكماشه على نفسه ـ وكيف كان ذلك يا أستاذ ؟

ولم يكن تبدو عليه سيماء المعتقلين السياسيين . معظمهم كانوا مثقفين . حليقى اللحية والشارب ، خريجى أو طلبة جامعات . هذا كان له شارب ، أصفر وغزير ومتهدل على شفته العليا يكاد يلاسس السفلى . وجهه خشن لا بد من كثرة مزاولته عمله خارج المكاتب والمنازل حيث الريح والتراب ولفح الشمس . فى الحقيقة لم نفاجأ حين قال لنا إنه عمدة . حين نستخرجه من الحالة التى كان عليها ، والسكينة التى آلت إليها ملامحه وقوامه ،وتفرده، ، وتوقفـه وتعيده سيرته الاولـى ويتبدى لك على حقيقته تجد أنه حقاً مصدقا لابد كان واحدا من أولئك العمد من طراز : إخرس ياولد . شهم ، كريم ، يذبح للضيف خروفاً ، ويسافر الى آخر الدنيا تلبية لنداء مستغيث . عمدة ومعتقل سياسى . جديدة جدا هذه المرة . والنكته أن يكون عمدة متهما بالعمل السياسى ..

فى الليلة التالية ساءت حالـه وارتفعت درجة حرارته وأصبح نبضه ١٤٠ وبدا وارم الوجه مختنق السحنة وكأنما سينفجر بعد قليل ، لم يكن هناك بد من أن يفضفض ذلك العمدة المعتقل عن نفسه وإلا حدث له فعلا ذلك الذى وصفه بأنه أوحش ما فى الدنيا ، ومات

وتكلم .

متقطع الأنفاس .

أخرج من صديريه البلدى الداخلى علبة سجائر (كرافن ا) عشرين سيجارة كاملة ، وعزم علينا ولم نصدق انفسنا ونحن ننفث دخان الكرافن وبكل ما نملك وما أصبح لنا من طول بال نصبر على كلماته التى تخرج بعد عناء ، ولهاثـه بين الكلمات .

تكلم .

بدأها من منتصفها ، أو من حيث بدأ يهتم هو بها ، لا نعرف . قال : هذا الوغد ، يونس بحرى . قتلنى بالأمسفعلا قتلنى ، سأموت ، ولكن لن

أموت قبل أن أغرس اسنانى فى زوره واقضم حنجرته.

جالسين وفى أمان الله وبعد يوم شاق من تكسير البازلت وحمله فى المقاطف والسير به نصف كيلو ، من السابعة والصخر فوق اكتافنا والرمل فى عيوننا وافواهنا واقدامنا العارية ينغرس فيها الشوك والزلط والمسامير ، وجلسنا آخر النهار ، قبل طابور العودة نستريح

وكانوا ثلاثة ضباط أحدهم هذا الخسيس يونس بحرى . ناداني . منذ أن رآنى ورأيته وأنا أشفق عليه وعلى نفسى أن ينادينى . ناداني . تلكأت ولكنى قلت أقصر الشر وألبى نداءه . ذهبت . وقفت . تركنى واقفاً واشتبك فى حديث فاتر مع زميلـه . قلت : أفندم . رمقنى بنظرة ثم عاد إلى حديثه الفاتر . اللهم طولك ياروح قلت ، وعزمت أن أؤجل أى اشتباك فجسمي مهدود ولن احتمل أى ضرب .

والبداية واضح أنها ستنتهى بضرب . اقصر الشر ياولد ، واصبر .

هناك ، بعد ربع ساعة أو أكثر . التفت ناحيتى وقال : روح هات نملة من هناك . واشار إلى كومة تراب قريبة .

صحا مخى من غفوة الوقوف وخيل إلى انى لم اسمع جيدا ، سألته : أجيب ماذا؟ هب في صائحاً : نملة .. ألا تعرف النمل يابن ال ...؟

سكت .

هب مرة أخرى : تعرف النملة ولا لأ ؟

قلت بتسليم : اعرفها .

قال وهو يلتفت الى زميله : روح هات نملة .

طول الله روحى وذهبت الى حيث أشار ، وتفرست فى كومة التراب ملياً حتى وقعت عينى على نملة كبيرة نسميها فى بلادنا حرامى الحلة . انقضضت عليها بقبضتى ودون أن افعصها امسكتها فى قبضتى وعدت بها ووقفت أمامه وقلت : أهه النملة ياأفندم .

– ورينى

فتحت يدى .. رآها .. قال :

– ولازم تجيبها بالشكل ده ياابن ال...

عضضت على شفتى السفلى وسكت .

بنظرة من اسفل إلى أعلا رمقنى وقال:

– دى إيه ؟

وقلت ببراءة ما بعدها براءة : نملة يابيه

قال ....

خيل الى أنى حقيقة لم أسمع فقد كان الطلب الذى طلبه غريباً جدا وغير معقول بالمرة ، سألته : أفندم؟ .

قال : إخلع هدومك ..

أشار لحامل الكرباج وزميله حامل الشومة ، رفعت يدى مسلما قائلا : حاضر يا بيه .. أخلع هدومى .

ولكنى ترددت .. نظرت حولى بركن عين .. طابورنا المنكود الحظ قابع كصفين من طابور ذباب أنهكه الكدح والزق والزجر . فى دائرة واسعة رهيبة يلتف حوله سور من عساكر يحملون الاسلحة الاوتوماتيكية بكافة ألوانها وأنواعها ، قريبا منه تناثرت فرقة الضرب تحمل الهراوات والكرابيج والنبابيت والاحزمة والقبضات الحديدية . أنا واقف وحدى ويونس بحرى قابع على كرسيه أمامى . ولا مفر .

استنهضنى بشخطة ولما كنت كما قلت قد قررت أن أؤجل الاشتباك فقد مددت يدى الاخرى وبدأت أخلع جلبابى ، وخلعت الصديرى ، ولا أطيل ، فقد وجدت نفسى بعد برهة خالعاً كل ملابسى واقفاً عاريا كما ولدتنى أمى امامه .

– خلعت هدومك .. ؟

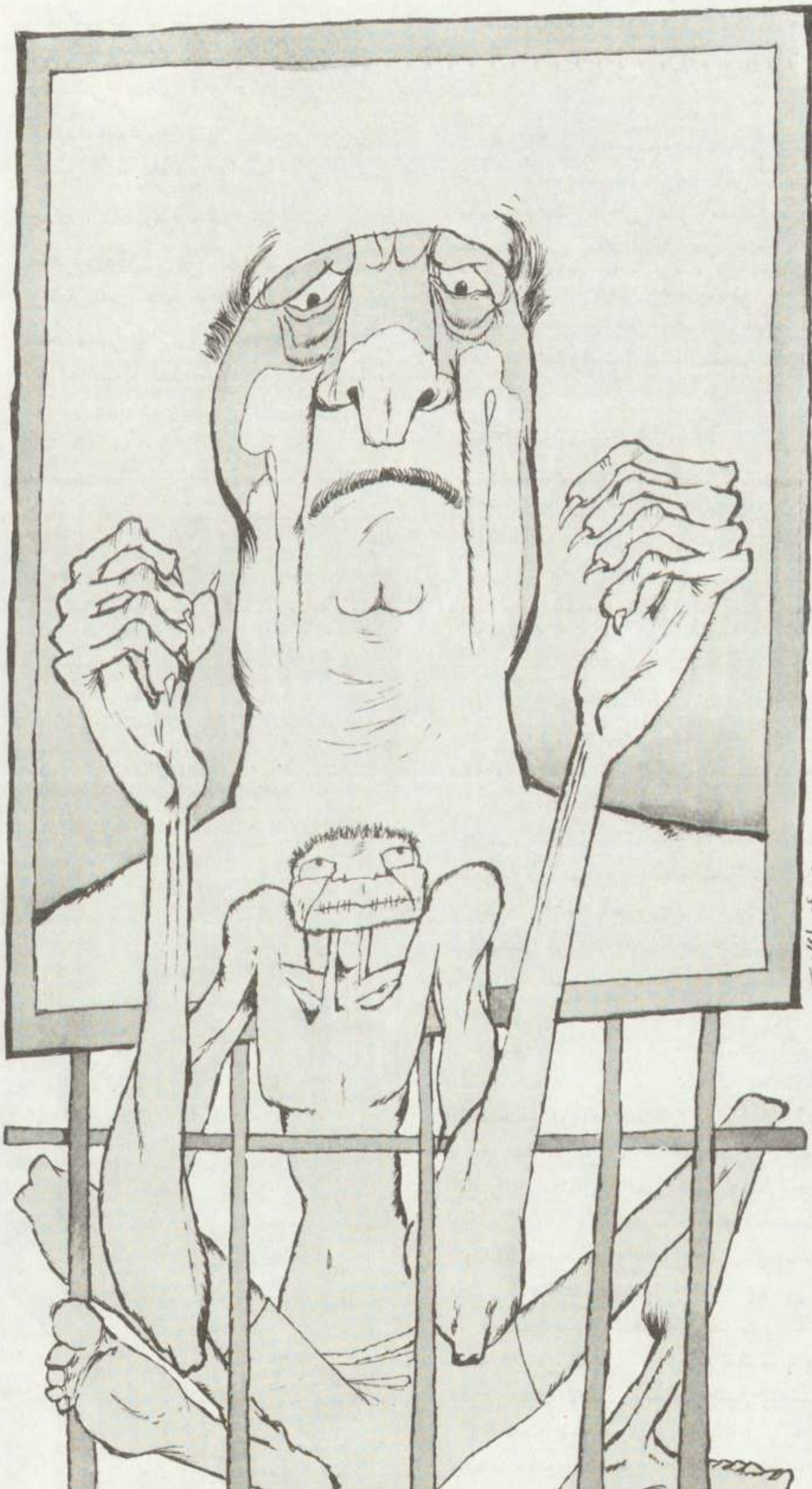

ـ زى مانت شايف يابيه ..

ـ طيب (..) النملة اللى فى إيدك .

خيل إلى أنى حقيقة لم اسمع ، وكيف اسمع ، وما طلبه لا يمكن أن يمر إلا من عقل مجنون ، حتى المجنون نفسه يخجل أن يطلبه .

ـ نعم ..

الكرباج مرفوع فوق رأسى والنبوت يتهيأ للانقضاض ويونس بحرى تجمدت نظراته النارية على هيئة الأمر الذى امره ، والدنيا ، وسور العساكر ، والطابور والبازلت والجبل والصخر والطريق ، وكل شىء سكت وصمت وكأمر يستحثنى أن ألبـــى.

ينفض الفلاح الخبيث الذى فيّ يقلب الموقـف الجاد الرهيب وقلت فجأة :

ـ بس دى ذكر يا بيـــه ..

لم يضحك ، ولا احد من القريبين أو البعيدين ضحك ، بكل صرامه قال : روح هات واحدة نتاية .

وكالذى نومه المنوم المغناطيسى استدرت وقصـدت كومة التراب ، وعسســت بيدى . طبعا كان اول ما خطر لى أن ابحث عن نملة أنثى ، ولكن كدت اضحك من نفسى لأنى انسقت وراء المشهد فعلا وأخذتــه جدا ، وسألت نفسى : كيف أعثر على الأنثى ، ومالفرق بين النملة الذكروالنملة الانثى ، بل هل توجد نملة انثى ونملة ذكر . المقصود عدت إليه ووقفت امامه وفتحت قبضتى على نفس النملة وقلت : هاهى نملة أنثى

قال : ياالله .

ـياالله ماذا ؟

ـ تانى . اسمع .

وفوجئنا بجعجعة أوامـر تفرقع ، واقترب سور العساكر حتى أطبق على طابور المعتقلين ، واستقر افراد فرقة الضرب فانتصبت واقفة مشرعة اسلحتها الفاتكة الرهيبة ، وهوى الكرباج من خلفى وسمعت صفيره وهو يشرخ الهواء ليستقر كالسكين القاطع غائرا فى جلدى ولكن يونس بحرى تلافاه فى آخر لحظة وأمسك باليد المهوية وقال بصوت مخيف صوبه إلى كل أذن تسمع : اسمع .. أنا لا اريد ضربك

.. فأنا اعرف انك من النوع الحميرى الذى لن يؤثر فيه أى ضرب او تعذيب ولكنى سأضرب تلامذة ابتدائى هؤلاء .. وأشار .

والحراس يعرفون الى من يشير . فقد كان بيننا خمسة صبيان صغار لا يتجاوز أيهم السادسة عشرة ، معنا فى الطابور ، إذا ضربوا يصرخون بل يصوصوون كالكتاكيت المذعورة وتغور صرخاتهم فى لحمنا الحى بحيث يصبح أهون لأى ان يقطع بالسواطير ضرباً ولا يسمع صرخة الواحد منهم ...

جزعت والحق يقال ، وسقط قلبى فى قدمى مخافة أن ينفذ الوعد . ياعم يايونس ما كنا قاعدين فى أمان الله ، ماذا دار فى عقلك النجس ليقلب سلامنا هذا الى لحظة الرعب هذه حتى ليبدأ الجو يحفل برائحة الدم واللحم المفروم ...

تطويل الروح لم يعد يجدى . ماذا تريد يا أيها القومندان .

ـ يالله .

ولأننى ضامن انى سأكون على حق فى تساؤلى رفعت صوتى مستغيثا مستعيذا بالله من هذا الهول الذى لا أعرفه : إزاى بس يا بيه .. أنا فى عرضك .. إزاى .

ـ زى الناس .. هكذا قالها .

ـ زى الناس إزاى .. ؟

ـ زى الناس يابن الـ .. ويابن الـ .. ويابن الـ.. ماذا تفعل الناس ؟

ـ ولكنها تفعلها مع الناس والاناث وهذه نملة ..

ـ ولو .. اعتبرها ناس .. اعتبرها إناث .

ـ حاضر ..

قافزا الفلاح الخبيث الى نجدتى مرة اخرى قلت :

ـ حاضر يا بيه ..

وعملت أنى فعلا أزاول ما أمرنى به ، وأنا ، زيادة فى الاندماج ، قد رسمت على وجهى ابتسامة سعادة .. استيقظت منها على صوت نبوت يشرخ الهواء ويشرخ ظهرا من ظهور (التلامذة) إلى جوارى . التفت على الصرخة ، آهة صاعدة من عظام الاقدام لكائن حى إنسان صغير يتألم . انفجر قلبى وتدفق منه الدم الغائر غصة ولوعة .

ـ لا تمثل يابن الكلب .. اندمج .. اتضحك على .. اندمج .. انت خالع الان ملابسك وهذه انثى ، نملة مش نملة لا يهم .. هذه أنثى .. اندمج .. وسأراقب وجهك وملامحك .. وأقسم برحمة أمى إن لم أرك تفعل ما قلته سأشرح تلاميذك وانت وكلكم معه .. وانت تعرف وكلكم تعرفوننى ..

وكان واضحاً من وجهه المسمر المحفر بالجديرى القديم أنه لا يهزل ، حاولت أن اجد فرجة احتمال أو عشر احتمال للتهاون فلم أجد . هذا انسان مجنون وقد تقمصته حساسية المجانين للحقيقة ولن يصدق غيرها ولن استطيع ابداً خداعه وعلى أن افعلها. حاولت . ولكنى فى منتصف المسافة استدركت وطلبت منه العذر .

وجمعت نفسى وباقصى ما استطيع من قدرة على أمر النفس أمرتها . أحسست ان شهبا كشهب الجنون تتراءىلعينى ، ومن فرط الانضغاط بدأ العقل فى مخى يطقطق . مجنون أمر وأمر مجنون ، ولابد أن استجيب ، ومجنونا لابد ، لكى استجيب ، أن اصبح . أنا فعلا رجل ضخم ، وهذه نملة ، وبكل كيانى على أن اصغر نفسى واستحيل من انسان إلى حشرة ، الى نملة ، إلى ذكر نمل ، تستثيرنى انثاى النملة .

وكلما فشلت ، كلما توقفت ، كلما غام وعيى بالمشهد وباستحالة التحول واحسست التهديد يحوم كغربان البين حول التلامذة الصغار وحول الطابور أتصاغر وأتصاغر ويكسونى العرق وتطقطق عظامى وتندشدشولا بد أن تصبح كفى فى حجم ساق النملة وساق النملة لا يكاد يرى ولا بد أن أهوى بوعيى وبارادتى على كفى وكتفى ولحمى وعظمى ورأسى وبطنى وساقى وعنقى وأدق وأصغر كى استحيل ذكر نملة ، أفرز هرموناته ، وأجعلها بالقوة القاهرة تستجيب لهرمونات انثاى القابعة ، مستسلمة ، فى يدى . هكذا ، رأيتها ، بألف عين دقيقة لى تكونت ، قد استجابت ، وكفت عن الحركة ، ووقفت واضطجعت .

لو كانوا قد عذبونى وقطعت الجبل كله ، لو ربطونى لذيل حصان جرى بى القطر كله من اقصاه الى اقصاه ، لو ربطونى فى عروسة جلد وجلدونى ألف جلدة ، لو فعلوا ما هو أكثر وأكثر لما أحسست بربع معشار ما مر على . ولم اعد استطيع الكف وجسدى يمضى يتصاغر ليصبح نملة ويستمر نملة ويعيش ويحب ويزاول الحب نملة .. وعند لحظة النهاية فقدت الوعى ..

قالوا لى إنهم حملونى حملا إلى الليمان . وانهم خافوا من صراخى اثناء الليل واستجار الزملاء من عضى وتمزيقى لملابسهم وملابسى ، وحملونى إلى مستشفى سجن مصر ، ومن هناك الى هنا .. وهمس لى التومرجى الاسمر العجوز وأنا فى طريقى اليكم انهم يفكرون فى الافراج الصحى عنى ، ولو ، ما الفائدة ، وقد نمت مع النملة واعترفت ، وكان الذى كان ..

ولأن لا أبشع من السجن والمنتظرين المحاكمة من كلمة اعتراف ، فقد وقفنا على اطراف تحفزنا انا وحمزة ونحن نسأله بماذا اعترف ولماذا اعترف .

قال وهو يشيح بيده : وأنا وسط العذاب ، فى منتصف الساعة بين كونى نملة وكونى ذكر نملة انكسرت ارادتى ولم احتمل ، وقلت كل ما عندى بأمل أن يتوقف أمر يونس بحرى وأن يكف العذاب ، ورغم الاعتراف لم يوقف المجرم الأمر ، وحتى لو كان أوقفه فانا نفسى كنت غير قادر لحظتها أن اوقف عذاب التحول ، ارادة أن أكون بشرا أفلتت وصارت لى ارادة نملة لا تقوى أبدا على الكتمان .

● ● ●

ورغم اعادته الى المستشفى فقد سمعنا أن حرارته ظلت ٤١ طول الليل ورغم جسده المتين الضخم ، فى الصباح التالى مات .

د. يوسف إدريس

ابراهيم ناجي يلقى قصيدة

نعمان عاشور

لقاء مع

ابراهيم ناجي

مدرسة أبوللو

تعلقت بركب ناجي من زمن بعيد في أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة وبعد تخرجي في كلية الآداب كان ناجي يكتب في معظم مجلات دار الهلال وبالذات في مجلة « الاثنين » التي كانت تصدر أيامذاك وفي مجلة المصور أيضا ٠٠ قرأت له قبل أن ألقاه ٠٠ ولكني عرفته قبل أن أقرأ له ٠٠ وكانت حصيلة ما يكتب شيئا خارجا وبعيدا كل البعد عن الشعر ٠٠ كان يقدم أبوابا قصيرة عن الامراض النفسية ٠ ثم بدأ يشق طريقه نحو معالجة القضايا العاطفية حتى استقر نهائيا وتخصص تماما في الكتابة عن الجنس ، يباحث آخر نظرياته ويتصدى لمعالجة قضاياه ومشاكله من واقع ما كان يقرأه عنه في الكتب والمجلات ٠٠ وكان الجنس في هذه الايام يغمر جميع الكتابات وليسفقط الادب الروائي أو الادب القصصي ٠٠ لكنني كما قلت كنت أعرف ناجي قبل أن أقرأ له مثل هذه الابواب والفصول الصحفية ٠٠ والذي وجهني الى ذلك من قبلها بسنوات ٠٠ الاهتمامات الشعرية التي حفزتني وبفضل توجيه الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ٠٠ الى أن أتابع ما كان أيامها يسمى بمدرسة أبولو ٠٠ ومن أبرز شعرائها أبو شادي وناجي وغيرهما ٠٠

ملحمة الاطلال

وكان أول ما أثار اهتمامي بناجي ٠٠ الابيات المحفوظة التي كانت تردد عن ملحمته الرائعة التي كتبها خلال سنوات الحرب ملحمة « الاطلال » ٠٠ وهي مجموعة قصائد في قصيدة طويلة واحدة لم يعن ناجي بجمعها وانما كانت تنشر له تباعا في مجلة « أبولو » أحيانا ٠٠ وعلى ألسنة الشعراء من المعجبين به

زكى مبارك

كامل الشناوى

فرويد

الممثلة أسيا داغمر

● فتنتني الأطلال وفتحت مغاليق حسي وتذوقي على شاعريته.. فانفرد بين كافة معاصريه بإعجابي

● لما أفصحت له عن إعجابي بشعره.. ازداد غبطة وكأنه طفل صغير.. ومن هذه اللحظة عرفت شخصية ناجي على حقيقتها.. إنه يصادق الآخرين من الدقيقة الأولى

أحيانا أخرى .. وظلت كذلك متناثرة حتى جمعها بنفسه بعد سنوات وضمنها احدى دواوينه .. فتنتني الاطلال وفتحت مغاليق حسي وتذوقي على شاعرية ناجي فانفرد بين كافة معاصريه باعجابي .. والحق انه كان أستاذهم جميعا أو هذا ما أثبتته الايام بالفعل . لذلك فما كدت أسمع ذات ليلة بوجوده في مقهى مقابل « لقهوة عبد الله » التي كانت بمثابة مجمع ليلي للادباء في الجيزة حتى سارعت اليه .. كان يجلس في حديقة مقهى « المثلث » المطل على الجانب المقابل لقهوة عبد الله في ميدان الجيزة .. وكان ذلك في احدى السنوات التالية لنهاية الحرب .. ربما عام ١٩٤٦ لم يكن ناجي يجلس لوحده .. وانما كان محاطا بمجموعة من الشعراء والكتاب غير المعروفين .. وكان يقرأ عليهم من ورقة في يده .. احدى قصائده الاخيرة .. كانت هذه هي عادة ناجي دائما فهو لا يكتب شعرا الا ويقرأه على المحيطين به .. واستأذنت في الجلوس معهم بجرأة وشجاعة لم أكن أعهدها في نفسي من قبل وانما دفعني اليها اعجابي المتصل بشعر ناجي .. وفرح الرجل بانضمامي اليهم .. فلما أفصحت له عن اعجابي بشعره .. ازداد غبطة وكأنه طفل صغير .. ومن هذه اللحظة عرفت شخصية ناجي على حقيقتها .. انه من ذلك النوع الذي تستطيع أن تكون صديقا عزيزا له من أول دقيقة وقد كان هذا موقفه مني بعد ذلك على الدوام وحتى نهاية عمره ..

جلسات المثلث

في الليلة التالية سارعت الى جلسة الحديقة في مقهى « المثلث » بالجيزة بعد أن مررت على قهوة عبد الله لاثبات وجودي هناك اذا سأل أحد عني .. ولم أجد ناجي في جلسته المعتادة .. لكنني اكتشفت شيئا كان جديدا على بالفعل بالنسبة لهذا المقهى .. فهو مقهى على مستوى أرفع بكثير من قهوة عبد الله .. صاحبه يوناني وهو يعتبر بمثابة مصيف ليلي كان يتردد عليه العديد من الادباء والكتاب والفنانين بل ورجالات السياسة أيضا .. وهو المحل المختار لمخرجي السينما وممثليها وممثلاتها والعاملين باستديوهاتها الواقعة جميعا بشارع الهرم على امتداد ميدان الجيزة .. والمقهى متخصص في تقديم المثلجات من الجيلاتي والايس كريم وغيرها .. وفي تلك الليلة بالذات وأنا أبحث عن ناجي وشلته .. لاحظت هذه الملاحظة فحول أكثر من مائدة .. كان يجلس بعض السياسيين بينهم الوزير حفني محمود الذي أصبح باشا ووزيرا فيما بعد ومعه مجموعة من أصحاب الوجوه المألوفة في كاريكاتير المجلات السياسية من الوزراء والحكام الذين لم أكن أعني بمعرفة أسمائهم .. ثم مائدة أخرى تضم يوسف وهبى .. والمخرج أحمد بدرخان .. والمنتجة آسيا وغيرهم من السينمائيين الذين أقرأ عنهم وأرى صورهم في الصحف والمجلات واعلانات الافلام .. لكن المائدة التي كان يجلس عليها ناجي ليلة الامس .. كانت خالية ..

ابراهيم ناجي

وأوصيت الجرسون قبل أن أغادر مقهى المثلث اذا جاء الدكتور ناجي أن يخطرني بحضوره ٠٠ وأنا جالس على المقهى المقابل ٠٠ قهوة عبد الله ٠ وعدت أدراجي وظللت جالسا أترقب وصول من يخطرني بحضوره ٠٠ حتى مللت الانتظار فعدت ثانية الى حديقة مقهى المثلث وهناك وجدت ناجي وفي صحبته نفس مجموعة الامس ومعهم احدى الممثلات ٠٠ وما ان رآني ناجي حتى دعاني الى الجلوس مع انه حتى اللحظة لم يكن يعرف اسمي ومن أكون الا أنني مجرد معجب عابر من المعجبين بشعره ٠٠ وطلب الي مشروبا فقد كانت هذه هي عادته التي اكتشفتها فيما بعد من متابعتي له ٠٠ انه لا يسمح لأحد بأن يدفع ثمن أي شيء يطلبه وهو في حضرته ٠٠ وبعد حديث خاطف عما يجري من أحداث عامة ٠٠ أخرج ناجي من جيبه ورقة ٠٠ كانت فيها قصيدة من الشعر ٠٠ وراح يقرأها لنا ٠٠ قصيدة يودع بها غراما يائسا ويستقبل بها حبيبا جديدا ٠ من الواضح أن هذا الحبيب كانت السيدة التي تجلس معنا ٠٠ ولم تعجبني القصيدة ٠٠ لانها كما يبدو كانت مكررة في معناها لكثير من القصائد التي قرأتها له ٠٠ ولم يسألنا رأينا فيما كتب ولكنه اكتفى بأن أعطى القصيدة للسيدة الجالسة معنا طالبا منها أن تحتفظ له بها كهدية منه ٠٠

غراميات ناجي

كان ناجي كلما رأى امرأة وقع في حبها ٠٠ فالحب عنده كما كان يقول المرحوم كامل الشناوي مثل « قزقزة اللب » ٠٠ وكامل الشناوي نفسه كان كذلك ٠٠ ويبدو أن جميع كتاب القصائد الرومانتيكية من الشعراء جميعا ٠٠ مثلهما تماما ٠٠ والشرط الوحيد عندهم أن تكون المرأة جميلة وأن يكون جمالها موحيا بالشعر وأن تستطيع بما خلفته في وجدانه من انطباع واحساس بالجمال قادرة على الصد والجفاء وعلى براعة فائقة في الدلال ٠٠ فبذلك وحده تستطيع أن تهز عواطفه ٠٠ وبذلك وحده أيضا يستطيع هو أن يستغني عنها اذا صادفته واحدة أخرى من نفس نوعها متفوقة في الجمال ٠

ذات ليلة دعانا ناجي لصحبته أنا ومجموعة من المحيطين به فرحلنا في تاكسي الى ضاحية مصر الجديدة ٠٠ طبعا على حسابه ٠٠ ووصلنا الى هناك والقمر ينسكب على الصحراء الشاسعة ويغطي الليل بغلالة ساطعة من الفضة ٠٠ ونزلنا الى شارع قفر ليس فيه الا بيت واحد ٠٠ فيللا مغلقة صامتة خالية ٠٠ وطلب الينا أن ننتظره ٠٠ وراح يطوف حول الفيللا والطواف حول مرقد الحبيب لا تكاد تخلو منه احدى قصائده ٠٠ وظل يطوف ٠٠ ويطوف ٠٠ ثم عاد يلهث ٠٠

وتحت عامود الكهرباء ٠٠ استند بقدمه الى الرصيف وأخرج ورقة وراح يتمتم وهو يكتب يستعيد ويسجل الابيات التي طوف بها حول الفيللا ٠٠ ثم أخذ يترنم بها في صوت مسموع وهو يشهق ملوحا ٠٠ « روشتة الشفاء » ٠٠

ـ خلاص ٠٠ برئت من هواها ٠٠

كانت الابيات التي كتبها تفيض لوعة وحسرة وألما ٠٠ ولم يحاول أحد منا أن يصدمه ٠٠ فقد كان هذا هو حب ناجي حب دائم متجدد في خياله وأحاسيسه وحدها ٠٠ وما دامت هناك امرأة جميلة تحب فانه يعيش قصة هواها ٠٠ حتى ولو كان عن بعد وبغير لقاء ٠٠ فاذا أراد لها نهاية ٠٠ سجلها في « روشتة الشفاء » وهذا هو الطابع المميز لأغلب قصائده ٠٠ وعدنا مع الفجر لينصرف كل منا الى بيته ٠٠ ذلك أن ناجي لم يكن ينام الا مع طلوع الشمس ٠٠

كان ناجي طبيبا بشريا كما هو معروف وكان يشغل وظيفة مدير لمستشفى حكومي يقع على أطراف حي شبرا ٠٠ مستشفى الغازندار ٠٠ وكانت له عيادته الخاصة في وسط الحي ٠٠ وفيها يلتقي عادة بأصدقائه وصفوة خلانه ٠٠ صحبت أستاذنا مصطفى عبد اللطيف السحرتي في أكثر من زيارة لندوة عيادة ناجي ٠٠ كان يعالج أغلب مرضاه مجانا ٠٠ ويعتمد في علاجه على حالاتهم النفسية أكثر من اعتماده على حالاتهم الجسمانية ٠٠ ومن أجل هذا كان شديد الشغف بقراءة علم النفس ولديه مكتبة زاخرة بالتحليلات النفسية خاصة ما يتعلق منها بالجنس ونظريات فرويد بالذات ٠٠ فقد كان ملما بها الماما كبيرا ٠٠ كما كان شديد التعلق بالكتابات المتلاحقة التي كانت تصدر أيامها عن اللاعقل واللاشعور واللامعقول ٠٠ ولهذا تضيع الجلسة اذا لم يكن لديه قصيدة ليقرأها في الحديث عن العقل الباطن والاسرار الكامنة وراء الظاهر من شواهد الامور حتى ان الكثيرين كانوا يعتبرونه متصوفا أكثر منه باحثا ومحللا نفسيا ، كما كان يحب دائما

● كان إذا رأى امرأة وقع في حبها .. بشرط أن يكون جمالها موحياً بالشعر
● عند ما طاف حول بيت حبيبته ذات ليلة .. ثم وقف تحت عامود النور يكتب قصيدة
● روشتة الشفاء : هي القصيدة التي يكتبها .. عندما تنتهي علاقة عاطفية

أن يكون في مجال نشاطه النثري والفكري .. وكل هذا يتفق تماما مع طبيعة نهجه الفكري فضلا عن اتساقه مع متجهه الرومانتيكي الغامر في الشعر .

ليلة مع زكي مبارك

ومن الليالي المشهودة في صحبة ناجي .. اننا كنا نصدر مجلة أدبية يشرف عليها الشاعر والكاتب القدير الاستاذ مفيد الشوباشي وكنا نساهم جميعا في تحريرها بل وطبعها وتوزيعها واسمها « الاديب المصري » وكان من عادتنا أن نجتمع مساء كل خميس في احدى مقاهي ميدان التوفيقية كصحبة أدبية جديدة .. وحدث ذات مساء ان أهل علينا ناجي ونحن جلوس على مقاعد المقهى الخارجية فوق رصيف الميدان بدعوة كان قد وجهها اليه الاستاذ مفيد الشوباشي بمناسبة نشر أحدث قصائده التي أهداها للمجلة ورفض أن ينشرها في أي مجلة أخرى . وتصادف في تلك الليلة أن كان يجلس بداخل المقهى يقارع بنت الحان أديبنا العتيد زكي مبارك .. وكان يفضل دائما أن ينزوي بنفسه أو في رفقة قليلة بعيدا عن الانظار .. فلما حضر ناجي وطالت جلسته معنا لمحه زكي مبارك فقام يهتز لناحيتنا . ويدعونا مادام في صحبتنا ناجي أن ندخل اليه في أغوار المقهى .. وكانت ليلة لا تنسى بدأها زكي مبارك بالهجوم على شعر العقاد .. ثم تطرق الى ناجي فحاول أن ينال من شعره .

وطال بنا الليل فأغلقت المقهى علينا ونحن جلوس داخلها وبدأ زكي مبارك يتحرش بناجي في الشعر .. فطالبه لمطارحته على أن يقول كل منهما بيتا فيسارع الآخر بالرد عليه من آخر حرف في آخر كلمة فيه .. وبشرط أن يكون من تأليفه على غير العادة في مطارحات الشعر .. وبدأ زكي مبارك يبث من شعره .. فرد عليه ناجي ببيت آخر ارتجله مباشرة واستمرت المطارحة .. كان زكي مبارك يستحضر أبياتا من شعره المكتوب .. بينما ناجي يرتجل الابيات عفو الخاطر وفي بداهة لا تعرف التوقف وزكي مبارك نفسه لا يصدق ويتهمه بأن ما يقوله من أبيات انما هو من محفوظ أشعاره .. كان تحديا مثيرا رد عليه ناجي .. بأن كان يقابل كل بيت يقوله زكي مبارك بعدة أبيات متلاحقة على صورة رد في المعنى والفكرة والمضمون .. شيء أشبه بالقصائد القصيرة ..

وتلك كانت حقيقة شاعرية ناجي فهو يقول الشعر على سجيته ويرتجله ارتجالا فوريا .. موهبة فذة لا يضارعها الا عجزه عن حفظ أكثر من بيت أو بيتين من أي قصيدة سبق أن كتبها ..

آخر لقاء

على أخريات حياته ترك ناجي ادارة مستشفى الخازندار وكانت تابعة لوزارة الاوقاف .. وعين رئيسا للقسم الطبي بالوزارة .. وأذكر أن آخر مرة رأيته فيها حين لقيته خارجا من الوزارة ومعه أحد الفراشين .. كان يحمل حوالي خمسين نسخة من ديوانه الاخير ويتقاسم حملها مع الفراش .. فلما رآني .. نادى علي من الرصيف المقابل فما أن أقبلت عليه حتى رمى بنسخ الديوان على الارض .. ثم أسرع وفي يده نسخة فأهداها الي في فرحة بالغة لا تعادلها فرحة الطفل وهو يبادلك لعبته الاثيرة .. وسألته اذا كان قد جمع فيها كل شعره .. فهز رأسه في حزن ووجوم ..

هذا كل ما أسعفني به الاصدقاء من أوراقهم .. يقصد الاوراق التي كان يدون عليها قصائده قبل أن ينساها ويهديها لهم .. ثم ينساها حين يكتب غيرها .. وأسرع ليلحق بالفراش بعد أن منعني من مساعدته على حمل بعض ما كان يحمله من النسخ .. ورجاني أن أقرأ الديوان وأناقشه فيه حين ألقاه .. ولكني لم ألقه بعد ذلك حتى اليوم .. لان هذه كانت آخر مرة رأيت فيها ابراهيم ناجي .. أبرز وألمع شعرائنا الرومانتيكيين المحدثين وأستاذهم جميعا ...

نعمان عاشور

أنور الجندى

اللغة العربية

إن اخطر التحديات التى تواجه العالم الاسلامى فى مطلع القرن الخامس عشر هى (المؤامرة على الفصحى لغة القرآن) هذه المؤامرة التى تمثل خيطا من خيوط الغزو الفكرى والتغريب . كجزء من الحملة على القرآن والاسلام والعقيدة الاسلامية منهجا ونظام مجتمع .

وما تزال المؤامرة على اللغة العربية الفصحى مستمرة لم تتوقف لها خيوطها المرتبطة بالاستعمار والنفوذ الأجنبى ، وهى مؤامرة تلبس فى بعض حلقاتها ومراحلها ثوب البحث العلمى ، وتحاول أن تدعى أنها تستهدف التجديد ،والصورة المعروضة اليوم تحاول أن تخدع الكثيرين . وقد كانت المؤامرة على اللغة العربية أساسا تستهدف الدعوة إلى العامية أو كتابة العربية بالحروف اللاتينية ..

وقد أخذت فى بعض الاوقات طريق الدعوةالى معارضة مفاهيم النحو أو نطق الكلمات . وجرت فى خلال السنوات الممتدة منذ حمل لواءها المبشر الانجليزى (ويلكوكس) فى مراحل متعددة وانتقلت من مصر الى المغرب الى الشام ولبنان واستطاعت أن تجد لها دعاة ممن يكتبون بالعربية خلفوا اولئك الأجانب الذين حملوا اللواء أول الأمر ، وقد توالت المحاولات الماكرة تحت اسماء مختلفة ، وهى كلها تستهدف أمرا واحدا هو عزل المسلمين عن بيان القرآن وعن أسلوبه وشق وحدة اللسان والكلمة باعلاء العاميات فى مختلف البلاد الاسلامية حتى تنمو تلك العاميات وتصبح لغات منفصلة ، وعندئذ يصبح (القرآن الكريم) تراثا يترجم ويقرأ عن طريق القواميس والمعاجم .

الفوارق الكبيرة

وهم يضعون تجربة اللغة اللاتينية بالنسبة للانجيل فى أوربا كصورة نموذجية للمحاولة ويجهلون مدى الفارق البعيد بين اللغتين وينسون أن الأنجيل لم ينزل باللغة اللاتينية أصلا وانما يترجم إليها .

إنهم يقولون انه مادامت اللغة اللاتينية قد ماتت ودخلت المتحف فلماذا لا تموت اللغة العربية وتتفرع عنها لغات اقليمية ؟! والحق أن وجه المقارنة غير صحيح وغير صادق فقد انتهت اللغة اللاتينية بتحولها الى لغات ، وليس كذلك ما يحدث بالنسبة للغة العربية التى مازال (القرآن) يظاهرها ويجعل ما كتب بها منذ أربعة عشر قرنا مقروءا الى اليوم ، بينما لم يحدث ذلك مطلقا لأية لغة من اللغات الحية التى تتغير كل ثلاثة قرون ، فامرؤ القيس السابق للاسلام نقرأه نحن الآن ونفهمه ، بعد أكثر من ١٥٠٠ سنة بينما شكسبير لا يفهمه الانجليز ، وقد مضى عليه ثلاثمائة عام فحسب ، وهذه الظاهرة فى اللغة العربية تجعلها لا تخضع لعلم اللغات الذى يحاول أن يحكم على كل اللغات بظواهر عامة مشتركة.. ومن ناحية أخرى تتميز اللغة العربية أيضا بأنها ليست لغة أمة كما يحدث للغات جميعا ولكنها الى ذلك لغة فكر وثقافة وعقيدة لألف مليون مسلم ، العرب بينهم مائة مليون ومن هنا تتكشف فوارق كبيرة بين اللغة العربية لغة القرآن وبين اللغات القديمة كاللاتينية واللغات الغربية ..

المحاولات التغريبية

وقد كانت اللغة العربية بطبيعة تركيبها وتميزها بالقدرة على الاشتقاق والتوالد عاملا هاما فى مكانتها وقد وصفها (ارنست رينان) بأنها خلافا لكل اللغات ظهرت فجأة فى غاية الكمال ، غنية بكل معنى ، بحيث لم يدخل عليها حتى يومنا هذا اى تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة وانها ظهرت منذ أول أمرها تامة محكمة .

ولقد مضى القرآن يشق طريقه ومضت معه اللغة العربية وكان حقا عليها أن تصل الى كل مكان وصل إليه ، ولكن الاستعمار استطاع منذ أكثر من قرنين أن يوقف تقدمها ونموها ويحول بينها وبين الحركة وخاصة فى ماليزيا واندونيسيا وشرق افريقيا وغيرها واعلاء شأن اللغات الأجنبية واللهجات الاقليمية المحلية ، ولكنها سوف تستطيع فى هذا القرن الوليد بعد أن تحررت الأمم من نفوذ الاستعمار الثقافى أن تعاود توسعها وتصل الى كل مكان فيه مسلم ليس بوصفها لغة فكر وعبادة وثقافة فحسب ولكن على أنها لغة حديث وكتابة وتعامل .

فمن هذا الفهم الصحيح لوضعية اللغة العربية بين اللغات يمكننا أن نواجه كل ما يقال عن (تطوير اللغة) أو اقلمة اللغة أو اعلاء شأن العاميات والادعاء بأنها لغة خاصة ملك لاصحابها ونفهم أن هذه كلها محاولات تغريبية تستهدف :

(١) عزل العرب عن الوحدة الكاملة بينهم .

(٢) عزل المسلمين عن العرب .

(٣) عزل المسلمين والعرب عن مستوى البيان فى القرآن الكريم .

ولا ريب أن اللغة العربية جديرة بأن تلقى دائما فى مستوى بيان القرآن وأن يرتفع الناس إليها . ولا ريب أن الدعوة الى اقامة

متى تواجه التحديات؟

لغة وسطى بين الفصحى والعامية هى احدى محاولات الغزو الفكرى وليس لها هدف إلا إنزال اللغة العربية درجة عن كيانها الذى يرتبط ببلاغة القرآن وبذلك تنهدم ركيزة من ركائز الاسلام وهى حجب المسلمين عن فهم القرآن الكريم واستيعابه وفهم ثقافة دينهم وفقهه وهو أمر خطير وهام ويحتاج الى دوام المحافظة على بلاغة اللغة وروحها ، فاللغة أساسا هى فكر الأمة ، والفصحى هى فكر العرب والمسلمين مرتبطة بذاتية الاسلام ومزاجه النفسى والاجتماعى .

(ثانيا) قدمت فى سبيل المؤامرة على اللغة العربية خطة العاميات ثم خطة الكتابة بالحروف اللاتينية ثم مشروع شرشر ومشروع العربية الاساسية والبقية تأتى من خطط ومؤامرات وقد استخدمت المحافل الرسمية لتقديم عدد من المشروعات وخاصة محاولة دراسة اللهجات واعطائها طابع العلم

يقول الدكتور محمد محمد حسين : ليس الخطر فى الدعوة الى العامية ولا فى الدعوة الى الحروف اللاتينية ولا فى إبطال النحو وقواعد الصرف أو اسقاطها ، وإنما الخطر فى هؤلاء العتاه الذين يعرفون كيف يخدعون الصيد باخفاء الشراك . إن الخطر الحقيقى هو فى الدعوات التى يتولاها خبثاء الهدامون ممن يخفون أغراضهم الخطيرة ويضعونها فى أحب الصور الى الناس ولا يطمعون فى كسب عاجل ، ولا يطلبون انتقالا سريعا كاملا .

اصلاح اللغة

ثالثا : هناك بدعة (اصلاح اللغة) وقد ظن البسطاء أن المسألة يراد بها سهولة الأداء ، فالمصطلح خادع وماكر وسيىء النية أيضا .

وقد كشف هذه المؤامرة الدكتور على العنانى حين قال : ان الاصلاح فى الالفاظ والتراكيب والاساليب لا يكون الا بتغيير قواعد أبنية اللغة وهى (الصرف) وتحوير ضوابط اعرابها والأحوال العارضة على الالفاظ باختلاف الوضع فى الجملة وهو (النحو) وتبديل الموضع اللفظى فى المفرد والمركب من حيث الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية ، وهو (البيان) وبتغيير واهمال ضوابط الفصاحة والبلاغة وهى (المعانى) ومعنى اصلاح قواعد الصرف انتقالا من الصعب الى السهل انما يعنى أن نهدم علم الصرف من أساسه وننسخه نسخا تاما لتعدد قواعده وتنوع ضوابطه ،وبعد أن يتم الهدم يبنى المصلحون على انقاضه صرفا جديدا محدود القواعد قليل التنويع ، خفيفا على العقل والفكر ، سهلا على الذهن والفهم . وكذلك الأمر فى اصلاح قواعد النحو واصلاح علوم البلاغة .

وبهذا يكون معنى (الاصلاح) فى اللغة: نسخ العقلية العربية وما فيها من ثقافة نظرية وعملية ، ذلك أن الاصلاح هو التغيير ، والتغيير يعنى الازالة والوضع . يقول الدكتور العنانى : ان تغيير قواعد اللغة العربية صرفاً ونحوا بالوضع فقط أو بالوضع والازالة معناه إحداث لغة جديدة بقواعد جديدة . وهذه اللغة الجديدة إن صح اتصالها بالعربية الحالية المدونة اتصال اللهجة بالأم فانها تبتعد عنها شيئا فشيئا حتى تختفى معالم الصلات بينهما أو تكاد وعندئذ تكون اللغة العربية الحالية من اللغات الميتة .

هذا الذى صوره الدكتور على العنانى هو خلفية الصورة البراقة التى نراها اليوم يحملها مجموعة من أعداء الاسلام واللغة العربية ويدافعون عنها وينقلونها من أسلوب الى أسلوب ، وكلما انكشف لهم جانب اعادوا تشكيلها فى صورة أخرى وهم الان على أبواب التعليم ، وهى خطوة خطيرة اذا سمح بها واعين عليها . على النحو الذى كشفت عنه مؤامرة مشروع العربية الأساسية الذى وصفه الدكتور عبد الحليم محمود بأن هدفه واضح فى هدم معالم اللغة العربية ، وتبعا لذلك البعد بها وبأهلها عن القرآن الكريم ثم ما ينتج عن ذلك من مساس بالاسلام واصوله كما هى مصونة فى كتاب الله وسنة رسوله الكريم، ذلك إلى إيجاد الهوة الواسعة بين ماتئول إليه اللغة (لاقدر الله) وما احتوته من تراث فى صورتها السليمة يمتد نحو أربعة عشر قرنا من نحو أربعة عشر اقليما ، ومن ذلك نتبين أن المشروع يرمى الى قطع الصلةبالقرآن الكريم والسنة النبوية والتراث الفقهى الذى يعتمد فيما يعتمد على دلالة المفهوم والمنطوق وأساليب القصر والتقديم والتأخير وما إلى ذلك مما لا يتحقق فى لغة أساسها العامية ، بل إنه يقطع صلة المسلم بالتراث العلمى الاسلامى بصفة شاملة .

العلوم القاصرة

(رابعا) اللغة العربية الفصحى لغة القرآن هى لغة ألف مليون هم المسلمون وليس مائة مليون هم العرب وحدهم ، لذلك فان من الخطأ تطبيق علم اللغات الحديث عليها ، ذلك لانه علم قامت نظرياته ومستخلصاته على أساس دراسة واسعة للغات الأوربية ، هذه اللغات لها تاريخ

طعون في اللغة

استطاع الاستعمار أن يوقف تطوّر اللغة ونموّها منذ أكثر من قرنين

وتحديات وطرق ، أما تاريخها فانها مشتقة من اللغة اللاتينية ولغات أخرى ، وقد كانت فى أول الأمر لهجات عامية ثم استقلت بنفسها تحت تأثير عوامل كثيرة ، أما التحديات فان ترجمة الكتاب المقدس الى اللغات القومية الأوربيةجعل الموقف جد مختلف بينها وبين العربية ، أما الطريق فهو أن اللغة العربية ارتبطت بكتاب منزل أعطاها وحماها وجعلها ليست لغة العرب وحدهم وإنما لغة الثقافة الاسلامية عامة منذ ارتبطت بالقرآن الكريم وثقافة للمسلمين جميعا الذين يبلغ عددهم فى مطلع القرن الخامس عشر ألف مليون .

ومن هنا فان ارتباطها بالقرآن هو الذى حماها ومازال يحميها من أن تتحول لهجاتها الى لغات مستقلة ، او أن يقرأ تراثها بقاموس وسيظل هذا الترابط بين المسلمين ولغة الضاد والفصحى : لغة القرآن قائما الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

إن اللغات الأوربية حين انسحبت من اللغة اللاتينية إلى اللهجات القومية فأصبحت لغات خاصة انقطعت عن تراثها القديم ، وقد أصبح من شأن هذه اللغات أن تتطور وتتطور وهى فى كل فترة تنتقل من اللغة المكتوبة الى لغة الكلام التى تصبح بدورها لغة كتابه ومن ثم فان أوربا لا تستطيع أن تقرأ لشكسبير او ملتون أو غيرهما من اعلام الأدب إلا بواسطة قاموس ، وليس بين اللغات الانجليزية او الفرنسية او الالمانية وبين هذا التراث أكثر من اربعمائة عام بينما يقرأ المسلمون الآن تراثهم القديم كاملا ، ولو أن انسانا عربيا من الجاهلية بعث اليوم لاستطاع ان يتحدث الينا ونتحدث إليه ونفهم منه ويفهم منا ..

كل هذه المعانى تؤكد أن علم اللغات الحديثة علم قاصر وأنه لا يصلح للتطبيق على اللغة العربية ذلك لأن مستخلصاته استمدت من دراسة اللغات الأوربية وظروفها ولم يدرس ظروف اللغة العربية .

ولقد اعتقد المسلمون على مدى القرون ، وهو الحق ، أن لغتهم جزء من حقيقة الاسلام لأنها كانت ترجمانا لوحى الله ولغة كتابه ومعجزة لرسوله ولسانا لدعوته ، ثم هذبها النبى الكريم بحديثه ، ونشرها الدين بانتشاره وخلدها القرآن بخلوده ، فالقرآن لا يسمى قرآنا إلا بها والصلاة لا تكون صلاة إلا بها وان الارجانون لأى فكر أو منهج البحث لأى فكر انما يستند الى خصائص اللغة العربية ولا يستطيع أن يستند الى خصائص اى لغة أخرى فلكل لغة منهجها الفكرى القائم على معانيها ومضامينها وكما هاجم المسلمون المنهج الارسطى وقالوا أنه مستند الى خصائص اللغة اليونانية التى تخالف اللغة العربية فكذلك الأمر بالنسبة للمنهج الغربى الوافد ذلك لأن الفكر الاسلامى له منهج البحث الخاص به ومنهج المعرفة الذى يمثله والمستمد من اللغة العربية القرآنية ومن التوحيد الخالص .

أغنى اللغات

(خامسا) لا ريب أن محاولة فصل اللغة العربية الفصحى عن لغة الكلام باعلاء اللهجات أو بخلق ما يسمونه لغة وسطى أو لغة صحافة ، كل ذلك له خطره وله أبعاده ومخاطره إن النظرة العسيرة قد ترى فى ذلك شيئا مقبولا ، ولكن النظرة العميقة تكشف عن محاذير عميقة أبرزها :

الانفصال عن مستوى البيان القرآنى ، ذلك أنه من الضرورى أن تظل اللغة العربية متصلة ببيان القرآن ومرتبطة به فاذا بعدت عنه كان من أخطار ذلك أن تنفصل عن روح الاسلام وعقيدته وشريعته .

واللغة العربية لغة غنية خصبة عملاقة : يقول الخليل بن احمد فى كتاب العين : (إن عدد أبنية كلام العرب ١٢ مليون و٣٠٥ آلف و٤١٢ كلمة . ويقول الحسن الزبيدى صاحب (لسان العرب) ان ما يستعمل من ألفاظ اللغة العربية هو ٥٦٢٠ لفظا فقط ومن الناحية العلمية فهى تفوق أضخم اللغات ثروة واصواتا ومقاطع ، إذ بها ٢٨ حرفا غير مكررة بينما فى اللغة الانجليزية ٢٦ حرفا ومنها مكرر .

وقد أشار الى هذا النص سليمان البستانى مترجم الياذة هوميروس حين قال: (ان اللغة العربية هى أطول اللغات الحية عمرا ، وأقدمهن عهدا والفضل فى ذلك راجع الى القرآن ، فالالياذة وبلاغتها وسائر منظومات هوميروس وهيدوس على علو منزلتهما ، لم تقم للغة اليونانية دعامة ثابتة حتى فى بلادهما ولم تقو على مقاومة التيار الطبيعى ، ولكن (القرآن) وطد لغة قريش فى بلادهم وأذاعها فى جميع البلدان العربية وفى سائر البلاد وحيث كثرت مخالطة العرب للضاربين فى أقطار الأرض للجهاد والتجارة . واذا كانت اللغة العربية هى دعامة وحدة الأمة العربية فانها هى ايضا الرابطة الكبرى بين الأمم التى يظلها لواء الاسلام والتى ترتبط مع الأمة العربية بروابط تاريخ مجيد أمتد خمسة عشر قرنا) .

هذه اللغة العربية الفصحى لغة القرآن يجب أن تكون أبعاد عظمتها ومكانتها بين العرب والاسلام والقرآن واضحة : بينه لشبابنا حتى لا يستهين بها حين يحدثه المغربون عن اللغات الاخرى وليعرف أبعاد التحدى والمؤامرة التى تواجهها دائما لضرب الاسلام والقرآن وسيكون لهذا الوعى قوة رائدة فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى باذن الله .

أنور الجندى

أضغاث أحلام

الرجل الزجاجي... والثعابين والخيار...

تقول أسطورة روتها لى جدتى صغيرا ، أن ملكاً فى الجاهلية الأولى ، كان يتجول فى عرض الصحراء ، لتفقد أحوال الرعية ، فصادف فى واد سحيق بين جبلين شاهقين ، راعياً يسوق إبلا ، وهو ممسك بذيل بعير أجرب ، وغير مبال بثعبان غارز أنيابه فى إحدى قدميه ، فوقف الملك مندهشاً ، والتفت الى وزيره ، واسر له بقوله ، هذا الرجل قوى متين الجسم ، لابد أن آخذه معى الى القصر ، واضمه الى حاشيتى ، بل ساجعله مقدم الجند ، وقائد الفرسان ... فقال الوزير : يامولاى دعه فى بيدائه ، وامنحه ما تشاء من العطاء ، دون أن تفكر فى تغيير (بيئته) ... فأصر الملك على رأيه ، ، واصطحب الراعى فى عودته ، وآواه وقربه ،اليه ، وزوجه ابنته الوحيدة ، وأسكنه قصرا فى ضاحية ، وافسح له فى مجلس العرش مكاناً مرموقاً ... وبعد شهور من العيش الرغد فى البيئة الجديدة ، تخلف الراعى يوماً عن مجلس الملك ، فأرسل من يستفسر ، فجاءه الخبر بأن الرجل مريض !! فانزعج الملك ، وهرول فى جمع من المستشارين والوزراء والأطباء ، إلى بيت ابنته ، وهاله أن يجد صاحبنا الراعى راقدا فى فراشه الوثير ، وحوله الخدم والحشم والجوارى ، يطلقون البخور ويهشون الذباب ، ويضمدون جبهة الراعى المريض بالماء والخل ... وأفضت الاميرة الى أبيها بسر مرض زوجها فيما خلاصته : أنه كان فى الصباح جالساً فى شرفة القصريستطلع أشعة الشمس الاولى ، فمر فى الطريق فلاح قادم لتوه من الحقل ، يحمل فوق رأسه (قفة) ملآى بالخيار (الطازج) ... ولما كان للخيار الطازج (زغب) خفيف مدبب ، فان صاحبنا حين قلب الخيار ، شاكته زغبة قوية نوعاً ما ، فالمته ، وخر مريضا عليلا .... فما إن استوعب الملك القصة بحذافيرها تماماً ، حتى ادرك حكمة وزيره وبعد نظره ، واقتنع فى قرارة نفسه ، ولم يبدها لهم ، أنه اخطأ ، فى نقل هذا الرجل ، لمجرد ظاهرة رآها فيه ، طفرة واحدة ، من حيث تعضه الافاعى والحيات فلا يبالى الى حيث تشوكه زغبة الخيار الطازجة !!

هنا يقول العلماء ، إن مابذلوه من جهد خلال القرون من استقصاء لأحوال مادة الكون ، أثبت لهم أن أحوال المادة (المستقرة) أربع ، الصلابة ، والسيولة ، والغازية ، وحالة البلازما ، حيث تكون الذرات عارية من كل الكتروناتها تماماً ، تحت حرارة تقاس بملايين الدرجات المئوية كما فى النجوم ، وأن هنالك حالة خامسة أخرى (غير مستقرة) تنتقل اليها المادة إذا بردت فجاة ، إذ تصير (زجاجا) كذلك الذى تخرجه لنا المصانع ، أو ما يتخلف من حمم البراكين ، ولاباتها ، سواء منها النشط ، أو ذلك الذى هرم ، فمات وخمد ، منذ ملايين الأعوام ... فذلك الزجاج صلب ، فى ظاهره ، ولكنه فى حقيقته (سائل) تجمد ، إذ ليس فى كيانه بلورات ذات نظام هندسى ، شأن الاجسام الصلبة (المركبة أو العنصرية) المستقره ... واثبت العلماء أن الزجاج كلما تقادم به العهد ، وطال به العمر ، تدفعه النواميس التى أودع الله اسرارها فى الجماد والحيوان والنبات ، الى أن يبحث عن نوع من الاستقرار ، باعادة ترتيب (لبناته) فى بناء (بللورات) مما يترتب عليه أن يصبح معتما بعد صفاء وهشا بعد صلادة ، وذلك ليوائم ظروف البيئة من ضغط وحرارة ، بعد تغيره المفاجىء طفرة ... وكان صاحبنا ذاك الذى غر الملك منظره من ذلك النوع الزجاجى الذى تضر به الطفرة ، والنقلة السريعة ، وهو فى حقيقته زجاج .... ويقينى أن مسببات ما نحن فيه اليوم ، مرور فترات حسبنا فيه كل (صلد ظاهرياً) ، متيناً مبنياً من بللورات وكم من الأفراد والمجموعات حسبناها ، وهى لا تبالى بالأفاعى متعلقة فى أقدامها ، بطولات لن تفسدها كل مغريات الدنيا ، فاذا بها تستكن ، حين بهرتها الدنيا ، وتصبح فرائس للوعكات والامراض لمجرد لمس أناملها ، بعد أن طريت ولانت لزغب الخيار الطازج ، وهنا لا نملك إلا أن نقول لا حول ولا قوة إلا باللــه ، حتى ياتى لهذه الأمـة جيل لا يبالى بأنياب الثعابين ولا شوك الخيار الطازج ....

درويش مصطفى الفار

● اجل حكمك على اخيك حتى تكون فى موقفه .

« رابى هيليل »

● عملت طوال حياتي على تحرير الكتابة من الواقع اليومي وابتذالات كل عمل وكل مجتمع . الكتابة تجاوز للواقع والتعامل مع واقع آخر اكثر تعقيدا ولذة . ولا يعرف احد وحشة هذه اللحظات الا عندما يخلو الى نفسه الى رحلة اغراء وهوس وجنون .

« الشاعر الفرنسي ميشال بولتويكرر »

د. محمد جابر الأنصاري

من القصة السعودية المعاصرة

اليد السفلى.. ودعوة للوئام الإجتماعي

الصبى (أحمد بن عيضة) بطل قصة (اليد السفلى) للدكتور محمد عبده يمانى ، سرعان ما يدخل الى قلبك بسذاجة معاناته وبساطتها ، كما دخل الى قلوب القراء العرب من قبل ، صبى كتاب (الأيام) لطه حسين أو صبى (طفل من القرية) لسيد قطب ... ذلك أن الدكتور يمانى يقدم لنا (صبيا) وثيق الصلة بنفسه أكثر مما يرسم شخصية مجردة أو متخيلة .

فهذا الصبى يروى قصته بلسانه وبضمير (الأنا) . وصحيح أن الكاتب يضع على لسانه أشياء أكبر من تجاربه الطفولية فى بعض الأحيان ، ويتدخل بشكل غير مباشر لينطق ويعبر باسمه ، فى أحيان أخرى إلا أن أصالة الصبى القادم من الريف السعودى ، وبراءة تجربته تبقى واضحة شفافة فى معظم فصول القصة ، وخاصة فصولها الأولى ، لتقدم لنا أدباً طفولياً لا نملك إلا أن نتعاطف معه ، على الأخص فى تلك المواقف المؤثرة التى يضطر فيها الصبى الى ترك أبيه لأول مرة فى حياته ، والعمل خادماً لدى أسرة غنية فى مكة .

وحتى عندما يكبر الصبى ، وتكبر تجاربه ، يبقى ذلك الطابع الطفولى الساذج هو الطابع المحبب والمميز للقصة كلها . استمع إليه كيف يلخص قصة حياته :

وهل كنت أنا ، نفسى ، سوى طفل يحب اللعب ؟

الدكتور يمانى .. روائياً :

ويبدو أن الكاتب قد ركز اهتمامه على رسم شخصية الصبى ، وعلى نقل تجربته

الداخلية الى القراء ، فلم يلتفت كثيراً الى شخصيات القصة الأخرى مثل (باقيس) و (الشيخ عبد الحميد) و (عزيزة) و (دادة جمعة) وغيرها من الشخصيات الثانوية الطريفة التى كان من الممكن إخراجها فنياً بشكل أفضل لتزيد القصة إمتاعاً وحيوية ولتسليط المزيد من الضوء الكاشف على شخصية الصبى نفسه .

فبقدر ما كان الصبى يتحرك بحيوية وواقعية مقنعة فى أغلب الأحيان ، كانت تلك الشخصيات الثانوية تتحرك مثل الدمى ذات الوجوه المسطحة التى لا تحمل أبعاداً أو تنويعاً . إلا فيما ندر . وكأنما اصطنعها الكاتب ليخدم غرضاً فنياً واحداً هو ابراز سيرة الصبى ، بينما العمل الروائى المتكامل يعتمد التنوع والتشابك بحيث تتداخل الشخصيات ، من رئيسية وثانوية ، فى مختبر الرواية ليقدم لنا تفاعلها المشترك المتوازن تلك الشريحة المكتملة من الحياة التى يطمح الكاتب الروائى إلى إبرازها وتجسيدها حية ، كما فعل مثلا ، نجيب محفوظ فى رواية (زقاق المدق) التى اهتم فيها برسم معالم الشخصيات الثانوية ، بطرافة وامتاع ، قدر اهتمامه بأبطال القصة البارزين .

من المآخذ التكنيكية التى يمكن للناقد يؤاخذ عليها الكاتب ميله الى زيادة ـساح والشرح الذى يصل الى حد التكرار يؤثر على ناحية (الاقتصاد الفنى) فى ـة

فالفنان لا ينقل لنا واقع الحياة كما هو حذافيره وبالتكرار التفصيلى الذى تتصف به الحياة اليومية الرتيبة . وانما هو (يختار) و (ينتقى) فنياً تلك اللحظات والمواقف والانفعالات والتحولات المتألقة المكثفة والمعبرة ليستخرج منها ذلك الكائن العضوى المتميز ؛ اعنى العمل الفنى من قصة وشعر ومسرحية .

وبلا ريب فان الدكتور يمانى قد التزم بمبدأ (الاقتصاد الفنى) أو (الانتقاء الفنى المكثف) فى رسمه لمواقف الصبى ومعاناته ، ولكنه فى سرده لبعض الاحداث أو لبعض الحوار كان يكرر ، أو يزيد فى الشرح بما يتجاوز الحاجة الفنية ؛ أو يضع على لسان المتحاورين الكثير من العبارات الشائعة المتداولة كعبارات الشكر والدعاء

● على لسان الطفل أشياء أكبر من تجاربه الطفولية فى بعض الأحيان

● الشخصيات الثانوية تتحرك مثل الدمى ذات الوجوه المسطحة

● وثيقة أدبية تصور المجتمع السعودى قبل انتقاله إلى مستوى الوفرة

والمجاملة وما إلى ذلك ، بما لا يخدم التطوير الفنى والنفسى للقصة ولا يضيف جديداً الى بنائها وسرعة حركتها ونبضها .

التوفيق بين الفصحى والعامية

إلا أن الدكتور يمانى يمتلك بعد هذا أسلوباً عربياً مشرقاً ومؤثراً استطاع به تجاوز بعض هذه النواقص التكنيكية والتأثير على القارىء بقوة بيانه . وهو على فصاحة لغته لم يأنف من استخدام اللهجة العامية فى الحوار ـ ولكن بشكل مقتصد وموجز ـ مما أضفى تنوعاً على أسلوب الرواية بين فصحى راقية وعامية شائعة ، واثبت أن اللغتين تتعايشان فى العمل الفنى عندما تلتزم كل لغة حدودها ، وتقوم بدورها المطلوب دون إفراط أو تفريط . هذا ما يخص القصة من النواحى الفنيـــة ...

المضمون الاجتماعى

أما من النواحى الاجتماعية ، فان القصة يمكن أن تمثل وثيقة أدبية تصور تلك المرحلة المنصرمة من حياة المجتمع السعودى قبل الانتقال الى مستوى الوفرة والرفاهية ، عندما كان الطفل يضطر الى ترك قريته وأمه وهو ابن تسع سنـين ليشتغل فى المدينة وليكافح منفرداً فى سبيل البقاء والارتقاء لا يجد ما يعنيه غير كدحه وغير قيم التعاطف والرحمة التى يتصف بها المجتمع العربى القديم على

د. محمد عبده يمانى

مافيه من شظف وفقـر ، ومن فروق بين الاغنياء والفقراء .

ونحن إذا أخذنا بطل قصة (اليد السفلى) كرمز اجتماعى امكننا أن نستخرج من القصة نمطا من التفكير الاجتماعى القائم على الايمان بقيم العمل الفردى الحر الذى يؤهل صاحبه الى الانتقال من طبقته الى طبقة أعلى ، أو من وضع (اليد السفلى) الى مستوى (اليد العليا) ـ على حد تعبير لغة القصة . وهذا الانتقال يتم بالجد وبالتعاون بين الخادم والمخدوم ، وليس بأسلوب الصراع الطبقى كما تنادى بعض الفلسفات المعاصرة .

التكافل .. لا الصراع :

بعبارة أخرى ، فان قصة (اليد السفلى) هى دعوة لتأكيد قيم التكامل الاجتماعى والسلام الاجتماعى بين مختلف الطبقات بحيث يتمكن الكادحون من أصحاب المستويات المعيشية الدنيا ، من الصعود الى أعلى مدارج الهرم الاجتماعى بجدهم وبتعاونهم المثمر وتعاطفهم المتبادل مع أرباب العمل أو طبقة الميسورين والاغنياء ، دون الحاجة الى التنافس أو الحقد أو الصراع الطبقى كما حدث فى بعض المجتمعات الاخرى .

إن الفتى (أحمد بن عيضة) يظل طويلا تحت عبء كونه : (اليد السفلى) ، أى الخادم الذى يتلقى الاحسان من الايادى الأعلى منه . وهو عندما يشعر بعاطفة الحب القوى تجاه ابنة سيده (عزيزة) يقاوم عاطفته ويكبتها اعتقادا منه أنه من غير الجائز أن تتطلع (اليد السفلى) الى مستويات اليد العليا . وحتى عندما تبادله عزيزه الشعور وتضع يدها فى يده ويظل شاكاً متحرقاً يتساءل : (رباه .. هل هذا ممكـن ؟ .. هل يمكن لليد العليا أن تستقر بمحبة ومودة فى اليد السفلى دون حرج ؟) .

غير أن امراة فقيرة عامية تخرجه من وهمه فى ذروة توتره وحيرته عندما تقول له :

(ماذا ؟ يد سفلى ؟ .. إنك ، يابنى ، لم تكن يداً سفلى فى يوم من الأيام فى هذا المنزل .. فاليد السفلى هى التى تتسكع وتسأل الناس الحافاً ... لقد كنت دائما شاباً كريماً عفيف النفس وكنت تكسب رزقك بعرق جبينك .. والذى يكسب من عرق جبينه لا يقال عنه إنه يد سفلى) .

ويتزوج الفتى الفقير ابنة سيده ويمتلك بيته العتيد بعد أن أصبح طبيباً بجده وكدحه

اليد السفلى..
ودعوة للوئام الاجتماعي

، وبمساعدة سيده الرحيم العطوف ، فى وقت معاً .

هكذا تزول الفروق الطبقية وتتقارب الطبقات ، ويصير الفقير غنياً بجهده وقيمته الذاتيه ، وتعاونه مع من هم أعلى منه لا بصراعه ضدهم وقضائه عليهم .

درس من حياة النبى :

ويرد الدكتور محمد عبده يمانى هذا التصور الاجتماعى التعاونى الى الأصول الاسلامية وسيرة النبى العربى نفسه :

(هل نسيت أن رسول الله كان يعمل عند خديجة وتزوجها ، ولم يجد فى ذلك أى حرج ؟ انك تعلم ، وانت الانسان المتعلم ، أن لنا فى رسول الله ، أسوة حسنة .)

هكذا تنتفى ضرورة الصراع الطبقى من المجتمع العربى المسلم ، وتنفتح آفاق التعاون والتقارب بين جميع العاملين والمنتجين من أغنياء وفقراء ..

طـه حسين

سيد قطب

نجيب محفوظ

تلك هى المسألة

هذه هى (الرسالة) التى نعتقد أن الدكتور محمد عبده يمانى ، أراد أن يوصلها إلى قرائه ، عبر قصته الهادئة ، والمعبرة ، (اليد السفلى) .

ونحن نشارك الدكتور يمانى أمله ، راجين أن يكون واقع تكافؤ الفرص فى مجتمعاتنا العربية كلها ، بالصورة التى تعرضها وتوحى بها هذه القصة السعودية ، بحيث يتم التلاقى بين الطبقات الدنيا والطبقات العليا بأسلوب التكافل والتفاهم لا أسلوب التصارع والتزاحم .

وليس لنا إلا أن نكرر مع بطل القصة فى النهايـة :

(رباه .. هل هذا ممكن ؟ أن تستقر اليد العليا فى اليد السفلى بمحبة ، ودون حرج ؟)

أجـل .. تلك هى المسألة وذلك هو التحدى الذى يجابهنا جميعـاً ..

دكتور محمد جابر الأنصـارى

٣ × ٤

قال صاحب كليلة ودمنه : ان صاحب المال يطلب ثلاثة ولا يدركها الا باربعة فاما الثلاثة التي يطلبها .. السعة في المعيشة .. والمنزلة عند الناس والزاد الى الآخرة ..

واما الاربعة التي تدرك بها هذه الثلاثة فهي :

اكتساب المـال من احسن وجوهه .. وحسن القيام عليه ثم التثمير له .. ثم انفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الاهل والاخوان ويعود في الآخرة نفعه .. فان اضاع شيئا من هذه الاربعة لم يدرك شيئا من هـذه الثـلاثة ..

لانه ان لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به .. وان كان ذا مال واكتساب ولم يحسن القيام عليه يوشك ان يفنى ويبقى بلا مال .

وان هو انفقه (ولم يثمره) لم تمنعه قلة الانفاق من سرعة النفاذ .. وان هو اكتسب واصلح وثمر ولم ينفق الامـوال في أبوابهـا كان بمنزلة الفقـير الذي لا مال له .

إشراف: خديجة الصدر

دراما عائلية.. من أجل بيت سعيد

معقدة هى الحياة المعاصرة ، ومشحونة بقضايا لعل أخطرها ما بات يصبغ الحياة العائلية من توتر وتنازع لاثبات الهوية وتحقيق الذات من قبل كل من الوالدين ، وتأثير ذلك كله على تربية الاطفال بشكل سليم .

ولئن كان الطلاق ، ابغض الحلال الى النفوس المؤمنة ، يضع نهاية لعلاقة الزوجين كامرأة ورجل ، فانه يعمق مشكلة كل منهما وهو يقوم بمحاولة تحقيق واثبات ذاتيته ، والاضطلاع بدوره فى حياة المجتمع بشكل مؤثر وفعال ، ولا يحسم مسألة الاتصال المتوتر والتنازع المؤلم بين الأب والأم حول حضانة الطفل ، والذى ينعكس فى جملته ودقائقه ، وبشكل فاجع ، فى النمو النفسى والفكرى للطفل .

وقد اهتمت الشريعة السمحة ، كما القوانين الوضعية ، وعلماء النفس والاجتماع بهذه القضية .. وتمت معالجتها روائيا وسينمائيا فى لحظة انعطاف حاد فى تاريخ علاقة المرأة بالرجل ، وبالعائلة والمجتمع ، وعلاقة الرجل بالعمل والصراع من أجل النجاح الاجتماعى والمادى على حساب مسئولياتهما الانسانية تجاه أحب وأقرب الناس إليهما ـ اطفالهما .

و لا يخفى على القارىء أن صناعة السينما قد غلب عليها فى السنوات الأخيرة طابع انتاج افلام ترفيهية تعتمد على أدوات الإثارة المعاصرة من جنس ورعب وعنف وجاسوسية ودعاية ودعاية مضادة . ولذا فان العودة الى استخدام الصورة والتعبير وكل امكانيات هذه الصناعة الجبارة لابراز تنازع الأب والأم وحضانة طفلهما بعد أن افترقا ، كما فى فيلم « كريمر ضد كريمر » يشكل مؤشرا هاماً فى تاريخ السينما المعاصرة .

وكما كان متوقعا ، فان هذا الفيلم قد اكتسب كل جوائز الأوسكار الكبرى لعام ١٩٧٩ التى رشح لها ، ولقى استقبالا حاراً مذهلا حيثما عرض . وليس اهتمامنا به فى « حياتنا المعاصرة » فقط لأنه فاز بجائزة الأوسكار لعام ١٩٧٩ كأفضل فيلم ، وفاز الممثل الأول فيه ، دستين هوفمان ، بجائزة أحسن ممثل ، وفازت الممثلة التى لعبت دور الأم ، ميريل ستريب ، بجائزة أفضل ممثلة مساعدة ، وجمع كاتبه ومخرجه ، روبرت بنتون ، جائزتى أفضل سيناريو وأفضل إخراج ، وكان الطفل ، جستين هنرى ، اصغر مرشح لجائزة الأوسكار ، بل أيضا لأن الفيلم يجعلنا نعيد النظر فى انفسنا ، وفى الكيفية التى يرانا بها المجتمع ، والمخاوف الكامنة فينا من الفشل فى علاقتنا بأعز وأحب الناس إلينا ، ويلمس فينا أوتاراً خفية كثيرة توقظنا على ضرورة الايفاء بمسئوليات الأبوة والأمومة بما ينقذ الطفولة من أذى ألم لاقدرة لها على تفهمه ، ولن تجد سبيلا الى تفادى التشوهات التى يسم بها سلوكها وقيمها مستقبلا .

عذاب الأب وهو مضطر لوداع ابنه لبضع ساعات يقضيها مع أمه .

الفيلم يوقظ فينا ضرورة الإيفاء بمسئوليات الأبوة والأمومة بما ينقذ أطفالنا من الأذى والألم

حب الأم .. وهى تفتح صدرها لأبنها لأول مرة بعد فراق دام ثمانية عشر شهرا .

فيلم نادر

هذا الفيلم الذى يعالج قضية أب يكافح من اجل حضانة ابنه ، وأم لا تقل عنه حرصا على كسب القضية ، يؤسس نبرته وعمقه ووعيه منذ اللقطة الأولى . وهى لقطة مقربة لامرأة جياشة بالألم يلف وجهها الظلام : لقطة لها من الخصوصية والالفة ما يجعل المشاهدين يتشوقون لما يخفف عنهم وطاتها . ولكن هيهات . فالفيلم كله ، تقريبا قائم على وجوه الممثلين والعواطف الحادة والضوء الشتائى . ولأن الممثلين هنا هما دستين هوفمان وميريل ستريب ، ولأن المعاناة حقيقية ، فان المشاهدين سريعا ما يجدون استحالة الا يظلوا مشدودين .

نزاع حول الحضانة

عندما يعرض هذا الفيلم ، سيكتشف عشاق السينما أنه الموجه العاطفى لهذا العام . فالكاتب والمخرج ، جورج بنتون ، قد انتج بالاشتراك مع الممثلين دراما عائلية تبدأ من نقطة حادة فى تاثيرها على النفس ، تاخذ فى التطور والتنامى حتى تلج مشارف الألم . ومع ذلك فان الفيلم « كريمر ضد كريمر » ليس تقليدا لأعمال بيرغمان . إنه وفوق كل شىء امريكى بصفة خالصة .

لقد أحال بنتون رواية لقيت رواجا كبيرا كتبها افيرى كورمان الى قصة تحكى دون أية ادعاءات ومزايدات ما يحدث عندما تتخلى زوجة لا حظ لها من السعادة عن زوجها وابنها البالغ من العمر ست سنوات ، ثم تعود بعد عام ونصف لتقاتل من اجل حضانته . ولكن الاسلوب الذى قدمت به هذه القصة على الشاشة هو أيضا فريد تماما .

ومع أن الفيلم يعالج بشكل حصيف الحياة الزوجية ومشاكلها الابدية ، وحب الأبوين للولد ، فانه يشق طريقه الى كل ذلك عبر حقل ملغوم بالقضايا الاجتماعية المعاصرة ، وبشخصيات تمثل فى الحقيقة مواطنى أمريكا فى السبعينات الذين تضىء مشاكلهم الحد الفاصل لحقبة تم فيها هجران وتمزيق كل المسلمات القديمة عن العائلة

مشكلة المرأة والرجل

وهو ليس أول فيلم يعالج هذه المشاكل ، إذ أن عددا كبيرا من الافلام الامريكية قد اعادت تقييم أدوار النساء والرجال طوال حقبة السبعينات كلها ، ابتداء من فيلم مايك نيكول « معرفة الجسـد » ، وفيلم بول مازورسكى « بلوم عاشقا » والتى عمدت الى الكوميديا لفضح نفاق الرجل الأمريكى الذكى ، المهووس بالجنس .

وبعد أن تبلورت الحركة المطالبة بالحقوق الكاملة للمرأة الامريكية خرجت افلام مثل فيلم « ما عادت اليس تقيم هنا » لمارتن سكورسيز ، و « أمرأة غير متزوجة » لمازورسكى ، وخطت

خطوات أكثر فى محاولة نشر مثل نسوية جديدة ومتحررة وسط جمهرة المشاهدين ، موجة معتدلة من الافلام عن الرجال غير المتزوجين ، ويتمتعون بالحساسية ، ويمثل فيلم « مانهاتن » لوودى آلان ، وفيلم « كل ذلك جاز » لبوب فوسيه نوعا من الحكايات عن التمزق النفسى لدى أبطال يلهون بالنساء لاشباع حاجات نفسية منحرفة . أما فيلم « ١٠ » لبلاك ادوارد ، فهو نوع من المهزلة التى تسخر من التخيلات والاوهام الجنسية الطفولية عند ضحايا سن اليأس من الرجال ، وفى « البداية من جديد » تتحول بيرت رينولدز من عروس حديثة التحرر الى عشيقة متحررة . وتحكى قصة « جوتيان » « لآلان ألدا » نفس القصة ، ولكن من منطلق اكثر كآبة .

واقعية التصوير

إن الذى يميز « كريمر ضد كريمر » حتى عن هذه المجموعة البارزة من الافلام هو خلوه من العبارات الجاهزة أو أى نوع من المواقف الشائعة . بدلا من أن يفصل المخرج شخصياته لتعكس التيارات المختلفة فى مجال معالجة قضايا الجنس ، فان بنتون قد ترك الامور تتبلور وتتطور فى حرية ومن خلال العواطف الجياشة العاصفة فى قصته . فالفيلم يتحاشى المناقشات الصريحة لحركة التحرر النسوى ، ولا يقدم ابطالا أو أشرارا من أى من الجنسين .. وبذلك فانه يبعد بشكل درامى عن افلام مثل « أليس » و « امرأة غير متزوجة » التى تصور بطلات دافئات يستحوذن على المشاعر ، ورجال هم إما خيرون للغاية أو أوغاد . كما أنه يختلف عن كل الافلام التى تدور حول نساء ورجال غير متزوجين ، وذلك لرفضه استخدام الخيانة كعامل مساعد فى عقدة قصته . إن « تيد » و « جوانا » ، كريمر هما الزوجان اللذان يصور الفيلم نزاعاتهما بأبعادها العميقة التى لم تبدأ ولن تنتهى فى غرفة النوم

المشكلة ...

ويعطى بنتون فيلمه عمقه وتعقيده بأن يتحدى الافكار المسبقة والآراء القاطعة الجاهزة لدى المشاهدين فى كل منعطف من الفيلم ، وتبدأ هذه العملية منذ المناظر الاولى . فعندما تخبر جوانا زوجها تيد بأنها ستخرج من البيت ، فان الفيلم يكون فى جانبها تماما : فهى حساسة وجميلة ومحرومة بشكل واضح من هويتها الخاصة ،أما تيد المدير التنفيذى بشركة الاعلانات ، فهو خال تماما من الاحساس والشعور ، ومحبوس فى ذاته ، ولا يهتم إلا بالرصيد المالى الضخم الذى حققه . وهو منغمس فى نفسه لدرجة لا يستطيع معها أن يصدق أن جوانا تعيسة فعلا للحد الذى تضطر معه الى هجره .

وبينما هى تنتظر المصعد فى صالة شقتهما ، يتكلم تيد عن نفسه فقط ، ويحاول أخيرا أن يرغم

الأب والابن يشتركان فى تجهيز طعام الافطار .. ما أعمقها رابطة ..

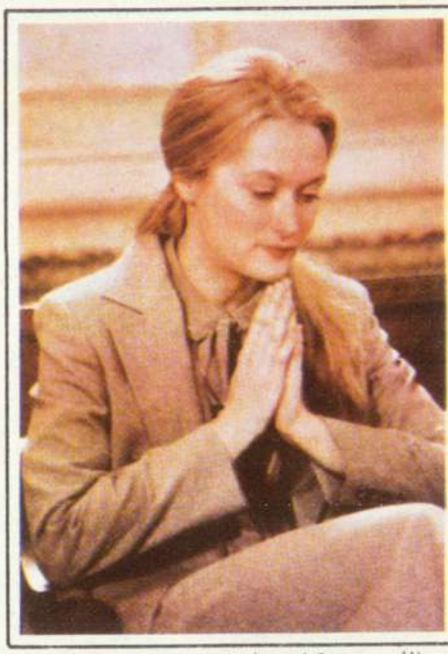

الأم وهى تدلى بشهادتها أمام المحكمة ..

جوانا الرقيقة الشفافة على العودة الى البيت ، وكأنما استخدام القوة المجردة يكفى لحل المشكلة . فتناشده جوانا فى صوت كهمسة الموت « أرجوك لا تجبرنى على الدخول .. هناك » وتنتزع نفسها من زوجها فى اشمئزاز يجعل كل من يشاهدها يشاركها رغبتها فى الفرار منه بأى شكل .

وفى تلك اللحظة يبدو تيد كريمر وحشا لا أمل فيه ، ولكن الفيلم لا يترك للمشاهدين أية فرصة لحكم متسرع وحالما تخرج جوانا ، يشرع بنتون ، المخرج فى التعاطف مع تيد .. الذى اصبح مسئولا عن تربية ابنه بنفسه . وعندما يجد نفسه مضطرا مرة أخرى للاختيار بين مستقبله الوظيفى ومسئولياته الأبوية فانه لا يقع فى الخطأ مرتين . وهو يمنح نفسه فى علاقته مع ابنه « بيلى » (جستين هنرى) فى نوع من التردد أولا ، ثم بكل قلبه . وتقدم محاولات الأب هذه مشهدا نادرا فى الحياة والسينما على السواء ، وهو مشهد شخصية شبه ثابتة تجاهد فى شراسة لتغيير نفسها وتتخذ هوية جديدة .

الصورة المعبرة

وعادة ما تقدم الافلام مثل هذه التحويلات فى الشخصية لتخدم غرضا فى حبكة القصة فقط ، وتحقق ذلك بقفزات سريعة فى الزمن . ولكن بنتون يقوم بالعبء الشاق ، عبء تقديم التغييرات التى تطرأ على شخصية الأب « تيد » على الشاشة شيئا فشيئا ، ويتم ذلك فى سلسلة من المناظر المذهلة ، تعطينا الجزء الأوسط من الفيلم ، وتدور كلها بين الطفل وابيه ، وهى خير شاهد على ما قاله فى سكوت فتزجيرالد ، القاص والروائى الامريكى الكبير : « إن الفعل هو الشخصية . » فهذان الممثلان ـ احدهما نجم سينمائى مرموق ، والآخر طفل صغير ليست له خبرة سابقة بالتمثيل ـ يخلقان أصدق علاقة بين أب وابن ظهرت على الشاشة الامريكية حتى الآن ويخلو من تلك اللمسات المتطرفة أو المشحونة بالعاطفة التى سادت الافلام التى تدور حول الآباء والبنين .

ولكى يسجل دقائق حالات « تيد » النفسية المتقلبة بشكل دائم ، فان هوفمان يمثل دوره بتظليل غير محدود ، فهو غاضب وملىء بالمرارة فى البداية ، ووجهه مصبوغ بالفزع ، لكنه يتدرج فى إضفاء لمحات من الرقة والعاطفة الجياشة فى دوره . وتتبلور قيمه الجديدة فى لطف بحيث لا تكاد ترى ، حتى يبلغ المنظر الذى يطمئن فيه ابنه بأن الطفل غير ملوم على هجران

دراما عائلية: من أجل بيت سعيد

جستين هنرى .. ابن السادسة الذى قام بدور الطفل .. وهو اصغر من رشح لجائزة الأوسكار .

والدته ، ويجلس بجانب بيلى يشرح له الموقف : « لقد خرجت ماما لاننى حاولت أن أجعل منها نوعاً معيناً من الزوجات . والآن أدرك أنها حاولت طويلا أن تسعدنى ، ولما لم تستطع ذلك ، حاولت أن تتحدث معى فى الأمر فلم تجد منى أذنا صاغية ، لاننى كنت غارقا فى نفسى . »

ولو كان هوفمان هنا لايزال ذلك الرجل المندفع وراء النجاح كما فى الجزء الأول من الفيلم ، لجاء هذا التجريم لنفسه مفاجئا ـ كخدعة من كاتب السيناريو . ولكن تمثيل هوفمان قد صور كل التغييرات التى طرات على « تيد » بشكل جعل اعترافه بخطايا ماضيه تبدو طبيعية للغاية .

تطور شخصية الطفل

ولم يكن الطفل هنرى اقل تاثيراً ، إذ أنه بالرغم من وجهه الملائكى مثل أى طفل آخر فى الاعلانات التليفزيونية ، قد برىء من ذلك الاحساس بالنفس الذى يتسم به تمثيل الاطفال على الشاشة . فهو عندما يتعارك مع والده ذات مساء حول المائدة ، أو يبكى ليلا لفقد أمه ، فان عواطفه تفصح عن نفسها تلقائيا . ولقد أدرك بنتون ، المخرج ، أن من الافضل أن يترك هذا النجم الصغير يبدع دوره اثناء التمثيل بدلا من أن يرهقه ويقيده بالبروفات لتجويد أدائه لدور جامد .

وشخصية هنرى تتطور وتنمو أيضاً ، فهو عندما يقوم بتجهيز فطور فرنسى مع والده قبل نهاية الفيلم ، يحاول أن يخفف عن ابيه مستخدماً نفس الابتسامة التى يجبر نفسه عليها ونفس التعابير المطمئنة التى استخدمها «تيد» معه فى منظر سابق مواز فى بداية علاقتهما . وهذه طريقة رائعة لتبليغ المشاهدين بشكل غير مباشر أن « تيد » و « بيلى » اللذين كانا كغريبين فى البداية قد باتا يقيمان واحدة من اكثر روابط الحياة بقاء .

الأب يضحى بعمله من أجل أن يصوغ حياة ابنه من جديد ويبرز الصفات الحميدة لزوجته

شحنة جديدة لطرح الحقائق الإنسانية المؤلمة والغامضة بصورة جديدة ومزعجة بعيداً عن الوعظ والمناقشات

بعد عودة الأم

وذلك هو السبب الذى يجعل قبول « جوانا » عندما تظهر اخيرا أمراً صعباً ، فالمراة التى حظيت بالعطف عندما خطت فى شجاعة خارج إسار زواجها ، صارت هى الشريرة . إنها تريد أن تنتزع « بيلى » ، الابن ، من أب ضحى فى سبيله بعمله الناجح ، واعاد صياغة حياته من أجله .

ولكن بنتون يتحدى المشاهدين مرة أخرى بدلا من أن يدعهم يقفزون الى موقف أخلاقى جاهز ، إذ يوفر خلال استجواب جوانا فى المحكمة بشان الحضانة الفرصة لسجاياها الحميدة للظهور من جديد .. شيئا فشيئا . ولأنها استعادت احترامها لنفسها فانها تبدو أكثر قدرة مما كانت لتكون أما طيبة لابنها . وتخلق ميريل ستريب « الأم » بتمثيلها الرائع ارتباكاً واضطرابا أكثر فى الولاء المتنازع . واثناء تقديمها لروايتها الخاصة لزواجها ، والجهد الذى قامت به لتستعيد قوتها النفسية ، تقوم ميريل ستريب بروعة تمثيلها بغض طيات الماضى واحدة تلو الاخرى بشكل مؤلم . وفى دقائق معدودات تخلق حياة كاملة على الشاشة الزوجة الجديدة المحبة ، والزوجة المنهزمة التى تكره نفسها واخيرا المراة المستقلة . وهو نوع من الفيلم داخل الفيلم ، لا يهز المشاهدين فحسب ، بل يهتز له زوجها السابق ، الذى كان يشهد كل شىء فى المحكمة .

ميريل ستريب .. ذات الوجه المعبر الشفاف .

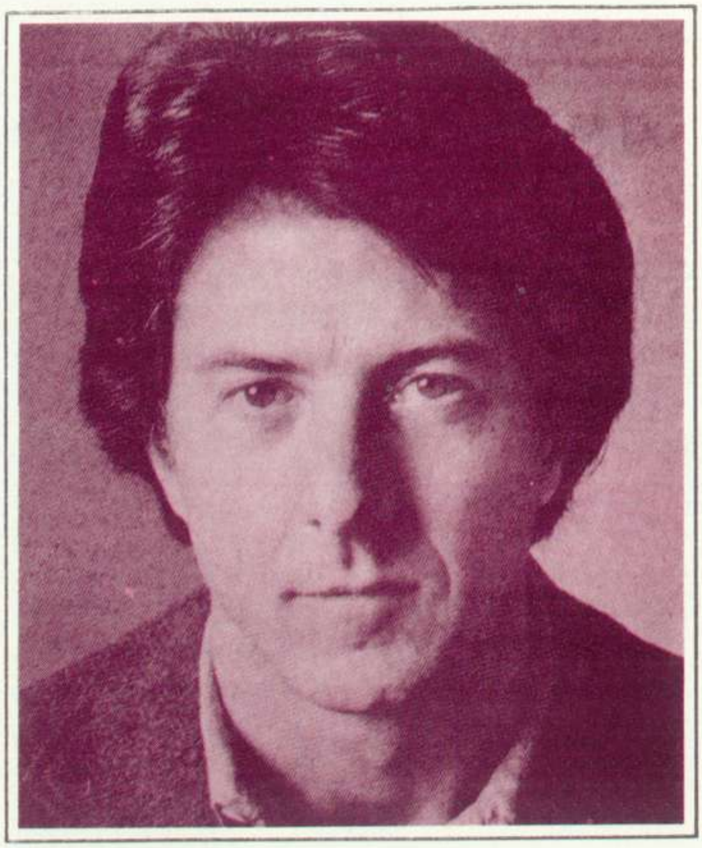

دستين هوفمان الذى قام بدور الأب .. وفاز بجائزة الأوسكار لعام ١٩٧٩ لأحسن ممثل .

من المحق ؟

قد يختار بعض المشاهدين الوقوف بجانب جوانا أو تيد بعد المحاكمة . ولكن معظمهم لن يختاروا ذلك ، وقد يرى كثيرون انفسهم فى الشخصية المساعدة الرئيسية مارغريت الجارة المطلقة التى أدت جين الكساندر دورها بشكل جيد . تبدأ مارغريت بتشجيع جوانا على اتخاذ قرارها بهجران زوجها ، ثم تنقلب الى كاتمة اسرار وثقة « تيد » ، وتنتهى بعد أن تصبح ممزقة عاطفيا بين « تيد » و « جوانا » ، عندما تقف لتؤدى شهادتها أمام المحكمة . وبعد أن يعلن القاضى حكمه ، يصعب على المشاهد وجوانا وتيد و مارغريت أن يقرروا من الفائز بالقضية حقا ، وتظل هذه الحيرة حتى اخر صورة فى الفيلم ، وكاللقطة الأولى ، فان هذه الاخيرة ماخوذة من قرب لوجه « ستريب » وإن كانت تبدو هنا أكثر فجيعة وبؤسا . ويتغير وجهها من عاطفة لأخرى فى تتابع مرهق ، إذ انها تنكأ كل الجراح والنزاعات التى تنطوى عليها هذه الدراما .

فنية الفيلم

لقد افلح بنتون أن يطبع « كريمر ضد كريمر » بطابع الحياة نفسها ، لأنه ابعد عنه كل ذلك التزويق الذى يستخدمه معظم منتجى الافلام الامريكية ليشكلوا من التجربة الانسانية ما يسمى بالترفيه ، وقد حذف فى السيناريو كل التفاصيل غير الضرورية ، والخلفيات التى تحفل بها رواية كورمان ، وركز فى اخراجه على ابراز مشاعر الشخصيات فوق كل شىء ولم يستخدم الموسيقى لتعميق اى منظر ، وجعل الكاميرا تتحرك فقط عندما تستدعى حركة الممثلين ذلك .

ولا يغالى بنتون فى تقدير عمله هذا ، إذ يقول « لم أقصد لهذا الفيلم أن يكون فيلما عن عدم عدالة النظام القانونى ، أو عن افضلية الأم أو الآب فى تربية الاطفال ، إنه وفوق كل شىء حكاية حب ، وقصة تدور حول الزواج .

إن ما يسحرنى فى الحياة هو تلك الأشياء غير الملموسة ، غير الواضحة فيها لا تلك المواضيع الحادة مثل ادمان العمل أو تحرر المرأة .

إننى اتجنب قصد انتاج افلام تتسم بالوعظ أو تصطخب فيها المناقشات » .

ولقد تم له كل ذلك . فالفيلم يعرض صورة قيمة عن الرجال والنساء و الاطفال فى أواخر السبعينات لأن بنتون حاول أن يتجنب المواضيع المثيرة للجدال ، ورغم ان الفيلم لا يقدم أجوبة للأسئلة التى يطرحها فانه يعطى المناقشة الدائرة شحنة جديدة بأن يعيد طرح المسائل بصورة جديدة ومزعجة ، أو ربما عبر الحقائق الانسانية المؤلمة والغامضة فى أن واحد .

ميريل ستريب .. الأم . الفائزة بجائزة الاوسكار لأحسن ممثلة مساعدة .

الرضاعة الطبيعية هى الأفضل

رضاعة لبن ثدى الأم جزء حيوى وضرورى للغاية فى عملية تنشئة الاطفال الصغار . وقد استدعتها الطبيعة لتامين التغذية الصحيحة المتكاملة للطفل الوليد . ومع ذلك نجد أن هذه الطريقة الطبيعية آخذة فى الانحسار فى أجزاء كثيرة من العالم ، مما حدا بالسلطات الصحية والحكومية والافراد الى تاكيد خطر التخلى عن الرضاعة الطبيعية والاستعاضة عنها بزجاجات الرضاعة التى خلقت كثيرا من المشاكل والمآسى التى كان من الميسور تجنبها .

فالطفل حديث الولادة لايقوى على البقاء حيا دون تغذية كافية وصحيحة ، وحماية محكمة من العدوى والمثيرات الضارة . وما من فترة فى حياتنا أكثر حرجا وعرضة للخطر من الاشهر الأولى من خروج الطفل من بيئة رحم الأم حيث الاستقرار والحماية شبه كاملين ليجد نفسه مطالباً بالتاقلم وبسرعة على عالم ملىء بضغوط مادية مختلفة والطفل الرضيع دون سائر أنواع الحياة قليل القدرة على الاستقلال لأنه لايستطيع القيام بأى شىء ولذا وجبت تغذيته وتربيته بشكل فعال .

احتياجات الطفل

إن إفراز اللبن وتغذية الطفل به وظيفتان من وظائف عملية التكاثر فى كل أنواع الحيوانات ذوات الثدى . وقد وفرتهما الطبيعة لتجعل الانتقال من الحياة فى رحم الأم الى الحياة خارجه ممكنة وآمنة بالنسبة للمولود الرضيع . ولكل من هذه الأنواع احتياجات تختلف عن احتياجات أى نوع اخر ، وقد طور كل نوع سلوكا محددا فى افراز اللبن واطعام رضيعه ، يناسب تلك الاحتياجات المحددة لصغاره .

وفى لبن الأم ، فان توازن نسب الطاقة والبروتين والدهن واللاكتاز والمعادن والفيتامينات والماء تناسب احتياجات غذاء الطفل وطبيعته الفيزيولوجية بشكل مثالى . كما أن الطفل فى ايامه الأولى يتلقى مادة الكلوستروم ، وهو أول اللبن ، من ثدى امه . وحتى الآن لم يتم تركيب هذه المادة خارج جسم الأم . وتقوم كل أم بافرازه لطفلها ، وهو يشبه فى كثير من مكوناته الغذاء الذى كان الجنين يتلقاه وهو فى رحم أمه من المشيمة ، ولذا فان الرضاعة الطبيعية تحد من الصدمة والغربة فى العالم خارج الرحم فى الايام الأولى بعد ولادة الطفل . كما أن هذا الكلوستروم يحتوى على مضادات حيوية تقى الرضيع من أمراض معينة ، وعلى المكونات الغذائية الصحيحة التى تحتاجها الأمعاء لتسرع فى عملها .

الحماية والوقاية

إن لبن الأم يكفى كل المتطلبات الغذائية للطفل الوليد ويستمر فى مقابلتها بشكل كامل فى الاربعة أو الستة أشهر الأولى قبل أن يحتاج الطفل الى الطعام ليكمل لبن امه . وفوق ذلك كله ، فان لبن الأم يحمى الطفل من أمراض وأدواء معينة . فقد كان الطفل قبل الولادة يتمتع بحماية رحم الأم له ، ولكنه منذ أن يطلق صرخته الأولى يواجه مخاطر العدوى والمرض . وتوفر له الوقاية السلبية التى كان ينعم بها فى رحم أمه من المشيمه بعض الحماية بعد الميلاد ، ولكنها ليست كافية وحدها . وهنا أيضا يلعب لبن الام دورا حيويا . فهو يحتوى على المكونات النشطة التى توفر عناية ووقاية تدفعان الاذى عن الطفل كما أن هناك أجهزة دقيقة فى اللبن لم تتحدد طبيعتها بعد تجعل تطور العدوى أقل احتمالا ، وتحد من شدتها حتى إذا ما حدثت بالفعل .

فمثلا .. نوبات الاسهال التى تشكل مشكلة خطيرة بالنسبة للأطفال وخاصة فى العالم الثالث ، تقل جدا وتصبح اقل حدة عند الاطفال الذين يرضعون لبن ثدى الأم . وكذلك الأمر بالنسبة للالتهابات الفيروسية والقىء . والطفل المرضع لبن أمه لا يعانى من مشكلة الوزن الزائد ، خاصة إذا علمنا خطر الوزن الزائد عند الاطفال ، لأنه يجعلهم أقل قدرة على مقاومة أمراض جهاز التنفس . كما أن احتمال اصابته بالحساسية تجاه بعض الاطعمة مستقبلا أقل عنده مما هى عند طفل لاينعم بالرضاعة الطبيعية .

للرضاعة الطبيعة قيمة خاصة بالنسبة لصحة الطفل النفسية ، لأن الاتصال الحميم بأمه ، واهتمامها الدائم به ورعايتها له ، كل ذلك يخلق عند الطفل شعورا بالدفء والطمأنينه والأمان ، له أهميته فى نموه الجسدى والعاطفى ، وفى مستقبله .

وهكذا نرى أن الرضاعة الطبيعية تقيم جسرا طبيعيا بين الحياة فى الرحم والحياة خارج الرحم ، ويمكن أن نعتبرها نوعاً من الاعداد التدريجى للطفل ليقوى على الوجود المستقل ، ولذا يجب تشجيع رضاع ثدى الأم بكل السبل ، لأنه حق طبيعى بالميلاد للطفل ، وليس كشىء غير عادى أو ممل ومزعج ، وغير لائق ، كما صار ينظر إليه فى كثير من المناطق .

الزجاجة ولبن الأم

لماذا ، إذن ، استبدلت الرضاعة الطبيعية رغم كل مزاياها التى ذكرنا ، بما هو أقل منها فائدة وأكثر منها تكلفة ؟ لماذا تحول الناس الى استعمال منتجات لا يمكن ضمان سلامتها فى الاماكن التى يشح فيها الماء النقى ، وتنعدم امكانيات التعقيم السليم للزجاجة والبزازة ،

لبن الأم يحمى الطفل من أمراض معينة

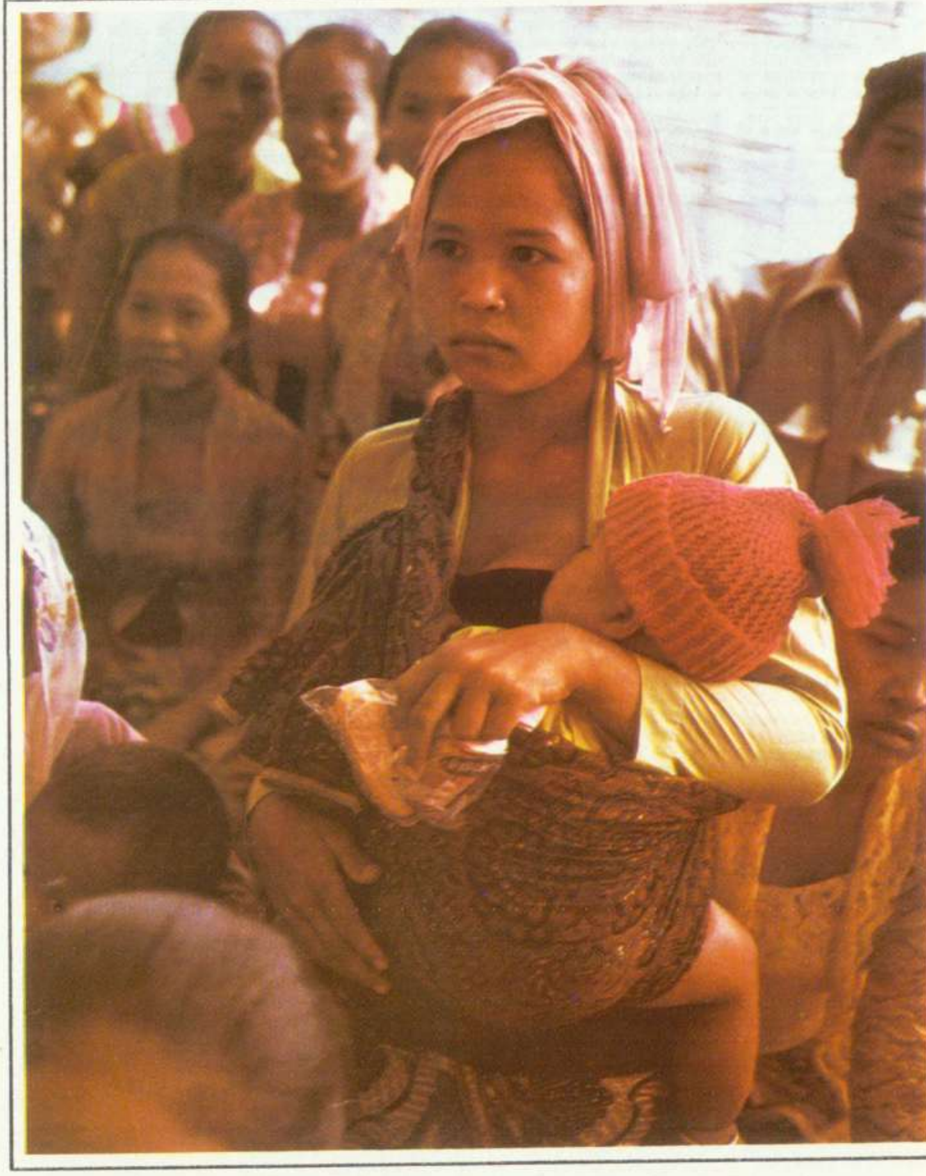

وحيث لا يضمن وجود كفاية من أغذية الاطفال ؟

ان الاسباب معقدة ، ويصعب تبريرها هناك أسباب اجتماعية واقتصادية . فالرضاعة ليست غريزة فى الناس ، ولكنها تتم بالتعلم والممارسة ، ولذا يجب تشجيعها بانتظام من قبل الاسرة والمجتمع ، وأن ينظر إليها كجزء طبيعى فى الأمومة . ونجاحها لا يعتمد على قدرة الأم على افراز اللبن فقط ، إذ أن ٩٩٪ من الامهات لهن القدرة على ذلك ، خاصة إذا تمت تغذيتهن بشكل كاف ؛ كما أنها لا تعتمد على قدرة الاطفال على امتصاص اللبن وانما على الطريقة التى تتم بها توعية وتوجيه المرأة على رضاع الثدى وعلى رغبتها فى القيام به ، كما أن الرضاعة تتحد بالمدى الذى يؤيدها به المجتمع ويقدرها .

ولقد كانت الرضاعة الطبيعية قبل عصرنا هذا شيئا اساسيا فى تربية الاطفال فى كل المجتمعات ولم تكن هناك بدائل مقبولة ويمكن الاعتماد عليها . وكانت العلاقة بين الرضاعة الطبيعية وبقاء وحياة الجماعة واضحة . أما اليوم فان اساليب الحياة قد اختلفت . وبنفس القدر الذى صارت فيه الصناعة والتكنولوجية تشجع الناس على الاعتماد على الاغذية المعلبة بدلا مما تنتجه حدائقهم ، فان الام قد تم تكييفها لتعتقد أن لبن الاطفال الجاهز الذى لا يعدو أن يكون لبن بقر مجفف ومعد بطريقة معينة لاستعمال الاطفال هو أكثر راحة وغذاء ونظافة . وما عليك إلا أن تضيف قدرا من الماء ، ويكون الغذاء جاهزا ، ويمكن لأى شخص اطعامه للطفل ، فلا حاجة للأم قاعدة فى البيت من أجل الطفل أن كان بامكانها أن تعمل فى مصنع أو مكتب ، أو تخرج للزيارة أو السوق ، أو تفر من المنزل لبعض الوقت

صناعة الاغذية

ربما لم يكن عالم الطب يدرك قيمة لبن الأم أو لم يكن يقدره حق قدره فى الوقت الذى بدأ فيه تطوير أغذية الاطفال على يد رجال الصناعات الغذائية . وربما كانت صناعة الأغذية ترى أنها تقدم خدمة اجتماعية كبرى ومطلوبة . طبعا بجانب الفوائد التى تجنيها . وربما كانت الضائقات الاقتصادية فى العالم الثالث هى التى اضطرت كثيرا من النساء الى الخروج للعمل ، ولكن الثابت هو أن استخدام « الزجاجة » للاطفال قد زاد حجما ومدى ، وخلق جملة من المشاكل الصحية والمآسى .

ولأن المصانع بعيدة عن المنازل فى الغالب ولا تتوفر بها امكانات الرعاية

الرضاعة الطبيعية هي الأفضل

بالاطفال ، فان الأم العاملة غالباً ما تترك طفلها تحت رعاية اطفال أكبر منه أو عند بالغين لا خبرة ولا تدريب لهم . وفى الدول النامية ، لاتجد القطاعات السكانية الأشد فقرا ماء نقيا ، أو تجهل طريقة تعقيم الادوات المستخدمة فى خلط المقادير الصحيحة من الماء واللبن الجاف مما يضر بكليتى الطفل إذا كان الماء قليلا واللبن مركزا ، أو يعطيه غذاء ناقصا إذا زاد الماء عن اللبن الجاف . وعندما يترك أمر اطعام الطفل للصدفة بهذه الطريقة ، فان النتائج لابد وأن تكون وخيمة ، إذ يمكن أن يمرض أو يعانى من الاسهال المعوى الحاد الذى يسبب الوفاة إذا ما أشتد .

كل هذه الكوارث يمكن تجنبها إذا ما تمت توعية شاملة للنساء الامهات ، يقوم بها العاملون فى المجال الصحى والطبى ، والمسؤولون ووسائل الاعلام ، لابراز فوائد الرضاعة الطبيعية ، واخطار الرضاعة الصناعية بالزجاجة حين لا تكون بطريقة صحيحة . ولأن الفقر والجهل يلعبان دورا كبيرا فى تدهور الرضاعة الطبيعية ، ولذا فان برامج الصحة العامة والنظافة يمكن أن تفيد كثيرا فى مساعدة قطاعات معينة من السكان فى تفهم الاحتياجات الاساسية للطفل حديث الولادة .

لا أخلاقية الدعاية

اننا لا يمكن أن ننكر أن الصناعات الغذائية قد ساعدت عددا معيناً ومحدودا من الامهات اللائى لم تمكنهن ظروف طبيعية حقيقية من ارضاع اطفالهن ، وذلك حين طورت لبن البقر وجعلت منه غذاء للاطفال . ولكن هذه الصناعات هى المسئولة بطريق مباشر وكامل عن تشجيع وإغراء كثير من الامهات للابتعاد عن الرضاعة الطبيعة ، وما تقدمه من غذاء كامل للطفل ، والاستعاضة عنها بالزجاجة . وقد اثبتت ذلك كل من السلطات الصحية والحكومية والعالمية . ويعود الفضل فى كشف هذه الحقيقة الى الحملات التى قامت بها النساء فى أوربا وأمريكا ضد اساليب التسويق غير الاخلاقية التى تمارسها كثير من شركات الأغذية ، وخاصة شركة نستل السويسرية . وقد طالبت هذه الحملات بوضع احكام عالمية تمنع شركات صناعة اغذية الاطفال من تشجيع الامهات على ترك الرضاعة الطبيعية واستخدام انواع معينة من أغذية الاطفال المصنعة . كما طالبت بأجبار شركات الاغذية بالقيام بتشجيع الامهات على العودة الى الرضاعة الطبيعية ، وأن توقف توزيع دعاياتها وعيناتها الجديدة المجانية من الالبان على الاطباء والامهات فى عنابر الولادة .

إن اساليب التسويق المعاصرة قد خلقت بكل تأكيد اقبالا كبيرا على هذه المنتجات . وهذا واضح فى المجتمعات التى تخلو من أية معلومات عن محاسن لبن الأم ، وتطغى فيها المعلومات والدعاية عن فضائل انواع معينة من الاغذية المصنعة للطفل . وبذا تظل الأم جاهلة تماماً أن لبنها أفضل من أى طعام مجهز للاطفال ، وبالتالى تشعر بالنقص تجاه زميلاتها فى الدول المتقدمة لأنها ترضع حيث لا يرضعون . إن إيجاد بدائل للبن الأم قد يبدو مثاليا بالنسبة للمرأة العصرية التى لا وقت لها ، ولنمو الطفل ، ولكنه مضلل بشكل خطير ، لأن كثيرا من النساء وخاصة فى دول العالم الثالث وحتى بين المتعلمات ، يعتقدن أن تغذية الاطفال بأفضل وأغلى ما يشتريه المال يوفر لأطفالهن أفضل ما يمكن تقديمه ، كما يظهر ثراء ومستوى وضعهن الاجتماعى . ومن مصلحة شركات الاغذية بالطبع أن تبقى هذه الافكار نشطة حية ، لأن العائد من صناعة اغذية الاطفال كبير ومغر . فالناس تبغى الافضل لابنائها ، والشركات لا تهتم إلا بالاعلان عن منتجاتها ، وكيف انها أفضل من أى منتجات أخرى لكفاية ما يحتاجه الاطفال . وليس من مصلحتها ان تذكر زبائنها بأن الطريقة الوحيدة لتغذية الطفل تغذية متكاملة هى الرضاعة الطبيعية ، وأن الاغذية البديلة غالباً وحيثما وجدت غالية السعر .

إن فوائد الرضاعة الطبيعية كثيرة ، وهى حق طبيعى للطفل ، وتوفر له أفضل غذاء متكامل ، وفيها سعادة له وحماية لجسده ونفسه فى صغره وفى مستقبله .

زراعة الثدى

اكثر ما يقلق النساء اللآتى يصبن بسرطان الثدى هو ان يتم العلاج باستئصال الثدى المصاب . فالبرغم من أن الطب الحديث قد تمكن من السيطرة على ذلك الداء فى مراحله الاولى كما أشرنا فى اعداد سابقة من هذه المجلة إلا أن الجراحة تبقى ملاذاً أخيرا يلجا اليه الطبيب خوفا من سريان المرض إلى باقى أعضاء الجسم

ورغم أن الجراحة مأمونة العواقب فى كثير من الحالات إلا أن النساء اللآتى يخضعن لها يتعرضن للتشويه بسبب فقدان أحد الثديين على الاقل ومن هنا فقد كرس أطباء الجراحة والتجميل جهدهم لانجاح عمليات زراعة الثدى لأن ذلك سينفى الخوف عند كثير من النساء اللآتى يخفين المرض حتى لا يتعرضن للتشويه

وقد ظل الاطباء يزاولون زراعة الاثداء لفترة طويلة ولكنهم لم ينجحوا فى تحقيق الغاية الجمالية إلا مؤخرا حيث نجح الباحثون الطبيون فى هذا المجال بدرجة يصعب معها التفريق بين الثدى المزروع والآخر الطبيعى أما العمليات الجراحية نفسها فقد بسطت بالدرجة التى تمكن المريضة من مغادرة المستشفى فى اليوم التالى للعملية .

ويستعمل الاطباء اليوم أكياسا من اللدائن الصناعية المرنة يملؤونها بحبيبات السليكون او الاملاح المعدنية ثم يخاط هذا الكيس فى مكان الثدى المبتور ولكن طريقة الزراعة تتوقف على نوع عملية الاستئصال التى تعرضت لها المريضة فاذا تمت العملية دون المساس بعضلات الصدر التى تقع أسفل الثدى فان هذا يعنى وجود خلايا ثدييه كافية تساعد الجراح على أداء مهمته فى سهولة وببساطة وبانقضاء بضعة أشهر يندمل الجرح وتقوى الخلايا الموصلة مع العضو المزروع .

ويراعى الجراح أن يكون الثدى المزروع فى نفس حجم وشكل الآخر الطبيعى وفى هذا يقول الدكتور قوثرى الذى اجرى قرابة ٦٠٠ عملية انه يقوم بوضع علامة فى نقطة اتصال الثدى الطبيعى بالصدر وباستعمال المسطرة يضع علامة مقابلة على الجانب الآخر من الثدى ويشكل الخط الموصل بين العلامتين القاعدة التى سيخاط حولها الثدى الصناعى بعدها يحدث جرحا افقيا طوله أربع بوصات لفصل الجلد عن الدهن فى عضلات الصدر ثم يثبت الثدى الصناعى فى الفجوة .

ولا ياخذ الثدى المزروع شكله المستدير إلا بعد ثلاثة اشهر من العملية اى بعد أن يبرأ الجرح ويتمدد الجلد بدرجة كافية ، بعدها يمكن اخضاع المريضة لعملية أخرى شديدة البساطة لزراعة حلمة صناعية للثدى بزراعة قطعة جلدية من الحلمة الطبيعى أو الجزء الداخلى من الفخذ ويمكن فى نفس الوقت تقويم الثدى الطبيعى ليطابق شكل رصيفه المزروع .

اما إذا اخضعت المريضة لعملية استئصال جذرية تتطلب ازالة كل عضلات الصدر أو تعرض جلد الصدر للوهن بسبب المعالجة المستمرة بالاشعاع ، فان العملية تصبح اكثر تعقيدا إذ يلجا الجراح إلى استبدال العضلات التى ازيلت أو الجلد الذى اتلف مستعملا الجلد والعضلات الماخوذة من الجزء العلوى من ظهر المريضة ثم يقوم بدفعها من الخلف من داخل الجسم ليتمكن من وضع الثدى الصناعى تحتها .

ومع انه من الممكن جراحيا ان تتم عمليتا الاستئصال والزراعة فى وقت واحد إلا أن الاطباء يتفادون ذلك مراعاة لعوامل نفسية هامة لان الثدى الصناعى مهما بلغ من دقة واتقان لايمكن ان يكون فى جمال ما خلق الله وبما أن صورة الثدى الطبيعى تكون عالقة بذهن المريضة لفترة ليست بالقصيرة فان الاطباء يفضلون مرور فترة كافية على عملية الاستئصال حتى تنسى المريضة هيئة ثديها القديم وتشعر بجمال البديل الذى سيريحها من منظر الجروح والندبات على صدرها .

ويفضل الجراحون أيضا أرجاء عملية الزراعة لحين الفراغ من تقييم المرض وللتاكد من ان المريضة لن تحتاج الى مواصلة العلاج بالاشعاع أو العقاقير الكيمائية ولكن من الممكن جدا اجراء عملية زراعية حتى للنساء اللآتى يتوقع أن تعاودهن الاصابة بالسرطان لان الثدى الصناعى لا يعوق استقصاء المرض .

وفى الولايات المتحدة ظلت تكلفة تلك العملية تتراوح بين الف وستة الاف دولار ولكن بعض شركات التامين ومنها شركتا بلو كروس (الصليب الازرق) وبلو شيلد (الدرع الأزرق) قدمتا تسهيلات كثيرة جعلت امكان أجراء الجراحة ميسوراً ورخيص التكلفة ولكن العائق الكبير لأمال الكثيرات هو أن عدد الراغبات فى العملية أكبر بكثير من عدد الجراحين وامكاناتهم ففى الولايات المتحدة مثلا تجرى ٧٥٠٠٠ عملية استئصال سنوية تقابلها ٣٠٠٠ عملية زراعة .

ولا شك فى ان نجاح تلك العمليات عاد بالراحة النفسية والوجدانية على المرضى من النساء وكما قالت سوزان مورقن ، إحدى أوائل النساء اللآتى تلقين ثديا صناعيا « لقد كان الاثر الجميل الذى تركته زراعة الثدى على نفسيتى اعمق من الاثار السلبية للمرض نفسه »

زلزال عيد الميلاد المسيحى بمدينة كارلايل فى بريطانيا

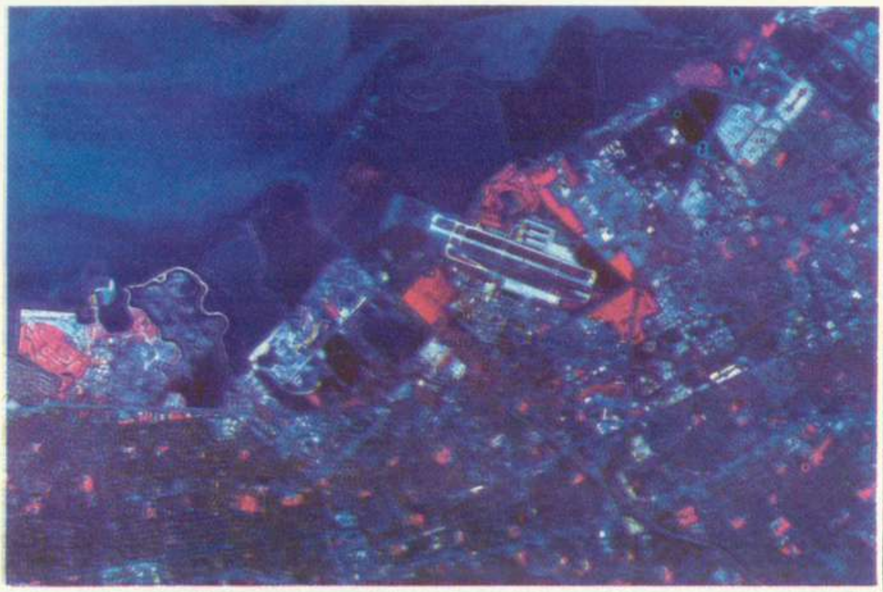

لم يتوقع أحد من سكان أية منطقة فى بريطانيا أن يصحو حوالى الرابعة صباحاً على صوت هائل وهزة أرضية .

ولكن ذلك هو ما حدث بالضبط قبل ثلاثة أشهر فى اليوم التالى لأعياد الميلاد .

فبعد أن عاد المواطنون فى مدينة كارلايل الى منازلهم وراحوا فى ثبات عميق بعد احتفالات طويلة وقع زلزال أرضى فى منطقة جنوب اسكتلندا وشمال إنجلترا (هذه المنطقة تعد من أكبر المناطق الصناعية فى إنجلترا ومكتظة بعدد كبير من السكان) ، هذا وقد حصل هذا الزلزال فى مركز بشمال مدينة كارلايل بعشرة كيلومترات . ويقـول خبراء الجيولوجيا أن هذا الزلزال لم يكن متوقعا فى هذه المنطقة بالذات لأنها تعتبر من ناحية النشاط الزلزالى أهدأ المناطق فى بريطانيا على الأقل منذ ثلاثمائة عام لم تحدث فيها هزة أرضية واحدة . وكانت قوة زلزال مدينة كارلايل خمس درجات على مقياس ريختر وعلى عمق ثمانيـن كيلومترات داخل جوف الأرض .

إن الهزات الأرضية تجتاح بريطانيا من وقت لآخر ولكن أغلب السكان ليس لديهم أدنى فكرة عن متى وأين يقع الزلزال القادم وفى خلال الألف سنة الأخيرة فى بريطانيا حدثت حوالى الاربعين هزة أرضية منها ما كان عنيفاً وشرساً مثل زلزال مدينة لنكولن الذى حدث سنة ١١٨٥م وزلزال مدينة لندن الذى حدث سنة ١٥٨٠م وزلزال مدينة كولشستر سنة ١٨٨٤م هذه الهزات العنيفة الأخيرة التى أحدثت خسائر جسيمة فى الارواح وفى المبانـــى حدثـت وبالتـالــى على فترات متباعدة بين كل فترة وأخرى ثلاثمائة عام تقريباً وقد قدر العلماء قوة كل هزة من الهزات الثلاث السابقة الذكر وذلك لعنفها ٥ر٥ ـ ٦ درجة قياسية . هذا ومن المعروف عند العلماء الانجليز الآن أن رجفة أرضية بقوة ٤ درجات تحصل كل عام فى احدى المناطق فى بريطانيا . وبما أن رجفة بمثل هذه القوة (أى ٤ درجات) تعد خسارتها بسيطة بالنسبة للهزات الأرضية التى حدثت فى لندن أو لنكولن أو كولشستر (ذات القوة ما بين ٦ ـ ٥ر٦ درجة قياسية) . فقد أحدثت هزة عيد الميلاد لحسن الحظ اضرارا بسيطة للغاية إذ تسببت فى تساقط الحيطان القديمة والكتب والأمتعة والاوانى من أعلى الرفوف .

وقد سجلت مراصد الزلزال الموجودة فى أماكن متفرقه بأنحاء العالم جل الهـزات الأرضية التى حدثت فى الجزر البريطانية (خصوصاً المرصد السويدى) فقد وضحت احصائيات هذه المراصد أن قوة الهزات البريطانية فى الجزر البريطانية نتائجها أقل خطورة من الهزات التى حدثت وتحدث فى مناطق مثل اليونان ـ يوغسلافيا ـ إيران ـوكاليفورنيا . وبالتحديد فان هذه الأماكن الأربعة الأخيرة تحدث فيها بقوة خمس درجات قياسية مراراً وتكراراً الشىء الذى لا يحدث فى بريطانيا إلا كل ثلاثمائة سنة تقريبا كما أوضحنا.

وتظهر نتائج الهزات الأرضية أن نوعية الهزة الأرضية فى بريطانيا مختلفة تمام الاختلاف عن نوعية الهزات التى حدثت فى اليونان أو كاليفورنيا . ذلك إنه فى بريطانيا لايمكن أنه تـنسب أى هزة إلى أى نوع من التصدع الجيولوجى . وتوضح الخريطة الجيولوجية لبريطانيا أن جل مجموعات مراكز الزلزال السطحى حدثت فى طيات أو منثنيات أرضية قديمة وليس بسبب التصدع الأرضى وخير شاهد على ذلك الهزات الأرضية التى حدثت ما بين عام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٧م نتيجة لوجود مناجم الفحم فى مدينة ستوك .

ومن حق سكان منطقة الهزة الأرضية أن يسعدوا بحظهم بالمقارنة لما نتج عن الزلازل القديمة التى حصلت فى الجزيرة وكيف أن الأرض ابتلعت الأنسان والحيوان والنبات .

فى هذه الهزة الأخيرة لم يشاهد الجيلوجيون الانجليز أى تشقق على سطح الارض وقد عزى ذلك لكثافة الطمى والرواسب النهرية وغزارة الأشجار والخضرة بينما احدثت هزة مماثلة فى كاليفورنيا أخدودا طوله ٥ ـ ٦ كيلومترات فى صخور رسوبية حديثة التكوين . ويفسر العلماء هذا الاختلاف إلى تباين فى التكوين الجيولوجى لكاليفورنيا ومنطقة كارلايل . وعامة لا تحدث خسائر رهيبة إلا إذا كانت قوة الزلزال من ٦ درجات فاكثر .

وعلى كل حال فان كل الهزات الارضية التى حدثت فى بريطانيا فى غابر الأزمان لم يكن لها مكان معين فقد اجتاحت الهزات الأرضية الجزيرة من شمالها لجنوبها ومن شرقها لغربها .

ومهما يكن من أمر فان توقعات حدوث زلزال معين فى منطقة معينة أمر صعب للغاية كما أوضحت سلسلة الهزات الارضية التى حدثت فى كاليفورنيا فى العشر سنوات الأخيرة ونسبة لعدم القدرة على التنبؤ فان معظم الأماكن والمبانى السكنية قد بنيت حديثا فى كاليفورنيا على أحدث النظم الهندسية الحديثة المقاومة للهزات الأرضية .

وعليه فان فشل علماء الجيولوجيا بالتنبؤ بحدوث زلزال كارلايل قد أقلق مضجع أغلب سكان الجزيرة البريطانية خصوصاً وانه حدث فى منطقة نشاطها الزلزالى غير مذكور وغير مدون عندهم وطرح سؤال واحد ماذا ولو حدث زلزال فى منطقة بها مفاعلات ذرية لتوليد الطاقة الكهربائية ؟ .

ويامن تهرعون الى بريطانيا للنزهة والمسرة خـذوا بالكـم ! .

حياتنا المعاصرة

هندسة الوراثة

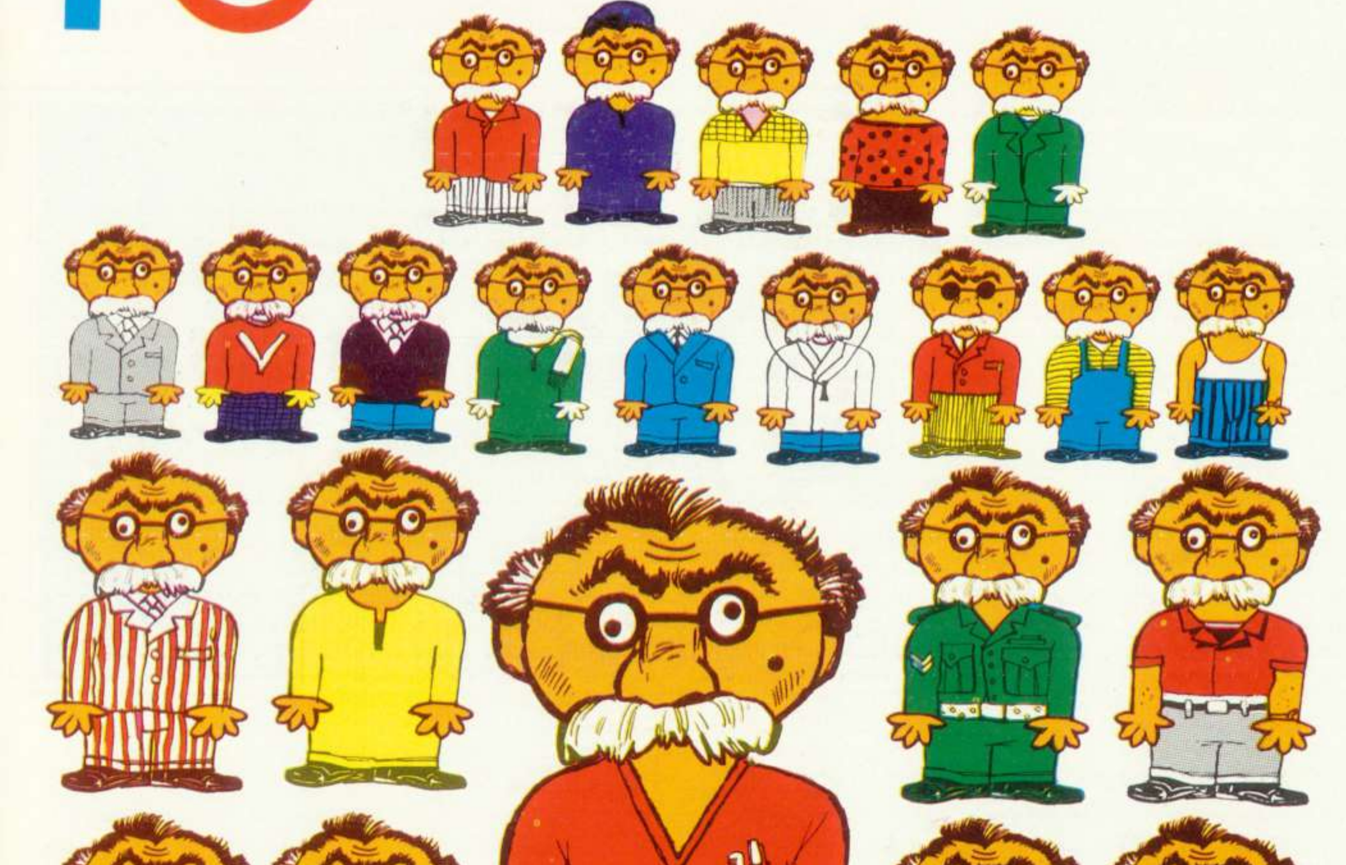

تعتبر تكنولوجية علم الأحياء ، « البيوتكنولوجية » ، أحدث وأخطر ثورة فى عصرنا هذا نسبة لما تبشر به من فرص كبيرة لمعرفة أدق اسرار حياة النبات والحيوان والانسان ، وما يمكن أن يتبع ذلك من امكانيات واسعة لمعرفة اسباب كثير من العلل والامراض ، وبالتالى علاجها بشكل فعال .

وقد اهتمت وسائل الأعلام المختلفة بهذا الموضوع ،وخاصة بعد ما زفه العلماء من بشرى اكتشاف العقار الطبيعى المذهل « الانترفيرون » واجراء تجارب لتركيبه باستخدام البكتريا كمصانع حية لانتاجه ، وتجربة لمدى عقدين من الزمان فى علاج السرطان وعدد من الأمراض المستعصية ، وبنتائج ايجابية . وكانت « حياتنا المعاصرة » قد قدمته لقراء مجلة الدوحة فى عدد أول مارس الماضى محققة بذلك سبقاً علميا صحفياً على كثير من الصحف العالمية الكبرى .

وقد رأينا أن نقدم فى هذا العدد المقالة الرئيسية التى أفردت لها مجلة النيوزويك الأمريكية غلاف عددها فى ٢٤ مارس ١٩٨٠ ، نسبة لاشتمالها على كل الجوانب المتعلقة بهندسة الوراثة ، وتطورات البحث فى مجال تكنولوجية

● لعل فهم العلماء لتلك الأسرار سوف يسهل لهم استبدال الخلايا المريضة بأخرى سليمة

اعادة تركيب الحامض النووى للخلايا لصنع الهرمونات بغرض تحسين صحة البشر . وقد جمع هذه المعلومات من مصادرها العلمية المتعددة والمسؤولة فريق من محررى مجلة نيوزويك الاسبوعية .

يسمى العلماء تكنولوجية هندسة الجينات ببساطة « تكنولوجية التوصل الى صور جديدة للحياة » . وقد تأتى للبيولوجيين الوصول لهذه التكنولوجيا منذ ١٩٧٣ . ولكنها الآن اصبحت شائعة فى كل معامل البحوث فى أرجاء العالم جميعها . وفيها يأخذ البيولوجيون (الجينات) من احد الكائنات الحية ويزرعونها فى خلايا كائن حى آخر وقد أمكن بتقطيع الجينات الى شرائح اغراء البكتريا أن تصنع هرمونات كثيرة لعل أشهرها الانسولين (المضاد لمرض السكر) وما هذه إلا مجرد بداية على طريق هذا الفرع من العلم . وقد يأتى يوم تصبح فيه البكتريا مصانع حية لانتاج العقاقير الطبية بما فيها اللقاحات والامصال ، لمقاومة الأمراض والعلل من التهابات الكبد الى السرطان وأمراض البرد العادية . ويقول العلماء انه سوف يتسنى لهم صناعة كل انواع البروتينات خلال الخمس عشرة سنة القادمة إن شاء الله .

* ثورة علمية واقتصادية

وتعد هندسة بيولوجيا الجينات ثورة علمية لاتقل شأنا عن (الالكترونيات) . ويمكن بمقتضاها ان تقوم الاحياء الوحيدة الخلية بصناعة البروتينات التى تصنعها أجسام الابقار مثلا ، بما يحقق استكمال النقص فى الاغذية البروتينية على مستوى العالم . كما انه من الممكن أن تسخر البكتريا المشرحة الجينات لاستئصال (بقع البترول) التى تسبب التلوث فى البحار ، أو لتجميع المعادن النادرة من التربة ، ويقول بعض العلماء إذا كان علم الكيمياء قد وصل الى عصر ذهبى وكذلك علم الفيزياء فان الدور الآن على علم البيولوجيا ليكون له عصر ذهبى مرموق .

وتعتبر تلك التكنولوجيا البيولوجية التى تتلخص اكاديميا فى ما يسميه العلماء اعادة بناء الحامض النووى للخلية ، من اهم الخطوات العلمية منذ أكتشاف الشكل (الحلزونى المزدوج) للحامض النووى سنة ١٩٥٣ .

وهذه التكنولوجيا العجيبة سوف تسهل للعلماء استقصاء قرابة (مائة الف جينة) فى الخلايا الآدمية . ولعل فهم العلماء لتلك الاسرار سوف يسهل لهم استبدال الخلايا المريضة بأخرى سليمة والتغلب على الامراض الوراثية مثل (الهيموفيليا التى تكثر فى ذرية من يتزوجون الاقارب) وعلى بعض انواع الانيميا فقر الدم) . ومن العلماء من يغالى بقوله ان هذا العلم سوف يمكننا من (تحسين) الجنس البشرى ذاته !! وباستنبات الجينات يأمل الباحثون ايضا فى الوصول الى اجابات عن كثير من المسائل البيولوجية المحيرة . مثل تلك التى لا نعرف حتى الآن من اسرار الخالق تبارك وتعالى شيئا حيالها ، كأن نجد خلايا ذات (جينات) متماثلة تكون الجلد أو العضلات أو الاعصاب ، وكأنا نرى خلايا عادية يعتورها فجأة سعار الانقسام مكونة أوراما خبيثة . كما أن البحث فى هذا المضمار سوف لا يعاوننا فحسب فى فهم امراض مثل تشوهات الأجنة أو السرطان ، بل سوف يعاوننا كذلك على فهم انفسنا ذاتها . والثورة العلمية منذ عهد جابر بن حيان مؤسس علم الكيمياء وابى بكر الرازى وابن سينا واضعى اسس علم الطب الحديث ، وغاليليو مخترع التلسكوب الى عصر فلق الذرة تدعو الى العجب العجاب ومنها اعادة تركيب حامض الخلية الحية .

* اعتراضات وحذر

ومنذ بدأ العلماء يبحثون فى هذا الجانب من البيولوجيا قامت بعض الاعتراضات حتى من العلماء انفسهم خشية أن يؤدى البحث بانطلاق نوع من البكتريا التى تولدت فيها جينات مسعورة لا تقهر وتعم الارض ببلاء من صنع الانسان ذاته لا يمكن وقفه أو السيطرة عليه !!! ولقد احاط الباحثون انفسهم بسياج من السرية ، ولم يسمح للبحوث فى هذا الباب أن تصبح (رسمية) إلا بعد أن وضع معهد بحوث الصحة الامريكى سنة ١٩٧٦ خطوطا رئيسية لهذه البحوث . وينفى كثير من العلماء كل احتمالات الخطر المتوقعة من تلك البحوث ، ولكن ما شغل بال العلماء اليوم فى مضمار هذه البحوث العلمية الهامة هو اختلاطها بالتجارة إذ أن احتمالات قيام صناعات يتاجر بها المتاجرون (وما أدراك ما أخلاق التجارة اليوم) يجعل كل جهة تنفق على تلك الابحاث تكبل باحثيها وعلماءها وتطلب إليهم عدم تبادل المعلومات والخبرات مع الآخرين ، وهذه روح من أضر ما يمكن بالبحث العلمى ، إذ أن البحث العلمى لا ينمو ولا يضطرد فى (الادارج المقفلة) والتجار والسياسيون هم افة العلم والعلماء ، ولا يكون العلماء علماء إذا كبلتهم ملايين الأموال ومنعتهم من تبادل الخبرة مع زملائهم فى كل انحاء العالم . والمساومات الشيطانية بين العلماء والتجار موجودة منذ زمن النظريات الكيماوية الاساسية فى أساس الحياة وهى دراسة الجينات ، ونحن نعلم أن شكل وفعاليات كل كائن حى ، نباتا أم حيوانا ، يقررها ما أودعه الله تعالى فيه من صفات جزيئات حامض يسمى (د . ن . ا) أو حامض (الديوكسى ريبو نكلويك) وهو الذى يتكون جزيئه على هيئة حلزونية أو زمبرك مزدوج وحينما تنقسم الخلية فان ذلك الحامض يضاعف نفسه وينتقل بكل ما أودعه اللـه فيه من الخصائص الوراثية الى الجيل التالى من الخلايا . وهذا الحامض هو الذى يوجه الخلية فى عملية تكوين وصناعة البروتينات الاساسية لحياتها وكذلك الهرمونات، كالأنسولين ، والاجسام المضادة التى تقاوم البكتريا ، وبحور الدم (الهيموجلوبين) الذى يحمل الاوكسيجين والانزيمات للتفاعلات الكيميائية فى الجسم الحى .

* تركيب الحامض النووى

ويشبه الكيماويون ذلك الحامض بسلم حلزونى جوانبه من السكريات والفوسفات ، وعوارضه من مواد اربع اساسية هى الادينين (ا) والجوانين (ج) والسيتوسين (س) والثيمين أو الزعترين (ز) ، ولتكوين عوارض السلم نجد أن الادينين دائما مشتبك مع الزعترين بينما السيتوسين مشتبك مع الجوانين . وبهذا النوع من التشابك تأخذ الخلية التعليمات لانتاج (البوتينات ، والبروتينات كما نعلم تتكون من الاحماض الأمينية المقطورة بعضها ببعض كعربات قطار وقد وجد الكيمائيون أن قواعد الحامض (د . ن . ا)الاساسية هى التى تتحكم فى نوعية البروتين الذى تصنعه كل خلية ، ولهم فى هذا المجال مصطلحات نحن فى غنى عنها للقارىء الآن ... وفى تكنولوجيا الحامض النووى العجيبة ، توصل الكيماويون الى استخلاص ذلك

هندسة الوراثة

الحامض من البكتيريا والفيروسات وخلايا الحيوان وخلايا النبات ويعالجونه بالانزيمات التى تكسره أو تقطع عنه شرائح طبقا لما يريدون ثم يأخذون تلك الشرائح بوسائلهم الخاصة لدراسة خواص القواعد التى تحتويها ، ثم يلحمون الجينات ببعض البكتيريا التى تعيش فى الامعاء مثلا لمواصلة الدراسة .وقد وجد العلماء أن هنالك فى بعض اميبا الامعاء حامضا على هيئة حلقات تسمى البلاسميدات فهم يستخرجون هذه البلازميدات ويشطرونها بالانزيمات ثم يولجون فيها شرائح مختارة من حامض (د . ن . ا) ثم يلحمونها بانزيمات أخرى ويعيدون ايلاجها فى البكتريا . وكلما انقسمت خلايا البكتريا فانها تعطى الجينات الوراثية المصنوعة الجديدة للأجيال التالية .

* توليد سلالات خطرة

ومن اهم ما حدث فى هذا المجال استطاعة بعض العلماء سنة ١٩٧٣ أن يولدوا انواعاً من الجراثيم تقاوم عقار الستربتومايسين ولا تتأثر به ... وهنا مكمن خطر على الانسانية لا شك فيه ، وتحاول الحكومات وضع اللوائح التى تمنع العلماء بمقتضاه من البحث فى مجال صناعة سلالات من الميكروبات تقاوم الأدوية والعقاقير ، وكذلك البحث فى مجال تخليق ميكروبات تفرز سموماً لا دواء لهـا !! .
والبحث فى مجال كهذا يتطلب من العاملين فيه احتياطات صحية لا مثيل لها فى مجال آخر .

* احتمال تسربها صدفة

ان احتمال تسرب الجينات التى تجعل البكتريا تقاوم المضادات الحيوية عن طريق الصدفة هو الذى اثار النقاش حول سلامة البحوث المتعلقة باعادة تركيب الحامض النووى . وقد ضيقت القوانين المرشدة التى وضعتها معاهد الصحة القومية الامريكية مجال البحوث فى الجينات المقاومة ، كمـا أن التجارب التى تجـــرى على الاحماض النووية (د.ن.ا) للبكتريـــا او الفيروسات المسببة للامراض ، والجينات التى تستخدم فى انتاج السموم الفتاكة لا يسمح بها إلا تحت ضوابط صارمة ، وفى معامل على درجة عالية من الاحتياطات الأمنية ، حيث يقوم العاملون فى هذا المجال بتغيير ملابسهم وغسل اجسامهم قبل مغادرة المكان . كما انهم يجرون تجاربهم على البكتريا من خلف اغطية واقية لضمان عدم تلوثهم وعدم انتشارها . وقد توقفت مثل هذه البحوث والتجارب الآن .

وتجرى ٨٠ ٪ من البحوث على تركيب الحامض النووى تحت ظروف التعقيم المتبعة فى اى معمل اختبارى بالمستشفيات . حيث يتم تعقيم كل شىء قبل القائه . كما يمنع الأكل اثناء العمل بـــه .

وقد راجع العلماء افكارهم حول اخطار البحث فى مجال اعادة تركيب الاحماض النووية بعد ان حققوا تفهما اكبر للمواد التى يقومون بالبحث عن طريقها . فقد اتضح لهم أن اميبيا المصران الغليظ التى تستخدم فى معظم التجارب قدتفقد قدرتها على الحياة زمنا طويلا خارج المعمل . كما فقدت قدرتها على نشر اى جينات خطرة . كما أن الجينات الآدمية تختلف كثيرا عن جينات البكتريا التى تستضيفها ، ولا تقوم بوظائفها إلا تحت ظروف يتحكم فيها الباحث ..

« لقد كان الناس يخشون تسرب شىء ضار وخطير عن طريق الصدفة .. » ولكن العلماء ، كما يقول وولتر غلبرت من جامعة هارفارد « يعرفون الآن انهم لا يقدرون حتى ان ارادوا ذلك خلق أى شىء خطير . » .

* نتائج ايجابية

ومن المواد التى يتوقع العلماء ان يوفرها البحث العلمى فى هذا المجال مادة الانسولين المضادة لمرض السكر ، بدل استخراجها من بنكرياس الماشية والخنازير كما هو حادث اليوم . فقد بدأت قصة صناعة الانسولين بالطريقة الجديدة سنة ١٩٧٨ . كذلك بدأ العلماء كما أشرنا الى ذلك فى عدد سابق من الدوحة فى صناعة هرمون الانترفيرون الذى ثبت جدواه فى مقاومة فيروسات التهاب الكبد والسرطان . كذلك يعتقد العلماء انهم سيتوصلون لصناعة هرمونات النمو المقاومة للقزمية فى الانسان وكذلك هرمونات لعلاج ضحايا الهيموفيليا .

* اسرار جينات الوراثة

ويحاول العلماء بابحاثهم فى طريقة الشرائح هذه واعادة بناء الحامض النووى بها ان يسبروا اغوار اسرار الجينات الوراثية . ومن هذه الاسرار كيفيةتنظيم تلك الجينات . فكل الخلايا ، ماعدا البويضات والحيوانات المنوية ، تحتوى على مجموعات كاملة من الجينات . ولكنها لاتقوم بعمل إلا بعـد ان يؤذن لها بمنظم غير معروف بعد . وقد عرف العلماء واحدا على الأقل من هذه المنظمات فى احد الفيروسات الذى اطلقوا عليه اسم (لامدا) . وهذا الفيروس يغزو خلايا الاميبا المعوية ويتخذ احد مسلكين اثنين . اما أن يدفع هذه البكتريا لانتاج فيروس (لامدا) فى اجيالها الجديدة فتتفجر منتجة اياد بكثرة . واما أن يظل ساكنا تاركا البكتريا تتكاثر دون ماضرر او اضرار وقد وجد العلماء أن هذا (اللامدا) خاضع فى تصرفه الى وضع جزىء خاص يسمى الضاغط وفى العادة فان الحامض النووى يرسل رسالة لصناعة البروتين بمساعدة انزيم وسيط ، ولكن إذا كان الجزىء الضاغط موجودا فوق (جينة) فان الانزيم لا يستطيع التقاط الرسالة من الحامض وتظل الجينة غير فعالة . واكتشف احد العلماء ان الضاغط نفسه قد يستطيع ادارة الجينة وتحريكها للعمل . وذلك يتوقف على موقعه من (منطقة الضبط) . وقد يمكن ذلك الاكتشاف العلماء من استخدام خلايا الكائنات الحية الكبيرة مع خلايا البكتريا لتنشيطها للعمل . ويستطيع العلماء اليوم تحديد التتابع الدقيق للقواعد فى اى شريحة من الحامض (د.ن.ا) وتحديد مواقع الجينات فى الكروموزومات بكل دقة . وهنالك مئات الآلاف من امكانيات (توليف) التتابع فى الجينات ولأن الباحثين لديهم القدرة على انتاج الجينات بكميات هائلة فانهم فى النهاية قادرون على دراسة العدد الكافى من الجينات لوضع خريطة القواعد . وعلى نفس القدر يستطيع البيولوجيون ان يخبرونا عن اوضاع اكثر من

العلماء يحاولون إعـادة بنــاء الحامض النـووى بحثاً عن أسرار الجينات الوراثية

إنهم يخشون ارتباط هـذا النـوع من الأبحاث بالتجارة بسبب سريتها

د. الكنسدر امام نموذجين للحامض النووى بعد اعادة تركيبه وهندسته

مائة الف جنيه وراثية داخل ٤٦ كروموزوم فى الخلية البشرية . وللوصول الى هذا فان العلماء يختارون جينة وراثية ويخلطونها بالكروموزومات التى يكون حامض (د.ن.ا) فيها مفلوقا من منتصفه حيث تجد القواعد الاختيارية اوتوماتيكيا مقابلاتها الطبيعية فى الكروموزوم المفلوق فتلتحم ا . ز كما تلتحم س مع ج . وهكذا يعرف الباحثون اى كروموزوم يوائم الجينة ويلتحم معها واين يمكن للجينة ان تستقر فى اى مكان على الكروموزوم . وهذا التخريط الجينى قد يمكننا من شفاء الامراض الموروثة مثل الهيموفيليا ، التى يسببها تشوه فى احدى الجينات . فاذا استطاع العلماء تحديد الكروموزوم المناسب فقد يستطيعون اصلاح الجينة التالفة او يولجون فى الخلية جينة اخرى مناسبة .

* فرص جديدة لعلاج السرطان

وقد يساعد البحث فى هذا المضمار ايضا فى علاج السرطان . فقد استطاع بعض العلماء ان يستخلصوا جينات من بعض الفيروسات تسبب اوراما فى الدجاج وان يفصلوا تلك التى تسبب تلك الاورام . ومن الجينات التى تسبب الاورام تلك التى تامر الخلايا بانتاج البروتين من الفوسفات . ولكن هذا الكشف لم يطبق بعد فى صناعة العلاج المناسب . ووجد العلماء كذلك ان الجينات التى تسبب الاورام فى الخلايا هى نفس الجينات التى توجد فى الخلايا اصلا . ومطلوب ان تدرس لماذا تجنح هذه الجينات احيانا الى اثارة الخلايا فتنقسم بسرعة مسببة اوراما سرطانية ، وفى حالات اخرى لا تفعل . وحيث ان تشريح او فلق الجينات اصبح اليوم يسيرا بين ايدى العلماء ، فانهم الان يتصورون ان باستطاعتهم اختبار القضايا (المتوارثة) فى الوراثة . والى عهد قريب كان العلماء يظنون ان الجينات فى البكتريا مثلها مثل الجينات فى المخلوقات العليا ، ولكنهم اكتشفوا حديثا ان هناك فرقا شاسعا . فقد وجدوا ان جميع القواعد فى حامض (د . ن . ا) فى البكتريا تتالف من ثلاثيات وتترجم الى احماض امينية ، بيد انها فى الفيروسات وخلايا الثدييات متوحـدة . ان عناصر حامض (د.ن.ا) الذى يامر بصناعة الاحماض الامينية التى تصنع منها البروتينات ، تفصل بينها مركبات يبدو انها لا تكون البروتينات اطلاقا ، وقد غير هذا الاكتشاف الصورة التقليدية عن كيف تعمل الجينات البشرية ، وان هنالك انزيمات تعمل اعمالا اخرى لم نكـن نعرفها إذ ان قواعد حامض (د.ن.ا) توجد فى حامض اخر هو الريبونكلويك . وهنا نجد ان المعلومات المناسبة تحمل الى منطقة من الخلية حيث تتجمع الاحماض الامينية لصناعة البروتين ، حيث تقوم الانزيمات اولا بمعالجة الحامض الريبونكلويك وتفتت منه اجزاء هى المركبات الفاصلة ثم تلحم ما تبقى

احد المحاضرين بجامعة هارفارد يشرح هندسة الجينات

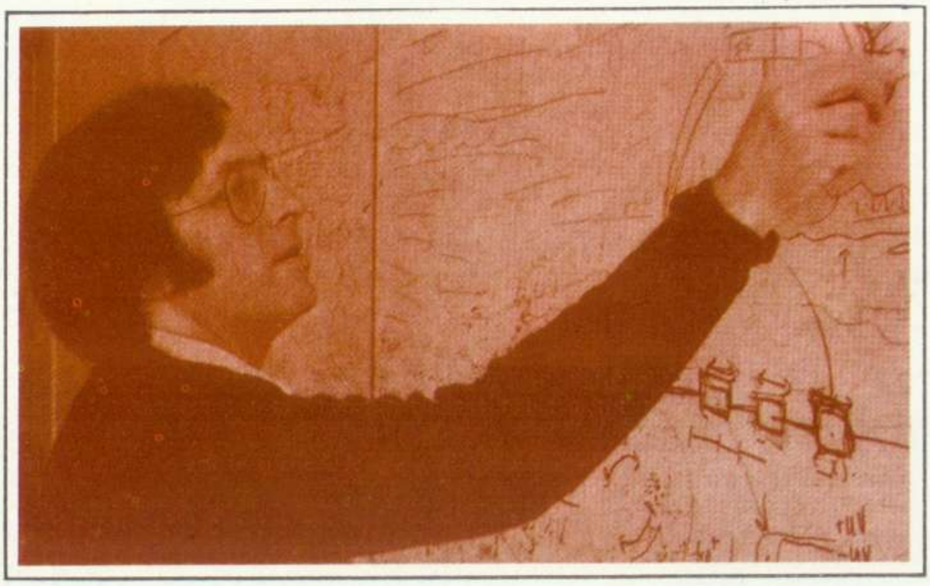

وهذا من اهم الاكتشافات على الاطلاق . وإذا كانت الجينات تنقسم الى قطع فان الله لا شك قد جعل فى ذلك سببا . ويشبه احد العلماء الجينة بانها تمثل الكلمات المكتوبة التى تفصل بينها مسافات . ولولا هذه المسافات لكانت الكتابة متصلة ولا معنى لها .

واستطاع العلماء ان يبلوروا حامض (د.ن.ا) ووجدوا انه لا يشبه الحلزونة المزدوجة التى دلتنا عليها دراسة سابقة بالاشعة السينية ، وثبت ان حامض (د.ن.ا) له تركيب بللورى واضح تبدو فيه الذرات فى اماكن هندسية محددة لأول مرة . وهذا الان قيد بحوث واستقصاء دقيق . ولدى العلماء امل كبير فى ان ابحاثهم فى هذا المجال سوف تساعد كثيرا فى علاج السرطان .

كما ان بعضهم يامل فى ان الابحاث فى هذا المجال سوف تساعد كثيرا على تحسين صحة البشر وامزجتهم بل وخلقتهم . ولكن علماء اخرين يقولون بان محاولات من هذا النوع سوف تكون كارثة على الجنس البشرى ويطالبون بمنع مثل هذا الشطط .

* الآثار الاخلاقية المترتبة

واكبر ما يخشاه العلماء هو ارتباط هذا النوع من الابحاث بالتجارة سوف يؤدى الى ما لا تحمد عقباه بالنسبة للعلم وللمجتمع البشرى على سعته . وذلك بسبب السرية التى تحاط بها الاعمال التجارية ، إذ ان كثيرا من الاكتشافات العلمية تاتى نتيجة للنقاش بغير اى تحفظ بين العلماء والباحثين وفى اى مكان .

والعلماء يخشون تماما الاثار الاخلاقية المدمرة لهذا النوع من الابحاث اذا سيطر عليه التجار . كما ان انتاج هذه الابحاث فى السوق سوف يحتاج لتشريعات لم يعتدها البشر من قبل كما ان الاحتمالات التجارية من وراء هذه الابحاث نحت بالعلماء ذاتهم منحى جديدا ، فبدل ان كان العالم ينشر نتاج عمله فى مجلة علمية لها احترامها وقيمتها الادبية ، فان الباحثين فى تكنولوجيا حامض (د . ن . ا) لا يرون غضاضة فى نشر نتائج ابحاثهم على الجماهير بواسطة التليفزيون او المؤتمرات الصحفية !! كما حدث عندما امكن صناعة الانسولين بهذه الطريقة حتى قبل ثبوت صلاحية ذلك الانسولين للعلاج وبصرف النظر عن الباحثين الذى لوثتهم النزعة المادية التجارية ، والذين يسببون نوعا من التشاؤم من مستقبل العلم ، فان هنالك من ليس متشائما ، إذ ان العلم فى نظرهم ظل يعمل مع الصناعة وبالتالى التجارة زهاء نصف قرن من الزمان ، كما هى الحال فى علم الكيمياء . ولكن العلماء لم يتركوا شرف البحث العلمى واصالته الاخلاقية وهم لايفتأون يضيفون كل يوم جديدا فى الكشف عن اسرار ملكوت اللـه فى مخلوقاته سبحانه لان البحث لدى جمهور العلماء الصالحين مطلوب لذاته لانه سعى للمعرفة . ولهذا فهم يسبرون اغوار نواة الذرة ، وينصتون فى صبر وجلد الى النبضات الاليكترونية القادمة من اجواز الفضاء البعيد من المجرات والسـدم ويقلبون حبال حامض (د.ن.ا) وليس يهمهم ان يؤدى ذلك الى زيادة فى المراجع العلمية او فى انتاج المصانع فهذا لا يعنيهم بقدر ما تعنيهم (المعرفة ذاتها) . وابحاث شرائح الجينات سوف تنطبع نتائجها على الجانبين الاكاديمى المعرفى البحث والصناعى . فهذه الابحاث سوف تزيح الستار عن بعض الاسرار التى اودعها الله سبحانه فى خلقه للحياة على الارض . وسوف تقلل من قلق الجوعى والظمآنين على سطح هذه الأرض .

شمس العرب

بديل جديد للطاقة

إعداد: د. أحمد إسماعيل

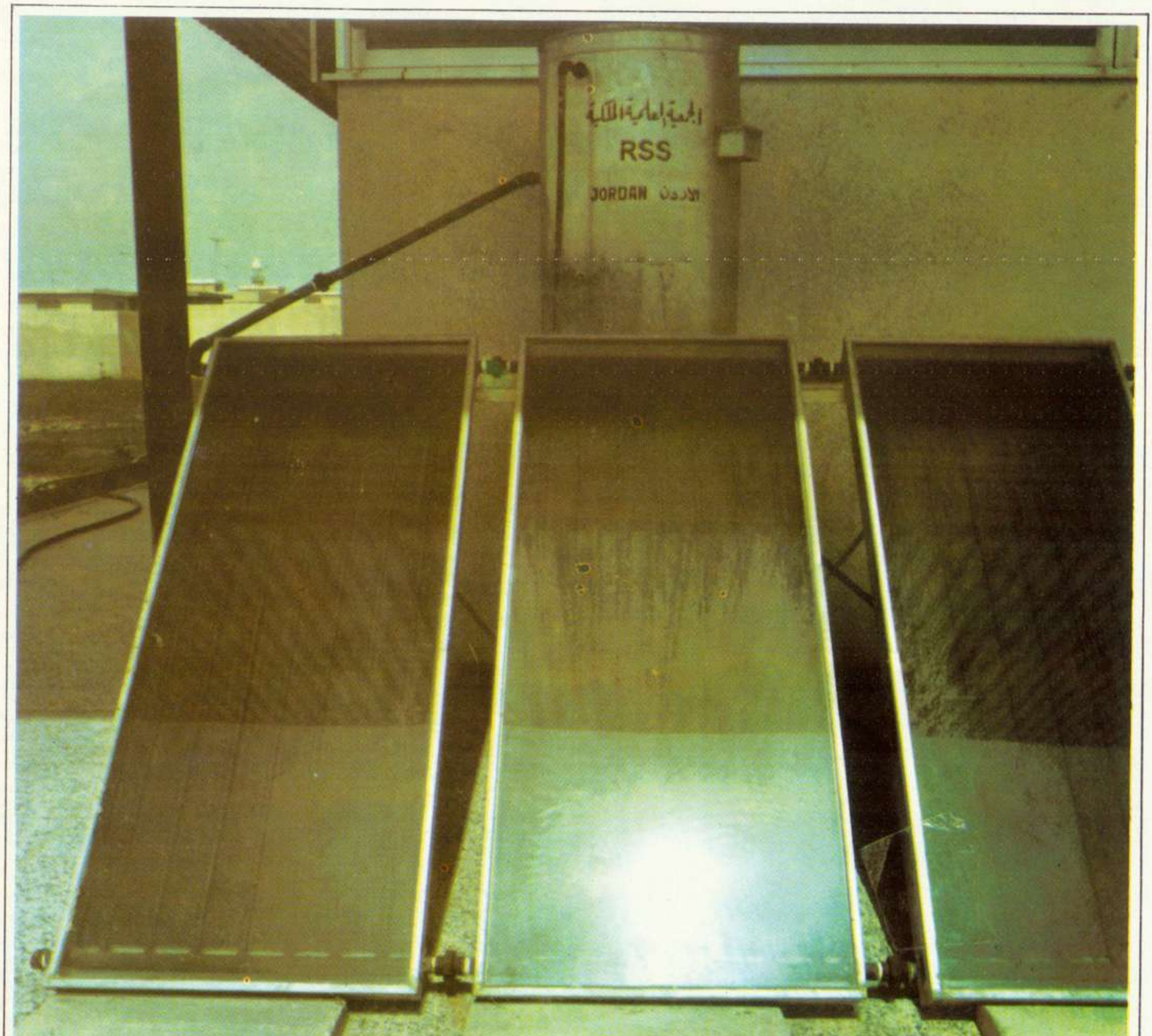

هل هناك أموال عربية طائلة تهدر في هذا الموضوع؟

منذ عشرين عاما بدأت الأبحاث على الطاقة الشمسية في السعودية

اتفاقية تعاون مع ألمانيا الغربية لتطوير الأبحاث وتطبيق الطاقة

الطاقة الشمسية لها اهمية قصوى بالنسبة للدول العربية المنتجة وغير المنتجة للبترول . وقد بادرت هذه الدول بالفعل في استغلال الطاقة الشمسية واستعمالها . فاليوم نجد حوالي الثلاثين جامعة واكثر من اربعين مؤسسة حكومية تقوم بدراسات جادة في هذا المضمار .

والدول العربية التي لها مساحة شاسعة تبلغ ١١٪ مليون كيلو متر مربع تملك ثروة هائلة من الطاقة الشمسية ذلك لان مقاييس الاشعاع الشمسي أو التأجج الشمسي اوضحت أن كل متر مربع من هذه المساحة يتلقى ما يعادل ٢٧٥ وات (وحدة كهربائية) من الطاقة الشمسية. واذا افترضنا ان ١٪ من هذه المساحة (١١٪ مليون كيلو متر) قد استغل لتوليد وتوظيف الطاقة الشمسية فهذا يكفي لبناء ٣٠٠٠ محطة توليد كهربائية بسعة تساوى ١٠٠٠ ميجاوات .

ولكن هنالك من العرب من يقول ان اموالا عربية طائلة تهدر في هذا الموضوع ، اي يجب على الدول العربية ان تعني بالبحث في هذا المجال وتطبقه في اراضيها بدلا من ان تشتري هذه الابحاث والتكنولوجيا من دول الغرب . ومهما يكن الامر فان تكنولوجيا هذه الصناعة الجديدة ياتي جله من الغرب ، وان كانت دول العالم الثالث بما فيها الدول العربية اليوم تملك البسيط من هذه التكنولوجيا (التسخين والتقطر للمياه وهكذا) ولهذا نجد ان الدول العربية (مثل المملكة العربية السعودية والكويت) تفضل ان تشتري آخر ما وصلت اليه تكنولوجيا الغرب في هذه الصناعة وعليه اصبحت دول الغرب مهتمة بتصدير مثل هذه التكنولوجيا - التي قد تكون ليست ذات أهمية في بلادهم - الى الدول العربية حيث ان الطاقة الشمسية والمال متوفران .

واكثر الدول العربية اهتماما بتطوير هذه الصناعة الجديدة وتطبيقها هي المملكة العربية السعودية حيث وحدها تدفع أكثر من ٦٠٪ من تكاليف هذه الصناعة في الدول العربية مجتمعة . وقد بدأت الابحاث على الطاقة الشمسية في السعودية في حوالي ١٩٦٠م في جامعة البترول والمعادن بالظهران . وكذلك اليوم نجد ان كل الجامعات السعودية قد ادخلت هذه الابحاث في برامجها ومختبراتها وفي سنة ١٩٧٠م نشطت الحكومة في هذا المجال ممثلة في وزارة الصناعة والكهرباء والمركز السعودي للتكنولوجيا والعلوم الذي انشيء في عام ١٩٧٧م . وكذلك قامت وكالة للطاقة الشمسية في السعودية سنة ١٩٧٨م. هذا وقد قام المركز السعودي للتكنولوجيا والعلوم بتوفير حوالي ال ٥٠ مليون دولار لابحاث الطاقة الشمسية في الجامعات السعودية . ومن أكبر مشاريع الطاقة الشمسية الذي شارف على الانتهاء مجمع تدفئة وتسخين مياه لكلية القوات الجوية بمدينة تبوك وتبلغ مساحته ٤٣٧٠ مترا مربعا من مجمعات الطاقة الشمسية وتقوم ببنائه شركات امريكية . كذلك تنوي الحكومة السعودية بناء محطة توليد الطاقة من الشمس على مساحة ٤٠٠ هكتار من المجمعات للطاقة والغرض من هذه المحطة أن تمد منطقة جبيل الصناعية بحاجتها من الكهرباء . كذلك تقوم الحكومة السعودية مع الحكومة الفرنسية ببناء طلمبة لرفع مياه الآبار على مساحة ٦٠٠٠ متر مربع من المجمعات للطاقة مع تعميم مثل هذه الطلمبات في بقية المملكة. كذلك قامت الحكومة الفرنسية ببناء مفاعل نووي واحد بمدينة الرياض . وكنتيجة طبيعية لزيادة معدلات الاستهلاك المحلي والتصدير للخارج من النفط القطري فقد اتجهت حكومة قطر نحو الاهتمام بالطاقة الشمسية ممثلة في جامعة قطر والمركز الفني للتنمية الصناعية وقد شرعت فعلا جامعة قطر في الاستفادة من الطاقة الشمسية كبداية لابحاثها المستقبلية (راجع كتاب سالم الجابور - تقييم استعمال الطاقة الشمسية في قطر - ١٩٧٩) وابرمت اتفاقية فنية بين حكومة قطر وحكومة فرنسا في مارس ١٩٨٠ للتعاون في هذا المجال .

اما في دولة الكويت فيقوم المعهد الكويتي للابحاث العلمية بتطوير صناعة الطاقة الشمسية ، وقد وقعت الحكومة الكويتية اتفاقية تعاون مع المانيا الغربية يتم بموجبها تطوير ابحاث وتطبيق الطاقة الشمسية وكذلك كل البدائل الممكنة للطاقة .

دول أخرى

اما في البحرين فقد بدأت دراسة الجدوى الاقتصادية للاستفادة من الطاقة الشمسية في عام ١٩٧٧ . وهنالك تعاون وثيق بين الكويت والبحرين والاردن في هذا المضمار .

اما الجزائر فتولي اهتماما بالغا للاستفادة من الطاقة الشمسية ومن اهم المشاريع التي تجرى فيها الآن بناء قرية قرب بلدة بوسعدة تسع ١٥٠٠ مواطن والقرية مخططة لكي تمد كل منازلها بالطاقة الشمسية ثم تعمم التجربة على بقية أجزاء القطر .

اما بالنسبة للطاقة الشمسية في مصر فهي كباقي الدول لازالت كلها محاولات في المختبرات وان كان التطبيق الفعلي قد حصل في قريتي ميت أبو الكوم والبساتسة . وفي دراسة أجرتها منظمة الدول المصدرة للبترول أظهرت هذه الدراسة أن مصر هي أكثر الدول تنويعا وتكثيفا لبرامج وابحاث الطاقة الشمسية ولكنها تعتمد كليا على المساعدات

شمس العرب بديل جديد للطاقة

الخارجية نتيجة وقف المساعدات الحكومية لهذه الابحاث واتجاه الحكومة للصرف في ابحاث الطاقة النووية . وتملك مصر اليوم على الاقل مفاعلا نوويا واحدا ، وقد وقعت وكالة الطاقة المصرية على اتفاقية مع الولايات المتحدة لكي تمدها بعشرة مفاعلات حتى سنة ٢٠٠٠ وسوف تغطي هذه المفاعلات حوالي ٤٠٪ من كهرباء مصر .

اما اكثر بلدان الشرق الاوسط اهتماما واستفادة من الطاقة الشمسية اليوم فهي المملكة الاردنية الهاشمية وتوضح تجاربها وتطبيقاتها على انها الانجح في المنطقة العربية وقد ساعمت كثيرا في دفع الاقتصاد الاردني. وتقوم الجمعية الملكية العلمية بكل ابحاث الطاقة الشمسية وقد ظهرت نتائج ابحاثها في المشروع المشترك مع شركة دورنير الالمانية التي قامت ببناء محطة تحلية المياه بالعقبة مستعملة مواسير التسخين الشمسية . واليوم نجد في الاردن شركتين تنتجان السخانات المائية للاستعمال المنزلي . كذلك استفادت الاردن من الطاقة الشمسية في عمل شبكة تلفونات (للطوارىء) على جوانب الطرق تعمل بالطاقة الشمسية وقد عممت هذه الشبكات في كل الطرق البرية الكبيرة بالمملكة . والمحاولات جارية على قدم وساق للاستفادة من الطاقة الشمسية في بث برامج التلفزيون في الاردن . هذا غير بناء المستنبتات الزجاجية الزراعية لتكثيف انتاج الخضر ..

في المغرب ، فقد انشيء مركز ابحاث الطاقة الشمسية في مراكش ويكلف مشروع مختبر البطاريات الشمسية الان ٣٧٫٠٠٠ الف دولار امريكي .

اما في دولة الامارات العربية المتحدة فتقوم اليابان ببناء محطة تحلية مياه (بتكاليف قدرها ٣٠٩ مليون دولار امريكي) تعمل بالطاقة الشمسية وسوف يتم انجازها في ظرف ٤ ـ ٥ سنوات .

النفط المتزايد والازمة

هل تواجه الدول العربية ازمة حقيقية في الطاقة نتيجة النقص المتزايد في احتياطيها الاستراتيجي من النفط ؟ توضح احصائيات استهلاك النفط في الدول العربية المنتجة وغير المنتجة في عام ١٩٧٨ ان هذه الدول تستهلك ٦ ـ ٨٪ وسوف يصل رقم الاستهلاك الى ٥٥ ـ ٦٠٪ في عام ٢٠٠ وهنا تبرز الاجابة على السؤال المطروح لماذا تركز هذه الدول على استغلال الطاقة الشمسية ولزوم وجود بدائل جديدة للطاقة ؟

١ ـ ان الطاقة الشمسية هي انظف وارخص أنواع الطاقات . ان الطاقة الشمسية ليس بها اي نوع من انواع التلوث السيىء الذي بدوره يؤثر على صحة الانسان والحيوان والنبات . واخطر هذه التلوثات البيئية غير البترولية هي التلوثات النووية نتيجة التسرب في المفاعلات النووية وتسرب نووي حصل في مفاعل ثري مايل ايلاند بامريكا وتسرب نووي حصل في احد المفاعلات بفرنسا وغيره وغيره .

٢ ـ ان الشمس هي مصدر الطاقة لكوكب الارض (عملية التمثيل الضوئي وما يتبعه من نتائج) .

٣ ـ ان الاجهزة التي تستخدم الطاقة الشمسية تستخدم في اغلب مجالات الحياة اليومية مثلا :

(أ) تسخين المياه اللازمة للاستعمال بدلا من الكهرباء والغاز .

(ب) التبريد (الثلاجات) والتكييف (المساكن) .

(ت) تشغيل الموتورات بكافة انواعها (الطلمبات لرفع المياه من الآبار واستغلالها في الزراعة) .

(ث) تحلية مياه البحر بواسطة عواكس لجمع الحرارة (قد تصل درجة الحرارة ٣٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ درجة مئوية) .

(ج) الخلايا الضوئية تجمع الضوء من الشمس وتغيره الى كهرباء (بطاريات) وتستعمل هذه البطاريات في التليفونات والتلفزيونات وهكذا .

(ح) بناء المستنبتات الزجاجية وتكييفها حسب درجة الحرارة المطلوبة (بدون التقيد بصيف او شتاء) وزرع المحصول المراد انتاجه ..

وفي النهاية يمكن ان نقول ان اكبر المراكز لأبحاث الطاقة الشمسية في العالم هي آمريكا ـ المانيا الغربية وفرنسا وان هذه الدول الكبرى لا تملك فائضا من المال ومناخا مناسبا لاستيعاب وتطبيق جل ابحاثها في الطاقة الشمسية محليا وعليه سوف تستمر في بيع تكنولوجيا الطاقة الشمسية وباسعار مرتفعة للدول العربية ما لم تكتشف هذه الدول الغربية تطبيقات للطاقة الشمسية في المجال العسكري . وعلى دولنا العربية ان تركز وتكثف في ابحاثها المحلية ، وتكون وكالة عربية لهذا الغرض .

د. احمد اسماعيل

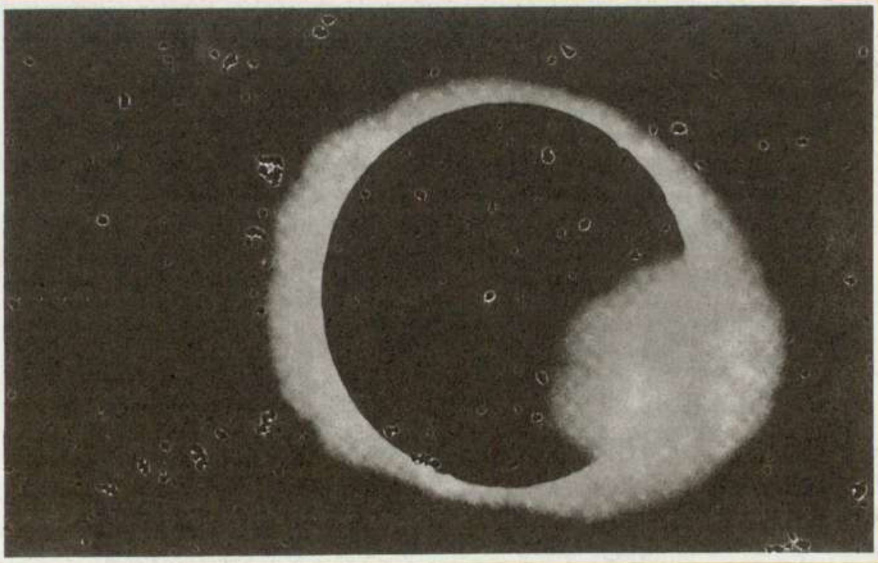

لماذا يحتكر الغرب تكنولوجيا الطاقة الشمسية؟

مهندس سمير صلاح الدين شعبان   د. مهندس مظفر صلاح الدين شعبان

● الليل لم يطل.. وبدأت الشعوب المستضعفة تتحرر تباعاً
● بعد اكتشاف النفط استأثرت الدول المتقدمة بتكنولوجيا التنقيب
● الطاقة البديلة أكثر ضرورة في العالم الثالث

في أواخر القرن السابع عشر تمكن الانسان الغربي من تسخير الفحم الحجري وابتكار الآلة التي مهدت لانفجار الثورة الصناعية . لكن هذا الانسان شعر ان آلته بحاجة لمزيد من المواد الاولية تبتلعها لتقذف كميات فائضة من المواد المصنعة التي يتطلب تصريفها ايجاد أسواق جديدة، فابتكر « الاستعمار » . وخلال فترة زمنية قصيرة اصبحت جميع دول افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية فريسة هذا الوحش النهم الذي لا يشبع .

لكن الليل لم يطل وبدأت الشعوب المستضعفة تتحرر تباعا . وبغية المحافظة على مصالحها الاقتصادية حرصت الدول المتقدمة بكل ما اوتيت من قوة لمنع قيام الصناعة في هذه الدول لضمان استمرار تدفق المواد الاولية من هذه الدول الى الامم المتقدمة صناعيا ، وكذلك لتركها سوقا مفتوحة لمنتجاتها المصنعة.

بعد اكتشاف النفط - عصب الحياة الحديثة - ظلت الدول المتقدمة مستأثرة بتكنولوجيا التنقيب عن النفط واستخراجه وتصنيعه ، مما سمح لها بالحصول على أرباح طائلة حققتها على حساب الدول المنتجة للنفط .

في الستينات حاولت مختلف الجهات الغربية - بما فيها الحكومات - اقناع الدول النامية بأن الطاقة الذرية تمثل مظهرا أساسيا من مظاهر الحضارة الحديثة ، فحثتها على شراء المفاعلات النووية ، لانها وجدت فيها مرة اخرى سوقا واسعا لبيع تجهيزاتها الصناعية.

وفي هذا المجال ايضا فرضت الدول الغنية وصايتها ووضعت قيودا قاسية على محطات التوليد النووية في الدول النامية ، متذرعة بالخطر الذي ينجم عن استخدام المفاعلات النووية في صناعة القنابل الذرية . واحست الدول النامية ان تلك عبارة عن شباك فخ جديد لايقاعها في التبعية للدول المصدرة لتكنولوجيا الذرة .

ومع ازدياد حدة ازمة الطاقة اتجهت الانظار الى اشعة الشمس الذهبية التي تتساقط بسخاء على الدول النامية في معظم فصول السنة ، فأثارت الاحلام المخملية في هذه الدول بمصدر مجاني نظيف يحررها اخيرا من التبعية للغرب في حل مشكلات الطاقة . فهل يتحقق الحلم ؟

طاقة الشمس : البديل المنتظر

وعلى هامش ازمة الطاقة لابد من الاشارة الى ان تكاليف المنابع التقليدية للطاقة يجعل الحاجة لجعل الطاقة البديلة أكثر ضرورة في العالم الثالث أكثر منها في باقي دول الارض . وحيث أن معظم الدول النامية تقع في مناطق جغرافية تغمرها الشمس بسخاء في القسم الاعظم من السنة ، لذا تبدو الطاقة الشمسية وكأنها البديل المنتظر .

ومما يدعو للاستغراب ان معظم بحوث الطاقة الشمسية تجري في دول العالم الصناعية الغنية بصناعتها ، الفقيرة بشمسها

ومن الواضح ان نقل التكنولوجيا الخاصة بالطاقة الشمسية الى العالم الثالث سيلعب دورا متميزا خلال السنوات العشر القادمة . ومن المحتم ايضا ان الشركات الغربية التي تنفق الان ملايين الدولارات بغية ابتكار تجهيزات مناسبة لاستئناس الطاقة الشمسية ستجد في دول العالم الثالث سوقا رائجة وواسعة لتصريف منتجاتها . ولكن السؤال الذي يطرح نفسه : الا يتوجب على دول العالم الثالث تطوير قضية الطاقة الشمسية الخاصة بها بدلا من استيرادها .

وهناك سبب هام آخر يدعو دول العالم الثالث الى الاهتمام بتطوير صناعة الطاقة الشمسية المحلية . فمن المعروف أن هذه الصناعة تتطلب موادا بالغة التكلفة ، بينما تفتقر الدول النامية الى القطع النادر الذي تتمكن بمساعدته من استيراد هذه التجهيزات. وبالتالي فان تصنيع هذه التجهيزات محليا سيوفر على الدول النامية قطعا اجنبيا هي في امس الحاجة اليه لتنفيذ خطط التنمية الخاصة بها . وقد اعلنت مؤسسة التنمية الصناعية التابعة للامم المتحدة أن انتاج التجهيزات الشمسية يجب ان يكون له مركز الصدارة في عملية تصنيع دول العالم الثالث كذلك فان صناعة الطاقة الشمسية ستخلق في الدول النامية فرص عمل كثيرة ، لان صناعة هذه الطاقة تتطلب غزارة في اليد العاملة اكثر من اية طاقة اخرى .

ومع الاسف يبدو مستقبل العالم الثالث

لماذا يحتكر الغرب تكنولوجيا الطاقة الشمسية؟

في هذا المجال باهتا . صحيح ان كثيرا من دوله بدات ببرامج بحوث شمسية ، الا ان معظمها منخفض السوية لا يتعدى تقليد برامج البحوث التي تجرى في الدول المتقدمة . وهذا امر لا يدعو للاستغراب ، خاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار القدرات العلمية المحدودة المتوفرة في معظم الدول النامية . فالبحوث الشمسية في كثير من الدول النامية مركزة على تطوير « مسخنات الماء » وهي ابسط الاجهزة الشمسية على الاطلاق . كما ان الابحاث تسير بسرعة بطيئة للغاية مما يدعو للاعتقاد ان توصلهم الى مواقع يتمكنون فيها من مقاومة الضغط التجاري الذي سيمارسه منتجو اجهزة الطاقة الشمسية في الغرب وسوف يستسلمون عاجلا او آجلا ، مما سيضطرهم الى استيراد التجهيزات الشمسية – تماما كما هم مضطرون اليوم لاستيراد تكنولوجيا النفط ، الفحم والذرة .

أهمية الاعتماد على النفس :

في الحقيقة تعتمد التقنيات الشمسية

بصورة اساسية على سويات فكرية وعلمية متطورة . لكن كثيرا من الدول النامية تفتقر حتى الى المعلومات الضرورية ، وفي كثير من الاحيان تجد صعوبة في اتخاذ قرار بشأن « استيراد » افضل التجهيزات التي تناسب اوضاعها . وفي معظم الحالات لا يجد الباحثون في الدول النامية امامهم سوى المعلومات والمعطيات والمراجع التي يزودهم بها المنتجون . وهذا ما يعرض الدول النامية لضغوط تجارية كبيرة . وقد ساهمت هيئات تكنولوجيا الطاقة الشمسية ، بمؤازرة جمعيات حماية البيئة في الغرب ، في تشكيل الانطباع ان تكنولوجيا الطاقة الشمسية واحدة من أهم التقنيات التي يجب تزويد العالم الثالث بها . ربما يكون ذلك صحيحا .

ولكن يجدر بنا النظر بعين الحذر الى جميع البيانات والتصريحات الغربية والتي قد تخفي وراءها اغراضا بعيدة . جواو ماير من جامعة كامبينز في سان باولو بالبرازيل التي – تعتبر دولة متقدمة نسبيا – لا يشك في صحة المعلومات المرتبطة بمبيعات الشركات فحسب بل يشتبه ايضا حتى في الاكاديميين الفرنسيين والممثلين الرسميين هيئات الانماء الدولية . كما صرح مؤخرا ناطق رسمي باسم الامم المتحدة ان فرنسا صدرت الى المكسيك عددا من المضخات الشمسية ، تبين عند تشغيلها انها كثيرة التوقف والاعطال .

وعليه فان افضل ما تقوم به الدول النامية هو وضع برامج للبحوث تجعلها قادرة على التسابق مع الدول الغربية في هذا المضمار . والمطلوب منها ان تركز بالدرجة الاولى على استنباط تقنيات شمسية جديدة تمكنها من انتاج اكبر قسم ممكن من اجزاء التجهيزات الشمسية محليا ، بحيث تكتفي باستيراد الاجزاء المعقدة التي تخرج عن امكانياتها الصناعية والتقنية . وبهذه الطريقة ستصبح دول العالم الثالث قادرة على استئناس تقنيات الطاقة الشمسية وتعديلها حسب ظروفها الخاصة ، مما سيسمح لها بتخفيض مدفوعاتها بالقطع الاجنبي ، تحسين الامكانيات والمقدرات الصناعية المحلية ، تشغيل اليد العاملة الوطنية في الصناعة ومكافحة البطالة واخيرا التغلب على مشاكل الصيانة .

ومع الاسف فان عددا قليلا فقط من الهيئات العالمية او وكالات الانماء الدولية يحاول المساعدة في هذا الاتجاه . وعلى العكس هنالك تخوف حاليا من احتمال استغلال مساعدات الدول الغربية من اجل تصدير معدات الطاقة الشمسية . وقد غذى هذه المخاوف التصريحات الرسمية التي صدرت عن حكومات كل من الولايات المتحدة ، المانيا الاتحادية وفرنسا – اكثر الدول تقدما في هذا المضمار – ان تطوير التقنيات الشمسية سيفتح اسواقا هائلة الاتساع في العالم الثالث ، وسيوجد من ناحية اخرى فرص عمل كبيرة في الغرب تخفف من حدة البطالة المتفاقمة .

وقد دلت التقارير على وجود خلاف حاد بين وكالة الانماء الدولية الامريكية من جهة والحكومة الامريكية من جهة اخرى حول نقل التكنولوجيا الشمسية الى العالم الثالث . فقد كانت وكالة الانماء تخطط لتطوير البحوث والدراسات في دول العالم الثالث نفسها ، لكنها لاقت على ما يبدو صعوبات جمة مع وزارة الطاقة الامريكية التي تنوي تنفيذ رغبات الحكومة في « تصدير » تجهيزات الطاقة الشمسية . كذلك ادى ظهور شركات خاصة ضخمة على الساحة الى تنوية احتمال توجيه بحوث الشمس باتجاهات الربح الكبير، لانها ترغب مثلا في تطوير منشآت مركزية ضخمة على درجة عالية من التعقيد وهذا قد لا يناسب الدول النامية كثيرا .

كيف السبيل ؟

ما هي الاختيارات المتاحة امام العالم الثالث ؟ على المستوى الدولي يبدو هنالك طريقان : –

الطريق الاول : هو اجراء مفاوضات مع الدول الغربية لضمان افضل وسيلة للحصول على الخبرة الفنية الشمسية . وقد اقترح في مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية الذي عقد في العام الماضي ان تقوم الدول الغربية بتقديم الخبرة الفنية الشمسية للدول النامية « بدون مقابل » .

وحيث ان معظم البحوث الشمسية تهد

مايقلق حقاً : تلك التناقضات الموجودة بين حكومات العالم الثالث !

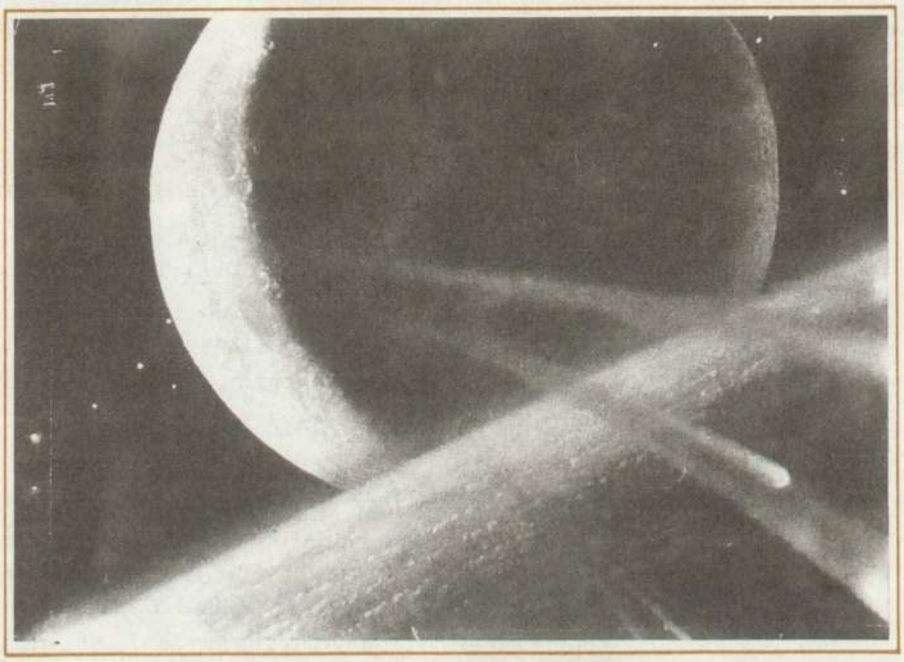

لها الحكومات ، لذا سيكون ذلك سهل التحقيق في العديد من الدول المتقدمة • وقد بلغ الامر بمؤتمر التجارة والتنمية انه طالب باعلان التقنية الشمسية « تقنية مشاعة للبشرية باسرها » •

وعلى الرغم من هذه الصيحات المتفائلة فان عددا قليلا فقط من الخبراء يصدق أن مثل هذا الموقف للدول النامية سيؤدي الى نتيجة ايجابيةفي تعاملها مع الدول الغنية التي تظهر فيها اهتمامات تجارية قوية في المجال الشمسي • لكن شركات الموردين الغربيين المؤيدين لاقتراح اشاعة التقنية الشمسية ربما تتمكن من اقناع مزيد من الدول المتقدمة باقامة بعض المشاريع في الدول النامية من تلك التي تتسم بطابع البحوث المبتكرة ، والتي ليس هنالك ما يضر من كشفها أو اشاعة أسرارها من الناحية التجارية •

والطريق الثاني : الذي يمكن للدول النامية ان تسلكه هو ان توحد امكانياتها التقنية والمالية لتمهد بها طريقها • وقد درست امكانية التعاون هذه في مجال البحوث الشمسية في العديد من لجان الامم المتحدة ، لكنها لم تثمر ولم ينتج عنها اية أشياء عملية تذكر • في أيامنا هذه يمتلك العالم الثالث جميع الشروط الضرورية في بلدانه ذاتها : المال والاهتمام في الدول الغنية بالنفط مثل الكويت ، السعودية ، ليبيا وايران ، والمقدرة التقنية في الدول المصنعة نسبيا مثل البرازيل ، الارجنتين ، المكسيك، مصر ، الهند ، وكوريا الجنوبية • وتمثل هذه الامكانية الطريقة المثلى للسير على هذا الطريق •

فمبقدور برنامج عالمي تديره وتشرف عليه دول العالم الثالث مساعدة هذه الدول على تطوير صناعاتها الشمسية الى اقصى حد ممكن بالمقارنة مع كثير من برامج البحوث الصناعية الاخرى فان برنامج البحوث الشمسي المتوافق مع الاوضاع الخاصة لدول العالم الثالث لن يتطلب الا نفقات صغيرة ، رغم أن بعض التقارير تشير الى أن بعض الدول المنتجة للنفط تصرف الكثير من الاموال على البحوث الشمسية المشتركة مع الدول القوية ، لكن معظمها يذهب الى مؤسسات موجودة في الولايات المتحدة واستراليا •

وينسب الى أحد العلماء السعوديين المرموقين تصريحه في معرض الطاقة الشمسية في البحرين عام ١٩٧٨ « من السهل استيراد هذه التجهيزات والعبث بها • ولكن ذلك لا يسمى بحوثا » وفي شهر آذار (مارس) من العام الماضي قام السكرتير المساعد لهيئة الدول العربية المصدرة للنفط ـ محمد أمين ـ بتحذير الدول العربية وتنبيهها الى ضرورة التصرف بحذر ، والا تحولت هذه الدول ببساطة من دول « مصدرة » للنفط الى دول « مستوردة » لتقنية الشمس •

الخاتمة

ان ما يدعو للقلق ، عند النظر الى التناقضات الموجودة بين حكومات العالم الثالث ، انه يتراءى للمرء ان هذه الدول لن تجتمع اطلاقا على راي موحد • فقد جرى اجتماع باشراف الامم المتحدة لممثلين عن ١٥ دولة تطل على البحر الابيض المتوسط في تشرين الاول « أكتوبر » ١٩٧٨ ، أوصى هذا المؤتمر بتاسيس برنامج للبحوث تتعاون فيه الدول المشاركة على استئناس مصادر الطاقة المتاحة (الشمس ، الرياح ... الخ) بما في ذلك انشاء مركز في مالطا ـ مهمته الرئيسية تبادل المعلومات والخبرة الفنية والتدريب وتأسيس مركز آخر في تركيا تكون مهمته اجراء البحوث الشمسية • لكن العديد من الحكومات ضربت بهذه التوصيات عرض الحائط واعلنت بدلا من ذلك ان لديها هيئات بحوث اقليمية اكثر فعالية من المراكز المذكورة وفضلت قصر التعاون على المؤسسات الاقليمية الحالية القائمة فعلا في دول البحر الابيض المتوسط ولكن ، ألا ينذر هذا الوضع السياسي غير الحازم بالخطر ؟•

عند فقدان الامل في التعاون مع الدول النامية الاخرى ، ربما تقوم بعض الدول النامية المصنعة نسبيا ـ مثل البرازيل ، الهند ، كوريا الجنوبية وبعض الدول الاخرى ، بتطوير التكنولوجيا الضرورية لتلبية بعض احتياجاتها النفتية بقواها الذاتية • ولا يستبعد أن يصل بها الامر حتى الى الانضمام الى الاحتكارات الغربية متعددة الجنسيات ، لتقوم هي أيضا بدور المصدر للتقنيات الشمسية الى دول العالم الثالث الاخرى • بقية الدول في افريقيا ، البحر الكاريبي ، جنوب وجنوب شرق آسيا واجزاء من أمريكا الجنوبية ـ سيكون مصيرها التبعية التقنية الابدية للغرب • وبذلك يتبدد حلم الطاقة الشمسية كمنبع لطاقة التحرر من التبعية ويتلاشى الى الابد •

هؤلاء الكتاب العظام واجورهم المتواضعة

(الفكر والأجر من أصل متنافر) حقيقة أولى تشد انتباهك فور اقترابك من مجالات النشر فى بلادنا .. تحل لك لغز المقولة المشهورة (الفكر لا يطعم خبزاً) وقد تخلفت هذه الحقيقة من مفارقه أغرب من نتيجتها .. وهى بالرغم من أن دولاب عمل الناشر لن يتحرك إلا إذا أمده الكاتب بالمادة التى تدور به ، وبما أن الناشر لا يتوافر له مردود ما أنفق كاملا على ما نشره حال توزيعه فى السوق من ثمن الورق وأجر العاملين التى لا تحتمل تأجيل الدفع أو تسويف الأجر .. فان الكاتب وحده بما أوتى من سعة أفق يستطيع التدبر والانتظار .. والانتظار قد يكون الى ميسرة .. والميسرة شىء لا يعترف به الناشر أبدا .

تنافر حادث من المفروض أن يكون تجاذبا .. أعداء يجب أن يكونوا أصدقاء وإذا كان هذا التمايز قد خلف كثيرا من الطرائف .. فانها طرائف تثير التأمل بعد الابتسام ، ولا تصل الى الضحك الذى كالبكاء لذلك نجد أن أكبر كتابنا هم أكثرهم وعيا لهذه الحقيقة وتداركها ..

طه حسين : الدفع أولا

فالدكتور طه حسين لم يكن يكتب أو يتكلم فى الاذاعة أو فى التليفزيون إلا بعد إقتضاء أجر مجز .. طلبت منه الاذاعية المشهورة (آمال فهمى) أن يتكلم لمستمعى إذاعة الشرق الاوسط التى ترأسها فى برنامج أسمته (لغتنا العربية يسر لا عسر) فوافق الدكتور على شريطة أن يتسلم أجره قبل التسجيل ، شرحت له آمال فهمى ضرورة مرافقة نص الحديث لاذن الصرف ، فذهبت توسلاتها أدراج الرياح ، ولما كانت آمال قد أدرجت هذا البرنامج وسط فقرات شهر رمضان التى نشرت فلم

العقاد

نجيب محفوظ

د. محمد مندور

صلاح عبد الصبور

تجد أمامها إلا أن تدور على الاصدقاء تجمع منهم المبلغ المرتفع الذى طلبه الدكتور طـه حتى ليتكلم .

وإذا كان هذا هو اسلوب طه حسين فى التعامل مع الاذاعة والتليفزيون من بعد مع (ليلى رستم) ، وكان تعامله مع النشر قطعيا (أى احتكار) لدار المعارف ، فقد أعدت لنا الصدفة معه شيئا أغرب من الموقف السابق .. ذلك أنه عندما نشر مذكراته فى مجلة آخر ساعة (وهى ما بعد الايام) سارع الدكتور سهيل إدريس صاحب دار الآداب بجمعها وطبعها محرزا بذلك قصب السبق .. لم يبق أمام سهيل إلا التكليف برسم الغلاف ثم التوزيع وقبلهما طبعا موافقة الدكتور طه ..! عندها سقط فى يد سهيل موضوع أو مشكلة الشراء القطعى لدار المعارف . ولكنه لم ييأس بل أخذ يبحث وينقب فى قانون النشر ويسأل القانونيين عن ثغرة ينفذ من خلالها إلى أن عثر .. يومها ذهب الى الدكتور طه مستبشرا واستهل كلامه بأنه دفع لنجيب محفوظ اليوم أجره عن نشر (أولاد حارتنا) الفين وخمسمائة جنية .. فردد الدكتور طه المبلغ مستعظما إياه (ألفين وخمسمائة جنيه) ثم أردف : الدنيا حظوظ .. فاندفعت الكلمات قفزا فوق لسان سهيل : نحن مستعدون أن نجعلك محظوظا يادكتور .. فرك الدكتور طه كفيه ثم نشرهما متمنيا واحسرتاه .. على أى شىء تعطينى .. ؟ رد سهيل لاهثا : عن مذكراتك فى آخر ساعة فسأله الدكتور طه يائساً : ودار المعارف ؟ فقال سهيل لقد بحثت هذه المسألة قانونيا وطلعت منها بأن دار المعارف تحتكر مؤلفاتك أما هذه فمذكراتك والفرق شاسع بين ذلك وتلك .. تأمل الدكتور طه الكلمات هنيهة ثم سأله : أمتأكد انت يا سهيل .. فقرأ عليه سهيل نص القانون فانفرجت

عـايدة الشـريف

طه حسين لم يكتب أو يتحدث فى الإذاعة والتليفزيون قبل اقتضاء أجر مجز

صلاح عبد الصبور تقاضى خمسين جنيهاً عن ديوانه الأول : الناس فى بلادى

سهيل إدريس أرسى حجر الأساس لمدرسة الأجر الرمزى فى النشر

أسارير طه فرحا .. ونادى وكأنه يزغرد : فريد .. أعطنى الختم من جيبى .. ووقع به فوق عقد الهبة التى سقطت عليه من السماء والذى كان انفراجا لأزمة سهيل أيضا .. فاستعد له .

لاتحسبن وانت تقرأ ذلك أن د . سهيل إدريس يوزع الآلاف إثنين إثنين شمالا ويمينا على كتابنا .. فالحادثتان اللتان ذكرتهما .. استهلالا .. لهما ظروف غاية فى الخصوصية . فأولاد حارتنا هى أول رواية تطبع خارج مصر .. وخارج احتكار دار عبد الحميد السحار لأعمال نجيب . لاعتراض الازهر على نشرها فى كتاب بعد أن تدبر مغزاها اثناء نشرها كمسلسل فى (الاهرام) .. ومذكرات طه حسين لها شبه هذه الظروف وكانت ورطة لسهيل أيضا .. أما الاجور التى يعطيها سهيل إدريس للكتاب عادة فهى شيء آخر .. فاذا كان هو من احتضن الشعر الحديث ونحت صورته بتجميع باقة شعرائه من كل أرجاء الوطن العربى . (بدر شاكر السياب) و (عبد الوهاب البياتى) و (نازك الملائكة) من العراق و(نزار قبانى) من دمشق ثم (صلاح عبد الصبور) و (أحمد حجازى) و (عفيفى مطر) من مصر وبنى بهم خط دفاع قوى لهذا الشعر جعل صداه ينعكس داخل بلاد شعرائه متجاوزا حدود أبيات البياتى التى يقول فيها عن ميلاد شعره فى الغربة :

النهر للمنبع لا يعود
النهر فى غربته يكتسح الحدود

حجازى : ٢٧ جنيها !

لكان بناء سهيل لهذا الصرح من استقطاب وإبراز كثير من الكتاب الشباب قد توازى مع إرسائه لحجر الأساس فى مدرسة الأجر الرمزى فى النشر فى عالمنا العربى ، فقد نقد أحمد عبد المعطى حجازى سبعة وعشرين جنيها وفاء لديوانه الأول (مدينة بلا قلب) وذلك بحجة أن هذا الديوان قد صودر فى مصر بسبب قول حجازى فى مقطع (ياقاهره .. ياذات المآذن الملحدة) مع أن القاهرة هنا كانت تضاهى بيروت من حيث تواضع الأجر..وعد سهيل حجازى بأن يعوضه فى المرة القادمة وقد بر بوعده فأعطاه خمسة واربعين جنيها وفاء لقصيدته (أوراس) وهى عن ثورة الجزائر .. لأن النقاد أخذوا عليها مقطع (اندلس هى الفردوس المفقود) وهكذا ظل القدر بالمرصاد لحجازى يستتبع عليه لعنات الأجر الرمزى من سهيل .

توفيق الحكيم

يحيى حقى

عبد الصبور : وثمن الدركسيون !

اما صلاح عبد الصبور فقد أفلت من القدر .. فأجزل له سهيل العطاء حيث نقده سهيل بعد نجاح ديوانه (الناس فى بلادى) خمسين جنيها ، ومائة جنيه بطولهم وعرضهم لقاء ديوانه (أحلام الفارس القديم) ، يوم تسلم صلاح هذه الهبة ــ من فتحى نوفل عديل سهيل ومدير أموره المالية فى القاهرة ــ كان يريد بهما إكمال ثمن عربة فولكس مستعملة .. يومها جلسنا صلاح وزوجته نحسب أجر (أحلام الفارس القديم) من العربة القديمة .. فوجدناه يعادل ثمن (الدركسيون) أو عجلة القيادة .. ولاشك أن هذه الأجور انسحبت على بقية أصحاب الشعر الحديث أجمع ..

واسلوب الرمز فى الأجر عند سهيل شيء مجز إذا قيس بأسلوب ادونيس (الغرم بالغنم) أى الذى يكسب نشر رأيه عليه تحمل خسارة مجلة (مواقف) النهائية .. وقد ارتضى أدونيس هذا الاسلوب لأسباب نقره عليها فى كثير من الاحيان .. أولها أن ادونيس من القلائل فى الوطن العربى الذين يحيون أفكارهم كلما وجد سبيلا لذلك .. ولما كانت أفكاره توافق بطريقة تكاد أن تكون متطابقة مع كل ما يراه الكاتب السعودى (عبد الله القصيمى) وتوافق ثورة نزار قبانى على نفسه وعلى كل جيله .. فقد استعمل أول عدد من مجلة (مواقف) باستهلال قال فيه : نلتقى فى (مواقف) كوكبة أصدقاء . تحتضن أصواتنا وأصوات الخلاقين جميعاً... إنها لذلك حقيقة ورمز تفجرجيل عربى اختبر مافى الحياة العربية من تصدع .. هكذا تطمع (المواقف) إلى أن تكون استباقا . كل استباق إبداع . الابداع

سهيل ادريس

أدونيس

عبد الحليم حافظ

عادل امام

● لم يستطع ادونيس الوفاء بأجور الكتاب دائما !

● عدة آلاف من الجنيهات جعلت توفيق الحكيم يحكى ذكرياته عن والده ونجله !

هجوم : تدمير ما نرفضه وإقامة ما نريده ... تلك هى مواقف إنها مناخ للمجابهة ...... هكذا تنهض (مواقف) انها نقيض القبول ، بما نرثه أو يرد علينا . والثقافة هنا كفاح . وحدة فكر وعمل . إنها الثقافة التى لا تعنى بتفسير العالم أو الحياة أو الانسان إلا لغاية اساسية : تغيير العالم والحياة والانسان . إنها الثقافة ــ الثورة .. ثم تأتى المقالات تباعا فنجد مقال (لئلا يعود هارون الرشيد) لعبد الله القصيمى المتفجر عن أوضاع العرب الحالية .. ثم قصيدة نزار قبانى (الاستجواب والممثلون) ، ومعهما قصيدة (حرية القتل) لافتشنكو آخر الساخطين وشحنات متفجرة أخرى .. فى جميع المجالات أو المناشط العربية ...

جرت هذه الجراة من أدونيس عدم دخول (مواقف) أغلب الدول العربية ، ولما لم يكن لدى أدونيس دار للنشر يعوض بها خسارة المجلة .. فقد اضطر لعدم وفاء الأجور .. ثم أصبح هذا حقا مكتسبا له فقد سارت المجلة سيرا متعثرا لصعوبة دفع اجور المطبعة .. وفى اثناء ذلك فوجىء ادونيس بنشر كتاب لنزار فى دار نشر يحوى عدة لقاءات أجريت معه على صفحات مجلة (مواقف) إحتج أودنيس ورفع قضية ولكنه خسرها .. لأن سهيل إنحاز مع القانون الى جانب نزار .. ورأى بأن من حق نزار أن ينشر كل اللقاءات التى اجريت معه فى كل مكان يختاره .. مادام أدونيس لم يدفع ولو اجرا رمزيا لنزار .. وضاع فى خضم ذلك (دفع) ادونيس بحقه لأن الاسئلة التى وجهت لنزار ووجهت مسار الحوار كانت من وضع المحرر الذى أجرى اللقاء .. أو انتوائه نشر هذه اللقاءات عندما تتسنى له دار للنشر .

أما مشكلات النشر المتفاقمة التى واجهت أدونيس .. إضطر للرضوخ والاستسلام للناصحين له بمناقشة رسالة دكتوراه وهو من قدمت فيه رسائل كثيرة بعضها خارج عالمنا العربى ..حتى يستطيع أن يوفى الكتاب من مرتبه أجورهم ولو رمزياً ..

مندور : على قدر الفلوس !

والرمز كان أول زاد أمدنى به سهيل فى الفترة التى عملت فيها كمراسلة للآداب فى القاهرة سنة ٦٧ .. فأول وجباته قوله : لتملئى جعبتك بتبر الرمز والرمزية تنثريه على كل مفاوضاتك مع الكتاب ، فنحن نعرف اقدار الكتاب ومكانتهم العالية .. ولكن ظروف النشر هى التى تحتم علينا هذا الأسلوب .

وحول الرمز والرمزية ، قال الدكتور محمد مندور لسهيل يوما : يظهر ياسهيل أن عملك فى النشر أوقف قراءاتك ولم تعد ثقافتك ثقافة عصرية . ففزع سهيل وكأن لسان حاله يقول أنا من أنشر سارتر ، وسيمون ، وكولن ولسن وماركيوز . قال مندور : لأن المذهب الرمزى تطور عبر التعبيرية والواقعية . فلماذا لا تحاسبنا وفقه والأجر فيه يساوى الجهد .. تنفس سهيل الصعداء وهو يضحك قائلا : والله يادكتور إننى لا أتخذ من الرمز مذهبا بقدر ما أتخذه أسلوبا . لأن المجلة تخسر .. ولأنها لا تدخل أكثر البلاد العربية لظروف سياسية .... الخ

ولفشل مندور فى أن يحرك سهيل خطوة للأمام .. اتخذ تجاهه فلسفة أن يكتب بقدر المدفوع .. ويوما كان يملى على مقالا للآداب .. فتوقف لحظة وسألنى كم يغطى ما كتبتيه من صفحات الآداب .. قلت له : قد يغطى صفحتين وبجانبهما إعلان صغير .. قال : إذن أكتبى هاتين الجملتين .. ثم وقعى .. هذا يكفى بالخمسة جنيهات والتفت الى وهو يقول هذه ثقافة أضعنا فى تمكنها المال والجهد والزمن . فلماذا نبيعها بأثمان رمزية .

كان هذا سلوك مندور مع الناشرين أما عن أجهزة الأعلام من إذاعة وتليفزيون

وهى أجهزة لا تدفع ـ لاسيما إذا انتقل المذيع بأجهزته الى مكان المتحدث ومن ثم كان المتحدث هو من يختار مكان ووقت التسجيل فقد الح عليه الاذاعى طاهر ابو زيد استضافته فى برنامج (مع الشعب) فسأل مندور .. كم تدفع الاذاعة .. قال طاهر: (جراتسيا) أى شكرا بالايطالية .. فرد عليه مندور يفتح الله .. وهل سأعمل ساندوتش جراتسيا لأولادى الخمسة .

كان مندور لا يستقبل صغيرا يتحسس طريقه إلا ونفحه هدية بسيطة ، كتاب له أو لغيره .. أشهد بأن ذلك كان سلوكه تجاهي.. ذلك أنه عند ظهور كتاب ما فى السوق يشتريه مندور .. ولكن المؤلف سرعان ما يهديه نسخة فتكون المشتراه من حقى ! .. كان إذا نظر الى مكتبته ووجد نسختين من كتاب أشار لزوجته الشاعرة ملك عبد العزيز قائلا نسخة(عايدة) حتى قر فى خيالى أن كل كتاب له نسخة أخرى تصبح من حقى حتى ولو كان فى مكتبة عامة .. !

أردت أن أجرب هذه العادة لدى اساتذة لى آخرين .. فكنت أواجه دائما بهذه الردود : إن هذه النسخة تكون معى فى غرفتى والأخرى فى المكتبة .. أو (إننى أشرت بالقلم تحت مقاطع من النسخة المشتراة .. وأحب أن يكون لدى نسخة باهداء المؤلف

الحكيم : المتشدد فى الأجر

على رأس المتشددين فى أجر كتاباتهم وكلامهم توفيق الحكيم الذى عرف كأبخل أديب فى الوطن العربى .. فهو يوازن بين مجالات الكسب .. بين الجهد والسهولة ويختار المكسب السهل كما حدث فى برنامج (بورتريه) للمذيع التليفزيونى (طارق حبيب) الذى حكى فيه ذكرياته وأضحكنا على بخل والده .. كل هذا لأن طارق (ألقمه) عدة آلاف من الجنيهات .

وعندما احتفلت (الأهرام) باليوبيل الفضى لنجيب محفوظ فى حفل كبير دعى إليه أكثر أدباء العالم العربى والمستشرقين واتحفوه بكثير من الهدايا القيمة .. جاء دور توفيق الحكيم فى التقريظ .. فقام واستل من جيبه كأسا بحجم الاصبع الخنصر .. وقدمه لنجيب محفوظ قائلا (إنه من فضة وإنه من حر مالى) .. وضحك الحاضرون وتسلمه

على رأس المتشددين فى أجر كتاباتهم وكلامهم توفيق الحكيم الذى عُرف كأبخل كاتب فى الوطن العربى

المقاولون أخذوا من نجيب محفوظ قيمة جائزة الدولة عن الثلاثية .. ولم يقيموا له البيت الذى كان يحلم به !!

نجيب ممتنا ضاحكا .. ونوادر وطرائف توفيق الحكيم عن البخل وعدم الدفع والأجر المرتفع كثيرة تحكيها شخصيات مصر الظريفة .. من أم كلثوم إلى كامل الشناوى .

وتوفيق الحكيم يسدى نصائحه المالية دائما لنجيب محفوظ .. فعندما حصل نجيب على جائزة الدولة التقديرية عن (الثلاثية) وكان مقدارها ألف جنيه .. وكان قد فكر أن يبنى بها مع الألف الأخرى التى تقاضاها من الأهرام عن نشر قصته (أولاد حارتنا) مسلسلا .. لم يمنعه توفيق الحكيم من ذلك ، لكن ظهر أن المقاولين الذين اخذوا من نجيب هذا المبلغ .. كانوا عصابة نصابين .. يومها قال نجيب ساخرا ومعزيا نفسه (لقد انتقم الجبلاوى لمقتله .. والجبلاوى هو بطل أولاد حارتنا وهو رمز الغيب الذى قتله (عرفه) رمز العلم .

نجيب محفوظ : أكثرهم تواضعا

ونجيب محفوظ من أكثر الكتاب تواضعا فى طلب الأجر .. لأنه ينظر الى نفسه بتواضع .. لا يأخذ إلا ما يراه يستحقه وهو قليل جدا .. وربما سبب ذلك أنه كان يتقاضى بعد تخرجه من قسم الفلسفة وكموظف فى حسابات وزارة الاوقاف أيام كان مصطفى عبد الرازق وزيرا لها ثمانى جنيهات .. فأصبح هذا المبلغ مقياسه فى الأجر الى يومنا هذا .

يروى المخرج صلاح ابو سيف أن الممثل فريد شوقى كان يتهيب تجربة الانتاج فى أول فيلم ينتجه (حكم القوى) قصة نجيب محفوظ التى سيكتب لها السيناريو أيضا. كان نجيب قد وصل فى كتابته فى هذه الأيام درجة أحسن سيناريست فى مصر .. سأل فريد صلاحا : الاستاذ نجيب كم سيأخذ عن القصة والسيناريو .. لابد أنه سيطلب ثمنا باهظا يفوق ما رصدته للانتاج .. هون عليه صلاح الأمر وكان سيخرج الفيلم قال : إنه سوف ينقل لنجيب صورة واقعية لمبلغ الانتاج .. وسيجعل زوجته ـ زوجة صلاح ـ (وفيقة أبو جبل) وهى التى ستقوم بمونتاج الفيلم .. تستخدم مهارتها فى هذا الفن لتوفير وقت وجهد نجيب فى الكتابة .. فلا يتقاضى أكثر من مائتى جنيه .. لم يتخيل أو يصدق فريد رضاء نجيب بهذا الاجر المتواضع ودرءا للالتباس فضل فريد أن يسأل نجيب بنفسه .. استاذ نجيب كم تطلب كأجرك عن القصة والسيناريو ؟ فرد نجيب بحزم وعلى الفور : مائة جنيه . أسقط فى يد صلاح واحرج أشد الحرج خشية أن يتسلل شبه ظن إلى فريد أنه كان سيأخذ الباقى له .

أجور نجيب فى السينما بعد ذلك تفوق الخيال .. فالى سنة ٦٥ لم يكن يعرف الشيك الذى يستحقه عن إخراج روايته (زقاق المدق) التى اخرجت سنة ٦١ ، ذلك أن المنتج رمسيس نجيب .. كان قد اعطاه إياه وهو دون رصيد .. ثم أفلس.. عندما أطلعنى نجيب على هذه الحقيقة نشرتها فى مجلة روز اليوسف .. غضب رمسيس عندما قرأه وعاتب نجيبا تليفونيا .. وضع نجيب سماعة التليفون آسفا .. اعلمنى بفحوى المكالمة ثم أقسم بأنه لم يكلم احد الصحفيين بهذا الموضوع يوما .. قلت : لاتحلف يااستاذ نجيب فأنت صادق .. انا التى نشرته .. فجلجلت ضحكته .

عندما عاد رمسيس نجيب الى الانتاج تحت اسم ابنه .. وعد نجيب محفوظ بسداد الدين القديم بعد عملية بسيطة من نجيب ، هى أن يكتب المعالجة السينمائية للأعمال التى

سينتجها رمسيس .. ويكون بذلك قد ضرب اربعة عصافير برمية واحدة . الفوز بمعالجة سينمائية تغنى القصة .. الاستفادة من اسم نجيب محفوظ فى الدعاية للفيلم خصم المال المدفوع لنجيب من أصول الفيلم التى تخصم من الضرائب .. سداد شيك بدون رصيد كان يستحق عليه الحبس .. لقد فعل نجيب كل هذا عن طيب خاطر فهذه طبيعته .

نجيب محفوظ ـ بالمناسبة ـ لا يستلم مليما واحدا من غير طريق الكتابة والمرتب والاستضافة، دخل عليه موظف من ادارة الحسابات بمؤسسة السينما مسرعاً وبيده دفتر .. طلب من نجيب أن يوقع فى خانة اشار له عليها .. ورغم سرعة الطلب سأله نجيب : على ماذا أوقع -؟ قال الموظف : ثلاثين جنيها كبدل مظهر ومشروبات لضيوف مكتبك ـ كان يومها رئيساً للجنة القراءة ـ التى كنت عضوا فيها ـ عندئذ وضع نجيب غطاء القلم فوق سنه .. رافضا التوقيع واستلام المبلغ وهو يقول ضيوف مكتبى هم ضيوفى .. وعندما أشيع هذا الخبر فى المؤسسة غضب رؤساء الاقسام احمد بدرخان .. وموسى حقى ، لأن ذلك الموقف يقتضيهم الاحتذاء وإلا سجل نجيب موقفاً عليهم .. عدت الى هذه الحادثة وأنا اقرأ عن غضب الوزراء لاعادة حلمى مراد كل الهدايا التى يتسلمها من رؤساء البلاد التى زارها إلى خزينة الدولة .. لأنه لم يقبل هذه الهدايا إلا لكونه وزيرا مصريا ـ ونجيب محفوظ يرفض أن يحوله طبيب المؤسسة لاخصائى (الأذن) أو (السكر) اللذين يعانى منهما .. مع ان كثيرا من الادباء فى المؤسسة يفعلون ذلك ويأخذون الدواء أيضا .. عندما نبهته إلى أن هذا من حقه قال : إن لى دواء فى بيتى وآخر عند والدتى .. فلا يمكن أن أحمل الدواء كلما ذهبت . هل أطلب نسختين من الدواء أم نسخة واحدة .. الله الغنى .

نجيب محفوظ هو الأديب الوحيد الذى يدفع الضرائب قبل أن يضم هذه الأجور الى نقوده الخاصة .. يدفع الضرائب حتى لو كان النشر فى خارج مصر وهو أمر لم يتعارف عليه الكتاب ولا تطلبه مصلحة الضرائب . لذلك فمدخول نجيب محفوظ يغطى أوجه صرفه بالضبط .. فهو يدخر أجور الأحاديث الاذاعية والتليفزيونية لقضاء عطلة الصيف فى الاسكندرية .. وقبل صيف ٦٦ ذهب لاستلام هذا المجموع وفعل .. وما هى إلا عدة خطوات بعيدا عن شباك الصرف .. تحسس بعدها جيبه فاكتشف أنها قد سرقت . واصل نجيب سيره ، ليعلمنا فحزنا وسألناه .. ماذا ستفعل ؟ .. قال بحزم وبعدم حيلة معا : لن أصيف هذا العام ، فكسر عادة حميمة الى نفسه بسبب ظرف طارىء .

يحيى حقى : هذا كثير

المتواضع الأول فى الأجر ومكان النشر هو يحيى حقى .. طالبته الأهرام بالانضمام إليها يوم أن عزم هيكل على استقطاب كبار كتاب مصر فى الاهرام .. ولكنه استدركهم قائلا : ياليتكم قلتم لى قبل ذلك بأيام فقد تعاقدت مع جريدة (التعاون) والتعاون هى جريدة عمالية ذات توزيع محلى محدود .. ولكن يحيى حقى يرى أن الكلام للعمال ضرورة وطنية لا تقل عن الكتابة للمثقفين أو للعالم العربى كله .. لم يجد (الاهرام) أمامه إلا أن يستكتب يحيى حقى من خارج هيئة التحرير . وفى يوم أرسلوا له أربعين جنيها ثمنــا لمقالته .. فرفض استلامها قائلا : ٤٠ جنيها هذا كثير .. هذه سرقة ـ وإذا كان جمال حمدان (فيلسوفنا الجغرافى) قد اشترط مائة جنيه عندما طلبت منه (الاهرام) أن تكون كتابته لها قطعيا .. فهو محق لأنه أولا يبذل فى المقال ما يبذله فى كتاب ثم أن دخله من الأهرام هو دخله الوحيد بعد أن أحجم عن كل الاعمال الأخرى بما فيها التدريس فى الجامعة .

احمد عبد المعطى حجازى

المتواضع الأول فى النشر والأجر هو يحيى حقى رفض عرضاً من الأهرام لأنه أكبر من عرض آخر التزم به!

العقاد : شروط وضوابط

كان العقاد فى بداية حياته يتقاضى مبالغ متواضعة عن مقالاته .. وعندما نقد الشاعر السليط عبد الحميد الديب .. نفس أجره فى (مجلة روز اليوسف) كتب فيه قصيدة مقذعة (لاداعى لنشرها) ولكن العقاد فى أخريات أيامه وجد أن انتظاره لأجور المقالات المتواضعة والمؤجلة .. تعيق مسيرته فى كتابته الجديدة .. فوضع لذلك شروطا ضابطة . هذا عن مقالاته أما عن كتبه فكان يطلب من الحكومة الكثير .. لأنها تقتضى منه التفرغ والاحكام .. فقد طلب وأجيب لطلبه الف جنيه عن كل من كتابيه (حقائق الاسلام واباطيل خصومه) و (التفكير فريضة اسلامية) ولأنه كان يطبع كتاب (سعد) لحسابه الخاص .. ولم يجد ما يدفعه للناشر .. فقد فتح باب الاشتراك للقراء .. وعندما عرف طلعت حرب بهذه الازمة .. أمر له بسلفة على بنك مصر بلغت خمسمائة جنيه .. فى تلك المدة عرضت عليه جريدة البلاغ أن يكتب لها .. فأجل العرض .. رفض أن يأخذ أجرا وفى جيبه خمسمائة جنيه مفضلا أن يكتب روايته (سارة) وهو فى هذا الرغد المعيشى .

وللكتاب فيما يتقاضونه من أجر على كتاباتهم مذاهب .. فالعقاد عندما استمع للطرائف التى يحكيها صديقه الشاعر عبد الرحمن صدقى عن والده .. ومعرفته

بالمضايقة المالية التى يمر بها صدقى .. أشار عليه بكتابة هذه الطرائف فهى جيدة . فعل صدقى .. ولكنه عندما وجد الناس يتندرون بسؤال الأب عن جدوى الرياضة التى يمارسها ابنه .. ورد صدقى بفائدتها فى التخلص من الوزن الزائد .. ثم نصيحة الابن بعدم الاكل واراحة جسده من هذا المجهود .. امتنع عبد الرحمن عن اكمال هذه المذكرات . وكان فى أشد الحاجة لمردودها بعكس توفيق الحكيم الذى فعلها وهو فى غنى عنها .

العلامة محمود محمد شاكر يرفض أن يستلم أجور الصحافة ويتشدد بل ويتعسف فى تسلم أجر التحقيق قبل البدء فيه .. لأنه يعرف أن اشتراكات المشترين من الدول والهيئات تصل لدور النشر قبل طبع هذا النوع من الكتب (تحقيق التراث) وكان هذا المطلب وراء عدم ظهور الاجزاء الخمسة عشر الاخيرة من (الطبرى) ، ثلاثين جزءا .. وأخيرا رضخت دار المعارف لمطالبه .. وبدأ فى تحقيق الخمسة عشر جزءا الباقية بفارق عشر سنوات .

مواقف سريعة فى الموضوع

ولأن محمود شاكر من أكبر الأسماء التى توزع تراثيا فى العالم العربى .. فقد استغل اسمه مؤلف سورى اسمه محمود شاكر (..) الغى الاسم الأخير ليتخيل المشترى أنه محمود شاكر الاصلى .

انشغل صلاح عبد الصبور ـ ايام كان مديرا للهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٦٨ فى الرد على التليفون .. فهمس الدكتور زكريا ابراهيم فى اذن الدكتور فؤاد زكريا ان يتشدد عند خمس مليمات لترجمة الكلمة بدلا من أربع .. لأن ذلك يراكم مائة جنيه أو اكثر فى كتاب (الفيلسوف وفن الموسيقى) تأليف جوليوس بورتنوى وترجمة فؤاد زكريا

وفى هذا العام ٨٠ رفض طبيب أن يكتب مؤلفا لسلسلة عالم المعرفة الكويتية التى يشرف عليها الدكتور فؤاد زكريا بسبعمائة وخمسين دينارا .. لأن هذا المبلغ يستطيع احرازه من عيادته خلال أسبوع إذا عاده أربعة مرضى كحد أدنى بدون ارهاق عقل واعمال فكر .

تتداعى الصور لمن يتأملها تباعا .. فينحاز تلقائيا الى صف الكاتب . ذلك أن الكاتب مثل كل صاحب خبرة يريد أن يأكل خبزا من وراء صناعته فقد انفق عليها المال والجهد وسنى تكوينه لاتقانها .. ثم أن عمله الفكرى أشد ضراوة على الجسم والنفس من كثير من الاعمال اليدوية .. فالذى يعمل بعضلاته يساعده الجهد اليدوى على النوم قرير العين والنفس أيضا ولكن الذى يعمل بعقله ليلا ونهارا .. لايعرف للنوم ميعادا ولا قرارا .. لأنه الكف والمطرقة .. اللحن والوتر .. بلا راحة اسبوعية ولا اجازة مرضية أو عرضية .

إن تواضع الأجر فى البلاد العربية الآن .. بعد أن كان الشعراء والمفكرون يعيشون فى حمى أصحاب المروءة والكرم أيام الجامعة الاسلامية ـ ليدل على أن الفكر ليس ذا بال أمام التجارة والفن التليفزيونى ولا حتى الالقاء فى بلادنا .. وإذا اقتصرنا على فن التليفزيون نجد أن الممثل عادل إمام تقاضى ١٥ ألف جنيه عن مسلسل (ابراهيم الطائر) من هيئة التليفزيون المصرى ، وليس من شركة خاصة لدول البترول . اشترط أن يرى عربة مرسيدس بيضاء (بالذات) أمام منزله كعربون قبل أن يتحرك من مصر إلى الكويت ليمثل مسرحيته (شاهد مشافش حاجة) . عبد الحليم حافظ .. كان يترك أجر احاديثه فى الاذاعة والتليفزيون ـ كنت أراها متراكمة بجانب اسمه ـ أيام كنت أكتب للتلفزيون ـ واتمنى لو حضر لاستلامها ويسلك ما يفعله الشيخ (الحصرى) حيث كان يأتى لاستلامها .. ويتحلق حوله السعاة يوزعها عليهم بلا حساب وهى من المواقف التى زكت فى ترشيحه شيخا للمقارىء المصرية .

● تخلص العقاد من أزمة ضآلة الأجور عن المقالات بالاتجاه إلى تأليف الكتب

● المعادلة المقلوبة بين الكتابة والأجر سبب من أسباب أزمة الثقافة فى الوطن العربى

ألا تترجم لنا هذه المعادلة المقلوبة بين الاصدقاء والاعداء .. أو الكتاب والناشرين تعسر مسيرة الفكر الى نفوس وعقول الجماهير العربية .. فكر المستنيرين ومواقفهم الجادة لفهم مسيرة الحياة زمانا ووجودا واسلوبا بهدف الاسهام فى حل مشكلاتها كأداة للتغيير والتقدم .. وتجعلهم ينفضون عن تأليف الكتب وكتابة المقالات الجادة التى لا تطعم خبزا .. الى ميادين اسهل واكثر عطاءً كالمسلسلات التليفزيونية والافلام السينمائية التى تطعم شهدا .

ان أى كاتب فى العالم الذى تظله اتفاقية (برن وجنيف) للنشر يستطيع أن يعيش من دخل كتاب واحد .. ذلك أن هذه الاتفاقية تحتم الدفع سنويا للكتاب عن كتبهم إذا أعيد نشرها أو ترجمتها أو اقتباسها أو اخراجها للسينما أو المسرح والتليفزيون .. أو استعمالها فى أى منشط آخر .. وللأسف لم توقع الدول العربية على هذه الاتفاقية بحجة ندرة ترجمة مؤلفاتنا الى اللغات .

سألت نجيب محفوظ وقد ترجمت أعماله الى الروسية والمجرية والرومانية (وزقاق المدق) بالذات الى الانجليزية والفرنسية والأسبانية .. هل توافق أن تترجم أعمالك الى كل اللغات بدون أجر .. لأننا لم نوقع على اتفاقية برن وجنيف ؟ قال : لن نكسب نحن كدول من دخولنا فى هذه الاتفاقية لأن الأجانب لن يقبلوا على أدبنا كما نقبل نحن على أدبهم .. ومع ذلك فأنا لا أمانع فى ترجمة أعمالى بدون اذنى وبدون أجر ، وهذا حدث فعلا عملا بالحكمة السنسكريتية (ضح بالفرد فى سبيل المجموع) وقد استغل أحد الناشرين فى لبنان سماحة خلق نجيب محفوظ تجاه الترجمة .. فطبع ـ مزورا اغلب كتبه دون اذنه

أخيرا جدا

.. ألا تشكل هذه المعادلة المقلوبة بين الكتابة والأجر .. جانبا من أزمة الثقافة فى الوطن العربى الذى هو فى أمس الحاجة الى الثقافة والمثقفين خاصة المتفرغين منهم ؟ إذ كيف يتسنى الوقت لمفكر لمقارعة الافكار بالحجج بينما وقته نهب لانتظار أجر قد يأتيه من هنا ولا يأتيه من هناك .. كيف تنتظم حياته بل حياة اسرته المعلقة به ؟ .

عايدة الشريف

د. عيسى الناعوري

أنا والشعر

● استمر حب الشعر يرافقني فكتبت مع السنين مئات القصائد

● المطولة الأولى .. أحمد الله أنها لم تنشر ولم يطلع عليها أحد غيري!

● مع كل ما نظمته من شعر قبل النكبة فقد أتلفته برمته دون إشفاق ودون أسف

بدات حياتي الادبية شاعرا ، وكان الشعر هواي الاول ، وقد بدأت نظمه وأنا بعد في الثالثة عشرة من عمري . وطبيعي أنني لم أكن يومئذ أعرف شيئا من العروض ، ولكن أذني كانت تميز موسيقاه تمييزا ، لا أقول دقيقا ، ولكن لا بأس في مثل تلك السن .

وفي تلك السن المبكرة ، وأنا بعد طالب في الكلية البطريركية اللاتينية في القدس ، أذكر أنني ملأت بمنظوماتي ثلاثة كراريس من كراريسي المدرسية .

كيف كان شعري آنئذ ؟

لم يعد اليوم في ذاكرتي شيء منه . ولكن لابد انه كان أغلبه عبثا صبيانيا ، ولابد أنه كان فيه الكثير من الاخطاء العروضية واللغوية ، وربما الاملائية أيضا .

المهم أنني فقدته كله ، وأنه كله قد ضاع من ذاكرتي ، وامحى تماما ، والحمد لله !

ثم خرجت الى الحياة ، واستمر حب الشعر يرافقني . فكتبت مع السنين مئات القصائد : في الغزل ، وفي الوصف ، وفي الوطنية . ولم أقنع بذلك ، بل أردت أن أكتب (الملحمة الشعرية) الطويلة . وانصرفت الى ذلك اللون من الشعر ، واستطعت أن أنظم مطولتين ، استغرقت كتابة كل منهما زمنا طويلا : واحدة كانت بعنوان (مدينة السلام) ، نظمتها على مجزوء الرمل ، وجعلتها بحثا جاهدا عن (المدينة الفاضلة) أو (اليوتوبيا) ، ونوعت في قوافيها وبلغت في مجموعها ألف بيت – عدا ونقدا !!

والحمد لله أنها لم تنشر ، ولا اطلع عليها غير القليل من الاصدقاء في ذلك الحين . ثم أتلفتها في ما أتلفته في ما بعد من شعري .

والمطولة الثانية كانت محاولة لنظم التاريخ العربي كله . وما أطول الليالي التى قضيتها ساهرا لنظم تلك المطولة التاريخية ! وقد جعلت القصيدة كلها من البحر الخفيف – كما أذكر – وقسمتها أناشيدا وفصولا . أذكر أنني نظمت منها مئتين وخمسين بيتا ، أو ثلاثمئة وخمسين ، في هذه الحدود . ونشرت أجزاء منها في مجلة (العرفان) الصيداوية ، لصاحبها الصديق المرحوم الشيخ أحمد عارف الزين . في أي عام كان ذلك ؟ لا أذكر الان جيدا ، ولكن ذلك كان قبل النكبة الفلسطينية ، ما بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٤٧ ، ولست أملك الان شيئا من الاعداد التى نشرت فيها تلك الاجزاء فقد بقيت في منزلي في القدس ، ولا أدري الى يد أي شيطان ذهبت تلك المطولة كنت معجبا بها جدا وكنت كذلك معجبا بالاخرى (مدينة السلام) الى زمن ما – ولكنني نشرت منها بعض الاناشيد في (العرفان) ، واظنني نشرت بعضا آخر منها في مجلة (العقيدة) العراقية ، التي كان يصدرها في النجف الصديق علي الخاقاني . لا أذكر متى كان ذلك : اقبل النكبة أم بعدها ؟!

لكنني الان لا أملك ولو بيتا واحدا من تلك المطولة العزيزة ، ولا أحفظ شيئا منها على الاطلاق . ومن يدري ؟ فلعلها لو بقيت لبيدي ، لذهبت هي أيضا الى النار مع أخواتها : مع كل ما نظمته من شعر قبل النكبة الفلسطينية ، فقد أتلفته برمته دون اشفاق ، ودون أسف على أنني أحرقت أجزاء من نفسي ، كانت يوما عزيزة علي جدا ، وكنت مخطئا أو مصيبا – أعتبرها أعمالا في القمة من الابداع .

الشعر والنكبة

وجاءت النكبة الفلسطينية ، واكتويت بنارها أنا وأسرتي ككل من اكتووا بها ، وخرجت من القدس لاجئا مع اللاجئين ، وتركت هناك كل ما أملك في بيتي المستأجر في حي البقعة الفوقا ، على خط السكة الحديدية ، غير بعيد عن المحطة .

وأعز ما تركته هناك مكتبتي ، وفيها أشعاري ، ومذكرات يومية لي في دفترين ، وثلاثة كتب مخطوطة .

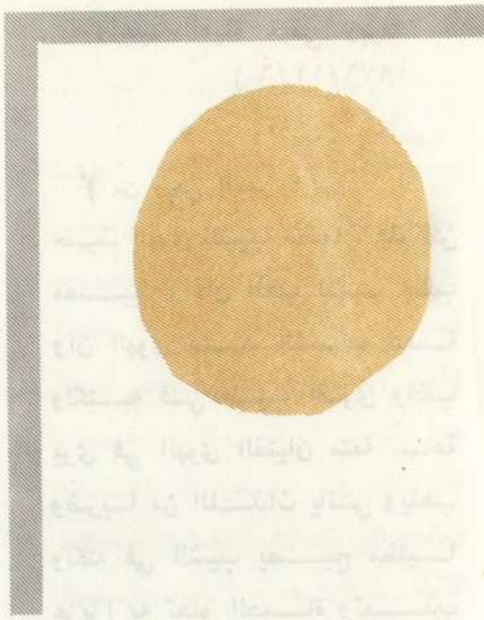

ترى من من اليهود استولى عليها ؟ وماذا حل بها ؟

ايه يا منزلي هناك ، ما أشد شوقي وحنيني الى رؤيتك !

لم ينج من مكتبتي تلك غير الكتب المهجرية ، فقد كنت حريصا عليها ، جادا في دراستها وكتابة فصول متلاحقة عنها في الصحف والاذاعات المختلفة ، وهي الفصول التي تألف منها فيما بعد كتابي (أدب المهجر) • لذلك أنقذت تلك الكتب القليلة ، وحملتها معي في صندوق صغير بين القليل جدا من المتاع الزهيد الذي استطعت حمله معي من القدس الى عمان •

وتحول الشعر عندي الى النكبة ، فصارت هي كل وحيي وكل همي • ولذلك جمعت كل ما بقي لدي من شعري القديم وأتلفته • وحينما صدر ديواني الشعري الاول (أناشيدي) عن (دار الرائد العربي) في حماه ـ سوريا ، سنة ١٩٥٥ ، لم يضم قصيدة واحدة من شعري القديم • كان كله من شعر المأساة ، ومن الشعر الذي نظمته بعد وقوعها ، ومنه عدد من القصائد في أولادي ، وقصيدة ذات ثلاثة عشر نشيدا صغيرا عنوانها (في قريتي) ، أعتقد أنني كنت فيها مجددا في أسلوب الشعر وفي تحديثه •

وفي سنة ١٩٦٢ صدر عن (دار الرائد) في حلب ديواني الشعري الثاني (أخي الانسان) ، وكان كذلك جديدا بكل قصائده •

لقد مات شعري القديم كله : المطولات منه والقصار والمتوسطات على السواء • واشهد أنه كان فيها قصائد كثيرة عزيزة علي ، ولكنني لم أرحمها، وما زلت غير مفكر في أن أرد شيئا منها الى الحياة لأي سبب •

وانصرف همي الى ألوان أخرى من الادب ، فكتبت القصة القصيرة ، والرواية ، والنقد الادبي ، والبحوث والدراسات ، وترجمت عن الآداب الغربية شعرا وأقاصيص وروايات • وأصبح للشعر عندي معنى آخر ومفهوم مختلف ، فانا لا ألجأ اليه الا عندما يدفعني الى ذلك دافع لا أستطيع مقاومته ، وفي فترات لا أتوقع مجيئه فيها •

ان الشعر ، عندي ، جيشان في النفس لا يقاوم ، وليس المرء بقادر على أن يخلقه متى أراد ، ولكنه يجيء وحده متى شاء هو •

وتغيرت كل مفاهيمي الادبية بعد عام ١٩٦٠ ، بعد اتصالي المباشر بالآداب الغربية ، ولا سيما الادب الايطالي •

لم أعد أومن بالشعر مطولات ، تتكرر فيها المعاني والعبارات مطا وابراز ما كان يسمى بالموهبة ، أو (الملكة الشعرية) ، فالعصر يتطلب الخطرات القصار التي يتألق الشعر في كل لفظة منها ، ويتوهج في كل عبارة وفي كل بيت •

صرت أومن بالتنويع في القوافي على الاقل ، واذا أمكن ففي الاوزان كذلك في القصيدة الواحدة ، ولكنني أومن قبل ذلك كله بضرورة تقصير القصيدة • القصيدة الطويلة صرت أشعر لها بغثيان ، حتى لو نظمت بحبات من الجواهر النادرة • وفي يقيني أنه لا يطرب للقصيدة الطويلة غير صاحبها ، ولكنها مدعاة للملل الآخرين •

لقد تجمع لدي الآن ديوان ثالث بعد ديوان (أخي الانسان) ، فيه القليل جدا من القصائد التي تتجاوز الواحدة منها عشرين بيتا ، ولكن أغلبه من الخطرات القصار التي قد يقف البعض منها عند البيتين والثلاثة ، لمجرد تسجيل فكرة سريعة ، أو احساس ابن لحظته • وما عدا ذلك تركته للنثر ، فالقراء أصبر على طول النثر منهم على طول الشعر • وفي النثر يقول المرء بسهولة وحرية ما قد لا يستطيع أن يقوله بشعر جيد يستحق اسم الشعر • ثم أن القصيدة القصيرة أدعى الى عدم التكرار في المعاني وفي التعابير ، وأدعى الى الاصغاء والاستيعاب من قبل المستمعين ، ومن قبل القراء •

وأنا منذ عدة أعوام لم أعد أكتب الشعر الا بهذا الشكل السريع • وقد يمر بي العام أو العامان لا أكتب حتى الخاطرة ذات البيتين أو الثلاثة ، ولكن قد تمر بي اللحظة ينساب فيها الشعر من داخلي على غير انتظار • غير أنه يظل في حدود الخاطرة السريعة ، بل قد يكون بيتا واحدا أحيانا ، ثم لا أحاول أن أضيف اليه أخا أو أختا •• (القصيدة) بمفهومها التقليدي انتهى عهدها عندي ، ولست بآسف على زواله • ولذلك أهرب حين أرى قصيدة طويلة ـ من الشعر التقليدي أو الحديث ـ منشورة في ديوان أو في جريدة أو مجلة •

ولكي أعطي القارىء فكرة عما أوردته ههنا ، سأقدم له بعض الخطرات القصار التي نظمتها في الاعوام الاخيرة ، لتكون نماذج على مفهومي الشعري :

١ ـ هدية الزنبق

(كانت جميلة ، وكانت تحمل الى الزنبق وتضعه قرب سريري في المستشفى)

الزنبق من يدك الحلوه
يجلو أسرارك في سره
من خدك ياخذ فتنته
ويضاعف سحرك من سحره
اني أتملى حسنك فيه
وانشق عطرك في عطره

أنا والشعر

وأداعبـــــــه ، وأقبـله

كي ألثم ثغرك في ثغره !

(١٩٧٢/٨/١٤)

٢ ـ تحية دمشق

(فوجئت وأنا ازور دمشق في نيسان عام ١٩٧٣ بدعـوتي الى المشاركة في مهرجان شـعري أقيم هنـاك . فجاشت بنفسي الابيات التاليـة ، وكانت هي قصـيدتي للمهرجان) .

دمشق هــذي ، وهــذا نفح واديها
وملتقى الشعر صـداحا بناديها
نزلت فيها عـلى شوق ، وانت بهـا
دومـا شغوف ، عـلى بعد تناجيها
ما كنت يوما غريب الـدار منفردا
في جلق العرب ، بل من بعض أهليها
وكم أخ لك فيهـا ليس يعدله
عـلى المـودة ذو قربى تراعيهـا
يا أيها الاهل في الفيحا تصـافحكم
يمنـاي ، لكن قلبي خافق فيهـا !

(١٩٧٣)

٣ ـ في الرباط

(في زيارتي للمغرب سنة ١٩٧٤ ، أبى وزير الثقافــة الحاج محمـــد باحنيني الا أن يغمـــرني بكـرمه ، فدعاني الى حفلة عشاء تكريمية في قصره في الرباط ، ودعا معي نخبة من أدباء المغرب . وعلى المائدة جاشت في نفسي الابيات التالية) :

من الشرق ، من داري النائيه
أتيت الى داري الثانيــــه
فعمان أخت الرباط ، وأنتم
ونحـــن مودتنـــا باقيـــه
وأهلي هناك ، وأهلي هنا
وكلهمـو عـزوتي الدانيـه
جناحين للضـاد كنا ونبقى
ووحـدتنا الغاية الساميه
بـلاد العروبة مهما تناءت
تقربهـــا ضـادنا الغاليـــه

(١٩٧٤)

٤ ـ شـاعر

(وتسالني : « من أنت ؟ » ... أنـا ....)

شاعر يعبد الجمال ويصغى
لنداه ، فيستجيب سريعـا
كان عمري مع الغرام ربيعـا
وأحب الحياة تبقى ربيعا

(١٩٧٦/١٢/٦)

٥ ـ المشيب والحب

(من وحي العمر ..)

حسبت الهوى للشيب خصما ، فلم أكن
مصـــيبا ، فان الحب للشيب مطلب
وان الهوى عنـــد الشـباب لمتعــة
ولكنـــه فـي الشيب أقوى وأغلب
يرى في الهوى الفتيان متعة سـاعة
وضربـا من اللــذات يأتـي ويذهب
ولكنه في الشيب يصـبح مطلبـا
عزيزا به تحلو الحيــاة وتعــذب
اذا العيش لم يصحبه حب وصـبوة
ونشوة حس ، فهـو عيش معـذب
وان لم يظل القلب ينبض بالهـوى
فلا خير فيه وهو كالقفر مجدب !

(١٩٧٦)

٦ ـ ظباء الشام

(كان البرد لشدته يهيج الحمرة في خدود الحسان الدمشقيات العابرات في الشـوارع ، فتبدو كأنها من كرز بلودان ، أو من نوار الغوطة . وكنت أتأملهن من خلف زجاج باب فنـدق سميراميس في هواء الصباح البارد . وتملمت فـي صـدري الابيـات التالية) :

يا ظبـاء الشام رفقا فاني
لـين القلب للجمـال القرير
كلما شمت طلعـة ذات حسن
قفـز القلب نحوها في حبور
لابتسام الثغور تسبيح قلبـي
وصلاتي لكل وجه نضـير

(١٠ شباط ١١٧٧)

٧ ـ جنرة الوادي

(ابان مهرجان شفيق المعلوف ، في زحلة ، سنة ١٩٧٧ ، أردت أن أجلس ـ كعادتي من قبـل ـ فـي وادي

لم أعد أومن بالشعر مطولات ومعان مكررة صرت أومن بالتنويع في القوافي على الأقل في الأعوام الأخيرة صرت أكتب القصائد القصيرة

البردوني • ولكنه كان حزينا كئيبا • وعلى مائدة هناك كتبت الابيات التالية) :

يدمي فؤادي اذ يراك كئيبة
تتجرعين البؤس والآلاما
يا جارة الوادي ومنتجع الهوى
ذهب الهوى الماضي وسار حطاما
وادي العرائش كان يلقاني ، اذا
ما جئته ، متهللا بساما
كان الجمال يموج في جنباته
ويشيع في الوادي البهيج سلاما
كانت ملاهيه ملاعب صبوة
تحيي الهوى وتدغدغ الاحلاما
كانت مثارا للخيال منمنما
يوحي القصيد ويوقظ الالهاما
والكأس في واديك كانت لذة
تطفي اللواعج أو تهيج غراما
واليوم واديك الجميل معطل
لا يستثير الشعر والانغاما
والكأس ما عادت تلذ لشارب
ورؤى الجمال تحولت أوهاما !

٨ ـ السفوح والذرى

الى الذين يجدون مجدهم الادبي في شتمي ، وألسنتهم تلهث على بلوغ البعض من بعض سبقي لهم ..

يا قصار الذيول ، أنتم سفوح
تتجنى على الذرى الشماء
والسفوح الاقزام تبقى حضيضا
حين تسمو الذرى الى العلياء
ان طول اللسان لن يمنح القزم
شموخا في القامة النكراء !

(١٩٧٧)

٩ ـ ظمأ

(في زيارة لنبع الفيجة ، قرب دمشق ، تذكرت ظمأ عمان الدائم) •

هنيئا لأرض الشام سلسل مائها
وجارتها عمان يقتلها الظما !

١٠ ـ عتمة

لا تطفئوا الشمس ، فحسب الدنى
ما في نفوس الناس من عتمة

(١٩٧٩)

١١ ـ الام

(مترجمة عن الشاعر الايطالي ادموند دي أميتشيس) •

ليس دوما يغير الزمن الحسن
ولا الدمع أو صروف الليالي
فلأمي ستون عاما ولكن
لا أراها الا مثال الجمال

(١٩٧٩)

١٢ ـ حنين

سقى الله أيام الشباب ، فذكرها
يعيد الى النفس الربيع المنمنما
يجدد أحلاما ويحيي مواسما
له الله من عهد جميل تصرما !

(١٩٨٠/٢/٢٤)

هذا اللون من الخطرات الشاعرات هو المرحلة الاخيرة التي وصلت اليها بعد أن بلغت الخمسين من العمر ، وبعد أن تمرست بالشعر الغربي ، ورأيت كيف فقدت القصائد الطوال سوقها في العالم كله ، فلم يعد الشعر عندي كلاما يكتب (للشبع) ، وانما هو احساس يعبر عنه الشاعر باللمحة السريعة المباشرة ، وفكرة تملأ نفسه فيخرجها للناس ببساطة ودون لف ودوران • فالشعر اليوم ليس ابراز عضلات أو ابراز براعة في صياغة الكلام الموزون المقفي ، أو السائب الذي لا وزن له ولا موسيقى •

وأما القصائد الطوال التي صار يكتبها شعراء اليوم مغلفة بألف ثوب وثوب من التعابير الغامضة الملفلفة ، ويملأون بها صحائف طوالا ، فليست اكثر من تهاويل يحاول بها الشعراء ـ غير الواثقين من أنفسهم ـ أن يقنعوا أنفسهم بأنهم شعراء ، لا أن يعبروا عن فكرة أو احساس أو صورة في نفوسهم ، فهذه كلها لا تحتاج الى الكلام الكثير ، وقديما قيل : « خير الكلام ما قل ودل » •

بهذه الاطالة المملة ـ سواء أكان الشعر اتباعيا أم بهلواني الصياغة باسم الحداثة ـ أصبح الشعر شيئا بغيضا الى النفوس ، ويندر أن يقع فيه القارىء أو السامع على قصيدة تريح أعصابه ، أو تدخل على نفسه غبطة لحظة •

لو اقتنع الشعراء أنفسهم بأنهم شعراء حقا ، لوصلوا الى النتيجة التي وصلت أنا اليها ، من أن الشعر ليس كلاما للشبع ، ولكنه تعبير جميل ، بعبارة قصيرة مباشرة عن فكرة أو حس أو صورة • ومثل هذا التعبير يكفيه الابيات القليلة الشاعرة المعبرة •

ان الصورة الجميلة ، والفكرة الجميلة والاحساس الجميل ، انما يقتلها الكلام الكثير ، ويقتلها اكثر من ذلك الكلام الملفلف الذي لا يبين معناه •

هذه عقيدتي في الشعر ، وانني لمؤمن بها كل الايمان ، وأتمنى أن يكثر بها المؤمنون في العالم العربي ، لكي يعود الشعر شعرا ، ويعود فنا جميلا ينعش النفس ويريح القلب •

د• عيسى الناعوري
عمان ـ الاردن

الناصرة

أقحوانة الجليل

نبيل خالد الأغا

ثلاث صور فاتنة تم وشمها فى ذاكرتى اثناء زيارتى لوطنى الفلسطينى المحتل: صورة القدس الحبيبة وهى غافية بين انامل جبل الزيتون ، وصورة حيفا وهى تناغى جبل الكرمل وأمواج المتوسط ، وصورة الناصرة وهى متربعة بدلال وخيلاء وسط الروابى المحيطة بها .

ان الواقف على اية رابية فى الناصرة لا يملك إلا أن يؤخذ بروعة المنظر وندرته ، حيث يسهل عليه أن يبصر جبل الشيخ وبيسان وطبرية ونهر الاردن شرقاً ، والابيض المتوسط وحيفا وعكا غرباً ، وصفد وجبال نابلس شمالا وجنوباً .

* * *

من حيفا انطلقت سيارتنا عبر طريق جبلى الى الناصرة ، السائق يسرع ، وأنا احثه على التمهل فى تسياره ، اريد أن اروى ظماى برؤية كل شبير من وطنى ، اريد أن اطبع فى الذهن كل صورة ممكنة لبلادى،فاذا كانت مشيئة الرحمن قد قضت بحرمانى من رؤيتها والعيش فيها فلا اقل من مشاهدتها والتمعن بها مادامت الفرصة متاحة وقد لا تعوض !!

مناجاة زيتونة

فى الطريق مررنا بشجرة زيتون شامخة بهامتها فى أحد مزارع البقوليات صحت بسائقنا حامد : ناشدتك الله يا اخى أن تقف بنا الى جوارها .. لقد اثارتنى وحدتها .. وانتصابها فى عالم يكاد لا يحس بوجودها ، ولما اقتربت منها طرحت عليها ارفع التحايا ، ناجيتها ..لثمت اوراقها ! غازلت اغصانها ، تحسست حباتها الناعمة المباركة ، وفجاة بدا مرجل الغضب يغلى فى عروقى ويفور ، اوشكت أن احطم الغصن فى يدى نكاية فى عدونا ، ورغبة فى تكبيده بعض الخسائر ولكن بطريقة ساذجة !! وكدت افعلها لولا هاتف هز وجدانى : لا تفعلها يارجل فهذه الزيتونة جزء لا ينفصم من تاريخ امتك ... وتالله أنها لأكثر عراقة وشموخا واصالة من كل أمواج المهاجرين الصهاينة الذين قذفتهم الى ديارنا كل لعنات التاريخ .. فتقهقرت .. واخذت اناجيها من جديد ، فاكبرت فى اوراقها ديمومة الاخضرار ، وفى جذورها عمق التحدى ، وفى جذوعها روعة الصمود ، وآية الكبرياء .

لقد اشفقت على الفلاح الفلسطينى ورثيت لحاله ، فقد غرسها ولم يظفر بثمارها ، وربما استشهد دونها .

« عين العذراء » بالناصرة

رأيت فى شجرة الزيتون روعة الصمود وقوة الكبرياء

> شاعر الناصرة الذى حفر قصته
> وفصول مأساته على البيارة
> وقبور الموتى وبيوت الأهالى التى نسفوها

ووجدتني اردد بعضاً من قصيدة الشاعر الناصرى توفيق زياد: «على جذع زيتونة» :

سأحفر قصتى وفصولَ مأساتى
على بيارتى ، وقبورَ امواتى
سأحفر رقم كل قسيمةٍ من أرضنا سُلِبَت
وموقعَ قريتى ، وحدودِها
وبيوت أهليها التي نُسِفَت
وأشجارى التى اقتُلِعت
وكل زهيرةٍ برية سُحِقت

* * *

سأبقى قائما احفر
جميعَ فصول مأساتى
وكل مراحل النكبة :
من الحبة .. إلى القبةِ
على زيتونة .. فى ساحة الدار ....

● ● ●

وواصلنا المسير .. وكان « الجمال الأخاذ » أول عنوان قرأناه على جبين الناصرة ، البيوت « والفيلات » مترامية بهندسة بديعة على الجبال والسفوح ،

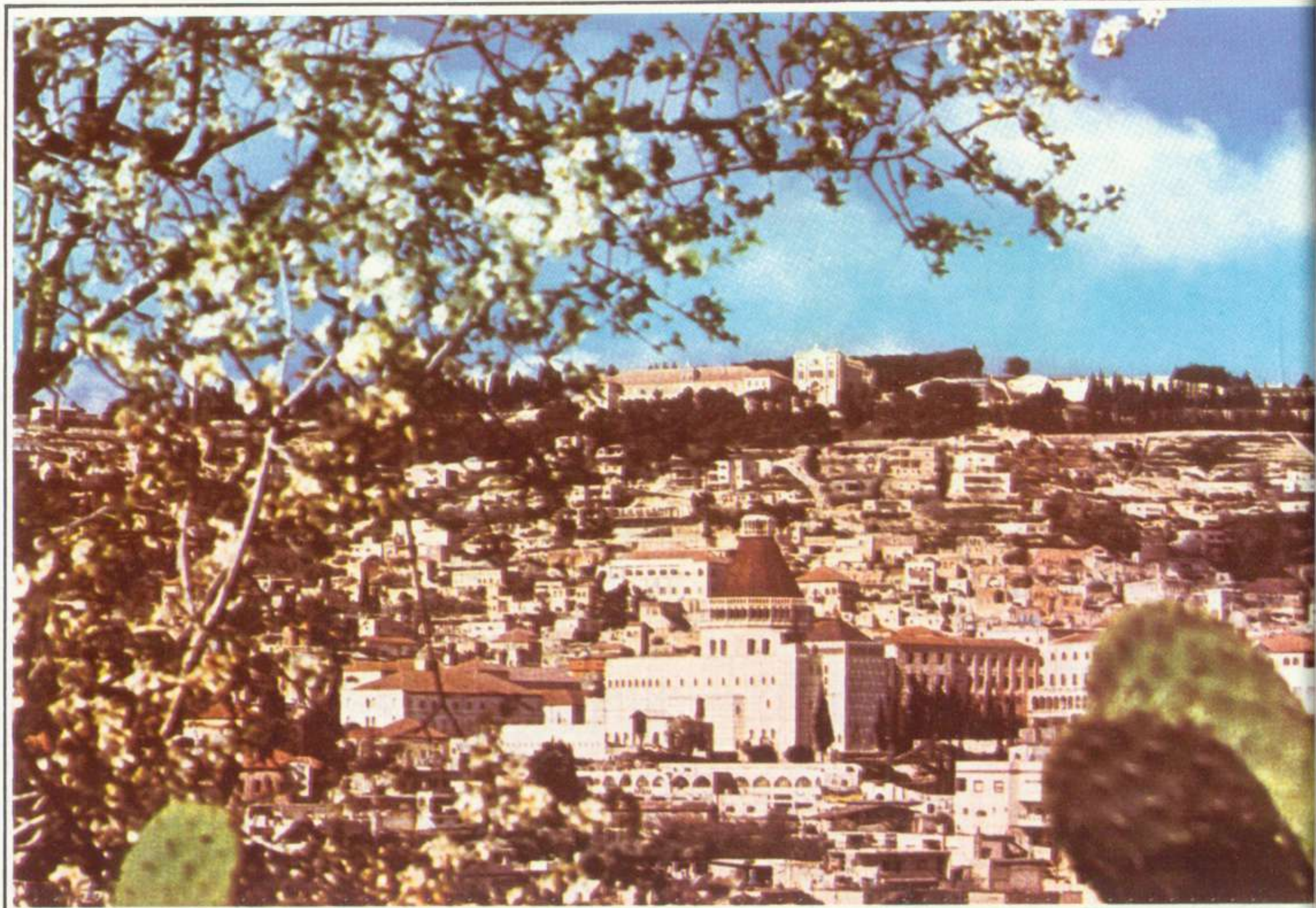

موقعها الاستراتيجي العظيم كان سببا في تعرضها لكثير من الأحداث عبر رحلة التاريخ

وكلها تقريباً ذات علامة «جمالية» مميزة ، حيث الجدران المشيدة بالحجر «القدسى» والمسقوفة بالآجر الاحمر «الكرميد» ، وانتشار أشجار الصنوبر والتين والعنب والزيتون والرمان . وبساتين المشمش الناصرى الذى يتمتع بمذاق خاص يعرفه أهل فلسطين بالمشمش اللوزى.وبمجرد دخولك أحد اطراف المدينة تشعر بطابعها العربى الأصيل الذى تلمحه للوهلة الأولى فى قسمات الوجوه المختلفة ، والاسواق المعهودة ، والازقة التى تشتمّ اثناء تجوالك فيها نسمات التاريخ العربى ...

وعندما بلغنا قلب المدينة فتحت لنا بعض صفحات من تاريخها .

وطن المسيح

ذكر ياقوت الحموى فى معجم البلدان «ان الناصرة : فاعلة من النصر ، ومنها اشتق اسم النصارى ». وفى التاريخ القديم لم يرد ذكرها فى مختلف مصادر تلك الفترة . أما اقدم ذكر لها فقد ورد فى الانجيل ، ففيها ولدت سيدتنا مريم عليها السلام التى اصطفاها الله وطهرها واصطفاها على نساء العالمين .. وفيها بُشرت بأنها ستكون أم المسيح .

وفى الناصرة استنشق السيد المسيح عبير النبوة الكريمة .. وقضى ما يقرب من ثمانية وعشرين عاما فى ربوعها .. وإليها نُسب ودُعي بالناصرى ، ودُعى اتباعه بالنصارى ... ولذلك تكثر فيها الكنائس والأديرة ، ويؤمها الحجاج المسيحيون من كافة بقاع الأرض ، ولقد كان موقعها الاستراتيجى العظيم اضافة إلى مكانتها الدينية السامقة سبباً فى تعرضها لكثير من الاحداث والتطورات سلبا وايجابا .

من الناحية الادارية كانت الناصرة تابعة « لجند الاردن» يوم كانت طبريا قاعدة له . وفى سنة ١٣ هجرية (٦٣٤م) دخلت الناصرة فى حوزة المسلمين حيث فتحها البطل العربى شرحبيل بن حسنه . وقد ذكر المسعودى فى « مروج الذهب » بأن « المسيح عليه السلام كان بقرية يقال لها ناصرة من بلاد اللجون من أعمال الاردن وبذلك سميت النصرانية ، ورأيت فى هذه القرية كنيسة تعظمها النصارى ، وفيها توابيت من حجارة فيها عظام الموتى يسيل منها زيت تخين كالرب تثيرك به النصارى » .

واستمرت مسيرة التاريخ وعاش فى الناصرة المسيحون والمسلمون « عربا اترابا » متاخين متحابين عملا بأوامر الرسالتين العظيمتين ..

فضيلة التسامح

جاءت الحملة الصليبية المسعورة .. واستولى ادعياء « الصليب » على الجليل بعد سقوط القدس . ولم تسلم الناصرة من كوارث الغزو ومأسيه . وفى

الناصرة
أقحوانة الجليل

عام ١١٠٠ ميلادية « كانت الناصرة خراباً من جراء معارك صليبية أخرى » .

ولم تطل محنة الناصرة .. فسرعان ما انتصر صلاح الدين على جحافل الصليبيين فى موقعة حطين المشهورة عام ٥٨٣ هجرية ، وفتح البطل (مظفر الدين كوكبورى) عاصمة الجليل .

وهنا .. سجل تاريخ التسامح الدينى مفخرة جديدة لبطل حطين ذو القلب الكبير ، فمع سقوط الحملات الصليبية سقطت مخاوف ودعاوى بعض رجال الدين المسيحى من بطش المسلمين .. وسلك صلاح الدين سلوك الخلفاء الراشدين والحكام الصالحين .. فاظهر عطفه على الناصرة وسكانها بما يتلاءم مع نفسه المسلمة الكريمة ، فلم يتعرض بأذى لغير الاعداء والمحاربين ... بل انه أكد مروءته وتسامحه فعين بعض رجال الدين فى كنائس القدس وبيت لحم والناصرة الى جانب ما كان فى تلك الكنائس من رجال الدين الارثوذكس والسريان واليعاقبة .

بقيت الناصرة بأيدى المسلمين بعد صلح الرملة ، لكنها عادت الى الفرنج مرة أخرى حسب احد بنود معاهدة عام ١٢٢٩ بين الملك فردريك الثانى والملك الكامل ، وتبودلت الناصرة عدة مرات بين الطرفين حتى عام ١٢٦٣ ميلادية حيث هاجمها الظاهر بيبرس ، وبرغم انتصاره وقدرته على تحريرها من المغتصبين إلا أن التاريخ قد سجل عليه نقطة رمادية . تمثلت فى اساءته لسكان المدينة .. وقتله للكثيرين منهم ، بل وهدمه لعدة كنائس وأديرة ... وهكذا أهينت الناصرة على يد الظاهر بيبرس من حيث عزز صلاح الدين تسامحه !!

معيشة طيبة

كسائر المدن الفلسطينية والاكثرية من المدائن العربية دخلت الناصرة فى حوزة العثمانيين فى عام ١٥١٧ ميلادية ، وحتى عام ١٩١٨ ، وخلال تلك القرون الاربعة مرت بالناصرة أحداث تاريخية عدة . ويذكر المؤرخون بأن المدينة المقدسة قد أخذت تلملم جراحها بعد نكبة عام ١٢٩١ ميلادية . فدبت فيها الحياة شيئا فشيئا ... وسكنتها قبائل شتى من الاعراب مسلمين ومسيحيين ، وأول من استقر بها عائلة « يامينية » وهى لبنانية الأصل وتعتبر واسرة «الخليفية» ضمن اعرق الأسرات المسيحية فى الناصرة ... ونذكر منها كذلك قعوار ، جرجورة ، كردوس ، بشارة ، عازر ، بيدس ، فارس . ومن ضمن اشهر العائلات المسلمة العريقة فى الناصرة : الفاهوم ، والزعبى وغيرهما .

وجميع النصارى على اختلاف مذاهبهم يقدسون الناصرة ، ويجلونها ، ولا غرو أن ينشئوا فيها العديد من الاماكن المقدسة التى تقدر بخمسة وعشرين كنيسة وديرا تخص أغلب الطوائف المسيحية : أورثوذكس – كاثوليك – لاتين – روم – موارنة – بروتستانت . هذا .. وقد ذكرت الناصرة ٢٩ مرة فى العهد الجديد ، ويقول مؤلفا « جغرافية فلسطين » ١٩٢٣ عن الناصرة ما يلى : « المعيشة فيها طيبة ، وفيها مستشفيات واديرة كثيرة تذكارا للسيد المسيح الذى نشأ وقضى معظم حياته فيها ، والناصرة عزيزة عند ٦٦٥ مليونا من المسيحيين مثل أختها بيت لحم ، وقد دعوا بالنصارى نسبة إليها ، ودعى مخلصهم بالناصرى نسبة الى هذه البلدة التى كانت من أحط قرى الجليل فى تلك الأيام ، والذى أكسب الناصرة أهمية كبلدة مسيحية قسطنطين الملك عند تنصره ، ومن ذلك الوقت بنيت فيها الكنائس والاديرة ، وأمها الزوار ، واهتم بها الصليبيون وجعلوها قاعدة دينية مهمة لهم » .

وأهم الشخصيات القيادية التى زارت الناصرة : نابليون بونابرت – الملك ادوارد السابع – الملك جورج الخامس ، الملك همبرت الأول ملك ايطاليا وغيرهم .

أماكن تاريخية

● كنيسة البشارة :

تعود تسميتها الى مقولة شبه مؤكدة على أنها المكان الذى بُشرت فيه الملائكة السيدة مريم عليها السلام بأنها ستلد ابنا وتسميه المسيح . قال تعالى فى كتابه العزيز: « إذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » .

شارع السوق

حائط ماري

وقد شيد البناء الأول لهذه الكنيسة فى منتصف القرن الرابع للميلاد ، وكانت احدى اعظم الكنائس فى العالم .. وفى عام ١٧٣٠ شيدت مكانها كنيسة أخرى بقيت حتى عام ١٩٥٥ حينما تم هدمها ثم اعيد بناؤها عام ١٩٦٦ ، وتعد اليوم من أعظم الكنائس فى الوطن العربى ، وهى تحتوى على أشياء مختلفة يعتقد انها تختص بأمور ورد ذكرها فى الانجيل ، وتشتمل بعض أجزائها على اعمال فسيفسائية تعود بتاريخها الى عهد البيزنطيين .

وبقربها يوجد الموضع الذى انتوى اليهود أن يطرحوا منه السيد المسيح الى الاسفل ، لكنه « جاز فى وسطهم ومضى » كما نص انجيل لوقا .

● كنيسة القديس يوسف :

اقيمت هذه الكنيسة فى فترة متأخرة حيث يعتقد بأن مكانها كان حانوتاً ليوسف النجار ، وبيتاً « للعائلة المقدسة» حيث قضى المسيح عليه السلام صباه ،

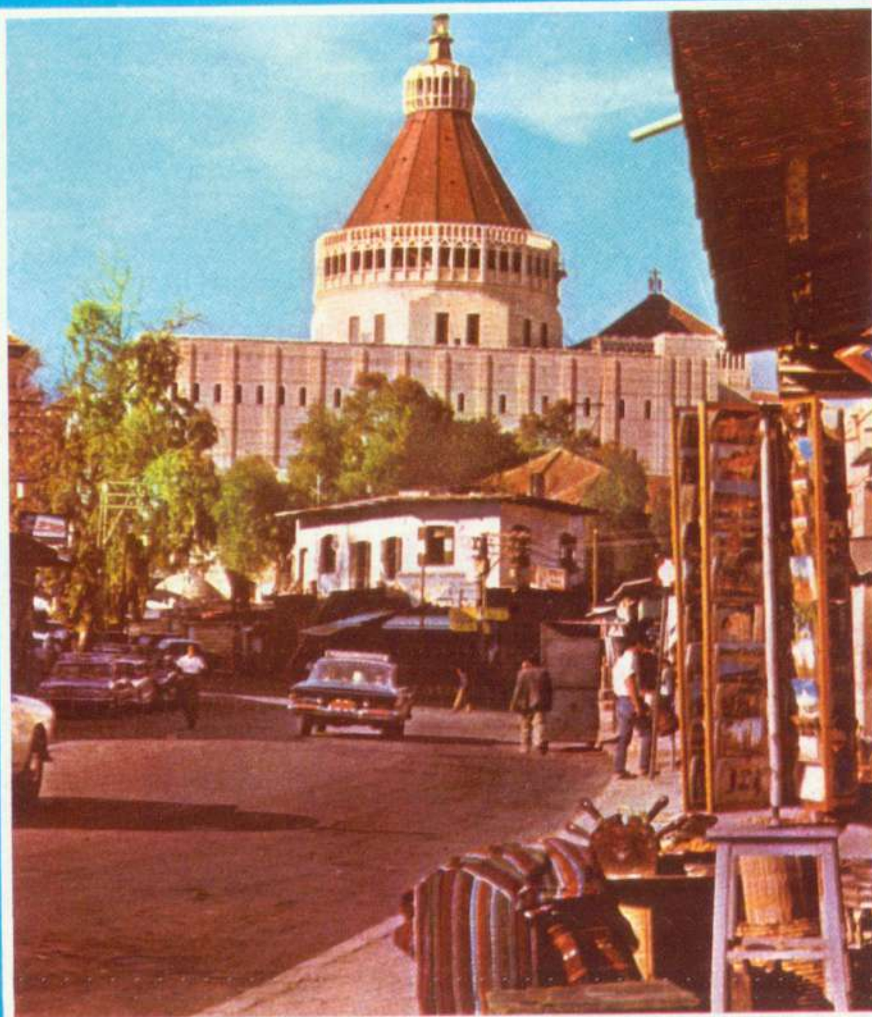

● عين العذراء (بئر مريم) : هو النبع الرئيسى للمدينة ، وقد نسب إلى مريم العذراء لأنها كانت تجلب منه الماء . وتعتقد احدى الطوائف المسيحية بأن الملاك قد بشر العذراء على النبع حينما كانت تملأ جرتها ، ثم اتم البشارة فى البيت .

● كنيسة البلاطة (مائدة المسيح) : أسستها طائفة اللاتين النصرانية فى القرن السادس الميلادى ، وقد جدد بناؤها عام ١٨٦٠ ميلادية ، يبلغ طولها ١٢ قدماً وعلوها ثلاثة أقدام ، ويعتقد انصار هذه الطائفة بأن المسيح قد تناول طعام الغداء عليها مع تلاميذه .

● كنيسة سيدة الرعشة (دير البنات) بنيت على جبل الرعشة أو القفزة عام ١٨٨٢ ميلادية ، ويعود سبب تسميتها الى تقليد نصرانى منذ القرن التاسع يرى أن مريم العذراء عندما علمت بأن اليهود قد مضوا بابنها الى جبل القفزة ليطرحوه من عل،هرولت لتلحق به ولما بلغت المكان وجدت ارتال اليهود عائده فدب الذعر فى قلبها وارتعشت اطرافها ولم يهدأ روعها حتى اطمئنت عليه فسكنت خواطرها وهدأت سورتها .

● دير سيدات الناصرة : يضم عددا من الكهوف التى يعتقد بأنها قريبة الشبه ببيت مريم العذراء والقديس يوسف النجار .

الناصرة .. والانتداب البريطانى

ابان العهد البريطانى الاسود على فلسطين ١٩١٧ ــ ١٩٤٨ كان قضاء الناصره يضم ٢٦ قرية عربية . اضافة الى ٢٢ مستعمرة يهودية اثنتان منها فقط انشئتا فى العهد العثمانى ، والبقية انشئت بمباركة بريطانيا ، وسبع بعد النكبة من أهمها : بلفوريا ، العفولة ، رامات دافيد . وكان يقطن هذا القضاء حوالى عشر قبائل عربية صميمة منها : الصبيح . المزاريب ، الحجيرات ، الغزالين ، المجيدات ، الخليفات ، السبارجه وغيرها .

كان عدد سكان القضاء يقدر بسبعين ألف نسمة ، يقطن أغلبهم فى الناصرة . أما قاطنو القرى فهم يعتزون بأن النبى يونس عليه السلام قد ظهر فى ديارهم ، وبأن السيد المسيح قد قام فيها ببعض معجزاته ، وبأن ثراها يضم الصحابى دحية الكلبي بن عامر وغيره من المجاهدين . ومن أشهر قرى القضاء : صفورية ــ معلول ــ كوكب ــ طرعان تمرة ــ المجيدل ــ كفر منده ــ كفركنة .

وبعد هزيمة العرب الأولى عام ١٩٤٨ أزال الصهاينة من الوجود اسماء أربعة من هذه القرى ومن ضمنها صفورية . التى أكتشف فيها دير اثرى على جانب كبير من الاهمية يحيط به سور شاهق . وبداخله كنيسة ضخمة تحتوى على تمثال اثرى رائع للسيدة مريم العذراء ، والسيد المسيح عليهما السلام ، وهذا دليل على اهمية هذه القرية التى يقال أيضاً بأن السيد المسيح وأمه كانا يتجولان بها أحياناً .

وبجوار الناصرة تتواجد غابة صنوبر واسعة اطلق عليها اعداء ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا « غابة بلفور » قدمت كهدية من يهود بريطانيا تخليدا لذكرى اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا وصاحب الوعد التعيس المجلل اسمه بالسواد « وعد بلفور » . وتبلغ مساحة هذه الغابة ٤٠٠ فدان وفيها أكثر من نصف مليون شجرة مغروسة حسب طرق زراعية متقدمة .

جهاد الناصرة

كانت الناصرة فى بدأ الانتداب البريطانى ضمن أكبر مدن فلسطين واعظمها ، وكانت طوال فترة الانتداب فى طليعة المدن التى ناضلت ضد البريطانيين واليهود على السواء ، وسجل « الناصريون » مواقف وطنية عديدة تشهد لهم بالبطولة والاثرة والتضحية .

وتذكر لنا موسوعات النضال الفلسطينى بأنه عندما اعلنت الحكومة البريطانية عن موافقتها على نتائج «اللجنة الملكية » بتقسيم فلسطين شملت البلاد موجات استنكار شديدة أدت الى حدوث تمرد واسع ضد الحكم البريطانى ، وبلغت ذروة الغضب الجماهيرى يووم ٢٦ من سبتمبر عام ١٩٣٧ حينما اغتيل الجنرال د.و. اندروز

الناصرة
أقحوانة الجليل

وكيل حاكم لواء الجليل فى الناصرة وقد اتهمت الحكومة عددا من ابناء المدينة بتنفيذ العملية كان فى مقدمتهم الشاب دياب الفاهوم فعرضتهم لأبشع انواع التعذيب .

وكانت حادثة اغتيال (اندروز) الشرارة التى اشعلت نار الثورة الفلسطينية ١٩٣٧ ــ ١٩٣٩ . وعلى إثر ذلك اتخذ البريطانيون اجراءات صارمة ، فأمرت بحل اللجنة العربية العليا واعتقلت بعض اعضائها ونفتهم الى جزائر سيشل فى المحيط الهندى ، كما أمرت باعتقال ونفى عدد كبير من القضاة والعلماء والزعماء كما يقول استاذنا مصطفى مراد الدباغ فى « بلادنا فلسطين » .

سقوط الناصرة

فى اليوم السادس عشر من يوليو (تموز) عام ١٩٤٨ ميلادية هوى وطن المسيح ، وسقطت المدينة المقدسة فى مستنقع الاحتلال الصهيونى ، وانتصبت رايات الحداد على الناصرة ، وكان حدادها مضاعفاً .. كونها سقطت .. والسقوط وحده يستحق الحداد .. ولكونها لم تأخذ نصيبها فى الجهاد هذه المرة .. وهى أخطر المرات طرا ، فمنذ دخوله الى منطقة الجليل اذاع فوزى القاوقجى القائد العام « لجيش الانقاذ » بياناً فى « راديو جيش الانقاذ » يحث المواطنين الفلسطينيين على تسليم اسلحتهم لقيادة الجيش فى أقرب فرصة لأن الجيش سيتولى مسئولية الدفاع عن الاهالى بل وسحق القوات الصهيونية !!

ولأن الناصريين ما تعودوا غير الصدق ، وما الفوا إلا إياه ، فقد استجاب الاهالى لأوامر « جيش الانقاذ » وسلموا اسلحتهم وانتظروا النصر الموعود .. فجاء بدون معاناة ولكن الذى قطف ثماره هم الاعداء ... لقد كان اسهل سقوط عربى ... واسهل نصر صهيونى إذا استثنينا حرب حزيران الاسود .

يقول المجاهد المرحوم عبد الله التل فى مذكراته « حينما انتهت الهدنة الأولى ونشب القتال ثانية بين العرب واليهود ، أخذ الاعداء يهاجمون جيش الانقاذ بقوات كبيرة تساندها المدفعية الثقيلة والدبابات . وفى يوم ١٩٤٨/٧/٢٦م هوجمت مدينة الناصرة من ثلاث جهات ولم يكن فى المدينة سوى فوج ضعيف تنقصه الاسلحة الثقيلة والدبابات ، وما كادت طلائع اليهود تحتل المشارف المحيطة بالمدينة حتى بدأت قوات الانقاذ تشق طريقها للانسحاب بعد أن وجدت أن المقاومة لا تجدى نفعاً . وحينما رأى السكان الخطر المحدق بالمدينة رفعوا الأعلام البيضاء وتقدم وفد منهم برياسة رئيس البلدية وطلبوا الاستسلام فقدمت لهم الشروط وقبلوها فورا ، وانسحب جيش الانقاذ الى ترشيحا وتم لليهود الاستيلاء بدون قتال على جميع القرى المحيطة بالناصرة » .

ويقول استاذنا انيس صايغ « وبضياع الجليل (وقاعدته الناصرة) فَقَدَ العرب أهم قاعدة لحرب تحريرية شعبية ، كان من الممكن لو بقيت بأيدينا أن تغير مجرى تاريخ القضية الفلسطينية من اساسه » !!

شخصيات ناصرية

لقد انجبت الناصرة العديد من الشخصيات البارزة فى كثير من ميادين المعرفة ، وسنتعرض لذكر ثلاث شخصيات منها :

● خليل بيدس ١٨٧٥ ــ ١٩٤٩ . تخرج من دار المعلمين الروسية ، ثم تولى التدريس وادارة بعض المدارس فى سوريا ولبنان وفلسطين ، فى عام ١٩٠٨ أصدر مجلة « النفائس العصرية » فى حيفا . له عدة مؤلفات فى المجالات الادبية والمدرسية ، وقام بترجمة بعض الكتب والروايات الاجنبية ، كما كانت له اهتمامات خاصة بالقصة ، ويعتبره بعض النقاد الرائد الأول للقصة العربية الحديثة فى فلسطين .

● مـي زياده ١٨٨٦ ــ ١٩٤١ هى الكاتبة العربية المعروفة ، والاديبة المحاضرة البارزة ، اسمها « مارى الياس زيادة » والدتها سيدة ناصرية جليلة ، ووالدها لبنانى الأصل من سكان الناصرة ، ولدت بها ، وتعلمت ، ثم انتقلت مع والديها الى مصـــر . تجيد مع العربيـة خمس لغات أخرى ، ولها عدة مؤلفات ونشاطات ادبية واضحة ، كانت كزهرة برية فواحة العبير ، تَحَلَّقَ حول ندوتها الفكرية عشرات من كبار الأدباء فى أرض

« مزرعة بلفور » منحة من يهود بريطانيا !

الكنانة ، قال عنها المرحوم مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الازهر : « كانت نصيرة ممتازة للادب تعقد للادباء فى دارها مجلساً أسبوعيا لا لغو فيه ولا تأثيم ، ولكن حديث مفيد وسمر حلو ، وحوار تتبادل فيه الآراء فى غير جدل ولا مراء » . ووصفتها أم المصريين هـدى شعراوى بأنها « المثل الاعلى للفتاة الشرقية الراقية المثقفة » .

● الدكتور نبيه أمين فارس ١٩٠٦. ولد فى الناصرة ، وتعلم فى القدس ، وحصل على اجازة العلوم من الجامعة الامريكية ببيروت ، فى عام ١٩٣٥ حصل على الدكتوراه فى اللغات الشرقية وتاريخها من جامعة « برنستون » فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وله عدة مؤلفات بالعربية والانجليزية ، وآخر منصب شغله رئاستـه لهيئة الدراسات العربية بالجامعة الامريكية بلبنـان .

حاضر الناصرة

كانت الناصرة فى طليعة المدن الفلسطينية الأكثر تحضرا وانفتاحاً على العالم ، وقد شهدت فى فجر هذا القرن نهضة علمية وثقافية نشطة ، وورد فى «جغرافية فلسطين» ان « الحياة العلمية فى الناصرة راقية ، ففيها عدة مدارس ، اثنتان للحكومة ، ومدرسة للكاثوليك ، وعدة مدارس للاجانب ، وكانت فيها دار المعلمين الروسية وهى من أهم المدارس الفنية ، وقد أخرجت عددا لا يستهان به من المعلمين الذين تربوا

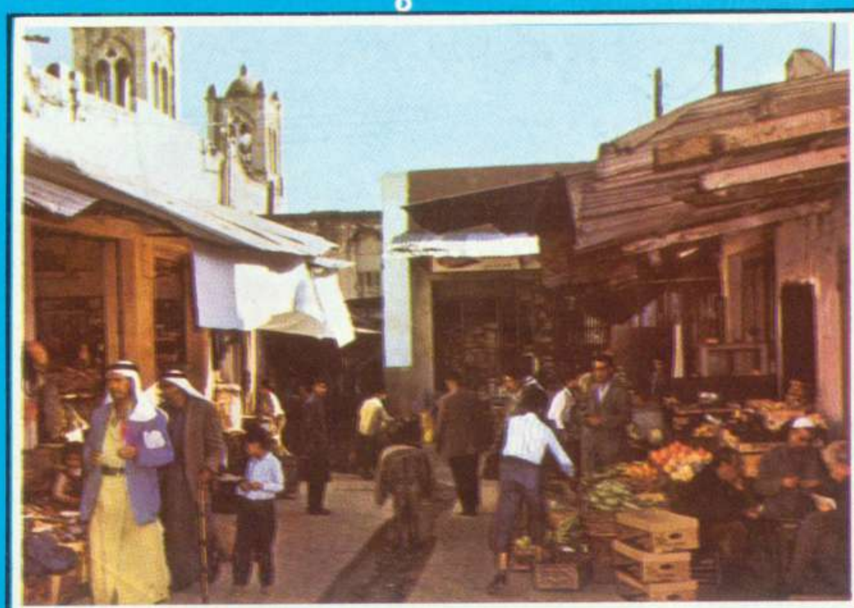

السوق فى الناصرة

على الأصول البيداغوجية الصحيحة » ومن ضمن الذين تخرجوا من هذه الدار بعض الادباء العرب فى المهاجر الأمريكية امثال ميخائيل نعيمة ، ونسيب عريضة وغيرهما .

كما تَشكل فى الناصرة أول مجلس بلدى لها عام ١٨٧٥ ميلادية ، وكان طنوس قعوار هو أول رئيس لبلدية الناصرة ، أما رئيس بلديتها الحالى فهو الشاعر المعروف توفيق زياد .

وقبيل النكبة العربية الثانية عام ١٩٦٧ كانت الناصرة أكبر مدينة عربية فى القسم المغتصب من فلسطين ، وهى الى جانب ذلك قاعدة الحياة الثقافية العربية ، ومركزا رئيسياً للحركات الوطنية التى يخشاها الاعداء .

ويبذل الصهاينة منذ فترة بعيدة كثيراً من الجهود لازالة الصبغة العربية للمدينة ، وتشويه هويتها الاصيلة ، لذلك فهم ماضون فى بناء مستعمرة « نانتسرت علت » أى الناصرة العليا تماماً كما فعلوا بالنسبة لمدينة الخليل ومستعمرة « كريات اربع » .

وقد اقامت وزارة السياحة الصهيونية مكتباً للاستعلامات السياحية فى الناصرة ، يقوم بارشاد السائحين ، وبتوزيع كميات هائلة من الكتيبات الاعلامية عن المدينة ومعالمها التاريخية .

وكما تمتاز الناصرة بالشوارع والمنازل ذات الطابع الشرقى المعهود ، فهى تزخر كذلك بالمتاجر المختلفة التى تبيع الهدايا التذكارية التى يصنعها الناصريون كالسجاد والاوعية النحاسية والصدفية والخشبية التى يمثل بعضها الاماكن المقدسة فى المدينة . وقد شاهدت كتيبا صهيونياً يدعو السياح لمشاهدة كنائس الناصرة « والتمتع برنين الاجراس التى تدعو الى الصلاة » كما يزعمون .

لقاء مع حسام الدين

وفى أحد أحياء المدينة دخلت الى احدى المكتبات ، وفى الحقيقة اننى دهشت عندما وجدت ارففها مكدسة بمئات الكتب العربية فى شتى دروب المعرفة ، ولم أجد مشقة فى التعرف على « حسام الدين » أحد شريكين يمتلكان المكتبة العامرة .

وأخذ يحدثنى بكل اهتمام عن اوضاعهم المعيشية كعرب داخل الكيان الصهيونى منذ تأسيسه عام ١٩٤٨ ، وتطرق الى القول بأن بقاء الدولة اليهودية فى شكلها الحاضر يواجه خطرا من قنبلة ديموغرافية (سكانية) موقوته من صنع اسرائيل ذاتها أكبر من خطر العبوات الناسفة التى يزرعها الفدائيون العرب .

وقال « حسام الدين » ان عددنا نصف مليون فلسطينى نقيم فى منطقة الجليل وهناك مليون وربع المليون آخرين يقيمون فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، أى أن عدد الفلسطينيين فى « اسرائيل » يقدر بحوالى ١ر٧٥٠ر٠٠٠ نسمة .

ان معدل الولادة بيننا يكاد يكون ضعف المعدل بين الاسرائيليين ، وخذ الآلة الحاسبة لتريك كم من الوقت سيتطلب الحال الذى يصبح اليهود فيه الاقلية .

وهذا ما تخشاه « اسرائيل » على المدى البعيد نسبياً ، وصدقنى لقد اكتشفنا محاولات اسرائيلية « لعقم » الرجال العرب كى يضعوا حدا لازدياد معدل الانجاب بيننا ، ألم تطلع على تصريح الجنرال افيغدور ابن غال حاكم الجليل للاذاعة اليهودية ؟ لقد قال : «...ان النصف مليون عربى من الجليل ينتظرون فرصة للاطباق علينا وخنقنا . انهم يزدادون تشبعا بروح النضال والقومية التى يستمدونها من مواطنى الضفة والقطاع . انهم كلهم يشكلون سرطاناً فى جسم اسرائيل » .

قلت له هامساً : أخفض صوتك ياحسام ، الا تخشى بطشهم ؟

هز رأسه بلا مبالاه وقال : لقد سئل القرد مثل هذا السؤال فأجاب : لقد غضبت السماء على القرد فمسخته قردا ، فماذا تتوقعون أن يُمسخ بعد ذلك ؟ !! ولا نامت أعين الجبناء !

● ● ●

فى طريق عودتنا الى خان يونس أخذت اقرأ قصيدة « توفيق زياد » : عشرون مستحيل :

هنا على صدوركم ، باقون كالجدار
نجوع .. نعرى .. نتحدى ..
ننشد الاشعـــار
ونملأ الشوارع الغضاب بالمظاهرات
ونملأ السجون كبرياء
ونصنع الاطفال .. جيلا ثائرا .. وراء جيل
كأننا عشرون مستحيل
فى اللد والرملة والجليل
إنا هنـــا باقـــون
فلتشربـــوا من البحـــر
نحرس ظل التيـــن والزيتـــون
ونزرع الافكار كالخميرة فى العجين
برودة الجليـــد فى اعصابنـــا
وفى قلوبنـــا جهنم حمرا
إذا عطشنـــا نعصر الصخـــرا
ونأكل التـــراب إن جعنـــا ، ولا نرحـــل ..
وبالدم الزكـى لا نبخل ، لانبخل ، لانبخـل
هنا .. لنا ماضى ، وحاضر ، ومستقبـــل .

نبيل خالـد الأغـــا

والت ديزني

عالم الأطفال الجميل!

خيرية البشلاوي

إذا كنت من قطر ، واليوم الجمعة فالقادم ضيف عزيز .. تنتظر معرفته فى حماس الصغار واستعدادتهم .. وفى تلكؤ الكبار أمام «الباب» حتى يكونوا فى استقباله أيضاً .. وبابه الذى يدخل منه عادة هو الشاشة الصغيرة ، يتسلل منها باشكال وألوان ورسومات وصور وموسيقى وحكاية جميلة عادة ما يشترك فى بطولتها الناس والحيوانات وعناصر الطبيعة والاقدار الطيبة ..

مبدع كل ذلك والت ديزنى .. « الحد الأزلى » لكل الأطفال .. صانع « ميكى ماوس » الفأر العفريت الذى لا يطاله الزمن ، ولا تنال منه الشيخوخة رغم عمره البالغ الآن ٥٢ عاما ! .

ونحن نعرف أن والت ديزنى عالم كامل من الخيال والانطلاق الذى لا تحده حدود وسط الغابات والجداول والأنهار وبين الحيوانات والمخلوقات الغريبة والأليفة ومع ذلك فلم يكن هذا العالم هكذا مفتوحا بالنسبة لي .

وبكل هذا التكثيف الا من خلال هذه الشاشة الصغيرة الملونة التى انتشرت فى السنوات الأخيرة فى منازلنا .

لقد لفت نظرى فعلا هذه المساحة الزمنية العريضة التى تحتلها أفلام الكرتون والافلام الروائية التى تنتجها استوديوهات ديزنى فى برامج التلفيزيون اليومية هنا . وخاصة فى أيام الجمعة . ولست أنكر احساسا بالراحة لوجود هذا الاهتمام الكبير بأفلام الاطفال ، فهى وسيلة ترفيهية تشغل بعضا من أوقات الفراغ عند الاطفال .. صحيح انها ليست الوسيلة المثلى لأن المفروض أن تكون لدينا نحن الاستوديوهات العربية التى تنتج احتياجاتنا من أفلام التثقيف والترفيه . وسائل تعتمد على مادة حياتنا نحن ، وعلى ثقافتنا وتراثنا القومى والعربى .

والدول العربية وبخاصة مصر عرفت الفن السينمائى منذ بداية هذا القرن . ومع ذلك ــ وبعد مرور ثمانين عاما ــ لا يوجد لدينا حتى الآن تيار منظم من الانتاج السينمائى الخاص بالاطفال .. وليس هناك استوديوهات عربية متخصصة فى هذا المجال ، وما رأيناه من أعمال قليلة فى مجال الكرتون أو البرامج التليفزيونية الموجهة للأطفال لا يشكل قدرا نستطيع أن نعتمد عليه بأى حال ، والبرنامج الوحيد « افتح ياسمسم » الذى يسعدنا يوميا ونهلل له فرحين ، يضعنا نحن الدول العربية على خريطة المستفيدين من الخبرات الأجنبية فى مجال الترفيه ، أعنى أن البرنامج مع تقديرى الشديد للجهد العربى فيه إلا أنه مصنوع بالتعاون مع ورشة تليفزيون الاطفال بنيويورك .

وإذا كانت الحاجة هى ام الاختراع كما يقولون ، فما حاجتنا نحن الى الاختراع إذا كنا نتعاطى « الشطائر » جاهزة تحملها لنا الشرائط المعلبة . وإذا كانت الحاجة هى التى « أخترعت والت ديزنى نفسه فما حاجتنا الى « والت ديزنى» آخر اذا كانت مصانع ديزنى مستعدة لتوصيل ما تنتجه حتى المنازل ؟!

ديزنى يأتى بالمفقود

ولنعد الى تجربة والت ديزنى فقد يكون فى ذكراها الهام لنا ونحن نخطو أولى خطواتنا فى هذا الطريق الذى يؤدى بنا الى فن نابع من تراثنا وواقعنا وواقع اطفالنا واجيالنا اللاحقة .

لقد كانت اضافة عنصر الصوت الى فن السينما بمثابة اكبر ازمة واجهت فنانى الكوميديا العظام فى السينما الصامته ، إذ كانت النزعة الفكاهية عندهم تعتمد على الصورة (الحركة المصورة) اساسا وليس على الصوت . أكتشف هؤلاء أن افلامهم تتلاشى ببطء وتتقهقر أمام الميكرفون ، ولم يدعم الحوار هذا الحس الضاحك عند ملك الكوميديا الامريكية ماك سنيت وتجاهل شابلن ملك الكوميديا هذه البدعة الجديدة مؤقتا ، وانتهت عقود باستر كيتون واعتزل هارولد لويد ولارى سيمون ، وهارى لانجدون وتلاشوا فى الظلام .

حينئذ برزت حاجة الكوميديا الى اتجاه جديد ، وظهرت الى الوجود أفلام من الرسوم المتحركة لوالت ديزنى ١٩٠١_١٩٦٧ ، وظهر « ميكى ماوس » لأول مرة عام ١٩٢٨ ، واصبح منذ لحظة ظهوره « المخلوق » المفضل لدى الجماهير .. ومع عام ١٩٣١ بلغ رصيد والت ديزنى من الافلام القصيرة ٩٠ فيلما . ومع كل فيلم جديد يكتشف الجمهور مواهب هذا الفنان والخيال المدهش الذى يمتلكه . وفى عام ١٩٣٣ وقف «الثلاثة دببه الصغار »وملأوا الصالة بالغناء غنوا « من يخاف الذئب الشرير الكبير ؟ » واستجاب الجمهور الى هذه الاغنية استجابة هائلة واستقبلها بحماس شديد ، واعتبرها رمزا رائعا لسنوات الكساد فى أمريكا ، أو رمزا لشجاعة التصدى للنازية الصاعدة فى ألمانيا ونال الفيلم جائزة خاصة من أكاديمية الفنون ..

وطوال الثلاثينات كانت افلام والت ديزنى تحرز تطورا وتفوقا ملموسا فى مجال الحركة ، وأكتسبت المرونة والتلقائية وكل المزايا التى تكمن داخل الحركة واللون والصوت والتلازم الموسيقى مع الحركة وتزامن الصوت والصورة . تعد هذه هى فترة الخصوبة والانجاز الأكبر التى خرج منها « بلوتو » و « جود فى » و البطة « دونالد » .

ويجب أن نلاحظ ان اسهام والت ديزنى الاكبر بالنسبة لفن الرسوم المتحركة ، انما ينبع من براعته الفائقة فى تنظيم واعداد فرقة من الفنانين المتخصصين فى هذا المجال . وقد توقف هو شخصيا عن رسم الافلام بعد عام ١٩٢٨ ، واستخدم مهاراته كفنان مدرب فى استخراج كل طاقات هذه الفرق التى كان يتولى بنفسه تدريبها واعدادها .

وقد استطاع مئات الفنانين بفضل توجيهه أن يخلقوا تيارا متدفقا من الرسوم المتحركة التى تمتع ملايين المشاهدين .

وفى عام ١٩٣٧ قدم لهذه الملايين فيلمه الطويل الأول « الاميرة والأقزام السبعة » . وقد

تيار متدفق من الرسوم المتحركة التى تمتع ملايين المشاهدين

الفنان والت ديزنى

كشف هذا الفيلم عن وجود فنان لامع وحرفى بارع تمكن بجهوده أن يقدم لفن الصور المتحركة طرقا جديدة للتعبير ، كما قدم امكانياتا واسعة وجديدة لصناعة السينما . وبعد ذلك بثلاث سنوات يهز جمهوره بفيلم « فانتازيا » (١٩٤٠)

الذى كان سيمفونية «الوان» خالصة ترتقى فيها الاشكال والخطوط الملونة وحدها على انغام الموسيقى ، وهو فيلم يسبق زمانه بسنوات وكان هو المحاولة الأولى لديزنى فى مجال الفن التجريدى .

وفى عام ١٩٤١ أضاف فيلم « دمبو » الى جوائز ديزنى جائزة أوسكار خامسة عن احسن موسيقى والفيلم طويل من الرسوم المتحركة عن فيل صغير يتعلم كيف يطير باستخدام اذنيه الضخمتين كجناحين . وهو فيلم يضم اغنيات جميلة « لاسى الصغير » و « طفلى انا » و «وعندما أرى فيلا يطير» .

انتاج هوليودى خالص

فن الرسوم المتحركة الذى ابتكره والت ديزنى يعتبر نتاجا هوليوديا خالصاً ويظل ديزنى هو الفنان الاكثر شهرة وسط اعلام هذا الفن مثل ماكس فليشر فى أمريكا وجيرى ترنكا وكاريل زيمان وبردكا فى تشيكوسلوفاكيا ونورمان ماك لارن فى كندا ، دانيل كول فى فرنسا ، وريتشارد وليامز فى انجلترا ، وفلادو كريستى وفاترد سلاف ميمكا فى يوغسلافيا وغير هؤلاء كثيرين فى جميع انحاء العالم . والسبب فى شهرة ديزنى وانتشاره الى الدرجة التى تجعله معبود الاطفال ، أليفاً لديهم (مثل الشيكولاته والآيس كريم) هو أن ديزنى تحول من فنان مبدع الى فنان صاحب مصنع للانتاج الجماعى يخرج منه الافلام ، ومع المصنع أنشأ ديزنى « معهدا » للتدريب لتخريج الفنانين المتخصصين ، وبذلك تحولت استوديوهات ديزنى الى مؤسسات كاملة لانتاج السلع (أى الأفلام) ولانتاج المبدعين من

● كل الشخصيات الغريبة تم إبداعها وتحريكها برهافة وإتقان رائع

● الفيل الصغير يتعلم كيف يطير باستخدام أذنيه كجناحين!

البطة دونالد .. واحدة من أكثر الشخصيات شعبية فى افلام والت ديزنـــى

كل التخصصات . والافلام تخرج باعداد هائلة ، يتولاها جهاز توزيع يقوم بنشرها على جميع انحاء العالم .

وبعد « الأميرة والاقزام السبعة » بدأ وكان السينما قد عثرت على اكثر فنانيها نقاء . فكل الشخصيات الغريبة فى القصة قد تم ابداعها وتحريكها برهافة واتقان رائع . وكانت الفرق الفنية داخل استوديوهات والت ديزنى أشبه بالفرق الموسيقية الضخمة يقودها مايسترو بارع ، يروى الحكاية المصورة بتناسق موسيقى وباسلوب فاتن والوان مذهلة وخيال مع لمسات موحية ورقيقة . وتجسدت هذه المواهب جميعها فى فيلمه الرائع « فانتازيا » ، وحتى هذه الخطوة كان ديزنى لا يزال فى مرحلة التطور . وعلى الرغم من انه لم يتول بنفسه رسم أى من هذه الافلام إلا أن افكارها والتصور الكلى لهذه الافكار كانت من وحى خياله وإبداع عمله .

الطبيعة والموضوعات الروائية

فى الخمسينات .. بعد انتهاء الحرب والعودة الى الحياة الطبيعية وبداية الازدهار الجديد كان ديزنى قد دخل مرحلة جديدة من مراحل نضجه الفنى وتطوره وانطلاق خياله فى « أليس فى بلاد العجائب » (١٩٥١) و «بيتر بان » (١٩٥٢) و«السيدة والمتشرد» (١٩٥٥) .

فى هذه المرحلة أيضاً والتفت ديزنى إلى جانبين هامين من الموضوعات الفنية : موضوع الطبيعة ، والموضوعات الروائية .

فى الموضوع الأول انتج واخرج سلسلة من الأعمال المذهلة عن تحولات الطبيعة فى تجلياتها المختلفة .

بابتكار سلسلة من المعدات الفنية اللازمة لتصوير موضوعاته ، ولعمل المونتاج اللازم بعد التصوير (مثلا تصوير عملية تغيير الثعبان لجلده على طول ١٥ ساعة ، ثم اختصار العملية بالمنتاج الى نحو سبعة دقائق ثم الى نحو ثلاث دقائق فقط) أعطتنا هذه المرحلة افلاما مثل « الصحراء والحية » و « انصـف نداء الطبيعة» وغيرهـا .

وفى الموضوع الثانى كان بديهيا أن يقع اختيار ديزنى على الأعمال الروائية التى يستخدم فيها « تراثه » الثرى من المنجزات فى عالم الخيال والكشف العلمى وتدريب الحيوانات وطرق أعماق العالم الغريبة . فاختار روايات من نوع « عشرين الف فرسخ تحت الماء » . و «أول من وصل الى القمر » أو « رحلة الى مركز الأرض» وكلها من روايات الخيال العلمى لجول فيرن حولها ديزنى الى اعمال سينمائية تمتزج فيها حقائق العلم ، باشواق الانسان الى المعرفة والى التحرر من أسر قوانين الطبيعة الضاغطة ، كما تمتزج بعجز الانسان عن تجاوز قدراته الفعلية واصطدامه دائما بقصوره أو باحكام القانون العلمى الصارمة أو باوضاع العلم القاسية .

وبلغت شهرة ديزنى ونجاحه التجارى الكاسح الى درجة مذهلة .. لكن هذا النجاح التجارى هو الذى حاصر امكانيات التطور وأسرها داخل دوامة الكم المتزايد للانتاج فجاءت افلام ديزنى فى المراحل التالية اقل بكثير عن المستوى الذى عرفت به أعماله الأولى رغم لمحات التوهج واللمعان التى تكسب هذه الأعمال الكثير من الحيوية ..

أرض ديزنى

وبدأ ديزنى أكثر اهتماما بالحصول على « مذاق الشيكولاته » اللينة التى تذوب سريعا أكثر من اهتمامه بخلق الأعمال الفنية الكبرى ، تضاءلت كمية الخيال ومحتواه ، فقدم من خلال أعماله عالما نثر فوق سطحه المكسرات والفواكـه المجففة والطازجة ، أما الواقع الحقيقى بكل أشواكه وسخافاته فقد استبعد بحسم ، وكان التتويج النهائى لأعماله التجارية هو اقامة (أرض ديزنى) المكان الذى يهرع إليه الأطفال فى امريكا ، انها مساحة شاسعة من الاراضى تضم كل الغرائب من الغابات والجداول واشكال اللعب وجميع انواع الحيوانات المفترسة والأليفة والطيور بالوانها الطبيعية وجميعها بالحجم الطبيعى وباجهزة اليكترونية دقيقة تجعلها أشبه بالحيوانات والطيور الحقيقية ، فضلا عن الالعاب الضخمة «والقلعة» من العصور الوسطى ، والفندق الذى يطل السائح من فوقه على هذه الأرض العجيبة التى تضم أى شىء حقيقى ، حتى ابراهام لينكولن يتحول الى لعبة اليكترونية ضخمة . وحقق ديزنى أرباحاً خيالية من مملكته (أرض ديزنى) التى تركها ورحل منذ سنوات قليلة ، وبقيت حتى بعد رحيله المنجم الذى يدر ذهباً ، وقد بلغت أرباح ديزنى سبعين مليون دولاراً من مملكته عام ١٩٦١ .

من روعة هذا الانتاج اتحفنا تليفزيون قطر بالكثير فى الآونة الاخيرة نشير الى البعض منه لنبين ملامح من هذا الفن الذى ملأ الدنيا وأمتع قلوب ملايين الاطفال فى كل انحاء العالم : من بين هذه العروض :

هروب فوق نهر روجى

نهر روجى الجميل تطل عليه الغابات .. صبى ومعه والده يصطادان الاسماك فى مياه النهر الهادئة .. تنطلق سيارة نقل ضخمة فوق الطريق الاملس يقودها مدرب للفيلة .. انسان بدين طيب ومرح يغنى فى سعادة .. يصاب الاطار بعطل فيتوقف لتغييره . اثناء ذلك يفتح باب العربة

الشمس مشرقة .. والنزهة فى الفيلم تحتضن الحيوانات فى علاقاتها مع الإنسان

الأميرة والاقزام السبعة

إحدى شخصيات والت ديزنى

فيخرج منها أربعة أفيال تقف فى الخلاء بجوار مدربها .. يساعد أحد الافيال فى تثبيت صواميل العجلة وفى تركيبها فى مشهد طريف وضاحك ويمرح الباقون فى عرض الطريق .. بعد الانتهاء تصعد الافيال الى العربة ، ويكتشف المدرب غياب أحداها ، فيهرع للبحث عنه . يتجول الفيل الهارب . الباحث عن الحرية عبر الاشجار فى الغابات المجاورة . يتصادف وجود الصبى الذى كان يصطاد مع والده فى المركب . يأخذ الصبى الفيل ويقفز فوق ظهره ، ويتهادى عبر الغابات حتى يصل الى مركب الصيد التى كان محركها قد أصيب ببعض العطل . ويستطيع الصبى بمعاونة الفيل أن يجر المركب حتى يصل بوالده الى الشاطىء . وينتهى الفيلم بأن يستعيد المدرب فيله الهارب ، مثلما يستعيد الصبى ووالده صفاء رحلتهما .

عالم من الصفاء اذن هو ذلك العالم الذى يقدمه والت ديزنى . الشمس مشرقة .. والنزهة رائعة .. والنزهة فى الفيلم لا تكشف فقط عن العلاقة الحميمة بين الاب وولده ، أو بين الانسان والأنسان وانما تحتضن الحيوانات فى علاقاتها مع الأنسان .. الطبيعة ساكنة وكذلك أعماق الرجل الطيب الذى يعرف كيف يروض الحيوانات ويحبها ، وكيف يصطاد الاسماك وكيف يحول كل الاشياء حوله الى جنة صغيرة وجميلة .

والحدوته بسيطة كما نرى ومناسبة لعقلية الطفل . يستغل المخرج كل الامانيات البصرية التى يتيحها المكان ، لا مكان للشر ، بل سيادة كاملة للحب ، ولا مكان للقبح فكل الاشياء جميلة .. والفيلم هنا لا يعالج مشكلة اجتماعية مثلما تفعل بعض الافلام التى سوف نتعرض لها فى السطور التالية وانما يسعى لتقديم حكاية لا تعقيد فيها

الكلب سموك

وفى فيلم « سموك » وهو اسم الكلب الذى تدور حوله الاحداث ، يقدم الفيلم مشكلة « كريس » الصبى الامريكى الذى يقف على باب الرجولة ويتوق الى المرور عبره بأسرع ما يمكن . وكريس يعيش مع شقيقته فى منزل أمه وزوجها فى بلدة أمريكية صغيرة . لكنه يعانى من مشاعر الوحدة والقلق ، بعد أن مات والده محترقا فى حادث سيارة دون أن يتمكن أحد من انقاذه .

ويضطر « كريس الى الخضوع لأفكار زوج أمه الذى يرفض أن يشترى له كلبا من كلاب الصيد ، بحجة أنه صغير على ممارسة هذه الهواية ، وتستولى على الصبى مشاعر العداء لزوج أمه ، ويتحدى افكاره عندما يعثر بالصدفة على كلب حراسة ضال فى الغابة المجاورة ، وفى السر يأخذه ويتولى بنفسه اطعامه بعيدا عن عيون افراد الاسرة ، ولا يبوح بسر كلبه إلا لشقيقته التى تعاونه . وحين يظهر فى النهاية صاحب الكلب تقوم أخته الماكرة بمناورة طفولية لكى تحتفظ بالكلب لشقيقها .

والفيلم يحاول هنا أن يقدم مشكلة اجتماعية ، ولكن بأسلوب رومانسى ينتهى الى حل مثالى . فكريس بطل الفيلم نموذج للشاب المطيع المتفاهم رغم رفضه لسلوك زوج أمه .. لا ينقصه سوى التجربة وخوض الحياة الحقيقية وحين يقرر الهروب من المنزل يواجه هذه التجربة التى توفرها له الصدفة .. إذ تضطره الظروف الى انقاذ سيدة عجوز كاد يلتهمها الحريق بعد أن تنشب النار فى منزلها ، يواجه كريس الحريق فى شجاعة واستبسال حقيقى . وبعد أن تنجح محاولاته وينقذ الاسرة بالفعل يشعر بالسعادة ، ويتحرر كلية من عقدة الذنب ومن مشاعر القلق ، ويخلص من التمزق الذى كاد يفسد علاقته بأمه وزوجها . الذى يقدمه الفيلم كنموذج للرجل الجاد الحازم فى طيبة ، القادر على التفاهم ، وعلى الحب والعطاء . فهو يستقبل كريس سعيدا بعد أن يعود الى المنزل . وتستقبله الاسرة وسط مظاهر الحفاوة والترحيب الشديد . وفى مواجهة « كريس » يقدم الفيلم نموذجا أخر لصبى ماكر متعجرف يأتى من المدينة مع أمه فى زيارة لخالته (والدة كريس) وأولادها . وفى التصادم بين ابناء الريف والمدينة يقدم الفيلم لحظات طريفة عن مشاكل الاولاد واسلوب التعامل معهم

وككل افلام والت ديزنى تعرض المشاكل بصورة مبسطة طريفة لا تعقيد ولا ماساة إذ أن الاسلوب يعتمد فى الاساس على أسعاد العين ، وراحة العقل ، عن طريق مضمون سعيد مبسط وتصوير متقن يساهم فى تدعيم هذا العنصر الجمالى والطبيعة موجودة ابدا كعنصر اساسى تضيف الى رونق الصورة وحيويتها وبهائها . الشخصيات لا عمق فيها ولا ملامح محددة ولا أثر

أفلام ديزنى تعرضت لكل البؤساء ولكن ليس باعتبارهم أصحاب حق فى المدينة الفاضلة

فى صدورها للمعاناة أو للمشاعر السلبية ، هناك أيضا الحيوانات المدربة تدريباً عالياً التى تدخل فى العمل شريكا إيجابيا لا غنى عنه .

هاربان إلى الحب

وفى أعمال والت ديزنى تواجه المشاعر السلبية دائما بفيض من مشاعر الحب .. فالمجتمع قادر باستمرار على تجاوز اخطائه ، وقادر على التماسك وعلى سد الثغرات بالاسلوب الأمثل : الحب .

فى فيلم « الهاربان » يواجه المشاهد ببطلة الفيلم .. الصبية الجميلة التى تتشابه فى ملامحها النفسية مع « كريس » بطل فيلم « سموك » انها فى مثل عمره تقريبا .. ومشكلتها انها تعيش مع زوج أمها أيضا ، وأمها سيدة لا مبالية ولا تولى أطفالها من الزوج السابق ادنى عناية . وعندما تحاول الام التخلص من أحد هؤلاء الابناء الثلاثة بارساله الى بيت لحضانة الأطفال ، تسعى « روزبد » (معناها برعم الوردة) باعتبارها الشقيقة الكبرى الى الهرب مع شقيقها الصغير وانقاذ شقيقها الثالث ثم الهروب جميعا الى صديق لوالدهم فى المكسيك .

تخوض « روزبد » مغامرة الهروب ، ثم مغامرة انقاذ شقيقيها من دار الحضانة .

ومغامرات « روزبد » كما يصورها الفيلم مليئة بعناصر التشويق ، فهى فتاة صغيرة تتمتع بارادة وشخصية قوية ، لكنها تعانى من حرمان كامل من مشاعر الأمومة . ومع ذلك تسعى الى تعويض أشقائها عن حنان والدتهم بعطف غامر من جانبها .. وشقيقها الصغير يصاب بالخرس من جراء صدمة نفسية يولدها استهتار الأم التى تستسلم تماماً لنزواتها ، وتنصرف مع زوجها الجديد غير مبالين بهم ، سعيدة ببطنها المنتفخة بجنين جديد

حبكة الفيلم اذن مشحونة بكل ما يثير التعاطف ويحرك الوجدان . والاسلوب الذى تعالج به الحبكة يمتلىء بالأحداث والحركة والمطاردات . والفيلم يطرح المشكلة على جزئين وكل جزء يعتبر فيلماً مستقلا ، وإن كان مكملا للآخر . وفى الجزئين نلتقى بعناصر متعددة ومتنوعة من قطاعات المجتمع الامريكى المختلفة : الضابط الذى لا يدخر وسعا فى البحث عن الهاربين ، السيدة التى تعمل برتبة ملازم فى قطاع البوليس ولا تقل كفاءة عن زميلها . الاسرة التى تتسابق لتقديم العون . الاطفال فى كل الاعمار كيف يتكاتفون لانقاذ زميلتهم « روزبد » ومعاونتها . الجدة العجوز التى تجسد الحنان مع الطيبة والحزم الشديد . الأب والمجتمع الاسرى . الجميع يعيشون فيما يشبه « المدينة الفاضلة » علماً بأن الاحداث لاتتم داخل الاستوديو وإنما تستخدم الشوارع والاماكن المفتوحة التى تتيح للحدث مزيدا من الانطلاق .

العربة التى نقلت سندريلا للقصر

والفيلم إذا ما جردناه تماماً يقدم مشكلة مجموعة من الاطفال ضائعين بلا أم ولا أب .. وهى مشكلة حقيقية وتهم الكبار رغم دور البطولة التى تضطلع بها صبية صغيرة . لكن مثل كل أعمال ديزنى لا يرى الجمهور مشاكل كبيرة وانما تطرح عليه « قصة » مؤثرة سهلة الحل مستساغة كقطعة من الشيكولاته .

الهنود الحمر والزنوج

تعرضت افلام ديزنى لهؤلاء البؤساء . ليس باعتبارهم ضحايا ولا أصحاب حق فى هذه

ميكى ماوس فى أزمة فى الغابة

« المدينة الفاضلة » وإنما عاملهم كبشر من كوكب آخر ، ومن عجينة أخرى لا تصلح إلا طعاماً للكلاب .

فى فيلم (سام المتوحش) يطالعنا هذا السكون الرائع فى الريف الامريكى .. حظائر الدواجن النظيفة واسطبلات الخيل بجيادها الرائعة ، منتشرة فوق الارض المنبسطة بلا حدود يعطيها اللون الأخضر الزاهى . المشهد فاتن ، مشحون بعناصر الاثارة المريحة : التصوير ، الالوان الجميلة ، المؤثرات الصوتية المتقنة ، الموسيقى الناعمة ، الكلب (سام المتوحش) وصديق الصبى الصغير فى مثل عمر كريس ، وروزبد ، ويتمتع مثلهما كممثل بخاصية الحضور والقبول لدى الجماهير (هناك طاقم كامل من الممثلين والممثلات بمختلف الأعمار لا يعملون إلا فى انتاج ديزنى)

الاثنان — سام الكلب وصديقه — يملآن هذه المسافة الشاسعة بمغامراتهما البريئة التى يكشف فيها الكلب عن مهاراته وقدراته فى أصطياد فرائسه . ويكشف فيها الصبى عن مؤهلات فارس صغير وقوى ، والصبى يعيش مع شقيقه الاكبر فى منزل بجوار المزرعة والحظيرة والاسطبل ، والدهما فى مهمة فى المدينة . يزور الشقيقان فى الريف عمهما القادم من بعيد مع ابنته الصغيرة الجميلة التى تنجذب الى شقيقه الأكبر .. لكنها تذهب مع الاصغر الى رحلة خلوية بعيدا عن البيت والمزرعة فيهاجمهما الهنود الحمر بحرابهم واشكالهم القبيحة ، تنشب معركة بين الولد الصغير ، وبين مجموعة الهنود الحمر ، ويتصاعد ايقاع المعركة فى مشاهد تمتلىء بالحركة والترقب والحذر ومحاولة الاضحاك والتفكه على لغة الهنود الحمر وسلوكهم الهمجى ووحشيتهم التى يتصدى لها

عندما تعود الحياة سهلة وجميلة بكل ألوان البهجة .. بلا أحزان ولا فواجع !

«سام» الكلب المتوحش حين ينضم الى سيده الأبيض ويساعده فى حسم المعركة لصالح هذا السيد . وبعد ذلك يفر من بقى من الهنود بينما تستعيد الحياة هدوءها وجوها الحالم الشاعرى .

لم يترك والت ديزنى مجالا إلا وشارك فيه بانتاجه واذا ما تأملنا هذا الانتاج ككل لاكتشفنا أن أفلامه تجسد نسق القيم الامريكية التقليدية التى نعثر عليها فى أفلام هوليود يتجسد ذلك خاصة فى أفلام الغرب الامريكى التى تحمل اسم ديزنى وقد عرض منها تليفزيون قطر « اتجه الى الشمال أيها الجواد » ، فيه يواجهك نفس الموقف الجائر التعيس الذى يتعرض له الهندى الأحمر . هذا المخلوق « الكريه » الذى يقابله من ناحية أخرى بطل الغرب الشاب الذى يمتطى جواده ويسير عبر البرارى والجبال والاراضى الشاسعة ، ويكشف فى الازمات عن قيم الشهامة والاستبسال والرجولة والكرم الحقيقى . وفى الافلام البوليسية والتى عرض منها التلفزيون فيلم « الكرنفال والصفقة » نعثر على الحبكة التى تضع رجل البوليس داخل اطار من الذهب وتجعله بالنسبة للصغار أبطال الفيلم «المعبود» الذى يتمثلون سلوكه ويقتدون به . ولكن كل هذا يتم داخل نفس التركيبة اللذيذة الذى تهضمها معدة الأطفال بسهولة ويسر واستحسان كبير .

من الخطأ اذن ان نفهم والت ديزنى بعيداً عن المؤسسة الهوليودية ، وعن القيم الاصيلة التى تحكم كل صناعة السينما فى قلعتها الامريكية الخاصة بهذه الصناعة . فلقد اعتادت هذه السينما فى اطارها التقليدى أن تقدم الملامح الجميلة جدا فى الوجه الامريكى . « فالوسامة » فى مضمونها الاشمل والاعم هى الملح الاساسى فى كم الانتاج الهائل الذى نلتقى به . ووالت ديزنى بهذا المفهوم يعتبر فنانا أمريكيا من الطراز الاول . فقد بدأ فنانا مجربا ، متطورا ، مقتحما للآفاق الجديدة المبدعة فى مجال كان جديدا تماما على الفن السابع . وكان فنه نموذجا للفن المجرد الخالص الذى يبتغى المتعة المجردة التى تنبع من تأمل الجمال بهدوء وراحة وبلا توتر من أى نوع كان . رسوماته الاولى تخلق ألحانا لونية بصرية سمعية تبهر الصغار والكبار أيضاً . وتستولى على كل حواسهم ، وهذا التأثير الجامح لافلامه ــ الرسوم المتحركة بصورة أخص ــ مازال باقيا ومازالت هذه الأعمال منبعاً لمتعة صافية وشفافة وراقية جدا بالنسبة للصغار ..

وحينما اتجه والت ديزنى الى الجمهور العريض فى أفلامه الروائية واقترب من المشكلات الاجتماعية والنفسية ، فى قول آخر حينما أراد أن يخاطب عقول الناس من كل الاجيال لم يخلق لهم المتعة الذهنية والفكرية التى تعادل المتعة التى يحققها للعين . ولم يكن حريصا بالفعل على أن يقول شيئا ذا بال . ومع ذلك يظل والت ديزنى منبعاً لا يمكن الاستغناء

بلوتو .. الكلب الذى لعب أدوارا هامة فى الافلام

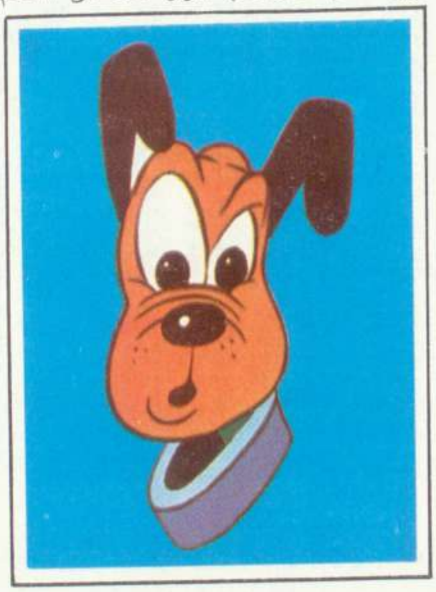

عنه يمد أطفالنا بالمتعة التى لا نملك نحن تعويضهم عنها .

هانز برنكر

ورغم ذلك فلم تمنعنا مملكة ديزنى من أعمال رائعة تمتع المشاهد من أن لآخر على المستوى الفكرى والوجدانى .. فقد رأينا هنا فى قطر مؤخرا ، فيلما من جزئين بعنوان « هانز برنكر » وهو اسم الشخصية الرئيسية فى الفيلم ..

وهانز برنكر صبى هولندى عاش فى ريف هولندا منذ قرون ، وهو شاب صغير موهوب ورسام مبدع ، لكنه يواجه أزمة قاسية تجعله يتحمل مسؤوليات أسرته فى سن مبكرة هو وشقيقته التى تصغره قليلا . يصاب والد هانز برنكر بنوع من الذهول بعد ليلة عاصفة ، يجتهد الابن أن يعوض الاسرة عن فقدان المصدر المادى الذى ضاع بسبب اصابة الوالد . يأخذ هانز برنكر رسوماته ويذهب مع شقيقته التى تحمل هى الاخرى انتاجها من فن التطريز الى العاصمة « أمستردام » . هناك يحاول هانز أن يقنع الطبيب الوحيد الذى يستطيع علاج والده أم يذهب معه الى القرية .

وفى المدينة يحكى الفيلم كيف استطاع هانز أن يكتشف لأول مرة عالم الرسامين والفنانين . وكيف شاهد المنزل الذى عاش فيه الفنان الهولندى الشهير ربرانت . كذلك يصطدم هانز وشقيقته هناك بعالم اللصوص . وبسوق المدينة الصاخب ، وبألوان وأشكال من البشر الاثرياء والفقراء . ولكن الغالبية العظمى ممن قابلهم أناس طيبون ، خيرون ، محبون للموهبة الشابة ، وعلى استعداد لمساعدتها عن طيب خاطر .

وفى الجزء الثانى يشترك هانز مع شقيقته فى السباق السنوى للتزحلق فى محاولة لنيل الجائزة المالية التى يخصصها المسؤولون للفائزين . وبالفعل يفوز هانز ليس بالجائزة المادية ، وانما بالتقدير الهائل من اسرة البنت الثرية التى يحبها وتحبه ، أيضا يسترد الوالد الذاكرة على يد الطبيب الهولندى ، وتعود الحياة من جديد سهلة وجميلة ويستمتع هانز النبيل مع اسرته الطيبه بكل ألوان البهجة واليسر المادى .. فلا مجال للنهايات الحزينة ، ولا مكان للفواجع فالنهايات السعيدة ملمح اساسى فى هذه الافلام ... والفيلم هانز برنكر يعتبر من أفلام والت ديزنى البارعة والممتعة فعلا . فقد اتسم هذا العمل بقدرة متطورة جدا من حيث التنفيذ الفنى . وهناك لحظات فى هذا العمل تبلغ فيها هذه القدرة ذروة رائعة من الجمال ...

وفى مشهد العاصفة التى يغرق اثناءها والد هانز ويشترك فى أداء هذا المشهد مجموعة من الصيادين فى محاولة لانقاذ مدينتهم من المد البحرى ، ثم انقاذ والد هانز ، كما يشارك فيه هانز نفسه فى هذا المشهد يبرز عنصر المؤثرات الصوتية والاضاءة التى تعمق الاحساس بالظلام وبالعاصفة ، كما تبرز المهارة فى التنسيق المذهل فى حركة الممثلين ، والتعبير الدقيق الذى يلمحه المشاهد على وجوههم . وفى تقطيع لقطات المشهد واستحضار هذا الموقف الصعب الذى يتم ليلا حيث تتعثر الاضواء شحيحة مع ومضات البرق الخاطف لتسقط فوق المكان ثم ترتد مختفية . هناك أيضا مشاهد السباق على الجليد والحيوية الهائلة التى نفذت بها ، بالاضافة الى الملابس والديكور الذين صمما بمعرفة ووعى بطبيعة العصر . وبحيث تستحضر الفترة التاريخية التى تدور فيها الاحداث .

انه عمل مكتمل العناصر جميل فى ايحائه الكلى وفى جوه الأسرى الطيب .. فى علاقة الحب البريئة بين هانز وصديقته ابنة الاسرة الثرية . فى عملية لسرد القصص التى بدت ناعمة اليفة رغم الجو المأساوى الكامل الذى يسيطر على كل شىء بسبب مرض الأب وفقر الاسرة المدقع ، وما يواجهه هانز من تهديد ضياع موهبته وحبه وربما حياته نفسها ..

ويبقى الأمل

ديزنى وأرضه العجيبة ، وشخصياته الملائكية وحيواناته الغريبة وحواديته الجميلة .. تلك هى حصيلة « الزيارات » التى اعتدنا أن نعيشها أيام الجمعة صباحا على شاشة التلفزيون وهى فرصة لا أنكر فضلها اذا كانت الاشياء المستوردة ، والثقافة المستوردة ، والفكر المستورد هو قدرنا حتى يكون لنا ،ما للعالم المتطور فى هذا المجال ، أو حتى يكون لنا « والت ديزنى » الخاص بنا .. وهو أمل لا أظنه مستحيلا .. !

خيرية البشلاوى

فنان الأشكال الهرمية

أحب تسجيل التاريخ .. وبهرته قصص الكتب المقدسة والأساطير القديمة ، وشغفت بالأسلوب الإغريقي الحالم كالأطياف الشفافة

مصرى قديم أمام مدخل منزله

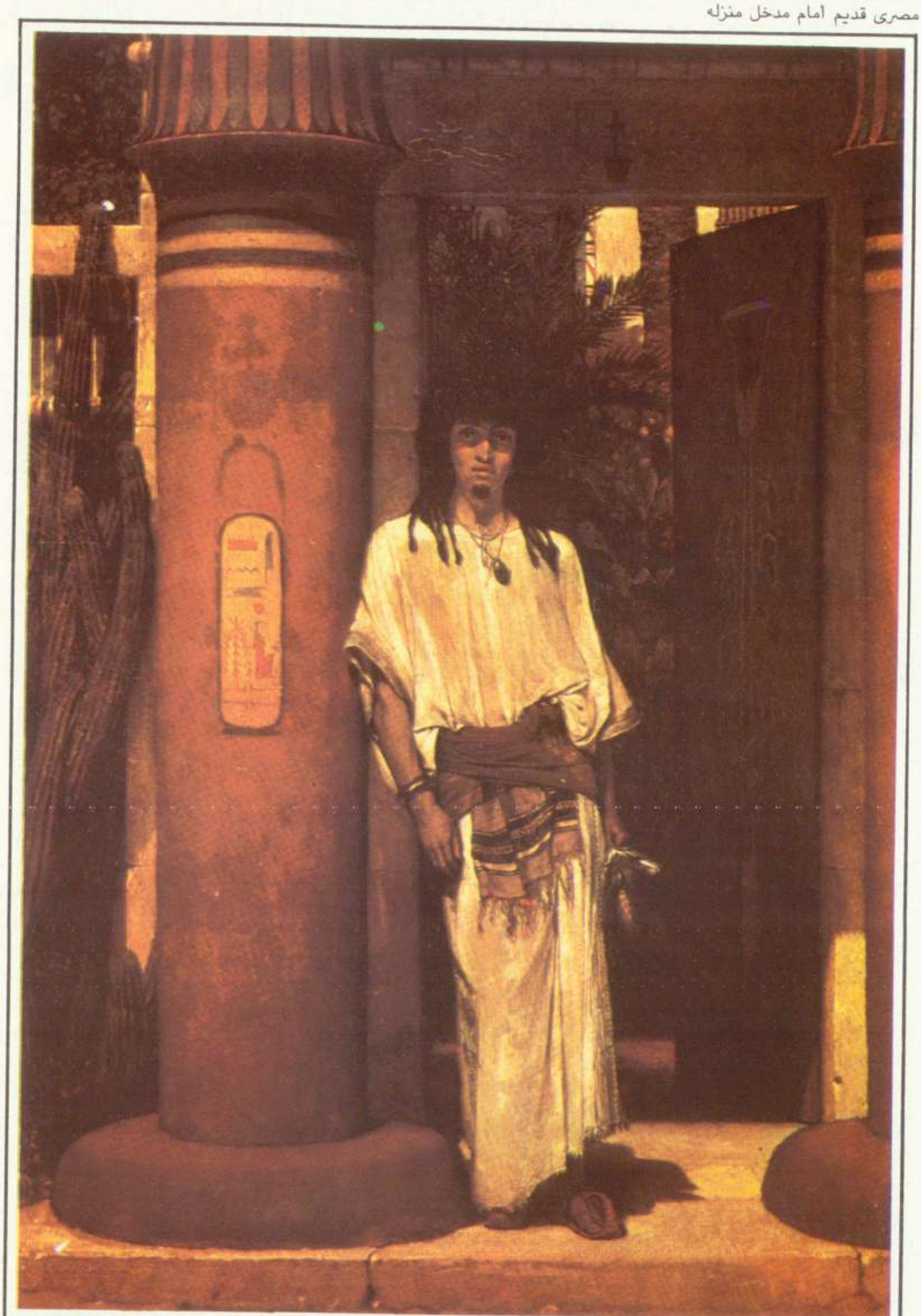

جمـال قطـب

إنه عبقرية فذة ، تفاخرت بها بريطانيا وهولندا طوال النصف الثانى من القرن الماضى .. إنـه فنـان التاريـخ « لورانس آلما تاديما » .. وقد يبدو من اسمه مايثير الغرابة من بين الاسماء البريطانية ، وهذه حقيقة فان اسمه الحقيقى آلما تاديما ، فهو هولندى الأصل ، وقد أضاف اسم (لورانس) كعرفان بالوطن الثانى ـ بريطانيا ـ الذى أصبح وطنه الأول بعد ذلك عندما ذاعت شهرته كفنان يمثل الفن الفيكتورى فى انجلترا فى القرن التاسع عشر أروع تمثيل .

وكانت هذه الفترة الزاهرة فى حركة الفنون التشكيلية فى بلاد الغرب عامة ، تمتاز بديناميكية الفكر وسرعة المتغيرات الابداعية ، وخاصة فى فرنسا حيث تألقت المدرسة (الرومانتيكية)

ملأ الدنيا بإبداعه حتى حصل على الميدالية الذهبية وصار رائداً فى الفن الفيكتورى الذى ساد إنجلترا فى القرن ١٩

الوداع

بزعامة تيودور جيريكو والتى بدأت فى الظهور بعد عام ١٨١٩ محطمة قيود (الكلاسيكية الجديدة) الناعمة الحالمة والتى فرضت بالارهاب والدكتاتورية .

والرومانتيكية مشتقة من لفظ (رومان) ومعناها بالفرنسية : قصة أو حكاية ، أى أن هذا المذهب يعتمد على المبالغة فى تصوير المشاهد التراجيدية أو الدرامية فالألوان أكثر اشراقا ، والحركات مبالغ فيها ، والأبطال أعظم بطولة ، والنساء أروع فتنة وجمالا .

انطلاق الموهبة

من هذا المنطلق ، اتجه كثير من الفنانين الى هذا المجال يسجلون من خلاله القصص والاحداث ، سواء أكانت من أعماق التاريخ أو من أحداث الحياة المعاصرة .

وتلقف فناننا (تاديما) هذا الخط ، واتجه بكل ميوله ومواهبه الى أحداث التاريخ ليغوص فى أعماقها السحيقة .. يستخرج لآلئها ودررها فيصوغها فى أروع ما شاهد الشعب البريطانى ـ والعالم اجمع ـ من جمال ومثالية بصرية بلغت حد الاعجاز فى الادراك والحساسية !

ولم يتأثر (تاديما) أو يهتم بما حدث من متغيرات فى مدارس الفن واساليبه فى العاصمة الفرنسية .. وأخذ يبدع بثقة دون أن يخشى اتهامه بالجمود أو التخلف .. وهكذا كان طابع الحياة البريطانية : الاعتزاز بالتقليد المتوارث واحترام التراث والبعد عن الانفعالات الطارئة بقدر الامكان . وإذا كان لابد من التغيير أو التطوير ، فليكن انطلاقاً من اقتناع منطقى دون ثورات بركانية أو هزات عنيفة كما حدث لمسيرة الفن ألحديث فى فرنسا .. فقد كانت المعارك مستمرة هناك سيما بعد ظهور (التأثيرية) وما بعدها فى الثلث الاخير من القرن الماضى ، تلتها مدارس الوحشية والتكعيبية والتجريدية بأنواعها فالبوهيمية والتعبيرية ثم السيريالية التى فتحت الباب على مصراعيه أمام متاهات التيارات الجارفة من التعبير التشكيلى ، كان فيها المعقول وغير المعقول كل هذه المعارك والفورات حدثت فى أقل من نصف قرن !

على النقيض ـ كما أسلفنا ـ من الفن فى المجتمع البريطانى ، إذ نرى الفن من خلال مسيرته الطويلة يكاد يكون وقورا ملتزما ـ نسبيا ـ لا تؤثر فيه لطمات الموجات المستحدثة ! حتى أن الفنان الانجليزى الأشهر (جون كونستابل) عندما أراد أن يتحرر قليلا عن القواعد الكلاسيكية الجامدة ، فخرج الى الطبيعة يسجل منها مناظره الطبيعية الشهيرة بشىء من التصرف اللونى ودراسة المتغيرات الضوئية اعتبر ذلك خروجا عن المألوف فى عالم الفن فى بريطانيا ! بل وعندما سار (تيرنر) فى ابحاثه الضوئية بتطوير ملحوظ فى مناظره وتكويناته .. وجعلها غارقة فى هالات من الضوء والتألق .. اعتبر ذلك ايضاً ثورة جامحة .. مع ان الالتزام بالواقعية كان مسيطرا إلى أبعد الحدود

وما يقال عن المناخ الفنى حينذاك فى بريطانيا كان هو نفسه فى هولاندا حيث مرتع الصبا والشباب عبر الاجواء الملتزمة التى احاطت بنشأة (الما تاديما) إذ كانت حرية التفكير واختيار الأسلوب متاحاً لكل فنان دون حرج أو معوقـــات ..

فنان الأشكال المرمرية

تسجيل الاحداث

أحب الفنان تسجيل التاريخ فى لوحاته .. وبهرته قصص الكتب المقدسة والاساطير القديمة وشغف بالاسلوب الاغريقى الحالم كالاطياف الشفافة .. وسجل أعماله بهذا الاسلوب الغارق فى النعومة وتاكيد الملمس وإبراز التفاصيل بكل وقائعها ، وشغف بالعمارة الفرعونية والاغريقية والرومانية والجدران والارضيات الرخامية المصقولة فوصل فى رسمها إلى الذروة بمهارة معجزة حتى اطلق عليه لقب (اسطورة الفن الرخامى) او (فنان الاشكال المرمرية) !

وملأ الدنيا بابداعه حتى حصل على جائزة (الميدالية الذهبية) عدة مرات كان أولها عام ١٨٦٤ وآخرها عام ١٩٠٦ ، وهذه الجائزة الرفيعة لاتعطى إلا لأعلام الفن البارزين . وبالرغم من أصله الهولندى (حيث ولد فى ٨ يناير عام ١٨٣٦ بقرية درونريب باحدى مقاطعات فريزلاند الهولندية) إلا أنه يعتبر رائدا فى الفن الفيكتورى الذى ساد انجلترا فى القرن التاسع عشر . وذلك بعد ان استقر فى لندن منذ عام ١٨٦٢ .

وإذا أردنا أن نتعرف على لمحات من حياة الفنان ، فسنرى عائلته ترحل بعد مولده بعامين إلى مدينة (ليواردين) عاصمة المقاطعة ، وبعد عامين آخرين توفى والده وهو لم يزل طفلا فى الرابعة من عمره ، وسيطر على ميول الطفل فى هذه السن المبكرة حبه الشديد للرسم ، وتحكى والدته فى مذكراتها أنها كانت تربط حبلا فى ساقه لتقوده فى الصباح جرا إلى المدرسة حتى لا ينسى نفسه ويجلس على أرصفة الشوارع ليرسم كل ما تقع عليه عيناه .. وكثيرا ما كان يقضى الصبى اليوم كله فى التجوال وهو يرسم ويعود منهكاً مدعياً أنه كان بالمدرسة ..

ومرت الايام ، وشب الفتى والتحق باكاديمية (انتويرب)للفنون الجميلة ، ولاحظ اساتذته هذا الميل الجارف لرسم المناظر التاريخية ، فقربه إليه الفنان الشهير « بارون جوستاف » الذى كان متخصصا فى رسم اللوحات التاريخية والفن التسجيلى الوثائقى ، ونبغ الفتى فى هذا الاتجاه ، ومن المعروف فنياً انه

النزهــة

أمومــة

● كانت أمه تربط حبلاً فى ساقه لكيلا يهرب إلى أرصفة الشوارع من أجل أن يرسم !

● ثلاث ساعات يوميًا لدراسة الآثار التاريخية واللغات القديمة

اتجاه بالغ الصعوبة والتعقيد ، ويحتاج لجهد ومقدرة واستعداد فائق . وكانت هذه الاكاديمية الهولندية تضم ثلاثة من كبار الاساتذة المهتمين برسم التاريخ . أولوه جميعهم رعاية وتركيزا على تشجيعه وتفوقه ، وكان يقضى يومياً ثلاث ساعات مع استاذ علم الأثريات الشهير (لوى دى لاتاى) لدراسة الآثار التاريخية واللغات القديمة . وبعد تخرجه ، اسند إليه عمل اللوحات الحائطية الضخمة لقاعة الاحتفالات الرئيسية بمدينة « أنتويرب » مسجلا فيها الأحداث التاريخية الاقليمية ، وقد تعلم من اساتذته ألا يهرب من التفاصيل وبدلا من ذلك يحاول أن يدرسها بكل دقائقها ، وهذه هى أصول الفن الوثائقى

ست وعشرون لوحة عن الحياة المصرية القديمة بكل مظاهرها

الذى يروى التاريخ بكل نبضه وواقعيته !

العمل الخارق

عندما رحل الى لندن عام ١٨٦٢ ، وجد أن متاحف بريطانيا تزخر بالآثار المصرية القديمة عبر عصورها الحضارية المتعددة .. وشهد رأى العيان النماذج الحقيقية من التماثيل والنقوش والرسوم البارزة والغائرة .. فوجد أنها الاعجاز الفنى بذاته! ومنذ أن حظى بمشاهدة تلك الآثار التى طالما كانت تداعب وجدانه وأحلامه ، أوقف حياته وفنه للتعمق فى دراسة الحضارة المصرية الفرعونية .. وابدع (ألما تاديما) وعلى مدار عامين كاملين أقام معرضاً كاملا عن مصر القديمة ، وعرضه فى صالون باريس عام ١٨٦٤ ، وذهل الفنانون والعلماء ورواد الفكر الانسانى بهذا العمل الخارق .. وحصل على جائزة الصالون الذهبية ، وعندما سئل عن اهتمامه بالحضارة الفرعونية أجاب بقوله الشهير :

(إن أول شىء يلقن للطفل فى دراسته عن الحضارات الاولى هو الحضارة المصرية . بل إننا كلما درسنا منابع العلم أو الفن فى أى دولة أخرى فى العالم وجدنا أن هذه المنابع ما هى إلا روافد لنهر النيل العظيم حيث تقبع مصر على شاطئيه كمنارة الهدى للبشرية جميعها !

الزوجة الفنانة

رأيناه يبدع ست وعشرين لوحة ضخمة — كان بعضها فى حجم حائط كبير — عن الحياة المصرية بكل ظواهرها ومئات أخرى من الرسوم التفصيلية لهذه اللوحات الخالدة . وفى عام ١٨٦٣ قدم إلى التراث الانسانى بحثاً مدعماً باللوحات والرسوم والمعلومات القيمة عن الحياة المصرية فى عهد رمسيس الثانى ، مستمدا معلوماته من اساتذة التاريخ المصرى ، ومن وثائق المتحف البريطانى وباقى المتاحف الاخرى .. ومن موسوعة (وصف مصر) لعلماء وفنانى الحملة الفرنسية الشهيرة .

وعندما زار روما — لأول مرة — مع عروسه عام ١٨٦٣ ليقضى (شهر العسل) بين آثارها ، شغف بالآثار الرومانية واطلع على الوثائق والمخطوطات التى تضمها متاحف ايطاليا ، وكان لابد له من أن يسجل حياة الرومان القديمة فى لوحات كما فعل قبل ذلك مع الحياة المصرية .

واشتهر (الما) فى العالم أجمع ، وصارت العواصم تهفو إلى عرض أعماله فيها .. وتعددت العروض المغرية لبيع لوحاته (وهى الآن موزعة على متاحف العالم) .

واستطاع — بما يدره عليه فنه من ثروات — أن يعيش فى أرقى المستويات ، وأن يتخذ نماذج (موديلات) لوحاته من أجمل الحسان .

وعندما توفيت زوجته الأولى وخلفت وراءها طفلتين جميلتين ، استلهم منهما الفنان موضوعات شتى للطفولة ، تمثل فيها الحب والبراءة والانفعال والتعاطف . وتزوج للمرة الثانية بفتاة رائعة الجمال — وهى ابنة طبيب بريطانى شهير — اتخذها فى نفس الوقت (موديلا) للوحاته ، ولم تكتف الحسناء بذلك ، بل أن حبها للفن والفنان ، جعلها تمارس الرسم وما هى إلا سنوات قلائل ، حتى كانت تعرض لوحاتها فى ركن صغير بجانب لوحات زوجها واستاذها .

وكانت تقول عند توجيه أى نقد للوحاتها المتواضعة : ألا يكفى أننى زوجة لالما تاديما ؟ ألم يكفنى هذا المجد ليغفر لى هفواتى الفنية ؟!

وداع الفنان

وتعددت أعمال الروائع للفنان العملاق .. وعمر العالم بانتاجه الرائد .. وتوالت عليه شهادات التقدير والجوائز والميداليات من كل المحافل الفنية والثقافية .. وإلى أن اسلم الروح فى ٢٥ يونية عام ١٩١٢ عن ستة وسبعين عاما حافلة ومثمرة ، كأروع ما يكون الثمار ، لم يتوقف لحظة عن الابداع فى اخلاص ومثابرة دائبة .

وكانت وفاته فى ألمانيا حيث ذهب للعلاج ، ونقل منها فى حفل مهيب ليدفن فى قبو كاتدرائية سان بول بجوار عمالقة الفن والفكر فى بريطانيا من أمثال تيرنر ولاندسير ولايتون وبوينتر وهولمان هنت وغيرهم من الأعلام الذين أضاءوا بابداعاتهم الرفيعة سماء الانسانية .

جمال قطب

وقائع عربية

بقلم: محمد المنسى قنديل
رسوم: جمال قطب

الحيرة .. أغنية العشق والشعر والقوس

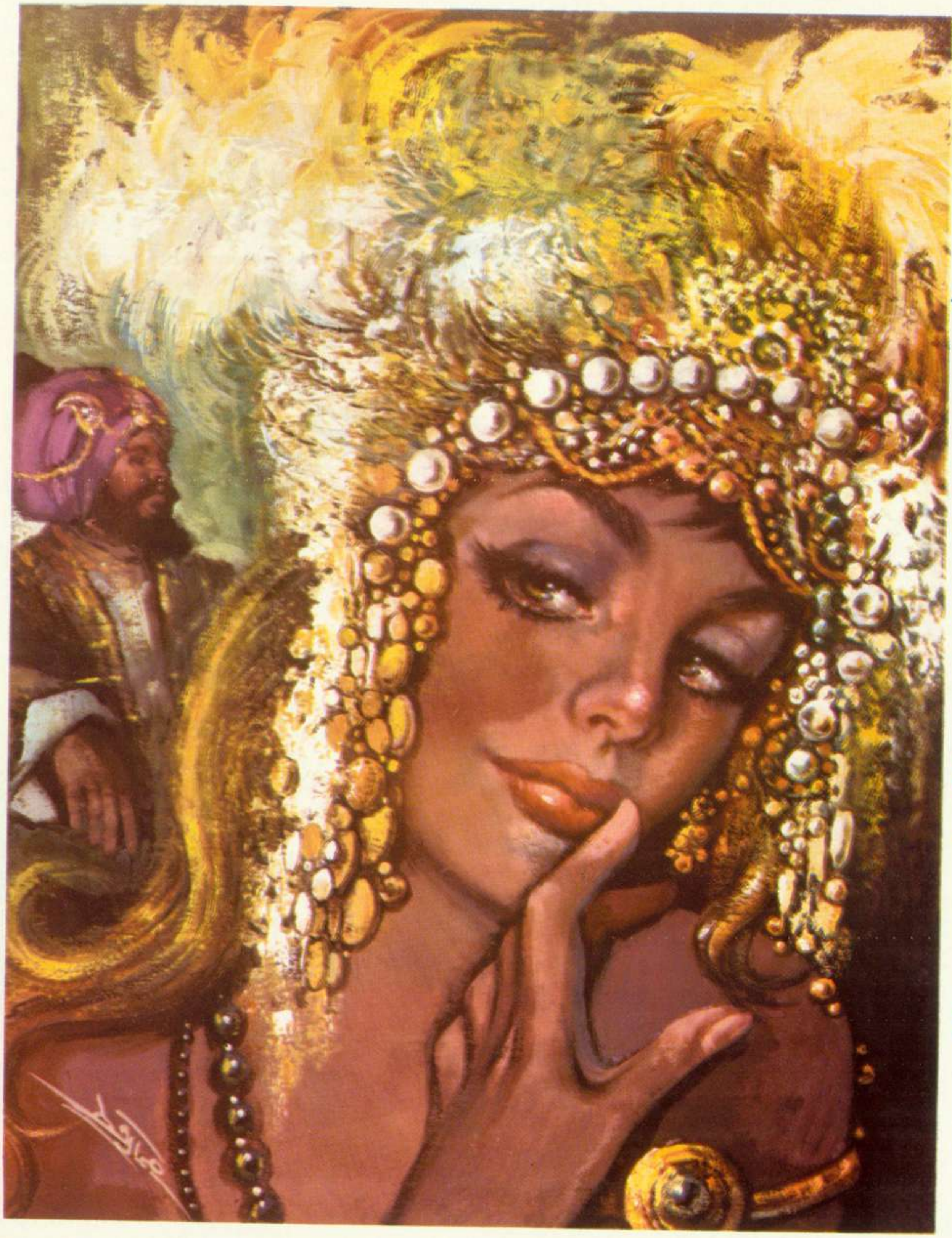

● كانت حقـلاً من شقائق النعمان على حافة الصحراء .. وقبراً للشعراء

● كل ملوكها كانوا الملك النعمان .. وكل أيامها يوم للبؤس ويوم للنعيم

(كانت هناك مدينة لم يبنها احد . ولم تنسب لأحد . وعندما اندثرت لم يبق منها على الرمل اثر . كانت مدينتى . وكان اسمها الحيرة . وكانت شيئا ما .. بين النزوة والكابوس . بقعة من ضوء الشمس وهواء النهر وقطرة من دم شاعر . وحلم كالسيف . ولم اكن متاكدا أهى مدينة .. أم مجرد حلم عابر ..؟..)

حتى يبقى السر محفوظاً

على سورها أخذت العرافة يدى . وجرحت انامل . وقالت انتظر فلم انتظر . كان الملك النعمان يبنى قصره ـ الخورنق ـ على اضلاعى المرتعشة . وجاء مهندسه ـ سنمار ـ فقسم الأرض وحاصر الأنهار المتفرعة فى المدينة كأصابع اليد . ثم رص الأحجار . اقام أولا السجون والاقبية وغرف التعذيب . ثم سوى الأرض وبنى خزائن الملك ومستودعاته ودروعه ووصاياه . ثم سوى الأرض . وزرع النباتات الاستوائية الزاهية الألوان كأنها حلم دافىء . ثم بنى ثكنات الحرس ومخازن السيوف والدروع . وبنى الجناح الشتوى ووضع ندف الثلج على النوافذ . وبنى الجناح الصيفى واجرى النهر على عتباته . ثم بنى قاعة العرش واحاطها بالدهاليز والابواب الواطئة لتدخل منه كل الوفود وهى منحنية وكان على الملك النعمان أن يدخل قبل الجميع حتى لا ينحنى أمام احد . ثم ذهب ـ سنمار ـ إلى الملك وقال له فى خبث طفولى .. هنا سر فى القصر يامولاى .. ولعب الملك فى شعره بود شديد وسأله .. ماهو السر ياسنمار .. فسار معه الى السور الشاهق .. واشار إلى احد الاحجار وهو يقول .. هذا الحجر يامولاى هو محور القصر إذا نزع من مكانه انهارت كل احجار القصر .. وابدى النعمان دهشته من براعة مهندسه .. ووعده أن يكتم السر ثم دفعه بحركة رشيقة ليهوى محطما من فوق السور ويبقى السر محفوظا .. ومن هذه البداية الهزلية .. بدأت رحلتى إلى الحيرة.

حكت العرافة اصابعى الدامية فى الرمل وقالت انتظر .. فلم انتظر .. واقبل الشعراء فى نفس الميعاد ووقفوا بباب الملك . ستة وعشرون ملكا توالوا على هذه المدينة .. ولم يعرف عدد الشعراء الذين رحلوا إليها وكيف انبثقت امامهم وسط الصحراء فراوا فيها السراب والملاذ والحلم .. فوحدوا ملوكها فى ملك واحد هو الملك النعمان به تبدأ وإليه تنتهى .. واختصروا أيامها فى يومين : يوم للبؤس .. ويوم للنعيم

كل واحد رآها كما لم يرها الآخر .

وعندما عادوا إلى قبائلهم . أعنى الذين استطاعوا أن يعودوا . وصفوها بطريقة مختلفة شكلوا من احلامهم ألوان بيوتها . ومسرى النهر فى شوارعها . وهمس العشق فى مغانيها وقالوا .. يوم فى الحيرة خير من ترياق النطاسين .. ولطيب هوائها ولنقائها لم يمت فيها من الملوك الست والعشرين إلا ملك واحد .. والباقون ماتوا فى رحلات الصيد والغزو .. ولكن الشعراء كانوا طيور الحيرة المهاجرة .. حلموا بها دون أمل .. وماتوا فيها بلا ثمن .. ومنذ أن نادتهم وهم يسعون إليها دون أن يسأل احدهم نفسه .. من الذى بنى ذلك الفخ البالغ الجمال ..؟

كانت البداية غامضة

.. اهو ـ ارخيا ـ الساحر بعد أن طرده قومه فلجأ إلى هذا المكان وبنى المدينة على حافة النهر .. ووضع الطلسم على بواباتها من دخلها لا ينساها .. لأن النهر فيها أعذب من كل الأنهار .. والنساء فيها من أجمل النساء .. أهذا هو سر سحرها الاسر..؟ .. أم أن الذى بناها هو الملك ـ بختنصر ـ ملك آشور عندما هاجم القبائل العربية التى تسكن فى جنوب العراق ونكل بهم وكان الأسرى اكبر من أن ينقلهم إلى مدينته فوضعهم واقام حولهم حصنا على رأس الحراس ، ومرت الايام فاختلط الأسرى بالمأسورين .. وتحول السجن إلى موطن .. وبقى فى أعماقها احساس الأسر .. أم أن المدينة كانت ثمرة التيه فى الصحراء عندما خرج ـ اردشير ـ أحد ملوك الفرس قاصدا بلاد اليمن .. وكان عالما بالطرق والمسالك وظل يسير حتى وصل إلى هذه البقعة فاختلط عليه كل شىء .. وتحير .. ولم يعرف إلى اين يمضى وكيف يعود .. فبقى فى مكانه .. وبنى بيته .. ومدينته .. واكتفى من رحلته بالحيرة .. أيا كان الامر .. سواء كانت المدينة سحرا أو عجنا اوتيها فى الصحراء .. وسواء اشترك فى بنائها السحرة والاسرى والملوك .. فقد كانت مدينة غريبة بناها كل الذين زاروها .. ووضع فيها كل واحد شيئا ما .. فجاءت من داخل الجميع ..

ثم جاء الملك النعمان .. سوف نختصر فيه كل الملوك لأنه الوجه الآخر للمدينة .. جاء والحيرة بلا ملك .. وفيها ـ عدى بن زيد ـ كاتب كسرى ومستشاره .. ولو شاء لكان ملك الحيرة .. ولحمله الناس على الاعناق . ولكنه كان زاهدا فى الملك محبا لنزوات الحياة البسيطة .. وكان يريد النعمان ملكا .. وسار أولاد المنذر بن ماء السماء إلى المدائن ليختار منهم كسرى الملك .. ونحى عدى ـ النعمان ـ جانبا وقال لهم .. إذا دخلتم على كسرى فالبسوا أفخر ثيابكم واجملها وإذا دعا لكم بالطعام فتباطأوا فى الاكل وصغروا اللقم .. فاذا قال لكم أتكفوننى العرب فقولوا .. نعم ولكن بعضنا لايقدر على بعض . ليهابكم ويعلم أن للعرب منعة وبأسا .. وكان للنعمان معه شأن آخر .. ثم دخلوا جميعا فى أبهى ملابسهم على كسرى إلا النعمان بوجهه الدميم الأبرش وشعره المتوهج .. دخل بثياب السفر البدوية متقلدا سيفه .. وعندما دعا كسرى بالطعام عظم فى اللقم واسرع المضغ والبلع .. كان قد تحوط قبلها وجاع طول اليوم .. فلما غسلوا ايديهم استدعاهم كسرى رجلا .. رجلا .. فيسأله .. أتكفينى العرب .. فيرد عليه .. نعم إلا أخوتى .. حتى انتهى إلى آخرهم النعمان فسأله .. أتكفينى العرب .. قال نعم .. قال كيف لى بأخوتك ؟ .. قال إن عجزت عنهم فانى عن غيرهم أعجز .. وبدا واضحا أنه لا مجال للمقارنة .. وتمت المكيدة كما ارادها عدى .. ولبس النعمان تاجا مرصعا باللؤلؤ وعاد إلى الحيرة ملكا ..

لعبة كل الشعراء

دخل كل الشعراء إلى المدينة .. ولم يبق إلا انا لجانب العرافة .. وعبيد بن

وقائع عربية

الابرص جالس بجانب السور ملفوفاً فى حرام صوفى وبجانبه أخته ماوية .. سألته ..

ــ ألن تدخل الحيرة يا عبيد -.؟

حدق فى وهمهم .. لم يحن وقتى .. لم يحن وقتى .. نظرت بطرف عينى إلى ــ ماوية ــ . عينان كحلاوتان واسعتان .. ولكن عبيد لن يرحمنى .. كان راعياً فقيرا لا يقول الشعر .. ومنعه سيد قوى من ــ باهله ــ عن ورود الماء .. اشترط أن يأخذ أخته مقابل رعى الغنم .. وكان عبيد أضعف من أن يقاوم فترك أغنامه وهرب هو وأخته فى الظلام . ولم يكن هناك أى ضمان الا يطمع سيد آخر .. «ودعا» كل الآلهة أن تهبه أى قدرة على المقاومة . ونام فى ظل شجرة فجاءت أطياف ــ عبقر ــ ووضعت الشعر فى فمه .. ونهض فاذا هو أشعر العرب .. ودق عصاه فى الرمل وعاد إلى قومه .. تحول من راع الى سيد .. وتحولت بنو أسد من قبيلة نكره إلى قبيلة شريفة النسب والمحتد .. ثم جاء إلى الحيرة ..

كانت لعبة الشعراء قد بدأت . وفتح القصر أبوابه . وخرجت الخيول النافرة . والحيوانات الجائعة. والملك والوزراء وشيوخ القوافل والمغنيات والنخاسون وبائعو القرنفل والبهارات وبعض ضيوف الشرف من الفرس وأسرى الروم وعدة رهبان لا يتبعون أية ملة . وصاحبة أكبر ماخور فى الحيرة . وكبير الكهان .. وبعض نساء الاشراف جئن مع عبيدهن الخصوصيين وممثلون عن قطاع الطرق ومنجمون من بابل .. ويهود يتاجرون فى الاسلحة المهربة . ورحل كانوا يسعون للحج فتاهوا ونسوا . وبعض الرماة المهرة وكانت الشمس مثل ليمونة جافة حادة ومتجعدة . وأحس الشعراء باليتم الحقيقى .. ونفخت الابواق تعلن بدء اللعبة .. وصاح الملك النعمان .. هيا .. فركضت الخيول الجامحة . وزأرت الوحوش .. وتفرق الشعراء كورق الشجر .. وجاءت ــ المتجردة ــ زوجة الملك . جسدها مغطى بقطع الحلى الذهبية المطعمة بالاحجار الكريمة .. فى كل ما يجرى بعيون واسعة .. كأن اللعبة بأكملها تدور داخلها . وصرخ عنترة بن شداد وهو يلهث خائراً .. يامولاى .. طاب صباحك .. وأهلى فداؤك .. أريد مائة من النوق الحمر .. وضحك الملك ــ أيها العاشق الأحمق .. أى امرأة فى العالم لا تساوى ناقة واحدة ..

وانهالت السياط على عنترة .. كان شجاعاً ولكنه كان خائفاً .. ولم يفهم أصول اللعبة على الاطلاق .. وعندما باع روحه ذات لحظة غامضة .. وظفر بالنوق وعاد إلى بنى عبس .. وجد عبلة قد ملت الانتظار وهربت مع أحد السادة .. وسافر خلفها ليستردها فوجدها قد ذهبت بمحض إرادتها . وذبح النوق الحمر فغمرت دماؤها الصحراء . ولم يهبط سوى الغربان . تركوا له مائة هيكل عظمى هى كل اطلال حبه .. ذلك الشاعر الاسود المغرور .. لم يفهم أبداً لعبة السادة .. شاعر آخر فهم اللعبة هو ــ المنخل اليشكرى ــ عندما وقف أمام عينى المتجردة .. وأدرك أن الشهوة هى نجاته الوحيدة .. وزاحمه النابغة الذبيانى .. كان موهوباً تعساً مغرورا حمل الشعر فى قلبه وعبر به الصحراء .. ولكن المنخل لم يرحمه . دفع به وسط الساحة تحت أنياب الملك الذى صاح ..

ــ رائع يا منخل .. سوف أقتل النابغة وأبقيك بجانبى فى قصرى .ومجلس أنسى .. ورحلة صيدى ..

وابتسمت المتجردة .. كانت قد ظفرت بنصيبها حتى موعد اللعبة القادمة .. وكان طرفه بن العبد بالغ الهزال . خائر النفس من بداية اللعبة . هجا الملك ولم يعد له أمان .. ولم يهج الملك النعمان على أى حــال .. ولكن يكفى أن يهجو ملكاً واحداً ليطالبه كل الملوك بالقصاص .. أعطوه رسالة وقالوا له اذهــب الــى عامل البحرين ليعطيك مكافأتك .. فقرأ العامل الرسالة وقتله . أعطوه خاتما وقالوا اذهب إلى خوله فاسترد قلبك .. وفقد الخاتم وذهب الى خوله فقتلته

.أعطوه مجداً وقالوا اذهب الى قومك يملكونك .. فذهب إليهم بلا مجد فقتلوه .. وضحك الملك من براعة النكتة .. والتفت إلى ـ المتجردة ـ ليقصها عليها ولكنها كانت قد اختفت مع المنخل . وتواصلت اللعبة .. كان الحارث بين ظالم المرى يبحث عن ثأر أبيه .. وكان بارعاً في التخفى من الخيل .. وبارعاً في مراوغة الوحوش الجائعة .. وظل يدور طليقاً في الساحة الواسعة .. وشعر الملك بالملل فأمر الحراس أن يهاجموه وأن ينهوا اللعبة .. ولكن الحارث راوغهم أيضاً واشترى سيفا من مكان مجهول وقتل عددا منهم .. وهاجم الملك يريد أن يخنقه .. وأسرع الحرس ينقذون ملكهم .. وبدا كأن اللعبة ستتحول إلى كابوس فانفض المهرجان قبل نهايته .

انسحب الملك إلى قصره . وانفضت الجموع . كان له نديمان .. خالد بن المضلل وعمرو بن مسعود .. لا يتركانه .. كان في حاجة ملحة لمن يبرر أعماله ويؤكد صوابها . في مجلس الأنس كانا يمزجان خمرته بالماء . وفي الصيد يمسكان الغزاله ليرشقها بسهمه .. ويبرران عجزه أمام المتجردة كل التبريرات الفلسفية .. كانا نديمين مثاليين لا يستطيع ملك أن يستغنى عنهما . كان الملك هذه الليلة متوفزاً .. وأحضر الخدم كل ما في أقبيته من شراب .. ورغم أنه لمح المنخل والمتجردة إلا أن النديمين اكدا له أنه لم يلمح شيئا . وشرب .. ولعن كل قبائل العرب والفرس والروم . ووافقه النديمان . ولعن كل نساء الارض وأقسم أنه ولا واحدة منهن قد أفلتت منه . ووافقه النديمان .. ثم بدأ يقول الشعر . وكان الشراب قد أثقل رأسي النديمين .. سأل ابن المضلل عن رأيه فقال في صوت حاسم ..

ـ لم أسمع شعرا أردأ من هذا أبداً ..

وفتح الملك فمه مذعورا والتفت إلى ابن مسعود الذي حذره في عنف ..

ـ كف عن هذه الاشعار السخيفة يامولاي .. أنت لست صغيراً .

وصرخ الملك .. خيانة .. مؤامرة .. طار الشراب المعتق من رأسه .. وجاءت المتجردة مسرعة .. ورتب المنخل ثيابه .. واستدعى الملك الحرس وأمرهم أن يدفنوا نديميه وهما أحياء .. ومرت الليلة على خير ..

ولم يفق الملك إلا في الصباح .. وأمر الحرس أن يستدعوا لـه نديميه المخلصين .. فقادوه إلى الحفرتين .. وقف مذعورا .. هو الذي فعل هذا .. لابد أن هناك مؤامرة أخرى .. وشعر الملك بالحزن .. بكى بدموع حقيقية .. وأمر فبنوا على كل قبر نصبا عالياً .. وأقسم أن يمر بينهما كل وفود العرب الداخلين إلى الحيرة .. وجعل في العام يومين .. يوم للنعيم .. من دخل الحيرة فيه قدم له مائة من النوق السود . ويوم للبؤس .. من دخل فيه ذبحه ولطخ بدمه النصبين .. وعندما نهض عبيد بن الابرص وأخته ـ ماويه ـ ودخلا المدينة كان هذا يوم بؤس الملك ..

أين يوم النعيم ؟

كانوا في انتظاره .. الملك والقضاه والجلاد . وحين أشرف عليهم قال النعمان .. هلا كان الذبح لغيرك ياعبيد .. قال .. ـ أتتك بحائن رجلاه ـ فصارت مثلا . قال النعمان .. وما ترى .. ؟ .. قال ـ أرى الحوايا عليها المنايا فصارت مثلا . قال النعمان .. انشدني فقد كان شعرك يعجبني .. قال عبيد .. ـ حال الجريض دون القريض ـ . فصارت مثلا . وصاح الجلاد متبرما . ما أشد جزعك من الموت قال عبيد ـ لا يرحل رحلك من ليس معك ـ فصارت مثلا . قال النعمان . قد أمللتني فأرحني . قال . من عزيز فصارت مثلا . قال النعمان . انشدني .. افقر من أهله ملحوب .. قال .. أفقر من أهله عبيد . فليس يبدى ولا يزيد . صرخ النعمان . ياعبيد ويحك انشدني قبل أن أذبحك . قال .. والله إن مت لما ضرني وإن عشت ما عشت في واحد . هتف النعمان . لابد من موتك . لو جاء أبي ودخل الحيرة في يومي هذا لذبحته .. فأختر طريقة فصد دمك .. إن شئت الأكحل وإن شئت الابجل وإن شئت الوريد . قال عبيد .. ثلاث خصال كسحابات عاد وارهاشه وارد وحاد شر حاد ومعادها شر معاد ولا خير فيها لمرتاد . وإن كنت لا محال قاتلي فاسقني من الشراب حتى إذا ماتت مفاصلي وذهلت دواهلي فشأنك وما تريد .. وأمر له النعمان بحاجته من الشراب حتى أخذ منه .. وطابت نفسه .. ودعا به ففصد دمه .. ولطخ به النصبين .. ومضى يوم بؤس الملك كما يمضي كل عام ..

لم تكن الحيرة مدينتي .. ولا النعمان ملكي .. كنت حائرا فيها لا أعرف متى تبدأ النزوة وإلى أين ينتهي الكابوس ؟ .. قالت العرافة لي .. الحيرة امرأة حرون . عشقها صعب وفراقها صعب .. وأنا أجوس في أزقتها .. هنا حانة .. وهنا قبر . وهنا قصة عشق . وهنا حادثة أغتيال . وما بين هؤلاء تمتد زهور شقائق النعمان .. قالت لي العرافة .. لا تفكر في الحيرة .. عشها .. إنها ليست مدينة .. انها حالة من الهوس والعشق والجنون والنشوة .. فقلت أشعاري ورقصت في الساحات وعانقت الجواري ونفضت قلبي من رمل الصحراء العالق به .. لم يبق لي إلا أمنية واحدة .. المتجردة .. قلت للعرافه .. يوم واحد من أيامها .. وقبل أن اسمع اى اجابة رأيت خدم الملك وهم يحملون جثة المنخل إلى حافة النهر .. لقد اكتشف الملك الأمر .. وغفر للمتجردة .. ولكنه لم يغفر للمنخل ..

وفي طريق هروبي .. لاقيت الملك النعمان .. وكان يبكي على قبر آخر .. وكانت دموعه حقيقية أيضا .. قلت له ..

ـ ابيت اللعن .. طاب صباحك وأهلي فداؤك .. قبر من هذا .. ؟

قال النعمان في أسى ..

ـ هذا قبر صديقي وصفو روحي عدى بن زيد .. اخطأت فقتلته ..

قلت بمرارة ..

ـ ما أكثر أخطاؤك يا مولاي ..

ـ ماذا أفعل وهذا دأب الملوك .. نقتل أولا بدافع السلامة ثم نفكر بعد ذلك من باب اللياقة ..

ثم جلس مهدوداً بجانب القبر .. وأدركت فجأة .. أن من هذا القبر بدأت نهاية النعمان .. وإنه يحفر لنفسه من هذه اللحظة .. قبراً مجاوراً ..

حتى تكتمل الدائرة

منذ أن صعد النعمان على عرشه بمساعدة عدى .. وقد بدأت متاعبه .. يتوقع الملك القادم . يتخيله ويراه في كوابيسه ويصنع المستحيل ليمنع قدومه . لم يكن عدى في حاجة للتحريض عليه .. كان بسيطا كثير المآخذ .. وعندما سعى الوشاة لم يكن من الصعب اصطياده ووضعه في السجن .. وجاء رسول كسرى لينقذه فأسرع النعمان

وقائع عربية

وخنقه داخل السجن .. وتظاهر بالبراءة الشديدة واسبغ الهدايا للرسول ليصور الامر كأنه حادث عابر ..

ثم بدات طقوس الندم النعمانى .. بنى القبر . وذرف عليه الدمع . وظل يبحث عن طريقة للخلاص .. ملأ الحيرة بأشباح القتلى لعل شبح عدى يختفى بينهم .. ثم خرج فى احدى رحلات الصيد ورأى ـ عدى ـ .. لم يكن شبحا .. كان طفلا صغيرا .. حين وقف امامه مدهوشا .. قال الطفل .. أنا زيد بن عدى بن زيد .. ما اغرب الايام .. ايتها المواريث القاتله .. دمعت عينا الملك .. اكتملت دورة الندم .. سوف يكون الولد كما كان ابوه .. بلا اخطاء قاتلة ..

ورحل زيد إلى كسرى بتوصية من النعمان .. كأنما كان يبعث بالسيف المثلوم للشحذ . ويهيىء النهاية التى تنتظره .. وزيد يكبر . ويزداد اقترابا من كسرى ويحمل ثار أبيه المغدور به فى صدره .. طائر عطش جريح .

وكان لملوك الفرس صفة من النساء . مكتوبة عندهم يبعثون فى طلب من يكون على هذه الصفة من النساء . إن وجدت حملت لكسرى . ولم تكن تطلب فى بلاد العرب ولا يظنونها عندهم .. ولكن هذا العام قال زيد لكسرى ..

ـ لقد قرات الصفة وانى عارف بآل المنذر .. وعند عبدك النعمان من بناته واخواته وبنات عمه وأهله أكثر من عشريـن امراة على هذه الصفة . وتحمس كسرى لفكرة النساء العربيات . وحذره زيد من أن النعمان قد يرفض متانفـا .. وسار زيد ورسول كسرى إلى الحيرة .. ووقفا يقرأن على النعمان صفة المراة التى يريدها كسرى .. (معتدلة الخلق . نقية اللون والثغر . بيضاء . قمراء . وطفـاء . كحلاء . دعجـاء . حوراء . عنياء . شماء . برجاء . اسيلة الخدين . شهية المقبل . جثلة الشعر . عظيمة الهامة . بعيدةمهـوى القرط . عيطاء . عريضة الصدر . كاعب الثدى . حسنة المعصم . لطيفة الكف . سبطة البنان . ضامرة البطن . خميصة الخصر . رابية الكفل . لفاء الفخذين . مشبعة الخلخال . قطوف المشى . مكسال الضحى . سموعا للسيد . رقيقة الانف . عزيزة الانف . لم تغد فى بؤس .حبيه . رزينة .. كريمة الخال ...)

ولم يدعه النعمان يكمل .. هذه أوصاف امراة خيالية .. والحيرة مليئة بكل شيء إلا الخيال .. قال الرسول ..

ـ اليس فى ـ فارس ـ طلب الملك حتى يطلب منى ..

وتظاهر زيد بتفهم الموقف .. ولكنه نقل صورة عكسية لاعتذار الملك حملها الرسول معه وعاد زيد آسفا . وقال لكسرى ..

ـ كنت قد اخبرتك يا مولاى بضنهم بنسائهم عن غيرهم .. إنهم يختارون الجوع والعرى عن الشبع والرياش .. ويعيشون وسط ريح السموم عن طيب ارضك .. بل ويسمونها السجن .

ولم يتصور كسرى أن النعمان يجرؤ على رفض طلبه . وعندما عاد بقية الرسل فاشلين دون أن يعثروا على امراة واحدة بهذه الصفـه .. تضاعف ذنب النعمان .. وصاح مهددا ..

ـ لقد ارادها لنفسه .وسوف يصير أمره إلى خـراب ..

وحملت الريح المسافرة التهديد الى النعمان . واهتزت الحيرة بين قدميه دون أن يفهم ماذا حدث بالضبط . وادرك انه قبل أن يعرف سوف يكون كسرى قد ظفر به .. وحين جاء خطاب يطلب منه التوجه إلى المدائن انفضت الحاشية وهرب الوزراء .. وتلبث الشعراء قليلا ثم فروا .. وجمع النعمان أمواله وسلاحه وانتظر حتى ساد الظلام ثم فر من الحيرة

ضائع بين القبائل

هرب من نفس الطريق الذى هرب منه الجميع من غضبه .. واستغاث بنفس القبائل .. وتلقى نفس الرد .. ذهب إلى جبل طـيء . كان متزوجا منهم وتوسل إليهم أن يحموه .. ولكنهم قالوا ..

ـ لولا صهرنا لك لقتلناك .. لا حاجة لنا فى معاداة كسرى ..

وعاد إلى الصحراء . بين كل القبائل التى طالما سارت إليه وفودها .. تقدم الطاعة وتطلب الرضى .. ابيت اللعن . طاب صباحك واهلى فداؤك .. بنو عبس رفضت . واسد طردته قبل أن يطأ المضارب . وذبيان سرقوا دروعه . وغطفان أكرمته ليلة واحدة ثم طلبت منه الرحيل فى الصباح .. طاب صباحك واهلى فداؤك .. من دخل الحيرة فهو امن .. لا سيف يرفع .. ولا ثار ينال ..

الكل فى حماية الملك .. والملك فى حماية من ؟ ..

ذهب إلى ذى قار . بنى شيبان وصديقه الأخير هانىء بن مسعود وبعد ذلك الطوفان .. لم يحن وقت الطوفان بعد .. اجاره هانىء .. ولكنه قال له ..

ـ انا مانعك مما أمنع نفسى وأهلى وولدى منه .. ولكن ذلك لا ينفعك لأنه مهلكى ومهلكك .. وعندى رأى آخر ولست أقوله لاقصيك عنى .. ولكنه الصواب ..

وارتعش النعمان .. وواصل هانىء ..

ـ كل شيء يمكن أن يكونه الرجل .. إلا أن يكون بعد الملك سوقة .. والموت نازل بكل احد .. ولئن تموت كريما خير من أن تتجرع الذل أو تبقى سوقة بعد الملك .. هذا إن بقيت .. فامض إلى كسرى واحمل إليه الهدايا ومالا والق بنفسك بين يديه .. فاما إن صفح عنك وعدت ملكاً عزيزا .. وإما إن اصابك الموت .. خير لك من أن يتلعب بك صعاليك العرب ويتخطفك ذئابها وتأكل مالك وتعيش فقيرا مـ [illegible] .. أو تقتل مقهورا ..

كأن هناك حل آخر .. ؟ .. ضاقت الدنيا ولم يعد له نجاة إلا فى المدائن .. إنه الآن محكوم عليه بالاعدام دون أن يعرف السبب .. لو عرف .. هل يمكن أن ينجو .. ؟ ..

وحمل الهدايا .. والأمل إلى المدائن .. وعندما دخل سورها واحاط به الأكاسرة ورأى زيد بن عدى .. ادرك انه لم يحمل إلا الأمل الكاذب .. كأنما نهض عدى من قبره يطالبه بالقصاص .. وزيد يقول له فى سخرية .. انج يانعمان إن استطعت النجاة .. قال بمرارة .. أوفعلتها يا زيد .. اما والله لئن عشت لاقتلنك قتلة لم يقتلها عربـى قط .. ازدادت سخرية زيد .. امض لشأنك يا نعمان .. ربطت لك اخية لا يقطعها المهر الشارد ..

غريبة هى المدائن عندما تأتى إليها مطاردا .. كسرى غاضب لا يسمح بالايضاح ولا بالتوسل .. وقساة هم الاكاسرة وهم يدفعونه إلى السجن .. لماذا اجل قتله مادام قد بيت النية على ذلك ؟ .. كان السجن فى مكان موحش خارج المدائن لا يوجد على اسواره حراس .. بوابة ضخمة وقبو مظلم .. ادخلوه فقط من الباب ثم فروا هاربين .. وسار وحده فى سرداب طويل رطب .. وسمع أصواتا غريبة كقرض الفئران .. وصوت أنين غامض .. ثم صوت

ضحك خافت واهن كأنه بكاء .. ما كل هذا ؟

– أيها القادم التعس مرحبا بك بيننا .. فى البداية ستتعذب قليلا .. ثم تتعود .. ثم تذوى .. ثم تموت ..

والتفت فى ذعر .. لم يعرف من أى اتجاه كان الصوت قادما .. صرخ ..

– أنا الملك النعمان .. من أنتم .. ؟

قال نفس الصوت فى مرارة ..

– نحن المرضى المتحضرين .. والطاعون لا يفرق بين الملك والعبد ..

.... كانت الحيرة تعانى هى أيضا من طاعونها الخاص .. والصحراء تزحف إليها .. والجرذان أول من تفر .. والرمل يطمر كل ذكريات العشق والهوس والجنون وقبور الشعراء ومغانى الجوارى والنهر ينأى بعيدا .. يشق له مجرى آخر .. يترك الحلم فريسه للصحراء التى لا ترحم .. ليسود الرمل .. كما كان .. وكما سيكون للأبد ..

فالوداع .. الوداع أيتها الحيرة الغريبة .. لعلى القاك ذات مرة .. وأعشقك من جديد ..

محمد المنسي قنديل

دفاع عن رجل محترم لأسباب لانود الكشف عنها!

عبد الوهاب الأسواني

اذا فتحت الصحيفه او المجلة رايت صورته ، واذا مددت يدك الى مفتاح المذياع سمعت صوته ، اما اذا فتحت التليفزيون فستجده امامك (شخصيا) يتكلم عن نظريته في علم الاقتصاد التي وضعها في ثلاثه مجلدات كبيرة، واستغرق في كتابتها خمس عشرة سنة ..

المتخصصون في علم الاقتصاد قراوا المجلد الاول فقط ، ورفضوا تكملة القراءة بحجه ان (النظرية) لا ترقى الى المستوى المطلوب .. لكن اقاربه واحبابه قالوا ان خيال علماء الاقتصاد المحدود – باعتبارهم من نتاج عصور التخلف – لا يستطيع ان يحلق الى المستوى الرفيع الذي بلغه « الاستاذ » ومن ثم فان الامر يحتاج الى فترة طويله من الزمن حتى يظهر جيل جديد من علماء الاقتصاد يستطيع ان يقيم فتوحاته في هذا المجال ..

يستدرك اقاربه بان الجيل القادم نفسه لن يستطيع ان يعرف ما استغلق على فهم المعاصرين ، حيث انه نتاج للجيل المتخلف الذي سبقه، ومن هنا فلا امل ايضا في الجيل الذي يليه لانه سيكون نتاج هؤلاء ، وهلم جرا حتى قيام الساعه !

واحد من علماء الاقتصاد الشبان قال بلهجة غير مهذبة : ان « الاستاذ» لم يقدم للمكتبه العربيه صفحه واحدة ذات قيمه في علم الاقتصاد ..

لكن اقارب الاستاذ – واحدهم رجل اعمال يملك الملايين ويفهم في الاقتصاد ، قال : ان هذا الحكم الذي اصدره العالم الشاب غير منصف . لان كتب الاستاذ في علم الاقتصاد منتشرة في جميع انحاء العالم العربي ولولا وجودها – كما يؤكد رجل الاعمال بحكم تخصصه – لحدث خلل في اقتصاديات المنطقة ، حيث ان اوراق كتبه هي التي قامت بالدور الكبير المطلوب – اثناء ازمه الورق الذي تلف به السلع المباعه في حوانيت الشرق الاوسط – ولولاها لتعرضت البلاد الى هزة اقتصاديه لا يعلم مداها الا الله ..

بل ان السيد رجل الاعمال المحترم يؤكد ان المسألة لم تقتصر على البلدان العربية فقط ، بل امتدت

شرقا حتى حوانيت اواسط اسيا ، الامر الذي يساعد على رواج (الثقافة) العربيه في هذه المناطق البعيدة ..

عالم شاب اخر من علماء الاقتصاد ، قال انه تذرع بصبر ايوب وقرأ المجلدات الثلاثه ، فاكتشف ان المجلد الاول يدعو الى نظريه معينة في الاقتصاد السياسي ، والمجلد الثاني يدعو الى نظرية ثانيه ، بينما يدعو المجلد الثالث الى نظرية جديدة مخالفة ..

يستطرد العالم الشاب بلهجة تهكميه لا تليق بالعلماء :

معنى هذا ان « الاستاذ » قد غير عقيدته السياسية ثلاث مرات خلال الفترة التي كتب فها مجلداته التي اطلق عليها اسم (نظرية) ..

ورد على هذا الكلام رجل الاعمال – الذي نجله ونحترمه بسبب « المعطيات » التي يطرحها في براهينه – بقوله : ان « الاستاذ » بطبيعته فنان .. ومعروف عن الفنان ان داخله يهتز بسرعة امام المؤثرات الخارجية ، ومن هنا فان مسألة تغيير العقيدة السياسية لم تحدث الا نتيجة (المبلغ) الذي جاءه على ثلاث دفعات ، فاحدث في داخله ثلاث هزات « ايديولوجية » من النوع « العميق » ..

ويضيف رجل الاعمال الفاضل الذي يتحتم علينا ان ننظر الى

وتريات

جمعة

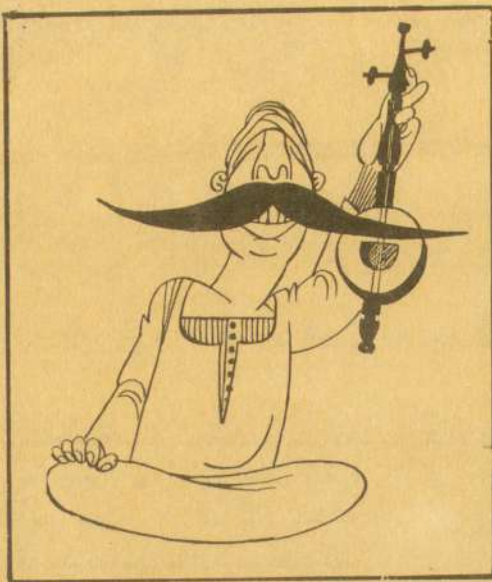

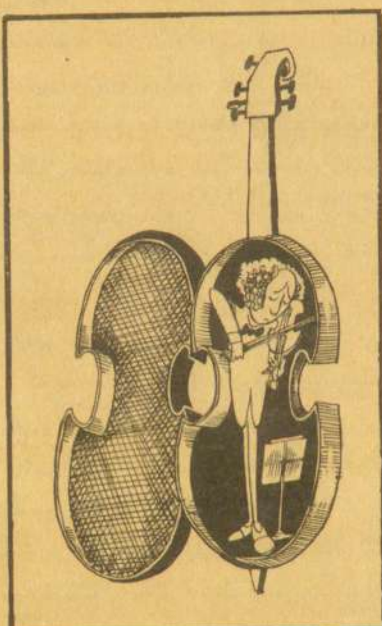

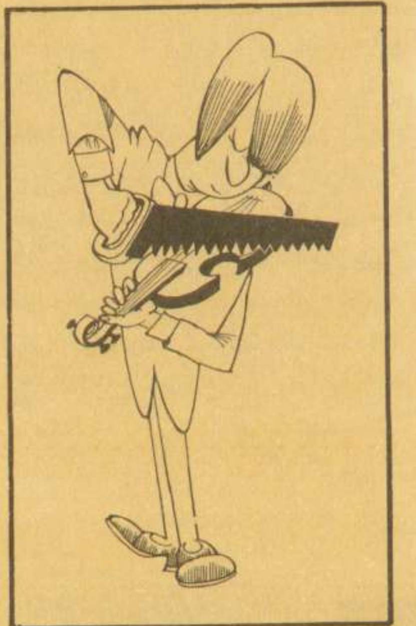

شهادته بعين الاعتبار لاسباب تتعلق بنا شخصيا ولا نرى انفسنا مطالبين بالكشف عنها :

اذا كان « الاستاذ » قد غير عقيدته السياسيه حسب مقتضى الاحوال ، فان هذا يدل على انه قابل للتطور .. فالرجل الجامد وحده هو الذي يتبت على مبدا واحد ..

ثم ضرب رجل الاعمال المحترم المثل بنفسه فقال : انه عقد ذات مره صفقه تجاريه ضخمة مع شركه ايطاليه ، ثم عرضت عليه شركه امريكيه منافسه صفقة لها ميزات ماليه افضل ، واشترطت عليه ان يلغي اتفاقه مع الشركه الايطاليه .

فلم يتردد في ان يفعل هذا على الرغم من ان الشركه الايطالية قد هوت الى الحضيض لهذا السبب ..

هذا ما يقوله اقارب « الاستاذ » وعلى راسهم رجل الاعمال الذي نجله ونحترمه ..

اما ما نقوله نحن شخصيا على ضوء « المعطيات » التي « اعطانا » اياها السيد الفاضل رجل الاعمال والتي نحتفظ بحقنا في عدم الكشف عنها لاحد .. فهو ان الاستاذ ـ كما اتفقنا ـ رجل فنان .. والفنان ـ علميا ـ هو حلقه من ثلاث حلقات في سلم التطور البشري التي تضم : الفنان · والمفكر · ورجل السياسه ·

ومعروف عن الفنان انه يملك « قرون استشعار » بحكم موهبته ، ومن هنا فان مهمته ان « يستكشف » ومهمه المفكر ان « يبلور » ما سبق للفنان ان استكشفه .. اما رجل السياسه ، فان مهمته ان « يطبق » ما بلوره المفكر ..

وبناء عليه ، فان « الاستاذ » قد غير عقيدته السياسيه طبقا لقرون الاستشعار هذه التي رزقه الله بها · فما ان يستكشف ان اتجاها سياسيا ما سوف يسود خلال السنوات القليلة القادمه ، حتى يستعد فورا ويضيف مجلدا جديدا الى (النظريه) يلغي فيه ما جاء قبله .. ولهذا السبب فانه يستعد الان لاصدار المجلد الرابع على ضوء (المعطيات) الجديدة التي ظهرت في الافق مع ارتفاع سعر الذهب !

جبران .. والمرأة

بلند الحيدري

لقد اسهب كل الذين كتبوا عن حياة جبران خليل جبران وتدارسوا أعماله الأدبية والفنية فى الحديث عن المرأة فى حياته واعماله ، وافردوا لها حيزا رحبا كانت لهم فيه بحوث عديدة اتسعت لجملة من الآراء المتناقضة عبر محاولات فى الاجتهاد والتأويل والادلال بالحجة القاطعة التى تقول بشخصية سوية يمارس علاقاتها بها بطبيعية او تقول بشخصية مرضية تستبطن حياتها النفسية ، وبقيت مصادر البحث فى ذلك كله تعتمد مجموعة رسائله الى صديقاته وبعض تصريحاته وتلميحاته فى مجالسه الخاصة وبعض ذكريات من تعرفوا اليه وما نشروه فى كتبهم عنه كميخائيل نعيمة وبربارة يونغ، وبقى الاختلاف الى تلك المصادر يذهب فى اتجاهين متناقضين ما بين من يترسم بها اساسا مسالك ومسارب سيرته الذاتية ، وبين من لا يرى فى رسائله وتصريحاته تلك غير ضرب من احلام اليقظة التى يهرب بها من ماضيه وواقعه . أو يلجأ اليها بكثير تصميم وسيلة لاثارة الحديث عنه والتنبيه اليه تحت وطأة شعور بالنقص يغلفه بأناقته المفرطة وأكاذيبه البيض وانها تفتقر إلى الصدق والامانة ، وربما كان – إن احسن الظن بها – على مثل ذلك الأعرابى الذى وصفه فى حديث له مع مارى هاسكل قائلا: (لو سألت واحدا من ابناء العرب .. ماذا تعشيت ..؟ لربما اقتصر على البطاطا والفول .. ان الرجل لا يقصد الكذب ، لكنه يريد أن يتهرب من الجواب وان يبين للسائل كرهه للفضول وعدم رغبته فى عرض احواله الشخصية) .

ويأخذ الحديث عن جبران بعداً جديداً عن قيام سمى له واحد ابناء عمومته واسمه (جبران خليل جبران) بالادلاء بكثير من المعلومات الجديدة عنه إثر تفرغه لفترة طويلة لدراسة حياته وجمع مخطوطاته ورسائله والاتصال بمن بقى حياً من معارفه او ابنائهم وبأثر من ذكرياته عنه وذكريات شقيقه جبران (ماريانا) التى (كان يخجل من أن يظهر مع شقيقته امام الناس لأنها أمية) ، فهو ينكر الكثير مما قيل عنه وماروه اصدقاؤه المقربون إليه ، فميخائيل نعيمة (لم يكن يعلم أى شىء عن جبران وكل ما كتبه فى كتابه ململم من افواه الذين عرفوا جبران ... لقد أبقى جبران حياته الخاصة بعيدة عن ميخائيل نعيمة .. بقيت سرا دفينا) ثم يردف ذلك بقوله (لقد كان ميخائيل نعيمة قريبا من جبران ولم يكن قريبا منه فى آن معا) بل إنه ليضع علامة استفهام كبيرة فى مواجهة كل ما قيل عن علاقاته بمن عرف من النساء وعلى رأسهن مارى هاسكل التى كان شديد الحرص على استمرار علاقته بها كعلاقة خالية من أية شائبة فهو يخشى أن يفقد مساعدتها المادية (فيما لو قامت بينهما علاقة تفوق علاقتهما الأدبية) وانه بالاموال التى كان يبتزها منها ابتزازا يبذخ على ثيابه وأناقته لحد كان اصدقاؤه فى عجب من امرها فيقول احد الفنانين الذين عاش معه فى بناية واحدة (لم نكن ندرك نحن معشر الفنانين من اين كان خليل يأتى بالمال ، كان دائما انيقا بل بالغ الاناقة بينما كنا نرتدى ثيابا رثة قديمة ، كان يرتدى المعاطف الجميلة والقبعات الجديدة ويحمل عصا لماعة وكل هذا يحتاج إلى اموال ، كنا نتساءل من اين يأتى بالمال..؟) ويجيب ابن عمه على هذا التساؤل بقوله :

- هل كان جبران يخجل من أن يظهر مع شقيقته أمام الناس لأنها أمية؟
- لم يكن أحد من أصدقائه يدرك من أين كان يأتي بالمال الذي ينفقه ببذخ!
- كانت ماري هاسكل تعطيه كل شيء ليبدو ثريا
- تصريحات عديدة في رسائله خاصة ما يتصل بماري هاسكل

- لماذا تقزز من أوسكار وايلد بعد أن اطلع على سيرة حياته؟

(كانت ماري هاسكل تعطيه كل شيء فيعتقد الناس انه ثرى كبير من الشرق ، كان ينفق من الخمسة آلاف دولار التى اعطته إياه ماري بينما هى كانت تأكل فضلات الطعام التى تجمعها من منزل عائلة – وثيني – الثرية بينما جبران كان ينفق اموالها فى نيويورك) دون أى احساس بالذنب ، بل وكان يقامر (ويغش فى اللعب أحيانا) . ويذهب هذا الذى جاء ليؤرخ الى ابن عمه ، الى أبعد من ذلك مما ينال من سمعته الأدبية ، عندما يزعم بأن لماري هاسكل الفضل الاول فيما اشتهرت به لغته الادبية التى ميزها النقاد (بتراكيبه البسيطة وصفاء عبارته) فهى التى كانت وراء تلك اللغة المرهفة وهى التى كانت تعيد كتابة تآليفه وتقوّم من تعابيره بعد أن تقبع (ساعات فى الحمام ، وتقفل عليها الباب خوفا من أن يراها زوجها ثم تعيد كتابة اللغة الانكليزية المكسرة ، كانت الافكار فى (النبى) وغيره افكار جبران ، لكن روعة اللغة وسلاستها وجمالها كانت لماري هاسكل) .

ثقته فى المرأة

وقد ترك لنا جبران رغم حساسيته تجاه هذا الموضوع ، تصريحات عديدة فى رسائله وعلى الأخص تلك التى خص بها ماري هاسكل ، وكأنها كانت شفيعه فى الذى انقطع بينهما من تواصل طبيعى ، وتتميز هذه الرسائل بكونها كتبت من دون أن يعود الى تبييضها وتشذيبها وتهذيبها على مثل ما اعتاد أن يفعل فى غير هذه الرسائل موحيا بزخم انفعالاته اللحظوية وصدقها (إنه أيسر على مصادقة الرجال من مصادقة النساء) وانه قرف أشد القرف من (اوسكار وايلد) لدى اطلاعه على سيرة حياته وماكان له فيها من مباذل وفضائح . وفى احدى رسائله يؤكد لها بأنه لا يستطيع أن يخوض مخاوض البحث فى اى حديث يدور عن الامور الجنسية (بل اذا ما تحدث انسان طيب جدا وبطريقة طيبة وبشكل طبيعى غير شخصى ، وعلمى عن هذه الامور فانى سرعان ما أبدل الموضوع) .

وبقدر ما كان يسعى الى نفى هذه المراة ، كان يحاول أن يمد بأفق رحب لحضور مكثف لتلك المرأة الاخرى التى هو (مديون لها) بكل شيء والتى لا ينفك يصرح ويعترف بملء صوته بكونه (يثق بالمراة اكثر مما يثق بالرجال) والتى تعودت أن تفرد جناحيها لتغطى الصفحات الواسعة من سيرة حياته وأدبه ولوحات رسومه الفنية تحت وطأة من الظلال الكثيفة والمتفاوته فى العتمة ، واستغراق فى الحلم ينتزع منها كل ما يدل على مستلزمات النوع فيها بغية تحقيق خلاصها الفردى بنشوة صوفية تصبح

أستوديو جبران فى نيويورك

جبران.. والمرأة

● الأسف كل الأسف لأنه لم يتعرف على مارى عندما كان دون العشرين

برتراند راسل

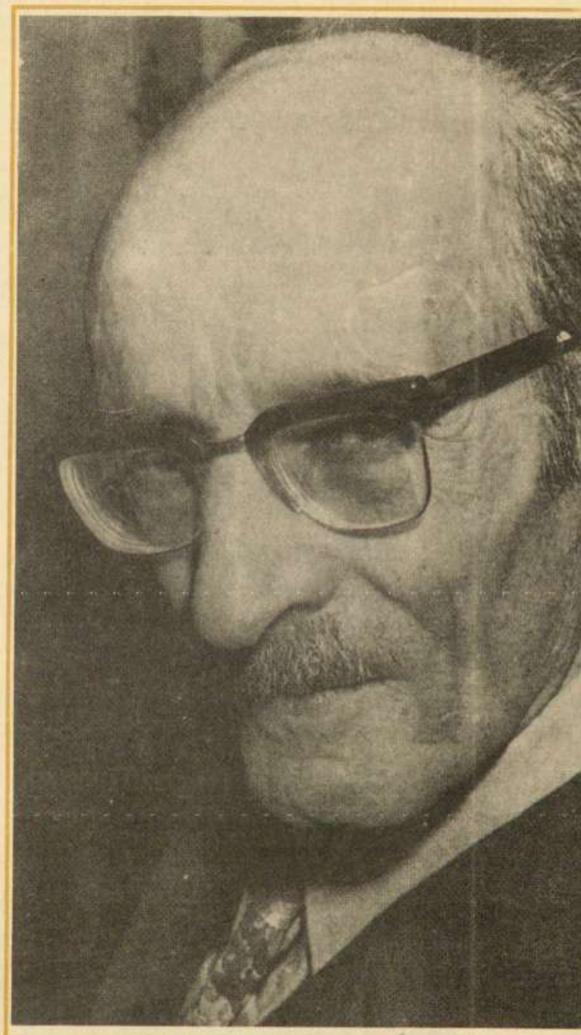

ميخائيل نعيمة

غانـدى

اوسكار وايلد

● تواصل لجبران عبر «مارى هاسكل» حنان الأم ورعاية الشقيقة، والتكافؤ الذهنى والثقافى لدى الصديقة

فيها التعمية بالظلال والغاء التفاصيل التشخيصية جزءاً من حريتها التجريدية .

ومما لا شك فيه ان لمارى هاسكل التى تواصلت عبرها رعاية الأم له وحدبها عليه ، أثراً فى تطوير هذه الرؤية الشعرية فهو بالرغم من شدة غروره واعتزازه بفنه وتصريحه لها بادعائية فجة بأنه رسم صورة وهو فى الخامسة من عمره كان فيها (ابو التكعيبية) يؤكد فى رسالة ثانية بأن نقدها الفنى لرسومه كان له الاثر الهام فى كل ما وصل إليه من نجاح فى هذا المجال وانه ليأسف كل الأسف لأن الخط لأن الحظ لم يتح له أن يتعرف إليها يوم أن كان فى الرابعة عشرة من عمره يرسم على غير هدى ونحن إن كنا لا نجترح لأنفسنا الحق فى أن نقول بمدى هذا التأثير الذى كانت تمارسه على جبران ولا بمـا كانت تمتع به من ثقافـة فنيـة وإن بـدا لنـا فـى بعض ماكتبتـه عـن رسومـه إنهـا ليست بأكثر من فقرات من نقد انطباعى لا يغور بعيداً فى تقويم جهده الفنى كقولها عن صورته المعاين (هذا الوجه العظيم هو روح الارض معبراً عن خضوعه لهذا السيد ومن خلال الغيوم الشاردة أمامه يطيل فتى مكتنف بالظلمة عليه علامات الدهشة ، هو المستقبل الذى يشعر به عن بعد ... الخ) اقول رغم كل ذلك ، ورغم أنه لم يذكر لصديقه ومرشده (فراد هولند داى) من فضل كالذى يعزوه لمارى هاسكل فانها ولا شك ما كانت لتحتل هذه المكانة فى حياته والتى حدت به الى أن يفكر بالاقتران بها فى عام ١٩١٠ مع علمه بأنها تكبره بعشر سنوات ، لولا ما اتسع لها فى نظره من صفات فى (الام) و (والشقيقة) و (الصديقة) أجتمع فيها منهن حنو الام والشقيقة ورعايتهما وبذلهما المستمر ، وفى الصديقة عنصر التكافؤ الذهنى والثقافى الذى افتقده عند والدته وشقيقته (مريانا) التى كانت تجهل حتى كيفية كتابة اسمها ، وذلك ما يميز هذه المرأة فى حياته فأولاها من الثقة مالم يوله لأحد على كثرة ما عرف من فنانين وأدباء ، بحيث خصها وحدها بكل مانال من نجاح فنى وانها الناقد الذى تمنى

● لم يكن يحب الطبيعة فى الرسم .. ولم يكن يستطيع رسمها .. وعول على الا يرسمها قط

● هذا الوجه العظيم هو روح الأرض معبرًا عن وجوده لهذا السيد

لو كان له منذ بداية حياته الفنية لتهديه سواء السبيل .

تلك الفتاة الشمطاء

وإذا كان جبران خليل جبران يستمد مقاييسه الجمالية ودقائقها من قدرته على تحويل مظاهر المرأة الخارجية الى قيم تعبيرية عن عمقها الروحى فلا عجب من أن يثير دهشة صديقه (فليكس فارس) عندما لا يرى فى فتاة جميلة غير (تلك الفتاة العانس الشمطاء العوجاء الشوهاء) وأن يذهب به الاعتقاد الى أن المرأة (تكون فى الخمسين من عمرها أكثر جمالا جسديا) فهو لم يجد فى الأولى غير صراخ جسدها الفتى ، ولم ير من ترهل جسد الثانية غير ما كان يرغب فى رؤيته من معنى فى المرأة الأم التى تخطت مراحل عبادة جسدها الى حيث تتوحد بوجودها الكلى مع معنى كمال ارادتها كمسؤولة عن استمرارية دورة الحياة فى البذل والعطاء .

ولو أضفنا الى ذلك كله ما كان من تعليقات وهوامش عليها من قبل معارفه واصدقائه ودارسيه موقفه من أمه وأثرها فى حياته حيث يقول :(ثلاثة أشياء عملت أكثر مما عمل أى شىء آخر فى حياتى .. أمى التى كانت مدهشة جدا .. وابى الذى حاربنى واستفزنى للقتال و ... الخ) ثم اخذنا بنظرة الاعتبار المؤثرات الفنية الاخرى عليه ، استقام لنا مفهوم كامل لمكانة المرأة فى رسوم جبران عبر اطار تشكيلى يوحىء بأكثر من أصبع الى طبيعة تأثره بترابط الكتلة عند (رودان) من ناحية والى رمزية (بليك) الشعرية وتعبيريتها من ناحية ، والى ميله الى تجاوز التفاصيل فى الصورة على غرار الانطباعيين الاوائل من ناحية ثالثة ، والى نزوعه الى اعتبار مرامى حركة الجسد الانسانى مكامن لتعبيريته الرمزية وضعف علاقته بالطبيعة ــ فجبران كما يقول توفيق صائغ (لم يكن يحب الطبيعة فى الرسم ولم يكن يستطيع رسمها وعول على ألا يرسمها قط) من ناحية رابعة ، ففى مثل هذا المناخ الادائى نشأ اسلوبه فى الرسم محيلا المرأة الى رمز لا يكتمل الا بحركة مجاورة فى شكل لرجل أو لطفل ليصيرا معا الى تجسيد الموضوع الذى يطرح نفسه فى حركات رشيقة تتميز بمواءمة دقيقة ما بين طبيعتها الاليفة واسترخائها وبين شفافيه مضمونها ، وبأبعاد حلم يطوف على حافة العالم ولا يمسه إلا بأطراف أنامله تكون الاشكال من خلاله فى شديد حاجتها الى أن تصل الى نفسها وتكتشف سرا لوجود بتداخل تلك الحركات العفوية التى لم يثقلها جبران بأى شىء من التفاصيل الجزئية وفى أى من جسدى الرجل أو المرأة الا بقدر ما يثبت هويتهما النوعيه كالثديين فى المرأة واللذين يرسمهما بكثير من الاهمال المقصود لكى لا يتجاوز الرمز فى الغاية الى الرغبة فى الصفة المثيرة وليظل للحركة معنى خارج كيانيهما الجسديين .

الآنسة مـي

وقد اسعفت جبران على ابراز معطياته العاطفية الملأى بالحس الشعرى خطوطه المنحنية باستمرار والمنسابة بعفوية وطلاقة تواكبها أمواج من الظلال المتاخمة لها ، والتى كثيرا ما يعتمدها ستارا لضعفها ومجانبتها للخطوط المستقيمة الموحية بالصلابة والقسوة مما رفع من مستوى حساسية اعماله الفنيه وابقى لها تلك الشحنة اللازمة للرمز الرومانسى . ورغم أن المرأة التى اكتمل جمالها هى تلك التى شارفت الخمسين من عمرها والممتلئة الجسد ، الكبيرة الجثة (انها مدهشة فهى كبيرة الحجم وعريضة) والتى تقوم بصفاتها هذه وعدا شرقيا بالأمومة الدائمة فقد آثر أن تكون على غير هذه الصورة فى رسومه ، فهى رشيقة وعلى غير اكتناز أو ترهل وذلك ليحافظ فيها على المرأة الرومانسية الخالدة بصفة من الشباب الدائم ، والتى استحوذت على قدرتها الكاملة على مغادرة الأرض كل لحظة عبر حركاتها الموحية بالطيران خلال مساحات مفرغة إلا من الأجزاء المؤكدة لهذا المعنى الذى يرمى اليه فى الهروب الخلاصى الحزين شأن جميع الرومانسيين .

والمرأة الأم كنزوع رمزى فى اعماله هى ليست تلك التى حقد على ابيه من أجلها واشار غير مرة الى معاناتها من تصرفاته ، ولا تلك التى استعاض بها عن حب أمه وأحالها عبر طيبتها الى أم له (وكنت دائما تملئين صحنى وأكوابى والآن لا أشعر بأنى ضيف محبوب بل بالاحرى بأنى طفل فى بيت أمى) بل تلك التى حولت (نضوجها الكبير العريض) الى قيمة رمزية فهى ليست أما بمعطياتها الخاصة والمتمثلة فى اشارات الى واقع معين بقدر ما هى أم بالعلاقات التى تشدها الى الجو المحيط بها من أطفال منتشرين حولها أو متشبثين بها أو ساعين لنيل حنانها وودها والتى كان بها كروابط متداخله أن يتجاوز الخاص الى العام والشامل تأكيدا لعمومية الرمز الذى يضم الموضوع الى نهج ادائى ينطلق من

● المرأة الأم هى رمز فى أعماله وليست تلك التى حقد على أبيه من أجلها ولا تلك التى عوضته عن أمه

جبران .. والمرأة

رسوم جبران كما هو أدبه وكما هى حياته .. مجموعة من وجوه تغزو الذاكرة.

الكل إلى الأجزاء .

امرأة عابرة

أما بربارة يونغ ، تلك التى حسبها البعض احدى المحطات الكبيرة فى حياة جبران فهى فى نظر هذا الباحث قد زيفت الكثير من الحقائق وشوهت معالمها وادعت لنفسها مالم يكن لها وانها ليست بأكثر من (امرأة عابرة فى حياته ، مثلها مثل العشرات اللاتى مررن بحياة كاتب النبى) ومثل ذلك ما يقوله عن مادلين ماديسون التى لاتزال على قيد الحياة فهى (مجرد نكرة فى حياة جبران) وانه لم يؤثرها باهداء اروع مؤلفاته اليها ـ النبى ـ الا لأنها ترجمت هذا الكتاب الى الفرنسية ولأنها (كانت يومها على علاقة مع جبران لذلك اهداها كتاب النبى) .. وأن بين كل النساء اللواتى تعرف اليهن جبران كانت (غيتريد بارى) هى الاثيرة الى نفسه والتى عاش معها علاقة كاملة وصميمة وانه قد اثر أن يكتم امرها حتى عن اقرب معارفه اليه خشية أن يثير غضب مارى هاسكل ولذا لم يورد ذكرها لاحد ولم ينبس ببنت شفة عنها لأحد ، وبقيت تلك العلاقة سراً مجهولا الى ان اباحت به وأماطت عنه اللثام مؤخرا بنت أخت لها وكشفت عن رسائل عديدة من جبران الى خالتها تفصح عن مدى متانة العلاقة التى كانت تشد أحدهما بالآخر) .

بكثير من الحذر

وعلى الرغم من أننا ناخذ هذه التعليقات والتأويلات لسلوك جبران بكثير من الحذر فليس لنا إلا أن نقر بأن شخصيته شخصية متناقضة سواء أكان ذلك من صميم اصالتها أو أنه كان يفتعل هذا التناقض افتعالا عبر ما ينسج عن حياته وحياة أسرته من اخبار ملفقة وما يوحى بها من خلال بعض تصرفاته

وسواء أكان ذلك نتاجا لصراع ما بين (ارادة القوة) و (الشعور بالنقص) الذى يدفع به الى الهروب من الواقع ، أو فرزا لمظاهر من (عقدة اوديبية) فهو كما يراه صديقه كلود براغدن (يحب الانفراد كما يحب المجتمع ، يبتهج بالاشياء الصغيرة كما الكبيرة ، بالماديات كما بالروحيات .. الخ) وما يكون لنا من خلال ذلك أن نقوله هو أنه أفاق على عصره وواقعه فى أمريكا ولما تزل فى عينيه شتات من رؤى مبعثرة يقتات عليها تارة ويجترها احيانا أخرى ويستخدمها فى غيرهما مرمى لغرض فى دعاية لنفسه وطلب لشهرة فى محيط على شىء كبير من السذاجة العاطفية التى اسهمت لحد ما فى تحقيق صبوته وبواته لأن يتعرف الى مشاهير الادباء والمفكرين فى عصره وأن يقتعد كرسيا فى جمعية الشرق الجديد التى كان من بين المتعاونين معها غاندى وجون ديوى وايج جى ويلز و برتراند رسل وغيرهم وأنه بنشوة طفل غير ناضج ، وإمكانية فتى لم تتوفر له القدرة ولا الدراسة للالمام بلغة أدبه أو فنون رسمه وقواعدها كان يطوف على سطح حيوات متداخله يجتمع لها شىء من الهند ومن مصر القديمة والكلدان وشىء من المسيح وبعض مفكرى عصره ، وبكثير من العفوية كانت تمتزج بحساسيته وتتآلف معها فى نسيج غير واضح المعالم تقترب به من احاسيس ومشاعر فنان فطرى والتى بها وحدها فقط تتأكد أصالته .

رسوم جبران

ورسوم جبران ، كما هو ادبه ، وكما هى حياته ، مجموعة من وجوه (تغزو الذاكرة بسحر الرؤى المقتبسة فى عالم الحلم ـ من كلمة لناقد امريكى) تحاول أن تجسد وجودها مع رغبتها فى التخلص من ثقل وجودها فى ذات الوقت ، وتشخص رموزها عبر دلالات رومانسية مسطحة ، وجهد أدائى يتوزعه تأثيران من (وليم بليك) و (رودان) حيث تتلاحم أوهام الرسام بكثافة الكتلة الخارجية عند النحات وحيث تتقاسم رموزه اسلوبيهما وتشكيلاتهما الايقاعية والتعبيرية ، وتكاد المرأة أن تقوم محوراً رئيسيا لرسومه وهى لشدة تداخل ملامحها وتوحد صفاتها توشك أن تكون امرأة واحدة استقام لها رمز شامل وموقف ذهنى متكامل منها ، ولا عجب في ذلك لرجل ينطلق فى طبيعة علاقته بها من رؤية محددة لها عبر زوايا تجارب على كثير من الخصوصية ، إذ يقول في احدى رسائله الى مـي زيادة عام ١٩٢٨ ، اى قبل وفاته بثلاث سنوات ، ! (أنا مديون بكامل ما هو أنا الى المرأة منذ كنت طفلا حتى الساعة ، والمرأة تفتح النوافذ فى بصرى والأبواب فى روحى ، ولولا المرأة الام والمرأة الشقيقة والمرأة الصديقة لبقيت هاجعا مع هؤلاء الذين ينشدون سكينة العالم بغطيطهم) مكتفيا بهذه النماذج الثلاثة حافزا لفتح نوافذ بصره وابواب الرحمة ، أما المرأة الحبيبة والمرأة العاشقة والمرأة المتوزعة فى غير ذلك من الصفات الاخرى ، فهى التى لم يلتق بها إلا لماما لأنها لاتقف مع الأم والشقيقة والصديقة فى الصفة ، صفة العطاء بلا أخذ والاخلاص المتناهى والتعالى عن مطالب الجسد ، انها المرأة التى تقوم فى أعماقها الأم فى ابرز وأهم صفاتها فى التضحية والتى كان جبران بحاجة إليها دائما ، انها المرأة التى رضيت أن تعبد نفسها من خلاله ، أن تمتزج بروحها فيه فلا تقيده بكل ماهو زائل ولا تسأله أن يكون لها معينا لمتعة عابرة فهو كما يقول فى رسالة الى مارى هاسكل (يقولب طاقته الغريزية الى نتاج فنى) وان أصدقاءه يخطئون بظنهم أنه يعيش علاقات عاطفية متعددة (فى حين إنى اعيش بدون وصال) .

وهذه المرأة بالذات هى التى بقيت فى الظل وهو إذ يطردها من حياته العامة إنما ليفتح للمرأة الأخرى كوة فى ذهنه تتسرب منه دائما كينونة مطلقة فى الأم وحنانها وبذلها يعوض بها عن تلك العلاقة التى لم يستطيع أن يورى فيها النار فقد بقى يحس ببرودته أمام الموديلات . أما مارى هاسكل التى عرفته كما لم يعرفه احد فقد كان بالنسبة اليها (خجولا)

بلند الحيدرى

رأيت
سمعت
قرأت

رأيت

رجل في خريف العمر

رجل فى خريف العمر .. انحنت قامته مع الزمن وملأت التجاعيد وجهه .. لا مال ولا بنون .. هذا الرجل تقريبا هو اكبر المعمرين فى قريتنا فقد بلغ التسعين عاما ونيف .

هذا الرجل كثيرا ما عمل اجيرا فى حقول القطن والقصب والذرة ليكسب زاد يومه هو وزوجته العجوز .. ولكن لما بلغ به الزمن مبلغا جعله لا يستطيع ان يعمل ، اكتفى بالجنيهات القليلة التى يدفعها له التامين كغيره من العجزة .

ولكنى صعقت اخيرا وانا اراه ينظف الحشائش من احد الحقول وهو يجر نفسه جرا .. فلما سألته عن الذى حدى به أن يعمل وقد قبض منذ وقت قصير جنيهات التامين .. قال لى : نعم قبضت تلك الجنيهات ولكننى سمعت عن التبرع لمسلمى افغانستان فتبرعت بها !! ..

وهكذا وقفت له إجلالا وتعظيما والدموع تنهمر من عينى .

فراج عرفجى
الاقصر — مصر

قرأت

الحرمان من الفكر

إنه ابن فرنسا ، والعبقرى الذى اكتشفه « ديجون » تلك المدينة الصغيرة الواقعة على الطريق بين باريس وجنيف . وكان يعيش فى ذلك الوقت مع زوجته « تيريز » فى باريس فى حى متواضع عندما التقطت عيناه فجاة إعلانا لاكاديمية العلوم والفنون والآداب عن جائزة لصاحب احسن مقال عن «آثار التقدم الحضارى على الاخلاقيات » . وجلس روسو يكتب ويكتب .... ولم يكن هو اقل دهشة من اعضاء لجنة التحكيم التى قررت منح هذا « الغريب » الجائزة . فقد كانت كل كلمة وكل سطر كتبه روسو يحمل معه ثورة فى الفكر . ثم بدأ الفرنسيون يتجهون إليه بعد نشر مقاله ... بعدها حدثهم عن حرية الانسان . واصبح كتابه « العقد الاجتماعى » شعارا للثورة الاجتماعية فيما بعد .

ولكن هذا الرجل عاش ومات دون ان يرى ثمرة هذا الفكر الذى امتلأت به عقول وقلوب الملايين من البشر ورحل عام ١٧٧٨ قبل بداية نشوب الثورة التى اشعل فتيلها منذ إحد عشر عاما .

كمال الدين مصطفى
جامعة الزقازيق — مصر

غربة جديدة

يعرف الانسان نفسه بالتخمين لا بالتحقيق وكثيرا ما يكون فى تخمينه كالغريب الذى يبحث عن سر غريب ..

وحول نفس التعبير يقول العقاد :

« كثيرا ما — اضبط — نفسى وهى تروغ منى وتحاول ان تقنعنى بوجهة غير الوجهة التى تعنيها او تعنينى ، ثم نتلاقى مبتسمين ، واكاد اسالها : انت انه ؟ وتكاد تسالنى : وها انت ياصاح ؟ . ثم لا نلبث ان نعلم اننا لم يفهم بعضنا بعضا من الكلمة الاولى ، واننا نحتاج بعدها الى كلمة او كلمات نثوب بعدها الى التفاهم والاتفاق .»

وهذا ما استخلصه العقاد من عملية البحث التى يقوم بها عن الذات .

ويقول كاتبنا الكبير ايضا ، ان الابحار نحو الذات شبيه برحلة نحو المجهول فكلما غطس الانسان فى ذاتيته يكتشف مدى عمق جهله بنفسه .. وكلما يخطو من غربته الاولى يجد نفسه فى غربة جديدة .

ضياء الدين احمد
جامعة البصرة

هذا المخلوق الوديع

الكثيرون منا قد رأوا القنفذ ، ذلك المخلوق الصغير ، الوديع ، غير المؤذى . وهو ينتمى الى رتبة الثدييات آكلة الحشرات .

والقنفذ قصير الجسم سميكه ، ذو انف مدبب ، وتغطى جسمه اشواك حادة من اعلى ، واما الجزء الاسفل فمغطى بالشعر ، وله ذيل قصير يختفى تحت الاشواك وفى رجل القنفذ خمسة اصابع تحمل مخالب قوية . ويميل لون هذا الحيوان الى الرمادى البنى .

والقنفذ حيوان ليلى ، فهو يقضى النهار نائما فى عش من الحشائش واوراق الاشجار الجافة ، وينشط عند الغسق حيث يخرج للبحث عن الطعام — وغذاؤه يتكون من الحشرات غالبا ، وكذلك فلديه القدرة على افتراس الضفادع ، والفئران الصغيرة ، ولكن الاعجب من ذلك انه يستطيع قتل الثعابين واكلها ، وهو يفضل الافاعى السامة عن ثعابين الحشائش .

عيسى امين
القاهرة — الدقى

سمعت

علاج المرض بالنغم

يؤكد كثير من الاطباء الاخصائيين فى علاج الامراض العقلية أن الموسيقى من افضل الوسائل لمعالجة مرضى الاعصاب .

وقد أدلى احدهم بتصريح قال فيه : لو اننا خصصنا فى كل مصحة للامراض العقلية قسما خاصا بالموسيقى ، يديره اخصائيون مدربون يعرفون مدى تاثير الموسيقى فى النفوس لكان فى ذلك علاج مفيد للمرضى .

وهذا هو ما اخذ به فعلا احد مديرى المستشفيات فى مدينة مانهاتن ، فقد عمد الى عزل فئة من مرضاه ، ومراقبة تاثير بعض الادوار الموسيقية المختارة فى عقولهم المضطربة ، فكانت النتيجة ان شفت الموسيقى كثيرا منهم .

وقد نظم مدير اخر فرقة من «الاوركسترا» تعزف انغامها للمرضى فى اوقات الطعام ، فكان تاثير الموسيقى فى هؤلاء المرضى المصابين بمختلف الامراض العقلية بالغا ابعد الحدود .

ويعتقد المشتغلون بمسائل العلاج النفسى ان المعالجة بالموسيقى تعتمد على الصلة الوثيقة بين التركيب العضوى فى جسم الانسان والانغام المنظمة ، وان تاثيرها يتصل بميكانيكية العقل ، لانها تؤثر فى اجزاء المخ التى تعتبر مركز الاحساس والانفعالات .

ومنذ عامين قام احد اساتذة الموسيقى بسلسلة من التجارب الطريفة باحد المستشفيات الخاصة بالاعصاب فى شيكاغو ، فعزف طائفة من الاغانى الايطالية امام امراة مريضة كانت ترفض ارضاع طفلها ، فظلت جامدة لا تبدى اقل تاثير بنغمات البيانو حتى بدأ الموسيقار يعزف قطعة معينة ، فلم تلبث ان تنبهت لدى سماعها وعادت ترضع وليدها .

واصيب رجل بالعمى اثر «هيستيريا» حادة عقب وفاة زوجته ، فاستدعى لعلاجه موسيقار معروف عزف له لحنا مفرحا — بعد ان عزف له انغاما خافتة فى مبدأ الأمر — طلبه بنفسه ، فلم تمض ثلاثة ايام حتى هدأت اعصابه

وهكذا يتبين أن للنغم تاثيرا مختلفا فى حالات المرضى ، لما يحدثه فى الدورة الدموية بالمخ

سليمان محمود
القاهرة

حلم ليلة شتاء

شعر: فتحي سعيد

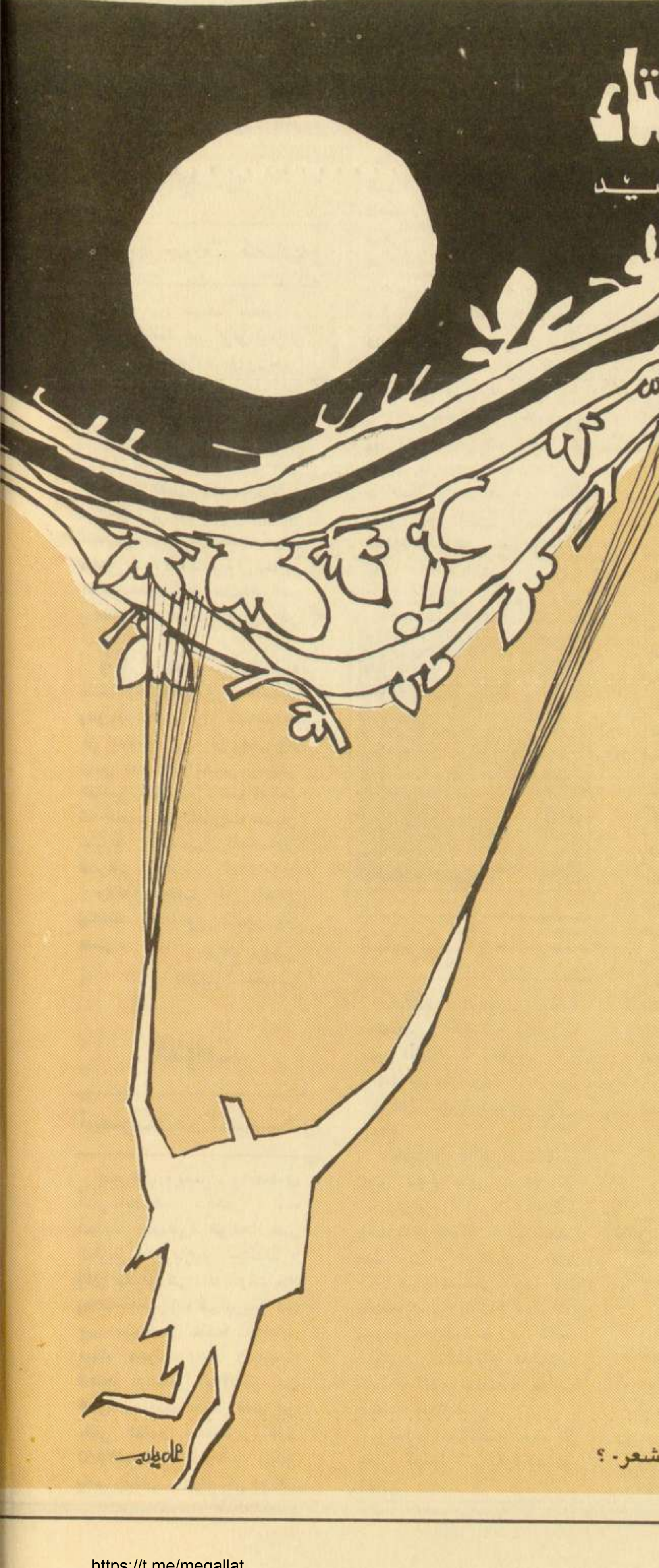

شيطان الشعر الأسمر
افلت من وادى عبقر
صاعقة وانقضت تكتسح اليابس والاخضر
هاج الليل وماج
اوشك يهوى تاج !
اوشك أن يتهاوى برج الدب الاكبر ..

• • •

انهمر الأفق وأمطر
عاصفة وزلازل .. وبراكين
انغرست سكين
فى جسد الحائط .. غاصت فى جلد الطين
قطرات من دمنا .. فوق زجاج النافذة الممطر
انخلع القلب .. جريت .. تواريت وراء الباب
أتظاهر انى أقرأ فى صفحات كتاب
أصطك .. وارتجف .. وانظر ...
ابصرت الشيطان الهارب فوق جواد الشعر يزمجر
يتحدر فوق السرج الذهبية ..
يشهر سيفا .. يرخى مئزر
من حول الغرفة والنافذة ويشحذ خنجر ..

• • •

ـ من أنت ؟
ـ جنى أشعث أغبر
غافل أهل الكهف وفر ..
ـ قل لى من أنت ؟
ماذا تفعل فى ظلمات الليل وماهذا الدفتر
ويراعك بيمينك يجرى ..
مرتعشا مرتعدا فوق الأسطر-!؟
هل أنت من الشعراء ؟
ـ زعموا ذلك ..
لكنى لست كذلك ..
إنى واثق
انى عاشق
اقسم انى اعشق وجه الشعر ولا أكثر ..
ـ العاشق للشىء أشد دهاء من مرتكبه
التهمة أدهى بل أنكر
هل تكتب شعرا فى زمن فقد الأحساس فلم يشعر- ؟

هل ثمة من يمتهن الحرف بهذا الزمن الأغبر ؟

● ● ●

– لا حيلة لى ..
لست مخير
لا حرفة إلا أن اشعر
– لست ذكيا .. إن كان ولابد فكن اشعر
اكتب اغنية .. إعلانا .. منلوجا
اكتب رقصة ..
تتلى فى الملهى أو تتلى فى الأقبية الليلية
قد تسنح فرصة ..
فتروج وتنتشر بانحاء الكرة الارضية ...
وتغزل فى رأس المطلع
خذ مثلا هذا المقطع ......

لا .. لن أسمع ..
بل فلتسمع
مادمت مسير
كن انت عليهم بمسيطر

● ● ●

– أو ترجم إيتاءك ياشيطان الشعراء وتزجر ؟
هل جئت لتقذف ريح الرعب بقلب الشعراء وتسخر ؟
من أوحى للملك الضليل ..
وعروة وابن العبد ومجنون الليلات ؟
أو ليس شقيقك أوجدك
شيطان عصور الناقة والفلوات ؟
كانوا صنفين :
شياطين ذكور وشياطين نساء
من أنت من الاثنين ؟
صخر أم خنساء ؟
– لا تلوى بالكلمات ولا تتقعر
أعرف أكثر مما تعرف أو تتصور
كان الشعراء ملوكا .. اما انتم فمماليك
لا أعنى بالملك التاج ورابية العرش

وإيماءة إبهام أو خنصر
فاذا بالنطع أو السياف أو الخلعة أو حشوك
ذهبا أو جوهر

كان الشعراء ملوكا .. وصعاليك
عرشهم الشعر وتاجهم الكلمات ورتبتهم قول يذكر
هوت التيجان وماد الايوان
وشعرهم لا يندثر ولا يدثر .. !

● ● ●

– هذا زمن فات ومافات فقد مات
وكل زمان يتغير بل يتطور ..
زمنى غير زمان النعمان أو النابغة الذبيانى .. وعنتر
– ويحـك ...
اطرق بابك فى حلكات الفجر وانت تثرثر
حسبك أعذارا أو اشعارا .. حسبك وا نـظر
– لم تطرق بابى بل شباكى ..
– افتحه وإلا انشق القمر وحطمت الكتب على رأسك
وسكبت العلقم فى كاسك
وهدمت الجدران على رأس الجيران .
– جئت لتقتلنى .. قلها لا تجبن ....
– لست جديراً بالقتل ولا أمثالك أجدر
انتم أقزام العصر
وغلمان الشعر
وحاشية القيصر
ماجئت لأقتل أو اثار
بل جئت لأنذر
فاسمع واذكر ...
إن شئت نجاة فتـنمر
كن كالطوفان إذا أبحر
ريحاً صرصر
لاتتقهقر ..

● ● ●

هرولت لزاوية الغرفة
كدت بمحيرتى اتعثر
وأريق دماء قصيدة شعر ..
كانت فى قلبى تتفجر ..

ناجي

بدون تعليق

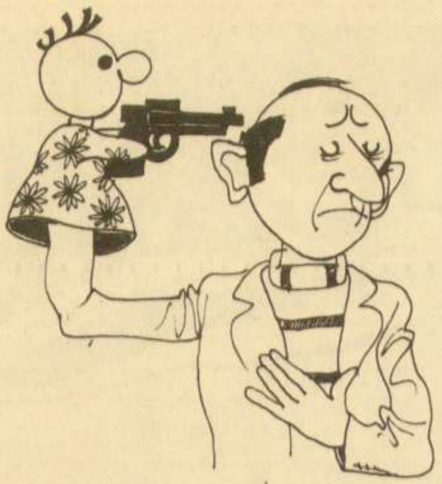

- الى اللقاء ...!!

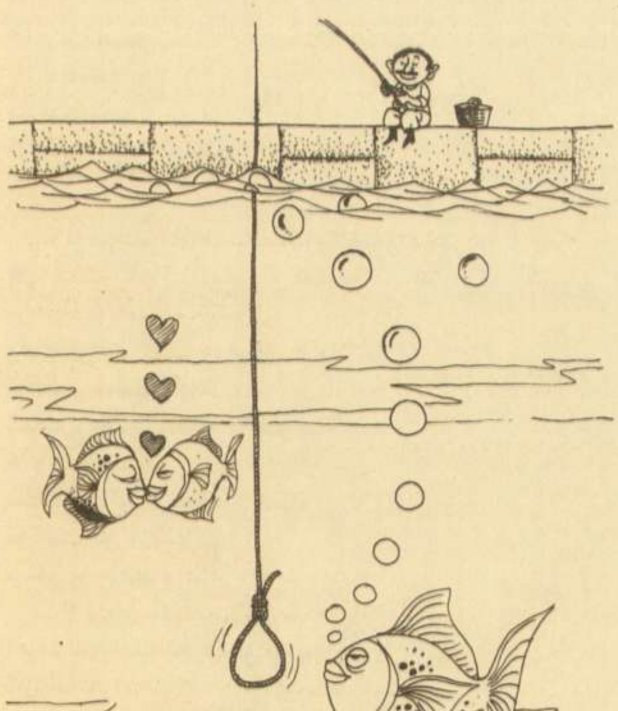

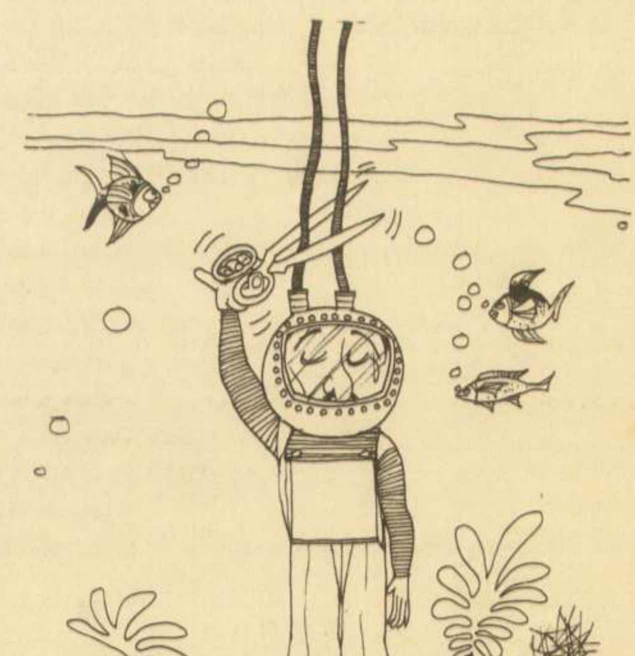

من تجارب الشخصية

الزعيم الذى مات

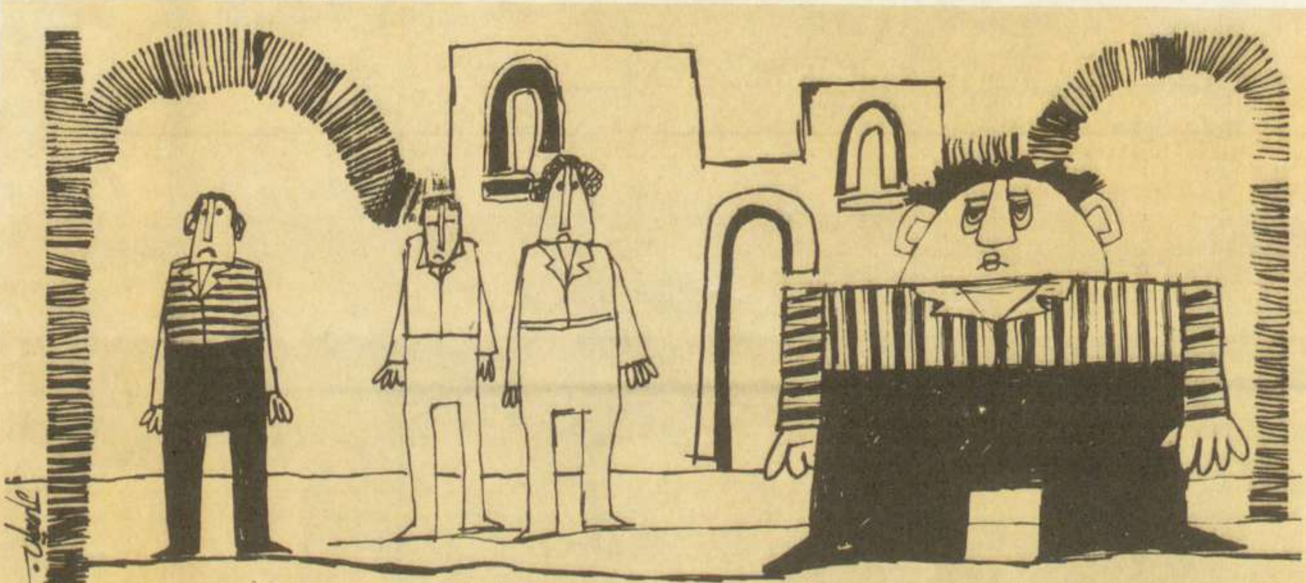

كنا ابناء حارة واحدة ، نلتقى مساء كل يوم خميس لشغل أوقات الفراغ ، وممارسة هواياتنا .. وكنت اتزعمهم دائماً .. كنت عصبى المزاج ، سريع الغضب ، انانى ، ولكنهم كانوا يزعنون لآرائى ، وينفذون كل أوامرى ، ويسموننى « الزعيم » ماعدا احدهم كان صعب المراس ، لا يجاملنى مطلقاً ، ولا يهاب جثتى الضخمة ، وصوتى الجهورى ، وعضلاتى المفتولة ! لهذا كنت اكرهه ، واصطدم معه دائماً ، فاحاربه بشتى الطرق الصبيانيةومع ذلك ، فقد ظل ـ رغم كل ما اقوم به نحوه ـ صلباً عنيدا ، متمسكاً بهدوئه وابتسامته الساخرة ..

وذات مساء التف حولى افراد الشلة كعادتهم ، وكان هو من بينهم ، واقترحت أن نقوم برحلة الى المحافظة الثانية يوم الجمعة القادم ، حيث نقضى يوماً رائعا فى بستان « الحسينى » ذلك البستان الاخضر الخلاب ، فأيد الجميع هذا الاقتراح ، والفرحة ترتسم على وجوههم .. اخذت ورقة وقلماً وسجلت اسماءهم ، واهملت اسمه متعمداً .. وصاح رفاقى :

ـ بقى احمد .. بقى احمد لم تسجل اسمه !

قلت باستخفاف : لا نريده معنا !!

قالوا : لمـاذا ؟

قلت : لأنه ثقيل الدم .. منغلق .. وسوف يعكر صفاء رحلتنا الحلوة بطباعه السمجة .. إنه لا يعجبنى .. لا يعجبنى ..

صاحوا جميعاً : كل ما لا يعجب « الزعيم » لا يعجبنا !

ورأيت وجهه يحتقن بالدماء .. ويحاول أن يتكلم فلا يستطيع .. ثم ينصرف وهو مطأطىء الرأس .. وشعرت ساعتها بأننى انتصرت ! لقد وجهت إليه الضربة القاضية .. ولا اظن انه سيتحدانى بعد اليوم !

وصلنا يوم الجمعة الى «بستان الحسينى» الشاسع ورحنا نلهو ونجرى ونضحك .. ونلتهم الثمار اللذيذة .. ونتسلق الاشجار الضخمة .. وبينما كنت اتسلق إحدى اشجار الزيتون بخفة ومرح ، هوت قدمى فجأة وفقدت توازنى ورحت أهوى نحو الارض ، وانا اصرخ .. ثم لم اعد اذكر شيئاً مما حدث .

وعندما فتحت عينى ، وجدت نفسى ممدداً فى إحدى غرف المستشفى .. وكنت اشعر بالام شديدة فى اماكن متفرقة من جسمى .. وكان فى الغرفة ابى وبعض اخوتى .. والجزع يطل من اعينهم ، وسألنى ابى بلهفة :

ـ كيف حالك الآن يا بنى ؟

ـ بخير يا ابى

واخذ يقص علي ما حدث بصوت حزين مبحوح :

ـ كدت أن تفارق الحياة يابنى .. ولكن فضل الله واسع فعندما ارتطمت بالأرض من رأس الشجرة التى تسلقتها .. امتلأ جسمك بالرضوض وأصبت اصابة خطيرة واخذت تنزف دماً غزيراً ، ونقلك أصحابك فى الحال الى هذا المستشفى ، ولكنهم ـ للأسف الشديد ـ عندما طلب الدكتور منهم التبرع ببعض الدم خلقوا أعذاراً واهية ، وحججا كاذبة ، ووقعنا فى حيرة ، لولا أن دخل الغرفة أحد اصدقائك الأوفياء ، واخبر الدكتور انه مستعد بأن يتبرع بدمه .. وبالفعل تبرع بدمه من اجلك .. وبدأت الحياة تعود إليك إنه صديق شهم يابنى ، أصبحت مداناً له بحياتك ...

وسألت ابى :. من هو ياأبى؟

اجاب بفخـر : صديقك احمد

صحت بصوتى الواهن : من .. احمد ؟ !

قال أبى : ـ نعم يابنى .. إنه نعم الصديق الوفى !

وشعرت بالهزيمة تسرى فى جسدى المحطم ، ورحت ابكى بالم وحرقة .. ياإلهى .. الانسان الذى طالما سقيته المر والحنظل .. يروينى من دمه الزكى ، وبمحض إرادته !!

مرت ايام وأنا فى المستشفى ، أجتر الندم ، ونفسى تتمزق وبعد أن تركت المستشفى ، ذهبت مباشرة الى بيت هذا الصديق الوفى ـ احمد ـ واعتذرت له بصدق وإخلاص عن كل ما بدر منى .. وسامحنى .. والسماح من طباع الكرام .

إننى اليوم أصبحت انساناً اخر ، يختلف كلية عن ذلك الشخص المغرور الأنانى ، لقد خلقت خلقاً جديداً .. وأصبحت أقتدى بصديقى أحمد ، ولم أعد اسمى « الزعيم » .. لقد مات الزعـــيم !!

صالح سالم عمير- عــدن

رءوف توفيق

فن إثارة التساؤلات

أصحاب الدخول الطفيلية يصعدون .. ويستحوذون ويفرضون سيطرتهم ومزاجهم الشخصي وجشعهم على مفردات التعامل اليومي!

حسين فهمى فى دور المدرس الشاب أمام خطيبته ناهد شريف .. لقطة من فيلم « انتبهوا .. ايها السادة »

كان من اهم الأحداث الفنية فى القاهرة ، خلال الفترة الاخيرة .. عرض فيلم « انتبهوا .. ايها السادة » للمخرج الشاب محمد عبد العزيز .

فقد لقى الفيلم بالاضافة الى نجاحه التجارى الهائل .. صدى مدويا بين المثقفين ورجال الفكر واساتذة الجامعات ونقاد السينما .. حتى كاد أن يشكل هذا الفيلم « ظاهرة » تستحق التوقف والتامل !! .

والفيلم يعرض بجراة صعود طبقة اصحاب الدخول الطفيلية .. واستحواذهم على كل متع الحياة المادية .. وفرض سيطرتهم ومزاجهم الشخصى ، وسلوكهم الجشع ، على مفردات التعامل اليومى .. ابتداء من فرصة السكن الملائم ، فهم غالباً اصحاب العمارات الجديدة والغالية .. الى الذوق العام فى الثقافة والفن ، بعد أن صاحبت ظهورهم موجة ردیئة من انتشار الثقافة الهابطة ورواج الفن الحسى !

وقد اختار مؤلف الفيلم « أحمد عبد الوهاب » أن يقدم نموذجاً لهذه الطبقة ، من خلال « زبال » ـ لعب الدور باقتدار الفنان محمود ياسين ـ كانت مهمته جمع القمامة من العمارات .. وذات يوم تجرأ ليدق باب احدى الشقق ليقدم نفسه لخطبة الشغالة التى كان يراها يومياً تفتح الباب له فى الصباح لتقدم صفيحة القمامة .. واستعد الزبال بارتداء القميص والبنطلون وتنظيف حذائه المهترىء .. ليواجه رب الاسرة التى

محمود ياسين فى لقطة من الفيلم

تعمل عندهم هذه الشغالة .. ولكن المفاجاة التى اربكته تماماً .. ان هذه الفتاة التى ظنها الشغالة ، ليست إلا ابنة هذا المستشار السابق الذى يعمل الآن بالمحاماة .. وهى ايضاً شقيقة هذا الشاب (يلعب الدور الفنان حسين فهمى) المنهمك دائماً فى البحث والتحضير لاعداد رسالة الدكتوراه فى الفلسفة ، والمدرس حالياً بالجامعة ! .

ويكون نصيب الزبال بالطبع من هذه المقابلة الصارخة الطرد والسخرية والاحتقار .. وتانيب لابنته على هذه البهدلة التى تبدو عليها حتى ظنها هذا الصعلوك ، شغالة ، وليست ابنته !!

ولا ينتهى الأمر عند هذا الحد .. بل كانت هذه مجرد البداية .. بداية احداث الفيلم .. والصراع المؤلم بين الجاهل الذى لا يملك غير فهلوته وحلمه المؤكد بالثراء بعد ان يصبح مسئولا عن جمع قمامة كل الحى والاستفادة من بيعها .. فى مواجهة المدرس الجامعى الشاب الذى لا يملك غير المنطق والفلسفة والتمسك بالمثاليات والاخلاق .. والقانون !!

فهذا المدرس الشاب الذى حصل بالفعل على الدكتوراه فى الفلسفة واصبح يواجه طلبته فى مدرجات الجامعة يعلمهم الحكمة وتجارب الفلاسفة .. هذا المدرس يواجه مشكلة إتمام زواجه من خطيبته (ناهد شريف) التى طال انتظارها لمدة خمس سنوات فى محاولة من المدرس لاستكمال نفقات تاثيث البيت .. والاهم العثور على شقة خالية تضمهما معاً .. وبالطبع تبوء كل محاولاته بالفشل خصوصاً وانه يصمم على العثور على شقة خالية بدون دفع هذه المبالغ الخرافية التى يطلبها أصحاب العمارات كخلو رجل .. و « منطق » مدرس الفلسفة الذى يتمسك به .. ان دفع هذه المبالغ ضد القانون !!

وهذا « المنطق » يثير غضب وسخرية والدة الخطيبة ، فهى ترى ابنتها تضيع منها سنوات شبابها فى انتظار بلا طائل .. وأمام منطق لا معنى له فى التعامل اليومى .. إنه منطق مكتوب فى الكتب فقط .. ولا يصلح للحياة العصرية ! .

وتضغط الفتاة على خطيبها المدرس الشاب ، ان يتنازل قليلا عن منطقه .. ولكنه يدافع عنه بجدارة وايمان .. وتحاول الفتاة ألا تخسره .. فهى تحبه ، وتفهم مثالياته .. لكن للضرورة احكام .. وبعض التنازل لا يضر فى سبيل اتمام الزواج .. وهو أيضاً يحبها ويفهم لهفتها ويدرك ضغوط والدتها ووصاياها الشرهة دائماً للنقود .. ويستسلم مرغماً امام الحاح الفتاة للبحث الجدى عن شقة !

ويقودهما سمسار العقارات الى عمارة جديدة لم يكتمل بناؤها .. ويقابلهما بصاحبها الذى كان يجلس على مدخل العمارة يدخن النرجيلة فى سعادة وزهو مرتدياً مجموعة من الملابس والألوان غير المتناسقة .. وتاتى المفاجاة المذهلة .. ان يكون صاحب العمارة هو نفسه الزبال القديم !!

ويحدث التعارف .. أو المأساه !

فصاحب العمارة يرحب بالمدرس الجامعى ، وان كان لا يعرف ولا يريد ان يوجع دماغه بالتخصص الذى حصل به على الدكتوراه .. فهو يعرف أن الدكتور لابد وأن يكون طبيباً .. اما هذا الشىء الذى يتكلم عنه المدرس الشاب ، فهو لا يفهمه .. ويحاول المدرس بغيظ شديد وتافف أن يوضح له عمله « أنا أربى عقول » .. فيرد صاحب العمارة ، والزبال القديم ، بسخرية وفخر : « أنا بقى أربى عجول » !

والفرق بين الكلمتين حرف واحد .. ولكنه الحرف الذى يفرق بين أسلوبين فى الحياة !!

وتلعب احداث الفيلم على هذا الفرق الهائل المخيف !

فصاحب العمارة ، الانسان الجاهل .. أصبح فى ظرف خمسة اعوام مالكاً لعمارتين شاهقتين ، ومزرعة للمواشى ومجموعة من سيارات النقل .. غير سيارته الخاصة المكيفة الهواء ، وفيلا بحديقة رائعة يسكنها هو وزوجته وأولاده .. ولكنه يشكو من ابنه الصغير الذى ادخله احدى المدارس الاجنبية الخاصة ، فالابن لا يكف عن ضرب زملائه الذين يستفزون من حقيبته المدرسية المحشوة بمختلف اللذائذ من الشيكولاتة الفاخرة والفواكه الغالية الى علب المياه الغازية المستوردة .. الى مصروف العشر جنيهات اليومية !!

فالنقود لم يعد لها حساب .. كثيرة وتتوالد بسرعة !!

أما المدرس الشاب .. فهو لا يملك بمنطق الملكية المحسوبة بالارقام .. سوى الف وخمسمائة جنيه هى كل ما جمعه من رصيد عشرة اعوام عمل فى الجامعة وتاليف الكتب الفلسفية !.

النقود تحت اقدام الراقصات

وازاء كل الضغوط التى يرزح تحتها من إلحاح والدة خطيبته .. الى الانتظار

الذى تعانيه الخطيبة والذى بدأ يلون صوتها بالشكوى والتذمر .. يضطر المدرس الشاب أن يضع كل ما يملك فى يد صاحب العمارة ، بعد أن وافق الأخير أن يكون هذا المبلغ نصف قيمة الخلو المطلوب على أن يسدد المدرس بقية المبلغ بعد ذلك .. إكراماً للعلاقة القديمة

وحتى يهون صاحب العمارة من عصبية المدرس الشاب فهو يدعوه مع خطيبته ووالدتها الى سهرة فى أحد ملاهى شارع الهرم .. وهناك نكتشف مدى السطوة التى يتمتع بها صاحب العمارة .. الزبال القديم .. فهو صاحب المال الذى يبهر به عيون الجميع .. وفى لحظة انتصار مجنونة يقف صاحب العمارة يبعثر النقود التى استلمها من المدرس الشاب ، على جسد الراقصة المكتنزة ، والمغنى الذى يردد اسخف الكلمات ذات الايقاع الحسى .وتتناثر النقود على الارض مع دقات الموسيقى المحمومة !!

وتنتاب المدرس حالة من الذهول والياس والتقزز ..

ويواصل صاحب العمارة استمتاعه بالحياة مستندا على ثروته .. ويلوح بالنقود والهدايا .. فيغزو بها بيت والدة خطيبة المدرس الشاب .. وتستجيب بسرعة الأم الشرهة للنقود .. وتبدأ فى التمهيد لزواج ابنتها من هذا الثرى .. فما الذى يجدى من انتظار هذا المدرس الذى يتحدث عن المنطق والمثاليات .. ؟!

ويغزو صاحب العمارة ـ الزبال القديم ـ بيت المدرس الشاب ، ويداعب بنقوده أحلام الأب والأم فى الاستفادة من فرص الكسب التى يعرضها على الأب من خلال العمل فى قضاياه الخاصة بالعقارات !!

وهكذا يجد المدرس الشاب .. انه يقف وحيدا فى مواجهة الانهيارات التى تحدث حوله بسرعة .

النهاية .. بالجنون

حتى كان آخر أمل بالنسبة له ، هو خطيبته الشابة .. ولكن حتى هى لم تستطع الصمود .. انهارت .. وألقت بنفسها فى احضان الزبال الثرى .. ووافقت على الزواج منه ، لتكون الزوجة الثانية فى حياته !

محمود ياسين .. فى دور الزبال .. من فيلم « انتبهوا .. أيها السادة »

ولا يستطع المدرس الشاب أن يعى « منطق » الاحداث التى جرت حوله متلاحقة .. وفى مدرج الجامعة وأمام طلبته .. يلقى محاضرته بصوت متهدج .. وبعيون زائغة لم تعرف النوم .. وتختلط الكلمات فى ذهنه وعلى لسانه .. فما هى الحقيقة .. ؟!

ويهذى فى هيستيريا مجنونة .. وطلبته يتابعونه بدهشة .. ويجرى من مبنى الجامعة فى ذهول .. ليتوقف أمام تمثال نهضة مصر .. لتمر أمامه عربة جمع القمامة .. وينظر إليها فى ذعر .. كأنها هى الحقيقة المؤلمة التى حطمت حياته .. وتظهر على الشاشة عبارة « انتبهوا .. ايها السادة » !

الرغبة فى المعرفة .. والتساؤل

وينتهى الفيلم بهذه النهاية القاسية . الجاهل ينتصر بنقوده .. والمثقف ينهزم بمثالياته !

ولكن لماذا ؟! .. وما هى الظروف والعوامل

علينا أن نفكر .. وننتبه !

وبهذه الجرأة فى التناول والعرض

الطياران يتشاجران بعد سقوط الطائرة.. لقطة من فيلم «يوم طفت الاسماك

انتبهوا أيها السادة :
الجاهل ينتصر بنقوده
والمثقف ينهزم بمثالياته !

الفنى الشيق .. أصبح الفيلم مثار اهتمام وتعليقات كثيرة .

فقد اختار مؤلف الفيلم « احمد عبد الوهاب » .. شخصيتين متناقضتين تماماً .. لكى يلعب على هذا التناقض المثير ، فى تفاصيل الاحداث .. ولكى يبسط القضية التى يريد التذكير بها للوصول الى كافة المستويات من المتفرجين .

وقد نجح الفيلم فى إثارة التساؤلات .
وأى فن ينعش الرغبة فى المعرفة ، والتساؤل .. ويحث على القلق الصحى .. هو فى رأيى فن يستحق الاحترام .

انتباه .. المخرج اليونانى الكبير

وربما كان أقرب مثال على هذه النوعية من الافلام ــ فى السينما العالمية ــ هو فيلم « يوم طفت الاسماك ميتة » للمخرج اليونانى الكبير « ميشيل كاكويانس » الذى اطلق صيحته الشهيرة فى نهاية الفيلم : « انتبهوا .. انتبهوا .. انتبهوا من فضلكم » وينتهى الفيلم .. والنداء يدوى بلا انقطاع وفى رجاء مخلص ان ينتبه أحد للخطر الداهم !

فى ذلك الفيلم قدم صانع « زوربا اليونانى » نموذجا فريدا من سينما إيقاظ المشاعر ..

فقصة فيلم « يوم طفت الاسماك ميتة » تحكى بمزيج من الحكمة والسخرية عن سقوط طائرة عسكرية تابعة للجيش الامريكى تحمل صندوقاً اسود ضخماً ، بداخله قنابل هيدروجينية !

تسقط الطائرة فى البحر أمام احدى الجزر اليونانية الفقيرة .. ويتمكن الطيار ومساعده من النجاة بأنفسهما .. أما الصندوق الاسود المحمل بالخطر ، فهو يتدحرج على الصخور ليستقر فى مكان ناء ، ليكتشفه فيما بعد أحد الرعاة ويظن أن بداخله كنزاً .. ويستدعى زوجته فرحاً لكى ينقلا الصندوق الثقيل الى بيتهما الفقير !

بينما القيادة الامريكية تدبر ــ فى تكتم شديد ــ بعثة للبحث عن هذا الصندوق .. وتلجأ الى خدعة إرسال خبرائها على هيئة وفد سياحى الى هذه الجزيرة المجهولة .. تحت ستار انهم ينوون اقامة فندق سياحى وكازينو وتحويل الجزيرة الفقيرة الى بقعة سياحية رائعة !

ويأتى الوفد السياحى المزيف ، ويرتدون اغرب الملابس ذات الألوان المثيرة – زيادة فى التعمية – ويمارسون لهوهم ومتعتهم .. وتصدح الموسيقى الراقصة .. وينقلب حال الجزيرة .. جميع السكان البسطاء يتحولون بسرعة الى خدمة السياح والاستفادة من اموالهم الكثيرة !! .. وعمدة الجزيرة يجدها فرصة لكى يجذب انتباه الحكومة له .. فيسرع بالاتصال بالصحافة لتاتى لتنقل اخبار هذا الزحف العظيم من السياح .. وينتشر الخبر .. وتتوافد اسراب اخرى من السياح .. وينتشر الخبر .. وتتوافد اسراب اخرى من السياح الحقيقيين بعد أن اصبح اسم الجزيرة المجهولة على لافتات كل شركات السياحة ، على لسان كل هواة السياحة واكتشاف الاماكن الجديدة والمثيرة !!

وهكذا يتفنن المخرج « كاكويانس » فى استعراض عقلية الاثرياء الباحثين عن المتعة .. والفقراء الباحثين عن فرصة للكسب !!

أما خبراء الجيش الامريكى ، الذين يرتدون ملابس السياح الفاقعة الالوان فهم يتخبطون فى البحث عن الصندوق المحمل بالقنابل الهيدروجينية .. فى حين أن هذا الصندوق قد استقر داخل بيت الراعى الفقير الذى يحلم بالكنز بداخله .. وفى لهفة شديدة يحاول فض غلاف الصندوق المحكم .. تساعده زوجته فى تكتم شديد حتى لا يتسرب الخبر الى الجيران .. ويواصلان محاولاتهما فى دأب واصرار مستميت حتى يفلحان فى النهاية فى فض غلاف الصندوق .. ليفاجأ بانه لا يحوى كنزا .. ولا شيئاً ذا قيمة ، سوى مجموعة من الكبسولات الصغيرة (اجزاء القنبلة) .. ولانهما لا يعرفان كيف يتصرفان فى هذه الاشياء التى لا تساوى – بالنسبة لهما – أى فائدة فانهما فى النهاية يحملان الصندوق بما فيه ، ليلقيانه فى البحر !!

وتتسرب المواد المشعة فى المياه .. لتقتل الاسماك وتطفو ميتة على السطح .. وتتسرب المواد المشعة أيضاً الى آبار المياه .. ومواسير المياه .. وإلى الطعام .. تحمل الهلاك والموت !!

ولكن الكل يرقص فى لا مبالاة .. واهالى القرية يفتحون صدورهم للسياح .. والجميع مشغولون باللعبة البراقة .. ولا احد ينتبه للخطر .. ويرتفع الصوت فى نهاية الفيلم محذرا .. ولكن الصوت يضيع وسط ضجيج الموسيقى الصاخبة .. ورقص الجميع .. والعبث الدائر ليل نهار ..

حافة الكارثة .. ومهمة الفنان

وفى حديث مع المخرج « كاكويانس » الذى كتب واخرج وصمم ملابس هذا الفيلم .. قال يوضح وجهة نظره :

« إن رغبتى فى عمل الافلام ، ليست رغبة فى التعليم على الاطلاق .. فليست هذه هى الوظيفة المباشرة للفن أو الفنان .. ولكن الذى يحدث أن الفنان يجد نفسه مضطرا لأن يقول شيئاً فى لحظة معينة ، وإذا كان ما يقوله يسمى بالرسالة أو المهمة ،فذلك فى تقديرى وببساطة ليس إلا درجة من ادراكه ووعيه بما يحدث حوله . »

« وفى هذا الفيلم شعرت أن الاحداث تدور حولى – حولنا – وتحركنا كاننا عرائس خشبية .. وتقودنا الى حافة الكارثة .. ومن هنا صنعت هذا الفيلم .. وفيلمى يعكس وجهة نظرى أن العالم يتجه الى الدمار .. وهذا لا يدعو الى التفاؤل .. والفيلم يتساءل متى نكف عن الضحك، أمام خطورة ما نواجهه .. فالذى يضحك لن يلبث أن يتوقف عن الضحك فجأة.. بعد أن يكتشف انه يضحك على نفسه » ؟!

وعندما سألوه : « هل تعتقد أن السينما وسيلة مؤثرة لمثل هذا النوع من الموضوعات » ؟!

اجاب بثقة : « نعم .. انها مؤثرة اكثر من أية وسيلة اخرى فى عصرنا هذا »!!

العالم يتجه إلى الدمار
وهذا لا يدعو للتفاؤل
فمتى نكف عن الضحك ؟!

الرعب .. والرقص .. التناقضات التى ابرزها فيلم « يوم طفت الاسماك ميتة »

هل ننتبه

والقضية قديمة جدا .. وجديدة جدا أيضاً .

فعجلة الحياة الطاحنة .. وارهاق المتطلبات اليومية .. وازدياد الضغوط .. تجعل من الصعب على الفرد العادى أن يتوقف ، ويرفع رأسه ويتأمل ، ويسأل: لماذا ؟ .. والى أين ؟ .. وما هو الحل ؟

ومن هنا يكون دور الفن مؤثرا وفعالا .. إذا قام بهذه المهمة .. وطرح التساؤلات .. وايقظ الرغبة فى المعرفة .. فالمعرفة هى أولى خطوات البحث عن حل !

ولكن .. الكارثة الكبرى .. ألا يتوقف أحد .. وألا ينتبه احد .. وان يلقى الجميع اجسادهم المرهقة ، واعصابهم المهدودة على وسادة من الراحة الكاذبة!! .

رءوف توفيق

مونولوج
جماعى

الفيل والشجرة

إسماعيل مصطفى تامر

ذهب الفيل العجوز ، يحمل سنواته بصمت إلى حيث كهف أجداده الموتى .. كل شىء فى كيانه تحول إلى نغم هادىء رزين ... ماتت الاسئلة جميعها .. وازيلت جميع الحواجز بين جميع التفاصيل .

وخلال الطريق .. جاءت فراشة رقيقة وصارت تحوم حوله .. لم يلتفت إليها أول الأمر ، ولكنها شدت انتباهه بعنادها اللطيف ، ووجد نفسه يصحو من نعاسه وخدره اللذيذ ، فجلس عند باب الكهف والتفت إليها معاتباً :

ـ منذ متى وانت تلاحقيننى أيتها الفراشة ؟

ـ تذكر سيدى الفيل ..؟

ـ كيف يتسنى لعجوز مثلى أن تؤاتيه الذاكرة ..؟ هل تسخرين منى ؟

ـ أبداً ... وهل يسخر ضعيف من قوى .. ياسيدى الفيل ؟

ـ عزيزتى الفراشة ... انت شابة وجميلة ... لذلك انت قوية !! هل تتصورين ماذا تعادل قوة الجبل عندما يهرم ويشيخ كحالى ؟

ـ لا أبداً لم اتصور ذلك ؟

ـ إن الجبل حينذاك لا يعادل قوة حصاة صغيرة شابة !

ـ تعجبنى هذه المعادلة !

ـ والآن .. ألا تتركنى امضى فى طريقى الى الكهف ؟!

ـ ولماذا انت متعجل هكذا ؟

ـ لأننى لا أطيق البقاء زيادة على عمرى ولو دقيقة واحدة !!

ـ هل تعنى انك لست خائفاً ؟

ـ بل كل الخوف عزيزتى الفراشة !

ـ كيف تجتمع هذه المعادلة ؟

ـ كما اجتمعت من قبل الحصاة مع الجبل فى معادلة واحدة !!

ـ حدثنى عن هذا الخوف الذى تعيش .. ؟!

ـ يحكى ياعزيزتى الفراشة أن فيلا فى قديم الزمان .. وصل به الخوف لدرجة أنه تمنى على نفسه لو كان له عمر تلك الشجرة العتيقة التى عاصرت أجداد أجداده من الافيال وتعيش بعد إلى أبناء أبنائه ... وبينما هو فى تأملاته تلك إذ بصوت شجرى يهمس له :

ـ هل تتمنى حقاً أن يكون لك عمر تلك الشجرة ياعزيزى الفيل ؟!

ودون أن يعرف مصدر ذلك الصوت أجاب « نعم .. بل ياليت » !!

وساعتها لم تبق شجرة فى ذلك العالم إلا تمنت أن يوهب له ذلك العمر الشجرى وتحققت الأمنية ، ولكى يطمئن الفيل أكثر ، تساءل مرة أخرى ؟ ولكن كيف اتحقق بنفسى من عمرى الجديد ... فأجابه الصوت الشجرى : انظر لتلك الشجرة فانك تهرم معها وتموت !!

وانطلق الفيل فى حياته المديدة .. بعد أن مسح الخوف عن قلبه .. ولماذا يخاف الآن ... إن لديه أجيالا كثيرة قبل أن يفكر به ... !!

وبدأ كل شىء ينسحب بهدوء من حياته ... زوجته ... والده .. والدته ... اصدقاؤه ومعارفه ... وكان عليه أن يبدأ من جديد .. وفى كل مرة كان ينظر للشجرة ليراها ما تزال على شبابها .. فليمرح إذن فالخوف ما زال بعيداً !!

ومرت الأيام وراء الأيام ، كان الخوف بعيداً .. لكن شيئاً بدأ يتسلل ويقترب من حياته بهدوء ... ألا وهو التعب ... نعم لقد تعب الفيل ... بينما تلك الشجرة رفيقته ما تزال جذورها تمتد فى الارض .. بكل ما فيها من قوة النماء والازدهار !!

وفى مرة سألته الشجرة :

ـ عجيب .. كيف تتعب لهذه الدرجة وأنت مثلى فى سن الشباب ؟!

ـ لا أدرى .. يبدو اننى لم ادخل التعب فى حساباتى ... لا أدرى كيف تسلل إلى حياتى ... ببساطة مللت كل شىء ... تصورى ... لقد حسدتك قبلا ... وما كنت احسبنى ساحسدك الآن ...

ـ قل لى .. كم مرة فارقت زوجتك ؟

ـ ألف مرة للآن !

ـ وحبيبتك ؟

ـ مرة واحدة .. دفنتها فى ذاكرتى العميقة .. بين أهلى واصدقائى .

ـ أليس لديك أصدقاء الآن ؟

ـ ابداً .. أصبحت غريباً عن جنسى .. مهجوراً كبيت تسكنه العفاريت !

ـ لهذه الدرجة ؟

ـ إننى مستعد لكى أبادل تعبى الذى اعيشه الآن ... بخوفى الذى فارقت ...

ـ لهذه الدرجة ..؟!

ـ توسلى لى ... بهذه الأمنية ... فامنيات الاشجار لا ترد ولا ترجع خائبة ... وعند ذلك .. توجهت الاشجار بأمنيتها ، لكى يعود الفيل إلى خوفه ، وكما قال الفيل .. لا ترد أمنيات الاشجار ولا ترجع خائبة !!

وهنا .. همست الفراشة بجناحيها الشفافين بعيداً ... وأغفى الفيل المتعب على صورتها وهى تبتعد عنه وتصبح نقطة مبهمة ... وفى نومه .. حلم ذلك الفيل أنه صار فراشة رقيقة .. فراشة بكل ما تعنيه الكلمة ... وعندما صحا من حلمه لم يكن يعلم فيما إذا كان فيلاً يحلم بأنه فراشة ... أو أنه الآن فراشة تحلم بأنها فيل !!

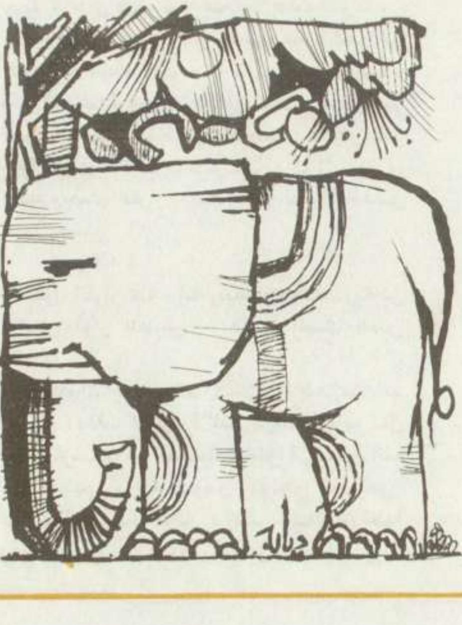

اسماعيل تامر

يامسلمى العالم إتحدوا

حين سالوه عن ثروته وما احتازه من عقار ونضار ؟. أشار إلى صدره ، يقصد ما استوعبه من علوم وحفظه من معارف وأحاط به من ثقافات وسالوه عن ملابسه ؟ .. فاشار إلى جبته التى يلبسها .. وقال كنت فى أول السعى احمل معى جبة ثانية ثم طال عهدى بالنفى وأدمنت التشريد فاستثقلت حملها .. مكتفيا بالتى على جسدى حتى تضيق او تتمزق ويصبح « التغيير » لا مفر منـه .

وفكر السلطان عبد الحميد فى استرضائه وضمه إلى معيته فانعم عليه بملابس التشريفة المفضفضة المذهبة والموشاه بما يخطف بريقه الابصار .. ورفضها صاحبنا وامتنع عن لبسها وقال « لا اريد أن اكون مثل البغل المزركش » .

ولما لم تنفع « البدلة » فى ترويضه .. حاولوا إغراءه بالزواج وشل حركته بحجة الاستقرار .. « ولا عليك فسنوفر لك مسكنا ونجرى عليك راتبا أنت ومن تعول » ولكنه « فهم اللعبة » ورفض الزوجة والمسكن والراتب .

حتى خلانه حينما عرضوا عليه مبلغا من المال يستعين به على أهوال الغربة ومرارة النفى .. رفض هدية المحب « لأن الليث لا يعدم فريسته اينما ذهب » !

لا عقار ولا نضار ..

لا ثياب ولا منقولات ...

لا زوجة ولا ولد ..

لا .. لكل ما يوحى بالدعة ويغرى بالاستقرار ويحرض على إيثار السلامة .. وهكذا كان يزرع النار كلما سار .. ويستنهض الثورة حيثما حل .. هـذا هـو :

● جمال الدين الأفغانى !

حياته كانت دائرة ثلاثية الحلقات (نفى ـ اعتقال ـ غربة) .. ليس فقط منذ تزوج الثورة وأدمن النفى وعشق الغربة .. بل وحتى وهو طفل

جمال الدين الافغاني

عبد الحميد الثاني

ابراهيم باشا

محمد علي باشا

لم يدرك حين صدر قرار بتحديد إقامة اسرته فى « كابول » .. وهى اسرة مسموعة الكلمة فى إقليمها « أسعد آباد » .. فالزمها حاكم البلاد بالتواجد فى « كابول » لتكون تحت سمع وبصر أجهزة الأمن المركزة فى العاصمة .. كان عمر جمال فى ذلك الحين « ثمان » سنوات !! .. وتدور الأيام ويصدر القرار بابعاد جمال الدين الأفغانى عـن مصـر

.. لمـاذا ؟

يقول القرار عنه « إنه رئيس جمعية سرية من الشبان ذوى الطيش .. هدفها إفساد الدين والدنيا » !!

يحفظ التاريخ للعالم الاسلامى « العز بن عبد السلام » وقفته الشهيرة التى ألهبت مشاعر أهل مصر وفرسانها من المماليك فقاتلوا فى سبيل الله صفا كأنهم بنيان مرصوص .. ونجح المسلمون لأول مرة فى صد طوفان « التتر » بعد أن ظلوا يعيثون فسادا فى الارض .. وهو فساد بلغ ذروته فى اجتياح « بغداد » عاصمة الخلافة ومهد الثقافة .. وخلا لهم الجو وساعدهم ضمور جناح المسلمين فظهروا وانتصروا .. ثم اندحروا وانكسروا فى مشهد درامى رهيب تلاقت فيه السيوف والابدان واسترخص الجمعان الارواح والمهج .. واحد بهدف الاجتياح الجائع المدمر .. والثانى بهدف الوفاء بالرسالة والنهوض بالأمانة وأداء لمقتضى الدور الحضارى و « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .. وشهدت « عين جالوت » أن قلب الاسلام لا يموت .

ويحكى التاريخ انه منذ هذه الوقفة الجليلة من عالم جليل .. خبا الضوء من الساحة ... وعدمنا نظير العز بن عبد السلام العالم الثائر .. حتى ظهر « جمال الدين الافغانى » الثائر العالم .. ونقول الثائر العالم لأن الأفغانى كان ظاهرة فريدة فى تجسيده لفكرة الثورة .. الثورة بكل أبعادها على مستوى العالم الاسلامى مرورا من المحلية والاقليمية ولغة الجنس الواحد الى آفاق العقيدة الأكثر رحابة والاوسع مدى .. وهو التجسيد المثالى لوصف العزيز الحكيم أتباع محمد بالمسلمين .. فحيث يكون الاسلام يكون جمال الدين الأفغانى يعيد ترتيب الصف .. ونافخا فى وهج الأخوة محاولا صهرها وصياغتها من جديد .. لتنهض وتقف مؤكدة وجهها الاصيل والمجتاح بعشرات الاقنعة منها القاهر الواضح ومنها الخفى المتسلل بهدف القهر .

كل ما حول الافغانى كان يغرى بالاستسلام وإيثار السلامة ويوحى بالقعود عن واجبات الكرامة . فالعدو ليس وراءنا أو أمامنا فقط .. إنه بيننا يحكم ويأمر ويجتاح ويستعمر ويثب أو يستعد للوثوب . كلمته عليا وإرادته نافذة وهو على كل ضعيف قدير ! .. فقبل أن ينزل الأفغانى من سجن الرحم إلى سجن الحياة .. كان الانجليز قد نزلوا فى الهند وقبلها « عدن » وبعد الهند الشام بحجة التصدى لطموحات محمد علـى وابراهيم .. وفى إيران وباكستان حكموا من وراء حجاب .. كل هذا والدولة العثمانية التى هى التعبير الرسمى عن الامبراطورية الاسلامية كانت وكما يقول الدكتور محمد عمارة فى دراسته المتأنية والناضجة عن « الافغانى ».. كانت قد وصل بها التفسخ إلى مستوى أصبحت معه جميع حدودها نوافذ يطل منها النفوذ الاستعمارى .. وكل شرايينها مسالك شبه معبدة يسرى من خلالها هذا النفوذ .

وهكذا كان ما حول الافغانى يغرى بالاستسلام والسلامة ويوحى بالقعود عن واجبات الكرامة .. ولكن الأفغانى تعامل مع ما يعتقده فصاح فى المسلمين حـى على الجهاد .. وقال للهنود المحتلين بجنود بريطانيا العظمى « لو كنتم ذبابا لصم طنينكم آذان بريطانيا العظمى .. ولو

كنتم « سحالف » وخضتم البحر واحطتم بجزيرة بريطانيا العظمى لسحبتموها إلى القاع وعدتم إلى « هندكم » أحرارا ».

ويطلق فى مصر شرارة الثورة الانسانية التى كان « عرابى » ذراعها ويدها المنفذة .. ويدخل «الافغانى» على السلطان عبد الحميد ـ وهو من هو ـ يرجوه أن يحله من بيعته لأنه ـالخليفة ـ غير امين فى خلافته على المسلمين ! .

ويجلس مع قيصر روسيا ولا يتحفظ فى الحماس لشورى الحكم .. فيغضب القيصر من جرأته وينهى اللقاء فى احتداد وجفاء .

فيض من غيض .. ما يمكن أن نذكره من لمحات نضال الافغانى الثائر .. والذى لم يكن مجرد « منظر ثورى » يتعامل مع الكلمات .. وإنما « مقاتل يومى » يتعامل مع المواقف .. كان هو الناطق بلسان عرابى أمام الخديو توفيق «والله لن نستعبد بعد اليوم » .. كان الافغانى هو الثائر والثورة فى كل مناحى نشاطه وتجليات إبداعه .. فى رسالته المعروفة باسم « الرد على الدهريين » يبرز منطق عنيف الحجة .. ملتهب التحليل والتعليل وهو يهاجم الفكرة الشيوعية لأنها تقرر الاشتراك فى المشتهيات .شيوعية الطعام والجنس .

تمحو حدود الامتياز .. تعامل الانسان على انه الة .

والنتيجة مساواة مسطحه فلا تفاوت فى الحظوظ ولا العقول فتميل النفوس إلى الاخذ بالاسهل فلا معاناة ولا تنافس ولا ابتكار .

« والدهريون » هو الاسم الذى يطلقه الافغانى على هذه الطائفة التى تسوى بين الانسان والحيوان فى لحظة النهاية .. متجاهلة أن الانسان سيدخل مرحلة الثواب والعقاب بسبب امتيازه كانسان .. ولهذا اشتق لهم الافغانى هذا الوصف من قول الله تعالى يصف فكر « الملحدين » « ولا يهلكنا إلا الدهر »

الأفغانى كتب هذه الرسالة الهجومية عام ١٨٨٠ .. قبل أن تظهر أول دولة شيوعية فى العالم بحوالى سبع وثلاثين سنة .. اى لم يكن يوجهها ضد « نظام » أو يواجه بها « سلطة » .. كان مجرد ناقد ومفصح عن وجهة نظر .. ومع هذا يبدو أنه ارتكب جريمة لا تغتفر .. فالسوفييت يبدو انهم لا يزالون يذكرون هجومه القديم عليهم قبل أن يولدوا .. فأرادوا الانتقام منه فى شخص شعبه .. واحتلوا « أفغانستان » فى نهاية العام الماضى (٧٩) وانتقموا منه ولا يزالون ينتقمون .. بعد مرور مائة عام على كتابة الافغانى لرسالته العنيفة التى هاجم فيها « الدهريين » فجاء «الدهريون» الجدد ليحاسبوا ويعاقبوا .

وافغانستان التى أنجبت الأفغانى من مائة وأربعين عاماً لا تزال تنجب الثورة .. وتابى ارتداء غريب الثياب .. ويسقط منها كل يوم شهداء قالوا ربنا الله ثم استقاموا فى جيش الثورة لمواجهة هذا الاستخفاف المتوقح بضمير المسلمين ودين المسلمين وأرض المسلمين .. و ..

يا مسلمى العالم اتحدوا .

جحويات

جحا خطيب البلد

حينما مات امام المسجد
جد في الامر مشاهير الندي
من يولوه خطيبا بعده
فصلاة الجمع في بعد غد
ودعوا يا رب الهمنا الحجى
والهدى والحق حتى نهتدي
فاستقروا بعد لأي انه
ليس الاه آتى في الموعد
وتنادوا في الضحى قم يا جحا
نحن بايعناك فاخطب واقتد
فاعتلى المنبر أولى جمعة
صائحا في الراكعين السجد
أيها الناس : أتدرون الذي
سوف احكيه وماذا مقصدي ؟
فاجابوه جميعا كلهم
لا وقالوها بصوت واحد
قال لا جدوى من القول لدي
جاهل بالقول مهما ازدد
ثم جاءوه وقالوا اننا
قد عرفنا فاضفنا وجد
قال ما دمتم عرفتم ما الذي
يتبقى لي ؟ ..رشفتم موردي
فاراد القوم احراج جحا
رد كيد المستخف العامد
فاذا قال اتدرون الذي
سوف احكيه وماذا مقصدي
قال بعض « لا » وباقيهم نعم
ليس عن « لا » او « نعم » من منفذ
فادار الطرف فيهم باسما
وعيون القوم فيه تفتدي
ثم القى بعصاه فالذي
عنده علم يجد للفاقد !

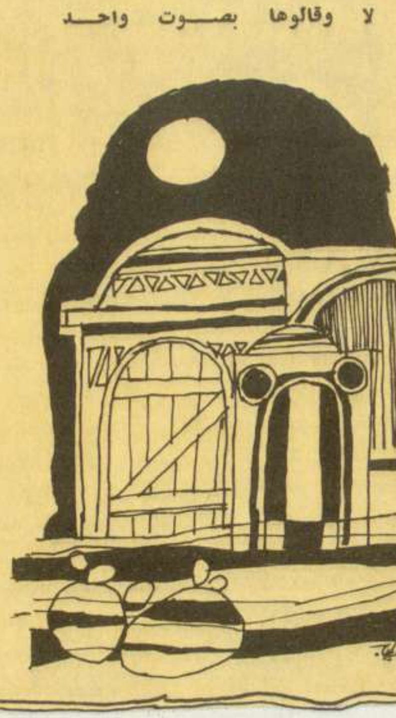

المقامة السليمانية

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

قال عبد الشكور المشهور بمعرفة الانام والدور :

عرفت سليمان ، فيما مضى من الزمان ، وكان يسكن فى شارع سليمان باشا ، فيه نشا وعاش ، وهكذا اجتمع الساكن والمسكون ، ولله فى خلقه شئون .

ولفتنى فى أول لقاء بضخامة الحجم ، وسطوع النجم ، فقد كان جسيما لحيما ، عظيما فخيما ، وجه ابيض مشرب بحمره ، وشارب يجعله يجاوز عمره ، فتحسبه تخطى الخمسين ، مع أنه فى نحو الاربعين .. كل هذا إلى أناقة غير مسرفه ، ورشاقة ليست متكلفة ، مع صوت ، يوحى بان صاحبه يجيد التقاسيم ، وعلى هذا داخلتنى المهابة ، وصرت فى جملة الصحابه

وكان أول لقاء بيننا ، فى بيت صديق لنا ، وتعارفنا وتآلفنا ، وراح يحدثنى عن ازمة الطاقه ، بطلاقة .. وفجاة تذكرت ان كل ماسمعته من جمل مفيده ، قراته الصباح فى الجريدة ، أهذا إذن سر الطلاقة ؟ ، ومبعث الجمل الرقراقه ؟ ، وكتمت اكتشافى فى جوانحى ، ولم يبد شىء على ملامحى ، وارجعته الى تشابه الخواطر ، وسليمان كالبحر الهادر ، يصول ويجول ، وانا فى حال بين الدهشة والذهول ، والحق اقول .. ، حسدته لذاكرته إن كان ناقلا ، ولذكائه إن كان محللا.. ثم ونحن ننصرف والضيوف ، شكر سليمان الظروف ، التى اتاحت له لقائى والاستمتاع بحسن اصغائى ، اى والله وعن هذا اعتذر ، بنسيانه نفسه وكلنا بشر ، ويا حبذا لو رآنى واعطانى عنوانه واخذ عنوانى .

ومضت الأيام فى طريقها العادى ، لأكتشف كم انا غبى ، فصاحبنا كان البرهان المبين على صدق القول الرصين ، « ترى الرجال كالنخل وما يدريك ما الدخل !».. وهكذا كان ، صاحبنا سليمان ، ابرز مافيه ، منطق المعاتبة ، ورغبة صبيانية فى التحدى ، تجعله كالممثل الكوميدى ، وحتى اسمه كان فكها ، ولم أر له شبها ، « سليمان نعسان » ، وكانه عنوان ، واحد من قصص الاطفال ، التى تحذر من الكسل والاهمال .

واكتشفت ان بيته فى المساء ، ندوة مفتوحة للاصدقاء ، وغير الاصدقاء ، وكنت تصحب معك واحداً أو اثنين لزيارته ، فيرحب بهما كانهما من قديم صحبته ، وقد ضمن له مسقعين أبرياء ، ساقهم الحظ إليه فى المساء ، حيث يروح يتحدث عن ازمة الاخلاق ، فى بلاد واق الواق ، والويل إن اعترضت ، والعتاب عليك إن أعرضت ، فقد كان سليمان، يهوى فك اللسان ، لايبالى إن كنت مستمعا أو ممتنعا، فهو حر فى بيته ، ولا عليه إن جلجل بصوته

وهذا طبيعة ابن نعسان ، التى عرف بها بين الخلان ، فصاروا يعبثون به ، وهم إلى جانبه ، يتفقون على إثارته ، وتصعيد درجة حرارته

وكان يستجيب ، ويلبس عمامة الخطيب ، ويأخذ فى الربط بين الاحداث ، بمنطق ملتاث ، فاذا انقلبت سيارة فى طنطا ، فالسبب ما يحدث فى افريقيا الوسطى ، وإذا ارتفعت اثمان للسجائر ، فالمسئولة هى الجزائر ، وتساله ولماذا ليست بغداد ؟ ، فيجيب بثقة واتئاد ، فتش عن الاقتصاد ... عبارة كما ترى مهولة ، ولكنها فى فم الجاهل جهولة لاتخرج بطائل ، وهو يتحدث عاطلا على باطـــل

ويتفق اثنان ، على العبث بسلمان ، فيفتعلان مشاجرة ، بطريقة ماكرة فالاوليزعم ان مدينة « صرص قرص » تقع على خط ٣٦ عرض ، ويقسم الثانى فى الحال ، انها بعد ذلك باميال ، ويظلان يتلاحيان ، حتى ينخدع سليمان ، فيبدأ يحدد موقع المدينة المزعومه ونحن نعالج ضحكة مكتومة ، وهو يعيد توزيع الكرة الارضية ، بلمساته السليمانية . ونقلت صورة سليمان ، لصديق لى فنان ، يعمل بالتلحين ، وله فى ذلك أطايب وافانين ، فطلب ان يراه ، فذهبنا لسليمان إياه ، وكان « شوبان » قد دخل عليه ، وهو يقول ، غير معقول ويقبلنى من خدى ، والله زاد مقدارك عندى ، فقد اسعدتنى بزيارة الملحن المشهور ، الذى تناقلت الحانه الناس والطيور ، وكان واضحا ان «المشهور» زاره ليعبث ، إذ انه لم يلبث ، حتى اخبره ، بما هيج مشاعره ، اتفق مع احد مقدمى البرامج الاذاعية ، ان ينقل من بيت سليمان سهرة حية وتذاع انموذجا للسمر البهيج وتباع لاذاعات الخليج ولسليمان من حصيلة البيع الطارئه ثلاثون فى المائه ، فيقسم سليمان ، باغلظ الايمان ، ان كل مايستحقه من جنيهات ودنانير ، هو من حق الملحن الكبير ، ويكفيه شرف الصحبه ، وكريم النسبة ، ثم إنه والحمد الله كثير الفىء ، ولا ينقصه شىء ، وامر بالاطباق والاكواب ، وقد ملئت بما لذ وطاب ، وسال سليمان عن موعد تسجيل السهرة ، حتى يؤخذ على غرة، فالاستعداد مطلوب حتى لا يقع الطوب فى المعطوب ، فاخبره أن تحديد الميعاد متروك له حسبما اراد ، ولكنه إن عجل ، يكون افضل ، فمخرج البرنامج سعيد محمود ، سيسافر قريبا « هوليود » لنيل الدكتوراه الفخرية ، فى الدراما الاذاعيه .

والتفت سليمان إلى الموسيقى الذى هو صديقى ، وساله إن كان للمخرج أن يؤخر سفره ، حتى ينهى امره ، فساله الموسيقى عن الأمر ، فاجابه ليس منه مفر ، فلابد من الرجوع للانسكلوبيديا ، ليكون جاهزا للغيث ، واستشارة بعض القواميس ، حتى لا يفاجا بسؤال عويص ، فالسهرة مذاعـه ، كما انها مباعه ، ولابد من اخذ الاهبه ، فالمسالة ليست لعبه ، فقال له إن ميعاد السفر تحدد ، بعد يوم غد ، ولاداعى للكاعه ، فليس امامنا إلا اربــع وعشرون ساعة ، ثم إنه كلما كانت السهرة عفوية ، اعطاها ذلك حيويه ، .. ونظر سليمان إلينا وفكر ، وبان على وجهه انه تعكر ، ثم انفرجت اساريره وعلا زئيره : سنسافر معه هوليود ، وهناك نسجل البرنامج الموعود ، وفيها الاطلاع مباح ، والتنقيب متاح .. واثارنا هذا التصريح وتابع هو التوضيح : ونفقات السفر والاقامة ، إلى العودة بالسلامة ، يتحملها جيبه الخاص ، دليل المودة والاخلاص .

ونظرناه غير مصدقين فراح يقسم بالطلاق والدين ، أن هذا هو المفروض حتى يكون البرنامج «جود فرى جود » وسايرناه على هواه ، واستمر يغنى على ليلاه ، فقد أعجبه ما اقترحه ، وراح يزيد شرحه

بينما امسك صديقى الملحن ، بعوده وراح يدندن ، زاعما انها «الاوفرتيره » ، وقد راعى الا تكون طويلة أو قصيرة ، لتناسب الوقت المحدد ، للبرنامج الأوحد ، فتتخايل نشوة سليمان ، ويتمايل مع الالحان ، ثم أخذ علينا المواثيق والعهود ، أن نستعد لرحلة هوليود .

ونزلنا نضحك ونعجب ، لسرعة ابتلاعه المقلب ، رغم ما يتظاهر به من ذكاء ، وما يبديه من تفتح ومضاء

وسالنى الملحن عن جدية فكرته الملتاثه ، بشان سفرنا نحن الثلاثة؟ فاكدت له انها فورة وتنجلى ، وما اكثر حماسة السبهللى ، ولكن

النائم الصاحي

كان المظنون أن الذئب اذا نام أغلق عينا وفتح أخرى لشده حذره وخوفه أن يفاجأ بمكروه .

وفي هذا يقول الشاعر

ينام باحدى مقلتيه ويتقي

بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

والقائل هو « حميد بن ثور » كما ورد في صفحة ١٠٣ من ديوانه المطبوع .. ونحن نقبل كلام « حميد » على أنه من قبيل التشبيه المحذوف الاداه أي « كأنه ينام باحدى مقلتيه » وقريبا من هذا يذهب الجاحظ امام العربيه حين يقول بالحرف الواحد « والشاعر قال ذلك على المثل لا على التحقيق » .

واذا حدثت معجزة وخرج حميد من قبره البعيد وزار حديقة الحيوان المفتوحة في كينيا فسيرى الذئب ينام مثل بقية خلق الله عيناه الاثنتان مغلقتان ، ليس لانه تحقق من الامان .. وانما لان هذه طبيعة الحيوان . ولو انك فتحت عين النائم فلن يشعر بك ولن يراك .. لان مراكز الرؤيه في « مخه » قد نامت .. ولولا هذا ما انطبق الجفنان ..

.. والنوم سلطان !

اليوم وغدا

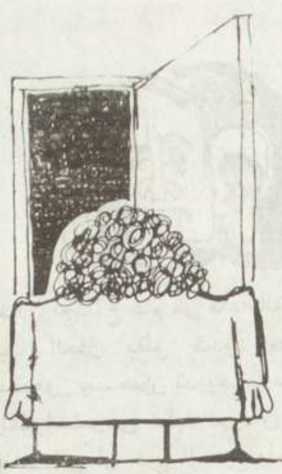

لكل عصر مواصفاته الخاصة في موضوع الجمال الانثوي .. أجدادنا القدامى كانوا يرغبون عن العجفاء ويؤثرون العبلاء (الممتلئه الجسم) .. واشتقوا من الصفة اسما أطلقوه على بناتهم فقالوا (عبله) .. فان كان ولابد من النحافة فلا بأس .. شريطة أن يقابل نحافة النصف الاعلى .. جسامة الادنى وكما يقولون « اعلاهن قضيب واسفلهن كثيب .. ولهذا النوع غنى اسحق الموصلي :

ظباء ، كاليعافير كنوس في المقاصير ..

وادبرن باعجاز كأوساط الزنابير ..

وكما اسرفوا في هجو النحيفات .. تطرفوا في امتداح السمينات يقول المتطرف :

من راي مثل نعمتي تشبه البدر اذ بدا

تدخل اليوم ثم تدخل أردافها غدا

يستغرق دخولها يومين .. اليوم الاول لنصفها العلوى .. والثاني للمؤخرة « تاتا .. تاتا » .. نعم .. لكل عصر مواصفات وتذوقات .. ولكن ماذا عنكم انتم ؟!

سليمان لم يكذب خبرا ، فقد حدثنى فى اليوم التالى وهو ممتلىء بشرا ، وقال أنه حجز التذاكر ، للسفر فى باكر ! .

وعلى الفور اخذت طريقى ، الى بيت صديقى الموسيقى ، فقد انقلب المزاح الى واقع ، رغم لونه الفاقع .. ورحنا نبحث الامر بامعان ، ماذا نفعل مع سليمان ، حتى لا نوقعه فى ورطه ، بسبب هذه الخطه ، هل نخبره بتاجيل التسجيل ، أم ان المخرج مريض وعليل ، ام نقول له الحقيقة ، ولعلها تكون موقظة مفيقه كل هذا فكرنا فيه ، واخذنا باطرافه وحواشيه ، دون أن نصل إلى قرار فى أمر ذلك الجد أو الهزار ، واتفقنا على أن نلزم السكون وليكن ما يكون .. وقد كان بالفعل ما كان ، من عجيب مفاجآت الزمان ، فسيارة سليمان دخلت فى اتوبيس ، واصبحت «هردبيس» . أما هو فنقل للمستشفى وقد كاد هيكله يخفى ، ولكن الله سلم وستر ، فجاوز مرحلة الخطر ، وزرناه أكثر من مرة ، وهنأناه بالنجاة من المضره ، .. والمضحك أنه سألنا عن المخرج إياه .. وهل نال الدكتوراه ؟! فقلنا راح هوليود ولن يعود .. فقد تعاقد مع الاذاعة الهوليودية ، لتقديم برنامج بالأفلاك الصناعية ، يصول فيه ويجول ، وعنوانه أصحاب العقول ! .. ولم يفهم سليمان المقصود ، وراح يتحدث عن « الفردوس المفقود » وهو يقصد هوليود !

ومازال سليمان حتى الان ، يجمع فى بيته الأحباب والخلان .

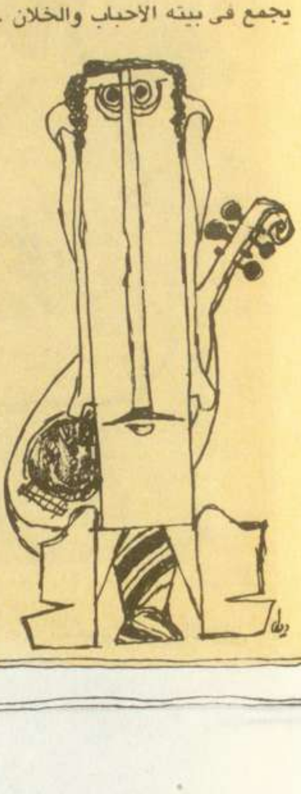

كلمات لها معنى..

ليس من الصعب أن تضحى من أجل صديق ، ولكن الصعب هو أن تجد الصديق الذى يستحق تلك التضحية

سقراط

أن وقوفى لحظة فى قفص الاتهام ينسينى الف كتاب قرأته عن الحرية

فولتير

لاتسأل الوطن ماذا كسب ، بل سله ماذا وهب .

غانـدى

الغضب درع يطفىء سراج العقل .

الانسان يولد ويموت ، ولكن بين موته وولادته يصنع حضارة

برنارد شو

أعظم النساء هى المرأة التى تعلمنا كيف نضحك ونحن نُبكى .. وكيف نبتسم ونحن نتألم .. وكيف نحب ونحن نكره .

إن الذى يفرط فى حقوقه وفى الحرية وجوهرها ليشترى بها مقداراً من الطمأنينة المؤقته ، لا يستحق الحرية ولا الطمأنينة .

(فرانكلين)

• محمد عمر السباعى
سوريــا

الوصية العاشرة

● قال أحد الحكماء لابنه : أوصيك بعشرة أشياء فاحفظها تسلم :

لاتشارك غيوراً ، ولا تجاور جاهلا ، ولا تساكن حسوداً ، ولا تناهض من هو أقوى منك ، ولا تؤاخ مرائيا ، ولا تكثر مجالسة النساء ، ولا تصاحب بخيلا ، واشكر ربك فى العسر واليسر ، أما الوصية العاشرة وبها سلامة نفسك .. لا تستودع سرك أحداً .

تاج السر حسن - السودان

المستمع الوحيد

● خلال اجتماع عام فى قاعة القرية شعر خطيب الحفل بقلق شديد حين بدأ المستمعون ينسحبون تدريجيا من القاعة .. ولكنه استمر فى خطبته دون أن يعير ذلك اهتماما الى أن خرج الجميع ولم يبق إلا واحداً . اخيرا قرر الخطيب أن يكف عن الكلام واقترب من الرجل الموجود فى القاعة وشكره بحرارة لبقائه فى القاعة حتى نهاية الخطبة .

فقال له الرجل : لا داعى للشكر ياسيدى فأنا الخطيب التالى .

محمود حلمى عباس
ج . م . ع

لقطة الشهر

فازت بالجائزة وقدرها مائة ريال : القارئة خولة عبد المجيد جعفر - العراق

أيهما أوفر؟

● كانت أجرة الاتوبيس على خط احدى القرى عشرة قروش ، وأجرة السيارة على نفس الخط عشرين قرشاً . ذات يوم أراد أحد القرويين السفر للمدينة القريبه بالاتوبيس ، لكنه قبل أن يصل الموقف بثوان إنطلق الاتوبيس ، فأخذ القروى يركض خلفه ، ولكنه لم يستطع اللحاق به ، فوصل الى المدينة راكضاً .. وهناك التقى بأحد اصدقائه . وقال له : أتعرف ؟ لقد ركضت خلف الاتوبيس ، ووفرت عشرة قروش .. فقال صاحبه : أيها الأحمق ، لو أنك ركضت خلف السيارة لوفرت عشرين قرشاً . !!

عمر عبد الصمد
الاردن

أدب اضطراري

● اعجب الضيف بطفل الاسرة الذى ظل هادئاً مؤدباً طيلة السهرة .

وقبل أن يغادر الضيف الدار ، إقترب من الطفل وربت على رأسه قائلا :

ـ هل أنت هادىء هكذا دائما ياعزيزى؟

فهز الطفل رأسه وقال :

ـ كلا يا سيدى ، ولكن أمى وعدتنى بليرة اذا لم أسخر من انفك الكبير .

وحيد البيرن
اللاذقيه

فرصة أخيرة

● بعدما عاد الرجل وسائقه الى المنزل قال لزوجته :

ـ ياعزيزتى .. هذا آخر يوم يقضيه معنا السائق قبل أن أطرده .

ـ ولماذا ؟

ـ الا تعلمى أنها المرة الرابعة التى ننجو فيها باعجوبة من موت محقق ؟

فأجابته الزوجة :

ـ لا تظلمه ياعزيزى .. دعه يجرب حظه للمرة الأخيرة . !

محمد الدهبى . المغرب

تنفيذ التعليمات

● كانت الأم تود الخروج فأعطت تعليماتها لطفلتها التى تبلغ السادسة من العمر فقالت لها :

إذا تحدث أحد بالتليفون فيجب أن تقولى له بكل أدب وصوت هادىء :

ـ لقد خرجت أمى ، اعطنى من فضلك اسمك ورقم تليفونك .

وبعد أن خرجت الأم ، دق جرس التليفون ، فأجابت الطفلة :

ـ لقد خرجت أمى . اعطنى من فضلك اسمك ورقم تليفونك .. ولكن بكل أدب وصوت هادىء .

فوزية عبد الجليل عماشة
بور فؤاد . مصر

أقصر الطرق

● قام السلطان بتأليف قصيدة شعر وطلب من الحرس ان يقوموا باحضار جحا لكى يبدى رأيه فيها بوصفه شاعرا كبيرا .. وحضر جحا بالفعل واستمع الى القصيدة وأبدى إستياءه منها قائلا أنها سيئة ولا تمت للشعر بأى صلة !! فغضب السلطان وأمر بمعاقبة جحا بوضعه فى إسطبل الخيول لمدة شهر كامل !! ..

وبعد مرور الشهر ! استدعى السلطان جحا مرة أخرى والقى عليه قصيدة جديدة قام بتأليفها وقبل أن ينتهى السلطان من إلقاء قصيدته قام جحا وجرى مسرعا ناحية الباب فقال له السلطان : إلى أين ياجحا ؟ فقال جحا : إلى الاسطبل يا مولاى !!

محمد عبد المقصود
ج . م . ع

سوء فهم

● قالت السيدة مشجعة ابنها :

ـ هكذا اريدك أن تتعامل مع جميع الناس ، فهنيئاً لك بمصالحة ابن عمك ! .

فهز الابن كتفيه فى غير مبالاة ، ولكنها استطردت قائلة :

ـ لقد رأيتك واقفا معه جنبا الى جنب ، وأنت ترد إليه نقوده .

وعندها أجاب الابن فى هدوء :

ـ ليست نقوده ، لكنها أسنانه !

محمد الدهبى ـ المغرب

أين وعدك؟

● كان أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى قد وعد أحد الشعراء بجائزة ، ونسى وعده ، ثم اتفق أن حج الشاعر مع المنصور ، وفى المدينة مرا ببيت عاتكة .

فقال له الشاعر : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الأحوص :

يابيت عاتكة التى اتعزل
حذر العدا وبك الفؤاد موكل

فأنكر عليه المنصور قول الشعر بدون سؤال منه ، ثم خطر بباله القصيدة التى منها هذا البيت ليعلم ما أراد قوله ... فاذا فيها :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم
مذق الحديث يقول ما لا يفعل

فتذكر الخليفة ما وعده به ، وفهم انه يلمح الى هذا البيت ، وأجزل له العطاء .

سماح عبد الله الانور
ج . م . ع

حل مسابقة من . أين . ما

عدد ٥١

من : السندباد البحرى
أين : اليابان
مـا : المسك

١) غير صحيحة لأنه اذاب الذهب فى الماء الملكى المكون من حامض الايدروكلوريك والنتريك .
٢) السليولوز
٣) سيشل .
٤) أحمد رامى
٥) ٣٠٣
٦) هانيبال القرطاجى
٧) عمران
٨) اسبانى
٩) الرخويات
١٠) ١٩٤٧

من . أين . ما

مـن :
مؤرخ مسلم عاصر أول اتصال بين قطر عربى عريق والحضارة الغربية المعاصرة كان فكها عذب الاسلوب اسمه من سبعة أحـرف :
٣ _ ٥ _ ٤ داء يصيب الجلد
١ _ ٢ _ ٦ _ ٧ اسم موصـول

أيـن :
بلاد شاسعة مليئة بالاعاجيب حكمها المسلمون قرونا ثم دالت دولتهم بفعل الغزو الاوربى الذى انتهى بتقسيمها اشلاء اسمها من خمسة أحـرف :
٢ _ ٤ حرف نفى ناصـب
٤ _ ١ _ ٣ _ ٥ اسم انثى

مـا :
سائل أسود كريه الرائحة يقبع وراء المشاكل السياسية العالمية لا يزال أهله لا يحسنون التصرف به لصالح مستقبلهم ، اسمه من خمسة أحرف .
٤ _ ٣ _ ٥ زاحف صحراوى سريع
٢ _ ١ اقلع عن ذنوبك .

الجـواب الصحـيح

١) يصنع الحبر الاسود من ثلاث من المواد التالية ، ماهى :
السناج _ النشا _ الماء _ الفحم الحجرى _ الصمغ العربى _ الفينول .

٢) أيهما حفرت قبل الأخرى ، قناة لسويس أم قناة بنمـا ؟

٣) يقع مستوى قاع منخفض القطارة بالصحراء الغربية المصرية و لدى حال دون المارشال روميل وغزو مصر فى الحرب العالمية الثانية ، تحت سطح البحر بمقدار :
٥.٧ مترا _ ١٣٤ مترا _ ٢٧٫٥ مترا

٤) رتب المدن العربية الآتية من الاقدم الى الأحدث :
القاهرة _ الدوحة _ بغداد _ دمشق _ القدس .

٥) صاحب كتاب الموطأ فى الفقه هو :
الامام مالك _ الشيخ حسن البنا _ أبو الحسن الندوى .

٦) الحيوان المسمى خيار البحر من مجموعة الحيوانات :
الجلد شوكية _ القشرية _ الاسفنجية .

٧) وإنى لأهوى الليث يستعذب الطوى
. أكمل البيت وانسبه الى قائله

٨) « بلد الثعبان صغاره تحت شجر الخروع شتاء » .
هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟

٩) يستخرج (الزباد) مـن :
غدة حيوان _ برعم زهرة _ جذر القصب _ ورق الحرمل .

١٠) يتركز اتباع مذهب الاباضية فى :
الباكستان _ عمان ومسقط _ جزيرة سومطرة .

نتيجة مسابقة شهر مارس ١٩٨٠

● فاز بالجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة أشهر القارىء عوض على المرزوقى : السعودية .

● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة أشهر القارىء أمين على نعمان _ الجمهورية العربية اليمنية .

● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة أشهر القارىء اسماعيل الشاهد _ تونـس .

الفائزون باشتراك مجانى لمدة سنـة

١_ نواف يوسف العبد الله _ البحرين
٢_ ناصر شريقى بن عبد الحليم _ سوريا
٣_ نعيمة ابو زيد حسد _ ج . م . ع
٤_ احمد فخرى عبد السلام _ الاردن
٥_ عبد الرحمن عبد السلام عثمان _ السودان
٦_ خلود على الجابر _ قطـر
٧_ سليم عبد المجيد سلامة _ ج . م . ع
٨_ يسرى ابراهيم _ السودان
٩_ مي غصون خميس _ قطـر
١٠_ على مساعد الهمامى _ السعودية
١١_ عبد الملك الضحيانى _ الجمهورية العربية اليمنية .
١٢_ بهية عبد الجليل عماشة _ مصـر

حـــاول أن تعـرف

مدينة عربية

مدينة فى المغرب العربى ، خاض شعبها معركة طويلة من أجل التحرير ، وتبلغ نسبة النساء العاملات ٩٠ فى المائة من تعداد النساء .. هل يمكنك التعرف على المدينة؟

هذا الفنان العالمى

هذه اللوحة لفنان عالمى ارسى دعائم الحركة التكعيبية ورغم تحولاته العديدة فقد ظل يحترم جوهر القانون الطبيعى فى صوره .. هل يمكنك التعرف على الفنان ؟

حل حاول أن تعـرف عـدد ٥١

● الروائى الفرنسى الشهير هو الكسندر ديماس (الاب) .

ـ اسماء الفائزيـن عن الصورة الاولى :

* عبد القادر ديرى ـ سورية
* هيثم سعد الموسى ـ أم القيوين

● الفنان الفرنسى هو بيير أوجست رينوار .

ـ اسماء الفائزيـن عن الصورة الثانية :

* محمد رضا محمود ـ منيا القمح ـ مصر
* فوزية محمد بنداري ـ مصـر

كاريكاتير وتعليق

ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال

حل مسابقة كاريكاتير وتعليق العـدد (٥١)

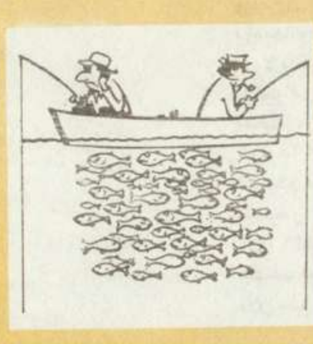

سمكة لزميلاتها : حان الوقت ليتعلموا أن السمك يجب أن يحصل على عطلة اسبوعية !

* مهتاب محمد
ج . م . ع

الصياد لزميله : أمتأكد أننا لا نصطاد فى البحر الميت ؟

* محمد مهدى
القاهرة

الصياد لزميله : يبدو أننا نسينا وضع الطعم فى السنارة !

* شاخ السر فايت
السودان

سمكة لزميلاتها : ألم أقل لكم ان عدم الانحياز هو الحل الوحيد .

* نظام حسيب
العراق

الـورقـة الأخيـرة

عندما يتحول الإنسان إلى حشرة !!

فرانز كافكا

الكاتب التشيكى فرانز كافكا ، يعرفه خاصة القراء بروايته الطويلة الشهيرة « المحاكمة » . واذكره بروايته القصيرة «المسخ» أو « التحول » . إنها نموذج فنى فريد لاثارة الدهشة فى العقل ، ورؤية شديدة النفاذ إلى أزمة الوجود الانسانى فى كل زمان ومكان .

المسخ ، وأفضل « التحول » عنوانا لها .. تحكى قصة التاجر المتجول الشاب « جريجور،سامسا الذى استيقظ من نومه فى الصباح ليجد نفسه قد تحول إلى حشرة كبيرة ! ماذا حدث ؟ إنه لا يحلم ! هاهى ذى غرفة نومه بسريرها الصغير . وهاهو ذا يرقد بين جدران الغرفة التى الفها والفته . وتلك هى بعض عينات الملابس لازالت فى ربطتها على المائدة ! وتستدير عينا سامسا تجاه النافذة ، حيث زخات المطر تهمى على الزجاج ، بينما عقله يوشك ان يجن ! ماذا لو عاود النوم ثانية لينسى كل هذا العبث ؟ لكنه لم يفعل . لقد اعتاد آن ينام على جنبه الأيسر ، وفى حالته الآن كحشرة لا يستطيع أن يستدير بجسده على الفراش . وبالرغم من قسوة المحاولات التى أرهق بها جسده كى ينقلب على جنبه الأيمن ، فانها جميعا تبوء بالفشل ، ويعود ادراجه للرقاد على ظهره مثلما كان . حاول ذلك على الأقل مئات المرات مغمضا عينيه كى لا يلحظ هذا الصراع العنيف الذى تبذله سيقانه العديدة الرفيعة . حاول على مهل ان يدفع جسده طوليا تجاه الوسائد فاستطاع ان يريح وضع راسه اكثر ، لكنه عاد مرة اخرى إلى وضعه السابق ، واخذ يفكر فى عمله ، ووالديه ، والديون التى عليهما . ماذا يصنع الآن ؟ هل هو مريض ؟ واحس بالجوع على غير العادة . وبينما كان ذلك يدور فى عقله بسرعة شديدة عاجزا عن مغادرة السرير ، وصلته دقات حذره على باب الغرفة : جريجور ! وكشف الصوت عن امه : إنها السابعة والربع .. هل فاتك القطار ؟ أراد أن يجيب باسهاب ويفسر كل شىء . لكنه اكتفى بـ : نعم . شكرا يا أمى . إننى استيقظ الآن ! وتمنى لو أن الباب الخشبى بينهما قد اخفى التغيرات التى حدثت فى صوته ! ها هو ذا صوت ابيه ياتيه قلقا من وراء الباب : جريجور .. ماذا حدث ؟ وبعد لحظات ناداه بصوت اكثر حدة : جريجور ! من الجانب الآخر جاءه صوت شقيقته خافتا : جريجور .. الست بخير . هل تحتاج الى شىء ؟! اجابهم جميعا : إننى اتهيا للنهوض . وبذل جهده لكى يبدو صوته طبيعيا وكلماته واضحة ومتانية . عاد ابوه إلى إفطاره ، لكن شقيقته همست : جريجور .. افتح الباب . ولم يفكر فى ان يفتح الباب .

الآن تستبد به الرغبة فى ان ينهض ، ويرتدى ملابسه ، ويتناول إفطاره . لكن ما هى الأشياء الاخرى التى يمكن ان يؤديها وهو هكذا فى السرير ؟!

لا يذكر غير انه كان يشعر بصداع والم . لكنه الآن يشعر بتغير فى صوته مثلما يشعر بحاجته لأن يكون له أذرع واياد تمكنه من النهوض . إنه الآن يملك العديد من السيقان الرفيعة التى لا تتوقف عن الحركة فى كل اتجاه ، لكنه لا يملك التحكم فيها . عندما حاول بعد عناء أن يثنى واحدة من تلك السيقان ، راحت كل السيقان تتحرك بشدة ! ماذا يمكن عمله الآن ؟ لقد فكر فى أن ينهض من السرير بالجزء الأسفل من جسده اولا . لكن هذا الجزء الذى لم يتمكن من رؤيته حتى الآن ، لم يستطع التحرك . فلما استجمع كل قوته مرتكزا على السرير لكى يندفع ، ادرك ان الجزء الأسفل من جسده هو الأكثر حساسية ! حاول ان ينهض الجزء الأعلى من جسده . وبصعوبة حرك راسه تجاه حافة السرير . وبالرغم من صعوبة التنفس ، فقد تمكن من متابعة تحريك راسه . فلما اصبحت راسه على حافة السرير ، احس انه لكى يترك جسده يسقط من فوق السرير ، فانه سوف يحتاج الى معجزة تحمى رأسه من التهشم . وفى كل الحالات عليه ألا يفقد وعيه تماما ، خاصة الآن . وعليه من جديد ان يحاول بنفس المجهود المضنى ، لكى يتخذ وضعه السابق فى السرير ، محملقا فى سيقانه الصغيرة الكثيرة وهى تصارع بعضها البعض فى ضراوة اكثر من ذى قبل !

... بعد هذه المعاناة الباهظة من الاحساس بتحول الانسان إلى حشرة ، ومن الحالة المخجلة التى آلت إليها آدميته ينزوى جريجور فى غرفته منبوذا من هذا العالم ومن نفسه . تشفق عليه الأسرة بادىء الأمر ، ثم لا تلبث ان تشعر بالعار من تحول احد افراد العائلة إلى حشرة .. إلى عبء ! حتى شقيقته التى كانت تتمزق ألما من رؤيته وهى تنظف غرفته وتقدم له الطعام فى سريره ، ضاقت ذرعا به فيما بعد ، وراحت تلقى له الطعام من فرجة الباب ، عائدة ادراجها مقززة !

ولأن جريجور كان عائل اسرته . ولأنه لم يعد يعمل .. فقد تحول ابوه إلى العمل ساعيا فى بنك . مثلما تحولت بعض غرف البيت إلى « بنسيون » يستقبل النزلاء بالأجر . وفى إحدى الأمسيات تعزف شقيقته على الكمان للنزلاء ، فينجذب جريجور إلى صوت الموسيقى مخاطرا بالخروج من غرفته . فلما يفاجأون به بينهم ، يصابون بالرعب ، وعندئذ يتضافرون فى دفعه مرة اخرى إلى غرفته ، وإغلاقها عليه !!

وهكذا يمضى ليلة شرسة الاحساس بالانسحاق والمهانة ، تنتهى بموته فى اليوم التالى !

هنا تجالد الأسرة ، كى تخفى سعادتها بحادث التخلص من العار و العبء . فلما ينتهى الأب والام والأخت من دفنه متظاهرين بالحزن العميق ، يوبد بداخلهم إحساس بالسعادة أشد ، لانهم دفنوا عارهم إلى الأبد . ولولا خجلهم من فكرة الموت ، لعبروا عن بهجتهم تلك بلا ادنى خجل !!

• •

تلك هى قصة « التحول » بايجاز شديد ، تعصف بعقلى ذات امسية شديدة الوطء على روحى بحزن إنسانى مخيف ! إنها تعبير عن ظاهرة الصراع الساحق بين سطوة القوة ، وعزلة الفرد الاعزل فى عصرنا الحديث . بين هرمية القوى من اعلى إلى أسفل . بين ان يكون الانسان والا يتاح له أن يكون ! وهى تشخيص حاد الرؤية لتهرؤ العلاقات الروحية بين الانسان والوجود . وبين الانسان والانسان . وبين الانسان ونفسه ! من منا يستشعر امتلاءه وإنسانيته وآدميته كاملة ، وهو يستقبل يوما جديدا موحيا وملهما لأن يعيد الانسان خلق هذا العالم بالفرح والدهشـة ؟! .

بصيغة اخرى : من منا يولد كل صباح وليس فى داخله « جريجورسامسا مهما غادرنا أسرتنا ، وارتدينا افخر الثياب ، ولم تنبت لنا سيقان عديدة ورفيعة ؟! .

عبد القادر حميدة

لوحة للفنان القطري جاسم زيني

السنة الخامسة – العدد ٥٤ – رجب ١٤٠٠هـ يونيو ١٩٨٠

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

الأزهر عقبات في طريق تطويره
د. محمد البهي

على جناح الوهم
صلاح عبد الصبور

يا زمان الأندلس
كمال سعد

الأفلاك.. هل تتحكم في حياتك؟

تيم

تيم

الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة قطر

مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة

قطر ٣ ريالات ، البحرين ٢٥٠ فلسا ، الامارات العربية ٣ دراهم ، عمان ٢٠٠ بيزة ، الكويت ٢٥٠ فلسا ، السعودية ٣ ريالات ، الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا ، جمهورية اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا ، العراق ٢٥٠ فلسا ، الاردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش ، لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٢٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، الجماهيرية العربية الليبية ٣٠٠ درهم ، تونس ٣٠٠ مليم ، الجزائر ٣ دنانير ، المغرب ٣ دراهم ، باقي دول العالم مايعادل دولارا واحدا .

الاشتراكات : للافراد : داخل قطر : ٣٦ ريالا قطريا . بالدول العربية : ٤٢ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٤٨ ريالا قطريا .

للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات : داخل قطر : ٧٢ ريالا قطريا . بالدول العربية ٧٨ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٨٤ ريالا قطريا .

الاعلانات : يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الدوحة

رئيس التحرير
الدكتور محمد ابراهيم الشوش

خبير شئون الخليج : د. محمد جابر الانصاري

يونيو ٨٠

العدد ٥٤

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر
العنوان البرقي : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير: ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير :
٣٢١٢٧٥ ـ ٣٢١٢٧٦
٣٢١٢٧٧ ـ ٣٢٣٧٧٨
القسم التجارى :
٣٢١٨٥٧ ـ ٢٦٨٤٦
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

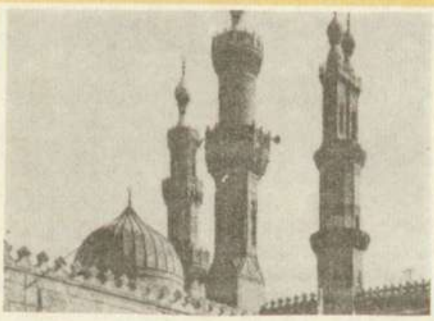

هذا العدد

منطقة الخليج ليست بترولا فقط !

إنها تاريخ إنسانى حافل ودقيق بالتفاصيل والمعاناة والأهمية الجغرافية لموقعها البحرى فى الصحراء منذ القدم وثرواتها ذات التأثير العالمى فى العصر الحديث .

ربما قصرت أجهزة الاعلام العربية ـ عن غير طريق الاعلان المدفوع ، وعن غير قصد ـ فى التعريف بالتاريخ الانسانى لهذه المنطقة . وربما عجزت أجهزة الاعلام الناشئة فى منطقة الخليج نفسها عن استيعاب وإعداد وإرسال ذلك المخزون الانسانى من تاريخ الخليج بكل فروعه ونشاطاته ، الى آذان العالم المشغول فقط بثروة الخليج ، واحتياجاته الحيوية الملحة من تلك الثروة .

ولكن الجامعات العربية ، ومؤسسات البحث العلمى ، حين لا تلتفت الى تاريخ هذه المنطقة ، وإلى بثه ضمن مناهجها ، ودورياتها ، وأوراقها العلمية ، إنما يصبح تقصيرها قصوراً ، وإهمالها قصداً ينقص من هيبتها العلمية ، وهيبة القائمين عليها .

على أنه فى ضوء التقصير ، والعجز ، واللامبالاة .. فان الانسان فى منطقة الخليج قد آن له أن يتصفح أوراق تاريخه بنفسه ، وأن ينبش فى تراثه بالاف الأظافر العلمية ، التى نبتت له فى قاعات الدرس ، والمحاضرات ، فى كل جامعات العالم .

وإن مجلة «الدوحة» التى تفتح صفحاتها لكل ابناء الوطن العربى ، وموادها لكل مصادر البحث فى مساحة الوطن كله ، دون ان تضع تلك الحدود التاريخية لكل بلد على حدة ، إنما يسعدها بعد تلك الجرعات الخليجية المركزة فى اعدادها السابقة على مدى اربع سنوات وستة اعداد ، أن تفسح المجال بكثافة أكثر لتاريخ منطقة الخليج ، باقلام خليجية وغير خليجية . وإننا نعتبر هذه الكلمة دعوة موجهة من «الدوحة» الى كل الاقلام التى تضمر اهتماما علميا بمنطقة الخليج . وإلى كل المؤسسات التى تقيم لمنطقة الخليج فرعا فى نشاطاتها . ندعوهم إلى أن يسهموا فى تحرير تلك الصفحات التى نقرب بها المسافة بين تاريخ المنطقة ، وبين الشباب العربى فى كل مكان .

الدوحة

مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبية والروحية بين الدوحة وأصدقائها المساهمين فى تحرير أبواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافآت رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية ١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

رأيت • سمعت • قرأت ٦٠ ريالا

دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحرير أبواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجى ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية .

طبعت بمطابع علي بن علي

الشهر الذى مضى

(● صابرين محمود
المنوفية ـ مصر

طالعت بكل الاعجاب والتقدير مقال « سارتر .. هوس العصر وضميره ومراة فراغه الروحى » للدكتور الشوش .. وانى اؤيد رأيكم بكل حماس عن فكر هذا الفيلسوف ومن امنوا به ، بانه فكر يبعث على الدوار والغثيان لأى مسلم يقرا فكر سارتر بان الحياة لا جدوى فيها والأخرون هم الجحيم .. ويقرا من اقوال الرسول (ص) بان « يد الله مع الجماعة » و«احب لأخيك ما تحب لنفسك» و « اثنين خير من واحد وثلاثة خير من اثنين فعليكم بالجماعة » ولقد اشتهر سارتر وذاع صيته لانه اتى فى عصر انهارت فيه القيم وتحللت الأخلاق .

فتحياتى لكم ونرجو المزيد من القاء الضوء على مثل هذه الأفكار وتلك الشخصيات .

صابرين محمود

(● سيد عبد المجيد مكى
الروضة ـ القاهرة

قرات فى الدوحة عدد (٥٣) مقال الدكتور الشوش عن الفيلسوف الراحل سارتر يستشهد فيه بفقرات صدرت فى ٢٨ ابريل ١٩٨٠ فى صحيفة (نيوزويك) الامريكية عن هذا الفيلسوف .. تهانينا للدوحة لسرعة إلمامها بما ينشر فى العالم رغم انها مجلة شهرية .

سيد عبد المجيد مكى

(● العقون مسعود
بريكة ـ الجزائر

قرات مقال التوفيق بين الاصول والمؤثرات الحضارية للدكتور محمد ابراهيم الشوش ، والذى حوى افكارا عميقة باسلوب سهل بسيط نفتقر اليه فى كتابات كثيرة من كتاب العربية الذين ينسون أن الأغلبية من القراء ليسوا متخصصين ولذلك يضيع جزء من فائدة كتاباتهم بانعدام صداها لدى نفوس كثير من القراء .

ثم ان هناك بعض الكتاب والمفكرين ينسلخون عن واقعهم العربى ويطرحون قضايا ومشكلات غربية لاتمت باية صلة الى واقعنا العربى الاسلامى الذى يزخر بالمشاكل ، وانى استنكر منهم هذه السلبيه ..

لذلك أملى أن يستمر الدكتور الشوش فى طرح قضايا وافكار تهمنا كعرب من خلال ما يقدمه من فكر بناء ومعالجة موضوعية لما نواجهه من مشاكل .

العقون مسعود

(● حامد حسن شبير
الخرطوم ـ السودان

خطرت بذهنى اقتراحات جديدة أود ان اعكسها لأسرة التحرير وكلى امل فى انها ستجد مكانا طيبا بين مثيلاتها من كتابات الأخوة قراء «الدوحة» وتتمثل الاقتراحات فى :

اولا: الكثيرون منا فى السودان يعترفون بكفاءة الدكتور الشوش الأدبية بجانب إهتماماته بقضايا النقد الأدبى ، ودليلى على ذلك كتاباه «أدب وأدباء» و «الشعر الحديث فى السودان» وليته تحول قليلا من مساره السياسى فى بابه «الشهر الذى مضى» وكتب لنا عن النهضة الفكرية فى منطقة الخليج ، أو تعرض بالنقد والتحليل لأدب المنطقة التى تعج بكثير من الفنانين الموهوبين والذين يرجى منهم الكثير .

ثانيا: طالعنا الاستاذ كمال سعد فى عدد سابق من مجلة الدوحة بمقال رائع عن جنوب السودان ، وهذه خطوة جميلة نشكره عليها ، ولى رجاء ليته يحققه لنا ، وهو بأن باوراقه وقلمه لزيارة منطقة غرب السودان فهى منطقة عامرة بالفنون والابداعات التى تستحق التامل والدراسة ولا سيما منطقتى جبل مرة ومليط وستعم الفائدة جميع القراء.

ثالثا: أود أن ابدى اعجابى بكتابات الدكتور محمد المنسى قنديل فى بحثه عن التراث واهتمامه بابداعات القدماء . ولكنه لم يكتب لنا عن شاعر العربية الخالد المتنبى

رابعا: نحن نعلم ان بالشقيقة مصر أدباء شباب يحاولون تثبيت اقدامهم فى الساحة الادبية المصرية وعلى سبيل المثال مجيد طوبيا وفتحى سلامه وولى الدين اسماعيل وغيرهم . فهلا تكرمتم بتسليط الضوء النقدى على كتابات هؤلاء ؟

حامد حسن شبير

واجب الدولة فى تشجيع المؤلفين

ياسر الفهد ـ دمشق

لعل من نافلة القول التاكيد على أهمية الكتاب ودوره فى ترسيخ اسس المعرفة ووضع ثقافات الأمم فى متناول القراء ، وما يعنينا بالتحديد التاكيد على دور الدولة فى دعم الافراد الذين يصدرون كتبا بمبادراتهم الخاصة فالدولة تنفق عادة اموالا كبيرة على نشر العلم فتنشىء المدارس وتصدر الصحف والمجلات وتقيم المراكز الثقافية وترعى برامج الاذاعة والتلفزيون وغير ذلك. وعندما يصدر المؤلف كتابا فانه من الناحية العملية يساعد الدولة فى مهمتها فالكتاب هو الاداة الرئيسية لنشر المعرفة وهذه المهمة هى من صلب واجبات الدولة فطالما ان الفرد باصداره كتابا يؤدى عملا يفترض ان تؤديه الدوله ويقع اساساً على عاتقها فان عليها ان تمد له يد العون باقصى طاقاتها فكأنها بذلك تساعد نفسها بنفسها .

ان المؤلف العربى يفكر اكثر من مرة قبل الاقدام على ركوب وعناء طباعة كتاب على نفقته بسبب الاحباطات والمصاعب الكبيرة التى تثبط العزيمة وتوهن الحماس كمشكلات النفقات والتوزيع والخوف من احتمال كساد الكتاب وعدم رواجه وغير ذلك . ودعم الدولة للمؤلفين دعما كافياً سيؤدى الى ازالة مخاوفهم وتبديد ترددهم وبالتالى انطلاق حركة التاليف وازدهار عملية إصدار الكتب . ولا يخفى ما يحمله ذلك من تاثيرات كبيرة ايجابية فى الحياة الثقافية والفكرية .

وهناك مجالات عديدة يمكن بها للدولة أن تسهم فى تشجيع المؤلف وتسهيل مهمته الثقافية على اداء رسالته السامية :

اولا : ان تقوم وزاراتها ومؤسساتها الثقافية حسب اختصاصاتها بطباعة الكتب ومنح المؤلفين ما يستحقون من مكافات مالية ولكن هناك بعض المصاعب فى هذا المجال :

أ ـ إذا عرض المؤلف مخطوطة كتاب ما على احدى الوزارات أو مؤسسات الدولة طالبا طباعتها فانه سيكون مضطرا على الأغلب الى الانتظار فترة طويلة حتى يبت بطلبه وحتى لو حظى هذا الطلب بموافقة المسؤولين فان عليه أن ينتظر شهورا طويلة قد تمتد الى سنة أو أكثر قبل أن ترى مخطوطته نور النشر

ب: إن الوزارات او المؤسسات الرسمية لا تستطيع بحكم ميزانياتها المحدودة ان تطبع إلا عددا محدودا من الكتب

ج ـ بعض الوزارات او المؤسسات الثقافية العربية تفضل نشر الكتب ذات المضمون الدعائى الذى يخدم اتجاهات معينة فهى لذلك كثيرا ما ترفض تبنى كتب تتمتع بالموضوعية والجودة وتتحلى برقى المستوى

ثانيا: ان تقوم الدولة بمنح معونة مالية مقطوعة لكل مؤلف يبادر باصدار كتاب على نفقته اذا كان مستوى الكتاب مقبولا وفى سورية ، على سبيل المثال ، يقوم اتحاد الكتاب العرب بدفع معونات من هذا النوع .

ثالثا: ان تعمد الوزارات والمؤسسات الرسمية الى شراء اعداد كبيرة من نسخ الكتب التى يصدرها الأفراد .

رابعا: أن تخصص الدولة دار توزيع رسمية تتولى توزيع كتب الافراد دون ان يكون فى خطتها الحصول على حصة من الربح ، خلافا لما تفعل دور التوزيع الاهلية اى أن على الدولة أن تقوم بالانفاق على هذه الدار بحيث تمكنها من توزيع كتب الافراد فى كافة الاقطار العربية بخصم لا يتجاوز ٢٥٪ بدلا من ٥٠ أو ٦٠٪ ونقول للأسف ان المجال الرابع هو المجال الذى يظهر فيه تقصير الدول العربية أكثر ما يظهر فليست هناك على ما نعلم دار رسمية عربية مستعدة لتوزيع الكتاب بخصم ٢٥٪ فقط .

إن انعاش الكتاب العربى يجب أن يتم على نطاق عربى شامل لا على نطاق محلي محدود بحيث أن المؤلف العربي ينبغى أن تتوافر له فرص الدعم والتشجيع حتى من خارج القطر الذى يعيش فيه وبالفعل فان بعض المؤلفين العرب يبعثون بمخطوطات كتبهم الى وزارات الاعلام والثقافة والمؤسسات العربية المختلفة لنشرها ، ونستطيع أن نذكر على سبيل المثال اسهامات وزارتى الاعلام فى قطر وفى العراق وكذلك اسهامات المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب الذى يصدر سلسلة عالم المعرفة فى الكويت وغيرها . كما أن الوزارات والمؤسسات العربية كثيرا ما تقدم بشراء نسخ المؤلفين العرب فى مختلف الاقطار العربية

أدب

(● عبد السلام عطا الله
الاسكندرية ـ مصر

حديث المرحوم عباس محمود العقاد «أينشتين على المائدة» الذى نشر فى العدد ٥٣ من مجلتكم الموقرة «الدوحة» قد فجر فى النفس مشاعر وخواطر تتصل بحياتنا المعاصرة فى الفن والفكر والادب ففى هذا النوع من الاحاديث تعنينا الملامح الانسانية لهذه الشخصيات كما تعنينا ملكاتها الفنية والثقافية لتعطينا زادا وذخرا للحياة ، وهى شديدة الأثر فى النفس لتلقائيتها ، فهى تدور فى أى مكان ، فى البيت ، فى الشارع ، حول المائدة ، فى وقت الراحة دون ترتيب أو اعداد ، ولذلك فهى تجمع بين فلسفة التنوير والتسلية ومتعة الذهن ، كما انها تتسع للحياة الانسانية للحياة الانسانية فى جميع مطالبها ومطامحها ، وهى تثرى عصر الآلة بالمثل العليا ، وقيم الحق والخير والجمال تربى الذوق ، تطهر الفكر من الشوائب وتحث على الصدق فى التعبير بمعرفة كل ما فى نفوس هؤلاء العباقرة من قيم ، وهذا ما يشغلنا ويثير اهتمامنا .

وليس معنى هذا أننا ننكر قراءة المؤلفات والآثار الأدبية لهؤلاء ، ولكننا الآن فى حاجة لمثل تلك الاحاديث ، أكثر من حاجتنا الى ذلك الانتاج الذى زاد عن حده مما يطلقون عليه اسم : « المدارس والمذاهب أو الاحزاب الفكرية أو الفلسفية ، التى يستعملها كثير من أدبائنا فى العصر الحديث ، ولا نجد خلفها إلا الجدل غير المجدى .

إن الانسان فى عصر الآلة واقصد الانسان فى عصر التخصص يبحث عن الانسان فلا يجده فالانسان فى عصر التخصص اصبح نصف انسان على حد قول « نتشة » .. «اذن كبيرة، او لسان تمشى بهقدمان» على اساس أن الانسان الصحيح يعرف الأدب ولا يجهل العلم ، أو يعرف العلم ولا يجهل الأدب . فقد قيل عن الرجل فى الغرب إنه مهندس وأمى ، أو انه طبيب وأمى ، فاننا نخاف فى هذا العصر من الأمية التى تنتشر بين العلماء والمتخصصين .

ويلزم للمتخصص أن ينظر حوله فى افق أوسع من تخصصه ، وأحاديث المائدة على ذلك الطراز احد طرق العلاج لهذا المرض فى عصرنا الحديث ، صدقنى ياسيدى إن القارىء يلتهمها التهاما ، تاركة أثرها القوى الصادق فى نفسه ، تخفف من غرور المتخصصين وغلوائهم ، الذى ربما يقود البشر الى الهاوية . إنها غذاء ادبى وفكرى وفلسفى على مائدة العصر نتناولها دون عسر هضم .

وسؤال من غير متخصص فى دراسة الأدب عن أحاديث المائدة فى ادابنا العربية ، هل هى موجودة فى ادبنا العربى ؟ ، وإذا كانت موجودة فهل تستحق التدوين ؟ وهل بها صور نفسية واجتماعية رائعة ؟ وهل سهونا عن ما بها من لمحات عبقرية؟

ايا كانت الاجابة ، هل لكم أن تتبنوا الدعوة الى ترشيد جمع تلك الاحاديث ، بين ادبائنا ومفكرينا حتى يهتموا بهذا النوع من الاحاديث واعتقد أن فى امتنا العربية كثيرا ممن يرحبون بتلك الدعوة .

ولقد قرأت أن هناك تراثا وافرا يطلق عليه النوادر والمسامرات أو يسمى نوادر المحاضرات والأمالى من مؤلفات «العاملى» و «المرتضى» و «القالى» و «الاصبهانى» وغيرهم ، مضافا إليها نوادر أدباء الجيل الماضى والجيل الحاضر ، يمكن أن يكون معينا طيبا لهذا النوع من الاحاديث يفوق حديث المائدة عند الغربيين كما قال المرحوم العقاد فى بعض كتاباته .

وموضوع الأديبة الفاضلة «عايدة الشريف» يصح أن يكون نواة لتنفيذ تلك الدعوة ، ولكن لا يتكلم فقط عن الاجور المتواضعة !

عبد السلام عطاالله

(● حوميرة يحيى
وجدة ـ المغرب

اطلعت على مجلتنا الغراء العدد (٥٢) والذى كان يضم مواضيع هامة وخاصة مقال العقاد « الانسان غدا ، ماذا يمكن أن يكون ؟ » هذا المقال الحيوى الذى أثار انتباهى وانتباه كل من قراه وتذوقه .. فقد تناول الحديث فيه عن العلم والعلماء والخدمات التى قدموها للانسانية وتعرض الانسان ومستقبله المجهول لهذا العالم الغامض الذى يحجم الناس عن الخوض فيه .. إلا أن العقاد قد واجهه بشجاعة وباسلوب عذب .. ولكنى اخذ على مقال العقاد انه اقتصر فى حديثه عن العلماء على غير العرب منهم . ولا أدرى ما السبب هل ينكر على العرب مالهم من دور فى مجالات الاختراعات العلمية ؟ .

حوميرة يحيى

محمد خليفة عبد الله
السودان

اطلعت على ما كتبه الأديب السودانى منير صالح والذى عاتب فيه محقا ، بلسان دافىء عفيف العذبات ونوافقه القول باحترام الأقلام البعيدة عنا والقريبة وحبها شريطة أن تتنوع وتتعدد .

والوطن ذاخر بكتابه المبدعين .

نقول هذا ولا ننسى إفتتاحية محمد ابراهيم الشوش « بان المجلة ترفض السكون وتعشق إثارة الحركة فى العقل

محمد خليفة عبد الله

(● خيرى السيد ابراهيم
سوهاج ـ مصر

أرجو تسجيل اعجابى بتفوقكم فى الحصول على مقالات العقاد واستكتاب اكبر عدد من الاسماء اللامعة فى دنيا الأدب والفكر .. وتحية للاستاذ يوسف ادريس على قصته «الرجل والنملة» واسمى أيات الشكر للدكتور الشوش على موضوعاته الشيقة وفكره المستنير .. وايضا كل التقدير لشاعرنا عبد القادر حميده ..

خيرى ابراهيم

● صابرين محمود ج ٠ م ٠ ع

أمل أن تتبنى المجلة اقتراحا نشرته لواحد من قرائها يدعو فيه لاستضافة أديب عربى كل شهر على صفحات المجلة ، واضيف هنا محبذة ان يكون الاختيار للجيل الجديد من الكتاب الشباب العرب ،

إسلاميـات

(● عبد الله احمد العلوى
كوستى ـ السودان

لقد قرات فى العدد رقم (٥٠) مقال الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر عن (افغانستان الأرض والناس والأحداث) .

لقد اعطانا الكاتب فكرة شاملة عـن افغانستان ودورها الفعال فى بناء الثقافة والحضارة الاسلامية ، حيث نبتت فى ارضها شخصيات رائدة برزت فى شتى جوانب المعرفة الاسلامية .

ومن اعلام الفقه الاسلامى نذكر: الامام احمد بن حنبل ، الامام ابو حنيفة ، والبخارى ، والترمذى وغيرهم . وفى الطب والفلسفة نذكـر : جابر بن حيان ، ابن سينا ، الفارابى .

هذه هى افغانستان البلد المسلم الذى ساهم عظماؤها فى نشر رسالة الاسلام .

عبد الله احمد العلوى

● البكورى نور الدين
فاس ـ المغرب

اشير الى حاجتنا المتزايدة للتصدى للمقولات والدعاوى المادية المناهضة للاسلام .

فهذا العصر زاخر بترهات شتى لن يحدها إلا الاسلام وثقافاته !

ارجو أن نجد الاستزادة فى مجلة الدوحة من الموضوعات التى تبحث فى هذا المجال مع كامل التقدير للاسهامات الاسلامية التى تتصدر كل عدد جديد منها .

* البكورى نور الدين

(● خالد قاسم محمد
بغداد ـ العراق

اطلعت على مقال د. عبد الجليل شلبى الذى تناول فيه اراء المستشرقين فى الاسلام فى محاولة لاطلاع الرأى العام فى البلاد الاسلامية والرد عليها من موقع الحرص والذود ضد الافكار المخربة لروح الانسان المسلم وفكره .. وبما انى احاول منذ فترة ستة اشهر تتبع كل ما صدر ويصدر عن هذه الظاهرة العدائية للأسلام والامة العربية وذلك لانجاز بحث نقدى لها. فانى ارجو أن يرشدنى الكاتب فى موضوع البحث المتعلق بالمستشرقين والأمة العربية من خلال اطلاعه على هذه الظاهرة ... كما ارجو ان يرسل لى كتابيه «الاسلام والمستشرقون» و «صور استشراقية»، وذلك لتعذر الحصول عليهما من مكتبات بغداد .

خالد جاسم محمد

(● انيسة ابراهيم

أسعدنى الحوار الذى اجراه الاستاذ نبيل خالد الآغا مع المفكر الاسلامى محمود شيت خطاب .. لقناعتى باهمية ما يطرحه مفكرونا وعلماؤنا من قضايا ودراسات تهم الأمة العربية والاسلامية وخاصة الدراسات عن حياة الرسول الكريم (ص) واستخلاص العبر والمعانى لتكون هادياً ومعينا للعرب فى ايامهم هذه التى تميزت بالفرقة والأنانية والعداء .

كما أسفت لوقوف الدول العربية صفوفا تستجدى الغرب والشرق السلاح ولا تفكر جديا فى صناعته وانتاجه محلياً .. رغم ما حباها الله به من أموال وخامات وخيرات .. وانى استصرخ حكامنا أن يتعاونوا وينتجوا سلاحهم بايديهم فهذا هو الأمل الوحيد لوضع الأمور فى نصابها مهما طال الأمد ..

انيسة ابراهيم

(● د . م أيت ملول
المغرب .

قرات مقال الاستاذ يوسف القرضاوى بالعدد ٥٠ تحت عنوان «فى المعركة بين القديم والجديد» وكان بحق موضوعا مفيدا ميز فيه الكاتب بين ماضى العرب ، وماضى الغرب . وفعلا فقد كان ماضى الغرب ماضياً عمد التعصب . والجهل والظلم ، لذلك كان من حقهم أن يثوروا ضد هذا الماضى الذى وقف كحجر عثرة فى طريقهم نحو التقدم والرقى ، وهكذا غيروا ما بانفسم فغير الله ما بهم ، فى الوقت الذى كان فيه العرب بالمنازعات منشغلون ، حتى ضاع منهم الارث العلمى الذىخلفه الاجداد والذين كانوا من خير الأمم وارقاها . فاخذ الغربيون هذا الارث الثمين فاضافوا إليه ما اضافوا ونسبوا معظمه الى علمائهم ... ولم يشعر العرب بالخطا الذى ارتكبوه إلا بعد أن جربوا ـ الآن ـ الاعتماد على انفسهم ، وسرعان ما نكشف لهم أن هناك مايعوقهم دون الالتحاق بالركب الحضارى وأن مفتاح التكنولوجيا والتصنيع بيد الآخرين ...

ولا ينبغى لنا أن نتشاءم فلدينا طاقات مادية وبشرية ، وعندنا عقول للأسف فى المهجر وما علينا إلا أن نقنعهم بالعودة ونوفر لهم كافة التسهيلات للقيام بعملهم فى ظروف حسنة .

ر.م.أيت ملول

(● احمد عبد المقصود عجيلة
كلية الشريعة ـ الاسكندرية

جاء فى مقال الاستاذ احمد بهجت الذى نشر بمجلة الدوحة الغراء العدد ٤٩ تحت عنوان « هذا المد الاسلامى الى اين يمضى » ان الديمقراطية الحقيقية أو جوهرها كان موجودا فى عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم . وهذا ليس بصحيح فالديمقراطية مصطلح غربى دخيل على الاسلام والمسلمين .. والديمقراطية لفظة يونانية مكونة من مقطعين «ديموس» بمعنى شعب و «كراتوس» بمعنى سلطة .. أى السلطة للشعب والديمقراطية بمعناها الغربى لا صلة لها بالاسلام فهى دخيلة على تراث الاسلام نطقا وفقها .. فلم يستعملها قاض ولا فقيه ولا حاكم على مدى عصور الأسلام المختلفة ذلك لأن الاسلام يعرف «وامرهم شورى بينهم» والمعلوم من الدين بالضرورة أن السلطة ليست للشعب ولا للحاكم لأن الشعب والحاكم معاً محكومان بشريعة الله « إن الحكم إلا لله » .

احمد عبد المقصود عجيلة

اقتراحات جـديـدة

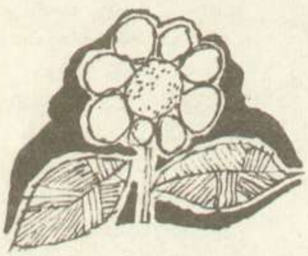

(● احمد صلاح الدين ناصف
الدقى ـ القاهـرة

احب ان اشير الى اعجابى المتزايد بالتطور العظيم الذى يطالعنا مع كل عدد من اعداد الدوحة .. كما اود أن اضيف بعض الاقتراحات :

ـ أن تقوم مجلتنا الموقرة بنشر بعض كتب التراث القيمة .

ـ أن تقوم المجلة شهريا بعرض احد الكتب الحديثة التى تتناول فروع المعرفة المختلفة .

ـ دعوة كبار الكتاب العرب للمشاركة فى اغناء المجلة بالموضوعات الجادة امثال الدكتور رشدى فكار والدكتور ابراهيم مدكور والاستاذ فتحى رضوان .. لمواجهة التحديات المعاصرة ضد العرب والاسلام .

احمد صلاح الدين ناصف

(● احمد محمد سليم
محافظة الشرقية ـ مصـر

اقترح أن تقدم مجلة الدوحة دائرة معارف تضم معلومات أدبية مرتبة ترتيبا ابجديا يمكننا الرجوع إليها عند الحاجة .

احمد محمد سليم

(● حسن احمد شلبى
كلية الألسن ـ القاهرة

ان مجلة الدوحة من المجلات الثقافية التى تروق للعقل العربى وتغذيه .. ولى رجاء أن تقوم المجلة بتقديم وشرح كتب التراث حتى تكون لدينا صورة كاملة عنه .. ولكن بصورة مبسطة وليس كما يعرض فى الدراسات والمناهج الجامعية .. حتى تكون فائدته أعم .. ولى عتاب عليكم لأن قصائد الشعر فى المجلة تنشر بدون تشكيل فتصعب قراءته .. ابدى اعجابى بمقالة الاستاذ عباس العقاد .. ومرحباً بعودة الدكتور يوسف ادريس بعد احتجابه الطويل .

حسن احمد شلبى

حياتنا المعاصرة

(● محمد زكريا محمد
تربية الزقازيق ـ مصر

اتقدم اليكم وبالتحية الطيبة والكلمة الجميلة الى مجلتكم الغراء « الدوحة » .

مجلة الدوحة مجلة جديرة بالاحترام لأنها ذات موضوعات بناءه ولقد تعرفت على مجلتكم منذ فترة وعندما قرات أول عدد وقع فى يدى كنت فى غاية الشوق لقراءتها مرات ومرات لانها تقدم موضوعات الساعة التى تحيط بعالمنا العربى الاسلامى ، وانا سعيد جدا بباب «حياتنا المعاصرة» خاصة واننى ادرس فى قسم العلوم . إننى اتقدم بالتحية الى الاستاذة الفاضلة خديجة الصدر التى تقوم بالاشراف عليه . ولكن لى رجاء أن تهتم بموضوعات الكيمياء والطبيعة ايضا لانها تهم المجتمع أثر تلوث البيئة أو صناعات معينة أومن حيث الكسوف الكلى والخسوف الجزئى على سبيل المثال . وأيضا من الابواب الجذابة باب «استطلاعات» الذى يعرفنا ببلادنا العربية الشقيقة .

وفى ختام رسالتى اتوجه بالشكر الى جميع العاملين بالمجلة لما يقدمونه من جهد .

محمد زكريا محمد

شعراء وكتاب

(● احمد الحبيب محمد
الجزيرة ـ السودان

قرات ما كتبه اديبنا الفذ الطيب صالح بعنوان « محجوب الشاعر » ولكن الموضوع كان أقل من تعطشنا الى معرفة أدب المحجوب .. فانا شديد الاعجاب بمحجوب الشاعر الذى كان من أجود شعراء زمانه وانه كان من أكثر المتحمسين للمتنبى كما جاء فى مقال الطيب صالح الذى عقد مقارنة بين الشاعرين اظهرت أوجه الشبه بينهما ولكنه لم يبين أوجه الخلاف . فمثلا المتنبى انصب معظم شعره فى المديح بينما تميز شعر المحجوب بالغزل . ونطمع أن يزيدنا الطيب صالح عن الشاعر محجوب فهو خير من يقوم بذلك .

احمد الحبيب محمد

(● سماح عبد الله فواز
سوهاج ـ مصر

قرات باستغراب مقال الشاعر الدكتور عيسى الناعورى التى قال فيها : «الشعر اليوم ليس ابراز عضلات أو ابراز براعة فى صياغة الكلام الموزون المقفى، او السائب الذى لا وزن له ولا موسيقى » ، وادهشنى أن يصدر مثل هذا الكلام من شاعر كبير يعرف تماماً ما هو الوزن وماهى الموسيقى .. ان الشعر الحديث يجعل الشاعر يتعامل مع بحور الشعر ويستخدم مجزوء البحر الواحد استخداماً فنياً ودونما حاجة الى الالتزام بالبحر الكامل

سماح فواز

الدوحة
العدد القادم

تشاد بين ماضيها المجيد وحاضرها الدامى
بقلم د. حسن عيسى عبد الظاهر

الإسلام وقضايا العصر
بقلم احمد بهجت

الخواء الروحى فى العالم يزداد حدة
بقلم محمد فتحى

ماذا تقدم القصص للأطفال؟
بقلم يعقوب الشارونى

الأدب العربى فى مواجهة التحديات
بقلم محمد الجندى

من الرباط إلى مراكش البعيدة عن الزمان والمكان
بقلم جمال الغيطانى

كذبة قاضى إشبيلية البيضاء
بقلم محمد المنسى قنديل

العالم العربي

(● المحمد الوسمى
حلب – سوريا

المبادرات كثيرة لاسقاط لغة الضاد ، وخاصة فى هذا العصر. لماذا ؟ لا ندرى ، ولكن لنستعرض هذه الموجة العارمة من الدعوات الكاذبة ، والتى لا تخدم بحقيقتها إلا العدو .

إن كمال اتاتورك رائد النهضة كما يقال حول كتابة اللغة التركية – والتى تعتبر تجميع لغات – من الأحرف العربية الى الاحرف اللاتينية . لماذا؟ بحجة النهضة وأى نهضة هذه؟ وهذا الافتراء بعينه ، والحقيقة ليست للنهضة ، بل كرها بالعرب ، والمسلمين أيضاً ، فهو الذى فضل أن يكون ذيلا لأوربا على أن يكون خليفة للمسلمين ! كمال ، هذا ، لا يعرف إلا أن يكون ذيلا للغرب .

وكما هو ، يخرج البعض عندنا ويقولون : لنكتب بالأحرف اللاتينية فلنسال هؤلاء : هل رايتم نهضة اتاتورك ماذا فعلت بتركيا ؟ أنظروا إنها مائة حزب ، وكل يشير نحوه! أهذه نهضة ؟!

ثم إن الاحرف العربية فن ... نعم فن رائع ، وهناك الخط العربى شاهد على هذا ، والنهضة لا تكون فى ناحية بل فى جميع النواحى ، حتى ، ونحن نملك هذا الفن الرائع ! ولولا الخجل لاستعمل الغرب الحروف العربية ، كما سرق الارقام العربية ، وصفرها المدور شاهد ! .

وهناك دعوة ثانية ، مشبوهة ، وقد قدمها الدكتور احسان حقى فى احدى المجلات فــى مقــال تحــت عنوان : « إعـادة النظر فى الحروف العربية » حيث بعـد الرد على الداعين للكتابة بالأحرف اللاتينية ، يدعونا لما هو اعظم .. لقد دعا لاعادة النظر بالاحرف العربية لتلائم العصر ، نزيد البعد ، ونحذف البعض .. !!!

لم نفعل ذلك ياحضرة ؟

عندما كان العرب اسياد العالم ، علماً وأدباً ، لم يخرج احد الغربيين ويطالب باضافة حرف للأحرف اللاتينية !

هناك كثير من اللغات لا تملك أحرف مثل : خ ، ذ ، ث ...

وبعضها الآخر لا يملك : ج ، ز ، ق ...

فهل سمعت شكوى إحدى اللغات من ضعف بحروفها ؟!

ولنقل – جدلا – ان اللغة العربية ضعيفة الأحرف وقليلتها فتعال يدى بيدك لاضافة حرف . ولكن رويدك . هل تذكر حكاية المعرى ؟ عندما قال:

وإنى وإن كنت الأخير زمانه .
لآت بما لم تستطعه الأوائل !

لم يكن ينتظر أن يخرج عليه طفل ليقول له :

لقد أتى اسلافنا بثمانية وعشرين حرفاً ، فهل لك أن تزيدها حرفا ؟ . المعرى ، وهو أبو العلاء لم يستطع الرد على ذلك ! فهل نحن اقدر من المعرى على الابتكار ؟.

هذه دعوة – وللأسف – تافهة ، لذلك لم يلق لها احد بالا ..

وتتواصل حلقة المحاولات ، حتى تصل الى الذين يدعون للكتابة باللهجة العامية فى بلاد الشام . هذه التى خرجت من بؤرة لا تؤاخذ عليها . تسود فيها الافكار الغربية والتى لا تريد إلا الدمار لكل ما هو عربى .

محمد الوسمى

(● عبد الجواد الحجاجى
الاقصر – مصر

طالعتنا مجلة الدوحة فى العدد (٥٢) فى زاوية الرأى بمقال للدكتور محمد جابر الأنصارى بعنوان «تشريح الحضارة الغربية» ويذكر الكاتب « ان الحضارة الغربية ظاهرة لا يمكن تجاهلها ولابد من مواجهتها وفهمها وغربلتها واستيعابها نقديا وتحليليا لنقرر ما نختار منها وما نتفهم » وأود أن أخص بالتعليق العنصر الذى قرر أن لا مناص من اقتباسه :

ان العالم حتى الآن بكل تباين نظمه السياسية لم يستطع الوصول الى العدل الاجتماعى الذى تحقق ايام الخليفة عمر بن الخطاب .. وإذا رجعنا الى تراثنا وحضارتنا الاسلامية لوجدنا علماء روادا فى العلوم الطبيعية لا سبيل الى حصرهم كذلك فى التخطيط والادارة والاقتصاد ولا أحد ينكر حتى فى الغرب فضل علماء المسلمين الأوائل على العلم والحضارة الغربية .. لست سلفياً محضا ولا انكر على الحضارة الغربية مالها من جوانب عظيمة .

عبد الجواد عبد الفتاح الحجاجى

محمد شريف بشير
الابيض – السودان

اسمحوا لى بالتعقيب على ماجاء فى مقال عناصر الحضارة الغربية للدكتور محمد جابر الانصارى .

يرى الكاتب أن « هناك جوانب لا مناص من اقتباسها من الحضارة الغربية مثل التكنولوجيا وطرق الادارة ... »

ودعوة الكاتب للأخذ بالتكنولوجيا قد تكون اكثر غموضا بل وتثير الشك حولها .. لأن التكنولوجيا التى دخلت بلادنا حملت معها مفاهيم علم وصناعة وقيم وعادات وأفكار الغرب ، وكيفت سلوكنا وحياتنا وثقافتنا وعاداتنا حتى يمكنها السيطرة علينا فى كل مجال .. ولذا علينا أن نحدد ما نقتبس من التكنولوجيا ونخضعه لمفاهيمنا ونظرتنا الاسلامية للحياة فناخذ ما يرفعنا علماً وصناعة ، ونهمل الجوانب المحايدة التى ارى أننا فى غنى عنها بموروثاتنا الاسلامية ..

محمد شريف بشير

(● عبد المجيد بيطار
سوريا

طالعت فى العدد (٥٢) فى «زاوية الرأى» للدكتور محمد جابر الانصارى مقالا بعنوان « تشريح الحضارة الغربية » .

وانى أقول : إن الحضارة الاسلامية تعد من ارقى الحضارات فى العالم ، وقد خرجت مفكرين وعباقرة تدرس كتبهم فى جامعات اوربا حتى الآن .. إن الامة العربية تملك خبراء فى جميع المجالات من ذرة وكيمياء وعلوم طبيعية وهندسة .. الخ .. ولو سألت عنهم لوجدتهم فى أمريكا وأوربا الغربية وان مختبراتها وجامعاتها يدرس فيها هؤلاء الخبراء العرب . واعتقد ان استعادة هؤلاء الخبراء وإفساح المجال لهم كفيل بان نلحق بعصر التكنولوجيا الايجابى .. أما الجانب المحايد الذى تكلم عنه المقال فقد أضر بنا كعرب ومسلمين كثيرا فمعرفتنا بعاداتهم وتقاليدهم ادخلت الى عقولنا افكارا دخيلة فاسدة يجب ان نقاطعها ، فهى عوامل هدم فى حضارتنا .

عبد المجيد بيطار

يوسف سليمان
أميون الكورة – لبنان

اذا لاحظنا أجهزة الاعلام الصهيونى وبعض وسائل الاعلام العربى وجدنا ان الانسان العربى اصبح هو المستهدف . إذ لابد لتحطيم وجدانه القوى من تسريب اليأس إليه . كما أنه لابد من تغيير مناهج تفكيره : فيحجب عنه الفكر القومى والرموز القومية ويزيف له التاريخ حتى تبدو هذه الأمة وكأنها لم تنجب إلا الشر والخيبة وهذا خلاف الجدل القائم بين النظريات والآراء المتضاربة حول القومية العربية التى نؤمن بها ايماناً رومانسياً لم يخضع للعقل والعلم فاذا بنا نعيش عملياً وسلوكيا واقعا قبلياً أو طائفياً أو قومياً ضيقاً .

وفيما تشتد حدة الخلافات نجد انفسنا على مفترق طرق وامام تحديات وخيارات صعبة وهامة لانها مصيرية ، فاما أن نقبل الذل والهوان ، فتحل بنا لعنة التاريخ . وإما أن نقسم ذلك القسم المقدس أن نعمل على استعادة حقنا واحياء امجادنا التى لا نكف عن التغنى بها.

وأمام هـذا التحـدى هـل يبقى هناك متسع من الوقت امامنا للمزيد من إثارة المناقشات وتبادل الخطب بينما مقدساتنا الكبرى على قاب قوسين أو ادنى فى التقويض والمحو من الوجود وبينما اخواننا فى الأرض المحتلة وفى جنوب لبنان يشردون من ديارهم وسائر الشعوب العربية تنتظر فى العاجل والآجل مثل هذا المصير على يد الصهاينة وحلفائهم . فماذا ينتظر العرب وفى حوزتهم الكثرة البشرية والمواقع الاستراتيجية الهامة والمصادر الاقتصادية الحيوية ..؟

وكفانا خداعا لأنفسنا ولنبادر الى معالجة أمراضنا وتغيير ما بأنفسنا قبل أن نقيض على هزيمة من نوع جديد !

يوسف سليمان

مسابقة تصميم شعار مؤتمر وزراء الاعلام في دول الخليج العربية

تهيب السكرتارية المؤقتة لمؤتمر وزراء الاعلام في دول الخليج العربية بجميع الفنانين الخليجيين ، وكل من يأنس في نفسه الكفاءة الفنية من بين مواطني دول الخليج العربية للاشتراك في مسابقة شعار مناسب يصلح للاستعمال في كافة الاوراق والاغراض والمناسبات المتعلقة بالمؤتمر ٠

ستتولى لجنة تحكيم مكونة من كبار المختصين في النظر في التصاميم المقدمة لاختيار التصميم الفائز من بينها ٠

سيتم تخصيص جوائز قيمة لافضل ثلاثة تصاميم مقدمة :

- الجائزة الاولى — ٢٠ر٠٠٠ ريال قطري
- الجائزة الثانية — ١٥ر٠٠٠ ريال قطري
- الجائزة الثالثة — ١٠ر٠٠٠ ريال قطري

الشروط والمواصفات :

- يفضل في تصميم الشعار استخدام الاشكال والرموز المبسطة التي تعبر بكل وضوح عن روح التعاون والتضامن الاعلامي الوثيق الذي يربط بين دول الخليج العربية ٠
- يمكن ادراج عبارة « مؤتمر وزراء الاعلام في دول الخليج العربية » في تصميم الشعار ٠
- يمكن استعمال الالوان في تصميم الشعار ولكن بشرط ان لا تزيد في مجموعها عن ثلاثة ألوان أساسية الى جانب اللون الاسود ٠
- يرسم الشعار المقترح بالالوان المختارة بحجم مكبر على ورق مقاس ٤٠ × ٤٠ سم ٠
- يتوجب على كل مشترك ان يرفق مع الرسم الملون للشعار ، حجما مصغرا من التصميم المقترح بالاسود والابيض وبمقاس يصلح لترويسة أوراق المكتبات والمغلفات وغيرها ، ويجوز اجراء التصغير عن طريق التصوير الفوتوغرافي (اسود وأبيض) ٠
- يجوز لأكثر من شخص الاشتراك في اعداد وتقديم تصميم موحد ٠
- يجوز لأي شخص أو أي جماعة متعاونة أن تتقدم بأكثر من تصميم واحد ٠
- ترسل التصاميم المقترحة باسم السيد/شاهين عبد الرحمن الكواري ، رئيس مكتب السكرتارية المؤقتة لمؤتمر وزراء الاعلام في دول الخليج العربية ، وزارة الاعلام ، ص٠ ب ١٨٣٦ اللوحة ٠
- يشترط أن تصل التصاميم الى مكتب السكرتارية في موعد اقصاه ١٤٠٠/٩/٣ هـ الموافق ١٩٨٠/٧/١٥ م ولن ينظر في أية تصاميم ترد بعد هذا التاريخ ٠

استطلاعات

(● عبد الغفار خير الله
الدمازين ـ السودان

حينما قرأت ما كتبه كمال سعد بعنوان (باريس وجه لا يعرف التجاعيد) تذكرت على الفور حياة الوافدين فى هذه المدينة ، وتمنيت أن أكون واحدا منهم حتى انعم بما فى المدينة من متع ذهنية وفكرية .. فبدون شك نحن نعرف أن باريس مهد الحضارة والعلم ، ملأت الحياة الانسانية بالثراء الفكرى والانسانى وتركت بصمات ستظل باقية مابقى الانسان فى كافة مجالات الحياة

عبد الغفار خير الله

(● محمد مدحت عبد الحميد
الاسكندرية ـ مصر

تحية وتقدير للاستاذ نبيل خالد الأغا على تحقيقاته الأخيرة عن المدن الفلسطينية لما تميزت به من شمول ومعاصرة للأحداث مما يجعلها تفوق البحوث والدراسات التى تتناول القضية الفلسطينية حيث تتناول المدن وأهلها جغرافيا وتاريخيا واجتماعيا مما يقربها الى نفوسنا وعقولنا .. مع رجاء بمواصلة الكتابة بنفس الوضوح والشمولية ..

محمد مدحت محمد عبد الحميد

(● سعيد لحسن
الرباط ـ المغرب

جاء فى مقال لجمال الغيطانى عن مدينة فاس والذى نشر بالعدد (٥٢) أن « الحريرة » المغربية تصنع من الدقيق واللبن .. إلا أن هذا الصنف من الطعام فى الحقيقة لا يدخل فى صنعه اللبن ..

سعيد لحسن

حول الحب والعقاب

الحب هو القانون!

(● موسى الطاهر محمود
أم سعيد ـ قطر

في الورقة الاخيرة من مجلة الدوحة قرات قضية بحثها المحامي مصباح الغفري عن موضوع الجريمة والعقاب ، وقد ذكر في مستهل بحثه ان الجريمة تقع نتاج افراز اجتماعي ودعا بصورة او باخرى الى غرس الحب في النفس البشرية حتى لاتكون هناك جريمة ، وتحقيقا لما قاله الكاتب اود ان اقول ان الحب ـ فعلا ـ يمنع وقوع الجريمة لا العقاب ، فلو استطعنا ان نلمس الجانب الروحي في عمق كل فرد من افراد مجتمعنا حتى نجعله يحس بالانسان داخله ، حينها نكون قد ايقظنا الحب داخله ، لأن الحب كامن في اعماق كل انسان . ولكن المجتمع هو الذي يحول هذه الطاقة الانسانية الى جريمة والجريمة غير موجودة أساسا باعماقنا ، مادام هناك حب يكمن في الاغوار الانسانية ، فلا يمكن ان يتعايش الحب والجريمة في عمق واحد .

واننا اليوم نريد مجتمعا نادى به الاستاذ المحامي مصباح ، المجتمع الذي يبنى على الحب ، ومثل هذا المجتمع لم يولد إلا على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما غرس الحب في اصحابه ولمس فيهم الجانب الروحي ، وحرك الانسان في داخلهم ، حينما سموا على الصغائر ونبذوا الحساسيات ، وتعففوا عن الماديات . وكان الحب في اسمى معانيه شغل نفوسهم وقانون مجتمعاتهم والمثل الذى اردت ان اسوقه في مستهل هذا الكلام هو هذا المجتمع الفاضل الذى جاء قاضيه ابان خلافة عمر رضى الله عنه اليه شاكيا بانه يجلس في محكمته بلا قضايا ، وقد مر عليه عامان على هذا الشكل ، اليس هذا هو المجتمع الذى ينادى به الاستاذ المحامي ولو أن خلفاء المسلمين نهجوا بمجتمعاتهم منهج هذا المجتمع ، لما كان اليوم على مجتمعاتنا الاسلامية قضاه او محامون ، ولما وجدنا ذلك الكتاب الذى اشار اليه الاستاذ ، ولما ذرف اجدادنا دموعا وترحموا على اجدادهم لأن قصة المحامين والقضاة والجريمة والعقاب والكتاب تكون نسيا منسيا لا وجود لهم في المجتمع الاسلامي بأثره ومن كل قلوبنا نقول للاستاذ المحامي زدنا من هذا البحث واغرس فينا افرادا ومجتمعا الحب والمعنى الروحي .

موسى الطاهر محمود

(● رضا عبد الجواد سلامة
القلج البلد ـ مصر

في العدد (٥٢) من مجلة الدوحة وعلى الورقة الأخيرة بعنوان « من جديد حول الحب والعقاب» تحدث كاتب المقال عن فشل العقاب في الحد من الجرائم .. وان الحل للقضاء على الجريمة هو الحب و(ان ندخل عصر الانسان الانسان .

فيجب ان نبحث عن القبس الخير الموجود في اعماق كل انسان وان نحول هذه الجمرة الخافتة تحت الرماد الى لهيب يضيء آفاق السماء)

واقول لكى نحد من تزايد الجرائم علينا ان نسارع بالعودة الى التراث الخالد والتمسك بالدين الحنيف والسير في ضوء المصباح الالهي .

رضا عبد الجواد سلامة

سينما وفنون

(● دكتور سامى عزيز
القاهرة ـ مصر

احب ان اشير الى مقال الاستاذ الفنان جمال قطب المنشور في العدد (٥٢) ابريل بعنوان «السجاد الاسلامي لمسة فنية جميلة» الذى اعجبنى كثيرا .. لما تضمنه من تحليل وإظهار اثر العوامل السياسية والاجتماعية على هذا الفن وتجميل ذلك كله بعرض نماذج قيمة لهذا السجاد ..

نأمل ان نجد بابا ثانيا في مجلتنا الدوحة عن مختلف فروع الفن العربى والاسلامي .

د. سامى عزيز

عبد المطلب على أدم
مصلحة الاحصاء ـ الخرطوم

كثير من اللوحات المنشورة على صفحات مجلتكم ، تصلح لأن تكون لوحات تزين جدران مسكن كل قارىء او مكتبته ، نظرا لما تثيره في الوجدان من مشاعر جميلة حقا ، ولسموها بالخيال الى مراتب عالية من المتع الذهنية ، ولهذا فاننى اقترح على المجلة أن تستفتى قراءها في اختيار احسن لوحة تقدمها كهدية في حجم كبير كل ستة شهور ، وبشرط أن تكون اللوحة ملصقة في المجلة بطريقة يسهل على القارىء نزعها ، خوفا من أن يقوم اصحاب محلات بيع المجلات بنزعها وبيعها بمفردها .. فما رأى المجلة ؟

اننى اريد بذلك أن أجعل هدية مجلة الدوحة ذات فائدة عظيمة للقراء ، لا تقل بأى حال من الاحوال عن الفائدة التى نجنيها من المسابقة التى تقدمها مجلتكم ، والتى تجعلنا نسترجع المعلومات السابقة ، ونعود الى بعض المراجع الى ترسيخ المعلومات في أذهاننا وتحقيق هدف المجلة في نشر الوعى الثقافي .

عبد المطلب أدم

بصدور هذا العدد يكون الأخ الزميل الدكتور محمد جابر الانصاري قد استلم عمله الثقافي الصحفي الجديد في باريس مدينة النور .. ونحن اذ نودعه باسمكم وبأسم أسرة التحرير نتمنى له السعادة والاستقرار والتوفيق في حياته الجديدة مؤملين ان يواصل لقاءه بقراء الدوحة في بابه الذي نرجو الا يختفي عن القراء طويلا .

(● شيش جمال
البليدة ـ الجزائر

لاحظت من قراءتى لمقالات السينما التى يكتبها رءوف توفيق أنه يقتصر على تحليل موضوعات السينما العالمية .. فلماذا لا يقدم لنا تحليلات عن سينما الخليج العربى اننا هنا في الجزائر لا نعرف عن انتاج منطقة الخليج السينمائى أى شىء ، باستثناء الفيلم الكويتى «بس يابحر» .

شيش جمال

ابتداء
من
العدد
القادم
القراء على موعد مع :

شهريات الخليج

مجلة داخل الدوحة

شهريات الخليج .. نافذة على نشاط
الفكر في منطقة الخليج
على صفحاتها تلتقي صفوة الأقلام الخليجية
والأقلام المهتمة بشئون الخليج في الثقافة
والفنون والعلوم والاقتصاد والأدب والتراث

والدوحة تهيب بالكتاب والفنانين التشكيليين
ورجال الفكر والأدباء المساهمة في تحرير هذا الباب

وتهيب الدوحة بدور النشر والجمعيات الأدبية
والهيئات الثقافية الرسمية وغير الرسمية المهتمة
بشئون الثقافة والفكر الخليجي أن يطلعوها
على أوجه نشاطهم ودورياتهم للإضاءة عليها

د. يوسف القرضاوى

الرسول والعلم التجريبى

- العلم فى الإسلام يشمل مجالات تقصر عن الدلالة عليها كلمة "العلم" بمفهومها الغربى
- كان النبى (ص) أول من مجد القلم وعمل على إشاعة الكتابة ومحو الأمية بين أتباعه
- الإسلام لم يمنع من تعلم لغات الآخرين.. بل دعا إليها وسيلة لنشر الدعوة فى العالم

العلم الذى دعا اليه الاسلام ، وحث عليه القران والسنة : هو كل معرفة مستندة الى استدلال .. ولهذا لايعد علماء المسلمين التقليد علما ، لأنه اتباع لقول الغير بلا حجة .

وعلى هذا يشمل العلم فى الاسلام مجالات عدة تقصر عن الدلالة عليها كلمة «العلم» بمفهومها الغربى الحديث .

فيشمل العلم مجال «ماوراء الطبيعة» مما جاء به الوحى ، فكشف به عن حقائق الوجود الكبرى ، واجاب به عن الأسئلة الخالدة التى حيرت الانسان منذ فكر وتفلسف وهى : من أين ؟ والى أين ؟ ولم ؟

وبالجواب عن هذه الاسئلة عرف الانسان مبدأه ومصيره ورسالته ، عرف نفسه وعرف ربه واطمأن الى غايته .

وهذا أولى ما يطلق عليه لفظ «العلم» بل هو كما يسميه ابن عبدالبر «العلم الأعلى» ويشمل العلم مجال (الانسان) وما يتعلق به من دراسات ، تبحث عن جوانب حياته وعلاقاته المكانية والزمانية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وغير ذلك مما تهتم به العلوم الانسانية والاجتماعية .

ويشمل العلم مجال (الماديات) المثبوتة فى الكون علوية وسفلية ، وهى تتضمن علوم الطبيعة والكيمياء والأحياء والفلك والطب والهندسة وغيرها ، مما يقوم على الملاحظة والتجربة .

وهذا المعنى أو هذا المجال ، هو الذى يقف عنده الغربيون اليوم ، لايجاوزونه اذا تحدثوا عن «العلم» .. لأنه وحده الذى يخضع للاختبار والقياس و وتحكم عليه المشاهدة والتجربة ، ويمكن ادخاله «المعمل» أو «المختبر» .

تكوين العقلية العلمية

واقول ، إن الاسلام لا يقف عقبة فى سبيل هذا النوع من « العلم » الذى تعتبر المادة موضوعا له ، ولا يعده مقابلا للايمان ، أو معاديا له ، كما اعتبرت ذلك أديان أخرى فى مراحل تاريخية معينة .

بل اقول بكل صراحة واعتزاز : ان القران والسنة قد هيئا ـ بمفاهيمهما ـ المناخ النفسى والعقلى الذى ينبت فيه هذا العلم ، بحيث ترسخ أصوله ، وتمتد فروعه ، ويؤتى أكله بأذن ربه .

ومن هذه التعاليم تكوين العقلية العلمية .

فهناك عقلية عامة أو خرافية تصدق غالبا كل ما يقال لها ، وتقبل كل ما يلقى اليها ، وخصوصا إذا جاء ممن تعظمه من الأباء والكبراء ، وتنقاد لما عليه جمهور الناس صوابا كان أو خطئا ، لا تمتحن افكارها ، ولا تخضع معلوماتها لمناقشة أو اختبار شعارها : « هذا ما وجدنا عليه أباءنا » أو «نحن مع الناس» احسنوا أو أساؤوا .

وفى مقابل هذا اللون توجد «العقلية العلمية الموضوعية» التى لا تقبل نتائج بغير مقدمات ولا تخضع إلا للحجة والبرهان ، ولا تحكم العواطف والظنون فى مقام يطلب فيه اليقين المجرد والعلم المحقق . وقد وضح القران والسنة المعالم الأساسية التى تقوم عليها هذه العقلية العلمية ، ونستطيع أن نوجزها فى اشارات مقتضبة :

(أولا) : ألا تقبل دعوى بغير دليل مهما يكن قائلها ، والدليل هو : البرهان النظرى فى العقليات « «قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » .. والمشاهدة او التجربة فى الحسيات «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ، أشهدوا خلقهم ؟ . وصحة الرواية وتوثيقها فى النقليات « إيتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين » .

(ثانيا) : رفض الظن فى كل موضوع يطلب فيه اليقين الجازم ، والعلم الواثق ـ ولذا رد القران مزاعم المشركين فى الهتهم بقوله « ومالهم به من علم ان يتبعون إلا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا » .

ورد مزاعم اليهود والنصارى فى صلب المسيح فقال «مالهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا » :

وجاء فى الحديث الصحيح عن ابى هريرة : «اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » .

(ثالثا) : رفض العواطف والاهواء والاعتبارات الشخصية حيث يطلب الحياد والموضوعية ، وحيث يكون التعامل مع طبائع الاشياء وقوانين حيث يطلب الحياد والموضوعية ، وحيث يكون التعامل مع طبائع الاشياء وقوانين الوجود ، ايا كانت نتائجها . يقول القران منكرا على المشركين : « ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس » .وقال فى خطاب داود: «فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلل عن سبيل الله » . وفى خطاب الرسول (ص) « فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون

اهواءهم ، ومن اضل ممن اتبع هواء بغير هوى من الله ؟

(رابعا) : التمرد على الجمود والتقليد والتبعية الفكرية للآخرين ، سواء كانوا من الاباء والاجداد ، أم من السادة والكبراء ، أم من العامة والجماهير . وفى القرآن انكار شديد على الذين يقولون «بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . أو لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » . وفى القرآن كذلك نعى شديد على موقف الاتباع الذين اطاعوا سادتهم وكبراءهم فاضلوهم السبيل ، وبيان تبروءهم يوم القيامة ، وتحميل الفريقين تبعة ماهم فيه من ضلال قال : «لكل ضعف ولكن لا تعلمون » .وفى الحديث ايضاً تحذير من اتباع الجمهور وان كانوا على خطا ، وادانة لعقلية من يرضى لنفسه أن يكون تابعاً وقد خلقه الله سيدا «لايكن أحدكم امعة» يقول : أنا مع الناس ، ان احسنوا احسنت ، وإن أساؤوا أسات ، ولكن وطنوا انفسكم أن احسن الناس أن تحسنوا ، وان أساؤوا ألا تظلموا «رواه الترمزى» وهذا الموقف الاخلاقى الذى يتميز باستقلال الشخصية فى السلوك ، يدعو الى مثله فى الفكر أيضاً .

(خامسا) : الاهتمام بالنظر والتفكير والتامل فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء . وفى الانسان نفسه فهو عالم وحده « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » وفى سير التاريخ البشرى ومصاير الامم وسنن الله فى الاجتماع الانسانى « قد خلـت من قبلكم سنن ، فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين »» .

محاربة الأمية

ومن هذه التعاليم التى تهيىء تربة المجتمع لظهور التفكير العلمى : نشر التعليم ، ومطاردة الأمية . ولهذا حرص النبى (ص) على محاربة الامية التى كانت منتشرة بين العرب حتى كانوا يعرفون بين الأمم بـ «الأميين» . وهكذا سماهم القرآن « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم » ، وقال عليه الصلاة والسلام معبرا عن الواقع القائم حينذاك « نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » .

والرائع هنا أن هذا النبى الأمى فى هذه الامة الأمية . كان أول من مجد «القلم» وعمل على اشاعة الكتابة ، ومحو الأمية بين اتباعه ، بكل سبيل .

ولا غرو ، فان أول آيات انزلت عليه من ربه ، تضمنت التنويه بالقراءة والقلم والتعليم « إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم » وثانى سورة نزلت عليه من القرآن العظيم سميت «القلم» وفى مطلعها اقسم الله بهذه الاداة الصغيرة فى حجمها ، الكبيرة فى أثرها «القلم»فقال « ن والقلم وما يسطرون » وحينما اتيحت للرسول ـ صلى الله عليه وسلـم ـ فرصة لتعليم بعض المسلمين الكتابة لم يدعها تفوت دون أن يستفيد منها وذلك فى غزوة بدر ، حيث كان بعض اسرى قريش ممن يعرفون الكتابة ، فجعل فداء الواحد منهم من اسره ، أن يعلم عشرة من ابناء المسلمين الكتابة

وذكر ابن سعد فى طبقاته عن عامر الشعبى قال : أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر سبعين اسيرا ، وكان يفادى منهم على قدر اموالهم ، وكان اهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون . فمن لم يكن له فداء دفع اليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلمهم ، فاذا حذقوا فهو فداؤه .

وذكر أن زيد بن ثابت ـ احد كتاب الوحى ـ كان ممن علمه اسرى قريش . ومعنى هذا أن خطة النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن قائمة على مجرد «فك الخط» كما يقولون بل لابد من درجة «الحذق» والاتقان ، حتى لا ينسى ويرتد الى الأمية من جديد .

ولم يمنع النبى صلى الله عليه وسلم اختلاف الدين أن يأخذ من المشركين خير ما عندهم ، ولا سيما أن مجرد تعلم الكتابة لا يحمل ـ فى العـادة ـ فكرا ولا ثقافة ، ولا يتلون بلون المعلم

ولم يقف حث النبى صلى الله عليه وسلم على تعلم الكتابة عند الرجال فقط بل شمل النساء أيضا وقد علمت الشفاء بنت عبد الله ام المؤمنين حفصة بنت عمر الكتابة .

تعلم اللغـــات

ومن التعاليم المهيئة لايجاد مناخ علمى : تعلم لغات الآخرين عند الحاجة اليها . وخصوصا إذا كان عندهم علم يقتبس ، او اثر يحتذى ، فلا سبيل الى الاقتناع بما عند غيرك إذا جهلت لغته . ولم يمنع الاسلام من تعلم لغة الآخرين ، بل دعا إليها باعتباره وسيلة لنشر دعوته فى العالم . وذلك أن رسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسالة عالمية ، فهو ـ وان كان عربيا

الرسول والعلم التجريبي

والكتاب المنزل عليه عربى ، وقد ارسله الله بلسان قومه ليبين لهم ـ قد بعث للناس كافة «ليكون للعالمين نذيرا» وما ارسلناك الا رحمة للعالمين» «قل ياأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا» .

فلابد من تراجمة بينه وبين أرباب اللغات الاخرى ، حتى يمكنة تبليغ الدعوة اليهم ، وتلقى الاجابة منهم ، وقد كان عنده ـ صلى الله عليه وسلم ـ من اصحابه من يعرف الفارسية والروسية والرومية والحبشية ، ويكفيه هم الترجمة منها واليها ، ولكن لم يكن عنده من يعرف اللغة السريانية التى يكتب بها يهود ، فامر بذلك كاتب وحيه الانصارى النابغة زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ ليتقنها قراءة وكتابة ويستغنى بها عن الوسطاء من اليهود فى ذلك .

قال زيد : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتعلمت له كتاب يهود بالسريانية وقال : انى والله ما آمن يهود على كتابى ، فما مر لى نصف شهر حتى تعلمته وحذقته ، فكنت اكتب له اليهم ، واقرا له كتبهم ولعله كان على شىء من المعرفة بها من قبل حتى امكنه ان يحذقها فى هذه المدة القصيرة . ومن هنا حرص كثيرا من المسلمين على معرفة اللغات ، فترجموا منها واليها ، وقال فى ذلك الشاعر :

بقدر لغات المرء يكثر نفعه .
فتلك له عند الملمات أعوان .
فاقبل على دروس اللغات وحفظها .
فكل لسان فى الحقيقة إنسان

الاسلام والاحصاء

وإذا كان عصرنا يعتبر استخدام اسلوب الاحصاء من ابرز دلائل الطريقة العلمية فى معالجة الامور ، وهو فارق مميز بين العلميين والعشوائيين أو الغوغائيين من الناس فان النبى صلى الله عليه وسلم ، قد بادر الى الانتقاع بالاحصاء منذ عهد مبكر من اقامة دولته بالمدينة .

فقد روى البخارى ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : احصوا لى : كم يلفظ الاسلام .

وفى رواية للبخارى انه قال : أكتبوا لي من يلفظ بالاسلام من الناس . قال حذيفة فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل .

فهو احصاء كتابى يراد تدوينه وتثبيته ، وذلك ليعرف عليه الصلاة والسلام مقدار القوة البشرية الضاربة التى يستطيع بها أن يواجه اعداءه المتربصين به ، ولهذا كان الاحصاء للرجال فقط ، أى القادرين على القتال .

والاحصاء الذى تم فى عهد مبكر من حياة الدولة المسلمة وتم بامر من الرسول نفسه فى سهولة ويسر ، يرينا إلى اى حد يرحب الاسلام باستخدام الوسائل العلمية .

وفى مقابل هذا نجد فى «العهد القديم» أن احد انبياء بنى اسرائيل اراد أن يعمل لهم احصاء فنزلت عقوبة سماوية بهم !! كانما «الاحصاء» يمثل تحديا للقدر أو للأرادة الالهية ، وهذا ما استنبط منه الفيلسوف المعاصر الشهير «برتراند راسل» أن «التوراة» والكتاب المقدس لا يتيح مناخا مناسبا لانشاء عقلية علمية .

التخطيط

وإذا كان الاحصاء من دلائل الطريقة العلمية ، فالتخطيط كذلك ، بل هو اوضح دلالة عليها ، والتخطيط انما يعتمد على الاحصاء ، ويراد بالتخطيط وضع خطة لمواجهة احتمالات المستقبل .

ومن الناس من يتصورون أو يصورون الدين فى موقف المعارض او المناقض لفكرة التخطيط العلمى للمستقبل . وهذا من آثار الفكرة القديمة التى جعلت العلم مقابلا للايمان ، فهما ضدان لا يجتمعان ، أو خطان متوازيان لا يلتقيان .

والحقيقة ان فكرة الدين فى جوهرها قائمة على اساس التخطيط للمستقبل . ففيه ياخذ المرء المتدين من يومه لغده ، وبعبارة اخرى : من حياته لموته ، ومن دنياه لآخرته . ولابد له من أن يخطط حياته لنفسه منهاجا يوصله الى الغاية ، وهى رضوان الله ومثوبته .

ويظن آخرون أن التخطيط للغد ينافى التوكل على الله أو الايمان بقضائه وقدره . ولهذا يستبعدون كل الاستبعاد أن يقبل الدين فكرة التخطيط ، فضلا عن أن يوجه اليه ، أو يحث عليه .

والحق ان الذى يتعمق فى دراسة كتاب الله وسنة رسوله يتبين له انهما يرفضان الارتجال والعشوائية ، وترك الامور تجرى فى اعنتها بغير ضابط ولا رابط ولا نظام ، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن المتوكل على الله لا يعنى اطراح الاسباب أو إغفال السنن ، التى اقام الله عليها هذا الوجود . ولا يكاد مسلم يجهل قصة الاعرابى الذى جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وترك ناقته أمام المسجد قائلا : يارسول الله ، (أعقل ناقتى واتوكل ، أم اطلقها واتوكل ؟ فقال له : اعقلها وتوكل .

وقال الامام الطبرى يرد على من زعم أن تعاطى الاسباب يؤثر فى كمال التوكل «الحق أن من وثق بالله ، وايقن أن قضاءه عليه ماض ، لم يقدح فى توكله تعاطيه الأسباب ، اتباعا لسنته وسنة رسوله ، فقد ظاهر ـ صلى الله عليه وسلم بين درعين ، ولبس على رأسه المغفر ، وأقعد الرماة على فم الشعب ، وخندق حول المدينة وأذن فى الهجرة الى الحبشة ، والى المدينة ، وهاجر هو وتعاطى اسباب الأكل والشرب ، وادخر لأهله قوتهم ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء وهو كان احق الخلق أن يحصل له ذلك .

ومن قرا سيرته عليه الصلاة والسلام ، وجد انه كان يعد لكل أمر عدته ويهيىء له اسبابه ، وأهبته ، آخذا حذره ، مقدرا كافة الاحتمالات ، واضعا ما أمكنه من الاحتياطات ، وهو أنه كان أقوى المتوكلين على الله تعالى .

فهو حين أمر اصحابه ـ بعد ان اشتد ايذاء قريش لهم ـ بالهجرة الى الحبشة ، لم يكن هذا الأمر اعتباطا ، أو رمية من غير رام ، بل كان نتيجة معرفة بالظروف الجغرافية والدينية والسياسية للحبشة فى ذلك الوقت .

فلم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يامرهم بالهجرة الى مكان ـ مهما بعد ـ فى شبه الجزيرة العرب ، فان قريشا ـ بما لها من نفوذ دينى وادبى ـ تستطيع أن تلاحقهم

ولم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة ان يذهبوا الى بلد تحت سيطرة الفرس أو الروم ، حيث يحكمها اباطرة لا يقبلون مثل هذه الدعوة الجديدة .

ولم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة ان يذهبوا بعيدا الى بلاد مثل الهند والصين ، حيث تنقطع اخبارهم وتكون الهجرة مهلكة لهم .

لقد كانت الحبشة هى المكان المناسب جغرافيا ، فهو ليس جد بعيد ، ولا جد قريب ، بل بينه وبين قريش بحر .

وكانت الحبشة هى المكان المناسب دينيا ، فقد كانوا اهل كتاب من النصارى الذين يعدون اقرب مودة للمسلمين .

وكانت الحبشة هى المكان المناسب سياسياً ، فقد كان يحكمها رجل اشتهر بالعدل والنصفة ، ولهذا قال الرسول لأصحابه « ان بها ملكاً أرجو الا تظلموا عنده » .

وهذا يدلنا على أن الرسول واصحابه لم يكونوا فى عزلة عن العالم من حولهم رغم صعوبة المواصلات بين الأقطار بعضها وبعض

ويدل على ذلك ايضا موقفهم من حرب الفرس والروم ، وما كان من جدل بين المسلمين والمشركين فى هذا ، مما نزلت فيه أوائل سورة «الروم» غلبت الروم فى ادنى الأرض وهم من بعد سيغلبون » .

وهكذا .. فقد كانوا ــ وهم فى فجر الدعوة ورغم الضعف والاضطهاد ــ على صلة بالصراع العالمى بين الدولتين العظميين فى ذلك العصر ، أو المعسكرين الكبيرين الشرقى والغربى .

واوضح من ذلك موقفه صلى الله عليه وسلم فى هجرته الى المدينة ، ففيها يتجلى التخطيط العلمى ، والتوكل الايمانى جنبا الى جنب .

ولقد اعد عليه الصلاة والسلام من جانبه كل ما يستطيع البشر اعداده من الوسائل والاحتياطات والمعينات .

لقد اطمان الى المهجر الذى سينتقل إليه ، بعد أن بايع المؤمنين من الأوس والخزرج بيعة العقبة الاولى والثانية ، واشترط لنفسه أن يمنعوه مما يمنعون من انفسهم وذراريهم .

واطمان الى الرفيق الذى سيصاحبه فى رحلته الجاهدة بما فيها من اخطار ، وما تحمله من مفاجآت ، ولم يكن هناك افضل من ابى بكر الصاحب الأول والمؤمن الأول ــ رفيقا .

واطمان الى الفدائى الذى سيبيت مكانه ، معرضا نفسه لاحتمالات الخطر ، وغدرات المتربصين ، ولم يكن ثم افضل من على فارس الاسلام لهذه المهمة .

ورتب الدليل الذى يدله على الطريق وما فيه من منعطفات ومخابىء يمكن أن تضلل عنه أعين الطالبين ، فكان مشركا أمينا هو عبد الله بن اريقط .. وهو ما اخذ منه الفقهاء جواز الاستعانة بالخبرة الفنية غير الاسلامية ، بشرط الاطمئنان والامان .

وهيا الرواحل التى سيمتطيها هو وصاحبه ودليله فى سفرهم الطويل ، واتفقوا على المكان الموعود الذى يستلقون به الركائب .

وتخير المخبا الذى يختفى فيه أياما معدودة ، حتى تخف حدة الطلب ، ويتملك القوم الياس ، واختاره فى غير طريق المدينة زيادة فى التعمية على القوم ، فكان غار ثور .

واعد فريق الخدمة الذى سياتى بالزاد والانباء خلال ايام الاختفاء ، فكانت اسماء وعبد الله بن ابى بكر ، ومن بعدهما عامر بن فهيرة مولى ابى بكر ياتى بغنمه فيحلبون منها ، ويعفى على آثار اسماء وعبد الله .

خطة محكمة الحلقات ، متقنة التدبير ، لم تترك فيها فجوة دون ان تملأ ، ولا ثغرة دون أن تسد ، ووضع فيها كل جندى فى دوره المناسب لظروفه وقدراته ، فدور أبى بكر ، غير دور على ، غير دور اسماء ، وكل فى موقعه الصحيح .

ومع هذا الاحكام الدقيق ، كادت الخطة تخفق واستطاع المشركون أن يصلوا الى الغار ، ويقفوا على بابه ، وكان يكفى لكشف الأمر وافساد الخطة ، أن ينظر احد القوم تحت قدميه ، ليرى الرسول وصاحبه فى الغار ، وهذا ما خشيه ابو بكر ، وصرح به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال له كلمته المؤمنة الواثقة : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ؟ «لاتحزن ، إن الله معنا » .

وهنا تجلى دور «المتوكل» الحق ، فبعد أن يبذل الانسان ما فى وسعه ، ويتخذ من الاسباب والخطط ما يقدر عليه ، يدع ما لايقدر عليه من مفاجآت القدر ، لله وحده وهنا تقع «إن الله معنا» موقعها ، وتؤتى اكلها .

منطق التجربة

ولعل أظهر ما يميز «العلم» بالمفهوم العصرى أو الغربى : أنه لا يقوم على المنطق الشكلى أو

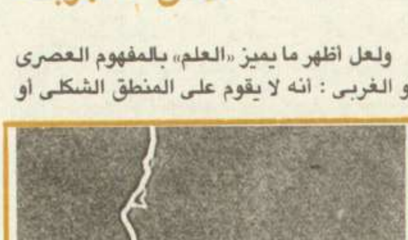

الصورى أو القياسى الذى ينسب الى أرسطو ، وانما يقوم على منطق الملاحظة والتجربة ، ويخضع فى نتائجه لما تاتيان به . ولهذا يسمى «العلم التجريبى» ويسمى منهجه «المنهج التجريبى» .

وهنا ايضا نجد الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ سبق الى اقرار مبدأ التجربة فى الامور الدنيوية الفنية ، مثل امور الزراعة والصناعة والطب وما شكلها . فما أثبتت التجربة نفعه فى هذا فهو مطلوب شرعا ، وما أثبتت ضرره فهو مرفوض شرعا .

واوضح مثال لهذا المبدأ : موقفه عليه الصلاة والسلام من قضية تابير النخل ، حيث رأى اصحابه من الانصار يفعلون ذلك ، ولم يكن له بذلك عهد ، حيث نشا بمكة وهى واد غير ذى زرع فقال لهم كلمة من باب الظن والتخمين ، يشير بها الى ان هذا العمل لا ضرورة له . وفهم الانصار منها أنها من امر الوحى والدين الذى لا يجوز مخالفته . فتركوا التابير ، فخرج التمر رديئا .

فبين لهم : ان فى هذه الشئون الدنيوية يتكلم من واقع خبرته المحدودة لا بلسان الوحى الالهى ، وان هذه الأمور متروكة لهم فهم ادرى واعلم .

والقصة فى صحيح مسلم وغيره ، رواها عدد من الصحابة منهم طلحة بن عبيد الله ورافع بن خديج وعائشة وأنس رضى الله عنهم .

ففى المسند عن طلحة رضى الله عنه قال : مررت مع النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى نخل المدينة ، فرأى اقواماً فى رؤوس النخل ، فقال : ما يصنع هؤلاء ؟ قال ياخذون من الذكر فيحطون فى الأنثى يلقحون به فقال : ما أظن ذلك يغنى شيئا . فبلغهم ، فتركوه ونزلوا عنها ، فلم تحمل تلك السنة شيئا . فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : انما هو ظن ظننته ، ان كان يغنى شيئا فاصنعوا ، فانما انا بشر مثلكم ، والظن يخطىء ويصيب ، ولكن ما قلت لكم : قال الله عز وجل ، فلن أكذب على اللـه .

وفى صحيح مسلم من رواية رافع بن خديج انه قال لهم : « انما انا بشر اذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشىء من رأى فانما انا بشر » .

وفيه من رواية عائشة وانس : أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم بعد أن خرج التمر شيصا ــ بسرا رديئاــ مالنخلكم ؟! قالوا : قلت كذا وكذا . قال : «انتم أعلم بأمر دنياكم » . ومعنى هذا : ان الناس فى أمر الدنيا إنما يخضعون للمشاهدة والتجربة . فهذا هو القانون الذى يجب اتباعه . ولم ينزل الوحى ليضع للناس قواعد أو احكاما فى هذه الشئون . فهم متركون فيها لثمرات عقولهم وممارساتهم . وحسبهم هذه الكلمة الجليلة « انتم اعلم بأمر دنياكم » .

د. يوسف القرضاوى

الأزهر

عقبات في طريق تطويره

د. محمد البهي

صدر القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشان اعادة تنظيم الازهر والهيئات التي يشملها • ونيط بي في نفس السنة بوصفي أول مدير لجامعة الازهر في عهدها الجديد بعد صدور هذا القانون : تنفيذ هذا القانون في دائرة الجامعة :

● في تصنيف الكليات ، وانشاء الجديد منها •

● وفي تحديد عدد الاساتذة في كل كلية ، حسب التخصصات فيها ، وتحديد المواصفات العلمية والمؤهلات الدراسية والانتاجية في التاليف لشغل درجات الاساتذة في الميزانية الجديدة للجامعة ، سواء بالنقل اليها من الحاصلين فعلا في الكليات التقليدية على لقب « أستاذ » •• أو عن طريق الاعلان ، أو النقل من احدى الجامعات في مصر •

● وفي التخطيط لاحتياجات الجامعة من المدرسين والاساتذة في المستقبل ، والدرجات العلمية التي يجب أن يكونوا حاصلين عليها •• وكذلك للطلاب الذين يقبلون في كلياتها سواء من المتخرجين في المعاهد الازهرية ، أو الناجحين في الثانوية العامة في وزارة التربية والتعليم •• وأخيرا في الكتاب الجامعي وما يجب أن يكون عليه من توجيه لتخريج باحث صاحب منهج علمي في بحوثه، أو لتخريج صاحب مهنة يجيد أداءها •

في تصنيف الكليات وانشاء الجديد منها : اعيدت كليات : أصول الدين والشريعة •• واللغة العربية •• وضمت اليها كليات : المعاملة والادارة والهندسة •• والصناعة •• وكلية الزراعة •• وكلية الطب •• وكلية البنات الاسلامية ، على أن تنشأ هذه الكلية الاخيرة من أقسام عديدة لتكون نواة لجامعة البنات الاسلامية في العالم الاسلامي كله • وعنيت عناية خاصة بهذه الكلية في اختيار موقعها، والعميدة التي تشرف عليها فاخترت الموقع في ضاحية المعادي ، واستأجرت لها عدة « قصور » حتى يقام لها مبنى جديد • وعينت لعمادتها سيدة فاضلة أستاذة التاريخ في كلية الآداب بالقاهرة وهي معروفة بتدينها وسلوكها المستقيم ومحافظتها على الآداب والاخلاق السامية •

هذه الكلية : كان الاقبال عليها شديدا من الاسر العريقة في مصر • ومن كبار الشخصيات في محافظات عديدة ، مما يدل على مكانة الاسلام في نفوسهم •• وعلى أن قبولهم لارسال بناتهم الى مدارس وزارة التربية والتعليم وبالأخص المشترك منها بين البنين والبنات ، هو قبول قائم على الاكراه ، وليس على الرغبة• والحكم الوطني في المجتمعات الاسلامية لم يزل حتى اليوم – تحت مشورة الاجنبي – يخشى الاسلام ومعاهده • وبالأخص المجتمع الذي يقوم فيه الازهر •

وتبعا لانشاء كلية البنات الاسلامية : تعدد انشاء المعاهد الازهرية للفتيات في أقاليم مصر • واصبحت هذه المعاهد الرافد الاكبر لهذه الكليات • وتعددت الاقسام في هذه الكلية وتطورت حتى كادت تكون كليات داخل كلية • ففيها الآن أقسام : الطب •• والتجارة •• والعلوم •• والصيدلة •• والشريعة• واللغة العربية •• والدراسات الاسلامية •• وغيرها ••

وابتدأ الآن مسخها • فلم تعد تسمى « كلية البنات الاسلامية » وحذف منها الانتساب الى الاسلام • واصبح يطلق عليها : كلية الدراسات « الانسانية » • وهذا التحويل قصد به « فك » ارتباط التعليم فيها عن الاسلام وتوجيه النظر الى أن « الانسانيات » هي العوض عما كان يسمى بالاسلام • فهو اسم عصري !!•

وليت الامر يكون على هذا النحو في واقعه • فالدراسات الانسانية المعاصرة لا تحرص على القيم الانسانية في علاقات الناس بعضهم ببعض وفي توجيه الانسان ، كما يحرص الاسلام عليها في دعوته التي تنادي بالانتقال من طغيان المادية •• الى القيم الانسانية العليا • ومن أجل ذلك اذا كان هناك أمر يطلق عليه « انساني » فهو الاسلام وليست الدراسات الانسانية المعربة عن كتاب الماسونية • والمستشرقين •• والملحدين •

وفي تحديد الاساتذة في الكليات التقليدية التي أعيد انشاؤها في ظل قانون التطوير ، وهي كليات : أصول الدين •• والشريعة •• واللغة العربية ، خير القائمون على التدريس فيها بين البقاء في درجاتهم المالية الحالية •• أو الانتقال الى الدرجات الخاصة بكادر الاساتذة الجدد ، حسب قانون التطوير • والفرق بين الوضعين من الجانب المالي هو خمسة جنيهات شهرية في الكادر الجديد • ولكن النقل من القديم الى الجديد يتطلب

● الدراسات الإنسانية المعاصرة لا تحرص على القيم الإنسانية

● من أسباب الضعف: البقاء في دائرة المألوف .. والتكرار

أن يكون المنتقل صاحب بحوث ومؤلفات علمية • وليست معرفته قاصرة على كتب التراث • ومن لم تكن له مؤلفات ويريد أن يؤلف، فالجامعة تعطيه أجازة سنة دراسية يتفرغ فيها للتأليف، ولا يشغل نفسه بالقاء محاضرات او دروس • ولكن تحكم الرغبة « التواكلية » •• حملت الجامعة – بعد أن تركتها – على الاخذ بالسن والقدم في الوظيفة : في النقل، بدلا من المؤلف والبحث، لشغل الدرجات العلمية الجديدة في الكليات الثلاث •

واذا كانت هناك شكوى الآن من ضعف التعليم والتوجيه في هذه الكليات الثلاث بين المتخرجين فيها وفي هيئات التدريس فيها : فمرجع هذا الضعف : الى البقاء في دائرة المالوف، في تكراره •• وفي عدم مناقشته •• وفي الالتزام بأقوال جاءت فيسه، كثيرا ما تذهب بالقيمة الفعلية لمبادىء القرآن، كمنهج لحياة الانسان صاحب طبيعة مركبة من حكمة وهوى، وعقل وشهوة ••

رواسب من التقاليد

والكليات التقليدية الثلاث رغم صدور قوانين ونظم عديدة لتطويرها لم تزل الدراسة في الموضوعات المختلفة فيها على ما كانت عليه،

منذ أوائل هذا القرن العشرين • أو بعبارة أخرى : منذ أن دخل « النظام » في الازهر سنة ١٩١٠ •

ان الدراسة في الازهر قبل « النظام » سنة ١٩١٠ كانت تعتمد

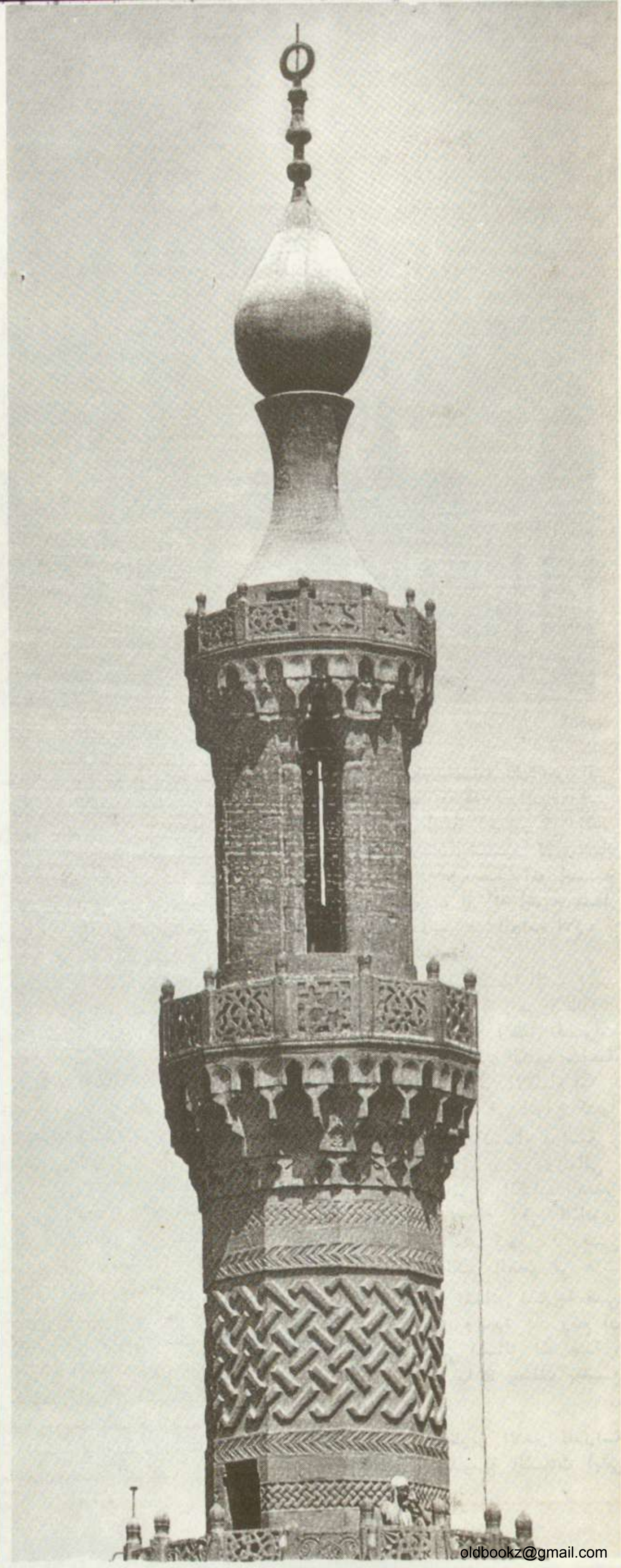

● للمادة الواحدة أكثر من أستاذ يبدأ بالكتاب الصغير وينتهي بالكتاب الكبير

● بعض الأقلام تنادي بفصل الكليات العلمية والعملية بجامعة الأزهر

على « الاستاذ » فهناك مواد دراسية وهناك كتب عديدة لمواد هذه الدراسة ، تختلف في الحجم وان لم تختلف في النوع ٠ هناك مواد : التوحيد ٠٠ والتفسير ٠٠ والحديث ٠ والفقه ٠٠ وأصول الفقه ٠٠ والبلاغة ٠٠ والنحو والصرف ٠ وهذه هي المواد الرئيسية التي كانت تدرس في الازهر ، قبل « النظام » وبعد « النظام » : في ظل نظام « القسم العالي » والتخصص الذي أنشيء سنة ١٩٢٥ ٠٠ وفي ظل قانون الكليات في سنة ١٩٣٠ الذي قسم دراسة القسم العالي الى ثلاث كليات : أصول الدين ٠٠ والشريعة ٠٠ واللغة العربية ٠٠ وفي ظل قانون ١٩٣٦ الذي أبقى هذه الكليات مع تغيير نظام التخصص الى ما أسماه « بتخصص المادة » ٠٠ أو في ظل قانون التطوير ١٩٦١ الذي أجاز كذلك انشاء الكليات الثلاث ، مع الحاق كادر الاساتذة فيها بكادر الجامعات الاخرى في مصر ٠

ومعنى اعتماد الدراسة في الازهر قبل النظام على « الاستاذ » ٠٠ ان الاستاذ كان العمود الفقري الذي يرتبط به تدريس المادة ٠٠ والكتاب والطالب ٠٠ فللمادة الواحدة أكثر من أستاذ يبتديء كل منهم بتدريس الكتاب الصغير في الحجم الى الكتاب المتوسط في الحجم أيضا ٠٠ الى الكتاب الكبير أو الواسع في المادة ذاتها ٠ وكبر هذا الكتاب أو سعته تتضمن الشرح على نص المتن في المادة ، والتقرير على الشرح ٠ فالكتاب الصغير ان بقى في حدود النص للمتن ٠٠ فالكتاب المتوسط الحجم يضم الى نص المتن : شرحا له ٠٠ بينما الكتاب الكبير يضم الثلاثة أنواع : المتن ، والشرح ، والتعليق على الشرح ٠ وجوهر الكتب الثلاثة : الصغير ٠٠ والمتوسط ٠٠ والكبير : واحد في المادة ٠٠ وفي عدد موضوعاتها ٠ وكذلك واحد في أسلوب المعالجة والمناقشة والحجية ، وان كان في اختصار أو في تطويل ٠

الجامع الازهر بالقاهرة

والاستاذ اذ يبتدىء في تدريس المادة وفي الكتاب الصغير الحجم فيها ٠٠ يظل عدة سنوات قد تزيد على العشر منها في تدريس باقي الكتب حتى ينتهي منها ٠ وعندما ينتهي من تدريسها له الحق عندئذ في أن يمنح بعض الطلاب الذين خبرهم في التلقي عليه : « اجازة » تدريسها ٠ والطالب اذن مجاز في أن يدرس كتب المادة لطلاب آخرين ، على نمط أستاذه : باذن الاستاذ وليس باذن الادارة ٠

وبينما « الأجازة » في التدريس تتوقف على اذن الاستاذ ، فالطالب هو الذي يختار أستاذه ، ويختار الكتاب في المادة الذي يريد أن يدرسه مع أستاذه ٠ فهو يختار أستاذ « التوحيد » مثلا من بين عدد من الاساتذة يقومون بتدريس التوحيد ٠٠ ويختار الكتاب الصغير ، أو المتوسط ، أو الكبير في المادة على حسب حاجته في المعرفة ٠ والطالب عندئذ مرتبط بالاستاذ وبالكتاب ، وليس بصف معين ولا بقسم معين في الدراسة ٠ ولا يكلف بالتزام السماع لأستاذ معين ٠ وانما خصائص الاستاذ من : سعة الفهم ، ووضوح الحجة في المنطق ، وحسن التركيب في اللغة ، واجادة الالمام بالمادة كلها هي التي تجعل الطالب يفضله ، أستاذا في مادة ٠٠ عن أستاذ آخر في نفس المادة ٠ وكان يقرن الاستاذ « بالعمود » : على معنى انه أصبح « صاحب عمود » أو أنه أصبح يشغل مكانا في التدريس في الجامع الازهر ، عن جدارة واستحقاق ٠

وعندما حول هذا النوع من التدريس الى « نظام » رأعي النظام : المادة ٠٠ والكتاب ٠ وجعل السنوات التي يستغرقها تدريس الكتب صاحبة الأحجام الثلاثة : أساس الاقسام فيه ، فقسم تدريس المادة في أنواع كتبها الثلاثة الى ثلاثة أقسام دراسية : الابتدائي ٠٠ والثانوي ٠٠ والعالي ٠ وجعل في الابتدائي : الكتاب الصغير الحجم في المادة ٠٠ وفي الثانوي الكتاب المتوسط الحجم فيها ٠٠ وفي العالي الكتاب الكبير الحجم في ذات المادة ٠ **مع أن المسائل المدرجة في الانواع الثلاثة : واحدة ٠٠ ومع أن طبيعة النقاش في المسائل المدرجة ، وطبيعة العرض لها لا يختلف بعضه عن بعض ٠**

حتى في التطوير الاخير للدراسة في الكليات التقليدية الثلاث أبقى

● قانون التطوير في أقسام الدراسات المختلفة لم يطبق إيجابيا حتى اللحظة!

هذا التطوير : لنوع ثالث من الكتب وهو النوع الاخير أو الذي كان يدرس حسب حجمه في القسم العالي ، قبل انشاء الكليات سنة ١٩٣٠ او وزعه بين الكلية وتخصص المادة • والابقاء على نفس هذه الكتب والاحتفاظ بها منذ قبل « النظام » حتى الآن : جعل لها شبه قداسة وجعل الرأي فيها لا يعارض • ومن هنا ظل معنى « التطوير » بعيدا عن الدراسة في الكليات التقليدية في الازهر • وكان ينتظر من التطوير : أن ترجع حركة التدريس لما يسمى بالمواد الرئيسية في هذه الكليات : الى كتاب الله مباشرة • وهو القرآن كما كان يطالب محمد ابن تيمية ، وكما تطالب الحركة الاصلاحية التي قادها جمال الدين الافغاني ، ومحمد عبده ، على أساس الرجوع الى كتاب الله والالتزام به قبل الالتزام بكتب المؤلفين وبالأخص كتب المتأخرين منهم • ومعنى ذلك : أن تناقش كتب التوحيد والاصول ، والتفسير ، والفقه ، مثلا ، وما جاء فيها من آراء مذهبية ، أو طائفية : في ضوء القرآن كمنهج لسلوك الانسان المؤمن ، واعتقاده •

واذا كان « الاستاذ » فيما قبل « النظام » في الازهر هو « المركز » الذي تدور حوله الدراسة ، ومحور اختيار الطلاب له في التلقي عليه : فان ذلك كان يدفع الى تعميق العلاقة بين الاستاذ والطالب ، وفي الوقت نفسه يحمل الطالب على التحصيل واتباع أسلوب الحجة الذي يسلكه استاذه وأستاذه عندئذ مثله الاعلى • وهذا النوع من العلاقة لم يصل اليه « النظام » ولا التطوير للازهر في يوم من الايام • فالاستاذ فيما بعد النظام : مفروض على الطالب •• والكتاب كذلك مفروض على الطالب • وقد لا يجيد الاستاذ تدريس الكتاب• وقد لا يكون الكتاب متكافئا مع سن الطالب أو مع مستواه العقلي ، أو مستواه في التحصيل •

الكليات العلمية

أما الكليات غير التقليدية ، وهي

الشيخ محمد عبده

جمال الدين الافغانى

ما تسمى بالكليات العلمية أو العملية، ، فاني أذكر للتاريخ : ان الاستاذ الدكتور محمد سليمان – كان وكيلا لمدير الجامعة – قام باختياره الاساتذة لها ممن لهم سمعة طيبة في تدينهم وفي سلوكهم الشخصي ، وفي مستوياتهم العلمية • فقد شغل وظيفة الامين العام للجامعات المصرية فترة مكنته من الوقوف على أحوال الاساتذة في الكليات المختلفة في مصر وبالأخص أنه كان قبل شغله لوظيفة الامين العام للجامعات ، ثم الوكالة لجامعة الازهر: أستاذا في كلية طب القصر العيني بالقاهرة وله أصدقاء ومعارف عديدون • والله يجزيه على هذا الاختيار خير الجزاء •

والطلاب الذين كانوا يقيدون في سجلات الكليات العلمية والعملية بجامعة الازهر بعد صدور قانون رقم ١٠٣ اتوا من أول الامر جميعا من المدارس الثانوية التابعة لوزارة التربية والتعليم • الى أن تخرج المعاهد الازهرية للبنين والبنات من القسم العلمي في الدراسة الثانوية الحاصلين على شهادة الثانوية • وبعد أن خرجت هذه المعاهد أصبح المتخرجون فيها أصحاب الحق الاول في القبول في كليات الجامعة العلمية والعملية • ثم قصر الآن القبول عليهم وحدهم لكثرة عددهم ، بعد أن كثر عدد المعاهد للبنين والبنات •

وكذلك الشأن مع القبول في كلية البنات الاسلامية • مع كثرة عدد معاهد الفتيات في القاهرة والمدن الكبرى والاقاليم في مصر •• وكثرة المتخرجات منها : أصبح القبول الآن في الاقسام العديدة في كلية البنات وهي كلية جامعة لكل أنواع الدراسات العالية والعليا قاصرا على الطالبات الأزهريات من الحاصلات على الشهادة الثانوية في معاهد الفتيات الأزهرية•

ولأن الدراسة في جامعة الأزهر قاصرة على الطلاب المسلمين والطالبات المسلمات من الداخل والخارج وحدهن: يخشى بعض من يحقد على مصر الاسلامية من زيادة الأعداد التي تتخرج في كليات الجامعة العلمية والعملية وبذلك يختل بهذه الزيادة : النسبة القائمة حاليا بين أصحاب الدرجات العلمية في الاقلية والاكثرية المسلمة !!•• والوضع القائم قبل انشاء الكليات العلمية والعملية في جامعة الازهر كان وضعا يكاد يكون التفوق فيه واضحا في جانب الاقلية •

وفي الوقت الحاضر تعددت الاقلام في بعض الصحف تنادي بفصل الكليات العلمية والعملية ، بجامعة الازهر ، وجمعها في جامعة جديدة لا تحمل اسم الازهر ، حتى يقبل فيها غير المسلم والمسلم على السواء • وبهذا الفصل يتحقق ما يسمى « بتكافؤ الفرص » •

ولكن ينسى أصحاب هذه الاقلام أن تمويل الازهر بجامعته ، ومعاهده : من أوقاف المسلمين • وليس من الدولة التي ينطوي غير المسلمين تحت ولايتها الرسمية• هذه المعاهد أصبح

وغفل كذلك هؤلاء المطالبون بفصل الكليات العلمية والعملية عن حاجة الازهر الآن : عن أن الفصل سيكون سببا في اغلاق المعاهد الازهرية للفتيات والفتيان على السواء : الاعدادية •• والثانوية • وكذلك سببا في اغلاق الاقسام العديدة في كلية البنات الاسلامية وذلك للارتباط الشديد بين هذه المعاهد من جانب والكليات الجامعة في الازهر من جانب

● هناك ضعف مستوى الكفاية في إدارة وتصريف شئون الجامعة

● الأزهر في حاجة ماسة إلى استقلاله في التمويل وخطة التوجيه

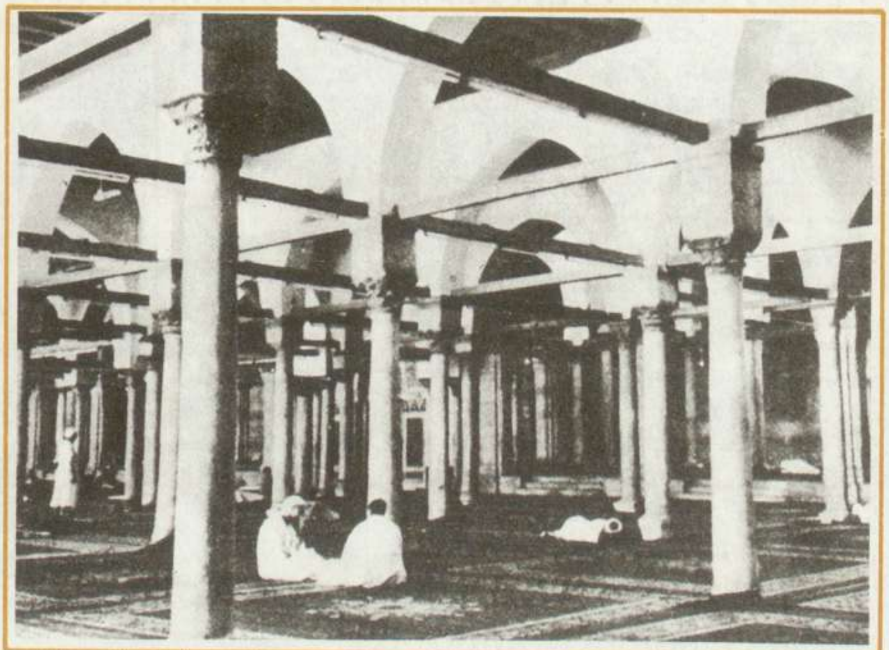

الجامع الازهر بالقاهرة

آخر · فالكليات العلمية والعملية بجامعة الازهر أصبحت قاصرة على طلاب المعاهد الازهرية وطالباتها

فاذا اتصلت هذه الكليات أصبحت البنت المسلمة لا تجد لها مكانا الا مع الطلاب وبينهم في كلية مختلطة غريبة عن الازهر ، وعما يريده الاسلام من عدم السفور للمرأة ·

ان الحقد على رسالة الازهر ··

وان الضعف لدي بعض الموجهين ·· وان الاستسلام لفتنة الصليبية الدولية : هو الذي يدفع الى ظهور فكرة « الفصل » من وقت لآخر بين الديني والعلماني في جامعة الازهر ·

عقبات في طريق التطوير

والعقبات التي تقف في طريق التطوير للأزهر اذن : متنوعة · هناك بعض الرواسب من التقاليد في منهج الدراسة في علوم الدين واللغة ·· هناك الارتباط بمنهج كتب معينة وبمؤلفين معينين في هذه العلوم ·· هناك الالتزام بأقوالهم والوقوف عندها دون الاحتكام الى كتاب الله ، وسنة رسوله الصحيحة عليه الصلاة والسلام · ولا يمكن اجتياز هذه العقبة الا بعد فهم واضح لرسالة الاسلام ككل ·

هناك أيضا من العقبات : ضعف مستوى الكفاية في ادارة وتصريف شئون الجامعة ··· هناك من يضعف أمام تحدي بعض عمداء هذه الكليات في اتجاههم العلماني ، ان بعضهم اتجه اليه ·

الازهر في حاجة ماسة الى استقلاله في التمويل ·· استقلاله في خطة التوجيه استقلاله عن التبعية السياسية استقلاله في التعبير عن رأي الاسلام ، ودراسة الاسلام وعرضه ، والدفاع عنه ·

والاستقلال الذي أتى به قانون التطوير في أقسام الدراسات المختلفة لم يستغل استغلالا ايجابيا حتى هذه اللحظة ·· وانما استخدم في تحقيق رغبات ·· أو في تحقيق بعض المصالح الخاصة ·

د· محمد البهي

انسان كبقية الناس

● افتح ذراعي مهللا في فرح غامر لكل انسان يدفعه طموحه المشروع الى ان يحرز نجاحا بعد نجاحه ·· واشعر بالاسى الحقيقي لمن يمنحه الله رزقا وعافية لكنه يظل يطالع الناس ساخطا غير قانع لا يعرف الى الرضا سبيلا · نعمة عظمى ان يكون الانسان شكورا يحمد الله على ما ناله ويشكره تعالى على ما يقدر له تقديرا · هناك من يواتيه الحظ الوافر لكنه لا يرضى ·ومن ترفعه الحياة فيقابل النعمة بالنكران ، ومن تمد اليه يدك بالمساعدة فيعضها في أول فرصة ·

لهؤلاء ادعو بالهداية وسماحة النفس وادعو لمن يمشي في الارض مزهوا بنفسه ان يصيبه التواضع فيجعله (انسانا) كبقية الناس يمشي على التراب واثقا بنفسه لكنه يمشي خافضا جناحيه للضعفاء باسطا يده للبائسين ومن لا يسأل انسانا آخر وهو في اشد الحاجة الى كسرة من خبز جاف ·

الله والإنسان

د. عون الشّريف قاسم

العبارة التى اوردها الكاتب الروسى دوستيوفسكى على لسان احدى شخصيات روايته التى تقول (اذا كان اللـه غير موجود فكل شىء مباح) تلخص فى ايجاز بديع الموقف المريح الذى توسلت به المادية الحديثة لحل قضية الصراع الابدى الدائر فى كل نفس بشرية بين نوازعها ورغباتها الحسية من جانب ، وبين دوافعها وتطلعاتها الروحية من جانب آخر .

فالمادية بالغائها لوجود الله لم تزعزع أسس العقيدة الدينية فحسب ، بل حسمت هذا الصراع الدائم لصالح النوازع والرغبات الحسية ، فتصبح بذلك مدار سعى الانسان ، فان من حرم التطلع إلى الاعلى محكوم عليه بالنظر دوما الى الاسفل . وفى ذلك حرف كبير لجهاد الانسان عن غايته ، التى هى الاقتراب ما أمكنه ذلك من صورة الكمال الانسانى التى ترشحه لخلافة اللـه على الأرض . ومدار هذا الجهاد الدائم السعى المتواصل لترقية ملكات الانسان العقلية والروحية ، وتدعيم شخصيته الخلقية ولا يتم له ذلك إلا بتغليب جوانب الخير فيه على جوانب الشر باحداث التوازن السوى بين غرائزه الفطرية التى تدفعه الى اشباع نهمه الى القوة والسلطة والمال والجنس وما إليه ، وبين الضوابط والكوابح التى تنزع به إلى التوسط فى كل ذلك ، وتدفعه إلى توجيه ما فاض من هذه الطاقات الفطرية والتسامى بها لبناء الانسان فى داخله .

بين الانسان والحيوان

وليس ذلك بالأمر الهين ، لما فيه من تضحيات جسيمة ، وحرمان ومغالبة للحيوان الشرس فى داخلنا ، بغرض تطويعه ، ليصبح الوحش الكاسر انسانا فاضلا ذا قيم ومثل ، ولذلك لا عجب أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين رجعوا من ميدان المعركة (رجعنا من الجهاد الاصغر ، الى الجهاد الأكبر) أى جهاد النفس . وبناء الانسان الداخلى بهذه الطريقة هو المؤشر الحقيقى الذى يحكم مسار التقدم .

وليس هنالك من جديد يضيفه العصر الحديث بكل مايزحم الدنيا من متع ولذات وأدوات الى هذه القضية الاساسية التى يرتكز عليها النشاط الدينى فى حياة البشر . فان الانسان حيوان تتبلد احساسيه كلما أغرق فى ملذات الحس ، مثله مثل بقية الحيوانات التى تمتاز عليه فى هذه الناحية بضوابط الغريزة الفطرية . فان معظم الحيوانات كما هو مشاهد لا تسرف فى الملذات إسراف الانسان . وانما تأكل وتشرب حين تجوع وتعطش وتقف فى معظم الاحوال عند حدود الشبع والرى بدافع من الغريزة . أما الانسان فان ضابطه فى كثير من شهواته ورغباته ليس فطريا . وانما هو صناعي . مداره العقل والوجدان والضمير ، التى تعتمد عليها شخصية الانسان الخلقية

وبقدر ما ينجح الانسان فى كفكفة شهواته ، وردع غرائزه الفطرية ، وتوجيهها الوجهة التى تحقق سعادته الفردية ، وينجم عنها خير المجموعة التى يعيش وسطها ، بقدر ما ينجح فى ذلك ، تنمو فى نفسه هذه القدرة على التحكم على دوافعه وغرائزه ، فيرتفع من منزلة الحيوانية ، ويسمو إلى مرتبة الانسان . ولطغيان الغرائز الحيوانية الفطرية على تكوين الانسان كان لها فى معظم الاحوال الغلبة على ما سواها من المشاعر والعواطف التى هى مصدر انسانية الانسان ، ومن ثم كان الانسان فى الحياة البشرية عامة أمرا مصطنعا ، هش التكوين ، سرعان ما يتلاشى ويذوب فى أوقات الازمات التى تنهار فيها الضوابط الاجتماعية ، فيعود الانسان حيوانا مشرع الظفر والناب كبقية الحيوانات أو أضل سبيلا ، كما كشفت ذلك الدراسات النفسية اثناء الحروب وظروف الاضطراب الاجتماعى ، ولعله لغلبة الحيوانية فى نفس الانسان ، وضعف الانسانية فيها ، جعل الله جزاء السيئة سيئة مثلها ، للطبع المغروس ، وجزاء الحسنة عشرة أمثالها ، لمغالبة الطبع والانتصار عليه .

بين الثابت والمتغير

ومن ذلك نتبين أن الحيوانية فينا أمر ثابت راسخ ، ولكن الانسانية فينا أمر طارىء

الدين والإنسان

عارض ، لا تستقر وتثبت إلا بمداومة المجاهدة ، والمراقبة لحياة الروح والوجدان حتى تقوى المشاعر الانسانية ، ويشتد عودها ، فتصبح بطول الممارسة والتدريب والمداومة طبيعة ثانية للانسان .

ولكن ظروف الحياة الاجتماعية وما يكتنفها من صراع وصدام ، وتناقض بين المصالح ، خاصة حين يتعقد التكوين الاجتماعى كما هو الحال فى المجتمعات الصناعية الحديثة ، تجعل من سعى الانسان للمحافظة على العنصر الانسانى فيه أمرا بالغ الصعوبة . ويمكن للمرء هنا أن يستعير من الوجوديين، تعبيرهم القائل بأن شخصية الانسان فى خلق دائم .

وما لم يركز الانسان كل قواه الروحية والفكرية لمراقبة نفسه ولكبح نوازعه فان طبيعة الحياة حوله تشجع الحيوان فيه على الاغراق فى كل الملذات والمتع والشهوات التى يفيض بها مجتمع الاستهلاك الحديث . وامكانيات الانسان محدودة ، مهما أوتى من نعم ، ولكن حاجاته ورغباته متى اطلق لها العنان لا حدود لها ولا ضابط ، إلا ذلك القدر الصناعى من العنصر الانسانى الذى يتعرض فى المجتمع الحديث لخطر الازالة والذوبان أمام مغريات الحس . ولحاجة الانسان الى التذكير الدائم بهذا الخطر المحدق بانسانيته ، ولكى لا ينصرف بكيانه لزحمة الحياة من حوله، فينمو الحيوان فيه على حساب الانسان ، كانت الشعائر الدينية رمزا لتذكير الانسان بعنصره الروحى الذى يرتفع به من الحيوانيه الى الانسانية المستمدة من روح الله .

وكانت الصلاة فى الاسلام عماد الدين لأنها تنزع الانسان من زحمة الحياة وضجيجها الذى يبلد الاحساس خمس مرات فى اليوم ليتجدد احساسه بانسانيته ، وتتغذى روحه بشحنة من التأمل والتجرد والنظر الى داخل النفس ، حيث تقوى صلة الانسان بربه ، ليعود الى الحياة بشخصية إنسانية متجددة ، وهو اقوى واقدر على مواجهة الامتحان الدائم ، الذى بينه الله سبحانه وتعالى فى قوله جل وعلا (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) .

اكثر الأديان عبادات

والاسلام من أكثر الديانات عبادات . وهى عبادات تتفاوت فى حركاتها وتتنوع فى أوقاتها ومدى دورانها . فمنها اليومى الذى يتكرر أكثر من مرة فى اليوم وهو الصلاة ومنها الاسبوعى الذى لا يكون إلا مرة كل جمعة وهو صلاة الجمعة ، ومنها السنوى الذى يتقيد بزمان بعينه وهو الزكاة ومنها السنوى الذى يتقيد بشهر بعينه وهو الصيام ، ومنها السنوى الذى يكون فى أيام بعينها ولكنه يجب مرة واحدة فى العمر مع الاستطاعة وهو الحج . ومنها الموسمى الذى يتصل بهذه العبادات من السنن والنوافل كصلاة القيام فى رمضان ، وصلاة العيدين احتفالا بانتهاء الصوم وأداء فريضة الحج . ورغم أن الشعائر والعبادات هى رموز لحقائق روحية وحالات وجدانية لايدرك الانسان مداها بالتعليل العقلى والجدل المنطقى ، وانما تتكشف أسرارها العظيمة لمن انفتح قلبه ووجدانه لذلك الفيض الروحى الغامر المتصل بسر الكون والذى هو من روح الله ، وهو من هذه الناحية غير قابل للتعليل لعجز وسائلنا العقلية والعلمية الراهنة للتصدى له ، إلا أننا رغم عجزنا عن تعليل كثير من الظواهر التعبدية وتقبلنا لها بالايمان والتسليم كأمر من الامور التى فرضها الله سبحانه وتعالى بهذه الهيئة المخصوصة ، فاننا ندرك أثرها فى حياتنا ، ونلمس نتائجها العملية فى سلوكنا ومعاملاتنا . ولا تحتاج فى ذلك للتكلف والتعمل لنتبين هذه الآثار والنتائج فقد دلنا المولى سبحانه وتعالى عليها فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم .

الوجـه الآخر للعبادة

ومن كل ذلك يتضح أن للعبادات وجها آخر بالاضافة الى وجهها الروحى والمعنوى فالصلاة متى أداها المسلم على وجهها الصحيح فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر كما ورد فى سورة العنكبوت والصوم ينجم عنه التقى مصداقا لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) ولقوله صلى الله عليه وسلم (الصوم جنة) أى وقاية ودرع يحمى الانسان من الرذائل والآثام . والزكاة فيها تزكية للمال ونماء وتطهير للنفس لقوله تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم) وهى بذلك تدعيم للتكافل بين أفراد المجتمع . والحج مؤتمر الاسلام على نطاق العالم يدعم من خلق الاسلام ومن أخوة المسلمين وتعاونهم ويرفع كل ذلك من مستوى الافراد الى مستوى الجماعة بحيث يلتزم كل مسلم فى هذا المؤتمر الذى يضم الاشتات المتنافرة من البشر بما أمر الله به

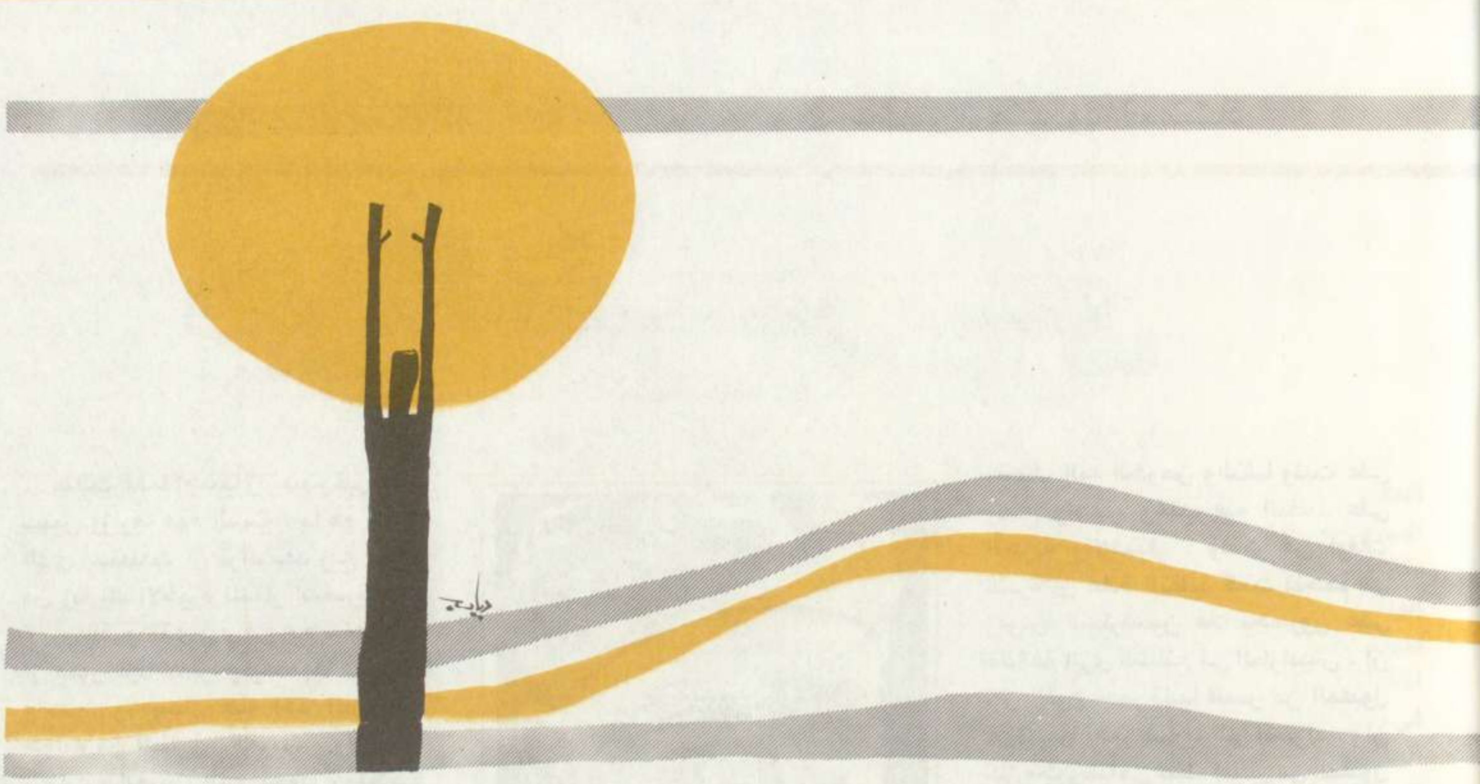

في قوله تعالى : (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تعملوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون ياأولى الألباب) . وقد بين الله سبحانه وتعالى فى سورة الحج المنافع التى يجلبها الحج للمسلمين ، وبذلك يصبح لكل عبادة دور اجتماعى تؤدية فى حياة الناس المعاشة عن طريق تأثيرها المباشر فى سلوك الافراد الذين تصوغهم هذه العبادات صياغة اجتماعية تجعلهم يتصرفون فى حياتهم تصرفا عفويا فطريا لاقتران الجانب الروحى فى العبادات بالجانب الاجتماعى فى حياة الناس . ولم يبين الله سبحانه وتعالى حكمة العبادات إلا لنتبين اخلاصنا فى أدائها .

إذا لم نحقق فى حياتنا النتائج والآثار التى ذكرها الله سبحانه وتعالى مقترنة بهذه العبادات فان عبادتنا تكون عبادة باطلة لا خير فيها ولا فائدة ، فان الصلاة التى تغير من السلوك وتطور حياة الفضيلة فى المجتمع ليست حركات آلية ، وانما هى يقظة كبرى لقوى النفس دلنا عليها قوله تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) وهذا السهو والغفلة عن الصلاة ينجم عنه أكبر الضرر على الصعيد الاجتماعى ، إذ تستمر سورة الماعون لتصف الساهين عن الصلاة بأنهم (الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) . وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كثيرا من الصائمين عن الطعام والشراب ، ولكنهم غافلون عن حكمة الصيام التى تتجاوز الجوع والعطش لتنفذ الى دوافع الفعل فى نفس الانسان وضميره ، لاحظ لهم من صومهم غير العطش والجوع . فان الصوم المادى سبيل لتوطين النفس على الصوم المعنوى عن كل ما يشين من قول أو عمل . ولعظيم فضل الصوم اختصه الله لنفسه فى الحديث القدسى الذى يقول فيه المولى عز وجل على لسان رسوله الكريم (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لى وانا اجزى به)

السلوك وليد العبادة

ومن حيث نظرنا الى سلوك المسلم فى حياته الخاصة والعامة رأينا للدين تأثيرا مباشرا فيه ، فهو مطالب بالكتاب والسنة لينهج نهجا محددا فى الحياة لا شطط فيه ولا غلو ، يتوخى فى كل ما يعمل الصالح العام مهتديا بقوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ،ولاتنس نصيبك من الدنيـا) . وهذه الصبغة الدينية التى تلون حياة المسلم ، وتحيل كل دقائق تصرفاته الى اعمال دينية نابعة من الايمان ، لتكتسب القداسة والالزام ، لا تصل بين حياة الناس والمثل العليا بحاجز ، بل تجعل الايمان انعكاسا صادقا للبساطة والفطرة السليمة ، فيصبح الايمان سبعين شعبة يدخل فيها الحياء ، وأدناه إماطة الأذى عن الطريق ، وبذلك يشمل الايمان العناصر المعنوية والحسية من سلوكنا واخلاقنا ــ وكل ذلك يركز فى نفوسنا منذ أن نولد كل الفضائل والاعمال الخيرة التى يأمرنا بها الدين فى غير ما تشدد أوتطرف ، لأن الدين لين ، وقد أمرنا رسول الله أن نوغل فيه برفق لأنه (ما شاد الدين احد إلا غلبه) ولهذا السبب كانت شخصية الرجل المسلم هى الصياغة الواقعية لتعاليم الدين وارشاداته كما تهيأت له فى حدود الزمان والمكان والبيئة . وكانت حياة المسلمين هى الصورة المحسوسة لدينهم . فمن دينهم يستمدون نهجهم فى الحياة ليس على مستوى العبادات المجردة فحسب ، وانما على كل مستويات وجودهم المعنوية والحسية . وكان أصدق تعبير عن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الدين المعاملة) . ولهذه الاسباب مجتمعة كان للشخصية المسلمة صفاتها الخاصة التى تميزها عن غيرها من الشخصيات ، وكان الدين الذى هو الصورة الفاعلة للحياة البسيطة النشطة مصدر قوتهم الذى يستوحون منه كل دقائق تصرفاتهم وجلائلها . ولهذا السبب كان انهيار حياة المسلمين مقرونا باضمحلال روح الدين فى نفوسهم ، فاذا فقدت العبادات مدلولها ومعانيها وحكمتها فى حياتهم ، وتحولت الى حركات آلية لا حياة فيها ولا حرارة ، انعكس ذلك على سلوكهم رياء ونفاقا ، ومنعا للماعون ، وافسادا فى الأرض .

د. عون الشريف

عباس محمود العقاد

في الطريق

سألت عالما اجنبيا زار مصر قبل عشر سنين وزارها هذه السنة . ما هو الفرق الذى استطعت أن تراه بعد ربع ساعة من زيارتك الاخيرة للديار المصرية-.؟

إن الفرق الذى يرى فى ربع ساعة لابد ان يكون فرقا ظاهرا وفرقا مهماً فى وقت واحد . ولا يسأل عنه احد اقدر على جوابه من الطارىء الغريب . ولا سيما الطارىء الغريب الذى تعود أن يلاحظ الاشياء ملاحظة العلماء . ومضى عليه وقت يكفى للشعور بالفرق بين مشاهدات الامس ومشاهدات اليوم .

قال صاحبنا بغير تردد كثير : إنه اختفاء الطربوش .

وقد كان صاحبنا موفقا فى جوابه السريع فلو أنه تردد قليلا قبل أن يجيب . لما اهتدى إلى فرق أولى بالانتباه إليه من هذا الفرق الذى يدل على ما جرى داخل الرءوس ولا يقتصر على ظاهرها المكشوف للعينين .

قبل عشر سنين كان عدد الرءوس بعدد ما عليها من طربوش او عمامة او طاقية . وكان لون الطربوش الاحمر اسبقها إلى النظر وإن لم يكن اكثرها فى التعداد . واذكر أن كاتبا اوربيا شهد جنازة الزعيم الوطنى مصطفى كامل رحمه اللـه . وقد سار فيها نحو مائة الف مشيع . فقال يصف النعش فوق تلك الرءوس بين مطربشة ومعممة : إن نعش الفقيد كان يخطر فوقها كأنه سفينة تمخر فى بحر من الدم يتخللها الزبد هنا وهناك

إن ذلك المنظر من مناظر الماضى التى لا تعود . فلو سار مائة الف فى موكب واحد لكان عدد الطرابيش بينهم اقل من عشرة فى كل مائة . فهو ظاهرة تختفى شهرا بعد شهر إن لم نقل اسبوعا بعد اسبوع . وليس الفرق فى هذا فرقاً ظاهرياً بين الامس واليوم . ولكنه فرق فى الحياة العامة وفى الحياة الخاصة .

عباس محمود العقاد

وفرق فى موقف البلد من الوجهة السياسية ومن الوجهة الاجتماعية . وما كان ليحدث لو لم يكن قد حدث فى البلد كما حدث فيه ، منذ أن كان ولاية تابعة للدولة العثمانية إلى أن زال عنه احتلال الدولة البريطانية .

كان الطربوش فى أول عهده رمزا من رموز الثورة على الجمود . كان السلطان محمود الثانى يريد أن يدخل فى الجيش نظاما غير نظامه العتيق . بعد أن توالت عليه الهزائم فى حروبه مع الدول التى اخذت بالنظام الجديد فى جيوشها وخطر له أن يبتدىء بتغيير الملابس ثم يتبعه بتغيير السلاح والتعليم . فلما أمر الجنود والموظفين بلبس الطربوش بدلا من « الدلبند » أو العمامة الانكشارية . خيل الى الجامدين على القديم أن القيامة قامت . بل أقام فريق منهم القيامة التى أوشكت أن تعصف بالبقية الباقية من الدولة . ثم شاع الطربوش كأنه رمز للحرية العصرية فى ذلك الحين .

لكنه لم يلبث أن جمد حرفا ومعنى بعد قليل . فبعد أن كان طرياً لينا . اضيف إليه الخوص والنشا وثبت على وضع واحد . وغلب فيه التقليد على الحرية والاختيار . ونذكر فى أوقات كثيرة أن عادة التقليد كانت تتحكم فى رءوس المطربشين فلا يجسرون على مخالفة الزى الشائع فى الطرابيش . إن كان اللون احمر قانيا فليس من المقبول أن يلبس احمر ضاربا الى السواد . وإن كان مخروطيا فى شكله فليس من المقبول أن يستدير على قطر واحد . وان كان طويلا مرتفعا فتقصيره منتقد مذموم . وان كان قصيرا هابطا فالمنتقد المذموم أن يرتفع ويطول . بل ربما تدخل العرف المتسلط على الرءوس فى تحديد الموضوع الذى يستقر فيه على الرأس . فلا يستحسن انحرافه إلى اليمين أو إلى اليسار . أو إلى الأمام . أو الخلف . إلا بالمقدار المطلوب . ثم بدأت الثورة على الطربوش مع الثورة على التقليد ولكن طال عمر الطربوش برهة لأن المقابلة بينه وبين القبعة أصبحت كأنها مقابلة بين الوطنية والاحتلال . ولم تتغير هذه النظرة حتى زال بطش الاحتلال وزالت شبهة المصانعة له والتماس الزلفى لديه والآن يعود الطربوش رمزا للمحافظة بعد أن كان رمزا للتجديد فمن لبسه اليوم من غير المحافظين لمجرد المحافظة ، فانما يلبسه لأنه يفضل شكله على غيره . أو لأنه لا يحتمل كشف الرأس فى الشتاء والصيف أو لأنه ممن يفضلون مداراة الصلع على كشفه للأنظار .

هذه مطالعة من مطالعات الطريق ، سمعناها من زائر غريب . ولكنها احدى مطالعات كثيرة تعرضها علينا صفحات الطريق . والسؤال مما يمكن أن يعاد مرة بعد مرة . وجوابه فى هذه المرة اختفاء الطربوش . فاذا أعيد مرة ثانية وثالثة فماذا يكون الجواب ؟

● ليس الطربوش وحده هو الذى أسرع بالاختفاء فقد أسرع معه رباط الرقبة على اختلاف أشكاله

● مطالعات الطريق بغير نهاية .. وإنها جديرة منا بالنظر الدائم فى صفحاتها لأنها صفحات ظاهرة

اعدته على نفسى بعد ان فارقت العالم الغريب . فلم تمض من ربع الساعة دقيقتان حتى كنت امام دكان من دكاكين السجاير والتبغ . نظرت إلى الواقفين امامه فوجدتهم اربعة . واحد منهم طفل فى نحو العاشرة والثلاثة الآخرون جاوزوا الاربعين . ومنهم واحد فى نحو الستين . أما الطفل الذى يناهز العاشرة فهو كما يظهر رسول يشترى السجائر لغيره . وأما الثلاثة الآخرون فهم جميعا مدخنون ومنهم واحد يحمل السيجارة المشتعلة بين اصبعيه .

وليس معنى هذا ان السجاير لا يشتريها اليوم إلا الطفل الذى يشتريها لغيره وإلا المدخن الذى يجاوز الاربعين ليس معناه ان الشبان جميعا لا يدخنون وان التدخين قد اصبحت عادة مقصورة على الكهول والشيوخ . ولكنها مشاهد فى الطريق تذكرنا باختلاف المشاهدات فيه بين امس واليوم . فقبل ثلاثين سنة كان من مشاهدات الطريق المألوفة أن ترى شابا بعد شاب يحمل سجارته بين اصبعيه ويطلق دخانها فى الهواء . كأنه ينادى الماره من حوله ليقول متحديا ها أنا أدخن . فمن يمنعنى . وماذا ابالى ..؟ أما اليوم فمن النادر أن ترى شابا يهتم بالتدخين فى طريقه ومن اهتم بالتدخين فى طريقه فمن النادر ان يشعر بأن هذا التدخين شيء مهم يلفت الانظار .

ما تفسير هذا ..؟ ما تفسير هذا الاختلاف فى مسلك الشاب المدخن بين أمس واليوم ..؟ تفسيره أن الشاب فى الجيل الحاضر قد اخذ بقسط من الحرية كان محجورا عليه قبل هذا الجيل . وقد يبدو فى هذا القول بعض التناقض عند سماعه لأول مرة . إن الحرية لا تمنع احدا من عمل يريده . فكيف يكون الامتناع عن التدخين فى الطريق أثرا من آثار الحرية ..؟

إنه تناقض ولكن لأول وهلة . أما الواقع فهو زوال سبب التحدى والمباهاة بالتدخين فى هذا الجيل .

كان الشاب يدخن ليقول انه قد بلغ مبلغ الرجال وأصبح مسموحا له بما كان محظورا عليه وهو صغير وكان يستعجل السن التى تجعله فى عداد الكبار وتخرجه من عداد الصبية الصغار لأن الحرية كانت حقا محتكرا للراشد الكبير دون القاصر الصغير .

ومثل هذا يحدث فى إطلاق الشارب بين امس واليوم . لا ترى اليوم شابا يهتم باطالة شاربه قبل أوانه ، لأن الكبار والصغار يشتركون فى إخفاء الشارب أو تقصيره . أما قبل ثلاثين سنة فقد كان الصبى الصغير يقارب الثانية عشر فيبحث عن الدهون والأدوية التى تعجل بنمو شاربه قبل أوانه . ولا يستريح حتى يطيل شاربيه ويلح عليهما بالفتل والتعزيز حتى تبرزا أمام عينيه ، قبل سائر العيون .

ومن مطالعات الطريق الكثيرة مطالعة ضافية سريعة . تمر بنا فى لمح البرق ولا تحتاج لأكثر من خمس دقائق فى رحبة عامه من رحاب العاصمة . تعرضها علينا صفحات السيارات الحديثة وتقول لنا الشىء الكثير ، مما يقال فى هذه المطالعات . كان الغالب على السيارات الخاصة قبل ثلاثين سنة أن تصطبغ بثلاثة ألوان وأن تكون السيارة كلها من لون واحد . هذه الألوان الثلاثة هى الألوان السوداء والخضراء والبنية . وكانت كلها تميل إلى الصبغة الداكنة « الغامقة » فى اصطلاح اللغة الدارجة .

وتتغير هذه الألوان شيئا فشيئا وتميل من داكنة إلى زاهية . ومن لون واحد إلى ألوان متعددة ومن لمحة راسبة إلى لمحة رشيقة خاطفة . مطالعة تقول كثيرا لمن يريد ان يسألها وجملة ما تقول ان النفوس تميل من الشعور بالهيبة والوقار إلى الشعور بالخفة والحركة ، وان فضائل الأناة تتحول إلى فضائل السرعة والاقدام . وكل من هذه الفضائل له حق واعتبار .

ولا تنتهى هذه المطالعات فى الطريق إلا إذا انتهى الطريق . ولن ينتهى الطريق الذى يتلاقى فى طرفيه . فكل نهاية فيه الى ابتداء . وكل نهاية وابتداء الى مفترق والتقاء .

ولكن الطريق إن لم يكن له نهاية ففيه مكان للوقوف . فلنقف فيه عند مطالعة أخيرة تلحق باول هذه المطالعات عن الطربوش . وهى مطالعة تنتقل بنا من الرءوس الى الرقاب .

ليس الطربوش وحده هو الذى يسرع بالاختفاء . فقد أسرع معه رباط الرقبة على اختلاف اسمائه واشكاله وألوانه . وقد كان له مكان الصدر تحت مكان الطربوش على الرءوس .

وكان رباط الرقبة بقية من بقايا اللفاع الذى يلف على الرقبة فى الأقاليم الباردة ثم زال ذلك اللفاع وبقيت منه هذه البقية الأثرية التى لا تدفع بردأ ولا تلزم لوقاية . وظل الناس يلبسونها بحكم العادة ولا يقصدون بها غير الزينة أو اجتناب الخروج على المألوف . ومن فكاهاتها حوار جرى بين طبيب مشهور وقرينتا الذكية الفاضلة . قال الطبيب مازحاً ، وزوجته تحدثه عن سوار تريد أن تشتريه . ان السوار حجة عليكن من قديم الأزل . الا ترين ان الاسوار لتدل على الأغلال التى تربط بها الأيدى . وان الخلاص من الرباط أولى من الاصرار عليه ..؟ قالت السيدة الذكية . ورباط الرقبة ماذا تقول فيه . ألا يدل على سحب العبيد من الرقاب ؟ تخلصوا منه قبل أن تدعونا إلى التخلص من السوار . وهذا مزاح لا يخلو من بعض الجد . فلا معنى لرباط الرقبة إن لم تكن فيه زينة أو وقاية وربما استراحت من جميع الرقاب قبل أن تستريح من الطرابيش جميع الرءوس .

ونعود فنقول إن مطالعات الطريق بغير نهاية وأنها جديرة منا بالنظر الدائم فى صفحاتها لأنها صفحات ظاهرة لمختلف العادات والأطوار . ومختلف الاخلاق والافكار .

عباس محمود العقاد

هل يمكننا اللحاق بالغرب؟

أحمد عبد السلام البقالي

● هب أن الغرب اختفى بكارثة طبيعية وذهبت معه كل كشوفه العلمية .. هل يستطيع العالم العربي في حالته الراهنة شق الطريق نفسه والوصول إلى القمة نفسها؟

قالت لى الأمريكية الحسناء زوجة صديقى (كارول) بعد نقاش طويل حول اقصر الطرق للخروج بالعالم العربى من التخلف ، وإلحاقه بقطار الحضارة الغربية السريع :

ـ لاتوجد طرق قصيرة .. ولا أمل للعالم العربى فى اللحاق بأمريكا فى المستقبل المنظور على الأقل .. إلا إذا توقفت امريكا.

وهمس فى اذنى احد الجلساء العرب

ـ عقلية أمريكية استعمارية رهيبة !

ولو لم اكن قضيت فى أمريكا من السنين ما قضيت ، وسرت فى مناكبها طولا وعرضا وقابلت شرائح وعينات بشرية تمثل جميع طبقاتها الاجتماعية ، والسلالية ، والدينية والسياسية ، لكان ذلك رد فعلى أنا الآخر..

فقد اتاحت لى مدة الدراسة والعمل الدبلوماسى بالولايات المتحدة ، لمدة عقد كامل من حياتى ، عشت اثناءه اسابيع عديدة فى حقيبة ، كما يقول الامريكان ، من طول التجوال ، فرصة ذهبية لسبر اغوار ذلك البلد العجيب ، واخذ انطباع واضح عن ديناميكية الحياة فيه ، والميكانيزمات الخفية التى تحكم نموه وتغيره وامتداده وتقهقره ، وآماله ومخاوفه ..

فهو مجتمع غاية فى التعقيد أشبه ما يكون (بنافقاء يربوع) فى ضخامة هذا البلد ، أو بخلية نحل مختلفة الثقوب والخروم يسكنها نحل مختلف الاحجام والاشكال والالوان ، لا يجمع بين افراده إلا قاسم مشترك واحد ، هو العمل الدائب ، والحركة المتواصلة ، والانتاج والاستهلاك المفرطان

وأول ما يصدم العربى فى الولايات المتحدة ، عند الاطلاع من قريب على حقيقتها والانبهار الشديد بضخامتها ، وقوتها ، وحيوية شعبها ، وملايين شُعَبْ الاختصاص بها ، هو تقزم صورة وطنه العربى فى عينيه ، وشعوره بالتفاهة والعجز الشديد على مواجهة التحدى الذى يفرضه عليه تاريخه وحضارته الغابرة ، وحمل المسؤولية فى رفع امته الى مستوى هذه الحضارة التى تطوقه من كل جانب ..

ولأضرب مثلا واحدا فقط ، ذهبت مرة الى مكتبة الكونجرس لأبحث عن عناوين الشركات التى تصنع اجهزة البحث عن المعادن ، وفى غرفة الكاطالوجات التى تحتوى على لوائح بأسماء وعناوين الشركات الصناعية الامريكية ، ذهلت لعدد المجلدات الضخمة المسفرة بالحديد ، والمعلقة بوجوهها الى تحت ، فى صفوف طويلة .. كل مجلد يحتوى على أزيد من ألف صفحة مكتوبة بخط دقيق توفيراً للمساحة ..

وخرجت وأنا افكر : (هب أن الغرب اختفى بكارثة طبيعية ، وذهبت معه جميع كنوزه وكشوفه العلمية ، هل يستطيع العالم العربى ، فى حالته الراهنة ، شق نفس الطريق والوصول الى نفس القمة فى الرقى العلمى والحضارى).

وامام هذا الانبهار يلجأ كثير من الاعتذاريين عن تخلفنا الى البحث عن سلبيات امريكا ، وبعض مظاهر انحطاطها الاخلاقى الذى هو افراز طبيعى لكل تقدم مادى ..

● ●

بهذه الخلفية المثقلة بالوعى و بالحقيقة المرة كنت استمع الى (كارول) واصغى إلى صوت عقلها ، معجباً بأفكارها بدل وجهها الجميل ..

فلم أزد على أن ابتسمت فى يأس وعلقت :

ـ كيف تتوقف امريكا التى قال عنها (ألفين طافلر) فى كتابه (صدمة المستقبل) انها قطار بلا سائق يسير بسرعة جنونية فى منحدر مظلم ، وركابه متجهون الى الوراء ، واعينهم معصوبة)

فوافقـــت :

ـ تماما .. أمريكا لن تستطيع التوقف حتى ولو أرادت ذلك .. فهى مجبرة على السير .. والسير السريع .. تماما مثل كرة الجليد المتدحرجة من قمة الجبل .. وكلما نزلت كبر حجمها ، وزادت سرعتها .. وهى كفيلة بسحق كل من يعترض طريقها او يحاول إيقاف تقدمها ..

فعلق جليسنا الشاب :

ـ حتى تصل الى المنحدر وتستنزف كل طاقتها ..

إنها قطار بلا سائق يسير بسرعة جنونية في منحدر مظلم!

- أمريكا لن تستطيع الوقوف ولو أرادت ذلك فهي مجبرة على السير.. والسير السريع
- لو كانت الدورة الحضارية توقفت عند العرب لكان حالهم حال أمريكا الآن
- لو وجد الإسلام دعوة منظمة وذكية في أمريكا لانتشر فيها قبل نهاية هذا القرن

ـ تماما ، كسائر الحضارات من قبلها .
ورشفت كارول من كأسها وأضافت :
ـ أمريكا مخدرة بالسرعة ، والقوة ، والنمو المادى ، كالمدمن على الكحول أو الهيروين .
فقاطعتها :
ـ أنا أراها كمن عثر على كنز لا يريد أن يتركه حتى يفرغ كل مافيه .. والكنز هنا هو وسائل التطور والتقدم فى كل اتجاه .. فهى نشوى بكل هذه المغامرات الاستكشافية السندبادية فى جميع ميادين المعرفة من (دى . إن . إيه) أى مكونات الخلية البشرية الحية ، الى ما وراء مجموعتنا الشمسية ، وما يحتويه كل ذلك من اسرار يسيل لها لعاب الرواد !
فقالت مستدركة :
ـ ولا أعنى أن التقدم احتكار لأمريكا وحدها .. فهى فقط التى اتفق أن وجدت فى هذا الوضع الحضارى الخاص فى هذا الظرف التاريخى بالذات .. ولو كانت الدورة الحضارية توقفت عند العرب مثلا ، أو الصينيين ، لكان حالهم حال أمريكا الآن..
قلت :
ـ يجب أن يكون القياس مع الفارق .. والفارق الهائل !
ـ كيف ؟
ـ إذا كان ما قاله (ألفن طافلر) عن نسبة التقدم والتطور فى العصر الحديث فسيكون علينا أن نراجع نظرية الدورات الحضارية بشكلها الكلاسيكى ..

وفتحت (كارول) فمها وعينيها الزرقاوين الواسعتين فى تساؤل صبيانى محبب ، فقلت شارحا :
يقول (طافلر) : (إن التقدم الذى حققته البشرية فى الخمسين سنة الماضية يعادل ما حققته فى الخمس آلاف سنة الماضية بأسرها !) وضرب مثلا على ذلك بقوله : (إن التسعين بالمائة من الاطباء الذين انجبتهم البشرية ما يزالون على قيد الحياة)!
وانتظرت قليلا لاعقب :
ـ وهذا ما يجعل هذا العصر الذى نعيش فيه مختلفا وفريدا فى نوعه .
فخرجت (كارول) من دهشتها مؤكدة :
ـ بالضبط ! وهذا ما يجعلنى ، حين انظر الى حالة العالم العربى ، والاسلامى الآن انتهد فى يأس من ان تلحقوا بالغرب على الاقل فى المستقبل القريب ..
وتكلم زوجها الذى استهواه النقاش بعد أن ظل محايدا ، فقال وفى عينيه لمعان ابتسامة مشاغب معربد لا يريد لقوم زوجته الانتصار على قومه :
ـ انا اعتقد انه يمكن أن نلحق بأمريكا ..

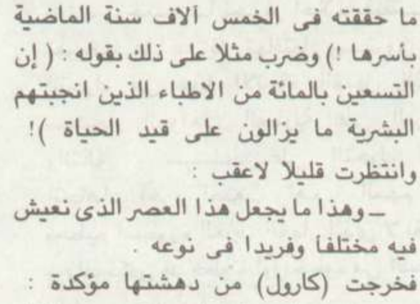

بل أن نسبقها !
ورفع يديه لتهدئة الضجة :
ـ دعونى أشرح .
وتوقف ليشعل سيجارته بطريقته المسرحية لتشويق المنتظرين . وحين أطفأ الوقيدة، ووضعها بعناية فى المنفضة بدأ :
ـ حين أطلق الاتحاد السوفيتى أول (سبوتنيك) ، وقف استاذ محاضر بجامعة (مدريد) يهدىء من روع الطلبة قائلا : (لا تيأسوا ! أؤكد لكم أن اسبانيا ، تحت حكم (فرانكو) ، ستكون أول من يصعد إلى القمر واندهش الطلبة لهذا الخبر المثير ، فصاحوا متسائلين :
(كيف ؟ كيف؟) فرد المحاضر بكل ثقة : (سنضع عسكريا على راهب ، وراهبا على عسكرى ، ونستمر فى ذلك حتى نصل القمر!) .
وضحك الجميع إلا زوجته التى ربما كانت سمعت النكتة ما يكفى لتضع يديها على اذنيها وتصرخ .. فحدجته بنظرة زرقاء وقالت :
ـ كنت متاكده من انه سينحرف بالحديث وينزل به الى مستواه .. ثم وجهت الكلام إليه :
ـ بحق السماء .. نحن نتحدث بجد .
فلم يثنه ذلك ، بل اعاد الكرة قائلا :
ـ لحسن الحظ ليس لنا رهبان فى الاسلام .. ولكن فى العالم العربى يمكن تعويضهم بالموظفين .
ثم انتقل بسرعة الى موضوع حديثنا :
ـ الان سأتكلم بجد .. سأحكى لكم حدثا عشته يمكن اعتباره مناسبا لما نحن بصدده .. كان لنا فريق ممتاز لكرة القدم فى (أصيلا) .. كانت له ملابس واحذية وجوارب فى مستوى أى فريق دولى ، وكان يخضع فى تداريبه ولعبه لجميع قوانين كرة القدم الدولية .. وذات يوم قدم الى (أصيلا) فريق من قرية مجاورة ليلعب مع فريقنا .. ويظهر أن كل ما تعلمه الفريق الخام من قوانين

هل يمكننا اللحاق بالغرب؟

● لماذا يجب على العرب أن يلاعبوا أمريكا في ميدانها ويتقيدوا بقوانين لعبتها!

اللعبة هو أن يدخل الكرة فى شبكة الفريق المنافس .. بأى طريقة وبدون استثناء الصفع ، والعض ، والخدش ، ونتف الشعر ، والارتماء على الساقين ، ونطح البطون ، وركل السراويل .. إلى غير ذلك ..

وتوقف لينظر الى وجوهنا بعينيه المحتقنتين ، وسأل :

ـ اتعرفون أى فريق فاز ؟ فريق القرية ! عاد الى قريته منتصراً على ابناء المدينة غير عابىء باحتجاجاتنا على عدم انضباطه واتباعه للقانون .

فالتفتت إليه زوجته ساخرة :

ـ هل تسمح بربط الصلة بين حكايتك هذه ، وحديثنا السابق ؟

فاستمهلها بدم بارد ، ونطق من خلال دخانه :

ـ لماذا يجب على العرب ان يلاعبوا امريكا فى ميدانها ، ويتقيدوا بقوانين لعبتهـا ؟

وقلت ولسانى فى حنكى :

ـ هذا رأى وجيه .. فماذا تقترح ؟

ـ فتطوعت بالاجابة زوجته التى كان يثير اعصابها اسلوب تفكيره اللاأورثوذكسى :

ـ نعض أمريكا ، ونخدشها ، ونركلها من الخلف !

فرد زوجها بهدوء صابر :

ـ ليس تماماً .. إذا كنا لا نستطيع منافسة الولايات المتحدة فى ميدان البحث العلمى ، والتقدم الصناعى ، والثراء المادى ، والجبروت العسكرى ، فهناك ميدان يمكن منافستها فيه .. وهو الميدان الروحى والانسانى ! فالانسان واحد فى جميع اقطار الارض .. وهو القاسم المشترك بين جميع الدول ، فقيرة كانت أو غنية فاذا استطعنا أن نوجه الانسان العربى الى الامتياز فى الآداب ، والفنون ، وجميع العلوم الانسانية ، فى انتظار انطلاق الصاروخ العربى فى الميادين الأخرى ، امكننا اللحاق بأمريكا ، وتساوت الاكتاف على الاقل على المستوى الانسانى .

فقلت مكررا كلمته :

ـ إذا امكننا ! وبخط احمر سميك تحت (إذا) فاذا امكننا توجيه الشعب العربى نحو أى شىء ، انحلت المشكلة !

فاعترض على تشاؤمى بحماس :

ـ لماذا لا ؟ لا يحتاج الأمر إلا إلى مجموعة من الشباب الواعى فى كل بلد عربى ليقود هذه (الحركة التجربة) التى لا تحتاج الى تمويل كبير ، ولا تزعج أى نظام سياسى .. كل ما نحتاجه هو جماعة من القادة الرواد المفكرين المقتنعين بهذه الفكرة ، ويجلسون ، ويخططون ، ويستقطبون من يصلح للتعاون معهم ، بـدل أن نجلس جميعـا نجتر احلام يقظتنـا تعويضا عن عجزنا وتهافتنا! وسترون أن التحرك فى هذا الاتجاه السهل الذى سيشجع المواهب الفطرية على البروز والتألق ، سيساعد على التحرك فى اتجاهات اخرى اصعب وأهم .. المهم هو تحطيم اسطورة الغرب القهار الذى لا يقهر وبذلك نكون قد خطونا أول خطوة فى اللحاق بـه .

فنطق جليسنا الشـاب :

ـ هذا إذا افترضنا أن امريكا متوقفة أو ميتة تماما على هذا الصعيد .

فـرد صديـقى :

ـ أؤكد لك أن امريكا ماتت روحيا .. قتلتها المادة .. واصبح (الدولار) اعلى قيمها على الاطلاق .. وأصبح شبابها يعيش فى فراغ روحى قاتل .. حتى أنه اصبح صيدا حلالا ، وملكا مشاعاً لمحترفى الشعوذة من رجال الشرق الاقصى ، يغسلون ادمغته ، ويستغلونه فى جمع الاموال ، والثراء الشخصى ..

فتدخلت كارول قائلـة :

ـ هذا صحيح .. كثير من الشبان هده الايام يتعرضون لنوع من الاختطاف المقنع بحيث تتعرض لهم فتيات جميلات ، يأخذنهم الى مراكز الشعوذة هذه حيث يتم غسل ادمغتهم فى غفلة منهم ، فيتخلون عن دراستهم الجامعية ، وينخرطون فى هذه الطرق المشبوهة .. وحين تتمكن منهم هيستريا الطريقة يرسلونهم للمدن لجمع الاموال عن طريق بيع الورد أو التسول لصالح مؤسسة احسانية وهمية ، وهذا ما فعله مشعوذ منكوريا الجنوبية يسمى (مون) له عدة مراكز لتجنيد الانصار ، بقصد الاستيلاء على البلد بأكمله !

واضاف زوجها :

ـ ولا ننسى مذبحة المجنون (جيم جونز) بغيانا ؛ ذلك الانتحار الجماعى الرهيب حين افتضح امره ! وهناك طرق كثيرة أخرى تعمل لتفجير أمريكا من الداخل . وقد عرفنا عن جماعة (جونز) ، وجماعة (مون) لأنهما افتضحتا .. الاولى بالانتحار ، والثانية بكتاب نشره احد اتباعها وهو شاب يدعى (جان إدواردز) عن كيف تم استدراجه ، وتجنيده ، وغسل دماغـه ، ثم تسخيره لجمع الاموال .. وكيف اختطفه أبوه بالقوة بمساعدة فريق مختص فى انقاذ هؤلاء الضحايا ، ثم عملية غسل دماغه من جديد ، واعادته الى واقعه السابق .

فصاح جليسنا الشـاب :

ـ يا إلهى ! ماذا تفعل المؤسسات المسيحية أمام هذا الغزو الخارجى ؟

فأجاب صديقـــى :

ـ المسيحية عاجزة تماما عن استبقاء انصارها .. ولو انهم وجدوا فيها ما يملأ فراغ ارواحهم لما هجروها الى مثل هذه الخزعبلات .

فوافقت كارول معلقة :

ـ هذا صحيح .. وقد لمست فى زيارتى الاخيرة للولايات المتحدة أن (الموضة) الجديدة هى الاسلام ..

فضحك الشاب قائلا :

ـ تتحدثين عن الاسلام (كتقليعة) عابرة تأتى وتروح ، مثل (المينى) أو (الماكسى) أو (الفيس بريسلى) !

فردت مخالفـة :

ـ لم اقصد ذلك .. لو وجد الاسلام دعـوة ذكية منظمة فى أمريكا لانتشر فيها قبل نهاية هذا القرن .. ولملأ الفراغ الهائل الذى يعيشه الامريكيون .. فهو يختلف عن المسيحية بانسجامه مع طبع الانسان ، ورغبته الفطرية فى الطهارة والأمن الغيبى . ويختلف عن بقية الطرق المشعوذة باثبات وجوده عبر القرون ، وبانتماء هذا العدد الهائل من سكان المعمورة إليـه .

فتساءل الشاب :

ـ فماذا ننتظـر ؟

فرددت كارول

ـ نعـم .. ماذا ننتظـر ؟ .

أضغاث أحلام

أحمد الأدندانى ووادى حريدين

فى أواخر الخمسينات ، عملت مع اخى الشهيد احمد محمد الادندانى طيب الله ثراه ، بتكليف من المساحة الجيولوجية المصرية ، فى استطلاع وسط وشمال سيناء ، وهى المنطقة المسماه فى عرف الجيولوجيين باسم (حوض وادى العريـش) ، وكان احمد ، رحمه الله ، مولعا بضرورة الاندماج التام مع البدو للتعرف على احوالهم ومثالياتهم ، والاستعانة بهم فى فهم حياة الصحراء ومسالكها ودروبها ، مع تدريبهم على كيفية المعاونة فى مضمار البحث عن (الثروة المعدنيـة) ، وبذلك تحقق لنا معا ، كثير من التوفيق فى تفهم حقائق عن جيولوجية سيناء ، أكاديميا ، واقتصاديا ، وخاصة فى اعالى روافد وادى العريش ، ذلك الوادى التاريخى ، الذى يشبه النهر ، إذا غذته روافده بماء المطر الوفير شتاء ، حتى يبلغ مداه عند (العريش) على ساحل البحر المتوسط ، مما جعل (بنى قريظة وقينقاع) يصرون على محاولة اقناع الرأى العام (العلمى) فى هذه الايام ،بان ما يسمى فيما بين أيديهم من التوراه ، والتلمود ، والمثناه ، باسم (نهر مصـر) أو الحدود الجنوبية (للارض المقدسة) هو وادى العريش ، ولهذا طردوا بعثة علمية امريكية بعد نكبة ١٩٦٧ أثبتت ابحاثها وجود اثار مصرية قديمة العهد فى وادى غزة ، تنفى ما يدعونه من تزوير للتاريخ فى أضابيرهم ... ومن روافد وادى العريش واحد ياتى من منطقة (العوجة حفير) فى جنوب فلسطين ، يسمى (وادى حريدين) . ويتخذ هذا الوادى طريقه من الشرق الى الغرب خلال كتلة معقدة من الكثبان ، حتى يتصل بوادى العريش على بعد نحو من عشرين كيلو مترا جنوب البحر . وكانت كثافة الكثبان الرملية التى يخترقها ذلك الحريدين ، قد طمانت القيادة المصرية ، وادخلت فى روع (عباقرة) خطة ١٩٦٧ ، ان العدو لايمكن ان يتخذ هذا الوادى محورا لأى هجوم على العريش من الجنوب ... ثم تبين أن العدو كان قد توصل الى صنع دبابات (فى غفلة من كل أجهزة المخابرات) ذات (جنزير) محسوب العرض والسمك ، بحيث تسير به الدبابة بكل رشاقة ناقة طرفة بن العبد المشهورة ، على الرمال الناعمة ... وفوجئت مجموعة القوات المصرية بسيل هادر من المدرعات والمجنزرات والدبابات يتجه مع وادى حريدين نحو الطريق الرئيسية بين ابى عويقيلة والعريش ، فارسل القائد المسئول يطلب ذخيرة للمدفعية الصاروخية من مخازن (القاعدة) ونسى ، فى وطيس المعركة ان يوقع على (استمارة الصرف) أو يختمها بخاتم اللواء ، فكان أن رفض (أمين المخزن) صرف الذخيرة المطلوبة طبقا (للروتين) ، واضطرت القوات بعد نفاد ذخيرتها ، الى الانسحاب غرباً صوب (جبل لبنى) ، وظلت الذخائر فى المخازن حتى استولى عليها العدو بدون (استمارة موقعة) ، فوجد احمد رحمه الله ، أن البدو قد اضافوا تاريخا جديدا الى هذا الوادى إذ انه قد علم منهم قبل سنوات ، ان من اساطيرهم التى يتخذونها حقائق تاريخية ، أن وادى حريدين كان يقيم فيه (ضبع) جسور شرس ، لا يفتأ يقطع طريق القوافل ويبطش باغنام الرعاة وإبلهم ، حتى اصبح مضرب المثل فى الوحشية ، ومبعث الخوف لكل سالك ، ومنتهى أية تهمة ، عندما تضيع ناقة أو عنزة على يد سارق عابر أو لص محترف ، فيقال آنذاك (اكل ضبع حريدين بهيمة فلان بن فلان) ولا يصبح هنالك مجال للبحث عن الفاعل الحقيقى ، مادام ضبع حريدين مشجبا مستمرا خالدا ، تعلق عليه كل أفعال اللصوص وقطاع الطرق من الضباع البشرية .... ولست ادرى على وجه اليقين إذا كان هنالك فى أية صحراء عربية واد يسمى باسم (حريدين) غير ذلك الذى ذكرت ؛ ولكنى اعتقد ، على وجه اليقين ، أن عالمنا العربى ملىء ، بالتأكيد ، بمخلوقات ، معدة لأن تلصق بها صفات (ضبع حريدين) وتتخذ مشاجب لنعلق عليها أدراننا ، ونعزو إليها كل نتيجة سيئة يصل اليها تخطيطنا الذى نقوم به (دون ضغوط خارجية) أو تامر من (الاستعمار والصهيونية والمذاهب الهدامة) ، فهل أن الآوان يارب لكى (تقصف عمر) ضباع حريدين المتخذة مشاجب فى وطننا الكبير ، وتمنحنا القدرة على الاقلاع عن البحث عن (مشاجب) بل ان نبحث فى داخل نفوسنا عن حقائق اسباب تعثراتنا وفشلنا فى كثير مما نعمل افرادا وجماعات حتى وصلنا الى ما نحن فيه من تمزق وشتات وضياع.؟؟ .

قال لى احمد ، رحمه الله ، ذات يوم ، بعد أن حرنا فى معرفة أسباب احتراق إحدى خيامنا فى (منطقة عيون موسى) اسمع : لابد وان الذى حرق هذه الخيمة هو (ضبع حريدين) وأخشى أن يظل هذا الضبع العجيب يطارد امتنا الجريحة الى آخر الدهر ، وفعلا مضى هو الى جوار ربـه قبل أن تظهر أية علامات على هلاك ذلك الوحش الوهمى .

درويش مصطفى الفار

د. حسين مؤنس

كلام في السياسة

نابليون

انتونى ايدن

بسمارك

فى ندوة من ندوات الشباب التى أدعى إلى الحديث فيها بين الحين والحين سألنى واحد منهم :

– لماذا لاتكتب فى السياسة ؟ ألست ترى مشاكلنا المتراكمة والظروف العسيرة التى تمر بنا ؟ فما بالك اذا كتبت رجعت إلى الماضى تحدثنا عنه ، وباعدت ما بينك وبين الحاضر كأنه لا يعنيك ؟

قلت – ومن قال لك اننى لا أكتب فى السياسية ؟ اننى أكتب فى التاريخ والأدب حقا ، ولكن هذا فى صميم السياسة . ذلك أن السياسة لم تعد اليوم لعبة نفر قليل من الناس مهمتهم الوصول إلى السلطان وحكم الناس والتسلط عليهم ، والاجتهاد فى البقاء فى السلطان جهد الطاقة . تلك كانت السياسة فى الماضى ، أيام بنى العباس وأيام الملوك فى أوربا فى العصور الوسطى ، وأيام لعب السياسة الطويل العريض خلال القرن التاسع عشر ، عندما كان يقود الناس رجال من أمثال نابليون وتاليران ومترنيخ ولوى نابليون ودذرائيلي وبالموستون وغلادستون ، فهؤلاء قوم كانوا يعبثون بمصائر الناس ويلعبون بمصالحهم لعبة غير شريفة ، وهم – بلعبهم هذا – قد أتاحوا الفرصة لرجل مثل كارل ماركس لينادى بهدم العالم الزائف الذى كان هؤلاء الناس سادته ، فقد قال لهم ما معناه : أيها السادة انتم كذابون منافقون . انتم تخدعون البسطاء وتتاجرون بعواطفهم لأن الشىء الوحيد الذى له قيمة فى حياة الأمم هو العمل ، وبدون عمل فلا تقدم ولا رخاء ولا ثروات ولا دول ! والعمل لا يتم بغير عمال ، فالعمال هم أساس القوة كلها فما بالكم تعبثون بهم وتشترون عملهم بأبخس الأثمان ، ثم تجمعون المال وتضعونه فى أيدى من تسموهم الأشراف وأصحاب الألقاب وأصحاب رؤوس الأموال .. ؟

من ذلك اليوم يابنى فتح الناس عيونهم وتغير معنى السياسة ، فلم تعد كما ذكرت فن اللعب بالسلطان ، لأن السلطان ليس لعبة ولا يمكن أن يكون لعبة ، وإنما أصبحت السياسة هى فن التنسيق بين جهود العاملين من ابناء الأمة .

وأوضح لك ما أريد أن أقوله : ان العمل وحده هو الأساس الذى تقوم عليه اليوم حياة الشعوب . والعاملون وحدهم هم الذين يحسب لهم حساب فى عالم اليوم . والعمل لا يراد به فحسب العمل اليدوى بل كل جهد مثمر يقوم على علم ، فهناك فى كل بلد عمال يعملون فى المصانع الصغيرة والكبيرة ، ومهندسون وإداريون واقتصاديون يديرون هذه المصانع ، وتجار وظيفتهم تسويق ثمرات العمل ، وهناك كذلك زراع يفلحون الأرض ، ومهندسون زراعيون يرسمون خطط الانتاج الزراعى ، وهناك معلمون يعلمون فى المدارس وأساتذة فى الجامعات وكتاب وأدباء ومؤرخون ومفكرون وكتاب مسرحيون ، وكل جماعة من هؤلاء تكون تيارا أو ميدانا من ميادين النشاط العام للبلاد ، ووظيفة رجل السياسة اليوم هى تنسيق جهود أولئك العاملين جميعا وتنشيط العمل فى كل ميدان من هذه الميادين وتوجيه الحصيلة العامة لما فيه خير المجموع ..

وأنا كما ترى عامل ، وميدان عملى هو الميدان الثقافى بصورة عامة ، فأنا أعلم وأكتب وانشر وأساهم على قدر ما استطيع فى بناء صرح الثقافة العربية أو فى تقديم غذاء ثقافى سليم للمواطن العربى ، والثقافة هى اسلوب حياة الشعب وطريقة تفكيره ومستوى ذلك التفكير ، فكلما ارتفع المستوى الثقافى للشعب وغنيت حياته بالمادة الثقافية كان ذلك أعون للشعب على التقدم والنصر فى معركة الحياة .

فأنا أعمل إذن فى تيار كبير من تيارات الحياة العربية هو تيار الثقافة ، وغيرى يعمل فى ميدان الاقتصاد أو الطب أو الهندسة أو التجارة أو الزراعة ، وكلنا نعمل فى ميدان السياسة ، لأن جهودنا هى التى تكون التيارات التى يعمل رجل السياسة المتفرغ لها على التنسيق بين هذه التيارات والافادة من تلك الميادين على أحسن وجه يستطيعه ، فنحن السياسة وهو منسق السياسة ، ونحن الانتاج وهو الذى يعمل على أن يفيد الوطن من ذلك الانتاج .

وإذن فأنا فى اشتغالى بالثقافة أعمل فى ميدان السياسة . أنا سياسى إذ ألقى المحاضرات فى الجامعة ، وسياسى إذ أكتب فى الأدب ، وسياسى إذ أكتب القصص ، فكل هذه تيارات أو خيوط تتكون منها قوة الشعب العربى .

ويكون الخطأ عندما أترك ما أهلنى الله له من العمل العلمى الثقافى وأتجه إلى العمل السياسى المباشر كما يريد منى ذلك الشاب . هنا لن أحسن العمل قط ، وأتخلى عن موقعى فى ميدان العمل القومى العام .

ويكون الخطأ كذلك إذا نسي رجل

● أصبحت السياسة فى التنسيق بين جهود العاملين من أبناء الأمة

● العاملون وحدهم هم الذين يحسب لهم حساب فى عالم اليوم

● إذا دخل رجل العلم فى السياسة أفسدها وأفسدته

السياسة أن عمله اليوم هو مجرد التنسيق بين جهود العاملين فى الأمة ، وتحديد مسار الأمة كلها على أساس ثمرات جهود العاملين فى كل ميدان ، يكون الخطأ اذا حسب رجل السياسة أنه يفهم فى كل ميدان اكثر مما يفهم أصحابه اذا تصور أنه عالم واقتصادى وزراعى ومهندس وطبيب ، وتصدر لرسم المسار لكل ميدان ليحقق هدفا يرتسم فى ذهنه ، لأنه مهما بلغ عمله فلن يستطيع الاحاطة بكل شىء ، ويكون ما يعمله خسارة على الأمة ، لأنه يعطل جهود العاملين ويحول دون الأفادة منها ويوجهها كلها توجيها خاطئا . وتلك كانت خطيئة الكثيرين من رجال السياسة فى العصر الحديث . واكبر مثال لذلك هو أدولف هتلر ، فلا شك فى أن ذلك الرجل كان ذكيا وقادرا وكان قائدا ممتازا للشعب ، ولكن خطأه الأكبر جاء من أنه رسم سياسته على أساس الانتقام ممن تصور انهم كانوا سبب هزيمة المانيا فى الحرب العالمية الأولى ، فتدخل فى شئون الجامعات والتعليم ودس أنفه فى التجارة والمال ، وزعم لنفسه انه عسكرى يفوق العسكريين المتخصصين فى فن العسكرية . فعطل كل جهود شعبه وساقه إلى الدمار .

الخداع والكذب

وقد تحدث ابن خلدون فى السياسة حديثا طويلا ، ولكن يحضرنى من كلامه فى ذلك الفن قوله إن الفقيه – أى رجل العلم بمفهوم عصر ابن خلدون – إذا دخل فى السياسة أفسدها وافسدته ، وهذا حق ، فان لرجل العمل مكانه وعمله ، فاذا تخلى عنه ودخل فى غيره أضاعه وأضاع نفسه .

وقد كتب ابن خلدون هذا الكلام وفى ذهنه مثال واضح جدا للسياسى القديم ، وهو محمد بن ابى عامر الفقيه الاندلسى الذى تخلى عن ميدانه وهو الفقه ودخل ميدان السياسة على أساليب السياسة القديمة ، وهى الخداع والكذب والوصول إلى

هتلر

السلطان بأى طريق ، ثم المحافظة على مكانه من السلطان بأى الطرق كذلك .

وقد كان أهل الأندلس من انجح شعوب أمة العروبة ، فقد كانوا شعبا ذكيا متعدد ميادين النشاط يعيش فى وطن غنى وافر الموارد ، وكان انتاج هذا الشعب فى كل ميدان غزيرا ، وذلك بفضل السياسة الحكيمة التى سار عليها أمراء بنى أمية وخلفاؤهم فى الأندلس ، فقد كانت غالبية هؤلاء الأمراء والخلفاء تفهم السياسة احسن فهم . كانوا يفهمونها على انها تنسيق بين جهود ذلك الشعب الذكى ، ولم يؤثر قط عن عبد الرحمن الأوسط أو عبد الرحمن الناصر أنهما تدخلا فى صناعة الصانع ، أو زراعة الزارع ، أو علم العالم ، إنما هم جعلوا أنفسهم فوق ذلك كله ، واكتفوا بتشجيع أصحاب المواهب والتنسيق بينها فى ذكاء ومهارة . ولقد كان عبد الرحمن الناصر لدين الله يقود جيوش الخلافة بنفسه ويفرض آراءه على العسكريين حتى منى بهزيمة قاسية فى معركة تسمى الخندق ، فترك القيادة لأهلها واكتفى هو بعمله الحقيقى كرئيس للدولة ، وهو تشجيع العاملين والتنسيق بين جهودهم ، ولهذا فقد نجح عبد الرحمن الناصر فى عمله خليفة للأندلس كما لم ينجح خليفة أو أمير من قبله .

ثم جاء صاحبنا محمد بن ابى عامر ، فمازال يدفع الناس بمنكبه حتى وصل إلى الحجابة ، وهى رياسة الوزارة ، ثم تدخل فى كل الميادين حتى شل نشاط الناس اجمعين ، ولم يعد أحد يعمل فى البلاد غيره ، حتى القيادة العسكرية زعمها لنفسه وجعل نفسه قائدا أعلى ، ومضى يقود الجيوش ، وزعم المؤرخون أنه لم تهزم له راية قط ، وربما كان هذا حق ، فقد كانت معظم غزواته ضربات سريعة قليلة الأثر ، ولكن الذى انهزمت رايته على يد المنصور محمد بن ابى عامر كانت أمة الاندلس كلها ، فقد أهلكها لكى يبنى مجد نفسه ، وطارد أصحاب المواهب والقدرات فى كل ميدان حتى لم يبق إلا هو فى الميدان . فلما مات سنة ١٠٠٢ ميلادية كان كل شىء فى الاندلس قد مات قبله : كان قد قضى على كل رجل ذى ملكة سياسية ، وتعقب بالقتل والسجن كل النابهين من رجال البيت الأموى حتى انفرد هو بالسلطان الاعلى والرأى الأوحد فى كل باب ، واورث ملكه هذا لابنه ، ثم ابنه التالى ، وعليه قامت ثورة الاندلس كله سنة ١٠٠٩ أى بعد سبع سنوات فحسب من وفاة هذا الطاغية ، وبدات الفتنة التى قضت على خلافة قرطبة سنة ١٠٣١ وبقية تاريخ الاندلس بعد ذلك لحن جنائزى طويل استمر اربعة قرون لم تقم للاندلس خلالها قائمة حتى قضى أمره وانتهى على يد فرناندو وإيزابيلا سنة ١٤٩٢ ميلادية .

وهذا الرجل ، مثله فى ذلك مثل هتلر وموسوليني ونابليون وبسمارك ودزرائيلى وغلادستون من رجال السياسة القديمة ، مخرب ، وهؤلاء جميعا مخربون والذى جعلهم مخربون هو أنهم لم يفهموا أن السياسة هى التنسيق بين جهود الشعب وتيارات نشاطه وانتاجه وتوجيهها فى مسار متناسب مع هذه الجهود ومقدر على أساس ملكات الشعب وقدراته ، فمن الأخطاء البالغة للكثيرين من قادة الأمم انهم يتخيلون احلاما ويقسرون شعوبهم على تحقيقها فينوء الشعب بذلك ويسقط فى

● ما من مشكلة يعانيها العالم اليوم إلا وسببها سياسى بريطانى

الغرق ، ومن أمثلة ذلك فى القديم الاسكندر الاكبر ، الذى تصور أنه يفتح الدنيا بشعبه المقدونى ، فقضى عمره القصير يحارب الشعوب من مصر غربا الى الهند شرقا ، ثم اعياه الجهد فمات فيما يعرف الآن بأفغانستان ، وكان الشعب المقدونى قد مات قبله ، فقد استهلكه هذا الرجل ليحقق حلمه

ومن أمثلته فى العصر الحديث بنيتو موسوليني ، الذى تصور انه يصنع من الايطاليين اليوم رومان الأمس ونسي أن يوليوس قيصر نفسه لو عاش فى أيامنا لما كان اكثر من جنرال فى احد الجيوش الأوربية ، ومضى موسوليني يحاول أن يبنى بشعبه الايطالى امبراطورية رومانية ، فأما هو فقد انتهى أمره معلقا فى حبل مشنقه فى مدينة كومو فى ايطاليا ، واما شعبه الايطالى فقد قام بمهزلة لم يسمع بمثلها فى التاريخ ، فقد دخل هذا الشعب الحرب الكبرى إلى جانب الألمان محاربا للانجليز والفرنسيين والامريكيين وخرج منها محاربا للألمان إلى جانب الانجليز والفرنسيين والامريكيين وهذا كله من عمل ذلك المغرور الفاضل بنيتو موسوليني .

صناع المأساة

وكل هذا الطراز من السياسيين يجلب على نفسه وشعبه المصائب ، بل هو لا يمكن أن يجلب على شعبه إلا المصائب ، لأن السياسة ليست تحقيق احلام إنسان واحد مهما كان ذلك الانسان ، وليست خداعا واحتيالا لبلوغ السلطان ثم الاجتهاد فى المحافظة على السلطان .

ولقد تعودنا أن نعجب بساسة الانجليز ونتعجب من نجاحهم ومهاراتهم فى خدمة بلادهم ، فاذا تفكرنا فى أمور سياساتهم الانانية الشريرة وجدنا أن انجلترا اليوم تدفع ثمن مكر سياسييها من وليم بت الاصغر إلى ونستون تشيرشل ، فقد كان هَمّ السياسى البريطانى خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر خداع شعوب الدنيا لحساب بريطانيا ، فبنوا الامبراطورية واستذلوا شعوب الدنيا ، فانظر إلى الانجليز اليوم تراهم – رغم علمهم ونشاطهم وتفوقهم فى كل ميدان ، احفل شعوب أوربا

جلاد ستون

تاليراند

بالمشاكل والمتاعب ، وبعد أن كانوا يحتلون بلاد الناس أصبح الناس من اهل مستعمراتهم السابقة يحتلون بلادهم ويكلفونهم ما لا يطيقون .

وما من مشكلة يعانيها العالم اليوم إلا وبدايتها عند سياسى بريطانى من أولئك المكارين الدهاة ، فهم صناع مأساة فلسطين ، ومن غيرهم خلق تلك المشكلة ؟ وهم صناع مشكلة قبرص ، وهم سبب مشكلة روديسيا ، وهم سبب المآسى التى تعانى منها الهند ، وهم السبب الأكبر فى متاعب مصر والسودان ، وإن الانسان لينظر اليوم باحتقار بالغ لرجال من امثال دذرائيلي وبالمرستون وكاسلريه وتشارلس غوردن وصمويل بيكر ، وصمويل هـور ولويد جورج وبقية السلسلة إلى انطونى إيدن لأن أولئك الرجال أرادوا بناء مجد شعب واحد على أشلاء بقية الشعوب ، فجعلوا الشعوب أشلاء ثم انضاف إليها فى النهاية شلو الشعب الانجليزى نفسه

وما من أهل سياسة كانوا اعون لكارل ماركس فى عمله من الانجليز ، فهم بناة الراسمالية البغيضة التى جعلت العمال

موسولينى

● هناك طراز من السياسيين يجلب المصائب على نفسه .. وشعبه

المعذبين فى عالم الراسمالية الانجلو سكسونية يصغون لكلام ذلك اليهودى الخبيث ، واذا نحن تأملنا الأمور مليا وجدنا ساسة الانجليز وراء كارثة الشيوعية ، فلولا سياسة الاستعمار المهلكة التى انتهجها ساسة الانجليز واستصفوا بها دماء الشعوب لما كان للشيوعية هذا النجاح كله بين جماهير الشعوب التى اهلكها الانجليز وساسة الانجليز ...

● ● ●

وبعد ، أيها الشاب ، أتريدنى بعد ذلك أن اترك ما أنا فيه من خدمة الثقافة وانصرف إلى السياسة ؟

اظن انك ترى أن مذهبى فى العمل السياسى كما بينته خير مما تنصحنى به ، ولو تأملت ما قلت فلعلك سائر فى السياسة على هذا النهج الذى اسير عليه ، فأنا فى صميم السياسة دون أن افسد السياسة ، وأنا فى خدمة العلم والثقافة اعرض على الاقل ما أنا صانع ، فاذا أنا دخلت السياسة فلا أنا فاهم ما اصنع ولا أنت فاهم !

د. حسين مؤنس

فنون الرقص الشعبى في قطر

تحقيق : سائد درويش

إن الحديث عن الرقص الشعبى القطرى أو الخليجي بصفة عامة لابد وأن يجعلنا نعتلى احدى مراكب الصيد أو مراكب الغوص على اللؤلؤ ، حتى نتمكن من استعراض فنون الرقص البحرية بالاضافة الى فنون الرقص الشعبى البرية المنتشرة فى هذه المنطقة .

وفنون الرقص الشعبى القطرى متعددة الاشكال مختلفة الأداء .. من أهمها العرضة (الرزيف) ، السامرى ، الخمارى ، الليبوة ، الطمبورة ، العاشورى والهبان ، بالاضافة إلى الفنون البحرية بأنواعها المختلفة .

رقصة العرضة (الرزيف)

وهى من أشهر الرقصات الشعبية الجماعية المنتشرة فى قطر والتى تعود إلى أصل عربى عريق حينما كانوا يرقصون رقصة السيف التى غالباً ما كانوا يرقصونها فى مناسباتهم الوطنية وغزواتهم وانتصاراتهم . ورقصة السيف هذه استمرت الى يومنا هذا مع شىء من التطور واستخدام البنادق بجوار السيوف بعد أن استخدمت البنادق فى الحروب ويكون الرقص فى العرضه جماعيا بعدد غير محدود ، حيث يرزفون فى صفوف منتظمة على أنغام الطبول والطارات وهم يحملون السيوف وحرابها وكذلك البنادق . ويقف حاملو الطبول والدفوف (الطارات) فى حلقة الرقص ، وعندما تشتد الموسيقى وتزيد سرعتها ..

● الطنبورة آلة موسيقية عربية قديمة .. كان اسمها فيما مضى "الكنارة"

الآلات الموسيقية العربية القديمة

الايقاع الدافىء والنغمات الراقصة

حلبة رقص

فانك تشاهد موجات متلاطمة من السيوف والبنادق التى يحملها الراقصون ، وبين الحين والآخر تتوقف الموسيقى لدقائق حتى يرتاح الراقصون قليلا ، ثم تعود للعزف مرة أخرى . ورقصة العرضة ، التى تقام فى الافراح والاعياد والمناسبات الوطنية والخاصة ، تعنى الرجولة والفروسية والشجاعة .

رقصة الليوة

ومن الرقصات الشعبية أيضاً ـ ـ رقصة الليوة .. التى تختلف فى الادوات التى تستخدمها عن رقصة العرضة .. فهى تستخدم الصرناى كآلة رئيسية وهو أقرب ما يكون إلى المزمار من ناحية الشكل .. والمزمار آلة موسيقية عربية قديمة وغنية عن التعريف . كما يستخدم فيها صفيحة من التنك يطرق فوقها النغم بواسطة قطعتين من الخشب . هذا بالاضافة إلى ثلاثة طبول احداهـا كبير واثنان آخران يعرفان باسم مسوندة ومسوندة صغير .

ويقف الراقصون فى حلقة متسعة . بعضهم يحملون العصى ، وعندما تعزف الموسيقى انغامها يبدأون بالرقص فى شكل دائرى حسب نغمات الموسيقى .

أما « الفوندى » (مطرب الليوة) فهو الذى ينشد اللحن بواسطة الصرناى ثم يردد الراقصون الكلام بعده .

رقصة الطنبورة

« والطنبورة » اسم الآلة الموسيقية الرئيسية التى تستخدم فى هذه الرقصة .. وهى آلة موسيقية عربية قديمة جدا .. كانت تسمى فيما مضى « الكنارة » وقد جاءت تلك التسمية مشتقة من الاسم البابلى « كناروم » والتى وردت فى الكتابات المسمارية ولا تـزال هذه التسمية العربية « كنارة » مستخدمة فى الوقت الحاضر فى أجزاء من بلاد الهند ... ولكن الكنارة اصبحت تعرف فى كثير من البلاد العربية باسم السمسمية وصندوقها الصوتى مستطيل كما تعرف فى منطقة الخليج العربى باسم «الطنبورة » وصندوقها الصوتى دائرى الشكل .. ويعتبر أقدم ظهور لآلـه الكنارفى العالم فى العراق حوالى سنة ٢٧٠٠ قبل الميلاد كما جاء فى كتاب الدكتور صبحى أنور رشيد « الآلات الموسيقية فى العصور الاسلامية » . كما أن مؤلف الكتاب قد شاهد بنفسه فى ضواحى مدينة العلا بالمملكة العربية السعودية سنة ١٩٦٩ كتابات ورسوم منقوشة على جبل عكمة ومن ضمنها مجموعة من الكنارات هذا بالاضافة الى أن التنقيب على الآثار فى جزيرة فيلكة بالكويت قد أظهر ختماً منبسطاً عليه مشهد عازف على كنارة شبيهة بالكنارة السومرية .

وبعد هذه النبذة عن هذه الآلة الموسيقية العريقة نعود الى الرقصة المشهورة بنفس الاسم .. حيث يوجد بالاضافة الى الطنبورة أربعة طبول

كان فن الرقص معروفاً عند العرب مثلما كان معروفاً عند سائر الشعوب

رقصات الصيادين

اثنان على اليمين وآخران على اليسار ثم صفين من الراقصين أمام الطبول .. احدهما للرجال والاخر للنساء ، وقد يكون الصفان للرجال فى بعض الأحيان .

ثم تبدأ الموسيقى بالعزف ويبدأ الراقصون بالتحرك حيث يسير الصف الأول فى اتجاه الصف الآخر حتى يصلوا إليهم ثم يعودوا ادراجهم الى الوراء فيبدأ الصف الآخر بالتحرك فى اتجاههم وهكذا .

رقصة الهبان

والهبان أيضا اسم لآلة موسيقية أشبه ما تكون بآلة موسيقية قديمة هى مزمار الجراب والتى تتألف من قربة (جراب) من الجلد وفيه ينفخ العازف بواسطة المزمار ويكون عادة فى القربة مزامير أخرى لاخراج الصوت من نفس الجراب بعد الضغط عليه .

وهى رقصة جماعية يقف عند ادائها الطبل فى المقدمة ثم انهبان ثم يشكل الراقصون دائرة وهم يتمايلون يميناً ويساراً تعبيرا عن تفاعلهم مع الأداء .

ورقصة الهبان أصلها من بلاد الفرس ، وصلت إلينا نتيجة الاحتكاك بالحضارات المجاورة كما ذكرنا من قبل .

فرق الرقص الشعبى

أما عن فرق الرقص الشعبى فى قطر فهى كثيرة وتشتهر فى جميع فنون الرقص الشعبى القطرى .. ولقد رأينا أن نختار مجموعة من هذه الفرق الشعبية لتمثيل جميع الألوان الشعبية فى الرقـص :

فرقة مبارك بن سعيد وفرقة سعد عواد :
(للفنون البحرية والعرضة (الرزيف).
فرقة بدوى بن فرحان وفرقة راشد عبد اللـه :
(للطنبورة والليوه)
فرقـة أبو شنب :
(للهبان)

أما الفرق النسائية فاشهرها :
فـرقة زيادة مفتاح
فـرقة اسماء بنت راشد الحارب
فرقـة مالكة بنت عبد اللـه
فرقـة زهرة مجلى على
وهذه الفرق تقدم جميع الفنون الشعبية.

مجالس الرقص الشعبى

ومجالس الرقص الشعبى هى الاماكن المخصصة لكل فرقة من الفرق الشعبية التـى تتجمع فيها للتدريب وتقديم نشاطاتها فى هذا الميدان .. وهذه المجالس أو الدور كما يطلق عليها أيضاً ..تسمى بأسماء اصحاب الفرق الشعبية فمثلا تقول دار مبارك بن سعيد أو دار سعد بن عواد .. وهكذا .. وفكرة هذه الدور منتشرة فى جميع دول الخليج العربى .. وفى بعض هذه الدول مثل الكويت قامت الدولة ببناء دور خاصة للفرق الشعبية الكويتية .. ووزارة الاعلام القطرية تدرس الآن اقامة دور خاصة للفرق الشعبية القطرية ايماناً من دولة قطـر بأهمية التراث الشعبى القطرى وضرورة الحفاظ عليه من الاندثـــار .

الفرقة القومية للفنون الشعبية

إن الدراسة العلمية المتخصصة للفنون الشعبية القطرية يمكن أن تتبلور من خلال فرق الفنون الشعبية التى تتكون عبر هذا الاطـار العـام .

ودولة قطـر قد حرصت أشد الحرص على دراسة تراثها الشعبى دراسة علمية

اتصال العرب بحضارات البلدان المجاورة خلق جواً مناسباً لتطور هذا الفن

مجالس الرقص الشعبى

وافية ومن ثم بلورته من خلال الفرقة القومية للفنون الشعبية القطرية التى استقدمت لها متخصصين على أعلى المستويات من حيث الكفاءة والخبرة الواسعة فى هذا الميدان من أجل انشائها على أسس فنية تعبر بصدق وتصور بأمانة حضارة أمة من خلال تراثها الشعبى .

البداية والتاريخ

ويمثل الرقص الشعبى فى محتواه ـ شكلا وموضوعا ـ صورة تاريخ عريق ، لفن برزت فيه المشاعر والأفكار والحركات داخل اطار من الايقاعات الموسيقية البديعة .. وفى هذا المقام فانه يصعب الفصل بين الرقص الشعبى والأغنية الشعبية ، فهما متداخلتان إن لم تكونا متلازمتين ، فالرقص الشعبى يمثل ما تمثله الأغنية الشعبية من تعبير عن روح الشعب وأحلامه وطموحه وقد اختلف المؤرخون حول بداية هذا الفن ، وهل الرقص هو الذى تقدم على الغناء أم ان الغناء هو الذى تقدم عليه . ولكن هذا الاختلاف لا يبدل شيئاً من الحقيقة التاريخية التى تقول ان الرقص ـ شأنه شأن الغناء ـ كان فى البداية تقليدا لعناصر الطبيعة وكائناتها وتعبيرا لاساليبها فيما تؤديه من حركات ، وهكذا كانت الخطوة الأولى هى الرقص الاتباعى .

ثم جاءت بعد ذلك مرحلة الابداع فاخذ الانسان يبتدع الحركات الراقصة التى تنبع من عالمه الباطنى بعد أن كانت فى المرحلة السابقة نابعة من عالمه الخارجى . فأصبح هذا الفن المتموج ينطلق من حركات منسجمة ترسم فى الفضاء الرحب صورا من مشاعر ولوحات من أفكار .

وتابع بعد ذلك الرقص الشعبى مجراه التاريخى وهو يحمل فى ذاته أشياء قديمة جدا ولكنها ليست مجرد حركة ذات ايقاع فقط ، وانما رمزا لمعتقدات وافكار .

فالرقصات التقليدية المتوارثة عبر العصور انما هى فى الحقيقة عبارة عن رموز لأفكار ومعتقدات السلف ، انقرض بعضها ثم تطور البعض الآخر مع تطور العادات والتقاليد والمعتقدات والأفكار ، فرقصة البطن التى تعتبر من أكثر الرقصات انتشارا فى المنطقة العربية انما كانت ترمز عند ظهورها الى الأم الأمومة التى تعانيها فى فترة الحمل والولادة . وكذلك رقصة الحلقة التى تعتبر من اقدم الرقصات ظهرت نتيجة لارتباط الانسان بالشجرة المثمرة ثم دورانه حولها . حتى الرقصات التى ترتفع فيها الايدى الى أعلى ، انما كانت تعنى فى الماضى التعبد والابتهال الى تلك القوة التى تحكم دقائق هذا الكون العجيب . لقد اضفى الانسان القديم الطابع الدينى على رقصه فكان يتقرب بهذا الفن الى الاله يستجديه الغيث

الطنبورة ومجموعة من الطبول

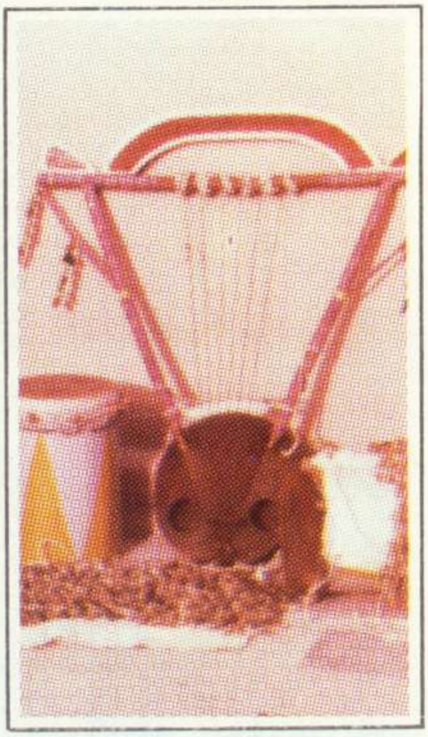

ويستجير به لطرد الأرواح الشريرة ثم يشكره على ما يهبه من النعم فعرفت رقصات الاستسقاء والحصاد وشفاء المرض وغير ذلك ومثلما كان الرقص في الماضي تعبدا كان أيضا يعبر عن الأحاسيس الجياشة في الأعياد والمناسبات المختلفة حتى الحرب كان لها رقصتها .

فنون العرب

وكان فن الرقص معروفاً عند العرب مثلما كان معروفاً عند سائر الشعوب المختلفة . وإذا كانت الشعوب القديمة قد وجدت أثرا لرقصها الشعبي منقوشاً على الجدران فانه كان من المستحيل وجود مثل هذه الآثار في التراث العربي ، نتيجة لطبيعة البادية التي كان يعيشون عليها وصعوبة الاحتفاظ بالنقوش التي يمكن أن تعطينا فكرة عن فن الرقص عند العرب وانما نجد أن التاريخ يروى لنا القصص والحكايات التي تبرز لنا ملامح هذا الفن عندهم . فقد جاء في الحكايات أن العرب في جاهليتهم كانوا يمارسون الرقص الديني مثل « رقص الدوار » ويمثل هذا الرقص طواف العذارى حول الأوثان كما مارسوا الرقص الوجداني الذي يتمثل في رقص الجواري في الأعياد والأفراح ، وكذلك مارسوا الرقص الحربي وأشهره رقصة السيف التي يرقصونها في الحروب والغزوات هذا بالاضافة الى رقص العبيد مثل رقصة الزفن .

وكلمة الرقص لم تكن تعنى عند العرب ذلك المفهوم الفني للرقص .. وانما عرف العرب معناها كما جاء في معاجم اللغة القديمة وهو الاضطراب والاسراع والعجلة ، والحركة الموقعة . ولا نعرف على وجه اليقين ماإذا كان العرب في جاهليتهم قد عرفوا الانواع الاخرى من الرقص التي عرفتها الشعوب الأخرى مثل رقصة الاستسقاء ورقصة الحصاد ورقصة شفاء المرضى وغيرها من الرقصات .. وكل ما عرف عنهم من ألوان الرقص هو الهزج والخبب ، بالاضافة الى ما روته كتب التاريخ والأدب عن قيان روميات كن يرقصن في قصور الغساسنة والحيرة ، كما كانت تفد من الحبشة الى الحجاز فئة من الفنانين والفنانات .. وكل هذا لابد وأن يخلف وراءه أثرا لا يمكن التعرف على مداه . وان اتصال العرب المباشر بحضارات البلدان المجاورة خلق جوا مناسبا لتطور فن الرقص . ولعل أكثر النواحي الفنية التي أثرت على فن الرقص عند العرب هي تلك التي جاءت من بلاد فارس حيث ظهرت نتيجة لتقليد العرب للفرس في أسلوب حياتهم رقصات يصعب معرفة أصلها على وجه الدقة مثل (الكرج) و (الدستنبرا) . هذا وقد مر فن الرقص خلال تطوره في مراحل متعددة منها ما يشمل تطوير اللحن وبعضها يشمل الحركات المرافقة للرقص وثالثتها تطوير الحركات دون اللحن ، ورابعتها الحركات واللحن معاً

منظم الايقاع

الرقص والايقاع

وبعد أن عرف الرقص بانه الحركة الموقعة أخذ قدامى المؤرخين يحددون أشكال الايقاع التي تستخدم في الرقصات وأوصلوها الى ثمانية أجناس هي : الخفيف ، والهزج ، ثقيل الثاني ، خفيفه ، خفيف الأول ، ثقيله ، الرمل ، خفيف الرمل كما جاء في كتاب الأغاني ، ولعل هذه الأجناس هي نفسها ضروب الغناء .. حيث يصعب الفصل بين موسيقى الرقص وموسيقى الغناء . لأن الغناء يصاحب الرقص في معظم اشكاله والعرب يرجعون انواع الايقاع في الرقص الى نوع الفقرات ، فقد تكون هذه الفقرات خفيفة أو ثقيلة وقد تكون مزيجا بين الاثنين معاً .

وبعد هذا العرض لفن الرقص في قطر وأصوله الانسانية والعربية ، يمكننا أن نقول ان الرقص الشعبي في دول الخليج العربي كلها متشابهة الى أبعد الحدود .. فالادوات واحدة من الطبول والدفوف الى الصرناي والطنبورة والهبان وغير ذلك وكذلك الألحان متشابهة الى حد كبير حيث لا فرق إلا في نطق بعض المخارج والكلمات احيانا أخرى .

وهكذا فان وحدة التراث تضاف الى وحدة الأرض والدين واللغة والتاريخ لأبناء الخليج العربي .

سائد درويش

جمـــال الغيطـــانى

عندما أصبحت طنجة مهر الأميرة

سوق الصناعات الشعبية فى شوارع طنجة

.. لا أدرى ما الذى يثيره فى نفسى اسم مدينة « طنجة » ، سواء قبل الزيارة أو بعدها ، غموض أكيد ، لكن ما نوعيته وما مصدره ؟ هذا ما أحاول البحث عنه وأنا أسجل تفاصيل طوافى بالمدينة التى انطلق منها ابن بطوطة ليرحل عبر العالم لسنوات طويلة ، ثم يعود ليموت فى نفس المكان الذى خرج منه .

جلست أحتسى الشاى الاخضر وأتابع الحركة الكثيفة فى الطريق ، يقع المقهى فى الجزء الأوربى من المدينة ، وهو جزء أصيل من المدينة ، يبدو ملتحما بها ، وليس منفصلا عنها كالأجزاء الحديثة فى فاس أو الرباط ، أو مراكش ، تسهر المدينة حتى ساعة متأخرة ، ويزخر شارع محمد الخامس بالرجال والنساء حتى منتصف الليل ، بعكس مدينة الرباط التى تهجع منذ السابعة مساء ، يشبه الجزء الاوربى مدينة الاسكندرية ، ومدينة الجزائر ، يبدو أن المدن التى تطل على البحر تكتسب صفات وملامح مشتركة ، بل اننى فى موضع معين قريب من الشاطىء كدت اشهق من الدهشة ، بالضبط كأننى ساقرأ لافتة تحمل اسم شاطىء سيدى بشر بعد قليل ، حتى أشجار النخيل الأنيقة المشذبة ، والبيوت المتراصة المتجاورة ذات الارتفاع الواحد ، والتى تقوم فوق مرتفع صخرى يشرف على البحر ، ولكن أى بحر تقع طنجة فى أقصى الركن الشمالى للقارة الأفريقية ، وهنا يلتقى أمامها البحر الابيض ، بالمحيط الاطلنطى ، يمتزج البحر بالمحيط ، وفى الساعات الصافية التى تخلو من الضباب يمكن رؤية مضيق جبل طارق ، وهناك مقهى يقع فوق مرتفع من المدينة ، تشرف منه على النقطة التى يحدث فيها اللقاء ، وفيه يمكنك أن تعتبر نفسك واقفا فى ركن القارة الشمالى بالضبط .

أعود الى الفندق ، وليل المدينة أخذ فى التأجج ، الملاهى عديدة ، ومتقاربة ، شأن الموانىء التى يرتاح فيها البحارة بعد طول سفر ، بالاضافة الى التاريخ الخاص بهذه المدينة التى حكمت لمدة تقارب النصف قرن بواسطة ثمانية دول أوربية ، فكيف عاشت فى ظل هذا النظام العجيب ، وكما تقول أمثالنا ، المركب التى تحمل قائدين لابد أن تغرق .

كهف هرقل

أبحث فى التاريخ عن أصل هذا الاسم ، وأسرار تلك المدينة ، لماذا سميت طنجة ، الأسطورة تقول أن هرقل أثناء حروبه ضد تنجيس فصل الجبل بقوته ، وصنع مضيق جبل طارق ، ومات هنا ، ولازال يوجد كهف عميق يشرف على البحر ، يسمى بكهف هرقل ، لكن هناك ثمة اسطورة أخرى تقول أن سفينة سيدنا نوح رست هنا ، وأن أحد ركاب السفينة صاح عند رؤيته البر « الطين

● أبحث فى التاريخ عن أصل هذا الاسم وأسرار تلك المدينة لماذا سُمّيَت طنجة ؟ ومتى دخلها الإسلام ؟

● أثناء حكم الإنجليز تجددت الاضطرابات التى كان يثيرها المجاهدون المسلمون من قبيلة جرفت

الطبيعة الخلابة فى المدينة التى انطلق منها ابن بطوطة

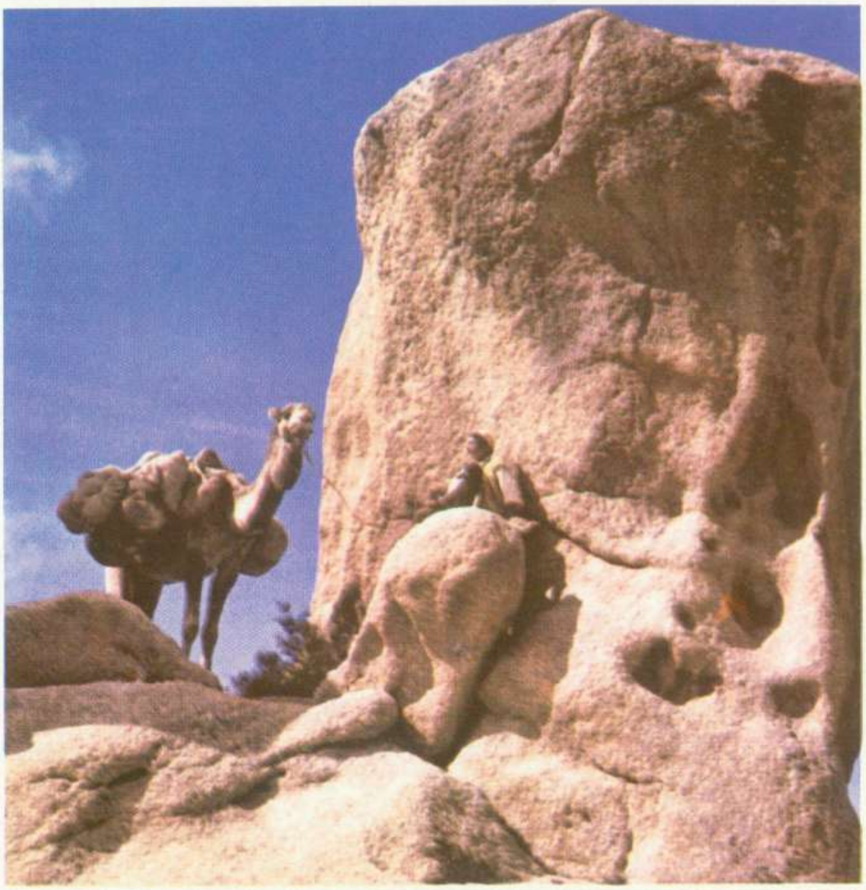

جاء » ، ومن ثم أشتق اسم « طنجة » ، ولكنها رواية اسطورية تبدو بعيدة عن التصديق ..

يقول التاريخ المكتوب ان المدينة كانت معروفة لدى الفينيقيين ، كانوا أول من استعمرها ، ثم جاء بعدهم المستعمرون البونيـون ، وظهرت طنجة فى رحلات هانو سنة ٥٣٠ ق.م ، وفى عهد بوكوس الثالث (٣٨ق.م) أصبحت جمهورية ثم أعلنت روما أنها مدينة حرة وظلت على هذا الحال حتى عهد كلوديوس (٤٢ق.م) ، أى أن لمدينة طنجة سابقة تاريخية فى العصر القديم عندما أصبحت مدينة حرة ، ثم انتقلت الى حكم البيزنطيين ، لكن مدينة سبتة كانت هى المقر الرسمى لممثل امبراطور القسطنطينية .

ودخل الاسلام طنجة فى مستهل القرن الثامن الميلادى عندما احتلها موسى بن نصير ، وأوكل حكمها الى طارق ابن زياد ومنها خرج الى سبتة ، ثم الى اسبانيا فى سنة ٧١١م ، كان أول وال اتخذها مقرا له هو عمر بن عبد الله المرادى سنة ٧٣٢م ، وفى سنة ٧٤٠م استولى عليها ميسرة البربرى الذى أشعل ثورة كان الهدف منها ازاحة الحكم العربى ، ويعتبر المؤرخون أن ادريس الأول قد نزل بها عندما جاء من الشرق ، لكن موقعها لم يكن مناسباً ، وعندما تقاسم الادارسة الملك وقعت طنجة من نصيب القاسم ، وفى سنة ٩٤٩م ضمت الى أملاك الخلفاء الأمويين بالأندلس ، واستولى المرابطون على طنجة فى سنة ١٠٧٧م ، وعندما سقطت دولتهم انتقلت الى حكم الموحدين ، ثم الى دولة المرينيين .

غموض المكان

وفى سنة ١٤٧١م احتل البرتغاليون طنجـة ، واستعمروهـا لمدة قرنيـن ، ثم انتقلت الى حكم اسبانيا فى عهد فيليب الثانى شأن أملاك البرتغاليين فى مراكش بعد انضواء البرتغال تحت لواء اسبانيا . فى سنة ١٦٦١م انتقلت طنجة الى أيدى الانجليز بعد زواج تشارلز الثانى من كاترين الطفلة .

لقد اصبحت طنجة جزءا من مهر هذه الأميرة ، وأثناء حكم الانجليز تجددت الاضطرابات التى كان يثيرها المجاهدون المسلمون من قبيلة جرفت ، واضطر الحاكم البريطانى ايرل بيتر بورو الى عقد هدنة مع المجاهدين على أن يؤدى لهم مبلغاً من المال ، ثم حاصر السلطان مولاى اسماعيل طنجة لمدة ست سنـوات وكانت نتيجته ان جلى الانجلـيز عن المدينة فى فبراير ١٦٨٤م ، وعادت طنجة مدينة اسلامية . فى أغسطس ١٨٤٤ قذفها اسطول فرنسى صغير بقيادة الأمير جوانفيل بالقنابل ، وهزمت الجيوش المغربية ، وانتهت الأمـور بطنجة إلى أن تصبـح منطقة دوليـة يشترك فـى حكمها ثمان دول أوربيـة ، مدينة دولية - ؟ إن هذا المصطلح يثير فى الذهن ، الغموض ، والتآمر ، والتهريب ، حيث لا سلطة مسئولة ، أو طابع واحد للحكم ، هل كانت هذه الفترة سبباً فى اضفاء هذا الانطباع الغامض الذى يثيره فى النفس اسم « طنجة » ؟ ربمـا ..

في الساعات الصافية يستعد الصيادون لالقاء الشباك في البحر

لقاء فى القصبة

كيف كانت الاوضاع فى ظل الحكم الدولى ؟ ، إن أفضل من يوضح لنا ذلك هو أول حاكم للمدينة بعد الاستقلال عام ١٩٥٦م ، أى الرجل الذى أشرف على تصفية النظام البغيض واعادة المدينة الى المغرب ، وما بالك إذا كان هذا الرجل عالم كبير واديب ، إنه عبد الله كنون ، الأديب والمفكر المغربى الكبير ، رئيس رابطة العلماء المغاربة ، وعضو المجمع اللغوى بالقاهرة ، ومجمع البحوث الاسلامية ، لحسن ظنى كان الصديق أديب السلاوى على ميعاد مسبق معه ، اصطحبنى الى منزله الذى يقع فى القصبة ، حيث تعلو الأرض وتهبط ، وتتداخل الازقة ، وتنتصب البوابات الحجرية القديمة ، وكاننا نعبر من زمن الى زمن ، لا من مكان الى مكان كنت فى القصبة استنشق هواء قادما من قرون سحيقة . إنه التاريخ المعاش ، ذلك الذى يتجسد فى المكان رائقا ، احسنت الايدى المغربية الحفاظ عليه ، البيوت تتجاور ، تخفى اسرارها ، أبيض لون الجدران ، أخضر لون النوافذ ، أقدم منطقة فى المدينة ، تعنى القصبة المكان الذى يتحصن فيه الجيش ، كانت دائما مقر الحاكم ، كان السجن هنا أيضاً ، لكن معالمه توارت ، هنا ايضاً بيت المال ، القصبة هى الاصل وهى الاقدم ، يقوم الجزء الأوربى بأسفل ، لكنه حديث بدأوا فيه بعد تحويلها الى منطقة دولية ، وكان أول مبنى اقيم فيه دار النيابة ، صحيح أنه جزء عضوى كما أشرت فى المدينة ، لكن القصبة مكان وزمان مستقل بذاته فى طنجة ، لاحظت أن القصبة تتجاور فيها مستويات اجتماعية متفاوته ، هنا قصر الامير الانجليزى يورك ويضم نفقاً يصل مباشرة الى البحر ، وعدة قصور أخرى منطوية على نفسها لتصون عالمها الداخلى ، هنا أيضاً قصر مولاى عبد الحفيظ الذى عقد الحماية على المغرب مع فرنسا واسبانيا سنة ١٩١٢م ، تخلى عن العرش فى فاس ثم جاء الى المغرب ، وانتقل الى طنجة حاملا معه ثروته فى صناديق ، نعم صناديق خشبية ضخمة ، إنها مرصوصة الآن فى القصر ، لكنها خالية ، مفتوحة الأغطية ، عظة وعبرة ، تذكرت الصناديق التى خرج بها السلطان الغورى من القاهرة عام ١٥١٧م عندما اتجه على رأس جيشه الى مرج دابق ليلاقى السلطان العثمانى سليم الاول ، وضع فيها كل ثروته ، ثم مات فى المعركة ولم يعثر له على جثة ، وبالطبع نهبت الصناديق وأصبحت خزانة مصر خالية تماماً ، القصر تحفة معمارية عربية ، فى القصبة أيضاً نجد عددا من العائلات الفقيرة ، وتبدو الحوارى والازقة التى تسكنها هذه الاسر نظيفة معتنى بها ، اتجهنا الى زنقة ضيقة ، طويلة ، توقفنا أمام أحد الابواب الصغيرة ، اجتزناه الى الداخل ، وننتقل الى جو خاص ، منزل عمر بن منمنم ، تتوسطه نافورة صغيرة وحديقة ، فى الطابق العلوى ينتظرنا عبد الله كنون تثير شخصيته الراحة فى النفس ، انه بسيط بساطة العلماء المتعمقين ، يمثل تياراً قويا وأصيلا فى الثقافة العربية هنا ، استطاع ان يناضل فى ظل أعتى الظروف وحافظ على الثقافة العربية ،

تعليم العربية

قال عبد الله كنون أن تدويل أى مدينة يعنى نكبة ، لان هذه الدول التى تشترك فى الحكم تاتى بصعاليكها ، وتوظفهم ، وتعطيهم أفضل المنافع ، ولا يراعى الجانب الوطنى على الاطلاق ، كان الاهالى فى طنجة لا ينتفعون على الاطلاق ، حتى الوظائف الحقيرة كانت للأجانب ، وتمتد هذه الصورة الى المجلس التشريعى الذى تمثل فيه الدول الثمانية ، كان للمغاربة ستة اعضاء فى مواجهة ٢٤ عضوا أجنبياً ، وكان لليهود ثلاثة أعضاء ، لقد سيطروا تماماً على الحياة الاقتصادية والاجتماعية حتى أن بعض الكتاب قالوا بأن طنجة هى اسرائيل الحقيقية ، كان البريد انجليزيا - أسبانياً - مغربياً أما المديرون ففرنسيون كان المجلس التشريعى يقنن لداخل البلاد ، لايوجد قاضى مغربى اطلاقاً ، أما إذا كانت قضايا الجنايات والعقارات مغربية خالصة فانها تنظر فى المحكمة الشرعية المغربية وإذا كانت

مدافع اثرية

● تدويل أى مدينة يعنى نكبة . لأن الدول المشتركة فى الحكم تأتى بصعاليكها لتعطيهم أفضل المنافع

شاطىء طنجة وشوارعها المتناسقة

تمس الاجانب فلا مفر من نظرها أمام المحاكم المختلطة ، أما أجهزة الأمن فكانت دولية أيضاً ، قوات الأمن شكلت من بلجيكا وفرنسا ، وفوق هذا كله أضافوا الادارة الدولية ، وكان فيها والى عام ، حاكم عام لطنجة ، يؤخذ من الجنسيات المختلفة ، وهو الذى ينظر فى المصالح الاقتصادية والصحية والأمنية ، الجمرك أيضاً كان مختلطا ، وكان هناك مجلس المراقبة مكون من دبلوماسيين من الدول الثمانية ، وكان حق الفيتو منصوص عليه فى هذا المجلس الذى انشىء قبل الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، أما التعليم فكان حراً ، هناك مدارس مختلطة تابعة للرباط ، الايطاليون لهم مدارسهم ، وكان الفرنسيون لهم نفوذ كبير على الجالية المغربية ، وعندما بدأت هذه الموجة تكتسح المغاربة أدى ذلك الى تدمير الثقافة العربية ، بحيث أنه فى سنة ١٩٣٤م لم يكن هناك مغربى واحد فى طنجة يستطيع أن يكتب رسالة باللغة العربية ، كان تدريس اللغة العربية لمدة ساعة فى الاسبوع فى بعض المدارس .

فى مواجهة هذا أسس عبد الله كنون مدرسة مغربية خالصة ، كانت الأولى من نوعها لتعليم العربية فى طنجة ، وفى سنة ١٩٣٤ أصدر كتابه المعروف «النبوغ المغربى» ، وقد أصدرت فرنسا أمرا عسكريا بمصادرة هذا الكتاب ، أول مرة تصدر فرنسا أمرا عسكرياً بمنع كتاب ، ولاقى المؤلف مضايقات لا حصر لها ، لقد كان أول حاكم لمدينة طنجة ، وهو الذى صفى النظام الدولى ، وآثاره السلبية فى حياة المدينة .

النهار الجديد

صباح أول يوم من سنة ١٩٨٠ .

وقفت أتأمل السماء الملبدة بغيوم قادمة من البحر ، انتهى عقد بأكمله ، فى بداية السبعينات كان عام ٨٠ يبدو شديد البعد ، ما أكثر المشروعات التى بدا ممكنا تنفيذها حتى عام ١٩٨٠ ، يبدو أن إيقاع الزمن بعد بلوغ سن الثلاثين يصبح أسرع ، فى العشرينات يبدو رصيد الزمن لا ينفذ . يبعثر الانسان ايامه ، ويزهو بفائض الوقت ، وبعد بلوغ الستين يلتفت وراءه فاذا بباب اغلق ومن المحال أن يفتح مرة أخرى للتراجع ولو خطوة واحدة ، يد هائلة تدفع دائما الى الامام وها نحن نصل عام ١٩٨٠ ، ترى ماذا تحمل لنا السنين القادمة ، قضيت الليلة الاخيرة فى العام الذى أصبح ماضياً بمفردى ، كنت فى حجرة الفندق وحيدا حتى النخاع استرجع ما مضى وأتأمل مايمكن أن يجيىء وفى العاشرة مساء بتوقيت المغرب احتفلت ببداية العام الجديد بمفردى ، إذ أن الساعة كانت تعلن الثانية عشر وقتئذ ، وكان العام الجديد قد بدأ بالفعل

هاهو صباح أول يوم من عام ١٩٨٠ .

قبل أن افارق طنجة ، ذهبت الى القصبة مرة أخرى ، كان الوقت مبكرا ، وببرودة يناير فى الطرقات الضيقة ، الصاعدة ، الهابطة ، كنت أسعى الى قبر ابن بطوطة المدفون هنا ، ودرت ونزلت ومشيت أحياناً فى زنقات لاتتسع إلا لمرور شخص واحد ، كنت افكر فى بدايات العام الجديد ، والمجهول القادم ، وفى ابن بطوطة الذى رحل معظم سنوات عمره يسعى لاكتشاف المجهول والخبيء ويصل أطراف الدنيا ببعضها ، أخيرا أشار اديب السلاوى ومحمد شكرى الى بناء متواضع ضيق ، يقع فى زنقة (زقاق) لا يتسع لمرور رجل واحد إلا بصعوبة ، وكان المبنى يوحى بالضيق ، بابه ضيق لابد من الانحناء الشديد حتى يمكن العبور منه ، المكان ضيق يعبق برائحة عطر غامض ، أشار السلاوى الى الجدران وقال ان ابن بطوطة مدفون هنا ، اسفل الجدار ، لا معالم قبر واضحة ، خرجت من الضيق الى ضيق ، الزنقة بها بعض أطفال صغار راحوا يحملقون فينا بدهشة ، كنت أتأمل الضريح المتواضع والمكان الذى يصعب فيه التنفس ، طاف ابن بطوطة بالدنيا ، اتسع له العالم ، ثم ضاقت به هذه الزنقة المحدودة فى ذلك المكان المهمل من القصبة ، وليت ظهرى للقبر وداخلى شعور غريب ، قاتم الى حد ما ، بينما كان نهار العام الجديد يولد باستمرار ، والمدينة أصبحت وراءنا ..

جمال الغيطانى

نبيل خالد الآغا

أريحا
بوابة التاريخ

وجه مدينة من فلسطين

أريحا مدينة النخيل

عشت مع اريحا غيابيا ، ولم اعش معها حضوريا إلا مؤخرا.

لقد كنت شغوفا لرؤيتها لأننى رغبت فى رؤية التاريخ من خلالها !

وفى الصيف الماضى ارتبطت اريحا فى خاطرى بموقف محير .

فعندما وددت زيارة وطنى الفلسطينى للمرة الأولى بعد حرب حزيران قال لى الناصحون فى عمان ـ وكنت استمزج أراءهم ـ مصيرك يتحدد فى اريحا : إما الى المعتقل فى صمت ، وإما الى البيت فى أمان !

وكانت اريحا هاجسى لأكثر من اسبوع بنهاره وليله ودقائقه !

واقتضت ارادة الله أن تتم الزيارة ، فكان ذلك اليوم القائظ من شهر أغسطس المنصرم.

اتجهنا الى سهل الغور ، وبعد ساعات قصار فى السفر ، وساعات طوال فى الاجراءات ، كانت حافلتنا الأردنية المتهالكة تقف على بعد خطوات من جسر « الملك حسين » ، وهو آخر نقطة أردنية صهيونية فرضتها نتائج حرب حزيران الاسود ، ومكثنا ننتظر الاذن لنا بالدخول من الجانب الصهيونى .

الرموز الثلاثة !

وقفت مشدود البصر ، محسور البصيرة أمام ثلاثة رموز رأيتها مجسدة لأول مرة ، ومن خلالها نبع و توالد ألف، معنى ومعنى : نهر أردننا الوديع الذى تنساب مياهه الكالحة فى ألم ممض

● "جسر الأحزان" الذى عبرته آلاف النفوس الحائرة ... وروت أخشابه دموع المفارقين والمودعين

● احتجزوا صور أطفالى .. ومازلت أجهل أبعاد الخطر الذى يهددهم بسببها !!

شروق الشمس فوق البحر الميت

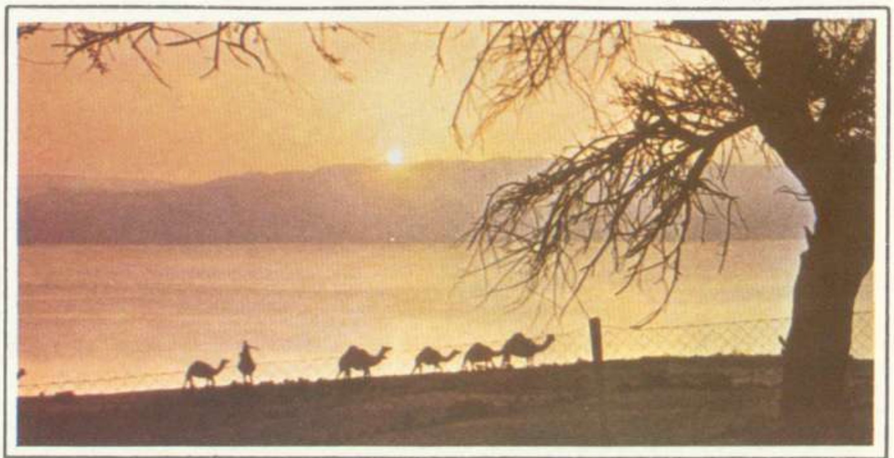

شاطىء البحر الميت

ورتابة موحشة . و «جسر الاحزان» الذى يربط بين الضفتين المتعانقتين أبدا ، والذى عبرته آلاف النفوس الحائرة ، وارتوت خشباته المهترئة من دموع المفارقين والمودعين . والعلم الصهيونى القابع على صدورنا وانفاسنا متحدياً طموحاتنا وتواجدنا ذاته . وتطاير الشرر من عينى وقلبى وكبدى ، وتساءلت عمن اوصلنا الى هذا الوضع المهين الذليل ، ووجدتنى اردد بعض أبيات الشاعر العربى « قريط بن أنيف »:

لو كنتُ من مازنٍ لم تَسْتَبح إبلي
بنو اللقيطةِ من «ذهل بن شَيْبانا»
اذن لقامَ بنصرى معشرٌ خُشُـنٌ
عند الحَفيظَـةِ أن ذو لوثة هَانـا
لكنّ قومى وان كانوا ذوى عـددٍ
ليسوا من الشر فى شىء وان هانا

وبينما أنا مسافر بخيالى عبر متاهات واقعنا العربى الموغل عجباً وغرابة ، إذ بأحد احفاد « هرتسل » يلوح بيده ايذاناً بالموافقة على دخول حافلتنا ، وبعد ثلاثة أميال واجهتنا لوحة كبيرة على مبنى الجوازات والجمارك مكتوبة باللغتين العبرية والعربية : مركز حدود أريحا ، نرحب بالزائرين !

موقف عابر

دلفنا أولا الى قسم الجوازات المنظم تنظيماً يثير الدهشة ، وأغلب موظفيه من المجندات الصهيونيات ، ثم اتجهنا الى قسم التفتيش الذاتى ومنه الى صالة الجمارك الضخمة ، وبرغم الكثرة الهائلة فى اعداد المسافرين العرب يوميا وبخاصة فى الصيف ــ إلا أن اعداءنا مستعدون لذلك تماماً .

ولن اسهب فى شرح عمليات التفتيش المتناهية الدقة التى تعرض لها كل ذى نبض وروح فينا ، لكننى اقول ــ بلا أدنى مبالغة ــ أنه يستحيل على المرء أن يدخل معه عود ثقاب واحد دون أن تستشعره بعض حواس اعدائنا ، وهذا فى حد ذاته يعكس صورة القلق الذى يساورهم من نشاط الفدائيين الفلسطينيين .
سأذكر موقفا عابرا ..

فى « كابينة » التفتيش الذاتى طلبوا أن اسلمهم كل ما بحوزتى من أشياء مختلفة ، وفعلت . وسلمتهم خمس صور عادية جدا لأطفالى ، فأخذوها لمكتب التدقيق ، وخضعت لرقابتهم أكثر من ساعتين حيث اعادوها ، ومازلت حتى هذه اللحظة أجهل ابعاد الخطر الذى يهدد أمن « اسرائيل » من صور اطفالى !

وأخيرا .. خرجت من مبنى « القهر » الذى امتدت اقامتى فيه لأكثر من خمس ساعات ، وفى الخلف وجدت ساحة واسعة تتواجد بها عشرات السيارات المتجهة للمدن الرئيسية فى فلسطيننا المحتلة . ركبت احداها متوجها الى مسقط رأسى ، وبعد أيام مكثتها عند الاهل بخان يونس اتجهت الى أريحا لاستقرئها بعض صفحات من تاريخها .

أريحا : مهد الحضارة

لقد سميت اريحا باسمها الحالى نسبة الى « اريحا » الحفيد الرابع لسيدنا نوح عليه السلام ، وقد ورد فى معجم البلدان : « سميت باسم أريحا بن

أريحا

● الهزة الأرضية التي دمرت قصر هشام بن عبد الملك بعد وفاته بأربع سنوات

● سكان المدينة الذين ينحدرون من أصل مولع بالموسيقى والغناء

مدينة اريحا التى قيل عنها انها اقدم مدينة فى العالم

مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام » .

ويلاحظ أن هذا الاسم قد بقى على ما كان عليه منذ تسميته الاولى ، فلم يخضع لتبديل أو تحريف كما هو الحال لأغلب المدن التاريخية .

وتعتبر اريحا من اقدم المدن الكنعانية الحصينة التى ورد ذكرها فى أكثرية الاسفار القديمة ، وهى تقع على مسافة ٣٨ كيلو مترا شمال شرقى القدس ، وعلى مسافة ٨ كم غربى نهر الأردن ، ونحو ذلك شمال غربى البحر الميت .

وقد استدل الباحثون من الآثار التى تم اكتشافها فى « تل السلطان » باحدى ضواحى المدينة على أن اريحا هى اقدم مدينة مُسَوَّرَة عمرها الانسان، فهى مهد الحضارة الاولى للانسان القديم .

وتأكيدا لهذه الحقيقة يقول الدكتور عوني الدجاني مدير الآثار السابق فى الاردن « إن مدينة اريحا هى اقدم مدن العالم على الاطلاق كما بينها علم الآثار حتى اليوم ، وهى أقدم من مدينة دمشق بخمسة آلاف سنة ، وقد كانت اريحا مأهولة بالسكان قبل ايام ابى الانبياء ابراهيم الخليل بحوالى ستة آلاف سنة . وقد ثبت بأدلة تاريخية اثرية أن تدجين الحيوان ومعرفة الفلاحة والزراعة الاولى نشأت فى هذه البقعة من الارض بالذات » .

إلى ارض التيه

لقد هاجر سيدنا يعقوب « المعروف باسم اسرائيل » الى مصر حوالى عام ١٦٥٦ قبل الميلاد ، وفيها تكاثر نسله ، واصبح الاسرائيليون كمًّا معدودا فى مصر ، إلا أن الفراعنة تمادوا فى قهرهم وإذلالهم وكسر انوفهم ، ومن هنا نبع تفكيرهم للنزوح منها فى عهد موسى عليه السلام .

ولقد تربى موسى فى بلاط رعمسيس الثانى على أرجح الاقوال ، فهو مصرى المولد ، اسرائيلى الوجدان ، وفى يوم رأى احد المصريين يضرب احد الاسرائيليين ، فاغتاظ موسى منه وضربه بعنف على رأسه فمات المصرى ، وخشى موسى أن ينتقم المصريون منه ، فهرب الى صحراء التيه ، وهناك تزوج بابنة النبى شعيب عليه السلام ، كما ورد ذلك مفصلا فى القرآن الكريم .

اتجه موسى وقومه الى سيناء ومن ثم الى فلسطين ، وفى الصحراء عطشوا وجاعوا فأكرمهم الله بالمن والسلوى وضرب موسى صخرة فانبجست عيونها . وزاد الله من اكرامهم ـ تقديرا لنبيهم ـ فساق لهم الغمام ليقيهم صهد الشمس ، غير انهم لم يقدروا الله حق قدره فكفروا بأنعم الله « وضُرِبَتْ عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

بعد انقضاء فترة التيه حاول موسى دخول فلسطين من ناحية سيناء فلم يفلح بسبب مقاومة اهلها له ، فاتجه اليها من جهة شرق الاردن ، فوافته المنية هناك ، ويروى بأنه دفن على مقربة من « مادبا » .

كان يوشع بن نون هو القائد الداهية الذى خلف موسى فى قيادة اليهود ، وأحد الذين دخلوا فلسطين كجواسيس .

إبادة السكان

وكانت الخطة التى رسمها « يوشع » تقضى بابادة سكان فلسطين حتى يحل اليهود محلهم .

استطاع يوشع أن يجتاز نهر الاردن ، وحاصر وجنوده اريحا ، واحتلوها بعد أن ارتكبوا فيها مجزرة بشرية رهيبة ، قتلوا اثناءها ملك المدينة . وقد ورد فى سفر يوشع : « صعد الشعب الى المدينة (اريحا) وأهلكوا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ، واحرقوا المدينة مع كل ما بها ، انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها فى خزانة بيت الرب » . وعندما يقرأ الانسان ذلك .. تتبادر الى ذهنه وبصورة واقعية عشرات المجازر الهمجية التى ارتكبها احفاد يوشع فى : دير ياسين ، وقبية ، وخان يونس ، وكفر قاسم ، وجنوب لبنان ، وقلقيلية ، وغزة ، وأبى

قمة الجبل المقدس

زعبل ، والسموع ، وبحر البقر.. وغيرها.

وبمثل هذه الطرق التى تفتقر الى الحد الادنى من الآدمية تمكن يوشع من احتلال قسم كبير من المدن الكنعانية .

اريحا : هدية لكليوباترا !

لقد اشتهرت اريحا منذ القدم بأنها خصبة التربة ، عذبة المياه ، دافئة الشتاء ومابرحت تتمتع بهذه المزايا حتى اليوم ، ويقال بأن (انطونيوس) الرومانى قدمها هدية الى حبيبته كليوباترا ، ثم باعتها كليوباترا فيما بعد الى هيرودوس الكبير . الذى جدد بناءها ووسع مساحتها ، ونسق شوارعها ، ويقال بأن تلال « ابى العليق » الحالية هى بقايا مدينته .

وفى القرن السابع الميلادى دخلت اريحا فى رحاب الاسلام تابعة لمحافظة الرملة ، وقد اسهب مؤرخو العرب فى وصف خيرات اريحا حتى دعيت بمدينة النخيل نظرا لوفرة ما يزرع منه فيها ، قال عنها المؤرخ المقدسى : « واريحا .. معدن النيل والنخيل ، رستاقها الغور ، وزروعهم تسقى من العيون ، وشديدة الحر ، معدن الحيات والعقارب ، اهلها سمر وسودان ، كثيرة البراغيث ، غير أن ماءها أخف ماء فى الاسلام ، كثيرة الموز والارطاب والريحان » .

ومن اسباب شهرتها ايضا موقعها الاستراتيجى كبوابة رئيسية لفلسطين شرقا ، ولوقوعها على الطرق الرئيسية الممتدة بين القدس والغور ، ولانها همزة الوصل بين الضفتين الغربية والشرقية لنهر الاردن .

وهناك ميزة تختص بها اريحا دون سائر المدن . فهى تقع على انخفاض ٨٠٠ قدم تحت سطح البحر ، وقد افادتها هذه الميزة فى ارتفاع درجة الحرارة فيها عن بقية المناطق حيث تصل فى بعض ايام الصيف الى ٤٦ درجة مئوية، مما جعلها افضل مشتى فى الديار الفلسطينية والشامية برمتها .

وفى الوقت الذى تغطى فيه الثلوج تلال القدس وعمان يستطيع المرء أن يتمتع بالدفء والحرارة فى ربوع اريحا وعلى شواطىء البحر الميت ، وقد ساعدت هذه الظاهرة كثيرا فى نضج جميع الخضار والفواكه فيها فى وقت ابكر من سائر المناطق المجاورة ، وتشتهر اريحا وما يجاورها من اراضى الغور بزراعة الموز (الريحاوى) الذى يتمتع بشهرة واسعة فى فلسطين والاردن ، أما بالنسبة لسكان أريحا فيقول لانكستر هاردنج : « ينحدر معظم السكان الحاليين من اصلاب الرجال الذين خَلّفهم فى البلاد جيش ابراهيم باشا فى اوائل القرن التاسع عشر ، وبينهم عدد لا بأس به من أصل زنجى ، وهم مولعون بالموسيقى والغناء وَلَعا وراثيا يعود دون شك الى اصولهم الزنجية ، وكثير من سكان اريحا يذكرون بأنهم أتراك أو من العراق أو من الحجاز» .

مجرى للمياه فى اريحا

آثار أريحا

مازالت توجد فى أريحا بعض المواقع الأثرية المهمة مثل :

- جبل قرنطل أو جبل الأربعين أو التجربة وكلها اسماء متعددة لهذا الجبل الذى تقدسه الطوائف المسيحية وتحج إليه لاعتقادها بأن السيد المسيح قضى أربعين يوما من صيامه فى احد مغاور هذا الجبل .
- خربة المفجر فى ظاهر اريحا الشمالى ، وفيها بقايا قصر « هشام بن عبد الملك » الأموى (٦٩٠ ـ ٧٤٣م) ، ويعد من أشهر القصور الاموية فى الشام ويبدو أنه دمر على اثر الهزة الارضية التى حدثت بعد وفاة الخليفة بأربع سنوات .
- تل السلطان . يقع الى الشمال من اريحا ، وبه آثار كنعانية عديدة ، وتنبع من هذا التل « عين السلطان » التى تدر ماء عذبا وهى ذات أهمية قصوى فى نجاح الزراعةبالمنطقة وترتفع عن المدينة بـ ٢٧ مترا .
- المغطس ، وهى مزار سياحى فريد يقع على نهر الاردن ، وتعتقد الطوائف المسيحية بأن يوحنا المعمدان قد عَمَّدَ السيد المسيح فيه . لذلك فانها تأتى إليه من كل اصقاع المعمورة لتشهد « عيد الغطاس » الذى يناسب اليوم السادس من يناير كل عام . ويجرى فيه احتفال ضخم حيث يركب القساوسة « المراكب المقدسة » فى « النهر المقدس » وسط التراتيل الدينية ، يحدث ذلك فى الوقت

أريحا

الذى تشترك فيه اعداد من اصحاب العاهات والامراض المختلفة مع الاهالى والسياح فى قذف انفسهم فى مياه النهر . أولئك على أمل الشفاء ، وهؤلاء من أجل البركة !!

ومادمنا بصدد الحديث عن اريحا ، فليسمح لنا القارىء الكريم أن نصحبه معنا فى جولة جغرافية سريعة فى منطقة الغور :

جولة جغرافية

لقد كان الغور الفلسطينى من أقدم المناطق التى سكنها البشر فى عصور ما قبل التاريخ الميلادى ، وكلمة « الغور » تعنى « المنخفض » وغور الاردن هو الانخفاض العظيم الذى يقع بين فلسطين والاردن وسوريا ، ووادى الاردن هو القسم الواقع بين بحيرة طبرية فى الشمال والبحر الميت فى الجنوب .

ويرى بعض المؤرخين بأن الغور كان عامرا بالحياة قبيل المناطق الفلسطينية الأخرى التى كانت وقتئذ ممتلئة بالغابات الكثيفة ، وبقى الغور عامرا فترة طويلة وذلك مما دعا (لوط) عليه السلام « ابن أخ سيدنا يعقوب » لينزل به من أجل هداية اهله لعبادة الله سبحانه وتعالى .

لقد شهدت منطقة الغور حدوث معركتى اليرموك وحطين الخالدتين ، وبعض المعارك الحربية الأخرى .

كما أن منطقة الغور تضم عددا من رفات الصحابة عليهم رضوان الله ، ومن ضمنهم : ابى عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسنه،وضرار بن الأزور، ومعاذ بن جبل وغيرهم .

نهر الاردن

اعظم انهار فلسطين ، له ثلاثة روافد هى : نهر الحاصبانى الذى ينبع من لبنان ، وهو اطول مصادر نهر الاردن حيث يبلغ طوله ٣٩ كم ، ويجرى مسافة ١٤ كم منها فى الاراضى اللبنانية قبل دخوله الاراضى الفلسطينية ● نهر دان وينبع من الحدود الفلسطينية ، ويلتقى مع نهر بانياس ، ثم يتحدان بالحاصبانى

نهر الاردن

ويعتبر نهر دان من اضخم مصادر مياه نهر الاردن .

● نهر بانياس ، ينبع من سفوح جبل الشيخ قريبا من بلدة بانياس السورية على ارتفاع يبلغ ٩١٤ مترا ، يبلغ طوله ٩كم ، يجرى كيلو واحد منها فقط فى داخل الحدود السورية .

عندما تتحد روافده يعرف بنهر (الشريعة) ، وبعد خروجه من بحيرة طبريا يعرف بنهر الاردن ، ويصل عرضه الى ثلاثين مترا ، وعمقه الى ثلاثة أمتار ونصف المتر وفى الاجزاء الشمالية يصل عمقه الى ١٣٠٠ قدم وخلال سيره من بحيرة طبرية الى مصبه فى البحر الميت تتحد معه انهار ووديان كثيرة .

جذع شجرة متكلس من املاح البحر الميت

ويعتبر نهر اليرموك أكثرها اهمية حيث يلتقى بنهر الاردن جنوبى بحيرة طبرية فى نقطة مشتركة بين الحدود الفلسطينية والسورية والاردنية ، ثم نهر الزرقاء الذى يحمل اليه ٩٢ مليون متر مكعب من الماء سنويا .

وتعرف المنطقة الممتدة من البحر الميت حتى خليج العقبة باسم وادى عربة وهو اقليم صحراوى كما نعرف .

البحر الميت

يقال بأن الكتاب اليونانيين القدامى هم أول من اطلق عليه هذا الاسم ، اما العرب فقد اسموه (بحيرة لوط) . ، ويعتقد علماء الآثار بأن البحر الميت يغطى مدينتى الأثم والمنكر وهما:سَدوم وعَمّورة .

والحقيقة أنه ليس بحرا بالمعنى المتعارف عليه جغرافيا ، بل هو بحيرة مقفلة ليست لها منافذ ، ويعتبر نهر الاردن هو المصدر الوحيد لمياه البحر الميت الذى يغذيه بنحو ستة ملايين طن من الماء العذب يوميا . ولكن حرارة الجو سرعان ماتُبَخِّر تسعين بالمائة من هذه الكمية يوميا ! .

ونظرا لهذا التبخر الكثيف تبقى فى البحر الميت كمية ضخمة من الاملاح المعدنية لاتسمح لأى كائن حى بالحياة فيه.هذا وتصل نسبة الاملاح فيه الى ٥٥٪ بينما هى فى المحيطات ٦٪ فقط !! وهو هادىء تماما لايعرف الموج ، ونظرا لثقل مياهه فان الانسان لايستطيع وهو داخل الماء أن ينزل جسمه كله الى تحت

قصر هشام بن عبد الملك بالقرب من اريحا

وادى أريحا يطل على نهر الاردن

مستوى الماء ، بل يرتفع تلقائيا الى سطح اليم . وهذه ميزة يستمتع بها جميع الزائرين للبحر ، فالسائح يستطيع بكل بساطة أن يستلقى على ظهره وبيديه صحيفة يقرأها دون أن تبتل !

لقد اقتضت مشيئة الخالق عز وجل أن لايعيش كائن حي فى هذا البحر الميت الذى له من اسمه نصيب،لكنها قضت بالمقابل تعويض هذا النقص بما هو أغنى وأكثر ثروة .

فهذا البحر « الميت » يحتوى على ثروة خيالية ومذهلة من الثروات الطبيعية يقدرها بعض الخبراء بأنها تعادل ثروة الولايات المتحدة !! ، فهو يحتوى على كميات ضخمة من كلوريد الكالسيوم ، كلوريد المغنسيوم ، كلوريد الصوديوم ، بروميد المغنسيوم ، كلوريد البوتاسيوم ، وغير ذلك من الاملاح والمعادن الأخرى .

إن الاوربيين أكثر ادراكا لأهمية البحر الميت منا نحن العرب ، فهل ندرك اليوم ما أدركه الغرباء بالأمس عن بحرنا « الميت الحي » ؟! .

واقع اريحا

بعد النكبة العربية الاولى عام ١٩٤٨ نزح الى اريحا آلاف من اللاجئين الفلسطينيين،وأقام أكثر من خمسين ألف عائد منهم فى مخيمين رئيسيين : مخيم عين السلطان ، ومخيم عقبة جبر ، وهذا الأخير اقيم على انقاض المدافن القديمة لأهل اريحا الذين عاشوا فى نفس المكان قبل ميلاد المسيح !

وعندما نزل هؤلاء اللاجئين الى غور الأردن اعملوا فى ارضه المالحة القاحلة فئوسهم وزنودهم وهممهم فأضحت حدائق غناء ، ومزارع معطاء ، تجود ـ بفضل الله ـ بالفواكه والخضار على اختلاف انواعها ، وكذلك جميع انواع الحمضيات والنخيل والموز والاسكادنيا وغيرها .

وتبقى كلمة ثناء نقولها فى حق المجاهد موسى العلمى الذى انشأ مزرعة نموذجية ضخمة فى منطقة اريحا تعتبر من اضخم وانجح المزارع فى فلسطين برمتها ، وهى معروفة لدى أهل المنطقة «بمشروع العلمى» . حقا .. لقد استطاع موسى العلمى أن يحقق معجزة زراعية حقيقية بعد أن كان الاعتقاد السائد بأن الارض المحيطة بمدينة اريحا لاينبت فيها الشجر !!

وبعد النكبة العربية الثانية عام ١٩٦٧ وقعت اريحا ـ وهى جزء من الضفة الغربية لنهر الاردن ـ فى قبضة الجلاد الصهيونى . ومنذ ذلك اليوم وهو يحيطها بالمستوطنات العسكرية والزراعية ، وقد أقام حولها حتى الآن سبع مستوطنات،ويُعِدُّ لاقامة ست مستوطنات اخرى .

كما أن السلطات الصهيونية ممعنة فى حرمان سكانها من حق حفر الآبار الارتوازية التى يحتاجون اليها فى ري مزارعهم . وهذه واحدة من خطط الضغط على اهلنا بالأرض المحتلة لافقادهم شهية العيش الهنىء فى وطنهم واضطرارهم للرحيل فى نهاية المطاف !

• • •

فى طريق عودتى من فلسطين الى عمان ... وعند جسر الاحزان تلفت ورائي مغالباً دموعى وأخذت اناجى بلادى .. مرددا أبيات الشاعر سعدى يوسف :

يابلادى التى لَسْتُ فيهـــا
يا بلادى الوحيـــــده
ياعذابَ الليالـــى المَديـدَه
يا بــلادى الطريـدَه
ليس لى منكِ إلا شراعَ المسافر
راية مزقتهـا الخناجـــر
والنجـــومُ الشريـــدة

نبيل خالد الأغـــا

العمّ سيّد طبيب القلب

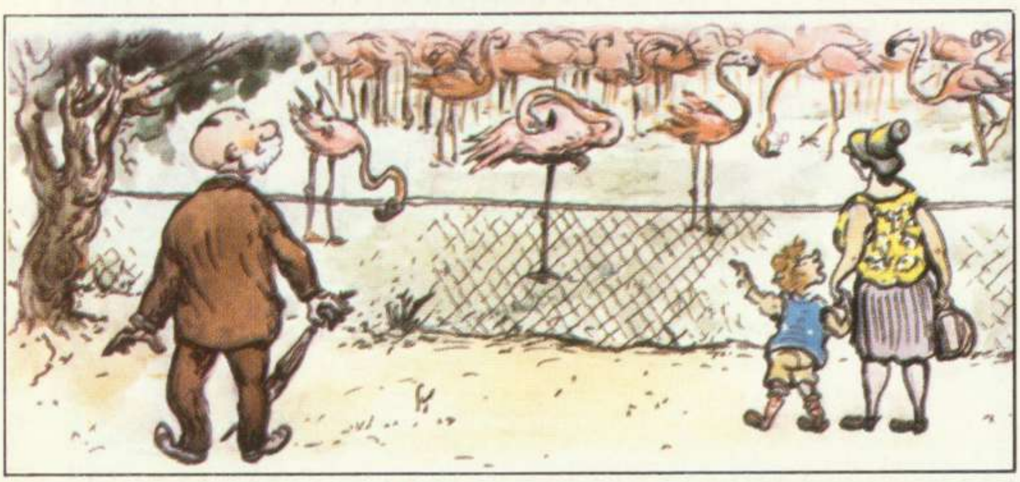

بريشة
الفنان
عبد السلام نور

أنور الجندي

نظرة إلى تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات

مناهج تاريخ الجماعة لها منهج تستمده من الإسلام

الإسلام في التاريخ حركة أوسع من الأمة العربية أو الدولة الإسلامية

إنه حركة التاريخ نحو تحرير الإنسان من الظلم والاستعباد

في مجال دراسة تاريخ الاسلام فان هناك محاذير كثيرة يقع فيها المحللون والباحثون وأخطر هذه المحاذير هي محاكمة تاريخ الاسلام من خلال مناهج وضعت لتفسير تاريخ أمم أخرى لها ثقافتها وعقيدتها وتحدياتها ، بينما لا يمكن فهم تاريخ الاسلام الا بتفسيره وفق منهج أصيل مستمد من عقيدته .

وتتمثل فلسفة التاريخ الاسلامي على هذا النحو :

مبدأ تاريخ الاسلام « جماعة » لها منهج تستمده من الاسلام . هذه الجماعة كونت المجتمع الاسلامي وبنت الحضارة الاسلامية وفق مقومات فكرة أساسية قوامها : « دعوة انسانية للعالمين » : الى الحرية والعدل والحق والمساواة .

وفي طريق هذه الحركة الى غايتها فانها تواجه أمرين :

أولا : معارضات قوية وقوى مضادة تحول بينها وبين طريقها

ثانيا : هذا المجرى يصيبه بين الحين والحين ركام يعوقه ويسد مجراه .

والاسلام يبدو في خلال تاريخه في صورة « كائن حي » له جناحان : فكر وحضارة . متجدد الخلايا يمر بمراحل القوة والضعف خلال حركته الدائبة وأبرز ظواهره : ظاهرة التجدد والتغيير وتصحيح المفاهيم من خلال اطاره الجامع ، يتصل ذلك في كلا جناحيه : جناح الفكر الذي يتجدد بظهور أعلام الفكر وقادة الرأي .

وجناح الحضارة يتجدد بظهور بناة الدول وصناع الاحداث .

نعم : لم يجمد الاسلام أمام حركة التاريخ خلال العصور أو تطور الحضارات والمدنيات ولم يتوقف عن مدها بتفسيره في ايمان وقدرة على السير بخطوة التاريخ نفسها بل ربما سبقها خطوات .

تحرير الانسان

والاسلام في التاريخ : حركة أوسع من الامة العربية أو الدولة الاسلامية، أو الحضارة الاسلامية وأعمق من الحدود التي تربطه بالسياسة أو تقصره على الحضارة والثقافة ، أو تقف به عند قيام الدول وسقوطها ، أو الفتوحات والحروب ، وانما تتمثل فيه كل هذه القطاعات وتتشابك .

فالاسلام في الحق هو حركة التاريخ نحو الحرية : تحرير الانسان من بوتقة الظلم واقرار حقوق الافراد والجماعات وتحريرها من الاستعباد ،

وبذلك فهو انطلاقة انسانية ، بعيدة المدى ، في كل الامم والشعوب التي اتصلت به ، سواء من دانت له أو أساغت فكره دون أن تأخذ عقيدته .

ولقد كان لبزوغه في محيط الامة العربية معنى واضح الدلالة هو « اصطفاء » هذه الامة لحمل رسالته ،

ومن ثم بعث الرسول من أهلها ونزل القرآن بلغتها ومن ثم فلا سبيل لفصل تاريخ العرب عن تاريخ الاسلام منذ فجر الاسلام الى اليوم فمنذ بزغ الاسلام ارتبط تاريخ العرب به أوثق رباط ، لقد ظهر في الامة العربية أولا ثم في حياة الرسول حيث دانت الجزيرة العربية له ، فكانت أشبه بالبحيرة العربية التي امتدت منها روافده وفروعه ، كما انبعثت منها الموجات المتوالية المختلفة التي تحركت شرقا وغربا وشمالا وحملته الامة العربية الى العالم اجمع ، وكانت اللغة العربية الفصحى أداة فكره وثقافته ، وحضارته فالفكر الذي كونته الامة العربية من خلال جوهر الاسلام ، كان حصيلة مشتركة للمسلمين والعرب جميعا بحيث لا يمكن أن يوصف بأنه فكر عربي وكذلك الحضارة فهي فكر عربي اللغة اسلامي الجوهر وهي حضارة اسلامية شارك فيها الجميع ، وانصهرت فيها مختلف الثقافات الانسانية : هندية وفارسية ومصرية ويونانية ، تبلورت جميعها في اطار الاسلام وفق مفهومه ومضمونه وقد شارك في هذه المرحلة العرب وغير العرب في مجالات الحضارة والفكر والحكم .

قادة الفكر

وقد رسم الاسلام مفهوم الوحدة بين معتنقيه والمرتبطين به على أساس الفكر وليس على أساس الجنس ، ووسع دائرة الاخاء الانساني وأسقط العصبية والتفرقة العنصرية وجعل أساس التبريز والتفوق والتفاضل مستمدا من العمل لا من العرق ولا من الشخصية ولا من الوراثة .

تاريخ الإسلام يمثل حركة تطور شامل ومتصل وحركة اجتماعية ذات مفهوم وعقيدة

ولقد اتسم تاريخ الاسلام بسمات جعلت له طابعه ومفهومه •

ذلك : أنه لما كان الاسلام هو دين وفكر وحضارة ومجتمع ، فان التاريخ السياسي في تاريخ الاسلام هو أقل هذه الجوانب أهمية حيث تبدو الجوانب الضخمة الحافلة بالأمجاد في تاريخ الاسلام الفكري والعلمي والعقلي وفي مجال الدراسات العقلية والفقهية والاجتماعية •

وتتمثل أبرز جوانب التاريخ الاسلامي في القادة والأعلام والمفكرين الذين بنوا القاعدة العريضة للفكر الاسلامي مستمدة من القرآن : أولئك المصلحون المجددون ، حملة لواء اليقظة وتصحيح المفاهيم الذين حفل بهم تاريخ الاسلام خلال مختلف مراحله وأدواره ، وفي هذا المجال نجد طبقات الاطباء وأخبار الحكماء والنحاه والرواة والادباء وطبقات الفقهاء والمؤرخين والاجتماعيين وتاريخ أعيان كل عصر ، فليس تاريخ الاسلام اذن تاريخا سياسيا فحسب وليس التاريخ السياسي الا جناحا من أجنحته بل ربما كان أقلها خصوبة وعمقا وأثرا في حركة التاريخ ونموه

من هو المسلم ؟

ومن هنا تسقط تلك الشبهة التي يرددها البعض من اقتصار تاريخ الاسلام على حياة الخلفاء والملوك ، بل يتناول مختلف مظاهر حياة المجتمع والحضارة •

ويمثل تاريخ الاسلام : حركة تطور شامل متصل ، وحركة اجتماعية يدفعها مفهوم وعقيدة في مختلف ميادين الحياة • ولا تستوفي دراسة تاريخ الاسلام الا اذا قامت في ظل مفهوم جامع شامل ، كما أن اتصالنا بالغرب اليوم يجب أن يقوم على مفهوم مرحلة هي رد فعل لمفهوم مرحلة سبقتها ، بحسبان أن هذه الحضارة العصرية الغربية ليست منفصلة عن عالم الاسلام ، وانما أقامت قواعدها على المنهج التجريبي الاسلامي وعلى بناء صاغه العرب والمسلمون ، فنحن حين نتصل بها اليوم لا نكون غرباء عن جذورها ، فهي ملك البشرية كلها التي صاغتها وشاركت في تكوين جوانبها المختلفة، فقد قدم الفكر الاسلامي لهذه الحضارة علومه وجامعاته وبنى قاعدتها العريضة في الاندلس •

في ضوء هذا المفهوم نستطيع أن نقول ان لتاريخ الاسلام « طابعا متميزا » ولذلك فان تفسيره لا يمكن أن يخضع الا لمنهج جامع ، ليس ماديا خالصا وليس روحيا خالصا وليس اقتصاديا ، أو جنسيا •

فالمسلم كما فهمه الباحث الغربي الاستاذ ولفرد كانتول ، « يحس بالتاريخ احساسا جادا انه يؤمن بتحقيق ملكوت الله في الارض ويؤمن بأن الله قد وضع نظاما عمليا واقعيا يسير البشر في الارض على مقتضاه يحاولون دائما أن يصوغوا واقع الارض على مقتضاه ويحاولون دائما أن يصوغوا واقع الارض في اطاره ، ومن ثم فهو دائما يعيش كل عمل فردي أو جماعي ، وكل شعور فردي او جماعي ، بمقدار قربه أو بعده

المحاولات القاصرة

هذه العبارات للكاتب الغربي تقرب من الحقيقة وتكشف عن الفارق العميق بين فهم المسلم للتاريخ وبين فهم الطوائف الاخرى ، ويتابع (اليان وايد غزاي) : هذا المعنى حين يقول لو ان وجهة نظر المسلمين للتاريخ هي نظرة بناءة ، فهم يرون أن البشرية اذا اعتنقت تعاليم الوحي (القرآن) فان ارادتها حينئذ تتطابق وارادة الله • ولا يعود يوجد من يعصي أوامره ويعم الأخاء بين البشر • ومن صفات المؤمن انه صابر ويعلم أن الامر لارادة الله ، وقد قدموا أفضل فيلسوف للتاريخ ممثلا بالفيلسوف ابن خلدون وكان أول فيلسوف حلل درجات تأثير المحيط والدوافع النفسية التي تعمل عملها في الحياة الانسانية وتسبب نشوء الحضارات وانقراضها ونشاهد بوجه عام تيارين يتنازعان السيطرة على أفكار فلاسفة التاريخ المسلمين : المفهوم الحركي والمفهوم القدري وكلها تظهر بوضوح في تقلبات القوى الاجتماعية وعلى العكس من ذلك كان الفلاسفة الهنود قد قطعوا كل صلتهم بما هو وقتي وفوري وقدموا تعاليم انهزامية وانعزالية ، والتاريخ بالنسبة للبوذية والهنود ليس الا وهما

ويؤكد الاستاذ تريتون في كتابه « الاسلام : عقيدته وعبادته » : أن التفسير المادي لا يصلح لفهم تاريخ الاسلام « يقول : « اذا صح في المقول أن التفسير المادي يمكن أن يكون صالحا في تعليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها فان هذا التفسير المادي يفشل فشلا ذريعا حين رغب في أن يعلل وحدة العرب وغلبتهم على غيرهم وقيام حضارتهم واتساع رقعتهم وثبات اقدامهم فلم يبق أمام المؤرخين الا أن ينظروا في العلة الصحيحة لهذه الظاهرة الفريدة فرأوا أنها تقع في هذا الشيء الجديد : الا وهو الاسلام » •

وهذا ما نريد أن نصل اليه : في ان أية محاولة لتفسير تاريخ الاسلام بغير التفسير الاسلامي للتاريخ هي محاولة باطلة وان جميع مذاهب التفسير التاريخي : المادية والاقتصادية والجغرافية والمناخية ، لا تستطيع أن تستوعب مفهوم • التاريخ الاسلامي ولكل أمة وعقيدة مقاييسها التي تشكل قانون تفسيرها •

ولذلك فان كل المحاولات التي تجري الان لتفسير تاريخ الاسلام من خلال النظريات الغربية هي محاولات قاصرة ، ذلك أن الاسلام الذي يقوم منهجه على تكامل الروح والمادة ، والحياة والموت ، والدنيا والآخرة ، والنفس والجسد والثوابت والمتغيرات والكلي والجزئي ، لا يمكن أن يفسر

الإسلام في عقيدته وحركته له ذاتيته الخاصة التي تعجز عن استيعابه النظريات الجزئية

بمنهج جزئي سواء أكان ماديا أم روحيا خالصا ، ولذلك فان هذه المحاولات كلها التي ترمي لأن تضع الاسلام في صف الديمقراطية مرة أو الاشتراكية مرة أو الحرية مرة ، كلها قاصرة فالاسلام له ذاتيته الخاصة وتكوينه الجامع المتفرد الذي قد يلتقي ثمة مع جانب من هذا أو ذاك ولكنه لن يكون الا هو وحده الذي تعجز المناهج المادية ونظريات التفسير الجزئية عن استيعابه وفهمه ·

حملات التغريب

كذلك واجه التاريخ الاسلامي حملة ضخمة من حملات التغريب والغزو الثقافي تستهدف اثارة الشبهات والشكوك حوله ، بقصد وضعه موضع الازدراء والانتقاص في نظر أهله وحتى يفقد أهميته من حيث أنه قوة انبعاث ويقظة ، وقد حرص التغريب على اختلاق تاريخ اسلامي منفر عسى أن ينتزع من المسلمين ثقتهم في ماضيهم الاسلامي وفي أنفسهم كمسلمين ويسلخهم من تراثهم الفكري وتاريخهم الاسلامي فيصبحون بلا ماض ، فتضعف معنوياتهم وتسهل السيطرة عليهم فكريا وثقافيا كمقدمة للسيطرة عليهم عسكريا واقتصاديا وقد جرت المحاولات لاحلال مناهج الغرب في تفسير التاريخ بديلا للدراسات الاسلامية وفرضت كتب الغرب في المدارس والجامعات وجعلت مناهج الغرب في دراسة التاريخ هي الجواز الى تخريج المؤرخين العرب والى وضعهم موضع الصدارة ·

وقد حفلت هذه الدراسات بالتطاول على أعلام الاسلام وقادته ونوابغه والتشهير بهم في كل عصر عن طريق تزييف طائفة من الاخبار المشكوك فيها والقصص اعتمادا على مصادر غير أصيلة أو مطعون في صحتها لالتماس هذه الشبهات ·

وهناك محاولة أخرى في حاجة الى الكشف عنها ودحضها : ذلك هو محاولة

القول بأن تاريخ الاسلام هو الاسلام نفسه ، والواقع أن التاريخ الاسلامي ليس بالضرورة ممثلا للاسلام ، وانه لابد من التفرقة الواسعة بين مبادىء الاسلام الربانية الثابتة المثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وبين التجربة التي قام بها الحكم الاسلامي والتي قد تلتقي مع مبادىء الاسلام في بعض المراحل وقد تختلف عنه حين يذهب قادة المسلمين بعيدا عن منهج الاسلام ·

ولا ريب أن هناك نفرا ممن تولوا زمام الحكم في الدولة الاسلامية بعد الخلافة الراشدة بعدوا عن « منهج الاسلام » فمن غير الحق أن يصور سلوك هؤلاء الحكام على انه هو الاسلام نفسه ، وأهم ما في ذلك الفهم الخاطىء من محاذير هو محاولة نسبة الاستبداد الى الاسلام ، ومحاولة الاستشراق تبرير الاستبداد بالاسلام نفسه حيث يقول بعضهم وهو كاذب : ان نظام الحكم في الاسلام نظام استبدادي ونسى هؤلاء أن للاسلام مبادئه الواضحة التي تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم لمصلحة المحكوم نفسه·

حقائق التاريخ

كذلك فان التفسير التاريخي الغربي (المادي المصدر) يعجز عن استيعاب حقائق التاريخ الاسلامي التي تعلو على التصور المادي فسرعة انتشار الاسلام على هذا النحو المذهل وتمكنه في خلال فترة تقل عن قرن من الزمان أن يبسط جناحيه من حدود الصين الى حدود فرنسا ، هذا في تقدير التفسير الغربي مشكوك فيه لان الفكر الغربي لا يؤمن بأثر : الايمان العميق القادر عن طريق الارادة الانسانية الى التغيير الواسع ، كذلك يعجز التفسير الغربي عن فهم واستيعاب قاعدة اسلامية أساسية هي « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » ذلك أن التقدير المادي يرى أن الكثرة العددية هي الغالبة أبدا بينما يجعل الاسلام من الايمان قوة جديدة مضاعفة الى قوة العدد والعدة ، وقد أكدت الفتوح الاسلامية هذه الظاهرة بما لا يدع مجالا للشك، وقد ثبت في مختلف الغزوات والمعارك التي دخلها المسلمون أن عددهم فيها كان أقل من عدد خصومهم بمراحل · وان عدد عدوهم كان مضاعفا أكثر من مرة بل مرات ، فالنصر هنا يرجع الى عنصر الايمان الذي لا يعتد به في الحساب عند التفسير الغربي للتاريخ ··

وهناك ظاهرة من التعصب ترجع الى الاختلاف بين الاديان وتفسيراتها للحياة ومن اختلاف وجهات النظر ومن الصراع القائم بين الشرق والغرب ومن وجهة نظر الاستعمار التي ترى أن الغرب هو الجنس الابيض ممدن البشرية وأن بلاد الاسلام هي العناصر الملونة التي يرى أنها أقل في الدرجة والقدرة والكفاية ومن خلال نظرة الاستعلاء العنصري والتعصب الغربي تجري تفسيرات خاطئة في مقدمتها الادعاء بأن انتشار الاسلام انما جاء بالسيف وهي دعوى مبطلة ، والحق أن الاسلام لم يرفع السيف الا دفاعا عن كيانه حين يتعرض وجوده للخطر وذلك في مقاومة محاولات المتآمرين عليه ·

وهكذا نجد أن الاسلام في عقيدته وحركته له ذاتيته الخاصة التي تعجز النظريات عن استيعابه النظريات الجزئية ·

ومن هنا فلابد أن يكون للتاريخ الاسلامي تفسيره الاصيل ·

أنور الجندي

د. حافظ الجمالى

التقدم بين الإنسان والمنهج

كان لنا فى ماضيات الأيام أستاذ فى الرياضيات . وكان فى بعض الأحيان يتحدث عن هوامش لهذه المادة ، لم نكن نأخذها مأخذ الجد . إلا انها لم تكن تخلو من بعض المتعة . مثال ذلك انه ضرب يوما بيده على المنبر ، وقال إن ضربتى هذه لاتؤثر فى المنبر وحده ، بل تؤثر فى كل شىءأخر ، حتى أعالى النجوم . إن هذه ستهتز بدرجة أو بأخرى من هذه الضربة . ولكن ماهى قيمة هذا الاهتزاز ؟ إنها قيمة رياضية بحتة ، فيها رقم ما مسبوق بمئات من الأصفار ، على يمين الفاصلة التى تعين لك وحدة القياس . وبالتالى فان أحداً لايشعر بها ، إلا أن يكون إلهاً يحيط علمه بكل شىء . أما فى مستوى حواسنا ، فان فى وسعنا الظن أن نجوم السماء لاتهتز مطلقاً من جراء هذه الضربة ، لصغر تأثيرها ، وضآلة اللامتناهية . غير أن المهم فى هذا المثال ، هو أن تعرفوا انه مامن شىء يحدث فى مكان إلا ويؤثر فى كل شىء آخر من حوله ، بعيداً كان أم قريباً .

وأعود الآن الى هذه الذكرى ، وأتساءل هل كان أستاذنا هذا يعرف شيئاً ما عن المادية الجدلية ؟ وعن قولها إن كل شىء يؤثر فىكل شىء آخر من حولهويتأثر به ؟ وإن الطبيعة فى تغير مستمر ، بحيث لاتستطيع السباحة فى ذات الماء مرتين ، وإن فى كل شىء جانباً سلبياً هو (الضرورة) ، وآخر إيجابياً ، وهو (الوجود) وإن كلا من هذين يصارع الآخر صراعاً أبدياً ، بمقدار ماهو ازلى ، ويحاول افتراسه ، وإن التغيرات الكمية متى تراكمت الى درجة ما انبثق عنها تغير نوعى ، يقلب صورتها القديمة الى صورة جديدة . وإن التطور ليس إلا هذا الانتقال الضرورى من صور قديمة الى أخرى جديدة ، وإن هذه الحال ، هى حال الطبيعة ، كما هى حال الانسان وحال المجتمع ! إنى لاأظن ذلك . ولكن الاستاذ كان يتكلم بمنطق رياضى بحت ويعرف على الأقل ، مبدأ أوليا من مبادىء الجدلية المادية ، أما المبادىء الأخرى التى اكتملت مع هيجل فلاريب أن بذورها كانت معروفة ، حتى فى تفكير هيراقليت ، منذ أواخرالقرن السادس قبل الميلاد . فاذا جاء ماركس وأعاد تنظيمها وجعلها تقف على رجليها ، بدلا من أن تقف على رأسها ، كما هى حالها عند هيجل ، فلا ريب أن كل الناس يعرفون له هذه المزية ويقدرونها له حق التقدير .

حالة تاريخية واحدة

ولكن لماذا أقول هذا كله ؟ والجواب انى كثيراً ما أسمع أن الأخذ بمنطق المادية الجدلية ، هووحده الذى سيخرج العرب وكل شعب متخلف آخر ، من التخلف ، ويضعهم على صراط التقدم اللامتناهى . فان لم يأخذوا به كتبت عليهم الهزيمة . وباءوا بغضب من الله ورسوله . وبطبيعة الحال فان عدداً كبيراً من العقائديات يتنازع شرف هذا الايمان ، وكلها ملخصة فيه . غير انى أتساءل دوماً : هل القضية فى التقدم أو التخلف قضية (منطق من نوع ما) أو منهج ما . على ما يقول عصمة سيف الدولة ، إذا اتبعناه نجحنا ، وإن تجاوزناه الى غيره أخفقنا !

وألاحظ هنا أن النهضة الغربية كانت واضحة منذ القرن الخامس عشر أو السادس عشر على أبعد تقدير . ترى هل كان القوم هناك يتبعون فى تطورهم منطق المادية الجدلية (أو منطق جدل الانسان بلغة سيف الدولة) فيتتابع تقدمهم لهذا السبب ؟ وهل أعمينا نحن عفوياً عن هذا المنطق فتخلفنا وتراكم فوقنا التخلف ولايزال ؟ أو لم يهدنا الله مرة واحدة خلال ألف سنة من تاريخنا لمثل هذا المنطق ؟

هيجل

وأتساءل مرة أخرى : إنه لنا فى الماضى نهضة وتقدم ، وسبق الى اكتشافات علمية كثيرة ، فهل كنا عندئذ نأخذ بمنهج أو بآخر فى الوصول الى هذا التقدم ؟.. وهل وجد حتى الآن شعب واحد من الشعوب المتقدمة حقق تقدمه بقرار مسبق يبين أهداف التقدم وطرق الوصول إليه ؟

إن هنالك حالة تاريخية واحدة نستطيع ـ ولكن بالجهد ـ أو بعد لأى ، كما يقول قدماء العرب ، أن نقول إن التقدم فيها تم بقرار ، هى حالة اليابان فمنذ عام ١٨٦٨ ، ولدى انتقال الأمبراطور الى العاصمة الشرقية ، طوكيو ، وإصداره مراسيم القضاء على النظم الاقطاعية ، وتحديث الاقتصاد ، والادارة ووضعه زمام الأمور بين أيد قليلة من رجال الساموراى ، الذين استهواهم التقدم ، كان بالامكان أن يشاهد الانسان عندئذ قفزة حضارية لامثيل لها فى العالم ، بحيث أن عدداً محدوداً من السنين (أقل من أربعين) رفع اليابان الى مصاف كبرى الشعوب المتقدمة ، بعد أن كانت تعيش كل مآثر أو مآسى الحياة الاقطاعية ، ونظام الطبقات ، وما يشبهها ولكن هل كانت اليابان تخطط لتقدمها ، طبقاً لمنهج ليبرالى (سرعان ما ضحى به على مذبح التقدم الاقتصادى) ، أو لمنهج اشتراكى ، أو لآخر مادى جدلى ؟ أما انا فأظن أن الشىء الهام لم يكن المنهج ، ولا التخطيط ، بل كان (إرادة التحديث) أو إرادة التحضر . وعند ما وجدت هذه الارادة ، أخضعت ماحولها من نظم ومؤسسات ، وجعلتها متحضرة ، من دون اى بحث عن تناقض ممكن بين تراث الأجداد ، وحداثة العلم ، ومبتكرات الصناعة .

أساليب ومناهج مختلفة

ولكن هل يعنى هذا كله أن وجود المنهج أو الخطة أو التخطيط ، مما يفسد عملية التطور ، أو يعرقلها ؟ الحق عن ذلك بعيد . وقلما استعمل العقل فى أمر ما ، وكان نجاحه دون نجاح العفوية ، والارتجال . لكن القول إن منهجاً ما بعينه ، هو الذى يساعد على التقدم ، دونه أى منهج آخر ،

● الحقيقة أن الحضارة وليدة الجهد الإنساني المتراكم أو الخلاق

● المشكلة ليست في المنهج .. ولكن في العقل أو الروح التي تقوم وراءه

● الإنسان السيئ يريق سوءه على كل المناهج ويجعلها جحيماً

إنما هو قول لايتطابق مع حقائق التاريخ : فالشعوب التى تقدمت ، تقدمت بصور شتى ، واساليب ومناهج مختلفة ، ولم يخطر ببالها أصلا أن تستخدم المنهج الجدلى ، وعلى الأقل لأنها لم تكن تعرفه . ترى اكانت تتصرف تبعاً له من دون وعى الى أنه هو الناظم لحركتها ؟

وفى دنيانا الآن جملة دول اشتراكية ، تعتمد المنطق الجدلى هو والماركسية معاً . فى سلوكها العام والخاص . فهل جعلها هذا المنطق . كلهاسواء فى التقدم ، أو أنها تتدرج على سلم الحضارة من أدنى الدرجات إلى أعلاها ، تماما كالدول الأخرى التى لاتعتمد هذا المنهج ؟ وحتى الاتحاد السوفيتى الذى حقق الرقم القياسي فى التقدم . أى فى العلم والتقنية . فهل كان تقدمه يصدر عن اعتماد المنهج الجدلى ولاشىء آخر ؟ وهل كان تقدمه واحدا فى كل أجزائه ؟ لئن صح هذا فعلينا أن نسأل :

لماذا لم توازه الدول الأخرى الآخذة بمنطقه ومناهجه ، على الرغم من أن بعضها كان أكثر منه تقدما ؟ لعلها اذن تزيف المنطق ، وتخون الرسالة ؟ ولكن كيف تفعل ذلك على مرأى ممن يحسنون تطبيق المنطق ، ويخصونها دوما بكريم الرعاية ؟

الحقيقة أن (الحضارة) وليدة الجهد الانسانى المتراكم أو الخلاق . يكبر هذا الجهد فتكبر هى ، والعكس بالعكس . بقى أن نعرف لماذا يكبر الجهد فى مكان ويصغر فى آخر ؟ وفى رأينا أن مستوى الحرية المتاح للعمل الفردى ، والابداع الشخصى والشعور بالأمن ، ومستوى اخلاص الدولة لأهداف الأمة ، ومدى كفاءة رجالها للاعمال المسندة اليهم ، كل هذه العوامل هى التى تتيح المجال لتقدم الحضارة ، فتضيق هذه ، إن ضاقت تلك ، وتتسع إن اتسعت وليست مجرد كلام غث،الا يوجد باحث واحد ، غربى أو شرقى ، بحث فى التخلف العربى ، إلا واشار الى علاقته باستبداد الدولة ، وذهولها عن أهداف الأمة وكذلك ليس بالملاحظة الضحلة أن نرى الدول العربية تختلف فى كل شىء : فى النظم والفلسفة ، وطرائق الحكم ، وأشكاله الخارجية وعقائدياته ولكنها لاتختلف مطلقا فى مستوى التقدم ، فكلها والحمد لله من العالم الثالث على تباين شروطها الداخلية

ماركس

والخارجية ، واختلاف ما تعتمده من العقائديات . أفليس المجال مفتوحاً للشك إذن فى قيمة المظاهر الخارجية فى سور الحكم . ومناهج العمل ، والقول أن وراء هذا التباين الخارجى وحدة عميقة فى الجوهر ، مما يجعل التقدمى كالرجعى ، والاشتراكى كالبورجوازى ، والحديث العقل كالقديم والوحدة كالانفصال والانفصال كالوحدة ، والصمود كعدم الصمود ؟

الحقيقة أن المشكلة ليست فى المنهج ، ولكن فى العقل أو الروح التى تقوم وراءه . فاما أن تكون هذه متحضرة ذاتيا فتشيع التحضر فى كل ما حولها . وإما أن تكون متخلفة فتلون كل اداة حضارية بلون تخلفها فالانسان وحده هو الاصل ، فاذا وجد ، كما ينبغى ، فكل منهج صالح ، وإن لم يوجد ، كما ينبغى ، فكل المناهج معاً تصبح أدوات جديدة للاخفاق . وأظن أن برنارد شو هو الذى قال : إن فلاسفتنا (الاشتراكيين) لم يتركوا شيئاً إلا نظموه . حتى لقد بحثوا فى كيفية توزيع المواد الاستهلاكية ، أعلى ظهور الدواب ، أم فى السيارات ؟ إلا أنهم نسوا شيئاً واحداً ، هو كيفة حمل الناس على قبول آرائهم ، وتطبيقها فى الوقت المناسب ، تطبيقاً حسناً . ومامن شك أن الانسان السيء يريق سوءه على كل المناهج ، ويجعلها جحيماً بدلا من أن تكون نعيماً .

د. حافظ الجمالى

كلمات لها دلالة

فى اعماق نفسك : ان مكائد المراة مهلكة . ولكن هذه المكائد تدبر في اعماق نفسك انت الرجل قبل ان يدبرها عقل المراة . واذن فلا مكائد نسوية خطرة عليك الا تلك التي تريد انت ان تقع فيها .

التفوق لا السعادة : الرجل القوي الطموح هو الذي ينشد التفوق لا السعادة . التفوق هو ان تنطلق الى اعلى ، ان تضرب فى اعماق السماء لتلتقط ولو شعاعا من ضوء النجوم . اما السعادة فهي ان تستلقي على رقعة من الارض وتفرح بمجرد التطلع الى ضوء النجوم .

الخلق والذكاء : متانة الخلق اثمن من ذكاء العقل والشعوب كالافراد لا ترتقي بذكائها قدر ما ترتقي بمتانة اخلاقها .

هذا هو الفرح : لا فرح للرجل الا في عمل يحبه ، ولا فرح للمراة الا في حب طفلها ، أو في حب رجل تنزل من اجله عن كبريائها ، وتحنو عليه هو الاخر وتحبه كانه طفلها .

العرب وتحدي المرحلة

أنطون مقدسي

فى اعتقاد المثقفين العرب ــ جلهم فيما أعلم ــ ان التحدى الذى نواجهه اليوم ، وعلينا ان نرد عليه أو نرده كى نواصل مسيرتنا الحضارية ، يتركز فى «التكنولوجيا»أى ، فى نظرهم مجموع «الآلات» التى اخترعها الانسان ، بالاستناد الى العلوم الدقيقة (الرياضيات والطبيعيات على الخصوص) ونحن فى غفلة من الزمان ، فهى التى مكنت الأجنبى فى السابق من احتلال ديارنا ، وتمكنه اليوم من التسلط ، بشكل أو بآخر ، على ثرواتنا . هذا الاعتقاد يحيل الى مسلمة ، مضمرة أو ظاهرة ، تسوغه أو تجعله ممكنا ، وهي أن الأمة ماتزال ، فى جوهرها ، على ما كانت عليه فى الفجر الأول ، سليمة ، معافاة ، على احسن حال وبوسعها ، إذا ماتيسرت لها الوسائل الحديثة ــ تكنولوجيا ــ أن ترقى اليوم ، كما بالأمس ، الى اعلي مستويات الثقافة والحضارة . ويذهب بعضهم الى أن الاخلاق هى التى تردت لأن الناس حادوا عن سنة الأوائل فأصيبوا بما يشبه الخور النفسى ، فعلى الجماعة أن تستنهض هممهم بحيث يستعيدون تدريجيا مناقب الاقدمين . وعندها تستقيم الأمور وتسير فى الطريق السوية .

وعلى أية حال فما هى الأمنية التى نتغنى بها منذ نهضتنا (اواسط القرن التاسع عشر) تتحقق متسارعة ، فقد رزقنا والحمد لله من الثروات ما يمكننا من الحصول على ما نريد ، وإذا بقيت عملية التحديث سائرة على وتيرتها اليوم فسوف يكون لنا فى ظرف سنوات من الاجهزة الاكثر حداثة ما يغطى حاجاتنا كلها الاقتصادية منها والعسكرية ، كالعمرانية والثقافية ، وايضا الضرورية والترفيهية (هذه أكثر من تلك) كما أننا بدأنا نخرج فى جامعاتنا وفى الجامعات الاجنبية ، بوتيرة متسارعة ، مانحتاجه من متخصصين على اعلى المستويات لضمان صيانة الاجهزة وحسن سيرها بحيث يرتفع عندنا مستوى الانتاج والخدمات ونحتل بعد سنوات المكان اللائق بنا بين الامم .

ومع ذلك لا أظن أن العربى يؤمن فى قرارة نفسه بأننا صرنا ــ او سنصير عن قريب ــ فى عداد الامم المتقدمة ، رغم اننا نجد فى بعض عواصمنا ، مانجده فى عواصم هذه الأمم من وسائل التمدن ومستلزماته وظواهره ، لا بل يذهب المتشائمون الى حد التأكيد بأننا اليوم أكثر تخلفا من الأمس ومن لا يتقدم يتأخر ، تقضى بذلك سنة الحياة .

والتقدم بعد ليس فى حيازة الاشياء ، بل هو ــ إذا قاربناه مقاربة اولى ــ فى نمط استخدامها وعلى الأخص فى العلائق الاجتماعية والانسانية التى تنشأ بنتيجة استخدامها ، وما يلزم عن هذه العلائق من قيم وعادات وتقاليد ... وأدب وفكر ، ويبدو لى أن ماركس لم يدرك إلا وجها من الحقيقة عندما رأى أن الآلة تبدل الانسان ، فرداً وجماعة ، وتجعله ، بمعنى ما ، على صورتها ومثالها . إذ قد يحصل العكس تماما ، فالبندقية مثلا حلت عندنا محل السيف ، فى المآتم والاعراس والاحتفالات الأخرى . والسيارة محل الحصان . فهى عند الثرى الهيبة ، وعند اولاده دمية يزجون بها اوقات الفراغ ، وقد يتنافسون فيما بينهم على قيادتها ، أيهم يتفوق على الآخر سرعة ، ولا يعنيهم ما إذا كانت تزهق أرواح الناس والى أى حد ، وعند الريفى المعوز، تظل السيارة شاحنة أيا كان حجمها ، ففيها يحشر البشر مع الاشياء والحيوانات سواء بسواء . أما أذى عباد الله فمسألة ثانوية ، أمرها متروك للأقدار ، ورصيف الشارع الذى جعل للمارة يتحول فى امسيات الصيف الى مكان للنزهةأو للتجمع ، فالمرور عليه شاق وقد يعرض كرامة المرء للامتهان ، والشهادة الجامعية التى هى بالاصل إجازة مهنية صارت اداة للترقية الاجتماعية ودليلا على مرتبته فى سلم التشريفات .

هذه الامثلة وغيرها ، وهى بعدد وفير ، تدل ، إن دلت ، على أن أشياء الحضارة الحديثة ووسائلها ومؤسساتها ، حرفت عن الغرض الذى جعلت من أجله لتنتظم فى اطار علائق اجتماعية أخرى ، ما يزال كلها قبليا ، قوامها العصبية ، كما يرى ابن خلدون . والانتماء فيها ليس للجماعة (الامة أو الوطن) أو للدستور ، بل للزعيم ، لا فرق فى هذا بين النظام الجمهورى والملكى ، الاشتراكى والرأسمالى ، الشعبى

- التقدم ليس فى حيازة الأشياء . بل هو فى نمط استخدامها .. وعلى الأخص فى العلائق الاجتماعية والإنسانية التى تنشأ نتيجة استخدامها
- لقد خسرنا ماضينا ومانزال نلتمس طريقنا إلى القرن العشرين .. ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين ، ولم نصر إلى مايجب أن نصير إليه
- الآلة ليست موجوداً قائماً بذاته .. إنما هى حصيلة تاريخ .. إنها بُعد من أبعاد حضارة متكاملة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً

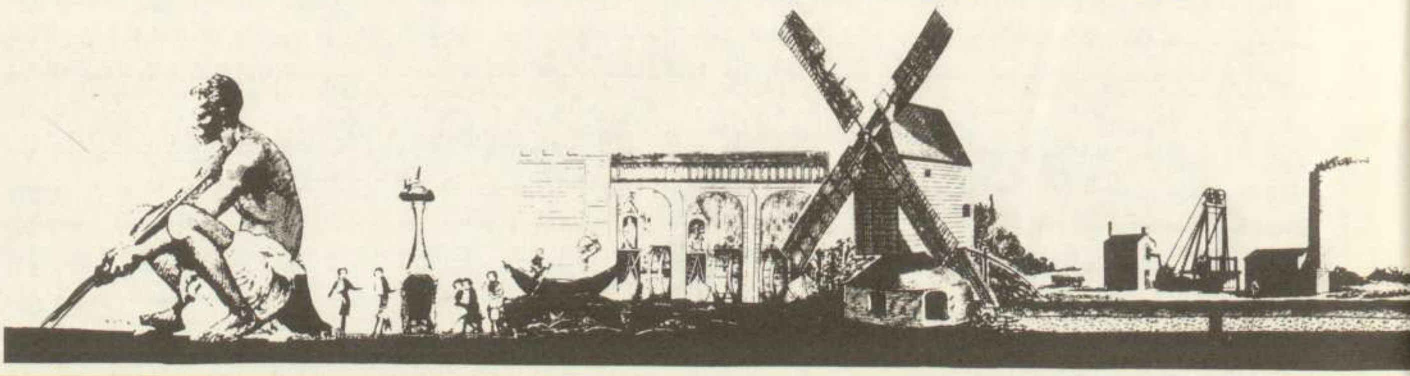

والبرلمانى وما شئت ... فالكل بالنتيجة واحد طالما ان العقلية واحدة .

والواقع أننا سواسية فى رد فعلنا على الآلة وحضارتها ، لا فرق بين شمالنا وجنوبنا مشرقنا ومغربنا ، فقد دخلنا كلنا عفويا فى تسوية معها ، رجحت القديم على الحديث . وعلى أية حال فان الحلول المتوسطة ، اذ تستمر ، تعرض الانسان ، فرداً وجماعة للهجانة ، وبالفعل فقد خسرنا ماضينا ومانزال نلتمس طريقنا الى القرن العشرين ونحن على مشارف الواحد والعشرين . فواحد من أوجه التحدى الاساسية هو اننا لم نعد ماكنا عليه ولم نصر الى مايجب أن نصير إليه .

اللغز فى الانسان

إن الآلة لهى بين أشياء العالم الشىء الوحيد الذى لا سر فيه ولا لغز ، فبوسعك ، إذا درستها ، أن تفككها قطعة قطعة بحيث تلاشيها ، ثم تعيد خلقها كما هى أو مع تعديلات تجعلها أحسن مما كانت عليه ، كما أنك تستطيع أن تستخدمها لأى غرض تشاء فهى ملكك ولك الحق المطلق مبدئيا باستهلاكها .

لكن اللغز هو فى الانسان ، مبتدع الآلة ، لأنه يمنحها الوجود ويستخدمها لاستعباد الآخر ، وهى فى الوقت ذاته تفرض عليه أمورا لم يكن لولاها ليأخذ بها ، فلا تدرى أيهما يسود الآخر ، فالتحدى ليس فى الآلة – إنها بمتناول كل انسان يدفع ثمنها ، وليس فى المهارات اللازمة لاستعمالها ، فبوسع اى انسان مبدئيا أن يكتسبها ، إذا بذل الجهد المطلوب . وقد لا يكون أيضا فى اختراعها ، فهى اليوم من عمل هيئات متخصصة ، تضم افرادا من أطراف العالم الاربعة ، كل وفق كفاءاته ، والقاسم المشترك بينهم – تطوير التكنولوجية – يصهرهم فى وحدة لا قومية (حيادية قوميا) ولكنها تعمل لصالح الأمة التى تكونها وتمولها وتشرف عليها وتستوعب نتائجها . والتحدى فى هذا ، أى فى قدرة الأمة على تنظيم ذاتها فى مؤسسات تستطيع بدقتها وعملها المحكم ، أن تفرز أو تستقطب الهيئات المتخصصة ثم توظف حصيلة عملها لخدمة مصالحها الخاصة ، ومنها السيطرة على الامم الاخرى .

إن الآلة ليست موجوداً قائما بذاته ، ليست شيئا حياديا ، بحيث لا تتأثر بالنقلة من بيئة انسانية الى غيرها ، انما هى حصيلة تاريخ ، وليدة مجتمع ، كونها وكونته ، أى المجتمع الصناعى ثم هو اليوم المجتمع بعد الصناعى ، انها اذن بُعد من ابعاد حضارة متكاملة فى بناها الاقتصادية والسياسية ، الثقافية والاجتماعية وايضا فى أدبها وفلسفتها وقيمها وتقاليدها ، الخ . فكيف يتسنى للجماعات غير المصنعة أن تصنع وتحافظ فى الوقت ذاته ، كل منها على هويتها وشخصيتها التاريخية ؟ ذلكم هو السؤال الخطير المطروح على العالم غير المصنع ، بخطورة متناسبة مع اصالة كل أمة أو حضارة ، من أمم وحضارات هذا العالم .

ثمة ظاهرة ، قلما يعيرها فكرنا العربى ما تستحق من اهتمام ، مع انها سيرورة بعيدة المدى ، وهى أن الاستخدام المتزايد لدى كافة الامم والشعوب ، للسيارة والثلاجة والراديو والطائرة وغيرها من منجزات التقنية التى اصبحت من ضرورات الحياة ، وايضا استخدام البندقية وايضا المدفع والصاروخ ، وغيرها من مستلزمات الدفاع عن النفس ، كون ويكون بسرعة عادات وقيما ، تقاليد وتصورات واخيلة ومنعكسات موحدة ، وبمعنى ما لسانا أمميا ، وبالتالى عقلية مشتركة وعلائق انسانية واحدة . فما هى حدود هذه السيرورة ؟ وهل سينتهى الامر مع تعميم استخدام منجزات التكنولوجيا الى صهر كافة الامم فى أمة ، وكافة الحضارات فى حضارة ؟ لا اعتقد ذلك إذ لا توجد أية بوادر تبشر بظهور مجتمع لا قومى أو عالمى . وربما أن العكس هو الاصح ، اليوم ولا شعار آخر . ولكن المؤثرات التى يخضع لها الشباب العربى اليوم والتى هى بوادر عقلية جديدة ، تباعد بينهم وبين الماضى بحيث يفقد التراث تدريجيا ، فى نظر الاجيال الناشئة ، كل معنى ، ويبدو وكأنه جملة أوامر وزواجر «مجانية» أى جزافية . ليس التقارب بين الشعوب والامم والحضارات بالأمر المكروه فقد وجد البشر ليتعارفوا ويتعاونوا ، إلا أن الشعب يفقد مناعته بفقدان اصالته ، فيصبح التقارب لصالح الاقوى ، وربما بسيطرة مبطنة ، مغلفة بالمثل الانسانية العليا .

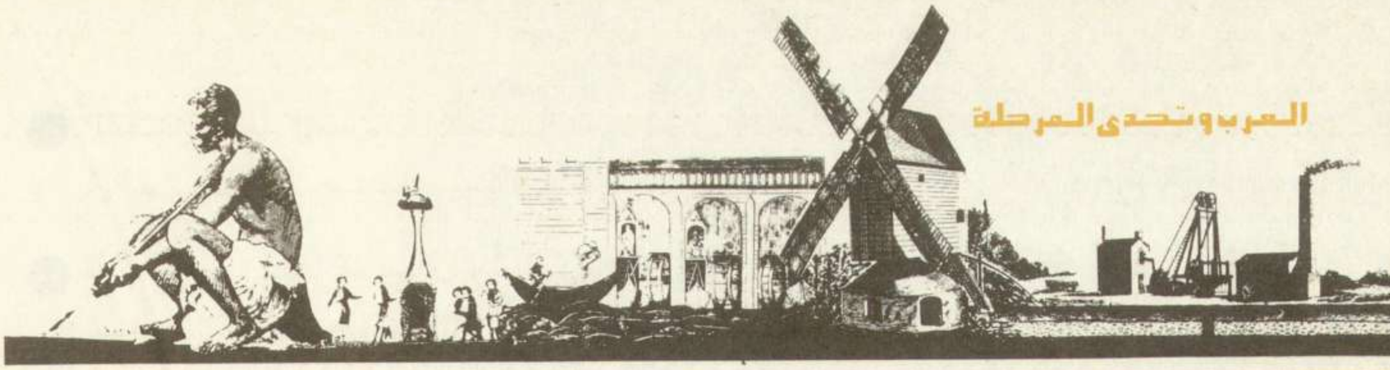

تلك ، على ما أعتقد ، أمور واضحة .

والذى ليس واضحا هو الطريق التى تؤدى الى التآليف بين خطين ، للوهلة الأولى متنافرين : خط الماضى الذى هو شخصيتنا التاريخية وخط المستقبل الذى هو خط الحداثة .

والخطأ هو اننا ما نزال نعتبر التقنية وسيلة وحسب أو فى أننا مانزال نفصل الغاية عن الوسيلة، فنعتبر الموجود التقنى ، بشكل عام ، شيئا قد يملكه المرء وقد لا يملكه . مع انه فى الحقيقة وجه من اوجه وجود كلي نسميه (الوجود فى الحداثة) .

فالتحدى ليس موجها لثروات العربى ، بل لوجوده أولا ثم لثرواته .

ولغز الحياة

كان ديكارت يرى الناس متساوين فى العقل (الحس السليم احسن الامور توزعا ، على حد قوله) متفاوتين فى الطريق التى يسلكها كل منهم للوصول الى الحقيقة ، متفاوتين ، بتعبير آخر ، فى استخدام العقل هذا يجيده فيتقدم ، وذاك يسيئه فيقصر ، وبمعنى ما ، الحق معه إذ أن بوسع كل انسان مبدئيا إذا وضع فى شروط سوية أن يميز بين الخير والشر ، بين العدل والظلم وان يفهم البديهيات الناظمة للبرهنة المنطقية (الكل اكبر من أحد اجزائه ، مثلا او أن يعرف ما إذا كان يمارس حقا حرياته اولا ، ولأية درجة (الديمقراطية) ، كما أن بوسع أية جماعة أن تبلغ مبدئيا اعلى الدرجات فى سلم الحضارة والثقافة ، إذا أخذت بأسباب ذلك ، ولقد برهنت على صحة هذا المبدأ حركة صعود الامم وهبوطها على الخصوص فى القرن الفائت وفى هذا القرن ذلك أن العلوم والتقنيات وكافة وسائل التقدم (كما يفهم التقدم اعتياديا) ملك الانسانية جمعاء ، ومن حق كل انسان ، فرداً وجماعة ، أن يفيد منها كما أن من واجبه الاسهام فى تطويرها .

فوجود الانسان مقصراً فى عالم يتقدم — مع ان كافة الابواب مفتوحة أمامه وكافة الامكانات متوافرة لديه — هذا الوجود هو التحدى بالذات ، وهو يطرح سؤالا ، التأمل المخلص فيه يحرج المتخلف وهو : لم كان التخلـــف ؟

ثمة عوامل شتى وظروف موضوعية واكبت التخلف ، منها المناخ والتفاوت العرقى ودورة الافلاك الخ كما كانوا يرون فى السابق (ابن خلدون مثلا) ومنها ، فيما يرون اليوم ، الغزو الاجنبى الذى كان يعطل حركة تقدم الشعوب فى السابق ، والاستعمار الذى بدأ مع النهضة الغربية وما يزال مستمرا ، هو الذى قسم العالم الى مناطق نفوذ او احتلال اجبرت كلاً منها على الانغلاق على ذاتها وبقيت كذلك لسنوات قليلة خلت وايضا وجود المواد الاولية ومصادر الطاقة اللازمة للصناعة حيث تمت الثورة الصناعية فى أواخر القرن الثامن عشر ، الخ .

إلا أنه لا توجد ، من حيث المبدأ ، شروط لازمة وكافية لشرح وتسويغ عمل ، الانسان بعد من ابعاده ، وإذا وجد شيء من ذلك سقطت الحرية وامتنع الكلام . إن الانسان ينشيء شروط وجوده بمقدار إنشائها إياه واكثر .

اقول بشكل آخر إن الشروط والاسباب والعوامل التى ذكرت وغيرها بعدد وفير ، كلها ، قد اوردت ورددت بكافة الاشكال والتلوينات ، لا تكفى لرفع مسؤولية التخلف عن المتخلفين ، على الخصوص اليوم ، بعد أن استقلت معظم اممهم ، وصارت كل منها نظريا ، سيدة ثرواتها ، تتصرف بها كما تشاء ، وعليها ان تستخدمها ، لا لرفع مستوى حياة الشعوب وحسب — فهذا تحصيل حاصل بل أيضا لاذكاء روح الابداع عند الفرد ، وهذا هو جوهر التقدم .

ان وجود الجماعات أمما كانت أم حضارات أم شعوبا أم غير ذلك — هذا الوجود تاريخى ، فما نسميه خصائص الأمة أو عقليتها أو مميزاتها القومية ان هو إلا تشكل مرتبط بظروف سياسية — اقتصادية — ثقافية تستدعيه ويستدعيها ويتبدلان معا قد يكون هناك طابع عام أو خلق مشترك يميز امة عن أخرى ويضفى سمات خاصة على تقدمها أو تأخرها ، وهو قابل للاستمرار زمنا طويلا ولكن ماالذى يضمن استمراره إلى ما لا نهاية له ، ؟

فالعجز إذا ليس عضويا ، كما يقول علماء الحياة ، أى ليس من بنية الموجود ، ولو صح ذلك لما كان ثمة تحد ، وإنما هو وظيفى على حد تعبير علماء الحياة أيضا ، ليس العجز فى العقل ، فهذا مشترك بين البشر اجمعين ، كما يقول ديكارت وهو الذى يميز الانسان عن الحيوان بل فى ممارسة الانسان لقدراته العقلية ، فقد يستخدمها للقتل والسطو وبقية انواع الأذى ، وقد يسخرها لتغطية عقده النفسية ، كما قد يستخدمها لتنمية العلوم والآداب والثقافة ، شأنه فى ذلك شأن مالك رأسمال ، قد يستهلكه لاشباع شهواته ، وقد يوظفه فى مشروعات التنمية .

فالسؤال الذى لا جواب له هو : لم يتراخى الانسان فى وقت من الاوقات فيبدأ بالهبوط وينساق معه ؟ لم يدمر الانسان احيانا وجوده وكأنه ينتحر عامدا متعمدا ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ ... وبالعكس ، متى وكيف ولم تشتد همته فيقتحم الصعاب ويصبح مستقبلاً ؟

إنــه لغــز الحريــــــــة .

التحدى الحضارى

ليست هذه المرة هى الاولى التى تواجه فيها الامة العربية تحديا «حضاريا» بمقياس التاريخ ففى القرنين الأول والثانى للهجرة وجدت أمتنا ذاتها امام حضارتين كانتا إذ ذاك تتنازعان السيطرة على العالم المتحضر : الاغريق فى تراثهم الفلسفى وفي بيزنطة وريثتهم ، ومن جانب آخر بلاد فارس وعبرها روحانية الشرق الاقصى . وما إن يطل القرن الرابع حتى تصبح كل من الحضارتين ، بالتعريب والتمثل ، بالتأليف وإنشاء المؤسسات ، بعداً من ابعاد الوجود العربى .

ولكن من المؤكد أن تحدى الحداثة ، فكرا وتقنيات ، اضخم واقوى مفعولا من كل ما سبقه من جهة لانه يقع على بنية اجتماعية جعلتها قرونا عدة من الانحسار والتقوقع ، هشة سريعة العطب ومن جهة أخرى لأن التكنولوجيا التى هى فى وجه الحداثة الاكثر تقدما والاكثر نفاذا ، تملك قدرة خارقة على تفتيت الشخصيات التاريخية ، على الخصوص إذا لم تكن هذه مهيأة

التحدى موجه لأمم العالم كله.. وبالدرجة الأولى لثقافة كل منها. وبتعبير أدق لأصالتها ولصورتها الحضارية وتاريخها

التقدم ليس فى الثروة ولا فى عمران المدن.. حتى ولا فى عدد المدارس.

ابن خلدون

ديكارت

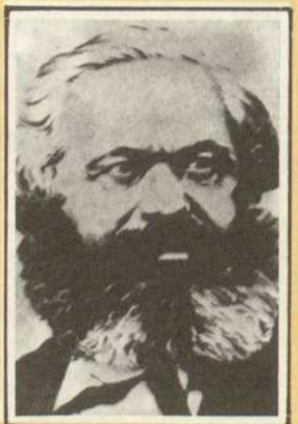

كارل ماركس

لاحتضانها ، اى لمعرفتها وتمثلها وابداع نظيرها ، ويزيد فى خطورة مفعولها أنها ، بذاتها ، كيان مجرد ، حيادى ، أصم بدون تراث ، بمعزل عن الزمان والمكان ، فحيث يغرسها الانسان تزيح التاريخ القائم لتفرض تاريخا خاصا بها ، وهو فى الحقيقة نفى لكل تاريخ . وحيث تهبط على حين غرة هبوط الغازى تفرض صورتها وتاريخها ، منطقها وتراثها ، أو قل يفرضه صاحبها هو ومصالحه ـ باسم العلم والتقدم ، باسم الحرية ، باسم الصداقة بين الشعوب ... باسم ما شئت من المعانى الانسانية العظيمة !

فالتحدى اذن موجه لأمم العالم كله ، وبالدرجة الاولى لثقافة كل منها ، لمؤسساتها للغتها ، أو بتعبير ادق لأصالتها ولصورتها الحضارية ، كما تبلورت خلال تاريخها ، إلا انه يأخذ شكلا حاداً جداً عند الامم غير المصنعة حيث البنى والقوى، القيم والتقاليد ، حيث العلائق الاجتماعية والانسانية ليست من هذا الزمان ، فلا تتوافق مع آلة الحداثة ، وايضا حيث على الجماعة بالتالى أن تنشىء كل شىء وتنشىء وجودها من الصفر ، وفى الوقت ذاته تحافظ كل منها على اصالتها .

فالتحدى رهان على الوجود .

إلا أن ماصنعه إنسان ، بوسع كل إنسان بوسع أى إنسان ، مبدئيا ، أن يصنع مثله واحسن ، وليس هذا بالامر المستغرب ، فالآلة ، اية آلة ، مهما تكن دقة صناعتها وإحكامها وتعقيدها ، ان هى إلا دستور رياضي حقق فى الحديد والصلب ، إنها تصور عقلى ، فكرة مجردة باختصار صناعة لاطبيعة ، وكل صناعة يوجدها إنسان ، فهى للانسان ، يستخدمها وفق حاجاته ويطورها وفق رصيده الفكرى .

ولكن ، اذا توافرت له الشروط التى تمكنه من ذلك .

واذا كان العقل قسمة عدل بين الناس ، فوجوده لايتحقق لايصير فعلا ، بعد أن كان قوة إلا بالطريقة أو إذا شئت بسلوك الطريق المتناسبة مع غرضه ، وربما أن الاعتراض الأهم على ديكارت وحقيقته هو فى سؤالنا عما إذا كان بوسعنا الفصل بين العقل والطريقة التى يستخدم بها ليتحقق ، اذ ليس من الممكن اعتبار الغاية بدون الوسيلة ولا الهدف بدون الطريق التى تؤدى إليه ، والعكس صحيح ، فاذا كان بمقدور إنسان مزود بثقافة مناسبة أن يصنع آلة حديثة تدرب على صنعها ، واذا كان بمقدور أى مجتمع اليوم أن يعد علماء وتقنيين بعدد وفير ، فليس من السهل على الجماعة أن تنظم ذاتها بحيث تستوعب علماءها فلا يغادرونها ، كل منهم ، فور إنهاء تحصيله ، كما انه من الصعب جداً على الفرد أن يبدع فكراً متقدما بدون مناخ مشبع بالثقافة والحرية ، قد يكون من العسير حصول الانسان على راس مال نقدى وفير ، ولكن الأعسر هو حسن استخدام رأس المال هذا بحيث يؤتى أكله .

إن التقدم ليس فى الثروة ، ولا فى عمران المدن ، حتى ولافى عدد المدارس ، على أهمية هذه الوسائل وغيرها ، بل هو فى الابداع ، اقصد القدرة على تخطى الركود فى سبيل تجدد لاحد يحده . واعلى انواع الابداع هو ابداع الانسان ذاته وعالمه ، فعندما تبلغ الجماعة هذا المستوى تنتج ماتحتاجه من علماء وتقنيين وآلات تلائم درجة نموها ، وتنتج بالدرجة الأولى شعراء ومفكرين ... وايضا قادة على مستوى الآتى

• • •

ان قرونا من الاستعمار والاضطهاد ، من الفقر والتقوقع .... تفقد الانسان ثقته بذاته فهو ضعيف الخلق ، محدود النظر ، سيىء الظن بالآخر ، جشع ، نهمه لايشبع من الثروات والمناصب والالقاب ، إذا وضع فى مركز السلطة تسلط ، هذا الرجل إذا حكم علق الحريات واضطهد الناس ، لاعن سوء نية فى اغلب الحالات ، بل لأنه لايطمئن اليهم لايركن إلى من لايعرفه ، أهل عشيرته وندماؤه والمتزلفون هم الموثقون وحدهم ، عندها تراوح الجماعة مكانها ويخيم عليها شبح التخلف ويبدأ التحدى .

فالداء فى الحرية وعليها وحدها ان تجيب .

ربما أن الحضارة التكنولوجية هى اكبر امتحان تعرضت له فى التاريخ حرية الانسان فرداً وجماعة ، وذلكم هو جوهر التحدى ، يضع كل أمة أمام مسؤولياتها ، وعليها أن تجيب ، لابالاعلان عن النوايا الطيبة ، فالعبارات الفضفاضة دوما دليل عجز فى المؤسسات ، وبما تعطيه من مبادهة للشعب ، كى يناقش ويختار ويوجه وبالحوار الفعلى بين القيادة والناس ، وتبادل الادوار ففضيلة المواطن أن يكون حاكماً ومحكوما ، أن يجيد الامارة والطاعة ، كما كان يرى أرسطو وبما تنتجه من مثقفين وفنانين وفلاسفة ... ينبئونها عن حقيقتها ، ففى جواب الأمة الدليل إلى وعلى درجة تحررها ، والبرهان على أن بوسعها تخطى التخلف .

والحرية هى الحكم الأول والأخير فى شؤون الحياة والدنيا .

انطون مقدسى

نعمان عاشور

لقاء مع:

بيرم التونسي العراقة الشعبية

من أصل تونسي .. لكنه من مواليد الإسكندرية

كان صاحب محل عطارة وهو صبي

الظاهر بيبرس: إحدى روائع بيرم الدرامية

أزجاله ظلت تنبض بغناء الناس حتى آخر عمره

تعود بيرم رحمه الله أن يكتب فى أى مكان يهبط عليه فيه الوحى . وكما كان يقول هو ساخرا من نفسه (لما تواتينى زنقة الالهام فقل على الدنيا السلام) وذلك انه كان يسارع الى تسجيل خواطره حتى وهو جالس فى الترام لانه كان يتمسك بحكمة دائمة بالنسبة لما تجود به قريحته الفياضة (أصل اللى يجى لو راح ما بيتكررش) وهو يقصد بذلك ما تكشف له عنه احاسيسه من افكار نسميها نحن تارة بالوحى وتارة بالألهام . كان اذا لم يسجلها فى حينها وأراد أن يكتبها بعد ذلك فلابد أن يكتب شيئا آخر غيرها ....وقد درج بيرم على ذلك من الصغر منذ كان صاحب محل عطارة فى اوائل نشأته بالاسكندرية وهو صبى .... ابان الحرب العالمية الأولى وبالتحديد عام ١٩١٦ .

كاتب عمومى

حدثنى عن ذلك بنفسه فى جلسة طويلة إذ كنا نعمل معا فى القسم الادبى بجريدة الجمهورية ونقوم بالاعداد لاصدارها بعد تجارب استمرت أكثر من سبعة شهور وقال وهو يجلس الى احد المكاتب الخالية وفى يده ورقة وقلم وانا استغرب أنه سيجلس ليكتب مباشرة . (أنا اصلى خدت على كده من زمان ... من ايام العطارة .. كنت اقعد اكتب فى الدكانة والناس تفتكر انى باعمل حسابات المحل ... وانا فى الحقيقة بارص لهم قصايد زجل وشعر زى اللى انا حاارصها دلوقت لبتوع الجرنال) وهذه العادة ... عادة الكتابة المباشرة فى أى مكان كانت تفرضها عليه طبيعة وظروف حياته بعد أن تحولت الكتابة الى حرفة ومهنة ومصدر الرزق الوحيد . لكنها لم تكن عملية الخلق عنده إذ كان يصف نفسه وهو يزاولها بأنه (كاتب عمومى) لكنه حين يشرع فى كتابة الاعمال الفنية الكبيرة التى يعتز بها يحتشد لها بكل المهيئات الممكنة التى تتيح له التفرغ والانقطاع والعزلة عن الناس ...

كان من عادته رحمه الله أن يختار ركنا منزويا من أى مقهى وامامه كراسة من كراريس تلامذة المدارس وفى يده قلم صغير من الرصاص .. وكان يحب أن يكتب دائما بالقلم الرصاص .. يجلس وعيناه تجولان فاحصة فيما حوله حتى ليخيل اليك أنه يبحث عن شىء ما قد تاه منه . ثم يرفع قامته ويتمتم كما لو كان يخاطب السماء ..

فاذا نزل برأسه على الورق لم يرفعها إلا وفى يده كل ما كتبه كاملا ...

حارة النواوى التى قضى بيرم أيامه الأخيرة

قهوة السد بحى السيدة زينب مكان بيرم المفضل لكتابة ازجاله

بيرم مع ام كلثوم وزوزو نبيل

غية الحمـــام

صحبنى يوما الى منزله وكان يقطن فى المدبح .. احد أحياء القاهرة الشعبية العتيقة ... وكان القصد أن يطلعنى على (غية الحمام) التى يقتنيها ... كان يعشق الحمام بكل أنواعه ويقتنى العديد منه ويقوم على تربيته وإطعامه ومبادلته مع غيره من الهواه .. وهذه الهواية هى الأخرى كانت لاصقة به منذ شبابه وهو فى الاسكندرية ، وقد لازمته طوال سنوات النفى التى امضاها فى فرنسا وكانت من أقوى الانطباعات التى ظلت عالقة بوجدانه وتستأثر بكل اهتمامه ....وكثيرا ما كان يتمنى أن يكون لدينا مثلما فى اوربا ميادين يطير ويعيش الحمام فيها ... ثم يستدرك (عارف الحكاية دى لو حصلت لكن دا مستحيل .. احنا بناكل الحمام والعصافير كمان) .

أما بيرم نفسه فلم يكن يطيق ذبح الحمام حتى يأكله ...

ملحمة الظاهر بيبرس

اقدمت يوما على الجلوس إليه فى مقعد مقابل وكنا فى نادى الاذاعة القديم بشارع الشريفين وشاعرنا الكبير ينهى إحدى حلقات مسلسله الرائع عن (الظاهر بيبرس) إنها احدى روائع بيرم التونسى الدرامية ... وياليت احداً يعنى بنقل شرائطها المسجلة فى الاذاعة (هذا اذا لم تكن قد مسحت واعدمت) وبالقليل تسجيل اصول حلقاتها المكتوبة بخط يده اذا لم يكن قد ادركها الضياع فى ارشيف الاذاعة ... ثم يعمل على طبعها فهى من اقوم واعمق ما سجل عن تراثنا الشعبى على ارفع المستويات الفنية .. امسكت بالمقعد ولكنى ما كدت اجلس واحركه حتى فزع صارخا فى وجهى ..(ابعد عنى حرام عليك) ولم اغضب فقد كنت اعرف فيه هذا الطبع ... لكنه حين انتهى من الكتابة قام يترنح وكأنه كان فى غيبوبة ثم أخذنى من يدى لأجلس على المقعد أمامه ... بعد الحاح فى الاعتذار .

ماكينات التفصيل الأدبى

وحقيقة الموضوع أن الحلقة التى كان يكتبها للاذاعة عن الظاهر بيبرس كان ينقصها مشهد حتى تصبح مدة التسجيل بالمسمع الاضافى نصف ساعة كاملة ... لأنها اذا سجلت كما كتبها اصلا لخرجت ناقصة أربع دقائق وبالتالى لا تستحق عنها أجرا يعادل نصف اجرها المقرر للنصف ساعة ، وكان بيرم شديد الحساسية لمثل هذه الامور وكان يكتب المسمع الاضافى مرغما ... وبعد أن تابع اعتذاره راح يشرح لي حقيقة ما كان يكتب بسخرية لاذعة مريرة .. (انت عارف احنا بنعمل إيه ؟ احنا بنقدم قماش والمكن هو اللى بيفصله) وكان يقصد بذلك اجهزة التسجيل ومكانة الكاتب المعاصر بكلمته المكتوبة على الورق فى مواجهة ادوات التعبير الحديثة الناطقة والمشخصة على السواء ....كان يعانى من ذلك حتى فيما يكتبه من اغان خصوصاً للسينما .. فأحيانا ما يقدم الاغنية ثم يعترض عليه المخرج لأنها قصيرة أو يطلب اليه المطرب والملحن تغيير بعض كلماتها ... فيأخذ بيرم نص الاغنية ويمزقه فى وجوههم ثم ينصرف ... فاذا لاحقوه كتب لهم غيرها مشترطاً الا يحددوه بمقاس والا يطلبوا منه تغيير حرف واحد منها ...كان لا يقبل ابدا أن يعبث أحد بكلماته فيما عدا (الشيخ زكريا) .. و (الست) وهو يقصد زكريا احمد وأم كلثوم وعلى اساس الا تستبدل أى كلمة فى أى شطر إلا بعد موافقته وهو الذى يختار بديلها وينتقيه بنفسه ...

بيرم : قصة حياة

وهنا قبل أن تنساب بى الذكريات والانطباعات عن بيرم التونسى وعشرتى له ... افضل لو اقدم صورة خاطفة عنه وعن حياته حتى اعرفكم بحقيقة مكانته وقيمته ... بيرم من أصل تونسى ولكنه من مواليد الاسكندرية ... وقد نشأ فى عائلة فقيرة وتحمل عبء حياته من صباه ... ورث عن والده مهنة العطارة ولم يكمل تعليمه فى المعهد الدينى ... واكتشف فى نفسه موهبة الشعر ثم كتابة الزجل ... ولأنه يعيش على الدوام بكل إحساسه وفكره ووجدانه مع الجموع الشعبية المعانية فى كافة مسالك الحياة .. فان ازجاله ظلت تنبض حتى نهاية عمره بعناء الناس وصرخاتهم وشقائهم فى شجاعة نادرة وثبات وصلابة لا تعرف اللين وهو الابن الشرعى للجموع الشعبية التى حملت على اكتافها ثورة ١٩١٩ فى مصر ... وكان من ابرز المعبرين عنها سواء فى موقفه السياسى وفى انتاجه الفنى وزمالته وارتفاقه المتصل بصنوه العملاق الموسيقى سيد درويش الذى كتب له بيرم العديد من أهم ما لحن من اعمال غنائية

لقاء مع: بيرم التونسى

● بالرغم من احتكاكه بالمجتمع الغربى .. فقد حافظ على تدينه

بيرم سنة ١٩١٩م

بيرم فى حالة استرخاء .

ومسرحية باقية ...

نفى بيرم من مصر عام ١٩٢٠ ، وعاش شريدا فى فرنسا سنوات طويلة ثم حاول العودة الى مصر مرارا ولكنه فشل الى أن اتيحت له الفرصة عام ١٩٣٦ إبان الفورة الوطنية المطالبة بالحكم النيابى الحقيقى وعودة الحياة الدستورية .. كان يستقل باخرة تعبر قناة السويس فلما رست أمام مدينة بور سعيد لم يستطع أن يقاوم فنزل الى البر وانسل هاربا الى القاهرة واختفى لعدة شهور عند بعض معارفه واصدقائه القدامى .. فلما عرف بوجوده كان لابد لكى يرفع عنه النفى المؤبد خارج مصر ان يقدم الثمن على صورة بضعة أزجال يعلن فيها التوبة ويطلب العفو من الملك فاروق .

حدثنى بيرم عن ذلك الموقف الذى لم يرحمه فيه خصومه وبعض أصدقائه حتى بعد مماته ..

الحقيقة انا كنت أيامها فى حيرة وناوى أركب راسى تانى .. لكن قعدت افكر لسه حارجع للمر اللى شفته فى أوربا ... وفى مقابل ايه ؟ .. كام سطر زجل من ضمن الاف السطور اللى باكتبها علشان ارجع اعيش فى مصر تانى ... كنا نجلس على طرف الرصيف فى مقهى مجاور لسراى عابدين .. وكان مزاجه معتدلا على غير العادة .... فقال بمنطق عجيب وعميق وهو يبصق على الارض مشيرا الى بصقته ثم الى الاوساخ التى تضج بها ارضية الميدان وشوارعه .. قول لى .. البصقة بتاعتى دى عملت إيه فى الشارع !! زودته وساخة !!! ابدا !! .

... وانا من ناحيتى لم أكن ألومه وانما كنت ولازلت مقتنعا بموقفه ... وإلا فماذا كان يحدث لو اننا حرمنا من بيرم طوال السنوات التى عاشها فى مصر بعد ذلك حتى وفاته فى ١٩٦١ . لقد عاد ليغمر حياتنا بأعماله الفنية الباقية فى كل مجال من مجالات نشاطنا الفنى ... السينما والمسرح الغنائى والاذاعة وما يكتبه لأم كلثوم من اغنيات ... ثم هذا التراث الوافر من الازجال والمقولات الشعبية التى كتبها ناقدا كافة همومنا الاجتماعية والثقافية فى اصالة وتجدد وحيوية لم يصل اليها احد بعده حتى اليوم ...

اعتزازه بفنه

ونعود الى لقاءاتى معه ... لقد كان الشىء الغريب الذى يستلفتنى فى بيرم دائما أنه رغم الحياة العريضة الصاخبة التى عاشها خارج مصر ... ورغم احتكاكه بالمجتمع الغربى احتكاكا لاصقا قويا وبالذات اندماجه بالحياة الجماهيرية الشعبية هناك بحكم قيامه بكثير من المهن الصغيرة ولا أقلها اشتغاله حمالا ثم جزارا الخ ... فانه ظل ثابتا على شيئين رئيسيين: شدة تدينه الذى بلغ حد التصوف ثم التعلق الدائم بأبناء وطنه من طوائف الشعب العمال والفلاحين بالذات واحياء القاهرة الشعبية بناسها وتقاليدها ... لقد عاد كما لم يعد غيره وهو أكثر ارتباطا بالبيئة التى انبتته وان كان دائم السخط صارخ الاسى على ماتعانيه من فقر وجهل وتخلف ... ثم هذا الانعدام الكامل فى التمسك بأبسط مقومات الحرية ... وكانت الحرية تتمثل دائما عنده فيما يلمسه من رضوخ الناس للقهر وهوانهم واستسلامهم لكل عوامل التسلط ... ومن هنا رفض كل ما كان يعرض عليه من وظائف واعمال حكومية وغير حكومية رغم أنه كان يعيش من اليد الى الفم وأحيانا ما تنقطع عنه سبل الكسب من انتاجه ... ولهذا كان يحرص على أن ينال حقه من كل مايقدم من كتابات حتى اتهم بأنه يغالى فى تقدير قيمة وأجر انتاجه . وقد اختلف كثيرا مع أم كلثوم فيما كانت تدفعه له فى مقابل اغنياته التى يؤلفها لها لدرجة أنه اتهمها بالبخل والاستئثار والانانية وامتنع عن الكتابة لها عدة سنوات متأثرا باحساسه بالغبن .. وظل على موقفه وهو يردد .. (انا باقول كلام ماحدش غيرى يقدر يقوله .. علشان كده .. انا اللى احدد قيمته وثمنــــه .) .

الفقر .. والجدعنة !

كان بيرم عنيدا فى اعتزازه بكتاباته حتى صوره بعضهم بأنه كان يضمر الحقد لبقية الفنانين الذين يكسبون من اعمال أقل قيمة من أعماله .. **الكثير من الأموال ...**

كيف أمكن له أن يصل بهذه النظرة النفاذة إلى المستقبل؟

بيرم عام ١٩٢٧ فى سنوات المنفى بفرنسا

ضعف اضعاف مكاسبه .. وتلك فرية مبعثها فهم خاطىء وغير ناضج لطبيعة الحياة التى عاشها بيرم ... فالرجل كان يقتات من قلمه . وهو لم يكن يطمع فى المال بدليل انه كان مبددا وعلى حد وصفه لنفسه (أنا راجل ايدى سايبه .. انت تقدر تمسك الميه فى ايدك .. أهو أنا الفلوس فى ايدى زى الميه تمام لكن لازم أخذ حقى بالكامل) .. والذين عاشروا بيرم حتى نهاية عمره فى زهده وتصوفه البالغ يعلمون كيف كان ينظر للمادة فى احتقار مرير ..لقيته يوما يجتاز رصيف الترام مع ولديه الصغيرين (انجبهما على كبر) وكان فى طريقه ليشترى لهما كسوة العيد ... ويحمل فى يده حوالى مائة جنيه استلمها توا من خزينة الاذاعة مقابل تمثيلية زجلية فقال لى وهو يأسف ساخرا والنقود فى يده: نبيع مشاعرنا وافكارنا على الورق ونأخذ مقابلها ورق نشترى به .. جزم وصرم ثم أردف وهو يجتاز الشارع بولديه وكل منهما فى يد (الحمد لله على الفقر والجدعنة) وهى عبارة تسمعها دائما على لسان كافة ابناء البلد فى مختلف حوارى القاهرة ...

عامية بيرم وشاعرية الفصحى

منذ أكثر من خمسة عشر عاماً .. زارنى احد ابناء بيرم بعد أن كتبت عنه دراسة بمناسبة ذكرى وفاته ... وكان يعرف مدى صلتى وعلاقتى بوالده وشكرنى على اننى نوهت بأهمية وضرورة جمع ثرات بيرم المشتت المبعثر فى مختلف الجرائد والمجلات والكتب .. واخبرنى ان لديه العديد من الاعمال التى جمعها من مخلفاته وبينها العديد الذى لم ينشر وبحكم عضويتى فى لجان المجلس الاعلى للآداب والفنون استكتبته مذكرةبذلك وأحلته على المسؤولين بالمجلس فرفضوا قبول النشر بزعم أن المجلس لايقوم بنشر مؤلفات مكتوبة باللهجة العامية ... وانصرف الصبى يائسا ... بعدها وانا أقلب احدى المجلات القديمة وجدت فيها بعض قصائد بيرم فحرصت على تضمينها فى كتاب اخرجته عن الشخصيات المصرية بعنوان (بطولات مصرية) ومنها طبعا شخصية بيرم .. وهاكم قطافا من قصيدتين لتحكموا بأنفسكم على مدى العامية فى زجل بيرم وارتباطها اللاصق كتعبير أدبى بأدق وأرقّى واصفى أساليبنا الفصحى ...

القصيدة الاولى بعنوان (الكلمه الهايفه) ويقول فيها...

من هفوة أو كلمة هايفة ننحمق ونقوم
نسب وندب ونشعلل عراك بالشوم
وكل محموق وله فرقه تقوم بهجوم
من قبل ما نعرف الظالم من المظلوم
تبقى الشرارة حريقه والسحابة حسوم
لاشركة تنجح ولاعيلة صفاها يدوم
ومنين نشوف العدل ولاالسفينة تقوم
ما دمنا فوق قلبها قاعدين لبعض خصوم
تضحك علينا الحدادى فى السماء والبوم

والقصيده الزجلية الثانية عنوانها (الزحام) ومنها هذه الابيات ....

شوف الجاموس لما يشرب من شط النيل الواحد جنب اختها واقفين فى صف جميل .
شوف الغنم للمراعى لما تمشى رعيل
لا الكبش يطغى ولا ينطح بقرنه أصيل
أسراب ومنتظمة راجعة للحمى بديل
وانظر وشوف البنى آدم بتوع دى الجيل
كل الأمور عندهم بالزغد والتشضيل
قالوا اللى مايكونشى فى الأول دايبقى عويل
ومن كده بالقليل فى كل زحمة قتيل
والله البهايم ولا ... اولاد قابيل وهابيل

لهجة عامية لكنها مصاغة فى رنة عربية أصيلة تكاد تدانى الفصحى فى سبكها وصياغتها وروعة معانيها ودقة ورقة صورها وما تحمله من مشاعر داخلية وموسيقى. تلك كانت موهبة بيرم وتلك كانت شاعريته وهى أقرب إلى التراث الشعبى منها الى التراث المتوارث ... وحرام أن نتجاهلها ولانجد بيننا من يحرص على بقائها قدر ما نحرص ونعتز بألف ليلة وليلة فى لغتها مثلما فى دلالتها وقيمتها ... ولهذا اقدم الدكتور محمود الشنيطي مشكورا وهو يرأس الهيئة المصرية العامة للكتاب على جمع تراث بيرم واصدار بعض اعماله فى خمس مجموعات .

تجارة فى تجارة

قبل وفاة بيرم بشهور اصيب بوعكة صحية الزمته الفراش ... ثم عاد ليستأنف نشاطه ... لقيته جالساً وحده منفرداً بنفسه فى زاوية بمقهى فى ميدان الأوبرا ... ولم يكن من عادته أن يجلس هناك .. كان أمامه كوب من الينسون وهو يسعل بانتظام من أثر الربو الشديد ... رحب بى وشكرنى على سؤالى عنه ... لم تكن أمامه ورقة ولم يكن فى يده قلم ... وكان قد عاد من فحص طبى على صدره ... وجلس صامتا ساهماً ... فحاولت أن اخرجه من صمته ...(مالك ياستاذ بيرم) فأجابنى (الدكتور بيقول لى ماتتعبش نفسك وانا قرفت من صنعة القلم طب. وبعدين ... أعيش منين ... والأولاد حيعملوا ايه ؟ أنا لو مت حا أدخل الجنة ... لكن هما حيعيشوا فى نار ... الايام الجايه هيه أيام النار ... أيام الشقا ... أيام الشرود والجحود ... خدها منى حكمه ... الخير خلاص انتهى من الدنيا العيشه كلها حتبقى تجارة فى تجارة ... بكره تشوف)

بعدها مات بيرم وكلماته لاتزال تطن فى اذنى كلما تلفت حولى ، كيف امكن له أن يصل بهذه النظرة النفاذة الى المستقبل .. بفضل فراسته ... ام بفضل عبقريته أم بفضل إغراقه العميق فى مسالك التصوف والزهد والشفافية .... لقد كان بيرم من اكثر الناس واقعية بقدر ما كان من أكثرهم مثالية ... وتلك هى حقيقته على حد فهمى له ومعرفتى بـه .

نعمان عاشور

صلاح عبد الصبور

من الزقازيق إلى أوربا على جناح الوهم

كان لكل من محبى الشعر الصغار من زملائنا كراستان ، واحدة يثبت فيها ما تفيض به قريحته من شعر ، وأخرى ينسخ فيها ما يروقه مما يقرأه فى الصحف والدواوين ، وكانت كراستى الاولى تتسع وتضيق يوما بيوم ، فقد كنت لا أكاد أرضى عما أكتبه من شعر إلا بعد أيام من كتابته ، ثم ماألبث أن اكتشف مافيه من نقص أو خطأ أو تقليد مكشوف ، فأمزق عندئذ أوراقه من الكراسة ، حتى لم يبق من بعض هذه الكراريس إلا جلدتها .

أما كراسة المختارات ، فليتنى احتفظت بها ، واضفت إليها ، إذ أن كتب المختارات فى رأيى نوع من التأليف ، تفتقده مكتبتنا الشعرية ، بل أن هذه الكتب هى ما ينطبق عليه بحق صفة (التأليف) ، إذ يؤلف كاتبها أو جامعها بين أذواق وحساسيات مختلفة ، مستهديا بذوقه وحساسيته ، وقديما قالوا : إن اختيار المرء جزء من عقله ..

وإنى لأتمنى حينا لو كانت المكتبة الشعرية قد عمرت بمختارات طه حسين والعقاد وشوقى وغيرهم كما عمرت حينا بمختارات البارودى ، واقدر لأخينا ادونيس صنعه فى جمع مختاراته من الشعر العربى .

ولكن .. هبنى احتفظت بكراساتى المنسوخة الأولى ، اتراني كنت ارضى الآن عن اختياراتى وتأليفى ، لقد كان جزء كبير منها منسوخا من دواوين على محمود طه التى كانت تصدر عندئذ فى أنق طباعة ، وتباع ببضعة قروش لا تطيقها جيوبنا الفارغة فكنا نستعين على ظمئنا اليها باستنساخ نسخة مكتبة البلدية ، وانى لأعرف الآن سر افتتانى بعلى محمود طه فى ذلك الزمان ، فلقد كان يجسد لنا ما تصبو إليه اجسامنا الفائرة وعقولنا الغضة .. كان ضربا من احلام اليقظة ، فلقد كان على محمود طه فى ذلك الزمان قد فرغ فى ديوانه الأول (الملاح التائه)من تصوير نفسه شاعرا رومانتيكيا أسيان حزين النفس منكسر الخاطر

أيها الشاعر الكئيب مضى الليل
ومازلت غارقا فى شجونك
مسلما رأسك الحزين إلى
الفكر وللسهد ذابلات جفونك
ويد تمسك اليراع ، واخرى
فى ارتعاش تمر فوق جبينك
وفم ناضب به حر انفاسك
يطغى على ضعيف انينك

ألم تكن هذه هى الصورة التى تداعب خيال صبى ريفى مثلى ، حين يرى نفسه منقطعا عن العالم ، عاكفا على كتاب أو ديوان شعر ، يتخذ من الكآبة سمتا لأن الكآبة هى أليق ما يكون بالانسان الحساس ... السنا نحن الذين نفترق عن زملائنا بقدرتنا على سبك القريض ونظمه ومن ثم بلوغنا بالتفكير فى أمر الكون وتدبره إذ أن قلب الشاعر كما قال لنا المنفلوطى فى أول صباه فى تعريبه لرواية « سيرانو دى برجراك » « هو مرآة تتراءى فيه صور الكائنات يزداد وعيا بأن الحياة ألم متصل وشقاء مقيم »

كان على محمود طه فى ذلك الزمان البعيد لنا حلم يقظة نتمناه ، ونظن الطريق إليه سهلا متى حملتنا البواخر الى تلك الشطوط البعيدة . لكننا فيما بعد قنعنا بواقعنا وزهدنا فى هذا الحلم البهيج !

لقد جسد لنا على محمود طه فى ديوانه الأول هذه الرؤية ، التى ما لبثت أن نسختها رؤية ثانية فى ديوانه اللاحق « ليالى الملاح التائه » .

كانت قد اتيحت لعلى محمود طه بعد صدور ديوانه الأول فرصة السياحة فى أوربا ورأى ما فيها من جمال وسحر ، واستوقفه فيها جمال المرأة ، وسحر حديثها ، وهاهو يطالعنا فى أول قصائد « ليالى الملاح التائه » بقصيدته عن « الجندول » .. لقد طار بى فى الخيال من بيتنا الصغير فى شارعنا المترب فى مدينة الزقازيق إلى فينيسيا عاصمة الادرياتيك كما يقول على محمود طه فى مقدمته النثرية لهذه القصيدة ، وركبته معه ، أنا الذى لم أركب القطار حتى ذلك الحين إلا مرات معدودة ، وكان ركوب القطار فيها قطعة من العذاب ، حيث تتهاوى عليك حوائج مواطنيك من الفلاحين والفلاحات ولفائفهم ، ركبت مع على طه فى جندول مزدان بالمصابيح الملونة وضفائر الورد ومررت معه فى قنوات المدينة بين قصورها التاريخية وجسورها الرائعة ، وأنا أمرح وأغنى ، وقد لبست زيا تنكريا بهيجا .

بل لقد جرى حوار جميل بينى وبين إحدى الفاتنات .

وتبين لى بعد أن توثقت عرى الألفة بين هذه الجميلة أنها من فارسوفيا ببولندا ، وهكذا جمعت بين الحسنيين ، سحر ايطاليا ، وفتنة بولندا ، وطرت الى هذه البلاد على جناحى على طه ، وكنت فى ضيافته .

- كان على محمود طه في ذلك الزمان قد فرغ في ديوانه الأول من تصوير نفسه شاعراً رومانتيكياً
- الصورة التي داعبت خيال صبي ريفي حين رأى نفسه منقطعاً عن العالم عاكفاً على كتاب
- عندما ركبت مع الشاعر في جندول مزدان بالمصابيح الملونة وضفائر الورد

وفى سياحة خيالية تالية يأخذنى على طه الى بحيرة كومو ، ولم يفته أن يقول لنا فى المقدمة النثرية لهذه القصيدة . إنه كان فى صحبة أديبة امريكية وأن بحيرة كومو أجمل البحيرات الثلاث التى ينفرد بهااللمباردى الايطالى . ولم يفته فى القصيدة أن يقول لهذه الأمريكية على لساننا نحن ابناء العالم القديم الغرقى فى فقرنا وبؤسنا وتقاليدنا الموروثـــة :

يابنة العالم الجديد صلى عالما غبر
فى دمى من تراثه نفحة البدو والحضر
واغان لمن شدا ومعان لمن فخـــر
ماتسرين ..افصحى إن فى عينيك الخبر
الغريبان هاهنـا ليس يجديهما الحذر
نحن روحان عاصفان وجسمان من سقر

ويظل فتانا وممثلنا فى غزو العالم بالشعر ، يناجى الأمريكية الاديبة ، وينال ودها الجميل .

وفى سياحة ثالثة ينقلنا على محمود طه ، أو ينقلنى على الأصح من ضيقى بشاطىء ترعتنا المترب الى شاطىء بحيرة زيورخ بسويسرا ، حيث تبتسم لى جارتى فى المقهى الصاخب ، ثم ما تلبث بعد أن اعطتنى ابتسامتها أن تعطينى أعطافها :

أنا الغريب هنا ، وملء يدى
أعطاف هذا الأغيد المرح
خفقت على وجهى غدائرهـا
فجذبتها بـذراع مجتـــرح

وفى سياحة رابعة ينقلنا الى برن على نهر الرين ، ولم يكن شاعرنا وحده فى هذه السياحة ، بل كان على عادته مع صديقة سويسرية هذه المرة ، وفى المرة التالية كان فى زيارة بيت الموسيقى الألمانى ريتشارد فاجنر فى صحبة صديقة اسكندنافية ، ثم

على محمود طه

المنفلوطى

البندقية

برن عاصمة سويسرا

● لقد أفقت من عالم على طه وجندوله وبحيراته على شاعر آخر هو ابراهيم ناجى

● لا أظننى رأيت إنسانا تنطبق عليه صفة إنسان مثل شاعر الأطلال

ابراهيم ناجى

فاجنر

الفيتورى

كان مسك الختام ان هذه الصديقة الأوربية التى تصاحبه دائما قالت له ـ على حسب روايتـــه :

قلت لى ، والحيـاء يصبغ خديك
انار تمشى بهـا أو دمـــاء
ملء عينيك يافتى المشرق احلام
سكارى ، وصبــوة ، واشتهـــاء
وعلى ثغرك المشوق ابتســـام
ضرجته الاشـواق والأهـــواء
او حقـا دنيــاك زهــر وخمــر
وغـــوان فواتـــن وغنـــاء

لقد انكشف السر اذن ، وعرفنا لم كان شاعرنا موفقا كل هذا التوفيق مع النساء ، له فى كل مدينة حـب ، وفى كل منعطف طريق عاشقة منتظرة ، فهو فتى المشرق .. أنه شرقى مثلنا ، فيه سمرتنا ، وإن كان له ثغر مشوق تضرجه الاشواق والأهواء ولكننا عندئذ نرى شبابنا فيه ، فهو عندنا مثل نجم السينما الذى يحب ويعشق ويهجر ويسترضى وينتقل من قلب الى قلب ، بالنيابة عنا .

لست أدرى هل كان عالم على محمود طه هذا حقيقيا صادقا أم كان من وهم الخيال ، ولقد زرت أوربا مثله مرات عديدة ، ولكنى لم اوفق الى هذا القدر من الصحبة الجميلة المرحة ، رغم إنى «فتى المشرق» مثله ، بل ربمـا كنت أكثر شرقيـة منه ، فأنا أميل الى الدكنة ، ولا تخطىء العين حين ترانى أن تعرف اننى من هذه البلاد ، وقد حاولت أكثر من مرة أن اضرج فمى (ولا اقول ثغرى) بابتسام تتضح فيه الاشواق والأهواء . ولكن حظى كان فى معظم الأحيان خائبا . ولكن على محمود طـه فى ذلك الزمان البعيد كان يمثل لنا حلم يقظة نتمناه ، ونظن الطريق إليه سهلا متى حملتنا البواخر الى تلك الشطوط البعيدة . وحين نضجنا وعرفنا أن الحياة ليست بهذا اليسر اليسير وهذه السهولة السهلة ، قنعنا بواقعنا وقدرنا ، وزهدنا فى هذا الحلم البهيـج .

واخشى أن أقول اننى زهدت أيضا فى عالم على طـه وجندوله وبحيراته ونسائه ، كما تزهد فى عالم الصور السياحية الملونة حين ترى الطبيعة فى عريـها الصادق .

ولقد افقت من عالم على محمود طـه فى وقت مبكر ، فلا صبواته عندى جديرة بأن تسمى حبا ، ولا نساؤه عندى يشبهن النساء . وزاحم على محمود طه فى قلبى شاعرا آخر من جيله وصحبته هو ابراهيم ناجى .

كان ابراهيم ناجى شاعرا قليل الحظ من رضاء النقاد ، منذ استقبل طـه حسين ديوانه بمقال قاسى اللهجة ، ختمه بقوله : «إن ناجى ليس على شىء وكان كثير من شعراء زمانه يحسبونه على الطب الذى كان مهنته ، لا على الأدب الذى كان فى حياته» .

ولقد عرفت ناجى كإنسان ، ولا اظننى رأيت انسانا تنطبق عليه هذه الصفة الكريمة مثل ناجى ، وأغلب الظن اننى لن أرى فيما استقبل من أيام . كنا كشعراء ناشئين نتزاحم فى ندوة فى جمعية الشبان المسيحيين ، يشرف عليها شاعر ذهب ذكره مع الريح ، وفى هذه الندوة قرأ ما يقرب من عشرين شاعرا ناشئا قصائدهم ، ولم يستوقف ناجى الذى كان حاضرا ومشاركا بوصفه شاعرا علما من هؤلاء الشعراء كلهم إلا اثنان .. محمد الفيتورى .. وأنا . وشد ناجى على ايدينا مصافحا بعد الندوة ، وطلب أن نلقاه فى عيادته بشبرا بعد التاسعة مساء فى أى يوم نراه ، أو يراه احدنا .

وذهبت ذات مساء الى ناجى بشبرا ، وأعلنت للممرض اسمى ، فأدخلنى فى غرفته حتى ينتهى من رؤية مرضاه . وكانت الغرفة غرفة كاتب لا غرفة طبيب ، فالكتب تشغل حوائطها كلها ، وجو الغرفة حميم معزول عن ضجة الطريق ، وجاء ناجى بعد حوالى نصف ساعة ، وسلم علي مرحبا ، ووجدتنى وانا ابن التاسعة عشرة أو أقل (فبراير عام ١٩٥٠) أجلس إلى ناجى يسمعنى شعره الذى لم ينشره بعد ، ثم ينتقل الى ترجمته لبعض سونيتات شكسبير أو قصائد بودلير ، فيفيض كريما بالحديث والضحك والشعر والثرثرة . وبعد حين يرق الجو ويصفو ، حتى تتصور أنك فى صحبة ملاك مجنح أو طائر رقيق .

وتمتد صحبتى لناجى حتى وفاته فى أوائل عام ١٩٥٣ ، واحفظ منها أرق الذكريات التى يبهج نفسى أن تستعيدها .

صلاح عبد الصبور

حياتنا في مرآة المستقبل

● الطائرات ستدخل في مجال النقل الداخلي في المدن.. وأما السفر إلى الفضاء القريب فسوف يكون ميسوراً حتى قبل حلول القرن القادم!

أصبح علم المستقبل (فيوتشرولوجى) من العلوم الراسخة فى عالمنا المعاصر بعد أن توطدت دعائمه بعد طول تنظير وتجريب بالدرجة التى حدت بكبريات المؤسسات الصناعية إنشاء أقسام خاصة مهمتها تقصى الحقائق ورسم الخطط المستقبلية على ضوئها والتكهن بما ستؤول إليه صناعة بعينها بإزاء المتغيرات فى عالم التصنيع والتكنولوجيا مع ربط تلك الوقائع باتجاهات الاستهلاك ودواعى الحياة .

وفى الولايات المتحدة مثلا هنالك اكثر من خمس هيئات ومؤسسات تنحصر مهمتها فى تقديم الدراسات والتوصيات التى قد تفيد فى توجيه مسار الصناعة ليس فقط الى نهاية هذا القرن بل استشرافا للقرن الحادى والعشرين ويتوقع علماء دراسة المستقبل أن تتغير الخارطة الصناعية والاستهلاكية بحلول عام ٢٠٣٠ بالدرجة التى سيصعب معها إجراء مقارنة مع كل المنجزات التقنية للأعوام السالفة

• ازدهار وانقراض

وبالرغم من أن بعض الشركات قد تحافظ على اسمها حتى الربع الأول من القرن القادم إلا أن البعض الآخر وبخاصة تلك الشركات التى تعمل فى مجالات انتاج الادوات المنزلية سيتقلص عملها إن لم يختف نهائيا بعد خمسين سنة كما وان صناعة الصلب والألمنيوم ستتعرض الى بعض الانكماش لتقوم بديلا لها صناعات ضخمة تسيطر عليها شركات متعددة الجنسية تتولى انتاج بدائل للفولاذ والالمنيوم من خامات جديدة مستحدثة أو اللدائن الصناعية المتطورة بما يلبى احتياجات السوق العالمية .

وستظل الصناعات المرتبطة بالخدمات على أهميتها بل ويتوقع العلماء الامريكيون أن يشكل قطاع الخدمات ٥٠٪ من اجمالى الدخل القومى الامريكى بنهاية الربع الأول من القرن الحادى والعشرين علما بانه لا يتعدى نسبة ٢٤٪ فى الوقت الراهن ولا يستوعب إلا عشرين فى المائة من القوى العاملة المتاحة فى حين أن خبراء معهد سبيرى يونيفاك الامريكى يتوقعون انخراط ما يتراوح بين ٨٠٪ الى ٩٠٪ من قوة العمل فى نشاطات تنحصر فى تجميع المعلومات وفرزها وتمحيصها .

نحو الاصغر

ومن هنا فان علم ابحاث المستقبل يرى فى عصرنا الراهن مرحلة انتقالية تشهد نهايتها أفول المجتمعات الصناعية على هيئتها الحالية من حيث هيمنة الشركات العملاقة على مجالات الانتاج والتسويق على مستوى جميع دول العالم

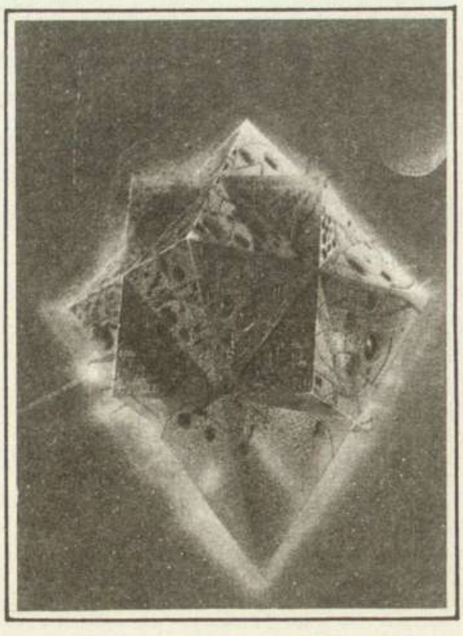

إذ اتجاهات التطوير والتحديث سترغمها على التعامل مع وحدات تصنيع صغيرة ومتعددة ذات امكانيات محدودة الأمر الذى قد يؤدى إلى ابطاء فى الكشوف التقنية وتطبيقها .

على أن بعض الصناعات الاستراتيجية ستتمكن من توسيع حجم اعمالها وعملياتها بحيث تصبح قادرة على احتكار اسواق باكملها مما سيؤدى فى النهاية الى تدخل الحكومات لتنظيم الانتاج وحماية المستهلك ووضع ضوابط لاستغلال المواد الخام وتوزيعها بحيث لا تضار الصناعات البسيطة .

وسائل الاتصال

اما اكثر الصناعات قابلية للتطور والتنامى فهى المتعلقة بوسائل الاتصال ومن المنتظر أن يشهد العقد الأول من القرن القادم شيوع استعمال الهاتف المرئى الملون وثورة كبرى فى خدمات الا تصال تتيح كافة المعلومات لرجال الاعمال والمستهلكين كما وان الانسان الآلى سيتولى تسيير معظم الصناعات التى يكتب لها البقاء بل وأن تشخيص ومعالجة المسائل الصناعية والانتاجية والصحية سيتم بواسطة الالكترونات عن طريق اجهزة التحكم من على بعد وستختفى ايضا الأذاعات ومحطات الارسال المعروفة اليوم لتحل محلها وسائل للبث اكثر رقيا تتيح للمستمع أو المشاهد العادى تجميع ما يريده من برامج بواسطة شبكات سلكية أو رقمية

وحتى فى عالمنا المعاصر فان الحد الفاصل بين ادوات الاتصال ومعالجة المعلومات قد كاد أن يذوب بفضل تطور العقول والذاكرات الاليكترونية صغيرة الحجم والتى أصبحت فى متناول الجميع لعدم ارتفاع اثمانها وستتمكن الصناعات المرتبطة بالمواصلات من ابتلاع نظيراتها فى مجالات الخدمات وفرز ومعالجة المعلومات .

Maitz

التطور الزراعى

وسيكون للزراعة نصيب وافر من التطوير والتحديث فى عالم الغد بوصفها صناعة استراتيجية لا غنى عنها بل وان الطلب عليها يتكاثر بالتقدم مع ارتفاع معدلات النمو السكانى ففى عالم اليوم نجد أن دولة تملك امكانات هائلة مثل الولايات المتحدة لا تقدر إلا على استثمار من مجموع مساحة الاراضى المتوفرة لديها ، لذا يتوقع علماء المستقبل ان تتضاعف المساحة المزروعة فى كل دول العالم لتلبية حاجيات الناس الغذائية وستتطور تبعا لذلك الوسائل والآليات المستعملة فى الزراعة خاصة وان الكثير من الشركات العاملة فى مجال العقاقير الطبية والمواد الغذائية والمواد الكيمائية وشركات الزيت ستوجه اهتماما متزايداً نحو الزراعة بغية الربح فى هذا المجال الحيوى وقد يصبح التحكم فى بعض عناصر المناخ ميسوراً بما يتيح انتاج الاطعمة الطازجة بالقرب من التجمعات السكانية الكبرى كما وان الثروات البحرية ستحظى باهتمام اكبر إذ أن هنالك بعض المؤسسات الكبرى التى شرعت فى اعداد (مزارع) سمكية بحيث يتسنى تربية الكائنات البحرية و(حصادها) حسب الحاجة كما وان هنالك ابحاثا ترمى الى استنباط الاغذية من بعض الاعشاب النهرية والبحرية .

وتجرى حالياً بعض التجارب على بعض الحبوب الزيتية بغية رفع معدلات مخزوناتها من الزيت كما وان انواعا اخرى من الحبوب قد اخضعت للمعالجة بغرض استخراج الكحول منها وهنالك اتجاه للاستفادة من المخلفات الزراعية لتصنيع بعض المنتجات التى تعتمد حالياً على مشتقات البترول ولا شك فى ان التقدم المذهل فى مجال هندسة الجينات سيقود حتما الى تحسين الانتاج الزراعى والحيوانى الذى سيخضع بكامله للميكنة بحيث تدار كافة المناشط الزراعية آليا بدءاً بفحص التربة وانتهاء بالحصاد والدرس ، أما التثوير الحقيقى فى هذا المجال فسيكون باستخدام الكبسولة الزراعية التى تحوى البذور المراد زرعها بالاضافة الى المبيدات العشبية والحشرية والعوامل المانعة للتعفن وبالتالي فان وفرة الانتاج وارتفاع الطلب على المحاصيل الزراعية سيعجلان بذابة الصناعات الغذائية المستقلة وتفتيتها على الوحدات الزراعية بحيث يتم التعليب والتغليف فى موقع الحصاد على المزرعة

صناعة الطاقـة

وينتظر ايضا أن تشهد صناعة الطاقة طفرات واسعة وذلك لأن الدول المنتجة للنفط ستوظف رساميلها الضخمة للهيمنة على كافة مجالات استخراج الطاقة بعض نضوب مصادرها النفطية وستوجه اهتمامها للتنقيب عن اليورانيوم والفحم وتوليد الطاقة الذرية واخيراً الاستفادة من الطاقة الشمسية وستحول صناعة الطيران والصناعات الفضائية عملياتها الى مجالات انتاج الطاقة إذ انها اقدر من غيرها على اطلاق الاقمار الصناعية لتجميع الطاقة من الشمس وتحويلها الى كهرباء تستخدم فى اغراض التدفئة والتبريد بل وتيسير المركبات وقد تؤدى هذه الخطوة الى دمج الشركات العاملة فى مجال تكنولوجيا الفضاء والمرافق المنتجة للطاقة الكهربائيــــة .

الصناعات الخفيفة

وبالرغم من أن الحديد والصلب سيحافظ على اهميته كمادة انشائية اساسية إلا أن اقتصاديات دول العالم المختلفة ستعتمد على المواد المصنعة المستخلصة من عناصر البناء المتاحة فى الكربون والاوكسيجين والهيدروجين والنتروجين ولن يكون هذا المجال حكراً للشركات العاملة فى الكيمائيات لأن شركات الزيت ستحول اهتمامها لهذه الميادين الانتاجية بوصفها امتداداً لصناعة اللدائن وستجد بدورها منافسة من قبل مصانع الورق والزجاج والمعادن التى لابد لها وان تستمد حماية لأسواقها ولتامين مصادر المواد الخام ذلك لأن علماء ابحاث المستقبل يتنباون بتطور تصنيع مشتقات البلاستيك لتشمل العديد من حاجيات عالم الغد الاستهلاكية .

الطب المتطور

وبما أن الطب الحديث يستهدف إطالة الأعمار نسبياً مع تخفيض معدل الوفيات فان التطور فى مجالات الطب الوقائى والعلاجى يستوجب تطوراً مماثلا على صعيد الخدمات الطبية بحيث يصبح التشخيص والمعالجة سوقا تتنافس عليه الشركات فيتعين عليها مواكبة الطلب بادارة مرافق العناية الطبية والحاقها بمصانع لانتاج العقاقير والمعدات الطبية وبالتالى فان المنافسة ستكون محصورة بين الشركات ذات الرساميل العالية فقط مما سيؤدى الى اختفــاء مصانع الادوية الصغيرة ودمج بعض المصانع الكبرى لتحقيق مثل ذلك التكامل .

النقــل

فى مجالات النقل فان ادوات المواصلات الارضية ستسير فى معظمها بقوة الدفع المغناطيسى وستظل السيارات الخاصة على اهميتها إلا أن الغلبة ستكون للمركبات المسيرة ذاتيا وستدخل الطائرات فى مجال النقل الداخلى فى المدن ومن المحتمل أن يشهد النقل الجوى طفرة كبرى بعد تشغيل المركبات الفضائية المدارية لسفريات عبر البحار وعموماً فان السفر فى الفضاء القريب سيكون امراً ميسوراً حتى قبل حلول القرن القادم وذلك بفضل التطور السريع فى مجال تكنولوجيا الفضاء ويجرى حاليا تطويع الاجهزة الفضائية لتفى باغراض الاتصالات ورصد التغيرات المناخية وتجميع وتوزيع الطاقة الشمسية والتحكم في تحركات الجيوش .

ازدهار العالم الثالث

وسيشهد سوق السلع الاستهلاكية تحولا كبيرا إذ ينتظر أن ينتقل مركز الثقل الصناعى الى الدوله النامية وفى الوقت الراهن فان دولا مثل البرازيل وكوريا الجنوبية وهونج كونج بدات تنافس كبريات الدول الصناعية التقليدية بجودة منتجاتها واعتدال اسعارها نظراً لأن تلك الدول لم تستنزف ثرواتها الطبيعية بل هى على اعتاب عصر التصنيع مستفيدة من الارث الفنى الهائل الذى اصبح متاحاً للجميع وهكذا فان صناعة الاقمشة وبناء السفن والمنتجات المعدنية ستنتقل الى الدول المالكة للمواد الخام مع وفرة العمالة الرخيصة .

وعلى كل فان القرن الحادى والعشرين ليس بالبعيد إذا قسنا الحقب بعمر الشهور ومن يدرى فقد يتسبب اختراع عفوى فى قلب كافة الموازين المتعارف عليها فى المجالات الفنية والصناعية وبالمقابل قد ينتهى كل ما حققه الجنس البشرى عبر القرون الى رماد بفعل الحرب النووية فيروح الانسان ضحية ذكائه .

الأفلاك..
هل تتحكم في حياتك؟

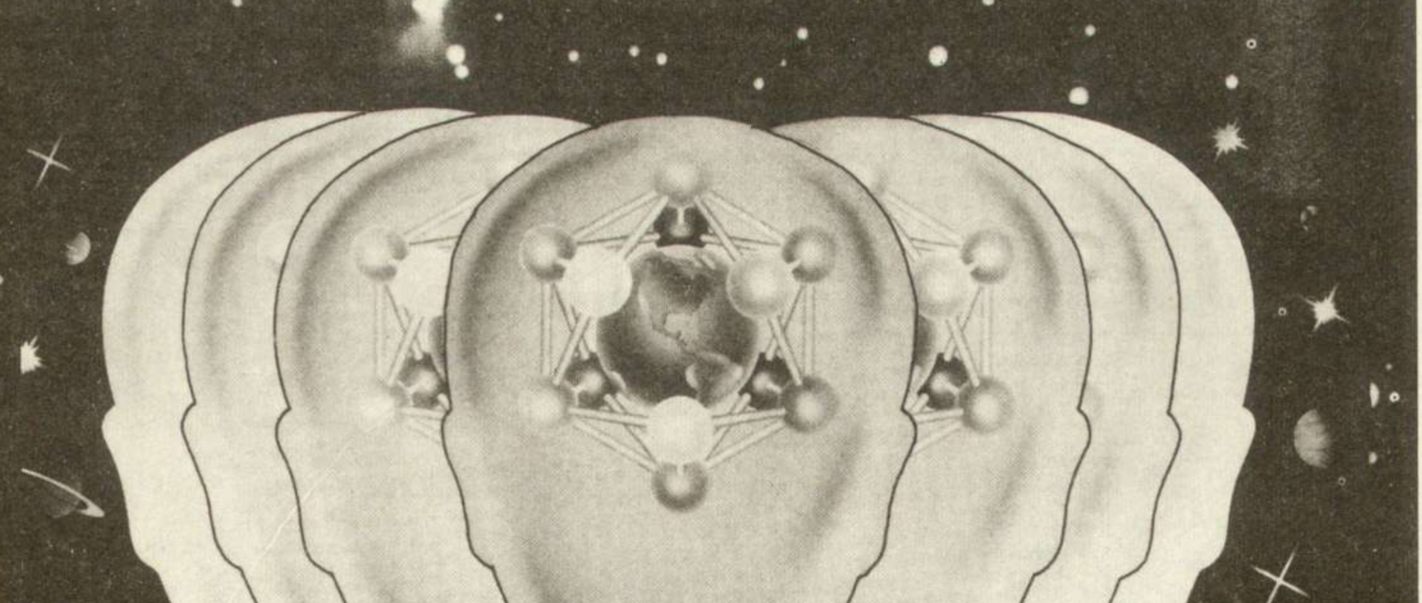

الأمر الذى لا شك فيه أن الميل الغريزى لمعرفة ما يخبئه القدر متأصل فى طبيعة الانسان منذ اقدم العصور بغض النظر عن اختلاف موقعه الجغرافى وعرقه ومدى تقدمه الحضارى ومعتقده . فالانجذاب نحو المجهول والادراك الذى يفصل بين الانسان والحيوان بالحياة فى اطار زمن معين بماض يعيش فى الذاكرة وحاضر معاش ومستقبل يريد أن يتحقق الانسان فيه من مواقع قدميه ويخطط له هى مشاعر انسانية .

ومنذ ان وقف احد اجدادنا الأوائل أمام فوهة كوخه الحجرى يفكر فيما يمكن أن يحدث له وما يجب أن يفعل بعد ذلك بدأت الرغبة فى استكناه المستقبل . ومنذ ان ظهر أول انسان يحاول ان يجيب عن هذا السؤال مستخدماً حدسه ونظره مشدود الى السماء وكواكبها وافلاكها بدأت صناعة التنجيم وتخمين المستقبل .

والتاريخ القديم الممعن فى القدم يحدثنا عن الفراعنة والسلاطين والملوك والحكام من اقصى الأرض الى اقصاها فى الصين وبابل ومصر واليونان . يقربون المنجمين . ولا يقدمون على أمر ولا يبرمون شيئا إلا باستشارتهم ولا يشرعون فى حرب أو سلم أو زواج أو امر من أمور الدولة إلا بعد المعرفة لأشارات الكواكب وحركات الافلاك . وحتى الفلاسفة فى قمة التطور الفلسفى فى اليونان انجذبت ابصارهم الى الكواكب وحركة الافلاك يمنحونهـا قوة فاعلة ومؤثرة على العقل الانسانى ومصيره . ولا شك أن ظاهرة استطلاع النجوم بمعرفة المستقبل تزداد وتقوى حين يضعف الايمان الدينى فى القلوب ويجد الانسان نفسه محاطا بقوى لا قبل له بها ولا يدرك كنهها . ولهذا ليس غريبا ان يتسم العصر الحديث برغم التطور العلمى والتقدم التكنولوجى المذهل بميل جماهيرى لا مثيل له الى التنجيم ومتابعة الابراج ومعرفة الخطوط والطوالع الامر الذى جعل منه صناعة ومهنة تدر الملايين على اصحابها ، يستخدم بعضهم ذكاءه وبعضهم مكره ، وبعضهم شيئا من علم ، وبعضهم غريزة وحدسا غير طبيعى .. فلا تكاد تخلو صحيفة يومية او مجلة اسبوعية أو شهرية أو دورية من صفحات الطالع بعضها يحرره محرر داخلى فى الصحيفة لا صلة له بالأفلاك أو الكواكب او التنجيم ، وبعضها ينقل من كتب سنوية ، وبعضها يكتبه من يدعى أنه فلكى شهير الى آخر قائمة المنتفعين بهذا الميل الجماهيرى . وهنالك كثير من القراء فى بقاع الأرض المختلفة يقرأون اولما يقرأون فى الصحيفة طالعهم قبل أن يبدأوا يومهم . ومن هنا استغلت بعض الصحف الخيرة ذلك لملء الطالع بالحديث المتفائل الذى يحث على العمل والخير .. وبعضها يلقى الكلام بلا مسئولية فينصح بعدم السفر وعدم الاقدام على ابرام عقد تجارى ، وعدم الثقة فى صديق قادم فيؤدى الى إرباك القارىء وافساد يومه .

ولا يقتصر الأمر على الصحف السيارة بل يتعداه الى دور النشر وشركات التليفزيون والاذاعات المختلفة التى تخصص برامج متعددة فى اليوم الواحد تستخدم فيها عددا من القائمين على هذه الصناعة المربحة يقدمون للمستمعين برامج مسلية على الهواء ويجيبون عن اسئلتهم على الهواء مباشرة ويكشفون طوالع ضيوف برامجهم .. وكذلك تخرج دور النشر مئات الكتب والكتيبات فى الشهر يتكالب عليها الناس وتباع بالملايين وفى كل اللغات .

واسكشاف الطالع عن طريق الابراج (استرولوجيا)علم قديم ممعن فى القدم ويستند اساساً على أن الشمس هى مصدر التأثير الاكبر فى الكون وهى التى تتحكم فى تصرف الافلاك والانسان وتحدد طبيعة تجاوبه ومزاجه فى أى ظرف أو موقف معين .. ويتحدد مصير أى مخلوق من خلال التكوين الذى يحدث فى موقع الافلاك ومسيرها من الشمس لحظة الولادة وعن طريق معرفة هذا الموقع بالضبط يمكن أن يتوصل الانسان الى معرفة الخطوط الرئيسية التى تتحكم فى مزاجه ومصيره . وتقول هذه الفكرة أن أى إنسان يمكنه عن طريق معادلات حسابية دقيقة معرفة هذا الموقع لحظة مولده إذا ما كان واثقاً من اللحظة التى ولد فيها . وهناك مئات الكتب التى تشرح كيف يمكن لأى إنسان أن يحدد مصيره ويكشف طالعه بنفسه

الاديان ترفض

ومن البديهى أن ترفض الاديان السماوية هذا المفهوم من اساسه لانها تقوم على أن مصائر الكون ومخلوقاته ومعرفة الغيب والمستقبل هى بيد الخالق جلت قدرته هو وحده عالم الغيب والشهادة وبرغم أن اغلب الصحف والمجلات والنشرات والمطبوعات التى تصدر فى البلدان العربية والاسلامية تساير هذا التقليد الطاغى وتحمل صفحاتها هذه التنبؤات الفلكية إلا أن النصوص الاسلامية صريحة فى رفضها لادعاءات المنجمين الكاذبين وإن صدقوا ، ورفضها لعادات التطير والتشاؤم والتى تسود عادة فى اطار الاوضاع الجاهلية القديمة والحديثة .

وبالرغم من طغيان هذه الظاهرة الجماهيرية فى عصر العلم والتكنولوجيا فان التنجيم من الناحية العلمية لا يقف على ارضية صلبة وما من وسيلة يمكن أن يثبت بها العلم أن تكون لهذه الكواكب البعيدة فى هذا الكون الفسيح الذى لا يحيط به العلم الانسانى تاثير على مصير هذا المخلوق الضئيل حين تتفتح عينه على الكون لأول مرة من كوكبه الأرضى الصغير . بل إن الأسس التى يقوم عليه التنجيم تعتبر مرفوضة علمياً . فالتنبؤ الفلكى يقوم على فكرة عفى عليها الزمن وثبت بطلانها والذى يجعل الارض محور الكون ويثبت للأفلاك مواقع ثبت عدم دقتها وصحتها وحتى المنجمين انفسهم لا يدعون لنظرياتهم اساساً علمياً بل يؤكدون أن تقسيماتهم رمزية فقط ، ولا دخل لها بمواقع الكواكب الفعلية .

ولما كان رسم بيان فلكى شخصى وفردى أمراً شديد التعقيد فقد قسم الفلكيون والمنجمون الابراج التى تتحكم فى مصير الانسان الى اثنى عشر برجاً لكل برج مزاج خاص وخصائص معينة يشترك فيها الى حد كبير كل المولودين فيه ، كما يتعرضون لمصائر

متشابهة وبالرغم من اننا نعرف علميا أن الأرض هى التى تدور حول الشمس دورة كاملة كل ٣٦٥ يوما فان الناظر إليها تبدو له كما لو كانت الشمس هى التى تدور حول الأرض وهى فى دورتها هذه تدخل فى ابراج بحسب موقع الافلاك الأخرى منها والذين يولدون اثناء وجود الشمس فى برج معين يصطبغون بخصائص ذلك البرج وتتحكم فى مصيرهم مؤثراته وخصائصه .... وبمعرفة لحظة الولادة يمكن انتفرقة فى المصائر بين مواليد البرج الواحد .

ولتبسيط الأمر قسمت كل الخصائص فى ثلاث مجموعات أولاها الخصائص الرئيسية او الاساسية وتسمى ايضاً المسيطرة أو النشطة وتختص بها الابراج التى تاتى فى بداية كل فصل من الفصول الأربعة . والثانية الخصائص الثابتة او الخاضعة المتلقية ، والثالثة الخصائص المتقلبة ويقصد بها الخصائص التى ليست فى ذاتها نشطة أو متلقية إنما هى مجرد خصائص مساعدة تتقلب بين الصفتين . ولكل برج الى جانب انتمائه الى إحدى هذه المجموعات الثلاث مزاجه النابع من واحد من العناصر الاربعة المكونة للكون حسب الفكرة القديمة وهى النار والارض والهواء والماء .

الابراج وخصائصها

ويمكن بصورة عامة تلخيص خصائص الابراج وتقسيماتها وفق تخريجات المنجمين والعاملين فى حقل التنبؤات الفلكية كما يلى :

● برج الحمل (المواليد ٢١ مارس ـ ٢٠ ابريل) ويقصد به الكبش الوحشى لا الحمل الوديع وينتمى الى مجموعة الخصائص الرئيسية المسيطرة بحكم انه يجيء فى بداية الربيع والذى يعتبر بداية العام الحقيقية . وعنصره النار ـ وبالتالى فانه يتميز بالخصال النشطة والطاقة الملتهبة والقوة العدوانية الوحشية ، والمغامرة والضجر والاندفاع والطيش والعنف والمبادرة والابداع ، وهو البرج الذى يولد فى كنفه الفنانون والمكتشفون والرواد فى ميادين الحياة المختلفة والمحاربون والقادة .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير بسمارك رجل الدولة الشهير موحد ألمانيا ، والممثل مارلون براندو وشارلى شابلن والكاتب هنرى جيمس والرئيس الأمريكى توماس جيفرسون والرئيس السوفيتى نيكيتا خروتشوف والكاتب الروائى البوليسى الفرنسى الشهير سيمون سينوريه والموسيقار توسكانينى والممثل والكاتب والمخرج النابغة بيتر يوستينوف والرسام فنسنت فان جوخ والكاتب المسرحى تنسى وليامز .

● برج الثور (المواليد ٢١ ابريل ـ ٢١ مايو) وينتمى الى مجموعة الخصائص الثابتة المتلقية وعنصره الأرض وهو بالتالى أميل الى التمهل والحذر والواقعية وتقدير الأمور . وهو يختلف فى ذلك تماماً عن برج الحمل . ويتميز ايضا بالقوة وحب المتعة وامكان الاعتماد عليه والتعامل معه .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الكاتب الفرنسى بلزاك والموسيقار الألمانى براهمز وحاكمة روسيا كاثرين العظمى والراقص فريد ستير والممثل جارى كوبر والقائد ورئيس الحكومة البريطانية أوليفر كرومويل والمغنى بنج كروسبى والرسام سلفادور دالى وملكة بريطانيا اليزابيث الثانية والممثل هنرى فوندا وراقصة الباليه الشهيرة مارجوت فونتين والمفكر العالم سيجموند فرويد والممثلة اودرى هيبورن والناشر وليام هيرست وهتلر ومؤلف لوليتا فلادمير نابوكوف والفيلسوف برتراند راسل والروائى والشاعر وليام شكسبير والرئيس الامريكى هارى ترومان والممثل اورسون ويلز .

تكوين الابراج

كلّ بُرج ينتمى إلى خصائص مسَيطرة أومتلقيَة أومتقلبَة ..ولكل برج مزاجه النابع من العناصر المكوّنة للكون !

● برج الجوزاء ـ التوأمان ـ (المواليد ٢٢ مايو ـ ٢١ يونيو) وينتمى الى مجموعة الخصائص المتقلبة وعنصره الهواء . وهو بالتالى ذو مزاج هوائى متقلب حتى ليوشك ان يكون متناقضاً . ومن خصائصه قوة الفكر وسرعة البديهة والقدرة على التعبير والاهتمام بالاسلوب والالفاظ أكثر من المشاعر وإن كان خفيف الظل . وبعكس برج الثور لا يعتمد عليه كثيرا وهو معرض لاحتمالات انفصام الشخصية ويعرف بكثرة الادعاء والتفاخر .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الكاتب الروائى آرثر كونان دويل والمغنى بوب ديلان ودوق ادنبره ومؤلف روايات جيمس بوند إيان فليمنج والممثل ايرول فلين والروائى الشاعر توماس هاردى والممثل الفكاهى بوب هوب والرئيس الامريكى جون كندى والممثلة مارلين مونرو والروائية الفرنسية فرانسوا ساجان .

● برج السرطان (المواليد ٢٢ يونيو ـ ٢٢ يوليو) وينتمى الى مجموعة الخصائص الرئيسية (الثانى بعد الحمل) بحكم انه يأتى فى بداية الصيف وعنصره الماء وهو قوى الحدس مهتم بالجانب العاطفى من الأمور حساس محب ولكنه متقلب المزاج لا يشعر بالاطمئنان وهو شديد التشبث والاصرار وخصائصه أنثوية الطابع ترتبط بالأمومة وفق الفكرة التقليدية التى تجعل الحساسية وقوة الحدث صفات انثوية .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير عازف الجاز لوى ارمسترونج والمخرج

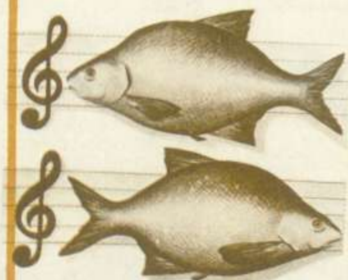

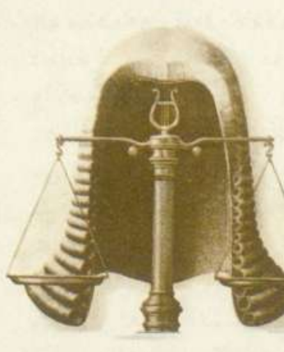

السويدى انجمار برجمان ويوليوس قيصر والممثل جيمس كاقنى والكاتب الفرنسى جان كوكتو والروائى الأمريكى ايرنست هيمنجواى والنابغة الضريرة هيلين كيلر والممثل شارلز لوتون والممثلة الايطالية جينا لولو بريجيدا والكاتب الفرنسى مارسين بروست والفنان رامبرانت والثريان جون ونلسون روكفلر .

● برج الأسد (المواليد ٢٣ يوليو — ٢٣ أغسطس) وينتمى الى مجموعة الخصائص الثابتة المتلقية وعنصره النار ، ومن خصاله حب السيطرة والسعى للنفوذ وهى خصال رجولية وبرغم انتمائه لعنصر النار ، كبرج الحمل إلا أنه ليس انفعاليا مندفعاً وهو البرج الذى يولد فى كنفه الملوك والرؤساء والحكام وغيرهم من اصحاب الطموح والنفوذ .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير القائد الفرنسى نابليون بونابرت والشاعر الاسكتلندى روبرت بيرنز والرئيس الكوبى فيدل كاسترو والمخرج سيسل دى ميل والروائى البريطانى جون جولزويرذى والمخرج الفريد هتشكوك والكاتب المفكر الدوس هكسلى وجاكلين كندى، موسولينى والروائى جورج برنارد شو والشاعر الرومانسى شللى .

● برج العذراء (المواليد ٢٣ اغسطس — ٢٣ سبتمبر) وينتمى الى مجموعة الخصائص المتقلبة وعنصره الارض . وهو ارضى . بمعنى انه واقعى . قدمه على الارض لا يسبح فى الوهم والخيال ومن خصاله انه منظم ، منضبط انيق ، متماسك وذكى وهو البرج الذى يولد فى كنفه العلماء والباحثون والفنيون لا المكتشفون الرواد .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الملكة اليزابيث الأولى والثرى هنرى فورد الثانى والفيلسوف الالمانى جوته والمفكر جون جنتر والرئيس الامريكى الراحل ليندون جونسون والممثلات انجريد برجمان وجريتا جاربو وصوفيا لورين والمنتج ايليا كازان والكاتب د . هـ . لورانس والممثل الفكاهى بيتر سيلرز .

● برج الميزان (المواليد ٢٤ سبتمبر — ٢٣ اكتوبر) وينتمى الى مجموعة الخصائص الاساسية بحكم انه يأتى فى بداية الخريف وعنصره الهواء . ومن أهم خصائصه التوازن والصبر والروح الاجتماعية وحب الثقافة والنزعة الانسانية والقدرة على التعامل مع الآخرين وحب السلام وهو يمثل النقيض تماماً لبرج الحمل . ويولد فى كنفه الدبلوماسيون الذين تقوم اعمالهم على حسن الاتصال والتعامل مع الآخرين .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الرئيس الأمريكى ايزنهاور والشاعر ت.س. اليوت والمهاتما غاندى والروائيان ولدام فولكنر وجراهام جرين والمعلق السياسى وولتر لبمان والفيلسوف الألمانى نتشه وأوسكار وايلد والممثلة بريجيت باردو .

● برج العقرب (المواليد ٢٣ اكتوبر — ٢٢ نوفمبر) وينتمى الى مجموعة

الخصائص الثابتة والمتلقية وعنصره الماء ويعتبر تقليديا من الابراج غير المستحبة ومرتبط بالظلام وبالخصائص الخطرة ولكنه يمتاز بالطاقة الحيوية والاصرار والانتظام وحب المتعة وصلابة الفكر ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الرئيس الفرنسى شارل ديجول ورئيسة وزراء الهند انديرا غاندى وجواهر لال نهرو ورئيس تايوان شيانج كاى شيك والعالمة الشهيرة مدام كورى والممثل رتشارد بيرتون والأمير شارلز والممثلتان كاترين هيبورن وفيفان لي والرسام بيكاسو والرئيس الامريكى ثيودور روزفلت .

● برج القوس (المواليد ٢٣ نوفمبر ـ ٢٢ ديسمبر) وينتمى الى مجموعة الخصائص المتقلبة وعنصره النار . ولهذا فهو يتعرض الى صراع داخلى وتناقضات ويمتاز بالطاقة المكثفة ومن خصاله ميله الى الحياة الخارجية الاجتماعية والممارسة الرياضية والمغامرة والنشاط البدنى وفى كنفه

يولد رجال الاعمال الناجحون والرياضيون ومحبو الانجازات فى كافة الميادين .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الموسيقار بيتهوفن ومغنية الاوبرا ماريا كالاس وونستون تشرشل والكاتب المسرحى نويل كاوارد ومنتج الرسوم المتحركة وولت ديزنى والشاعر البريطانى الضرير جون ملتون والكاتب المسرحى المعاصر جون اسبورن والروائى الأمريكى مارك توين .

● برج الجدى (المواليد ٢٢ ديسمبر ـ ٢٠ يناير) وينتمى الى مجموعة الخصائص الرئيسية بحكم انه يأتى فى بداية الشتاء وعنصره الأرض ومن خصائصه الميل الى العزلة والانكفاء على الذات والاكتفاء الذاتى وإن كان لا يخلو من ذكاء وطموح وهو شديد الميل الى التشاؤم والنظرة القاتمة الى الأمور والانغلاق والاحساس بالعزلة وربما الشعور بالاضطهاد يقلل من حدة هذه المشاعر ذكاء وادراكا وحسن تصرف ومحافظة .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الزعيم الصينى ماوتسى تونج والرئيس الأمريكى وودرو ويلسون والزعيم الزنجى مارتن لوثر كنج والعالم اسحاق نيوتن والرئيس الامريكى رتشارد نيكسون والمغنى الزنجى ناتكن كول والممثلان همفرى بوجارد وكارى جرانت والثرى هيوارد هيوز والروائى هنرى ميللر والعالم باستير .

● برج الدلو (مواليد ٢١ يناير ـ ١٦ فبراير) وينتمى الى مجموعة الخصائص الثابتة المتقلية وعنصره الهواء . ويتميز خصاله بالانجاز الفكرى والابداع والاصالة ورفض التقليد والخروج على المتعارف ويتسم بالنزعة الانسانية والسعى الى تحقيق السلام والخير بين الناس ويولد فى كنفه الفنانون والعلماء المبدعون وحاملو راية التغيير .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الكاتب الفيلسوف فرنسيس بيكون وشارلز داروين وتوماس اديسون وجاليلو والروائيان البريطانيان شارلز ديكنز وسومرست موم والممثلات مايا فارو وكيم نوفاك و فينسيا رد جريف والممثلون كلارك جيبل وجاك ليمون وبول نيومان والرئيسان الأمريكيان فرانكلين روزفلت وابراهام لنكولن والمرشح للرئاسة الحالى رونالد ريجان والمرشح السابق ادلاى ستيفنسون .

● برج الحوت (المواليد ٢٠ فبراير ـ ٢٠ مارس) وينتمى الى مجموعة الخصائص المتقلبة وعنصره الماء . وينزع نحو الغموض وعدم الوضوح ومن

كذب المنجمون ولو صدقوا

ميشيل دى نوستراداموس

عندما احتل الألمان فرنسا فى عام ١٩٤٠ أمروا بمصادرة كتاب عنوانه « المذبحة الكبرى ١٩٣٨ ـ ١٩٤٧ » يتنبأ بالحرب العالمية الثانية والتحالف بين هتلر وموسلينى والتوسع الروسى فى المجر وتشيكوسلوفاكيا .

مؤلف الكتاب أميل روير تتبع اسلوب اشهر المنجمين فى الغرب ميشيل دى نوستراداموس المولود فى عام ١٥٠٣ فى وضع تنبؤاته باسلوب سهل مبسط يفهمه جميع الناس بينما عمد نوستراداموس لتغليف تنبؤاته باسلوب وتعبيرات شديدة الغموض وتحتمل عددا من التأويل . يقول فى احداها :

سيتغلب الأسد الأصغر على الاكبر
فى ميدان المعركة فى منازلة وحيدة
فى اطار مذهب ستقتلع عيناه
يظل فى ألم مبرح ويموت ميتة فظيعة .

وتقول الاسطورة ـ والله اعلم ـ انه قد حدث بعد ذلك بقليل وفى احتفال زفافه أن اخترق رمح احد المدعوين الكبار دون قصد المنظار المذهب الذى يلبسه ملك فرنسا هنرى الثانى ففقأ عينه وعاش فى ألم مبرح ثم مات بعد ذلك متأثرا بجراحه .

ولعل أكثر لعناته شهرة قولته الشهيرة :

« وفى الشهر السابع من العام ١٩٩٩ سينقض ملك الرعب على العالم . وبما انه قد اخطأ فى التنبؤ بتاريخ وفاته هو نفسه فليس هنالك ما يدعو للقلق . »

خصاله الحساسية المرهفة والمثالية والخيال والقدرة الايحائية وقلة الطموح وصلابة الفكر والممارسة والحياء والميل الى العزلة والسباحة فى عالم الاحلام والخيال مع قدر كبير من الحب والتفانى وقدرة ابداعية فنية تحتاج فقط إلى طاقة لتحريكها .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الكاتب المسرحى المعاصر ادوارد آكبى والمغنى هارى بلفونتى والموسيقيون شوبان وهاندل وكورساكوف والعالم البرت اينشتاين والممثل ركس هاريسون والرسامان مايكل انجلو ورنوار والكاتبان فيكتور هوجو وجون اشتاينبك وادوارد كندى والممثلة اليزابث تلور .

المنجمون .. نجوما !

وبسبب تفشى ظاهرة الاهتمام بالطالع الذى افسحت له أجهزة الاتصال الحديثة المتقدمة مجالا واسعاً لم يتح لها من قبل مما جعل عدداً من الفلكيين فى الغرب ينهضون على ظهر هذه الموجة ويصبحون فى عداد النجوم الشهيرة . فقد نشرت مجلة « ناو » (الحاضر) الصادرة فى أول مارس ١٩٨٠ استطلاعا تناولت فيه حياة ستة من كبار الفلكيين المنجمين الذين تستعين بهم وسائل الاعلام فى أمريكا وبريطانيا للوصول الى جمهور واسع ، تناولت فيه اسلوب عملهم والوسائل التى يستعينون بها للتنبؤ وأسلوب حياتهم الخاصة وإمكان الاستفادة من التنبؤات الفلكية لتفادى المآسى والأخطاء .

وقد ادعت المنجمة جوان باين التى تحرر صفحة الابراج فى صحيفة الديلى ميرور ومجلة كومبانى النسائية وتذيع تنبؤاتها من ١٣ محطة اذاعة محلية فى مقابلتها لمجلة الحاضر أنها تنبأت بوفاة زوجها ولكنها أكدت بأن معرفة التنجيم وكشف الطالع لا يمكن أن يؤدى الى تفادى المآسى والكوارث إذ أن إرادة الله لابد وان تتحقق . وكل الذى يفعله التنجيم هو أن يطلعك على ما سيحدث . ولأن وفاة زوجها كانت قدراً محتوماً فقد نسيت أن تكشف الطالع كما كانت تفعل كلما اقدم زوجها على سفر .

وقالت المنجمة الشهيرة أيضاً بيتيو لنجرو وهى غجرية من اصل رومانى بدأت حياتها بقراءة الكف فى مصيف برايتون بأن كبريات الشركات والمؤسسات العالمية تستعين بها لمعرفة شخصيات المرشحين للوظائف ومن بين الشركات والمؤسسات التى ذكرتها شركة هوايتبريد للخبز وشركة دولز العملاقة لصناعة الاطعمة والشركة العالمية للصناعات الكيماوية . ولدى اتصال المجلة بالمسؤولين فى هذه الشركات والمؤسسات انكروا أن يكون هنالك أى اتصال بين الشركة والمنجمين كما أكدوا أن التعيين والترقى يتم وفق اسس علمية موضوعية وليس عن طريق استشارة الافلاك . وبالاضافة الى هذه المؤسسات ادعت أيضا أن من بين عملائها كبار الشخصيات كالخنافس وبيتر سلرز الممثل الكوميدى وفلورا روبنسون ودوقة آرجيل . وعندما سئلت الأخيرة عن صحة ذلك قالت : انها لم ترها ايضا طول حياتها واظهرت ضجرها من هؤلاء الفلكيات وقارئات البخت اللاتى يدعين كذب اتصالهن بالشخصيات الشهيرة لترويج بضاعتهن وقد كشفت ايضا عن ظاهرة أخرى تتصل بكشف طالع النجوم وهو الخوف الذى ينتاب كثيراً من الناس ويمنعهم من محاولة معرفة ما يخبئه لهم القدر إذ قالت إنها هى نفسها لا تحاول معرفة مستقبلها لأن ذلك يفزعها . فهى سعيدة كما تقول ولا تريد أن تعرف ان هذه السعادة لن تدوم .

ومن المنجمات اللاتى اتصلت بهن مجلة « الحاضر » كيم ترايسى وهى امرأة واهمة غريبة الأطوار شديدة الايمان والتعلق بالخرافات الغريبة فهى تؤمن بانها عاشت قبل ذلك اربع مرات وتؤمن بمخلوقات غريبة تعيش فى الكواكب وتقول إنها ستموت للمرة الخامسة فى حادث سيارة .. وهى تدعى انها كانت كاهنة مصرية قبل مئات السنين وانها دفنت حية ثم احرقت اثناء الثورة

المنجمة جوان باين

الفرنسية ، ثم اعدمت بعد ذلك بأربعين سنة فى اسبانيا . وقد بدأت حياتها عاملة فى مصنع ثم مغنية فاشلة ثم بائعة عطور وهى تقيم جلسات لمعرفة الطالع فى منزلها وتتقاضى بين ٦ جنيهات و ٣٠ جنيها ويتبع لها عدد من الموظفين هم مدير اعمال وضابط صحافة ، ومساعد خاص ، ومحاسب ومسئول شؤون موظفين وسائق ومدبرة منزل بالاضافة الى زوجها السابق ومفكرتها مليئة بالمواعيد والبرامج التليفزيونية والاذاعية التى تقدمها على الهواء مباشرة لأولئك الذين يتصلون بها عن طريق الهاتف .

ومنهم ايضا كان « ريفنك » .. وقد اشتهر من خلال برنامجه الفلكى الذى يذاع مرتين فى اليوم من اذاعة لوكسمبرج ـ وهو يختلف عن المنجمين

الأبراج وخصائصها

● الحمل

٢١ مارس ـ ٢٠ ابريل

المريخ :

نشط ، مغامر ، قلق ، لايستقر على حال ، متوقد ، منفتح ، صاحب فعل لا قول ، ذو اصالة وقدرة على التمييز ، مندفع العاطفة .

● السرطان

٢٢ يونيو ـ ٢٢ يوليو

القمر

منطو على نفسه ، عاطفى ، حساس ، ذو حالات مزاجية متقلبة وينزع الى أن يكون حالما ، لكنه محب وصبور ومخلص ، وربما خلاق ولكن من وراء صدفته الواقية .

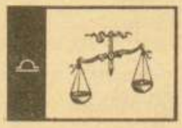

● الميزان

٢٤ سبتمبر ـ ٢٣ أكتوبر

الزهرة

يهتم كلية بالتوازن ، اجتماعى ، متزن ، محب للسلام ، مهذب ، ودبلوماسى الى ابعد الحدود فى الغالب .

● الجدى

٢٢ ديسمبر ـ ٢٠ يناير

زحل

مستقل ومكتف ذاتيا ، هادىء ، منضبط ، وربما كان مبالغا فى الحذر والكآبة ، لكنه طموح وربما ذكى وموهوب .

● الثور

٢١ ابريل ـ ٢١ مايو

الزهرة

صلب ، يعتمد عليه ، واقعى ، محب للسلام واللذة ، ربما كان بطيئا لكنه ليس خاملا أو غبيا ، حسى ، والمراة منهم تهتم بانوثتها .

● الأسد

٢٣ يوليو ـ ٢٣ اغسطس

الشمس

قوى ، غير منطو ، طموح ، مهيمن نشط ، رجولى فى الاساس ، ولكنه اكثر سيطرة على نفسه من (الحمل) وذو توجه وقصد فى افعاله .

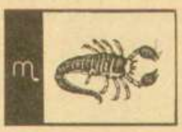

● العقرب

٢٣ أكتوبر ـ ٢٢ نوفمبر

المريخ (بلاطون)

مظلم وخطر ، قوى العاطفة ، وعدوانى فى الغالب ، لكنه قادر ايضا على تحويل طاقته المظلمة الى اهداف تخدم اغراض حياته الشخصية .

● الدلو

٢١ يناير ـ ١٩ فبراير

زحل (السيار)

مبدع وخلاق فنيا أو علميا ، روحى ، خفيف طروب ، ومتفان لقضايا كالسلام والاخاء والمساواة بين الناس .

● الجوزاء

٢٢ مايو ـ ٢١ يونيو

عطارد

سريع البديهة ، عقلانى التفكير ، نشط ، يحب الاتصال والافصاح ، مفكر لكنه خفيف طروب ، متقلب فى كثير من الاحيان ، ومهدد بالنزاع الداخلى .

● العذراء

٢٣ اغسطس ـ ٢٣ سبتمبر

عطارد

ذكى ، منضبط ، هادىء وعاقل ، مترتب الذهن ، دقيق ، يعمل بهمة ومهارة فى الغالب ، ذو ضمير متيقظ ومتفان .

● القوس

٢٣ نوفمبر ـ ٢١ ديسمبر

المشترى

منطلق ، نشط ، متطلع الى الامام يحب مخالطة الناس ، محب للنشاط الخارجى والرياضة ، مندفع احيانا ، واحيانا واسع فى نشاطه .

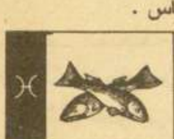

● الحوت

٢٠ فبراير ـ ٢٠ مارس

المشترى (نبتون)

مثالى ، روحى ، أو عصابى ، منطو على نفسه ، مفرط فى الحساسية ، غير صريح ، حالم (ذو قدرة على الرؤيا غالبا) واحيانا ذو قدرة فنية .

فى انه لا يدعى لنفسه قوة حدس خارقة ، ويصر على ان التنجيم والتنبؤات الفلكية علم مجرد من الادعاءات التى الصقت به وانه تنبأ بثورة الطلاب فى فرنسا عام ١٩٦٨ وبموت الرئيس الفرنسى بومبيدو . ويقول عن نفسه :

« إننى منجم كبير وعملائى من علية القوم ولدى جمهور غفير من المستحقين أكبر مما اتيح لأى انسان آخر فانا لا احتاج الى الشهرة .»

ومن هؤلاء المنجمين فردريك ديفز وهو يعمل فى جانبى الاطلنطى وقد كون ثروة هائلة من التنجيم وله معهد للتنجيم فى كل من واشنطن ورالى وكارولينا الشمالية ويعتقد أن التنجيم علم يمكن ان يتلقاه الانسان كالبيانو والجيتار تماماً وقد اشتهر بانه تنبأ بأسوأ حادث جوى فوق سماء شيكاغو لطائرة دى سى ١٠ ، ولكن ادعاءه لمجلة (الحاضر) بأن احد الأساقفة قد استشاره ذات مرة قد قوبل بالسخرية والتكذيب من قبل الاسقف نفسه .

أما المنجم باتريك ووكر فهو يقول إنه يرفض أن يقرأ طالع الأفراد لأنه على حد قوله لا يريد للأفراد أن يعتمدوا عليه فى تحديد مسيرة حياتهم . فهو يقول : إن حياة الانسان هى أشبه بلوحة متشابكة الخطوط وان على كل انسان ان يقوم بتلوينها بأسلوبه الخاص وإرادته .

القمر والمزاج

والقول بتاثير الكواكب والافلاك على شخصية الانسان لا يقتصر ــ كما يقول المنجمون ــ فقط على المدار الشمسى والأبراج فقد سادت فى اوساط كثيرة الفكرة القائلة بتاثير القمر على أمزجة الناس وتصرفاتهم وقد افسحت مجلة الريدرز دايجست مجالا للحديث عن الافكار المطروحة حول هذا الموضوع فى عددها الصادر فى ابريل (نيسان) ١٩٨٠ ... وعرضت لفكرتين أولهما ما يسود عند بعض العشاق وصائدى الأسماك والمعلمين والأدباء أن للقمر عندما يكتمل تاثيرا يجعل الأشياء تحدث وتؤثر على المزاج وهو ما قال به كتاب صدر مؤخراً ، والرأى العلمى السائد بأن احوالنا وتغير امزجتنا وتقلبها لا صلة له بنجوم سعد أو نحس وانما هى مؤثرات نفسية أو فسيولوجية تنبع من داخلنا .... ومثل كل المواضيع التى تتضمن بعض الأسرار الغامضة التى يعجز الانسان عن تفسيرها وليس له من دينه ما يعصمه من التخبط فيها تكثر النظريات الاجتهادية .. بعضها يعتمد اساليب العلم وبعضها يغوص فى بحر السحر والوهم والدجل .

ولعل أكثر تلك النظريات اقترابا من التفسير العلمى تلك التى تضمنها كتاب حديث يرى أن جينات الوراثة فينا هى المسئولة فى المقام الاول عن احوالنا العقلية .

إيفا بتيولنجرو

كيم تريسى

الانسان والمحيطات

قبل عدة سنوات كتب العالم فيرقوس وود وهو احد العاملين بمعهد المحيطات القومى بالولايات المتحدة تقريرا عن حدوث موجتين من المد والجزر العالى للغاية احداهما بعد الاخرى فى ٨ يناير و ٧ فبراير سنة ١٩٧٤ وكان من رأيه أن الأرض والشمس والقمر فى كلتا الموجتين ستكون جميعا فى خط مستقيم تقريبا وان القمر سيكون قريباً من الأرض فى الثامن من يناير . هذا اللقاء بين الاحداث الفلكية يجعل مياه المحيطات ترتفع بشكل يفوق مستوياتها العادية .

وكان بين من قرأ ما تنبأ به العالم وود فى شىء من الاهتمام الدكتور أرنولد ليبر ، وهو طبيب نفسانى من ميامى بالولايات المتحدة . وقد توصل الى نتيجة مؤداها أن هناك علاقة قوية بين العدوانية فى الانسان والدورة القمرية ، وخاصة بين مدمنى الكحول والمخدرات وأولئك الذين يكثرون من الحوادث أو يميلون الى الجريمة ،واولئك المضطربون عقليا .

ويقول د. ليبر : «ان جسم الانسان مثله فى ذلك مثل سطح الأرض مكون من ٨٠٪ ماء و ٢٠٪ مواد صلبة . وفى اعتقادى أن قوة جاذبية القمر تؤثر فى الماء الذى بجسم الانسان ــ جسمى وجسمك ــ مثلما تؤثر فى المحيطات . وللحياة مدها وجزرها اللذان يتحكم فيهما القمر ، ويصلان قمة ارتفاعهما وهبوطهما عندما يولد القمر وعندما يكتمل . ويكون تاثير القمر على سلوكنا أشد ما يكون فى هذين الوقتين».

ولأنه عايش ما ظهر من نتائج عندما وقع القمر والارض والشمس فى خط مستقيم فى عام ١٩٧٠ ، وتم له ان يلحظ ارتفاعاً حاداً فى معدل الجريمة المحلية ، قرر الدكتور ليبر أن يحذر الشرطة بميامى والصحف والعاملين فى قسم الطوارىء فى قسم الأمراض النفسية بمستشفى ميامى التذكارى بانه يتنبأ بحدوث اضطراب عام فى سلوك الناس خلال فترة هذا اللقاء الكونى . وحذر من

العنف الذى يخشى ان يصاحب المد والجزر المتوقعين .

فماذا حدث ؟

« لقد انطلقت الشياطين من عقالها » كما يقول الدكتور ليبر . وكان ضحايا جرائم القتل فى الاسابيع الثلاثة الاولى من العام الجديد ضعف ما حدث فى شهر يناير باكمله فى عام ١٩٧٣ ، كما تكررت حوادث الجريمة بلا دافع ولاسباب غريبة .

ومن تلك الاحداث وتجارب مماثلة ، استخلص الدكتور ليبر ان للقمر والافلاك الخارجية تاثيرا مباشرا فى بعض الناس ، ولها تاثير محتمل وكامن فى اغلب الناس . وقد جمع قدرا كبيرا من الادلة لتأييد نظرته ، منها :

١ـ تزداد المكالمات الهاتفية ، التى تبلغ مطافئ مدينة فينيق باريزونا بمعدل ٢٥ الى ٣٠ مكالمة فى ليالى اكتمال البدر .

٢ـ تقارير بعض العاملين فى عنابر الصحة العقلية ، بالمستشفيات تفيد بأن المرضى يظهرون ارتفاعا فى اضطراب سلوكهم وحدته .

٣ـ الدورة الشهرية للمراة هى فى العادة ٢٩ يوما ونصف ، وذلك هو طول الشهر القمرى ، كما أن مدة الحمل فى النساء هى تسعة اشهر قمرية .

جينات الوراثة

وفى مقابل النظرية السابقة هناك كتاب جديد متداول الفه البروفسير رولاند فيف ، بعنوان « تارجح الحالات النفسية » . والبروفسير فيف استاذ للطب النفسى العلاجى فى المركز الطبى بكولومبيا بنيويورك . وفى رأيه ان جينات الوراثة ذات تاثير أكبر من اية قوة خارجية فى تحديد حالاتنا النفسية . وينصب اهتمام الدكتور فيف بشكل خاص على المرضى بالانقباض النفسى الحاد الذين تتارجح حالاتهم النفسية بين النشوة الغامرة الى الانقباض الحاد .

وقد توصل الى رأيه الاساسى بعد دراسة تاريخ ٦٠٠٠ حالة مرضية ، استخلص منها أن القدر الاكبر من تارجح حالاتنا النفسية هو نتيجة لتغييرات فى كيمياء الجسم تتفجر بفعل الجينات والضغوط الكبرى فى حياتنا . وهو لا يستبعد احتمال تأثير القمر على ساعاتنا البيولوجية ، ويعترف بالملاحظات التاريخية حول الجنون والتى ينظر إليها احياناً كدورات للانقباض الجنونى ، كل دورة منها ثلاثون يوماً .

ولكن الدكتور فيف لا يقر بأن التاثيرات الفلكية هى التى تدفع حالاتنا العقلية الداخلية الى الحركة ، بالضرورة . ويورد كأمثلة حياة ثلاثة رجال عظماء ليؤيد حجته .. أحدهم ونستون تشرشل الذى امتزج فيه الانقباض العميق والنشوة المشعة وذلك بشكل مكنه من ان يعمل على مدار ساعات اليوم . وقد نتج عن تأرجح حالاته النفسية انعدام للحذر والقدرة على التقدير ازعج العاملين معه : «وليس من شك أن المزاج المتقلب كان جزءا مما ورثه تشرشل » كما يرى د. فيف ويقرر أن « شحنة جينية (وراثية) عالية كانت فعالة فى سلالة اسرته ، وان تقلب احوال تشرشل كان اساساً بسبب جينات الوراثة فيه أكثر مما هو بسبب البيئة .»

وكان الرئيس الأمريكى تيودور روزفلت مثالا لحالات ارتفاع الروح المعنوية والابتهاج حتى غدا البيت الابيض الى نوع من السيرك . كان روزفلت يتكلم اثناء الغداء بلا انقطاع الى الزوار الذين يزدحمون حول مائدته ، ثم يخرج مسرعا الى مكتبه حيث يقابل الشيوخ واعضاء الحكومة ورجال الكونجرس وسيلا من عامة المواطنين . وفيما بعد يخرج الى ركوب الخيل أو السباحة أو التمشى ، وأحياناً يقوم بكل ذلك فى نفس الوقت . كل ذلك قبل العشاء ، والذى متى جلس إليه انطلق فى الحديث والصياح دون أن يتوقف لحظة . وكانت حالاته النفسية مبتهجة فى الأغلب . وعلى نقيض ذلك عرف ابراهام لنكولن بحالات الانقباض الشديد ، التى يصفها فيف بأنها كانت متكررة ونابعة منه ، مما يشير الى اضطراب كيمائى.

ولعل اشهر حالات انقباضه كانت تلك التى صادفت فسخ خطوبته لمارى توود فى يناير ١٨٤١ . فقد ظل لأكثر من اسبوع غير قادر على حمل نفسه لحضور جلسات الهيئة التشريعية بولاية الينوى . وخشى زملاؤه أن يكون قد اصيب بنزعة انتحارية .

جان ريفنك

فردريك ديفز

هل تتحكم جينات الوراثة فى المرضى المصابين بالانقباض النفسى الحاد ؟

وبرى الدكتور فيف أن حالات انقباض لنكولن ربما كانت فى بعض الاحيان بسبب الضغوط الخارجية ، ولكنها فى معظمها مستقلة عن حالات الفقد أو النكبات ، مثلها فى ذلك مثل كل حالات الانقباض الناتج عن اسباب كيمائية أو تحولات فى طبيعة الجسم حين تتجدد فيه أجزاء وتندثر اخرى .

إن النظرية التى يقدمها الدكتور ليبر فى كتابه «الأثر القمرى» تنظر فى تأثير الاجرام السماوية على التوازنات المعقدة للهرمونات والسوائل والموصلات الكهربائية العصبية فى اجسامنا . ويرى ليبر ان جلد الانسان بتركيبه يسمح بحركة قوى كهرومغنطيسية فى كلا الاتجاهين ، الأمر الذى يسمح بتوازن ديناميكى . فكل رسالة عصبية تولد مجالها الصغير من الطاقة ، ولكل خلية حقلها الكهرومغنطيسى الخافت ، مثل نظام شمسى دقيق للغاية . ويرى الدكتور ليبر أن القوى الكهرومغنطيسية الكبرى الصادرة من الاجرام السماوية تستطيع التاثير على توازن عالم الخلايا تحت المجهرية هذه .

ويقول الدكتور ليبر فى كتابه : «عندما يكون هناك اتفاق بين الدورات الفلكية مثل ذلك الذى يحدث مدا وجزرا حادين كما فى عام ١٩٧٤ فان جهاز الجسم الأدمى يتقاذفه اضطراب مفاجىء فى الجاذبية والحقل الكهرومغنطيسى المحيط به .. مما يغير وبشكل درامى التوازن القائم بين عوالمنا الداخلية والخارجية . وبذا يصبح الجهاز العصبى مضطرباً ، متوترا ، وتتغير فيه طرائق ارسال الرسائل العصبية ، ويتكون بذلك ارتفاع او انخفاض فى الماء فى اجزاء مختلفة من الجسم . »

ويضيف الدكتور ليبر ان من بين مرضاه عددا كبيرا من صرعى الانقباض الجنونى الذين تتم تهدئتهم بعقار الليثيوم . « وفى بعض الاحيان يتصل بى كثير منهم فى نفس الوقت ليخبرونى عن حدوث نفس الاعراض لهم ــ القلق ، الانقباض ، فقدان الذاكرة ، وسرعة نبضات القلب . واننى لواثق أن السبب الوحيد وراء هذه الظاهرة الشاذة هو أن

كل هؤلاء المرضى يتجاوبون بشكل جماعى مع اضطراب جوى .. والاحتمال الاكبر أنه اضطراب ذو صلة بالقمر . »

وعلى اية حال ، فان الملاحظات القصيرة التى سجلها ليال واطسون فى كتابه « مد الحياة وجزرها » توحى بشىء من وحدة المخلوقات فهو يقول :

« إن كل واحد منا لهو بمثابة متحف متحرك والسائل الموجود فى اجسامنا هو صورة طبق الاصل للبحر القديم إذ أن تركيز الصوديوم والبوتاسيوم والكلورايد فى دمنا ، والكوبالت والماغنيزيا والزنك فى انسجتنا ــ كلها بنفس النسبة التى كانت ذات يوم موجودة فى المحيط القديم .

« ومازلنا نحمل ذلك المحيط فى دواخلنا . وقد اطبقنا عليه مثل أثر قديم متحجر ، ولكنه ما زال ينبض بالحياة .»

وفى كل بحر داخلى دقيق ، مازالت نفس الصراعات القديمة مستمرة مثلما

باتريك ويكر

هــذه المــوجــة الــتـى تحــولت إلى تجــارة ماهى إلا دليــل عــلى عجــز الإنســان وفقــدانه للاطمئنــان

كانت قبل ثلاثة بلايين سنة خلت .

« ويمكنك ان تجمع اكبر عدد من عينات مياه البحر ، ولكن واحدة منها لن تحتوى على أى شىء عن المد والجزر ، وان كانت تخبر عنهما . فالحياة نسيج منظم ، وحركة ، إنها شىء تم صنعه فى نقطة مضادة لايقاع ما هو عارض ؛ انها شىء نادر ورائع فى لا معقولية . »

وبعد :

قد تصادف احيانا تخريجات الفلكيين وتخمينات المنجمين ولكن يظل معرفة الغيب رهنا بيد خالق الكون جلت قدرته وما هذه الموجة العارمة التى تحولت الى تجارة وتخريات ونظريات وتضارب تغذيها اجهزة الاعلام المتطورةفى عالم يفتخر بامتلاكه قوى التكنولوجيا الجبارة ، إلا دليل يقدم جديداً على عجز الانسان وفقدانه للأطمئنان حين يفتقد طمانينة الايمان وسلاحه .

البديل للعظام الآدمية

أطباء العظام أحجموا فى السنوات الأخيرة عن إجراء أية عملية لاستبدال المفصل الأعلى فى عظمة الورك.. لماذا ؟

الدكتور بونفيلد توصل إلى نوع من العظم المفصلى البديل غير القابل للكسر والتشقق

تزداد الحاجة فى عالم اليوم الى عمليات تغيير المفصل الاعلى فى عظمة الورك ، وخاصة عند الشباب ، وذلك نسبة للاصابات التى تنتج عن حوادث الحركة أو سباق السيارات أو الانزلاق اثناء التمارين الرياضية العنيفة ، واحيانا بسبب عاهة مستديمة .

ولكن أطباء جراحة العظام قد احجموا فى السنوات الأخيرة عن اجراء اية عملية لاستبدال هذا الجزء من العظم وذلك لأن مفاصل الورك الصناعية والبديلة قد برهنت على انها لا تدوم اكثر من خمس سنوات ، لأن المفاصل المصنعة غير مرنة ، إذ تحتوى على جزء مصنوع من الصلب الذى لا يصدأ .

وهذا الجزء ملصق الى عظم الورك بواسطة مشبك معدنى .

وقد اتضح أن هذا المشبك والجزء الكروى لا يتحركان مع الجسم اثناء مشى الانسان وحركته . ويتولد من ذلك ضغط يزداد بشدة على المفصل ويؤدى ذلك الى ضعف المفصل الصناعى وكسره .

لكل هذه الاسباب مجتمعة ، اخذ اطباء العظام يبحثون عن البديل ، ففى السويد أجريت عمليات مفاصل عظم الورك استخدمت فيها مادة التيتانيم لصانعة المفاصل . ولكن اتضح أن المفاصل المصنوعة من الصلب أفضل منها .

وفى المانيا استخدمت مفاصل مصنوعة من مواد فخارية ، ولكن ذلك لم ينجح نسبة لان مادة الفخار هشة وقابلة للكسر السريع .

كل ذلك أجبر اطباء العظام على البحث عن البديل .

وفى عام ١٩٧٩ أجرى البروفسير وليام بونفليد المحاضر بكلية الملكة مارى (جامعة لندن) دراسات مقارنة وجادة فى تكوين المفصل العظمى الحقيقى للورك الموجود عند الانسان المعافى لكى يجد له مثيلا إصطناعيا . وأول نتيجة توصل إليها البروفسير بونفليد أن المادة المكونة للعظم البشرى عامة لا يمكن صنعها فى أى معمل وذلك لأنها عملية معقدة جداً . ولكنه توصل مع زملائه الآخرين الى نتائج أخرى اهمها :

أن جوف العظم البشرى الطبيعى يتكوم من انابيب دقيقة عرض كل منها عدة مايكرومترات أى عدة اجزاء من ألف جزء من المليمتر

وهذه الانابيب تحتوى وتنقل مواد سائلة هى التى تصنع العظم الطبيعى ، وتكون هذه الانابيب الدقيقة فى داخل تجويف العظم فى وضع مواز للعظم نفسه . وتحيط بها من الخارج طبقات كثيفة من مادة الكالسيوم والكولاجين ، وهو مادة بروتينية .

ومادة الكالسيوم هذه تشبه فى وضعها وفى وظيفتها المادة الملصقة أو الملزقة الاصطناعية .

أما مادة البروتين الكولاجينية الطبيعية فهى تشبه إحدى المواد الكيمائية المركبة المضاعفة الاصل « بولمر » التى يمكن تصنيعها معمليا بعد هذه الايضاحات التى توصل اليها الدكتور بونفليد ، تمكن هو وفريقه المساعد من صنع مفصل عظمى من مادة فخارية ـ لم يكشف عن اسمها ونوعها بعد ـ ومادة أخرى لدنة (بلاستيك) وكان هدفهم الرئيسى أن يشبه هذا المفصل العظمى المصنع المفصل العظمى الطبيعى بقدر المستطاع .

هذا وقد قام الدكتور بونفليد بعد ذلك باختبار الخواص الطبيعية للعظام البشرية بواسطة جهاز صوتى سريع الالتقاط . وقد استفاد الدكتور بونفليد من الذبذبات الصوتية الدقيقة التى ارسلتها العظام الآدمية بتفادى حدوث الكسور والشقوق المتوقعة فى عظمته المصنعة

هذا وقد اوضح الدكتور بونفليد أن ثمن العظم المفصلى الذى أشرف على صنعه وتكوينه سيكون اغلى من المفصل العظمى المصنع من الصلب . والجدير بالذكر أن تكاليف اجراء تغيير مثل هذا العظم فى انجلترا الآن مكلفة للغاية .

وللمادة المستخدمة فى المفصل الذى أشرف الدكتور بونفليد على تصنيعه مزايا اخرى ، فهى مادة مسامية ، وهذا يجعلها تتداخل مع العظمة الطبيعية المجاورة لها وبذلك تقل فرص التكسير والتشقق ، كما انه يمكن الاستفادة من هذه التركيبة فى صنع جزء من العظام التالفة لأسباب سرطانية .

وقد برهنت التجارب والعمليات الاولية أن المفصل المصنع بواسطة الدكتور بونفليد وفريقه يعمر ويعيش طويلا .

وسيبدأ اجراء العمليات على المرضى والمصابين الانجليز واستخدام هذا البديل الجديد للعظم الآدمى فى هذا الشهر (يونيو حزيران ١٩٨٠) .

تجربة جزائرية تعطى العالم أول قرية
نموذجية تستخدم الطاقة الشمسية

الفكرة طورها النابغة المعمارى المصرى : حسن فتحى

الإكتفاء الذاتى من الطاقة

بدأ أساس أول قرية فى العالم تستخدم الطاقة الشمسية بشكل متكامل يظهر للعيان على وجه سهل منبسط فى (عين هنا ش) فى محافظة (مسيلة) فى الصحراء الشمالية بالجزائر .

وقد شرع فى البناء من لا شىء . فاذا سار كل شىء وفقا للخطة الموضوعة ، فان القرية ستستمد كل احتياجاتها من الطاقة ومن انواع أخرى من مصادر الطاقة المتجددة . وإذا نجح ذلك ، فان عين هنا ش ستكون النموذج الذى يمكن لدول أخرى غارقة فى لهب الشمس أن تحتذيه

وتقوم بالتخطيط والبناء المنظمة الوطنية الجزائرية للبحث العلمى ، وجامعة الامم المتحدة ـ وهى شبكة عالمية من العلماء والمؤسسات . وباكتمال القرية فى نهاية عام ١٩٨٢ على الأرجح ، فانها ستأوى ١٥٠٠ شخصا .

وقصد ان تكون عين هناش أول قرية من اصل الف قرية تخطط لها الحكومة الجزائرية للتخلص من المدن القديمة وزيادة عدد المدن بها .

والفكرة الاساسية الكامنة وراء المشروع هى توظيف المعمار التقليدى والاساليب الحديثة لاستغلال الطاقة الشمسية . وهى قائمة على الافكار والأسس التى طورها المهندس المعمارى المصرى النابغة حسن فتحى .

والمعمار الجزائرى كالمكسيكى ومعمار شمال افريقيا كان دائماً يستخدم الحرارة الشمسية بشكل سلبى . فالبيوت التقليدية مبنية بجدران سميكة تشكل حاجزا للتخزين ، يجعل المنزل يحتفظ ببرودته من داخل عندما يكون الجو خارجه حارا ، ويبقيه دافئا عندما تهبط الحرارة فى الخارج . وللمبانى الجزائرية نوافذ صغيرة عديدة لتمرير الهواء البارد كما بها نوافير داخلها لتخفيف الحرارة .

ولكن القرية الجديدة «عين هناش» تستخدم الطاقة الشمسية بشكل ايجابى . فالبيوت ستكون مجهزة منذ انشائها بأجهزة الطاقة الشمسية كألواح تجميع الطاقة ، والمحولات الكهروضوئية ، كما فى المبانى العامة وسيكون لكل بيت جامع للطاقة الشمسية يعين على استخدام الشمس فى الطهى والتدفئة . كما أن التصميم نفسه يستفيد من تمرير الهواء لأغراض التبريد .

وسيتم استخدام مجموعة أخرى من أجهزة تجميع الحرارة لأغراض الصناعة والزراعة وستزود بعض المجمعات السكنية بأنظمة تعمل بالطاقة الشمسية لانتاج الغاز والوقود المستخرج من الكحول وغذاء الحيوان . وبذلك فان انظمة تجميع الطاقة الشمسية ستتكامل بمقاييس مطلوبة مع الانشطة الأخرى كالانتاج الغذائى . وكل نشاط منها كما يقول واضعو الخطة ، مقصود به أن يساهم فى سلسلة من النشاطات التى لا تكلف كثيرا ، وتتجدد من تلقاء نفسها .

وقد وزعت المسئوليات بالنسبة لفريق واضعى الخطط والمصممين فى عين هناش بشكل يسمح بتغطية جميع جوانب الحياة فى القرية . فهناك مجموعة مسئولة عن المسائل الجغرافية والجيولوجية والهيدرولوجية والفلكية والموارد الاقتصادية وتخطيط البنى الاساسية للموقع .

أما المجموعة المسئولة عن الطاقة فهى المناط بها دراسة المناخ والطقس فى الموقع ، وانتاج الطاقة وتوصيلها وتحديد دورتها ، وتصميم وتركيب الأجهزة .

وهناك مجموعة ثالثة مسؤولة عن الخدمات المعمارية الزراعية ، والجوانب الثقافية والاجتماعية والديمغرافية والتوظيفية فى مجتمع القرية .

وعلماء الطاقة الشمسية فى المجموعة المسئولة عن الطاقة مقتنعون بأن احتياجات قرية عين هناش من الطاقة كما تم تصورها الآن ستوفرها مصادر للطاقة بيئية سليمة وعملية ومتجددة . ويجرى تطوير عدد من الانظمة فى الموقع لتعين أهل القرية على تخزين الطاقة الشمسية كمصدر للتدفئة فى الفترات التى يرتفع فيها احتياجهم لها .

ومنذ البداية تمت استشارة أولئك الذين أبدوا رغبة فى الحياة فى هذه القرية الجديدة ، وفى مرحلة التخطيط ، لأخذ آرائهم حول الطريقة التى ينبغى أن تصمم بها المساكن . وقد أجرى اثنان من المهندسين المعماريين الجزائريين مسحاً بين من سيقطنون فى القرية مستقبلا حول احتياجاتهم من الطاقة وعاداتهم . وتتضمن مرحلة تالية من المشروع تدريب أهل القرية على الاستفادة القصوى من التكنولوجيات الجديدة ، كما يعتزم واضعو الخطة ايضا تشجيع اهل القرية على تطوير اساليبهم الخاصة فى تجديد الطاقة .

وقرية عين هناش هى تجربة .. بعد كل . فان نجحت الخطط كما يأمل واضعو التصميمات الجزائريون ، فان دولا نامية أخرى يمكن أن تستفيد من هذه الفكرة ، إذ أن هذه القرية تشكل تقدما كبيرا فى مستوى المعيشة دون أى مطالب كبيرة من ناحية المصادر ، متى تم بناؤها .

وليس هناك سوى قرية شمسية أخرى تحت التخطيط بالقرب من شيراز بايران ، ولكنها تختلف عن تجربة القرية الجزائرية إذ انه لم يخطط لها أن تقوم على بناء قرية جديدة ، وانما على تركيب اجهزة الطاقة المتجددة فى المنازل والمبانى العامة القائمة سلفا .

ان أكبر عقبة تواجه مثل هذا النوع من التنمية هى أن الدول النامية عاجزة عن مقابلة التكاليف الانشائية . ولكن فوائدها متعددة الجوانب . فهى لا تحرر الناس من الاعتماد على النفط أو اى انظمة مركزية للطاقة فحسب وانما توفر لهم فرصة افضل لدفع الانتاج الغذائى ، وذلك لانه يصبح تحت سيطرتهم هم انفسهم بشكل أكبر . وبازالة ضغط الحاجة الى الاحتطاب من أجل اغراض الوقود ، تتم المحافظة على النباتات وتركيب التربة وخصوبة الأراضى المحيطة بالقرية ، وتتحسن كلها بمرور الايام

ونسبة لأن اسعار النفط فى ارتفاع مستمر فان احتمال الاقتراب من تحقيق الاكتفاء الذاتى من الطاقة والذى تتيحه مثل هذه التجربة ينبغى أن يشجع كل الدول على التمعن فى تجربة قرية عين هناش المعتمدة على الطاقة الشمسية .

ترقبوا..

الأمّة

مَجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر من قطر

النور عثمان أبكر

مدخل لعملية الخلق الروائي

إسقاط الحاضر والاتجاه للتغيير باتجاه المستقبل

ربما كانت اهم خمس روايات سودانية شكلا ومضمونا كتبت بعد الاستقلال هي روايات الطيب صالح الثلاث وروايتا ابراهيم اسحق ابراهيم • تتمتع كل هذه الروايات بالعمق والاصالة والشمول والنضج الفني - ان عالجنا اغراب اللهجة المحلية عند ابراهيم اسحق كما ينبغي • كما يتمتع الكاتبان ليس بالموهبة فحسب ، بل بالتزود المضطرد بالعالم الذي عنه يكتبان ، وبالثقافة العميقة المتنوعة المستزيدة من التجربة والحلم والاطلاع الدائم وكلاهما يربط نفسه بحلم ان يعرف العالم الانسان الذي عنه يكتب ، والعالم الروائي الذي يقيم • واغترافهما من ينبوع المصدر الأول والتجربة الأولى - الجذور - الاقليم المحلي بالسودان وتاريخيته وشروطها المادية ، ينبع من الوعي الكامل بضرورة استكشاف الحياة من جذورها •

كثيرة هي الدراسات التي كتبت عن ادب الطيب صالح ، وطويلة • ولذا يضحى من الصعوبة بمكان ان يتجنب المرء الانسياق - لا شعوريا - وراء خطوط دراسة او اخرى ، وهو يتحدث عن ادب الطيب صالح • وقليلة ونادرة الدراسات الجادة في ادب ابراهيم اسحق ابراهيم ، ولذا يخشى المرء ان يحمله حبه وتقديره الشخصي للكاتب وعالمه الروائي الى اضفاء ما يلون موضوعية البحث والتقييم • ولذا اكتفي بتحديد سمات اساسية لعملية خلق الرواية عندهما •

•• استرجاع عالم مفقود

كلاهما ينزع الى استرجاع عالم فقده ، وتحريك شخوص على مسرح ذلك العالم المفقود في دراما عناصرها حدث فريد يهم الجميع فيسلكون ، ويفصحون عن اعماقهم للحد الأقصى ، فيتبلور في النهاية رمز انساني تاريخي يحتمل شتى التفسيرات •

فالقرية في «عرس الزين» ليست قرية حقيقية ، ولكن القوى التي تتحرك وتفعل وتفصح عن نفسها فيها هي قوى لها وجود موضوعي • وليس « الزين » حقيقة ، ولكنه

الطيب الصالح

رمز لقوى مختلفة تستقطب اهل القرية وتتحدد بها هوياتهم وهم يتعاملون معها • لكنه بحدث عرسه يصبح رمز الوئام للجميع •

والقرية هي مسرح « حدث في القرية » لابراهيم اسحق ، والحادث هو تدفق الماء العظيم في موسمه ، وموت صبي به بضربة مجهول يحمله الماء ، - الخير الدمار - ان الماء هو المجهول المعطي - التغيير والاستمرار - ينتظره الجميع هناك • وهاهو قادم ، « واهب » ، ومدمر •• يتدبرون امرهم حتى يلجموا قوى التدمير في دواخلهم ليفيدوا من قوى التعمير في الماء - التغيير • وفي غمرة ذلك كله يفصحون عن هوياتهم وتنافرها وعودتها الى نوع من الوئام •• اخيرا •

•• رصد آثار عامل التغير

في « موسم الهجرة الى الشمال » ينزل القادم الغريب ، فيحدث تغيرا في القرية كما كان قد احدث تغيرا في المدينة والذات ، وينزع قشرة الحياة ، فيتم افحش فعل يمكن لانسان ان يفعله : القتل • ويدفن الموتى على مضض ودون بكاء ، وينصرف اهل القرية للنظر في ما حدث لهم من تغير في حياتهم ، عن الخطأ في الماضي والحاضر القريب •

وفي « اعمال الليل والبلدة » لابراهيم اسحق ، ينزل الغريب ، فيستقبله عنصر معد بالمولد والمزاج والتربية لاستقباله ، وتستقبله حاجتهم اليه •• وتتم جريمة •• وتفقد القرية (الجواد) ، عذريتها ، تاريخها ، امجادها ، وتصحو على واقعها الجديد بعد ان نزعت قشرة الحياء ، خداع الذات ، عدم النظر في الذات •

في « بندر شاه » يكبر اهل « ود حامد » ، اهل « موسم الهجرة الى الشمال » ، يفقدون وئام «عرس الزين » ، ويدركون مدى التغيير الذي حدث بعد « موسم الهجرة •• » ويبكون الموتى والاحياء يبكون فجرا ، وينقبون في دواخلهم •• جاءهم ضوء ، به ابصروا ، ووجدوا •• ثم مضى •

نرى من ثمة اهتمام الكاتبين برصد ما يحدث لمجموعة انسانية في زمن ومكان وشروط مادية محددة من تغير بفضل قدوم شيء جديد ، مسار لتاريخ ، عنصر جديد من عناصر التعامل مع الزمن والعالم : ثمة ما يفقد دائما عوض ما يجيء • وهذه مشكلة التغيير الذي يعانيه السودان ، العالم الثالث •• مشكلة التقدم •

تختلف الرواية عند الطيب صالح وابراهيم اسحق ابراهيم عنها عند غيرهم من روائيينا من حيث الفنية و الزمن واللغة • كان الطيب صالح في « عرس الزين » يكتب عن مجتمع ينعم بالوئام ، يحلم به ، يتمناه ، جسده في عمله كواقع معاش ، وذلل في عمله كل تقابلات وتعارضات الحلم والواقع ليخرجه كعالم له ارضية في حياة الناس • ولذا استخدم السرد لايهام القارئ بان عالم « عرس الزين » حقيقة ماضية لا تستدعي من القارئ سوى التصديق والقبول • اكيد ان للزين جذورا في الواقع .

كما ان عالم المصالح المتضاربة - رعوية ، زراعية ، تجارية ، دينية ، فئوية - التي اجتمعت للفرح بعرس هذا « الغريب » لها جذور في الواقع • لكن الوئام الحميم الكامن في الرواية ليس حقيقة • سمة حياتنا واقعا هي التنافر في هذا الوطن الشاسع ، التنافر بين كل تلك القوى التي اجتمعت للاندماج في عرس الزين •

لم يستخدم المؤلف اي راوية لما يعرف انه حلم يزيف الواقع ليجلوه بصورة افضل •

مدخل لعملية الخلق الروائي

•• استخدام الراوية

اما في « موسم الهجرة الى الشمال » فقد راى الروائي ان يعرض عالما ، ان يقدم شهادة من اكثر منموقع ، لذا استخدم الراوية •• الراوية الذي يعرف نفسه ، ويشكل الوجه الآخر لعملية التغرب والعودة التي قدمتها تجربة وحياة مصطفى سعيد ، وبذا يتم للقارىء الذي يقصد الحكم اخيرا ان يختبر الراوي ليبلغ موقف التصديق والتقبل لروايته فنيا • ونجد الراوية يستند الى مخلفات مصطفى سعيد ليعمق ثقتنا في نزاهة وحيدة شهادته بما حدث ، كما نجده يقدم اشخاصا يهمهم ما حدث لبعضهم من ذلك الغريب ، سلبا وايجابا •

ان تبادل الثقة بين الراوية والبطل ، وبين القارىء والراوية والمنكوبين بالاحداث في القرية كل ذلك يمنح القارىء فرصة بناء عالم الرواية متكاملا ليخلص الى حكم او يعلق الحكم – لو كان ذكيا – لان الروائي قصد في الاساس ان يقدم عالما علينا ان نتعرف عليه عمليا •

•• تعاملهما مع القرية

تبدو القرية لأبناء المدينة مستودعا من القيم الروحية والاجتماعية المتناسقة البريئة • بها جذورنا سالمة عن اذى التغيير والمدنية ، لا يخدش براءتها وهدوءها وجمالها غير العوز الذي يجتاحها احيانا بسبب قوى خارجة عن ارادة الانسان وفعل التاريخ • لذا تغنى شعراؤنا بجمالها وقدسوها واهمين !

بعيون لا يعميها رمد الحنين الشوفيني او البلاهة فيقراءة معطيات الوضع الماديالاجتماعي والسياسي التاريخي ، ينظر الطيب صالح وابراهيم اسحق في القرية وانسانها، ويقدمانه كعالم ليس هو البراءة ، ليس هو الوهم ، ولكنه مجال معاناة التغيير والتحول ماديا ونفسيا وفكريا •

كلنا سينزل المعاش – كما نقول – ويعود الى ارضه ، داره ، اهله ، ليعيش فعاليته الانسانية الخالصة ، ويتوقع ان يجد الاشياء والناس كاول عهده بالحياة • لكن المسالة ليست بهذه البساطة • اننا نهرم بالتجربة والنفي، وتتجدد القرية بوافد التغيير والاستلاب الذي يجد مستقبليه فيها • قرانا هي عالمنا الاول في تبادل وتعامل مع العصر • الذي شاخ فيها تمتحنه رياح التغيير الوافدة وتفنيه • الذي يشمخ فينا رسوخا معافى •• يبقى •

•• القبض على التناقض الاساسي

هناك تقابلات وتناقضات ثانوية لا يحق لاديب ان يحتفل بها كقوى للصراع • تعرض « عرس الزين » مثل هذه التناقضات الثانوية، تؤكدها المعسكرات التي يقدمها الكاتب •• الطائفة الدينية – القبائل – الفئة المتميزة – الجاه – الفقر •• وينفيها الكاتب بالفرح الاكبر الذي يصنعه الانسان لنفسه ، بالحلم ، بالفرح الموسمي الكبير ، بالعرس •

« حدث في القرية » تعرض التناقض الاساسي بين الانسان والطبيعة ، وتمدنا بقدر غير يسير من التناقضات الثانوية (بين انسان المدينة الوافد بالعلم – الناظر او الممرض او التاجر، او صاحب وسيلة المواصلات – وبين اهل القرية في جهلهم ••) ، لكن الرواية تدير الاحداث لتبرز امامنا ضعف الانسان وقلة حيلته امام قوى الخير التي يمكن ان تستحيل الى قوة دمار ، خاصة اذا جهل الانسان كيفية استخدامها واوانه • الماء للجميع ، ينتظره الحيوان والنبات والانسان ، القروي المقيم والراعي الجوالة ، المقيم والغريب الوافد ، لذا يتدبر الجميع امر الجامه والجام مطامحهم الفردية وهم يقتربون منه • يكون قهر ، يكون اختلاف ، تكون جريمة •• يموت الكثير ، لكن الارادة الجماعية ، بتدبيرها • يمضي الشر ، ويبقى الانسان وقد عرف في محنة المعاناة قدرا من نفسه وامكانياته ، سلبا وايجابا •

••المعالجة ابتداء من حدث عادي

ان الروايتين (حدث في القرية وعرس الزين) قد اديرتا حول حدثين عاديين اكسبهما

الكاتبان قيمة غير عادية • فالعرس امر يومي • لماذا يثير كل هذا الاضطراب والاصطراع وكشف امور الواقع والماضي ؟

وجريان الماء في موسمه امر عادي ، والموت حقيقة يومية • فلماذا كل هذا الاضطراب في حياة القرية واستكشاف بالها القديم وتطلعاتها الحاضرة وفضح ما كانت تحيا به ؟

لم يكن العرس عاديا ، لان شخصية الزين ليست عادية • ولم يكن جريان الماء عاديا • لان ما حمله معه من شر ليس عاديا • لقد اختار الكاتبان الحدث الذي به يتحول الواقع المادي القائم الى وعي •• ان الاحداث اليومية العادية هي التي تبني التاريخ ، وتحدد مساره وهي بذلك تبني الوعي ، ومن بينها حدث لحظة التحول التاريخي او النفسي او المادي • وقد احسن الكاتبان قبض لحظة تبلور التحول هذه ، لحظة اليقظة هذه • وقد عالجها الطيب صالح ليؤكد امكانية الوئام في مجال يعج بالتناقضات ، كما عالجها ابراهيم اسحق – بعد سخرية شاملة – ليبرز القدر الكامن في الانسان رغم عجزه وفقر حيلته وجهله امام المجهول والشر الممكن في الحياة •

لقد حرك الطيب صالح شخصيات الرواية لتبني الحدث وعالمه •• هي التي تتحاور ، وتروي وتعلن وتسر • بعض اللحظات يملؤها وعي الكاتب ، لكنها لا تقدم الكاتب كحاجز مترفع عن هذا العالم يباعد بينها وبين حوار الصدام والوئام في الرواية •

في « حدث في القرية » اختار الكاتب صبيا ليكون الراوية • جعل عين الصبي – عثمان – براءته وصدقه وامتلاءه بقيم ومخاوف ووعي اهله ، هي التي تقدم لنا لوحات هذا الحدث ، وما يصطرع في بال الجميع تجاه الخطر المحدق بالجميع • والصبي يعتمد عينيه واذنيه وذاكرته ومحفوظاته المحلية وتجربته في تقديم ذلك اليوم الطويل في حياة القرية •

حتى هذا الصبي يبقى دون تعريف من الكاتب وهو نفسه لا يكترث بتعريف نفسه ، يتركنا نتعرف عليه في العالم الذي يرويه •

الكاتب، اذن، خارج عمله وعالم روايته• وهذه هي فنية الرواية الجديدة •

١ – ابتعاد الكاتب عن عالم الرواية ، وتشكيل الرواية بالادوات التي تجعلها عالما مستقلا عن الكاتب ، لوحة ، قطعة موسيقية ، منضدة •• اضافة جديدة للعالم ، اعادة لفعل الخلق •

٢ – تقديم حدث اساسي يبلور لحظة التحول في وعي العالم الذي تشكله الرواية •

الجريمة في « اعمال الليل والبلدة »

يستمر ابراهيم اسحق في « اعمال الليل والبلدة » في استخدام الراوية واللغة والحوار المباشر في بناء عالم يعاني منعطفا حادا في حياته ، يكاشف نفسه مساءلة واحتجاجا عن شروط هذا التغيير وجدواه . لم يكن احد يتوقع ما حدث ، وان كان صوت التاريخ - مصطفى - يهجس شيئا مريرا شريرا سيحدث من بدايات وفدت ولم يؤبه لها كثيرا .. ولذا يضطر القارىء على تجميع كل وعيه وشطارته ليقف على حقيقة ما حدث .. موت رجلين ، وموت الجواد « فارس » .

احد الرجلين (فلقة) وافد الى القرية .. البلدة . جذوره لمكان آخر ، فاقد لاحترام اهل البلدة ، ولا مبال بهم وعالمهم . يرتبط في صداقة حميمة ومشبوهة بعنصر من اهل البلدة (حاجي) . هو تجسيد لفساد في صلب القرية - لا اب له يعرف ، ولم تحسن تربيته. على يدي هذين الرجلين يسرق الجواد ، ويقتل .

والجواد (فارس) هو رمز لتاريخ ومجد في الايام الغابرة حين وقفت البلدة في وجه الغريب الوافد المعتدي . بحق . ولكنها ايضا قتلت رجلا وافدا - الجلابي - بغير حق . ليس الوافد دائما على نية شر ، (مامون) يحترم امورهم ، ولذا يشاجر (فلقة) . (زيدان الجلابي) لم يقصد بهم شرا حين زرع واستثمر جزءا من المسايل ، لكن الزبير رحمة كان يقصد الشر . فاوقفوه . و (فلقة) قصد الشر ، فاوقفته حياته الافعى الشريرة .

السلطة القديمة (العمدة) كانت عاجزة كما راينا في «حدث في القرية » ، لكنها ردت الحق - ابداء الراي - الى الاهالي . سلطة وكيل الأمباشي عاجزة عن اقتفاء الاثر ، واكتشاف الجريمة ، ولكنها ستبقى ، مفروضة، رغم تذمرات صوت التاريخ (مصطفى) وشكوى العمدة .

لقد اختار ابراهيم اسحق الجريمة كحدث هنا في « اعمال الليل والبلدة » . وهي تقود الى تساؤلات اخلاقية مجتمعية ، سياسية ، وهي تعني السقوط . ان نصف العناصر المادية التي مكنت للجريمة من صنع اهل البلدة ، والآخر وافد !

.. وفي «موسم الهجرة ..»

كانت « ود حامد » حلما بالوئام والحب في « عرس الزين » ، لكنها في « موسم

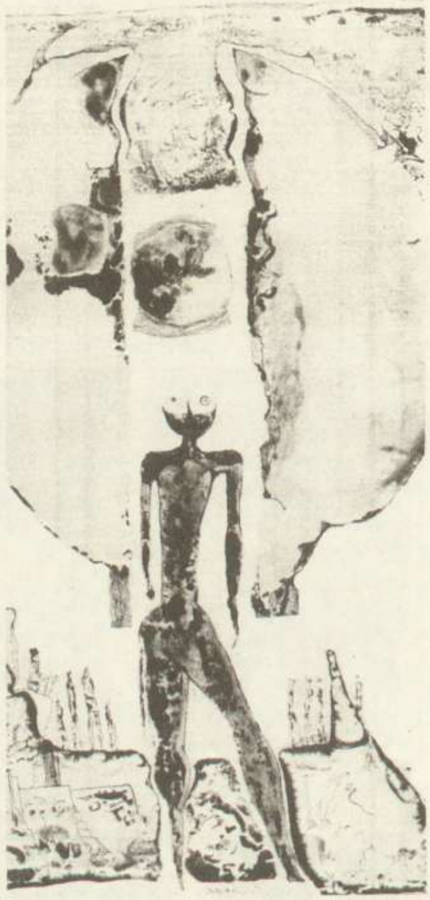

الهجرة الى الشمال » تصحو على جريمة لا يقترفها الغريب ، بل تنبع من عنصر متاصل فيها . تقادم وتمكن ، فلم يعد التلاعه ممكنا الا بالرفض الحاد - القتل (ود الريس .. حسنة بت محمود) . الراوية ، ابن ود حامد الذي اكمل تعليمه بالسودان ، وتوجه لدراسة عليا باوروبا ، يعود ليشهد قوة التدمير الهائلة لطاقة الحب - ماء الحياة - حين توجه توجيها خاطئا ، او تنعدم . في حياة الغريب الوافد (مصطفى سعيد) الذي كان يفسق حتى الجريمة باوروبا ، في حياة مصطفى سعيد ملف كامل لما يفعله انعدام او سوء قصد هذه الطاقة للحب بانسان . لم يكن حبا ما جمعه ببنات الانجليز ، بل نزوع الى الانتحار والفناء، وربما انتحر هو نفسه وهو يقوم - موهما الجميع - بعملية الانقاذ ليلة الطوفان تلك . لم يكن حبا ما جمعه بحسنة بت محمود ، وهي لم تحتج بالحب او حفظ المودة للزوج الماضي حين تقدم الخطاب اليها .

عندما التقت العوالم المختلفة في « عرس الزين» تم الوئام بطاقة الحب الفياضة المعطية - الزين . هنا في « موسم الهجرة الى الشمال » تلتقي العوالم .. اسلب او تستلب . وتحتج باسم قيم نصفية - غزو اوروبا كما غزتنا (مصطفى سعيد) - وامر البنت بيد والدها (ود الريس) . هنا تنتفي الحرية ، تنتفي القيم التي مكن لها الزين ونعمه والحنين - كحلم الكاتب ان الافصاح عما حدث ، وجذوره في النفس ، وتقلبات الايام ، يحتاج الى استكشاف عميق للذات الحضارية والنفسية لبلدة واهالي « ود حامد » يحتاج لاكثر من راوية . وهذا ما يحدث في « بندر شاه » التي تقدم اهل « ود حامد » بعد مرور ٢٥ عاما على «عرس الزين » ، وتغوص في اعماق زمن لم يعرفه الزين لانه حدث قبل زمان عرسه بكثير .

« ضو البيت »

قديم هو انسان النيل شمال الوادي ووسطه وعميق أثره في صنع تاريخ هذا البلد الشاسع. ولذا اتاحت رحلة الاستكشاف في الذات الحضارية فرصة كبرى للطيب صالح في تقديم السمات الاساسية للانسان السوداني الذي طمحت حركة القومية الموحدة بالسودان منذ ايام سنار في ارسائها . ولذا يتم التعاطف بالسودان والعالم العربي مع كتابات الطيب صالح الذي اختار نموذجه ومكانه في « هذا الجزء من العالم » ، اكثر مما يتم لأي كاتب يختار اقليما آخر من بلاد السودان .

من هو ضو البيت ؟

ما دام اهل عالم الرواية (بندر شاه) قد خصوا الأسماء بجزء من سمرهم العميق ،فاننا ناخذه باعتباره اسما على مسمى ، كما تقول ، ورمزا لوافد تعاطفت معه البيئة وافادت منه كثيرا ، وفقدته . ما هو هذا الفقد ؟ أن اثره واضح في التفاهم الصامت بين الجميع - اجيال الصراع المختلفة في الرواية - انه الرؤيا التي عرفها الجميع ، نافذة الفجر والضوء عند الفجر للجميع ، معرفة وتماسكا انسانيا وكرامة وعطاء بالحب كبير . لكنه فقد .

هذا الماضي حاضر وطاغ في الحاضر ، لكن المستقبل يطالب بحقه في الامكان والتغيير كاملا. من هنا صراع الأجيال ، الزمن ، حيث يتعاضد الجد والحفيد - الماضي والمستقبل - في وجه الحاضر - الأب - ان عملية استكشاف الذات في العالم النامي (الدول النامية) تسقط الحاضر من حساباتها ، وتتجه نحو احداث التغيير متبعة سهم المستقبل ، ومحكومة بحبل السرة للماضي ، لأن الوجود ماض ، والحضور مستقبل .

النور عثمان أبكر

مِن مذكرات شاهدة ربع قرن

محمد مندور

المعلم .. والأب

د. محمد مندور

بروميثيوس

راسين

فى بداية هذه الكلمة اقول إننى لم أكتبها لأقدم أعمال الدكتور محمد مندور أو اكشف جانبا من جوانبه الفكرية الغزيرة .. بل أكتبها تنفيسا عن حزن لايزال يحتدم فى النفس على ذلك المعلم الاب .. اما التقويم والتحليل والمناقشة فنتركها للنقاد الذين سيجدون فى ذكراه ولاشك فرصة يقولون فيها مالديهم من آراء كثيرة يتفقون فيها مع الدكتور مندور ويختلفون كما كانوا يفعلون وهو ملء السمع والبصر ..

مر على غروب شمس حياته فى ١٩ مايو ١٩٦٥ خمس عشرة سنة ظهر خلالها على مسرح الفكر ودروب الأدب شخصيات و شخصيات .. لكنى حتى لو أوصلت العديد منهم بعضهم ببعض فلن أفوز بتغطية الهوة العميقة التى تخلفت فى النفس وعلى مسرح الفكر بفقده .. ذلك أن "مندور" كان من أكابر المفكرين وكان فى الوقت نفسه من الأدباء الحقيقيين مع انه لم يركب متن الخيال قط ،

ومن النادر فى أيامنا هذه أن يجمع الرجل فى شخصه بين القابليات الأدبية والأهليات العلمية . وحتى لو كشف لى المجهر عن شخصية لها ثقافة مندور ونفاذ بصيرته فمن المستحيل أن تعثر على من يجمع بينهم وبين مشاعر الأبوة الخالصة . وفيض احاسيسه الحانية واستاذيته المطبوعة أيضا

إننى اشعر الآن وانا أكتب عنه انه كان « بابا مندور » وقبل كل شىء .. يوم فقدته فقدت كل أمل لى فى أن أكون ابنة للمرة الثانية . ولقد دخلت الى عالم الاضواء الفكرية والفنية من باب مندور .. كان خطوى من خطوة .. ونظرتى مستمدة من نظرته الناقدة حينا الحانية فى أغلب الاحوال ، ولقد أفضى بى هذا الباب الى طريقين أولها ترجمت من خلالـه وامام عينى المفردات التى بلورت العظمة فى شخصه .. وثانيهما وهو أننى عندما وقعت عينى على اساطين الفكر والفن الذين كنت اقرأ عنهم وانبهر بهم .. لم ار الهالات المضيئة فوق رؤوسهم .. ذلك أن آراء مندور الكاشفة عن ماهيتهم قد بددت انبهارى المبهم بهم . فأخذت احجامهم حيزها الصحيح .. كان الواحد منهم يصافح "مندور" فأجده يكلمه بعتاب غامز .. والآخر يتصبب أسفا .. وعندما يتركنا خجلا التفت الى بابا أسأله : لماذا كلمته بهذا الفتور .. ولماذا كان الآخر يدارى خجله هكذا .. فيفضى إلى بأن هذا الشخص ضعف امام الموقف الفلانى سنة كذا .

لم تتغير أفكارى عن المفكرين فقط بفضل مندور .. بل تغيرت حياتى أيضا .. ذلك اننى منذ وعيت .. واختبرت قدراتى .. وخلال دراستى الثانوية وانا انتوى المضى فى طريق الفن التشكيلى والالتحاق بكلية الفنون الجميلة ، وفى يوم من عام ٥٦ قرات فى جريدة الشعب نقدا بقلم الدكتور مندور لأحد الكتب التى كنت قد فرغت من قراء تها توا .. فبهرت بآرائه .. وقلت لنفسى : «لو ملكت هذه الثقافة الموسوعية وهذه القدرة الفذة على التعبير لكتبت نفس المقال وبترتيب الكلمات أيضا .

ومن يومها تتبعت مقالاته وكتبه هنا وهناك .. وبدأت احاديثه الاذاعية والتلفزيونية بجانب مقالاته تخلق لى عالما

عايدة الشريف

- جمع مندور بين القابليات الأدبية والأهليات العلمية ومشاعر الأبوة الخالصة
- ملكته الرغبة فى الإفضاء وإفادة الآخرين لأنه معلم مطبوع
- كان سريع البديهة .. سمحا .. وكتبه محاضرات كان يلقيها على تلامذته

جديدا .. وتعرفنى اشياء لم أكن قد سمعت بها من قبل . وفى احدى مقالاته وجدته يكتب بحنو وعطف عن رسائل تلامذته فى (معهد النقد) فعرفت أن هناك معهدا بهذا الاسم وشغلتنى فكرة الانشغال به .. وما إن حصلت على الثانوية العامة حتى ذهبت اسجل اسمى ، وكان للمعهد امتحان دخول .. وكان الممتحن هو الدكتور مندور ذاته مع بعض الاساتذة .. سألنى يومها : أيهما تشاهدين أكثر ، المسرح أم السينما ؟ .. قلت له السينما فاستفسر ولماذا ؟ قلت إننى استطيع الذهاب الى السينما صباحا مع الصديقات او مع أخى الأصغر .. أما المسرح (ليلا) فيقتضى اصطحاب أخى الكبير يوسف الشريف وهو مشغول دائما مع اصدقائه .. بالشؤون العربية فى مجلة روز اليوسف . فقال لى ببساطة : نعم إن الأخوة الكبار دائما «أولاد .... »ولاحظ أنه بتعاطفه معى قد سب ابى فاستدرك قائلا : إن ابنتى ايضا تشكو نفس الشكوى .

اكتشفت اسرتى أن معهد النقد ، هذا ليس إلا قسما ملحقا بمعهد الفنون المسرحية ويحوى قسم الديكور والتمثيل وهو شىء يفوق خيال أسرة أزهرية معمم أغلب افرادها . ولكى أرضيهم جمعت بينه وبين كلية الحقوق .. واخذ على هذا الجمع انه محاكاة «لبابا مندور» الذى كان يجمع بين كليتى الآداب والحقوق لظروف جد مختلفة .. ذلك أن "مندور" التحق بالجامعة أولا بغية تحقيق حلم طفولته فى أن يكون وكيل النيابة الذى انبهر بهيلمانه عندما شاهده وهو يحقق جريمة فى قريتهم الصغيرة .. ولما كانت السنة الأولى مشتركة مع الآداب وتعرف عليه الدكتور طه حسين اقنعه بأن يدخل كلية الآداب بجانب الحقوق .. ونجح فيها بتفوق بل كان ترتيبه الأول الممتاز فى الآداب فرشح من قبلها لبعثة لفرنسا لدراسة آداب اللغة الفرنسية واللاتينية وفقههما كما عرض عليه من قبل كلية الحقوق للعمل كوكيل نيابة .. فطلق حلمه القديم لينفتح على آفاق أكثر رحابة .. فقبل البعثة .

المعلم الموهوب

ومن يوم دخولى المعهد ورغم أن مندور لم يدرس لى فى السنة الأولى .. أصبحت شديدة الارتباط به داخل المعهد وخارجه فى الندوات والمحاضرات الأدبية التى كان يحضرها أو يلقيها . فى أبهاء المسارح وردهات الصحف التى كان يعمل بها .. وقد ساعد فى ذلك كثيرا جيرتى له فى السكن . ثم انه كان فى آخر ايامه لا يكتب ولا يقرأ إلا قليلا لضعف بصره بعد العملية التى أجريت له فى رأسه لاستئصال ورم فى المخ .. كانت فرصة لى أن اقترب منه لأقرأ له وأكتب ما يمليه هو علي وقد كشفت لى هذه الفرصة الأخيرة علامات وضوح الفكر وصفائه عند مندور .. ذلك أنه كان يملى علي المقال أو مقدمة كتاب دفعة واحدة لا يقطع املاءه تبديل إلا فى النادر القليل .. وكأنها قد نحتها وجسمها فى خياله قبل أن يبدأ فى إملائها . لذلك فكثير من كتبه التى يرجع اليها الباحث فيجد فيها مرجعا موثوقا به ، إنما هى محاضرات كان يلقيها على تلامذته فى المعهد العالى للفنون المسرحية أو معهد الدراسات العربية .

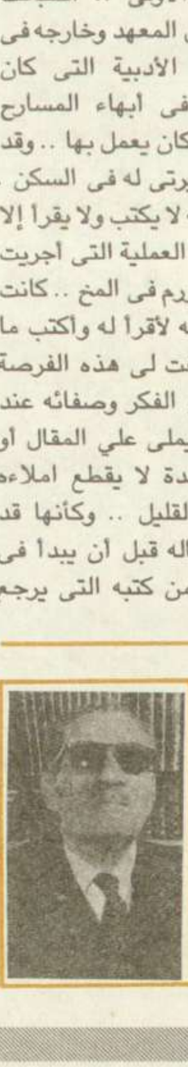

«إنك يا مندور لأحب تلاميذى إلى نفسى»

طه حسين

كان الدكتور مندور يلمس حاجة طلابه الى دراسة تاريخ النقد الادبى مثلا .. فيكون تقديره لهذه الحاجة إشارة أو لفتة لذهنه يبدأ بعدها العمل والاحتشاد ، لكنه لا يجلس الى مكتبه ومن حوله الكتب يخطط للموضوع كما يفعل معظم الاساتذة .. بل يتأهب للاقبال على الموضوع ثم يتدفق بعد ذلك بالكتاب مملى على الطلاب بتلقائية تتعجب لدقتها وكأنما قضى صاحبها فى التخطيط لها زمنا طويلا .. أما اختلاف طبعات كتبه الأولى مع الثانية والثالثة .. فمرده الى أن "مندور" كان إذا أملى على طلبة فرقه وجاء العام التالى أدخل بعض التغيير على ما كان أملاه ولكن الخطوط العريضة تبقى كما هى .. ذلك أنه كان كثيرا ما يضمن محاضراته خواطر تكون قد عرضت له من وحى اللحظة التاريخية أو الاجتماعية أو السياسية .. أو قبل وقت المحاضرة .. وهذه سمة المعلم الموهوب .

واتذكره مثلا يحلل لنا كلمة بروميثيوس اليونانى فيقول (بروم) تعنى النظر و (يثيوس) تعنى الامام .. أى انه كناية عن المشتق أو المنذر الذى ينظر بعيدا . ويحلل كلمة (برجوازى) فيقول (برج) تعنى مدينة .. كما تقرأها مثلا فى بترسبرج و(زى) تعنى انسان.. فبرجوازى هم سكان المدينة.. وهم الطبقة الثالثة من التجار والموظفين التى تكونت بعد عهود الاقطاع التى كان الناسفيها ينقسمون إلى سادة وعبيد .

يقول كل ذلك بأسلوبه البسيط .. الذى يخيل للسامع انه لا يقتضيه جهدا أو انه

العقاد

توفيق الحكيم

محمود شكوكو

التحق بالجامعة ليحقق حلم طفولته بأن يكون وكيلاً للنيابة

أقنعه طه حسين بدخول الآداب بجانب الحقوق

علامة على بساطة الأفكار التى يحملها عقله .. ولكن الأمر ليس كذلك ، فانها بساطة لا تتأتى إلا للقادرين على استيعاب أصعب المشاكل وأعمق الثقافات وهضمها وتحثلها حتى تستقر فى الوجدان ويجرى بها اللسان فى كلمات واضحة سلسة .

البديهة الحاضرة

إن كتابة مندور إهداءات كتبه إلى مريديه وعارفى فضله ومكانته من وحى اللحظة التى هم فيها .. لتدل ببلاغة على سرعة بديهة هذا الرجل وسماحته ودعابته الحانية .. اذكر أن الاستاذ صلاح عبد الصبور كان يوما عنده ، وأخذا يطالعان فى جريدة « الاخبار » المعركة الدائرة بين صلاح والاستاذ العقاد حول كتاب صلاح «ماذا يبقى منهم للتاريخ » الذى قدم فيه رأيه فيما سيبقى للتاريخ من العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم ... الخ .. وكان العقاد يسمى صلاح فى هذه المعركة « سى عبده »، وكان هناك كتاب جديد للدكتور مندور يريد أن يهديه الى صلاح .. فكتب الاهداء هكذا : « إلى سي عبده » ، وهم يومذاك ان يكتب إهداء لأحد كتبه الي ، فاتفق فى هذه اللحظة أن أبدت زوجته الشاعرة ملك عبد العزيز إعجابها بأناقة ثيابى أو شىء من هذا القبيل فكان اهداؤه (الى ابنتى الرشيقة) ولكن السيدة ملك لفتت نظره الى أن كثيرا من الأدباء الأصدقاء يستعيرون كتبه منى فاستدرك ولم يتراجع واكمل الاهداء (الى ابنتى الرشيقة أدبيا) .

وكما هو واضح فان الأبوة فى شخصية الدكتور مندور .. لم تكن سمة أحسها وحدى بل هى سمة من ابرز السمات التى تتبدى فى شخصيته والتى تفرض نفسها على من يعرفه وبخاصة الجيل الذى تتلمذ عليه ونهل من علمه الوفير ومن مشاعره الفياضة بكل ما هو خير وجميل . وكنت اظن أن هذه الصفة اكتسبها مندور من عمله الطويل فى الاستاذية والتعليم ، ولكن الدكتور لويس عوض يكشف لنا أن طبيعة مندور فى حياته كلها كانت طبيعة معلم وأنه جبل على التعليم وافادة الآخرين ، وذلك فى كتابة (مذكرات طالب بعثة) المكتوب بالعامية ، ثم فى مقالته لتأبين مندور .. وعنوانها (وداعا ايها الصديق) والتى نشرت فى الأهرام فى تاريخ ٢٥/٥/٦٥ . يقول الدكتور لويس : حين إلتقيت فى باريس بمحمد مندور سنة ١٩٣٧ كنت يومئذ فى طريقى الى مقر بعثتى فى انجلترا : لازمنى مندور يومين او ثلاثة ليطلعنى على معالم باريس ! فكان ينتقل بى من السوربون إلى البانثيون إلى الانفاليد إلى نوتردام وغير ذلك من الآثار الباقية ويشرح لى تاريخها ويحلل قيمتها . وتوطدت صداقتنا وكنت أزوره فى إجازتى واستطيع القول ان مندور هو الذى أيقظ فى نفسى حب العمارة والنحت والتصوير حين كان يطوف بى ابهاء متحف اللوفر أو يقف بى بين اعمدة كنيسة المادلين ليشرح لى الفرق بين العمود الكورنثى والعمود الايونى والعمود الدورى أو يجوس بى خلال نوتردام ودير الباندكين ليروى لى قصة القوس المكسور والزجاج المعشق بالرصاص فى العمارة القوطية أو يحدثنى عن اسس التكوين البيزنطى فى كاتدرائية (السكركير) أو يلهب خيالى بوصف ما رآه من آثار فى الاكروبول وفى سامو تراك. أثناء رحلته اليونانية (التى كانت فيما بعد سببا شكليا اتخذته الحكومة المصرية مبررا لقطع مرتبه من البعثة لمعارضته لاتفاقية صدقى بيفن) ! وبغير هذا ما كان يمكن لى أن اربط بين عماره (التوليدى) وفرساى ولوحات جنسبور ورينولدز وموسيقى فيفالدى وباخ وأدب راسين ، عصرا عصرا ومدرسة مدرسة .. لقد ترجمت لى مفردات شرح مندور كيف أن باريس تحس حقا بقلب أثينا وتفكر بعقل روما .. ويقول لويس عوض بعاميته الخفيفة : (ومن غير مندور كنت دخلت باريس حمار وخرجت حمار) .

يكتب عن شكوكو !

ومن ذلك نتبين طبيعة تلك السمة التى ميزت شخصية مندور : إنها الرغبة فى الافضاء وإفادة الآخرين والتى تفرق بين معلم مطبوع ومعلم موظف .. فقد كان (بابا مندور) يبدو عليه الارتياح والغبطة وهو يفيض في شرح مسألة من المسائل التى تعنى من يستمع إليه ويريد أم يستزيد من علمه فيها .. ويبدو أن استاذية مندور للويس عوض فى نفس لويس بعد ذلك ، فكان كلما تجادل مع مندور يقول له مندور : (والله إنك ...) اذكر يوما من عام ٦٠ انطلقنا فيه من المعهد الى جريدة الجمهورية حيث كان مطلوبا من مندور أن يكتب افتتاحية عدد اليوم التالى (الاربعاء) وبعد أن أملاها علي وسلمناها دخل الدكتور لويس عوض ، فسأله مندور عما تم باجتماعهم مع صلاح سالم (الذى كان رئيس مجلس ادارة دار الجمهورية) حول اصدار مجلة (الكاتب) التى كان من المفروض أن يرأس تحريرها د. لويس عوض ، وعن المبالغ التى تمت الموافقة على رصدها لها . فقال له لويس عوض : لقد تم كل شىء على مايرام ورصدوا مبلغ مائة جنيه لاصدار المجلة . عندئذ نظر

له مندور بتعجب وقال (والله إنت ...) هل تكفى مائة جنيه لاصدار مجلة فأردف لويس عوض قائلا إن هذا المبلغ للكتاب الذين يكتبون من خارج الدار فقط . حيث تم الاجماع على أن تصدر المجلة (الكاتب) عن جريدة الجمهورية بحيث تطبع فى مطابعها ويحررها كتاب الجمهوريــة فأخذ مندور يسخر من ذلك ويستعرض للويس إمكانيات كتاب الجمهورية فى ذلك الوقت ، مبينا الخصائص الفكرية فى كل منهم ثم توقف عند كامل الشناوى رئيس التحرير وقال (ماذا سيكتب سى كامل فى مجلة الكاتب ؟ محفوظـات ؟) ولا تعنى عبارة مندور عن كامل تقليلا من شأنه أو عدم احتفاء بشعره ولكنها ربما كانت إشارة الى ما بينهما من مشاكسات حيث كان كامل الشناوى باعتباره رئيسا للتحرير يقدم لمندور مقترحات فى شكل كتابة موضوعات جادة .. وهو يقصد منها المداعبة والتظرف .. بينما كان مندور يأخذ الأمر مأخذا جديا فينفذ المقترحات ويحيلها الى موضوع جدى يخرج منه بأشياء طريفة وأصيلة تفوق ما قصد منها فى البداية .

اذكر يوما كلفه فيه كامل الشناوى باجراء لقاءات ثلاثة فى مقال واحد مع زوجته الشاعرة ملك عبد العزيز ومع توفيق الحكيم ثم مع المنولوجست شكوكو وهنا جانب الدعابة .. وقد أخذ مندور الأمر بجدية تامة .. واجرى هذه اللقاءات الثلاثة .. فخرج بلقائه مع ملك بنظرية الشعر المهموس أما لقاؤه مع الحكيم فلم يتم فى الواقع بل فى الخيال حيث أن توفيق الحكيم كان كلما ضرب موعدا لمندور فى دار الكتب او فى جريدة الاهرام وذهب مندور إليه لا يجده .. لذلك قال لنفسه أخيرا .. وماذا ننتظر من رجل صفاته إخلاف الوعد .. ثم ما هو الجديد الذى سيقوله توفيق الحكيم .. إن فكره قد توقف عند التعادلية وزمن الفهم ، وزمن الرواية . واللغة الثالثة ولعبة الازمان القديمة منذ عالجها فى سنة ٣٣ فى (اهل الكهف) وهى قضايا بعيدة عن الناس ..إننى استطيع توقع كل اجاباته على كل ما كنت سأوجهه له من اسئلةكنت سأسأله عن كذا فيجيب بكذا .. الخ .. وهكذا كتب اللقاء المتخيل مع الحكيم .. أما حواره مع رجل التلقائية والفن المحبوب شعبيا (شكوكو) فقد اجراه فعلا فى لقاء شخصى تم بينهما فى مسرح العرائس الذى كان شكوكو أول من أنشأه فى مصر فى ذلك الوقت خرج منه مندور بالسر الكامن وراء هذا الفنان المصرى الوحيد الذى كان له تمثال شعبى يشتريه الاطفال فى الاحياء الشعبية واكتشف مندور أن هذا السر يكمن فى أن شكوكو لم يغن للسلطة ابتداء من عصر الملكية وإمتدادا الى عصر الثورة وعهد الجمهورية .. بل كان على العكس يعبر عن روح الشعب المصرى فى السخرية لدرجة انه قد قلب الأغنية التى شاعت فى أيام الثورة الاولى (مخلاص اتعدلت والحالة اتبدلت) الى (مخلاص إتقندلت ، والحالة اتبهدلت) وكانت نتيجتها أن أوقف فترة عن الغناء .

وقد أعجب كامل الشناوى للغاية بهذه المعالجة الجيده للموضوع الذى قصد منه أن يكون مقلبا مدبرا لمندور فاذا به يحوله لهذا المقال الممتع المفيد . وربما كانت هذه هى بداية الصداقة التى ربطت بين كامل الشناوى ومندور حتى توفيا فى سنة واحدة .. وأذكر من ملامح هذه الصداقة الواقعة التالية التى تدل على تفكير مندور بعمق فى صديقه كامل الشناوى وتفهمه لطبيعته : فقد حدث حين مرض كامل الشناوى مرضه الأخير وأدخل مستشفى قصر العينى ، تحير مندور فيما يمكن أن يأخذه له كهدية . ولأنه يعرف أن أصدقاء كامل كثيرين لابد قد غطوا ردهات المستشفى بالزهور وملأوا الحجرة بالحلوى اختار أن تكون هديته لكامل زوج من عصافير الكناريا . لتؤنسه فى وحدته عندما ينفض منه الاصدقاء ويبقى بمفرده ليلا . يالها من فكرة شاعرية وإنسانية متفهمة لطبيعة كامل الشناوى الشاعر والانسان معاً .. لقد كان كامل الشناوى .. كما ذكر عنه يوسف الشريف فى كتابه (سيرة حياة كامل الشناوى آخر ظرفاء العصر ..) لايحب أن يقضى الليل منفردا وكان هذا الزوج من الكناريا بالفعل هو ما تبقى لكامل فى لياليه الأخيره .. وهذا يذكرنا ببيفاء كزانزاكس الذى بقى مع شخصية فيفا تويدليو بطلة قصة زوربا اليونانى حتى آخر حياتها .

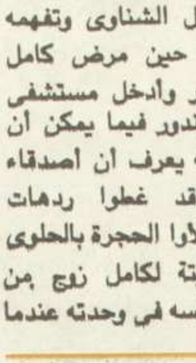

مَـــنـــدور
هــوالـــــذى
أيقظ فى نفسى
حُبَّ النحت
والتصــويــر

د. لويس عوض

المتسامح بالحب

كان مندور صاحب صدر يتسع لكل المداعبات التى تصدر عن الكتاب تجاهه .. لانه هو نفسه كان يصدر المداعبات فى جلساته وكتاباته .. اذكر يوما نشر مندور مقالا ضمنه رسائل تأييد له عن مقال سابق .. فما كان من الكاتب الساخر محمود السعدنى إلا أن أفرد للدكتور مندور ملزمة فى مجلة صباح الخير .. لمداعبة مندور منطلقا من هذه المقاله .. قائلا لمندور إنك بنشر رسائل القراء .. وكأنك تقول (جامعة كفر البطيخ) فى دوله لوبيا تؤيد مندور على مقالته .. أو أن (كرسى الظايط) يهنىء مندور على مقالته القيمه .. عشرات من النكت المرسومة والمداعبات المنثورة .. جعلتنى على طرافتها اغضب على السعدنى بل اكاد اخاصمه .. وفى يوم كنا خارجين مع مندور من دار الاذاعة بعد تسجيل حديث .. فلمحت السعدنى من بعيد .. ولم اومىء برأسى لاحييه ولكن مندور لمحه فسألنى : اليس القادم من هناك هو محمود السعدنى .. فأجبته بنعم وبنيتى إعلان مخاصمتى ، ففوجئت بمندور ينادى السعدنى ضاحكا ليسأله (ولد يا محمود أما زال كرسى الظايط يؤيدنى) وتعجبت من ضيق صدرى ورحابة صدر مندور، تهلل محمود وجاء يصافح مندور وهو منشرح لعفوه عنه . فاحتضنه وقبله والتفت يصافحنى فقلت ليس قبل أن تقبل يد والدنا بابا مندور .. فوضع يده على يد مندور وصاح قائلا : يا ناس ياللى فى الاذاعات العربية والعالمية هاهو محمود السعدنى يقبل يد عمه العظيم محمد مندور .. ثم قبل يده .

كامل الشناوى

صلاح عبد الصبور

جامعة كفر البطيخ في دولة لوبيا.. تؤيد مندور على مقالته

د. على الراعى

احمد عبد المعطى حجازى

ماذا سيكتب سي كامل في مجلة الكاتب.. ؟ محفوظات؟!

لماذا صورت أبطالك بهذه الخفة والاستهانة بالقضية ؟

يايوسف.. لاتجعل الخلاف في الرأى يفسد للود قضيته

مندور

ولقد أعاد الى ذهنى هذا المشهد .. مشهداً آخر لمندور .. قبل هو فيه يد استاذه ولكن بوجل وجديه . كنت معه فى دار الأوبرا فشاهد أوبرا عايده حين سمعنا دقاً على باب اكينوار ثم فتحه واطل علينا الأستاذ فريد شحاته سكرتير الدكتور طه حسين وأسر لمندور ان الدكتور طه هنا ويود لقاءك .. وطوال استمرار عرض الفصل الرابع والأخير وأنا استرجع فى ذهنى ما بدر من الدكتور طه تجاه مندور عندما اعيد الى مصر من فرنسا بقرار شخصى من مكرم عبيد ولطفى السيد بسبب دفاعه فى باريس عن حق مصر فى إلغاء الامتيازات الأجنبية سنة ١٩٣٦ فغضب عليه الدكتور طه لأنه عاد دون الدكتوراه ، ولأنه لم يجعل دراسة الدكتوراه الأكاديمية هى هدفه الضيق .. وترك نفسه تتفتح على كل الثقافات والفنون التى فتنته.. كدراسة الفنون على اختلافها من عمارة ورسم وموسيقى ونحت .. الى الاقتصاد والتشريع المالى .. الى سياحات ثقافية الى اليونان وغيرها وبسبب ذلك رفض الدكتور طه أن يعينه فى جامعة فؤاد (القاهره) الآن .. فعانى (بابا مندور) فترة عصيبة من عمره الى أن اختاره أحمد أمين ليقوم بالتدريس بجامعة فاروق (الاسكندرية) الحديثة النشأه فى ذلك الوقت .. وقد سخر مندور من الجامعة سخرية مرة بطريقة علمية حيث قال لهم : أنتم تريدون هذه الورقة التى تسمونها شهادة الدكتوراه إذن إليكم إياها وخلال فترة تسعة شهور فقط عكف مندور على وضع رسالته العظيمة (النقد المنهجى عند العرب) باشراف الأستاذ أحمد أمين . حصل بها فى سنة ٤٣ على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى ، فأثبت لجامعاتنا وللدكتور طه أن ورقة الدكتوراه لاتقتضى من مثله وقتاً ولا عناء . ورغم ذلك فان الدكتور طه استمر يضيق عليه فرصة العمل فى جامعة القاهره إلا كمدرس للترجمة .. وهو عمل يقوم به الأجانب المعينون مدرسين فى المدارس الثانويه .

مر هذا الشريط أمام خاطرى ، وحسبت فى نفسى أن مندور سوف لا يأبه لدعوة الدكتور طه .. وأننا سننطلق خارج الأوبرا ليشرح لى بابا مندور سبب عدم تلبية دعوة الدكتور طه وما أن أضيئت أنوار الصاله حتى وجدت مندور يستعجلنى كطفل ينبغى أن يهرع مع الأسرة لتحية الضيوف وتوجهنا للسلام على الدكتور طه .. ولم أعرف طبيعة مااستقرفى نفس مندور .. لقد حسبت أن أثار الأيام العصيبة التى عاناها من الدكتور طه جعلته يخشاه بحيث يصيبه هذا الوجل الطفلى .. ولكن ما أن وصلنا الى الاستراحه التى يجلس بها الدكتور طه حتى وجدت مندور ينكب على يده مقبلا .. والدكتور طه يمسح بيده على شعر مندور .. وهو يردد : إنك يا مندور لأحب تلاميذى الى قلبى ولازلت ومندور يتشرب كلامه ويعب منه عبا وكأنه طفل برىء يشرب من بحيرة الحب الصافيه .

إن هذا المشهد وإن اثبت لى سماحة مندور ودلنى على أن قلبه الكبير قادر على نسيان كل ماهو محزن ويحتفظ بكل ما هو مفرح .. فقد عرفنى لماذا كان مندور أستاذا كبيرا كما كان تلميذاً عظيما .. إن مندور عاش مرحلة التلمذه بعمق ولذلك أصبح معلماً بحق .. ويستطيع الثبات فى هذه الوضعية مهما بلغت حدته فى التوجيه .

اذكر يوما كنا ندخل جريدة الجمهورية .. فلمحت د. يوسف إدريس طالعاً من المطبعة فعرفت أن يوسف إدريس ما زال عاتبا على بابا مندور ولا يريد أن يصافحه .. غضبا من هجوم مندور عليه حول مسرحيته المعروضة (اللحظة الحرجة) حيث عارض مندور بطل يوسف .. الذى جعل اللحظة الحرجة لاتستفزه للمجابهة .. بل تحبطه وتمنعه من الاقدام على المعركة بحجة انغلاق الباب الذى يفصله عن اسرته البورسعيدية التى تعرضت للعدوان اثناء العدوان الثلاثى عام ٥٦ وهو وراء الباب .. مع انه كان يعلم أنه مفتوح .

صعدنا نحن وأملانى (بابا) افتتاحية اليوم التالى .. وإذا بالدكتور يوسف ادريس يدخل علينا .. ينظر لمندور ويوجه الكلام لى هل تعرفين لماذا عدت الى المطبعة قلت نعم لأنك مازلت غاضبا من نقد بابا لك ولذا فقد نزلت الى المطبعة لتتجنبنا .. فالتفت يوسف إدريس الى مندور وهو يقول : نعم كنت غاضبا حقا .. ولكنى ما نزلت الى المطبعة لاتجنبكما بل لأنى بمجرد أن رأيت مندور يهل على حتى تبخر كل غضبى عليه وعدت لاسحب مقال هجومى ـ كتبته ضده من بين فكى المطبعة . ثم تعانقا ومندور

كان يحزنه أن يجد إنساناً ينشق عن كل مبادئ الإنسانية في سبيل هدف عابر أو مصلحة شخصية

يوسف السباعى

عبد الرحمن الشرقاوى

نجيب محفوظ

اتسع صدره لكل المداعبات الصادرة من الكتاب تجاهه .. لأنه هو نفسه كان يصدرها فى جلساته وكتاباته

كانت كلمة "يأس" غريبة على قاموس مندور

يقوله : ياولد يامجنون لا تجعل الخلاف فى الرأى يفسد للود قضية .

ولأن مندور كان لا يدع للخلاف فى الرأى أن يفسد للود قضية .. فانه حتى لو غاب عنه أن يدفع بمن لا يأخذون بهذا المبدأ تجاهه .. فان غيره كان يقوم بهذا الدور عنه بحب وحميمية .. أذكر يوم صدرت رواية يوسف السباعى (طريق العودة) عام ١٩٥٨ وهى عن حرب السويس .. كتب مندور لها نقدا يسأل فيه يوسف السباعى لماذا صور ابطاله بهذه الخفة .. ولماذا جعلهم على كل هذا القدر من الاستهانة بالقسية .. وكيف يستطيع ضابط فى حرب كهذه كان لها آثار بعيدة على الصعيد الدولى .. يقسم وقته بين عشيقته وقضيته المقدسة . كتب يوسف السباعى ردا عنيفا على مندور .. تلاه نقد اكثر التهابا من الاستاذ الشاعر عبد الرحمن الشرقاوى .. إتهم فيه (مندور) بأنه اعمى يدعى الابصار .. وجاهل يدعى الثقافة ، دفاعا عن يوسف السباعى ، رئيس المجلس الاعلى للفنون والآداب .

ومهما كان شم النسيم .. وعيد الفصح .. وقد أزمعنا من قبل الذهاب الى أسرة مندور فى منيا القمح .. دخلت صالة بيت مندور .. فوجدته ساهما فسألته : هل عدلت عن السفر.؟ فأعطانى المقال فقرأته وغضبت واشرت بضرورة الرد عليه .. فردد أسيانا .. بيتى ابن المعتز :

لى صاحب إن غبت يأكلنى
وإن رآنى فى الندى سجد
كم قد هممت بأن اعاقبه
فما وجد العقاب أحد

وفى يوم الاثنين التالى وعلى صفحات جريدة الشعب عام ٥٨ .. وفى نفس مكان المقال الذى سب مندور نشر الشاعر الشاب احمد عبد المعطى حجازى (ثلاثاً وعشرين سنة) قصيدة بعنوان (دفاع عن الكلمة) موجه (إلى من ماتت كلماتهم ، لأن ضمائرهم قد ماتت) وبنفس وضعيته كشاعر مبتدىء .. استعمل فيها قاموس الشاعر الكبير الذى يهاجمه دفاعا عن مندور وفى ذلك اليوم أصر مندور على أن نقوم برحلتنا الى بلدته والا يقطع علينا نزهته التى تهيأنا لها فانطلقنا الى كفر مندور حيث انسته مشاعر البنوة وتقبيل والده له ، وتقبيله هو ليد والدته (التى يشبهها كثيرا) انساه ذلك كل الآلام التى تلقاها صباحا .. ولكن عندما دفعت والدته بأحد أحفاده للسلام عليه وهى تدعو له بأن يكون عمه محمد دكتورا عظيما يسقط الوزارة ويقيمها بكلمته وبقلمه طافت به لمحة حزن وكأنه يقول لنفسه : (كان زمان) ولكن هنا الحزن زال بمجرد تقبيله لابن أخيه .

أخيرا الاحزان !

حزن كان ينتاب مندور عندما يجد انسانا ينشق عن كل مبادىء الانسانية فى سبيل هدف عابر .. أو مصلحة شخصية .. وقد مات مندور بسبب همه وكمده هذا . فعندما عهد إليه الدكتور حاتم وكان وزيرا للثقافة والاعلام عام ١٩٦٥ مهمة القيام باصلاح المسرح الكوميدى .. وعجز مندور عن ذلك .. لأنه كلما أحكم سيطرته على النص .. واقتدر على عدم خروج الممثلين عليه .. فان الممثل حينما يجد نفسه على خشبة المسرح ويتجاوب معه جمهور المشاهدين يجد نفسه يميل الى اصطناع الحركات المضحكة المسفة التى تخرج عن روح النص . ولذلك آثر مندور الانسحاب من هذه المهمة التى رأى انها لن تصل الى نتيجة مثمرة ، فنشر مقالا بهذا المعنى على صفحات جريدة الجمهورية .. واغضب هذا المقال المسؤولين فى وزارة الثقافة ورفضوا أن يسمعوا من مندور الاسباب التى دعته لهذا الحكم على المسرح الكوميدى مما أحكم دائرة الحزن حول مندور . الذى مرت بحياته الكثير من المشاكل الاكاديمية والسياسية وكان يظن أنه سيجد راحته فى مجال الفن فاذا يجده مليئا بالمشاكل ايضا . وكان حزن مندور على هذا الموقف هو الذى جعله هدفا للذبحة الصدرية اللعينة التى هدت كيانه والزمته بيته . ابتداء من يوم ٨ مايو ١٩٦٥ .

وكنت كلما جلست اليه فى هذه الايام وتطرق الحديث حول ردود فعل مرضه على اصدقائه وموقفهم كان يسألنى هل مازال لى نفع فى هذه الحياة ! وعندما كنت اغضب كان يشير على بأن نكمل ما كنا قد اجلناه من قراءات فى مراجعة كتاب (الكلمات) لسارتر ترجمة د. خليل صابات .. وكنت أريد أن اعتذر عن هذه المهمة لكى اريحه من عناء مرضه ولكنى ترددت فى الاعتذار لسببين أولهما أنى كنت قد تخرجت وعملت موظفة وخفت أن يفسر بابا مندور رفضى للقراءة والكتابة له لأننى لم اعد تلميذته الأثيرة كما كنت ولم يصبح له دلال علي . والسبب الثانى أن السيدة ملك عبد العزيز رفضت اعتذارى لأنها خشيت أن يفسره مندور بأن حالته المرضية خطيرة فيفزع على صحته .

جلست اقرأ له الترجمة العربية (للكلمات) وهو يمسك بالنص الفرنسى لمضاهاته بالترجمة .. وكانت حروف الكتابة

ملك عبد العزيز

د. محمد برادة

رغم الذبحة الصدرية راجع ترجمة "الكلمات" لسارتر

بالفرنسية دقيقة بحيث استدعت استعماله لعدسة مكبرة مع انه يلبس النظارة .. واستمرت هذه العملية اكثر من ساعة .. ووجدت أنها تتطلب جهدا ومشقة مما لا يتناسب مع الذبحة الصدرية اللعينة . التى اصابته . ولحسن الحظ دق جرس الباب ودخل الدكتور على الراعى ليعوده فتنفست الصعداء لأننا سنترك القراءة المرهقة لفترة .. وسأل مندور على الراعى : ماهى اخبارى عندكم – يقصد فى وزارة الثقافة – فقال الدكتور على الراعى بواقعيته المفرطة : اليوم صدرت توصية بألا تظهر صورتك فى التليفزيون أو صوتك فى الاذاعة . ثم غادر الدكتور على بعد فترة . ولكى انسيه التفكير فى هذه الافكار المزعجة اقترحت عليه إستراحة اقرأ له فيها صفحات الجرائد والمجلات واغفلت عن عمد مطالعة مجلة الاذاعة . فقد كان بها موضوع تحت عنوان (لا يادكتور مندور) لمحمد جلال .. فتصورت من هذا العنوان أن المقال يهاجم بابا مندور فى وقت هو احوج ما يكون فيه الى التأييد والرعاية ولكنه اصر على أ اقرأها وما ان بدأت فى قراءة هذا المقال حتى وجدت الكاتب يعاتب الدكتور مندور بأنه (يئس) من اصلاح المسرح الكوميدى ويتعجب من أن كلمة (يأس) الغريبة على قاموس مندور قد وردت على لسانه وهو الذى خاض أشد المعارك واعنفها ضراوة .. ضد الامتيازات الاجنبية فى مصر .. وضد معاهدة صدقى – بيفن ومع الوفد تارة وضده تارة اخرى وفى كل المجالات الادبية والاقتصادية . ويدعوه محمد جلال فى آخر المقال للمضى فى طريق النضال ويناشده بالاصرار عليه .

الأيام الأخيرة !

تهلل مندور وابديت أنا موافقتى للكاتب على رأيه .. وذكرت بابا مندور بأقواله عن نفسه وانه دوما مثل الكرة كلما اشتد الضغط عليها زادت قفزتها واندفاعها الى اعلى . سألنى مندور يومها عن انتاج محمد جلال من القصص والروايات التى لم يقرأها ليكتب عنها (لأنه انسان لم تغره موجة الهجوم على التنكر لى). ورغم هذه العبارة المتفائلة إلا أنها كانت متناقضة مع ما يشعر به من دنو الاجل . وما كان يقوله من تلميحات عن موته . فطوال هذه السنة الأخيرة كنت عندما اعود معه الى منزله ونجد بالصدفة سرادقا يلتفت الى مداعبا : الا تلاحظين أن سرادق المتوفى يقترب من شهر الى شهر نحو منزلى ، الظاهر المأتم القادم سيكون لى .. كنت افزع من هذا الخاطر الذى الم به واضرب الأرض بقدمى واجهش بالبكاء .. ويضحك هو مواصلا سخريته المرة .. فيغيظنى قائلا (إن ابو طوالة اسم مدافن عائلة مندور فى قرب منيا القمح) تناديني ياعايدة .

ولكى أجعله يكف عن هذه الفكاهة السوداء ، كنت اقول سأكتب موضوعا عن دراما حياة مندور التى بدأت بحلم الطفولة فى أن يكون وكيلا للنيابة ثم انتهت بالعمل بالسياسة .. ثم بالفن .. وسأنهيه بقولى : وهكذا بدأ مندور علمانيا وانتهى قدريا .. فيضحك لكلامى ويحاكيه بسخرية محببة .

وبعد أن قضيت معه جزءا من مساء هذه الليلة الأخيرة .. غافلته منفلتة حتى اتركه يستريح .. وما إن وصلت الى بيت صديقة تجاورنى فى السكن ابثها شجنى وأساى على ما استشفه من خطورة حالة بابا مندور الا واخى الصغير يلحق بى ليخبرنى بالكارثة التى وقعت بغروب شمس بابا مندور . لا أشعر كيف جريت فى شوارع الروضة حتى وصلت الى منزله ولا كيف انهرت على جثمانه باكية .. وكل من حولى يرشدنى لأن التعبيرعن الحزن بهذه الطريقة لا يجدى .. واقامونى لأستند على جدار . ومازلت بجانب هذا الجدار الى يومنا هذا . لقد كان مندور وحده هو الذى يبدد احلك مشكلاتى ويجعلنى أرى النجوم . وتشرق فى نفسى الآمال .. كنت اهرع إليه وقد اظلمت الدنيا فى وجهى واحاطت بى مشكلات الحياة .. وأخال انها تخنقنى كأخطبوط وبعد لحظات مع مندور لا اكثر .. يكون هذا الهم قد انزاح عنى .

لقد كنت يوم حدثت هذه الفاجعة اعمل مع نجيب محفوظ فى لجنة قراءة مؤسسة السينما .. وكان يعرف شدة ارتباطى بمندور . نادانى ليسألنى عن ظروف وفاته وهو مازال فى سن السادسة والخمسين .. فحكيت له عن اصابته بالذبحة .. وماكان يفعله ويمارسه خلالها من نشاط . وما تصل اليه من أخبار صراعاته الادبية والرسمية .. فقال نجيب محفوظ متحسرا !! لقد عالجتم الذبحة كما لو كانت انفلونزا .

ومن العجيب ان تمر كل هذه السنوات الطوال على وفاة مندور ولا يتذكره بعد طول نسيان أحد من مفكرينا ودارسينا الاكاديميين فى مصر أو المشرق العربى بدراسة متوسعة .. ولكن الله يهيىء له شابا من خيرة مثقفى المغرب ليهب سنوات شبابه فى اعداد رسالته للدكتوراه عن مندور ويسجلها فى جامعة السوربون ويحصل عليها بتفوق . ذلك المثقف الشاب هو الدكتور محمد برادة وكانت رسالته بعنوان محمد مندور وتنظير النقد العربى .. وقد نشرتها مؤخرا دار الآداب البيروتية ..

عايدة الشريف

دعـــوة إلى التخلف بدعـــوى المحلية

محـــمود زكـى

- ليس صحيحاً علمياً أن الاستغراق فى المحلية يؤدى إلى العالمية
- العالمية تأتى من معالجة قضايا الإنسان بهمومه وعذاباته
- موليير وشكسبير لم يكتبا لشعبيهما فقط .. وإنما لكل الناس
- كاسك ياوطن . لا تنتمى للمسرح السياسى ولا المسرح التقليدى

صورة من مسرحية «كاسك ياوطن»

دريد لحام

بريخت

هالنى حقا ماسمعته من الفنان دريد لحام فى لقاء تليفزيونى قبل بث ما يسمى بمسرحية (كاسك ياوطن) . فقد وجهت مذيعة اللقاء سؤالا عن رأيه فى كيفية الوصول بالفن المسرحى الى العالمية ؟ فاذا به يجيب بان الاستغراق فى المحلية يؤدى بنا الى العالمية . ويضيف قائلا : إننا يجب الا نقدم اعمال شكسبير او موليير لان شكسبير كتب مسرحياته للانجليز ، وموليير كتب للفرنسيين .

واود هنا كرجل مسرح أن اقول إن الاغـــراق فى المحلية ـ بالنسبة للفن المسرحى ـ ينقسم الى شقين ، شق خاص بالشكل والثانى بالمضمون . فمن ناحية الشكل فان المحلية تعنى استخدام اللهجة العامية كاسلوب للتاليف المسرحى فى كل قطر عربى . والحقيقة المؤكدة اننا نحن ابناء الوطن العربى الواحد نجد صعوبة بالغة فى فهم اللهجات العامية لابناء الاقطار الشقيقة الاخرى .

إذن كيف نستطيع ان نصل الى العالمية باللهجة المحلية ؟ .

اما من ناحية المضمون فما يطلبه هذا الفنان معناه أن نستغرق فى معالجة قضايانا ومشاكلنا المحلية (ولا اقول القومية) وهى بلا جدال كثيرة ومتعددة ومتباينة على طول الوطن العربى . فما يعتبر مشكلة محلية فى بلد ربما يكون سببا من اسباب الرخاء فى بلد اخر

إذن كيف نستطيع ان نصل الى العالمية بمعالجة قضايانا المحلية ؟!!

إن العالمية لا تاتى إلا من خلال معالجة قضايا الانسان بهمومه وعذاباته فى اى زمان ومكان . وإذا كنا فعلا جادين فى الوصول الى العالمية فلنحاول ان نقتحم قضايا ومشاكل الانسان المعاصر وهى ـ بلا شك ـ عديدة فى هذا العصر المادى الذى يلهث فيه الانسان وراء لقمة العيش .

واختلف مع دريد فى مفهومه عن موليير وشكسبير فهما لم يكتبا لشعبيهما فقط بل كتب موليير فى النقد الاجتماعى والمظاهر الاجتماعية السيئة . فاين المحلية فى «البخيل» او « مدرسة الزوجات » أو « المتحذلقات » . وشكسبير كتب للانسان وعن الانسان اينما وجد وهذا ما جعل شكسبير واحدا من اعظم كتاب المسرح فى التاريخ . فاين المحلية فى « هاملت » او « ليدى ماكبث » او « الملك لير » أو « روميو وجولييت » يقول المخرج الفنان سعد اردش فى كتابه (المخرج فى المسرح المعاصر) :

« إن ماساة هاملت ليست ماساة موقوتة بزمانها او مكانها ، إنها تمسنا لانها ما تزال تعبر عن كثير من قضايانا المعاصرة ولهذا يجب أن نبحث عن الطريق الذى يجعل دراما هاملت معبرة عنا اى ننقلها من مناخها التاريخى الى المناخ المعاصر » .

ويؤكد الفنان دريد لحام أن مسرحه مسرح سياسى فلنحاول أن نتعرف فى سطور قليلة على مفهوم المسرح السياسى كما وضعه مؤسسا المسرح السياسى فى العصر الحديث وهما الالمانيان اروين بسكاتور ، وبرتولد بريخت . فهما يتفقان على ان المسرح السياسي يجب أن يستفز المتفرجين إلى المشاركة الايجابية فى اصلاح العالم وذلك بطرح الحقائق التاريخية والمعاصرة وتحليلها، فعلى مستوى مضمون العرض المسرحى يجب الا يكتفى المسرح السياسى بعرض الاحداث الفردية بل يتخطى ذلك الى تحليل إنعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية والى تقرير كافة الوقائع التاريخية المتصلة بها بشكل ينقل الصورة الدرامية الى الحدود والآفاق الملحمية .

فاذا طبقنا هذا المفهوم على ما قدمه دريد فى اخر اعماله المسرحية (كاسك ياوطن) فاننا لانجد اية لمحة تشير من قريب او من بعيد الى هذا المفهوم . إذن هذا العمل لا ينتمى الى عائلة المسرح السياسى . فالى اية عائلة مسرحية ينتمى ؟ فلنبحث فى انتمائه الى عائلة المسرح التقليدى (الدرامى) .

يقول بريخت عن المسرح التقليدى :

« إن المسرح التقليدى (الدرامى) يخاطب عواطف الجماهير ويستهلك طاقاتها الكفاحية عن طريق تحقيق عاطفتى الشفقة والتطهير . وبرغم ان مخاطبة عاطفة الجماهير واستهلاك طاقته الكفاحية هو اقصى ما ترمى إليه مسرحية كاسك يا وطن إلا انها لا تبلغ حتى ان تكون مسرحا تقليديا . لان المسرح التقليدى (الدرامى) يجب ان يتبع فى بنائه الدرامى القاعدة الارسطية (بداية ووسط ونهاية) هذا بالاضافة الى الوحدات الثلاث (الحدث والزمان والمكان) وهذا ما لا اثر له فيما يسمى بـ« كاسك يا وطن » فلا بداية ولا وسط ولا نهاية ولا اية من الوحدات الثلاث وذلك لسبب بسيط هو انه لا يوجد اصلا بناء درامى .

كاسك يا وطن تتكون من ١٠ لوحات منفصلة من الممكن جدا إلغاء عدد من هذه اللوحات ـ وقد حدث ذلك بالفعل عندما عرضت « كاسك يا وطن » فى الدوحة فقد قدمت فى ٨ لوحات فقط ـ كما يمكن تغيير ترتيبها الزمنى دون ان يتاثر العمـــل .

إذن نخرج بنتيجة هامة هى أن هذا العمل لا ينتمى الى عائلة المسرح السياسى كما لا ينتمى الى عائلة المسرح التقليدى .

إن هذا العمل الذى قدمه دريد لحام لاينتمى الى اى عائلة مسرحية ذات حسب ونسب وانما يمكن اعتباره ابن غير شرعى لعائلة ما يسمى بالكاباريه السياسى ـ ينتمى الى هذه العائلة ايضا مسرح تحية كاريوكا وفايز حلاوة فى مصر ـ وهذا النوع من المسرح لا يهدف إلا لهدف واحد هو تفريغ الشحنة التى تعتمل داخل صدر المتلقى بان يجعله يرى كل الظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى صورة كاريكاتورية هزلية ساخرة تجعله يشعر أن الممثل قد تبنى اسباب ردود الافعال لديه فيخرج المتلقى من المسرح متوهما ان هناك من سيدافع عن قضيته فتفتر حماسته وهذا ما يعرف بالتطهير .

المشى على الصراط

رواية علميّة تأليف : د . يحيى الرخاوى

عرض وتحليل : أبوالمعاطى أبوالنجا

مَن الذى يمشى على الصراط ... البطل .. المؤلف أم القارئ ؟

البطل .. هو شخص واحد أو عصابة من الملامح الخيّرة والشريرة لم يعد له مكان بين أهله الأحياء والموتى

مقدمة :

من الذى يمشى على الصراط فى هذه الرواية؟ هل هم أبطالها ؟ «عبد السلام المشد» الذى يجعل منه المؤلف بطلا وحيدا فى الجزء الاول « الواقعة » ويجعل من ازمته (أعراضها واطوارها) الحدث المحورى فى هذا الجزء وكانه بذلك يختصر حديث الازمة (رغم أن الاعراض والاطوار قد تختلف من شخص لآخر) لدى بقية الابطال الذين لا يظهرون بكامل شخصياتهم إلا فى الجزء الثانى « مدرسة العراة » ليواجه معهم ومعه مرحلة العلاج بعد ان عشنا مع « عبد السلام المشد » وحده مرحلة الازمة بعمق اعراضها واطوارها ، ؟

ام هو المؤلف ، « الذى هو الطبيب فى الروايـة » ، الذى يصطحب ابطاله فى رحلتهم الصعبة من واقع ازماتهم التى دفعتهم الى عيادته ليمشى معهم فوق الصراط الى فردوس (لا تجرى من تحته الانهار) ، يؤكد لهم انه :«هنا» ، و «الان » . وانه يفتش عنه معهم وبهم ، وانهم قد يكونون دليله لهذا الفردوس بقدر ما هو دليلهـم لـه ؟ .

ام هو المؤلف ايضا ... لكن فى محاولته المستميتة بان يوائم بين العلم والفن فى رواية تقوم فى جوهرها على ماهو متاح من حقائق العلم ولكنه ينفخ من روحه فى هذه الحقائق حتى تتحرك وتنبض وكانها وقائع الحياة

ام هو القارىء الذى ربما قرا هذه الرواية بحسن نية كاملة ، وفى ظنه انها « رحلة فوق عش الوقواق » وانه سوف يتفرج باجر رمزى على عالم المجانين ودون ان يقع فى أذهانهم ، ودون ان يوصم بانه واحد منهم ، ودون ان يجتاز الاسلاك الشائكة التى تفصل بينه وبينهم ...!

ولكنه يفاجا بان الاسلاك الشائكة تطير فى الهواء حين تقع (الواقعة) وان البراكين تنفجر لكن فى داخله ، وانه والناس من حوله يعيشون طول الوقت فى عش الوقواق نفسه وان الاسلاك الشائكة الطائرة تعود وتتجمع لتصنع سورا أوسع من حولهم وان على الجميع (السجناء والسجانون) أن يحيلوا الاسلاك الى خطوط للهاتف والبرق ، ومناشر للملابس القذرة التى كانوا يرتدونها بعد أن تخلع وتغسل . يفعلون ذلك وهم عراة فى يوم مثل يوم القيامة .. لكن لماذا لا نبدأ من البدايـة ؟

« الواقعـــة »

اسمه « عبد السلام المشد » ، وهو مثلى ومثلك يمكن ان ينسى بعض الاوراق اللازمة لعمله وهو فى طريقه للعمل ... او ينسى بعض ديونه ... أو ينسى الذكريات الاليمة ... ولكنه فى ذلك اليوم حين وقف أمام الشباك ليدفع اجر النور ، وسالته المحصلة عن اسمه لتبحث عن الايصال الذى يحمل الاسم وجد رأسه خاليا تماما كصفحة بيضاء ... ولانه كان يقف فى مقدمة طابور طويـــل ... ولانها كانت تخاطب هذا الطابور ودون أن تنظر فى وجه من تتحدث إليه ... فلم يفعل شيئا سوى أن ينسحب من امامها فى صمت.

بهذه « الواقعة » المزلزلة التى لم يكد يشعر بها احد تبدأ احداث هذه الرواية ... كلنا يحتمل بشكل أو باخر عجزه عن السيطرة على أحداث فى حياته .. وكلنا يحتمل بشكل او باخر عجزه عن السيطرة على جوانب نفسه ... لكن أن يصل هذا العجز بانسان إلى عجز عن تذكر اسمه .. فلابد أن القيامة قد قامت .. !

ولكن هل قامت القيامة عند كل الناس أم انه وحده « عبد السلام المشد » هو الذى بعث فى عالم جديد قديم لكن بلا اسم ، ؟

ربما كانت تلك هى بايجاز شديد قصة هذه الرواية فى جزئها الأول ..

إن الرواية التى بدأت بنسيان « عبد السلام المشد » ... لم تنته بتذكره لهذا الاسم بعد لحظات قليلة .

« واقعة اخرى » تؤكد له انه لا يعجز فقط عن السيطرة على ذاكرته بل يعجز عن السيطرة على شعـوره ...

هل هناك اثنان فى داخله ؟ من منهما عبد السلام المشد ؟ وماذا يكون اسم ذلك الشخص الآخر ؟ وهل يمكن ان يظل أمره خافياً إلا عليه ؟

من الشخص الآخـــر ؟

بقدر ما يشعر عبد السلام المشد ان ذلك الشخص الآخر ليس غريبا عليه ... وانه هو نفسه عبد السلام ... إلا انه بدأ يدرك بوضوح كم هو مختلف عنه ... بل ومتمرد على سلطانه .... فى نفس الوقت .. يكفى انه لا يعرف متى يجيء ومتى يذهب ، ولكنه يعرف مقدمه بذلك الشعور القوى الذى يتدفق فى حواسه ... وكان الدنيا تصبح فيلماً ملونا ناطقا بعد أن كانت مجرد فيلم صامت أسود وابيض ، يعيده الى الوراء سنين طويلة ، يذكره بكل ما كان قد نسيه .

المصيبة أن الشخص الآخر لا يكتفى بتقليب دفاتر الماضى بل يكاد يعبث بالحاضر ويهز أركانه هـــزا ...

يفعل ذلك وفى يده ذلك السحر القوى الذى يتمثل فى عالم ملون وناطق وعابق بكل مشاعر الحياة والفرح ... يوجد بوجوده ، وفى يده الاخرى ذلك التهديد المفزع بانه إذا ذهب فلن يترك له إلا دنيا خامدة وراكدة وصامته يعجز فيها عن تذكر اسمه ...

النداهـــة :

عند هذا الحد يكون المؤلف قد وضع ايدينا على ملمح من أهم ملامح هذه الشخصية « عبد السلام المشد » فى ازمته الراهنة ... فهذا الأمر

الذى يدعوه سره والذى يدعوه المؤلف ازمته ... يواصل النداء بصوت له سحره الخاص ، صوت كالذى نسمع عنه فى حكايات الجدات عن «النداهة» التى تنادى ضحاياها عند الفجر ، لتفتك بهم ، وتستعير « النداهة » صوت عزيز او حبيب لا يقاوم حتى تكتمل الخديعة ...

هذا الصوت يناديه لكى يحفظ السر ، عن زوجه ، عن الطبيب ، عن اصدقائه ، عن الدنيا كلها ، وكلما كبرت المصيبة حتى لينوء بحملها .. حتى ليجب ان يصرخ فى طلب النجدة كلما اكتشف الصوت حتى فى اقسى المصائب نوعا من الاغراء لا يقاوم ليبقى سرا ....

ليواصل عبد السلام المشد السير بعيدا عن كل الناس بحجة أن هذا هو الطريق الى الجنة .. لكن حتى إذا نجح فى أن يحفظ السر ، فى أن يغلق فمه إلا عن الهمس والنجوى .. فمن يضمن الشخص الآخر الذى يصر على أن يعلن عن وجوده بكل الطرق ..

وهنا نلمح وجها اخر للازمة ... فالخضوع لطلبات الشخص الآخر بحجة الرغبة فى إخفاء أمره يمكن ان يصبح دون أن يدرى طريقا لفضح هذا الأمر .

لكن الفضيحة المحتملة والمؤجلة أهون ألف مرة من الفضيحة المؤكدة لو تطوع هو باعلان حقيقة الشخص الآخر الذى يسكن فى داخله .

الهروب فى طريق الآلام :

ايمكن ان يعقد معاهدة مع الشخص الآخر ... تكفل لكل واحد منهما نوعا من الوجود ... قدرا من السلطة وتحديد الاختصاصات .. ؟ أليس هذا ما تفعله الحكومات الائتلافية حين تواجه خطرا خارجيا .. ؟ أو تمردا داخليا .. ؟

وتنجح الحكومة الائتلافية فى تاجيل الانهيار الذى كان واضحا أن « عبد السلام المشد » يسير نحوه فى خطى راسخة .

وتنجح اكثر فى الكشف عن طبيعة الازمة التى يمر بها « عبد السلام المشد » .

فهاهو الشخص الآخر الذى كشف بوجوده عن اعراض الازمة يكاد يكشف عن أعماقها وأبعادها.

انه يدعوه لزيارة جاره الاستاذ غريب (الذى كان يراه مجرد اعزب مثقف ومتوحد ومسكين ومتعال بلا مناسبة . ويكاد يتجنبه كالوباء .) ليساله بحيرة حقيقية وصدق كامل

ـ لماذا نعيش يا استاذ غريب ؟

وحين يجد أن الجار يمضى وقته كله فى القراءة لا يزال يبحث عن إجابة لهذا السؤال ، ويرد عليه بحيرة مماثلة :

ـ لا أدرى يا استاذ عبد السلام .

يصرخ فيه : ولكنى احس انك تدرى يا غريب .

وينفجر غريب مدافعـــا :

ـ تجاورنى عشر سنين ، ثم تزورنى بلا استئذان لنتبادل حديثا كالاتهام ، فما الذى تريــده ؟ .

ـ الى متى ستنتظر يا غريـــب ؟

ـ حياتى انتهت الى هذه الوقفة المتوازنة ... ابحث فى الكتب أملا فى أن اجد اجابة لمثل سؤالك ، اتعلم من تجربة الآخرين بدلا من أن احاول من جديد ...

ـ ليس المهم ما عرفوه ... بل كيف عرفـــوه ؟

وتفوق حيرة عبد السلام المشد من نفسه حيرة الاستاذ غريب منه ... انه لا يصدق انه هو الذى اجرى هذا الحوار مع غريب ... لعله الشخص الآخر الذى كان يسال ... نعم بل لعله كان يوجه السؤال الى عبد السلام المشد .

تلك هى نهاية استسلامه لما يريده الشخص الآخر وسواء اكانت فى الواقع ام فى الوهم فان الشخص لن يرضى باقل من الاعلان عن وجوده ايمكن ان يكون شخصا واحدا هو الذى يطلب ذلك كله .. ؟ يسال عن معنى الحياة عند جاره الاستاذ غريب ويعشق زوجة وزميلة ..! ويجرى وراء طفلة فى سن اولاده ، ويحاول تقبيل امها التى كانت تراه صديقا كريما يبذل العون لاسرة عاجزة .. ! وكان قد قاده قبل ايام قليلة من هذه الفضيحة إلى مسجد كان يمر به كل يوم ولا يكاد يراه لوجوده فى الطابق السفلى لأحد المنازل . وهناك صلى صلاة خاشعة عميقة شعر بانها تسمو بروحه الى السموات ؟ وكانه يوشك ام يتلقى إجابة على سؤاله للاستاذ غريب عن معنى الحياة ؟ .

اهو شخص واحد حقا أم انها عصابة من الملائكة والشياطين جميعا ؟ كيف تتجمع فى داخله مثل هذه العصابة ؟ والغريب أن ما يربط بينهما هو ان كل واحد منها سواء أكان ملاكا ام شيطانا يملك مفاتيح ذلك العالم الناطق الملون النابض بكل ما فى الوجود من حياة . وانها حين تهجره احيانا لا يبقى فى راسه سوى ذلك العقل الراكد المظلم ... الذى عجز يوما عن تذكر اسمه ... وتنطفى حتى نجوم السماء .. !

أهو وحده الذى يحدث له ذلك أم أن جميع هؤلاء الناس تسكنهم عصابات مماثلة ولكنهم يعقدون معها معاهدات احكم وأسلم ... ؟

وفى كل مرة يوشك فيها أن يقترب من احد ... صديقا او طبيبا ياتيه صوت « النداهة » ... بمنطق جديد ساحر طبعا هذا هو حال الجميع .! لكل واحد اكثر من حياة ..! الجميع يلعبون لعبة الاستخفاء ... الحياة الاجتماعية تمثيل فى تمثيل ..!

والمشاكل تتصاعد فى المنزل ، وفى العمل يصل الأمر برئيسه الاستاذ نصحى عبد الصادق بان ينصحه فى لهجة بين التهديد وادعاء الحرص على مصلحته بان يعرض نفسه على طبيب ويزيد الامور تحديدا فيذكر له اسم طبيب ممتاز فى التحليل النفسى .

وحين يصل الامر الى اكتشاف ان ما كان يظنه سرا لم يعد سرا ، وان الأمر قد يصل الى تهديد لقمة عيشه ، فانه يذهب صاغرا الى عيادة الطبيب الذى ذكره له رئيسه فى العمل .

ولأول مرة وهو فى الطريق الى عيادة الطبيب ، وهو فى انتظار موعده فى مقهى قريب ... يشعر بصفاء غريب فى عقله وكانه لم يعرف المرض قط ...

لأول مرة يتفق افراد الائتلاف الحاكم فى رأسه يعملون معا فى تناسق عجيب كعقارب الساعة يؤكدون له ان المسالة كلها مجرد سوء تنسيق عارض فى توزيع السلطة ... ويقدمون الدليل على قدرتهم المذهلة على أن يعملوا معا بنجاح وهو فى حجرة الطبيب ، وهو متمدد على سرير الكشف ... عقل عاقل يرد على اسئلة الطبيب وعقل ساخر يعرف كيف يسخر فى صمت ... وعقل يناقش الجوانب الاقتصادية للمشكلة ، وآخر يناقش الجوانب الاجتماعية ... ولكن عبد السلام المشد يلاحظ رغم ذلك النجاح الذى كان يظنه باهرا وكان الطبيب بدوره يملك عصابة اشد ذكاء من عصابته فقد قطع المناقشة قائلا :

ـ عندما تكون صادق الرغبة فى العلاج فانا فى انتظارك ومستعد للنظر بجد فى مشاكلك كلها ... حتى مشكلة اجر العلاج .

ولا يعود « عبد السلام المشد » مرة اخرى لعيادة الطبيب ، ولكن الاستاذ « نصحى عبد الصادق » لا يكف عن سؤاله عن احواله فى العلاج ... فيجتمع الائتلاف الحاكم ليتازر من جديد فى الانتقام من « نصحى عبد الصادق » نفسه ، ويكشف النقاب من خلال استدراج بوليسى عن أن نصحى افندى ليس سوى زبون قديم للمحلل النفسى ... ويمعن فى الانتقام بدفع عبد السلام المشد لقبول دعوة نصحى افندى لزيارته ليرى بعينه كيف تكون الحياة فى منزل عصرى للانسان السوى ؟ . ويلبى عبد السلام دعوة رئيسه ليرى صورة لحياة جميلة جمال الزهور الصناعية ، منظمة تنظيم الآلة ، خالية كما يبدو من المشكلات ولكنها وفى نفس الوقت خالية من النبض والحيوية .. الأب والأم والأولاد

كل يؤدى دورا فى مسرحية باهتة ، ويخرج من البيت وكانه كان فى زيارة لمقبرة عصرية ... وهنا يكشف المؤلف عن بعد جديد فى ازمة عبد السلام المشد ، انه يواصل الهرب من العلاج ولكنه يكشف من خلال ذلك عن تطلعه لمستوى ارقى من التكيف لا يعرف كيف يصل إليه ولكنه لا يرضى بما هو دونه تكيف ينجح فى الجمع بين الملائكة والشياطين فى عالم نابض وناطق ومليء بالحياة ... ولكنه لا يفعل سوى ما يباعد بينه وبين هذا العالم ، كانه يهرب مما يريده فى الوقت الذى كاد يتعرف عليه فيه .. مازق جديد ... وتناقض مروع يكاد يفتك به ، وهو يمضى معنا فى وحدته وحيرته واستسلامه لافراد العصابة التى تضم الملائكة والشياطين ، وتكشف عن وحدة مصدرهم ، بقدرتهم على إضاءة عالمه بالوان الطيف وموسيقى الوجود . ايمكن ان يكون صحيحا ان تنتمى الملائكة والشياطين لمصدر واحد ؟ وان يكون الوجود بلا ملائكة وشياطين يعملون معا وفى تناسق هو وجود راكد خامد لا يصلح الانسان فيه إلا لنسيان اسمه ؟

الزيـــارة

لم تكن هذه الزيارة من الشخص الاخر ، ولا من احد افراد عصابته ، كانت من ابن خالته «عبد ربـه » الذى جاء من قريته فى اعماق الصعيد ليذكره بما يبدو انه نسيه بان له اما عجوزا يجب ان يسال عنها « لانها عضمة كبيرة والاعمار بيد اللـه .... »

ويذهب عبد السلام المشد كما تعود ان يذهب الى قريته منذ سنين ولكنها اول زيارة له بعد ان وقعت الواقعة ...

ان كل شيء يبدو على حاله . انهم يسالونك عما يعرفون سلفا اجابتك عنه كانما ليطمئنوا اكثر الى ان شيئا لم يتغير ... لكل دور ، ولكل دور ميقات ، لا شيء وقد تغير ، هو وحده الذى قامت قيامته بعد ان ادركه الزلزال ، وانقسم الى اثنين ثم الى ما لا يدرى ...

القيامة هنا لا يمكن ان تقوم إلا مرة واحدة يموت فيها الناس جميعا ، ويبعثون معا . ماالذى يحمى هؤلاء الناس مما اصابه ؟ هل تحميهم كتلتهم وعنادهم وتسليمهم وقسوتهم وتسامحهم من الاسئلة والزلزلة ؟

هل اصابه ما اصابه لانه انفصل عن هذه الكتلة فانفردت به عصابة الملائكة والشياطين بقيادة الشخص الاخر ؟ .

وهل يجد سلامه وامنه فى العودة الى هذه الكتلة والفناء فيها ؟

هل جاء وحده حقا لزيارة امه ام تسلل معه الشخص الاخر ؟ كانه يرى كل شيء هذه المرة بعينيه ... فى المرات السابقة كان يؤدى دوره المرسوم بدون اسئلة كان يعرف طريقه وسط هذه الكتلة ... كيف يدخل فيها ويخرج منها ؟ محملا فى النهاية بزيارة من امه يفرح بها الاولاد ، فى هذه المرة يجد امه جالسة على السطح تنظر الى الشمس الغاربة تطارد طول الوقت حشرة صغيرة فى ثيابها ... ولا تتاكد من انه هو حتى يشرق وجهها بنور إلهى وتكف عن مطاردة الحشرة ... وتساله عن اولاده واحواله سؤالا عاتبا ... كان كل ما يهمها ان تطمئن هى عليه ... وها هى تطمئن بمجرد رؤيته ... وقبل ان تسمع اجابة على سؤالها

شيء واحد طلبته منه ... قبل ذهابها ... ان يذهب لزيارة ابيه !

دائما تذكر اباه كلما راته ... إنه جزء من هذا الاب الذى مات وتركها من سنين طويلة ثم بقيت هـى ..!

اى قوة تحفظ على هذه المراة حياتها ؟ هل تكمن هذه القوة لمجرد عنادها للبقاء على قيد الحياة بدون هدف مفهوم سوى صراع الموت لآخر لحظة .

ترى هل هذا هو الحل ... ان نبحث فى اشيائنا بمثل هذا الاهتمام الجاد بدلا من البحث فى عقولنا بلا جدوى !

ويمضى الى زيارة ابيه فى مقبرته ... ثم الى اهل قريته حيث يتجمعون امام احد الدكاكين ... ويتاكد له هذه المرة انه لم يجيء وحده ابدا . كان الشخـص الآخـر هناك فى داخلـه .. كـان هـو الذى دخـل فى حـوار اليم مـع ابيه الذى مات من سنين .

وفى صفحات رائعة يكشف المؤلف عن جذور وابعاد الازمة الكيانية فى اعماق عبد السلام المشد الذى عاد ليسال اباه عن معنى حياته ومعنى موته بعد ان عرف الموت والحياة معاً ..

عاد ليتاكد من ان طريق ابيه الى الله لم يعد طريقه وان مجرد الاذعان والتسليم لا يمنحان امنا ولا سلاما ولا فردوسا حقيقيا او وهميا ...

عاد ليتاكد من انه لم يعد له مكان بين اهل قريته الاحياء او الموتى ... عاد ليكتشف ان اهل قريته لا يرضيهم اقل من ان يصبح جزءا من كتلتهم متنازلا عن كل وجوده فى مقابل ان تمنحه امنها وسلامها بالغاء هذا الوجود ...

عاد ليكتشف انه حتى هذه الكتلة لها طريقتها الخاصة فى عقاب اولئك الذين يتمردون عليها.. إنها تنفيهم عنها ... دون ان تلقى بهم فى اعماق

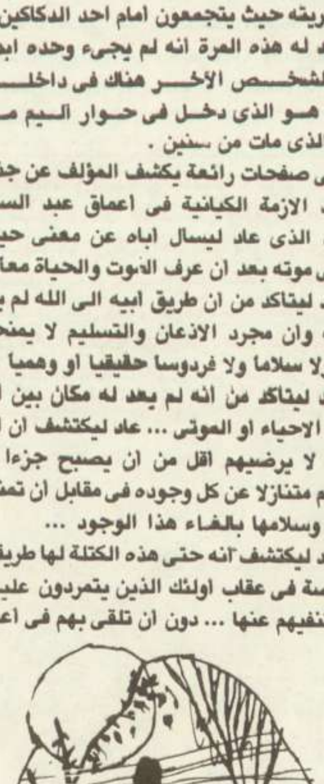

المستشفيات النائية ... ودون ان تصمهم بالجنون او تلبسهم قميص الكتاف الابيض ... فهى تنفيهم نفيا هينا فى كون اللـه الرحيب .. تسميهم احباب الله .. يخرجون منها ويعودون إليها ، ابوابها وقبورها وقليل من طعامها مبذول لهم بلا حساب او عقاب ...

هل بقـى هنا مكان ؟

الحاضر يطرده الى الماضى.. والماضى هذه المرة يطرده إلى المجهول فحين تتمزق الصلاة بين الماضى والحاضر يسقط المستقبل من تحت اقدام السائرين ولا يبقى سوى ظلام الياس ...

التمرد الأخـــير :

ماذا يعنى ذلك يا عبد السلام يا مشد ؟ لقد عرفت العجز عن التذكر ... ورايت فى داخلك شخصا آخر او عدة اشخاص ... تصالحتم حينا وتخاصمتم فى اغلب الاحيان ... ولمست السماء وغصت فى الجحيم وانقسمت دنياك الى ليل تملكه الوحوش والافاعى ... ونهار اصبحت لا تكاد تملكه ... وحين رايت اجمل الاشياء فى الدنيا الصدق والحب ، رايتهما ممرغين فى الاوحال والعجز ، وحين سمعت موسيقى الحياة والوجود ورايت وجه الدنيا مثلما خلقها الله بالوانها وروائحها واصواتها لم يحدث ذلك إلا حين اسلمت امرك لعصبة من الملائكة والشياطين بقيادة من لا يريد اقل من السلطة الكاملة ؟ يفعل بها ما يصطدم بكل شيء وبكل احد

ايمكن ان تكون تلك هى البداية يا عبد السـلام ؟ بداية النهاية بداية استيلائه على السلطة الكاملة ؟ بداية عجزك الكامل ؟

كان من الممكن ان تخفى لبعض الوقت عن بعض الناس عجزك عن السيطرة على عقلك وشعورك اخفيت ذلك حتى عن زوجتك ... ولكن كيف تخفى عنها الان عجزك

كيف تفسر لها عجزك فى كل مرة ؟

كيف تعترف لها بان هذا العجز لا يحدث إلا حين تكون معها هى ؟ ...

وما معنى سكوتها حتى الآن عن هذا الامر ؟ والى متى يبقى هذا الصمت الذى يعذبك باكثر مما يعذبك عجزك . ولكنها لم تسكت طويلا يا عبد السلام ... ها هى تلمح بالمشكلة بل ها هى تصرح بالحـــل ...

نهاية المسيرة

بهذه الواقعة كان عبد السلام المشد يشعر بانه قد شارف النهاية ... لم يعد هناك مكان او شخص او فكرة يمكن ان يهرب اليها ...

عقله وجسده كلاهما لم يعد يعمل لحسابه فكيف تستقيم الحياة بهذا القدر من التمزق ... ؟ بهذا القدر من تنازع السلطة والولاء ؟ من انعدام الهدف واختفاء الطريق ؟

وفى توافق ملهم يمزج الكاتب بين الفوضى الضاربة فى نفس عبد السلام المشد ، وبين القلق العارم الذى كان يموج به الشارع المصرى

قبيل ٦ اكتوبر حيث يبدو الشارع المصرى وكانه صورة مكبرة لما يحدث فى نفس عبد السلام المشد ... ويتلاقى الحدثان فى لقطات سريعة مكثفة بين عبد السلام وبين مجموعات الشباب الثائر فى ميدان التحرير ..

ويبدو عبد السلام وكانه امام لحظة استبصار هائلة وأن نفسه توشك ان تنفجر او تلتئم ... فها هى القيامة تقوم هذه المرة فى بلده كله ... وها هو يرى ان الازمة ليست ازمته وحده ... ولكن هل يستطيع وحده فى عمق ازمته ان يدرك الحبل السرى بين الفوضى الضاربة فى اعماقه ، والفوضى الكائنة حوله ... وإذا كان مجتمعه قد امكنه أن ينظم هذه الفوضى فى حدث كبير يوم ٦ اكتوبر فهل ينجح عبد السلام المشد ان يسيطر على فوضاه وينظمها فى سلوك يصل به الى التكيف الارقى الذى يتطلع إليه ولا يعرف طريقـــه ؟

ويذهب الى الطبيب النفسى الذى نصحه طبيب الامراض التناسلية بان يذهب إليه .

ولأول مرة يعترف له بكل شىء حدث له او منه وكان يعتقد انه بذلك قد ادى مهمته وما على الطبيب إلا ان يعالجه من كل شىء ... وبطريقة تشبه السحر ..

ولكن الطبيب الذى بدا له لأول وهلة وكانه احد المرضى ... افهمه فى هدوء انه لا يملك سحرا ولا شيئا يشبهه ... وانه يقف معه على نفس البركان وانهما سوف يبحثان معاً عن الحل وانه الطبيب ينتظر منه المساعدة . وتقع حرب ٦ اكتوبر ويصبح لعدة أيام جزءا من كل اكبر منه ثم تحدث الثغرة ... فيسقط عبد السلام المشد مع الجزء الذى سقط ...

يسقط هذه المرة فوق ارض لا يجد لنفسه فيها مكانا ولا انسانا يمكن ان يواصل هربه فيه أو إليه ...

لابد أن يهرب هذه المرة الى مكان بعيد ... بعيد جدا أو سحيق جدا .. ودائما يتفق المختلفون فى داخل عبد السلام المشد حين يتصل الأمر بقرار الهروب ..

ولاول مرة ينجح عبد السلام فى اصدار قراره وتنفيذه فى نفس الوقت فيلقى بنفسه فى احضان مياه النيل التى تهب الحياة لكل الناس فى الوادى لتنتزع منه وحده الحياة .

ولحسن حظه أو لسوءه وجد هناك إنسانا سعى الى انقاذه بدون أن يستاذنه فى ذلك ...

فعاد إلى الحياة بعد أن رأى المشهد من هناك من عند حدودها القصوى ، فكيف عاد ؟

وكيف بدأ مسيرته فى مدرسة العراة ليولد من جديد مع اخوة له كادوا يشرفون على الغرق فى مياه اخرى ؟ ضحلة أو عميقة .

ذلك ما نتحدث عنه فى الجزء الثانى من رواية « المشى على الصراط » بعنـوان « مدرسة العـــراة » .

أبو المعاطى ابو النجـا

عذابات الفقر والمنفى

الى عبد الوهاب البياتي

للشـاعـرة : بشـرى ناصـر

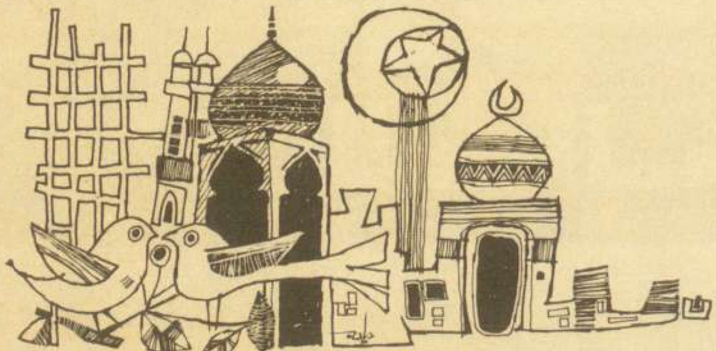

(١)

ان اللغة سر بيننا ،

فلا تراوغ !

انت الآسر ..

وانت الأسير .

وانت المهاجر ..

في أهرام الكلمات ..

في الكلمة الهرمة

وفي شدو الدفاتر

فأين تمضي ..؟

ان الحرف يسكنك ..

والحرف قضبان ..

الحرف ريحان ..

والحرف عصا موسى وخاتم سليمان ..

تشق به البحر .

وتشيد المدائن ..

وتضيع بين الحرف والحلم

.. وأنت ..

(٢)

بغداد مدينة العشق وانت بابها ..

بغداد يتيمة عام ٤٥

تستجدي رغيف

من الجندي المرابط عند الجسر ..

وانت تكتب الحزن ..

وتكتب الشعر ..

وتضيع بين لوركا وابن عربي .

(٣)

وفي عيون اليتامى ..

في التاريخ والخرافة ..

في شعوذة التعاويذ ..

وعري السبايا ..

تبصر الرؤية ..

تبصر المستقبل ..

فيصير للقصيدة طعم النار والشهادة

(٤)

وفي السجون ..

وعلى بوابات المدن الشمالية .

تشاهد بغداد نبوءة ..

تشاهد قمرا اخضر ..

تشاهد نهرا ثائر الخطى

او صديقا اودعته مرارة المنفى .

(٥)

وفي مقاهي الليل الباردة ..

تبكي في معطفك ..

حنينا الى حبيبة ..

كدت تنسى عينيها ..

(٦)

هل تعرف الراحة ابدا ؟

محمود الربيعي

نحو منهج في نقد الأدب العربي

من المؤسف أن النقد العربى الحديث لم يفلح بعد فى أن يحدد لنفسه شخصية تميزه عن كل من نقد التراث ، والمدارس النقدية الاوربية . ويعج حاضر النقد العربى بمجموعة هائلة من الافكار المختلطة ، المتضاربة المتعارضة ، ويبلغ هذا حدا يصح معه أن نقول انه ليس لدينا ثراء أو ازدهار نقدى ، وانما لدينا ـ فوضى نقدية ـ ومادمنا لم نتفق بعد على المؤهلات الضرورية للناقد الادبى ، ومادامت المكونات الثقافية للنقاد العرب المحدثين مختلفة الى حد تتباين معه «الرؤية» فليس لنا أن نتوقع نهضة نقدية حقيقية . لقد كانت لدينا صحوة نقدية فى الستينات ، ولكن تبين الآن انها كانت تعتمد على الكم اكثر مما تعتمد على الكيف

ولهذا كله لم تفلح تلك الصحوة فى حفر طريق ترتاده الأجيال القادمة • إن كثيرا مما يكتب تحت اسم «النقد الأدبى» الآن يبدو وكأنه يدور حول نفسه وكثيرا من الاسئلة التى تطرح ـ فى الكتابات النقدية ، وفى مناقشات المتخصصين تتسم بقدر كبير من الغرابة ، فنحن مثلا لا نزال نسأل :هل الاجدى أن نهتم بالنظرية النقدية أم تحليل النصوص ؟ ولا يمكن أن نعدم ـ بالطبع ـ أن يخرج من جلد السؤال السابق حل « توفيقى » متعقل ينصحنا بأن نجمع بين النظر والتطبيق ونحن نسأل كذلك : أينبغى أن نسعى الى تعميق الافكار النقدية الاوربية فى حاضرنا النقدى العربى فنعيد حديث المدارس ، والاتجاهات ، والمواقف التى بنيت عليها النهضة النقدية الاوربية ، ونحاول أن نجد لأدبنا العربى مكاناً فى هذه « الدراما » الحضارية الحية ، أو نصل هذا الادب بتراثنا القديم ونقوم بحركة احياء تناظر حركة الاحياء الغربية ـ ولكنها لا تقلدها وتستفيد من روحها ، ولكنها لا تستخدم ثمراتها المباشرة ؟ ومرة اخرى قد ينبعث الصوت التوفيقى المتعقل : وماالذى يمنع من الاستفادة من كلا التراثين القومى والانسانى ؟ فنعمل على احياء التقاليد النقدية لأدبنا ، ونصل حاضرنا النقدى بها ، ونعمل ـ فى ذات الوقت ـ على فهم ما يحكم آداب العالم ، فنستفيد الى حد ممكن من المدارس الأدبية ، والاتجاهات النقدية ، والمواقف الفلسفية التى يموج بها العالم من حولنا ؟ .

الموضوع من جديد

وعلى الرغم من كثرة الاسئلة ، وتنوع الاجابات يبقى النقد العربى المعاصر متخما وعاجزا عن الحركة ، وتبقى الحاجة ماسة وملحة الى فحص الموضوع من جديد وتتمثل المشكلة الواضحة ـ التى هى أم المشاكل ـ فى عجز القارىء أمام النص وهو عجز ذو ابعاد متعددة .

ومن اهم هذه الابعاد أن معظم الطلاب الذين يعدون للتخصص فى اللغة العربية يستطيعون أن يتحدثوا عن المدارس الادبية من كلاسيكية ، ورومانتيكية وواقعية ، ورمزية ، بل ووجودية وعبثية ، حديثا يوهم أنهم على شىء من «المعرفة» حتى إذا جاءوا الى قراءة النصوص الاصلية التى قامت عليها هذه المدارس فى آدابها لم يستطيعوا أن يتقدموا فيها خطوة واحدة و ذلك لعدم معرفتهم بأى قدر يعتد به من لغة أجنبية ، والانكى من هذا أن هؤلاء الطلاب انفسهم يستطيعون أن يحدثوك عن أمرىء القيس ، وطرفة ، والنابغة ، حياتهم ، ومغامراتهم ، وشعرهم ، ويحدثونك عن الادب الجاهلى ، والاسلامى ، والأموى ، والعباسى ، والحديث وعن قضايا نقدية خطيرة مثل تقاليد القصيدة العربية ، وموسيقاها ، فاذا واجهتهم بنص يسير جدا من التراث العربى لم يستطيعوا أن يقرءوه قراءة صحيحة فضلا عن أن يحللوه تحليلا نقديا .

وهذا العجز يزحف الى الابحاث المتخصصة فى شرح الادب وتقديره ـ أى فى النقد الادبى ـ فكثير مما يسمى «قراءة النصوص» أو «شرح النصوص» أو «تحليل النصوص» لايعدو أن يكون نثرا للشعر ، أو تلخيصا لاحداث الروايات ، والمسرحيات والقصص . وهو نوع من التناول يرى فى النص الادبى أقل بكثير مما ينبغى رؤيته . أو رؤية أمور فيه أقل بكثير مما ينبغى ، كأن نرى الشعر الجاهلى مثلا على أنه تصوير للبيئة الجاهلية ـ التى تخبر دائما بانها صحراء ، ورعى ، وكر ، وفر ، وتهاج ، وتفاخر ، ومدائح ... الخ
أو نرى الوقوف على الاطلال ـ وهو ظاهرة فنية ـ على أنه مجرد حديث عن ذكريات قريبة أو بعيدة ، بدأها شاعر أو آخر من الرواد ، ثم سار عليها بقية الشعراء فى خط مستقيم . ورؤية شعر الاطلال على هذا النحو يوقعنا فى حيرة فعلية ، ذلك لأننا لا نتحفظ عادة فى خلع صفات الجودة ، والابداع ، بل والعبقرية على شعراء اجتمعوا على وصف

- الصحوة النقدية فى الستينات اعتمدت على الكم أكثر مما اعتمدت على الكيف
- على الرغم من كثرة الأسئلة وتنوع الإجابات يبقى النقد العربى المعاصر عاجزا عن الحركة
- النار التى نراها فى لوحة فنية جيدة تختلف عن النار الحقيقية فى أنها برد وسلام
- قياس الحادثة القصصية على مثيلتها فى الواقع المادى مشكلة تسبب إرباكا فى النقد العربى

الاطلال ، كالنابغة ، وامرىء القيس ، وطرفة ، ونستريح - فى الوقت ذاته - الى القول بان الشعراء يتبع خلفهم سلفهم فى وصف الاطلال . وعلينا إذا كنا منصفين ، ان نركز على السؤال التالى :
إذا كان كل واحد من هؤلاء شاعرا عظيماً فما الذى يميز «عظمة» وصف الاطلال عند هذا الشاعر عن «عظمة» وصفها عند ذلك ؟ .

الفروق الدقيقة

ويقتضى الكشف عن الفروق الدقيقة التى تميز وصف طرفة للاطلال ، مثلا عن وصف النابغة لها . وهذا الكشف يحتاج الى تحليل فنى للشعر يتجاوز الوقوف عند ما يمكن أن يرى من فروق سطحية - مثل المكونات الحسية للاطلال عند كل شاعر ، وترتيب وضع الاطلال فى القصيدة ، وما يتبع هذا الوصف من اغراض اخرى . وما إلى ذلك - إلى فحص دقيق لطبيعة الصور التى يشكلها كل شاعر فى وصف الموضوع نتيجة لرؤيته الخاصة له ، ومن ثم توجيه هذه الرؤية لخدمة رؤى اخرى فى القصيدة حتى تنتهى الى تصور مقنع للاسباب التى جعلت من وصف الاطلال موضوعا ملحاً ، يراه شاعر عظيم متأخر على أنه أمر جدير بالعناية ، وواجب المعالجة .
ويدخل فى هذا الباب اننا نعالج شعر ابى النواس - مثلا - على أنه صورة لحياته المضطربة «المنحلة» ، وننظر إليه على أنه وصف قريب للخمر ، وحانات الشراب ، والحياة التى لا ترعى أى قدر من الالتزام الخلقى . ونحن بهذا نهمل كثيرا من الجوانب : نهمل مسألة لم تعد محل خلاف كبير فى النقد الادبى الحديث ، وهى أنه من الخطر الاستدلال بالشعر على سيرة صاحبه الذاتية لأن فى ذلك استهانة «بفنية» الشعر ، وجعله تعبيرا مباشرا عن واقع شخص مباشر .
وحتى لو استخدمنا هذا المنطق فاننا نهمل مسألة تغيب عن الاذهان هى أنه لو كان ابو النواس قد استنفذ حياته اليومية عبداً للكأس والحانة ، والجرى وراء الشهوات الشاذة ، لما وجد فرصة للتامل ، وتثقيف النفس اللذين هما قوام كل شعر جيد ، وشعر ابى النواس - فى نظر الجميع - جيد .
والخلاصة أن شعر أبى نواس محتاج

الى معايير فنية ، تستخرج منه بالتغلغل فيه ثم يقاس هو بها . وذلك لنعرف على وجه الدقة مدى التزام هذا الشعر
(أى وفائه لتقاليد الفن) اكثر مما هو محتاج الى جعله وسيلة للوصول الى أن صاحبه كان ماجنا ؟ أو ظريفا .
ويمكن أن يقاس على ذلك العجز فى مواجهة نصوص شعر المدح ، وشعر السياسة فلا تزال المناهج المستخدمة فى درسهما ترى فى النصوص اقل بكثير مما ينبغى أن يرى ، فدارسو شعر المديح يقعون منذ البداية فى أسر فكرة ساذجة فى فهم الشعر ، تربط بين شعر المديح وبين التسول والتخلى عن الكرامة والتكسب بالفن ، وما إلى ذلك من النعوت العنيفة التى تسللت الى قاموس النقد الادبى - وهى ليست نقدية ولا أدبية - واخذت ظلما مكان مصطلحات اخرى نقدية كان لابد أن تجدد وتستخدم وهى تلك المصطلحات المستقاة من العكوف على هذا الفن نفسه .
لكننا يجب ان نتنبه الى أن المدح معنى من المعانى ، وهذا المعنى إذا وضع فى اسلوب شعرى اصبح شيئا مختلفا عما كان عليه قبل أن يوضع فى هذا الاسلوب . والنار التى نراها فى لوحة فنية جيدة تختلف عن النار الحقيقية فى انها «برد وسلام» على النفوس التى تتلقى عطاء الفن بعد أن شكل مادته الاصلية تشكيلا جديدا ، وتعانى عن المعانى المختلفة بأحاسيسنا المنطقية المعتادة التى تربط بين النار والاحراق .
وبالمثل فان دارسى الشعر السياسى لم ينجحوا فى الافلات من أسر « السياسة» ، وهم يقفون عند الكشف عن كون هذا

● الوقوع فى أسر الواقع يُسلِم إلى أوهام كثيرة فيما يتصل بفقه العمل الأدبى
● الحادثة الواقعية شئ . والحادثة الأدبية شئ آخر.. وإن تشابهتا فى الظاهر

الشعر انحيازا لهذه الفئة او تلك ، وتحريضا على هذا التصرف أو ذاك ، أى انهم يستشهدون به على الواقع المادى ، ولا يعنون بالكشف عن «الرؤية الشعرية» الكائنة فى الشعر الذى يتخذ السياسة موضوعا له .

فروق جوهرية

وقد لا يختلف على أن القصيدة التى تتناول موضوعا سياسياً تختلف عن التقرير السياسى الذى يتناول ذات الموضوع ، ولكن « وضع اليد » على الفروق الجوهرية التى تجعل من هذه القصيدة ، ومن هذا تقريرا سياسياً تبقى لدى كثير من دارسى الادب محصورة فى صفات لا تقنع ، ولا تضىء الطريق امام الاجيال المقبلة ، كالقول بان القصيدة تمتاز بانها كلام موسيقى تصويرى خيالى ، مبنى فى نسق خاص ، الخ . دون أن نكشف فى الدراسة عن « لب الموضوع » وهو أن الشعر شعر والسياسة سياسة اى دون أن نفصل منهج دراسة الشعر عن كل منهج سواه ، وان ندرس الادب من حيث هو رؤية

خاصة للواقع ، باسلوب متميز ، محتاج الى الالحاح على عناصره والكشف عنها مرة بعد مرة ، حتى نصل الى مجموعة التقاليد التى تحكم التعبير الادبى ، وتميزه عما عداه من ضروب التعبير الاخرى .

وينسحب هذا نفسه على « الاجناس النثرية الموضوعية » كالقصة القصيرة والمسرحية والرواية التى ينبغى أن تشغل النقاد لا باعتبارها قصصاً تحكى أو شخصيات تتحرك ، و انما باعتبارها قوالب أدبية ، ذات فلسفة خاصة فى تركيبها ، وذات تقاليد حية تخضع لها وذات اهداف تصويرية ، ومعنوية وروحية ، ترمى الى الوصول اليها بهذا التركيب .

إن الحادثة ــ أو مجموعة الحوادث ــ لاتمثل من القصة القصيرة ، أو المسرحية أو الروايةإلا ما قد يمثله الهيكل العظمى من الجسد الانسانى ، ويبقى ما أشرت اليه من عناصر اخرى يمثل الدم واللحم والاعصاب والعروق والخلايا ، بل والروح فالذين ينفقون الوقت فى ملء صفحات تتحدث عن الاحداث فى هذه الانواع الادبية ــ وهم يسمونها « المضامين » ويالها من كلمة غامضة ــ انما يفعلون شيئا يتجاوز فى أثره الضار مجرد تضييع الوقت انهم بذلك يصرفون نظر القراء عن اللب ويوجهونه الى القشرة الخارجية .

وثمة صفة معوقة اخرى فيما يتصل بنقد هذه الانواع الادبية المستحدثة لدينا ، وهى قياس الحادثة فى هذه الانواع على مثيلتها فى الواقع المادى ، وقياس الفن على الواقع المادى مشكلة عامة ، وهى تمتد ايضاً الى الشعر وتسبب «ارباكا» فى النقد الأدبى كله ، وما ذكرته من أمر قراءة الشعر السياسى ليس ببعيد ، وكم من الاحداث التاريخية رؤيت من خلال الشعر الذى يتناولها ، وكم من تفاصيل وقائع سيف الدولة مع الروم استخلص من شعر

المتنبى . غير أن هذه الصفة ترى أوضح ما تكون فى نقد الانواع الادبية الموضوعية ، وذلك لان كثيرا من النقاد يقع منذ البداية فى وهم هو أن هذهالانواع تصور الواقع الاجتماعى بصفة اساسية ونتيجة لهذا الوهم يبقى الواقع الماثل ــ الذى يحيط به علمهم هم وحسهم هم بالطبع ــ ماثلا فى اذهانهم ولا يستطيعون الافلات من أسره

والوقوع فى أسر «الواقع» يسلم الى اوهام كثيرة فيما يتصل بفقه العمل الادبى وذلك لان الواقع نسبى وجزئى ، وخاضع للتغير المستمر ، على حين أن العمل الادبى تجربة خاصة مع الواقع ، ورؤية خاصة لها ، تاخذ صفة الشمول والثبات وهو تشكيل لغوى يخضع لمنطق خاص به فى التوازن . ومعنى هذا أن الحادثة الواقعية لا تمثل منه إلا الخامة الأولى ، وهذه الخامة تتحول عن طريق التركيب تحولات اساسية ، تفقد فيها -بالقطع- صفاتها الاصلية- أو كثيرا منها ــ وذلك لكى «تتاقلم» مع السياق الجديد الذى توضع فيه مع بقية عناصر الكيان الادبى . ونتيجة ذلك كله أن الحادثة الواقعية شىء ، والحادثة الادبية التى تصورها شىء اخر ، وان أشبهتها فى الظاهر فهذه الاخيرة لا تاخذ معناها إلا من حيث هى جزء عامل من كل هو العمل الادبى . ومن هنا تتجلى خرافة المقياس الادبى الذى يلجأ إليه كثيرا فى النقد باسم «الواقعية» وذلك حين تدق الاجراس تحية لاعمال معينة لمجرد أن احداثها لاتجافى الواقع ، أو لأن شخصياتها تقوى لدينا الاحساس بالواقع .

وإذا كان عجزا أمام النص أن نرى فيه أقل ما ينبغى فان عجزا أمامه كذلك أن نرى فيه أكثر مما ينبغى . وإذا كان الوقوع فى اسر السياسة أو حياة المبدع الشخصية ، أو الواقع المادى ، يسلم الى فهم النص على نحو فج ، فان الوقوع فى اسر الثقافة الخاصة ، أو مناهج

● كل قراءة جيدة للنص الأدبي إنما تعتمد بطبيعة الحال على ثقافة القارئ

● حين تعقدت مناهج علم النفس سارعت الدراسات الأدبية لتتسلح بمصطلحاتها البراقة

العلوم الأخرى ، ينتهى بنا الى نفس النتيجة الضارة ، وهى عدم اضاءة النص اضاءة حقيقية بتقديمه الى الناس فى حجمه الطبيعى .

ثقافة القارىء

واود أن اسلم ابتداء بان كل قراءة جيدة للنص الادبى انما تعتمد – بطبيعة الحال – على ثقافة القارىء ، إذ لا يمكن لقارىء غير مثقف ان يقرأ قراءة جيدة كما لا يمكن للقارىء المثقف أن يتجاهل نوع ثقافته ، ولكننى اريد أن أؤكد – فى الوقت ذاته – ان ثمة فرقا جوهريا بين الوفاء للنص ، وسبر اغواره واضاءته من داخله ، ارتكازا الى ثقافة واسعة عميقة عامة أو نوعية ، وبين خلع هذه الثقافة على النص أو – ما هو أسوأ من ذلك – قسر النص على الاستجابة للون أو آخر من الوان الثقافة فنحن فى الحالة الاولى نواجه موقفا طبيعيا هو استخدام الخبرة الخاصة فى تحليل مادة جديدة وتفسيرها ، ولكننا فى الحالة الثانية نواجه امرا غير طبيعى على الاطلاق ، وهو سوء استخدام المعرفة ، او استعراضها ، أو الاصرار على رؤية أمور لاوجود لها إلا فى ذهن صاحبها أولي اعناق الامور لتوافق ما نريد التوصل إليه ،

ولا يخامرنى شك فى أن الهروب من النص برؤية اشياء لا وجود لها فيه انما هو تعبير عن العجز امام هذا النص ، وعدم القدرة على تلقى معطياته الحقيقية . ولناخذ من عناصر ما سميته الوقوع فى اسر الثقافة الخاصة عنصر الولوع بتفسير الادب تفسيرا رمزيا أو اسطوريا وصحيح أن الأدب رمز ، أى أن الاديب لا يوصل بأدبه رسالة على نحو محدد مباشر ، وإلا لفقد ادبه صفة الادب ذاته ، ولكننا حين نفحص طبيعة هذا الرمز لابد أن نعتصم بأقصى قدر من التعلق بالنص ذاته ولا نفرض عليه

رموزا من خارجه .

وصحيح ايضا أن النص الادبى قد يتضمن عناصر اسطورية ، ولكن مفاهيم هذه العناصر ينبغى أن تحدد من خلال الوان السياق التى تقع فيها فى النص ذاته ، لا من خلال ما يخلعه القارىء من معان نشات فى ذهنه نتيجة لقراءته عن الاساطير فى آداب وثقافات أخرى .

ان الاشارات التى تواجه تفسير الرموز الادبية ينبغى أن تكون فى النص ذاته ، ووظيفه العنصر الاسطورى المستخدم فى الآدب ينبغى أن تحدده طبيعة تركيب هذا العمل ذاته . ومالم يوفر العمل الادبى – من واقع بنائه النص – المفاتيح التى تساعدنا على توجيه معنى الرمز – الاسطورة – وجهة بعينها ، فان الحديث عن معنى اى رمز أو اسطورة فيه يبقى ضربا من الفرض الذى لم تمتحن صحته ذلك لان كل عمل جيد انما كان كذلك لأنه يحمل فى طبيعه تركيبه الاسلحة التى تساعد على فهمه فهما كاملا ، والوقوف على ادق الاسس التى تحكم مبناه ومعناه ، وأى لبس فى هذا انما يأتى من عدم القدرة على الافلات من اسر ثقافتنا الخاصة ، فندخل على النص وهى حية فى اذهاننا ، مسيطرة علينا ، وتكون النتيجة اننا نرى فى النص أكثر مما ينبغى من واقع تلك

الافكار التى دخلنا بها عليه ، والتى نجعل همنا فى البحث عنها ، ومحاولة تطبيقها ، متجاهلين فى احيان كثيرة منطق النص ذاته .

اما مسالة رؤية امور فى النص ليست فيه نتيجة لاستخدام مناهج بعض العلوم الاخرى فتعود – فى الأغلب الاعم – الى استخدام منهج فرويد فى التحليل النفسى. وفكرة يونج عن «العقل الجمعى» ، ومحاولة تفسير الأدب فى ضوئهما . ولمحاولة تطبيق علم النفس فى فهم الادب العربى قصة طويلة نسبية – وليس هنا مجال استيفاء الكلام عنها – نشات من الاعتقاد فى صحة الارتباط الوثيق بين العمل الادبى وشخصيه مبدعه وقد سبقت الاشارة الى الولوع بخلع حياة الشاعر على شعره ، وخلع شعره على احداث حياته ، وخطر هذا الولوع .

وحين تعقدت مناهج علم النفس ، ودوت فى الافق مصطلحات «الدوافع» والانفعالات» ، و «العقد» و «الوعى» ، و «اللاوعى» سارعت الدراسات الادبية لتتخذ من هذه المصطلحات البراقة اسلحة تلحقها بالعصر . والحق أن بدايات الكتابة فى هذا المجال حققت اضاءات مفيدة فى فهم الادب ، ولكن المسألة تحولت فيما بعد بالدراسة الأدبية الى ما يشبه المتاهات ففى بعض الاحوال يغادر المولوعون بهذا النهج عالم «ادبية الادب» جملة ويتخذون النص وسيلة لشرح مقولات نفسية ويحتل «الجنس» كما تحتل العقد الراقدة فى اللاوعى الفردى أو الجمعى ، الصدارة فى تقسيم النصوص ، ويهمل الادب بصفته تركيبا فنيا .

تلك هى بعض المشكلات التى تقف فى طريق ازدهار نقد الادب العربى ولا يمكن أن يزدهر هذا النقد مالم يتخذ لنفسه نهجا مفيدا ومحددا فى تناول الادب ولا أقصد بالنهج المحدد حصر كل النقاد – أو طرق التناول – فى اطار

● علينا أن نواجه النصوص ونطيل صحبتها ونستخدم منهجا ملائما فى الحكم عليها

حديدى ، فانا على وعى بأن مثل هذا الاطار سيكون من اعداء النقد ، ولكننى اقصد ضرورة أن يكون العمل فى هذا المجال مشروطا بمؤهلات معترف بقيمتها وان تتبع فيه طرائق يتفق على قيمتها فى فهم الادب باعتباره ادبا .

اتاحة الفرص للدارسين

وأول ما يلزم - عندى - فى هذا الطريق أن تكون نصوص الادب جميعا - قديمة وحديثة - متاحة للدارسين ، من أوسع الابواب ، وايسر السبل . ويقتضى هذا عكوف الدارسين - بتوجيه من المؤسسات العلمية وبامكانياتها على كشف مالم ير النور بعد من التراث الادبى القديم واعادة النظر فى المعروف منه ، بتحقيقه تحقيقا علميا قائما على أسس منهجية سليمة واعادة نشر ما حقق منه ولكنه لم يعد متاحا للناس .

ويبدو أن المسألة فيما يتصل بالادب الحديث - ليست اقل الحاحا ، فالحدود الثقافية لا تزال قائمة بين ارجاء الوطن العربى ، وما يعرفه الدارسون فى كل اقليم منه عما يدور - ادبيا - فى الاقاليم الاخرى قليل جدا فالشكوى قائمة فى كل مكان من عدم تيسير الكتاب ، ومن أن قدرا كبيرا من الانتاج الادبى يحال بينه وبين رؤية النور وان اعمالا أدبية مكتوبة ولا تجد طريقها الى القارىء ، ومن البدهى أن قيمة هذه الاعمال لا يمكن أن تتحدد قبل ان ترى النور . وبدون ذلك تبقى صفة الادب العربى الحديث - كما يبقى الحكم عليه - ضربا من الظن .

وليس معنى هذا أن نتوقف عن دراسة الادب حتى يصبح كله معروفا ومتاحا وانما معناه أن نكون على وعى - ونحن نعمل - بأن صورة الادب العربى ، ومن ثم تحقق منهج ملائم فى نقده ، لا يمكن أن تصبح حقيقة كاملة قبل بلوغ هذا الهدف .

والخطوة الثانية التى تمهد الطريق لتحقيق هذا المنهج أن نواجه النصوص مواجة مباشرة ، وأن يكون استخدامنا للنظرية فى حيطة شديدة ، وفى حدود ضيقة ، ولا ادعو بهذا أبدا الى اهمال الآراء النظرية القيمة للنقاد العرب القدامى ، وانما ادعو دعوة صريحة الى عدم النظر الى نصوص الادب العربى القديم بأعين هؤلاء لنتفادى الوقوع فى اسر الامور التى اشرت اليها من قبل كالواقع المادى ، والثقافة الخاصة ، والسيرة الشخصية للمبدع ، ومناهج العلوم الأخرى .

ان النظر الى التراث الادبى القديم بأعين النقاد العرب القدامى يجعل منه كيانا ثابتا غير قابل لمزيد من العطاء ، على حين أن مواجهة النصوص واطالة صحبتها ، واستخدام منهج ملائم فى وصفها ، وتفسيرها والحكم عليها ، تجعل منها ابنية فنية متجددة . وانا ادعو الى أن تكون بداية الطريق الاستماع الى صوت امرىء القيس لا الى صوت ابن سلام فيه ، والى صوت لبيد والاعشى وطرفة لا الى صوت ابن قتيبة فيهم ، والى صوت ابى تمام والبحترى لا الى صوت الامدى فيهما ، والى صوت المتنبى لا الى صوت انصاره وخصومه فيه . وقد يتفق نتيجة للاستماع الخاص لاصوات الشعراء هذا - مع بعض آراء النقاد القدامى فيهم ، ولا بأس فى ذلك ولا حرج ، ولكننى لا اعتقد أن ارائنا فى النهاية يمكن ان تتطابق مع آرائهم وإلا لكانت قراءتنا للتراث قراءة غير حسنة .

وكذلك ينبغى أن نسلم انفسنا - فيما يتصل بالادب الحديث - الى نصوص هذا الادب ذاتها ، لا الى ما قاله النقاد عنها أو النظر اليها من خلال نظريات النقد الاجنبى التى نشأت ونمت فى ظل بيئات اخرى ، وكانت حصيلة النظر فى نصوص أخرى . ان مصطلحات الكلاسيكية والرومانتيكية ، والواقعية ، والرمزية ، والتعبيرية - واخيرا وليس آخر كما يقولون - والبنيوية ، مصطلحات تخطف البصر ، ولكن الاسراف فى استخدامها الى الحد الذى يخضع النصوص العربية لها يحول بيننا وبين رؤية هذه النصوص على حقيقتها ، وآراء تين ، وبرونتيير ، وسانت بيف ، وسارتر ، وارنولد ، وباوند واليوت - التى صيغت من النظر فى آدابهم ، واثرت على العالم كله من بعدهم آراء تخطف البصر ، ولكن محاولة فهم الادب العربى فى ضوء هذه الآراء أمر خطر غاية الخطورة .

علينا - اذن - ان نواجه النصوص ، ونحاول وصفها ، وتشخيص سماتها ، ونتبين توازن بنيتهما ، مستخدمين فى ذلك اقصى قدر من الطاقة والامانة واعمق قدر من النشاط الذهنى ، والرهافة الشعورية ، واوسع مدى من الثقافة الانسانية ، التى لا تفرض نفسها على النص ، وانما تكون فى خدمته .

وإذا تعددت هذه المواجهة وتنوعت ، عملا ادبيا بعد عمل ادبى ، وأديبا مبدعا بعد أديب مبدع ، وجيلا ادبيا بعد جيل ادبى ، وإذا بشرنا بنوع من القراءة الفاحصة ونجحنا فى تحبيب الناس والشباب منهم - بصفة خاصة - الى تراثهم وحاضرهم الادبى تكون لنا مع مضى الزمن واحتشاد الدارسين ما يمكن أن يسمى « نهج فى قراءة النص الأدبى » وإذا تعمق هذا الاتجاه وتوالت نماذجه واتسعت ، واكتسب نوعا من الثبات والاستمرار ، ووصل الى أرجاء الوطن العربى تحقق كيان متماسك من الافكار المتعاونة المتكاملة التى يمكن ان تسميها عندئذ « نظرية الأدب العربى » .

وحين تولد هذه النظرية وتصبح معالمها واضحة لأعيننا يمكن أن تزداد خصوبة عن طريق إثرائها بآراء النقاد القدامى ، وبالمدارس الأدبية الحديثة ، وبآراء النقاد المحدثين وذلك لأن الحوار بين هذه النظرية وغيرها يصبح فى هذه الحالة حوار « الذوات » المستقلة . وفى هذا الحوار تستفيد نظرية الأدب العربى من غيرها استفادة مبنية على الثقة بالنفس ، والتفتح ، والايمان بأن الاحتكاك هو طريق الحياة ، وأن الانطواء هو طريق الموت .

د . محمود الربيعى

رءوف توفيق

السينما تطرق أبواب المنازل.. وتسأل عن الأطفال؟

● عندما يمتلئ العالم الخارجي بالجنون والوحشية.. يلوذ الإنسان بعالمه الصغير.. بيته

فيلم كرامر ضد كرامر

عندما تتعقد المسائل في العالم الخارجي ، ويصبح من الصعب محاولة الفهم والتفسير ٠٠ يدخل الانسان الى بيته ، ويغلق الباب وراءه ويحاول ان يلتقط انفاسه ، ويريح جسده المرهق ٠٠ ويبحث عن الحنان والفهم والأمان مع شريك حياته ٠

لأنه اذا كان العالم الخارجي الكبير، قد اصبح مليئا بالجنون والوحشية والعبث ٠٠ فانه لا ملجأ ولا ملاذ لهذا الانسان غير عالمه الصغير ٠٠ بيته !

الكارثة ٠٠ أنه قد لا يجد الراحة ايضا داخل بيته !!

فلا هو سعيد في الخارج ٠٠ ولا هو سعيد في الداخل !!

والوهم الكبير الذي يعيشه ذلك الانسان ، انه يستطيع ان يعزل نفسه عما يدور خارج جدران بيته ٠٠ وان يتصور ان بيته جزيرة معزولة ، مقطوعة الاتصالات والتأثر بما يحدث في الخارج ٠

ولكن ثمة أمل ٠٠ ان يستطيع ذلك الانسان أن يلملم شمل عائلته الصغيرة ٠٠ ويحميها من الانهيار ٠٠ وينجو

عصبية الأب .. وصمت الابن (فيلم عزيزى بابا)

الأب والأبن وعلاقة قوية (فيلم كرامر ضد كرامر)

السينما العالمية تعزف على أوتار القلوب والدموع !
عمليات الشد والجذب بين الأم والأب والحضانة

بها في قارب الحب والأمان وسط هذا الاعصار المجنون !

والسينما العالمية تحاول ان تتشبث بهذا الأمل ٠٠ وتطرق البيوت الصغيرة تبحث عن النموذج الذي تستطيع ان تعيد تقديمه على الشاشة لكي تعزف على اوتار القلوب ٠٠ وتضغط على المشاعر ٠٠ وتستحلب الدموع ٠٠ فربما غسلت هذه الدموع ، الشوائب التي تعلقت بالنفوس ٠٠ لتتيح مجالا جديدا للرؤية ٠٠ والفهم !

الفيلم الذي اكتسح الجوائز

وقد كان مثيرا للتأمل فوز الفيلم الامريكي « كرامر ضد كرامر » بخمس جوائز أوسكار هامة في مسابقة الأكاديمية الأمريكية للسينما هذا العام متخطيا بمراحل ساحقة الفيلم المذهل « نهاية العالم ٠٠ الآن » للمخرج « كوبولا » ، والذي يصور فيه بشاعة التورط الأمريكي في فيتنام ٠٠ فلم يفز هذا الفيلم الا بجائزة الصوت وجائزة أحسن تصوير !!

بينما يفوز فيلم «كرامر ضد كرامر» بجائزة أحسن فيلم ٠٠ وأحسن اخراج (المخرج روبرت بنتون) ٠٠ وأحسن ممثل (داستيني هوفمان) ٠٠ وأحسن ممثلة مساعدة (مريل ستريب) ٠٠ واحسن سيناريو وفاز بالجائزة المخرج بنتون ، فهو أصلا كاتب سيناريو ٠

ما معنى هذا الاكتساح الفني !

ومن قبل حقق هذا الفيلم نجاحا تجاريا هائلا منذ بداية عرضه في امريكا مع أعياد الميلاد في ديسمبر الماضي ، وتناولته الصحف والمجلات بالعرض والتحليل في احتفال خاص ومتميز ٠

وبالطبع سيزيد الاهتمام بهذا الفيلم بعد فوزه بهذا العدد من الجوائز الهامة في الاوسكار ٠

الطفل بين الأب والأم

ولكن ما الذي يقوله هذا الفيلم ٠

انه يقدم قصة بسيطة من داخل بيت امريكي يعيش تفاصيل الانفصال بين الأب والأم ٠٠ وتمزق مشاعر ابنهما الصغير في عمليات الشد والجذب بينهما ، ومحاولة حضانته ٠

فهذه العائلة الصغيرة من الطبقة المتوسطة ٠٠ حيث يعمل الزوج « داستيني هوفمان » بكل طاقته ليحقق أحلامه ٠٠ يفاجىء باصرار زوجته (ميرل ستريب) على طلب الطلاق ، بحجة انها تريد ان تحقق أحلامها الخاصة هي الأخرى ٠٠ وتبذل الزوجة كل ما في وسعها للحصول على الطلاق ٠٠ وتصبح الحياة مستحيلة بينهما ٠٠ ويوافق الزوج على الطلاق ٠٠

وتبقى مشكلة ابنهما الصغير الذي لم يتجاوز السادسة من عمره ٠ فتصدر المحكمة حكمها بأن يتولى الأب رعايته ٠٠ وتخرج الزوجة من البيت الى خضم الحياة تحاول تأكيد ذاتها ٠٠ بينما

نعيش على الشاشة تفاصيل العلاقة بين الأب وابنه .

فالأب هنا يواجه ابنه الصغير لأول مرة بهذا الشكل المباشر والحميم .. فهو يتعلم كيف يطعمه .. وكيف يسليه .. وكيف يحكي له الحكايات . وكيف يسهر على مرضه .. وتنشأ بينهما لغة خاصة تتأكد يوما بعد آخر .. وتزيد مفرداتها . ويتشابك عالم الأب مع عالم ابنه ليصنعا معا هذا المزيج المدهش من الارتباط والحب ..

وبعد عام ونصف من غياب الزوجة الأم .. تعود من جديد .. بعد ان أرهقتها ظروف الحياة ، لتبحث عن ابنها الصغير ، وتطالب بحضانته .. ويتلقى الأب هذا الطلب في ذهول وألم .

كيف يفترق عن ابنه .. أو بمعنى أدق كيف يتخلى عن هذا العالم الجميل الذي صنعه مع ابنه ! ..

ويمرض الأب من شدة التعاسة .. ويقترب منه ابنه ليخفف عنه ويرعاه .. ويحاول أن يجعله يبتسم بنفس الكلمات والايماءات التي كان يفعلها الأب معه في حالات مرضه .. ان الابن هنا يستخدم نفس مفردات اللغة المشتركة التي صنعاها معا !

وفي قاعة المحكمة التي تنظر قضية حضانة الابن .. تشرح الأم ظروفها بشكل مؤثر .. وينبري الأب في توجيه اللوم لها .. ويتبادلان معا الاتهامات .. فكل منهما له وجهة نظره .. وكل منهما عنده من المبررات ما يؤكد انه على حق .. وبقدر قسوة المواجهة بينهما .. الا ان الادانة الحقيقية لأسلوب الحياة الذي يجرد الانسان من انبل مشاعره !

مرحلة جديدة في السينما الأمريكية

وقصة الفيلم .. عادية .. وتتكرر يوميا في الشرق والغرب .. وربما تناولتها السينما العربية بأشكال مختلفة .. ولكن المثير في هذا الفيلم الأمريكي .. هذا الكم الهائل من الاحاسيس الصادقة والمؤثرة التي جعلت انسان هذا المجتمع الصناعي الهائل يتوقف أمام الفيلم ، ويتجاوب معه في قاعة العرض المظلمة . وتسيل دموعه من فرط الانفعال والتأثر .. ثم يخرج من قاعة العرض ليحكي عما شاهده .. وينتقل رد الفعل هذا الى الصحافة وأجهزة الاعلام الأخرى .. ثم يأتي التكريم الكبير في مسابقة الاوسكار ..

ولا تفسير لكل ما حدث .. سوى ان الفيلم استطاع ان يحدث الصدمة في وجدان الانسان اللاهث في السباق اليومي الرهيب .. وان يضغط على الجرح المؤلم الذي يحمله هذا الانسان ويمضي به محاولا نسيانه في زحام العمل !

فمشكلة عدم التوافق بين الازواج .. وتصارع الرغبات .. وبحث كل منهما عن اسلوب لتحقيق الذات .. ومشكلة الاطفال الذين يعانون هذا الاضطراب ، ويفتقدون الحب والحنان .. هذا الوضع الشاذ داخل البيوت

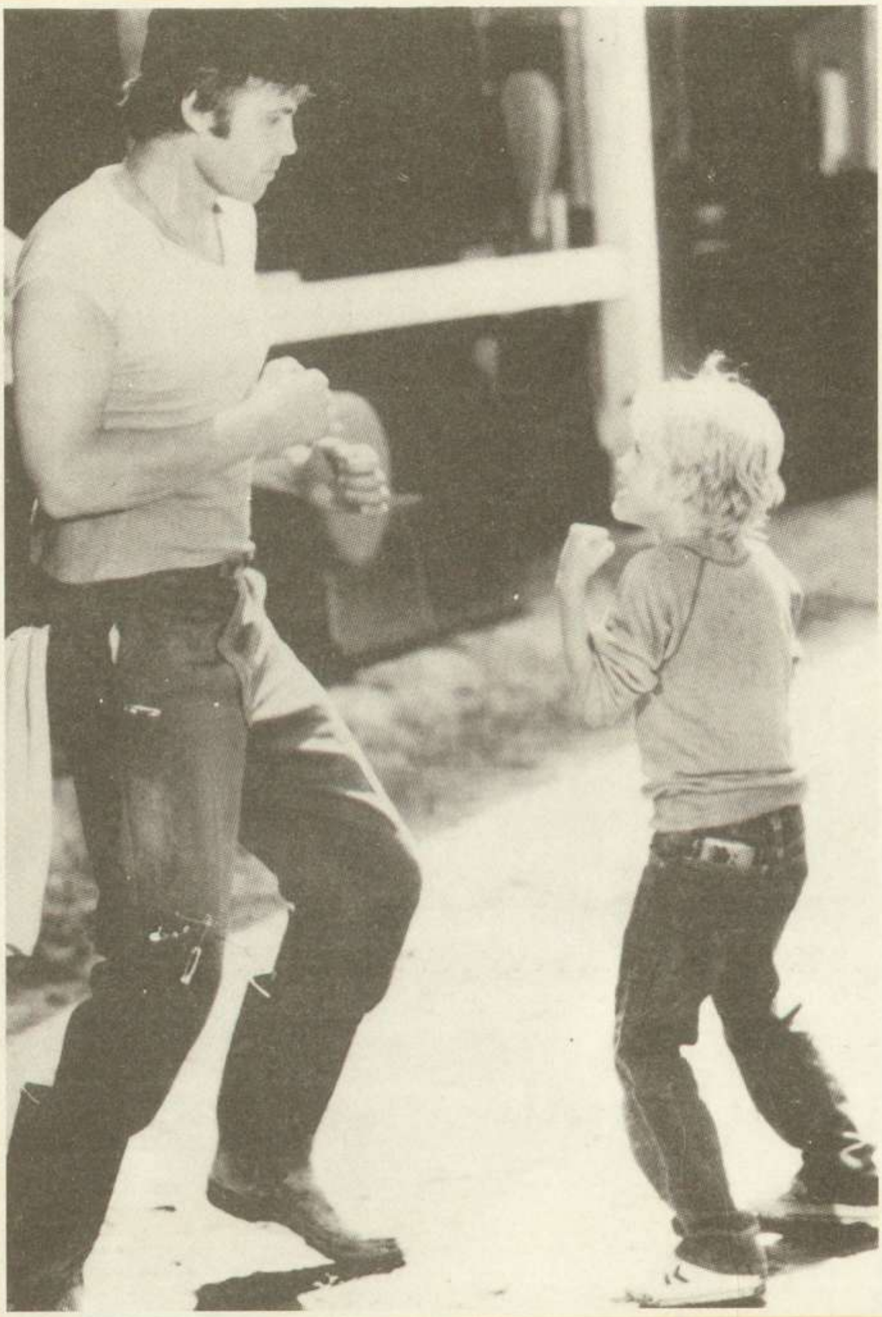

(فيلم البطل)

● قضايا الأسرة تلقى صدى في نفوس المشاهدين لأنها لصيقة بالواقع اليومي

الأم وابنها في لحظات النهاية مع موت الأب (فيلم البطل)

لحظة الم مؤثرة بين الأب وابنه (فيلم البطل)

المغلقة ٠٠ أصبح رغم عاديته ٠٠ موضوعا جديرا باعادة مناقشته !

وهذا الاتجاه في السينما الامريكية يجيء كمرحلة تالية بعد افلام الكوارث (الزلازل والفيضانات وسقوط الطائرات والقطارات ٠٠ الخ) وافلام الفضاء وحروب الكواكب ٠ والوحوش المتوقعة !!

ومن المتوقع ازدياد عدد الافلام التي تناقش قضايا الأسرة ٠٠ لأنها لاقت صدى في نفوس المشاهدين ٠٠ واكثر اقترابا من الواقع اليومي !

الأطفال ٠٠ والضغط على المشاعر

وبالرغم من ان ملامح هذا الاتجاه قد ظهرت بوادره منذ سنوات ، عندما قدم بعض المخرجين قضايا المراة في أفلامهم ، الا أن الورقة الأخيرة والتي اكتسحت مائدة اللعب ٠٠ هي اظهار الأطفال في أفلام قضايا الأسرة كنوع من الضغط على المشاعر ٠ !

ومما يذكر أن أحد العوامل الهامة لنجاح فيلم « كرامر ضد كرامر » هو ذلك الطفل الصغير « جاستين هنري » الذي لعب دور الابن الحائر بين والديه ٠٠ وفي التفاصيل التي أعلنت عن ظروف هذا الفيلم ، حكى المخرج (روبرت بنتون) عن الجلسات المتعددة لاختيار الطفل الذي سيقوم بدور الابن ٠٠ وكيف شارك في عملية الاختيار الممثل الموهوب (داستيني هوفمان) بحكم دوره في الفيلم ٠٠ وبحكم حبه الشديد للاطفال واسلوبه في معاملتهم وكسب ثقتهم ٠٠ حتى أنه أثناء تنفيذ الفيلم كان المخرج يعطي تعليماته للطفل من خلال «داستيني هوفمان» الذي يقوم بتوصيلها اليه بطريقته الجذابة ، ويتولى رعايته ، وتدريبه ٠٠ حتى أصبح الطفل يلاحقه كظله في الاستوديو !

وفيلم « البطل »

وبالرغم من كل أسباب النجاح والشهرة والتكريم التي صاحبت فيلم « كرامر ضد كرامر » الا أنه لايمكن اعتباره الفيلم رقم واحد في مرحلة افلام قضايا الأسرة وتمزق الأبناء ٠٠ فقد سبق هذا الفيلم ، وبشهور قليلة، عرض أحدث أعمال المخرج الايطالي الكبير « زيفاريللي » ٠٠ ذلك هو فيلم « البطل » الذي لعب بطولته (جون فويت) امام الممثلة (فاي دوناواي) ٠٠ وهذا الفيلم هو اول افلام المخرج الايطالي التي صورها في امريكا لحساب احد الاستوديوهات الامريكية ٠

وفيلم « البطل » عناصره أيضا : الزوج ٠٠ والزوجة ٠٠ والطفل ٠ وموضوعه ايضا : الطلاق وحضانة الطفل ٠

فهذا الملاكم (جون فويت) تركته زوجته ٠٠ وتركت معه طفلهما الوليد حديثا ٠٠ فهي لا تريد ان يعطلها شيء عن حلمها بالشهرة والثراء ٠٠ فقد اختارت مهنة عرض الازياء بأضوائها وعوالمها الصاخبة والمثيرة !

ويعيش الملاكم ظروفا سيئة ٠٠ نفسيا وماديا ٠٠ بعد أن فقد لقبه في الملاكمة وابتعد عن العمل ٠٠ ويصبح لا مورد له الا من خلال سباق الخيل ٠٠ ولا عزاء له سوى ارتباطه بابنه الصغير الذي ينمو بين يديه ٠٠ وتتشكل تدريجيا هذه العلاقة ٠٠ فالطفل يعتبر أباه « بطلا » ويناديه دائما بهذا اللقب ٠٠ ويسعى دائما ان يثير فيه حلم العودة الى البطولة ٠

ويستعرض الفيلم تفاصيل هذه العلاقة القوية الحميمة على مدى ثمان سنوات ٠٠

كل معاناة الأب ٠٠ وكل مراحل نمو الطفل ٠٠

وفجأة تعود الزوجة الأم ٠٠ بعد ان حققت كل احلامها في الشهرة، واصبحت واحدة من اهم عارضات الازياء في العالم ٠٠ انها تعود لتطالب بحضانة هذا الطفل الجميل الذكي ٠٠ ابنها ٠٠ الذي تلتقي به مصادفة في احدى جولات سباق الخيل !

ويحاول الزوج الأب ان يمنعها من هذه المحاولة ٠٠ فهو كان قد اخبر ابنهما ، ان امه قد ماتت بعد ولادته ٠٠ وظهورها من جديد قد يسبب لابنهما الطفل هزة نفسية ٠٠ ثم هو لا يريد أن يفقد ابنه ٠٠ فقد اصبح روحه وعقله ٠٠ ومحرك عزيمته !

ولكن الأم تصمم على موقفها ٠٠ ويكتشف الطفل حقيقة وجود امه ٠٠ ولكنه لا يستطيع ان يتعاطف معها!

ويقرر الأب أن يحقق حلم ابنه بأن يعود بطلا في الملاكمة ٠٠ ويبدأ التدريب الشاق من جديد ٠٠ والطفل يغذي هذا الحماس بابتسامته ٠٠

ورقتـه .. وبراءته .. وارتباطـه الشديد بأبيه .

ويختار الأب ان يواجه احد المنافسين الشبان في الملاكمـة .. وفي يوم المباراة يتابع الطفل عودة أبيه الى حلقة الملاكمة ، والاضواء والجمهور .. ويستمد الأب كل قوته من فرحة ابنه .. ويبذل أقصى ما عنده لكي يفوز ، ويستحق اللقب الذي يحلم به ابنه .. وفعلا يفوز .. ولكن يلفظ انفاسه الاخيرة بعد خروجه من حلبة الملاكمة بلحظات !!

لقد حقق الحلم لابنه .. وعاش من اجله .. ومات !

واستطاع المخرج « زيفريللي » ان يقدم في هذا الفيلم مشاهد بالغـة العذوبـة ، ونجح في ان يجعـل المشاهدين يزرفون دموعا حـارة .. وان يعلق الانظار بهذا الطفل (ريكي شرودر) الذي اختاره من بين الفي طفل في مسابقات متتالية اجراها لكي يعثر في النهايـة على هـذه المعجزة السينمائية !

الخروج عن القاعدة المألوفة

والملاحظ في هذين الفيلمين : « كرامر ضد كرامر » و « البطل » ان قصة الفيلم تتجه ناحية الأب .. وبالتالي الخروج عن القاعدة المألوفة بارتباط الطفل بأمه .

والخروج هنا يكثف حدة الصراع الدرامي .. ويتيح مجالا اكبر لمزيد من التفاصيـل التـي من الممكن ان تعرض نتيجة حرمان الطفل من الأمومة .. وفي نفس الوقت نشوء الارتباط بالأب .. وصعوبات تكيف الأب بهذا الارتباط والمحاولات الطويلة والصعبة لفهم نفسية الطفل والالتزام بطلباته ورعايته .. وكسب ثقته .. وحبه !

وعن العلاقة بين الأب وابنه ، قدم المخرج الايطالي « دينو ريزي » فيلمه « عزيزي بابا » الذي بدأ عرضه عالميا في منتصف ٧٩ مع بداية عرض فيلم « البطل » .. ولكن فيلم «عزيزي بابا» لم يحقق النجاح المماثل ، ولم يثر هذا الاهتمام النقدي والاعلامي ، بالرغم من انه قد يكون احد البدايات الملحوظة فى مرحلة أفلام قضايا الأسرة .

فالفيلم يختار العلاقة المتوترة بين أب بالغ الثراء ، وابنه الشاب الذي يستكمل دراسته في احدى جامعـات رومـا .. والذي يرفض تمامـا كل أساليب والده في الحياة ، وهو يعبر عن رفضه بالصمت والزهد ، وعـدم الدخول في اي مناقشة مع أبيه .

ويكتشـف الأب (يلعـب الدور : فيتوريو جاسمان) في احدى محاولاته لفهم ما يفكر فيه ابنه .. بمذكرات مقتضبة كتبهـا الأبن .. ليفاجأ بأن ابنه ينضم الى احدى الجماعات الارهابية في ايطاليا ، والتي تستهدف اغتيال كبار الرأسماليين .. !! .. وأمام هذه الحقيقة المذهلة ، يحاول الأب أن يفض أستار الصمت والعزلة بينه وبين ابنه .. ولكن لا يصل الى شيء .. فيحاول رشوته بالثروة والرفاهية .. ولكن الأبن يرفض تماما هذا الاسلوب وتتعقد المسائل بينهما .. حتى تأتي المصالحة في النهاية بعد اصابة الأب في حادث غامض .. هنا يتقدم الابن وفي صمت وعلى وجهه ظل ابتسامة هادئـة ويدفـع برفق وحب الكرسي المتحرك الذي يرقد عليه الأب !

وفي طول مشاهد ذلك الفيلم ، لا نلمح وجود الأم .. الا في لحظات قصيرة .. فهي بعيدة تماما عن المكان .. وتعيش في سويسرا مـع ابنهـا الصغير .. وحجتها انها تخاف من موجات الارهاب التي تسود ايطاليا !!

وهذه العلاقات المعقدة .. دائما ما تكون نتيجة لغياب الأم ولأسباب انانية جدا .. وشخصية جدا .. !

ماذا في السينما العربية ؟

واذا كانت السينما العالمية .. قد عادت لتطرق ابواب المنازل بحثا عن القيمة الحقيقية والأصيلة في بنـاء الأسرة .. وبالتالي بناء المجتمعات .. فانه من المؤسف تمـامـا ان تتجاهـل السينمـا العربية هذه الموضوعـات الانسانية ، وتتكاسل عن رصد كل الظواهر الغريبة التي القت بظلالها على بعض منازلنا.. واتذكر هنا ما قاله لي شيخ المخرجين السينمائيين : في مصر الاستاذ احمد كامل مرسي ــ ٧١ عاما ــ انه حزين جدا لان السينمـا المصرية ابتعدت عن افلام الأسرة .. واتجهت الى تقليد افلام الغرب في العنف والاثارة .. وعلى حد تعبيره : (اذا شاهدنـا أفـلام الاربعينـات والخمسينات في السينمـا المصرية نجد ان عددا كبيرا من الافلام تناول قضايا الأسرة والعلاقات والروابط الانسانية التي تدعم بناء الأسرة والمجتمع .. وبالرغـم من ان بعض المعالجـات السينمائية في ذلك الوقت قد تبدو سطحية أو ساذجة الى حد ما .. الا انها لو استمرت .. لكانت تطورت ونضجت اكثر . ولكنهـم تركوها . واهتموا بابراز موضوعات الانحراف .. ولهذا انا حزين جدا) !!

والآن .. وبعد ان عادت السينما العالمية الى موضوعات الأسرة .. هل تعود السينما المصرية ــ أو العربيـة عموما ــ الى هذه الموضوعات ، حتى ولو من باب « الموضة » ! !!

انه شيء مضحك حقا .. !!

ولكن .. كم في حياتنا الثقافية والفنية من المضحكات المبكيات ؟ !!

رءوف توفيق

(الطفل يعلن فرحته بفوز أبيه (فيلم البطل)

قصائد يافية

شِعْر : هارون هاشم رشيد

(١)

شباك أبي

على الميناء عند الشط ،
في « يافا » شباك أبي
تركناها معلقة
بوجه الشمس ، والسحب

● ●

تركنا عندها أكباد
صيادين تواقين للبحر
أحبوا عودة الرواد
عند تنفس الفجر
تركناها وفي أنفاسها
أنفاسنا مشدوهة الوجد
على وعد تركناها
ترقب لحظة العود

(٢)

ميدان الساعة

ترى ما زالت الساعة
في الميدان تنتصب
تراها لا تزال تدق
أم تشكو ، وتنتحب

● ●

ترى شلت عقاربها
أسى ، وتوقف الزمن
أعشش في زواياها
الغراب ، تسلل العفن

● ●

فكم من موعد ضربت
لنا كم لحظة حلوة
كخفق القلب دقتها
تردد غنوة غنوه

● ●

(٣)

الاعين الظمآى

تدور الأعين الظمآى
تنقب ، تنبش الذكرى
فتبصر في زواياها
روائع تمرع العمرا !

● ●

شوارع حلوتي « يافا »
متاجرها ، مبانيها
وقد زينت بأغلى الناس
قد زينت بأهليها
ترى ، مازال في أنحائها
يتجاوب الصوت
أم أن الليل غطاها
وأسدل فوقها الموت

(٤)

شيخ

هنا شيخ على عكازه
أهوى ، وما نهضا
حزينا أغمض العينين
اسلم روحه ، وقضى

● ●

ويدري يوم ودعنا
وظل كجذع زيتونه
بأن وراءنا ريح
الشتات تهب ملعونة

(٥)

هنا يافا

هنا « يافا » ولا ترتد
عن « يافا » الخيالات
تحوم فوقها وتدور
أطيار مشوقات

● ●

هنا « يافا » شبابيك
مغلقة ومهجورة
هنا أشلاء بستان
هنا انقاض نافورة

● ●

هنا أثر لمدرسة
بقايا معهد هدما
كوجه شاحب في الارض
ينزف حسرة المًا

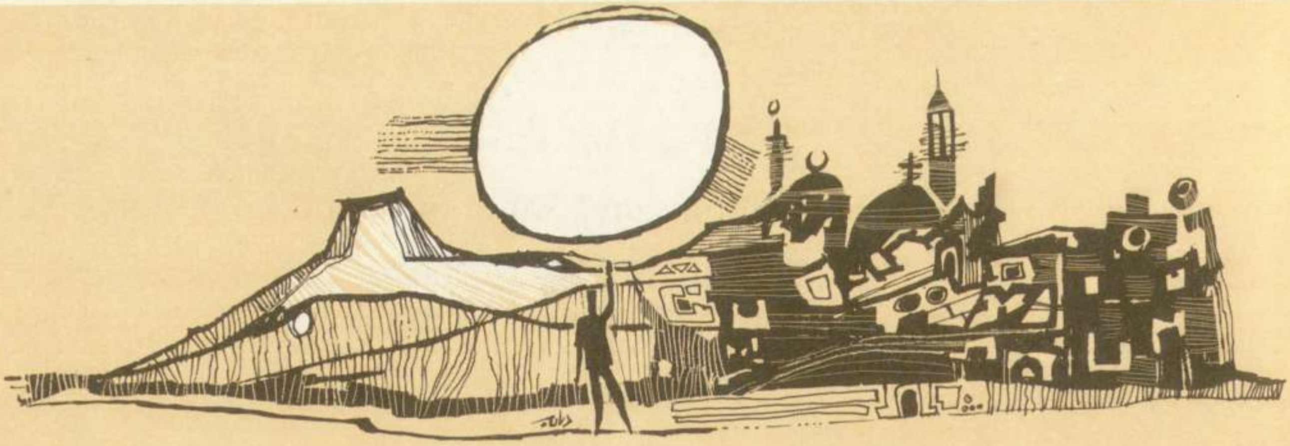

(٦)

بيـــاره

وتنهـض من كـرى
الآلام ، والاشجان بياره
تنـاثر زهرها ارخى
عليهـا الحزن استاره

●●

تفتـش عن فتـى
بالامس انعشها ورواها
ومـد عروقه فيهـا
ومن عينيـه اعطاها

●●

وتبحث عن صـغيرته
تدور كنحلة الزهـر
هنا وهنـاك مثـل
فراشة تختـال في كبر
وتذكر كيف فـي يوم
كئيب الوجـه مسود
رماهـا غادر القى
بهـا للموت للحـد

(٧)

كتــاب

وفي احـدى الزوايا
حيث غام الصمت وانتشرا
كتاب حرفه العـربي
باق بعد مـا انتشرا

●●

كتاب يحمـل التاريخ
والأنســاب والأسـماء
يقول هنا تراث العمـر
أشرق خالـدا واضاء

●●

ويحكي قصـة « يافا »
ترددهـا ٠٠ وترويها
وكيف بشعبها صمدت
وقاتل كل من فيهـا
ويروي ، والأسى يقطـر
من سـطر الى سـطر
قتالا دار فـي الاحيـاء
من شـبر الى شـبر

●●

وينقـل فـي فواصله
اشـارات النـداءات
ليـافا وهي ثابتـة
تواجـه بالبطـولات

●●

ولا صـوت يـرد ولا
صـدى يأتي لنصرتها
ويافا وحـدها وقفت
تدافـع عن عروبتها

●●

ومثـل تدفق الامطار
تدفق فوقهـا النـار
تجيء على نواصيها ،
فتهوي الدار فالـدار
وينتفض الكتاب تثـور
فيـه حروفه الثكـلى
ويشمخ وجهـه العربي
ليبقى الرائع الأغـلى

خاتمـة

هنا « يافا » فياويـلاه
يـا ويـلاه ٠٠ يـا يافا
وقـد مزقت احيـاء
وانحـاء ، وصفصافا

●●

حبيبتنا ، وان طـالت
بنـا السـنوات ننتظر
وأغرقنا الى الاعنـاق
بات يحيطنا الخطـر

●●

تظل العين شاخصـة
اليك ٠٠ وليس تنتقـل
فتلمـح كيف من ليـل
الخرائب يشرق الأمـل

جمال الكناني

ادجار ألن بو
عبقري عاش ميتا في وطنه

أزمته أنه وُلِد في زمن أمريكي لا يأبه إلا بالربح

كاتب يحملنا بكلماته إلى أقصى حدود الخوف

شخصياته أسود صور نرسمها نحن لأنفسنا

قال الكاتب الشاعر الناقد الامريكي « إدجار الان بو » في قصته بعنوان « قصص آرثر غردون » :

« وارتمينا في احضان الشلال ...وانفتحت هوة سحيقة لتبتلعنا ولكن اعترض سبيلنا شبح ادمى ملتف في اكفان ... كان في تكوين أجزاء جسمه اضخم مما عرفنا من الرجال ، وكان بياض جلده يضاهي بياض الثلج » ....

وفي الساعة الثالثة من فجر يوم الاحد ٧ اكتوبر ١٨٤٩ انفتحت هوة عميقة في العالم الآخر لتستقبل إدجار الان بو أو لتستضيف روحه ... وكان اخر ما لفظ من كلمات « اللهم أعن روحي الضعيفة » ..

ولعل في هذا الضعف مايفسر اللغز الذي كان حياة هذا الكاتب الشاعر الناقد الذي قال فيه جورج برنارد شو « لقد تم اكتشاف أمريكا .. أما «بو» فلم يكتشف».ترى كيف عاش هناك أرق الفنانين رقة ؟ هذا الرجل الذي يعتبر بفطرته وغريزته ارستقراطي أنكلم ؟ واحسرتاه ! إنه لم يعش هناك ... لكنه مات هناك .. وقالوا عنه إنه سكيرفاشل مع اننا مازلنا حتى اليوم نتساءل عما إذا كان «بو» قد شرب من الخمر طول حياته كلها قدر مايشرب الامريكي العادي في ستة أشهر .

وهكذا نرى أن موضوع إدمان «بو» على الخمر كان مادة للجدل وموضوعاً لنقاش حاد دار بين من عاصره وبين من خلفه من رجال الأدب ...

الاحلام المزعجة

في اعماق كل منا ، مطويا في ظلال نفسه ، يكمن جزء من إدجار الان بو ، يتجسم في خوفنا من المجهول.خوف لايقوم على اساس من تفكير أو ركيزة من منطق ... خوف من الظلام .. رعب من الجنون ، ومقت للانحلال والضمور والبلى ، وشعور بالعجز تجاه الموت ... احاسيس نحبسها في عقلنا الباطن ، ونسجنها في اللاشعور ... و «بو» يلمس فينا كل هذا وكأنه ابرة حادة تخز عصبا من اعصابنا ... فنحن نرى في قصصه مانرى من احلام مزعجة ، تعرض في العلن وتوضع تحت مجهر يحللها ويعقلنها ... وما تلك الكوابيس أو الاحلام المزعجة إلا محفات تحملنا في رحلة إلى أبعد طيات نفوسنا .

وسر حبنا لهذا الكاتب وتعليل سلطانه على قرائه الذين يقبلون منه – دون جدل – افكارا وشخصيات وهمية، ويصدقون ما قد يثبت لهم بعد الفحص انه خدعة ... هو أن هذا الكاتب يقود قراءه ويحملهم على اجنحة كلماته الى اقصى حدود الخوف ، وهو خوف أن تنكشف نفوسهم وتفشى اسرارهم ... فما شخصيات «بو» إلا أسود صور نرسمها نحن لانفسنا .

ادرك «بو» بحاسته الشاعرية – وهو يعتبر نفسه شاعرا قبل أن يكون كاتبا – أن الانسان قادر على ان يواجه أي شيء وكل شيء ... إلا نفسه .. فالانسان لا يتردد في ان ينسب الى نفسه كل صفات القوة وأن يتباهى بكل ما يصيب من نجاح ولكنه يلوم الحظ والنجوم والقضاء والقدر والطبيعة والشيطان على مافيه من نواحي الضعف وما يصادف من فشل أو يرتكب من أخطاء ... و«بو» نفسه لم يبرأ من ذلك ، فقد عرفنا فيه رثاءه لنفسه واشفاقه على ذاته وشعوره بالاضطهاد واعتزازه الأعمى بنفسه واعتماده المؤلم على الغير ... كان يرى نفسه فريسة للقدر كما صورها في بطل قصته « سقوط بيت آشر » .

على أن «بو» أحس في الوقت نفسه أن هناك أكثر من وسيلة للهروب ، منها مثلاً: ملكة الفكر التحليلي (مثل رجل البوليس السري في قصته « جرائم القتل في شارع مشرحة الجثث ») أو تحرير الروح ، وقد عبر عن ذلك في بعض قصائده ... على أن «بو» لم يسر بعيدا في هذه الطرق إلا بخياله ، وعلى ذلك فشخصياته الخالدة التي لا تنسى هي تلك التي رسمها على طراز نفسه ، سجينة في جحيمها الخاص ، تعكس الحالة الانسانية في محيط يتعدى الخبرة والتجربة الواعية .

ويجدر بنا أن نتحدث عن جحيم «بو» وكيف وصل إليه وكيف حاول أن يهرب منه وكيف أن هذا الجحيم كاد أن يبتلعه ولكنه تغلب عليه بشعره حينا وبقصصه القصيرة حينا اخر .

وقصة إدجار آلان بو مأساة من مآسي الأدب .. وحياته مروعة مقبضة الى أقصى حد بلغته قصصه المرعبة ... تراه من ناحية ، يعترف علنا بحبه للجمال ، وهو شاعر عاطفي رومانسي قوي يعشق الجمال والمثالية ... وهو من ناحية أخرى

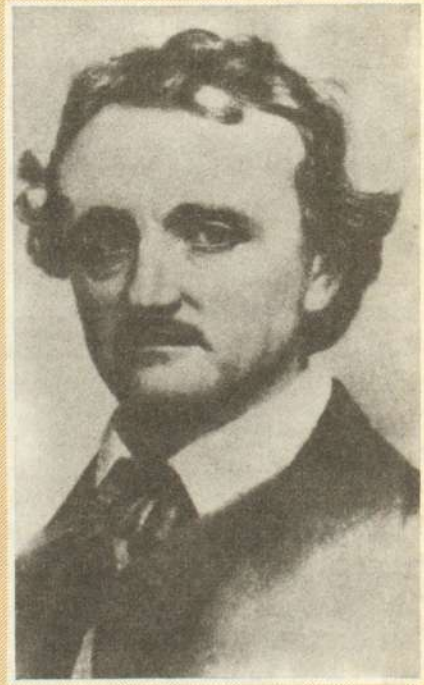
ادجار الن بو

برنارد شو

وولت ويتمان

رجل حكم عليه القدر بان يقضى ايام شبابه فى فقر وبؤس ومرض ومسغبة ... وأن يموت ، وهو فى رأى اقرانه ، رجل فاشل ... ومع ذلك ... يذيع صيته ويلمع اسمه بعد موته ... قصصه تتمتع اليوم بشعبية ... وشعره يردده تلاميذ المدارس وينشده المطربون ويتنافس الأدباء فى كتابة سيرة حياته ومنهم كثرة تشير الى عبقريته ... فقصة إدجار آلان بو تبدو وكأنها قصة كلاسيكية لرجل عاش خارج عصره ، أو لفنان احتقره ، بل تجاهله معاصروه وهو حي يعيش بينهم ، واعترف الناس به بعد موته .

ولا تقف قصة « إدجار آلان بو » عند هذا الحد.

كان من سوء طالعه انه ولد فى أمريكا التى كانت إذ ذاك فى قبضة حمى الديمقراطية والتنمية الاقتصادية ، لاتعنى أو تابه بنواحى الحضارة التى لا تعود بربح ملموس مثل التعليم والفنون .... ولعل برنارد شو كان قد أخطأ إذ قال فى عام ١٩٠٩ إن «بو» و «وولت وتمان» (هما الرجلان الوحيدان اللذان ولدا منذ إعلان استقلال أمريكا اللذان يمكن بدفاعهما أن ينقذا امريكا من اللعنة يوم الحساب) على أن الخطأ لم يكن خطأ أمريكا وحدها ، بل هو خطأ لادجار الان بو نصيب فيه .

كان «بو» على حد قول «ديفيد سنكلير» الذى ارخ له ، مصابا بنوع خبيث من مرض السكرى ، فكان اذا شرب حتى اقل القليل ، ثمل بدرجة شديدة وترنح ..

بالاضافة الى ذلك يعانى من عيب نفسانى .. هو الافراط فى اعتزازه بذاته مما جعله يرسم لنفسه صورة لم يستطع هو تحقيقها ما عاش ... كان يتصور نفسه «جنتلمانا» مهذبا علاّمة أديبا من واجب العالم أن يعترف بفضله وأن يساعده ويثيبه ، فلما لم يستجب العالم لذلك حقد على الدنيا وما فيها ... وكان وراء ذلك كله اعتماده المزرى على النساء وهو ضعف نعلله بانه فقد امه فى سن مبكرة ،وأنه كان يلاحق المثل الأعلى للحب والجمال .

وليس غريبا أن يضع بعض النقاد « ادجار آلان بو » فى مصاف العباقرة فقد كان نصيبه من المواهب وافرا ... ولكن شخصيته التى كانت تتجسم فيها قوة هائلة كانت فى الوقت نفسه تحتوى على نواح من الضعف خطيرة ... كان «بو» كاتبا موهوبا قادرا على الانتاج الأدبى رغم ماكان يواجهه من المصاعب والمرض وخيبة أمل وإعراض ... ولكن اعظم قدراته وقوته كانت هى ملكته الفريدة وقدرته على التعمق فى فحص ما فى ذاته من اضطراب عصبى وظيفى وترجمته الى قصص تلهث انفاس من يقرؤها .

ازدواجية الشخصية

كانت فكرة الموت تسيطر على قصص الرعب وعلى بعض القصائد التى كتبها «بو» ، وتدلنا دراسة حياته على وجود مايبرر تاثره بهذه الفكرة ، التى كانت ، وهى تتحول من تجربة واقعية الى قطعة أدبية ، تتخذ صفة مختلفة وتزيد فى الدلالة زيادة كبيرة ... كان «بو» يحاول أن يصل الى نوع من التفاهم أو المهادنة مع فكرة «الموت» .. فهو يعترف بالعلاقة بين النوم والموت ، وبين الغيبوبة والموت وبين العقل المضطرب والموت ... ونحن اليوم نسأل نفس السؤال الذى كان «بو» يسأله قبل قرن ونصف قرن .... هل الموت مجرد حالة عدم انتظام ؟ ... مكتشفات «بو» وجولاته المقبضة فى مخاوفه واحلامه المزعجة هى فى الواقع تعبير عن المشكلات التى شغلت افكار العلماء والفلاسفة عبر التاريخ وهى مازالت تشغلهم حتى اليوم ..وفى ذلك تكمن عبقرية «بو» .

على أن احداً فى أمريكا لم يعترف بهذه العبقرية أيام كان «بو» حيا يكتب وينظم ... لم تكن لهذا النبى كرامة بين اهله ... فالذى آمن به فى فرنسا كان «بودلير» الذى ترجم بعض نثره «ومالارميه» الذى ترجم بعض شعره و«جاى دى موباسان» الذى تاثر بكتاباته ، وفى انجلترا «إليزابيث باريت» و «تشارلز ديكنز» .

ويدين أدب «بو» بالكثير لتيار الرومانسية الذى تأثر به ، ولأحلامه المحمومة التى سلط عليها قدرة نادرة على نسيج اقمشة ملموسة من خيوط غير محسوسة ... كان إذ يتظاهر بالموضوعية والفورية بين إنتاجه على اسلوب مدروس يدعمه ما حاز الكاتب نفسه من مواهب . أما الذى رفع شانه كناقد واديب معترف به فهو قدرته على الحكم الصحيح على الأدب فى عصره ومثاليته وموهبته الموسيقية كشاعر وقوته الدرامية فى سرد القصص .

ويكاد يجمع العارفون على ازدواج شخصية «بو» ... كان رقيقا غاية الرقة مع من يحبهم وكان مزعجا كل الازعاج لمن يكرههم .. وكان هؤلاء يرون فيه انسانا منطويا مجردا من المبادىء،على أن الشاعر كان فى حالاته العادية رقيقا وكان محدثا لبقا ، يقرأ شعره وشعر غيره بصوت رخيم للغاية .

ويمكن أن نلحظ هذه الازدواجية فى فن «بو» .. فهو قادر على أن ينظم شعرا ملائكيا أو شيطانيا وهو قادر على أن يكتب نثرا بليغا سلساً أو نثرا مقبضا ولكنه فى أمهات اعماله ودرره الفنية ، استطاع أن يصهر هذا الازدواج فى واحد مفرد جمع النقيضين فجعل الحسن جميلا والرعب اجمل .

كان «بو» ناقدا مبدعا يؤكد فى نقده على ناحية سلامة اللغة والوزن والبناء كما انه وضع للقصة القصيرة قواعد تجمع بين وحدات الزمان والمكان والحركة ، تضاف الى الاثر أو الحالة النفسية ... نادى «بو» طول حياته بالفن للفن ذاته وامتدح الاصالة والابتكار لأنه كان أصيلا مبتكرا مبدعا .

جمال الكنانى

أكذوبة مساواة المرأة بالرجل !

ما هذه الضجة التي تقيمها المرأة العربية ، وما معنى كلمة « المساواة » التي تطالب بها ؟!

هل تدهورت بنا الاحوال الى الدرجة التي أصبحت فيها المرأة – وهي كائن بشري درجة ثانية – تطالب بالمساواة بالرجل الذي لولا وجوده على الارض ، لظل هذا الكوكب كما كان عند خلقه الاول – مكونا من الماء والطين ؟!

عدد كبير من الرجال – واضح انهم من ضعاف العقول – مضوا يدافعون عن المرأة بطريقة مضحكة ويقولون انها لا تختلف عن الرجل بدليل وصول بعض النساء الى المراكز العالية ، مثل المرأة التي أصبحت كبيرة للوزراء في بلاد السند والهند ، ومثل بضع نساء في البلاد « البرانية » جلسن على كراسي الحكم ، فضلا عن كثيرات في بعض مراحل التاريخ ، كالمرأة المسماة بشجرة الدر ، والاخرى التي تسمى كليوباترا ، وتلك التي تدعى فيكتوريا ، علاوة على الملكة العربية التي يطلقون عليها اسم « زنوبيا » .

لكن هذا الكلام لا ينطلي علينا لسبب بسيط .. هو أن النساء المعاصرات اللاتي وصلن الى كراسى الحكم يعشن في بلاد بعيدة لا نعرف عنها شيئا ومن ثم لا نستطيع أن نحكم ان كان هذا قد حدث أو لم يحدث ، وبالتالي فلسنا مطالبين بالرد على موضوع نجهله !..

أما الشخصيات التاريخية ، فان (كليوباترا) ما هي الا امرأة من بلاد ما وراء البحر ، حكمت بلادنا . بطريق الخطأ ، والخطأ لا يصح أن يكون قاعدة ، ونفس هذا ينطبق على (شجرة الدر) التي نعلم جميعا انها بيعت لنا من بلاد مجهولة ، وقد قبلنا شراءها خوفا عليها من (البهدلة)! لكنها طلعت لنا في (الأنظرون) !

بخصوص المرأة المسماة بفيكتوريا التي رضي الانجليز بان تحكمهم ، فكلنا نعلم أن بلاد هؤلاء الناس باردة جدا ، وهذه البرودة هي التي تسببت في افتقار رجالهم الى الشهامة التي نتميز بها نحن أبناء المناطق الحارة . بدليل أن الروس المعاصرين يريدون الوصول الى المياه الدافئة بغرض تطعيم رجالهم بالشهامة التي يحسدوننا عليها !

المرأة الوحيدة التي تنتسب الينا حقا ، تلك التي تدعي « زنوبيا » ملكة « تدمر » .. ونحن نعترف بأنها جلبت لنا العار وفضحتنا في العالمين، لكنا نحب أن نقول انها امرأة غير طبيعية ، فقد كانت منذ صغرها تدخن السجائر ، وقد حاول أبوها أن يقتلها فلم يستطع ، فاضطر الى ان يتبرأ منها ، وهذا الكلام ثابت رسميا في مكاتب السجلات المدنية لمملكة « تدمر » !..

فاذا انتقلنا الى زاوية أخرى ، وجدنا بعض الرجال من ضعاف العقول يقولون ان الحضارة التى يزعم الرجل انه أقامها كان من المستحيل قيامها لولا وجود المرأة .. لأنها هي التي أنجبت الرجل وأرضعته وادفأته في حضنها الحنون ، وتولته بالرعاية حتى استوى على قدمين .. كذلك يقولون انها أخته وحبيبته وزوجته التي تشجعه وتدفعه الى الأمام ، وتفخر بكل تقدم يحرزه ، وتمسح على جراحه اذا ما ادلهمت الدنيا وغاب القمر ..

نقول لضعاف العقول هؤلاء ، اذا كانت هي أمه التي أنجبته وأرضعته وآوته في حضنها الدافيء ، فان هذه التصرفات من بقايا المجتمعات البدائية الموغلة في القدم والتي نربا بانفسنا عن الاخذ بها .. ذلك لأن أبسط وزارة زراعة في العالم ، اذا ما أرادت لن تغرق الاسواق بكميات من الدجاج الطازج، فما عليها الا أن تحضر بضع ملايين من البيض ، ثم تدفئها بالوسائل الصناعية ، فلا تمضي أيام حتى تجد أمامها ملايين الكتاكيت ذات الاشكال التي تسر الناظرين .. فاذا كنا نطرح في الاسواق هذه الكميات الهائلة من الدجاج الطازج ، وبهذه البساطة ، فهل يستعصي علينا طرح ملايين الاطفال – الذكور – بنفس الطريقة ؟!

أما حكاية أنها أخت الرجل وحبيبته وزوجته التي تمسح على جراحه عندما تدلهم الدنيا ويغيب القمر ، فهذا كلام غير مقنع ولذلك قررنا عدم الرد عليه .. والدليل على أنه غير مقنع هو قولهم بانها تمسح على جراحه عندما يغيب القمر ، بينما أبسط انسان يعرف أن القمر يغيب حقا ، لكنه يعود ويطلع في أول الشهر !..

بعض ضعاف العقول يقولون ان « المساواة » أصبحت حقيقة واقعة ، فلو نظرنا حولنا لرأينا المرأة في كل حياتنا .. فهى طبيبة وصحفية وممرضة ومهندسة وأديبة وأستاذه جامعية ، فاذا لم تكن بالعدد الذي عليه الرجال ، فالسبب يعود الى ظلم الرجل التاريخى لها الذي حجب عنها هذه الاعمال .. ويضيفون بانها كثيرا ما تفوقت على الرجل في هذه المجالات، فلا داعي لدفن الرؤوس في الرمال .

عبد الوهاب الأسوانى

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن بعض (المشاغبات) قد تسللن الى هذه الاعمال – في غفلة منا – لكنا لا نالو جهدا فى هز الثقة فى انفسهن ، ونرجو أن نتمكن – باذن الله – من أن نملأ نفوسهن بالعقد النفسية حتى تعود السيادة الينا من جديد بصفتنا كائنات درجة أولى !

أما حكاية أنها استطاعت في بعض هذه الاعمال ان تتفوق على الرجل ، فان هذا يحدث – والحق يقال – في بعض الأحيان ·· لكن هذا لا يدل على أنها يمكن أن تصل الى مرتبة المساواة بالرجل ، لأنها ستظل متخلفة في الحرب ووسائل الحرب ·· ونحن نتحدى ضعاف العقول هؤلاء ان يدلونا على امراة واحدة اخترعت طائرة – تلقي بقنابلها فوق الناس – أو صاروخا عابرا للقارات – يدمر المصانع – أو دبابة تفتك بالبشر ، أو يدلونا على امراة واحدة أشعلت حربا عالمية أو حتى محلية على نطاق محترم يملأ العين !

لا يوجد ··

بينما الرجال – حفظهم الله – قدموا الكثير في مضمار الحرب التي هي المقياس العقيقي للعظمة الانسانية ، لأنها السبب في وجود الفن كما أخبرنا بذلك رجل مهم من أصحاب العقول النظيفة !

لقد استطاع هتلر – مثلا – أن يشعل حربا عالمية ، وقد نجح – مساه الله بالخير – في أن يجعل النار تندلع على الكرة الارضية من أولها البحري حتى آخرها القبلي ··

ولو كان هتلر هذا امراة – لا قدر الله – لكان هش القلب ، ولرفض أن يهدم المدن فوق رؤوس أهلها ، ومن ثم لعرمنا من أفلام الحرب العالمية الرائعة التي نستمتع بمشاهدتها الآن ، ونحن ندخن في هدوء ونشرب شاي العصر !

ولا أحد طبعا – ممن يتشدقون بالمساواة – يستطيع أن ينكر حاجة الانسان المعاصر الى الفن !

الحب .. دائما

شعر : عصام الراوى

ما أجمل أن نحيا حباً
أن نلمس كل الأغصان فتزهر
أن .نسقى ورداً فلاً نرجس
أن نمسح دمعة طفل باك وحزين
أن نمحو عن كل الناس سواد الافكار
أن نرسم فوق الأوراق
وعلى كل جدار
طفلاً .يضحك

••

سألوا بنت العشرين
مامعنى الحب ؟
قالت :
عصفور غنى فوق الأشجار
يطرح فى قلبى نهر الأشجان
يلبسنى ثوب زفاف كل الأيام
سألوا شيخ الخمسين
ما معنى الحب ؟
قال :
يجعلنى شابا فى العشرين !
ما أجمل أن نحيا حباً فى كل الأعمار

جمـــال قطـب

روائع الفخار والخزف الاسلامى

● مهما كشفت الحفائر عن حضارات موغلة فى أعماق التاريخ .. فإن الآثار الفخارية تمثل الجانب الاساسى والبدائى فى مخلفات هذه الحضارات

لاشك أن أقرب الفنون الزخرفية والتطبيقية الى روح الانسان ، بل واكثرها التصاقاً بالارض هى صناعة الفخار والخزف ، وأن من يشاهد صانع الفخار ، ولاسيما عاجن الطين ، وهو يشكل تلك الأوانى الاسطوانية المثيرة ، ليشعر بقوة الامتزاج بين الانسان والطين . وصدق الله العظيم : وبدأ خلق الانسان من طين .. !

ومن الطبيعى أن تكون آثار الخزف والفخار هى أول ما يعثر عليه المنقبون بين الأطلال ، فهى من التراب ، وتبقى فى باطن الأرض ما بقيت الأرض نفسها ، وإذا كانت معظم مخلفات التراث الانسانى تتكلس وتتحجر بين طبقات التربة وتراكمات الأزمان ، فان الآثار الفخارية بحكم تكوينها لا تقبل المزيد من التحول أو التحجر أو الانصهار كغيرها من الخامات الأخرى .

ولقد تقدمت فنون هذه الصناعة فى العصور الاسلامية تقدماً كبيرا : إذ فتح الاسلام اقطارا كثيرة ذات تراث عريق فى مضمار هذا الفن ، وخصوصاً فى ايران والعراق ومصر والشام ، ولكن صناعتها قبيل الفتح الاسلامى أخذت فى التدهور للخلل العام الذى اصاب هذه البلاد حينذاك ، وبظهور الاسلام وانشاء المدارس الفنية فى عهوده المزدهرة ، وجدنا أن الانتعاش يدب فى كل مرافق الحياة ، وعبر الفن عن تلك الروح المترفعة المقدسة ، ووجدنا أن فنون الفخار والخزف قد بلغت حد الروعة فى ايران والعراق ومصر بوجه خاص .

ولم يكتف الفنان المسلم بزخارف الارابيسك المعروفة ، بل اقتبس كثيرا من الوحدات الشهيرة من الفن الصينى حيث كانت معظم اقاليم الامبراطورية الاسلامية تستورد كميات كبيرة من الخزف الصينى الشهير ، وذلك ما أكدته حفائر البحث الأثرى فى الفسطاط وسامرا وغيرهما من مراكز الانتاج الفنى فى عهود الاسلام المختلفة . ومن هذا الامتزاج توصل المسلمون الى صناعة الفخار المطلى بالمينا ، وأجادوا تشكيله وتلوينه ، وابتكروا عدة ألوان منه مثل السلادون وتقليد البورسلين .

أقـدم صناعة

مهما كشفت الحفائر عن حضارات موغلة فى اعماق التاريخ ، فان الآثار الفخارية تمثل الجانب الأساسى والبدائى فى مخلفات هذه الحضارات ، مما يؤكد أن الفخار ، قد يكون أقدم صناعة عرفها البشر ، وهو يصنع من الطين المحروق دون طلاء ، ومن خواصه أنه هش كثير المسام ، وطينته أكثر سمكاً وأقل نقاء من طينة الخزف ، ومن المناظر المألوفة ، أن نرى الأوانى الفخارية فى استعمالات حفظ المياه وتبريدها وتفتيتها نظراً لوجود المسام فى جدران هذه الأوانى . أما زخرفتها فقد عرف الصناع المسلمون طرقاً عديدة لها مثل النقش البارز والحفر الغائر والطبع بالاختام ، وفى بعض الصور ، طليت المصنوعات الفخارية بالألوان (بالمينا) وخاصة فى عصر المماليك ، إذ نرى أمثلة منها فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، ويبدو ان هذا الفخار الملون ، كان صناعة خاصة لأغراض الطبقات الموسرة والحكام ، فقد نقش على كثير منها أسماء بعض أمراء المماليك مثل (السيف قرجى) والسلطان الملك الناصر وغيرهما . وقد تميز هذا الاسلوب بالزخارف الكتابية بالخط الثلث متداخلة بوحدات الارابيسك الشهيرة ، وكانت الوانه بالمينا تحتوى على الاصفر والاخضر والبنى ، وعليها تحفر الزخارف حتى تصل لجدار الاناء .

فن رفيـع !

عرفنا أن الفخار له طابع البدائية والبساطة فى تشكيله وحرقه ، وبتطور صناعته أصبح يزخرف ببعض النقوش والكتابات ، وأقصر ما وصل إليه هو تلوينه بألوان المينا لبعض الاستعمالات الخاصة ، أما الخزف فهو محور اهتمامنا فى استعراضنا اليوم كأحد الابداعات الرفيعة التى اشتهر بها الفنان المسلم على مر العصور ، فنجد أن المصنوعات الخزفية تتركز اساساً فى صناعة الأوانى ، وتتفرع الى أغراض وأدوات شتى مثل الأحواض والشمعدانات والمسارج والتماثيل . وقد ذاع استعمال بلاطات القاشانى فى التكسية والتبليط ، أما الفسيفساء الخزفى فله شهرة كبيرة ، ويعتبر من أشهر فنون الزخرفة الاسلامية : وهو عبارة عن فصوص واشكال مختلفة الاحجام والتكوين ، يجمع بعضها إلى بعض وتثبت من الخلف بمادة لاصقة تملأ التجاويف بين هذه الجزئيات ، فتتماسك فى تشكيلات وزخارف متكاملة تثبت على المسطحات المعمارية المعدة لتزيينها بالفسيفساء . أما السلادون وتقليد البورسلين ، فيصنعان من عجائن مختلفة ولكنها بدورها أكثر صلابة وتماسكاً من عجينة الخزف ، وأكثر استعمالها عادة يكون فى صناعة الأوانى

مراحل الابداع

تمر صناعة الخزف بعدة مراحل أهمها :

أولا : الحصول على الطينة

طبق من الخزف من متحف فيكتوريا

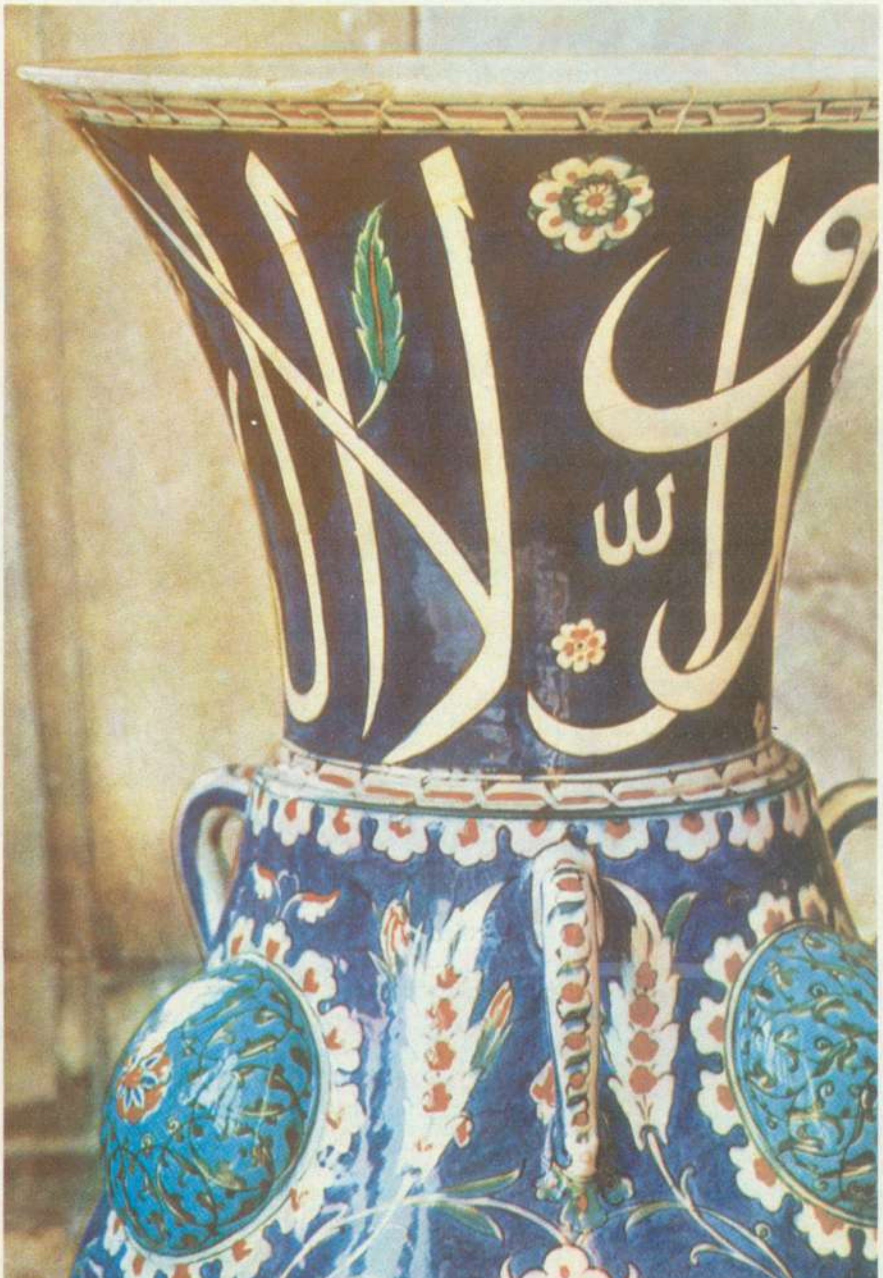

آنية محلاة بالخط العربى والزخارف النباتية

المناسبة ، وهى تختلف من بلد إلى بلد ومن جهة إلى أخرى ، لذلك فهى تتفاوت فى جودتها تبعاً لأماكن انتاجها ومكونات عناصر التربة فيها ، ومن أجل ذلك يعكف الباحثون على تحليل الطينة ومكوناتها فى الآثار المكتشفة ، ومن هذه النتائج ، يمكن تحديد موقع الصنع والعصر والطراز .

ثانيا : تعجن الطينة ثم تشكل الى مختلف الأغراض المطلوبة ، وكان التشكيل يتم باليد فى بادىء الامر ، ثم أستعان الصانع ـ بجانب اصابعه الماهرة المدربة ـ ببعض الآلات الدقيقة ، كما استخدم الدولاب أو العجلة فى تدوير الطين وتصويره فى مختلف الاشكال الاسطوانية .

ثالثا : تلوين الأوانى بالبطانة (طلاء عام كأرضية قبل عملية الزخرفة) ثم تحرق فى افران خاصة ، ثم تطلى بالطلاء الزجاجى ، وقد يستخدم التذهيب والانواع الأخرى من الدهانات الملونة حسب رغبة الفنان ، ثم يعاد الحرق مرة أخرى لتثبيت الطلاء ، وربما تكررت عملية الطلاء والحرق عدة مرات حسب التغطية الزخرفية وعدد الألوان المستخدمة وانواعها .

ومن الملاحظ أن عملية صناعة الخزف يشترك فيها عدة متخصصين ، لكل منهم مهمة محددة : كالعجان والخزاف والحراق والمخزوف وهو الفنان الذى يلعب الدور البارز فى الابداع ويحدد الطابع الفنى الخاص .

ومن أشهر أماكن صناعة الخزف الاسلامى : بغداد وسامرا والموصل فى العراق والرى وقاشان والسوس فى إيران ، والفسطاط والقاهرة والفيوم فى مصر ، ودمشق والرقة فى الشام ، ومالقة وغرناطة فى الاندلس ، وأزنيق

● الخزف الإسلامى ينقسم إلى عِدّة طرز، بعضها دولى .. والآخر اقتصر على الطابع المحلى

● عندما هاجر الخزافون المصريون إلى مدينة قاشان

وكوتاهية فى أسيا الصغرى ، وقد ذكرت المصادر التاريخية انه كان فى ازنيق ثلاثمائة مصنع للخزف فى عهد السلطان احمد . وفى اسطنبول عثر على كتاب عبارة عن رسالة مفصلة تشرح دقائق صناعة الخزف ، كتبها عبد الله بن على ابن محمد بن أبى طاهر فى قاشان سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠م) . كما أن كثيرا من توقيعات الفنانين قد امهروا بها زخارفهم فى كثير من آثار الخزف الاسلامى ، ونقرأ على سبيل المثال توقيعات : مسلم وسعد وعبد الله وغيبى بن التوريزى وشرف الابوانى .. وكثير غيرهم .

الفنون الخزفية

وينقسم الخزف الاسلامى الى عدة طرز ، بعضها اتخذ الطابع الدولى وانتشر فى كثير من اقطار العالم والبعض الآخر اقتصر على الطابع المحلى ذى الملامح الاقليمية المحدودة. وكان الطراز ينقسم بدوره الى عدة طرز ثانوية أو فرعية حسب اختلاف المكان الزمان والفنان المزخرف وطريقة الصنع والتشكيل . ومن اهم هذه الطرز نوع اصطلح على تسميته (الخزف ذو البريق المعدنـى) ، وهذا النوع قد احتل مكان الصدارة فى الشهرة العالمية ، لأنه فن من ابتكار اسلامى خالص ، وكان هذا الخزف يدهن أولا بدهان ابيض أو مائل للزرقة أو الاخضرار ، ثم يحرق ثم يزخرف بطلاء الاكاسيد المعدنية ، ويحرق مرة أخرى ببطء لتتبخر الاكاسيد ويبقى الطلاء المعدنى الذى يتخذ بريقاً يشبه بريق الذهب . ومن المعروف أن الاسلام يحرم استعمال الاوانى من الذهب والفضة ، ولذلك فقد ابتكر المسلمون هذا الاسلوب ذاالبريق الذهبى ليشيع روح الترف مع مراعاة تعاليم الدين الحنيـف . وقد انتشر هذا النوع من الخزف فى اقطار اسلامية كثيرة كالعراق وإيران ومصـر والشام وشمال أفريقيـا والاندلس ، كما عثر على بعض الآثار فى شبه الجزيرة العربية ، ولم يقتصر هذا الطراز الرائع على فترة زمنية معينة ، بل وجد فى عصور اسلامية مختلفـة .

ومن أشهر آثار الخزف ذى البريق

طبق من القرن العاشر الهجرى فى عهد العثمانيين

المعدنى ما عرف بخزف سامرا ، حيث وجدت نماذج كثيرة منه فى اطلال مدينة سامرا ، وترجع إلى بداية نهوض الفن الاسلامى فى القرن الثالث الهجرى . وانتشر اسلوب خزف سامرا فى اقطار عديدة ، ولكنها تتباين من قطر إلى آخر . ومما يجدر ذكره أن صناعة الخزف فى أوربا قد تأثرت بالخزف الاسلامى فى طريقة تشكيله وزخرفته وتلوينه ، كما ذكرت المراجع العلمية ، وفى أوائل هذا القرن ، كان الفنان الأشهر « ماتيس » يتربع على عرش الابداع فى الفن الحديث ، واعترف بانه عندما زار معرض الفن الاسلامى الذى اقيم فى مدينة ميونيخ بألمانيا عام ١٩٠٣ ، عاد بعد أن درس فن تلوين الخزف الاسلامى ، واقتبس من هذه الألوان بهاءها وروعة توافقها وتكوينها ، ولذلك أطلق عليه (اعظم الملونين) فى العصر الحديث !

الخزف الاسلامى

وإذا رجعنا الى عهود الاسلام منذ العصر الأموى ومروراً فى أواخر طريق الابداع بالعصر الصفوى فى إيران حيث زخرت مدينة أصفهان بالروائع الخزفية التى نافست إنتاج الفنانين الصينيين وتفوقت عليه ، حتى نصل إلى العهد العثمانى بروائعه الخزفية الشهيرة ، لوجدنا أن العهد الأموى لم يكتشف من آثاره الخزفية ما نستطيع من خلاله أن نحدد ملامح المدرسة الفنية الأموية . وكما هو معروف عن هذه الفترة تسمى فى نظر الباحثين فترة الانتقال من فنون ما قبل الاسلام إلى الفن الاسلامى بملامحه المميزة . ولكن استعمال الفسيفساء وهى أحـد مشتقات الخزف كان واضحاً بشكل رائع فى قصر الحير الغربى الذى اكتشف منذ خمسين عاما (١٩٣٠م) على الطريق الذى يصل بين دمشق وتدمر ، وترجع نسبته الى عصر هشام بن عبد الملك (حيث وجد اسمه منقوشا على جدران هذا القصر) وربما كان ذلك فى عام ١١٠هـ وكان طبيعيا أن قصر الحير التقاء التيارات المختلفة فى الاساليب الفنية خليطا من الفن الاغريقى والفن الساسانى .

وما إن حل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) حتى وجدنا نهضة

في سوريا تمركزت صناعة الخزف ذى الزخارف النباتية والكتابية

جزء من الوحدات الزخرفية التى تغطى ضريح " تيمور لنك "

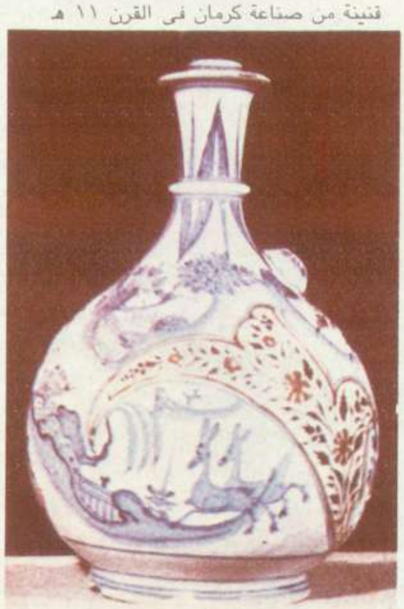

قنينة من صناعة كرمان فى القرن ١١ هـ

ابريق من الخزف ذى الدهان الازرق وسطحه الخارجي مفرغ

اسلامية فى صناعة الخزف ، ويرجع المؤرخون سببها إلى التحف الخزفية التى استوردها الخلفاء العباسيون من الصين فى عهد اسرة (تانج) والتى حكمت الصين ما بين ٦١٨ و ٩٠٨ ميلادية . وقد أجاد الفنانون المسلمون تقليد هذا النوع من الخزف لدرجة يصعب ـ بل يستحيل أحيانا ـ التمييز بين ما هو أصلى من الصين وما هو محلى إسلامى . وكما أسلفنا فى أول هذا المقال ، فقد ابتكر المسلمون الأوانى الخزفية ذات البريق المعدنى لتحل محل الأوانى الذهبية والفضية التى حرم الاسلام استعمالها ، وهذا الخزف ذو البريق المعدنى هو فن اسلامى خالص . ومن العباسيين فى العراق انتشر هذا النوع إلى باقى انحاء الامبراطورية الاسلامية ، وخاصة فى مصر ، حيث بين أطلال مدينة الفسطاط على عدد وفير منها ترجع إلى العهد الطولونى . كما أشتهر إقليم (جاروس) الايرانى وكذلك ازدهر إقليم خراسان باجادة هذا الخزف وتميز بزخارف العناصر الحية والكتابة فى نقوشه الاسلامية .

أما الآثار الخزفية فى العهد الفاطمى فى مصر فقد انفردت زخارفها برسوم تشكيلات فن الارابيسك الرائعة ممتزجة بالخطوط والكتابات ورسم الحياة الشعبية المصرية كموضوعات متكاملة تتوسطها فى بعض الأحيان صور لشخصيات معروفة فى الحياة العامة .

فن السلاجقة

ومن المعروف فى استعراض مسيرة الفنون عامة عبر العهود الاسلامية المختلفة . أن عهد السلاجقة كان عهد تألق وازدهار ، فقد هاجر الخزافون المصريون بعد سقوط الدولة الفاطمية عام ٥٦٧هـ (١١٧١م) ، والتحقوا بخدمة السلاجقة ، وشاعت شهرة مدينة قاشان ، وفى العصر المغولى ، حافظ المغول على الاساليب السلجوقية التى كانت سائدة وشجعوا الفنانين ، وأغرقوهم بالطلبات الخاصة من فنون الخزف الراقى ذى البريق المعدنى كمظهر من مظاهر السلطة والتفوق ، واستحدثوا نوعا فريدا فى الفن الاسلامى عامة وهى التماثيل الخزفية من آدمية وحيوانية ،

ويحتوى متحف المتروبوليتان بنيويورك حاليا على مجموعة نادرة منها ، ومن أهمها تمثال على هيئة طائر برأس آدمى عثر عليه فى مدينة الرى ويرجع إلى القرن السابع الهجرى .

أما العصر السلجوقى فى تركيا ، فقد عثر بين أطلال قصر قونيه وقصر قباد على بلاط خزفى بألوان المينا يشبه فى زخارفه وطريقة صنعه ماعثر عليه فى عهد السلاجقة فى ايران . أما السلاجقة فى سوريا (حكم الأتابكة) فقد تمركزت صناعة الخزف ذى الزخارف النباتية والكتابية فى دمشق والرصافة والرقة على نهر الفرات .

تحف الأندلس

لم يعرف الخزف ذو البريق المعدنى فى الاندلس إلا فى القرن الثامن الهجرى، وقد يكون ما وجد منه قبل ذلك مستورداً من مصر والعراق ، وعندما انتج الفنانون المسلمون المصنوعات الخزفيه فى بلاد الاندلس ، وصلوا بها الى قمة الاجادة ، مستخدمين الزخارف الهندسية

والنباتية متداخلة فى توافق فنى مع العبارة الشهيرة (لا غالب إلا الله) ، وكانت شعار ملوك غرناطة وقد شاع استعمالها فى جميع نقوش ذلك العصر الذهبى . واشتهرت عدة مراكز لابداع فن الخزف مثل مالقة وغرناطة ، ثم انتقلت هذه المراكز الى مدينة (بلنسيه) وتخصصت مدينة (منيشة) فى الخزف ذى البريق المعدنى ، وبهذا أصبحت أهم مراكز التصدير إلى الدول الأوربية . لذلك لم يكن غريباً أن يعثر بين الآثار الاندلسية على الكثير من الأوانى الخزفية وقد نقشت عليها الشارات الأوروبية والرسوم القوطية متداخلة مع زخارف الارابيسك الاسلامية ، فقد كانت هذه التحف تطلب من مراكز الانتاج فى الاندلس لتصديرها لمختلف الدول .

عهود الابتكار

كانت آخر العصور المجيدة للفن الاسلامى ممثلة فى العصر المملوكى فى مصر وسوريا والعصر الصفوى فى إيران والعهد العثمانى فى تركيا. فقد ازدهرت فنون الخزف فى مصر وسوريا تحت حكم المماليك ، وابتكرت انواع ذات مستوى رفيع من نوع البريق المعدنى تشبه الخزف الصينى ، بل وتفوقت عليه من حيث إجادة صنعها وروعة زخارفها الاسلامية ذات الوحدات النباتية والخط العربى الرشيق .

أما فى إيران فقد كان العصر الصفوى عهدا ذهبيا للفنون الاسلامية كافة وللتحف الخزفية خاصة ؛حيث نجح الخزافون فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى فى انتاج نوع راق من الخزف الثمين هو البورسلين ، وقد تفوق على مثيله الذى كانت تنتجه الصين فى عهد اسرة (منج) ، وقد شجع الشاه عباس هذا الفن الرفيع واستقدم لتدعيمه عددا كبيرا من الفنانين الصينيين ، ومن أجل ذلك ظهرت الزخارف خليطا من الارابيسك الاسلامى ورسم التنين والطيور والحيوانات الصينية ، منفذة بنفس الاسلوب الصينى الشهير وبألوانها الزرقاء التقليدية ، وسيطرت مصانع كرمان ومشهد ، وتألقت مراكز الانتاج فى أصفهان التى ابتكرت اثمن التحف الخزفية ذات اللونين الذهبى والاحمر النحاسى ، وتخلص الفنان تدريجيا من وحدات الزخارف الصينية ، وأخذ يستلهم رسومه من الحياة العامة ، فوجدناه يبدع مناظر وحدات الزخارف وأخذ يستلهم رسومه من الحياة العامة ، فوجدناه يبدع مناظر الحفلات والحدائق ورحلات الصيد ومجالس اللهو ومختلف مظاهر الحياة الايرانية .

واشتهرت زخارف البلاطات الخزفية المجمعة لتزيين القصور والمساجد وغيرها من الابنية .

وفى العهد العثمانى فى تركيا ، لم تزدهر صناعة الخزف إلا فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى فى مدينة (أزنق) ويمكننا تقسيم الخزف التركى إلى ثلاث مراحل : الاولى ، وقد تأثرت بالنماذج الصينية التى رأيناها فى العصرين المغولى والصفوى ، والثانية ، وتمتاز بزخارفها النباتية وخاصة استخدام الزهور المحورة كأزهار القرنفل والسوسن وقرن الغزال . أما النوع الثالث ، فقد عرف بنقوشه من الحيوانات والطيور بجانب الوحدات النباتية والأزهار التى كانت سائدة فى المرحلة السابقة ، والمشاهد لقصر السلطان مراد الثالث وقصر (توبكابى) الذى شيد عام ٩٨٢هـ ، يرى حشدا رائعا من زخارف البلاطات الزخرفية تعتبر آية من آيات الفن الخالدة ، والتى أكسبت العصر العثمانى طابعاً فنيا فريداً .

... وهكذا وزع الفنان المسلم لمساته الواعية على كل مظاهر الحياة الانسانية ، وترك بصماته المبدعة لتثير الاعجاب أبداً ، وتبعث الأمل فى نفوس بنى البشر عبر التاريخ .

جمال قطب

● آخر العصور المجيدة للفن الإسلامى ممثلة فى العصر المملوكى فى مصر وسوريا والعصر الصفوى فى إيران

خزف من استانبول من منتصف القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر

كمال سعد

يا زمان الأندلس

المدن التى علمت أوربا كل فنون المعرفة
وأغنت الحضارة الإنسانية
قلوبنا هائمة فى الأندلس .. ووجوهنا تفضحها دهشة الغريب القليل الحيلة!

يازمان الأندلس

رائحة أوراق البرتقال مشبّعة برُطوبة العصر المنهار في الدّروب الضيّقة!

ضاع الهدف الذى ظلّ يحارب من أجله فرمى أوراقه.. وسكب مداده.. واعتزل الحياة

أرقى ما رأينا من الحرير المنسوج .. والقطعة من الاندلس وعمرها ثمانية قرون !

قرطبة ، وغرناطة ، وأشبيليه ، قطع من عقلى وقلبى وتراثى الذى أضاء الدنيا فى ساعات حالكة الظلام ..

واثناء تجوالى فى المدن الثلاث فى اسبانيا ، وتعلقى بذيل أعمدتها وأسوارها ومبانيها الشامخة الشاهدة على مجد غابر ، كنت أجد نفسى ــ مثل غيرى ــ لا أملك غير القول : آه يازمان الاندلس .. فالجرح فى اعماقنا غائر .. وعقولنا إمتلأت بالطلاسم والتعاويذ والخرافات التى جعلتها عاجزة عن الاستقراء والتأمل .. وقلوبنا هائمة لا تعرف أين المستقر .. ووجوهنا تفضحها دهشة الغريب ونظرة العاجز القليل الحيلـه !

ولكن ما جدوى تأنيب الضمير والنفس ما دمنا نتناسى أن شعلة الفكر هى التى أخرجت للعالم قمة الحضارة العربية العظيمة ؟! .. وما معنى الندم إذا كنا لم نستوعب دروس التاريخ التى أكدت أن عزائمنا لم تضعف وعقولنا لم تنطفىء إلا عندما ألهبنا ظهر كل صاحب موهبة وأحطناه بالخمول واليأس والارهاق !

إننا ــ بصراحة ــ فى حاجة هذه الأيام الى تلك الروح التى قدمت لنا هذا التراث العربى الاسلامى الذى منحته لنا تلك المدن ، والذى كان خير معلم لأساتذة اوربا فى جميع علوم المعرفة التى أغنت وصنعت الحضارة الانسانية

إعتزال المؤرخ

فى البداية ، أجد نفسى فى مدينة قرطبة ، حاضرة الأمويين ، ذات الحقول

الأزياء الشعبية القديمة فى مدن الاندلس

المليئة بسنابل القمح ، والتى تتناثر أشجار زيتونها حتى الجنوب ، وتبعد عن العاصمة مدريد بما لايزيد عن ٤٠٠ كيلومتر !

ومنذ لحظة وصولى للمدينة الممتدة فى سفح سلسلة جبل قرطبة عند منحنى الضفة اليمنى لنهر الوادى الكبير «جواد لكفير» بهتت فى عينى مبانيها الأوربية الحديثة ، وارتميت فى احيائها العربية ، لأشم هواءها المشبع برطوبة العصر المنهار فى الدروب الضيقة المتعرجة ، واتنفس شذى أوراق برتقالها وزهورها الذى حملته الى انفى حدائق البيوت الناصعة البياض ، التى جعلتنى اتذكر قصة عمرها أحد عشر قرنا ، ولعل بطلها لم يبتعد كثيرا عن المكان ، فهو رجل آمن بأن التاريخ لا يكتب إلا من خلال موقف ، وأنه بدون النظرة الشاملة والتحليل العميق لن يكون إلا مسجلا لكل ما يجده أمامه من حقائق أو أكاذيب ، ولذا فان مقياس الاحداث عنده ينبع من إلتزامه بالوحدة الكبرى التى تمت فى ظل الخلافة الأموية ، ولذا فقد أخذ على نفسه بأن يكون عاصفة فى وجه أى خلاف يراد به شق الصفوف ، وشرع قلمه ناقدا فى قسوة كل الذين حاولوا الخروج على الدولة الأموية إلى أن حدثت الكارثة العظمى التى قسمت الاندلس الى دويلات صغيرة ، وهنا قال فى شجاعة لكل معاصريه : لقد انتهت مهمتى كمؤرخ بعد أن رأيت وطنى فى ظل التفسخ وهو مشرف على الزوال !

واعتزل ــ فعلا ــ عالم التاريخ العظيم

الابواب ذات الطابع الخاص المفتوحة على فناء وحديقة

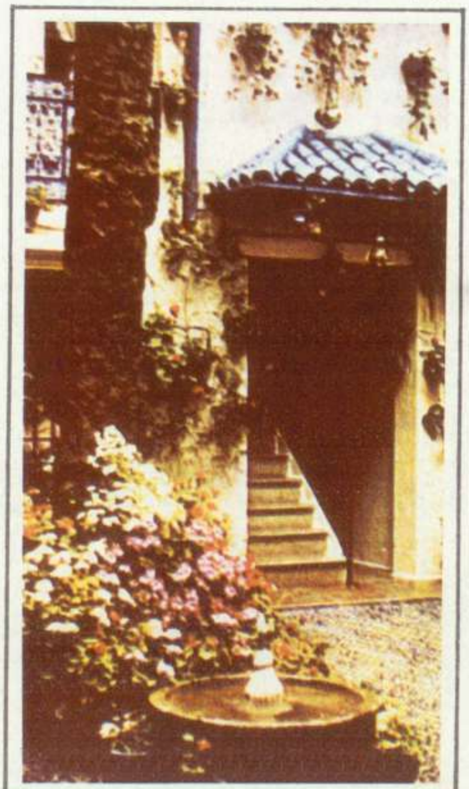

«ابن حيان الاندلسى» كل اعماله ، ورمى أوراقه وسكب مداده ، فقد احس بان دوره كمؤرخ قد انتهى بضياع الهدف الذى ظل يحارب من أجله ، والذى كان فى نظره من أشرف الأهداف وأنبلها ..

بكاء المهزوم

وهنا استوقفنى احد الادلاء الذين تعودوا مصاحبة آلاف السياح الذين قادتهم أقدامهم الى تلك الأزقة ، وأخذنى لأرى بيتا به نافورة وسط حديقة فيحاء ، ودلفنا الى المنزل عبر ممر صغير مزينة جدرانه بزخارف عربية ، فوصلنا الى صحن البيت ، وهو مكشوف ، أرضيته من الرخام ، وتطل عليه جميع حجرات البيت عبر مظلة صغيرة تستند إلى أعمدة غاية فى الرشاقة والجمال !

إلا اننى سرعان ما تخلصت من الرجل بعد أن طاردتنى قصصه الملفقة عن تاريخ الفتح العربى ، التى تعود على سردها مع كل من سبقونى ..

فقصة وصول العرب الى الاندلس واضحة كل الوضوح ، وليس فيها لبس أو غموض ، وبداياتها كانت عند سيطرة المسلمين على الشاطىء الأفريقى ، فيما عدا حصن واحد هو «سبته» الذى استطاع حاكمه « يليان » المرتبط بالامبراطورية البيزنطية الضعيفة المتهاوية أن يمنع سقوطه بسبب حكمته وتقربه من قائد الفتوحات الاسلامية «موسى بن نصير» ومن القائد الشهير «طارق بن زياد» .

وكان هذا الحاكم هو أول من وجه انظار المسلمين الى الشاطىء الأسبانى بل وعرض عليهم كل ما يملك من سفن لتحقيق الغزو والتخلص من خصمه اللدود « لذريق » !

وقام طارق بن زياد بقيادة جيش قوامه سبعة آلاف مقاتل ، نقلته سفن حاكم سبته على دفعات الى الشاطىء ، وبعد بضعة شهور من عبور طارق بن زياد للمضيق البحرى الفاصل بين اسبانيا والمغرب ، كان المسلمون على ابواب طليطلة ، ولحقهم جيش آخر أتى من القيروان فى تونس بقيادة القائد العربى

مرح الشباب والحفلات الجماعية بين الاروقة القديمة

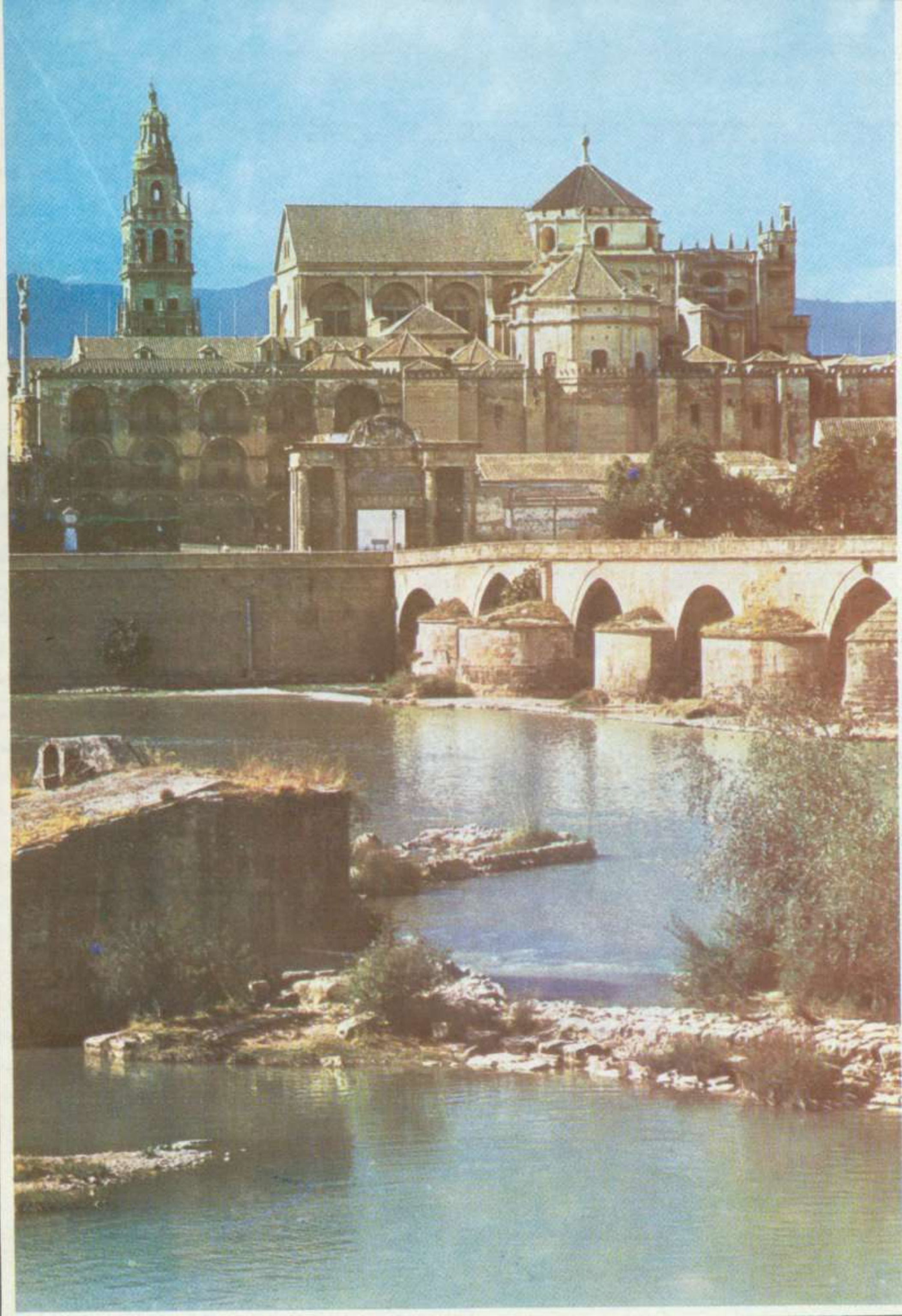

قرطبة بسحرها الذى اوحى للشعراء بقصائد خالدة

مازالت قرطبة المدينة التاسعة فى اسبانيا - رغم شهرتها العلمية !

العروس التى ظلت مجرد أطلال حتى هذا القرن بعد أن أحرقوا قصورها وبساتينها الغناء !

رأيت عبقرية المهندس والمزخرف العربى فى محراب المسجد الجامع وفى أقواسه المرهفة الصنع !

داخل احد الكهوف التى تقدم راقصة الفلامنكو

موسى بن نصير الذى أتم الفتح وركز أسس الحكم الاسلامى ، ناقلا معه أساليب الفكر العربى ، بما فى ذلك اللغة العربية وآدابها ..

إلا أن مجد مدينة قرطبه لم يبدأ ، إلا عندما هرب الأمير الأموى عبد الرحمن الداخل من دمشق الى الاندلس عقب سيطرة العباسيين ، ووصل الى قرطبة عام ٧٥٦م ، وبدأ يجمع شتات الدولة الاسلامية فى الاندلس ، واتخذ من المدينة عاصمة لملكه ، وأسس قصرا خارجها سماه الرصافة ، وشيد مسجدا اسلاميا فى أواخر عهده ، وترك لخلفائه من بعده روح العلم والحضارة ، الى أن قام البربر بحركتهم فدمروا القصور وبعثروا الكنوز وانتشرت من بعدهم الفتن والحروب الأهلية ، التى اسقطت قرطبة ـ قلب الحضارة الاندلسية ـ قبل منتصف القرن الثالث عشر ، ومن بعدها إنهارت المدن والممالك العربية فى الاندلس ، واضطر فى النهاية « أبو عبد الله » إلى أجراء مفاوضات سرية مع اعدائه لتسليم مدينة غرناطة ، وانتهت المفاوضات بدخول فرديناندو ملك الارغول وزوجته ايزابيل ملكة قشتالة الى المدينة فى عام ١٤٩٢م ، معلنين زوال الدولة الاسلامية فى الاندلس ، بعد خروج « أبى عبد الله » آخر ملوك الأندلس من المدينة باكياً ، وصوت أمه يصرخ فى وجهه :

إبك مثل النساء ملكا مضاعاً
لم تحافظ عليه مثل الرجال

المسجد الجامع

ورغم أن مدينة قرطبة تعتبر اليوم سوقاً هامة للقمح والزيتون والشعير والنبيذ والحمضيات ، فهى مازالت المدينة التاسعة فى اسبانيا ، ومازال سكانها الذين يصل عددهم الى ٢٥٠ ألف نسمة ، يفضلون توجيه إقتصادهم نحو الانتاج المتمثل فى الصناعات الشعبية التى تعتمد على اشغال الذهب والنحاس والجلود ، فهى الأكثر رواجاً فى مدينتهم التى كانت فى القرن الثانى عشر الميلادى مركزا طبيا لأوربا ومكانا بارزا للمهتمين بالفلسفة وعلم النبات وعلم الفلك والتراجم الانسانية ..

والغريب أن سكان المدينة أنفسهم يقولون لك ، أنه بينما كانت اوربا غارقة فى ظلام الجهل ، كانت مكتبة مدينتهم فى القرن العاشر الميلادى تحتوى على ٤٠٠ ألف مجلد ، وكان بالمدينة ٧٠٠ مسجد و ٩٠٠ حمام !

واثناء تجوالى فى احياء المدينة القديمة ، وجدت أن السور الضخم الذى كان يحيط بهـــا قد اصبح داخل الاحياء القديمة نفسها .. وهو أثر من الآثار العربية الباقية التى يدخل فى نطاقها قنطرة الوادى التى تطل عليها قلعة الحرة التى كانت مخصصة لزوجة الخليفة ، والأزقة الضيقة القريبة من المسجد الجامع بما فيها من بيوت تحتفظ بطابعها الاندلسى ، ويضاف لكل ذلك مدينة الزهراء عند جبل العروس ، على مسافة أربعة كيلو مترات من قرطبة ، والتى كانت المياه تصلها من العاصمة فى انابيب ، واشتهرت بقصورها الشاهقة وبساتينها الغناء وحظائر وحوشها الكاسرة وثرواتها البالغة التى نهبت عن آخرها منذ تسعة قرون عندما استولى البربر على المدينة وأضرموا النار فيها ، لتظل حتى هذا القرن مجرد اطلال ، لولا أن بدأوا فى السنوات الأخيرة فى ترميم جزء كبير منها ومحاولة الكشف عن آثارها التى دفنت على مر السنين !

أما المسجد الجامع ، فمازال يعتبر أكبر مسجد اقيم فى اوربا ، ويسمونه الآن المسجد الكاتدرائية ، بعد أن وضعوا الى جوار مآذنته عند البوابة الخارجية برجا عاليا للأجراس واقاموا بين أعمدته الهياكل !

والمسجد الجامع فى قرطبه مقام على مساحة هائلة ، تربو على ١٢ ألف متر مربع ، وله سقف يرتفع الى تسعة أمتار ، تحمله أكثر من ١٢٠٠ سارية رخامية رفيعة ، وتبدو اقواسه المزدوجة مرهفة دقيقة الصنع محتفظة بلونيها الأبيض والأحمر ، بينما يمثل محرابه تحفة معمارية رائعة تتجلى فيها عبقرية المهندس والمزخرف العربى !

وهذا المسجد الذى يطل على ساحة واسعة تكتنفها أشجار البرتقال ، استغرق بناؤه ٢٢٠ عاما ، ووضع أول حجر فى اساسه الخليفة الأموى عبد الرحمن الداخل فى عام ٨٧٠م ، وتوالى على بنائه وتوسعته ثلاثة آخرون من الخلفاء الأمويين ، كان آخرهــم المنصور بن ابى عامر ثامن الخلفاء الأمويين فى الاندلس !

فراق العاشق

وأتوقف فى مدينة قرطبة عند نصب تذكارى أقامه الشباب فى ساحة المدينة منذ عشر سنوات للوزير والشاعر والعاشق الخالد ابن زيدون بمناسبة مرور ٩٠٠ سنة على وفاته ، وأتعجب لأنهم وضعوا الى جواره الشاعرة الذكية الطاهرة الذيل « ولادة بنت المستكفى » وكفها يعانق كفه إلى أعلى مداعبا الهواء

وقد اختاروا أبياتا للشاعرة وكأنها موجهة الى الشاعر ، وفيها تقول :

أغار عليك من عينى ومـــنى
ومنك ومن زمانك والمكـــان

جسر قرطبة الذى بناه المسلمون فى القرن الثامن الميلادى

نقوش ورسوم جميلة فى قصر الحمراء فى غرناطة

يازمان الأندلس

كيف بالغ شباب قرطبة في قصة حب الوزير الشاعر ابن زيدون ؟!

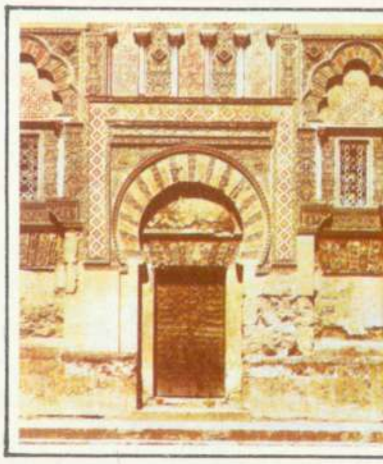

«جنة العريف» في غرناطة بممراتها الخضراء وزهورها وسواقيها التي تنعى المجد الزائل !

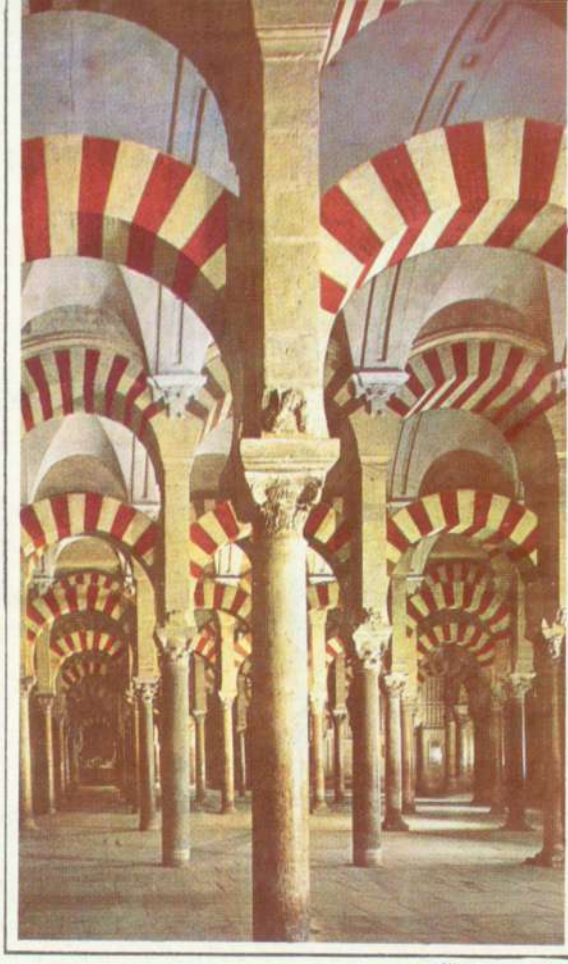

داخل المسجد الكبير

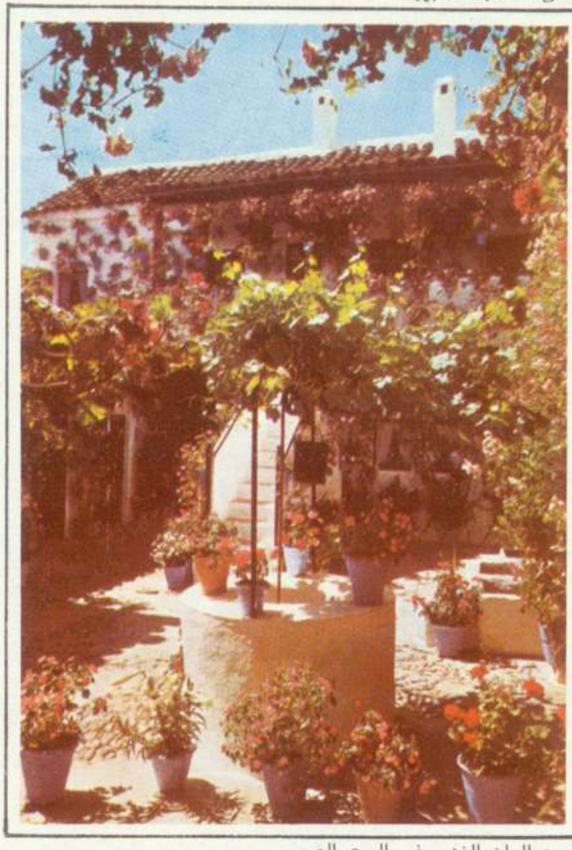

أروع الوان الزهور في البيت العربي

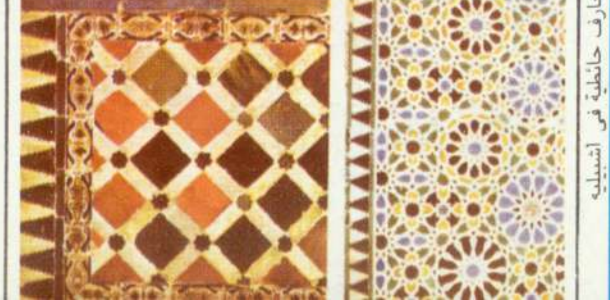

زخارف حائطية في أشبيليه

ولو أنى حملتك فى عيونى
إلى يوم القيامة ما كفانى

واختاروا أيضا للشاعر كلمات يعبر بها عن خوالجه نحو الشاعرة بقوله :

يامن غدوت فى الناس مشتهرا
قلبى يقاسى عليك الهم والفكرا
إن غبت لم ألق إنسانا يؤانسنى
وإن حضرت فكل الناس قد حضرا

واعتقد أن شباب مدينة قرطبة قد بالغوا فى قصة الحب ، فالواقع أن الشاعر أحب الشاعرة فى بداية شبابه حبا من جانب واحد ، ولذا انتهت قصة الحب بهجاء متبادل عبر سلسلة من الاحداث ذاق خلالها الشاعر مرارة السجن ظلما ، ومرارة عشق انسانة تميل بقلبها لشخص غيره وتتخلص له ، ولم يجد فى النهاية طريقا أمامه سوى أن يطردها من قلبه الى الأبد ، وأن يهجرها الى دنيا السياسة لعله يعوض حبه المهزوم من خلال بناء حاضره ومستقبله وسط المنافسات والمكائد السياسية .

أعظم الفلاسفة

ويبدو أن قرطبة قد خلدت اهم أعلامها فى عصور الأندلس ، وإن كانت قد تناست مغنيها الشهير « زرياب » الذى غنى فى دروبها ، وأضاف لأوتار العود التقليدى وترا خامسا ، واخترع مضراب العود من قوادم النسر !

فعند اسوار قرطبة العربية القديمة رأيت تمثالا لأكبر فلاسفة الاسلام « ابن رشد » الذى عاش فى القرن الثانى عشر الميلادى ، وقال عنه مؤرخو الغرب انه من أعظم الفلاسفة أثرا فى الفكر الأوربى فهو مؤسس الفكر الحر ، وقد دعا المرأة - فى فترة مبكرة إلى خدمة المجتمع والدولة - كالرجال ، وأرجع الكثير من الفقر فى عصره الى الرجل الذى يمسك المرأة لنفسه وكأنها نبات أو حيوان أليف ، إعتقادا منه فى متاع يمكن أن توجه إليه كل المطاعن ، وهذا بدلا من أن يعطيها فرصة المشاركة فى انتاج الثروة المادية والعقلية التى تحفظها والتى تجعلها ذات فضائل أو على خلق عظيم !

وفى إحدى ساحات قرطبة - رأيت تمثالا ثالثا للوزير الفيلسوف إبن حزم الاندلسى ، الذى عاش فى القرن الحادى عشر الميلادى ، وكان يؤمن بأن للعلم زكاة هى نشره وإذاعته ، والذى ملأ الاندلس بحركة فكرية واسعة ، إعتنق فيها مبدأ الأخذ بالعلم الصحيح والاعتماد على العقل والبرهان ، وعرض

نظرية المعرفة قبل أن يقدمها «كانت» بسبعة قرون !

وهناك تمثال للعالم موسى بن ميمون ، ولازالت هناك أفكارا أخرى لتماثيل عديدة فى عقول المشرفين على الثقافة والسياحة فى المدينة التى رأت أزهى العصور وأخصبها فى مجالات العلوم والثقافة والابداع أيام كان للعرب حضارة عظيمـة !

الشاعر الأسير

وإذا كانت مدينة قرطبة قد استغرقتنى وشدت كل انتباهى ، فاننى لايمكن أن انسى اشبيليه بشوارعها الجميلة الواسعة ، ورائحة زهورها وبرتقالها وياسمينها ، ونهرها المثير الذى يشطرها الى نصفين ، وأبراجها ومآذنها ، ومسجدها الذى تهدم وبنوا فوقه كاتدرائية أشبيليه ، تاركين الى جوارها حوض الوضوء كأثر باق يذكرنا بالمثل القائل : ويل للمهزوم !

وفى المدينة الصغيرة بحثت عن شاعرها وفارسها المعتمد بن عباد الذى أحب الأنس والطرب وتقلب فى الهوى وكاد أن يسقط ملكه تحت سنابك خيول الفونسـو السادس ملك قشتالة لولا نجدة أمير المرابطين فى المغرب «يوسف بن تاشفين» الذى انتصر فى معركة الزلاقـة فى القرن الحادى عشر الميلادى ، وما كاد يسيطر على كل الاندلس ، حتى انقلب على المعتمد بن عباد فقتل ابناءه ، وعامل زوجته وبناته فى قسوة بالغة ، وأخذه مكبلا بالقيود إلى المغرب ، ليموت فقيرا فى مدينة إغمات ، وقبل موته كان دائما يبكى حاله بأبيات من بينها :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا
فجاءك العيد فى أغمات مأسورا
ترى بناتك فى الأطمار جائعـة
يغزلن للناس ، لا يملكن قطميـرا

ومن أجمل ما رأيت من مآذن فى حياتى ، مآذنة «الخيرالدا» ذات السبعة طوابق ، والتى يقال أن الملك الموحدى يعقوب المنصور بناها بطريقة سهلة حتى يتمكن من الصعود إليها بحصانه لرؤية مدينة اشبيليه من على ارتفاع ٩٦ مترا !

كما رأيت القصر العربى بنقوشه وزخارفه وحدائقه الغناء ، وهو القصر الذى اصبح مقرا لملوك اسبانيا منذ تغلبهم على العرب !

وعلى شاطىء نهر الوادى الكبير ، رأيت الحصن العربى القديم « برج الذهب » ورأيت قصورامتاثرة بالفن العربى الاسلامى ، وعشت لحظات مع راقصة الفلامنكو التى تضرب الأرض بقدميها على انغام صوت المغنى القوى المفعم بالحزن الضارب جذوره فى قلب كل الغجر التائهين !

قصر الحمـراء

وعند وصولى الى مدينة غرناطة ، أو المملكة المطوقة التى ظلت تقاوم فى بسالة طوال قرنين كاملين بعد الانحسار العربى فى الأندلس ، أدركت لماذا أحبها الشعراء والكتاب والفنانون وتغنوا بها فى قصائدهم ومجالسهم ، فهـى جنـة الأرض بما فيها من طبيعة حالمة وقصور وبساتين ومتنزهات وحفلات للغناء والموسيقى والرقص ومواسم للعصير !

ورغم كثرة المبانى الحديثة فى المدينة ، فاكثر ما يشدك إليها الشوارع الضيقة والميادين الصغيرة ذات الطابع العربى ، وكنوز العمارة الاسلامية المتمثلة فى الأبراج الحصينه العالية ، وقصر الحمراء بأروقته وقاعاته التى ترى فيها عظمة البناء وجمال الأعمدة والأقواس والابواب والنوافذ والقباب ذات الزخارف الجصية الملونة وبرك المياه المتناثرة وبهو الأسود الأثنى عشر التى تخرج المياه من افواهها وتحمل على ظهرها حوضا فى وسطه نافـورة !

وعلى التل المقابل للحمراء رأيت جنة العريف بممراتها الخضراء واحواض زهورها ونافوراتها وسواقيها وبرك مياهها وقصرها الذى كان منتجعا لملوك الاندلس ! .

رسوم فى قاعة الملوك بقصر الحمراء

وفى أكبر ساحاتها وضعوا تمثالين لفرديناندو وايزابيلا فوق نصب مرتفع وامامهما الرحالة كريستوفر كولمبس يستأذن فى السفر لاكتشاف العالم الجديدبعد استقرار الحكم الاسبانى فى الاندلس ، وللرحالة قبر فى كاتدرائية مدينة أشبيليه ! .

الحلم والشمس

وسألت فى مدينة غرناطة عن يحيى بن باجه وأبى بكر بن طفـيل ، فلم أجد لهما أثرا رغم انهما من ابناء المدينة ولهما فضل عظيم على العلوم الانسانية اعترف به العالم كله !

ابن باجه كان من الفلاسفة العظام الذين ظهروا فى الاندلس فى أواخر القرن الحادى عشر ، واشتهر بالطب والفلك والرياضيات والهندسة ، وبحث فى الحقيقة والعدل ، وطالب الحكماء بالابتعاد عن الملذات العامة ونزعاتهم والعيش على الفطرة ، وهو القائل بأن الحياة السعيدة يمكن نيلها بالأفعال الصادرة عن الروية وتنمية القوى العقلية تنمية خالصة من القيود !

أما ابن طفيل الاندلسى الذى عاش فى القرن الثانى عشر الميلادى ، فمازالت فلسفته تنال دهشة وإعجاب كبار رجال الفكر فى العالم ، ولعلنا عرفنا رائعته التى كانت مصدر إلهام لكثير من كتاب العالم وهى قصة «حى بن يقظان» التى قال لنا فيها أن الانسان يستطيع دون معونة من الخارج أن يصل الى معرفة العالم العلوى ويهتدى إلى معرفة الله وخلود النفس . !

وعند هذا الحد بدأت أودع غرناطة ، على أمل أن اعود إليها مرة اخرى ، لأحلم مثل كل الحالمين بتلك الأيام التى تحولت فيها مدينة واحدة الى جدار عظيم ، أوقف يأس هزيمة العرب فى الاندلس ، فى نفس الوقت الذى مضت فيه تعانق الفن وتبنى القصور الرائعة المكتملة الحضارة ، التى كان من أروعها قصر الحمرا الذى مازالت تدخله الشمس فى وضح النهار ، وطول العام من ٣٦٥ نافذة عربية تحدق فى صفحات الوجود بعيون عربية اعشاها الحزن منذ هجرنا كتاب التاريخ العربي القديم

كمال سعد

وقائع عربية

بقلم: محمد المنسى قنديل

رسوم: جمال قطب

حكاية هوى!

• استعد العامة للحرب فنصبوا المتاريس .. واستعد المماليك فهربوا أموالهم

• كانت تحلم بطفل تحبه .. وبشمس دافئة .. وقادها هذا الحلم إلى الخطيئة !

كانت (هوى) تنزف . أرادت طفلا فلم تجد إلا الدم . وهواء القاهرة ساخن . مشبع بالبارود وبرائحة الهزيمة الاولى ونفير الحرب كوخز الابر فى عروق الحارات المملوكية القديمة . وتذكرت (هوى) وقع صنوج بائع العرقسوس . ومنادى الحنة . وبائعى القرنفل والبهارات وعقود الخرز الملون . وكل شذرات طفولتها فى العطوف والحسنية . كانت تنزف وتغيب عن وعيها .. ويبدو خيال اسماعيل كاشف زوجها .. أو الأغا أفندى كما اعتادت أن تسميه . مختالا فى حلته الحربية كالطاووس .. كأن ما يحدث هو فتنة مملوكية أخرى . يصعد المنتصر فيها الى القلعة ، ويفر المنهزم الى الصعيد كان اسماعيل كاشف واثقا من النصر مثل وثوقه من اختيار زوجة تركية بضة بدلا من تلك المصرية النازفة ..

حمى البارود ..

هذا زمن السرقة والاوبئة والحروب والانبياء الكذبة .. وهذى أولى سنى الملاحم العظيمة . والحوادث الجسيمة . والوقائع النازلة . والنوازل الهائلة . وتضاعف الشرور . وترادف الأمور . وتوالى المحن . واختلال الزمن . انعكاس الموضوع . وانقلاب المطبوع . وتتابع الاهوال واختلاف الاحوال . وفساد التدبير وحصول التدمير . وعموم الخراب . وتواتر الاسباب . وماكان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون .

فى الأزهر واصل الشيوخ اعتصامهم وهم يقرأون (البخارى) وفقراء الاحمدية والرفاعية والقادرية والبرهمية يرفعون الاشارات الملونة . ويمضون بها كالمجانين عبر الطرقات المذعورة . لعل الغمة تنزاح . ياخفى الالطاف نجنا مما نخاف . جاء ابراهيم بك مكسوراً من (الرحمانية) سألوه عن الاعداء فأقسم انه لم ير أعداء . كل ماراه هو صفوف زرقاء متراصة تظهر وتختفى وسط سحابات البارود الكثيفة . وفكر العامة سريعا فنصبوا المتاريس من بر امبابة إلى بولاق . وفكر الامراء أسرع فأخلوا قصورهم وأخفوا رياشهم واستعد كل واحد للحرب على طريقته الخاصة ..

وانتهز الأغا افندى فرصة حمى (هوى) فأخلى البيت . وكانت الحمى تسرى فى أوصال القاهرة كلها . وكل نذر المأساه تتجمع فى امبابة . حضرت المراكب والغلايين المشحونة بالمدافع . ونجح مماليك ابراهيم بك ومراد بك وكلاهما يتحاشى النظر إلى الآخر . كانا مازالا متخاصمين وكل واحد منهما يتحين الفرصة ليهرب قبل صاحبه . وجاء الانكشارية والجراكسة والقاسمية والعزب المتفرقة والارناؤوط . ونصب (التفكجية) المدافع القديمة الصدئة . والقى (الجربكية) أوامرهم للزعر والحرافيش ولم يجرؤ واحد منهم على القائها للجنود .. وكانت هوى تنزف . تنسرب الحياة منها قطرة فقطرة .

وامتلأت الحارات بأرباب الطرق الصوفية . ومجاذيب المحنة . وصعد عمر افندى مكرم الى القلعة واحضر بيرقا قديما متآكل الاطراف . نشره فتناثرت منه العتة . وكان الجميع فى حاجة لأن يصدقوا أن هذا هو البيرق النبوى .. وكان العالم كله يصب فى بر امبابة . و(هوى) لاتدرى متى خرج إسماعيل كاشف . لم يلق عليها كلمة وداع . وكان كابوسه الدائم باقيا على صدرها .

فشلت فى أن تحبه . وفشلت فى أن تنجب منه ابنا تحبه . تنافر الدم لدرجة الكراهية . عدما كانت صغيرة رأت مملوكا فأحبته . وكبرت فتزوجت مملوكا لم يكن يريدها طائعة . كان كل ليلة يأخذها عنوه كما تعود أن يأخذ كل شىء ...

ودوى صوت هائل . وارتجفت المدينة القديمة فى فزع . وصرخت (هوى) ..

ـ يا أغا افندى .. يا أغا افندى ..

والأغا افندى تائه فى البارود . لايفهم ما حدث . عبر النهر من البر الشرقى إلى البر الغربى . وهدرت المدافع كأنها القيامة . وتقدمت الصفوف الزرقاء . مثل بحر زاحف لا يتراجع . اقتربت من المتاريس وانقسمت واستدارت وأصبحت تحاصر كل شىء . ودقت الطبول فانبعثت الآف الطلقات المتتابعة ورأى الأغا رفاقه يتساقطون .

وسدت هوى أذنيها . واحست بألم طاغ يقلص جسدها .. ثم غابت عن الوعى .

الوجه الشاحب

أحست بألم شديد . فتحت عينيها فوجدت أربعة وجوه غريبة تطل عليها . وجوه شاحبة بيضاء مستطيلة . عيونها زرقاء .. أهذه وجوه الموتى ؟ .. تمتم احدهم بكلمات سريعة غاضبة . وضربها فى جنبها بقسوة . صرخت وحاولت النهوض . فكرت فى ذعر . إنهم الفرنسيس . يرتدون حللا زرقاء متشابهة . ماذا حدث .. ؟ انفجرت فى البكاء . تراجع الجندى الذى كان يضربها . أشار الى اثنين أن يتبعاه . وبقى الثالث واقفا على باب الغرفة سمعت اصوات اقدامهم وهم يصعدون السلم . وهم يفتحون الخزائن وينثرون محتوياتها .. رفعت عينيها فى بطء فرأت وجه الجندى الشاحب المتعب يتطلع إليها .

عاد الثلاثة . تحدثوا مع الرابع . تطلعوا إليها بشك واضح . ثم استداروا للانصراف . وتلكأ الجندى الرابع قليلا والتفت إليها . والتقت عيناهما فى ومضة خاطفة . وهذه المرة لم تشعر (هوى) بالخوف . تركوها حائرة . توقف النزيف ولكنها لم تكن تستطيع النهوض .

كانت القاهرة قد عاشت ليلة غريبة . ليلة بلا مماليك ولا جراكسة . ذهب الحكام القدامى قبل حلول الظلام . ولن يأتى الحكام الجدد قبل الصباح .. وعاشت القاهرة أقصر فترة استقلال فى تاريخها . هاجم الاوباش والجعيدية بيتى ابراهيم بك ومراد بك .. ثم هاجموا كل بيوت الامراء . وشبت نار هائلة فصرخ الجميع : إنهم يحرقون بولاق . وازداد تدافع الهاربين . وهرب الاعيان وأفندية الوجاقات والشيوخ ونقيب الأشراف . تركوا المدينة نهبا للحرافيش ..

وفى الصباح دخلت الطوابير الزرقاء المدينة وهى تدق طبولها . وصنعوا شارات الجمهورية المثلثة الألوان على بوابات الحوارى الضيقة . والأسبلة . والمساجد القديمة . والقصور المهجورة . ودخل قائمقام صارى عسكر بونابرته فوق جواده يستعرض مدينته المغلوبة ..

كان الفرنسيس أشبه بالأطفال حين يعبثون .. حتى عندما حرقوا القاهرة وذبحوا نصف المماليك

ومر يوم وكانت (هوى) جائعة لحد الموت . عاجزة عن الحركة . سمعت طرقا خفيفا على الباب . هل عاد الأغا افندى . ولو انه عاد فلن يطرق الباب . سيدفعه بقدميه . سمعت خطوات مترددة فوق السلم . شهقت . فتح الباب وبدا الجندى الرابع بوجهه الشاحب . بندقيته فى يد . وصُرة غريبة فى يده الأخرى . صرخت .

– ماذا تريد ؟ ..

أوشك على التراجع . وضع الصرة على عتبة الغرفة واخذ يشير إليها ويردد كلمات غير مفهومة . ارتعدت . ماذا يريد هذا الكافر ؟ فتح الصرة . فيها بعض الخبز والجبن والفاكهة . اسند بندقيته على الجدار وفك الزرار العلوى من سترته وتنهد فى راحة وهو يضحك . لو انه هاجمها فكيف يمكن أن تهرب ؟ مد يده وتناول ثمرة (خوخ) وقضمها ثم لوى وجهه بطريقة مبالغ فيها ليظهر مدى طيب مذاقها . وضحك فابتسمت هوى . ومد يده بالخوخة فتناولتها . ولمست اصابعه فارتعدت . وعندما غرزت اسنانها لم تعد تشعر سوى بالحياة وهى تدب فى داخلها . نسيت الأغا افندى . والتهمت الخبز والجبن والفاكهة . وضحك الجندى النصرانى فمسحت يدها فى صدرها بخجل شديد .. كان لابد لها أن تأكل وأن تواصل الحياة ..

ظلا متواجهين . لم يتحرك أحدهما . كان هناك صمت . وترقب . وخوف . ثم اشار الى صدرها وهو يردد كلمة واحدة ..

– نيكولا .. نيكولا ..

وفى البداية لم تفهم . ولم يكف هو عن المحاولة .. ثم ضحكت .. وأشارت الى نفسها ونطقت اسمها أكثر من مرة حتى ردده فى صوت متعثر ..

– هفا .. هفا ..

سقوط العذاب

أيام قليلة واكتشفت القاهرة أنه لافرق بين الحكام القدامى والسادة الجدد . سكنوا بيوتهم . وجلسوا فى مجالسهم . وخلعوا القبعات الزرقاء ولبسوا العمائم المزركشة . ورتبوا ديوانا للمشايخ وأول ما طلبوه من الديوان خمسمائة ألف ريال من التجار على سبيل السلفة بطبيعة الحال . وسألوهم التخفيف فلم يجابوا . ثم صادروا الخيل والجمال والحمير وكسروا دكاكين سوق السلاح . وامتلأت شوارع القاهرة بهذه الحيوانات المصادرة محملة بالفرش والصناديق والرياش . وقبضوا على البنائين والخدم والعبيد الذين يعرفون خبايا البيوت لكى يدلوهم على الودائع والدفائن . وأعدموا الأوباش بالرصاص وأخذوا منهم ما سرقوه . ثم قرروا خمسمائة ألف ريال على اهل الحرف على سبيل السلفة ايضا . وشرعوا فى تكسير ابواب الدروب والحارات ليفسحوا الطرق الضيقة أمام جنودهم ..

واستردت (هوى) حمرة وجهها الدافئة . تفتحت مثل زهرة شرقية . ووقف نيكولا مبهورا أمامها وهو يراها للمرة الأولى تحت شمس اغسطس الحارة . ترددت طويلا قبل أن توافق على الخروج معه وهو يواصل الزيارة والالحاح . وتولدت بينهما لغة مشتركة خليط من الكلمات المضغومة . والاشارات واللمسات بفعل الضرورة والتقارب اليومى .

منذ أن تزوجت من الأغا لم تخرج من هذا البيت . وكانت تعتقد أنها لن تخرج منه الا الى القبر . ماتت اصوات الطفولة بداخلها وتحول ايقاعها اليومى إلى صمت وانتظار وإغتصاب وكانت واثقة أن العيون تطل عليها الآن من خلف المشربيات .. وحمل اليها الهواء الغمغمات الشامتة المقهورة ..

أوشكت على التراجع . ولكنها خرجت . وقفت وسط الحارة . وسط المدينة التى تسودها كآبة الاحتلال .. سألت نيكولا ..

– إلى أين نذهب ؟ ..

ولم يفهم . قادها فسارت خلفه عبر دروب طفولتها الموحلة . وهودج عرسها الغريب . والحوانيت المغلقة وعليها الشارة المثلثة . قالت يا أبى احضر لى مملوكا صغيرا العب به .. فأصبحت لعبة مملوك . السروجية والغورية والأزهر . قالت يا أمى اصنعى لى حجابا ضد العشق . فجاءها العشق ممتزجا بالعار . والازهر محاط بخيام الفرنسيس وأمام باب المسجد يرتفع العلم الثلاثى الألوان . أحاط بهما الجنود . صفقوا بأيديهم طربا . ومد أحدهم يده يمسك خصلة شعرها . ردته بعنف . ونيكولا يضحك . يشاركهم فى الدوران حولها . ماذا لو عاد الأغا الآن ؟ ماذا لو عرف انها رأت الشمس ورقصت مع الفرنسيس . جذبها نيكولا وهو يضحك . كانوا أشبه بالاطفال . دون لحى .. ودون عمائم ضخمة .. كأنهم كانوا يعبثون عندما حرقوا القاهرة وذبحوا نصف المماليك فى موقعة واحدة ..

وقفا امام بائع فطير . اخرج نيكولا قطعة فضية . أخذها العجوز وضغط عليها بأسنانه وحين بدأ يعد الفطير لمح (هوى) فرمقها بنظرة احتقار مريرة وناولهما الفطير فى صمت ثم استدار الى المشهد الحسينى .

سارت حتى لامست الازهر . شهقت حين رأت بعضا من المماليك جالسين فى رواق المسجد . أوشكت أن تهرب لولا أن نيكولا أمسكها واقترب منهم . اخرج قطعة فضية أخرى والقاها على الأرض .. هرعوا . زحفوا على الأرض كالديدان .. صرخوا .. أنشبوا أظافرهم فى وجوه بعضهم .. تقاتلوا .. تحولوا الى شحاذين .. والأغا افندى لم يكن بينهم ..

تركتهم وقد ازدادت ثقتها فى نيكولا . لم تعد تهتم . لن تترك هذه الشمس الساطعة التى تملأ عروقها بالدم الحار المتدفق . ولا الميادين المليئة بالشارات وبوابات النصر ولا النزهة عند فم الخليج . ولا ركوب الحمير فى سفح الهرم .. لم تكن وحدها .. كانت وسط عشرات النساء الفرنسيات .. وعشرات من اللاتى فرأزواجهن .. وعشرات الجوارى اللاتى فررن من اسيادهن .. فى المطاعم وخمارات الأروام ، يتحدثن ويسكرن ويرقصن .. ويشاهدن صواريخ الاحتفال . ويحتفلن بقيام الجمهورية .. وسقوط الباستيل .. وأحست بأنوثتها تتفجر من كل يوم تحت الشمس وانامل نيكولا ..

لكن اسماعيل كاشف لم يكف عن مهاجمتها فى الكوابيس الليلية . واهل البلد يتطلعون الى وجهها فى خوف والى ظهرها فى احتقار .. والقاهرة كلها يسودها سؤال : إلى أين تسيرين يا هـوى ؟ ..

الجثث لا تتكلم

غاب نيكولا ثلاثة أيام كاملة . ذهب يطارد فلول المماليك التى تهاجم اطراف القاهرة من ناحية الصعيد .. وفى هذه

الأيام الثلاثة تخيلت عودة الأغا افندى أكثر من ألف مرة .. كان وقع الأقدام وبريق العيون خلف المشربيات وضجة البائعين وتوسل الشحاذين .. كلها نذر متوالية ..
ثم جاء نيكولا . ملطخا بأثار السفر والقتال . احتضنته كأنما تستنجد به ، وشرح لها من خلال لغتهما المشتركة كيف هزموا المماليك وقتلوا عدداً منهم واحضروا جثثهم الى القلعة فى عربة كبيرة .. وهتفت هوى ..
ـ أريد أن أرى هذه الجثث ..

حاول أن يشرح لها أن الجثث ليست أكثر من جثث بمجرد أن يراها صارى عسكر بونبارته سوف يأمر بدفنها . لكنها صممت . سارت فى شوارع القاهرة وهى ترتجف . كانت القلعة رمادية . والمقطم متجهم . وتناقش نيكولا طويلا مع زميله الفرنسى حتى أزاح الباب الصدىء وسمح لهما بالدخول . وهبت رائحة عفنه ثقيلة فأوشكت أن تتقيأ .. جثث كثيرة ممزقة بلا ملامح مميزة . دم وبارود ورمل . كتل شائهة من الملابس الممزقة واللحم المتناثر .. فى اوضاع مختلفة . فاغرة الافواه . متحجرة العيون . كأنها وهم .. كابوس بصرى .. احست انها تتوحد مع هؤلاء القتلى ، وانها مكسورة الخاطر بلا أى اطمئنان داخلى .. لم يبق من مهارة العشق إلا لحظة احتضار طويلة خالية من الشهوة .. كل الجثث تشبه اسماعيل كاشف .. ولا يوجد بينها اسماعيل كاشف ..

حين هبطت من القلعة كانت ترتعد . وضمها نيكولا فزادت رعدتها وتمتمت فى مرارة حقيقية ..

ـ لماذا لم يمت .. لماذا لم يمت ؟ ..
البيت .. القاهرة .. الفرنسيس .. مصيدة قاتلة .. لم يعد من المجدى أن تضحك بصوت عال . أو تقلد اللهجة الفرنسية الناعمة أو تجلس فى المسرح وتتظاهر بالفهم أو تلبس ثوبا عريان الصدر أو تشرب دون إحساس بالخطيئة .. الكوابيس الليلة أصبحت ألما ممضاً .. تحولت الى إحساس عميق بالذنب ..

ونقلها نيكولا إلى إحدى البيوت الخالية التى تطل على بركة الازبكية بيت مملوك هارب . وفر بونابرته من مصر . وجاء صارى عسكر آخر يدعى كليبر لم يكن نيكولا يحبه

عندما طارد الفرنسيس فلول الأتراك عند بلبيس .. ونزل الناس فى الشوارع

لأنه كان عسكريا صارماً لايعرف الرحمة .

والقاهرة بدأت تتحفز من جديد . تريد أن تطرد الجسم الغريب الذى يخز جلدها . وتطايرت الانباء عن وصول جيش تركى كبير الى الديار الشامية فى طريقه الى مصر وعلى رأسه الوزير الاعظم يوسف باشا .. وبدأ الانجليز يفرضون حصاراً قاسياً على الشواطىء .. تحول الفردوس الشرقى الى جحيم حقيقى . أصبح نيكولا قاسيا كأنه مملوك شرس . يهرب من الشوارع المعادية الى جسدها . يؤكد عليه نجاح غزوته . ويمارس فيه حق السلب اليومى . وفى احيان كثيره كانت هوى تنادى عليه يا أغا افندى .. لم تحس بأى أمان وظلت فى الازبكية لأنها عاجزة عن الذهاب الى الموسكى .

وسمعت اخبار الصلح بين الاتراك والفرنسيس .. ورأت بعض الفرسان الاتراك يتجولون فى الشوارع بلا سلاح .. وغدا سيأتى اسماعيل كاشف . ونيكولا مشغول يجمع ما يمكن جمعه ويربطه ويعده للرحيل . تماماً مثلما فعل الأغا افندى . تباعد عنها .. ولم يعد يخرج معها حتى لا يثير الناس ضده .. وفقدت اللغة المشتركة ايقاعها ..

ثم دخل رسولان من اهم رسل الوزير الاعظم .. أمير المكوسات ومحكر الاقوات .. وكان أول مطلب لهما هو مصادرة الأموال بما يكفى لخروج الفرنسيس . ودخول جيش السلطان نصره الله .. ودفع الناس على سبيل السلفة لأول مرة فى التاريخ بنفس راضية .. وتعالى الدعاء فى شوارع القاهرة

– سنة مباركة .. وذهاب للكفرة ..

حتى مراد بك ولى هاربا الى اقصى الصعيد . ارسل يطلب ثيابا وطرابيش وكساوى له ولمماليكه . وارسل الانجليز الى الاسكندرية يطلبون مؤنا لمراكبهم .. واستعد العربان والجعيدية وقطاع الطرق .. وكانت القاهرة مثل طائر ذبيح .. لا يموت ولا يكف عن الترنح ..

الموتى يستيقظون ..

ثم انهار كل شىء . لم يأخذ الفرنسيس من الانجليز الأمان الكافى لعبور البحر كان الاتراك ينتظرون فى بلاهة . فاستدار الفرنسيس ناحيتهم واطاحوا بهم كالعادة .. وولى الوزير الأعظم الادبار .. واستيقظت القاهرة وقد احست بالخديعة.. كان الفرنسيس يطاردون فلول الاتراك عند بلبيس .. ونزل الناس الى الشوارع .. انقضوا على جنود الحامية . وتجمع العامة على تلال باب النصر بأيديهم العصى والنبابيت والقليل من السلاح . اجتاحوا الأزقة . ووجدوا مدفعين قديمين فى المطرية . واشترك الرجال والنساء والاطفال فى دفعهما حتى الازبكية واخرج التجار اثقال موازينهم .. ومزق الرجال قمصانهم .. وتبرع العطارون بالبارود .. وصنعوا من كل هذا قذيفة واحدة قذفوا بها بيت صارى عسكر .. والله ينصر السلطان ويهلك فرط الرمان .. اغلقوا الابواب القديمة .. وانشأوا معملا للبارود فى الخرنفش وحضر الفندقجية والجربجكية والحدادون والسباكون وتكاتفوا جميعا وصنعوا مدفعا آخر . وزغردت النساء والمدفع يخرج وسط الحوارى كأنه سلطان مصرى اصيل ..

حفروا الآبار القديمة واخرجوا منها قذائف مطمورة وفتائل وأسياخ وتعاويذ مجهولة وايقونات وجعارين .. وصنعوا متاريس من كل التذكارات القديمة ..

وكانت (هوى) وحيدة عندما هاجمها العوام . جذبوها من شعرها الى الوحل . ما كان يجب أن تكونى رخيصة الى هذا الحد . فتحوا الخزائن ومرقوا الثياب الفرنسية والشارات والمناديل المعطرة داسوها بالاقدام ، واثخنوها ، وملأوها بالجروح . ذات مرة حلمت بالشمس وبطفل جميل . وقادها هذا الحلم الى الوحل واصم دوى المدافع كل الآذان . عاد الفرنسيس . وبدت المدافع التى اصلحها الناس مثل لعبة أطفال . وقصف الفرنسيس كل شىء بلا رحمة . نصبوا مدافعهم فوق القلعة وتلال المقطم واطاحوا بكل المآذن والقباب وهبط القنبر الحارق على كل الربوع القديمة .. ثم بدأ القتال الضارى فى الشوارع . وخلف كل متراس . وجمعت هوى مابقى من نفسها وعادت الى الموسكى .. لم يلتفت احد إليها . غرقت فى غيبوبة جديدة تداخل فيها صيحات القتال وقدوم الاغا وأول ليلة من ليالى زفافها .. وعملية ختانها وهى صغيرة . وأشعلت الحرائق فى كل بيت من خط الفوال حتى خط الرويعى وحارة

● كانت هوى وحيدة عندما هاجمها العوام .. جذبوها من شعرها إلى الوحل .. وعندما أطبقت الأصابع على عنقها .. كانت تحلم !

النصارى . وخلع المشايخ شارة الديوان وصعدوا فوق المآذن المكسورة يحرضون الناس على القتال ،، وتقلبت القاهرة على شواظ البارود عشرة ايام كاملة ..

وفرض الفرنسيس حصارا قاسيا .. ورغم جهود الشيخ المحروقى .. فقد امتد الجوع بطول الازقة . واصبحت بولاق كتلة من اللهب . وطاف فارس فرنسى يرفع راية بيضاء ويصيح ..

ـ أمان .. أمان .. سوا .. سوا .. فمن الذى ينصر السلطان ويهزم فرط الرمان والقتلى فى الحوارى لاتجد من يدفنها ؟ ..

مرة أخرى ذهب المهزومون للاعتذار . وجاء نيكولا إلى الموسكى واستولى عليها ثمنا لانتصاره . وسارت خلفه . عبر الحرائق والجثث والمتاريس والمدافع المحطمة والبيارق المكسورة . وفرض جباة الفرنسيس غرامة قاسية . وقادوا الشيخ السادات سجينا الى القلعة .. ولم تكن هوى تنتمى لأحد .

مضت الأيام مثل كابوس يومى متكرر . استولى الفرنسيس على مخازن الغلال وصادروا الجمال والبغال . فرضوا غرامة اخرى . قتل كليبر فى حديقة منزله . وقتلوا القاتل ومثلوا بجثته وجاء صارى عسكر جديد ، وحل عيد الصليب فأمروا الناس بتعليق الزينة . واطلقوا الصواريخ فبكت الناس فى بيوتها قهرا . وزاد النيل زيادة مفرطة حتى انقطعت الطرق وسقطت البيوت المطلة على الخليج . وأمروا بجمع الشحاذين ، واستولوا على الأوقاف . وعمت رؤية هلال رمضان . وصام الناس صوما طويلا لم يعقبه عيد . وكانت كسوة الكعبة تالفة . أكلت العتة اطرافها . ومحت الرطوبة نقوشها . واصر الفرنسيس على خروجها وسفرها لتكسى بها الكعبة على اسم المشيخة الفرنساوية . وانتشر الطاعون . ومات به مراد بك . وكانت هذه هى حسنة الطاعون الوحيدة . وجاء الاتراك مرة أخرى . وواصل الانجليز حصار الشواطىء وانهزم الفرنسيس هزيمة صغيرة عند الرحمانية ولكنها كانت كافية . وانتشرت موجة من الاغتيالات بين الجنود الفرنسيس ..

وبدأت المفاوضة على الانسحاب من جديد . واطلقوا المساجين كبادرة حسن نية . وخرج الشيخ السادات محطما . ودوى مدفع عند الغروب من قلعة الظاهر وأذن منها للعشاء ثم للفجر وتطلع الناس إلى القلعة فى دهشة .. وجاء الصباح فرأوا البيرق العثمانى فوقها ..

الرحيل الى الموت ..

استعد الفرنسيس للرحيل بعد ثلاث سنوات واحدى وعشرين يوما مريرة واستعد العثمانيون للدخول بعد ثلاثة قرون مظلمة .. لا أمل ..

سارت هوى خلف الجيش المنسحب . هل هناك طريق آخر .. ؟ .. سارت شمالا حتى رشيد .. ووقفت وسط أرض الملاحات الموحشة .. خذنى معك يا نيكولا الى بلدك الغريب .. صاح فيها

ـ مارسيليا ..

هذا بلده .. ولعله اسم زوجته واطفاله إن كان له زوجة واطفال .. صرخت .

ـ سيقتلوننى

فلم يفهم .. اعطاها قطعة ذهبية فضحك الجنود . ودوت المدافع . وكان لابد من الرحيل . واضيئت المنابر لمدة سبعة أيام . وتعالت التكبيرات . وبقيت وحيدة . وسط شوارع غريبة . وكانت جرذان الطاعون كثيرة فاختبأت وسطهم .. واحست ببطنها غريبة فصرخت إنها أم .. إنها حامل ..

هذا الشىء الذى يتكون يجب أن يعيش . حلمت به طويلا . وانتظرته طويلا . وليس ذنبه أنه جاء ملوثا فى زمن كله ملوث . من يملك أن يغفر له .. لا لها . هى فى حاجة ملحة للعقاب لعل ذلك يمنحه قدرا من الخلاص ..

تركت خرائب بولاق . الى الموسكى . دارت حول بيتها القديم . كان مضيئا ينبض بالحياة هل يمكن للأغا أفندى ان يفهم . هل يمكن لأحد فى هذا العالم أن يفهم . طرقت الباب وجرت إلى أول الحارة . توقفت وشهقت بعنف . وفتح الباب وبدا اسماعيل كاشف واقفا . اشار لها أن تأتى فسارت إليه ببطء . والهواء البارد يلفحها . لم يعدها بشىء . ودخلت البيت مقرورة . كان مفروشا بالرياش الثمين . باهرا كما لم تر ه من قبل لم يوجد فيه امرأة أخرى بعد . تركها تتكوم فى الركن مثل كلبة ضالة . واشعل كل مافى المنزل من شموع ربما ليتفرس فيها جيدا . ثم احضر غليونه وجلس أمامها وأخذ يدخن فى هدوء .. وأخيرا قال فى صوت أجش ..

ـ هل انت حامل ؟ ..

قالت .. أجل .. فى وهن وساد الصمت ثم قال :

ـ كم كانوا ؟ ..

توسلت وهى تبكى .. يا أغا افندى .. ياأغا افندى ..

صرخ فيهـــا ..

ـ كم كانوا ؟ ..

ـ واحد فقط .. فقط

قال فى برود .. أمر لا يصدق .. وتركها متكومة فى الركن . وانصرف الى حجرته . وظلت جالسة ترتعد حتى الصباح . وخرج اسماعيل كاشف مبكرا بعد أن أغلق الباب خلفه باحكام . صعد الى القلعة . كان حسين باشا القبطان جالسا يحصى النقود التى جمعها من القاهرة على سبيل السلفة ، وقال اسماعيـــل :

ـ ياباشا عادت زوجتى واعترفت .

قال الباشا فى اختصار :

ـ تكسر رقبتها فورا ..

قال اسماعيل :

ـ أفضل أن افعل هذا بنفسى ..

ـ عفارم أغا .. اكسرها جيدا أغا .. اكسرها جيداً ..

وهبط اسماعيل من القلعة . والشمس غائمة ، و(هوى)مكومة فى الركن نائمة من الاجهاد والاحلام الخائبة .. وفكر اسماعيل إن البيت لا يجب أن يتسخ بأى قطرة من دمها ..

وافاقت (هوى) فى ذعر واصابعه على عنقها . كانت تحلم بالطفل الذى لن تلده أبدا . وضغط الأغا ، حاولت فى وهن أن تقاومه . وتحشرجت انفاسها .. وفى ومضة واحدة . ضج فى اذنيها صوت صنوج بائع العرقسوس . وأذان الفجر من المشهد الحسينى . وغناء الملاحين عند وفاء النيل .. ونداء باعة الحنة والقرنفل والبهار وشغف الهوانم ،، واطبق الظلام .. ولكن الاصوات المتداخلة الاليفة ظلت ترن فى اذنها كأنها لم تمت

محمد المنسى- قنديل

بقلم : عاطف سعودي

الحذاء

أخذ جلال ينظر الى حذائه القديم في اعجاب شديد كأنه يراه لاول مرة صحيح انه حذاء قديم متهرىء لكنه وفي ٠٠ رائع الوفاء ٠ وصحيح انه حائل اللون جريح البشرة لكنه لطيف الصحبة طيب العشرة ٠ وصحيح ان الثقوب التي في نعله لا تجد ما يسدها سوى اسفلت الشارع لكنه أقام الدليل على انه اشد حرصا على قدمي صاحبه من امتن الاحذية وأقواها ٠ وهو الى ذلك ابكم لا تصدر عنه تلك الموسيقى الرتيبة التي تصدر عادة عن الاحذية الجديدة ٠٠ الا انه عزف هذا الصباح لحنا صامتا عنوانه « الصبر عند البلاء » جاء أروع من كل الموسيقات ومن كل الالحان ٠

كان جلال حتى هذا الصباح على اعتقاده القديم بأن القدر يعانده ٠٠ يقف له بالمرصاد يتحداه ويختصه وحده دون سائر الطلبة في الكلية بأعتى الكوارث واصعب النوازل ٠ وهل هناك أشد من كارثة الفقر على الانسان ؟ جلال طالب فقير ٠ فقير لدرجة ان الحذاء الذى هو ضرورة الضرورات اصبح بالنسبة له أمر عسير ٠٠ بعيد المنال ٠٠ حلم من الاحلام ٠ حذاؤه الذى في قدمه صار كأنه صديقه الحميم أو صاحبه الذى لا يقوى على فراقه ٠ لا ينسى جلال ابدا التاريخ الذى اشترى فيه هذا الحذاء لسبب بسيط وهو انه نفس التاريخ الذي دخل فيه الى الجامعة منذ سنتين ٠ كانت مناسبة تاريخية في حياة جلال هي انتقاله الى مرحلة دراسية جديدة فاشترى له والده حذاء جديدا رغم ان حذاءه الاسبق كان وقتها لا غبار عليه وفيه من الرتق الكثير ٠ وظل حذاء الجامعة هذا في قدميه وحيدا بغير حذاء زميل يعاونه او يحل محله أو يسمح له باجازة ليستريح أو يرم جلده ٠ ينتعله جلال في كل مكان ٠ حتى في داخل البيت لا يجد الحذاء

اذا توضأ جلال شرب الحذاء سؤر المتوضىء وعام ما بداخله في الماء واختلط الماء بالعرق وترسبت الاملاح في مسامه فيصيبه من التشققات ما يصيب ٠ واذا لعب جلال الكرة في الشارع امام البيت تلقى الحذاء لطمات الكرة الصارمة الشديدة على وجهه وجانبيه وأحيانا على مؤخرته وكعبه وداسته الاحذية الاخرى وركلته والويل كل الويل له لو افلتت الكرة من جلال فشاط الارض ٠ عندئذ لابد أن يتخرشم وجهه أو ينفصل بعض جلده عن نعله فيئن ويتوجع في سكون وينزف نزيفا داخليا ٠ اما اذا اخطأ جلال

في التصويب او قلشت منه الكرة فان مفاصله كلها تتسيب في عنف ويشعر بوطأة المسامير المنغرزة فيه وتشتد عليه آلام الجراحات الخوالي ٠ ماذا يفعل الحذاء المسكين ؟ هل خلت الاقدام من الرحمة حتى يعامل هذه المعاملة التي لا يحتذيها الا الجبابرة من البشر ٠ حظه العاثر هو الآخر وقدره هو الذي اراد له ان يقع في قرعة جلال ٠ ورغم ذلك صبر الحذاء ٠ وصبر جلال عليه ٠ كل منهما بات يتوقع أن يأتي الفرج يوما ما فيحال الحذاء الى الاستيداع وترتاح ما تتبقى منه من اطلال ٠ ويستريح جلال منه هو الآخر فقد

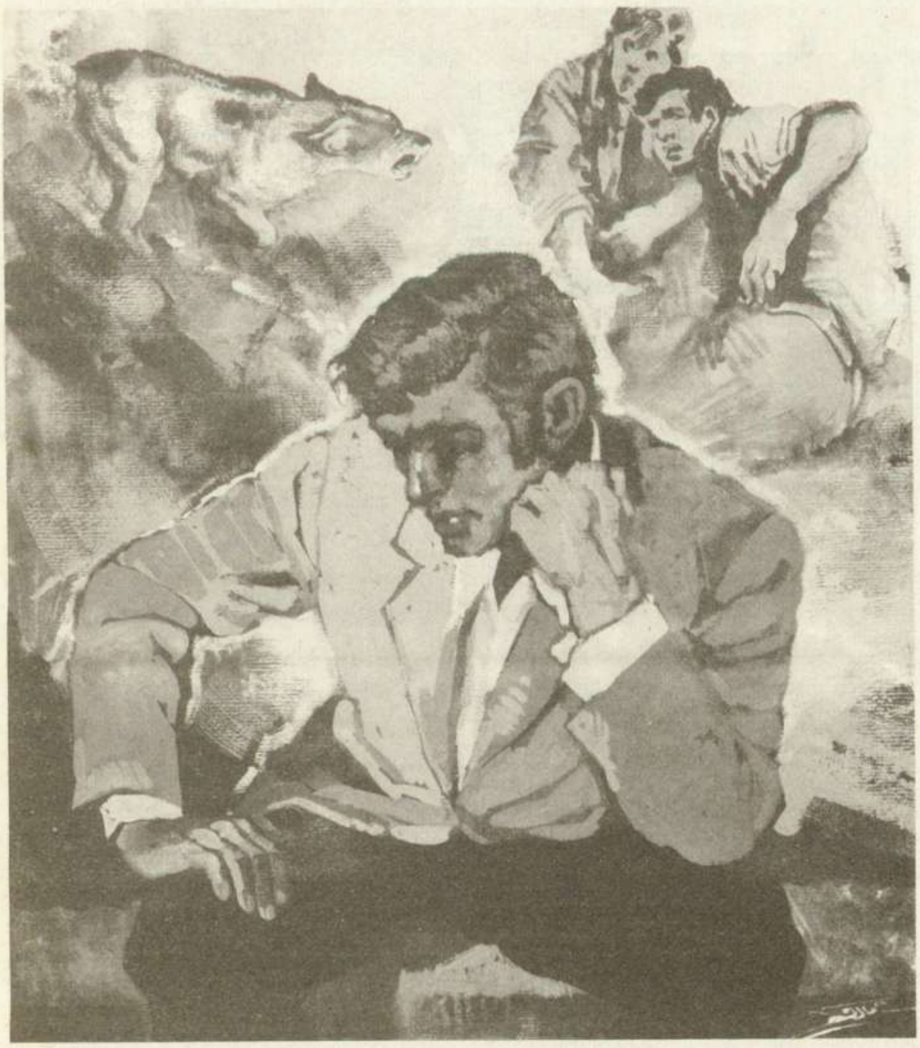

سئم منظره البشع وصورته القبيحة. كم واراه جلال خجلا منه اذا جلس مع زملائه فيدفع بقدميه الى الخلف من المقعد اما ان كان واقفا فانه يهمل رفع بنطلونه عامدا حتى يغطي الحذاء تغطية كاملة فاذا كان في المصلى كان اول الخارجين منه حتى لا يراه المصلون وهم خارجون من الجامع .

والآن هاقد بدأ العام الجديد وكل الطلبة يدوسون نعالا جديدة الا جلالا هل يذهب الى والده ويقول له اشتر لي حذاء جديدا وهو لم يدفع مصاريف اخته التي تتعلم هي الاخرى في الجامعة ؟ هل يقول له ذلك وهو يعلم ان ايجار البيت الشهري لم يدفع حتى الآن . ام يطلب منه هذا الطلب وهو يعلم ان والده محتاج الى حلة جديدة بصورة اشد الحاحا من حاجته هو الى حذاء جديد .

سكت جلال حتى قام والده بسداد اجرة البيت ودفع لاخته مصروفات الجامعة واشترى قطعة من القماش وارسلها الى الخائط ليقوم بتفصيلها حلة جديدة له . وعندئذ تنفس جلال الصعداء واقبل على والده :

● اريد حذاء جديدا يا أبي .

ـ امهلني شهرا فقط يا بني .

● حذائي اصبح غير لائق بالمرة .

ـ استحملت الكثير يا جلال ولم يبق الا القليل .

وصبر جلال على مضض طوال الشهر . صبر اذ رأى الدراجة البخارية التي اشتراها زميله حسني واصبح يأتي بها كل صباح ليملأ فناء الكلية بفرقعتها الشجية . وصبر اذ رأى ساعة زميله محمود الجديدة التي توضح الوقت باللمس او الاشارة وهي تبرق حول معصمه وصبر اذ رأى « الكالكيوليتر » الجديد الذي يتباهى به سعودي لانه يساعده في اجراء اعقد المسائل الحسابية من ضرب وطرح وجمع وقسمة في لمح البصر أو اسرع .

واقترب اليوم الموعود . كان جلال خائفا من هذا اليوم الذي ينتظر لقاءه . هل سيأتي حاملا امله محققا رجاءه المتواضع ؟ ام تظهر في الافق طلبات منزلية جديدة تذكيها اولويتها والحاحها فيضطر الى الانتظار شهرا طويلا جديدا. ذكر نفسه بأن القناعة كنز لا يفنى وبأن الصبر مفتاح الفرج وبأن الرياح قد تاتي بما لا تشتهي السفن . هذه العبارات وأمثالها عزى بها نفسه حتى لا تضيق به الدنيا بما رحبت اذا ما تأجل طلبه هذا الشهر ايضا .

وجاء أول الشهر فاعاد جلال الطلب وابتسم الوالد .. آه .. الحمد لله لا يبتسم الوالد الطيب الا اذا كان متأكدا من أنه سيدخل السرور الى نفس ابنه الحبيب فليس أكثر ما يدخل السرور على الاباء من اجابة طلبات الابناء .

وعدك يا أبي الذي واعدتني به أتذكره ؟

ـ ط .. طبعا يا بني كيف أنساه . ساحققه لك .

متى يا أبتاه ؟

ـ أول الشهر القادم ان شاء الله .

خيبت تلك الاجابة أمل جلال لكنه لم يعلق عليها . اختلس الوالد نظرة الى وجه ابنه ليرى كيف يكون رد الفعل . ولم ينتظر الاب الذي فهم في التو واستدرك في الحال :

ـ أقل لك .. لا تبتئس يا بني .. خذ ثمن الحذاء هذا الشهر .. وسأتصرف أنا .

كان جلال يعرف أن والده لم يذهب الى الخائط ليتسلم حلته الجديدة رغم أن الخائط قد انتهى من تفصيلها وتجهيزها له . لابد أن والده يتوق الى ارتداء الحلة مثلما يتوق هو الى حذاء جديد .

لا يا أبي .. عندي فكرة أجمل . اعطني جنيها واحدا زيادة في مصروفي هذا الشهر وأنا الذي سأتصرف .

ـ ماذا تفعل ؟!

سأعمل عمرة شاملة لحذائي فهو قادر على التحمل وأول الشهر الجديد اشتري حذائي الجديد .

وتمت العمرة المطلوبة للحذاء القديم وجاء أول الشهر الجديد وكان اول شيء فعله الوالد أن أعطى جلال ثمن حذائه كاملا .. عشرة جنيهات كاملة .

ذهب جلال الى الكلية في هذا اليوم منتشيا سعيدا . اليوم اليوم .. لا غدا بعد أن تنتهي الدراسة في الكلية سيعود الى منزله ويتناول طعام الغذاء ويستريح قليلا حتى تفتح المحلات أبوابها لفترة ما بعد الظهر

ثم ينزل مباشرة من المنزل ويركب سيارة اتوبيس أو لعله من الافضل أن يستقل سيارة اجرة . نعم سيأخذ سيارة اجرة لانها اسرع من ناحية ومن ناحية لابد له ان يحتفل بالحذاء الجديد لكن لا .. فكر جلال قليلا وفضل ان يفعل العكس . سيركب سيارة الاتوبيس المزدحمة وهو ذاهب فلا ضير من أن يدهس احد قدمه وبها هذا الحذاء القديم . اما في العودة من المحل الى المنزل فلابد .. نعم لابد ان يركب سيارة اجرة . كلام معقول سيكون ساعتها منتعلا حذاءه الجديد الذي انتوى ان يلبسه في المحل ويبدأ في استعماله منذ اللحظة الاولى التي تلج قدماه فيه . سيكلف البائع ان يضع له حذاءه القديم في صندوق الحذاء الجديد ليخفيه عن الاعين . كفاه ما ناله منه من احراج وكسوف وازدراء . فكر جلال كذلك في طريقة مناسبة للتخلص من حذائه

الحذاء

القديم آه فكرة رائعة ·· عندما يستقر الحذاء القديم في صندوق الحذاء الجديد ويركب سيارة الاجرة وهو عائد يلقيه من نافذة ··لا·· عيب·· عيب كبير ان يراه المارة وهو يلقي بشيء من نافذة السيارة وربما اسرعت سيارة اخرى من الخلف لتعيد الشيء المسقوط منها ··احسن شيء ان يتعمد نسيان اللفافة في سيارة الاجرة · سيمضي السائق بسيارته بعد ان يقتضي منه الاجرة لا يلوي على شيء حتى اذا ما اكتشف « الهدية » التي نسيها جلال لم يستطع بطبيعة الحال ان يهتدي الى عنوانه لانه سيغادر السيارة قبل منزله بعدة منازل وعندئذ سوف ينوب عنه السائق في التصرف الذي يليق بمقامها ·· صندوق القمامه !! نعم سيكون صندوق القمامة هو نهاية المطاف والمقر الاخير لهذا الحذاء البالي ·

وفي الكلية تقابل جلال مع زميله وصديقه فتحي · فتحي والده ثري· يشتري والد فتحي لابنه الاحذية بمناسبة وبدون مناسبة · هذا حذاء اسود لفصل الشتاء وهذا حذاء ابيض لفصل الصيف وذاك بني او ملون للخريف او الربيع · تدور دورة الاحذية في قدم فتحي مع دورة الفصول ومع حركة الارض حول الشمس · نظر فتحي الى قدم جلال وامتعض :

ـ يا اخي ·· يا اخي ارجوك ·· اعتق هذا الحذاء بربك

● اليوم أفعل يا فتحي · سأشتري حذاء جديدا بعد الظهر

ـ اذهب معك يا جلال ·· فحذائي هذا لا يعجبني

● لكنه حذاء جديد يا فتحي ·· خسارة

ـ مللت منه وبالسوق احذية نزلت آخر موضة ـ فهل تصحبني ؟

● طبعا يا اخي ·· على الاقل استفيد من خبرتك وانتقي حذاء جميلا ·

واتفق الصديقان على اللقاء في نفس اليوم · كما اتفقا على المكان

الذي سيتقابلان فيه · وانتهى اليوم الدراسي وآب كل منهما الى منزله ليتناول غذاءه ويستريح · وصل جلال الى منزله والبشر يواكبه في كل خطوة يخطوها والسعادة تملأ جوانحه · سيتساوى رأسه مع رأس فتحي عندما يسيران على قدم المساواه كل منهما سيكون بقدمه حذاء جديد هكذا كل شيء في الدنيا له آخر وقديما قالوا « اللي له أول لابد له آخر » ·

وصل منزله ·· طرق باب شقته ·· لم يجبه احد ·· تحول الى الشقة المقابلة · عرف من جاره ان والده قد استدعي من عمله ليحمل والدته الى ·· المستشفى فقد فاجاها نزيف شديد · عرف جلال ايضا الحقيقة ·· عرف حقيقة قدره الذي يعانده دائما ·· فوض امره لله وطار الى المستشفى ليطمئن على والدته الحبيبة وجدها قد دخلت غرفة العمليات والطبيب الجراح وزميله طبيب امراض النساء ومعاونهما دكتور البنج ·· ثلاثتهم معها يجرون لها العملية اللازمة لوقف النزيف ·

شاهد اباه على باب الغرفة يتمتم ببعض آيات الكتاب الكريم · لم يتحدث احدهما الى الآخر · ولم يشعر جلال بيده وهي تمتد الى جيبه لتلتقط الورقة ذات العشرة جنيهات وتحتضنها في الظلام · ولم يشعر والد جلال بيد ابنه وهي تدس الورقة في جيبه ليعيدها له حتى يستطيع ان يجابه نفقات علاج امه ·

تغيب جلال عن الدراسة يومين حتى تماثلت امه للشفاء وعادت الى المنزل وفي اليوم الثالث صحا جلال وارتدى ملابسه وحذاءه القديم وخرج قاصدا كليته فالتقى بزميله فتحي كعادتهما· كان فتحي يرتدي حذاءه الجديد ·· ياله من حذاء · اسود اللون لكنه ساطع ·· يخطف البصر ·· ويسر النظر ·

ـ هكذا مواعيدك يا جلال ·· ؟

● معذرة يا فتحي ·· والدتي كانت مريضة ولم استطع الحضور حسبما اتفقنا ··

ـ وما حالها اليوم ؟

● احسن ان شاء الله ·· مبروك على الارض ·· بكم حذاؤك هذا ؟

ـ بخمسة عشر جنيها فقط

● تعيش وتدوب يا اخي ·

ومضى الصديقان على الطريق · قطعا شارعا والذي يليه واقتربا من الكلية وفجأة ·· انشقت الارض عن كلب كالمهر الوليد · بعثر الكلب المارة والطلبة والطالبات واندفع كالقطار صوب فتحي وجلال · طار الصديقان طلبا للنجاة والكلب في اثرهما · الكلب يزأر كأن به مسا وهما يصرخان ·

حذاء فتحي جديد ·· لا يساعده على الجري لقساوة جلده وصلابة نعله ·

حذاء جلال القديم اصبح كالكاوتشوك يمضي به كالصاروخ انزلق فتحي عندما حاول مع جلال الانحراف فجأة ليهربا الى شارع جانبي · سقط فتحي على الارض ولحق به الكلب فاغرا فاه · ناله الكلب في اليته · صرخ · اطلق احد امناء الشرطة الرصاص على الكلب قفز الكلب من الالم قفزة واحدة ارتفع في الهواء الى مستوى الطابق الثاني ثم سقط على الارض ساكنا كأنه حجر ·· و ·· نجا جلال !!

عاطف سعودي

من تجارب الشخصية

أصارحك القول ياولدى!

ما أسعدها من لحظات ... تساوى الدنيا وما فيها ... عندما أضم طفلى إلى صدرى ... ولسانه يردد متلعثما : بابا .. كلمة حلوة ... واحلى ما فيها اننى اسمعها لأول مرة ...

ولدى ... احببت الدنيا من اجلك ... كرهت السفر وقد كنت أعشقه لأبقى بجوارك ... أراك وانت تنمو يوما بعد يوم ...

يحزننى بكاؤك ... ويؤلمنى مرضك ... كنت اقرأ هذا قبل ان انجبك ولا أصدقه ... ولن تشعر باحساس وحب الوالدين إلا إذا صرت أبا ... هذا واقع لن تصل الكلمات ـ مهما بلغت وابدعت من خيال ـ الى تصوير جمال حقيقته ...

ولدى ... لقد اخترت اسمك بعد عقد قرانى مباشرة ...

واصارحك القول بانه اسم مشترك يصلح لك كرجل كما يصلح للأنثى وكنت انادى أمك دائما «أم تيسير» ...

ولدى ... كنت ارى أمك وهى تتالم من حملك .. ولكن البشر الذى كان يبدو على عينيها يخفف علي ذلك ... كانت تخشى الطبيب ... بطبيعتها تكرههم !! .هكذا عرفت ... ولكن خوفى عليكما ياولدى كان يدفعنى للطبيب ...

وقد كلفنى ذلك الكثير ...

وعندما حانت لحظة خروجك للدنيا ... كانت هناك قلوب قلقة وعيون مترقبة ... ونفوس متلهفة ... كنت أظن اننى اولهم ولكن عرفت اخيرا أن «جدتك» كانت أكثر قلقا ... وترقبا .. وتلهفا .. حتى انها بكت وهى تحملك بين يديها ...

وقتها ياولدى ... كنت شاردا فى ذهول .. صامتا ... وشريط طويل من الذكريات الحلو منها والمر .. يمر فى خيالى ، صراع رهيب يدور فى خيالى ... أمل كبير يدق فى صدرى ... حلم عظيم تحدثنى به نفسى ... ويدق قلبى وترتفع دقاته ... ويرتفع ناظرى إلى السماء باحثا بين كواكبها عن نجم جديد سيولد تلك الليلة ... بعد لحظات ساكون أبا ... ما احلى هذا الشعور ... وما اجمله من احساس ... ابى !!! لفظ حلو جميل من يحمل من المعانى الكثير ... حرمنى منه القدر وانا طفل صغير ... وذقت مرارة اليتم وحرمانه ..

ومن حاضرى الذى عشته وقتها ... ورجوع للماضى القريب والبعيد ... كنت اتطلع الى مستقبل استطيع أن احقق ما أردته بنفسى ... فى ولدى فلذة كبدى ... قطعة منى تمشى على الارض وصدقت انه لن يتمنى انسان ان يكون اخر افضل منه ... إلا الوالد مع ولده ...

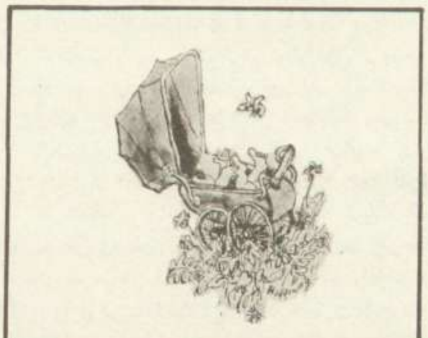

ولدى ... عجيب أمر هذه الحياة ... فلها من الاسرار الكثير الذى حير العلماء والباحثين فلم يستطيعوا حل رموزها ... وذلك هو سر الخالق تعالت قدرته .....

حياة لم نبدأها باختيارنا ... ولن تنتهى باختيارنا ... وما بين البداية والنهاية يصور لنا قصور تفكيرنا وعجزه اننا نفعل فيه ما نشاء !!!.

ولدى ... عجيب أمر هذا الانسان ... سيد هذا الكون ... كرمه الله تعالى على خلقه ... ولكن حشرة صغيرة تقهره ... وشوكة تافهة تؤلمه ... وهواجس نفسه تقلقه ... وهفوات جوارحه تعذبه ... وامآله ... واحلامه لن تنتهى ... وترهقه ...

يبدأ حياته صارخا والجميع من حوله فرحين وكل مظاهر السعادة تجمعهم ...

وفى لحظة النهاية ... يودع الدنيا صامتا ... ساكنا والجميع من حوله يخيم عليهم الحزن والالم .!! .

ولدى ... ارجو ان اكون اكثر ثباتا ... قوى الجنان رابط الجاش ... صادق الايمان ... واثقا من رحمة الله اكثر من ثقتى فى كل شىء ... وانا انتظر الليلة اخوك ... وقد تكون اختك ...

وحتى الآن ... أصارحك القول يا ولدى اننا لم نستقر على اسم لأخيك . !!

ليتك تستطيع تسمية اخيك ياولدى ...

محمد سيد عبد الرحمن
جمهورية مصر العربية

صوت الضمير

احتلت الاحلام مكانا كبيرا في تفكير الانسان منذ قديم الزمان فقد اعتبرها سقراط انها تمثل صوت الضمير . واعتبرها فرويد . الطريق الى العقل الباطن .

وفي السنين الاخيرة قام عدد كبير من معامل الابحاث بدراسة الاحلام .. وتقول احدث النظريات ان العقل البشري يتعامل مع ما يتعرض له بطريقتين :

الاولى : يقوم بها النصف الايسر للمخ وهو يعمل في اليقظة ويتعامل مع المعلومات والحقائق ويقيم كلا منها .

اما الثانية : فيقوم بها النصف الايمن للمخ . ويتعامل مع العواطف والمشاعر العابرة التي لا تلاحظ أثناء اليقظة ويقوم بتقديرها أثناء فترة النوم .

واتضح أن الانسان اذا حرم من الاحلام وذلك بان يستيقظ عندما يصل الى مرحلتها أثناء النوم فان ذلك يؤثر في حالته العقلية والنفسية في اليوم التالي .

كذلك فان الانسان اذا كثرت احلامه ـ عندما تطول فترة نومه ـ فانه يكون مرهقا في اليوم التالي . كذلك ثبت ان هناك مشاكل كثيرة يجد لها الانسان حلا أثناء الاحلام .

كـمـال عـمّـار

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

المقامة الأصدقائية

اصبحت عازفا عن الاختلاط ، وإن كان ولابد فبقيراط ، وحتى هذا القيراط كان بحساب ، لايدخل فيه ارتفاع الاحساب والانساب ، وسعة ذات اليد ، أملا فى منفعة اليوم او الغد ، بل طبقا لمقاييس موضوعية ، واحاسيس تجريدية ، لا انعطف الى واحد وإن طاب مرعاه ، ولا انصرف عنه إذا جفت يداه ، بل اصادق اخلاقه ، ما وسعتنى الطاقة ، يرضينى ان يسعد ويسود ، ولا يقصينى عنه تقلب الجدود .

وكنت فيما مضى اندلق ، وكيفما اتفق ، على اى من الناس ، مادام يبدى لى الايناس ، فالزم نفسى صحبته ، وكنت فى منتهى العتة ، لانه فى اول امتحان ، يصبح فى خبر كان ، واجدنى اتمثل بقول القائل :

إنى لاغمض عينى ثم افتحها
على كثير ولكن لا أرى احدا

فاصحابه رغم عددهم الكثير ، لايجدهم فى الموقف العسير ، فكان وجودهم عدم ، ووعودهم ندم ، وهو المعنى الذى قاله « العامى » بجبلتـه فلان «زى قلته» ، واخذه الشاعر من اهل التفعيلة كما هو جملة وتفصيله ، فلم يضف إليه ، ولم يدر حواليه ، بل عانقه واتحد ، وقال : هذا الزحام لا احد ! .. لا جديد فيما يبديه ، ولا ميزة له على سابقيه .

المهم أن كثرة الصحابة ، خيلة كدابة ، وهكذا كنت يخدعنى الخيال ، فاعمى عن الخلال ، ولانى لم اكن انتقى واختار ، فقد صاحبت الابرار والفجار ، قصارا وطوالا ، مختلفين مهنا واشكالا، عاديين ومتفردين ، سلسين ومعاندين ، إلا ان اشدهم غلاسة ، واقربهم الى نفاية الكناسة ، ذلك الذى يحتال ولا ينهزم ، ويسلبك ملابسك وانت تبتسم ، وهو النوع المسمى بالقطاع ، ويقطع الطريق بالخداع لا بالذراع !

ومن هؤلاء علاء النقشبندى ، وشهرته علاء افندى ، كان إذا اتيته رحب ، وإن ودعته تشكى وتعتب، وإذا حييته رد التحيه ، باحسن منها وشويه ، وكان يؤكد بمناسبة وغيرها ، انه معى على شرها وخيرها ، ومع ان الخير كان بيمينى ، إلا ان كلامه كان يرضينى ، فانست إليه ، واثنيت عليه ، مستشهداً به فى مجال التفضيل ، مرددا كلامه الجميل ، وهو من جانبه ، يعتبرنى اكثر من صاحبه ، فالذى عنده عندى ، ولا فرق بين عبده وعلاء افندى ، ويشفع الكلام بالتحقيق ، جامعاً بين النظرية والتطبيق ، فإن راقته قداحتى الدانهل ، اخذها بمجرد قولى تفضل ! ، وإذا طاب له قلمى الباركر ، وضعه فى جيبه دون أن يشكر ، فالجيب واحد والحب موفور بين النقشبندى وعبد الشكور ، اما إذا أعجبته مسبحتى الكهرمان ، فانها تنتقل إلى اصابعه بدون استئذان ، حتى صرت احتاط للأمور ، دفعا للوقع فى المحظور ، اجمع من كل زوجين اثنين ، واحد لحسن والثانى لحسين ، فاذا احتجت ولو قلما من الرصاص ، اشتريت اثنين بمنتهى الاخلاص ، وقبل برد الشتاء بيومين ، اشترى بلوفرين ، وادفع بدل العشرة عشرين ، غير اسف او ضنين وإذا حل الهجير ، ابتاع قميصين حرير ، وهكذا فما فى يدى فى يده ، وما فوق جسدى على جسده ناسيا ان « ياء الاضافة » فى يدى وجسدى ، كانت من نصيبى وحدى ، اما هو فلا ، سواء ما هان او غلا .

وحدث ان بعث لى صديق مسافر اسمه « عبد القادر » ، بساعة عالمية الماركة ، اوتوماتيكية الحركة ، مينائها اسود ، وغطاؤها من الذهب الاجود ، وسوارها رقيق الحاشية ، من أرقى جلود الماشية ، غالية الثمن ، وافية الزمن ، لاتقدم ولا تؤخر ، فحملتها وانا مستبشر ، وهجرت ساعتى القديمة ، وكانت لا تزال سليمة ، إلى ان جاء هادم اللذات ومفرق الساعات ، البلاء الابدى ، علاء النقشبندى فابدى إعجابه على الفور ، ولكنى تجاهلت الدور ، واعاد قراءة السيناريو ، فسالته عن جماعة البوليساريو ، وعاود الاشارة والاشادة ، مبطنا غايته ومراده ، وان يصل الامر الى الساعة ، فهذا من علامات الساعة ، ثم إنها هدية من يحفظ لى عهدا ، والهدية كما علمونا لا تهدى ، فعاد يلمح بعد التضمين ، وانا اذن من طين وعجين ، واخيراً خرج عن التلميح الى التصريح ، وقال أعطنيها إن كنت أخى بصحيح ، فاعتذرت بصريح العبارة ، مادام تجاهل فهم الاشارة ، فدافع عن نفسه ، بانى فهمتَ قصده بعكسه ، وحاشا لله فالساعة ليست سيجاره ، وان قصده هو الاستعارة ، فغداً عنده ميعاد ، مع احد اعيان البلاد ، فسألته : وما شأن ساعتى ؟ ، فضحك من سذاجتى ، فان حاجته عند الرجل لا تتاجل ، إذا هو دخل عليه بالحنجل والمنجل ، البدلة الجديدة مكوية ، والحذاء مرآه سفلية ، والشراب بلا ثقوب ، والكرافتة بلا عيوب ، غاية الابهة ، ونهاية المنجهة ، ولكنك يا دكتور ، تريد ان يختل الديكور ، ونفيت علاقتى بالديكور والدكتره ، وتابع هو الثرثرة فقد سبق له لقاء هذه الشخصية ، بنفس هذه الساعة العادية ، واشار إلى معصمه ، ثم أغار على مغنمه ، وقال بلا إبطاء ، هاتها وساردها غدا فى المساء ، بعد أن تكون أدت الرسالة ، وأكدت مظاهر الجلالة ، ولما الح فى المسالة ، اعطيتها له ، وعدت للتى هجرتها قرابة الشهر ، فوجدتها قد اضر بها الهجر ، صامتة مهما تغذت ، واقفة مهما اهتزت ، وقد انفرجا عقرباها كانها فاغرة فاها ، لسهولة تفريطى فى كل ذى «زمبلك» ، وكاننى شهريار الملك .

وجاء الغد والمساء ، ولم يات علاء ، ولعل الميعاد استغرقه ، وشغله ما نجح فيه وحققه ، وإن فاته المساء فالصباح لا يفوت ، وآثرت السكوت ، ولكن الصباح جاء ولم يجىء علاء ! ،

وفى العصر كنت اطرق بابه ، فانفتح عن صبى خل من النجابة ، وقبل ان انطق انا ، قال « بابا » مش هنا ، ولكن متى ياتى ؟ ، فصاح بصوت منكر : ياخالتى ، فلم ترد خالته التى بالداخل ، ولعلها من اللواتى يحتجبن بالمناخل ، ويطلون الرداء ، مبالغة فى الحياء ، ويعتبر ن الصوت عورة ، والصمت سترة ، ولانى احترم تقاليد الشرف ، فقد انصرفت بسرعة البرق ، وجلست فى قهوة مجاورة لسكناه ، انتظارا لرؤياه ، ونودى لصلاة العشاء ، ولم يات علاء ! فدخلت بيته ، وناديت من جديد فلم ينفتح الباب عن سعد أو سعيد ، اينامون هكذا مبكرين٠؟ ، ولكن ما العمل يامسلمين ؟ ، وفى الصباح المبكر كنت اجلس فى القهوة وافكر ، فاذا لم يخرج من منزله اليوم ، فماذا افعل يا قوم ؟ ، ومع الثامنة ، رايته يخرج بطلعته الداكنة ، فاسرعت خطاى ، ورانى فصاح ، سامحنى لقد وقعت فى مطب ، مخجل صعب ، ضاعت الساعة فى ساعة مشئومة ، كنت اركب اوتوبيس الحكومة ، صعدت بها ، ونزلت بدونها ، وإنه فى منتهى الخجل ، ويطلب فسحة من الاجل ليجمع ثمنها بالكامل ، ويقدمه للكريم الفاضل ، الذى هو انا !! ، ولما كنت رجلا مؤمنا ، فقد استعوضت الله ، ولكنه صاح لا والف لا ، ولا يمكن ولا بد ، فضميره لا يستحل حق احد ، والقيت عليه السلام ، وتركته يواصل الكلام !

وعدت للقديمة الوحيدة ، ولكن لم تخرج منها دقة مفيدة ، فاشتريت غيرها ، ونسيت امرها ، إلى ان انقطع الاوستيك ، وانا فى شارع كلوت بك ولمحت محل ساعات ، ولم يكن فيه إلا صاحبه وإحدى السيدات ، خرجت حين دخلت ، وحييت الرجل وسالت ، هل لديك جلود شمواه ؟ فقال آه ، وقدم نوعين متشابهين ، سالته عن اجودهما فقال بجنيهين ، ورحت افاصل ويفاصلنى ، واجادله ويجادلنى ، ويقسم ان مكسبه قروش معدودة ، والحال واقف وقد طال كسوده ، وهنا رايتها ساعتى وإلا فهى اختها !! ، وسالت الساعاتى ، اهذه للبيع .. فقال نعم يا حياتى ، وطلبت ان اراها ، فامسكها بيديه ، وقال سبعون جنيه ، ولاجل خاطرك خمسة وستون ، فانت نعم الزبون ولما امسكتها تاكد الظن ، من خدش كان بجوار المسمار وصحت فى داخلى ياعالم الاسرار ، وتظاهرت بعد النقود ، ووعدت ان استكملها واعود ، رجاء ان يحجزها لى حتى المساء ، فقال ادفع عربونا وعد متى تشاء ، فدفعت خمسة جنيهات ، وخرجت من محل الساعات ، الى صديقى سامى شعشاعة ، محام غاية فى البراعة وحكيت الموضوع ، واخليت الضلوع ، مما اظن واعتقد ، فقال ستكون معك فى الغد ، وافاجا فى الغد بشرطى وقور ، يسالنى هل انا عبد الشكور فاجبت انا صاحب الاسم ، فقال تفضل معى للقسم ، بضاعتك سترد عليك ، وساعتك ستعود إليك ، وذهبت وانا غير مصدق ، فاذا بها امام الضابط المحقق ، والساعاتى وصديقى الهمام ، واقفين فى قفص الاتهام ، وسامى المحامى ، يبتسم ابتسامة الظفر ، وبهت الذى كفر ! .

وعلا صوت علاء يتهمنى بعدم الوفاء ، كيف اهديه ، ثم ابلغ فيه ؟! والساعاتى يدفع التهمة الملصوقة ، بجهله انها مسروقة ، والضابط يسالنى هل هذه ساعتى٠؟ ، فاجيب بلسانى وابتسامتى ، فسالنى عما يثبت ملكيتها لى ؟ فارتعشت مفاصلى ، فالاثبات الوحيد « عبد القادر » ، ولكنه مسافر ، وانبسط وجه النقشبندى وهو يسمع كلامى ، بينما اصفر وجه المحامى ، وهو يرى المعيار يختلف ، والمسار ينحرف ، واجتهدت فى دفع الخطر ، وقد اقتربت الساعة وانشق القمر ، واخيرا خرجت من القسم بالسلامة ، بضمان محل الاقامة ، فالتحقيق لا يزال مستمرا ، إلى أن يقضى الله امرا ، وحتى اثبت بما لا يدع مجالا للشك ، أن الساعة حق لى وملك ! ، واستنجدت بعبد القادر حيث يقيم ، فبعث لى إيصال شرائها بالريال والمليم ، .. وقدمته بلا ابطاء ، فتم القبض على الساعاتى وعلاء ، وعاتبت صديقى المحامى ، فقال انه التزم بكلامه امامى ، وقد وعدنى بساعتى ، ولم يقصد محنتى !

ومن يومها وانا لا اصادق إلا اقل القليلين ، ولا اتعامل مع كل من هب ودب ، متمثلا بقول القائل:

بلوت حبال الاصدقاء رايتها
هواء وماء فى الغرابيل لا يبقى
فعش واحدا تسلم وإلا فلا تلم
سواك اذا صادقت من لم يكن صدقا
سراب ولا ماء رجاء ولا ندى
فان تلقهم فابصق على وجههم بصقا
فهم مثل كهان اليهود خباثة
اعوذ برب الناس من شرهم خلقا .

منتهى الحب

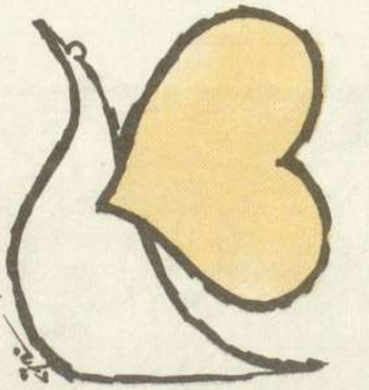

لو جز بالسيف راسي في مودتكم
لراح يهوي سريعا نحوكم راسي
ولو بلى تحت اطباق الثرى جسدي
لكنت ابلي وما قلبي لكم ناسي
او يقبض الله روحي صار ذكركم
روحا اعيش به ما عشت في الناس
لولا نسيم لذكراكم يروحني
لعدت محترقا من حر انفاسي !

حرف واحد وعشرة معان

اللام حرف واحد ٠٠ ومع ذلك له إستخدامات عديدة في لغتنا العربية وهي :

١ ـ لام التوكيد ٠ ان الجو لبديع٠
٢ ـ لام الاستغاثة ٠ يا لمحمد
٣ ـ لام التعجب ٠ يا للذكاء
٤ ـ لام الملكية ٠ الحديقة للجمهور
٥ ـ لام السبب ٠ انما نطعمكم لوجه الله
٦ ـ لام الزمن ٠ لثلاث مضين من رمضان
٧ ـ لام التخصيص ٠ الأمر يومئذ لله
٨ ـ لام الأمر ٠ لتفعل واجبك
٩ ـ لام الجزاء ٠ انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله
١٠ ـ لام العاقبة ٠ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا

يا أحباب محمد.. اتحدوا

شعر: كمال عمار

اى الكلمات تليق بقدر جلال كمال حبيب الله !

القطرة لا تغنى عن سحب المزن ولا
يشفع طيف عن نور محياه
يكفيه شرف الاسم « محمد » يغنيه عن الاخبار
فالميم ـ مدار
تسبح فى مجراه الرحمانى الاقمار
نوح وموسى
من اول ما صنع الله منائره ، اعلام هداه
حتى سطع محمد فى خير نهار

●

والحاء ـ حْراء
وتمهل ياطير وانت تمر بافق الحق وتشهد للسابق واللاحق
انك انت رايت محمداً، صلى الله عليه وسلم
يتامل يتبتل يتواصل يتوحد
فيه وليس سواه
الخالق والرازق
اشرقت الانوار
والميم الثانية ـ محامد وثناء

أرضاً وسماء ناساً وملائكة ياعبد المطلب
نطقت صدقت سبقت زمانك فى الابصار
لو ان العمر امتد لابصرت المجد لواء معقودا
ودعاء ممدوداً لك ولآل حفيدك ولما شاء الله
والميم الثالثة الرابعة الخامسة السادسة السابعة إلى ان يرث الله الارض ـ مؤيد
بالغوث المنبث ملائكه وسيوفا وبيارق
فى بدر الانصار

● ●

والدال ـ دعاء
اصداء نداء المجروحين المسفوحين دما
بيدى كسرى .. قيصر
المرتقبين صبلح الخير ، مساء الامن ، وظهر الحرية
فى ارض لم تدخلها قدما «فارس» و«القسطنطينية »
كان العالم مشلول الساقين فلا ظهرا قطع
ولا ارضا ابقى .. كان وما كان
حين اهل الانسان الباسط كفيه القادرتين
على دفتى الدنيا والآخرة معا
● الا تطغوا فى الميزان
والناشر الوية الرحمة حيث سعى
● المؤمن للمؤمن كالبنيان
صدق الله تعالى والهادى المختار

● ● ●

ياأحباب حبيب الله
صلوا زيدوه تكريما تسليما وصلاة
كونوا بعضا منه .. فلو كنا ما اختلف الجمعان
يا احباب محمد
اتحدوا .. والآن !
او .. فهو الاعصار .

جحويات

راح جحا ليطحن الدقيقا
وكان يشكو عسرة وضيقا
وحينما اتمه رآه
يكاد لا يكفي فما سواه
ماذا اذن لزوجه الكسول
ولابنه الأكول مثل الغول ؟!
القمح شح والكرام راحوا
والجود والعطاء والسماح
ودار في بحيرة التفكير
واحتار في الوقوف والمسير

كما يجب !

وحين دق الباب قمت فى فمى ابتسامتى
رسمتها كما يجب
ودق ثانيا اسرعت واثقا بخطواتى
● اهلا حبيبتى
لكننى رايت بائع الجرائد العجوز
بدا عليه انه رأى ملامحى
وهى تموت فجاة .. أراد أن يقول إنه
اتى لصالحى .. لكنه اضطرب
وارتعشت جفونه فزلزلت سكينتى

●

حين اتت حبيبتى
لم تجد ابتسامتى
تساءلت عن السبب
وكفها الوردى فوق جبهتى
● حبيبتى ..
انا كما يجب
فقط كان بائع الجرائد العجوز
يصفعنى بقبضتى !

الـذكاء الأحـمق

ثم رمى بعينه اليمين
للقمح في القرار والطحين
واتبع اليمين بالشمال
فابصر الغلال كالتلال
فقال الطحان ثم انسلا
يملأ منها كيسه المعتلا
لكنه لحظه التعس
ابصره الطحان وهو يختلس
فقال كيف تسرق الغلالا
اتجهل الحرام والحلالا ؟ !

اجاب : كلا انها حماقة
ونوبة ارجو لها الافاقة
فقال ما دمت اتهمت الحمقا
وكان كل ما زعمت صدقا
فخذ بقبضتيك من جوالك
في غيره يبين صدق حالك
فقال ان فعلت ما تريد
اكون « احمقين » او يزيد
الحمق كالذكاء حين يرمى
في وقته يفيد يا ابن امي !!

يـارب..

اللهم إنى اعوذ بك ان اقول قولا حقا فيه رضاك ، التمس به احداً سواك.
واعوذ بك ان اتزين للناس بشىء يقبحنى عندك .
واعوذ بك ان اكون عبرة لأحد من خلقك .
واعوذ بك ان يكون احد من خلقك أسعد بما علمتنى منى ! .

ظالم بن سارق وأسماء أخرى

عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء اراد ان يستعين برجل فى امر من الأمور فاستدعاه ليكلفه وجاء الرجل فسأله عمر عن اسمه ؟ فقال : ظالم بن سارق!
قال عمر : تظلم انت ويسرق ابوك ؟ .. اذهب عنا فقد عدلنا عما نوينا .. فذهب الرجل .. وذهبت مثلا !

وقالوا إن عمر بن عبد العزيز سمع رجلا ينادى صاحبه قائلا : ياابن العمرين فقال له : لو كان لصاحبك عقل لكفاه احدهما !! .

وقبل هذا وذاك وفد على النبى صلى الله عليه وسلم الشاعر زيد الخيل بعد ان اسلم وصرفه الرسول عن الخيل واسماه ، « زيد الخير » ..وهى تسمية لم تبعد عن صميم الأصل وإن ابتعدت بها عما لا يستحب فى اسماء الرجال .. فكلمة الخيل مرتبطة بالخير ظاهراً وباطناً .. ظاهراً فى اتفاقهما فى الحركة والسكون ونوع الحروف وعددها ما عدا اللام فى الخيل والراء فى الخير .. وباطنا يستفاد من قول الرسول : الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة .

الهـاربـون إلى المـوت

تاريخ الادب العربى حفظ لنا موقفا لثلاثة من الشعراء تعرضوا لما يكرهون ، ولم تكن السيجارة عرفت بعد .. المعروف هو « الخمر » فانكبوا على الشراب الى ان قضوا على انفسهم واستراحوا من توترهم .. اولهم « زهير بن جناب » الذى عاصر اجتياح الاحباش لمكة .. زهير اشار على قومه بالرحيل .. وإليك ما حدث :

● لنظعن يا قوم .. فهذا الحى لم يعد لنا ولم نعد له .
– بل نبقى
● من هذا المخالف ؟
– إنه ابن اخيك .
● الا احديناه ؟
– لا .
● اه لقد خولفت !

وامسك زهير بكاسه وظل يشرب «صرفا» وبلا انقطاع حتى اراح قومه من السفر واستراح من لغطهم .. ومات !

الثانى هو «ملاعب الأسنة» – أبو براء – خرج يحارب فلم يحرز النصر ولم ينهزم .. ومع هذا عز عليه وظل يشرب حتى مات .

الثالث انت تعرفه إنه عمرو بن كلثوم الذى حفظت له فى صباك قصيدته التى يتيه بها ويفخر على الانس والجن ومطلعها «الا هبى بصحنك فاصبحينا » والتى يطلق فيها جناح المبالغة إلى حد السخف كما نقول الدكتور طه حسين وهو يعرض لهذا البيت «إذا بلغ الرضيع لنا فطاما . تخر له الجبابر ساجدينا » .

عمرو هذا شارك فى غارة على بنى حنيفة ووقع فى الأسر وكاد أن يتعرض لاقسى الاهانات حينما قرر أسروه ربطه مع ناقة فى وتد واحد لولا شفاعة بعض القوم فيه فاكتفى أسروه بحبسه فى أحد قصور اليمامة حيث ظل يشرب بلا انقطاع .. حتى مات !

رأيت
سمعت
قرأت

رأيت

هذه المخلوقات الصغيرة

فى غرب السودان تكثر الاودية الموسمية الواسعة ، والتى تمتلىء بالمياه فى فصل الخريف ، ويأتى امتلاؤها فجاة بالمياه على شكل سيول جارفة دون أن يحسب الناس لها حسابا وتتسبب هذه السيول فى كثير من الحوادث لكثير من عابرى هذه الأودية .

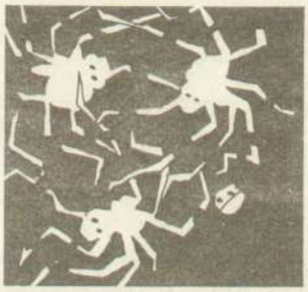

ولكننى رأيت المواطنين هناك .. يتفادون هذه الحوادث بدليل ومؤشر حساس فهم عندما يريدون عبور واد من هذه الاودية يأتون الى طرف الوادى ، ويلاحظون حركة النمل ، فاذا كانت حركته حركة حياة طبيعية فمعنى ذلك انهم يستطيعون العبور فى امان ، اما إذا لاحظوا ان جماعات النمل تتحرك مسرعة خارج الوادى ، فهذا نذير بالخطر وعليهم أن ينتظروا ، فسرعان ما تأتى السيول الجارفة !

وهكذا نرى كيف تفادى الناس اخطار السيول بفضل هذه المخلوقات الضعيفة .. النمل !! .

كامل محمد إدريس
الخرطوم

قرأت

عدوى الخوف

قام بعض العلماء بدراسات فى «الخوف» اثبتت لهم ان الاقتراب من شخص تملكه الخوف يبعث فى المرء خوفا لايعرف منشؤه كما ان الاصغاء لاسطوانات سجلت عليها اصوات اناس ركبهم الخوف أو القلق يمكن ان يعدى سامعيها فتعتريهم نوبات مماثلة من الخوف والقلق .

وقد اختار العلماء لاجراء تجاربهم ٣٣ عالما نفسيا فاسمعوهم اسطوانات سجلت عليها احاديث مصابين باضطرابات عصبية او نفسية وهم يصرخون بمخاوفهم واسرار قلقهم فبدت على العلماء — موضع الاختبار — اعراض الضيق ومظاهر التوتر العصبى .

ومن هنا قد لا تكون مخاوف المرء نابعة من اعماق نفسه بل قد تكون عدوى من شخص اخر ملازم له . وقد ظهر أن عدوى الخوف يمكن ان تنتقل ايضا الى الحيوانات التى تلازمنا .

وقد يبكى الطفل فجاة بين ذراعى امه اذا خافت من شىء واعداه خوفها وقد يضطرب لذلك نومه ايضا .

ويشل الخوف قوة التفكير والذاكرة حتى لينسى الخائف المذعور اسمه وقد ينجم عن الخوف موت مفاجىء وقد يبيض شعر الخائف وهو امر كان مشكوكا فيه ولكن كثيرا من الاخصائيين يعترفون اليوم باحتمال حدوثه ويعللون ابيضاض الشعر بحدوث فقاعات هواء صغيرة فى الشعر بسبب الخوف تفسد صبغته الطبيعية فيبدو الشعر ابيض او عديم اللون .

وتدل التجارب على انه فى خمس حالات من عشر حينما تتملك المرء نوبة خوف فإن قوة بصره تضعف على الفور ثم تعود كحالها الأول بعد زوال اثر الخوف .

كوكب زكى عبده
ج . م . ع

ماذا تعرف عن اليوجا ؟

اليوجا اصطلاح هندى قديم يدل على فلسفة هى واحدة من الانظمة الرئيسية الستة فى الفكر الفلسفى الهندى .

وتعنى اليوجا مفهومين ، الأول هو الالتحام مع الخالق والوصول بالنفس البشرية الى مرتبة السعادة الحقيقية حيث يتم التخلص من آلام الحياة ، اما المفهوم الثانى فيمكن تسميته باليوجا الفسيولوجية ، وهو نظام غايته العناية بالجسم ويستهدف السيطرة على اعضاء الجسم والتحكم فى المقدرة العقلية للانسان مع امتلاك القوى الحسية عن طريق التحكم فى الاعضاء اللاارادية ، وبالتالى تحرير الروح من المادة .

وتعتمد فلسفة اليوجا «كقيم مثلى يمكن الوصول إليها عن طريق الممارسة الفعلية » على فكرة أن العقل الانسانى يتعرض لاغراءات ولميول هائلة نحو المتعة حيث يكون الجسد أداة مسيرة من قبل العقل ، وبالتالى تكون الروح معرضة لشتى انواع المعاناة والآلام . وحتى تصل الروح الى مرتبة السعادة الحقيقية ، وينزه الانسان عن الأغراض الدنيوية الدنيئة ، فعلى العقل أن يمر بتغييرات ذهنية ، فيتحد مع الروح ليحقق لها الخلاص .

وللسيطرة على تلك التغييرات العقلية يجب إمرارها على خمس درجات تصاعدية ، وهنا يتم التركيز الكامل ويكتسب العقل القوى المسيطرة حيث يستطيع اليوجى التغلب على الآلام الحياتية ، ومن هذه الخطوات تنظيم التعامل مع الآخرين ،

والنظافة ، ودراسة الكتب المقدسة ونظام التربية الجسدية والقيام بتمرينات تنفسية . وبعدها يتم التجريد والسيطرة على الحواس ، ورفعها عن المعطيات الاعتيادية للأشياء وحصرها فى الذات .

عبد المنعم محجوب
ليبيا

سمعت

الرجل الخارق

ليس المقصود هنا «ستيف أوستن» بطل المسلسل الشهير ، فهذا رجل عادى يدعى « لي ماجور » ليس فيه شىء خارق ، بل كل مافى الامر خداع الكاميرا ومن يقفون خلفها ، ولكن المقصود رجل امريكى يدعى «آلان برويك» ، حباه الله بقدرة خارقة ، فهو يطلب من اى مصور توجيه عدسة الكاميرا الى عينيه ، ويركز انتباهه على الاهرام مثلا ، ويشير بيده للمصور ليلتقط الصورة ، وعندما يقوم المصور بتحميض وطبع الصورة ، يجد فعلا صورة للأهرام واضحة رغم بعد المسافة بين مصر وامريكا ، وقد حدث ذلك عشرات بل مئات المرات ، فكم من مصور التقط من عينيه صورا لبرج ايفل ، ومبنى الكرملين ، وأهرامات الجيزة .

وقد حدث فى يوم ٢٤ نوفمبر عام ١٩٦٩ ان طلب من ثلاثة من المصورين أن يقفوا امامه فى وقت واحد ، وركز ذهنه ثم اشار عليهم بالتقاط الصور ، وبعد ان نظر الى العدسات الواحدة بعد الأخرى ، وبعد التحميض وطبع الصور الثلاث ظهر مبنى الامم المتحدة من ثلاثة جهات مختلفة فى كل صورة .

والغريب فى الامر ان الرجل ضعيف البصر ومشكلته انه اصبح حقل تجارب للعلماء يستدعونه فى اى وقت ، ولكنه يتقاضى عن ذلك اجرا كبيرا .

الطيب عبد القادر
السودان

ناجي

بدون تعليق

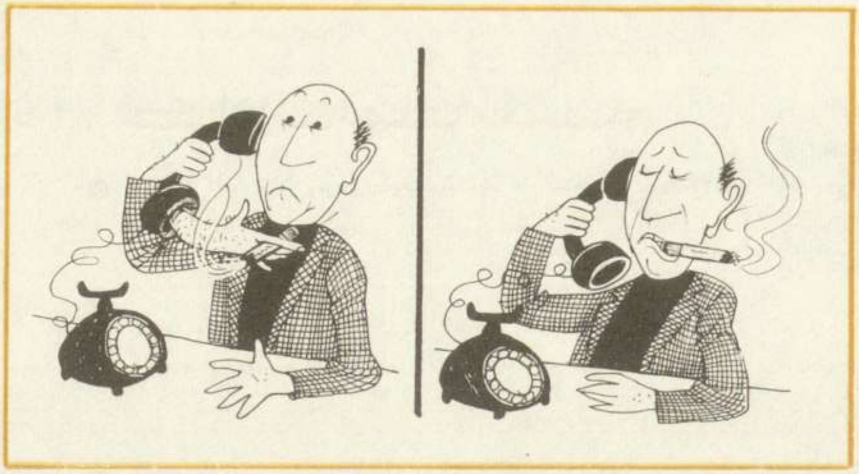

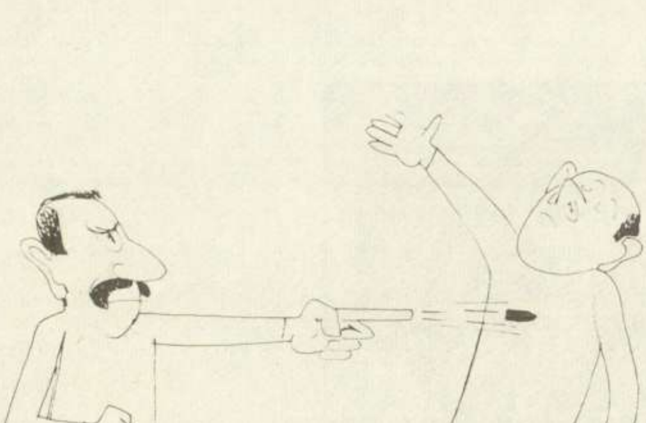

كلمات لها معنى..

● الرجل الذي لا يعرف كيف يبتسم لا ينبغي أن يفتح متجرا .

« فكتور هيجو »

● الرابح والخاسر في لعبة كلاهما مخطىء فالطريق الصحيح لا يحتمل المقامرة .

« الفيلسوف باسكال »

● أعظم أهداف الحياة ، أن تعرف كيف تحياها .

« اوليفد وندل هولمز »

● أيسر على المرء أن يكتب في الفلسفة مجلدات عدة .. من أن يضع مبدأ واحدا في حيز التطبيق .

«تولستوي »

● كلما أطلنا التفكير في مصائبنا ، ازدادت اضرارا بنا.

« فولتير »

● ان الابداع يبدأ بالتأمل .

«بيكاسو »

● لم أتعلم الحرية من كارل ماركس ، بل تعلمتها من البؤس .

« البير كامو »

● لا الحب ، والصداقة ، ولا الاحترام يربط بين الآخرين قدر ما تفعل الكراهية المشتركة لشيء ما .

« تشيخوف »

فارس شكري
العراق

فيكتور هوجو

باسكال

تولستوى

فولتير

بيكاسو

البير كامو

تشيكوف

قال العرب قديما

● من أدب ولده صغيرا ، سر به كبيرا .

● من لم يجلس في الصغر حيث يكره ، لم يجلس في الكبر حيث يحب .

● انصف أذنيك من فيك ، فانما جعل لك أذنان اثنتان ، وفم واحد لتسمع أكثر مما تقول !

خلدون هودلي
الاردن

لقطة الشهر

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال : القارىء مصطفى احمد على — السودان .

الخروج من المأزق

قال الحجاج لغلام له : تعالى نتنكر وننظر حالنا عند الناس ، فتنكرا وخرجا ، فمرا على المطلب غلام أبي لهب فقالا :

يا هذا ! بأي شيء خبر الحجاج ؟ قال : على الحجاج لعنة الله : قالا : فمتى يخرج ؟ ··

قال : أخرج الله روحه من بين جنبيه، ما يدريني ؟

قال : أتعرفني ؟ ، قال : لا ··

فقال الحجاج : أنا الحجاج بن يوسف ·

قال المطلب : أتعرفني أنا ؟ ·

فقال الحجاج : لا

فرد المطلب قائلا :

أنا المطلب غلام ابي لهب ، مصروع أصرع في كل شهر ثلاثة ايام أولها اليوم !

فتركه ومضى بعد ان أشفق على حاله !

سيد فتح الرحمن · مصر ـ اسوان

أين القبعة ؟

كان الطفل يتنزه مع جدته بمحاذاة الساحل حين فاجأتهما موجة هائلة ، جرفت الطفل نحو البحر ، فركعت الجدة المذعورة على ركبتيها ، ورفعت بصرها الى السماء متوسلة الى الله ان يعيد اليها حفيدها الحبيب ، وحلت المعجزة ، اذ جاءت موجة أخرى ألقت الطفل غائبا عن الوعي على الرمال أمام جدته ·

وتفحصت الجدة الطفل بعناية ، ولم يكن أصابه أي أذى ، لكن الجدة تطلعت الى السماء غاضبة ودمدمت :

حين جئنا كان الطفل يلبس قبعة !

عبد الاله زمراوي المغرب

علاج المشكلة

دخل المريض الى عيادة الطبيب النفسي وقال له :

ـ يا دكتور ·· لقد اصبحت الحياة سقيمة ، وأشعر أن لا فائدة لوجودي ·

فرد عليه الطبيب قائلا :

ـ فعلا ، كلنا يعاني من الحياة ، ولكن لا تيأس سريعا ، ان مدة علاجك لن تطول عن سنتين ، على أن تتردد على العيادة يوميا ، وسوف يكلفك هذا خمسة جنيهات في الاسبوع ·

وسكت المريض برهة ثم قال :

ـ حسنا يا دكتور ، ان علاجك هذا يحل المشكلة بالنسبة لك ، فما بالك بمشكلتي ؟

د· محمود حلمي ج · م · ع ·

اليمين واليسار

بينما كان جحا جالسا ذات مساء مع زوجته ، انطفأ مصباح الغاز ، فقالت زوجته :

ـ هات الكبريت من على يمينك ؟

فرد جحا قائلا : وهل جننت ، كيف أعرف يميني من يساري في هذا الظلام ؟

احمد حمادة مصر ـ اسيوط

أسهل عنوان

ذهب كاتب ناشىء الى برناردوشو ومعه قصة من تأليفه يبلغ عدد صفحاتها ١٥٠٠ صفحة وطلب من برناردو شو أن يضع لتلك القصة اسما مناسبا !! ·· فنظر شو الى القصة دون أن يفتحها وقال للكاتب الناشىء هل في قصتك هذه أي آلات موسيقية ؟! قال له الناشىء « لا » ·· فقال له شو على الفور : اذن اجعل اسمها « بدون آلات موسيقية » !!

محمد عبد المقصود ·
ج · م · ع ·

لا يوجد مستحيل

قيل لنابليون :

كيف استطعت أن تولد الثقة في جيشك ؟ ··

فأجاب : كنت ارد بثلاث على ثلاث ، فمن قال : لا أقدر · قلت مه : حاول · ومن قال : لا اعرف قلت له : تعلم · ومن قال : مستحيل · قلت له : جرب !

لحدان الكواري
دولة ـ قطر

برنارد شو

نابليون بونابرت

حل مسابقة من . أين . ما
عدد ٥٢

من: لورانس
أين : صقلية
ما : التليفزيون

١ـ منارة الاسكندرية ـ برج بابل ـ سفينة نوح ـ عصا موسى ـ ناقة صالح
٢ـ غير صحيحة .
٣ـ الكيمياء
٤ـ ابو الريحان البيرونى
٥ـ خمسين سنة
٦ـ الطويل
٧ـ مصر
٨ـ الثدييات
٩ـ خراسان
١٠ـ الجرافيت ـ الماس ـ الفحم

نتيجة مسابقة شهر أبريل ١٩٨٠

● فازت بالجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة اشهر القارئة : بشرى احمد حمدى ـ مصر

● فازت بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة أشهر القارئة ايناس مهدى الأمين ـ الخرطوم .

فازت بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة أشهر القارئة مجد محمد مروان ـ الكويت .

الفائزون باشتراك مجانى لمدة سنة :

● محمود عبد العظيم محمود ـ مصر
● سعيد بن احمد الشريف ـ راس الخيمة
● عبد الرحيم احمد محمود ـ الخرطوم
● فيروز عز الدين ـ الاردن
● نصرة انور على مشالى ـ بورسعيد
● ابراهيم صبحى الناطور ـ سوريا
● فتحى مراد رفعت ـ مصر
● شيرين خميس محمد ـ قطر
● عثمان محمود التوم ـ السودان
● عبد الله سعيد الجرو ـ اليمن
● سهيل السلامى ـ تونس .
● الناصرى عبد المجيد ـ المغرب

من . أين . ما

● من .. ؟

قائد عسكرى عربى مصرى لقن الجيش الاسرائيلى درسا لاينسى فى معركة رمضان سنة ١٣٩٣ فى عملية سميت «العشر دقائق» اباد بقواته فيها لواء مدرعاً اسرائيليا شرق الاسماعيلية . اسمه مكون من ثلاث كلمات فى عشرة احرف .. :

١ـ٩ـ٦ـ٩ خطوط وهمية على الخرائط مزقت الوطن العربى الى اقطار شتى .
٧ـ٥ـ٤ـ٨ وحوش لا تخاف غيرها من الحيوانات .
٢ـ٣ـ١٠ فترة من الزمان

● أين .. ؟

معركة بالشام كادت أن تودى بالاستعمار الفرنسى فى سوريا ولبنان لولا تخاذل بقية العرب عن النجدة السريعة . اسمها من ستة احرف .. :

٦ـ٣ـ٢ـ١ هواء طيب لطيف
٦ـ٥ـ٤ آلة للنسيج

● ما ..؟

نهر عربى فى المشرق العربى سماه قدماء المصريين النهر المقلوب إليه تنسب اللغة العربية صفة الماء الجيد الذى يطفىء سعير العطش عند الوصول الى شواطئه ...
اسمه مكون ستة احرف .. :

٦ـ٤ـ٣ صفة تؤذن دائما بتدهور المجتمعات البشرية فيحق عليها غضب الله .
٥ـ٢ـ١ـ٣ عدد اكثر من المئات .

الجواب الصحيح

١ـ هل يتساوى فى اللغة العربية معنى (الرؤية) و (الرؤيا) ؟؟
٢ـ كانت معركة رمضان سنة ١٣٩٣ مواتية ليوم السبت من ايام الاسبوع ، ففى أى يوم من أيام الاسبوع كانت نكبة يونيو (حزيران) ١٩٦٧؟؟
٣ـ صعلوك عربى قديم عمل دليلا لجيش ابرهة الحبشى الذى اقدم على هدم الكعبة المشرفة سنة ٥٧١م .. ذلك العميل اسمه :
ابو لحية ـ ابو رغال ـ ابو عزيزة ـ ابو خنزيرة
٤ـ أعاد عبد الله بن الزبير رضى الله عنه بناء الكعبة المشرفة مدخلا فيها حجر اسماعيل طبقاً لقواعد سيدنا ابراهيم عليهما السلام فى سنة :
٥٥ ـ ٦٥ ـ ١٠٥ هجرية .
٥ـ يتكون الجص (الجبس) من ملح يسميه الكيماويون :
كربونات الكالسيوم ـ كبريتات الكالسيوم ـ سترات الكالسيوم .
٦ـ كان احد الخلفاء العباسيين يشارك علماء الفلك مهندسى المساحة فى تجارب قياس طول الجزء من محيط الارض لدرجة عرض واحدة كان هو الخليفة .. :
السفاح ـ المامون ـ المعتصم
٧ـ ولد احد فحول الشعراء العرب ليلة مقتل سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يد المجوس ابى لؤلؤة سنة ٢٣ هجرية .. ذلك الشاعر هو :
عمر الخيام ـ عمر ابو ريشة ـ عمر بن ابى ربيعة .
٨ـ وإن تفق الأنام وانت منهم .. اكمل البيت وانسبه لقائله .
٩ـ مجموع زوايا المثلث الواصله اضلاعه بين بغداد والدوحة والقاهرة :
٢١٦ درجة ـ ٣٠١ درجة ـ ١٨٠ درجة .
١٠ـ مؤلف قصة (عرس الزين) هو الأديب العربى الكبير :
الطيب صالح ـ عبد السلام العجيلى ـ سهيل ادريس .

حاول أن تعرف

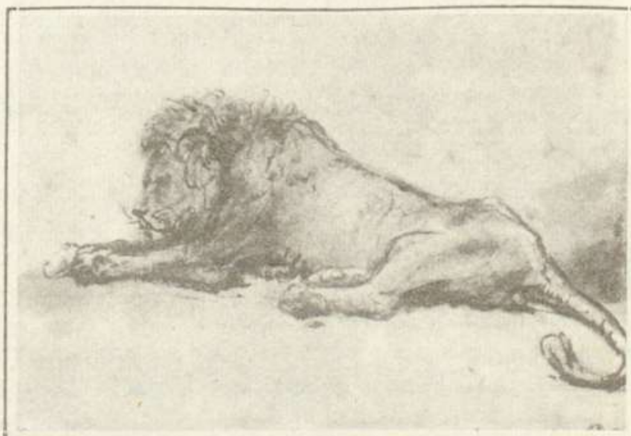

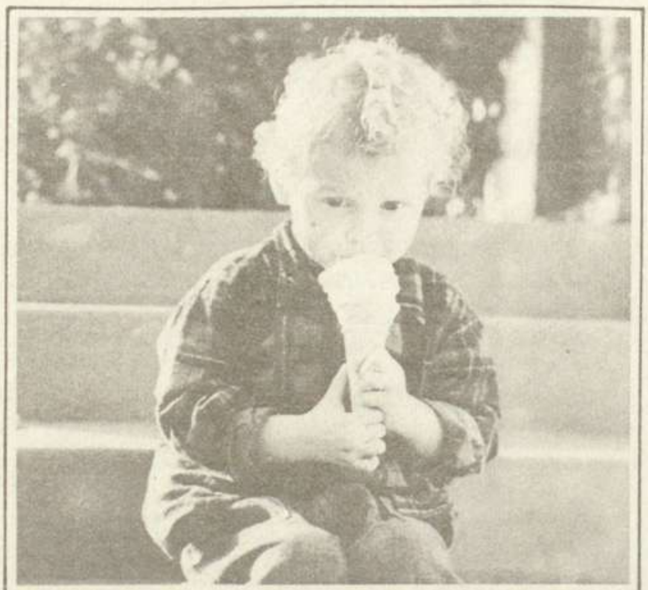

من هو الفنان ؟

عنوان هذه اللوحة « الأسد » رسمها فنان هولندي عاش في القرن السابع عشر وتميزت اعماله بالجمال والتعبير والاستخدام الرائع للظل والنور ، هل يمكنك التعرف على اسم الفنان ؟

مشغول جدا

بعيدا عن احداث العالم راح يعالج مشاكله الخاصة بطريقته الخاصة .. حاول ان تجد تعليقا على الصورة

كاريكاتير وتعليق

ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال

حل مسابقة حاول أن تعرف عدد ٥٢

● التعليق على الصورة الأولى :

اسماء الفائزين

- الكد علينا .. والرزق على الله !

عبد الله سالم مسيبلي
المملكة العربية السعودية

- ساعيش رغم الفقر والاعياء ،
كالنسر فوق القمة الشماء .

فوزي المصمودي
تونس

الصورة الثانية

- اسم المدينة بلغراد بيوغوسلافيا .

اسماء الفائزين

- محمد احمد جحيش — صنعاء
- كتمان عبد الكبير — المملكة المغربية

حل مسابقة كاريكاتير وتعليق ـ العدد ٥٢

- الزوج : ما رايك يا عزيزتي ، انت تتناولين طعامي ، وانا ادفع نفقات علاجك بالمستشفى ؟ ..

حسن عبد الفتاح القاهرة

- الزوج : اسمع ! اذا انقذتني وقلبت وعاء الطعام قبل ان تقدمه لي زوجتي . فساعطيك مكافأة قيمة !

خالد نصيف سوريا

- الزوج : اعملي معروف ، اخرجي من هنا بسرعة ، فقد اخبرت زوجتي انك انت التي اكلت اللحمة !

خالد محمد علي عدن

- الزوج : لا داعي لأن تخطفي الطعام من امامي ، فسارميه اليك بنفسي بعد قليل !

سناء عبد المنعم عواد دولة الامارات العربية

الـــورقة
الأخيرة

عبد القادر حميدة

وجـــه من بعيـــد

نجيب سرور

وجه صديقي الشاعر الغائب نجيب سرور .. لماذا يحاصرني الليلة ؟ في آخر رسائله لي قبل أن يرحل من دنيانا بشهرين وبضعة أيام .. كتب يستحثني على أن اتشبث بالكتابة في كل عدد من الدوحة . قال إنه مريض ومع ذلك لا يتوقف عن الكتابة . إن القلم هو ما نملكه . وعندما لا نملك ثمن الحصول على الورق ، علينا أن نكتب فوق الجدران ، وجذوع الاشجار ، وفي آذان الاصدقاء . نحن لن يبقى منا غير الكلمات !

لماذا يحاصرني الآن وجه صديقي الشاعر الغائب نجيب سرور ؟

آخر لقاءاتي معه كان مساء العاشر من ديسمبر ٧٤ ليلتها كنت وبعض الاصدقاء جلوسا في كافيتريا فندق الشيراتون ، حين لمحت «نجيب» وحيدا مع كوب من الشراب ، وقد استغرقته الحالة التي يكون فيها الشاعر لحظة الكتابة . لم يكن امامه ورق ولا قلم . لكن شفتيه كانتا تنفرجان وتنطبقان كمن يقرأ من الذاكرة ، أو انه قد استحضر بالذاكرة شخصا آخر يتحدث إليه . وترددت للوهلة الأولى في أن اقتحم عليه تلك الحالة التي يكون الشاعر فيها غارقا في عالمه ، لكني حين وجدته يفتح فمه كمن يجلس الى طبيب الاسنان ، مشيرا باصبعه إلى اسنانه ، انتفضت ذاهبا إليه . فلما وجدني أمامه لم يبد عليه أنه فوجيء بي ، وخرج صوته مكملا بفصحاه التي اعتاد أن يحدثني بها : لقد خلعوا كل اسناني .. انظر ! وراح يخلخل أسنانه مزمعا أن ينتزعها من مكانها ، فأوقفت يده . وعندما قلت له إنني مغادر مساء اليوم التالي الى دولة قطر .. بدا عليه الحزن الشديد لأنني مسافر دون أن أودعه ، ولولا الصدفة وحدها لما التقينا !

لماذا يحاصرني الليلة وجه صديقي الشاعر الغائب ؟ !

أولى لقاءاتي به ، كانت ذات مساء من عام ٥٧ في رابطة الأدب الحديث بالقاهـــرة .

كنا في الشباب . وكنا أكثر حظا من الحيوية ، والاقبال على الحياة ، وعفوية التعبير ، والرغبة في إثبات الذات ، عن طريق الذيوع والانتشار ابتداء من النشر في الصحف والاذاعات ، وانتهاء بحلقات الشعر التي نهرع إليها مثلما يهرع المغنون إلى حفلات الغناء !

ومن عجب أن وجوه تلك الأمسية القديمة تفرقت وتناثرت على سطح الكرة : محمد الفيتوري في إيطاليا . واحمد عبد المعطي حجازي في باريس وفاروق منيب في لندن . وتاج السر الحسن في الاتحاد السوفيتي . ومحيي الدين فارس في الخرطوم . وكامل أمين في السعوديـــة . وفتحي سعيد في غرفة مكتبه في بيته بالقاهـــرة راهب في صومعة الشعر والحزن . وكمال عمار مسافر على الورق ٢٤ ساعة في اليوم ، وأستاذنا محمد عبد اللطيف السحرتي راعي تلك الأمسيات ، في محبس الشيخوخة ، تقعد به عن لم ذلك الشمل المتفرق ! وهاأنذا في أمسية قطرية الشوق والحنين ، يحاصرني وجه نجيب سرور .. لماذا هو بالذات ؟!

في تلك الأمسية البعيدة .. لم يكتف نجيب بالقاء قصيدة « الحذاء » التي اشتهر بها حينذاك . وإنما راق له أن يعقب على قصائد الأمسية . كان نجيب ذا حضور اخاذ . فهو شاعر ومخرج مسرحي ، وممثل ، وقاريء واثق من ذاكرته ، وشديد الاعتداد بكل تلك الممكنات لديه . مثلما كان شديد الحدة في إبداء رأيه . مقاتل بوجهة النظر . لا يخشى . ولا يقف في المنتصف بين الكلمات التي تتخثر فيها الصراحة . وكان بتعقيبه ذاك يدفق اللهيب في عروق الأمسية كلها ، ونحتدم حتى الصباح !

عندما عاد نجيب سرور من بعثته لدراسة المسرح في الاتحاد السوفيتي .. جاء يزورني في مكتبي . ويومها حدثني نجيب « الأب » عن الظروف المعقدة التي تحول دون أن تلحق به الى القاهرة زوجته الروسية « ساشا » وإبنه « شهدي » . وبعد يومين من تلك الزيارة قرأ لي مقالا بعنوان « شخصيات تبحث عن مستمع » قسوت فيه على زوار المكاتب الذين يقتحمون علينا وقت العمل لكي يزجوا فراغهم بالثرثرة ، متجاهلين أن وقت العمل والموظف معا ، ملك للدولة والانتاج . ومع اني ـ والله ـ لم اقصده ، فقد اعتقد انني ضقت ذرعا بزيارته وأزمته ، فكتبت هذا المقال . وهكذا اتصل بي تليفونيا فور قراءته . ولأول مرة يأتيني صوته مهيضا مقسما أنه لن يزورني بعد الآن في مكتبي ، ومؤكدا في نفس الوقت أنني على حق !

لماذا يحاصرني الآن وجـه نجيب ؟

على مرمى البصر من نافذة مكتبي في البيت مساحة فضاء كبيرة مهملة تتجسد لي في المساء مسرحا إغريقيا قديما أحرك عليه شخوصاً من قراءاتي ومشاهداتي وتجاربي مع الناس ! في هذه الأمسية تنتفض على مسرحي حديقة السيدة « رانفسكايا » وشقيقها « جاييف » في مسرحية « بستان الكرز » لتشيكوف . وهي نفس المسرحية التي ترجمها وأخرجها نجيب سرور على مسرح الجيب القاهـــري . الآن اذكر أن مسرح الجيب بعمقه الصغير ـ وقد كتبت ذلك في حينه ضمن ما كتبت عن المسرحية ـ لم يتسع لمشهد البستان باعتباره البطل الرمزي في المسرحية ، وبذلك فقد مدلوله ورمزيته . ولقد كتب لي نجيب وقتها موافقا ومؤكدا أنه شقي كثيرا من أجل ان يتاح لهذه المسرحية مسرح أكبر وأعمق دون جدوى !

هل يجسد لي هذا الفضاء على مرمى البصر من نافذتي وجه صديقي نجيب سرور باحلامه في مسرح كبير يحرر امكانياته من قيود السكون ؟! أم انني أتذكره هذه الليلة تحت ضغط الاحساس بالذنب لأنه غادر هذه الدنيا ولم يتلق الرد على آخر رسائله إلـي ؟ أم هو حنيني إلى وجوه احببناها وفقدناها .. إلى الابد ؟!

PEPSI
مشـــروب الجيـل الصَاعد
بيبسى

للفنان القطري سلطان السليطي

السنة الخامسة ـ العدد ٥٥ ـ شعبان ١٤٠٠هـ يوليو ١٩٨٠ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

المجتمع المسلم بين الثبات والتطور
د. يوسف القرضاوي

العلم والتكنولوجيا: الحاضر والمستقبل
د. محمد كامل

المدير: بين الوهم والحقيقة
د. حسن أبشر الطيب

من الرباط إلى مراكش
جمال الغيطاني

ميرندا

بطعم البرتقال الطبيعي

الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة قطر

قطر ٣ ريالات ، البحرين ٢٥٠ فلسا ، الامارات العربية ٣ دراهم ، عمان ٢٠٠ بيزة ، الكويت ٢٥٠ فلسا ، السعودية ٣ ريالات ، الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا ، جمهورية اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا ، العراق ٢٥٠ فلسا ، الاردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش ، لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٢٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، الجماهيرية العربية الليبية ٣٠٠ درهم ، تونس ٣٠٠ مليم ، الجزائر ٣ دنانير ، المغرب ٣ دراهم ، باقي دول العالم مايعادل دولارا واحدا .

الاشتراكات : للافراد : داخل قطر : ٣٦ ريالا قطريا . بالدول العربية : ٤٢ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٤٨ ريالا قطريا .

للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات : داخل قطر : ٧٢ ريالا قطريا . بالدول العربية ٧٨ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٨٤ ريالا قطريا .

الاعلانات : يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الدوحة

رئيس التحرير

الدكتور محمد إبراهيم الشوش

يوليو ٨٠

العدد ٥٥

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر
العنوان البرقى : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير: ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير :
٣٢١٢٧٥ ـ ٣٢١٢٧٦
٣٢١٢٧٧ ـ ٣٢٣٧٧٨
القسم التجارى :
٣٢١٨٥٧ ـ ٢٦٨٤٦
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

شئون عامة

فنون

أدب وأدباء

شهريات الخليج

هذا العدد

مؤرخو الحضارة الاسلامية أثبتوا أن المنهج العلمى الحديث الذى يتميز به الغرب ، مقتبس من المسلمين الذين سبقوا إلى اكتشاف هذا المنهج كاملا قبل نهضة أوربا بعدة قرون . ويشهد بذلك العديد من الغربيين المنصفين منهم جورج سارتون ، وجوستاف لوبون ، وبريفولت .

وفى هذا العدد يتحرى د. يوسف القرضاوى المجتمع المسلم بين الثبات والتطور . الثبات الذى لا يزحزحه عن مبادئه وأصوله . والتطور الذى ياخذ به فى رحلته مع الزمن على طريق التقدم . ود. القرضاوى فى هذا المقال يرد بالأدلة على زعم القائمين بأن الدين يقف عقبه فى سبيل العلم .

وفى هذا العدد أيضا يكتب د. حسن عيسى عبد الظاهر عن «تشاد» الملتهبة الآن بالأحداث الدامية والتى كانت قلب امبراطورية اسلامية على مدى تسعة قرون هى «إمبراطورية البرنو الاسلامية» . كيف دخلت « تشاد » تاريخها الحضارى بالاسلام . وكيف دخلت تاريخها الدامى على يدى المستعمر ؟ ثم كيف يمكن الحفاظ على تاريخها الاسلامى وحمايته من مخططات الاستعمار ؟

وفى هذا العدد كذلك .. يتحدث د. محمد كامل عميد المعهد القومى للبحوث فى القاهرة عن العالم العربى فى مواجهة مرحلة النهضة الشاملة التى تهدف للقضاء على التخلف واللحاق بركب العلم المتقدم . د. محمد كامل إبتداء من هذا العدد وعلى مدى ثلاثة أعداد قادمة ، يلقى الضوء على موقف العلم والتكنولوجيا فى الوقت الحاضر ، وفى المستقبل القريب . عارضا للقضايا التى تشغل اهتمام العلماء والتكنولوجيين فى عالمنا المعاصر .

... وإلى مزيد من الضوء على أهم مشكلات العصر داخل صفحات هذا العدد .

الدوحة

صفحات الرأى

حياتنا المعاصرة

استطلاعات

ابواب ثابتة

مراجعات وتيارات ثقافية

قصص وشعر

ابواب القراء

مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبية والروحية بين الدوحة وأصدقائها المساهمين فى تحرير ابواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافات رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية ١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

رأيت . سمعت . قرأت ٦٠ ريالا

دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحرير ابواب القراء . التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجى ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية .

طبعت بمطابع على بن على

إســهـامـات

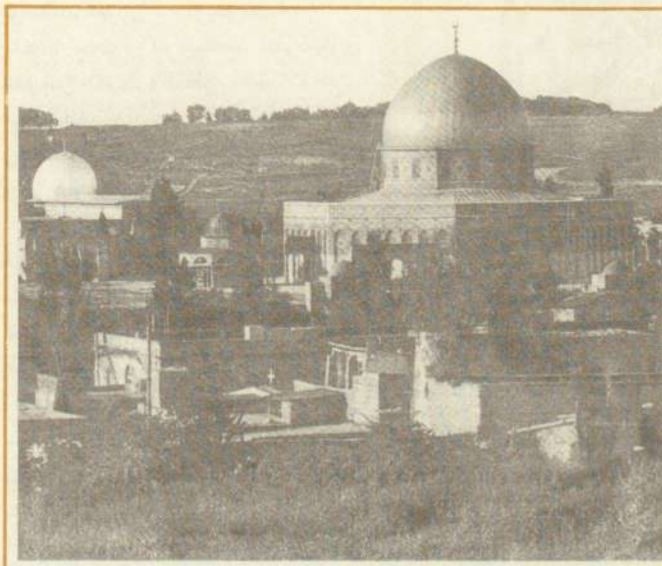

من مكتب المؤتمر الاسلامى العام لبيت المقدس

فى هذه الايام العصيبة التى تتعرض لها ارض الاسراء والمعراج فى مرحلة الغزو والاحتلال الصهيونى ، تمر بنا ذكرى الاسراء والمعراج .. هذه الذكرى التى حدثت لنبى الاسراء صلى الله عليه وسلم بعد عام الحزن ، وبعد سنين من الصبر واحتمال الأذى ، والهجرة بحثا عن مناخ صالح للدعوة ... تعود علينا بظروف مشابهة ... من الحزن ، ومن الصبر والصمود ومن الثبات واحتمال الأذى الصهيونى الذى يتعرض له المواطنون الصابرون فى أرض الاسراء .... فى فلسطين .

وإن هذه المناسبة وهى تزيد من عزيمة صمود الأهل وثباتهم ، لتناشد الأمة العربية الاسلامية أن تدرك الأخطار والمخططات الصهيونية ، وما تقوم به من حفريات فى الحرم الشريف وابنية المتحف الاسلامى ، ترمى لازالة معالم القدس الدينية ومعالم الحضارة العربية والاسلامية ، وكذلك إرغام السكان المسلمين على مغادرة منازلهم ، وإقامة المستوطنات حول المدينة المقدسة لتجعلها مدينة الحرب بدلا من مدينة السلام . مع إهمال الأبنية الاسلامية الأثرية لتسلخ عن المدينة مظهرها الحضارى العريق .

إن خرائط الاستيطان التى توضح حجم المستوطنات فى الضفة الغربية تشير بوضوح الى عزم السلطات الصهيونية مواصلة تنفيذ مخططها فى الاستيلاء على الأرض المقدسة وانهاء وجود المقدسات الاسلامية فيها .

لقد اصبح من الضرورى أن تاخذ الدول والشعوب العربية والاسلامية موضوع القدس ، باعتبارها مدينة المقدسات الاسلامية باهتمام جاد ، إذ لا يجوز الاستكانة للادانة الدولية للعمل الصهيونى فى المدينة المقدسة ، كما لا يجوز الاكتفاء بالاجراءات الدولية محدودة الأثر ... فهى وسائل إعلام جماهيرى عالمى .

إن ما تفرضه علينا أوضاع مقدساتنا أن يكون دعم صمود اخواننا فى ارض الاسراء فى درجة الاعداد هو شعار عربى اسلامى عالمى ، نرفعه بتنظيم ودعم مادى منظم لنحول دون تنفيذ مخططات العدو الصهيونى .

وإن المؤتمر الاسلامى ليناشد حكومات الدول العربية والاسلامية أن تضع هذا الشعار فى إطار عملى جاد ، ليكون لحادث الاسراء والمعراج معنى فى حياة الأمة .

مكتب المؤتمر الاسلامى العام لبيت المقدس

● موسى الطاهر محمود
أم سعيد ــ قطــر

فى العدد ٥٤ مقال الدكتور يوسف القرضاوى ــ الرسول والعلم التجريبى ــ اعجبت بالمقال لما تطرق له الدكتور موضحا موقف الدين من العلم . ولو نظرنا إلى جميع العصور لوجدنا الجدلية قائمة والصراع قديم جدا . وهذه الجدلية هى التى تدعو بعض العلميين للانحراف عن مسار الدين كما تدعو بعض رجالات الدين لانكار العلم وتكفير العلميين احيانا . والاسلام هو الدين الوحيد الذى وفق بينه وبين العلم فلا غرابة ان نجد اول ما نزل به الوحي على رسولنا الكريم هو « إقرا باسم ربك الذى خلق .. » الخ هذه دعوة للانسانية للاخذ بالعلم اينما كان وحيثما وجد . والرسول صلى الله عليه وسلم هو اول صاحب تجربة علمية فى استراتيجية الحرب . فهو اول من اوجد الخندق فى الحروب وفى العالم الاسلامى اخذا النظرية من الصحابى الجليل سليمان الفارسى والذى اشار الى النبى (ص) بحفر الخنادق لمواجهة العدو من وراء حصن وهذه التجربة تضىء لنا موقفــا من مواقف الدين والعلم . كما انها تضىء لنا جانبا اخر من مواقف الرسول (ص) من صحابه . وبانه لم يكن منفردا بالتخطيط . وإنما كان ياخذ بتجاربهم وارائهم لمنفعة الانسانية . وما زالت الخنادق باقية الى يومنا هذا ، والله عز وجل عندما اسجد الملائكة لآدم لم يسجدهم لذلك الجانب المادى فى الانسانية . وإنما اسجدهم لجوهر الانسان المتمثل فى الروح المستمدة من روح الله وتلك الطاقة الابداعية الخلاقة المرهفة التى هى مناط تكريم الانسان . والذين يقيمون حوائط من الجهل بين العلم والدين متهمين

الدين بالتخلف حينا . وناسين او متناسين العلائق الوثيقة بين الدين والعلم لتهذيب النفس الانسانية والارتقاء بها وتطويرها ودفعها للقدرة على النهوض بانسانيتها حتى تتحقق للانسان خلافته لله فى الارض .

يصف الله لنا الأمة بانها كانت خير امة اخرجت للناس ، هذه الأمة الخيرة وفقت وبين الدين والعلم حتى نالت مرتبة خير الأمم فى علومها الدنيوية وفى دينها الفطرى . ولو نظرنا مثلا لاقتصاد تلك الأمة إبان خلافة عمر عندما ارسل الزكاة لفقراء اليمن فلم يجد بينهم فقيرا وكذلك الى اهل الشام فلم يجد من ياخذها وكذا فى جميع انحاء الوطن الاسلامى لم يجد محتاجا لهذه الزكاة واعيدت لبيت المال ــ ماذا نقول فى هذا ؟ اليس هذا هو الاكتفاء الذاتى الذى تلهث خلفه مدارس الاقتصاد العلمية الحديثة دون أن تحققه فى الوقت الذى حققته تلك الأمة الخيرة وزادت على ذلك باحتياط المال العائد لبيت المال . اليس هذا هو الاقتصاد الذى فتحت له مدارس علمية فى عصرنا هذا ام ماذا ؟ .

والانسان يدرك ببصيرته ويقتحم افاق المجهول ، فيما وراء الطبيعة من واقع تجربته الانسانية المستمرة . والله عز وجل يقول « اما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » والذى تنتفع به الانسانية ويمكث فى الأرض يكون بمثابة التجربة المتواصلة سلبا وإيجابا لبناء العصور المتعاقبة . والخندق الذى اشرنا اليه هو من هذه الاشياء التى مكثت فى الأرض . وتلقيح النخل الذى اشار إليه الدكتور هو ايضا من الأشياء الماكثة ، وعلوم كثيرة إنتفعت بها الانسانية من الأمم السابقة ، والجدلية القائمة بين العلم والدين هى جدلية افراد من هنا وهناك . وجوهر الدين الاسلامى لا يتعارض والعلم اطلاقا . والعلم لا يتجاوز حدود الدين بحال إذا ما وظفه لخير الانسانية بمفهوم الخير العميق وبالتقاء الدين والعلم معا فى جوهر الانسان تتكون وحدة متكاملة تفجر طاقاته الابداعية الخلاقة . الدين يحدد فيها عالم الانسان الروحى ومنطقة اللاتجاوز . والعلم يرسم فيها الصور الجمالية للانسان المبدع المكتشف للعالم حوله . وبالاثنين معا تتحقق للانسان انسانيته وخلافته للــــه فــــى الأرض .

« موسى الطاهر محمود »

العالم العربي

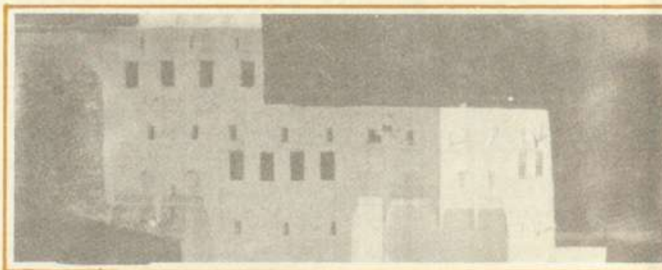

● ربيع سعيد باجبير
سيؤن ـ حضرموت

قرات العدد «٥٣» من مجلة الدوحة ، ولفت نظرى الاستطلاع الخاص بمحافظتنا حضرموت ، الذى كتبه الصحفى البريطانى «روبرت ستيفنز» . وإنى اعتبر هذا الاستطلاع خطوة كبيرة فى رحلة «الدوحة» نحو الافضل والأشمل ، ولعلنا فى الاعداد القادمة نطالع استطلاعات اخرى عن بقية بلدان الوطن العربى .

على أن لى بعض الملاحظات التى خرجت بها من قراءتى لاستطلاع «حضرموت» ، الخصها فيما يلى :

● لم يشر الكاتب الى الوقت الذى تم فيه زيارته لحضرموت لكتابة هذا الاستطلاع ، واغلب الظن ان الزيارة جرت بعد ان حقق شعبنا استقلاله الوطنى بسنوات وجيزة . إذ جاء الاستطلاع مختصرا للغاية ، فلم يشمل بعض جوانبه التاريخية ، والأثرية ، والاجتماعية . والفرق كبير جدا بين ما كتب .. وبين ماهو واقع ملموس ، حيث تحققت إنجازات كثيرة وهامة ، فى مختلف المجالات الزراعية والثقافية ، والاجتماعية . والمثال على ذلك العديد من مزارع الدولة والتعاونيات ، ومشروع طريق المكلا ، ووادى حضرموت الذى لم يتبق منه غير جزء بسيط على الانتهاء ، وهو الطريق الذى وصفه الكاتب بانه «صعب جدا» ، إذ سيصبح طريقا معبدا ومتسعا لكل وسائل النقل والمواصلات البرية . وكذلك تم إفتتاح مطار سيؤن الكبير فى العام الماضى ، وهو يعتبر ثانى مطارات الجمهورية من حيث التنسيق والنظام واستقباله لمختلف الطائرات . كذلك افتتح خط للتليفون بمدينة سيؤن لكى يربط الوادى بمحافظات الجمهورية ـ وفى القريب ـ للاتصالات الخارجية . مثلما يجرى تنفيذ مشروع كبير للمياه يضم عدداً من المدن والقرى وبسط الوادى ، ويعتبر هذا إنجازا هاما لغرض توفير المياه الصالحة للشرب لجميع المواطنين دون متاعب تذكر . وايضا يجرى حاليا البدء فى مشروع كهرباء وادى حضرموت ، والذى سيعمل على تطور ورقى هذا الوادى بشكل عام . يضاف الى ذلك إنشاء المدارس ورياض الاطفال وتوسيع المستشفيات ، وإقامة المستوصفات ، ومشاريع التنمية على طول وعرض حضرموت .

وشكرا للدوحة التى اتاحت لى الفرصة لاتحدث عن ملامح جديدة من حياة وطنى .

« ربيع سعيد باجبير »

● الطبيب محمد حسين
الخرطـوم

اطلعت على مقال د. حافظ الجمالى فى عدد الدوحة رقم ٥٤ ، وقد استحوذ على إعجابى وتقديرى ، حيث وضع النقط فوق الحروف وربط فكرة التقدم بشخصية الانسان وإرادته القادرة ، ذات البعدين الروحي والمادى .

ماذا لو تحدث د. حافظ الجمالى عن تركيز القوة ودورها فى عالمنا العربى ؟ ثم .. سؤال اخير نرجو ان يخوض فى الاجابة عليه : من نحن ؟ هل نحن امة عربية .. او امة اسلامية او امة عربية اسلامية ؟ وما هى تلك الفروق الباهظة بين المسميات والتطبيق ؟

« الطبيب محمد حسين »

● جمال فاضل
حي الغرب ـ سوهاج
مصـــر

لقد تفردت مقالة الدكتور حافظ الجمالى فى عدد مايو التى تناولت بتحليل وحياد موضوعيين مقالة أخرى «الحل ليس فى الديمقراطية» لما فيها من سياحة فلسفية فى عرض من اعراض المرض السياسى : الدكتاتورية . استوقفنى فى المقالة ما يقوله الدكتور حافظ الجمالي : «لتكن الدولة العربية ديمقراطية أو ديكتاتورية . تقدمية أو رجعية . اشتراكية أو اقطاعية أنها فى كل الاحوال لن تكون إلا مستبدة فى الوضع العربى القائم» . وايضاً ما خلص إليه من أن الديمقراطية تاكلت وحلت محلها دولة البوليس وان الاستبداد الذى يشكو منه العربى ومن استمراريته وتجميده لحركة التقدم لن يزول بالجرى وراء سراب الديمقراطية ...

مع هذا فان تحليل الدكتور حافظ الجمالى لم يتعرض لتشخيص ظاهرة الاستبداد والبحث عن اسبابها الحقيقية وما هى العلل التى ترتكن عليها .

ولقد شغلت هذه الظاهرة الغريبة اهتمام الفكر الاسلامى وتعددت التناولات والرؤى ، ومن بينها ذلك التيار الذى اتسم بثورية اسلامية نقية واعية جمع مع سلفية السلفيين العقلانية كميزان وكقنديل بصيرة وتبصر يغفلهما إطار مستنير .

وهو تيار غرسه جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، وعبد الرحمن الكواكبى ، وعبد الحميد بن باديس فقد حدد الكواكبى ان انفلات السلطة الفردية من كل حد قانونى وقيد دستورى ينشىء استبداداً . ونفى أن علة أمراض الشرق وأسبابها هى فقد السلطة الدينية وانما هى فقد الحرية السياسية ، وذهب الى ان التهاون فى الدين ناشىء عن الاستبداد . وكشف الكواكبى عن ركائز هذا الاستبداد . فالارهاب ركيزة والقوة المسلحة ركيزة والقوة المالية وأصحابها ركيزة ، والصمت والحياة بقانون معيشى خامد جامد ركيزة .

ويبقى سؤال اخير .. لماذا كان العربى مستبدا مع ان بناؤه النفسى والدينى من ناحية والتاريخى والحضارى من ناحية اخرى ضد هذه الظاهرة ؟ فهل استبداده ثمرة طبيعية لتلك الوضعيات الأدبية التى يدفع بها الغرب فى السوق العربية . والتى تعبأ فى المعامل السياسية الأوربية ؟!

« جمال فاضل »

بين المجلة وقرائها

● زياد يوسف بركات
مدرسة طه حسين الثانوية
عمان ـ الأردن

تشدنى كتابات الفنان جمال قطب مثلما يبهجنى ويثلج صدرى أن ارى لوحاته تزين صفحات «الدوحة» الرائعة . أما كتاباته المتوالية عن الفن الاسلامى فهى لا شك إضافة هامة إلى ثقافة القارىء العربى ، مثلما هى بعث للتراث التشكيلى . وإنى إذ اكتب معبرا عن إعجابى وتقديرى لهذا الفنان الجاد .. إنما اتمنى لو تقوم «الدوحة» باجراء مقابلة معه على صفحاتها ، لنعرف عنه وعن حياته الفنية مع عرض نماذج من اعماله التشكيلية . كذلك نود من المجلة لو تخصص حيزا من صفحاتها فى كل عدد لتقديم فنان تشكيلى عربى ، من خلال إنتاجه واعماله الفنيــه .

« زياد يوسف بركات»

● محمد احمد الحفناوى
بكالوريوس فى الاعلام الاذاعى ـ القاهرة
ج ٠ م ٠ ع

قرات باهتمام كلمة (هذا العدد) وخاصة دعوتها للاهتمام إعلاميا بالتاريخ الانسانى لمنطقة الخليج . وإننى ارجو ان تتحقق الاستجابة المرجوه من جميع اجهزة الاعلام العربية .

ولكن بالنسبة للدور المطلوب من الجامعات العربية ومؤسسات البحث العلمى فان الكثير منها (فى مصر على الاقل) بدأ يهتم فعلا بمنطقة الخليج من كافة النواحى والدليل على ذلك ان مادة (تنظيم المؤسسات الاذاعية) التى يدرسها طلبة كلية الاعلام بجامعة القاهرة منذ خمسة اعوام تتضمن فصلا عن

نشاة وتنظيم الاذاعة والتليفزيون فى دولة الكويت .

كما ان مادة (تاريخ الصحافة العربية) التى يدرسها طلبة نفس الكلية تتضمن فصلا عن نشاة الصحافة الخليجية وكفاحها من اجل التطور والتنمية وعلى سبيل المثال فاننى اقدم لقارىء «الدوحة» نبذة مختصرة جدا عن نشاة صحافة دولتى الكويت والبحرين .

ففى الكويت .. كانت مجلة (الكويت) هى اول مجلة شهرية تصدر علم ١٩٢٨ لصاحبها عبد العزيز رشيد . ثم صدرت مجلات اخرى مثل (البعث) عام ١٩٤٦ وتعتبر مجلة العربى من اشهر المجلات الشهرية بالكويت وقد صدرت عام ١٩٥٨ وهى مازالت تصدر للآن . اما المجلات الاسبوعية فان اولها صدر عام ١٩٥٣ وهى مجلة (ملحق الايمان) ثم توالت المجلات الاسبوعية مثل (الكويت اليوم) و (الفجر) .

اما فى البحرين ..فان اول جريدة صدرت كانت فى علم ١٩٣٨ باسم (البحرين) لصاحبها عبد الله الزايد وكانت ذات اثر كبير فى نهضة المنطقة . ومن اهم الدعوات التى ظهرت على صفحاتها دعوة للوحدة فى الخليج العربى وايضا دعوة للوحدة العربية الشاملة . ثم صدرت فى علم ١٩٤٩ مجلة (صوت البحرين) التى دعت الى الهجوم على الشركات الاحتكارية .

واخيرا فان السطور القليلة السابقة لا تكفى بعرض شامل لنشاة صحافة الخليج ولكنى اقدمها لقارىء « الدوحة » كمثال فقط .

« محمد احمد الحفناوى »

● ابراهيم أحمد جاب الله
طنطا ـ مصر

هذه رسالتى الأولى اليكم كتبتها بعد أن تابعت محتويات مجلتكم الغراء طيلة الثلاثة اشهر الماضية من مارس الى مايو وكنت قد توقعت أن اقرأ خلالها ولو خبرا صغيرا عن وفاة الناقد الأدبى الكبير الدكتور محمد النويهى ، ولكن ذهبت توقعاتى ادراج الرياح . ولا الوم مجلة (الدوحة) فغيرها باللوم أجدر ، أعنى المجلات الأدبية والصحف التى تصدر فى قلب القاهرة باستثناء جريدة « الأخبار » التى كتبت مقالا فى عدد الاربعاء ٢ ابريل ١٩٨٠ بقلم الدكتور حمدى السكوت واستثنى ايضا مجلة « الثقافة » القاهرية فقد بادر الدكتور عبد العزيز الدسوقى رئيس تحريرها بنشر كلمة وداع للفقيد على غلاف عدد مارس ١٩٨٠ .

ولا يفوتنى أن أبدى دهشتى من الصمت الذى اعترى الكتاب المصريين الذين يكتبون فى (الدوحة) حيال وفاة الدكتور النويهى .. واغلبهم كان للفقيد عليهم أياد بيضاء اسهمت بصورة مباشرة فى ارتقائهم للمكانة الأدبية التى تبوأوها .

واسمحوا أن أقدم لقارئى الدوحة نبذة قصيرة عن حياة هذا الرجل العظيم الذى أثرى النقد الأدبى بمؤلفاته الجمة :

الاسم الحقيقى للدكتور محمد النويهى هو : محمد رشاد .

اما أسمه الكامل هو : محمد محمد الدسوقى أحمد النويهى .

وقد ولد الدكتور النويهى سنة ١٩١٧ فى قرية تسمى ميت حبيش البحريه بجوار مدينة طنطا ـ بجمهورية مصر العربيـة . وتزوج فى مقتبل حياته بفتاة انجليزية انجب منها ولدا واحدا هو على ، ثم تزوج بفتاة من قريته انجبت له بنتا تدعى ماجدة ، وولدين هما عمر وهشام .

حصل على ليسانس الآداب من قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة عام ١٩٣٩ ، وسافر الى انجلترا فور تخرجه حيث حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٤٢ . ومن مؤلفاته :

- ثقافة الناقد الأدبى ـ ١٩٤٩ .
- شخصية بشار ـ ١٩٥١
- نفسية ابى النواس ـ ١٩٥٣
- الاتجاهات الشعرية فى السودان .
- طبيعة الفن ومسئولية الفنان
- عنصر الصدق فى الأدب ـ ١٩٥٩
- بين التقليد والتجديد ـ بحوث فى مشاكل التقدم (جمع ومراجعة)
- قضية الشعر الجديد ١٩٦٤.
- الشعر الجاهلى ـ منهج فى دراسته وتقويمه ـ .

« ابراهيم احمد جاب الله »
مدير الشئون الاجتماعية بالغربية

العدد القادم

هــل آن الأوان لفتــح ملف زيارة سارتر إلى القاهــرة ؟

عايدة الشريف تكتب فى مذكراتها : شاهدة نصف قرن

حدث وأنا أرافق سارتـر والمثقفين في بلدي !

- الفكر الذى اطلع عليه سارتر أثناء الزيارة .. هل هو الذى جعله يؤيد دولة إسرائيل ؟ أم أن هناك أسبابـا خفيـة ؟!
- لماذا اشترط سارتر أن يصطحب معه اليهودى الصهيونى كلود لانزمان .. ولم نشترط نحن شخصا مواليا للعرب لكى يرافقه فى إسرائيل ؟
- توفيق الحكيم المضيف .. ماهى حدود معرفته بفكر سارتر وسيمون دى بفوار ولانزمان .. وعلاقتهم الشخصية ؟
- ماذا عن رأى سارتر فى مثقفينا ممثلين فى توفيق الحكيم ؟
- هل جاء سارتر إلى القاهرة ليقول رأيه فى معالجة توفيق الحكيم للمرأة فى أعماله ؟
- وهل جاء سارتر ليعرف من لويس عوض أن للوجودية قصة بدأت منذ ١٣٠ عاما ؟
- من هو المفكر المصرى الذى رأى توفيق الحكيم أن حضوره كان سيجعل من زيارة سارتر زيارة موفقة ؟

الإجابات على هذه الأسئلة وغيرها .. تقرؤها فى العدد القادم

دولة قطر
وزارة التربية والتعليم

اعلان رقم «٤» لسنة ١٤٠٠هـ

تعلن وزارة التربية والتعليم عن حاجتها للوظائف الفنية والادارية والتدريسية فى التخصصات المطلوبة تاليا ابتداء من العام الدراسى القادم (١٤٠٠/١٤٠١ هـ) (٨٠/١٩٨١م) الموافق ١٥ سبتمبر (ايلول) ١٩٨٠م وبموجب الشروط التالية :

أولا: الوظائف العليا فى التخصصات التالية:

١ـ خبير للوسائل التعليمية : بالدرجة د٢/ح١

الراتب الشهرى لهذه الوظيفة بالريال القطرى (٧٦٠٠) الى (٨٦٠٠) ريال وبراتب شهرى اساسى مبدئى وقدره (٧٦٠٠) ريال فى الشهر وعلاوة بدل طبيعة عمل بمعدل (٢٥٪) من الراتب الاساسى فى الشهر .

المؤهلات العلمية :

١ ـ بكالوريوس العلوم ويفضل العلوم والتربية .
٢ ـ ماجستير فى الوسائل التعليمية
٣ ـ الدكتوراه فى الوسائل التعليمية من جامعات عربية او اجنبية معترف بها .
٤ ـ اجادة اللغتين العربية والانجليزية حديثا وقراءة وكتابة اجادة تامة .

الخبرة :

١ـ خبرة فى مجال اشرافى ميدانى على الوسائل التعليمية لدى جهة حكومية او مؤسسة تعليمية لا تقل عن خمس سنوات .
٢ ـ خبرة فى تدريس الوسائل التعليمية فى جامعة معترف بها لا تقل عن ثلاث سنوات .
٣ ـ ويفضل من لديه كتب أو بحوث منشورة فى مجالات الوسائل التعليمية .

٢ـ مهندس معمارى بقسم بحوث المبانى المدرسية بالدرجة (م٢).

الراتب الشهرى لهذه الوظيفة بالريال القطرى (٥٠٠٠) الى (٥٧٥٠) ريال وبراتب شهرى اساسى مبدئى قدره (٥٠٠٠) ريال فى الشهر وعلاوة بدل طبيعة عمل بمعدل (٢٠٪) من الراتب الاساسى فى الشهر .

المؤهل العلمى:

بكالوريوس هندسة معمارية ، ويفضل من لديه دبلوم فى التخصص ، أو دورات تدريبية.

الخبرة :

أن تكون لديه خبرة فى مجال التخصص لا تقل عن اربع سنوات منها فى حقل المبانى المدرسية فى العالم العربى ، ويفضل من لديه اختصاص أو خبرة عملية فى حقل تصميم الاثاث أو التصميم الداخلى.
على أن يرسل صور عن شهادات المؤهل والخبرة مفصلة مع بيان اسم مرجعين ممن لهم معرفة بصاحب الطلب .

٣ـ مهندس اجهزة الكترونية بالدرجة (م٣)

الراتب الشهرى لهذه الوظيفة بالريال القطرى (٤٠٠٠) الى (٤٧٥٠) ريال وبراتب شهرى اساسى مبدئى قدره (٤٠٠٠) ريال فى الشهر .
وعلاوة بدل طبيعة عمل بمعدل (٢٠٪) من الراتب الاساسى فى الشهر .

المؤهل العلمــــى :
بكالوريوس هندسة قسم الاليكترونيات تخصص صيانة واصلاح الاجهزة الاليكترونية مع إجادة اللغتين العربية والانجليزية اجادة تامة ، ويفضل من لديه دورات تدريبية فى مجالات الاليكترونيات فى مؤسسات او شركات متخصصة فى هذا المجال .

الخبــــرة :
ان تكون لديه خبرة فى مجال اصلاح الاجهزة الاليكترونية المستخدمة فى ستوديو التليفزيون التربوى الملون لا تقل عن خمس سنوات مع القدرة على قراءة الخرائط الخاصة بتركيبها وتوصيلها ، وقراءة كتب الصيانة والاصلاح الخاصة بالاجهزة المعنية ، وكذا القدرة على متابعة ودراسة خرائطها وتحضير قوائم قطع الغيار اللازمة لها وتطوير شعبة الصيانة وتدريب الفنيين فيها على اصلاح اجهزة الفيديو كاسيت العادية .
يفضل من يجيد اللغتين العربية والانجليزية وكذا من لديه دورات تدريبية فى المجالات المذكورة فى المؤسسات او شركات متخصصة .

٤ ـ مخـــرج تلفزيـــونـــى : بالدرجة (م٣)

الراتب الشهرى لهذه الوظيفة بالريال القطرى (٤٠٠٠) الى (٤٧٥٠) ريال وبراتب شهرى اساسى مبدئى قدره (٤٠٠٠) ريال فى الشهر .

المؤهــل العلـــمى :
بكالوريوس او دبلوم عالى تخصص اخراج البرامج التعليمية التليفزيونية والافلام التسجيلية بالاضافة الى دورات تدريبية تخصصية فى مجال التليفزيون التربوى .

الخـــبرة :
ان تكون لديه خبرة فى مجال التخصص لا تقل عن خمس سنوات فى اخـراج البرامج التعليمية والتسجيلية وان تكون لديه خبرة فى مشاريع التليفزيون التربوى ويفضل من لديه دورات تدريبية تخصصية فى مجال التليفزيون التربوى .

كما يمنح كل من الوظائف المشار إليها فى ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، بالاضافة للراتب الشهرى مايلى :
أ ـ علاوة بدل تنقل (٦٠٠) ريال فى الشهر .
ب ـ سلفة مالية قدرها (١٥٠٠٠) ريال لشراء سيارة ويسدد هذا المبلغ على اقساط شهرية .
جـ ـ يمنح سلفة مالية أولى وقدرها (٣٠٠٠) ريال ريثما يصدر قرار تعيينه ، وتسدد على اقساط شهرية ، وكذا يمنح سلفة ثانية قدرها (٢٠٠٠) ريال عند الحاجة .
د ـ يمنح سكن عائلى حكومى مزودا بالماء والكهرباء (حسب نظام الاسكان).
هـ ـ تمنح تسهيلات السفر المجانى من مكان التعاقد الى مقر العمل وبالعكس بالدرجة السياحية بالطائرة للزوج والزوجة وثلاثة من الابناء ممن تقل اعمارهم عن الثامنة عشر سنه بالأضافة الى العلاج الطبى له ولأسرته .

ثانيًا : الوظائف الفنية المطلوبة فى التخصصات التالية :

١ ـ رسام بقسم المبانى المدرسية بالدرجة (م٥)

المؤهــل العلمـــى :
دبلوم فنى صناعى تخصص رسم معمارى او تخصص حساب كميات البناء .

الخـــبرة :
ان تكون لديه خبرة لا تقل عن خمس سنوات فى مجال التخصص بالرسم الهندسى المعمارى
أن يكون ملماً باللغتين العربيــة والانجليزية وان تكون لديه القدرة على تنفيذ الخرائط
المجســـمة للمبانى ورسوم المنظــــور المجسمــة مـع معرفـــة تامـة بطـرق تفاصيل
البنـــاء .

٢ ـ فنيـــون للعمل بمشروع التلفزيون التربوى : مونتير بالدرجة (م٥)

المؤهل العلمـــى :
دبلوم فنى صناعى تخصص مونتير ويفضل من لديه دورات تدريبية فى مجال التخصص .

الخـــبرة :
ان تكون لديه خبرة فى مجال التخصص مدة لا تقل عن خمس سنوات فى إحدى الهيئات التليفزيونية المعترف بها . أو خبرة عملية لا تقل عن ثمان سنوات فى مجال التخصص بالهيئات أو الشركات المتخصصة .

٣ ـ فـــنى اضـــاءه : بالدرجة (م٥)

المؤهل العلـــمى :
دبلوم فنى صناعى تخصص اضاءة ويفضل من لديه دورات تدريبية فى مجال التخصص .

الخـــبرة :
أن تكون لديه خبرة فى مجال التخصص لا تقل عن خمس سنوات فى احدى الهيئات التلفزيونية المعترف بها ، أو خبرة عملية لاتقل عن خمس سنوات فى مجال التخصص بالهيئات أو الشركات المتخصصة .

٤ ـ فنى صـــوت بالدرجة (م٥)

المؤهـــل العلمـــى :
دبلوم فنى صناعى تخصص صوت ، ويفضل من لديه دورات تدريبية فى مجال التخصص.

الخـــــبرة :
ان تكون لديه خبرة فى مجال التخصص لا تقل عن خمس سنوات فى إحدى الهيئات التليفزيونية المعترف بها أو خبرة عملية لا تقل عن ثمان سنوات فى مجال التخصص بالهيئات أو الشركات المتخصصة .

٥ ـ فنى أجهـزة الكترونيـــــة بالدرجة (م٥)

المؤهل العلمى :
دبلوم فنى صناعة تخصص اجهزة اليكترونية ويفضل من لديه دورات تدريبية فى مجل التخصص .

الخـــــبرة :
ان تكون لديه خبرة فى التخصص لا تقل عن خمس سنوات فى تشغيل اجهزة وتسجيل الفيديو (البروفيشنال) وعمل التوصيلات اللازمة بينها ونسخ اشرطة الفيديو والمونتاج الاليكترونى ويفضل من لديه خبرة فى تشغيل واستخدام اجهزة الصـــورة .

٦ ـ خطاط لادارة الوسائل التعليمية بالدرجة (م٥)

المؤهل العلمـــى :
خريج إحدى المعاهد العليا للخطوط أو خريج معاهـد تحسين الخطوط مع خبرة لاتقـــل عـن عشـر سنـــوات .

الخـــبرة :
لاتقل عن خمس سنوات فى استخدام البوص ، الكوش ، والفرشاه وكتابة جميع الخطوط

والكتابات اللازمة فى اللوحات التعليمية بالبوص على الكلك ، وكتابة اللوحات (الكابشينات) الافلام الثابتة والتليفزيون بالرواكش وكتابة يفط المدارس (الكبيرة الحجم) بالفرشاه والكتابات اللازمة للتصاميم والنماذج والكاتلوجات المطلوبـــة

٧ ـ فنى تجليد بالدرجـة (م ٥) تجليد الكتب بأنواعها .

المؤهـل :

دبلوم فنى تخصص تجليد أو خبرةمناسبة فى هذا التخصص لا تقل عن خمس سنوات .

الخـبرة :

ان تكون لديه خبرة فى مجال التخصص بتجليد الكتب وانواعه مدة لا تقل عن خمس سنوات ويفضل من لديه دبلوم فنى أو دورات تدريبيــة فى هذا المجال .

٨ ـ مصـــور بالدرجـة (م٥)

المؤهـل العلمـى

دبلوم فنى تخصص تصوير ، او خبرة مناسبة فى مجال التخصص بالتصوير والطبع والتحميض والتلوين مدتها لا تقل عن خمس سنوات او دورات تدريبية فى هذا المجال .

الخـبرة :

لا تقل عن خمس سنوات فى مجال التصوير والتحميض والتلويـــن والتكبير ، وجميع انواع التصوير ، ويفضل من لديه دورات تدريبية فى مجال التخصص بالتصوير.

يمنح الوظائف فى "ثانيــا" ما يلى :

١ ـ الراتب الشهرى (٢٤٥٠) الى (٣١٥٠) ريال فى الشهر وبراتب شهرى اساسى مبدئى وقدره (٢٤٥٠) ريال فى الشهر .

٢ ـ يمنح علاوة بدل تنقل بمعدل (٤٠٠) ريال فى الشهر .

٣ ـ يمنح سكن اعزب على نفقة الوزارة .

٤ ـ يمنح سلفة مالية اولى قدرها (٣٠٠٠) ريال حتى صدور قرار تعيينه وتسدد على اقساط شهريـــة .

٥ ـ يمنح تسهيلات السفر المجانى من مكان التعاقد الى مقر العمل وبالعكس فى بداية التعاقد وعند انتهاء الخدمة له ولزوجته ولثلاثة من ابنائه.

شـروط عـامـة :

يشترط فى المتقدم لهذه الوظائف ان يكون لديه خبرة حسب المطلوب سابقا مصدقة ومعتمدة من الجهات الرسمية المختصة .

٢ الا يزيد عمره عن اربعين سنة .

٣ ـ الراتب : يحدد وفقاً لسلم الدرجات والرواتب المعمول بها على ضوء المؤهل والخبرة.

٤ ـ العقد : لمدة ثلاث سنوات تبدأ من ١٥ سبتمبر (ايلول) ١٩٨٠م قابلة للتجديد من سنة الى اخرى ويخضع لفترة تجربة مدتها سنة واحدة .

٥ ـ اثبات اللياقة الطبية قبل مباشرة العمل .

٦ ـ اثبات حسن السير والسلوك

٧ ـ العلاج مجاناً للموظف وافراد عائلته المقيمين معه فى قطر .

٨ ـ المكافاة بمعدل شهر واحد عن كل سنة كاملة فى الخدمة (خدمة فعلية) وفقا للقواعد التى تقررها انظمة الموظفين بدولة قطر .

تقدم الطلبات بأسم وكيل وزارة التربية والتعليم ـ الدوحة ـ قطر ـ ص . ب (٨٠) وخلال شهر من تاريخ نشر هذا الاعلان ، ويذكر فيها الاسم الكامل والجنسية وتاريخ الولادة والديانة والمؤهلات العلمية ومدة الخبرة والوضع الاجتماعى (اعزب / متزوج) والعنوان الكامل ورقم الهاتف (إن وجد) ويجب أن يرفق بالطلب صورة فوتوغرافية حديثة لمقدمه ، وكذا صور عن شهادات المؤهل والخبرات وهى غير قابلة لاعادتها لصاحبها . هذا ولا حاجة لارفاق اصول الشهادات مع الطلب ويكتب على زاوية المغلف (طلب وظيفة مع ذكر التخصص بالوظيفة التى يطلبها) وكل طلب غير مستوف للشروط اعلاه سيهمل ، وسوف لا ينظر الى الطلبات التى وردت قبل هذا الاعلان .

د. حافظ الجمـــالى

التوازن بين الحقوق والواجبات

- هل يأتي يوم يغض النظر فيه عن الفروق القائمة بين الناس؟
- من كل إنسان بقدر ما يطيق .. وله كل ما يحتاج
- سيتضاعف الناس مرتين في نهاية هذا القرن

فى عقل كل انسان صور من التوازن تعود ان يرى لها نماذج كثيرة فى الطبيعة ، قبل ان يرى ما يماثلها فى نفسه أو فى الوقت نفسه معاً .

ومن صور التوازن هذه ، ذلك التوازن بين الحقوق والواجبات . ومثاله البسيط عمل العامل . فأنت لا تعطى من يعمل لديك ساعة،كمن يعمل ساعتين ، أو النهار كله . وكذلك انت لا تعطى من يتقن عمله ، كمن يؤديه كيفما اتفق . وعندما يشير تشى جيفارا على كاسترو بأن يعطى العمال جميعا ، أجراً متساوياً ، فلا ريب انه ينطلق من مبدأ مثالى ، هو رعاية كرامة الانسان ، من حيث هو انسان ، بغض النظر عن الفروق فى المواهب والنشاط ، ذلك أن هذه الفروق لابد للانسان منها .

فكرة جيفارا اقدم منه

لكن فكرة جيفارا اقدم منه بكثير . ولنذكر هنا أن الخليفة أبا بكر قسم العطاء بين الناس ، بالتساوى ، فلما جاءه المحتجون ليذكروه بأصحاب السابقة والفضل ، وأنه ليس من العدل أن يعطى هؤلاء هم ومن لا سابقة لهم ولا فضل ، نفس العطاء ، كان جوابه حاسما:

« أما ذكرتم من الفضل فما اعرفنى به .. وحقا من يعرف أكثر من ابى بكر جماعة المسلمين ، وما قدمه كل منهم لنصرة الاسلام وما اساءوا فيه أو احسنوا ، لكن العطاء معاش والناس فيه سواء »

وبتعبير آخر : إن لكل انسان جسمه وحاجاته ، وجوعه وظمأه ، ولابد أن يسد كل منهم جوعه ، ذكياً كان أم غبياً ، نشيطاً أم كسولا . وليس هنالك من علاقة بين حاجة الانسان إلى الطعام ، وبين ذكائه أو غبائه . وبين نشاطه أو كسله .

وإذن فلابد للعطاء أن يسد هذه الحاجة ، من حيث هى حاجة مستقلة عن كل الفروق الأخرى فى المواهب والفضائل .

ومن الطريف ألا يجد كاسترو مجالا للأخذ برأى جيفارا ، كما لم يجد الخليفة عمر بن الخطاب ، أن عليه اتباع سنة أبى بكر ، ولكن قبل كاسترو بأربعة عشر قرناً تقريباً ، وكذلك فعلت سائر الدول ، حتى الاشتراكية منها ، ومازالت تفعل .

ترى هل يأتى يوم يغض النظر فيه عن الفروق القائمة بين الناس وليعطوا جميعاً أجرا واحداً ، تبعاً للمبدأ القائل :

من كل انسان بقدر ما يطيق وله كل ما يحتاج بدلا من المبدأ الآخر : من كل انسان بقدر ما يطيق ، ولكل انسان بقدر ما ينتج ؟

إمكانات المستقبل

أما انا فاشك أن يكون هذا ممكنا . بل أشك أن نجد بين ايدينا من الغذاء ما يكفى حاجة السبعة مليارات من الناس عام ٢٠٠٠ ، وهل يمكن ان يخطر فى البال أن جهود العلم والباحثين فى العالم كله، لم تستطع ان تطعم ثلث الناس . الجياع حالياً ، ثم تستطيع ، خلال عشرين عاماً ان تطعم ضعف عدد الأحياء اليوم ، وأربعة اضعافه مابين عامى ٢٠٢٥ و ٢٠٣٥ ؟

الطاقة والغذاء

سيتضاعف الناس إذن مرتين تقريباً فى أواخر هذا القرن (هم الآن أربعة مليارات ، وسيصبحون سبعة) ، وأربع مرات تقريبا عام ٢٠٣٥ على ابعد تقدير (سيصبحون ١٤ ملياراً) . وبالمقابل فقد تضاعفت مقادير الطاقة المستهلكة والمنتجة على السواء بأكثر من تضاعف السكان . ذلك أنه كلما إزدادت الحضارة

التوازن بين الحقوق والواجبات

نموا ، تزايدت الحاجات . وقفزت من الضرورى الى الكمالى وكمالى الكمالى . وكل هذا يحتاج الى الطاقة بأنواعها المختلفة . وقد ازدادت هذه فعلا . إلا أن الولايات المتحدة تنفق وحدها ٣٥٪ من مجموع الطاقة العالمية ، تاركة الباقى لبقية العالم ، ومع كل هذا التطور فان ثلث العالم يعانى من الجوع . ترى أى نوع من التطور يجب ان يحدث منذ الآن حتى آخر القرن ، لكى يسد حاجة الجياع الى الطعام وحده دون البحث عن الحاجات الأخرى ؟ لئن نجحت البشرية فى تقديم الطعام وحده دون غيره ، لكل افرادها . فى آخر هذا القرن ، فلا ريب انها تستحق وساماً عالياً ، تقديرا بعقلها وخلقها . وما اظن ان البشرية ، فى أى يوم مضى ، استحقت مثل هذا الوسام ... أفيكتمل لها إذن خلال عشرين سنة من الكمال العقلى والخلقى ، مالم يكتمل فى عشرة آلاف سنة ماضية ، حتى تستحق هذا الوسام الآن ؟

جمال المبادىء

ولكن المهم ليس ما سيحدث غداً ، بل المهم الاعتراف أن المبادىء المثالية ، والمحببة الى النفوس ، لأنها كذلك ، لاتبدو دوماً واقعية لدى التطبيق . ومن الجميل ـ ولا ريب ـ أن يعيش كل الناس فى شروط متساوية فى الطعام والشراب واللباس والمسكن ، ومتع الحياة الأخرى

ولنعد الى كلامنا الأول عن التوازن الضرورى بين الجهد المبذول ، والمكافأة الممنوحة . ولنقل ان اوربا الغربية وأمريكا ، مثلا ، قد اغتنتا بالاعتماد على جهود العمال وتضحياتهم ، بالدرجة الأولى ، بمعنى مادى بحت . ذلك انه لولا العلماء والمخترعون والباحثون لما تغيرت صورة الحياة قط ، ولبقى الفقر شديدا ، والجوع سائدا ، والأمراض كثيرة ، والمتع قليلة ، غير أن جهود العمال كانت حقاً أكبر بكثير من الأجور التى تقاضوها ، أو كانوا يتقاضوها . وكان ينبغى أن يمضى أكثر من مائة وخمسين سنة ، على ظهور الصناعة الكبرى قبل ان يستعيد العمال بعض حقوقهم ، فى الراحة الأسبوعية ، والاجازات المأجورة ، والتعويض عن البطالة ، وحوادث العمل ، وتحديد ساعات العمل اليومية ، أو الاسبوعية . ويذكر جول موك فى كتابه عن الاشتراكية الحية ، أنه فى عام ١٨٠٦ فقط حلت المجالس البرودونية ، مكان الشرطة فى مراقبة العمال اثناء عملهم . وكانت هذه المجالس تتألف من ارباب العمل ، ورؤساء الورش فقط .

وفى السنة ذاتها صدر قانون يحدد بثلاث عشرة ساعة ، مدة العمل اليومى ، وكانت هذه كما يحددها صاحب العمل . وفى عام ١٨١٣ ، منع تشغيل من هم دون العاشرة من الاطفال فى المناجم . وفى عام ١٨٤٠ كان متوسط ساعات العمل الاسبوعية (٨٣) ساعة ، فى المانيا و (٧٨) فى فرنسا والولايات المتحدة و (٦٩) فى بريطانيا . وفى سنة ١٨٤١ صدر قانون جديد يمنع تشغيل الاطفال ، فيما دون الثامنة ، ويحدد ساعات عملهم بثمانى ساعات ، حتى عمر الثانية عشرة ويرفعها حتى الاثنتى عشرة ساعة (بدلا من ١٣) لمن تجاوزا العمر الأخير ، أو لكل من كان بين الثانية عشرة والسادسة عشرة من العمر ويجب ان ننتظر حتى عام ١٨٦٤ ، لنسجل تقدما محسوساً فى هذا المجال .

وعندما جاءت الجمهورية الثالثة (بعد حرب السبعين بين فرنسا وألمانيا) قامت باصلاحات كثيرة ، منها قانون التعويض عن حوادث العمل ، وآخر للتأمينات الاجتماعية (عام ١٩٣٠) ، وثالث لتحديد مدة العمل بثمان واربعين ساعة فى الاسبوع (عام ١٩١٩) ، ولم يعط العامل حقه فى الراحة الأسبوعية إلا (عام ١٩٠٦) ، وفى عام ١٩٣٦ فقط ، وبتاريخ ٢٠ حزيران . أقر القانون بمنح العمال راحة سنوية مأجورة لمدة

اسبوعين . تطورت هذه حتى اصبحت شهرا ...

كل هذا جرى فى البلاد الغربية الغنية ، أما عندنا ، فان مراحل هذا التطور قطعت بسرعة أكبر بكثير . حتى ليمكن القول : إننا بدأنا من آخر مراحل التطور الغربى لا من أولها . ومن المسعد ولا ريب أن لا يعرف عمالنا الارهاق . ولكن السؤال يظل قائماً : ترى هل التوازن مايزال قائما بين مستوى الحقوق ومستوى الواجبات ؟ وهل الانتاجية التى يحققها العامل العربى ، خلال ساعات عمله ، كالانتاجية بالنسبة لعمال الغـرب ؟ .

القضية أوسع إطاراً وأشمل

لكن القضية لا تبحث فى مستوى العمال وحدهم ، بل على كل مستوى ، وحسبنا أن نلاحظ ان عمال الآخرين يقدمون لنا الثلاجة ، والغسالة ، وأجهزة الاذاعة ، والتليفزيون ، والسيارات ، وكل الأدوات المنزلية الحديثة . ولكن متى حدث عطل ما فى هذه ، فما أكبر الويل . إن مختصينا يقفون هنا حائرين ، مرتبكين ، لا يعرفون كيف يتصرفون ، ومن المستحيل مبدئيا أن يرمم الخلل الحادث تماماً ، أو أن لا تشوبه العيوب ، حتى ولو كان الخلل الحادث يصيب اصغر الأجهزة أو الأدوات . فالصنبور مثلا ـ أو الحنفية ـ متى اصابه الخلل ، لم يصلح إلا بشراء آخر مكانه . وننظر فيما حولنا فنجد اننا بحاجة إلى الابرة والدبوس ، والورقة والقلم ، والنشافة ، والمساحة ، والمكنسة . استيراداً من الغرب ، ترى ماذا يكون حالنا لو أن هذا الاستيراد كله امتنع ، واصبحنا نحن المكلفين بشؤون حياتنا ؟ أفلا نعود عندئذ الى مستوى الحياة التى كانت تعرفها بلادنا أيام طغرل بك . والقادر ، والمقتدر ، والسلطان عبد المجيد ، أو حتى إلى ما هو دون ذلك ؟ وحقاً كيف استطاعت زبيدة زوجة هارون الرشيد ، أن تزف إليه ؟ وبأى لباس ؟ وممن استعاروا الابرة لخياطة ثيابها ؟ وعندما ينتج هكتارنا طنين من القمح مقابل خمسة فى أوربا (وقد ورد هذا فى تصريح لوزير الزراعة السورى) أفلا يعنى هذا اننا متخلفون فى الانتاج الى حد كبير؟ وهب ذلك قدراً لا مفر منه ، فلماذا لا نجد خللا فى التوازن بين قدرة إنتاجية ضئيلة ، وبين حرص على أرقى مستوى فى الحياة ؟ أو يمكن أن ننتج كشرقيين ، ونعيش فى الوقت نفسه ، فى مثل رخاء الغربيين ؟ أو ليس من الواجب ان يتوازن الانتاج والاستهلاك ؟

وهكذا نجد ، اننا ، على مستويات كثيرة ، نعيش مثل حياة الغربيين المترفين . ونبذخ بذخهم ، ونبالغ احياناً فى التبذخ أكثر منهم . ذلك أن عيوننا جائعة كما يقولون . نريد أن نرى ظمأ مديداً تقادم العهد عليـه ، هو ظمأ الى كل شيء ، وكل مكان ، وكل متعة . والحق انه ليس لي ما آخذه على المترفين ـ قل من حرم زينة الله ؟ ـ لو أن هذا الترف يقابله فى الجانب الآخر ، انتاجية مكافئة أو موازية . أما أن يكون الترف فى الحد الأعلى والانتاجية فى الحد الأدنى ، فذلك مما يخل بضرورة التوازن بين الجهد ومكافأته . وأسوأ من ذلك ألا تكون هنالك إنتاجية بالمرة . هذا إن لم تكن الانتاجية سلبية ، وأن تكون القدرة على البذخ والترف فوق كل ماهو معقول .

وهكذا يلاحظ الانسان ان هناك تناقضاً كبيرا بين صورة الحياة لدينا وبين صورة الحياة لدى من يجب ان نقلدهم ، أو على الأصح لدى من نحب ان نقلد منهم صورة اخترعناها لأنفسنا عنهم إذ لقد تكاثرت الثروات هناك ، بالجهد المنتج ، ورأس المال الموظف ، والطاقات المبدعة ، والتعب المضنى الذى بذله العمال ، بأدنى الأجور ، أما نحن ، فانى اتساءل فعلا : بأى حق نعيش كما نعيش ، ومامن شيء من حاجات الاستهلاك أو الانتاج العادية أو العامة ، إلا وهو تقريباً مستورد ، من مكنسة البيت . حتى المعمل .

كلمة انصاف

ومن الحق أن نشير الى أن وضعنا فريد جدا . ذلك أن علينا أن نضمن لأنفسنا حياة سعيدة من جهة أولى ، أو مقبولة على الأقل ، ثم إن علينا ، من جهة أخرى ، ان نراكم الجهود بعضها فوق بعض ، للوقوف فى وجه اسرائيل والامبرالية . ولكن حتى عندما نتساوى فى مستوى الانتاج مع البلاد الغنية (ولن يكون ذلك غداً) ، فان علينا أن نعيش حياة أدنى من حياتها ، بحكم ما يجب أن نقتطعه من دخلنا لحاجة الدفاع الوطنى ، مما لا يحتاج الى مثله الفرد البريطانى ، أو الفرنسى ، أو

الالمانى . ولو أنصفنا لكان علينا جميعا أن نعيش أبسط صور الحياة . وأكثرها تواضعاً . لنجمع كل ما يمكن توفيره لتنمية وسائل الدفاع الوطنى . وان يكون فرق المعيشة بين الواحد منا والآخر . إن كان لابد من فرق . موازيا للفرق بين انتاجية الاثنين . أما أن نعطى الأكثر ، لمن ينتج الأقل ، أو لا ينتج شيئا بالمرة ، أو يسيىء ويؤذى بلا حدود . ثم نعطى الأقل لمن ينتج الأكثر ، فان ذلك ليس غفلة من مبدأ العدالة فحسب ، بل هو غفلة من ضرورة التلاؤم مع الواقع وذهول عن الحاجات الحيوية لاستمرار حياة الشعب العربى.فكم منا من يعيش دون أن تؤرقه اسرائيل أو دون أن يشعر أن هذه موجودة

عودة الى الذاتية

وهنا نلاحظ من جديد . وفى ضوء ملاحظاتنا السابقة ، أن فينا درجة من الافراط فى الذاتية . تتجاوز كل حد معقول . إن الذات أو الأنا عندنا . هى المطلق الذى لا مطلق بعده . والمشاغل الأنانية . والفردية . مهما هبط مستواها . هى التى تشغلنا وتلزمنا إلزام الواجب الأخلاقى المطلق . وتذهلنا عن الآخر ، كل آخر ، وحتى عن المجتمع الذى نعيش فيه ، وعن حاجاته الاساسية ، وضرورات بقائه حياً ، ليضمن لنا نحن الحياة .

ولولا ذهولنا هذا ، لاحتل «الآخر» و «المجتمع» نصيبا من اهتمامنا وتفكيرنا ولأذهلنا هذا الاهتمام عن جزء ولو يسير من اهتماماتنا الذاتية ، والفردية ، والانانية ، عفوية كانت أم غير عفوية . ومن هنا جاء الناظم الأول لحياتنا ، أى قانون الجهد الأقل للكسب الأكبر ، والمغالاة فى المطامع ، مع أكبر زهد بالقيام بواجباتنا الانتاجية . وهذا الذى يبذل فى ايامنا أقل الجهد ليحصل على أكبر الكسب . ينسى بوضوح أن الزمن الذى نحن فيه ــ وهو الزمن الاسرائيلى لا زماننا نحن ــ يحتاج منطقيا الى عكس هذا القانون . أو قلب هذا الناظم . أى الى القيام بأكبر الجهد ، والرضى بأقل المكافآت . أو القيام بأثقل الواجبات ، والتمتع بأيسر الحقوق . وأنا لا أعرف أن اللامبالاة ، وعدم الشعور بالمسؤولية ، والاستهتار ، ليست بفضائل . ولو كانت الأيام سعيدة لا خوف فيها ولا خطر ، فكيف نسميها إذن فى الأيام البائسة ، حيث كل الخوف ، وكل الخطر . ؟

المشكلة عامة

وكما سبق فى الملاحظات المتقدمة ، يجب أن نلاحظ من جديد ، أن المشكلة ليست مشكلة فئة بعينها . هى العمال وضعف انتاجهم ، الملحوظ هنا وهناك .

على صعيد المؤسسات العامة ، كما هى الحال على صعيد الأعمال الفردية ، بل هى مشكلة كل الطبقات ، وكل الفئات من اعلاها إلى أدناها . فأكثر الناس ينفقون الوقت سدى ، بلا عمل ، أو بأدنى عمل ، ويوم العطلة هو اسعد الأيام .

وصاحب أية مهنة ، أو عمل ، لا يهمه من مهنته أن تكون مجموعة خدمات جدية يقدمها لمن يحتاجون إليها ، بل يهمه أن تكون مصدراً لأكبر أجر . أصاب هو فى عمله أم أخطأ . وأحسن أم أساء . وما أقل ما يصيب أو يحسن . وما أكثر ما يسيىء أو يخطىء . وقل مثل ذلك فى التجار الذين لا يعنيهم من الزبائن إلا أن يكونوا فرصاً للاستغلال ، أكبر الاستغلال دون أن يعنيهم أن تكون البضاعة المقدمة جديرة بالثمن المطلوب من أجلها .

ولكن ، مرة أخرى ، إذا كانت المشكلة عامة ، وفى مثل هذا الشمول ، فلابد أنها تعبير عن «إنسانية» من نوع خاص ، غاضت حيويتها . وتضاءلت طاقاتها ، وردت الى أضيق حدودها ، أى أنها تعبير عن إنسانية هابطة ، مشردة ،

تائهة ، قلقة ، خائفة ، اقصى همها البقاء على قيد الحياة ، والاستمتاع باللحظة الحاضرة ، والذهول عما يسبقها أو يتبعها ، أى من الماضي والمستقبل ، كأن نفوسنا تذررت ، فلم تعد تعنى من الزمن كله إلا بذرات متفرقة منه لا رابطة بينها ولم تعد ترى فى ذواتها إلا ذرات عابرة ، هى بالضرورة الأخف وزناً ، وبالتالى ، الطافية على سطح الحياة ، أعنى ذرات الرغبة .

فاذا صح ما نقول ، فنحن أمام حلين ، فاما الاعتراف باننا متخلفون عرقياً وبالفطرة ، فلا نتصرف ، ولا نستطيع التصرف إلا على هذا الأساس ، وهذا يقتضى أو يستتبع نتائج أخرى لابد من قبولها ، كالتخلى عن المطامح القومية ، والرضى بالمذلة والمهانة ، والقبول بكل ما يفرض علينا من خارج دون أى رد «زيلوتي» محافظ ، أو «هيرودى» يحسن التفهم والتجدد ، على ما يقول توينبى .

وإما القول : إن ما نحن فيه نتيجة حتميات تاريخية وظروف خارجة تنعكس علينا ، وتردنا الى مثل هذه الانسانية الهابطة التى نفقد معها العزم ونذهل عن الآخرين ، وعن الوجود كله .

فاذا كنا نرفض النظرة الأولى ـ وهذا ما أرجو ـ ونقبل بالفرضية الثانية ، فان ذلك ، هو ايضاً ، يستتبع بعض النتائج ، أقلها العمل على تغيير الشروط التى ردتنا الى مثل هذا الهبوط النفسى . ولكن من سيعمل لهذا ، إذا كانت كل النفوس تخضع لذات الشروط ، وتتضاءل فيها الحيوية ؟ لابد إذن من نفوس تتعالى على هذه الشروط ، رغم خضوعها لها ، بحريتها المبدعة ، وإرادتها الهيرودية ... ترى أين هى هذه الأقلية المبدعة التى إذا انعدم وجودها اندثرت الأمة ، وهبطت الحضارة ، كما يرى توينبى ؟ أظن أنها لم تقض نحبها نهائياً . وأن فى وسعنا الأمل بعودتها حية نشيطة .

د. حافظ الجمالي

الدوحة

العدد القادم

العلم والتكنولوجيا بين الحاضر والمستقبل (٢)

إنجازات معاصرة وأخرى فى الطريق

د. محمد كامل

المدير بين الوهم والحقيقة (٢)

القيادة الإدارية .. كيف تكون ؟

د. حسن أبشر الطيب

تكافؤ الأدلة .. عملة ذات وجهين

د. عماد الدين خليل

تأملات إعلامية

الخواء الروحى فى العالم يزداد

محمد فتحى

قصة قصيرة

صلاة المغرب حاضراً

د. حسين مؤنس

القلم المناضل محمد مندور

نعمان عاشور

طبرية .. قيثارة الجليل

نبيل خالد الأغا

د. يوسف القرضاوى

المجتمع المسلم بين الثبات والتطور

هناك حقيقتان تتصلان بطبيعة التطور ومفهومه ، يجب أن نتفق عليهما ، قبل الحديث عن المجتمع المسلم وموقفه من الثبات والتطور .

الأولى : أن التطور الذى قامت عليه الأدلة القطعية ، لا يمس جوهر الاشياء وماهيتها ، إنما يمس شكلها واطارها . فحقائق الاشياء الثابتة ، كما قال علماؤنا من قبل ، وسنن الله فى الكون وفى الحياة الانسانية ثابتة كذلك (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) .

وثبات هذه السنن وتلك الحقائق ، هى التى جعلتنا نتعامل مع الكون والانسان والأشياء بأمان واطمئنان ، محللين لظواهرها ، رابطين بين المسببات وأسبابها وصولا الى قوانين عامة ، كونية واجتماعية ، ينتفع الانسان باكتشافها ، ويتقدم بعمرانه وحضارته برعايتها واستخدامها .

والذين يحسبون التطور يعنى التبدل المطلق تكذبهم حقائق الوجود الماثلة للعيان فالكون لم يزل بأرضه وسمائه ، وبحاره وجباله ، وشمسه وقمره ، ونجومه المسخرات بأمر ربه — كما كان . قد تنشأ جزر فى البحر وقد تجف أو تجفف بحيرات فى البر وقد يزحف الماء على اليابسة ، أو تزحف اليابسة على الماء ، وقد تعمر مدن وتخرب أخرى . ولكن الكون فى مجموعه كما هو ، لم يتغير جوهره ، ولم تتبدل سننه . لازالت الكواكب تسبح فى افلاكها ، ولازال القمر يستمد نوره من الشمس ، ولازال الماء مركباً من عنصريه : الاوكسجين والايدروجين . ولازالت القوانين الكونية تعمل كما وضعها الله . ولولا ثبات هذه القوانين ما تقدمت العلوم الى الحد الهائل الذى نراه اليوم ونلمس اثره فى الحياة .

والانسان — رغم تعرضه للتغير ومؤثراته أكثر من الكون المادى من حوله — هو الانسان منذ كان .. قد تتسع معارفه ، وقد تتغير افكاره ، وقد تنمو قدراته على استخدام وتسخير ما خلق الله من الأشياء فى محيطه . ولكن جوهره هو هو . يأكل ويشرب ، ويشتهى ويغضب ، ويفرح ويحزن ، وتتنازعه بواعث الخير ، وعوامل الشر فيحسن أو يسىء ، ويعدل او يظلم . ويقاتل ويقتل . كان كذلك منذ كان يركب الدابة ، أو يمشى على قدميه ، وهو كذلك اليوم حين يركب الطائرة أو سفينة الفضاء ! .

منذ كانت البشرية تتمثل فى عيلة واحدة، حسد الانسان أخاه ، وبلغ الحسد به مداه ، فطوعت له نفسه قتل أخيه ، فى وقت لم يكن يعرف الانسان فيه كيف يوارى سوأة اخيه . ومازال هذا الصراع بين الانسان واخيه الانسان قائماً . ومازال القتال والقتل مستمرا ، وإن تغيرت وسائله وادواته ، وأصبح فى مقدور الانسان ان يتخلص من جثة القتيل بوساطة العلم ، فيحللها ويذيبها عن طريق بعض المواد الكيمائية !

التطور المرفوض

هذه حقيقة اولى ، والثانية: أن (التطور) هو الانتقال من طور الى طور . وليس بالضرورة أن يكون الطور الثانى أفضل من الطور الأول . ومجرد حدوث الشىء فى زمن تال لا يعطيه أولوية أو افضلية على سابقه . فالخيرة والأفضلية بين الاشياء والأحداث والمواقف انما تحكمها معايير موضوعية ، بغض النظر عن الزمن الذى حدثت فيه .

وفى حياة الفرد الانسانى نراه ينتقل من الطفولة الى الشباب ، ومن الشباب الى الشيخوخة ، ويتحول من الصحة الى السقم ، ومن السقم الى الصحة .

وفى حياة الامم تمر بمثل هذه الأدوار من ضعف الى قوة ، ومن قوة الى ضعف .

ومن يظن أن التطور لايكون إلا انتقالا

الإسلام باعتباره شريعة الفطرة والعدل .. لم ينكر وجود التطور فى الكون والحياة

من سيئ الى حسن ، ومن حسن الى أحسن ، ومن احسن الى الاحسن ، فقد اخطأ ، وكذب على الواقع ، والتاريخ . فقد اثبتا أن التطور قد يكون تغيرا من حسن الى سيىء ، أو من سيىء الى أسوأ ، أو من اسوأ الى ما هو أشد سوءا .

ومن ثم يكون من التطور ما هو محمود ، يسعى إليه ويحرص عليه ، وهو الذى ننتقل به الآن من جهل الى علم ، ومن كفر الى إيمان ، ومن هدم الى بناء ، ومن تحلل الى تماسك ، ومن فوضى الى نظام . ومن شر الى خير . كالذى حدث لأمة العرب حين نقلها الاسلام من جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، الى الهدى ودين الحق .

ومن التطور ما يكون مذموماً يجب رفضه ومقاومته ، وهو الذى ينتقل به الأمر من الهدى الى الضلال ، ومن اليقين الى الشك ، ومن الفضيلة الى الرذيلة ، ومن الاصالة

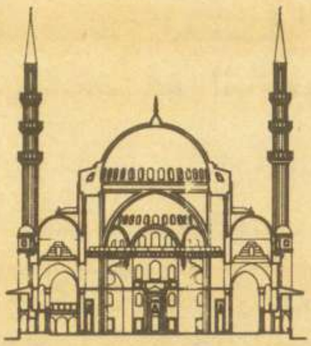

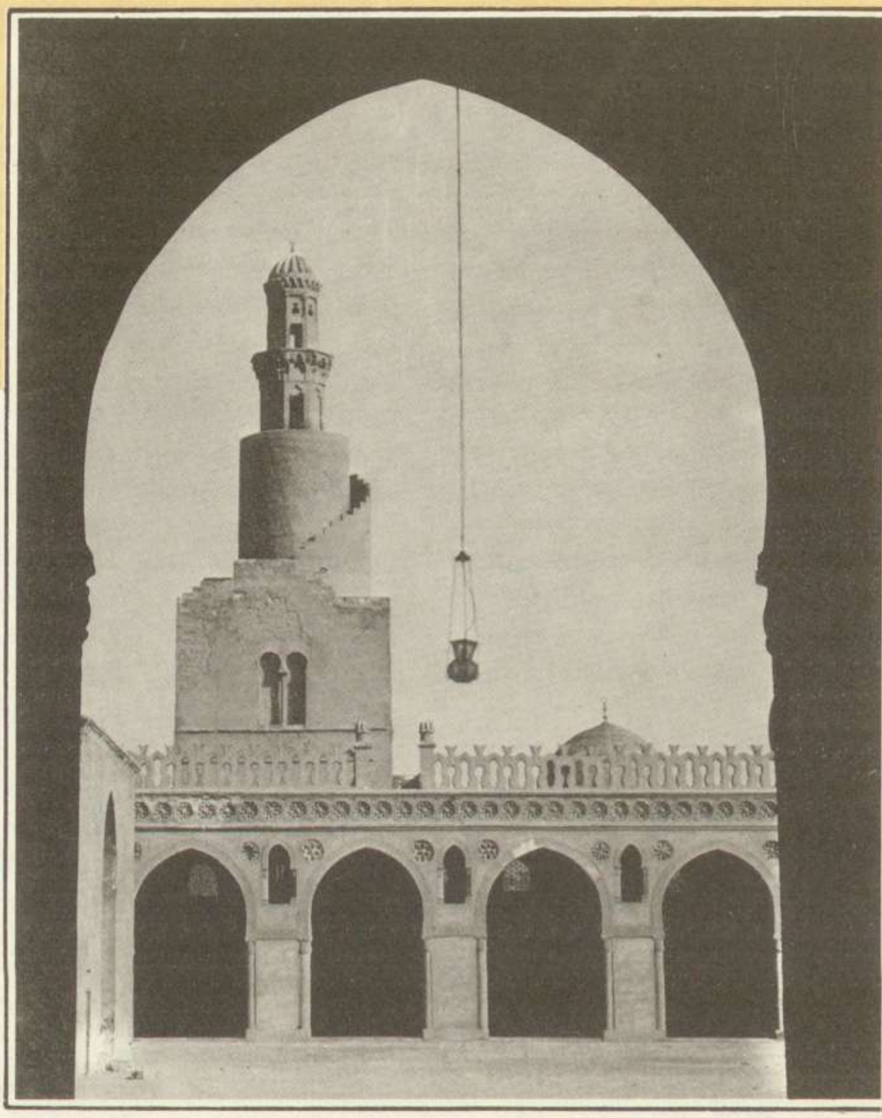

الى التبعية ، ومن الوحدة الى التمزق ، ومن الايجابية الى السلبية ، ومن البناء الى الهدم ، ككثير من الوان التطور والتغير الذى حدث لأمتنا الاسلامية فى عصور التخلف والركود ، ثم فى عصر الاستعمار والحكم الأجنبى ، ثم فى عصر التقليد والتبعية الفكرية والتشريعية للأستعمار بعد رحيله ويقام حكم وطنى يفترض فيه التحرر والاستقلال .

الاسلام والتطور

والاسلام — باعتباره شريعة الفطرة والعدل — لم ينكر وجود التطور فى الكون والحياة ، ولم يعطه أيضاً أكثر من حجمه ، ولم يفتح الباب لأى تطور خيرا كان أو شرا . إنه لم يكبل الانسان باغلال تشل حركته ، ولم يدعه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وكأنه آله لا يسأل عما يفعل ، بل وضع له قيماً واحكاماً ينطلق فى اطارها ، ويتصرف بحرية على ضوئها ، شاعرا بأنه مكلف مختار مسئول . جامعا بين الثبات والتطور معاً . ولكنه ثبات فى الغايات والأصول ، تطور فى الوسائل والفروع .

فهناك عقائد وعبادات وفضائل وأحكام قطعية الثبوت والدلالة ، تقوم عليها الوحدة الفكرية والشعورية والسلوكية للأمة ، ولا مجال فيها لتطور أو تبديل . وبجوارها احكام اجتهادية ، ودلالات ظنية ، وشئون دينوية تجد الأمة ازاءها مجالا رحباً لحرية الفكر ، وحرية الحركة ، ومرونة المواجهة ، ولن تجد من القواعد والنصوص إلا منارات تهدى ، لا قيودا تعوق .

المجتمع الثابت المتحرك

وعلى ضوء ما ذكرنا . يمكننا أن نعرف حقيقة المجتمع المسلم ، وموقفه من الثبات والتطور .

المجتمع المسلم مجتمع متطور متوازن ، ولهذا اجتمعت فيه المتقابلات ، وأخذ كل منها مكانه بالعدل . وهذا هو وضعه بين الثبات والتطور .

المجتمع المسلم مجتمع ثابت متحرك فى آن واحد .

إنه أشبه بالنهر الجارى المتدفق ، الذى لا يقف عن الحركة والتجدد والجريان ، ولكن فى مجرى مرسوم ، واتجاه معلوم ، ولغاية معروفة . وإذا كانت طبيعة هذا المجتمع قد اتضحت وتجلت فى هذا التوازن المعجز ، فان الحكمة فى ذلك قد بدت ماثلة للعيان أيضاً .

وذلك أنه إذا اتخذ الثبات المطلق ديدنا فى كل الأمور ، الدينية والدنيوية ، المعنوية والمادية ، الكلية والجزئية ، الأصلية والفرعية ، وثبت على الوسائل ثباته على الاهداف ، تجمدت الحياة وتحجرت ، ولم يستفد الناس من الملاحظة والتجربة التى هى اساس العالم الكونى ، وهى أمر واقع حتمى فى حياتهم ، وهذا ضد قوانين الكون وضد قوانين الفطرة ، فطرة الانسان وفطرة الأشياء .

كما أنه لو اتخذ المرونة المطلقة مبدأ له وشعارا لحياته ، لتطور على طول الزمن الى مجتمع بلا قيم ولا ضوابط ، وأفلت زمامه من يد الدين ، أو يصبح الدين خاضعا لظروفه وتابعاً لحياته ، يستقيم إذا استقامت ، وينحرف إذا انحرفت . والمفروض فى الدين ان يحكم الحياة ، لا أن تحكمه ، وأن يخضعها لمثله وهواه لا أن تخضعه لواقعها وهبوطها . ولو لان المجتمع المسلم فى افكاره ومفاهيمه ، وأخلاقه وتقاليده وشرائعه ، للتطور المطلق حسب البيئة والعصر والاحوال الطارئة ، لفقد هذا المجتمع وحدته ، واصبح فى كل قطر مجتمع

المجتمع المسلم
بين الثبات والتطور

مغاير للمجتمعات المنتسبة الى الاسلام فى اقطار أخرى . فلا توجد الأمة الواحدة التى ارادها الله ، وإنما توجد أمم ومجتمعات متناقضة متباينة كما يريد اعداء الاسلام .

ومن اراد أن يعرف نعمة الله على المجتمع المسلم ، الذى حفظ له الاسلام توازنه بين الثبات والتطور ، فلينظر الى مجتمعات أخرى – كالمجتمعات الغربية اليوم – كيف فتحت الباب على مصراعيه للتطور المطلق فى كل شىء ، فلم يبق فى حياتها شىء ثابت تستند إليه ، وترتكز عليه ، فلا عقيدة ولا فضيلة ، ولا تقليد ، ولا تشريع ولا اية قيمة من القيم العليا التى ورثتها الانسانية من كتب السماء ، وتعلمتها على ايدى الهداة من رسل الله وورثتهم بحق .

وكانت ثمرة هذا التطرف اضطراب الحياة كلها : من قلق نفسى إلى تخبط فكرى إلى تحلل خلقى ، الى تفسخ أسرى ، الى تفكك اجتماعـى ..

وقد قابل هذا التطرف ، تطرف مضاد ، يتمثل فى أولئك الشباب الذين رفضوا تطور مجتمعهم إلى ما صار إليه من مادية وآلية ، فاختاروا لأنفسهم حياة غريبة شاذة ، تلك حياة (الهيبيين) ومن على شاكلتهم . والتطرف لا ينتج إلا تطرفا مثله .

وإنما يتعرض المجتمع الاسلامى للخطر نتيجة لأحد أمرين :

الاول : أن يجمد ما من شأنه التغير والتطور والحركة ، فتصاب الحياة بالعقم والجمود ، وتصبح كالماء الراكد الآسن ، الـذى يجعله الركود مرتعا للجراثيم والميكروبات .

وهذا ما حدث فى عصور الانحطاط والشرود عن هدى الاسلام الصحيح ، فرأينا كيف توقف الاجتهاد فى الفقه ، وتوقف الابداع فى العلم ، والاصالة فى الأدب ، والابتكار فى الصناعة ، والافتنان فى الحرب ، وغيرها .. وضربت الحياة بالجمود والتقليد فى كل شىء ، واصبح المثل السائر الذى يعبر عن وجهة النظر السائدة : (ما ترك الأول للآخر شيئا).

على حين اخذت المجتمعات الأخرى الراكدة تستيقظ وتنهض وتتطور ، ثم تنمو وتتقدم ، ثم تزحف غازية مستعمرة ، والمسلمون فى غمرة ساهمون .

الثانى : أن يخضع للتطور والتغير ما من شأنه الثبات والدوام والاستقرار ، كما نرى ونسمع فى عصرنا الحديث ، ان فئة من ابناء المسلمين ، يريدون خلع الأمة من دينها ، وعزلها عن تراثها كله ، باسم التطور .

يريدون أن يفتحوا الباب للالحاد فى العقيدة ، والانسلاخ من الشريعة ، والتحلل من الفضيلة .

كل ذلك باسم هذا الصنم الجديد (التطور) .

إنهم يريدون ان يطوروا الدين نفسه ، لكى يلائم ما يريدون استيراده من الشرق والغرب ، من عقائد وافكار ، وقيم وموازين ، وانظمة وتقاليد ، ومثل واخلاق .

وما جعل الله الدين إلا ليمسك البشرية أن تتدحرج وتنقلب على عقبها . لهذا أوجب أن يكون الدين هو الميزان الثابت الذى يحتكم إليه الناس إذا اختلفوا ، ويرجعون إليه إذا انحرفـو .

أما أن يصبح الدين خاضعا لتقلبات الحياة وظروفها ، يستقيم إذا استقامت ، ويعوج إذا اعوجت ، فانه لذلك يفقد وظيفته فى حياة الانسان .

موقف المجتمع

بهذا كله ، يظهر لنا وجه المجتمع المسلم ، بَيِّن الملامح ، واضح القسمات ، متميزا بهذه الفضيلة البارزة فى حياته ، وهى : الجمع بين الثبات الذى يمنحه الاستقرار ، فلا يتزحزح عن مبادئه ، ولا يتحول عن اصوله ، وبين المرونة التى يواجه بها سير الزمن ، وسنة التطور .

فهو يجمد فى بعض الأمور كالصخر ، ويلين فى بعض الأمور كالعجين ، أو كما قال شاعر الاسلام فى الهند (محمد اقبال) فى وصف المسلم :

(يجمع بين نعومة الحرير، وصلابة الحديد) ! .

ومن هنا نستطيع ان نتبين موقف هذا المجتمع من المجتمعات الأخرى المخالفة له فى العقيدة والوجهة والمبدأ .

إنه لا يذوب فيها ، ولا يتبع اهواءها ، ولا يقلدها ويتشبه بها فيما هو من خصائصها ، فيفقد بذلك اصالته وشخصيته المتميزة ، ويسير وراءها شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، وهذه هى التبعية التى يرفضها الاسلام لأمته ، التى بوأها الله مكان الأستاذية للبشريـة كلها .

ومع هذا ، لا ينعزل المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات ، بل يستطيع أن يقتبـس منهـا وينتفـــع بمـــا لديهـــا من معارف وخبرات ومهارات ، لا تضر بكيانه المادى والمعنوى : لأن (العلم المحصن) وما يتفرع عنه من مكتشفات وأجهزة وادوات ومخترعات ، لا جنسية له ، ولا لون له .

إنه كالماء ، يأخذ لون الأناء الذى يوضع فيه .

فعنصر الثبات يتجلى هنا فى رفض المجتمع المسلم للعقائد والمبادىء والأفكار والقيم ، والشعارات ، التى تقوم عليها المجتمعات الأخرى غير المسلمة وتميزها ، لأن مصدرها غير مصدره ، ووجهتها غير وجهته ، وسبلها غير صراطه ، فهو مجتمع متميز فى المصدر والوجهة والمنهج بل فى السمة والشعار ايضا .

ولهذا حرص رسول الله (ص) على تميز المسلمين فى كل شئونهم عن مخالفيهم من المشركين واليهود والنصارى . فرفض البوق والناقوس للأعلام بالصلاة ، واختار الأذان .

ووردت عبارة (خالفوهم) فى أمور كثيرة ، مما يدل على ان تميز المجتمع المسلم أمر مقصود للشارع .

ولهذا جاء القرآن يحذر الرسول (ص) من اتباع اهواء الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ، أو التأثر بدسائسهم ووساوسهم ، فيفتنوه عن بعض ما انزل الله إليه . قال تعالى :

(ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولى المتقين) .

هذا فى مكة ، وفى المدينة قال (وأن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم ،

استطاع المسلمون فى العصور الذهبية أن يحتفظوا بشخصيتهم الإسلامية .. ثابتين على عقائدهم وشعائرهم وشريعتهم

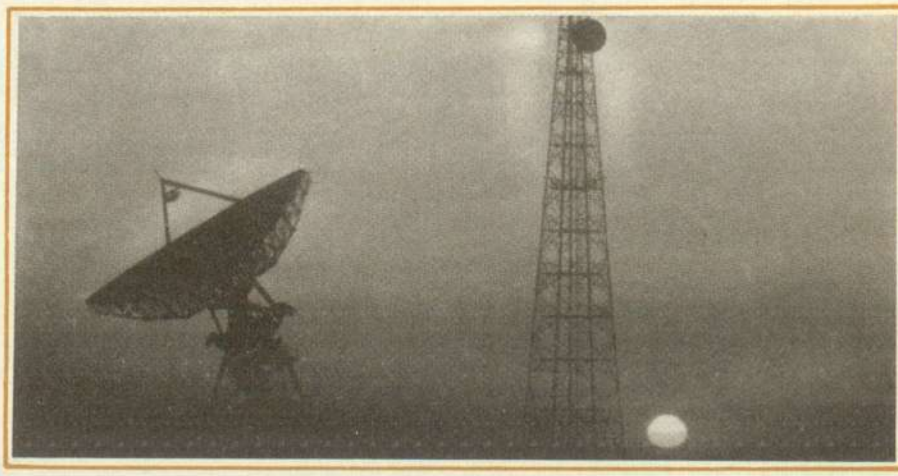

واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك — إلى أن قال — افحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) .

وهذا هو موقف الفرد المسلم ، والمجتمع المسلم من احكام الكفار ، إنه يرفضها رفضا حاسما ، ولا يقبل إلا احكام الله ؛ لأن من لم يقبل حكم الله ، سقط فى حكم الجاهلية ، ولا ثالث لهما .

إن شعار المسلم إزاء كل ما يعرض عليه من مبادىء وأفكار ومذاهب ، هو هذه الكلمة الموجزة :

(إن كان فيها مافى الاسلام فقد اغنانا الله بالاسلام . وإن كان فيها ما يخالف الاسلام ، فنحن لا نبيع ديننا بملك المشرق والمغرب) !

وفى مقابل هذا الثبات نجد مرونة وسماحة من الناحية العملية والتطبيقية فى الحياة ، مما يتصل بالطرائق والاساليب لا بالمبادىء والأهداف .

فاذا كان لدى مجتمع غير مسلم نظام حسن فى تعبئة الجيوش ، أو فى تنظيم المواصلات ، أو فى توزيع البريد ، أو فى تحسين الانتاج ، أو فى ترقية الصناعة أو الزراعة ، أو فى تخطيط المدن والقرى ، او فى حفظ الصحة العامة ، ومقاومة الأوبئة ، أو فى تسخير القوى الكونية بسلطان العلم لمصلحة الانسان ، أو نحو ذلك من كل ما يتعلق بالجانب العلمى (التقنى) والابداع المادى ، والتنظيم العملى . فالاسلام يرحب به ، ويحث على اقتباسه فى مجتمعه ، بشرط الا يصطدم بأحكام الاسلام ، وقد جاء فى الحديث (الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو احق بها) .

لقد رأينا النبى (ص) يخطب على جذع نخلة فى أول أمره بالمدينة ، فلما كثر المسلمون ، واستقر له الأمر ، استدعى له نجارا روميا فصنع له منبرا من ثلاث درجات فكان يخطب عليه فى الجمعة والمناسبات .

وفى غزوة الاحزاب أشار عليه سلمان الفارسى بحفر خندق حول المدينة يحميها من الغزاة المشركين ، وهذا من أساليب الفرس الدفاعية ، فأعجب به ونفذه ، ولم يقل : هذا من اساليب المجوس لا نأخذ به .

بل رأينا الصحابة — رضى الله عنهم — يقتبسون بعض التنظيمات الادارية والمالية الصالحة من الفرس أو الرومان أو غيرهم ، ولم يجدوا بذلك بأسا ، مادام يحقق لهم مصلحة ، ولا يصادم نصاً ولا قاعدة ، كما فى نظام الخراج ، وهو نظام فارسى الأصل ، ونظام الديوان وهو نظام رومانى الأصل .

العصور الذهبية

لقد استطاع المسلمون فى العصور الذهبية أن يحتفظوا بشخصيتهم الاسلامية ثابتين على عقائدهم وشعائرهم وأخلاقهم وشريعتهم ، وأن يقتبسوا مع هذا من مدنيات الفرس والروم والهنود وغيرهم من القدماء ما ينفعهم ويلائم أوضاعهم ، وأن ينتفعوا بتراث الاغريق (العلمى) بعد أن عربوه وهذبوه وأضافوا إليه . وأيد ذلك فقهاؤهم وائمة دينهم — بل ساهموا وشاركوا فيه — ولم يتوقفوا إلا فيما رأوه معارضا لعقيدتهم وفكرتهم عن الله والوجود أو لمنهجهم الفكرى ، وذلك يتمثل فى الجانب (الميتافيزيقى) من الفلسفة الاغريقية كما تمثل فى (منطق أرسطو) الذي عارضه جماعة من أكابر العلماء مثل ابن الصلاح والنووى وابن تيمية ، الذى ألف فى نقضه كتابين صغيرا وكبيرا ، وسبق بهذا النقض العصر الحديث الذى أقام نهضته على الاستقراء لا على القياس الذى هو محور المنطق الأرسطى .

على ان من فقهاء المسلمين من نصر هذا المنطق وتبناه ، واجتهد أن يستدل على صحته من آيات القرآن مثل أبى حامد الغزالى الذى سماه (معيار العلوم) . والمهم أن المسلمين كانوا فى غاية من المرونة أمام الجانب العملى — بتعبير عصرنا وكذلك الجانب الادارى والتنظيمى والعمرانى والصناعى ، ولم يجدوا أى حرج دينى فى اقتباس ذلك من غيرهم ، والزيادة عليهم والتفوق فيه ما استطاعوا .

بخلاف الأمور الأخرى المتصلة بالفكرة والعقيدة . فقد رفضوا هذا الجانب من فلسفة الاغريق وخطأوا من اعتنقه أو أيده من الفلاسفة المنتسبين الى الاسلام ، بل كفرهم الغزالى وغيره فى مسائل معروفة خالفوا فيها المعلوم من الدين بالضرورة كما يتضح ذلك من كتابه (تهافت الفلاسفة) وإن رد عليه العالم الفيلسوف القاضى ابن رشد فى كتابه (تهافت التهافت) .

ولقد اثبت مؤرخو الحضارة الاسلامية أن المنهج العلمى الحديث الذى يتميز به العرب قد اقتبس من المسلمين ، الذين سبقوا الى اكتشاف هذا المنهج كاملا قبل نهضة اوربا بعدة قرون . وقد شهد بذلك جورج سارتون ، وغوستاف لوبون ، وبريفولت وغيرهم من الغربيين المنصفين .

ومازال تاريخ العلم يحتفظ بأسماء لامعة لعلماء مسلمين فى الطب والكيمياء والفيزياء والفلك وغيرها . كما يحتفظ بأسماء كتب علمية ، ظلت مراجع عالمية فذة فى موضوعها لعدة قرون .

د. يوسف القرضاوى

إطلالة على واحد من مواطن الأحداث الملتهبة في أفريقية

تشاد
بين ماضيها المجيد وحاضرها الدامي

د. حسن عيسى عبد الظاهر

الرئيس جوكوني ورئيس توجو

تشـــاد !

هذا الاسم ، لعله لم يخطئك يوما فى عناوين الصفحات الاولى من الصحف والمجلات ، ومع الأنباء الاولى فى النشرات الاذاعية المسموعة والمرئية على المستويين المحلى والعالمى !

تشـاد ... هذا الاسم الذى ملأ أجواء الحياة الافريقية بالتحركات ، والاجتماعات ، والمؤتمرات ، والمؤامرات ، واخبار الوصول الى اتفاق ثم نقضه ولما يجف مداده ، حتى بلغت هذه الاتفاقات المنقوضة العشرات ، وتقرأ من الأخبار عن المعارك ومئات القتلى وتسمع مع النشرات أزيز الطائرات وقصف المدافع ، وكل وسائل الدمار ، وتتساءل : ما الذى دهى هذا البلد بهذه الداهية ؟ ومن الذى حرك فيه هذه الفتن ؟ ومن الذى ادخل اليه اسلحة الدمار ليقتل بها المواطن اخاه هكذا .؟؟ .

وتهزك هذه المشاعر الانسانية وتأسى لهذا البلد واخباره حتى من قبل أن تسأل : أين هو ؟ وكيف هو ؟ .

امبراطورية إسلامية

تشاد ... هذا الاسم تحمله وتتسمى به (جمهورية) حبيسة فى وسط إفريقية ، بالتحديد فى السودان الأوسط ، اخذته من اسم هذه البحيرة العتيدة (بحيرة تشاد) التى تسمت باسمها كل هذه المنطقة (منطقة تشاد) الواقعة بين حوض النيجر غربا وحوض النيل شرقا ويحدها من الشمال الصحراء الكبرى ومرتفعات تيبستى الشاهقة ، ومن الشرق مرتفعات هضبة (انيدى) التى هى امتداد لمرتفعات (دارفور) ، ومن الجنوب هضبة (اويانجى) فأداماوا ، ومن الغرب المنخفض المتدرج وفيه (بحيرة تشاد) .

وإن شئت ترجمة لهذه التضاريس الطبيعية من اسماء الدول الآن فان فى شرقها سودان وادى النيل ، وفى شمالها

الدول التى تحاصر تشاد كانت جزءاً من دولة تشاد الكبرى

دولة إسلامية إفريقية حملت الإنسان من الغابة إلى النور

إمبراطورية البرنو الإسلامية شاخت فى القرن التاسع عشر

حين اقتسمت فرنسا وإنجلترا وألمانيا .. إمبراطورية البرنو

ثوار من تشاد

ليبيا ، وفى غربها النيجر ثم نيجيريا ، وفى غربها الجنوبى الكمرون ، وفى الجنوب افريقيا الوسطى !!! ست دول من حولها تشاركها الحدود ، ولا تجد لها منفذا الى بحر إلا عن طريق واحدة منها وعلى بعد ١٥٠٠كم .

ومساحة هذه الدولة تقدر بـ (١٫٢٨٤٫٠٠٠) كم مربع — أى ضعف مساحة فرنسا ، ويقارب سكانها خمسة ملايين نسمة يدين معظمهم بالاسلام .

ومن عجيب امر الدول والحضارات فى سنن البناء والهدم ، والتقدم ، والتقهقر أن معظم هذه الدول التى تحاصر (تشاد) كانت كلها او بعضها جزءا من دولة تشاد الكبرى التى تحمل فى التاريخ هذا الأسم العريض (امبراطورية البرنو الاسلامية) على مدى تسعة قرون من الزمان ختمت بدخول ليل الاستعمار عليها فى مطلع هذا القرن .

هكذا كانت (امبراطورية) ، وعمرت القرون الطوال ، وخطت فى حضارة إفريقية صفحات مجد طويل . ثم تقرأ الآن عنها لبعض الكاتبين فى صحفنا العربية بمناسبة احداثها الراهنة قوله ((فهى — أى تشاد — واحدة من تلك الدول الافريقية التى ليس لها تاريخ معروف يتجاوز القرن الماضى حين تسابقت دول أوروبا الى اقتسام بلاد القارة السوداء فيما بينها) ! وتأسى لمثل هذا القول وتعجب وتتساءل : من المسؤول عن هذا القصور الفكرى فى ثقافتنا الأفريقية؟؟ ألم يكن سلفنا من قادة الفتح الاسلامى والدعوة هم الذين ادخلوا افريقية التاريخ ؟ وبشهادة الاوروبيين أنفسهم حتى ليقول قائلهم وهو المؤرخ الفرنسى جويبى : (إنه بالاسلام يبدأ العصر التاريخى لافريقية السوداء) .

الم يكن علماؤنا من مؤرخين وجغرافيين هم الذين فتحوا لها صفحات التاريخ بدءا من (اليعقوبى) فى القرن الثالث هـ فى تاريخه وحتى (محمد بلو ، والكاغى ، والتونسى) فى القرن الماضى ؟

نعم ؛ وكتب عنها البكرى (ق ١١م) ، والعمرى (ق ٨هـ—١٤م) ، والقلقشندى (ق٩هـ — ١٤م) ، والسعدى (١٦م) ، والقاضى ألفع محمود كعت (١٠هـ — ١٦م) ، وفتح باب المعرفة بها فى اوربا ابن من ابنائها هو (الحسن الوزان) (ليو الافريقى) ١٦م ، الذى اسرته اوربا وتهافتت على كتابه تقرأه وتدرسه وتستوحى منه ادق التفاصيل عن مناطقها المجهولة لديها . وزارها الرحالة ابن بطوطة (ق١٤م) ، ووصف من احوالها وذكر من اخبارها رؤية عين . ويقول احد كتاب الغرب فى هذا الصدد : (لم تكن هناك معلومات عن افريقية جنوبى المغرب قبل مجيء العرب الى شمالى افريقية ، ونحن ندين بجميع المعلومات عن هذه الاصقاع الجنوبية للمؤرخين العرب) .

كانت عبر تاريخ طويل مشعل حضارة فى هذه البقعة المحصورة بين الصحراء والغابة والمرتفعات والوديان عبر طريق طويل ممتد يقطع القارة عرضا من غرب حيث بحر الظلمات — المحيط الاطلسى — الى شرق حيث البحر الأحمر .

تشـاد
بين ماضيها المجيد وحاضرها الدامى

● ثم جاءت الحرب العالمية الثانية ودارت معاركها شمال تشاد

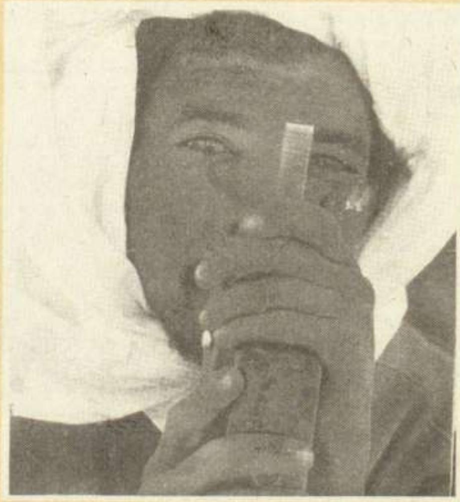

جوكونى يستقبل رئيس توجو فى رحلة لوقف القتال فى تشاد

هذا الطريق الطويل عبر حزام (السافانا) ربط بين حضارات (حوض السنغال) و (حوض النيجر) و (حوض بحيرة تشاد) ، وعبر دولة اسلامية افريقية حملت عبء نقل الانسان الافريقى من عصر الغابة الى عصر النور ؛ فعرف فى ظلها الدولة ونظامها ، وتشرب العلم وحضارته ، ورحل من الغابة الى مواطن المعرفة فى الشمال الافريقى والمشرق العربى ، واجتاز الفيافى فى قوافل ضخمة فى رحلة الحج سنويا فى مزيج من البشر من الحاكم الى الخادم ، يصهر دماءهم إخاء اسلامى ، ويوحد هدفهم قبلة واحدة ، ويربط بين قبائلهم المتنافرة عقيدة توحيد للمعبود ، ووحدة بين العابدين ، وهذا من (البربر) وذاك من (الزنج) وآخر من (العرب) . هذا حامى وذاك سامى متناسلين عن افخاذ وبطون وقبائل وعشائر تاه علماء الاجناس فى تحليلها ، تيبو ، وطوارق ، وكانورى ، وفولانى ، وهوسا ، وباجرمى وجاء الاسلام فصهرها أمة واحدة . ويصف لنا عالم من سلفنا هو القلقشندى فى موسوعته (صبح الاعشى) الكثير عنها وكيف كانت علاقاتها المحلية والدولية بمصر وبالمغرب وبغيرهما والاسلام كان ومازال — فى (تشاد) من قديم حتى ان بعض الروايات ترجع بطلائعه الأولى الى عهد (عمر بن عبد العزيز) ، والحديث فى المراجع عن وفود المهاجرين من العلماء والقبائل وهى تفد الى هذه المناطق من حوض النيل مصره وسودانه ومن الشمال الافريقى شرقه وغربه حديث مستفيض ويشهد به التاريخ والواقع .

وحول بحيرة تشاد من شرق — أولا — ومن غرب — ثانيا — قامت امبراطورية اسلامية من القرن الرابع الهجرى — العاشر الميلادى — حملت اسم (امبراطورية الكانم الاسلامية) أولا فى شرق بحيرة تشاد وكانت عاصمتها (جيمى) . والكانم جنس من السودان . وكما اطلق الاسم عليهم اطلق على منطقتهم هذه . ثم اعترى هذه الدولة ما يعترى الدول من مد وجزر ، وتحولت الى غرب بحيرة تشاد وحملت اسم (امبراطورية البرنو الاسلامية) وعاصمتها بيرنى — أى المدينة المحصنة — والبرنو تعنى بلغة الصحراء (الرجال المحاربون) — وهذه الامبراطورية بكلا الاسمين (الكانم والبرنو) كانت دولة واحدة وان تعددت حواضرها وتنقلت حول البحيرة من شرق الى غرب وبين حاكم وآخر .

وعاشت داخل هذه المنطقة تبنى حضارة اسلامية لها طابعها الافريقى ، وعاشت خارج هذه المنطقة بعلاقات طيبة مع المغرب مع الحفصيين وغيرهم ، وفى مصر مع الفاطميين والأيوبيين والمماليك ، واقامت العلاقات التجارية والثقافية مثل ما يذكره المقريزى فى (المواعظ والاعتبار) عن مدرسة ابن رشيق بخط حمام الريش من مدينة مصر (كان الكانم من طوائف التكرور ولما دخلوا مصر فى سنة بضع واربعين وستمائة هـ — اواخر العهد الايوبى —

الحلفاء اتخذوا من تشاد قاعدة عسكرية لهم .. وانتهت الحرب بانتصارهم

قاصدين الحج دفعوا للقاضى (علم الدين ابن رشيق) مالا بناها به ودرس بها فعرفت به وصار لها فى بلاد التكرور سمعة عظيمة فكانوا يبعثون اليها فى غالب السنين بالمال) . وفى الحجاز حيث رحلة الحج كل عام ، ومدت حبال هذه العلاقات مع الخلافة العثمانية فى استانبول ، وتسامى بها مؤرخو المنطقة حتى وضعوها فى عداد الدول الكبرى فى العالم الاسلامى آنذاك فيقول عنها محمود كعت فى تاريخه الفتاش (سلاطين الدنيا اربعة : السلطان الاعظم سلطان بغداد ، وسلطان مصر ، وسلطان برن –أى برنو– وسلطان مل –أى مالى الاسلامية) .

وترامت اخبارها الى اوربا حين بدأت اوربا تخرج الى عصر النور الذى اشع عليها من منابعه فى الاندلس ، وبدأت تتحس طريقها نحو القارة الافريقية فى خطى الرحالة والمغامرين والذين دخلت بهم عصر الكشوف الجغرافية الحديثة ، والذى دلفت من بابه الى عصر الاستعمار وبخاصة فى افريقية ، وجاءتها الرحالة منها فرادى وجماعات وارتادوا مناطقها مستكشفين ودارسين وكاتبين ومعاهدين .

ثم كانت القاصمة ... احتلال الساحل الغربى من القارة ثم التسرب الى داخلها بحثا عن منابع الانهار الكبرى النيجر والكونغو والنيـل ... وبحثا كذلك عن مواطن لتثبيت اقدامهم .. وقد كان.

الامبراطورية تضمر !

وحديث هذا الزحف أو هذا الغزو حديث طويل ...

حتى كان القرن التاسع عشر وشاخت (امبراطورية البرنو الاسلامية) ودخلت فى موجة جزر داخلية عنيفة ، دوامات من الصراع الداخلى ، وصراع على الحكم ، وحروب داخلية تناقض فيها بنيان الدولة وتناقصت من اطرافها بفعل المغامرين من هواة السلطة ، وشارف القرن التاسع عشر على نهايته ، واتفقت كل من بريطانيا وفرنسا والمانيا سنة ١٨٩٤م على اول تقسيم استعمارى لدولة برنو الاسلامية ، وفى ١٨٩٧ بعثت فرنسا بطلائع جيشها الاستعمارى الى (باجرمى) بقيادة (جنتل) الذى خاض حروبا عنيفة مع (رابح) الحاكم لبرنو آنذاك ، وفى ٢٢ فبراير سنة ١٩٠٠ انتصر الفرنسيون عليه وذبحوه بقيادة قائدهم (لامى) الذى تسمت عاصمة تشاد باسمه (فورلامى) فى عهدها الاستعمارى .

انتهى التقسيم بين الدول الثلاث الى أن : أخذت فرنسا منطقة (كانم) شرق بحيرة تشاد ، واخذت انجلترا (برنو) غرب بحيرة تشاد مع اقليم كوكا ، واخذت ألمانيا (المناطق الجنوبية) ، وهكذا تناثرت أشلاء امبراطورية اسلامية إفريقية ، وتداعت عليها هذه الدول كما تتداعى الأكلة الى قصعتها ، وتوالدت منها جمهوريات جديدة كلا أو بعضا فكانت (جمهورية تشاد) التى شملت اغلب الأجزاء الشرقية من امبراطورية برنو الاسلامية ، ثم ضم نصيب منها أو اكثر الى كل من النيجر ، ونيجيريا ، والكامرون ، وافريقية الوسطى ، وضمرت الامبراطورية – سابقا – فى جمهورية حبيسة شرق بحيرة تشاد فرضت عليها سيطرة استعمارية فرنسية كاملة اكثر من نصف قرن فى إطار ما يسمى (افريقية الاستوائية الفرنسية) ؛ ثم جاءت الحرب العالمية الثانية ، ودارت معاركها الطاحنة فى الصحراء الكبرى شمال تشاد ، واتخذ الحلفاء من تشاد قاعدة عسكرية لهم ، وانتهت الحرب بانتصارهم .

ومن حينها بدأت الاحزاب السياسية فى تشاد تظهر ، وبدأت الثورة ضد الاستعما يشتد ساعدها وبخاصة فى شمال تشاد المسلم حيث المقاومة المستمرة طوال عهد الاستعمار وحيث لم تنجح السلطات الفرنسية فى القضاء عليها ، فكان أن حولت هذه السلطات وجهتها الى الجنوب حيث الوثنيات تستميله وتملأه بالبعثات التبشيرية واستثارة العصبية الطائفية فيه .

عصر الاستقلال

وجاء عصر الاستقلال للدول الافريقية فى الستينات من هذا القرن العشرين ، ونالت أو منحت تشاد استقلالها فى ١٢ يونيو ١٩٦٠م وصنعت منها دولة لكن على تركيب متناقض كأنه اريد به عدم الاستقرار ذلك أن الدولة كما رأيت تضرب بجذور عميقة فى التاريخ الاسلامى ، وكانت تمثل مركز حضارة اسلامية فارعه فى قلب افريقية فاذا بهذا التاريخ كله يطوى صفحاته لتبدأ تشاد صفحة جديدة تحت حكم الوثنيين أو من تنصروا منهم على يد المبشرين والمستعمرين ، إذا تولى أحد ابناء الجنوب من صنائع الاستعمار برئاسة الجمهورية الجديدة وهو (فرانسوا تومبالباى) . وطبيعى والأمر هكذا ظل الاستقلال شكليا وظل (تومبالباى) تحت النفوذ الفرنسى . واشتدت الاضطرابات فى عهده وساءت احوال البلاد لسوء ادارتها واتباع (تومبالباى) سياسة عنصرية بغيضة مكنت من انتشار الفساد وتسلط قبيلته على ازمة السلطة فى الجيش والوزارة ، وازدادت الفرقة وكثرت التيارات السياسية حتى جاوزت العشر،وازداد المجتمع تدهورا

تشاد
بين ماضيها المجيد وحاضرها الدامي

● منذ الستينات بدأت الأحوال تتدهور.. والمواطنون يهاجرون!

وتخلفا اقتصاديا واجتماعيا وعسكريا حتى جاءت تشاد فى مؤخرة الدول فى آخر القائمة أفقر دول العالم ؛ واعلن تومبالباى قيام الحزب الواحد ليواجه به الانتفاضات ضده وتحامل على شمال البلاد المسلم بشكل ملموس ، وفى تعصب لوثنيته أو صليبيته بغيض ، متناسيا العناصر الفعالة فى بناء الأمة وكان هذا أول شرخ فى بناء الدولة ان وضعت أزمتها فى يد غير أهلها الأصليين من الحواشى .

دولة اسلامية ، وشعبها مسلم ، وتاريخها طوال عشرة قرون اسلامى ، ودخلت التاريخ بالاسلام ويلغى هذا كله فى موجة من موجات الغزو الاستعمارى الحقود !

وليس هذا فى تشاد وحدها بل فى كثير من دول افريقية الاسلامية .

ثم كان الشرخ الثانى استثارة النزعات القبلية والعصبيات العرقية بأسلوب أو بآخر مباشر أو غير مباشر ، وعادت القبلية واطلت بقرونها الحادة متناطحة ، وتفككت اوصال الدولة وباضت الحرب الاهلية وافرخت ، وتحركت عوامل الهدم من الداخل وزحفت عوامل الطمع من الخارج . ووقعت تشاد بين شقى الرحى الدائرة الآن بعنف . وبدل أن تحمل اليد الفأس لتفلح الأرض حملت المدفع لترويها بالدماء ؛ وبدل أن يتكاتف الأخ مع أخيه على حماية المرعى قاتله وانصرف كلاهما عن الحمى وعاشت فيه الذئاب ؛ وازدادت الامور بذلك اضطرابا ، وقويت المعارضة فى المنطقة الشمالية وقابلها تومبولباى بعنف مستعينا بالقوى الاستعمارية المرابطة بالعاصمة .

قارة المستقبل

وبدأت بذور الثورة تنمو وتشتد ، والمتابع للأحداث فى آخر الستينات يحس بمدى تدهور الأحوال هناك حتى اضطر الكثير من المواطنين الى الهجرة والتشرد هائمين على وجوههم فى كل مكان من حولهم ؛ ولقد رأيتهم واستمعت إليهم والى المآسى المحزنة التى تلاقيها بلادهم . ولقيتهم هناك على الضفاف الغربية من بحيرة تشاد ، وفى ميدوجورى ، وكانو ، ولمست آنذاك ما كانوا يعانونه من قمع واضطهاد وتمييز عنصرى تطاردهم به سلطة تومبالباى بالاحتماء بفرنسا وطلب منها اعادة قواتها الى الشمال ولم يفلح. ووسط هذه الضغوط كانت الجبهة الوطنية لتحرير تشاد المعروفة باسم (الفرولينا) قد ولدت بقيادة ابراهيم حباجة الذى قتلوه عام ١٩٦٦ وخلفه الدكتور أبا الصديق واعلنت الفرولينا الثورة المسلحة وحاولت الاستيلاء على السلطة بانقلاب عسكرى عام ١٩٧١م ولم تنجح الفرولينا ــ جبهة التحرير الوطنية الأهلية ــ وفى ابريل ١٩٧٥ قاد الجيش انقلابا عسكريا اطاح فيه بتومبالباى وقتل وتم تشكيل مجلس عسكرى برئاسة (فيلكس مالومى) الذى كان من قبل احد اعوان تومبالباى وزج به فى السجن ، لكن الفرولينا أدانته هو الآخر واعتبرته مظهرا شكليا للتغيير ، وتصادما ، وشن (مالومى) حملات عسكرية قاسية وفاشلة ضد الثوار .

وفى عام ١٩٧٩ حاول استمالتهم وعرض عليهم المشاركة فى الحكم وقبل احد زعمائهم وهو (حسين حبرى) المشاركة وانشق بذلك على الفارولينا ثم اختلف هو ومالومى .

وبدأت السلطة المركزية تفقد سيطرتها على البلاد التى توزعت الى فرق ومناطق نفوذ وجبهات تسيطر على كل واحدة منها جبهة أو أخرى حتى العاصمة (نجامينا) مزقت الى قطاعات متحاربة . وجاءت المؤتمرات واحد تلو الآخر تحاول ان ترأب الصدع وتوقف هذا التدهور ، وكثر المتفاوضون والمغرضون ومن وراء المؤتمرات مؤامرات تحاول إجهاضها فى مقار اجتماعاتها ولما يجف مدادها وينفض سمارها .

وبدأ التنافس الخارجى يطفو على سطح هذه المؤتمرات وفى الداخل وكل يتبنى تيارا

السلاح فى الشارع

فى الداخل يغذيه بالوقود الذى حول البلد الى فتن تكاد تأتى على اخضرها ويابسها . وانتهى حكم الرئيس الجنوبى (مالومى) . ومن أهم هذه المؤتمرات مؤتمر لاجوس فى مايو ١٩٧٩م الذى حضره اطراف النزاع وحضر معهم للمصالحة الدول الست المجاورة واسفر عن مشروع حل مبدئى يتلخص فى :

● إنهاء الوجود الفرنسى العسكرى نهائيا من البلاد .

● انشاء حكومة اتحاد وطنى تضم ممثلين لكل الاطراف ، ويبدو من هذا ان اتفاقية لاجوس لا تقر بأى اتجاه للانفراد بالشرعية ، وانشئت فعلا الحكومة المذكورة برئاسة (جوكونى عويدى) وتولى (حسين حبرى) وزارة الدفاع ، ثم بدأ هذا الائتلاف يتفكك وضربت اتفاقية لاجوس .

هكذا تلاحقت الأحداث تحمل فى طياتها الخراب والدمار من قبل ومن بعد فى القرية والمدينة فى الزراعة والرعى والحياة كلها ، وسمعنا وقرأنا ــ ومازلنا ــ كم من المحاصيل نقص وكم من الماشية نفق وكم من الجفاف أتى على الأخضر واليابس ، وكم من الانسان هاجر أو هرب أو شرد ، وعاصمة تشاد الآن تنعى قتلاها ، والبنادق والمدافع هى لغة الذين يعششون فى انقاضها الآن .

نسبة ١٢ ٪ تقدم الى (تشاد) .

ولعله بعد هذه الكشوف يتضح سر خطير من اسرار هذا التصارع على هذا البلد الحبيس الفقير ونتساءل : هل مثل هذا الكشف أو الخير يكون سبباً لهذا البلاء الماحق بتشاد ؟

والجواب : بل هو البلاء كله ليس لتشاد وحدها بل لأفريقية كلها ، انها جريمة افريقية فى العصر الحاضر أن فيها الكنوز الدفينة انها (الثروة) أو (الرصيد) أو (المخزن) الذى يتقاتلون عليه ، واين افريقيا ، واين ابناؤها من هذا كله ؟

إنها وهم الضحية ، وكيف ؟

كان الاستعمار بالأمس يستنزفها ارضا بنقل خيراتها واستعباد انسانها هناك ، واليوم ينتقل هو اليها ليضع الدمار واسلحته فى يد ابنائها لينزاحوا من طريقه ويبقى هو ليقيم الدول للرجل الأبيض فى جنوبها ووسطها واطرافها وقلبها .

وكلمة أخيرة : هذه القارة دخلت تاريخها الحضارى بالاسلام ، ودخلت تاريخها الدامى بالاستعمار ومحاولة طرد الاسلام منها هى جناية لطمس معالمها ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، فالاسلام هو الذى اذاب القبلية وعصبيتها منها ، ومزج بين دماء ابنائها ، وهو الذى انار لها السبيل واخرجها من الغابة الى مواكب الحياة ، وهو الذى خط لها التاريخ المجيد ، ولابد ان يبقى فيها وينمو ليواصل مسيرته الحضارية ، ومالم يكف الاستعمار يده عن الاسلام فيها فسوف يدخلها فى متاهات من الوثنية الحديثة كما كانت تائهة قبله فى وثنياتها القديمة التى عزلتها عن الحياة .

● ● ●

إفريقيـة .. الارض .. والناس هى قارة المستقبل للانسان كله ومالم يكف المستعمر يده عن تخريبها وتخريب ابنائها وملئها بالسلاح فانه سوف يهدد مستقبل الانسان كله

د. حسن عيسى عبد الظاهر

نهر شارى والهجرة والهروب والتشرد عبر النهر المتدفق بالحياة

الشمال واسلحته فى الميدان واضحة .

● الوجود الامريكى مقنعا ومتربصا ، واسلحته فى الميدان كثيرة ، ووضع يده الآن على الاكتشافات الحديثة للبترول هناك تبرز مبررا قويا .

هذا ويربط بعض المحللين بين احداث طفت على سطح المنطقة من قريب أو من بعيد منها احداث قفصة التونسية . ومن قبل كان حادث إزاحة امبراطور افريقية الوسطى (بوكاسا) . ومنها اصرار فرنسا على إبقاء حاميتها العسكرية فى تشاد – وبخاصة بعد اتفاقية لاجوس – تحت تفسيرات وتبريرات القصد منها اهتمامها بوجودها وهيبتها ومصالحها فى المنطقة لا سيما بعد إكتشاف البترول والأورانيوم .

ومنها وجود النفط بكميات كبيرة وقد اكتشفته مؤخرا شركة (كونوكو) الأمريكية وتبدأ آباره فى منطقة (كانم) فى الشمال الشرقى من بحيرة تشاد لتمتد فى سلسلة طويلة نحو – شارى – فى منطقة (دوما مياندوم) فى منطقة تربو مساحتها على نصف مليون كم مربع ، واحتكرت هذه الشركة حق التنقيب فيها لمدة اربعين سنة كما احتكرت حق استخراجه وتكريره وتسويقه وان تحتفظ بكل الارباح ماعدا

ولحساب من هذا كله ؟ وتحاول ان تبحث عن الحقيقة الضائعة وسط الدخان ووسط ركام من الأخبار والتحليلات والتعليقات وكثير منها يميل نحو طرف أو آخر . وتبقى المشكلة فى جوهرها يمثلها طرفان حادان :

الطرف الاول من المشكلة : الصراع الداخلى : ويرجع الى عوامل كثيرة أهمها كما ذكرنا التركيب المتناقض للدولة هناك ، سواء منه التركيب السياسى ، أو الاجتماعى أو الاقتصادى ،أو الادارى من مبدأ انشائها فى أول هذا القرن فى ظل الاستعمار وحتى الآن .

الطرف الثانى : الضغط والتدخل الخارجى : لحساب من ؟ ولماذا ؟ وما هو الهدف ؟ ، تفسيرات كثيرة تطرح للاجابة عن هذه الاسئلة .

وتبرز التقريرات حجم وقوة التأثير الخارجى فى سير الاحداث مؤثرا فى جبهات كثيرة منها :

● الوجود الفرنسى ممثلا فى وجود قوة عسكرية كبيرة مرابطة فى العاصمة (نجامينا) وفى تحركات سياسية مؤثرة تبدو تارة محايدة ، وتارة متربصة ، وثالثة مؤيدة لطرف أو لآخر كما هو واضح من موقفها الآن من الطرف الذى يقوده وزير الدفاع (حسين حبرى) .

● الوجود الروسى مستترا وقادما من

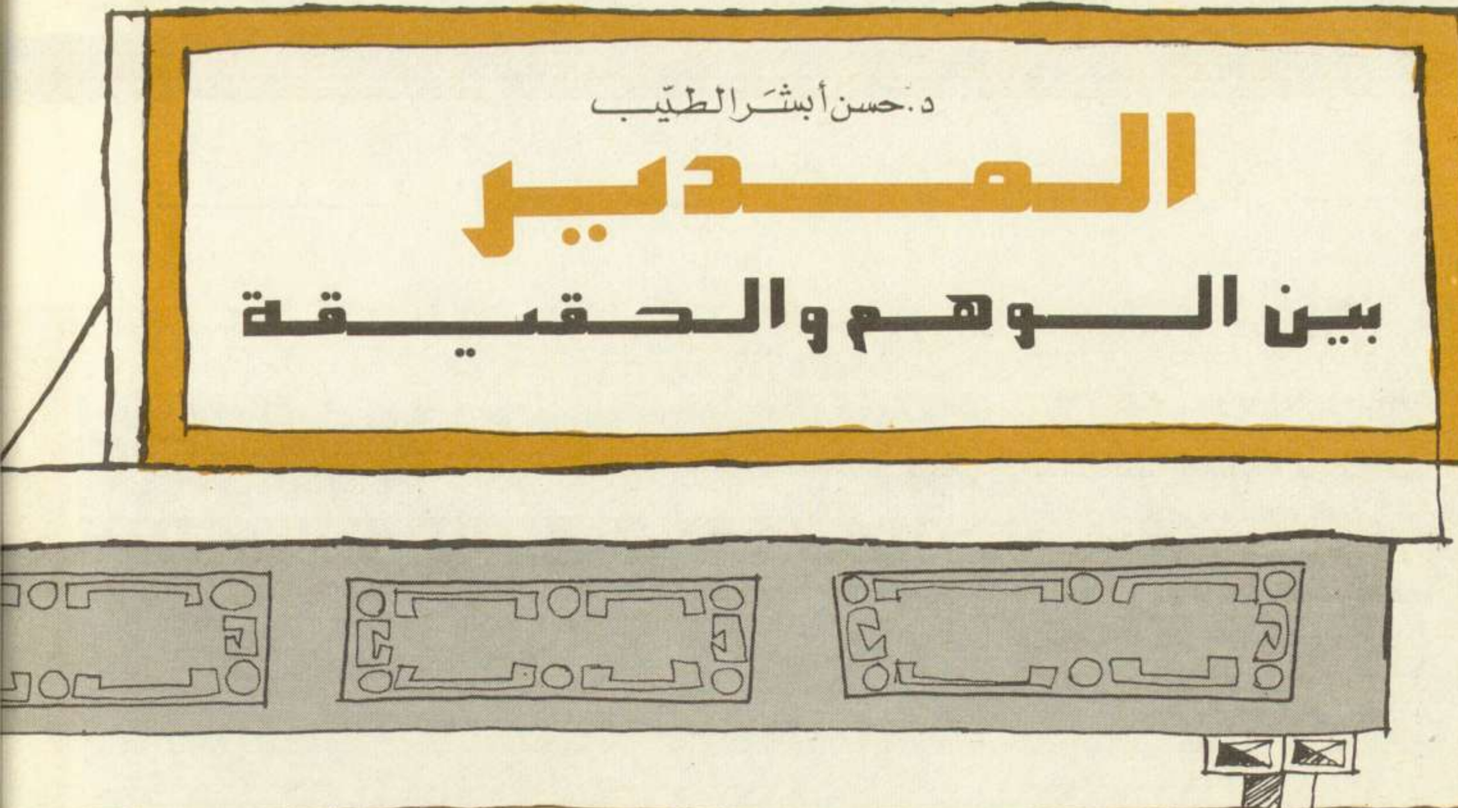

د. حسن أبشر الطيب

المدير
بين الوهم والحقيقة

يجلس تحت مظلة المدير التنفيذى كثيرون . انبهارا بزينة المظلة يميل الناس ، فى كثير من الاحوال ، مسحورين بهيبة الوظيفة الى تجسيد دور موحد للمدير ، وما حقيقة الأمر كذلك . غنى عن القول ان المدير نتاج بيئة كسائر البشر . فى منهجه وسلوكه عناصر وراثية تعود أصولها للسلف بكل ما تأصل فيه من قيم ايجابية وسلبية . تأصلت فى تكوينه عناصر هى بمثابة البوتقة التى جمعت خلاصة تفاعله مع المؤثرا ت الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ، أو هى بعبارة أخرى اكثر شمولا الكل الحضارى الذى عايشه . يضاف الى ذلك ايضا بعض القيم والميول التى اكتسبها من التعليم والثقافة التى اعانت اجهزة الاعلام فى زماننا هذا على بثها وانتشارها . لكل فرد حظ معلوم منها ، يزداد ويضمحل بمقدار انفتاحه على من حوله .

ولتعدد هذه الروافد وتأثيرها سلبا وايجابا فى تكوين الفرد فاننا نعايش انماطا متعددة من المديرين . يتكيف كل نمط بمنهج معين ويتميز بمزاج خاص . يقرب بعضها من جوهر الوظيفة واختصاصاتها ويبعد الجزء الغالب منها عن الاصل المطلوب بمقدار .

وانك لترى ذلك الذى يجلس منتفخا بوظيفته ، يحدثك فى نبرة عالية كأنما يتحدث من منصة . يتحدث كثيرا ولا يقول شيئا . فاذا رأيته فى صحبة من يعلونه مرتبة ما حسبته من مهانة يجدها فى نفسه ذلك الرجل الذى لقيت البارحة . اهتمامه منصب فى تنمية مظهر الوظيفة وزينتها الخارجية . مفتون بالصولجان مولع بتأصيل كل شكل من اشكال الزخرف . لا يستريح له بال إلا إذا أحس ان كل العاملين تحت اشرافه يدورون فى فلكه ، متوهما وهما يكاد يصل عنده درجة اليقين بأنه نهاية الحكمة ونبع المعرفة . لهذه الاسباب مجتمعة فهو غير مستأنس برأى ، ولا بباحث لمشورة ، عنده الحوار نقيصة عنها يترفع ، متخذا من الأوامر والتعليمات منهجا به يقهر المرؤوسين على التنفيذ الحرفى لما يراه . ما سمع الرجل الكلمة العنيفة لسيدنا عمر بن الخطاب : (ما وجد احد فى نفسه كبرا إلا من مهانة يجدها فى نفسه) .

انك لمضطر أحيانا اخرى للتعامل مع ذلك المتعبد فى دنيا اللوائح والقوانين . هى عنده الحكمة الجامعة التى قفل بعدها باب الاجتهاد . لا يتخذ قرارا مالم تكن له سابقة مماثلة ، هى حجته إذا جاء وقت المحاسبة . لا يعمل فكره فى ماهية تلك السابقة ، سيان عنده الفضيلة منها والنقائص فهى فى منهجه سابقة على كل حال . فاذا لم يكن للأمر سابقة تقرر له ما هو بشأنه ، فهو كحمار الوحش الذى جاء باب المدينة لا يعرف أى الطرق يسلك . يخيل اليه دوما أنه فى مفترق الطرق حتى وان كان الطريق الذى هو سالكه أقربها الى الهدف . وهو لكل هذا شديد التردد فى اتخاذ أى قرار مهما كان شأنه . يحس بالرضا والأطمئنان عندما يتخذ من يعلونه مرتبة قولا فصلا فى الأمر ، لذلك فهو كثير الاستشارة والاستفسار والمراجعة . هذا هو النمط الذى عناه الخليفة عمر بن عبد العزيز عندما كتب الى عامله بالكوفة يدعوه الى البت السريع وعدم الاكثار من الاستفسارات : (... إنه يخيل الي إنى لو كتبت اليك ان تعطى رجلا شاة ، لكتبت الي أضأن أم ماعز ، فان كتبت باحدهما كتبت أصغير أم كبير ، فان كتبت اليك كتبت الي أذكر أم انثى ، فاذا أتاك كتابى هذا فى مظلمة فاعمل به ولا تراجعنى»

أحسبك ايضا قد تعاملت مرات مع ذلك الذى تجمدت مقد راته وإمكاناته فى وظيفة سابقة شاء الزمان أن يقضى فيها ردحا طويلا ألفها وتكيفت ميوله واتجاهاته فى دائرتها . لهذا اصبحت عنده الترقية زيادة فى المعاش وليست بتغيير وتعديل وترفيع فى المهام والاختصاصات . تدخل مكتبه فلا تكاد ترى الرجل من السجلات التى اصطفت وتراكمت فوق بعضها البعض . يقضى الساعات الطويلة متأملا فى التفاصيل وتفاصيل التفاصيل ، مبددا للوقت مضيعا للجهد فى مهام هى فى الاصل اختصاصات من هم دونه موقعا . اذا جلست اليه حدثك حديثا طويلا عقيما عن المهام العظام التى بين يديه ، وعن ظواهر الامراض المتعددة التى نزلت عليه بصورة فجائية لاتصال نهاره بليله فى العمل المكتبى . لكثرة ما ردد الرجل مثل هذا الرأى الخطير والحديث السائج فانه يظن ظنا أقرب عنده من اليقين بأن الكيان الكلى

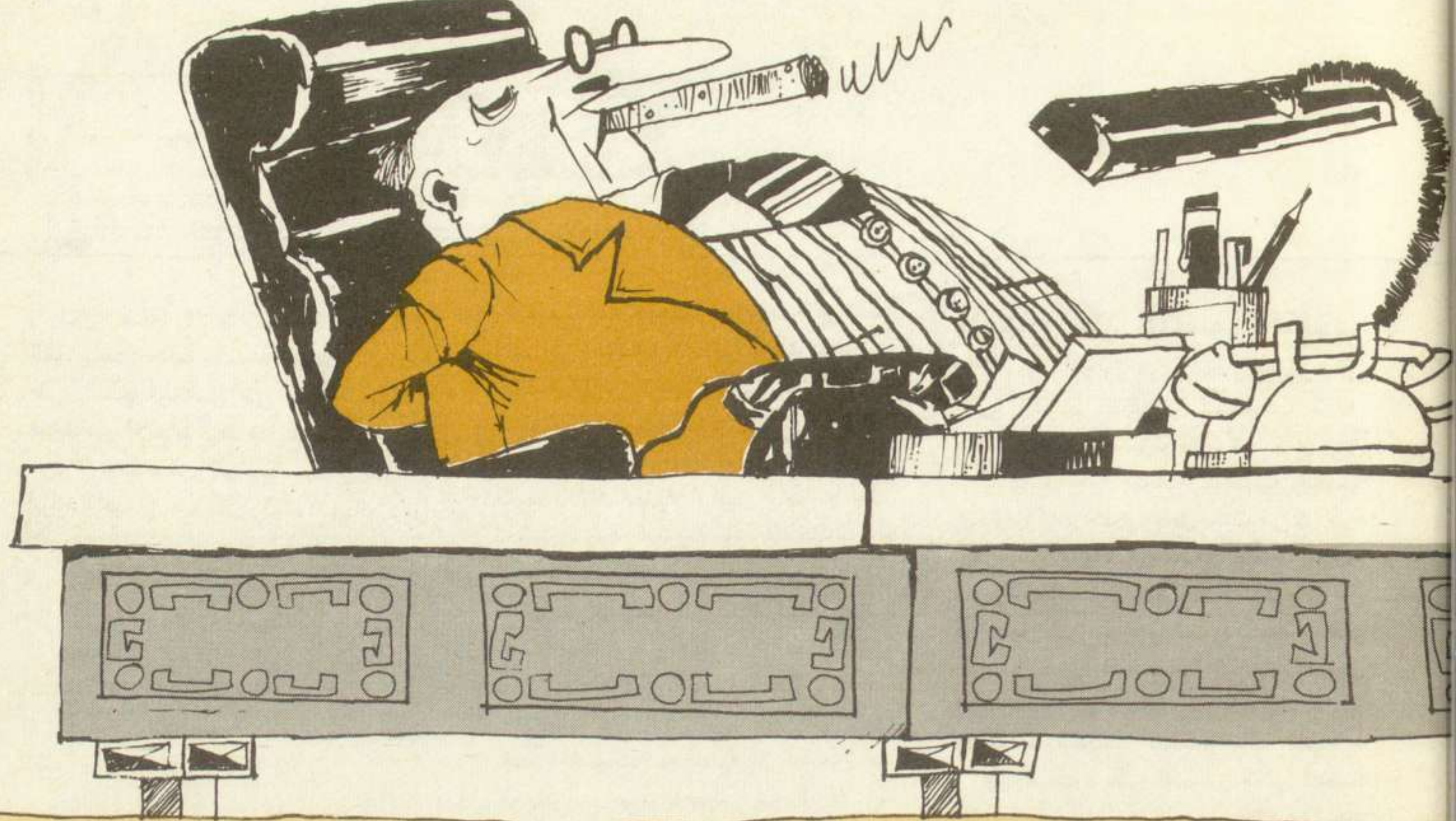

للمنشأة معتمدا اعتمادا كليا عليه . يخيل إليه انه لو غاب يوما انفرط العقد وتبدد النظام وسادت الفوضى وتقوض اساس العمل . فاذا نظرنا الى الأمر من وجهته المنطقية فاننا نرى فى الرجل صورة من الكد المضنى والتعب الذى لا يفيد . لو بذل الرجل بعض الجهد فى تفهم طبيعة مهنته لكفى نفسه ومن حوله كل هذا العناء ولتحقق للعمل التنظيم العملى الذى يمكن كل فرد من اداء واجبه .

لا تعدو هذه النماذج ان تكون بعضا من انماط السلوك الفعلى لبعض المديرين ، ويمكن للدارس أن يعدد انماطا كثيرة غيرها قد تختلف فى بعض التفصيلات الجزئية لانواع السلوك ، ولكنها تتفق جميعا فى بعدها عن جوهر الوظيفة المطلوبة بمقدار .

بين السلوك والاختصاصات

يعود هذا التناقض ، على تفاوت درجاته بين السلوك الفعلى للمدير وبين المهام والاختصاصات الواجبة للوظيفة ، لعوامل عديدة لعل أهمها الاتجاه العام فى احتساب وظيفة المدير درجة للترقى يطمح ويسعى للوصول اليها كل افراد التنظيم الادارى بعد انقضاء سنوات معلومة فى التدرج الوظيفى . ان النتيجة الحتمية لهذا الاتجاه أن يصل الى موقع المدير العام من يملكون المهارات الاساسية لها ومن لا يملكون قدرا يسيرا منها . يصطرعون دوما عليها متخذين حجة من السنوات التى انفقوا فى خدمة المنشأة ، ومادروا ان سنوات عديدة قد تبددت فى تكرار تجربة واحدة . تتمثل مثالب هذا المنهج فى تقويضه للطبيعة القيادية لوظيفة المدير وما تستوجبه من خصائص أساسية ينبغى أن تتوفر فيمن يختارون لهذا الموقع . وينبغى أن لا يضير احدا أن لا تتوفر فيه عناصر القيادة فربما كان تكوينه أكثر ملاءمة مع طبيعة مهام أخرى كالعمل الفنى التخصصى البحث أو غيره ، لهذا يكون من الخير له وللمنشأة ان ينصرف الى هذا الضرب من العمل . لنا فى قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام قدوة حسنة ، وقد بين لأبى ذر الغفارى رضى الله عنه ، عندما طلب ان يؤمره على بعض الاعمال . (يا أبا ذر انك ضعيف ، وانها امارة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذ بحقها وادى الذى عليه فيها). ان صلاح وتقوى أبى ذر الغفارى لا يحتاجان الى بيان ، فهو من السابقين الاولين فى الاسلام وقد ضرب مثلا عاليا فى الزهد والايمان قل أن يجود به الزمان ، إلا أن العناصر القيادية لم تتوفر فيه بالقدر الذى يجعله مؤهلا للامارة ، فلم يجب الرسول الكريم طلبه .

ذلك المتعبد فى دنيا اللوائح والقوانين .. إنها عنده هى الحكمة الجامعة التى قفل بعدها باب الاجتهاد

ويرجع ايضا هذا التناقض بين السلوك الفعلى للمدير وبين المهام والاختصاصات الواجبة لهذه الوظيفة القيادية لعوامل اخرى تعمق من مثالب الاتجاه العام باحتسابها درجة للترقى . ان اكثر هذه العوامل وضوحا يتمثل فى التقليد العام الذى يميل الى عدم تحديد اختصاصات هذه الوظيفة القيادية بشكل بين ، ولا تعدو الاجتهادات الاستثنائية فى هذا الشأن ان تكون عموميات مبهمة . لهذا يترك الأمر فى كثير من الاحيان للمزاج الخاص لمن يشغل المنصب وينتج من ذلك ممارسات تتأرجح بين قليل من المفاهيم الايجابية وكثير من المفاهيم السلبية .

يضاف الى كل ذلك حقيقة عزوف الجزء الأكبر ممن يحتلون المواقع القيادية من برامج التنمية الادارية وما فيها من تدريب يهدف الى اثراء المعرفة وتنمية المهارات وتعميق القيم والاتجاهات الايجابية . يحسبون ان فى وصولهم الى موقع القيادة التنفيذية الشهادة الكافية بأنهم قد وصلوا من المعرفة منتهاها ومن الاداء أميزه ، وما علموا ان مثل هذا الوهم يحرمهم ميزة مواكبة المعارف الجديدة ومتابعة الاساليب الحديثة التى تزيد من فعالية الممارسة الايجابية وينتهى بهم الى تكرار تجارب رتيبة محدودة غير متلائمة مع طبيعة التغيير وما تستلزمه من ابتداع نظم واساليب متجددة .

لكل هذه الاسباب مجتمعة تكثر الممارسات الخاطئة للمهام الوظيفية الواجبة على المدير، ونعايش فى حياتنا اليومية شتيتا من الانماط تبعد فى سلوكها الفعلى عن الاختصاصات الواجبة بمقدار كبير. اننا لنعتقد ان بالامكان ترشيد هذا الأمر وتقويمه بالقدر الذى يحقق الفعالية المطلوبة فى وظيفة المدير اذا عملنا على تحقيق ثلاث من القواعد الاساسية وهى تحديد المهارات الواجبة فيمن ينبغى اختيارهم للوظائف القيادية ، بيان المهام والاختصاصات الاساسية ، النظر فى الاساليب العلمية لتنمية مهارات القيادات الادارية .

المهارات الواجبة فى القيادات التنفيذية :

لقد عنيت الدراسات الاولية فى الادارة العامة وادارة الاعمال بنظرية السمات الشخصية الواجبةفى القيادة التنفيذية وذهب العلماء فى ذلك مذاهب متعددة تختلف عن بعضها البعض من حيث نوعية السمات وعددها ولكننا نستطيع فى جملة الأمر ان نخلص الى انهم قد اتفقوا بشكل عام على السمات التالية:
المرونة ، الذكاء ، الاستقامة ، الطاقة الجسدية ، الاتزان العاطفى ، والحماس . بالرغم من ان هذه السمات يمكن ان تكون ذات فائدة فى تحديد بعض المؤشرات الايجابية التى تفيد فى انتقاء القيادات التنفيذية ، إلا أن الاعتماد عليها اعتمادا كليا يقود الى نقائص عديدة . ان اول هذه النقائص يتجسد فى حقيقة اعتماد مبدأ السمات الشخصية على الخصائص التى اكتسبها الفرد بالوراثة والواقع الاجتماعى الذى يعيش فيه ، مهملة اهمالا كليا المهارات التى يمكن ان يكتسبها الفرد عن طريق التجربة العلمية والتدريب المنظم . ان مبدأ السمات الشخصية يقوم على الافتراض بأن بعض الاشخاص قد ولدوا ليقوموا بمهام القيادة بينما ولد البعض الآخر وليس فيه من سمات القيادة ما يجعله قادرا على القيام بها . ان هذا الافتراض قد اصبح اليوم على ضوء التجربة العملية أمرا غير مقبول منطقيا إذ أن التدريب قد اثبت بما فيه من اثراء للمعرفة واخصاب للمهارات وتدعيم للقيم الايجابية ، ان بالامكان تنمية كادر من القيادات الادارية عن طريق برامج التنمية الادارية . يضاف الى ذلك ان هناك صعوبة عملية فى تحديد مقياس ، يمكن الاتفاق عليه ، كمعيار لقياس كل سمة من السمات الشخصية . ليس بامكاننا مثلا تحديد درجة المرونة أو الاستقامة أو الحماس بدرجة قاطعة يمكن ان تكون قياسا مقبولا فى كل الحالات ، فهناك عوامل مؤثرة تتصل بتكوين البيئة وطبيعة العمل تختلف من حالة لأخرى .

تحسبا لما يمكن ان يقود اليه مبدأ تحديد السمات الشخصية من نقائص فقد اتجهت الدراسات الحديثة . فى علم الادارة الى استنباط المهارات الاساسية التى ينبغى ان تتوافر فى القيادات الادارية ، وقد اتفق الباحثون فى هذا المجال فى تحديد مهارات ثلاث وهى المهارة فى التصور الكلى ، المهارة الانسانية ، المهارة الفنية .

المهارة فى التصور الكلى :

تتمثل المهارة فى التصور الكلى فى قدرة القيادة التنفيذية لاستيعاب مجمل مناشط العمل كمنظومة موحدة ، متكونة من جزئيات داخلية متصلة ببعضها اتصالا عضويا بالقدر الذى يجعل ما يتم فى كل جزء يؤثر تأثيرا فعالا فى مجمل التنظيم . كما وان التنظيم فى مجمله بحكم انه لا يقوم فى فراغ بل على ضوء واقع بيئة معينة ، فهو بطبيعة الحال يتأثر سلبا وايجابا بالعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المحددة لسمات تلك البيئة .

إن المقدرة على التصور الكلى تعصم الادارة من الاهتمام الضيق بجزئية واحدة من جزئيات العمل دون غيرها . وتحد من الانصراف الى الاجراءات والقرارات الروتينية الرتيبة حيث يصبح الاهتمام الاساسى للقيادة هو اتخاذ القرارات الحرجة التى تبنى وتنسق العلاقات داخليا أو التى

- مِن البديهىّ أن العلاقات الإنسانية الفعّالة ينبغي أن تعمل القيادةُ على تحقيقها
- الكثرة الغالبة مِن المديرين يميلون إلى العناية بالجوانب التفصيلية والروتين
- القيادات الإدارية ينبغى أن يكون هدفها الإفادة من الأدوات الحديثة لتطوير العمل

تنظم الصلات بين المنشأة وبين البيئة متفاعلة فى كل ذلك مع ما يجد من متغيرات.

تتحقق للقيادة السمات الايجابية فى القدرة على التصور الكلى إذا وضعت اهتمامها الاول للأهداف الكلية للتنظيم، ولابتداع أساليب الاتصال الادارى التى تمثل الجهاز العصبى للمنشأة ولتنمية النظم التى تحفز العاملين على القيام بمهامهم. كما وان التصور الكلى تزداد فعاليته بقدرة القيادة على تفهم كافة أوجه الاتصال الواجبة بين المنشأة وبين البيئة بالقدر الذى يمكنها من استقطاب العوامل والمؤثرات الايجابية والحد من تأثير العوامل السلبية.

المهارة الانسانية

تنبع اهمية تأصيل المهارة الانسانية فى القيادات التنفيذية من حقيقة ان الطاقة الانسانية هى اغلى الاستثمارات فى اية عملية ادارية سواء كانت تخطيطية او تنفيذية لهذا فان تكوين المناخ الملائم للعمل الذى يحقق المشاركة الايجابية بين الافراد والمجموعات ويعمق الشعور بالرضا والانتماء من اهم واجبات القيادة.

إن أميز المقومات للمهارة الانسانية تتصل بالمعرفة المتأنية والتفاعل مع العوامل المؤثرة فى السلوك الانسانى وهى متمثلة فى عناصر ثلاثة أولها الخصائص النفسية للأفراد التى تعكس الدوافع والرغبات، الاتجاهات والميول، والقدرة على الادراك والتصور. ويشمل العامل الثانى تأثير الجماعات التى ينتمى اليها الفرد، وتأثير المجتمع بما يحدد من عادات وتقاليد على سلوك الافراد. أما العنصر الثالث فيتكون من كل المقومات الحضارية للبيئة بما يشمل اللغة، الدين، القيم الموروثة والعرف العام. تجدر الاشارة الى ان مثل هذا التقسيم الذى يصنف العوامل المؤثرة فى السلوك الانسانى الى عوامل نفسية واجتماعية وحضارية لا يعدو ان يكون تقسيما نظريا يعين فى الدراسة والتأمل، ولكننا نجد فى طبيعة الحال ان هذه العوامل على اختلافها تتفاعل وتتمازج مع بعضها البعض لتكون فى مجملها الصورة الفعلية لسلوك الافراد والجماعات.

إن النظرة المتأملة والتفهم من جانب القيادة التنفيذية لهذه العناصر المكونة لسلوك الافراد والجماعات تعينهم فى معرفة الاحتياجات المتوهمة والحقيقية للجماعات، والدوافع الذاتية لسلوك الافراد، بالقدر الذى يمكن من معرفة احتمالات التصرف، وبالتالى التخطيط للبدائل الممكنة التى تشبع احتياجاتهم الاقتصادية والاجتماعية والنفسية. بمثل هذا المنهج يمكن تحقيق التمازج والتوازن بين الاهداف الكلية للتنظيم وبين الأهداف الجزئية الممثلة لاحتياجات الجماعة العضوية والأفراد.

لعله من البديهى أن نشير الى ان العلاقات الانسانية الفعالة التى ينبغى ان تعمل القيادة على تحقيقها واخصاب المناخ الملائم لها، لا تنتهى بنهاية الاطر الرسمية والمواقيت المحددة للعمل، بل ينبغى ان تتجاوز كل ذلك الى معايشة متصلة للأفراد والجماعات لتحقيق التعاطف المطلوب وتنمية التفهم العميق. ولقد رأى سيدنا عمر ابن الخطاب ببصيرته النافذة اهمية تنمية هذه العلاقات لتحقيق الآلفة والمحبة فكان أشهر ما قاله فى هذا الشأن ينصح سعد بن أبى وقاص: (عُدْ مرضى المسلمين، واشهد جنائزهم، وافتح بابك، وباشر امرهم بنفسك فأنما انت رجل منهم، غير أن الله جعلك أكثرهم حملا).

المهارة الفنية

إن التقدم التقنى السريع والمستمر لكافة الجوانب يستوجب متابعة متصلة من القيادات الادارية بهدف الافادة من الاساليب والطرق والادوات الحديثة لتطوير العمل وزيادة فعاليته.

تميل الكثرة الغالبة من المديرين الى الظن بأن هذه المتابعة المطلوبة هى العناية بالجوانب التفصيلية والاجراءات الروتينية الرتيبة، لهذا فان محور اهتمامهم هو العمليات الداخلية كجزئيات منفصلة، منصرفون لتنظيمها على نحو آلى ميكانيكى ينتهى بهم فى اكثر الأحيان الى تصميم خرائط تنظيمية هى اشبه بخريطة ابحار لسفينة مستقرة فى قاع اليم. لا تعدو هذه الخرائط ان تكون صورة للوجاهة الديوانية، وذريعة للتمثل ببعض المبادىء العلمية فى حين ان ممارستهم الفعلية تختلف اختلافا بينا عن ماتستوجبه تلك الخرائط التنظيمية من اساليب العمل ونظم العمل.

يذهب بعض المديرين أيضا فى فهمهم لما هية المهارة الفنية مذهبا حرفيا ضيقا فيصرفون جل وقتهم فى اعمال فنية متخصصة سبق لهم ان تدربوا عليها والفوها قبلا، فيحرمون بهذا المنهج المتدنى من هم دونهم مسئولية من ممارسة اختصاصاتهم، ويبتعدون عن جوهر القيادة وما تستوجبه من مهام بمقدار كبير. ولعله من الأهمية بمكان أن نشير الى أن هذا المنهج السلبى يزكيه فى كثير من الاحيان فهم البعض من القياديين بأن واجبهم هو الممارسة اليومية لكل شكل من الاشكال الظاهرة من السلطة، رغبة فى اثبات نفوذ شخصى زائف. لو تدبروا الأمر من وجهته المنطقية لعلموا ان فعالية القيادة تتصل بتحقيق الاهداف الكلية، وان المهارة الفنية الواجبة فى القيادة الادارية ليست هى بالتخصص الفنى الضيق وانما هى فى جوهرها التخصص العميق المبنى على الدراية والقدرة على توظيف كافة السبل والوسائل لتحقيق الاهداف.

إن التنظيم الفعال – فيما يقول – بيتر درلكر، هو بمثابة النغم، لا يتكون من مجرد اصوات فردية، بل من هجين العلاقات العضوية المتصلة التى تتم فيما بينها. لاجدال ان تحقيق هذه العلاقات العضوية المتصلة والمتسقة هو الواجب الاول والاساسى للقيادة الادارية وهو واجب يستوجب مقدرة تشخيصية تحليلية تمكن القيادة من رؤية التنظيم كمنهج متكامل تربط بين فروعه المتخصصة قنوات اتصال تحقق التفاعل والترابط وتتكامل عبرها الجهود لتحقيق الاهداف الكلية. ان المحك الاساسى فى فعالية القيادة يعتمد على ممارسة هذه النظرية الكلية لتحقيق الترابط والتمازج بين عناصر العملية الادارية بما تشتمل من تخطيط وبرمجة وتنظيم وتوظيف وتوجيه ومتابعة ايجابية، وبذلك تصبح كل العمليات الاساسية والفرعية نشاطا هادفا لتحقيق النتائج التى تسعى اليها المنشأة.

د. حسن ابشر الطيب

د. محمد كامل

العلم والتكنولوجيا بين الحاضر والمستقبل

● منذ مائة وثلاثين سنة فقط على وجه التقريب بدأ الانسان في التطبيق الواعى للعلم في الصناعة والزراعة والطب

يمر عالمنا العربى اليوم بمرحلة من أخطر مراحل تاريخه ولعلنا لا نكون مغالين إذا وصفنا هذه المرحلة بمرحلة النهضة الشاملة التى تهدف الى القضاء على التخلف واللحاق بركب العالم المتقدم .

وليس بخاف أن العلم والتكنولوجيا سوف يلعبان دورا متعاظما فى هذه النهضة . ومن هنا أردت بهذه المجموعة الصغيرة من المقالات أن ألقى بعض الضوء على موقف العلم والتكنولوجيا فى الوقت الحاضر وفى المستقبل القريب الذى يتراوح بين خمس وعشر سنوات وأن أعرض لبعض القضايا التى تشغل اهتمام العلماء والتكنولوجيين فى عالمنا المعاصر .

كما هو معروف يعود ظهور الانسان على كوكبنا الى حوالى مليونين من السنين حسب تقديرات العلماء والمتخصصين . وقد انتقل الانسان خلال هذه الفترة من مرحلة إلى أخرى فبدأ بمرحلة جمع الثمار والقنص ثم انتقل الى مرحلة الرعى واستئناس الحيوان ثم انتقل الى الزراعة ثم الى مراحل الصناعة البدائية وهكذا . وكان انتقال الانسان من كل مرحلة الى المرحلة التى تليها يتم عن طريق اكتشاف يأتى بطريق الصدفة .

ومنذ حوالى منتصف القرن التاسع أى منذ مائة وثلاثين سنة فقط على وجه التقريب بدأ الانسان فى التطبيق الواعى للعلم فى الصناعة والزراعة والطب لاحداث التغيير فى حياته إذ تمكن علماء مثل (هنرى بركن) الانجليزى لاول مرة من تحضير صبغات تركيبية تحل محل الصبغات الطبيعية التى كانت معروفة فى ذلك الوقت وقد أدى هذا الاكتشاف الى ظهور الصناعة الكيميائية التى مالبثت أن انتجت للعالم الاصباغ والادوية والمخصبات الكيميائية والمبيدات الحشرية واللدائن وغير ذلك . وقد تميز النصف الثانى من القرن التاسع عشر وبعد نجاح استخدام العلم فى الصناعة الكيميائية بتعاظم استخدام الاسلوب العلمى فى الصناعات الأخرى . وكانت اسبق الدول الى ذلك بريطانيا والمانيا وفرنسا ثم ما لبثت الولايات المتحدة ان انضمت اليهم وخلال القرن الحالى استمر هذا الاتجاه بخطى سريعة حتى نشوب الحرب العالمية الأخيرة بعد ان انضمت معظم بلدان اوربا الغربية والاتحاد السوفيتى واليابان الى هذه الدول التى اصبحت تعرف بالدول الصناعية الكبرى . وبعد الحرب العالمية الثانية اصبح التقدم العلمى والتكنولوجى يسير بمعدلات خيالية واصبحت الدول الصناعية تعتمد فى حياتها وتقدمها على قدرتها فى انتاج التكنولوجيا المرتبطة بالعلم .

وسرعان ما انتقلت حركة التنوير ومنتجات التكنولوجيا من هذه البلاد الى البلدان الأخرى فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية حتى اصبحت حياة الانسان على كوكبنا تعتمد فى المقام الأول على العلم ومنجزاته . وللقارىء أن يتصور عالما بدون وسائل الاتصالات والمواصلات السريعة وبدون منتجات الصناعة العصرية وبدون الوسائل الحديثة للمحافظة على الصحة وغير ذلك من مبتكرات العلم والتكنولوجيا .

وقد ادركت كل الدول وخاصة الكبرى منها أن العلم هو مفتاح التقدم فاهتمت بالبحوث العلمية سواء أكانت أساسية أو تطبيقية . ورصدت الميزانيات الكبيرة لمعاهد ومراكز البحوث المتخصصة وللبحوث فى الجامعات ومعامل الابحاث فى الشركات والوزارات وغير ذلك من المؤسسات العلمية . وكما هو معروف تهتم الجامعات أساسا بالبحوث التى تضيف الى المعرفة العلمية والتى تسمى بالبحوث الاساسية بينما تهتم معظم المؤسسات البحثية الأخرى بالبحوث ذات النتائج التطبيقية المباشرة . وقد ازدهرت جميع انواع البحوث واصبح هناك كم هائل من المعلومات العلمية .

ويوم بعد يوم يستمر تدفق هذا السيل الجارف من المعلومات ، ولعلى استطيع فى هذه المجموعة من المقالات أن استعرض بعض الموضوعات التى تستحوذ على اهتمام العلماء فى الوقت الحالى ولمدة سنوات خمس قادمة أو أكثر فى مجالات بحوث — كوكب الارض وعلوم الحياة وتركيب المادة وبحوث تكنولوجيا الحاسبات الالكترونية حيث تتم أكبر الاكتشافات اثارة فى وقتنا الحاضر وكذا بحوث الطاقة والمواد والبيئة .

بحوث كوكب الأرض

نحن نشهد الآن عصرا جديدا من الاكتشافات عن الكوكب الذى نعيش عليه وهو الأرض بما يحوى من يابسة وماء وهواء ومن المعروف أن كل الأشياء فى هذا الكوكب فى حركة دائبة وتختلف حركة هذه الاشياء من ناحية الزمن — اختلافا بينا فعلى حين تتم حركة بعضها — كما هو الحال فى حركة باطن الأرض فى ملايين السنين تحتاج حركة المحيطات الى بضعة قرون أما

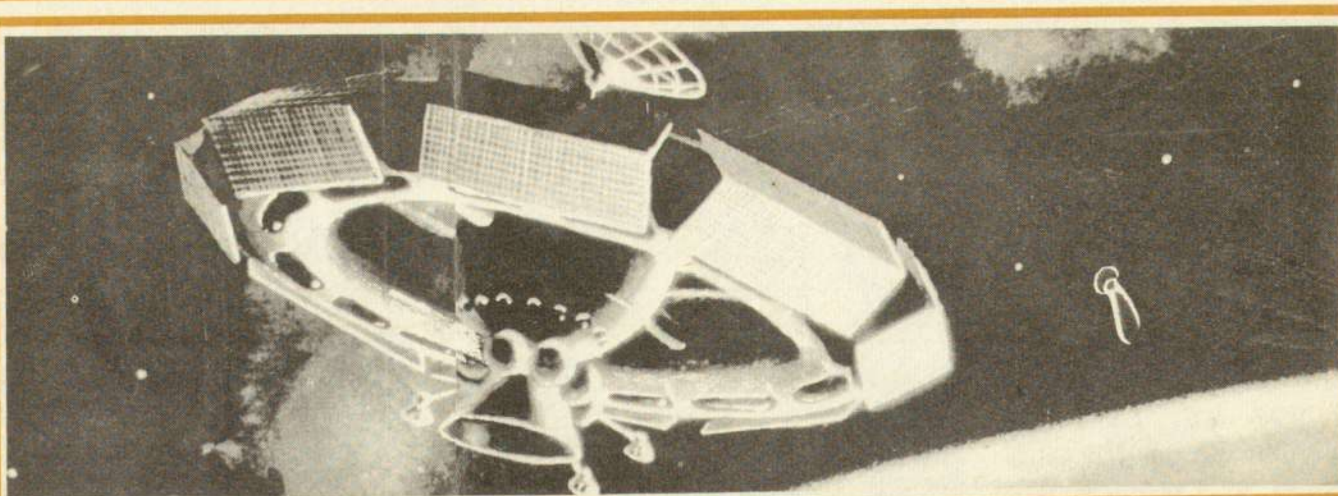

العواصف الجوية فأنها تتم فى ساعات أو دقائق معدودات .

إن من أكبر الانجازات التى حققتها علوم الارض فى الفترة الأخيرة هى نظرية حركة الألواح الأرضية التى أوجدت إطارا منطقيا لعلوم الأرض المختلفة وتعتبر هذه النظرية اكبر ثورة حدثت فى مفاهيم الباحثين فى علوم الأرض منذ أن اثبت كوبرنيكس أن الأرض ليست محورا لهذا الكون . ان لهذه النظرية ارتباطا مباشرا بكثير من المشاكل الحيوية فى عصرنا وعلى سبيل المثال لا الحصر تحديد احتمالات العثور على الثروات المعدنية والبترولية ومستودعات الغاز الطبيعى الجديد واختيار الاماكن التى يمكن فيها دفن النفايات الناتجة من مفاعلاتنا النووية .

وتتلخص هذه النظرية فى أن القشرة الأرضية مكونة من الواح سمكها حوالى ١٠٠ كيلومتر تتحرك كألواح من الخشب على سطح البحر ، وتبلغ حركتها بضعة سنتمترات فى السنة . ان محصلة تأثيرات حركة هذه الالواح على مدار السنين هى التى حددت شكل كوكبنا .

ان التعرف على هذه الالواح ورسم مسار حركتها فى مئات الملايين من السنين يعتبر احد الانجازات الهامة لعلوم الارض الحديثة

وإذا انتقلنا من حركة القشرة الارضية الى الحركة المعقدة للمحيطات فقد اصبحنا الآن فى وضع افضل لفهمها بما فى ذلك التركيب الدقيق للتيارات العظيمة التى تحدث فيها،مثل تيار الخليج كما اصبحنا ندرك أهمية الحركة البطيئة للمياه العميقة للنظم البيئية وكيمياء البيئية .

إننا قد بدأنا أيضا فى تفهم الاسس المسببة لتغير الجو وكنه القوى التى تحدث العصور الجليدية وتسبب الجفاف والفيضانات التى طالما ولا زالت تهدد البشرية .

أى كل هذا التقدم فى معلوماتنا عن كوكبنا اصبح ميسرا بسبب استخدام التكنولوجيا وأجهزة البحث العلمى المتطورة . فتكنولوجيا الفضاء مثلا قد زودتنا بمعلومات أكثر دقة عن سطح كوكبنا وعن المحيطات وعن الجو المحيط بالارض وكذا جو الكواكب الأخرى .

ان استخدام التكنولوجيا الحديثة للحفر فى اعماق البحار والمحيطات قد مكننا من الحصول على عينة من الصخور الموجودة فى قاعها السحيق . كما أن معلوماتنا عن باطن الارض نستمدها من الاجهزة السيسزمية الحديثة .

إن باستطاعتنا اليوم جمع معلومات عن القشرة الارضية أو البحار او المحيطات والجو وما يحدث بها باستخدام وسائل

الاتصال والوسائل الاليكترونية المتطورة وتفسير هذه النتائج باستخدام الحاسبات والمقارنة بين مشاهداتنا وافتراضاتنا . كما مكننا ايضا استخدام الحاسبات عمل نماذج لمحاكاة ما يحدث فى داخل الارض أو فى المحيطات أو فى الجو وهو الشىء الذى كان من المستحيل تحقيقه فيما مضى ولو باستخدام جيوش من الباحثين .

وفى السنوات الخمس القادمة سوف تستمر البحوث المتعلقة بكوكب الأرض . إن اتجاهات هذه البحوث سوف تشكلها العوامل الاجتماعية والاقتصادية وخاصة توفر الميزانيات إذ ان هذه البحوث تكلف أموالا طائلة .

ففى مجال الجيولوجيا البحرية والجيوفيزيقا سيكون احد الاهتمامات الرئيسية البحث فى حدود القارات إذ أن من المعروف مثلا أن شواطىء قارتى أوربا وافريقيا تبتعد عن شواطىء الامريكتين مما نتج عنه اتساع المحيط الاطلسى كما أن المحيط الهادى فى حالة انكماش . ان استمرار مثل هذه البحوث يهدف الى زيادة فهمنا لنظرية حركة الالواح الأرضية بالاضافة الى حاجاتنا لها لمعرفة احتمالات الثروة المعدنية والبترولية القابعة فى قاع البحار .

كما ستستمر البحوث فى الزلازل واحتمال التنبؤ بها ودراسة التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية المحتملة لاضرارها وكيفية التصرف فى حالة حدوثها .

ومن المنتظر تطور معلوماتنا الخاصة بطرق الانذار المبكر لحدوث الزلازل باستخدام شبكات الاجهزة السيسزمية

المعهد الاكاديمى للعلوم فى استراليا

من فوهة البركان تندلع ثورة باطن الأرض

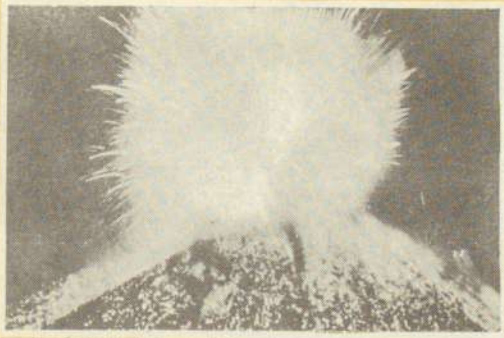

الخلايا الحيوانية من خلال الميكروسكوب

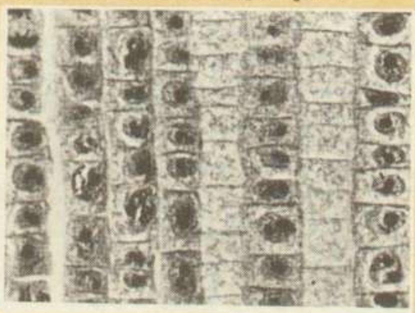

فى مجال علوم الحياة أصبحت التحليلات تعنى بمستويات أصغر وأدق من المادة الحية.. وبخاصة تنظيم الخلايا ومكوناتها

والقياسات الأخرى على طول التصدعات .

ان برنامجين عالميين كبيرين لدراسة المحيطات قد أوشكا على الانتهاء وهما :

العقد العالمى لاكتشاف المحيطات .
وبرنامج حفر قاع البحار العميق .

وسوف يعتمد إجراء بحوث علوم البحار خلال السنوات القادمة على الميزانيات المتاحة فاستمرار البرنامج الاول الذى شمل دراسات كبيرة مثل التيارات الرئيسية للمحيطات ، والتفاعل بين البحار والجو ، بحوث الجيولوجيا البحرية ، والفيزيقيا الجيولوجية وكذا بحوث البيولوجيا البحرية والبحوث البيئية (دراسة طرق الصيد المحسنة وادارة السواحل) كل ذلك سوف يعتمد على اولويات هذه البحوث فى حدود الاموال المتاحة .

أما فيما يختص ببحوث المناخ (الجو) فأهم ما سوف تركز عليه البحوث وهو تطوير الدراسات الخاصة بتقدير نتائج نشاط الانسان على الطقس وعلى الخصوص موضوع زيادة نسبة ثانى أكسيد الكربون كما ستبذل جهود أكبر لتحسين قدرتنا على التنبؤ بالطقس لمدة شهور أو فصول بأكملها .

وسوف يستمر العالم مشدودا الى ابحاث الفضاء فالبحوث سوف تستمر فى استكشاف الارض من الجو بالطرق المختلفة (السفن والاقمار الصناعية) واستكشاف الكواكب الأخرى وبحوث الرحلات الفضائية (المتنقل الفضائى الذى سيطلق عام ١٩٨٣ واستخدام وتحليل المعلومات التى تصلنا من الفضاء .

ان معلوماتنا الجديدة عن كوكب الارض سوف تشكل لنا اطارا من المسائل الاجتماعية والاقتصادية ذات الاهمية ومن الواضح هنا تداخل البحوث العلمية مع اهتمامات الانسانية الاوسع فعلى سبيل المثال سوف نرسم سياساتنا الزراعية وفى استخدام الطاقة فى المستقبل على أساس النتائج الخاصة بالتغيير فى الطقس نتيجة حرق الوقود وزيادة نسبة ثانى أكسيد الكربون .

وسوف تفيدنا نتائج تحليل حركة الالواح الارضية فى ايجاد وسائل اكثر فعالية للوقاية من الزلازل واكتشاف الثروات المعدنية الجديدة كما سنعتمد بالتأكيد فى ادارة المحيطات واستغلالها سواء فى الثروة السمكية أو للثروات المعدنية على نتائج دراساتنا فى المحيطات .

كما ستساعدنا هذه الدراسات فى رسم السياسات الزراعية والبيئية .

كما سوف يثير التقدم فى تكنولوجيا الفضاء قضايا هامة عن استفادة جميع الدول من هذه البحوث ومدى مشاركتها فى تحمل تكاليفها وكذلك قضايا السيادة الوطنية للدول التى تطير الأقمار الصناعية فوقها والتعاون الدولى فى البحوث إذ أن علوم الارض ذات طبيعة تمس جميع سكان الارض بلا استثناء .

بحوث العلوم البيولوجية

وفى مجال علوم الحياة — بعد ان كانت هذه العلوم علوما وصفية تعنى بالدرجة الاولى بالتعرف على تركيب وسلوك كائنات حية باكملها ودراسة اعضائها — اصبحت هذه العلوم علوما تحليلية تعنى بمستويات اصغر وأدق من المادة الحية وعلى الأخص كيفية تكوين ووظائف وتنظيم الخلايا الحية ومكوناتها .

وقد ارتبطت هذه التطورات الكبيرة فى علوم الحياة بظهور الاجهزة العلمية الدقيقة كالميكروسكوب الالكترونى الذى يستطيع تكبير الاشياء الآف المرات ، وغيره من الاجهزة التى جعلت من الممكن فصل اجزاء الخلية وجزئياتها ومعرفة تركيبها .

هذا بالاضافة الى التطورات الكبيرة التى نتجت عن استخدام النظائر المشعة ، الكروماتوجرافيا وغير ذلك من الطرق التى دفعت بالبحوث البيولوجية دفعة كبيرة وقد أدى ذلك الى اختفاء الحدود بين العلوم البيولوجية المختلفة ونشوء علم بيولوجيا الخليــــة .

وفى السنوات الخمس القادمة يتوقع البيولوجيون نتائج هامة فى الدراسات المتعلقة بالوراثة الجزئية وخاصة فيما يسمى احيانا بالهندسة الوراثية ونقل التجارب التى تمت فى هذا المجال على البكتيريا والفيروسات الى الكائنات الاكثر تعقيدا . ان الخوف الذى سيطر على بعض الدوائر العلمية منذ سنوات قليلة من مثل هذه الابحاث والضجة التى أثيرت حولها من الرأى العام خشية انتاج ميكروبات أو

كائنات غير معروفة قد تتسبب فى هلاك الحياة على الارض لم يعد لها من مبرر وتجرى هذه الابحاث الآن فى أمان تام بعد اتخاذ الاحتياطات العادية من العدوى .

ومن المتوقع أن يساهم التقدم فى البيولوجيا الجزئية فى فهمنا لبعض الامراض التى تنشأ من اختلال وظائف الخلايا مثل السرطان على أنه ليس من المتوقع أن يتم فهم ذلك فهما دقيقا قبل فترة تتراوح بين ١٠ و ٢٠ سنة .

ومن الأمور المتوقعة أيضا استخدام طرق الهندسة الوراثية لانتاج انواع من الكائنات الدقيقة ، تعطى مواد مفيدة مثل الهرمونات والانزيمات أو انتاج كائنات دقيقة تعطينا الطاقة او الغذاء كما يتوقع حدوث تقدم فى البحوث الخاصة باستغناء النباتات عن الاسمدة التجارية كمصدر للنتروجين ، ولا يخفى على القارىء ان هذه البحوث لو أعطت النتائج المرجوه منها ستحدث طفرة كبيرة فى قدرتنا على انتاج الغذاء والمواد البيولوجية .

ومن المتوقع ايضا بعد مدة أطول استخدام الهندسة الوراثية فى علاج بعض الامراض الناشئة عن الجينات وذلك باستبدالها بجينات أخرى .

وفى مجال بيولوجيا الخلية تجرى البحوث لدراسة أغشية الخلايا حيث تتم تفاعلات الخلية مع الهرمونات والفيروسات والسموم البكتيرية والادوية مما سيكون له أثر كبير على فهم كثير من المشاكل الصحية

وفى مجال علم المناعة ستظهر فاكسينات جديدة لمعالجة عدد من الامراض المعدية مثل الملاريا والبلهارسيا وستصبح عمليات زرع الكلى والاعضاء الاخرى أكثر أمانا وستظهر طرق أكثر فعالية فى معالجة أمراض الحساسية .

ولا يتسع الوقت هنا للحديث عن الدراسات المثيرة التى تجرى للكشف عن اسرار المخ البشرى والخلايا العصبية وكيفية حدوث ظواهر التحفيز والنوم والاحلام والتذكر باضافة الى زيادة فهمنا لاسباب الامراض النفسية والعصبية .

د. محمد كامل

أصالة الثقافة فى موريتانيا

لقاء مع وزير الثقافة الموريتانى :

«احمد بن سيدى» وزير الثقافة

زار دولة قطر فى بداية الشهر الماضى سعادة احمد بن سيدى وزير الثقافة والبريد والمواصلات فى جمهورية موريتانيا الاسلامية ، وقد التقى مندوب المجلة بسعادة الوزير وأجرى معه لقاء تضمن الافكار الموجزة التالية :

لقد ابتعدت موريتانيا سياسيا عن العالم العربى سنين دأبا لكنها كانت متصلة به على المستوى الفكرى والثقافى . والكل يدرك دور العلماء الشناقطة فى نشر الثقافة العربية والاسلامية ، فقد جابوا المنطقة العربية وبخاصة فى مواسم الحج وعرفوا البلاد تعريفا واضحا يدركه كل من درس تاريخ تلك الفترة . وقد حافظت موريتانيا على الطابع الاصيل للأدب العربى ، فلم تشهد لغة أدبائها ما شهدته اللغة العربية فى مصر — مثلا — من تتريك فى الدواوين والمؤسسات الحكومية .

وباختصار فلقد كان الادب الموريتانى أدبا عربيا خالصا وانبتت موريتانيا كثيرا من الشعراء يتجاوزون الحصر ، حتى اصبحت هناك مقولة بان عدد الشعراء بحجم عدد السكان ! وهذه المقولة وإن كانت المبالغة فيها واضحة إلا انها تعبر بصورة أو باخرى عن مدى كثرة الشعراء فى موريتانيا التى عرفت فى العصر الوسيط ببلاد شنقيط .

لقد مكث الاحتلال الفرنسى لبلادنا مدة نصف قرن لكن بلادنا لم تتأثر مطلقا بالثقافة الفرنسية برغم كل محاولات «الفرنسة» التى قام بها المحتلون فى بلادنا .

أما بعد الاستقلال فقد عاود الموريتانيون اتصالاتهم بالنهضة العربية التى بدأت تشهدها المنطقة فدخلت ألوان جديدة من الادب فى انتاجهم كالقصة القصيرة والشعر الحر ، وهم فى الحقيقة معتزون بان وجدوا فى هذه النهضة العربية ما يملأ خانات الادب العالمى من كل النماذج الأدبية المعروفة .

إلا ان مشكلة الادباء فى موريتانيا تتمثل فى قضية النشر ، ولو نشرت اعمالهم لاستطاعوا حقا أن يضيفوا جديدا فى الأدب العربى . اننا كوزارة ثقافة نحاول جهد استطاعتنا سد هذه الثغرة ، ونحن بدورنا نرحب بمساهمة دور النشر والمؤسسات الثقافية فى الوطن العربى فى نشر انتاج ادبائنا .

وأكد سعادة وزير الثقافة الموريتانى القول بأن التفاعل اساسى فيما يتعلق بوحدة الفكر بين ابناء الامة العربية ، ولهذا فوزارة الثقافة فى موريتانيا تنطلق اساسا من قضايا التراث ، دون أن تهمل المعاصرة والتحديث فيما يتعلق بتقديم هذا التراث للقارىء الموريتانى حتى يستنير وينير .

وعندنا فى موريتانيا تنظيمات ثقافية ناشئة مثل «نادى الادباء» و «نادى المثقفين» و «رابطة الادب الموريتانى» وهذه التنظيمات ينضوى تحت لوائها غالبية الشباب المثقف . ولكن نظرا لقلة وسائل النشر عندنا فان انتاج الادباء محصور ومحدد ، ونحن نأمل أن يتم التغلب على هذه المشكلة بمساعدة الدول العربية الشقيقة .. وعند ذلك سيجد الاديب الموريتانى متنفسا لانتاجه .

اننا نقدر كل التقدير مواقف المساندة والتأييد والدعم التى تقفها دولة قطر الشقيقة من الشعب الموريتاني الذى يواجه ظروفا اجتماعية صعبة .

واننا بعون الله وبمؤازرة الاشقاء العرب سوف نتجاوز كل الصعوبات التى نواجهها .

ن ا

حوار مع أمريكى مناهض للصهيونية

إنهم يساعدون اليهود ليتخلصوا منهم

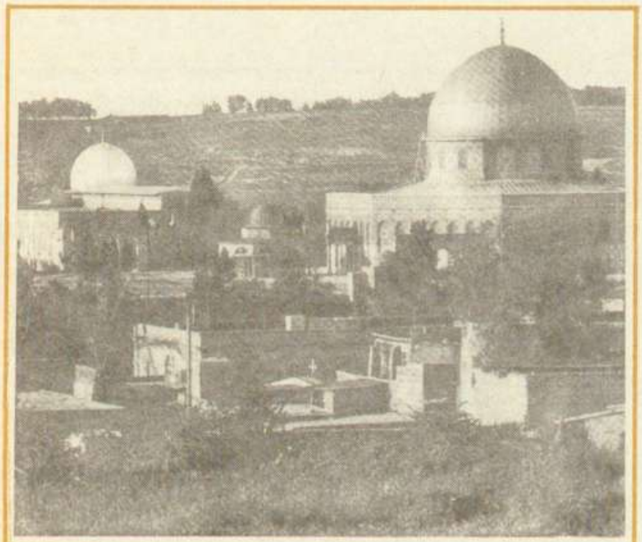

كلفت مجلة الدوحة الاسآذين درويش مصطفى الفار مدير متحف قطر الوطنى ونبيل خالد الآغا سكرتير تحرير المجلة باجراء حوار مع الدكتور الفريد لينتال اليهودى الامريكى الذى يجاهر بعدائه للصهيونية وذلك اثناء زيارته للدوحة لجمع معلومات لمجلته التى يصدرها فى نيويورك بعنوان (مرآة الشرق الأوسط) . ولخص الزميلان مجريات الحوار الهام الطويل فيما يلى :

● الدكتور الفريد لينتال يعترف بانه يهودى ، يهمه مستقبل اليهود ، ويرى فى الصهيونية دعوة عنصرية ضالة تقود اليهود الى مالا تحمد عقباه ، وتدفع العالم كله إن عاجلا أو أجلا الى أن يقف من اليهود موقفا أشد عنفا وتعنتا من موقف النازية ، وهو بحكم انتمائه لاسرة عانت اذى كثيرا من نظام هتلر يمقت ويشجب كل دعوة عنصرية ويعتقد فى أن دربها الى الهاوية وذلك حكم التاريخ .

● يرى الرجل ان الحكومات التى تعاون اسرائيل على الغطرسة والعناد والتمسك بضلالات الفكر الصهيونى والتوسع على حساب العرب ، لا تفعل ذلك حبا فى اليهود أو عطفا عليهم ، وانما للتخلص منهم فى حدود أوطانها ، ويروى هنا نكتة امريكية شاعت بعد عام ١٩٦٧: لعل استيلاء اليهود على الضفة الغربية وسيناء والجولان يتيح لنا استرجاع كاليفورنيا وميامى ، وان هذه الحكومات فى حقيقتها تكره اليهود وتسوقهم الى عداء الأمة العربية (التى هى من نسل ابراهيم عليه السلام ايضا) وبذلك تضمن ان تشغل اليهود والعرب على السواء فى نزاع مستمر لا ينتهى حتى تقضى على الطرفين أو على الأقل تستنزف قواهما .

● يقر الدكتور الفريد لينتال بانه يحب السلام بين شعوب الأرض جميعا ، ولكن على اساس من العدل والانصاف واللاعنصرية . ويعترف بان الخلاف بين العرب واليهود اساسه نابع من سياسة الغرب والشرق على السواء ، وان العرب خلال تاريخهم كله لم يقدموا لليهود اية اساءة أو اذى لكونهم يهودا ، وان الخلاف الذى حدث فى صدر الاسلام مع اليهود لم يكن اساسه رغبة العرب فى أن يكرهوا احدا على دينهم ، ولكن لأن يهود بنى قريظة وقينقاع والنضير ، نكثوا عهدا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وتفاوضوا سرا مع مشركى مكة ضده . وانه لا توجد أمة احسنت لليهود خلال التاريخ كله مثل العرب .

● يرى الدكتور الفريد لينتال بان الاعلام العربى فى أمريكا بالذات (غير موفق) ويقول بان المسألة ليست مسألة مال ولكن مسألة (تكنولوجيا اعلامية) وان العرب لو صرفوا كل اموال العالم بطريقتهم الحالية لن يكسبوا شيئا ، وينصح العرب بضرورة الاستعانة بأصدقائهم من الأمريكيين للدعوة لقضيتهم لأن (أهل مكة ادرى بشعابها) أو على الاقل توظيف قوم يفهمون عن علم سيكولوجية وعقلية الامريكان ، لأنه لا معنى لأن تشرح القضية العربية فى نيويورك أو لندن أو باريس أو استكهولم بنفس الاسلوب الذى تشرحه بها فى القاهرة أو بغداد أو الدوحة أو صنعاء .

● يتهم الدكتور الفريد لينتال قادة اسرائيل وخاصة يهود شرق اوروبا بالكفر والالحاد ، ويقول ان الديانة الموسوية بريئة منهم ، وانهم الآن (غباد للدولة) وخاصة بعد عام ١٩٦٧ إذ داخلهم الغرور بصورة لم يسبق لها مثيل .

● قال الدكتور الفريد لينتال انه على الرغم من اتهامه لكسينجر بأنه وراء كل تعقيد قائم اليوم فى القضية الفلسطينية إلا أنه لا يرى بأسآ من أن يكون الحل على (مراحـــل) تبدأ باقرار مبدأ قيام الدولة

الفلسطينية المستقلة التامة السيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة ثم التفاوض بقيام الدولة الفلسطينية الكبرى التى يعيش فيها كل من العرب واليهود على قدم المساواة فى تعايش سلمى ينقذ الشرق الاوسط من كل ما تنسجه له القوى الكارهة للعرب واليهود على السواء .

● يعترف الدكتور لينتال بأن هزيمة العرب فى ١٩٦٧ جعلت الاصوات المناهضة للصهيونية تخفت فى امريكا بالذات لأن الناس لا زالوا (يحترمون القوى) وان استخدام الدعاية الصهيونية لثغرة الدفرسوار كانت اقوى من استخدام العرب فى الاعلام لعبورهم القناة واجتياح خط بارليف .

● يرى الدكتور لينتال أن الصهيونية قد افلحت فى اقناع الرأى العام الأمريكى أن العرب والثورة الفلسطينية ميالون (للشيوعية) ولم يفلح العرب حتى الآن فى ان يقنعوا الرأى العام الامريكى انهم ذو تاريخ وتراث هو ابعد ما يكون عن الشيوعية وان الثورة الفلسطينية بالذات ليست ثورة شيوعية إذ أن من المحركات الاساسية لعواطف الشعب الأمريكى هو اللعب بورقة الشيوعية.

● أحب السلام بين شعوب الأرض على أساس من الحب والسلام واللاعنصرية

● الإعلام العربي فى أمريكا غير موفق .. إنها مسألة تكنولوجيا إعلامية

● خلال التاريخ كله لم تحسن أمة إلى اليهود .. مثلما أحسن العرب!

تلك خلاصة لبعض الحوار الطويل الذى دار مع هذا المفكر اليهودى الذى يؤمن من قرارة نفسه أن الصهيونية دعوة عنصرية ضالة تقود اليهود الى مالا تحمد عقباه ان عاجلا أو آجلا .

وهو الحوار الذى قدم له الدكتور الفريد ليننتال بتعريفه لنفسه بأنه محام تعلم فى جامعة كورنوال بالولايات المتحدة الامريكية وحصل على الدكتوراه فى القانون ومارس المحاماة ثم اشتغل فى وزارة الداخلية الأمريكية فى الشئون القانونية متخصصاً فى دراسات اسبانيا والبرتغال ، ثم جند فى الحرب العالمية الثانية ، وعمل ضمن القوات الأمريكية فى الشرق الاوسط وزار فلسطين فى اواسط الاربعينات واصيب هناك بالتهاب فى الكبد وقضى عدة شهور تحت العلاج فى القاهرة ، وفى فلسطين التقى بأول الهمسات عن اقامة الدولة اليهودية العنصرية وكان شوقه الى وطنه شديدا فافزعه هذا التفكير الذى سمعه لأول مرة من السيدة (اسفالة) ابنة منشىء مستشفى هاداسا بالقدس التى قالت له عن مصير عرب فلسطين إذا أنشأ اليهود دولة :(ان الزمن سوف يعالج هذا الأمر !) فامتعض وادرك ان قومه ينوون الشر واثارة المتاعب .

وعندما عاد لأمريكا استقال من العمل الحكومى ومارس المحاماة مرة اخرى وكتب اول مقالاته ضد الصهيونية عام ١٩٤٩ تحت عنوان « علم اسرائيل ليس رايتى » ولم يجرؤ رئيس تحرير (ريدرز دايجست) على نشرها إلا مع مقالة مضادة للرابى سيلفر بعنوان (الحق الاسرائيلى) وذكر عناوين كتبه الهامة ضد الحركة الصهيونية :

(١) ماثمن اسرائيل

(٢) إلى أين يسير الشرق الاوسط

(٣) الوجه الآخر للعملة

(٤) الرباط الصهيونى .

هذا عدا المحاضرات والاحاديث المذاعة والمقالات التى عانى من جرائها كثيرا حتى من امه ذاتها .

ويبين الدكتور ليننتال ان مؤسسى الحركة الصهيونية لم يكونوا كلهم يهودا وضرب مثلا بالانكليزية يقول (ما كل اليهود الكبار ليسوا صهيونيين ولكن الصهيونيين الكبار ليسوا يهودا). ويبين ان الرباط المادى والمصالح التجارية هى العامل الاساسى فى مناصرة الافراد والجماعات فى امريكا بالذات للحركة الصهيونية ويؤكد أن هنالك (عربا ومسلمين) من مناصرى الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة الأمريكية على وجه اليقين .

واعترف ليننتال بأنه ليس يهوديا شديد التدين أو شديد المحافظة ، وأنه لا يذهب للمعبد إلا ليتأكد من أن فكرته عن الصهيونية قد جعلت عبادة اسرائيل أقوى من عبادة الله بين اليهود انفسهم ، وانه يحترم الاديان الأخرى السماوية ويكن لها كل التقدير . ويبين أنه يزور الشرق الاوسط مرة كل عام منذ سنوات ويحظى بمقابلة رؤساء الدول والمسئولين والمفكرين ، وانه يتلقى بعض العون المالى من (اهل الخير) لمجلته ولكنه يخشى الانتماء إلى حكومة بعينها حتى لا تملكه وتملى عليه سياسة خاصة لأنه يريد أن يفكر كانسان حر . وفى ختام الحديث سألناه سؤالا معناه : هل لو عرضت اسرائيل عليه منصبا رفيعاً كوزير مثلا ، هل يقبل فى سبيل ان يقلع عن عدائه للصهيونية ؟ فقال : انهم هنالك لا يمكن أن يفكروا نحوى كذلك وانا مطمئن انهم يستحثون الموت بطريقة أو بأخرى ليسرع خطاه نحوى وأمثالى القلائل من المعادين للصهيونية احتراما لمستقبل بنى ديانته من اتباع موسى عليه السلام .

الفريد ليننتال

د. عماد الدين خليل

شيء عن الموت

في الدين يتحول الموت إلى شيء مبرر ومنطقي ومرسوم .. شيء في محله تماما
إنه واحد من تحديات كثيرة في عالم الإنسان من أجل أن تبعث فيه الطموح الدائم

كنا نستقل سيارة فى موكب تشييع حزين لاستاذ جامعى توفي بالسكتة القلبية وهو – بعد – فى عز الشباب .. وقال استاذ للفلسفة واللاهوت ، يلبس مسوح الرهبان : هاهنا يتذكر الانسان ما قاله الفلاسفة الوجوديون عن الموت .. هيدجر وكيركفارد وغابرييل وغيرهم .. إنه مامن شيء يلوى عنق الوجود ويخنقه كالموت .. مامن شيء غير مبرر على الاطلاق كالموت .. يجيء على حين غفلة ، فيضرب ضربته المفجعة .. ويغيب عن العيان .

وبعد حوار قصير .. تذكرت .. عبر دقائق الصمت المشحونة التى اعقبته والجسد الشاب يوسد الحفرة الضيقة .. تذكرت مقولة كامى عن الموت .. إنه الرياضيات الدامية .. وأنه مامن شيء مبرر ازاء واقعة الموت .. ما من معنى للحياة والموت واقف لنا بالمرصاد ..

رؤية سوداوية للحياة .. أليس كذلك ؟ وإذا كانت حياة أى واحد منا تنتهى بضربة كهذه .. فهى المعادلة المفجعة التى تسح دما !!

والموقف الايمانى يتألق أكثر ما يتألق فى تجارب كهذه .. ولهذا أمرنا الرسول عليه السلام بتشييع الموتى .. هنالك حيث تتمزق الأقنعة وتتساقط البهارج وتتعرى الحقيقة .. ناصعة بيضاء بلون الاكفان التى تلف الأجساد وهى تودع الدنيا ..

وتذكرت .. فى الدين ، يتحول الموت الى شيء آخر تماما .. شيء مبرر ومنطقى ومرسوم .. شيء فى محله تماما .. ضرورى كضروريات الحياة نفسها ، حتمى كحتمية الكهولة والشيخوخة بعد الطفولة والصبا والشباب .. موقف (علمى) اذا صح التعبير ، مادام أن منحنى الحياة الانسانية يقتضى هذا الانحدار نحو الظلام .. بطيئا حينا ، سريعا احيانا ..

فى الدين يتحول الموت الى رياضيات عادلة ، وليست دامية كما أراد له كامى أن يكون .. رياضيات عادلة بمعنى الكلمة سواء وضعناه فى معادلة بين الدرجة الأولى أو الدرجة الرابعة ، فالنتيجة محسوبة بمنطق رياضى صارم لا يخطيء ولا يضل ..

إن الموت الذى لا يستثنى من واقعته احد .. والذى يحدثنا عنه القرآن فى اكثر من موضع (قل : إن الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم) (كل نفس ذائقة الموت ، ثم الينا ترجعون) (إنك ميت وانهم ميتون)(وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفان مت فهم الخالدون ؟ كل نفس ذائقة الموت ، ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) ..

الموت .. هذه الواقعة الغائمة التى لن يفلت من نزولها احد .. لا يجيء فى التصور القرآنى بمثابة نقمة أو عقاب ينزل على رؤوس الناس كما هو الحال فى التصور الكلاسيكى الذى يبرز واضحا فى (التراجيديا) اليونانية .. انما هو واحد من تحديات كثيرة فى عالم الانسان من أجل ان تبعث فيه التوتر الدائم والطموح الابدى للتغلب والتفوق والانتصار ، وتمنعه من أن يسلم نفسه للكسل والتراخى والاتكالية التى تقف على النقيض تماماًلما يتطلبه التاريخ البشرى من حركة وفاعلية وردود مستمرة على التحديات القائمة . ومن ثم فان لنا أن نتصور المساحات الواسعة فى التاريخ ، تلك التى شكلتها هذه الردود الدائمة على تحديات الموت ابتداء من طموح الانسان إلى الخلود الكامل وتشبثه بالأديان التى يصنعها على هواه أو يتلقاها عن السماء لكى تمنحه هذا الأمل الكبير .. وانتهاء بكثير من فاعلياته فى ميادين الفكر والفن والاجتماع والابداع لتحقيق بعض من هذا الأمل فى الخلود الذى يطمح إليه .

دراما الصراع

إن القرآن الكريم يحدثنا بشموليته وواقعيته المعهودة عن دراما الصراع بين الحياة والموت ، ويردها الى لحظة الخلق الأولى ، حيث هذا التقابل الفعال بين الفناء والبقاء (.. فوسوس اليه الشيطان قال : ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟) .. ونحن نعرف جميعا ماذا كانت النتيجة ، ألا يحصل آدم على الخلود إلا بعد اجتياز تجربة العمل والاختبار وإثبات الوجود فى الأرض ، والتى لابد لها من نهاية وإلا فقدت مبرراتها أساساً ، ويجيء الموت بمثابة إنهاء للتجربة كى يهيأ الانسان بعدها للحساب العادل على ما قدمت يداه هناك ..

وهكذا يبرز الموت ، مرة أخرى ، قيمة إيجابية فاعلة فى تاريخ البشرية ، وتحد

خطير يضع الانسان دائما فى مواقع التوتر والرد والفعل والابداع .. أكثر من هذا ، إنه يعيده الى فطرته الأصيلة وتكوينه الذاتى لكى لا يركن الى حواسه وغرائزه وحدها فيطفو على السطح ، ولكى يتذكر دائماً ان هنالك قوى أخرى ، وامتداداً يتجاوز القريب الملموس الى آفاق الغيب .. وهو (التذكر) الذى كان بمثابة (التذكرة) لركوب قطارات الاديان وهى تشق الطريق الطويل الى الأمل الانسانى العميق البعيد ..

والقرآن الكريم الذى يسعى دائما الى طرح (المواقف) من كافة زواياها وابعادها يبين لنا فى أكثر من موضع انه ليس الموت وحده ، هذا الخوف الأكبر ، هو الذى يعيد الانسان الذكى البصير الى فطرته ، ويمنحه التذكرة .. انما هنالك مخاوف أخرى عديدة وتحديات طبيعية واجتماعية ، تساعد فى خلق هذا التوتر الدينى الفعال الذى يستمر ويزداد تألقاً لدى الذين يقدرون على تفتيت ما ران على قلوبهم وكسر قشرة الصدأ المحيطة بعقولهم وارواحهم .. بينما يغور ويختفى مرة أخرى بمجرد زوال الخطر القريب لدى الذين لا يزالون يتحركون ببطء عند حدود الملموس والمنظور تمنعهم غرائزهم وشهواتهم الهابطة عن رؤية فطرتهم على حقيقتها ، ومد مواقفهم النسبية الى كليات الايمان الشاملة التى جاء بها الدين لكي يتجاوز بالانسان الواقع إلى ما وراءه ، والطبيعة الى الغيب :(وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون . ثم اذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون) (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا اياه ، فلما نجاكم الى البر ، اعرضتم ، وكان الانسان كفورا) (وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق بربهم يشركون) ..

ومهما يكن من امر فان الحس الدينى كامن فى نفوسنا ، تفجره لحظة الصفاء والتأمل والانسجام .. تماما كما تبرزه واضحاً لحظات المخاوف والمخاطر والأحزان .. وهو حس يمكن ان نرده الى حاجة الانسان الابدية العميقة الى قوة أكبر من قوته المحددة الزائلة .. ينتمى

يجيء فيحيل كافة القضايا المعلّقة إلى الحاكم الأكبر الذى يعرف كيف يسوّى الحقوق

اليها ويحتمى بها فى مواجهته للعالم والطبيعة والتاريخ .

فى طريق العودة ، تساءل استاذ آخر كان يجلس فى المقعد الامامى ، وهو يمد بصره الى البعيد : ماذا لو بقى الانسان حيا لا يموت ؟ وما لبث ان عاد لكى يجيب

مجرد فرض مناقض لمقولات علم الحياة .. ثم .. أيوجد فى تاريخ بنى آدم موقف لا اخلاقى ، ناهيك عن لا منطقيته ، يوازى هذا الموقف فى شناعته ؟ ان يظل الانسان حيا لا يموت؟ بمجرد ان نتذكر صنفا من الطغاة الذين ظلوا الى آخر لحظة من حياتهم يجلدون المغلوبين والمستضعفين ، ويحصدونهم ، وهم يعرفون أن الموت ينتظرهم هناك على بعد خطوات ؟ ماذا لو تأكد أى واحد من هؤلاء الطواغيت أنه باق : لا يموت ، حي خالد لاتسرى عليه قوانين البلى والفناء؟

شيء مرعب حقا ، ترتعد له الفرائص ، أن يظل الطواغيت خالدين ، وان يظل بنو آدم من دونهم محنيي الظهور .. عراة .. يجلدون ويحصدون .. بمجرد ان نتذكر — فى مقابل هذا — حشوداً من المضطهدين ، المطاردين ، الذين ظلوا يجلدون حتى آخر لحظة فلم ينقذهم الا الموت .. نتذكرهم ، هكذا ، يتلقون السياط ، دون ان تتاح لهم فرصة الرد والانتقام بسبب طبيعة المرحلة التاريخية التى وضعتهم هنا ، ووضعت الطواغيت هناك ..

وبمجرد ان نتذكر كيف ان مئات بل الوفاً وملايين من المظلومين والمستضعفين ضاعت حقوقهم ولم ينالوا على ماقدمت أيديهم أى جزاء .. ولو طال بهم السرى لازدادوا مسغبة وضياعا .. بينما يقف فى المقابل مئات والوف من الظالمين والمستعبدين والمتخمين. كانوا — لولا وقعة الموت — سيزدادون تخمة وظلماً واستعبادا .. وليس ثمة من يأخذ من هؤلاء لهؤلاء ومن ينصف هؤلاء من أولئك ..

قد تقع ثورة وثورتان وثلاث .. وقد ينتصر المستعبدون هنا وهناك وقد تسود قيم الحق والعدل فى هذا الموقع أو ذاك .. ولكن رغم هذا كله فستظل اعداد هائلة من الذين لم ترد اليهم حقوقهم ، بعيدة عن قبضة الحق ونظرته غير قادرة — لهذا السبب أو ذاك — على استرداد حقها من مستلبيه .. وتجيء واقعة الموت لكى ترد الطرفين الى مولدهم الحق الذى يعرف — سبحانه — كيف ينتقم للمظلومين من الظالمين وكيف يضع الموازين القسط التى ما عرفت الحياة البشرية — على إدعاءاتها — طعمها العذب .

إن الموت هو ذلك الوسيط الذى لابد من مجيئه اذا ما أريد لقيم الحق والعدل أن تتحقق فى صفحة الكون كله .. يجيء فيحيل كافة القضايا المعلقة الى الحاكم الأكبر الذى يعرف كيف يسوى الحقوق وكيف يرفع رؤوس المظلومين ، وكيف يدس انوف الطواغيت فى نار جهنم ورمادها ..

قاطعه أحدنا قائلا : ان تحليلك هذا يقود الى دعوة المظلومين لالقاء السلاح بانتظار حكم الموت العادل !!

أجاب الاستاذ : على العكس تماماً .. إن حتمية الموت تعجل بقيامهم للدفاع عن انفسهم وتمنحهم قدره أكبر على اجتياز المخاوف ومجابهة الخصم الذى سيقتلهم أو يقتلونه .. وفى الحالتين سيكونون هم المنتصرين .

وعلى هذه الاضاءة نعرف كيف تمكن اجدادنا الفاتحون من تغيير خرائط العالم والتفوق على قوى تفوقهم بكثير .. ودك عروش كانت قد استعلت على المستضعفين فى الأرض قرونا وقرونا ..

قلت وأنا اغادر السيارة : ونعرف — كذلك — كيف يكون الموت رياضيات عادلة .. من أية زاوية نظرنا

اضغاث احلام

الشك فى أننا أحياء

درس العالم الاندلسى المسلم (ابن العوام) فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر (أى قبل ان نطرد من الاندلس بثلاثة قرون) زهاء خمسمائة وخمسة وثمانين نوعاً من النبات فى كتابه المسمى (ولا يزال مخطوطا) كتاب (الفلاحة) ، الذى صدر فى اشبيلية، قبل أن يصدر كتاب التصنيف العلمى للنبات (سيستيما ناتورا) المنسوب الى العالم السويدى الشهير كارل فون لينياس سنة ١٧٣٥ .. وقد تعصب لينياس للغة اللاتينية واللغة الاغريقية ، تعصباً قاد كل المشتغلين بتصنيف النبات والحيوان (المعاصر والمندثر) إلى اطلاق أسماء من تينك اللغتين البائدتين ، على كل ما يدرسون من المخلوقات ، فطالما أن القط يسمى فى اللاتينية (فيليس) فان الاسد اسمه (فيليس ليو) والنمر (فيليس طيقرس) والقط الأليف (فيليس دوميستيكا) وهكذا دواليك ، مما دفع باحد طلاب العلم العرب الى الترحال ، فى فيافى السودان ، ومرتفعات اليمن ، ووديان نجد ، يلتقط الألفاظ والتسميات من افواه الناس ، لعله يجد ما يستعيض به عن تسميات لينياس وتعصبه .. قضى الرجل سنين عددا بعيدا عن اصحابه وزملائه ، وعند عودته الى مسقط رأسه ، لقيه صديق قديم بالترحاب والعناق مستفسرا عن سر تلك الغيبة الطويلة ، وما قد يكون قد لقيه فيها من مغامرات وأحداث .. أخذ الرجل يقص على صاحبه اعجب ما لقيه فى إحدى غابات السودان فقال : كنت مرة فى غابة مع احد البدو (الفلاتية) ، ولكن الرجل تركنى ظهرا لقضاء بعض شأنه ، واتفقنا على ان نلتقى عند الغروب فى مكان بعينه ، وعندما خرجت من ادغال الغابة قبيل الغروب لم يكن معى للبندقية سوى (طلقة واحدة) ، فظهر فجاة ، أسد ، هزبر ، ضرغام ،قسورة، كأن انيابه اعمدة من الرخام ، فصوبت بندقيتى بالطلقة اليتيمة نحوه ، وضغطت على الزناد ، فانطلقت الرصاصة بعيدا عن الليث الحيدرة ، فاقعى ، ثم انبطح ، رافعا ذيله كمحسات الرادار ، وقفز قفزة واحدة عاجلة قاضية ، وأكلنى !!! فصاح صديقه فزعا ، أكلك؟ كيف ؟ وهاانت بين يدى حي ترزق ، تتحدث الى بأفصح بيان ؟

قال الرجل لصاحبه ، إذا كنت تعتبرنى حيا فانت مخطىء كل الخطأ ، فما انا وانت بالأحياء قط :

إذ لا يعتبر حياً من ينتمى الى أمة تريد ان تموت بمحض اختيارها ، رغم أن كل مقومات الحياة بين يديها .... فكيف تسمى المائة وخمسين مليون عربى ، وحوالى الألف مليون مسلم ، احياء ، وهم جميعا مستضعفون مستذلون ، وليس يجمع بينهم إلا كثرة الصياح والبيانات والمؤتمرات والاجتماعات (من القمة الى القاعدة) ولا تعلو اصوات اذاعاتهم ، ولا يسيل لعاب اقلامهم ، إلا فى السباب ، والشتائم والقطيعة ، كيف تسمينا أحياء وحديث الخاصة المتعلمة منا (رغم ما يحيط بنا من احداث وما يتربص بنا من سوء المنقلب) محصور فى أسعار السيارات والتلفازات والفيديو و (الجمارك) والعملات الصعبة ، والاعارات والانتدابات وبدلات السفر و (العمولات) .. كيف تسمينا بالله عليك ، أحياء ، ولدينا من الأرض البكر على سبيل المثال ، فى سوريا والعراق والسودان ما يمكن أن يجعلنا مصدرين للغذاء بانواعــه لاطراف المعمورة ، ولكننا لا نأبه لهذا ولانعيره التفاتا ، إلا بمقدار ما تجتمع لجان ، وتنفض لجان .... كيف تسمينا احياء ، وهنالك مابين اليمنين ، وما فى لبنان ، وما بين مصر وليبيا ، وماهو محيط بخامات الفوسفات بأقصى المغرب من بلاد العرب ، وما بين العراق وايران ، وما جرى فى المسجد الحرام ، وما يصيب المسلمين فى القرن الافريقى ، وقبرص ، والفلبين ، وافغانستان ؟ إننا ياأخى لسنا أحياء ، لقد اكلتنا السباع جميعا منذ زمن .... فمن علامات الحياة الاحساس ، وأخص بالذكر الاحساس بالخطر ، فنحن لا نحس بالخطر لاننا فعلا أموات وإن مشينا على الاقدام ، وجلسنا الى موائد الشراب واللعب والطعام ... لسنا أحياء ، لأننا لم نحدد ، بعد من هو الصاحب ومن هو العدو ، إذ كل منا يشغله مصيره الخاص ، إذا مات ظمآناً فلا نزل القطر ، وبعده الطوفان ... لسنا احياء ، وبين ظهرانينا عشرات الألوف من الجامعيين (الكبار) ولا زلنا نستورد كل خبرة ، ونستعين فى كل شىء (بالخارج) ، لسنا أحياء مادامت قبلتنا فى الأسر ، لا نعمل على فكاكها إلا بأسلوب المرابين والتجار الذين يحبون أن يحمدوا بمالم يفعلوا ، لسنا أحياء حتى تدرك وسائل اعلامنا قول الرسول الأعظم (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) وتوجه انشطتها (كلها) بعيدا عن السفاسف ، والهزل ، والهراء ، والغراميات واللهو الفاحش ، والتضليل ، الى خلق جيل واع يستعد لحمل اعظم الأعباء فى تاريخ هذه الأمة لسنا أحياء حتى ندرك أن لا حياة لنا (مسلمين وغير مسلمين) إلا فى ظل الاسلام الحق ، المصفى من المظهرية ، والنفاق والكذب ... لسنا أحياء يا أخى .. لسنا أحياء ، مادامت هذه حالنا ، لقد أكلنى الأسد على حافة غابة فى الادغال .

درويش مصطفى الفار

روبرت شومان
رومانسية الموسيقى

على الملك

للرومانسية فى الموسيقى رسل وأولياء ، ولو انك فتحت عينيك تنظر فى كتب الموسيقى التى تؤرخ لأنماطها ورجالها رأيت قائمة طويلة .. غير أن الرومانسية الموسيقية ارتبطت لحد بعيد برجل اسمه روبرت شومان ، وهو ـ كما تحدث تلك الكتب ولا تحدس ـ ليس اول صاحب رسالة من اهلها. يقولون ذاك كان (كارل ماريا فون فيبر).

والرومانسية هى الحب وهى الحنين الى الطبيعة قالوا وهى غير ذلك ، وكل هذه وجدت التعبير عنها فى المؤلفات الموسيقية القصيرة كأغنيات شوبرت وشومان ، وفى المعزوفة الصغيرة للبيانو (ذات الحركة الواحدة) ومنها ما يحمل اسما خاصا ، كمثل مقطوعة الفانتى لشومان ، وهى تصور حالة أكثر مما ترسم صورة ، وفيها اشارات شاعريـة تفضى الى معـرفة كثير من هؤلاء المؤلفين الموسيقيين بآداب عصرهم . ومن هؤلاء من كان كاتبا موهوبا ، وعنده نظرة للآداب بحسبانها ذخيرة إلهام لا تنضب ، وعلى رأس أولئك هكتور بيرليوز وشومان . ولا ريب ان موهبة شومان هذه قد دفعته أن يكتب مقالات عميقة الأثر فى النقد الموسيقى فى ذاك الزمان .

وهناك من يرتاح لمثل هذا التعريف للرومانسية الا (ستندال) الذى قال جملة محيرة ليس بعدها للنقاد من راحة إذ قال ان كل الفنون رومانسية فى زمانها ، فلو أنك أمعنت النظر فيما قال لنزعت هذا الشرف وتلك القلادة عن القرن التاسع عشر إذ تراه ـ أى القرن التاسع عشر ـ بما احرز يباهى سائر الحقب والقرون ..

من زوايا كثيرة

والرومانسية ـ هذه الكلمة المحيرة ـ يمكن النظر اليها من زوايا كثيرة فهى ـ إن شئت ـ فرار من الواقع الى عالم فى

روبرت شومان

إنها فرار من الواقع إلى عالم فى الخيال أو هو الخيال

الخيال أو هو الخيال . وقد تكون حنينا لمواقع وبقاع هى الجمال وهى الاثارة يعيش فيهن من خلق الله قوم يحكمهم قانون عجيب ، أو غير مألوف ، أو هى : رجوع الى عالم داخلى فى الانسان روحى محض . عموما فالرومانسية كما يروى بول بكر (تمثل ثورة العاطفة الخالصة تلك التى تغمر وتطغى ولا تعترف ولا تأبه بقيود المنطق والتفكير المألوف) . ونقول إن ما ينتج عنها من ابداع ومن فن هو فى الواقع انطباع الفنان من اهلها عن العالم المألوف المرئى والمحسوس الذى يحيط به . القائل انها البحث عن البطولة أصاب ومن يدعى أنها رجوع الى العوالم الجميلة الماضية أم الآتية ، ما جانب الصواب ، كل هذا يدركه الفنان حين يحس أن العالم من حوله ، العالم الذى فيه يعيش ، يرى ويسمع ويصالح ويختصم يراه يضيق يتجمد وتصعد منه رائحة الشك والقسوة . وفى رجاله سمات من يقومون بأمور ليسوا مؤهلين بتاتا للقيام بها ، قانونهم ليس قانونا وأفعالهم تورث ضجرا وتورث ضيقا : هذا دأبهم .. اذن فالرومانسية ثورة . وهى أيضا قانون للعالم وليس بقانون ، هى بحث مضن عن شكل وعن معاهدة سلام مع العالم ، وعن اطار يحيط ولا يحيط ...

فى الموسيقى دنياوات للرومانسية ثلاث : الأغنية وكانت التعبير عن ما هية الشعر الرومانسى ، والأوبرا هى الاسلوب المرئى فى تصوير القصة الرومانسية ، والثالثة الاوركسترا اذ بها يكون اعداد الجو الخيالى المنشود لحالة الفنان . وخالق الأغنية الرومانسية كان (فرانز شوبرت) ورسول الأوبرا الرومانسية هو (فيبر) وأمير الاوركسترا الرومانسية (فيلكس مندلسون .. وغير بعيد منه كان روبرت شومان)

الأدب والموسيقى

ولد شومان اليوم الثامن من شهر يوليو ١٨١٠ وكان أبوه ناشرا وبائع كتب وتيسر له من الاطلاع قدر كبير ومفيد وقرأ فى آداب اللغة الألمانية وما كان ترجم من آداب الأمم الأخر الى تلك اللغة بل انه أنشأ جمعية أدبية صغيرة فى مدرسته وليس الأدب كما تعلم ببعيد عن الموسيقى واستهواه البيانو فجعل يعالج العزف عليه فى سن مبكرة وتقاسمه عشقان : الأدب والموسيقى ، بل هما توأمان .

روبرت شومان
رومانسية الموسيقى

ودخل الجامعة اذ كانت رغبة أمه أن يدرس القانون وهو علم جاف ولعله أبعد شيء عن الموسيقى . وما منع نفور شومان تشايكوفسكى وجان سبيليوس بعده دراسة القانون ! ولارضاء أمه شرع يدرس القانون وفى جامعة (لايبزج) صار له معارف من أهل الفن والآداب وابان عطلة الصيف عام ١٨٢٨ التقى الشاعر المبدع هاينى فى (باڤاريا) وكان أن صاغ شومان - فيما بعد - كثيرا من قصائد صديقه أغنيات ولم يطق دراسة القانون فجعل معه خليلة يحب - البيانو - وصير نفسه طالب علم عند معلم مقتدر هو (فردريش فيك) وجذبته الموسيقى وابنة معلمه (كلارا جوزفين) وكانت عبقرية العزف على البيانو فى زمانها اذ ظهرت للجمهور تعزف ولما تبلغ التاسعة من عمرها . وابتعد عن القانون وكانت أمه وابتغاء مرضاتها يؤرقانه ، فعاد الى حلقات درس القانون فى جامعة (هايدلبرج) الشهيرة الا أنه هناك صار الى الموسيقى أشد قربا فاقتنعت أمه - بولعه بالموسيقى وسمحت له بدراستها ، فعاد نشطا الى معلمه (فيك) وتميز جدا فى عزف البيانو وألف له تفريعات نغمية تعد أول مؤلفاته الجادة . معركة أولى وكسبها ، الا أنه خسر أخرى حين ماتت أخته بمرض عصبى وهى دون التاسعة عشرة.

فاجنر

جويای

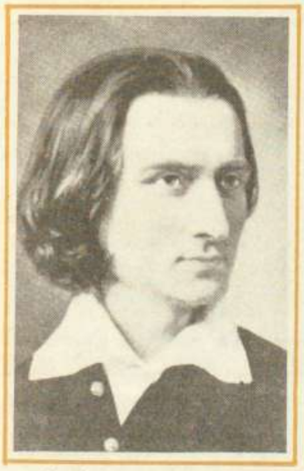
فرانز ليست

تشايكوفسكى

مندلسون

ستندال

العاشقان يكسبان الجولة

ومعركة ثالثة تلوح : بعد أن وجد نفسه وموهبته فى رحاب الموسيقى ، ووجد أن عاطفته وقلبه يرتاحان لدى كلارا جوزفين ابنة معلمه ، وكان المعلم يحترم موهبة تلميذه وبواكير عبقريته ولكن له فى روبرت الرجل راى أخر ، فحين أحس أن هناك عاطفة تتصل أسبابها بين ابنته وروبرت ، غضب واستشاط غضبا ، وفى عام ١٨٤٠ رفع دعوى للقضاء حاول بها أن يثبت أن شومان سكير ولن يصلح زوجا لابنته . ورغم أن الرجل كان فى اتهامه محقا الا أن العاشقين ربحا الجولة وتزوجا فى شهر سبتمبر ذات العام.

وكلارا جوزفين كانت من أهم المؤثرات فى حياة زوجها ، أهلها لذلك دراستها الموسيقية ، وأنها كانت - ربما - أمهر من عزف البيانو فى ذلك العصر ، وهى بهذا تقوم بتقديم مؤلفات للبيانو وما أكثرها للجمهور . وان نظرنا الى حياته الزوجية كانت تبدو وقد تهيأت لها كل سبل الاستقرار والوئام ، فهى موسيقية وهو بالطبع كذلك ، ولكن الواقع كان يشير الى انهما مختلفان جدا اذا فحصنا نظرة كل منهما الى الحياة الموسيقية من حولهما إذ اتسمت كلارا - بخاصة - بأفق محدود حين تقارن بزوجها الذى كان قد بدأ يصدر مجلة موسيقية استمرت تصدر حتى بدايات القرن العشرين ، وكانت تناقش مشكلات الموسيقى وأمورها . وشارك مندلسون وفاجنر فى تحريرها وفيها كتب شومان كلمته الشهيرة عن (فردريك شومان) : ارفعوا قبعاتكم فهذا عبقرى ! فرجل هذا شأنه فى الفن لابد أن يتصف بسعة الأفق ، والمعرفة ، والنأى عما عرفت به كلارا زوجته من انطباعية عجلة ، تتأرجح بين الحب والبغضاء فى آرائها الموسيقية .. نعلم مثلا أن مندلسون كان يقابل اعجاب شومان به بغير قليل من البرود ، أما فاجنر فقد كان يبغض الرجلين . وذكر أن ذلك كان سبب عنصرية وجدت طريقها الى نفسه اذ كان مندلسون يهودى الأصل ولعل ذاك الاتجاه العنصرى عند فاجنر هو الذى صير موسيقاه أثيرة عند النازيين ، بل هو وهى عندهم من الشعائر المقدسة ، ونعلم أيضا أن الحكم النازى قد حرم فيما حرم تعاطى موسيقى مندلسون . ونعلم أيضاأن يهود الأرض المحتلة ضجوا ضجيجا مفزعاً - قبل اعوام - حين علموا أن فى برنامج الأوركسترا بالقدس شيئا من مصنفات

● كانت زوجته كلارا أهم المؤثرات فى حياته . إذ كانت أمهر من عزف البيانو فى ذلك العصر

● حين تأكدت شهرة شومان ورسخت وصار نجما ساطعا فى سماء الموسيقى

ريتشارد فاجنر فحرمت تقديمها ، والعنصرية البغيضة لاشك تلد عنصرية بغيضة . ويهود الأرض المحتلة ـ أكثرهم ـ ينام ويصحو على عنصرية بغيضة .

غير ان الخلاف ، قل الخصومة أو حتى العداء ، كان فاجنر يظهره وهو ـ فاجنر ـ كان يمثل فى الموسيقى ، وفى الفكر ، شيئاً غير ما كان عليه شومان ، إذ هذا من اهل الرومانسية الموسيقية ، وهو من قبيلة مندلسون وشوبرت قبله وبرامز من بعده ، وذاك ، فاجنر ، صار يبشر بما يسمى (موسيقى المستقبل) . هو الى صديقه (فرانز ليست) أقرب ، وفى مدرسته الفكرية أدخل ، وكان ذاك الهنغارى الملتهب ذا ابتكار خلاق ، وإليه ينسب التاريخ أشكالا من الموسيقى أهمها (القصيد السيمفونـي) ، وصنوفا من التعبير اذ هو الذى صك للناس تعبير (الموسيقى ذات البرنامج) رغم أنه بدأ فى شبابه يتمرغ على فراش الرومانسية الادبية الفرنسية (فكتور هوجو وجورج صاند) وعلى كل ، فقد كان بين الرجلين اتحاد فكر وصداقة ومصاهرة إذ صارت (كوسيما) ابنة فرانز زوجة لفاجنر

لم يخف فاجنر ـ وقد اشتعلت اوربا بالثورة عام ١٨٤٨ ـ اعجابه بل قل حماسه لها ، ولما تنادى به ، وحين وصلت رياحها مدينة (درسدن) حيث كان يقيم ، ظاهرها وأيدها . وبعد عام حين انحسر مدها الثورى وعاد القمع الى أهل القمع ، فر الموسيقى العظيم بدينه الى مدينة (فيمار) الى حمى فرانز ليست ، وبقى وقتا ليس طويلا وما كان صاحبه ثوريا مثله ، كان نديم قصور وما أراد فاجنر إحراجه فترك مدينة الفن الى سويسرا .. هذا وكان شومان غير ذلك إذ إهو قد فر بفنه الى إحدى القرى ، وكانت ثورة ١٨٤٨ قد وصلت درسون حيث كان يقيم أيضا ، وفر خشية أن تحرقه نيران الثورة ، وريتشارد فاجنر استقلبها واحتضنها ، وفر بعد اخفاقها خشية أن يصيبه من انحسارها برودة الردة الجليدية بالموت الصقيع هذه هجرة وتلك هجرة .

الحركة الأخيرة

تأكدت شهرة شومان ورسخت وصار نجما ساطعا فى سماء الموسيقى ، ومن كان كذلك تستقبل اعماله بالمدح كثيرا وربما بالقدح ، وهذا وذاك يسيران مستترين تحت مظلة النقد . والنقد ـ بكل تأكيد ـ مسألة معاصرة إذ ما يسخط قوماً فى زمان ما ، قد يعجب آخرين فى زمان لاحق .

كان كونشيرتو البيانو (المصنف الرابع والخمسون) قد واجه بعد تقديمه للجمهور نقدا شديدا أثر عليه جدا غير أن أثر ذلك على كلارا كان أعظم ، بخاصة بعد موت روبرت مما دفعها أن تكتب وقتها الى عازف الكمان المبدع (يواقيم) تطلب اليه أن يراجع كونشيرتو البيانو : حركته الأخيرة .

ويواقيم هذا (١٨٣١ ـ ١٩٠٧) يهودى درس فى كونسيرفتوار لايبزج وتخصص فى العزف على الكمان وصار ابرز عازف فى عصره وأدرك فرانز ليست وعمل معه ، ثم صار من أشياعه فى مدرسة (موسيقى المستقبل) ولكنه انقلب عليه عام ١٨٦٠ واصبح من اتباع الاتجاه الرومانسى . وكان ذا رأى فى مجال الموسيقى ، وربما لهذا السبب الجأت كلارا اليه نفسها فكتبت تقول « نحن دائما نحرص على كل ما يخص اعزاءنا . ولقد احزننى اكتشافى وانا اؤدى كونشيرتو البيانو لروبرت ، أن فيه أجزاء لا تستقيم وخاصة الحركة الاخيرة » ولم يفعل يواقيم شيئا وما حاول . وماكان رأى نقاد القرن التاسع عشر إلا طرفا من اهتمامهم بدور البيانو فى الكونشيرتو ، إذ كانوا يرومون التعقيد الذى يشكل تحديا للعازف دونما اهتمام بوقع الموسيقى على النفوس ، وما كان أولئك يهتمون بالقيمة الجوهرية للموسيقى . والواقع أن كل اعمال شومان ينقصها ذلك التعقيد المقصود ، والتعقيد ليس بالضرورة عمقا ، بل نظن أنه من المحسنات البديعية الممجوجة ان هو قد قصد لذاته . وافتقار المصنف اليه لا يدمغه بالضحالة إذ نعرف أن هذا الكونشيرتو الشومانى الباهر لم يحتج بعد ذلك لمن يدافع عنه . فقد أضحى من برامج كل عازفى البيانو المهرة فى العالم .

أمسى الرومانسى الفنان مرهف الروح تعبا مجهدا بالعمل والحياة والخلق ، وبالمواجهة وما يقوى احساسه احتمالا . رغم كل هذا فنجمه يصعد باهرا سماء الموسيقى ، يسمو ، تأليف وتصنيف وعروض ومعركة كبرى طلائعها تعب النفس والذهن منهك يقاوم قليلا . عام ١٨٥٠ وما تفيد وظيفة قائد أوركسترا « دوسلدورف » مبدعا كان . هذا صواب . مؤلف موسيقى من طراز العباقرة الكبار ، نعم ، ولكن قيادة الاوركسترا أمر آخر ظهر ذلك لكل عارف بالموسيقى فى تلك المدينة ، لم يكن قائدا ممتازا ولم الاصرار على لقب المايسترو وعمله ؟ لا ندرى . وما أنباه أقرب الأقربين كلارا وزاد هذا صحته ضريبة جديدة واصبح الارهاق مرضا ونوبات وذهول ، ولا تركيز واضحى حزينا كثير الصمت .

ويروى أنه وفى رحلة لهولندا قدمت فيها كلارا عروضا موسيقية قابلا ملك تلك البلاد اذاك فصل من فصول المسرحية حين يلتقى الفنان السلطان ؟ أم هو ماذا ؟ . قل ما تشاء احتفى الملك بعد العرض بعازفة البيانو : حللت سهلا . وأهلا أهلا .. ولعله طرب .. الملك .. ثم سأل الملك المهيب المهاب كلارا فى ملوكية وأنه ينظر الى شومان كأن قال : (وهل زوجك موسيقى أيضا؟)!! آه ياعزيزى روبرت ياكم تحفل هولندة وغيرها بالملوك . ؟ ومن عجب أن هذه العبارة الصغيرة الكبيرة قد قادته الى حافة الانهيار العصبى التام .. ومن ذلك أنه وفى يوم ٢٧ فبراير ١٨٥٤ خرج من بيته والقى بنفسه فى نهر الراين وانقذ ، وبعدها طلب الى ذويه أن يأخذوه الى مصحة للأمراض النفسية قرب بلدة (بون) .. وهناك مات فى اليوم التاسع والعشرين من شهر يوليو ١٨٥٦ .

قال صديقى ألا تعلم أن موسيقاه ـ يعنى روبرت ـ هى للعاشقين الذين وردوا حياض العشق دونما أمل يرجون ؟ قلت نعم ذكرت ساعتها اقساما من كونشيرتو الشيللو والاوركسترا ، وطاف بذهنى رباعى البيانو (المصنف السابع والاربعون) وغير هذين .. ولبيت دعوته (شومان) إذ موسيقاه تجعل كل ذى حس مثله .. ذا حس ومرهف ، وسيبقى !

على المك

لقاء مع

نعمان عاشور

محمود تيمور الأرستقراطية والأدب

فى منتصف الثلاثينات كانت قد فتحت امامى تماما ابواب المغارة السحرية التى يسمونها (عالم القراءة) ... وبدأت اشغف بجمع الكتب ومحاولة تكوين مكتبة لنفسى تضم كل ما تقع عليه يدى من كتب اذكر منها على سبيل المثال العديد من الروايات البوليسية المترجمة عن شارلوك هولمز وارسين لوبين وغيرهما من ابطال مثل هذه المسلسلات .. وايامها كانت الكتب رخيصة ولا يزيد ثمن النسخة منها عن قرشين اثنين فقط لا غير .. وبدأت تصدر مجموعة كبيرة بأسم (كتاب الجيب) تحتوى ترجمات لمعظم الروايات العالمية الادبية المشهورة .. منها أنا كارنينا (والحرب والسلام) لتولستوى و(البؤساء) لفيكتور هوجو .. ثم الكثير من اعمال أميل زولا وروايات جوستاف فلوبير وتوماس هاردى وهمنجواى وغيرهم ... ومثل هذه الكتب كنت اقتنيها ببساطة وانتظام لانها كانت رخيصة وتوزع مع الجرائد والمجلات اليومية ... ولهذا تكونت عندى حصيلة كبيرة منها احيانا ما كنت اضيق بها فأسعى الى استبدالها بغيرها بعد الانتهاء من قراءتها ... خصوصا البوليسيات التى كان وجودها مع بقية الكتب الأخرى ... روايات المنفلوطى ودوواوين شوقى ومسرحياته وترجمات مطران لشكسبير وكتابات طه حسين وهيكل والمازنى والعقاد يجعلنى لا أحرص على الاحتفاظ بها طويلا . وحدث أيامها أن تعرفت على زميل مثلى يقتات على قراءة الكتب ولديه منها الكثير واذكر انه بعد وفاة والده ترك المدرسة واخذ مكانه فى المحل الذى كان يملكه .. وهو محل لبيع الالبان والجبن والزبادى .. وكان أول ما فعله أن افرد فى المحل الذى ورثه واصبح

محمود تيمور

يديره مكانا فسيحا لما عنده من كتب ولأنه كان يقرأ بنهم وأكثر منى لقراءة الكتب المسلية ... فقد كنت ابادله دائما الروايات البوليسية بالمؤلفات الأدبية .

القصة القصيرة

وصادف يوما وانا اقلب بعض ما اقتناه صاحبى من كتب جديدة ان وجدت اكثر من مجموعة قصصية من تأليف (محمود تيمور) كنت اسمع عن تيمور واتتبع أخباره فى الصحف ولكننى لم أكن قد قرأت له شيئا .. بل لم أكن قرأت بعد هذا اللون الادبى الجديد الذى يسمونه القصة القصيرة ... واعجبنى عنوان مجموعة لديه لعلها حتى الآن ابرز مجموعات تيمور القصصية (ابو على عامل ارتست) معنونة باللغة العامية .. واستغربت حين علمت من صديقى ان محمود تيمور نفسه هو الذى اهداها له ... وبهذا الاهداء التقليدى الموقع بامضائه الى الاديب الشاب ... مع تحياتى وتمنياتى له بالسداد والتوفيق .. محمود تيمور .. نفس عبارات الاهداء التى كتبها على بعض ما منحنى من كتبه بعد ذلك ..

الاديب الارستقراطى

وهذا الاهداء ومعه توقيع تيمور ايضا وجدته بعد ذلك على الكثير من مؤلفاته فى اغلب مكتبات اصدقائى ومعارفى فيما تلى من سنوات . ذلك ان تيمور كان يطبع كتبه على نفقته ويبعث بها الى كل من يطلبها منه خصوصاً من الادباء الشبان .. لم يحترف الكتابة ولكنه كان يعيش على حب الأدب وانتاجه وتأليف الكتب وطبعها واهدائها على هذه الصورة .. اتاحت له ذلك ثروته العائلية ومنبته الاقطاعى ... ولكن الرجل كان عاشقاً للأدب وقد وهب له حياته الطويلة إذ أنه مات بعد أن تخطى الثمانين يؤلف القصص القصيرة ويكتب المسرحيات .. والروايات ويؤرخ لحياة الادباء وينقد كتاباتهم ويطرح مرحلة بعد أخرى العديد من المفهومات فى حنو بالغ وحفاوة وتقدير لكل أديب منتج فى مختلف المجالات ..

تيمور والأدباء الشبان

جاءت معرفتى بتيمور على ختام الدراسة الثانوية اذ صحبت زميلا من الادباء الشبان كان يعرفه ويتردد على زيارته فى سراياه الفخمة بحي الزمالك ... وفى أمسية قارصة من أمسيات الشتاء وجدتنى أجلس معه فى الصالون ننتظر نزول (الباشا) جلسنا نحتسى (القرفة) وهى مشروبه المفضل طوال العمر حتى أهل علينا يرتدى روباً مهيبا من

كنت أسمع عن تيمور وأتتبع أخباره فى الصحف لكننى لم أكن قد قرأت له شيئا

لم يحترف الكتابة .. لكنه كان يعيش على حب الأدب وتأليف الكتب وطبعها وإهدائها لمن يطلبها

كان منطويا على نفسه منقطعا للقراءة وكتابة القصص

القطيفة ويلف حول عنقه كوفية من الصوف كتلك التى ظل يرتديها فى شيخوخته وبطريقة مخالفة لطريقة العقاد فى التلفيح بالكوفيه ... فهو لم يكن يطرحها على كتفه إنما يلفها لتغطى نصف وجه تقريبا ... ويضع اصابعه على اطرافها ليسد بها انفه كلما لاحقه العطس . سألته عن ذلك بعدها بسنوات عديدة فأخبرنى انه لا يكره ولا يهاب شيئا قدر ما يكره البرد لأن صدره ضعيف ولا يحتمل التعرض له .

وتيمور كان يمتاز بالبساطة والتواضع وهو نحيف ودقيق الجسم وفى غاية الرقة . اقبل علينا فى الصالون والواحد منا لم يكد يتجاوز الصبا وراح يعتذر بأنه لم يستطع ان يقابلنا بالبدلة نظرا لملازمته الفراش ولكنه كان مسرورا لحضورنا .. وقدمنى صديقى له على اننى من الادباء الشبان الجدد ... ولكنه لم يحاول ان يسأل عن اسمى .. كان شديد الالفة وسريع العشرة مع الجميع . وجلس ينصت فى هدوء واهتمام لرأيى فى قصصه التى قرأتها ... وكان شديد التنبه لملاحظاتى خاصة ما تعلق منها باستعماله للحوار العامى على لسان ابطاله مع انه من غلاة الداعين الى الفصحى .. ثم بهذا الاتجاه الجارف فى كل قصصه والذى يفيض كلفا واعجابا بالطوائف الشعبية رغم وضعه الاجتماعى الارستقراطى . وابتسم الرجل وهو يهز رأسه ويشرح مفسرا .. فهو يكتب قصصا واقعية ... والواقعية لا تتمثل الا فى البيئة الشعبية ولا يمكن ان تتحقق إلا بالحوار العادى الذى لابد ان تنطق به شخوصه القصصية فهو لا يقصد الكتابة العامية لذاتها وانما لدواعى الصدق الفنى ... وفيما عدا هذا فهو لايطيق العامية ولا يميل إلا لاستعمال الفصحى والحق ان هذه

كانت من الدعوات الدائمة التى وهب لها تيمور الكثير من جهده طوال حياته وبعد ان اصبح من ابرز اعضاء المجمع اللغوى ... بعدها انتقل الى صديقى المصاحب لى وكان قد جاءه بناء على موعد ليعرف رأيه فى بعض القصص التى كتبها وقدمها له ..

فقد كان من اهم غوايات تيمور اكتشاف المواهب الادبية .. وصارحه تيمور بأنه لايزال يحتاج الى كتابة الكثير غيرها حتى يمكن تبين موهبته وهى موهبة كامنة وتحتاج الى مران طويل . بعدها انتهى اللقاء ووعدنا تيمور بارسال نسخة من كتاب جديد له لم يستلمه بعد من المطبعة .

محمد تيمور

محمد حسين هيكل

الاتجاه الشعبى

ذكرت تيمور بتلك الواقعة بعدها بأعوام طويلة وبمناسبة ما احتدم بينى وبينه من جدل على صفحات اخبار اليوم حول استعمالى لكلمة (كنبة) بدلا من (أريكة) ولكنه لم يذكر هذا اللقاء .. وانما عاتبنى لأننى لم اتردد عليه بعد ذلك . وذات يوم لاقيته فى ندوة ادبية فى البرنامج الثانى باذاعة القاهرة وكنت قد اهديته مجموعتى الأولى من القصص القصيرة (حواديت عم فرج) وفيها مقدمة عن القصة القصيرة عن ادبنا المعاصر ذكرته فيها كرائد من روادها الواقعيين واطربت اتجاهه الشعبى الواضح الذى يكشف عن اعجابه بدفء وحرارة الحياة فى بيئتنا الشعبية وان كنت قد ارجعت ذلك أو قدرته على انه يمثل النظرة الارستقراطية التى لا تحمل ما هو ابعد من مجرد الشفقة ولا تنطوى على التعاطف ... والحق أن الرجل لم يغضب ولم يعاتبنى على رأيى هذا واعترف بصراحة بأنه لا يمكن أن ينظر الى هذه الطوائف بغير هذه النظرة وهى نظرة فنية اكثر منها نظرة اجتماعية وذلك يرجع الى انه يعيش بعيدا عنهم ولا يمكن أن يعبر عن الكثير من حقائق حياتهم وطبائعهم لأنه لا يحسها ولأنه فاقد الصلة بها .

تيمور والمسرح

كان تيمور كما قلت يمتاز بالبساطة والتواضع والرقة ، ولكنه كان يحس ويشعر دائما بأنه ضحية الغبن والنكران ... ولعل سبب ذلك أنه كان يعيش منطويا على نفسه يعيش بعيدا عن النشاط الادبى ويكتفى بما يمده به من مؤلفات ينقطع كلية لانتاجه فى عزلة تأخذه دائما بعيدا عن الناس ... مع ان تيمور كان من أكثر أدبائنا الكبار اهتماما وشغفا بما تتلاحق به الساحة الادبية من انتاج مرحلة بعد أخرى ... على بداية الستينات قابلته فى إحدى استوديوهات الاذاعة وكان قد انتهى من تسجيل حديث عن الأدب . فلما رآنى وكنت اجلس فى الاستراحة لمناقشة مسرحية كانت تعرض لى ايامها فى المسرح القومى ... واظنها مسرحية (سيما اونطة) ... اقبل يحيينى فى لهفة ويهز يدى فى شوق ... انت فين ... قالها وكأنه كان يرانى كل يوم ويعاتبنى على انقطاعى مع إننى لم أكن قد

محمود تيمور

الأرستقراطية والأدب

قابلته لعدة سنوات ... ذلك أنه كان يعيش مع كل كتاب أو مسرحية أو مقال يظهر فى الساحة الأدبية ... ودعوته الى كوب من الشاى ولكنه طلب ان يشرب قرفة أو (ينسون) فى حالة عدم وجود القرفة ... وراح يحدثنى عن مسرحياتى وتتبعه لها .. ثم أستطرد الحديث عما قدمه هو للمسرح من قبل وعرضته له الفرقة القومية فى منتصف الثلاثينات أو الاربعينات .. فلما ابديت له معرفتى بمسرحياته وقراءتى لها رغم عدم مشاهدتها على المسرح قال أنه كان يود لو يتابع الكتابة للمسرح لولا عدم وجود الفرق الجادة ... وراح يروى ذكرياته البعيدة عن شقيقه الراحل محمد تيمور وكتاباته للمسرح وكفاحه من أجل خلق حركة مسرحية حتى قبل توفيق الحكيم .

محمود ومحمد تيمور

اخذه العجب وأنا أحدثه عن كتاب محمد تيمور فى محاكمة مؤلفى عصره ودفاعه عن المسرح المؤلف واستنكاره للهزليات والمقتبسات وكنت أيامها قد قرأت تلخيصا لهذا الكتاب فى احدى الدراسات واعتبرته من أهم الوثائق فى تاريخ مسرحنا المعاصر .. الشىء الغريب بعد ذلك باكثر من خمس سنوات اننى كنت أدرس فن كتبه المسرحية فى المعهد العالى للفنون المسرحية وجاءنى أحد الطلبة يحمل خطاباً خاصاً من محمود تيمور يوصينى فيه بأن أقبل الاشراف على الرسالة التى ينوى الطالب تقديمها للحصول على شهادته النهائية ... وكان موضوعها «محمد تيمور كاتبا وناقدا مسرحيا» .. ويطمئنى فيه على مقدرة الطالب وانه أمده بكافة المعلومات والكتابات الخاصة «بالمرحوم» والتى تحتاجها الرسالة ... وهذا يثبت أن السنين كانت تمر على تيمور وكانها أيام ... وسبب ذلك كما اسلفت انقطاعه عن الناس والعزلة التى اختارها لنفسه وكانه كان يخشى لو اندمج فى الحياة أن يبتعد عن الكتابة ... ويتوقف عن الانتاج الادبى الذى وهبه كل دقيقة من حياته ...

مفهومه للادب والفن

وحين بدأ الارسال التلفزيونى فى أوائل الستينات .. دعيت لحضور تسجيل برنامج عن محمود تيمور وكان هو الذى اختارنى لاكون من ضيوفه فى الحلقة ... والواقع اننى لم أدهش رغم اننى لم أكن ألقاه الا لماما وفى مناسبات قليلة متباعدة ... وحضرت تسجيل البرنامج وبدلا من أن اتحدث أنا عنه كما كان من المفروض .. راح هو يسلط الاضواء على مسرحياتى واختار منها مسرحية (وابور الطحين) وطالب بعرض فصل كامل منها ضمن فقرات البرنامج كاحدى الاعمال المفضلة عنده .. وبعد أن انتهى التسجيل صحبنى فى جولة على النيل ،، واخذ يشرح سبب تفضيله لهذه المسرحية التى لم تلق حقها من تقدير النقاد كما كان يعتقد ... وهنا كشف لى عن سر من اسرار حياته الخاصة لم أكن أعرفه .. فقد تعود تيمور أن يمضى شهورا طويلة فى عزبته بالريف بعيدا عن قصر الزمالك ينقطع خلالها للكتابة والتأمل والابداع والاستمتاع بالطبيعة وينعم بما فى الريف من هدوء واصوات .. ومن اهمها عنده ... صوت وابور الطحين الذى لاتخلو من وجوده أى قرية أو نجع ريفى ... وقد قرأ مسرحيتى ثم شاهدها واستطرد موضحا ... وأقول لك الحق .. ما كنت اتصور انك تستطيع أن تنقلنى الى جو الريف بمثل هذه السلاسة والصدق الذى احطت به احداث مسرحيتك واللغة الرقيقة التى استعملتها فى كتابتها مع انها لغة عامية ريفية قح ولكنها لاتخلو من الشعر والموسيقى ... فلما اوضحت له اننى كتبت المسرحية فى الاصل كالاوبريت الغنائى وليس كنص مسرحى .. قال ان هذا هو السبب فرسم الجو يطغى على مكوناتها الدرامية ويلفها باطار شفاف ينقل القارىء قبل المشاهد الى ما تفوح به البيئة الريفية من أجواء ... وشكرته على هذا التقدير فقال انه يرفض قبول الشكر لان ما يبديه من رأى انما يمثل حقيقة وجوهر مفهومه للادب والفن .. وخلاصته . ان الادب والفن انما هو استعادة للحياة عن طريق المشاعر والاحاسيس الجمالية التى تجدد النفس الانسانية وتبعث فى أوصالها العزاء والسلوى وبالتالى حب الحياة وإعزازها .

العائلة التيموريه

واستطال الارتباط بعد ذلك بينى وبين محمود تيمور فى لجان المجلس الاعلى لرعاية الاداب والفنون . كنت القاه لاكثر من مرة فى الاسبوع الواحد بحكم عضويتى فى لجنة المسرح التى كان هو نفسه مقررها . وفى احدى الجلسات سألته لماذا اختار أن يكون مقرر لجنة المسرح مع أن القصة والرواية هى الطابع الغالب على انتاجه فى حين اختاروا توفيق الحكيم مقرر لجنة القصة مع أن المسرح هو الطابع الغالب على انتاج توفيق الحكيم وليس القصة والرواية ... فاجابنى وهو يبتسم ... أن هذا التشكيل ليس من اختياره ولكنه لم يعارض فيه بل فضله فى البداية .. من ناحية لانه كان يتمنى ان يستكمل رسالة شقيقه المرحوم محمد تيمور فى الانقطاع للمسرح ... لكن الزمام انتقل من يده الى يد توفيق الحكيم وقدر له أن يمسك بدفة القصة منذ شبابه الباكر .. ومن الناحية الاخرى لانه يحس فى شيخوخته أن عليه دينا للمسرح يجب أن يؤديه ... وبصراحة فانه يرى ان ادبنا المعاصر يتجه بكليته الى استكمال ما عاناه حتى الان من نقص درامى ... ولذلك اصبحت تعلو فيه النبرة الدرامية شعرا ونثرا وفى صميم القصة والرواية ذاتها واستشهد على ذلك بكافة الروايات والقصص المعاصرة التى بدا يختفى منها عنصر السرد القصصى ويغلب عليها الطابع الدرامى ممثلا فى الحوار .

وهذه النظرية الثاقبة من محمود تيمور تكشف عن سمة بارزة من سماته وهى انه كان يعيش بكل كيانه ويهب جهده لخدمة الادب وتطوره بغض النظر عن صدى انتاجه فالرجل وهب حياته وكل نشاطه للحياة الادبية ولا عجب فتيمور لم يحترف الكتابة يوما ولم ينل من مؤلفاته أى كسب مادى .. ولهذا سجلت فى رثائه أنه كان يمثل هو وشقيقه محمد تيمور ووالده العلامة أحمد باشا تيمور الصورة المثالية التى لم ولن تتكرر لأصفى وانقى ما كان يميز الارستقراطيات القديمة فى تعلقها بالادب ورعايتها للفنون كأبقى الموروثات الحضارية على مر العصور .

نعمان عاشور

مواقف ثقافية

مقدمات لتجاوز الهرولة الفكرية

الشعر هم . وحين يصبح قضية لدى المشتغل به ، يحسن له أن ينصت طويلا وعميقا الى نفسه ، وصوته . ما نبدعه فى زحمة المشاغل والاهتمام الوقتى لا يمنحنا دائماً فرصة الاستماع الى صوتنا الحقيقى الذى يعبر عن همنا .

الشعر إشـارة

مانرمز إليه بالعالم المفقود ، الفردوس ، البراءة الأولى ، لا يعدو أن يكون تلك المعرفة اليقينية غير المعقدة المتفردة ، التى تربطنا من جديد بالعناصر التى منحت الكائن البشرى الانسانى وجوده الكونى فى زمن وحيز مكانى يتحددان .

الشعر وجد وتوجـد

ولذا فالغنائية فيه مشروعة

حين صارت اللغة العربية علما ، كان احد المراجع الأساسية لها بعد القرآن والحديث هو اقوال العرب ؛ وكانت اطرف تلك الاقوال واروعها صوتا وحركة وعبارة ونغمة وتصويرا هى الاشعار .

وقد تفردت رؤوس الشعر العربى الأول بصدورها عن أفراد أحسنوا الاصغاء الى ذواتهم العامرة بأصداء الحلم الممكن والواقع المتأصل ، والقدرة على الادراك الشجاع السخى ، والرؤية النازعة لتتويج ممكنات الحلم واقعاً ذات لحظة فى التاريخ فاعلة .

ثم جاء زمان لم يصغ الشعراء كثيرا الى دفين أصواتهم ، بل شدهم صوت رنين الحكمة المؤقتة والمجد الزائل وسقوط السيف وقرع اكواب التنادم . وفعلوا شعرا مكررا كرره آخرون

ونذر المعرى مزاجه ولزومياته ورسائله للسخرية والتندر على جلبة الأصوات التى لم ترتد عن قرار يختزن الماضى الحلم والمستقبل الواقع فى الحاضر الغائب ، لأنه كان يدرك أن الوصف لا يقصد لذاته ، ولا الحكمة دفينة ما تبشر به ، ولا المدح مقصود على رسم تمثال لمن يدفع سخيا لنحته فيه ، وما الرثاء للفرد الذى زال بقدر ما هو تأكيد للقيم التى ينبغى الأصرار عليها حين ينضجها الموت .

لقد عرف ابو العلاء الشعر الجمر وضرورة التقية . كان دارسا ومدرساً وخارجا على زمان قيم تنكر الاصالة والتفرد ؛ تنكر الاصغاء الصافى لاعماق الانسان التى تختزن التاريخ والابدية وتفصح عن مستقبل غائب الحضور .

تتميز لحضات الشعر العربى الخلاقة بأن من حققوها وعشقوا وماتوا فى سبيل انشاد ما شهدوا به ، كانوا افرادا فذة شخصياتهم وحيواتهم . بهم جسارة على الخروج ، وحب متوقد لحقائق الوجود الأمثل للأشياء والناس ، وأحساس بعبثية الأقدار وجدارة الانسان بتحييدها وصنعها وتنويعها. كانوا فرسانـا .

تم لآخرين أن يفتتوا قممهم ليطرفوا بفيء ما ابتناه أولئك .

لقد كان الجيل الأول من متلقى الحضارة الغربية رائعاً فى تشبعه بأدواتها ومناحيها فى التفكير والتقدير ، وقاصراً عن تفهم القدرة العربية المبدعة ومعطيات الحضارة الانسانية التى بلورها انفتاح العوالم القديمة على الأسلام ، وتمثل تلك العوالم لقيمه وابداعها لذواتها على هديه . كما ان احتدام الخصومة بين المتجلببين المعتمين ومن حاجهم من جيل الموفدين الأوائل قد افسد على من انتووا الاستفادة من نظرة الابتعاد الى واقعهم وما وراءه فرصة العمل ، فاضطروا الى المناكفة التى لم تجلب الا مزيدا من الهرولة الفكرية العقائدية المبددة لجهود الجميع .

ولقد دعانا أكثر من مبشر عائد من حضارات اليوم أن ننظر الى «التراث» لنفيد من أشكاله فقط .. أن ننظر فى القصيدة العربية القديمة مثلا طارحين المضمون ـ هكذا تسمى الشهادة ـ ناظرين فى الكيفية التى صاغه الشاعر بها .

اية من الأفك القائم على الجهل .. هذه النظرة !

أن المهم ليس هو النظر فى شكليات البناء الشعرى القديم وإنما الى منعطفات خلقه ونشوئه ، والمواقف التى يدل عليها فى النهاية .

وليس لنا فى حياة أبى الطيب وما مدح به من مدح ، وهجا ، وكل الجماليات التى أقامها وهدمها وجددها ، غير تلك البشارة المستشهدة التى أكدت أن نبوءة الشعر بما ينتظرنا ونعانده ممكنة وواجبة ، وأن القيم العليا لاتتصل على الدوام بممدوح واحد بل تصنعها الظروف مكانا وزمانا .. وأن أرجاء المعمورة المسلمة والعربية هى المجال الذى نبشر به بما نحمل من صلف واستبسال توجه زماننا لغاياته العليا فى الحياة ،

صلب المتن هو المهم ، لا الحواشى المطهمة !

كان السموأل يهوديا وشاعرا وفارسا . نذكره رجلا جوادا وشاعرا ، وليس المهم جوده ، بل الاهم جوده بولده افتداء لموقف اتخذه دون إملاء ، فالموقف هو حقيقة الشعر .

ولأن الشعر هم ، واصغاء مرهف وعميق لمكنونات الذات ، فان الفاجعة تقترن به فى منابعه البكر ، كما البراءة .

لقد كانت براءة السموأل هى استحالة النكوص عن التزام ارتضاه . فتمت فاجعة ذبح ابنه .. ولم ينظرها كفاجعة ، بل كفداء .

وكانت براءة طرفة بن العبد البكرى أن حمل المكتوب الذى يكلف مستلمه قتل طرفة حين يبلغه به . فلم ينصت الى قول ناصحه بفض الرسالة والانصات لصوت التوجس .

أكان موقفا أمام ما يمليه القدر وتنفذه أياديه . أم موقفا للأمانة ، أم رجولة تدرك أن لا فرار من موت سيكون ؟

إنه الشاعر ابن الستة والعشرين يموت ليؤكد للبراءة مجالا .

سوق الخميس فى بئر السبع

نبيل خالد الأغا

بئر السبع زهرة النقب

وجه مدينة من فلسطين

رحم الله جدى لأمى كان لا يفتأ يذكر ايام المجد فى فلسطين ، ويتذكر املاكه فى « بئر السبع و « الشيخ نوران » .

وقبيل أن يأذن الله بوفاته منذ سبعة اعوام جمع حوله من تواجد من اهله «بالسطر» ثم أملى عليهم نصائحه ووصاياه ، وما لبث أن سلم خالي الأكبر مفتاح بيته القديم فى بئرالسبع . مع شهادتين تثبتان امتلاكه لسبعمائة دونم من أراضى « الشيخ نوران » باقليم بئر السبع . احدى الشهادتين مكتوبة باللغة التركية ومؤرخة بعام ١٨٩٦ ، والأخرى مكتوبة بالانجليزية والعربية والعبرية ومؤرخة فى عام ١٩٢٨ !

لم يذرف جدى دمعة واحدة فى هذا اللقاء الباكى ، ليس لأنه لا يتقن فن البكاء فى مثل هذه المناسبات ، بل لأنه كان صاحب فلسفة ترتكز على ايمانه المطلق بأن الانسان مادام قد استقبل الحياة باكيا عند ولادته فليودعها قانعا .. قانتاً متأهبا لاستقبال الحياة الابدية بنفس موغلة فى رحمة الله عز وجل .

تذكرت هذا الموقف المؤثر وانا متجه من خان يونس الى بئرالسبع ـ عاصمة صحراء النقب ـ عصر يوم رمضاني مبارك .

ولقد حرصنا على اداء صلاة العصر

قلة كثافة السكان فى النقب تسهل اندفاع القوات المصرية

بئر السبع مدينة بناها العثمانيون على طراز حديث

معظم سكان بئر السبع يعودون بأصولهم الأولى إلى غزة والجليل

فى المسجد الكبير بخان يونس لان السائق اخبرنا سلفا بانه لا توجد مساجد فى بئر السبع ، اما المسجد الجامع الذى بنى فيها عام ١٩١٥ فقد حوله الصهاينة الى متحف يضم عدداً من الوثائق التى لها علاقة بتاريخ المنطقة ذاتها !

قال حامد: هذه البوابة التى سنمر منها مقامة على خط الهدنة الذى كان يفصل بين « اسرائيل » وقطاع غزة منذ عام ١٩٤٩ ، وعندما انهزم العرب للمرة الثانية عام ١٩٦٧ ازال اليهود خط الهدنة «وفتحوا البلاد على بعضها» !

وانطلقنا عبر منطقة النقب وسط سهول خصبة شاسعة قد يرى المرء بدايتها لكن من الصعوبة أن يرى النهاية وعلى كلا الجانبين تناثرت المستعمرات اليهودية التى تشبه خلايا الدبابير فى دقة تحركات سكانها وليس فى كثرة عددهم . فالأفراد قليلون جدا فى صحراء النقب وهذه مشكلة عدونا ، لقد كان ضمن اهم اهدافه ــ وما تزال ــ جلب أكبر عدد ممكن من مهاجريه الى فلسطين ، وهو يعتبر النقب افضل مكان لايوائهم نظرا لاتساعه من ناحية (يشكل نصف مساحة فلسطين) ولخلوه تقريبا من السكان من ناحية أخرى . وما القصد من محاولات تحويل مياه نهر الاردن ووادى النيل إلا من اجل استصلاح هذه الاراضى الجرداء كي يحقق اعداؤنا استقلالهم الاقتصادى . ويساهم فى هذا اتصال النقب بالبحر الأحمر عند خليج العقبة ، ووجود ميناء ايلات الاسرائيلى منفذهم الهام جدا الى افريقيا والشرق الاقصى .

الاهمية «السوقية» للنقب

نظرا لأهمية النقب فى تنفيذ الخطط الصهيونية البعيدة المدى فقد حاول اليهود التملك فيه طيلة عهد الانتداب البريطانى لفلسطين (١٩١٦ ــ ١٩٤٨) وساعدتهم حكومة الانتداب على ذلك ، ولكنهم لم يتمكنوا من امتلاك شيء يذكر حتى عام النكبة الأولى حيث استولى اليهود على كافة ارجاء النقب ، ولكنهم لم يتمكنوا من اعماره لقلة فى الماء وقلة فى السكان ولكنه بقى هاجسهم الكبير .. قال دافيد بن جوريون أول رئيس لوزراء «اسرائيل» عام ١٩٥٦ : «فى النقب ترتسم اعظم آمال اليهود ، فاسرائيل الصغيرة لا تستطيع الصبر طويلا على وجود صحراء النقب على وضعها الحالى ، وهى تشكل نصف مساحة اراضيها ! واعمار النقب والسكن فيه ضرورة مطلقة لسلامة اسرائيل وامنها!!

إن فراغ النقب يفزع اعداءنا .. وقد سعوا لتقويته وتحصينه بالخطوط الدفاعية والمستعمرات العسكرية والزراعية لئلا يكون الفراغ سلاحاً اضافياً يشهره العرب ، وبخاصة الجيش المصرى الباسل فى وجه العدو الصهيونى ولو بعد حين .

إن قلة كثافة السكان تسهل اندفاع القوات المصرية وتجعلها تطوى منطقة النقب بسرعة وسهولة لتقف عند القلاع اليهودية الحقيقة فى عمق الوطن المحتل حيث الكثافة السكانية المضاعفة فى وسط فلسطين وشمالها

تاريخ بئر السبع

يرى المؤرخون بأن العمالقة وغيرهم من الكنعانيين هم اقدم ساكنى هذه المنطقة منذ فجر تاريخها ، وقد نزحوا إليها من موطنهم الاصلى فى الجزيرة العربية .

ومن العلامات الفارقة فى تاريخ هذه البلاد ابتداء التبشير بوحدانية الله فيها منذ ما يقرب من أربع آلاف سنة ، حيث نزلها خليل الله ابراهيم عليه السلام واخذ يبشر فيها بأله واحد « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » . وإليه ينسب بناء مدينة بئر السبع التى يقال انه استقر ومؤيدوه الى جوار احد ابارها فانشا فيها أول مسجد عرفته الديار الفلسطينية كما ذكر الطبرى وابن سعد .

وهناك قول بأن المدينة دعيت ببئر السبع نسبة الى وجود سبعة آبار قديمة فيها ، وهذا الرأى اورده ياقوت الحموى وأخذت به الـ نسيكلوبيديا البريطانية .

وفى بلاد بئر السبع رزق الله سيدنا ابراهيم ببكره اسماعيل جد العرب العدنانية . ومن العلامات البارزة فى التاريخ القديم لبلاد بئر السبع أنها كانت تشكل ممرا حيويا لتجارة العالم القديم ، حيث كانت تمر خلالها القوافل العربية حاملة خيرات الهند وافريقية الى غزة ومصر ، وهذا الوضع أدى الى انشاء سلسلة من المدن والمحطات التجارية على طريق القوافل .

وفى اوائل القرن الثالث الميلادى تحولت طرق التجارة فانتهت فترة ازدهار هذه المنطقة .

ومن ناحية أخرى فقد شهدت هذه المنطقة مرور سيدنا يعقوب بن اسحق واهله فى طريقهم الى مصر .

ويقال ايضاً أن سليمان بن داود استقبل فى بئر السبع الملكة بلقيس ملكة سبأ حينما أتت لزيارته من اليمن ،

بئر السبع زهرة النقب

● إنهم محبون للضيف .. كلامهم شرف .. ومتعصبون للدين الإسلامي

والله اعلم .

وحينما فتح المسلمون هذه الديار فى القرن السابع الميلادى عرفت بئر السبع بانها بلدة «عمرو بن العاص» فاتح فلسطين . ويرى بعض المؤرخين بأن قصره المشهور «بقصر عجلان» كان فى البقعة المعروفة حالياً « بخربة عجلان »

بعد تلك الفترة عاشت بئر السبع حياة منعزلة ووحدة فرضتها ظروف عدة مثل تحول طرق التجارة ، وقلة الامطار . وندرة الانتاج . كل هذه الأمور وغيرها ادت الى انكماش بئر السبع ، ولم يعد يسمع بها احد بعد تلك الفترة .

وفى أواخر القرن الماضى اعاد العثمانيون بناءها فى مكان قريب من موقعها القديم الذى يظهر حالياً فى «ارضيات مرصوفة بالفسيفساء ، واساسات وآبار وتلال عليها شقف فخار فى شرقى البلد ، وبعد تأسيسها جعلها العثمانيون مركزا للقضاء الذى دُعي باسمهاويتبع قائمقامها متصرف القدس » كما ورد فى موسوعة «ديارنا فلسطين» .

خلال الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ اتخذ العثمانيون من بئر السبع قاعدة رئيسية لانطلاق جيوشهم المناوئة للانجليز فى مصر . فعبدوا الطرق البرية بينها وبين الخليل من ناحية،وبينها وبين سيناء من ناحية اخرى . وكانت لهم فى تلك الآونة قوة عسكرية ضخمة تتالف من خمسة آلاف محارب بين فرسان ومشاة يتولى قيادتهم الجنرال التركى عصمت بك .

ولما قرر الانجليز فتح فلسطين عام ١٩١٧ دارت معركة حاسمة بينهم وبين القوات العثمانية فى بئر السبع ... ما لبث البريطانيون أن احتلوا المدينة يوم ٣١ تشرين الثانى . وكانت اول مدينة احتلها البريطانيون فى فلسطين ، فكان احتلالها فاتحة شؤم على امتنا العربية الاسلامية ما برحنا نعانى من آثاره حتى اليوم وحتى يأذن الله بنصرنا !

● ● ●

ذكر مؤلفا جغرافية فلسطين ١٩٢٩ «..ليس بخاف أن بئر السبع اليوم مدينة جديدة بناها العثمانيون على طراز حديث حتى اصبحت بانتظامها واتساع

اسرة بدوية

شوارعها لا تضاهيها مدينة فى فلسطين وسورية فهى من هذه الوجهة أكثر شبها بالمدن الأوربية والامريكية منها بالمدن الفلسطينية ، وكان فى النية عند تجديدها ادارة شئون بدو تلك الناحية ونقلهم من طور البداوة الى طور الحضارة » .

والحقيقة أن معظم سكان بئر السبع يعودون بأصولهم الأولى الى مدينتى غزة والخليل ، اضافة الى اعداد قليلة من البدو الذين تحضروا بعد استقرارهم فيها.

ولا غرابة فى ذلك فموقع بئر السبع كحاضرة للصحراء الفلسطينية هو موقع متوسط بالنسبة للمدينتين العريقتين غزة والخليل حيث تبعد كل واحدة منها مسافة ٥٠ كم عن بئر السبع .

ومن أشهر العائلات الغزية والخليلية التى استوطنت بئر السبع قبيل النكبة الفلسطينية : مشتهى وعميدهم المجاهد شفيق مشتهى ، الزميلى وعميدهم هو المجاهد المرحوم الحاج عبد السلام الزميلي ، السيد ، السقا ، التميمى ، القيسى ، الترك ، الطرزى ، البردينى ، المغربى ، الافرنجى ، الجمالى ، الناجى ، الدويك ـ الشرفا .

أما القبائل فهى تمثل الأغلبية العظمى من سكان النقب . وتتمثل فى هذه القبائل جميع الصفات العربية الأصيلة شأنهم فى ذلك شأن جميع الاعراب فى مختلف اصقاع الوطن العربى ، ولذا وجدنا عمر بن الخطاب يوصى مبعوثيه بقوله :« أوصيكم بالاعراب ، فانهم اصل العرب ، ومادة الاسلام ، انهم اخوانكم وعدو عدوكم » .

قبائل بئر السبع

هذا وتوجد فى قضاء بئر السبع عشائر كثيرة إلا انها تنحصر فى القبائل السبع الاتية :

الحناجرة ، الجبارات ، الترابين ، التياها والعزازمة ، السعيديين ، الاحيوات . وحسبنا ان نعطى القارىء الكريم نبذة عن كل قبيلة :

● الحناجرة : ينسبون الى جبل حنجر ، وأكثرهم من «السواركة» ، يسكنون فى المنطقة الشرقية الجنوبية لغزة ، وموطنهم الاصلى بمنطقة العريش والشيخ زويد ، ويقال ان قرية الشيخ زويد دعيت باسمها هذا نسبة لاحد أجدادهم .

وتتالف قبيلة الحناجرة من اربع عشائر هى : ابو مدين .. وشيخ مشايخهم المرحوم الحاج فريح أبو مدين ، وكبيرهم اليوم ولده الشيخ على ابو مدين ، ـالظواهرة ـ الحمدات ، النباهين .

● الجبارات : ينزلون فى الشمال الشرقى من غزة ، وفى الفالوجا ، والمجدل وتربطهم روابط العمومة مع قبيلة الجبور وهى احدى العشائر التى تتالف منها قبيلة «بنى صخر » العريقة فى الاردن ، وقد ذكر القلقشندى بأن بنى صخر بطن من جذام ومساكنهم ببلاد الكرك من الشام . وتتالف قبيلة الجبارات من ١٣ عشيرة منهم : القطاطوة ، الدقس ، التوابته ، القلازين .

● الترابين .. ينزلون غربى القضاء . وتعتبر هذه القبيلة من اغنى القبائل ارضا ، وأكثرها عددا ، ويعودون بأصولهم الاولى الى قبيلة بنى عطية الحجازية المقيمة حاليا فى منطقة تبوك «وقد عرف الترابين بالألفةوالاتحاد ، كما اشتهر بعضهم بجودة الرأى ، والبعض الآخر بالشجاعة والاقدام ، فيقتحمون غمرات الوغى بعزم صادق على نية النصر أو الموت » .

وتتالف قبيلة الترابين من عشرين

● نقطة مواصلات على درجة كبيرة من الأهمية .. الآن!

عشيرة من بينها : ابو ستة ، وشيخهم الكبير هو المرحوم الحاج حسين ابو ستة ، ثم الشهيد عبد الله ابو ستة ـ ابو طعيمه ، ـ ابو الحصين ، ابو شلهوب ، وابو ختله ، ابو بكر ، ابو عمره ، الزريعى الملاحه ، العمور ، ابو معيلق ، ابو غليون ، ابو صعيليك ، الوحيدى ، وعلى رأسهم المرحوم حماد باشا الصوفى ، والشهيد البطل مدحت الوحيدى .

● التياها : وهى اشهر قبائل التيه واقدمها ، ويسكن افرادها بين منطقة الخليل والبحر الميت . وتتألف قبيلة التياها من ٢٦ عشيرة من بينها : الهزيل ومن رجالاتها المعروفين الشيخ سلمان الهزيل ، الافرنجى وعلى رأسهم الحاج حسن الافرنجى ، ابو رقيق ، ابو ربيعة ، ابو كف ، ابو جويعد ، الصانع ، العطاونه ، الرماضين .

● الأحيوات : يقيم اغلب افرادها فى سيناء ، والبقية يقيمون فى الجنوب الفلسطينى ، وفى تقاليدهم انهم من بني عطية المساعيد ، ينتسبون الى مسعود بن هانىء . والمساعيد من بنى مسعود وهم بطن من لخم القحطانية .

● السعيديون : تقع مضاربهم شمالي وادى عربة . وهم اشهر العشائر وأمهرها فى اقتفاء الأثر والتعرف على صاحبه . وهم فرع من قبيلة الحويطات المشهورة فى الاردن . وقبيلتهم تنقسم الى اربع عشائر .

● العزازمة : يقال انهم من قضاعة من حِمْيَر من القحطانيين ، تتألف قبيلتهم من عشر عشائر منها : المحمديين ، الصبيحيين ، المسعوديين ، مريعات . يقطنون جنوبى قضاء بئر السبع ، وفى اراضيهم تقع بعض المواقع التاريخية مثل : الخَلَصَة ، رحيبة ، سبيطة ، عسلوج ، عَبْدَه ، العوجا ، وهى تبعد ٣كم عن الحدود المصرية ـ الفلسطينية ، كانت بريطانيا تنفى فيها احرار فلسطين ، وبعد نكبة العرب فى فلسطين اصبحت مقرا للجنة الهدنة المصرية الاسرائيلية المشتركة .

ادق وصف لسجايا بدو بئر السبع قرأناه لشيخ مؤرخى فلسطين عارف العارف قال « انهم محبون للضيف ، اذكياء ، ولكنهم ليسوا بمتعلمين ، كلامهم شرف ، ولعون بركوب الخيل والهجن ، متعصبون لدينهم الاسلامى وهم شوافع ، الانتقام من اظهر خصالهم ، لايصبرون على ذل ، ولا يقيمون على ضيم ، ثابتون فى حبهم وبغضهم ، لا يقربون الخمر قط ، المرأة محترمة فى أشياء وممتهنة فى أشياء » .

قسم بيع « الحلال » بسوق بئر السبع

سقوط بئر السبع

سبعة مندوبين بريطانيين تولوا حكم فلسطين طوال مدة الانتداب ، كان أولهم هربرت صموئيل احد اقطاب الصهاينة البارزين ، وقد حدث ان زار هذا المندوب بئر السبع عام ١٩٢٣ ، ورغبة منه فى كسب مودة اهلها دعا وجهاء المنطقة لتناول الغداء فى دار الحكومة ، وحضر المدعوون . وعندما وضع الطعام امامهم رفضوا تناوله إلا بشرط اشترطوه على المندوب السامى . ولما سألهم عنه قالوا لـه : ان تأمر فورا بالافراج عن الشيخ شاكر ابى كشك ، وان يشاركنا فى طعامنـا !! واسقط فى يد المندوب .. ولم يملك إلا الافراج عنه ، وكان الشيخ كشك قد اتهم بقيادة بعض المجاهدين ومهاجمته المستعمرات اليهودية المجاورة لمضارب عشيرته .

وفى يوم ١٤ من مايو عام ١٩٤٨ وفى حفل نادر لم تشهد له فلسطين مثيلا تم انزال العلم البريطانى عن دار الحكومة ، وقام المجاهد شفيق مشتهى رئيس بلديةبئر السبع برفع العلم الفلسطينى بدلا منه .

ولكن هذه الفرحة لم تدم طويلا .. فسرعان ما هاجم المدينة خمسة آلاف مقاتل يهودى تدعمهم الطائرات والمدافع الثقيلة ، وتصدى لهم ٢١٦ مقاتلا عربيا نصفهم من اخواننا المصريين ، وظلوا يدافعون عن المدينة حتى نفدت ذخيرتهم ، وسقطت بئر السبع يوم ٢١ من اكتوبر وبسقوطها تمكن اليهود من الاستيلاء على الجنوب الفلسطينى الذى يشكل نصف مساحة فلسطين .

وبعد ما يزيد عن ثلاثين عاما هل لنا أن نسأل عن ماهية دور رجال القبائل والعشائر الاشداء فى الدفاع عن بئر السبع ..!؟

بئر السبع اليوم

اضحت بئر السبع بعد اغتصابها نقطة مواصلات على درجة كبيرة من الأهمية ، لقد دهشنا حينما رأينا الطرق المؤدية اليها والمنطلقة منها والمتشعبة كما ادهشنا اتساع ودقة تنظيم هذه الطرق .

وقد عمد العدو الصهيونى الى تفريغ المنطقة من سكانها البدو الذين عاشوا فيها كابرا عن كابر ، ويوجد فى المدينة اليوم حوالى مائة وخمسين الف نسمة جميعهم من اليهود ، ويعملون فى مشاريع صناعية مختلفة مثل صناعة النسيج وتقطيع الماس والخزف والزجاج وغير ذلك .

ويوجد بالمدينة مقر جامعة «ابن جوريون» المشهورة ، وفرع لكلية

بئر السبع زهرة النقب

● أكثر من مائة مستوطنة أقيمت على أنقاض قرى عربية أخرى!

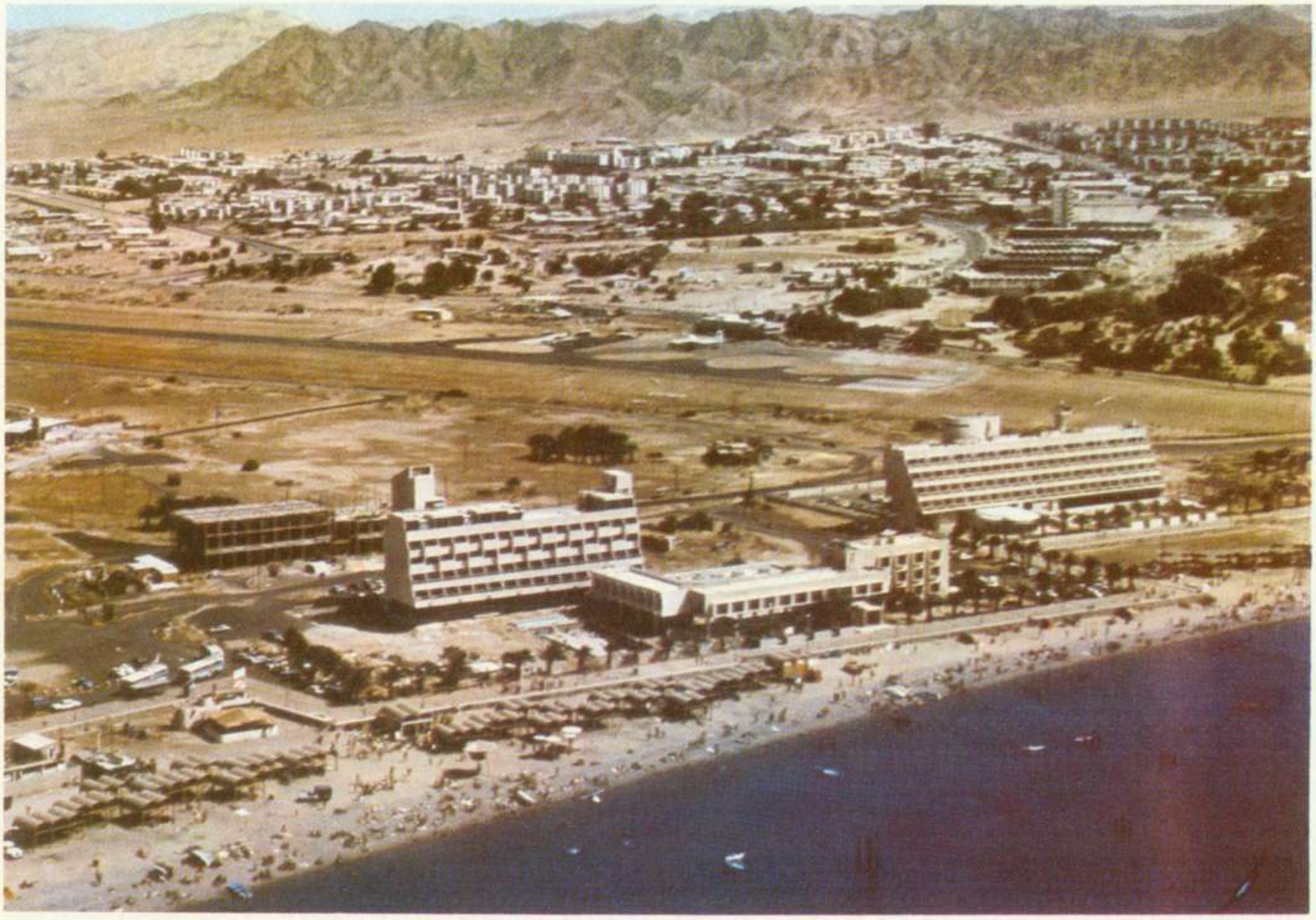

«ام الرشراش» العربية ، اباده الصهاينة ، واقاموا مدينة ايلات على انقاضها .

الهندسة التطبيقية «التخنيون» ومقرها حيفا ، «ومركز ابحاث النقب» الذى يبحث فى الوسائل الحديثة لانماء الموارد الزراعية والمعدنية بالمنطقة والمعروف أن صحراء النقب غنية بالمعادن المختلفة كالكبريت ، والنحاس ، والملح ، والفوسفات ، والبترول ، والمغنيسيوم .. وفيها بعض الفنادق والمتاجر لخدمة السياح الذين يقبلون على شراء الهدايا التذكارية مثل : غلايات القهوة والخناجر المزخرفة ، واسرجة الخيول ، ويعقد فى المدينة كل يوم خميس سوق عام للبدو حيث ياتى الاعراب لبيع بضائعهم وشراء حاجياتهم .

ويوجد بالمدينة كذلك بيت للفنانين اليهود ومسرح وعدة دور للسينما .

● ● ●

لقد انشأ عدونا الصهيونى اكثر من مائة مستوطنة فى قضاء بئر السبع . وقد اقيم جزء كبير منها على انقاض قرى عربية . ومن اهمها :

● ايلات : وقد اقيمت على انقاض قرية «ام الرشراش» العربية على شاطىء خليج العقبة ، ويعتبرها اليهود «حيفا البحر الأحمر» وهى منفذ عدونا للاتصال البحرى بأفريقية وشرقى آسيا ، ومطار ايلات هو ثانى انشط مطارات فلسطين المحتلة بعد مطار اللد . وفى عام ١٩٥٧ انشأ الاعداء خط أنابيب لنقل البترول من ايلات الى مصافى حيفا ماراً ببئر السبع . والحقيقة ان اسرائيل قد نجحت فى جعل ايلات مركزا سياحيا للاستجمام والسباحة وبوجه خاص فى فصل الشتاء واغلب السياح الذين يرتادونها من البلاد الاسكندنافية ويمارسون انواعا شتى من الرياضات المائية .

ويوجد فى ايلات متحف ملاحى وحديقة للحيوانات ، وأكثر من ثلاثين فندقا ، ونسبة امتلائها مرتفعة عن اية

● رفض اليهود أن يدلونا على الطريق

مدينة اخرى فى فلسطيننا المحتلة .

وجدير بالذكر ان ايلات هى المدينة الوحيدة التى لا يمكن لعربى أن يزورها إلا باذن مسبق من الحكومة الصهيونية .

● سدوم : انشئت عام ١٩٣٤ فى جنوب البحر الميت ، وهى تنخفض عن سطح البحر بمقدار ٤٠٠ متر تقريبا ، وهى مركز مهم لاستخراج البوتاس والبروميد والملح وكلورايد المغنيزيوم ، وتعتبر اسرائيل ثالث دولة فى العالم فى انتاج البروم بعد الولايات المتحدة وبريطانيا !

● ديمونة : انشئت عام ١٩٥٥ ، والمعلومات عنها قليلة جدا لأن العدو

ممنوع على العرب زيارة إيلات بدون إذن مسبق من الحكومة الصهيونية

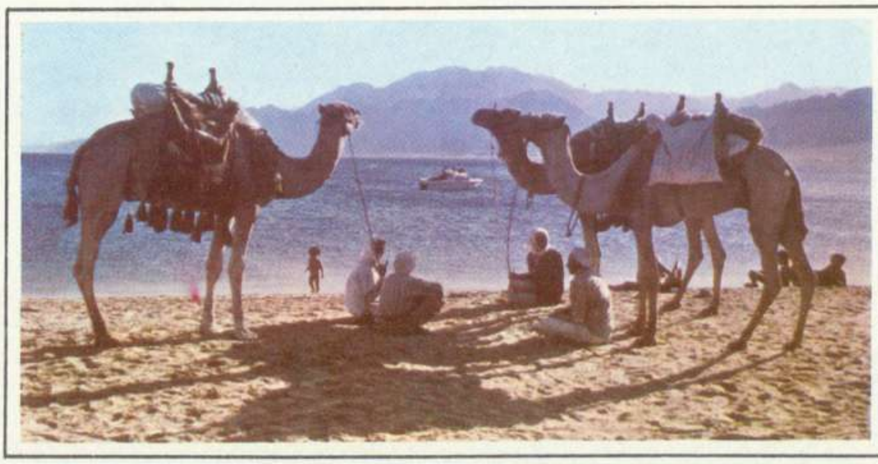

جانب من خليج العقبة

بدوية تنسج سجادة

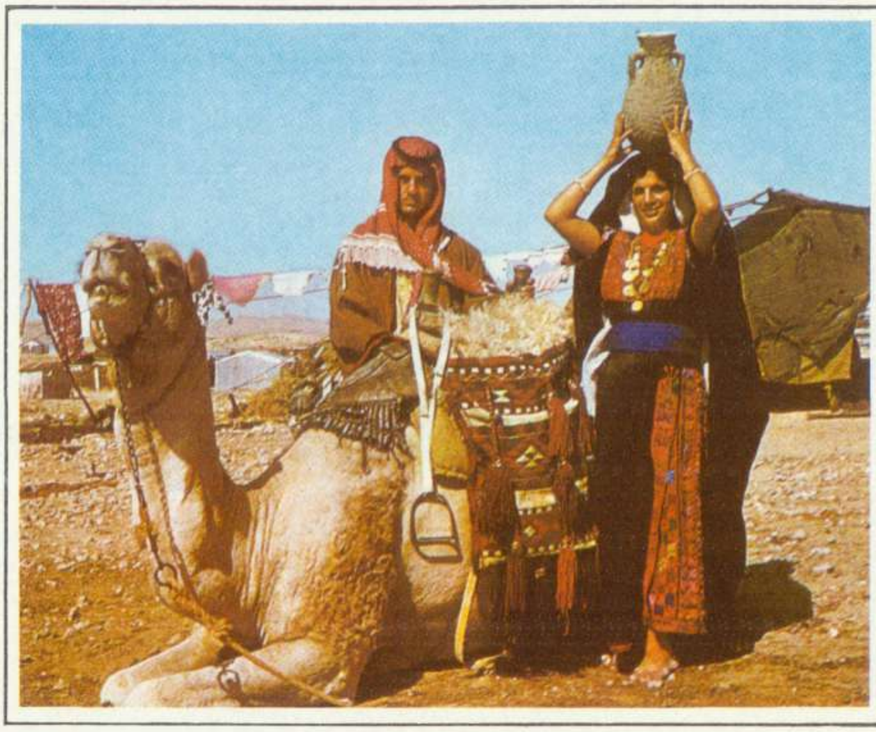

بدوي وزوجته في أبهى حللهما باقليم بئر السبع

يحيطها بسرية تامة وشاملة ، فهى مستعمرة المفاعلات الذرية اليهودية ، انها باختصار « مستعمرة الحياة أو الموت » بالنسبة لاسرائيل .. والمعروف أن العدو قد انتج فى ديمونة ١٣ قنبلة ذرية ويقال ١٨ قنبلة ، ويقال غير ذلك .. والله اعلم ... والعدو !!

انتوينا العودة الى خان يونس بعد أن مكثنا عدة ساعات فى حاضرة النقب ، واسقط فى يد حامد ، فلم يهتد الى منفذ المدينة الخارجى ، وأخذ يدور بنا على غير هدى ، فقادنا هذا اللاهدى الى منطقة سكن شعبية ، وفى احد الشوارع الخلفية سمعنا ضجة وضوضاء ، فاخذنا حامد على مقربة منها فرأينا عائلتين يهوديتين ملتحمتين فى عراك بالايدى والعصى والحجارة واطباق الطعام وطناجره . وبعد بضع دقائق ناشدنا حامدا ان يذهب بنا بعيداً تحسبا لوقوع أمر لا تحمد عاقبته ،وكان اخر مشهد سجلته حدقات عيوننا هو وقوع حلة طعام فارغة على رأس احدى السيدات اليهوديات !

أما المقذوفات الكلامية المتبادلة بين الطرفين من شتم وسب وتهديد وتقريظ فحدث عنها ولا حرج ، فقد ترجم لنا حامد شيئا منها ، ولما قارنتها ببعض شتائمنا ـ نحن العرب ـ وجدتنا أكثر «حضارة» «وأكثر رقيا» فى «عالم الشتائم» ـ فقط ـ من اليهود !!

ورجعنا نبحث عن منفذ المدينة من جديد فلم نهتد بيسر ، واضطر حامد أن يسأل بعض اليهود ، فظهر لؤمهم على حقيقته حين رفض أربعة افراد منهم ارشادنا ، منهم من تظاهر بعدم المعرفة ، ومنهم من اراد معرفة هويتنا ولماذا حضرنا ، واين كنا .. واخيرا هدانا الله الى صالون للحلاقة لنسأل صاحبه ، وعرفنا فيما بعد أنه يهودى مغربى فارشدنا الى الطريق العام .

وفيما نحن عائدون أخذ نائل يردد بعضاً من قصيدة الدكتور غازى القصيبى التى يقول فيها :

● .. أريد أن أغنى
اغنية حزينه
كمشية الغروب في شوارع المدينه
كنظرة فى مقلة الحب الذى تهزمه الضغينـــه
احس حزناً فى دمى . .
ينبع من نافورة دفينه
نموت نحن يا رفاق !
نموت دون لحظتين للوداع والعناق
نضرب فى ليل الفراق للوداع والعناق
وتنتهى احلامنا .. أشواقنا .. اسرارنا الثمينـــــة .
كخطوة على الرمال
تمضغها الصحراء فى السكينة

نبيل خالد الأغـــا

كمال سعد

جزيرة الأحلام

في أسبانيا

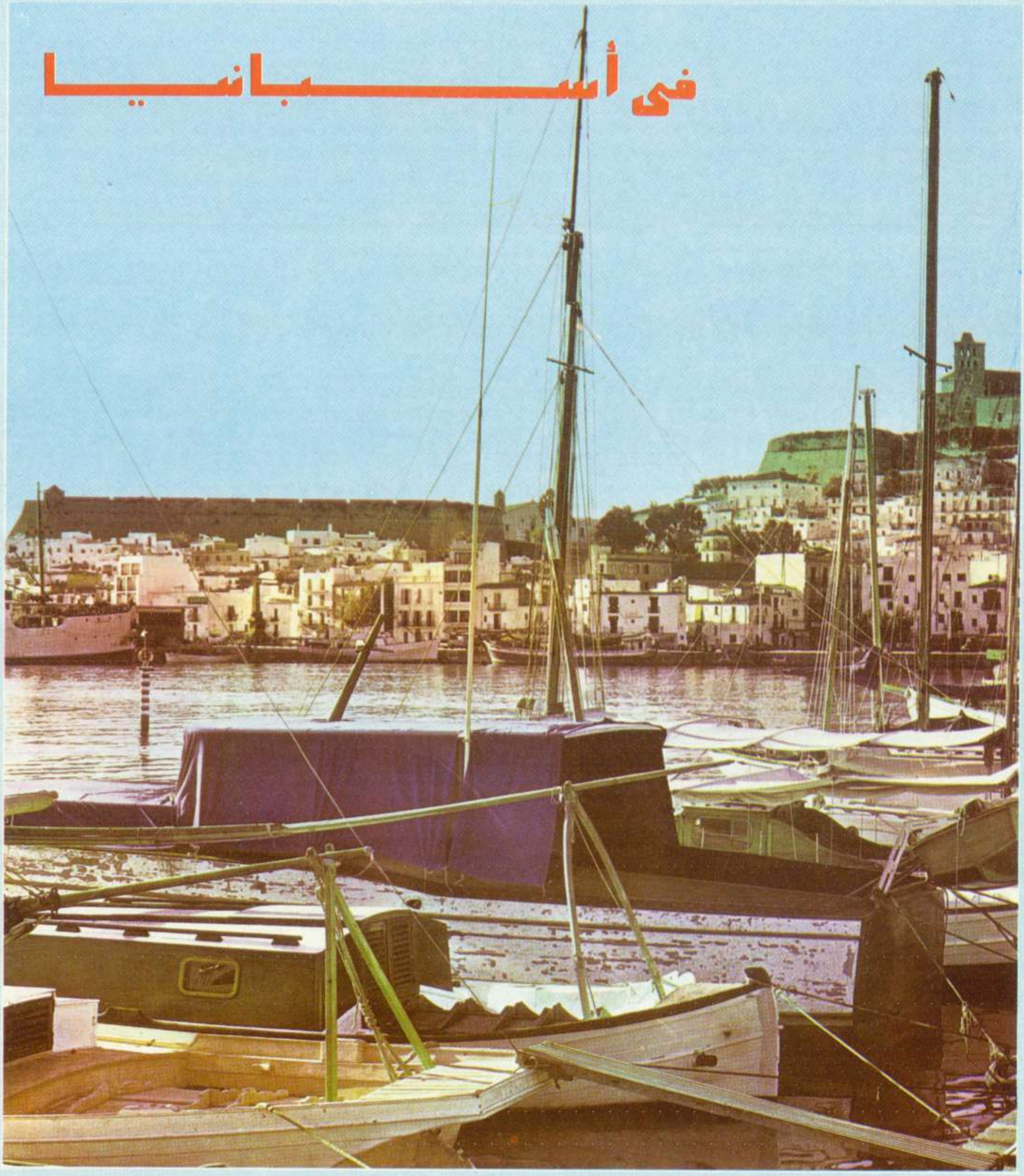

رغم أننى كنت متاكدا من زيارتى لجزر الكنارى بمجرد أن تطأ أقدامى الاراضى الاسبانية ، فمع الاسف لم تتحقق تلك الأمنية بالنسبة لي حتى يومنا هذا ، بل ووجدت نفسى عندما زرت اسبانيا وأنا غير قادر على تحقيق هذه الأمنية بأى شكل من الإشكال !

وقد سبق أن رأيت هذه الجزر من بعيد كبقعة صغيرة .. وكان ذلك عندما قمت برحلة الى الصحراء الغربية ، انطلقت اليها فى طائرة صغيرة من نواكشوط بموريتانيا ، لأصل الى وادى الذهب ، واقف على ساحل المحيط الاطلسى متأملا الافق الممتد الى ما لا نهاية ، وليدلنى مرافقى على الاتجاه الذى استطيع أن اوجه إليه المنظار المكبر وأرى من خلاله موقع جزر الكنارى

وعندما ذهبت الى اسبانيا لاقضى بها أياما وجيزة ، وجدت اهتمامي كله يتحول نحو الساحل الشرقى – أى الى ساحل البحر الابيض المتوسط – بما فيه من مدن اندلسية وحكايات لا تنضب عن انتصارات العرب وهزائمهم وآثارهم التى مازالت باقية كشاهد يعطينا العبرة من احداث التاريخ ، ويدلنا على الاسباب التى تجعل حضارة الشعوب تزدهر ثم تنهار !

ولهذا هجرت فكرة الذهاب الى جزر الكنارى ، خاصة بعد ان قالوا لى أنها بعيدة من مكان تواجدى .. قالوا ذلك وهم يبدون دهشتهم من تأثرى مثل كل السياح بالدعايات المتكررة عن تلك الجزر ، رغم ان جزيرة «إيبيتسة» الاسبانية النائمة فى قلب مياه البحر الابيض المتوسط أجمل وأرق وأكثر اثارة من أى مكان فى اسبانيا ، فهم يسمونها جزيرة الأحلام ، وايضا جزيرة الفنانين ، لأن أكثر روادها من الرسامين الذين جاءوا من مناطق متفرقة من العالم ليعانقوا الطبيعة ويحولوا معجزاتها الى لوحات تنبض بالحياة والدفء والألوان المتشابكة ذات النغم المتصاعد !

وعندئذ قررت – فعلا – أن أؤجل رحلتى الى جزر الكنارى ، وان اذهب الى « إيبيتسة » جزيرة الاحلام ، لعلنى أجد فيها ما قاله الشاعر الاندلسى ذات يوم :

كساه الأصيل ثياب الضنى
فحل طبيب الدياجى لديه
وجاء النسيم له عائدا
فقام له لاثما معطفيه

على هامش الرحلة

وهناك ثلاث مدن عربية اندلسية يمكنك ان تنطلق منها الى جزيرة إيبيتسة ، فكل تلك المدن تقع على ساحل البحر ، وتعتبر من أجمل مناطق الدنيا ..

المدينة الاولى هى « لقنت » التى تحفها جبال شامخة ، تترامى تحتها سهول جميلة ، ظلت فى ايدى العرب منذ فتح الاندلس ، الى أن سقطت فى القرن الثالث عشر فى ايدى جنود الملك خايمى الملقب بالفاتح !

والمدينة الثانية هى « دانية » التى استقل بها مجاهد العامرى فى القرن الحادى عشر وجعل منها مملكة مستقلة فى عهد ملوك الطوائف ، وجهز على سواحلها أقوى اسطول عربى إعتمد عليه فى غزو جزيرة « إيبيتسة » وجزر البليار المجاورة لها ، وضمها الى مملكته ،

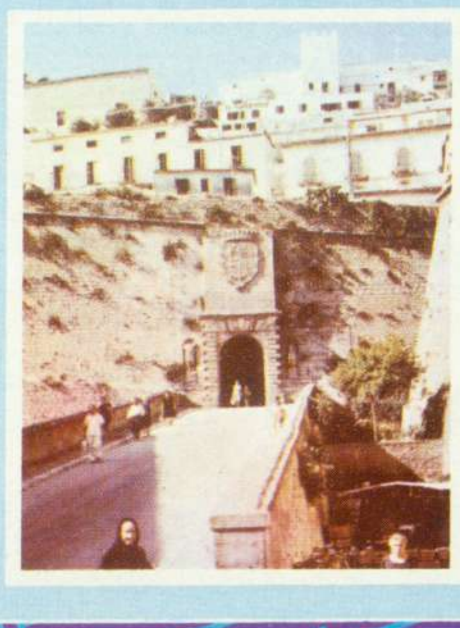

ليتجول عقب ذلك بأسطوله المنتصر فى معظم شواطىء البحر الابيض المتوسط مستعرضا فتوته وإمكانياته التى فاقت كل الحدود !

وبين المدينتين بالطبع ، هناك ثالث مدينة فى اسبانيا بعد مدريد ولشبونة ، وهى مدينة « بلنسية » التى اشتهرت فى ايام العرب بأبراجها الحصينة وبساتينها الغناء ، واصبحت الآن من أجمل مدن الساحل !

وانا عن نفسى ، ذهبت الى الجزيرة عن طريق مدينة بلنسية ، ذات الماضى العريق ، والتى خرجت أول مرة من يد العرب فى القرن الحادى عشر ، عندما استولى عليها القائد الاسبانى « السيد القنبيطور » ليموت بعد خمس سنوات من انتصاره ، وليستردها المرابطون بعد ثلاث سنوات من وفاته ، ولتعود مرة أخرى الى الافرنج بعد ١٨ سنة من استردادها على يد المحارب « رذمير » الاسبانى ، ثم يستردها القائد العربى تاشفين بن على ، لتخرج فى القرن الثالث عشر نهائيا من يد العرب على يد الملك الارغوانى « خايمى الأول » !

وعندما تجولت فى بلنسية بشوارعها الأنيقة وشاطئها المزدحم بالناس وصور الجمال ، تذكرت شاعرها أبى عبد الله بن الأبار القضاعى الذى ارسله الأمير زيان برسالة يطلب فيها النجدة من والى افريقيا أبى زكريا أبى حفص ، وما كاد يقف الشاعر أمام الملك حتى نسي الرسالة وبدأ ينشد قصيدة طويلة ، كان من بين ابياتها :

تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم
إلا عقائلها المحجوبة الأنسا
وفى بلنسية منها وقرطبة
ماينسف النفس أو ماينزف النفسا
مدائن حلها الأشراك مبتسما
يالمساجد عادت للعدا بيعا
وللنداء غدا اثناءها جرسا

واهاب فى نفس القصيدة بالملك ان يعينه بالزاد والرجال وينقذ سنن الدين الحنيف من الخطر المحدق بها

جزيرة الأحلام

.. وتهز القصيدة وجدان الملك ومشاعره فيبادر الى العون بشحن الاساطيل بالمال والغذاء والملابس ، ولكن بعد فوات الأوان ، فقد كان الحصار حول المدينة محكما لدرجة حالت دون وصول العون !

وقد ظل شعراء بلنسية يبكونها بعد الهزيمة بكلمات مليئة بالأسى والعتمة الكئيبة ، التى هزنى منها ابيات الشاعر الاندلسى بن الأبار وهو يرثى أمته بكلمات مازال دويها يملأ افواهنا بمرارة الحدث وفداحة المصاب:

بالأمس كانوا ملوكا فى منازلهم
واليوم فى بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم
لهالك الأمر واستهوتك أحزان
يارب أم طفل حيل بينهما
كما تفرق ارواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت
كأنما هى ياقوت ومرجان
يقودها الفاجر للمكروه مكرهة
والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد
ان كان فى القلب اسلام وايمان

الماضى البعيد

المهم .. أترك مدينة بلنسية الى جزيرة إيبيتسة التى خيل لى بمجرد دخولها كما لو كانت حديقة من النرجس ترفع لواء الحسن للنظار ..

وهذه الجزيرة كانت مع جزيرة «فورمنتيرا» تعرفان فى سالف الازمان بأسم «بتيوساس» ، إلى ان عبرت فوق اراضيها أعداد هائلة من الجنسيات المختلفة ، فأدى ذلك الى التطور الذى حدث فى نطق مقاطع اسمها ، فالاغريق أسموها « إيبيوسوس » واهل قرطاجة

اسموها « إيبوزيم » والرومان اسموها « ايبوسوس » واهل ايبريا أسموها «أيفيس» أما العرب فأسموها « إيبيتسة» وهو الاسم الذى ظل لاصقا بها حتى يومنا هذا !

ورغم ان هناك من يقول ان الجزيرة كانت مأهولة بالسكان قبل وصول القرطاجنيين، إلا انه لا خلاف حول الحقيقة القائلة بأنهم انشأوا أول مدينة فوقها فى عام ٦٥٤ قبل الميلاد ، أى بعد قرن ونصف من قيام حكومة قرطاجنة!

ومازال متحف المدينة الحالى يضم أثار قيمة من ذلك العهد القرطاجنى ، تمثل اثمن المقتنيات ، فهى تعود الى ايام القائد « حينبعل » الذى بدأ الحروب الفينيقية الثانية واستولى خلالها على شرق اسبانيا ودخل فرنسا وعبر جبال الألب وكاد ان يصل الى روما لولا اضطراره للانسحاب لحماية قرطاجنة التى كانت تهددها جيوش القائد الرومانى « شيبيون الأكبر » الذى ادى انتصاره الى بداية أفول نجم قرطاجنة والى موت القائد القرطاجنى « حينبعل » مسموماً فى انطاكيا !

وقد استقر الرومان بالجزيرة فترة طويلة ، وأقاموا فيها نظاما اتحاديا بعد ان ضموا اليها جزيرة فور منتيرا ، واستغلوا تواجدهم فوق أرضها فى استخراج الرصاص من مناجم سان كارلوس والسالينياس !

وبعد غزو مجموعات من جحافل البيزنطيين للجزيرة ، دخلها العرب فى عام ٧١١ ميلادية ، واستقروا فوقها حتى عام ١٢٣٥ ميلادية ، وهو العام الذى تم فيه ضمها الى التاج الارجوانى !

وأدى بقاء العرب بهذه الجزيرة طوال ستة قرون الى تحويلها الى جنة اندلسية لا مثيل لها ، تحفها اسوار وابواب وتنتشر فيها الابراج العالية والقلاع والحصون والقصور .. فقد اصبحت فوقها موجة متدفقة من الحياة ينطبق عليها قول الشاعر الاندلسى :

يا أهل اندلس ، للـه دركمو
ماء ، وظل ، وانهار ، واشجار
ماجعة الخلد إلا فى دياركمو
ولو تخيرت هذى كنت اختار

غير أن هذه الجنة سرعان ما تم تدميرها نهائياً بفعل الحروب وحقد القلوب المتعصبة ، واصبحت المدينة العربية مدفونة الآن تماماً فى باطن الجزيرة بعد ان قامت فوق انقاضها مدينة جديدة محت كل ماله علاقة بأحداث الماضى العربى البعيد !

خليط إنسانى

عندما نتأمل عاصمة الجزيرة نجدها ذات طابع معمارى محدد المعالم ، تدركة العين بمجرد الرؤيا .. وأحياؤها السكنية بعضها عصرى بمحاذاة الساحل وفى سفح الجبل ، والآخر قديم فى منطقة يسمونها « دالت فيلا » تحتل المرتفعات وتتلاصق بيوتها المشيدة منذ اربعة قرون ، فتبدو وكأنها سور عظيم ابدع الفنان تصميمه وجعله

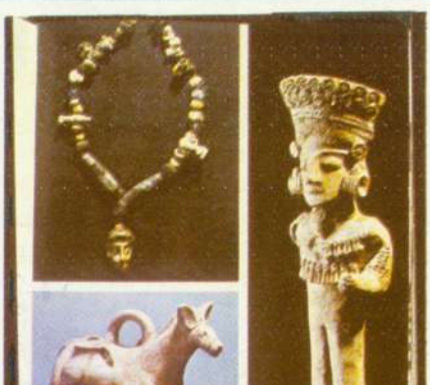

سيمفونية رائعة من الظل والنور ، ساعدت على تجسيد جمال الكتل المعمارية ، وإبراز روعة اللون الأبيض فى المبانى المتعانقة مع ضوء الشمس فى عز النهار وخضرة المناطق المزروعة فى الجبال !

ومدينة « ايبيستة » تقدم نفسها اليك دائما من خلال ذلك الخليط الانسانى الذى يجمع بين وافدين من كافة انحاء الدنيا وبين سكان الجزيرة الاصليين !

والتناقض بين القديم والجديد ، أو بين الاصالة والحداثة تراه بوضوح فى شوارع المدينة حيث يتمسك أهل الجزيرة بزيهم القومى ويرفضون التعامل مع الازياء المعاصرة لخوفهم من قضائها على ما أكتسبوه من تقاليد وعادات .

ولايعنى ذلك ان سكان الجزيرة ينظرون بالدهشة لكل من لا يرتدى أزياءهم ، فهم يحترمون كل عادة تأتيهم من الخارج ، إلا انهم لا يسمحون لأحد بأن يقتلعهم من اقدامهم ، أى من جذور التراث الذى توارثوه أباً عن جد !

وعلى ساحل المدينة ، أو فى الحى البحرى الممتد داخل المياه على صورة لسان طويل به شوارع غير منتظمة وضيقة ، تدب الحياة وتنشط الحركة فى المخازن والفنادق ومحلات الملابس الجاهزة ودور السينما ، وستجد مبان نحتها البحر على الشاطىء فأصبحت بمضى الزمن ، تبدو فى قلب البحر كما لو كانت مقدمة سفينة غارقة !

وفى المنطقة المتاخمة للميناء ، والمسماه « لا بينا » ستبهرك الاضواء العجيبة ، وسيروى لك الناس البسطاء حكايات لا أول لها ولا آخر عن الدفاع المستميت الذى قام به السكان وقت أن كانت الجزيرة نهباً للقراصنة فى القرن الماضى !

جزيرة الأحلام

وفى الطريق العلوى الممتد من الميناء ، ستجد بناية فاخرة للنادى البحرى ، تستطيع من اعلاها أن تتطلع الى حوض بناء السفن وحركة رواد الشاطىء الراقدين فوق الرمال فى احضان العراقة والتاريخ الماثل فى الأذهان !

اختلاف الألوان

وإذا ما تجولت فوق الجزيرة ، فستشعر بأن كل بقعة فيها تعطى لونا مختلفاً من الوحى والالهام ..

ولكى تملأ نفسك بنوع من الاحساس الملىء بالحيوية والنشاط ، عليك ان تتأمل واجهات البنايات وهى تعكس ألوان الطيف وقت تغير درجات ضوء الشمس ، أو تجتاز الجزء المسور من المدينة الذى أعيد بناؤه فى القرن السادس عشر بأمر من شارل الخامس ، واقيم فوق اساسات قديمة عربية ، واصبحت مبانيه البيضاء ذات الفن القوطى ، تكون شكلا غير منتظم ، سباعى الزوايا ، يواجه البحر فى شموخ، ويدافع عن نفسه بسبعة حصون ، ويعلو من قلبه برج رشيق للكاتدرائية الأسبانية !

وفى اكبر شوارع العاصمة واوسعها وهو شارع هانيبال ، يمكنك أن تذوب وسط الجنسيات المختلفة وخليط الأزياء وجنون جماعات الهيبيز الذين تدفقوا الى الشارع واندمجوا فى فوضى وسط الزحام !

وعند اجتيازك لشوارع منطقة «بيردو» الساحرة ، ستصل الى ميدان الاسبان بشرفاته الاستراتيجية التى تطل على البحر واشجار الصنوبر المتناثرة التى يخيل إليك أنها تقوم بالحراسة على جانبى الطريق !

وعلى مقربة من الميدان ستجد كنيسة أثرية إسمها « سانت دومينجو » ، بنيت فى القرن السادس عشر ، وملحق بها دير للرهبان ، ولها قاعة رحيبة مغطاة بالقيشانى ، وتبدو من بعيد كبقعة بيضاء فى الهواء الطلق !

والى جوار الميدان يمكنك أن تزور متحف الآثار القديمة الذى يقدم لنا عالماً مثيرا مرت جحافله من هنا .. ومحتويات المتحف لا تدفعنا فقط الى رؤية الروح الفنية لكل عصر، ولكنها تثير فى وجداننا الذكريات والاشجان الدفينة، وتجعلنا شغوفين باختراق ذلك الجدار الغامض المتسبب فى حيرة الانسان بين البراءة والخبث ، والحب والكره ، والخير والشر ، والحزن والسرور !

وكل قاعات المتحف مليئة بالعناصر البالغة الأهمية ، فهى الى جوار احتوائها على كنوز الفن غير العادية فى العصرين القرطاجنى والرومانى ، فهى تقدم لنا نماذج عديدة من العقود والأحجبة والتمائم ، والمرايا والاكتشافات الطبية وقطع السيراميك وادوات الصيد وغيرها !

اما متحف الفن المعاصر فى المدينة ، بما يحتوى من كنوز تمثل كافة الاتجاهات الحديثة ، فهو يضم لوحات لفنانين زاروا الجزيرة وعاشوا فى فردوسها ليقدموا هذا النشاط الخلاق ، ويضم ايضا لوحات لأهم فنانى حوض البحر الابيض المتوسط !

ليل الجزيرة

والواقع ان مدينة إيبيتسه تحولت فى السنوات الاخيرة امام نفوذ السياح الى مدينة عصرية ، مفتوحة ، لا رقابة فوقها ولا نفوذ إلا للجمال ..

فهى بوجهها الابيض المتميز تبدو كبقعة مضيئة محاطة بزرقة البحر وخضرة الحقول وضحكات القلوب الخالية التى تمرح فوق الرمال وتغسل همومها فى مياه البحر بعيدا عن عيون الفضوليين !

والغريب ان معظم الفنانين الذين وصلوا الى الجزيرة رفضوا مغادرتها ، واقاموا داخلها عالماً خاصاً بهم ، بعيدا عن مشاغل الحياة وما خلقته المدن الصناعية من علاقات متشابكة غاية فى التعقيد والملل ! .

ولا أدرى لماذا وضعوا فى قلب متنزه المدينة تمثالا لقائد من اصل الجزيرة إسمه « فارا ديل رى » كتبوا تحته : مات موتا بطوليا فى عام ١٨٩٨ وهو يدافع عن «الكانى» فى كوبا (.؟!) .

غير ان ذلك المتنزه غاية فى الجمال بما يضم من اشجار متراصة وزهور متناسقة ..

وعندما يأتى المساء ، فان كهوف الجزيرة وملاهيها تنشط وتفتح ابوابها ، ليتصاعد منها الصوت الغجرى المفعم بعبارات الحزن ، المعبرة عن الانسان التائه فى كل مكان.. ولنرى ايضا راقصة الفلامنكو المحمومة ، القوية الحركات ، التى تدق الأرض بأقدامها وكأنها تتحدى الخوف والقهر وكل اعداء فن الحياة !

وقد تلتقى بانسان مثلى فى نهاية الليل ، يجلس على الشاطىء ، ويرنو ببصره الى المياه التى تصل الى شاطىء مدينة «بلنسية» ذات التاريخ العربى المجيد .. قد تلتقى به متذكرا عبر الامواج ماصنعه قائد الافرنج «القنبيطور» منذ سبعة قرون عندما استولى على المدينة ، فوقتها لم يجد القائد الدموى رمزا يقدمه لساحه الاعدام غير العدل ، فقد احرق قاضيها « ابن الجحاف » ليزرع الرعب فى قلوب السكان .. ومن وقتها اصبح العدل شهيدا ، واصبح الانسان يبحث عن موطن يهجع اليه من اوجاع النهار وقسوة الليل ..وقد يجد هذا المهجع فى جزيرة « إيبيتسه » أو فى أى مكان آخر ، يبعده عن صراع الانسان الدامى وجشعه وتعذيبه لنفسه بارادته وبكل مايملك من قوى عقلية !

كمال سعد

سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى فى احتفالات الجامعة

احتفالات الجامعة

مسئولية تكوين الكفاءات العلمية

من المسلمات ان التنمية الشاملة التى ننشدها لمجتمعنا العربى الاسلامى تتطلب ، فى عصرنا الذى تقوم حضاراته على العلم ، الأخذ بأسبابه فى كل الميادين وفى سائر جوانب الحياة . ولا ريب أن هذا المطلب يضع مسئولية كبيرة على عاتق التعليم الجامعى فى بلادنا جميعا لأنه المنوط فيها بتكوين الكفاءات العلمية اللازمة للمعاونة على تحقيق تلك التنمية . ويزيد فى اهمية تلك المسئولية انه اصبح من الضرورات الحتمية ان نضع حدا لقصر اعتمادنا ، فى نقل العلم والتكنولوجيا الحديثة إلينا ، على العقول الاجنبية . وان الأوان لبذل قصارى جهدنا للعمل على اعداد قدرات عالية من بين ابناء مجتمعنا العربى الاسلامى للمشاركة فى تنمية هذا المجتمع على نحو يؤمن له افضل صور الحياة العصرية المتطورة ، وفق مبادىء ديننا الحنيف الذى نستمسك كل الاستمساك باهداب تعاليمه السامية ونعتز كل الاعتزاز بقيمه الرفيعة وبمثله العليا النبيلة

من كلمة سمو أمير البلاد المفدى فى حفل تخريج الدفعة الرابعة من جامعة قطر

د. محمد إبراهيم كاظم

ما معنى تخريج دفعة جديدة من جامعة قطر

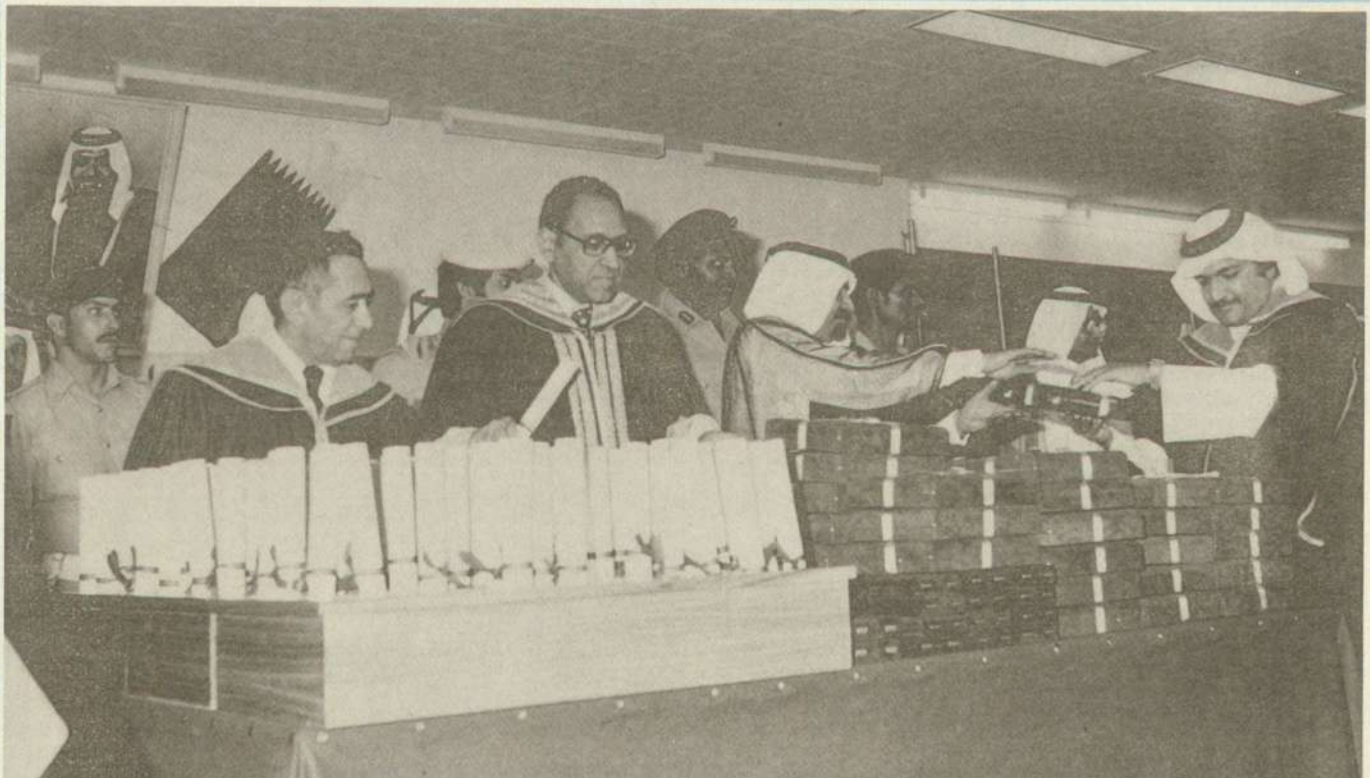

إن تخريج دفعة جديدة من جامعة قطر لا يعنى إنتهاء عام دراسى ، بقدر ما يعنى إستمرار المسيرة من اجل التطوير والتقدم .. فالجامعة خط فعال وتحرك دائم وروح وثابة ، تعتمد فى تحركها بالضرورة على سرعة واتجاه وتخطيط حكيم ورعاية دائبة .. ولذا فان المعنى الحقيقى لتخريج دفعة جديدة من جامعة قطر هو أن الجامعة استطاعت ـ وتستطيع ـ أن تمنحنا هذا المستوى العلمى المتقدم ، وانها قادرة بما لديها من طموحات على إعطاء الجيل الذى سيساهم فى دعم قواعد التقدم الاجتماعى ودفع مسيرة هذا التقدم الى الامام ..

فالتعليم العصرى لابد أن يحقق إنتماء المجتمع الى العصر ، والجامعة الجيدة لا يمكن أن تفصل اهدافها عن اهداف المجتمع ، بل وانا أرى أن من واجب الجامعة أن تدعو المجتمع الى ارضها ليرى الناس إلى اين تسير وكيف تفكر ، بل ولابد أن تكون منبرا للناس لا يستمعون إليه فقط ، بل يشاركون فيه ايضا .. كما أن من أولى واجبات الجامعة أن تتواجد فى كل موقع ببرامجها وبحوثها وفكرها وخبرة اساتذتها واهتمام طلابها ونشاطاتها المتعددة .. اى أن تكون شعلة من الحيوية والنشاط والبناء فى هذا المجتمع ..

لقد مرت من عمر جامعتنا الفتية سبع سنوات كانت ذات ثمرات يانعات ، فتخرجت خلالها ثلاث دفعات من خيرة شبابنا ، وها نحن اليوم نشهد تخريج الدفعة الرابعة التى نعقد أمالاكبيرة على لحاقها بسابقاتها لمشاركتنا فى خدمة شعبنا العزيز والاسهام معنا فى تحقيق ما نرجوه لوطننا الغالى من تقدم وازدهار .

من كلمة سمو أمير البلاد المفدى فى احتفالات الجامعة

من أول واجبات الجامعة أن تتواجد فى كل موقع ببرامجها وبحوثها وفكرها وخبرة الأساتذة واهتمام الطلاب

أهداف جامعة قطر تنحصر فى المشاركة فى قيادة حركة التغيير الاجتماعى .. وفى أقل فترة ممكنة

وإذا ما تحدثنا عن مؤشرات التخرج ، لوجدنا أن الجامعة قدمت أكبر عدد من الخريجين فى هذا العام ، حيث بلغ عدد خريجى الدفعة الرابعة ٣٢٨ طالب وطالبة فى التخصصات المختلفة ، أى بزيادة قدرها ٣٠٪ عن الماضى الماضى ..

وقد استطاعت الجامعة خلال الأعوام الماضية أن تتشعب فى برامجها وتتشعب فى نوعيات خريجيها ، وان تنظر الى التعليم الجامعى باعتباره عمل وظيفى متكامل ، ومجتمع قائم بذاته ، يرتبط بالمجتمع القطرى والخليجى والعربى والاسلامى ، وينبع من ماض عريق له جذور وتاريخ وتراث ، ويتحرك الى المستقبل بامال واهداف وغايات غالية ..

ولو أردنا ان نلخص اهداف جامعة قطر ، لوجدناها ـ أولا ـ تنحصر فى المشاركة فى قيادة حركة التغيير الاجتماعى ذاته ، وفى أقل فترة ممكنة ، ففى الماضى كنا نقول من سار على الدرب وصل ، أما فى الوقت الحالى فاننا نضيف لتلك العبارة شرطا هو أن يكون السير على الدرب بسرعة تتناسب مع سرعة الآخرين حتى لا نجد انفسنا فجاة ونحن نقف وحدنا .

والهدف الثانى للجامعة ، هو ضرورة الا نسمح لانفسنا بفصل الخريجين عن جسد المجتمع ككل حتى لا تتفاقم الفجوة بين الاجيال بل يجب ان نوطد نسيج هذا المجتمع وندعم صلته القوية ببعضه البعض ...

أما الهدف الثالث للجامعة ، فهو توفير الكوادر التى يحتاجها المجتمع ، بشرط أن تكون على أعلى درجة من الكفاية والقدرة والعطاء ، فالمسالة ليست شهادة أو حفظ مجموعة من المعانى او الاطلاع على عدد من الكتب أو الاستماع الى المحاضرات ، ولكن لابد من تخريج الجامعى القادر على المشاركة فى مجتمعه بصورة فعالة ..

والواقع ان نظام التعليم فى قطر يعتمد على التنوع والتشعب ومراعاة التخصصات الملائمة للبيئة واحتياجاتها ، فعندما وجدنا مثلا أن المجتمع فى حاجة الى تخصص التخطيط العمرانى وتخطيط المدن أنشأنا هذا التخصص .. وبالعكس عندما وجدنا أن برامج المواد الاجتماعية بصفة عامة متوفرة فى المجتمع باكثر من حاجته ، أوقفنا التوسع فيها ، وركزنا على تخصصات اخرى مطلوبة فى المجتمع كالمكتبات والصحافة واللغة العربية ، كما انشانا فى قسم الاقتصاد المنزلى تخصصا فى الطفولة وآخر فى التغذية .. وهذا بالاضافة الى إعتزازنا بانشاء برنامج للتعليم الابتدائى على مستوى البكالوريوس فى التربية للمتخصصين فى التعليم الابتدائى ، وفى هذا العام تم تخريج الدفعة الأولى من هؤلاء المتخصصين ..

وكان لابد ان نسعى الى ان يكون العنصر القطرى كمفهوم وفكر وافراد ، له دور بارز فى ادارة الجامعة ، وكان نتيجة ذلك أن أصبحنا نعتز بأن إدارة جامعة قطر مقطرة إلى درجة كبيرة ، بل وربما هى أكثر الادارات فى الدولة من حيث عدد القطريين على مستوى الوظائف القيادية والوظائف الاخرى .. أما بالنسبة إلى عضوية هيئة التدريس ، فهناك برنامج مدروس ، بدأت نتيجته هذا العام بوجود خمسة قطريين من حملة الدكتوراه ، وخلال عامين سيرتفع رقم الحاصلين على الدكتوراه من القطريين إلى عشرين ، ونامل فى منتصف الثمانينات ان يكون نصف أعداد هيئة التدريس فى جامعة قطر من القطريين ..

وفى عام ١٩٨٢ سننتقل الى الحرم الجامعى الجديد ، الذى تتعاون كل أجهزة الدولة فى استكمال مبانيه فى الوقت المحدد ، ووقتها نتمنى ان نكون قد وفقنا فى إقامة الوعاء الذى يضم كافة أنشطة الجامعة ، فصحيح ان الجامعة ليست مبان ، ولكن عدم وجود المبانى أثر ولازال يؤثر على كثير من الانشطة الجامعية . فاعتقد ـ مثلا ـ أن الدراسات العليا كان يمكنها ان تتحرك بصورة اسرع بكثير لو أن الوعاء الذى تتم فيه انشطة الجامعة كان أكبر ..

وامنيتى أن تتوفر فى مبانى الحرم الجامعى الجديد سمة العصرية التى تعبر عن المفاهيم والمضامين الجامعية الحديثة ، فى نفس الوقت الذى تكون فيه متناسبة مع الذوق المحلى حتى لا ينظر إليها المجتمع أو الأفراد على أساس انها جسم غريب وافد . فواجبنا أن نجعلها معماريا تنتمى الى قلب هذا الوطن ..

ولعل نظام الساعات المكتسبة فى جامعة قطر قد أكد نجاحه خلال السنوات الماضية ، لانه نظام يعتمد على إختيار الطالب لمجموعة الدراسات التى يود ان يتلقاها والتى تتناسب مع ميوله العلمية ..

كما اننا يجب أن نشير الى حقيقة هامة تؤكد أن جامعة قطر من الجامعات العربية المحظوظة فهى تشملها رعاية صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد والرئيس الأعلى للجامعة .. وهذه الرعاية تتضمن مجموعة من المعانى :

أولها: تصور الدولة للحضارة وتقديرها للعلم ، فالدولة التى يكون قائد مسيرتها هو الرئيس الأعلى للجامعة ، هى دولة تنظر للفكر بعين واعية وتنظر الى المستقبل بمقياس خاص ، وقد أدى ذلك إلى أن أصبحت جامعة قطر تحظى بكل الرعاية والتشجيع الذى يعطيها قوة وقدرة وطاقة على التحرك وفق أهدافها المرسومة ومراميها التى تسعى إلى تحقيقها ..

ثانيا: إهتمام الدولة بالبحث العلمى .. فقد سعدنا فى احتفالات التخرج هذا العام بحضور سمو أمير البلاد المفدى ، الذى ركز فى كلمته على تشجيع البحث العلمى والعناية بمراكز البحوث والتزام الدولة برعاية هذه المراكز واعطائها كل ما تحتاجه من إمكانيات حتى تستطيع أن تؤدى وظيفتها على احسن وجه ، وان تحقق ما نعلقه عليها من آمال عظام ..

وهكذا نرى أن جامعة قطر فى احتفالاتها بتخريج الدفعة الرابعة ، تواصل جهودها من اجل التطوير وبعث حياة أفضل فى هذا المجتمع

سامى خشبة

المحيط الهندى يستيقظ من جديد
من عصر السندباد إلى عصر النفط

مرة اخرى ، يعود «المحيط الهندى» الى مركزه القديم ، بوصفه احد المحاور الرئيسية لحركة التوازن الاستراتيجى والحضارى فى العالم . كانت المرة الأولى قد بدات منذ اقام العرب ـ او وسعوا ـ ميناء البصرة ، وازدحمت مياه الخليج وبحر العرب رؤوس المحيط الغربية والشمالية بالسفن العربية التى مدت مجال التاثير الحضارى والسياسى العربى الى جنوب شرقى اسيا وجزر الهند الشرقية عبر خليج المنارة (بين الهند وسيلان) وخليج البنغال حتى مضيق ملقا وما وراءه .

وفى نفس الوقت ، كانت التجارة وما صاحبها من توسع عسكرى ، تستدير ايضا مع مياه المحيط نحو الغرب ، الى سلحل افريقيا الشرقى والجزر الشهيرة المواجهة لهذا السلحل .

ورغم أن البصرة العربية الاسلامية كانت هى ميناء المنبع والمصب الرئيسى لهذه الحركة النشيطة ، فان نشاط الحركة نفسها استفاد من خبرات التاريخ القريبة ـ قبل الاسلام وقبل انتقال مركز الدولة الى العراق ـ حينما كانت موانىء البحرين وعمان وحضرموت وعدن تلعب الدور نفسه لخدمة الاقتصاد التجارى بين كل من الهند وافريقيا من ناحية وبين موانىء البحر الابيض المتوسط (انطاكيا وصور بوجه خاص) المتعاملة مع اكثر بقاع العالم نشاطا وحيوية انذاك ـ الامبراطورية الرومانية . ومع ازدهار الدولة الاسلامية ونشاط حركتها الاقتصادية الحضارية الدينية . نشطت ايضا تلك الموانىء ونشأت موانىء اخرى فى مدغشقر وجزر القمر ودار السلام وغيرها ... مثلما نشطت على الجانب الشرقى موانىء بومباى وكاليكون وغيرها ...

هناك كان المنبع الاكبر لثروة الدولة الاسلامية العربية ورخائها ، وعمقها الاستراتيجى ـ الاقتصادى والعسكرى الذى لم يكن الغرب قد اكتشف طريقا بعد للوصول إليه .

وهناك كانت تجرى عملية التبادل الحضارى والثقافى التلقائية شديدة الخصوبة .. ومن خلال هذه المراكز ونشاطها ، انتقل الاسلام حتى مشارف المحيط الهادى الغربية . وانتقلت الحروف العربية الى ثقافات اعرق واقدم فى الهند وجنوب شرق اسيا ، وانتقلت الى بلاد العرب مباشرة فلسفات التصوف وعلوم البناء والزخرفة عن الهند وشرق فارس ، ومعها بذور الف ليلة وسندبادها وشهريارها ، والاصل البعيد لقصة حي بن يقظان الاندلسى العربى ابن طفيل مع الحرير والحديد والمنسوجات والسجاد والفضة والاحجار الكريمة .. والبهارات والبخور .. والرقيق ..

لم يكن يهدد هذه الحركة النشيطة إلا القراصنة والعواصف .. وإلا الحكايات عن الرخ او عن تنين البحر : اولهما يخطف السفن بمخالبه ، والثانى يضربها بذيله ..

ولكن الخليج ، بموانئه المتربعة عند اطراف طرق القوافل عبر الجزيرة العربية الى الشام ومصر ، او على راس الطرق النهرية (دجلة والفرات) كان يتلقى ويصدر منتجات الأيدى والعقول .. ومن بينها تلك المخاوف الاسطورية او المخاوف الواقعية ، برباطة جاش . إذ لم يكن فيها ما يهدد الحركة نفسها . ربما كان العكس هو الصحيح : كانت تلك المخاوف من النوع الذى يستفز الى مزيد من الحركة ، ويبعث فى النفوس شوقا الى الارتحال من جديد : او ان هذا على الاقل هو ما كان يقوله السندباد ، حجة يعود بها الى البحر المحيط . والسندباد اصله من الهند ، اخذته رحلة الحضارات الى فارس ثم الى بلاد العرب . استقر اولا فى البصرة او بغداد زمنا قبل ان يمضى الى دمشق وصنعاء ، واوغل فمضى الى القاهـرة حيث اكتسى ثوبا جديدا مضى به الى المغرب العربى فاستبدل ثيابه وعبر البحر الى الاندلس .. وتغيرت هناك ملامحه قليلا .. ثم عاد يبحث عن اصله وعن اطوار حياته الاولى بين سواحل هذا البحر المحيط .

الآن ـ فى المرة الثانية ليقظة المحيط الهندى وذراعه المتوغل شمالا ـ الخليج العربى ـ نواجه نفس السواحل والموانىء ، ومن يتحرك فيها ووراءها شعوب ، مخاوف اكثر واقعية ، واكثر هولا .

ولكن الصورة / المعنى لن تكتمل إذا اغفلنا تلك المرحلة الغريبة (والمنطقية ايضا) من تاريخ عالم المحيط الهندى ، التى تقوض فيها بنيان حركته الحضارية الاقتصادية والسياسية التى عاشها فيما بين القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الخامس عشر . فمع بداية القرن الخامس عشر ، ظهر البرتغاليون على الغلايين السريـعة ذات صفوف المدافع . كانوا قد عرفوا الطريق الى ذلك العمق الاستراتيجى السرى للدولة الاسلاميـة فجاؤوها فى لحظة غير مناسبة . ومن بعدهم جاء «الغرب» كله . وراءهم جاء الهولنديون فمضوا الى اقصى الشرق . ثم جاء الفرنسيون ، وجاء الانجليز فازاحوهم واستقروا مع البرتغاليين والهولنديين فيما بين سومطرة وجامبيا .

انهارت قلاع دار السلام ومدغشقر وزنزبار وعدن وحضرموت وعمان وبندر عباس وبومباى وكاليكوت .. الخ .. الخ الواحدة بعد الأخرى . واحتلها رجال حمر الوجوه يتحدثون بلغات غريبة . عددهم قليل ولكنهم يتفوقون بمعلومات ومعدات دقيقة عجيبة وبتنظيم متقن وسرعة فى «الانجاز» خارقة . يتشاجرون فيما بينهم بضراوة ، ويسكرون ويزنون ، ولكنهم عند العمل او القتال كالشياطين ولا يفوتهم شىء . ويرفعون قبعاتهم عند مرور النساء او القساوسة كانهم اهل فضيلة . ولم يقفوا عند السواحل او يحبسوا انفسهم وراء أسوار القلاع التى احتلوها ، وإنما انتشروا فى «الداخل» كالريح العاصف او الوباء . استبدلوا حروف الهجاء ونظم

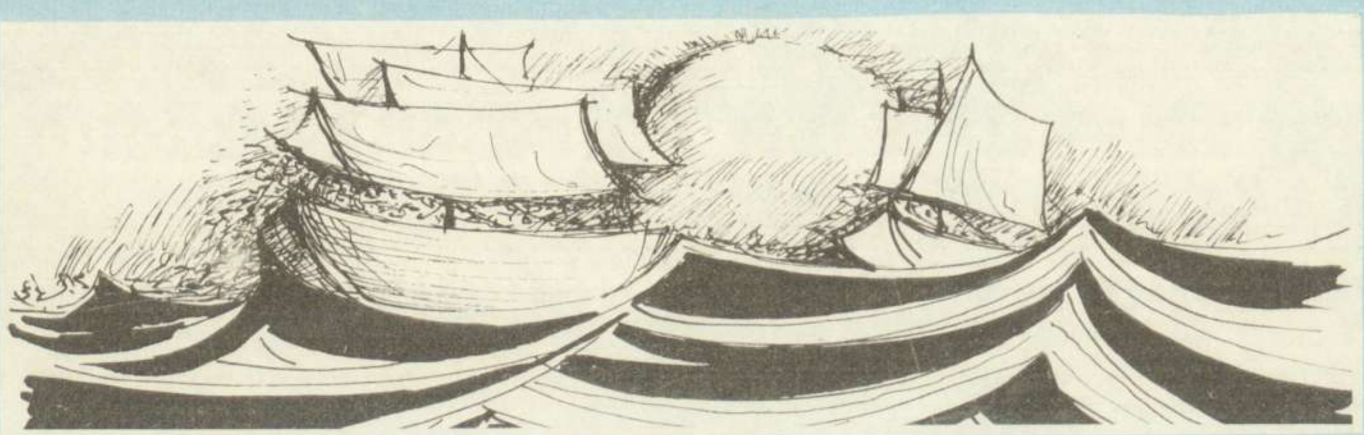

العمل والنقود بحروفهم ونظمهم ونقودهم وسار تجارهم وضباطهم وقساوسهم فى خطوات منسقة . وقراصنتهم يتعاونون بنفس الاخلاص فى معظم الأحيان . وبعدهم ، جاء علماؤهم وباحثوهم ـ حتى الشعراء منهم والفلاسفة ـ يتاملون بقايا الماضى الساحرة ، ويجمعون نماذج من كل شىء فى القرى والغابات والحقول والمكتبات والمعابد و المساجد والقصور يرتبونها ويضعون عليها علامات ليس لها معنى واضح ويشحنونها بعناية فى سفن تمضى بهـا الى حيث لا يعلم احد . اقاموا" مدارس وكنائس وحانات وبيوت. دعارة بحماس متشابه ، ثم شرعوا يشقون طرقا ضيقة ، يمدون فوقها قضبانا حديدية متوازية ، ويسيرون عليها مركبات حديدية جهنمية ذات عجلات وتنفث دخانا وضجيجا ويزدحم فيها الناس والبضائع والحيوانات والجنود فيصلون الى اماد بعيدة فى طرفة عين . وعلى ارصفة الموانى ظهرت سفن تنفث هى الأخرى دخانا فتسبق بدخانها الهزيل وابدانها الضخمة الاف الاشرعة وهى محملة بما ينوء به الف شراع وشراع .

ولكن الدنيا لا تدوم على حال ، حتى لو ظلت ، او بدت على السطح كانها جمدت على حال واحد اربعة قرون او خمسة . بالتدريج تلاشت الغرابة حتى اصبحت أشياء «عادية» مملة احيانا او مزعجة ، بل طفيلية لابد ان تنزاح .. فازيحت ، او بدت على السطح كانها ازيحت ... ثم بدا عصرنا !)

فى تلك القرون الخمسة ، كان المحيط الهندى قد تحول الى مجرد واحد من طرق المواصلات البحرية الكبرى ، بين «الغرب» وبين مصادره من المواد الخام والايدى العاملة الرخيصة والأسواق . صحيح انه بنهاية قرون النعاس الطويلة للمحيط الدافىء ، كان العرب قد «استقلوا» فى دولهم الكثيرة ، وصحيح ان إيران والهند وباكستان كانت هى الاخرى قد اصبحت دولا مستقلة مع اندونيسيا وماليزيا وسيريلانكا .. الخ .. الخ .. ولكن ميدان المواجهة الرئيسى بين المعسكرين العالميين اللذين اسفرت عنهما الحرب العالمية الثانية كان محيطا بعيدا آخر : المحيط الاطلنطى وامتداده الطبيعي (البحر الأبيض المتوسط) . وفى المحيط الهندى . كانت ناقلات النفط وشاحنات السلع الاخرى تسير فى «امن» القوة الغربية الشاملة التى كانت تستطيع حماية مصالحها وطرق مواصلاتها من قواعدها او قواعد اصدقائها المنتشرة على طول السواحل الافريقية والاسيوية والجزر المتناثرة بينهم .

من الجانب الغربى للمحيط الى جانبه الشرقى ، كانت قواعد الحراسة والتامين منتشرة فى مستعمرات البرتغال والنظم العنصرية فى افريقيا وامبراطورية هيلاسيلاسى وبقايا الامبراطورية البريطانية فى سلسلة متصلة الحلقات (انجولا) خليج والفيس ، الكاب وبـورت اليزابيـث ، موزمبيـــق ، روديسيا ، ممباسا ، مصوع ، عـدن ، عمـان موريشيـوس، كومورو ... سنغافورة ، بانجوك .. الخ) .

وفى السبعينات انهار تماسك هذه السلسلة تماما ، بعد ان كان البريطانيون قد انسحبوا من «شرق السويس» فى اوائل الستينات ، انهارت امبراطورية البرتغال ، وبدا تهاوى النظم العنصرية ، وانتهى نظام هيلاسيلاسى ، وارغم الامريكيون على الخروج من الهند الصينية ، والبندول الهندى يزداد انجراف حركته نحو اليسار بحكم تارجح العلاقات وموازين القوى مع كل من الصين وباكستان ..

وعندما انفجرت الحرب الاثيوبية الصومالية اكد السوفيت قدرتهم الجديدة على نقل القوات والعتاد عبر وفوق المحيط الهندى وسواحله بالذات . وفوجىء الغرب ، بأنه لم يعد وحده صاحب القدرة على ارسال القوات العسكرية الى اى مكان من تلك السواحل : على العكس ، فعند نهاية السبعينات كانت معظم قواعده القديمة ـحول الخليجـ وعلى طول طرق النفط بالذات ـمن شرق افريقيا وجنوب الجزيرة العربية وجنوب شرق اسيا ، قد انتقلت الى المعسكر الاخر ، او توشك ان تنتقل ، او يمكن بسهولة نسبية شلها او تحييدها .

كل هذا والمحيط الهندى ، مايزال هو طريق المواصلات الرئيسى الذى تسبح فيه ملايين اطنان النفط ، النابع اصلا من قلب هذا المحيط حول ذراعه المتوغل شمالا : الخليج العربى ، متجهة الى اقصى الشرق (اليابان) وإلى اقصى الغرب سواحل امريكا الشرقية وغرب اوروبا .

وبذلك يعود المحيط الهندى الى مكانه القديم ـ محورا رئيسيا للتوازن الاستراتيجى والحضارى فى العالم ـ ولكن بوضع جديد :

ففى » يقظته الأولى » كانت القوى والحضارات التى تتحرك فى مياهه وعلى سواحله هى قواه الخاصة : العرب والأفارقة والفرس والهنود ، الذين تجمعت مواهبهم وثرواتهم والتقت جهودهم ذات مرة فى تلك الفترة «الموجزة» المشحونة من تاريخ الدولة الاسلامية . ايامها كانت عملية التبادل الحضارى هى الجوهر الحقيقى للحركة الاقتصادية والسياسية بين المركز الطولى الممتد من البصرة الى عمان وبين الجناحين المتفرعين الى الشرق نحو الهند وما وراءها ، والى الغرب نحو افريقيا .

ولكن هذه اليقظة الجديدة تتحدث بالسنة غريبة ومعانى حديثها اضيق من ان تخرج عن كلمة واحدة : نفـــط .

ورغم هذا ، فان لابناء المحيط الهندى ، حوارهم الخاص فيما بينهم ، ومع كل لسان من تلك الالسنة الغريبة ، وما يزال موضوع حديثهم هو موضوعهم القديم .

سامى خشبة

محمد فتحي

اليد السفلى واليد العليا هواجس أم حقيقة بركانية؟

نظر صاحبى الى عنوان الكتاب «اليد السفلى» ثم قلب الصفحات حتى الصفحة الأخيرة وقال انظر فقرات :

كتب للمؤلف : الجيولوجيا الاقتصادية ـ المعادلة الحرجة ـ نظرات علمية حول غزو الفضاء .

مررت بملاحظة صاحبى مر الكرام ، وقلت لنفسى .. قد يكون صحيحا ما يقال من أن الكتاب يقرأ من عنوانه ، ولكنك لا تستطيع ان تحكم على كتاب حتى تقرأ ما فيه . تناولت الكتاب ورحت أقرؤه . وبينما انا عاكف على القراءة إذا باعلان يعلن أن اذاعة عربية سوف تخرج الرواية فى شكل مسلسلة تمثيلية يومية . فقلت .. عال ! أصبحت المتعة متعتين ، بل فى الحقيقة ثلاث .. متعة القراءة ، ومتعة الاستماع ، ثم متعة المضاهاة والنقد والمقارنة بين النص المكتوب بقلم صاحبه ، ثم الانتاج المحول الى تمثيلية ، ثم الى إبداع فنى على يد مخرج متفنن فى دروب الأدب والفكر والموسيقى واللغة والذوق ، وهى لزوميات الوظيفة الاخراجية ، الى جانب الدراسات التى لابد منها للسيطرة التامة على المادة والبيئة الاجتماعية التى يبث المخرج فيها الحياة .

هى القصة القديمة المعروفة ، الشائعة فى مختلف آداب العالم .. قصة الصبى الصعلوك ، المتفتح ، القادم الى المدينة من الريف ، أو من مضارب البدو ، على أى حال من على هامش الدنيا كما قد يظن أهل المدينة . لكن المدينة التى قدم إليها هذا الصبى ليست كاية مدينة ، فهى أم القرى ، المكرمة .. تضم بين جنبيها بيت الله الحرام ، قبلة مايزيد على الف مليون نفس يتوجهون نحو البيت، البيت العتيق فى صلواتهم لله ، خمس مرات كل يوم ، راكعين ساجدين ضارعين . فى نظائر هذه القصة المتكررة يدخل الصبى فى مغامرات من شتى الأشكال والألوان .. يقع فريسة الفجار والمعذبين . ويجد نفسه غارقا فى الوحل والموبقــات .. ولكن لا باس من بسمة خافتة من ثغر وضاء ، تنير الظلماء .. بارقة تحيي الأمل . أما الصبى فى قصة محمد عبده يمانى فلا

محمد عبده يمانى

يلقى شيئا من ذلك العناء والعذاب . قد يتقلب فى الخدمة من دكان إلى بيت ثم إلى بيت آخر . لكنه مثل نظرائه تدهشه المدينة بما فيها من حلوى ، وقهاوى يغشاها الخلق ، وعجائب ، انظر الى وقفته وحيرته أمام الصنبور .. ؟! وهو القادم من مضارب البدو ! غير انه يدخل فى مغامرة من نوع جديد . فالسيد الذى يقوم على خدمته وخدمة زوجته وابنته رجل طيب ، سليم الطوية ، من أهل العلم . يفتح له إلى جانب العمل باب التعلم . يدخل الصبى المدرسة ، ويقرأ ، وينهل من موارد العلم . ومن ثم يدخل فى حياته عنصر جديد . فهو يفكر ، يفكر فيما يحق له وما لا يحق .. فيما يجب عليه ومالا يجوز . تغمر رأسه الهواجس . إنه ينجذب حبا نحو مخدومته ورفيقة صباه . تعلم شيئا إسمه الندية ولكن هناك اليد السفلى وان هذه اليد السفلى ينبغى الا تتطاول الى مقام اليد العليا .. أشياء لا شك تلقاها من المجتمع الذى يعيش فيه . هل هى هواجس وأوهام .. أم هى حقيقة بركانية تغلى تحت السطح ؟ طبقية فعلية قائمة .. مجتمع من سادة وعبيد ، أم هواجس وأوهام يخلقها الفكر ؟

هذه هى المشكلة الجسيمة التى يناقشها محمد عبده يمانى فى قصته اليد السفلى . والحب بالطبع ليس إلا الوعاء الرمزى للقضية البركانية . يرفض يمانى فكرة اليد السفلى رفضا باتا ، وعلى لسان من ؟ على لسان الدادة جمعــة الشغاله فى بيت السيد ، وهى الجارية التى أعتقت ؛ وكأنما يذكرنا يمانى بالدروس التى تركها لنا محمد وخلفاؤه فى مسألة الرق وموقف الاسلام ممن كانوا عبيدا . تقول له الدادة الشغالة :

« يؤسفنى أن اسمع منك هذا الكلام وانت شاب متعلم .. اليد السفلى هى التى تتسكع وتسأل الناس إلحافا .. اليد السفلى هى التى تلتقط فتات رزق الناس ، وربما دون حاجة .. الذى يكسب رزقه بعرق جبينه لا يقال له يد سفلى .. مثلى لا يعلمك يا بنى .. انا انسانة أمية أو شبه أمية .. وعليك أن تكون واقعيا ، وأن تكون قويا » .

الذين يعرفون المجتمع السعودى وقوام تكوينه ، وجلسوا فيما بين الحجاز ونجد يعرفون مغزى هذه الرسالة . فمسألة اليد السفلى واليد العليا مسألة واقعية ، كامنة فى القرارات ، فى أعماق الصدور . لاتخرج الى الألسنة حتى بالهمس ، ولكنها حية ملتهبة فى الضمائر ، فلأن يفجرها محمد عبده يمانى هذا التفجير الفكرى يدل على براعة إعلامية فائقة . هى بمثابة إنشاء لصمام أمان ، إنشاء لحوار مجد قد يجنب الأهوال . والرسالة موجهة للشباب كما هى موجهة للشيوخ ، لأصحاب اليد السفلى وأصحاب اليد العليا على السواء . الندية والمساواة والتزاوج هى السبيل الى السلام الاجتماعى ولا سبيل سواه .

وإذا انت نظرت الى الكتاب « اليد السفلى » من وجهة نظر ادبية لوجدته ، بلغة مشرقة العبارة طيعة الأداء ، أدب مسلم عالم ولا أقول «عالم مسلم» . إنما هو أولا مسلم قبل أن يكون عالما . فالاسلام فيه هو الاصل وهو مصدر القوة والعقيدة والفكر . أما العلم فيه فواضح فى نهجه وفى دقة الملاحظة ، وفى الاعتدال فلا تجد تزيدا ولا تشعر بمؤثرات من ثمار الضعة الأدبية ، وواضح ايضا فى تسمياته .. يسمى القرية التى نبت فيها صبيه بطل القصة « بنى فهم » أو كما يجرى على السنة العامة « إفهموها بقى يابنى آدمين » .

عمل أدبى من محمد عبده يمانى لم يسبقه إليه سعودى . فلقد صور لنا المجتمع السعودى تصويرا طيبا ، فرأينا البيت السعودى ، ورأينا القيم السائدة فيه ، والعلاقة بين رب البيت وآله وخدمه . ولعل الكاتب يتوسع ذات يوم فى ذلك السبيل فالمجتمع السعودى العصرى مجتمع محجب غامض ، فى حاجة كثيرة من اصحاب القلم الامناء الى بيان وكشف .

مهما يكن من امر فانى أعده وثيقة اجتماعية ذات قيمة تاريخية تستحضر الى الذهن ادب الكتاب الرواد الـسـسوجرافيين من امثال تورجنيف و جوجول.

عبد القادر حميدة

دعـــــونا نـــمـــش

نادى الطائف الأدبى فى المملكة العربية السعودية يهدى «الدوحة» بين الحين والآخر كتاباً جديدا من مطبوعاته . ومن يقرا قائمة المطبوعات الملحقة بكل كتاب جديد ، يلمس على الفور تلك الرغبة الصادقة الراغبة فى دفع الحركة الثقافية فى المملكة الى مزيد من العطاء والتاثير والحوار .

ولقد صدر عن النادى حتى الآن خمسة وخمسون كتابا فى شتى مجالات العلم والمعرفة فى الشعر ، والقصة ، والفلسفة ، والأدب ، والتاريخ ، والاعلام ، والتنمية ، والتشريع الاسلامى ، والجغرافيا ، والمعجزات البيانية للقرآن الكريم ، وفى التراث .

واحدث ما وصلنا من مطبوعات نادى الطائف الادبى ، كتاب يضم بين غلافيه واحداً وثلاثين مقالا تنتهى جميعها او معظمها بعبارة « دعونا نمـش » وهى نفس الجملة التى اختارها مؤلف الكتاب الاستاذ احمد سباعى عنوانا للكتاب .

فالكاتب ـ ابتداء من المقدمة حتى المقال الأخير ـ يموج بذلك الألم الرصين النبيل الصادق ، لما آلت إليه الامور فى مجتمعاتنا ، وهى امور من شانها أن تعرقل خطانا على طريق الاخذ بأسباب الحياة والعصر . مثلما تجعلنا نجمد فى أماكننا لا مبالين ولا طموحين ، بينما العالم من حولنا يتحرك وينبض بمعدلات السباق الرهيب الذى لا يعرف التوقف !

ومن هذه المفارقة ، يردد الكاتب فى نهاية كل مقال امنيته « دعونا نمش » وكانها تدريب روحى ونفسى متكرر ومصر على أن يمعن النظر كل منا فى تلك السلبيات التى تاخذ بخناق العقل والقدمين ، فيتخلص منها ، ليحرر عقله وقدميه .. ويمضى الى الامـام .

إن الكاتب ـ ولعله من رجال التربية والاجتماع ـ يبدو لقارئه وقد خاض ، وراقب ، واختزن من تجارب الحياة والناس فى بلادنا ، ما يجعل لصوته ودعوته الى الاصلاح دفئاً خاصاً ينضج به وجهة نظره فى المشكلات ، ويضع الحلول لها بلا تكلف ولا حذلقة .

إنه الانسان فى بلادنا : هو المشكلة .. وهو الحــــل !

وفى ضوء هذه الرؤية يبدا الكاتب موضوعه من نقطة الصفر . إنه ياخذ على الأب والأم عجزهما وقصورهما وجهلهما بتربية الطفل ، تربية صحيحة ، تعده لأن يكون فى المستقبل مواطناً واثقاً من نفسه . واثقا من قدراته . قادرا على تحقيق الأهداف الكبيرة . والتربية الصحيحة ليست فى الترفق بالطفل الى درجة التدليل . وليست فى الشدة الى درجة الغلظة . إن التدليل ينشىء طفلا عليل الشخصية ، هش المقاومة لكل ما يعترضه فى الحياة . بينما الغلظة تؤدى الى طفل ثم رجل خانع وذليل ومنكسر، او طاغية .

إن الحد الوسط هو الحد الامثل الذى تقره احدث النظريات فى التربية . وإن الهدف من تربية الطفل ينبغى ان يكون واضحاً لدى الأب والأم والمربى ، بما لا يجعلهم يحيدون عنه فى أية لحظة . هدف تكوين شخصية الطفل بما يجعله انساناً سوياً ، له شخصيته المحددة ، وله استقلاليته فى التفكير ، والاستنتاج ، والوصول الى النتائج من خلال تجاربه الصغيره واستفهاماته الكثيرة ، وهو يكشف الحياة من حوله .

والكاتب يلح على الاهتمام والعناية بمرحلة الطفولة ، لأنها المقدمات التى تؤدى الى النتائج ولذلك فهو ينتقل من نوع المشكلات التى تفسد تنشئة الطفل فى البيت ، الى نوع المشكلات التى تكمل عليه فى المدرسة .

إن الكاتب يرى أن «اطفالنا اليوم أحوج ما يكونون الى مدارس تعنى بالكيف اكثر مما تعنى بالكم . فلا المقرر السنوى ، ولا المواد المفيدة ، ولا الكتب المحدودة هى غاية التعليم فى المدارس . وإنما غاية التعليم أن يتدرب صغارنا على الفهم والاستنتاج ، لا على التلقين والحفظ .

ومن امنيات الكاتب ان نغار على سمعة بلادنـــا ، وان نتالم لكرامتها ، عن طريق الحب الى درجة العشق . فان ما يلاحظه هو ان هناك طبقات لا تزال تنظر الى سيئاتنا العامة نظرة لا

لامبالية وكان هذا الوطن ليس وطنهم ، وهم ليسوا ابناءه . إن الوعى بالوطن ، وبمشكلاته ، وبمستقبله هو اولى درجات الحب . وعلينا أن نكون كذلك .

ثم يتحدث الكاتب عن ضرورة التصنيع ، وإعمار المناطق الخراب ، وعقوق الابناء الذين يهجرون أوطانهم الى أوطان اخرى إلى الابد ، وعن أوهام الخرافات التى مازالت تعشعش فى يقيننا .. و .. و .. و

وبالطبع لا يمكن تلخيص كل مقال على حدة للتعريف بكل مقالات هذا الكتاب الذى يتصور فيه الكاتب وطنا جميلا خالياً من الدمامة ، صاعدا بخطى رشيقة واثبة نحو مستقبل افضل . وإنه لتصور رائع حقا .. نتمنى مع الكاتب لو انه تحقق . إذن لاصبحت الحياة شيئا يطاق . لكن من يقرا ومن يسمع ومن يبصر ؟! .

ودعونا نمش !!

قصيدة حب

للشاعر: محمد بن همام

أحبك
إسمك انت الحب وعنوانك
قصايد حب في اعيوني
وفي قلبي
كتبت اسمك على حتى جدار العين من داخل
وصورتك مثل لفكار[1] في كتبي

قصيده إنت في اعيوني
عجز لا يوصفك شاعر
قوافيها ثغر ثاير
وطرف احور
وخدين اختلط فيها الحيا بالجوري[2] الاحمر
وليل اسود على اكتوفك
سكر من ريحة العنبر
ووجه اسفر من انجوم الدجى والليل لمسفره[3]

ومن شمس الضحى أنور
وقد ممشوق وأمضمر
وساقين استضاقت بالحجل لصفر[4]
ومن يقدر على وصفك مهاة البر

ملك إنتي
ومن كل الملوك اكبر
طلع مغرور يتمختر
على صهوة مهر أشقر

لبست الجوخ والخنجر
نزلتي في بلاط الملك لمرصع[5]
بالواح الذهب والماس والمرمر
ومن يقدر بعد يوصف ملك أكثر
سلاطين الجمال اركوع من حوله
وقف.
نادى عذارى الأرض فزوا[6] له
وفرشوا بالزرى دربه
وخافوا يجرح ارجوله

قصيده إنت بعيوني معانيها
ليالي حب
لعيون الهوى تسهر
وأحلامك نسايم صيف مبتله
وأيامك ربيع اخضر
وغنوه من غناوي الغوص ماتقدر
على افراق البحر والدان واللولو
وتتحسر
على دانه اتركوها هناك بحاره
على شط الهوى ضاعت
ما بين الموج وسراره

قصيده إنت بعيوني ولو تنشر
ويروونك رواة الشعر لمقدس
ويتلونك على المنبر
قصيده إنت لو تظهر

---

(١) لفكار: الأفكار.
(٢) الجوري الاحمر: نوع من الورد احمر وكبير
(٣) لمسفره: المنورة
(٤) لصفر: الأصفر، نسبة إلى لون الذهب
(٥) لمرصع: المرصع
(٦) فزواله: وقفوا له احتراما

دولـة قطـر
وزارة التربية والتعليم

إعلان عن المسابقة الأدبية
لأحسن كتاب في ثقافة الطفل

تعلن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عن تنظيم مسابقة ادبية بعنوان « جائزة احسن كتاب للطفل العربي » وذلك وفقا للشروط التالية :

١) المسابقة عامة لجميع الكتاب والأدباء العرب من الاقطار الأعضاء في جامعة الدول العربية ٠

٢) لكل قطر عربي الحق في الاشتراك بثلاثة مؤلفات على الأكثر ، لمؤلف واحد أو عدة مؤلفين ، على ألا يكون قد مضى على صدور هذه المؤلفات اكثر من ثلاث سنوات ولم تقدم الى أية مسابقة أخرى ٠

٣) أن يكون الكتاب جذابا في مظهره بحيث يلفت انتباه الأطفال ويثير شغفهم بالمطالعة وذلك بما يتضمنه من العناصر الفنية واللغوية الملائمة للاطفال ٠

٤) أن يكون موضوع الكتاب عربيا خالصا، لم يطرق بالشكل نفسه في أي عمل أدبي سابق٠

٥) أن يكون هدف الكتاب متمشيا مع الاهداف العربية في تربية الأجيال الصاعدة وتهيئتها لتحمل المسؤوليات ٠٠٠

٦) ترصد المنظمة العربية ثلاث جوائز مالية للفائزين في المسابقة وتقدم للمؤلفات الثلاثة التي تحوز على أكبر عدد من النقاط ، وتوزع هذه الجوائز كما يلي :

الجائزة الاولى	٢٥٠٠ دولار
الجائزة الثانية	١٥٠٠ دولار
الجائزة الثالثة	١٠٠٠ دولار

٧) تقدم الجوائز للفائزين بصفتهم الشخصية مع منحهم « وسام ثقافة الطفل العربي »

٨) تنظم المسابقة بشكل دوري ، ويدعى لها الأدباء والكتاب العرب من خلال الاجهزة الاعلامية والصحافة الادبية في كل قطر عربي ٠

٩) يقدم طلب الاشتراك في المسابقة عن طريق المؤسسات المعنية في كل بلد او اتحادات الكتاب والأدباء ٠

١٠) ترسل نصوص المسابقة الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس خلال مدة لا تتجاوز تسعة أشهر ابتداء من نشر الاعلان على ان يكون نص المسابقة من خمس نسخ ٠

تنبيه .

يتقدم الكتاب القطريون أو المقيمون في قطر بطلبات اشتراكهم في المسابقة عن طريق اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم ـ وزارة التربية والتعليم ـ قسم اليونسكو ٠

رسالة لندن من عبد القدوس الخاتم

معارض

الأسباني الطائر

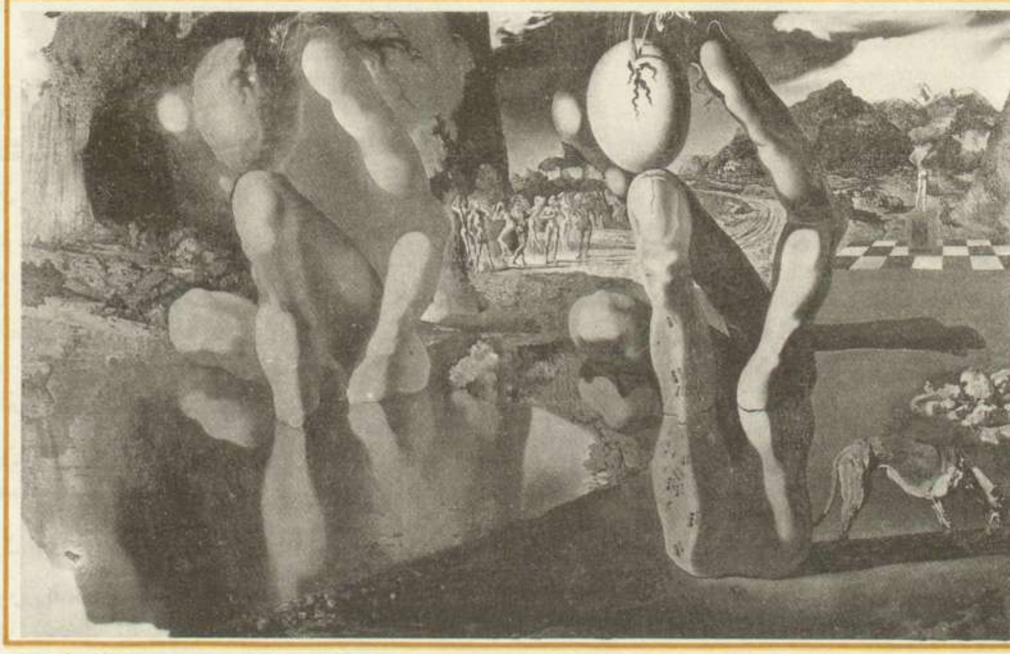

تخلف نرسيس

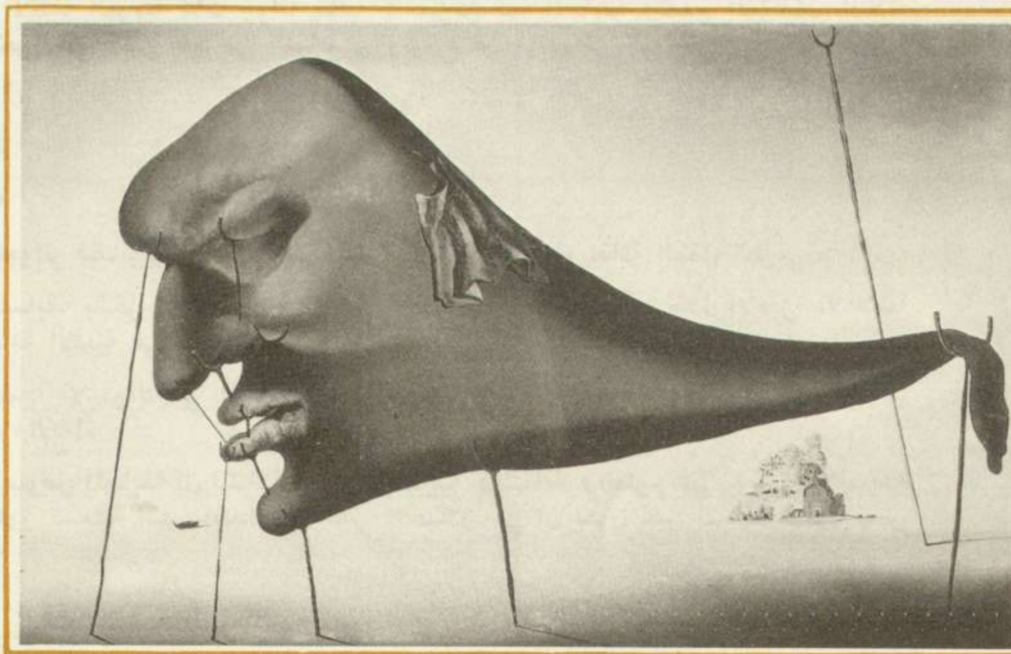

النوم

شهدت لندن أول معرض شامل لعملاق الفن الحديث سلفادور دالى (تيت غالرى مايو ـ يونية ١٩٨٠) . ومع ان المعرض نسخة مصغرة من معرضه الباريسى أوائل هذا العام ـ إلا انه ومن خلال ثلاثمائة قطعة غطى مراحل مراحل تطوره المختلفة بدءا بمحاولاته الاولى التى تتجلى فيها بصمات بيكاسو وميرو ومروراً بسنوات التكوين حيث تبدو الأحلام المجسمة وكانها تندلق من اطراف اللوحة وانتهاءا بأعماله الأخيرة التى تعكس أساليب مباينة تنبع من تكنيك لا تحده حدود سوى اللاعقلانى والكابوسى إن كان لهما حدود . ومعظم الذين تقاطروا الى المعرض جاءوا وفى اذهانهم الصورة الغريبة التى رسمتها وسائل الاعلان لدالى : صورة العبقرى المشعوذ ذى البدوات والنزوات ، نجم أجهزة الاعلام ، البهلوان الذى تستنسخ اعماله على الملصقات وبطاقات البريد . وقوى هذه الصورة ما يؤثر عنه من تصرفات ظاهرها الجنون وباطنها السخرية والتفكه ، كقفزة من نافذة مخزن نيو يوركى شهير ، وارتداءه بدلة للغطس عند افتتاح احد معارضه ، وقفوله راجعاً بنفس عربة الاجرة التى اقلته من مدريد الى باريس لافتتاح معرض أخر ، وظهوره فى المجتمعات بشاربين من الشمع أو بفستان مطرز أو بقرنى كركدن فى حفلة رسمية ، وما يشاع عنه بانه يزن قصاصات الصحف التى تناولت إبداعاته بالتعليق ، فاذا كانت ثقيلة الوزن رقص طرباً وإلا فانه يبدى امتعاضه وحزنه . والحق اننا لكى نستطيع تقييم سلفادور دالى فمن المفيد أن نفرق بين دالى رجل الدعاية ودالى الفنان الجاد . فالرجل تنطوى دواخله على شخصيتين موحدتين كالتوامين السياميين . شخصية الوحش المقدس المعتوه ، أبله القرية ، البوهيمى ، الهيبى اللامنتمى وامثالهم ممن يعيشون خارج حدود القانون الاجتماعى والمواصفات الانسانية وشخصية القس والكاهن والفنان الخالق الذى يتوق إلى أن يبرهن لنا أن الكون مكان متسع ، أوسع مما نتصور ، واننا نعيش فى ركن ضيق من ملكوت العقل ولا نعلم إلا النذر اليسير عن الطاقات الكامنة فينا ـ وأن الفن هو وحده القادر على إجلاء هذه الطاقات وتسخيرها .

والداخل الى بهو «التيت» أول وهلة يصدم بجو هو مزيج من الرعب الهيتشكوكى والسذاجة الحية التى تتميز بها حيوانات ديزنى المتحركة ذات العيون الواسعة المفعمة بشياطين الطفولة المتقافزة . وقد تبدو الصلات واهية بين الثلاثة المبدعين ولكنها تتعمق إذا نظرنا إليهم فى سياق واحد من المقدرة

● الداخل إلى بهو المعرض سيصطدم بجو مزيج من الرغب الهتشكوكى وسذاجة حيوانات ديزنى

● إنه فن الأشياء المجهضة المبتورة . فن الأمساخ التى تترنح بين الميكانيكية والعضوية

تخلف نباتى

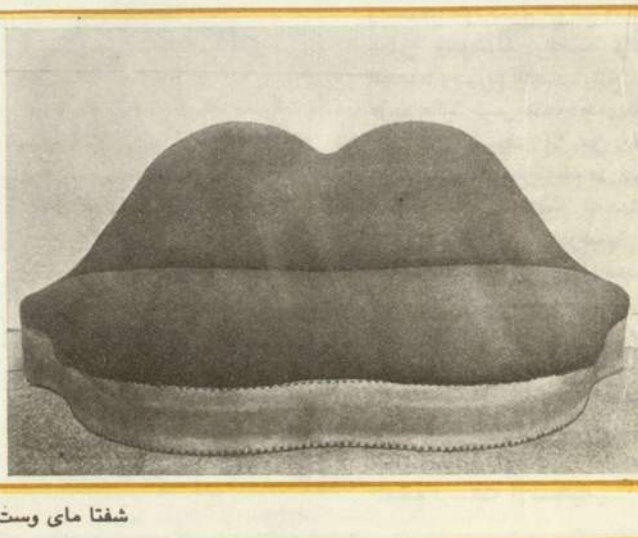

شفتا ماى وست

الفذة على الحلم والخيال المنسرح والحركة العصبية المفاجئة . وإذا كان بعض نقاد الفن يرون أن دالى يتبنى نظاماً رؤيوياً هو بالضرورة ضد القيم الجمالية المحدثة ، فان هذا المعرض يبرهن أن دالى على راس عمالقة المحدثين وان إبداعه تظاهرة براقة فى مسيرة الفن الحديث ـ هذا إذا اعتبرنا أن من أهم أسس الحداثة ـ جمالياً ـ صهر وتذويب العالم المحسوس . فالانطباعيون تسيل الأشياء فى لوحاتهم أو تنشطر فى بهرة الضوء ، والتكعيبيون يجردون الأشياء بصراحة متقشفة ، وفى لوحات سيزان يتقهقر المنظر الطبيعى الى أصوله الجيولوجية ، فالحداثة تمكن العضويات وتجردها من نسقها الحى وتركيبها التقليدى ـ ودالى إنما يفعل هذا وان كان نسيج وحده . فالتجريد فى عرفه لا يتبدى فى اخضاع العالم المحسوس الى خطوط هندسية . إنه فن الأشياء المجهضة المبتورة . فن الامساخ التى تترنح فى المنطقة بين الميكانيكية والعضوية : ذراع بنفسجية هى عبارة عن فيولنسيل قاتم الأوتار ، سماعة هاتف مغرورقة بالدموع ، حيوانات تتخلق الى نباتات : جواد يتبرعم إلى فروع ؛ آلات تبدو وكانها على عتبة الحياة العضوية ؛ ساعات تنصهر ، جثث قطعت اطرافها ، خزانة تضم عددا من الادراج على هيئة فينوس ؛ إن الواقع عند دالى غريزى بيولوجى وليس تخطيطا كروكيا كما عند التكعيبيين . إنه سيبتدىء فى اللحظة التى ينفجر فيها ويتحطم الجسد الانسانى ، حتى الموضوع السياسى يتخذ عنه شكل نفثات انفجارية فى الجسد ، إنه يصور رؤيته للحرب الأهلية الأسبانية عملاقا ممزق الأوصال مجدوع الأطراف . إن عالم دالى هو عالم اللاوعى السرى الملغز حيث تتحلل الأشياء وتندمج وتتطاير وحيث يتزاوج وضوح العقلانية الداهم بصوفية الروح الغامضة ويصبح الرمز النقطة الوحيدة المشعة فى سدف الضباب : وجه ماى وست يتحول ببساطة الى تطريز مزخرف ، وشفتاها الى اريكة وشعرها ستارة مجعدة ، وعيناها اقتلعتا وعلقتا على الحائط كلوحتين . ومع أن السوريالية قد نبذت دالى من مملكتها ـ على الأقل رسميا ـ فان اسهامها العظيم يتلخص فيه دون غيره ، فقد قيض له أن يحرث فى بكارة اللاوعى ماشاء (كان فرويد معجبا به) . واللوحات على فانتازيتها مشحونة بالضوء والهواء والفراغات المشعة مما يؤكد أن دالى يتطلع الى إعادة الفانتازيا لعالم الواقع مثلما فعل سلفه العظيم «جويا» فهو هنا لم ينفصل ـ إذن ـ عن تقاليد الابداع الاسبانى والروح الاسبانية ذات النبض الدونكيشوتى والقسوة الدافئة والرغبة فى التألف والسطوع .

وقد تمر قرون قبل أن نستطيع القول « نعم .. ذلك حقيقى » بدلا من أن نغمغم « ذلك عجيب ومحير » . ومهما يكن فالعالم يصبح يوماً بعد يوم «دالياً» إذا صح التعبير ، بالصحون الطائرة والثقوب السوداء فى الفضاء والانسان على سطح القمر . وكل صباح يثبت العلم عجزه أمام غرائب الكون .. وحتى حيوات الناس وانماط معيشتهم تتوجه نحو الفانتازيو ـ ومن ناحية أخرى فان دالى الذى تتالق مجازاته واستعاراته فى بهرة من التكنيك البارع ـ قرب الفن الحديث ـ على نفوره ـ إلى الرجل العادى ـ فمن منا لا يهوى المهارة الممزوجة بالخيال المنمنم بالتفاصيل ـ ولو كان يتقصد بالرعب ؟ ـ ومن هذا يعطينا دالى مائدة متنقلة إذا استعرنا تعبير همنجواى ـ إذن فالوقت فى صف الوحش المقدس .

أصـــداء ســارتـــريـة

سارتر

كادت وفاة المفكر الفرنسى جان بول سارتر أن تمر مرورا عابرا فى الأوساط البريطانية المعنية . حتى الصحف الكبرى كالتايمز والجارديان «نعته» فى صفحاتها الداخلية المعتمة . فما السبب الكامن وراء هذا التجاهل المريب ؟ إن سارتر مهما اختلف فى تقييمه صوت من اصوات العصر المؤثرة بل ذات الأهمية البالغة . هل هو النفور التقليدى لكل ما يصدر عن شركاء السوق الأوربية ؟ هل لان مواقف سارتر – حتى فى اطارها الخارجى الصارخ تجرح التحفظ الفكرى التقليدى للانجليز الذين يكرهون «المواقف» – دعك من الاعلان عنها وهم دهاقنة الذرائعية؟ ربما.. وربما لان الوضعية المنطقية – المدرسة الفلسفية السائدة فى انجلترا – تقف على طرفى نقيض من المدرستين الفرنسية والألمانية . مهما يكن ، فمن رد الفعل الهزيل لوفاة سارتر يمكن الاشارة الى ثلاث مقالات لافتة للنظر . أولها مقال «ديفيد كوت» فى «النيوستيتسمان» حيث ركز فيه على الجوانب الفنية والأدبية فى سارتر . وعنده أن سارتر كان على وفاق مع أندريه مالرو بأن الخلق فى اصله صراع بين شكل سائد وآخر مقلد . وان الخيال يحمل تناقضاته فى جوفه بسبب أبعاده السلبية واهمها توقه لتحطيم الحقيقة . ومع أن ممارسة الخيال تأكيد للحرية فانها فى ذات الوقت نكوص عن الواقع بغية اعادة صكه من جديد . وتوصل كوت – إثر تحليل سريع لأدبيات سارتر «كالذباب» و «سجناء التونا» و «دروب الحرية» و «الغثيان» – إلى أن سارتر هجر الرواية فى أخريات أيامه – مما يؤكد أن سارتر – أديبا – هو رجل الكلمة المباشرة . والمقال الثانى نشر فى الليترارى ريفيو (وهى تصدر عن دار نشر يملكها عربى) تحت عنوان «ضد السارترية» بقلم كولن ويلسون . وقد حاول ويلسون – كدأبه – لىّ عنق السارترية ليدخلها فى زجاجة «اللامنتمى» الاثيره لديه والتى ظل يستقطر عصيرها البائت ربع قرن أو يزيد : فأبطال سارتر لشعورهم الحاد «بتلوث الأشياء المرضى» على حد تعبير السيد ويلسون – موقنون بأن حيواتهم لا معنى لها . وما الحياة إلا خداع للذات لعجزنا عن السيطرة عليها . وقد أرهق ويلسون نفسه فى تفسير وقائع شخصيته ليستخرج منها قرائن تدعم نظريته – ولم يتوصل الى شىء كبير . ومن ناحية ثالثة فان مقالة استفان فيزاروس – استاذ الفلسفة بجامعة سسكس – «سارتر فى بحثه عن العصر الانسانى» – بملحق التايمز التعليمى – فهو مثال طيب للفهم التخصصى العميق . ويرى فيزاروس بأن سارتر قد أكمل انجازاته بوفاته . والاسئلة التى ظل يلح على طرحها طيلة حياته تزودنا بمفاتيح صالحة لفك مغاليق اعماله وهى اسئلة تشكل تحديا وجوديا للذين يتظاهرون بانه لم يطرحها قط ، وللذين يريدون إحالته الى قطعة اثرية ثمينة فى متحف الثقافة رغم انه فولتير معاصر ، أى مرآة نقدية عاكسة لقضايا زمنه الملحة . وأبرز ملامح سارتر أنه حقق مقولة ترتليان الشهيرة «كل من ينتصر يجدنى على الجانب الآخر» أى السلبية الراديكالية ، وأعظم انجازاته كانت مقدرته الفذة على حفز وإثارة وهز عقول الآخرين ودفعهم لتحديد مواقفهم من القضايا التى تجابههم وليس مهما انهم قد يتوصلون الى نتائج غير تلك التى توصل إليها .

ولم يكن العمل عند سارتر مجرد بناء ذهنى ولكنه وجود كامل . كان يعيش مؤلفاته محققا وحدة فريدة بين الفكر والعمل لمدى خمسين عاما . وعندما أحس بأن المثقفين – تحت وطأة النزال السوسيوتاريخى الشامل – أصبحوا موضع الشك والمساءلة توصل الى معادلة «المثقف الجديد» الذى «يدمج كليا فى الفعل الجماهيرى الخلاق» وتوصل الى أن الأحزاب السياسية معرض للتشويش العقلانى لأنها تفترض أن الأفكار تنحدر من فوق لتشكل البناء التحتانى .. مع ان الفكر ينبع من القاعدة «فالأحزاب انقضى زمنها» ويرى فيزاروس أن ديكارت ، وكيركجورد ، وماركس ، وهوسرل ، وهيدجر ، لم يكونوا ذوى تأثير عميق فى حياة سارتر الفكرية كما يزعم النقاد وأن هيجل وكانط هما استاذاه الحقيقيان . والأخير هو الذى اتكأ عليه سارتر فى صياغة رؤياه الأخلاقية ، وزوده بالأسس المنهجية اللازمة لشق طريقه وسط الثنائيات الفلسفية الملغزة كالكائن والصائر ، ومجتمع الواقع ومجتمع الحق والوسيلة والغاية والفعل المحبط وجذرية القصد .. الخ . وفى عرف سارتر ليس هناك مجال للتأمل الفلسفى الصرف إلا من منحى ديناميكى ، فاقتصر تأمله فى حركية التاريخ على «شكليته المعمارية» والتى يمكن إعادة تركيبها دون الاصطدام بالمجرد . ولهذا يعد نقد العقل الجدلى أعظم عمل كانطى فى هذا القرن . وبذل سارتر جهدا مؤلما فى التبشير بعصر الانسان – ذلك العصر الذى لن تكون للاقتصاد فيه مرتبة عليا . ومن هنا يبدأ خلافه مع الماركسيين وتتجلى الخطوط العامة لرسالته الانسانية .

بالرغم من ردّ الفعل الهزيل لوفاة سارتر يمكن الإشارة إلى ثلاث مقالات لافتة للنظر

ادموند هوسرل

هيجل

مسرح

هارولد بنتر وأوراقه القديمة

اوجين يونسكو

كافكا

هارولد بنتر يعده الحكام الآن انضج كتاب جيله المسرحيين فاعمال كـ «المتعهد» و «حفلة عيد الميلاد» و «العودة الى البيت» و «النادل الأبكم» و«الخادم» و «الحادث» لقيت نجاحاً فنياً وجماهيريا طيبا . ورغم دينه الواضح لأونسكو و كافكا ـ الشىء الذى قلّ ان يعترف به الانجليز ـ فانه ليس عبثيا بحال من الاحوال ولكنه يستخدم ضرباً من الواقعية ذات الصفات السائبة ومسرحه فى صميمه هو مسرح الكوميديا الاجتماعية مع تركيز خاص على سايكولوجيا الأفراد . كَـرَّ بنتر راجعاً الى أوراقه العديمه هذه الأيام وانتشل من أضابيره مسرحية يعود تاريخ تاليفها الى عام ١٩٥٨ هى « المستنبت الزجاجى » . حذف منها أجزاء صغيرة بيد أنه لم يجر أى تعديل عليها . والسؤال هو :لماذا طواها طيلة هذه المدة ؟ هل أفلس ؟ هل هو مجرد توق للسخرية بالجمهور والنقاد الذين يتقبلون الابداع مهما تكن قيمته مادام الكاتب قد اصبح مشهوراً ؟ إننا إذا عدنا القهقرى اثنين وعشرين عاماً نجد مسرحيته «حفلة عيد الميلاد» قد اسدل ستار الفشل عليها إثر برطمات النظارة الساخطة ووسط هجوم داهم من النقاد الذين اتهمه بعضهم بالسرقة الفاضحة . لعله خشى على «المستنبت الزجاجى» مصير شقيقتها فآثر إخفاءها فى قعر درج مكتبته ـ وكان أنذاك كاتباً مبتدئا يصارع للحصول على جمهور .

وتدور المسرحية فى مكان لا يمكن تحديد هويته بالضبط . وعدا النهاية فالأحداث تترى ـ كما يبدو ـ فى مستوصف للعلاج النفسى مع اننا

المستنبت الزجاجى : الكولونيل وعشيقته

لا نشاهد الأطباء ولا الممرضين . والنزلاء الذين يشار إليهم بالمرضى والعجزة ألقى بهم فى «المستنبت الزجاجى» بتوصية من «الوزارة» . وهم محبوسون فى غرفهم المغلقة بالضبة والمفتاح . وهم لا يظهرون قط على الخشبة . والوحيدون الذين نشاهدهم هم «الموظفون» بستراتهم الرمادية التى تضفى على الجو قتامة . وليس للمرضى اسماء . مجرد أرقام فقط . والقائم بأمر المستوصف كولونيل متقاعد (روث) ومساعده الأول هو السيد (جيب) . والعلاقة بينهما مزيج من التودد الكاذب والحقد والتملق . وكلاهما عشيق للآنسة كتس . وهناك (لوش) وهو رجل فى مقتبل العمر يكتنف الغموض تصرفاته وتحركاته . أولئك هم شخصيات المسرحية الرئيسية . ونعرف أن المريض رقم ٦٤٥٧ هلك فى ظروف غامضة . والمريضة رقم ٦٤٥٩ حبلت ووضعت مولوداً سفاحاً . ويتركز الشك مع تصاعد التوتر على المدعو لامب (الحمل) ويلقى ألوانا من العذاب اثناء التحقيق الرهيب الذى يجرى معه . وبعد مجزرة رهيبة يتعرض لها الموظفون وينفذها النزلاء بوحشية فظيعة ، يقع اللوم على روث ـ على أن جيب قد يكون الفاعل ـ على أننا فى النهاية لا نستطيع قطع الشك باليقين أو هكذا أراد المؤلف .

والمسرحية تكشف عن موهبة «بنتر» المبكرة وقدرته على الحوار الكئيب والخيال المرعب الذى يتفجر بالصرخات المتقطعة والآهات التى تتطاير فى الزوايا المظلمة والأضواء التى تبرق كالأمواس المجردة فتزيد فى رهبة النظارة وتوتر اعصابهم المشدودة . ومع أن «بنتر» بمستواه الحالى قد مسته يد النضوج إلا أن البذور الاساسية لتركيبه الفنى لا يمكن أن تخطئها العين المتفرسة : الروح النقدية الساخرة ، التمويهات العاطفية ، الصمت المنتفخ بالايماءات ، كراهية السلطة أيا كان نوعها . فروث الذى يقضى الوقت يتمزق ألما وخوفا على سلطته المتلاشية ويصر على أن ينادى بسيدى ، ويأكله الظن بأن المرضى يكنون له المقت والازدراء . فيقف على حافة الجنون ـ روث هذا صوره «بنتر» فى صورة حيوان مجرد من الاحاسيس البشرية خاصة فى منظر التحقيق ، حين يشوى «جيب» والآنسة «كتس» المسكين لامب شيأ فى ميزان العذاب . والمسرحية تذكرنا تذكيرا قويا بمسرح العبث الفرنسى . إنها عبارة عن مجاز عقلى ساخر عن مؤسسة حكومية مجهولة ـ تبدو فى ظاهرها مستشفى للمجانين ولكنها فى حقيقة الأمر سجن كبير ، يقع فى فخه المرضى والمشرفون على السواء . شخصياتها كتل محترقة من الفصام والبارانويا . وهى بكل غموضها الخبيث ومغازلتها العبثية للواقع ينتظمها خيط منطقى : عزلة الانسان المعاصر ، فساد المؤسسات بيروقراطية الأجهزة التى تخنق وتسمم حيوات الناس . وهى نغمة احتجاج ضد سلب المجتمع لانسانية الانسان وتكميم فمه وتمزيق آدميته ـ بالقيود ـ ونحن بين الفعل وتوقع الفعل نكتشف أن المسرحية محاولة كابوسية لايقاظنا من كابوس القرن العشرين : كابوس مزرعة أورويل ومسخ كافكا .

زوبعة فى فنجان

سومرست موم

سومرست موم القاص المعروف الذى تارجح النقاد فى تقييمه بطريقة تثير الشفقة – إذ تراوحت احكامهم بين الاشادة المبالغ فيها والتى تضعه فى مصاف تشيكوف وموباسان ومن لف لفهم من العظماء وبين الاهانة والتحقير والاتهام بالسوقية والابتذال – والذى من ناحية اخرى ترك بصماته فى الاقصوصة العربية المعاصرة (محمود البدوى وجمال عبد الملك على سبيل المثال) ، كادت ان تسدل عليه ستر النسيان الرحيم لولا صدور كتابين فى الأيام الماضية «سومرست موم» لتيد مورجان ، وفضيحة سيرى موم «لجير الدمكنايت». أثار الكتابان – وكلاهما يركز فى حياة موم الشخصية بل البالغة الخصوصية – لغطاً شديداً فى الاوساط الادبية انعكس على صفحات التايمز الأدبى وشارك فيه بعض اصفيائه ومعارفه وعلى راسهم كتاب مرموقون منهم فتزجبورن (صاحب السيرتين الممتازتين عن الشاعر الويلزى ديلان توماس والأديب الهالك نورمان دوجلاس) ، وكاتبة السيرة الشهيرة فكتوريا فلندننج والروائية العجوز ربيكا وست . وكان موم فى مغرب حياته قد أشار بتهكم مكتوم الى انه لا يخشى أن تكشف الحقائق عنه «ولكنى اخشى أن يحرج آخرون» ووجه مدير اعمال تركته الادبية – كيرتس براون – بأن يحجب الوثائق التى تعين على كتابة سيرته ، كما كتب الى اصدقائه متوسلا ليحرقوا رسائله . على أن تيد مورجان استطاع أن يخترق السياج الحديدى ونالت المسودة الأولى لكتابه عطف ومباركة براون فقدم له مساعدات قيمة مما مكنه من تعرية موم « من الأساطير التى نسجها حول نفسه» . فهو فى هذا الكتاب منعوت بأوصاف يعف القلم عن ذكرها أهونها الشذوذ واللؤم . والخلاصة التى نخرج بها من مطالعة عمل مورجان هى صورة رجل انكليزى فيه كل مثالب الفكتوريين من غلو ظاهرى ينطوى على النفاق وتانق كاذب ليس وراء ملمسه الحريرى سوى المخالب التى تقطر بالقسوة والمداهنة . ولا تختلف اللوحة التى رسمها مكنايت كثيرا . فهو يفضح الرجل من خلال زوجته سيرى موم . وكان موم قد بنى بها عام ١٩١٧ وكان فى الثالثة والاربعين . ويرى مكنايت ان الزواج كان مجرد غطاء لكليهما : لحياته السرية الملوثة من جانب ولاضفاء الشرعية على ابنتها من جانب آخر . وقد انحت الروائية ربيكا وست على مكنايت باللوم – وكانت قد امدته بمعلومات خاصة عن سيرى – واتهمته بالتلفيق والتزوير وقرعته لانه لم يعرض عليها المسودة النهائية لايقانه بانها لم تكن لتوافق على بعض ماجاء فيها . ونفى فتزجبورن بدوره نفياً قاطعاً ما أورده مورجان بان موم قد مد يد العون المالي للكاتب نورمان دوجلاس . وأشار الى ان الأخير كثيراً ما شكا له من وضاعة وبخل موم وكان دائماً ما يصفه بكلمة نابية . غير أن ربيكا وست ردت بواقعة محددة تؤكد عطف موم على دوجلاس ، وبانه وإن لم يكن حاتمياً « كقالزورثى فانه كان يعطى» . هذا بعض ما أثاره الكتابان من «قضايا» ليس فيها اشارة لفن موم وابداعه وموقعه فى صف كتاب القصة المعاصرين . والطريف أن كاتبا كبيرا كقراهام قرين – المعروف بايثاره الصمت – دخل الحلبة وادلى بدلوه . مما يثير سؤالا هاماً حول «الحدود» التى يجب أن يلتزمها كتاب السيرة .

أوكيسى

الأم الحزينة : دراما حية .. جديرة بكاتب عظيم

تصادف هذه الأيام الذكرى المئوية للكاتب المسرحى الايرلندى سين اوكيسى (١٨٨٠ – ١٩٦٤) ، وقد احتفل بها على نطاق واسع خاصة فى وطنه الأم . واوكيسى معروف فى اوساط المهتمين بالمسرح فى العالم العربى . فقد ترجمت بعض مسرحياته للعربية منها (زهور حمراء لأجلى) و (المحراث والنجوم). ومسرحه – مزيج من الواقعية والغنائية – ينبع من تجارب حياته وما كابده من فقر فى شبابه ، وما ينتج عن الفقر من جرائم وانحرافات . وبعد محاولات فاشلة ، اقبل عليه مسرح الأبى وقام باخراج بعض روائعه التى تعكس عنف الخلفية وحيويتها الدموية . وأثارت «المحراث والنجوم» وهى تدور حول انتفاضة عام ١٩٣٦ فى ايرلندا هزة من الغضب والاستياء وزاد الطين بلة ان الشاعر العظيم رفض بعض اعماله ، فهاجر الى انجلترا مفعماً بالمرارة ، وهناك شارك فى بعض النشاطات الهدامة وانغمس فى كتابة مسرحيات تجريبية منها«داخل البوابات» ، بيد انها لقيت إخفاقاً ذريعاً وتجلت تجريبيته المجهضة فى سيرته التى اخرجها عام ١٩٣٦ فى ستة اجزاء . ففيها مزج بين الحكاية • المباشرة والحوار المسرحى وتيار الوعى . ولم يقتصر الاحتفال على إعادة اخراج اعماله على الخشبة وانما أدلت الاذاعة البريطانية بدلوها ببث ثلاث من مسرحياته وعلى رأسها رائعته «زهور حمراء لأجلى» كما اجريت لقاءات تليفزيونية مع معاصريه الأحياء فاضاءوا حقا جوانب من حياته وفنه . وكان وجه ارملته «ايلين» ينضح بالذكرى وهى تتحدث عن حياته العاصفة ، وعرضت لمحات من صوره فى شتى الاحوال والأوضاع حيث بدا انيقا طروبا بقلنسوته . ومن ناحية اخرى أصدرت دار «البان» سيرته فى طبعة جديدة من جزئين . وخصصت مجلة «الآيرش ريفيو» عدداً كاملا له . ناقش الناقد جون جوردان فى مقاله توجهات أوكيسى الأدبية وحاول أن يربط بين السيرة والمسرحيات . وكتب آلان سمبسون تحليلا ممتعاً عن الأثر الذى خلفته حياته المبكرة فى احياء دبلن على فنه . وتناول مايكل أوهادها جانباً مجهولا من جوانب أوكيسى بتحليل وعرض مسرحيته «مهرجان الحصاد» . ومن السهل أن ندرك لماذا رفضها مسرح الأبى : فالحوار جامد والبنيان ضعيف مهلهل وهى عمل مبتدىء وإن لم تخل من بذور واعدة . على أن اكثر الاشياء تأثيرا مشاهدة النسخة التليفزيونية. لـ « زهور حمراء لأجلى » فمنظر الأم الحزينة التى كاد أن يفتتها الحزن على ابنها – قطعة من الدراما الحية الجديرة بكاتب عظيم .

كتب جديدة

الوضع الأفريقى
تأليف : على مازروى

الأفريقيون هم ضحايا التاريخ المعاصر!

على مازروى مفكر افريقى من اصل كينى ، ليبرالى النزعة يعمل الآن أستاذاً للعلوم السياسية بجامعة ميتشجان بالولايات المتحدة الامريكية . ومن قبل ، اثناء شغله لكرسى العلوم السياسية بجامعة مكريرى باوغندا كان له تأثير ساطع على أجيال من الطلاب الافريقيين بل على سياسة اوغندا إبان حكم عيدى أمين . صدرت له من قبل عدة دراسات اهمها : العلاقات الدولية فى افريقيا ، القيم السياسية والطبقة المتعلمة فى افريقيا ، ومحاكمة كريستوفر اوكيجو . ويتمتع مازروى بمقدرة جدلية مؤثرة وقدرة على طرح القضايا الساخنة بطريقة فريدة . وهذا الكتاب فى أصله «محاضرات ريث ١٩٨٠» التى تشرف عليها هيئة الاذاعة البريطانية سنوياً وتختار لها مفكرا مرموقاً فى ميدانه . وفى هذه المحاضرات ينظر مازروى الى الوضع الافريقى فى الثمانينات . ويحتوى الكتاب على تمهيد وست محاضرات هى على التوالى : تفسخ جنة عدن ؛ صليب الاذلال ؛ صدام الثقافات ؛ عبء التخلف ؛ أطر الهوية ؛ وفى البحث عن الايقونة الافريقية . ويرى مازروى أن افريقيا اشبه بمركز للعالم ؛ ومن بين القارات القديمة لعبت دور الجسر بين الشرق والغرب .. أما شمالها فقد تبدلت هويته عدة مرات عبر القرون ، فقد كان ـ فى حين من الدهر ـ امتداداً لأوروبا ، ويرجع هذا الى زمن الاستعمار الهللينى وفيما بعد الى الامبراطورية الرومانية ، وحتى وقت قريب كالقرن السابع عشر ، فان الفكرة بأن رقعة الأرض جنوب البحر المتوسط ذات خصائص فارقة عن تلك فى شماله كان من الصعب قبولها . والمفهوم القديم بأن شمال افريقيا كان الجزء الجنوبى من أوربا ، كان اخر دعائمه اليائسة محاولة فرنسا الابقاء على الجزائر كاقليم فرنسى ـ ذلك ما مزق الرأى العام الفرنسى فى الخمسينات وخلق ازمة أتت بديجول الى الحكم عام ١٩٥٨ ، وفجر العداء بين اليمين واليسار حتى استقلت الجزائر عام ١٩٦٢ ـ هذا بالرغم من أن شمال افريقيا كاد أن يصبح تدريجيا جزءاً من آسيا ـ على حد قول مازروى ـ فمنذ القرن السابع تغلغل فيها الاسلام والعروبة . والحق أن اغلبية العرب فى قرننا هذا يعيشون فى أفريقيا مع أن الدول العربية تقع فى آسيا الغربية . والذين يتحدثون العربية فى افريقيا أكثر عددا من الذين يتحدثونها فى شبه الجزيرة العربية . وقد أصبحت اللغة العربية اهم لغة فى أفريقيا ، كما أن الاسلام له أثر قوى فى تعزيز الروابط بين آسيا وافريقيا . والصلة بين القارتين ترفدها المشاركة فى محنة الاستعمار والاذلال العرقى للشعوب السوداء والصفراء . ومن ناحية اخرى فان الصلة بين افريقيا وأمريكا اللاتينية تنطوى على تجربة الاستغلال . فأمريكا اللاتينية بالنسبة للولايات المتحدة تشبه أفريقيا فى صلتها بأوروبا . وهناك أوجه شبه أخرى منها عبء التقسيم الى دويلات لكى يسهل النفاذ اليها ، ومنها البنية الاقتصادية والثروات الطبيعية فى كليهما . ويرى مازروى أن موقع افريقيا الاستراتيجى له مترتبات عديدة ـ فعلى سبيل المثال فان السيطرة على البحر الأحمر أصبحت لعنة الدبلوماسية فى القرن الافريقى . والتنافس الحاد بين الغرب والسوفيت فى جعل اثيوبيا والصومال مركزاً للتأثير إنما غرضه أن تكون للفائز اليد العليا فى منابع البترول . وبعد أن يخلص مازروى الى تأكيد الأهمية الجغرافية والسياسية لافريقيا يعالج فى محاضرته الثانية «صليب الاذلال» ويقصد به الاذلال العرقى . ويقول إنه كافريقى قد عانى منه شخصياً فى شتى أشكاله وفى بلدان مختلفة وأوقات متباينة ، عانى منه فى كينيا إذ نشأ فى وسط يفوز فيه الابيض بكل شىء وعانى منه لأنه متزوج من سيدة انجليزية بيضاء .

ومازروى بحسه الدقيق يرى أن المشكلة تكمن أكثر فى التفرقة العنصرية غير المباشرة ، فاسوأ انماط التحيز العرقى هو عندما تتعرض لموقف ما ولا تكون على يقين بأن محاولة لاضطهادك عنصريا قد جرت ، فتتمزق بين مخالب الاحتمالات . وبعد أن يفيض مازروى فى تجاربه الشخصية ينتقل الى العالم . ففى أمريكا الشمالية نعرف أن الهنود الحمر قد سقطوا ضحية لأبشع ضروب العنف فى التاريخ ـ وهو عنف فاق ذلك الذى تعرض له الزنوج المستوردون . فعموما كان الهنود بنظر البيض مجرد حشرات سامة يجب القضاء عليها لكى يتفرغ الغازون لبناء الحضارة . وانقرض منهم مئات الآلاف . ومن جهة أخرى فان البيض رأوا فى الزنوج مصدرا مهماً للعمالة ، لم يكن السود جراثيم يتوجب إبادتها وإنما كانوا عمالة ـ رخيصة يمكن استغلالها ، وكلا الهنود والزنوج جردوا من انسانيتهم ـ بيد أن الهنود وحدهم لم تكن لهم قيمة . والمعاناة الجسدية ـ إذن ـ ليست بالشىء الغريب عن تجربة الزنوج ـ على أن القسوة والوحشية شىء والاذلال شىء اخر . الأخير يتخذ شكل الحط الاجتماعى والسايكولوجى ـ وهو يساوى الانسان بالسلعة والبضاعة تحتفظ بقيمتها ـ ولكنها كقيمة الخنازير فى مزرعة أو الضان فى مرعى . والاذلال ينطوى أيضا على ابقائك منفصلا مبعدا ومتهماً بانك عنصر من عناصر التلويث الاجتماعى . فنظام المنبوذين فى الهند والفصل العنصرى فى جنوب افريقيا أو الولايات الجنوبية القديمة فى أمريكا ضرب من ضروب الاذلال الممنهج المؤسس . هؤلاء المنبوذون ينوءون بضغوط الانسحاق الثقافى والوجدانى . وبهذا المعنى فان الافريقيين هم أكبر ضحايا التاريخ المعاصر . وهناك بالتحديد ثلاثة اقاليم للاذلال والعبودية تجارة الرقيق ، والاستعمار ، والتفرقة العنصرية حيثما وجد السود فى مجتمع ابيض . وقد شهد

بن بيلا

ليو بولد سنجور

امتلاك العبيد يفرض مسئوليات جديدة على السيد !!

القرن التاسع عشر التوسع المهول فى تجارة الرقيق . وبنهاية القرن السادس عشر قدر عدد العبيد الذين أصطيدوا من غرب أفريقيا بنصف مليون . وفى القرن التالى بثلاثة ملايين ، وفى القرن الثامن عشر بستة ملايين ـ قامت بشحن نصفهم السفائن البريطانية . وربما كان نصيب بريطانيا راجعاً الى تفوق قوتها البحرية وانفتاح اسواق العالم أمام تجارتها البغيضة ، وربما لأن بريطانيا كانت تسيطر على الجزء الغربى من أفريقيا وهو أكثرها ازدحاماً بالسكان وأغناها بالموارد الطبيعية . ويتساءل مازروى لماذا أفريقيا بالذات كانت عرضة لتلك الهجمة ؟ لماذا لم يستغل البيض الهنود كعمالة رخيصة ؟ والحق أن محاولات جرت لاستخدام الهنود الحمر خاصة فى أمريكا الاسبانية . ولكن هذه الجهود لم يكتب لها النجاح فالهنود الحمر لم يكونوا خامة صالحة للعبودية لجملة أسباب : أولا ، إن المجتمعات الهندية كانت تعيش فى مرحلة الصيد بينما جاء الغرب أفريقيون من مجتمعات زراعية مستقرة . ثانياً إن التعرض للأمراض التى تصيب الرجل الابيض كان اكثر خطورة للهنود الحمر منه للزنوج الذين كان الميكانزم الوقائى خاصتهم اقرب للرجل الأبيض . ثالثاً ، إن الهنود كانوا يصطادون فى أرض ليست غريبة عليهم فكان يسهل عليهم الهرب من المستوطنات بينما كان الافريقيون على مبعدة آلاف الأميال من مساقط رؤوسهم فالهروب فى البرية كان شبه مستحيل . ويطرح مازروى سؤالا مؤداه : لماذا لم يغز الاوربيون شمال افريقيا لاستعباد العرب والبربر؟ لماذا لم يسترقوا الهنود ؟ ويرى أن السبب الأول جغرافى فغرب افريقيا والكاريبى وأمريكا الجنوبية كانوا فى متناول اليد(!). وسبب آخر يكمن فى الهوة الثقافية بين الحضارتين الافريقية والاوربية . فالأفريقيون بدوا بدائيين يصلحون للوظائف الدنيا ومنها وظيفة الرقيق . ثالثاً كانت هناك المسافة العرقية الشاسعة بين المستعبدين البيض والعبيد السود . والمصطلح الذى يستعمله الاوربيون حين الاشارة الى لونهم هو «الأبيض» وبالتالى إلى الافريقيين كسود ركز على تدرج الالوان ـ فكان من السهل على الاوربيين أن يسلبوا انسانية الذين يختلفون معهم فى الثقافة واللون ويسترقوهم . وهناك سبب آخر هو ضعف «الأفريقيين» العسكرى . فثقافتهم الحربية المبنية على الرماح والسهام والأقواس لم تكن لتصمد أمام «فكر» المدافع والبنادق والشىء العجيب أن بريطانيا مع بداية القرن التاسع عشر أضحت من كبار الساعين لتحطيم تجارة الرقيق ، والسبب ـ ببساطة ـ فى أن الراسمالية الناضجة أضحت أكثر استعدادا للقضاء على الرق فى افريقيا إذ أن التقدم التكنولوجى وصل مرحلة كانت فيها السخرة أقل فائدة من العمل الماجور . فالعامل الذى يؤجر لمدة اسبوع أقل تكلفة من العبد الذى يملك مدى الحياة (امتلاك العبيد يفرض مسئوليات إضافية على السيد من إطعام وإيواء) .

إن المحاضرات ينتظمها خيط تكميلى تلمع فيه جواهر فكر منظم وتبرز مقدرة على التحليل والتحدى الذهنى المنشط للقراء . ومازروى مثل طيب للمفكر الافريقى المشرف مهما اختلفنا معه .

كتب جديدة

دلبر سكوت

فى السنوات الأولى لهذا القرن كانت مهمة تحطيم الماضى وأصنامه من نصيب ثلاثة رجال هم : برنارد شو وجيمس هنكر ومنكن

تتساقط الاتهامات المريرة كالشهب فى حقل الآداب والفنون بسبب عجز النقد عن مواكبة الانتاج أو هكذا يزعم المبدعون الذين تتراوح علاقاتهم بالنقاد بين الكره والتملق والخوف والتودد . وتهمة الانطباعية هى السبة التى يلصقها الأدباء بجبين النقاد المساكين ـ على أن النقد ـ مع انه اصبح علماً او كاد ـ يقوم فى اسسه المبدئية على الانطباعية . أليست الانطباعية

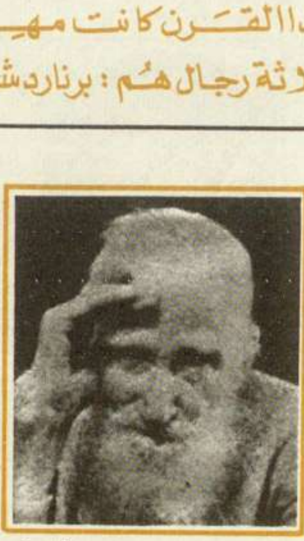

برنارد شو

الحقة مزيجاً من الذوق والثقافة العميقة المتفاعلة والاحساس النافذ بتيارات الفكر ؟ فى هذا الكتاب القيم يطرح الاستاذ سكوت التوجيهات الخمسة للنقد المعاصر : الاخلاق ، السايكلوجى ، السوسيولوجى ، الشكلى والنموذجى . ففى هذا القرن فان التوجه نحو التقييم الخلقى عبر عنه الانسانيون الجدد . كان وكدهم النظر الى الأدب بحسبانه «نقداً للحياة» . معيارهم فى ذلك الانضباط والنظام الصارم . أما تطبيق السايكولوجيا على الأدب والفن فهو يزودنا بلغة محددة نناقش بها عمليات الابداع . وهو يركز على حيوات المبدعين علها تلقى الأضواء على نتاجاتهم . كما يمكن استخدام السايكولوجيا فى تحليل الشخوص الخيالية التى يبتكرها الأديب . ومن ناحية أخرى فان النقاد السوسيولوجيين يضعون العمل الأدبى فى سياقه الاجتماعى ويعنون بتلك العلاقة . على أن المنهج الشكلى هو أكثر المناهج سطوة فى زماننا هذا وقد استقطب حماس معظم النقاد الكبار . وميزة المنهج النموذجى هو أنه ـ سواء أحسن أو اسىء استخدامه ـ يعكس التبرم والضجر بالفكرة القائلة بأن الانسان مخلوق عقلانى .

ومما يسترعى الانتباه كما يقول سكوت أن النقد فى السنوات الأولى لهذا القرن ساده الاكاديميون ، أمثال برونيل وسانتيانا ودبرى فى

أمريكا ، وجورج ستتسبرىورالى وبرالى فى بريطانيا . ولم تفلت التركة من أيادى الأساتذة إلا فى الثلاثينات عندما ارتبط النقد أكثر بالكليات الجامعية ومتخرجيها كتاباً ومحررين فى الدوريات الأدبية وكانت مهمة تحطيم الماضى وأصنامه من نصيب ثلاثة رجال : برنارد شو الذى اشتبك مع الآلهة القديمة منذ الثمانينات القرن التاسع عشر عندما دخل مجال الصحافة وانتقلت ملاحمه الى مقدمات سر حياته . وجيمس هنكر الذى تالقت مقالاته عن الفنون فى النيويورك صن عام ١٩٠٠ وما تلاه . وثالثهما هـ . ل . منكن الذى اصبح الناقد الأدبى لمجلة «العصبة الذهبية» عام ١٩٠٨ . انشب هؤلاء الثلاثة اظافرهم فى لحم الفكتورية . واليوم يبدو اسهامهم الرئيسى فى هجومهم الناجح على الفيهقة الطهرانية والجمود الفكرى . وفى عام ١٩١١ دعا رندلف بورن فى كتابه «الشباب والحياة» إلى غربلة الماضى ونخله بصورة جدية . وتجاوبت أصداء دعوته فى كتاب فان ديك بروكس «أمريكا فى سن الرشد» ١٩١٥ ، ومؤدى الأمر أن تحطيم الاصنام الذى قام به «شو» و «هونيكر» و «منكن» فى المجال الفكرى والاجتماعى احتاج الى زمن ليجد صدى فى ميدان النقد الأدبى .

ويبدو أن من بين أنماط ـ المنهج الأخلاقى ذو تاريخ مغرق فى القدم يرجع الى افلاطون وهوراس واقطاب عصر النهضة كفيليب سيدنى . أما دكتور جونسون ـ صرح القرن الثامن عشر ـ فلم يتردد فى الحكم على المحتوى الاخلاقى فى أعمال الشعراء الذين تناولهم فى كتابه «حيوات الشعراء» كما ناقش المعلم ماثيو ارنولد «الجدية العالية» فى الفن . كل هؤلاء العظماء كانوا موقنين بأن الأدب ليس مجرد أداة توصيل جمالية ولكنه محتوى ـ ذلك الانفصال الذى يعبر عنه بالشكل والمضمون أصبح مؤثلا فى زماننا منذ أن ركز الشكليون جهودهم النقدية فى «طريقة القول» لا القول فى حد ذاته . أما الانسانيون الجدد فعندهم أن دراسة التكنيكات هى عبارة عن نظر فى الوسائل بينما هم مهتمون بالهدف النهائى . وفهمهم للانسان كلاسيكى الطابع ويعود الى عصر النهضة . وتبعا لذلك فالانسان حر ومسؤول . والحرية فى نظرهم ليست فقط الانعتاق من الظروف والملابسات المحيطة بل هى الخضوع «لقانون داخلى» . والحركة التى ربطت نفسها بهذا الموقف أمريكية فى أصلها . ومن خلال بول إلمر مور وروبرت شيفر وقورام مونسون وستيوارت برات أصبح الانسانيون الجدد تياراً دافقاً فى نهر النقد الحديث . وعندما مات بابيت ومور وهما من أكبر المنافحين عن الأنسية الجديدة كان المنهجان السوسيولوجى والانطولوجى قد جذبا الى مدارهما العديد من النقدة الشباب . ومهما يكن فان عباءة الانسية الجديدة فضفاضة بحيث يمكن أن نطلق على ت.س.اليوت «الأنسى المسيحى» كما يمكن أن ندخل تحت جناحها نقاداً من طراز ليفير الانجليزى وايفور وينترز الامريكى .

وفى أوائل هذا القرن كان فرويد قد أصبح معروفا . وترجم بريل «ثلاثة اسهامات فى نظرية الجنس» عام ١٩١٠ و «تفسير الاحلام» عام ١٩١٢ . كذلك اخرج د. ارنست جونز عام ١٩١٠ محاولته لتفسير هاملت من وجهة نظر فرويدية . كانت هذه الأعمال محل اهتمام الكتاب بوصفها مفاتيح لعمليات اللاوعى ودوافع الشخوص الروائية . ويمكن بسهولة تفسير جاذبية الفرويدية للمبدعين : لقد قدمت المدرسة الطبيعية الفرنسية على الأخص صورة للانسان كضحية للبيئة والظروف والتركيب البيولوجى . ولقد عززت الفرويدية هذه الرؤى معطية «المصطلحات العلمية» اللازمة لفهم روابط الانسان مع «جبرية الليبيدو» ومع القيود الاجتماعية القاهرة . وبيد أن السايكولوجيا رفدت النبض الرومانسى وتعبيره عن الذات وبحثه الدائم عن الشاذ والغريب . ويمكن على ضوء هذا اعتبار جنوح الرمزيين الفرنسيين والتجريبيين الذين اعقبوهم «مسيرة فى اللاوعى» واضحت القيم الفكتورية والتوجيهات الطهرانية فى أمريكا هدفاً سهلا لهذا السلاح الجديد خاصة بعد أن شحذت شفرته نظريات أدلر عن «عقدة النقص» وكارل يونج عن «العقل الجمعى» . وإذا كانت فضائل اللطف والرقة والطهارة والتبجيل يمكن تفسيرها كمحصلة للكبت غير المعافى للغريزة أكثر من كونها تجليات القداسة ، فان دراسة راندلف بورن «تشدف الطهرى للقوة» هى مثال لما فعلته السايكولوجيا بهذه القيم التقليدية . وازدهرت حديقة النقد الأدبى بأعمال كونراد ايكن «تشككات : ملاحظات حول الشعر المعاصر» وساهم ماكس إيستمان وفلويد ديل كمحررين لمجلة «الجماهير» فى إشاعة المنهج السايكولوجى . وفى انجلترا كتب روبرت قريفز من زاوية جديدة وهى محاولة تطبيقية لنظرية و . هـ . ريفز عن صراع الشخصيات النابعة من اللاوعى . ونادى هربرت ريد باستخدام الطرائف الجديدة فى كتابه « العقل والرومانسية » عام ١٩٢٦ . وكان الهجوم على المنهج السايكولوجى ذا شقين : التهمة الأولى هى التبسيط كالذى حدث فى بادىء الأمر عندما كانت الأدوات فجة نيئة . والتهمة الثانية : أن هذا النقد أكثر «مركزية» . فالفن يختلف عن الحلم لأن الفنان ـ على الأقل الى حد ما ـ يسيطر على إبداعه . والحلم اعتراف جبرى والفن يصاغ صياغة . وينتقل بنا الكتاب الى المنهج السوسيولوجى الذى يقدم على أن العلاقة بين الفن والمجتمع علاقة جذرية ذات أهمية بالغة ، وأن ادمان النظر فى تلك العلاقة ينظم ويعمق رد الفعل الجمالى نحو العمل الفنى . فالفن لا يخلق ى فراغ ـ وهو ليس عملا فرديا ولكنه نشاط محدد بالزمان والمكان . والناقد يهتم

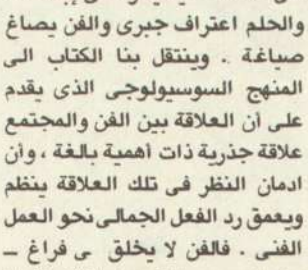

سيجموند فرويد

بفهم الوسط الاجتماعى ومدى استجابة الفنان له . إن إدموند ويلسون يعود بالنقد السوسيولوجى الى دراسة فيكو لملاحم هومر فى القرن الثامن عشر . وتابع هيردر هذا المنهج فى القرن التاسع عشر . إلا أن الفرنسى تين هو الذى منحه زخمة بمقولته الشهيرة بأن الأدب هو نتاج العصر والجنس والوسط . وقبل نهاية القرن اضاف ماركس وانجلز عاملا رابعاً هو وسائل الانتاج . وفى أمريكا نجد هاملن جارلند وجاك لندن وهاولز ونوريس معنيين بالعلاقة بين الأدب والمجتمع . وفى انجلترا وأمريكا إبان الثلاثينات تحول الكتاب نحو اليسار ونجد شاهدا على ذلك اشعار أودن وسبندر وراى لويس وماكنيس ويمكن النظر أيضا الى مؤلفات مثل «العقل فى الاصغاء» لراى لويس و «تيارات فى النقد الأمريكى» لسميث و «تحرير الأدب الأمريكى» لكالفرتون والفخ الذى يمكن أن يتردى إليه النقد السوسيولوجى هو السذاجة فى التطبيق . ويجد القارىء نقداً مراً فى كتاب جيمس فاريل «ملحوظة عن النقد الأدبى» على هذا المنهج . وينتقل الاستاذ سكوت الى المنهج الشكلى وهو أكثر المناهج تأثيرا فى نقد اليوم . ويمكن تتبع جذوره الى كولريدج الذى كان يقول بأن العمل الأدبى يوجد بطريقته الخاصة وحياته الخصوصية . ومفهومه عن الوحدة العضوية يدعو الى التعامل مع مكونات العمل الأدبى فى تفاعلها مع بعضها البعض . ويعتبر اليوت من الذين تطور على اياديهم النقد الشكلى ، فتحت تأثير باوند وهيوم توصل الى أن الفن هو الفن أكثر منه تعبيراً عن افكار اخلاقية أو سياسية أو اجتماعية . ويقف بجانب اليوت رتشاردز فى «مبادىء النقد الأدبى» وتيت وبلاكمور وامبسون فى «سبعة انماط من الغموض» ووارن وسائر رواد مدرسة النقد الجديد . ومن ناحية أخرى فان النقد النموذجى يعنى بدراسة الاسطورة . ويكمن الاشارة الى نظريات يونج والغصن الذهبى لفريزر . وكتاب الاستاذ سكوت يقدم نماذج تطبيقية لمداخل النقد الأدبى . فيجمع بين النظرية والتطبيق .

جمال كنانى

برتراند راسل بين يقظته ومنامه

لقد ارتكبت الكثير مما يدعو للأسف .. ولم أحترم من الناس من يحترمهم غيرى !

أما أن اعظم فلاسفة القرن الحالى ، واحدهم ذهنا ، واصفاهم عقلا وانفذهم بصيرة وارقهم حسا ، كان محبا عاشقا ، فأمر لا خلاف عليه ...

والحديث عن برتراند راسل وعن مغامراته مع من طار ومع من تزوج ومع من غازل وأمعن فى غزلهن ، حديث يطول .

ولكى نتجنب ما قد يرمينا به البعض من افتراء أو كذب أو اختلاق على اللورد راسل ، رأينا أن نقدم ما يقول هذا الفيلسوف العبقرى لأمرأة شكلت السنوات الوسطى من حياته الطويلة التى أخطأت المائة عام بعامين اثنين فقط ...

كتب اللورد راسل لليدى أوتولاين موريل فى ٢٧ أغسطس ١٩١٨ يقول :

« ترى متى يتعلم الناس ما للحق من قوة ؟ لست ادرى من سيكون كاتب سيرتى ، ولكنى أحبه أن يقول عنى ، بقدر ما تسمح له طبيعته من حماسة ، شيئا على هذا النحو التالى: إنى لم أكن قديسا جامدا متزمتا ، اعيش فقط لأهذب الناس وأنير طريقهم .. لقد تواجدت وعشت نابعا من محور مركزى فى ذاتى ، وارتكبت الكثير مما يدعو للأسف ، ولم أحترم من الناس من يحترمهم غيرى .. وكنت كلما تظاهرت بذلك أحسست أن تصرفى خداع ودجل ... كذبت كثيرا ومارست الرياء ، لأنه بغير ذلك ما كان يسمح لى بمزاولة عملى .. ولكن لا داعى لمواصلة الرياء بعد موتى .. أحببت الحياة وأحببت من الناس من عاش منهم على سجيته ، وتمنيت لو أنى تخلصت من التظاهر الذى يمنعنى من حب غير الزائفين من الناس .. نحبهم على ما هم عليه تماماً ... آمنت بالمرح والتلقائية وآمنت بأن الطبيعة لابد يوما تظهر ما فى الناس من خير واصالة إذا أمكن أن نجيز هذه الأصالة »

برتراند راسل

هكذا يقول راسل للمرأة التى احبها بعد مرور تسع سنوات على بدء رحلة حب طويلة بدأت فى ربيع ١٩١١ ... وحاول كلاهما جاهدا أن يخفى سر هذا الغرام عن الناس جميعا إلا قلة من أخلص الأصدقاء .. ولعل هذا الغرام ، كان اعنف واعمق ما مارسه راسل من مغامرات . عبر ألفى رسالة منه إليها وألف وستمائة رسالة منها إليه .. وهذه الرسائل كلها مجتمعة تمثل عملا فنيا خالدا !

قصة هذا الغرام ، قصة تكاد تكون غير محتملة الوقوع ... فالمطاردة تكاد تكون من طرف واحد ، وكاد الاقبال يقتصر عليه وحده ولذا فلم يكن لهذه المغامرة على ليدى أوتولاين من أثر ما كان لها على لورد راسل ... إذ إنها أحيت كامن حبه للفن والعمارة والموسيقى .. واحالت رجل المنطق والفلسفة الى رجل دنيا ، يعارض الحب الأفلاطونى فى دنيا الغرام ، كما كان يعارض مثالية أفلاطون فى دنيا الفلسفة .

ولسنا نريد هنا أن نوهم القارىء أن ليدى (أوتولاين) كانت تعارض هذه المطاردة من جانب (راسل) ولكنها كانت تقبل تارة وتحجم تارة ... استمع لها تقول عن برتراند راسل :

«كان يجذبنى ويخيفنى ، ولكن كان لكل ما يقول لى أثر نفاذ مقنع »

«فى حياة كل انسان مأساة يمكن أن نكشف عنها إذا عرفنا حقيقة صاحبها »

غرام لورد راسل بالليدى أوتولاين كان مغامرة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان .. كان يطاردها كما يطارد المراهق حبه الأول .. يدبر لقاءات فى محطات السكة الحديدية، وأرصفتها ، فى الحقول والمتنزهات ، فى بيوت الأصدقاء ، وفى كل مكان أمين لا تقع عليه عين حاسد أو حسود ... ولعل هذه المغامرة كانت المسمار الثانى والأخير فى نعش زواجه الأول من (اليس) ... أما المسمار الأول فكان تحوله العاطفى عنها ... مجلدات بأكملها ، فيكفى أن نشير الى أول خطوة فى هذه التجربة العاطفية .

خرج الضيوف فى تلك الليلة .. وبقى لورد راسل وحده مع ليدى أوتولاين ...

- أحببت الحياة والناس الذين يعيشون على سجيتهم
- لقد فاتتني فرصة كبيرة لأنني لم أمت هنا
- قالوا إنني حاولت الكتابة وأنا أهذي بالحمى

- كانت في رأسي موسيقى غير واقعية.. خفية.. غامضة

اوتولاين موريل

فجلسا بجوار المدفأة ، يتسامران حتى الرابعة صباحاً ... وكتب راسل فى يومياته

« لم أكن ادرى إنى احبك حتى سمعت نفسى أردد إنى احبك ... ولبرهة خاطفة فكرت .. إلهى ماذا قلت ؟ حينئذ عرفت أن ما قلت هو الصدق الخالص .. »

وكتبت هى فى مفكرتها ما يوحى بأن راسل فعل ما فعل عن عمد وسبق إصرار .. فهى تشككنا فى قوله إلاانها تبرره بأنه أراد أن يقنع نفسه .. قالت :

« لم أكن على استعداد لاستقبال هذا السيل المتدفق من العاطفة ... ذلك السيل الذى جرف خيالى وإن لم يكتسح قلبى .. رغم أن قلبى تحرك واضطرب ... لقد سخر «برتى» (برتراند) كل طاقة لسانه وكل بيانه للتاثير علي ولاقناعى بأن واجبى يقضى علي بأن اتنازل عن كل شىء من اجله ، وأن ارافقه فى حياة جديدة نقضيها معاً . »

● ● ● ●

ومن هذه التجربة الى تجربة أخرى : فى عام ١٩١٦ وبرتراند راسل فى منتصف العقد الخامس من عمره ، فهو قد ولد فى ١٨ مايو ١٨٧٢ لأبوين من أشرف النبلاء ، اللورد أمبرلى وزوجته كيت بنت اللورد ستانلى أوف أولدرلى ، ولجد كان رئيساً للوزراء وهو اللورد جون راسل ، ... جمعت الصدف بين هذا الفيلسوف اللامع الذى ولد فى حجر العز واحضان الرفاهية وفى فمه كما يقولون ملعقة من فضة أو لعلها من ذهب ، وبين ممثلة نحيلة القوام فاتنة الجمال ، لم تكن قد بلغت الحادية والعشرين من عمرها الفنى .. أبوها إيرل إنزلى الخامس ، من نبلاء النبلاء ، كانت تعمل ممثلة تحت اسم مستعار (كوليت) ..

قابلها راسل فى صيف ١٩١٦ وكانت ريح الشباب تعبث بشعرها الثائر المتمرد فيحيلها آية وتحفة تقوم دليلا على ابداع الخالق العظيم ، لا يمكن أن يقاوم سحرها وجاذبيتها إلا من قد قلبه من حجر .. ولم يكن قلب راسل من حجر ، ولا كان هو مستعدا للمقاومة .. فوقع فى غرامها كما وقعت فى غرامه ..

وسطر القدر هذه القصة بأنامله على حلقات متصلة منفصلة ، استمرت نصف قرن أو يزيد حتى مات راسل وهو فى الثامنة والتسعين من عمره ... ولم يكن راسل ينسى حتى فى فترات فرقتهما أن يبعث لها بورد أحمر فى أعياد ميلادها . ولم تخب جذوة هذا الحب ، وظلت ناره مشتعلة مستعرة حتى بعد أن أدركته الشيخوخة ونذكر أنها كتبت له عام ١٩٦٨ ، بعد نصف قرن من لقائهما :

« ليس على هذه الأرض ما كان يمكن أن يدخل على قلبى من السرور ما أدخله خطابك العزيز .. إنى أفكر فيك دائماً وأبعث إليك بأخلص حبى ... حبى الأبدى ».

وهناك فرق ملحوظ بين غرام راسل أوتولاين وغرامه (بكوليت) ... يتجلى فى نوع الرسائل المتبادلة ..

كانت رسائل (راسل) الى (اوتولاين) تفيض بالعاطفة العميقة ، وتتميز بما يجعلها من اعمق رسائل الحب التى كتبت فى القرن العشرين ...

أما رسائله الى كوليت ورسائلها اليه فكانت من نوع آخر .. كانت مشتعلة عنيفة .. كانت رسائل تناقش غرامهما وتؤكد بين فورات من اليأس وتفجرات من خيبة الأمل ، إصرارهما على أن يكون حبهما أبديا .

● ● ● ●

مثلان من أمثلة عديدة كان يمكن أن نسوقها على غراميات راسل .. أو اعماله

برتراند رسل
بين يقظته ومنامه

الدنيوية ـ غير الفكرية أو الفلسفية ـ ويبقى أن نشير الى حلم أو رؤيا رآها برتراند راسل فى منامه أو فى (هلوسة) مرضه ووصفها فى رسالة وجهها الى أوتولاين ، وطلب منها أن تبعث لكوليت بصورة منها ... ونحن نقدم هذه الرؤيا وقصتها لأنها واحدة من همزات وصلت بين أمرأتين أحبهما راسل فى وقت واحد وأراد أن يكون لكل منهن نصيب من احلامه كما كان لهن نصيب من يقظته .

استلم راسل دعوة من الاتحاد الصينى للمحاضرين تستغرق سنة كاملة ... وتردد راسل فى قبول الدعوة أول الأمر ولكنه قبلها بعد ذلك .. وهناك بعد أشهر أصيب بالتهاب رئوى مزدوج ونقل الى المستشفى وهو يحتضر ...

وكان المفروض أن يحاضر راسل فى اليابان بعد انتهاء عمله فى الصين فأخذ مراسلو الصحف اليابانية يلحون فى السؤال عن صحة راسل .. ونشرت إحدى الصحف اليابانية خبرًا كاذبا عن وفاة راسل .. ووصل الخبر الى انجلترا وسمعت به كوليت فلما سئلت فى ذلك قالت :

«لقد هدنى الخبر وحطمنى»

أما أخو برتراند فلم يصدق الخبر بل اتخذ منه مادة للدعابة إذ قال :

« الخبر كاذب أو غير محتمل .. أولا لأن أخى لا يرتكب مثل هذه الحماقة . وثانياً : ليس أخى فى اليابان حالياً .. وثالثا : لأنه لم ينذرنى مسبقاً بموته . ورابعا : لأن الخبر جاء عن طريق امريكا ... فاحتمال أن يكون كاذبا كبير ».

وقال راسل عن نجاته من الموت

« لقد فاتتنى فرصة هائلة لأننى لم أمت هنا ... كان الصينيون على استعداد للاحتفال بجنازتى احتفالا رائعاً ولدفنى فى بحيرة وسترن حيث يدفن اعظم الشعراء والاباطرة ... ومن يدرى ؟ لعلى كنت اصبح معبودهم ... يا لها من فرصة ضاعت » .

لما افاق راسل من هذيان الحمى كتب لأوتولاين يقول :

« يا أعز الناس : أكاد استطيع الكتابة ثانية .. وأحب أن أقول كم كنت فى ذاكرتى طول هذه الفترة العصيبة .. قيل لى إنى حاولت الكتابة اليك وأنا أهذى من أثر الحمى .. وكانت النتيجة «خربشة غير مقروءة ... أبعث اليك بحلم رأيته فى منامى لعلك تجدين فيه ما يسلى ... كانت فى رأسى موسيقى طول الوقت ـ موسيقى غير واقعية ، خفية ، غامضة ... وكنت افكر فيك وأنا اطرق باب الشفاء ، وأنا مدين لك ، أشكرك على كل خطاباتك التى ادخلت على قلبى سرورا لا يقدر ، مع أصدق حبى ... (ب)

أرجو تسليم نسخة من الحلم الى كوليت أو لأى شخص أخر تختارين . أمليت هذا فى اليوم الثالث من مرضى حيث كنت اهذى بعض الوقت وقبل أن يأخذنى الهذيان كلية ـ هذا هو حلمى الذى

اوتولاين موريل عام ١٩٠٣

رأيت غرفة نومى وقد تحولت إلى كهف واسع على سفح تل

فى أرض النوم رؤى غنية وموسيقى رائعة .. وجمال

عندما أرى الشمس يدهشنى مدى حبى للحياة

أوتولاين موريل . للفنان هنرى لامب

حاولت أن تكون صورته اللفظية مطابقة لواقعه كما رآيته :

« رأيت أن غرفة نومى قد استحالت كهفاً واسعاً على سفح تل شديد التحدر . كنت نائماً على سريرى فى وسط الكهف وحولى على كل درجة من درجات التل نساك عديدون نائمون ... الغرفة المجاورة قد استحالت بدورها كهفاً مماثلا على نفس التل ، يتصل بكهفى ، كان مليئاً بنساك غير نيام .. ولكنى فى نومى تحدثت الى نساكى وهم نيام وقلت : إخوتى النساك ، أحدثكم بلغة النوم ، اللغة التى يستطيع النائمون وحدهم أن ينطقوا بها ، ولا يسمعها أو يعيها غير النوم وحدهم ... فى أرض النوم رؤى غنية وموسيقى رائعة وجمال للحواس والفكر مما لا يجرأ على أن يتواجد تحت اشعة الشمس القاسية ... لا تفيقوا من سباتكم ولا تقاوموا النساك الآخرين بوسائلهم ، فانكم رغم تفوقكم تصبحون مثلهم ، يفتقدكم الجمال والرؤيا الرقيقة وكل ما تدمر الحقيقة التى لا ترحم فى عالم اليقظة ... ناموا إذن .. فبلغة نومى استطيع أن أغرس فيكم ما هو خير من النجاح والحرب والكفاح المرير والبضاعة الغثة التى يعتز بها المستيقظون .... وبسحرنا ، حالما ينام النساك واحدهم بعد الآخر ، سنغرس فيهم الرؤية اللامعة ونلقنهم حب هذه الدنيا ، دنيا الحلاوة الرقيقة اكثر من دنيا الموت والخصام والكفاح ، وبالتدريج سيشع منا على العالم جمال جديد وقناعة ورضى وستقود الاحلام الناس طول اليوم ، فيمشون على عشب سندسى قرب غدير وجداول ، وتقودهم الاحلام طول الليل الى عظمة النجوم التى تزيدها رقة ودفئا وجمالا تلك الاغصان المتعانقة التى يخترقها ضوء النجوم الى صروح المجد ، وقمم الجبال التى يتعذر الوصول اليها والتى يؤكد شيبها زرقة السماء ، والبحر الغامض .. العظيم فى صخبه ، الوادع وداعة الطفل فى هدوئه.

فى هذه الرؤى سينسى الجنس البشرى كفاحه ونضاله وتعم السعادة كل الناس ويتلاشى الألم من هذه الدنيا القاسية ويتعرف الناس على هذا الجمال الذى خلقوا ليشاهدوه .

● ● ● ●

سبحان الله ... تحت فيلسوف (الذرية المنطقية) يكمن هذا الصوفى ، لا يمنعه من الظهور غير قيود الوعى واليقظة .

شفى راسل من مرضه الخطير وأحس بفرح غامر فقال وهو سعيد محبور :

« كم يدهشنى مدى حبى لهذه الحياة ... عندما أرى الشمس واتصور أن الموت كان يحرمنى منها .. فاننى اقول .. يا الله ! ما اجمل الحياة »

لندن ـ جمال الكنانى

التليباثي

أو الإدراك الذى لا يعتمد على الحواس المعروفة!

التليباثى ، أو التخاطر ، هو اتصال عقل باخر بطريقة ما خارجة عن نطاق الاتصال العادى ، والادراك الذى لا يعتمد على الحواس المعروفة .

وقد نشر اخر بحث اجري فى مجال الادراك الذى لا يستخدم الحواس المالوفة فى محاضرة القيت تحت رعاية مجلة « أومنى » فى المؤسسة الملكية ببريطانيا . ومن المتوقع أن يتم تجاهله أو على الأقل تناوله فى شيء من الريبة والشك من جانب الأوساط العلمية ببريطانيا . ومع ذلك ، فان الاكتشافات الجديدة فى هذا المجال مذهلة . وقد انجزها الدكتور كارك سارجنت ـ ٢٦ عاما ـ وهو من شعبة علم النفس بجامعة كمبردج . حيث كان قد تخرج منها بشهادة من الدرجة الأولى ، ونال الدكتوراه من بعد . وكان عندما بدأ اجراء تجاربه فى الادراك الذى لا يعتمد على الحواس من انصار علم النفس السلوكى .

ويزعم د. سارجنت انه من بين مائتى شخص اخضعهم للاختبار . استطاع ٤٣٪ التقاط صورة صحيحة أرسلت اليهم عبر الادراك الذى لا يعتمد على الحواس من مبنى اخر .

وقد زارت مندوبة جريدة الغارديان البريطانية مختبره بجامعة كمبردج ، واخضعها للتجربة .

فهو فى البداية يحاول تغيير حالة الوعى لدى الشخص لكى يخلق حالة ذهنية اكثر استعداداً لاستقبال رسائل التليباثى ، ويقلل من مستوى المعلومات التى يتم استقبالها عبر حاستى البصر والسمع وذلك باستخدام اسلوب «حرمان الحواس» الذى يطلق عليه اسم "المجال الكامل". بعدها يرقد الشخص فوق مرتبة سرير ، ويتركه وحده فى غرفة بلا نوافذ ، ويضع فوق كل عين نصف كرة من كرات تنس الطاولة ، مغطاة بالقطن لتظل العينان مفتوحتين ، ولكن دون أن يتمكن الشخص من الابصار ، ثم يسلط عليه ضوءا احمر شديد البريق يمكن للشخص أن يراه من خلال كرتى تنس الطاوله . ثم يضع سماعتى راس فى الاذنين .. فتنطلق منها اصوات بيضاء !

ويحدث كل هذا تاثيرا غريبا . ويفقد الشخص كل إحساس بالزمن . فقد استمرت التجربة على المندوبة الصحفية ٣٥ دقيقة ، لكنها لم تشعر بانها استمرت اكثر من عشر دقائق . وسريعا ما يتولد لدى الشخص إحساس معتم بالمكان يؤدى الى استشعار الشخص لصورة قوية فى ذهنه ، إذ يتخيل بعض المناظر الرائعة .. وتلاوين وصور .

واثناء ذلك دخلت باحثة اخرى الى حجرة هادئة مغلقة باحكام شديد . وقامت أولا بفتح ظرف كانت قد التقته عشوائيا من بين عدد من الظروف . وقد اشار عليها هذا الظرف بفتح ظرف اخر ، كانت به صورة على الباحثة أن تركز ذهنها عليها لمدة ٣٥ دقيقة . ولا يدرى احد سواها الصورة التى التقتطها بتلك الطريقة العشوائية ، يمكن ان يكون الغرض منها أن كانت موجودة بالفعل .. إذ لايمكن اعتبارها وسيلة اتصال فعالة ونافعـــة :

« ولنفترض انها موجودة ـ فالكل يظن انها موجـودة على اية حال .. والتليباثى الآن لا جدال حولها .. ولكن ما جدواها ؟ »

والتى كانت واحدة من مجموعة صور اربع . وكانت هناك ثلاثون مجموعة من الصور . وبذا ما كان بامكان الدكتور سارجنت ، الجالس فى الغرفة الاخرى مع المندوبة الصحفية أن يعرف اية صورة قد اختارتها الباحثة ، كما أن احتمال ان يستطيع تخمين الصورة من بين ١٢٠ احتمالا كان ضعيفا .

الصورة الصحيحة

وندع المندوبة الصحفية تحدثنا عن التجربة « كان هناك ميكرفون فوق رأسى ، وكلما ظننت إننى أرى صورة فى ذهنى ، كان يتعين علي أن اصفها ليتمكن د. سارجنت فى الغرفة الثانية من تدوين مذكرات . وفى النهاية بقيت الباحثة فى مكانها فى المبنى الآخر ، فى غرفة مغلقة باحكام والتى كانت مشمعة ، بينما اخذنا انا والدكتور سارجنت نتناقش حول الصور التى تم لى استقبالها .

«كنت واثقة من تحقيق نتيجة طيبة ، وراضية نوعا ما عن نفسى . فقام د. سارجنت بوضع مجموعة الصور الأربع أمامى ، والتى كانت الباحثة الأخرى تحاول تبليغ إحداها الي . ولم تكن أى من الصور باى حال من الاحوال قريبة مما تخيلت . لم يثبط ذلك من همة د. سارجنت ، فقد طلب منى أن ارتب الصور الاربع على وجه يقارب تسلسل احتمالات ما رأيت . ففعلت . وكانت إحدى الصور رسماً هزليا من رسوم قايلز ، والثانية للاعبى كرة قدم والثالثة لامراة حولها تصاوير فلكية غائمة ، والأخيرة لثعابين وصخور وقليـل هم من تمكنوا من تخيل الصورة

بولى توينبى مندوبة «الجارديان» قامت بزيارة مختبر د. سارجنت

الصحيحة بين من خضعوا لاختبارات الدكتور سارجنت ؛ ولكنه يزعم أن ٤٣٪ من الناس يقدرون على التعرف على الصورة الصحيحة لأكثر الصور احتمالا من بين الأربع ، ويرى أن احتمال عدم هؤلاء الـ ٤٣٪ من بين مائتى شخص للصورة الصحيحة هو واحد الى ١٧ مليون .

ولم تكن المندوبة الصحفية فى وضع يؤهلها للحكم على وسائله أو دقة احصائياته ، ولكنها لم تجد أن هناك اية امكانية لان يغش الخاضعون لهذه التجربة ، إذ ليس هناك من سبيل مفتوح للدكتور ليساعدهم بطريقة واعية أو لا واعية على اختيار الصورة الصحيحة لأنه هو نفسه لا يعرفها ولم يرها .

وفى الماضى كانت مثل هذه الاختبارات تجرى باستخدام وسطاء يقومون بفرض قواعدهم واحكامهم منذ البداية .. ولكن الدكتور سارجنت يستخدم اشخاصاً عاديين ، ويقول انه يمكن تكرار هذه التجارب فى أى وقت وأى مكان . وقد قام احد عشر عالماً اخرين باجراء تجارب مطابقة لهذه فى أمريكا ، وتوصل سبعة منهم الى نفس النتائج تقريبا ، مما يعتبر معدلا ممتازا للتكرار فى أي تجربـة فى علم النفس .

قوة غامضة .. ما هى؟

ولذا ، وبافتراض اننا قد حددنا وتعرفنا على قوة غامضة .. فما هى؟ أهى نظام للادراك ضعيف ؟ أهى شيء لا نستخدمه إلا قليلا فى حالة وعينا ؟ واقرب مثال له ربما كان استخدامنا لحاسة الشم .. فهى ضعيفة للغاية فى الانسان ، ولا تستخدم بشكل حسن . وتعطى التجارب التى تجرى على حاسة الشم نتائج مضطربة وغير متوقعة . ويبدو أن القدرة على الادراك الذى لا يعتمد على الحواس هى شيء يمكننا استعماله عندما تتعذر كل وسائل الاتصال الاخرى ، كما يقول د . سارجنت .

وإذا استقبل الوسط العلمى هذا النوع من

الابحاث بشكل جدى ، ووفر له المزيد من الأموال فان المرحلة التالية كما يرى الدكتور سارجنت ستشهد القيام بمحاولة تحديد الظروف التى يمكن ان تعمل فيها هذه القوة أو لا تعمل ، وإذا كان بمقدورها أن تعبر من خلال أنواع مختلفة من الحجب ، وذلك بقصد تحديد هذه القوة وتعيينها

وهو حانق على العلماء الذين لا يريدون حتى مجرد النظر فى الأدلة التى تقدمها تجارب مثل تجربته .. ويعتبر ذلك موقفا غير علمى . والدكتور سارجنت متشدد جدا فيما يختص بالمدى الذى يمكن ان تكون فيه التجارب فى مجال علم النفس سليمة ويعتمد عليها . « لقد لاحظت أن كثيرا مما يمكن وصفه بانه غش صريح . فاذا لم تنجح تجربة ما ، فان القائم بها فى كثير من الاحيان يقذف بذلك الجزء من المعلومات باعتبار ان خللا قد داخل الطريقة التى تمت بها . لقد رايت غشا صارخا فى البيانات الاحصائية ، ولذا اريد من كل طالب لعلم النفس ان يحكم اختبارات الادراك الذى لا يعتمد على الحواس ، وأن يكون كامل الحرص ، ويعرف كيف يختار البيانات التى سيتم تبيلغها عشوائيا . وأن يفهم بعد ذلك الحساب الاحصائى وأن يعزل كل احتمالات الاستدلال العقلى ، وذلك سيعطى للطلاب فرصة للتدريب على اكتشاف الوسائل الاختبارية « الضعيفة » .

ولقد تحدثت المندوبة الصحفية الى عدد من العلماء ، ولم يقبل اى واحد منهم أن تورد اسمه فى اى شىء يرتبط بهذا الموضوع . وقال احدهم : إن هذه ـ قوة الادراك الذى لا يعتمد على الحواس ـ هى اكثر قوة غامضة . وتساءل عما

التليباثى .. والكهرباء !

إن الدكتور سارجنت يعتقد ان التليباثى لابد ان تغير كل نظرة إلى العالم الطبيعى . والاكثر اهمية من ذلك هو انه لن يكون باستطاعة علماء النفس بعد الآن ان يستمروا فى معاملة الناس كزكائب من المواد الكيمائية .. وسيتعين عليهم أن يعترفوا بوجود العقل . وهو يصرح بأن كثيرين ممن درسوه ينظرون إلى الوعى كشىء خارج عن عالم الظواهر ، كنمو لاعلاقة له بالعمل الكيمائى للمخ ، أو كارتفاع حرارة الجسم بسبب التخمة .

ويعيد الدكتور سارجنت إلى الاذهان أن الكهرباء عندما اكتشفت أول الأمر عوملت بنفس هذا القدر من الشك . ولأن الطرق التى تعمل بها الكهرباء لم تكن مفهومة فقد اعتبرت التجارب التى اجريت عليها نوعاً من النزوات .. وانه لايمكن تكرارها . ولم يؤبه بتلك القوة غير المرئية ، غير الموظفة ، والتى لايوجد تفسير لها وعندما كان روثرفورد ـ وهو عالم فيزيائى بريطانى منح جائزة نوبل فى الفيزياء عام ١٩٠٨ـ طالباً بالجامعة نصحه استاذه بانه لامعنى لاستمراره فى اجراء الابحاث فى الفيزياء لأن كل شىء فى ذلك المجال قد تمت معرفته . واليوم اصبحت الفيزياء الحديثة عجيبة بشكل لم يعد يسمح بالحديث عن وجود خط فاصل بين ماهو عادى وغير عادى . فالفيزياء النووية ترى المادة وهى تختفى ، وتعود ، وتقوم فى مكانين فى آن واحد ، كما ترى المادة المضادة التى يمكنها الرجوع الى زمن ماض ، كما أن نظرية الكم تفترض لنا وجودا فى عدد من العوالم والازمنة والاماكن المختلفة فى الوقت نفسه . ولم تعد الاشياء مطلقة ، ولكنها واردة ومحتملة فقط ، فلماذا ، إذن ، ينظر الى القدرة على الادراك الذى لايعتمد على الحواس وكأنها نوع من الجنون ؟

وتقر الصحافية بانها غير واثقة من وجود هذه القوة ، ولكنها تعتبر تعامل الأوساط العلمية معها هو فى حد ذاته ظاهرة غريبة حقا . ومن بين العلماء القلائل الذين يميلون الى تحبيذ الابحاث التى تجرى على هذه القوة نجد الدكتور (جون هيستيد) أستاذ الفيزياء بكلية بيربك بلندن . وهو يقول :

« لقد تمكنا بالفعل من تحقيق إنجاز او إنجازين ، وخاصة فى امريكا ، فى هذا المجال الذى يحتاج الآن الى دعم المؤسسات له وهو ما لم يتم بعد فى المملكة المتحدة فهو مجال يحتاج الى آلات مثل اجهزة استقبال رسائل الدماغ .. وهى عالية التكلفة .

والعلماء منزعجون لان هذا الموضوع ليس وقفا لهم فقط . وقد أسبغ عليه الروس الاحترام حين اختاروا الاشارة اليه بكلمات مثل «الطاقات البيولوجية والسيكوترونيك .. وهى اسماء محببة للعلماء عندنا ».

ولكنه يعتقد أن الموضوع سيلقى الاحترام الجاد بعد حين قليل .

كيف تبدو تطبيقات هذه التجارب فى نهاية الامر ان الدكتور سارجنت يتردد كثيراً فى الرد على ذلك ..

خط بين العقل والجسد

لقد وفقنا سلفاً فى تحقيق وسائل جمع المعلومات والاتصال ولم يبق لنا الكثير فى مجال البحث هذا . وقد حاولت الجهات العسكرية فى امريكا ان تستفيد من بعض علماء النفس الذين يبحثون فى مجال التليباثى فى تدريب الوسطاء لأغراض التجسس .. ولكننى اشك كثيرا فى امكانية نجاح ذلك المسعى وفى رأيى انه يمكننا ان نجد بعض الناس الذين يتمتعون بقوى للتصور خارقة وغير خاضعة للفكر . وسيفيدنا ذلك فى تحديد ميقات وقوع الكارثة القادمة .. مثلا .

ومن ناحية اكاديمية ، فان تطبيق هذه الاعمال التى تم التوصل إليها حتى الآن سيكون مساعداً فى تطوير التجارب حتى تتسنى معرفة اى نوع من الناس وفى أى مواقف هم الافضل استعداداً وقدرة على الادراك الذى لايعتمد على الحواس .. ومن ناحية فلسفية سيكون له اثره البعيد . فهو يوضح ان هناك خطاً فاصلا بين العقل والجسد ، وبذا يقوى احتمال الفكرة القائلة بان العقل يظل باقياً بعد موت الجسم .

فول الصويا هل يمكن تحويله لأرز؟

من اهم اهداف هندسة الوراثة : نقل الجينات التى تحمل خواص وراثية معينة من كائن الى كائن آخر شبيه . وبهذه الطريقة يمكن للكائن المستقبل لهذه الخواص الجديدة ان ينتج نوعا من البروتين لم يكن ينتجه من قبل . وهذه هى النظرية العامة المتعارف عليها .

لكن هذا الموضوع من الناحية العلمية معقد وصعب للغاية ، حيث يبدأ بأن يعزل المؤرث الجديد والمطلوب أولا .. ثم يؤلف بينه وبين فيروس (حتى اليوم ليس معروفا هل هذا الفيروس حيوان أو نبات) . ثم يؤخذ هذا الفيروس المتحد مع المؤرث ، ويزرع على خلايا الجسم المستقبل ومن ثم تتحد وتتجانس المادة الوراثية المزروعة فى الفيروس مع المادة الوراثية للكائن المستقبل . ولقد طبق علماء الزراعة فى الصين هذه النظرية منذ عدة سنوات مستخدمين حامض الرايبونيوكليك الرسول (ر.ن.أى) (وكلمة الرسول توضح أن هذا الحامض النووى هو الذى يقوم بنقل الصفات الوراثية من كائن الى آخر شبيه) لنقل خواص وراثية تعنى بنوع معين من البروتين واستعاض العلماء الصينيون الفيروس بفترة تسمى نيوروسبورا . قاموا تحديدا بعزل وفرز الرايبو نيو كليك الرسول من الازهار المذكرة لفول الصويا (هو من فصيلة البقوليات) وتنقيته . ثم قاموا بحقنه على اعضاء التكاثر والتناسل فى زهرة الارز (من ذوات الفرقة الواحدة ومن فصيلة النجيليات) . وعند حصاد الارز الجديد قام العلماء الصينيون بتحليل نوعية البذرة الجديدة للأرز ثم بزراعة هذه البذور عدة مرات وتهجينها مع بعض .

وفى محاولة أخرى قام الصينيون كذلك بوضع اعضاء التناسل المذكرة لزهرة الارز فى سائل مهيأ كوسط زراعى يحتوى على حامض الرايبو نيو كليك الرسول المستخرج من نبات فول الصويا وتركوا هذه النباتات الارزية لتنمو طبيعيا .

ونجحت التجربتان . فقد تمكن الصينيون من استنباط صنف من الارز غنى جدا بمادة البروتين المستخرج من فول الصويا . والمعروف أن نسبة البروتين فى الارز العادى لا تزيد عن ١٢٪ ونسبة البروتين فى فول الصويا تفوق الـ ٤٠٪ وأن الارز الجديد المستنبط يحتوى على نفس نسبة بروتين فول الصويا (نسبة البروتين فى القمح ١٣ ــ ١٤٪ وفى الفول المصرى ٣٢٪) .

هذا وقد قام العلماء الصينيون بتربية وتنمية اجيال وسلالات من الارز المستنبط الغنى بالبروتين .

ونحن نتمنى أن تحل مزارع الارز الجديد الغنى بالبروتين محل الارز القديم مما يساعد على حل ضائقة النقص العالمية فى المواد البروتينية التى تنبهنا اليها منظمة الاغذية والزراعة العالمية كل عام .

البروتين وتخفيض الوزن

جاء من نتائج الابحاث العلمية فى بوسطن أن طعاما بروتونيا (قليل السعرات) مع غذاء كثير المحتوى المائى قد يخفض مؤقتا ضغط الدم وانها فى تاثيرها لا تزيد عن الاغذية النشوية أو السكرية طبقا لبعض الباحثين فى جامعة بيل .

ووجد الباحثون أن المرضى يفقدون ٢٠٪ من اوزانهم إذا كان غذاؤهم مقصورا على البروتين وان النقص فى الوزن يرجع فقط الى فقدان فى الماء وليس فى الدهون وهذا ما جاء فى صحيفة نيوانجلاند الطبية على لسان بعض الباحثين فى جامعة بيل ، ويقول احد الباحثين ان معنى ذلك ليس اننا ندعو الى التغذية بالبروتينات فقط ونمنع النشويات والسكريات ولكن وجدنا أن اضافة بعض تلك الكربوهيدرات لا بأس به لكثير من المرضى ، إذ انه وجد أن بعض المرضى الذين يقتصر طعامهم على البروتين يعانون من الاغماء وخفة الرأس عندما ينهضون واقفين

ويقول معارضو الاعتماد على البروتين وحده لعلاج ضغط الدم ان هذا النوع من العلاج يؤدى الى ضعف البنية واستمرار خفض الوزن وفقد الشهية للطعام لانه يضعف انسجة الخلايا ، ولكن باحثى جامعة بيل مصرون على حسن ابحاثهم وان تلك الاعتراضات غير صحيحة !! وهكذا يواصل الباحثون اختلافاتهم فى مجالات الغذاء ، حيث تملأ الشكوك تلك المجالات (العلمية) فى انها تخدم أولا واخيرا اغراضا تجارية بحته يبحث عنها اصحاب رؤوس الاموال المتخمون فى أرجاء العالم كله !!

مادة كيميائية فى الماكينات الناسخة .. قد تكون محدثة للسرطان

تستخدم كثير من ماكينات النسخ المكتبية مادة كيمائية قد يثبت مدى خطرها على صحة من يتعرضون لها على المدى الطويل إذ اكتشف العلماء فى جامعة تكساس انها محدثة للسرطان . ومازال الدليل حتى الآن قائما على الاختبارات المعملية . ويحتاج الامر الى الحصول على معلومات حول أثرها على الحيوان قبل أن يتقرر ان كانت مادة تشكل خطرا ، كما قال الدكتور مارفين ليفيتر ، رئيس فريق علماء جامعة تكساس .

ومع ذلك ، فقد سارعت شركة كيروكس ، احدى كبريات الشركات المنتجة لماكينات النسخ ، بالعمل على تخفيض كمية المادة المشتبه فيها فى حبر النسخ المطروح للبيع من بداية الشهر الماضى ، كما قال المسؤولون فى الشركة .

وقد وصف العلماء فى مختبر الدكتور ليفيتر بالقسم الطبى بجامعة تكساس هذه المادة الكيمائية ــ النايتروبرين ــ بأنها مادة يحتمل ان تكون محدثة للسرطان ، وذلك على اساس الاختبارات التى أجريت على البكتريا وخلايا الفئران المستنبتة .

وقال المسؤولون فى شركة كيروكس انهم توصلوا الى نتائج غير مواتية فى اختبارات مماثلة ، ولكنهم لم يجدوا فى هذه المادة أى خطر على الانسان . وقالوا إن هذه المادة وهى مادة «ملوثة» فى حبر الكربون الاسود المستخدم فى النسخ ، تتراوح مابين عشرة الى خمسة عشر جزءا فى المليون فى بعض انواع حبر النسخ .

ومنذ أن توصلت شركة كيروكس الى هذه النتائج خفضت الشركة التى تمدها بهذه المادة مستوى مقدارها الى ١٥ر٪ فى المليون ، وهو قدر ضئيل حتى لا يكاد يتيسر قياسه بدقة كما تقول شركة كيروكس .

وقال الدكتور ليفيتر انه لايرى خطرا من هذه المادة على من يستعمل الآلة الناسخة فى بعض الاحايين . وإذا ما أكدت التجارب التى تجرى حاليا على الحيوان النتائج التى توصل اليها معمليا ، فانه كما قال سيقلق من اجل اولئك

الذين يعملون الوقت كله فى اماكن النسخ المغلقة .

وبالرغم من أن الحبر المستخدم حاليا قد تم تحسينه فليس ذلك نهاية الموضوع ، كما قال ، لأن حبر الكربون الاسود يحتوى على مواد كيمائية اخرى تحتاج الى فحص ودراسة .

ملايين تذهب للكلاب

يمكن القول بان نصف سكان بريطانيا يقتنون الكلاب والقطط ويصرف اصحابها زهاء (٤٣٣ مليـون) جنيها استرلينيا لأطعامها والعناية بها فى العام الواحد كما ثبت ذلك بالاحصاءات الدقيقة .

ويقول احد الاحصاءات ان فى بريطانيا حوالى خمسة ملايين وخمسمائة واثنين واربعين الف كلب ، واربعة ملايين وثمانمائة وسبعة وتسعين قطة !! وتقول الاحصاءات ايضا ان معدل الزيادة فى اقتناء القطط يزيد بمقدار ٢٪ اما الكلاب فتزيد فقط بمقدار ١٪ خلال العامين المنصرمين ونظرا للعناية الشديدة فان تلك الحيوانات تتمتع باعمار طويلة وفى احسن صحة فضلا عن حمايتها من التضخم وزيادة الاسعار ،حيث وجد انه بينما زادت الاسعار لمستهلكات بنى آدم بمعدل (١١٥٪) فان طعام الكلاب والقطط من المعلبات لم يزد عن (٣٦٪) مما أدى الى زيادة ملحوظة فى مبيعات اطعمة الكلاب والقطط المحضرة خصيصاً لها !!!

كذلك وجد أن ٧٨٪ من هواة الكلاب يلجأون الى اطعامها المعلبات بينما تبلغ نسبة من يطعمون قططهم من الاغذية المحفوظة يصل الى ٩٠٪ .

ومجلة الدوحة ترثى لحال شعوب بشرية فى مختلف بقاع العالم لاتنعم بالكفاية من الطعام الضرورى بما تنعم به تلك الكلاب والقطط .

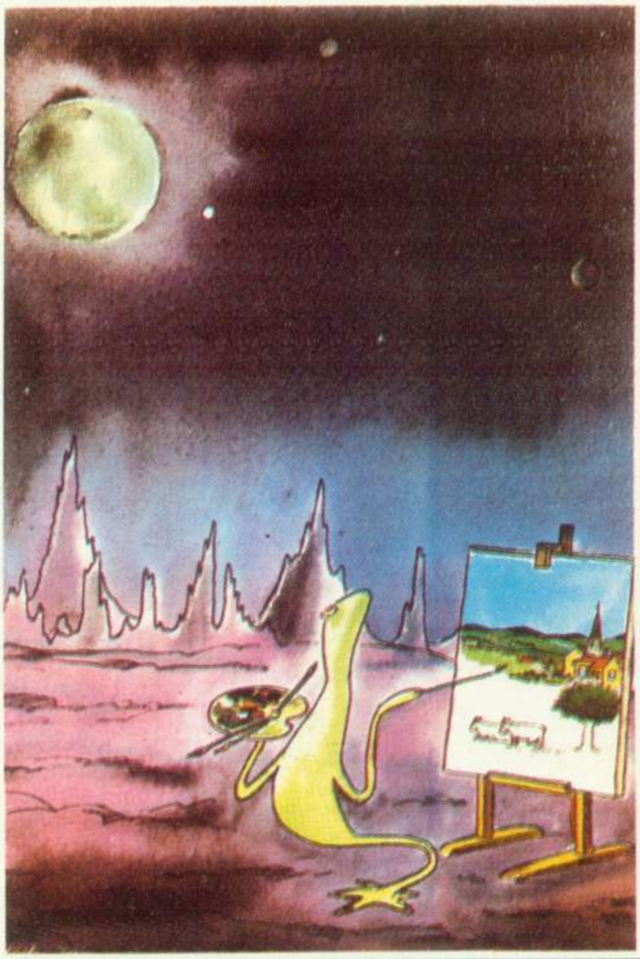

بدون تعليق

التفكير يزداد مع ازدياد دقات القلب

أكد الدكتور كاسيوب من جامعة روتردام فى ولاية أوهايو بالولايات المتحدة الأمريكية انه كلما ازدادت دقات قلب الانسان كلما فكر بموضوعية ومعقولية أكثر فى المسائل والمشاكل المعروضة أمامه .

وقد توصل هذا العالم إلى نتائجه بعد أن اخترع جهازاً ــ مصمما على أن يلصق بقلب الانسان خارجيا (بدون أية جراحة) ــ مهمته رفع وخفض دقات قلب الشخص المراد اختباره

وقبل أن يبدأ دكتور كاسيوب فى فحصه قام بضبط الأجهزة الملصقة خارجياً على قلوبهم على ٧٢ دقة أو ضربة قلب فى الدقيقة وقد وجد إنه يمكن رفع الدقات الى ٨٨ دقة فى الدقيقة بدلا من ٧٢ عن طريق الصاق مغناطيس صغير على الجهاز الملتصق بجسم الشخص المراد.فحصه واختباره بدون أن يشعر هذا الشخص بوجود مثل هذا المغناطيس ، ثم أجرى الاختبارات الاتية على الاشخاص المراد فحصهم :

أولا :

١) اختبر وفحص ١٤ شخصاً (سليمى العقل والبدن وأعمارهم متقاربة) بان أعطاهم اختبارا معروف المستوى والقياس لديه فقد اختار فقرة أو نصاً من جزء من امتحان القراءة الصامتة (مستوى المدرسة الثانوية) وطلب منهم قراءته بامعان ثم طلب منهم إجابة أسئلة معدة بنظام الأسئلة الاختيارية المتعددة .

٢) طلب من نفس المجموعة وأعطاهم مهلة ٩٠ ثانية فقط كتابة اكبر عدد من الجمل القصيرة التى لها مدلول فى إطار الحياة اليومية العادية .

فى كلتا الحالتين وجد دكتور كاسيوب أنـه كلما ارتفعت سرعة دقات قلوب هذه المجموعة من الاشخاص كلما تحسن مستوى أدائهم فى إجابة الأسئلة بالمقارنة مع نوعية الأجوبة عندما تكون دقات قلوبهم عادية .

ثانيا :

فحص دكتور كاسيوب ٢٤ شخصاً (عاقلين ـبالغين ـ ابدانهم سليمة) وأعطاهم نصاً مكتوباً لقراءته . كان محتوى فقرات النص من النوع الذى يثير النقاش والجدل والمناظرة

ثم حلل الدكتور كاسيوب نتائجه ووجد انه عندما زاد سرعة ضربات هذه المجموعة فى فترة الدقيقتين والنصف وجد انهم أعطوا افكاراً أكثر وأعمق مما هى عليه عندما تكون قلوبهم فى حالة المستوى العادى (٧٢ دقة فى الدقيقة) وأن جل الافكار التى جمعها من هذه المجموعة كانت فى غير صالح ما جاء فى النص

وعليه استنتج الدكتور كاسيوب أن الانسان يمكن أن يفكر بعمق ودراية ويزداد مستوى فهمه وإدراكه كلما ارتفعت سرعة ضربات قلبه عن المستوى العادى .

ويبقى أن نطرح السؤال المهم :

هل يمكن لبعض الناس الآن أن يزيدوا من دقات قلوبهم كلما احتاجوا للتفكير السريع والسليم ؟ .

حياتنا المعاصرة

أحلام اليقظة

وانت تستلقى على السرير ، بعد أن تطفىء النور ، تذكر فجأة أن عيد ميلاد والدتك غدا .. وأنك لم تبعث إليها بطاقة أو هدية ..

وانت تشق سبيلك وسط زحام السوق فى نهار صيف قائظ ، ينطلق ذهنك بعيدا الى عطلة تقضيها فى مكان هادىء ، طيب الهواء ، بارده ، وتشغلك كيفية تدبير المال اللازم للسفر إليه ..

وانت تتناول طعامك ، تسمع ابنك يقول : « إذن .. ما رأيك ؟» لكنك لم تسمع السؤال الاصلى ، لأنك كنت غارقا فى جدل ذهنى مع رئيسك فى العمل .

وانت تضيق بالأنتظار فى صف طويل بالمطارتزجى الوقت الممتد الى ما لا نهاية بالتفكير فى ما ستقوله لصديق لك قد يكون مسافرا على متن نفس الطائرة ..

إن احلام اليقظة هى تلك الافكار التى تتقافز فى ذهنك دون أن تستدعيها . وان كنا فيما مضى نصفها بأنها دلائل عداء مكتوم أو

كبت جنسى أو خلل عصبى ، أو مجرد مضيعة للوقت ، فان الابحاث الأخيرة قد ابرزت انها ظاهرة انسانية مفيدة للغاية وربما لازمة و مطلوبة .

فاحلام اليقظة ليست مجرد أمور عاطلة فى ذهن فارغ ، وانما بامكانها أن تحل مشاكل راهنة ، وتعد لما يحمله المستقبل ، وتطرد التوتر ، وتخفف السأم ، وتبدد الخوف والغضب ، وترفع الانقباض النفسى . كما يمكنها أن تساعد فى بناء تقدير

إن أحــــلام اليقظـــة هى تــلك الأفـــكار الـــتى تتقـــافز فى ذهـــنك دونـــا أن تســتدعيهـــا

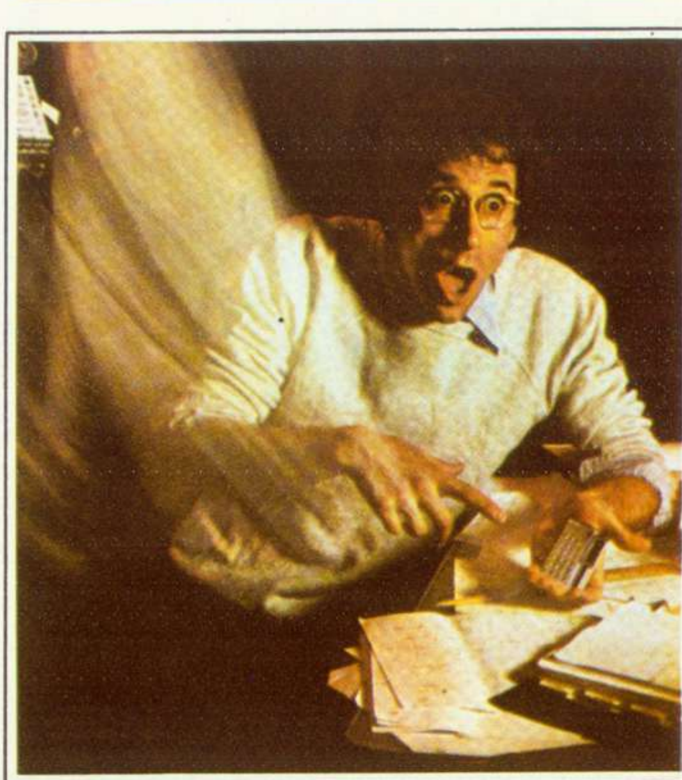

الشخص لنفسه ، وزيادة فرصه فى النجاح ، إذ أن كثيرا من الرياضيين المرموقين يحفزون انفسهم على النصر بأن يتخيلوا لحظة الانتصار الفعلى مسبقا .

حالات نفسية متغيرة

وحتى تلك الاحلام فى اليقظة التى نصفها بانها خيالات وأوهام يمكن أن تكون ذات فائدة ، إذ ربما كانت تساعد فى تبديل حالة نفسية سيئة بأخرى طيبة ، وترفع شأن صورتنا أمام انفسنا . فالاطفال الذين يحلمون كثيرا فى يقظتهم هم اسعد حالا ، وأكثر مشاركة وتعاونا وقوة فى الاحتمال من اولئك الذين يقيدون انفسهم عن الانطلاق مع الخيال ، كما يرى الدكتور جيرسى سنجر ، وهو عالم نفسانى من جامعة ييل الأمريكية ، ومؤلف كتاب « اللعب الذهنى » ، بالاشتراك مع ألين سفتزر

وكثيرا من الفنانين والكتاب وصلوا الى رؤاهم الأكثر ابداعا عبر احلام اليقظة . ألم يصل ارخميديس الى استخدام الماء لقياس كثافة الاجسام بينما كان يغمر جسمه الماء فى الحمام ؟ .

ومع ذلك فان الدكتور سنجر يلاحظ أن كثيرا من الناس يشعرون بالحرج من احلام يقظتهم ، أو يخشون اطلاق العنان لخيالاتهم كى تظهر وتتفتح . ويكبت البعض أحلام يقظتهم باعتبارها تهويمات فارغة . وهناك من لا يجد الوقت ، لشدة اشغاله ، ليمنح ذهنه فرصة يهوم فيها ، كما أن آخرين يهرعون الى مشاهدة التليفزيون ليلوذوا بخيالات شخص آخر ليست هى بالضرورة ذات صلة بمواقفهم هم الشخصية .

إن احلام اليقظة ، كما اتضح من الدراسات ، هى تجربة تكاد أن تكون شاملة ، وتعكس حالة اساسية لعقل الانسان كى يملأ نفسه بالفكر . « ان كثيراً مما نقوم به آلى . وعندما لا نستخدم كل طاقاتنا الذهنية فى التفكير ، فان الذهن يقلب جوانب اخرى من الحياة .. وذلك استخدام جيد للمساحات الفارغة الموجودة بين طيات افكارنا »

وقد أظهرت دراسات الدكتور سينجر ان ٣٠٪ الى ٤٠٪ من لحظات يقظتنا كل يوم ينقضى فى احلام اليقظة ، ومعظمها مجرد افكار عابرة لا تدوم أكثر من خمس ثوان الى أربع عشرة ثانية .. كان نتساءل مثلا عما سنرتديه لحفل .. وتتخللها بعض شذرات من الافكار « يجب أن اتذكر شراء صابون حمام » وبعض التهويمات التى قد تدوم دقيقة أو دقيقتين .

أما الابحاث التى أجراها الدكتور ليونارد قيامبرا من المعهد القومى على الهرم والشيخوخة فقد اظهرت انه خلافا لما كنا نظن فان المسنين لا يزجون وقتهم بالانغماس فى احلام اليقظة والحسرة على ما كان يمكن أن يكون ، أو استعادة الماضى والعيش فيه .

فالرجال مابين سن ٧٥ ، ٩١ يحلمون فى يقظتهم بأمور الحاضر والمستقبل بقدر ما يحلمون بالماضى . وفى الواقع تتضاءل احلام اليقظة مع تقدم العمر . وقد افاد رجال فى سن الخامسة والسبعين أن احلام يقظتهم فى هذه السن هى ربع ما كانت عليه وهم فى سن السابعة عشر الى الثالثة والعشرين . وكما يتوقع ، فان الموضوع الرئيسى فى احلام يقظة الذكور من الشباب هو الجنس . أما بالنسبة للفتيات ، فانه أقل مما عند الاولاد . وبعد الثلاثين من العمر تأخذ احلام اليقظة ذات

أحلام اليقظة

الطابع الجنسي في الانحسار ، لتحل مكانها احلام حل المشاكل . ويبدو أن النساء أكثر حلما في اليقظة من الرجال .. واحلامهن من ذلك النوع الذي تحل به المشاكل ، وهو نوع يغلب على احلام اليقظة في كل الاعمار .

ويرى الدكتور كلينقر في ابحاثه أن واحدا من خمسة من احلام اليقظة هو الذي يحمل صورا غريبة أو مشوهة ، وان تلك الاحلام التي تنطوي على انطلاقات مع الوهم لا طائل تحتها قليلة جدا .

احلام اليقظة في خدمتك

وهناك طرق كثيرة ، كما يقول الدكتور سينجر لنجعل احلام اليقظة تخدمنا . وأهم استخدام لها هو أن يتمثل الشخص طريقة حل المشاكل ، وأن يتمثل الحلول أو ردود الفعل لحوادث ممكنة الوقوع أو مواقف قد تواجه المرء ، أو اجراء حوار ذهني حتى يستقر الموضوع في الذهن .

ويقترح الدكتور سينجر امكانيات أخرى نقدم أهمها :

● يمكنك أن تستفيد من هذه الاحلام لتزجية الوقت وتسلية النفس عندما تضطر مثلا الى الانتظار ، ولا سبيل لعمل شيء آخر ، أو عندما تسافر بسيارتك لمسافات طويلة في طريق يبعث على السام .

وبما أن احلام اليقظة مقترنة بحالة من الاسترخاء ، فانها تساعد في تخفيف الشعور بالضجر والتوتر الذي يرفع ضغط الدم أو يحدث مظاهر اخرى من الاجهاد غير مرغوب فيها . ويورد الدكتور سينجر أمثلة من دراسات تم فيها احتجاز بعض الاشخاص في حجرة صغيرة ضيقة لزمن طويل ، وكان عليهم أن يقوموا بعمل ممل لا يستوجب استخدام الذهن . فتمخض عن ذلك أن الذين حلموا في يقظتهم لم يشعروا بالزمن .

● ويمكنك في احايين كثيرة أن تبدل حالات مزاجك المتكدرة ، وتتغلب على الاحساس بالانقباض النفسي بواسطة تخيلات ايجابية .. وخاصة تلك التي تزيد احساسك بقدر نفسك .. كان تتخيل مثلا انك تنال جائزة كبرى .. أو منصبا سياسياً عاليا .. وهلم جرا .. لأن احلام اليقظة التي تدور حول وقائع سعيدة واحاسيس مبهجة أو مناظر تعمرها السكينة والسلام تريح عضلات الرأس ، وربما طردت الصداع الناجم عن التوتر .

● ويمكن للخيالات الغريبة غير المألوفة أن تعينك على تخفيف حدة الغضب . فلنفترض مثلا أنك في ثورة غضب من رئيسك لأنه حجب عنك زيادة في راتبك ،وانك على وشك الدخول في مواجهة معه . ولأن الغضب قد لا يكون افضل شعور تلج به مثل هذه المواجهة ، فان بامكانك أن تبدده بأن تجعل رئيسك يهش لك ويصافحك مهنئا على ترقية اعتمدت لك ، وزيادة في راتبك ايضا ، أو أن تتخيله راكعا يستعطفك الصفح وتغطية موقفه وقد وجدته يزور أوراق عمل رسمي لصالحه .

● ونجد أن الرياضيين والموسيقيين الذين يطلقون العنان لخيالاتهم في نفس الوقت يؤدون تمارينهم لترقية مهاراتهم الجسدية يحرزون نتائج أفضل . كما أن الحلم في اليقظة بانواع أخرى من النشاطات يعينك على القيام بها بشكل افضل .

● وان كنت تعاني من مخاوف مرضية (الفوبيا) يمكنك أن توظف احلام اليقظة لتقلل من خوفك . فاذا كنت تهاب ركوب الطائرة مثلا . يمكنك أن تتخيل نفسك في طائرة تحادث جليسة حسنة جذابة ساحرة الحديث ، أو تتخيل نفسك غارقا في متعة قراءة رواية شائقة .

وان كنت تتهيب الجلوس لامتحان أو اختبار ، فتخيل في يقظتك شيئا يدخل الطمانينة والسكينة على قلبك . وبنفس المعيار فانك ان سمحت لأحلام يقظتك أن تصور لك اسوأ الأمور ، كتحطم الطائرة أو عدم التوفيق في الاختبار ، فانك انما تزيد بذلك مخاوفك .

● ويمكن لأحلام اليقظة احيانا أن تكون مفتاحا يرشد الى مشكلة هامة لم تلق تسوية ، أو حاجة تنتظر قضاء .

وان وجدت أن احلام اليقظة ، تداهمك في اوقات غير مواتية وبشكل دائم ، فربما كان ذلك اشارة على وجود شيء مختل في حياتك .. والأجدر هنا أن تراجع اخصائياً .

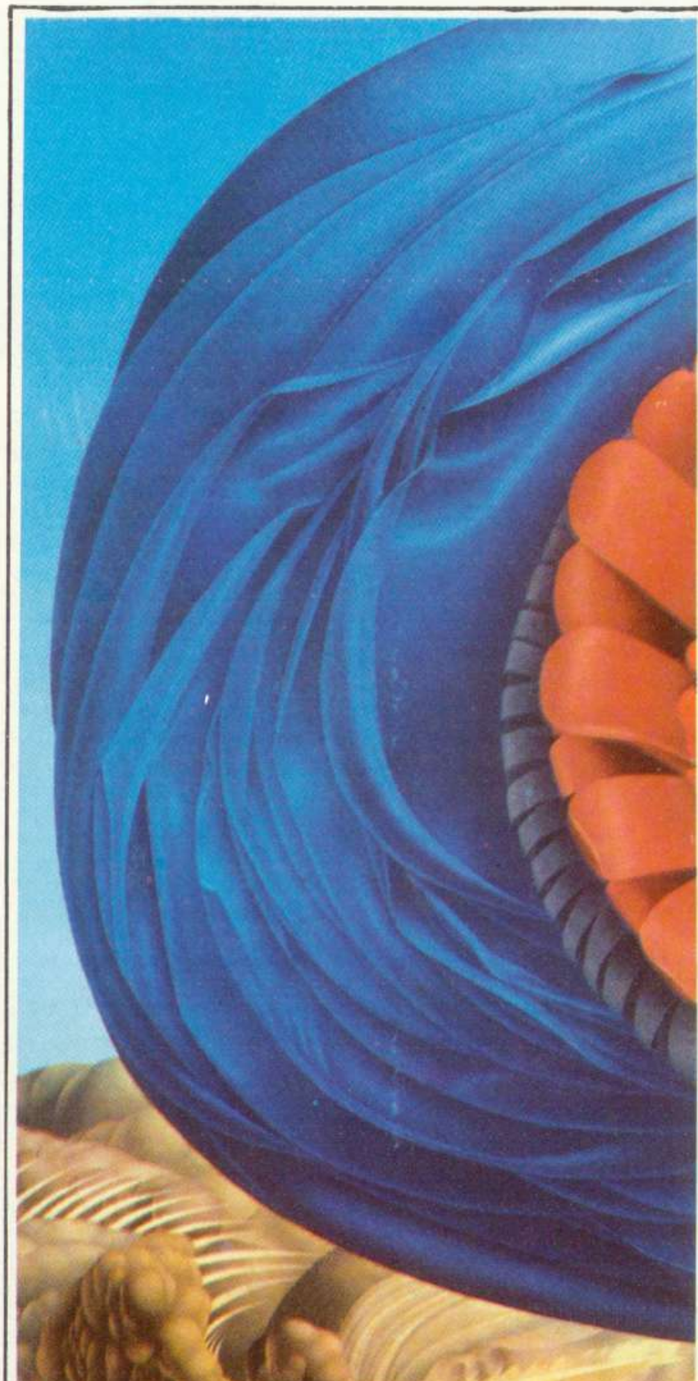

أيهما أبعد أثرا فى نمو الانسان الوراثة أم البيئة ؟

فى الثانى عشر من اغسطس (اب) عام ١٩٧٩ فتحت جانيت هاملتون صحيفة «الصنداى بوست» فى منزلها بسكتلندا ، فوجدت وجهها يحدق فيها كما لو كانت أمام «مراة» . وقرأت فى الكتابة المصاحبة للصورة ان الوجه هو لايرين ريد التى تعيش على بعد ٣٠٠ ميل فى انجلترا ، والتى تبحث عن توأمتها الشبيهة بها التى فقدتها منذ زمن طويل .

وقضت الاختان الساعات الثلاث التاليات فى مكالمة هاتفية . فاكتشفتا أنه بالرغم من انهما قد فرق بينهما عند الولادة فى عام ١٩٤٤ عندما تخلت عنهما أمهما لمن يريد تبنيهما،فانهما تتشابهان بشكل غريب فى عدد من الأمور . فكلتاهما تخشى المرتفعات ، وكلتاهما قادت فرقاً للطلائع ، وعملت بعض الوقت مع نفس شركة ادوات التجميل ومستحضراته . وتعانى كل منهن من ألم فى نفس المكان فى ساقها اليمنى فى الجو المبتل وكلتاهما تكره الماء لدرجة أنهما عندما تذهبان الى شاطىء البحر ، تجلسان وظهريهما إليه . وحتى اسلوب تسريحة شعرهما واحد .

وهما وغيرهما من التوائم الذين فرق بينهم فى طفولتهم الباكرة موضوع دراسة مستفيضة فى أوربا وأمريكا . ويأمل الدارسون أن يلقوا الضوء على سؤال قديم : أيهما أبعد أثراً فى نمو الانسان : الوراثة أم البيئة ؟

وقد سمع توماس بوخارت بهما وهو عالم نفسانى بجامعة منيسوتا يرأس فريقا يجرى دراسة حول التوائم الذين فرق بينم ، فطلب اليهما الحضور الى منيا بوليس لاجراء اختبارات لمدة ١٠ أيام . فاخضعتا لفحوص جسمانية كاملة ، ولقياس موجات الدماغ ، واختبارات مدى الذاكرة ، والفهم الشفوى ، والقدرة الفكرية ، واشياء اخرى .

وقالت المسز ريد ، إحدى التوامتين ، « إننا ندرك الآن أن هناك بالفعل رابطة بين التوائم .. ونعرف ما تفكر به الأخرى . »

وقد اخضع بوخارت اخوين توأمين من أوهايو لاختبارات مماثلة بعد أن وجد احدهما الآخر فى السنة الماضية ، واكتشفا أن حياتهما متشابهتان . لقد كان أمرا غريبا لايكاد يصدق . لقد خلع الوالدان بالتبنى نفس الاسم الأول على جيم شبرنجر ، وجيم لويس ، وتزوج كل منهما أمراة تسمى لندا ، وطلقها . وكان اسم زوجة كل منهما التالية بيتى . وعمل كلاهما بعض الوقت نائبا لمامور الشرطة . وعانى كلاهما من الصداع النصفى . وسمى شبرنجر ابنه جيمس آلان ، واطلق توأمه جيم لويس نفس الاسم على ابنه ، وقد كشفت الدعاية عن اجتماع شمل هذين التوأمين توائم أخرين ، وبذا تم لبوخارت أن يدرس ثمان حالات من التوائم بالتفصيل ، منهم توائم متماثلون ، ولدوا من بويضة واحدة ، وتوائم اشقاء من بويضتين تم تلقيحهما فى نفس الوقت . ولكن لم يحن الوقت بعد لبلوغ اى نتائج نهائية اعتمادا على الاختبارات التى اجراها بوخارت . إذ أن دراساته ، كما يقول ، قصد منها أن تقدم مفاتيح ، لا أجوبة نهائية لمسالة الوراثة والبيئة وقوة أثرهما فى بناء الشخصية .

وتجرى ابحاث فى نطاق اضيق ببريطانيا . وقد تمت مقابلات طويلة بين الأختين التوامين جانيت وايرين مع ليندون ايفز ، وهو محاضر فى علم النفس التجريبى بجامعة اكسفورد . ومتخصص فى التوائم ، وذلك قبل سفرهما الى الولايات المتحدة .

جانيت هاملتون وايرين ريو

ويقول ايفز أن اهتماما متزايداً قد عاد ينصب على موضوع التوائم الذين فرق بينهم . وكان معظم البحث الذى تم حوله يرجع الى عقد من الزمان مضى على الأقل .. ومايريده الباحثون الآن ، هو دراسة حالات اكثر مما تم فى الماضى وقد ظهر الآن أن كثيراً من الحالات التى تمت دراساتها فى الماضى لم تكن حالات فرق فيها بين التوائم بالفعل .. إذ ربما بقى احد التوأمين مع الأم والآخر مع احد الاقارب فى مكان ليس بالبعيد . كما أن علم النفس قد تغير منذ ذلك الوقت .. إذ كان الاهتمام وقتئذ ينصب على استبيانات حول الشخصية واختبارات الذكاء . ولكن الاختبارات اليوم متكاملة بشكل اكبر .

إن عدد التوائم الذين ترعرعوا معا كبير نسبيا . فهناك حوالى مائة مليون حالة . ولكن عدد الذين فرق بينهم ضئيل للغاية . وحتى زمن قريب ما كان العلماء يعتقدون بوجود أكثر من اثنتى عشرة حالة مثل حالة ايرين وجانيت على قيد الحياة ، ولم يوفر البحث فى هذا الموضوع سوى معلومات عن ثمانين حالة فقط .

وقد ظل العلماء يدرسون التوائم منذ القرن التاسع عشر . ولكن مع ازدياد الاهتمام بهم عامة وبالتوائم الذين فرق بينهم خاصة ، انشئت الجمعية الدولية لدراسة التوائم عام ١٩٧٤ . وتحتفظ كل من الدول الاسكندنافية بسجل عن التوائم . وقد جمعت السويد معلومات عن مائة الف حالة من التوائم منذ عام ١٨٨٦م . وفى ايطاليا ، يقوم معهد غريغور مندل لطب عوامل الوراثة ودراسة التوائم بهذه المهمة .

أما فى الولايات المتحدة فان جمع المعلومات عن التوائم يجرى فى الاكاديمية القومية للعلوم ، والمجلس القومى للبحوث ، ومركز كايسر فى أوكلاند بكاليفورنيا .

ولكن ما يثير اهتمام الناس عامة هو اجتماع شمل التوائم الذين ينشاون منفصلين عن احدهما الآخر مثلما حدث فى منتصف العام الماضى عندما ظهر جاك يوفى من كاليفورنيا ليطلع العلماء على معلومات عنه وتوأمه . فقد انفصلا بعد ستة اشهر من مولدهما عندما بقى يوفى مع والده فى ترينيداد ورحل اخوه مع والدته للعيش فى المانيا . وقد نشأيوفى يهوديا ، أما اخوه فكان كاثوليكيا ، وانخرط فى حركة الشباب النازى التى خلقها هتلر .

ويقول بوخارت أن يوفى واخاه قد عاشا فى محيطين يختلفان اختلافا كبيرا .. لم تمر به مثل حالتهما فى الاختلاف . ومع ذلك هناك سمات مشتركة بشكل مذهل : انهما يجلسان الى المائدة بنفس الطريقة ويأكلان بنفس الطريقة وسرعتها فى الكلام واحدة ، ولهما نفس المزاج ، ونفس المشية . وكلاهما ينام بعد الأكل ، وكلاهما شارد الذهن ، وكثيرا ما يقرأ كل منهما المجلات المصورة من غلافها الأخير الى بدايتها ، وكلاهما يحب الطعام الذى به توابل

حـدث طبى هـام

فى زراعة الأنسجة والأعضاء

قام فريق من العلماء الاستراليين باشراف الدكتور كيفن لافيرتى المحاضر فى كلية طب جون كيرتن ـ كانبيرا ـ استراليا ـ بأبحاث مكثفة لمعرفة سبب رفض اجسام معظم المرضى للأنسجة والاعضاء التى تزرع فيها، بدلا من اعضائهم التالفة مثل الكلية والقلب، والبنكرياس، وبالتالى تؤدى لموت هؤلاء المرضى

وبعد أبحاث مضنيه ومجهدة توصل هؤلاء لمعرفة الاسباب المباشره للرفض. وتوصلوا الى نظرية تمكنهم بالفعل من استخدام طرق اخرى لمعاملة الاعضاء والانسجة المراد نقلها قبل زراعتها فى الجسم المريض.

كان كل الاطباء قبل الاكتشاف الاسترالى مؤمنين بنظرية أن الاعضاء والأنسجة المراد نقلها وزرعها ترفض لأن جهاز المناعة فى الجسم المستقبل يستبين بعض المولدات المضادة التى تحملها الاعضاء والانسجة المراد تركيبها وبالتالى تنشط خلايا تسمى خلايا (ت) (ليمفوسايتز) وتقوم هذه الخلايا الجديده والمنشطة بتدمير أي جزء بشرى زرع حديثا.

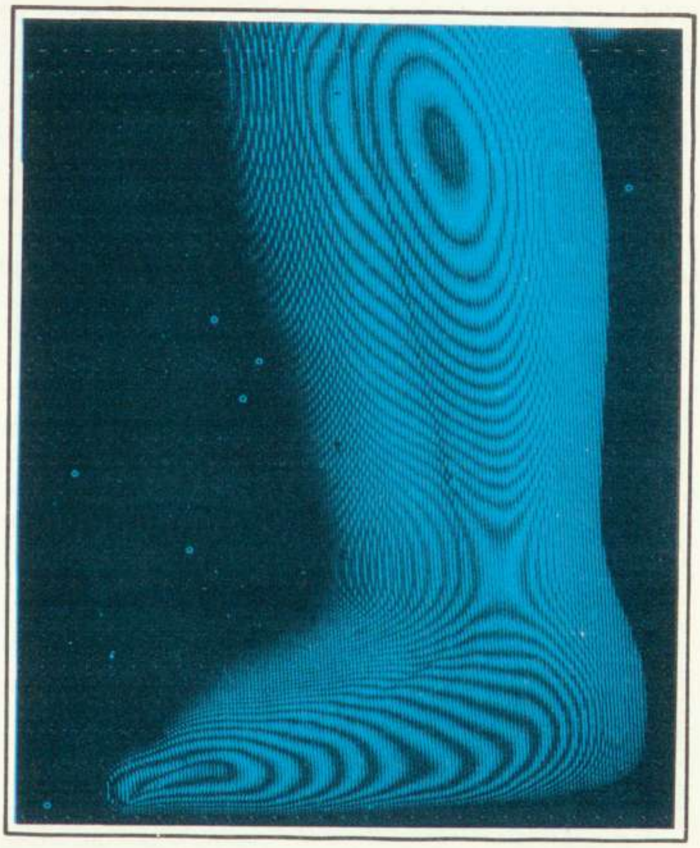

ليس فى كل الحالات

وكانت النظرية السائده بين علماء الانسجة والجراحين فى العالم أن مولدات المضادات هى التى تنشط وتثير خلايا ـ(ت) ولكن فى السنوات الأربع الاخيرة برهنت التجارب أن هذه النظرية غير سليمة فى كل الحالات.

وقد أوضح الدكتور كيفن لافيرتىكبير إخصائيى علم مناعة الاجسام فى استراليا أن ظهور خلايا ـ(ت) المدمرة يحدث عندما ترسل ا شارتين من خلايا مثارة معينة وفى وقت واحد إلى الجزيئات والجسيمات الدقيقة التى تصنع خلايا ـ(ت) وتتكون من إحدى الاشارتين من مولد مضاد، والاخرى من مادة كيمائية معقدة.

كذلك توصل الفريق الأسترالى الى أن كل الخلايا الغريبة على الجسم المستقبل تحمل على مولدات مضادة لأثارة وتكوين خلايا ـ(ت)، ولكنها لاتحمل كلها المادة الكيمائية الأخرى التى تشترك بالفعل فى صناعة وتنشيط خلايا ـ(ت). كما لاحظوا أن خلايا ـ(ت) تنشط وتتحرك بواسطة كريات الدم البيضاء من جسم الانسان المعطى أو الواهب للعضو المراد زرعه واستنتج الدكتور كيفن لافيرتى أن العضو المراد زرعه يجب أن يطهر من هذه الخلايا (كريات الدم البيضاء) أو يجب أن يوقف نشاطها كلية. وبهذه الطريقة يمكن للأطباء والجراحين أن يتفادوا العبء الثقيل الذى ألقى على عاتق مرضاهم المستقبلين للأعضاء الغريبة باعطائهم كميات هائلة من العقاقير المقللة للمناعة وبالتالى تعرضهم للاصابات (كالبرد) بامراض أخرى فيموت المريض من جرائها ولايموت من جراء العضو الذى تمت زراعته.

زرع آلاف الأنسجة

وقد بدأت تجارب الدكتور كيفن لافيرتى ومعاونيه منذ خمس سنوات بنقل وزرع آلاف الانسجة والأعضاء الحيوانية من فار الى اخر. وكانت هذه الأنسجة والأعضاء تعامل ـ أولا وقبل زراعتها ـ فى وسط مهيأ لاستقبالها وللتخلص من كريات الدم البيضاء. وقد كانت كل تجاربهم ناجحة وخصوصا تلك التى ينقلون فيها أنسجة بدون معاملة وزرعها كما هى (رفضت من الفار المستلم فى ظرف ١٥ ـ ٢٠ يوم) والتى تنقل فيها أنسجة واعضاء معاملة وزرعها (لم ترفض من الاجسام المستلمة ومستمرة الى اليوم ومنذ ثلاث سنوات بدون أى مضاعفات)

وفى تجارب متقدمة قام الدكتور كيفن لافيرتى بنقل أنسجة الغدة الدرقية (بعد معاملتها) من فار الى آخر مصاب. وكانت العملية ناجحة، والنتيجة مشجعة ومن ثم انطلق الدكتور كيفن نحو فرز ومعاملة خلايا البنكرياس التى تفرز مادة الأنسولين (مرض السكر) وزرعها فى فار مصاب بمرض السكر وقد لوحظ أن الفار المصاب لم يرفض الخلايا الجديدة وتحسنت حالته ومن ثم اوقفت كل الحقن التى كانت تعطى. وخلاصة القول فقد نجح الدكتور كيفن وزملاؤه فى تطبيق نظريتهم وأوصوا أن نظريتهم ومن ثم معاملتهم للانسجة والاعضاء يمكن أن تمتد لتشمل فى المستقبل القريب جدا مرضى الكلى، والقلب، وسرطان الدم.

وفى انجلترا وفى مستشفى همرسميث بغرب لندن يوجد فريق من علماء الطب يطبق الآن وبكل نجاح نظرية الاطباء الاستراليين فى نقل كلى الفئران من فار سليم إلى آخر مصاب والنتائج مبشرة للغاية ويمكن أن تطبق فى جسم الأنسان.

هذا وقد صرح جراحو القلب والكلى واطباء السكر والسرطان فى استراليا بأن أبحاث ونظريات وحلول الدكتور كيفن وزملائه تعد من المعجزات الطبية فى القرن العشرين.

نقل جينات الوراثة لعلاج الأمراض المستعصية

تبشر عملية نقل الجينات وزراعتها فى الحيوانات والتى تمت لأول مرة بأنه يمكن استخدام نقل الجينات الى البشر فى علاج الامراض الوراثية أو فى مكافحة السرطان .

وقد تنبأ الدكتور مارتن كلاين ، رئيس فريق ابحاث جامعة كاليفورنيا بلوس انجليس بأن هذه الطريقة يمكن تطبيقها على الانسان فى غضون ثلاثة أو خمسة اعوام للاسهام فى علاج السرطان وفى تخفيف حدة امراض وراثية مستعصية ومميتة فى الغالب مثل فقر الدم (الانيميا) .

وقد نشرت مجلة الطبيعة البريطانية هذا الانجاز . ووصفته جامعة كالفورنيا بانه عمل ثورى .. وكما قال الدكتور كلاين فانه «اثبت أنه من الممكن وضع جينات جديدة فى خلايا الحيوان وجعلها تقوم بوظائفها عندما تم نقلها الى ذوات الثدى .. مما يفتح مجالا واسعاً من الامكانيات » .

الخصائص الوراثية

وقد نجح الدكتور كلاين وفريقه من زرع نوعين مختلفين من الجينات فى جسم فئران المختبر . وكانت احداهما جينة فيروس «نزلة البرد » والأخرى جينة تفرز المقاومة ضد الميثوتريكسيت ، وهو عقار سام للغاية يستخدم بشكل واسع لمكافحة السرطان . وكانت الخطوة الأولى هى عزل الجينات ثم زراعتها لتنمو فى كميات وتظل محتفظة بشكلها ، وذلك باستخدام وسائل حديثة جعلت من الممكن فصل الجينات واعادة تركيبها .

وكانت معظم الأعمال المماثلة لهذا العمل قد وضعت الجينات الجديدة فى البكتريا . ولكن الدكتور ريتشارد اليكس من جامعة كولومبيا ، وآخرون ، أثبتوا أخيرا أن خلايا ذوات الثدى التى هى أكثر تعقيدا من البكتريا ، يمكنها أيضاً أن تمتص الجينات الجديدة .

وفى علاج السرطان تبرز مشكلة هى أن العقار المضاد للسرطان قد يكون قويا وساما لدرجة يقتل فيها عددا كبيرا من الخلايا ، ليس فقط تلك السرطانية ، وانما بوجه خاص الخلايا المكونة للدم الموجودة فى النخاع فى العظام .

وباستخدام طريقة أليكس تمكن العلماء بجامعة كاليفورنيا من استخلاص خلايا العظم النخاعى من الفار البالغ ، وحضانتها مع الحامض النووى (دى .إن .آى) الذى يحتوى على الجينة الجديدة المطلوبة المقاومة للميثو تريكيسيت ، مثلها .

وقد قبلت بعض الخلايا هذه الجينة الجديدة . ومن ثمة تم حقن الفأر البالغ بهذه الخلايا ، ووصل بعضها الى نخاع العظم رأساً . وعندما اعطيت جرعة من الميثو تريكسيت لهذه الحيوانات ـ الفئران اتضح أن الخلايا التى قبلت الجينات الجديدة أقدر على البقاء بشكل افضل . وقد تكاثرت فى سرعة وصارت خلال شهرين هى خلايا انتاج الدم المسيطرة .

وبالنسبة لمرض السرطـان فان الأمل معقود كما يقول الدكتور كلاين فى أن تستطيع هذه الخلايا مساعدة الجسم على احتمال جرعات أكبر وأكثر فعالية من الميثو تريكسيت أو أى عقارات أخرى مضادة للسرطان كانت تستخدم بشكل محدود لأنها تقتل عدداً كبيرا من الخلايا صانعة الدم .

لقد حافظت الحيوانات التى نقلت اليها هذه الجينات الجديدة فى جامعة كاليفورنيا بكمية من الدم عادية . أما الحيوانات الاخرى التى جرعت العقار المضاد للسرطان ، فان عدد خلايا النخاع العظمى وكمية الدم فيها قد انخفضت بشكل خطير .

اصلاح الخلل

وفى علاج الانيميا التى تسببها الخلايا المنجلية أو الامراض التى يكون المريض بها مولوداً فيه جينة تتسبب فى انتاج خلايا دم غير طبيعية وشاذة وضارة ، يقوم الاطباء ، كما يقول الدكتور كلاين ، بزراعة جينتين ، احداهما لتصحيح العاهة والأخرى لمنح المريض مقاومة للعقار الذى يقوم بتدمير الخلايا المختلة الأخرى .

« وبالرغم من أننا نفتقر بعد ذلك الى الطرق التى يمكن بها تطبيق ذلك على الانسان ، ولا يمكن توقيع اجراء تجارب على الانسان إلا بعد مضى ثلاث سنوات على الأقل ، فاننى اعتقد أنه من المحتمل ايجاد مثل تلك الطرائق لزراعة الجينات فى انسجة كثيرة من الجسم بمرور الزمن » كما يقول الدكتور كلاين.

ووقتها يمكن زراعة الجينة المصنعة للانسولين فى مرضى السكر ، أو هرمون النمو فى المصابين بفقر فى هرمونات النمو » .

وقد قال احد علماء الاحياء الكيمائية من مستشفى سنت مارى بلندن فى مجلة «الطبيعة» أن المشكلة الحاسمة بالنسبة للانسان ستكون كيفية السيطرة على الجينات الجديدة التى ربما تغدو نشطة أكثر مما ينبغى .. وضارة . ويرى الدكتور كلاين أنه ربما امكن معالجة هذه المشكلة باستخدام العقارات أو وسائل أخرى.

ان اهم انجاز تم اليوم قد أظهر ان العاملين فى مجال اعادة تركيب الحامض النووى وهندسة الجينات كانوا على حق حين بشروا بانه صار من الممكن ذات يوم علاج العيوب الناشئة عن الجينات وذلك باستبدال الجينات التالفة .

الأسماك تعزف الموسيقى

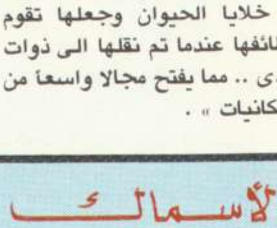

يوجد عدد كبير من الاسماك تكون مزودة باعضـاء يمكنها ان ترسل الضوء الى قاع البحر وبواسطته تستطيع الاسماك ان تتعرف على بعضها في فترة التزاوج ، وحاسة السمع في الاسماك مفقودة ، وان كانت تملك حاسة الشم ، وتتحرك الاسماك معتمدة على حساسية الجلد وبعض الاسـماك يبيض وبعضها الاخـر يلد كسمك القرش ..

ومن الطريف ان بعض الاسماك تستطيع ان تصدر اصواتا موسيقية بواسطة زوائد تكون شبكة معقـدة التركيب تمتلىء بالهواء الذي يتحرك داخلها فتهتـز وتصدر صوتا يشبه دقات الطبول .

وهناك نوع من الاسماك توجد عيناها في اعلى الراس فتبدو وكانها تتطلع الى السماء ، ولهذا النوع طريقة غريبة في اصطياد فريسته .. وهناك نوع من الاسماك يحتوي بيضه على قدر من السم يزداد في فترة التزاوج .

وغالبا ما تهاجر الاسماك من بيئتها بسبب تعودها على درجة معينة من الملوحة والحرارة ، الا ان هناك بعض انواع من الاسماك لا تنضج اعضـاؤها التناسلية الا بالهجرة من مكان الى آخر مثل سمك حوت سليمان .

بقلم : محمد المنسي قنديل

رسوم : جمـــال قطـب

وقائع عربية

كذبة قاضي أشبيلية البيضاء !!

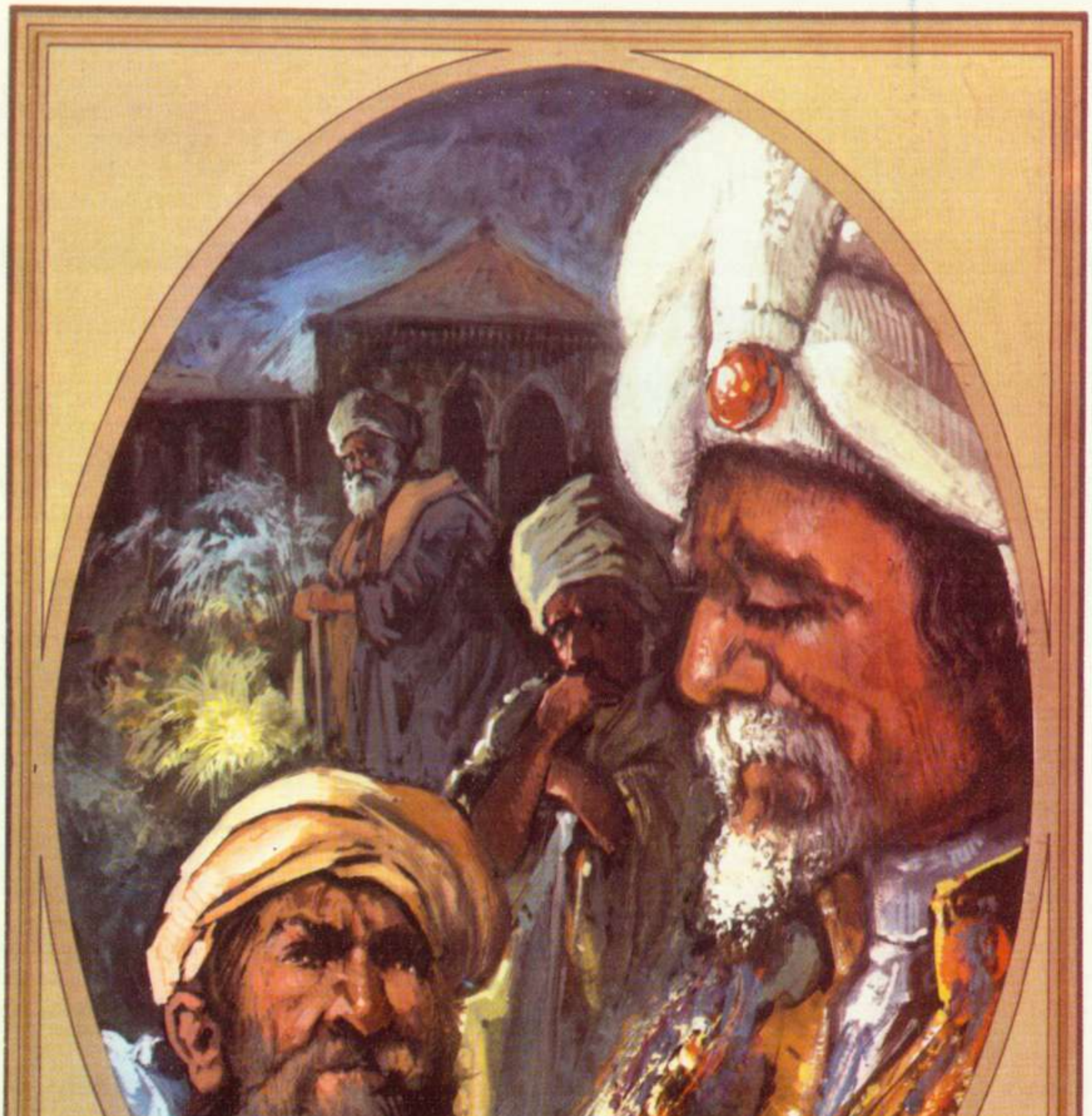

اشتعلت الحركة في كل أرجاء القصر، ووقف القاضي يشرف على كل شيء .. والفجر الأندلسي يذوب عندما ظهرت جموع المصلين باغتتهم الدهشة . ساد صمت مطبق، وسار معظمهم حفاة إلى أطراف الساحة

كان القاضى مستيقظا . وأشبيلية نائمة . والنجوم غائرة . والبربر متحفزون . وارتفع أذان الفجر كصرخة استغاثة . والصقالبة يسنون الخناجر . وسور المدينة الخارجى مليء بالثقوب . كل غاز صنع ثقوبه الخاصه وأشبيلية تحلم حلما اندلسيا . استبدلت العشب بالسيوف . والمتاريس بالنجوم . ورت فراشاتها الملونة حول شمعة القاضى فاحترقت .

نهض القاضى واقفا . صرخ فى أتباعه وجنوده وخدمه :

– اسرجوا الجياد وأعدوا ثياب الخلافة وخاتم أمير المؤمنين وعمامته .. فاشتعلت الحركة فى كل أرجاء القصر . ووقف القاضى شامخا يشرف على كل شيء . إذا حكمت فاحكم بالعدل . وإذا دبرت فلا تترك شيئا للمصادفة . كان الفجر الاندلسى يذوب .. يتحول الى رمادية داكنة . ويدأ صباح يوم الجمعة .

الدهشة على باب المسجد

عبر الشوارع الخالية تحرك موكب القاضى . اتجه الى المسجد الكبير حيث يحتشد فى هذه الساعة كل علماء المدينة وفقهائها واشرافها . كان معه والى الشرطة . وخازن بيت المال . وموثق العهود . وتجمعوا فى ساحة المسجد فى انتظار انتهاء الصلاة .. وتعالت (أمين) وتبعتها الأدعية والابتهالات . وظهر أول مصل على باب المسجد . وضع (نعليه) على العتبة ولكنه حين شاهد موكب القاضى ذهل عنهما . وسار حافيا حتى عبر الساحة ووقف فى ركن منها يرقب وجه القاضى المتحجر .

ثم ظهرت جموع المصلين . القوا نعالهم وباغتتهم نفس الدهشة . ساد صمت مطبق . وسار معظمهم حفاة الى اطراف الساحة . واصبح المسجد خاليا والقاضى ينتظر . وأخيرا .. ظهر (خلف) صانع الحصر الذى يؤذن للمسجد ويتولى تنظيفه يستعد لغلق الباب . نحيفا فى ثيابه الرثة . ويداه مشققتان من جدل الحصر .

دقت الطبول . وعلت الهمهمات وهتف الجند هتافاً غامضاً . التفت (خلف) فى ذعر وشاهد القاضى يترجل من فوق جواده فازداد ذعره . واندفع يجرى ولكنه تعثر فى النعال الكثيرة المنسية وسقط متدحرجا من فوق درج المسجد عند اقدام القاضى ..

وحدث الشيء الذى لم يتوقعه احد . انحنى القاضى المهيب وقبل قدم صانع الحصر وهو يقول :

– مولاى أمير المؤمنين .. حمداً لله على سلامتك ..

وسحب الحصرى قدمه كالملدوغ وهمهم الناس فى حيرة . وهتف الجنود

– حفظ اللـــه الخليفــة ..

تبدد رماد الفجر . وأوشك خلف الحصرى أن يبكى .. وانحنى وهو يهمس للقاضى :

– مولاى القاضى ..

قال القاضى فى تأثر بالغ :

– بل انت مولاى أمير المؤمنين هشام المؤيد حفظك الله ورعاك ..

وشهق الناس من الدهشة . رددوا الاسم كأنه تعويذة .. وهتف صانع الحصر ..

– أنا لست إلا خلف الحصرى البائس .. انت تعرفنى يامولاى وتسمع صوتى لحظة الآذان .

ضحك القاضى ضحكة قصيرة جافة ..

– أعترف انك اجدت التنكر يامولاى .. ولكنى طوال هذه المدة كنت اعرف أنك خليفتنا وأميرنا .. جاءت بك الاقدار الى مدينتنا بعد طول تطواف .. إننى أملك الدليل لاثبات ذلك .. انت الآن فى أمان يامولاى .. بعيد عن قرطبة .

قال خلف فى يأس .. أنت مخطىء ولاشك يامولاى .

ولكن القاضى التفت لكل من فى الساحة وصرخ فيهم ..

– اسجدوا لخليفتكم .. اسجدوا ..

وسجد الجميع على الارض . رفع الناس رؤوسهم فى حذر . قال القاضى بجدية ..

– يا أهل أشبيلية . اراد الله أن يكون لنا خليفة من بنى أمية . لم تحفظ قرطبة خلافته فساقه الله إلينا . لا أدعوكم لبيعته الآن . بل لسماع شهود إثبات خلافته ..

وتقدم رجل عجوز من بين الصفوف . قال

– لقد رأيت الخليفة هشام المؤيد أكثر من مرة ومازلت اذكر ملامحه .

اقترب من خلف المذعور وتأمله قليلا ثم هتف فى حيرة ..

– يالله .. ياله من شبه غريب . ولكن أهو انت الخليفة حقا ؟ ..

وضرب الناس اكفهم . ودقت الطبول تؤكد الأمر الواقع . كانت اشبيلية كلها تتساءل .. هل يستيقظ الموتى .. وهل تنتقل القبور من قرطبة الى أشبيلية ..؟ ..

الذين شهدوا.. والذين أنكروا

تدفق اهل المدينة كلهم على القصر . جاء القاضى ومجلس الاعيان الذى يحكم أشبيلية معه . والقواد . وفقهاء المذاهب . ورواة الأنساب . وهواة المناصب الرسمية . وجاء عبيد وخدم وجوار لم يرهم احد فى اشبيلية من قبل . ووقف الحرس شاكى السلاح . وخرج خلف فى ثياب الخلافة الموشاة الفخمة . وعلى رأسه عمامة ضخمة فى وسطها ياقوتة حمراء . وقف مترددا .. ورأى الجمع المحتشد فأوشك أن يعود الى داخل القصر . وتلفت ناحية القاضى ثم تقدم وجلس على العرش . ونهض القاضى ..

– حتى نقطع الشك باليقين . وتكون البيعة صادقة والطاعة واجبة فليتقدم الشهود وليعترض المعترضون والأمر لله .

نهضت مجموعة الخدم والعبيد . هتف واحد منهم ..

– نحن خدم أمير المؤمنين فى قصر قرطبة قبل أن يقتحمه سليمان المستعين .. واقتربوا من العرش وشهقوا فى صوت واحد . سجدوا وقبلوا الأرض فأبعد خلف قدميه مذعورا . ونهضت الجوارى وتقدمن مسرعات ثم ارتمين على الأرض وبكت واحدة منهن وهو تقول ..

– إنه هو .. مولانا ولا أحد غيره ..

ونهضت سيدة . كانت تجلس فى جانب من المجلس . مغطاة بالسواد . ووقفت فى مواجهة العرش ثم رفعت خمارها الأسود وحدقت قليلا ثم بكت بصوت خافت مفجوع وهى تغمغم ..

– يا زوجى ويا مولاى أين كنت طوال هذه المـدة ؟ ..

وهبط وجوم غريب . واندفع البكاء حارا . مليئا بالمرارة . ورغم توالى عشرات الشهود بعد ذلك فقد كانت هذه الشهادة حاسمة . جاء شاعره الخاص . ونديمه . ورفيق صيده . واحد الثوار عليه . والقائد الذى خانه . والجارية التى دست عليه . ونهض القاضى صائحا ..

– يا أهل أشبيلية بايعوا خليفتكم هشام المؤيـد ..

لم تكن بيعة . كانت حمى اجتاحت الجميع . وكتب الموثق حجة الخلافة فتقصف القلم ثلاث مرات والقاضى واقف فى الركن يرقب ويداعب حبات المسبحة . ورفع عينيه فوجد أمامه أبا بكر الزبيدى

فلنبدأ الأغنية منذ البداية . من حلم الفتح حتى زمن السقوط

العالم والفقيه وأحد الاعيان الخمسة الذين يحكمون المدينة معه .. سأله ..

ــ هل بايعت يا أبا بكر ؟ ..

قال الزبيدى ..

ــ كيف أبايع يا أبا القاسم وانا الذى انزلت هشام المؤيد الى قبره ..؟ ..

وانصرف الزبيدى . وتمت البيعة وصمت الجميع ليتكلم الخليفة ..

ــ وإنى قد وليت القاضى ابى القاسم محمد بن عباد وزيرا لى .. وناهيا بأمرى ..

من أين تبدأ الأغنية ..؟

فلنبدأ الاغنية منذ البداية . من حلم الفتح حتى زمن السقوط .. منذ أن تجمعت السفن وعبرت البحر وحرقت حتى لا يفر احد . وكوفىء الفاتح بالسجن مدى الحياة . وحملت رأس الحاكم الأول الى الخليفة الذى ولاه . وازدهر الليلك الحزين . وطاف الشعراء يغنون بداية الأغنية . نزل العرب فى السهول . ونزل البربر فى الثغور . وبقى الصقالبة فى الوسط . وجاء العشق فى زمن الفتنة . لأن الحدود كانت مميزة وصريحة فقد تبدد الحلم الاندلسى سريعا . وارتعشت الارض تحت سنابك الحرب الأهلية . يا أيتها الأغنية الغريبة . يا أيها الاندلس المفقود . قرطبة . أشبيلية . غرناطة . بلنسية طليطلة . أقليش . سرقسطة . بطليموس . مرسيه . كيف يتأتى لمغن مهما أوتى من قدرة أن يغنى أغنية . بهذا الحزن . هذه الأرض لم تكن وطنا . ولكنها أنست المحتل وطنه . يحدث احياناً أن يمرض المحتل بعشق الأرض . وينتابه الوله بزرع الجذور . وتناسل الأجيال . وبناء القصور والمساجد وحفر ذكرياته على جذوع الاشجار. وتعليم العصافير لغته اليومية . وتتفاقم حالته حين يريد أن يجعل موطىء القدم وطنا . ويعيش فوق الأرض دون ان يمتزج بها . ويمشى وسط اهلها دون ان يراهم . كأن الأغنية التى بدأت لا نهاية لها . عبر العرب البحر الى الاندلس . واختصروا العالم فيه . وحملوا إليه كل خلافاتهم القبلية . فتحولت المدن الى مضارب . والغارات الى حروب أهلية . وأخطر ما فى الأمر انهم حملوا معهم عدوهم . جاءوا بالبربر كشركاء فى الغزو ثم اهملوهم عند اقتسام الغنائم .. وبقى البربر يتحينون الفرصة ..

وكان هشام المؤيد آخر خلفاء بنى أمية واضعفهم . لا يملك أية سلطة فعلية . كل السلطات كانت فى يد وزيره (شنجول) الذى ارغمه على أن يغير وراثة العرش وأن يجعل من وزيره ولى عهده . لم يعجب هذا التعديل بقية الأمراء الأمويين .. وخلع المؤيد .. وجاء بدلا منه المهدى الذى اعلن ان المؤيد قد مات ودفن بمحضر من العلماء والفقهاء . وبعد عام ظهر هشام المؤيد .. وعاد الى عرشه لأيام قليلة .. ثم خلعه سليمان المستعين .. واعلن ان هشاما قد مات .. ثم ظهر بعد ذلك .. فى اماكن متفرقة .. بعيدة .. يؤدى مهناً وضيعــة .. ثم ضاع مصيره .. وطويت رايات بنى امية وبدأ عصر الحكام المجهولين .

فهل عاد هشام المؤيد .. حقا ؟ ..

آخر الخلفاء . الورقة الأخيرة..

بعث القاضى بالرسل الى كل الممالك المتناحرة يعلن ظهور هشام المؤيد ويطلب منهم البيعة والدخول فى طاعته . وكان الرفض يعنى الحرب . والاعتراف يعنى الاستسلام بلا ثمن . ولم يكن احد يعرف القوة الحقيقية لابن عباد . لذلك عادت الرسائل مليئة بالسخرية والاستهزاء . كانت كل مملكة تزعم أنها تحوى قبر هشام المؤيد . وكل حاكم يدعى أنه خليفته . لم يبايع سوى بعض المدن التافهة التى لا يأبه ابن عباد بالاستيلاء عليها ..

ولكن اشبيلية نفسها كانت عاجزة عن التصديق . ووقف الأمام الزبيدى فى نفس المسجد الذى كان يؤذن فيه خلف .. وهتف فى المصلين ..

ــ هذه أكذوبة .. وهذا خليفة زائف ..

واقتحمت جنود القاضى المسجد وفرقوا المصلين . وقبضوا على المعترضين . وظل الزبيدى طليقا . وفى المساء اجتمع الاعيان الخمسة . ولا أحد منهم يدرى ماذا يفعل ؟.. فقد الغى ابن عباد بهذه الحيلة نظام حكمهم الجماعى .. كانوا يحسون بالخديعة . والزبيدى يحرضهم على المقاومة والنزول الى الشوارع والاسمال .. ومرة أخرى اقتحم جنود القاضى المكان ونفى ثلاثة من الأعيان وكان هذا إنذارا كافيا للزبيدى ..

ولم يكن هشام المؤيد أو خلف الحصرى يدرى ماذا يفعل بالضبط . فى البداية بهرته فخامة القصر . ورقة الجوارى . ودفء المحظيات الأسبانيات . ومظاهر الاحترام المبالغ فيها التى يبديها الحرس . وارتعد وهو يجلس على العرش أول الأمر ويستمع الى الشكاوى الكثيرة . ويلقى أوامر لم تنفذ لفرط تفاهتها . وفى كل مساء يحضر القاضى كالقدر . يلقى عليه تعليمات جديدة ويجعله يختم كومة من أوامر الدولة ثم يمضى . ولكن اصعب موقف هو ذلك اللقاء اليومى مع السيدة (زيتونة) زوجة هشام المؤيد .. المفروض انها زوجته . لم يكن القاضى ليسمح بتسرب أى خطأ لخطته ، لذلك فرض عليهما اللقاء اليومى .. لقاء صامت موجع تطوف عليه ذكريات الموتى . للحظة كانت قد حسبت أن زوجها قد عاد . ثم تأكدت أنه مات . وكان خلف يقف امامها صامتا .. مذنبا .. والحرس فى الخارج ينقلون عدد أنفاسهم للقاضى ..

وهبط الجنود على بيت الزبيدى فى الظلام . وساقوه مكبلا الى القاضى . ووقف الرفيقان اللدودان فى مواجهة بعضهما . كانت أشبيلية تريد أن تصدق أن الخليفة قد عاد . ولكن الأمر لم يكن بهذه السهولة . وعندما وقف الزبيدى مقيدا أمام القاضى لم يكن احد يدرى ايهما المعتقل .. وهتف القاضى ..

ــ كيف أكون كاذبا وسط الأفاقين الذين يحكمون كل هذه الممالك . وغداً سيدق ابن حمود أسوار أشبيلية ويأتى البربر .. من الكاذب هنا .. من الصادق ..؟ ..

هتف الزبيدى .. الاكاذيب لن تهزم البربر.

صاح القاضى ..

ــ أشبيلية فى حاجة إلى اكذوبة . ليست فى حاجة الى اشعار ولا الى قوانين لن يرد هجوم البربر إلا أكذوبة كبيرة ..

قال الزبيدى فى حنق ..

ــ لاتتحدث عن اشبيلية كأنك نبيها . انت تملك ثلث الاراضى والعقارات وثلث التجارة والقوافل والآن تسعى لامتلاك كل شىء ..

ــ لا أحد يحس بأشبيلية مثلى .. أنها لي ولذلك سوف انقذها من البربر بأية وسيلة . سوف اضعك فى السجن ولو انتصرت سوف اخلصك أو يخلصك ابن حمود .

الحاجة الى اليقين ..

دمدمات البربر تحيط بأشبيلية . والمجانيق تتحفز لتقضى على اسطورة

الخليفة الكاذبة . والممالك التى بايعت تراجعت عن بيعتها . ونهض الخليفة من فراشه فزعاً . وجرت الجارية العارية من الغرفة . وكان القاضى غاضبا لدرجة الجنون حتى إنه اقتحم غرفة الخليفة فى هذا الوقت المبكر دون استئذان وصاح فيه ..

— عليك اللعنة أيها الحصرى القذر انهض وارتد ثيابك ..

وضربه ضربة هائلة أوقعته من على الفراش. وحاول خلف أن يستر عريه دون أن يفهم سر ثورة القاضى الذى عاد يصرخ ..

— هيا اخرج للناس وحرضهم على قتال البربر أيها الحصرى القذر ..

وارتدى خلف ثيابه فى سرعة . ودفع به القاضى الى الخارج دون مهابة . وكانت أشبيلية كلها فى الساحة . تنتظر ما يشبه اليقين . تنتظر معجزة فى زمن تحولت فيه المعجزات الى فخاخ . وظهر خلف فى الوقت المناسب بين النفوس الخائفة المرتجفة . وقف وسطهم صامتا . وحدثت هزة فورية من الأحاسيس المتبادلة . لم يعد هناك غير شيئين . الخليفة فى وسط المدينة والبربر خارج خارج اسوارها . كان للناس مطالب وللجنود رواتب . ووقف الخليفة مهيباً رغم قامته النحيلة . وزعق . اللـه أكبر . فأختلط المؤذن والخليفة وأشار الى السور الخارجى فساروا جميعا تحت ظل قوة أسرة مجهولة . وانفصل الخليفة عن قاضيه . وفتحت أشبيلية ابوابها تواجه البربر بعد أن كانت تموت رعباً منهم .

ازدادت حدة القتال ولم يبق أمام البربر إلا الفرار وقد تلقوا هزيمة قاسية

وعاد خلف الى أشبيلية . والناس من حوله بعد ان حاربوا وقتلوا . وترملوا . ونزفت دماؤهم . وحولوه الى رمز حى لكل هذه الانتصارات .. وذهل القاضى . هل يمكن ان تنجح هذه الاكذوبة الى هذه الدرجة .. ؟ أوشك أن يهبط قبو السجن الزبيدى . أو يصعد لمئذنة قرطبة ليعلن أن تدابيره قد نجحت . ولكنه لم يجد بدا من أن يكون فى مقدمة المهنئين للخليفة على هذا الانتصار . ولاحظ شيئا غريبا . إن خلفاً لم يبد عليه ذلك الذعر الخفى عندما اقترب منه بل ظل ينظر إليه وعلى وجهه ابتسامة فيها ظلال من السخرية ..

وفى اليوم التالى نقل إليه جواسيسه داخل القصر أن الخليفة لم يقرب من الجوارى الجدد . وان جلسته مع السيدة (زيتونة) قد استطالت . كان يسألها عن هشام المؤيد . ماذا كان يفعل ؟ . وكيف يتصرف ؟ واصبحت أوامره أقل تفاهة وأكثر صرامة . وبدأت الممالك تبعث برسائل البيعة والولاء . واحس خلف كأن هشاما المؤيد يولد فى داخله ويمزق عنه جلده القديم .

زيارة الموتى ..

كان خلف وحيدا بلا جارية فى منتصف الليل . سمع صوتا . كأن طائرا غريبا ضل طريقه الى غرفته .. أو طرقات خافتة من مكان ما . أو نداء خافت مبحوح . نهض من الفراش . لعله زحف على الأرض . فتح النافذة التى تطل على الحديقة فرأى القمر مكتملا . وعلى ضوئه رأى رجلا آخر معلقا فى النافذة .. حدق فيه بدهشة .. انه هو .. خلف الحصرى القديم بائساً كما لم يكن ابدا . يلهث . ويوشك على البكاء . وحدق كل منهما فى الآخر . ثم قال الرجل فى وهن ..

— أنا هشام المؤيد

وتراجع خلف مذهولا . هتف كأنه يدافع عن نفسه ..

— أنا هشام المؤيد

احس انه يعدو وحيدا فى مسجد أشبيلية الكبير . وسط مجموعة من السراديب المتداخلة . يتعثر فى الفئران التى لا تكف عن قرض الحصر . يحاول أن يتوضأ من البئر الجافه . يهرب من القاضى .. ويصرخ . والرجل يقول .

— أنت الخليفة الآن .. ماذا يهم .. لقد اقنعك القاضى .. ولكن

— كيف اقنعت نفسك ؟ ..

تكوم مثل كلب ضال لا يكف عن اللهاث ..

— اعرف اننى فى أيامى الأخيرة . ولولا ذلك ما جازفت بالحضور حتى اراك .. ولكنك انت أيضا فى ايامك الأخيرة ..

صاح خلف فى ذعر .. ماذا تعنى ؟ ..

جرى . نظر تحت الفراش وخلف الستائر وداخل الخزائن . وفتح باب الغرفة فرأى الحارس نائما .. وقال الرجل :

— القاضى يعرف جيدا ماذا يريد .. اليوم أشبيلية . وغدا قرطبة ثم لا تعود هناك حاجة إليك ..

صاح خلف ..

— هل تنصحنى .. لماذا تركت عرشك إذن .. ؟ ..

قال الرجل ..

— هذا هو الشعور بالخوف الذى جعلنى اترك عرشى . كنت خائفا من الجنون والتآكل والمرض الأموى الملىء بالخوف والترصد .. كيف انصحك وانا أعيش فى داخلك

وقائع عربية

تحرّك طويلاً فى مدى الأكذوبة حتى باغتته الحقيقة

وارتكب نفس اخطائك .. واخاف من نفس مخاوفك .. ماذا كنت تعمل ؟ ..

ونهض فجأة واحتضنه . واشتم خلف رائحة عفونة . أحس بلمسة باردة كأنه الموت . ورأى نفسه يصعد فوق المئذنة وقد حان وقت الفجر . كان الدرج بلا نهاية . ثم بدأ يصعد فى الفراغ . وزحف هشام المؤيد الى النافذة . وظل خلف يهذى فوق فراشه حتى الصباح ..

واقتحم القاضى غرفته ولدهشته الشديدة وجد خلفاً مستيقظا جالساً بجانب النافذة وقال له فى صوت جاف ..

ـ ماذا تريد ؟ ..

قال القاضى .. حان وقت الغزو .. سوف نغزو قرطبة .

ـ ولكن قرطبة أعلنت الطاعة .

ـ لقد حاولوا أن يفوتوا علينا الفرصة .. انهم بالطبع لا يؤمنون بأنك الخليفة ..

ـ ولكننى لست الخليفة فعلا ..

صرخ القاضى ..

ـ كف عن هذا السخف . حين تعود الى قصر قرطبة حيث اقام عشرات الخلفاء سوف تحس أنك خليفة فعلا .. لايمكن أن يستمر الحال هكذا وإبن جهور يحكم قرطبة وإلا سوف يقفز البربر كل يوم ..

على اسوار قرطبة

بدأت ايام الحرب . اصبحت اشبيلية مشحونة بحلم الاندلس الواحد . توافدت القبائل المتنافرة تعلن ولاءها وبيعتها . وارسل الأمراء يحالفونه سرا على جيرانهم . ثم خرج الجيش .. متجها الى قرطبة ، ولا أحد يعرف متى سيتوقف .. وجاء القادة واقسموا يمين الولاء . ورغم أن القاضى كان جالسا بالقرب منه إلا أنهم اقسموا للخليفة وحده . وكان الزحف لا يتوقف . والقرى والمدن الصغيرة تتساقط كالعصافير . وحفظ .. خلف أسماء القادة . وكيف يصدر الاوامر فى وقتها المناسب . وشعر القاضى بأن ثمة شيئاً غريبا فى اللعبة .. وأنه لم يعد يمسك الخيوط فى يده كما تعود .

طوال هذه المسيرة وخلف يتصرف بنوع من العفوية المخيفة .. عفوية كانت تفسد كل تدابير القاضى . وكانت اسوار قرطبة عالية وتحتها سوف تتحدد كل المصائر . وابن جهور وصلته انباء الحشود مبكرا فاستعد لها . وجاءه خطاب عليه خاتم أمير المؤمنين يدعوه فيه لتسليم المدينة والتنازل عن العرش القديم . ورفض ابن جهور . كان يحكم المدينة منذ عشر سنوات خبر خلالها كل الاعيب ملوك الطوائف ..

تواصلت أيام الحصار . وبدأ الناس داخل قرطبة نفسها ينتظرون دخول الخليفة ولم يعد مجديا ان يقنعهم احد بمقاومة خليفتهم الشرعى ..

وكان القاضى عاجزا مشلول اليد وقد خرجت اللعبة من يده . واصبحت الصلة مباشرة بين خلف والجيش . ولم يجد بدأ من أن يرسل الى رفيقه اللدود ابن جهور يعرض عليه خطة للخلاص من هذا الحصرى الكاذب . وتعامل معه ابن جهور بشك وحذر . لكن الرسائل تواصلت من خلف الاسوار واتفقا سويا على خطة لاغتيال هذا الخليفة الكاذب .. يقوم القاضى بتنفيذها وابن جهور بتحمل مسئولياتها .

ولكن الحوداث كانت اسرع . ثار الناس داخل المدينة وحسموا المعركة لصالح الخليفة المنتظر . وفر ابن جهور تحت جنح الليل . وفتحت الابواب على مصراعيها وخرج الجميع لاستقبال خليفتهم الذى انتظروه طويلا .

دخل هشام المؤيد قرطبة . ومنها سوف يحكم الاندلس كله . إمتزج الوهم الجميل . والخوف من التدهور . والرغبة فى الخلاص فضجت حناجر الناس بالهتاف . كان القصر خالياً . والعرش متربا . ولكن الاسطورة اكتمل بهاؤها .

أحس القاضى أنه فقد كل شيء . تحرك طويلا فى مدى الاكذوبة حتى أرغمته الحقيقة المباغتة أن يبدأ من جديد . مثلما بدأ من أصله الوضيع الى اعلى مركز فى قرطبة . تآمر مع ابن جهور ليجعله قاضيا . وتآمر مع البربر ضد ابن حمود . واستعان بأهل اشبيلية لازاحة البربر . وغدر بالعلماء . وشطب نسبه القديم وانتسب الى النعمان بن المنذر .. بعد كل هذا لن يهرب ..ولن يخسر كل شيء . سوف يتوجه الى قرطبة ويعرى الخليفة الزائف . سوف يستعين بكل قضاة قرطبة واشرافها الذين يعرفون الخليفة السابق . ويحضر كل شهود الزور . وينبش كل القبور . ويكشف كل اطراف الكذبة ولو انفق فى ذلك ثروته كلها .

وكان القصر مزدحما بالناس .. والجنود .. وشق طريقه بصعوبة الى قاعة العرش وهناك وقف مبهوتا من المشهد . القضاة والعلماء وزعماء القبائل والقادة وبقايا الأمراء الأمويين . كل الذين عاصروا هشام المؤيد وشاهدوا موته أكثر من مرة .. التفوا حول هشام المؤيد الثانى .. وكان أكثر بهاء .. وعظمة .. اين ذهب ذلك الحصرى المذعور .. وقال القاضى من بين اسنانه ..

ـ هذا جنون ..

كأنه كابوس مروع . حاول ان ينزوى ويتراجع ولكن صوت الخليفة ارتفع فجأة ..

ـ إلى أين يا قاضى اشبيلية .. ياوزيرى وحاجبى .. تقدم من العرش .. قف وسط قضاة وعلماء قرطبة ..

كان صوته قويا .. حتى أن القاضى احس بالتضاؤل ودمدم

ـ ياللشيطان ..

وهتف الخليفة فى سخرية ..

ـ قدم ما لديك من أدلة .. إن كنت الفق لك التهم ..

ورفع القاضى رأسه فى ذعر . انه يهاجمه . يسد عليه طريق التراجع .. ويحاول سلبه كل ادلته .. وقال الخليفة ..

ـ هيا . برر خيانتك لخليفتك ومحاولتك لاغتياله ..

والقى إليه بكومة من رقاع الرسائل . كل الرسائل التى تبادلها مع ابن جهور . لقد اصبح هو المدان ودارت الدورة ضده .. صرخ

ـ ياخلف .. ياصانع الحصر ..

وعلت همهمة طاغية من الاستنكار وزمجر الجند فى غضب .. وهمهم القضاة والعلماء فى امتعاض وصرخ الخليفة ..

ـ يا سياف اقطع رأس هذا القاضى الخائن .

محمد المنسى قنديل

مفيد فوزى

خميلة!

« فلنسترح معاً من هجير وقيظ الحياة ، تحت خميله متواضعة .! » ميم ..

● مجتمعاتنا العربية ، يطلق عليها علماء الاجتماع تجاوزا : مجتمعات نامية . إنه وصف مهذب للتخلف . والبعض يقول : انها مجتمعات «نايمه» ولا يعتذر عن الخطا ، فليس فى الامر اى خطا ! انها بالفعل مجتمعات نائمة . تستهلك ـ حسب احصاء رقمى ـ اكبر عدد من الساعات والمنبهات ولا توقظها من النوم ، بل وتجهل قيمة الوقت ! سبات طويل واحلام سعيدة .. وهكذا ننام وكاننا سمعنا حدوتة قبل النوم ! إن «الجسر» الوحيد الذى يجب ان تعبر فوقه مجتمعاتنا النامية للوصول لشاطىء التقدم .. هو «غربلة» قيمنا وعاداتنا . بجراة المواجهة ، يجب بالفعل أن نعيد مفهومنا لكلمات كثيرة ، نستعملها ولا نفهمها ! ربما كانت صيحة «يحيى حقى» الشهيرة «صح النوم» هى ابلغ صيحة لمجتمعاتنا «النايمة» !

يحيى حقى

● الشعوب المتحضرة تسكن فى غرفتين : غرفة للعقل .. وغرفة للوجدان . وتحت السماء العربية ، نسكن فى غرفة كبيرة ، هى غرفة الوجدان ، واعطينا ركنا بعيدا فى «البدروم» للعقل . ومن هنا ، اصابتنا ـ ياولدى ـ لوثة الانفعالية والعاطفية !

● كاتبنا « نجيب محفوظ » يرى ان الكتابة نوع من التحرر والانعتاق من اية تجربة تضغط على صدر الانسان بسلطانها . فانا ـ مثلا ـ اذا كنت اعانى من تجربة حب فاشل ، فالكتابة وحدها ، تحررنى من المعاناة . ف .. فهل ياتى اليوم الذى ينصح فيه الطبيب النفسانى مرضاه ، بالكتابة .. ليتحرروا من

نجيب محفوظ

العذاب والقلق .. و الاكتئاب .. .. ربما من يدرى ؟!.

ناظم حكمت

● هل حقا ما قاله الشاعر ناظم حكمت عن المراة ..؟ انه يقول فى رسالة من زنزانته « ان نساء القرن العشرين لا يبكين الموتى إلا لعام واحد ... » الرسالة من ناظم ، لزوجته . ويظل « وفاء » المراة ، محيرا للقلب الرجل . !

● ليت «المدرسة» فى وطننا العربى تلقن أولادنا ، أولاد جيل الغد ، كيف يتناقشون . ان فى اوربا ، يعقد المدرسون ندوات للتلاميذ ، يطرحون موضوعا عاماً ، ويتفقون .. و يختلفون .. ولا يتشنجون . ولهذا يكبرون وهم يعرفون تقاليد الحوار . ومن هنا ، نفتقد فى وطننا العربىَ الموضوعية . لماذا ؟ لأن «الحوار» يغيب عن الوعى ويصيبه الاغماء..! ولا نسمع ، ابعد من انوفنا !

● متعة جديدة ، تضاف الى متعة الاكل والجنس والثراء والشهرة . متعة يلاحظها كل متأمل للأسواق التى تجتظ بالوف الناس كل يوم .. متعة اسمها : الشراء . حب الاقتناء . أى «الثمن» كما اطلق عليها أرثر

ارثر ميللر

ميللر .

ولهذا تصاب شركات الاعلانات بحمى وهى تستفز جيوب الناس ، وتعزف على اوتار اللذة المعاصرة الجديدة : لذة الشراء . انه « صيد » عصرى . وهناك مثل يقول : صاحب القرش .. صياد ! لم نبارح الغابة !!

● برنامج « المصارعة الحرة » يذاع على كل الشاشات العربية تقريبا . العنف الذى نراه ، مثير ، ومرهق حتماً للأعصاب . لكنه ـ والحق يقال ـ عنف صريح فهناك «حكم» يتدخل فى اللحظة المناسبة ويعترض على الاخطاء الغير قانونية .. ويعلن كل هذا من فوق الحلبة ... الغريب ، اننا ـ فى حياتنا ـ نمارس عنف المصارعة الحرة ، ولكن بشكل غير صريح ! وليس هناك حكم يتدخل فى اللحظة المناسبة . ولذلك ، فان مباريات المصارعة الحرة فى التليفزيون ، بكل قسوتها أرحم وأكثر رقة !

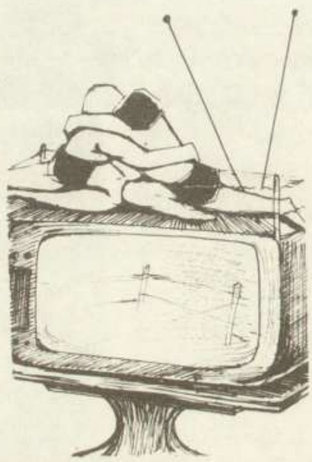

● مثل خليجى احبه واتخذه شعاراً لى : منى الحركة ومن الله البركة .

● لا أدرى مدى العلاقة «الكيميائية» بين الانسان والبيئة . لكنى اقف حائرا امام الانسان السودانى . فتحت جلد كل سودانى شاعر . والأم الحبلى السودانية تلد احد اثنين . اما شاعر أو فنان ! والسودان نفسه ، قصيدة طويلة طويلة ، طولها ١٨ مليون نسمه . ماالذى يزرع احساس الشاعر فى صدر الانسان السودانى ؟ أهى برارى السودان ؟ أهى القارة التى تفتقد الامتزاج والانصهار ؟ .. ماذا بالضبط ..؟ أهى برارى السودان ؟ ماذا بالضبط ؟ لقد ذهبت الى السودان ابحث عن الاجابة .. وعدت ومعى قصائد ، بلا اجابة !

● بين الموسيقى كفن ، والعمارة كفن .. تشابه ما .. أظن أن الموسيقى هى العمارة .. فى الزمان ، وأظن ان العمارة هى الموسيقى فى .. المكان!

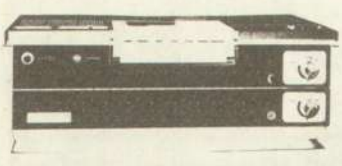

● جاء السيد الملون (التليفزيون) وطرق باب حياتنا ، وسمحنا له بالدخول . واحتل بعد قليل مكانا مرموقاً فى بيوتنا ، والتففنا حوله . وقدمت المكتبة « استقالتها » ، وخرجت الكتب تجر أذيال الخيبة وسمع البعض نشيجها المكتوم ثم جاء ضيف جديد اسمه «الفيديو كاسيت» ويقال ـ والعهدة على الراوى ـ انه شاهد الكتب تنتحر حزنـاً !!

عبثية الحياة

عبد الوهاب الأسواني

هو واحد من كبار فلاسفة العبث فى بلادنا .. واعترف بانه كان صاحب الفضل الأكبر فى توعيتى بأن كل ماتقوم به البشرية ـ من نشاط علمى أو فنى أو أدبى ـ لايزيد عن كونه عبثا فى عبث ..

وبعد أن جرت افكاره فى عقلى مجرى الدم فى العروق ، قررت أن استقيل من عملى ، كما اتفقنا ، أنا وزوجتى ـ التى آمنت معى بالمذهب ـ على أن نفترق ، بعد ان اتضح لنا عبث نظام الاسرة ، لكنها اقنعتنى بأن اتعرف على الفيلسوف الكبير على المستوى الشخصى ، لأستفسر منه عن بعض النقاط . حين عرفت انه لايستقبل أحدا فى بيته ، اتصلت بمكتبه ، فقالت لى سكرتيرته :

ـ سعادته مشغول لمدة ثلاثة أيام ..

ـ وما العمل ؟

ـ اتصل بى بعد هذا الموعد .. فى الصباح الباكر من اليوم الثالث ، اتصلت بها تليفونيا فقالت : تعال حالا ..

عثرت على سيارة أجرة خارجة من «الجراج» لتوها ، انطلقت بنا باقصى سرعتها .. وفى منتصف الطريق ، ارتفعت بنا الى أعلى ثم هبطت بعنف ، مع انفجار مروع ، فاوقفها السائق ، وهبطنا معا ننظر فى ذهول الى اطارها الخلفى الذى انفجر وقال لى السائق وهو يشبك يديه خلف ظهره ـ كما فعل نابليون على اثر هزيمته فى معركة ووترلو : أنا راجع البيت !

ـ ولماذا لا تضع لها الاطار الاحتياطى وتواصل الرحلة ؟

ولكنه رفض .. ومن اجابته فهمت ان سيادته قد اعتاد ـ إذا ما حدث له ما يعكر مزاجه فى الصباح الباكر ـ أن يعيد السيارة الى «الجراج» ولا يخرج من البيت بقية يومه لأنه « يتفاول »! .

تركته وبحثت عن سيارة أخرى ، ولما لم أجد ، قطعت العشرة كيلومترات سيرا على الاقدام ، بعد ان اشتريت حذاء جديدا !

حين دخلت مكتب الفيلسوف العبثى الكبير ، وجدت نفسى أمام سكرتيرة حسناء تصلح لأدوار الأغراء فى افلامنا العربية .. ابتسمت فى وجهى وقالت لي:

ـ موعدك مع سعادته بعد ساعتين ..

بعد أن جلست جاء رجل أنيق فصافحته السكرتيرة الحسناء وأشارت الى باب المكتب وقالت له : تفضل .

دخل الرجل الأنيق فسألت السكرتيرة عنه فقالت :

ـ هذا رجل الأعمال المعروف قاسم بك جلال ! قبل أن أعي ما قالته دخل علينا رجل طويل وسألها : ما أخبار القضيـة ؟ .

ـ كسبناها والحمد للـه ..

اثار قولها فضولى ، ولما سألتها عرفت منها أن الفيلسوف الكبير كان قد اقام دعوى ضد ناشر كتبه لأن الأخير اخل بشرط من شروط العقد المبرم بينهما ، وها هو قد كسب القضية ، فسألتها عن اسم الكتاب الذى ثار حوله الخلاف فقالت :

ـ هو كتاب : « الحياة عبث .. وإليكم الدليل » !!

دق جرس التليفون فى هذه اللحظة ، فتناولت السكرتيرة السماعة ، ثم مدتها لي ، فاذا المتحدثة هى زوجتى التى قالت لى بلهجة فرحة أنها سحبت أوراق ابننا من المدرسة بعد ان اقنعت المسئولين فيها بعبثية الحياة ، وانها سعيدة لأن ابننا وافقها بعد أن تشبع بالنظرية !

وخرج من المكتب رجل مفرط البدانة ، فقام اليه الرجل الطويل وصافحه بحرارة ثم أشارت السكرتيرة الى الطويل وقالت: اتفضل يا أستاذ مدحت ..

دخل «مدحت» فقلت للسكرتيرة : لكننى جئت قبله ..

قالت بلهجة عتاب : ألم أقل لك انك ستدخل بعد ساعتين ؟

ولفنا الصمت ، لكننى تنبهت الى ان رجل الاعمال لم يخرج حتى الآن ، بينما خرج الرجل المفرط البدانة ، وتساءلت بينى وبين نفسي إن كان الفيلسوف الكبير يستقبل شخصين فى وقت واحد ، وانشغلت السكرتيرة بقادم جديد ، صافحته واشارت اليه بالجلوس ، ثم ابتسمت لى قائلة : تفضل ..

لم يكن قد مضى على وصولى أكثر من ساعة ، ولكننى لم أقل لها عن هذا لكيلا تؤخرنى ساعة اخرى ، فدخلت لأجد نفسى فى حجرة واسعة بها مكتب فاخر تجلس وراءه امرأة فى الخمسين زرقاء العينين ، وأمامها يجلس الرجل الطويل «مدحت» .

– أشارت زرقاء العينين الى مقعد وقالت لى :

– اجلس .. دورك سيأتى بعد مدحت بـــك .

– هل هو نظام جديد ياسيدتى ؟

– أشارت الى باب مغلق يعلوه مصباح احمر وقالت باسمة :

– هذا نظام من ابتكار سعادته .. فقد اتضح له أن «العميل» قد يصيبه الملل إذا هو مكث طويلا فى مكان واحد ، ومن هنا قرر أن تكون فترة الانتظار على مرحلتين .

– فتح الباب ذو المصباح الأحمر ، وخرج منه شاب فى الثلاثين يضع على عينيه نظارة طبية وفى يده حقيبة منتفخة ، صافح زرقاء العينين ، وبعد أن خرج قالت لنا :

– هذا عبد العزيز الواصل .. شريك سعادته فى مكتب الاستيراد والتصدير الجديد ..

ثم اشارت الى الرجل الطويل قائلة : تفضل بالدخول يا مدحت بك ..

حانت منى التفاته فرايت لافتة معلقة على الجدار كتب عليها بخط واضح : «المفكر الكبير غير مستعد لأية مناقشات فلسفية .. ومن يريد أن يستفسر فعليه بالسيدة مديرة المكتب » .. فسألت زرقاء العينين ان كانت هى مديرة المكتب فردت بالايجاب ، فقلت لها :

– مادام سعادته مشغول هكذا طوال الوقت فى اعماله التجارية ، وقضاياه امام المحاكم ، فمتى يتفرغ لتاليف كتبه؟

ابتسمت قائلة : بمجرد أن تطرأ على رأس سعادته فكرة كتاب ، يسافر الى اوربا لكى يكتبها هناك ، ثم يعود على الفور ..

– ولماذا اوربا بالذات ؟

– لان جوها «الغائم» يساعد على « الرؤية » العبثية من ناحية ، ولأن قطع الغيار – التى تحتاجها مصانعه – متوفرة هناك بسعر ارخص !

– لكن ، ألا تلاحظين التناقض بين فلسفة سعادته «العبثية» ، وسلوكه «غير» العبثى ؟

ضحكت فضحكت معها عيناها وقالت :

– كثيرون يظنون هذا .. لكن سعادته يرى أن اصحاب النظريات الفلسفية لن يفهموا الحياة حق الفهم إلا إذا انغمسوا فيها بعمق – كما يفعل سعادته – فاذا نجحوا فى هذا «الانغماس» استطاعوا أن يقيموا فلسفاتهم على اسس متينه !

خرجت الى الشارع وانا اقول لنفسى ان فيلسوفنا الكبير على حق .. بدليل أن زعيم العبث الأكبر – صمويل بيكيت – يقيم فى قصر فاخر ، ويسافر الى جميع قارات الأرض على حسابه الخاص ، وينفق ببذخ ، ولن يستطيع ان يفعل هذا ما لم يكن « منغمسا » فى الحياة بطريقة تضمن له موردا ماليا «محترما» يغطى هذه النفقات من ناحية ، ومن جانب اخر يتيح له التفرغ لتاليف كتبه التى يقنعنا فيها « بعبثية » الحياة !

وعرفت أن الوحيدين الذين نفذوا فلسفة العبث بحذافيرها – دون الالتفات الى نظرية الانغماس هم انا وزوجتى وابنى ، فضلا عن سائق عربة الاجرة الذى قرر العودة الى بيته لأنه «يتفاول» !

مِن فضــلك : مــــاذا نــأكـــل اليـــوم ؟

في فرنسا فقط افتتحت مجموعة من الاخصائيين في فن الطهي مكتبا خاصا لانقاذ ربة البيت يوميا من الحيرة . امام نوعية الطعام الذي ستقدمه على مائدة الاسرة .

وتقوم ربة البيت بالاتصال تليفونيا بهذا المكتب وبدون مقابل يجيب عليها اخصائي يقول لها عن نوعية الاطعمة المتوفرة في السوق وكيفية طهيها اذا كان امامها فرصة من الوقت .

اما اذا فاجا احد الاصدقاء الاسرة قبل موعد الطعام بساعة او اثنتين فتكون اجابة المكتب المتخصص تعتمد على ما تنقله له ربة البيت من الاشياء المتوافرة لديها وكيفية تحويلها الى اطباق سريعة شهية وجميلة .. هذه الخدمات تقدم مجانا وبدون مقابل لكل ربة بيت . اما الاجابات المدفوعة الثمن فتكون في حالة ما اذا طلبت ربة البيت من المكتب الاتصال باحد المطاعم او محلات البقالة لارسال طلباتها في اقصى سرعة ممكنة .. انه مكتب خدمات مفيد .. هادف .. سوف ينتشر بسرعة البرق في جميع انحاء العالم .. وربما في يوم من الايام عندنا .

رءوف توفيق

رحلة داخل أهم أفلام مهرجان "كان" السينمائى .. وسؤال لابد منه

الحزن... لماذا؟

الموت فى الانتظار يرتدى ملابس العرس .. والمخرج يتهيأ للقاء (لقطة من فيلم « كل هذا الجاز »)

مع الأيام الاولى لمهرجان (كان) السينمائى الذى عقد أخيرا على شاطىء الريفيرا ، الساحر بأناقته وهدوئه ونوعية زبائنه من الاثرياء وحواشيهم .. وحتى المتطفلين الظرفاء الباحثين عن الشهرة بين عدسات مصورى الصحف والتليفزيون والذين جاءوا من مختلف انحاء العالم لتغطية أحداث هذا المهرجان الهام .. فى هذه الأيام الأولى كنت أشعر بلمسة حزن تهز وجدانى وتسحب ابتسامة الفرحة بوجودى فى هذا المكان الحلم ، حيث تتجمع كل فنون السينما وتجاربها ومحاولاتها المثيرة .. وكنت أقول لنفسى محاولا تفسير هذا الحزن البطىء الذى يتسلل بداخلى ، ماذا تريد أكثر من وجودك واستمتاعك بهذه الوليمة الفنية الزاخرة والتى تظل تحلم بها طوال العام .. حتى يأتى شهر مايو .. وموعد هذا المهرجان السينمائى السنوى .. فيرفرف قلبك بالاشتياق .. وتبذل أقصى ما تستطيع حتى تضع قدمك داخل هذا المهرجان ؟! ماذا تريد وقد تحقق الحلم .. واصبحت تتنقل بين دور العرض وشاشات مليئة بالحركة والأحداث قادمة من الشرق والغرب .. وبلاد ترى فنها السينمائى مرة كل عام ؟! ماذا تريد أكثر من هذه المتعة ؟ ..

وعبثا تذهب كل محاولاتى لابعاد الحزن !

هل كتب علينا أن نحمل همومنا حتى فى لحظات الحلم .. ؟

وتمضى الأيام .. وينتصف المهرجان .. وتتوالى الافلام .. وأطباق الوليمة بعضها يستحق الاهتمام .. وبعضها مجرد شريط من الصوت والصورة .. ولكن الحصيلة فى حد ذاتها مليئة بالتجارب والمحاولات .. ومع

- الضباب كثيف .. والجو خانق .. والشاطئ بعيد جدًا
- هل هى نتيجة لكمية الحزن الذى يتدفق من الأفلام؟
- البحث عن شبيه فى حجم الجسم وتقاطيع الوجه

ذلك يزداد الحزن فى داخلى !! واعتبرت نفسى مريضا وحددت العلاج بصرامة كأى طبيب حازم .. علاجى أن أشاهد المزيد من الافلام وألا أغمض عيونى إلا لساعات النوم القليلة .. وحتى أقنع المريض بهذا العلاج .. قلت له - قلت لنفسى - عليك أن تلقى نفسك فى هذه البحار المجهولة واللذيذة من الفن .. وأن تسبح دائما .. وتتأمل دائما .. وتفكر دائما فيما تراه حتى تنسى حزنك اللامفهوم ..!

وامتثلت لأوامر الطبيب الحازم .. وكانت النتيجة للأسف .. مزيداً من الحزن !! ومع نهاية المهرجان .. وأنا أرتب أشيائى .. وأوراقى للعودة .. توقفت طويلا أمام ماكتبته فى ظلام دور العرض وأنا أتابع الافلام .. واكتشفت أن حزنى هو جزء بسيط من الحزن الهائل والذى تردد بايقاعات مختلفة فى أغلب الافلام الهامة التى عرضها المهرجان !

ولاننى لم اتعود أن القى بهمومى على الآخرين او أحملهم مسئولية ما يجرى لى .. فقد استبعدت تماما أن أفسر حالة الحزن عندى بأنها نتيجة طبيعية لكمية الحزن الذى يتدفق من الافلام سواء أفلام الغرب أو الشرق .. ولكن الصحيح تماما .. أن نغمة الحزن أصبحت ظاهرة واضحة فى العلاقات الانسانية .. وأن الاحساس بالسعادة والرضا والطمأنينة أصبح لحظة نادرة ربما تجىء أو لاتجىء .. واذا جاءت فهى مجرد لحظة عمرها قصير !

وفن السينما عندما يجسد هذا الاحساس بالحزن فهو لايصنع هذا من فراغ .. بل من واقع مؤلم ومرير يعيشه العالم الآن .. أزمات سياسية .. وأزمات اقتصاديه .. وتعطل فى العلاقات .. وظلم ،، وقهر.. وصراع وحشى من أجل البقاء .. وصراع آخر أكثر وحشية من أجل المزيد من التخمة والرفاهية .. وتناقضات لانهاية لها .. وحروب بلا اخلاق .. !

إن العالم يعيش الان مرحلة انتقال .. بكل آلام ومعاناة المخاض .. وفى نفس الوقت بكل حيرة وشكوك تحديد نوعية المرحلة القادمة !

الضباب كثيف .. والجو خانق .. والشاطىء بعيد جدا .. والحزن ملك فى القلوب!

وتعالوا نتحقق من هذا الاحساس بين أهم أفلام مهرجان (كان) لهذا العام ..

● الجائزة الاولى .. للموت

الفيلمان اللذان تقاسما الجائزة الكبرى (النخلة الذهبية) فى المسابقة الرسمية للمهرجان .. هما : الفيلم اليابانى (ظل المحارب) للمخرج العبقرى (أكيرا كيراساوا) .. والفيلم الامريكى (كل هذا الجاز) للمخرج الفنان الذى برع فى تقديم الافلام الاستعراضية (بوب فوس) .

وبالرغم من أن الفيلم اليابانى - فى رأيى الشخصى - يستحق الجائزة الكبرى بلا مناصفة مع أحد .. باعتباره واحدا من اهم الافلام فى تاريخ السينما بأجمعه ، من حيث بنائه الدرامى ، وتراثه الفنى ، ومضمونه الانسانى .. إلا أنه بعيدًا عن الدخول فى مسألة أحقية الجوائز .. نلاحظ أن أجمل أجزاء الفيلمين الامريكى واليابانى .. هى تلك المشاهد التى عبر فيها المخرجان عن الموت .!!

فالفيلم اليابانى (ظل المحارب) يتناول لمحة حقيقية من تاريخ اليابان فى الربع الأخير من القرن السادس عشر عندما كانت تتصارع عدة مقاطعات للفوز بعاصمة

(كيوتو) .

ويركز الفيلم على شخصية هذا الملك القوى ، الذى كان يتزعم احدى هذه المقاطعات .. ويقود جيشا ضخما يهابه الجميع ، ويعمل له الاعداء الف حساب وحساب .. وعندما يشعر الملك باعتلال صحته يوصى بأن يتكتم الأقربون إليه خبر وفاته عن قيادة الجيش وعن جنوده حتى لا يؤثر هذا فى حالتهم المعنوية .. وان يظل التكتم على خبر وفاته ثلاث سنوات من رحيله !

ولتنفيذ هذه الوصية يبحثون عن شبيه له فى حجم الجسم وتقاطيع الوجه .. ولا يجدون هذه المواصفات إلا فى هذا اللص المطلوب اعدامه ، والذى ينقذونه من العقاب ليحل محل الملك كواجهة فقط على ان يحركوه هم كما شاءوا !!

وهذا البديل فى داخله مشاعر اكثر انسانية من الملك الحقيقى الميت ، فهو أكثر بساطة ، واكثر مرحا ، واكثر ودا وتفاهما مع حفيد الملك .. هذا الطفل الصغير الذى رفضه تلقائيا فى البداية .. ثم تلاقت مشاعرهما معا وقوى ارتباطهما .. فقد وجد الطفل الصغير فى هذه الشخصية حنانا وعطفا مفقودا .!

ويتفنن المخرج (كيرا ساوا) فى تحليل نفسية هذا اللص الذى اصبح واجهة ملك ، عليه أن يتصرف فقط فى حدود الدور الذى رسموه له .. وعندما يحاول هذا البديل الاعتراض يجد منهم أشد العقاب .. وفى مرة تجرأ البديل على أن يتصرف بتلقائية داخل قصر الملك .. وان يمتطى الحصان الخاص بالملك الحقيقى المتوفى .. وثار الحصان ثورة جامحة والقى به على الأرض وسط ضحكات السخرية من الذين يتابعون المشهد .. وهنا يقرر مجلس القيادة التخلص من هذا البديل ، ويتم التخلص منه بشراسة ووحشية ، ويطردونه ككلب مريض .. ويقذفونه بالأحجار .. ويتولى ابن الملك قيادة الجيش فى المعركة الفاصلة .

وتأتى أجمل مشاهد الفيلم وأكثرها تأثيرا عندما ينهزم جيش الملك وتمتلىء الساحة بالجثث ، وتتهاوى الأحصنة مقتولة .. انها النهاية الطبيعية للكذب والصراع على السلطة والذى يدفع ثمنه الجنود الذين أخفيت عنهم الحقيقة !

ويستخدم المخرج طريقة التصوير البطىء ، لتسجيل لحظة الموت للانسان وللحصان ، فى لقطات فنية بارعة التنفيذ ، تظل من أجمل المشاهد السينمائية فى تاريخ السينما ..

ووسط هذا الدمار .. والخراب .. والدم .. والجثث .. ورائحة الموت التى تخيم على المكان كله وتصبغه بلون خانق وكئيب .. وسط هذا كله يتقدم البديل المطرود ، بملابسه الممزقة ، ووجهه المجهد .. ليحمل سهما من بين اكوام جثث الجنود .. ويجرى فى اتجاه الاعداء للانتقام مما فعلوه فى جنود الملك .. ولكنه يصاب بطلقة سريعة .. ويسقط جثة دامية فوق مياه البحيرة ، التى تحوى رفات الملك الحقيقى .. ويتلون ماء البحيرة بلون الدم .. والجثة تطفو وبجوارها الاعلام الغرقى فى المياه الحمراء .. وينتهى الفيلم وكأنه اغنية عذبة للموت !!

وبنفس الاحساس باستقبال الموت ، يقدم المخرج الامريكى (بوب فوس) فى فيلمه (كل هذا الجاز) قصة هذا المخرج

الفتاة الصغيرة المتوحشة فى لقطة من فيلم (خارج الأزرق)

كل الممثلون يتجمعون فى هذه اللقطة من فيلم (الشرفة) ـ جائزة احسن سيناريو

المخرج (كيراساوا) يتوسط اثنين من جنوده .. ويعطى تعليماته اثناء التصوير

جائزة احسن ممثل (ميشيل بيكولى)

الأم فى لحظة النهاية تترك ابنها يواجه مستقبله الصعب . لقطة من فيلم (ثوابت)

البديل المطرود يحمل سهماً من بين أكوام جثث الجنود مندفعاً للانتقام من الأعداء

المسرحي الذى تخصص فى تقديم الاستعراضات ، والذى يصاب بأزمة قلبية نتيجة الاجهاد ، وشراهة التدخين ، وتخبط العلاقات النسائية التى تورط فيها — ومن المعروف أن المخرج (بوب فوس) مر بمثل هذه الحالة المركبة والتى أدت به الى أزمة قلبية حادة ، حتى قيل إن الشخصية التى قدمها فى فيلمه تعبير عن تجربته الحقيقية مع المرض — وفى الجزء الأخير من هذا الفيلم يقدم المخرج مرحلة دخول المستشفى لاجراء جراحة القلب .. ووسط كل معدات الجراحة يتخيل قدوم الموت ممثلا فى هذه المرأة التى ترتدى ثياب العرس البيضاء والتى تلوح فى لحظات خاطفة منذ بداية الفيلم وكأنما تذكره بالنهاية التى لا مفر منها .. الموت !

وفى تشكيل رائع من الرقص ، مع الموسيقى والغناء .. يرسم المخرج وداع الزوجة .. وداع الابنة .. وداع الاصدقاء .. فى جو من الفانتازيا حيث يمتزج الواقع بالخيال .. فأزياء الراقصات مرسومة على شكل الدورة الدموية فى جسد الانسان .. ومعدات المستشفى تدخل عنصرا فى الديكور ..والممرضات والاطباء جزء من التشكيل الراقص .. وعروس الموت تفرد يديها وتبتسم فى اغراء .. ان يتقدم إليها .. ولا مفر من الاستجابة . !

أليس هذا مثيرا للحزن وللانقباض .. حتى ولو كان الموت مغلفا بالجمال .. ومصحوبا بالرقص والغناء والموسيقى .. الا أنه فى النهاية .. هو الموت والفراق وبشاعة الحقيقة المؤكدة فى رحلة الانسان !

وفيلم عن مواجهة الموت !

وفى الفيلم الالمانى (اضواء على الحياة) يقدم المخرج الالمانى الشاب (فيم فاندر) تجربة سينمائية مثيرة حيث يصحب بكاميراته واجهزة التسجيل من خلال معاشرة يومية كاملة للفترة الاخيرة من حياة المخرج الامريكى الكبير (نيكولاسى راى) الذى اصيب بالسرطان وتأكد ان ايامه الأخيرة اصبحت معدودة ..

وهذا الفيلم .. وان كان عرضا تفصيليا وحقيقيا لتجربة انسان فى استقبال الموت .. إلا أن المخرج الشاب الذى جند كل مجموعته الفنية لتسجيل هذه اللحظات .. استطاع ان يحولها الى عمل درامى أخاذ يمسك بالمشاعر وتتقطع الانفاس من اللهث وراء الحدث الانسانى الرهيب .. فكل التفاصيل معروفة .. ازمات المرض .. التدهور الصحى المخيف .. الحلم الدائم بالسينما والعودة الى صنع الافلام .. وخلاصة التجربة والخبرة وهى تتوارد على لسان المخرج الأمريكى (نيكولاس راى) قبل ان يلفظ انفاسه الأخيرة .

إنه فيلم ملىء بالصدق .. وايضا ملىء بالحزن .

● الجنون .. والانتحار .. وأحسن تمثيل

اما الفيلم الايطالى (قفزة فى الفراغ) للمخرج الايطالى الشاب (ماركو بيللوكيو) فهو يختار نموذجين لرجل وامرأة فى سني اليأس .. والقصة ليست قصة حب .. وانما هى قصة انانية .. فالرجل قاض .. والمرأة هى شقيقته التى وهبت حياتها لخدمته

ورعايته .. وهو لا يستطيع الاستغناء عنها لقد تحول احتياجه لها الى نوع من السيطرة والتملك .. وعندما يشعر أن شقيقته على وشك الجنون فهو يفكر فى قتلها .. ولكنه يتراجع ليدفع فى طريقها بشاب يوهمها بالحب حتى يتمكن بعد ذلك من قتلها أو دفعها للانتحار .. وتستجيب الشقيقة للقادم اليها .. وتجد فيه متنفسا للحياة والتغيير والتخلص من سيطرة أخيها وكآبته .. وتقع الشقيقة فى الحب .. مما يثير الأخ وتتفجر كل انانيته وقسوته .. ويحاول بحكم مركزه تلفيق تهمة لهذا الشاب الذى دخل البيت على ان يمثل لعبة مرسومة .. فاذا باللعبة تتحول الى حقيقة .. وينجو الشاب من خطة اصطياده .. ويجن الأخ القاضى أكثر عندما يرى شقيقته تتفتح للحب وللحياة .. فيقرر ان يتخلص من هذا المأزق ، بنفس الطريقة التى فكر فيها بالنسبة لشقيقته .. الانتحار!

وبالفعل يمضى فى ثقة الى شرفة المنزل ويلقى بنفسه الى الفراغ .. الى الموت !

وقد فاز الممثل الفرنسى (ميشيل بيكولى) بجائزة احسن ممثل عن دوره فى هذا الفيلم .. كما فازت الممثلة الفرنسية (أنوك إيميه) بجائزة احسن ممثلة عن دورها فى نفس الفيلم .. هما اللذان لعبا دور الشقيقين فى هذا الموضوع الذى يفيض بالكآبة .. كآبة شهوة التملك .. وبشاعة القهر انه فيلم عن السجون الخاصة التى نصنعها بايدينا .. ونحرسها بالجنون !

● ما لا يمكن احتماله فى فيلم

وتصل بشاعة التصرفات الانسانية إلى حد لا يمكن تحمله فى الفيلم الكندى (خارج الازرق) الذى أخرجه المخرج الامريكي (دينيس هوبر) .. فهو يقدم تلك الفتاة الصغيرة التى تتفجر بالعنف والوحشية والبذاءة وشذوذ التصرفات .. انها نتاج أم مدمنة للمخدرات وأب سكير منحرف .. وحلمها بحياة مستقرة عادية ، اصبح حلما منتهيا .. وبالرغم من سنها الصغير ولمحة الجمال البدائى على وجهها .. إلا أنها تواجه العالم القبيح المحيط بها بمزيد من القبح .. فتقتل اباها بعد أن تتلذذ بتعذيبه وأهانته .. ثم تنفرد بامها التى اصابها الهلع وهيستيريا البكاء والصراخ .. وتجبرها على الدخول فى سيارة نقل مهجورة بجوار البيت .. ثم تشعل فتيل الديناميت ، لتنسف السيارة والبيت .. تنسف امها .. وتنسف نفسها .. وتنسف جثة أبيها .. وكل ماله علاقة بحياتها الكريهة !

وينتهى الفيلم بهذه الانفجارات المروعة إنه فيلم شديد الهمجية عن الحياة المنحطة ! .

● مامعنى الاقتراب أكثر من الصـــورة

وتشارك فرنسا برؤيتها لهذا العالم الحزين .. من خلال فيلم أخرجه المخرج الفرنسى اللامع (آلان رينيه) وعرض تحت اسم (عمى الامريكى) .. وفاز بجائزة لجنة التحكيم الخاصة للمهرجان .

والفيلم يمزج بين تجربة حياة ثلاثة اشخاص ، والتجارب المعملية التى تجرى على فئران التجارب لمعرفة ردود أفعالهم فى لحظات الخطر .. والتعود على الخطر ..

وينتقل الفيلم بين حكايات الأشخاص الثلاثة فى رحلة الحياة والعمل والصراع من اجل المناصب واحلام الاستقرار والحب .. وهناك دائما توقع الفشل والقدرة على مواجهته .. هناك من يحاول الانتحار .. وهناك من يبحث عن التعويض العاطفى بقصة حب جديدة ويائسة !!

وبين حين واخر يعلق احد العلماء على سلوك الانسان وسلوك فئران التجارب .. ونرى على الشاشة نموذجا عمليا متكررا لهذه الفئران وهى تواجه المشاكل ..

وينتهى الفيلم بحائط كبير يرتفع الى ما يزيد عن عشرة طوابق .. والحائط مرسوم عليه بالألوان .منظر طبيعي جميل لأشجار كثيفة محملة بالاغصان والأوراق الخضراء فى درجاتها المختلفة .. وتقترب الكاميرا قليلا .. لنرى تفاصيل الرسم .. فنكتشف أثار الفرشاة على الحائط المرسوم .. وتقترب الكاميرا أكثر وأكثر .. حتى تملأ الشاشة قوالب الطوب القديم المتآكل المبنى به هذا الحائط !

إن الصورة من بعيد قد تبدو جميلة .. ولكن الاقتراب منها مفزع .. وهكذا تبدو تفاصيل الحياة اليومية لهذا العصر الحزين!

● لا اتفاق خاص .. ولكنه احساس عام !

وتتزاحم الأفلام .. تحمل نفس رنة الحزن .. وكأن توقيتا خاصا جمع هذه الدول وهؤلاء المخرجين ليقدموا نوعا من الرثاء لما يحدث فى العالم الآن ..

فما الذى يجمع بين حالة اليأس فى الفيلم البولندى (ثوابت) الذى اخرجه الفنان البولندى الشاب (زانوسى) واستحق عليه جائزة أحسن اخراج .ما الذى يجمع بين نظرته الحزينة والمتعاطفة لقصة هذا الشاب الذى يؤمن بالمثاليات والأخلاق والمبادىء ثم يجد كل شىء يسير فى حياته وفى مجتمعه الصغير ضد كل ما يؤمن به !!

الصراع الدائم .. لقطة من فيلم (عمى الأمريكى)

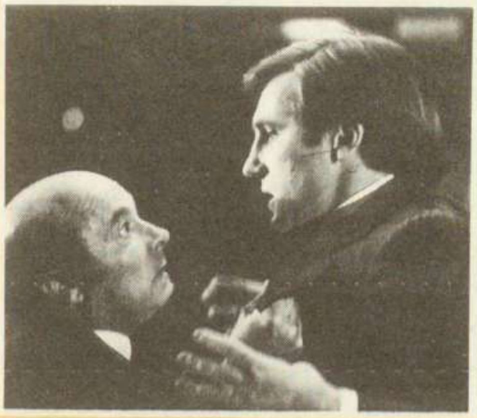

فى نفس الوقت الذى يقدم فيه المخرج الايطالى الشاب (إيتورى سكولا) فيلمه (الشرفة) ليحكى النهايات الحزينة والمؤسفة لجيل من المثقفين والفنانين تعدوا سن الخمسين وأختار لهم ان يتجمعوا فى شرفة احد القصور ليحكى كل منهم حكاية يأس فى السياسة أو فى الفن .. !!

فى نفس الوقت الذى تقدم فيه الهند .. فيلمها (يوم مثل الآخر) للمخرج (مرينال سن) ليحكى فيه يوما من حياة اسرة هندية متوسطة الحال تعيش بالكاد وسط زحام المساكن وهموم الأولاد .. من أصيب منهم .. ومن ينتظر العمل .. ثم يتوقف الفيلم أمام هذه الابنة التى تأخرت عن عودتها للبيت .. واشتعل القلق فى الاسرة .. وأصبحت الحادثة مصدرا غنيا لا ينضب لعشاق القيل والقال من السكان .. والأب عاجز حطمته الهموم..والأم تبكى وتعمل فى البيت ، والحزن والانكسار اعلان دائم عن حالتها ! .

ما الذى يجمع بين افلام الشرق والغرب .. ليتفق مضمونها عن العذاب اليومى والآمال المحطمة !

لا اتفاق هناك .. ولا شفرة خاصة ..

إنما احساس عام ومرير بالمعاناة والألم ..

وهو ايضا انذار لنا جميعا .. تقدمت به السينما العالمية .. لكى نبحث فى داخلنا عن طريق الخلاص !.

رءوف توفيـق

قصـــة قصـــيرة

بقلم : يحيى العوض

الطائر كان أهم الشهود

المهم وقفة ثبات ... رددها ثلاث مرات ، ثم قرر تجاوز كل اغراءات المقاومة .. لقد أيقنت بأن النهاية على وشك ان تبدأ .. لن يفيده تبديد الرصيد القليل من الوقت فى التوقف امام علامات الاستفهام اللانهائية التى تلح فى تساؤلها ، من الأجدى ان يستسلم فى هدوء ، وان يحاول فى يقظة تامة متابعة اخر نقطة فى نهاية السطر الأخير من حياته !

ومع ذلك .. كان محقاً فى دهشته التى طغت على حرج الموقف وجديته .. كان ابهام يده اليمنى مازال طافيا على سطح الماء ، بينما تراخى كل الجسد لحظة الغرق .. بقى الابهام وحده منتصباً ، رغم كونه اقصر الاصابع واثقلها وزناً .. لقد تداعت جميعا مع قرار استسلامه بايقاف المقاومة ، ماعدا ابهام اليد اليمنى ، رفض فى اصرار غريب اطاعة قراره ..

حاول ابتلاع دهشته مع جرعة كبيرة من الماء نزلت فى حلقه كالسكين .. تذكر بداية الرحلة النيلية .. المرح الذى صاحبها ثم الصراخ والصخب والعويل عند الحادث .. توقف متعجبا من توقد ذهنه فى هذه اللحظات الحرجة ، لقد تذكر ان الرحلة لم تكن فى النيل .. أوشك ان يدخل فى حوار جانبى مؤنبا نفسه على خطأ التعبير .. لكنه بسرعة طرد هذه الوساو س ـ فكل المحيطات والبحار والانهار عنده النيل !

احس بانسياب الماء عند ملامسته الخطوط المتشابكة فى ابهامه .. كانه يدخل عبرها خطأ خطأ يمر خلال تعرجاتها ومنحنياتها ودروبها التى لا تشبه الدائرة ، ولا تشبه شيئا مطلقاً غيرها .. اخـذت تتجاوب مع تيار الماء تتشكل معه فى جداول رقراقة .. تتسع وتكبر .. اصبح ابهامه عند المكان الممتد ما بعد المسافة من راحة اليد الى مشارف البصمة جدائل ، بدت له من طرفة عين تحت الماء ملء الأفق .. انتعش قليلا من روعة المشهد . جذب نفساً بحساب ومهارة فعزله من البلل .. «كم بين السماء والأرض» .. غمرته السكينة .. وفى لهفة شوقه المتقد تأمل باذنيه ، اصداء بعيدة تهزه فى اعماقه ، بأنها « مسيرة دعوة مستجابة » .. نبضة فرح دافق سرت فى الجسد الهامد .. جدائل الماء فى خطوط ابهامه ارتعشت لفرحته ، ورسمت مع انعكاسات الشمس الغاربة هالة من الضوء ، سرعان ما تلونت فى اغراء أغوى قوس قزح بان

يطرزها وشاحا ، تدثر فيه ووقف فى حماس شاهدا على «وقفة الثبات» شعر بانسياب تيار رهيف عابق بدفء المنبع وطراوة المصب .. استثار فيه ومضات جذله غمرته بالاطمئنان والامتنان ..

طائر صغير أبيض ضل عن سربه ، لمح المشهد الغريب .. ابهام اليد اليمنى فوق سطح الماء وقوس قزح خاشع امامه متدثر فى ألوانه مفتون فى عليائه .. رنا اليه فى فرح انساه غربته .. واقترب فى حذر ولهفة ، عندما يعود الى سربه سيحكى لهم عن أشياء لن يروها بعده .. صفق بجناحيه مبتهجاً ، سيصل يوماً الى عشه ... اغنيات سترددها الريح وستنقلها السحب الى تخوم لم يقتحمها غيره سيضمنها معان جديدة لم يشد بها طائر قبله ..

وغيمة لم ترتو بعد من الرذاذ سارعت على عجل قبل اكتمال زينتها لتستزيد من جلال المشهد .. دنت حتى لثمت اطرافها الوان الطيف .. وابتهلت ان يمطره بشابيب رحمته .

مازال فى وعيه مشاركا ومنتشيا بمهرجان الفرح من حوله .. كيف تعرف عليه قوس قزح والغيمة والطائر الصغير .. لم يسرف فى التساؤل لأنه اشتم رائحة مسك الختام .. ألهذا تختلف بصمات الناس ولا تتشابه بين اربعة مليارات من البشر ؟ برق فى خاطره ان تلك الخطوط التى لا تشبه الدائرة هى عدد سنين حياته بالشهر والاسبوع واليوم والساعة والدقيقة والثانية .. لاحظ ان ابهامه يتمايل مع محاولته لتجميع الارقام .. أخذ يرتفع وينخفض فى ايقاع يعرفه عنه فى اوقات الطرب ..

كل اهتزاز على السطح ، من وقع بصماته ، كان يمر امام عينيه المغمضتين ، فى كلمات تنبهه انه مازال قادرا على التمييز .. تتلاحق الكلمات .. الجملة الأولى أفرحته .. الثانية ايضاً والثالثة والرابعة .. وابتسم ، بدأت الجمل تتحول الى ارقام .. كان ضعيفا فى الحساب .. لكنه تعلم منذ وقت مبكر ان الرقم ١٧ هو فى حده الأدنى ٢ + ٤ + ٤ + ٣ + ٤ = ١٧ .. جـــذب نفساً عميقاً تنبه معه الى أن ابهامه ارتخى قليلا ..حاول إكمال المعادلة ١٧ x ٤٠ عاما ناقص ١٨ عاما .. تردد ١٤ أو ١٨ .. تذكر أن ١٨ هى سن التكليف x ٣٦٥ يوما .. اتسعت ابتسامته وهو يسمع اصواتا خاشعة تتلو دعاءه كل صباح .. «اللهم ارزقنى .. عفوها» .. « اللهم ارزقنى .. عفوها» .. تنزلت عليه طمأنينة وسكينة .. ودغدغه تيار الماء فى عذوبة .. كان الابهام قد اصبح الآن مساويا لسطح الماء .. ولم تر عيناه مثل ما رأت ولم تسمع اذناه مثل ماسمعت .. تمناه قوس قزح مثوى واشتهته الغيمة مرقدا .. وحلق الطائر نشوانا .. يحمل البشرى الى سربه !

تحقيق : نادية رزق
تصوير : أمين بدوى

مستقبل البحث العلمى فى قطر

البحث عن بدائل حرارية لتسخين المياه وتبريد المكيفات

ما هو مستقبل البحث العلمى فى جامعة قطر ؟ .. ومامدى استعدادها لمواجهة التحدى الذى يفرضه علينا السباق العلمى فى كافة المجالات؟

إن العلم جزء من تراثنا الحضارى ، وهو فى نفس الوقت طاقة حيوية فى نشاطنا الاجتماعى اليومى ، كما أن حب المعرفة موجود عند الانسان فى كل زمان ومكان وهو الذى يؤدى الى اتساع آفاقه ، ويدفعه الى ارتياد الطرق الجديدة ، ويوجه اهتمامه إلى موضوعات جديدة فى البحث ، بعد أن تزوده الجامعات بالمعلومات الأساسية التى تؤهله للتقدم والبحث العلمى ، لذا فليس غريبا أن نجد حركة واسعة فى جامعة قطر من أجل تنمية حب البحث العلمى عند الطلاب .

مركز البحوث !

وفى جامعة قطر ، تقوم الحياة العلمية السليمة المبنية على احدث ما فى العلوم والتكنولوجيا ، فالعصر الحديث كما يقول د. محمد ابراهيم كاظم مدير الجامعة ، يستند على اقصى ما وصلت إليه تجارب العلوم والتكنولوجيا ضمن الاطار الانسانى ، ولذلك لابد من المساهمة فى هذا التقدم عن طريق البحث العلمى ..

ولذا فان البحث العلمى داخل الجامعة يستفيد من كافة الامكانيات فى الداخل والخارج ، ويدور حول خطة تفيد التنمية ، فهناك ابحاث فى مشكلة تحلية المياه ، والاستفادة من الطاقة الشمسية ، والاستفادة من طاقة الهواء عن طريق المراوح ، والكشف عن بعض الخامات والعناصر بدولة قطر مثل الرخام ، واكتشاف انواع من التربة تصلح فى مواد البناء ، والحصر الشامل لنباتات قطر للكشف عما بها من فوائد اقتصادية أو طبية أو أى ميزات أخرى كأن تكون اعلافا أو مواد غذائية .. كل هذه الموضوعات تبحث فعلا بالاشتراك مع

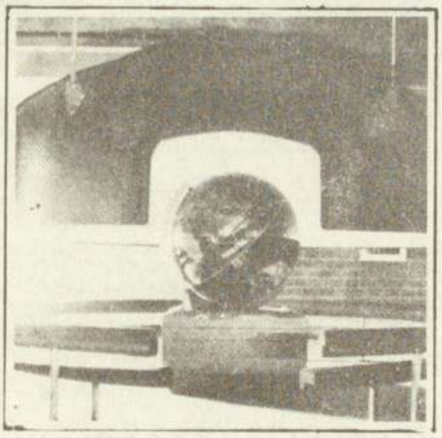

نموذج القبة السماوية بجامعة قطر

مركز البحوث العلمية التطبيقية الخاص بالجامعة وبعض الهيئات او المصانع ، او الوزارات ، مثل مصانع الحديد والصلب ، البتروكيماويات ، مركز التنمية الصناعية ، وزارة الصحة ، الكهرباء ، الصناعة ، وغير ذلك من الوزارات والمراكز !

وقال الدكتور كاظم : إن انشاء مركز البحوث والاهتمام بالبحث العلمى هو احد معايير المقياس الحضارى لأية أمة من الامم ، ومركز الجامعة بالذات أنشىء بتوجيه مباشر من سمو الأمير الرئيس الأعلى للجامعة الشيخ خليفة بن حمد ال ثانى ، فهو الذى حث الجامعة فى الاسراع بتشكيله والاسراع فى بداية نشاطه ، وذلك من أجل تقديم خدمة علمية حقيقية للمجتمع ..

التلوث البحرى

ومن بين الابحاث الهامة فى جامعة قطر ما يقوم به د. على البلتاجى من دراسة عن التلوث على شواطىء قطر والخليج ، ومن أجل ذلك اقيمت هذا العام ندوة عنوانها «نظرة مستقبلية للتنمية وحماية البيئة» ، فحماية البيئة البحرية تحتاج لتشريعات ، حيث أن التلوث يؤثر على البيئة البحرية ويجعلها تهدر ، والمعروف أن قاع الخليج يحتاج لدراسات عديدة ، فهو منطقة اقتصادية يجب ألا تترك للتخمين ولكن يجب أن تعامل معاملة دراسية منهجية سليمة !

المياه والطاقة

وفى السنوات الأخيرة ، اصبحت جامعة قطر تضم عددا من مراكز البحوث العلمية والتربوية والتطبيقية .

ويقول د. عمر عبد الرحمن مدير مركز البحوث العلمية والتطبيقية ان الجامعة تهتم بالبحوث الاكاديمية التى تتم فى أقسام الجامعة المختلفة ، وتهتم أيضا بالبحوث التطبيقية التى لها علاقة بخطة التنمية بدولة قطر .

أما الدكتور محمد كمال محمود رئيس المركز القومى للبحوث بالقاهرة الذى جاء فى زيارة علمية ليساهم بخبرته فى دفع عجلة البحوث للأمام ، فقد قال لى :

ان من اهم الموضوعات التى تسترعى الانتباه فى دولة قطر هى «المياه» فهى المحددة لتوزيع السكان . ولتنوع الأنشطة الاقتصادية كبناء مصانع الحديد والصلب . والبتروكيماويات . وهذا بالاضافة لأهميتها فى النشاط الزراعى ..

ولذلك يقوم مركز البحوث حاليا بتجارب لاستخدام المياه تكنولوجيا بتوليد الطاقة منها ، أو بتحويل المياه الجوفية الى مياه عذبة ، فتحلية المياه يعتبر واحدا من البرامج الاساسية فى البحوث !

أما بالنسبة لمشروع الطاقة ومحاولة ايجاد بدائل حرارية كالطاقة الشمسية ، لتسخين المياه ، وتبريد المكيفات ، وانشاء وحدات للطاقة الشمسية لتوليد كهرباء فى أجزاء منعزلة فى شبه الجزيرة مما يتيح الاستقرار لجماعات جديدة ، فان كل ذلك أيضاً موضوع ضمن الخطة التى اهتم بها المركز ..

مزارع تحت البيوت

وفى مجال الزراعة تواجه دولة قطر مصاعب ، من بينها نقص التربة الصالحة وقلة المياه ، ولذلك تقام الدراسات حاليا بالجامعة لايجاد وسائل حديثة لعمل ما يسمى بالمزارع تحت البيوت المقفلة .

ولا تكف الجامعة عن استقدام الخبراء والعلماء من جامعات العالم للاستفادة بخبراتهم ، ومن بين هؤلاء الدكتور طلعت ريحان الاستاذ بجامعة

العمل فى مشروع التخرج

كاليفورنيا ، الذى يقوم بالتعاون مع د. محمد عبد العظيم كيره الاستاذ بكلية العلوم ، فى دراسة المشروع الخاص باستخدام الكبريت واضافته للأسفلت أثناء رصف الطرق .

فالكبريت متوفر حاليا من مصنع الحديد والصلب ، فضلا عن متانة الرصف بهذه الطريقة لأن الكبريت مادة لاصقة ورابطة ، وقد استخدمت هذه الخلطة فى عدة دول ونجحت مثل البحرين ، وفرنسا ، والسعودية ..

البيئة القطرية

مع بداية النشاط العلمى بجامعة قطر ، التقيت بالدكتور عبد العال مباشر عميد كلية العلوم الذى يقول أن الطالب يختار تخصصه بعد انتقاله الى السنة الثانية وفى النهاية تحسب للطالب جميع المواد التى درسها بغض النظر عن الفترة التى درست فيها ، ويعرف بنظام «الساعات المكتسبة»..

وأكثر الطلبة فى كلية العلوم يفضلون اقسام الكيمياء والجيولوجي وعلوم البحار ..

ويوضح لنا د. يسرى منيسى وكيل كلية العلوم ورئيس قسم الجيولوجيا أن هذا القسم يقوم باعداد الطلبة فى المجالات المختلفة سواء المعملية أو للتدريس .

والحياة العملية فى القسم ترتكز على جيولوجية المنطقة العربية وشبه الجزيرة ، ففى هذا العام مثلا قام طلبة البكالوريوس برحلات علمية فى مشروع جيولوجى فى المنطقة حول جدة ، لدراسة نوعيات من الصخور والتراكيب الجيولوجية التى لابد أن يتعرف عليها الطالب ، والتى تغطى مجموعة مقررات ، كما قاموا أيضا برحلة ثانية للأمارات بالاشتراك مع جامعة العين ..

التدريب والرحلات

وهناك تعاون علمى بين قسم الجيولوجيا بالجامعة والهيئة القطرية للبترول ، حيث تقوم الأخيرة بترتيب تدريب صيفى عملى للطلبة ابتداء من السنة الثانية حيث يسافرون الى المانيا الغربية لمدة ستة اسابيع للتدريب ، والسنة الثالثة يسافرون الى هيوستن بأمريكا لمدة ستة اسابيع أيضاً .

التخصصات الحديثة

والملاحظ أن الاتجاه العلمى يتزايد لدى الطلبة القطريين بصورة كبيرة ، فمثلا فى تخصص الطبيعة يستعد عبد الله موسى أبو حليقة المعيد بالقسم

دراسة معملية

طلبة قسم النبات يفحصون إحدى العينات

مستقبل البحث العلمى فى قطر

د. محمد ابراهيم كاظم مدير الجامعة

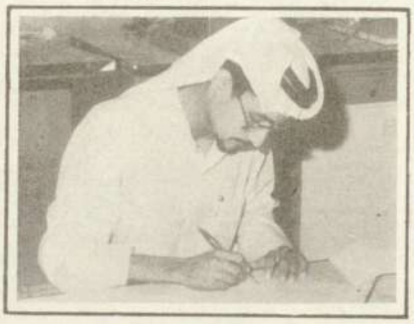

فحص وتسجيل العينات

دراسة الخرائط الجيولوجية

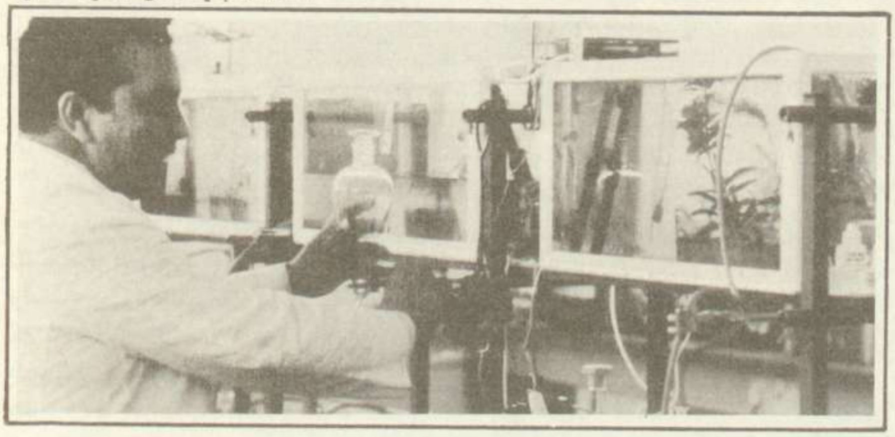

الاحتفاظ بعينات من الاحياء المائية

للسفر للولايات المتحدة للتخصص فى الطبيعة النووية ، كما يوجد ثلاث معيدات بقسم الطبيعة !

ويعلل د. حسين ابو ليلة رئيس قسم الطبيعة هذا الاتجاه العلمى الجديد ، بأنه نابع من شعور الطلبة والطالبات بحاجة بلدهم للتخصصات العلمية الحديثة ..

وأهم الدراسات المعملية العملية التى تقوم بقسم الطبيعة .

العينات المحلية

وهناك سياسة عامة ينتهجها قسم النباتات فى تدريس المواد العلمية تقوم على الاستفادة من النباتات والعينات المحلية ..

ويهتم القسم بدراسة مقرر عن «الفلورا» وهو نبات ينمو فى قطر ، وقد وضع د. كمال الدين البتانونى استاذ علم البيئة ورئيس قسم النبات كتاباً علميا عنه .

وهناك عدة بحوث تتم فى قسم النبات من اهمها دراسة عن بكتريا التربة والبكتيريا الهوائية للدكتور رفعت ربيع ، وأثر المبيدات والمخصبات ومنظمات النمو على خلايا النبات للدكتور عبد العزيز بيومى ، ودراسة عن المقتنيات المائية وأثر الملوحة على علف الحيوانات للدكتور احمد ابو اسماعيل ..

الملكات الابداعية

واحد النشاطات البارزة للحياة العلمية بجامعة قطر هو قسم الكيمياء الذى يهتم ببناء الطالب علمياً وفكرياً ، ففى الدراسة النظرية يطرح نفس ما يدرسه الطالب فى انحاء العالم ، أما فى الدراسات المعملية وهى أساسية لطالب الكيمياء ، فيقوم القسم بتدريب الطلبة وتنمية قدراتهم المعملية واكسابهم خبرات فى كل أنشطة الكيمياء العملية كالتحليل بكافة أنواعه ، كما يوفر الأجهزة الحديثة المتطورة بكميات تتلاءم مع أعداد الطلبة . .. كل هذه الوسائل تعمل على اكتشاف وتنمية وصقل الملكات الابداعية لدى الطلبة والطالبات ، كما يقول د. محمد صبرى عبد المطلب الاستاذ المساعد بقسم الكيمياء ..

تكنولوجيا التعليم

ويعتبر قسم تكنولوجيا التعليم بكلية العلوم من الاقسام المكملة للأقسام الأخرى بالجامعة ، فهو يعمل على تلبية احتياجات أسرة التدريس من الوسائل والأجهزة التعليمية ، ويقوم على البحث فى اساليب وطرق جديدة للممارسات التربوية ، وقد قال لى الدكتور فوزى زاهر رئيس القسم انه لابد لمن يعمل بهذا القسم أن يلم بكل الدراسات الجامعية حتى يقوم بدوره فى التطبيق العملى وفى مساعدة اعضاء هيئة التدريس على تطوير المقررات الدراسية طبقا للأسس التربوية والنفسية ..

المختبر الفضائى

وتجرى الآن مسابقة بين الطلبة والطالبات بجامعة قطر خاصة والشباب القطرى عامة ، وذلك للاستفادة من المكان الذى تم حجزه لدولة قطر على ظهر المتنقل الفضائى الامريكى التابع لوكالة (ناسا) .

والمسابقة تدور حول فكرة لتجربة علمية فى الفضاء الخارجى ، وتقوم اجهزة المتنقل الفضائى بتحقيقها إذا كانت صالحة ويمنح صاحب الفكرة الفائزة جائزة ، وهى زيارة لأماكن ابحاث الفضاء بالولايات المتحدة لمدة شهر واحد ..

القبة السماوية

وفى جامعة قطر قبتان سماويتان ، .. والقبة عبارة عن نموذج ميكانيكى دقيق لمجموعتنا الشمسية ، ومثبت بداخله كرة سماوية زرقاء داكنة قطرها ١٣٠ سم .

ويبين د. ناصر محمد حسن استاذ

طرق تربوية جديدة في قسم تكنولوجيا التعليم.. وتدريب متطور لطلبة قسم الكيمياء على أحدث الأجهزة التي تنمي قدراتهم المعملية

حجزت دولة قطر مكاناً فى المتنقل الفضائى الامريكى التابع لوكالة « ناسا »

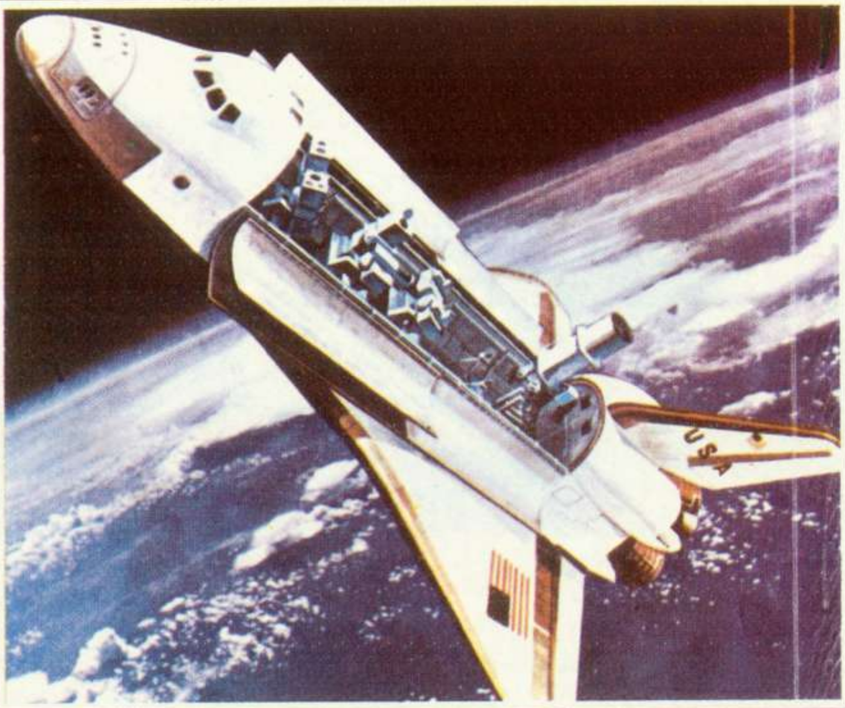

عينات بحرية تحت الدراسة

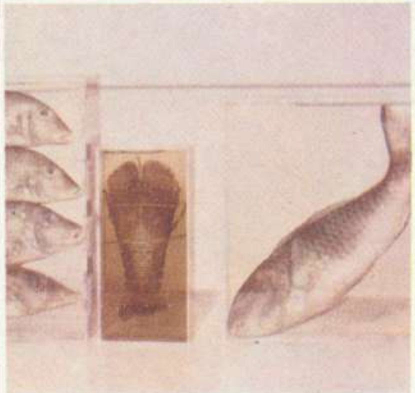

احدث الاجهزة بقسم الطبيعة

عينة جيولوجية من البيئة القطرية

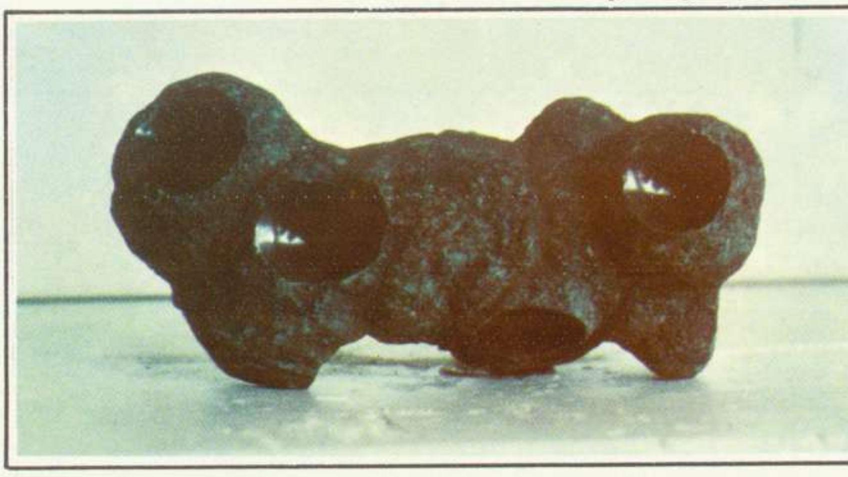

الجيوفيزيقا المساعد بالجامعة أن فى مركز القبة مصباح كهربائى يمثل الشمس وحوله مدارات مختلفة تمثل مسارات كواكب المجموعة الشمسية التسع ، بالاضافة الى نماذج للكواكب ذاتها ، ويمكن التحكم فى هذه المدارات لتمثل الميل الحقيقى الذى تظهر به فى الكون !

ولقد تم ضبط هذه الكرة السماوية لتظهر منظر السماء فوق دولة قطر .

وبمساعدة هذا النموذج يمكن ان توضح وتدرس العديد من الحقائق الكونية

وهكذا نرى ان دور الجامعة يمثل مرحلة هامة لاعداد وتنمية البشر فى حقل العلم والنهوض به وهو دور هام لايجوز ان نقفله وننساه ، فعلينا دائما أن نرفع الوعى العلمى فى المجتمع ونكشف المواهب العلمية ونشحذها ونعمل على رعايتها والعناية بها لتقوم بدورها الفعال فى تنمية المجتمع القطرى ورفعته ..

نادية رزق

البحرين
وفنون حضارة الجنة الخضراء

لـيلى الحريرى

● من تراث العروبة ومن مزيج الحضارات استمد الفنان البحرينى أفكاره وخطوطه وألوانه

● عندما يرقص الرجال بمصاحبة السيوف والبنادق رقصات الحرب والفروسية والتضحية

« الحليوة » .. هو اللقب الذى يطلقونه على تلك الجزر التى تحيطها مياه الخليج من كل جانب فتنام شواطئها على ضفافه فى سكون ودعة . عرف شعبها الغوص بحثا عن اللؤلؤ كسبيل لكسب العيش فى وقت شحت فيه الأرزاق .. وبنى السفن وركبها .. وذاق من اهوال البحر وأسفاره الكثير .. ولكنه جنى من خيراته الكثير ايضاً . حتى اكتشف البترول فجأة وبعد طول انتظار .. فتغير وجه الحياة حوله ومعالمها .. ومع ذلك ظل محتفظاً بعاداته وتقاليده .. محافظاً على أصالته رغم التطور الذى مر ، ويمر به ! .

الجذور و التراث

وجزر البحرين .. أو « الحليوة » .. ليست من صنع عهد البترول كما قد يتبادر الى الأذهان .. فحضارتها موغلة فى القدم ، تمتد الى آلاف السنين قبل الميلاد ، وهى الحضارة الدلمونيه نسبة الى « دلمون » أى الجنة الخضراء وهو الاسم الذى كان يطلقه الناس عليها آنذاك لما اشتهرت به من خضرة وارفة تشكلها مع الطبيعة أشجار النخيل التى تمتد لمساحات شاسعة من الأرض .. وينابيع الماء العذبة المتدفقة فى كل مكان ..

وحيث أن البحريـن تمتد الى اقصى اطراف شبه الجزيرة العربية ، لذلك فان الوحدة البشرية التى سكنتها من قديم الزمان تعتبر امتدادا طبيعياً للساميين « السكان الاصليين لشبه الجزيرة العربيـة » وبذلك يمكن القول بأن الحضارة التى سادت البحرين ذات يوم من ايام التاريخ القديم ، والتى توازت فى نفس الفترة مع الحضارة القائمة بين بلاد النهرين وبلاد السند .. هى حضرة سامية فى أصلها وهذا ما أشار إليه العلامة الكبير « شغانيغورت » ..

وكانت البحرين أيضاً سباقة الى الاسلام فدخلت فى هديه فى العام السادس من الهجرة حين كانت تسكنها بعض القبائل العربية على رأسها عبد القيس وتميم ، والأخيرة حكمها منذر بن ساوى التميمى الذى تلقى الاسلام بقبول حسن فشجع الدخول فيه وبالتالى انتشاره .

من كل ما سبق .. من تراث العروبة الموغل فى القدم .. من مزيج الحضارات التى تعاقبت على ارض البحرين عبر عصور الزمن .. ومن طبيعتها ذات السمات المتمايزة ، استمد الفنان البحرينى أفكاره .. خطوطه .. وخطواته .. وفوق أرض التاريخ كان له مع الفن تاريخ .

ولست أزعم أن البحرين فى ذلك انفردت .. فهى على مر العصور ذات علاقة وثيقة بمنطقة الخليج خاصة والمنطقة العربية عامة .. لذا فليس من المستغرب أن نجد تجانساً أو تشابها أو علاقة ما بين الفن فى البحرين وسائر الفنون المثيلة فى منطقة الخليج العربى

وهذا ايضاً لا يعنى أنه ليس للفن البحرينى علامات تميزه عن غيره .. فهو يختلف فى تفاصيله ولكنه يلتقى فى مجمله مع سائر الفنون الخليجية بأكثر من وجه شبه !

والفن البحرينى نجده فى كل جانب من جوانب الحياة .. فى كل مكان .. أى مكان .. نجده فى طرب متنوع عريق له ايقاعه وقواعده وأدواته الخاصة .. ونجده فى رقص جماعى معبر متميز له سمات وخصائص معينة .. نجده فى الحرف اليدوية القديمة .. فى فن العمارة مجسدا فى الأعمدة والاقواس والقباب .. نجده فى الفنون التشكيلية التى نمت وازدهرت وعكست الحس الفنى السائد للانسان البحرينى .. ثم نجده فى الآثار التى تعتبر أصدق شاهد على الحضارات العظيمة التى تعاقبت على هذه البقعة الجميلة من الأرض .

تنوع الفنون

وارتباط الانسان البحرينى منذ الزمن

مدينة المنامة عاصمة البحرين

البعيد ، كون لديه غموضاً وجدانيا من نوع ما ، نثر فى اعماقه بذور تقاليد وفنون شعبية مرتبطة بالغوص عند الخروج وعند العودة .. وامتزجت هذه التقاليد بوجدانه فعبر عنها فى أغانى البحر ورقصاته التى تعكس بالكلمة والحركة والايقاع ذلك الارتباط القديم والدائم .

وإذا كان للطبيعة أثرها .. وللبحر أثره على كثرة وتنوع هذه الفنون .. فان للتاريخ أيضاً انعكاسه عليها ، إذ نجد الكثير منها خاصة ما نشأ فى ظل الاسلام لايزال يحمل بعض التقاليد العربية مثل رقصة العرضة «الرزيف» التى ترمز الى الشجاعة والبطولة .

ومن التقاليد الجميلة التى يحرص اهل البحرين على الاحتفاظ بها ، تجمع الأهالى فى المجالس حيث يتناقشون فى شتى المواضيع ويتبادلون الرأى فى المسائل التى تهم المجتمع . وتلعب بعض هذه المجالس دورا بارزا فى المساجلات الادبية والمطارحات الشعرية التى من شأنها أن تساعد على تنمية المواهب الادبية ، ولكن هناك نوع خاص من هذه المجالس يطلق عليه اسم « الدور » تعرض فيه فنون الرقص والغناء والطرب .

والدار .. وجمعها «دور» .. عبارة عن حجرة كبيرة كان يجتمع فيها البحارة والنواخذه (صاحب المركب) ومحبو الفن الشعبى لفترة طويلة تقارب نصف العام بعد عودتهم من موسم الغوص .. يشغلون فراغهم بهذا النوع من الطرب الشعبى الذى يعتبر صدى لايماء البحر فى انتظار الموسم الجديد .

ومن اقدم فنون الرقص الشعبى الذى مازال يؤدى فى هذه الدور « العرضة » .. وهى رقصة يؤديها الرجال بمصاحبة السيوف والبنادق على ايقاعات توحى بالحرب والفروسية والشجاعة والتضحية .. كما يتسم الغناء المصاحب لها بالعنف .. ويمتاز ايقاع «العرضة» بالصخب فى التعبير لأن الآلات التى تستعمل فى أدائه هى الدفوف وجلجلة الصنج واطلاق النار من البنادق .

ومن الرقصات القديمة «دك الحب» حيث يجتمع نفر من الرجال الأقوياء فى شهر رمضان الكريم فى البيوت ومعهم المنحاز والمدق ويقومون بدق الحب للهريس .. يصحب ذلك غناء جميل له إيقاع خاص . وهو يعتبر فناً شعبيا نجديا يوحى بالقوة والصلابة لأن الذى يقوم بأدائه جماعة أقوياء .. أما النسوة فيجتمعن فى احد البيوت لدق الحب ويكون اجتماعهن عادة فى الليوان (مجلس خاص بالنساء) ،أمامهن الرحى حيث تغنى احداهن التى تقوم بالطحن وترد عليها رفيقاتها ..

(انكى) السومرى ، رمز المياه

«والليوة» .. أحد الفنون الشعبية القديمة أيضاً يمارسه جماعة من ابناء البحرين فى اوقات فراغهم وفى المناسبات . وهو يقام للمصاب بمرض عصبى (الزار) .. حيث يقوم مجموعة من الرجال والنساء بعرض الحركات الايقاعية العنيفة مع نغمات الصرناى ذى الصوت القوى يصاحبها أغان ذات معان لها صلة بالأرض .

فن الغجرى

والاغنية الشعبية من أجمل الفنون التى تؤدى فى «الدور» .. ولها تاريخ قديم حيث وجدت منذ اقدم الازمنة فى الأساطير والسحر والخرافات وحتى فى الطقوس الدينية .. ثم تأثرت فى عهد الاسلام بحداء الصحراء الذى اشتهر فى الجزيرة العربية والذى كان يعبر فى غنائه عما يعتمل فى نفس البدوى الرحالة أثناء انتقاله من مكان الى آخر .

وقد تداول الناس الاغنية الشعبية كل حسب مزاجه ووفق عصره .. فبدأت بالأنشاد الدينى ثم تطورت وتغيرت الى أن وصلت الى ماهى عليه الآن .. يغنيها الفلاح وهو يتسلق نخلة .. والبحار وهو ممسك بشراعه .. والبناء وهو يحمل الحجارة فوق كتفه .. وحتى الباعة المتجولون استعملوها فى النداء على

بضاعتهم بهدف ترويجها .. هؤلاء جميعا يؤدون الأغنية الشعبية بالوراثة عن آبائهم وأجدادهم ، لذلك يتسم معظمها بالطابع الانسانى .

ويعتبر فن « الغجرى » أرق وأحب الوان الغناء الذى تشتهر به البحرين خاصة ومنطقة الخليج عامة .. ويؤدى الغناء فيه بشكل جماعى وبطابع يمتاز بالوجدانية كما يصاحبه ايقاعات تعبيرية مميزة بشكل جماعى وبطابع يمتاز بالوجدانية كما يصاحبه ايقاعات تعبيرية مميزة تعكس معاناة الانسان مع البحر .. ويصاحبه ايضاً نوع فريد من الرقص حيث نشاهد واحداً أو اثنين يرقصان بشكل عفوى ويميلان كأنهما فوق أمواج البحر .. أما أدوات الطرب التى تصاحب فن الغجرى فهى عبارة عن مجموعة من الجرار التى يشرب فيها الماء وتسمى « الجمال » مع الطبلة الكبيرة والطوس.

فن الربابة ايضا أحد الفنون الشعبية التى بدأت فى مدينة المحرق منذ حوالى ٢٠٠ سنة ، حيث يجتمع شعراء النبط على شكل دائرة ويؤدون هذا الفن الذى يتسم بالبداوة ويمتاز باللحن الرخيم .. ولكنه فى طريقه الى الاندثار لأنه يوحى بالحزن كما يعتقد البعض .

أما المرأة البحرينية فقد لعبت دورا هاماً فى الفن الشعبى .. فكونت الفرق النسائية لأحياء الافراح ، والمناسبات السعيدة . ويمتاز هذا النوع من الفن النسائى بالمرح والحيوية تعكسهما حركات النسوة الايقاعية فى الزفاف .. وفى الغناء الجماعى الذى يعتبر افضل الغناء .

ولأن الفن لغة عالمية تقدم نفسها بنفسها .. كما أنه يلعب دورا اعلاميا غاية فى الأهمية حيث يمكن من خلاله تقديم حضارات الشعوب ، فقد اهتمت الدولة بتكوين فرقة البحرين للفنون الشعبية من خيرة افراد الفرق الأهلية المنتشرة هناك والتى يبلغ عددها ٣٦ فرقة . وقد قدمت هذه الفرقة عروضها الجذابة فى مهرجان قرطاج السنوى بتونس عام ١٩٧٥ ، ثم فى باريس وبرلين واستراليا ، ونالت الجوائز عن كل هذه العروض .

مهارة الحرف اليدوية

ومع الغوص كسبيل لكسب العيش .. ظهرت فى البحرين بعض الحرف اليدوية ، اشتغل بها أبناء البحرين الذين اشتهروا بالدقة والمهارة .. من هذه الحرف الحدادة والتصغير وصياغة المعادن وحفر الخشب ونسج القماش وصناعة السلال وغير ذلك ..

والحدادة هم جماعة من الحرفيين المهرة يعملون فى انتاج مختلف لوازم البيوت مثل السكاكين والمناقل والملاقط والاقفال والمفاتيح وغير ذلك ، كما أن بعضهم يقوم بالأعمال الدقيقة مثل صناعة الدلال والصوانى والأباريق والصحون التى تصنع من الفضة والبرونز والنحاس بأشكال مختلفة ذات صلة بالفن الاسلامى المستمد من العصر الأيوبى والمملوكى .. أما التصفير فهى حرفة يزاولها مهرة يقومون بطلى القدور بالرصاص والنشادر وهم يترنمون

إحدى فرق الرقص الشعبية النسائية

فن (الفوجرى)

● الفن التشكيلى فى البحرين نشأ ونما وازدهر بين عالمين : الإنسان .. والبحر

بألحان جميلة تنسيهم متاعب العمل ..
وصياغة المعادن .. من الحرف القديمة والشهيرة فى البحرين ويقوم العاملون بها بتشكيل المعادن الثمينة من الذهب والفضة اضافة الى الاحجار الكريمة لتستعمل زينة للنساء .. وهى تعتبر الى حد كبير مكملة للأزياء الشعبية .. ولعل بعضها له اصول دينية قديمة أو علاقة بالأساطير والخرافات والقصائد الشعبية السائدة والموروثة .. ومن أشهر انواع الحلى .. المرتعشة ، البقمة ، الجتب ، التختبكى أبو حصيروة المشنقة ، الكرادلة والخواتم .

أما صناعة النسيج فقد برزت فى بنى جمرة وتوارثها الأبناء عن الاجداد .. ويمتاز هذا الفن بوحداته الزخرفية ويغلب عليه الشريط الكتابى المنسوج أو المطرز .. كما يستخدم فى نسجه الأدوات البدائية البدوية .. ومن أشهر هذه المصنوعات : الشيلة ، الوزار ، الغترة ، والطرحة ، الرداء ويغلب عليها اللون الأسود والأحمر وأحياناً الأخضر تأثيرا بالبيئة الزراعية المحيطة بها .
وصناعة السلال من الحرف اليدوية التى اشتهر بها الفلاح البحرينى وذلك نتيجة لوفرة أشجار النخيل التى تنتشر فى جميع جزر البحرين .. والنخلة شجرة مقدسة اهتم بها القدماء فى فترة ما من التاريخ .. وهذا ما تشير إليه سلالة «أور» الثالث ، والرسوم التى وجدت على جدران هيكل سليمان الدينى .. كما تقول بعض الاساطير انها كانت موجودة منذ عهد آدم .. والنخلة لها فوائد كثيرة منها ما يستفاد به فى البناء كالجذع والجريد والسعف .. ومنها ما يستفاد منه فى الطعام . وقد استفاد الفلاح البحرينى من السعف الأخضر فى صناعة الحصر والسفيف والسلال والجفير والمرحلة والكفة والسفرة .. وجميعها تصنع بأشكال وزخارف واضحة ومتناسقة .

وصناعة السلال تعتبر من الفنون الشعبية التى لها سمات محلية وزخارف تشابه تلك الشائعة فى صناعة النسيج واصباغ اسقف البيوت البحرينية

ومن الحرف اليدوية التى يشتهر بها الصانع البحرينى .. الحفر على الخشب بمهارة شديدة بحيث نال شهرة فائقة فى هذا المضمار تبهر كل من يتجول فى ربوع البلاد حيث يشاهدها فى الابواب الرئيسية للبيوت والكراسى وبعض النوافذ والأسرة . ومن أشهر المصنوعات التى يبرز النجار البحرينى فيها قوة التعبير بحس مرهف ، صناديق اللؤلؤ (البشتختة) التى تشتهر بها البحرين .. وهى تزخرف الى جانب الحفر البديع عليها ، بتثبيت المسامير الحديدية الكبيرة التى تصنع محلياً من الحديد أو النحاس وتكون ذات رؤوس مسطحة أو مقببة .

وصناعة الفخار ايضاً من الحرف اليدوية الشهيرة فى البحرين والتى يتوارثها الأبناء عن الآباء لتحصيل الرزق .. وهى منتشرة فى قرية عالى بشكل خاص ويقام لها الأسواق مثل سوق الخميس والأثنين .

وكما هو الحال فى كل انحاء دول العالم .. فان الحضارة المادية قد ساعدت على اختفاء بعض المهارات الحرفية الشعبية التى كان يزاولها أبناء البحرين منذ قديم الزمان ، فقد انقرضت معظم هذه الحرف أو على الأكثر فى طريقها الى الانقراض وذلك لمنافسة المنتجات الأجنبية التى غمرت الأسواق .. وايضاً بسبب انصراف الحرفيين للعمل فى شركات البترول بعد ظهوره !

تجاوب الفنان التشكيلى

والفن التشكيلى أحد روافد الفن البحرينى .. نشأ ونما وازدهر على ارضها مستمدا خطوطه من العلاقة الوطيدة بين الانسان وعالم البحر وأسفاره .. خيراته وأهواله وخرافاته

ولو قسمنا الحركة التشكيلية هناك من حيث عمرها الزمنى ، لوجدنا انها بدأت فى الستينات .. ولوجدنا أيضاً انها تعكس التجاوب العميق للفنان مع تجربته الصادقة فقد تأثر بالطبيعة الجميلة فرسم البحر والقرية ، وعكس حياته الاجتماعية عليهما فى شكل تصورى تأثيرى عفوى .. ولكن سرعان ما تأثر بالاسلوب الأوربى الحديث نتيجة تواجد الرسامين الأوربيين والمكاتب الثقافية الاوربية فى البحرين .. فكانت بداياته الحقيقية مرتبطة بهم .. أقام

فخار من العهد الهلينى

عقود وخواتم من العهد الهلينيى

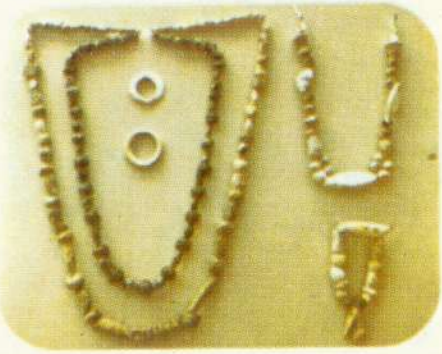

المرتعشة .. أشهر قطع المصاغ

معهم المعارض الجماعية المشتركة فى بعض الاندية الوطنية حيث لاقت استجابة كبيرة من الشعب ، واصبح لها جمهور متميز وبالتالى خلق هذا التجاوب شكلا من الوعى الفنى الجماهيرى بالفنون التشكيلية .

ومع النضوج الفكرى لدى الفنانين الرواد .. نبتت فكرة تأسيس تجمع فنى يلم شمل الجميع من هواة ومحترفين .. فقام البعض (راشد العريفى ، كريم العريض ، حسيب السفى) بتأسيس جمعية «الفن الاسلامى» التى عملت على اقامة المعارض والندوات لتحسين الانتاج الفنى وبث الوعى الثقافى بين الجماهير .. ومن خلال هذه التجربة تمكن الفنان البحرينى من طرح بعض التجارب الجيدة التى نالت كل تقدير .

أما الدولة .. فقد تبنت هذه الحركة التشكيلية بعد ذلك .. فأنشأت لها جهازا متخصصا تابعا لوزارة الاعلام مهمته اقامة المعارض السنوية وتقديم الجوائز التشجيعية والمنح والبعثات الدراسية وكان لهذه الادارة اثر طيب فى تنشيط الحركة التشكيلية فى البحرين

المسرح البحرينى

وحين نتحدث عن الوان الفنون البحرينية ، لابد أن نتعرض للحركة المسرحية التى بدأت فى أواخر العقد الثانى من هذا القرن مرتبطة ومواكبة لبداية التعليم النظامى فى البلاد .. كانت البدايات بدائية لاتخرج عن كونها نشاطات مدرسية تقام فى آخر العام الدراسى على شكل برامج أدبية وتمثيلية اسوة بما كان يتبع فى معظم الدول العربية فى الشام ومصر والتى كان لوجود البعثات التعليمية العربية فى البحرين فضل فى نقلها .

سارت معظم هذه النشاطات المدرسية فى طريقها تقوى حيناً وتضعف أحياناً حتى الاربعينات حيث ظهرت فئات أخرى تهتم بالنشاطات المسرحية وهم شباب الاندية التى تطورت على ايديهم التجارب المسرحية الى حد ما .. وظلت تحمل على عاتقها عبء القيام بهذا النشاط الى بداية ظهور الفرق المسرحية عام ١٩٥٥ .

وحين نتحدث عن الاندية فى ذلك الوقت .. فنحن لا نتحدث عن مؤسسات كبيرة لها مسارحها التى تقدم عليها عروضها ، ولها امكانياتها الفنية التى تمكنها من تجسيد ما تحلم به من مسرحيات وأعمال فنية .. وانما نتحدث عن فئة من الشباب تستأجر غرفة أو غرفتين فى مبنى تتم فيها الاجتماعات والنشاطات الثقافية .. أما أرض المسرح فكانوا يسألون بعض القادرين أن يسمحوا لهم باقامة عروضهم على ارض خالية يملكونها أو اية مساحة تقع أمام منازلهم .. وكانوا يستأجرون الخشب أو يشترونه من التجار ليبنوا بأنفسهم مسرحاً صغيرا فى العراء يكفى لأن يقام عليه عروضهم التى اتصفت بتاريخية النص .. وكانوا إذا ما انتهوا منه يقومون ببيع الخشب ربما لنفس التاجر ولكن بنصف الثمن الذى اشتروه به .. أما تكاليف اقامة العروض فكانوا يحاولون تغطيتها عن طريق بيع تذاكر لا تحمل ثمناً محددا بل كانت اقرب الى بطاقات التبرع تقدم كدعوة للشيوخ والاعيان ويترك تحديد ثمنها للشخص نفسه .. أما باقى الحفلات فتباع تذاكرها بالطريقة المتعارف عليها الآن .

كانت اكبر الصعوبات التى واجهت الحركة المسرحية البحرينية فى ذلك الوقت هو انعدام العنصر النسائى ولكنهم تغلبوا على ذلك بالاستعانة بالصبية ليقوموا بالادوار النسائية

وقد نالت هذه العروض التى كانت تعتمد على الالقاء واستثارة عواطف المتفرج على طريقة يوسف وهبى .. نالت اقبالا كبيرا من الجمهور بسبب الفراغ الذى كانت تعيشه المنطقة محرومة من أى لون من ألوان الترفيه والمتعة ، وعدم معرفة المشاهدين بما هو افضل .

ثم مرت فترة ركود توقف فيها النتاج الادبى والعطاء الفكرى فى الخليج ككل .. ولم يستأنف النشاط المسرحى بعد

(ليلة شتاء) .. لوحة للفنان محرقى

ذلك فى البحرين إلا فى الخمسينات وبالتحديد عام ١٩٥٤ حيث بدأت بوادر نهضة مسرحية .. فتأسست عدة فرق محلية اهمها فرقة «الاتحاد الشعبى» وفرقة «أوال» وفرقة «مسرح الجزيرة» ..

واهتمت الدولة بالحركة المسرحية فى البحرين فى اوائل السبعينات .. فقد تم انشاء أول جهاز رسمى يعنى بشئون الحركة الفنية بشكل عام تابع لوزارة العمل والشئون الاجتماعية عمل على التنسيق بين الفرق المسرحية ومواسم عروضها .. وأوجد لها دعما ماديا يقدم على شكل مساعدات سنوية .. كما سعى جاهدا لتوفير الكفاءات الفنية المختلفة فى جميع مجالات المسرح من أجل النهوض به .. وفى عام ١٩٧٦ نقل قسم المسرح من وزارة العمل والشئون الاجتماعية الى وزارة الاعلام التى قامت بحل فرقتين من هذه الفرق ودعمت فرقتى مسرح اوال ومسرح الجزيرة .. هذا بالتأكيد لم يمنع تكوين بعض الفرق الاهلية بلغ عددها فى الوقت الحالى خمس فرق . ومع ذلك .. من الملاحظ أن كل ما قدمته الفرق المسرحية فى البحرين لم تكن أكثر من تجارب قصد منها احياء الفن المسرحى وتحبيب الجمهور فيه .. رغم أن بعضها لاقى نجاحاً لا بأس به مثل « بيت طيب السمعة » و «سبع ليالى» .. و «كرسى عتيق» .. وهى مسرحيات بحرينية تأليفاً واخراجاً .. ايضا مسرحية « المخلب الكبير » تأليف الكاتب الكويتى صقر الرشود .

الغوص .. الحرفة الرئيسية قبل اكتشاف البترول

إلا أن ازمة المسرح البحرينى كسائر الحال فى معظم مسارحنا العربية ، تكمن فى افتقاره الى هوية أو منهج معين .. وعدم وجود المؤلف البحرينى الجيد والمخرج المتمرس ذى الخبرة والثقافة فى مجال الاخراج المسرحى .. اضافة الى ندرة العنصر النسائى بسبب العادات والتقاليد والأهم من ذلك كله .. هو عدم تفرغ الفنانين للعمل المسرحى وهذا يعكس اثره على جودة العمل وانتشاره . ومن اشهر الممثلين المسرحيين فى البحرين سعد الجزاف . عبد الله يوسف . سامى التوز . قحطان القحطانى واحلام محمد .. واشهر المخرجين احمد الزيانى .

عراقة الماضى

وإذا كانت مصر تشتهر بأهرامات الجيزة .. والهند تشتهر بتاج محل .. وايطاليا ببرج بيزا المائل .. فان البحرين ايضاً تحتضن أكبر مقبرة تاريخية فى العالم تضم ١٠٠ ألف مقبرة صغيرة كل منها عبارة عن تل مقبب داخله قبر يدفن فيه الميت . ولأن البحرين كانت تعتبر الأرض المقدسة فى زمن الحضارة الدلمونية ، فقد اعتاد كل سكان الشاطىء الشرقى للخليج دفت موتاهم هنـاك .

والآثار تحكى عادة عراقة الشعب وتقص تاريخه وتؤكد قدرته فى هذه الحياة وعطاءه وعلاقاته .. لذلك اهتمت دولة البحرين بالتنقيب عنها واستعانت فى هذا الصدد بالبعثات الأجنبية اضافة الى الخبرات المحلية . وقد تم اكتشاف بعض الآثار من عصور ما قبل التاريخ يرجع زمنها الى نحو ٤٠ ألف سنة .. كما وجد أيضاً آثار لحضارات من عهد السومريين والبابليين التى وصلت الى أوج قمتها بين الألف الثالث والثانى قبل الميلاد .. هذا اضافة الى اكتشاف بعض الابنية تعود الى الدور الكبشى (حوالى ١٨٠٠ سنة قبل الميلاد) .. وأخرى الى الفترة الآشورية (٨٠٠ سنة قبل الميلاد) وثالثة تعود الى العصر اليونانى (حوالى ٣٠٠ سنة قبل الميلاد) اهمها بعض القطع الفضية من النقود صك على احد أوجهها صورة الاسكندر الأكبر وعلى الوجه الآخر صورة الاله زيوس .. ومن المعتقد أن هذه النقود قد استخدمت لفترات طويلة تتراوح بين ١٠٠ ــ ١٥٠ سنة من قبل السلوقيين .

كما كشفت الحفائر الأثرية عن بعض الابنية شيدها المسلمون فى العصر الأموى حوالى عام ٦٦٤ ميلادية (٤٤ هـ) منها مسجد سوق الخميس الذى أمر ببنائه الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز عام ٦٠ هـ تقريبا .. ويتكون هذا المسجد الكبير الذى يعتبر من أهم الآثار الاسلامية فى البحرين من ثلاثة أروقة مؤسسة على اسطوانات مبنية من قطع صخرية ارتفاع كل منها قدم وقطرها قدمان .. ومما هو جدير بالذكر أن هذا المسجد الاسلامى قد بنى على انقاض مبان يعود تاريخها الى ما قبل الاسلام وهذا ما كشفت عنه عمليات التنقيب .

ومن الآثار الاسلامية التى اكتشفت حديثا فى البحرين احدى القلاع شيدها المسلمون لحماية المنطقة .. كما امكن تحديد بوابتها الرئيسية والابراج التى تعلوها والفترة الزمنية لبنائها والمواد المستعملة فى ذلك اضافة الى التعديلات التى ادخلت عليها .. كما تم اكتشاف آثار فخارية اسلامية و ١٤ قطعة صينية ترجع الى القرن السادس عشر مما يدل على حركة التعامل التجارى مع الدول الأخرى فى ذلك الوقت . هذه الآثار الاسلامية تعتبر شاهدا حيا على عظمة المسلمين الاوائل وانتشارهم

أرض الحياة

وحين حلقت بى الطائرة فى رحلة العودة فوق «الحليوة» .. لاحت لى تلك الجزر (البحرين) فى قلب مياه الخليج تميزها الخضرة الوارفة تتوسدها ينابيع المياه وكأنها قطعة من الجنة .. وبدت لى البيوت والمبانى صغيرة متناسقة ذابت معها كل فروق الحضارات المختلفة التى مرت عليها .. ولم يتبق من ذلك كله فى ذهنى إلا بضع كلمات حوتها إحدى الاساطير الدلمونية تحكى قصة «انكى» رمز الماء العظيم وهو يؤكد فى كلماته أن دلمون أرض الحياة تنعم بالسلم والسعادة ..

تقول كلمات الأسطورة :

إن ذلك المحل نظيف .. انه مشرق ..
فى دلمون .. لا ينعق الغراب الاسود..
ولا تصرخ الحدأة ..
الأسد لا يفتك ..
والذئب لا يفترس الجمل ..
والكلب .. قاتل الحداء .. غير معروف هنــاك .
والطير فى الاعالى لا .. فراخه ..
ومن به صداع لا يشكو من الصداع ..
والمرأة العجوز لا تشكو الشيخوخة
والشيخ الكبير لا يتبرم من كبر سنه ..
وعذراؤها غير المغتسلة لا .. فى المدينــة
المنشد لا ينتحب ..
وفى اطراف المدينة لاينطق بالرثاء .

ليلى الحـريـرى

من الرباط إلى مراكش البعيدة عن الزمان والمكان

جمال الغيطاني

... تقع مدينة الرباط على شاطىء المحيط الاطلسى ، أى أن البحر الذى يحدها بلا نهاية ، فى الماضى كان يسمى بحر الظلمات قبل اكتشاف الجانب الآخر منه ويحد المدينة نهر ابو الرقراق حيث مدينة «سلا» على الضفة الأخرى إلا أن الانسان لا يشعر بالمحيط ، ولا بالنهر ، طوال بقائه وتجواله فى المدينة!

والرباط تستدير مبتعدة عن المحيط الذى تطل عليه ، البيوت لا تفتح عليه والطرقات تتوارى بعيدة عنه ، الشىء الوحيد الذى يجاور المحيط مقابر المدينة التى تقع أسفل قصبة «الوداية» لم أجد تفسيرا فى تاريخ الرباط الطويل لهذا البعد عن المحيط إلا نظرة السكان القدامى للمجهول الذى كان يأت من خلف الأفق الازرق ، لم يكن البحر يأتى إلا بالشر ، القراصنة ، واعداء الاسلام من الصليبيين ، والأساس الذى بنيت عليه الرباط يمت بصلة قوية الى هذا السبب ، فكلمة الرباط تعنى المكان الذى يقيم فيه المجاهدون ليلا ونهارا لدفع الخطر الأجنبى !

رباط الفتح

يرجع الفضل فى انشاء المدينة الى الموحدين ، كان الموقع الذى يطل على نهر ابى الرقراق مواجها لمدينة سلا ، أقدم مدن المغرب والتى شيدت فى العهد البونى ، وكانت سلا تقوم بصد هجمات الصليبيين ، ثم انشأ رباط على الضفة المواجهة للنهر الصغير ، وفى هذا الرباط استقر مجموعة من المؤمنين الصادقين الذين نذروا على انفسهم الجهاد ، وفى سنة ٥٤٥هـ (١١٥٠م)

الكتبية فى مراكش

ساحة الفناء فى مراكش

لئن الرباط يبدو باردًا طويلاً خلوًا من الحيوية.. لكن مراكش على النقيض تمامًا

اختار عبد المؤمن رأس بيت عبد المؤمن الموحدى هذا الرباط (الحصن) ليكون منطلقاً للجهاد فى الاندلس ، أقيم معسكر دائم زوده عبد المؤمن بالمياه العذبة عن طريق قناة تستمد مياهها من نبع مجاور هو عين غبولة ، واستمر المعسكر فى النمو أيام أبى يعقوب يوسف ، خليفة عبد المؤمن ، غير أن أبا يوسف يعقوب المنصور الذى خلف أبا يعقوب فى رياسة هذا البيت هو الذى أمر فى بداية حكمه باتمام هذا المعسكر ، واطلق عليه اسم « رباط الفتح » ، تخليدا للنصر الذى حققه الموحدون على الفونس الثامن ملك قشتالة عام ١١٩٥م ، وكان يحيط بالمعسكر سور من اللبن تتخلله ابراج مربعة الشكل ، ولا يزال الجزء الأكبر من هذا السور باقياً ، ويبلغ طوله حوالى أربعة أميال .

وهناك بابان أثريان يرجع تاريخهما إلى ذلك العهد أحدهما يعرف بباب الرواح ، أما الآخر فيوصل الى القصبة ، قصبة « الوداية » ، وقد أمر يعقوب المنصور ايضاً بتشييد مسجد عظيم داخل رباط الفتح لم يقدر له أن يتم ، ويبلغ طوله ٦١٠ اقدام ، وعرضه ٤٧٠ قدماً ، ولا يفوقه من مساجد العالم الاسلامى إلا مسجد سامراء بالعراق ، كان لهذا المسجد ستة عشر باباً ، وكان به صحن للصلاة يدعمه أكثر من مائتى عمود ، علاوة على مافى المسجد من ثلاثة أروقة أخرى ، ولا تزال مئذنة هذا المسجدقائمة مكانها كما هى لم تتم ، وتعرف باسم صومعة حسان ، وقد بنيت كلها من حجر متناسق ، وترتفع لمسافة ١٦٠ قدما ، ويوصل الى شرفتها العليا ممر منحدر هيناً يبلغ عرضه ياردتين ، وتوجد فى المغرب مئذنة أخرى كاملة تشبهها وهى مئذنة الكتبية بمراكش ، وتوجد مئذنة أخرى بالأندلس هى مئذنة الجيرالدة ، والمآذن الثلاث تنتمى الى عصر الموحدين ، وتبقى صومعة حسان الناقصة كلغز غامض وصل الينا من اعماق التاريخ ، تجمد على مشارف المحيط .

ضريح الملك محمد الخامس فى الرباط

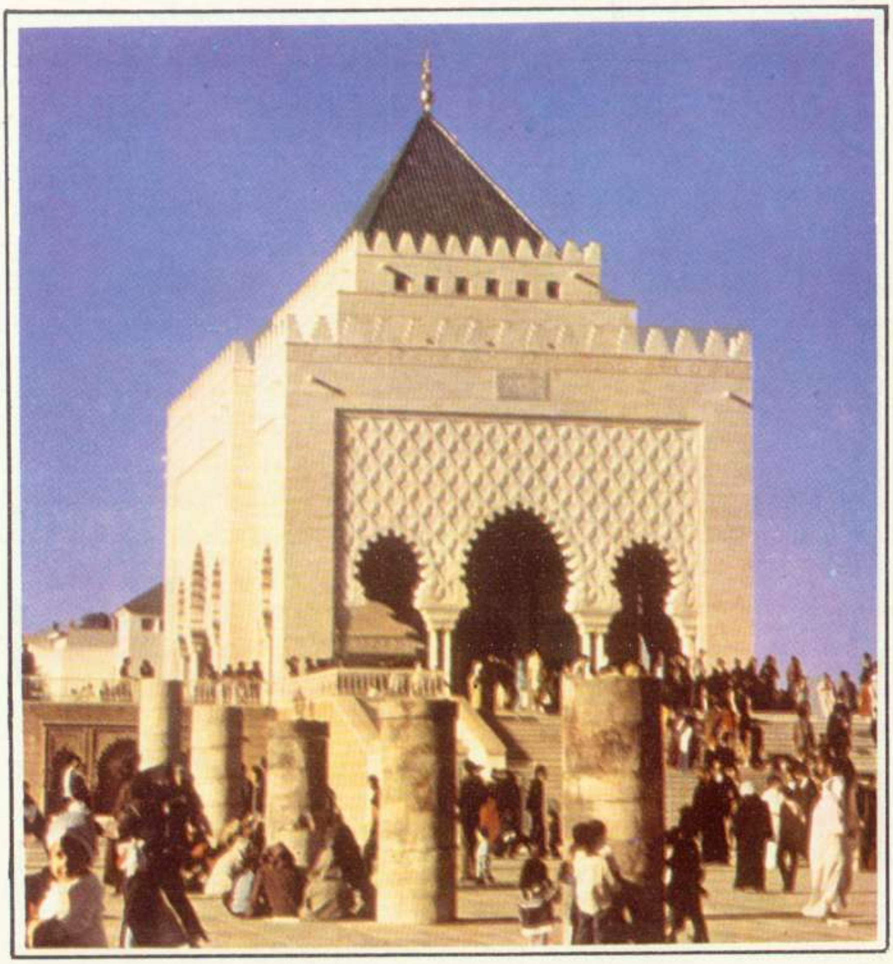

الاستمتاع بالوحدة

ثم انتقلت الرباط الى حكم المرينيين وخلال هذه الفترة وقعت حادثة أكسبت الرباط قدرا كبيرا من الأهمية ، إذ أن فيليب الثالث طرد من الاندلس آخر العرب الذين بقوا بها ، عام ١٦١٠م ، رحل هؤلاء الى الرباط ، وتكونت جالية من اللاجئين الأندلسيين ، وسرعان ما سيطر هؤلاء الأندلسيون المهاجرون على الرباط وسلا واحترفوا القرصنة ، وتكونت نواة جمهورية بحرية صغيرة ، ولم تعترف بسلطان الشريف الذى يحكم سائر المغرب إلا بصعوبة ، واحتفظ الأندلسيون بلغتهم الاسبانية ، وعاداتهم ، وتقول دائرة المعارف الاسلامية أن سلالتهم لا تزال تكون الجزء الأكبر من اهالى الرباط ، واستمرت هذه الجمهورية الصغيرة

من الرباط إلى مراكش البعيدة عن الزمان والمكان

تتمتع باستقلال يكتمل احياناً وينتقص احياناً اخرى ، الى أن تولى العرش السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى عام ١١٧١هـ (١٧٥٧م)، فقد حاول أن يسيطر على النشاط البحرى لهذه الجمهورية الصغيرة ، ولكن قام اسطول فرنسى بضرب المدينة عام ١٧٦٥م ، وعندئذ بادر خلفاؤه الى الامتناع عن رفع راية الجهاد فى البحر ، وسرعان ما خيمت مرحلة طويلة من الاضمحلال شملت الرباط ، وسلا أيضاً ، حتى احتلهما الفرنسيون عام ١٩١١ ، وبعد قيام الحماية اصبحت مقرا للسلطان ، والادارات المختلفة .

وتوصف الرباط الآن بأنها مدينة ادارية ، وانعكس ذلك على ايقاع الحياة بها ، انها مدينة هادئة ، يبدو النهار فيها خالياً من المفاجأة ، تسير الحركة فيها وفقا لايقاع رتيب ، تبعاً لحركة الموظفين الذين يذهبون الى اعمالهم فى الثامنة والنصف ، ثم يخرجون فى الثانية عشر ليعودوا فى الثالثة الى دواوينهم ، ويعودون الى بيوتهم فى السادسة، ومع الغروب تتزايد الحركة خاصة فى شارع محمد الخامس ، وفى أزقة المدينة القديمة ، ثم لا تحل الثامنة إلا وتخف فجاة ، وكثيرا ما مرت بى لحظات موحشة مع بداية الليل عندما تقفر الطرقات ، وتغلق المتاجر ، كأن المدينة توقع فى دفتر انصراف خفى ثم تمضى تماماً كالموظفين ، كنت ألوذ بوحدة معقمة داخل حجرة الفندق ، أطل من حين لآخر على مسجد السنية بسقوفه الخضراء وجدرانه البيضاء ، يقف هنا منذ منتصف القرن الثامن عشر ، كنت اغوص داخل نفسى . واصل الى حد الاستمتاع بالوحدة ، هذا الاحساس الغريب الذى عرفته فى أيام بعيدة ، لم يكن ينتزعنى من هذه الوحدة إلا رنين التليفون ، الصديق الدكتور محمد براده رئيس اتحاد الكتاب ، أو احد الاصدقاء الكتاب ، أو الصديقين المصريين مصطفى نجيب ، المستشار الثقافى بالمغرب ، وسمير شحاته مراسل وكالة انباء الشرق الاوسط ، وكان السهر يمتد داخل احد المنازل ، لا مقاهى هنا تسهر بعد الثامنة ، حتى المقهى القديم الذى احببته ، والذى يطل على المحيط فى النقطة التى يبتلع فيها نهر ابى الرقراق يغلق ابوابه مع بداية الليل ، يبدو ليل الرباط بارداً ، طويلا ، خلوا من الحيوية ، لكن النقيض تماماً ما وجدته فى مراكش.

قلب مراكش

كل المرئيات تبدو وكأن لها بعداً آخر خفياً يتجاوز وجودها المادى ، هذا ما تشعر به منذ اللحظات الأولى لدخول مدينة مراكش القائمة على حافة الصحراء ، اللون الأحمر أول ما يلفت النظر ، لون احمر طوبى يكسب المبانى كلها لوناً متقارباً ، موحدا ، سواء المبانى القديمة فى الأزقة والحوارى . أو المبانى الحديثة المرتفعة . أو الفنادق الكبيرة التى لا تتناقض عمارتها مع الاسلوب السائد فى المنطقة ، تتناثر أشجار النخيل التى تنمو بغزارة فى هذا المناخ الصحراوى ، ويحد افق المدينة سلسلة جبال اطلس ، وتستدير الشمس فى السماء لتتوهج أشقبها المنعكسة على ثلوج القمم البعيدة ، بينما يبدو الفضاء منبسطا ، رحباً ، ممتدا ، ومثل كل مدن المغرب تنقسم مراكش الى مدينتين المدينة الحديثة ، وقد شيدت بعد اعلان الحماية على المغرب عام ١٩١٢ ، والمدينة القديمة ، الأصلية ، ويحيطها سور قديم يصل الى تسعة عشر كيلومترا وارتفاعه حوالى ثمانية أمتار ، وهو متهدم فى معظم اجزائه ، يفصل بين المدينتين ساحة الفناء أو ساحة جامع الفناء ، لا يوجد مسجد يحمل هذا الاسم الغريب ، ويقول بعض اهالى مراكش ان عمليات الاعدام بالسيف كانت تتم فى هذا المكان ومن هنا جاءت التسمية ، وفى هذه الساحة قضيت اوقاتاً طويلة اتأمل ما يجرى فيها ، والأحداث التى تشهدها ، وما يجرى فى ساحة الفناء يتم كل يوم ، مع مطلع النهار ودبيب النشاط

مسجد مولاى اليزيد

مدينة الرباط من الجو

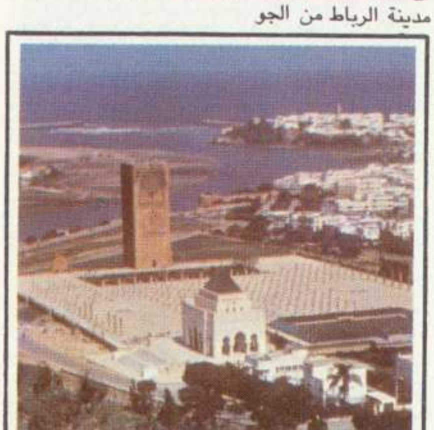

الموحدون عملوا على تأكيد الشخصية العلمية لمراكش .. فأنشأوا فيها بيت الطلبة ومستشفى ضخما

سوق الصباغين

قبة ضريح الملك محمد الخامس وهى محلاه بالزجاج المعشق .

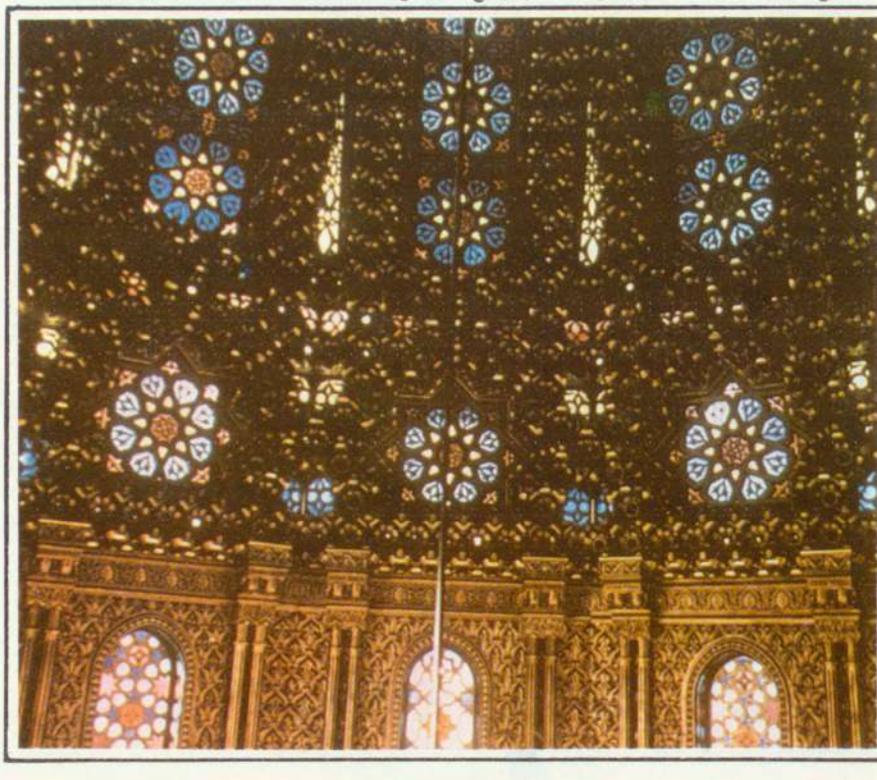

اليومى تعلو دقات طبل ، أو لحن موسيقى بدائى ، أو صيحات مرتفعة ، وسرعان ما تتشكل حلقات الناس .

هذا رجل اسمر اللون . له ملامح زنجية ، يرتدى حلة أنيقة ، ونظارة طبية ، يتحرك فى وسط حلقة من المشاهدين ، وضع فى منتصفها كرسيا فوقه حقيبة بنية اللون ، مفتوحة ، بها علب صغيرة ، وأعشاب ، إنه يتحدث فى انفعال حاد مستمر ، وذلك حتى يحتفظ باهتمام سامعيه ، ويضم متفرجين جددا ، وليس ارتفاع الصوت وسيلته الوحيدة ، إنما حركات ذراعيه وإشاراته المفاجئة ، ثم استداراته تجاه بعض الواقفين ، وتوجيه الحديث الى شخص معين بذاته لثوان ، لا يلبث أن يفارقه الى غيره فقد توصل الى تركيبة ، عجيبة ، غريبة ، تزيل الآلام فى دقائق ، ثم يشير الى العلب الصغيرة التى تحويها الحقيبة ، ويتناول واحدة ، ويفتحها ، ويطلب من الواقفين الصلاة على النبى ، قبل أن يشرح طريقة العلاج .

فى حلقة مجاورة كان هناك رجل ضخم الحجم يرتدى عباءة زرقاء ، انه صحراوى ، فوق سجادة يضع مجموعة من الأوانى ، يتخللها جلد ثعبان ضخم بنى اللون ، كان يتحدث عن عادات أهل الصحراء ، كيف يأكلون اللحم ؟ وكيف يتسامرون ، وكيف يتذكرون أيام الكفاح بقيادة محمد الخامس .. رحمه الله .

فى حلقة مجاورة ، أب و أم وطفلة نحيلة ، الأب يمسك طبلة ، والأم تمسك دفا ، والطفلة ترقص ، ترقص دقائق ثم تعود لتستريح ، وتكف الموسيقى الفقيرة حتى تستريح .

فى حلقة أخرى امرأة عجوز ، كانت تقول كلاما غير مفهوم ، وتلوح بذراعيها ، ويديها ، وفهمت اخيرا أنها تعد احجبة تقى من الحسد .

رجل آخر كان يتوسط اعمدة خشبية غريبة ، مثبت اليها أجراس ، وحمام مشدود بسلاسل نحيلة ، لاعب حمام ..

وتجمع آخر يلتف حول رجل يعرض الثعابين ، ثلاثة ثعابين ضخمة من نوع

من الرباط إلى مراكش البعيدة عن الزمان والمكان

صومعة الكتبية وهى من القرن الحادى عشر

قصر الباهيا

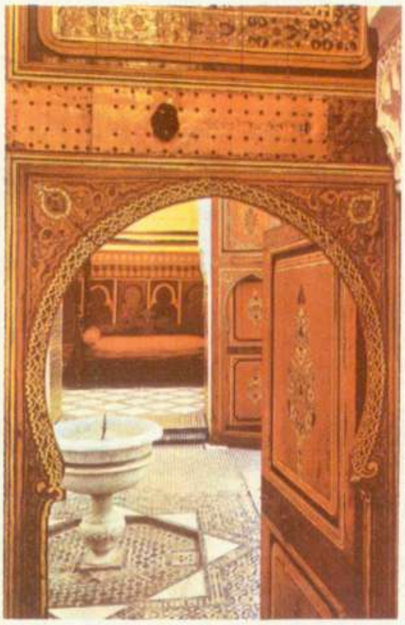

الكوبرا ، غير أن أغرب ما رأيته ، حمار مدرب على الرقص ، وتدخين السيجارة.. مجهود هائل يبذله كل من يعرض فنه فى ساحة الفناء من أجل الرزق .. أليس هذا ما نفعله يوميا فى حياتنا ، اليست ساحة الفناء نموذج مصغر للعالم وما يحفل به.

تقع ساحة الفناء فى قلب مدينة مراكش ، وفى جانب منها توجد محطة سيارات النقل العمومى ، تحمل الوافدين والراحلين من والى كل مناطق المغرب ، خاصة الريف ، والصحراء ، وعندما يصلون الى الساحة يجدون كل ما يرغبون فى شرائه ، وفى هذه التجمعات مهرجانا يمتعهم ويسليهم ، وكثيرون لا يمضون الى الفنادق ، انما يمضون الليل فى الساحة فوق كرسى ، أو فوق قارعة الطريق .

نتجاوز ساحة الفناء الى دروب وأسواق المدينة القديمة ذات اللون الأحمر الطوبى ، والهواء الجاف الذى يذكرنا بدروب قرى الصعيد الاعلى فى مصر .

الصعود والهبوط

فى قبر بسيط ، متواضع ، بدون سقف يقولون ان هذه كانت رغبة صاحبه ، حتى لا يفصله شىء عن السماء ، يرقد يوسف بن تاشفين ، اعظم ملوك المغرب فى التاريخ القديم ، ومؤسس مراكش ، لقد اشترى موضع المدينة ، وكان ملكا لرجل عجوز من المصامدة ، وجاء الى الموضع بخيام الشعر . وبنى مسجدا لصلاته وقبة صغيرة لاختزان ماله وسلاحه ، ولم يكن يوجد ماء ، حفرت آبار فظهر الماء قريبا ، عندئذ توافد الناس ، استوطنوا وبنوا بها . هكذا انشأ المرابطون مراكش ، واتخذوها عاصمة لهم ، وعندما جاء الموحدون بالجامعة احتفظوا بها كعاصمة لهم ، وأنشأ على ابن يوسف مدرسة كبيرة ، تعرف الآن بالجامعه اليوسفية ، وهى جامعة مغربية خالصة ، لها طابعها الخاص ،

باب الرواح فى الرباط

المستقل عن القيروان والأندلس ، أسست عام ٥١٤ هـ (١١١٦ م) ، وازدهرت مراكش فى عصر المنصور يعقوب بن يوسف ، وفى أيامه جاء الى مراكش ابن طفيل وابن رشد ، وبنى عبد المؤمن جامع الكتبية الذى لازالت مئذنته الضخمة ، الفريدة ، تنتصب شاهقة ، ويبلغ ارتفاعها مئة وعشرة أذرع ، وكان فى هذا المسجد مقصورة عجيبة ركبت بحيل هندسية بحيث تنتصب اذا استقر المنصور ووزراؤه ، وتختفى اذا انفصلوا عنها ، وقد عمل الموحدون على تأكيد الشخصية العلمية لمراكش ، فأنشأوا فيها بيت الطلبة ، وكان يضم ثلاثة آلاف طالب ، وبنوا مستشفى ضخما كان الطب يدرس فيه ، وعندما اتخذ بنو مريق فاس عاصمة لهم ، غربت الشمس قليلا عن مراكش ، يقول ابن الخطيب متأملا فى ذلك ..

بلد قد غزاه صرف الليالى
وأباح المصون منه مبيح
فالذى خر من بناه قتيل
والذى خر منه بعض جريح
وكأن الذى يزور طبيب
قد تأتى له بها التشريح

فى مدينة مراكش لا يضيع الانسان فى الزمان .. ولكن فى المكان

اعجمت منه أربع ورسوم
كان قدما بها اللسان الفصيح
كم معان غابت بتلك المعانى
وجمال اخفاه ذاك الضريح
وملوك تعبدوا الدهر لما
اصبح الدهر وهو عبد صريح
دوخوا نازح البسيطة حتى
قال ما شاءذابل وصفيح
حيث شبت لهم من البأس نار
ثم هبت لهم من النصر ريح
اثر يندب المؤثر لما طال
بعد الدنو منه النزوح
ساكن الدار روحها كيف يبقى
جسد بعد ما تولى روح

لكن الاهتمام بمراكش عاد مرة أخرى فى دولة السعديين ، والآن تعتبر مراكش من أهم مدن المغرب ، وأكثرها تفردا ، فيها يلتقى العنصر الافريقى ، بالعنصر العربى ، والعنصر البربرى . همزة الوصل بين الشمال والجنوب ، بين الريف والصحراء ، يحرسها سبعة أولياء لهم ترتيب ، وزيارتهم تتم وفقاً لمراتبهم ، أولهم يوسف بن على وقبره خارج باب أغماد بالسور القديم ، ثم القاضى غياض ، ومدفنه بباب هيلانة ، ثم احمد ابو عباس السبتى ، ثم الامام عبدالعزيز الدباغ ، والامام احمد بن سليمان الجازولى ، صاحب دلائل الخيرات ، والامام السهيلى فيلسوف النحاة ، والشيخ محمد الغزوانى ، وكلهم مدفونون بسور المدينة ، عدا الامام السهيلى .

فلسفة الاناشيد

فى مراكش حيوية دافقة تشعر بها طوال اقامتك . وتنوع خصب ، تلمح فى الطريق ، الاهالى بزيهم المغربى التقليدى ، ولا تخطىء العين خريجى جامعة ابن يوسف وزيهم المغربى التقليدى وغطاء الرأس المبطن بقماش ابيض خفيف ، يقول مولاى الطيب المرينى أحد أدباء مراكش ، الذى درس وتخرج وعمل بجامعة بن يوسف ، ان أهالى مراكش يتميزون بروح ساخرة ، والنكتة المراكشية ، يقول الشاعر المراكشى محمود ابراهيم :

نكاتا يرسل النكتة اللطيفة سهما
والمصابون فى الحضور قليل

ويخرج أهالى مراكش فى حلقات الى الصحراء القريبة ، يلعبون «الدقة» ، وهى لعبة تستمر طوال الليل ، وتتخللها اناشيد موسيقية ، تعزف خلالها الآلات المغربية التقليدية «التعريجة» وهى عبارة عن دف مستطيل ، و «القراقش» وهى النواقيس الصغيرة ، والصاجات و «النبير» أى الطبلة ، و «النفار» أى البوق ، وتدور الاناشيد حول موضوعات دينية ، وغرامية ، وتأملات لها طابع فلسفى ...

* * *

يحل الليل ، ولاتهدأ الحركة ، لاتخفت الحيوية فى تلك المدينة التى لايشعر فيها الانسان بالوحدة ، المليئة بالزحام ، فى ركن من ساحة الغناء ، كانت هناك فتاه أوروبية ، حافية القدمين ، تبكى وتصرخ ، لقد فقدت أوراقها وحاجياتها وزملاءها ، وتجمع حولها بعض المواسين ، وأغلبية من المتفرجين ، فى ساحة الغناء تفنى الجهود من اجل الرزق ، ومن الممكن أن يضيع الانسان ، ليس فى المكان ، انما فى الزمان الخاص أيضاً ، والذى يكسب مراكش طابعاً غامضاً ، بحيث تظل عالماً قائماً بذاته ، قريب جدا ، لكنه أيضاً .. شديد النأى ..

جمال الغيطانى

المصاحف الشريفة
بين جلال الوحى وإبداع الفنان

جمال قطب

بعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام فى السنة العاشرة للهجرة ، تولى زعامة المسلمين ابو بكر الصديق ، صهر الرسول ورفيق جهاده . وتم فى عهده إخضاع شبه الجزيرة العربية لدين الله الحنيف ، ثم خلفه بعد عامين ثانى الخلفاء الراشدين ؛ فانتشر نور الرسالة خارج شبه الجزيرة العربية واستطاع جند الله أن يسيطروا على جزء كبير من البلاد ذات الحضارات العريقة ، مبتدئين بفلسطين وسوريا فى عام ١٤هـ ، فالعراق عام ١٥هـ ، فمصر عام ١٧هـ ، ثم ايران عام ٢٠هـ . وتولى بعد عمر ، عثمان ابن عفان فى عام ٢٢هـ (٦٤٤م) ، وتم فى عهده جمع أول نسخة من القرآن الكريم .

مسيرة الفن الاسلامى

كانت الفنون التى ظهرت قبل الاسلام مقصورة على الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة العربية ، ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالديانة الوثنية . وما أن بدأ عهد الخلافة الأموية (٤١هـ – ١٣٢هـ) ، حتى أولى المسلمون حركة الابداع الفنى اهتمامهم ، متطلعين الى فنون البلاد التى تكونت منها امبراطوريتهم والتى كانت ذات حضارات عريقة مزدهرة ؛ ومن هذا المنطلق تكونت المدارس الفنية الاسلامية مبتدئة بالمدرسة الأموية ثم العباسية ... الى آخر هذه الطرز ذات الملامح الفنية المتميزة . ورأينا أن اخراج المصاحف الشريفة والعناية بكتابتها وتذهيبها وزخرفتها يشغل بال الفنانين ويلهب مشاعرهم ووجدانهم ، بما لكتاب الله من جلال وسيطرة روحية غامرة ! فكتبت المصاحف على صفائح الذهب والفضة والعاج ، وطرزت الايات الكريمة بخيوط من الذهب والفضة على الحرير والديباج لتزين بها المساجد والمجالس والمكاتب والدواوين . وكان الخلفاء والأمراء والسلاطين يتبركون بكتابة المصاحف بأيديهم ويحفظونها فى خزائنهم كأروع النفائس .

فن التذهيب

يروى عن على بن ابى طالب أنه اول من ذهب مصحفا ، ولهذا نرى كثيرا من الفنانين من مصورى المخطوطات يفضل أن يلحق باسمه لفظ المذهب بدلا من المصور . ومن هنا ذهب بعض الناس الى أن مكانة المذهب الاجتماعية كانت اعلى قدراً من مكانة المصور ، خصوصاً وان الاسلام له نظرة خاصة تجاه التصوير أقل ما يمكن أن توصف به هو أنها نظرة كراهية له .

غلاف مصحف السلطان شعبان (٧٧٠ هـ)

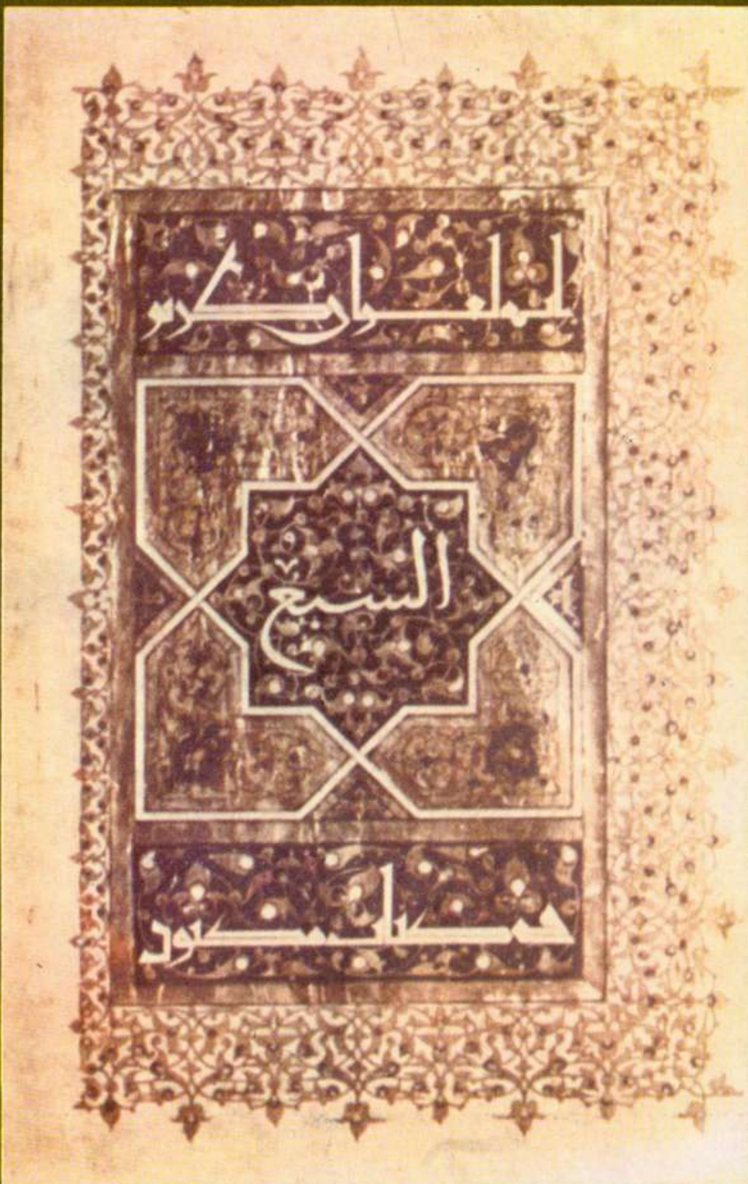

روعة المصاحف القديمة

كانت الفنون التى ظهرت قبل الإسلام مقصورة على الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة

وكان التذهيب فى أول الأمر مقصوراً على أجزاء معينة من الصفحات كأشرطة بين السور ، والفواصل بين الايات . ثم ازدادت العناية بعد ذلك بالتذهيب فامتد الى الصفحات الأولى لتزخرف جميعها ، وكذلك الصفحات الأخيرة من المصحف . وقد بلغ فن التذهيب والتلوين روعته فى العصر المملوكى ، حيث وصل الى قمة الاجادة فى التكوينات الهندسية والمضلعات والأشكال النجمية وزخارف التوريقات والتفريعات النباتية التى أرست دعائم فن (الارابيسك) الشهير كأكمل ما يكون الأبداع !

تطور الخط العربى

وقد اضفى كلام الله على الخط العربى منزلة خاصة فى نفوس المسلمين جميعا ، فامتزجت العاطفة الدينية الراسخة مع الاحساس بالجمال الفنى ، ونشأت الدوافع الابداعية لتطوير الأساليب والانماط التقليدية البدائية التى كانت سائدة فى الجزيرة العربية قبل الاسلام ، ورأينا بعد ذلك فى العهود المتعاقبة ، أشكالا وانماطاً متطورة ، أحكم صياغتها عمق الايمان وشفافية البصيرة .

وإذا رجعنا الى أرض الرسالة المحمدية قبيل ظهور الاسلام ، نرى أن الأصول الأولى للخط العربى كانت هى الخط النبطى المتفرع من الخط الارامى وكذلك استعملت عدة خطوط أخرى مثل الخط الصفوى والثمودى والحميرى ، أما أخر الخطوط فكان هو الخط الحيرى ، وهو ماستمر العمل به حتى ظهور الاسلام ، فكتب به الوحى قبل استحداث الخط الكوفى . وكان الخط الحيرى يكتب بدون تنقيط أو تشكيل . وظهر الكوفى كأطوع الأشكال والقوالب الفنية من حيث استيعابه للزخارف بغير حدود ، وتسابق الخطاطون فى استنباط النماذج الجديدة وتطويرها حتى اصبح للخط ستة أنواع رئيسية أطلق عليها الاقلام الستة وهى : الكوفى ـ الثلث ـ النسخ ـ الفارسى ـ الديوانى (أو الهمايونى) ـ الرقعة . ولكن اشرف الخطوط جميعا وارسخها فى وجدان المسلمين هو الخط الكوفى الذى حظى بالتبجيل طوال القرون الأولى من العصر الاسلامى ، وازداد تألقه واتسعت دائرة استعمالاته فى القرن الثالث الهجرى اثناء حكم العباسيين ؛ فكانت تكتب به المصاحف الشريفة وكل ما يتعلق بالنصوص الدينية والمستندات الرسمية فى

نماذج من الخطوط الاسلامية .

مصاحف فى متحف قطر

احدى الصفحات من مصحف كتب بالخط الثلث والزخارف من التفريعات النباتية التى ازدهرت فى العصر المملوكى .

بداية فن زخرفة وتذهيب المصاحف تنسب إلى العصر العباسى .. ثم تطورت من جيل إلى جيل حسب الطرز الفنية السائدة

دواوين الحكم ، كما كانت تزين به المساجد والقصور كتكوين زخرفى جميل أما صعوبة تداوله فى الاستخدامات العامة بين الأفراد ، فلأنه بغير نقط ، كما أن عدد حروفه ستة عشر شكلا كتابياً تستخدم للتعبير عن ثمانية وعشرين صوتاً ، فمثلا كان احتمال اللبس قائما بين الباء والتاء والثاء والياء حين يقع هذا الحرف فى أول الكلمة أو وسطها ... وهكذا . ومن أجل ذلك ، رأينا – مع تطور الاستعمال والصياغة – أن استحدث خط النسخ ليحل محل الخط الكوفى ، واشتق من النسخ خطان : الأول هو الثلث ، وجاء أكثر رشاقة ورصانة وجمالا والثانى الخط المغربى الذى انتشر فى بلاد المغرب الاسلامى والاندلسى . ثم ابتكر خط الرقعة الذى ذاع سريعاً لما يتميز به من سهولة فى القراءة والكتابة . وكذلك ظهرت انماط محلية أخرى تكونت لها مدارس فى بلاد الاسلام أهمها مدرسة (هراة) فى فن الخط المغولى ، ومدرسة(تبريز) فى العهد الصفوى فى إيران ، وهى التى اشتهرت عالميا بانتاج المصاحف الفاخرة .

وكان أمرا طبيعيا أن نرى احتضان وتشجيع الحكام والأمراء لفنانى الخط العربى فى عهود الاسلام الزاهرة . بل إننا رأينا حاكماً مثل (ابراهيم سلطان) حاكم شيراز ، يحترف الخط ويبدع فيه بكفاءة واقتدار .

المصاحف عبر العصور

تنسب بداية فن زخرفة وتذهيب المصاحف الى العصر العباسى ، وتختلف وتتطور من جيل لآخر حسب الطابع والطرز الفنية السائدة فى هذا العصر أو ذاك ؛ فنجد أن زخارف القرن الثالث الهجرى كانت مازالت متأثرة بالفن الساسانى (الذى كان شائعا فى إيران) كوحدات المراوح النخيلية المجنحة . ويقال أن غلاف المصحف كان يصنع فى أول الأمر من لوحين من الخشب المزين بالزخارف المطعمة بالعاج ، ثم استبدل بعد ذلك بالجلد . وتطورت الزخارف شيئاً فشيئاً حتى اتخذت طابعاً عربياً إسلامياً خالصاً . وفى العهد السلجوقى فى إيران ، شغف الايرانيون بعمل المصاحف وزخرفتها وتذهيبها ، وتطور الخط الكوفى تطورا كبيرا ، كما استحدثوا ألواناً جديدة – كان من أهمها اللون البنى – فى الكتابة .

وتوالت العهود الاسلامية .. لنشاهد اروع العصور تألقاً فى فن اخراج المصاحف ، ونقصد عهد المماليك فى مصر ، والعهد الصفوى فى ايران . وتبارى الفنانون فى الاجادة والتفوق وأمهروا المصاحف بأسمائهم تبركاً وتفاخرا ، وتحتل هذه المصاحف حالياً أقدس الاماكن فى متاحف العالم ومكتباته الكبرى كأثمن كنوز التراث الابداعى ! .

أندر المصاحف

منذ ثلاثة عشر عاماً ، شهد العالم حدثاً فنياً دينياً ضخماً فى امتنا العربية الاسلامية ؛ ففى ليلة القدر من شهر رمضان المعظم سنة ١٣٨٧هـ ، بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن مصداقا لقوله تعالى :(إنا انزلناه فى ليلة القدر ...) اقيم فى أكبر قاعات دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، أول معرض قرآنى ، عرض فيه مجموعة من المصاحف النادرة التى لا نظير لها فى شتى انحاء المعمورة . فكان استعراضاً رائعاً للمصاحف منذ أيام الخليفة عثمان بن عفان الى يومنا هذا . وكان اندرها جميعاً المصحف الشريف الذى استشهد عليه سيدنا عثمان . وهو مكتوب بالخط الكوفى القديم على رق غزال من غير شكل ولا نقط ولا كتابة أسماء السور كما جاء فى صدر الاسلام الأول . والمصحف محضر من جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وهو أحد المصحفين اللذين تكلم عنهما المقريزى فى (الخطط) عند ذكر الجامع العتيق فقال :« إنه أحضر الى مصر مع دحيل من أهل العراق مصحف سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وانه الذى كان بين يديه يوم الدار ؛ وانه استخرج من خزائن المقتدر ، فاخذه ابو بكر الخازن وجعله فى جامع سيدنا عمرو بن العاص .»

ومن المصاحف النادرة أيضاً فى معرض المصاحف بالقاهرة ، صورة شمسية لمصحف يسمى (المصحف السمرقندى)، ويذكر أنه المصحف الثانى لعثمان بن عفان ، وكان موجودا فى دار الكتب القيصرية فى (بطرسبرج) حتى عام ١٩١٨م ، ثم نقل إبان الانقلاب البلشفى فى حفل مهيب الى ما يسمى هناك بالنظارة الدينية ، وذلك لاسترضاء المسلمين ، وبقى فيها خمس سنوات حتى نقل عام ١٩٢٣ الى تركستان ثم الى طشقند حيث استقر فيها حتى الآن .

ومن بين ما عرض مصحف مكتوب بقلم كوفى على الرق بدون تشكيل أو تنقيط ، وكتب فى آخره أنه بخط ابى سعيد الحسن البصرى سنة ٧٧هـ ، وهو مجلد بغلاف من خشب الصنوبر .

ونرى مصحفا آخر من القرن الثانى الهجرى يسمى (مصحف جعفر الصادق) المتوفى عام ١٤٨هـ .. وكذلك مصحف السلطان قلاوون وقد كتب بمداد الذهب على صحائف من الذهب الخالص . ومصحف السلطان محمد قلاوون ، ومصحف السلطان برقوق ، وآخر للسلطان الملك المؤيد .. وعدة مصاحف أخرى بعضها كتب بقلم مغربى ومزين بالزخارف المذهبة .

وأكثر ما يستوقفنا فى مجموعة دار الكتب المصرية ، مصحف لا نظير له فى العالم ، فهو أكبر المصاحف حجما على الاطلاق ، إذ تبلغ زنته طنين كاملين ، وحجم الصفحة فيه (١٧٥ فى ٢٠٠ سم) . ويقع فى سبعة اجزاء ، وقد كتب فى القرن الحادى عشر الهجرى بخط النسخ على الجلد ، وصفحاته مزينة بزخارف مذهبة رائعة ، وغلافه من الفضة الخالصة ومحلاة باحجار الياقوت .

.... وعلى مر العصور والأيام ، نرى أن الله – جلّت قدرته – قد قيض لحفظ كتابه الكريم افواجاً متتالية من المؤمنين جيلا بعد جيل ، وانعم على من اصطفاهم من عباده بنعمة الموهبة والابداع ، فتسابقوا فى انجازات ملهمة خيرة ، لكتابة الوحى المنزل على رسوله الأمين وإخراجه فى ابهى صورة تليق بجلاله وقدسيته ، وكأنه تسابق نورانى الى جنات النعيم .

وصدق الله العظيم « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون »

جمال قطب

فيلم تركي يثير ضجة بين النقاد
الحب في قرية نساها الزمن

خيرية البشلاوى

قليلة تلك الافلام التركية التى يتاح لنا رؤيتها حتى فى المهرجانات الدولية. والقليل الذى رأيناه من الانتاج التركى لم يترك فى نفوسنا أثرا لا كنقاد للسينما ولا كمتذوقين لها كما لم يترك أثرا حتى فى وجدان الجمهور الذى يبحث عن مجرد المتعة بمعناها التقليدى البعيد عن الابتذال.

ما أذكره من هذه الافلام القليلة يجعلنى أذكر القارىء بالسينما المصرية حين تتدنى الى المستوى الأكثر ضعفا، وان أذكره ايضا بتلك النوعية من الافلام التى تعتمد على الابتذال دون حبكة متقنة ولا تقنية مقنعة.

وقد تصادف ان رأينا فى مهرجان القاهرة السينمائى الاول على ما أذكر فيلما تركيا لا يحضرنى اسمه الآن؟ وإن اعاد الى ذاكرتى مشاهد العرى والاثارة الحسية، وصورة تلك البطلة الفاتنة التى يبيعها المخرج للمتفرجين مقابل القروش القليلة التى دفعها ثمنا للتذكرة!

واذكر ايضا أن السينما التركية فى مرحلة من مراحل تطورها كانت مفتونة بالسينما المصرية حتى انها كانت تستعين بأبطال هذه السينما الجماهيريين من أمثال فريد شوقى الذى ذهب الى هناك وشارك فى بطولة بعض الاعمال ناقلا الى الاناضول بعض ملامح الفن السينمائى فى وادى النيل، والمعروف أن بين الاتراك والمصريين صلة واواصر تتارجح بين التأثر والتأثير يعرفها كل من يحفظ التاريخ!

تجسيد القرية

لكننى ما قصدت بهذا الكلام عن السينما التركية إلا مقدمة تمهد لكلام من نوع مختلف اثاره فيلم تركى بعنوان «هازال» رأيناه فى مهرجان كان الأخير، حيث عرض الفيلم عدة مرات، وفى كل مرة يجذب جمهورا جديدا، وتزدحم الصالة أكثر بفضوليين يسعون الى رؤية هذا العمل الذى يقدمه بلغة السينما عالما مختلفا تماما، له مذاق غريب ومتفرد، ويثير الدهشة لشدة الجراة التى عالج بها المخرج التركى على أوزجنترك (٣٣) سنة ـ موضوع فيلمه!

تدور احداث الفيلم فى قرية تركية نائية تقع شرق الأناضول، تحفها الجبال الخضراء الجميلة وتطل على النهر وتبدو من ملامحها التى تستعرضها الكاميرا فى هدوء ومن خلال لقطات طويلة وموحية أنها بقعة من العالم نسيها الزمن منذ بدء الخليقة حيث لم يتغير فيها أى شىء .. الطبيعة بكل

● تدور أحداث الفيلم فى قرية تركية نائية تقع شرق الأناضول تحفها الجبال الخضراء الجميلة وتطل على النهر

المخرج على اوزجينترك (٣٣ سنة)

● الفتاة الشابة باهرة الحسن .. لكنها شقية ومعذبة
● الأخ الوحيد الذى تعده أمه للزفاف .. عمره ثمانى سنوات !
● القرية تستعد للزفاف .. والأم تبكى .. والعروس ترتدى ثوب الحداد !
● صورة مخيفة للعلاقات الإنسانية التى تتجاهل مشاعر المرأة
● مشاهد سينمائية متقدمة من حيث مستواها الجمالى

جلالها .. وبيوت الطين المتراصة من احشائها (احشاء الطبيعة) وفى معمار يجعلها اقرب الى زنزانات السجن البدائية نرى جدران سوداء متلاصقة بها فتحات ضيقة متناثرة بلا نظام معين فالمفروض انها النوافذ !

قرية حقيقية رغم ذلك وليست ديكورا .. فالأسلوب الذى اعتمد عليه المخرج فى بناء الفيلم اقرب الى الاسلوب التسجيلى يتسم بنزعة واقعية ورغبة فى رصد الواقع بكل تفاصيله !

الحب الضائع

فى هذه القرية تعيش فتاة شابة باهرة الحسن اسمها (هازال) لكنها شقية وحزينة .. أرملة لرجل كان يحبها وتحبه .. وقد توفى منذ مدة قليلة .. والتقاليد تقتضى بأن يتزوج شقيق الزوج أرملة اخيه المتوفى .. وهذا الأخ الوحيد الذى تعده أمه للزفاف الى الأرملة الشابة عمره ثمان سنوات .. ثمان سنوات فقط . هل تصدق ؟

وحين ظهر العريس الطفل على الشاشة أصيب المتفرجون بالدهشة ، وعبروا عنها بهمسات وكلمات كلها استغراب .!

هاهى القرية تستعد للزفاف .. الأم تبكى .. والعروس ترتدى الحداد .. وأم الزوج مازال يغطيها السواد على الأبن الذى رحل .. وصورة هذا الأبن المتوفى فوق السرير الذى أعد فى حجرة العروس والذى سيشاركها فيه شقيق الزوج الراحل ..

ويستيقظ « الزوج الطفل » من النوم فى احد أيام شهر العسل وقد تبول على نفسه .. صارخا فى عروسه .. مستعينا بامه التى تكيل للفتاة كل انواع السباب .. وبعدها تبدأ العلاقات المختلة فى الكشف أكثر وأكثر عن نفسها .. فالى جانب العلاقة التى تجمع هذه الشابة المتفتحة للحياة وبين هذا الطفل الصغير الذى مازال يتعلق بالخروج واللعب مع اقرانه الصغار .. هناك علاقة الأم بابنها الصغير وعلاقة الأم نفسها بابنتها التى نضجت للزواج ومع ذلك تتجاهل تماما مطالبها كشابة تحتاج الى زوج هى الأخرى لكى تسكن اليه ..

الأم هنا تكشف من خلال سلوكها اليومى عن القيم والأفكار السائدة .. انها تحرم ابنتها الشابةمن الزواج لان الابن الصغير هو مركز اهتمامها ودفعه الى ممارسة علاقة طبيعية مع عروسه الشابة هى كل مشاغلها ، فتستعين بالسحر وبالتعاويذ حتى يتحقق لها ما تريد لكن دون فائدة .

وضع المرأة

ويدفع المناخ الاجتماعى البرى لدرجة التوحش الابنة الى علاقة حب غير مشروعة تندفع بعدها الى الانتحار .. كما أن «هازال» الشابة المتفتحة تستجيب لحب هذا الشاب عامل البناء الذى حالت التقاليد دون اتمام زواجها منه ، وتهرب معه لتلقى المصير المروع الذى تنتهى به حياتها هى وصديقها !

والفيلم يقدم تسجيلا لوضع المرأة فى هذه القرية البعيدة المعزولة وسط الجبال ، ويقدم تقريره المرئى على مستويات مختلفة ومن خلال عدة اجيال .. ويرسم فى نفس الوقت صورة مذهلة ومخيفة للعلاقات الانسانية التى لا تفسح مجالا لمشاعر المراة ولا لرغباتها فالمراة الأم مسيطرة ، لكنها تخضع بدورها للتقاليد ، وتحافظ عليها وتنفذها كطاغية لا تعرف الرحمة !

حين تهرب « هازال » من قهر حياتها ومن الذل المتصل الذى تتعرض له يوميا الى منزل اسرتها ، وترفض الأم ان تفتح لها الباب رغم التوسلات ، وترغمها على العودة الى منزل الزوج ، فالعلاقة الزوجية مقدسة بغض النظر عن أى ظروف أخرى !

وحين تصرخ الابنة شقيقة الزوج الطفل فى وجه امها مطالبة بالالتفات الى

عمرها الذى يتقدم دون ان تحصل على الزوج الذى ترغب فيه ، تواجه الأم صرخاتها بمزيد من القهر لأن الابن « الذكر » هو الأول وهو الأخير فى مجال اهتمامات الاسرة !

حتى التفاصيل الصغيرة

ويتعرض المخرج الشاب «على اوزنترك» الذى ساهم كذلك فى كتابة سيناريو الفيلم للمفاهيم التى تسيطر على عقلية الرجال فى القرية . بحيث تدفعهم الى الوقوف بتعصب وتعنت أى تطور أو لمسة حداثة تصل الى قريتهم . هؤلاء الرجال يتصدون بتعصب وتعنت شديدين ضد شق طريق يصل القرية بالعالم الخارجى .. ويقاطع الرجال الخاضعون للأغا (مالك الارض) كل الشباب الذين يتطوعون فى العمل لبناء هذا الطريق ..

ويرسم المخرج جو القرية ويستعرض ملامحها باطالة وفى ايقاع يترهل فى مواقع كثيرة من الفيلم ، لكن بأسلوب يكشف عن حرصه على قول كل شىء وبلورة الجو الاجتماعى والتفاصيل الصغيرة التى تنقل للمتفرج صورة مذهلة عن واقع مازال قائما فوق الكرة الارضية فى الربع الاخير من القرن العشرين !

ولا يخلو الفيلم مع هذه الاطالة من لمسة شاعرية ومن حس مرهف .. ففى البداية يرى المتفرج الشاب عامل البناء الذى يحب « هازال » و الذى اغتيل مع نهاية الفيلم وقد جاء الى القرية خارجا من قلب الجبال الخضراء متجها صوب النهر فى جو ضبابى ينبىء بمصيره المحتوم !

ثم حين يستعرض جدران القرية الكئيبة يوحى للمتفرج بجو العزلة .. والبعد عن العالم الخارجى .. عن هذا الزمان عن القرن العشرين .. وحين يستعرض الناس ويكشف عن العلاقات التى تربطهم ، وعن ضحايا هذا «العالم» المنسى ، يدعم انطباعه بأننا أمام عمل جاد حتى وإن افتقد النضج الفنى الذى يجعل منه عملا جيدا بكل المقاييس !

علاقات الناس

لقد بالغ المخرج كثيرا فى استخدام المشاهد التى تكشف عن العادات الشعبية ، لكنه قدم من خلال الديكور مدى الفقر والعوز الشديد الذى يعيش فيه اهالى القرية فى استسلام كامل

ولم يستعن المخرج إلا فيما ندر بلقطات داخلية ، وطاف بكاميرته فى لقطات عامة وطويلة وسط هذه القرية مستعرضا علاقات الناس فيها ، مجسدا مآسى الحب والزواج ، واقفا طويلا امام تلك الشجرة التى تكرر ظهورها طوال مدة عرض الفيلم : شجرة جرداء فى الخلاء يربط الأزواج الغائبون فى فروعها منديلا أو قطعة قماش من ملابس الزوجة بحيث اذا تحركت هذه القطعة حين عودتهم كان هذا معناه الخيانة ومن ثم قتل الزوجة الخائنة !

تقاليد غريبة ومروعة كشف عنها المخرج .. واوضاع انسانية مهينة تصدم المتفرج .. والشىء المخيف ان مثل هذه الظروف يرجعها الغربيون والغرباء دائما الى التراث علما بأن التراث برىء من كل صنوف العذاب التى يتعرض لها الانسان ، فالأوضاع الاجتماعية الجائرة والتخلف الانسانى فى صوره المتنوعة هو المسئول - فى الحقيقة - عن مثل هذه «الحالات» التى ينقلها لنا الفن بصدق وواقعية !

لقطات متقدمة

ويضم الفيلم مشاهد سينمائية متقدمة من حيث مستواها الجمالى ، فمجموعة اللقطات التى يتكون منها مشهد عودة الحبيبين المقتولين (هازال وعامل البناء) كان مروعا بقدر ما كان رائعا !

والمعانى فى الفيلم تجسدت من خلال الصورة الثرية مع نهاية الفيلم .. تلك الصورة التى ضمت داخل اطارها كل العناصر المرئية التى تزيد من عمق الاحداث ومن ملامح الصورة الكلية لقرية سوف تعيش طويلا فى ذهن المتفرج !

خيرية البشلاوى

الحرب قديمة قدم الانسان . وأول مثال للعراك أوالقتال ورد ذكره في كتاب من اقدم الكتب وهو الانجيل . حين روى قصة قابيل التي وصلت به الى حد قتل اخيه هابيل .

والانسان - يراوده الاغراء المنبعث عن الغيرة لالحاق الضرر بأقربائه وجيرانه .. وقد اخذ القتال الفردي يتطور منذ عصور ما قبل التاريخ الى قتال بين الاسرة ثم بين القبائل وبين الشعوب الى ان اصبح قتالا بين الدول .

رأيت

تكنولوجيا الصيد

امكن لي ان ارى عدة مصانع عائمة على ظهر سفينة صيد واحدة . هذه السفينة هي احدث ما انتجته اليابان في مجال صيد الاسماك .

هذه السفينة تتجه الى تجمعات الاسماك الهائلة التي تتحدد بواسطة مجموعة من الاجهزة الحديثة .

ويتم القاء الشباك آليا ومحاصرة هذه التجمعات ثم جمعها وسحب الشباك آليا ايضا بما تحمله من الثروة السمكية .

تدخل هذه الاسماك على الماكينات الموجودة على السطح حيث يتم فرزها والتخلص من الزعانف والاشواك وتقوم بعد ذلك هذه المصانع بتعليب الاسماك في صور مختلفة فمنها الرنجة والانشوجة ومعلبات السردين .

كما ان الزعانف والاشواك ومخلفات الاسماك يتم تجفيفها ثم سحقها في صورة علف للدواجن والحيوانات ويتم التخزين في صورة صناديق وهكذا حتى تتجمع لديها كميات كبيرة من الصناديق المنتجة فتتجه السفينة الى الميناء حيث يتم التفريغ والبيع الى العملاء التجاريين والى المؤسسات المختلفة . وهي احدث طرق الصيد والتصنيع السريع .

عزت جاد الرب - الاسكندرية

سمعت

نوبل أديبا

ما من احد منا يذكر امامه اسم الفرد نوبل الا ويتذكر على الفور جائزة نوبل المشهورة باسمه وكلنا نعلم ان الفرد نوبل هو مخترع ومبتدع الديناميت .. ولكن الشيء الذي لا يعلمه الكثير منا ان هذا العالم العبقري كان اديبا ، محبا للغات حتى انه اتقن خمس لغات هي : السويدية والانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية .

ونوبل كان شاعرا واديبا مرهف الحس . فقد كان يقوم باستمرار بترجمة الادب الاجنبي الذي يروقه . وخاصة ادب فولتير وقد نمى اهتمامه بالأدب حتى اصبح كاتبا . يقول البروفسور شوك :

كان نوبل يتمتع بما يوحي بانه سيصبح شاعرا . وذلك لانه كان يتمتع باحساس مرهف . وخيال محلق . ونحن نلمس هذا

في قصائده التي نظمها ، والتي يبدو فيها متاثرا بالشاعر الانجليزي سيلي .

ولكن الطريق الذي سارت فيه حياة نوبل ، وانشغاله باختراعاته واعماله الكثيرة . صرفته عن الشعر وفي اخريات حياته عاد لكتابة القصص القصيرة . ولكن الوقت كان قد فات . والقارىء لقصص نوبل .وهي قصص لم تنشر . مثل «في افريقيا المضيئة» و «الشقيقان» يحس انها ساذجة ، على ما فيها من لمحات ذكية .

حاول نوبل كتابة المسرحيه . فكتب واحدة وطبعوها في باريس ولكن المنية وافته قبل ان توزع . فحال افراد عائلته دون توزيعها بعد وفاته ، وكانوا على حق في هذا . لان مثل هذه المسرحية الضعيفة لم تكن تتناسب مع عبقرية نوبل .

ورغم ان نوبل حاول كتابة القصة والمسرحية ، الا ان حبه للشعر كان ياتي اولا : وقد كان شاعرا بروحه ، ينظر الى الحياة والوجود بعين الشاعر ، وبقي محتفظا بحبه للشعر طيلة حياته ، ويرى فيه مصدرا لتطور الانسان نحو الحياة الافضل ، ومع ان الكتب التي تناولت نوبل بالدراسة ذكرت انه قد احرق الاشعار التي كتبها ونظمها في شبابه ، الا ان هناك قلة من الدارسين يذكرون انه قد عثر على الكثير من هذه الاشعار في محفوظات نوبل .

د. محمد حلمي عباس
ج. م. ع

سرقة التراث

ان يد الفلسطيني المناضل بارعة وقادرة على تحويل خشب اشجار الزيتون الى عود وربابة تزيد الثوار حماسا . وتصنع من الزجاج اباريق وزهريات وفناجين عربية خضراء وحمراء وزرقاء برسوم دقيقة يعود اصلها الى الاجداد مالكي الارض الحقيقيين .

ويد المراة الفلسطينية تمسك بالطين . وتشكل منه جرارا ، وآنية للزهور . وتصنع من سيقان القمح والشعير اطباقا ملونة باشكال هندسية بديعة . وتطرز اجمل الرسوم بخيوط القطن والحرير على ملابس الاولاد والفتيات

ويحاول الصهيوني تقليد ما تفعله اليد الفلسطينية . ولكنه لا يستطيع لانه لا يملك الابداع ولا الاصالة .

مرغيش محمد الجزائر

قرأت

من المسلمات الأساسية التى تستند إليها معظم النظم القومية المعاصرةللتعليم فى مختلف بلاد العالم أن التعليم استراتيجية قومية كبرى يتوقف عليها أمن البلاد ورخاؤها وتقدمها الاقتصادى والاجتماعى ، فقد أصبح التعليم ضرورة من ضروريات الحياة وأصبحت العبرة بين الشعوب لا بكم البشر وإنما بنوعيتهم ، فقد حكمت بريطانيا ملايين الهنود بعدة عشرات من الموظفين البريطانيين، وما أروع الدروس للشعب العربى بتعداده الذى يربو على مائة وعشرين مليونا ويتحداه بل ويتهدده مليونان من الصهاينة .

والفرق فى نوعية البشر هو أساسا فرق فى درجة التقدم الحضارى بأبعاده المختلفة التى تلعب التربية والتعليم الدور الرئيسى فيها ، ولا شك أن البلاد العربية تولى اهتماما متزايدا نحو التعليم مما يتضح من حجم نمو التعليم والانفاق عليه .

وهنا يجب أن نشير إلى قضية اساسية تتعلق بالتعليم العام ، وهى تتعلق بالأولوية بين كل من التعليم الابتدائى و التعليم الثانوى وقد أخذت السياسة التعليمية (فى مصر مثلا) باعطاء الأولوية للتعليم الابتدائى والعمل على تعميمه (تستقبل المدارس الابتدائية كل عام ٧٥٠٫٠٠٠ تلميذا جديدا تقريبا) وهو اتجاه تاخذ به كثير من الدول النامية لأسباب اجتماعية وحضارية يقتضيها بناء الدولة الحديثة وارساء قواعد التقدم الاجتماعى ، ومن الطريف أن هذا الاتجاه هو عكس ما يشير إليه خبراء المنظمات العالمية على الدول النامية باعطاء الاولوية للتعليم الثانوى باعتباره الاحتياطى العام للقوى العاملة التى يمكن منها تدريب الافراد على القيام بالوظائف الفنية والادارية المختلفة التى تحتاجها هذه البلاد .

محمد محمد عتريس
السيدة زينب ـ القاهرة

كمال عمّار

المقامة الحريمية

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

قال عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور :

قابلت بالصدفة ، انسانا تحفة ، دائم الصمت ، غائم السمت ، مرخيا ذقنه على صدره ، وراميا عينيه الى حجره ، كلمته فغمغم ، واعدت المحاولة فادغم ، سالت كبير المجلس ، عن كونه لا ينبس ؟ فقال انه داء قديم ، وسببه الحريم ، وانتظرت ان اسمع ، ولكنه اشار لصاحبنا باصبع ، واتبع .. لو قالها لك ، لامتعك ، شرط ان تفتح شهيته ، فيحكي حكايته ، قلت وكيف السبيل ؟ ، قال تصف النساء بالشر الوبيل ، من لابسات التيجان لغازلات الطواقي ، وسيتكفل هو بالباقي !

ففعلت كما اشار ، ولعنت النساء والزمان والديار ، فانحل معقوده ، وانبسطت تجاعيده ، وقال نطقت فصدقت ، فالنساء اصل الداء ، والزمان صار من الأعداء ، والديار لا قرار والطمع اول المسدار .. وسالني متزوج ام خالي ؟ فقلت خالي يا خالي ! فقال دعت لك امك بالراحة ، فالزواج نار لواحه ، زبانيتها غلاظ اشداء ، من بنات حواء ، واذا اردت ان يشتغل بالك ، وتحبط آمالك ، فادخل في دائرة المغضوب عليهم والضالين ، بحجة اكمال نصف الدين !

فقلت اسايره ، وقد شدني من المحصول بشائره ، من يسمعك تتوجع ، يظن انك زوج لاربع ؟ ! فقال بل واحدة باربع واربعين ، وفعلتها وانا من الضالين ، ولعنة الله وغضبه الأبدي ، على من تزوج قبلي وبعدي ، الاول لم يحذرني ، والثاني لم يستشرني .

وتابع يقول ، وانا اصغي بفضول :

لقد ظللت حتى الثلاثين ، في زمرة السعداء الأعزبين ، وبدات الغصة ، حين فقدت مالي في البورصة ، وصرت لا املك الا ثوبي ، ولا مليم في جيبي ، وفكرت ان الزواج من غنية ، ينقذني من حالتي التحتية ، ويرفع من روحي الاقتصادية ، ولكن كيف .. وحتى الفقرة ، لا تقبل النوم على حصيرة ! ، ومع هذا ففي ليلة منكودة ، عثرت على ضالتي المنشودة ، كانت تجاوز الثلاثين بسنين ، عاطلة من الجمال الحاضر والغابر ، شمطاء زرقاء ، عمشاء خرقاء ، كانت مدرسة بالمرحلة الأولى ، واعتزلت لسبب لا يزال مجهولا .

باختصار ، كانت خالية مخلية ،من اي ميزة ظاهرة وخفية ، تسالني ولماذا رضيت بها زوجا ؟ ذلك اني توقعت من ورائها فرجا ، فلها عم جاوز السبعين ، ويوشك ان يحين الحين ، وهي الوارثة الوحيدة ، لثروته المديدة ، وهكذا صبرت على مر الدواء ، رجاء في الشفاء ، ولكنه كان «رجاء» كاذبا ، وخواء وسرابا ، فقد تحملت سوء الأدب ، املا في بلوغ الأرب ،ورضيت بالهم ، لأجل عيون ثروة العم ، ولكن العم المذكور ، لم يصبح من سكان القبور ، فقد مد الله في اجله ، وشفاه من علله ، وكانه كان ينتظر زواج ابنة شقيقه ، لتجري الدماء في عروقه ، وعاد يمارس هواياته القديمة ، ويفكر في الزواج من البنت نعيمة !

والمدهش انها قبل ان تتاهل ، كانت لا تتجمل ، غاية في الحشمة ، لا تصافح وجهها النسمة ، فلما وقعت في يديها ، كشفت عن ساقيها ، وكان بنت المركوب ، تتباهى بالعرقوب ، ومع انها تدق ابواب الأربعين ، فهي تنافس بنات العشرين ، في الزي والمكيجة ، والغلو في الفرنجة ، وكانها اكتشفت انها امراة ، فاظهرت البلاوي المخباة ، فصارت كالشيطان ، داخل الفستان ، هذا الى ضجيج ان اقبلت ، وعجيج ان ادبرت ، اذا تكلمت برطمت ، وهلفمت وشلفمت ، واذا سكتت سمعت فحيحها ، وشممت خبث ريحها ، فان ابتسمت كشفت عن انياب كالحراب ، وبالجملة فهي تشبه الخنفساء ، وتنتمي لأي جنس الا النساء !

لها وجه اذا ما القرد يوما
رآه لصاح رعبا في البوادي
وخد شائك من بعد نتف
ومنخار كمنقار الحدادي !

وفوق هذا فالفاضلة الفضيلة ، تعتبر الطعام غاية لا وسيلة ، تصل هضمها بازدرادها ، وكانها تاكل في آخر زادها ، وكما يدمن اصحاب الكيوف ، شد الدخان وشم السفوف ، فكذلك هي « تدمن » الطعام وتتعاطاه بانتظام وغير انتظام ، والحق انها كما تدمنه ، فهي تحسنه ، من الباذنجان المخلل ، الى الديك الرومي المتبل ، فاذا مدت المائدة مدها ، فقدت رشدها ، وراح كفها المعروق ، يناول فكها الملووق، وتثير النقع والغبار ، حتى تنجلي المعركة بالانتصار ، وقد خلت الاطباق وتهدلت الأشداق !

وكان ريقها يجري ويهتز ، اذا لمحت الدجاج والاوز ، حتى وهو حي ، لم يدخل مرحلة السلق والشي ، والبحر عندها « صينية سمك » لا اكثر ، والفضاء طير محمر ، كانت في كل حال وشكل ، تتعامل مع الوجود بمفهوم الأكل ، حتى انا اكلت شبابي ، وهضمت جلبابي، والغريب انها بعد كل هذا الشره ، ناحلة العود لدرجة منكرة ، صدر دضيم ، وظهر سقيم ، وخدود مشفوطة ، وعيون مكحوتة ، وراس اميل للصلع ، اجمل من مومياء منقرع ! ، لا خير فيها ولا ابيها!

وقلت له من اين يعيشان ، وياكلان ويلبسان ، فقال من ايراد بيت قديم ، بناؤه متهالك ، وطلاؤه حالك ، بناه في منتصف القرن الماضي ، المعلم شوقي عبد الراضي !

وسالته الم ينجب ، بعد كل هذا العناء المتعب ؟ ، والبنون زينة الحياة ، فقال : الحمد لله ، هي عاقر عقيم ، وذلك من فضل الرحمن الرحيم ، حتى لا اكون مغلول الحركة ، حين افر بنصيبي من التركة ، بعد موت العم المعمر ، وفوت الهم المتنمر ، واغلب ظني اني سأموت قبله ، وترثني تلك « الهبلة » ، وتيجي تصيده يصيدك كما قال امير الشعراء على لسان مطرب الملوك والأمراء .

وعجبت لكونه لم يفكر في طلاقها ، والخلاص من وثاقها ، فقال فكرت . ثم ادبرت ، ولكن احجمت ، لأن مؤخر الصداق ، يسد امامي الآفاق ، وهو خمسمائة جنيه ، والأمر منه واليه ، فابديت دهشتي لهذا الرقم ، فقال نعم ! كتبته على نفسي ، في ليلة بؤسي ، وبعد تاكيدها ان العم ، له في الدنيا يوم او بعض اليوم !

وهكذا عشت ملوما محسورا ، وبهيما ماسورا ، افر من البيت ما استطعت ، والا اخلدت للصمت ، ولكن الخنزيرة بنت الخنزير ، تواصل النقيق والصرير ، تذكرني بظهورها المؤلم ، وحضورها المجرم وما نسيت وانما اتناسى ، اتوهم اخماسا واكلم اسداسا ، وبفضل هذه الاوهام البحتة ، نجوت من الموت بالسكتة ، وصرت اتمناه لها ، وارجو زوالها ، فلو حدث لتم المراد ، من رب العباد ،واقنع من الغنيمة باوبة شبه كريمة ، ولكن اللئيمة كالثور ، ودائما يخطئها الدور ، وزاد طبعها شراسة ، واصبحت اكثر غلاسة ، وكنت اتابع عدوانيتها الزائدة ، باعصاب باردة ، فلعل زيادة الثورة ، تعجل بالفوره . فتنفقع مرارتها ، وتنقشع عني غمتها ، او ينفجر شريانها ، ويخمد بركانها ، وأنا الذي تصورتها انقاذا ، ورجوتها ملاذا ، فكانت الطامة الكبرى ، التي لا استطيع معها صبرا ، قادني الطمع ، وتوهج السراب والتمع ، وراحت السكرة ، وجاءت الفكرة ، وصرت كما ترى ، تعسا محيرا ، شبت قبل الشيب وخبت وقلت مقدور في الغيب ! ، واراحة للراس ، اخلدت الى الياس ، وتركت الخيرة للايام ، فاما مسك الختام ، او الموت الزؤام !

واطرق ثم استرسل ، بصوت يقطر منه الحنظل ، وهكذا النساء ، شر وبلاء ، البعد عنهن غنيمة ، والقرب جريمة !

قلت : ولكنك لم تعرف الا واحدة ، فكيف حكمت على المائدة ؟ فقال كلهن سواء ، وبلاء من بطن حواء ، من اخرج آدم من الفردوس . واشعل النار بين الخزرج والأوس ؟ ، ومن قلقل عظام كنيدي في قبره ، وهو يرى رؤية اليائس ، ام اولاده في احضان اوناسس ؟ ، .. ثم انظر .. الأول صرعته رصاصة ، والثاني اسلم في المستشفى انفاسه ، والله هو العالم ، مصير الثالث القادم !!

قلت شواهدك مع صحتها ، لا تنهض دليلا على جملتها ، قياس مبتور ، واستخلاص بلا سور ، فانكر انكاري ، ورده لنعومة اظفاري ودعا لي الا ادخل في تجربة ، والا تكون وقعتي مهببة ! .. ثم انشد :

اني نهيتك لا تحم حول الحمى

فاذا ابيت بكيت دمعا لا دما

لا تأمنن لكل من لاقيته

منهن مهما كن وجها باسما

فالطبع يغلب عاجلا او آجلا

والشهد يغدو بعد حين علقما !

فاعجبني الشعر صياغة ومبنى ، واحتفظت برايي في المعنى فقد مضى نصف الليل او كاد ، ووجبت عودتي لأم الأولاد ، وتركته يبكي حاله ، ونعى ما جرا له ، حاماً الله على بختي ، داعيا بالستر فيما ياتي !

الإعــلان .. من زمـــان!

الاعلان عن السلعة بالغناء ليس ابن الراديو او التليفزيون .. ليس ابن اليوم .. على الاقل بالنسبة لنا نحن العرب .

يحكي كتاب الأغاني عن تاجر العصائب « مناديل الراس » وقد بارت سوقه وكان قد عرض للبيع عددا كبيرا منها اسود اللون فلم تقبل عليه واحدة من نساء الكوفة ! .. اشتكى التاجر للدارمي الشاعر الذي طيب خاطره ببيتين من الشعر كانا سببا في رواج العصائب ونفاذها .. البيتان غناهما المغنون وما يزالون الى اليوم :

قل للمليحة في الخمار الاسود

ماذا صنعت بناسك متعبد

قد كان شمر للصلاة ثيابه

حتى وقفت له بباب المسجد !

الســبب .. النهــر

النهر عذب والبحر مالح .. بديهية لا تحتاج نقاشا او دليلا ولكن ما رايكم ان النهر الحلو هو سبب ملوحة البحر .

بطبيعة الحال فالارض مليئة بالأملاح التي تذوب في مياه الجداول والأنهار أثناء جريانها حتى تصب في البحر .. واذا كان الأمر كذلك .. وهو كذلك بالفعل ! .. فلماذا تظل مياه الأنهار عذبة رغم الأملاح اياها ! !

كمية الملح التي تحملها مياه الأنهار قليلة بالنسبة لكم المياه الهائل وبالتالي لا تطغى على عذوبة المياه وهكذا تجري الأنهار الى البحر وتصب فيه .. وطبعا يتبخر ماء البحر تاركا الملح .. ويتحول البخار الى مطر يعود الى البحر ثانيا بواسطة الأنهار حاملا معه املاحا جديدة وهكذا وفي كل « دورة » تزداد كمية الملوحة فيه .. وان كان النهر هو السبب !

الرجل الذي قال لا ... لجائزة نوبل !

١٦ عاما مضت على رفضه قبول جائزة نوبل في الآداب وأعلن انها جائزة ملوثة يحكمها الهوى ويسير بها في دهاليز السياسة الملتوية .. وكيف يمكن له قبولها والضحايا في آسيا يتساقطون بالمئات .. في حرب فيتنام .. وفي مجاعات الهند .. و .. و ..

والجائزة هي حلم المتمني .. ومع ذلك جاءته فرفضها .. قدموها له فقال : لا

الرافض : جان بول سارتر وكان عمره في ذلك الحين (١٩٦٤) ٥٨ عاما .. ولكن فلسفته كانت قد تجاوزت الزمان والمكان واضافت اسمه لقائمة الخلود حتى قبل ان يموت في مارس الماضي بمستشفى «بروسيه» في باريس عن ٧٤ عاما وقبل ان يكف قلبه عن الخفقان .. كفت عيناه عن الابصار وحرمته الأقدار من متعته الأولى والأخيرة (القراءة والكتابة) وهو الذي اختط طريقا وانشا مذهبا سمع به الصغير قبل الكبير والأمي قبل أستاذ الجامعة لأن مذهبه ذاع وشاع وملأ الأسماع .. بل وأصبح «مودة» لا علاقة لها بسارتر أو وجودية سارتر .. الشعر الطويل والسروال الضيق .. والآراء الجريئة والعيون الأكثر جراة .. وقد ظلموه حين لعنوه باعتباره المسئول عن هذه النماذج الشائهة .. ولكن الموجة العابثة انحسرت وظلت « الوجودية » ملمحا فلسفيا في جبين القرن العشرين .

● الوجوه الخمسة لسارتر :

١ ـ الفيلسوف : « الوجود والعدم » ١٩٤٣ ـ « نقد العقل الجدلي » ١٩٦٠ .

٢ ـ الروائي : «الغثيان» ١٩٣٨ ـ «الجدار» ٣٩ ـ « ثلاثية دروب الحرية » ٤٥ ـ ١٩٤٧

٣ ـ المسرحي : « الذباب » ٤٣ ـ « الأيدي القذرة » « لا مفر » ٤٤ ـ « موتى بلا قبور » ٤٦ ـ « البغي الفاضلة » ٤٦ ـ « الشيطان والله » ٥١ ـ « نيكراسوف » ٥٥ ـ « سجناء الطونا » ١٩٥٩ .

٤ ـ الناقد : « الوجودية تيار انساني » ٤٦ ـ « مواقف » ٤٧ ـ « بودلير » « معتوه العائلة » ٧١ ـ ١٩٧٣ وهي دراسة لأدب فلوبير وجان جينيه ـ « الكلمات » ١٩٦٥ .

٥ ـ الصحفي : كان ولفترة طويلة مسئولا عن اصدار مجلة الأزمنة الحديثة .

● ● ●

في كتابه الوجود والعدم يطرح قضية « عبثية الوجود » والخلاص الانساني من هذا النسيج العنكبوتي العابث يتحقق بالالتزام بقضية ما .. تعطي معنى لوجود الانسان .. وانت هو قضيتك التي تختارها .. ولهذا يجب ان تتاح الاختيارات أمام الكائن البشري .. وعليه فالحرية الوحيدة التي تستحق ان يقاتل الانسان من اجلها هي حرية الاختيار ..

ونمسك عن الولوج في دروب فلسفته تاركين هذا لأهل التفلسف وهم كثيرون .. ونختار الحديث عن سارتر الناقد من خلال سباحته في بحر الشاعر بودلير .

وهي سباحة قدمت لنا ليس بودلير الذي عرفناه من خلال الدراسات التقليدية التي حبسته في اطار « الرمزية » و « البرناسية » وجعلته مجرد حطام مدمن للافيون !

سارتر قدم لنا بودلير المتمرد لكن بوعي .. والرافض وانما بفهم .. والمتخطي بعد استيعابه مرحلته بادراك وحساسية .

كان بودلير في حرب دائمة بين عالمه ومحيطه ومن قبل ذلك ذاته .. لم يقنع ان يكون مجرد شاعر وشاهد عادي لدراما عصره واختار الصعود الى قمة الصراع بين النقيضين خيرا وشرا .. جمالا وقبحا .. شفافية وبهيمية ..

كان بودلير .. في السادسة من عمره مات أبوه وتزوجت امه من رجل غريب جاء ينافس بودلير في امتلاكها وهي عالمه الوحيد والخاص .. ويرى سارتر ان هذا كان بداية الشرخ المستمر والممتد في جداره النفسي .. وكان ان عشق الوحدة وتلذذ بالعزلة وواجه العالم وحيدا وسعيدا باختياره .

هذا هو مدخل سارتر لفهم عالم بودلير الشاعر فهل اذا عرفنا ان أم سارتر تزوجت بعد وفاة أبيه وسارتر ما يزال طفلا .. جاز لنا ان نتساءل هل يمكن ان يكون موضوع هذه الدراسة هو «سارتر» بقلم «بودلير» ؟ !

كان او لم يكن فاغلب الظن ان سارتر سيعيش طويلا بعد موته .. وستعيش كذلك كلماته التي أضفى عليها من ذاته « الوجود ـ العدالة ـ الالتزام ـ الحرية » .. ويحق لاذاعة فرنسا ان تقطع ارسالها ويعلن المذيع « اليوم يؤرخ بوفاة سارتر » .. وكفى !

أطفال الأواني

لجحا جار حديث الناصية
سيء الفعل غليظ الحاشيـة
وبخيـل ليس يهتـز لذي
حاجة عند اشتداد الغاشيـة
واذا يسأل لا يعطي ولا
بطلوع الروح بعر الماشيـة
ضاق بالأمر جحا فاصطاده
بالذي يرضيه صيد الداهية
وأتـاه قائلا يا سيـدي
لعن اللـه العقـول الناسيـة
لك عندي درهم في ذمتي
كان قرضـا من شهور خالية
جئت اقضيه اليكم واجبا
كدت أنساه وتلك القاضيـة
من مجيري ان ضميري خانني
في غد من هـول نار حاميـة
بلع الطعـم احانا شاكرا
لجحا تلك الصفـات العالية
بعـد اسبوع أتـاه قائـلا
عندنا ضيف فهـل من آنيـة
مع وعـد في غـد نرجعهـا
في الضحـى مجلوة كالغانيـة

فاجاب الجار خذ هـذا وان
لم يكن يترك بيتي ثانيـه
انمـا انت امين حـافظ
وسترعـاه بكف حانيـه
في غـد راح له مستبشرا
بالذي استقفى واخـرى ثانيه

قال هـذا ابن هـذا كان في
بطنـه ، هـذا رماه عنديه
وبمـا ان ابـاه تابـع
لك فالطفـل بنفس التسميه
أنت رب الأصل والفرع معا
أنت ربيت ونعم التربيـه
بعـد اسبوع أتـاه ثانيا
طالبا قدرا نحاسا صافيه
قـال اعطـوه الذي يطلبـه
أنا آمنتـه في الماضيـه
فوفى بالوعد ما خـان وما
شده الشيطـان نحـو الهاويه
وانقضى يوم ولم يظهر جحا
فسعى الجـار بروح جاريـه
واتـاه قائـلا : لم تاتنـا
أنت والقدر فهل من خافية ؟
قال مات « القدر » عندي فجاة
والليـاي في اللآلي ماضيـة
صاح فيه الجـار من قال كذا ؟
ايموت القدر ؟ .. لا لا النافية
قـال بل مـات وما كذبتني
حينمـا جئت بطفل الآنيه !

« أرالـك » وجـمع مسـوالـك

والاراك نوع من الشجر ينبت في صـحراء العرب وينتمي الى الفصيلة الشوكية ومنه أخذوا « السواك » الذي يقابل فرشة الاسنان وان تميز بأنه يقوم وحده بكل العمل .. تنظيف .. تسليك .. كما انه ينظف بدون معجون .. ولم نسمع عن « شاعر » تغزل في فرشة الاسنان ولكنا سمعنا وطالعنا الغزل في المسواك ..

اقول لمسواك الحبيب لك الهنا
بلثم فم ما ناله ثغر عاشق

قالوا ان زبيده زوج هارون الرشيد عاتبته في تفضيله المامون على الامين .. فنادى عليهما امامها وسألهما كيف يجمع كل منهما كلمة « مسواك ؟ » فأسرع الامين وقال « مساويك » .. وقال المامون « مساويء غيرك يا أمير المؤمنين » !

يقولون .. وابتسم هارون .. ولم تعلق زبيده .

بلاد الله
إلى المجزر الآلي

فـزع البخيـل

كان اشعب يختلف الى جارية في المدينة ويظهر لها المحبة ، الى ان سالته ان يقرضها نصف درهم فانقطع عنها !

وكان اذا لقيها في طريق سلك طريقا غيره ، فصنعت له نشوقا واقبلت عليه .

فقال لها : ما هذا ؟ ..

قالت : نشوق عملته لك لهذا الفزع الذي يعتريك بمجرد رؤيتي

فقال لها : اشربيه انت للطمع ، فلو انقطع طمعك ،لانقطع فزعي !

ابو بكر فرج
عدن

أصـل الكلمـة

اصل كلمة « الدوحة » في اللغة هى الشجرة العظيمة المتسعة في اي نوع من انواع الشجر ، وجمعها « دوح » وجمع الجمع « أدواح » ، فكل شجرة عظيمة دوحة .. وفي حديث الرؤيا «فاتينا دوحة عظيمة» اي شجرة ، وفي حديث ابن عمر « ان رجلا قطع دوحة من الحرم فامره ان يعتق رقبة » .

كما تطلق على ما انداح من الماء اي استدار من اكثر جهاته ، وهو ما يسمى جغرافيا .. بالخليج . ولعل موقع الدوحة على دوحة من الماء هو الذي اكسبها هذا الاسم . او ربما كان في موقع من الدوحة القديمة شجرة كبيرة ، اخذت المدينة اسمها منها منذ القدم .

محمد فتحي موسى
ج . م . ع

لا يعـرف القـراءة !

قال الطبيب للمريض : الم تقرا اللافتة التي على الباب ، ان موعد افتتاح العيادة من الساعة التاسعة صباحا حتى الرابعة مساء .

اجاب المريض : ولكن الكلب عندما عضني لم يقرا تلك اللافتة !

شحود عشحة
سوريا

واقـعي جـداً !

قيل لاحد الحكماء : كم لك من صديق ؟ ..

قال لا اعلم .. لأن الدنيا مقبلة علي ، والأموال موجودة لدي .. وقد اعرف ذلك لو زالت الدنيا !

الجمالي فريد
الدار البيضاء

الصمـت أفضـل

حكي ان رجلا كان يلازم مجلس الفقيه ابي يوسف فيطيل الصمت فقال له ابو يوسف يوما : ما لك لا تتكلم وتسال عما بدا لك ؟ فقال: بلى ايها الفقيه ، انني سائلك عن شيء . فقال سل . فقال : متى يفطر الصائم ؟ قال : اذا غربت الشمس . قال : فان لم تغرب الشمس الى نصف الليل . فتبسم ابو يوسف وتمثل بقول القائل :

وللصمت ستر للغبي وانما
صحيفة لب المرء ان يتكلما

مصطفى لطفي سليمان
ج . م . ع

هـذا العـالم السـريع

● اسرع ثعبان هو ثعبان العصا الأسود الافريقي وهو واحد من الثعابين العشرة السامة .

● اسرع سمكة هي سمكة الشراع .. فقد سجلت سرعتها باكثر من ٩٩ كيلو متر في الساعة !

● اسرع رحلة حول العالم « حول العالم في ثمانين يوما » وهي اسم رواية مشهورة كتبها المؤلف الفرنسي جول فيرن .. كانت هذه الفترة (٨٠ يوما) تعتبر في القرن الماضي رقما قياسيا بالنسبة لرحلة حول العالم ..

اما اليوم فان باستطاعة الانسان ان يقوم بهذه الرحلة في اقل من يومين .. ففي مايو عام ١٩٧٦ استطاعت طائرة ركاب - تقل ٩٨ راكبا - ان تطير حول العالم من والى مدينة نيويورك بامريكا في ٤٦ ساعة و ٥٠ ثانية .

● اما اسرع مصعد في العالم فهو مصعد الركاب الموجود بمبنى برج سيرز بمدينة شيكاغو الامريكية . فهو يصعد ١٠٣ ادوار (طوابق) بمعدل سرعة يبلغ حوالي ٣٢ كيلو متر في الساعة

● اسرع متسلقي الاشجار هو كيلي استانلي الكندي فقد تسلق شجرة صنوبر يبلغ ارتفاعها ٣٢ مترا ، و ٥٥ سنتيمترا في ٣٦ ثانية فقط ! كان ذلك في مباراة اقيمت عام ١٩٦٨ في مدينة كوينلاند باستراليا .

● واسرع حلاق هو جيري هارلي. فقد استطاع ان يحلق ذقون ١٣٠ رجلا في ساعة واحدة . وذلك في عرض اقيم امام الجمهور بانجلترا عام ١٩٧١ .

عبده السيد حسين
ج . م . ع

احتراف النصب

● دخل مليونير امريكي محلا للعاديات القديمة في باريس ، وراى جمجمة ثمنها الف دولار ، فسأل عن صاحب الجمجمة فقيل له :

– انها جمجمة نابليون بونابرت.

فتعجب الامريكي وقال :

– ولكني اشتريت في العام الماضي جمجمة نابليون من هذا المحل .

فاجابه : تلك جمجمة نابليون في شبابه ، وهذه جمجمة نابليون في شيخوخته ؟!

سالم عبيد
اليمن الديمقراطية

نابليون بونابرت

تمرينات للمواجهة !

خرج احد الصيادين يوما الى الغابة ليصطاد ، وبعد ان تجول فيها قليلا لاح له نمر جالس فاخذ يتربص به ويقترب منه ، الى ان اضحت الفرصة سانحة لاطلاق النار . وصوب الصياد مسدسه واطلق النار لكن الطلقة لم تات حسب ظنه بل جاءت مرتفعة عن النمر بقدر متر ونصف. واحس النمر بالخطر واراد ان ينتقم . فهجم على الصياد وقفز عليه ، غير ان قفزته جاءت مرتفعة ايضا عن الصياد بقدر متر تقريبا . وهرب الصياد الى كوخه القريب وبدا يتمرن على اطلاق النار المنخفض وبينما كان يفعل ذلك سمع ضجة في الخارج ، فاطل براسه من النافذة ، ليجد ان النمر يتمرن ايضا على القفز المنخفض ..

خالد جلل
سوريا

كلمات لها معنى

●● الحقيقة تخجل الشيطان .. (شكسبير) .

●● الحقيقة قنبلة تقتل مطلقها ومن يتلقاها معا ..
(نيكول) .

●● في بحثه عن الحقيقة سقط في البئر التي تحتويها ..
(بورماشيه) .

●● اذا شئت ان تعد كذابا .. فقل دائما الحقيقة ..
(لوغان ب. سميث)

●● ليس ممكنا قول الحقيقة ، ولكن بالوسع ابتداع اكاذيب شفافة عليك انت ان ترى من خلالها ..
(جول رونار)

●● تحصل على الحقائق اولا ، ومن ثم يمكنك تمزيق اصولها كما شئت ..
(مارك توين)

●● ممارسة السياسة عمليا .. تكمن في تجاهل الحقائق ..
(هنري جيمس)

●● لابد للكشف عن الحق من اثنين رجل يجهر به، وآخر يفهمه..
(جبران خليل جبران)

●● رميت بالسهام ، ورجمت بالاحجار فلم ار اصعب من الكلام السوء يخرج من فم مطالب بحق ..
(بزر جمهر)

محمد فتحي موسى
ج. م. ع

الأصدقاء الثلاثة

ان السعادة ينبوع يتفجر من القلب ، لا غيث يهطل من السماء ، وان النفس الكريمة الراضية البريئة من الرذائل ومطامع الحياة . وشهواتها سعيدة حيثما حلت .

فمن اراد السعادة فلا يسأل عنها المال والنسب ، او الذهب والفضة ، او القصور والبساتين .. بل يسأل عنها نفسه التي بين جنبيه ، فهي ينبوع سعادته وهنائه .

عبد الفتاح محمد
الخرطوم

أين السعادة ؟

قال احد الحكماء :

للمرء ثلاثة اخلاء ..

● خليل يقول له : انا معك حيا وميتا ... وهو عمله .

● وخليل يقول له : انا معك حتى تموت ... وهو ماله .

● وخليل يقول له : انا معك حتى باب قبرك ثم اتركك ... وهو ولده .

سلمان سالم
ج. م. ع

لقطة الشهر

فاز بالجائزة وقدرها
١٠٠ ريال : القارئ : نايت
امفار الحسن – المغرب

معاملة بالمثل

لوحظ ان بقالا في احدى القرى الايرلندية كلما كتب رسالة انتقل الى القرية المجاورة والقى بالخطاب في صندوق البريد . ولما سالوه عن السبب قال : ان عامل البريد في قريتنا لا يشتري من عندي حاجاته ... فلماذا اعامله ما دام لا يعاملني ؟ !!

وليد بكر
سوريا

حل مسابقة من . أين . ما
عدد ٥٣

من : الجبرتى
اين : الهند
ما : بترول

الجواب الصحيح :
١ ـ يصنع الحبر الاسود من ثلاث مواد :
ا) السناج ب) الماء ج) الصمغ العربى
٢ ـ قناة السويس
٣ ـ ١٣٤ مترا
٤ ـ القدس ـ دمشق ـ بغداد ـ القاهرة ـ الدوحة .
٥ ـ الامام مالك
٦ ـ الجلد شوكية
٧ ـ وانى لاهوى الليث يستعذب الطوى ويانف ان يدنى الى جيفة يدا قائله هو امجد الطرابلسى
٨ ـ غير صحيحة لان الثعبان يبيض ولا يلد .
٩ ـ غدة الحيوان
١٠ عمان ومسقط

من . أين . ما

● من :
شاب عربى أبى أن يترك الأرض ، خوفا أو طمعاً وآثر الالتصاق بها ، رغم كل صنوف الارهاب والتنكيل ، فقد ساقيه فداء لعناده وكبريائه ضد الاحتلال . اسمه من كلمتين فى عشرة أحرف :
٣ـ٦ـ٢ـ١٠ـ٤ قذيفة القوس
٧ـ١ـ٥ـ٨ يصاد بها الطير أو السمك
٩ـ٧ـ١ مرعى

● أين :
بلدة تقع فى جبل النار تشتهر بصناعة الصابون ، والجهاد المستمر ضد الغزاة ، اسمها من خمسة أحرف :
٢ـ٤ـ٣ـ١ شجرة تعرف فى جنوب بلاد العرب .
٥ـ٣ـ٢ مملكة كانت فى تلك البلاد

● ما :
شجرة لا شرقية ولا غربية فيها غذاء وشفاء ، اسمها من ستة احرف :
١ـ٦ـ٤ غرور وخيلاء
٣ـ٢ـ٥ ثمرة تؤكل

الجواب الصحيح

١ـ ثلاث من المدن العربية التالية كانت تسمى مثلث الرعب اثناء الثورات الفلسطينية المتتابعة ضد الاحتلال البريطانى وهو يوطد للصهيونية اقامة اسرائيل :
القدس ـ نابلس ـ طولكرم ـ جنين ـ حيفا ـ يافا ـ غزة
٢ـ قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل . هذا المطلع لمعلقة أمرىء القيس المشهورة من بحر الشعر المسمى :
الوافر ـ الكامل ـ الرجز ـ الطويل ـ البسيط .
٣ـ رتب النباتات التالية طبقا لتحملها زيادة ملوحة ماء الرى من الأكثر تحملا الى الأقل :
النخيل ـ الزيتون ـ العنب ـ البرتقال
٤ـ القارىء المشهور الشيخ محمد رفعت رحمه الله كان من القطر :
العراقى ـ المصرى ـ السورى ـ اليمنى ـ الكويتى .
٥ـ الطماطم والفلفل والبطاطس والدخان من العائلة النباتية :
الباذنجانية ـ الصنوبرية ـ البقلية .
٦ـ يقع جبل اوليمبوس الذى اشتق منه اسم الالعاب الاولمبية فى :
تركيا ـ بلغاريا ـ يوغسلافيا ـ اليونان ـ المجر .
٧ـ أعلى قمة على سطح الأرض بالنسبة لمركزها هى قمة جبل :
ايفرست ـ كليمنجارو ـ سانت كاترين
٨ـ وقعت معركة نفارين البحرية التى هاجمت فيها اساطيل اوربا مجتمعة الاسطول المصرى فى سنة :
١٧٤٠ ـ ١٨٤٠ ـ ١٨٨٨
٩ـ "يصنع فلز الرصاص من خليط لفلز القصدير مع فلز الخارصين »
هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟
١٠ـ ثلاث من المجموعات الاتية من الحيوانات الثديية :
الخفافيش ـ الحيتان ـ الاسود ـ العقارب ـ الثعابين

نتيجة مسابقة مايو ١٩٨٠ عدد ٥٣

* فاز بالجائزة الأولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة اشهر القارىء عبد الجواد مرسى ـ الدوحة

* فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة اشهر القارىء محمد سليمان موسى ـ ابو ظبى

* فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة اشهر. القارىء طارق بوتتجيرت ـ الجزائر

● الفائزون باشتراك مجانى لمدة سنة :
* عبد الرازق الجزار ـ العراق
* بكرى سعيد عبد الوهاب ـ السودان
* جابر عبد السيد سليمان ـ الاسكندرية
* خالد عبد الله جاسم خميس ـ الدوحة
* اسماعيل هاشم معروف ـ السودان
* حدا محمد ـ المغرب
* مديخى عبد الحفيظ ـ الجزائر
* مدنى نور الدين شريف ـ السودان
* كساب حسين ـ الجزائر
* صابر محمد حميد ـ الدوحة
* محمد الامين بشير ـ القاهرة
* منصور سيف الدين ـ السودان

حاول أن تعرف

مطلوب اسم المسجد

مسجد شهير ، فى مدينة عربية لها تاريخ عريق ، تشتهر بكثرة مآذنها ، والمسجد يعتبر من اشهر المساجد الاسلامية .. هل يمكنك التعرف على اسم المسجد ؟

هذه اللوحة لفنان فرنسى شهير ، عاش فى القرن التاسع عشر وكان من رواد الفن الحديث حيث التأثيرية وما تلاها من مدارس ومذاهب فنية .

حل مسابقة حاول أن تعرف عدد ٥٣

● المدينة العربية هى الجزائر .
ـ اسماء الفائزين عن الصورة الأولى :
* ماهر عبد الله كريشان ـ الاردن
* السيد بغدادى ساعد ـ الجزائر

● الفنان العالمى هو بابلو بيكاسو
ـ اسماء الفائزين عن الصورة الثانية :
* مبارك سلمان محمد ـ السودان
* محمد رضا محمود ـ مصر

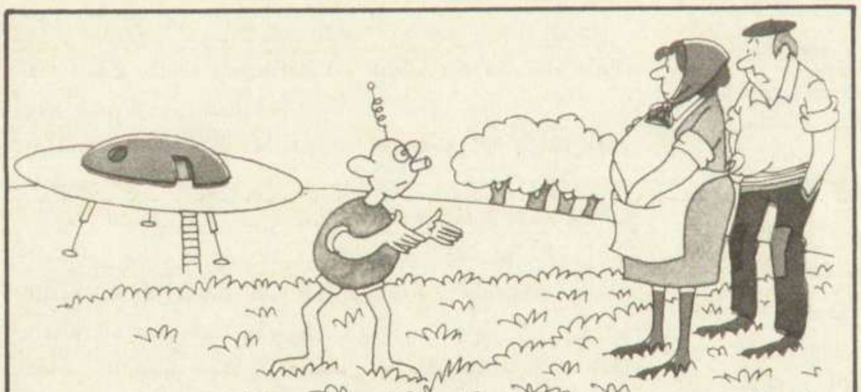

كاريكاتير وتعليق : ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال

● الرجل لزميله : كأنه يطلب ماء !
عبد العزيز بن لحسن
الجزائر

● الرجل لصديقه :يبدو عليه التعب ، من كثرة السفر لأنه يتثاءب !
عبد المتعال قاسم
السودان

● الرجل لصديقه : إنه يعتقد ان غليونك قد يروى عطشه !
محمد هاشم منير
مصر

● الرجل لزميله : مسكين ، لابد وانه أخرس !
هناء حيدر عباس
العراق

حل مسابقة
كاريكاتير وتعليق
العدد ٥٣

الورقة الأخيرة

الطريق إلى القدس

محمد المنسي قنديل

كان الفارس المترب قادماً من طريق المقابر . فى يده اليسرى لفائف قصائد من أشعاره . وفى اليمنى سيف صدىء . لم يكن متعباً رغم التراب الذى يغطيه . بل كان يتقافز فى سعادة بالغة ويتأمل ما حوله مثل طفل . والشارع خال . مليء بالأوراق المتساقطة ..

سمع الفارس وقع خطوات فالتفت فى سرور الى الرجل الذى كان يسير فى الجانب الآخر من الطريق وقال له فى أدب :

ـ عفوا لازعاجك ياسيدى .. هل يمكن ان تدلنى على الطريق الى القدس ؟

وفوجىء الفارس بالرجل وهو يصيح فبه غاضبا .. عليك اللعنة هل تسخر منى ؟ .. ألا ترى انى أعمى .. !.. وارتد الفارس فى فزع . حاول ان يعتذر فلم يجد الكلمات فاخذ يعدو فى الشارع الخالى . وداهمته المدينة فجاة.صخب وألوان وعيون غريبة . أهذه هى القدس ؟ .. خاف أن يسأل .. كانوا يتكلمون نفس اللغة ولكنه لا يفهمهم . والارصفة مليئة بأشياء غريبة مثله تماماً ..

توقف امام واجهة زجاجية سيوف مذهبة . ورؤوس رماح . وسهام واقواس بغير وتر .. أخيرا .. هذه أشياء يعرفها وسط هذه المدينة الغريبة . دفع الباب الزجاجى ودخل المحل .. كان البائع سميناً جاحظ العينين يتطلع نحوه بنظرة خاملة وقال الفارس فى أدب :

ـ عفوا لازعاجك ياسيدى .. هل يمكن ان تدلنى على الطريق الى القدس ؟

رفع البائع رأسه فى تكاسل . تأمله بنظرة متفحصة ثم اشار الى خاصرته وقال فى صوت يشبه الضفدعة . أرنى هذا السيف .. وفى صمت خلع الفارس السيف وقدمه له . وتأمل البائع المقبض قليلا وتساءل .. ماهذه النقوش ؟ .. قال فى تفاخر .. إنهـــا اشعار من تأليفى .. ورد البائع فى برود .. لقد شوهته .. هل هذا السيف صحيح .. قال الفارس فى حيرة .. أنه ملكى . قال البائع .. لا يهم .. هل له قيمة تاريخية أم هو مزيف .. أجب بصراحة .. قال الفارس فى ضعف .. أريد أن اذهب الى القدس .. لم يأبه البائع به .. وضع السيف على الميزان ثم وضعه على الرف ثم فتح الدرج واخرج عدة اوراق ملونة وقال له فى صوت هادىء ولكنه حازم :

ـ خذ هذه النقود .. تستطيع أن تشترى بها طعاماً وشرابا وثياباً جديدة وتستطيع ان تصل بها الى القدس ايضاً ..

أخذ الفارس النقود وخرج دون سيفه . وازدادت المدينة إزدحاما وغربة . يد تقبض على النقود . ويد على القصائد . عبر شوارع متداخلة وانفاق مظلمة وشموس صناعية . فاحس انه جائع . وأن القدس بعيدة . وان هذه المدينة الممتدة الغامضة بلا سور ولا باب يخرج منه .. وأخيرا وجد فى نفسه الجراة ليقترب من شاب كان واقفا ينتظر الاشارة الخضراء ليعبر الطريق .. وقال له فى أدب :

ـ عفوا لازعاجك ياسيدى .. هل يمكن ان تدلنى على الطريق الى القدس ؟

التفت اليه الشاب فى حدة . وتأمله بشك . بدا واضحا انها المرة الاولى التى يسمع فيها بـسم القدس وقال كأنه يصرخ .. وهل تحسب انك تستطيع دخولها وفى يدك هذه المنشورات .. وارتعد الفارس .. رفع اللفائف وقال .. إنها ليست منشورات إنها اشعارى .. وصرخ الشاب .. يالك من أحمق لأية مدينة لا يمكن ان تدخلها ومعك أشعار أو منشورات . إنها تهم واضحة وقبل ان يفطن الفارس لما يحدث انقض عليه الشاب واختطف اللفائف ومزقها مزقاً صغيرة وتغير لون الاشارة فعبر الشارع واختفى وسط الزحام ..

حاول الفارس ان يجمع الشذرات المتناثرة ولكنه فشل .. وضاعت الأوراق المالية ايضاً ولم يعرف أى طريق يقود للقدس وأى طريق يقود للمقابر . سأل حتى تعب .. وفاض به التعب يأساً . وكانت الاجابات مثل شبكة صيد فارغة .. قال شيوخ الحارات .. إن القدس حالة من القدم والحزن . الدروب التى بلا عناوين والهويات المفقودة والآبار الجافة والصبايا اللاتى ينتظرن . وقال الشرطى .. إن القدس نزوة وعدم انضباط وساحات مليئة بالشمس الغريبة وجثث الشعراء وسلك شائك فى كوب الشاى كل صباح . وقال البستانى .. انها منفى للعصافير وزهرة نافذة العطر وعسب نضر كلحظة عشق وقال تاجر خردوات .. إنها الوان متداخلة وتذكارات عشاق خاب سعيهم . وشرائط حريرية فى شعر البنات وخرزة زرقاء فيها موج أبيض .. وقال القاضى والجلاد والأفاق والحكيم .. كلهم قالوا ولم يدله أحد .. من الذى يمكن ان يدله على طريق الحلم العابر . وآثار المعركة الخاسرة . وقطعة السحاب الرمادية حيث تنام على قبة أو مئذنة فتوقظ الطيور من غفوتها . وحين تسهر «قبرة» وحيدة تتعلم الصلاة . ويفتح باب أثرى قديم . سرقت اخشابه وزيفت نقوشه وبيع فى المزاد العلنى .. من الذى يمكن ان يصف لفارس قديم مترب نصف أبله . ألوان الفراشات . وعذوبة المياه فى العيون القديمة . وفرح الاطفال قبل لحظة الذبح . ولفحة الشجن المبكرة . وليونة شفاه الصبايا . والاحساس بالخيانة والعجز تحت وابل التهديد والوعيد والاستنكار من تل الجلجثة الى تل الجلجثة . عذاب ومنفى وصلب وشراب من الخل والمر وتاج من الشوك وثلاثون فضة زائفة .. كلهم قالوا ان القدس حالة من العشق المجنون والرغبة المستحيلة والعطش الدائم .. حالة من العسير العيش بها .. او بدونها ..

وتعب الفارس فجلس وحيداً فوق رصيف الشارع المؤدى الى المقابر . وظلمة الغروب تهبط مثل طائر تائه . والرجل الأعمى عائد يدب الارض بعصاه .. وسمعه الفارس بوضوح وهو يقول له :

ـ هل تبحث عن القدس ايها الشاب .. ؟

ورفع اليه الفارس عينا متعبة .خائبة ولم يجب .. وقال الاعمى

ـ تعال معى .. فاننى أذهب اليها كل صباح لأشحذ عند سورها القديم .

PEPSI

للفنان القطري سلطان الغانم

السنة الخامسة العدد ٥٦ ـ شوال ١٤٠٠هـ اغسطس ١٩٨٠

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
منتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

الطفل العربي ماذا تقدم له الحكايات والقصص
يعقوب الشاروني

صلاة المغرب حاضرا
حسين مؤنس

ملف زيارة سارتر للقاهرة

حدث وأنا أرافق سارتر والمثقفين... في بلدي
عايدة الشريف

المرأة... في وجدان الفنان
جمال قطب

MIRINDA

الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الإعلام
بدولة قطر

قطر ٣ ريالات ، البحرين ٢٥٠ فلسا ، الامارات العربية ٣ دراهم ، عمان ٢٠٠ بيزة ، الكويت ٢٥٠ فلسا ، السعودية ٣ ريالات ، الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا ، جمهورية اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا ، العراق ٢٥٠ فلسا ، الاردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش ، لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٢٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، الجماهيرية العربية الليبية ٣٠٠ درهم ، تونس ٣٠٠ مليم ، الجزائر ٣ دنانير ، المغرب ٣ دراهم ، باقي دول العالم مايعادل دولارا واحدا .

الاشتراكات : للافراد : داخل قطر : ٣٦ ريالا قطريا . بالدول العربية : ٤٢ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٤٨ ريالا قطريا .

للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات : داخل قطر : ٧٢ ريالا قطريا . بالدول العربية ٧٨ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٨٤ ريالا قطريا .

الاعلانات : يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الدوحة

رئيس التحرير
الدكتور محمد ابراهيم الشوش

اغسطس ٨٠

العدد ٥٦

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر
العنوان البرقي : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير: ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير :
٣٢١٢٧٥ ـ ٣٢١٢٧٦
٣٢١٢٧٧ ـ ٣٢٣٧٧٨
القسم التجاري :
٣٢١٨٥٧ ـ ٢٦٨٤٦
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

هذا العدد

حياتنا المعاصرة

استطلاعات

ابواب ثابتة

افاق عالمية

بصدور هذا العدد يكون المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها ، قد صحبوا عشرين يوماً من شهر رمضان الكريم الطهور . صاموه وأقاموه صلاة وتسبيحاً واستغفاراً . ونحن إذ نتجه الى قرائنا بكل المشاعر الروحية المضيئة ، تهنئة بشهر التطهر والتعفف وضبط النفس . وابتهالا لكى يسود الصفاء والوفاق والتآخى مشاعر الأمة العربية فى أشد مراحل تاريخها خطورة ووعورة،إنما نحلم لو يجتمع الوطن العربى كله على كلمة سواء . مثلما يجتمع ديناً وتديناً على كلمات الصوم والصلاة والزكاة ، تقرباً الى الله ، فى شهر نتخفف فيه من فيض الذنوب والآثام عن إحساس بالذنب ورهبة .

ما أحوجنا الى تلك الوقفة المتطهرة المستغفرة نقفها فى كل لحظة من أجل تاريخنا وأوطاننا ومستقبل شعوبنا . نحاسب أنفسنا على ماترديناً فيه من الضلال والعثرات والتفكك والتعاكس . ونهتدى جميعاً الى وهج الاحساس الروحى العميق بكوننا خير أمة أخرجت للناس . فما نحن الآن كذلك . ومن الايمان حقاً ، أن نكون جديرين بتلك الهبة التى خصنا الله بها دون غيرنا من العالمين . وهل من سبيل الى ذلك غير أن ننظر فى انفسنا ، وفى ديننا ، وفى عروبتنا . وأن نستلهمها جميعاً وحدتنا الطبيعية ، وتوحدنا من اجل مصيرنا الواحد. ؟!

وإذا كان شهر رمضان لا يكتسب ـ فقط ـ ملامحه من كونه الشهر الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . وإنما لأنه نظام وتطبيق يوحد بين المسلمين صياماً وقياماً وقعوداً . ويوقظ فينا دفقة الحنين إلى كوننا أمة واحدة . ويجدد بهذه الوحدة رابطة الروح بيننا جميعاً مهما تكن خلافاتنا ومواقعنا شهرا واحدا من كل عام .

وإنها لحاجة ماسة لنا ، لأن يكون الاسلام الحق ، والدين الحق ، والوعى بهما وبحاجتنا الى سلاح العقيدة الواحدة قبل كل الأسلحة .. شعلتنا فى هذا الزمن الصعب !! .

الدوحة

قصص وشعر

ابواب القراء

مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبيــة والروحيـة بين الدوحـة وأصدقائها المساهمين فى تحـريـر ابواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافات رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية ١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

رايت . سمعت . قرات ٦٠ ريالا

دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحـريـر أبواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجي ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية .

طبعت بمطابع على بن على

إسلاميات

(● رابطة العالم الأسلامى
الأمانة العامة
مكة المكرمة

بناء على اجتماع تمهيدى عقد فى الفترة من ٢٦ ـ ٢٨ رجب ١٣٩٩هـ ، فى مدينة ليفكوشا بالقبرص التركى لبحث العمل الأعلامى الاسلامى فى العالم . قام المشتركون بصياغة مسودة لميثاق شرف للاعلام الاسلامى . وقد رأى المؤتمر التمهيدى أن يدرس هذا الميثاق على النطاق العالمى ، وأن تعاد صياغته من اللجنة التحضيرية للمؤتمر الذى سيعقد بمشيئة الله فى العاصمة جاكرتا فى الفترة بين ٢٠ ـ ٢٣ شوال ١٤٠٠هـ الموافق ١ ـ ٣ سبتمبر ١٩٨٠م .

وهذه هى المسودة الأولى التى نامل أن نقرأ حولها الاقتراحات التى تحقق للعمل الاسلامى الميثاق المنشود .

● ميثاق شرف للصحافة الاسلامية

الحمد للهالذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فلما كانت الصحافة الاسلامية من رجال وصحف طرازا مميزا عن غيرها ولما كان الانتماء الى الصحافة شرفا لا يناله الا من يستحقه من المسلمين.

فاننا نحن المسلمين المجتمعين فى المؤتمر التمهيدى للصحافة الاسلامية وبعد دراسة عميقة لواقع المهنة فى اطارهاالاسلامى.

فقد انتهينا الى ميثاق شرف يلتزم به كل من يريد الانتساب الى عضوية الامانة العامة للصحافة الاسلامية وفيما يلى نصه:

ان الصحفى المسلم هو الذى يعمل بالكتابة فى الصحيفة الاسلامية ويحمل رسالة الاسلام عاملا بها داعيا اليها مدافعا عنها فى التزام كامل تجاه ذاته وتجاه الآخرين ويعيش قضايا المسلمين حيثما كانوا فوق ظهر الأرض.

وهو من يصدق ظاهره مع باطنه،يؤمن بما يكتب يعمل به ويدعو اليه،وهو القدوة بذاته،وسلوكه الشخصى ـ فى حد ذاته ـ عنصر للدعوة الى الدين وتعكس تصرفاته ومعاملاته سماحة الاسلام .

وقلمه قبس من نور الله لا يعمله الا فى دعوة الى معروف ونهى عن منكر يدعو به الى الله على بصيرة ويذود به عن الاسلام فى قوة ، ينزهه عن التدنى وينأى به من المهاترات.

وهو لبنة فى بنيان مرصوص يشد بعضه بعضا يتعاون على بر وتقوى ولا يتعاون على اثم أو عدوان وهو مع زملائه قوة للحق وسوط على الباطل ، حياته جهاد فى سبيل الله يعرض قضايا المسلمين العادلة فى قوة ووضوح ويدافع عن حقوقهم باصرار ، يناهض كل معتد عليها وغاصب لها ولا يخشى فى الحق لومة لائم.

والصحيفة الاسلامية باعتبارها دورية تعرض الاخبار السياسية والأدبية والعلمية والفكرية والدينية وغيرها ملتزمة فيما تعرض بالطابع الاسلامى .

وهى وسيلة للتعريف بالاسلام تعرضه فى نقائه وبساطته وتجعل من ذاتها معلما وهاديا ومن صفحاتها مجالا تطرح عليها قضايا العصر فى اطار اسلامى صحيح قمين بان يزيل البلبلة ويثبت اليقين حرب على المادية والالحاد ودرع يرد كيد اعداء الاسلام وهى وعاء لكل رأى سليم وحجة محقيمة ومتعاونة ومنسقة مع وصيفاتها فيكونون قوة رادعة للحياة المادية والسلوك الالحادى والتيارات الهدامة .

وهىالتى تبتعد فيما نعرض عن كل موطن لزلل ولا تحرض على فسق ولا تدافع عن بهتان تنأى عن تزكية الفرد وتعمل لخدمة الجماعة ، لا تنزل الى ساحة المهاترات ولا المعارك السلبية.

ونحن حين نوقع على هذا الميثاق نلتزم بما جاء به انطلاقا من شرف المسلم وكرامة الرسالة التى تضطلع بها الصحافة الاسلامية. كما يلتزم به كل من يريد الانضمام الينا من صحفيين واصحاب صحف.

والله ولى التوفيق وهو الهادى الى سواء السبيل،،،

الشهيد الحي
عبد القادر الحسيني

الزميل نبيل خالد الآغا صدر له مؤخرا كتاب بعنوان : قضية فلسطين فى سيرة بطل : الشهيد الحي عبد القادر الحسينى .

وتبرز قيمة الكتاب كونه اول كتاب وثائقى فى المكتبة العربية عن هذا القائد . وقد اعتمد الزميل على اكثر من خمسين مرجعا لتوثيق معلوماته ، اضافة لمعلومات حية استقاها من رفاق القائد فى القاهـرة وعمان ودمشق وبيروت .

كما يتضمن الكتاب بعض الوثائق والصور النادرة التى تنشر لأول مرة .

● وجدى حسن محمود .
العمرانية ـ الجيزة

قرأت مقال احمد عبد السلام البقالى بعنوان « هل يمكننا اللحاق بالغرب » وقد ناقش فى المقال موضوعا حيويا يدور حول قوة الحضارة الغربية وسلبياتها ، وكيف أن الاسلام لو وجد دعوة ذكية منظمة فى امريكا لانتشر فيها قبل نهاية هذا القرن ولملأ الفراغ الهائل الذى يعيشه الأمريكيون .. واعتقد أن فى هذا الكلام الكثير من الصحة والحقيقة ، فالعالم الآن كله ـ وليس أمريكا ـ يعانى من القلق والاضطراب والاحباط والمرارة وفى احوال أخرى الجوع .. ويستطيع المسلمون بما فى الاسلام من مثل عليا أن يجدوا أرضا صالحة لنشر الأفكار القائمة على العدل والحب والمساواه وكافة القيم الانسانية ، ولكن كيف ؟ .. هذا ما يجب أن يفكر فيه رجال الدين واصحاب الكلمة الأولى فى العالم الاسلامى .. لأننا فى حاجة الى منهج له صدى وقيمة ، غير منهج الهجوم والثرثرة وتجريم كل من يعترض لموضوع جديد .. بهذا يمكننا ان نعيد سيف الاسلام العقلى ونفتح به أرضا جديدة .

(● محمد الباهى
طرابلس ـ ليبيا

طالعت باهتمام مقال « الأزهر » عقبات فى طريق تطويره » للدكتور محمد البهى ، ووجدت أنه قد فجر فيه قضية حيوية ، فالأزهر الشريف تواجهه عقبات عديدة ، من بينها الضعف فى مستوى الكفاية فى إدارة وتصريف شئون الجامعة الأزهرية .. ونادى الكاتب فى مقاله الى حاجة الأزهر الى الاستقلال فى التمويل وخطة التوجيه .. وإننى اتفق معه فى هذا النداء لأن من شانه أن يذلل العقبات وأن يعطى للأزهر الصورة الاستقلالية التى عرفها عنه العالم طوال القرون الماضية .. ولا أدرى لماذا لا تساهم الدول الاسلامية فى تمويل الأزهر وغيره من دور العلم الاسلامية الشهيرة فى العالم العربى ، حتى يمكن لهذه الدور أن تؤدى رسالتها فى تخريج العلماء الذين يواصلون مسيرة الحفاظ على العقيدة وتقويتها بالبحوث والدراسات العلمية الجديدة ؟ .

● أحمد ابراهيم الشريف
مدير مدرسة العقاد الثانوية
أسوان ـ ج ٠ م ٠ ع

فى العدد الرابع والخمسين من«الدوحة» الوارفة مقال قيم للاستاذ الدكتور يوسف القرضاوى موضوعه« الرسول والعلم التجريبى»وهو من نوع المقالات التى أتمنى أن تكون كل مقالاتنا على نحوها.

اجمل ما فى المقال ـ وكله جميل ـ انه يتحمس للاسلام حماسة العقل لا حماسة التعصب والتشنج ؛ وانه لا يعتسف حقائق التاريخ ليثبت قضاياه؛ وانه لا ينكر التقدم العلمى الحديث ، بل يتحرى اصول مناهجه فى معطيات الاسلام وماثوراته.

من اجل هذا حفزنى المقال الى التعليق على نقطتين وردتا فيه ، ما كنت لأعلق عليهما لولا قيمة المقال عندئذ.

أولى النقطتين قوله:

« ويشمل العلم مجال الماديات المبثوثة فى الكون علويه وسفليه «وهى تتضمن علوم الطبيعة والكيمياء والاحياء والفلك والطب «والهندسة وغيرها مما يقوم على الملاحظة والتجربة. وهذا المعنى أو هذا المجال هو الذى يقف عنده الغربيون اليوم لا يجاوزونه إذا تحدثوا عن«العلم»».

وهو بهذا يريد ان يثبت لنا ان معنى « العلم عند المسلمين أوسع واشمل منه عند الغربيين. وهذا حق إذا اخذنا كلمة العلم الغربية بالمعنى الاصطلاحى واغفلنا مصطلحا اخر هو« المعرفة»ومصطلحا ثالثا هو الحدس.

والحقيقة ان مترجمينا الأوائل لم يوفقوا كل التوفيق فى اختيار الكلمات لكل من هذه المصطلحات.فلقد كان مصطلح« المعرفة»أولى بترجمة«علم» وكان«العلم» أولى بترجمة «معرفة» ، لأن «العلم» مصدر مطلق بينما «المعرفة» مصدر يحمل فى طياته معنى الكيف أو التحديد على نحو ما.فنحن نقول مثلا «وقع الكلام موقعا حسنا»ولا نقول «وقعا». ويقول الله عز وجل « ماشهدنا مهلك اهله» و« وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة» و « ومحياى ومماتى لله»لأنها جميعا لا تقف عند مجرد الحدوث المطلق بل تتعداه إلى الكيف والتحديد.

كان حريا إذن بالمترجمين الأوائل ان يسموا المعرفة التى تتحدد بمنهج معين باسم« المعرفة» ترجمة لكلمة Science ؛وان يسموا المعرفة المتحصلة من اى طريق وكل طريق ، عقليا كان أو الهاميا أو غير ذلك ، باسم « العلم »ترجمة لكلمة Knowledge .ولو قد فعلوا لأعفونا من الصراع العنيف الذى جرى بين من راوا« علم » الغرب كفروا لأنه مادى ، ومن راو ه تقدما ومنعة وقوة للاسلام والمسلمين .

المهم بعد ذلك ان الغرب لم يغفل انواع المعرفة الأخرى ، وكل ما هنالك انه صنف فاحسن التصنيف ، وتقدم فاوسع الخطى .

بقى أن نقول أن الاستاذ الدكتور لايمكن ان يعنى حقا ان الهندسة من العلوم التجريبية التى تقوم على منطق الملاحظة والتجربة .

النقطة الثانية هى قوله:

« ومن هذه التعاليم التى تهيىء تربة المجتمع لظهور التفكير العلمى نشر التعليم ومطاردة الامية. ولهذا حرص النبى (ص) على محاربة الأمية التى كانت منتشرة بين العرب حتى كانوا يعرفون بين الامم بالأميين وهكذا سماهم القران «هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم» ، وقال عليه الصلاة والسلام معبرا عن الواقع القائم حينذاك:« نحن امة أمية لا نكتب ولا نحسب».

لماذا يا سيدى الدكتور تضعف حجتك وتوهى قضيتك بالاستطراد الذى لا يلزمك ؟ ألم يكن كافيا لك ان تقف عند قولك« على محاربة الأمية"وان تدع ما بقى لأعداء التعليم وانصار الامية يقولونه ؟!

وهل يا سيدى كان العرب وحدهم هم الجهلة؛ وهل حقا كان التعليم منتشرا بنسب كبيرة ظاهرة بين العبرانيين والفارسيين والرومان وسائر امم ذلك الزمان؟حتى يتميز العرب وحدهم بالجهالة فتصير علما عليهم ووصفا لهم وحدهم؟!

وهل مفهوم « الأمية» عدم معرفة القراءة والكتابة وحدهما ام تراه قد امتد حتى شمل عدم معرفة الحساب ايضا؟!

وهل حقا كان العرب من الجهالة بحيث لا يحسنون ولا حتى الحساب؟!

وهل نحن امة امية كما وصفنا القران صادقا ، حتى إذا ما تعلمنا تجافى هذا الوصف القرانى لنا عن الصدق ؟! أم سيظل القرآن صادقا لكل زمان ومكان وقبيل ؟! فهل ليس ثمة تفسير لهذه الكلمة التى وصفنا بها القران (ولا اقول وصمنا بها) تظل به صادقة ولو تعلمنا كلنا اجمعون؟

اعود اخيرا فاشكر لك يا سيدى الدكتور هذا المقال الممتع ، ولعلك ان تزيدنا من امثاله والله يوفقك وإيانا والسلام

«أحمد ابراهيم الشريف»
عضو اتحاد الكتاب العام
بمصـــــر

● كمال جعفر أحمد
طوكر ـ السودان

فى العدد ٥٤ من الدوحة (رجب يونيو) ، وجدت على هدى فكرة وبصيرة د. يوسف القرضاوى ماكنت ابحث عنه دائما من نظرة عصرية عارفة باصول الدين ومنهاج الرسول (ص) فى معالجة المواقف المتجددة .

إن ما بهرنى فى تقديم الدكتور القرضاوى لهذا الحشد من المشكلات الحيوية التى تشغل بال المسلمين اليوم وهم يبحثون عن دورهم الفعال فى خدمة البشرية لانقاذها من التخبط الحضارى المعاصر هو نقطة انطلاقه . فهو لم يدخل مثل كثير من الكتاب الأسلاميين من باب الدفاع عن الاسلام ـ وكان الدين فى حاجة الى من يقيله من عثرة ـ بل انطلق بهدف تبصير المسلمين بأمور دينهم الأساسية وارشاد وعيهم الى المنهاج الأصيل للرسالة المحمدية بحسبانها منارة للعلم ومرشداً للبحث واسلوباً فى الحياة بالتخطيط والممارسة والتجريب الذى هيئت له سبل النجاة عن الزيغ .

فالتحية للدوحة التى اتاحت منبرها واسع الانتشار لهذا المؤمن الهادى .

● ابراهيم بن صالح
الجزائــــر

هذا الحاضر الدامى لجمهورية تشاد الحبيسة ، التى يتساقط على أرضها كل يوم مئات الشهداء بعد أن أصبح الأخ يقتل اخاه ..

ما الذى فعلناه من أجل ايقاف هذا النزيف ؟ .. أليس على الأمة الاسلامية واجب تجاه اشقائها لانقاذهم من الفتن الجارية هناك ولايقاف اسلحة الدمار التى تتسلل الى البلاد بايد خبيثة تخطط للشر فى هذا البلد الذى دخل تاريخه الحضارى بالاسلام ..

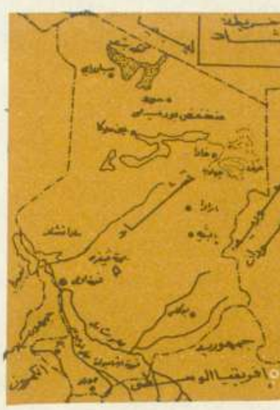

إننى اشد على يد الدكتور حسن عبد الظاهر لمقاله الرائع ، الذى أعطانا فكرة متكاملة عن قصة تشاد واحداثها الجسام ، لعلنا نتذكر ونتحرك ونؤدى دورنا تجاه قضايانا المصيرية .

● بابكر محمد بيلو
قلع النحل ـ السودان

بعد ان قرات مقالة د. عون الشريف فى العدد (٥٤) من مجلة الدوحة الظليلة ، كدت ان اجد فيه الثائر المسلم المعاصر المثابر فى تصديه لما يترسب من وجهات نظر غربية على طرائق المسلمين فى التعامل مع الحياة والوقائع الفكرية ولكننى تنبهت الى انه هو نفسه قد وقع أسيراً لوجهة نظر غربية للعالم ، تراه من وراء ثنائيات الفكر المثالى الشهيرة : المادة والروح ، الحسى والمعنوى .. الخ . ولا يلغى ذلك فى النهاية أن امكانيات الاختلاف مع المرتكزات التى ينطلق منها الدكتور عون الشريف هى التى تجعل الركون الى مطالعته أمراً مفيداً ، خاصة وهو الكاتب الآسر الاسلوب رغم منطقه الشكلى .

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

المال العربى... والخيارات الصعبة

● ماهى القضية الرئيسية التى تواجه الأمة العربية؟

● الخيارات المتاحة كلها صعبة .. وتؤدى إلى أكثر من طريق

منذ أن تدفق النفط فى هذه المنطقة العربية من العالم بالذات ، وارتفع دخانه الأسود فى سمائها ، وانتزعت دولها المستقلة ـ إستكمالا لسيادتها واستقلالها ـ حقها الشرعى فى التحكم فى انتاج مواردها الطبيعية ، وتسويقها ، والتصرف المستقلفى عائداتها ، وصراخ الناس فى الغرب مافتر ، وما توقفت أجهزة إعلامه المسموعة والمرئية والمكتوبة يوماً واحداً عن الضجيج والهرج ولطم الخدود وشق الجيوب فى مواجهة هذه الظاهرة الخطيرة والتى هى فى نظرهم كارثة الكوارث ولعنة اللعنات ومظهر من مظاهر افلاس الدنيا ونهاية العالم . وأية كارثة أكبر من أن يتحكم فيهم من كان حتى الأمس القريب تحت إمرتهم ومحور احتقارهم ، وأية مهانة اعظم من أن يصبح اقتصادهم ورخاؤهم بل ومصير الحضارة كلها فى أيدى من لا يفقهون لها شيئاً .

وانبثق الحقد الصليبى حمماً ترمى العرب بكل تهمة ونقيصة من تخلف وخمول واتكالية وتكاسل وسوء تصرف ، وتتناول دينهم وتقاليدهم بالتحريف والتزييف والباطل ، كأنما مجرد إمتلاك العرب للمال جريمة لا تغتفر ، وكأنما القحط والجدب وركوب البعير والجمال ـ لا السيارات أو الدراجات ـ قدر محتم على العرب فى كل زمان ومكان لا يجب أن يفلتوا منه

وتفتق الحقد عن حكايات هلامية فى جنس بضاعة هوليود مستقاة مما يذكرونه من قصص ألف ليلة وليلة ومغامرات لورانس فى الصحراء وحكايات المخدرات والحريم فى الشرق الساحر تتداولها ترجمات فى طبعات رخيصة أيدى الجنود الجهلة والمراهقين : حكايات مكررة ممجوجة تتحدث عن المال السائب فى موائد القمار والصدور ، والعمولات الخرافية ، وأموال تهدى بلا حساب للخدم والحشم ، وسيارات فارهة يتركها اصحابها للسائقين وهم على سلم الطائرة ، ومواعيد تعطى وتلغى بالمزاج ، واشجار تسقى بالكومبيوتر ، وجسور تبنى بلا أنهار تجرى من تحتها ..

حكايات إفك وخرافة تتحول الى حملة مركزة مكثفة تضع المواطن العربى فى قالب كريه تغذيها بصورة مخططة مبرمجة عن طريق الرسم الكاريكاتيرى الهازل والكتب المحقرة والمقالات المسمومة والبرامج الاعلامية والفنية ، عقلية صهيونية حاقدة متمرسة فى أساليب الخبث والوقيعة والتامر واللؤم وتركزها وتؤيدها فى اذهان السذج والبسطاء فى الغرب قلة طائشة لا يؤبه لها لا ترعى فى بلاد الأغرابلدينها أو لأمتها حرمة ، أعشى الثراء السريع بصرها وبصيرتها وأدار رؤوسها فاصبحت للحملة المغرضة وقوداً وقد وجدت الدعاية المغرضة ضد العرب فى نفر قليل مما يسمى برجال الأعمال قالبهم المنشود ـ ومالهم فى اقتصاديات بلادهم برغم هيلمانهم الاعلامى فى الغرب تأثير قل أو كثر ـ استغلت فيهم حب الشهرة فراحت ترصد تحركاتهم بين عواصم العالم فى نطاق دور محكم الحلقات .

هذه الاساطير المتداولة أغرت بنا طلاب الشهرة من سفلة الكتاب وصغارهم كلندا بلانفورد وأندرودنكان وغيرهم من المغمورين الذين فتحنا لهم أبوابنا وأدخلناهم منازلنا وأغدقنا عليهم من كرمنا الذى لا يفرق بين العدو والصديق ، فوجدوا فى النيل منا ونهش اعراضنا طريقاً مضمونة للشهرة وباباً مفتوحاً لدور نشر طامعة ، أمنة فى الذى تفعل ، لا تتعرض الى رد فعل أو عقاب ، ولا يتعرض تعاملها مع العرب الى خطر ، حتى اصبح النيل من العرب ومعتقداتهم حقاً مشروعاً فى إطار الممارسات الديمقراطية التى لا تتحقق إلا بشتمنا .

وصدق هذه الأساطير نفر آخر من الانتهازيين والمغامرين واصحاب الحيل من خبراء الدعاية والاعلان وصحافة الابتزاز وكتاب المسلسلات وأصحاب البرامج الحية والمعلبة ، انشقت عنهم الأرض فجاة . جاءوا بالآلاف من كل حدب وصوب ، من كل بقاع الأرض جاءوا يحملون الخطط والأفكار والمشاريع ، كلهم يريد أن يلحق بقطار الوليمة ويشترك فى مهرجان العرس . كل هذا حق وواقع معاش ، ولكن هذا الغبار الكثيف لا يجب أن يحجب عنا اننا نواجه حقا قضية مصيرية يجب أن تحسم حسماً علمياً موضوعياً سريعاً بعيداً عن التزلف والتردد .. وهى كيفية الاستفادة من المال العربى فى قضية التنمية والتحديث واستخدامه بوعى وبصيرة سلاحاً فى معركة التغيير الاجتماعى ...

● القضية الرئيسية :

والقضية الرئيسية التى تواجه الأمة العربية هو أن أكتمال سيطرتها على مصدر انتاجها من النفط قد اتاح لها عائداً مالياً كبيرا يتدفق بصورة سريعة ومذهلة ، وهذا العائد لابد من امتصاصه فى إطار خطة سليمة وفعالة تأخذ فى الاعتبار كل الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والانسانية ، وفى إطار التكوين النفسى والدينى والاخلاقى للمجتمع . والتصدى لهذه القضية يمثل واحدا من أكبر التحديات الحضارية التى واجهت الأمة العربية . وفى اسلوب معالجة هذه القضية والنتائج المترتبة على ذلك يتحدد مصير مستقبل الأمة ، ولهذا كان لزاماً أن يتصدى لها فى جدية المثقفون والمفكرون والمخططون. فالمال ليس فى حد ذاته نعمة كما يتصور كثير من الناس إلا بقدر ما نمتلكه ونوجهه ونستخدمه . والخيارات المتاحة كلها صعبة وتؤدى

● فى أسلوب معالجة هذه القضية يتحدد مصير مستقبل الأمة

● بعض الطرق وعر وشائك ـ وبعضها يؤدى إلى أنفاق مظلمة

● كثرة المال نعمة قد تتحول إلى نقمة إذا أنفق بغير ذوق وبغير حساب
● أي خيار مهما تهيأت له من أسباب الحرية لا يمكن أن يؤخذ في إطار محلي
● الجيل الحالي عليه مسئولية تاريخية عاجلة بقدر ما هي جد خطيرة

المال العربي.. والخيارات الصعبة

إلى اكثر من طريق : بعضها وعر شائك ، وبعضها مسدود ، وبعضها يؤدى الى انفاق مظلمة تجوس فيها الحيوانات المفترسة والثعابين وتسكنها الأشباح المخيفة . والطريق حتى إلى الخير ليس معبداً، والمال للذين يبصرون حقيقة الحال أكثر إدماء للاقدام من الشوك، وكثرة المال نعمة قد تتحول الى نقمة، وليس اكثر نقمة فى الدنيا والآخرة من صرف المال بغير ذوق وبغير حساب .

ومن مظاهر صعوبة الخيارات المتاحة أن مصدر الرخاء سلعة تتحكم بصورة عنيفة ومباشرة حادة فى اقتصاديات العالم المتقدم كله ، وعلى افتراض توفره الدائم المستمر والرخيص قام البناء التكنولوجى الذى يعيش فى كنفه العالم بأجمعه ، وعليه فان أى خيار مهما تهيأت له من أسباب الحرية والاستقلال لا يمكن أن يؤخذ فى إطار محلى بمعزل عن الاعتبارات العالمية والكونية . فمسؤولية القرار والاختيار بقدر ماهى مسؤولية وطنية وقومية هى أيضا مسؤولية انسانية شاملة ، وفى إطار هذه المسؤولية العالمية والعملية ، وفى نطاق الوضع الاقتصادى العالمي الذى يؤثر فينا انهياره واضمحلاله بقدر ما يؤثر فى الآخرين ـ نامين ومتقدمين ـ يصبح اتخاذ خيار قد يبدو لأصحاب الشعارات والمزايدات سهلا ميسوراً مثل إبقاء مصادرنا فى جوف الأرض استثماراً للمستقبل حين تكون أغلى وأثمن ، ونكون نحن أقدر على امتصاص عائدها تلقائياً وتدريجيا ، مثل هذا الخيار يصبح فى إطار الوضع العالمى المتشابك ، تحوطه اعتبارات كثيرة ومعقدة لابد من موازنتها بميزان دقيق يأخذ فى الاعتبار المصلحة الوطنية العليا ، ومسئولية مماثلة من الدول المستهلكة ايضاً ، وإلا تحول موقفنا المسؤول الى تكأة لاستغلال الدول والشركات المتخمة .

وتتجلى صعوبة الخيارات المتاحة فى أن عوائد النفط هى عوائد مستمدة من جراء تصدير مورد طبيعى ناضب وعليه فان أى خيار يلزم أن يأخذ فى الاعتبار مصلحة الأجيال اللاحقة .. وأن يتخذ فى إطار زمنى محدد لا يقبل التأجيل ولا يمنح فرصة للتفكير المتانى . وهذا يلقى على الجيل الحالى مسئولية تاريخية هى عاجلة بقدر ماهى جد خطيرة .

ومن الخيارات المعقدة التى تبدو للوهلة الأولى سهلة المنال لا تكلف عنتاً بل تكفينا مؤونة التفكير والنضال ، امتصاص عوائد النفط فى قروض وودائع مصرفية مضمونة الفائدة فى بلاد متقدمة مستقرة البنيان والأحوال ، كقناة تصرف هذه العوائد بعيداً عن إحداث شرخ فى التكوين الاجتماعى إذا ما ترك لها أن تتدفق فى الداخل بلا تدبير وبلا حساب ، وفى نفس الوقت تضمن للأجيال اللاحقة فوائد مالية . لكن الأرصدة النقدية المتراكمة فى الخارج تتعرض وستظل تتعرض لمخاطر سياسية ومالية وتلاعب عالمى بالأرصدة والعملات تمارسه أيد خبيرة بأصول اللعبة . وما حكاية الارتفاع والانخفاض فى اسعار الذهب والفضة ببعيدة هذا مع الاحتمال الوارد أبداً أن ترتد هذه الأموال المودعة سلاحاً يغرسه الأعداء فى صدورنا وخاصة وهم لأصحاب المصارف أبناء عمومة وخؤولة وعصبية .

والخيار الصعب الآخر ان نخوض فى بورصة الأسواق المالية والاستثمار الدولى مع الخائضين . ولكن الاستثمار العالمى بحر هائج تقبع فى قاعه الأسماك المفترسة ، ولسنا بأصول السباحة عارفين . فاما أن نترك المقود فى يد خبراء مستشارين أجانب ونخوض تجربة لم تكتمل لنا عدتها ، أو نتبع نهجنا التقليدى الاستثمارى الذى تعودنا عليه ، فنصول فى بلاد الغرب نشترى العقار والأراضى والفنادق والمبانى الأثرية تخليداً لتراث غير تراثنا ، فلا يجلب لنا ذلك غير السخرية والهزء من الآخرين ، ونصبح مثلا حياً للقروى التائه فى أسواق المدينة وجيوبه ملآى بالنقود ، فلا يجد غرابة أن يشترى الترام عندما يعرضه عليه محتال المدينة .

ويبقى الخيار الأهم وهو الذى تمليه دواعى المسئولية الوطنية والقومية للجيل الحالى والاجيال اللاحقة ، وهو العمل على استثمار جزء كبير من هذه العوائد داخلياً فى أصول منتجه تتمثل فى إنشاء مشروعات صناعية تقوم بدور رائد فى إيجاد هيكل اقتصادى سليم كفيل بتحقيق تنمية اقتصادية حقيقية باقية ، وتؤدى فى الوقت ذاته الى امتصاص منتج لعوائد النفط بعيداً عن مزالق ومخاطر التلاعب المالى الدولى ، والتقليل من الاعتماد الكلى على تصدير النفط الخام وتوفير مصادر بديلة للدخل القومى والعمالة فى المستقبل .

ومع وضوح مميزات هذا الخيار كحل اقتصادى أمثل إلا أنه يمثل أكثر الخيارات تعقيداً وصعوبة فى الممارسة والتطبيق ، ويستلزم الشروع فى تطبيقه الكثير من الحذر والدراسة

● من الخيارات الصعبة أن نخوض فى بورصة الأسواق والاستثمار الدولى
● الخيار الأهم هو العمل على استثمار جزء كبير من العوائد .. داخليا
● الطفرة إذا لم يُحسب حسابها بميزان دقيق .. تؤدى إلى تفكك المجتمع

والتفكير والتخطيط الدقيق ، لأنه إذا كانت نتائج فشل الخيارات الأخرى تنحصر فى الخسائر المادية والمالية ، فان فشل هذا الخيار ، أو الممارسة العشوائية له دون تخطيط مسبق ، يأخذ فى الاعتبار العوامل الدينية والنفسية والاخلاقية والاقتصادية والسياسية ، سيؤدى حتماً الى إحداث شرخ فى العلاقات الاجتماعية فى المجتمع وفى تكوينه ومبناه بصورة قد تقتلعه من جذوره . فالطفرة ـ والتصنيع الحديث من أكبر الطفرات ـ إذا لم يحسب حسابها بميزان دقيق لا تؤدى الى التقدم بقدر ما تؤدى إلى تفكك المجتمع وتحلله . ولسنا ندعو بذلك الى أن يكون السير وئيدا أو يتوقف دولاب الحياة ، فذلك مستحيل إذا حاولناه فى مضمار الحياة المعاصرة ... ولكن الدعوة إنما هى للتفكير والتدبير والتخطيط قبل الشروع فى طريقة التحديث والتغيير والتصنيع . ولا يكون ذلك بالنصح والتحذير الخطابى المدفوع الثمن يحث الشباب على مكارم الأخلاق ، والبعد عن رذائل المدينة المعاصرة ، ولكن بالتخطيط المبنى على الدراسة العلمية والفهم العميق لأوضاع المجتمع ومشاعره الدينية ومكوناته ومعتقداته وتقاليده الراسخة وأخلاقياته وقيمه الروحية وامكاناته المادية وممارساته اليومية وطبائعه ، مع إدراك وفهم علمى واقعى موضوعى لهذا الوافد الحضارى الجديد : عقليته التى يسير بها ومتطلباته . وهذا الادراك المزدوج هو وحده الذى يحقق إيجاد تفاعل إيجابى يحقق استيعاب التكنولوجيا الحديثة وأساليب العصر المتقدمة ، ويجنب المجتمع فى الوقت ذاته مخاطر التفكك والتحلل والتخبط والفوضى الاخلاقية والاجتماعية والسياسية ..

● عوامل واقعية :

فقد شاءت إرادة الله أن يتدفق النفط فى بلاد عميقة الشعور الدينى راسخة التقاليد ، ذات تاريخ قديم وعريق فى ميادين العلم والثقافة والتجارة وهو ليس ميتاً وإنماهو حى ماثل فى وجدان الأمة متشابك فى تكوينها المعاصر . والمشروعات الصناعية الحديثة ، والتى تعتمد على تكنولوجيا متطورة شديدة التعقيد هى وليدة مجتمعات لها تقاليد وممارسات وأسلوب تفكير يضرب بجذوره عميقاً وبعيدا فى أحضان حضارة مختلفة فى شعورها الدينى وتقاليدها وقيمها المادية والروحية وتاريخها . واختيار طريق التصنيع بصورته الحديثة لا يعنى مجرد خيار إقتصادى جانبى لتحقيق عائد مادى وإنما يعنى بالضرورة انتقال المجتمع بكافة علاقاته الاجتماعية والسياسية من قطاع اقتصادى بدائى ، وإن كان غنياً بماله ومصادره ، الى قطاع اقتصادى متقدم له سماته ومشاكله ... ولا يمكن الانتقال الى هذه المرحلة إلا بعقلية علمية تتكيف مع الوضع الجديد ...

فالتصنيع والتخطيط له ، مثل غيره من مظاهر التحديث والتطوير ، عملية جادة تنبنى على حقائق ثابته واحصاءات دقيقة وعوامل واقعية ، ودراسة متانية موضوعية لهذه الاحصاءات والمعلومات ، وأهميتها وارتباطها . مع دراسة لامكانات السوق المحلية والعالمية ، وارتباط الصناعة بالصناعات الأخرى المماثلة فى العالم ، واتصالها بالقطاعات الاقتصادية الأخرى ، وتكييف التكنولوجيا المستوردة لعوامل الانتاج المحلية السائدة وعادات الاستهلاك ، وتهيئة الخدمات المساعدة على الانتاج كالتعليم والتدريب المهنى والفنى والنقل المواصلات والانشاء والتعمير وتوفير الطاقة وتوزيعها . والمجتمعات النامية ـ ونحن منها ـ كثيرا ما تخلط بين التمنى وما هو واقع بالفعل ، ما تتمنى أن يكون وماهو كائن . والتصنيع وليد واقع معاش وليس وليد معجزات واحتمالات غيبية ، أو مفاهيم مجردة تسبح فى الخيال ، أو احلام يرجى تحقيقها أو أهداف ديماجوجية عشوائية لارضاء الجماهير . وتبقى المعادلة الصعبة والخطيرة وهى كيفية التعامل مع هذه المظاهر الحضارية الوافدة مع رسوخ القدم فى أرضها وواقعها وقيمها وتراثها فى صلابة تكفل امتصاص صدمة التغيير والطفرة والنقلة دون اقتلاع الجذور .

● فى مجالات التصنيع :

هذا الخيار الصعب هو الذى تصدى له بالتناول الجرىء والدراسة الواعية المسؤولة وبعيداً عن الرسميات نفر من كبار مثقفى الجزيرة العربية فى سلسلة لقاءات علمية مدروسة أعد لها ومهد لنجاحها الدكتور على خليفة الكوارى .. وهذه الدراسة تمثل ايضاً وقفة متروية فى خضم الاندفاع المتحمس اللاهث فى مجالات التصنيع والتحديث ، التى اعقبت تدفق عائدات النفط وهى وقفة ضرورية وهامة لدراسة التجربة ونقدها وتحليلها وتمحيصها وأخذ العبر منها .

ولقد تناولت هذه الدراسة بصورة عامة كفاءة الأداء فى المشروع العام فى البلدان المنتجة للنفط فى الجزيرة العربية ... وفى هذا الاطار نوقش عدد من القضايا الحيوية المتصلة بدور المشروعات العامة فى التنمية الاقتصادية ، وامكان التوفيق بين الاعتبارات الايدولوجية والأخلاقية والسياسية لتكون هذه المشروعات قوة دافعة لا قوة معيقة لتحقيق تنمية اقتصادية حقيقية .. وكذلك قدرة المشروع

● التصنيع والتخطيط له عملية جادة تنبنى على حقائق ثابتة وعوامل واقعية
● التصنيع وليد واقع مُعاش .. وليس وليد مُعجزات واحتمالات غيبيّة
● تبقى المعادلة الصّعبة والخطيرة .. وهى كيفية التعامل مع المظاهر الحضاريّة الوافدة؟

المال العربى .. والخيارات الصعبة

العام على معالجة التعقيدات الناتجة عن الافتقار الى فرص العمالة المنتجة والبطالة المقنعة فى بعض الأجهزة الحكومية ، والتنسيق بين المشروعات العامة والقطاع الخاص ، والتعاون بينها ، وتقسيم الأدوار فى إطار التنمية الاقتصادية .

وتناولت الدراسة ايضاً عدداً من القضايا الاقتصادية المؤثرة على أداء المشروع العام ونجاحه فى تحقيق اهدافه التنموية : أهمها التوفيق بين الرقابة الخارجية على المشروع العام فى مواجهة الاستقلال الادارى ـ واختيار المدراء التنفيذيين وتعبئتهم وتطويرهم وتحضيرهم ، والعوامل الذاتية التى تؤثر على تكلفة المشروع وعوائده وكذلك الأسلوب الأمثل والأسلم لتقييم الأداء فى المشروعات العامة وكلها قضايا حيوية ذات أهمية بالغة نرجو أن نتناولها بالتحليل والتفاصيل فى باب « شهريات الخليج » فى أعداد قادمة من (الدوحة) إن شاء الله مستعينين بعدد من المفكرين والمثقفيــــن .

● التنمية الناجحــة :

على اننا يلزم أن نشير هنا الى حقيقة أساسية غفلت عنها هذه الدراسة ربما بحكم كونها دراسة أولية تمهيدية ، وهى انه من غير الممكن عملياً الحديث عن التطور الصناعى أو التنمية الاقتصادية الحقيقية إلا فى إطار امكانات التعاون والتكامل الأقليمى والقومى والدولى . فنجاح المشروعات الصناعية ، كبرت أم صغرت ، عامة أو خاصة ، لا تتحكم فيه عوامل ذاتية داخلية فقط ، مهما اكتملت لها ظروف الأداء الممتاز والحنكة الادارية والانتاجية المثالية والقوانين المرنة ، وإنما تتحكم فيه ظروف واحتمالات التكامل الاقليمى والقومى وطبيعته ومداه . ذلك لأن متطلبات التنمية الصناعية الناجحة متعددة الجوانب لا يمكن أن تتوفر أو تكتمل إلا عن طريق التعاون والتنسيق والتكامل . فهنالك حاجات تتصل بالخبرات الفنية والعمالة الوافرة ورأس المال الكافى والأرض الواسعة والمصادر الطبيعية والبشرية واتساع منافذ الطلب والسوق ... وكلها عوامل لا تتيسر إلا عن طريق التكامل .. وبنفس القدر فان النزوع الى الفردية والأنانية والمنافسة والعجز عن تحقيق التكامل والتنسيق يؤدى بالضرورة الى التضارب والكساد وفشل كل خطط التصنيع والتنمية مهما اكتملت لها اسباب النجاح الأخرى .

لكن التكامل ليس سهلا ميسوراً بين بلاد متشابهة كل التشابه كدول الخليج تملك نفس المشاكل الانتاجية وتتبع بالضرورة خطاً صناعياً واحدا يتصل بقطاع النفط كالتكرير والبتروكيماويات والأسمدة وصهر المعادن (كالحديد والصلب والالومينوم) وتسييل الغاز ، وهذه الصعوبة تستلزم للتغلب عليها ، مزيدا من التفاهم والتضحية والتنازلات وإدراك المصلحة المشتركة وتغلب مصلحة الكل على المصلحة الفردية . وفى النهاية أن تكون النظرة أوسع وأشمل وأن تتجاوز المنطقة ، وذلك لأن الخيارات حتى بافتراض تحقيق تنسيق وتوزيع عادل للنشاط الانتاجى الصناعى فى المنطقة لن يكتب له النجاح الكامل إلا بوجود سوق أكبر وعمالة أوسع وخبرة وتنوع فى الانتاج أكبر بكثير مما تحيط به إمكانات المنطقة مجتمعة .

● لابد من الآخريـــن :

وقد برهنت التجارب أنه مامن أمة فى العصر الحديث يمكن أن تتبنى خطة اقتصادية ناجحة بمعزل عن الآخرين ومن هنا كان أخطر مايواجه اسرائيل مقاطعة العالم العربى لها اقتصادياً وقفل أسواقه الواسعة فى وجه منتجاتها . وتقف أكبر تجربتين فى العالم برهاناً ماثلا على أهمية التعاون الاقتصادى حتى بين الدول المتقدمة أصلا ، وهما السوق الاوربية المشتركة والكتلة الاقتصادية الشرقية (الكوميكون) ومن هنا كان حتماً أن يتجاوز التكامل والتنسيق الجاد المنطقة ليحتضن امكانات الأمة العربية بأسرها ، وقد اتاح الله لها وفرة فى الخبرة والأرض والموقع والبشر والأمكانات ، إذا ما تكاملت كانت قوة يؤبه لها فى الحاضر والمستقبل ، وقادرة على الصمود فى وجه المنافسة العالمية الضارية .

ولكى يتحقق هذا التكامل القومى ـ المنبنى على المصلحة المشتركة أولا وأخيرا ـ بعيدا عن الحماس العاطفى وأحاديث المجاملة ، يلزم أن تسبقه خطوات تمهيدية يأتى فى مقدمتها إنشاء بنك عربى للمعلومات يقوم بدراسة الوضع الحالى للصناعة فى البلدان العربية بما فى ذلك الصناعات

برهنت التجارب على أنه ما من أمة في العصر الحديث يمكن أن تتبنى خطة اقتصادية ناجحة بمعزل عن الآخرين

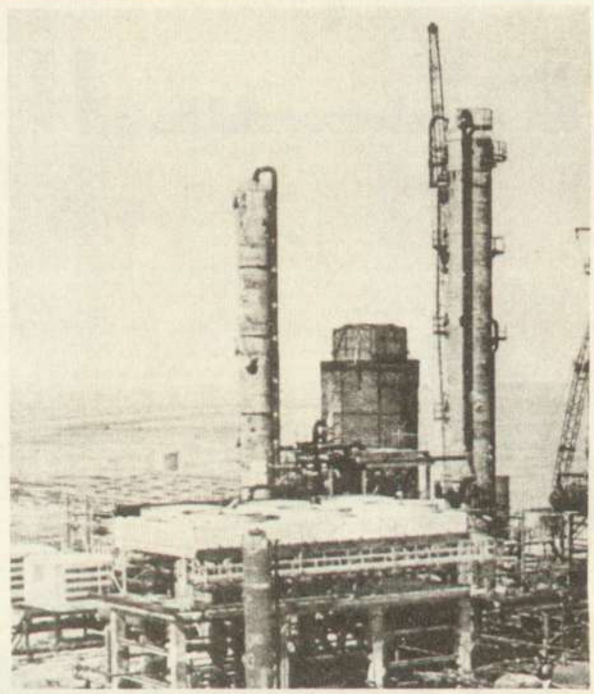

الخفيفة والحرف التقليدية ، وحصر كافة المصادر البشرية والطبيعية ، وتحديد الاحتياجات وطبيعة الاستهلاك وكمياته ومعرفة اتجاهات السوق الداخلية والخارجية ، والخدمات الضرورية المتوفرة . ووضع خطة مدروسة على ضوء ذلك للانتاج والاستثمار والتسويق ، ونقل التكنولوجيا الحديثة فى حدود الامكانات الواقعية المهيئة لها كالمواد الخام والتمويل والخبرة الفنية والعمالة والادارة الرشيدة والأهداف الموضوعية ، وفى إطار مفهوم أصيل ياخذ فى الاعتبار ـ وبعقلية متفتحة مرنة ـ الظروف الدينية والاجتماعية والتقليدية للمجتمع العربى ، وأن يكون هدف التكامل تنقية المجتمع من هذه البيروقراطية المتعسفة المتجمدة الخانقة لكل مبادرة والموروثة من عهود التخلف والتبعية والتى هى من أكبر معوقات التنمية الاقتصادية فى المجتمعات العربية

لكن ذلك كله يتطلب الكثير من الثقة التى زعزعتها تجارب خطيرة فى الماضى ، وبذر بذور الخير وتعميق مشاعر الوحدة الوطنية وتربية أبنائنا ، فى المدارس وعن طريق الاعلام ، تربية قومية تنفر من كل مظاهر الشعوبية والاقليمية والأنانية والعزلة وهذا يحتاج الى وقت والوقت لا يسعف ! .

د. محمد ابراهيم الشوش

د. مظفر صلاح الدين شعبان
سمير صلاح الدين شعبان

الإنسان أم السيارة؟

كثرت فى الآونة الأخيرة الكتب التى تعالج المشكلات الحالية والمشكلات المستقبلية للانسان المعاصر . وتشترك هذه الكتب فى انها تخصص قسما هاما من صفحاتها لمعالجة مشكلتين رئيسيتين من مشكلات العصر الحديث « الطاقة والغذاء » .

اما عن الغذاء فالموضوع قديم اشار اليه مالتوس فى عام ١٧٩٨ وكروكس فى عام ١٨٩٦ حيث تنبا الاخير بحدوث مجاعة فى العالم . بحلول ١٩٣٠ .

ومع ان المجاعة لم تحدث كما توقعها كروكس ، إلا ان الازمة بقيت حتى يومنا هذا كالسيف المسلط على الرقاب .

فى عام ١٩٧٣ . انفجرت ازمة الطاقة فى العالم عندما قامت الدول العربية النفطية . فى حرب تشرين (اكتوبر) التحريرية بحظر شحن النفط الى الولايات المتحدة والدول الغربية المساندة لاسرائيل . يومها ادرك العالم ان النفط وقود القرن العشرين سينضب إن عاجلا وإن اجلا ومع ان هنك مشاريع واتجاهات جديدة تهدف الى انتاج مصادر «بديلة» لطاقة النفط ، إلا ان النفط يبقى شيئا متميزا خصوصا بالنسبة لوسائل النقل : السيارات والشاحنات والطائرات واعلنا سنواجه فى المستقبل القريب السؤال الحرج : ماذا لو ان بالامكان حل ازمة الطاقة (ولو بشكل جزئى) على حساب القمح ؟

الغذاء ... الغذاء

تزداد صرخات الانذار يوما بعد يوم وتعلو محذرة من خطورة مشكلة تغذية سكان الارض الذين يزداد عددهم بشكل مضطرد . فهل يمكننا ان نضرب بهذه الصيحات عرض الحائط ؟

من الثابت ان ثلث سكان الارض – على الاقل – يعانون من سوء التغذية ، وان عشرات الالوف – معظمهم من الاطفال – يموتون جوعا فى كل يوم تطلع فيه الشمس . بالرغم من ذلك يحذر كثير من «العلماء» من مغبة الانسياق وراء الاقوال بان كمية المواد الغذائية التى تنتجها كرتنا الارضية غير كافية لسد رمق سكان الارض الذين تعدادهم ٣ر٧ مليارإنسان ، والذى يتوقع ان يصل الى حوالى ٣ر٦ مليارا فى نهاية القرن الحالى (حسب تنبؤات الامم المتحدة) ، ويحذرون من تبنى القرارات الارتجالية المتهورة الداعية الى انتاج كميات اكبر من المواد الغذائية والى تحديد النسل بشكل يمنع تزايد عدد سكان الارض .

ويركز العلماء على ان قطاع الزراعة فى الدول المتقدمة صناعيا ينتج اكثر مما تستطيع هذه الدول استهلاكه فيها أوتصدره الى الخارج . ونسمع فى كثير من الاحيان عن عمليات اتلاف مقصودة لجبال من الزبد واللحوم ، وانهار من الحليب ، بالاضافة الى آلاف الاطنان من الخضار والفاكهة ، لمنع اسعارها من الانخفاض والتدنى فى حضارة دافعها الاول والاخير هو «الربح» باية طريقة كانت . ورغم ان جميع محاولات تحديد كمية الاغذية التى تفسد فى الدول الصناعية سنويا قد باءت بالفشل ، لكن المؤكد ان كمية الاغذية الفاسدة لا تقل عن ملايين الاطنان سنويا ، خصوصا وانه كان بالامكان انقاذها من هذا المصير ، يقدر العلماء ان الغذاء الفائض عن حاجة الدول المتقدمة صناعيا كاف لسد حاجة العديد من البلدان وربما حاجة قارة باكملها . إلا ان الدول الجائعة غير قادرة على شراء فائض غذاء الدول الصناعية ، حتى انها غير قادرة على دفع نفقات «نقل» هذه الاغذية فيما لو قدمت مجانا .

وعليه فان الاصح ان يقال ان ازمة الغذاء هى عبارة عن ازمة «نقل» و «توزيع» ، لان حوالى ١٠ بالمائة من سكان الارض يملكون ٩٠ بالمائة من مواردها الغذائية ، على ان الاغذية متوفرة كافية فيما لو وزعت بشكل عادل على الجميع .

ولا يحتاج الامر الى كبير عناء كى ندرك ان اراء العلماء تبقى حبيسة الكتب والنشرات والمؤتمرات ، بينما يحكم الواقع المعاشى لسكان الارض قوانين اخرى توجهها سياسات الدول المتقدمة التى تاسست حضارتها المادية على رفض المعايير الروحية والدينية والتى تسعى بالدرجة الاولى الى تحقيق مزيد من الربح ، كلما ازدادت ثراء ازدادت نهما وطمعا .

يؤيد هذا الاتجاه ما اعلنه رئيس منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة فى بداية نيسان ابريل الحالى (١٩٨٠) من خلال الارقام التالية :

● يعانى ٤٥٠ مليون نسمة من سكان العالم – معظمهم من النساء والاطفال – من سوء واضح فى التغذية .

● يضاف الى هؤلاء حوالى ٨٠٠ مليون نسمة يعانون من نقص البروتينات ذات المصدر الحيوانى من لحوم واسماك .

● ان عدد الجياع وسيئى التغذية يتزايد فى العالم بصورة مستمرة .

● ان عجز العالم الثالث وديونه بلغت ٣٥٠ مليون دولار ، لذا فهو غير قادر على شراء كامل حاجته من الحبوب التى قدرت فى عام ١٩٨٠ بحوالى ٨٠ مليون طنا ، يقدر ثمنها بحوالى ١٥ مليار دولار .

● ان المساعدات الدولية لا تسد إلا ثغرة صغيرة فى إمداد الجياع بالغذاء ، إذ لا يزيد مجموعها عن ١٠ ملايين طن من الحبوب .

منذ عقود كثيرة والعلماء ينبهون الى خطورة وضع « الامن الغذائى » فى العالم ويطلقون الصرخات التى لا يسمع صداها معهم سوى الجياع . اما السياسيون فى الدول الصناعية ، فقد اصبح شغلهم الشاغل حل المشاكل التى تعانى منها بلادهم وفى مقدمتها ازمة الطاقة .

ازمة الطاقة

ومما لا شك فيه ان عصرنا هو عصر الطاقة . فكل ما حولنا من شئون الحياة والعمران والصناعة والزراعة والاتصالات ووسائل الراحة والتسلية مرتبط بشكل او باخر بالطاقة ويعتمد عليها اعتمادا كليا . وقد اصبحت الطاقة منذ منتصف القرن الحالى مقياسا كليا للتقدم مثل الذهب ، واصبحت الامم تقاس بما تستهلكه من الطاقة – ولاسيما النفط – الذى اطلق عليه بكل جدارة اسم «الذهـب الاسـود» .

وقد بينت احصائيات الامم المتحدة للطاقة المستهلكة ان العلاقة بين معدل نصيب الفرد من الطاقة المستهلكة فى دولة من الدول ونصيبه من الدخل القومى جليه مطردة ، فحيث يكون المعدل الاول عاليا يكون المعدل الثانى عاليا ايضا والعكس صحيح .

والجدير بالذكر ان امم العالم لا تتساوى من الطاقة . فالولايات المتحدة الامريكية هى اكبر مستهلك للطاقة فى العالم ، إذ يبلغ استهلاكها السنوى حوالى ٢ (١٠)١٣ كيلوواط ساعة (اى

٢ وامامها ١٣ صفرا) ، وهى تستهلك ثلث ما ينتجه العالم باسره من الطاقة ، مع ان عدد سكانها لا يتجاوز ٦٪ من عدد سكان العالم . وفى الطرف المقابل نجد الهند التى يبلغ عدد سكانها ١٥٪ من سكان العالم لا يستهلكون سوى ٥ر١٪ من الطاقة المستهلكة فى العالم . هذا مع العلم ان استهلاك الفرد الامريكى يزيد عن ضعفى ما يستهلكه الفرد من الطاقة فى دول غرب اوربا الصناعية ويزيد عن ٣٠ ضعف ما يقابله فى الدول النامية .

لقد تنوعت مصادر الطاقة التى يستخدمها الانسان المعاصر ، غير ان اعتماده على النفط يفوق اعتماده على غيره من مصادر الطاقة ، وقد ركزت الدول المتقدمة جل اعتمادها على النفط باعتباره افضل مصادر الطاقة لتلبية متطلبات الصناعة والنقل والاستعمالات المنزلية ، وذلك بسبب سهولة استخراجه ونقله وتخزينه واستخدامه وانخفاض ثمنه .

ونظرا لمزايا النفط العديدة فقد تراجعت مصادر الطاقة الاخرى لتفسح له الطريق كى يتبوا عرش الطاقة بلا منازع خصوصا فى استعمالاته على شكل قوة محركة لوسائل النقل . ولا يوجد حاليا بديل للنفط لتسيير معظم وسائل النقل هذه .

فى اواخر ١٩٧٣ افاق العالم الصناعى على الحظر العربى لتصدير النفط . يومها ادرك ان النفط سينضب إن عاجلا او اجلا . فمضى يعيد حساباته فلكتشف انه كان يغط فى سبات عميق وانه لابد من وضع اسس جديدة وخطوط مبتكرة لتدارك الامر . فى ذلك اليوم سمع الملا بوجــود «ازمة طاقة» تهدد الحضارة المعاصرة .

ولسنا هنا فى معرض الدخول بتفاصيل ازمة الطاقة واسبابها وافاقها المستقبلية ، ولكن باختصار نقول ان مشكلتنا مع الطاقة فى المستقبل ذات شقين . ويتمثل شقها الاول بالشعار المطروح حاليا فى كثير من بلدان العالم ، وهو التوفير قدر الامكان فى استهلاك الطاقة ، وبالدرجة الاولى تخفيض الطلب على النفط ، يضاف الى ذلك ضرورة المحافظة على البيئة من التلوث .

ثانيا ان المشكلة على المدى البعيد تشمل تطوير منابع جديدة للطاقة . ففى وقت ما فى

الخيار الصعب
الإنسان أم السيارة؟

المستقبل سنكون قد استنفدنا منابع الفحم الحجرى ، والنفط والغاز الطبيعى الموجودة فى العالم الى حد لايمكننا بعده الاعتماد على اشكال الوقود هذه كمصادر رئيسية للطاقة . فاذا حسبنا الاحتياطى المؤكد والمحتمل للنفط ، وحسبنا مبلغ ما يستخرج ويستهلك منه سنويا وما سيزداده هذا الاستهلاك مستقبلا حسب معدلات الزيادة المرتقبة ، فاننا نجد ان كل هذا النفط لن يبقى لاكثر من مائة سنة على ابعد تقدير ، خصوصا وان النفط كمادة خام اثمن بكثير من ان يحرق كوقود لانتاج الطاقة فقط ، ذلك ان النفط ومشتقاته مواد خام لاكثر من الف مادة صناعية ودوائية هامة .

لقد تعددت الدراسات حول مستقبل الطاقة فى الآونة الأخيرة وتنوعت إلا ان النتيجة التى لاجدال فيها هى ان الآمال مازالت معلقة على النفط وحده بمصادره وكمياته الاحتياطية المؤكدة والمحتملة وعلى مرونته التى لا تقلد ولا تنافس ومن المؤكد ان يبقى على عرش الطاقة حتى نهاية القرن الحالى . وتتركز المساعى والبحوث الآن على ايجاد السبل الكفيلة بتقليل استهلاك العالم من النفط . ومن هذا المنطلق تم التوصل الى زراعة الطاقة .

زراعة الطاقة

تعتبر الشمس مصدر الطاقات الارضية قاطبة (عدا الطاقة النووية) فبفضل الشمس تتبخر مياه المحيطات والبحار ، وتسوقها الرياح ـ بفعل الحرارة الشمسية ايضا ـ لتتساقط على شكل ثلوج وامطار فوق الجبال والسهول ، فتتجمع لتجرى انهاراً يستفيد الانسان من طاقتها بواسطة السدود . كذلك فان الامطار تحيي الزرع والنباتات التى تزود الانسان والحيوان بطاقتها الحرارية وطاقتها الغذائية .

من ناحية اخرى ، فقد ظلت النباتات على سطح الأرض تتلقى اشعة الشمس طوال ملايين السنين . ونتيجة للتسخين البطيء والضغط والتقادم تحولت هذه النباتات الى فحم ونفط وغاز طبيعى . اى انها تحولت الى الوقود المحترق بجميع اشكاله ، والذى يُمثل اكثر من ٩٥٪ من الطاقة التى يستهلكها الانسان المتمدين والخلاصة ، انه إذا امعنا النظر نجد انه لولا الشمس وما تمد به الأرض من طاقة تتحول حسب قوانين خارقة ومختلفة لاستحالت الحياة على وجـه البسيطة .

فى عملية التمثيل الضوئى "اليخضورى" تقوم اشعة الشمس بتقديم الطاقة اللازمة لتحويل عنصر الكربون (الفحم) الموجود فى الجو بشكل غاز ثانى اوكسيد الكربون ، وهو ينتج من عمليات الإحتراق وتنفس الأحياء ، الى منتوجات عضوية وسكرية تستخدمها الحيوانات كطعام . وهذه العملية هى التفاعل الاساسى الذى يتم بموجبه توازن البيئة . واستنادا الى هذا التفاعل قام الاشعاع الشمسى بانتاج المواد القابلة للاحتراق .

إن الفعل السحرى الذى تحـرض به اشعة الشمس نحو النباتات التى ندعوها التمثيل الضوئى (اليخضورى) فى جميع الكائنات الحية الدنيا من بكتريا وطحالب ونباتات ، عندما تتبادل اشعة الشمس التاثير مع كل من اليخضور (الكلوروفيل) ، والماء وثانى اوكسيد الكربون لانتاج ما يقارب ٦٠ مليار طن سنويا من المواد العضوية التى تشكل النباتات بمختلف انواعها . وتمتص هذه العملية سنويا ٩٠ مليار طن من ثانى اوكسيد الكربون الناتج عن حرق جميع انواع الوقود وعن تنفس جميع الكائنات الحية ، مما يساعد على حفظ نسبة ثانى اوكسيد الكربون ثابتة فى الغلاف الجوى الأرضى عند ثلاث اجزاء بالألف .

ولكن هل بمقدورنا التدخل فى عملية التمثيل الضوئى ، والاستفادة من التفاعلات الكيميائية التى يحرضها ضوء الشمس للحصول على طاقة كيميائية كامنة بزراعة مزيد من النباتات لاستخدامها كوقود فى المستقبل ، وذلك بالاستفادة بشكل اكبر من الطاقة الشمسية التى تضيع هباء على اية حال ؟

ونضيف ان هذه النباتات تشمل الاشجار ، والاعشاب ، والنباتات المائية الاخرى ، والطحالب التى تتكاثر بسرعة مذهلة . ولكن هذه النباتات لا تشكل حلا لأزمة الطاقة لأن «محتواها الحرارى» صغير ، اى ان كمية الحرارة التى تنشرها عند حرقها صغيرة جدا إذا ما قورنت بالحرارة الناتجة عن اشكال الوقود الأخرى المركزة كالنفط والغاز . والسؤال هو : الا يمكن تقليد العمليات التى جرت على النباتات فى الماضى السحيق ، وادت الى الحصول على الوقود المحترق (نفط ـ فحم ـ غاز) المستعمل الآن ، والذى يتميز بمحتواه الحرارى العالى ؟

إن المبدأ العام هو تحويل النبات الذى يعتبر وقوداً سيئا الى اشكال ثمينة من الوقود تعطى عند حرقها كميات كبيرة من الحرارة . وقد نجحت بعض التجارب المخبرية فى تحويل بعض النبـات ذو المحاصيل الزراعية (كالحبوب وقصب السكر) الى وقود سائل مثل «الكحول» ذى المستوى الحرارى العالى ـ والغاز الطبيعى والغاز الميثيلي .

ويرى العلماء المهتمون بمستقبل الانسانية إنه من المستحيل اللجوء الى زراعة النباتات لاستخدامها كمصادر للطاقة فى عالم يزداد فيه عدد الجياع وسيئى التغذية يوما بعد يوم .

بعد رفع اسعار النفط فى بداية ١٩٧٤ ثارت نعرة السياسيين فى الدول المصنعة ووضعوا استراتيجيات مختلفة تتفق جميعها على شعار «ابتعد عن النفط» . وحثت الخطى الهادفة الى استئناس مصادر الطاقة البديلة للنفط كالطاقة الشمسية ، طاقة الرياح وطاقة الاندماج النووى . وعندما ايقنت هذه الدول ان تطوير التكنولوجيا الضرورية للاستفادة من هذه المصادر يستغرق السنوات الطوال وربما لا يعطى ثمارها إلا فى القرن الحادى والعشرين ، بالاضافة الى أن مثل هذه المشاريع محتاج الى بذل مليارات الدولارات خلال سنوات معدودة ، لذا فقد عمدت الى التوسع فى الاعتماد على الفحم الحجرى الذى تمتلك كميات هائلة منه ، والى زيادة محطات التوليد التى تعمل بالطاقة النووية .

لكن هذه المخططات اصيبت بصدمة اليمة عندما تبينت هذه الدول ان هذه المصادر البديلة لن تفلح فى إزاحة النفط عن عرش الطاقة الذى

يتربع عليه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وخصوصا لابديل للنفط فى وسائل النقل ، مع العلم ان الفرد فى الدول الصناعية اضحى مرتبطا بالبنزين (الغازولين) ، لا يستطيع الاستغناء عن سيارته التى لايمكن تدوير محركها بالطاقة النووية او الفحم .

غازوهول : الوقود الجديد

وهنا كثفت الدول الصناعية - وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية - جهدها لانتاج مواد بديلة ، تحل محل المشتقات البترولية وتسمح باستعمالها فى وسائط النقل الحالية دون الاضطرار الى اجراء تعديلات فى تصميم محركاتها .

وقد وجد الباحثون فى هذه الدول ضالتهم المنشودة فى مزيج مؤلف من «الكحول» العادى (الكحول الايثيلى) و «البنزين» (الغازولين) ، اطلقوا عليه اسم «غازوهول» . والكلمة مشتقة من جمع القسم الاول من كلمة (غازولين) والقسم الاخير من كلمة كحول يتكون الغازوهول من ٩٠٪ من البنزين و ١٠٪ من الكحول على الاقل . ويمكن استخدامه فى السيارات الحالية دون الاضطرار الى اجراء اى تعديل يذكر فيها . وقد دلت بعض الدراسات انه يمكن رفع نسبة الكحول فى الغازوهول حتى ٢٥٪ واستخدامه فى السيارات الحالية .

وحيث ان تكنولوجيا تحويل المزروعات الى كحول معروفة منذ مدة طويلة ، ونظرا لان استخدام الغازوهول يوفر ١٠٪ - على الاقل - من استهلاك البنزين فى هذه الدول ، فقد تركزت الجهود على اكتشاف افضل النباتات التى تعطى اكبر كمية من الكحول . وقد تم التوصل الى افضل النتائج التكنولوجية باستخدام قصب السكر والذرة .

يقول ليستر براون مدير المعهد « إن التحول الى استخلاص الكحول من المحاصيل الزراعية كمصدر من مصادر وقود السيارات سيفسح المجال لعدد متزايد من المزارعين للاختيار بين انتاج الطعام للبشر او الوقود للسيارات . وليس من المستغرب ان يميل المزارعون الى اختيار المحصول الذى يدر عليهم ربحا اوفر . لقد بلغ الامر مرحلة التنافس الصريح والمباشر - على المحاصيل الزراعية - بين قلة من البشر الذين يمتلكون السيارات وبين الغالبية من افقر فئات الانسانية ، التى يتطلب تزويدها بالقدر الكافى من الطعام - لاستمرار حياتها - جهوداً مضنية »

اعلنت كل من الولايات المتحدة الامريكية الغنية والبرازيل «النامية» عن برامج ضخمة لتحويل المحاصيل الزراعية الى كحول . كما ان بعض الدول الأخرى المصدرة للغذاء مثل استراليا ، ونيوزيلندا وجنوب افريقيا تدرس امكانية القيام «بزراعة الوقود» .

يؤكد براون ان تكلفة الكحول المنتج تتأثر بعدة عوامل منها : نوع النبات المستخدم ، وآثار البيئة والطقس ، وحجم المشروع ... الخ لكن المادة الأولية لا تشكل اكثر من نصف سعر الكحول . كما يشير براون ان استمرار ارتفاع اسعار البنزين سيرفع بدوره سعر مزيج البنزين والكحول (الغازوهول) ، مما سيسمح للمنتجين باستخدام مزروعات اغلى لانتاجه . وبهذه الطريقة « سيتحكم سعر النفط بسعر الغذاء »

ويوضح براون الصورة القاتمة لمستقبل هذا التنافس على الاراضى الزراعية فى العالم . فقد بوشر بمشروع البرازيل لانتاج وقود الكحول فى ١٩٧٥ بالاعتماد على قصب السكر ، وهو اكبر انواع المحاصيل الزراعية كفاءة فى انتاج الكحول ، إذ يعطى الطن الواحد من قصب السكر كمية تزيد عن تلك التى يولدها طن واحد من الذرة - التى تفضلها الولايات المتحدة بنسبة ٦٥٪ . ويقول براون « إن الحكومة البرازيلية تنوى فى عام ١٩٨٥ انتاج ٧ر١٠ مليون لترا من الكحول تتطلب زراعة حوالى ٣ مليون هكتار بقصب السكر ، وهذه المساحة تعادل ١٠ بالمائة من مساحة الأراضى الصالحة للزراعة فى البرازيل » .

ويقترح براون على الحكومة البرازيلية اللجوء - فى انتاج الكحول - الى محاصيل اخرى يمكن زراعتها فى الأراضى غير الخصبة .

لكن الهزة الكبرى فى كميات الغذاء المتوفرة فى السوق العالمية ستسببها الولايات المتحدة . فقد اعلن الرئيس الامريكى جيمى كارتر فى كانون الثانى (يناير) من العام الحالى (١٩٨٠) ان الولايات المتحدة تخطط لانتاج ٢٢٧٥ مليون لتر من وقود الكحول فى عام ١٩٨١ . وان هذا الانتاج سيرتفع فى أواسط الثمانينات الى ٩١٠٠ الف مليون لتر سنويا . ويؤكد براون ان الهدف الموضوع لانتاج ٢٢٧٥ مليون لتر من الكحول سيتطلب استخدام محصول حوالي مليون هكتار من الأراضى الزراعية او ٥ ملايين طن من الذرة ، وهذه تساوى حوالى ٥٪ من كمية الذرة المتوقع تصديرها فى عام ١٩٨٠ ، وستبلغ الكمية فى اواسط الثمانينات ٢٠ مليون طن من الذرة المخصصة للتصدير .

وحيث ان الولايات المتحدة هى اكبر الدول المصدرة للحبوب فى العالم ، فان تصغير صادراتها منها بنسبة ٢٠ ٪ يعنى تقليل

المعروض فى اسواق الحبوب فى العالم بشكل ملموس ، مما سيزيد من عدد الجياع فى العالم وإجبار مستوردى الحبوب على دفع ثمن أعلى لاشباع بطونهم .

باختصار ان ملايين الجائعين فى العالم تنافس بشكل واضح على هذه الأراضى المخصصة لزراعة الطاقة . ويقول براون «الارض المستخدمة للزراعة لم تتوسع منذ عام ١٩٥٠ إلا بنسبة ١ الى ٥ من تزايد عدد سكان العالم » فهل يحتمل الوضع العالمى - رغم ذلك انتزاع جزء من الأراضى الزراعية المستثمرة لاستخدامها فى انتاج الطاقة ؟

العالم الثالث وزراعة الطاقة

ستترك زراعة الطاقة آثاراً مفجعة على الوطن العربى والاسلامى وعلى العالم الثالث بشكل عام . فعندما تمتص زراعة الطاقة ٢٠٪ من فائض الحبوب الأمريكية المخصصة للتصدير فى اواسط الثمانينات ، ستضطر جميع الدول العربية - ماعدا المغرب - حسب التقديرات الحالية الى استيراد الحبوب من الخارج بنسب تتراوح بين ١٠٠٪ بالنسبة للكويت ونسبة ٣٤٪ بالنسبة لتونس والصومال ، ٩٠٪ بالنسبة للاردن و ٩٧٪ لكل من لبنان ودولة الامارات العربية المتحدة ، ٨٣٪ لليبيا ، ٧٠٪ للعربية السعودية ، ٦٣٪ لليمن الجنوبية ، ٦٠٪ لليمن الشمالية ، ٥٠٪ لكل من الجزائر وسوريا و ٣٥٪ لكل من مصر والسودان والعراق . وقد بلغ العجز العربى الحالى ٢٥ مليون طن من الحبوب سنويا ويقدر ان يرتفع فى عام ١٩٨٥ ليبلغ ٣٤ مليون طن سنويا .

ومن الجدير بالذكر ان دول العالم الثالث غير قادرة على تحمل العبء الكبير الذى ستسببه زيادة تكاليف مستوردات الحبوب على موازين التجارة والموضوعات لهذه الدول . وعند تحويل نسبة كبيرة من الحبوب المخصصة للتصدير الى انتاج وقود الكحول ، عندها سيزداد الخطر على «الأمن الغذائى» لهذه الدول ، وستزداد حاجتها للدول المصدرة للاغذية . وفى هذه الحالة قد تلجأ الدول المتقدمة صناعيا الى استغلال حاجة الدول النامية للغذاء كى تفرض سيطرتها عليها ، مستخدمة ضدها السلاح الاستراتيجى الجديد الذى لا يقاوم : الغذاء .

هل يعنى ذلك ان العالم الثالث بما فيه الوطن العربى والاسلامى مكره على تقبل هذه الوصاية على لقمة عيشه ؟ الجواب ببساطة (لا) والسبيل الى تخطى هذه العقبة التى وضحنا مخاطرها ودرستها مؤتمرات وجهات عربية كثيرة ، ومنها المؤتمر الأخير للاتحاد العام لغرف التجارة والزراعة والصناعة فى البلاد العربية ، الذى عقد فى البحرين بين ٥ و ٨ نيسان (ابريل) الماضى (١٩٨٠) ، والذى اعتبر موضوع الأمن الغذائى العربى واحداً من ابرز النقاط على جدول اعماله .

فى الحقيقة لاتعوزنا معرفة سبل النجاة ، ولكن الذى نحتاجه هو إرادة صادقة قوية تحول هذه الآراء والمقترحات - بعد تمحيصها - الى واقع عملي يتفيأ مواطنونا فيه ظلال الأمان فى مختلف المجالات .

شهادات

د. يوسف إدريس

أين كنا ولماذا أصبحنا؟

نحن قوم فعلا احوالنا ، وبالذات الأدبية منها ، تميت من الضحك . منذ بضعة ايام جاءنى شاب ناقد يعمل معنا فى جريدة الاهرام ، وثقافته الأدبية على مستوى العالم والأدب العربى نفسه من النوع الذكى الممتاز ، وفوجئت بالناقد الشاب يقول لي إنه يعمل (موضوعاً) حول اللغة الأدبية وكيف يجب أن تكون : العامية أم الفصحى ؟ ، وقبلها فى ندوة تليفزيونية وأحاديث اخرى حية وصحفية افاجأ — أو فى الحقيقة — لم اعد أفاجأ بنفس السؤال . حينذاك احس وكان صاعقة انقضت وايقظتنى من حيث احيا وأعيش (الثلث الاخير من القرن العشرين) الى حيث لايزال الموقف فى اجزاء كثيرة من حركاتنا الأدبية العربية . بنفس الانصعاق الذى لابد ينصعقه أى عالم فيزياء حيث يأتى مندوبو المجلات العلمية المعاصرة المتخصصة يسألونه : هل صحيح أن الأرض تدور حول الشمس وأنها أيضا تدور حول محورها أم أنها هى المسطحة الثابتة التى تتحرك حولها الشمس من شرقها الى غربها وكذلك النجوم . بمعنى آخر القضايا الأدبية التى تدرس لطلبة الآداب عندنا وغيرهم من طلبة الجامعات ، والتى تطرح احياناً للنقاش العلنى على صفحات الجرائد والمجلات ، هذه القضايا انتهت من زمن طويل من مجال النقاش فى العالم كله وأصبحت اللغات تناقش لا من وجهة نظر كونها عربية أو فصحى ، استخدمها الأقدمون أم لم يستخدموها ولكن بمقدار ما خدمت اللغة ، كوسيلة ايصال عبقرية النص المكتوب سواء أكان المسرحى أو القصصى ، هل كانت عبئاً على ابطاله أم استطاعت اعطاء البعد الناقص من الوصف أو الحدث فى البطل وانطاقه بطريقة أحالته من نموذج متحفى ميت الى كائن حى نابض بالصدق الفنى وبالحياة . العالم ، ومنذ عدة قرون انتهى من حكايات قداسة اللغة اللاتينية وابتكر لنفسه حتى لغات أخرى تماماً كالفرنسية والانجليزية والايطالية إذا العالم كان قد وصل فى تطوره الى الحد الذى استلزم وجوده لغات مستقلة تعبر عن لهجات أهل ايطاليا ، ولغة أخرى مستقلة تعبر عن احتياجات جزر بعيدة كالجزر الفرنسية .

ورغم أنه فى بلادنا حدث العكس بحيث طوعت الشعوب العربية نفسها للغة العربية القرشية باعتبارها اللغة التى نزل بها القرآن الكريم ، ولكنها ، لأنها شعوب ، وحية بالضرورة ، طورت هذه العربية الواحدة وأكسبتها (بدلا من لغة فرنسية مستقلة أو ايطالية مستقلة) روحاً شامية مستقله وروحاً جزائرية مستقلة وروحاً مصرية مستقلة ، بل حتى فى مصر هناك العربية ذات الروح القاهرية وهناك العربية ذات الروح الصعيدية أو الدمياطية .. الخ ..

بمعنى آخر .. شعوبنا أبدا لم تجد مشقة أو لغزاً محيرا كلغز أبى الهول فى اسطورة طيبة وإنما اتبعت طريق التطور الطبيعى الذى يتبعه أى كائن حي . ما توقفت قريتنا ابدا لتسأل نفسها — كما لا يزال هذا السؤال دائرا فى الحركة الأدبية منذ أكثر من خمس وسبعين عاماً — بأى لغة تنطق غداً ، وبأى لغة تتفاهم فيما بينها وفيما بينها وبقية القرى . لم تتوقف أبدا قريتنا لتتساءل لأنها ابدا لم تواجه أى مشكلة تعبير ، وكذلك أى فنان أصيل سواء كان كاتبا أو حتى موسيقيا لم يتوقف ابدا ليتساءل بأى الموسيقى أغنى ، هل بالموسيقى والمقامات التركية التى تبنتها الأمة العربية ، أم بالألحان والمقامات والدقات الفولكورية ؟!

لا ولا توقف فنانونا التشكيليون عند (نوع) اللون الذى يرسمون به لوحاتهم ، فمناقشة الحبل قبل شراء البقرة ومناقشة كيف وبأى لغة أكتب قبل أن اعرف ما هى حتى الكتابة أصلا وما الفرق بين التعبير الفنى والتعبير المجرد عن الفن . مناقشة مسائل كهذه لا يمكن ان تحدث إلا فى حالات الموات الأدبى و الفراغ الأدبى الذى يريد به كتاب الدولة فى كل عهودهم من ايام سيف المعز وذهبه الى يومنا هذا (تعقم) الكاتب أو الناقد عن أن يناقش قضايا الفن الحقيقية ويقيم الفنانين ليس على أساس فصحاهم وعاميتهم إنما على اساس ما قدموه لهذا الشعب من خدمة أو خيانة ، والشرط الأول لمحاسبتهم على ماطرقوه من مواضيع ، الحقيقة الشرط الأول والوحيد هو أن يكونوا فعلا متمتعين بكامل القدرة على مزاولة الكتابة ذلك العمل الذى يتطلب مواهب وقدرات ومقاييس خاصة من الصعب جدا توافرها فى أكثر من واحد على مائة ممن يملأون صفحات المجلات الأدبية والأركان الأدبية والمقالات والهبهبات والسخافات والتشريعات وكان كلا منهم قد اعتلى المنبر يشرع لزملائه ومن يأتون بعده كيف تكون الكتابة وكيف تكون مواضيعها وماهى اللغة الواجب الكتابة بها وإلا اعتبر الكاتب خارجاً عن القاموس العام ، ملحدا والعياذ بالله ، أزرق أو بنفسجياً أو من أية ملة كان .

إنى أغفر لحركة الأدب العربى أن تنشأ على هيئة (سوق) عكاظ ، ذلك أنه شيء كان يحدث فى نفس الوقت الذى كان تعريف علم الكيمياء فيه هو : علم البحث عن الطريقة التى

تحيل الرصاص الى ذهب . كل حركة علمية أو فنية تنشأ على نزعة بشرية تملؤها الخزعبلات والأفكار المشوشة واللاعلم واللافن بالمرة . ولكن الشعوب لا تبقى على حال واحدة إنها تتطور ، وغيرها من المجتمعات تتطور ، وتتم ترجمة أرسطو الى العربية لينشأ لأول مرة سوق عكاظ (كشك) اسمه الفلسفة يبدأ يزدهر حتى لتبدأ اوربا نفسها بعد حين تستورد من هذا الكشك الذى اصبح فى حجم (سيلفردج) لندن ، وتترجمه وتدرس إبن رشد وابن الهيثم وابن سينا ، وجابر بن حيان .

تتلقف اوربا المسيحية إذن هذه العلوم الاسلامية العربية التى انتجها الاسلام فى أوج إزدهارها أيام الدولة العباسية ، وتمضى بها ، تغير بها منطوقاتها المسيحية (التى كان معظمها من العصور القديمة) وبا(لعلم) العربى الجديد تبدأ تفكر لتكون النتيجة أن يفجر جابر بن حيان قوانين الميكانيكا فى عقل نيوتن وابن رشد والحلاج بذور (كانت)بمعنى أن الحضارة الاسلامية تستمر بثوب مسيحى لتصل الى عصر النهضة ، بينما العرب والمسلمون انفسهم قد ارتدوا ـ كما هو حادث الآن ـ الى الماضى الغابر كاليهودى الذى أفلس يفتش له عن فلسفة وعلم يزيدانه غربة عن الحاضر ..

ولولا اننا فى العلم استدركنا انفسنا بعد احتكاكنا المباشر بالنهضة والثورة الفرنسية وبدأنا نعى باهمية ان تعود لنا بضاعتنا هذه المرة وقد اصبحت الكيمياء ليست علم المحاولات الساذجة لتحويل الرصاص الى ذهب ولكن علم دراسة خواص المواد كيميائيا تمهيدا لاستعمال هذه الخواص فى ايجاد علاقات وتفاعلات جديدة تنتج لنا فى النهاية عامود العصر .. الالمونيوم والكارميوم ... وخليط الايثلين والميثان .. ومفجر الـ ت.ن.ت و الـ د.د.ت ، وكل هذه الادوية والكيماويات .

وكذلك ادى علم جابر بن حيان وحسن البصرى الى اكتشاف خواص الصوت والضوء ونشوء علم الطبيعة وارتقائه الى أن وصل الفلك والذرة والرياضيات العليا والقنابل النووية والكومبيوترات .. الخ .. فى العلم اعترفنا لهم بالقيادة وبدأنا فعلا نتعلم ، بل وننتج .

وفى الأدب ايضاً كشفت لنا حركة الترجمة عن اشكال فنية لم نكن نعرفها مثل القصة المكتوبة والرواية المسجلة على أوراق والمسرح الموضوع له النص مسبقاً .. الى إليوت والقصيدة الشعرية الحديثة .

والنقد وقد تولاه مندور وطه حسين الى حد ما ، العقاد والمازنى اقتربا كثيراً من تقييمنا أو الأسس التى علينا أن نقنن بها فنية الفن .

ولكن هذه لم تكن كل القصة ، ولكن نصف القصة فقط .

فباعتبار أن اللغة العربية كان الأزهر الشريف يتولاها ويرعاها ويحدد لها ألفية بن مالك ويصعبها الى درجة تستحيل فيه لغة من حق أى انسان أن يعرفها وقواعدها التى بالضرورة لابد أن تكون بسيطة وسهلة على انفسنا وعلى غيرنا ممن يودون دراستها . نشأ الأزهر على فكرة ربط الواقع والمستقبل بالتراث . بحيث أوقف مجال الخلق والابتكار وبالكلمة المستعملة وإنما (قفل باب الاجتهاد) .

وهكذا حدث لنا انفصام الشخصية الأدبية الرهيب .

بينما أقلية تعيش العصر وقرات التراث وترنو الى المستقبل وعلى هذا الأساس تنتج .

الأغلبية كان عملها الأوحد (فرملة) هذا الاتجاه ، خوفاً وتخوفاً مما قد يقودوننا إليه والذى باعتبار أن القدامى لم ينصوا عليه فلا يمكن أن نتصرف حياله وهو بالتاكيد عمل من صنع الشيطان سواء أكان فى مجال الأزياء أم التفكير أم حتى اللغة .

ولكن السؤال هو : الى متى يستمر هذا الوضع ؟

لا أعتقد أنه سيستمر طويلا ، فاذا استمرت الحناجر الغوغائية بهذا الارتفاع ، وإذا استمر هذا الارهاب الفكرى المرعب ، فحتما سوف يتوقف بنا القطار أو سنقيم به بعض الوقت ، ثم لأننا لابد أن نتحرك ، نهجره ونعود نركب الحمير والجمال ونكف عن طبع دواوين الشعر ونعتمد على الرواة ويصبح أشهر اغراض الشعر العربى هو مدح ذلك وبلاغته ونصائحه ومبالغته فى وصف كرمه

لا أعرف لماذا اتمثل دائماً بسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد استيقظ على مشهد كمشهد امتنا العربية فى واقعنا (العظيم) الراهن .

اقسم أنه كان لن يناقش رضوان الله عليه مشكلة العربية والنص ابدا ، ولا مشكلة اى الأزياء نرتدى وأى الطعام ناكل ، ولكن كان سيقف فوق اعلى ربوة من ربى أمة محمد ويرنو الى العالم من حولنا فيجد المشهد مخيفاً ، ويجد الجميع اقوياء ، بل والمضحك أن معظم قوتهم من مرضنا ، سيجد الفارق العلمى والانتاجى والابداعى الهائل بيننا وبينهم . وحينذاك سيهب نفسه لتجنيد أمة العرب ، لا فى جيوش تفتح مصر وبلاد الروم والشمال الافريقى ، ولكن سيجندها جنوداً تزحف على تلك الحضارة فيعتصرها ـ كما فعلت اليابان ـ الى النخاع ، ويهضمها ، وبقوة ما فى الاسلام من عدل ، وما نفتقده معظم نظم الارض برفع راية العدل على سطح هذه الأرض ، وإنى لمتاكد أنهم جميعاً اليه متجهون . (مسلمين) وغير مسلمين

ذلك أن اعظم ما بشر به عمر كان هو العدالة .
وهو سلاح الاسلام الذى منذ ان طوى مات الاسلام .
العدالة مع انفسنا ومع غيرنا .

ولكننا لن نجيد القتال بهذا السلاح ، بل فى الحقيقة لن نكتشف حقيقته الحقة إلا إذا استوعبنا كل ما على ظهر الأرض من علم وفكر .

ولكن هذه قضية من المحال أن تناقشها الاروقة التى وهبت نفسها لدراسة هل تدخل بيت الراحة بقدمك اليمنى أم اليسرى وهو حديث سمعته فى تلفزيوننا المفضال اسمه (حديث الروح) وكان عنوانه قضاء الحاجة ، وحسبت أن الموضوع هو الحكمة والسعادة التى يحظى بها الانسان فى قضاء حاجات المسلمين ، فاذا بها الحديث الروحى هو عبارة عن (تقنية) لكيف ـ لا مؤاخذه ـ وماذا بالضبط تفعل لدى قضاء الحاجة فى بيت الراحة .

د. يوسف إدريس

د. عماد الدين خليل

تكافؤ الأدلة عملة .. ذات وجهين

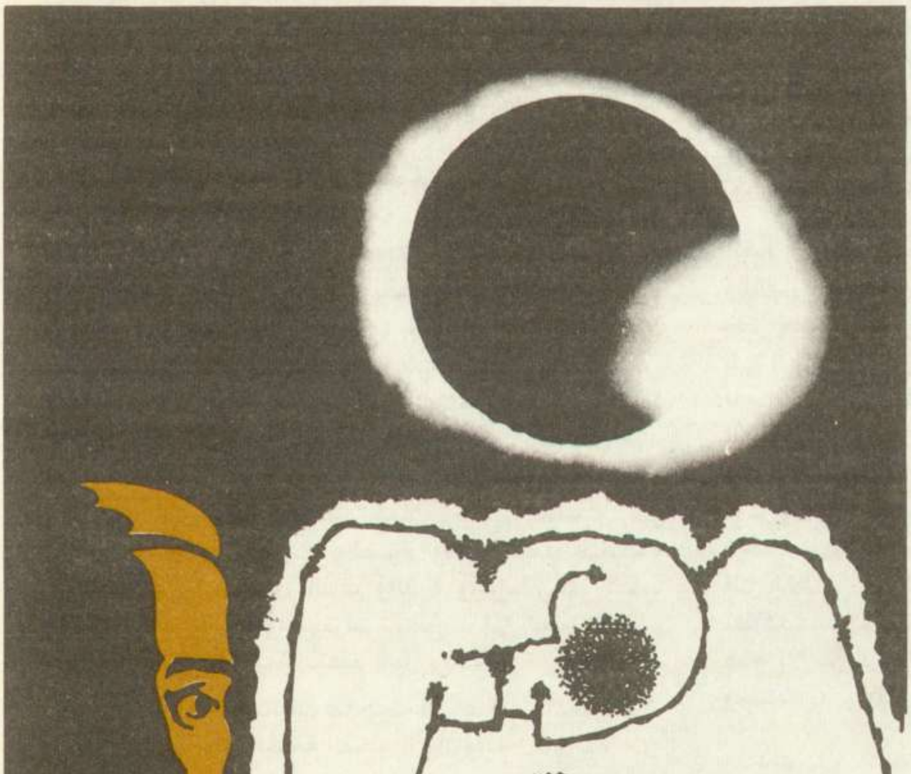

فى حياتنا تبدو الكثير من المواقف والحلول والتجارب والممارسات ومحاولات التخطيط ، بل الأفكار والنظريات والقوانين ، والتشريعات كذلك ، وهى تحمل فى ثناياها السلب والايجاب .. الخطا والصواب .. وأن بمقدور أى إنسان يملك قدرا من الذكاء أن يعمل عقله فيها لكي يرى وجهها المصيب حيناً ، فيقول انها لا تخرج عن نطاق الحقيقة ، ووجهها المخطىء حيناً أخر لكى يحلم بانها تدور فى نطاق الباطل .. فيتقبلها فى الحالة الأولى ويرفضها فى الثانية ، فيما يسميه بعض الفلاسفة بمبدأ (تكافؤ الأدلة) .. أى تعادل أدلة السلب والايجاب، أو تقابلها فى أى من المواقف أو الأفكار التى تطرحها الحياة البشرية والعقل الانسانى ..

وإنه ـ حقاً ـ لأمر محير دفع عددا من المفكرين والفلاسفة الى نوع من التشاؤمية وصلت ببعضهم الى نقطة مظلمة قربتهم من العبثية والعدمية والاحساس الباهظ باللاجدوى .. مادام انه لا حقيقة مطلقة هناك ، ومادام انه مامن موقف يمكن إثبات بطلانه المطلق كذلك ..

ونحن فى حياتنا اليومية ومناقشاتنا ، نستطيع أن نضع ايدينا على بعض ملامح هذه الثنائية المقلقة فى الحكم على المواقف والأفكار والأشياء .. فبدون دافع واضح ، مبرر ومنطقى ، نندفع لطرح والتزام مجموعة من التبريرات التى تظهر موقفاً ما بمظهر الحقيقة المقنعة ، ، ويندفع أخرون ، إزاء الموقف نفسه ، وبالصيغة نفسها ، لكى يطرحوا نقائضهم ويصلوا بالموقف الى حافة الباطل ..

وقد تنقلب اللعبة ، لغير ماسبب واضح كذلك ، فنطرح أدلة البطلان . بينما يجهد الآخرون انفسهم لطرح أدلة الاثبات ! ! .

وأحياناً ، يخيل الى كل واحدنا فى أوقات الغفلة والنسيان والانغمار اليومى ، أو لحظات نرجسية والاعجاب بالذات ، إلى أن سلوكه يمثل تطابقاً هندسياً باهرا مع المنطق والمعقول .. إلا انه سرعان ما يتبين له أن الأمر ليس كذلك ، فان تفكيرا يسيرا فى طبيعة السلوك يدله على أن بامكانه ، من خلال الموقف الواحد أن يختار إتجاهاً أخر أو اتجاهين ، وربما ثلاث اتجاهات .. يمكن

● تلك هى مأساة المعطيات الوضعية باعتبارها نتاج عقل قد يخطئ وقد يصيب
● لأن الموقف الدينى صادر عن الله العليم .. فهو يحمل الصواب المطلق
● البُعد الحقيقى للموقف .. هو بُعد إيجابى فى كل الأحوال .. أمراً ونهياً

بالتعود على اى منها والاستمرار عليه ، أن يبدو منطقياً .. معتدلا !!

عملة واحدة ذات وجهين ، نلعب بها احياناً برميها فى الهواء ، فتغدو فريقين يقول احدهما انها ستستقر على وجهها (المصور) ويقول ثانيهما انها ستستقر على وجهها (المكتوب) .. وتكون للصدفة وحدها الحكم الأخير فى (الحالة) التى ستكون عليها العملة بعد استقرارها على الارض ..

نفس اللعبة تمارس احياناً كثيرة إزاء الأفكار والمواقف .. وبدون ما سبب واضح ينتهى الانسان الى هذه الفكرة او تلك ، ويعلن قبوله لهذا الموقف أو ذاك ثم ما يلبث أن ينقلب عليهما ويتجه للطرف النقيض الآخر ..

تلك هى مأساة المعطيات الوضعية بما إنها نتاج عقل أو وجدان بشرى قد يخطىء وقد يصيب .. قد يعانق الحقيقة وقد ينفصل عنها ،.. إن التناقض يكمن احياناً فى الانسان نفسه وليس فى العالم الخارجى فقط كما تريد أن تصور لنا النظرية الديالكتيكية .. والتوحد الذى يحدث بين النقائض حيناً بعد حين ليس سوى بسبب من الجهد البشرى نفسه ..

والحل يكمن فى خطوة واحدة .. ولكنها خطوة خطيرة .. واسعة .. بعيدة الحدود .. إنها تجاوز التشبث بالاحكام والمعطيات البشرية لأنها ليست نهائية بحال من الأحوال ، ولأنها تعانى فى كثير من الأحيان من مأساة (تكافؤ الأدلة) .. تجاوزه الى الالتزام بمصدر للمعرفة .. بالدين الموحى به من الله سبحانه ..

إن الله سبحانه ، هو أدرى بخلقه ، يعلم نسبية القدرة البشرية على المعرفة ، وامكاناتها فى الوصول الى الحقيقة ومن ثم يعينها بمنحها قدرا من (الضوابط) والمعارف الشاملة ، والمطلقات ، والمؤشرات النهائية ، لكى تتحرك على هديها عبر صيرورة زمنها الجارى وحياتها المتمخضة .. هناك حيث لا ثنائيات ولا تناقضات ولا وجهان للعملة الواحدة ، ولا التزام اعتباطى بهذا الجانب من الموقف او ذاك .. ولا تحويل للممارسات البشرية الى لعبة عشوائية تقوم فيها الصدفة – أحياناً – بدور البطولة ..

إن الموقف الدينى ، بما أنه صادر عن الله العليم ، يحمل الصواب المطلق (نعم) حيث يجب أن تكون .. و(لا) حيث يجب أن تكون .. ليس ثمة (لا) و (نعم) معاً فى الموقف الدينى .. وما يبدو فى هذا الموقف احياناً من ضغوط تبدو موجهة ضد الانسان فى الظاهر .. من ممارسات قد تكشف عن بعد سلبى خادع يتضح فى المدى البعيد انها قيمة إيجابية ضرورية فى التكوين النهائى لصورة الخارطة الشاملة للموقف كله ..

وكثيراً ما ينبهنا القرآن الى ذلك .. الى الا نتسرع فى الحكم على المواقف والأشياء لمجرد أن نرى فيها بعض الفجوات التى قد تكون اشبه بالمسالك التىلابد منهالخروج الهواء الفاسد من أجل التحقق بالصحة والعافية .. ودعانا الى أن نمد رؤيتنا الى أبعد المواقع والآفاق .. أن ننتظر إذا اقتضى الأمر .. لكى يتبين لنا البعد الحقيقى للموقف ، وهو بعد ايجابى فى كل الأحوال ، أمراً ونهياً

(لكى لا تحزنوا على مافاتكم ولا مااصابكم) .

(لكى لا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم)

(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم

(فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) .

ومهما يكن من امر فان الانسان سيظل فى حاجة الى هذا المصدر الدينى الفوقى الذى يتميز بالشمولية والامتداد .. وإلا طحنته الثنائيات ، وضيعته تناقضات الموقف الواحد .. فمنذ اللحظة الأولى التى علم الله سبحانه أدم الأسماء كلها ، وهبط به الى الأرض .. القى فى روعه وابنائه من بعده ، أن عليهم أن ينتظروا تعاليم السماء ، لأن ما تعلمه آدم فى البدء ليس نهائياً ، ولابد من (دين) يقوده وأبناءه من بعده على الطريق المستقيم (.. وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتيكم منى هدى فمن يتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا باياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

وليس ثمة حل وسط ..

إما الصراط المستقيم الواحد وإما التشتت والتبعثر والضياع عبر ألف طريق وطريق ..

وليس ثمة أكثر دلالة ووضوحاً من كلمات الله (وأن هذا صراطى مستقيمافاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) .

صلاح عبد الصبور

مشارف الخمسين

فكأنها وكأنهم أحلام

حين خرجت مجبور الخاطر من عيادة الدكتور ابراهيم ناجى بشبرا ، وبعد أن امتعنى بسياحته الودود بين شعره ومترجماته من شكسبير وبودلير طرت الى اصدقائى من زملاء الجامعة أنبئهم أنى سعدت بلقاء شاعر كبير ومودته . وأنه قد تكرم علي فدعانى أن أزوره كلما تيسر لي الوقت ، وانه استمع الى إحدى قصائدى فأحبها ، ثم رويت لهم كالمأخوذ بعضا من تعليقاته العابرة ونكاته التى لم اسمع لها حتى الآن مثيلا فى رقتها وسماحتها رغم ما فيها من لذع وسخرية .

كان الاصدقاء فى ذلك الزمان البعيد قلة بقيت صداقتها مع الزمن ، تكبر ولا تشيخ ، وكنا فى الجامعة نتحلق حول شيخنا واستاذنا المرحوم أمين الخولى ، حتى إذا انفضت دروسنا نتجمع فى إحدى مقاهى حي عابدين ، لأن احد اصدقائنا كان يحب زميلة لنا تسكن أمام المقهى . وهاهو ذا الزمان قد مر ، واصبح اصغر ابناء الصديق والزميلة على وشك ان يتخرج من الجامعة .

كانت جلستنا موزعة بين قراءة كل منا لأصحابه ماافاض الله عليه به من القول شعرا أو قصة أو نقدا ، وبين لعب النرد ، ثم طلب الطعام من عربة يد كانت تقف إزاء المقهى ، وتقدم للطاعمين صنفاً من الطعام لاادرى له اسماً هو مزيج من الخضر والبصل ورائحة اللحم . حتى إذا اغلق المقهى ابوابه تحولنا الى حي الحسين ، فجلسنا فى مقهاه القديم ، مقهى الفيشاوى ، وكان صاحبه الحاج فهمى مازال حياً ، يتصدر واجهة المقهى بوجهه الأبيض الفاتر وجسمه السمين ، وكان المقهى كأنه معرض شامل فيه من المرايا القديمة المكسورة ، والاثاث البالي الرث ، والوجوه التى كأنها تنبعث من كاريكاتير الرسام دومييه ، فاذا اهل رمضان زارته بعض النسوة اللائى بعثن من لوحات تولوز لوتريك ، ثم هذاك على الحوائط بعض الحيوانات المحنطة والأعمدة الخشبية التى تذكرك بالعبث الفنى العظيم الذى يصنعه سلفادور دالى .

ولا تسألنى متى كنا نستذكر دروسنا ، وقد كنا طلاب علم ، إذ أننا كنا قد طلبنا من العلم الفرع الذى نحبه ، فكنا ندرس اللغة أو الفلسفة ، وهنا تهون الأمور فيما عدا دراسة اللغات المساعدة . وقد كانت عادتى أن ألم بالمنهج فى بضع ليال قبل الامتحان ، ولكن هب ذلك كان جائزا فى درس الأدب العباسى أو الأموى ، فقد كان ذلك عسيرا كل العسر فى درس اللاتينية أو الفارسية أو التركية ، وهى اللغات المساعدة ، وأذكر عندئذ أن اختبار اللغة الفارسية فى السنة الأخيرة كان تحريريا وشفويا ، حفظت ما عرض علينا من قطع شعرية للترجمة عن ظهر قلب ، ولكنى فى الاختبار الشفوى فاجأت الاستاذ الممتحن وكان الدكتور يحيي الخشاب بسوء نطقى للغة فقد كنت أميل للتفخيم من العربية ومنها من الحروف ماله شكل الحرف العربى دون نطقه ، ودهش الدكتور الخشاب لهذا التناقض الغريب بين اتقانى الترجمة وخيبتى فى النطق ، فزعمت له كاذبا — وليسامحنى الله — إننى اعمل موظفا فى النهار بحيث لا استطيع حضور دروسه ، واننى افنى ليالي البيضاء فى الحفظ والتحصيل ، وأفنى ساعات نهارى كاتبا فى مصنع ، وواقع الأمر أن ساعات نهارى كانت معظمها تسكعا فى مكتبة الجامعة ، أو جلوسا على درجاتها التى حولناها الى رواق للمناقشة الأفلاطونية أو السخرية السقراطيـة .

بين ذلك كله كنت ازور ناجى اسبوعا بعد أسبوع ، وأذكر فى سبتمبر ١٩٥٢ ، وكنت قد تخرجت من الجامعة وعملت مدرساً فى احدى المدارس الاعدادية ، انى زرته يوما فى عيادته ، فرأيته كسير القلب . فقد وشى به احد الوشاة للحكام الجدد كما وشى بتوفيق الحكيم الذى كان مديرا عاما لدار الكتب فى ذلك الوقت أنه غير منتج ... كان ناجى عندئذ مديرا لمستشفى السكة الحديد فى الدرجة المالية المسماه بالأولى ، فأبت عدالة الحكام الجدد إلا ان تنزل به درجتين ماليتين بحجة أنه نال هاتين الدرجتين

محمد فريد ابو حديد

استثناء ومحاباة لصلته الحميمة بالمرحوم الدسوقى اباظة باشا (والد صديقنا الاستاذ ثروت اباظة) ، وكان من محبي ناجى ، وهو كاتب مقدمة ديوانه الأول (وراء الغمام) .

وكانت نفس اليد التى بطشت بناجى هى التى بطشت بتوفيق الحكيم ، فقررت إحالته على التقاعد بحجة أنه غير منتج ، ولكن القدر قيض لتوفيق الحكيم حظا مخبوءا ، إذ أن جمال عبد الناصر كان قد قرأ له فى صباه أحد كتبه فأعجب به ، بينما لم يقرأ أحد من الحكام الجدد لناجى مايرضيه عنه ، وهكذا انكسر قلب ناجي . وأظنه قدم استقالته من عمله الحكومى فى ذلك الوقت مكتفياً بعيادته .

كنت عندئذ مستمعاً محبا لشكواه ، وكان لدى ما أشكوه له ، فلم أكن مدرساً ناجحا بحال من الأحوال ، وكان مفتشو اللغة العربية ، ومعظمهم من قدامى رجال التعنيم حين يزورونى فى الفصل يضيقون بما يخالونه من إهمالى وقلة بضاعتى من العربية . حتى أن أحدهم كتب فى تقريره عنى إننى لا اصلح للتدريس . فقد كنا — السادة المفتشون وأنا ننتمى الى مدرستين مختلفتين ، هم من ابناء دار العلوم القديمة وأنا من ابناء كلية الآداب . ولكل من المدرستين فى اللغة والأدب تصور يختلف عن تصور أختها . وكان مما يهون علي الأمر عندئذ صحبتى لمجموعة مدرسى اللغة

● لم يقرأ واحد من الحكام الجدد لناجي .. وهكذا لم يعد إلى عمله!
● أعذب قيثارة في الشعر العربي الحديث .. لم ينصفها الزمان

احمد امين

العربية فى مابين الحصص ، إذ كنا مجموعة تتراوح بين العشرة والخمسة عشر معلما تتراوح اعمارنا بين مشارف الستين وبدايات العشرين . وكان حديثنا المرح يتنقل بين افانين من القول فى الطعام والمقويات وهم الأطفال ونكد الزوجات حين يضيق ذرع الزوج وتقل حيلته ، حتى إذا جاءت فسحة الساعة العاشرة ارسلنا فى طلب صحون الفول وقراطيس الطعمية وتلال الخبز ، فما تكاد تمر دقائق حتى يختل التل ويبدو قاع الصحون ، وتلقى القراطيس الفارغة فى السلال ، ثم يدور الشاى بعد ذلك دورة أو دورتين ، وكل ذلك ـ وياللعجب ـ فيما لا يزيد عن خمس عشرة دقيقة .

وكان سمرنا الليلى فى ذلك الزمان ، وقد اصبحنا جميعاً معلمين فى المدارس فى نادى المعلمين بميدان الأوبرا ، وهناك تعرفنا ، وهنا اظن الأوان قدحان ان اقدم اليك مجموعتنا التى اشرت اليها فى أول الحديث بأسمائها وبما جرت به عليها احوال الزمان . كانت هذه المجموعة التى عرفت فيما بعد بالجمعية الأدبية المصرية مكونة من فاروق خورشيد الروائى ودارس التراث الشعبى العربى ، عز الدين اسماعيل الشاعر الناقد ووكيل كلية آداب عين شمس فيما بعد ، وعبد الغفار مكاوى القصاص الفيلسوف المترجم ، عبد الرحمن فهمى الكاتب القصاص السيناريست ، وكان فى ذلك الوقت موسيقيا أيضا ، واحمد كمال زكى الشاعر الناقد ، وهاأنت ذا ترى أن ثلاثة منا تدكتروا وصاروا اكاديميين ، وثلاثة اختاروا أن يكونوا كتاباً لا يحملون إلا شهادة لا أله إلا الله وشهادة الليسانس .

وتعرفنا فى نادى المعلمين بأستاذ كريم وكان معلما رفيع القدر ، وأديبا عالى الصيت ، وهو المرحوم محمد فريد ابو حديد ورعانا أبو فريد وضمنا تحت جناحه الوارف ، ولعله هو الذى اصلح مابينى وبين وزارة التربية والتعليم التى كان هو وكيلها ثم مستشارها الفنى حتى فارقت هذه الوزارة لا أسفا ولا مأسوفا على باستقالتى منها فى اكتوبر ١٩٥٧ ، أى بعد ستة سنوات من العناء الذى لا يهون من أمره إلا قليل من المرح العابر . وكان فريد ابو حديد فى ذلك الوقت شريكا ومعاونا لاستاذنا المرحوم احمد أمين فى مجلة الثقافة ، وانبأه احمد أمين ذات يوم أنه يزمع اغلاق المجلة لما تصيبه وتصيب لجنة التأليف والنشر من خسارة محققة ، وهنا اقترح عليه فريد ابو حديد أن يعهد بتحريرها لجيل من الشباب ، فسأله احمد أمين عن هذا الجيل ، فرشحنا له ، وهكذا أصبحنا بين اغسطس ١٩٥٢ ، فبراير ١٩٥٣ مسئولين ، ونحن فى اوائل عشريناتنا عن مجلة الثقافة ، نجمع مادتها ، ونرتبها ونعد رسومها ، ونكتبها . بل ونرمى حروفها احيانا . ونبيع بعض اعدادها احيانا أخرى ، وأذكر اننى كتبت هذه الفترة قصتين قصيرتين قد تستهوى قراءتهما الباحث فى تاريخى الأدبى إن كان لي تاريخ ، كما نشرت فيها أول قصيدة لي فى الشكل الشعرى الجديد ، وهى قصيدة (ابى) .

ولكن ما هو أهم من ذلك كله هو اننى انبأت بهذا الأمر صديقى الكبير ابراهيم ناجى ، فابتهج له ، وحيانى بأن اعطانى مسودة قصيدتين بخطه ، مطلع احداهما فيما أذكر :

صيرك الحسن أمير الوجود .
والشعر من هاماته كللك .

وليتنى احتفظت بأصول القصيدتين بخطه .. فقد اضاعهما الطابع ، ولم اعن باستردادهما ، إذ كنت غرا لا أدرى كيف احتفظ بأجمل التذكارات ، وكيف للشباب أن يعرف أنه سيفتش ذات يوم عن ذكريات عمره الضائع ، بكل ما فى قلبه العجوز من وجد وانكسار .

ومن نافلة القول ان اذكر أن الذين عاصروا هذه الفترة من اخواننا يذكرون أن هذه الشهور من عمر المجلة كانت من ازهى أيامها ، ولعل من الانصاف أن نذكر أننا قدمنا فيها الفن التشكيلى لأول مرة . وكان من رفاقنا فى تقديم هذا الفن سواء برسم اللوحات التوضيحية أو التعليق على المعارض الفنية حفنة من ألمع فنانى مصر الآن منهم المرحوم عبد الهادى الجزار ، والصديقان حامد ندا وجاذبية سرى ، ولكن ذلك كله لم يرض استاذنا احمد أمين ، فالخسائر هى هى ، والحياة الأدبية لاتكاد تستقبل مجلة أدبية بما هى أهل له من تقدير ، وهكذا كاشفنا المرحوم فريد أبو حديد بعزم أحمد أمين ، وطردنا من مقر المجلة بحارة كرداسة بعابدين ، وعدنا الى جمعية المعلمين (ومعذرة للسجع) .

ومرت ايام ، وفى إحدى الأمسيات كنت فى نادى المعلمين حين حدثنى صديق كان يعمل فى إحدى الصحف أن ناجى قد مات ، وكاد الخبر أن يصعقنى ، فقد كنت قد رأيته قبلها بيوم واقفا ينتظر الترام أمام مبنى الاسعاف المجاور لمبنى التليفونات فى شارع رمسيس الذى كان يسمى قبلها بشارع الملكة نازلى ، وحين طال بنا الانتظار تسلينا بالتعليق على وجوه الملاح والقباح من عاملات التليفون الخارجات من مقر عملهن ، ثم جاء الترام ، فودعته ومضيت على أمل لقاء .

ومضى ناجى .. أعذب قيثارة فى الشعر العربى الحديث ، مغموط الحق فى كل مجال .. إلا أن ينصفه الزمان ، وليتنى اقدر على استعجال خطاه فى حديث قادم ...

د. حسن أبشر الطيب

المدير بين الوهم والحقيقة ؟ القيادة الادارية .. كيف تكون؟

لقد انفقت المدارس التقليدية في علم الادارة بما فيها نظرية البيروقراطية لماكس فبر ونظرية الادارة العلمية لفردريك تيلور ونظرية المبادىء الادارية للوثر جيولك جهدا كبيرا في تأصيل ما عرف بالمظاهرة الرسمية للتنظيم • كان الهم الاول عندهم هو تركيز التخصص ، تحديد الادوار ، التدرج الهرمي في السلطات قياس العمل وتحديد معايير لمعدلات الاداء • لهذا كان من الطبيعي ان تخلص هذه النظريات الى القول بأن المهمة الاساسية للقيادة الادارية في المنشأة هي التثبت من كفاءة كل العمليات الداخلية بحكم انها المحور الاول والاخير الذي يحقق الكفاية الانتاجية في المؤسسات •

ان هذه المبادىء الادارية التي سادت في الثلاثينات والاربعينات من القرن العشرين قد افادت في تحديد بعض الاطر العلمية واعانت في تقنين بعض الاساليب التي حكمت الصلة في المناشط الادارية بين نسبة التكلفة الى المنفعة ، لكنها ظلت قاصرة عن وضع تصور متكامل للفعالية الادارية اذ انها باتت حبيسة منظور مغلق عنايته الاولى والاخيرة بالجوانب التفصيلية والفنية داخل اطار التنظيم •

الحقيقة الذهبية

ان تصور العملية الادارية في منظور مغلق يقود الى ممارسة تتنافى وجوهر الادارة الفعالة اذ انه يغفل تفاعل التنظيم مع البيئة الخارجية بكل عناصرها السياسية وعواملها الاقتصادية وقيمها الاجتماعية والثقافية •

ان تصور المنشأة كجزيرة منعزلة عن بيئتها وهم يجافي واقع الحال ، فطبيعة الاشياء تشير الى ان كل تنظيم اداري يحتاج بالضرورة الى مدخلات ترد من البيئة في شكل موارد بشرية احيانا وفي شكل امكانات مادية احيانا اخرى • وللتنظيم في ذات الوقت مخرجات تفيد منها البيئة في شكل معلومات او خدمات أو منتجات • لهذا فان الحقيقة الذهبية في علم الادارة الحديثة تقول بان التنظيم الاداري لكي يقوم بواجبه وينمو النمو المطلوب لابد له ان يخلق علاقة توازن ديناميكي مع بيئته المتغيرة • جوهر القضية يتمثل في حقيقة ان الكيان الاداري الفعال لابد له ان يحقق درجة معينة من التوازن مع بيئته بالقدر الذي يمكنه ، بصورة متصلة ، من استيراد المدخلات الاساسية التي تعين في استمرارية العمليات التي يقوم بها والوفاء بالاهداف الكلية المحددة للمنشأة •

ان خلق وانماء علاقة التوازن الديناميكي بين التنظيم وبيئته المتغيرة يمثل الجوهر الاصيل لواجب القيادة فهي المناطة بمهمة العمل المختص للابقاء على المنشأة في حالة فعالية متصلة • من هذا التصور الكلي لواجب القيادة تنبع المهام الثلاث الاساسية التي ينبغي لها ان تنهض بها وهي : العمل على استقرار واستمرارية التنظيم ، السعي للتعديل والتغيير حرصا على تأقلم التنظيم مع المتغيرات الايجابية في البيئة ، ابتداع النظم والسبل التي تحقق للتنظيم النمو والتطور بالقدر الذي يمكنه من استكشاف متطلبات المتغيرات المتجددة قبل حدوثها •

استقرار واستمرارية التنظيم

بما ان التنظيم يتكون من انظمة فرعية متعددة تتفاعل مع بعضها البعض وترتبط مع البيئة بعلاقات متشابكة فان القيادة الفعالة لابد ان تكون مستوعبة لهذه العناصر لضمان تحقيق الترابط الذي يوجه كافة المناشط وصولا للاهداف الكلية •

فالقيادة في غايتها هي المقدرة على التأثير الايجابي والفن في تحقيق التنسيق المتصل بين الكيانات الداخلية لبلوغ النتائج المطلوبة • ان عدم قيام القيادة بهذه المهمة على الوجه المطلوب يقود بطبيعة الحال الى غياب النظرة الكلية ، الامر الذي يخصب المجال للصراع بين الجزئيات والازدواجية

في المناشط والتعدد في الاهداف ، وذلك حال ينتهي بالتنظيم الى التفكك وغياب الهدف الموحد مما يجعل من اليسير تقويض الدعائم المكونة له أو المحققة لاستمراريته .

التأقلم مع المتغيرات البيئية

نسبة لأن التنظيم لا يمكن ان ينشأ كجزيرة منعزلة عن بيئته فانه بواقع الحال صاحب علاقات متصلة ومتفاعلة مع عناصرها المختلفة . وبما ان هذه العناصر البيئية لا تبقى على حال واحد بل تتغير وتتعدل وتتجدد من وقت لآخر فان مواكبة التنظيم لكل هذه التعديلات ضرورة لازمة لخلق التوازن الديناميكي معها الذي يمكنه من التكيف والتأقلم مع الجوانب الايجابية منها . من هنا تنبع مهمة القيادة في استقبال التغذية الاسترجاعية من البيئة وتحليلها والاستفادة منها في معرفة ماهية المتغيرات الجديدة والضرورات التي تستوجبها سواء اكان ذلك تعديلا في تكوين التنظيم أو علاقاته أو أهدافه .

صلات دائمة

لكي يتسنى للقيادة الافادة الكاملة من التغذية الاسترجاعية بشكل متصل ومنتظم فانه لا غنى لها من خلق صلات دائمة مع كيانات أساسية في بيئتها وهي :

● أولا : مراكز السلطة ، وتضم كل الكيانات المحددة والمنظمة للسلطات التشريعية . ان الصلات المتصلة بهذه الكيانات ضرورة قصوى لا سيما في المراحل التأسيسية التي تحدد الوضعية القانونية للمنشأة ، وتظل أهميتها باقية حتى بعد تجاوز مرحلة الانشاء اذ انها قد تؤثر عن طريق القوانين العامة التي قد تضعها لاحقا في كيان المنشأة أو في جانب من جوانبها الاصيلة . أن استمرارية الاتصال ومتابعته مع هذه الكيانات التشريعية يعين في التعرف على ما يجد من قوانين قد تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على أهداف المنشأة أو كيفية الاداء فيها . كما وانه يتيح لقيادة المنشأة ان تغذي هذه الكيانات برأيها وتجربتها العملية التي تعين في صياغة التشريعات الجديدة ذات التأثير المباشر في وضعيتها أو طرق الاداء فيها .

● ثانيا : الكيانات الوظيفية التي تعمل عملا مكملا او مماثلا أو هي المستهلك لمنتجات المنشأة أو المستفيد من خدماتها . ان الاخفاق في تحقيق اية صلة من هذه الصلات الثلاث يقود الى تقويض ركن أساسي من جوانب العمل الامر الذي تنعكس سلبياته ؛ أداء المنشأة بشكل بين .

● ثالثا : الكيانات الممثلة لقيم المجتمع ، وهي صلات تنبع جدواها من جانبين : فهي في المكان الاول تحفظ للمنشأة سلامة الاتجاه بعدم الدخول في مجالات ـ مهما كانت جدواها الفنية ـ اذا كانت تتعارض مع القيم الروحية او العرف الاجتماعي والثقافي السائد في البيئة . وهي ايضا تعين المنشأة من جانب آخر في توسيع دائرة نفوذها باستقطاب جهود الكيانات التي تغذي وتنمي قيما وأهدافا مماثلة لمنهجها وأهدافها . ان ارتباط المنشأة الوثيق بالقيم الفعلية لبيئتها يجعل وجودها جوهريا لازدياد ازالتها لاسباب فنية بحتة امرا صعبا ان لم يكن في بعض الحالات مستحيلا .

● رابعا : الرأي العام ، فهو المناخ الكلي الذي لا يمكن للمنشأة ان تعيش خارجه وفيه تتبلور آراء الافراد والجماعات المميزة ازاء القضايا والاحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفيه ينعكس تقييم المنظمات الفاعلة والعاملة في المجتمع . لهذا كله فان العناية بقنوات الاتصال لتحقيق علاقات التفاهم المتبادل والحفاظ على تنميتها بين المنشأة والرأي العام يعين في : بث المعرفة والترويج للسلع أو الخدمات التي تقدمها المنشأة ـ عن طريق المعلومات الكاملة والصحيحة ـ كما هي ايضا تعكس للقيادة رأي الجمهور فيما تقدم والانتقادات البناءة التي يمكن الافادة منها لاحقا في تجويد الخدمة المقدمة . كذلك تعين المنشأة في كسب التعاون والتأييد لمواقفها لا سيما عند مواجهة الظروف الحرجة بما تشمل احيانا من ندرة في المواد المتاحة أو في الحملات الدعائية المضادة غير المؤسسة على الحقائق . اضافة الى ذلك فان قنوات الاتصال المبنية على الرؤية الواضحة تتيح للمنشأة وجودا مميزا وكيانا ذاتيا خاصا يجعل من الصعب على بقية المنظمات التدخل فيه أو القيام بعمل يقلل منه .

الترابط العضوي والوظيفي

ان تنمية الاتصال بين المنشأة وبين الكيانات الاربعة التي بيناها سلفا يحقق للمنشأة الترابط العضوي والوظيفي مع بيئتها ويعينها على

المدير بين الوهم والحقيقة ٢
القيادة الادارية .. كيف تكون؟

التكيف والتأقلم والمواكبة في معناها الايجابي مع المتغيرات الاساسية ٠

جوهر القضية يتمثل في حقيقة ان اية منشأة لكي تتمكن من تحقيق اهدافها لابد لها من ان تطبع تلك الاهداف بالواقعية وتسندها بالشرعية وتؤيدها بالوضوح الكامل وتدعمها بالامكانات والموارد المتاحة ٠ ان أيا من هذه المزايا الضرورية لا يمكن تحقيقه الا بالصلات والتفاعل مع المكونات الاساسية للبيئة ٠

استكشاف المتطلبات المستقبلية

ان التنظيم الفعال عندما يزداد نموا تزداد عناصره المتخصصة تطورا بالقدر الذي يمكنه من تجاوز مرحلة التعامل بردود الفعل الى مرحلة السبق في استكشاف المتطلبات المتجددة على ضوء المؤشرات العلمية للاحتمالات المتوقعة مستقبلا ٠ لهذا فان المهمة الاساسية الثالثة للقيادة في اية منشأة تتصل باخصاب المناخ الملائم لابتداع النظم والاساليب التي تمكن التنظيم من استكشاف المتطلبات المتوقعة مستقبلا والعمل على تحقيقها عند الحاجة اليها ٠ الجامعة مثلا كمنشاة ، فيما يقول اللورد فلتون ، تكون فاقدة لرسالتها وجدواها اذا لم تتجاوز بيئتها بربع قرن من الزمان ٠٠ ويعني بذلك ان مناهج الجامعة واساليبها لابد ان تكون معدة للايفاء باحتياجات المستقبل اذ ان خريجيها هم قادة المستقبل في الادارة والصناعة والزراعة وغيرها من متطلبات البيئة ٠ ما يصدق في هذا المثال على الجامعة يصدق على غيرها من المؤسسات مهما اختلفت نوعية الخدمة أو المنتجات ٠ أمامنا شواهد كثيرة في مجال الصناعة بشكل خاص ، تبين في وضوح لا يقبل المناقضة ان المؤسسات الصناعية التي استطاعت البقاء والنمو في ساحة العمل هي تلك التي تفوقت تقنيا واستطاعت بقدرتها العلمية النافذة ان تبتدع أشكالا وانماطا ما استطاعته غيرها ٠

ان مرحلة الابداع وهي مرحلة تمثل النضوج المتكامل للمنشأة تحتاج من القيادة الى الجهد المتأني في تكوين خلية للبحث العلمي تعينها في رصد التجارب الماثلة وتحليلها وتصنيفها وتكون للمنشأة بشأنها في موقف الذاكرة ٠ثم لابد لها فوق هذا كله ان تعين القيادة في استقراء المؤشرات الحالية لوضع البدائل الممكنة سعيا لاشباع الاحتياجات المتوقعة مستقبلا ٠

يمكننا ان نخلص من هذا التحليل لمهام القيادة وواجباتها الى القول بأن هذه المهام في جملتها تثبت حقيقة جوهرية وهي ان طبيعة وظائف القيادة تتصل بالقرارات الحرجة التي تؤثر في الكيان الكلي للمنشأة وتبعد بعدا كاملا عن القرارات الروتينية التي تتصل بالجزئيات الفنية داخل التنظيم فالقيادة في المكان الاول هي المحددة ــ بالتعاون مع التكوينات الداخلية للتنظيم ــ للأهداف الكلية مراعية في ذلك الواقع العملي من حيث الكفاءة والامكانات ، والظروف البيئية وما تفرضه من قيود أو توقعات ٠ ثم ان القيادة في المكان الثاني هي المحددة لدور كل من الكيانات الجزئية الداخلية في تنفيذ الاهداف بالقدر الذي يحول هذه الكيانات من مرحلة الحياد الى مرحلة الانتماء والتفاعل العضوي والوظيفي مع بعضها البعض ٠ ولابد للقيادة تحسبا لما قد ينتج داخل المنشأة من صراع بين الكيانات الداخلية ، الامر الذي قد يؤثر تأثيرا مباشرا في تحقيق الاهداف، ان تعطي عناية خاصة لجهاز الاتصال الداخلي الذي يعمق التنسيق ويدعم التعاون ويضع البدائل العلمية لحل اوجه الصراع الداخلي ٠ والقيادة هي ، قبل هذا كله ، المناطة بالابقاء على المنشأة في حالة فاعلية متصلة وذلك يعني بالضرورة تأقلما ايجابيا مع الظروف البيئية ، وجهدا ابداعيا موجها لاستكشاف الاحتياجات المستقبلية ، وسعيا متصلا لتحقيقها عند الحاجة اليها ٠

د٠ حسن أبشر الطيب

أضغاث أحلام

نعم .. هي مسألة مناخ

من الحقائق العلمية التى لا مرية فيها ، أن الماس ، والجرافيت والسناج (الهباب) ، ما هى إلا صور ، لعنصر الفحم أو الكربون الذى تتكون ذرته من نواة قوامها ستة (بروتونات) موجبة ، مع مثلها (أو أقل أو أكثر) من (النيوترونات) ألا مشحونة ، تدور حولها فى افلاك مقدرة ، ستة (الكترونات) أو كهيربات سالبة ، فى نظام عجيب ، تحكمه (ميكانيكا الكم) ، أودعه الله فى مخلوقاته تلك ، المتناهية فى الصغر ، والتى لا تدركها الأبصار ولكن تدركها البصائر لدى أولى الألباب من العلماء ... هذه الصور ، من عنصر الفحم إذا احرقت أياً منها ، فى جو من غاز الأوكسجين ، فانك تحصل على غاز (ثانى أوكسيد الفحم) الذى تستطيع أن تذيبه فى الماء ؛ مع السكر والليمون ؛ لكى تحصل على زجاجة من (الغازوزة) . بيد أنه لا شك فى أن ثمن زجاجة من هذه ، أو (الكوكاكولا) ، المذاب فيها غاز (ثانى أوكسيد الفحم) الناتج عن احتراق كمية من الماس ، يساوى ثمن انتاجه مصنع للمياه الغازية ، لمدة شهر كامل أو يزيد ، حيث يذاب الغاز الفحمى الناجم عن صناعة الجير الحي ، من الحجر الجيرى ، الذى تتكون منه التلال التى بنيت عليها قبلتنا الأولى ، المسجد الأقصى المبارك ، فى القدس الشريف الجريح ، أو الذى بنى عليه البطل صلاح الدين الأيوبى (رضى الله عنه وأرضاه) قلعة القاهرة الخالدة ، على جبل المقطم ، شرقى النيل ، وهو نفس الحجر الذى يغطى أرجاء شبه جزيرة قطر ، وتستقر فوقه عاصمتها ، الدوحة ، حيث تصدر هذه المجلة الفتية .. ولقد ثبت للعلماء ، أن الاختلاف البين فى صور عنصر الفحم بحيث ترى السناج أسود حالكاً ، يرمز للقذارة والاتساخ ، وترى الماس صلباً وضاءاً متلألئاً ، يتحكم به (بنو قينقــاع) اليوم ، فى جانب هام من الاقتصاد العالمى ابتداء من مناجمه فى جنوب أفريقيا العنصرية ، ومرورا بمصانع تشكيله وتزويقه فى (ناتانيا) بفلسطين المحتلة (((منذ سنة ١٩٤٨))) ، وأمستردام فى هولندا ، وانتقرب فى بلجيكا ، وانتهاء بسوق المجوهرات العالمية ، فى نيويورك ، معقل قريظة الأكبر ، حيث لا يتحدث الناس هنالك إلا بلغة الاشكينازيم (وهى خليط من العبرية والألمانيةوالخزرية يسمى البيديش) – راجع الى الاختلاف فى (المناخ) الذى تتكون فيه هذه الصورة أو تلك ، من صور عنصر (الفحم) ، وانه لو قدر (للهباب) أن يتكون تحت نفس (المناخ) الذى تكون تحته (الماس) فى عروق (الكمبراليت) ذات السحنة الصخرية (فوق القاعدية) ، التى كان أول اكتشافها فى منطقة كمبرلي بجنوب القارة السوداء ، فان ذلك السناج كان يمكن أن يصير (ماساً) يخدش كل ما عداه من المعادن والفلزات والسبائك ويظل نظيفاً براقاً ، يكاد أن يضىء لو لم تمسسه نار ، أو نور ، وتتمناه اجياد واذان ومعاصم ، وأنامل الغيد الحسان (متبرجات بزينة أو محتشمات) ، والعجائز الشمطاوات المتصابيات ، سواء بسواء ... والمناخ ، فى عرف الشعراء ، دون اعتراض من العلماء ، يمكن (لتكوين السناج والهباب) أن تشبهه ، بمصنع (طرشى مخلل) أو مدبغة جلود أو مستنقع مجارى ، أو سوق للأسماك (البحرية أو النهرية) ، أو مخزن للبصل والثوم ، بينما المناخ لتكوين (الماس) يشبه رائحة الهواء ، فى ليلة مقمرة ، من أشهر الربيع ، بعد شتاء مطير ، بأى من بقاع الصحارى العربية بين المحيط والخليج (لم تتلوث بعد بمعطيات العصر) ... ويزيد الشعراء الأمر إيضاحاً ، مؤيدين العلماء فى مسألة (تأثير المناخ) فيؤكدون ، أنه لو توفر لانسان ، ذى مال وسلطان ، أن يجمع كل نوافج أيائل المسك التى يصرعها الصيادون ، دون رحمة ، فى جبال الهمالايا ، وحوافها فى الهند والتبت والصين ونيبال وبوتان ، وكل ما ينتجه الشبراويشى وامثاله ، وجميع ما يلتقطه البحارة على سطح بحر العرب ومجاهل المحيطين الهندى والهادى ، من كتل (العنبر) التى يلفظها الحوت ، لعلة لم نعرفها بعد ، وخلطت بكل ما فى غدد (سنانير الزباد) فى الصومال وأرتيريا ، وبكل زيوت غابات الصندل ، والعود ، والاذخر ، والزعفران ، والنرجس ، والياسمين الفيومى ، والمـر ، والخزامى ، والورد ، وما إليها من سنبل الطيب والرياحين ، ثم شاء حظه العاثر أن يحاول تمييز عبقها واريحها فى منطقة (الجبل الأصفر) بشرق القاهرة ، أو مايشابهها فى اية عاصمة عربية ، فان مناخ (المجارى) سوف يطغى على كل تلك الاطياب ، تماماً ، كما يطغى (مناخ) دكان (مبيض نحاس) بدخان الكور وانجرة الكبريت والنوشادر على (مناخ) بائع للشواء (لحماً أو دجاجاً) على قيد خطوات ، وتماماً كما لايستطيع أى سمع مرهف أن يميز انغام ربابة ، أو عود ، أو قيثارة ، أو كمان ، أو (سمسمية) فى محطة للسكة الحديد ، أو فى (ورشة) سمكرة ، للسيارات التى يتلفها سوء أدب السكارى أو (الحشاشين) من السائقين .

والمناخ فى اعتقاد العلماء والشعراء علَى السواء ، لصياغة المجتمعات البشرية مرهون بنوايا وأعمال (النظم الحاكمة) على مستوى العالم أجمع ، فهى التى تستطيع أن تجعل من مجتمعاتها ، مخازن للثوم والبصل ، لاتبين فيها خلاصة المسك الأزفر ، مهما كثرت ، أو تجعلها مصانع لتخريج القيم والمثاليات والكمالات والمكارم ، التى تتصدى للجاهليات المعاصرة ، وتغيير المناخ ، ليس شعارات تطرح ، وعبارات تتملق الجماهير ، إنما هى إيمان بالله يصدقه العمل ، البَيّن الواضح ، خلوا من النفاق والأنانيات والشهوات والضلالات والأكاذيب ، حتى نصنع بدل السناج ماساً مضيئاً .

عـايدة الشـريف

من مذكرات شاهدة ربع قرن

هل آن الأوان لفتح ملف زيارة سارتر إلى القاهرة !؟

حدث وأنا أرافق سارتر والمثقفين .. في بلدى

يقدر عنف الموجة .. وتركيب تربة الشاطىء .. بما تحدثه الموجة .. من تاثير . فان كان الشرخ غائرا عميقاً ، ادركنا مدى شدتها وقوتها . اما إذا لم تخلف شيئا فان ذلك قد يعنى ضعفها اووهنها ، وقد يعنى ايضاً عدم استعداد التربة لتلقيها .

فكيف كانت موجة سارتر الى مصر .. وماهو الأثر الذى خلفته فى مثقفيها ؟

اقرأ كتاب لويس عوض «دراسات أوربية» تامل فى مقالته الثانية « الوجودية بلا دموع » ، « كيركجارد » يقول الدكتور لويس :

جاء ضيفنا العظيم جان بول سارتر وصاحبته الكبيرة سيمون دى بوفوار ، وزميلهما المعروف كلود لانزما رئيس تحرير مجلة العصور الحديثة (وهو مدير التحرير .. وسارتر هو الرئيس) . المهم يستطرد د. لويس : لن اقول لك إن سارتر ولد ١٩٠٥ او انه حاصل .... وإنما سابدا كلامى عن سارتر بتقديمه كفيلسوف اولا وكاديب ثانية «نتهيا لأن نسمع الحصيلة التى وصلته من سارتر فنجده يقول : لقد اقترن اسم سارتر منذ ربع قرن أو يزيد بالفلسفة الوجودية ... وللوجودية قصة فكيف بدات هذه القصة»؟ ، ثم نستمع الى هذه القصة فلا نخرج بكلام إلا عن كيركجارد .

اقرأ جريدة الأهرام بعد وفاة سارتر .. « ت . الحكيم يتحدث عن مفكر العصر .. الأوربى سارتر ، ويسأله الصحفى الذى اجرى الحوار هل حدثك سارتر عن مسرحياتك ؟ فيجيب الحكيم بنعم قرأ مسرحياتى المنشورة بالفرنسية ، وقال لى رأياً طريفاً .. قال إنه لاحظ أن النساء فى مسرحياتى أذكى من الرجال ، وهو مالم تلاحظه المراة .. وعلى الأخص فى بلادى .. فقد شاعت عندهن فكرة « عدو المراة » وإذا كان ذلك صحيحاً فلا تعارض هناك .لان ... الخ .

هذه هى حصيلة الانطباعات من قبل ومن بعد الزيارة :

إن سارتر لا يؤمن إلا بما يوحى به إليه عقله وفلسفته للحياة . لقد زار مصر .. وقابل من قابل فيها وزار قطاع

- استقبلناه بمظاهرة .. وكان كلامنا معه أشبه بالصدى فى وادٍ مهجور!
- الصهيونية دست كلود لانزمان على الزيارة .. للتوجيه والتضليل!
- لم تكن العلاقة بين سارتر وسيمون ولانزمان مجرد علاقة أدبية!
- كان الاعتقاد أن يكون سارتر "منظمة دولية" ذات أحكام مُلزِمة!
- هو نفسه لم يكن ضمير نفسه .. فكيف يطلقون عليه: ضمير العصر؟!

غزةوتحدث مع سكانها واللاجئين إليها . لقد سمع ورأى ولكنه لم يتاثر قيد انمله بما سمع ورأى ، وكان استقبالنا له اشبه بمظاهرة وكان كلامنا معه أشبه بالصدى فى واد مهجور .. إلا أن الصهيونية كانت اذكى منا واكثر دقة فى قيادته الى اهدافها . فقد دست كلود لانزمان بفكره الصهيونى المغلف بطبقة رفيعة مزيفة من الفكر التقدمى للتضليل . دسته، على سيمون فى وقت كان فيه سارتر يتارجح بين وجوديته والشيوعية فاستطاعت سيمون بتاثير من لانزمان.أن تسوق سارتر الى أن يخرج عن قاعدته ويسير وراءهما منوما أو كالمنوم وهو الفيلسوف الذى وضع للفردية وللاستقلال الفكرى قواعد أثرت على جيل وستؤثر على اجيال ، فانبهر بما قدم اليه فترة .. قبل أن يعود الى قواعده سالماً . ولقد رأينا كيف كان لانزمان يقف فى الظل وراء سارتر فى كل زياراته فيسمعه صوت هرتزل واضحاً مجلجلا وهو يهمس به إليه . وإلقاء العلم الفلسطينى بعيدا عنه فى غزة وهو يرى بؤس اللاجئين إليها بام عينه ، ليس إلا دليلا صارخا على ما ذهبت إليه .

وهكذا حالنا مع انفسنا ومع غيرنا من قوى العالم الخارجى المحيط بنا، على المستويين الفردى والجماعى نستقبل كل ما تعرضه على انفسنا وعلى غيرنا بالزمر والتطبيل والمظاهرات والعواطف ، ودون أن نقيم للعقل والمنطق والتاريخ وزنا ..

الم يقل سارتر للاستاذ على السمان ، وهو محق فى قوله «لماذا لا تجزئنى فتاخذ منى مايعجبك وتطرح مالا يروق لك» هذا هو المنطق الجدلى الذى يجب أن نواجه به انفسنا ونواجه العالم به . لقد استطاعت الشيوعية به ان تجذب سارتر إليها عدة مرات ، وكان كلما ينتفض عنها فترة تلاحقه مرة أخرى ، حتى انفض عنها الى غير رجعة . وعندها تركته بعد أن يئست منه فى أخر محاولة . وهذا ما فعلته الصهيونية به . ولنتعظ بذلك إذن فى مثل علاقاتنا مع مفكرين غربيين مثل سارتر فنخاطبهم ونتعامل معهم بمنطقهم واسلوبهم .

لقد كان توفيق الحكيم ، بكل خبراته كمفكر لا يعرف عن العلاقة القائمة بين الثلاثى سارتر وسيمون ولانزمان إلا بعد أن غادروا مصر .. وكتب العارفون عنهم ما كتبوا ، مما دعا الحكيم تحت ضغط الحقائق لأن يعطى تفسيرا سطحياً عن علاقة سارتر بسيمون دى بفوار ، وذلك فى حديثه الى جريدة الاهرام ـ بعد وفاة سارتر ـ حيث قال :

« كانت علاقة زوجية تقوم على التراضى والايجاب والقبول دون تدخل من أى إجراءات عملا بمبدأ الحرية عند سارتر .. حرية الاختيار عند الانسان هى الاساس . وليس مجرد الورقة أو الاجراء .. الخ .

وبعد : فقد فشلت زيارة سارتر الى القاهرة عام ١٩٦٧ كما تعلمون . وعلى أثر وفاته طلب منى السيد رئيس تحرير الدوحة ان اكتب تقويما لهذه الزيارة ، وأن أسجل انطباعاتى عنها ، لا لأهمية الرجل أو الزيارة فى حد ذاتها . فذلك حدث مضى وانقضى ومات الرجل بعد أن غير فكره ومواقفه اكثر من مرة . ولكن تدبرا لمواقفنا وتغييرا لحساباتنا .. وربما لندرأ اخطاءنا بعد ذلك مع اناس آخرين وفى ظروف مواتية اخرى .

أتيح لى أن أرافق سارتر ومرافقيه فى زيارته الى القاهرة .. كمراسلة لمجلة الآداب البيروتية . بل أن الدكتور سهيل إدريس رئيس تحريرها أوكلنى لتوجيه الدعوة لسارتر ورفقائه لزيارته فى بيروت .. ولقد تسنى لى بفضل ذلك أن أكون قريبة منهم وأن اتتبع كثيرا من لقاءاتهم بالمجاميع وحوارهم المنفرد مع المفكرين وأن استمع الى بعض آراء سارتر فى أولئك وهؤلاء .

والحق أن الصديقين عبد الملك خليل والمرحوم وحيد النقاش قد ساعدانى كثيرا سواء فى توجيه بعض الاسئلة ، أو ترجمة بعض ما يسقط عن اذنى من كلماتهم حتى أتابع الحديث .. فلقد كان عبد الملك رفيقاً كل الوقت للرفقة السارترية وكان يسرد لى دائما ما فاتنى من الزيارة بسبب عملى الحكومى .. يحثنى باستمرار على أن

حدث وأنا أرافق سارتر

توفيق الحكيم

لويس عوض

سهيل ادريس

اتشجع فى التحدث مع الضيوف بأية لغة ، حتى لا يظنوا انى مجرد مراقبة لتحركاتهم وملاحظاتهم لصالح جهة ما . ، لا سيما وانهم كانوا يعتبرون كلمة (مرسى) التى تنطلق منى عفوياً تشى بأنى اتكلم الفرنسية بطلاقة ، لعدم معرفتهم أن المصريين يستعملونها كالعربية سواء بسواء .

وقد كتبت تغطية لهذه الزيارة لمجلة الآداب .. ولكنها لم تنشر فى حينها لأن هذا الحين تصادف مع نهاية زيارة سارتر لاسرائيل .. وتصريحه بتأييد وجودها ، مع حق عودة اللاجئين الى ديارهم (وكالعادة عندما يمسسنا ضر .. نغضب وننصرف .) فأحكم التعتيم على أخبار سارتر من وقتها .. ولم تتابعه الصحافة بعد ذلك بالشكل السابق حتى غابت عنا التحولات التى حدثت فى أفكاره بعد ذلك ، وإمتناعه عن توقيع البيانات التى تؤيد دولة اسرائيل . وأذكر أننى عند كتابة ذلك المقال ، عانيت كثيرا من القفز فوق موضوعات وآراء كانت تصدم القارىء حتى فى اساتذته الكبار الذين يكن لهم ولآرائهم تقديرا كبيرا .. لو تجاسر من كان فى مثل سنى وقلةتحيلتى وخبرتى حينذاك على التصريح بها .. ولكن مرور ثلاثة عشر عاما على هذه الأحداث عملت كثيرا على اضمحلال هذه المهابة التى كنت أحسها فى نفسى تجاه كثير من هؤلاء المفكرين وعملت أيضا على زوال المرح لدى .

والحق أن هذه الزيارة قلبت كثيرا من أفكارى عن مثقفينا وعن سارتر رأسا على عقب ، كنت اظن قبلها أن لقاءًأمهما كزيارة سارتر ستجعل الحكيم ينفض عن نفسه هذا الانغلاق الذاتى والميول الانصرافية التى تشكل أدبه ـ والتى المح إليها كثيرا من الأدباء العرب ـ ويبدأ بجدية فى التعرف على فكر الزائر وتطبيقاتها على حياته .. كنت اظن أن لويس عوض صاحب الثقافة الموسوعية النادرة .. سيتخلى ولو مؤقتا عن احكامه الانفعالية المتسرعة وشهوة إطلاق التعبيرات المدبجة . ولكن ذلك لم يحدث بالنسبة للرجلين معا . كنت اظن أن العلاقة الثلاثية بين سارتر وسيمون ولانزمان محض مواقف أدبية ، عاشوها كتجربة حياة .. ولكن هذه الزيارة أكدت أن هذه المواقف تنسحب على ادق آرائهم وتحكم مواقفهم السياسية والاجتماعية .

فمن أين ابدأ .. وهل أكون متفقة مع هذا الانقلاب أن ابدأ من النهاية ؟ ولكن إذا كانت النهاية محصلة لبدايات فكيف يرتب القارىء مفردات الموضوع بعد أن تعاكس سرده ؟ لنترك الموضوع يأخذ مجراه حسبما اتفق .

مارس ٦٧

زار سارتر القاهرة فى مارس ١٩٦٧ .. واستمرت هذه الزيارة ستة عشر يوماً . ولم تكن هذه الزيارة إلا آخر الدعوات التى وجهت اليه من القاهرة وماطل فى تلبيتها بسبب تشككه فى جدوى التجربة المصرية والقائمين على تطبيقاتها من فئة من الشعب وليست كل الفئات المتوجب أن تشارك فيها . وقد استمرت دعوات القاهرة تلاحقه لأنهم وجدوا أن هذا الموقف المبدئى منه ، لم يمنعه يوماً من الوقوف مدافعاً عن مصر فى وجه العدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلي على مصر سنة ١٩٥٦ .. حيث وقف مهاجماً حكومته بقوله : إن فرنسا ذهبت تنقذ قناة وتقتل شعباً ، هذا الشعب الذى قررت أن تقتله ليس الشعب المصرى وإنما الشعب الفرنسى نفسه ، فليس من حق أى رئيس لحكومة فرنسا أن يجرد الشعب الفرنسى كله من شرفه فى حب السلام . ثم تأييده لمصر فى كثير من مبادراتها ومواقفها فى الستينات .

هذا كله بجانب متابعة مصر لتأييده لكل المظلومين والجوعى فى العالم اجمع ومساندته لكل الحركات التحررية وعلى رأسها ثورة الجزائر .

وهناك سبب آخر كان وراء تسويف سارتر فى قبول الدعوات التى وجهت اليه إثر كل موقف رجح فيه كفة مصر ، ألا وهو معرفته انه مع تلبية أية دعوة لمصر سيكون مطالبا بابداء رأيه فى النزاع العربى الاسرائيلى . وهذا بالطبع كان واردا عند المصريين عندما وجهوا الدعوة الأخيرة الملباة .. بشكل زيارة صحفية من جريدة الأهرام ومن مجلة الطليعة بالذات التى كان يرأس تحريرها الاستاذ لطفى الخولى .. وبأسم توفيق الحكيم كأكبر مفكر سناً وقدرا كما رأت الأهرام . فبالرغم من أن العرب قد قرأوا من سنة ٤٦ الى وقت زيارته لمصر دراسة سارتر (المسألة الوجودية) وتأكدوا انه لم يوفق فيها ، لأنه تصور أن طرفى القضية هما اليهود والنازية ، أو الذى يضطهد والذى يقع عليه الاضطهاد أو المعادى للسامية واليهود .. ومع أن تصور المسألة اليهودية على أنها علاقة ثنائية تصور صحيح فهو تصور مبتور ناقص .. لأن القضية لا تقتصر على المجال السيكولوجى

لم تكن سخرية الرجل تتم عن طبيعة عدوانية .. وإنما نتيجة مبالغة غير محسوبة أخجلت تواضعه

فقط ، أو المستوى الثقافى فحسب بين فرد وآخر .. وإنما لها جذور تاريخية وأسباب إقتصادية واجتماعية كان لابد أن ينتبه اليها سارتر .. وربما كانت الدعوة لاكمال هذا النقص البين .. الذى يتيح له بعد ذلك إكمال هذه المسألة .

فقد صرح الاستاذ لطفى الخولى المشرف الفعلى على الزيارة .. أنه قد وضع زيارة سارتر وسيمون ولانزمان الى الجمهورية العربية المتحدة التى تتم لأول مرة فى إطار محدد ذى هدفين :

● معايشة التجربة المصرية والتعرف على الكفاح الذى يخوضه هذا الشعب بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر .

● وأن سارتر ورفاقه قد طلبوا بأنفسهم أن يتعرفوا على المعلومات الدقيقة عن القضية الفلسطينية فطلبوا زيارة منطقة غزة (كانت غزة تابعة للقطر المصرى فقد تمت الزيارة قبل النكسة بشهرين) والتعرف على مشاكل اللاجئين ومعرفة الحقيقة من كل جوانبها .

ولهذا فليس خافياً على احد انهم سيزورون اسرائيل بعد ذلك التى هى فى مفهومنا ، فلسطين المحتلة ، لأنهم بكل اخلاص وأمانة حينما نسألهم عن القضية الفلسطينية يقولون (إننا نريد البحث عن المعلومات والحقيقة على الطبيعة قبل أن نقول رأ ينا .) وربما يكون إستباقا منى أن أقول أن كلامهم كان بجانبه الحق .. المهم هذا عن الاطار الذى وضعه لطفى الخولى للزيارة .. أما الاطار الذى وضعه سارتر للزيارة نفسها ، فهو ذو شقين أيضا .. يتعلق الأول بضمان دعوى حياد مصر عندما وجهت الدعوة ، فاشترط لها أن يصطحب معه اليهودى كلود لانزمان . ويتعلق الثانى بحياده أمام ضميره — الذى حسبه متعادلا — وطرف الصراع الآخر .. فقبل دعوة لزيارة اسرائيل فور انتهاء زيارته لمصر .. وإذا تركنا زيارته لاسرائيل لأننا لم نراقبها .. فهل لنا أن نتساءل عمن هو (كلود لانزمان) هذا الذى فرضه سارتر على الزيارة حتى يضمن حيادها ؟ وهل قرأ المشرفون على هذه الزيارة كل الذى كتبه سيمون عن علاقتها بهذه الشخصية وتأثيرها عليها وعلى سارتر ايدلوجيا وفنيا حتى يعاملوه كعنصر مصاحب — مهمته تحقيق التعادل — وليس كمدعو أصلي .. فيدرأوا بذلك تأثيره الذى قلب المرجو من الزيارة رأسا على عقب خصوصا أن ذلك كان منشورا منذ ٦٣ ومترجما بعدها عن دار الآداب التى كانت تملأ منشوراتها رفوف المكتبات والأرصفة المصرية لمن لا يعرف الفرنسية أو الانجليزية .

سيمون ولانزمان

لقد كتبت سيمون دى بوفوار عن علاقتها بسارتر وكل الذين احبتهم من (الجرين) الأمريكى اللاتينى .. الى (لانزمان) اليهودى الشيوعى ، وذلك بعد أن انصرف عنها سارتر الى حبيبته الأمريكية (م) بجانب انشغاله فى أن يبنى ايدولوجية تضىء للانسان وضعه فيما هى تقترح عليه أن ينصرف الى عمل تطبيقى .. فتقول : إن مطمحا كالذى يشغل به سارتر نفسه كان غريبا على .. لأنه مشروع يخصه بشكل صميمى جدا — حتى أن واحدا لا يستطيع أن يشارك فيه .. ولو كنت انا هذا الواحد .. وكنت اعزى نفسى بأن الأمر ليس كما كان من قبل ، وأن هناك فى العالم من هم اتعس منى ، ولكن ما من شىء كان يمنحنى العزاء .. بل على العكس كان هذا الحزن الدفين يجذب الى كثيرا من الضيق والشكوى ..

.. وكان هذا اليأس والكآبة يتسللان الى قلبى الى درجة جعلتنى اتمنى نهاية العالم . لذلك كله عندما ظهر لانزمان فى افق حياتها احبته وأسكنته شقتها .. وتقول هى فى ذلك : (لقد حررنى حضور لانزمان الى جانبى .. فقضى أولا على ألوان ضيقى ، ثم انعش الاهتمام الذى كنت احمله للأشياء ، وذلك أن فضولى كان قد فتر كثيرا . رغم أنه كانت بى رغبة فى أن أراقب وأعمق واتمم تجاربى القديمة .. ولقد كانت هذه التحارب ، بالنسبة للانزمان ، جديدة ، وكان يضيئها بنور غير متوقع .. وقد رد لي بفضله ألف شىء ، ألوان من البهجة والدهشة ، والانفعال والضحك ورطوبة العالم .

أما عن هوية وايدلوجية لانزمان فتقول عنه سيمون : إن لانزمان قد حول اتجاه مجلة (العصور الحديثة) حين اصبح مديرا لها الى السياسة (وهو الاتجاه الذى كان قد رفضه الفيلسوف ميروبونتى المدير السابق لها) وتقول سيمون أيضا : إن لانزمان كانت له اليد الطولى فى تحويل فكر سارتر الى اليسار المتطرف .

أما ما يهمنا من هذا الشخص فى هذه الزيارة نفسها فهو هذا الكلام على لسان سيمون دى بوفوار عندما تأكد لانزمان من مقدار الحب الذى تكنه له وعدم قدرتها عن الاستغناء عنه : (بدأ يقدم نفسه لى بشكل

حدث وأنا أرافق سارتر والمثقفين... في بلدي

صريح فكان يقول أولا : إنني يهودى (اسرائيلى) وكنت اعرف وزن هذه الكلمة ، ولكن لم يكن واحد من اصدقائى اليهود قد افهمنى معناها بشكل كامل لقد كانوا يصمتون عن وضعهم كيهود على الاقل فى علاقتهم معى .. أما لانزمان فكان يطالب بهذا الوضع .. وكان هذا الوضع يقود حياته وقد قال لى الدكتور سهيل إدريس كناشر ومراجع لهذا العمل الذى ترجمته زوجته عايدة مطرجي .. أنه الغى عدة صفحات من كلام لانزمان المبهور بما حققته اسرائيل من اصلاحات زراعية واستيطانية .. وتمنياته لها بالمزيد فى المستقبل .

هذا هو المنحى الفكرى والسياسى لكلود لانزمان الذى أثر بشكل مبدئى على علاقته بسيمون دى بوفوار وسارتر .. أما تأثيره عليهما خلال رحلتهم الى القاهرة والتى كان المفترض أن يكون عكسياً فهو ما ستتبينه خلال منعطفات هذه الزيارة بعد أن نستعرض تفاصيلها التى تميزت بمبالغات لن نعرف مداها فى نفس الرجل وعلى صعيد الواقع إلا إذا عقدنا مقارنتين : مضاهاتها أولا بكل الزيارات التى قام بها سارتر نفسه الى أمريكا والاتحاد السوفيتى والصين وكوبا وغيرهما حيث عومل فيها كمفكر وجودى محدد القدرة على اتخاذ رأى فى كل قضية معاصرة .. ثم مقارنتها ثانيا بالدعوات التى لباها قبله كثير من زعماء ومفكرى العالم لمصر كخروشوف ، وشوان لاى ونيكسون وغيرهم .. أو كجاك بيرك ، وجارودى ، وبرنارد شو ، وسومرست موم ، وتوينبى .. حيث عاملناهم كعلماء وفلاسفة ومفكرين فى حيزهم الطبيعى .. عندئذ ستعرف مدى المبالغة التى صاحبت هذه الزيارة .. لقد استقبلته مصر ليس كمفكر وإنما كمنظمة دولية أو عدة منظمات ذات أحكام ملزمة لاتقبل النقض . رفعناه الى أعلا الآفاق .. وعلقنا عليه اعظم الآمال .. وللأسف اعطى هذا الترحيب المبالغ فيه تأثيرا عكسيا ليس على غرض الدعوة فقط وإنما على الرجل نفسه حيث كان وجهه ينقبض حيناً وينفرج بالسخرية احيانا أخرى لدرجة أنه حينما كان السيد على السمان مدير وكالة انباء الشرق الأوسط فى باريس والذى صحبه الى القاهرة فى هذه الزيارة ، يقرأ له منشتات الصحف الحمراء التى تنعته بالبطل والرائد والحر والانسان ، يصيخ السمع وعلي يترجم له قصيدة محمد ابراهيم أبو سنة ، أو موضوعات العدد الممتاز الذى اصدرته مجلة (الفكر المعاصر) عن اعماله ومواقفه ، ومقدمة الاستاذ مجاهد عبد المنعم مجاهد التى كتبها تحت عنوان (سارتر ضمير العصر) .. كان سارتر يتساءل بعدها أنا ضمير العصر كله .. أنا لست حتى ضمير نفسى .. ثم يطلب ضاحكا من لانزمان أن يتحمل عنه بعض هذه الألقاب .

من القاهرة للأقصر

ولكى نقدر ان سخريات هذا الرجل لم تكن تنم عن طبيعة عدوانية ، وانما عن مبالغة غير محسوبة اخجلت تواضع الرجل .. لنتتبع رحلته وكلماته من بدايتها . لقد ارسلت له طائرة خاصة لتقله من باريس الى القاهرة .. وقبل نزوله منها شكر الطاقم على حسن ضيافتهم ، ثم نزل الى المطار ليجد مؤتمرا صحفيا يسأله أكثر ما يسأله عن فلسفة الوجودية ليعلم الناس أسس الوجودية وهو ماجاء لهذا وإنما جاء بهدف

لماذا لم نشترط على سارتر أن يصطحب شخصاً موالياً للعرب .. إلى إسرائيل؟

التعرف على الأنسان العربى وتجاربه وتنطلق القافلة الكبيرة الى فندق شبرد .. فيجد إحتفالاً أكثر بهجة .. ومندوبة من الجوازات والجنسية قد حضرت خصيصاً لاستلام جوازات السفر وعمل الاقامة والمغادرة ، وبعد منتصف الليل يقرر سارتر وهو يمسك بذراع الاستاذ توفيق الحكيم أن ينطلق الى الخارج .. وأمام النيل الذى بهر سارتر بمراكبه البدائية والحديثة الرائحة العائدة يفيض الحكيم فى الحديث عن باريس ومحاسنها ونهر السين والراين ..

وفى الصباح تنطلق القافلة الى مدينة الفنون بالهرم .. ومن على مسرح معهد الفنون المسرحية يشاهدون ليس عملا مسرحيا مصريا أو عربيا وإنما تكريما للضيف الفرنسى فصلا من مسرحية جزيرة العبيد للمسرحى الفرنسى ماريفو .. وتحية له يقدمون مشهداً آخر من مسرحية سارتر الشهيرة (جلسة سرية) . ويصفق لهم سارتر وهو يقول : (لقد ابهجتمونى .. وإننى اتمنى لكم كل توفيق ونجاح) ثم يجوس معهد وسط المكتبات وقد رصعها المستقبلون بأعماله الفرنسية والمترجمة .. أكثر من مرة .. فمسرحية جلسة سرية التى شاهدها قد ترجمت مرة تحت عنوان (رفعت الجلسة) وثانية (الجحيم هم الآخرون) ، وثالثة (من ثقب الباب) ويلفت لانزمان نظره الى ذلك بقوله لقد أجريت كل هذه الترجمات بدون علمك .. فينقبض وجه سارتر .

ثم تنطلق القافلة الى منطقة الحرانية حيث يتجمع فى هذا الحي كثير من الفنانين .. وكل منهم قد جعل له مرسماً . حتى يصل الى منسج الفنان ويصا واصف .. وقفت ارملة الفنان الراحل حبيب جورجى حماه ويصا واصف تشرح للزوار الطريقة التلقائية فى إبداع هذا النوع من الكليم الذى غزت شهرته أوربا كلها والذى دبجته ايادى فلاحات هاويات .. يتهلل وجه سارتر ويتدخل لانزمان ليوقف هذا الانبهار .. فيذكرهم بأعمال اليهودى مارك شاجال بعدها يستقلون العربات الى سقارة .. حيث يندمجون مع شرح الأثرى الفرنسى مسيو لوير ، الذى تابع تطور اكتشاف هذا الهرم على مدى واحد وأربعين عاماً .. وبعد تناول الغذاء .. عادوا للسياحة فى حى خان الخليلى وشارع محمد علي ..

وفى اليوم التالى يستقلون الطائرة الى الأقصر وينطلق سارتر وسط الشوارع والآثار ، وتوقف عند المسلة .. غير المكتملة والمهملة .. وسرح خياله وكأنه يقارن بالمسلة المصرية فى ميدان الكونكورد فى وسط باريس .. ولا يهدأ الوفد حتى مع المساء فينطلقوا الى معبد الكرنك وقد فرشه ضوء القمر .. فيتقافزون هنا وهناك .. ويبدى سارتر إعجابه بجمال (نفرتارى) زوجة (رمسيس) ويقول أنها تستحق أن يبنى لها رمسيس مثل هذا المعبد .. (معبد ابو سنبل) ، وتعلو الطائرة فى اليوم التالى مقلة إياهم الى السد العالي .. ويطل سارتر ليرى بعينيه معجزة القرن فى افريقيا ..... ويبدى تقديره البالغ للشرح الوافى الذى قدمه لهم الاستاذ احمد طلعت للسد العالى .. منذ أن كان فكرة وحلماً يداعب المصريين الى لحظة تمامه .. وقدرته على مقاومة الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية وفى أسوان ينوه أمين عام الاتحاد الاشتراكى بزيارات الوفدين الفرنسيين السابقين لأسوان فى العام الماضى .. يعلن ترحيبه البالغ بسارتر وسيمون وتشتعل القاعة كلها حماساً وتصفيقاً .. فيتكلم سارتر مع هذه الحشود بحماسة وود .. وتتكلم سيمون عن حقوق المرأة .. وعندما يوشك الاجتماع الحافل أن ينفض .. يتلقى سارتر رسالة من عمال السد العالى يدعونه لمناقشة مفتوحة .. ويسر فى أذنه لانزمان أن الذى وجه الدعوة هو الاتحاد الاشتراكى موضحا أن اعضاءه فئة تحتضنهم الدولة ومن ثم لايعبرون عن الآراء الحقيقية لمن وصف الدعوة بأسمهم .. فيميل سارتر الى لطفى الخولى ويطلب تأجيل هذا اللقاء الى دعوة خاصة . وبعدها يستقل سارتر والاستاذ محمود أمين العالم يختاً يشق طريقه بهم فى نزهة نهرية بين الصخور والجنادل .. ويرفع سارتر يديه ويشير الى روعة وعبقرية هؤلاء المصريين القدماء الذين لم يتركوا حتى الصخور والجنادل إلا ووضعوا عليها مقياساً للنيل .. وعلامة تهدى المسافر عبر الطريق .

وبعدها يشاهد فيلماً عن الحرب فى فيتنام .. وينتهز محمود العالم هذه الفرصة ليشير الى الجهود التى يجب أن تبذل من أجل السلام .. وبأن الوجودية ليست إغراقاً فى الذاتية .. ويتجاذبان أطراف الحديث حول الصراع الصينى السوفيتى .. وكيف أن الماركسية والاشتراكية قد ولدتا عدداً من المتناقضات التى ينبغى على المثقفين تناولها بجدية وحماسة .

سارتر فى الجامعة

ثم يعود سارتر والجمع الى القاهرة . ويبدى رغبته فى اللقاء بطلبة الجامعة ويعلن عن محاضرة له فى المدرج واحد بكلية

الآداب .. ولمعرفة المسئولين أن سارتر لا يحب أن يرى الحرس داخل ردهات الجامعة .. فقد اعفى الحرس من مهمة تنظيم هذه المحاضرة .. وكان لهذا الاعفاء أثر فى الغاء المحاضرة أصلا .. ذلك أن أغلب طلبة الجامعة ومن جميع الكليات بأقسامها المختلفة تركوا محاضراتهم وتجمعوا فى المدرج واحد بكلية الآداب .. وعندما حاولت مع الدكتور سهيل إدريس إختراق هذا الجمع .. نبهنا الصحفيون ومعهم الاستاذ على شلش أنه لم يعد فى المدرج مكان حتى لقدم سارتر نفسه .. الذى حضر مذهولا .. وهو ينظر اليهم ويتساءل هل كل هؤلاء قــراء مؤلفاتــى ؟ لا أظن .. إننى لست فى نظرهم اكثر من موضة .

وانقاذا لوقت سارتر .. عرج به المشرفون الى مكتبة جامعة القاهرة .. واستقبله مدير الجامعة والمرحوم الدكتور عثمان استاذ الفلسفة الأسلامية بكلية الآداب الذى أخذ يتجادل عن المبادىء الوجودية والاسلام .. وعدم تناقض الوجودية مع الاسلام فى كثير من اسسها الفلسفية .. وكان سارتر يرد بمجاملة لا تخفى تعجبه بسرعة طرح قضايا فلسفية بهذا العمق فى هذا الظرف الطارىء .. وفى طريق العودة .. يلحق به الدكتور سهيل إدريس ليكلمه عن ترجمة (نقد العقل الجدلى) الى العربية .. وسارتر يهز رأسه وترتعش رقبته المتهدلة بالموافقة .. ويصل الى العربة التى ستنقله الى الفندق مرهقا .. فيغلق بالخطأ على اصابع الدكتور سهيل وينزف منها دما .

وأمام فشل سارتر فى القدرة على الالتقاء بالطلبة فى الجامعة .. نظم له المشرفون لقاءا آخر فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة .. فكانت هذه جولته الثقافية الكبرى .. تكلمت سيمون أولا عن حقوق المرأة وكانت قد اجتمعت من قبل بالقيادات النسائية .. ثم تكلم سارتر فكاشف نفسه وطالبها بمزيد من الدقة والحساسية .. ثم وضع المهام على عاتق المثقفين من أجل إكتشاف أوضاع إنسانية جديدة .. وفكر لا يعرف الانغلاق أو التعصب .

مع اللاجئين

ويحين وقت زيارة الوفد الى اللاجئين .. فيذهب الوفد .. ويجرى طفل بيده لفة مستطيلة الى سارتر ويسلمها له .. فيفضها تلقائيا ويلتقط المصور الصورة ويجرى لانزمان إليه ليسر فى أذنه .. أن ما بيده ليس إلا علم المقاومة الفلسطينية .. فيثور سارتر ويفور .. ويجرى وراء المصور الصحفى الذى التقط الصوره .. خوفا من استغلالها لموقف سارتر من المقاومة .. ويصر على اخراج الفيلم وتعريضه للضوء .. ويتم له ما يريد .. ثم يدخل الى المعسكرات والمخيمات .. ويزور منازل اللاجئين المتواضعة ويتعرف بأم عينه على بؤسهم .. فيقف مشدوها بالعيون الحزينة التى تنظر عبر الاسلاك الشائكة الى يوم قريب فى العودة الى منازلها وبياراتها بعد غيبة ثمانى عشر سنة من الضياع والحسرة . وتأثر سارتر فأخذ يوجه الاسئلة ويستمع لاجابتها .. ولم تكن الاسئلة تتناول قضايا المعرفة أو حق المرأة ، أو الوجود والعدم ، أو نقد العقل الديالكتيكى .. أو أى من هذه المشاكل المجردة الموغلة فى غرابتها عن هذه الأرض البائسة مكسورة الجناح . كانت اسئلة تتميز بالمباشرة والمواجهة والحقيقة .. ربما كان صمت سارتر إزاءها أقوى من كل تعبير كان فى محياه بعض ذلك الحزن العميق الذى سبق أن عاناه هو فى بلده اثناء الاحتلال النازى .. ووسط النشيج الانسانى الذى شد اعماق الحاضرين تجهم وجه

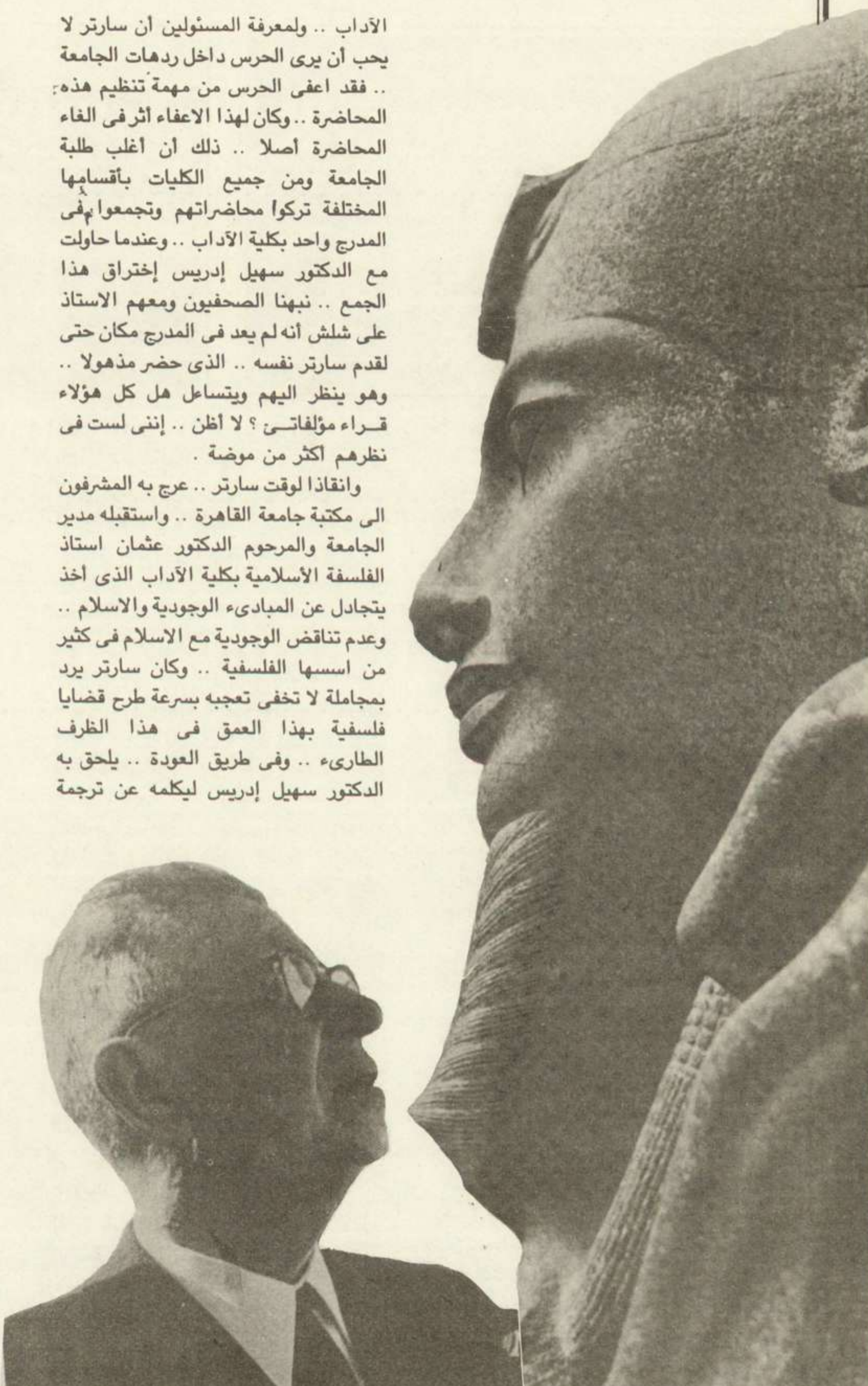

سارتر لا يحب أن يرى الحرس داخل ردهات الجامعة .. وهكذا أعفى الحرس من مهمته!

سارتر وهو يستمع للسيدة عفاف الادريس المدرسة بوكالة غوث اللاجئين وزوجة وأخت لشهيدين من خان يونس وينطلق الموكب عائدا الى غزة .. ويسأل سارتر أحد اللاجئين الى غزة .. هل الفلسطينيون وحدهم الذين سيحررون بلادهم أم انهم سيطلبون مساعدة الدول العربية الأخرى .. ويأتى الجواب على لسان عز الدين الشوا المزارع بغزة : ان الفلسطينيين انفسهم هم الذين سيقومون بتحرير وطنهم .

ويسأل سارتر عن النظام الذى يراه واجب الاتباع عند النصر على الاسرائيليين .. وكيف سيعاملون هذه العناصر وهل سيرمونهم فى البحر .. ؟ وكان المتحدث من الحماس بحيث فات عليه المنطق قال : سوف ننتصر أولا ثم نحقق ما نراه .. عندئذ راجعه سارتر .. إنه لابد لكل ثورة من فلسفة .. فمن الأفكار تنبع أكبر القوى واغناها .. فى هذه اللحظة تنبه لطفى الخولى لهذه الفجوة التى احدثها الحماس .. فأوعز لاحداهن بالتحدث الى سارتر .. فتقدمت الآنسة عصام الحسينى .. لتجيب على مخاوفه على مصير اليهود النازحين الى فلسطين سواء من الدول العربية كالعراق واليمن ومصر .. أو من أية كمنطقة فى العالم فقالت ستختلف معاملتنا .. فالفئة الأولى لن يفرض عليها العودة الى تلك البلاد العربية .. لأن فلسطين العربية ستكون لهم وطنا سواء بسواء .. أما الفئة الثانية فعليهم أن يعودوا الى بلادهم الأصلية لأنهم وقبل كل شىء أوربيون متهورون .. وليسوا يهودا عاشوا فى اوربا .. وبينما هذه الكلمات الناصعة تدخل إذن سارتر من جهة فيهدأ .. كانت كلمات لانزمان وملاحظاته عما رآه من دفع لطفى الخولى للآنسة عصام تدخل أذنه الثانية .. فيعود الى التعادل . كل ذلك لم يمنع سارتر من التفاعل .. بل لقد استبد به الحماس برغم محاولة التبريد التى كان يقوم بها لانزمان ويعلن بأنه لن يذهب لاسرائيل إلا بعد أن يتعهدوا له بأنه سيقابل كل العرب الذين يود رؤيتهم . وبخاصة الموجودين فى السجون ..

فى المسرح

ويعود الى القاهرة ليواصل بقية الرحلة .. فيطلب أن يرى المعبد اليهودى فيلبى طلبه ويذهب الى حي مارى جرجس بمصر القديمة .. ويتحاور مع الاحبار ويزور الكنائس القبطية ويشاهد الآثار ويقارنها بما شاهده من قبل .

ويدعوه المسرح القومى بعد ذلك الى حفل شاى .. ثم يقدم له فصلا من مسرحيته (الذباب) تقوم فيها سميحة أيوب بدور اليكترا .. وفاروق الدمرداش بدلا من (طارق عبد اللطيف) بدور أورست .. ويقف فاروق الدمرداش فى آخر الفصل فيلقى الى سارتر بكلمة تحية بالفرنسية فيشكره .. ثم يعتلى سارتر خشبة المسرح ليهنىء المخرج سعد أردش والممثلين بابداعهم .. وبعد حفل الشاى يعود الى خشبة المسرح ليتوه فى مناقشات كبار النقاد المسرحيين التى لم يعرف لها بداية أو تسلسلة أو نهاية .. صعد سارتر ودى بوفوار ولطفى الخولى وتوفيق الحكيم وفى وسطهم لويس عوض ليحكى نبذة عن تاريخ المسرح العربى وتصر السيدة لليان أرقش زوجة الاستاذ لطفى الخولى على أن يعتلى لانزمان خشبة المسرح ليجلس وسط المتحدثين .. ويصعد لانزمان مكرها .. فليس له فى الحديث ناقة ولا جمل .. ولكنه الكرم المصرى العتيد .. ويبدأ لويس عوض كلامه .. فينبرى أكثر من مثقف فى القاعة .. يلفت نظره الى كثير من المراحل والأسماء التى قفز فوقها أو التى عكس مراحلها .. ويتحير سارتر .. هل الجمهور ادق ملاحظة من المحاضر .. ويستمر لويس .. يسلسل المراحل المسرحية من الكلاسيكية الى الرومانسية .. الى أن ينهيها بحركة سماها (الواقعية الملحمية) ويشد الاسم انتباه سارتر .. فيتوقف ليسأل عن خصائص وأسس هذه المرحلة .. ومن هو زعيمها .. ويقول لويس عوض .. انه سعد الدين وهبه ويبحث الجمهور عن سعد وهبة .. ويتوجه الأخير الى الميكروفون حائرا .. فانه لا يعرف كيف وضعه لويس عوض على قمة هذا المذهب الذى لا يعرفه .. ويقول محرجا أن الدكتور لويس عوض ربما قصد نعمان عاشور .. وبدوره يذهب نعمان حائرا الى الميكروفون ليعلن أسفه وانكاره لمعرفة هذا المذهب ويطالب لويس عوض بأن يوضح ماعناه بالضبط .. وقد اعطت هذه المواقف المتخبطة بلا شك صورة نقدر اثرها على الرجل .. وكل ذلك بفضل ولع لويس باطلاق الأسماء والمعانى كما حدث أكثر من مرة سواء فى بحثه حول رسالة الغفران حيث راجعه الاستاذ محمود شاكر فى كتابه (اباطيل و أسماء) أو تفسيره لكلمة مطلق إمرأة فى مقاله عن الحملة الفرنسية على انها تعنى حرية المرأة .. مع انها تعنى لافرق بين عبده وحره سمراء أو شقراء كما راجعه فى ذلك الاستاذ عبد الجليل حسن ..

سعد الدين وهبة

نعمان عاشور

سميحة ايوب

سعد اردش

وربما غيرت زيارة الرفقة السارترية الى كمشيش وجامعة الاسكندرية والنزول فى فندق فلسطين بعض ما تركته تلك الليلة من انطباع ، فقد سعد عندما رأى الفلاحين يتدافعون نحوه فى كمشيش يهتفون مهللين عندما وضع الطاقية على رأسه ووجد الطلبة أكثر هدوءا وتعقلا .. والاساتذة أكثر رصانة والطبيعة والفندق أكثر سخاءا .. لذلك كان أكثر انطلاقا عندما عاد الى القاهرة لمقابلة المسؤولين ..

عن الحكيم : لا !

وأمام فشلى فى الحصول على صورة من هذه اللقاءات الرسمية عرجت على المكتب المواجه للمعمل فى الدور الثانى من مبنى الاهرام القديم .. وهو مكتب توفيق الحكيم .. وكان سارتر قد زاره فى هذا المكتب من أيام .. وأهداه الحكيم كل مؤلفاته بالفرنسية .. وفى اليوم التالى لهذه الزيارة .. كنت اقف وسط مجموعة من الصحفيين أمام

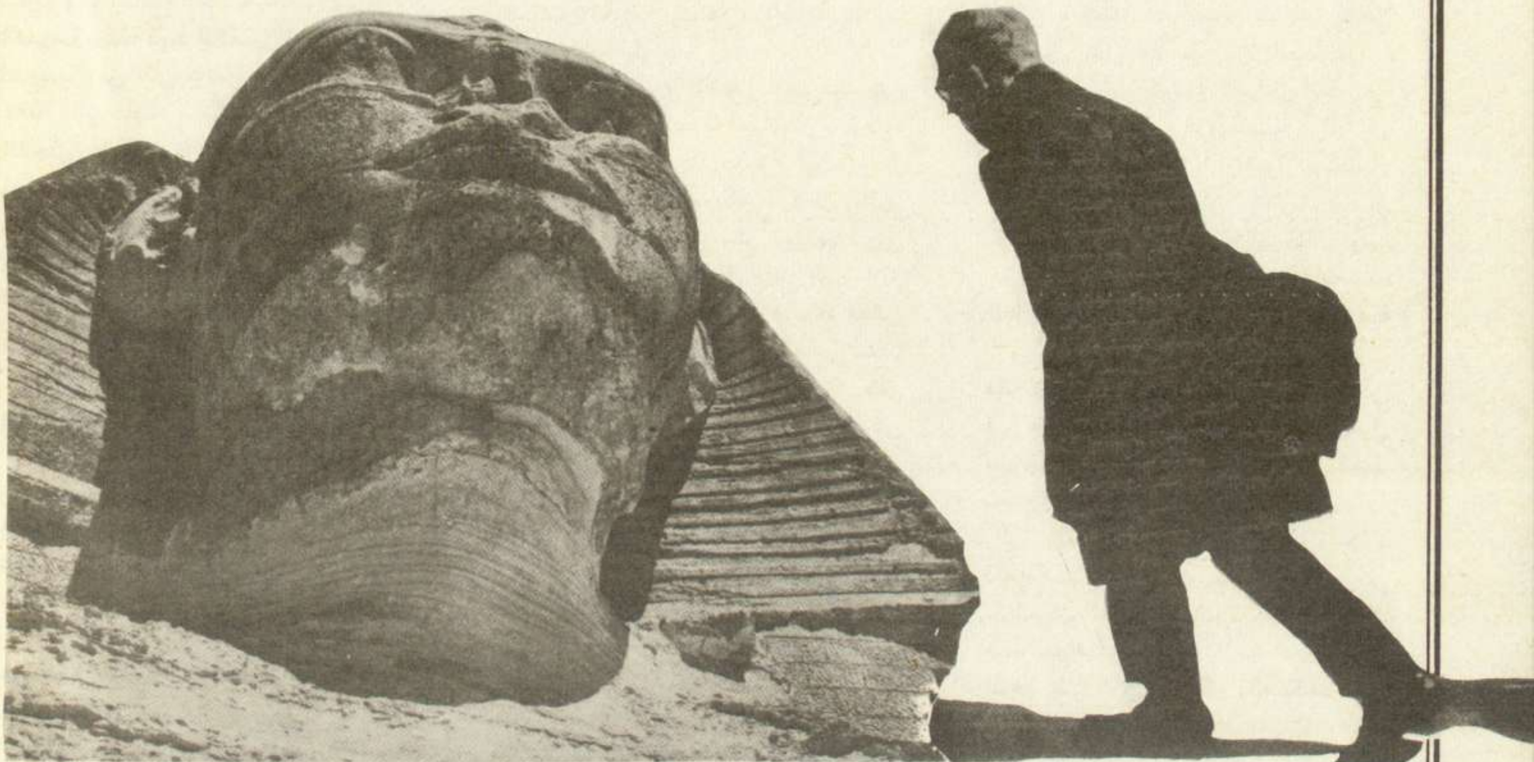

مصعد فندق شبرد .. ثم فتح المصعد وظهر سارتر وسيمون ولانزمان .. فتقدمنا نحوهم ولكن سارتر مال علينا وهو يحذرنا : إياكم أن تسألوني رأيي في أدب توفيق الحكيم .. إن هذا لايصح فهو رجل أكبر منى سنا .. وهو مضيفى الذى وجهت لى الدعوة باسمه ومن ثم فلا يصح أن اقول فيه رأيا .. كانت الكلمات تنطق من فم الرجل . وهو يرتعش .. ورقبته المتهدلة تهتز .. وتعقبها كلمات سيمون الخاطفة كالطلقات .. تمنعنا من توجيه الأسئلة .. وقال لانزمان بعدم إكتراث إن الاسئلة كثيرة فلماذا تحصرون انفسكم فى هذا الموضوع بالذات ؟

وإذا كان سارترنفسه أول من قال : (قد يكون الصمت موقفا ..) فانى قد استشغفت من صمته هذا موقفه تجاه توفيق الحكيم وأدبه .. والذى لم يكن سارتر هو أول من المح اليه سنة ٦٧ .. وإنما سبقه اليه سنة ٣٤ اديبنا الصادق يحيى حقى .. والدكتور مندور من بعده ، والدكتور محمد يوسف نجم اخيرا .. فقد كتب أولهم فى (مجلة الحديث) بحلب مقالته الشهيرة (توفيق الحكيم بين الخشية والرجاء) بعد أن قرأ (عودة الروح) ، (أهل الكهف) فآلمه أن يجد الحكيم قد رفع شعار مجد الفراعنة حتى يثير الأحلام الجميلة لدى الشباب .. مع انها بعيدة عن وعيه ولا تستطيع أن تستفز فيه روح الحداثة استفزازا قويا فعالا .. وحز فى نفسه أن يكون المدافع عن مصر فى عودة الروح مؤرخا فرنسيا ولذلك طالب الشباب بعدم قراءة توفيق الحكيم .. وقد كتب بعده الدكتور مندور .. بأن توفيق الحكيم إنتهى من حيث ابتدأ .. وكتب الدكتور نجم أن أدب توفيق الحكيم أدب تلفيقى مستشهدا على ذلك بأصوله الفكرية المستقاة من الأدب الذى كان مطروحا أيام كان الحكيم فى بعثته الى فرنسا .

وإذا كان هذا الرأى الضمنى .. هو ما أبداه سارتر ، وهو رجل لم يكن من السهل خداعه أو التمويه عليه أوقسره على التصريح بشىء لا يؤمن به ، مهما كانت دواعى المجاملة .. إلا أنه يكمن فى اعماقه قلب عطوف يرعى من حوله باهتمام وجدب كبيرين ، فعندما دعاه توفيق الحكيم هو وسيمون ولانزمان الى حفل عشاء خاص .. ، إنقضوا عليه بأسئلة جادة حينا ومازحه وعابثه حينا آخر .. يسألونه فيها عن عدم حضور زوجته حتى يتعرفوا عليها .. ويتظاهر الحكيم بأنه لم يسمع جيدا السؤال لانصراف ذهنه الى الألحان العالمية .. فتميل عليه سيمون وتطوقه بذراعيها وهى ترفع صوتها لأعلى ما يتصور .. ولا يجد الحكيم إلا إبداء الأعزاز .. ثم تغمز لسارتر الذى يلتقط الحديث ليكلم الحكيم عن دور المرأة فى مسرحياته .. وكيف انها عملاقة يتضاءل بجانبها الرجل ، ثم يتشجع درجة أكثر فيأخذ على الحكيم بأنه لابد وأن يكون من الناحية النفسية (نرجسيا مازدكيا) ويضحك الحكيم ، ويتلفت حوله ليمنع المصور حتى لا يلتقط صورا له .. لأن سيمون كانت ماتزال تطوقه بذراعيها .

كنت محملة بكل هذه التفاصيل وأنا اجلس الى توفيق الحكيم .. وكان يوم أربعاء وقد تعود كثير من المثقفين أن يلتقوا به فى هذا اليوم .. فكان فى ضيافته عبد الله الطوخى والاستاذ الناقد فؤاد دواره .. الذى كان يردد كلمة الشيخ محمد ابو زهرة التى يشجب احتفاء المصريين برفقة سارتر بقوله : عجبت لشعب مسلم يصفق لرجل وعشيقته . فانبرى الحكيم مدافعا عن هذه الرفقة من جهل الجاهلين .. فأدار فؤاد دواره العارف لما يقوله الشيخ ابو زهرة وإن كان يريد المناقشة من وجهة أخرى لا يسمح بها ضيق صدر الحكيم .. ولفت نظرى عنوان فى جريدة الأهرام .. فقد كتب كمال الملاخ بأن د. طه حسين لم يعرف بزيارة سارتر إلا من الجرائد .. وقرأت هذا العنوان بتلقائية وبصوت عال سمعه توفيق

الأسئلة كثيرة .. فلماذا تحصرون أنفسكم في هذا الموضوع بالذات ؟

الحكيم فاذا به يصرخ فى وجهى وكأنه البركان إنفجر لتوه ليرميني حمما ملتهبة : (وهل يقلب هذا الخبر الحياة رأسا على عقب ؟ .. ثم من هو طه حسين هذا .. من أى وجهة تنظرون له أيها الشباب .. ما هو فكره فى نظركم لقد آن الآوان أن تنزلوه من فوق قممكم السامقة ثم استطرد وعلى أى حال لو كان طه حسين وزوجته الفرنسية يعرفان الواجب حقاً بالنسبة لهذا المفكر ، لأرسلت زوجته الفرنسية باقة من الزهور تحية لابنة بلدها سيمون .. وفاضت فى نفسى كلمات .. ضاق بها صدرى ولم ينطلق لها لسانى .. فأنا قرأت الخبر بحياد . لم ادافع عن طه حسين ولم اهاجمه .. وفى وسط هذا الهدير الصاخب دخل الدكتور حسين فوزى ، صمت هنيهة وهو يراقب الحديث الصارخ .. ويرانى مكظومة .. وفجأة وجدته يقول : على رسلك يا توفيق على البنت .. التى تخجل من الرد عليك لصغر سنها .. وإذا كانت هى تخجل فلأصارحك أنا .. أليس طه حسين هذا من قلت أنت عنه يوم قدم لك مسرحية أهل الكهف أنه وفر عليك عشرات السنين فى الدعاية والاعلان عن أدبك .. وانه سبب شهرتك ؟ ألم تكن أنت نفسك تذهب اليه بميناء الأسكندرية تستقبله بعد عودته من كل مصيف لتحمل له الحقائب وتسنده من الباخرة الى رصيف الميناء ؟ ..

أخمدت هذه الكلمات فورة الحكيم فأشاح بيده الى الدكتور حسين فوزى وهو يقول : (والله إنت كده ياحسين .. تقلب واطيها عاليها) ثم نظر يوجه لي الكلام : (والحقيقة أنا عرضت على سارتر أن يلتقى بطه حسين وقلت له ظرفاً من ظروفه البيولوجية وثقافته وزوجته الفرنسية .. فرد فى خجل وصراحة فى آن واحد .. أنا لا أحب أن أرهق أحدا ، وإننى افضل رؤية الادباء الشبان على رؤية من هم فى سنى أو أكبر منى .. ، لأن الشباب هم العنصر الصاعد الذى يتدفق بالحياة والقادر على صنع المستقبل .) .

واعتبرت انا هذه الجملة الأخيرة مصالحة لى .. فتكرر مرورى على مكتب الحكيم فى كل مرة أذهب لاجتلاب صور .. وفى مرة بدر منى التعبير الذى كان قد شاع لوصف الرفقه .. من أن الطريق الى سارتر يمر عبر سيمون ، والطريق الى سيمون يمر عبر لانزمان ، بل إنى سلكت هذا الطريق لتوجيه الدعوة لهم الى لبنان .. حيث قابلت

ماركس

برنارد شو

هيمنجواي

برتراند راسل

لانزمان .. الذى بدا حزينا أول اللقاء .. ثم اعتذر بأن زيارته للقاهرة مع سارتر وسيمون لم تجىء فى الوقت المناسب له .. لأن أخته قد قتلت نفسها من اسبوع .. عقب أزمة عاطفية طاغية .. ثم قال وكأنه يفيض شيئا عن نفسه على كل فهذه كانت حياتها وهى حرة فى انهائها .. إستفهمت منه هل هى إيفلين الجميلة حمراء الشعر التى كتب عنها سيمون وقالت انها قامت بدور (أستيل) فى الجحيم هم الآخرين ؟ فأكد لي أنها هى وقلت استغل انبهاره بهذه المعرفة فأشرت بطرف خفى الى معرفتى بعلاقته بسيمون .. فقال : إن ذلك كان من زمن وقد انتهى .. ثم وعدنى بأنه سوف يعرض أمر زيارة بيروت على سارتر .. وفى المؤتمر الصحفى لختام الزيارة .. ولم يحضره لانزمان لمرضه .. قالت لى السيدة لليان ارقش زوجة الاستاذ لطفى الخولى أن لانزمان يطلبنى .. وعندما صعدت .. وجدت سيمون قد سبقتنى .. بل امسكتنى بكلتا يديها المدهون اظافرها بلون فاقع من الطلاء .. ومنعتنى من الدخول .. حتى تدخل هى وترى ماإذا كان قد استعد لهذا اللقاء أو لا .. وادخلتنى حجرتها وكانت قد اخليت من الحقائب .. فوجدت المؤلفات المصرية المهداه لهم مبعثرة على ارضية الجناح .. من مؤلفات أمين والريدى

ومجاهد عبد المنعم .. ذلك أنها عربية وهم لا يقرأونها .. وعندما دخلت على لانزمان .. هنأته بحدب سيمون عليه واهتمامها به مما يدل على أن العلاقة مستمرة وقلت مازحه أنها منعتنى من الدخول ، مع إنى لا اشكل لها أى عدوان من أى جهة .. فضحك وحول الحديث الى اعتذار سارتر عن زيارة بيروت ، لأنه ملزم بأن يذهب فور إنتهاء الزيارة الى قبرص كبلد محايد .. ومن هناك الى اسرائيل ومن بعدها الى فرنسا ليذهب الى محكمة برتراند راسل .وإن هذا الرد منه يعتبر ردا على رسالة سهيل التى بعث بها الى سارتر والتى المح له فيها إنه الشخص الذى كلمه فى ترجمة (نقد العقل الذاتى) .. وذكره أيضا بأنه الشخص الذى اغلق على اصابعه باب العربة .. وعندما نقلت هذه المحادثة الى الدكتور سهيل فى حضور الاستاذ الشاعر صلاح عبد الصبور .. تهلل وجهه ونصحنى بتسجيل هذه المقابلات فورا .. بينما لامنى صلاح وقال اننى زججت نفسى فى معترك صعب .

كنت متأكدة إذا عن طريق ما كتب ورأيته بنفسى وتأكدت من بعض اطرافه .. بأن العلاقة الثلاثية قائمة بين الرفقه .. ولكن ما أن اتيت بذكرها أمام الحكيم .. حتى ارتفع صوت الحكيم مرة أخرى يهدر بى ويزبد : (كيف تتطاولين انت على هؤلاء الفلاسفة العظام .. العمالقة حجما .. النصعاء سيرة .. هل هم اناس عاديون حتى تخوضين وأنت فى هذه السن فى سيرتهم هكذا وبهذه الطريقة المشينة غير الصادقة أو الامينة .. كان صوت الحكيم فى لقائى على غير عادته – عادة الحكيم انه عندما يتكلم فى السياسة خصوصا فى السياسة .. أن ينظر الى يسراه ويمناه بتوجس .. ولا يتكلم إلا إذا تأكد من عدم وجود مسجل – بل كثيرا ما يقول لى : إياك أن تكتبى هذا الكلام وإلا حرمت عليك دخول مكتبى .. وعندما دعانى نجيب محفوظ هذا العام لأن ادخل معه لتوفيق رفضت .. غير أنه رجانى .. لأن توفيق يداعبه احيانا كثيرة بأنه قد استحوذ على كل الضيوف – ولكن الظاهر اننى احرج الحكيم دائما من همسه الى ضخبه .. ربما لجهلى بطبيعة شخصيته وتفكيره ..

مع هدير الحكيم هذه المرة أتي جريا الاستاذ احمد بهجت .. وقف على عتبة الباب .. وضع كوعه يستند على المقبض

من مذكرات شاهدة ربع قرن

الاقصر ٠٠ البيلون الامامي والمسلة لمعبد الكرنك

سيمون دي بوفوار

ليتابع الحديث ، فيوجه له الحكيم الكلام : (تعال ياسيد احمد واستمع لما تقوله هذه الفتاة . هل تصدق أن علاقة ما يمكن ان تنشأ بين السيدة المسنة سيمون دى بوفوار ورفيقهم الشاب الصغير كلود لانزمان. ؟ تصور هذا الافتراء ؟ ألا .. واسمع انها تقول أنه شيوعى ويهودى أيضاً تصور يااحمد. ؟ واين سيقف سارتر من هذه العملاقة .. عندئذ جاء رد احمد بهجت : والله البينة على من ادعى واليمين على من أنكر .. إنتظر عايدة وستمدك عايدة بوثائقها عما هو زعم فى رأيك الآن . هدأ الجدل .. ولكنه مازال يتعجب : يا أخى إنهم عندما قدموا الى الأهرام واستقبلتهم أنا عند المدخل .. كانوا يصرون على أن أدخل أنا أولا .. وتكرر ذلك فى الصعود الى السلم بل الى الدخول الى مكتبى . واستطرد من ذلك الى الحديث عن اهتمام الجمهور الفرنسى — فذكر أنه فى زيارته الأخيرة لفرنسا وكان ذلك من سبع سنوات .. (ركبت المترو ولم أجد مكاناً خالياً ، فوقفت .. ولكن شاباً من الجلوس أخذ يتصفحنى ملياً .. ثم هب واقفاً ليدعونى للجلوس فى مكانه . وهنا انفجر احمد بهجت ضاحكاً وهو يقول : (دائما يااستاذ الحكيم تفسر رقة السلوك الفرنسى بأنه دليل شهرتك .. أن لائحة المترو ايضا تحتم على الشبان أن يقوموا للشيوخ، وفر احمد بعد هذه الكلمات هارباً .

تقول سيمون فى المذكرات

وفى اليوم التالى ذهبت بقصد الى الاستاذ الحكيم .. محملة بما استطعت من المذكرات التى سجلتها سيمون وقد جلست طول الليل السابق اضع خطاً تحت المقاطع التى تؤيد كل ما أبديته للحكيم بالأمس .. وجلس الحكيم يقرأ . وتقول سيمون فى هذه المذكرات : وفى هذه العطلة كان لانزمان قد قام برحلة الى اسرائيل .. وعاد الى باريس بعد اسبوعين من وصولي وشملنا شعور بالفرح الغامر .. وبدأنا نبنى مستقبلنا وكل منا يروى ماضيه للآخر .. وبالرغم من أن لانز مان كان يصغرنى بسبعة عشر عاماً ، فان هذا الفرق لم يكن يرعبنا ، وقد كنت بحاجة الى زمن لألزم قلبى بهذه العلاقة ، لأنه لم يكن واردا أن استبدل بتفاهمى مع سارتر تفاهما آخر .. كان (الجرين) ينتمى الى قارة أخرى ، و(لانزمان) الى جيل آخر . لقد قبلنى جملة وتفصيلا ، بماضى وحاضرى ومع ذلك فان اتفاقنا لم يتم فى لحظة واحدة .. كانت الاجازات التى كنت اقضيها كل عام بعيدا عن فرنسا مع سارتر تطرح علينا مشكلة : إننى لم أكن اُريد أن اتخلى عنها ولكن فراقاً يدوم شهرين سيكون شاقاً علينا كلينا ، أنا ولانزمان ... واتفقنا أن يجيىء لانزمان كل صيف ليقضى عشر أيام مع سارتر ومعى .... وانتظمت حياتنا : وكنا فى الصباح نعمل جنبا الى جنب ، وكان قد عاد من اسرائيل بملاحظات كان يريد أن يفيد منها لكتابة روبرتاج . ولقد حررنى حضور لانزمان الى جانبى من عمرى وظللت أقابل سارتر كالسابق ولكنا اتخذنا عادات جديدة ... لكننى كنت قلقة .. كنت قد خشيت ألا يقبل لانزمان علاقاتى مع سارتر ولقد كان الآن يحتل فى حياتى مكانا كنت اتساءل معه عما إذا كان تفاهمى مع سارتر لن يتأثر بذلك ، ولم أكن أنا وسارتر نعيش بنفس التلازم السابق . فهو لم يسبق لـه ان استغرق فى السياسة وفى كتابته وفى عمله كما هو مستغرق الآن ، أما أنا فكنت افيد من شبابى العائد ، كنت استسلم لحظات ... لاشك اننا سنبقى دائما صديقين حميمين ، ولكن اترى يمكن ان ينتهى ذينك المصيريـن الممتزجين حتى الآن ؟ ولكنى استعدت الاطمئنان فيما بعد .. إن التوازن الذى حققته ، بفضل لانزمان ، وسارتر واحتراسى الخاص كان جديرا بأن يستمر .. وقد استمر) .

عندما ثار سارتر لأن الطفلة قدمت إليه علم المقاومة الفلسطينية

أحداث ، وتفاصيل .. ذهل الحكيم وهو يقرؤها .. واستعد للكلام .. ولكنى أشرت له أن يقلب الصفحات ليتأكد من تأثير هذه العلاقة على الجوانب السياسية والأيدولوجية فيجد سيمون قد كتبت : (هبطت الى سان تردبيز بصحة لانزمان .. وفيما كنا نسير كنا نتحدث عن روايتى التى كنت قد أعرته مسودتها .. وكان له حس نقدى دقيق ومرهف .. وقد اعطانى نصائح طيبة وافادنى بانتقاداته ، وقد بدأت انزعج منها ، ثم أدركت النقص الذى كان يثيرها .. وكنت احمل هما كبيرا بسبب هذا الكتاب .. وكنت قد قلبته رأسا على عقب ، وحين اعاد سارتر قراءته سنة ٥٢ لم يكن راضياً عنه بعد .. . أما لانزمان فقد اقنعنى أكثر منه بالمضى والمثابرة . كان يقرأ النص للمرة الأولى .. وكان أشد تأثرا بحسناته منه بسيئاته .. وهكذا عدت الى الرواية .. ولكنى غالبا ما كنت اكظم غيظى ... كان العنوان يقلقنى .. وكنت قد عدلت عن تسميتها ــ الأحياء واخترت عن طوع ــ المشتبهون ــ .. إن الموضوع الجوهرى فى الرواية كان التباس وضع الكاتب .. وكان سارتر يقترح له (السحرة) فقد كنا نشبه انفسنا بأولئك السحرة والمشعوذين والشعراء الذين كانت المجتمعات الافريقية تحترمهم وتخافهم وتحتقرهم فى وقت واحد .. ولكن لانزمان اقترح أن يكون الأسم ببساطة ــ المثقفون ــ .

الحكيم يتعجب !

قرأ الاستاذ الحكيم كثيرا من الصفحات يان عليه التعجب والاقتناع فأضحت الأذن لاستمع الى رأيه الأخير فقال : (أمامنا مائة سنة على الأقل حتى نكتب أو نحيا أصلا ثل هذه التجارب) فلم اشأ أن اراجعه أو ذكره بثورته علي أمس .. إنصرفنا بعدها لى احاديث شتى .

كانت هزيمتنا فى فشل هذه الرحلة التى ت لها الطبول واستنفرت لها العقول والتى نتوت بتأييد سارتر لاسرائيل .. مع حق للاجئين فى العودة الى ديارهم .. سابقة شهرين فقط للنكسة الشهيرة ونبعهما واحد ذ مامن جيش انهزم عبر التاريخ قبل أن نهزم فكره ذلك اننا خدعنا على المستوى لفكرى لأن سارتر كان قد جاء بشبه فكرة سبقة غذاها لانزمان بملاحظاته لأشاراته فى كل دروب الزيارة ومنعطفاتها .. ولم يكن المشرفون على الرحلة قد قرأوا عنها ليتقوا أثرها .. كخديعتنا فى النكسة لأننا لم نكن قد قرأنا كما قال موسى ديان ماكتبه عن العدوان الثلاثى على مصر سنة ٥٦ ..

ثم اليس من السذاجة أن ينقل حضور لانزمان كضمان لحياد الرحلة .. ولا نشترط عليه أن يصطحب شخصا مواليا للعرب الى اسرائيل .. وماالذى افادتنا به كلمات سارتر المهدئة .. عندما سافر له بعد تأييده دولة اسرائيل كل من لطفى الخولى ومحمود أمين العالم .. ليستفسروا عن سبب هذا البيان فقال لهم : (ربما خدعت كالآخرين) أو عندما إنقطع على السمان عن زيارته أو السؤال عنه تليفونيا ــ بعد أن كانت الصداقة قد نشبت بينهما ــ إتصل به سارتر ــ كما قال لي على ــ وقال له ياعلى إن موقفك متعنت تجاهى فلو إنى خدعت كانسان فلابد أن تتعلم انت تجرد الانسان الذى أمامك .. عليك أن تقبل منه الجانب الذى يعجبك فيه .. وتغفل الجانب الذى لا يعجبك منه ..

وكيف لا يخدع سارتر عبر سيمون ؟ إن من يقرأ بتأمل ظروف دخول لانزمان الى عالمهما يكتشف على الفور كيف اقحمته يد خفية عليهما .. إذ كيف يوقف شخص حياته هكذا دون أن يكون قد حسب حساب خطوه وفوزه بصورة ما ؟ وعلى كل فليس غريبا أن يقع فيلسوف كان ملء السمع والبصر كسارتر فريسة الصهيونية العالمية .. أو اليد الخفية ــ فلكل عالم هفوة ــ فقد سبق لهذه القوى أن قلبت دولا ونفضت عنها كل مذاهبها .. ثم ألم يسبق أن قالت سيمون على لسان سارتر : (قد يسقط إنسان مادامت الظروف لا تسمح غالبا بأى تجاوز آخر غير الخضوع)

ولكن سارتر الذى كان يحتقر حيل الحياة .. لم يكن يستطيع أن يتلذذ طويلا بأن يغطى جموده وسلبيته باحتجاجات كلامية .. لقد ادرك أنه ، إذ يعيش فى المؤقت لا فى المطلق ، مدعو إلى أن يتراجع عن أن (يكون)ليغزم على أن (يعمل)، وقد عمل فعلا بعد ذلك على نقض هذا الموقف المخزى تجاه العرب ــ ولا نستطيع أن نقول بعد الأوان فكل الآنات قبل مادامت القضية الفلسطينية ــ فقد امتنع منذ زمن طويل عن توقيع البيانات التى تؤيد دولة اسرائيل بينما إستمرت سيمون توقعها تحت تأثير كلود لانزمان .

● ● ● ●

حساب الخسائر والمكاسب !

إن ذلك كله لم يمنعنا من وضع حساب ، خسائر ومكاسب .. حققتها الزيارة لقد انبهر سارتر بالآثار المصرية .. والمشاريع العمرانية فى السد العالى .. وانتهى وهو الذى ظل طويلا متشككاً فى جدوى التجربة المصرية بأن يقف بين الفلاحين فى كمشيش ليهتف لشعب مصر ويدعو لتقدمه .. مما يدل على أن سارتر قد جاء الى القاهرة بعقلية المفكر السياسى المتفائل فى تقدم العالم الثالث وفى مقدمته الجمهورية العربية المتحدة بينما كان عدد من المثقفين ــ على وجه التحديد ــ يسعون الى سارتر الوجودى العدمى المتشائم .

أضف الى ذلك عدم معرفتنا الدقيقة للتركيبية النفسية التى كتب عنها الكثير : بأنه عندما ينفعل بشىء أو أثر أو حدث فانه يهب له نفسه تماما .. فما كان من المستطاع مع هذه السمة أن يستمع الى مناقشات حول نقد العقل الجدلى أو بسؤال عن انقسام اليسار وهو يستمع الى شرح حول السد العالى وقنوات التحويل .. وما كان فى الامكان ان يثنيه تعب وجهد وإرهاق عن متابعة الحركة المسرحية التى انتهت بالتعبير المركب العشوائى .. وما كان له وهو المهذب أن يراجع الدكتور حسين فوزى أو يصدم كلمات التمجيد الكلاسيكى للشعب الفرنسى .. الذى طالما حمل له سارتر كثيرا من البغض لا سيما أيام حرب الجزائر وهتافاتهم (الجزائر فرنسية) وكان دائما يصفهم بالفاشست : لأن الانسان كل انسان فى فرنسا كان شريكا فى الجريمة .. لأنهم يفيدون جميعا من استغلال المستعمرات .

إن سارتر بمثل ماأحب المصريين وجموعهم وحشودهم كانت تحدوه دائما رغبة عارمة فى أن يلتقى بهم مواجهة وبلا وسيط بدليل أنه كان يضيق بشروح المترجمين أوقات زيارته للآثار .. لأنه كان يحب التأمل وحده ويتلقى الاجابة على مايريد أن يعرف فقط .

كان يجب ان تترك الرفقة لتلقائية الاحساس المباشر والمعرفة المباغتة .. وكان ذلك سيكون أجدى .

عايدة الشريف

وجه
مدينة
من فلسطين

نبيل خالد الأغا

طبريّة
قيثارة الجليل

منظر عام لمدينة طبرية الحديثة وتبدو بحيرتها الفاتنة

طبرية .. اسمها خالد فى دنيا الجمال والجاذبية ، لا يستطيع احد إدراك عمق جمالها إلا حين يراها بعينيه ويتحسسها بيديه ، ورئتيه ووجده ووجدانه . واسم « طبرية » منقوش فى ذاكرة البهاء نقشتين : اولاهما : طبرية البحيرة وثانيهما طبريه المدينة ..

اما البحيرة فتسمى أيضا ببحر الجليل .. وهى فى شكلها الذى اوجدها الله عليه تشبه القيثارة . ويبلغ طول سواحلها حوالي ٥٣ كم وابعد عمق لها يصل الى ٤٥ مترا . اما طولها فيبلغ ٢٢ كم وعرضها ١٢ كم تقريبا . أما متوسط انخفاض البحيرة عن الابيض المتوسط فيبلغ ٢١٠ امتار.

تاريخ البحيرة قديم جدا ، ولعل أول ذكر لها هو الذى ورد فى انجيل « يوحنا » ويقال أن السيد المسيح عليه السلام قد دخلها مع بعض حوارييه ذات صباح ، فهبت رياح شديدة احدثت الهياج فى مياه البحيرة الهادئة ، فانتهرهـا عليه السلام « فصار هدوء عظيم » كما ورد فى الانجيل . ويقال ايضاً بأنه اختار اربعة صيادين من اتباعه العاملين بالبحيرة فارسلهم لنشر رسالة المحبة والسلام .

لقد كانت البحيرة ـ وما برحت ـ فتنة للمشاهدين ، ومنبعاً لأخيلة الأدباء

- طبرية فتنة المشاهدين ومنبع لإلهام الفنانين والشعراء
- الخلفاء الأمويون أقاموا قصورهم على ضفافها افتتانا بها
- أمضى المتنبي ثلاثة أعوام على مشارفها فأوحت له بقصيدة رائعة .. وكذلك فعل الأمير شكيب أرسلان
- إنها إحدى المدن المقدسة الأربع عند اليهود

الصيد فى بحيرة طبرية

والشعراء ومرهفى الاحاسيس ، وقد كان الخلفاء الامويون اكثر من اخذوا ببهاء مناظرها ، وروعة مشاهدها فاقاموا على ضفافها قصورا شتوية فخمة لهم .

ويحدثنا التاريخ بان موكب القائد المظفر موسى بن نصير قد مر بسواحل البحيرة وهو فى طريقه الى الشام قادماً من الاندلس بناء على تعليمات الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك .

البحيرة : الهام الشعراء

وفى طبرية امضى ابو الطيب المتنبى ثلاثة اعوام فى ضيافة صديقه أبى الحسن الطبرستانى ، وقد اوحى جمال البحيرة الأخاذ للمتنبى بقصيدة جاء فيها :

كانها فى نهارها قمرٌ
حَفَّ به من جِنانها ظُلَم
تَغَنَّت الطير فى جوانبها
وجادت الارض حولها الدِّيَم

وفى إحدى قصائده تغنى أمير البيان العربى شكيب ارسلان ببحيرة طبرية فى قصيدة رائعة قال فيها :

بحيرة كل شانها عجب
وهي من الحسن كلها غُرَرُ
مراة نور من السفوح لها
إطار نور لم تَحْكِه الأطر
كانها فى صفائها فلك
وفلكها فيها انجُمٌ زهر

ولابن طبرية وقاضيها الشاعر طاهر الطبرى قصيدة ورد فيها :

الماس إن سالوك عنه فقل لهم
هذى البحيرة سطحها الماسُ
واللؤلؤالوَضّاح فى صَفَحاتها
متناثرٌ هو كله ايناس
والشمس إن عكست اشِعَّتَها بها
هَدَلَ الحَمام وانصَتَ الجُلاّسُ

ومياه البحيرة ذات نفع عظيم للسكان فمنها يشربون ، ويروون اراضيهم ومزروعاتهم ، ومنها يرتزقون حيث يصطادون السمك . الذى تتوفر منه اصناف كثيرة تزيد عن العشرين منها : المشط والقشرى والكرسين والسردين .

مدينة طبرية

هى إحدى المدن الأربع المقدسة عند اليهود ، اضافة الى القدس والخليل وصفد .

يقال , ان مؤسسها هو الملك «هيرودس» وسماها باسم الامبراطور الرومانى حوالى سنة ٢١ للميلاد .

وينبئنا التاريخ بانه عندما احرق القائد الرومانى « تيطس » مدينة القدس عام ٧٠ م حرم على اليهود الاقامة فيها ، لكنه سمح لهم بالسكن فى طبرية حيث اصبحت منذ ذلك الوقت مركزا للديانة اليهودية . ويعتقد بان «التلمود» ــ وهو الكتاب المقدس الثانى عند اليهود ــ قد جمع وكتب فى طبرية عام ٤٠٠ ميلادية .

موقع المدينة

فى سنة ١٣ هـ فتح العرب مدينة طبرية بقيادة البطل شرحبيل بن حسنة ثم اصبحت فيما بعد عاصمة « لجند الاردن » ووصفها المؤرخون بانها «قصبة الاردن ومدينته الكبرى» . وقد احتلت هذه المكانة السامقة بالنظر لوقوعها على طريق القوافل التجارية ما بين دمشق و مصر مارة بالكسوة وغزة وسيناء ثم مصر . وتقع المدينة على منتصف الشاطىء الغربى لبحيرة طبرية ، وهي تبعد حوالى ٢٠ كم عن مصب نهر الاردن ، وتقوم على سهل منبسط يمتد الى الهضاب الغربية والشمالية وقد حباها الله جمالا وروعة ، فقد تجمعت فيها كل مفاتن الطبيعة

طبرية

قيثارة الجليل

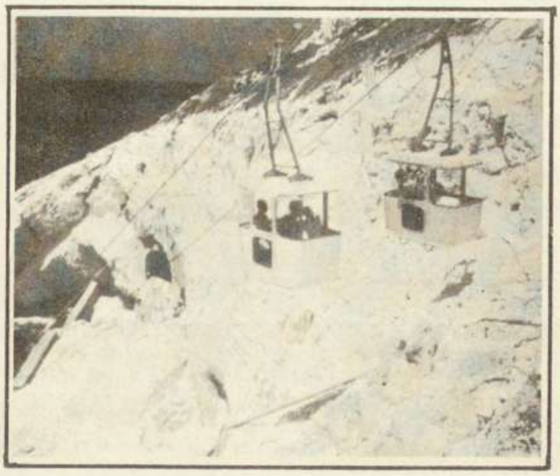

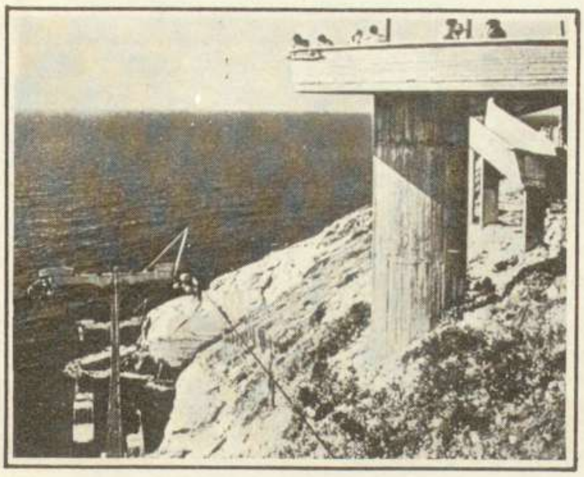

ومباهجها ، وتمتاز هذه المنطقة بدفء فى فصل الشتاء وبجفاف الهواءطيلة ايام السنة ، وبصيف حار لكنه مقبول وله جماله وسحره . كما يقول الاستاذ محمد سلامة النحال .

وتعتبر مدينة طبرية من اهم المشاتى الفلسطينية وقد كان يؤمها الكثيرون من اثرياء فلسطين طلباً للدفء وللاستشفاء ، ولكن يبدو انها كانت مهملة لفترة طويلة من الزمن ، فقد وصفها المقدسى فى القرن الرابع الهجرى ، بانها : « ضيقة ، كربة فى الصيف ، مؤذية ، بها ثمانى حمامات بلا وقود ، ويقال ان اهل طبرية شهرين يرقصون ، وشهرين يقمقمون ، وشهرين يتاقفون ، وشهرين عراة ، وشهرين يزمرون ، وشهرين يرقصون من كثرة البراغيث !! » .

وفى القرن الحادى عشر زارها الرحالة الفارسى ناصر خسرو ، ومما قاله عنها : «.. ولطبرية سور عظيم حصين يبدأ من شاطىء البحر ، ويمتد حول المدينة ، وفى بحر طبرية سمك كثير ، ومسجد الجمعة فى وسط المدينة ، وفى الجانب الغربى مسجد اسمه «الياسمين» وهو مسجد جميل فى وسطه ساحة كبيرة بها محاريب ، وتحت هذه الساحة قبور سبعين نبياً قتلهم بنو اسرائيل !! » .

وفى عام ١٨٩٢ نزلها الرحالة بيركهارت . ومن ضمن انطباعاته عنها قوله « لا يوجد فى طبرية خان للمسافرين فذهبت الى خورى الكاثوليك وابديت له رغبتى فى الحصول على مفاتيح الكنيسة لآوى إليها ، وقد اعطانى إياها فعلا إلا أننى وجدت المكان يعج بالهوام فانتقلت الى فناء الكنيسة المكشوف وبت فيه».

البطلُ شرحبيل بن حسنة فتحها عام ١٣ هـ . ثم أصبحت عاصمة لـ "جُند الأردن"

●

مدينة طبرية تعتبر من أهم المشاتى الفلسطينية وكان يؤمها أثرياء فلسطين

طبرية فى العهد العثمانى

بعد استيلائهم على طبرية عام ١٥١٧م اصدر الاتراك قرارا بتعيين الشيخ ظاهر العمر حاكماً عليها . فاخذ ظاهر يوسعها ويزينها ويحصنها .. فبنى قلعتها الكبرى فى مدخل المدينة ، وبنى الجامع الزيدانى فى الحي الشمالى . وماكاد يوطد اقدامه فى حكم طبرية حتى خاض عدة معارك مع خصومه فى الجليل الاعلى ، غير انه استطاع فى النهاية أن ينتصر عليهم واصبح الشمال الفلسطينى تحت امرته ، فقرر نقل مقره الى عكا ، وواصل الشيخ ظاهر انتصاراته على باقى خصومه فاستولى على الديار اليافية ، والديار النابلسية ، وعقد تحالفاً مع على بك الكبير فى مصر .

يهود طبرية

حتى القرن الماضى كان يهود طبريه يعيشون فى حي خاص بهم يفصلهم عن بقية البلدة سور عال له بوابة ضخمة تغلق بعد غروب الشمس ، ولا تفتح مصاريعها إلا عند شروق الشمس فى اليوم التالي . وكانت غالبيتهم تعود باصلها الى بولندا واسبانيا وشمال افريقيا .

ويحدثنا الرحالة الذين زاروا طبريه قبل ثمانين عاما تقريباً بان اليهود كانوا يتمتعون بحرية دينية مطلقة وقد كانوا يتزوجون فى سن مبكرة جدا «ولا يستغرب أن ترى أمهات عمر الواحدة منهن احد عشر عاماً أو آباء عمر الواحد منهم ثلاثة عشر عاماً ، وحاخام طبريه يتبع الحاخام الأكبر فى صفد الذى يصدر الاحكام النهائية بالنسبة لجميع المشاكل المختلفة فى الشريعة والدين» .

ولعمرى هل هناك تفسير لذلك الزواج المبكر جدا سوى زيادة النسل اليهودى تنفيذا لخطة اغتيال الحق العربى وتهويد فلسطين !

وقد جاء فى دليل بدكر ١٩١٢ « يسكن طبرية ثمانية آلاف وستمائة نفس منهم حوالى سبعة آلاف يهودى لهم سبعة معابد ، واكثرهم من مهاجرى بولونيا ويتكلمون الالمانية ويعيشون على الصدقات التى تصلهم من أوربا . وهم يلبسون برانيط «قبعات» كبيرة وسوداء وجبباً عليها فراء حتى فى اشد ايام الصيف حرارة ، وفيها ١٤٠٠ مسلم ، و ٢٠٠ مسيحى » .

والاماكن المهمة التى يتبرك بها اليهود بالمدينة حتى اليوم هى :

١ ـ قبر «ميمو نيدس» وهو عالم لاهوت يهودى ، توفى عام ١٢٠٤ م .

٢ ـ قبر «ماير» وهو اهم مكان مقدس عندهم لاعتقادهم انه كان يقوم بالعجائب !

جانب من بحر الجليل

اغنام ترتع على شاطىء البحيرة

منظر من الجليل

٣ ـ نصب «أكيفا» وهو الذى كتب « المشنة » قبل أن يعتقله الرومان . وكذلك قبور بعض مشاهير علماء التلمود.

الحمـــامـــات

ينابيع حارة تنبجس من الأرض ، التجا إليها الانسان منذ قديم الزمان ـ ومازال ـ فاستحم فى مياهها المعدنية للتخلص من أمراض الروماتيزم والأمراض الجلدية والاضطرابات العصبية والنقرس وغيرها.وقد عرفها الكنعانيون العرب وأسسوا عليها مدينة «حمات» التى تعنى الينابيع الحارة ..

ومن المعروف أن درجة حرارة هذه الينابيع تصل الى ٦٢ درجة مئوية مما يستوجب تبريدها .

وتاريخ حمـــامـــات طبرية قديم ، وقد جمعت تحت قباب ثلاث قام ابراهيم باشا بتشييد آخرها عام ١٢٥١ هـ . والحمام عبارة عن حوض كبير بجواره حمامات صغيرة يجرى الماء الساخن من خلالها حيث يستخدمه الأفراد للاستحمام . وطوال مدة بقائها كانت هذه الحمامات على امتداد تاريخها وقفا اسلامياً صرفاً ، ولكن بمجرد أن ابتلانا الله بالاستعمار البريطانى اللعين أخذ جلادوه يكتمون انفاس شعبنا ويضيقون عليه رزقه فادعت حكومة الانتداب ملكيتها لهذا الوقف وقام خلاف طويل كانت خاتمته حصول هيئة الاوقاف الاسلامية على ثلث الحصة فقط ! وامعانا فى قهر المواطنين العرب منحت الحكومة امتياز استغلال هذه الحمامات لشركة يهودية بايجار رمزى !

قرى القضاء

كان قضاء طبرية ـ قبيل عام ١٩٤٨ ـ يضم ٢٦ قرية عربية ، اضافة الى ٢٤ مستعمرة يهودية منها تسع مستعمرات اقيمت فى العصر العثمانى ، والباقى فى العصر البريطانى ، أما فى الوقت الراهن فقد زالت عن الوجود جميع القرى العربية فى القضاء باستثناء ثلاث منها فقط !

وقد كانت مدينة طبرية هى مركز القضاء ولها اهميتها التجارية والدينية والزراعية فهى المدينة الرئيسية فى منطقة الغور الشمالى ، وتمتاز اراضيها بزراعة الحبوب والخضروات اضافة الى وفرة الاسماك . وهذه المزايا اضافة الى وجود الحمامات المعدنية والمناظر الخلابة والأجواء الصحية جعلت اهالى طبرية يستشعرون السعادة والعافية ، وهناك مثل يضرب فى هذا المقام يقول : «من يعش فى طبرية يسعد بالعيشة الهنية » .

وعلى شاطىء البحيرة مباشرة وفى داخل المدينة توجد كثير من الآثار المسيحية المقدسة مثل كنيسة دير الروم ، ودير المسكوب ، ودير اللاتين المعروف بدير تراسنطة «تراسنطة تعنى الأرض المقدسة» وفى ساحة هذا الدير يقع تمثال القديس بطرس . والحقيقة أن معظم منطقة الجليل مقدسة لدى المسيحيين لأن السيد المسيح عليه السلام تنقل بينها ، وقام برسالته فيها كالمجدل ، والطابغة ، وكفر ناحوم .

ومن اهم قرى القضاء :

● الطابغة : وهى اساسا كلمة يونانية تعنى الآبار السبـع غير انها حرفت فيما بعد ، وقد مسحها اعداء امتنا من الوجود وحولوها الى مركز سياحى ودينى. ويعتبر خان المنية من أهم المواقع الاثرية على جنبات الطابغة .

● المجدل : وهى كلمة سامية الأصل بمعنى البرج ؛ وهى غير مدينة المجدل

طبرية
قيثارة الجليل

حمامات طبرية مياهها تشفي كثيراً من الأمراض
●
أول مدينة فلسطينية سلمها الإنجليز لليهود
●
الصهاينة يطمسون وجه طبرية العربي الصبوح

اثار قرية مسعدة العربية

الفلسطينية التى تقع جنوبى فلسطين وتنتسب اليها القديسة « مريم المجدلية » ذات الثروة والصيت الحسن ، وقد أمنت بالسيد المسيح فكانت إحدى تلميذاته فتبعته وقامت بخدمته حتى أخر المطاف .

وقد ازالها الأعداء تماماً واقاموا على انقاضها مستعمرة مجدال .

● سَمَخ : تبعد عشرة كم عن طبرية وترتبط بها عن طريق البحيرة التى تسير عليها مراكب تجارية تتنقل بين المدينة وسمخ . وقد كان لها شأن كبير إبان الحرب العالمية الأولى حيث كانت مسرحاً لقوات تركية وبريطانية واسترالية وألمانية .

وفى الحرب العربية الصهيونية الأولى عام ١٩٤٨ خاض الجيش العربى السورى معركة ناجحة ضد العصابات اليهودية واستطاع احتلال سمخ لمدة خمسة أيام . ثم اضطر للانسحاب منها لاعتبارات شتى !

وبعد نكسة حزيران كانت سمخ هدفاً لصواريخ الثورة الفلسطينية .

● الحِمّة : تقع على نهر اليرموك وتبعد مسافة ٢٢ كم جنوبى طبرية و ٦٥ كم جنوبى مدينة القنيطرة السورية .

ويرتبط اسم الحمة بحماماتها المعدنية الفريدة التى تعد من اهم الينابيع فى العالم حتى بالنسبة لينابيع طبرية ذاتها ، فنسبة الكبريت فى ينابيع الحمة مرتفعة جدا بينما نسبة الملح منخفضة جدا عنها فى طبرية .

وهناك ميزة أخرى لمياه الحمة تتمثل فى وجود بعض اشعاعات الراديوم فيها .

ومن جانب أخر فقد طبق الفدائيون الفلسطينيون عام ١٩٦٩ فى الحمة مرحلة متقدمة فى صراعهم العنيف مع الكيان الصهيونى وهى مرحلة « الاحتلال المؤقت » حيث استطاعوا احتلال الحمة ورفع العلم الفلسطينى عليها لعدة ساعات .

● ناصر الدين : قرية فلسطينية متواضعة ، ولكنها برزت فى دائرة الضوء ليلة ١٤ نيسان عام ١٩٤٨ بسبب المجزرة الرهيبة التى ارتكبها الصهاينة حيث أبادوها وابادوا سكانها من الوجود ولم ينج منهم إلا من رحم ربى .

● الشجرة : ذكرها ياقوت الحموى فى « معجم البلدان » بقوله : « اسم قرية بفلسطين بها قبر صديق بن صالح النبى عليه السلام ، وقبر دحية الكلبي » .

وقد اقترن اسم « الشجرة » يوم ١٣ تموز عام ١٩٤٨ باسم الشاعر الفلسطينى الشهيد عبد الرحيم محمود حيث نفذ ارادته والقى بروحه فى مهاوى الردى فى معركة « الشجرة » وهو القائل لهذين البيتين اللذين يحفظهما كل فلسطينى تقريباً :

ساحمل روحى على راحتى
والقى بها فى مهاوى الردى
فاما حياة تسر الصديق
وأما ممات يغيظ العدى

● حطين : تبعد مسافة ٩ كم الى الغرب من طبرية ، وبجوارها تقع «خربة النبى شعيب » حيث يوجد مقامه عليه السلام ، ومقامه هذا تقدسه الطائفة الدرزية ، ويزوره افرادها فى شهر نيسان (ابريل) من كل عام .

وفى سهل حطين وقعت معركتنا الخالدة مع الصليبيين فى ٣ ـ ٤ تموز عام ١١٨٧م حيث احرز عليهم قائدنا البطل صلاح الدين الأيوبى نصرا مبيناً .

وقد سقط من الفرنج فى هذه المعركة أكثر من عشرة آلاف قتيل وأسرت آلاف أخرى حتى قيل بأن من شاهد الاسرى ظن أن ليس هناك قتلى ، ومن شاهد القتلى ظن أن ليس هناك أسرى ، وذلك دليل الكثرة الهائلة فى الفئتين .

وقد روى ثقاة المؤرخين بأن قيادة جيش المسلمين قد وضعت جنديا مسلما واحدا ليقوم على حراسة مائتى جندى صليبى !!

وقد كان ذلك الانتصار يبشر بنجاح

منظر جانبى لبحيرة طبرية

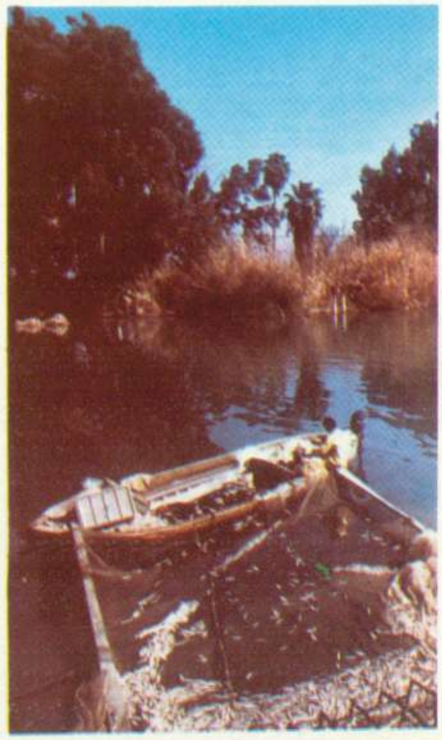

منظر اخر لبحيرة طبرية

المسلمين فى القضاء على أكبر حركة استعمارية هددت المنطقة العربية فى العصور الوسطى . وقد تم لصلاح الدين الايوبى بعد معركة حطين تحرير عكا ونابلس وحيفا وبيروت وصور وصيدا والناصرة والقدس وعسقلان والرملة . وقد خلد العماد الأصفهانى تلك المعركة بقصيدة جاء فيها :

يايومَ حطين والابطال عابسة
وبالعَجَاجة وجه الشمس قد عَبسا
رأيتُ فيه عظِيمَ الكفر مُحتَقَرا
مُعَفَّرا خَدَّه والأنفُ قد تَعِسا

هذا وقد طرد الصليبيون الجدد سكان حطين من قريتهم بعد أن مسحوها من الوجود وكأنهم يهدفون الى مسح تاريخنا وامجادنا ، ومابرح اهل حطين — وكل امة الاسلام — فى انتظار حطين جديدة ، وصلاح الدين جديدا ، لمقارعة الصليبية الجديدة !!

● ●

كان سكان طبرية يعيشون حياة مفعمة بالتالف والأخاء فيما بينهم ، لا فرق بين مسلم ومسيحى ويهودى ، برغم كثرة عدد اليهود وتوسط عدد المسيحيين ، وقلة عدد المسلمين ، ولكن عندما اصدرت بريطانيا وعدها الغادر باقامة وطن قومي لليهود فى فلسطين تغيرت النفوس ، وشحنت القلوب بالموجدة والكراهية ، وكانت ليلة النصف من شهر نيسان ليلة لا تنسى فى طبرية ، فقد فاجأ اليهود المواطنين العرب من مسلمين ومسيحيين بهجوم كاسح نتج عنه احتلالهم وسيطرتهم الكاملة على الأحياء والمساكن العربية . وقد حدث ذلك كله برغم وجود الجيش البريطانى فى فلسطين ، بل أن قيادة هذا الجيش ذاتها — وبناء على خطة مسبقة مع اليهود — ارسلت نحو ٢٠ شاحنة تم حشر جميع العرب فيها وأرسلوهم الى الناصرة ووضعوهم فى الأديرة والجوامع ، وكان اليهود مصطفين على الطريق يضحكون ويؤشرون بأصابعهم اشارات قذرة ، ثم اندفع اليهود الى بيوت العرب ونهبوا كل ما فيها من اثاث ومؤن ثم احتلوا البيوت وسكنوها كما يقول السيد طلعت السيفى احد ابناء طبرية ممن شهدوا ذلك المشهد المأساوى !

الضياع .. الضياع

واخيرا قام البريطانيون بتسليم طبرية الى العصابات اليهودية فى ١٩ نيسان عام ١٩٤٨ ، فكانت بذلك اول مدينة فلسطينية يسلمها البريطانيون الى اليهود ايام حكمهم الظالم كما يروى استاذنا القدير مصطفى مراد الدباغ .

حاضر طبرية

لقد طمس اعداؤنا وجه طبرية العربى الصبوح ، ولم يعد المتنبى ولا أحفاده يصفون أو يتغزلون بجمالها الفاتن ، فلقد اضحت طبرية مصدرا لخيالات الشعراء الصهاينة ، وقبلة لمتدينيهم وزوارهم . إن عدد سكانها اليوم يزيد عن ثلاثين الف نسمة ! وهى تعتبر من المراكز السياحية المهمة فى الجليل ، بعد أن أنشأ اليهود عدة ضواح جديدة فيها ، وحدائق عامة وفنادق فخمة تزيد عن الثلاثين ، ومبان حديثة . ومسابح كبيرة . وعدداً من الاستراحات ومضافات الشبيبة . وفيها ايضاً محطة للزوارق البحرية . ومحطة لمراقبة الاشعاعات النووية . وتقوم المراكب الصغيرة بنقل الركاب فى البحيرة لزيارة المستعمرات المنتشرة حولها ، وتناول وجبات السمك الطازجة التى تقدمها مطاعم المدينة لعشرات المئات من الزوار الذين يقضون عطلة نهاية الاسبوع فيها .

إن طبرية وكل المدائن والقرى الفلسطينية الأسيرة .. وأكثر من مليون أسير عربى يستصرخون ضمير العالم لانقاذهم من وطأة الاحتلال الصهيونى البغيض .

نبيل خالد الأغا

جـمال الغيطـانى

عندما يصل الإسلام إلى وسط أوروبا

بودابست : كانت المدينة حتى ١٨٧٢ تتألف من مدينتين متميزتين ، بودا على ضفة الدانوب اليمنى ، وبست على الضفة اليسرى .

.. يخترق الدانوب مدينة «بودابشت» يقسمها الى جزئين كانا حتى القرن الماضى منفصلين ، « بودا » على الضفة الشرقية ، و «بشت» على الضفة الغربية، وتقع « بودا » فى منطقة جبلية ، تتناثر البيوت والشوارع على المرتفعات الجبلية التى كستها خضرة الأشجار بطابع فريد ، يذكرنا الى حد كبير بمنطقة ابو رمانه المتدرجة فى الارتفاع على سفح جبل قاسيون بدمشق .

فى قلب « بودا » ميدان «الموسكوفاتير» حيث تنتهى وتبدأ خطوط المواصلات والترام ، ومنه ايضاً يبدأ طريق مرصوف يرتفع على مهل ، وبعد قطع مسافة يبدأ تغيير واضح فى المعالم .

تختفى المبانى متعددة الطوابق ، تصبح من طابقين او طابق واحد ، يتغير شكل البوابات لتصبح شبه مستديرة ، مغلقة برتاج خشبى ثقيل تذكرنا على الفور بمداخل البيوت العربية القديمة ، أما النوافذ فمستطيلة ، بارزة عن الواجهة ، الزخارف ذات طابع شرقى ، تلمح فيه العين بسهولة تأثيرات عربية ، الطريق يصبح مرصوفا بالحجارة المضلعة ، يبدو واضحاً أن المسافة لا تنقضى فقط فى المكان ، إنما ترحل عبر الزمان ، الى زمان بعيد يرجع الى القرن السادس عشر الميلادى

عندما غزا العثمانيون مملكة المجر ، واستمر حكمهم مائة وخمسين ، وكان من الطبيعى الا تمضى هذه السنوات الطويلة بدون أن تترك أثرها ، أثر مرئى يتمثل فى العديد من المنشآت التاريخية ، كالمساجد ، والمآذن ، واضرحة بعض الأولياء ، وأثر خفى ، ترسب فى العادات وبعض أسلوب الحياة اليومية ، وكلمات اندمجت فى اللغة المجرية حتى الآن بعضها عربى أصيل .

يمضى بنا الطريق الى منطقة القلعة ، لعة الصيادين المطلة على نهر الدانوب الجميل ، هنا نجد كنيسة «اشتفان» التاريخية المشهورة ، ومبنى فندق

● بدأ الحكم العثماني للمجر في عام ١٥٤١ عندما تم الاستيلاء على مقاطعة بودا

● توافد الجنود في البداية مع عائلاتهم.. ثم أقاموا في بيوت شيدوها في المدن

● عندما بدأت ملامح المدن المجرية تتغير في اتجاه الطراز العثماني أو الشرقي

مسجد حسن ياكوفيلى فى مدينة بيتش

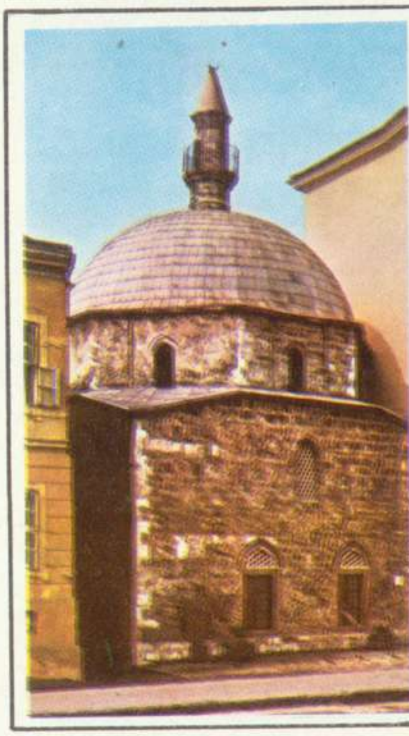

الهيلتون الذى اقاموه على الطراز القديم حوله تتفرع ازقة ضيقة ، جميلة ، تبدو البيوت خلالها راسخة ، موغلة فى الزمن ، منطوية على الكثير من الاسرار ، وفى الجانب المطل على «بودا» نفاجا بمقبرة رخامية قديمة ، شاهدها عليه بعض الآيات القرآنية باللغة العربية ، وعبارة «رحمة الله عليه» ، إنها مقبرة قاسم باشا أول حاكم عثمانى لمنطقة بودا بعد بدء الغزو العثمانى عام ١٥٤١م ، فى هذه السنة بدأ الحكم العثمانى للمجر اثر حملة عسكرية قادها السلطان سليمان القانونى فى إبريل من هذا العام ، كانت المجر تمثل منطقة هامة ، إذ أن السيطرة عليها تعنى السيطرة على وسط أوربا باكمله ، وشبه جزيرة البلقان ، وتهديد النمسا التى كانت تحكمها اسرة الهابسبورج ، وحول المجر دار صراع عنيف بين العثمانيين والنمسا ، تخللته عدة حروب ، كان ملك المجر سجيسمون قد توجس خيفه منذ غزو العثمانيين لمنطقة الصرب ، وبلغاريا ، ولجا الى بابا روما ، واستجاب البابا لنداء عاهل المجر فاعلن اشارة الخطر فى أوربا ، ودعاها الى اتحاد مسيحى جديد ضد الغزاة المسلمين ، وكانت هذه الحرب بمثابة حروب صليبية حديثة راح البابوات يحرضون عليها لمدة تزيد عن قرنين ، لقد بدأت هذه الحروب فى سنة ١٣٩٦م ، وكان النصر حليف العثمانيين ، وكانت آخر الحروب عام ١٦٨٤ وفيها اتحدت النمسا وبولونيا والبندقية ورهبان مالطة والبابا و روسيا ، واستمرت حتى عام ١٦٩٥ ، وانتهت بانكسار السلطنة العثمانية وجلائها عن المجر .

العثمانيون والمجر

.. بدأ الحكم العثماني للمجر فى عام ١٥٤١ عندما تم الاستيلاء على مقاطعة (بودا) ، وحتى عام ١٥٤٣ تساقطت المدن الهامة واحدة إثر الأخرى ، وفى هذه المناطق بدأت الحياة اليومية تتأثر بأسلوب الحياة العثمانى ، توافد الجنود فى البداية مع عائلاتهم ، واقاموا فى بيوت خاصة شيدوها فى قلب المدن المحتلة ، وجرى تغيير النظم القضائية ، وبدأ بناء عدد من المساجد فى كل مقاطعة لاقامة شعائر الصلاة ، ومبانى للتكايا الخاصة بالدراويش ، واسواق على الطراز الشرقى ، من هنا بدأت ملامح المدن المجرية تتغير فى اتجاه الطراز العثمانى ، أو الشرقى ، كان هذا التغيير عميقاً ، وبنفس القدر الذى تمت به التحولات السياسية والاقتصادية ، وانعكس ذلك فى المظهر . شكل المنازل التى اصبحت تقارب الطراز الشرقى ، بروز المشربيات التى تحجب الناظر من خلفها ، والبوابات الفسيحة التى تؤدى الى مدخل خاص ينتهى فى فناء فسيح تطل عليه النوافذ الداخلية للبيت .

كما اصبح لكل مدينة سوق مركزى ، مغطى ، يشبه الأسواق الشرقية ، والعربية ، التى تخصص لكل سلعة معينة قطاعاً معينا ، ولاتزال هذه الأسواق قائمة فى المدن العربية القديمة ، تتوحد فى مظهرها ومضمونها الخفى ، ولكن أهم بناء قام فى المدن المجرية هو المسجد ، فى البداية حول العثمانيون بعض الكنائس القليلة الى مساجد ، واستلزم ذلك عدة خطوات ، منها فرش ارضية الكنيسة بالسجاد ، وإزالة اللوحات والصور ، ونقش الجدران بزخارف عربية واسلامية ، وكتابة بعض الآيات القرآنية على الجدران ، وإقامة المحراب فى الجهة الجنوبية الشرقية ، وهو اتجاه القبلة الى الكعبة فى المجر ، وبناء حاجز يفصل القسم الخاص بالنساء والذى يؤدين فيه الصلاة بمنأى عن الرجال ، وبهذا تتحول الكنيسة الى مسجد ، غير أن عدد الكنائس التى جرى تغييرها محدود جدا ، وأهمها ، كنيسة بودا ، وكنيسة بيتش فى الجنوب ، وكاتدرائية ايجر .

المدارس والحمامات

ثم بدأ العثمانيون فى بناء المساجد ، وكانت كلها على الطراز العثمانى ، حيث الصحن المكشوف يؤدى الى قاعة

● بعض جدران المسجد لا تزال مغطاة بالنقوش الإسلامية الملونة

جامع بكس الذى تحول الى كنيسة

طابع البناء العربى داخل بيت مجرى قديم

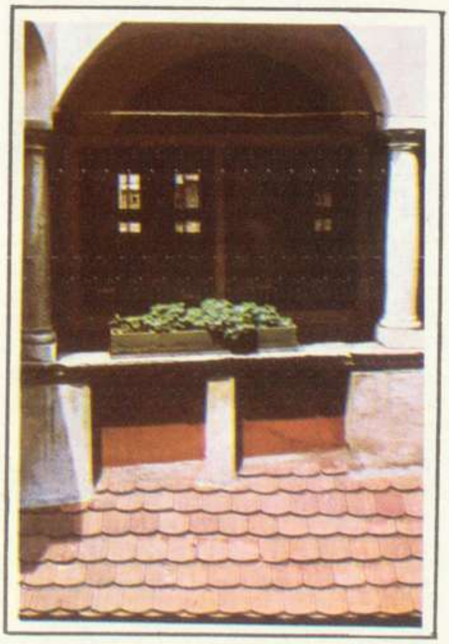

الصلاة ، التى تعلوها قبة كبيرة ، وفى الركن الأيمن تقوم المئذنة النحيلة ، الصارمة ، التى تشبه مآذن استانبول الشهيرة ، وأحيانا كانت تستخدم بعض حجارة الكنائس القديمة فى بناء المسجد الجديد ، الذى كان يقوم عادة فى مركز المدينة ، فى قلب ميدانها الرئيسى ، أو يبنى فى مواجهة إحدى الكنائس المشهورة ، مثل مسجد بودا الذى شيد بالقرب من كنيسة سانت أوجستين ، بالاضافة الى المساجد ، قام العثمانيون ببناء بعض الاسبلة التى كانت تحوى ايضاً كتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم ، وبنوا عددا من الاضرحة للأولياء والدراويش واشهرها ضريح «جولى بابا» احد مشايخ الطرق المولوية الشهيرة ، ولازال قبره قائماً فى «بودابست» ويسعى بعض الاتراك لزيارته قاطعين مسافات بعيدة حتى يصلوا اليه ، وبالقرب من المساجد قامت بعض المدارس ، والحمامات ، وعادة كان الباشا التركى الذى قام ببناء المسجد ينشىء عددا آخر من هذه المبانى لتحمل اسمه .

مسجد الغازى

.. الطريق الى مدينة «بيتش» فى الجنوب مكلل بخضرة كثيفة ، مغسولة بمياه المطر ، المدينة ترقد بين سلسلة من المرتفعات الجبلية ، تبدو بمنازلها القديمة ، وحواريها المبلطة بالحجارة ، وتدرج شوارعها فوق الصخور ، كانها متحف حي ، مسكون ، بمجرد ان ينتهى الطريق المؤدى الى « بيتش » فى الميدان الرئيسى ، نفاجا ببناء ضخم اسلامى الطراز ، تعلوه قبة هائلة عثمانية الملامح ، انه مسجد الغازى قاسم باشا ، أول من حكم مدينة «بيتش» بعد الغزو العثمانى ، المسجد يتوسط المدينة ، يلقى بظلال كثيفة على كل جزء فيها ، حتى وإن أوليته ظهرك ، أنه مركز الاشعاع المكثف لهذه الروح الشرقية لبيتش برغم مظهرها الأوربى ومضمونها أيضاً ، تشرف قبته التى تشبه الى حد ما قبة الصخرة على ما حولها ، بعد هزيمة العثمانيين حاول النمساويون طمس ملامح المسجد ، فحولوه الى كنيسة ، لكنهم لم يغيروا ملامحه ، كل ما فعلوه انهم أزالوا الهلال ووضعوا مكانه الصليب ، غير أن المعالم الرئيسية ، والزخارف التى تمت بجذورها الى الروح العربية ، ظلت كما هى ، فى القرن الثامن عشر انهارت المئذنة واصبح المسجد تابعاً لطائفة الجزويت ، وفى سنة ١٩٣٩ تعرض المسجد لتغيرات عميقة بسبب عوامل التعرية كادت تؤثر فيه ، اعيد ترميمه ، مع المحافظة على طابعه الشرقى بحيث يمكن القول أنه استعاد هيئته الاصلية تماماً .

مسجد حسن

.. من ميدان «سيشنيا» الرئيسى حيث يقوم مسجد الغازى قاسم باشا ، نتجه الى بعض الشوارع الضيقة ، الجميلة ، المعبقة بالتاريخ ، نصل الى شارع راكوتش العريض نسبيا ، على جانبيه مجموعة من المبانى الأوربية الطابع ، نفاجا بمسجد صغير ، يحتفظ بمأذنته النحيلة ، عثمانية الطراز ، تقوم عند الركن الأيمن منه ، غير أن هذه البقعة التى يحتلها المسجد ، غنية بمضمونها ، فريدة فى تكوينها ، وكأنها صانت فترة زمنية متكاملة من البلى ، هذا ما نشعر به بمجرد الطواف حول المسجد والوقوف فى الحديقة الخلفية التى كانت مخصصة لتكية دراويش طائفة المولوية والتى لم يتبق منها إلا بعض الجدران الرخامية ، وفسقية ، وشواهد قبور لبعض الدراويش الذين دفنوا فى مقبرة كانت ملحقة بالتكية .

شيد هذا المسجد فى النصف الثانى من القرن السادس عشر ، الطراز عثمانى ، وصف الرحالة التركى ايفليا جلبى المسجد بالتفصيل ، بعد انسحاب العثمانيين من المجر تحول المسجد الى كنيسة فى الفترة مابين ١٧٠٢ و حتى ١٧٣٢ ، فى هذه الفترة اضيفت نوافذ جديدة ، وفتح مدخل آخر فى الجانب الشمالى ، وقد ظلت الزخارف التركية كما هى ، حتى بعد ان تحول المسجد الى كنيسة ، ثم تآكلت بفعل الزمن ، واعيد ترميمها فى الفترة من ١٩٥٧ وحتى

واجهة بيت قديم تبدو فيها المؤثرات العربية

١٩٦٠ ، عند دخول المسجد نجد ان صحنه مبلط بالحجارة ، ونلاحظ ان المئذنة متصلة به ، تقوم فى الركن الأيمن ويوجد سلم داخلى يؤدى إليها ، والنوافذ القريبة من الأرض مستطيلة الشكل ، مغطاة بقضبان حديدية زخرفية الشكل الى جانب الزجاج العادى ، وفى القبة التى ترتكز على قاعدة مثمنة الاضلاع نوافذ يتخللها زجاج ملون معشق بالجبس ، فى منتصف الجهة الجنوبية الشرقية ، وفى مواجهة المدخل الأصلى نرى المحراب الرخامى الجميل ، والى اليمين منبرا خشبى مطعم بالصدف ، وإلى يساره المقعد المخصص لقارىء القرآن ، وهو قطعة جميلة من الفن الاسلامى ، الأرضية مغطاة بسجاد تركى ثمين ، وبالقرب من المنبر حامل للمصحف ، خشبى مطعم بالعاج والصدف ، وهذه القطع مهداه من الحكومة التركية ، كما يوجد متحف صغير ملحق بالمسجد به صور من المخطوطات التركية وسيوف قديمة وبعض الملابس ، وكلها مهداة من متحف طوبقابى سراى باستانبول، نعود الى صحن المسجد الصغير ، الأنيق الهادى فوق الجدران لوحات كتبت بخط جميل تحتوى على آيات قرآنية :

« قال رسول الله ، افضل العبادات الذكر ، وافضل الذكر كلمة لا اله إلا الله »

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مامن يوم وليلة وساعة إلا لله فيها صدقة يتصدق بها على من يشاء من عباده الفقراء ».

« قال عليه افضل الصلاة والسلام ، أدعوا الله وانتم موقنين بالاجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه ، اللهم صل وسلم على اشرف جميع الانبياء والمرسلين » اللهم أنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوب اليك »

« كتبه الفقير لله اسماعيل غفر الله ذنوبه ، سنة ١١٣٥هـ »

مساجد أخرى

فى مدينة « شيجتفار» وفى قلب ميدان « زيزنيا » الكبير يوجد مسجد على باشا ، لقد نال الزمن منه فتقشر طلاء جدرانه ، واصبحت الحجارة التى تشكل جدرانه بارزة ، مكشوفه ، بنى مسجد على باشا فى السنوات من ١٥٨٨ إلى ١٥٨٩ ، وقد ذكره الرحالة التركى ايفليا جلبى ، كذلك تهدم المدخل الأصلى فى القرن الثامن عشر ، والنقوش الجصية التى كانت تحليه ، غير أن الملامح التى لإتزال متبقية ، الى جانب النقوش التى اعيد تجديدها لا تزال تحتفظ بطابعه الاسلامى الأصيل .

فى نفس المدينة ، وفى قلب القلعة القديمة يقوم مسجد السلطان سليمان ، وقد بناه السلطان سليمان القانونى عام ١٥٦٦م اثر سقوط القلعة فى ايدى العثمانيين ، وقد سجل الرحالة ايفليا جلبى وصفاً دقيقا للمسجد ، ومن خلال الوصف امكن التعرف على اسمه وملامحه فيما بعد ، ولما كان المسجد متصلا ، فقد استخدم لعدة اغراض بعد انسحاب العثمانيين من المجر ، استخدم كمقر لقيادة فرق الكوماندوز النمساوية التى كانت تتبع قائد القلعة ، ثم حول الى ترسانة عسكرية ، وفى عام ١٧٦٠ تحول الى كنيسة عسكرية ، ويقع المدخل الأصلى فى الجهة الشمالية ويفض الى صحن المسجد من خلال ممر ضيق على شكل حرف «إل» الانجليزى ، وعندما بدأ اصلاح المسجد فى الخمسينات اكتشفوا المحراب الأصلى فى الجدار الجنوبى الشرقى ، وفى الجهة اليمنى من المسجد تقع المئذنة التى يفضى الى داخلها سلم دائرى ، الى يمين المحّراب توجد القاعدة الرخامية التى كان يقوم فوقها المنبر الخشبى ، وإلى جانب المدخل يوجد القسم المخصص لصلاة النساء ، بعض جدران المسجد لا تزال مغطاة بأعمال الخزف التركى والنقوش الاسلامية الملونة ، وبعض الآيات القرآنية المكتوبة بخط عربى جميل حول الجدران وبالقرب من السقف الذى تعلوه قبة شبه مثلثة ، وبالتاكيد فانها اضيفت خلال تحويل المسجد الى كنيسة .

فى مدينة سيكلوش ، يوجد مسجد مالكوش بك ، كان مؤسسه حاكماً للمقاطعة ، وقد توفى فى سنة ١٥٦٥ ، لم

مئذنة مدينة إيجر

بعض الآثار الاسلامية فى المجر .

يتحول هذا المسجد الى كنيسة شأن معظم المساجد التى بنيت فى المجر ، إنما ظل محتفظاً بسماته الاسلامية ، ونقوشه ، والآيات القرآنية على جدرانه الداخلية حتى منتصف القرن التاسع عشر ، فى هذه الفترة تهدمت المنارة ، والمدخل بسبب الاهمال الذى استمر سنوات طويلة ، وفى سنة ١٩٠١ كانت القبة ومعظم الجدران الرئيسية قد اصابها تهدم كبير ، جدار المسجد فى الجهة الجنوبية الشرقية مبنى من الحجارة والآجر ، ومن الداخل نستطيع أن نلمح بقايا زخارف جصية ، ونقوش اسلامية ، وفى الواجهة نرى ثلاث مستويات من النوافذ ، والنوافذ الموجودة فى المستوى الثالث معظمها تهدم وتشوه .

النقوش باقية

والمئذنة من الممكن الدخول اليها من داخل المسجد ، تقع ايضا فى الجانب الأيمن ، وبالقرب من قاعدة المئذنة تتناثر شظايا حجرية كانت جزءا منها ذات يوم ، المدخل يقع فى الشمال الغربى ، فى مواجهة المحراب الذى يقع فى الجنوب الشرقى ، ولازال محتفظاً بالزخارف الدقيقة من الرخام والجص ، ويوجد الى اليمين بقايا المنبر . أما الزخارف الاسلامية والآيات القرآنية التى كانت تغطى الجدران فقد ذهبت مع الزمن .

فى مدينة استرجوم ، التى يمكن للواقف على مرتفعاتها أن يطل على الجانب الآخر من الدانوب حيث الحدود التشيكوسلوفاكية ، يوجد مسجد حاجى ابراهيم ، وهذا المسجد يعتبر من المساجد التى شيدت عند حدود المناطق التى وصلتها الجيوش العثمانية داخل اوروبا باتجاه الغرب ، لا يعرف شىء عن مؤسسه او الظروف التى شيد فيها ، ولكن عرف اسمه من وصف الرحالة التركى ايفليا جلبى شيد فى بداية القرن السابع عشر وفى منتصف القرن الثامن عشر استخدم كمخزن للقمح ، والآن يستخدم كمنزل ، وقد كشفت الحفريات الحديثة أن الجانب الشمالى الغربى من المسجد كان يواجه سور المدينة الطولى من هذه الناحية .

ويقودنا مسجد حاجى ابراهيم فى استرجوم والذى اندثر معظم معالمه ، الى بقايا مساجد أخرى لم يتبق منها إلا أجزاء مهمة ، اندمجت فى بعض المبانى الحديثة . أو تقف متوارية فى عديد من شوارع المدن المجرية ، ومن أهم هذه المساجد جامع تويجون باشا ، بنى من عام ١٥٥٣ وحتى عام ١٥٥٦ م ، أى فى بداية الحكم العثمانى للمجر ، وقد وصلت المعلومات المتعلقة به من خلال كتاب الرحالة ايفليا جلبى ، وعندما انسحبت الجيوش التركية من المجر ظل سليماً لم يمسه اذى ، ثم اصبح جزءا من كنيسة جديدة فى عام ١٧٧٠ ، ولكن معظم نقوش المسجد الأصلية ذات الطابع الاسلامى ظلت كما هى فى الجدار الجنوبى الشرقى ، كذلك النوافذ التى وزعت على ثلاث مستويات . وكانت النوافذ الموجودة على مقربة من الجدران كبيرة ومستطيلة ، أما نوافذ المستوى الثاني فاضيق قليلا ، أما النوافذ العلوية فغالباً ما كانت مستديرة ولازال مكان المحراب ظاهراً بوضوح حتى اليوم داخل الكنيسة .

وإذا انتقلنا الى مدينة « بيتش » سنجد بقايا مسجد فرهاد باشا ، وتوحى بقايا المسجد بأنه كان يحتل المكان الذى يقيم فيه الآن المنزل رقم ٤ بشارع كازينسكى ، اسس المسجد فرهاد باشا حاكم مقاطعة بودا من ١٥٨٨حتى عام ١٥٩٠ ، وعندما وصف ايفليا جلبى مدينة بيتش اورد وصفاً تفصيليا لهذا المسجد ، وفى سنة ١٦٨٦ ، انسحب العثمانيون من بيتش ، ولم يلحق المسجد تدمير كبير ، ثم اصبح لطائفة الآباء الدومينكان ، واستخدموه حتى سنة ١٧٦٠ ، وتبدو بقايا المسجد تحت المنزل الذى يحتل موضعه هناك .

ونستطيع أن نرى تفاصيل معمارية اسلامية فى كنيسة أوجستين بمدينة بيتش ايضا ، وقد اكتشفت هذه البقايا عام ١٩١٢ ، غير أن المسجد الاصلى الذى كانت هذه الزخارف جزءا منه مجهول الاسم ، وغير معروف مؤسسه حتى الآن غير أن الكنيسة نفسها بنيت ١٧١٢ ومن المرجح انها بنيت مكان المسجد أو أن اضافات جوهرية جرت على بناء المسجد الاصلى .

وهكذا تنتشر الآثار الاسلامية فى المجر من بيتش جنوباً ، حتى استرجوم فى الشمال ، تقف الحجارة كشاهد باق على الاماكن التى وصل اليها الاسلام ، وأبقى على مر الزمان بعض من فنونه ، وروائعه .

جمال الغيطاني

لوحة

م. كجراى

يازورقى الحالم فى ضاحية البحيرة المنسية المهجورة
أود أن أصعد للمقصورة
أصغى إلى الموسقة السحرية ، المقاطع الحلوة فى قصائد الندى
أقفز فوق حائط السكون والردى
أدخل من بوابة الخروج
أحرق قلب الموت فى برية الثلوج
أعبر كهف الصمت استلقى على الغابات والمروج .
أتوق للألوان فوق اللوحة الاسطورة
للكروان العاشق المسحور
للشاعر العصفور
يادارة الصحو الذى يقودنى
لحانة الليل على الغدران والخمائل
يكتمل المشهد حين يرقص السكون فى مقاطع الهديل
تغتسل الخضرة بالضياء
فى غابة الجميز « والهبيل »
فالورق الصقيل
انقى من الصفاء فى المرايا
يعانق العليق خصر سرحه
فتطلق الآهة من مغاور الحنايا
كل الفراشات على الخارطة الملونة
تقبل البراعم الثلجية الندية
تمتص من رحيقها سلاف باخوس على دوارق فضية
عبيرها كعبق الحضارة المجهولة المنسية
ياقلبى المترع بالنشوة هذا سيد الفصول .
يخطر فى مملكة العشب يرش العطر فى مسالك الحقول
هذا حبيب القلب « أوزوريس » فى شبابه المؤتلق الوديع
هذا زفاف الملك المتوج الربيع
يعبر فى موكبه الملون البديع .

أوراق بدون ترتيب

حكاية كتاب خرج ولم يعد !

● الكتب اصدقاء هادئون ومامونون !

تلك كلمات قرأتها لـ «فيكتور هوجو» فى سنوات الصبا . ولست ادرى إن كانت هى التى جعلتنى فى تلك السن الباكرة أوثر صحبة الكتاب على صحبة الاتراب . أم هو الغروب فى قريتى الهمنى ان الوذ بفضيلة الاصغاء الى مفردات الكون تصاغ فى المساء بتلك الكلمات المرسومة بكل مشتقات التداخل بين اللون والضوء والظلال المتحركة حول قرص الشمس الموشك على الاختفاء . وبالحجم تلك الدهشة التى تلهب فينا جذوة الخيال والفضول والرغبة فى المعرفة ، حين يكون الله هو المبدع ، وحين تكون الطبيعة هى الكتاب !!

لكنى اوقن أن صداقتى مع الكتاب بدأت فى «كتاب» القرية جلوساً منصتين ومرددين وحافظين . وتأكدت تلك الصداقة حين اتممت حفظ القرآن كله فى سن العاشرة . إن صداقة الكتاب تتاكد حين ننتهى من قراءته . لانه يكون قد افضى بكل أسراره إلينا مهما دقت على افهامنا . ولقد افضى القرآن ببعض أسرار الصفاء المبهم إلى روحى . مثلما زرعنى على شواطىء الانبهار المطلق بأسرار اللغة التى نزل بها . ولازلت الوذ به كتاباً ـ وهو يطهرنى من شوائب النفس ـ يقربنى من جوهر اللغة التى اعشق ، ويملؤنى بفيض الموسيقى غير المتكلفة ، ويمنحنى شجاعة الخوض فى مهابات الزيف المحدق بنا من كل صوب ، حيث لا خشية إلا من الله ، ولا حق غير الله ! وإنى مازلت بالقرآن أهفو لو يدنو بى من تلك البصيرة ، التى احلم لو تدنو من فيض الشفافية ، كى أبصر بها الحقائق التى لا تدنو من الناس لأنهم مظلمون !

ولقد اهدانى القرآن بعد ذلك كيف اختار اصدقائى من الكتب ، فلا اتدنى بالعقل الى درك التفاهات . ولا أسيغ لذاكرتى ان يحشوها مخادع أو مبتز . وهكذا يستبد القلق بى حين اقف زبوناً امام الأرفف فى المكتبات . إنه قلق الفضول المحموم نحو عقل جيد العطاء والصحبة .

ولقد علمتنى التجربة الا اثق فيما يقال من أن الكتاب يعرف من عنوانه . فكم من العناوين البراقة اجتهد الكتاب من الدرجات الدنيا فى ابتكارها ، سريعاً ما ينكشف خداعها حين نطالع المقدمات او ندخل فى الموضوع !

أحياء في غرفتي !

● صداقة الكتاب الجيد هى افضل صداقات الانسان على الاطلاق ! .

إنها التفاهم القائم على محبة العقل والمعرفة والمعرفة . وهى الود الذى لا يفسده اختلاف الراى . والكتاب يمنحك تلك الحرية الشخصية وانت تختاره صديقاً ، تدخل فى عقل صاحبه مباشرة ، لتجول فى عالمه دون توجس من كبر أو استعلاء ، ودون هاجس من زيف السلوك الاجتماعى الذى بات ظاهرة من ظواهر الجهل والاحباط الروحى فى حياة البشر .

وإنى إذ اجلس الآن فى غرفة كتبى هنا .. وحين اسافر بذاكرتى الى غرفة مكتبتى هناك .. أستشعر اننى فى حضرة أصدقاء حقيقيين من افضل المفكرين الذين عرفت وعاشرت . جميعهم راغب فى أن يفيح لديك خبراته ، وأحلامه ، وامنياته للحياة وللناس . وكلهم مجبولون على المزيد من العطاء كلما قصدت . لا يملون .. ويحيون أكثر ! ودائماً يتجسد لى الكاتب الذى ادعوه رفيقاً لأمسيتى . اجلس إليه . واصغى الى صوته وهو لا ينفعل ولا يكابر حين اقاطعه حيناً لأدير حواراً معه حول نقطة يكون لى فيها وجهة نظر او استفسار . وهو لايصاب بالحنق او الجهامة حين أهرع الى وجهة نظر اخرى فى نفس الموضوع لدى كاتب آخر فى الغرفة يصغى وينتظر الدعوة للادلاء . إنهم جميعاً احياء فى غرفتى ساهرون ، وعلى السنتهم اغلى كنوز العقل . ويالهم من متواضعين اولئك الكتاب العظام حين تدعوهم الى صداقتك . وحين يدخرون لك أصفى ما خرجوا به من الحياة .. للحياة . وحين يسهرون خوفاً عليك من ضوضاء المعرفة . وإنه لعالم حقيقى ورحب الوذ به فى المساء من هجير العلاقات الفجة وعنكبوتية النوايا والأصوات اليومية المنكرة فى غابة النهار ! .

حياة محمد

● هذه الليلة الثامنة من ليالى شهر رمضان العفيف المتسامح ، اجلس الى «حياة محمد» بقلم الدكتور محمد حسين هيكل . وإذ اقول انه من افضل ما كتب عن سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلأن الدكتور هيكل يجعلنى فى كل سطر من سطور الكتاب ، أستشف ذلك الصفاء الروحى شديد الايمان بتلك المهمة المضيئة . إن بعض الموضوعات ينبغى الا يتوفر لها فقط موهبة المقدرة على التعبير والبحث والاستقصاء . وإنما يتوجب أن يكون الكاتب على درجة عليا من الشفافية والنور . ومن هذه الموضوعات : محمد .

« حياة محمد » كتاب يصحبنى منذ ثلاثين عاماً على وجه التحديد ، لم يفارقنى يوماً . انتقل معى من قريتى الى مدينة دمنهور طالباً . وإلى الاسكندرية موظفاً . وإلى القاهرة صحفياً وكاتباً . وركب معى الطائرة الى عدد من بلاد الدنيا زائراً ، وسائحاً ، وفى مهمة . وهاهو ذا يستقر معى فى مدينة الدوحة رفيق عمر وطريق واغتراب . سرقت مكتبتى فى مدينة الاسكندرية ولم يكن ضمن المسروقات لأنه كان فى حقيبتى . وفقدت حقيبتى بكل الأوراق الخاصة فى مطار هيثرو ، ولم

د. محمد حسين هيكل

يضع لانه كان تحت إبطى . واهترات معظم كتبى من تكرار التصفح إلا هو ، لانى القاه بكل الرفق والمهابة ، فى امسيات شديدة الضوء بالصفاء والجلال .

« حياة محمد » الكتاب .. استعرته من صديقى وبلدياتى الشيخ محمد على القماح الطالب حينذاك فى الأزهر . وكان المفروض ان اعيده إليه بعد شهر قدرته وقتا كافيا لقراءته وهضمه . إذ اعتدت أن اقرا الكتاب الجديد مرتين . مرة لممارسة الدهشة . ومرة للحوار معه .

وهو يقدمه لي احسست انه بدأ يتعجل انقضاء الشهر كى يعود إليه الكتاب ، لانه كما قال يتفاءل بوجوده فى مكتبته . ولعل كلمة « تفاؤل ـ كانت اقوى مفتاح يعطيه لي كى ادير به عقلى فى « حياة محمـد » بل لعلها كلمة « تفاؤل » اوعزت لى فى نفس اللحظة اننى لن اعيد هذا الكتاب الى صديقى فليس اجمل ولا أروع من كتاب يدفق لديك كل هذا الاحساس النبيل بالحياة .

وقد حدث !!

.. ومع أن صديقى القماح ـ ذلك الانسان الطيب المزيج من البراءة الذكية، والذكاء الفطرى البرىءـ لم يكن له من شاغل غير أن يعيد هذا الكتاب الى حوزته .. ومع انى كنت ألمح ذلك الندى الخجول فى عينيه ، راغباً فى أن اعفيه من عبء المطالبة المستمرة سواء بالتلميح او بالتصريح .. إلا اننى الآخر وجدتنى متشبثا به ، وكان ملكية الأشياء لا تؤول إلينا لمجرد اننا دفعنا فيها الثمن .. وإنما لأننا عاشرناها ، وتعرفنا عليها ، وامتدت فى عروقنا ، وتوحدنا فى حياة واحدة بالتفاهم ، والمخالطة ، والعادة .

كنت قد وقعت فى اسر الكتاب حقا .. وهذه النسخة بالذات .. لا سواها ! ليس فقط لاننى امضيت معها الليالي وحيدين فى ضوء المصباح الريفى الشاحب .. غارقين فى عالم من نور حقيقى بلا نهاية . وإنما لأننى كنت قد انسكبت على هوامشه البيضاء ببعض قطرات المناجاة التى توهجت بداخلى ، وتوهجت بها .

شيء آخر كان يقنعنى باصرارى على التشبث به . كنت قد اكتشفت للوهلة الأولى عند استعارتى له ، من نظافة الغلاف الأسود ، ثم من التصاق الصفحات بعضها ببعض فى عناق قديم ومستميت ، اننى أول الأنامل التى تتصفح الكتاب ، وان عينى أول ضوء يغشى عالمه ! هل كنت مشفقاً على دنيا هذا الكتاب من السكون والتحنط ؟ أم انها تلك المبررات التى نقنع بها انفسنا حين نكون راغبين فى امتلاك أشياء الآخرين بعد أن صارت عزيزة علينا ؟!

● ●

الآن تلوح لى قريتى لحظة التوديع فى طريقى الى القاهـرة منذ ربع قرن :

الشروق ، والحقول ، ومواكب الفلاحين ، وعينا صديقى الشيخ القماح .

وهو يصافحنى ، لم ينس ان يذكرنى بالموضوع . قال فى حزن من سيفتقد الصديق ، والأمل فى استعادة الكتاب :

ـ لاتنس ان تكتب لنا شيئاً عنه .

وتحرك القطار فاعفانى من سلوك التصميم !

سنوات وسنوات .. أعلا مافيها اصوات المحطات والمطارات والموانى و .. دقات على باب مسكنى ذات مساء كهذا باصابع صديقى القماح

ضاحكاً وجادا فى الوقت الذى فتحت له الباب :

ـ تصور اننى لم اقرا « حياة محمد » حتى الآن !

ضاحكا وجادا فى اللحظة التى احليته فيها من بين درآعى

ـ يالك من مهمل . كيف لم تستعره طوال تلك السنوات من مكتبات الوزارة ؟

وتضاحكنا طويلا فى شوق . فلما اكتشف صديقى انه سيبيت تلك الليلـة فى غرفة الكتب ، توهجت عيناه بامل لا يمكن وصف ميلاده المفاجىء من رحم الياس كل هاتيك السنين !

واظننى نمت قلقاً تلك الليلة !

استبد بى انفصام شديد بين رغبتين صادقتين : أن أعيد الكتاب إليه لأن ذلك يخفف عنه عبا كبيرا سيظل يحمله الى آخر العمر . ورغبة فى أن احتفظ بالكتاب لأن عشرتى معه اطول . ولأنى تعرفت عليه اكثر . ولأننى ما تصورت أن أدخل غرفة مكتبى ويكون قبس من « حياة محمـد » الذى توهجت به ، قد غادرها الى الأبد !

وعندما انحزت الى رغبتى .. امضيت بقية الليل نهباً لاحاسيس من نوع الحرج الذى ينتابنا فى مثل هذه المواقف . وقررت أن آتى له فى الصباح بنسخة جديدة ، لست واثقاً من توافرها فى المكتبات حينذاك .

فلما جاء الصباح ، وتاخر الصوت فى الغرفة التى ينام فيها صديقى ، تصورت انه غارق فى الكتاب ، ذاهل عن كل شىء .. لكنى ما إن واربت الباب فى رفق ، حتى بدت لى الغرفة خالية منه . وعلى جانب من السرير الصغير وجدت كتاب « حياة محمـد » مفتوحاً على الصفحة البيضاء الأخيرة ، وقد تحولت الى رسالة من كلمات قليلة :

ـ قاومت كثيرا أن احرمك منه .. فلا تحرمنى منه : الأمضاء محمد .. صاحب « حياة محمـد » .

واعتبرتها تعليقاً طريفا .. فكتبت له على هامش الرسالة :

تؤول ملكية هذا الكتاب الى صديقى وصاحبه الشيخ محمد على القماح بعد أن تقعد بى الشيخوخة عن القراءة .

وفى كل خطاب ياتينى منه .. يذكرنى بالموضوع !

وفى كل خطاب ابعث به إليه .. يتاكد له اننى مازلت قادرا على القراءة .. مع أنه لا يعرف شيئاً عن الوصية . لأننا لم نلتق منذ ذلك الصباح البعيد الذى تسلل فيه هاربا من «فرصة متاحة» لحرمانى من الكتاب !!

جوجول
الروائى الذى أضحك ليبكى

جمال كنانى

قال الناقد الروسى المعروف بلتيسكى، عن جوجول « إنه اعظم عبقرى انتجته روسيا » .. فلما قرأ الكتاب الذى نشره جوجول فى عام ١٨٤٧ بعنوان «مختارات» قال عنه « إنه المبشر باستعمال السوط ، رسول الجهل ، مادح وحشية التتار » .

ولكن ترى ما كان جوجول بالنسبة لغيره من الكتاب الروسيين عامة ؟ .

كان تورجينيف اصدقهم تعبيرا إذ قال ، كان جوجول بالنسبة الينا اكثر من كاتب ، فقد كشف لنا عن انفسنا » اما بالنسبة لدستيوفسكى فان جوجول « ضحك على نفسه طول حياته وضحكنا معه ... ضحكنا طالما اننا بكينا فى النهاية » .... لقد عرض جوجول امامنا موكبا من عباد المال والمحتالين من ملاك الاراضى واهل السلب والنهب ، وكانت مهمته لا تزيد عن الاشارة الى هؤلاء باصبعه فيظهر على جباههم وشم الخزى الذى يذكرنا بعارهم ما عاشوا .. واكثر من ذلك ... يطبع اسماءهم على ذاكراتنا ما عشنا »

ولعل الصور التى رسمها جوجول لافراد الطبقة الحاكمة فى روسيا هى التى حطمت حب الشعب وولاءه لهم .. على ان الصور التى رسمها جوجول تتخطى الشخصيات المحلية المجردة وتتعداها الى شخصيات شائعة فى العالم كله لانها تكشف عن خصائص وصفات يشترك فيها البشر جميعا ... فيمكن ، من هذه الناحية ، أن نعتبر شخصيات جوجول خالدة باقية على الدهر مابقيت شخصيات لير وشيلوك وهاملت وليدى ماكبث ، وما بقى الناس انفسهم .

ولكن من هو هذا «الجوجول» ، هذا الكاتب الفكه ، الهجاء اللاذع ، الروائى الشاعر ، كاتب القصة القصيرة ، والمقال ، والتمثيلية ؟ ترى من هو هذا العبقرى الذى ينشر النور ويحمل بطولة الظلامية فى آن واحد ؟

هو نكولاى فاسيليفتش جوجول ، الذى ولد فى اوكرانيا فى شهر مارس ١٨٠٩ لاب من صغار اصحاب الاراضى ... الذى حاول بعد ان اتم تعليمه الثانوى ان يحصل على وظيفة حكومية او يعمل ممثلا فى مسرح سانت بيتر سبرج الحكومى فلم ينجح فقرر الهجرة الى الولايات المتحدة ، ولكنه ما بلغ ارض السويد وهو فى طريقه الى امريكا حتى قفل عائدا الى بلاده وكتب لابيه يقول :

« لقد اذل الله كبريائى .. وهذه إرادته المقدسة !»

وكان ان حصل جوجول بعد عودته ، على وظيفة حكومية متواضعة قضى فيها عاما أو بعض عام ... ولكن الادب ، وهو هوايته الاولى ، كان يشده شدا .. والادب الذى كان يمارسه أول الأمر هو الشعر والقصة القصيرة والرواية الطويلة والتمثيلية والمقال ...

علاقته ببوشكين

وحدث ان عرفه احد اصدقائه من الشعراء على الكساندر بوشكن .. الذى اقترح على جوجول مادة تمثيلية بعنوان «المفتش العام» ورواية بعنوان « نفوس ميته » ... وهذه الرواية ، اكثر من غيرها من أعمال جوجول ، تعكس نواحى التناقض فى شخصيته ، كما تعكس مواهبه واهدافه الخلقية وإمكانياته ككاتب ساخر هجاء ، وماله من وحى وإلهام ، كما توضح عدم قدرته على الوصول الى حل منطقى معقول للمشاكل التى شغلت باله واثقلت كاهله .

بعد أن تعرف جوجول على بوشكن ، شاعر روسيا الكبير ، قرأ عليه بعض ماكتب من مذكرات فاقترح عليه بوشكن أن يحيلها رواية بعنوان «نفوس ميتة» وهى عبارة كانت شائعة فى روسيا إذ ذاك تشير الى الأرقاء الذين يفلحون أرض السادة ، ويبقى اسم من يموت منهم على قائمة اسماء الاحياء حتى يجرى إحصاء تعداد السكان الدورى الذى يحدد عدد النفوس

فى اكتوبر ١٨٣٥ كتب جوجول الى بوشكن يقول « بدأت كتابة (نفوس ميتة) .. وسيكون كتابا مضحكا للغاية ... اطمع ان اصور فيه روسيا باكملها حتى ولو كانت النتيجة صورة لا تعرض إلا جانبا واحدا ».

ونقول هنا ، لان الشىء بالشىء يذكر ، أن كتابة الجزء الأول من رواية « نفوس ميتة » استغرقت من جوجول ثمان سنوات ١٨٣٤ – ١٨٤٢ واستغرق الجزء الثانى عشر سنوات ١٨٤٢ – ١٨٥٢ أما الجزء الثالث الذى اراد أن يرسم فيه صورة البطل شيشيكوف وقد تحول الى حياة الفضيلة ، فلم يكتب ... لأن الموت ادرك جوجول.

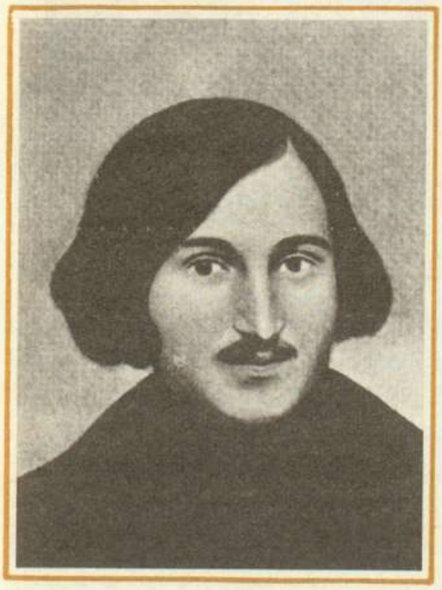

جوجول

وكان لجوجول فى موضوع الضحك مذهب عبر عنه فى احد كتبه بقوله «إذا كان للانسان ان يضحك ، فالخير ان يضحك ملء شدقيه وان يضحك على مايراه الناس مضحكا » ...

نفوس ميتة

ولما صدر الجزء الأول من « نفوس ميتة » احدث ضجة ودويا .. امتعض منه البعض واحس بلذعته البعض ، وفزع بعض اخر لما فيه من صور كاريكاتورية شديدة السخرية .. وقال جوجول :

« لقد حقق الجزء الأول أمرا مهما ... فقد أثار فى الجميع كراهية شديدة لأبطال قصتى ولتفاهتهم واشاع شيئا من الوجوم وكشف عن عدم رضانا عن انفسنا .. وهذا كل ما أطمع فيه فى الوقت الحاضر .. » ، ثم قال « هذا الجزء يحتوى على صور لشخصيات قبيحة ، واخرى وحشية مرعبة ومجموعة من شخصيات ممسوخة ونقد ساخر للحياة المعاصرة » .

ويرى مؤرخو الأدب ، فى ضوء الحقائق المعروفة ان جوجول كان ينوى أن يكتب «نفوس ميته» فى ثلاثة اجزاء على النحو الذى سلكه «دانتى» لما قسم «الكوميديا» الى ثلاثة اجزاء – جحيم ، ومطهر ، وفردوس ... فالجزء الأول من «نفوس ميته» لا يصور الأرقاء الذين يسخرون لفلاحة الأرض ويشتريهم البطل شيشيكوف وهم موتى فحسب ، بل يصور بقية الشخصيات وقد ماتت من الناحية الأخلاقية والعاطفية والروحية كذلك ... وبالمثل ، فان الشخصيات متشابهة الى حد ما من حيث انها تتقاسم نفس القوة الدافقة لانها جميعاً صور كاريكاتورية وليست أفرادا تنبض قلوبهم بالحياة .

لم يصلنا من الجزء الثانى من «نفوس ميته» إلا القليل .. وكان المقدر له أن يختلف عن الجزء الأول تماماً .. فالذى خططه جوجول له ، هو أن يكون المحور الذى يدور حوله الكتاب كله بأجزائه الثلاثة ... وشخصياته كانت ستتمكن فجاة من التفكير ، وكانت قدرتها على ممارسة العواطف الانسانية ستتطور ... وكان المؤلف ينوى فى هذا الجزء من الكتاب أن يوضح الصراع الداخلى بين الخير والشر فى ذات الانسان .

أما الجزء الثالث من هذا الكتاب فلم يعد مرحلة التخطيط .. وكان هو الجزء الذى يحقق فيه المؤلف إعادة الخلق الروحى لشخصياته ... شيشيكوف البطل ، يولد من جديد كرجل له ملكة تقدير القيم ، و «بلوشكين المرعب» ومن هم على شاكلته فى الجزء الأول يصبحون من الأشراف المهذبين .

ولم تنجح هذه المحاولة الطريفة لخلق بطل إيجابى (وهو أمر لم ينجح فيه تولستوى ولا دستيوفسكى) لا بسبب نزوات المؤلف أو أطماعه الزائفة أو اختلال متزايد فى قواه العقلية (وكثيرا ما عرض الكتاب لهذه الناحية من شخصية جوجول) ولكن لأن آراء جوجول نفسه تغيرت بالتدريج .

ولو اننا استعرضنا أهم الأحداث فى حياة جوجول لوجدنا ان التحول فى افكاره وأسلوب كتابته أمر منطقى فهو يتصل اتصالا وثيقا بولعه الشديد بوعظ الناس وإرشادهم ، وميله الموروث الى التصوف .

بين الأدب والتدريس

بعد محاولات عابثة وهروب من «نفسه» لفترة قصيرة قضاها خارج روسيا ، كتب جوجول الجزء الأول من «امسية على مزرعة» اثناء عمله كمدرس لمادة التاريخ ، ثم ظهر الجزء الثانى وهو مازال يمارس مهنة التدريس ، فكان فى ذلك ما يعبر عن الازدواجية الكامنة فى جوجول بين عقله من ناحية وبين مخططاته من ناحية .. فهو راغب فى التدريس الى حد انه اصبح مؤرخاً محترفاً كتب مقالا بعنوان « مخطط لتدريس تاريخ العالم » ، كما انه عين محاضرا فى الجامعة ... وهو فى الوقت عينه تواق الى الكتابة القصصية متولع بها . وعلى الرغم من أن كتاباته الأدبية كانت تعبق بعطر الرومانسية ، إلا انه كان يعالج مواده علاجاً هجائياً موشى بدعابات رشيقة .

وكانت الغلبة فى نهاية الأمر للأدب فطلق جوجول التدريس فى عام ١٨٣٥ ، إلا أن ميله الغريزى لتلقين الناس كان يطل برأسه بين الحين والحين ، فيما يكتب من تعليق على واحدة من تمثيلياته أو رواية من رواياته .. كان يشرح أعماله للناس وكأنها كتب مدرسية مقررة ... وظهر ذلك واضحا جليا فى تعليقاته على «نفوس ميته» التى وصف الجزء الأول منها بأنه سلم أو درج يؤدى الى قصر منيف لم يتم بناؤه ... ومن الواجب أن نقول ، حتى إذا قبلنا هذا الوصف المتواضع ، إن هذا المؤلف بالغ الروعة من حيث ما فيه من تناغم وإيقاع ، وقوة ما يحتوى من عاطفة وجمال ما يزينه من شاعرية ... هذه كلها تتآلف لتثبت للقارىء أن هذا الكاتب رغم مرارة هجائه وسخريته ، كان يؤمن بقومه وناسه .. ويؤمن بمواهبهم ونشاطهم .. وأن عالم «نفوس ميته» بالنسبة اليه عرض زائل .. فهو إذ ينظر فى طيات المستقبل ودهاليزه ، يرى روسيا وكأنها عربة تجرها جياد ثلاثة ، بسرعة فائقة ، لتخرجها من عالم الاشباح .

محاولة للخلاص

وهذا الوصف لمستقبل البلاد هو همزة الوصل بين الجزئين ، الأول والثانى ، من الرواية ويصل بينهما كذلك إعادة قصة حياة البطل شيشيكوف . فهذا الملعون الذى صوره جوجول فى الجزء الأول شخصية كوميدية ، يتحول فجاة ويكتسب صفات آدمية تشبه صفات من عاصر جوجول من الناس ... ومن هنا تماماً تبدأ تراجيديا جوجول ككاتب كان هدفه ، على حد قوله ، تحسين ذاته ... وكانت هذه المهمة الشاقة تقضى بأن لا يلجأ الى الهجاء اسلوباً ، أو الى الضحك وسيلة ... كان عليه بدلا من ذلك أن يمكن نفسه من تصوير الكيان السيكولوجى لشخصياته وأن يشحنهـا بالأفكار والعواطف وأن يخلصهما من الوهاد التى اوقعهم فيها هجاؤه . ولا عجب أن هذا الكاتب الذى وجد نفسه موزعاً مواهبه ورغبته فى الوعظ والارشاد أصيب بحالة شديدة من التوتر العصبى ، دفعه فى عام ١٨٤٥ الى حرق كل ما كتب من الجزء الثانى من «نفوس ميته» ... أحرق حصاد سنوات خمس ، واعتبر ذلك نصرا اخلاقياً وقال « لم أولد لأنال شهرة فى عالم الأدب .. فمهمتى بسيطة قريبة المنال ... وعملى من النوع الذى يجب أن يفكر الجميع فيه ــ لا أنا وحدى ... ومهمتى هى انقاذ روحى والوصول الى الاستقرار فى الحياة ، وعلى ذلك فلابد أن تصدر أعمالى عن وحى من ضميرى ويجب أن اكتب ما يمليه على هذا الضمير ... انا أحرق عندما يلزم حرق ما يجب حرقه وأنا واثق أنى على صواب لأنى لا أقدم على شىء قبل أن أصلى . »

كان الرجل مخلصاً فى ذلك وكان يمتحن كل شىء فى هدى من الدين وكان يهدف الى الكمال الذاتى .. ولم يكن وضع جوجول فى مصاف فلاسفة الروس وليد الصدفة فتولستوى ودستيوفسكى يقتسمان بعض أفكار جوجول ويتأثران بها وهما بصدد البحث عن الصدق العام والصدق الخاص .

حاول جوجول أن يعيد كتابة الجزء الثانى من «نفوس ميته» ولكنه عدل عن ذلك مؤقتاً وبدأ فى كتابة « مختارات من مراسلات الاصدقاء » ، وبدأ يقرأ بعض فصول المختارات على عدد من اخصائه .. وقال الكاتب المشهور أكساكوف فى خطاب لولده .

« لست أعرف غير هوميروس وحده من يستطيع تصوير النفس البشرية وهى فى نطاق طبيعة الانسان الوضيعة ، كما يصورها جوجول ، وعندى الآن قناعة تامة بأن جوجول سيستطيع تنفيذ ما وعد به «فى الجزء الأول» بكل ثقة ، بل وبشىء من التبجح »

لماذا أحرق الجزء الثانى ؟

ويبدو مما يقول الأصدقاء أن جوجول اتم الجزء الثانى عام ١٨٥١ ولكنه عاد فحرق المخطوط فى ١١ فبراير ١٨٥٢ . ولم يكن الحرق هذه المرة بسبب جنة أو خبل ولكن نتيجة لخطأ غير مقصود ، إذ إنه لم يدرك ساعة حرق احد الملفات أن الملف الذى احرقه كان يحتوى على المخطوط . وقال لصديقه ا.ب . تولستوى فى اليوم التالى «تصور مدى قوة الارواح الشريرة ! اردت أن احرق بعض الأوراق التى كنت قد اتممت فرزها ولكنى احرقت فصول «نفوس ميته» التى اردت أن أخلقها لأصدقائى بعد موتى » .

وأجاب تولستوى « هذه علامة طيبة .. كنت من قبل تحرق كل شىء وتعيد كتابته خيرا مما كان ومن الواضح إذن أن موعد موتك لم يحن بعد .. فأنت لاشك تذكر ما احرقت » ووضع جوجول يده على جبهته وقال « نعم ، نعم ، استطيع .. كل شىء مازال فى رأسى .» وهدأت اعصابه وتوقف عن البكاء ... ومات جوجول بعد هذا الحوار بعشرة ايام فقط ، وعثر بين أوراقه على عدد من فصول وقصاصات عن أن جوجول كان قد غير اسلوبه فى الكتابة من حيث الوصف والقصص . فناحية الهجاء التى تسيطر على الجزء الأول تكاد تكون مطمورة فى الجزء الثانى ، فان ظهرت ، ظهرت واهنة باهتة . وهدف المؤلف هنا فيما يبدو هو رسم صور سيكولوجية لأبطال قصته . وفى الجزء الثانى تصوير للمواقف وعرض للأفكار والمشاكل التى كانت شائعة فى روسيا قبيل حرب القرم مباشرة ... وكانت روسيا إذ ذاك تواجه إنهيار الأوضاع التقليدية فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية . واصبح من الواضح إذ ذاك أن نظام الرق لم يعد صالحاً من الناحية الاقتصادية وأن ما يعرف « بالاقتصاد الطبيعى » الخاص بطبقات الملاك لم يعد جائز التطبيق .

والجزء الثانى من «نفوس ميته» يعبر عن نظريات جوجول وآرائه اكثر مما يعبر عن فنه . وفى ذلك قال أحد معاصريه « كانت عبقريته هى التى تتحكم فى كتاباته أول الأمر ، أما الآن فهو يحاول رسم الاتجاه الذى يجب على عبقريته أن تتخذه » .

بيتر شافر ومسرحيته الفائزة بجائز النقاد

فـــؤاد دوّارة

فى الاستفتاء السنوى الذى تجريه مجلة «مسرحيات ومسرحيون» الانجليزية لاختيار أفضل المسرحيات التى قدمت خلال العام المنقضى ، بالاضافة الى افضل مخرج ، وأفضل ممثل .. الخ ، ويشترك فيه ما يقرب من عشرين ناقدا من اكبر نقاد المسرح المتخصصين . فازت مسرحية «اماديوس» لبيتر شافر باعتبارها أفضل مسرحية قدمها المسرح الانجليزى خلال عام ١٩٧٩ .

وبيتر شافر من كتاب الجيل التالى لجيل «الشباب الغاضب» امثال جون أوزبورن ، وارنولد ويسكر ، وشيلا ديلانى ، وجون آردن وغيرهم ..

ولد شافر فى ليفربول سنة ١٩٢٦ ، وتعلم بمدرسة سان بول بلندن ، واثناء الحرب العالمية الثانية أدى الخدمة العامة المساوية لفترة التجنيد ، فاشتغل عاملا بمناجم الفحم ، ثم درس التاريخ بكلية ترينتى بجامعة كامبريدج .

وبعد تخرجه ظل خمس سنوات ينتقل من عمل الى آخر .. من مكتبة «دابولداى» بنيويورك « لم تكن لدى الجراة المطلوبة » الى قسم التزويد بالمكتبة العامة بنيويورك « عالم شديد الاملال من بطاقات الفهارس » ، ثم القسم السيمفونى بدار «بوسى وهوكس» لنشر الموسيقى بلندن .

ظل فترة بلا عمل الف خلالها ثلاث روايات بالاشتراك مع شقيقة التوام انتوني (مؤلف «بوليس سرى» و «صانع السلال») ، كما كتب عددا من التمثيليات للاذاعة والتليفزيون ، ولذلك فقد تحدث عنه الناقد جون راسل تيلور فى كتابه «الغضب وما بعده» فى فصل واحد مع الون أوين وكليف اكستون ، وجون مورتيمر ، باعتبارهم الكتاب الجدد القادمين للمسرح من الاذاعة والتليفزيون .

تدريب الأصابع الخمسة

وإذا كان شافر قد كتب للمسرح متاخرا نسبياً ، فقد احبه منذ سن مبكرة ، منذ قرات له والدته شكسبير وهو صبى صغير ، ومازال يتذكر بوضوح «ثراء الصور وجمال اللغة» ، وافتتن بالممثل الكبير جون جيلجود وهو يمثل «ريتشارد الثانى » بملعب جولدرر جرين » وظل هذا الاعجاب حياً فى نفسه ، لذلك فقد كاد يصعق حينما اتصل به احد اصدقائه ليساله إذا كان يوافق على ان يقوم جيلجود باخراج نص مسرحى كان شافر قد انتهى منه واسماه «تدريب الاصابع الخمسة» .

وعنوان المسرحية مقتبس من التدريبات الموسيقية التى تؤلف خصيصاً لعازفى الكمان والبيانو لكى تكسب اصابعهم مرونة تمكنهم من عزف اصعب النغمات ، ويراعى فى تاليفها أن تتيح لكل اصبع من اصابع اليد أن يتحرك ببراعة مع بقية الاصابع كلا على حده . وهذا بالضبط ما حدث فى مسرحية شافر ، فابطالها خمسة : أب وأم وإبن وإبنة وساكن غريب يقيم معهم نظير اعطائه دروسا للابنة .

وبناء المسرحية يعتمد على العلاقات الثنائية بين ابطالها ، وتتعقد هذه العلاقات وتتشابك ، فتقرر الأسرة طرد الساكن الشاب الذى لا يتصور حياته بدونهم ، ومن ثم يشرع فى الانتحار ، فتضطر الاسرة الى العدول عن قرارها .

وقد عرضت المسرحية سنة ١٩٥٨ ، فحققت نجاحاً كبيرا ، واستمر عرضها نحو عامين ، يقول شافر :

«منحنى نجاحها الثقة التى كنت بمسيس الحاجة إليها ، كما حل مشكلاتى المالية . ومنذ ذلك الوقت اصبحت كاتباً مسرحياً » .

بيتر شافر

وفى نفس هذا الجو العائلى قدمت لشافر مسرحيتان قصيرتان فى عرض واحد سنة ١٩٦٢ الأولى بعنوان « اذن خاصة » وتدور حول فنان شاب شديد الخجل يعجب بفتاة جميلة فيدعوها للعشاء ، ويدفعه خجله لاصطحاب احد اصدقائه معه ، فاذا بالفتاة تعجب بالصديق ، حتى إذا انصرف مبكرا حسب الاتفاق ، لم يجد الشاب الفنان مناصاً من اعطاء عنوانه للفتاة لكى تتبعه

المسرحية الثانية « عين عامة » تدور حول زوج يشك فى سلوك زوجته فيستاجر مخبرا سريا لمراقبتها ، ويتاكد المخبر من براءة الزوجة ومعاناتها من الوحدة نتيجة لانشغال زوجها ، فيتطوع لمعاونتها فى ابتياع تذاكر السينما والمتاحف ، ويلاحقها من قرب حتى لتظنه معجبا بها . وحين تكتشف حقيقته تثور عليه وعلى زوجها ، ويوفق المخبر فى الاصلاح بين الزوجين واقناع الزوج بان يقوم بنفسه بمتابعة زوجته ليمكنه تفهم مشكلتها الحقيقية .

وفى العام التالى ـ١٩٦٣ـ قدمت «ورشة المسرح» لجون ليتلوود مسرحية شافر الرابعة «حفل المغرورين المرح» وهى تعتمد بدرجة كبيرة على التمثيل الايمائى .

المطاردة الملكية للشمس

ولا يقنع شافر بهذا النجاح الذى حققه فى مجال المسرحية العائلية النفسية التى لا تتطلب إلا عددا محدودا من الشخصيات ، بل يقتحم عالم المسرحية التاريخية الملحمية فى مسرحيته «المطاردة الملكية للشمس» وهى مسرحيته الوحيدة التى ترجمت الى اللغة العربية ، ونشرت فى سلسلة « من المسرح العالمى » التى تصدرها وزارة الاعلام بالكويت بعنوان «اصطياد الشمس» (العدد ٣٠) .

المسرحية تصور غزو اسبانيا لامبراطورية بيرو القديمة بامريكا الجنوبية سنة ١٥٢٩ ، بحملة بقيادة فرانشيسكو بيتسارو .

وبالرغم من اعتماد المسرحية على وقائع التاريخ الثابتة ، فانها تتخذها منطلقا لعلاج موضوعات انسانية اكثر شمولا ، لعل أهمها المقابلة بين حضارة أهل بيرو الفطرية الاصيلة ، وما تتسم به من صدق وبساطة ، وحضارة الغزاة الأسبان القائمة على الجشع والانانية والخداع .

والمسرحية اقرب للمسرح الشامل من حيث اعتمادها على عدد كبير من الممثلين والمجموعات واستخدامها للطقوس الدينية الجماعية ، بالاضافة الى الرقص والموسيقى والغناء والتمثيل الايمائى ، وقد قدمها المسرح القومى البريطانى فى مهرجان وتششستر سنة ١٩٦٤ واخرجها جون ديكستر .

تأثره بالمسرح الآسيوى

ومن أهم خصائص مسرح شافر حرصه على استخدام الحركة والتاثيرات المرئية وعدم اعتماده على الحوار وحده ، وقد تأثر فى ذلك بالمسرح الآسيوى . ويقول :

« لقد أثارنى المسرح الشرقى ، فممثلو «النو» اليابانيون يطيلون التامل فى طبيعة اقنعتهم قبل أن يرتدوها ، ومن ثم يستخدمونها بطاقة نفسية كبيرة ، وقد حاولت تحقيق ذلك فى مسرحياتى . ولقد اتهمت بانى اكتبه لخشبة المسرح ، ولكن اولئك النقاد لا يدركون مدى الساعات الطويلة التى يتطلبها ذلك . وعلى كل فهذا ما اريد ان اكونه ، فانا اعمل فى المسرح ، وليس فى هذا الوصف ما يحط من قدرى »

معركة الاعترافات

وانعكس اعجاب شافر بالمسرح الشرقى فى مسرحيته التالية أيضاً ، وهى « ملهاة سوداء » (١٩٦٥) ، فقد استلهم فيها تقليدا دراميا معروفاً فى «اوبرا بكين» الصينية القديمة ، ويتمثل فى مشهد مبارزة بين فارسين فى الظلام ، ولكنهما يمثلانه تحت ضوء ساطع . فاستخدم شافر نفس الحيلة إذ جعل المسرحية تبدأ والمسرح مظلم تماماً ونسمع الحوار بين البطلين ، وفجاة يضاء النور فتصيح الفتاة : « لقد انقطع التيار الكهربائى » ، وهكذا تدور احداث الهزلية القائمة على اللبس وسوء التفاهم فى الضوء المفترض أنه ظلام حتى يتدهور الموقف الى نوع من الفوضى ، وينتهى بعراك مثير .

قدم المسرح القومى البريطانى المسرحية مع «الآنسة جولي » لاسترندبرج فى عرض واحد سنة ١٩٦٥ ، ثم استبدل بالاخيرة مسرحية قصيرة جديدة كتبها شافر سنة ١٩٦٨ واسماها «الكاذبون كذبات بيضاء » ، وعالج فيها بنفس الأسلوب الهازل اضطرار بعض الناس الى تزييف حقيقة نسبهم وإدعاء مواهب ليست لهم ، وخيبة الأمل التى يصابون بها حينما تنكشف اكاذيبهم .

وفى سنة ١٩٧٠ اخرج بيتر هول للمسرح القومى مسرحية شافر الثامنة «معركة الاعترافات» وهى مسرحية معاصرة طموح ، تعتمد على مواجهة بين فيلسوف يدعو للسلام ـ قيل انه استلهمه من شخصية برتراند راسل ـ وشاعر ملحد داعر ، وتنتهى المسرحية وقد اضطر الفيلسوف الى حمل السلاح دفاعا عن نفسه ، فى حين يتخلى صديقه الشاعر عن اعتقاده بان السلاح هو وحده القادر على حل المشكلات .

ويلاحظ الناقد كولين تشيمبرز ان كل مسرحيات شافر الكبيرة تعتمد اساساً على مواجهة بين شخصيتين : القائد بيتسارو وحاكم بيرو وإلهها « المطاردة الملكية للشمس » الشاعر دافيد والفيلسوف سير جيدون بيترى « معركة الاعترافات » ، مارتين ديستارت الطبيب النفسانى الصارم ومريضه المراهق الان الذى اغرم بفقأ عيون الخيل التى يحبها فى مسرحية «إكوس» التى اخرجها جون ديكستر للمسرح القومى فى «اولد فيك» سنة ١٩٧٣ ، ثم بين الموسيقار موتسارت وزميله ساليرى فى مسرحيته الأخيرة « أماديوس » التى تعرض حالياً بصالة «أوليفييه» بالمسرح القومى باخراج مديره بيتر هول ، وقد آن أن نتوقف عندها قليلا .

تناقض العبقرية

ولد انطونيو ساليرى سنة ١٧٥٠ فى لومباريا بايطاليا ، ودرس الموسيقى فى فينيسيا ثم فيينا ، حيث عين سنة ١٧٧٤ بالفرقة الموسيقية ببلاط هابسبورج ، ثم أصبح قائدا لها سنة ١٧٨٨ ، وتوفى سنة ١٨٢٥ ، قبل بيتهوفن بعامين ، وقبل شوبير بثلاثة ، وكلاهما يعتبر من تلاميذه .

وقد اختلف المؤرخون حول علاقة ساليرى بموتسارت (١٧٥٦ـ١٧٩١) ، فقد اشار بيرسى شولز الى ما تردد عن كراهيته لموتسارت الذى نافسه فى فيينا . وقال آخر بوضوح أكبر « إنه كان صديقا لهايدن وعدوا لموتسارت » . ولكن ب.هـ. لانج هو الذى قدم فى كتابه «الموسيقى والحضارة الغربية » وصف ساليرى الذى اعتمد عليه شافر فى مسرحيته ، وذلك حين قال « إنه كان متامرا ، ولا شك فى اساءاته الى نجاح زملائه من الموسيقيين النمساويين . ودفعته خبرته الموسيقية الكبيرة الى تركيز خبثه على موتسارت الذى يرجع مصيره المحزن بدرجة كبيرة الى مكائد ذلك الايطالي . »

وقد سبق الشاعر الروسى الكبير الكسندر بوشكين الى تاليف مسرحية قصيرة حول هذا الموضوع سنة ١٨٣٢ واسماها «موتسارت وساليرى» . ويلاحظ مارتين إسلين تشابها كبيرا بين تلك المسرحية ومسرحية شافر فى تصويرهما لشخصية ساليرى رجلا متوسط الموهبة ، امرضه الحقد على عبقرية من اعظم العبقريات الموسيقية التى عرفها العالم ، ولكنه فى مسرحية بوشكين يقدم السم المادى لموتسارت ، فى حين إنه عند شافر يكتفى بالتامر عليه ، واستغلال جوانب الضعف فى شخصيته حتى ينتهى الى تسميم حياته وتدميرها .

وبالرغم من أن المسرحية تحمل اسم موتسارت فانه ليس الشخصية الرئيسية فيها ، بل أن منافسه ساليرى هو موضوعها الرئيسى ، بشخصيته المعقدة ، وصراعه الداخلى بين استاذيته الموسيقية التى تجعله يفطن الى عبقرية موتسارت ويبهر بها ، وبين نظرته اللومباردية التجارية التى ترفض ان يتفوق عليه فى فنه انسان آخر مهما كانت درجة عبقريته .

والمسرحية تعرض من وجهة نظر ساليرى الذى يعترف بجرائمه للأجيال القادمة بعد أن تقدمت به السن وثقلت عليه آثامه فقرر الانتحار . ويعتمد بناء المسرحية على استرجاع احداث الماضى (الفلاش باك) ، فيتغير ساليرى بسرعة

الامبراطور جوزيف الثانى يقدم موتسارت لساليرى ، ابتسامات مصطنعة وكراهية متبادلة

موتسارت « سيمون كالو » وساليرى « بول سكوفيلد » ثم الراويتان « درمات كرولى و دونالد جى ».

من كهل واهن القوى الى رجل بلاط فى عنفوانه ثم يعود مرة اخرى عجوزا متهالكا .. وهكذا ، كما يستعين المؤلف بروايتين من مروجى الشائعات فى فيينا يحاوران البطل ويناقشانه .

ولم تنج المسرحية من مؤاخذات النقاد بالرغم من اعجابهم العام بها ، من أبرز هذه المؤاخذات ما كتبه مارتين اسلين :

« لاشك فى ان تقديم رجل مثل موتسارت على خشبة المسرح يمثل مخاطرة كبيرة إذ كيف يمكن تجسيد مثل تلك العبقرية إذ لم يكن المؤلف على نفس القدر من العبقرية . وتتضاعف هذه الصعوبة بالنسبة لموتسارت مائة مرة لانه كشف فى رسائله عن شخصية ذات طبيعة حسية واضحة وعجز واضح عن التعبير . فاى تناقض : اسمى روحانية تصدر عن رجل بارع فى قول النكات الجنسية الخارجة ! »

« وهنا يتمثل اكبر خطأ ارتكبه شافر حين نقل هذه الفظاظة والركاكة فى التعبير الى لغة موتسارت فى البلاط الامبراطورى ذاته .. لقد سميت المسرحية «اماديوس» ولكنها بفضل رسم شخصية موتسارت على هذا النحو اصبحت اشبه بهاملت بدون امير الدانمرك .. »

من الواضح ان الصدق التاريخى لم يكن شاغل شافر الرئيسى ، بقدر اهتمامه بالتصوير النفسى للشخصيات ، وصراعاتها الداخلية ، وبصفة خاصة شخصية ساليرى التى اداها بنجاح كبير الممثل بول سكوفيلد ، ووفق المخرج بيتر هول فى تقديم عرض ناجح ، كان من اهم عناصره استعانته بالموسيقى الحقيقية لموتسارت وساليرى ، فحقق للمسرحية هذا النجاح الذى كسبه غالبية نقاد لندن باختيارها افضل مسرحية قدمت خلال العام المنقضى .

كافكا شاعر الرواية

فتحى سعيد

> « انا لست سوى بداية ونهاية .. اعيش غريبا اكثر من الغرباء انفسهم .. انا فى حاجة الى العزلة . وكل مانجحت فى تحقيقه ليس إلا نتاجا للوحدة .. إننى اخاف الارتباط .. واخاف فقدان ذاتى فى كائن آخر .. لأنى لن اصبح وحيداً بعد ذلك !»
> (يوميات خاصة)

صدر مؤخرا كتاب جديد بعنوان « رسائل كافكا الى الأصدقاء والأهل » ترجمة ريتشارد ونستون .

وضم الكتاب رسائله العديدة والغريبة لحبيبته « ميلنيان » التى احبته واحبها و«مع ذلك كان لابد ان اهجرها !»

ورسائله المتناقضة لابيه .. ولاصدقائه ولناشريه كاشفا لهم من خلالها .. لأول مرة قصة علته التى داهمت صدره مبكرا وكتم آلامه المبرحة واوجاعه عن الكثيرين حوله ..

ويروى كذلك ! احوال غربته واحزانه واسرار ولعه بالعزلة والخوف الجاثم على صدره كانه الاثم حتى ليخشى « ان تهجره روحه اثناء النوم وتعجز عن العودة » ولم يكن كافكا .. مشهوراً ذائع الانتشار لدى قرائه ومعاصريه او صاحب شعبية عريضة خلال حياته القصيرة بل والى سنوات بعد رحيله ..

ولكنه اثر وبدون عمد .. فى ادباء وشعراء عصره حيث استطاع ان يصور بحرارة وصدق وإلحاح مستمر ازمة الانسان والعصر رافعا صوته النحيل بجسارة وقوة ضد اعداء الحياة . ولم يكن كافكا شاعرا ..

كان روائيا وقصاصا وكاتب يوميات واعترافات من الطراز الأول ولكنه تميز بروح الشاعر .. وضم قلبه على لؤلؤة الشعر النادرة فاستطاع ان ينفذ الى القلوب كالشعاع .

ولعله فطن الى أن وجه الشاعرية هو احب الوجوه واجملها فقال يصفه وكانما يعنى نفسه :

« الشاعر يكون دائما اصغر واضعف من المتوسط السائد فى المجتمع ولهذا فهو يحس إحساسا اكثر كثافة .. وبالتالى فان وجوده فى العالم يكون اقوى من وجود الآخرين .. »

وكما كان شوبان شاعر الموسيقى وفان جوخ شاعر الالوان .. وتشيكوف شاعر القصة القصيرة .. كان كافكا .. شاعر الرواية غير منازع .!

.. ولكنه مفوض

« لا يوجد من يفهمنى فى شمولى الروحى الكامل»

هكذا تكلم كافكا وعبر عن ماساته .. كان يتجول بهدوء كما قال .. وهو مستغرق فى التفكير فاذا به يقع فجاة وتحاصره الأحراش من كل جانب .. وهكذا لخص علاقاته بالعالم والناس حيث وقع فى الأسر ولا فكاك له إلا بمزيد من الاغتراب والرحيل.

كائن غريب .. اثقل على معاشريه واصدقائه وتمرد على نفسه وعلى كلما حوله .. واثر الانفراد والصمت فى انتظار ان ياتى العالم له بنفسه حاسراً عنه النقاب متلويا بين يديه..

فتنكروا له وانكروه وتكاثروا عليه ولغطوا، بغرابته وإسرافه فى التحليق والجنوح وكانه يتكلم بلسان مجهول ..

ولذ لهم ان ينشبوا الاظافر فى قلبه الرقيق .. ولذ له بدوره الانطواء والهجرة بدلا من تبديد طاقته فى محاربة طواحين الهواء .. وكان غربته كنزه الدفين الذى يغالى به الآخرين .. طارحاً على نفسه السؤال والجواب :

« ياله من وهم ساذج .. إن اعدادهم لا تحصى .. اما انت فلاتزال تسهر . !

لماذا انت ساهر ؟

يقال لابد ان يسهر واحد !

لابد من ذلك فعلا ..

وآثر كافكا السهر الطويل .. وارق الليل والنهار .. وكل ما فيها من عذابات النفى والانتظار .. واحتراق الروح حتى اطراف الانامل .. تلك الأنامل المحترقة .. التى كانت وحدها تمنحه القوة والجلد والصمود عندما تطبق على القلم وتملأ به بياض الصفحات وزوايا الاوراق لانه ساعتها يصبح :

« جريئا مغامرا .. قويا رائعا .. بشكل لا اكونه عادة .. آه .. لو استطعت ان اكون هكذا فى كل شيء ! »

ولكن كافكا لم يستطع ان يكون إلا ما كان .. غريبا اكثر من الغرباء انفسهم ..

« منتظرا — وهو واقف — الشمس التى ستغمره بشعاعها فجاة وبلا نهاية ! »

الريادة والكشف

« ذلك ان احدا لم يكلفه .. ولكنه مفوض » فالساعة تدق فى داخله بسرعة شيطانية .. وكانها على موعد مع انفجار .. والعالم يموج فى راسه ويهدر.

والموهبة فذة .. تغرقه فى فجاج التطلع والارتياد والكشف .. الشاعرية مسرفة عاتية .. تطوحه فى عناقد التجوال والنفاذ والرحيل نحو المطلق .. القلب طفولى .. والوجه خريفى .. والعينان مرهقتان بالوهج .. راعشة الهدب لطول ماركضت خلف الرؤى والمسافات والروح غريبة اكثر من الغربة نفسها .. نزقة .. طموحه .. تواقة .. متعالية مجلوة .. سكوب .. تثقل كاهله وتدفعه كالسيل نحو نبع مجهول .. كان مثل غيمة .. تتدلى من دوالى الغيب وتهمى لتغسل عيون النيام .. ليعرفوا الحقيقة .. باعتبارهم اناساً يمشون وهم نيام لا اوغاد .. »

عن الآخرين

إن احدا لم يكلفه .. ولكنه مفوض .. !

مفوض من قبل ما لا يحسه ويراه الآخرون .. وإنما هو وحده الذى يكابده ويدريه .. إن مثل «جوزيف له» بطل المحاكمة :

« يتكلم باسم الاعداد الغفيرة .. ومن طراز « المساح » بطل القلعة . لا يمسح الاراضى والملكيات. وإنما مساح عالم بلا حدود ولا صفة .

وهو خلف ابحاث كلب :

« يسال بكل غطرسة وباعلى صوت وسط الجلبة ويتقمص وعى حيوان .. »

وباختصار هو «إنسان إستثنائى» متفجر .. متمرد .. مشتعل .. مهموم .. عنيد .. مصر على «ايضاح الغايات النهائية» .. ويقاتل من اجل التقاط الشعلة الاصلية التى ترقد تحت الرماد البارد للمجتمع والقوانين والدين والعقائد لينير بها الحياة ذلك لان : كل شىء مهيا فى اعماقه لابداع عمل عظيم وسيكون هذا النوع من العمل بمثابة خلاص فعلى .. وانطلاقة حقيقية فى الحياة ..

البوح المضنى

ذئب وقع فى كمين .. وكان البحر مقصده .. كيف يخرج من هذا الكمين ؟

كان لابد ان ينفجر .. وانفجر ! .

فضل الانفجار الف مرة على الكبت .. والبوح على الانحناء اثر الحركة والامتداد على الوقوع فى الأسر وانفجر .. وكان ذلك مبرر وجودى ..

اندفع كافكا .. كالأعمى يطلب السباق وسط النخيل .. ويناطح السحاب .. ويحاور الغيوم .. ويتسلق الاسوار .. ويسابق الريح .. ويركض فى الادغال .. ويغوص فى الكون .. وينقب فى الاعماق .. ويستخرج الكنوز ..

كان ابن الطبيعة المدلل اباحت له احشاءها ليطيل فيها التحديق والاغتراف .. مزوداً بجلد هائل .. وشوق عارم ومطارد للمبهم .. واصرار على الاقتحام .. ونبع من الألفاظ والمعانى والصور لا ينفد .. وصراعات داخله وخارجه وعقدة الاب ومكابدات الليل والنهار .. وعناء العزلة والمكوث ..

إنتحار يتاجل لغير نهاية .. عبء كبير ينوء به صدره الرقيق صخرة «سيزيف» تجثم على رئته الذابلـة .

فانفجر الصدر بدوره دماً ..

من اجل البقاء

وتتوهج روح «كافكا» دون توقف .. وكانها تعطى كل قطافها فى موسم واحد .. ويتكاتف المرض مع الغربة على فتى العصر المبكر .. وينزف اعماقه على الورق بغزارة واحتراق وصدق .. ويمتزج حبر قلمه بدم صدره ولكنه لا يتوقف « فالكتابة كفاحه من اجل البقاء .. وآلام الرئة ليست سوى طفح الامى المعنويـة وفى قدرته ان ينعم برضا عابر عن اعماله »

ولكنى لن ابلغ السعادة إلا إذا اثرت فى العالم ليندفع نحو الحق والنقاء والثبات .

لم يكن مثل شيللى يحمل بين جنبيه شهوة لاصلاح العالم .

ولم يصرخ كبايرون انا نابليون الشعر .

ولم يزعم كما زعم رامبو لقد عثرت على المفتاح .

ولم يقع كبودلير فى آنية الازهار الشريرة .

تعددت فيه الأقوال

ولا تنتهى غربة كافكا بموته .. بل يحملها معه

فرانز كافكا

الى قبره .. فيوصى صديقه الأثير « ماكس برود » أن يحرق مخطوطاته ومؤلفاته ..

ويرفض الصديق الوصية وينشر نتاج كافكا كله ..

ويجىء هتلر فيحرق النتاج كله .. وتتحقق وصية كافكا بيد هتلر .. لا بيد برود ! .. وتسدل الستار على فواصل كافكا حينا من القرن . ويحتدم حوله الجدل .. كثيرا وتتعدد فيه الاقوال:

● ولد عاق لاحد ثـراة التجار .. ثار على ابيه لانه يعتبر عماله « الاعداء الذين يتقاضون اجـرا » فكتب له اشهر رسالة واعنفها ..

● مواطن ممزق .. « تشيكى المانى » وموظف فاشـل يهجر الوظيفة لاصطدامـه بعفـن اللوائح وبيروقراطية الحكم .. ولأن العمل «يلتمسون حقوقهم باستعطاف بدلا من أن يهدموا المؤسسة » .

● عاشق مخبول .. يحب «ميلفيا» الجميلة وتحبه كما لم يعشق اثنان ومع ذلك « كان لابد أن يهجرها » ويحب اخرى ويهجرها .. وادانوه بقولـه :

« الزواج يفترض الثقة بالنفس وإلا فهو اضافة عزلة جديدة الى العزلة القائمة ولا يخلقان وطنا .. بل سجنا » .

●واعتبروه مسيحا ولاهوتيا وواحداً من اتباع «كارل بارت» وسيزيف ونبتا جديدا فى غابات هيدجر وحدائق باسكال وهرتزن ودستويفسكى وجوركى .. بل قالوا .. مسلول متوقد المزاج معتل التفكير .

● واخيرا فهو برجوازى صغير مترد فى التشاؤم واما رجل الثورة .. ان لم يكن رجل الاشتراكية ..

تعددت فيه الاقوال .. بعد ان قال كلمته وعبر .

شاهد عصره وشهيده ..

وتمر السنون .. وترتفع الستار عن كافكا وتشرق الشمس ثانية ..

ويتلفت العالم باحثاً عن فتاه المتمرد المكدود ليضمه الى الصدر من طليعة كتاب العالم ..

ويعاد النظر فى تقييم اعماله .. وتنشر كتبه ويعاد طبعها .. ويفسح الاشتراكيون الذين رفضوه ذات يوم .. مكاناً رحباً لكافكا ويرد العالم له اعتباره .. ماسحاً بذلك عن جبينه الملتهب عرق الرحلة الشاقة ..

ولكن بعد ان انفجرت الساعة التى كانت تدق فى داخله بسرعة شيطانية واشتعل العالم الذى كان يموج فى راسه ويهدر .

وتناثر معه كافكا العظيم اشلاء فى كل فضاء .. ليكون ابن العالم كله .. وشاهد عصره .. وشهيده معا .

لذلك ان احداً لم يكلفه ولكنه مفوض !

رسالة لندن من عبد القدوس الخاتم

مسرح

حسن السير والسلوك

تأليف : توماس فالتس

إخراج : ريتشارد مالتبى

فى عشرينات هذا القرن كان الشباب النيويوركى المتطلع يجوب طرقات ومنتديات هارلم خصوصاً منتديات موسيقى الجاز . ومن خلال الأضواء الخافتة كانوا يتصيدون الانغام والعواطف والخطر ويعودون ادراجهم الى نيويورك لكى يسهموا فى صنع ما يسمى بعصر الجاز . تلك الحقبة التى افلح فى الامساك بتلابيبها الروائى الموهوب سكوت فتز جرالد فى اعماله الموسومة « هذا الجانب من الفردوس » و «ما ارق الليل» ، و «جاتسبى الكبير» . ذلك الجو الرائع هو مايحاول المسرح الملكى إعادته الى الأذهان . مزيج نادر من السحر والموسيقى وبعض الموسيقيين من شبيبة الثلاثينات تسنموا قمة الشهرة فيما بعد كديوك اللنجتون ، والبعض الاخر عفى عليهم الزمن الغادر فتقهقروا الى أراشيف المختصين واضابير الدارسين . اما صاحبنا توماس فلتس والر فلا يمكن تصنيفه في أى من النمطين السابقين . لقد قام بتاليف هذه المسرحية الموسيقيةوانجزها عام وفاته ١٩٤٣ ولم يكتب له ان يشاهدها . وكان فى زمنه محبوباً للغاية واشتهرت موسيقاه بحيويتها النفاذة مما حدا بارمسترونج العظيم لان يقوم بتسجيل «حسن السير والسلوك» فى اسطوانات . وإن لم يكن فالتس شهيرا اليوم فان اى تقييم موسيقى لهارلم الثلاثينات لا يمكن ان يتم دون الاشارة إليه . وجميع الاغانى فى هذه المسرحية كان فالتس قد قام بادائها على البيانو والف معظمها .

والمسرحية عبارة عن قوس ضخم من الضوء والنغم يشتعل كالبرق فى اللحظات الدرامية المهمة . وعلى الخشبة أدوات قليلة . منضدة واحدة وزوج من المقاعد . ويقوم بتادية الأغنيات خمسة ممثلين رجلان وثلاث نساء : ايفان بيل السمين الماكر العطوف السحنة ، الذى يرتدى بذلة بنية . اندريه دى شيلد ذو السترة الرمادية . انا إدواردز الضخمة العتيقة . الاسكتشات الغنائية لبيسى سميث . وتلعب جوزيلا ريد دور الفتاة الريفية وعندما تشدو بـ «ضمنى اليك بقوة» فانها تقدم اكثر لحظات المسرحية قوة وإثارة .

وفى النصف الاول من هذه المسرحية الغنائية يغرد الممثلون بالاغانى التى تقرب جو هارلم الى النظارة ، ويختتم هذا الجزء ونحن فى الحرب الكونية الثانية . ورغم ماساة الحرب وما تستدعيه من تصوير مظلم ولوحات قاتمة فان المؤلف إختار خلفية مرحة تتطاير فيها النكات والسخريات حول المجهود الحربى والدعوة للتجنيد خاصة تجنيد الزنوج للدفاع عن وطنهم « الأم » ورغم السخرية الشائكة فان المتفرج لا يشعر بالمرارة أو الابتذال . فالفكاهة هنا موظفة ببراعة شمولية بحيث تخفى تحت عباءتها النزعات القومية والعرقية فلا يتبقى من الانسان إلا انسانيته وضعفه الانسانى المحض . وباغنية «مفاصلى تتقافز» يسدل الستار على الفصل الاول . وتتكاثف الاغانى فى الفصل الثانى ويزدحم بالموسيقى الشجية ذات الايقاع المتلكأ حينا ـ بحيث يطغى صوت الكلارنيت ـ والساخن حينا آخر بحيث تتبدى الخشبة وكانها غابة من الطبول ، بينما تشكل الاغنيات خلفية مؤثرة « وزع النغم يمينا ويساراً » « منبطحا فى الوالدروف » .

وهاتان الاغنيتان ضمن اخريات تعبران عن التضاد بين السود والبيض الذين يعشقون الجاز ولكن فى «جرعات صغيرة» . وتتوالى الاغنيات «قاس معى» لأنا إدواردز . « رجلك غاية فى الضخامة » ، « ده غلط ! » وهذه الاخيرة محاولة خفيفة فى اتجاه البلوز الكلاسيكى . ويبلغ العرض قمته حين تترى على المسرح حزمة من الاغنيات التى تمزج الضحك بالبكاء وتتوج بالأغنية الختامية «ابحث عما يحبونه والطريقة التى يحبونه بها .. وافعل ذلك » موشاة بـ «أسود وازرق» وهو نشيد حنظلى المذاق يدور حول معالجة الفصل العرقى . ولا يعيب هذا النشيد إلا إفراطه فى الجزالة والفخامة ولعلها كانت تكون اكثر تأثيرا لو توخت البساطة . ويلعلع الكورس «ساجلس واكتب خطابا لنفسى » « ايها النائم .. لا استطيع منحك شيئاً سوى الحب » وتطغو حشرجات مفعمة بالحنان الجريح ، وفجاة يشارك الجمهور الماخوذ فى الغناء والضحك والصراخ .. فالعدوى تصيب الجميع .

وإذا كانت هناك تحفظات على هذا العمل الجميل فاهمها : إن المؤدين يتعاملون مع الاغنيات بطريقة مسرحية مبالغ فيها ويبلغ بهم الانجذاب والوجد حدود الخروج عن الخط الموسيقى ... ومن ناحية اخرى فهنالك ايضا الاحساس بالتاريخ الذى يكتم الانفاس فى بعض المشاهد ـ تاريخ السود وعذاباتهم بحيث تعمى العيون عن انجازات الحاضر . ومهما يكن فان « حسن السير والسلوك » مثل للمسرح الغنائى الرفيع . فهى عامرة بالاغنيات المعبرة والايقاع الذى يبعث الرعشة فى الأوصال . ورغم خلوها من العقدة فهى تتدرج من خلال النغم لتصل الى ذروتها الدرامية الخاصة .

سينما

أجاثا

إخراج : مايكل آبتد تمثيل : فانيسيا ريدجريف - داستين هوفمان

اجاثا كريستى الكاتبة البوليسية الذائعة الصيت صاحبة الروايات الشهيرة « جريمة فى قطار الشرق » و «مات على النيل » وغيرهما من الاعمال التى خلبت الباب الملايين وترجمت الى عشرات اللغات ووزعت ملايين النسخ . المؤلفة التى برعت فى تفصيل الحبكة المجللة بالغموض والتى لا يستطيع القارىء فك مغالقها — مهما كد ذهنه — إلا فى الصفحات الاخيرة . يدور هذا الشريط المظلم عن فترة مظلمة من حياتها المديدة . لقد استطاعت كاتلين تاينان (عقيلة الناقد المعروف كينيث تاينان) ورفيقها آرثر هوبكر ان يقوما باعداد سيناريو متقن عن تلك الأيام المجهولة فى حياة اجاثا كريستى . ففى عام ١٩٢٦ صدرت روايتها «مقتل روجر اكرويد » واصبحت حديث المجتمعات اللندنية بعقدتها المحيرة التى كرست بطلها الأثير هيركيول بوارو كواحد من الصفوة المنتمية الى عصبة شرلوك هولمز . بيد أن السيدة كريستى لم تتمتع بثمرة جهدها . كانت امراة بالغة الحساسية وذات طبيعة انطوائية مؤلمة . وكانت والدتها قد قضت نحبها حديثا . وزواجها من الكولونيل آرشيبالد كريستى يمر بفترة عصيبة — بل كان على حافة الانهيار . وكان المسرح معدا باكثر عمليات البحث والمطاردة درامية . ففى الساعة التاسعة والخامسة والاربعين مساء الجمعة الرابع من ديسمبر عام ١٩٢٦ غادرت

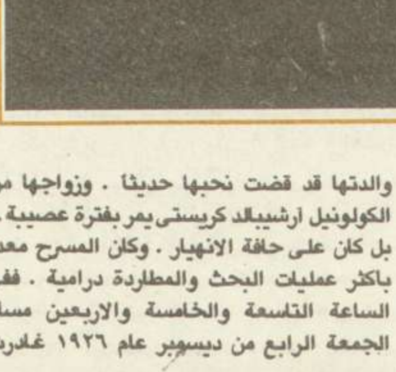

داستين هوفمان

اجاثا منزلها فى سننفديل بضواحى لندن ، ادارت محرك سيارتها واختفت . وصباح اليوم التالى وجدت السيارة وبداخلها معطف فراء وكومة من الملابس وحقيبة يدوية تحتوى على اوراق خاصة — وعلى مرمى حجر كان يرقد حذاء مثلوم وايشارب . وفجاة بدأ ان العالم كله يبحث عن اجاثا كريستى . كان هناك حوالى خمسة عشر الف شرطى ومتطوع بما فيهم صبية كشافون ومدربو كلاب بوليسية وطيارين يمشطون منطقة يوركشير المحيطة بمنزلها . ومما زاد النار اشتعالا تصريح رئيس البوليس بان السيدة كريستى «سيعثر عليها فى مكان ما من هذه الاحراج الملتفة » وخصصت صحيفة « الديلى نيوز » جائزة لاول من يدلى بمعلومات مفيدة عن مكان السيدة كريستى إذا كانت على قيد الحياة .

واشارت صحيفة اخرى إلى انها ربما تظهر متخفية فى ثياب احد ابطالها الروائيين . ومر احد عشر يوما . وفجاة بنفس الطريقة الغامضة التى اختفت بها ظهرت اجاثا فى إحدى المصحات بهاروقيت . وكانت مسجلة تحت اسم السيدة نيل عشيقة زوجها . وادلى الكولونيل كريستى بحديث مهم للصحفيين فقال إن زوجته تعانى من مرض فقدان الذاكرة الناتج عن الانهاك فى العمل . «اكد الا صحة للشائعات القائلة بتفاقم الخلافات الزوجية وقرب الانفصال . ولكن — بعد سنوات ثلاث — وقع الطلاق . وفيما بعد تزوجت اجاثا عالم الآثار ماكس مالوان وباعت من كتبها ملايين النسخ . وبوفاتها عام ١٩٧٦ انتظر القراء ان ينكشف السر فى مذكراتها التى طبعت عام ١٩٧٨ ولكن دون جدوى . وتفرغت السيدة تاينان لاجلاء الغموض . فالحقائق المعروفة لا تتفق مع التفسير الرسمى للاختفاء . بل تطرح المزيد من الاسئلة ، كيف غادرت سيارتها فى طريق ريفى مجهول ؟ وكيف ظهرت فى مصح فى يوركشير يبعد مئات الاميال ؟ لماذا انتحلت شخصية عشيقة زوجها ؟ وما دلالة الاعلان الذى نشرته فى صحيفة التايمز وفيه تقول « هل يتفضل أقرباء السيدة نيل الجنوب افريقية بالاتصال ؟» لماذا اختارت مصحا معروفا بحماماته العلاجية وجلسات الدلك الكهربائى ؟ وحتى العثور عليها يثير الشكوك . لماذا كان الكونستابل الحذر وكانه يشير الى جريمة قتل ؟ وإذا كان الكولونيل كريستى قد كذب بخصوص المتاعب الزوجية لماذا نصدق حكاية فقدان الذاكرة ؟ لماذا كان بعض المتفكهين موقنين بان اختفاء السيدة كريستى مجرد دعاية لكتابها المقبل ؟ وقد اقبلت السيدة تاينان على الموضوع بهمة هيركيول بوارو نفسه . قضت الساعات الطوال فى قسم الصحف والدوريات بالمتحف البريطانى منقبة باظافر لا تفتر فى الجرائد التى مضى عليها ما ينيف عن نصف القرن . ووضعت نفسها موضع مؤلفة فرغت

لتوها من تاليف رواية بوليسية وتحدثت عدة مرات عن الانتحار وكانت مرتبطة برجل مصمم على هجرها ، وفى ذات الوقت ، ذات ذهن نشط فى خلق الالغاز المحيرة والعقد المربكة . وتوصلت تابنان الى حل مجرد تفسير قد لا يكون صحيحا . فهو وليد الخيال ولكنه يتسق مع الحقائق المعروفة سلفاً . ونفت نفياً قاطعاً ما قيل بصدد فقدان الذاكرة . وخرجنا نحن بهذا الشريط الذى لا يقل حبكة عن روايات اجاثا . وكل ما يريد المخرج ميشيل ابتد أن يقول هو : إن مستقبل اجاثا آنذاك كان فى قمة التبشير بالعطاء بينما كانت حياتها الخاصةحطاماً أو كالحطام . وانه فى الرابع من ديسمبر ١٩٢٦ إنهار الخيط الرفيع بين الفن والحياة . فارادت أن تخلق عقدة بوليسية محكمة تحير رجال الشرطة وتلقى الشكوك حول زوجها الآبق . وتظل بلا حل . ومهما يكن فان السر قد دفن مع صاحبته الى الأبد . وقد أدت فانيسيا رادجريف دورها ببراعة مذهلة . وتقمصت دورها بنجاح . ولم يكن دستين هوفمان اقل إقتناعاً فى دور المخبر الصحفى .

روائـيـة تتحـدث

بنيلوب مورتيمر الروائية البريطانية المرموقة صدرت لها من قبل روايات جيدة لاقت نجاحاً طيباً فى أوساط الجماهير القارئة ، اهمها أكل القرع و البيت ، وفى الاخيرة تسخر بنيلوب مر السخرية من تقاليد الزواج السائدة فى المجتمع البرجوازى .. تلك التقاليد المموهة بالمبالغات وعشق المظاهر البراقة . وبنيلوب الآن فى حوالى الستين من عمرها . والسبب فى إختفائها الأشهر الأخيرة هو عكوفها على كتابة ذكريات طفولتها التى صدرت اخيراً فى مجلد باسم «عن الزمن» تدور الحوادث فى العشرينات وتصور والديها الغريبى الأطوار : اباها المجدف الملحد وأمها التى انصب اعتقادها على الأشباح فالكتاب ليس صورة وردية لعشرينات القرن إذن – كما ينظر جل الكتاب الى ماضيهم ويضفون عليه سمة رومانسية رقيقة الشفافية . «لقد دلفت إلى طفولتى الثانية» تقول بنيلوب مشيرة إلى الأعوام الستين التى تنوء بكلكلها . و «عن الزمـن» إنجاز مثير ولكنه يتوقف والمؤلفه فى الثامنة عشرة . لماذا ؟ بضحكتها المكتومة من خلال سحابة الدخان التى تظلل وجهها تجيب بانها تظن انها اكملت الباقى فى رواياتها «ربما حتى الموت ، ربما حتى سن الخرف . ذلك ما يذكرنى بالزوجين النيويوركيين اللذين طلبا الطلاق وهما فى التسعين . فقال القاضى بانه سيستجيب لهما ولكن لماذا انتظرا كل هذه المدة؟ ردا بانهما كانا ينتظران أن يقضى الأولاد نحبهم» وابناء بنيلوب الذين تطلق عليهم اسم «الأولاد» ستة تتراوح اعمارهم بين الرابعة والعشرين والاربعين – كرست زهرة عمرها لتنشئتهم وعندما كانت فى الأربعين كانت تؤمن بأن السعادة الحقة تنبع من البساطة والعزلة المتوحدة . «بالقطع ليس لها صلة بذلك النمط اليائس من الحياة التى يعيشها الجميع هنا .. الحياة اللندنية المتخمة بالنقود والتنافس والنجاح والخوف . لقد صممت أن ألقى جانباً بالتعقيدات المجنونة» حقاً لقد اخذ ذلك من وقتها اكثر مما قدرت . بيد انها الآن قد طرحت جانباً الفخاخ المموهة بالرفاهية والوفرة الزائدة .. او على الأقل تتحملها لأنها زوجة لمحام وكاتب مسرحى مشهور هو جون مورتيمر . إنها الآن تقطن عشة كاتب حقيقى . غرفة واسعة مشمسة فى ذلك الجزء من هامبستيد المشيد بالآجر الأحمر . والأثر الوحيد الباقى من مخلفات الماضى المشع بالألق هو لوحة ضخمة لبيكاسو معلقة فوق السرير . «بما اننى كنت زوجة طيلة حياتى – أو معظمها – فاننى اشعر بالحرية لأول مرة منذ ان كنت فى الثانية عشرة . كثيراً ما انكص لتلك السن . كنت طفلة مفعمة الجوانح بالانطلاق ، تشق طريقها دون عون من احد ، كنت اكتب كثيرا وليس على عاتقى اية مسؤوليات . والآن يعودنى ذلك الاحساس بالانطلاق لأننى انغمست فى الحياة المنزلية مبكراً . ليس لدي هموم بيتية . إذا اخترت الا اذوق طعاماً فذلك شانى .» ويمحى التفكه الساخر من صوتها عندما تشرع فى الحديث عن محاولتها للتأقلم مع العزلة .. لقد كلفها ذلك سنوات . والآن فهى لاتتخيل كيف يمكن الا تكون بمفردها . ومظهرها لا ينم عن انها أم لستة اطفال . إنها صبية ببنطالها الجينزوصدريتها . «إننى مرتبكة لذلك» تضحك «لم اكن بحال من الأحوال أماً دنيوية .

وكلما وضعت طفلا كان ذلك شيئاً مدهشاً . ولكن الموقف الذى يتبدى الآن مجرداً من الايجابية يمكن رده جزئياً الى والدتى التى كانت تضاعف عائلتها باطفالى . لم تكن لها ادنى ثقة بى كام ناضجة وكانت دائما ما تردد «إذهبى والعبى بعيداً .. ياعزيزتى .» هل يعنى ذلك انها نمت واشتد عودها جنباً لجنب مع الأطفال؟ «آه . لا . لقد ترعرعوا اسرع منى . توقف نموى فى الثلاثين لخمسة عشر عاماً . إذا قيض لك أن تكابد نفس الحياة . اطفال اكثر وعمل اكثر ، وعالم إنسان آخر تعيشه اكثر مما تعيش عالمك – فانك لا تنمو . بيد إننى لم اكن اطرح اسئلة على حياتى . قد يصيبنى الاحباط واصبح عكرة المزاج مشاكسة .. ولم اكن ادرك السبب آنذاك .» وعندما صافح النور «أكل القرع» عام ١٩٦٢ ، كان للرواية تلك النكهة المشجعة للحركة النسوية التحررية البازغة – ظنوها المتحدثة باسمهن الشيء الذى

لم تكن ترمى إليه إطلاقا . « جاء كل اولئك النسوة المشتعلات حماسا لمقابلتى ولعلى كنت اخيب ظنهن لو قلت لهن « لا .. لا .. ماأعظم الرجال إننى متحررة تماما الشيء الذى لم اكنه حينئذ .» إن روايتها القادمة ستدور حوادثها وسط رعاة ماقبل المسيحية .. ابعد ما تكون عن الياس الذى يدمغ الطبقة الوسطى فى سنت جونز وود . فهى تظن انها حفرت بما فيه الكفاية فى ذلك المنجم ـ إلى درجة الاستنفاد والنضوب . « لا .. لقد اسقطت من حسابى نبلاء الياس المميز . إننى اعمل واعزق الحديقة . أعزق واعمل .. وإننى فى غاية السعادة ! » .

كتب جديدة

تأملات

تأليف
هيرمن هيسة

كانما بعث هيرمان هيسة من قبره إبان السبعينات . فهذا الكاتب الألمانى الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٤٦ والمتوفى عام ١٩٦٢ ـ غرق فى بحار النسيان فى العقدين الأخير من عمره المديد الذى جاوز الخامسة والثمانين . ثم اصبح فجاة من أكثر الكتاب «حضورا» فى اوساط الجماهير الأوربية القارئة ـ وترجمت بعض رواياته الى العربية (ذئب البوادى ولعبة الكريات الزجاجية) ـ ومهما يكن السبب الكامن وراء عملية الاحياء التى تتنسمها إبداعات هيرمان هيسه فالذى لا شك فيه انه روائى مجيد تضيء صفحاته شمس الفكر الفلسفى العميق الممزوج بنزعة صوفية انسانية .

وولد هيسه عام ١٨٧٧ لأب يعمل راعيا كنسيا . وتمرد على نظم التعليم التقليدية فاشتغل وراقا وبائع أناتيك وميكانيك . وبعد ان صدرت روايته الأولى «بيتر كامنزند» قرر أن يكرس نفسه لحرفة الكتابة . وفى عام ١٩١٩ هاجر الى سويسرا احتجاجا على بعث الروح العسكرية الألمانية وعاش فى منفاه الاختيارى حتى وفاته . ولعل من المنابع التى رفد بها هيسه موهبته الخصبة هوايته الجمة للموسيقى ونظريات يونج النفسية ثم اطلاعه النهم على الفلسفات الشرقية . ومن مؤلفاته المعروفة «إذا استمرت الحرب» ، و «سد هارتا» ، و «صيف كلينجسور الأخير» و«كنلوب» و«روشالده». وقد جمعت سيرته الذاتية فى مجلد بعنوان «كتابات اتوبيوغرافيا» عقب وفاته . وهذا الكتاب سياحة قام بها فولكر مايكل

الكاتب الروائى الألمانى هرمان هيسة

فى حدائق هيرمان هيسه الغناء ـ من كتب ورسائل ـ وخرج لنا بهذه الباقة الرائعة من المقولات العميقة التى تعكس خصائص هيسه الذهنية والوجدانية وهى تغطى العديد من حقول الفكر البشرى بدءاً بالسياسة ومرورا بالاجتماع والتربية والدين والكنيسة والمعرفة والضمير البشرى والخيال والكتب والفن والفكاهة والسعادة والحب والشيخوخة والشباب وانتهاءاً بالموت وما بعد الموت .

ويتميز اسلوب هيسه بالنبض الحار الذى يتقطر حكمه وسخرية ولا ينبع إلا من قلب عامر بحب الانسان والعطف عليه والمعرفة بنقائصه ومثالبه . ومع ان هيسه لم يحترف السياسة ولم يخض بحارها العطنة إلا انه كان اديبا ذا موقف واضح من عصره . وعنده أن المصائب مصدرها الانسان وضعته وهواه للغلبة وتمكن الأنانية منه « كل سياسى فى هذا العالم يعمل للعقل ونزع السلاح ـ إنمافقط فى بلدان الأعداء ـ وليس فى وطنه» . ويقول « لم يكن احد يعمل من اجل الحرب وإنما كانوا جميعا يتسلحون تحسباً لأن الأغنياء كانوا يحبون أن يروا حيطانا من الصلب حول أموالهم » . ورغم هذه النغمة المتشائمة فان هيسه لا يتخلى عن الأمل « فسمة المستقبل تكون بقدر تضحيات الحاضر » ويسلط اوهام نقده على اوهام البشر الفانين كما يراها « فحب البطولة مسموح به فقط بالنسبة للذين يعرضون أرواحهم للخطر . وفى الاخرين ليس هو إلا اعتقاد زائف واظن انه إمعان فى القسوة يملؤنى بالعار والغضب ويشير هيسه إلى أن الحرب لا تقع فى السماء وإنما صناعة بشريـــة . « إنها ككل عمل تحتاج الى تحضير ، فتصبح احتمالا ثم حقيقة ، انها تحتاج الى عناية وتعاون الكثيرين . وهى مرغوبة من الرجال والدول الذين يجنون ثمرة من ورائها . فهى إما تجلب لهم الأموال الطائلة ـ كما فى الصناعات الحربية ـ أو تجلب لهم الرفعة والمجد والجبروت كما فى حالة الكولونيلات والجنرالات المتعطلين . » لقد كان هيسه يرى فى الحرب خطا انسانيا بالغ الشناعة وهو ينحى باللائمة على بنى قومه . « إن الألمان عاطفيون . وعندما تمتزج هذه العاطفة بالتوحش ـ كما يحدث عادة ـ فانه شيء لا يطاق » . ويكمن الشاعر الرقيق دائما وراء ذهنه الوقاد « الشاعر ليس أعظم او اقل عظمة من الوزير أو المهندس أو الديماغوغى . ولكنه ايضا مختلف تماما . فالفاس هو الفاس يمكن به ان تشق الجذوع او الرؤوس . والساعة وميزان الضغط يخدمان غرضا آخر . إذا اردت ان تكسر بهما حطبة أو راسا فسيتحطمان . ولا يستفيد احد من وراء ذلك » ولم يكن هيسه فنانا يحلم فى برجه العاجى رغم بغضه للسياسة بمعناها المبتذل ، بل كان لصيقا بالتيارات التى تمور فـى احشـاء المجتمع ، وكان شديد الاحساس بمثالب الحضارة وكثيرا ما حذر من الوجه الآخر للعملة . « كلما جلس الناس شديدى الالتصاق ببعضهم البعض وكلما صعب عليهم التعارف » وكان فهمه عميقا للمجتمع وبغضه للمصلحين الشجعان الذين يحاولون ان يقودوه الى النور . «لاشيء يغضب العامة اكثر من الذى يحاول أن يجبرهم على أن يغيروا رأيهم فيه. » وهو فى ايمانه بالليبرالية لا ينـى يشجب تسلط الفرد باسم الزعامة .

وعنده ان الشعوب هى التى تخلق الطغاة بيد انه ككل الفرديين لايخفى احتقاره للرجل العادى فهو فى رأس قاس وشيطانى . وهو فى نقداته الاجتماعية متاثر غاية التاثر بروحانية الشرق .. وخاصة الديانات الهندية «من وجهة النظر الهندوكية ـ اى وجهة نظر الابانيشاد وماقبل البوذية ـ فان جارلى ليس انسانا مثلى إنه انا . نحن متحد ان لأن الانقسام بينى وبينه بين الأنا والأنت انما هو محض اختلاق . والمعنى الاخلاقى الكلى للحب الاخوى يكمن فى هذا التفسير . وبالنسبة للذين فهموا بان العالم واحد فمن العبث ان تؤذى اجزاء الكل بعضها بعضا ، وللفرد مهامه واهدافه «إن الحياة يكون لها معنى عندما نبتعد بقدر الامكان عن الملذات الأنانية . ونكرس انفسنا لهدف ما واذا اخذنا هذا الهدف بجدية فان المعنى يتبلور تلقائيا ..

والفرد معرض لتلوث الروح وتلوث بيئته الطبيعية . ومن السهل ان نحول الزمن الى نقود .. كما هو سهل ان نحول التيار الكهربائى الى ضوء وحرارة ولكن الافتراض بان النقود قيمة سامية هو الجنون بعينه» وهذه النظرة النافذة لمادية الحضارة هى التى ينبع منها حكمه العميق على «الفرق بين النفعية والجمال «اقول الحق : المخترعات التى لاثقة لى بها هى تلك النافعة . فكل الانجازات المفيدة لها مترتباتها الكريهة وكلها قصيرة النظر . انها بالية وسرعان ما يتضح الدافع وراءها سواء اكان الغرور أو الطمع» ولاينسى هيسه ان يدلى بدلوه فى شؤون التربية كمدمك اساسى من مداميك تكوين الشخصية الانسانية ومؤدى رايه ان التعليم لايكون موجها لغرض ما ولكنه يحمل هدفه فى طواياه . «فهو فى هذا يشبه الجمال والقوة البدنية» ونظم التربية التقليدية لافائدة تذكر وراءها «لقد حطمت المدرسة فى الشيء الكثير واعرف القليلين من ذوى الشان لايعترفون بذلك ، فكل ما تعلمته هو اللاتينية والكذب» ولاشك فى ان هذه النظرة الكثير من طوباوية جان جاك روسو . على انها نظرة لاتخلو من سلامة . «معلمونا يطالبوننا بفضائل هم انفسهم لايملكونها وما دروس التاريخ الا اكاذيب اخترعها الراشدون لاشعارنا بالاذلال والصغار» . وقد وسع قلب هيسه الاديان البشرية شانه شان بعض المتصوفة الغارقين . «كل الاديان طيبة» و «ليس هنالك ما هو انبل من معرفة الشيطان ثم مكافحته» ولم يكن هيسه بالروائى الوسط الذى لايعرف أسرار مهنته الا قليلا وانما كان مثقفا عميق الاطلاع على شتى فروع المعرفة خاصة الفلسفة والموسيقى والفن مما اعطى رواياته بعدا فريدا «فى الطبيعة الوف الالوان ولكننا اختصرناها فى رؤوسنا الى عشرين فقط» ويرى ان الفن «يجب ان يحفل بالصورة والايماءات» لأنه «تامل فى العالم»

هوليود وما بعدها

تأليف : جيرزى توبليتز

مؤلف هذا الكتاب هو الكاتب البولندى الجنسية الروسى الاصل جيرزى توبليتز . كان ناقدا سينمائيا معروفا قبل الحرب الكونية واحد قادة الطليعة فى الحركة السينمائية البولندية . وعقب الحرب اشتغل لمدى عشرين عاما عميدا للكلية السينمائية فى وارسو ، وهو الان استاذ زائر بجامعة لاتروب باستراليا ، ومن مؤلفاته المعروفة «تاريخ فن السينما» فى خمسة اجزاء و «السينما والتلفزيون فى الولايات المتحدة» فالرجل اذن حجة فى موضوعه لاشك فى ذلك ، ويقول الاستاذ جيرزى أن هيولود رمز كما هى حقيقة واقعة وغالبا ما يطلق الاسم على السينما الامريكية ، فعندما يشيع القول بان هيولود قد فقدت مكانها فى عالم السينما فان ذلك لايعنى فقط المقاطعة الصغيرة فى لوس انجليس وانما صناعة السينما فى الولايات المتحدة والتراث يخاطبنا هنا اكثر من الحقيقة المجردة ، فالذى لم يكن احد يستطيع انكاره فى العشرينات والثلاثينات بل فى النصف الأول من هذا القرن ـ ليس له اساس فى دفاتر احصائيات السبعينات .

واليوم فان هوليود والسينما الامريكية يعنيان شيئين مختلفين واذا بدانا بالطبوغرافيا فان السينما فى طفولتها ابان الحرب العالمية الأولى تركزت صناعتها فى هوليود . هناك شيدت الاستديوهات واقيمت المختبرات وانشات مساكن الممثلين والمنتجين والمخرجين ولكن ـ ابان العشرينات ـ سرعان مابدا النزوح ، وبدات الشركات انبحث عن الاماكن المناسبة ذات الخلفيات الغنية لتقام فيها الاستديوهات الجديدة . وشرع الممثلون الكبار فى الهجرة الى اماكن اكثر عزلة وبراحا كبيفرلى هيلز وبل اير وسانتا مونيكا . وفى عام ١٩٣٧ قام مجلس لوس انجليس بفصل مقاطعة هوليود . وعقب الاربعينات وبتفاقم النزوح والهجرة بقى القليل من هوليود التقليدية . وبدا البعض مقتنعين بان لافائدة من الاحتفاظ باسم فقد مقوماته الجغرافية والعملية . والحق ان التغيرات الطبوغرافية انما تعكس المظاهر الخارجية للمسالة . اما الأهمية الكبرى للتحولات فيمكن ردها الى التطورات الهائلة فى الاستديوهات نفسها : داخل هوليود وخارجها . ومع ان التصوير كان لايزال يجرى فى ردهاتها فان معظمه كان يخص المسلسلات التلفزيونية .. وبينما كان عدد الافلام السينمائية فى الثلاثينات يتراوح بين الثلاثمائة والاربعمائة اصبح الان يتجاوز المائة بالكاد . انتقل التصوير الى روما القديمة والمانيا والقرى الافريقية ولندن وبكين وباريس . وكان الدافع وراء ذلك هو نمو الوعى بين المشاهدين الذين اصبحوا يصرون على أن يشاهدوا باريس الحقيقية لاديكور من الورق المقوى . وهكذا مع اندثار اسطورة هوليود فان مستقبل السينما الامريكية لايعتمد على الاماكن التى يجرى فيها التصوير وانما على نوعية الافلام . وقد لخص الناقد الساخر ارثر بريمنجز الموقف بقوله: ماهى هوليود ؟ انها محرقة استدمه اليوم هنا وغدا هناك وبعد ان يلم المؤلف باطراف المتغيرات التى طرات على هوليود يتناول سينما السياسة والعنف والجنس بحسبانها الاقانيم التى تلون توجهات الانتاج وكما يقول الناقد الشاب مايكل لوفين فانه فى الايام القديمة حين كانت صناعة الفيلم فى ايدى المهاجرين من اواسط وشرق اوروبا فان صورة امريكا السينمائية تعكس اوهامهم .. كانت تلك امريكا التى ظلوا يحلمون بها سنوات فى مساقط رؤوسهم وفيما بعد حين شقوا طريقهم ليصبحوا اباطرة هوليود صوروا تلك الأوهام فى افلامهم ولم يكن المنتجون وحدهم هم الذين ينظرون الى امريكا بمناظير قوس قزح الملونة .. ولكن كذلك كان ملايين الرواد من الاسكا الى تكساس ومن كاليفورنيا الى المحيط الأطلسى وكان الجميع موقنين بان مايحدث فى القاعات المظلمة لايخلو من عناصر سحرية واسطورية . غير ان اللوحة اهتزت فى الخمسينات والستينات وسقطت الخلفية المبهرة والافلام الموسومة عن النجاح والثروة لم تعد تروق الجماهير كما كانت قديما ، وساخت الجنة الموعودة فى باطن الأرض : جنة الفرص المتساوية والمنافسة الحرة ولم يعد نمط الحياة الامريكية الذى تغذيه وترعاه وتتعهده فى المدارس والكنائس والصحف كافيا ان لم يكن مزيفا . ضربت العتمة على «امريكا السعيدة» ولاشك ان جذور التشاؤم معقدة غاية التعقيد ولكن اوضحها يمكن تلخيصه فى ثلاث نقاط . الحرب فى فيتنام والاحتكاكات العنصرية ومستقبل الاجيال الصاعدة التى فقدت الاتصال والتواصل بالجيل القديم .

ويمكن اضافة المشاكل الاقتصادية وتدهور الحياة فى الحواضر الكبيرة ومن هذه الينابيع العكرة تدفقت سينما السياسة والعنف والجنس

ولسنوات طويلة كان التلفزيون ينقل الاحداث فى جنوب شرق اسيا رعبا ودمارا وقتلا . ولم يكن الحال كذلك فى السينما الهوليودية .. ففى عرفها ان السينما ليست الامكانا للتسلية والاستمتاع . ولكن هذا الايضاح يبدو مبسطا للغاية فالحرب الكورية كانت حافزا لانتاج ما يزيد عن العشرة افلام . ولم تجلب ما جلبته حرب فيتنام من كراهية ونفور وبغض . والمشكلة ان السينمائيين لم يكونوا يرغبون فى تناول تيمات وموضيع غير مقنعة للجمهور ، الذى - فيما بعد - لم يكن مقتنعا بوجود «الاولاد الامريكيين فى فيتنام . على ان جل الافلام التى تناولت القضية الفيتنامية كانت افلاما وثائقية غير تجارية ولم يكن غرض منتجها الربح او الامل فى التوزيع الواسع .. ومن طلائع مخرجى هذه الافلام ذات الصبغة السياسية ايميليودى انتونيو الذى انتج واخرج من قبل «نقطة نظام» عن الفترة القاتمة فى التاريخ الامريكى المعاصر و «الحكم المتعجل» عن مقتل جون كيندى وفى عام ١٩٦٦ اخرج «فى عام الخنزير» واستخدم فيه شرائط حية كانت موجودة فى الارشيف بالولايات المتحدة وفيتنام وامتنع فيه عن التعليق على الاحداث الا فى اضيق نطاق . كانت المشاهد تتحدث عن نفسها ، واستطاع استخدام المواد الدرامية والعاطفية والغناء يتمتة بها بانضباط ووضوح . ومن جانب اخر فيمكن ان نذكر الافلام التى مجدت التدخل الامريكى فى فيتنام «البيريهات الخضراء» الذى قام ببطولته جون واين . كان واين فى جانب الصقور بما عرف عنه من عنجهية عنصرية وايمان ساذج بامريكا العظمى . ولولا رصيد واين الضخم بين عشاق السينما (بطل الغرب الاسطورى ومجسد الفضائل الرجولية) لما قيض للفيلم ان يرى النور . وكان موقف جون واين غاية فى التبسيط لصراع المسديم بين الخير والشر . وهذا كل ما فى الامر .

وهو نفس المشروع الذى كان ينفذه فى افلامه التى اشتهر بها : فى الغرب المتوحش حيث يبيد البيض المتحضرون الهنود الحمر المتخلفين . ولم يكتف جون وين بلعب دور الكولونيل الشجاع وانما ساهم فى الاخراج . ولعل اكثر الانتقادات حرارة ومباشرة هى التى ترددت فى فيلم «مطعم اليس» من اخراج ارثرين ، وهو عبارة عن شبه سيرة ذاتية ويلعب دور البطولة فيه المغنى المعروف ارلو جوثرى . ويؤمى الفيلم الى ان المشكلة الفيتنامية فى صميمها مشكلة اخلاقية . وهناك فيلمان يمكن الاشارة اليهما فى هذا المجال .

والجديد فيهما انهما عالجا المشكلة من جانب كوميدى «هاش» لروبرت التمان «وكاتش ٢٢» لمايك نيكولز . ومهما يكن فان الكوميديا نفق للهروب من التبعات التى خلفتها الحرب . ويتناول المؤلف فى فصل ممتع قضيتى العنف والجنس ونموذج افلام الغرب «الكاوبوى» وهناك مخرجون يمجدون بدون تحفظ اسطورة اخضاع الغرب .

منهم جون فورد وهوارد هوتكس . وهناك اخرون مع عدم تنكرهم للاسطورة لـ يركزون على انها بدأت مفعمة بالحنين والحزن بل والندم . واتجاه ثالث يشجب الاسطورة ويحاول ان يقضى عليها بنظرة واقعية الى الغرب وتاريخه . والوسترن الكلاسيكية تنتمى الى التيار الاول ومايسمى بالوسترن الغنائية ينتمى الى التيار الثانى . وافلام العنف ناجحة جماهيريا . ورغم رخص الوسيلة فالمؤلف يعتقد انها تخدم اهدافا اخرى سامية . ففى فيلم العصابة المتوحشة لسام بكنباه تدور الحكاية عن عصبة من شذاذ الآفاق يترصدون لقطار يحمل اسلحة لمصدرتها وبيعها للثائر المكسيكى بانشوفيلا والفيلم حافل بالعنف والتقتيل ونسف الجسور والحرائق . ويرى ان العنف المبالغ فيه حافز «للتطهير» تلك الخلة التى زعمها ارسطو للدراما الناضجة .

والنموذج الاخر لافلام العنف هو افلام الاجرام التى تدور فى مسارح معاصرة، وفى خلال العقد الماضى تطورت هذه الافلام ليس من المناحى الدرامية والتقنية فقط وانما من الجانب الخلقى والفلسفى ايضا . لم يعد هناك ذلك الفصل الواضح - الذى تعودناه فى روايات كونان دويل - بين المجرم ورجل الشرطة . ففى العديد من الافلام تبدو الجريمة وكانها مبررة والشرطى مدانا او كالمدان فالعالم ملىء - اذن - بالمجرمين الذين يثيرون الاعجاب والشفقة . فلكى نحكم على مجرم وندينه علينا ان ننظر فى دوافع الجريمة وخير ما يمثل هذا النمط شريط «القاتل» المبنى على قصة واقعية حين قام معتوه بخنق ثمانى ممرضات . ويمكن الاشارة ايضا الى «بونى وكلايد» و «بدم بارد» و «قاتل بوسطن» . والافلام البوليسية لاتخلو من عنف فاقع بالطبع وكثيرا ما تثير السؤال الخالد اين العدالة ؟ سواء اكانت تدور حول المجرمين الرومانتيكيين او رجل الشرطة او الجواسيس . ففى شرائط جيمس بوند تزخر المناظر بالسديب والسادية والقتال الوحشى وفى السبعينات استشرت الافلام الجنسية عقب موجة الانحلال الخلقى التى اجتاحت الغرب . ولايمكن تقصى جميع الاسباب التى ادت الى تفشى ذلك النمط فى السينما الامريكية وان كان يمكن الاشارة الى عوامل مساهمة : نجاح الافلام السويدية وتحطيم الرقابة فى الدنمارك والاستيراد القانونى واللاقانونى للافلام الدنماركية الفاضحة . واخيرا كا.. ..ناك الاتجاه العام الذى يسود الأجواء . اتجاه يقوم على الليبرالية فى تناول اشياء كانت من قبيل المحرمات - غذته المناقشات الواسعة فى الصحف واروقة المحاكم .. مناقشات تناولت البورنوغرافيا بجميع جوانبها وبعض هذه الافلام تثير القرف . وصل شاوا بعيدا من التهتك والشذوذ بما يعنيه من مازوكية وسادية ومثلية . ويتناول المؤلف فى فصل مفرد ما يسميه «سينما تحت الأرض» اتجاه نبع فى الستينات . ففى ١٩٦٠ اصدر ثلاثون شخصا من المهتمين بالسينما ما نيفستو جديدا «لانريد افلاما ملمعة مزيفة ، اننا نفضلها خشنة وحشية مفعمة بالحياة .. لانريد افلاما وردية .. نجب ان تكون بلون الدم!» واصبح الانتاج يتم من خلال تعاونيات تموله بعيدا عن سيطرة الشركات العملاقة وانتشرت نوادى السينما وقاعات الفنون كقنوات للتوزيع والعرض . واصبح لسينما تحت الارض نقادها وصحفها .. بل منظروها . ولايزال المجال مفتوحا لكل ما هو جديد فى عالم الفن السابع كما يقول المؤلف . وان الكتاب حجة فى موضوعه وهو مفيد للقارىء العادى والمتخصص على السواء . وقد وفق الاستاذ توبليتز فى ايفاء موضوعه حقه ببراعة وفهم .

جون كيندى

جون واين

أفلام العنف الاجتماعى أحد مميزات استوديوهات هوليود

أقصوصة

الحلاق

تأليف : رالى برادبرى

دلف الى المدينة ممتطيا صهوة جواده المنطلق كالريح ، راشا السماء برصاص غدارته المتطاير . ازهق دجاجة فى الغبار وركلها جانبا مستخدما حوافر الفرس كمدقة . اعاد تعبئة بندقيته وهو يصرخ وقد بدت ذقنه المشعثة ـ التى لم تمسسها الموسى لأسابيع ثلاثة ـ مقلقة فى وهج الشمس . ترجل متوجها الى المشرب وفى الداخل تمعن فى المراة التى عكست سحنته الملوحة وغدارته الساخنة . طالبا شرابا ، قدمه له الساقى دون أن ينبس ببنت شفة . تقهقر الرجال وخرست الألسن . « بحق الشيطان ماالذى جرى للجميع ؟ » زعق السيد جيمس مالون وهو يعب الشراب « تكلموا .. اضحكوا .. الآن وإلا اطرت حواجبكم اللعينة من فوق عيونكم » . وبدا الجميع يتحدثون ويضحكون «هكذا !» تمتم جيمس مالون . ركل باب المشرب على مصراعيه وفى غمرة الريح انفلت خارجا كفيل فى الظهيرة حيث كان رجال آخرون قادمين من المناجم والتلال يربطون جيادهم فى العوارض الخشبية المتاكلة . كان دكان الحلاق يقع عبر الشارع وقبل ان يعبر تحسس غدارته ونفخ منخريه الحمراوين وهو يتنفس بعمق وقد اشتاق رائحة البارود الطازج . ووقعت عيناه على علبة صفيح فارغه ملقاة فى التراب فاطلق عليها ثلاث رصاصات . تقافزت الجياد على جانبى الطريق بعصبية ورجفت آذانها . عبا بندقيته مرة اخرى واقتحم باب الحلاق بحذائه .

بالداخل كانت هناك اربعة كراسى شاغرة وزبائن ينتظرون والمجلات فى اياديهم والمرايا خلفهم تعكس الجو المريح والصمت الكسول الذى يتقطر من الحلاقين الاكفاء ، وعلى طول الحائط المقابل جلس ستة رجال منتظرين دورهم لازالة وعثاء الجبال والصحراء . « تفضل بالجلوس » قال احد الحلاقين . « سافعل » رد جيمس مالون واشار بغدارته الى المقعد الأول . « انهض ياسيد وإلا سمرتك فى مكانك .» طفحت الدهشة فى عينى الرجل ، دهمه الغضب ، ثم الخوف ، وبعد تردد نهض بصعوبة ماسحا الرغاوى البيضاء من ذقنه بالفوطة . قذف بالفوطة على الأرض وتعثر ليجلس فى صف المنتظرين . قهقه جيمس مالون ورمى بنفسه فى المقعد الخالى متحسسا غدارته « مثلى لا ينتظر ابدا !» . قال غير موجه حديثه الى احد بعينه وللجميع فى ذات الوقت ، وتنقلت نظراته فوق رؤوسهم واستقرت فى السقف . « إذا كنت تعيش حقا فلا يتوجب عليك الانتظار . يجب ان تعرف هذا الآن .» انكسرت نظرات الرجال الى ارضية الحجرة . تنحنح الحلاق ووضع الفوطة على صدر مالون . و قعقعت غدارته فى حزامها وهو يشير مخاطبا الحلاق دون ان ينظر إليه « اريد حلاقة ذقنى اولا . اشعر بالحكة والقذارة ، وبعد ذلك عليك ان تقص شعر راسى . وانتم هناك ، اغمروا الجو بالنكات . اود التسلى اثناء الحلاقة . لم اتفكه لاشهر خلت . انت . إبدا . » ذاب الجليد ببطء فى عينى الرجل المعنى ، وادارهما فى وجوه رفاقه . وشرع يتحدث كانما صفعه احدهم على فمه . «كنت اعرف رجلا ذات مرة .. » تمتم وقد ابيضت سحنته ، ومضى يحكى « كان ذلك الرجل .. » قال جيمس مالون للحلاق . « إسمع اريد حلاقة نظيفة .. حلاقة جيدة .. إننى املك وجها وسيما خلف هذه الذقن الشعثاء .. لقد قضيت فى التلال زمنا طويلا ولم اصادف حظا حسنا فى التنقيب عن الذهب لذا اشعر باننى على شيء من الوضاعة واحذرك بشان شيء واحد . إذا حدث وخدشت وجهى بموساك .. فعليك السلام .. فاهم ؟ اعنى ذلك تماما .. قطرة دم واحدة ، ستخترق الرصاصة قلبك .. اتسمع ؟ » هز الحلاق راسه مؤمنا .

وغرق المكان فى بحيرة من الصمت . امحت النكات والضحكات . « لا قطرة واحدة من الدماء ولا خدشة . احذرك » اكد السيد جيمس مالون . «وإلا فستكون من الهالكين بعد ثانية » ـ «إننى متزوج » توسل الحلاق . « لا اهتم لذلك إطلاقا . حتى ولو كنت ذا ست زوجات وسبعة وخمسين طفلا» . «لي طفلان» غمغم الحلاق « فتاة صغيرة حلوة وصبى» . «بضاعة مغشوشة»اجاب مالون وهو يريح ظهره فى المقعد ، مغمضا عينيه ، انهمك الحلاق فى إعداد الفوط الساخنة ، وثبتها على وجه مالون ، ومن طياتها كان الأخير يسب ويلعن ويداعب غدارته تحت المريولة البيضاء . وعندما ازاح الحلاق الفوط وغمرت الرغوة ذقنه كان لايزال ينفث تهديداته وقد تسمر الرجال المنتظرون فى مقاعدهم بوجوههم الطباشيرية وكاد الحلاقون الآخرون يتوقفون عن الحركة ويجمدون كالتماثيل قرب زبائنهم . كان الدكان مفعما بالبرودة بالنسبة ليوم صائف . « ماذا جرى .. اين حكاويكم ونكاتكم ؟ » قال جيمس مالون «حسنا تغنوا .. انتم هناك . ترنموا بشيء (حبيبتى كلمتين !) .. اسرعوا .. أسمعتم ؟ » . كان الحلاق يسن موساه ببطء وبيد مرتعشة . «ياسيد مالون ..» ، «اخرس واشتغل !» امال مالون راسه للخلف محملقا فى اللاشيء . ارهف الحلاق موساه مرة اخرى .. ونظر الى الرجال .. تنحنح وابتدر «ايها السادة هل اصغيتم كلكم لما قاله السيد مالون ؟ » هز الجميع رؤوسهم ـ صامتين ـ بالايجاب . «هل سمعتموه يهدد بقتلى ؟ » تساءل الحلاق « إذا سالت قطرة واحدة من دمه ؟ » هز الرجال رؤوسهم « وهل ستحلفون على ماحدث فى المحكمة ، إذا كان ذلك ضروريا ؟ » استفسر الحلاق . واوما الرجال برؤوسهم للمرة الاخيرة . « اوقف التشكى .. الآن .. واشتغل .» قال السيد مالون . «ذلك ما اردت التاكد منه !» قال الحلاق . رفع موساه بهدوء فتالقت فى الضوء المنهمر . واحنى عنق السيد مالون الى الخلف ووضع الموسى الباردة فى حلقه المشعر : » سنبدا من هنا ! من هنا نبدا !» .

دولـة قطـر
وزارة الإعـلام
إدارة الثقافة والفنون

يسر إدارة الثقافة والفنون بوزارة الإعلام أن تقدم لأطفالنا الأحباء القصص الآتية

٤ قصص جميلة مفيدة مسلية

الاتفاق

بقلم : عبد القادر عقيل
رسوم : سلطان السليطي

الغيمة السوداء

تأليف : عبد القادر عقيل
رسوم : سلطان السليطي

ثعلوب يتعرف على الأرنب

بقلم : خلف أحمد خلف
رسوم : سلطان السليطي

أجمل من قوس قزح

بقلم : خلف أحمد خلف
رسوم : سلطان السليطي

تجدونها في جميع المكتبات..
بسعر رمزي ٣ ريالات

مع تحيات إدارة الثقافة والفنون

حياتنا المعاصرة

إشراف: خديجة الصّدر

كم أنت فريد أيها الإنسان!

بفضل التطور العلمى والمعرفة .. تزداد مهاراتنا وقدراتنا

هناك عشرات الخصائص التى تميز كل واحد منا عن الآخرين

مع ازدحام المدن الكبرى بالسكان ، وانفراط العقد الاجتماعى ، وإزدياد محاولات الجهات الرسمية لفرض النظام والقانون والتخطيط وا هيمنة المركزيين ، يستشعر كثير من الناس نوعاً من ضياع تفرد هويتهم ، ويحسون بوطء تغليب الكيانات الكبيرة على حساب الأفراد .

عصر فقدان الهوية

لقد دخلنا عصر فقدان الهوية . وإذ يستعر بنا الشوق لذواتنا ، ونناضل لتبقى فرديتنا متميزة ، تسلب كلا منا سماته ، وتصنعه كياناً أجوف بلا وجه .. وربما اضحينا بعد حين مجرد وحدات فى معادلة ضخمة .. مجرد رقم أو كسر عشرى أو اصغر ثنائى انتزع من شخص آخر .

هذا الاتجاه المتدرج بنا نحو مسخنا الى مجرد أشباه قد أيقظ كثيراً من الناس على ضرورة البحث عن سبل جديدة لأستعادة وتاكيد فرديتهم .. سواء كان ذلك بالبحث عن جذورهم العرقية أو بصنع واتخاذ هوايات لهم عبر الأزياء الغريبة أو ممارسة الهوايات الشاذة .. أو بالسعى وراء كل ما يرمز الى مكانة اجتماعية متميزة . ويجد آخرون فى اقتناء الأشياء منفذاً الى التفرد ، إذ يستعيرون من قدرتهم على الامتلاك نوعاً من التميز .. حيث يؤكدون ذواتهم عبر شيء لا يملكه سواهم .

خلاصنا بيدنا

وقد يبدو هذا الموقف باعثاً للقنوط واليأس .. ولكن خلاصنا أقرب مما نظن وهو فى متناول يدنا .. وكان فى الحقيقة دائماً هنا .. بأيدينا .

فالخالق ـ عز وجل ـ قد اسبغ على كل واحد منا خصائص طبيعية متفردة لا يمكن لهذا العصر الصناعى ، أو ما يعقبه من عصور ، أن يسلبنا اياها . وبفضل التطور العلمى والمعرفة المضطردة تزداد مهارتنا وقدراتنا على قياس هذه الصفات واستجلائها وصقلها .

نطفة الأصالة فينا

لقد لاحظ العالم الراحل ثيودوسيس دوبزانكسى ، من جامعة روكفلر ، القدر الهائل من الامكانيات المضمرة فى الجينات الانسانية . وكان يرى أننا لو جمعنا كل الخصائص التى يمكن تصورها ، فان العناقيد المتالقة منها والممكنة الوجود فى الجينة الواحدة هى أكثر من عدد الأجزاء تحت الذرية والتى قدر علماء الفيزياء وجودها فى الكون .

وهكذا نرى انه فى الوقت الذى يدفعنا المجتمع نحو الاندماج فى الكل ، وفقدان الهوية ، فان خصائصنا الطبيعية تحثنا على التنوع والتغيير ، وبينما تحاول المؤسسات التى اقامها البشر إحالتنا الى وحدات اجتماعية ، فان ما بنا من نطفة الاصالة يبقى لنا تفردنا واصالتنا ، ويحفظ لكل منا حقه فى أن يظل غير مكرر واستثناء فريدا ..

وهناك عشرات الخصائص التى تساهم فى التفرد الذى يميز كل واحد منا عن الآخرين ، منها على سبيل المثال ملامح الوجه وشكل اليد ورسم القلب ، وحتى انتظام الدم فى اوعيته فى العين . وربما لم تتضح دلالة خصائص أخرى إلا بعد عشرات السنين .. ولكنها مستخدمة اليوم ، أو هى على الأفق تلوح . وهذه الخصائص هى التى تمكننا من تمييز الأفراد بنفس القدر من السهولة التى نميز بها بين الماء والزيت .

التباين البروتينى

إن اجسامنا مكونة من مواد عديدة ، أهمها البروتينات التى تشكل الخلايا وتبنى وظائفها . وهى مختلفة فى الاشكال والصور التى توجد بها . وينبىء معظمها عن سلسلة من التباينات التى يمكن تحديدها .

ولان كثيرا من القبائل والأجناس والجماعات الدينية ، فى مختلف انحاء العالم تميل الى عزل جيناتها بالتوالد فيما بينها ، فان انواع التباين البروتينى

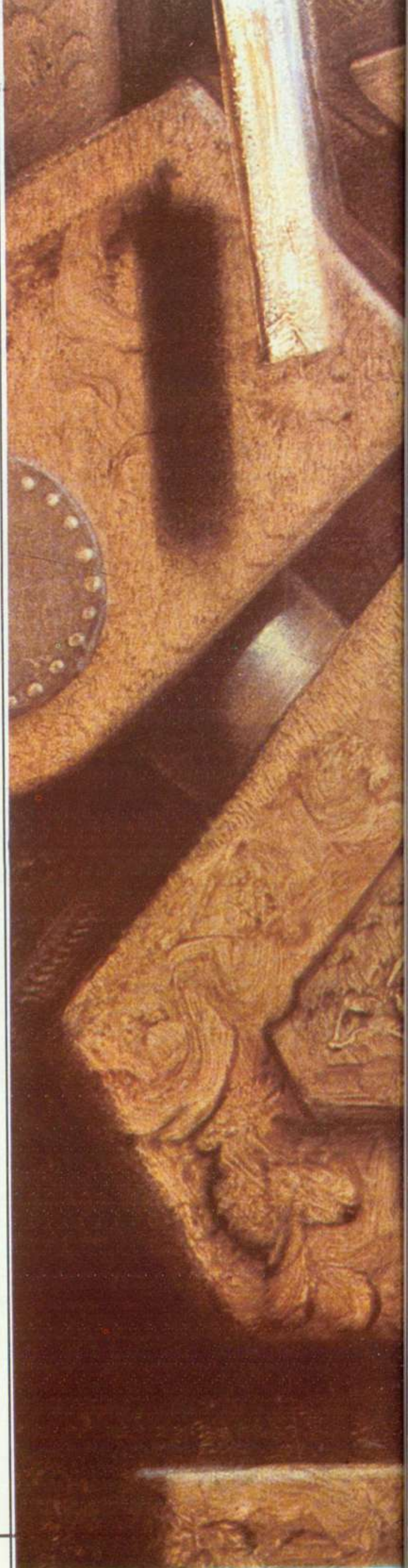

حياتنا المعاصرة

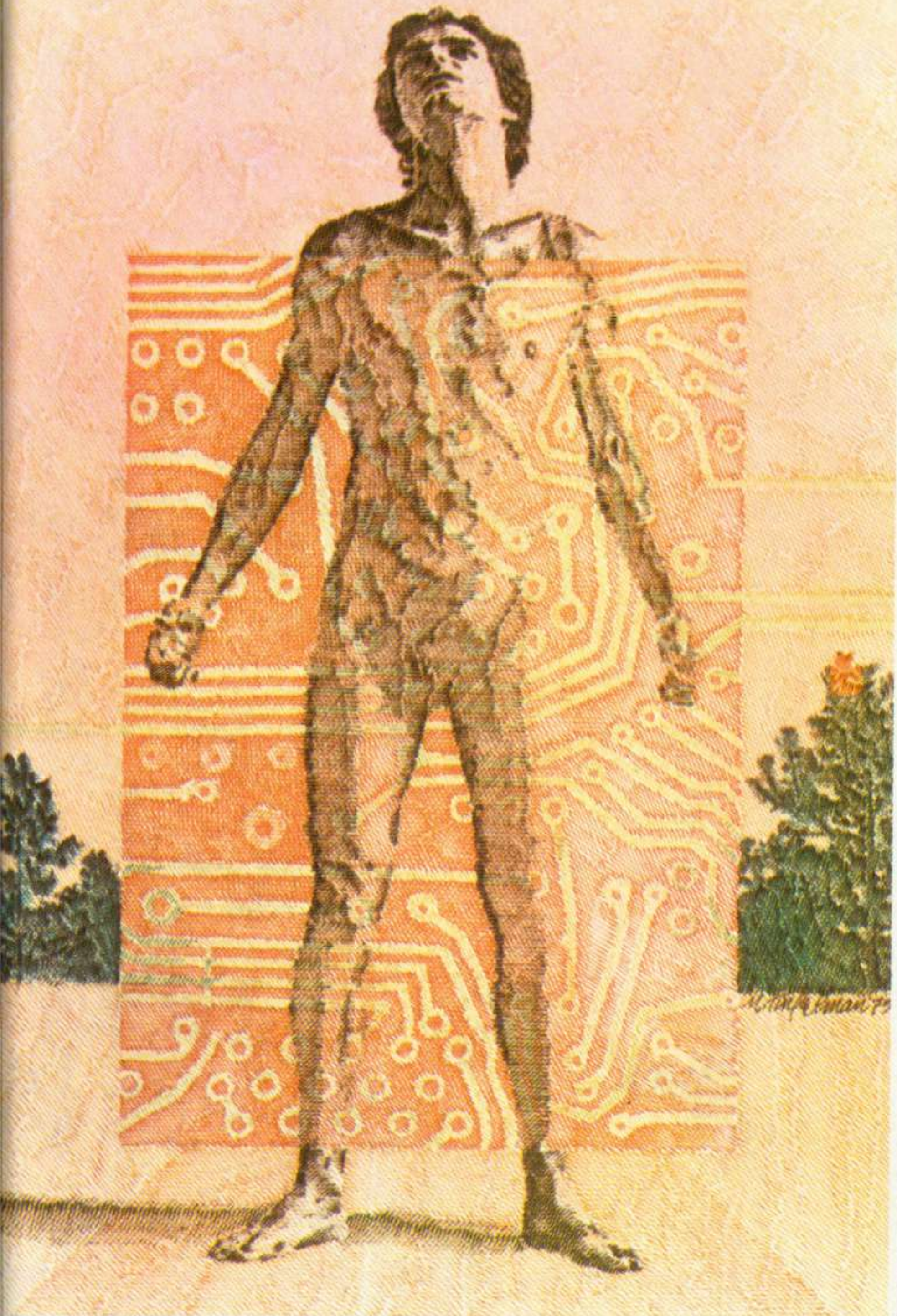

يمكن ان يستخدم فى تحديد هوية أفراد تلك الجماعات .

وعلى سبيل المثال .. نجد أن خلايا الدم الحمراء تحتوى على بروتين وحامض الفوسفاتاز ، وهو خميرة فى انسجة الجسم تحلل المركبات المؤلفة من فحميات وفوسفات ، وهى خلطة من متغيرات بنائية هى ب(أ) و ب(ب) و ب(ج) . وهذه المتغيرات تظهر فى الأغريق الاصليين كمجموعة على النحو التالى :

ب(أ) بنسبة ٢٢٪ ، وب(ب) بنسبة ٧١٪ ، وب(ج)بنسبة ٧٪ . اما الاسكيمو من اهالى الألسكا فان هذه المتغيرات البنائية تظهر فيهم كما يلى :

ب(أ) بنسبة ٥٦٪ ، وب(ب) بنسبة ٤٤٪ ، اما قبائل الآلياتومانا ، وهم هنود من فنزويلا بامريكا الجنوبية ، فلا يوجد فى دمائهم سوى المتغير البنائى ب(ب) وحده .

وربما خطر لنا أن هذه المتغيرات البنائية لا قيمة لها إلا فى تحديد هوية مشرد اسيوى الملامح يوجد هائماً فى شوارع مدينة بألاسكا . ولكن علماء الأجناس قد وظفوا هذه المتغيرات البنائية وغيرها من العلامات البيولوجية فى استقصاء انماط الهجرة والسلالات والتطور عند سكان العالم ، كما أن التصنيف البروتينى قد وظف فى تحديد الأبوة الشرعية فى قضايا كثيرة عرضت امام المحاكم .

لكل جرثومته

ولأن كل فرد منا جزيرة فريدة تطفو فوق بحر من الأجسام تحت المجهرية ، فان انواع الجراثيم يمكن أيضاً أن توظف للتميز بيننا . اننا محاطون منذ ميلادنا بالبكتريا والفطريات والفيروسات من كل الأصناف ، بعضها طفيلى يسبب المرض ، واغلبها يعتبرنا سكناً له ، ويتوالد فى سعادة وصفو ودون ضرر لنا فى عدد من المواقع التى يحتلها فى أجسامنا . ولأن صفحات أجسامنا ومنافذها تختلف فى حموضتها وأنسجتها وتركيبها وافرازاتها ، فان الرسائل والاشارات التى تبثها الغدد الموجودة فينا التى تحدد أى نوع من هذه الأجسام غير المرئية يمكنه أن يأخذ مكانه ويسكن فى أجسامنا ، والموقع الذى يمكنه أن يخلد فيه بنا ويتوالد .

وقد استرعت الطريقة التى تتوزع بها بعض هذه الأجسام تحت المجهرية انتباه الدكتور ملفين غيرشمان من جامعة ماين ، فاقترح تطوير فرع من علم الأحصاء يعرف بعلم الميكروبات الشرعى يقوم على انواع الجراثيم ، وبما أن هذه الاجسام تحت المجهرية مخلوقات حية ، فان كل نوع منها له متغيراته الخاصة به فى داخله ، ولكل جرثومة خصائصها التى تتميز بها ، ولذا يمكن التعرف علينا كأفراد ليس فقط عن طريق توزيع الجراثيم التى تأهل أجسامنا ، بل عن طريق هذه الأجسام تحت المجهرية ايضاً .

الرائحة هوية

تشترك الاجسام تحت المجهرية فى شىء واحد به يمكن التعرف على هوياتنا وهو ما تتركه فينا من رائحة ، فالواحد منا لا يحمل رائحة مميزة فحسب ، بل أنه يترك وراءه أثراً يدل على تلك الرائحة .. وهى حقيقة يعرفها الكلب بأنفه ، إننا نختلف كأفراد بواسطة عدد لاحد له من الروائح المنبعثة من اجسامنا ، والتى

يتكون كل منها من أكثر من مائة جزء . ولذا دأب المهندسون منذ سنوات على الاحتجاج بانه مادام بمقدور الكلب أن يميز بين نمط الرائحة عند شخص وآخر ، فان الآلة يمكن أن تقوم بنفس الشيء .. دون أن تكلفنا تغذية أو رعاية .

اننا نبث روائح عامة وأخرى خاصة . فالنساء مثلا يطلقن مواد شفافة تختلف حسب دوراتهن الشهرية . وقد وجد أحد المحققين أن الكلب الألمانى من فصيلة الشيفر (الراعى) إذا ما شم الرائحة العامة للبروجسترون ، وهو هرمون فى النساء ، فانه يستطيع أن يتعرف على كل مالمسته المرأة الحامل أو المرأة فى المراحل الأخيرة لدورتها الشهرية .

ويجرى حالياً استكشاف الروائح الخاصة التى تجذب الينا الناموس أو تنفره منا ، وذلك بهدف تصنيع مواد منفره . وربما كانت بعض القبائل فى ادغال افريقيا حيث يكثر الناموس قد اكتشفت بعض تلك الروائح المنفرة فى بول البقر الذى تمسح به ابدانها ضد الناموس ، كما يستخدم بعضها رماد روث الماشية . ويمكن معرفة رائحة شخص ما من ملابسه أو مسكنه او مطعمه ، بالرغم أن كلا منها يمكن أن يفرض خصائصه ، أننا لا نستخدم حاسة الشم فينا إلا قليلا ، وفى أمور مثل الحكم على رائحة شخص ما بانها طيبة أو كريهة . ومع ذلك فان الاشخاص ذوى القدرة العالية على الشم موجودون بالفعل ، مثل خبراء العطور وانواع النبيذ .

وقد ذكر فرويد «حالة الفار» الذى كان يميز بين معارفه من الناس بروائحهم وكان هناك طفل يتمتع بحاسة للشم قوية مكنته من معرفة رائحة الابدان ، ورائحة كل عضو بالجسم ، أو مصدر الرائحة بالجسم .

وقد قادت مثل هذه الملاحظات العلماء الى وضع نظريات تقول بأن البشر ربما كان بمقدورهم الاتصال فيما بينهم بطريقة تحت مستوى الوعى بواسطة مواد غير مرئية . وليس ذلك بمستغرب ، لأن معظم الحيوانات تستخدم الرسائل الكيمائية وهى التى تحدد للحيوان أوان القتال أو الرحيل لمنطقة أخرى ، أو ميقات السلوك المطمئن المسالم نحو الآخرين ، أو ميعاد التناسل

وإذا كنا نستجيب للمواد الكيمائية التى تبثها أجساد الآخرين ، فربما كان استخدامنا للعطور وأكثارنا من الاستحمام مضرا بقدرتنا على الاتصال .

وتجرى حالياً محاولات لتطوير أجهزة لقياس وتحليل انماط الابخرة العضوية التى يبثها الناس فى الهواء . وقد تم بالفعل ، بواسطة التحليل ، التعرف على المواد الكيمائية حتى حين يكون تركيزها أقل من جزء من البليون .. وذلك يفوق قدرتنا الطبيعية فى اكتشاف الروائح بقدر كبير للغاية . ومع أن هذه الطريقة مازالت فى مرحلة التجريب والاختبار ، فالواضح أننا سنتمكن قريباً من تحديد هوية الافراد بواسطة ما يمكن أن نسميه امضاءاتهم بواسطة الرائحة .

رابطة الدم

هناك مثل قديم يقول بأن شخصية الانسان مرقومة فى دمه . وقد تبين العلماء صحة ذلك ، فالدم يختلف من شخص لآخر . وعندما نتحدث عن فصائل دم الانسان ، فاننا فى الغالب نشير الى الفصائل المعروفة طبياً . ولكن علماء الدم يصنفونه تصنيفاً أكثر دقة . فالمجموعات المعروفة من فصائل الدم (أ) (ب) (و) (رهـ) ، مثلا ليست سوى اثنين من اكثر من ٢٤ مجموعة .

إن معرفة فصائل الدم ضرورية بالنسبة لعمليات نقل الدم بنجاح ، ولمنع مرض الدم عند الاطفال حديثى الولادة ، وفى جراحة نقل وزراعة الأعضاء . وقد استخدمت هذه المعرفة فى حسم التنازع حول الأبوة وفى اثبات الأبوة ، خاصة بالنسبة لقضايا الأختطاف والوراثة والخلط بين الاطفال فى مستشفيات الولادة .

فوائد تطبيقية

ومن اهم الفوائد التطبيقية لمعرفة فصائل الدم مسألتا الانجاب والولاده . فقد وضحت الدراسات أن الزوجين اللذين لا تتفق دماؤها يغلب عندهما احتمال عدم الانجاب ، إذ أن النساء من فصيلة معينة من الدم يفرز ن مضادات عضوية ضد خلايا الحيوانات المنوية التى من دم لا يتفق مع دمهن . وقد اجريت دراسات على بنات هوى يستقبلن بحكم حالهن انواعاً مختلفة من فصائل الدم ، فتبين أنهن يفرزن مضادات عضوية كابحة للحيوانات المنوية ، وهذه الطريقة البيولوجية لمنع الحمل قد نبهت الباحثين الى التفكير بأن الوسيلة المثلى لمنع الحمل ربما كانت بالتفاعلات التى تتم بواسطة مولدات الأجسام العضوية المضادة . وفى ظنهم أن الحيوانات المنوية تعتبر فى هذه الحالة بمثابة اجسام غريبة غازية للجسم ، وأن الحمل نوع من المرض يمكن تلافيه . فاذا اعتبرت الحيوانات المنوية للرجل كنوع من الجراثيم ، فان التطعيم هو العلاج الواضح ضد التلقيح .

مولدات المضادات العضوية

إن كل خلية آدمية تحمل فى سطحها مؤثرات بيولوجية للتعرف على الفردية . وتنقسم هذه المؤشرات ، التى تعرف بمولدات المضادات فى عملية نقل الأعضاء وزراعتها ، وذلك للدور الذى تقوم به فى مقاومة نقل وزراعة الأعضاء جراحياً ، الى أربع مجموعات اساسية . مع احتمال ما يقرب من ٢٢ ذرة فى كل مجموعة . وبما أن الانسان يرث ثمان من هذه المولدات المضادة ــ اربع من كل والد ، وواحدة من كل من المجموعات الأربع ، فان عدد المجموعات الممكنة هو بالتقريب عشرون مليوناً .

وتقوم مولدات المضادات هذه بمثابة كلمات السر للمرور . ولذا فان عمليات نقل الأعضاء جراحياً لا تنجح إلا إذا كانت مولدات المضادات عند المتبرع هى نفس مولدات المضادات عند المستقبل . فالجسم حين يتعرف على الانسجة التى نقلت اليه كجسم غريب يقوم برفضها . وتقوم بعض الانسجة فى الجسم بعملية رفض حاد للأنسجة الدخيلة ، كالطحال مثلا .

ومن سخرية الاقدار أن الأنسجة التى لا تستدعى رد فعل رافض حاد من الجسم المنقولة اليه ، وبالتالى يمكن استيعابها .. هى بالضبط تلك الانسجة التى لا يرغب المرء فى نقلها اليه كالشحم مثلا ، أو تلك التى لا يمكن نقلها من ناحية عملية .. كخلايا المخ !

قضايا الأبوة والميراث

وقد اصبح لمولدات المضادات مؤخراً دور جديد فى المجتمع ، وذلك فى المحاكم . إن احتمال وجود مولدات للمضادات الشبيهة فى أى شخصين أمر بعيد ، ولذا فان فصائل الأنسجة مثالية فى الفصل فى قضايا الأبوة . وكل ما على المحامى أن يفعله هو أن يثبت أن الطفل لا يتمتع بتركيب به أربع مولدات للمضادات (انتيجينات) ، هى تلك التى يرثها عن الأب المدعى عليه .

وفى قضية تم الفصل فيها مؤخرا فى النمسا تقدم استخدام هذه الانتيجينات خطوة جديدة ، فقد ادعت احدى السيدات أن ابنها وريث لضيعة رجل مات . ولكن المحامين قاموا بجمع ابناء الرجل ، ودققوا فى انتيجيناتهم .. ومن ثم تمكنوا من معرفة نوع تركيب أنسجتهم ، واثبتوا بذلك أن ابن المدعية لا يمكن أن يكون من صلب الرجل المتوفى .

فى مجال السرطان

اننا نجهل تماماً السبب فى أن نولد وبنا انتيجينات النقل هذه فى المقام الأول .. وهناك نظرية طرحها عالم حاز على جائزة نوبل ، هو السير ماكفالرين بيرنت ، الذى يرى أن مولدات المضادات قد طورت فى الجسم لتمكنه من التعرف على الخلايا التى تشوهت وصارت خلايا سرطانية . ووفقا لهذه النظرية فان السرطان يحدث عندما تصبح كل اجهزة الرقابة فى الجسم عاجزة تماماً عن أكتشاف الخليه غير الطبيعية ، وبالتالى ابادتها .

ويجرى العلماء حالياً ابحاثاً على هدى نظرية السير بيرنت .. وذلك فى محاولة للكشف عن الاسباب الاساسية للسرطان وطبيعته .

التميز بين الذكر والأنثى

وربما كان النوع الفاصل من انواع تحديد الهوية هو ذلك المعروف بأسم «الكاريوتايب» ، ويعتمد على صورة الكروموزومات التى تحمل الجينات الآدمية .

ويظهر الكاريوتايب عادة كصورة فوتوغرافية بها ٤٦ كروموزوما آدمياً ، وقد صبغت من أجل الفحص المجهرى ، وهى مصفوفة فى خطين ، بكل منها ٢٣ كروموزوما تبعاً لحجمها وشكلها . ويشار الى اطوالها برقم (واحد) ، واقصرها برقم (٢٣) . وتكون هذه الكروموزومات ازواجاً متناسقة فى النساء .. عادة .. ولكن الزوجين رقم (٢٣) فى الرجال ، وبهما كروموزوما الجنس ، غير متناسقين ، ويظهر ذلك بشكل واضح . ولذا فان الكاريوتايب يفرق بشكل حاسم بين الذكر والانثى .

وهذه الطريقة قد اثبتت فائدة قصوى فى الالعاب الأوليمبية للتأكد والتثبت من انوثة النساء المشتركات فى الأوليمبياد وفى الافراد العاديين. ليس هناك كبير اختلاف فى الحجم بين الكرروموزومات الزوجية إلا فى حالة كروموزوم نوع الجنس ، ويختلف طول هذه الكروموزوم بشكل خاص بين المجموعات المختلفة من الذكور . فهو أطول ما يمكن عند اليابانيين ، واقل ما يكون عند القوقازيين . ولا ندرى بعد ان كانت هناك ثمة أهمية خاصة لطوله أو قصره .

وقد تمكنت دراسات الكاريوتايب حتى الآن من تحديد السمات العامة والانسجة الشاذة . ولكن المهم هو أنها دقيقة فى تحديد الاختلافات الكروموزومية فى ١٪ من السكان . وسيتم بفضل الاساليب المتطورة فى الصبغ والوسائل المحسنة فى تحديد الانماط المصبوغة المسماة فرق الكروموزومات رفع كفاءة اكتشاف الاختلافات الدقيقة فى تركيب الجينة . وسيأتى يوم نستطيع فيه تحليل الكروموزومات الجينة الواحدة ، وذلك منتهى الطلب فى تحديد هوية الجينات .

ورغم الانتفاع المحدود من كل هذه الاساليب فان العلماء قد اصبحوا يستخدمونها فى تحديد الهوية ، بعد أن كان ذلك فى الماضى وقفاً على البصمات وحدها .

الاسنان .. لمعرفة الهوية

فى ٢٤ سبتمبر من عام ١٩٧٤ حوكم رجل بكاليفورنيا بتهمة القتل بعد أن ثبت أن نظام اسنانه مطابق لآثار عضة فى انف المرأة القتيلة . وقد قدر ممثل الاتهام أن الآثار الخمسة الأكثر وضوحاً فى الأنف التى عضت يمكن أن تبرز ٥٩.٤٩ شكلا محتملا من اشكال انتظام ودوران الأسنان . وعندما أخذ عن طريق الصدفة ٧١٠ نموذجاً لأسنان البالغين ، وقورنت بالآثار التى كانت على الأنف ، كانت اسنان المتهم وحدها هى التى طابقتها تماماً .

إن نظام الاسنان فى الانسان له نفس التفرد الذى تختص به بصمات اصابع اليدين . ولما كانت كل سنة بفم الانسان ذات سطوح خارجية خمس .. فانه يمكن تصنيف ١٦٠ مساحة مختلفة للأسنان . وفقاً للتكوين الوراثى والتغيير التطورى والتغييرات الطبيعية أو حسب الاصابات وما تحدثه اساليب علاج الاسنان او استبدالها . وهناك أكثر من ٢٫٥ مليون احتمالا لهذه الخصائص والسمات فى بصمة الاسنان .. وذلك وفقاً لنماذج احصاها العقل الاليكترونى . كما أن التحليل بالأشعة السينية للفك يضيف بعداً أخر لعملية تحديد الهوية عن طريق الاسنان .

وليس تحليل نظام وانماط الاسنان بالعلم الجديد فقد اعتمد السيد بول ريفيرى على نظام الاسنان ليتعرف على جوزيف وارن ، وهو أمريكى قتل فى بنكر هيل . كما أن هوية جون ويلكر بوث الذى اغتال الرئيس الأمريكى ابراهام لنكولن قد تم التثبت منها عن طريق اسنانه بعد أن أحرق جسمه .

طب الاسنان الشرعى

وقد ادى التحليل المتطور فى ايامنا هذه الى تخصص جديد هو طب الاسنان الشرعى ، الذى يقوم بوظيفته خير قيام فى حالة اصابة بقية الجسم بشكل يجعل انواع التعرف الأخرى على الهوية غير ميسورة .

ولأن مينا الاسنان من أشد المعادن المعروفة صلابة ، فان اسنان الانسان هى أكثر جزء فى جسمه قدرة على البقاء . وهى وحدها التى يمكن ان تبقى بعد الحرائق والكوارث .

وقد استخدم طب الأسنان الشرعى مؤخراً فى تحديد هوية بقايا ركاب طائرة تهشمت فى مطار شيكاغو . كما استخدم

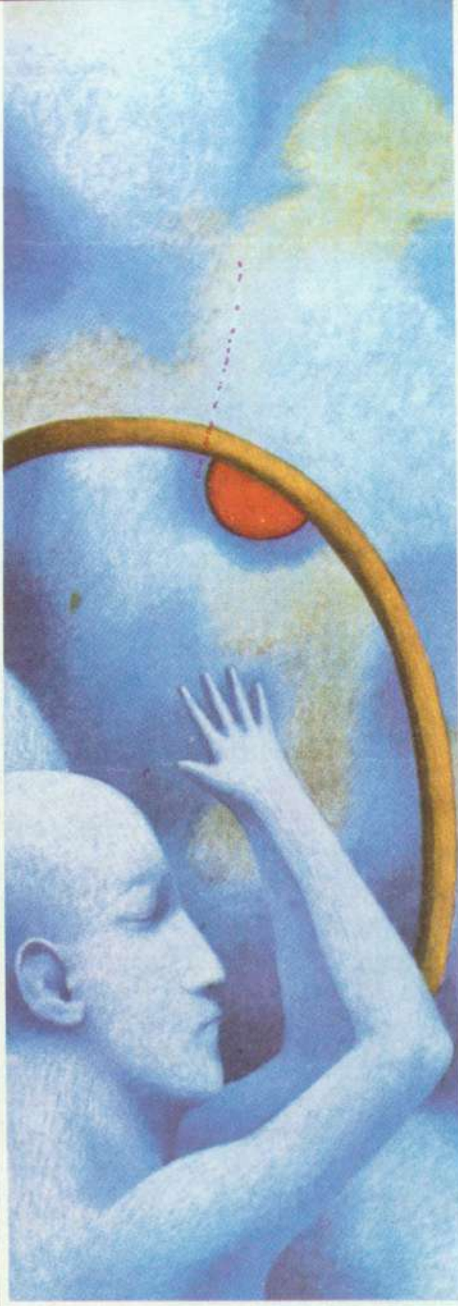

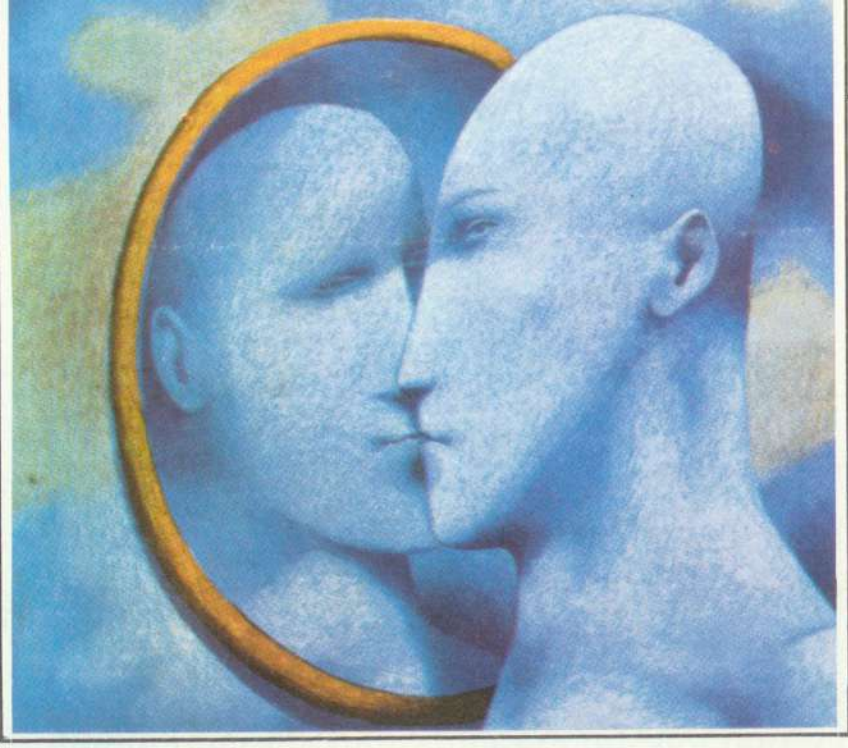

اكتشف الناس مشكلة تحديد الهوية منذ أن أخذوا يتجمعون فى أعداد كبيرة مختلطة

فى التحقيق فى مقتل عدد من الشبان ، وفى اعقاب مذبحة جماعة جونز تاون الشهيرة .

وفى حادثة الطائرة بسانتياجو قبل ٢١ شهرا ، حيث توفى ١٤٤ شخصاً ، تم التعرف على ٥٠ منهم عن طريق بصمات الاسنان فقط .

التوقيع أيضاً

إن كل توقيع متفرد ، لا يشبه اى توقيع آخر . وقد اقيم حديثاً نظام يعتبر التوقيع أكثر دقة فى تحديد الهوية من صفحة كاملة بخط اليد ، وانه محصن من العبث به أكثر من بصمات اليد .

لقد ظل تحديد الخطوط عملا مضنياً ودقيقاً ، فالعوامل الطارئة كتغيير المزاج أو اختلاف أداة الكتابة ، يمكن أن تموه أية كتابة باليد . ويمكن لمزورى الخطوط أن ينقلوا اى اسلوب خطى بشكل دقيق حتى ليصعب تحديد النسخة الصحيحة الحقيقية من عشر وصايا منسوبة لأى مليونير .

أما الآن فقد استحدث الاستاذ الجامعى جاكوب استيرنبيرج نظاماً فى تحليل الخطوط يتغلب على عوامل الصدفة ، ويفوق ذكاء أمهر المزورين . ونظامه الاليكترونى لا يقيس شكل أو مظهر الخط ، وإنما (نظام الضغط) والتغييرات التى تطرأ على الصفحة اثناء الكتابة . وقد وجد أن الخط والتوقيع ، وإن كانا عمليتين ونظامين معقدين من السلوك المكتسب ، فان التوقيع بحكم تكراره يصبح مجرد فعل منعكس أو لا إرادى ، ويصبح نظامه ونمطه منغرساً فى ذاكرة العضلات .

وقد طبقت الجوات الامريكية طريقة استيرنبيرج هذه فى الرقابة على المناطق المحددة للغاية والتى لا يراد لأحد الوصول اليها ، ووجد أن نسبة الخطأ ضئيلة جداً ، مما جعلها مبشرة بفوائد جمة عسكريا وتجارياً .

والسبب وراء نجاحها عو أنها لا تحكم على خاصية يمكن تكرارها ، كبصمات اليد التى يمكن أن تطبع على قفاز من المطاط ، وإنما تقوم بتحليل الافعال الباطنة لانسان يقوم بعمل معقد . وبذا فهى تحدد عدداً من خصائص الفرد الجلية ، كشخصيته ، وطبيعته الجسمانية ، ونظام افعاله .

الأسماء فقدت قيمتها

لقد اكتشف الناس مشكلة تحديد الهوية منذ أن أخذوا يتجمعون فى اعداد كبيرة مختلطة . وكانت أول المحاولات هى اطلاق الاسماء على الناس والاشياء. وظلت تلك التوقيعات اللفظية خاصة به فى المجتمع .

أما هذه الايام التى تسرقنا شخصياتنا فان الاسماء قد فقدت قيمتها .. ومعناها . وإن أى شخص شاء حظه له أن يسمى محمداً أو جورج أو هانز هو بالضرورة ضائع وفاقد الشأن بين جيش جرار ممن يحملون نفس الأسم .

إن الحكومات مثل معظم العقول الاليكترونية تفضل ان تتعامل مع شعوبها كارقام . ولها فى ذلك دوافعها وضروراتها . ولكننا نشعر بالأسى وبعض الخوف إذ نجد هذا النظام يبنى لنا هويات على اساس تعسفى من الأرقام .

ولكن علم الأحياء سيوفر لنا الأدوات التى نبذل بها كل هذا . إن ما تذخر به طبيعة الانسان من اسباب تحديد الهوية لهو أكثر دقة من الارقام ، وأكثر شخصانية للفرد من الاسماء . وهى بدلا من أن تقذف بنا فى جب اللاهوية ، فانها تحتفل وبشكل فعال بتفردنا المطلق

الأرض فى عدسات الفضاء

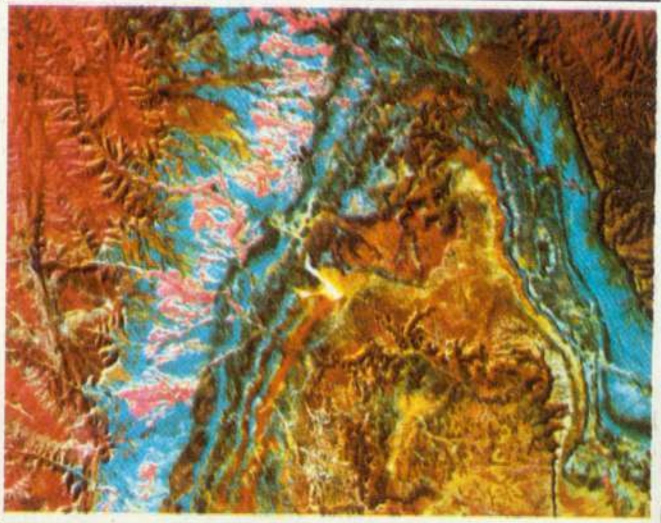

من نقطة بعيدة فى الفضاء الأسود كالحبر ، تقوم آلات التصوير بالتقاط صور عن كوكبنا الأزرق الخضرة ، وتختزنها وبشكل أوتوماتيكى تتحول تلك الصور المختزنة إلى جزيئات ثنائية يتم بثها إلى العقول الالكترونية الأرضية حيث يعاد تركيبها وإبرازها صوراً مركزة ، وذلك بواسطة مؤسسة المحطات الأرضية فى واشنطون «دى . سى» .

ويقوم بتصوير الأرض من ذلك الفضاء العريض القمر الصناعى لاندسات ، الذى دحض بروعة انجازه كل معارضة استهدفت برامج الفضاء باعتبارها ترفا فى زمن ترزح فيه

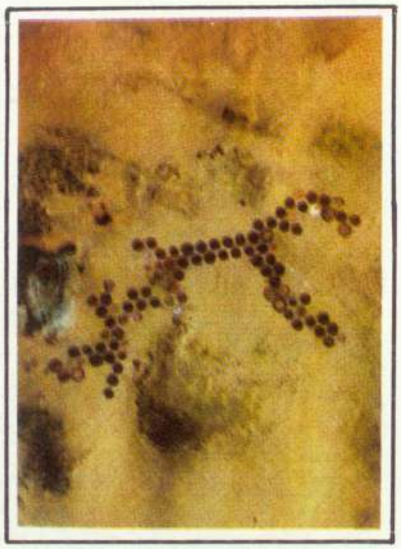

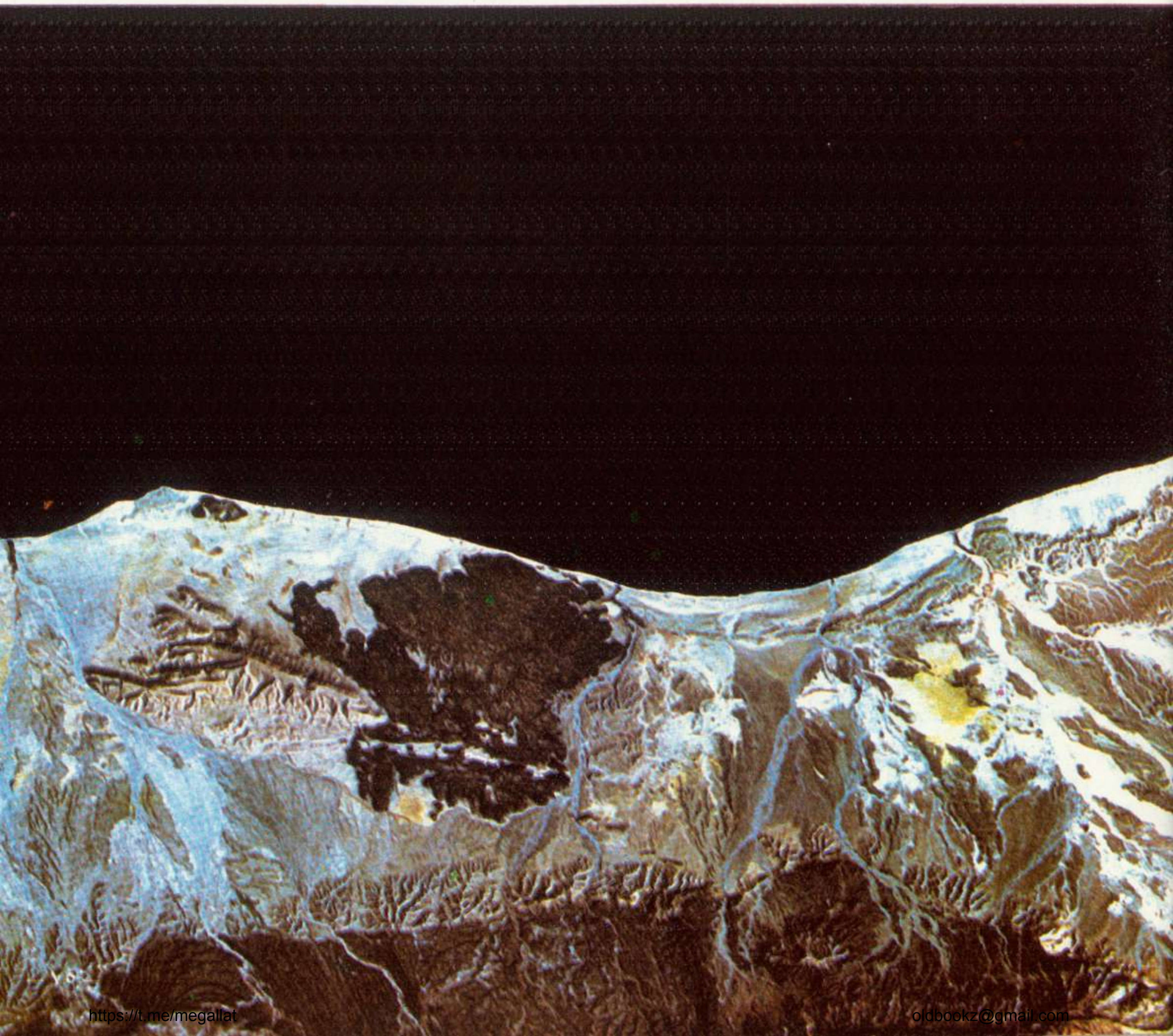

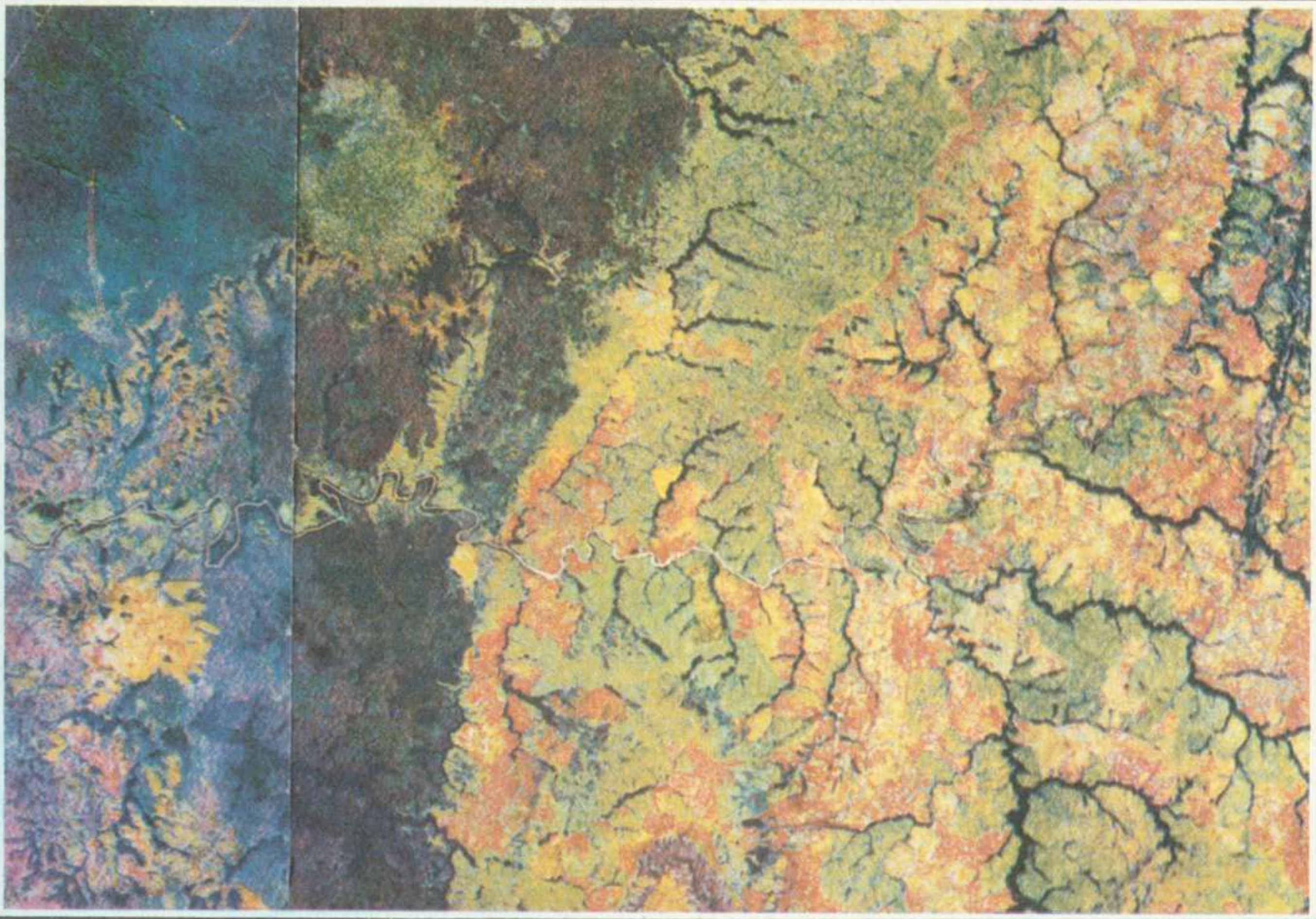

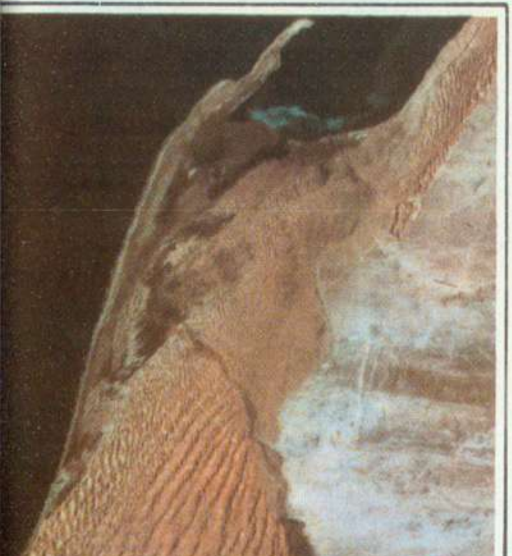

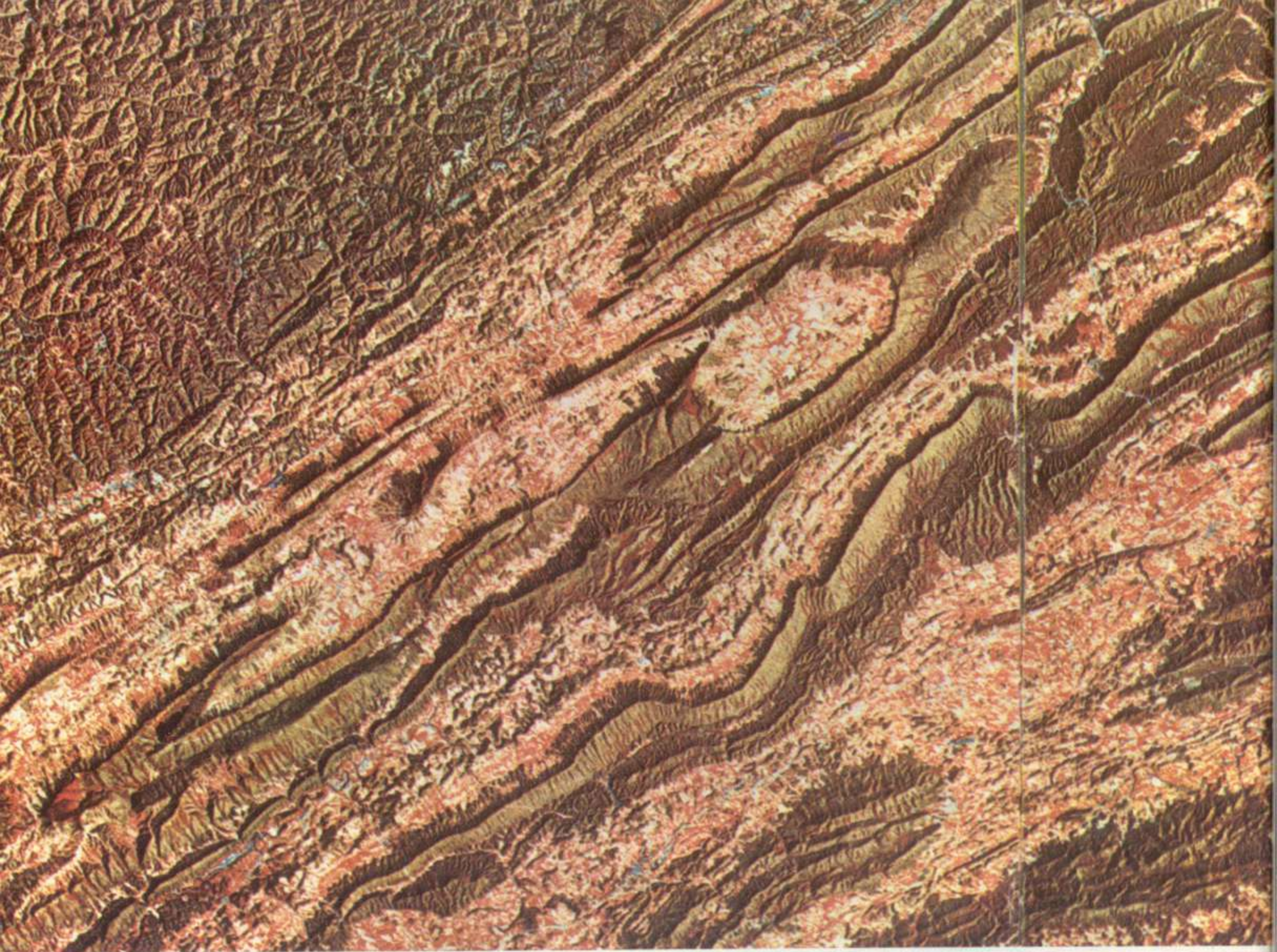

الأرض تحت المشاكل والأهوال .

وقد استطاع فنيو العقول الالكتونية ، أن يبرزوا لنا بفضل مهارتهم وتقدم قدراتهم وفى تحديد جازم مواطن المعادن الثمينة ومصادر الغابات والأراضى الصالحة لزراعة المحاصيل .

وباستخدام الصور الملونة بالأشعة تحت الحمراء ، مثلاً أظهروا الملامح الجيولوجية الخبيئة فى هضبة ، سان رافائيل فى ولاية اووتا ، كما فى الصورة رقم (١) بينما وضحت الصورة رقم (٢) أن الساحل الصومالى ومصارف المياه به مازال تحت التكوين .

إن آثار المدينة تظهر نتائج مذهلة وخلابة عندما تراها العين من الفضاء . فما هذا الشكل شبه البهلوانى الذى نراه فى الصورة (٤) سوى شبكة الرى الزراعى فى واحة الكفرة فى ليبيا .

أما الصورة رقم (٣) فهى تظهر الخطوط الأساسية لسطح ما تحت مياه المحيط والترسبات المذوبة فيه على الساحل الاندونيسى . أما حوض نهر الأمازون الأوسط فقد أظهرته طريقة النسبة الرقمية التى تركب ثلاثا من موجات الطيف اللونى التى تستطيع آلات التصويربالقمر الصناعي (لاندسات) رؤيتها ، وعندما تم تكبيرها ومعالجتها وتنسيقها مع نتائج المسح الأرضى ، اصبح من الممكن بواسطة النسبة الرقمية تحديد الاماكن المحتملة للتنقيب عن المعادن فى غابات الامازون .

وتبدو الأحوال الجوية كما فى الصورة (٥) حيث تطغى الأعاصير فى حوض قداميس فى الصحراء ، وتكون بذلك كثبانا رملية تشبه النجوم ، كما نرى ذلك فى الصورة (٦) .

ولم تعجز عدسات القمر الصناعى عن قبض لحظات الجمال الطبيعى فى تغييرات الفصول ، فأظهر لوحة كلها جمال وروعة لفصل الخريف فى وادى شيفاندوا فى فرجينيا الغربية بامريكا .

والصورتان الثامنة والتاسعة لصحراء ناميبيا بجنوب غرب أفريقيا .. وقد عولجتا كل على حدة ، فالتاسعة تظهر عملية اللون بالأشعة تحت الحمراء بطريقة خاطئة ، أما الثامنة فقد استخدمت فيها طريقة دمج أربع موجات مختلفة من موجات الطيف لتعطينا صورة واقعية ذات الوان ثلاثة .

وكلما توغلنا فى تقدمنا فى الثمانينات فان المعلومات اللازمة والضرورية التى يجب أن نعرفها عن محيطنا الحيوى ستبلغنا فى نقطة تمثل الموقع الاكثر إمتيازا للنظر الى أرضنا .. وهى الفضاء .

تساؤلات حول اللياقة

مع ازدياد مطالب الحياة العصرية ، يجد معظم الناس انفسهم وقد اندفعوا لاهثين وراء تكاليف الحفاظ على مستوى معيشى معينٌ أو تحقيق ما تدفعهم إليه وسائل الدعاية والأعلان فى المجتمعات التى يغلب عليها طابع الاستهلاك . وفى غمرة كل ذلك ينسون انهم يستهلكون انفسهم دون انتباه الى ضرورة تجديدها ، والترويح عنها بشكل طبيعى ، والمحافظة على لياقتها وإيقاعها السليم .

ولكن بعد أن بينت الابحاث خطورة الركون الى الحركة الفاقدة للايقاع ، وتزايد حالات أمراض القلب وضغط الدم ، أخذ الناس يفطنون الى مخاطر السمنة وعدم التريض .

وازدحمت فى اذهانهم الاسئلة حول الاستفادة المثلى من اللحظات القليلة التى تتيحها حياتنا المعاصرة لفعل أى شيء ليس له عائده المادى المباشر .

وقد اخترنا بعضاً من هذه الاسئلة ، مساهمة منا فى طرح كل ما من شانه بث الوعى بلياقة البدن وتجديده .

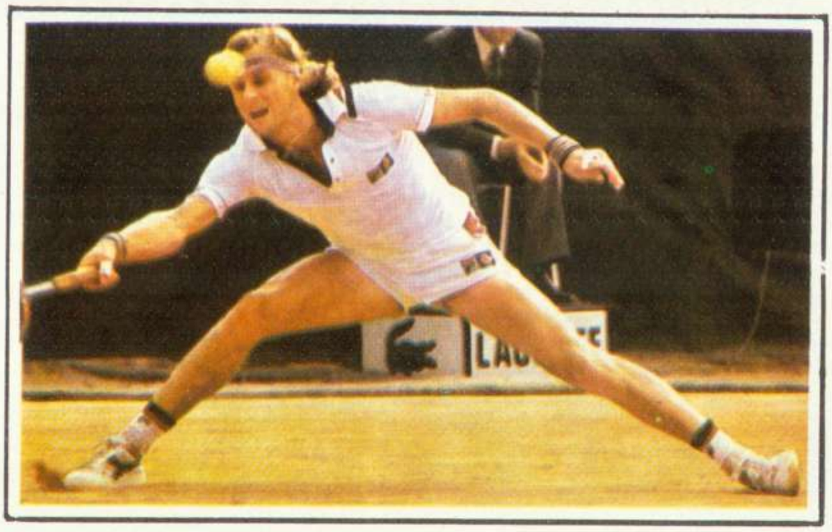

● الا تساعد التمارين الرياضية على زيادة تفتح الشهية للأكل ، وبالتالى تعوق محاولة انقاص الـوزن ؟

هذا مجرد سوء فهم ، وإن كان شائعاً مع الأسف . فالتريض المتزن لا يزيد من آثار تفتح شهية المرء بشكل ملحوظ . وقد اوضحت البحوث أن زيادة النشاط البدنى خاصة بالنسبة لمن لا يقومون فى العادة بمجهود كبير يكبت الرغبة فى الأكل .

● ألا يمكن تخفيض وزن الجسم باتباع نظام فى الأكل ودون الحاجة الى التريض ؟

ــ ذاك شيء ممكن . ولكن الجسم يفقد الانسجة العضلية فى نفس الوقت الذى يفقد فيه الشحم ، أما إذا قام المرء بتمارين رياضية فان معظم الوزن الذى يفقده الجسم سيكون من الشحم المختزن فى الجسم . ولذا فأن التريض المقترن باتباع نظام فى الأكل هو السبيل المساعد على حفظ اللياقة الكلية للجسم . كما أن التريض واتباع نظام فى الأكل حين يجتمعان معاً يحققان تخفيضاً دائماً فى الوزن لأنهما يحدان من الشعور بالجوع ويضعان نهاية لأنواع أخرى من الاجهاد النفسى .

● هل توجد انواع معينة من التمارين الرياضية لازالة الشحم من مواضع معينة من الجسم ؟

ــ لا .. ولكن لان التريض يزيل الشحم من الجسم كله بشكل متوازن ، فان الجذع يفقد شحمه قبل الاطراف ، أى أن شحم البطن يزال قبل شحم الفخذين .

● هل يمكن نقص عدد خلايا الشحم فى الجسم ؟

ــ من سوء طالعنا اننا متى تجاوزنا سن البلوغ يتعذر علينا أن نقلل من عدد خلايا الشحم والدهن فى أجسامنا . ولكن يمكن تخفيض حجمها ، وبذا تقل كمية الشحم فى الجسم .

وتشير الابحاث العلمية إلى أن التغذية المعتدلة حين تقترن بالتريض فى سن مبكرة تساعد على عدم انتشار خلايا الشحم فى الجسم . ولذا يجدر بالوالدين أن يهتما بشكل خاص وباستمرار بنوعية الطعام الذى يتناوله الاطفال ، وبتربيتهم البدنية ، فالرياضة التى يمارسها الطفل ، خاصة فى فترة الدراسة ليست مضيعة للوقت كما يتوهم بعض الآباء والأمهات .

● هل يمكن تحويل الشحـم الى عضـلات ؟

ــ الشحم لا يتحول الى عضل ، كما أن العضل لا يصبح شحماً . فاذا أكل المرء كثيرا وقل تريضه فان اية وحدات حرارية تزيد عن حاجة الجسم سيختزنها الجسم فى شكل شحم بغض النظر عن كونها دهون أو بروتينات أو كاربوهايدرات

وإذا ظلت هذه العضلات دون أن تستدعى لعمل تقوم به ، فانها تضمر ، ولكنها لاتتحول الى شحم . وعندما نمارس رياضة فان انسجة العضلات تتفتح وتكبر ، بينما تتقلص انسجة الشحم .

● هل نفقد وزنا اكبر عندما نتصبب

عرقاً كثيفاً اثناء التريض ؟

ـ إننا نفقد وزناً بعد التمرين مباشرة ، ولكن ذلك يعود الى أننا نفقد السوائل وليس لأن انسجة الشحم قد ضمرت . ويتم تعويض هذه السوائل بعد زمن قصير عن طريق العطش العادى . فلا يخدعنك ذلك . ويجب أن نحرص على شرب الماء قبل واثناء وبعد أى تمرين ضعيف حتى نتجنب فقد سوائل الجسم.

● اليس من الافضل لنا ان نتريض فى الأيام الحارة الرطبة التى تجعلنا نعرق بكثافة اكبر؟

ـ إن العكس تماماً هو الصحيح . فعندما يكون الهواء عالى الرطوبة لدرجة لا تساعد على تبخر العرق فان حرارة الجسم قد ترتفع فوق معدلها الطبيعى ولذا يستحسن أن نعتدل فى التريض عندما يكون الجو رطباً .

● هل لحبوب الملح فائدة ؟

ـ يجب علينا ان نبتعد عن تناول حبوب الملح بانتظام تحت كل الظروف . فقد نفق الخبراء أن اسهل و أفضل طريقة لتعويض الملح فى الجسم ، والذى نفقده بسبب العرق اثناء التريض ، هو أن نتناول ملحاً اضافياً فى طعامنا . فالأكثار من الملح يزيد من حدة ارتفاع ضغط الدم ، ويهيج المعدة ، ويخلق نوعاً من الخلل والاضطراب فى توزيع الماء فى الجسم .

● ما هى افضل سبيل لاستعادة النشاط بعد التمارين الرياضية ؟

ـ لا تركن الى عدم النشاط ، ولا تجلس فور الانتهاء من التمارين تمش قليلا .. لمدة خمس أو عشر دقائق فان ذلك يساعد فى تقصير المدة التى تستعيد فيها حيويتك .. وتتيح للقلب والدورة الدموية العودة تدريجياً الى حالتهما الطبيعية .

● هل للفيتامينات أهمية لكسب شحنات مفاجئة من الطاقة ؟

ـ نعم .. وهي ايضاً مهمة بالنسبة لطاقة الاحتمال اذ أنها تساعد فى عملية تحويل الطعام الى طاقة .

ولكن الفيتامينات فى حد ذاتها لا تحتوى على أية طاقة . وإذا تناول المرء غذاء متكاملا ومتوازنا فان ذلك يوفر لجسمه الفيتامينات التى يحتاجها .

إن تناول الحبوب وحدها لا يمنحك بطاقة اضافية ، كما أن الاكثار من تناول فيتامين (أ) و فيتامين (د) قد يسبب ضررا .

● ما هو مدى اهمية البروتينات بالنسبة للتريض ؟

درج الرياضيون على تناول شريحة من اللحم بالبيض ، وربما كانت كافية لتزويدهم بالبروتين ، ولكن فائدتها بالنسبة للأداء أمر مفتوح للنقاش . وفى الواقع يمكن لمثل هذه الوجبة الصغيرة أن تكون ضارة بالنسبة للأداء الأمثل ، إذ أن البروتين هو أقل المواد الغذائية التى يحولها الجسم الى طاقة .. والأفضل لتوليد الطاقة فى الجسم هو الكاربوهايدرات والدهون ، ولكن يجب أن تكون نسبة ٥٠٪ من تلك الدهون من أصل نباتى .

● ما دور الكاربوهايدرات فى التمارين الجسدية ؟

ـ إنها تمدنا بالطاقة بسرعة ودون زيادة فى استهلاك الاوكسجين ، مما يساعدنا فى الانخراط فى تمارين مكثفة . وهى ايضا ذات أهمية كبيرة بالنسبة للتمارين المعتدلة ولمدى طويل

إن الانهيار الذى يصيب عدائى المسافات الطويلة ليس بسبب نقص فى الدهون ، وإنما لأن احتياطى الكاربوهايدرات فى أكبادهم وعضلاتهم يكون قد شارف نهايته . وبالمثل فان الغذاء الذى يحوى نسبة ضئيلة من الكاربوهايدرات يؤدى فى الغالب الى فتور مزمن . ولذا يجب أن نتأكد من أن ٥٠٪ الى ٦٠٪ من الوحدات الحرارية التى نتناولها مكـون من كاربوهايدرات ، وخاصة النشويات المركبة كالخضراوات

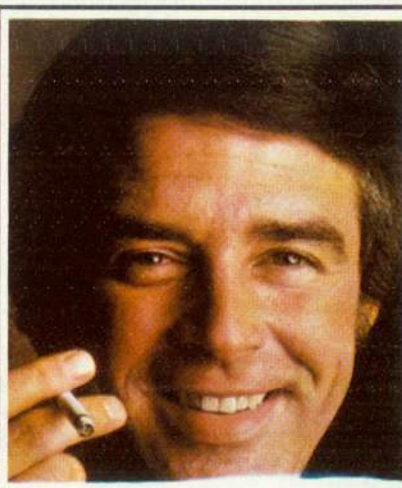

والغلال والمكرونة .

● هل تسبب الكاربوهايدرات الزائدة السمنة ؟

ـ قطعاً لا ، ولكن فقط اذا تناول المرء وحدات حرارية أكثر من استهلاكه .. لأن الجسم فى تلك الحالة يحول الكاربوهايدرات الاضافية الى شحم .

● ما أثار التدخين على التريض؟

ـ إن المدخن المنتظم فى هذه العادة الضارة يظهر انخفاضاً فى حجم الرئتين ولذلك أثره فى التريض خفيف ، ويعوق التمرين العنيف لأن كمية الاوكسجين المتاحة للنشاط العضلى تكون منخفضة

● هل ينصح بلبس زى رياضى ثقيل للتمرن فى الجو البارد ؟

ـ ربمافى الدقائق الأولى القليلة فقط ، وحتى ينشط التحول الكيمى فى الجسم . ويفضل عداءو المسافات الطويلة ارتداء طبقات من الملابس الخفيفة بدلا من ارتداء قطعة واحدة ثقيلة ، ويخلعون تلك الطبقات قطعة تلو قطعة عندما يصبح الجسم دافئاً .

● ألا يضر الهواء البارد الثلجى بالرئتين ؟

ـ يحدث التريض فى الجو البارد نوعاً من الجفاف فى الحلق ، وهو أمر غير مريح ، وذلك لأن الهواء الذى يدخل الرئة بارد وجاف ويمتص الرطوبة من شعب التنفس . ولكن ابرد هواء يصبح دافئاً فى الأنف والحلق قبل أن يصل الى الرئتين . ولذا فهو لا يشكل مشكلة صحية .

● ما أثر التمارين الجسدية على القلب والدورة الدموية ؟

– إن التريض يؤدى الى خفض ضغط الدم فى قمة لحظات الاجهاد ، والى مستوى أقل فى نسبة الدهن فى الدم .. كالكلسترول والترايغليسرايد .. مثلا ، والتى تؤدى الى أمراض الشرايين .. والتريض يطيل المدة التى يتخثر فيها الدم ، ويزيد قدرة عضلة القلب على التحمل ، كما انه يقلل الوزن الزائد والشحم ، وكلاهما يعتبر من العوامل الخطرة بالنسبة لضغط الدم العالى وبعض انواع أمراض القلب .

● هل يمكن للتريض ان يعكس او يعوق عملية الشيخوخة الطبيعية ؟

– إن شخصاً يتريض بانتظام هو فى الغالب افضل صحة فى الأربعين من عمره من ابن العشرين الذى لا يمارس التمارين الجسدية . ومع أن التريض ليس ينبوعاً للشباب ، فان الناس من كل الأعمار الذين يتريضون بانتظام يستطيعون تحسين قدراتهم على الأداء

الإجهاد وأضراره

تقرر الدراسات التقليدية ان مراقبى الحركة الجوية فى المطارات يتابعون الطائرات بضغط دمهم ، وكلما ازدحمت سماء المطار ، ارتفع ضغط دمهم باكثر من خمسين نقطة فوق معدله العادى ، كما ان شرايينهم تضيق ، وتفرز غددهم كميات اكبر من الكيمائيات المثيرة للاعصاب ، مثل الابينفرين ... وبعبارة اخرى ، يقدمون صورة نموذجية عن الاجهاد النفسى .

ومن الطبيعى ان ذلك كله يسبب امراضا ذات صلة وثيقة بالاجهاد ، وقد ينتهى الامر كله الى الاصابة بالسكتة القلبية قبل بلوغ الخمسين

ولكن المذهل فى الامر ان هذا التقدير ليس صحيحا كما تتوقع الدراسات التقليدية ، بل بالعكس : فقد اظهرت دراسة حديثة ان مراقبى حركة المرور الجوى اكثر صحة من غيرهم من المواطنين بمقاييس اخرى . ولكن هذه الدراسة لاتقدم اجوبة مبسطة ولاتقف عند حد انكار ما توصلت اليه الدراسات التقليدية .

الاجهاد والاضطرابات

كان الاجهاد فى نظر المختص عن الصحة فى امريكا هو السبب وراء عدد كبير من الاضطرابات .. ابتداء من الارق وانتهاء بامراض القلب ولذا فالمطلوب من الشعب ان يخلد الى تهدئة النفس وان يتجنب الناس الوظائف والأعمال ذات الصلة بالضغط وان يختاروا اساليب جديدة للحياة .

ولكن الخبراء قد بداوا يشكون باستمرار فى الافتراضات التى طال قيونها والخاصة بالاجهاد النفسى وما يسببه من امراض .. لان تلك الافتراضات «لم تتم اقامة البراهين عليها» كما يقول د. روبرت روز ، رئيس شعبة الطب النفسى بجامعة تكساس .

آثار خفية

كانت الفكرة الشائعة هى ان الاجهاد قوة تنخر الجسم حتى ينهار احد الأنسجة مثل منديل من الورق المبتل . وقد اتضح الآن أن المسالة اكثر تعقيدا من ذلك . فالاجهاد ذو آثار خفية ومعقدة على الاندوكرين بالجسم ، وعلى الجهاز العصبى وجهاز المناعة الطبيعية بالجسم . ولذا لم يعد كافيا ان نقول ان الاجهاد يسبب المرض ، وكانما هو نوع من البكتيريا .

وقد اخذت الابحاث على ايامنا هذه تركز على معرفة الكيفية التى يسهم فيها الاجهاد بجانب عدد من العوامل الاخرى فى خلق الظروف التى تمكن للمرض قبضة على الجسم .

خصوصية الاجهاد

ان الاجهاد مسالة خصوصية فى البنية والمزاج وما زالت معرفتنا شحيحة فيما يختص بالاجهزة التى تبث بها حادثة ذهنية موجات كالمد والجزر من الهرمونات فى مجرى الدم ، وتغير عمليات نفسية اخرى . ولكن الواضح انها تتباين كثيرا عند الافراد . وقد اخضع بعض من الذين نجوا من معسكرات الاعتقال النازى – وهو اقصى حالات الاجهاد – للدراسة من قبل احد الباحثين ، فاتضح أن «ربع الذين اخضعوا للدراسة لم يظهروا اية اعراض جسدية لها علاقة بالاجهاد .

القرحة

كانت التجارب الباكرة التى اجريت على الحيوان فى الثلاثينات ، واشتملت على تعريضه للعذاب الجسدى القاسى ، والانهاك ، قد

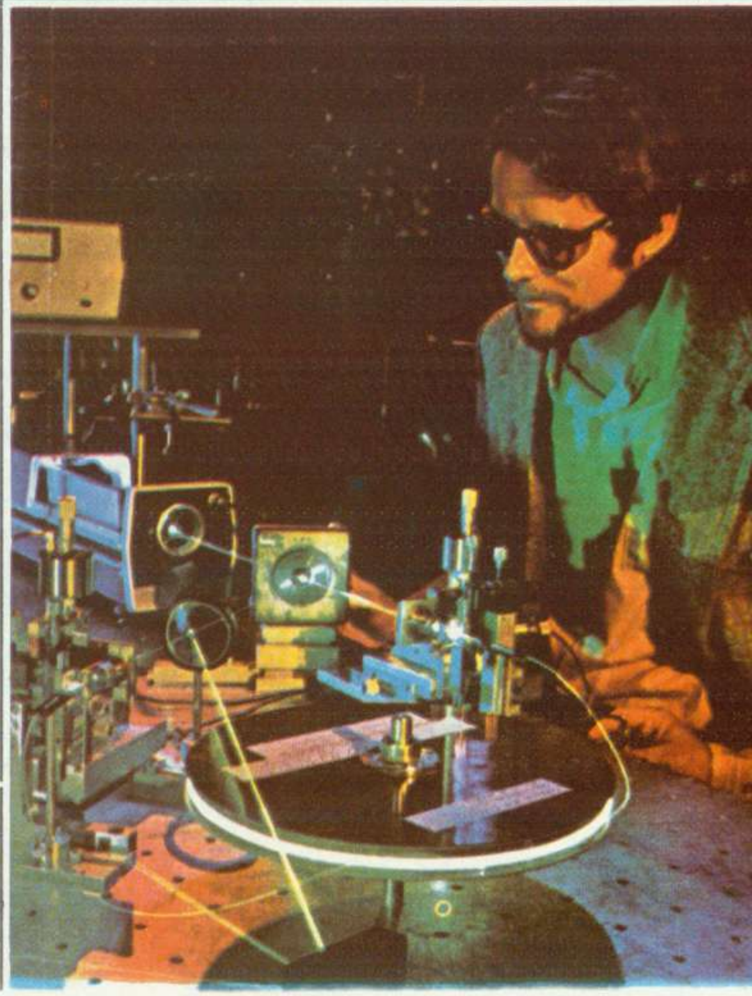

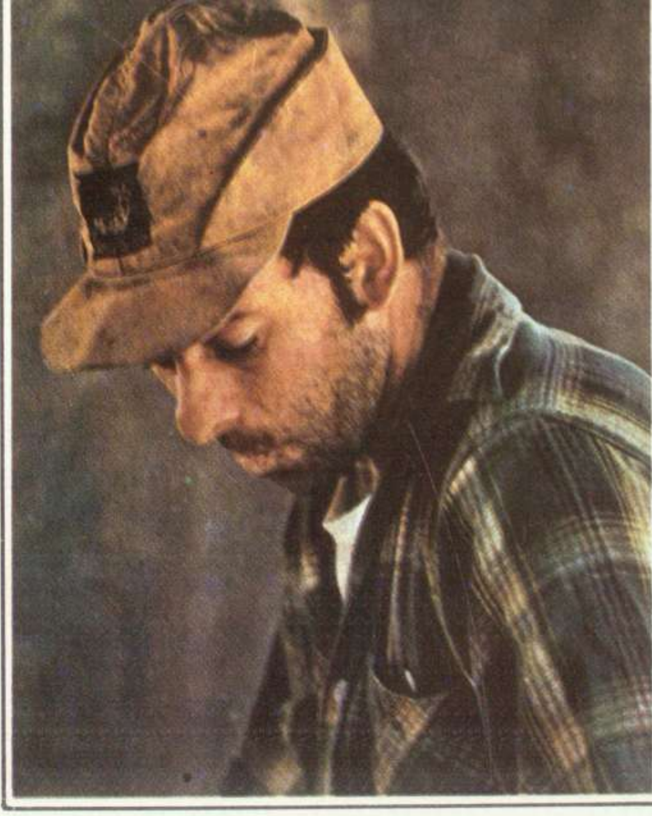

الإجهاد لن يزول من وجه الحياة ولا ينبغي له أن يزول

اظهرت ردود افعال مهمة .. منها القرحة المعوية . كما ان ابحاثا جديدة يجربها الدكتور روبرت آور من جامعة روكستر قد بينت ان انواعا معينة من الاجهاد اقل حدة من تلك التى ذكرنا مثل معاملة الناس للفئران ، تؤثر على قابلية الفئران للاصابة بالمرض فى ظروف معينة وقد كانت النتائج غير متوقعة . فالفئران التى تقع تحت يد الانسان قبل فطامها تقل لديها حالات الاصابة بالقرحة عندما تكبر .. ولايتم ذلك الا اذا حبست فى اقفاص مع غيرها من الفئران .. اما الفئران التى تولد لامهات كن فى يد الانسان فانها اكثر قابلية للتعرض للاصابة بالقرحة ، ولكن فقط اذا حبست فى اقفاص منفردة بعد مولدها .

وكما يوضح آدر فان التجربة المبكرة والبيئة الاجتماعية يؤثران فيما يبدو على قابليتها للاصابة بالمرض وهو يربط ايضا بين نوعية التجربة والامراض . فقد وجد ان الحيوانات التى تحتفظ فى مجموعات هى اكثر قابلية لمرض السكر والتهاب المفاصل وداء الشعرية (الترخينة) ، اما تلك التى تحبس منفردة فهى اسرع الى التعرض للاصابة بالملاريا والاورام الخبيثة .

الاجهاد والمناعة

وكانت ابحاث اخرى على الحيوان قد ركزت على دراسة علاقة الاجهاد بنظام المناعة فى الجسم ، فاوضحت تجارب الدكتور مارفين شتاين من مركز الابحاث الطبية بنيويورك ان الاجهد فى الفئران يمكن ان يسبب انخفاضا فى انتاج الليمفوسايت ، وهو احد انواع خلايا الدم البيضاء ، المناط به مكافحة الاصابة بالعدوى .

واوضحت دراسة اخرى ان انتاج الليمفوسايت يقل عند النساء اللائى فقدن ازواجهن حديثا ، ويعتبر علماء النفس اكثر انواع الاجهاد التى يمكن ان يمر بها المرء حدة ، وحالات موت الزوج الآخر هى ضعف حالات موت من هم فى اعمارهم . ويمكن ان يكون لكبت جهاز المناعة فى الجسم ، والذى يغير قابلية الشخص ليس فقط للاصابة بالعدوى وانما للاضطرابات مثل داء روماتزم المفاصل ، هو احد التفسيرات .

الأجهاد وفرط الضغط

اما البحث حول العلاقة بين الاجهاد وفرط ضغط الدم الشريانى خاصة ، فقد قاد العلماء الى النظر فى الخلايا المعروفة بمنظمات الضغط ، والى حين تكتشف ان الضغط قد ارتفع ، ترسل اشارة الى القلب لكى يبطيء .

وقد اكتشف بارى دووركين من جامعة روكسفلر ان لهذه المنظمات اثر اخر وهو انها تميل الى تخدير الدماغ عن الاستجابة للمثيرات غير السارة وفى حالة الاجهاد ، فان الجسد ربما بحث عن هذا المخدر الطبيعى ، وذلك بان يزيد ضغط الدم وبذلك يثير منظمات الضغط . ومن هنا يمكن لفرط ضغط الدم ان يكون اثرا جانبيا للاجهاد ، وليس نتيجة مباشرة له .

،من التجارب التى اجراها الدكتور روبرت روز وزميلان له ودامت ثلاثة اعوام ، اتضح ان فرط ضغط الدم عال بين الـ ٤١٦ ضابطا للحركة الجوية الذين درسهم فهو يتراوح بين ضعفين وثلاثة اضعاف ما هو عليه بالنسبة لمن هم فى عمرهم من الرجال ، ومع ذلك فان حالات المرض عندهم ليست اكثر مما هى عند غيرهم ، وهو الامر الذى لم يكن متوقعا ، وفى الحقيقة ، فان نسبة الامراض الخفيفة كنزلات البرد مثلا هى اقل بينهم مما هى عليه عند غيرهم . اما السبب الذى يؤدى الى زيادة حالات المرض النفسى والجسمانى بينهم فهو موقفهم من عملهم . اذ ان من اظهروا عدم رضا بعملهم كانوا اكثر اصابة بالمرض ، كما يقول الدكتور روز .

وسائل مهدئة

ان حدة الاجهاد ، فيما يبدو ، هى اقل اهمية من الطريقة التى تعالج بها . فقد اتضح ان الفئران تتاثر بشكل اقل بالصدمة الكهربائية اذا ما تركت لتتحكم فى توقيت الصدمة . واهمية التحكم فى مصير الواحد منا هى ايضا واضحة فى سباقنا مع الحياة .. فقد اظهرت احدى الدراسات ان المديرين التنفيذيين فى المستويات العليا يصابون بنوبات قلبية مميتة بنسبة ٤٠ ٪ اقل من المديرين على المستويات الوسطى فى نفس الاعمال . اما الذين لاقدرة لهم على التحكم فى المواقف التى يجدون انفسهم فيها فان الوسائل المتاحة امامهم هى خداع النفس ، والابتعاد عن الآخرين ، واللجوء الى حمى العقيدة الدينية او تناول العقاقير المهدئة .

وقد اشتهرت هذه الوسائل بسمعة سيئة لدى كثير من الاطباء النفسانيين .. ولكن فوائدها ينبغى الاتبخس حقها كما يرى الدكتور رتشارد لازارس الذى يعتقد ان لب مشكلة الاجهاد هو القدرة على المواكبة . وكما يقول فان «قليلا من خداع النفس يمكن ان يكون ذا فائدة للمرء» ويورد ان دراسة حول من اصيبوا بنوبات بنوبات قلبية اوضحت ان من مارسوا قدرا من الانكار لما وقع لهم كانوا اسرع الى البرء من اولئك الذين حرصوا على تاكيد مرضهم .

وليس المراد من هذا ان نخلد الى الحلم دائما وانما لانه ثبت ان لتلطيف الأمر على النفس قيمته .

الاغتراب

ويرى بعض الباحثين ان المفتاح لعلاج الاجهاد هو تقوية الاواصر العائلية والاجتماعية فاذا ما فصمت تلك الروابط ، كما فى حالة الطلاق مثلا ، فان حالات امراض القلب والامراض المعدية ، كالسل مثلا تميل الى الزيادة .

ويمكن للوحدة ان تكون قاتلة كما يرى جيمس لينس من جامعة ماريلاند ، وهو يرى ان ارتفاع معدل حوادث فرط ضغط الدم بين الرجال السود فى امريكا ، والذى يعزى عادة الى اسباب وراثيه ، ربما كان بسبب الاغتراب الاجتماعى .

ومع عدم وجود دليل يثبت ان الاجهاد يودى الى المرض ، فان هناك من الامور ما هو كفيل بالحد منه . فاطباء العلاج الطبيعى يجربون الآن استخدام التامل والاسترخاء المتنامى او اسلوب تطوير التحكم الواعى فى عمليات حركة الجسم .. كضغط الدم مثلا .

ضرورة الاجهاد

ان الاجهاد لن يزول من وجه الحياة ، ولاينبغى له ان يزول ، فالتجارب والمواقف الحادة جزء لايتجزأ من الحياة .. فاذا ما نشا الاطفال محرومين من تلك التجارب ، فانهم لامحالة يفقدون فرصة تطوير اساليب القدرة على التعامل مع الحياة .

ان التحدى الذى يواجهنا هو ان نفهم كيف يتفاعل الاجهاد وعوامل اخرى ليؤثر على صحتنا . وقد بدأ العلماء يشقون دربا الى بعض الحلول لتلك المشكلة .

د. حسين مؤنس

صلاة المغرب حاضرا..

المؤذن يرفع الآذان لصـــلاة الظهـــر . الساعة الآن الثانية عشرة إلا قليلا . الشيخ حسن سالم عبد الواحد جالس على هذا الكرسى الخشبى المتهالك فى غرفة الانتظار من الثامنة والنصف صباحاً ينتظر سعادة المدير . قال له الفراش عم رجب ان المدير ياتى مبكرا فاتى مبكرا جدا . ثلاث ساعات ونصف وهو فى جلسته تلك حتى تعب منه الكرسى وتعب هو منه . هل يصلى الظهر ام ينتظر المدير ؟ استقر رايه على أن ينتظر المدير فان موعد الصلاة ممتد الى قرابة الثالثة بعد الظهر اما المدير فمن الممكن ان ياتى فى اية لحظة . لم يسترح لهذا القرار فان داعى السماء مقدم على ماعداه ، ولكن هذا حال الدنيا . والله سبحانه وتعالى غفور رحيم اما سيادة المدير العام فلا يعرف الرحمة او الغفران

ولكن عم رجب الفراش يستاذن ليصلى الظهر . ورجب هذا هو الخيط الممدود بينه وبين الامل . انه هو الذى سيقدمه للسيد المدير . وما دام رجب ذاهبا للصلاة فلا مقابلة مع المدير . اذن فليذهب للصلاة ليكون قريباً من خيط الامل . من الصباح وهو يعطى رجب سيجارة بعد اخرى حتى بلغ ماعطاه تسع سجائر . هذا استثمار محترم لاينبغى ان يضيع هباء .. ليذهب للصلاة اذن فالصلاة هى الباقية .

حمل سفطه ومضى خلف رجب . السفط ملىء بالطعام : هنا دجاجتان وبيض وجبن وخبز ومخلل . كان فى نيته ان يتركه بما فيه للمدير فهو بلدياته وهو يحب هذه الطرائف .

* * *

وصلى الظهر فى المسجد القريب من الادارة . صلى بغير وضوء حتى لاتفوته الصلاة مع رجب . زعم لرجب انه لايخرج من بيته الا على وضوء ليرتفع مكانه فى عينيه . سيغفر الله سبحانه وتعالى ذلك له ايضا ، فهو سبحانه ادرى بالحال ، والولد ابنه مقدم للتحقيق لانه متهم بالاختلاس من صندوق الادخار فى الادارة التى يعمل فيها فى المحلة الكبرى . الاولاد هذه الايام كوارث وهموم ومتاعب ومصاريف . وقد اتى الى هنا لكى يرجو المدير بان يكتفى بطلب رد المبلغ وانذار الولد فهذه هى خطيئته الاولى . الحقيقة انها لم تكن الاولى ولا الثانية ولا الثالثة فان هذا الولد لم يفعل فى حياته الا خطايا . وملفه فى الادارة المركزية فى لون الهباب : كله انذارات وخصومات ولكن مدير عام ادارة العاملين وهو الذى سيقابله الآن رجل هائل يستطيع التاشير بما يريد والملفات بين يديه وتحت رحمته . ينظر فيها اذا شاء ويغمض عما فيها اذا شاء ، وما دام الولد سيرد ما اختلسه فماذا تستفيد الدولة من حبس المتهم او فصله لكى يتحول الى لص علنى بعد ذلك .

كان رجب قد اكد له ذلك ، وكان هو قد وعد رجب «حلاوة» محترمة اذا تم الامر على هذه الصورة . كان قد سمع ان رجب يفعل المعجزات والكرامات كل يوم . ولكن معجزاته وكراماته تتوقف على احجام حافظات نقود المؤمنين به ، وهو الشيخ حسن سالم عبدالواحد ـ قد احسن حشو حافظته ، واخرجها مرة بعد اخرى وهو يقدم السجائر للسيد رجب العظيم . ولمح رجب المحفظة ورق قلبه ومضى يستمهله حتى ياتى سعادة البيه المدير .

* * *

بعد الصلاة عرف ان البيه المدير ذهب للحج ولن ياتى لااليوم ولابعد شهر . هكذا قالها رجب على بلاطة بعد الصلاة وهما مسندين ظهريهما الى جدار المسجد والى جوارهما سفط الزاد والزواد .

وقال رجب :

ـ بينى وبينك ، المدير لايصنع شيئا . محسوبك يفعل كل شىء .. لقد خفقت على قلبى منذ رايتك ورافت بحالك وقررت ان اقضى لك حاجتك وما دام اخونا فى الحجاز فان كل شىء ممكن . والادارة تتكون فى النهاية من السيد المدير والسيد الفراش . وما عدا ذلك «كمالة عدد» .

وقال الرجل :

ـ الله يعمر بيتك ياحاج رجب ويزيدك من نعائمه .. انا فى عرضك ، واطلب ما تريد ..

ـ ذلك يتوقف على الملف . اذا كان هبابا مليئا بالمصائب فربما لن استطيع شيئا ، ولايقدر على القدرة الاالله سبحانه وتعالى . على اى حال ثق اننى لن ادخر وسعا واطمئن .. سندبرها

ـ ولكن السيد المدير ..

ـ يارجل قلت لك اطمئن . ما دمت معى فلا تخف ونظر الى السفط وقال :

ـ وبماذا اتيت للمدير ..

ـ اشياء بسيطة جدا .. انه بلدياتى كما تعرف ..

فقال له رجب

ـ هات السفط وتعال .. سننتظر فى غرفة الانتظار حتى ينصرف الناس ، ثم نتغذى بهذا السفط ثم نرى .

* * *

وانصرف الناس وخلا المكتب وقال رجب لمساعده أو زميله محمود سعفان الفراش مثله

ـ اذهب انت يامحمود فساخذ انا نوبة الظهر والمساء .. لااريد ان ارى وجه «الحرمة» اليوم . ضربتها وشتمتنى فاقسمت الا اعود الى البيت اليوم ..

وقال الفراش :

ـ اعانك الله على هذه العقرب ..

فرد رجب :

ـ واعانك انت على الحيتين فى بيتك

وكان هذا الفراش الثانى محمود سعفان متزوجا من اثنتين وضعهما فى مسكن واحد ، فهو لاينجب . وكان امله عريضا فى الثانية ، ولكن الامل خاب وظل عاقرا . اتحدت المراتان عليه .

واقفل الحاج رجب الفراش الباب وفتح السفط واقبل يلتهم يلتهم كل شىء كانه لم ياكل من اسبوع .. اكل دجاجة كاملة وثلاث بيضات وجبنا ونصف الخبز ، واكل معه صاحبنا اكل المقتصد . ثم غطى رجب السفط وحمله بما بقى فيه . اصبح ملكه وقال للشيخ حسن سالم عبد الواحد

ـ ورائى ..

ـ الى اين ؟

ـ لاتسال : ورائى ولاتتكلم

* * *

كانت الساعة الرابعة بعد الظهر عندما انحدر الى الدور الأرضى فى الادارة العتيقة الواقعة خلف المبنى الرئيسى للوزارة . هذا المبنى العتيق خال الآن من الناس تماما .

لقد اخذ رجب نوبة بعد الظهر من زميله ولم يعد هناك خوف من ان يمر احدً . هنالك شاويش الحراسة ولكنه دائما هناك عند مبنى الوزارة .. إنه نادرا ما ينظر الى هذا المبنى العتيق وإذا حدث واتى فان سيجارة تعيده الى مكانه . وانه يعرف عم رجب . كل الناس يعرفون عم رجب . هبطنا سلالم كثيرة وافضينا الى باب . اخرج رجب حلقة مفاتيح وفتح الباب . بيده مفاتيح الادارة كلها .. هذا باب الارشيف . هنا الملفات كلها .. بعد انصراف الموظفين يبدو مخزن الارشيف وكانه قبر فرعونى عقب زيارة لصوص..

كانت النوافذ مغلقة والظلام دامسا . ادار عم رجب مفتاح النور وانتشر فى القاعة الواسعة ضوء باهت ينبعث من مصباح عجوز .. على الضوء الباهت الكابى راى الرجل منظراً رهيبا . دواليب تغص بالملفات . كل شىء مغطى بالتراب كان هذه الغرفة اقفلت من ايام تحتمس الثالث . واثناء السكون الشامل ترامى فى إذنيهما اذان العصر فقال رجب :

ـ صلاة العصر قبل كل شىء .. الا زلت على وضوئك ياحاج ..؟

ـ ايوه ياحاج رجب .

ـ اما انا فمتوضىء دائماً .. لا اخرج من بيتى إلا طاهرا .. وإذا نقض الوضوء اسرعت فجددته . هذه سنة .

وبعد لحظة صمت قال لصاحبه :

ـ نصلى العصر .

ـ على بركة الله .. وفى خشوع صليا العصر .. قام رجب بدور الامام ..

بعد الصلاة اشعل رجب سيجارة وقال :

ـ هذه هى ملفات الوزارة ثم ضحك وقال :

ـتصور يا سيد ان هنا ملفات العاملين جميعا من الوزير الى الخفير .. كل ملف هنا بانسان .. كلنا هنا ملفات . كل موظفى الوزارة ملفات .. اليس هذا شيئا مضحكا ان تكون فى هذه المقبرة اسرار الوزارة كلها .. هنا لابد ان يكون ملف ابنك .. الشيطان نفسه لا يعرف كيف يستخرجه . مدير الارشيف لا يستطيع ان يستخرج ملفا إلا بعد ايام .

ـ إذن من يستطيع ؟

ـ رجب .. محسوبك رجب .. إيدك على ثلاثين جنيها ..

وتردد الرجل . فظل رجب ثابتا كالجبل واثقا من ان الجنيهات التى طلبها ستصير إليه . واخرج الرجل الحافظة وناوله الثلاثين جنيها وهو مبهور وسال رجب :

ـ تقول إن ابنك كان هنا فى الوزارة قبل ان ينقل

الى الأرياف كاتبا فى حسابات الادخار فى المديرية ؟

ــ اجل .. نقل من هنا فى شعبان ونحن الآن فى ذى الحجة ..

ــ وفى هذه المدة القليلة استطاع ان يختلس .. لابد انه مجرم اصيل ..

واضاف رجب :

ــ فى اية ادارة كان .. ؟

ومد الرجل فى جيبه واخرج ورقة ناولها لرجب وقال :

ــ خذ هذه الورقة .. فيها وظيفته وعمله ..

ونظر رجب فى الورقة فلم يـر شيئا .. فسار حتى اصبح تحت المصباح الكابى واخرج النظارة ومسحها باصابعه ثم بمنديله القذر ثم قال :

ــ محمود حسن عبد الواحد .. هذا اسمه ؟

ونظر رجب فى الورقة وقال :

ــ الوظيفة مساعد فى قسم النقليات ..

ــ هذا كان عمله هنا قبل ان ينقل الى المحلة .

ونظر رجب الى تلال الملفات ، ثم اتجه نحوها وقلب هنا وهناك .. انطلقت اسراب الصراصير تجرى هنا وهناك .. رجب لا يخشى الصراصير .. إنه يزيحها فى رفق . كان يبحث كانه «حاوى» من الرفاعية يستخرج ثعبانا من بيت . بعد نصف ساعة اتجه الى ركن وتناول ملفا وقال :

ــ هنا ملفات النقليات .. بسم الله الرحمن الرحيم .. يامعين .. بعد نصف ساعة اخرى اخذ ملفا وقرا ..

ــ محمود حسن عبد الواحد .. هذا ملف ابنك ..

ــ الحمد لله .. ما اكرمك يارب ..

ــ ووضع رجب الملف تحت ابطه واشعل سيجارة وقال :

ــ إيدك على ثلاثين جنيها اخرى ..

ــ ليس معى إلا عشرون ..

فقال فى وقاحة :

ــ ارنى المحفظة ..

وناوله المحفظة بكل ما فيها ..

ــ دع لي عشرة جنيهات ابيت بها حتى اعود الى البلد .

فاعطاه رجب عشرة جنيهات والمحفظة الخاوية ودس الباقى فى جيبه وهو يقول :

ــ تصدق بالله .. هذه النقود اجمعها للعمرة .. إنه تقليد فى اسرتنا : نحج مرتين ونعمل ثلاث عمرات .. إلى الآن اتممت الحجتين وعمرتين .. بقيت العمرة الثالثة .. انت عملت الآن عملا يحسب لك حسنه .. وانا ايضا ساعمل لك خدمة إنسانية والناس بعضهم لبعض .. تعال ياحسن انت رجل طيب وربنا يحبك .

وجلس رجب على الأرض تحت النور ، واخذ يتصفح الملف ، ثم نظر الى الرجل وقال :

ــ هذا ملف قاطع طريق .. هذا لا امل فى اصلاحه

ــ فى عرضك ياعم رجب ..

ــ ثلاثة انذارات غياب متكرر بدون إذن وخصم من المرتب ثم هذا الاختلاس المهبب .

ــ فى عرضك ياعم رجب .

ــ امرنا لله .. تعال معى ..

سار رجب والرجل وراءه بالسفط فى يده كانه خادم يسير خلف كاهن عظيم .. اخرج الكاهن حلقة المفاتيح وانتقى منها واحدا وفتح بابا .. هذه غرفة مدير الارشيف ..

جلس رجب على مكتب المدير واضاء مصباح المكتب وفتح الادراج واخرج اختاما واوراقا وقال

ــ ما رايك فى ان نعمل لابنك ملفا جديدا . الترقيع هنا لا ينفع .. سنحتفظ بالغلاف وشهادة الميلاد وامر التوظيف ثم نغير باقى الملف .. علمتنى التجربة أن الترقيع لا ينفع .

وقال الرجل :

ــ ما رايك فى ان نخفى الملف تماما .. ؟

ــ يا عبيط .. فى هذه الحالة تدخل ادارة الارشيف كلها فى سين وجيم ، وتعلق مسالة إبنك حتى يعثروا على الملف الضائع ..

وجعل عم رجب يعمل كانه كيميائى يحضر ادوية .. يطيل النظر فى كل ورقة ثم يمزقها او يعدل فيها .. قد يضع اخرى مكانها .. كان يعمل فى تؤدة وصبر وخبرة ..

مسح كل السيئات . لم يبق فى الملف إنذار واحد ولا لفت نظر ولا جزاء .. مكان كل ورقة وضع رجب ورقة اخرى اخرجها من الادراج وملاها وختمها ومسحها بالتراب لتبدو قديمة . استغرقت العملية اكثر من ساعة حتى نعس الرجل وهو جالس .. ثم اعاد رجب تركيب الملف ورقة ورقة ثم نظر الى الرجل الناعس على الأرض وقال :

ــ اصح يا اخينا ..

وبلهجة فلاحية وصوت اجش من النوم قال الرجل .. :

ــ هاانا صاح ..

وقال الساحر العظيم :

ــ إنت رجل طيب .. اريد ان اكافئك ..

ــ امرك يا عم رجب ..

ــ إيه رايك نعمل مذكرة بطلب مكافاة تشجيعية لابنــك ؟

وصاح الرجل :

ــ فى عرضك يا عم رجب دع الولد فى حاله .. كفاية كده .. الولد سيرته كالهباب ولو طلبنا له مكافاة سينكشف الموضوع .. ماذا فعلت فى اوراق التحقيق معه ؟

ــ هاهى وجدتها على مكتب مدير الأرشيف واشرت عليها بالحفظ والاكتفاء برد المبلغ وتوجيه لفت نظر ووضعتها فى الملف . وبذلك يكون الموضوع قد نام .

وقال الرجل :

ــ ولكن الناس ينتظرون قرار الوزارة...

ــ اية وزارة يا سيد ؟ .. هذه بوابة بدون بواب .. ها انت ترى : مدير الادارة ذهب للحج ولن يعود قبل شهر ، ووكيل الادارة مريض فى بيته وقد اعطوه اجازة طويلة ، ووكيل الوزارة المساعد ذهب فى مهمة الى الخارج ، للتوقيع على عقود وتجهيز المحروسة ابنته التى ستتزوج إبن الوكيل ، ومدير الأرشيف سيحال الى المعاش بعد شهرين ووكيله ذهب الى الحج مع مديرنا .. هذه دنيا لا يعلم بها إلا خالقها ، فهل فى هذا كله سيفكر احد فى امر ابنك الذى سرق ثلاثة تعريفة .. إذهب انت وقل لهم أن الوزارة تدرس الموضوع وسترسل إليهم القرار ..

ــ ولكن هذا القرار لن يصل ؟

ــ طبعاً لن يصل ، وبعد شوية ينسى الناس الموضوع كله ويواصل ابنك العمل كان شيئا لم يحدث .. هذه طريقتى فى معالجة هذه المسائل..

ثم سكت قليلا وذهب الى المكتب وجلس إليه وكتب شيئا فى ورقة وناولها للرجل وقال :

ــ خذ . قل لهم هذه هى تاشيرة الوكيل نقلها لك واحد كبير هنالك من واقع الملف . إنها تقول حرفيا (يقرا) بعد الاطلاع على التحقيق تقرر أن يكتفى برد المبلغ وتوجيه لفت نظر للمذكور) الامضاء : وكيل الوزارة .

وناول الورقة للرجل وقال :

ــ تصدق بالله ياشيخ حسن .. ما فى هذه الوزارة إلا العبد لله . كل شيء اعمله بدقة واحكام ولو كان معك مائة جنيه لعملت قرار ترقية .

ثم اعاد النظر الى الملف وجمع كل ما نزع منه من اوراق وناولها للرجل وقال :

ــ هذه تحرقها .

ثم اخذ الملف ومسحه بالأرض ليبدو وكانه يدا لم تلمسه من شهور ، ووضعه حيث كان وقال :

ــ ياللـه يا صراصير الأرشيف .. شوفو شغلكم ..

ومضى والسفط فى يده والرجل خلفه . قبل أن يخرج تاكد من انه لم ينس ورقة أو ترك اثرا واطفا الأنوار كلها ثم اغلق الباب بالمفتاح وصعدا الى ظاهرالارض وخرجا الى الشارع .

وقال الرجل :

ــ يعنى .. اطمئن ياعم رجب .. ؟

عيب يا رجل .. معك كل ما يمحو اى اثر لما فعل إبنك وعندك تاشيرة وكيل وزارة تساوى الف جنيه .

واشعل سيجارة ثم مضى يقول :

ــ اسمع ياشيخ حسن بعد ان نفترق الآن لا انا اعرفك ولا انت تعرفنى . إياك ان تقول لاحد انك رايتنى او عرفتنى . إذا سالوك هناك فقل أن رجلا من مكتب الوكيل هو الذى اطلعك على قرار الوكيل ونقله لك على هذه الورقة ليطمئن قلبك حتى يصل القرار رسميا الى المحلة.

انت لا تعرف اسم هذا الرجل . وإذا سالونى عنك فانا لم ارك فى حياتى ولا عرفتك .. بهذا وحده تنجح المسالة .. حذار ان تفتح فمك الكبير هذا وتقول شيئا .. فهمت ؟

ــ نعم فهمت ..

ــ ماذا فهمت ؟

ــ إنك صاحب فضل وربنا يعمر بيتك ..

ــ وانت ربنا يخرب بيتك .. الم اقل انك حمار ؟ حمار ..! يابنى ادم قلت لك إننى لا اعرفك ولا تعرفنى انت لم ترنى وانا لم ارك .. فهمت ..؟

ــ ايوه .. الآن فهمت .

ــ ذنبك على جانبك .. لقد حذرتك

ــ ربنا يستر ..

ــ خليها على الله .

وسلم الرجل واراد ان ينصرف . ولكن رجب ناداه وقال :

ــ الا نصلى المغرب يا رجل ؟ لقد وجبت من دقائق . ان المغرب جوهرة يلتقطها من يصليها فى وقتها ، تعال نلتقطها قبل ان تفوت .. وسار الاثنان على مهل نحو الجامع ..

رجب يحمل السفط فى جيبه والرجل منكسر ذليل يسير خلفه خالي اليدين والجيب ودخلا المسجد ووقفا فى الصف خلف الامام .

النور عثمان أبكر

مواقف ثقافية

الوفاء لذاكرتنا

يقول شيخى المجذوب ، متعه الله براحة البال ويسر الحال والعافية .. يقول ما يفيد بان القديم وحده لايجدى ، والمحدث وحده لاخير منه ، وجماع ما يختزنه المفكر من اصالة ، وما يحققه لنفسه من معرفة تتصل بعصره هو ما ينجز إضافة ثقافية جديرة باعتبارنا .

إن رؤوس الفكر لايمكن تكرارها ، ولكن استدعاءها ممكن ، والتشبع بالثابت والمتحول من رؤاها ميسر ، وتجاوزها ضرورة ، حتى يتم تمكين جدوى اتصالنا بها . ومعرفتنا لها ، ونمونا بدءا منها نحو شمس اقدار بكر .

إن الحساسية الثقافية المعبرة عن زماننا هى تلك المشبعة بعلم هذا العصر دون اغفال لقضايا هذا الزمان ومشاغل ومتاعب وافراح ونضال انسان هذا العصر ، وزمانها فى أوطاننا زمان تحول كبير فى الاخلاق والعلاقات ، وتبدل فى نوعية المشاعر والافكار والقيم . لايفيدها كثيرا أن تكرر الماضى ، ولايحسن بها أن تتابط عصا التقليد الأعمى المنقول عن آخرين . يومها هو يوم كريهة الابداع ووحشة منفى الايمان بضرورة تغيير وجه الحياة لتنبيه الغافلين عن قيم الانسان والحياة .

إن الموقف الأصيل تجاه الموروث الانسانى يؤكد أن الشجرة الحصيفة لاتنحنى لالتقاط ما سقط عنها من أوراق بل تعتمد الجذور المخصبة الحية لتنبت فى وفاق مع الشمس والموسم والرياح المخصبة ما يجلوها مثمرة .. معطاءه .

لقد فتح علم الوراثة والابحاث الجارية فيه الآن بابا علينا أن نتدبر انطلاقا منه موقفنا من مسألة التراث والتقليد الفكريين العربيين .

فالموقف الفكرى العربى فى بداياته المشرقة قد اتسم بتفهمه العميق للحوار والأخذ والعطاء وفق منطلقاته السمحة . وكان سريع التعرف على ما يغذى قناعاته ـ جذوره فافاد من علوم نشات فى غير تربته ، ولقح علوما ومعارف زكت فى وعى غير أهله ، وأثمر علوما تغذت بها جذور القدرات الفكرية والعلمية عند غيره .

ولذا فان البحث عن الهوية الفكرية والثقافية لابداعنا لم يعد مجديا من منطلق الحفاظ على ما تم انجازه ، أو من اندفاع نحو هجره ونبذه ، والانحياز لشكل أو آخر من ذلك الكم الهائل مما يغتر بعضنا بابرازه كنتاج انسانى رائع لانكتم فرحنا به لاتصاله بعصر الطاقة الكبرى وثورة المواصلات والسيبرنتيك والانطلاقة غير المحدودة عبر الأكوان لمعرفة أصل الوجود الفلزى والجينى للعالم .

طويل مدخلي الى ما أريد الاشارة العابرة اليه : ازمة التوزع بين الاصالة والتجديد .. والبحث عن مهارة ابداعية تفضي بنا الى تجويد ما يلتزمه المثقف العربى فى الخمس الاخير من القرن العشرين ميلاديا .

لقد استبد بنا هوس احياء التراث دون أن نجتهد قليلا فى الاشارة الى استحالة ذلك .لايمكن لفعل خارجي ارادي ان يسترد ما لم يفقد !

ان وجودنا الآنى هو ثمرة ذلك التراث الذى نبغى احياءه .. هو تلك الشجرة : التراث .

ربما لم يرضنا ما صافح اعيننا حين نظرنا ملامحنا ودواخلنا فى مرآة العصر .. أى عصر التكنولوجية كما يقول المتكسبون من وراء نقلها الى العالم الثالث ، ربما نسينا أن هذه النعمة ـ الآفة الحديثة هى نتاج دهور من الصراع والاستغلال والاستلاب مارسها جزء معين من العالم ضد بقية شعوب وحضارات العالم .

وهذه الحقيقة نفسها تنطوى على كوننا شاركنا ـ ايجابا وسلبا ـ فى صنع العالم الحديث بكل ما يفاخر به غيرنا من انجاز فى مختلف المجالات . وان كنا ننكر بعض قواعد ومظاهر ما انتهى اليه ذلك الانجاز فذلك لأننا ـ دون وعى بصير ـ نحس بان البناء الفوقى والأثر النهائى لمردود ذلك الانجاز لايمتان الينا بصلة ، وان عصارته فى التحليل الأخير لاتحمل لشعيرات جذورنا الرحيق الذى يغذى شوقها الى الشمس والمخ الطيب .

وان كنا نبرمج لتحديث عوالمنا للتكيف مع طفرة التقدم فى هذا المجال لكى لانوصم بأننا غير متمدينين ، فذلك لن يعفينا من الانتباه الى ذاكرتنا وذاكرة خصائصنا ، وذاكرة الأشياء فينا .

ان احياء الذاكرة والانجذاب نحو بؤرة حقيقة تكويننا هو ما ينبغى أن نستهلك أوقاتنا فيه للوفاء لأنفسنا بحقها فى فسحة من النقاء فى زمن التلوث الحضارى المعاصر وضروب استهلاكه الفارغة .

نعمان عاشور

لقاء مع
محمد مندور
القلم المناضل

زهد مندور فى الحياة الأكاديمية الجامعية بعد أن جذبته الحياة العامة والكتابة الصحفية

بعد حصولى على شهادة البكالوريا وهى مايعادل حاليا فى شهادات التعليم عندنا ما يسمونه بالثانوية العامة .. صمم والدى رحمه الله أن يدخلنى كلية الحقوق .. وبالفعل صحبنى للقاهرة وقدمت اوراقى لالتحق بها وادرس القانون وأمضيت بضعة اسابيع فى الحقوق كانت من اتعس أيام حياتى التعليمية .. ولانى كنت أقيم بالقاهرة وحدى واقطن حى الجيزة مع بعض التلاميذ من ابناء بلدنا .. أتيح لى أن احتك بالعديد من العاملين بالجامعة .. جامعة فؤاد .. وكانت هى الجامعة الوحيدة فى القطر كله .. وذات مساء جلست احتسى الشاى على الرصيف الواسع لقهوة عبدالله الشهيرة .. وكان يجاورنى مسجل كلية الاداب الذى يقطن فى نفس الشارع الذى يقع فيه مسكننا .. وكنت قد لقيته أكثر من مرة وانا اشترى حاجياتى من البقال وكان يعرف انني من طلبة الجامعة الجدد ولكنه لايدرى اننى فى كلية الحقوق .. أيامها كان عددنا قليل جدا .. لايتجاوز مائة طالب جديد فى كل كلية .. ويبدو أن الرجل لاحظ على الوجوم والحزن وانني افرط فى التدخين .. واقترب منى ولكنه لم يحاول أن يسألنى عن كليتى وانما عن البلد الذى اتيت منه فقد كان من الواضح انني لست من ابناء القاهرة .. واتضح انني جئت من بلد قريب لقريته وانه يعرف عمى وبعض اقاربى وفى الحال ربطتنا صداقة مفاجئة .. كان من نتيجتها انه راح يستشف سبب حزنى ووجومى وسر تعاستى .

الظل الوارف لطه حسين

كانت المفاجأة الاولى حين عرفت أنه مسجل كلية الاداب .. والمفاجأة الثانية انه من اقرب المقربين للعميد الدكتور طه حسين وفى الحال صارحته بما اعانيه فقد أجبرنى والدى على دخول كلية الحقوق ودفع لى المصاريف وسجلت واصبحت طالبا فيها . ولكنى لاأطيق الجلوس الى مقاعدها والاستماع لمحاضرات الاستاذة فيها .. فأنا لست صاحب عقلية قانونية وحياتى وكل امالى معلقة بدخول كلية الاداب .. واخذ الرجل اسمى بالكامل والصف الدراسى الذى ألحقت به فى كلية الحقوق وطلب أن ألقاه غدا مباشرة فى كلية الاداب .. فرولت فى صباح اليوم التالى مسرعا الى مكتبه فوجدته فى انتظارى .. وكان قد اجرى اتصالا هاتفيا مع زميله مسجل كلية الحقوق وحدثه عنى وعن حالتى . وحصل منه على الدرجات التى نلتها فى العلوم المختلفة فى شهادة البكالوريا .. واخبرنى انها تتناسب مع وجودى أو على الاصح الحاقى مباشرة بكلية الاداب خاصة بالنسبة الى درجات اللغات والفلسفة والتاريخ .. واذن فليس هناك عقبة وأن فى امكانه تحويلى للآداب لكنه لايستطيع الا اذا حصلنا على موافقة والدى .. واسقط فى يدى فخاب أملى من جديد ولكنى لم أيأس فأفهمته بأننى ساقدم على تحويل أوراقى ثم اخطر والدى فأنا لست صغيرا وهذا هو مستقبلى .. واذكر اننى بكيت .. كان الرجل فى غاية الطيبة والسماحة فربت على كتفى فى حنان وقال أنه سيتحمل المسئولية امام والدى مستعينا بعمى الذى يعرفه والذى كان زميلا وصديقا له فى الدراسة الابتدائية بمدرسة بلدنا .. ثم تركنى الى الغرفة المجاورة ولكنه لم يغب طويلا وسرعان ما عاد وأخذنى من يدى فاذا أنا وجها لوجه داخل الغرفة التى يتصدرها مكتب العميد .. الدكتور طه حسين يسألنى لماذا اريد أن التحق بكلية الاداب وماهى الكتب التى قراتها من كتب الادب كانت مباغتة مذهلة .. ولكنى لم اتلعثم فلما انهيت إجابتى قال طه حسين كلمته الحاسمة التى قالها والتى لم أنسها طوال عمرى .. يقبل فورا بين طلبة الكلية .

نصيحة مندور

على ضوء هذا الاستطراد أدخل بكم الى لقائى بمندور . ففى العام الثانى مباشرة من التحاقى بالآداب كان المرحوم الدكتور مندور أو الاستاذ محمد مندور لأنه لم يكن قد حصل على الدكتوراه بعد .. كان يدرس لنا الترجمة من الانجليزية الى العربية وقد اختار لذلك المرثية الشهيرة للشاعر جراى وكنت انا كثير الكلام وكثير الشغب .. فلما انتهت الحصة استبقاني أمام المنصة لينصحنى لا بأن أكون أكثر هدوءا ولا بأن أكون أكثر طوعا .. ولكن بأن اسارع الى ترك كلية الآداب والالتحاق بكلية الحقوق لأنني اصلح أن أكون محاميا ولايمكن أن أصبح مفكرا أو أديبا . ذكرته بذلك بعدها بسنوات فضحك ساخرا وكشف لى سبب نصيحته فقد كان هو نفسه طالبا بالحقوق وقد ارسل فى بعثة لدراسة القانون وحصل على شهادة تبيح له امتهان المحاماة .. ولكنه وبفضل طه حسين أيضا مدت له البعثة فى باريس بعد لندن لدراسة الاداب .. غير أن وقوع الحرب العالمية الثانية اضطره للعودة الى مصروقطع البعثة هو وعدد لابأس به من المبعوثين كان بينهم .. الدكتور على حافظ والدكتور محمد القصاص وغيرهما .. وكانوا مجموعة من الشبان الجدد أحدث الحاقهم كمعيدين بكلية الآداب بضغط من طه حسين وفى مقابل أجر بالحصة اذ لم تكن خصصت لهم درجات فى ميزانية الجامعة .. أحدث دوياكبيرافى الدوائر الادارية بالجامعة .. فعاشوا فى

محمد مندور

سنواتهم الاولى اقرب الى الطلبة منهم الى الاساتذة واندمجوا بالفعل فى الحياة الطلابية سيما وانهم كانوا يعيشون معنا فى نفس المساكن والحجرات بحى الدقى والجيزة .

صديق واستاذ

وهكذا عرفت مندور صديقا اكثر منه استاذا .. وكان مندور هو الوحيد بينهم الذى لم تسعفه الاقامة فى باريس للحصول على درجة الدكتوراه فى الآداب .. ذات مساء فوجئت به يجلس بيننا فى مقهى عبدالله بالجيزة وتناول معنا عشاءه من سندويتش الفول والطعمية .. ثم يدعونا انا والصديق الراحل انور المعداوى لزيارته فى منزله . وكان قد وقع على شقة فى الدور الأول بعمارة جديدة على الشارع الرئيسى الذى يسير فيه الترام بجوار حديقة الحيوان .. كان ايجارها ثلاثة جنيهات ولكنها تقع فى المنطقة الارستقراطية من الحى .. ولم يكن مندور يكبرنا الا بسنوات قليلة او هكذا كان يبدو لنا بشخصيته وبساطته وكأنه زميل وليس استاذا يدرس لنا فى الجامعة بل اكثر من ذلك اننى كنت دائما وفى هذه السنوات الباكرة التى عرفته فيها استغرب أن يكون قد عاش فى لندن وباريس .. وهو على ما هو عليه ريفى كانه لم يخرج من القرية التى ولد فيها بالشرقية وكنت استغرب حين اسمعه يتحدث بالانجليزية او الفرنسية لأنه كان ينطقها بلهجة فلاح أصيل .. وكأنه تعلمها فى كتاب القرية ولم يدرسها فى اكسفورد أو السوربون .

الشعر المهموس

شئ آخر عن مندور فى تلك الفترة .. انه كان يحب المناقشة وكثرة الحوار كما لو كان يريد أن يعرف ما فاته معرفته من خبايا حياتنا الثقافية والاجتماعية اثناء غيابه فى

بدأ نشاطه الأدبى فى مجلتى الرسالة والثقافة . ثم شغف بدراسة الشعر المهجرى .. وله فى ذلك كتاب "الشعر المهموس" الذى أحدث دويًا فى حينه

الخارج بوصفنا أكثر منه احتكاكا بالبيئة .. وفى تلك الفترة ما بين أعوام ١٩٤٠ الى ١٩٤٥ ورغم الاحكام العرفية واستمرار الحرب العالمية .. بدأت تظهر فى مصر دعوات عصرية جديدة وجريئة تتبلور فى جماعات مختلفة تنادي جميعها بالاشتراكية وكان مندور منصرفا أيامها لدراساته الأدبية واستقراره العائلى فتزوج وانتقل ليقطن فى حى الروضة .. لكنه لم يبتعد أبدا عن الكلف والاهتمام بكل ماتفيض به حياتنا الفكرية والثقافية من تيارات .. بدأ أولا بنشاطه الادبى فى مجلتى (الرسالة) و(الثقافة) يكتب العديد من المقالات ثم شغف بدراسة الشعر المهجرى فكانت النتيجة أن نشر عنه كتابة الشهير (الشعر المهموس) الذى أحدث دويا غير منكور فى الاوساط الادبية حينذاك فلفت اليه الانظار كناقد مجدد خلاق .

الكتابة الصحفية

زهد مندور فى الحياة الاكاديمية الجامعية بعد سنوات قليلة وشجعه نجاحه فى الكتابة بالصحف والمجلات ونشره لاكثر من مؤلف وكتاب ان يحاول الانفصال عن الجامعة والاشتغال بالحياة العامة والكتابة الصحفية . ولكن عقدته انه لم يكن قد حصل على الدكتوراه بعد .. ولذلك ظل ملتصقا بالجامعة حتى اجيزت رسالته فى الدكتوراه عن (الجرجانى) باشراف استاذه طه حسين ... بعدها كان من السهل على مندور أن يترك الجامعة غير نادم وغير آسف وجاء ذلك نتيجة لانغماره فى الحياة العامة وتأثره بالتيار الاشتراكى القوى الذى غير الحياة الثقافية على نهاية الحرب العالمية الثانية .

عن الاصلاح الاجتماعى

ولذلك لم يكن غريبا ان يحل عام ١٩٤٥ ومندور يرأس تحرير جريدة (صوت الأمة) المعبرة عن حزب الوفد ... ويصبح فى نفس الوقت على رأس الجناح السياسى التقدمى الذى برز داخل الوفد . انشغل مندور تماما بالنشاط السياسى والعمل الصحفى وهجر الكتابة الادبية والنقدية ... ونجح فى الكتابة السياسية نجاحا غير مسبوق . كان الوفد بعيدا عن الحكم وقد اشتد الصراع بينه وبين السراى والانجليز ... وبدأ النشاط الثقافى الذى يغمر الحياة العامة فى القاهرة وكانت تضم أيامها عشرات الروابط والاندية الثقافية بدأ يتحول الى نشاط سياسى يطالب بجلاء الانجليز بعد اقرار السلام وانتهاء الحرب ويدعو الى الاصلاح الاجتماعى وهى دعوة كانت تلتف كلها حول الأخذ بمبادىء الاشتراكية ... واحتضن حزب الوفد هذه الدعوة وكان مندور يبلورها فى كتاباته السياسية الواضحة وبأسلوب متطور يعتبر ابسط وارشق الاساليب فى الكتابة السياسية على حد ما وصفه يوما يحى حقى . وهكذا أتسعت دائرة شهرته ومكانته حتى أن باعة الصحف انفسهم كانوا ينادون عليها فى كل مكان بهذا النداء المثير ... (الدكتور مندور) اقرأ مقال الدكتور مندور بدون ذكر اسم الجريدة التى يكتب فيها المقال ومن المؤسف ان هذه المقالات الرائعة التى طرق فيها مندور معظم القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية لم تجمع حتى الآن رغم اهميتها وقيمتها ورغم أن معظم هذه القضايا لاتزال تكون الاساس الفعلى لكثير من المشاكل التى لاتزال معلقة فى حياتنا العامة الى اليوم واخصها قضية الحرية والديمقراطية والاصلاح الاجتماعى فضلا عن القضية العربية الكبرى ... قضية فلسطين ... اصبح مندور من هذه الفترة يعرف بأنه وفدى ولكنه فى الواقع لم يكن كذلك وكان دائما يشكو من أن تلصق به هذه الحزبية لانه كان يؤكد دائما (أنا اشتراكى ومع الاغلبية ولان الاغلبية مع الوفد ... فأنا وفدى بهذه الصفة فقط) ... وبتلك العبارات دافع مندور عن نفسه حين حاولوا استبعاده عن الكتابة بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ واعتبروه مع رجالات الاحزاب البائدة المحرمة

السياسى الأديب

زاد التصاقى بمندور فى تلك الفترة لأننى كنت قد انغمست فى الكفاح السياسى

احمد حسن الزيات

ارثر ميللر

نجيب محفوظ

شأن كل المثقفين واقف مع الجبهة التى تنادى بالاشتراكية وذات ليلة وكان ذلك عام ١٩٤٥ اشتاق مندور الى جلسة أدبية فاذا به يهل علينا ونحن جلوس فى المقهى العتيد (قهوة عبد الله) وكانت جلسة استمرت حتى الصباح تقريبا ... أيامها كنت أكتب فى مجلة (الفجر الجديد) سلسلة مقالات محاولا تفسير أدبنا الحديث على ضوء جديد يكشف عما فيه من مضمون تقدمى . وهذه المقالات استرعت نظر مندور فما كان منه الا أن دعانى للكتابة فى (صوت الأمة) ... ولما صودرت مجلة (الفجر الجديد) احتضن مندور كتابها وأنا منهم ...كانت جريدة (صوت الأمة) تصدر فى ورقتين من ثمان صفحات فبدأت انشر فى صفحاتها الاخيرة المخصصة للكتابة الأدبية والثقافية بعض قصصى القصيرة ثم تلوتها بتلخيصات لعديد من الروايات العالمية

فى غياهب السجن

فى عام ١٩٤٦ كان الصراع السياسى فى مصر بلغ اشده فانفجرت الهبات السياسية داخل الجامعة وتكونت لأول مرة مايسمى بالجبهة الوطنية للعمال والطلبة وقامت الاضرابات فى المصانع واعقبتها المظاهرات فى الجامعة ... وكلها كانت تطالب بما جاءت تطالب به بعد ذلك وتحاول تحقيقه ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إنهاء الاحتلال الانجليزى وتحقيق العدالة الاجتماعية وهكذا وقعت مذبحة كوبرى عباس الشهيرة وتولى صدقى باشا الوزارة وبضربة واحدة اغلق كافة الصحف المعارضة وأولها (صوت الأمة) وقضى على جميع الهيئات والروابط والجمعيات الثقافية ثم القى القبض على أكثر من مائتى كاتب ومفكر وصحفى منهم بالطبع مندور وسلامه موسى وزكى عبد القادر ... وكنت من بين المقبوض عليهم، اودع أغلبنا فى سجن (قرميدان) فى ساحة القلعة .. كانت حملة غريبة ومريبة للقضاء على الحركة الوطنية والحركة الثقافية التى تساندها وتدعمها فكريا ... وكان المقصود بها لامجرد تكميم الافواه وانما الغاء الدستور والتفاهم مع الانجليز وتشتيت الوحدة التى اخذت تتكون بين الطلبة والعمال ولكننا سرعان ما خرجنا من السجون بعد اسابيع قليلة بفضل رجال العدالة وتمسك القضاء نفسه بما تتيحه القوانين من ضمانات للحرية .

مندور محاميا

خرج مندور مرفوع الرأس ليتولى رئاسة تحرير جريدة (الوفد المصرى) التى حلت محل صوت الأمة الملغاة .. وعدنا لنكتب فيها ولنوسع من دائرة العناية بالثقافة لدرجة إصدار مجلة تابعة للجريدة،للقصة القصيرة والشعر .. لكنها جميعا لم تستمر لأكثر من عام ثم اغلقت بأمر عسكرى نتيجة لاعادة فرض الاحكام العرفية على البلاد بعد الهبة الجارفة التى قامت فى الجامعة وقتل فيها الكثيرون فيما عرف بمعركة (كوبرى عباس) بعدها دب الخلاف فى داخل حزب الوفد وانقسم الى جناحين تزعم مندور الجانب اليسارى هو والشاعر المحامى المرحوم عزيز فهمى وخرج على القيادة الوفدية التى اخذت تسعى الى التفاهم مع السراى وأحزاب الأقلية ... وبدأت محاربة مندور فى رزقه فحرموا عليه العودة الى الجامعة ومنعوه من الاشتغال بالصحافة ..وكان مندور كما قلت قد عاد من الخارج وهو يحمل شهادة فى القانون تؤهله لأن يكون محاميا . ولذلك سرعان ما فتح مكتبا واشتغل محاميا ... لكنه لم يوفق فى هذه المهنة الجديدة فعاد الى الكتابة الأدبية والنقد وأيامها أخرج العديد من الدراسات عن شعر شوقى والبارودى ومسرحيات عزيز اباظة وغيرها ... كانت سنوات قاسية انحصر خلالها نشاط مندور على ما كان يستطيع نشره من بحوث ومقالات نقدية وأدبية ... وطال به الحال على هذا الوضع حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ وأخذت منه فى البداية موقفا برغم أنه من رجالات عهد الأحزاب ومن أشياع النظام البائد .

النقد المسرحى

كانت لطمة قوية ولكنها لم تقعد الرجل عن الكتابة ... إذ أن مندور يتميز الى جانب الصلابة والعناد برحابة الأفق .. وفى هذه الفترة راحت تتفتح طاقاته النقدية المستمدة من ماضيه الثقافى وسعة إطلاعه وكثرة قراءاته .. وسمح له بالكتابة فى المجلات الأدبية ، وشيئا فشيئا أخذت مقالاته تتفتح عن اتجاهات جديدة فى تفسير الأدب وملاحقة الانتاج الأدبى الذى واكب ثورة ١٩٥٢ من بدايتها فلما قامت الحركة المسرحية الجديدة التى ازدهرت فى أواخر الخمسينات ظهر مندور على رأس الحركة النقدية المساندة للنهوض المسرحى .. وكان من نتيجتها انه قام بالتدريس فى معهد الفنون المسرحية .. واصبح من الأعضاء الدائمين فى اللجان المسرحية واحتضنت وزارة الثقافة جهود مندور فى الكثير من نشاطها الثقافى لكن النظرة اليه كواحد من رجالات الاحزاب السياسية القديمة المنحلة ظلت عالقة به حتى عام ١٩٦٠ حين انضم الى هيئة تحرير جريدة الجمهورية ليصبح واحدا من كتابها الأدباء ... لأنه كان قد هجر الكتابة السياسية نهائيا

النقد « فن خالص »

وطبيعى أن التحمت بمندور فى هذه الفترة كما لم التحم به من قبل إذ كنت بدأت الكتابة للمسرح وكان هو أول المشجعين لي

والمدافعين عنى ... كنا نلتقى دائما وقد تعودنا فى أغلب الأمسيات أن نتعشى معاً فى مطاعم الكباب المشوى . وذات ليلة وبعد أكلة دسمة صعدنا بسيارته الى ربوة الهرم . وجلسنا على حافة مرتفع من نتوءاتها تطل على القاهرة وراح يبدى عجبه من القدر الذى جعلنى أكتب للمسرح .. وكيف فكرت فى ذلك ؟ لم يكن ينكر علي موهبتى فى الكتابة وقدرتى على الترجمة واجادتى للقصة .. لكن ماالذى جعلنى استبق التيار الأدبى والكتب المسرحية .. ثم انفرد بالكتابة وحدى لعدة سنوات .. ولم استغرب الاسئلة المتلاحقة . ولكنى ذكرته بتمثيلياتى الاذاعية التى كان كثيرا ما يعجب بالاستماع اليها . غير أنه لم يقتنع إلا بعد أن أخبرته أن الكتابة لبلمسرح جاءتنى بغته بعد اقتناعى بأن الكتابة الاذاعية مجهود ضائع فى الهواء . وشجعنى عليها ايمانى بالكلمة المكتوبة الثابتة وما اكتشفته فى نفسى من موهبة درامية كامنة ... وذات مرة كان يناقشنى فى حلقة من حلقات البرنامج الثانى فى الاذاعة عن مسرحيتى (الناس اللى فوق) وحاولت ان ارد على بعض ملاحظاته .. فأسكتنى (اسمع .. ارجوك .. أنت أخيب واحد فى الدفاع عن اعمالك لأنك لاتدرى قيمتها .. اتركنى افسر لك ما أمدتك به موهبتك) .. ولم اغضب لهذا الردع لأنى كنت اثق دائما فى سلامة تقديره وحسن نواياه .. فالرجل كان دائما موضوعى النظرة ويرعى الانتاج الأدبى الذى يتصدى لنقده بحرص كبير وكان دائما ما يردد (أن النقد الحقيقى فن خالص ولذلك فلابد للناقد ان يكون صادقا لأن النقد خلق مكمل للانتاج الفنى ..)

وفاء مندور

كان من المحال أن أحاول الوقوف فى وجه هذا العنف فلم اسع للبحث عن عمل وقبعت فى البيت .. كانت الفترة عصيبة وهناك صراع حاد بين قيادات الثورة .. وكنت انا وغيرى من ضحاياه .. وانفض عنى الكثير من ألصق الأصدقاء بل ومن اقرب الأقارب خوفا من ان ينالهم الأضطهاد .. ماعدا رجلين اثنين الصديق الصادق الكبير نجيب محفوظ و محمد مندور .اتصل بى نجيب محفوظ تليفونيا بالمنزل من مكتبه فى الوزارة وكنت ازامله فى الوظيفة وراح .. يشجعنى على التماسك ويطلب الي برقته المعهودة أن اسمح له بزيارتى ليرى كيف يمكن مساعدتى وطمأننى على انها زوبعة فى فنجان وانها صادرة عن وشاية حقيرة ضدى . وبعد يوم واحد فتحت الباب لسائق سيارة مندور وكنا نطلق عليه لقب (السنى) واعطانى خطاب مرسل من الدكتور مندور وطلب الي أن افتحه فاذا بداخله شيك موقع من مندور وقال السنى ان الدكتور يرجونى أن اقبله واسحب به المبلغ الذى احتاجه من حسابه .. فلما سألته عن الدكتور قال أنه ينتظر فى الشارع تحت داخل السيارة .. وهرولت مسرعاً وورائى السنى لأجد الدكتور مندور يعتذر عن استحالة الصعود الى سكنى لأنى اقطن فى الدور الخامس .. ولكنه خرج من السيارة واقبل علي يحتضننى ويقبلنى فى حب ولهفة وعيونه تغمرها الدموع . وعبثا حاولت أن افهمه اننى والحمد لله لا احتاج لمال .. ورحت اشكره وانا أرجوه أن يأخذ الشيك .. وبعد مشادة طويلة أخذه ومزقه وهو يرجونى أن أواجه المحنة فى صلابة لأنى أكبر كثيرا منهم جميعا .

الرعاية الأدبية

أما انا شخصيا فلم آخذ المسألة على هذه الصورة المأساوية التى طافت بخيال نجيب محفوظ وسيطرت على وهم مندور فلم اكن وحدى الذى تعرضت أيامها لهذا الموقف . وإنما الذى اثار سخط مندور وشغل فكر نجيب محفوظ الخوف من أن اصاب بصدمة وان امتنع عن الكتابة للمسرح ..إذ كان مندور يعتبر نفسه دائما حارسا للمسار الأدبى . وبعد شهور التقيت بمسئول كبير اعتذر لى عما وقع وطلب الي أن اقبل العمل فى جريدة الجمهورية بمرتب يفوق مرتبى فى الوزارة أكثر من ضعفه .. ولكن بشرط ألا أوقع بامضائى على ما أكتب إلا بعد فترة حددها بستة شهور واستمرت اكثر من عام ... وذهبت الى مندور استشيره فنصحنى بالقبول . وأنهم لابد سيضطروا فى النهاية الى الافادة من اسمى الأدبى وشهرتى الكتابية ...

محاولة كسب مندور

الشىء الغريب بعدها مباشرة أن تطلب الي هيئة الاشراف على جريدة الجمهورية أن احاول اقناع مندور بحكم ما عرف عن صلتى به وصداقتى له بأن ينضم الى هيئة تحرير الجريدة ... ولم يكن فى ذلك أدنى تناقض لأن ما حدث كان نتيجة لما أسفر عنه صراع القيادة الحاكمة على السلطة .. وتغلب الجناح الذى يقوده عبد الناصر من أجل تحويل الثورة الى مسار جديد للأخذ بمبادىء الاشتراكية واصبح مندور استاذى وصديقى وزميلى فى العمل . وتقبل مندور وضعه الجديد بصدر رحب برغم انهم حددوا له مساحة صغيرة ليكتب فيها لا تتناسب مع مكانته واستاذيته ... وكان مندور أيامها يعانى من قلة الدخل والاعتماد على العمل بالقطعة أو بالمكافأة سواء فى معهد التمثيل أو فى ألاذاعة أو فيما يكتب فى المجلات من مقالات نقد ... وباع سيارته واندفع فى محاولة الحصول على دخل يكفل له متابعة نشاطه ورعاية اسرته .

صريع العنت والأرهاق

وقد اخذ عليه الكثيرون ايامها ان كان يقبل كافة ما يعرض عليه من أعمال ويكتب فى كل مجال ... ولكن الحقيقة انهم كانوا لا يعرفون من دخائله ما كنت اعرفه . فالرجل وفى مثل هذا العمر المتقدم كان يعيش من قلمه ورغم ما قرر له مرتب ثابت فى جريدة الجمهورية إلا أنه كان مرتبا ضئيلا لا يكفيه وهو قد خرج من الجامعة منذ سنوات بعيدة دون أدنى معاش . ولعل هذا كان السبب فيما اصابه من ارهاق مبكر أدى الى وفاته وهو لا يتجاوز الثامنة والخمسين ... تاركا الى جانب ما صدر له من كتب العديد من البحوث والدراسات والمقالات التى لا يدركها الحصر وتحتاج الى من يجمع شتاتها كرصيد من أقوم وأدق وأعمق ما صدر فى حياتنا من كتابات على مدى أكثر من ربع قرن ..لقد عاش مندور الى نهاية عمره ورغم ما أثاره حوله من عداوات من جانب اعدائه السياسيين وغير السياسيين من أثبت من حملوا القلم فى عصرنا دفاعا عن الحرية والسياسية والعدالة الاجتماعية والقيم الأدبية والفنية الجادة القائمة على الالتزام برسالة الأدب والفن والفكر كأعظم المقومات لبناء الانسان العربى .

نعمان عاشور

كمال عمّار

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

المقامة الوجودية

طوي الجريدة وقال لى تصور ؟ مات سارتر ! .. فقلت وما بالك مبهوت ، كلنا سنموت ، فقال .. كان فيلسوفا من النوع الثقيل ، فقلت لايستعصى على عزرائيل ، فقال رحمة الله عليه ، فقلت اذا كان يؤمن به ، فقال لقد لعب دورا خطيرا فى حياتى ، وجعلنى احقق ذاتى ، واوقعنى ذلك فى حكايات عجيبة ، ومواقف غريبة ، فهل تريد أن تسمع ، أولديك ما يمنع ، فقلت له كلا ، وعلى الاقل نتسلى ، فقال : عرفت سارتر ربع قرن ، وكنت وقتها ملطوشا بداء الفن ، وقد ملكت الوجودية على أمرى ، سنينا من عمرى ، خاصمت فيها الحلاق ، ولبست بنطلونا متلصقا بالساق و صار خميس مدكور معبودى ، باعتباره أشهر وجودى ، بل هو الداعية الأول ، لهذا المذهب المبجل ، حببنى فيه ، وشدنى الى خوافيه ، ووجدتنى فى العام الخامس والخمسين ، من جملة الوجوديين ، منخرطا فى زمرتهم ومرتبطا بعقيدتهم ، بل كنت ملكيا أكثر من الملك ، وفلسفيا مِن النوع المنهمك واهملت دراستى ، واصطدمت بأسرتى ، ولكنى وقفت كالطود ، وقلت لامفر ولاعود ، فقد من الله علينا بالوجودية ، واكرمنا بالانتساب للسارترية ، ولما منع أبى عنى المصروف ، تصرفت كما ينبغى لفيلسوف ، واعلنته انه ابى التقليدى وقيدى الحديدى ، وانخلعت عن أبوة الاجبار وانصرفت الى سارتر ابى بالاختيار ، وصرت لاأجد نفسى ، إلا فى المركز الثقافى الفرنسى ، اذهب اليه كل يوم ، محاولا الالتصاق بالقوم وأشم فيهم ريح سارتر ، ناشدا فيهم لين المعشر ، ولكن القوم ازوروا عنى بلباقة ، ولم يمدوا جسور الصداقة ، ومعهم حق وألف آه ، فأنا لاأعرف من لغتهم إلا بوركواه ، .معناها ماذا أوشىء قريب من هذا ، فلما رأيت انصرافهم ، أردت إيلافهم ، فلأعش كما يعيشون ، واصنع ما يصنعون ، فأدمنت الكونياك ، حتى أشرفت على الهلاك ، ودخنت الجلواز باعتبارها نوعا من الامتياز ، بل واحضرت بعض الضفادع من الترعة ، وسلخت واحدة بسرعة ، تمهيدا لأكلها محمرة ، كما يفعل الباريسيون العباقرة و ولكنى لم افعل الى الآن ، فقد غلبنى الغثيان ، وغسلت الأيدى انقذرة ، وعدلت عن الفكرة ، وإن ظللت على الطريقة الوجودية ، واكل الضفادع لايفسد للود قضية !

وكنت اسير فى الطريق ، فأسمع التعليق ، وهو حينا برىء ، واحيانا بذىء ، من نوع أنظروا لمن تسرتروا ، وتشبهوا بالنساء فى الهيئة والكساء واطالوا الشعور ، وليسوا القلادة من النحور ، وخنصروا البنطلونات ، كأنها جونلات . اخص ألف أخص عليك ايها الشخص ، وكنت أقابل هذه الاهانات بالابتسامات ، فقد آذوا من قبلى (سقراط) وأرغموه على شرب السم ، حتى لايفتح آذان الصم ، واتهموا (جاليليو) بالكفر وهددوه بخلع الظفر ، واضطروه الى انكار ما قاله ، من أن الأرض كالبرتقاله ، ومهما كان الجديد فهو يتيم وعرضة لسهام القديم ، حرصا على سلطانه واستبقاء لهيلمانه ولكن الجديد هو المنتصر ، وإن ! سدوا فمه بنحاس منصهر ، والقديم لن يسود ، كما يؤكد كتاب (العدم والوجود) ! وهكذا وقفت كأبى الهول ، فى وجه هذا الفحشن من القول ، بل واعتبرت هذه التعليقات المهينة ، دليلا على شهرتى المكينه ، وأنى صرت ممن يشار اليهم بالبنان ، وتدار عليهم الكئوس والألحان ، واستثارنى احساس بالشهوة ، فقفزت كالمهرة ، متخليا عما يربطنى بجدودى ، لانى (وجودى).

وكنت أعتبر قهوة إيزفتش ، المأوى والعش ، ففيها الشاى والفول ، ويثمـن معقول ، وهكذا آكل واحبس واجادل اخوان (ماركس) فقد كانت هذه القهوة وتضم الحثالة والصفوة ، وزبائنها دائمون ، لايغيبون عنها ولايتأخرون وكانوا (زبائن) غرباء فى الافكار والأزياء ، فهذا وفدى ، وذلك لاحزبى ، والثالث البدين ، من أتباع لينين ، والرابع يكتب القصة ويبحث عن فرصة ، أما الخامس ، فشاعر بائس انساق لدعاة التجديد ، فكتب كلاما غير مفيد ، معدوم الوزن والعافية ومحروفا من الايقاع والقافية ، زاعما انهم هكذا يكتبون فى أوروبا ، .. مسكين .. أعطوه (بومبة) .. والسادس رسام ممرور ، يلبس قميصا من قماش الدمور ، صبحا ومساء ، صيفا وشتاء ، لأنه لايملك غيره ، كما أكد هو اكثر من مرة ، وهو مع ذلك رسام مجيد ، وإن بالغ فى اظهار التجاعيد ، والسابع ريفى يزعم انه ناقد وما هو بذلك فمنطقه متهالك . وحجته واهية ، وكراهته للممتازين بادية ، والثامن يهوى الموسيقى ، وقد اتخذها لنفسه طريقا ، ولايعزف بل يتكلم فقط واضعا الحروف تحت النقط ، والتاسع من على شاكلتى ، من عشيرتى وعائلتى ، والعاشر مخبر سرى ، وبوليس عقائدى ، يسجل ما يقال ويخمن ما لايقال ، وكلنا نعرف انه مخبر ، إلا هو ظنا منه انه يجيد التنكر والفهلوة ، وكنا لانعبأ به ، بل ونتعمد الجلوس بجانبه ، استهانة بشانه حينا ، واستجابة لدم ساخن يجرى فينا ، واخذنا عليه بعد مدة ، واعتبرناه من لوازم القعدة ، بل وصرنا نطلب له الشاى واليسنون ، فيشرب

وهو ممنون ، ثم ينصرف ليكتب فينا التقارير ، ويحشوها بالمثير والخطير .

قهوة مريبة ، وزبائن غريبة ، ولكن الأغرب من كل هذا الوش ، هو الخواجة إيزافتش ، يوغسلافى الجنسية ، ومعدته لاتهضم الاشتراكية ، غادر بلده ، لما رآها تخالف معتقده ، وجاء الى القاهرة ، وأنشأ فيها هذه القهوة العامرة . وظن انه اطمأن ، ولكن الدهر خيب الظن ، فرغم مغادرته البلاد والعباد ، فان تيتو كان له بالمرصاد ، وذلك انه كلما زار مصر ، عرف إيزافتش لوعة الأسر ذلك أنه كان يعتقل ، حتى يسافر البطل ، من باب الاحتياط إياه ، ومنعا لحدوث ما لاتحمد عقباه ، فايزافتش ريبرالى ، وتيتو اشتراكى نضالى ، وكلما حدثت زيارة تاريخية يعتقل (ايزافتش) بالتبعية !

وهكذا جعلنا القهوة ندوة ، للأعداء والأخوة ، وما أعداؤنا إلا أصحاب المنجل والمطرقة ، والذين يريدون للعالم الطريقة ،. وصحيح أن التمارض يجمعنا ، لكن الهدف يقطعنا ، فتمردنا إنسانى ، وتمردهم طبقى ، يريدون تغيير العالم بالقوة ، ونحن نسعى لتغييره من جوه ، وكان النقاش يطول وكأنه قرع الطبول ، ونروح نتبادل الشتائم ، فنحن فى نظرهم بهائم ، وهم فى نظرنا عبدة اوثان ، ناهيك بتهم باختلال الوجدان ، فأنت عميل لموسكو ، مادمت لا تؤمن بسارتر ويوفسكو ، وعميل للمخابرات الأمريكية إذا لم تأخذ جانب الطبقات التحتية !

ويحدث هذا كل يوم ، دون أى تغيير فى اسلوب العوم ! ، حتى اصابنى الملال ، ورغبت فى تغيير الحال ، وفكرت فى حامل شعلة النور ، الاستاذ خميس مدكور معبودى الأوحد ومثلى المفرد ، إننى لم أره على الاطلاق ، رغم ما بيننا من التصاق ، وفكرت أن يلتقى التلميذ والاستاذ ، وكان تفكيرى مشمولا بالنفاذ ، ولبست أردأ ما عندى من ثياب ، قميص كالجلباب ، وبنطلون ضيق من أعلى ، متسع فى السفلى ، وحذاء بكعب طويل ، كأنه خرطوم فيل ، بالاضافة الى شعر منكوش ، وعينين بلا رتوش .. وبالجملة حرصت قدر الطاقة ، أن أكون غاية فى الأناقة ، مثبتا وجوديتى ، وإخلاصى لعقيدتى ، وهكذا مضيت إليه ، أفكر فى لحظة دخولى عليه .. ماذا أقول وماذا أدع ؟ .. وماذا سيقول منشىء البدع ؟ حتى وصلت وسألت بصوت جهور أين الاستاذ خميس مدكور ، فنظر إلى البواب بمنتهى الاستغراب وكأن البغل ، لم ير وجوديا من قبل . وكررت السؤال بثقة ، وهو يزداد في حملقة ، وأخيرا قال فض الله فاه ، انصرف وإلا رأيت ما لاتحمد عقباه ، فكظمت غيظى ، وقلت لو سمحت ، قل له إننى تحت ، وتأكد أنه سيطلب لقائى ، واقترب البواب حتى وقف إزائى ، ودفعنى من غير سبب وقال (إمش من هنا ياقليل الأدب) ومن انت ياصرصور ، حتى تقابل خميس بك مدكور ؟ ولما رأيت هذا التطور الخطير الذى ربطنى بالصراصير فكرت أن احتج ، ولكنى تأملت ذراع الحاج ، فكتمت السهم فى كبدى ، وانصرفت ودموعى تحرق خدى ، ولكن الله يخرب بيته ، ارسل خلفى صوته ، (إذهب للحمام وامكث فيه لمدة عام ، وبعدها قد اسمح لك بالكلام) !

يالالزلزل النكباء ، والداهية الصماء ، اهكذا يعامل الوجوديون الوجيديين ، فيم إذن اشتراكنا فى الملة والدين ؟ ثم كيف يسمح يسمح خميس مدكور ؟ باستخدام البواب المذكور ؟ إنه غلطان لابد ، نعم وحق (سيدى كيركيجورد) ، هل لو ذهب (احمر)للقاء أحد الحمراء ، يقابل بمثل هذا الازدراء ؟ !

لا .. فالوالد أبو المكارم ، يقول بشكل دائم ، إنه قادم من عند مسعود أبو سالم ، ومسعود معدود فى قمة أهل المركسة ، وله اتباع ومدرسة وأطلت الجدال مع نفسى ، وأنا غارق فى بئر يأسى وتملكنى غل فظيع ، فقلت لعنة الله على الجميع .

وانقطعت عن إيزافتش ، وبحثت عن مصدر شريف للعيش ، وهجرت ملابسى إياها ، التى كنت بها اتباهى ، وتبت وأنبت ، وتزوجت وانجبت ، وانفرط ما بين الوجودية ، بل وكل فلسفة اوربية وإذا كان لديهم البير كامى ، فنحن عندنا احمد رامى ، وإذا كانوا يتباهون بهيجل وسارتر ، فعندنا الغزالى وابو معشر ، وإن طنطنوا لفرانسواز ساجان فنحن نهلل لاحسان .. عندنا ما عندهم باختصار باستثناء سيمون دى بوفوار ، فضحكت وقد ادركت ما يعنيه ، وضحك هو لبراعته فى التشبيه !

وانصرفت عنه ، وقد بلغ منى العجب منه ، لوقوفه عند القشور مكتفيا بها عن الجذور .

.. وانتهت أقوال عبد الشكور !

جحويات

زوجتى والبغل

حين ماتت زوجه لم يبكها
وطواها اللحد فى صمت مبين
جاءه القوم يعزون فما
وجدوه ذلك الباكى الحزين
فراى إنكارهم ألا يُرى
عابس الطلعة معقود الجبين
فانبرى فيهم خطيبا قائلا
بوقار الصالحين العارفين :
هكذا الدنيا تساوى من قضى
بعض يوم مثل آلاف المسنين
والذى عاش بها فى حفرة
كالذى فى القصر والحصن الحصين
هكذا الدنيا ومامن حكمها
إن رضينا أو كرهنا أجمعين
فمضوا عنه وقالوا ثاكل
يتعزى بكلام السابقين
ثم عادوا وتنادوا يا جحا
عندنا لو شئت أخرى ذات دين ..
وجمال لا تكلفك سوى
عيشها والله يجزى الصابرين
ردهم عنه بلطف شاكراً
فضلهم والفعل فعل الأفضلين

ثم لما مر عام بعدها
نفق البغل الحصاويّ المتين
صاح وا بغلاه من فرط الأسى
وبكاه يومها الدمع السخين
عجب القوم وقالوا ياجحا
قد عرفناك أخا عقل ودين
رَحَلَتْ من نحو عام زوجة
لك لم تحزن عليها بعض حين
نفق البغل فأكثرت البكاء
بينما لم تبكها أم البنين
قال لمّا ماتت الزوجة كم
قد عرضتم غيرها لى طائعين
ثم بالمجان لم تدخروا
وسعكم فى غيرها يا مسلمين
إنما بغلى الذى أركبه
والذى يحمل عبئى ويعين
حينما أودعته جوف الثرى
كنت قد ودعت خير الراحلين
لم يقل لي واحد خذ ياجحا
غيره بل كلكم كزّ ضنين
ولهذا أنا أبكيه دماً
وأناجى صاحبى البغل الأمين

"آى لاف يو" قيس!

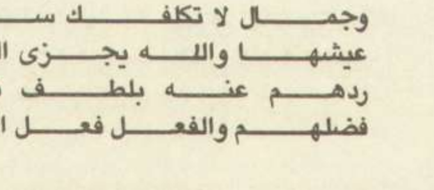

كثير جدا وطبيعى جدا ان يكون فلان هو البادىء باعلان حبه لفلانة .. والعكس قليل ونادر وشاذ ! .. ولا نراه إلا فى مسلسلات التليفزيون .. ولم نسمع أن «عبلة» بادرت وقالت «احبك ياعنتر» ولا أن «ليلى» دخلت على المجنون قائلة «أى لاف يو» قيس !

والذى سمعناه ان عنتر احب وخاض ألف حرب حتى يحظى برضاء «واحدة» لا شغل لها ولا فائدة ، تجلس فى خيمتها ناعمة البال ولا عليها ان يموت عنتر او يصاب ويصبح من مشوهى الحروب والحراب !

والذى سمعناه ان ليلى حين طاردها قيس بحبه ، سايرته على قدر عقله ثم تزوجت «ورد» وضيعت البقية الباقية من هذا «العقل» وهكذا .

كتب القتل «والجنون» علينا
وعلى الغانيات جر الذيول .

البحترى وشوقى

يقول البحترى فى وصف وجه جميل يحيط به شلال الشعر الأسود إنه «كالفجر فاض على سواد الغيهب ».

ويقول شوقى فى اغنيته التى غناها المطرب عبد الوهاب :
والفجر شقشق وفاض على سواد الخميله ..
ايهما اقرب إليك ؟

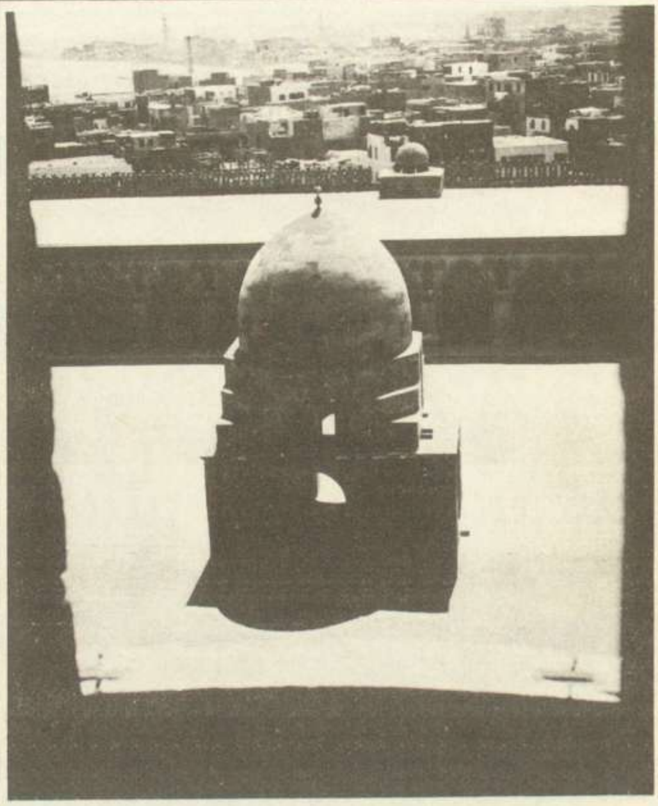

هذه القبة داخل صحن احد المساجد الشهيرة فى العالم الاسلامى يتميز هذا المسجد بمئذنته التى لا نظير لها إلا فى احد مساجد سامراء (سُرَّ مَنْ رأى) والميزة هلى سلم المئذنة الخارجى .
الصورة لمسجد احمد بن طولون .

السمك البخاخ

فى جزر اندونيسيا .. توجد السمكة البخاخه .. سميت كذلك لانهاتعيش على صيد الذباب والحشرات الطائرة قريبا من سطح الماء .. فاذا لمحت هذه السمكة حشرة تطير حتى وهى على بعد متر منها .. فانها تبخ عليها من فمها قطرات الماء بقوة فتلتصق القطرات بالحشرات وتعوقها عن الطيران فتسقط فى فم السمكة البخاخة المفتوح ! .. ويخلق ما لاتعلمون !

الملح الهندى!

الهند اول بلد عرف السكر وكان اسمه قديماً «الملح الهندى» وحينما عرفه العرب اطلقوا عليه اسم «السكر» وذاع الاسم وشاع .
حتى القرن السادس عشر كان العالم القديم يعتمد فى استهلاكه للسكر على ما تنتجه معامل التكرير فى سوريا ومصر واسبانيا .

لو عاش!

طعن الشيخ فى السن وانحنى وتقوس ظهره ونظر إليه شاب فاراد ان يتظرف فقال مشيرا إلى ظهر الرجل المنحنى « ياعمى بكم اشتريت هذا القوس ؟! » فافحمه العجوز بقوله : لو عشت مثلما عشت اخذته بلا ثمن !

هى وأزواجها

الاسم : عاتكة بنت عمرو بن نقيل .
فى المعدودات من جميلات قريش من نوع إذا رنا سحر ، وإن دنا جنى وإن نطق برق !
اول المسحورين « عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق » كان جميل الوجه حسن الصوت ريان الشباب راها فتمكنت منه وتزوجها .. والحسن موكل بالسعى وراء الحسن .. ولكن جمالها غلب إرادته وشغله عن نفسه وانساه مالا يجب ان يدخل دائرة النسيان من عزيز وجليل وهل هناك اعز واجل من بر الوالدين ؟ !

خاف عليه والده استمرار هذا العقوق وخاف ان اكثر ان يمتد الى مجالات اخرى .. فاذا انت عققت العزيز هان عليك غيره .. وخاف عليه والده وكره ان يستمر ابنه زوجا لعاتكة والح عليه فى تطليقها ففعل وهو شارد اللب ذاهل القلب وطلع عليه النهار وعاتكة لا تضىء بيته واقبل الليل وهى ليست بجواره .. عاف الشراب والطعام .. وتجافى عن المنام .. فرق ابوه واذن له فى مراجعتها وعادت الورود تملا الاغصان .. حتى خرج مع المسلمين الى موقعة الطائف فقاتل حتى قتل وصار فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .. وللحق فان عاتكة جزعت اشد ما يكون الجزع واستبد بها الحزن والهلع .. ولكن اختلاف النهار والليل ينسى !

تزوجت عاتكة من بعده .. وايضا سقط الزوج الثانى قتيلا .. وحزنت عاتكة بالقدر الذى يقضيه الواجب وتفرضه الاصول ولكن دوام الحال من المحال وكان زوجها الثالث هو « الزبير بن العوام » !

كان الزبير يغار عليها ويكره ان تتملاها العيون ، وكان من عادتها ان تخرج الى المسجد للصلاة والزبير كاره لذلك ولكنه لا يستطيع منعها ليس لضعف فيه امامها ولكنه اول من يحفظ حديث الرسول « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » .. وماذا يفعل ابن العوام ؟!

خرجت عاتكة لصلاة العشاء وكمن الزبير لها فى إحدى الزوايا بحيث يراها ولا تراه وحين مرت به ضرب بيده «عجيزتها» وأسرع بالفرار ! وسارعت هى بالعودة للبيت ولاذت بالصمت وكفت عن الخروج للمسجد ، وسالها لماذا قطعت عادتها فى الخروج ؟ فقالت «كنا نخرج والناس ناس» ! وكتم ابن العوام ضحكته وقد حقق بغيته ونختصر فنقول إن الزبير قد قتل وإنها تزوجت لرابع مرة وإن زوجها الرابع لم يخرج عن القاعدة وودع الحياة قتيلا هو الآخر !

يقولون إنها عندما فوتحت فى الزواج الخامس مرة قالت :
لن اتزوج احداً فو الله إنى لأحسب لو تزوجت جميع اهل الارض لقتلوا عن اخرهم !

ولا ضير على عاتكة فى زواجها اكثر من مرة فهذا حقها وشرع الله الذى اذن فيه لعباده .. من حق عاتكة ان تتزوج مرة وعشرا .. ولكن هذا الحق العادى والمشروع يصبح غير عادى وغير مشروع بالنسبة لزوجات النبى فى حالى طلاقهن او رحيله عنهن .. وهو ليس حرماناً من حق بل امتيازاً لقربهن من سيد الخلق هكذا نص الله فى محكم كتابه « ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده ابداً » .. ثم اليسوا هن امهات المؤمنين ؟

رسالة مهرجان كان السينمائي

فصل جديد من المباراة المثيرة

رءوف توفيق

السينما تهاجم التليفزيون بقسوة

المباراة مازالت مستمرة .. ومثيرة .. بين التليفزيون والسينما .. !

وفى الجولة الدائرة الآن .. تحاول السينما ، بعد أن استعادت جزءا كبيرا من جمهورها بنوعية الأفلام التى انتجت أخيرا تحاول أن تسدد اللكمة القاضية للتليفزيون ، وذلك من خلال موضوعات الأفلام التى تدين تأثير التليفزيون على المشاهدين وعلى المجتمع !!

والجولة ساخنة ومليئة بالمفاجآت ..

فالسينما بكل تاريخها الفنى ، وتجارب روادها الكبار ، وابتكارات شبابها المنطلق .. تحاول أن تدافع عن ارضها التى اكتسبتها عبر سنوات طويلة ، بالجهد والعمل والصراع المستمر ، حتى اصبحت السينما من اكثر الفنون شمولا وتأثيرا

والمتأمل لبعض موضوعات الافلام الحديثة ، والتى عرضت أخيرا فى مهرجان "كان" السينمائى الدولى ، سواء داخل المسابقة الرسمية ، أو فى فروع المهرجان المختلفة .. سيجد هناك خيطا واضحا يكشف عن اتجاه للهجوم على التليفزيون وتفنيد اضراره وسلبياته على السلوك الانسانى ، وعلى حركة المجتمع ككل !!

● أمريكا .. وفيلم « أن تكون هناك »

ولنبدأ اولا بهذا الفيلم الأمريكى الساخر (أن تكون هناك) لمخرجه (هال آشبى) والذى اشترك به فى المسابقة الرسمية لمهرجان كان .. ومن قبل دخل به التصفيات النهائية لجوائز الأوسكار لعام ١٩٨٠ .. ورشح لعدة جوائز هامة .. ولكنه لم يفز إلا بجائزة الممثل المساعد والتى حصل عليها الممثل الأمريكى العجوز (ميلفين دوجلاس) عن دوره فى هذا الفيلم ، كرجل المال القوى صاحب النفوذ السياسى

وفيلم (أن تكون هناك) مأخوذ من رواية بنفس العنوان صدرت عام ١٩٧١ لمؤلفها (جيرزى كوسينسكى) البولندى الأصل ، والذى هاجر لأمريكا فى منتصف الخمسينات ، ليصبح واحداً من اهم وأشهر الكتاب الروائيين هناك .. وقد قام بنفسه بكتابة سيناريو الفيلم (أن تكون هناك) ليضمن وصول أفكاره كما كتبها فى روايته

والفيلم يقدم شخصية هذا الرجل الذى تعدى الخمسين من عمره .. والذى عاش طوال عمره داخل بيت لم يغادره مرة واحدة ولم يخرج للشارع ، ولم يتعلم القراءة أو الكتابة ، ولا علاقة له اطلاقا بالعالم الخارجى .. وهو فى داخل هذا البيت يعمل بستانيا يرعى حديقة البيت ثم يقضى بقية يومه أمام شاشة التليفزيون .. يأكل ويشرب وينام مع التليفزيون .. يتنقل بين قناة واخرى .. يتابع البرامج ببلادة واضحة وانهماك شديد .. بطىء الحركة .. ، ولا ينفعل .. ولا يتوتر .. وعندما يتكلم تخرج الكلمات متقطعة ، وبلا معنى ، ولا تتعدى حدود معرفته بالعمل فى الحديقة ، ورغبته الدائمة لمشاهدة التليفزيون !! (لعب الدور باقتدار بالغ الممثل بيتر سيلرز) .

وفى بداية الفيلم .. تواجه هذه الشخصية موقفا شديد التعقيد بوفاة مخدومه ، صاحب هذا البيت .. ويصبح عليه ان يجمع أشياءه ويرحل بعد أن صدر قرار الحكومة بغلق البيت !

عليه الآن أن يواجه العالم الخارجى لأول مرة .. وحيدا تماما .. ويسير فى شوارع واشنطون ــ المدينة التى تدور فيها احداث الفيلم ــ وينتقل من رصيف الى آخر حاملا حقيبته ، مرتديا كامل ملابسه فى اناقة ووقار .. يبدو عليه أنه احد كبار القوم ، وانه يتحرك نحو هدف محقق .. بينما فى حقيقته لا ينوى على شىء .. ولا يقلقه شىء سوى احساسه بالجوع .. ورغبته لمشاهدة التليفزيون !!

إنه مشغول برؤية العالم الحقيقى بعين طفل .. ويادراك ناقص .. فجأة تصدمه سيارة فاخرة ، وتصيبه بكدمات بسيطة فى ساقه .. ولكن فى هذه اللحظة تكون حياته قد تغيرت تماما .. فصاحبة السيارة تدعوه لقصرها للعناية الطبية ، وتلتقط اسمه خطأ ، و تلصق مهنته بأسمه .. وهكذا تحول اسمه من (مستر شانس) الى (مستر شانس جاردينر) .. وكأن كلمة (جاردينر) وتعنى البستانى .. هى لقب العائلة !!

وهو لم يدع هذا .. ولم يقصده .. فهو لا يعرف الكذب أو الخبث .. ولم يسع لانتهاز فرصة أو الاستفادة من الحادث البسيط الذى جرى له .. ولكن هكذا عاملته السيدة باحترام شديد ! .

وعندما يركب السيارة الفاخرة .. يعلق بأنها المرة الأولى التى يركب فيها سيارة !! وعندما يصل الى القصر الهائل ويجد استقبالا مذهلا من الخدم والحاشية ، ومقعدا متحركا فى انتظاره للانتقال الى الطابق العلوى بواسطة المصعد الكهربائى .. يعلق بأنها المرة الأولى التى يركب فيها مصعداً !! وعندما يدخلونه الى غرفة الكشف الطبى المجهزة بكل المعدات الحديثة .. يعلق فى ذهول بأنه لم ير مثيلا لهذا فى التليفزيون !!

ويتعرف عليه صاحب القصر ، ذلك الرجل

فجأة تصدمه سيارة فاخرة
لكن فى هذه اللحظة تكون حياته
قد تغيرت تماما بعد أن صحبته
صاحبة السيارة إلى قصرها

الممثلة الفرنسية (رومى شنايدر)

بيتر سيلرز فى دور البستانى .. لقطة من فيلم (أن تكون هناك)

العجوز الفاحش الثراء ، رجل المال القوى وصاحب النفوذ السياسى الهائل .. والذى تتدهور صحته بسرعة ويقترب من حافة الموت .. ويجد فى هذا الضيف (مستر شانس جاردينر) الود والبساطة .. ويزداد إعجابه به عندما يستنكر (مستر شانس) فكرة اقامة دعوة قضائية بسبب اصابته .. ولهذا يدعى لعشاء عائلي .. يضم صاحب القصر وزوجته فقط .. ويظهر فى هذا اللقاء مدى تلقائية مستر شانس .. والتى يعتبرها صاحب القصر نوعا نادرا من الحصافة والدبلوماسية .. ويقرر أن يتخذه صديقا يستعذب الاجتماع به والتحدث إليه ..

وبعد أيام يصل الى القصر ، الرئيس الأمريكى لزيارة صديقه رجل المال القوى ، ليطمئن على صحته ، وليسأله المشورة فى المأزق الاقتصادى الذى تمر به البلاد .. ويدخل صاحب القصر متكئا على كتف صديقه (مستر شانس) .. ويقدمه للرئيس الأمريكى كصديق عزيز .. ويدور الحديث حول الأزمة الاقتصادية ويطلبون من (مستر شانس) أن يقول رأيه .. وببساطة شديدة وبطريقته الواثقة ، البطيئة الايقاع يقول مستر شانس :

« فى الحديقة .. النماء له فصول .. هناك ربيع وصيف .. ولكن هناك ايضا خريف وشتاء .. ثم ربيع وصيف مرة أخرى .. وطالما كانت الجذور سليمة .. فكل شىء مطمئن .. وكل شىء يصبح جيدا فى الحديقــة » !!

والكلمات لا علاقة لها اطلاقا بالاقتصاد .. انها بعض معلوماته عن العمل كبستانى .. ولكن وقع هذه الكلمات يصبح شديد الايحاء للرئيس الأمريكى وكأنها خلاصة فلسفة عميقة .. ولهذا ينقل نص هذه الكلمات فى خطبته الى الأمة من خلال التليفزيون .. وفى تلك الليلة أصبح مستر شانس اهم شخصية فى أمريكا .. الصحف تتصارع من أجل تقديم مستر شانس .. والتليفزيون الأمريكى يسرع للاتصال بمستر شانس لتسجيل حديث معه .. ويلبى الدعوة .. ويواجه بأخطر الاسئلة بكلمات عن الأرض والزرع والشمس والجذور .. ويهلل المشاهدون اعجابا بهذا الفيلسوف لقد اصبح (مستر شانس) اسطورة

رسالة مهرجان كان السينمائي

خلقها التليفزيون .. الناشرون يطاردونه بعقود نشر لمؤلفاته .. وهو فى الحقيقة لا يعرف القراءة أو الكتابة .. ولا ينكر هذا .. ولكنهم يعتبرونها مجرد دعابة وأسلوبا ذكيا للتهرب منهم !!

والمخابرات الأمريكية والسوفيتية تحاولان البحث عن تاريخ هذا الرجل .. والأهم من هذا كله أن المليونير القوى النفوذ ، يعرض عليه مشاركته فى امبراطوريته المالية ، وأن يرعى زوجته بعد وفاته . !!

ويموت هذا المليونير .. تؤول اليه كل الثروة .. والقوة .. ويتحول مستر شانس الى حقيقة ثابتة لا يمكن انكارها .. بينما هو فى اعماقه لا يدرك ولا يعى كل ما حدث .. ولا يعنيه فى شىء .. فهو مازال هذا الرجل الذى يهتم بالأرض والنباتات .. ويتصلب مبهورا ومأخوذا أمام شاشة التليفزيون !!

وهكذا يدين فيلم (أن تكون هناك) مدى تأثير التليفزيون على حياتنا .. كالطريقة التى غيربها التليفزيون من إدراكنا الحسى للحياه .. وكيف اصابنا بالتبلد ، والاستعداد لتقبل وجهات النظر الجاهزة دون أن نكلف انفسنا مهمة البحث والتحرى وتأمل ما يقال فهذا الانسان الذى حوله التليفزيون الى مسخ مشوه .. لايفكر .. ولا ينفعل .. ولا يستطيع أن يقرر شيئا بمحض إرادته .. هو فى النهاية نموذج شديد السخرية تخيله المؤلف عندما قرأ تلك الاحصائيات التى توضح أن الشاب الحديث التخرج .. قضى فى فترة طفولته ومراهقته وتكوينه الفكرى الأول مايزيد عن ١٨ ألف ساعة أمام التليفزيون !!

وهذا العدد الهائل من الساعات بالغة التأثير ، فهى تشكل أسلوبا شاذا فى مواجهة الحياة العملية.

ويضيف المؤلف فى تصريح له : « وفى الحياة العملية .. يصبح التليفزيون اخطر وسيلة لايصال وجهات نظر المرشحين للمناصب السياسية الكبرى فى البلاد .. وكل منهم يحاول أن يكون مخلصا وشجاعا وجادا وظريفا .. وعندما ظهر مستر شانس على شاشة التليفزيون مارس هذه الصفات بتلقائيته وسذاجته وطيبته الواضحة .. وهكذا تحول الى أهم شخصية أمريكية » !

إن كل اصابع الاتهام فى هذا الفيلم الساخر الجرىء .. تشير الى التليفزيون !!

الممثلة الفرنسية (ناتالى باى) فى دور المدرسة .. لقطة من فيلم (اسبوع الاجازة)

لقطة من الفيلم البرازيلى (وداعا .. برازيل)

● فرنسا .. و«مراقبة الموت»

ومن فرنسا .. يظهر ذلك المخرج الشاب (برتراند تافيرنيه) ليقدم بأسلوبه السينمائى المتميز الذى يعرف كيف يلتقط أصغر التفاصيل فى الحياة اليومية ، ليصنع منها نسيجا رقيقا ومتماسكا وجميلا .. وفى نفس الوقت يقول كلمته بقوة . !

إنه فى هذا العام -٨٠- قدم فيلمين أثارا اهتماما كبيرا .. الفيلم الأول بعنوان (مراقبة الموت) الذى عرض فى مهرجان برلين السينمائى .. ثم اعيد عرضه فى سوق مهرجان كان السينمائى .. لينال نفس الدرجة من الاهتمام .. فهو يطرح قضية إنسانية ويعالجها برهافة الشاعر

فهذه الممثلة المسرحية (تلعب الدور الفنانة رومى شانيدر) تصاب بحالة انهيار عصبى مفاجئة ، نتيجة بعض المضايقات ، ولاحساسها بأنها لم تعد تضيف شيئا جديدا فى فنها .. ويلتقط هذه الحالة ، ذلك المنتج التليفزيونى ، الذى يسعى لتحقيق نصر تليفزيونى جديد ، فهو يتفق مع طبيبها المعالج على أن يتولى إخبار مريضته بأنها ستموت بعد ثلاثة اسابيع .. وفى هذه الحالة سيقوم بتعقب تصرفاتها وخطواتها من خلال عدسة تليفزيونية مثبته فى رأسه .. ليسجل لحظات الاقتراب من الموت .. ليكون بعد ذلك فيلما كاملا بالصوت والصورة ، يعرضه التليفزيون !!

إنها فكرة لا أخلاقية .. وغير انسانية .. ولكنها بعض الوقود لهذا الجهاز الوحشى الذى يضرب فى كل الاتجاهات بحثا عن الجديد والمثير لكى يقدمه للمشاهدين !!

الارض المهجورة !.. والسيارة التى تحمل الفنانين المتجولين فى فيلم (وداعا .. برازيل) .

هذا العدد الهائل من الساعات بالغة التأثير تشكل أسلوبا شاذا فى مواجهة الحياة العملية!

وأحداث الفيلم تدين بشدة هذا الاستغلال السيء من التليفزيون لحالة انسانة معذبة تواجه الموت .. وحيدة تماما .. وتتمنى النجاة من الموت .. ومن هذه الكاميرا التى تلاحقها !

أما هذا المنتج المصور التليفزيونى الذى يقبل على المهمة بوحشية وتجرد انسانى .. يجد نفسه تدريجيا فى حالة تعاطف وحب مع هذه المريضة .. وتتنازعه المشاعر المتضادة .. ان يحقق هذا النصر التليفزيونى .. وفى نفس الوقت تهاجمه المشاعر الخاصة والرغبة فى الارتباط بهذه المريضة!

والفيلم اذا كان يلجأ الى أسلوب الخيال العلمى .. فى تلك الرؤية المستقبلية لمدى تدخل التليفزيون فى الحياة الخاصة ، وانتهاك أدق الأسرار والمشاعر الانسانية .. باستخدام أدق الكاميرات الغير مرئية وأجهزة التسجيل المختبئة .. فهو يضع متفرج الفيلم فى حالة كراهية ورفض .. وخوف أيضا .. من بشاعة ما يفعله التليفزيون .. وما قد يصل به التطور الفنى بعد ذلك !

● اسبوع الأجازة

ثم يأتى الفيلم الثانى لنفس المخرج (برتراند تافيرنيه) والذى يحمل عنوان (أسبوع الاجازة) .. وقد دخل هذا الفيلم الى المسابقة الرسمية لمهرجان كان هذا العام ..

حيث يقدم حالة هذه المدرسة الشابة التى تعانى من الاكتئاب .. والتى تستيقظ ذات صباح وهى غير مستعدة نفسيا على الاطلاق للذهاب الى عملها فى المدرسة .. أو الحديث الى صديقها .. انها تشعر بالتعاسة بلا سبب حقيقى واضح .. فهى تعمل فى مهنة تحبها ، وبجوارها صديق ترتبط به ، ولا توجد فى حياتها اية مشاكل مالية .. ولكنها هكذا وجدت نفسها ، ذلك الصباح ، انها غير قادرة على الاستمرار .. وتطرق باب الطبيب الذى يشير عليها بأن تأخذ اسبوعا أجازة لتستريح .. وتستجيب لنصيحة الطبيب وتبدأ الأجازة .. أو بمعنى ادق تبدأ فى مراجعة نفسها .. وحياتها كلها .. ماالذى تفعله ؟ .. وماالذى تريده ؟!

وكأننا أمام قصيدة شعر يصوغها هذا المخرج البارع ، وتؤديها الممثلة الرقيقة (نتالى باى) وكأنها خلقت لتؤدى هذا الدور .. فهى عندما تخلو لنفسها لتتذكر كيف بدأت التعاسة تزحف الى مشاعرها ؟ تتوقف عند ذلك الصباح حينما دخلت فصلها المدرسى فوجدت على السبورة عبارات بذيئة كتبها بعض تلامذتها .. وهناك تلميذ يتعارك مع زميله ويقذفه بالشتائم الجارحة .. وهى تقف أمامها مذهولة وتتوجه بالغضب ناحية ذلك التلميذ الهائج لتقول له فى حدة «لاتنس ان تغسل فمك قبل أن تأتى الى هنا» !

رسالة مهرجان كان السينمائى

وتتوالى خواطرها وذكرياتها .. عندما كانت طفلة لم تفكر أبداً أن تكون مدرسة .. ولكن عندما عملت بالتدريس أحبت المهنة .. أما الآن فهى تعيسة .. وتلتقى بجارها صاحب المقهى الذى يشكو من ابنه فهو يلح لشراء دراجة بخارية .. تسأله أن يشجعه على القراءة .. يقول بأسف انه لايقرأ ابدا .. ويكتفى بالتليفزيون .. ويشن الأب هجوماً على التليفزيون وما يفعله بالأبناء .. وهى تؤكد على كلامه .. وتتذكر عنف تلامذتها المنقول عن التليفزيون .. وشتائم تلامذتها والأسلوب الجارح فى التعامل ، المأخوذ عن التليفزيون !! .. والتعليم فى المدارس عاجزا عن الاصلاح !!

إن سر تعاستها الحقيقية .. إنها خائفة من الغد .. وما يخبئه لها المجهول ! .. انها تريد أن يكون لحياتها معنى .. وقيمة .. ولكن هل تستطيع ؟ ويعزف الفيلم على تنويعات القلق والتوجس .. والبحث عن الطمانينه والسعادة .. بينما بذور الشراسة والعنف والانقضاض ، مزروعة فى كل مكان .. وفى متناول الجميع !

● وداعاً .. برازيل

وتقدم البرازيل .. فيلما بعنوان (وداعاً .. برازيل) لمؤلفه ومخرجه (كارلوس ديجيس) يحكى من خلاله عن رحلة بعض الفنانين المتجولين عبر قرى ومدن البرازيل القديمة .. انهم يتحركون داخل سيارة نقل .. منهم الساحر ، ولاعب الأكروبات ، وراقصة الرومبا .. ثم ينضم إليهم فى الطريق هذا الشاب اليائس من حياته فى القرية ويريد أن يرحل الى اى مكان بعيدا عن همومه وارتباطاته وفقره ، ويعرض عليهم أن يعزف الأكورديون .. ويوافقون على طلبه .. فيتسلق السيارة مع زوجته الحامل .!

وتدور الأحداث بين هؤلاء .. فيها الحلم .. وفيها النزوة .. وفيها الحب .. وفيها ايضاً الشر .!

وتمر الأيام عليهم مليئة بالقسوة .. فهم يحاولون أن يعرضوا فنونهم البسيطة الحية .. ولكنهم يفاجأون بأن الجمهور الذين يسعون إليه.. لا يلتفت لهم .. ان الجمهور مشغول بالتليفزيون .. انهم يتكومون بالساعات أمام شاشات التليفزيون العريضة المقامة فى الساحات لكى يشاهدها من لا يملك جهازا خاصاً !!

ويحاولون أن يجذبوا الجمهور إليهم .. بالغناء والرقص والنداء بالميكروفونات .. ولكن لا احد يقترب منهم .. فيحملون مهماتهم وينطلقون بالسيارة الى مكان آخر .. ويصبح هدفهم أى مكان لا ترتفع فيه صوارى التليفزيون على المنازل !! ولا يجدون غير شاطىء البحر . ولكن حتى هناك لا احد يتقدم اليهم لمشاهدة ألعابهم .. وتتأزم بهم الأمور .. ويطحنهم اليأس .. ويفكر رئيس المجموعة فى وسائل أخرى للحياة .. اقل جهداً وأكثر انحطاطاً .. ولكنها فى النهاية تلقى بالأموال فى يديه .. وتمكنه من شراء سيارة اكبر للاستعراضات !

والفيلم يقدم من خلال تلك الرحلة .. البرازيل القديمة ، التخلف ، الفقر .. والبرازيل الجديدة التى تزحف بمبانيها الشاهقة ، والآلات المتطورة ، والايقاع العصرى ..

ومابين القديم والجديد .. لاينسى المخرج أن يشير بالاتهام الى التليفزيون الذى تحول الى مرض عصرى اصاب المشاهدين بالكساح من طول الجلوس أمام شاشات التليفزيون .. واصاب الفنون التلقائية بالتوقف والاندثار ..

وفى مشهد بالغ السخرية .. يقدم المخرج صالة حديثة للرقص والموسيقى العصرية .. حيث تقف الفرقة الموسيقية تعزف بينما اجهزة التليفزيون مرصوصة أمامهم على خشبة المسرح .. والجمهور يتابع التليفزيون ، وهو جالس القرفصاء .. بينما الفرقة تعزف فى الخلفية دون أن ينتبه إليها احد !!

ويؤكد المخرج فى النشرة الصحفية الخاصة بفيلمه ، على التعريف بالبرازيل .. فيقول أن تعدادها ١٢٠ مليون نسمة .. وان هناك ايضا ٢٠ مليون تليفزيون .. أى جهاز واحد لكل ستة اشخاص !

> **المباراة مستمرة ومثيرة .. لكن هل يستسلم التليفزيون لهجوم السينما ..؟ الأيام القادمة ستشهد فصولا أكثر إثارة!**

● تونس .. وفيلم «عزيزة»

ويقدم المخرج التونسى (عبد اللطيف بن عمار) بالاشتراك مع الجزائر ، فيلمه الممتع (عزيزة) .. الذى عرض فى برنامج (نصف شهر المخرجين) بمهرجان كان واستقبل بحفاوة بالغة (أتعشم أن اتناول هذا الفيلم فى عدد قادم)ولكن مايهمنا فى هذا المجال .. ان المخرج يتعرض فى مشاهد سريعة وموحية للمسلسلات العربية التى يعرضها التليفزيون التونسى .. حيث يتسمر افراد البيوت أمام اجهزة التليفزيون فى صمت وترقب مأخوذين بأحداث المسلسل .. الذى تتعدى حلقاته المائة وأكثر .. والتى يقول فيها الممثلون أى كلام .. ويتحركون فى أى اتجاه .. وأحيانا فى بلاهة ، لا يحفظون أدوارهم .. ومخرجو هذه المسلسلات لا يعرفون أبجديات الفن .. فالممثل يظهر على الشاشة وينظر الى الكاميرا حتى يشير اليه المخرج ليتكلم .. فيتكلم ..

ومع كل هذه البدائية والتخلف الفنى والفكرى .. نجد شوارع المدينة خالية فى وقت اذاعة المسلسل .. ولا صوت يتردد .. إلا صوت الممثلين وهم يقذفون بكلمات الحوار ..

وفيلم (عزيزة) يقدم هذه الادانة لما يفعله التليفزيون .. وسط ادانات أخرى يحلل بها ما حدث فى المجتمع التونسى .. أو المجتمع العربى عموماً !

● ●

وهكذا تحاول السينما رد الاعتبار الى نفسها .. والقاء القفاز فى وجه التليفزيون !

وربما كان من اطرف الاعلانات التى نشرت فى مجلات السينما التى صدرت خلال انعقاد مهرجان كان لهذا العام .. اعلان عن فيلم امريكى جديد تحت الاعداد .. تقول احد عناوينه البارزة :

(الفيلم الذى يضع التليفزيون .. فى مكانه الحقيقى) .. وتحت هذا السطر ..رسموا صفيحة قمامة كبيرة ممتلئة بأجهزة التليفزيون !

والمباراة مستمرة .. ومثيرة !

ولكن هل يستسلم التليفزيون لهجوم السينما ..؟! لا أعتقد .. والأيام القادمة ستشهد فصولا أكثر اثارة من هذه المباراة التى ندفع ثمنها من اعصابنا .. وعقولنا !!

رءوف توفيق

جمـــــال قطـــب

منهل الإلهام الدائم فى عالم الإبداع

المرأة فى وجدان الفنان

البراءة فى وجه فتاة للفنان فيرمير

من المعروف أن الدعائم الحضارية لأى مجتمع منظم تحكمه الأسس العقلية هى أن يكون للعمل سمة الفن ، وللمتعة طابع التذوق الجمالى المباشر . ومن الظواهر التى تميزت بها عوامل الابداع عند الفنان : الذاتية والأنانية . وليس هذا بجديد أو مستحدث دخيل على حركة الفن عامة عبر عصوره المتعاقبة ؛ بل أن الذاتية ـ دوماً ـ تلازم التعبير العاطفى والانفعالي وتكسبه الصدق وتضفى عليه الأصالة ، كقبس من روح الفنان ووجدانه . وإذا سلمنا بما يراه علماء النفس والتربية من أن فى داخل كل انسان فناناً تتشكل موهبته بمؤثرات العوامل الاجتماعية والبيئية والوراثية ،

منهل الإلهام الدائم في عالم الإبداع

المرأة في وجدان الفنان

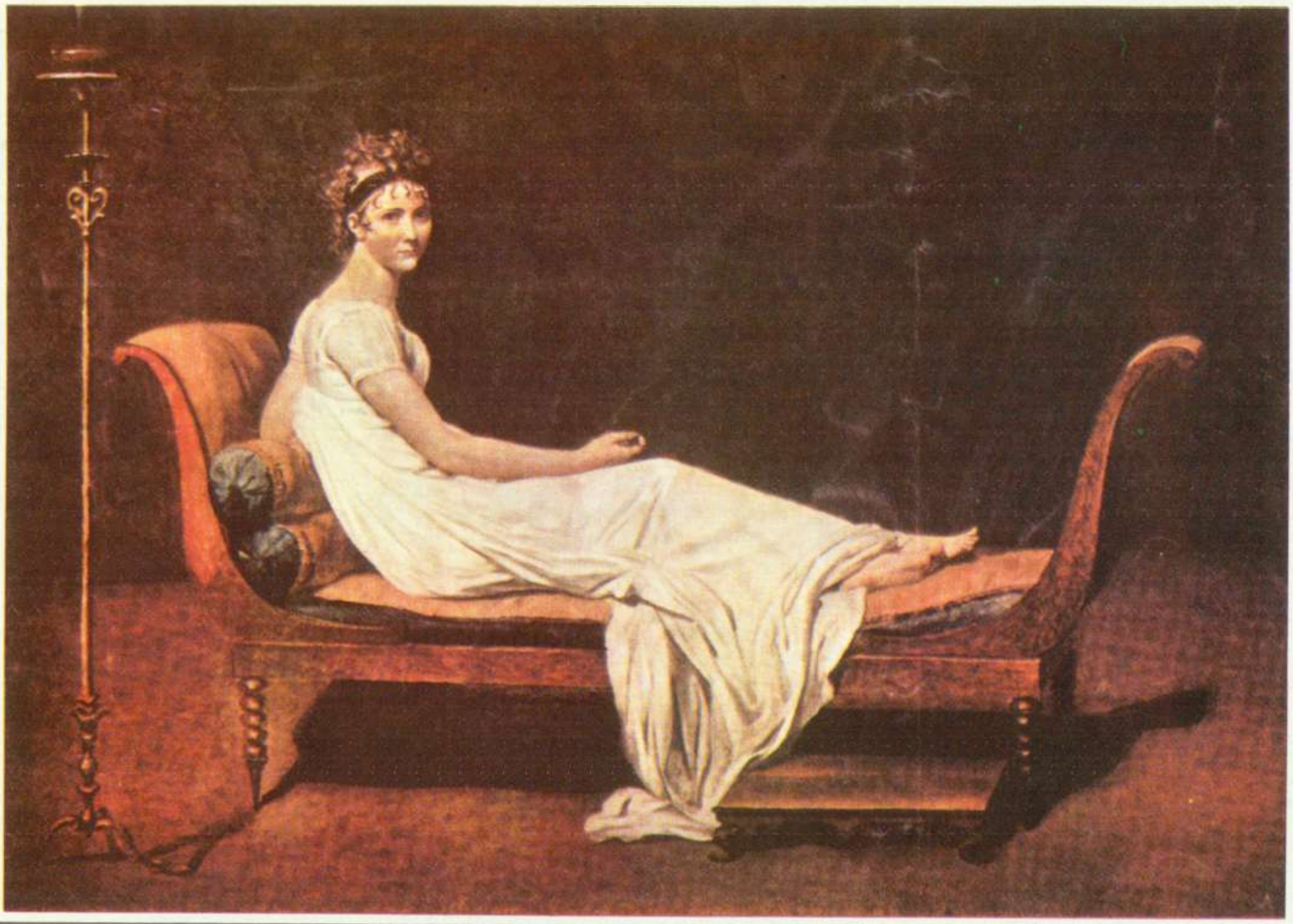

مدام ريكامييه ـ تحفة دافيد الرائعة بمتحف اللوفر

لوجدنا أن اهدافنا الحقيقية هى العمل على أن يكون الاستمتاع الجمالى كسلوك مهذب عام ، وحركة الابداع كمنهج عملي فى كل مرافق الحياة ، هما دعامتان ضروريتان للحضارة ... وإذا تحقق هذا الهدف فى عالمنا المعاصر ، لأصبح العمل ـ كل العمل ـ فناً بدرجة أكثر شمولا تزينه لمسات الابداع الواعية .

وإذا رجعنا الى حركة الفن منذ بدء الخليقة فاننا نجد أن هذا الشعور بالذاتية عند الانسان (الفنان) يعمق الاحساس بما يختلج فى نفسه ، فيعبر عنه بحركات الرقص أو الغناء أو برسوم تلقائية على جدران الكهوف .. وتلك الأخيرة هى أخلد أدوات التعبير واصدقها .. وهذا هو الفن .

ولما استقرت سبل الحياة بهذا الانسان ، وأصبح عضواً عاملا فى مجتمعات آمنة ، بدأت أحاسيسه تتفتح على مكامن الجمال فى بيئته الطبيعية كجانب تأثرى عام . كما تحركت فى داخله عوامل نفسية غامضة وانفعال جارف ، فوجد ميلا غريزيا للتعبير عن عاطفته الخاصة نحو الجنس الآخر .

وإذا كان العلم يقوم على التجربة ، فالفن وليد الانفعال . وليس هناك أقوى ولا أعظم سيطرة على الحواس من هذه الرابطة الخفية التى توثق عاطفة الجنسين برباط مصيرى مقدس ، هو سر الحياة ذاتها ! ومن هذا المنطلق سجل الفنان المرأة فى إبداعاته كرمز طيع رحيب ، لما يجول بخاطره وقلبه ووجدانه من معانى الخير والحب والجمال والاعجاب . فلا غرو أن نجد لكل فنان ملهمات هى عناصر الابداع الاساسية فى عالمه الذاتى المشحون بالعاطفة والانفعال . وليست المرأة عند الفنان مثالا للجمال الخلقى وحده . بل هى الذكاء والدهاء والتألق وشتى معنويات الحياة .

نساء خلدهن الفن والتاريخ

هذه « هيلين » فاتنة طرواده ، نراها فى لوحات الفنانين كالهام مثير من أعماق التاريخ .. و «كليوباترا» التى

الفنان المصرى القديم من أكثر الفنانين استجابة للجمال

سحرت بذكائها ودهائها قلوب القياصرة وعقول الاباطرة ، ووجد الفنان فى جمالها الأسطورى وشخصيتها الآسرة ، رواء لعاطفته الجياشة وحيه الخصيب ... و «جان دارك» قديسة فرنسا وفارسة ملاحمها التاريخية .. نراها فى لوحات المئات من الفنانين رمزاً للاعجاب وإعزازاً بالشجاعة والايمان ... و «اوجينى» الساحرة امبراطورة فرنسا اللعوب ،تلك التى كانت لفتنتها الطاغية أثرها فى انقياد الملوك ورجالات الحكم للوقوع فى شراك حبها ، حتى اضاعت المجد والعرش والتاج .

ويروى التاريخ قصصاً لا حدود لها عن غانيات التاريخ وحسانه ، وعن خليلات وزوجات الفنانين انفسهم ، وكلهن خالدات فى الاعمال الفنية التى ابدعتها الأنامل الملهمة على مر العصور وبالتالى فقد خلدن فى قلوب المعجبين ، سواء أكان الاعجاب بهن أو بالفنان أو بالعمل الابداعى مجرداً لذاته .

وننقب فى أعماق التاريخ بين تراكمات الزمان والأحداث ، لنرى أن الفنان المصرى القديم كان من أكثر الفنانين استجابة للجمال والاحساس به . وتتمثل أمامنا الروائع الفنية التى خلفها شاهدة على تلك العبقرية المرهفة .

مادموازيل ريفير – للفنان أنجر من مقتنيات متحف اللوفر

ويعتبر تمثال «نفرت» الذى اكتشف عام ١٨٧١ من أجل النماذج ، ولا شك أن جمال هذه الأميرة كان يسطع فى مدينة «منف» منذ قرابة خمسة آلاف سنة ، مؤثرا فى حياة معاصريها ، كما كان له مفعول السحر فى سلوك زوجها الأمير «رع حتب» قائد جيوش والده الملك «سنفرو» . ومن الواضح أن الفنان الذى عكف على إنجاز هذه التحفة الفريدة ، قد هزت مشاعره مفاتن الأميرة ، فانعكس هذا الانفعال العاطفى بصدق على عمله الرائع الذى مازال حياً حتى اليوم .

ومن أكثر جميلات التاريخ شهرة .. الملكة نفرتيتى . وتمثالها الصغير الملون الذى ابدعته أنامل فنان مصرى فى عصرها ، لابد وأن يكون قد هام بها افتتانا وحبا لا امل فيه ، فتحول هذا الحب العذرى الى طاقة خلاقة رفيعة .. تلك التى جسدت هذا الجمال فى التمثال الصغير .

وفى بلاد العراق ، وفى العصر السومرى منذ آلاف السنين ، سجل الفنان ملكته «شوباد» ـ وقد كانت مثلا فريداً للجمال فى عصرها ـ بعد أن هام فى حبها كبقية رجال عصره ، وابدع تحفته الخالدة للملكة الحسناء وأجاد فى إظهار جمال عينيها الحالمتين وصفاء بشرتها الورديه المشعة بالفتنه من تحت تاج ذهبى على هيئة أوراق الشجر التى تتخللها الاحجار الكريمة .

وكان للفنان المسلم فى العصور الوسطى دور بارز فى حركة الفن العالمى ، وقد سجل المرأة على طريقته الخاصة بأسلوبه الزخرفى المميز ، فنرى فى المخطوطات كثيرا من فاتنات التاريخ مثل «فتنة» صاحبة «بهرام جور» ملك إيران ، وصورة «زليخا» امرأة العزيز مع يوسف الصديق ..

ومع أن الفن الاسلامى كان فناً ذهنياً مقيداً بتعليمات الشريعة الاسلامية التى تحرم المجسدات ، وتكره الصور الآدمية ، إلا أننا رأينا فى الآثار الاسلامية كثيرا من الصور النسائية فى مختلف العصور .. أى أن الفنان قد جنح الى الفن الوجدانى ليعبر عن ذاته وانفعاله ، وقد وجد من السماحة الاسلامية منفذاً لهذا

التعبير الخاص . وفى أول العهود الاسلامية وهو العهد الأموى ، وجدنا مجموعة من التماثيل الرائعة لنساء جميلات فى قصر «خربة المفجر» بالضفة الغربية لنهر الاردن شمال أريحا ، وهو القصر الذى بناه هشام بن عبد الملك (١٠٥هـ ــ ١٢٥م ، وهو امر يصعب تفسيره ، ومازال محل استغراب وتساؤل حتى اليوم ؛ إذ كيف يسمح الحكام الامويون السنيون ، وهم الذين يمتد نسبهم القريب الى الصفوة من القادة والفاتحين المسلمين ، بان تكون مثل هذه التماثيل فى قصورهم ، واغلب الظن ان هذا التساؤل سيظل طويلا بغير اجابة شافية ! ولكنها المراة فى وجدان الفنان كالهام وقدر لا مفر منه !

اوروبا والمراة فى حياة الفنانين

ومنذ عصر النهضة فى ايطاليا ، اتيح للمراة اعظم الفرص لتكون ذات اثر موجه فى المجتمع ، ولم تكن القيم الاخلاقية ــ دائما ــ ذات اثر فعال او اعتبار ملحوظ ؛ فقد كان من عادة الملوك والأمراء ان يكلفوا كبار الفنانين برسم الفتاة المرشحة للزواج من احدهم ، فاذا راقت الصورة للملك او الأمير ، تمت مراسم الخطبة ثم الزواج ، ولأجل ذلك برزت أهمية وحضوره دور الفنان المصور إذ تتوقف نتائج تاريخية ربما تحدد مصائر الشعوب ، على نظرته الخاصة وإعجابه الشخصى وبمدى ما يلقاه من حفاوة وكرم من اهل العروس ، بل ربما على حبه واستحسانه بالفتاة ذاتها . وقد تغالى بعض الفنانين فى إظهار الجمال وإبراز المفاتن التى قد لا تكون موجودة اصلا ، كما حدث للملك هنرى الثامن عندما امر وزيره (كرومويل) بتكليف احد الرسامين المشهورين ليصور فتاة تدعى (آن) يريد الملك الزواج منها ، فذهب الفنان لتادية هذه المهمة ، ولسبب أو لآخر ، رضى الفنان تماماً عن الفتاة ، وكانت لا تتمتع باى مسحة من الجمال

مدام دى بومبادور للفنان بوشيه

المثير ، فاظهر فيها جمالا مثاليا ياخذ بشغاف القلوب ، مما جعل الملك يعجب بها قبل ان يراها .. ولكنه فجع عندما راى الأصل .. ولكن بعد فوات الأوان : فقد تمت مراسم الخطبة واقيمت الزينات والأفراح والليالى الملاح ، وكان أمام الملك إلا ان يصب جام غضبه على وزيره كروموبل وسجنه فى برج لندن ،

مُنذ أول العهود الإسلامية - العهد الأموى - وُجدت تماثيل رائعة لنساء جميلات فى قصر "خربة المفجر" .. الذى بناه هشام بن عبد الملك

الأمل للفنان فردريك واتز

الفنانون بالغوا فى إظهار الجمال والمفاتن

على ضفاف نهر السين صوّر الفنان جمال المرأة

فى أبهى روعة بصرية عرفها تاريخ الفن

ولا ندرى ماذا فعل بالفنان !

اما الفنان الهولندى الشهير (رمبرانت ١٦٠٧م - ١٦٦٩م) فقد طلبت اليه اسرة احد الأمراء ان يرسم فتاة تدعى (ساكسيا) ليرى الأمير الشاب صورتها قبل ان يشرع فى الزواج منها . وما ان بدا الفنان عمله لرسم هذه الفاتنة حتى كان بينهما تعارف وثيق تحول الى إعجاب ثم الى حب جارف .. وانتهت اللوحة الخالدة للفاتنة (ساكسيا) لا ليبعث بها الى اسرة الأمير .. ولكن لتحملها ساكسيا معها الى بيت الزوجية بعد ان تزوجها الفنان نفسه . وجعل رمبرانت من عروسه (موديلا) للعديد من لوحاته التى تزين متاحف العالم حتى اليوم .

وفنان عصر النهضة المعجزة (رافاييل ١٤٨٣م - ١٥٢٠م) الذى ملت فى ريعان شبابه فى السابعة والثلاثين من عمره ، امضى حياته القصيرة وهو يتعبد فى جمال المراة ، وعندما استدعاه البابا عام ١٥٠٨م إلى روما لتزيين قصر الفاتيكان ، تميزت لوحاته عن المراة بشفافية وروحانية سامية نراها فى صور العذراء والملائكة .. وامضى حياته يرسم فى هدوء معتزلا الحياة خارج الفاتيكان ، وعكف على إبداعه فى خشوع المتعبد ، وانعكس هذا الصفاء الوجدانى على المراة فى لوحاته فاضفى عليها سمات البراءة بعيدا عن اى ابتذال جنسى ، وكانه يحلق فى اطياف نورانية حول محراب الفن المقدس .

وإذا انتقلنا من عصر النهضة الايطالى (ليوناردو دافنشى) ورائعته (الموناليزا) و «موريللو» و «رافاييل» وغيرهم الى عصر النهضة الفرنسى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، نجد أن الفنان على ضفاف (السين) قد صور جمال المراة فى ابهى روعة بصرية عرفها تاريخ الفن ، وتالق (واتو) و (بوشيه) و (شارون) و (جروز) و (دافيد) و (آنجر) و (جيرار) وغيرهم .

وعلى ذكر بوشيه ودافيد وانجر ، فلكل منهم قصة طريفة مع غانية من غانيات فرنسا الشهيرات : فقد كان بوشيه - مثلا - موهبة فذة فى الفنون الجميلة وحصل على جائزة الاكاديمية الفرنسية وهو فى العشرين من عمره ، وعندما تعرف على (مدام دى بمبادور) ، وجد فى جمالها الفاتن متنفسا لعواطفه الشابه الجياشة ، فرسم لها عددا كبيرا من اللوحات والرسوم ؛ تلك اللوحات التى جعلت منها كوكبا متالقا فى

منهل الإلهام الدائم في عالم الإبداع
المرأة في وجدان الفنان

إحدى إبداعات الفنان الفرعوني : صورة فتاة مصرية تبدو بها مقاييس الجمال التقليدي الشهير في الدولة المصرية القديمة

صالونات باريس ثم في صالونات أوربا كلها .. حتى صارت عشيقة الملك المدللة آنذاك ، واخرجت الفنان من حياتها بعد ان اوصلها الى التحكم في العرش ذاته !

اما آنجر ودافيد وتلميذه جيرار فقد كانوا مولعين جميعاً باشهر فاتنات باريس في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر (مدام ريكامييه) التي كانت نموذجاً رائعاً للجمال والأناقة والذكاء في عصرها .. كما كانت صاحبة واحد من اشهر الصالونات الفنية في باريس ، وقد سجل صورتها آنجر ودافيد وتعتبر لوحة دافيد فريدة من اثمن مقتنيات متحف اللوفر حالياً ، إلا أن مدام ريكامييه كانت تعجب اكثر بصورتها التي ابدعها تليمذه جيرار ، لا لشيء إلا انه ـ بذكائه وخبثه ـ قد اظهرها في لوحة اقل من سنها الحقيقي ، فبدت اكثر شباباً وحيوية من كل صورها الأخرى .. إنها المرأة دائماً !

غانية التاريخ البريطاني

وفي انجلترا ، برزت اسماء لامعة لكثير من الفنانين العظام .. هؤلاء الذين ارتبطت إبداعاتهم الخالدة بفتيات وصلن الى الشهرة العالمية ، مثل غانية التاريخ العسكري البريطاني (أماليون) التي اصبحت (الليدي هاميلتون) ثم ارتبط اسمها المتالق بقائد البحرية البريطانية (سير ادميرال نلسون) .. وكان ذلك من فوق اكتاف الفنان الانجليزي الأشهر (رومني) : فقد تعرف على هذه الغانية الشابة في بيت احد اصدقائه وكان يدعى (تشارلس جريفيل) وبعين الفنان الفاحصة ، وجد فيها نموذجاً حياً لمقاييس (الموديل) ، وإلهاماً رائعاً للوحاته القادمة .. وتطوع تشارلس بان قدمها لصديقه الفنان دون مقابل .. وكأي سلعة تهدى وتباع وتشترى ، انتقلت (أماليون) الى بيت الفنان يحدوها الأمل في الوصول الى الشهرة من خلال لوحاته التي تجد طريقها أولا باول الى متاحف العالم ومعارضه وصالوناته .. واصبحت اما (موديلا) لرومني ، وزهرة لوحاته المتفتحة .. وكان لحمالها سحر نفاذ الى قلب الفنان الذي احبها ، وبالغ في إظهار مفاتنها في إبداعاته ، حتى اصبحت حديث أوربا كلها . وظل خمس سنوات كاملة يرسمها في كل الأوضاع المثيرة ، حتى بلغ مجموع لوحاته لها اكثر من اربع وعشرين لوحة عدا مجموعة ضخمة من الرسوم السريعة والتفصيلية وطارت شهرة الغانية الفاتنة وتزوجت من (السير هاملتون) سفير بريطانيا في إيطاليا .. ثم تعرفت على بطل البحرية البريطانيه الاسطوري (نلسون) عندما حل ضيفاً على زوجها السفير في نابولي .. فهام القائد في حبها متأثرا بشخصيتها الساحرة ، وبشهرتها الذائعة كزهرة لوحات الفنان رومني ومصدر إلهامه . ومات زوجها السفير كمداً ، وسارع نلسون يعد العدة للزواج منها ، بعد أن قامت ما يشبه الثورة في الحكومة ومجلس الحرب البريطاني على تلك العلاقة التي كانت حديث العالم حينذاك . ولكن الموت كان اسرع من البطل المغوار ، فقد قضى نحبه في موقعة (الطرف الأغر) قبل اتمام مراسم الزواج .. وبقيت ذكرى هذا الغرام الجارف في كتب التاريخ .. ولكن لوحات رومني التي ابدعها الفنان متغنياً ومولعاً بجمال فتاته اللعوب .. هي الأخلد والأروع على مر العصور !

... وتتعدد القصص .. وتتزاحم الأمثلة .. وكان تاريخ الفن والفنانين العظام .. ما هو إلا تاريخ العلاقة الابدية بين الفنان وملهمته .. وتبقى الحقيقة ماثلة امام انظارنا : وهي أن المرأة ـ كرمز للعطاء والحب والجمال ـ اصدق عناصر الابداع واخلده في ضمير الانسان ما بقيت الانسانية ذاتها . إنها النبع الذي يفيض ابداً على قلب الفنان بالرواء العذب من فيض السماء .. والقبس الذي يسطع بنور البصائر .. لتظل الوجدان في همس روحي دائم تناجي الله خالق الجمال !

جمال قطب

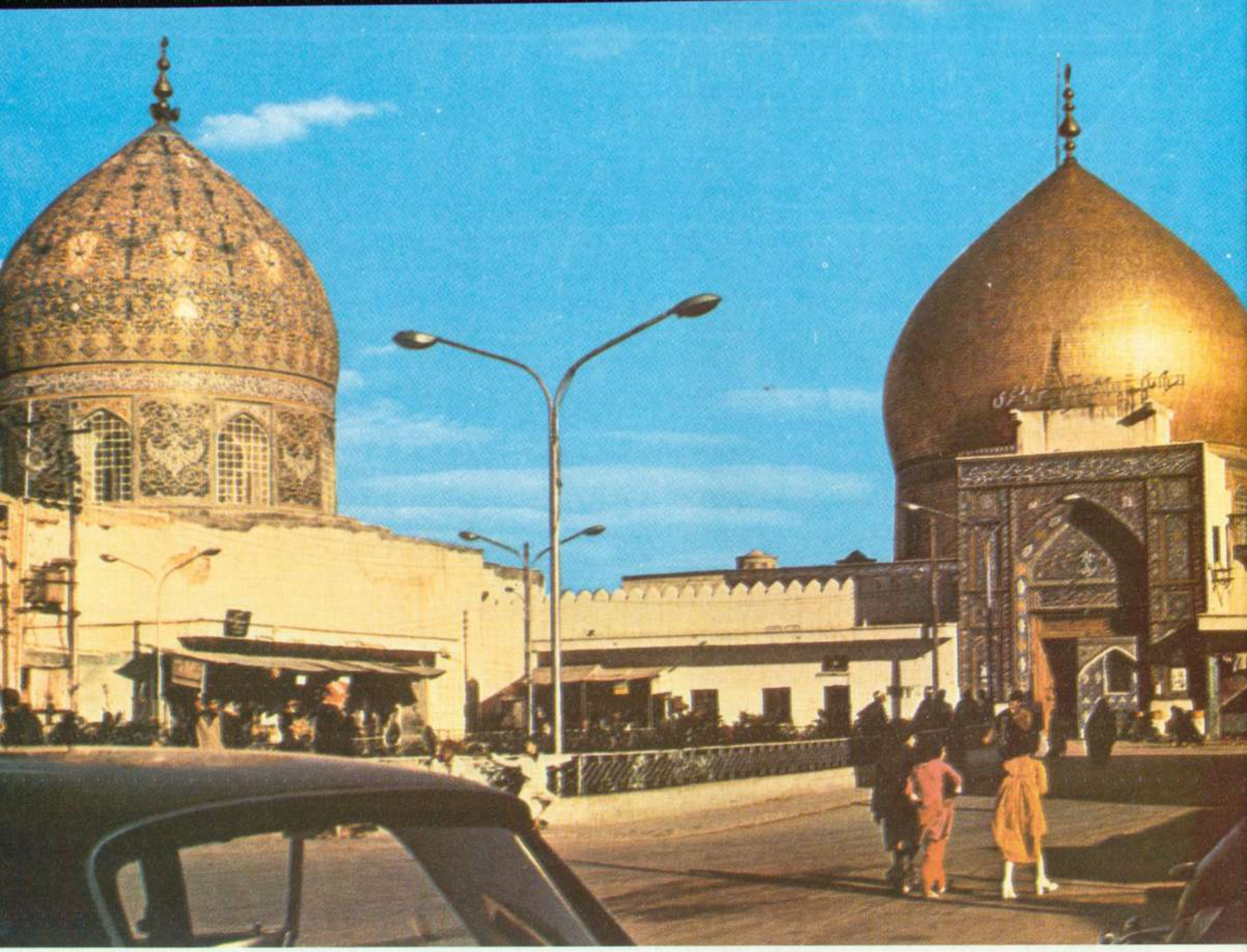

محمد رجب السامرائي

سامراء
مدينة وامعتصماه

بناها سام بن نوح .. ودعا ألا يُصاب أهلها بسوء

سامراء مدينة عرفها الزمن فصاغها قلادة علقت على صدر التاريخ .. هنا يدان تفترشان الارض ، واحدة تتجه الى التاريخ ، واخرى صوب المستقبل ، وبين الذاكرتين تسكن سامراء بهية بوجودها وبوجهها الملىء بحركة الاشياء .. زاخرة بالمئذنة والقصر الكبير .. كلاهما يتطاولان لتستظل بفيئهما دجلة .. وخطوات المعتصم تسمع .. وحدقتا المتوكل تتجهان الى سمائها أبداً فهى إذن فى المخيلة والذاكره خضراء بالوانها السوسنية الفواحة ..

احدوثة الزمان

ونبدا توغلنا فى فجر سامراء الأول مع كلمات دافئة وشهادة تقدير فى رجل خدم التاريخ والحضارة .. انه الباحث العراقى الدكتور احمد سوسة إذ قال عنها فى شهادته الناجحة : «إذا افتخر الرومانيون بمدينتهم روما ، وإذا تبجح البابليون بعروس الشرق بابل ، وإذا افتخر الأكاسرة بطيسفون . والمناذرة بالحيرة ، فخليق بالعباسيين أن يفتخروا بمدينتهم العظيمة «سامراء» التى كانت احدوثة الزمان فى هاتيك الايام .....»

ونجد هذه المدينة القديمة معروفة قبل الفتح العربى ، ويحدثنا صاحب معجم البلدان ان ابراهيم الجنيدى قال سمعتهم يقولون «أن سامراء بناها سام بن نوح «ع» ودعا أن لايصيب أهلها بسوء» . وقد أظهرت التنقيبات الأثرية فى أطلال سامراء أن موضعها كان أهلا بالسكان منذ أدوار ما قبل التاريخ .. وأثبتت التنقيبات أن هذه المدينة كانت مدينة قديمة يعود تاريخها الى ٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد .

وقد إكتشف المنقب الألمانى البروفسور

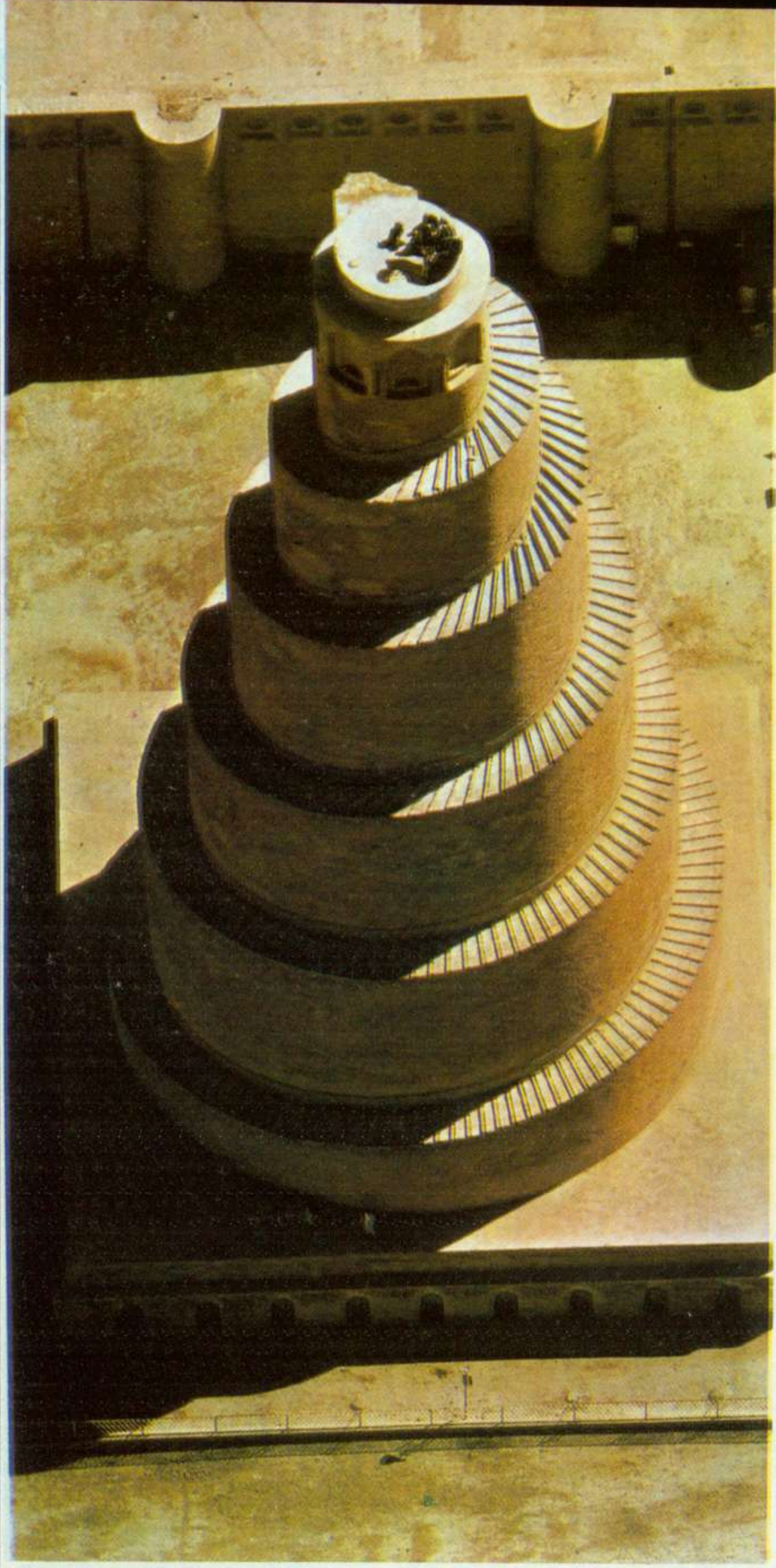

المئذنة الملوية – سامراء

هرتسفلد الذى عمل فى سامراء مقبرة كانت ظاهرة للعيان قرب نهر دجلة فى سامراء .. فثبت لهرتسفلد أن كلا من القبور الفخار المصبوغ الذى وجد فيها يعود الى ازمان الدور الحجرى المتأخر او العصر الحجرى الحديث (العصر النيوليثى) .

شيدت هذه المدينة كما هو معروف فى عهد الخليفة العباسى المعتصم بالله (اصغر ابناء هارون الرشيد) ، وذلك سنة ٢٢١هـ – ٨٣٦م . فى غضون القرن التاسع الميلادى ،اى بعد تشييد بغداد – دار السلام بنحو خمس وسبعين سنة .

قصة بنائها

ونرجع مستعينين بالمصادر التاريخية لنتصفحها ونقرا على صفحاتها المنقوشة بالحبر قصة بناء عاصمة الخلافة الاسلامية والعباسية سامراء لكى نتعرف سوية على الأسباب التى حدت بالخليفة المعتصم الى بناء عاصمة له من بعد دار السلام . فى حين نعلم ان الاخيرة لم يكن قد مضى على إنشائها من قبل المنصور حوالى اكثر من نصف قرن من الزمان .

ونقرا فى بطون الكتب انه بعد تحديد المعتصم واختياره لعاصمته الجديدة استقر به الرأى اخيراً على موضع يقال له إنه موضع مدينة « سام بن نوح » .. وبعد ان اتجه المعتصم الى موضع سامراء ، وبنى مدينته الجديدة حتى نجد الناس قد تبعوه ، وتركوا بغداد فكادت الأخيرة : « أن تخلو من السكان إلا اليسير » كما ذكر ذلك المؤرخ اليعقوبى ، وبناها بسبب تقريب العنصر التركى ومضايقتهم لسكان بغداد وتذمرهم منهم فقرر بناء سامراء » .

وتراءت سامراء لقادميها إبان بنائها كانها عروسة مكللة بالورود والأزهار والرياحين ، حتى ادهشت الزائر الذى يمر بها ، وتجذبه بجمالها ولا يبرح المدينة ابداً ليبقى عاشقا يناجيها فى كل حين ، وليسكنها ما عاش من السنين بين رحابها.

وبعد ان ترعرعت هذه العاصمة الفتية حتى نجد ابوابها قد اشرعت على مصراعيها لترحب بالقادمين إليها من كل حدب وصوب ، لتضمهم على صدرها الحنون . فهبط إليها الشعراء والأدباء واصحاب الفنون والمغنين والمغنيات فى العصر العباسى الثانى .

وعلى سبيل الذكر فقد عاش فى سامراء من هؤلاء الوافدين نحوها : الشاعر أبو تمام الطائى، والبحترى عاشقها الولهان وواصفها الفتان ، والحسين بن الضحاك ، وعلى بن الجهم ، وابراهيم الصولى ، وعبد الله بن المعتز ، وابن الرومى .. واسحاق الموصلى ، ومخارق وعلوية وشارية ، وعريب .

الرحلات العربية

مدينة سامراء بهجة الزائرين ومهبط القاصدين التى إزدانت ولا تزال بجامع الجمعة ومئذنة، العجيبة «الملوية» وقصورها الزاهرة ومنشأتها الفخمة ، استمرت عبر القرون تفيض ثقافة واصولا اجتماعية ومواضيع علمية وفنونا بديعة صارت مصدراً للوارثين ومعينا ومنهلا للدارسين واهتمام المؤرخين والآثاريين والرحالين فى مختلف العصور .

وسامراء كاحدى الدول العربية التى قدم إليها الرحالة العرب وشدوا رحالهم صوبها للتعريف بها .. فها نحن الآن نشد رحالنا لنرحل معاً الى كتب الرحالة ولنقف على ما دونوا عنها . فقد كتب

استمرت سامراء عبر القرون تفيض ثقافة وأصولاً اجتماعية ومواضيع علمية وفنوناً بديعة صارت مصدراً للوارثين ومعيناً ومنهلاً للدارسين

احد عقود المعابد

أوان من الذهب ــ ٢٤٥٠ ق.م

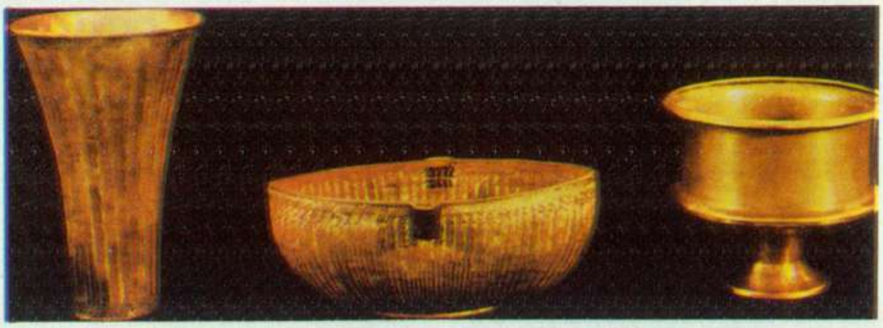

الساعة الذهبية للصحن الشريف

عن هذه المدينة العريقة ابن جبير وابن بطوطة وابن العبرى واليعقوبى والمستوفى .. كما زارها من الرحالة الأجانب «تافرنييه» و «ينبور» و «ريج» و «جون ايثر» و «ولسن بوج» .

ومن كتب بعض الرحالة ندون ما قاله ابن جبير عام ٥٧٨هـ (١١٨٢م) . فقد ذكر عن سامراء فى رحلته فقال : «ونزلنا فى الصباح من يوم الخميس الثانى عشر لصفر على شط دجلة بمقربة من حصن يعرف بالمعشوق . ويقال انه كان متفرجا لزبيدة إبنة عم هارون الرشيد ، وعلى قبالة هذا الموضع فى الشط الشرقى مدينة سر من راى وهى اليوم عبرة من رآى اين معتصمها وواثقها ومتوكلها .... »

ونستمر فى قراءة ما كتبه ابو الحسن على الهروى عن ذكر سامراء حينما دخلها سنة ٦٠٠هـ (١٢٠٣م) .. فيذكر « .. مدينة سامراء وقيل سر من راى بها الامام على الهادى ولد بالمدينة .. وبها من الخلفاء .. المتوكل والمنتصر والمعتز والمهتدى والمعتمد والواثق وجامعها موضع شريف به المعجون كانه المراه يبصر المتوجه الى القبلة الداخل والخارج من الشمال وبه المنارة وعمارتها تشاكل منارة ابن طولون فى مصر وبها آثار تدل على عظمتها ... » .

واما الرحالة العربى المعروف ابن بطوطة فنرحل معه فى رحلته فدون عنها « سر من راى ويقال لها سام بن راه ومعناه طريق سام و«راه» معناها الطريق .وقد استولى الخراب على هذه المدينة فلم يبق منها إلا القليل . ووصف هواءها بانه معتدل وهى رائقة الحسن على بعدها ودروس معالمها ... » .

طراز سامراء

لكل مدينة طراز تعرف به وتشتهر .. والذى يزور اليوم متحف سامراء أو المتحف العراقى فى بغداد فانه سيجد تلك الجدران الزخرفية التى كانت بيوتات سامراء آنذاك تنقش على جدرانها .. ونحن نجد ان الفنان قد ابتكر فى العصر العباسى فنا زخرفيا له اسلوبه وطرازه ، إذ يمتاز اسلوب هذه المدينة على طريقة الحفر المائل التى عرفت «بطراز سامراء» نسبة إليها، إذ يمتاز هذا الأسلوب المائل بالزخارف النباتية التى تؤلف مراوح نخيلية وانصاف مراوح . وقد عثر فى حفريات سامراء على هذا الطراز الذى يتمثل فى الزخارف الجصية على تيجان اعمدة من الرخام المعرف ، عثر عليها فى مدينة الرقة .

وعندما نتامل تلك الزخارف ونقف امامها لكى نسترجع تلك الانامل التى ابدعتها فى تلك الأيام الماضيات فان هذه الزخارف ستفصح لنا عن الطابع الاسلامى الذى اعتمد على الفروع النباتية ، ولم يقتصر هذا الاسلوب على الجص والحجر والرخام بل استخدمه الفنان فى الخشب ، وانتقل طراز سامراء الى مسجد احمد بن طولون إذ وجد على الجدران والعقود والنوافذ وفى داخل العقود الخشبية لقصر ابن طولون ! .

أما بيوت سامراء فاننا نجدها كما يصفها لنا المؤرخون بانها كانت تتالف من طابق واحد ، وتمتد فى الغالب على ضفاف النهر كما هو الحال اليوم إذ نجد البيوت العامرة تمتد كشريط ملون بمحاذات دجلة وهى ترتفع فوق طبقات الصخور الصلدة التى تتكون منها المدينة وتربتها الصالحة للزراعة .. وطراز البيت عبارة عن مدخل مسقوف يؤدى الى فناء مستطيل . وفى كل بيت قاعة كبرى على شكل حرف تي باللغة الانجليزية ، وحجرتان فى الركنين على الجانب العرضى .. كما يحتوى البيت السامرائى القديم على سرداب تنام فيه العائلة اثناء فصل الصيف

إذ تكون درجات الحرارة منخفضة فيه . ولا تزال السراديب منتشرة فى البيوت القديمة البناء فى سامراء حتى يومنا هذا إذ تنام الاسرة فى وقت القيظ طلباً للبرودة .. والبعض الآخر تركها نظرا للتطور الذى حصل فى الأجهزة الكهربائية ودخول اجهزة التبريد المكيفة المتطورة ..

أرباب للمهن

إن قيام عاصمة جديدة للخلافة .. يتطلب بادىء ذى بدء ، عددا كبيراً من العمال . لذلك فقد شرع المعتصم بالكتابة الى البلاد والأشخاص الفعلة والبنائين واهل المهن من الحدادين والنجارين وسائر المصنوعات وحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها .. وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر ، ومن الكوفة من يعمل الخزف والادهان ، ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة فانزلوا بعيالهم بهذه المواضع ، واقطع فيها ، وجعل هناك اسواقاً لاهل المهن بالمدينة ...

واليوم عندما يقف المرء والزائر لهذه المدينة فانه سيشاهد الشارع الأعظم وشارع الخليج الذى يمتد حاليا على شاطىء دجلة وبمحاذاته ، فقد كانت السفن ترسو فيه وهى محملة بالتجارات والبضائع من مدن شمالى العراق وجنوبه .

ونتعرف معا إنه لما بنى الخليفة المتوكل على الله المسجد الكبير الجامع ووسعه ــ عند ملوية سامراء (المئذنة الحالية) ، فانه الخليفة قد جعل على الطرق المؤدية له حوانيت فيها اصناف التجارات وتباع فيها مختلف الحاجيات. كما انشأ المتوكل على الله فى المدينة التى بناها شمالي سامراء ــ المتوكلية ، سوقاً كبيرة ، واسواقاً فرعية متوسطة وصغيرة مثل التى إبتناها في سامراء العاصمة ...

اسماء سامراء

إذا قرأت عن سامراء فستجد لها اسماء مختلفة ، فى كتب التاريخ والجغرافية ودواوين الشعر وكتب الادب التى اسهبت فى التغنى بها..

ومن اسمـــائهـــا :

● سر من رأى . وهو أول اسم اطلق عليها بعد ان بناها المعتصم لانها تسر الناظرين وتدخل الى قلوبهم الغبطة .

● سرور من رأى : وذكره ياقوت الحموى ، ولما عمرت وكملت وإتسق خيرها وإحتفلت سميت «سرور من رأى .

● سر من را : ورد هذا الاسم فى شعر البحترى وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر .

● سر من راء : قال فيها البحترى :

لأرحلن وآمالى مطرحـــة
«بسر من راء» مستبقى لها القدر

● سامرا : قال ابن الرومى حينما كان يتردد على سامراء :

فلا تتركوا رد السلام إذا جرت
شمال على نائى المحل غريـــب
غريب له نفسان : نفس بواسط
ونفس بـ « سامـــرا » بكف حبيب

● ساء من رأى : ونقرأ هذا الاسم فى «احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى حول تسميتها : « فلما خربت وصار الى ما دحربا . سميت ساء من رأى .

● سامراء : وهذا الاسم هو ما تعرف به اليوم .. ولكننا نجد تعليلا لهذا الأسم فى كتاب ياقوت الحموى .. :« فلما خربت ــ أى سامراء ، وتشوهت خلقتها وإستوحشنا سميت ساء من رأى ثم اختصرت فقيل : سامراء

العلم والأدب

وعلى الرغم من أن رحلتنا الى مدينة سامراء لا تزال فى منتصفها فلا بد من القاء حزمة من الضوء على جانب العلم والأدب فيها . ولا بأس فى ذلك ولا ضير علينا . ونجد انه لما اصبحت سامراء موطنا وعاصمة للخلافة ، فانه تهيأ لها من أن تحتل المركز الاول بين المدن الاسلامية الكبرى حتى بغداد ذاتها ، فاصبح للأولى شأن وشأو واضح فى الميدان السياسى والتاريخى والعمرانى وفى مجال الفن ، بل كان لها تأثير مباشر على بغداد من ناحية الحضارة والتجارة. وعندما نتصفح ما دون عن سامراء من مؤلفات باقية فاننا نجدها قد خطت خطوات واسعه وحثيثة فى مسارب الحضارة حتى غدت أملا يراود اذهان الكثيرين ، ومبتغى لذوى المطامح والمناصب . وكان الناس آنذاك إذا اصيبوا بضائقة ما أو قل عملهم فانهم كثيرا ما كانوا يبرحون مناطق سكناهم ويشدون الرحال نحو سامراء طلباً للعمل وتحصيل الرزق الحلال .

ولأهمية هذه العاصمة ، فقد قال احدهم عنها بقوله :« لو دخلت الى سر من رأى لما اقمت بها إلا شهرا واحداً حتى تتقلد احد الأعمال .. » .

ولكن ماذا عن العلم والأدب فى سامراء ؟ وهل نتحدث عنهما ولو باشارة لامحة ؟ حسن أيها الكرام.لقد كان العلم والادب فيها يسيران كصديقين حميمين لايبرح احدهما الآخر فى هذه المدينة يعيشان ويترعرعان فى اكناف الخلفاء وكان هؤلاء يعضدون العلماء والأدباء ، ويمدونهم بجزيل العطايا وكثير من الهدايا ، مما دفعهم الى صوب العمل الدؤوب والابداع الفنى.

إذن هل اصبحت سامراء منارة للعلم ومهبطا للادباء؟ بدون شك انها كذلك لانها اصبحت تشع العلم والأدب من بين جنباتها فاهتدى بنورها الوهاج من ضل الطريق .. ونقرأ لكم ما روى عن الكندى الذى اهدى كتابه فى الفلسفة الاولى الى المعتصم وكتابيه :« مختصر الموسيقى فى النغم » و « استعمال الحساب الهندى » . وأما الجاحظ فقد اهدى للوزير محمد الزيات كتابه «الحيوان» والبيان والتبين لأحمد بن ابى دؤاد . والزرع والنخل لابراهيم الصولى . فى حين اهدى البحترى حماسته للفتح بن خاقان . وفى سامراء اتم ابن السكيت كتابه «إصلاح المنطق» وعلى بن ربن «فردوس الحكمة » .

وعن علماء اللغة والنحو فقد حفلت بهم سامراء وكانت منتجعا لهم ومرتاداً يختلفون إليه وكان الخلفاء العباسيون يجرون اختبارات عليهم فى كل شهر . وسمعت بأن أبا عثمان المازنى بعد أن طلبه المتوكل للسكن فى سامراء .. ودرس فيها وناظر وجادل .. فانه لا يلبث أن طفق راجعاً للبصرة وكان يتسلم راتباً شهرياً مائة دينار حتى وفاة الواثق فقطعت عنه . واقام فيها محمد بن يزيد المبرد النحوى وابو العباس ثعلب ...

وامعتصمـــاه

عندما تزور سامراء اليوم وتقف متاملا لتلك الآثار الباقية فانك لابد أن تسمع صدى يراود ذهنك ويأخذك معه الى خارج الآفاق الواسعة لتتذكر قصة فتح عمورية والتى كان بطلها الخليفة المعتصم بالله . وكذلك تذكرنا بقصيدة الشاعر العربى ابى تمام الطائى ، وبائيته التى تعد من روائع قصائد شعرنا العربى والتى صور فيها الطائى انتصار العرب بقيادة المعتصم على الروم البيزنطيين . إذ وصل للخليفة المعتصم وهو جالس فى مجلسه خبر من رجل أبلغه بأن

واجهة المعهد الاسلامى فى سامراء

امراة هاشمية فى السر نادت بقولهـا: وامعتصماه .. وامعتصماه.

اى عمل يقوم به الخليفه بهذا النداء العربى؛ هل يبقى فى مكانه ويرسل التهديد؟ أم تبقى الامراة الهاشمية العربية تنال من العذاب مالا يحتمله جسدها الدامى ؟ إن النخوة العربية والشهامة الحقة قد زعزعت كيان الخليفة فامر بتجهيز جيش معد بالعدة والعدد فتوكل على الله مخترقاً حدود العراق متجها نحو عمورية وحاصرهـا .. رغم الجو التعيس الذى قاساه الجيش الفاتح .. بعدها تم بحمد الله فتح عمورية المحصنة واطلق سراح الامراة الهاشمية .

وصل الخبر بنصر الخليفة مع انسام الهواء لتلامس وجه سامراء عند احـد الصباحات الجميلة .. ووصل الموكب المنتصر .. و هنا جاء دور الشعراء لكى يهنئوا الخليفة على شكر الله والحمد له فى العودة الحميدة . فالقى فى حضرته ابو تمام الطائى قصيدته الرائعة :

السيف اصدق انباء من الكتــــب
فى حده الحد بين الجد واللعـــــب
بيض الصفائح لاســـود الصحائف
فى متونهـن جلاء الشـك والريـــب
والعلم فى شهب الأرمـاح لامعـــة
بين الخمسيـن لا فى السبعة الشهب

وهكذا تم الفرح الادبى وحفلت الكتب برواية هذا الفتح المبين بعونه تعالى بعد أن خرجت الجحافل من سامراء لعمورية فى تركيا ...

شواهد حضارية

والقادم من السامراء سيلوح له من بعيد عدد من الشواهد الحضارية الاسلامية والتى تحدت الزمن وحروف الدهر وبقيت خالدة الى يومنا هذا تذكر الأجيال القادمة بعظمة هذه الأمة وعطائها الفياض .

فبعد أن تجتاز الجسر الذى يربط ما بين ضفتى نهر دجلة والذى تتحكم سدته (سدة سامراء) بمناسيب المياه وقت الفيضان فانت ستدخل امام حديقة غناء وبناء مرتفع قديم .. وتطوف فى الشارع المؤدى الى قلب سامراء لتستدير يسرة ولتقف أمام ضريح الامام على الهادى وابنه الحسن العسكرى «ع» .. ولترى القبة الذهبية والتى تعتبر اكبر قبة ذهبية فى العالم إذ يبلغ عدد قطعها الذهبية « اثنان وسبعون الف قطعة » اضافة الى الزخارف والنقوش والابواب وسرداب الغيبة .. والجامع الكبير فى سامراء وبجانبه المعهد الاسلامى فى المدينة حيث تدرس فيه العقائد الاسلامية والنحو والصرف واصول الدين ..

وتنعطف قليلا لتطالعك تلك الطرقات الضيقة القديمة والبيوت ذات الشناشيل والعقود والزخارف والتى اندثر اليوم اغلبها وتبتعد قليلا لتواجه ناظريك البيوت الحديثة الطراز .. ولتقف أمام جدار باق طوله حوالى سبعة امتار

مدخل المدينة

سور ملوية

وارتفاعه عشرة امتار وبه فجوة . وعندما تسال على هذا الجدار ، فيجيبونك بانه جزء من سور المدينة القديمة منذ زمن المعتصم وقد هدمه اهل المدينة لكى تمتد مساحتها الى مئات الامتار البعيدة عن هذا السور الوحيد . إذ كانت المدينة محاطة بسور يحتوى على أربعة ابواب والمدينة فى وسطة ..

وعندما تغادر هذا الجزء التراثى وتحت ظلال الاشجار وفيئها البارد فانك ستشاهد السور الكبير وجامع الجمعة وتنعطف يساراً ويمنة لتقف أمام المئذنة الخالدة (الملوية ـ ملوية سامراء) والتى عرفت بها .. والتى تقف شامخة كالطود بعد أن تكسرت على ادراجها موجات السنين الذاهبات الى غير رجعة ...

ونستمع الى صدى التاريخ ونحن نقف بجلال أمام المئذنة التى كان صوت الله اكبر ينطلق من قمتها خمس مرات يومياً منادياً لاقامة الصلاة فى جامعها الكبير ... فنستمع الى صوت يحدثنا بقوله : لقد انفق المعتصم خمسمائة الف دينار ذهب وبنى حوله المنارة الملوية .. وارتفاعها اثنان وخمسون مترا .. ويرقى إليها (للملوية) بواسطة سلم من الآجر الأجمـر باتجاه عكس عقرب الساعة . وتتكون المئذنة من ستة طوابق اضافة الى القاعدة المربعة وكانت جدرانها مزينة بالزجاج الملون والذى تنعكس فيه اشعة الشمس الذهبية فتبهر العيون وتخلب الالباب ..

وزائر سامراء اليوم يستطيع ان يشاهد مئذنة اخرى غير هذه التى فى سامراء . ولكنها أصغر منها إذ يبلغ ارتفاعها حوالى تسعة عشر مترا وتقع فى مدينة المتوكلية شمال سامراء وعلى مسافة عشرة كيلومترات . فى حين اكتشف فى الأشهر القليلة الماضية من قبل الهيئة العامة للآثار على ملوية ثالثة فى سامراء .

دار الخليفـة

ونغادر سامراء متجهين عبر شارع معبد لنشاهد تل صناعى ـ ونتعرف عليه بانه «تل العليق» أو ما يطلق عليه باللغة العامية المحلية فى سامراء باسم « تل العليج » وهو مخروطى الشكل يبلغ قطره حوالى مائة متر محاط بخندق واسع ، فى حين يبلغ قطر السور المحيط بالخندق نحو اربعمائة وخمسين مترا .

واما سبب تسمية هذا التل بالعليق فيعلله الناس برواية يتناقلونها ابا عن جد .حيث يروون ان التل تكون من التراب الذى نقله الجنود الخيالة بعليق خيولهم !! .

وننظر الى الجهة المقابلة للتل من جهة نهر دجلة فنشاهد اطلالا واسوارا باقية .. فنتوجه اليها فنشاهد الجدران الباقية والاطلال الدوارس .. ونقف عند ثغرة صغيرة .. ونصل بعد دخولنا

● عاداتها عربية أصيلة .. وتقاليدها موروثة

ميدان سامراء وتظهر منارة جامع حسن باشا

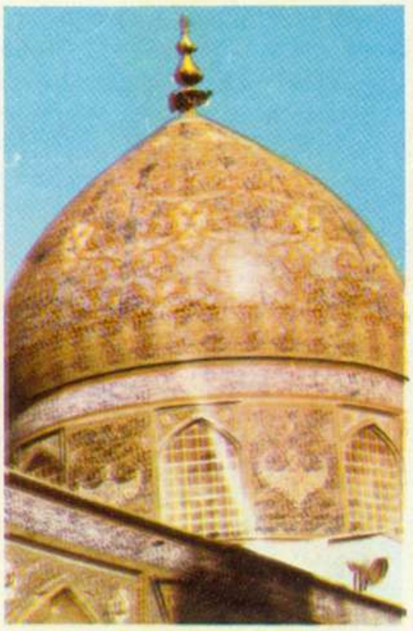

قبة المهدى

الى شكل مستطيل وبه اعمدة واطئة .. ونعرف انه بهو السباع حيث كان الخليفة يعاقب المجرمين والمخالفين بوضعهم مع هذه السباع الجائعة .. ونخرج من هذا البهو سالمين ونغادره الى جهة النهر لنقف امام بناية مرتفعة يبلغ ارتفاعها سبعة عشر مترا وتتالف من ثلاثة اواوين راسية العقد اكبرها الايوان الوسطى وهو مستطيل إذ يبلغ طوله سبعة عشر متـرا ونصف وعرضة ثمان امتار . وجداراه الجانبيان يحملان عقادة راسية ترتفع قمتها عن الارض حوالى اثنى عشر مترا .

ومن الكشوفات الأثرية عرف بان هذا الباب كان يفضى فى الاصل الى عدة قاعات كبيرة ، تؤدى الى غرف الخليفة المعتصم وقاعة العرش

ونلاحظ عن يمين الشارع خندقا واسعا نعرف انه البركة الحسناء التى وصفها الشاعر البحترى بقوله :

يامن راى البركة الحسناء طلعتها
والآنسات إذا لاحـت مغـانيهـا

ويقضى اهل المدينة اوقات العطل والمناسبات واثناء فترة الربيع حيث تكون الارض مفروشة ببساط اخضر ودجلة تغرد فيه الطيور وتسبخ فيه الاسماك من أجل الحصول على قسط من الراحة والتمتع بهذه المناظر الخلابة . اضافة الى مايؤم سامراء يوميا من مختلف انحاء العالم مئات من الزائرين والسياح الاجانب .

قصر العاشق

وقبالة دار الخليفة وعبر نهر دجلة تلوح لنا اطلال اخرى وهى : قصر العاشق (المعشوق) وقبةالصليبية . ويقع قصر العاشق او كما اطلق عليه المؤرخون (المعشوق) بنحو عشرة كيلومترات شمال سامراء من الجهة اليمنى لدجلة . بناه المعتمد بالله قبل أن يترك سامراء نهائيا ويرجع عاصمة الخلافة الى بغداد . وهو مستطيل الشكل يبلغ طوله مائة وواحد وثلاثون مترا وعرضه ستة وتسعون مترا ويدور حول القصر خندق واسع وذكره البحترى بقصيدته .

لازال معشوقك يسقى الحيا
من كل داني المزن واهى الخـروق
لم ار كالمعشوق قصراً بـــدا
لأعيـن الرائين غير المشوق

وعن يمين قصر العاشق تنتصب قبة مثمنة الشكل تتوسطها قاعة مربعة .. أما عن اصل هذه القبة ، فدوى : انها كانت ضريحا لأحد الخلفاء . فيما يعتقد الآخرون انها كانت قنطرة على راس الجسر فى الجهة الغربية .وهى فى ذات الوقت قبة حراس الجسر لوقوعها امام الجسر مباشرة .

وسبب تسميه هذه القبة المثمنة بـ«الصليبية» فهو مشتق من صلب بعض الاشخاص .. ولكن هرتسفيلد يرى انها ضريح الخليفة المنتصر على رواية الطبرى .وهو اول خليفة عباسى فيما قيل عرف قبره ، والله أعلم ؟

ومن شواهد سامراء الأخرى والتى لاتزال مطلة فوق تراب هذه المدينة تل الصوان والذى عد من اقدم المدن القديمة .. وفيها معمل للزجاج إبان ذلك العهد .. وهناك آثار تسمى (القائم) وسور لقادة المعتصم قرب ملوية سامراء عيسى وإشناس وقصر بلكوارا...

إضافة الى الشواهد الحضارية .. فتشتهر سامراء وتعرف بزراعة الرقى والبطيخ .. وخاصة بطيخ سامراء المعروف فى كل مناطق العراق .. لخصوبة تربتها وطيب هوائها .. إذ كانت سامراء تصدر البطيخ عن طريق دجلة وذلك بوضعه فى الكلك وهو«عبارة عن وعاء من الخشب يشبه الزورق النهرى وهو على شكل دائرى .. » ولايفوتنا ذكر عادات سامراء وهى عادات عربية اصيلة تشابه كل ما فى المدن العربية وما يربطها من تقاليد موروثة .. فالزواج من عاداته انه قبل ان يزف العريس فانه يذهب فى سيارات تطوف المدينة وشوارعها وسط الاغانى والاهازيج . بعدها يذهب الى ضريح الامام على الهادى ليؤدى الصلاة هناك وهى صلاة العشاء ويغادره محفوفا بالاحبة والاصدقاء .

وكانت النساء فى هذه المدينة قبل سنوات يذهبن الى ملوية سامراء ويصعدن الى قمتها ومن فوقها يلقين بعباءاتهن السوداء وذلك طلباً للحظ والامانى فان انفتحت العباءة فتكون الامنية متحققة باذن الله . وإن لم تنفتح فقد تخيب امنيتها وهى اليوم زائلة.

وتغادر هذه المدينة بعد أن اخذت الشمس بالدخول الى مغيبها ولتبقى فى خدرها الى الصباح الباكر .. وهكذا فسامراء اليوم لصيقة بالوجد والقصائد فهى ستظل معلقة بين مصابيح لا تنطفىء .. تملأ وجوهنا ووجوه زائريها يومياً من كل بقاع الدنيا برائحة الماضى وبضياء الامامين .. لكى تمتزج فوق اعمدتها واطلالها رياح الجهات الاربع .. وتبقى ملويتها آسرة للقلب ، وإذ تستدق نهاياتها ، فلأن بداياتها واسعة مثل عينى سامراء !

محمد رجب السامرائى

يعقوب الشاروني

دراسة في أدب الطفل

الحكايات: ماذا تقدم للأطفال؟

استقر رأى رجال التربية وعلماء النفس ، على أن الاسلوب القصصى هو أفضل وسيلة نقدم عن طريقها كافة ما نريد تقديمه للأطفال ، سواء كان ذلك قيماً دينية أو أخلاقية ، معلومات علمية أو تاريخية أو جغرافية ، توجيهات سلوكية أو اجتماعية .

إن حب الاطفال للقصص والحكايات ، أمر شائع ومعروف . فالأسلوب القصصى ، بما فيه من تشويق وخيال وربط للأحداث ، يمكن أن يكون الوعاء الذى نصب فيه كافة ما نريد تقديمه للأطفال .

كذلك فان من أهم وسائل تنمية وعى القراءة ، وتنمية مختلف القدرات اللازمة لجعل القراءة عملية منتجة ومفيدة ، أن نقص القصص للأطفال ، وأن نعاونهم على قص القصص بأنفسهم .. أن نقرأ لهم القصص ، وأن نشجعهم على أن يقرأوا القصص بأنفسهم ، لأنفسهم ولغيرهم .

إن للقصص دورا هاماً فى التربية ، سواء من ناحية توجيه السلوك ، أو تنمية الخيال ، أو تنمية الاحساس بالجمال ، أو ادخال المتعة ، أو ترقية اللغة .

كذلك فان توجيه الاطفال ، بعد استماعهم الى قصة أو قراءتها ، لرسم أحداث منها ، أو اعادة كتابتها ، أو تمثيل بعض مواقفها ، يساهم كثيرا فى تنمية خيال الأطفال ، وقدراتهم الفنية واللغوية

كذلك فان تشجيع الاطفال على اعادة قص القصة وروايتها ، ينمى فيهم القدرة على التركيز ، وسلامة التعبير ، وقوة الملاحظة ، كما ينمى فيهم الشجاعة والثقة بالنفس .

إن القصة هى الوسيلة الفنية

دراسة فى أدب الطفل

الحكايات: ماذا تقدم للأطفال؟

المثالية ، التى لابد من استخدامها ، لكى نوصل الى الطفل كافة المعلومات والقيم

اختيار القصة :

ولكن ليست كل قصة صالحة للأطفال فكثير من القصص التى تقدمها الكتب أو وسائل الاعلام للأطفال ، تتضمن مفاهيم ونماذج سلوك كبيرة الخطر على الأطفال وكثيرا ما نترك أطفالنا تحت تأثير مثل هذه القصص ، التى تقدمها بكثرة محلات الأطفال فى قصصها المسلسلة المرسومة (الكومكس) ، او التى تقدمها البرامج المرئية (التلفزيون) .

وهذه الدراسة محاولة للتنبيه لأخطر ما تتضمنه القصص الشائعة ، التى تقدمها عادة وسائل الاعلام الواسعة الانتشار ، والتى كثيرا ما تقدم للأطفال مفاهيم خاطئة .

إن القصص من أهم المصادر التى يعتمد عليها الطفل فى معرفة حقائق الحياة ، ومن أخطر الامور أن نقدم لأطفالنا قصصاً تؤكد لديهم قيماً أو نماذج سلوك خاطئة أو منحرفة .

ويلاحظ فى هذا الصدد ، أن هناك قصصاً يمكن أن نعدل فى أحداثها ومواقفها حتى تناسب الأطفال . فمعظم القصص الشعبية ، بها كثير من مواقف العنف ومنافاة الاخلاق ، ومع ذلك فقد أعيدت كتابة عدد كبير منها ، لتنقيتها من هذه الشوائب ، مع الاحتفاظ بما فيها من جاذبية وتشويق .

أما اذا تعذر تنقية القصة مما بها من شوائب ، فيجب استبعادها تماماً من دائرة أدب الأطفال .

العنف كوسيلة لحل المشاكل :

ومن أكثر النماذج السيئة التى تقابلنا فى قصص الأطفال ، تلك القصص التى تمجد العنف كوسيلة لحل المشاكل ، أو التى تجعل القوة البدنية هى العامل الأقوى فى حسم مختلف المواقف ، وذلك مثل قصص «طرزان» أو «سوبرمان» أو «الجسوسيه» والتى لاتحتوى على أى قيم انسانية أو أخلاقية .

إن تاريخ الحضارة ، هو تاريخ احلال العقل محل القوة . وعندما نقدم للأطفال شخصيات مثل «طرزان» ، الذى تربى بين الحيوانات ، والذى لايعرف وسيلة لحل ما يواجهه من مشكلات إلا القوة البدنية فان الأطفال سيسقطون من سلوكهم كل ما قدمه لنا تاريخ الحضارة من وجوب استخدام العقل فى حل المشكلات بدلا من القوة ، وهو أمر يتنافى مع أهم أهداف التربية السلوكية للأطفال . فأول ما نهتم بغرسه فى أطفالنا ، هو تدريبهم على مواجهة المشكلات وحلها بنجاح ، وذلك عن طريق استخدام العقل ، مع استبعاد القوة البدنية بشكل شبه كامل .

إن «الأوديسا» عندما تحكى قصة «أوليس» مع «السيكلوب» ذو العين الواحدة ، تبين كيف استطاع الانسان الضعيف بجسمه القوى بعقله أن يتغلب على ابن الآلهة ، القوى بجسمه ، الضعيف فى عقله . ومن غير المعقول أن يعلم اليونان القدماء ، أبناءهم ،قبل ثلاث آلآف سنة ، الاعتماد على العقل بدل القوة ، ثم نأتى نحن ، فى نهاية القرن العشرين ، لنقص على أطفالنا قصص طرزان وسوبرمان والجاسوسية التى اشرنا اليها ، فنلغى بها كل انجازات الحضارة عندما نؤكد بما نقدمه لأطفالنا من تلك القصص ، ان القوة هى الوسيلة المثالية الحاسمة لحل كافة المشكلات التى تواجه الانسان.

العطف على قوى الشر:

كذلك يجب تجنب القصص التى تتضمن اثارة العطف على قوى الشر أو تمجدها مثل القصص التى يتغلب فيها الشرير على الشرطى أو على ممثل القانون .

إن بعض من يقدمون مثل هذه القصص ، يدافعون عنها بقولهم أنهم يعرضون صور السلوك الخاطئة ، لكى يقوموا بادانتها فى خاتمة القصة .

لكن ماأشد خطأ هذا التصور .

إن الأطفال يتأثرون بمختلف مواقف القصة التى يقرأونها أو نحكيها لهم ، لما فى تلك المواقف من حركة وتشويق . فاذا كانت تلك المواقف تتضمن انتصار الشر أو تمجيده ، واظهار بطولته ،فان هذا هو الذى سيؤثر بعمق فى الأطفال ، أكثر كثيرا مما يتأثرون بخاتمة ندين فيها الشر بعبارات عامة .. فما أقل تأثير الكلمات على الأطفال ، وما أقوى تأثير مواقف الحركة والحوار والخيال عليهم .

السخرية بالآخرين :

كذلك يجب تجنب القصص التى تقوم على السخرية بالآخرين ، عن طريق تدبير المقالب لهم ، وايــقاع الأذى بهم ، مثل موضوع الأفلام المتحركة «توم وجيرى» .

إن هذه الأفلام وأمثالها تجعل الصراع حتى الموت هو الوسيلة الوحيدة لانهاء التنافس بين الاطراف المتنازعة . والموضوع الرئيسى المتكرر فيها ، هو ما يدبره كل طرف للطرف الآخر من اساليب للأذى . واذا كنا نضحك ونحن نشاهد مثل هذه الافلام ، فان الطفل الذى يشاهدها فى السينما أسبوعاً بعد اسبوع ، أو فى التلفزيون يوماً بعد يوم ، سيتركز فى وعيه نمط خاطىء من السلوك ، من السهل تقليده والتمثل به ، لما فيه من تنمية للاحساس بالتفوق على الآخرين رغم ما يسببه لهؤلاء الآخرين من أذى وأضرار .

القصة هى الوسيلة الفنية المثالية لتوصيل المعلومات للطفل

احتقار الحياة الانسانية :

كذلك يجب الحذر من القصص التى تتضمن ازدراء الأجناس الملونة ، أو احتقار الحياة الانسانية والاستهانة بها ، مثل القصص التى تدور حول ابادة الهنود الحمر أو قصص طرزان التى تؤكد تفوق الرجل الابيض .

إن قصص الغرب الامريكى ، التى كثيرا ما تقدمها القصص المصورة المسلسلة فى مجلات الأطفال ، تؤكد لدى الاطفال شعورا قويا بتفوق الرجل الابيض ، وبتفاهة حياة سكان أمريكا الاصليين ، وبأن من حق الرجل الابيض أن يقتلهم كما يقتل الحيوانات المتوحشة

ومثل هذه الصورة نجدها ايضا فى قصص طرزان ، التى يلجأ فيها هذا العملاق الأبيض الى استعداء الحيوانات على اهل افريقيا السود ، تقتل منهم من يرى أنهم اصبحوا أعداء له .

إن مثل هذه القصص ، تجعل الحياة الانسانية شيئا هينا فى وجدان الاطفال . فى حين أن من أسس التربية السليمة ، أن نبنى الاحترام للحياة الانسانية والحفاظ عليها وتقديرها بل وتقديسها ، مهما اختلف لون البشرة .

التبسيط المخل للشخصيات :

كذلك يجب الحذر من القصص التى تلجا الى تبسيط الشخصيات ، وتجعل بعضها ممثلا للخير المطلق وبعضها ممثلا للشر المطلق ، مثل كل قصص الرجل الخارق للطبيعة «السوبر مان» لأن هذا مخالف لطبيعة البشر ، ويؤدى الى فهم الاطفال لمجتمعهم فهما خاطئا ، ففى كل انسان جانب طيب وجانب خبيث والمهم أن نفهم دوافع الانسان وأسباب سلوكه ، لكن بطريقة مبسطة تناسب الاطفال .

إن هذا النوع من القصص يؤكد قيما مضادة لكل ما قامت عليه نظم الدول المتمدينة الحديثة: فمن القيم التى يجب أن تشيع فى نفوس الاطفال ، احترام القانون ، وترك مهمة محاكمة المخطىء والحكم عليه وتنفيذ الحكم للقضاء وسلطات الأمن . لكن كثيرا من قصص الرجل الخارق للطبيعة تجعل البطل هو الذى يحدد ما هو الخير وما هو الشر ، وتتركه يحكم على الآخرين بمعياره الشخصى ، وينفذ بنفسه ما ينتهى اليه من احكام !

يضاف الى هذا ان هذه القصص تزيف الحياة ، عندما تجعل فى متناول البطل الثروة والسيارات والطائرات وكل وسائل الراحة ، دون ابراز أى جهد قد بذله للحصول على هذه الوسائل ، حتى انه يحطم فى كل يوم ما يساوى عشرات الألوف من الجنيهات بغير أسف أو ندم ثم يجد غيرها بنفس البساطة ، رغم أنه من اسس التربية السليمة أن ينشأ الأطفال على تقدير قيمة ما يملكون أو ما يتطلعون الى امتلاكه ، وأنه لابد من بذل الجهد للحصول على هذا الذى يتطلعون اليه .

وإذا قيل أن مثل هذه القصص تنمى الخيال العلمى ، فانه يجب التفرقة بين القصص التى تقوم على تنمية «اسلوب» التفكير العلمى ، الذى يعتمد على الملاحظة والاستنتاج والتجربة والخطأ ، ووضع الفروض وتمحيص هذه الفروض حتى يصل البطل الى نتائج ايجابية ناجحة ، وبين القصص التى تحفل بها الكتب والمجلات التجارية ، والتى تقدم للطفل ، دون مقدمات ، أجهزة ووسائل جاهزة ، يستخدم البطل بمعظمها فى الدمار والقتل ، دون أية اشارة الى اسلوب التوصل الى اختراع تلك الآلات ، أو أية أشارة لما يمكن أن تمنحه للبشرية من فوائد . فهى قصص «توهم» بأنها من قصص الخيال العلمى ، فى حين أنها فى الواقع من قصص «الهذيان» الذى يستعير من العلم أشكاله الخارجية ، دون مضمونه الحقيقى .

إثارة مخاوف الاطفال

كذلك يجب ألا تتضمن القصه ما يثير مخاوف الاطفال . فالخوف هو احدى القوى التى تعمل على البناء أو الهدم بالنسبة لتكوين الشخصية ، وقد يؤدى الخوف الى تشتيت الطاقة العقلية ، بدلا من توجيهها الى الأهداف النافعة .

وأكثر مخاوف الأطفال تثور بسبب أنواع الخبرة التى يتعرضون لها فى سنواتهم الأولى ، ومن أكثر هذه الخبرات تاثيرا ، ما يسمعونه من قصص .

إن أكثر المخاوف التى يعانى منها الطفل ، يغلب أن تكون تقليدا لمواقف رآها فى أهله ، أو سمعها فى قصص . واقعى أو خيالى ، قرأها ، أو سمعها فى الاذاعة ، أو شاهدها على شاشة التليفزيون . فاذا استخدمت القصص عنصر اثارة الرهبة والخوف كوسيلة للتشويق وجذب الانتباه . فان الطفل قد ينتشى عند سماع القصة نهارا ، وهو فى حمى الكبار ، ولكنها تملؤه خشية ورعبا عندما يصبح وحيدا فى هدأة فراشه أو غرفته ، فنجد حياته وقد اصبح يسيطر عليها الخوف من الظلام أو الحيوانات أو اللصوص أو رجال الشرطة أو العفاريت ، أو حتى الخوف من مجرد الخروج الى الطريق العام ، أو من مواجهة الناس والحياة . وهذا الخوف اذا اتسع مداه ، أو زادت شدته ، اصبح سببا لعجز الطفل واعاقة نشاطه .

ان واجبنا ان نختار دائما القصص التى تعمق القيم الدينية والأخلاقية أو تثير الاهتمام بالأدب والفن والعلم ، أو تبرز قواعد السلوك أو تنمى الشعور بالمسؤولية ، وبوجه عام ، التى يدور مضمونها حول ما نريد أن ننميه ونبنيه فى اطفالنا من قيم واتجاهات بشرط أن يجىء كل هذا فى ثنايا القصة ، ولا يجىء عن طريق مباشر .

يعقوب الشارونى

بقلم: محمد المنسى قنديل
رسوم: جمال قطب

وقائع عربية

كل نساء الصحراء

الخروج . العشق . الموت

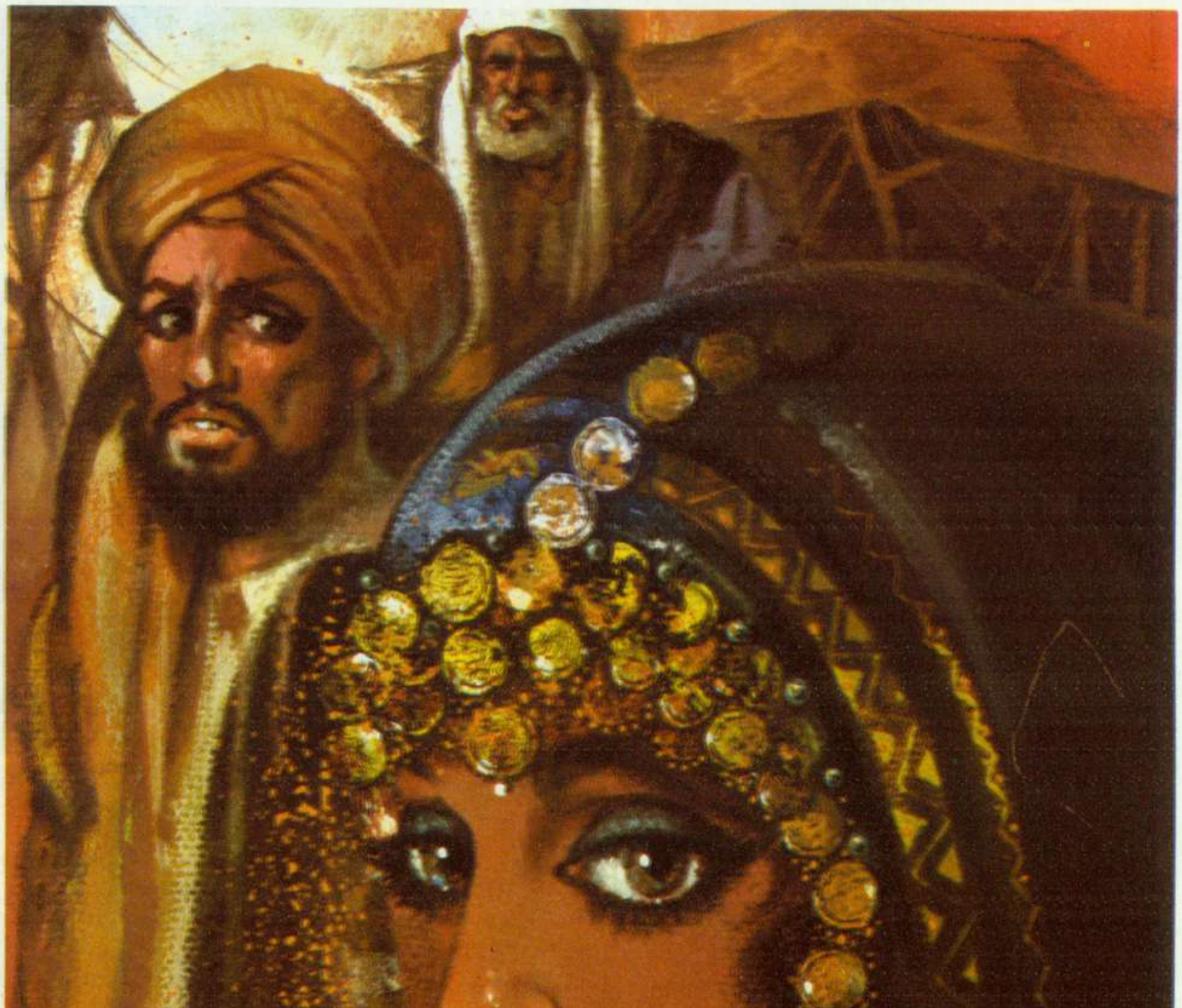

● قال لى صوت كأنه نابع من الصخر: سوف أقودك إليها
● من أنا بالضبط ؟ لص جياد. عاشق خاب سعيه. منبوذ من قبيلته. أم كل هؤلاء ؟

خيمتى بعيده . معزوله وسط البرارى وتحت رحمة الصحراء . والرمل امامى مطلق اليدين فى كل المصائر . والريح تأتى إليّ بنتف من الروائح والأحاديث والذكريات . وأنا وحيد على الجبل الوحيد . وفى حاجة لامرأة .. من أنا بالضبط ؟ .. لص جياد . عاشق خاب سعيه . منبوذ من قبيلته . أم خليط من كل هؤلاء .. ما الذى جاء بى الى هذه الصحراء العربية الغامضة .. ليس من النادر أن أسير الى مضاربهم . فى كل مرة أسير الى قبيلة مختلفة ولكنى لا أحس فرقاً فأنا أسير فى الساحات الخالية . والطرقات غير المأهولة .. وأقف طويلا أمام أى خيمة حتى أكتشف انها ليست خيمتها .. فأعود وحيداً الى خيمتى الوحيدة ..

أريد امرأة صحراوية. تعشق وتغنى وتغضب وتنثر الحصى على الرمل نجوماً ملونة . وتخرج معى للغزو . تشاركنى سرقة الجياد والأبل . تحمل فى داخلها صهد الصحراء . ورطوبة الواحات . وعذوبة الأبار القديمة . لا تصغى إلي ولا تكف عن دفعى للحديث ورواية الأشعار وإختلاق الخرافات . لا ترضى بهدية ليست مسروقة . ولا بنجمة مطفأة . ولا بقبلة دون رغبة قوية .

ولكن بعد أيام طويلة لم أكن قد وجدتها . كنت ألمح طيفها الرقيق يتشكل من الصخر والرمال .. وهبت ريح عنيفة . اقتلعت خيمتى . واطاحت بأشعارى . وإنتفضت الصحراء مثل امرأة حبلى بالألم . وجدت نفسى انحدر رغماً عنى . اهبط إلى واد لم أره من قبل .. بين اشجار جافة واعشاب وحشية وشاطىء أبيض بعيد كأنه بحر من الملح .. كنت أعرف أنها بانتظارى .. بثوبها الصحراوى الخشن . وقعب اللبن الفائر كنت اردد اشعارا لم تخطر بفكرى من قبل .. ولا أتوقف عن الانحدار كأن الوادى الغريب يتجسد فى داخلى كائناً حياً . صرخت . أين انا ؟. أجابنى الصدى .. أنت فى وادى عبقر .. فوضعت جسدى على حافة الوادى وانتظرت .. قال لى صوت كأنه نابع من الصخر ..

– أنا سوف أقودك إليها ..

تلفت مفزوعاً .. رأيت امرأة فارعة الطول ترتدى ثوباً يمنياً .. لم أميز ملامحها .. قالت ..

– ألا تعرفنى .. أنا زرقاء اليمامة ..

إقتربت .. رأيت وجهها .. وهالتين من السواد الذابل مكان عينيها .. أمسكت ذراعها كان مخالب باردة انغرست فى لحمى .. قالت فى قسوة .. لاتكن أعمى فتحسبنى عمياء .. كان فى صوتها رنة النذير .. والنبوءة .. تبعتها فى فجاج الوادى . سمعت وجيب الصخور وهمس الينابيع الفائضة والغابات المطمورة .. قالت لهم .. ياقومى إن الاشجار تتحرك وإن العصافير ترتعد .. فضحكوا منها وعاودوا الشراب .. وحين جاء الموت والأعداء .. فقأوا عينيها .. قتلوا فى داخلها كل غناء العصافير ..

قالت .. فلنبدأ رحلتك مع طرفة الخير .. قد تقودك الى النجاة .. أو الموت .. رددت الاسم فى ذاكرتى .. فلم أجد له صدى .. ولكن زرقاء اليمامة أكدت ..

– لن ينقذك من هذا الوادى .. إلا طرفة الخير ..

الخروج

من أين يبدأ الرحيل إلى أرض سبأ ..؟ .. كان العمار فيها أزيد من مسيرة شهرين للراكب المجد ، وأهلها يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة اربعة شهور .. ثم مزقوا كل ممزق ..

بدأت الكارثة بالنذير . وبدأ النذير عندما رأت طرفه الخير حلما . سحب ثقيلة لا تحمل مطرا .وحين ارتعدت همى الرماد منها على ارض سبأ وغطى كل شيء ونهضت طرفة مفزوعة . هرعت الى زوجها الملك عمرو بن فريقياد .. كان مختليا فى الحديقة باثنتين من جواريه .. ووقف أمامها نصف عار . نصف خجل . كأنما كان يتوقع أن تلومه .. ولكنهاقالت:

– ما رأيت كاليوم . حلماً أزال عنى النوم . رأيت غيما أرعد وأبرق . وزمجر وأصعق . فما وقع على شيء إلا أحرق . وأكمل الملك ارتداءثيابه فى هدوء . أشار إلى الجاريتين بالانصراف ثم جلس يستمع الى حلمها .. ولم يستطع أن يمنع ابتسامة السخرية من التسلل إلى شفتيه وهو يرى رعدتها . فسبأ أرض خضراء ممتدة الى أقصى البصر . والسد فى اعلى الجبل يخزن المطر لكل الأعوام ما هذه الاحلام سوى بعض اعراض الاضطرابات الجنسية .. طلب منها أن تنسى الحلم .. ووعدها بأن يزورها

وفى اليوم التالى اشتد الحر حتى احمرت السماء . وأخذ الشجر ينكفىء بغير ريح . وهذه المرة تسربت النذر إليها وهى يقظى . هرعت الى خلوة الملك وزفر فى ملل بالغ وهى تهتف به ..

– والنور والظلماء . والأرض والسماء إن الشجر لهالك . وليعودن الماء كما كان فى الزمن السالك ..

ولم يرتد عمرو ثيابه . ولم يأمر الجاريتين بالانصراف . ولم تعد طرفة بأى وعد .. وسارت وحيدة تحت السماء الحمراء . وسط الشجر المنكفىء . حاولت ان تصعد الجبل فأعيتها المحاولة . سارت فى الشوارع الغافلة التى لا تحس دبيب الموت .. فى الحانات حسبوها أحد البغايا . وفى المعابد حسبوها صائبة . وحين تكلمت لم يستمع أحد إليها .. وقال لعمرو ..

– جنت زوجتك ..

وكان عمرو رغم مغامرات الحديقة اليومية لازال يحبها .. سألها عما تريد .. قالت ..

– إصعد الى السد . فان رأيت جرذا يكثر بيديه الحفر فى السد ويقلب برجليه من أجل الصخر فاعلم أن غمر الغمر .. وأن وقع الأمر .. وابتسم عمرو فى إشفاق ووافق على اصطحابها . وكان طريق الجبل وعراً .. وبسبب ذلك لم يحاول أحد الصعود منذ عشرات السنين ولا أحد يدرى أن يدًا عملاقة .. شقت الطريق وبنت السد وصنعت تحته الحياة ..

ونظر عمرو لاهثا إليها . رأى وجهها هادئاً . محملق النظرات . وكان السد شامخاً .. متراص الأحجار مثل وجه

عجوز متغضن . كان شامخا . منيعا .. وأوشك عمرو أن يهتف فيها .. ارأيت أيتها المجنونة .. ولكنها قالت ..

– لا تنظر إلى اعلى ..

ونظر عمرو الى اسفل السد فرأى الفئران .. المئات منها تنشب اظافرها فى الطين وفى الصخر وتعمل فى دأب مروع . وتفتت الصخر بعنف الطواعين والأوبئة .. كأنها تحت تأثير لعنة موروثة وبدا السد الشامخ مرتعدا .. كانت كل تفاصيل الكارثة معدة .. وتمتمت طريفة

– إنه سيل الدم .. لا يبقى ولا يذر ..

وصرخ فيها ..

– امسكى لسانك أيتها الكاهنة الحمقاء ..

ثم قال لها فى توسل ..

– إنها نهاية مأرب ياطريفة . ولو نشر الخبر لتدافع الناس للهرب .. فلننج نحن بأموالنا ولنبع ضياعنا ثم نرحل الى مكان أخر ..

قالت طريفة فى ذهول ..

– ولكنك الملك ..

– لا ملك أمام الطوفان ..

وهبط عمرو متظاهرا بالهدوء . وحبس طريفة فى أقصى قصره وأشاع أن جنونها قد تم . وافتعل مشاجرة مع إبنه ومع أقرب اصدقائه . ومع كل من يحيط به .. وأقسم ألا يعيش فى هذا البلد الذى اهين فيه وأخذ يبيع ضياعه وأمواله .. واغتنم الجميع فرصة غضبته ونسوا طريفة الخير .. والتحذير .. حتى جاء الطوفان كالقيامه .. وفى غمرة الفزع الانسانى الرهيب نسى الجميع وجودها وظل الماء يرتفع فى غرفتها محملا بالرمل والحصى والجرذان الميتة وبقايا البيوت والثياب .. والذكريات .. وقد غرق كل شىء ..

العشق

لم أكن أكره طريفة . ولكنى لم أكن أريد لقاءها ، وعندما يكون دليك امرأة عمياء مثل زرقاء اليمامة فعليك أن تتوقع كل شىء .. صحت فيها ..

– لا أريد كاهنة .. لا أريد امرأة تخترق الغيب الذى اخشى مواجهته ..

قالت زرقاء اليمامه فى احتقار بالغ ..

– وماذا تريد إذن .. ؟.

قلت .. أريد امرأة ضعيفة . تعشق وتخاف من الغيب .. وتتفاعل باللحظة الحاضرة ..

هتفت فى حدة ..

– أيها الابله .. لا توجد امرأة ضعيفة حتى ولو كانت عاشقة .. وتركتنى اتخبط وحيدا . من أين تبدأ قصص العشق فى الصحراء .. كيف تنمو زهوره الرقيقة وسط هذه الحياة القاسية .. تحت الشمس التى تمتد وتكشف كل مكان فوق الرمل .. ولكن .. لابد أنه فى مكان ما . فى فجوة بين الصخور . تسع رجلا وإمرأة ومسافه بين كلمات الحرب والتفاخر .. بعيداً عن كل الشراك والكمائن .. فى كل الأمسيات هناك إمرأة تنتظر رجلا .. مثلما كانت ليلى الأخيلية تنتظر عودة توبة .. ولكن القبائل كانت قد ضجت من غزواته فأقامت له كميناً لم يفلت منه .. وعادت إليها جثته ناقصة الأطراف فقالت كل أشعار الرثاء الوقحة حتى استجاروا منها . وتحولت السلوى الى غضب هائل .. لم ينقذ قومها منها إلا الموت حين رحلت ودفعتها ناقتها فماتت على قبر توبة .. ولكن عبلة بنت مالك أخذتنى بين ذراعيها . لم أر احداً بجمالها فى هذا الوادى القفر . كانت تعويذتى . تجوس حولى . وتتجول عيونها كطائرين مجنونين .

قالت .. يبدأ العشق بى .. عندما احبنى عنتره وأعلن حبه بصرامة السيف وبلاغة الكلمات .. قلت .. ولكنك لم تتزوجى به ياعبلة .. قالت فى استنكار بالغ .. اتزوج عبداً .. يكفى أن حبى له منحه الخلود .. لو أنه عشق زنجية مثله هل كان يتذكره أحد ؟ .. وكانت صادقة لدرجة مريرة .. وأمتلأ الوادى بأصوات النساء .. هل يوجد كل هذا العدد الكبير من العاشقات ؟ هل رسم الحب خطوطه الطويلة فوق الرمل الأصفر ؟ جاءت عزة .. رغم انها أنكرت أكثر من مرة انها عاشقة .. كانت خجلى لأن عاشقها هو كُثّير .. رجل لا يتجاوز طوله الاشبار الثلاثة فى عالم حافل بالفرسان والمغاوير .. لم يضع امامها إلا قلبه

● يبدأ العشق بى عندما أحبنى عنترة وأعلن حبه بصرامة السيف وبلاغة الكلمات

● هذا هو وعد وهاالآتى بالثأر : نحيف كشاعر .. قوى كنبات صحراوى

واشعاره .. وظل يسير خلفها بقامته القصيرة كانه ظل لها . وجاءت لبنى شامخة .. تركها قيس تحت الحاح أهله .. كانت تحبه ولكنها فشلت فى أن تنجب له ولدا .. والح عليه أبوه وأمه أن يطلقها ولكنه رفض .. فاضربت أمه عن الطعام . وخرج أبوه الى العراء وظل واقفا تحت الشمس والظل والمطر عاما كاملا . وكان قيس يتوسل إليه ان يرحم شيخوخته ويظلله بردائه لعل حدة الشمس تخف قليلا .. وحين يعود إلى لبنى يبكيان سويا .. « لا تستمع إليهما فتضيع وتضيعنى .. » ولكنه لم يستطع المقاومة .. وعجز عن أن يقيم أود حياته بعد ذلك .. وحتى بعد أن توجه أبواه إليها وطلبا منها العودة رفضت ..

.. ورفضت الكثير حتى سار إليها ثلاثة شعراء مرة واحدة .. زيد الخيل .. وأوس بن حارثه .. وحاتم الطائى .. جاءوها خُطّابا .

ورحبت بهم ماوية .. وفرقتهم فى خيام منفصلة .. وزادت فى إكرامهم . وبعثت إليهم بالهدايا . ثم تنكرت فى زى سائلة وذهبت الى خيامهم . واعطاها زيد الخيل شيئا قليلا . وأعطاها أوس نصف ما معه .. أما حاتم الطائى فاعطاها كل ما عنده

وحين طلبت منهم قول الشعر والمفاخرة .. تحدثوا جميعاً عن أشياء خيالية ومبالغ فيها .. ولكنها كانت فى حاجة لأن تصدق حاتماً .. لذلك قالت فى النهاية ..

ـ أما أنت يا زيد فقد وترت العرب وبقاؤك مع الحرة قليل . اما أنت يا أوس فرجل ذو ضرائر والدخول عليهن شديد .. وأما أنت يا حاتم فمرضي الأخلاق محمود الشيم .. كريم النفس .. وقد زوجتك نفسى ..

وتزوجت ماوية من أكرم العرب كما تصورت . وسار إلى ديار بنى طىء . ولكن الكرم الحاتمى تحول الى سفه حقيقى .. أكتشفت أنه يمكن أن يمنح أى شيء .. أى شئ بلا حساب .. يكفى أن يمر به اى صعلوك من صعاليك العرب ويطرق بابه حتى يهديه آخر قطعة لحم .. وآخر جذوة نار .. اقطاع إبل جده . وتجارة أبيه وارث إخوانه . وتخيلت ماوية اللحظة التى سوف يمنحها فيه لأى صعلوك .. وهمس مالك إبن عمه فى اذنها ..

ـ ما تصنعين بحاتم .. إنه يتلف كل شيء .. وعندما يموت سوف يتركك ويترك اولادك عبئا على قومه .. لا تملكون إلا السؤال . وانا خير لك منه .. أكثر مالا واقل سفها .. طلقيه واتزوجك ..

ولم يرحمها حاتم . لم يعطها فرصة للمقاومة .. ظل يتصرف بنفس الحماقات .. وفى أحد ايام الجوع ظل الأولاد يرتجفون وماوية تشاغلهم بالحديث حتى ناموا وهو جالس .. وفى آخر الليل جاء جوعى غرباء .. وفوجئت به ينهض ويشرع سيفه ويذبح فرسه ويقدم لحمه للجميع . ولم تطق ماوية . أدركت أنها إزاء رجل مجنون قد فقد عقله .. وهكذا قررت الاستجابة لاغراءات مالك وأن تطلق حاتما كما تزوجته ..

وحولت ماوية باب خيمتها .. كان للشرق فحولته للغرب .. وجاء حاتم ورأى الباب المتحول . وادار ظهره وهبط الى واد قريب .. وجاء الصعاليك تجمعوا أمام باب الخباء حتى بلغ عددهم أكثر من خمسين .. وضاقت ماوية بهم ذرعاً .. فارسلت جاريتها إلى مالك تقول له ..

ـ إن أضيافنا قد نزلوا منا فأرسل إلينا ما نضيفهم به ..

ولكن مالك صرخ فى وجه الجارية ..

ـ إن هذا الذى طلبت منها أن تطلق حاتماً من أجله .. لقد اصبحت مثله .. وعادت الجارية خائبة .. وقالت ماوية فى يأس ..

ـ إذهبى الى حاتم ..

ولبى حاتم النداء .. ذبح ناقته وجاء يسعى الى أضيافه .. وصرخت ماوية فى وجهه ..

ـ أيها الوغد .. هذا الذى طلقتك فيه .. تركت ولدك وسعيت وراء أضيافك اللعنة عليك وعلى اليوم الذى أخذتك فيه ..

وتركته .. ومضت عبر الصحراء .. لقد دفعت ثمن اختيارها .. ورفضت كل الرجال .. كانوا هم تجربة ضعفها الوحيدة .. وجلست فى وادى عبقر لم تكن عاشقة حقيقية .. ولكنها لم تستسلم لحظة واحدة لمصيرها ..

المـوت..

لم أكن أدرى إلى أين سأصل وتلك النسوة يحطن بى .. تدفعننى بعد أن فقدت سيفى وأشعارى وأشجارى التى استظل بها .. فى هذه الصحراء الواسعة .. حملت المراة الحياة دائما . وحملت الموت ايضاً .. كان فيها رقة الصبا وشواظ الهجير ووخز الصبار .. أجادت الولادة والدفن وممارسة الحب وقول المراثى .. ذهبت إلى أعماق وادى عبقر فرأيت الزباء على عرشها .. ورأيت زرقاء اليمامة جارية من جواريها فابهجنى ذلك

كانت الزباء مازالت تعد العدة للأنتقام من جذيمة ملك الفرات الذى قتل اباها .. كانت بنتاً هزيلة .. بلا زوج .. وجذيمة محاط بكل فرسان الشمال .. وقررت الزباء أن تستخدم هذا الضعف لاستدراجه .. وأرسلت إليه رسالتها .. «اقبل الى .. ملك النساء قبح فى السماع وضعف فى السلطان .. فاقبل الى تزوجنى وتول أمرى .. »

وابقظت الرسالة كل احلام الطمع فى وجه جذيمة .. واتفق أهل الرأى على السير اليها .. الى قصير .. هتف بالملك..

ـ رأى فاتر .. وغدر حاضر .. لاتمكنها من نفسك فانت قد وترتها وقتلت اباها .. وهزأ الجميع من قصير .. فالزباء إمرأة لا تستطيع أن تفعل شيئا حيال ملك عظيم كجذيمة حتى عمرو بن عدى إبن اخته وولى عهده قال له ..

ـ لو أن قوم الزباء رأوك لصاروا معك .

وهمهم قصير فى نفسه .. لا يطاع لقصير أمر ..

وسار جذيمة الى أرض الزباء .. واستقبله الرسل بالهدايا والوعود المغرية .. وإنتفخت أوداج الملك وهو يقول ..

ـ كيف ترى ياقصير .. ؟

وقائع عربية

قال قصير ..

ـ خطب يسير فى خطب كبير .. وسيلقاك الجيش فان سارت أمامك فالمراة صادقة .. وإن اخذت جنبيك وأحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك

وسار جذيمة وسرعان ما نسى نصيحة قصير .. لقيته الخيول والكتائب . وأحاطت به من جنبيه ومن خلفه . ولوى قصير عنان جواده وهرب .. وأدخل جذيمة إلى الزباء .. طرحه الجنود تحت قدميها .. وحين رفع رأسه مدهوشا اليها قالت فى سخرية ..

ـ أشوار عرس ترى .. ؟ ..

قال فى أسف .. أمر غدر أرى ..

ـ إن دماء الملوك شفاء من الثار ..

ودعت بالسيف والنطع وبطست من ذهب .. وقدمت جذيمة الخمر ليسكر سكرة الموت . وأمرت بعروق باطن الذراعين فقطعا وتركتهما يقطران فى الطست الذهبى وقد قيل لها إن قَطَر من دمه شىء خارج الطست طلب بدمه . فلما ضعفت يداه سقطتا . فقطر من دمه شىء فى غير الطست وهتفت الزباء ..

ـ لا تضيعوا دم الملك

فقال جذيمة وهو يحتضر ..

ـ دعوا دماً ضيعه أهله ..

وبعد أن لفظ آخر انفاسه .. سارت الزباء الى كاهنتها .. سألتها عن النهاية .. قالت ..

ـ سوف يكون هلاكك بسبب عمرو بن عدى .. ولكن حتفك بيدك ..

واستعدت الزباء ليوم الثار الآتى .. كانت تريد أن توقف النبوءة وتمنع الغيب .. أقامت الاسوار والحصون وحفرت الانفاق .. وحولت مملكتها الى قلعة منيعة .. ولم تسمح لنفسها بأى متعة عابرة .. وبعثت احد الذين يجيدون الرسم وامرته أن يرسم لها عمرو بن عدى فى جميع الأوضاع .. جالساً .. وراكبا .. ومتسلحاً .. وذهب الرسام وعاد معه كل ماطلبته من صور وضعتها فى غرفتها وأخذت تتأملها .. هذا هو عدوها الآتى بالثار .. نحيف كشاعر .. قوى كنبات صحراوى .. وجلست تتأمله .. ومع مرور الليالي سرت بينهما علاقة غريبة .. وشيئاً فشيئاً إكتشفت انها تجلس فى انتظاره ..

وكان عمرو مذهولا تحت وطأة الصدمة .. وقصير يقف أمامه .. الثار .. لابد من الثار .. ولكن كيف بالزباء وهى أمنع من عقاب الجو .. قال قصير إجدع أنفى .وإضرب ظهرى . ودعنى وإياها ..

وخرج قصير هارباً من عند عمرو .. مجدوع الأنف مضروب الظهر .. وسار الى أرض الزباء وترك الحرس يقبضون عليه ويقودونه الى عرشها ونظرت هى مدهوشة الى حالته الرثة .. وبكى قصير امامها ..

ـ زعم عمرو أنى غدرت بخاله .. وغدرت به حتى قتل .. وها أنا هارب إليك فافعلى بى ما تريدين ..

هذا شاهد آخر على عمرو بن عدى .. اكرمت قصير .. وتركته يتكلم .. حكى لها كل شىء عنه .. كأنها كانت تعرفه منذ مولده .. كأنها كانت تنتظره .. وللحظة تمنت الزباء لو لم يكن بينهما ثار ودم مباح .. واستطاع قصير أن يكتسب صداقتها .. وأخذ يلح عليها فى أن تسمح له بالعودة الى العراق .. هناك حيث خبأ كل أمواله بما فيها من ذهب وياقوت وعطور وثياب .. لو انه تركها لأحضر قافلة لم تر مثلها من قبل . ورفضت الزباء .. ولكنه بالغ فى الحديث عن العطور والثياب .. كل هذا وهو لا يطلب إلا الاذن

بالخروج .. ومجرد ناقة .. ولكنها كانت حذرة فقد سمحت له بالخروج .. وظلت تترصد وقت عودته ..

وحين عاد أكتشف حرس الابواب والاسوار انها قافلة خيالية .. ولم تحلم الزباء أن تشاهد كل هذا المقدار من الذهب واللآلىء .. ولا أن تلبس مثل هذه الثياب الحريرية .. ولا أن تشم مثل هذه العطور .. احست انها أمراة حقيقية .. ولبستها ووقفت أمام صورته .. ولكن نظرته القاسية لم تلن ..

ومرة أخرى طلب منها قصير الاذن بالسفر لأحضار قافلة أخرى .. وهذه المرة لم تعترض .. ولم يغب هو كثيراً .. عاد بقافلة اكبر من الأولى واكثر طولا واحمالا .. ونزلت هى الى باب القصر تتأملها .. كانت اقدام الأبل تسوخ فى الرمال من ثقل ما تحمل وهتفت الزباء ..

ـ ما للجمال مشيها وئيداً

أجندلا يحملن .. أم حديدا ..

وقال قصير فى نفسه

ـ بل الرجال قبضاً قعوداً

وللحظة ادركت الزباء ما حدث بالضبط .. الجمال امامها .. والسيوف تشق الفرارات .. وقفز الرجل الأول من فوق الجمل الأول .. إنه هو .. أشد قسوة مما رأته فى الصور المرسومة .. لو أنه يتمهل قليلا .. لو يمارس معها الحب للحظة واحدة .. لو يعدها أى وعد .. لكن الأحمق لم يكن يفكر إلا فى الموت .. وفتحت خاتمها .. ومصت ما فيه من سم .. بيدى لا بيد عمرو .. تماماً كما تنبأت العرافة .. وحين غرس سيفه فى صدرها لم تحس .. بيدى لا بيد عمرو .. كانت تبتسم « أخيرا » جئت يامن انتظرتك طويلا ..

وانتهت رحلتى وانا عند نقطة البداية .. صعد من الجنوب للشمال .. من الخروج للعشق للموت .. ورأيت الصحراء الحافلة بالرجال أشد حياة بالنساء رغم الشعر والوأد والاغتصاب والاختطاف وكل صنوف الهوان .. كن روح الصحراء الحقيقية وحقيقتها المؤكدة .. ولو أن قبيلة ما لم تفنها الحروب ولم تضيعها ريح السموم .. فذلك لأن امرأة عاشقة منحتها الحياة ...

محمد المنسى قنديل

خميلة

المذكرات الفنية... نعم السير الذاتية. لا!

مفيد فوزى

● الأرض العربية لم تعرف قسوة الطبيعة .. كما عرفتها بلاد الشرق الاقصى مثلا . فالأرض العربية لم تذق طعم الزلازل والبراكين ولا زار تربتها انسيول والفيضانات ! وربما كان هذا نت حظ الانسان العربى ، وإن كان من سوء حظه ايضاً ! فذلك «الاستقرار» وهذا «الاستواء» ، وهذا التصالح مع الطبيعة .. جعل الانسان العربى ، متفرجا . وسلبيا بعض الشىء .. واتكاليا فى احيان كثيرة . وعلماء الجغرافيا البشرية يربطون بين التضاريس الجغرافية و «التضاريس النفسية » لشعب من الشعوب . لعلهم يقصدون ان الأرض التى خاصمت كوارث الطبيعة ، تخاصمها قيم كثيرة ، أهمها النشاط المذهل والتوتر الايجابى والعمل المستمر وتمجيد قيمة الحياة ، والاستعداد دوماً للخطر القادم وربما كان إبداع الشعب اليابانى يوما ما ، انه يعرف أن «الغد» ليس ملكاً له ولذلك ينتصر على الطبيعة بعقله . ويقف امام كوارثها ، بالعلم . وابداً لا يجلس فى مقاعد المتفرجين !

طه حسين

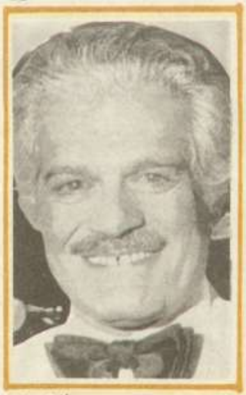
عمر الشريف

توفيق الحكيم

● قليلة ، هى السير الذاتية العربية الأيام لطه حسين . سجن العمر لتوفيق الحكيم . قصتى مع الشعر لنزار قبانى . ولا ادرى لماذا تكثر «المذكرات الفنية» وتتوارى السير الذاتية . أغلب الأمر أن المذكرات هى صورة الفنان كما يجب أن يبدو بها امام الجماهير . والسير الذاتية تعرية للضعف البشرى . المذكرات عمل سهل يسير . والسيرة الذاتية عمل صعب لان فيه من مواجهة النفس . الكثير !

● صداع كل بيت عربى هو «الامتحانات» وليس صحيحاً أن الأولاد – وحدهم – يدخلون الامتحانات ويجلسون على المقاعد ويجيبون على اسئلة الاوراق الرهيبة . الصحيح أن الآباء ايضا يدخلون هذه القاعات المحمومة المخيفة ويتعرضون لكل ما يتعرض له الأولاد . نحن – تحت السماء العربية – نعلق كل الآمال على نتائج الامتحانات . ومع ان هناك من نجحوا فى الامتحانات بتقدير ممتاز ونالوا فى الحياة العملية ضعيف جداً . الامتحانات – أيها الساده – ليست مقياساً للذكاء أو البلادة . يكفى ان يتعرض الطالب يوم الامتحان لحالة نفسية .. ولهذا ينادى كل العقلاء بضرورة اعادة صيغة الامتحان والحث على التحصيل بدون الم . لكن معظم هذه الاصوات تتوه فى الزحام . وربما يحدث أن تشذ دولة عربية عن القاعدة وتلغى هذا الشبح ، وتحذو حذو بعض الدول المتقدمة التى جعلت أولادها « يتذوقون » المعارف بلذة دون خوف من .. الامتحان ، حيث يكرم أو يهان !

● «النفط الاسبانى» – إن صح التعبير – هو السياحة . فاسبانيا تعتمد على السياحة ، وهذا هو نفطها الحقيقى . ومن أجل هذا ، لن تتخلى اسبانيا عن حلبات «مصارعة الثيران» التى تنتشر فى كل مدينة أو قرية أسبانية . اقول هذا لأن «توصية» هامة صدرت من مؤتمر عالمى للرفق بالحيوان .. تعتبر مصارعة الثيران عملا وحشياً وتسلية بموت الحيوان ، وترى ان هذه المصارعة مع الحيوان .. بدائية وتطالب اسبانيا بوقف هذه الحلبات وما يجرى داخلها . لكنى اشك تماماً فى أن «تطيع» اسبانيا هذا النداء !!

● الحياة سكك !

هناك من يعيش فى مدينة «نعم» . وآخرون يفضلون مدينة «لا» ! والاقامة فى مدينة «نعم» سهلة ، مريحة ، لا تكلف صاحبها كثيرا . يكفى أن يومىء برأسه .. مائة مرة فى الدقيقة وهو عمل «عضلى» لا يرهق صاحبها . أما الاقامة فى مدينة «لا» ، فهى صعبة . تكلف صاحبها – أحيانا – حياته . إن سكان مدينة «لا» قليلون فى هذه الحياة . لماذا ؟ لأنهم يعملون بعقولهم . يفكرون . الفلاسفة عموماً من سكان مدينة «لا» . المناضلون عموما من سكان مدينة «لا» . وهناك البعض الذين يتارجحون بين المدينتين . وهؤلاء لا طعم لهم ولا رائحة ! .

اليست الحياة سكك ؟!!

● لا تزال «أوامر» ومحاولات التعريب الجادة فى الشمال الأفريقى تصدر باللغة الفرنسية « حتى اشعار آخر » ! .

● بالمناسبة هناك نوع من التعتيم لا ادرى سره على «مفكرى» تونس والمغرب والجزائر . فالتصافح بين المفكر العربى والمفكر الذى يحيا فى شمال افريقيا ، لم يتم بعد . كم واحداً سمع عن «محمود المسعدى» هذا الروائى التونسى العظيم ، صاحب رواية السد «بضم السين» . إن التعريف بهؤلاء المبدعين ، مهمة من مهام المجلات الأدبية . مهمة من مهام «الدوحة» التى تنبش عن «الابداع» فى كل وطن عربى . وربما كانت ثقافة هؤلاء الفرنسية هى التى حجبتهم عن المسرح . بيد أنى قابلت عدداً منهم يجيدون العربية ويشكون من أن كتبهم ، ضئيلة الحركة .. ولهذا يتقوقعون فى ديارهم !!

● عمر الشريف ، ذلك النجم العربى العالمى الذى كان .. أصبح «فى ايجاز بليغ» هو الخيل والبريدج والنساء و .. وبعض الادوار فى أفلام بطولتها الحقيقية.. لغيره ! وهذه كيمياء صناعة النجوم فى هوليود . انها تستنفذ النجم حتى النخاع ثم تتخلى عنه وتتركه وحيدا فى العراء والنجم يريد أن يحافظ على مستواه فيقبل اى عمل ليعيش ولامانع أن يعلن عن نوع من السجائر . والسؤال هو : هل انتهى «دور» عمر الشريف من كواليس السينما الامريكية أم «نفذت» بطارياته الفنية ؟ . حتى استهلكتها الخيل والبريدج .. والنساء ؟!

● عيسى بن راشد . بحرينى مثقف اختار فى مشوار عطائه ، الاغنية البحرانية . انه شاعر يحتفى بالكلمة ويعيبون عليه انه يخاصم «المعاصرة» احيانا ، ويوغل فى المحلية البحرانية او الخليجية بمعنى أدق . وعيسى بن راشد يقول لى انه «يحفظ هذا التراث اللغوى الخليجى من الضياع بالاغنية» . وهو منطق مقبول حقا . ان عيسى بن راشد يقيم متحف صغيرا منسوجا من الكلمات والايقاعات الموسيقية .. يحفظ فيه «تراث» مجتمعة .

إنجمار برجمان فى عيد ميلاده الثانى والستين

انجمار برجمان – الفنان السويدى ٦٢ سنة – احد اعظم الفنانين المفكرين الذين حولوا السينما الى فن ابداعي .

من العتمة الداخلية إلى موت المرأة فى المدن القديمة

خيرية البشلاوى

ظلت السينما الاسكندنافية مرتبطة فى اذهاننا بفنان واحد هو المخرج السويدى انجمار برجمان الذى اكمل عامه الثانى والستين فى ١٤ يولية الماضى .

واعمال برجمان التى تصل الينا تاسرنا وتسيطر على اذهاننا على نحو غريب حتى صار إسم «برجمان» يتمتع وسط المثقفين بجاذبية خاصة ، ويثير فينا نحن نقاد السينما إحساسا بالمهابة والجلال . فنحن نذهب الى رؤية اعماله بعد طقوس خاصة نمارسها فى الخفاء مثل الجلوس فى صالة العرض وسط الجماهير . كل منا يسعى الى رؤية مسبقة لاعماله فى عرض خاص يتيحه لنا المركز القومى للثقافة السينمائية فى القاهرة وكل منا يجتهد فى سرية لقراءة ما كتب عن برجمان وعن اعماله التى لم نر ها . او تلك التى نتاهب لرؤيتها .

الشكل المتوازن والأعمال المضطربة

فى العلم الماضى حين عرض فيلم « وجها لوجه » (١٩٧٦) فى القاهرة اذكر اننى رايت الفيلم اربع مرات ، واعترف بانه اصابنى باكتئاب غريب ، ربما لان الفيلم استطاع ان يمسنا من الداخل ويهزنا بعنف ، ولا ادرى لماذا توحدت مشاعرى مع جينى إيزاكسون (ليف اولمان) . إنها امراة فى الخامسة والثلاثين . تبدو ناعمة متوازنة ووضاءه . إنها طبيبة مشهورة فى الطب النفسى عالمها الخارجى باهر لمن ينخدع باشكال الحياة العصرية الميسورة ، وبالمركز الاجتماعى المرموق والنجاح الجماهيرى والمهنى . وهى أم لفتاة فى الثالثة عشر (آن) وزوجة لطبيب ناجح يعمل فى مجال الطب النفسى ايضا ، ويحتل مكانه فى المؤتمرات العلمية الدولية .

والثلاثة : الام ، الاب ، الابنة يعيشون كل فى مكان بعيدا عن الآخر . الام فى استكهولم والابنة فى معسكر ناء لتمضية الصيف ، و الزوج فى امريكا يحضر مؤتمرا طبيا . وما ان يمضى الفيلم حتى يكشف لنا برجمان عن اعماق هذه المراة التى تنتهى الى محاولة يائسة الى الانتحار ، ونراه بالتدريج يمزق هذا السطح المتوازن لكى

إنه يحضر فى الكثير من الأشياء التى ينغلق عليها عقل الإنسان

الدكتور ايزاك بورج فى رحلة مزدوجة .. الى المكان المادى وداخل اعماق النفس «الفراولة البريئة» .

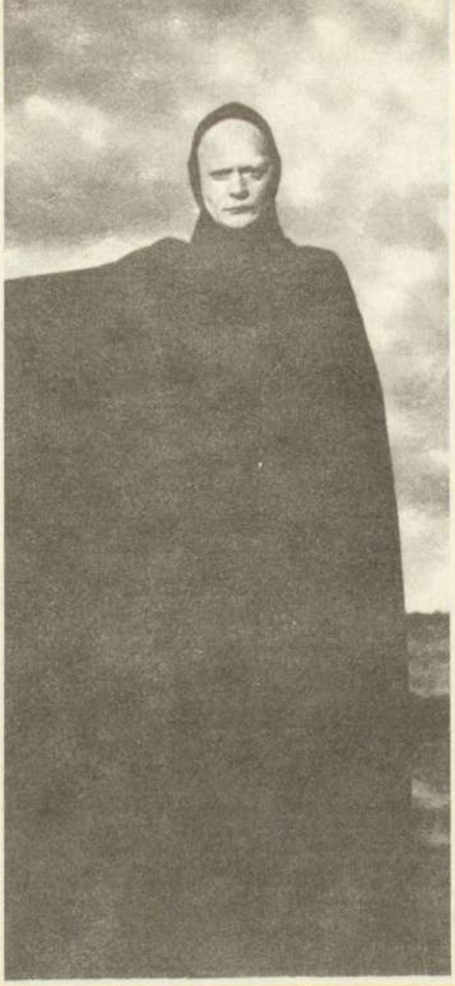

الموت متجسدا يرتدى قلنسوة سوداء .

مباراة الشطرنج بين الانسان والموت «الختم السابع»

.. ولقد عالج برجمان فكرة الامتزاج العضوى الكامل بين الماضى والحاضر مثلما كشف عن انتشار الشر فى الوجود بصورة فاجعة .. وكذلك العقم الروحى

يكشف عن مدى الاضطراب والتمزق والتعاسة التى تسكن داخل هذه المراة وتحرمها من النوم الهادىء . فهذه الاحلام الكابوسية التى تجسد لنا ماضيها وتمتد لتشمل واقعها تكشف للمتفرج الكثير من اسرار «جينى» الداخلية وتشير الى جذور الشقاء النفسى التى يحرمها من التحقق ويسلبها كل مشاعر الأمان . كما تشير الى ذلك الخراب والتمزق فى العلاقات الانسانية بين «جينى» الصبية الشابة وبين جدتها المراة العجوز التى بدت لنا فى مظهرها الخارجى حانية وعطوفة على عكس صورتها الحقيقية التى تتجسد فى احلام جينى وتجعلها تصرخ «اكره رائحة العجائز» ، وهو «خراب» نكتشف انعكاساته فى علاقة جينى بزوجها ، وفى علاقتها بابنتها الصبية الصغيرة التى نسمعها تقول قبل نهاية الفيلم فى لقاء حزين سريع فاجع « إنك لم تحبينى قط ، وهذه هى الحقيقة !! »

.. الى خبايا النفس

اننا نعثر على مفاتيح برجمان جميعها فى هذا الفيلم .. وكل تلك «الأدوات » التى جعلت منه فنانا خاصا شديد التميز : الزمن والساعة التى تهمد دقاتها او تتوقف عقاربها ، البوم الذكريات القديمة الذى يجعل من الماضى حافزا حيا ومتصلا ، مشاهد الحلم التى تفرزها اذهان مكدودة تسعى الى مواجهة ذاتها ، التفاصيل المروعة لمشاهد الاغتصاب ، الشيخوخة والخوف البشع من فكرة الموت والزوال . الخ الخ لقد اعطانا برجمان اكثر الصور إثارة للدهشة فى تاريخ السينما ، واثارة للذهن ، ولكل التعقيدات الكامنة والمتداخلة داخل جمجمة الانسان .

واعتاد برجمان منذ ان تعرفنا على اعماله ان ينبش فى علاقة الانسان بالله وبالزمن ، بالكون ، بالطبيعة ، بالحب ، بالموت ، وبالعلم المليء بالوحشة والاثارة والاشياء التى تتجاوز المالوف والعادى ، مجسدا هذه الأشياء الذهنية بموهبة خاصة فى التكوينات المرئية الغريبة والمتطرفة .. فهو فنان «ذاتى» إبن قسيس بروستانتى ، وهو ايضا ابن للحضارة الغربية ومواطن يعيش فى السويد ، اكثر مناطق العالم تحضرا . فنان تؤرقه التناقضات الخاصة بالتجربة الانسانية فى معناها الاكثر شمولية .. وافلامه تنحصر فى اشكال شديد الخصوصية والتميز حول هذه

من العتمة الداخلية إلى موت المباراة فى المدن القديمة

التجربة ، وشخصياته « الوسيطة » التى تنقل خلالها هذه التجربة شخصيات خاصة ومتفردة ، وعظمة هذا الفنان انه استطاع ان يوحد بين اداة تعبيره وبين الموضوع الذى يعبر عنه حتى صار الشكل فى افلامه هو المضمون وصار الاثنان (الشكل والمضمون) « كلا » لا يتجزا ، ومن هنا ارسى برجمان نفسه كواحد من اعظم الفنانين واكثرهم خصوصية فى تاريخ السينما ، ودفع بوسيلة الفيلم ـ كوسيلة تعبير فنى ـ من مجرد واقع مادى الى عالم ذهنى يشارك فيه المتفرج وكانه احد اطراف المباراة فى لعبة «الشطرنج» التى تجمع بين انتونيوس بلوك (ماكس فان سيدو) فارس العصور الوسطى الذى يعود الى وطنه السويد ليجده يغرق وسط وباء الطاعون وبين شبح الموت الذى يرتدى قلنسوة سوداء . فى فيلم «الختم السابع» (١٩٥٧) ، او كانه الشاهد على هذا الطبيب العجوز ايزاك بورج (فيكتور سيستروم) الذى يقترب من نهاية حياته ويستعرض تفاصيلها اثناء رحلته لتسلم الجائزة الفخرية التى تتوج عمله كطبيب ناجح ، بينما تؤكد هذه التفاصيل على خلو هذه الحياة ذاتها من المعنى وعن المواجهة الشقية التى تحققها هذه الرحلة «لايزاك» مع ذاته كما تشهد على عذاباته وعلى ماساة الشيخوخة التى تفاجىء الانسان وتجعله يكتشف فجاة المعنى الحقيقى الذى تنطوى عليه سنوات عمره التى امتدت الى اكثر من سبعين عاما هى عمر الطبيب فى فيلم «الفراولة البرية» .

البحث عن السكينة

لقد نقب برجمان فى الكثير من الاشياء التى ينغلق عليها عقل الانسان ، وناقش فى اعماله مرارا فكرة الزوال والموت (اجازة صيف) و (الختم السابع) وماساة الشيخوخة والحاجة الى معرفة الذات وسبر اغوارها (الفراولة البرية) مثلما قام بالتنقيب فى اشكال الحياة المعاصرة وانعكاسات مضامين هذه الاشكال على حياة الانسان الداخلية افلام «الصمت» و «برسونا» ، و«العار» .

وعالج كذلك فكرة الامتزاج العضوى الكامل بين الماضى والحاضر ومشكلات الحب والموت (وجها لوجه) وكشف عن العذابات الناجمة عن التساؤلات حول وجود الله ، وانتشار الشر فى الوجود بصورة مفجعة ، بالاضافة الى التمزقات التى تنبعث من الرغبة فى تدمير الذات والخوف من العقم العاطفى والروحى والتحلل المعنوى والنفسى والمادى فيلم (اللمسة) والقدرة على الالتزام العاطفى والانسحاب كلية إلى داخل الذات خوفا من مواجهة الواقع المرعب والرهيب للحياة الراهنة (ساعة الذئب) والبحث عن السلام والمتعة فى عالم لايقدم للانسان سوى الآلام والصرخات وعتمة العوالم الداخلية التى تنحبس فى داخلها روح الانسان (صرخات وهمسات ثم خريف العمر وخريف الشباب وتلك

لينوس » يطل من البناية القديمة

شخصية « السفيرة » ومعناها الرمزى فى فيلم لينوس

العواطف الخفية والمكبوتة والاكاذيب التى تنطوى عليها علاقات مقدسة مثل علاقة الام بابنتها والخلل الذى يصيب الأسرة عندما يختل موقع الام فيها (سوناتا) الخريف .

البحث عن بديل

ليس غريبا إذن ان يسيطر برجمان علينا وان تنحصر رؤيتنا للسينما السويدية داخل هذا العالم الذى يخلقه ، ومع ذلك فنحن يجب الا نستسلم لهذا « المس البرجمانى » وانما علينا ونحن نقيم احتفالنا الخاص بعيد ميلاد فنان عظيم مثل برجمان ان نتذكر انه لم ينبع من فراغ وإنما عرف العالم الانتاج السويدى فى العشرينات على يد فيكتور جوستروم (١٨٧٩ ـ ١٩٦٠) وموتيز ستللر (١٨٨٣ ـ ١٩٢٨) اللذين عملا فى هوليود ا بان السينما الصامتة .

ان فى الثلاثينات شهدت بدايات فنانة سويدية تعد من اعظم الممثلات فى تاريخ السينما وهى انجريد برجمان التى قررت أن تعتزل السينما اخيرا بعد اخر افلامها سوناتا الخريف عام ١٩٧٨ حتى تكون صورتها الأخيرة فى هذا الفيلم هو التتويج الأسمى لحياة فنية متصلة امتدت ما يقرب من نصف قرن .

صحيح ان الانتاج السويدى فى الخمسينات كان فقيرا ومحدودا وقاصرا على الاستهلاك المحلى ، ورغم ذلك استطاع برجمان ان يكون هو النجم السويدى الوحيد الذى يخترق حدود بلاده وان يدفع معه بجيل من الممثلين فى السويد الى ساحة المجال الدولى (انجريد برجمان ، هاربيت اندرسون ، ماكس فان سيدو ، وجونار بجور ستراند والممثلة النرويجية ليف اولمان التى كانت زوجته وله منهاابنة) .. لكن ظهر فى الستينات مخرجون شبان جدد يحملون قدرا من التمرد على هذا المارد الذى يغطيهم بظله ويلتهم اهتمام الجمهور والنقاد . يبرز ضمن هؤلاء

المخرج بوفيدر برج الذى اعلن حين بدا فى الستينات عن رغبته فى كسر العالم الذهنى القاتم لبرجمان ورفضه لنموذج شخصياته المنهكة بافكارها الميتافيزيقية وهمومها النفسية والخروج الى العالم الواقعى ومواجهة المتفرج بالمسؤوليات والصراعات الانسانية التى يمتلىء بها هذا الواقع . وقدم بوفيدر برج مجموعة كبيرة من الافلام . قدم الفيلم العاطفى (حب ٦٥) والتاريخى (جو هيل) و (الفيرا مادى) والكوميدى (نقودك ثلاثون ضعفا) ، وعقب السيجارة ، وتنوع فى اسلوبه بين النزعة الرومانسية ، والحس الاجتماعى ، وكشف عن انجذابه الى الحبكات البسيطة ، والأداء التلقائى والصورة المشحونة بالجمال والرغبة فى الانطلاق والعودة الى الحياة وسط الأماكن الطبيعية ، كما عبر فى فيلمه «جو هيل» . «الغـراب » عن التزامه السياسى وولائه لطبقة العمال وتعاطفه معهم .

وفى فيلمه « جو هيل » (١٩٧١) قدم فيدر برج قصة مطرب سويدى هاجر الى امريكا فى اوائل هذا القرن ، وبعد بضع سنوات يصبح عضوا بارزا بمنظمة العمال الصناعيين ثم يتحول من خلال ارتباطه بحياة العمال وقربه من همومهم ومشاكلهم الى متمرد وثائر وتتحول اغنياته الى «طلقات» يطلقها العمال فى السجون والحقول وجميع اماكن العمل . والفيلم يقوم على حادثة تاريخية مشهورة يستغلها هذا المخرج لعمل فيلم سياسى يكشف عن مظاهر الزيف التى تحكم مؤسسة القضاء واشكال المحاكمات المزورة التى انتهت باعدام «جو هيل» بعد ان يتهموه باطلا بتهمة القتل .

لكن فيدر برج يتجه نحو العنف والنزعة الدموية فى فيلم « رجل فوق السطح » ١٩٧٦ ويتخلى عن نزعته هذه الرومانسية حين يقدم موضوعا مستهلكا حول اختصصات رجل

قصة العامل الصغير الذى يكتب الشعر ويقبل على الحياة بصدق وبراءة .. ماهى الصدمات التى جعلته مخلوقا آخر ؟

العامل الارهابى مع الغانية فى « خلطة من الفساد الكامل فى فيلم لينوس »

البوليس وتجاوزه لهذه الاختصاصات ، ويظل فيدر برج الفنان الذى يقدم اعمالا جديرة بالمناقشة لكنها لا ترتقى فى احسن حالاتها الى اعمال برجمان .

ظهرت فى نفس الفترة اعمال لمخرج اخر هو جوهان برجستراهيل (٤٥) سنة الذى اخرج مجموعة الافلام « صنع فى السويد » (١٩٦٨) وفيها يهاجم اشكال الاستغلال التى تمارسها المؤسسات الصناعية عندما استسلمت لقرار تسليم الأسرى السوفيت بعد انتهاء الحرب الثانية ، ثم فيلم « الأجانب » ١٩٧٢ الذى يتناول مشكلة المهاجرين من السويد والحياة المهنية التى يحيونها فى مجتمع يرفضهم بينما يستغلهم اسوا استغلال على المستوى الاقتصادى .

والى جانب هذه الأعمال ظهرت اعمال اخرى للمخرجين السويديين مثل كجيل جريد (الذى اخرج افلام «هوجو وجوزفين» (وهارى مونتز) . والمخرج ستيح بيوركمان (الحائط الابيض) الى جانب الأعمال الأخرى لمخرجين مثل جان تردل ، وجان هالدون وروى اندرسون ولاسى فورسبرج وتيودور كاليفاندس الذى عرض له اخيرا فيلم حب (١٩٧٩) ويتناول المشكلات العاطفية مع تحليل للرغبات الحسية والاضطرابات الذهنية التى تصيب رجلا فى منتصف العمر ، ثم المخرج لارستن فيدل «أنا ماريا» الذى يعرض لمشكلة الوحدة والطفولة الى الواقع الخشن للحياة ، هذه الأعمال مع غيرها من الانتاج السويدى لم تحقق حتى الآن النجاح التجارى الملموس ، ولا الرواج الفنى الذى حققته السويد من خلال برجمان ، ولولا العروض الثقافية والمهرجانات السينمائية لما استطعنا ان نتابع هذه الأعمال .. فشركات التوزيع العالمية لم تتحمس لهؤلاء الفنانين حتى الآن كما ان احدا من هؤلاء المخرجين استطاع ان يخترق مجاله المحلى بعمل متفوق يخترق العادى والمألوف فى الانتاج السينمائى الدارج .

فى مواجهة الكساد التجارى

وفى مواجهة هذا الكساد التجارى الذى لحق بالانتاج السويدى بدات السينما الاسكندافية تنشط على المستوى الثقافى وان تتحد بصورة قوية على شكل تجمعات فنية لعرض الانتاج السينمائى فى هذه الدول وليس فى السويد وحدها . ففى ٧ ديسمبر ١٩٧٩ عرض استوديو اورسيلين للفن والتجربة فى باريس (احد المراكز الثقافية النشيطة للأعمال الطبيعية) مجموعة من التجارب الجديدة للسينما السويدية على الجمهور الفرنسى وقدمها الاستوديو باعتبارها اعمالا تتمتع بقيمة فنية متطورة ثم بعد باريس انتقلت هذه العروض ذاتها فى فبراير الماضى الى مهرجان برلين السينمائى فى المانيا الغربية فى محاولة للترويج عن الانتاج السينمائى لهذه الدول والتعريف بفنانيها الجدد ، وشاركت السويد فى مسابقة المهرجان الرسمية بفيلم « ثورة المرملاد » للمخرج ايرلاند جوزيتسون الذى كتب السيناريو وقام بالدور الرئيسى كما شارك فى الانتاج مع المصور سفن نكفسن وهو فيلم يقوم على مشكلة شديدة التفاهة ، لكنها تتحول داخل الأسرة المترفه ماديا الى مشكلة مستعصية تمزق الرباط الأسرى بين استاذ الجامعة وزوجته .. والمشكلة هى : ذهب الزوج لشراء حاجيات المنزل وعاد بمربى المشمش بدلا من مربى البرتقال ، وعندما تعترض الزوجة يترك الزوج المنزل ليحيا بعيدا بمفرده . وهكذا يتمرد الزوج ويهجر الأسرة بعد حياة زوجية تستمر سنوات . هذه الحادثة الصغيرة تمنح للمشاهد مفتاحا لفهم العلاقات الأسرية فى مجتمع الاسرة البورجوازية فى السويد حيث الحياة متزنة وميسورة أو خالية من أى أثر للمشكلات المادية ، ولكن تبقى مشكلات الفقر الروحى والفراغ المعنوى قائمة ومتفاقمة بشكل حاد والعلاقات الانسانية واهنة تتمزق وتنتهى امام حادث صغير جدا . والحادث على تفاهته اشبه بالسكين الذى يشق هذا الفراغ ويهوى على رأس من يصنعونه كافراد ثم على رأس المجتمع ككل والفيلم الذى اختاروه ليمثل السويد يصف فى سفسطة وانفعال شديدين العلاقات الباردة يعالجها المخرج باسلوب يفتقد الحرارة ويعتمد بصورة كبيرة على الحوار ، لكن تظل قيمة الفيلم فى عنصر التصوير الذى قام به سفن بكفست الذى يعد من اعظم المصورين فى العالم ، فهو المصور الذى لازم برجمان ، وقدم اجواء وظلالا والوانا كانت هى المعادل الوجدانى المرئى — إذا صح التعبير — للأفكار الذهنية التى يثيرها برجمان .

ومن برلين انتقلت هذه الأعمال الى مدينة «كان» وذلك فى رحلة البحث عن اسواق جديدة وجمهور جديد ، وهى الرحلة التى تتيح لنا ان نبحث عن بديل لبرجمان ، أو عن بذور لاتجاه قوى يواصل الابداع بنفس المستوى المتميز والأصيل الذى اعتاده المتفرج من فنان السويد الذى مازال رغم كل ماتنتجه السينما السويدية وما تنتجه السينما الاسكندافية عموما هو الأكثر حضورا .

لينوس البرىء

وبالفعل اتاح لنا هذا التجمع الاسكندافى الأخير فى مدينة «كان» فرصة الكشف عن عمل جيد ومتميز هو فيلم «لينوس» كما اتاحت لنا رؤية آخر اعمال برجمان (فارد ١٩٧٩) ولينوس (١٩٧٩) هو الفيلم الثالث عشر لمخرجه فيلموت سجومان .. وربما كان هو الفيلم الأكثر اهمية بين كل التجارب التى رايناها . ولينوس يتناول قصة العامل الصغير الذى يعمل فى مكتبة ويكتب الشعر ، ويقبل على الحياة بحس صادق مع براءة وصفاء حقيقين .. لكنه يصطدم بسنوات عمره القليلة (١٦ سنة) وخبرته المحدودة بمجموعة من الصدمات تاتيه جرعة واحدة ذات مساء فتجعله مخلوقا اخر يعيد النظر فى كل الأشياء والعلاقات ، بل وفى العالم كله . ولينوس فياض بالحب ، يحب والده العامل الفقير سائق اللورى .. ويحب الخادمة الصغيرة التى تتردد على المكتبة مع سيدتها الأديبة الثرية التى تشتهر بلقب «السفيرة» والتى تبادله الحب وتشجعه وتاخذ منه اشعارها حتى تقرأها مخدومتها التى تتبنى المواهب الصغيرة وتشجعها . وهذه السيدة تمتلك مبنى عتيقا فى قلب مدينة ستكهولم ، تعيش فى إحدى شققه . وعندما يلازم لينوس الفناء الذى يحيط بالمبنى ذات ليلة كى يسترق النظر الى الخادمة الصغيرة ويصل بفضل عونها لهذه المراة الثرية تشاء الصدفة أن يشهد جريمة تعذيب وقتل يقوم بها بواب البناية الفاشى الذى يتولى مع بعض الرجال تعذيب العامل النقابى «هلج» حتى القتل ، وياخذ لينوس بعض بقايا هذا القتيل (خصلة شعر ، فانلة مليئة بالدماء .. الخ .. الخ) كادلة تدين القاتل الذى أمر بوضع الجثة فى اللورى الذى يملكه والده والذى يتصادف وقوفه امام هذا المبنى .. ويحاول لينوس ان

من العتمة الداخلية إلى موت البراءة فى المدن القديمة

والفيلم يعد عملا جيدا بالفعل . فيه اداء رائع للممثل الصغير هلرال هامرل الذى يقوم بدور لينوس ، والقصة التى نفذها المخرج باتقان حقيقى تمتلىء بالمعانى ولا تخلو من الرموز والدلالات الاجتماعية القوية بالاضافة الى المضمون السياسى والصراع الذى يتم لصالح العناصر الفاشية فضلا عن الفساد الروحى والانحطاط الثقافى الذى يتمثل فى المراة الادبية . إنها مرحلة العشرينات لكن ما اكثر التشابه بينها وبين ظروف الحاضر ..

لقد اغتيلت براءة لينوس بفعل هذا الفساد الذى تمثل فى اشكال عديدة تجسدت جميعا فى هذه البناية الكبيرة القديمة التى تطل على الفناء الواسع وسط مدينة ستكهولم (ترمز البناية للسويد نفسها) فقد ضمت فى داخلها منزلا للرزيلة ، وبوابا فاشيا يعمل لحساب حركة إرهابية لقمع التمرد ، وامراة تخون زوجها مع صديق طفولته ، كما تضم كذلك الغانية (هاربيت اندرسون) التى كانت اول من يغرى لينوس ، كما يشهد هذا المبنى نفسه على انحراف والد لينوس العامل الذى يتخذ من زوجة صديقه عشيقة له .. كل هذه الأشياء تتجمع داخل مكان واحد يتحول فيه لينوس من صبى برىء الى إنسان نفعى يبيع نفسه للأدبية الثرية ويتخلص من حبه للخادمة ومن تبرئة والده ، ومن التصدى للمجرم الذى يرتكب الجريمة التى يشهدها بعينه .. وفى قلب هذا المبنى ايضا تغتال مشاعر الخادمة الصغيرة الفقيرة التى تشهد إنهيار قيم الحب والجمال وتحولها الى اشياء قبيحة وزائفة .. تبقى شخصية « السفيرة » واسمها يرمز الى مكانة رسمية الامر الذى يؤكد « مكانها » داخل هذا العمل الفنى كرمز للدولة نفسها حينما تتغنى بالجمال والشعر والنبل وتتبنى الصغار بينما ينطوى مضمونها الحقيقى على فساد كامل تشهد عليه علاقتها مع لينوس .

برجمان مرة أخرى

ربما كانت هناك جذور لسينما بديلة ، وربما استطاع الانتاج السويدى ان يفاجئنا من ان لآخر بعمل جيد ومتميز مثل لينوس . لكن يظل برجمان هو الأكثر تالقا .. وهاهو اخر اعماله « فارو ١٩٧٩ » الذى يختلف عن كل اعماله السابقة ، ومع ذلك يحقق نجاحا فنيا لدى المتفرجين لا يختلف عن باقى اعماله الكبيرة .. انه عمل تسجيلى عن الجزيرة التى احبها واشترى قطعة من ارضها وبنى فوقها بيتا شهد ميلاد الكثير من سيناريوهات افلامه كما شهدت الجزيرة نفسها احداث بعض هذه الافلام (برسونا ـ العار) بعد ان اختارها برجمان لأول مرة مكانا لتصوير فيلمه « عبر زجاج داكن » علم ١٩٦١ . كما كانت هى المكان الذى شهد عزلته فى الأيام الصعبة .

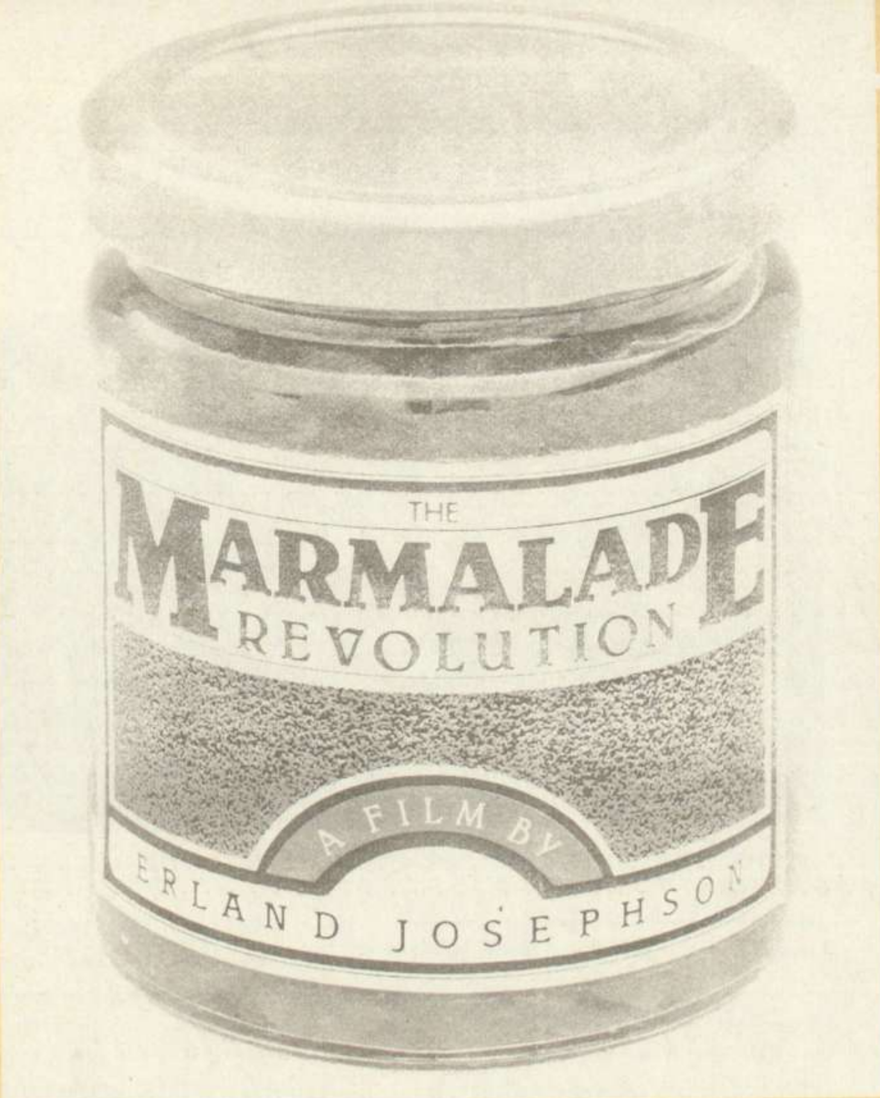

« ثورة المربى » التخمة المادية والفراغ المعنوى الكامل .. مثّل السينما السويدية فى مهرجان برلين .

هل أراد برجمان تخليد جزيرته والعودة من خلالها إلى أشياء الحياة البسيطة بعيداً عن تعقيدات العالم الحديث!

وفى علم ١٩٦٩ اخرج برجمان فيلما عن «جزيرة فارو» التى تطل على بحر البلطيق وتبعد عن العاصمة ثلاث ساعات بعنوان « فارو الوثيقة » الذى انهاه بنظرة متشائمة حول مستقبل الجزيرة . لكنه عاد بعد عشر سنوات لكى يقدم جزيرته المفضلة بعد عمل استمر ثلاث سنوات . وفى هذا الفيلم يكشف برجمان بوضوح عن ولعه هو الشخصى وانجذابه الذاتى نحو هذه الجزيرة وارتباطه بالأقلية التى مازالت تسكنها ويتابع من خلال حوار طويل معهم يقطعه بعد جولة وسط ملامح الجزيرة الطبيعية ومشاهدها الرائعة لكى يعود ويستانفه من جديد ، مستعرضا حياتهم ونوعية هذه الحياة مع كثير من التفاصيل الانسانية البسيطة مصورا مظاهر الأمل والألم فى هذه الحياة التى تبدو محرومة تماما من الرعاية والدعم الرسمى للحكومة السويدية .

والفيلم عبارة عن ريبورتاج سينمائى يقوم به برجمان شخصيا وهو موضوع بسيط يخلو من اية محاولة للفلسفة او للتاملات الذهنية التى اعتدناها من برجمان ومع ذلك فقد اجتهد برجمان ان يضعه فى احسن إطار ممكن .

فقد استقبلت الصحافة السويدية هذا الفيلم بحماس شديد واعتبرته وسيلة من جانب المخرج لتخليد جزيرته والعودة من خلالها الى الطبيعة والى اشياء الحياة البسيطة بعيدا عن تعقيدات العالم الحديث .

ومرة اخرى يحتل برجمان بعمله هذا البسيط الذى رأيناه فى مدينة كان ، مكان الصدارة فى الصحافة الفنية ويتاكد لنا ثانية ان برجمان وهو يتم عامه الثانى والستين ما يزال هو الاكثر خلودا وسط كل ما استعرضناه من اسماء واشرنا اليه من اعمال .

وربما عاد خلود برجمان الى تماسك وتميز تجربته الفنية والفكرية ، ومعاناته الروحية والعقلية الخاصة ، هذه المعاناة التى تضعه وسط مجموعة من اكبر فنانى وادباء الثقافة الغربية فى هذا العصر ، لكنه تفرد من بينهم باستخدام لغة فن القرن العشرين ـ لغة السينما ـ وهذا التميز والتفرد هو العنصر الذى مازال مفقودا حتى فى اكثر تجارب السينما العربية نضجا .

خيرية البشلاوى

من تجارب الشخصية

حكمتك يارب

الميدان مزدحم بالسيارات المتنوعة الأنماط .. حرارة الظهيرة تداعبنى فى قسوة .. زفير العربات الأسود يلتهم ذرات الأوكسجين من الهواء .. ثعبان الاختناق يلتف حول رئتي .. يعتصرها .. يصيبنى الدوار .. أتقافز كبهلوان مبتدىء محاولا اجتياز الميدان حافلات كأمواج البحر تتلاطم فى سرعة حاملة معها الموت .. اتجه الى موقف سيارات الأجرة .. اتحسس بيدى البرقية التى وصلتنى فى الصباح :

– عمتك ماتت .. أردد بتلقائية المؤمن . إنا لله وإنا إليه راجعون .

سيارة أجرة تتأهب للرحيل .. ينقصها راكب واحد .. هرولت نحوها فى أنانية لأظفر بالمقعد الخالى .. السائق ينظر إلي وابتسامة صفراء تلطخ شفتيه .. مسح بعينيه حمولة سيارته .. لعق شفتيه بلسانه .. اطمأن .. أوقف محرك السيارة وتعلل بانه سيحتسى كوباً من الشاى فى المقهى المقابل .. القلق يبعثر أفكارى .. الرجل تأخر .. أود الوصول فى أسرع وقت الى بلدتى بالريف لأشترك فى تشييع الجنازة .. السائق لا يلقى بالا لصيحاتنا الغاضبة ..دوامات الضحك تغرق السائق وزميله .. ينظر إلينا شذرا .. أحسست بالضيق .. لم استطع أن أمنع يدى من العبث بآلة التنبيه .. صفير مزعج .. أضغط فى قوة واستمرارية تعبران عن مدى ثورة الغيظ فى صدرى .. قام السائق منزعجاً من مقعده ..وهرول الى السيارة .. يحدق في بعينين مفعمتين بالشر .. تنطلق من فمه الشتائم .. كدوى القنابل يخترق الصوت أذنى .. صوت قبيح .. لم ارد عليه .. ابتسمت ابتسامة واسعة إزدادت ثورته ..أمسك بقميصى يريد إخراجى من السيارة .. صممت على التشبث بمقعدى .. أقسم بأغلظ الايمان أنه لن يتحرك بسيارته مادمت أنا أركب معه . صحت فى تحد لن أدع مقعدى .. هاج وماج .. تجمع بعض السائقين .. أقترح احدهم أن أركب معه فى سيارته هو .. ومنعا لما قد يحدث .. رضيت بحكم هذا الرجل .. ونظرت فى إزدراء للسائق الرعديد . انتظرت ربع ساعة بعد رحيل السائق .. كانت سيارتنا قد أكتمل عدد ركابها .. مضى سائقنا الطيب فى رحلته متوكلا على الله .. الهواء يلفح وجهى .. آيات من القرآن الكريم تأتى الينا كنسمة روحية من جهاز تسجيل السيارة .. أنصت فى لذة إلى كلام الله سبحانه وتعالى .. تبددت آثار الغضب والضيق من حنايا صدرى .. نظرت فى ساعة يدى .. مضى أكثر من نصف ساعة على قيام السيارة من الميدان .. الأشجار تتوارى على الطريق مع اندفاع السيارة .. إزدحام يقطع الطريق .. السيارات تصطف منتظرة انتهاء هذا الزحام .. تسلل الضيق الى صدرى .. الوقت يمر .. اخاف عيون أبى وأولاد عمتى .. وهم ينظرون إلى فى عتاب ولوم .

سأل سائقنا احد الواقفين عن سبب الزحام .. أخبرنا الرجل أن سيارة أجرة انقلبت ومات كل من فيها .. نزلنا مهرولين ناحية السيارة .. شيء يشدنا .. شك.قلق .. فضول .. اخترقنا فى صعوبة حاجز المتجمعين .. أقتربنا أكثر .. عيناى تحملقان فى بقايا وجه احد الموتى .. إنه سائق السيارة الأجرة التى كنت ساركب فيها .. أخذتنى رعدة .. الدوار يلف برأسى .. لم اعد استطيع الرؤية .. أكاد افقد توازنى .. أستند إلى ذراع السائق .. الأفكار تلفنى فى سرعة .. ابحث عن تفسير .. عن إجابة .. شعرت بتيار هوائى يسرى فى عروقى .. رفعت يدى إلى الله شاكراً فضله .. فهو المحيي والمميت وصحت والدموع تهطل من عينيى ..

– إن لله وإنا إليه راجعون ...

عبد الله السقا
القاهـرة

كلمات للتأمل

- تنسيق المعلومات هو العلم وتنسيق الحياة هـو الحكمـة .
- ابداعك صورة مجسمة لداخلك .. لأحاسيسك ..ومعاناتك .
- من لم يصبر على طلب العلم فى اول حياته صبر على الذل حتى مماته .
- الابتسامة المتفائلة تطل من الشفاه .
- من لم يتحمل مشاق العمل تحمل آلام الفقر .
- النخلة الباسقة كلما قذفناها بالاحجار تزيدنا كرماً وترد علينا بالثمار .

أيهما أحق بالخجل ؟

الأب لابنه : إنني اشعر بالخجل لكسلك فى دروسك .. تذكر ان جورج واشنطن كان مساح اراض ناجح حينما كان فى سنك !
الابن : وانا اشعر بنفس الشعور بوالدى كلما تذكرت ان جورج واشنطن كان رئيسا للولايات المتحدة فى مثل سنك !

محمد خير الجنادى
سوريا

أقدم وأقدم !

عثر العلماء فى الولايات المتحدة على اقدم اوراق شجرة حافظت على لونها الاخضر زهاء ٣٠ مليون سنة ، وقد اكتشف العلماء بان هذه الاشجار كانت فريسة لانفجار بركانى ، وان اوراقها إختفت تحت رماد اللهب ، فاحتفظت خلاياها بالمكبرات الكيمائية داخل الأوراق كل هذه الملايين من السنين ! .

اما اقدم معاهدة دولية مكتوبة عرفها العالم ، هى المعاهدة التى ابرمت بين فاتوسيليس الثالث ملك الحيثيين فى سوريا ، وبين رمسيس الثانى فرعون مصر سنة ١٢٧٨ق.م ، وجدت النسخة المصرية فى تل العمارنة سنة ١٨٨٦ ، والنسخة الحيثية وجدت فى الاناضول ١٩٠٦وقد جاء فى نصها : ان الملك الحيثى ارسل رسلا الى رمسيس الثانى لطلب الصلح ، وشهود المعاهدة ليسوا كما يظن احدنا افراداً ، إنما هى الآلهة من معبودات الدولتين .

مصدق حسن
المغرب

كلمات لها معنى

الطبيعة كلها تتلخص فى فعل « اكل » ، مرة فى صيغة المبنى للمعلوم ، ومرة فى صيغة المبنى للمجهول .

« وليام انج »

لابد وان فى الفقر مزايا .. وإلا فلماذا كل اولئك الفقراء ؟ .

«د. هارولد »

سوف تجد مكانا على القمة المزدحمة ، لو بحثت جيداً .

« هربرت »

كثيرا ما تعمر الصداقة بين اثنين ، لان كلا منهما يشعر بانه يمتاز على الآخر فى شىء ! .

« بلزاك »

الخطا خطا .. ولو ايده خمسون مليون من الناس.

« اناتول فرانس »

ما اكثر الذين يتكلمون عن العقيدة ، ويجادلون ويقاتلون عنها ، وقد يموتون فى سبيلها دون ان يعيشوها .

« كولتون »

نعمان شتيبى
الجزائر

لماذا لم يترك العقاد بيته؟

سئل الكاتب الكبير عباس العقاد يوماً :
- لماذا لم تترك بيتك هذا ، وقد اصابته الشيخوخة بعد ان عشت بين جدرانه اكثر من اربعين عامة ؟ .
فاجاب العقاد : كتبت فى هذا البيت خير كتبى واحبها الى قلبى ، وعشت فى تلك الكتب عيشاً حياً قبل ان انقلها الى عالم الاوراق .. هذا البيت صعدت سلالمه ثلاثا ثلاثا ، ثم صعدتها اثنتين اثنتين ثم اصعده الآن درجة درجة على غير عجلة او اكتراث .
ونزلت فى هذا البيت والشعيرات البيض تتوارى فى السود ، وعشت فيه والشعيرات السود يتوارين فى البياض واستقبلت فيه آمالا ، واحييت فيه ذكريات ، ومن غار على آماله وذكرياته ، لابد وان يغار على مواطنها ان تستباح بعده لكل من يشاء .

احمد الحسينى
القاهرة

ولم لا؟

كان تشرشل يفاخر دوما بقوته الجسدية ، ويقول انه والموت عدوان ، وحدث ان وقف احد المصورين يوما يلتقط صورة لتشرشل اثناء احتفاله بعيد ميلاده التسعين ، وما كاد ينتهى من مهمته حتى اقترب منه وقال :
« امنيتى ياسيدى ان اقف امامك ، والتقط صورتك وانت تحتفل بعيد ميلاده المئوى » فاجابه تشرشل وهو يقهقه ضاحكا وسيجاره الكبير الذى لم يفترق عنه ابدا يتراقص بين شفتيه :
« لا اجد سببا دون تحقيق امنيتك يابنى ، فانت مازلت شابا صغيرا ، وتتمتع بصحة طيبة » .

الشوكى عبد اللطيف
الدار البيضاء

فضـــل الله

جلس رجلان بالقرب من بيت ام جعفر زبيدة العباسية ، وكانت معروفة بالكرم . فكان احدهما يقول : اللهم إرزقني من فضلك . والآخر يقول : اللهم إرزقني من فضل ام جعفر .

وفى كل يوم كانت ترسل لطالب فضل الله درهمين ، ولطالب فضلها دجاجة مشوية فى جوفها عشرة دنانير . فكان صاحب الدجاجة يبيعها لصاحبه بدرهمين وهو لا يعلم ما فى جوفها .. وإستمرا على ذلك عشرة ايام ، سالت ام جعفر بعدها طالب فضلها : ماأغناك فضلنا ؟ .

قال وما هـو ؟

قالت : مائة دينار فى عشرة أيام !

قال : بل دجاجة ، ابيعها لصاحبى بدرهمين .

فقالت : هذا طلب من فضلنا فحرمه الله ، وهذا طلب من فضل الله ، فاعطاه اللـه .

صفاء عباس
الأردن

لبـــاقـــة

زار احد الخلفاء العباسيين وزيره فى داره ، وكان للوزير ولد نجيب ، فجلس الخليفة واجلسه بجانبه وساله : ايهما احسن .. دار الخليفة ام دار ابيك ؟ فرد الصبى على الفور : متى كان الخليفة فى دار ابى ، فدار ابى احسن .

وعاد الخليفة يريه خاتماً فى اصبعه وساله : هل رايت خيراً من هذا الخاتم ؟ .. فقال الصبى : نعم ! اليد التى هو فيها خير منه ! .. فدهش الخليفة من حسن جوابه وقال له :

ـ احب ان تكون خليفة من بعدى ، فقال الصبى : إبن الخليفة اولى منى ، فهو صاحب الحق فى الخلافة .

فسر منه الخليفة وكافاه مكافاة كبيرة على حسن جوابه !

سامر محمد سالم
مصـر

ذكـــاء أم دهـــاء ؟

جلس احد اساتذة الجامعة بجوار مزارع مسافر فى نفس القطار ، وإتفقا على ان يوجه احدهما للآخر لغزا لتمضية الوقت ، فاقترح الاستاذ ان يدفع الذى يعجز عن حل اللغز ديناراً لرفيقه ، ولكن المزارع احتج على ذلك ، على اعتبار ان الاستاذ الجامعى اكثر منه علما ، فاتفقا على ان يدفع الاستاذ دينارا والمزارع نصف دينار عند عجز ايهما عن حل لغز الآخر .

وسال المزارع الاستاذ هذا السؤال :

ـ ماهو الشىء الذى يكون له ثلاثة ارجل حينما يمشى ، ورجلان حينما يطير فعجز الاستاذ عن الاجابة ودفع ديناراً . ثم التفت الى المزارع وقال له : وماهو الجواب ؟ . فرد المزارع قائلا : إننى ايضاً لا اعرف ! .. وهاك نصف دينار !!

احمد توفيق
حلب

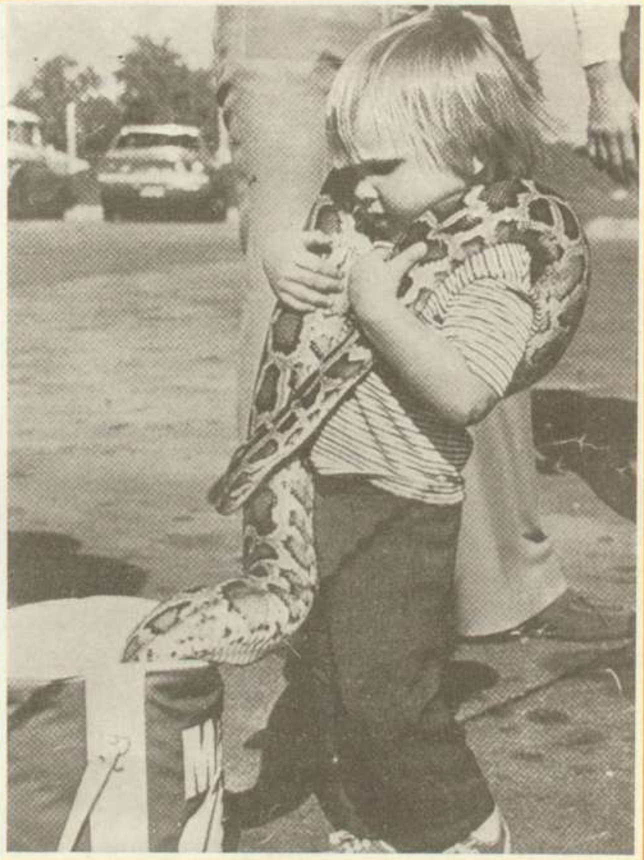

لقطة الشهر

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال القارئة : نيسان حفظى مسعـود ـ الأسكندريـة

الســتــر

اراد الحجاج ان يستحم يوما ، فاوغل فى النهر واشرف على الغرق وراه رجل من بنى ثقيف عرف بشدة كراهيته للحجاج فسارع بانقاذه ، ولما تبين الحجاج شخصية منقذه ، وكان على علم بما يكن له من الكراهية قال :

ـ اتعرف من انقذت ؟

ـ نعم انت الحجاج !

قال الحجاج : ولكنهم زعموا انك تبغضنى .

قال : ذلك والله .

فساله : إذن لماذا لم تدعنى اغرق ؟

اجابه الرجل : ما انقذتك رغبة فى إنقاذك ولكنى خشيت ان تموت شهيدا ، فتدخل الجنة !

هانى الفى حكيم
الأقصر/مصر

حل مسابقة من . أين . ما

عدد ٥٤

من : حسن ابو سعدة
أين : ميسلون
ما: الفرات .

الجواب الصحيح

١ـ الرؤية : النظر بالعين ، أما الرؤيا ما نراه فى المنام .
٢ ـ الاثنين
٣ ـ ابو رغال
٤ ـ ٦٥
٥ ـ كبريتات الكلسيوم
٦ ـ المامون
٧ ـ عمربن ابى ربيعة
٨ ـ المتنبى وتتمة البيت :
فان المسك بعض دم الغزال
٩ ـ ١٨٠ درجة
١٠ الطيب صالح

من . أين . ما

مـن :

كنيته ابو الانبياء عليهم جميعا السلام ، يحترمه كل اهل الأديان السماوية اسمه من سبعة احرف :
٤ـ٥ـ٣ـ١ـ٧ قبور فى مصر
٣ـ٦ـ٢ شك

أيـن :

جزر يلاقى المسلمون فيها اليوم بلاء عظيما ويجاهدون فى سبيل البقاء وحدهم ونحن لاهون غافلون . اسمها من تسعة احرف :
١ـ٥ـ٣ـ٦ـ٢ الحيوان الذى حاول به ابرهة الأشرم هدم الكعبة المشرفة سنة ٥٧١ .
٨ـ٧ـ٩ـ٤ لا يهدم

مـا :

سائل تصنع منه مادة ناسفة سائلة ، استطاع نوبل ان يحولها الى مادة صلبة سهلة النقل فاصبح مليونيرا ، وتكفيرا لشعوره بالذنب لاختراعه هذا المهلك أوصى بجوائزه المشهورة .
اسم السائل من سبعة احرف :
٧ـ٥ـ١ـ٤ زهرة تسمى باسمها النساء
٣ـ٢ـ٦ ياتى من بعد .

عدد ٥٤

الجواب الصحيح

١ ـ ثلاث من الصحف والمجلات الآتية تصدر فى قطر :
الريان ـ الراية ـ العهدة ـ القبس ـ العربية ـ الصقر .
٢ ـ امن تذكر جيران بذى سلم .. اكمل البيت وانسبه الى قائلة وماعنوان قصيدته ؟
٣ـ احتل الانجليز مصر فى سنة : ١٨٠٧ ـ ١٨٧٢ ـ ١٨٨٢
فى عهد حاكمها الذى كان اسمه : سعيد باشا ـ الخديو اسماعيل ـ الخديو توفيق .
٤ ـ الذى اشتهر فى التاريخ الاسلامى باسم خامس الخلفاء الراشدين هو : هرون الرشيد ـ عمر بن عبد العزيز ـ معاوية الثانى بن يزيد
٥ ـ « الاسم الكيماوى لملح الطعام هو كلورات الصوديوم »
هل هذه العبارة صحيحة علمية ؟
٦ ـ تقع البحيرة المسماه باسم «بركة قارون» من الوطن العربى فى : فلسطين ـ مصر ـ مسقط ـ نواكشوط
٧ ـ الذرة من مجموعة النباتات : النجيلية ـ النخيلية ـ القلقاسية
٨ ـ «ضياع المال هين ، وضياع الأمل صعب ، ولكن ضياع الشرف هو الضياع الكامل »
قائل هذه العبارة هو الشاعر :
المتنبى ـ شكسبير ـ ميلتون
٩ ـ فى سنة ١٩٨٠ هذه يكون قد مضى الف عام على مولد العالم المسلم العبقرى :
البيرونى ـ ابن سينا ـ ابن الافلح
١٠ ـ ياأولاد الافاعى بيتى بيت الصلاه كان يدعى وقد جعلتموه مغارة لصوص »
هذا قيل فى حق اليهود على لسان :
سيدنا المسيح عليه السلام ـ ذى النون المصرى ـ الحسن البصرى ـ سيدنا سليمان عليه السلام .

نتيجة مسابقة يونيو ١٩٨٠

فاز بالجائزة الأولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة :

● القارىء : فادى محمد سعيد / سوريا

فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة :

● القارىء:عادل محمد النشار / القاهرة

فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة :

● القارىء جميل خلف مطر / العراق

● الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ سعاد شبشوب / تونس
٢ ـ سامى محمد اسامة / سوريا
٣ ـ نعمات على جاد الله / السودان
٤ ـ رشدى السيد احمد / مصر
٥ ـ عبد الله رمضان / العراق
٦ ـ منذر فخرى عبد السلام / الأردن
٧ ـ كمال بدر الدين الرافعى / لبنان
٨ سهير خميس / قطر
٩ ـ عبد الله اسماعيل / السودان
١٠ ـ انشراح يوسف عثمان / الأردن
١١ ـ فدوى محمد زهرة / قطر
١٢ منى سمير عواد / مصر

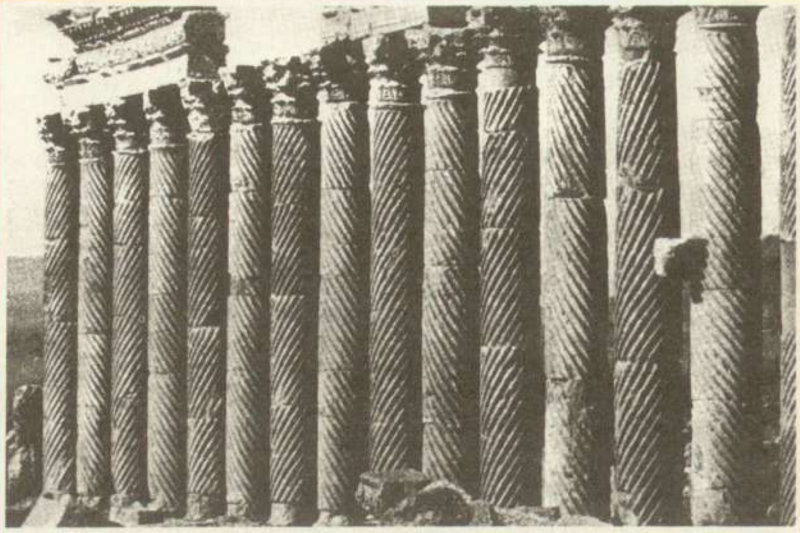

حاولـ أنـ تعرفـ

١ ـ إحدى الواجهات الأثرية القديمة باعمدتها المتميزة ، مازالت شامخة بين الجبال الخضراء فى شمال إحدى الأقطار العربية الشقيقة ..

هل يمكنك التعرف على هذا القطر ؟

٢ ـ لوحة زيتية رسمها احد الفنانين الايطاليين لزوجته وملهمته .. انفردت اعماله بطابع خاص تميزت عن اعمال الآخرين ، ومات مريضاً دون ان يكمل مشواره الفنى .

هل يمكنك التعرف على الفنان ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف عدد ٥٤

الصورة الأولى :

● من هو الفنان ؟

هو الفنان رامبرانت

اسماء الفائزين :

١ ـ كريم قادرى / المغرب

٢ ـ عبد الرازق بو عامر / اليمن

التعليق على الصورة الثانية :

ـ اخشى ان تمتد موجة غلاء الأسعار الى « الأيس كريم »

معالى حمودة / الاسكندرية

ـ دعونى وشأنى !

على ابو ستينة / السودان

كاريكاتير و تعليق

ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال

حل مسابقة كاريكاتير وتعليق عدد ٥٤

ـ الزوج : لن نصل الى البيت سالمين ، إذا ضغط على الفرامل كلما رايت فاراً

عبد الرحيم الصديقى / الدوحة

ـ الزوجة : اسفه ياعزيزى .. لقد ظهر عامود النور فجاة امامى .. ؟

محمد عبد الباقى/ القاهرة

ـ الزوجة : والآن هل تشترى عقد اللؤلؤ . ام اريك مهارتى فى قيادة السيارة .؟

معن الدباغ / العراق

ـ الزوجة : لاتكن جبانا ياعزيزى هيا متع نظرك بافخم اتوبيس سوف اقتحمه فى حياتى ! ماجدة على / مصر

أحمد العناني

المجد كله رمضان

القرآن وبدر ومكة !

ثلاث هدايا سماوية لأهل الأرض مناسباتها بين يوم بدر الكبرى فى السابع عشر من رمضان الى يوم الفتح والنصر العزيز بمكة فى العشرين من رمضان الى نزول القرآن فرقاناً بين الحق والباطل فى الأرض ، على ترجيح فى ليلة السابع والعشرين من رمضان !

ثلاثة احداث عظمى أوجدت أعظم رابطة عرفتها الانسانية واضخم وحدة ثقافية فى التاريخ ، وجاءت بكلمة السماء الأخيرة الى أهل الأرض فى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ...

فاما بدر فلننظر فى بعض معجزاتها ...

قوة المسلمين الى قوة المشركين هى بنسبة واحد من المؤمنين الى ثلاثة من المشركين ، وفرس واحدة للمسلمين مقابل كل خمس وثلاثين ، وجمل واحد ، مقابل كل عشرة جمال للمكيين .. أما سلاح المسلمين وتجهيزهم وتموينهم فلا تكاد ترقى الى متوسط تلك النسب إذا قيست باسلحة قريش ووفرة تجهيزاتها ...

ومع ذلك كله كانت النتيجة سبعين قتيلا من قريش وثلاثة وسبعين اسيرا فى مقابل أربعة عشر شهيدا من المسلمين ..

ولم يمض بعد بدر إلا عشر سنوات عدداً تم خلالها توحيد واعادة توحيد شبه الجزيرة العربية كلها تحت راية الاسلام ، ودخول المسلمين عاصمة الفرس فى المدائن وسلخهم عن الامبراطورية البيزنطية اعظم ولاياتها واكثرهن خيرات واحسنهن من سائر الوجوه .. ومن يقرأ تفصيلات بدر ويتفكر فيها جيداً يجد أسباب النصر ماثلة ، فى تطبيق روح الشورى فى النظام النبوى الاسلامى ، وفى وضوح حاسم للرؤية ، ونظام جماعى قائم على العدل والتراحم والطاعة .

وروح الشورى يعكسه حرص الرسول عليه السلام فى أن يترك للانصار حرية القرار هل يدخلون المعركة قبل نشوبها أم لا يدخلونها ، أن كان تحالفهم مع الرسول فى بيعة العقبة تحالفاً دفاعياً يفرض عليهم مجرد حماية الرسول والمهاجرين داخل المدينة ، ولا يقتضيهم غزوا مع الرسول خارج المدينة ، كذلك طرح موضوع المعركة ، مكانها ، وخطتها على المسلمين فكان الرأى الأمثل لواحد من عرض الجماعة ، وكان رأيه وجيهاً صائباً فاخذ به ، أما وضوح الرؤية فناتج عن ايمان راسخ بالله ورسوله وحماسة المظلومين المقهورين ، الذين اخرجوا من ديارهم فى مكة بغير ذنب إلا أن يقولوا ربنا الله .. أما النظام الجماعى فكان نظاماً متقناً وصارماً وقائماً على العدل والمحبة ، صف القتال رتب ترتيباً متراصاً لم يشذ عنه إلا واحد من المسلمين عنف به الرسول واعاده الى مكانه ، فكان كلما سقط شهيد سارع اخواه عن جانبيه الى رص الصف وملء الفراغ الناشىء عن سقوطه فلا يجد المشركون امامهم ثغرة ينفذون منها حتى نهاية المعركة ..

أما فتح مكة فى العشرين من رمضان فكان أول فتح فى التاريخ يقبل فيه المنتصرون من المغلوبين مجرد التسليم باحتماء فى الحرم أو دار أبى سفيان ، وبعد ذلك لا شيء ، لا سبى ولا نهب ولا قتل موادع ولا ترويع آمن بل عفو شامل وسماحة نبى ما عرفت الأرض أبر منه ولا أرحم ..

وهو فتح استخدمت فيه القوة للردع فحجب الدم ، وانتصر المبدأ الحق ... لم ترافقه شماتة ولا بذاءة ، ولا كان إلا لله ذلك النصر .. ألم يسجد القائد على ظهر راحلته يبلل دمع الشكر لله عارضيه الكريمين ، ثم يتوجه محمد صلى الله عليه وسلم أولا وقبل كل شيء لتحطيم الاصنام فى الكعبة ، وتحقيق المبدأ فى نضال النبوة ... ما بدأ محمد بزيارة الحي ولا الدار رغم طول الشوق ، والحاح اللهفة الى ارض الوطن ..

وأما ليلة القدر ونزول الفرقان فان كتاباً فى التاريخ لم يعش فى القلوب والشفاه ، ولم يؤثر فى كل تفاصيل الحياة كما فعل كتاب الله الباقى بكامل حرفه ونصه ...

فمايزال القرآن قوت القلوب العابد ، وأساس التشريع والنظام لملايين عديدة ، ومايزال يجمع الأبيض والأسود فى اعظم وحدة ثقافيه ذات مضامين انسانية فى العالم كله .. ومايزال هذا الكتاب الالهى ينبوع البلاغة ، وحافز العلم والبحث ، ومنظم كيان الأسر ، ومقرر انصاب الورثة ، وكهف الأمان لكل عائد الى الله من رحلة ضياع ، وسراب شك غادر .

لقد كان رمضان لهذه الأمة حتى فى أشد عهودها تخلفاً وشتاتاً علامة فارقة على وحدة العقيدة وتماثل الشعائر والمشاعر وهو فى عصر النهضة الراهنة دليل العقل الاسلامى الجديد نحو اعادة البناء الحضارى لهذه الأمة على هدى ونور وبصيرة .

المجد حقاً كله رمضان ، فبينما الانسانية تقاسى آلام الضياع من حضارة الصناعة المادية ، ومن حصادها المر من الحروب الطاحنة والتمييز العنصرى الذميم ، وتحجر القلوب وانهيار القيم ، يمثل رمضان شامخاً ، سداً منيعاً يحول دون انتحار الانسانية وغرقها ، بكل ما يحمله من كرامة العدالة ، وفيوض الرحمة ، وتكريم الانسان بتقوى القلوب ، وتوجيهها الى اعزاز كلمة الله الذى له المثل الأعلى والأسماء الحسنى .

أحمد العنانى

PEPSI

المسجد النبوى

والعالم الإسلامى تتوحد مشاعره الروحية فى شهر رمضان الكريم .. تتجه الدوحة إليه بأحر مشاعر التهانى والدعاء بالمزيد من الصفاء والت

السنة الخامسة ـ العدد ٥٧ ـ ذو القعدة ١٤٠٠هـ ـ سبتمبر ١٩٨٠م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

تأملات إعلامية

الخواء الروحي في العالم يزداد حدة
محمد فتحي

الاعلام العربي في معركة المصير
د. حافظ الجمالي

الدراسات الاعلامية العربية في أزمة
د. فاروق أبو زيد

فلنجرب الجنون
د. يوسف إدريس

قيمة العلم في الإسلام
د. يوسف القرضاوي

MIRINDA

الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة قطر

قطر ٣ ريالات ، البحرين ٢٥٠ فلسا ، الإمارات العربية ٣ دراهم ، عمان ٢٠٠ بيزة ، الكويت ٢٥٠ فلسا ، السعودية ٣ ريالات ، الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا ، جمهورية اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا ، العراق ٢٥٠ فلسا ، الاردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش ، لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٢٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، الجماهيرية العربية الليبية ٣٠٠ درهم ، تونس ٣٠٠ مليم ، الجزائر ٣ دنانير ، المغرب ٣ دراهم ، باقي دول العالم مايعادل دولارا واحدا .

الاشتراكات : للافراد : داخل قطر : ٣٦ ريالا قطريا ، بالدول العربية : ٤٢ ريالا قطريا ، في باقي دول العالم : ٤٨ ريالا قطريا .

للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات : داخل قطر : ٧٢ ريالا قطريا ، بالدول العربية ٧٨ ريالا قطريا ، في باقي دول العالم : ٨٤ ريالا قطريا .

الدوحة

رئيس التحرير

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ــ الدوحة ــ قطر

العنوان البرقي : المجلة : الدوحة .

تلكس : 4521 MAGDO DH

تليفونات :

رئيس التحرير: ٢١٢٢١

مدير التحرير : ٢١١٢١

التحرير :

٣٢١٢٧٥ ــ ٣٢١٢٧٦

٣٢١٢٧٧ ــ ٣٢٣٧٧٨

القسم التجاري :

٣٢١٨٥٧ ــ ٢٦٨٤٦

جميع المراسلات :

ترسل باسم رئيس التحرير

العدد ٥٧

اسلاميات

شئون عامة

ادب وادباء

صفحات الرأى

هذا العدد

كلما أوشك عام أن ينصرم ، شغلتنا مجلة الدوحة عن اعمارنا بميلاد جديد فى عامها المقبل تجيش بنا احلام وصبوات فى سن الشباب ، والهواية ، والمغامرة المحسوبة بخبرات العام الذى مضى . يحدونا أن نسكب فى روح «الدوحة» وسامة جديدة ، تلد فى صدور قرائها حباً جديدا ، وصحبة متجددة .

ولابد أن اصدقاءنا القراء يلحظون منذ صدور عددها الأول فى يناير ١٩٧٦ أننا نرفض السكون فى علاقتنا بها وبه . لأن السكون هو الجمود لنا ولها وله . ولأن السكون هو القناعة بالحد الأدنى من النجاح والطموح . ولاننا كذلك نعى أن الساحة الثقافية فى بلادنا فى السنوات الأخيرة تسحب على نفسها غطاء سميكاً من الركود والدعة . وواجبنا – مثلما هو واجب كل منبر ثقافى جاد – أن نلقى بحصواتنا فى الماء الآسن كي نحركه ونشيع فيه الحياة .

بهذا الفهم البسيط لما يمكن أن نسميه شعورا بالمسئولية ، وإسهاماً بجهودنا وجهود كتابنا الذين حملوا معنا عناء المهمة وشرف الرسالة ، تشغلنا الدوحة ، وقراء الدوحة على نحو متجدد بين لحظة وأخرى .

ونحن بالطبع لا نسوق هذه المقدمة لكى نتغنى بنجاح عريض حققناه فى زمن وجيز . ولا أن نقدم محتويات هذا العدد الى قرائنا بعد أن صار واقعاً حياً بين أيديهم وأعينهم. وإنما لاننا نحمل للقراء موعداً بالتجديد والتجدد فى العدد القادم .. عدد أكتوبر . فالى أن نلتقى .. نرجو لهذه الصحبة الجميلة أن تظل على الدوام نابضة وفى ضميرها تحقيق الهدف .

الدوحة

ابواب القراء

اشراف نادية محمد رزق

مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبية والروحية بين الدوحة واصدقائها المساهمين فى تحرير ابواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافات رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية ١٢٠ ريالا
افكار جديدة ١٠٠ ريال
رايت . سمعت . قرات ٦٠ ريالا
دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحرير ابواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجي ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية .

فنون

طبعت بمطابع علي بن علي

الشهر الذي مضى

● محمد عبد الوهاب محمد
البحر الأحمر ـ ج . م . ع

نتابع بحب وعرفان اعداد مجلتكم الغراء والتى تحمل منبر الثقافة فى العالم العربى فى وقت اصبحت فيه الثقافة سلعة نادرة ، ونحيى فيكم هذا الاخلاص النادر لاخراج المجلة فى اكمل ثوب شهرياً فكل عدد يكون احسن من الذى سبقه واجمل واروع ، فشكراً لكم على هذه المجلة التى تجمع للمثقفين العرب كل شهر حول وجبة دسمة كاملة من الثقافة الادبية والعلمية والفنية ، ولكن لنا عندكم رجاء وهو ان يزدان كل عدد بمقالة رئيس التحرير (الدكتور / محمد إبراهيم الشوش) الرائعة التى تحتجب احياناً وهى الطبقة العليا فى وعاء القشدة الثقافى الذى نتزود به كل شهر الا وهو دوحتنا الوارفة الظلال .. ورجاء اخر نتقدم به إليكم وهو عدم حرماننا من الروايات المسلسلة لاعلام الأدب العربى كما نتمنى ان نقرا فى دوحتنا الحبيبة مقالات لفاكهة الثقافة العربية وهو الأديب المؤرخ الدكتور حسين فوزى .

محمد عبد الوهاب

● عبد المنعم عبد الله عجب
السـودان

تحية خالصة صادقة الى جميع العاملين فى مجلة الدوحة الوارفة بقيادة الربان الماهر د. ابراهيم الشوش . وبالرغم من انى حديث بمجلتكم الغراء إلا اننى تعلقت بها تعلق الرضيع بامه واصبحت منهلى الذى لا ينضب واسفت كثيراً لما فاتنى فيها من اعداد .. ولدى الآن بعض الملاحظات :

اولا : كان هنالك باب من ابواب المجلة يجيب على بعض اسئلة القراء السياسية والتاريخية وغيرها ولكن اخيراً اختفى هذا الباب واصبح هنالك فراغ واضح للدور الكبير الذى كان يقوم به وخاصة نحن معشر الطلبة نحمل الكثير من الأشياء التى تحتاج منا إلى الاستفسار وزيادة حصيلة هذه الأشياء .

ثانيا: من الملاحظ اخيراً اختفاء كتابات كتاب الحركة النقدية .

وثالثا واخيراً : ارجو أن تكون مقالات د. الشوش الافتتاحية شهرية بقدر الامكان .

عبد المنعم عبد الله

إسلاميات

(● على حسن بغدادى ـ إدفو ـ ج . م . ع

استمتعت بقراءة المقال الفلسفى الرائع الذى كتبه د. يوسف القرضاوى تحت عنوان «المجتمع المسلم بين الثبات والتطور» . فلقد حسم كاتب المقال قضية التطور ، حيث ذكر ان الكون لم يزل يحوى على أرض وسماء وبحار وجبال وشمس وجزر ونجوم وغيرهم ، وأن الانسان مازال جوهره بدون تغيير ، فهو فى موضع الثبات .

ولكنى آخذ على كاتب المقال شيئين عجز فهمى عن ادراكهما :

اولا : إذا كان التطور لا يعنى التبدل المطلق بل يعنى الانتقال من طور الى آخر ، كما انه لا يعنى إنتقالا من سيىء الى احسن ـ كما حدث لأمة العرب حينما نقلها الاسلام من الجاهلية الى الحق ـ ولا يعنى ايضا انتقالا من حسن الى سيىء كما حدث للوطن العربى فى عصور الاحتلال والتبعية الفكرية . فما هو مقياس التطور إذن ° ، متى ندرك بانفسنا الفارق بين التطور والتقدم ؟

(ثانيهما) لا ادرى ماالسبب الذى جعل كاتب المقال ينظر الى الحضارات الغربية على انها مجتمعات يجب تجنبها حتى لا نفقد اصالتنا وشخصيتنا المتميزة مع اننا نستطيع ان نقتبس منها وننتفع بما لديها من معارف وخبرات ومهارات ومكتشفات واجهزة وادوات ومخترعات ، فالى متى نظل نستورد كل هذا منهم وبخاصة بعد ان اثبت مؤرخو الحضارة الاسلامية أن المنهج العلمى الحديث الذى تسبب فى نهضة اوربا قد اقتبس من المسلمين .. وإلى متى نظل فى اطار استيراد الحضارة ـ كما يزعمون ـ وعلومهم فى حين ان القرآن الكريم الذى انزله الله سبحانه تعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم منذ اربعة عشر قرناً مضت يحوى على معجزات علمية تحققت فى العصور الحديثة ومعجزات اخرى لم يستطع الغرب اكتشافها حتى الآن .. فما هو الطريق للتفوق عليهم ؟

ارى ان هذا المقال بداية لسلسلة مقالات حول الثبات والتطور فى المجتمع الاسلامى ، نتعشم ان نقرا للدكتور القرضاوى احاديث اخرى فى هذا الموضوع الشيق .

على حسن بغدادى

شئون عربية

● محمود صالح حسين
نيـالا ـ السودان

لقد شدنى موضوع الدكتور محمد كامل «العلم والتكنولوجيا بين الحاضر والمستقبل» كما صور لنا الدكتور محمد كامل الحالة التى يمر بها العالم العربى .

واشارك الدكتور محمد كامل فى ان العالم العربى يمر بمرحلة من اخطر مراحل تاريخه ولعلنا لانكون مغالين إذا وصفنا هذه المرحلة بمرحلة النهضة الشاملة التى تهدف القضاء على الجهل واللحاق بركب العلم المتقدم ، واستعمال وسائل

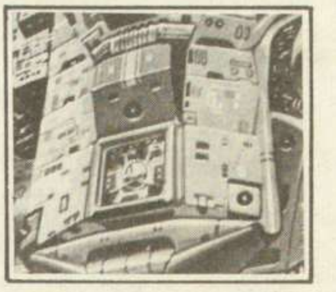

العصر الحديث والاجهزة الالكترونية المتطورة . والمقارنة بين مشاهداتنا وافتراضاتنا . واتمنى ان ندرك الدور المصيرى للتكنولوجيا والعلم فى حياتنا ، وان نقطع مشوارنا فى هذا المجال بجدية وصبر واجتهاد ، حتى يمكننا الدخول الى مصاف الدول الصناعية الكبرى فى المستقبل .

محمود صالح حسين

● سعيدات مولاى إدريس
الجزائـر

قرات بكل إهتمام وتعطش ما كتبه الاخ سائد درويش تحت عنوان فنون الرقص الشعبى فى قطر» وقد اعجبت ايما اعجاب بهذا التحقيق وخاصة بالخاتمة ، التى ختم بها تحقيقه حين كتب «وهكذا فان وحدة التراث تضاف إلى وحدة الأرض والدين واللغة والتاريخ لأبناء الخليج العربى» فهذه العبارة تجعلنى اقول أن وحدة التراث تمتد ايضا من الخليج حتى الجزائر ففنون الرقص الشعبى يتشابه فى دول المغرب العربى وخاصة فى الجزائر وبالتحديد فى الجنوب الجزائرى ، فمثلاً رقصة العرضة موجودة عندنا وهى تقام الآن بمناسبة الأعياد الوطنية وكذلك الامر بالنسبة لرقصتى الليوة

والطنبورة لذلك اطالب اسرة المجلة بالمزيد من التحقيقات التراثية ، ليس على نطاق الخليج العربى فحسب ، بل من الخليج العربى الى مراكش ، وبذلك يتحقق القول : «هكذا فان وحدة التراث تضاف الى وحدة الارض والدين واللغة والتاريخ والمصير لابناء الامة العربية» .

سعيدات مولاى إدريس

شئون عامة

● جمال شيش – البليدة – الجزائر

طالعت مقال الدكتور حسين مؤنس تحت عنوان «كلام فى السياسة» ، وانى اوافقه الراى فى ان العمل السياسى هو مجرد التنسيق بين جهود العاملين فى الامة وتحديد مسار الامة كلها على اساس ثمرات جهود العاملين فى كل ميدان .. وقد ضرب لنا مثلا بهتلر وموسولينى اللذين اعتبرا نفسيهما عبقريين فاديا بشعبيهما إلى الانهزام والى التخبط فى المشاكل وذلك لعدم فهمهما الجيد لدور السياسى وخاصة الزعيم فى شعبه .

واعتقد ان العربى إذا لم يستطع منافسة الاوربى فى ميدان العلم والتكنولوجيا ، فامامه ميدان اهم واعظم ، الا وهو ميدان العلوم الانسانية والروحية ..

وفى نطاق ماجاء فى المقال فاننى لا اوافق الدكتور حسين مؤنس فى ان العالم العربى ليس له امل للحاق بامريكا فى المستقبل ، إلا إذا توقفت عن مواصلة بناء حضارتها .. فالواقع ان العرب يمكنهم اللحاق بالغرب اذا رجعوا الى الاسلام وطبقوا شريعته وتعاليمه العظيمة فى حياتهم اليومية وجعلوا من القران الدستور الرسمى واحسنوا التصرف بثرواتهم الطبيعية ..

واعتقد ان اخطر الأمراض التى يتخبط فيها العرب هى مرض البحث عن المادة ومحاولة ملء البنوك بالاموال وعدم محبة العمل ، فالاسلام ضد جميع هذه الأمراض التى تعوق التقدم والتطور .

واخيراً اتمنى ان تتبنى المجلة اقتراحى هذا الذى ادعو فيه لاضافة باب جديد تجيب فيه عن اسئلة واستفسارات القراء حول مسائل علمية وادبية واسلامية وغيرها وليكن تحت عنوان «سؤال وجواب » ..

جمال شيش

● ابراهيم احمد جاب الله
طنطا – ج ٠ م ٠ ع

قرات مقالا بعنوان «شىء عن الموت» للدكتور / عماد الدين خليل جعل فيه الكاتب الموت شيئا مبرراً ومنطقيا .. حين اختلف مع «كامى» الذى عرف الموت بانه «رياضيات دامية» «وانه ما من شىء مبرر إزاء واقعة الموت» ..

وقال الكاتب ان الموت «رياضيات عادلة» .. وانا مع الكاتب الفاضل فى تناوله لفكرة الموت اولحقيقة الموت بالاحرى ..

وقد جعلنى هذا المقال اتذكر خاطرة كتبتها عن الموت ، وفيها اقول «هل الكابوس الذى يدهم النائم موت مصغر ؟ .. بعبارة اخرى هل «الكابوس بروفة او تجربة مخففة للموت ؟..» فالمرء حين يدهمه الكابوس اثناء نومه .. يود لو ينقذه احد وينتشله مما تردى اليه .. وما هو ببالغ بغيته لانه يعدم الوسيلة التى يتصل عبرها بالمنقذ .. يود النائم – فى هذه الحالة – لو يتكلم او يصرخ . لو يستغيث فلا يستطيع ..

والقران الكريم تحدث عن الموت باعتباره مصيبه «يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم إذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل او اخران من غيركم إن انتم ضربتم فى الأرض فاصابتكم مصيبة الموت ..) .. وتحدث القران ايضا عن الموت باعتباره شيئا يذاق (كل نفس ذائقة الموت) .. وبما ان الموت مصيبة فان مذاقه لابد ان يكون صابا وعلقما .. ولا نجد ما نتصبر به ونتاسى .. غير رحمة الله التى كتبها على نفسه .. والمشاهدات التى يشهدها الانسان او يسمع بها كفيلة بان تجلب اليه الفزع وتقض مضجعه فالمحتضر حين ياتيه الموت نرى اعضاءه واطرافه تتقلص وتتيبس .. كما نراه يرفس برجليه اثناء صعود روحه الى بارئها .. ونرى انفاسه تتحشرج .. ويروعنا من امره ان شهقاته وزفراته تصير شخيراً مفزعا .. وفى حقيقة الامر نحن حين نرتاع ونفزع فليس ذلك منا رحمة وشفقة به .. بل رحمة وشفقة بانفسنا .. حين نصير الى هذا المصير .. وقد نرى عينى المحتضر فننكره .. فماذا نرى ؟ نرى سواد عينيه يتوارى ويتلاشى ليفسح للبياض الحدقة باكملها !! ..

ابراهيم جاب الله

● مـــراد غريـب
جامعة نيودلهى – الهند

تحت عنوان «اكذوبة مساواة المراة بالرجل» قرات ما كتبه عبد الوهاب الأسوانى ، لفت نظرى ماقاله الكاتب من ان : «عدد كبير من الرجال – واضح انهم من ضعاف العقول – مضوا يدافعون عن المراة بطريقة مضحكة ويقولون انها لا تختلف عن الرجل بدليل وصول بعض النساء الى المراكز العالية ، مثل المراة التى اصبحت كبيرة للوزراء فى بلاد السند والهند الى اخر الفقرة ..» .. وفى الفقرة الرابعة كتب «لكن هذا الكلام لا ينطلى علينا لسبب بسيط ، هو ان النساء المعاصرات اللاتى وصلن الى كراسى الحكم يعشن فى بلاد بعيدة لا نعرف عنها شيئا ومن ثم لانستطيع ان نحكم إن كان هذا قد حدث او لم يحدث ، وبالتالى فلسنا مطالبين بالرد على موضوع نجهله» .

واكتفى بهذه الاشارة لما كتبه فى هاتين الفقرتين لتاكيد عدم إدراك الكاتب لحقيقة مساواة المراة بالرجل وارفق طيا صورة للسيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند ليطلع عليها ويتاكد إن كان هذا حدث او لم يحدث كما قال . فالمراة التى تتبوا مثل هذه المناصب ليست «مشاغبة» كما وصفها فى مقاله ..

إن تعليقى على ما جاء فى هذا المقال ليس دفاعا عن المراة ، فلديها هى وحدها من الامكانات مايؤهلها للرد بسهولة على مثل تلك الاتهامات ولكننى اردت فقط وضع النقط فوق الحروف حول حقائق لايمكن السكوت عليها .

مراد غريب

أضغـــاث أحــلام

● عيدروس سليمان
اليمن الديمقراطية

قرات باهتمام موضوع السيد مصطفى درويش الفار ، «الشك فى اننا احياء» المنشور فى العدد ٥٥ من مجلتكم الغراء ، ولفت انتباهى نظرته البعيدة وخوفه على مصير الاسلام والمسلمين فى الفلبين ، وقبرص ، وافغانستان ، والقرن الأفريقى ، حيث نسى او تناسى الخطر الحقيقى والفعلى فى القدس المحتلة حيث تنتهك حرمة المقدسات الاسلامية والمسلمين امام الراى العام الاسلامى والدولى .

فالاجدر بنا توجيه انظارنا وعقولنا الى الأخطار الحقيقية التى تواجه المسلمين فى فلسطين المحتلة باعتبارها قضية تمس مستقبلنا

عيدروس سليمان

● المهندس محمد محب الدين
حمص – سورية

قرات مقال درويش مصطفى الفار «الشك فى اننا احياء» مرتين لانه يصور تصويراً دقيقا واقعنا الذى نعيشه فعلا على كافة المستويات .

وايقنت ان للقلم دوره الفعال إذا وجد من يفهم ما يسطر القلم .. ولذا عدت للمرة الثالثة وقرات المقال لعلنى اجد الحل لذلك فلم اجده إلا فى العودة الى ديننا الحنيف الذى اعطى لكل شىء حقه .

ويحضرنى هنا قول احد اساتذتى الكرام : إن جميع من فى العالم متفقون على اكلنا ولكن كل واحد بحسب طريقته .

.. وهكذا نحن والعالم .

محمد محب الدين

استطـــــلاعا ت صحفيـــــة

● تاج السر عبد الرحيم قايت – ام روابة – السودان

فى العدد ٥٥ من مجلة الدوحة نقلنا كمال سعد لجزيرة الأحلام فى اسبانيا «الاندلس» وذكرنا بأيام العرب وفتوحاتهم وانتصاراتهم وذكرنا بالقائد المسلم طارق بن زياد وانتصارات المسلمين ونقلهم للمدنية والحضارة لأوربا فى القرون الوسطى عندما كانت تغط فى نوم عميق، وذكرنا بغرناطة واشبيلية ومائها وظلها وانهارها واشجارها وهزتنا امجاد الأمة العربية الماضية.

وذكرنا بقرطبة وابن زيدون وحبه لولادة :–

ابو الوليد تغنى فى مرابعها ... واجج الشوق نيرانا واشجانا
لم ينسه السجن اعطافا مرنحة ... ولا حبيبا بخمر الدل نشوانا
فما تقرب الا عن ديارهم ... والقلب ظل بذاك الحب ولهانا
فكم تذكر ايام الهوى شرقا ... وكم تذكر اعطافا واردانا
قد هاج من هوى ولادة شجنا ... بردا وشوقا وتغريدا وتحنانا

ثم نرجع ونعيش عهد الهزيمة والظلام حيث يقف الشاعر ابى عبد الله ابن الابار القضاعى يطلب النجدة من والى افريقيا ابى زكريا بن ابى حفص وعندما يقف امامه ينسى الرسالة التى جاء من اجلها فينشد يقول :–

تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم ... إلا عقائلها المحجوبة الأنسا
وفى بلنسية منها وقرطبة ... ماينسف النفس او مايترف النفسا
مدائن حلها الاشراك مبتسما ... يا للمساجد عادت للعدا بيعا

ولكن النجدة تاتى بعد فوات الأوان لأن الحصار حول المدينة كان محكما لدرجة حالت دون وصول الغوث وتسقط مدينة بلنسية فى ايدى الفرنجة.

وفى ابريل عام ١٩٦٧ نلتقى بشاعرنا واستاذنا المرحوم محمد احمد محجوب طيب الله ثراه نلتقى به حيث يرسم لنا صورة الأندلس فى الماضى والحاضر فى تحفته الفنية «الفردوس المفقود» فيقول :

نزلت شطك بعد البين ولهانا ... فذقت فيك من التبريح الوانا
وسرت فيك غريبا ضل سامره ... دارا وشوقا واحبابا واخوانا
فلا اللسان لسان العرب نعرفه ... ولا الزمان كما كنا وما كانا
ولا الخمائل تشجينا بلابلها ... ولا النخيل سقاه الطل يلقانا
ولا المساجد يسعى فى مآذنها ... مع العشيات صوت الله ريانا

وعندما وقع عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ اتم الشاعر قصيدته فى الخرطوم بأبيات خوالد، ويستغيث بابى الوليد، ويظهر حالنا فى الماضى من وحدة ومجد ونصر الى حالنا اليوم فيقول :

أبا الوليد أعنا ضاع تالدنا ... وقد تناوح احجارا وجدرانا
هذى فلسطين كادت والوغى دول ... تكون اندلسا اخرى واحزانا
كنا سراة تخيف الكون وحدتنا ... واليوم صرنا لأهل الشرك عبدانا
نغدو على الذل احزابا مفرقة ... ونحن كنا لحزب الله فرسانا
رماحنا فى جبين الشمس مشرعة والأرض كانت لخيل العرب ميدانا

وبعد أن وقف بنا الشاعر وبين حالنا دعانا دعوة جريئة للوحدة ونبذ الفرقة لنستعيد مجدنا وعزنا. وفى المقطع الأخير من القصيدة نجد الشاعر يجدد العزم للأخذ بأسباب النصر والسعى الحثيث لتحقيقه فيقول :

ابا الوليد عقدنا العزم أن لنا ... فى غمرة الثأر ميعادا وبرهانا
الجرح وحدنا والثأر جمعنا ... للنصر فيه إرادات ووجدانا
لهفى على القدس فى الباساء دامية ... نفديك يا قدس أرواحا وأبدانا
سنجعل الأرض بركانا نفجره ... فى وجه باغ يراه الله شيطانا

تاج السر عبد الرحيم

الدوحة

العدد القادم

الجديـــد القديــــم
عباس محمود العقاد

المسـلم هو التقـدمي
د. عماد الدين خليل

تأملات في مصير الانسان
د. رشدي فكار

مسوغات التقصير الاعلامي
د. حافظ الجمالي

الملاحـظ والمهنـدس
مسرحيـة من فصل واحـد
للكاتب المسرحي علي سالم

التنين :
وحش الخيال الشعبى
فاروق خورشيد

الدوحـة تلتقي
بالروائي العالمي :
البرتو مورافيا

حدود عالمنا العربى وحدود عالمنا الإسلامى

د. حسين مؤنس

نحن بالفعل نستطيع أن نصنع تاريخ بلادنا .. ولكن صنع التاريخ عسير

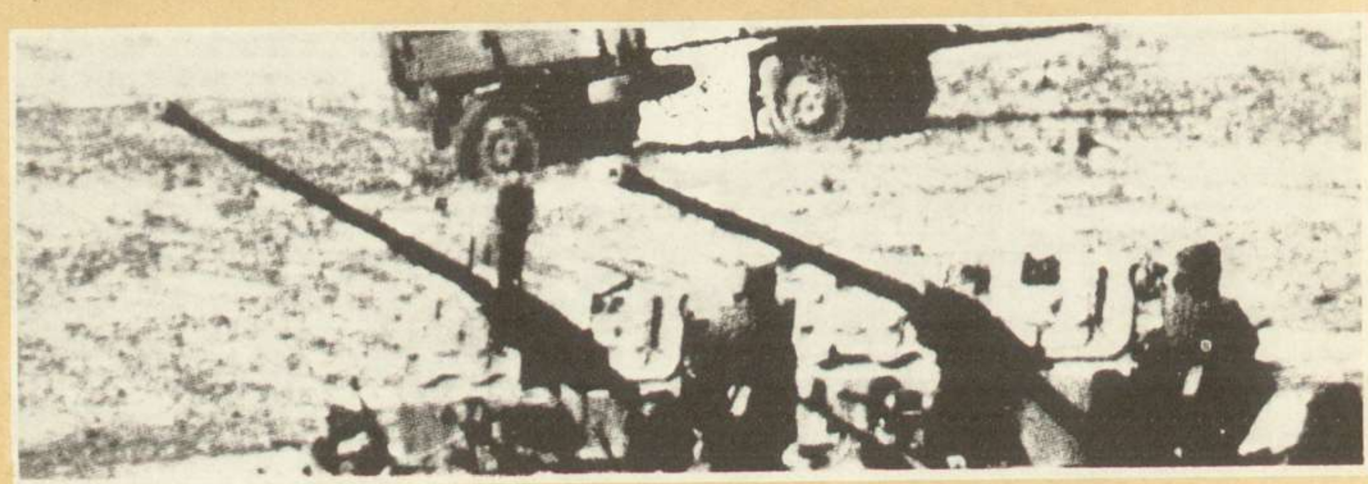

الجواب لا ، ثم نعم

اما «لا» فلاننا عندما نفكر فى جد وعمق ، لا نريد ان نصنع تاريخنا بايدينا نفضل ان يصنعه لنا غيرنا ، ونظرة الى المصور الجغرافى لعالم العرب والاسلام تريك حقيقة اننا لم نصنع تاريخنا المعاصر ، وانما هو صنع لنا فى مكان ما من اوربا ، وانظر الى حدود بلادنا جميعا وسل نفسك : من الذى صنعها ؟ تجد الجواب فى نفسك ، ولكن شفتيك لا تطيقان النطق به ، ربما حياء من الحق .

واما نعم فلاننا بالفعل نستطيع ان نصنع تاريخ بلادنا لو اردنا ، ولكن صنع التاريخ عسير ، إنه يتطلب تضحيات وتفكيراً ومخاطرات وعملا كثيراً . وهن أمور قل من يريد ان يتجشم مشاقها ومن غريب خصائص النفس الانسانية أن الناس تميل الى ترك الآخرين يتخذون لهم القرارات الكبرى حتى لايتحملوا المسئوليات ، وقد قضت الانسانية الوف السنين ، ترك الملك اى راس الدولة وراثة من اب لابن ، ولم تطالب بحقها فى اختيار الحاكم الا من نحو مائتى سنة .

واحب ان اطمئنك ـ حتى لاتحسب ان لى رغبة فى الايلام فاقول لك اننا لسنا وحدنا فى هذه الحال ، فان حدود بلاد الدنيا خارج اوروبا والولايات المتحدة كما هى اليوم صنعتها اربع دول او خمس وصنعتها لتخدم فيها مصالحها لامصالح اهل البلاد ، ولكن بلاد افريقية وامريكا اللاتينية اخذت هذه الحدود التى رسمتها انجلترا وفرنسا وكانها حقوق قومية تاريخية ، واظنك تذكر ماساة كاتانجا التى ارادوا فى اواخر الستينات ان يفصلوها عن زائير طمعاً فى معادنها وكادوا يفعلون لولا انهم اختلفوا على الغنيمة ولم يستقروا على امر مصيرها ولمن منهم ستصير كتانجا ؟ واخيراً راوا ان يتركوها مع زائير ، فزائير دولة شاسعة المساحة ، وهى فى حاجة الى الغرب ، والغرب يصنع لها ـ كما يصنع لغيرها من جاراتها ـ كل شىء من الدبوس الى المطار ، واهل الغرب هم الذين يحددون اسعار المصنوعات ، فيتفقون فيما بينهم ، من يقيم مطار كنشاسا : الجيكا ، حسنا ، وماذا سيكون الثمن ؟ ١٠٠ مليون دولار . الحقيقة انه يتكلف نصف ذلك ، ولكن ماذا يهم ، ان الثمن سيدفع من معادن كتانجا ، فياخذون نحاساً والومنيوم واورانيوم وبلاتينيوم ، وغيرها بنصف الثمن ، ثم يصنعون ذلك كله ويعودون فيبيعونه من زائير وغيرها بضعفى الثمن ، والنتيجة فى النهاية انهم يحصلون على المعادن دون مقابل ، فلماذا كانت الحرب ؟ ولماذا مات فى سبيلها داج همرشلد ؟ ثم اين تشوجى بطل كتانجا؟ مضى الى حيث لايبكيه احد .

وذلك مثال من العبث الذى يصنعونه بنا ، لاننا لانريد ان نصنع تاريخنا

هناك حدود ينبغي أن نحافظ عليها ولا نتخلى عن ملليمتر واحد منها

بايدينا ، وصنع التاريخ عسير جداً ، فهو يتطلب كما قلنا تضحيات وصبر ونكران ذات ، وانظر مثلا كم مليون من الروس ماتوا لكى يحوزوا من مساحة الارض هذا القدر المخيف .

وها هم اليوم يخوضون معركة جديدة فى افغانستان لانهم يريدون ان يحدوا حدودهم زيادة عما هى عليه ، ولكنهم هذه المرة يصطدمون بشعب عزيز لا يحب ان يصنع له الآخرون حدوده ، فقد هزموا الانجليز بعد الفتنة الهندية الكبرى سنة ١٨٥٧ واخرجوهم من كابل وسيطروا على ممر خيبر وامسكوا بايديهم مفتاح الهند عند ريشاور . ومن الآن استطيع ان اقول إن الروس سينهزمون فى افغانستان رغم ان ثوار الافغان لا يتلقون من الخارج غير معونات قليلة ، ولكن المسالة هنا ليست مسالة عتاد وسلاح بل هى مسالة إرادة وعزيمة ، وقد بلغ من تعب الروس فى افغانستان انهم بعد ان كانوا يرسلون إلى هناك جنوداً من بلاد التركستان وما يقع شمالها من بلاد اسلامية مغصوبة تسمى جمهوريات اشتراكية ، وجدوا ان المسلمين لايصدقون فى حرب المسلمين ، فسحبوهم من الميدان ، وهرب منهم الى المجاهدين من هرب ، واتى الروس بدلا من هؤلاء بجنود روس من اصول المانية من نواحى بوميرانيا وبروسيا الشرقية التى انتزعوها من المانيا بعد الحرب العالمية الثانية ، يحسبون ان ذلك الجندى الالمانى سيكسر شوكة المجاهد الافغانى ، ولكن هيهات ، فان شعب الافغان لايحب أن يترك الآخرين يرسمون حدود بلاده ، وقد قال ذلك «نيزك» ملك اتراك طخارستان وهى جزء من افغانستان ، فقد كتب / قتيبة بن مسلم / الى نيزك يقول ـ حين يروى البلا ذرى ـ دعنا ندخل بالاسلام مخارم تلك البلاد ولك الامان فى نفسك وعيالك ومالك ، فكتب اليه نيزك : اما الاسلام فندخله ونؤمن بالله ورسوله ونبنى المساجد ، اما ان تطا بلادنا فلا . وقد اعجب ابن قتيبة وقبل شرطه وتصادق الرجلان ، ودخل قتيبة ارض طخارستان دخول صديق ، وحالف نيزك ، ثم افسد بينهما صعلوك يسمى الحارس بن سريح .

البلاد المتعبة

اقول ان سبب بلاء كل البلاد التى نسميها تادبا بالبلاد النامية ، ولو انصفنا لسميناها البلاد المتعبة (بفتح العين) او «التعبانة» اذا استعملنا اللفظ العامى ، وهى تعبانة لانها لا تريد ان تتعب تعباً حقيقياً مرة واحدة ثم تستريح الى الابد ، وهذا سبب بلوتها ، وتفضل بدلا من ذلك ان تظل تشكو وتتاوه : اليوم من ازمة اقتصادية وغداً من انقلاب عسكرى وهكذا ، ولقد زرت ليبيريا مرة وكنت ضيفاً على الحكومة ، وبعد ان اجهدونى يوما كاملا فى اطلاعى

على عوامل الاستقرار والنهوض فى بلادهم اويت الى فراشى فى الفندق الفاخر ووجدتنى اقول فى نفسى : يرحمكم الله ! تكذبون على أم على انفسكم ؟ والسبب اننى طول اليوم لم أر إلا ناساً نياماً فى ظلال الأشجار ، والأشياء الوحيدة التى تستحق الفرجة هى المستوردات والميزانية تسدد عجزها الولايات المتحدة ، وبالنوم لاتصنع البلاد ، وقد صدق حسى وكان ما كان من موت رئيس ليبيريا وكل من عمل معه من حين قريب ، وسيطر على البلاد شاب فى الرابعة والعشرين ، وقد فعل ذلك لأنه وجد نفسه يقظاً والناس من حوله نيام فضرب ضربته ، واغلب الظن انه سيبدأ فى النوم عن قريب .

حدود عالم العروبة

واعود الى بلادنا ـ وهى التى تعنينا فى هذا الحديث ـ فاقول : حسناً ، لتكن الحدود كما هى ، كما رسموها لنا ، لاباس بذلك ، ولكن هناك حدوداً اخرى ينبغى أن نحافظ نحن عليها ولا نتخلى عن مليمتر منها لأن اجدادنا هم الذين رسموها لنا ، هى حدود عالم العروبة كله وعالم الاسلام من حوله ، فهذه حدود عامة رسمها لنا ابطال تاريخنا الذين انشاوا عالم الاسلام ، ومن العجيب أن الحدود الاسلامية الوحيدة الباقية دون تغيير هى التى رسمها لنا ابطال الاسلام فى القرن الهجرى الأول :خالد بن الوليد ، وابو عبيدة عامر بن الجراح ،وعياض بن غنم ، وسعد بن ابى وقاص ، وعبد الله ابن عامر، والأحنف بن قيس ، وقتيبة بن مسلم، ومحمد بن القاسم وعقبة بن نافع وموسى وطارق ، حتى حدود العروبة من والى النيل رسمها عبد الله بن سعد والى مصر لعثمان بن عفان الذى ارسل نافع ابن عبد القيس فوصل الى دنقلة سنة ٣١ هجرية وصالح الناس هناك على أن يكونوا اصدقاء الاسلام وعقد معهم معاهدة البقط ، وبنى فى بلادهم مسجداً واخذ منهم عهداً بالعناية بالمسجد ، وعلى هذا الأساس الذى وضع فى القرن الاسلامى الأول جاء ابتداء من القرن / الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى عرب الكنوز ، وعرب جهينة ، ورفاعة فاكدوا ما رسمه عبد الله بن سعد وأزالوا بقايا ممالك النوبة ومقرة وعلوة وجعلوا السودان النيلى بلاد اسلام والحمد لله على هذه الحسنة الكبرى .

عقبة بن نافع

وفى بلاد المغرب رسم حدود دولة الاسلام والعروبة عبقرى زاهد مقاتل يندر أن يجد الانسان له مثيلا هو عقبة ابن نافع بن عبد القيس الفهرى ، رجل قد من حديد وحمل قلباً عامراً بحب الله تعالى ، وقد تعودنا أن نرسم صورة عقبة وهو يدخل بفرسه فى ماء الأطلسى جنوبى اغادير ويشهد الله سبحانه وتعالى على انه وصل براية الاسلام إلى آخر ما يصل اليه الواصل ، والمشهد رائع

لو أننا حافظنا على حدودنا العربيّة والإسلاميّة لتلاشت إسرائيل

حقاً . ولو ان لدينا فنانين موهوبين مؤمنين حقا لاقاموا تمثالا لهذا المشهد جنوبى اغادير كما فعل الاسبانى الذى صنع مجموعة نحتية ارتفاعها اربعه امتار وعرضها اربعة اخرى تصور «نونيوث دى بالبوا» الذى عبر برزخ بنما ووقف على المحيط الهادى على صهوة جواده فسمى من ذلك الحين مكتشف المحيط الهادى ، هذا الفنان الاسبانى صنع التمثال على نفقته : ذهب الى بنما ونحت الصخرة فى الجبل قطعة قطعة ثم حملها ونحتها ثم ركبها ، وقفت عند هذه المجموعة النحتية فى مارس ١٩٦١ وتعجبت من ايمان رجل بجنسه يدفعه الفخر بقومه الى ان يقوم بمثل هذا العمل وكنت انذاك اديرٍ معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد وعندى تسعة طلاب فن مصريون كلهم يقلدون بيكاسو وسلفادور دالى ، وانا انظر الى ما «يحكحكون» واتذكر فكتوريانو سابالا صانع تمثال «نونيوث دى بالبوا» واقول : هؤلاء ناس يعرفون كيف يرسمون حدود بلادهم ونحن نسير اذلاء بين يدى رسام مشعبذ يسمى بيكاسو واخر يحترف الجنون ليضحك على العقلاء يسمى سالفادور دالى ، وطلابنا بلهاء يضحكون على الدولة ليحصل الواحد منهم على منحة قدرها ثلاثون جنيها فى الشهر ، وكلهم اليوم – كلهم – يجمعون القروش فى بلاد الخليج ، كلهم يدرسون الرسم للاولاد ، وهذا هو الفرق بينهم وبين فكتوريانو سابالا . لاعجب ان نصف العالم الجديد يتكلم الاسبانية ويدينون بالكاثوليكية . هذه امم عرفت كيف ترسم حدودها ولم تدع غيرها يرسمها لها ، هذه بلاد قصد اهلها الالوف فكسبوا الالوف وشبابنا يجرى وراء الملاليم ، ومن يجرى وراء الملاليم يصل الى الالوف فقط

تلك حدودنا

وبعد فاننى مؤرخ اكره الماضى ، وعلى وجه التحديد اكره ماضينا نحن ، لاننى لا احب الذكريات الحزينة ، ولهذا فاننى اتحول – كما حدث لتوينبى – الى مؤرخ يؤرخ الحاضر والمستقبل ، وكله تاريخ وكله زمان وكلها تجربة بشرية واحدة .

والذى اريد ان اقوله لاخوانى العرب والمسلمين . لاباس فى ان يكون غيركم قد صنع الحدود الداخلية لاوطانكم مادمتم تحافظون على الحدود الخارجية التى صنعها اجدادكم ، وانا شخصيا لاتهمنى اين تكون الحدود بين مصر والسودان فكلها بلادى وارضى ، ولكن تهمنى جداً حدود السودان من الجنوب ، هناك حيث يتامرون على حدودنا ويستعينون علينا بالاحباش ومن وراءهم من الكوبيين والروس ، لان هذه هى قشرة البيضة وحذار ان تنكسر القشرة ، وما اشد خوفى من ان تنكسر تحت ضغط الغرب ، واعوانه من خارج ، وتحت تاثير قصر النظر والانانية من الداخل .

توينبى

سلفادور دالى

بيكاسو

ماركس

فريدريش انجلز

تلك هى حدودنا التى اريد ان نحافظ عليها ، حدود العالم العربى الكبير والعالم الاسلامى الاكبر ، هذه على الاقل رسمناها نحن فلا اقل من ان نحافظ عليها .. لو امنا بذلك لتلاشت إسرائيل وتحطم قرناها على صخرة القلعة العربية ، لقد نفذت داخل بلدنا كالوتد ، ولكننا نرفضها ، بل هى اصبحت لاتثق فى نفسها ولا تامن على مصيرها بعد ان تعددت اساليب الصراع معها ، فنحن اليوم نصارعها من داخل ومن خارج ، وبيضتها تتحطم شيئا فشيئا بين الضغطين ، والمسالة كما قلت مسالة ايمان وصلابة ، والبقاء فى هذه الدنيا للاصلب ، فلابد ان يكون قوامنا اصلب من قوام اسرائيل حتى تتحطم تحت ضغطنا المتواصل عليها ، وعندما قلت إن افغانستان ستنتصر قلتها وانا اعرف ان الافغانى اصلب من الروس رجل جبلى عفى حر النفس لايطيق ان يسيطر عليه احد وهو يؤمن بالله ايمانا صادقا ويحارب فى سبيل دين الله ، اما الآخر فيحارب فى ظل تمثال رجل اصلع غاصب حاقد على الدنيا ومن فيها يسمى فلاديمير اوليانوفتش الملقب بلينين ، ظل عمره كله يجاهد لكى يطبق كلام صهيونى حاقد شرير يسمى كارل ماركس الف كتبا كلها حقد وضغينة وإيقاع بين البشر ، ولقد ظهر فى دنيا فاسدة وظلم شامل كان يقع على العمال ، وبدلا من ان

ما اشد خوفي من ان تنكسر
قشرة البيضة تحت ضغط الغرب

لا بد أن يكون قوامنا أصلب من قوام إسرائيل حتى تتحطم تحت ضغطنا المتواصل عليها

يصلح بين الناس أثار العمال على اصحاب الأعمال وحرضهم واباح لهم اموالهم ودماءهم ، والناس سراع الى التخريب، سراع الى الدماء ، ولهذا وجد من الناس آذانا صاغية وتمهد الطريق للثورة الدموية التى قادها لينين

وكان كارل ماركس الذى نادى فى المانفيستو المشهور بالعدالة واحترام قيمة الانسان كان يعامل خادمته الالمانية على انها بقرة ، وكان يقول صراحة انها بقرة ، ولانها بقرة فقد انجب منها غلاما دون أن يستحى ، وبعد ان انجب الغلام طرد المسكينة الى الطريق دون أن يدفع لها مليما تعويضا ، واما الغلام فقد اعطاه لصاحبه فريدريش إنجلز لكى يربيه ، فقد كان إنجلز ميسور الحال ، وبعد ان نفض ماركس يديه من جرائمه تلك عاد الى مكتبه ليكتب عن العدالة وحقوق الانسان بينما زوجته تسبه وتصيح وتقول إنه خنزير ، واتباع هذا الخنزير هم الذين يحاولون اليوم ان يرسموا الحدود لشعب أبى يؤمن بالله وبنفسه هو شعب افغانستان ، ومادام هذا ايمانه فلن يرسم له حدود بلاده أحد خنزير كان ام غير خنزير .

د. حسين مؤنس

بعض أفراد القوات الأفغانية فى طريقهم الى احد مواقع الدفاع ضد الغزو السوفيتى

لابد أن تنتصر العدالة في قضية القدس

لانها المدينة التى التقت بها حضارات العالم ، وداهمتها الجيوش ، واحرقها الغزاة ، وتجلت فيها حكمة الانبياء ، وحدثت بها معجزة الاسلام الكبرى : الاسراء ، وسماها العرب القدس لقداستها ، وكانت وستظل ذات مكانة عظيمة فى نفوس الجماهير فى كل مكان من اتباع الرسالات السماوية .. فاننا نطالب العالم الاسلامى والعربى وكل شعوب العالم المحبة للسلام ، بان تمارس حقها فى منع هذه الجريمة النكراء التى استهدفت توحيد القدس وتكريسها عاصمة لاسرائيل .. فالاحتلال لا يمكن ان يحجب قيمة المدينة المقدسة واثرها فى الثقافة العالمية والحضارة الانسانية .. والظلم لا يمكن ان يسقط حقوق سكانها العرب الذين اقترن عمرهم بسنوات تاريخها ، والذين صانوا اماكنها المقدسة آلاف السنين ووفروا الحرية لزوارها فى كل العصور ، فالعرب لم يدنسوا اماكن عباداتها كما يفعل الصهاينة اليوم ، ولم يغيروا المعالم الدينية والتاريخية والحضارية فى المدينة لإيمانهم بمدى ما يصيب شعور المؤمن فى العالم عندما تنتهك مقدساته ، ولطبيعتهم السمحاء التى جعلت المدينة مفتوحة ومرحبة بكل حجاجها الذين ياتون من كافة انحاء العالم ، وقت ان كانت لهم الكلمة الأولى فى المدينة ..

ولذا فان ما نطالب به اليوم هو ترجمة قرارات الأمم المتحدة الى قرار ملزم للمجتمع الدولى الذى يستطيع أن يفرض عقوبات صارمة على اسرائيل .. فعندئذ نستطيع أن نقول ان العدالة يمكنها ان تنتصر فى قضية القدس .. وان بداية تجريد العدوان من وهم الشرعية التى يحاول ان يضفيها على نفسه بسياسة الأمر الواقع وبسلاح القوة والبطش وبتجاهل قرارات المنظمات الدولية ، لابد ان يعيد الى مدينة التلاقى بين الأديان وجهها العربى الذى يربط مصيرها بمصير كل شعوب المنطقة ..

(الدوحــــة)

قــالــوا عــن القــــدس ●●●●

● دعوة الدول العربية والاسلامية للمقاطعة السياسية والاقتصادية مع الدول التى تعترف بالقدس عاصمة لاسرائيل أو التى توجد لها بالفعل أو تقرر إقامة بعثات دبلوماسية فى المدينة المقدسة .

فقرة من فقرات القرار ذى الواحد وعشرين نقطة الذى اعتمده اعضاء لجنة القدس الذى انعقد فى الربـــاط

● إن دعوة العرب والمسلمين إلى الجهاد المقدس الطويل والدؤوب هى الرد الوحيد على هذه الغطرسة الصهيونية الدينية والعنصرية .. وهل يلومنا العالم بعد اليوم إذا ما أخذنا الأمور بأيدينا وتصدينا للدفاع عن أقدس مقدساتنا ضد هذه الحملة الاسرائيلية .

الأمير فهد بن عبد العزيز

● لا أحد غير أمتى وبندقيتى لاجتثاث هذا السرطان الصهيونى من قلب مدينة القدس العربية .

ياسر عرفات

● إن الاجتماعات والقرارات والتوصيات سواء التى تتخذ على المستويات العربية أو الاسلامية أو حتى العالمية لاتجدى ، لأن الكيان الصهيونى لا يعيرها اى اهتمام ما لم تكن مدعومة بالقوة واعلان الجهاد .

الشيخ محمد على الحركـان
الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى

● إن القدس اضافة الى أنها مدينة التلاقى بين الأديان ، هى ايضا قلب فلسطين المعذبة وضمير الأمة العربية المناضلة ، وقد تعمدت الصهيونية أن تنفى عن القدس وجهها العربى مدعية أنها عاصمة لها لتمزيق ما يشد العرب الى القدس ولسلخ القدس عن مصيرها المرتبط بشعوب المنطقة .

الشاذلى القليبى

● فى الماضى البعيد ، مات لويس التاسع – من ملوك الحروب الصليبية – وهو يصيح : القدس .. القدس !

وفى الماضى القريب ، سقط فيصل بن عبد العزيز – من الملوك الفدائيين – وهو يصيح : القدس .. القدس !

ترى ، هل تستمر المأساة ويبقى العرب والمسلمون عند القدس ، أو تبقى القدس عند المسلمين والعرب مجرد صرخة مؤلمة دامية مجبولة بالدموع .. ؟

ناصر الدين النشاشيبى

● الدول الأسلامية ليست عاجزة لاحباط

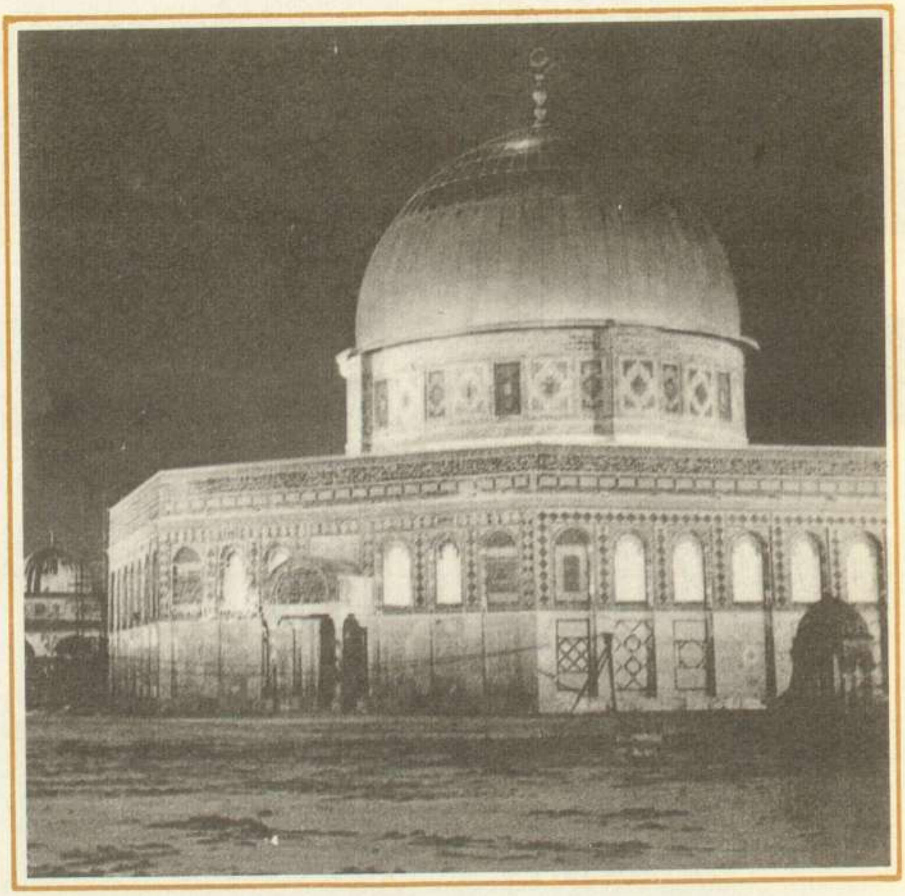

امنعوا هذه الجريمة النكراء فى مدينة الأنبياء

مؤامرة اسرائيل فى شأن القدس ، فهى تملك الموارد الأولية ذات الأهمية الفائقة بالنسبة إلى بقية العالم ، لكن القضية الأهم هى الارادة السياسية الضرورية لاتخاذ المواقف .

وزير خارجية باكستان

● سبق أن أعلن مجلس الكنائس بتاريخ ٧ تموز (يوليو) ١٩٦٧ رأيه الذى جاء فيه «لانستطيع أن نوافق على تفرد اسرائيل بضم القطاع الشرقى من القدس ، لأن هذه المدينة التاريخية هى مقدسة ، ليس فقط لليهود ، وإنما للمسيحيين والمسلمين »

القس همفرى والـــز
الرئيس السابق لمركز دراسات الشرق الأوســـط

● اكملت اسرائيل تهويد المدينة بقوة السلاح والارهاب وسن التشريعات والقوانين المخالفه لمؤتمر جنيف ولمقررات الاسم المتحدة ولمبادىء حقوق الانسان .

روحى الخطيب
امين القدس المبعـد

●إن وضع المدينة يجب الا يمس وإن الفاتيكان سيتابع معارضة ممارسات اسرائيل بحزم ، كما أن ملايين المسيحيين فى العالم لا يقبلون بأن تقدم المدينة المقدسة جائزة للغزاة .

جريدة اوبسرفاتورى رومانو
الناطقة بلسان الفاتيكان

● ان كل بقعة من وطننا الغالى مقدسة لانها مجبولة بدماء الآباء والأجداد ، ولأن فيها نمت حضارتنا وازدهرت حتى تفيأت بظلها أوروبا ، بعد القرون الوسطى ، وشاركت فى جنى ثمارها .

ولن يفرط الأبناء بتراث الآباء ، وسيدافعون عن كل شبر من وطنهم الغالى دفاع الأسد عن عرينه .

وبيت المقدس صرة هذا الوطن المقدس ، وملتقى أقطاره ، «ومعراج نبيكم عليه الصلاة والسلام ، ومقصد الأولياء ، ومدفن الرسل ، ومهبط الوحى ، ومنزل ينزل به الأمر والنهى ، وهو البلد الذى بعث الله اليه عبده ورسوله وكلمته التى ألقاها الى مريم وروحه عيسى الذى اكرمه برسالته وشرفه بنبوته» .

فهى عزيزة علينا ، دنيا ودينا ، قديما وحديثا ، ولن يفرط فيها عربى ، مسلما كان أم مسيحيا .

من دراسة للعالم الفلسطينى
الدكتور اسحق موسى الحسينى

قليلة جداً هى المدن فى دول العالم المختلفة التى استأثرت باهتمامات البشرية ، على طول التاريخ وعلى اتساع الكرة الأرضية ، بمثل ما استأثرت به مدينة القدس من اهتملات الناس ، اهتماما عاطفيا ايمانيا لمكانتها المقدسة دينيا لدى أديان ثلاثة ، واهتماما قوميا مصيريا لمئة مليون عربى ، واهتماما سياسيا لمجموعة دول الأرض حمل العشرات منها على أن تخوض غمار الحروب من أجلها عشرات المرات .

انيس صايغ

● شهد اليهود انفسهم بأن موقف العرب منهم على مر العصور كان فوق كل شك وريبة .. شهدوا بذلك حتى فى المذكرة التى قدمت عام ١٩٣٨ إلى اللجنة البريطانية لبحث مشروع لجنة بيل لتقسيم فلسطين ، حيث أشارت الوكالة اليهودية فى مذكرتها إلى تسامح العرب مع اليهود واعطائهم نفس الحقوق والامتيازات الممنوحة لرؤساء الطوائف الدينية الأخرى .. ولم يحدث فى تاريخ هذه الرقعة من الأرض العربية مايشكك فى عروبتها ، قبل صدور وعد بلفور بانشاء الوطن القومى اليهودى فى ٢ / ١١ / ١٩١٧

الدكتور عز الدين فوده
من كتابه قضية القدس
فى محيط العلاقات الدولية

بنك قطر الوطني
شركة مساهمة قطرية
الدوحة – قطر

الميزانية العمومية كما في

	١٩٧٨ ريال قطري	١٩٧٩ ريال قطري
الموجودات		
النقد في الصندوق والايداعات لدى البنوك	١ر٨٧٦ر٢١٦ر٦٨٥	٣ر٢٢٠ر٤٨٧ر٨٤٩
أوراق مالية قابلة للتسويق (بسعر التكلفة أو السوق أيهما أقل)	١٦٤ر٠٢٢ر٦٤١	١٩٧ر٩٥١ر٨٩٤
مساهمات في بنوك أخرى	١٩ر٢٧٤ر٥٧٩	١٠ر٥٨٤ر٩٧٥
سندات مخصومة	٢٨ر١١٥ر٨٧٦	٤١ر٠٢٣ر٤٧٥
تسليفات وحسابات أخرى	١ر٠٨٦ر٢٥٨ر٧٤٦	١ر٠٣٦ر٤٣٢ر٥٠٩
فوائد مستحقة ومصاريف مدفوعة مقدماً	٢٢ر٥٨٠ر٩٠٢	٤٥ر٨٤٦ر٦٩١
قروض طويلة الأجل	١٥٥ر٩٠٧ر١٨١	٥٤٠ر٠٦٣ر٨٦٧
الموجودات الثابتة بالتكلفة وبعد الاستهلاك	٣٣ر٢٣٨ر٩١٧	٢٨ر٦٢٧ر٦٢٨
المجموع	٣ر٣٨٥ر٦١٥ر٥٢٧	٥ر١٢١ر٠١٨ر٨٨٨
تعهدات العملاء مقابل حسابات مثبته وكفالات واعتمادات مستندية (لها مقابل)	١ر٥٩٨ر٤٤٩ر٠٥٩	١ر٥٢٨ر٤٠٨ر٤٦١
	٤ر٩٨٤ر٠٦٤ر٥٨٦	٦ر٦٤٩ر٤٢٧ر٣٤٩

حمدي العلمي
المدير العام

٣١ كانون الأول « ديسمبر » ١٩٧٩م

المطلوبات وحقوق المساهمين	١٩٧٨ ريال قطري	١٩٧٩ ريال قطري
المطلوبات		
حسابات جارية وادخار وودائع وحسابات أخرى (تشمل حسابات الطوارئ)	٢٦٢ر٧٩٨ر٢٩٠ر٢	٨٦١ر٩٠٤ر٦٥٩ر٣
إيداعات البنوك	٨٠٨ر٠٦٢ر٨٤٠	٦٣٢ر٦٢٢ر١٣٩ر١
أرباح الأسهم المعدة للتوزيع	٠٠٠ر٤٠٠ر٨	٠٠٠ر٤٠٠ر٨
استدراكات ومصاريف مستحقة	٨٠٣ر٨٧١ر١٤	١٨٠ر١٠٧ر٣٢
المجموع	٨٧٣ر١٣٢ر١٥٤ر٣	٦٧٣ر٠٣٤ر٨٤٠ر٤
حقوق المساهمين		
رأس المال المصرح به والمدفوع بكامله (٠٠٠ر٤٢٠ سهم عادي بقيمة ١٠٠ ريال قطري للسهم الواحد)	٠٠٠ر٠٠٠ر٤٢	٠٠٠ر٠٠٠ر٤٢
الاحتياطي القانوني	٦١٠ر٤٥٨ر٣٨	٠٠٠ر٠٠٠ر٤٢
الاحتياطي الخاص	٠٠٠ر٠٠٠ر١٥١	٠٠٠ر٥٠٠ر١٩٦
الارباح المتبقية	٠٤٤ر٢٤	٢١٥ر٤٨٤
حقوق المساهمين	٦٥٤ر٤٨٢ر٢٣١	٢١٥ر٩٨٤ر٢٨٠
المطلوبات الاجمالية وحقوق المساهمين	٥٢٧ر٦١٥ر٣٨٥ر٣	٨٨٨ر٠١٨ر١٢١ر٥
التعهدات مقابل حسابات مثبتة وكفالات واعتمادات مستندية (لها مقابل)	٠٥٩ر٤٤٩ر٥٩٨ر١	٤٦١ر٤٠٨ر٥٢٨ر١
	٥٨٦ر٠٦٤ر٩٨٤ر٤	٣٤٩ر٤٢٧ر٦٤٩ر٦

عبد العزيز بن خليفة آل ثاني
رئيس مجلس الادارة

قيمة العلم في الاسلام

د. يوسف القرضاوى

العلم فى نظر الاسلام ليس مقابلا للايمان ، فضلا عن ان يكون معاديا له كما شاعت هذه الفكرة فى اوروبا فى القرون الاخيرة ، حين وقفت الكنيسة فى تلك العصور تؤيد الخرافة ، وتحارب العلم ، وتناصر الجمود والتقليد ، وتقاوم التفكير الحر والابتكار المبدع . وتدافع عن القوى المتسلطة من حكام واقطاعيين ، وتقف فى وجه الشعوب والفئات المسحوقة .

الاسلام لم يعرف هذا الصراع بين العلم والايمان فى تاريخه ، لأن هذه الفكرة لا مجال لها فى تعاليمه ، لا نصاً ولا روحاً .

ويرفض فى بناء العقيدة : التقليد والتبعية «حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا» المائدة : أو «انا اطعمنا سادتنا وكبراءنا» ويرفض ايضا الظن ، حيث لا يغنى فى شأن العقائد الا العلم واليقين .

وقال فى شأن المشركين وآلهتهم المزعومة : اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى : «ان هى الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ، ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس النجم» .

ويأبى القرآن الا أن تبنى العقائد على أساس البرهان القائم على النظر العميق ، والتفكير الهادىء ، ولأجل هذا صاح القرآن فى أصحاب العقائد الباطلة : «قل : هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين» .

ولا عجب ان تكررت فى القرآن هذه العبارات الموقظة للفكر من غفلته ، والمحررة للانسان من ربقة تقليده وجموده ، مثل : «أفلا تعقلون» . «أفلا تتفكرون» ، «أفلا ينظرون» . «أولم ينظروا» . «أولم يتفكروا » . « لقوم يعقلون» . «لقوم يعلمون» . «لقوم يتفكرون» .

التفكير فريضة

وحسبك ان تقرأ هذه الدعوة القوية الصريحة الى التفكير «قل انما أعظكم بواحدة : ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا» وانما دعاهم الى التفكير «مثنى وفرادى» ليتحرروا من الخجل أو الرهبة من الآخرين ، ومن تأثير العقل الجمعى وايحاءاته ومن ضغط الجماهير والغوغاء

وهذا ما دعا الأستاذ عباس العقاد ـرحمه اللهـ أن يخرج كتابا عنوانه : «التفكير فريضة اسلامية» وهذا تعبير صحيح ، فالاسلام كما فرض على الناس ان يتعبدوا ، فرض عليهم أن يتفكروا .

فالعقيدة فى الاسلام تقوم على العلم لا على التسليم الأعمى . يقول القرآن : «فاعلم انه لا اله الا الله» القتال : «اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم» : «اعلموا أن الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه ، واعلموا أن الله غفور رحيم» .

لم يخش القرآن عواقب الدعوة الى النظر والتفكر والعلم أن تأتى بنتائج تناقض حقائق الدين ومسلماته ، لأن فكرة الاسلام : ان الحقيقة الدينية لايمكن أن تناقض الحقيقة العقلية . فالحق لاينقض الحق ، واليقين لايعارض اليقين . انما يعارض اليقين الظن ، وتنافى الحقيقة الشك أو الوهم أو الافتراض .

ومن هنا لايمكن بحال مناقضة صحيح المنقول بصريح المعقول . وإذا بدا لنا تناقض ظاهرى فلابد أن يكون المنقول غير صحيح ، أو المعقول غير صريح . وهذا يقع كثيراً : أن يظن ما ليس من الدين دينا ، وأن يحسب ما ليس من العلم علما .

فليست كل افهام أهل الدين دينا ، كما انه ليست كل نظريات أهل العلم علما .

وفى آية أخرى يذكر العلم والايمان متعاطفين جنبا الى جنب كما قال تعالى « وقال الذين أوتوا العلم والايمان » . ان العلم المادى مطلوب للانسان ولا شك ، ولكنه مطلوب طلب الوسائل لا طلب الغايات .

وهو يعين الانسان على الحياة ، وييسر له سبلها ، ويختصر له الزمان ، ويطوى له المكان ، فيقرب البعيد ، ويلين الحديد ، ولكنه وحده لايستطيع اسعاد البشر ، كما لايمكنه وحده أن يضبط سير البشر ، ويقاوم انانية الانسان ونزعات نفسه الأمارة بالسوء .

ولهذا كان الانسان فى حاجة ماسة الى «العلم الدينى» الذى ينمى الايمان ويحيى الضمائر ، ويغرس الفضائل ، ويقى الانسان شح نفسه ، وطغيان غرائزه على عقله ، وهواه على ضميره ، وهذا هو الذى يعصم «العلم المادى» من الانحراف ويحول دون استخدامه فى التدمير والعدوان .

وقد ضرب لنا القرآن مثلا بسليمان عليه السلام ـ الذى آتاه الله ملكا لم يؤته أحدا من بعده .

فقد احضر اليه عرش بلقيس من سبأ باليمن الى مقره بالشام ، قبل أن يرتد اليه طرفه ، بفضل ذلك الذى وصفه القرآن بأنه «عنده علم من الكتاب» وهنا تجلى الايمان حين أرجع سليمان الفضل الى الله لا الى نفسه ، فلم يركبه الغرور أو يستبد به الطغيان «قال : هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربى غنى كريم» .

وكذلك كان موقف ذى القرنين الذى فتح الفتوح غرباً وشرقاً ، وتوج حكمه باقامة سده العظيم ، مستخدماً ما يسره له علم عصره من وسائل وأدوات ، فلما أتم البناء قال فى تواضع المؤمنين :«هذا

العقيدة فى الإسلام لا تقوم على التسليم الأعمى

العلم المادى مطلوب طلب الوسائل لا طلب الغايات

العلم فى الإسلام .. كيف نشأ فى أحضان الدين ؟

الدور العظيم الذى لعبته الجامعات الإسلامية العريقة

العلم شرط ضرورى للعمل حتى يصح ويستقيم

رحمة من ربى ، فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء ، وكان وعد ربى حقا»

الشريكان المتفاهمان

الا ان العلم الحق هو الذى يهدى الى الايمان ، والايمان الحق هو الذى يفسح مجالا للعلم . فهما اذن شريكان متفاهمان بل اخوان متعاونان .

وهذا هو العلم الذى يريده الاسلام ايا كان موضوعه ، ومجال بحثه – يريده علما فى ظل الايمان ، وفى خدمة مثله العليا . والى ذلك اشار القرآن حين قال فى أول آية نزلت «اقرا باسم ربك الذى خلق» والقراءة عنوان العلم ومفتاحه ومصباحه . فاذا كان اول امر الهى نزل به القرآن «القراءة» كان ذلك اوضح دليل على مكانة العلم فى الاسلام .

ولكن القرآن لم يطلب «مطلق قراءة» وانما طلب قراءة مقيدة بقيد خاص وهو ان تكون «باسم الله» .

واذا كانت القراءة باسم الله ، فقد وجهت الى الحق والخير والهداية ، لان الله تعالى هو مصدر هذا كله .

ولا غرو ان نشا العلم فى الاسلام فى احضان الدين ، وان نشات المدارس فى صحون المساجد ، وبدات الجامعات الاسلامية العريقة تحت سقوف الجوامع بل سمى كل منها جامعاً : جامع الأزهر ، جامع القرويين ، جامع الزيتونة ...وهكذا

وكانت هذه الجوامع او الجامعات تدرس علوم الدين وعلوم الدنيا معاً .

وكان كثير من العلماء التجريبيين هم فى نفس الوقت علماء دين . مثل القاضى ابن رشد الحفيد مؤلف «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» فى الفقه المقارن ومؤلف «الكليات» فى الطب .

ومثل الخوارزمى الذى الف كتابه الفريد – الذى أسس به علم الجبر – ليحل به مشكلات فى الوصايا والمواريث

العلم والعمل

والعلم فى نظر الاسلام دليل للعمل ايضا ، كما هو دليل للايمان . ترجم الامام البخارى فى جامعه الصحيح : «باب العلم قبل القول والعمل». وقال ابن المنير اراد به أن العلم شرط فى صحة القول والعمل ، فلا يعتبران الا به ، فهو متقدم عليهما ، مصحح للنية المصححة للعمل ، فنية المصنف (يعنى البخارى) على ذلك حتى لا يسبق الى الذهن – من قولهم : ان العلم لاينفع الا بالعمل – تهوين امر العلم والتساهل فى طلبه»

واستدل البخارى لما ذكره بجملة من الآيات والأحاديث منها : قوله تعالى «فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات»

فبدأ بالعلم ، وثنى بالعمل ، وراس العلم معرفة الله تعالى وتوحيده . والخطاب وان كان للنبى – ص – فهو متناول لأمته .

قال جل ذكره : «انما يخشى الله من عباده العلماء»

اى انما يخاف الله عز وجل ويقدره حق قدره ، من عرفه وعلم عظيم قدرته ، وسلطانه على خلقه ، نتيجة التامل فى اسرار كونه وشرعه ، وهم العلماء ، وهذه الخشية هى التى تحفز على عمل الصالحات ، واجتناب السيئات .

وقال النبى – ص – : «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين» وذلك لأنه اذا فقه عمل ، واحسن ما عمل ، وادنى درجات الفقيه – كما يقول الامام الغزالى – ان يعلم ان الآخرة خير من الدنيا . وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت عليه برىء بها من النفاق والرياء .

يؤيد ذلك ما رواه زيد بن أسلم : ان النبى – ص – دفع رجلا الى رجل يعلمه فعلمه حتى بلغ «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ....» فقال الرجل : حسبى . فقال الرجل (اى المعلم) : يا رسول الله ، ارايت الرجل الذى امرتنى ان اعلمه لما بلغ «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره .» «فقال : حسبى ؟ .

فقال النبى – ص – : «دعه فقد فقه»

والسياق يدل على أن المعنى : قد استنار قلبه بنور الايمان والخشية من الله .

يدل لذلك ما رواه المطلب بن عبد الله ابن حنطب : ان رسول الله – ص – قرا فى مجلس – ومعهم اعرابى جالس – «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » فقال الاعرابى: يا رسول الله ، امثقال ذرة ؟ قال : نعم ، فقال الاعرابى : واسواتاه ... ثم قام وهو يقولها ، فقال رسول الله – ص – : لقد دخل قلب الاعرابى الايمان .

فكلمة النبى – ص – هنا : «لقد دخل قلب الاعرابى الايمان» فى معنى قوله فى الحديث السابق : «فقد فقه» .

وبهذا يتبين ان العلم شرط ضرورى للعمل ، لكى يصح ويستقيم على أمر الله سواء كان هذا العمل عبادة لله ، أم معاملة للناس .

روى سفيان بن عيينة عن عمر بن عبد

> الحقيقة الدينية لا يمكن أن تناقض الحقيقة العقلية ولكنها تنافى الشك أو الوهم أو الافتراض

قيمة العلم في الاسلام

لو ترك كل مسلم مهنته وتفرغ للدعوة والإرشاد .. فمن الذي يقوم بمصالح المسلمين ؟

العزيز ، قال : من عمل فى غير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح .

وفى حديث معاذ بن جبل انه قال فى فضل العلم : وهو امام العمل ، والعمل تابعه ...

فلا تستقيم عبادة يجهل صاحبها ما يجب لها من شروط ، وما تقوم عليه من أركان .

ولهذا قال النبى ـ ص ـ للرجل الذى أساء صلاته ولم يؤد لها حقها من الطمانينة : ارجع فصل ، فانك لم تصل .

وانما قال له : «لم تصل» مع أنه ادى الصلاة امامه ، لان صلاة منقوصة مبتورة كلا صلاة .

المعاملات العامة

وفى المعاملات وشئون الحياة عامة شخصية واسرية واجتماعية ـ يجب ان يعرف فيها الصحيح من الفاسد ، والحلال من الحرام ، حتى لا يتورط فى الحرام وهو لايدرى . والجهل بالاحكام فى دار الاسلام ليس عذراً .

فما كان من الحلال بينا فلا جناح عليه فى فعله أو تركه ، وما كان من الحرام بينا فلا عذر له فى ارتكابه ، وما كان من المشتبهات التى «لايعلمهن كثير من الناس» فالحزم أن يدع مالا يريبه . «فمن اتقى الشبهات فقد استبرا لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه» .

وكان السلف يوصون التاجر الذى يدخل السوق أن يتفقه فى احكام البيع والتعامل ، أو يلزم فقيها يسدده ويرشده

وفى الأعمال القيادية مثل الامامة والولاية والقضاء اشترطوا لها العلم الاستقلالى الذى يبلغ بصاحبه درجة الاجتهاد ، حتى اذا استفتى افتى بعلم واذا امر ـ امر بحق ، واذا حكم ـ حكم بعدل ، واذا دعا ـ دعا الى الخير ، وبهذا يكون العلم هو الذى يوجه الحكم ، والفكر هو الذى يقود السياسة .

ولم يقبلوا (المقلد) فى الامامة والقضاء الا من باب الضرورات التى تبيح المحظورات ، والنزول من المثل الأعلى الى الواقع الأدنى .

على أن من الواجب على الأمة ان تتدارك امورها ، وتصلح من شانها ، حتى لايلى أمورها الا اكفاء الناس وأصلحهم للقيادة علماً وعملاً .

ولم يجز احد من الفقهاء ان يلى أمور المسلمين فى السياسة والقضاء من يجهل شرع الله ، الذى هو أساس الحكم بين المسلمين ، فانه سيحكم بالجهل او الهوى ، وكلاهما فى النار .

روى بريدة مرفوعا : «القضاة ثلاثة» واحد فى الجنة ، واثنان فى النار ، فاما الذى فى الجنة ، فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحق وجار فى الحكم فهو فى النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار» .

ثم ان العلم هو الذى يبين راجح الأعمال من مرجوحها ، وفاضلها من مفضولها ، كما يبين صحيحها من فاسدها ، ومقبولها من مردودها ، ومسنونها من مبتدعها ، ويعطى كل عمل «سعره» وقيمته فى نظر الشرع .

وكثيراً ما نجد الذين حرموا نور العلم يذيبون الحدود بين الاعمال فلا تتمايز ، أو يحكمون عليها بغير ما حكم الشرع ، فيفرطون أو يفرطون . وهنا يضيع الدين بين الغالى فيه والجافى عنه .

وكثيراً ما راينا مثل هؤلاء ـ مع اخلاصهم ـ يشتغلون بمرجوح العمل ،

> لابد من التفقه فى أحكام البيع والتعامل حتى لايتورط الانسان فى الحرام والأخطاء وهو لا يدرى

ويدعون راجحه ، وينهمكون فى المفضول ، ويغفلون الفاضل .

وقد يكون العمل الواحد فاضلا فى وقت مفضولا فى آخر ، راجحاً فى حال ، مرجوحاً فى آخر ، ولكنهم لقلة علمهم وفقههم ـ لا يفرقون بين الوقتين ، ولا يميزون بين الحالين .

الجهاد أفضل

رأيت من المسلمين الطيبين فى انفسهم من يتبرع ببناء مسجد فى بلد حافل بالمساجد قد يتكلف نصف مليون أو مليوناً من الجنيهات أو الدولارات ، فاذا طالبته ببذل مثل هذا المبلغ او نصفه أو نصف نصفه فى نشر الدعوة الى الاسلام أو مقاومة الكفر والالحاد ، أو فى تأييد العمل الاسلامى لاقامة الحكم بما انزل الله ،او نحو ذلك من الأهداف الكبيرة التى قد تجد الرجال ولا تجد المال ، فهيهات ان تجد اذناً صاغية ، أو إجابة ملبية ، لانهم يؤمنون ببناء الاحجار ولا يؤمنون ببناء الرجال .

وفى موسم الحج من كل عام أرى أعدادا غفيرة من المسلمين الموسرين يحرصون على شهود الموسم ، وكثيرا ما يضيفون إليه العمرة فى رمضان ، وينفقون فى ذلك عن سخاء ، وقد يصطحبون معهم اناساً من الفقراء على نفقتهم ، وما كلف الله بالحج هؤلاء ولا هؤلاء . فاذا طالبتهم ببذل هذه النفقات السنوية ذاتها لمقاومة الغزو التنصيرى فى اندونيسيا أو الغزو الشيوعى فى افغانستان .. لووا رؤوسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون .

هذا ومع إن الثابت بوضوح فى القرآن الكريم ان جنس أعمال الجهاد أفضل من جنس اعمال الحج . كما قال تعالى :

«اجعلتم سقاية الحج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ؟ لا يستوون عند الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل

لا يكفى لتجويد العمل : حُسن النية وحرارة الإخلاص .. حتى يكون العمل ممهوراً بخاتم الشرع

الله بأموالهم وانفسهم أعظم درجة عند الله أولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم » التوبة .

هذا مع ان حجهم واعتمارهم من باب التطوع والتنفل ، اما جهاد الكفر والالحاد والعلمانية والتحلل ، وما يسندها من قوى داخلية وخارجية ، فهو الآن فريضة العصر ، وواجب اليوم.

ولقد رأيت شبابا مخلصين كانوا يدرسون فى كليات جامعية فى الطب أو الهندسة او الزراعة أو الآداب أو غيرها من الكليات النظرية او العملية وكانوا من الناجحين بل المتفوقين فيها ، فما لبثوا الا ان اداروا ظهورهم لكلياتهم ، وودعوها غير آسفين بحجة التفرغ للدعوة والارشاد والتبليغ ، مع أن عملهم فى تخصصاتهم هو من فروض الكفاية التى تاثم الأمة جميعها اذا فرطت بها ، ويستطيعون أن يجعلوا من عملهم عبادة وجهاداً اذا صحت فيه النية والتزمت حدود الله تعالى .

الفهم الخاطىء

ولو ترك كل مسلم مهنته فمن ذا يقوم بمصالح المسلمين ؟ ولقد بعث الرسول اصحابه يعملون فى مهن شتى ، فلم يطلب من احد منهم أن يدع مهنته ليتفرغ للدعوة ، وبقى كل منهم فى عمله وحرفته سواء قبل الهجرة أم بعدها . فاذا دعا داعى الجهاد واستنفروا نفروا خفافا وثقالا مجاهدين بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله .

ولقد انكر الامام الغزالى على أهل زمنه توجه جمهور متعلميهم الى الفقه ونحوه ، على حين لا يوجد فى بلد من بلدان المسلمين الا طبيب يهودى أو نصرانى يوكل اليه علاج المسلمين والمسلمات ، وتوضع بين يديه الأرواح والعورات .

ورأيت آخرين يقيمون معارك يومية من اجل مسائل جزئية أو خلافية ، مهملين معركة الاسلام الكبرى مع أعدائه الحاقدين عليه ، والطامعين فيه ، والخائفين منه ، والمتربصين به .

حتى فى قلب امريكا وكندا وأوربا ، وجدت من جعلوا أكبر همهم : الساعة أين تلبس : أفى اليد اليمنى أم اليسرى ؟

ولبس الثوب الأبيض بدل «القميص والبنطلون» واجب أم سنة ؟

ودخول المرأة فى المسجد حلال أم حرام ؟

والأكل على منضدة ، والجلوس على الكرسى للطعام ، واستخدام الملعقة والشوكة : هل يدخل فى التشبه بالكفار أم لا ؟

وغيرها .. وغيرها من المسائل التى تاكل الأوقات ، وتمزق الجماعات ، وتخلق الحزازات ، وتضيع الجهود والجهاد ، لأنها جهود فى غير هدف ، وجهاد مع غير عدو .

ورأيت فتيانا ملتزمين متعبدين يعاملون آباءهم بقسوة ، وأمهاتهم بغلظة ، واخوانهم واخواتهم بعنف .

وحجتهم انهم عصاة أو منحرفون عن الدين ناسين أن الله تعالى أوصى بالوالدين خيراً ، وان كانا مشركين يجاهدان ولدهما على الشرك ، ويحاولان بكل جهدهما فتنته عن اسلامه .

يقول تعالى : «وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا» لقمان .

فرغم المحاولة المصرة من الأبوين ، التى سماها القرآن ، «مجاهده على الشرك» أمر بمصاحبتهما بالمعروف ، لأن للوالدين حقا لا يفوقه الا حق الله عز وجل ، ولهذا قال تعالى : «أن اشكر لى ولوالديك الى المصير» لقمان .

اما الطاعة لهما فى الشرك فهى مرفوضة ، ولاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، واما المصاحبة بالمعروف فلا مناص منها ، ولا عذر فى التخلى عنها .

ورأينا اناسا مخلصين ، يشرعون فى الدين ما لم ياذن به الله ، يحرمون ما لم يحرمه الله ورسوله ، ويأمرون بما لم يامر به الله ورسوله ، ويتعبدون لله بغير ما شرع ، بل بالأهواء والبدع .

شفيعهم لذلك ـ فيما زعموا ـ حسن نيتهم ، وصفاء طويتهم وصدق رغبتهم فى التقرب الى الله تعالى .

وهذا فهم خاطىء لمعنى العمل الصالح المقبول عند الله تبارك وتعالى ، فلا يكفى فى حسن العمل حسن النية ، وحرارة الاخلاص ، حتى يكون العمل مأذونا به ، ممهورا بخاتم الشرع .

ولله در العلم الزاهد الورع ـ الفضيل بن عياض ـ الذى عبر عن هذا المعنى بعبارات جامعة ناصعة ، حين سئل عن «أحسن العمل» فى قوله تعالى : «الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم احسن عملا» فقال : احسن العمل أخلصه وأصوبه .

قالوا : يا أبا على ، ما اخلصه ؟ وما أصوبه ؟

قال : ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، واذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل . ولا يقبل حتى يكون خالصا وصوابا .

والخالص ... أن يكون لله .

والصواب ... ان يكون على السنة .

لماذا أنكر الإمام الغزالى على اهل زمنه أن يتوجه جمهور متعلميهم إلى الفقه ونحوه ؟

د. يوسف القرضاوى

عبّاس محمود العقاد

صحافة الشعر

انشاء مجلة خاصة بالشعر ـ يملأ فراغا محسوسا في عالمي الصحافة والثقافة ـ وهما عالمان يلتقيان في بعض الاطراف او بعض الزوايا ، ولكنهما يلتقيان حيث يفترقان ، عالمان منفصلان .

وللصحافة الشعرية ذكرياتها وتجاربها الكثيرة ، لانها وجدت عندنا قبل نهاية القرن الماضي ، ووجدت في البلاد الغربية قبل ذلك ، وتعددت تجاربها هنا وهناك ، ولكنها تتفق في تجربة واحدة قاسية، هي صعوبة البقاء الطويل ، او صعوبة المزاحمة بينها وبين صحف السياسة وصحف الادب على اطلاقه ، وظهور هذه الصعوبة مع كثرة القراء او قلة القراء ، تتساوى في ذلك بلاد الحضارة الواسعة والثروة الوافرة ، وبلاد اخرى لم تبلغ مبلغها في شيوع التعليم وعموم الرخاء .

فالمجلات المخصصة للشعر في بلاد اللغة الانجليزية ـ وهي اكثر لغات الغرب انتشارا ـ لاتزيد فيما نعلم على اصابع اليد الواحدة ، وقلما يثبت منها في وقت واحد اكثر من صحيفة واحدة او صحيفتين، وانما يجد الشعر الحديث مكانه بين الملحقات الاسبوعية التى تصدرها الصحف اليومية الكبرى ، او بين صحف الاذاعة التي تنشر ما يلقى من محطاتها ، او بين صفحات المجلات الدورية التى تنشر الشعر وغير الشعر في الموضوعات الادبية ، وقد تتسع لدراسات السياسة والاجتماع من وجهتها العلمية ، ومن وجهة التراجم الشخصية .

وليس سبب ذلك ان قراء الشعر قليلون في اللغة الانجليزية ولا هم بالقليلين في غيرها من لغات الغرب ، ولا سيما اللغات الفرنسية والالمانية والايطالية . اذ يؤخذ من طبعات الدواوين في هذه اللغات ان قراء الشعر لا يقلون عن قراء القصة الراقية وان كانوا على التحقيق اقل من قراء القصص المبتذلة.

جمال الدين الافغاني

خير الدين الزركلي

وانما ترجع الصعوبة في بقاء المجلات المخصصة للشعر الى سبب غير نقص قرائه ، وخلاصته ان المجلات الادبية التي تعنى بالشعر وما عداه يقرؤها محبو الاطلاع على ابواب الادب كله ومنها قصائد الشعر التي تنشر فيها . اما مجلات الشعر فليست هي المرجع الوحيد للاطلاع على الشعر الحديث او القديم ، وقد يتجاوزها محبو الشعر الى الدواوين المطبوعة التي لا ينقطع ظهورها في مواسم النشر المتعاقبة، اذ قلما يمضي موسم من مواسم الربيع او رأس السنة او مناسبة من المناسبات التي تتبادل فيها الهدايا دون ان تظهر فيه طائفة من دواوين الشعراء المحدثين والاقدمين ، ومنها ما ينتشر في الطبعات الرخيصة التي ينقص ثمن النسخة منها عن ثمن العدد الواحد من المجلة ، ومنها ما يتغالى به الناشرون في الطبعات المحلاة بالصور والموشاة بالزخارف الذهبية ويروج عند طلابه لانهم يحتفظون به احتفاظهم بالتحف النفيسة ، وهذا فضلا عن تيسر الاطلاع على القصائد الشعرية الحديثة في مجلات الادب وملحقات الصحف الكبرى .

وهذه هي التجربة التي خرجت منها صحف الشعر بنتيجتها العملية ، وبنتيجتها العملية ان تعول الصحيفة على هيئة قادرة على تكاليف الطبع والنشر ولكنها لا تتقيد بحساب التجارة او حساب الربح والخسارة وقد تستطيع هذه الهيئة مع طول الزمن ان تقابل بين تكاليفها ومواردها لانها تحمل بعض اعمالها على بعض وتاخذ من المورد الرابح للمورد الذي لا ربح فيه. ولا يبعد ان تقف المجلة المخصصة للشعر على قدميها بعد حين ، اذا هي نشرت مع الشعر تعليقات عليه وتفسيرات له ومقارنات بين انواعه في اللغة الواحدة وفي اللغات المتعددة، ودراسات في النقد وقواعد البلاغة والبيان ومراجعات في تاريخ الادب الذي يدور حول هذه الموضوعات ولعلها تتسع بذلك لابواب الثقافة الادبية بجملتها ، لان الشعر والتعليق عليه وعلى تاريخه قد يحيط بالثقافة الادبية من جميع جوانبها ، وبخاصة حين يشمل شعر المسرح وشعر الغناء، وشعر الملاحم التي وضعت والتي تصلح للوضع ، فيما يراه النقاد والمقترحون .

وفيما نعلم لم يظهر عندنا في عصر الطباعة غير مجلتين اثنتين خصصتا للشعر ولم تتوفرا على غرض غيره من اغراض النقد والتعليق والمقارنة ، او اغراض التاريخ والتفسير والمراجعة الا اليسير وهما مجلة «المنظوم» ومجلة « الشتاء » .

ظهرت مجلة « المنظوم » في منتصف شهر نوفمبر سنة ١٨٩٢ ، ووصفت نفسها تحت عنوانها بانها « مجلة علمية ادبية » شعرية ، فكاهية غرامية تصدر في اليوم الاول والخامس عشر من كل شهر وقالت في مقالها الافتتاحي:

« لم نجد ٠٠٠ من الصحف العربية على اختلافها من فتح بابا لتاهل غريبة، او سهل الطرق لاجتماع شمل بعيدة بقريبه ولها العذر في ذلك لاشتغالها بالامور السياسية والمواضيع العلمية ، اعان الله الجميع على خدمة الوطن ، وجزاهم الجزاء الحسن ، بل نرى الكثير ممن ارتضوا افاويق الادب ، وتضلعوا في فنون لغة العرب ، ينظمون القصائد

مجلات الشعر ليست هي المرجع الوحيد للاطلاع على الشعر القديم والحديث

الشعر الحديث يجد مكانه بين الملحقات الأسبوعية التي تصدرها الصحف اليومية

الرائقة ، والاشعار الفائقة ، في مدح الاعيان والامراء ، والوجهاء والوزراء ويودعون دور افكارهم وغرر اشعارهم في الجرائد التي لم يكن للشعر نصيب فيها ، ولكل وجهة هو موليها :

كم اديب نرى وكم المعي
قد كسى الشعر رونقا وبهاء
شعره لاح في الجرائد ليلا
ثم عند الصباح راح هباء

الى ان قالت :

« ومما زاد الشعر كسادا ، وجلب على بضاعته فسادا انتسابه الى غير ذويه ، وادعاء من ليس من بنيه حتى خرج عن اصله، وصار في غير أهله..»

ومع هذا الابتداء ، بالنعي على ما دحي الكبراء والوزراء ، ذهبت صفحتها الاولى الى مدح الخديوي بقصيدة اخرى مختومة ببيت في الشطر الاول منه تاريخ هجري وفي الشطر الثاني تاريخ ميلادي :

رقى اللف مولانا بالهنا
١٣٠٩
فدام بنصر وهو بالقصد ظافر
١٨٩٢

ثم عادت في الصفحتين التاليتين الى نشر ابيات تضمنت تواريخ توليته العرش ، وتهنئته بورود الفرمان السلطاني بصدارته وتهنئته بالعيد .

ثم افتتحت الصفحة التالية بتهنئة « سعادة الهمام المفضال احمد بك كمال مفتش الانتكخانة المصرية » واشتمل العدد الاول بعد ذلك ـ من الصفحة العاشرة الى الصفحة السادسة عشر والاخيرة ـ على طائفة من الازجال والمواويل .

وربما كانت ازجال المجلة ومواويلها أعلى في بابها طبقة من قصائد الشعر الفصيح ، ومنها ما التزم فيه الناظم محسنات اللفظ والمعنى جناسا وتورية كقوله :

محبك اللي كتر شوقه واهواله
والطير عدد على حاله واهوى له
مازال يبكي الشجي من قلة اوصاله
كان يعقوب بالأشجان اوصى له

وقد احتجبت هذه المجلة بعد بضعة اشهر ، ولم تستطع الثبات حتى يتصل خبرها بقراء الشعر والادب لقلة الاقبال عليها .

الشتاء

اما مجلة « الشتاء » فقد ظهرت في مطلع سنة ١٩٠٦ ميلادية ، ولابد ان القارىء يستغرب هذا الاسم الذي لا مطابقة بينه وبين مسماه ، لان مجلة الشعر قد تسمى باسماء الفصول جميعا ما عدا فصل البرد والظلام ، وقد تسمى مجلة الربيع لما فيه من النضرة والزينة والغناء ، بل تسمي باسم الخريف لما فيه من طيبات الثمر والفاكهة ... اما اسم الشتاء فقد عرض شعر المجلة مقدما لسمعة البرد والغثاثة واقامها على طريق القافية التي لا تعذر على شريعة الظرفاء من اولاد البلد في القاهرة على الخصوص ، وفيها ظهرت المجلة ولا حيلة لصاحبها في اختيار موعدها ، لانها كانت ملاذة للاستشفاء ولا مقام له بها في غير الشتاء .

وكان صاحبها سليم العتموري «بك» من ادباء دمشق النابهين ، وممن زار مصر والتقى فيها بالسيد جمال الدين، وكان يشكو الارق ويؤثر الانتقال الى جو القاهرة اكثر ايام الشتاء ، ويقول صديقه الاستاذ الزركلي صاحب « الاعلام » انه قضى ثلاثين سنة لا ينام في الليل والنهار اكثر من ثلاث ساعات ويتناوب بناته السهر معه يخدمنه ويكتبن ما يملي من منظوم أو منثور .

ومن امثلة شعره المنشور في المجلة ابيات في الغزل بعنوان حقوق الضيافة :

طرقت حماها والدجى يبعث الرجا
ولي من غرامي في الدجنة هاد
فالفيتها فوق الفراش وحولها
يحوم ضميري طائرا وفؤادي
فقلت الزما هذا المكان فانتما
ومن فيه احباب بشكل اعادي
تعلمتما منها الجفاء فخنتما
جواري ذهابا نحو رب قيادي
وخلفتماني لا شعور ولا نهى
ولولا لحاقي ما ضبطت قيادي
فايقظ عتبي من احب فمرحبت
بضيف كفيف زار نضو سهاد

وعلى هذا المثال تتابعت قصائد المجلة ، وقل فيها التنويع بين الشعر وغيره ، وقل تنويع الشعراء كما قل تنويع الشعر ، فاستأثر صاحب المجلة باكثر الصفحات ، ولم يكن من اليسير عليه ان يجدد نظام التوزيع ونظام الاشتراكات السنوية بعد انقطاعها شهورا في كل عام فاجتمعت عليها الاسباب من علل الفن وعلل الادارة ولم تتجاوز حياتها بضعة شهور .

ولا نحسب ان المجلتين معا تصلحان للقياس عليهما في جميع الاحوال ، فقد يطول اجل المجلة الشعرية لو ظهرت على مثال اصلح من هذا المثال ، ولكن متاعب التنظيم «الاداري» التي صادفت المجلتين هي ولا شك مثل شائع في احوال المجلات الشعرية جميعا ، حيثما كانت من بلاد العالم ، وكيفما كانت درجتها من الجودة أو كان حظها من اقبال القراء .

وهذه المتاعب بعينها هي التي تعجز عنها الادارة التجارية وتقدر عليها الهيئات الموكلة بالثقافة العامة ومطالب التعليم في ايدي الحكومات او المؤسسات الموقوفة على نشر المعرفة بروس اموال غنية عن الربح من موارد مجلاتها ، وقد يتوافر لها الربح من مواردها الصحفية مع الزمن ، كلما استطاعت الاغضاء عنها زمنا طويلا ، ويسر لها البقاء الطويل اسباب الكمال وعوامل الترغيب .

عباس محمود العقاد

شهريات

د. يوسف إدريس

فلنجرب الجنون !

كنا جالسين .. جاءت سيرة سين من الناس . وبدأ أحدهم بالثناء عليه . وبحماس فاتر رد آخر بمقولة اخرى طيبة عنه . الرجل عالم وعميد احدى الكليات الهامة في جامعة هامة من جامعاتنا . ورغم صغر سنه فقد تبوأ منصب العميد عن جدارة واصبح اسمه من الاسماء الثقات على مستوى العالم في تخصصه . اي بلد لابد ان تفخر به . اي جامعة في الخارج كانت ترصد له ولابحاثه الميزانيات الضخمة وتجد في كل فرصة تتاح مناسبة لتكريمه . هكذا جرى الحديث عنه اول الامر ، غير ان احد الحاضرين ما لبث ان قال : ولكن ... وآه من لكن هذه التي اصبحت لابد ان تعقب أي مديح في أي جلسة وعلى أي مستوى في مجتمعنا . ولكن ... وذكر الرجل قصة توحي بانه ليس عالميا ولا شيء من هذا القبيل وانما هو متخصص في (العلاقات العامة) وفي الالحاح على الجرائد والمجلات ان تنشر اخباره واخبار سفرياته وابحاثه المزعومة . وانبرت سيدة من الحاضرات تتحدث عن معاملته المخجلة لزوجته .. وردت عليها اخرى بقصة سمعتها . وهكذا وجدت المنديل الابيض الناصع الذي اخرجه المتحدث الاول من جعبته ليذكر للحاضرين نموذجا طيبا يعرفه ، بدأت نقط من الحبر السميك الاسود تلتصق بأركان المنديل ثم تزحف من كل الجهات .. كرامته وشرفه .. أولاده وزواجه .. علاقته بالناس ... عمله .. وحتى لم تسلم عائلته ، واذا بالمنديل في النهاية يستحيل الى مربع اسود غامق السواد صاره الرجل العالم المرموق وآل اليه .

ولم يكن هذا اول منديل ابيض يخرج من جعبة في جلستنا ، فقد لاحظت ان ما من منديل خرج ، الا وعاد الى جيب صاحبه بقعة كالحة السواد . وأيضا لم تكن جلستنا اول جلسة ، ولا نحن وحدنا الذين نجلس وتاتي على السنتنا سير الناس ، انما ، في السنوات الاخيرة ، لاحظت ايضا كثرة هذه الجلسات ، وندرة من يخرج سالما، اذا مرت سيرته ، مجرد مرور ، على لسان من الالسنة ، بل حتى اصبح الامر لعبة يبدأها احدهم او تبدأها احداهن بقولها : ما تيجي ننم . اذ قد تعلمنا في صغرنا ان هذه نميمة وانها من طبع النساء الحاقدات الثرثارات . ولكن يبدو انها لم تعد مجرد نميمة ، بل لم تعد تقتصر على النساء ، برع فيها الرجال أيضا وبزوا النساء !

نحن مجتمع لا يؤمن بالحركة .. او (الآكشن) ، نميل اكثر الى الحديث . حتى عن (الآكشن) او من يقومون (بالفعل) وكنت اعتقد ان عدد القادرين على التحدث يكاد يوازي عدد القادرين على الفعل في بلادنا ، لولا أنني لاحظت ايضا في السنين الاخيرة ان الكثيرين قد بدأوا يفضلون تماما ان يستحيلوا الى متفرجين على من يقومون بالفعل . ولان (من خاف سلم) والذي يعرض نفسه للقيام بفعل ما هناك احتمال كبير ان يخطىء او يكبو فليس اروع من الكف عن الاقدام على اي فعل والتحول الى صفوف المتفرجين الذين يضعون انفسهم فيموقف الحكام او القضاة منزهين عن اي فعل او خطأ ، يحكمون على الناس هم وأبدا لا يحكم عليهم احد فهم والحمد لله لا يقومون بأي حركة تستدعي اي حكم ، هم لا يقومون الا فقط بدور الفرجة ، والفرجة في أي شكل من أشكالها مامونة العواقب ولا يجرؤ احد على الحكم عليها . وتكاثر جمهور المتفرجين حتى اصبح بعشرات الآلاف والمئات والملايين ، يتفرجون على (اللعيبة) في الملعب الكبير . اللعيبة فرادى وقليلون تماما وملعونون في كل حال من جمهور المتفرجين العريض حتى لو كانت المباراة هامة و(حساسة) وحتى لو كانت احيانا تدور حول اخطر القضايا والمصير . ليس اسهل من الجلوس على مقعد مريح في نادي او مقهى واصدار الاحكام على المتحركين . احكام رهيبة مانعة قاطعة تقال وتكال بكل بساطة وبلا أي انفعال ، ويحس الجالس المستريح انه، بهذا الحكم ، أو بتلك النميمة ، أو بهذا الذي رواه عن (لعيب) ومزق به شرفه ، قد اراح ضميره وقام بكل (الفعل) المطلوب منه ، وكفى الله المؤمنين شر اي قتال .

أنا لا يهمني الآن بحث الاسباب التي ادت لهذه الظاهرة هناك فلاسفة عظام متخصصون في بحث (الاسباب) أي أسباب لاي شيء ، وستجد من قال ان عدم اشراك الجماهير في الحكم والمسئولية احدث نوعا من السلبية ادت الى هذه الاوضاع . ومن قائل ان انعدام الديمقراطية في الزمن (الغابر) أدى الى تعود الناس على عدم الجهر بآرائهم أو التصدي (للأفعال) وهكذا آب الناس الى الهمس نميمة والى الاكتفاء بدور المتفرج حتى لو كانت الرواية التي تعرض أو المباراة المقامة تمس صميم صميم حياته . ستجد مفسرين عظاما لهذه الحالة ، ولكني هنا لا اسوقها كي نجد لها سببا ، اني انما افعل لاني قد بدأت أدرك انها خطر ماحق علينا جميعا واني في محاولتي لادراك ذلك الخطر انما ادافع عن النفس، بادئا حتى بنفسي، فالحامض الكاوي يهري القلوب والصدور من حولي ، ويحدق بي ومن المستحيل ان اتركه يهريني أو يهري غيري .

أصحيح أن الأمر لا يكلفنا سوى شخص أو بضعة أشخاص ؟ أم هل يكلفنا حياتنا وأطفالنا من بعدنا ؟

ان هذه الحالة الغريبة في جانب من جوانبها ، ليست مجرد رد فعل سلبي لخطر العلنية او القيام بفعل ، ولكن بعض العقول غير الواعية ، تقوم بها وبخبث شديد ، بهدف تبرير موقف المتفرج ، بل واستمرائه •

فما من شك ان لدى كل انسان ضمير ، وان لا وسيلة لقتل هذا الضمير الا بقتل الانسان نفسه • وما من شك في ان كل من يقف موقف المتفرج يؤرقه ، فان لم يكن أرق الضمير فهو الثورة الداخلية على النفس وعلى الموقف المخزي الذي تقفه • لكي يريح المتفرج ضميره ويخمد ثورته على نفسه لابد من مبرر قوي جدا يسوقه للآخرين ولذاته ، هذا المبرر هو وصم كل من (يلعب) أو (يتحرك) او ماض في القيام باي (عمل) انه مطعون فيه أو في ذمته أو في انتمائه أو في أهدافه • وحبذا لو كان جميع المتحركين الفاعلية هكذا اذ ما دام المتحركون كلهم قذرين ، فكيف تريد مني ان اتحرك أو افعل • وما دامت كل حركة محل ريبة او لابد وراءها غرض خبيث فلا اروع من التفرج اذن ، ومن البقاء هناك في اعلا المدرج (نظيفا) غير ملوث الثياب أو السيرة • لنفتش اذن لكل متحرك عن نقطة سوداء في حاضره أو في تاريخه واذا حتى عجزنا فلنفتش في مستقبله أو بمعنى آخر في هدفه • وما دامت مجموعة من الناس قد اتفقت ان تسود سيرة ما فمن المحال ان تعجز وما دام الكلام يقال وليس مطلوبا منك اثبات أو اقامة الدليل عليه فانت لن تخسر شيئا اذا قلت كل ما (سمعت) أو حتى كل ما (تتمنى) حدوثه • ومجلس ينقل عن مجلس وراو ينقل عن راو لابد ان تسود اكبر صفحة بيضاء اذا اردت لها ان تسود • وما دمنا كلنا اصبحنا سود الطوايا فلا فضل لعربي حينئذ على اعجمي ولا لصاحب الفعل على صاحب القول ولا للاعب على متفرج • باختصار أشد ، ينعدم (البطل) •

والناس تتحرك الى امام لان امامها نماذج رائعة بيضاء للحركة الى امام • ولهذا فالبطل في أي مجتمع ظاهرة اجتماعية ، وليست فردية • ظاهرة يفرزها المجتمع نفسه ليضع بها نماذج حية لمثل عليا يضعها الناس امام اعينهم ويحتذونها كلما دعت الحاجة للحركة أو للتصرف •

ولم يحدث في تاريخ اي شعب ان سودت كل مثله العليا ابدا ، فهذا معناه التوقف التام • معناه سيادة السكون والتفرج معناه نهاية الحركة والابداع وحتى مجرد أداء الحياة • بل حتى معناه ـ وهذا هو البشع ـ انعدام القدرة للثورة عليه وخلق مجتمع جديد بنماذج جديدة بأبطال جدد لان هذه الثورة نفسها لا تحدث ولا يمكن ان تحدث الا بنماذج من هذا المجتمع المريض نفسه تثور عليه، ويحتذيها تلامذة وتابعون يشكلون في النهاية قوة تغيير تعيد تشكيل المجتمع وصياغة حياته •

فاذا قضينا بالسنتنا على كل النماذج وعلى كل انواع الحركة وفي أي اتجاه فاننا ، دون ان ندري ، نقضي على الحياة الكائنة والحياة التي لابد ان تكون، نقضي على يأس الحاضر ونقضي ايضا على امل المستقبل ، نقضي على جيل عائش وموجود وجيل جديد قادم وقد طمسنا معالم مثله العليا التي لابد ان تكون قائمة اليوم ليحتذيها الشباب اليوم وغدا •

حين نقضي على (كل) الفاعلية نقضي على (كل) الفعل و (كل) الحركة بما فيها الحركة الى أمام •

المجتمعات الصحيحة (وليس مهما ان تكون من عالم اول أو ثالث وليس مهما ان تكون متخلفة أو متقدمة المهم ان تكون غير مريضة) تقضي فعلا بالسنتها وباقلامهـا واحيانا بأفعالها ومخالبها وقضائها على (بعض) الفعل ـ أو الفعل الضار ـ و(بعض) الفاعلين المتحركين في اتجاه ضار ، بعضهم وليس كلهم ، وبعضهم السيء أيضاً ، كي تفسح المجال امام الفاعلين المتحركين الى أمام ، فليست كل حركة مرض أو ضرر وليس كل الفاعلين سيئين وخبثاء ، وبالطريقة التي رأيناها ونراها، وما دام الطمس والتسويد والهدم الجارح يحدث بلا تمييز ـ أو من اجل التسويد للتسويد ـ فالامر يحدث قطعا بلا تمييز ، فالتمييز يحتاج لتفكير ايضا أو (اعمال) الفكر ، وهذا (فعل) ، والقائمون بالتسويد ليسوا من اهل ذلك ، انما هم من اهل الفرجة والسلبية الكاملة المطلقة فاعمال الفكر بالنسبة لهم عمل، وعمل شاق أيضا ، وسوف يوضعون من اجله لو فعلوا في قائمة (الفاعلين) ويعرضون للتلويث فما الداعي والامر لن يكلفنا اكثر من شخص آخر أو بضعة اشخاص نضيفهم الى قائمة الملوثين ؟

أصحيح ان الامر لا يكلفنا سوى شخص أو بضعـة أشخاص ؟

ألم نفكر أبدا أنه قد يكلفنا حياتنا نفسها ، بل ربما حياة ابرياء تماماً كأولادنا من بعدنا ؟

●●

انني معك تماما ايها المتحدث الوقور في ان السيد فلان أو الصحفي فلان أو الطبيب فلان او رئيس هذا أو ذاك قد يكون سيئا ، ولكن لست معك أبدا في ان كل من تأتي سيرته على السنتنا والسنة غيرنا ، كل من تأتي له سيرة في اي زمان أو مكان أو مجلس هو بالضرورة سيء الى ان يثبت

شهيات

العكس • والكارثة ان هذا العكس لا يثبت أبدا فاولا لا احد يهتم بأن يثبته ، ولا انت تواجه صاحب السيرة بما تقوله عنه لتحاكمه بعدل وتعطيه فرصة اثبات العكس وانما كل هذا يتم خلف ظهره ، بل ان سيرة سيادتك نفسها لو فقط تزحزحت عن مجلسك الوقور هذا معطيا لنا ظهرك لن تسلم ، وستحاكم انت الآخر محاكمة غيبية مليئة بشهود الاثبات ولا شاهد نفي واحد ، والتهم خطيرة وكثيرة وبشعة والحكم بالاجماع •

أتصور ان معجزة حدثت وقلبت الوضع • بمعنى أننا قررنا ذات يوم مشهود ان نقلب الآية تماما • وبدلا من ان نطعن في كل مخلوق من وراء ظهره ، نمدح فيه حتى لو كان المديح كذبا ، حتى لو اقتضى الامر ان يفلت بعض المجرمين من محاكماتنا ؟

صحيح ان شيئا كهذا يتعارض تماما مع (الصورة الموضوعية) للموقف وقد نجني على الحقيقة في احيان . ولكن ، ألن يكون أثره ، ما دام الناس كلهم نظيفين هكذا وابرياء أن أفكر أنا الآخر ان أكون جيدا وبريئا وأن أنزل انا الآخر الى الساحة واعمل وانا ضامن اني سابقى نظيفا انا الآخر؟

وهل هذا امر سيء ؟

وهل هذا امر مضر ؟

وحتى لو كانت طريقة مثالية للتفكير والحكم على الناس

ولكنها على الاقل ستجعلني أنا وملايين المواطنين أومن ان الدنيا لا تزال بخير وان النظافة هي القاعدة وان الحركة بركة وخير والتفرج نكوص وجبن ،حتى لو كان الامر هكذا ، افي هذا خسارة أي خسارة ، أم فيها الكسب ، لي وللمجتمع ولكل الناس ، كل الكسب ؟

حقا • لماذا لا (نجن) ونفعلها ؟

ما دمنا قد جربنا (للعقل) وآيت بنا التجربة الى مليون متفرج بائس وعشرة لاعبين ملعونين كما هو حادث الآن لماذا لا نجرب (الجنون) الذي قد يقلبنا بين يوم وليلة ، وأقسم ان الامر لن يستغرق اكثر من يوم وليلة ، يقلبنا الى مليون فاعل نشط قادر مخلص وعشرة متفرجين بائسين لا يمنعهم من الاشتراك الا الجنون الحقيقي او النزع الاخير•

ان طاقتنا على العطاء لا حد لها • والانسان العربي ما اعظم ما يحتويه صدره ، ما أروع ما يحفل به عقله من طاقات وقدرات ما اجمله حين يفعل ويعمل ويقفز ويغني، ويكيل للعدو ـ حتى لو كان وضعا أو قرارا أو مشكلة ـ ضرباته ، ويوجه طاقاته في هدم معوقاته ومعوقيه ، بدل ان ترتد طاقات عدوانه الخلاقة الى الداخل تهدم ذاته وكل ما وهب العظيم في ذاته ، غير عارف انه حتى وهو يهدم زميله أو جاره او احيانا محبوبه انه في الحقيقة يهدم ذاتــه فذاتي ايهــا الهــادم من ذاتك وأي جنايــة علي بالدرجــة الاولى جنايــة عليك • اولا اذ انت حين تخسرني تخسر نفســك وحين اخسرك اخسر اولا نفســي ، السنــا نفس الــذات نفس الانســان وحدة بشرية اسمها العرب • ام ان بلدنا هي العزيزة الغالية التي نشدو بها كلنا وكانها نقطة مجردة في الفضاء بينما بلادنا هي ، ولا شيء آخر ، لا الارض ولا السماء ولا التاريخ ، وانما أنت وانا ، نحن الوجود العربي الدائم والخالد ، نحن الكنز وصاحب الكنز ، نحن انا وانت وليس اي شيء خرافي آخر • اصح • فز • اخرس ايها الانا فانا حين أشوهك ، حتى لو كنت مشوها التصرف التلقائي حيالك ان ادير وجهي عنك ، حين أشوهك فانما هي نفسي

الأمارة بالسوء تريد تشويهي أنا ، تريد مسخي أنا بمسخ كل ما أتصوره من نماذج وبطولات ، عدوتي لودوتي حينئذ لابد من كبحها •

لابد قبل ان افتح فمي لاقول رأيي أو حكايتي عن فلان او علان ان أسأل نفسي أولا : لماذا يا نفسي لماذا ؟ انا عارف تماما انها ليست غيرة على الحق والحقيقة فاذا كان الامر كذلك فالطريق ليست حديثا جبانا من وراء الظهر • ما دمت غيورا على الحق والحقيقة الى هذه الدرجة فواجهه • قل رأيك هذا أمامه فاذا لم تستطع • اذا آثرت السلامة اذا سكت عن الحق فانت حينئذ شيطان • اخرس ، وما دمت بقولك الخلفي هذا شيطانا اخرس فجرمك يصبح اكبر من كل جرائمة حتى لو كانت جريمته الخيانة ، فان يخون الانسان مبدأ جريمة، ولكن سكوتك انت علىخيانته جريمة ابشع الف مرة ، لانها الجريمة المحرضة على الجريمة ، المحرضة على استمرار الخيانة ، المحرضة على مواصلة الشر وليس ابشع منها جريمة •

●●

طبعا انا لا الح في طلب التصرف (بجنون) على نحو ما ذكرت ، فيبدو أننا اصبحنا اعقل بكثير من ان نجن ، ولكنا ، اذا كنا عقلاء فعلا ، فلابد ان نصل بعقلنا ولعقلنا الى هذا السؤال : لماذا اذن يعيش الانسان ؟ اللي يأكل ويشرب ويتناسل ؟ ولكن هذه ليست شطارة فاي حيوان باستطاعته ان يفعل هذا !

الكي نعيش اطول عدد ممكن من السنين نستمتعبالوجود احياء ؟ فليكن ، فلتكن متعة العيش نفسها دافعا للبقاء ، ولكن السؤال هو : أي متعة؟ ان الطعام والشراب والتناسل متع مكررة اذا زاول الانسان الحياة من اجلها فقط فلابد ان يمجها بعد فترة فهي مجرد تكرار لمتع معروفة محفوظة، تكرار لمتع تفقد ، بمجرد تكرارها القدرة على الامتاع •

لابد اذن من شيء ممتع آخر هو الذي يجعلنا نتمسك بالبقاء احياء • تلك المتعة لابد ان تكون هي الوجود بمتعة او الحياة بمتعة • ومتعة الحياة هي الاحساس بالحياة ولكي تحس بالحياة لابد ان تكون لحياتك فاعلية ما • اذن انت تحيا وتحس انك تحيا وتستمتعبانك تحيا بمقدار ما تحس لحياتك بفاعلية ما •

والطريقة التي وصلنا اليها لابد ان تدفعنا بعد حين الى ان نفقد فاعليتنا تماما حين نتحول الى مجرد متفرجين على احداث ممجوجة • اننا نقوم في منتصف الرواية اذا تراكم احساسنا بالملل منها حين لا تعجبنا • وبالطريقـة الآنفـة وبأحداث ممجوجة يقوم بها فاعلون ممجوجون يتسرب الملل الى انفسنا ثم الضيق ، ثم السخط ونبدأ نفكر في القيام ومغادرة دار العرض •

ولكن دار العرض التيىنحن بصددها هي الدنيا والأحداث الممجوجة هي كل حياتنا •

ومغادرة الدار يعني ان نموت أو نفنى •

سيوصلنا عقلنا اذن الى ان فكرة الحياة رغم انها حياتنا فكرة كل الحياة • واذا تمسكنا (بتعقلنا) العميق وتشبثنا بالحياة رغم كرهنا لها ، فالنتيجة ان نمرض ، والمرض ليس سوى الباب يفتح للموت وللعدم ، ونتيجته المحتمة رغم كل عقلنا ان نموت استمساكا بالحياة ، هذا النوع من الحياة •

اوليس هذا هو الجنون الحقيقي ؟!

ليس ان نقوم بعمل (مجنون) لتغيير طعم حياتنا وانما ان نظل نحتسيها بمرها ومرارتها حتى نموت غما ؟

ومادام الامر جنونا بجنون ، فلماذا لا نختار الجنون الشافي • أو الجنون في محاولة الشفاء بدل الجنـون استمساكا بالحياة مرضا والمرض حياة ؟

وقد يهز احدنا كتفه ويقول : لسه بدري •

لا تزال الحياة حلوة • ونحن لا نزال نحيا • حتى لو كان هذا هو الذي سيحدث فاوانه لم يات بعد •

واني لآسف اذ أقول ان الامر ليس كذلك مطلقا ، فنحن بهذه الحياة مرضى، والباب الوحيد المفتوح امامنا هو باب الموت • كل ما في الامر أننا من فرط عقلنا لا ندركه ومن فرط ما أفقدنا المرض احساسنا لم نعد نحس المرض ولا نقدر انه مرض خطير فادح ، مرض الموت •

أم يشك احدا في اننا مرضى ؟ لا اعتقد ان احدا سيشك فالشك ايضا نوع من التفكير ، والتفكير ايضا نوع من الفعل ، ونحن قد قررنا ان نتفرج فليشك (الجدع) الذي يريد الشك فسنبقى نحن نتفرج على شكه وربما نصل الى انه ملتاث وان له سوابق في الاقسام وغدر بفلان وفلان •

وشفاة ممصمصة مقلوبة ، وملامح استرخت على مضض وقلوب مثقلة نترك المجلس الى مجلس والمجالس الىالفراش منهكين بلا تعب ، مطحونين بلا كفاح ، تضاغطت ارواحنا الى الحلاقيم ، وماذا نفعل ؟وهل سنصلح وحدنا الكون ، نم لها على جنبك الايمن عساها تفرج فان لم تفرج نم على جنبك الايسر ، فان لم يحدث ، فالامر يومئذ لله •

●●

اريد ان اقف فوق قاعدة التمثال العالية الانيقة بلا تمثال (وكاننا نستخسر ان نمنحها تقديرا لاحد ، مهما يكون قد فعل) فوق أعلا قاعدة تمثال في اوسع ميدان اريد ان اقف واصرخ بأعلا صوتي : اجل أيها الناس •• يمكن ان نصلح وحدنا الكون • أي منا ، بمفرده حتى ، لو اراد ، يستطيع • لو أراد بقوة ، بكل ما لديه من قوة ، يستطيع •

د• يوسف ادريس

أمة الرسالة الخاتمة

د. عون الشريف قاسم

شهدت خمسينات هذا القرن وستيناته انحسار الامبراطوريات الأوربية التقليدية عن خريطة العالم السياسية ، التى كان يجللها اللونان الوردى والبنفسجى ، كناية عن الاستعمارين الانجليزى والفرنسى . ومثلما كانت الحرب العالمية الأولى تغييراً فى ميزان القوى فى المجال العسكرى اوالسياسى ، مما انعكس على خريطة العالم السياسية ، فكذلك كانت الحرب العالمية الثانية حداً فاصلا بين مرحلتين فى مجال التوازن الدولى ، إذ انهارت بعدها حظوظ دول الاستعمار القديم ، وتقلصت حدودها التى كانت الشمس لا تغرب عن ممتلكاتاحداها ، لتعود فى الختام ، كما كانت فى البدء ، محصورة فى مجالها الجغرافى المتواضع ، وبرزت فى الساحة الدولية القوتان «العظميان» ، مما تطلب رسم خريطة جديدة ، تعكس ميزان القوى الجديد وتحدد مراكز النفوذ السياسى للقوى المهيمنة على مقدرات العالم .

الخريطة الاستعمارية

وما يهمنا فى هذا المقام ، مكان أمتنا العربية والاسلامية كجزء من العالم الثالث فى هذه الخرائط ، التى ترسم وتخطط وتوزع فيها المناطق والأقاليم والبلاد بواسطة المتغلبين من أمم الغرب قديمها وحديثها . ومن الواضح أن راسمى الخرط الدوليةيحرصون ما واتتهم القوة والقدرة علىاستمرار الخطوط والألوان فى مكانها المحدد لأبعد مدى زمنى ممكن ، وغالبا ما يحدث التغيير من قبل قوة مناوئة جديدة تبحث لنفسها عن مكان فى خارطة النفوذ الدولى ، فتعيد تشكيل الخطوط والألوان منجديد ، وهكذا اختفت بعد الحرب العالمية الأولى الخلافة العثمانية ، واختفت معها كل مخططات الوحدة الاسلامية بين دول العالم الاسلامى ، وانتقلت بالتالى كل هذه الدول الاسلامية ، ما عدا قلة قليلة الى دائرة النفوذ الاستعمارى المباشر ، الذى استثمر تفوقهالعلمى والاقتصادى والثقافى ، ليحيل خريطة استعماره السياسى الموقوته المدى والأثر ، الى خريطة للاستعمار الثقافى والحضارى بعيدة المدى دائمة الأثر ، ولم يكن ذلك عفو الخاطر،بل كان ثمرة جهد كبير استفاد فيه الغربيون من دراساتهم لأوضاع شعوب العالم الثالث ، مما منحهم القدرة على إحلال نماذجهم الغربية فى الفكر والاقتصاد والسياسة والاجتماع محل النماذج الوطنية التى تعطلت فعاليتها بفعل الزمان ، لانبتارها لقرون طويلة عن منابعها الفكرية التى تمنحها الحيوية والقدرة على استيعاب متطلبات الحياة المتجددة . وهكذا تكرس الاستعمار السياسى والاستعمار الثقافى بعد الحرب العالمية الأولى .

رياح التغيير

وحين هبت رياح التغيير بعد الحرب العالمية الثانية ، واستحالت الى إعصار عاصففى الخمسينات والستينات ، تخلص معظم العالم الثالث من الاستعمار السياسى المباشر ، وانحسرت عن الخريطة تلك الألوان التى كانت تغلب عليها لتحل محلها ألوان جديدة بعدد الدول التى نالت الاستقلال السياسى على نطاق العالم . وكان نضال الشعوب المضطهدة ، وترهل القوى الاستعمارية ، مما فتح المجال لهذه الشعوب المضطهدة للتخلص من سيطرة المستعمرين ، ولكنه فتح المجال ايضا لورثة النظام الاستعمارى الغربى للظهور على المسرح العالمى كقوة شابة ، تسعى ما وسعها الجهد لملء الفراغ العالمى الناجم عن انهيار امبراطوريات الغرب الكبرى الانجليزية والفرنسية والهولندية والبرتغالية والاسبانية وما إليها . ورغم الخلاف الايدولوجى بين ورثة هذا النظام الغربى ، وانقسامهم الى شرق شيوعى تتزعمه روسيا ، وغرب رأسمالى تتزعمه أمريكا ، فانهم متفقون فى الاساس الحضارى والاجتماعى كأبناء شرعيين لتراث خاص وحضارة لها شخصيتها المتميزة ، فى مواجهة كل حضارات العالم القديمة التى كانت تحكم مجتمعات العالم القديم قبل ازدهار الحضارة الغربية فى الخمسة قرون الأخيرة . ومن الواضح أن هذا الانقسام بين المعسكرين الشرقى والغربى لا يخرج عن انقسام بين المصالح الاستراتيجية بين الكتلتين البشريتين للغرب ، والذى هو فى جوهره امتداد لما ظل يحدث بينهما طوال التاريخ منذ أيام الاسكندر والامبراطورية الرومانية التى انقسمت فى نهاية المطاف الى كتلة شرقية بيزنطية وكتلة غربية رومية أو رومانية ، وما نراه من انقسام فى الحضارة الغربية بين شرق وغرب لا يخرج فى كثير من تفاصيله عما كان يحدث بالأمس بين أبناء الحضارة الواحدة .

الصراع التاريخى

ومن الواضح ايضا أن هذا الصراع بين امم الغرب على اختلاف أوطانها ومذاهبها ، وامم الشرق أو العالم القديم ، امر تاريخى بدأ منذ اقدم العصور كما يستدل من الحروب التى كانت مشتعلة بين الاغريق والفرس . وقد كان حلم الاسكندر الأكبر أن يوحد ما بين الشرق والغرب ، وأن يجعل من التلاحم الحضارى أساس هذا التوحيد . ويبدو أن حلم الاسكندر الأكبر قد تحقق الى حد ما فى هذا العصر ، الذى تمكنت فيه حضارة الغرب من غزو معظم شعوب العالم الثالث ، واضافتها الى رصيدها الحضارى الثابت . والفرق بين مخطط الاسكندر

مكان أمتنا العربية
والإسلامية كجزء من العالم الثالث

كان الإسكندر معجبا
بحضارات الشرق محترما لها

الصراع بين الغرب والشرق أمر تاريخى قديم

الحضارى ، ومخطط احفاده المحدثين ، ان الاسكندر كان صاحب رسالة ، وكان معجبا بحضارات الشرق التى كان يكن لها الاحترام ، وقد كان أول ما فعله حين وطئت قدماه أرض مصر ، بالاضافة الى انشاء مدينة الاسكندرية ، أن توغل فى الصحراء حيث معبد الاله أمون فى واحة سيوة ، وشارك بفعالية فى عبادة هذا الاله الفرعونى ، دلالة التمازج بين الحضارتين الاغريقية والفرعونية . وقد ظل هذا التمازج هاجسه ، إذ كانت سياسته تشجيع التزاوج بين الجنود الاغريق والسكان الذين يمر بهم جيشه الفاتح ، ورغم قصر عمره الذى لم يتجاوز الثلاثين الا قليلا ، فان الآثار المترتبة على سياسته الحضارية كانت بعيدة المدى والتأثير ، كما يتبين من عمق التلاقح الذى تم بين ثقافة اليونان والثقافات الاسيوية فى فارس والهند وغيرهما . ولكن كل ذلك لم يلغ السمات المميزة لهذه الأمم ، كما انعكست فى الثقافات المختلفة التى تعاورت على هذه المراكز الحضارية عبر القرون ، وكانت هذه الثقافات فى تلاقحها واستفادتها من هذه التيارات المندفعة من شرق الى غرب فى أعقاب غزوات الفرس لبلاد اليونان ، ومن غرب الى شرق فى حملات اليونان المضادة ، كانت أيضا تأكيداً لهذه التجارب فى اطار الزمان والمكان ، بحيث يصعب ، ان لم يستحل احلال تجربة بحذافيرها محل تجربة أخرى مغايرة لها فى الظروف البيئية والزمانية . ولكن هذا التفاعل المتواصل بين البشر والثقافات ، كان يفسح المجال لمناخ حضارى جديد تلتقى فيه كل هذه العناصر على قدر ، فى بوتقه واحدة ، لاخراج مركب حضارى جديد ، يستوعب طاقات البشر المادية والروحية ، ويجمع بينهم رغم اختلاف البيئات والسلالات فى اطار الانسانية الواحدة .

الشرق والغرب

وما قاله الشاعر الانجليزى كبلنج من أن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا ، قول يغفل هذه الحقيقة التاريخية الهامة التى كانت تتفاعل عناصرها وتتبلور سماتها مع الزمن لتقريب الشقة بين الشرق والغرب ، فاتحة بذلك بابا واسعا لانسانية جديدة ، تتأكد فيها أخوة البشر ، وتتوطد علاقات المحبة والتعاون بينهم ، لتحقيق الهدف الأسمى الذى أراده الله للانسان حين استعمره الارض ، وزوده بهداية العقل والدين . وكان الاسلام الذى انبثق فى هذه البيئة المتوسطة بين المجالين الحضاريين لامم الشرق والغرب ، فى بعض جوانبه ، الثمرة الناضجة لهذا الجهد الانسانى على المستويين الروحى والحضارى ، وهو فى ذات الوقت ارتقاء به لمرتبة التمازج والتكامل بين ما هو غالب على الشرق من روحانية ، وما هو غالب على الغرب من مادية ، ومن ثم كانت الوسطية منهجه ، لقوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) . فهو كرسالة خاتمة تلخيص لجهد البشر الروحى على مدى الزمان والمكان ، وبلوغ بتجربة الانسان التاريخية الى غايتها المرسومة ، التى حددها المولى عز وجل حين خلق آدم من تراب،ونفخ فيه من روحه،ليكون خليفة لله فى الأرض . وهو فوق تعبيره عن تجربة الانسان على الأرض ، وصول بامكانياتها الى منزلة المثل الأعلى الذى يتطلع اليه البشر لاكمال انسانيتهم ، بحيث يصبح هذا المثل الاعلى غاية يحققها الانسان فى حياته اليومية ما التزم بمنهج هذه الرسالة الخاتمة فان فى امتزاج الروح بالتراب فى خلق ادم اشارة الى تكامل قوى النفس الروحية والمادية ، وفى تعليمه الأسماء اشارة الى العقل والعلم ، الذى فضل الله به البشر على كثير مما خلق . وقد بلغ منهج التكامل هذا مداه فى الاسلام بدخول الدين فى حياة الدنيا ، فامتزج الروحى بالمادى ، والتقى العقل بالنقل ، ولم يعد للانسان ، وقد أكمل الله له منهج التقدم ، من سبيل سوى الاستعانة بعقله فى ضوء هداية الله التى صاغت وجوده ، تكاملا بين طاقاته الروحية والجسدية ، وتفاعلا بين عقله وما جاءت به رسالات السماء لتحقيق الهدف الأسمى الذى أراده الله له بأن يكون خليفة الله فى الارض مترسما فى ذلك قانون الفطره المودع فى كيانه والمعبر عنه فى دين الله . ولهذا كان الاسلام خاتم الرسالات ، فلا رسول ولا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، لاكتمال طاقة الانسان الروحية التى أكمل الله بها الدين ، بحيث يستطيع الفرد مواجهة تحديات قرون التطور المقبلة بنفس متكاملة ، وشخصية متوازنة ، ترتبط بالارض والسماء وتنسجم مع الطبيعة والكون بميزان داخلى ، هو فى جوهره تلخيص لقانون الفطرة التى فطر الله الكون والناس

أمة الرسالة الخاتمة

عليها ، لا تبديل لفطرة الله . والحياة لم تقف منذ القرن السابع الميلادى حين جاء الله بالاسلام ، بل تطورت ، وسيستفحل هذا التطور فى مقبل الأعوام والقرون ، ولكن منهج الله الذى ختم به الرسالات صالح ، متى أحسن الانسان استخدامه فى ضوء تطور الحياة ، لتحقيق غاية الغايات من سعى الانسان فيما يستجد من قرون بأن يكون خليفة لله فى الأرض . وتلك مهمة موكولة لعقل الانسان الذى حل محل الرسل والأنبياء فى حياة الانسانية بنزول الاسلام ، ومن ثم كانت معجزة رسول الاسلام معجزة عقلية فكرية هى القرآن ، وكانت أول كلمة تنزل منه موجهة الى العقل وهى إقرأ ، وكانت أول آية منه التفاته الى هذا الجانب المعنوى والفكرى من شخصية الانسان الذى خلقه الله من علق ، وعلمه بالقلم ، فتعلم بذلك ما لا يعلم .

خصوصية الأمة

ومن هنا تنبع خصوصية الأمة الاسلامية ، لخصوصية الرسالة المكلفة بها لخير الانسانية فى مراحل تطورها الخاتمة . وهى خصوصية فاعلة لا تورث ، بل تكتسب بالجهد والمصابرة ، ولا سبيل الى ادراكها الا بالالتزام الصارم بمنهجها القويم أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وايمانا بالله . وفى كل ذلك تحد للمسلمين قبل غيرهم ـ فهم بحكم منطق التطور الانسانى قمة الانجاز الروحى الذى ختم الله به رسالات السماء ، وانقطع باكماله وحى الله المباشر لخلقه ، وانتقلت بذلك رسالة الله من السماء الى الأرض ، وأصبح المسلمون بحملهم لهذه الرسالة ، الشهداء على الناس ، لأنه لا رسول بعد محمد صلى الله عليه وسلم . ومن ثم كانت الأمة المسلمة هى المكلفة بحمل هذا النموذج الأرقى للانسانية كافة فى كل زمان ومكان . وفى ذلك اشارة الى أن التطور الانسانى مهما تسامى وارتقى ، فلن يتمخض عن نظام فكرى أو اجتماعى يرجع نموذج الرسالة الخاتمة ، وهو تحد برهنت تجربة الأربعة عشر قرنا الماضية على صحته ، فكم من فلسفات ونظم فكرية واجتماعية تعاورت على الانسانية فى كل أوطانها طوال هذه القرون ، فازدهرت لفترة ثم زالت ، ولم تخلف وراءها سوى المزيد من الحسرة والألم لأصحابها ولمن جاورهم من الأمم ، وبقى نموذج الرسالة الخاتمة ، النموذج الراجح بكل المقاييس . وليس أدل على هذا الرجحان مما هو مشاهد اليوم على الساحة العالمية ، حيث يزدهر النموذج الغربى بوجهيه الرأسمالى والشيوعى ، وهو نموذج احادى النظرة فى جوهره ، يركز على طاقات الانسان الحسية والمادية ، ولا يلتفت الا فى أضيق الحدود الى طاقاته الروحية والمعنوية ، ومن ثم شقيت به الانسانية ، تمزقا اجتماعيا وروحيا فى المجتمعات التى تستظل بظله ، واستعمارا وعدوانا على بقية الانسانية التى وقعت بفضل التقدم العلمى والتكنولوجى تحت سيطرته المباشرة وغير المباشرة . ومن البديهى أن هذا الشقاء سيطرد ويستفحل فى مقبل الأيام ، والانسانية تواجه خطر الفناء الذرى ، وتتهددها مزالق الانفجار السكانى وشح الموارد وتقلص الامكانات ، وما لم تحدث ثورة فى متناول قضايا الانسان تحت هذه الظروف الصعبة ، فان ما يسود العالم من استجابات لتحدى المرحلة لن يؤدى الا الى كارثة محققه .

جوهر التقدم

والقضية فى جوهرها ليست مدى تخلفنا العلمى والتكنولوجى ، وتقدم الغرب بشقيه فى كل ذلك ، فان ذلك أمر يسير بالمقارنه بما يجب علينا من مسئوليات حيال الانسانية فى مرحلة تطورها الخاتمة . فان التقدم العلمى والتكنولوجى الذى نلهث جميعا لاحرازه ليس عملية شكلية ، نتعلمها كما نتعلم أى حرفة من الحرف ، وانما هو نظام فكرى واجتماعى لابد من أن يعد له المجتمع اعدادا كبيرا ، لكى تؤتى المجهودات المبذولة فى التعليم والتثقيف والتدريب أكلها . ومن المؤكد أن المناخ الاجتماعى والفكرى الذى ساد أوروبا فى أعقاب الثورة العلمية والصناعية ، وما أعقبهما من ثورة تكنولوجية وذرية ، مناخ يبعد الانسان عن ذلك التكامل المنشود ، ويقصيه عن التوازن المطلوب بين المتناقضات فى نفسه وفى المجتمع وفى الكون من حوله . وهو سير بأسرع ما تستطيعه طاقة العلم والتكنولوجيا فى طريق الانفصام القديم بين قوى النفس المادية والمعنوية ، حيث تتضخم حاجاتنا المادية التى لا تشبع ، وتتقلص حاجاتنا الروحية التى سدت أمامها السبل بهذه النظرة الهامشية لمكتسبات الانسان الروحية فى حضارة الغرب السائدة .

ونحن بالفعل محتاجون لتعلم مناهج العلم الحديث من الغرب ، وهو واجب يفرضه علينا اسلامنا ، ولكن ذلك وحده ليس كافيا لاحداث النهضة التى تنتظر أمة الاسلام . فان المسلمين مندوبون من بعد ذلك ومن قبله ، بأمر الله ، وواقع تجربة الانسان الروحية على الأرض ، لتعليم البشرية درسها الأخير الذى اخطأته منذ البداية ، وتنكبته طوال القرون ، وجاهد الرسل والانبياء والمصلحون على حملها عليه دون جدوى ، الى أن ختم الله جهدهم برسالته الخاتمه ، التى تلخص هذا الدرس القديم الجديد فى بناء الفرد الانسانى بناء متوازنا يمتزج الروحى فيه بالمادى ، ويختلط العنصر الشخصى فيه بالجماعى ليصبح بمقتضاه الفرد رمزا للجماعة فى مجتمعه ، وعنوانا للانسانية فى الأرض قاطبة ، وكل ذلك لانجده فيما يزحم الساحة من نماذج . وهو غير موجود فى مجتمع المسلمين ، لأنهم غائبون عن أنفسهم ، مندفعون فى تقليد غيرهم ، فهم ومن يقلدونهم سواء فى حقيقة الأمر . والاسلام ليس عملية اجترار ، وروحه لا تورث ، وانما تكتسب بالمعاناة والمعايشة والتثقيف وتغيير النفوس والالتزام الصارم بالقيم والمواضعات التى رسمها الاسلام لبلوغ هدفه

ولن نتعلم ذلك من الغرب لأن حضارة الغرب فى جوهرها الفلسفى والاجتماعى نقيض لذلك لأنها استمرار للانفصام القديم بين روح الانسان وجسده ، الذى جاء الاسلام أصلا لعلاجه ، فهى حضارة مرجوحة ، رغم بهرجها التكنولوجى ، ولا سلام للانسانية ولا تقدم ، الا بابراز الحل الأخير لقضايا التقدم ، الذى ختم الله به رسالات السماء ، وحملنا اياه لنكون بمعايشته والالتزام بنهجه شهداء على الناس ، ومتى فعلنا ذلك كان الرسول علينا شهيدا .

د. عون الشريف

د. محمد كامل

العلم والتكنولوجيا بين الحاضر والمستقبل (٢)

إنجازات معاصرة.. وأخرى في الطريق

بينا في المقال الاول من هذه المجموعة من المقالات أهم التطورات العالمية المعاصرة في علوم الارض والعلوم البيولوجية ونواصل في هذا المقال الحديث عن اهم الانجازات المعاصرة والمتوقعة في القريب في مجالات بحوث تركيب المادة ، وتكنولوجيا الحسابات والاتصالات والطاقة والمواد .

بحوث تركيب المادة

اذا بدأنا ببحوث المادة في اكبر صورها وهي بحوث علم الكون ، وبحوث الفيزيقا الفلكية التي تجري للكشف عن هذا الكون المثير ، لوجدنا ان التصور السائد الآن في اوساط العلماء للكون هو انه يحتوي على البلايين من المجرات الموزعة بطريقة متجانسة في الفضاء في جميع الاتجاهات وان الكون نشأ نتيجة انفجار كبير حدث منذ حوالي من ١٠ الى ٢٠ بليون سنة . فهل سيستمر الكون في التمدد الى مالا نهاية أو هل سيعود سيرته الاولى والانكماش لتكوين كتلة نارية تنفجر مرة اخرى وهكذا دواليك . هذه بعض المسائل الرئيسية التي يبحثها العلماء المشتغلون بعلوم الكون في الوقت الحاضر بالاضافة الى عدد من المسائل الاخرى مثل تحديد عمر الكون وكثافة المادة الموجودة في الكون ، وعمر النجوم .

ان علم فلك الطاقة العالية يبحث في دراسة نجوم أشعة اكس ونجوم النيترون والثقوب السوداء وغير ذلك .

ومن المنتظر ان يتمكن العلماء في السنوات القليلة القادمة من جمع المزيد من المعلومات عن كل هذه المسائل مستعينين بالاجهزة العلمية المتقدمة التي تم تركيبها مؤخرا لاستقبال الاشعة الحمراء واشعة جاما في الفضاء

ان كلا من المنظار الفضائي الذي سيوضع في المتنقل الفضائي المعد للارسال عام ١٩٨٣ وكذلك التلسكوب الارضى الجديد متعدد المرايا الذي ينتهي تركيبه هذا العام على قمة جبل هوبكنز بولاية اريزونا بالولايات المتحدة الامريكية سوف يساهمان بلا شك في مدنا بمعلومات اكثر عن هذا الكون المثير .

واذا انتقلنا من عالم بحوث الكون « المادة الكبيرة » الى بحوث المادة كما نعرفها بحواسنا على الارض أو ما يسمى ببحوث المادة المكثفة والتي تتناول دراسة الصفات الالكترونية والذرية للمواد الصلبة والسائلة وكيف تستجيب للقوى الميكانيكية والحرارية والكهربية والمغناطيسية وللاشعاع لوجدنا أننا على اعتاب مرحلة جديدة تماما ــ فقد أدت البحوث العلمية خلال العقدين السابقين في هذا المجال الى أكتشاف الترانسستور ، والليزر ، وفوق الموصلات عند درجات الحرارة العالية والخلايا الشمسية التي تحول ضوء الشمس الى كهرباء واستخدمت بنجاح في سفن الفضاء وغير ذلك من الكشوف الهامة فيما يسمى بمجال الحالة الصلبة .

ولا يتسع المجال للحديث عن التطورات العلمية الهامة في مجالات بحوث التركيب الجزيئي والذري وتركيب النواة وهي البحوث التي ادت فيما مضى الى اكتشاف القنابل الذرية والايدروجينية والمفاعلات الذرية لتوليد الكهرباء وسوف تستمر هذه البحوث في السنوات القادمة وخاصة في مجال الطبيعة النووية للوصول الى ادق أسرار تركيب المادة المتناهية في الصغر ومعرفة الوحدات المكونة لها .

تكنولوجيا الحسابات والاتصالات

ان الحديث عن التقدم في مجال الحسابات الالكترونية والاتصالات والطاقة والمواد قد يكون اكثر تشويقا للقارىء لارتباطه ارتباطا وثيقا بحياته اليومية ، ففي خلال العقدين الماضيين وبعد ان كانت الحسابات اجهزة يستعملها القلة من العلماء ــ اصبحت اليوم شائعة الاستعمال في حياتنا اليومية حتى ان بعض الحاسبات الصغيرة اصبحت تباع في جميع المحلات بدراهم زهيدة ــ ان التكنولوجيا التي جعلت هذه الحاسبات حقيقة واقعة قد اعتمدت على عدد من العلوم منها الرياضة وعلوم اللغويات ولكن تقدمها الكبير اعتمد في المقام الاول على الانخفاض الكبير في أسعار الشرائح نصف الموصلة .

وسوف يستمر هذا الانخفاض في السعر خلال السنوات القادمة ولهذا فمن المتوقع زيادة استخدام الحاسبات وسوف يؤدي ذلك بالضرورة الى التوسع في كل المجالات التي دخلتها الحاسبات وايجاد استخدامات جديدة لها .

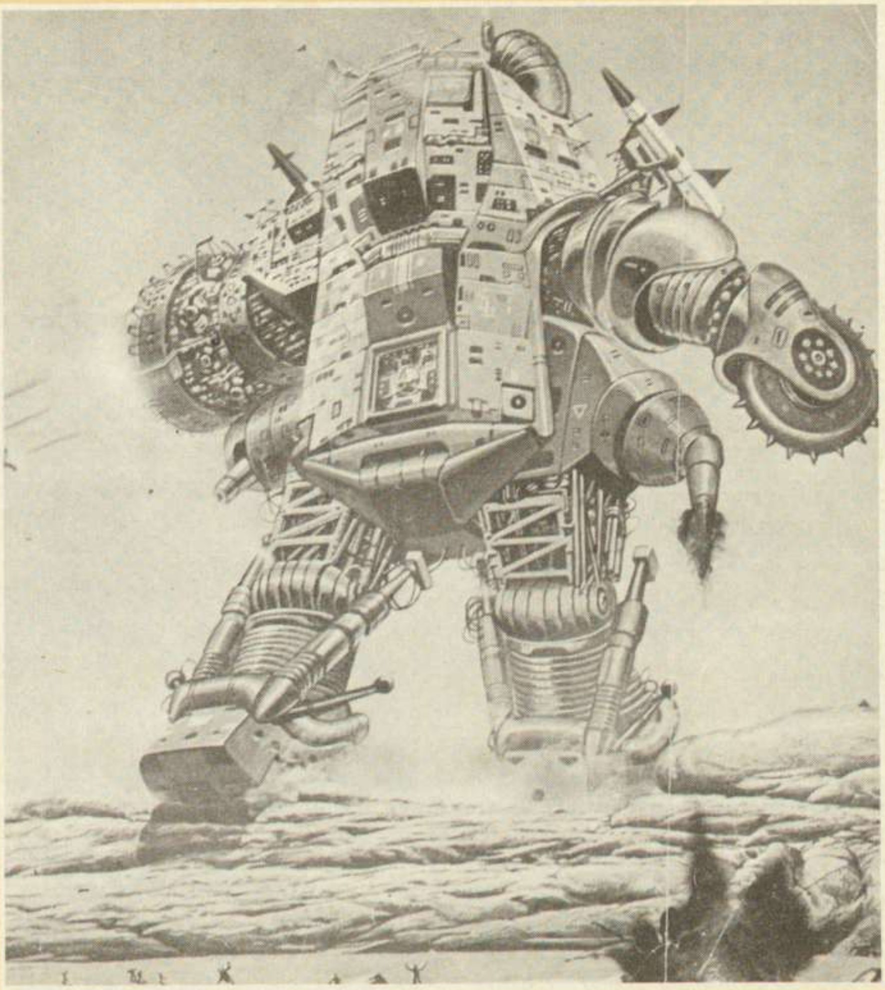

ان التقدم في تكنولوجيا المواد نصف الموصلة قد تطور من ١٠٢٤ قطعة من المعلومات لكل شريحة في عام ١٩٧١ الى ٦٤٫٠٠٠ قطعة لكل شريحة في عام ١٩٧٨ مع بقاء سعر الشريحة ثابتا تقريبا مما أدى الى تخفيض السعر بمقدار ١٦ مرة وفي المستقبل القريب سنصل الى شرائح تسع ٢٥٦٫٠٠٠ قطعة معلومات في أوائل الثمانينات، ومليون قطعة من المعلومات للشريحة في منتصف الثمانينات ٠

وفي نفس الوقت تطورت الحاسبات الصغيرة من وحدات تشمل على ٢٠٠٠ ترانسستور في عام ١٩٧١ الى اجهزة تحتوي على ٣٠٫٠٠٠ ترانسستور على كل شريحة في عام ١٩٧٨ مما اتاح استخدام الحاسبات الصغيرة في مئات الاستخدامات بدءا بماكينات الخياطة الى اللعب التليفزيونية وسيستمر هذا التقدم في الحجم والتكاليف والاستخدامات خلال السنوات الخمس القادمة ٠

كما سيستمر ايضا التقدم في سرعات الحساب ولغات البرامج ٠

ان التقدم في وسائل الاتصالات الحديثة مثل استخدام اقمار الاتصالات لنقل المعلومات الى مسافات بعيدة — وكذا التقدم الذي يطرأ حاليا على الاتصالات التليفونية واللاسلكية التقليدية بالاضافة الى ظهور تكنولوجيا الالياف الضوئية الجديدة التي سوف تساهم بلا شك في تطوير شبكات المواصلات السلكية المحلية كل هذا التقدم سوف يزيد الاتجاه الحالي الى ربط الحاسبات مع بعضها البعض في شبكات كبيرة ٠ وتعمل في الولايات الامريكية وكندا مثل هذه الشبكات التي تحتوي على حسابات البنوك ، ونظم المخزون السلعي ونظم حجز التذاكر وخدمات التحقق من أرصدة العملاء في البنوك والتي تسمى بنوك المعلومات الموحدة ٠

وقد بدأت هذه الشبكات في العمل ايضا في فرنسا والمملكة المتحدة واليابان ٠

ومن المتوقع خلال الفترة القادمة استخدام الحاسبات في ارسال الخطابات وسوف يزداد التوسع في استخدام ماكينات الكتابة التي تعمل بالحاسب الالكتروني ولها شاشات تليفزيونية والتي ظهرت في الاسواق مؤخرا ويمكن في هذه الماكينات حذف كلمة أو جملة او اعادة صياغة وترتيب الفقرات المختلفة بمنتهى البساطة ٠ ان اسلوب العمل في مكاتب الموظفين والمكاتب الحكومية سوف يطرأ عليه تغيير كبير باستخدام الاجهزة الالكترونية الحديثة التي تسهل العمل كالاجهزة التي تستغني عن سجلات المكاتب التقليدية وهي اجهزة ذات شاشات يمكن فيها اضافة أو حذف أي معلومات أو البحث بسرعة عن اي معلومة بدون استخدام وسائل الكتابة التقليدية ومن الطريف ايضا ان هناك في الوقت الحاضر ماكينات تصحح هجاء الكلمات في أي مكتوب يعطى لها ٠

ومن المتوقع ايضا التوسع في استخدام الحاسبات في المعاملات المالية مما قد يؤدي في النهاية الى الاستغناء نهائيا عن التعامل في النقود أو الشيكات ولكن ذلك سوف لا يحدث في القريب العاجل لاسباب نفسية ٠ ومن الطريف ان نذكر انه خلال عشر سنوات من الان سيدخل الحاسب معظم المنازل وخلال عشرين سنة سوف يدخل جميع المنازل في بلد كالولايات المتحدة ٠ وقد دخلت الرقائق الحاسبة كل بيت يحتوي على تليفزيون ملون او ثلاجة حديثة ومن الممكن ايضا تصور استخدام الحاسب الالكتروني لعمل خدمات عن طريق التليفون كطهي الطعام في الافران وغسيل الملابس في الغسالات والتذكير بالمواعيد والاشراف الطبي على المرضى والحراسة والانذار عند الخطر والجلوس مع الاطفال ٠

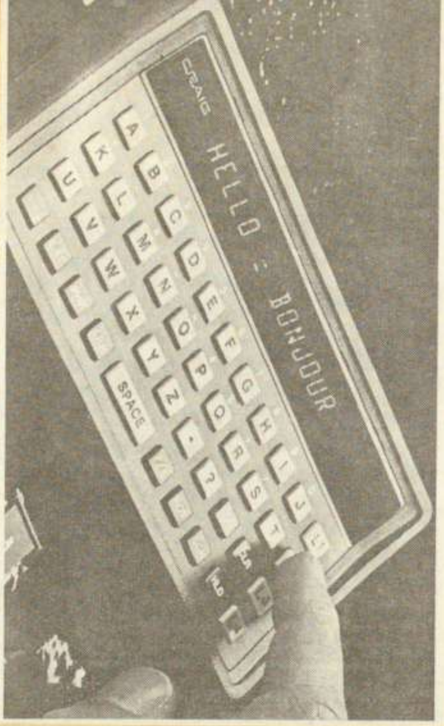

وسوف يصبح من الممكن عن طريق تركيب نهايات في المنازل الحصول على أي معلومات يريدها المشتركون سواء من دور الكتب او من دور الصحف او عن أحوال السوق أو السلع الموجودة في السوبر ماركت وغير ذلك من الاف المعلومات التي قد يطلبونها كما يمكن ربط النوادي بالمنازل وببعضها مما يزيد الروابط الاجتماعية ٠

كما ان القارىء لابد وان سمع عن البحوث التي تجرى لانتاج الانسان الآلي الذي يستطيع ان يقوم باعمال متنوعة يكلف بها سواء في المنازل أو المصانع أو المكاتب أو غير ذلك ٠

الا ان هناك مشاكل كثيرة سوف لا تحل في السنوات الخمس القادمة للوصول الى نماذج تستطيع الاستجابة الى الاوامر بالكلام أو الرؤية وغير ذلك من الحواس ٠

بحوث الطاقة

سيواجه العالم خلال السنوات الخمس القادمة بعض الاسئلة الرئيسية التي تتعلق بأنماط استهلاك الطاقة في المستقبل ٠ ماهي سرعة تناقص ثروات البترول والغاز الطبيعي العالمية ؟ هل يمكن تقليل تزايد الاستهلاك العالمي للبترول والغاز حتى يمكن الاحلال التدريجي لاشكال جديدة للطاقة محل الاشكال الحالية ـ وما هي هذه الاشكال والمشاكل المرتبطة بها ؟

وفي المستقبل القريب (حوالي خمس سنوات) يرى العلماء انه ليس أمام العالم وخاصة الدول المستهلكة لاكبر كميات من البترول كالولايات المتحدة الامريكية وغرب أوروبا واليابان سوى ترشيد استهلاك الطاقة عن طريق تخفيض الترموستاتات ، وفرض رقابة على استهلاك العمليات الصناعية للطاقة ، وتطوير وسائل العزل الحراري واعادة استخدام الحرارة ٠ كما يجب ادخال تعديلات وتحسينات على اقامة المباني الجديدة وموتورات السيارات والماكينات الصناعية والاجهزة المنزلية حتى تصبح اقل استهلاكا للطاقة ٠ ويجب ان يتم ذلك بالتدريج والا كان له آثار اقتصادية وخيمة ٠

وعلى العالم ان يقرر خلال السنوات الخمس القادمة كيف يمكن الاتجاه الى اشكال الطاقة البديلة وأول سؤال ما هي الاشكال المتاحة حاليا وكيف يمكن استغلالها ٠ أهم هذه الاشكال في الوقت الحاضر هو الفحم وطاقة الانشطار النووي ٠

ان استخدام الفحم على نطاق واسع يحتاج الى تطوير وسائل احراق الفحم ووسائل تحويل الفحم الى وقود سائل أو الى غاز ٠

كما يجب ايضا دراسة المشاكل البيئية المرتبطة بالاستخدام الواسع للفحم كمصدر للوقود ولعل اهمها مشكلة تزايد نسبة ثاني اكسيد الكربون ومشكلات التلوث بالغازات الاخرى مثل اكاسيد الكبريت والنيتروجين وكذلك تزايد استهلاك الماء عند استخدام الفحم سواء عند تحضير الغاز الصناعي او اقامة المحطات الكهربائية التي تعمل بالفحم ٠

اما فيما يتعلق بتكنولوجيا الانشطار النووي فرغم ان المفاعلات النووية التي تنتج الكهرباء اصبحت تعمل في عدد من البلدان بكفاءة تامة ـ الا أنه في السنوات الخمس الماضية قد انخفض انشاء المفاعلات النووية في الولايات المتحدة من ٣٤ مفاعلا نوويا في عام ١٩٧٣ الى اثنين فقط في عام ١٩٧٨

ويرجع ذلك الى عديد من العوامل منها السياسية والنفسية نظرا لخطورة تأثير هذه المفاعلات على البيئة (مشكلة التخلص من النفايات ومشاكل الأمان) على أنه يجب على العالم ان يوازن بين هذه المشاكل وحاجته الى الطاقة وخاصة اذا عرفنا ان هذا المصدر يمكن ان يكفي العالم ملايين السنين اذا تمكنا من حل المشاكل المتعلقة بما يسمى بالمفاعلات السريعة ٠

ومن التكنولوجيا البديلة ذات المستقبل الكبير الطاقة الشمسية وطاقة الاتحاد النووي وطاقة الايدروجين وطاقة الكتلة الحية وطاقة الغاز الحيوي وطاقة الرياح وطاقة المد والجزر ٠

ومن المؤكد ان اكثر هذه الطاقات اشراقا من ناحية المستقبل هي الطاقة الشمسية التي بدأ استخدامها ينتشر فعلا في عديد من الاستخدامات في مناطق كثيرة من العالم ٠

بحوث المواد

كلما زاد التقدم كلما احتاج البشر الى المواد ويستهلك الفرد الواحد في الدول الصناعية الكبرى حوالي ١٠ أطنان سنويا من المواد وتتجه بحوث المواد في الوقت الحاضر في اتجاهين رئيسيين :

أولا : انتاج مواد جديدة غير معروفة للاغراض المختلفة سواء الاغراض الصناعية أو الاغراض المنزلية أو غيرها ولعل اهم البحوث التي تجرى في هذا الاتجاه هي انتاج سبائك جديدة تحتمل درجات الحرارة العالية وبحوث المواد المتصلة بالطاقة والاتصالات وسبق التنويه عنها ـ البلمرات العالية والحراريات ٠

ثانيا : بحوث ترشيد الاستهلاك وبحوث اعادة الاستخدام وتتناول بحوث الترشيد تقليل الفاقد من المواد سواء اثناء عمليات استخراج الخامات من المناجم أو أثناء التصنيع أو الاستخدام (مشاكل الاجهاد) ٠ والتآكل وكذلك البحوث المتعلقة بالتخلص من المواد ولعل مثل هذه الاتجاهات هي البحوث التي تجرى لاعادة الاستخدام أو للاحلال مثل استخدام البلاستيك محل الزجاج والمعادن في كثير من السلع ٠

د٠ محمد كامل

صلاح عبد الصبور

ابراهيم ناجى

أرق العاشقين وأصدقهم

مشارف الخمسين

كان شوقى نموذجا للشاعر العظيم الذى يمضى فى طريق لا يلحقه فيه أحد

كان حديث ابراهيم ناجى عن خليل مطران حديث الحب والاكبار ، وكان ناجى بهذا الحديث هو الذى دفع بى الى استعارة ديوان مطران بأجزائه الاربعة من مكتبة باب الخلق ، حيث انفقت معه بضع ليال بيضاء ، عقدت بين شعر مطران وبينى آصرة حب واهية ، واحساسا بالندم غير قليل . وربما رددت ذلك بأننى قد اتيت مطران على الهرم بينما اتاه أحباؤه الكثر فى شبيبته ، فلو كان الله قد أذن لى أن أخلق قبل خلقى بعشرين أو ثلاثين عاما لفتنت بمطران كفتنة ناجى وكثير من ابناء جيله به ، ولكنى حين قرأته فى أوائل الخمسينات عرفت أن مؤرخ الأدب سيقدره قدره بينما سيظل ناشىء الشعر مثلى مؤثرا لتلاميذه عليه . فما لاشك فيه أن مطران كان نبضا شعريا جديدا ، فى مطالع القرن ، يختلف كل الاختلاف عن حافظ ابراهيم ، وبعض الاختلاف عن شوقى ، أما حافظ فقد كانت معرفته بأدب الغرب معرفة سماع وتلقط لما يدور فى المجالس ، وكانت ترجمته عن الفرنسية تأليفا يقترب من تأليف المنفلوطى ، ولقد كان يتمنى فى قرارة نفسه لو استطاع أن يتصل اتصالا مباشرا بهذه الينابيع ولكن انى له ذلك ، وهو كما حدثنا عنه معاصروه رجل محب للحياة بين البشر ، والتألق فى مجالسهم بسحر حديثه ورائع تفكهه ، يرى الشعر لونا من الظهور الاجتماعى فى المحافل ، ويلوذ بكبراء زمانه كسعد زغلول أو محمد عبده ، ولعل قصارى ما قاله حافظ هو دعوته فى احدى قصائده الى أن نشم ريح الشمال ، قاصدا بذلك أن نعرف ما تحمله لنا مياه المتوسط من ثقافة أوروبية .

ذلك هو حافظ ، أما شوقى فقد كان اقترابه من أوروبا اقتراب الاعيان ، ولاشك انه قد قرأ بعضا من فيكتور هيجو وغيره .

ولكن مطران كان وليد ثقافة مدارس المبشرين ، ولقد عرف عنهم الأدب الفرنسى كما يعلمونه فى مدارسهم ، ولذلك فقد تكونت لديه صورة متكاملة لعالمه ومدارسه المختلفة . ولكن حين جاء الى مصر ـ وهى مهد السلفية ـ اراد أن يوطىء له مكانا بين شعرائها النابهين ومن هنا اختار الطريق الوسط فهو فى بعض شعره رومانتيكى أصيل كما كاشفنا فى مقدمة الجزء الأول من ديوانه ، وفى بعضه باحث عن العنصر القصصى فى القصيدة كما عرفه بعض شعراء الفرنسيين ، ولكنه فى معظمه واحد من شعراء عصره المداحين المجاملين للأسر الحاكمة أو لذوات الشوام واعيانهم وهو ايضا واحد من شعراء عصره الذين لايخلو حفل اجتماعى كاقامة مستشفى أو انشاء مدرسة من قصيدة له تذكر الى جوار قصيدتى حافظ وشوقى واضرابهما .

التعريض بالشعر !

يقول مطران فى مقدمة الجزء الأول من ديوان الخليل الذى طبع فى عام ١٩٠٨ : هذا شعر ليس ناظمه بعبده . ولاتحمله ضرورات الوزن والقافية على غير مقصده ، يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الفصيح ، ولاينظر قائله الى جمال البيت المفرد .. بل ينظر الى جمال البيت فى ذاته وموضعه ، والى جملة القصيدة فى تركيبها وترتيبها وفى تناسق معانيها ومواقفها .

وهذا كلام أقرب الى التعريض بتاريخ الشعر العربى منه ببيان منهج شعرى جديد ولعل يستأنف به كلاما كان قد كتبه قبل ذلك بسنوات فى مجلة كان يصدرها باسم (المجلة المصرية) فى عام ١٩٠٠ ، حين قال (ان اللغة غير التصور والرأى ، وان خطة العرب فى الشعر لايجب حتما أن تكون خطتنا ، بل لهم عصرهم ولنا عصرنا ، ولهم آدابهم وأخلاقهم وحاجاتهم وعلومهم ولنا آدابنا وأخلاقنا وحاجاتنا وعلومنا ، ولهذا وجب أن يكون شعرنا مماثلا لتصورنا وشعورنا لالتصورهم وشعورهم . وان كان مفرغا فى قوالبهم محتذيا مذاهبهم اللفظية

وموجز هذا الرأى ، أو خلاصته اذا تجاوزنا مقدماته ، أن كل ميزاتنا من التراث العربى هو لغته فحسب ، أما ما فيه من محتوى وأفكار وأحاسيس فهى ملك لزمانه لا لزماننا

فهل كان ذلك هو صنيع مطران .

قصيدة المساء

لقد نظرت فى ديوان مطران عندئذ ، فلم أكد أجد فيه ، وفى اجزائه الأربعة إلا بضع قصائد قليلة تحقق طموح شاعر أول القرن ، الذى أعطته الحياة مايقرب من خمسين عاما من الحياة والعطاء بعد تسطير هذا البيان الشعرى . واحب هنا أن اقول أن تلاميذه مثل ابى شادى وعلى طه وابراهيم ناجى كانت خطاهم على الطريق أوسع من خطاه وبهذا المعنى يكون مطران نموذجا للشاعر الذى يبدع مدرسة شعرية تتجاوزه ، بينما يكون شوقى نموذجا للشاعر العظيم الذى يمضى فى طريق لايلحقه فيه أحد ، بل لعله

ابراهيم ناجى

خليل مطران

حافظ ابراهيم

المنفلوطى

احمد شوقى

لايغرى أحدا بأن يلحق به ، لأنه يمضى فى طريق لايفضى إلا الى تقليده .

وهناك فضلا عن مطولات مطران القصصية مثل (فتاة الجبل الأسود) وغيرها قصيدة له عنوانها المساء ، اكاد أجدها بصورها وأجوائها فى الديوان الأول لعلى محمود طه (الملاح التائه) ، وفى عديد من قصائد ناجى ، ولعلى اجتزىء هنا ببعض ابياتها تدليلا على ما أقول .

يقول مطران :

إنى اقمت على التعلل بالمنى
فى غربة قالوا : تكون دوائى
عبث طوافى فى البلاد ، وعلة
فى علة منفاى لاستشفاء
متفرد بصبابتى ، متفرد
بكآبتى ، متفرد بعنائى
شاك الى البحر اضطراب خواطرى
فيجيبنى برياحه الهوجاء
شاو على صخر اصم وليت لى
قلبا كهذى الصخرة الصماء
ينتابها موج كموج مكارهى
ويفتها كالسقم فى أعضائى
والبحر خفاق الجوانب ضائق
كمدا كصدرى ساعة الامساء
يالغروب ومابه من عبرة
للمستهام وعبرة للرائى
أو ليس نزعا للنهار وصرعة
للشمس بين ماتم الأضواء
أو ليس طمسا لليقين ومبعثا
للشك بين غلائل الظلماء
او ليس محوا للوجود الى مدى
وإبادة لمعالم الأشياء
ولقد ذكرتك والنهار مودع
والقلب بين مهابة ورجاء
وخواطرى تبدو تجاه نواظرى
كلمى كدامية السحاب إزائى
فكان اخر دمعة للكون قد
مزجت باخر ادمعى لرثائى
وكاننى آنست يومى زائلا
فرايت فى المراة كيف مسائى

لقد قرات وسمعت اصداء لهذه القصيدة الجميلة المبكرة فى شعر من ذكرت من الشعراء بل لعل اصداء منها مازالت تتردد فى الشعر العربى حتى الآن ، ولكن شر الأمور فى الفن هو الوسط ، وأسوأ مايصيب فنانا أن تكون إحدى عينيه على فنه ، وعينه الثانية على نقاد زمانه ، ولاشك أن جزءا من هذا الشعور كان ينتاب مطران حين يجدهم يحبون قعقعة حافظ ، وتكلف شوقى فى زمانه الأول ثم يغفلون عن جدة نسيجه وطرافة أحاسيسه .

سوناتا الغرفة

ولعلى انظر فى قاموس مطران الشعرى فى (المساء) وغيرها فأجد مستنسخا فى قصائد ناجى وعلى طه الأولى ، ولكن كليهما قد مضى فى طريق تختلف عن طريق صاحبه فأما ناجى فقد قنع بأن تكون له قصيدة حب رومانتيكى واحدة على اختلاف اسماء مقاطعها أو ملهماتها ، بينما ذهب على طه الى عالم الصبوات والمعاشق .

ولقد شبه طه حسين شعر ناجى (بموسيقى الغرفة) وهو تعبير فى الموسيقى الغربية يطلق عليه احيانا كلمة (سوناتا دى كاميرا) ، وهى تختلف عن السوناتا التقليدية بحركاتها الأربع المأثورة ، بل وتختلف عن سوناتا الكنيسة التى يعرفها عشاق الموسيقى الغربية عند باخ فى سوناتاته الست الشهيرة للكمان .

فوناتا الغرفة هى نغم ميلودى قريب من الرقص وافر الايقاع ، فيه من الحركات الموسيقية مايدور حول بعضه ، فهى اقرب الى شعر الاعتراف منها الى شعر الحكاية ، واللهجة فيها حميمة ، ولا تطمح سوناتا الغرفة الى البناء السيمفونى الذى تتميز به السوناتا .

تعليق منصف .. لكن !

ولعل طه حسين كان أوضح منى قصدا وعبارة حين قارن بين شعر ناجى وموسيقى الغرفة كما سماها ، أو سوناتا الغرفة كما أقترح ، حين قال (هو شاعر حب رقيق ولكنه ليس مسرفا فى العمق ، ولا مسرفا فى السعة ، ولا مسرفا فى الحب الذى يحرق القلوب تحريقا ويمزق النفوس تمزيقا ، شعره أشبه بما يسميه الفرنجة موسيقى الغرفة منه بهذه الموسيقى الكبرى التى تذهب بك كل مذهب ، وتهيم بك فيما تعرف ومالاتعرف من الأجواء) .

كان ذلك التعليق من طه حسين حين أصدر ناجى ديوانه الأول فى عام ١٩٣٤ ، وهو تعليق منصف لولا أن طه حسين أراد به أن يفضل نظراءه عليه ، فمن يستطيع القول ان المتنبى وحده هو شاعر العربية دون شعراء الغزل فى العصر الأموى أو شعراء الخلاعة فى العصر العباسى .. أليس السفر مذاهب شتى فى القول ، وكل شاعر مهيأ لما هيأته له طبيعته ... أليس عشقنا فى الموسيقى لسيمفونيات بيتهوفن هو نفس عشقنا لأشجان تشايكوفسكى وليليات شوبان ، وقد كان جديرا بناجى عندئذ أن ينصرف عما فى حديث طه حسين من قصد

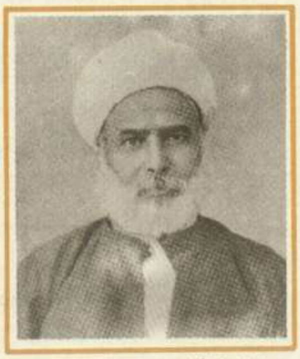
محمد عبده

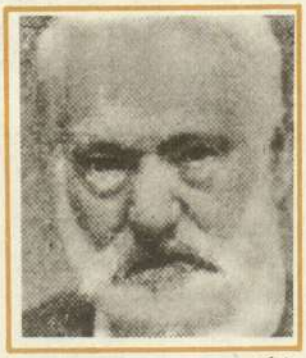
فيكتور هوجو

بيتهوفن

على محمود طه

الله أعلم به الى ما فيه من حق . ولكن ناجى كان وافر الحساسية ، وكان يرى عندئذ أنه سليل الرومانتيكية الأوربية من جهة ، وسليل رومانتيكية مطران من جهة أخرى ، وذلك مذهبه فى الشعر ، ولكنه العقاد أيضا ينحى على شعره قائلا إنه شعر الضعف المريض والتصنع والرخاوة ، التى يزعم العقاد أنه يحاربها منذ عشرين عاما . فكأن الرجلين يتهمانه بالرقة الضحلة مرة ، وبالرقة المتصنعة الضعيفة مرة أخرى

وقد قيل أن ناجى آثر هجر الشعر بعد هذه الحملة ، وما أظن أنه هجر الشعر بحق ، فالشعر لا يهجر ، ولكنه حاول فى بعض القصائد أن يخرج عن عالمه الأثير الى عالم اكثر سعة كما نصحه بذلك طه حسين ، فكتب بعد شنوات بعض مطولاته مثل (ليالى القاهرة) التى اختار لها البحر الطويل والقافية الفخمة ، مفتتحا لها بقوله :

اليلاى ما ابقى الهوى بى من رشد
فردى على المشتاق لوعتــه ردى
اينسى تلاقينا ، وانت حزينـــة
وراسك كاب مـن عياء ومن سهد
بنفسى هذا الشعر والخصل التى
تهاوت على نحر من العاج منقد
ترامت كما شاعت وشاء لها الهوى
تميل على خد وتصدف عن خــد

إن هنا فى هذه القصيدة ديباجة شعرية وصورا غير ماعرفنا عن ناجى ، كلها أو معظمها ينبع من احتذاء السلف ، ومحاولة الاسراف فى السعة والعمق كما نصح طه حسين ، أما أنا فاننى افضل على هذه القصيدة ناجى شاعر موسيقى الغرفة حين يقـول فى أوزانه القصيرة وخواطره التى هى ليست عميقة عمق التكلف والتصنع ولكنه عمق الحياة :

دار احبابى وحبى لقيتنـــــــا
فى جمـود مثلمـا تلقـى الجديـد
انكرتنا ، وهى كانت أن راتنـــا
يضحك النور الينـــا من بعيــد

أو عندما يقول فى أروع سوناتاته، الأطلال ، التى هى فى واقع الأمر أقرب قصائده فى تركيبها الى السوناتا الموسيقية

كنت تدعونى طفــلا كلمــا
ثار حبى وتنـــدت مقلـــى
ولـك الحــق ، فقد عاش الهوى
في طفلا ، ونما لم يعقــــل
وأرى الطعنة إذ صوبتهـــا
فحشـت مجنونـــة للمقتـــل
رمــت الطفــل ، فادمت قلبــه
وأصابــت كبريــاء الرجــل

ولعل هذا الحديث عن ناجى يقودنى إلى القول إن الشعراء يجب أن يعصموا انفسهم من النقاد ، فليس الزم للشاعر من كلمة سقراط القديمة (اعرف نفسك)، وليس الشعر دربا واحدا يمضى فيه الشعراء شاعرا إثر شاعر، ولكنه دروب عدة ومسالك متباينة .

وبهذا الفهم وحده ، يكون ناجى هو أرق العاشقين وأصدقهم فى عصرنا الحديث .

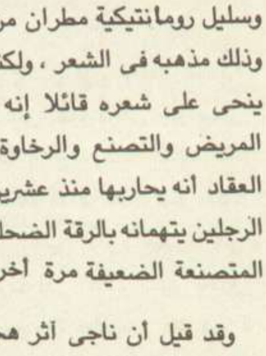
طه حسين

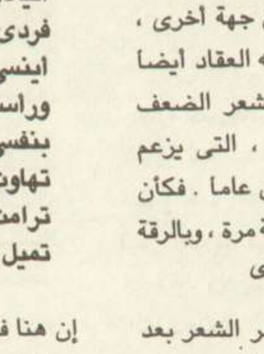
سقراط

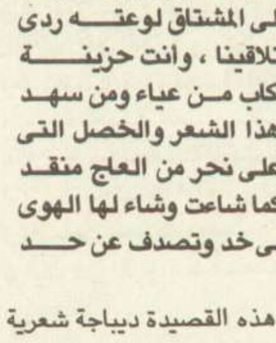
العقاد

صلاح عبد الصبور

أضغاث أحلام

... نحن والجرب

فى صراعهم الدائب لمعرفة أسرار هذا الكون ، استطاع العلماء ان يتوصلوا الى ان مادة الكواكب والاقمار والشموس والمذنبات والنيازك ، التى لمسوها بايديهم فى المعامل والمختبرات ، او قاسوا خواصها بالاتهم واجهزتهم عن بعد ، تتكون من اثنين وتسعين عنصراً اخفها غاز (الهيدروجين) واثقلها فلز اليورانيوم ، وتمكنوا من صناعة عناصر اثقل من اليورانيوم ، بعد ان فهموا أن الذرات تتكون اساساً من نوعى الكهرباء ، السالب والموجب ، فى وحدات تختلف حجماً ووزناً اطلقوا عليها اسماء ، كانت فى علم الله تعالى ، يوم خلق هذا الكون ، لا شك ولا ارتياب ...

ووجدوا ان مادة الكون ، الحية وغير الحية ، تتكون من جراء الاتحاد الكيماوى بين ذرات تلك العناصر ، فى نظم تحكمها قوانين ومعادلات لامجال فيها للارتجال ، أو الفوضى ، او الهوى ، أو المزاج الفردى ... وعلى الرغم من أن العلماء لم يهتدوا بعد الى حقيقة (الروح) التى تميز الجماد عن المخلوق الحى ، فانهم قد استطاعوا خلال القرون ، أن يحصوا زهاء (مليون) كائن حيوانى يتراوح حجمها بين الجرثومة المجهرية ، وبين الحوت الضخم الذى ظنه السندباد ، فى إحدى اساطير الأدب العربى جزيرة فى وسط البحر المحيط ، وزهاء (نصف مليون) كائن نباتى من ميكروب الخميرة ، التى لا ياكل أصحاب التلمود خبزها فى عيد الفصح ، والتى لا ترى الا بالمجهر ، الى شجرة (التبلدى) التى يصنع بدو عرب السودان من جذوعها أحواضاً لجمع ماء المطر لاتقاء العطش الذى لايرحم حين تصبح آبارهم غوراً ...وقسم العلماء مخلوقات الله من الحيوان الى شعوب وقبائل ورتب وأجناس وانواع ، واصناف ، وسلالات ، لكل منها ما يميزه عن غيره ، ببديع صنع الله الذى اتقن كل شىء صنعه ... ومن أصناف الحيوان ، نوع مجهرى عجيب الخلقة ، يرده أهل العم الى جماعة العناكب ، والعقارب ، والقراد ، وبق الصحراء وهى تلك التى تمتاز بوجود (ثمانية ارجل) ، وبذلك يفصلونها عن (الحشرات) كالذباب ، والنحل ، والصراصير ، والنمل ، والخنافس ، والبعوض ، والهاموش ، وهى ذات أرجل ست فقط ... ذلك الصنف الذى نعنيه هو حيوان (الجرب) الذى يسميه علماء الحيوان باسم (ساركوبيتس سكابلاى) والذى عرفوا ان (الجرب) يتاتى من ان انثى ذلك الحيوان القمىء ، تحضر لها وكراً فى الطبقة القرنية لجلد الحيوان (بما فيه ابن آدم) على هيئة قنوات (كقنوات التوصيل بين الدشم فى المستعمرات الاستيطانية فى فلسطين) وتضع بيضها الذى سرعان ما (يفقس) فى غضون ثلاثة ايام مخرجاً يرقات (مجهرية طبعا) ذات (ست أرجل) وتكتمل أرجلها الى ثمان ، بعد أن تغير جلدها مرتين ، وتسبب افرازاتها (حكة الجرب) فى الانسان والحيوان ... وقبل ان يعرف العلماء هذه الحقيقه باكثر من الف عام ، مر الحاكم العادل عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ببدوى واقف خلف بعيره الأجرب ، رافع يديه الى السماء ، يدعو الله سبحانه ، أن يشفى بعيره من الجرب ... وعلى الرغم من ان دعاء ذلك البدوى كان بديع العبارة جميل الأسلوب ، ينم عن ايمان مطلق بقدرة الله تبارك وتعالى ، وتسليم لا شبهة فيه بان الله يفعل ما يريد ، فان فاتح امبراطورتى الروم والفرس ، لم يجد قط ، وهو الذى عرف الاسلام حق المعرفة ، اى حرج فى أن يقول لصاحب الجمل الأجرب : -

(هلا اتبعت هذا الدعاء بشىء من القطران ...) ولاشك أن فى جملة ما نسيناه من الفلسفة (العمرية) حكاما ومحكومين ذلك الاسلوب فى معالجة (الجرب) أى الدعاء ، مقروناً بالأخذ بالاسباب ، بل لعل من أفدح ما نتميز به اليوم ، اننا (لاندعو) و(لاناخذ بالاسباب) فى زمان انقطعت بنا فيه السبل عن أن توصلنا الى رجال من أمثال عمر بن الخطاب ، فى مراقبتهم لله وخشيتهم من التاريخ ، وتفرغهم التام للعمل الذى يشفى هذه الأمة من انواع (الجرب) (البلدى والافرنجى) ، حتى أصبح (جلدها) وعظمها ولحمها (مسارح) لمختلف انواع وأصناف الطفيليات ذات الأرجل الست ، والثمان ، مما يمتص الدم ، ويتلف كل الخلايا والانسجة رويداً رويداً ، تحت العديد من الشعارات والخزعبلات التى ما أنزل الله بها من سلطان ، انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ....

درويش مصطفى الفار

أكاديمية المغرب

عبد الكريم غلاب

مؤسسة ثقافية دولية في المغرب العربي

● ربط العلوم التجريبية في العالم الحديث بمصالح الشعوب السائرة في طريق النمو

● تكريس التبادل العلمى بين الأقطاب الذين يمثلون مختلف الثقافات والتخصصات

شهدت مدينة فاس ميلاد مؤسسة ثقافية دولية مهمة فى المغرب العربى ، هى أكاديمية المملكة المغربية التى أسسها جلالة الملك الحسن الثانى . وقد دشنت هذه الأكاديمية وبدأت عملها فى مهرجان ثقافى كبير فى أواخر ابريل ١٩٨٠ وافتتحها الملك بخطاب توجيهى رسم فيه الخطوط الرئيسية للمؤسسة وجاء فى خطاب جلالته :

نحن اليوم فى هذه الجلسة الافتتاحية نبارك انطلاق أعمال أكاديمية المملكة المغربية مؤمنين من وراء هذه الأعمال الاسهام المنشود فى تألق الفكر وازدهار العرفان والتقارب بين الأفراد والشعوب والتفاهم المفضى الى سعادة الانسان . لقد انطلقنا فى تحديد غايات أكاديميتنا وتشكيلها على نحو غير معهود . من منطلق موقع جغرافى وهو موقع أراد الله أن يكون فى مفترق قارات ، فرسم وجهة المغرب التاريخية وفرض على بلادنا أن تقوم باستمرار بدور أداة للربط والاتصال والتأليف بين الشعوب والحضارات ..ولذا فقد ألحت علينا الرغبة فى مد مؤسستنا بأبعاد تجعل منها مستزادا فسيحا تتضافر فى رحابه جهود سامية للتباحث والتداول فى شؤون فكرية وعلمية ، كذلك لايجاد ذلك التقارب وذلك التفاهم الخليقين بالاتساع والامتداد .فالأمل معقود بأكاديمية المملكة المغربية ، الجامعة لألوان من التفكير وأصناف من الاحساس وأفانين من التخصص والعرفان ، أن تطوى المسافات وتوثق أواصر الاتصال والتعارف بين مفكرين وحماة للفكر يتمسكون بقيم روحية واحدة وإن اختلفت العقائد والأديان ، ويهتمون اهتماما مشتركا بكل ما يستحث خطى الحضارة ويؤمن المصير الآمن المشرق للانسان .

وتهدف الأكاديمية الى العمل فى ميادين الفلسفة والقانون والآداب والفنون الجميلة والتعمير والتربية والادارة والصحة والعلوم والفنون التطبيقية والدفاع والفلاحة والصناعة والاقتصاد والآداب العامة والصلات الدولية . وتعتمد المؤسسة على تضافر القوى الفكرية للدفع بالنشاط العلمى والثقافى والفكرى عموماً ليجتاز الآفاق الضيقة فى المغرب الى الآفاق العربية والاسلامية الواسعة والآفاق الدولية الأوسع بل انها تهدف كما ينص على ذلك قانون التأسيس الى "أن يضطلع المغرب بدور يجعله صلة وصل وأداة ربط وعامل تأليف بين الأمم والحضارات فى أوروبا وأفريقيا وفى عالم البحر الأبيض المتوسط وعالم المحيط الأطلسى ... وأن تربط بين الماضى والمستقبل وبين مستلزمات التقاليد ومتطلبات التقدم . وتهدف كذلك الى أن تمكن المغرب من أن يقوم بدوره داخل حظيرة الاسلام وخارجها فى سبيل الدفاع عن القيم الروحية".

وهو الدور الذى قام به المغرب بجدارة فى تاريخه العربى الاسلامى الحافل بالحركة والنشاط الفكرى والروحى طيلة أربعة عشر قرنا .

وتستهدف الأكاديمية عدة أهداف أخرى فى مقدمتها :

● ربط العلوم التجزيبية والتقنيات فى العالم الحديث بمصالح الشعوب السائرة فى طريق النمو والتطور، وبما تقتضيه القيم الخلقية السامية ، وأن تخضع لقانون صادر عن تبصر وحكمة .

● تكريس التبادل العلمى بين الأقطاب الذين يمثلون مختلف الثقافات ومجالات التخصص .

● الدولة يجب أن تعترف بسلطان الفكر. لذلك يجب أن نحيطه بما هو أهل له من اجلال واكرام .

● تشجيع تنمية البحث فى أهم ميادين النشاط الفكرى . والعمل على اقرار تكافل مستمر بين هذه النشاطات .

● تأليف ونشر أبحاث ومؤلفات العلماء والمثقفين الذين يسدون للحضارة خدمة جليلة .

● إحداث جوائز ومكافآت لتكريم أو تشريف الأعمال والأشخاص الذين يتميزون بالجدارة والاستحقاق فى مجال الثقافة والحضارة .

السهر بتعاون مع الهيئات المختصة على استعمال اللغة العربية بالمغرب وعلى اتقان الترجمة من اللغة العربية واليها .

من هنا يتبين أن أكاديمية المملكة المغربية تمتاز عن الأكاديميات الأجنبية والمجامع العلمية واللغوية العربية بالشمولية

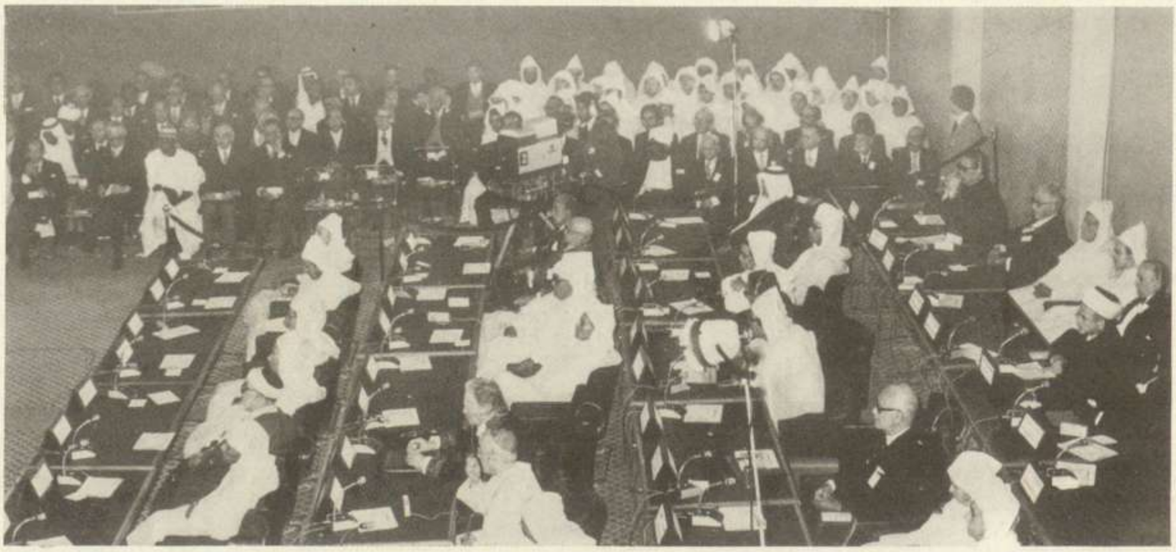

- تأليف ونشر أبحاث ومؤلفات العلماء والمثقفين الذين أسدوا خدمات للحضارة
- جوائز ومكافآت لتكريم الأعمال والأشخاص الذين يتميزون بالجدارة

فقد درج الأروبيون مثلا على تأسيس عدة أكاديميات مختصة فى البلد الواحد ، فنجد مثلا اكاديمية للآداب والفنون ، أو الثقافة والعلوم الانسانية ، أو اكاديمية للطب أو العلوم التجريبية ، أو اكاديمية للرياضيات أو للتكنولوجية .. ودرجت المجامع العربية على التخصص فى اللغة العربية فى مصر ، أو العلوم الانسانية كالمجمع العلمى بدمشق ومثله أو قريب منه المجمع العلمى العراقى ، وهو يجمع بين اختصاصات مجمع القاهرة ومجمع دمشق . ولكن الأكاديمية المغربية تجمع بين اختصاصات المجامع الأروبية والمجامع العربية .

هذا النوع من الشمولية

لماذا اتجهت المجامع الأروبية والعربية الى هذا النوع من الاختصاص ؟ ولماذا اتجهت الأكاديمية المغربية الى هذا النوع من الشمولية ؟

المجامع الأروبية مدعوة للاختصاص نظرا لأنها تعيش فى عصر الاختصاص ،بعد أن اجتازت مرحلة المعرفة الشاملة . لم تعد الجامعة منتهى المطمح العلمى فى المجتمع الأروبى والأمريكى ، وانما أصبح البحث العلمى الذى تشرف عليه معاهد ووكالات خاصة يرتادها مجموعة من العلماء يختصون ويبدعون وينتجون فى جانب من المعرفة ويتعدى بعضهم هذا الجانب الخاص ليختص فى جانب أدق من العلوم التجريبية أو الفلكية أو الفضائية أو الطبية أو التكنولوجية أو العلوم الانسانية . وكما

الرئيس سنغور – رئيس جمهورية السنغال

د. صبحى الصالح – لبنان

دعت الحاجة عندهم فى القرن الماضى الى تقسيم الجامعة الى مجموعة كليات ذات اختصاصات متعددة ، وكما أصبحوا اليوم يفكرون فى توجيه التعليم الثانوى نفسه الى مجموعة من المعارف المختصة ، فقد اتجهوا فيما يخص الأكاديميات الى التخصص ليكون لكل منها جانب من الاختصاص ، وليختار لكل منها علماء مختصون .

أما المجامع العربية فقد اتجه منها مجمع اللغة العربية فى القاهرة عند نشأته سنة ١٩٣٢ الى تطوير اللغة العربية واغنائها بالمصطلحات ، وإحياء القديم منها مما يتفق مع متطلبات العصر ، وتصحيح أوضاع هذه اللغة فى الأقطار العربية . اختص فى ذلك لأن ظروف اللغة العربية فى الثلث الأول من هذا القرن كانت فى حاجة الى مجهود علمى من ذوى المعرفة والاختصاص لتطوير مفرداتها وأساليبها والمساهمة فى النهضة الأدبية والثقافية العربية التى كانت فى طريق التطور . كانت ظروف اللغة العربية –ومازال– تتطلب مجمعا مختصا من هذا النوع ، وهو يقوم بخدمات مهمة للغة العربية رغم البطء الذى اتسم به ، والذى تتسم به جميع المجامع العلمية ذات الاختصاص الدقيق . ولعل مما يزيد فى مضاعفة الشعور بهذا البطء أن الوطن العربى أو المثقفين العرب على الأخص يظنون أن مهمة تطوير اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون مقتصرة على مجمع اللغة العربية . ومن الحق أن نقول : ان اللغة العربية لغتنا جميعا . وان المثقفين العرب جميعهم مدعوون الى النهوض بلغتهم وتطويرها واغنائها . وأعضاء المجمع من بين هؤلاء المثقفين ، ولو انهم متفرغون أكثر لهذه المهمة.

أما المجمع العلمى العربى السورى (تأسس فى دمشق سنة ١٩٢١ وهو أقدم المجامع العربية) والمجمع العلمى العراقى (٩ حزيران ١٩٦٢) فقد اتجها الى إحياء التراث والدراسات العربية ولم يختصا باللغة . وهما ينشطان فى هذا المجال

أكاديمية المغرب

نحن مدعوون إلى المحافظة على التراث
العالم العربى يقف فى وجه التحدى الفكرى والعلمى

الاختصاصى نشاطا ملحوظا .

ونفس التهمة (البطء وقلة الانتاج) توجه اليهما على غرار ما توجه الى مجمع اللغة العربية بالقاهرة . والذين يوجهون هذه التهمة لايقدرون المجهود العلمى الذى يبذله كل من هذه المجامع ، ثم ان اغلبهم لا يتابع نشاطها الا من بعيد . وهى — كمجامع علمية — بعيدة عن تسليط الأضواء على عملها ونشاطها . وأغلب الظن أنها فى حاجة الى بعض ذلك ، والى الخروج من صوامع التعبد فى محراب العلم الى الاختلاط بالمجتمعات الثقافية فى الأقطار العربية .

ثم إن معظم أعضائها غير متفرغين فهم يسعون فى الأرض طلبا للعمل والرزق ، لأن تعويضات المجتمع — فيما يبدو — لا تكاد تسهم فى نفقات المعيشة ، وما يتبع المعيشة من سكن وتنقل واستشفاء واستراحة ... ولذلك فظروف الحياة لا تسعف بالانزواء فى قاعات المجمع للبحث والانتاج .

أكاديمية المملكة المغربية خرجت عن سنة التخصص .

لمـاذا ؟

لأن ظروف العصر فى الوطن العربى تدعو الى هذه الشمولية .

التراث والعصر

فنحن مدعوون الى المحافظة على التراث فى ظل القيم الروحية والعربية .

ونحن مدعوون كذلك الى مسايرة العصر بدافع التطور والتقدم فى الميدان الفكرى الفلسفى والايديولوجى ، وفى الميدان العلمى التجريبى والتكنولوجى .

ونحن مدعوون أن نساير العصر فى ميدان التطور الاقتصادى — عصب حياة العصر وأهم مجال لخروج الوطن العربى من التخلف — .

ونحن مدعوون أن نساير العصر فى الميدان السياسى ، وقد أصبح وطننا العربى فى قلب المعركة السياسية التى تتصارع فيها القوى الكبرى ، كما هو فى قلب المعركة الاقتصادية التى تتصارع فيها القوى الكبرى طلبا لمنتجاتنا فى الطاقة والمعادن ، كما كانوا يتصارعون من أجلنا (...؟) فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن طلبا لمنتجاتنا الزراعية ولمراكزنا الستراتيجية

أعضاء الأكاديمية بالملابس الوطنية .

د. احمد عبد السلام وارمسترونج اول من نزل القمر

التى كانت تتحكم فى مسارات العالم وطرقه وبحاره قبل أن يصبح المسار فى الأجواء التى لا حدود فيها ولا مضايق ولا قنوات ولا برازخ .

هناك إذن عالم عربى يقف فى مواجهة التحدى الفكرى والعلمى والتكنولوجى والسياسى والاقتصادى . ولكى نواجه هذا التحدى لابد من شمولية الفكر والمعرفة .

ولعل ظروف هذا الوطن لا تدعو بعد الى التخصص الضيق فتستوجب أكاديميات متخصصة ، ولكن ممكنات هذا الوطن من حيث الأطر لا تسعف بهذا التخصص الضيق حتى نكون مجموعة من المجامع ، كل منها تختص فى جانب من الفكر والعلوم والمعارف والتكنولوجية والتقنيات . وهذا ما دفع بالمغرب الى أن يطبع أكاديميته بطابع الشمولية والامتداد .

من أهداف الأكاديمية تبادل المعرفة والتجارب والتقنيات والتعاون الفكرى والحضارى فى اطار الوطن العربى ، والعالم الاسلامى ، والعالم المتحضر . ولذلك فقد تكونت من ستين عضواً نصفهم من المغاربة وثلاثون عضواً من العرب والأجانب يعتبرون (مشاركين) يتمتعون بنفس الاختصاص ونفس الامتيازات وقد اختيروا من اقطار عربية مختلفة ودول أجنبية يمثلون القارات الاربع . أختير الأعضاء المشاركون العرب من تونس ومصر ولبنان والعراق والسعودية والمسلمون غير العرب من تركيا وباكستان واختير عضو من الصين وواحد من افريقيا (الرئيس سنغور) واعضاء من فرنسا واسبانيا والنمسا والولايات المتحدة الأمريكية وكل من الأعضاء المقيمين (المغاربة) والمشاركين يمثلون جانبا من المعرفة منهم علماء الفيزياء كالدكتور أحمد عبد السلام (باكستان) الحائز على جائزة نوبل فى الفيزياء النووية سنة ١٩٧٩ وقد أشادت لجنة نوبل بجهوده العلمية وقالت أنه قام بأعظم اكتشاف فى ميدان الفيزياء النووية فى السنوت العشر الأخيرة ، وعلماء فى العلوم الطبيعية كالدكتور فؤاد سيزاكى من تركيا والدكتور عبد اللطيف بن عبد الجليل من المغرب . ومنهم علماء اقتصاد كالدكتور عبد المنعم القيسونى من مصر والأستاذ هوان كيانغ من الصين .ومنهم أساتذة فى علوم الفضاء كالسيد نيل أرمسترونغ الأستاذ الجامعى وأول رجل فضاء وضع قدمه على القمر ، ومنهم رجال سياسة كالسيد ادكار فور رئيس حكومة فرنسا الأسبق وزير التربية الوطنية ورئيس الجمعية الوطنية ، ومنهم أدباء سياسيون كالرئيس سنغور رئيس جمهورية السينغال ومنهم علماء الشريعة وفلاسفة ورجال قانون ومؤرخون وأدباء ورجال الصحافة والأدب وأطباء . وقد ضمت الأكاديمية حتى الآن ٢٠ عضواً من المغرب (المقيمين) وعشرين من المشاركين وستختار فى اجتماعها القادم بقية الأعضاء ليكتمل عددها ستين عضواً .

وسيهتم هؤلاء العلماء بقضايا الحضارة العربية والاسلامية — والجانب المغربى منها بخاصة — وبكل ما يتصل بالحضارة من تاريخ ودين وفكر فلسفى وعقائدى . كما ستهتم لجان خاصة بالسياسة والاقتصاد والشؤون الدولية والتكنولوجية وتبادل التجارب التقنية وعلوم الأحياء والطب .

ومن المنتظر أن تدعم هذه الأكاديمية الفتية صلات التعاون العلمى مع مختلف الأكاديميات والمجامع العلمية فى الوطن العربى وفى الخارج .

عبد الكريم غلاب

الإعلام العربي في معركة المصير

د. حافظ الجمالى

ماهى نوع المساعدة التى يقدمها الإعلام العربى لمعركة المصير

العالم الغربى يعتبرنا دوماً من البلاد المتخلفة التى يهون فيها شأن القانون

أكثر من مرة ، لا مرة واحدة ، بل فى كل يوم ، يضطر العربى الى الوقوف موقف التساؤل ،والشك ، والريبة أمام مختلف مؤسساته ، ليلاحظ ماإذا كانت تحقق أهدافها بنسبة معقولة ، أم انها تهبط دون ذلك بدرجة أو درجات ولعله يرغم احياناً على التساؤل ما إذا كانت هذه المؤسسات قد انشئت فعلا لخدمة الهدف الطبيعى أو المعلن لها ، أم أنها انشئت لتقويضه ، ومعاكسته على طول الخط . وليس إلا على سبيل المثال ماأقوله عن المؤتمرات العربية المختلفة . أو عن الجامعة العربية . ترى هل إذا وجدت الجامعة أو لم توجد ، وهل إذا عقدت المؤتمرات أو لم تعقد ، سيكون هنالك أى فرق فى الحياة العربية ، عماهى عليه الآن ، أو عما كان يمكن أن تكون عليه .

ولقد ذكرت مجلة العربى فى عدد ماض لها كلمة مأثورة للملك حسين ، جاءت فى صفحة خصصت عادة لمثل هذه الكلمات . وورد فيما قوله : إن الأوضاع العربية لا يمكن أن تكون أسوأ مما هى عليه الآن . وإذن فيجب أن نبدأ بالتحسن . وأعلق على هذه الكلمة بالقول : مع كل ماعقد من مؤتمرات لوزراء الخارجية ، والاقتصاد ، والتربية ، والصناعة .. ومن مؤتمرات القمة ، واجتماعات مجالس الجامعة العربية منذ خلقت هذه حتى الآن ، نكون الآن أسوأ حالا من كل عهد مضى ؟ فكيف إذن لو لم توجد هذه الاجتماعات والمؤتمرات وماهى جدوى هذه كلها إذا كانت لا تبلغ بنا أكثر من أن نكون « الأسوأ حالا » .

بين الوفرة والجدوى !

لكن حديثنا الآن بل هو فى الاعلام العربى ومآثره أو مآسيه فى خدمة القضايا العربية . ومن الظلم ولا ريب أن ننسى أن وسائل الاعلام اصبحت كثيرة جداً . وإذا استثنينا الكتب المعروفة من سالف الأزمان ، وتلك التى تعجز وتيرة صدورها أعظم القراء سرعة فى القراءة ، فان المجلات الدورية ، والنشرات من كل نوع ، والسينما ، والاذاعة المسموعة والمرئية ، والصحف ، كل هذه تبدو وكأنها تقدم للأعلام ابعاداً لم يكن الماضى ليحلم بها ، لا من حيث الاتساع ، ولا من حيث السرعة . ولئن ظل العالم يجهل موت نابليون ، حتى بعد أكثر من سنة على وفاته ، على الأقل ، فان اخفاق الأمريكيين فى انقاذ رهائنهم ، عرف فى العالم كله ، ساعة عرفه المخفقون انفسهم . وكذلك فان ما يجرى لدى الآخرين من حوادث صغيرة أو كبيرة ، وماعندهم من ثروة أو نمو أو مصانع أو محاصيل زراعية .. الخ ، لايبقى مجهولا الا لمن لا يريد أن يعرف ، ولئن بدا لنا أن هنالك تعتيماً ما ، على أخبار هذا البلد أو ذاك ، فينبغى أن نقدر مباشرة أن هنالك تجاهلا لا جهلا ، وتعمداً فى التغافل ،

وهذه الوسائل الاعلامية الكثيرة ، والقوية ، والمتنوعة ، ليست بالشىء الذى يتوفر لدى الآخرين ، ولا ينقصنا إلا نحن ، بل انها لحسن الحظ موفورة جداً حتى فى أكثر البلاد تخلفاً . وهل من بلد الآن لا يملك « دور حكمته » وإذاعتيه المسموعة والمرئية ، اللتين يستطيع بهما أن يخاطب العالم كله ، هذا فضلا عن الصحف التى يمكن أن تصدر بغير العربية ، لتخاطب الغربيين ومن حولهم . لكن الوفرة شيء ، والجدوى شيء آخر . إذ ليس من الضرورى ، فى البلاد المماثلة لبلادنا ، أن تؤتى الشجرة الثمار نفسها التى تؤتيها فى البلاد الأخرى . وأغلب الظن أن المردود يظل لدينا هابطاً ، كما هى الحال فى المعامل التى ننشئها ، أو فى انتاجية العامل ، والمهندس ، والتاجر ، وغير هؤلاء

ومع ذلك فان وسائل الأعلام ، فى مثل بلادنا ، تحتاج الى طرح سؤال كبير ، ووضع نقطة استفهام كبيرة . فلقد بلغت نفقات الاعلام عام ١٩٧٨ فى سورية وحدها ما يوازى ١٢٦ مليون ليرة سورية ولكن كم تبلغ نفقات الاعلام العربى كله ؟ إنى لا أشك أن الرقم يتجاوز المليارى ليرة سورية ، فى اقل تقدير . ومرة أخرى نتساءل : ماذا نربح من الاعلام ،

وماذا نخسر لو بقينا بدونه ؟ وبغض النظر عن رأى القائلين بغلبة المضار على المنافع ، نتساءل نحن هل يوازى نفقات الأعلام ما نقدره له من الفوائد . لا بالمعايير الغربية المتعالية ، بل بالمعايير الخاصة بنا ، نحن أهل الدولة المتخلفة؟ والمهم هنا ليس أن يكون المردود والعوائد أقل مما لدى الآخرين ، بل ألا يكون فى الاتجاه المضاد لغاياتنا ، أو الغايات التى يرى كل عقل سليم أنها هى المقصودة، أو التى يجب أن تكون مقصودة . وطبيعى أن ينتظر الناس من وسائلنا الاعلامية أثراً ما فى الداخل ، وآخر أهم أو موازياً فى الأهمية ، فى الخارج . وفى هذه الحالة الأخيرة ، يبدو أنه ليس من الغريب . بل على العكس . إن من الضرورى إلى أبعد مدى أن تساعدنا وسائلنا الاعلامية فى معركة المجابهة التى نخوضها منذ زمن طويل ، مع اسرائيل ، وبكلمة أوضح ، أن تكشف عن حقنا إن كان لنا حق ، ومن باطل اسرائيل ، إن كانت على الباطل . أما أن يظهر باطل اسرائيل حقاً ، وحقنا باطلا ، فلا ريب أن هذه التحفة الاعلامية جديرة بوسام استحقاق فريد ، من الوطن فى الماضى والحاضر والمستقبل .. أو لا يذكرنا هذا كله بما كان علي بن أبى طالب يقوله للناس من حوله ، مقارناً بين جدوى أصحابه ، وجدوى أصحاب معاوية ، فيعلن أن جرأة هؤلاء فى باطلهم ، كتخاذل جماعته عن نصرة حقهم ؟

لب الموضوع

ولقد نتساءل عن نوع المساعدة التى يقدمها الاعلام العربى ، لمعركة المصير ، وعن اهميتها ووزنها فى كسب المعركة . وهذا فى الواقع هو لب الموضوع . ولكن الجواب عن ذلك ليس بسيطاً . ذلك أن العالم الغربى ، يعتبرنا دوماً من العالم الثالث ، أو البلاد المتخلفة ، التى يهون فيها شان القانون ، وتضيع قيمة الانسان ، وتفقد كرامته ، ولا يحكم إلا بالسوط الغليظ ، فضلا عن أنها بلاد يتفاقم فيها الفقر ، ويغلب عليها حكم اللاعقل ، كما لو أنه مامن خير يعيش فيها ، ولا من شر ينأى عنها . ومن جهة أخرى ، فان هذا العالم شبع بالتعاطف مع اسرائيل ، بمقدار ماهو كاره لنا أو ناقم علينا . وكثيرا ما نسمع أن اسرائيل هى المحطة الحضارية الوحيدة فى الشرق المتخلف ، وهى البلد الوحيد الديمقراطى فى منطقتنا ، والدولة الوحيدة التى تسمح بقيام المعارضة ، وإجراء انتخابات هى التى تقرر مصير الحكومة والمعارضة معاً ، حتى ليمكن بسهولة تداول الحكم بين الفئات المختلفة ، بحيث تصبح المعارضة هى السلطة ، والسلطة القائمة بالأمس هى المعارضة اليوم . وكل ذلك دون أن ننسى أن اسرائيل تتمتع دوماً بالعطف الذى تناله كل ضحية ، أو كل مضطهد ، أو كل معذب ، لاسيما إذا كبر وزنه العقلى والثقافى . ومامن شك أن عقدة الذنب الأوربية تلعب دورها هنا ، وتجعل الغرب يناصر اسرائيل باستمرار، تكفيرا عما ارتكبه بحقها من آثام. ولا بأس عندئذ أن يرتكب لدينا نفس الآثام التى يكفر عنها ، لدى اسرائيل . ترى أياتى يوم نتمتع نحن فيه بنعمة هذا التكفير ، كما تنعم به اسرائيل ، منذ اكثر من ثلاثين سنة؟

وعلى ذلك فان مهمة الاعلام العربى صعبة جداً ، ذلك أن عليه أن يحمل صورة حياتنا ، أو أن يستند الى جمالها الموضوعى ، ليكسب لنا عطف الآخرين . إذ أن للعطف نفسه ثمناً . وليس من عادة الانسان أن يأسف على كل مظلوم أو ميت . بل انه يخص بالأسف ذلك المظلوم المتميز وحده ، أو الميت الرفيع المستوى ، لا كل مظلوم ولا كل ميت . أو لم يقل رينان يوماً ما إن موت الأكرانى الجلف ليس أكثر من ساعة توقفت عن العمل ، فى حين أن موت الفرنسى ، حادثة تاريخية ، لما للفرنسى من رفعة المستوى.؟ وهنا يتساءل الانسان ماذا يستطيع الاعلام أن يجمل من صور حياتنا ؟ أيشيد بالحرية التى يتمتع بها المواطن ، أو بالقانون الذى يفرض حكمه على الجميع ، أو بالعمل الجاد الذى يحيى بها أرضنا الميتة أو العبقرية الهائلة التى تبتكر النظريات الحديثة ، أو تنشيء التكنولوجيا المتقدمة ، أو بكمية ما يبذله كل منا من

الإعلام العربي في معركة المصير

● وسائل الإعلام في مثل بلادنا تحتاج إلى طرح سؤال كبير وعلامات استفهام كبيرة

الجهد لكى نعيش من خيرات أرضنا وحدها ، دون استيراد للغذاء من الخارج ، او بكرامة الانسان التى نرفعها الى أعلى الذرى ؟ ولقد قرات مرة فى مجلة «الأوروبيو» الايطالية مقالا لقاض متقاعد ، جاء فيه قولـه : إعط العرب جنة وتراهم يقلبونها الى صحراء ، واعط اليهود صحراء ، وسوف ترى انهم يقلبونها جنة . ومن المؤسف ولا ريب أن صورة فلسطين السابقة للاستعمار الاسرائيلى لم تكن صورة للجنة . وكان عليها ان تبقى متواضعة جداً حتى مع اليهود لولا الأموال اللامتناهية التى رصدت لمساعدة المهاجرين الاسرائيليين . لكن العين وحدها احياناً هى التى تحكم ، وتقدر ماهو منظور امامها ، بغض النظر عن كل شىء آخر . وعندما تقارن العين بين صورتى فلسطين العربية القديمة ، وصورتها الاسرائيلية الجديدة ، فانها ستحكم لهذه ضد تلك بالضرورة .

ومن هنا كان على الاعلام العربى أن يكون غاية فى الذكاء ، وسعة الحيلة ، وكبر العبقرية ، لكى يربح لنا شيئاً ما ، فى معركتنا مع اسرائيل . فهل نستطيع ان نضمن فعلا أن يكون اعلامنا قد بلغ هذا المستوى ؟ أو سيبلغه قريباً ؟ .

ومن جهة اخرى ، لماذا نريد أن تكون الصورة الاعلامية فى الداخل ادنى مستوى من الصورة الاعلامية فى الخارج لاسيما واننا ننفق على الأولى ، اكثر بكثير مما ننفق على الثانية . بل لماذا نريد ان نخفق الأولى اخفاقاً مريعاً ، وان تحقق الثانية منجزات لا اكبر ولا اعظم ؟

ومع هذا كله فان وسعنا القول أن من الممكن أن ينجح إعلامنا الخارجى ، اكثر مما ينجح او (يخفق) إعلامنا الداخلى . ذلك أن الحقائق الموضوعية المؤكدة . المتصلة بنا وبعدونا ، ليست معروفة بدقة فى العالم القادر على التدخل فى قضيتنا هذه . ولا اقول انها ليست معروفة بدقة فحسب بل اكاد اقول : انها قد تكون مقلوبة عمداً ، ضد مصالحنا ، وضد الحقيقة معاً ، ولهذا يجب البحث باكبر جدية ممكنة عن قيمة إعلامنا

وجدواه ، أو معنى الانفاق الذى يخص به ، وعما يحققه من منافع او مضار بالنسبة إلينا .

الاعلام الخارجى والاعلام الداخلى

ومن الواضح انى اركز الحديث هنا على الاعلام ، لا فى صورته الداخلية التى لا يبدو لأحد انها موفقة ، بل فى صورته الخارجية التى تخاطب العقل الغربى ، صاحب الشأن الأول فى تعقيد مشكلاتنا او حلحلتها ، تبعا « للوضعية الذهنية » التى يضعه فيها اعلامنا نفسه أى إعلامنا العربى جملة ، أو لاسيما فى مشكلتنا مع اسرائيل . ولو صحت افكار توينبى لكان علينا أن نكون نحن السباقين فى ميدان الاعلام الخارجى ، لأننا نحن الذين نواجه التحدى المحتمل الأكبر . ومن المؤسف أن اعلامنا لا يستجيب لهذا التحدى . ولا تستحق ردوده أية جائزة . ولو صح أن نعامل الاشياء كما نعامل الناس ، إذن لكان علينا أن نعتقل «اعلامنا» لمدة طويلة ، فى زنزانة منفردة !

إشكالية الاعلام العربى

وإذن فلا شك ان للاعلام عندنا اشكالية ذات وجوه متعددة :

● ابرزها أن هنالك معطيات ، تكاد لفرط الوضوح ـ أن تكون من البديهيات ، نراها تنقلب بالاعلام ضدنا ، بدلا من أن تكون معنا ، بحيث يصبح حقنا باطلا ، وباطل عدونا حقاً . فكيف وفق اعلامنا إذن الى كل هذا التوفيق المعكوس أو المقلوب ، ثم لايزال مقلوباً ؟ وأى نوع من الجهد يبذل للاعلام ، وأية عناية يحاط بها لكي لا يخطئه إلا التوفيق ، ولا يحالفه إلا الأخفاق ؟

● والثانى هو التساؤل عما إذا كان المنطق الذى يستر الاعلام ، من الداخل ، يكبر اكبر النجاح داخل البلاد ، ويخفق اكبر الأخفاق خارجها ؟ او انه لابد لمثل هذا المنطق (إن كان واحداً) ان يخطئه التوفيق فى الداخل والخارج على السواء ؟ وبتعبير اخر هل لدينا منطقان للاعلام واحد للاستهلاك الداخلى . وآخر للسوق الخارجية ، او اننا نقدم الشعير نفسه لدوابنا ودواب الآخرين ؟

● إن من المؤكد أن الاعلام الداخلى يصطدم مباشرة بالواقع الموضوعى ، وسرعان ما يتهدم لدى اى تناقض بين الصورتين الاعلامية والواقعية . إن الواقع المباشر هو الاعلام الأول هنا . وكل إعلام مناقض سينهار بالضرورة .

اما الاعلام الخارجى ، حول مشكلة اسرائيل ، فلا مجال فيه لأى تناقض . ذلك أن الأرض العربية محتلة فعلا ، لا إشاعة ، واهالى الضفة الغربية خاضعون مباشرة لعدوهم فعلا ، لا قولا ، والخسائر العربية فى الحروب الاربع الماضية مع اسرائيل ، حقيقة لا دعاية ، واللاجئون الفلسطينيون واقع قائم لا يجهله احد . واخيرا فان المطامع التوسعية لاسرائيل اكثر من واضحة ، ومطامعهم اكثر من ظاهرة ، ونازيتهم اكبر من نازية الهتلريين ... ترى ماذا يمكن ان يفعلوا لو سلكوا القوة الهتلرية .

والاشكالية الوحيدة فى هذا كله ليست تلك المفارقة العجيبة بين الواقع المؤكد ، وبين قدرة الاعلام على

استثمارها . اما الاشكالية الاكبر والاضخم والاهم ، فهى بلا ريب ، تلك المفارقة بين الحق النظرى «وبين مستحقه» . ترى الا يجب ان يستند إعلامنا ، حول اى موضوع ، الى صورة مقبولة لحياة المواطنين ، والدولة ، فى بلادنا ؟ اولا نلاحظ ان « سمعة » الامة التى تتجلى فى سلوكها العام والخاص فى الداخل والخارج ، هي التى تملى التعاطف مع حقها ، او تحول دونه ، وليس ماهو ابسط ، كمثال ، من ملاحظة الناس وعواطفهم لدى مشاهدة المسلسلات أو الأفلام السينمائية . فهؤلاء الناس لا يتحمسون لغير البطل فى القوة والفضيلة . وليس بينهم من يتحمس للضعيف ، الطائش ، المستهتر . ولا يكفى أن يكون الانسان صاحب حق ، بل إن عليه أن يستحقه ايضاً ، بشدة الدفاع عنه .

معطيات الاعلام العربى وقضية فلسطين

واحسب ـ احسب فقط ـ ان فى هذه الدنيا معطيات لا جنسية لها ، اى انها ليست عربية ولا غير عربية ، بل هى صحيحة لدى كل الناس .. ومع أن هذه المعطيات الانسانية معنا موضوعيا ، ضد اسرائيل ، ورصيد ضخم لا اسهل ولا افضل من الاستناد إليه ، فانها تنقلب بقدرة قادر ضدنا ولحساب اسرائيل ، فاما أن عقول الناس كلها مختلة ، وطباع البشر جملة قد انقلبت ، وإما اننا نحن المقصرون الى الدرجة التى نقلب فيها كل حق لنا الى باطل .

وطبيعى أن قلوب الناس تتعاطف مع الضحية ، وتتنكر دوما للظالم ، ولكن هذه المعطيات العاطفية تنقلب علينا انقلابا كليا ، إذ أن التعاطف يتم لحساب الظالم ، المعتدى ، المكرر للعدوان ، وتحجب عن الضحية ، على كثرة ما تلقاه من شقاء . فحتى العواطف الطبيعية تعطلت ، هنا ، واصبحت مجندة مع الظالم ضد المظلوم ، على حين ان العكس تماماً هو الذى حدث فى فيتنام ، على اختلاط مشكلتها بمشكلة الشيوعية فكيف يحدث إذن أن الطبيعى من العواطف ينقلب رأساً على عقب ، ويصبح الظالم مظلوماً ، والمظلوم ظالما ؟

وفى حرب ٦٧ حمد الناس فى الغرب ربهم على انه كتب النجاة لاسرائيل ، الوحيدة ، فى الخضم العربى ، وما انقذها منا ، على كونها هى التى فعلت كل شىء لاثارة تلك الحرب ، كما تقول هى نفسها . ترى كيف يجب أن يكون الاعلام الصهيونى حتى يستطيع قلب الضحية قاتلا . والقاتل ضحيته ؟ وباية عبقرية قابلناه حتى لم يدرك احد إلا اننا نحن المجرمون ، واسرائيل هى البريئة ؟

وطبيعى ايضاً ان يعرف الناس ان اسرائيل مدعومة بالامبريالية كلها ، وان هذه مستعدة لاثارة حرب عالمية من اجلها ، ويعرفون ايضاً ان كل سلاح نحصل عليه هو دفاعى لا هجومى ، وان علينا ان ندفع ثمنه ، مباشرة ، بقدر الامكان . ومع ذلك فقد نجحت اسرائيل فى حمل العالم على الاعتقاد انها «وحيدة» وان المعسكر الشرقى كله معنا . كل العالم معنا وهى تجابهنا منفردة . يالبطولة ! او ليست الحقائق هنا ايضاً تنقلب رأساً على عقب . ويصبح صحيحها كذبا ، وكذبها صحة ؟

وبعد حروب أربع ، لم ننتصر نحن فيها ، وخسرنا الأراضى والاسلحة والشهداء ، تطلب اسرائيل الحدود الآمنة . واظن أن من حقنا نحن ان نطلب هذه الحدود ، لأن كل الانتصارات الاسرائيلية تمت على حسابنا لحسابها ، لا لحسابنا وعلى حسابها . ومع ذلك مايزال العالم يطلب الأمن لاسرائيل ، ولا يذكر حقوق الشعب العربى فى فلسطين إلا خجلا . وطبعاً هذه مأثرة إعلامية لنا . إن الخائف يصبح مخيفاً ، والمخيف يلبس دور الخائف . افليس طبيعياً أن نصبح نحن الذين نبنى المستوطنات فى الديار الاسرائيلية ، ونحن اصحاب النزعة التوسعية ؟

جائزة نوبل فى اللامبالاة !

والخلاصة أن الاعلام العربى كله يعيش فى مستوى هابط جداً واقصى همه ان يقنع العرب بأن قضيتهم عادلة ، كما لو انهم كانوا بحاجة الى مثل هذه القناعة . ولقد اخفق هذا الاعلام اخفاقاً جعل العواطف الطبيعية ، العفوية ، التى يخفق بها القلب تلقائياً تجاه المظلوم ، تنقلب علينا ، وتصبح مع الظالم ، كما انه رد الخائف الى دور المخيف ، والضعيف الى دور القوى ، والذى ليس معه إلا جهد ابنائه المتواضع ، إلى من يشبه أن يكون كل العالم معه ، بل انه قلب الادوار بيننا وبين اسرائيل ، حتى لكان الأمبريالية كلها معنا لا معها . فهل بعد هذا الاخفاق من اخفاق . وهل الاستمرار فى هذا الخط منذ خلقت اسرائيل كمشروع دولة لا كدولة ، حتى الآن ، دون اى تقدم ، نحن حقاً صناعه ورجاله ، إلا برهان على اننا نعيش إعلامياً ، وكاننا ننعم باكبر السعادة ، بلا نزاع ولا خصومة مع اى إنسان ، ولا خوف من احد ؟ او لا يستحق على هذه « البلادة الاعلامية » جائزة نوبل فى اللامبالاة ؟

ويبقى أن نعرف هل لهذا التقصير الاعلامى مسوغات ؟ أو اعذار ؟ كما هى الحال فى كل صور التقصير التى نشكو منها ، والتى تؤلف فى جملتها « كلا واحداً » لا يتجزأ بحيث لا نجرؤ على القول مثلا : إننا متخلفون إعلامياً فقط ، ولكننا متقدمون فى كل اعدا الاعلام ؟ إن هذا ما سنتحدث عنه فى المقال التالى . إن شاء الله تعالى

د. حافظ الجمالي

الخواء الروحى في العالم يزداد حدة

محمد فتحى

عما قريب سيكون التليفزيون العالمى حقيقة واقعة ليبث مباشرة إلى المنازل عن طريق الأقمار الصناعية

الخواء الروحى الذي يعانى منه الغرب — الشرق السياسى ليس فى حاجة الى بيان — حقيقة ثابتة لم تعد خافية على أحد ، وليست فى حاجة الى تدليل . انصرف الناس فى الغرب عن الدين ، وأسقطوه كلية من حياتهم حتى فى صورة مرسم شكلى . ربما يستثنى من ذلك المشهد المألوف ، مشهد القس فى مسوحه الأسود يتمتم بضع كلمات خافته ، فى حضور نفر من الناس متشح بالسواد ، حول حفرة ضيقه يغيب فيها جثمان الهالك ثم يهال عليه التراب ، ويختفى من فوق ظهر البسيطة ، وكأن لم يكن بالأمس شيئا مذكورا ، لا طائرة تحمله فوق أجواز الفضاء أو صاروخا ينطلق به نحو العوالم الأخرى التى كشف عنها دأبه وخدمته وتغلغله فى البحث وراء أسرار الكون ... من التراب والى التراب يعود .

اذا لم تكن الحضارة الغربية أشهرت إفلاسها مؤذنة بالمغيب ، فطلائع موكب الافلاس بالدوى والتفجير تنذر به ، طليعة من وراء طليعة ..

ما هذه الألوية الحمراء ، والجيش الأحمر ، وبادر ماينهوف وغيرها مما قد تعلم أو لا تعلم ..؟!

ما القلق والاكتئاب والانهيار ، تلك التى تعترى نفوس الملايين فى كل عطفة وكل سبيل ؟!

ما ذبائح الصدر وسكتات القلوب ..لا للعجائز وإنما لأزاهير الشباب ؟!

ما أولئك الذين يلقون بأيديهم الى التهلكة ، فيثبون من فوق قمم الأبراج أو شاهق العمارات ؟!

ما ذلك الانتحار الجماعى .. بالألف يخلصون على أنفسهم ، شبابا وصبية وأطفالا ؟!

ما قهر البيض للسود والصراع المرير بين الطوائف ، ليس فى جنوب القارة الافريقية بل وفى القارتين المتقدمتين أوربا وأمريكا ؟!

ما هذا العنف الذى يغمر الحى بالدهس والخطف والذبح وارتهان الرهائن والتقتيل فاذا لم يكن ذلك بالقدر الكافى فلتخيله الشاشات الكبيرة والصغيرة للناس ، ولتسكبه فى صدور الرضع والصغار والكبار فى شكل صور متحركة طباعة تفرض نفسها فى البيت بالليل والنهار ؟!

ما كل هذا .. إذا لم يكن بداية للنهاية ، وفضالسامر ، وإيذانا ببساط يطوى ..؟!

لست هنا فى مقام النعى لحضارة الغرب التى غزت المشارق حتى اليابان وذهبت بعقائدها وقيمها أو تكاد ، وقد تكون غزت مجتمعاتنا وظاهرنا ، ولكنها لم تستطع بعد أن تغزو منا الأرواح والأفئدة .

يقينا أن رب المشرق والمغرب ، يريد بنا خيراً . فرغم صلتنا اللصيقة بالغرب ، وارتباطنا الاقتصادى والاجتماعى الوثيق به وأخذنا بحضارته ما يقرب من قرنين من الزمان ، إلا أننا ما نزال حفاظا على ذخيرتنا الروحيه ، لا نسلم فيها أبدا ولا نحكم عليها بالهوان ، حتى ولو كان البديل مركبات وطائرات ومدافع وصواريخ نذود به عن كياننا العدو المتربص . والعدو المتربص ، فيما أحسب لا يبغى الأرض بقدر ما يبغى القهر وتحطيم سلاحنا الروحى الذى لا يريد

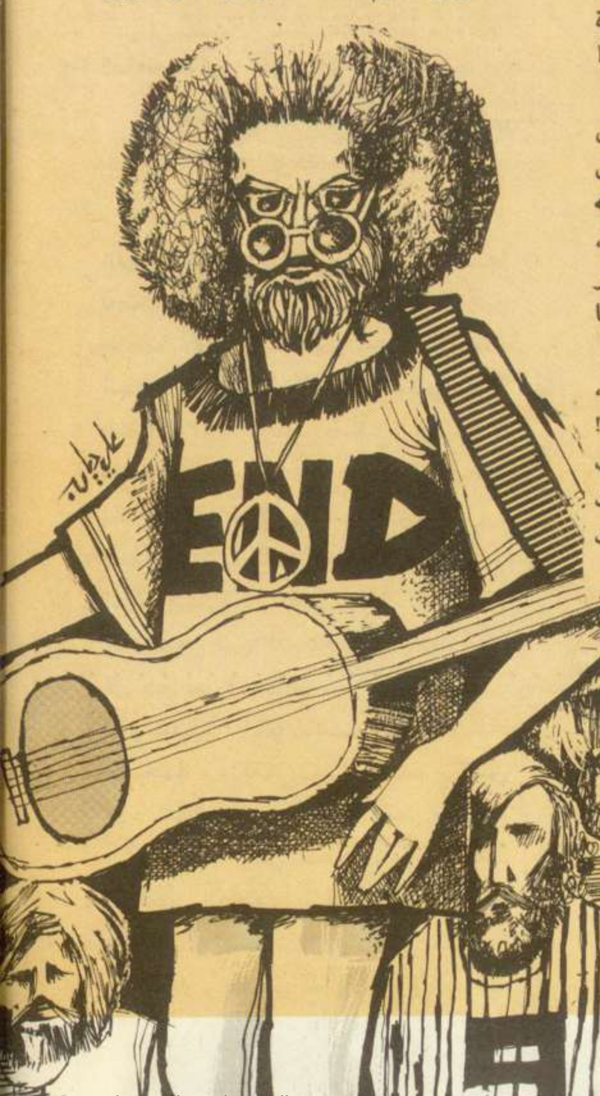

أن ينثنى ، فما انثنى حقبة وراء حقبة ، منذ كان للاسلام دولة ووجود .

كذلك لا يظن أحد اننى وضعت فوق رأسى عمامة الوعاظ والأئمة انما انا أتكلم من موقع آخر مختلف .. من موقع تلك الأدوات التى يطلقون عليها أجهزة الاعلام أو وسائل الاتصال الجماهيرى ، تلك التى تتصل بالناس مباشرة فى كل لحظة وآن ، طريقها نافذ ، لا يقف فى سبيلها حاجز أو مانع ، نافذ الى العقول والأفئدة وقرارات النفوس

من هذا الموقع أخاطب أولئك الذين يحملون فى أعناقهم أمانة الدعوة للدين الحق ، دين التوحيد .

فاذا كانت الدعوة الى سبيل ربك فرضا علينا ..فرضا جليا سويا لا لبس فيه ، أى دون تنكر فى ثوب التبشير ، ودون إكراه ، فلا إكراه فى دين محمد ، فان الأوان فيما نرى قد آن ، لننشر على الملأ -ونبصر بأركان هذا الدين ، وأصوله ، وحقيقته ، ومراميه ، وهذه هى الأدوات الفعالة بين أيدينا . نعم أنعمت بها قدرته على الانسان ، فى هذا الوقت بالذات ، ونحن المسلمين لا تنقصنا الخبرة بها . بل نمارسها وننتفع بها ولعلنا نسرف على أنفسنا باستخدامها فى أغراض الترفيه والتلهية ! أليس من حق إخوة لنا من البشر ، هامت أرواحهم ، وجزعت نفوسهم مستصرخة تنشد السكينة والطمأنينة. أليس من حقهم علينا أن نمد لهم اليد ، يد الهداية الى المرفأ العظيم والملاذ المكين ...

وما أظننى فى حاجة الى التدليل من الكتاب الحكيم بالآيات التى تحض على الدعوة الى سبيل الله . وما أظننى فى حاجة الى أن أبين أبعاد التوحيد ومراميه .

وإذا كان أهل الدعوة عندنا والأوصياء عليها يخصصون الملايين للمبانى والمطبوعات وسيارات القوافل وغيرها من محليات ـ ولهم فى ذلك ثواب ـ فقد يكون أيضا من سبل البر أن نخصص حصة لاغاثة الحيارى ، وهديهم الى دين التوحيد . التوحيد فى هذه الحقبة التى نعيشها ونعاصرها ليست مجرد كلمة تقال ، ولكنها بينة المعنى والمغزى والحتمية ، والحيرة أيضا ليست كلمة نرددها بل هى حقيقة واقعة ملموسة ، ومسألة تشغل أذهان المفكرين والفلاسفة والأوصياء على حضارة الغرب ، ومنهم من يتطلع بالفعل للاسلام ويعكف على دراسته ، بل إن شخصيات لها وزنها وأعدادا لها دلالتها ، من سماح الفكر والمتنورين فى الغرب آمنوا بالاسلام واعتنقوه دينا .

كل الظروف ـ يا أمناء الدعوة ـ مواتية ، مثل هذه المهمة فيما أرى تضطلع بها دول المسلمين عامة ، وللمسلمين هيئات ومؤسسات ومنظمات ومؤتمرات وجامعات واتحادات إذاعات ، لا أحسب الناس قد لمسوا بعد فعاليتها فى مجال الدعوة غير المحلية . بل لعل لأهل الدعوة مواقف غريبة تعز على الأفهام . فلقد جاءك نبأ تلك الأفلام التى انتجها أفراد غيورون على الاسلام ، تكشف عن بعض الجوانب المضيئة فى الاسلام ، وعرضوها فى بلاد الغرب حيث لقيت استجابة وتقبلا . ولكن بدل أن يعينها ويدعمها أهل الدعوة وقفوا منها موقف الرافض المعادى ؟!

ما يزال بعض الناس من أهل المسئولية الاعلامية الاسلامية ينظرون الى أجهزة الاعلام العصرية نظرة مشوبة بالحذر ، فالسينما والتلفزيون فى نظرهم ، موضع شبهة وارتياب ، ولكن هذه الأجهزة ـ لو يتدبرون ـ مثلها مثل الكتاب ، يحمل الحكمة والفضيلة كما يمكن أن يحمل بين طياته الفجور والكفر . إن هى إلا وسائط يسخرها المرسل كما يشاء من رسائل ، كالاناء تسكب فيه السم أو تسكب فيه الشراب الطهور ، اذا كان التلفزيون ـ أو الفلم ـ يعرض العرى والفجر والمراقص فهو أيضا يعرض تلاوة الذكر الحكيم وشعائر الصلاة ومناسك الحج ليس للأداة ذنب فيما تسف ، إنما الذنب ذنب من يستخدمها .

أليس من العجيب إذا أن نحرم الدعوة من هذه الأجهزة الخارقة التى أنعم الله بها علينا ، مؤثرين أدوات تقليدية نقلية غير ذات أبعاد أو فعالية ؟!

هذا العصر الذى نعيش فيه يسمونه عصر التلفزيون ، ويسمونه عصر الأقمار الصناعية ، ويسمونه عصر الاتصال . خاسر ذلك الداعية الذى يتجاهل هذه الوسائط الالكترونيه التى يتعذر عليك أن تجد واحدا من البشر لا يتعامل معها بشكل أو بآخر . عما قريب سيكون التلفزيون العالمى حقيقة واقعة ، بحيث يستطيع أن يبث عن طريق الأقمار الصناعية مباشرة الى أجهزة الاستقبال فى المنازل من لندن وباريس ومكة وموسكو والقاهرة وروما الى جميع أنحاء الدنيا . فهل أعددنا لهذا اليوم عدته ليؤدى فريضة الدعوة ؟

منذ بضعة أعوام عقد فى لندن مهرجان اسلامى عرض فيه المسلمون فنونهم ، وخطب فيه دعاة المسلمين . قال محمد عبده يمانى كلمة مر عليها الناس مر الكرام ، ولكنها تحمل فى طياتها حقيقة عميقة ناصعة قال .. نحن المسلمين لا نقدم للعالم النفط فحسب فنحن نملك ما هو أغلى وأثمن من النفط ، نملك كنز الاسلام . يا لها من قولة صادقة بليغة ! ولكن ...

الى متى يظل هذا الكنز ـ يا أمناء الدعوة ـ مغلقا بالضبة والمفتاح .. فى حين تظمأ نفوس البشر وتهفو أرواحهم اليه ؟!

لا مراء فى أن الاسلام ، إذا حققنا رسالته التوحيدية حقيق به أن يبعث فى حياة المجتمع البشرى قيم الحقبة الاسلامية الأولى ، بما انطوت عليه من توحد وتماسك وعدالة وتعاطف وسماحة وكرامة ، وشجب للعدوان ، وبعد عن التعصب وإنكار لتلك السبل الدموية التى تسلكها الايديولوجيات المتصارعة ، تلك التى تغمر ساحة المجتمع الانسانى بالقرب منا خاصة فى القارتين اللتين ننتمى اليهما وهما افريقيا وآسيا .. فهل لدينا العزم والثقة ..

وهل يستجيب الدعاة لفريضة فرضت عليهم وأمانة وضعت فى أعناقهم ..

هل يجمعون صفوفهم ويسخرون طاقاتهم وعقولهم لتحقيق هذه الغاية العظمى ؟

محمد فتحى

الدراسات الإعلامية العربية فى أزمة

د . فاروق ابوزيد

● أبرز مظاهر الأزمة التى تعانيها الدراسات الإعلامية العربية هو ذلك النقص الشديد فى أعضاء هيئة التدريس

● العديد من المعاهد الإعلامية العربية تفتقد وجود نظرية واضحة

اربعون عاما مضت على قيام أول معهد علمى أكاديمى لتدريس الاعلام فى الوطن العربى .

واليوم يوجد ستة عشر معهدا أكاديميا للتدريس الاعلامي فى عشر دول عربية . ورغم ذلك فمازالت الدراسات الاعلامية العربية تعانى من أزمة شديدة ! هذه الأزمة لا تقتصر مظاهرها على النقص الملحوظ فى اعضاء هيئات التدريس أو فى تخلف المناهج أو فى قلة مايصدر من بحوث ودراسات .. وإنما تمتد مظاهر هذه الأزمة لتشمل ايضا غياب أى شكل من أشكال التنسيق أو التعاون بين هذه المعاهد الاعلامية وبين أجهزة الاعلام فى الدول العربية التى توجد بها تلك المعاهد . وهو الأمر الذى يظهر تلك المعاهد وكأنها تعمل فى فراغ . ويكفى أنه فى الوقت الذى تشكو فيه أجهزة الاعلام العربية من ندرة المتخصصين فى الاعلام .. نجد العديد من خريجى المعاهد الاعلامية العربية يعملون فى غير تخصصاتهم . !

النشأة .. أجنبية

إن تاريخ الدراسات الاعلامية العربية يبدأ عام ١٩٣٩ عندما صدر قرار من جامعة القاهرة بانشاء معهد التحرير والترجمة والصحافة كدراسة تابعة لكلية الآداب بالجامعة .. ولكن الدراسة لم تبدأ فعلا فى هذا المعهد إلا فى عام ١٩٤٠ وقد توقفت الدراسة بهذا المعهد فى عام ١٩٥٤ حينما أنشىء قسم الصحافة التابع لكلية الآداب .

وفى عام ١٩٧٠ الغى القسم بعد أن تم انشاء معهد الاعلام والذى تحول عام ١٩٧٥ الى كلية للاعلام . وقد ظلت الدراسات الاعلامية قاصرة على مصر حتى بداية الخمسينات حيث بدأت الدراسات الاعلامية تمتد الى بقية البلاد العربية فاقيمت الدراسات الاعلامية الأكاديمية فى كل من تونس والجزائر ، والسودان ، والعراق ، ولبنان .. ثم امتدت بعد ذلك الى المملكة العربية السعودية ، وليبيا .. وفى العام الماضى بدأت أول دراسة إعلامية فى جامعة العين بدولة الامارات العربية المتحدة . وفى هذا العام دخلت الدراسات الاعلامية جامعة قطـر . وهناك تفكير جدى فى إدخال الدراسات الاعلامية فى كل من الكويت والصومال .

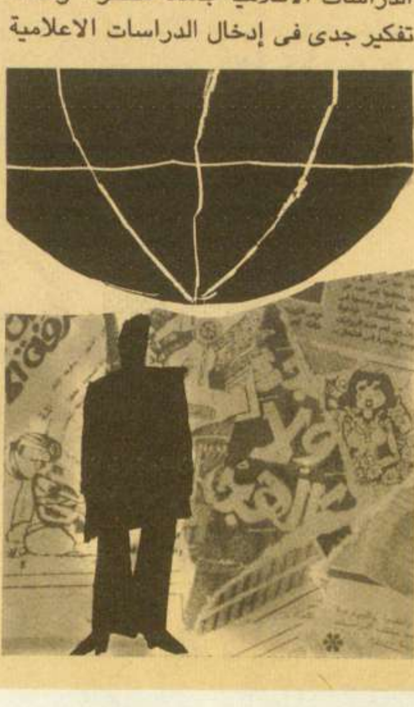

إن عمر الدراسات الاعلامية العربية اربعون عاما باعتبار أن معهد التحرير والترجمة والصحافة هو أول معهد عربى أكاديمى لتدريس الاعلام فى الوطن العربى ولكن من الضرورى أن نعترف بأن العالم العربى قد عرف الدراسات الاعلامية الأكاديمية قبل انشاء هذا المعهد بخمس سنوات أى فى عام ١٩٣٥ وذلك عندما انشأت الجامعة الأمريكية بالقاهرة قسماً للصحافة وقد ظل هذا القسم قائماً حتى عام ١٩٥٤م .

● نقص الاساتذة !

إن ابرز مظاهر الأزمة التى تعانيها الدراسات الاعلامية العربية هو ذلك النقص الشديد فى أعضاء هيئة التدريس .. ولكى ندرك فداحة هذا النقص يكفى أن نعلم أن كلية الاعلام بجامعة القاهرة لايوجد بها سوى ستة عشر عضوا من أعضاء هيئة التدريس منهم ستة أعضاء معارون الى الجامعات العربية .. ! وأنه لا يوجد بهذه الكلية سوى عضو واحد بدرجة استاذ وهو يشغل فى نفس الوقت منصب وكيل الكلية .. وهناك ستة اعضاء بدرجة مساعد والباقون بدرجة مدرس .. فى حين أن الكلية تضم دراسة لمنح البكالوريوس .. وأخرى لمنح دبلوم عالى بالاضافة الى كونها الكلية الوحيدة فى العالم العربى التى تمنح درجتى الماجستير والدكتوراه .. ويزيد عدد طلبتها عن الفين ! بل أن الصورة تزداد قتامة حين نعرف أن قسم الصحافة والاعلام بجامعة الأزهر ليس به سوى استاذ واحد ! . وأن قسم الصحافة بجامعة اسيوط ليس به سوى أستاذ مساعد واحد ومدرس واحد !

وإذا كان هذا هو حال الدراسات الاعلامية فى مصـر ولها أربعون عاماً من الخبرة فى التدريس الاعلامى .. فكيف نتصور الوضع فى بعض البلاد العربية

وبعضها لم يمـض على إنشاء الدراسات الاعلامية به سوى بضعة أشهر !

إن العديد من معاهد وأقسام وشعب الاعلام فى بعض الجامعات العربية لا يضم أكثر من عضو تدريس واحد متخصص فى الاعلام ! بل أن بعض هذه المعاهد يعتمد كلية على (المتعاقدين) من الخارج لعدم وجود الأستاذ المتخصص . والأخطر من ذلك أن التوسع فى إنشاء الدراسات الاعلامية فى الجامعات العربية ألجأ الكثير من الجامعات الى تغطية النقص فى أعضاء هيئة التدريس المتخصصين عن طريق الاستعانة بالعديد من رجال الاعلام (الممارسين) ورغم الفائدة الكبرى التى يمكن أن تجنيها الدراسات الاعلامية من الممارسين إلا أن كثيرا منهم يفتقد المواصفات الخاصة المطلوبه فى التدريس الأكاديمى .. إذ أن الخبرة العملية شيء .. والعمل الأكاديمى شيء آخر فلكل منهما متطلباته الثقافية والمنهجية .. وفى حين يصلح الممارس للتدريب المهنى .. فانه غالباً ما يعجز عن الوفاء بمتطلبات الدراسة الجامعية الأكاديمية .

● قلة البحوث والدراسات !

ولقد ترتب على النقص الشديد فى اعضاء هيئات التدريس وما يستتبع ذلك من ضيق وقتهم وإزدحامهم بالمحاضرات والانتدابات والاعارات .. ترتب على ذلك قلة مايوضع من كتب ومؤلفات وندرة البحوث والدراسات .

ولكن هذا النقص لا يجب أن يجعلنا ننسى بعض ما قدمه رواد الدراسات الاعلامية العربية من مؤلفات قيمة وخاصة ماقدمه الرعيل الأول ، والثانى من أساتذة الاعلام .. حيث يبرز من الرعيل الأول مؤلفات الأستاذ الدكتور ابراهيم عبده فى تاريخ الصحافة العربية ، والدكتور عبد اللطيف حمزة فى فن التحرير الصحفى .. ومن الرعيل الثانى تبرز مؤلفات الدكتور خليل صابات فى تاريخ الصحافة والطباعة العربية وفى تاريخ وسائل الاتصال ، والدكتور احمد حسين الصاوى فى فن الاخراج الصحفى ، والدكتور ابراهيم امام فى فن العلاقات العامة والفنون الصحفية ، والدكتور حسنين عبد القادر فى وسائل الاعلام ، والدكتور مختار التهامى فى الرأى العام والاعلام الدولى . والدكتور نجيب أبو الليل فى تاريخ الصحافة .

ورغم القيمة التاريخية والعلمية لهذه المؤلفات إلا أن كثيرا منها غلب عليه الطابع المدرسى الذى ينقل المعارف الاعلامية الغربية الى الطالب العربى .. لذلك فقد ظل أكثرها أسير المفاهيم الغربية وخاصة المفاهيم الأوربية والأمريكية للأعلام . ولم يمتد جهد هؤلاء الأساتذة الى الواقع الاعلامى العربى لادراك خصوصياته واستنباط القوانين والنظريات الاسلامية الملائمة له .

● تعدد المناهج !

ومن بين مظاهر أزمة الدراسات الاعلامية العربية تخلف مناهج هذه الدراسة وتعددها من جامعة الى أخرى .. وقد يرجع التخلف فى بعض المناهج وجود اساتذة لكثير من التخصصات الاعلامية وإما لسيطرة نظرة معينة على تخطيط هذه المناهج . كذلك لا يوجد اتسـاق بين مناهج الدراسات الاعلامية فى الجامعات العربية ككل . فهناك جامعات تقتصر على دراسة الصحافة فقط ، وهناك جامعات أخرى تضع مناهج تضم دراسة العلاقات العامة والاعلان والاذاعة والتليفزيون بجانب دراسة الصحافة .

كذلك فالعديد من المعاهد الاعلامية العربية تفتقد وجود نظرية واضحة للدراسات الاعلامية وإذا وجدت هذه النظرية فغالبا ما يشوب تطبيقها قصور شديد .

● مظاهر أخرى للأزمة

وللأزمة الدراسات الاعلامية العربية مظاهر أخرى قد لاتقل فى أهميتها عن المظاهر الثلاث السابقة .. فى مقدمتها عدم الاهتمام باللغات الأجنبية .. بل أن نسبة كبيرة من طلبة الاعلام العرب يعانون ضعفا شديداً فى اللغة العربية ذاتها .. !! وهناك أيضا قلة الاهتمام بالتدريب العملى للطلاب وقد يعود ذلك الى عدم توفر المعامل والأجهزة العلمية فى كثير من المعاهد الاعلامية العربية .. إذ لا يتصور إمكانية تقديم تدريب عملى « معقول » لطالب الاعلام دون أن يكون بالمعهد معمل للتصوير ، ومعمل صحفى ، واستوديو إذاعى ، واستديو تليفزيونى ! فاذا لم تتوفر هذه الأجهزة بالمعاهد الاعلامية فلا مفر إذن من تدريب الطلاب فى أجهزة الاعلام فى البلد الذى يقوم فيه المعهد كالصحف والاذاعة والتليفزيون ومن الضرورى أن نعترف أن التجربة العملية للتدريب فى هذه الأجهزة قد أكدت عدم جدواها تماما .. حيث لا يأخذ التدريب بالجدية الكاملة لا من المسئولين فى تلك الأجهزة ولا من جانب الطلاب أنفسهم .. فالعملية لا تزيد عن مجرد زيارات للتعارف .. لا أكثر .. ولا أقل !

● للأزمة .. حل

إن هذه الأزمة ليست مستعصية على الحل وإن كان من الضرورى أن نميز بين حلول عاجلة .. وأخرى آجلـة .

الحل العاجل هو الا تفكر أية جامعة عربية فى إنشاء دراسة إعلامية إلا بعد أن تستكمل لها المقومات اللازمة .. اى العدد الكافى من أعضاء هيئة التدريس والمعامل والأجهزة والمكتبة المناسبة .

ومن الحلول العاجلة أيضا إنشاء دورية إعلامية متخصصة . وأن تقوم المعاهد الاعلامية بدور فعال فى تشجيع أعضاء هيئات التدريس على التأليف فى مجالات الاعلام المختلفة سواء بطبع هذه المؤلفات فى مطابع الجامعات أو عن طريق المؤسسات الرسمية فى الدولة أو عن طريق الدعم المادى للأساتذة مقابل ما يضعونه من مؤلفات وأبحاث .

وأما الحلول التى يمكن أن تتم على المدى البعيد فهو ضرورة الاهتمام بتكوين الكادر العلمى الكافى من أعضاء هيئات التدريس والطريقة الوحيدة الفعالة هى تعيين أكبر عدد من المعيدين وتوفير الظروف الكافية لاستكمال دراساتهم العلمية للحصول على الماجستير والدكتوراه سواء بالتفرغ للدراسة بالداخل أو ارسالهم فى بعثات الى الخارج .

د. فاروق ابوزيد

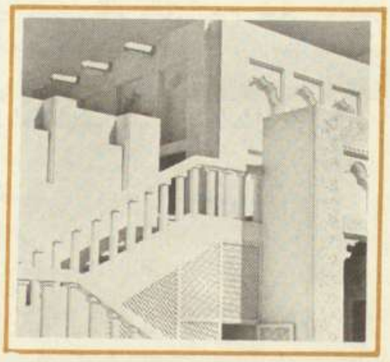

٩

في ذكرى الاستقلال التاسع

وجه دولة على طريق العصر

انطلاق الإنسان القطرى لبناء المجتمع الصناعى واستثمار موارد الأرض الطبيعية

الأهداف الكبيرة والأحلام التى لا تعرف المستحيل من أجل بناء الدولة العصرية

تسع سنوات مضت منذ ان اعلنت دولة قطر استقلالها التام وسيادتها الكاملة على اراضيها ، ومضت تشق طريقها فى قوة وعزم لتحتل مكانها المرموق كمنارة للتقدم والعمران ..

وبعد هذه السنوات الغالية فى تاريخ الأمة ، اصبحنا نرى النهضة الشاملة فى كافة ميادين السياسة والاقتصاد والصناعة والثقافة وغير ذلك من المجالات الحيوية الاخرى ، التى جعلت العالم كله ينظر الى إنجازات الدولة بمزيد من التقدير والاهتمام .

ولقد انطلقت الدولة -عقب الاستقلال- بقيادة أميرها المفدى وباعث نهضتها سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، لتحقيق أهدافها الكبيرة وأحلامها التى لاتعرف المستحيل من اجل بناء الدولة العصرية .. مؤمنة بضرورة إعداد الانسان القطرى وإعطائه كل فرص العلم والحياة والنجاح .. منطلقة من ذلك الطموح النبيل الذى يدفعها الى بناء المجتمع الصناعى واستثمار موارد ارضنا الطيبة على أحسن وجه ، لتستمر حضارتنا عظيمة وأصيلة ، ولتتوفر لنا كل أسباب المنعة والقوة ..

فعلى الصعيد الداخلى وجدنا التركيز على الطاقة البشرية ، ليرتفع على اكتافها كل مانحلم به من تطور وارتقاء ، منذ بدا إعداد هذا الجيل من الشباب على ركيزتين أساسيتين : التراث الأصيل بكل قيمه ومثله العليا ، ومعطيات العصر بكل ما فيها من رؤيا مستقبلية وانتصارات علمية عظيمة إلى ان بدانا نرى الكوادر القطرية الواعية المرتبطة بمجتمعها والتى تبذل العرق والجهد من اجل دعم المسيرة المباركة فى البلاد ..

ورأينا الى جوار اهتمام الدولة بالزراعة وتنمية الموارد المائية والتجارة والرعاية الصحية والاجتماعية ، اهتمامها البالغ بتنويع مصادر الدخل ، واستخدام عائدات النفط وثروة الغاز الطبيعى فى بناء الصناعات الثقيلة والخفيفة ، وبناء المجتمع الصناعى القائم على التخطيط والعلم والدراسة ، لتظهر الى الوجود صناعات هامة فى مقدمتها الحديد والصلب والأسمنت والسماد والبتروكيماويات وتسييل الغاز وغير ذلك من الصناعات التى حققت ارقاماً قياسية فى الانتاج واصبحت قاعدة لانطلاقنا نحو الموقع المتقدم الذى نرجوه لبلادنا بين دول العالم ..

وعلى الصعيد الخارجى ، استطاعت دولة قطر أن تحظى باهتمام العالم كله وتحتل مكانتها العالية بين الأمم ، لالتزامها بمبادىء الاسلام والعروبة ، ولحرصها المستمر على مصالح شعبها والمصالح الاقتصادية العالمية ، ولدعمها المستمر للارتباطات الاسلامية والعربية والخليجية ، وتوطيدها لعرى الصداقة مع جميع الدول والشعوب المحبة للسلام ، والتزامها بمبادىء الامم المتحدة التى تدعو الى تدعيم حق الشعوب فى تقرير مصيرها وإنماء التعاون الدولى بينها لخير البشرية جمعاء ..

إن خطوات دولة قطر فى إنطلاقتها العظيمة بقيادة سمو أمير البلاد المفدى خلال السنوات التسع المجيدة منذ ذكرى يوم الاستقلال ، إنما تؤكد على مسيرة الخير ، أهمية الانجازات التى تمت فى الداخل ، والدور البناء الذى تقوم به فى الخارج من أجل رفاهية وإزدهار الأسرة الدولية وتحقيق مصالحها المشتركة .

« الدوحة »

حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى

سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع

٩

وجـــه دولـــــة على طـــــريق العـصــر

المجتمـــع الصناعـــى

.. ان طموحنا هو بناء المجتمع الصناعى فى قطر حتى نحقق المصادر البديلة للدخل من النفط .. وكذلك اننا نعتبر الأجيال المقبلة امانة فى عنقنا ولن ندخر جهدا فى سبيل تحقيق هذا الأمر ، الا اننا نصر على أن يكون اقتصادنا ثابتا ، لتطوير بلادنا على أسس متينة ، ومن هذا المنطلق ، وضمن هذا الاطار ، نتحرك وثقتنا كبيرة بانالله سبحانه ، سيكتب لمساعينا النجاح فى خدمة هذا البلد العربى ، واننى اعتبر ان كل ما تحقق ، ولو كبير ، هو انجاز مرحلة فى دولة كدولة قطر ، لا تؤمن بنهاية الاصلاحات والانجازات .

من كلمـــات سمو أميــــر البـــــلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى

مسيرة التصنيع وتخطى الأرقام القياسيّة

الدولة لا تالوا جهدا فى البحث عن البدائل لدعم مسيرة التنمية بما يتناسب وتنويـــع مصادر الدخل ، حتى لا يظل البترول مصدراً وحيداً للدخل فى البـــــلاد .

ويأتى التصنيع فى مقدمة هذه البدائل .. كقاعدة صلبه تمكننا من المحافظة على ثرواتنا .. وركيزة اساسية لبناء مستقبل مشرق لأبناء قطـر باذن اللــــــه ..

ولبناء المجتمع الصناعى القائم على التخطيط والعلم والدراسة ، انشىء المركز الفنى للتنمية الصناعية حتى يؤدى دوره فى القيام بدراسة خطط التنمية الصناعية للدولة بما يتلاءم مع الموارد والاحتياجات ، هذا بخلاف مهامه الأخرى المتعلقة بالتخطيط لتوفير القوى العاملة للمشروعات ، وخطط التدريب ، وتوفير الخدمات والمرافق الأساسية المتعلقـة بالصناعـة ، ومتابعة التنسيق مع اجهـزة الدولة ..

وبعد دراسات وأبحاث شاملة ، اصبح اليوم فى دولة قطر عدة مشروعات صناعية هامة ، فقد انتهت الدولة من تنفيذ معظم خطة التصنيع الثقيل ، وهى تنتقل اليوم لوضع خطة انشاء الصناعات الخفيفة والمتوسطة وتطوير الصناعة الثقيلة ..

فمن بين الصناعات التى حققت ارقاما قياسية فى الانتاج ، مصنع الحديد والصلب الذى وصل انتاجه الى ٤٠٠ الف طن سنويا ، مما حدى بالمسئولين الى التفكير فى توسعة المشروع ومضاعفة الانتاج . وفى مجمع الأسمدة الكيماوية تم تخطى الأرقام القياسية للانتاج حيث وصل فى نهاية عام ١٩٧٩ الى ٣٧١ الف طن من الأمونيا و٤٩٧ الف طن من اليوريا .. وفى مصنع الأسمنت وصل الانتاج الى ٣٠٠ الف طن وبعد إضافة فرن جديد سيرتفع الانتاج الى ٦٠٠ الف طن .

٩

وجه دولة على طريق العصر

إعداد القدرات العالية

ان التنمية الشاملة التى ننشدها لمجتمعنا العربى الاسلامى تتطلب ، فى عصرنا الذى تقوم حضارته على العلم ، الأخذ باسبابه فى كل الميادين وفى سائر جوانب الحياة . ولا ريب ان هذا المطلب يضع مسؤولية كبيرة على عاتق التعليم الجامعى فى بلادنا جميعا لانه المنوط فيها بتكوين الكفاءات العلمية اللازمة للمعاونة على تحقيق تلك التنمية . ويزيد فى اهمية تلك المسؤولية انه اصبح من الضرورات الحتمية ان نضع حداً لقصر اعتمادنا ، فى نقل العلم والتكنولوجيا الحديثة الينا ، على العقول الاجنبية . وان الاوان لبذل قصارى جهدنا للعمل على اعداد قدرات عالية من بين ابناء مجتمعنا العربى الاسلامى للمشاركة ، فى تنمية هذا المجتمع على نحو يؤمن له افضل صور الحياة العصرية المتطورة ، وفق مبادىء ديننا الحنيف الذى نستمسك كل الاستمساك باهداب تعاليمه السامية ونعتز كل الاعتزاز بقيمه الرفيعة وبمثله العليا النبيلة .

من كلمات سمو امير البلاد
فى حفل تخريج الدفعة
الرابعة من جامعة قطر

التنمية البشرية

إذا كانت الطاقة الاقتصادية ركيزة هامة لقوة الدولة ، فان الطاقة البشرية هى الدعامة الأساسية التى يرتفع على أكتافها كل ما نحلم به من تطور وارتقاء ..

وقد احتفلت دولة قطر فى هذا العام بعيد العلم التاسع عشر الذى يمثل رمزا لتكريم العلم والمعرفة ، وبناء الركيزة البشرية الأساسية للتنمية ودفع عجلة التطوير فى البلاد ..

وبالطبع فان هذه السياسية الشمولية المتكاملة المتوازنة تحقق اهدافها بكل كفاية وقدرة وفعالية ، خاصة وان الدولة رصدت فى هذا العام اضخم ميزانية تربوية فى تاريخ البلاد ، إذ بلغت ٧٦٩ مليون و٤٢٤ الف ريال قطرى .

هذا وقد وصل عدد الطلاب فى مراحل التعليم الابتدائى والاعدادى والثانوى عام ٧٩/١٩٨٠ الى ٣٨ الف طالب وطالبة وعشرة طلاب ، بزيادة عن العام الماضى بلغت الفين و ٣٥٠ طالبا وطالبة ..

وقد استطاعت الجامعة القطرية خلال الاعوام الماضية ان تتشعب فى برامجها ، وتتشعب فى نوعيات خريجيها فى كلياتها الاربع : كلية التربية، كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، كلية العلوم ، وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية .. وفى العام الدراسى القادم تبدا كلية الهندسة نشاطها العلمى بعد استكمال الاجراءات الخاصة بانشائها ..

إن جامعة قطر استوعبت هذا العام ١٢١٠ طالبا وطالبة .. بينما التحق بالجامعات العربية والأوربية والأمريكية ١٢١٢ طالبا وطالبة .

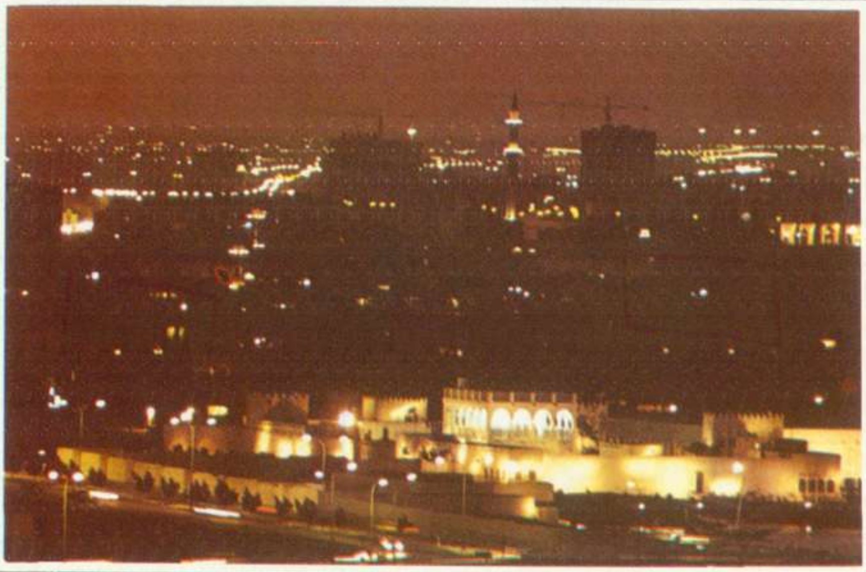

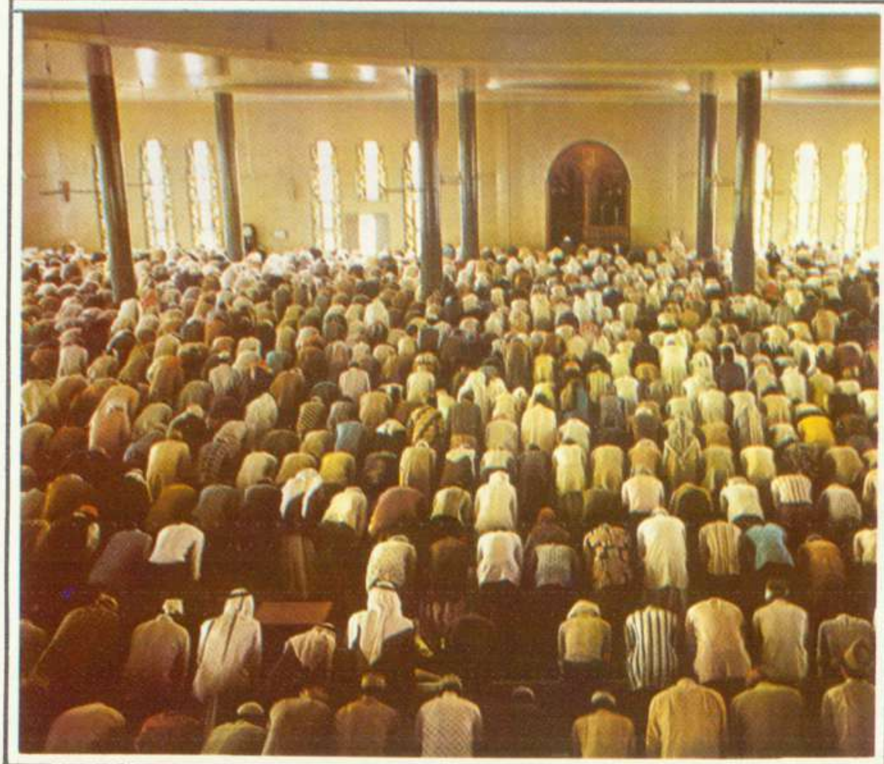

● الطاقة البشرية دعامة الحاضر وأمل المستقبل فى مسيرة التقدم

● فى العام الدراسى القادم تبدأ كلية الهندسة نشاطها العلمى

٩

وجه دولة على طريق العصر

أسلوبنا في التحديث

نحن هنا في قطر لنا سياستنا المرسومة على أساس وجوب تحقيق نهضتنا الشاملة بالتدرج الهادف الواعي الذي تتطلبه طبيعة مجتمعنا وواقع ظروفنا وحقيقة حاجاتنا وقدراتنا .. ومع اقتناعنا بوجوب العناية كل العناية بالاستجابة لمتطلبات التحديث لمسايرة ضرورات عصرنا ، فاننا نؤمن في ذات الوقت بوجوب أن يلتزم أسلوبنا في التحديث بمقتضيات الولاء لقيمنا التراثية الاسلامية السامية والتمسك بمثلنا العربية التقليدية الرفيعة حفاظا على أصالتنا الدينية وصونا لمميزات شخصيتنا القومية» ..

من حديث لسمو أمير البلاد المفدى إلى صحيفة «لوموند» الفرنسية

نحو مستقبل أفضل

إذا كانت الصناعة والتجارة هي الهدف الأسمى في التنمية ، فان الزراعة والآمال المبنية على تطويرها جعلت الدولة توجه اهتماماً كبيرا لزيادة الرقعة الزراعية ، خاصة وان مايزرع في البلاد وصل الى حوالي سبعة الاف هكتار ، بينما الأرض الصالحة للزراعة تصل الى ٢٨ ألف هكتار ..
ولهذا فان كل الجهود موجهة الى اقامة مزارع التجارب لدراسة وتحسين الانتاج الزراعي ، وزيادة مصادر المياه العذبة ، ومد شبكات الرى

ومن اجل حياة افضل للمواطن القطري ، فان الخدمات الاجتماعيةتلعب دورها البارز لتحقيق كافة الضمانات للمواطن .. فالرعاية الاجتماعية ، وتحسين مستوى المعيشة ، وتوفير الامن للمواطن كل تلك الأهداف وغيرها ، تتحقق اليوم في المجتمع بصورة واضحة ..
وتعمل الدولة على توفير الرعاية الصحية لكل مواطن ولكل مقيم في البلاد بالمجان ،

ويقوم الاعلام القطري بدوره البارز في مواكبة النهضة الشاملة ، منطلقا من القيم والمبادىء الاسلامية ، وبوحي من الرسالة الحضارية التي توجه التطلعات المستقبلية في البلاد ..
وقد واكب النهضة الاقتصادية والاجتماعية حركة عمرانية شملت كل البلاد ..

واصبحت مدينة الدوحة كعاصمة ملتقى لكبار رجال الأعمال والاقتصاد والزوار ، واصبحت تعقد فيها اهم المؤتمرات والندوات
وهكذا نرى ان دولة قطر وهي تحتفل بعيد استقلالها التاسع ، انما تحتفل بانجازاتها الكبيرة في كافة المجالات

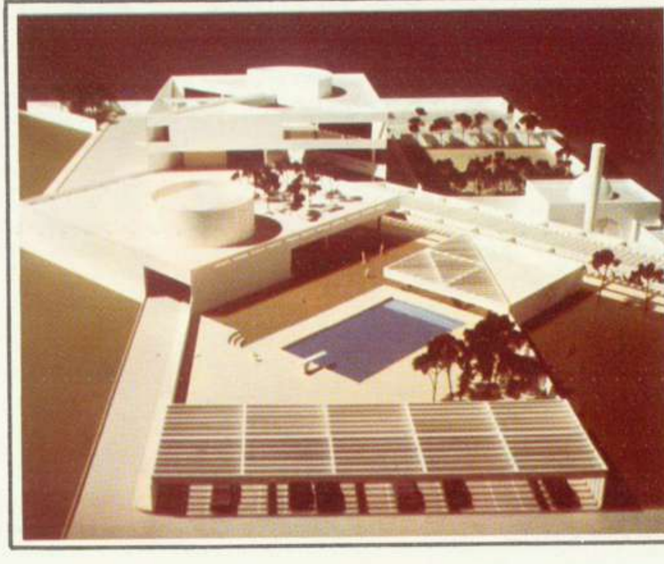

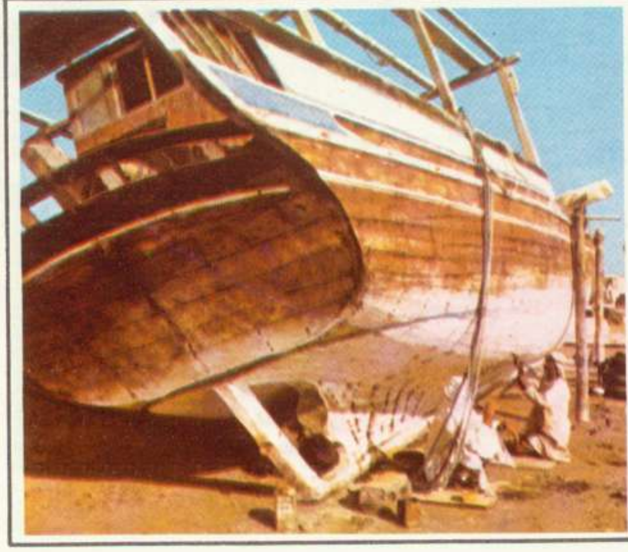

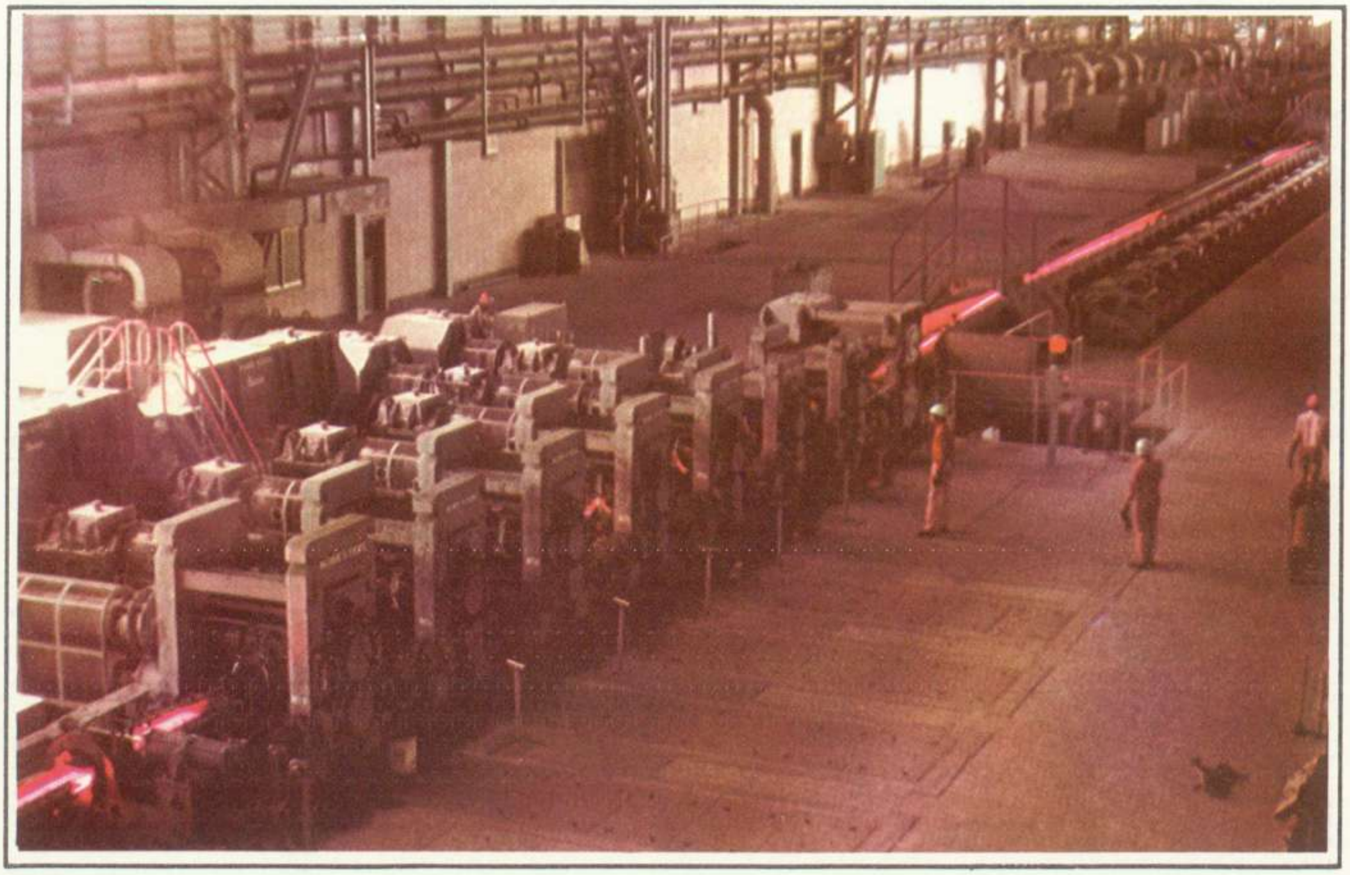

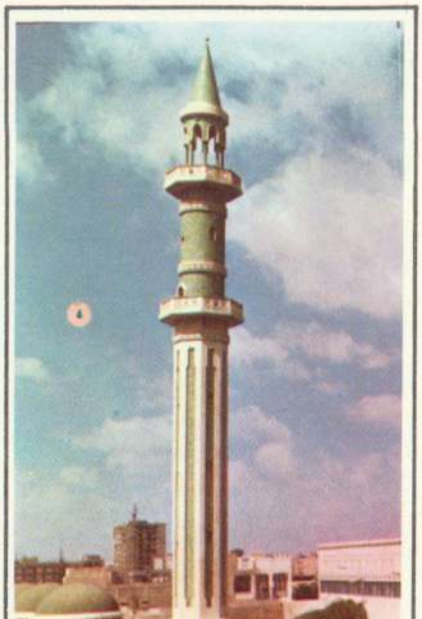

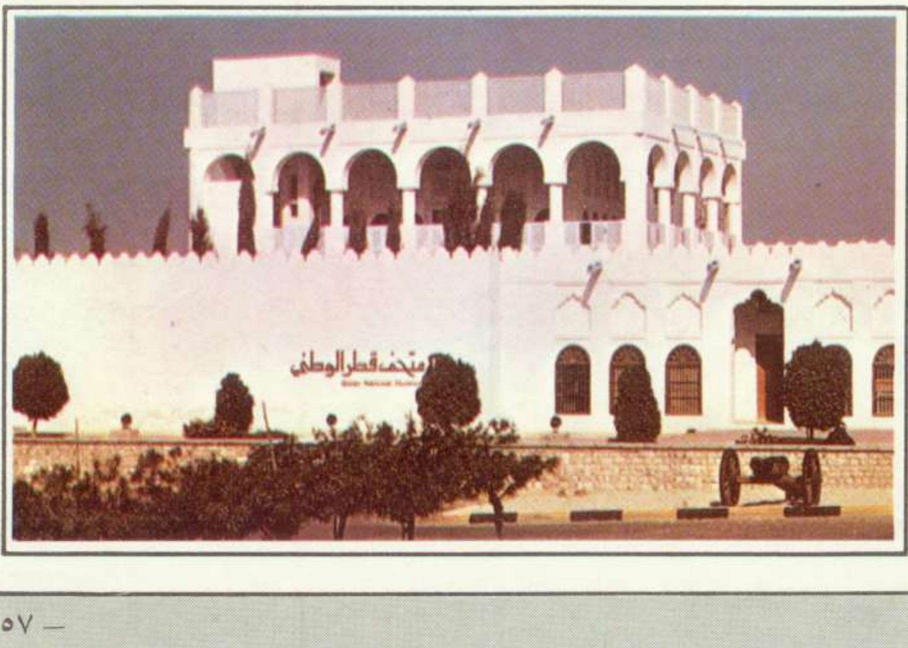

استراتيجيّة الإعلام القطري
تسعى إلى تحقيق الحضور
الكامل على الساحات الدوليّة

يوســـف أحـــمد

معارض الهواء الطلق فى قطر؟

صبابة الشاى . حسن الملا

الوضوء . محمد على

جانب من المعرض الأول للرسامين الثلاثة فى مدينة الخور

طبيعة صامتة . يوسف أحمد

● لماذا ننسى أن المجتمع القديم مارس الفنون التشكيلية بكل أنواعها؟
● المناقشات التى دارت بيننا وبين أهالى مدينة الخور حول السفن القديمة

اى حركة تشكيلية حديثة فى أى بقعة من ارجاء اى مجتمع حديث التكوين مثل المجتمع القطرى ، تلاقى دائما صعوبات فى التغلغل داخل هذا المجتمع للتعبير عن معاناته اليومية واستيعاب المجتمع نفسه لهذه المعاناة .. خاصة وان المجتمع القطرى اليوم وهو يمضى فى حركته نحو الامام فى حاجة الى تنمية للمشاعر والاحاسيس التى يعززها الفنان القطرى سواء فى مجال الفنون التشكيلية او فنون الموسيقى او الشعر او غير ذلك من الفنون التى تعتبر غذاء هاماً للنفس والروح .

وقد نجد بعض ابناء هذا المجتمع فى خضم ما يتوفر لهم من وسائل وما لديهم من امكانيات مادية ، ينسون ان المجتمع القديم قد مارس الفنون باشكالها وانواعها بما فيها الفنون التشكيلية ، فمن منا لم يعرف ان اجداده مارسوا الحفر على الأبواب والخشب ، وزينوا جدران بيوتهم بالزخارف الاسلامية والخطوط العربية ، وصمموا سفن السفر والغوص بحثاً عن اللؤلؤ ، وتفننوا فى الأزياء الشعبية وأدوات الزينة والحلى ، الأمر الذى يجعلنا مطالبين بأن تكون هذه الفنون خلفية طبيعية للتلقى والاستجابة لما يقوم به الفنانون التشكيليون المعاصرون فى قطر .

فالواضح ان حركة المعارض الفنية فى قطر كانت تسير على روتين ورثناه مع غيرنا من البلاد العربية ، واعتبرنا نموذجه هو النموذج الأمثل .. وكان ذلك الروتين يقتضى حصر المعرض فى قاعة مغلقة ، وقد يكون بعد القاعة او موقعها عاملا من عوامل الفصل بين اللوحات المعلقة وبين الجمهور القطرى ..

ولذا كان لابد من تقريب المسافة .. واحداث حركة تقرب المجتمع من رؤيا الفنان ..ومن هنا بدأت تظهر الى الوجود معارض الهواء الطلق ..

فقد اجتمعت مع اثنين من زملائى الفنانين وهما محمد على وحسن الملا ..

حسن الملا

يوسف أحمد

محمد على

وقررنا ان نصل الى الجمهور بدلا من إنتظارنا وصول الجمهور الينا ..وهكذا ولدت فكرة الأصدقاء الثلاثة فى عام ١٩٧٧ القائمة على أساس عمل معرض فى الهواء الطلق على ان يتم تحديد أكثر الشوارع اهمية وأكثر المناطق التى يتواجد فيها الناس باعداد كبيرة والمناطق الأثرية الهامة مثل سور متحف قطر ، لتصبح تلك المناطق والشوارع معرضا مفتوحا لكل افراد المجتمع ..

ولم نكتف بمدينة الدوحة وحدها ، بل جعلنا التجربة تتجاوز العاصمة وتذهب الى مدن الخور والوكرة ودخان ..

ووضعنا نصب اعيننا فى تلك التجربة محاولة تقريب الفن التشكيلى بمفهومه العميق الى الفرد البسيط ، فركزنا فى موضوعاتنا على الانسان القطرى وظروف حياته ومعيشته اليومية فى قالب فنى متطور .. وزرنا المدن القطرية وعشنا فيها نستلهم اعمالنا حتى تكون مرآة للمجتمع الذى سنقدم له فنوننا ..

ووجدنا التجربة تحقق نجاحاً فى مناطق كثيرة ، حتى ان الأصدقاء الثلاثة عندما عرضوا أعمالهم فى مدينة الخور ، جاء أهل المدينة وخاصة كبار السن منهم ودارت مناقشات حول السفن التى رأوها فى اللوحات والتى استقوها من ميناء الخور القديم ، واستطاع بعض هؤلاء الأهالى التعرف على سفنهم من خلال اللوحات التى قدمت فى المعرض المتنقل

ولم يغفل الأصدقاء الثلاثة وضع خطة لتشجيع الجمهور القطرى على امتلاك اللوحات وتعليقها فى داخل المنزل ، فقد كانت الأسعار رمزية بحيث يستطيع أى هاو اقتناء اللوحة والاحتفاظ بها !

وبعد نجاح تجربة الاصدقاء الثلاثة فى عام ١٩٧٧ اقيم معرضان آخران فى الهواء الطلق ، احدهما فى عام ١٩٧٨ والثانى عام ١٩٨٠ .. أما لماذا لم نر معرضاً فى عام ١٩٧٩ ؟ فان السبب يرجع الى سفرى لدراسة الفنون فى الولايات المتحدة الامريكية وسفر زميلى الفنان محمد على لدراسة الفن بالمملكة المتحدة ..

وفى هذا العام وصلنا فى اجازتنا الصيفية ، والتقينا نحن الأصدقاء الثلاثة لنتفق على إقامة معرض فى الهواء الطلق خلال شهر رمضان المبارك ، واقمنا المعرض بعد تجنب الاخطاء السابقة والذهاب الى القطاعات الرياضية للاستفادة من الجمهور الرياضى ..

والحق اننا بعد اقامة معارضنا الثلاثة فى الهواء الطلق ، اكتشفنا أن الجمهور القطرى لديه رغبة واستعداد للاستمتاع بالفن التشكيلى ، وان الشباب القطرى بالذات يؤمن باهمية اللوحة فى المكتب او المنزل ، ويأتى ايمانه هذا من خلال مشاهداته فى الدول الأوربية والأمريكية وغيرها ، فقد وجد اثناء رحلاته كيف أن اللوحة الفنية تدخل فى الحياة اليومية للانسان هناك ولذا فاننا نتمنى أن نرى اليوم الذى تزين فيه مكاتب موظفى الدولة بلوحات الفنانين فى قطر ..

يوسف احمد

عـايدة الشـريف

من مذكـرات شاهـدة ربـع قـرن

سياحة فى وجدان انسان

- يختلف عن الكتاب السياسيين فى أنه لا يكتب شيئا ويضمر شيئا آخر
- شخصيته لها صفات الضمير .. لا تظهر على السطح وانما تختفى فى الأعماق
- أقوال وأقوال تنم عن الشخصية الدرامية التى يملكها بين جنبيه

عرف الأستاذ توفيق الحكيم كثيرا من الأسباب الخفية التى كانت وراء فشل زيارة سارتر الى القاهرة ، ولكن هذه المعرفة تمت بأثر رجعى واعتقد اننى اسهمت فيها كثيراً وتعرضت فيها الى مشادات ومجادلات طويلة آلمنى فيها كثيرا ، كانت نهايتها مبادرته اللطيفة بمصالحتى بعد ان تاكد من صحتها !!

كنا بعد لحظات التاكد هذه ـ مارس ٦٧ ـ نقرا رسالة صحفية كان قد بعث بها من بلد آسيوى الى جريدة الجمهورية الكاتب محمد عودة . وجلسنا نحلل ما جاء بتلك الرسالة التى وصفها توفيق الحكيم بانها تكشف عن شفافية الفنان المرهف . وهى التى تجعل محمد عودة ينفذ الى حقيقة الأحداث الجارية ويقدر فى اعجاز نتائجها ، وحدسه قلما يخيب .

وساد صمت بعد ذلك ، وفجاة وجدت الأستاذ الحكيم قد سرح خياله متفكرا كعادته ، ثم عاد يسالنى : هل تعرفين من كان باستطاعته إنجاح زيارة سارتر الى القاهرة ؟ استفهمت فى لهفة ؟ فأردف قائلا : إنه محمد عودة .. لقد كان باستطاعته وحده ـ لو انه فى القاهرة ـ ان يستل الرفقه السارترية من ايدى المشرفين وكانوا سيقبلون عن طواعيه ..ثم يحلق بهم الى افاق اكثر جدوى ، كان سياخذهم مثلا الى بلدته حيث يرتدى سارتر الجلباب الريفى «والبلغة» الشهيرة فى قدميه ، ويجلسان معا تحت شجرة جميز ويتحاوران على طريقة عودة الأخاذة عما يعن لهما من موضوعات سيوجهها عودة بذكائه المعهود بحجته وظرفه الى مبتغى الزيارة !!

وافقت على هذه التصورات ـ رغم انها جاءت بعد فوات الأوان ـ واعتبرتها مصالحة لى عبر صديقى محمد عودة ، ذلك ان سارتر بالفعل بمثل ما احب المصريين وجموعهم وحشودهم ، كانت تحدوه دائما رغبة عارمة فى ان يترك فى ربوع مصر بتلقائية الاحساس المباشر والمعرفة المباغته كى يلتقى بالمصريين مواجهة وبلا وسيط ، بدليل انه كان يضيق بشروح المترجمين أثناء زيارته للآثار .. لانه كان يحب ان يتامل وحده ويتلقى الاجابة على كل ما يريد أن يعرف فقط ..

ومن ملامح شخصية محمد عودة بالفعل انه قد يصول ويجول لتوسيع دائرة الموضوع الذى يتحدث عنه ولكنه يبقيه دائما متجها فى تصويب محكم دقيق نحو الهدف الذى يرمى اليه .

تلك لمحة من ملامح شخصية الكاتب المعروف محمد عودة ومدخل اليه :

فمن هو هذا الكاتب الذى كان غيابه فى اقصى الشرق سببا فى فشل زيارة سارتر لمصر فى تقدير توفيق الحكيم ؟ وما هى التركيبة الثقافية والنفسية لمحمد عودة ؟ وهل استمر راى الحكيم من محمد عودة الى يومنا هذا ؟ ولماذا ؟ واين الحقيقة ؟ وما هى ابرز الخطوط السياسية والاجتماعية فى انتاج هذا الكاتب ؟ وما هو راى مثقفينا فيه ؟ وما هو الراى المقابل للقيادات العربية فى هذه الشخصية ؟ وأخيراً رؤيتى الذاتية المتواضعة كشاهدة ربع قرن تلميذة وصديقة لهذا الكاتب الذى وهب حياته لقضايا امته من خلال الكلمة الشريفة والموقف الشجاع ؟

وفى الحقيقة ان محاولة الولوج الى فهم ابعاد شخصية محمد عودة تحتاج الى اكثر من طريق ومسلك ، إذ ان كل هذه المنافذ تلقى شعاعا على جزء من شخصيته العريضة المتعددة الجوانب والأبعاد ، الأمر الذى يفرض الطواف بها جميعاً حتى تتمكن من تركيب جزئيات ومفردات شخصيته الكليه .

لا تناقض

على اننا إذا اردنا تصوير جانب من شخصية محمد عودة للقراء من خلال حكمه على توفيق الحكيم الذى طالما انتشى لكتاباته التى تعرض فيها بالثناء والاعجاب لفنه فستكون الصورة غائمة ، ذلك انه قد اختفت منها اشياء وتجلت اخرى .. حتى لقد اضحت شديدة التناقض ، لدرجة انه ورد لجريدة الجمهورية التى كان عودة يومها (سنة ١٩٧٥) محررها السياسى ، خطاب مفتوح من قارىء ريفى يقول فيه : لقد

محمد عودة

قرات من زمن كتب الفه الكاتب محمد عودة قال فى طياته ان الاستاذ توفيق الحكيم هو الفنان الذى عبرت كتاباته عن ضمير مصر وروحها الوثابة ، ثم قرات اخيراً كتاب «الوعى المفقود» لكاتب يسمى محمد عودة يرد فيها على كتاب عودة الوعى لتوفيق الحكيم كتب على غلافه :«ليس هذا الكتاب رداً على توفيق الحكيم ولكنه دفاع عن الشرف السياسى والثقافى لمصر» وشرح داخله بالنقد المر شخصية توفيق الحكيم ايديولوجيا وفنيا ، مفنداً كل ما ذهب اليه من ، البرج العاجى ، الى التعادلية ، الى لقب عدو المراة ، الى انتسابه لدار اخبار اليوم ثم الأهرام من بعدها والتى كانت تمثل الموقف الرسمى الذى انصب عليه وعلى عصره هجوم توفيق الحكيم فى كتابه «عودة الوعى» .. ثم وصف الكاتب محمد عودة توفيق الحكيم بقوله «لم يكن هناك إبتذال للكاتب والكتابة عامة اشد رخصاً من هذا .. لكن الرؤية الاعمق كان هذا توفيق الحكيم على حقيقته ومجردا من كل المسوح !»

ويتساءل المواطن الريفى فى آخر رسالته : فهل محمد عودة صاحب الاقوال الايجابية عن الحكيم هو محمد عودة كاتب الوعى المفقود «الذى هلهل الحكيم

وعندما رد محمد عودة على هذه الرسالة بعنف وسخط تعجبت !! لولا اننى فى اليوم التالى قابلت الكاتب الروائى ثروت اباظة الصديق الصدوق لتوفيق الحكيم .. وإستهلنى بقوله : ارايت كيف تمكنت من استفزاز محمد عودة ؟ فعرفت ان ثروت اباظة هو الذى ارسل الخطاب المفتوح .. وان عودة ادرك بفطنته ما وراءه ، فكان رده العنيف والساخط ولو ان ثروت اباظة قد وقع الرسالة باسمه لكان هذا افضل واجدى للحوار فليس محمد عودة من الذين يضيقون بالحوار .

واذكر اننى قلت يومها للاستاذ ثروت : على اى حال فانا ارى ان الكاتب عودة لم يتناقض مع نفسه ، بدليل استهلاله لكتابه «الوعى المفقود» بالقصة المشهورة للموسيقار الشاب الذى قال للمايسترو الكبير : بالنسبة لتوسكانينى الفنان فاننى احنى راسى وبالنسبة لتوسكانينى الانسان .. وخلع حذاءه وانهال عليه» وانا ارى كذلك ان عودة الأول هو عودة الثانى والمحق ايضا .. فقال ثروت أباظة : لا اتوقع منك غير ذلك فانت من اصدقاء عودة ، قلت على الفور «وانا فعلا من اصدقائه واعتز بذلك» ومع ذلك فاننى ساحاول ان احمل القارى فى سياحة ارجو ان تكون موضوعية عبر شخصية هذا الكاتب الذى اعترف اننى كنت اكتب من منطلق الاعزاز له ..

كتب .. ومعارك !

وعندما نقترب من شخصية محمد عودة من خلال مؤلفاته التسع ، فسنجدها تنقسم الى قسمين .. إما كتب عن حركات وطنية اقامت عمد دولتها مثل كتابه عن «الصين الشعبية» الذى وافق الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً على نشره كاملا بعد إعتراض الرقابة عليه عام ١٩٥٥ ، ثم كتاب ثورة ٢٣ يوليو -المصرية- ، أو «رحلة فى قلب نهرو» .. وإما كتب ترد على افتراء راه يجثم فوق حقيقة يراها قد زيفت مثل «الوعى المفقود» والذى انبرى فيه بالرد على كتاب توفيق الحكيم «عودة الوعى» ، أو «الباشا والثورة» وهو رد على مقالات كتبها فؤاد سراج الدين باشا ، سكرتير حزب الوفد السابق ، أو كتاب «سبعة باشوات» الذى حلل فيه نماذج بشرية من الفئة التى إنهارت .

والسؤال بعد ذلك هل تكفى القراء مناقشة مؤلفات عودة للحكم عليه أو التعرف على شخصيته ؟ اقول ان ذلك المسلك لا يكفى لا سيما والقسم الأخير من الكتب معارك يجب معرفة من خاضها

الناشىء الحائر

أما اذا ذهبنا الى تصويره من خلال ما كتبه مثقفو عصره عنه ، اذن لوجدنا ان خطوط المحافظين والتقدميين تتشابه في رسم جانب من شخصيته الاسرة ..ذلك ان هذه الأطراف البرجلية قد تمحورت عنده فى قضية واحدة هى الدفاع عن التراث .

العلامة المحقق محمود محمد شاكر إختاره شاهدا على كتابه «اباطيل واسمار» فى الجزء الأول والثانى حيث ضمن رده الباتر على مقالات الدكتور لويس عوض التى نشرها فى الاهرام تحت عنوان «على هامش الغفران شىء من التاريخ» حيث جاء رد محمود شاكر دفاعا عن أمة برمتها هى امته العربية الاسلامية .

وقد رسم الأستاذ شاكر فى كتابه ملمحا من شباب محمد عودة فقال : «عرفته، منذ كان ناشئا ، ثائرا شديد الحفاوة بالمعرفة ، مقبلا عليها ، على حيرة كانت تنتابه وتموج به ، وكان معذوراً في حيرته لان زماننا ذاك ، كان ميتة من الأحياء ، من لا يجد فى نفسه شيئا من الحيرة التى تفضى الى نفض اليد من كل شىء . ولو بلغ أن يرفض الحياة بفراق الحياة ، لكان معذوراً ايضاً واجبته يومئذ ، ولكنه ضل عنى سنوات واضللته ، ولم اتبينه فى الناس الا بعد سنوات طوال ، ولم تنقص غيبته عنى شيئا مما كنت اجده له فى نفسى .. مع انه جاء وقد تغير امره ، وحمدت من امره شيئا وانكرت أشياء»

حول مائدة المعرفة

اما الطرف الآخر من البرجل وهو

محمد عودة ويوسف الشريف فى لقاء مع الرئيس الصومالى سياد برى

د.لويس عوض فقد وصفه لى شفاها عندما سالته عنه قال : عرفت محمد عودة بعد عودتى من البعثة ، محملا بالافكار الجديدة مبهوراً بالآراء الليبرالية .. فوجدت لدى الشاب محمد عودة زاداً من هذه الافكار نابعاً من روحه المتجددة الفياضة يتجاوز زادى منها ، فارتبطت به واحببته .. وكان يتوه منى كثيراً من تشعبات الحياة .. ولكن الشرارة الاولى التى تركها فى نفسى ظلت تتاجج .. فعودة صديق عندما يغيب ، صديق عندما يحضر لنجده انسان فى ضيق ، فقد حدث ان هاجمنى بعنف اثر صدور كتابى «المحاورات الجديدة» الا انه سبق ودافع فى مواجهة محمود شاكر عن مقالاتى «على هامش الغفران» .

ومن المعروف ان الدكتور لويس عوض كان قد صور محمد عودة دراميا فى كتابه «المحاورات الجديدة او دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية» وهو كتاب صدر اوائل عام ١٩٦٧ عقب معركة قامت بين الشيخ الغزالى والفنان صلاح جاهين ، حول وضع المراة المعاصرة وهل هو مختلف عن سابقتها ، فاتخذه لويس عوض محوراً لمناقشة التراث حيث تصور اجتماع نماذج بشرية شائعة لأدباء مصر وفنانيها حول مائدة المعرفة بعد ان صنع لكل منهم قناعا ..

اعطى لويس عوض محمد عودة قناع «المخلص الراسى» وشبهه بفالق الشعرة الذى يلمح الفروق الدقيقة بين المذاهب المختلفة ، وبالتالى القادر المتمكن على تصويب اى حوار دائر ، ثم يختفى ليظهر فى معركة حسلسة اخرى فكرية او سياسية ..بينما صور لويس عوض الأستاذ محمود محمد شاكر فى شخصية مجاهد بن الشماخ وجعله يهتف فخورا بانه سلفى لان كل سلف صالح «ويقصد التراث».

ومرة اخرى نتساءل هل تصلح آراء الاصدقاء او الخصوم نبراسا لفهم ابعاد شخصية محمد عودة ؟ .

● ● ●

واذا حاولنا إستكشاف ملامح صورة محمد عودة من خلال فكره وكتاباته السياسية فاننا نراه يختلف عن المحللين والكتاب السياسيين ، انه لا يكتب شيئا ويضمر شيئا آخر ، ولا يتطوى على اسرار لا يبوح بها او يلمح عنها فى غموض وتوريه تستوجب الاستجلاء والبحث فى خباياها ، بل إن كتابات عودة تحمل فى مظهرها ما تحمله فى مخبرها .. فهو يحمل ضميراً لا تستطيع اعتى موجات المناصب والاغراءات اختراقه ، لذلك يعمل له رجال السياسة الف حساب لرايه فى كلماتهم ومواقفهم وتراجعاتهم وعلى البعد ايضا !

● ● ●

عودة اذن شخصية لها صفات الضمير ، فهى لا تظهر على السطح وانما تختفى فى الاعماق .

ولكن كيف يتاتى لى كشاهدة ربع قرن تصوير شخصية هذه بعض صفاتها ، لا سيما وانا لم اسع فى حياتى الا لمعرفة ثلاثة معالم فى عالمنا الفكرى .. الأستاذ نجيب محفوظ لأننى عندما قرات له بين مرحلة الدراسة الابتدائية والثانوية قصته الرائعة «زقاق المدق» اعتبرت نفسى مكتشفة ، لذلك سعيت الى ندوته الصباحية بكازينو الاوبرا ، لكى اتاكد ان إكتشافى ساع فى الأرض على قدميه كبقية خلق الله ، والشخصية الثانية كانت الدكتور محمد مندور ، لأن اعجابى بكتاباته غير مسار حياتى من الرسم والتشكيل الى الكتابة والتفكير ، فاعتبرته مسئولا عن اية مشكلة تصادفنى فى دراساتى الأدبية ، ثم العلامة الأستاذ محمود محمد شاكر ، لأننى عندما قراته رسمت له فى خيالى صورة عن عالم مغترب حاد التوهج وشغفت ان اطابق صورته فى خيالى على حياته المعيشية !

اما الأستاذ محمد عودة فقد وجدتنى صديقة له فجاة لا اعرف كيف ولا اين تعرفت عليه اول مرة ، كل ما استطيع قوله ان معرفتى كانت على عكس معرفتى بالشخصيات الثلاث التى سعيت اليها ، اى اننى عرفت شخصيته ثم تتبعت كتاباته بعد ذلك .. ولا اعرف بالضبط إن كانت هذه الصداقة قد عقدتها الصدفة الحسنة ، ام انها تمت وفقا لكلام علم النفس حول عقدة «عصاب القدر» تلك التى تحتم على الانسان التجاذب مع اشخاص بذواتهم يحبهم ويالف صحبتهم ، ويتنافر مع آخرين ليسوا على هواه اويسببون له المضايقات .. ولذلك فاننى ما صادقت الا قليلا هؤلاء الذين لم احبهم ولم تود بى الأيام يوما لألفتهم .

وإذا كانت معرفتى بكل من سعيت اليهم قد اكدت فى نفسى او اضافت شيئا او اشياء .. فان الشىء الذى

● يتكلم ويتألم ويثور ويهدأ أو يسخط ويرضى .. لكنه يتحرى الحقيقة دائما

توفيق الحكيم

وصلنى من محمد عودة هو الالتفات اليومى الى القضايا السياسية لا سيما فى وطننا العربى .. والتعرف على بعض هذه القيادات عن قرب او بعد من خلاله ، سواء عن طريق حديثه او كتاباته او صحبته ،بجانب معرفتى بالأجانب المهتمين بالشئون العربية الذين يزورون القاهرة ويعتبرونه وجهتهم ..

لقد كان عودة بحق هو الشوكة الموسيقية الرنانة التى رنت فى حياتى فايقظت حفلة السياسة بكل ماسيها ومباهجها .. ولا اعرف إن كان التزامى بالكتابة وعدم التزامى بالسياسة يرجع الى ظروفى الشخصية او بسبب المنبع ذاته .

كان حدسه لا يخيب ابدا وقد وقع الكثير مما كان يتنبا به ولا اريد ان انكا جرحا او جروحا بايراد بعض هذه التوقيعات المعيبة فى الأفكار والأوضاع والشخصيات ، كان شديد الحساسية وكان ينفذ الى ما وراء الحدث او الجدل .

علمانى .. وغيبى

واذكر قبل عام ٦٧ اننى تعرفت مع عودة الى الكاتب السياسى اليهودى المصرى الأصل الفرنسى الجنسية إريك رولو .. وإستمعت لمحاوراتهم معا وكانت تدور حول إمكانية التعايش السلمى بين مصر واسرائيل .. عندما سالت عودة كيف سمحت باستمرار هذا الحوار بينكما قال : لابد ان تعرفى ان أريك هو اليهودى المصرى الفرنسى الطيب ، الذى يحب العرب بمثل ما يحب اليهود بمثل ما يحب فرنسا.. وهو كما تلاحظين له ولاءات ثلاثة متناقضة فى الواقع وهو مع ذلك يحلم بالتقاء هذه الولاءات عبر جسر حضارى ديجولى مثالى .. ويهيأ لأريك رولو خطوط ودعائم هذا الجسر ممتدة عبر ولاءاته ، انه يحلم والاحلام لا تناقش والأيام بيننا ؟!

وإذا صورت أنا هذه الشخصية الفذة للكاتب الصحفى محمد عودة بالتمايز مع الكتاب الآخرين من جيله وتخصصه مستهدية بما تبدى من وصف الآخرين له رغم تناقضهم فانى اقول : ان هناك شخصيات تشدك اليها لأول وهلة ، ولكن سرعان ما يفتر ذلك الاحساس وينجاب عنك ، بعد ان تبدو لك ابعاد هيكله الانسانى ، اما شخصية عودة فهى على العكس ، قد لا تخطفك هيئته او تستاثر بك .. ولكن سحر شخصيته يتبدى لك الهوينا ويسرى الى نفسك ليستقر .. فلا تستطيع ان تنفصل عنه مهما بلغت مشقة البعاد .. لذلك فان السؤال عن محمد عودة هو أول ما يبادر به العائد من إجازته فى الوسط الثقافى .. وأول سؤال يوجه لمصرى من الوسط الثقافى فى الخارج ياتى دائما حول اخبار عودة .

تلك هى الحقيقة التى تجعلك بعد ذلك لا تتعجب من ان عدداً من المهتمين بالشؤون العامة يعتبرون ان مصر بلد عودة اوهبتها الذى نذرته لمعترك السياسة : فى الهند مثلا علقت صحيفة شنكس الذائعة الصيت على وصول عودة اليها فى إحدى زياراته بعبارة : «واخيراً يصلنا عبق مصر ممثلا فى الدكتور عودة» وهناك طرفة يرويها الكاتب المسافر محمود السعدنى يقول : انه كان مع محمد عودة فى مؤتمر بالأردن والح الأستاذ عبد الله الريماوى فى استبقاء عودة الى ما بعد المؤتمر للحوار والمناقشة فى موضوعات تهم البلدين ! فاعتذر عودة باعتزامه السفر فى الغد .! وفى هذا الغد حدث ان وقعت طائرة مصرية فى حادث اليم .. فلما شاهد الأستاذ الريماوى السعدنى ساله عودة مات ؟ فرد الريماوى بالنفى لأنه لم يسافر على هذه الطائرة ، ومن بعدها يسال السعدنى كلما غاب عودة عن مجلس : عودة مات ؟ وتكررت هذه القولة على شفاه كثيرة حتى صارت مثلا على ان بقاء عودة على ظهر الحياة .. رمز لكل شىء رائع يستحق ان يعيش .

شخصية درامية

اقوال واقوال تنم عن الشخصية الدرامية التى يملكها عودة بين جنبيه فاذا كان لكل سمة مميزة فان كل السمات المتناقضة بين الأبيض والأسود هى ميزات عودة ، وتستطيع ان تقول عنه وانت مرتاح البال ..إنه إيجابى وفوضوى ، متواضع ومتكبر ، كريم وبخيل ، لاه وجاد ، علمانى وغيبى ، مخلص وغيرمخلص .

وبالطبع لا تدل هذه الأوصاف جميعا عن تناقض بل عن إنسجام وتكامل فى شخصيته ذلك ان أيا منها عندما تتبدى فى إطارها الزمنى وظروفها الموضوعية امامك تصبح سمة مميزة له ومقنعة فى وقتها .. لذلك يقولون : يا حظ من جاء عودة معه ، ويا ويل من جاء عودة ضده فاذا الحقت هذا المثل بمثل اخر قيل ايضا فى عودة .. وهو ان كلماته اكثر انتشاراً من جريدة الأهرام لعرفت سراً آخر من خفايا شخصيته فهو يتواجد فى كل مكان وسط شلة من الأصدقاء .. متجددا ومتحمسا دائما واكثر متابعة للأحداث من جيله ومن اجيال الشباب .. وإذا كان البلبل خاصته التغريد .. والزهرة طبيعتها ان تفوح ..فان عودة ، قليل الكتابة الا إذا وجد ما يسعده او يستفزه

ديدنه الكلام والحوار ، تجده فى مجلس الصداقة الحميمة ، ساخطا او حامداً وفقاً للطقس الذى يعيشه والمناخ النفسى الذى يؤثرفيه ، وسقوط او شموخ فرسان الكلمة على طريق المناصب وعتبات الحكام ، وتجده فى مجلس الأدب اديبا وشاعراً وناقداً وموسيقيا ، وفى مجلس الأنس مفاكها ومحدثا من اظرف ظرفاء زمانه .

ومحمد عودة عندما يتكلم وينقد تتماوج نبراته لتقد فى كثير من الأحيان ودون قصد ، من يحكى عنهم .. قسماته

المعبرة تجسدها ، اصابعه الرشيقة تؤكدها ، وجهه الابيض المستطيل الباسم الغاضب القسمات ، وعيونه الجاحظة البراقة تتارجح الى الداخل والخارج وشمالا ويمينا فتعطيك صورة دقيقة عمن يصف .. فكانك تشاهد من يحكى عنه وعنهم مشاهدة العيان ، إعتذاراته واستدراكاته ومراجعاته لنفسه إذا شعر انه بالغ او اماله الهوى لراى عام ،وإراد ته التى يحكمها فى الانصراف عن هذا الموضوع المثار ، يحدوه الخوف من ظلم الضمير ، ودرءاً للتطرف فى النقد والاغتياب ، كل ذلك يؤكد ان إرادته الصادقة تفيض من كلماته ، وان العزيمة التى تضطرم فى وجدانه تؤكد ان ما يقوله هو الصدق ذاته ..

نعم هكذا عودة الذى عرفته يتكلم ويتالم ..يثور .. ويهدا .. يسخط ويرضى وسواء كان الموضوع كتابا او مقالا او حواراً او انفعالا .. فلم اشهد فى مسلك عودة ابداً ميلا للخروج عما يعتقد انه الوصول الى الحقيقة !

وقد تعودت وشقيقى يوسف الشريف على لقاء الأستاذ عودة بين جمع من المثقفين والكتاب فى منزلنا او منزل احدهم .. وهو على عادته مع اصدقائه يلح أن يصحبنا معه لزيارة اصدقائه من القيادات العربية ـ اللاجئين أو الزائرين لمصر ـ نقضى صحوقمن النهار وجزءاً من الليل .. وهو متواضع دوما وهو يعرض لمعلوماته وثقافاته وخبراته .. فنعجب واظل امام هذا الجيشان الروحى واذنى مشدودة ساهمة سابحة فى كل هذه المعالم التى عاشها والعوالم التى إرتادها .. افكر فى الذهن الذى لا يكل واللسان الذى لا يفتر والتقليد الذى لا يضاهى حتى ان المخرج صلاح ابو سيف عرض عليه منذ زمن بعيد ان يقوم بدور كاتب فى احد افلامه ، ولكنه اخذ الأمر على انه دعابة لا اكثر ..

ثم هناك زاوية القلق الذى لا يهدأ فى شخصية عودة وقد قال عنه كامل الشناوى يوما :«عودة يذهب الى الجيزة عن طريق طنطا» .

أطول يوم فى التاريخ

وإذا كانت شخصية عودة الرحبة قد

كامل الشناوى

مكنته دائما من مصاحبة الأطراف حتى المتناقضة باعتبار ان الخلاف فى الراى لا يفسد للود قضية ، فان هذه الأطراف نفسها جسدت فى نفسى وترجمت فى الوقت ذاته معنى التعبير الأدبى «اطول يوم فى التاريخ» الذى اطلقته على يوم معاناتى النفسية فى ٥ يونيو ـحزيران ـ ١٩٦٧ !!

فى هذا اليوم كنت اباشر عملى كالمعتاد فى لجنة القراءة بمؤسسة السينما وكان بشارع عدلى .. وفجاة سمعت هدير اصوات الجماهير .. نظرت براسى من النافذة استطلع ما حدث ، فصافحت اذنى اولى بشائر النصر «ثلاث واربعون طائرة» ثم ثانى بشائر النصر ... «سنصلى فى تل ابيب» .

كان المواطنون يتجمعون حول اجهزة الراديو وصوت احمد سعيد يجلجل بهزيمة اسرائيل ونصر العرب ، تركت مكتبى ونزلت الى الشارع .. ولا اعرف كيف ولماذا لم يتسرب تهليلهم الى نفسى ، سرت الى شارع طلعت حرب .. وفى موازاة مقهى ريش ، لمحت الأستاذ محمد عودة ، منهاراً على احد مقاعدها وحيداً . فذهبت إليه استفسر عن حاله وحالنا فى الحرب ، سالنى اين وجهتى وقلت : ذاهبة الى جريدة الأهرام ـ كانت فى باب اللوق ـ لأعرف حقيقة الموقف .. اننى استمع الى هدير المواطنين ولا اهتز .. لا اعرف لماذا ؟ قال وصفرة شديدة تجتاح بياض وجهه وقد إحمرت عيونه وكانها مجهدة .. ولم ينم من ايام : «الحرب توقفت وإنتهت» كان الوقت بالتحديد الحادية عشر والنصف صباحا .. هلعت «كيف ؟» حارت الكلمات على لسانه

ثروت أباظة

وكانه فقد النطق :«انت تتذكرين حديثى يوما مع براماكوف وبلاييف .. قلت نعم : يوم قلت انت عنهم انهم الجناح المناصر للعرب بين كتاب الاتحاد السوفيتى ، قال نعم لانهم لعبوا دورا كبيراً فى تغيير الموقف السياسى والأيدلوجى لبلدهم تجاه مصر .. وتجاهنا نحوهم ايضا كنا نرى اننا لا بد ان نحارب إسرائيل وننتهى من مشاكلنا معها .. وكانوا يقولون لا ، إنها مغامرة .. عليكم ان تديروا معركتكم مع اسرائيل سياسياً وبلا حرب ، وقد حدث ان تم بالفعل اتفاق بين مصر والاتحاد السوفيتى وآخر بين إسرائيل وامريكا على الا يحدث هجوم من اى من الجانبين على الآخر ، وكانت هذه هى لعبة الدول الكبرى .

قلت له : «اتذكر هذا كله ولكن ماذا حدث اليوم ؟ قال : لقد سمعت مثلك هذا التهليل الجماعى واننا سوف ندخل تل ابيب فى المساء .. فاتصلت ببراماكوف تليفونيا لكى اتشفى فيه ومن اقواله السابقة .. فرد على ببرود واسى ، وعندما سالته عن معلوماته .. قال :«مر على بالبيت» .. فذهبت اليه على الفور .. وما ان دخلت منزله حتى وجدت جمعاً من المراسلين السوفييت قد انكفات وجوههم على ايديهم .. وكانهم فى ماتم ، وصحت فيهم بتشفى : «هل سمعتم ما حدث ؟ وقال اغلبهم بالانجليزية : ماساة كبرى !! وقبل ان يصل التعبير الى نفسى وجدت براماكوف ياخذنى بعيدا عنهم ويضع يده على كتفى بعطف الصديق وهو يعبر عن مرارة الاتحاد السوفيتى إزاء ما حدث : «عودة لقد وقفت الحرب .. انتهى سلاح الطيران المصرى» .

اتذكر الآن جيداً ان عودة قال لى هذا الكلام وقد شاب صوته رنة حزن عميق .. وسمعته يهذى بعبارات مبهمة وغير مترابطة ، لقد وقفت الحرب واتى عصر عرابى .. سيحاكم وينفى .. كثيرون .. وتحتل مصر .. خمس وسبعون سنة تمر وغير مسموح لمصر ان ترفع راسها .. من هو خنفس الجديد .. وهى صوته .. ثم إختفى عودة ...»

كنت قد وصلت الى جريدة الأهرام حيث وجدت اغلب الصحفيين قد تركوا اعمالهم ووقفوا يرقبون ماكينات التيكر وهى تدور بالأخبار .. وكان اول الأخبار «الكايوسيه» حول سقوط العريش .. وخرجت من الأهرام ولكن اين اذهب ؟! قدماى تسعيان بى الى الشارع الموازى لمجلس الامة حيث مقر مجلة «الكاتب» .. وهناك وجدت الأستاذ احمد عباس صالح والأستاذ عبد الجليل حسن وآخرين يتناقشون حول صحة اخبار بشائر النصر . ويأتى الكتاب تباعاً وكانهم على اتفاق .. الكاتب والمخرج بهاء طاهر .. الدكتور عبد الغفار مكاوى ، وما ان دخل الأستاذ نبيل الهلالى المحامى ، حتى بادره عباس صالح بالسؤال : «الا تلاحظ اننا لم نسمع فى البيانات شيئاً من اعمال سلاح الطيران المصرى ..؟ اين سلاح الطيران المصرى ؟»

جلس نبيل الهلالى مفكرا ثم قال : إننى مثلك أسال عنه ولو ان هناك اخباراً مطمئنة تقول ان سلاح الطيران المصرى موجود فى يوغسلافيا .. وسيظهر فى الوقت المناسب .. تحير الجمع وانا اتخوف الادلاء بما قاله لى عودة منذ قليل حول هزيمتنا المبكرة .. وانفض الجمع فى حيرة .. ولكن الى اين اذهب .. الى المنزل .. إننى سانهار .. على بالسير .. ومشيت على قدمى الخائرتين الى حيث منزل الشاعر صلاح عبد الصبور فى شارع نوبار ..

صلاح ايضا لا يصدق ما يذاع .. قلت له اننى كنت فى الأهرام .. قال وانا ايضا وقدمت قبلك .. واشار لى الا افصح بشىء مما عرفته ، جلسنا وامامنا اربع علب من السجائر .. زوجته السيدة سميحة غالب تتعجب من الوجوم الذى حط على .. ولاول مرة فى حياتى اقبل على السجائر

د. لويس عوض

بشراهة ايضا .. اقف فى بلكونة الدور التاسع حيث شقة سميحة وصلاح فاجد ان راسى تغلى وتكاد ان تنفجر .. اكاد اهوى من عل ماذا اقول !؟ قالت لى سميحة زوجته مندهشة لحالى .. لماذا تفعلين فى نفسك كل هذا وليس لديك احد فى الجبهة .. انا لى اربعة اخوة فى الجبهة ، اه .. ما يهمنى الآن ليس إخوتى إن همى هو مصر .. إننى بما احمله فى صدرى من معلومات موجعة ومكبوتة غير مرغوب فى وجودى .. وكان على ان اذهب الى منزلى .. انهار .. اقول .. يحدث اى شىء .

هناك وجدت إخوتى واخواتى فى حالة من الفرح .. كان الوقت مساءاً والمذيعة سميرة الكيلانى تقرا النشرة .. وقالت فى نهاية إحدى البيانات العسكرية «ولم تعد إحدى طائراتنا» ووجدتنى اقول فجاة بصوت عال «إحدى ام كل» ويفزع إخوتى ويؤنبونى على إزعاجى لفرحهم : «كيف تقولين مثل هذا الكلام ؟ إن سميرة الكيلانى قد اذاعت الآن رقمين للتليفون يبلغ عن طريقهما المواطنون عن مثيرى الاشاعات .. قلت لهم : «فلتتصلوا وتبلغوا عنى .. فاى مكان سواء مادامت مصر محتلة !! فتصوروا اننى جننت او ان فى بيتهم جاسوسة .

مرت ايام ثقال خلت فيها انه لن ينبت الزرع مرة اخرى فى مصر ولن تطلق الحناجر ضحكاتها .. ولن ينصب فرح على بيوتها وستنتهى عملية الزواج والانجاب .. اوقات ممضة . مرت على وانا لا اعرف لمن اقول والى من اسمع . فقد غاب عودة .. وفى يوم ٩ يونيو كنت فى فندق دى روزس بشارع طلعت حرب ازور الأديبة السودانية خديجة صفوت وزوجها واولادها .. وقدم عودة علينا مهمل الثياب زائغ النظر ولكن روحه وثابة والسخرية الحلوة على امر المواقف لا تفارق فمه .. لا اعرف لماذا كان الجو مكفهرا .. اشعر دائما ان الطقس يلقى ظلاله على المواقف الحساسة فى حياتى استمعنا معا الى الخطاب الحزين على شاشة التلفزيون .. إحتباس الدم فى الوجه مختلف عن يوم الانفصال .. لم نكمل جلستنا .. هبطنا الى الشارع تائهين .. وعودة رغم انه يكاد يبكى .. يقول لى : استمعى .. كان هناك اموات تتجمع وتتصاعد الى عنان السماء ومختلطة بالظلام تردد «يا ابو خالد انت القائد ... ولم تمض اكثر من ربع ساعة حتى سمعنا صدى صوت المدافع المضادة للطائرات .. ومع ذلك ظل عودة يردد نفس المقطع .. يا ابو خالد انت القائد .. وانصت السمع .. ولا اعرف كيف سمعته .. وفجاة شاهدت جموع الشعب تخرج من كل مكان كالنمل فى كل ربوع القاهرة . ومن الكفور والشقوق والنجوع ومن تلابيب الأرض .

ورغم سخطى على الموقف ككل إلا ان عودة بدد بتصرفاته العفوية الطفولية الكثير من اساى وحزنى .. كان يردد بفرح وامل ... «نعم خسرنا المعركة .. ولكن لكى نصنع شكلا جديداً للظروف الجديدة .. سنوزع السلاح فى كل مكان ..مليشيات .. محطة إذاعة .. جريدة .. ولن نستسلم ابداً وسوف نبدا مسيرتنا الطويلة من جديد ضد اسرائيل والامبريالية ..»

لقد جعلنى عودة بكلماته هذه اتخيل فيه احد الانسانيين القدامى او الجدد الذين قرات عنهم .. ولا يعرف الياس طريقه الى إرادتهم وتصميمهم ،نعم لقد كان عودة دائما كما عرفته يخلق الأسس الأخلاقية التى ترضيه وتشبع روحه .. ينقب فى خياله وفى نفسه حتى يعثر فى مفردات التراث على شىء يبنى به جسراً من التوافق والانسجام يوصله الى المصير الذى يحبه لمصر . فدل رد فعل خياله على ان عودة بجانب انه انسان متفرد الشخصية والموهبة فانه

مع الرئيس اليمنى الراحل حسين الغاشمى

السياسى المناضل والمؤرخ الذى يرسم خطط المواجهة المطلوبة للموقف المطروح على بلده فى لمحة عين وبلا تراخى وبلا سفسطة .

فقير هندى أسطورى

واذا كان يحق لى الحكم على محمد عودة فاننى اقول بلا زيادة أو نقصان انه الوطنى الحر .. والمثقف الملتزم بقضايا امته الذى يعرف واجبه ودوره بين الاجيال التى جاءت بعدهفهو لم يبتعد عن مقهى ريش الذى يجمع بين شتات المثقفين يوما ، يناقشهم ويحاورهم ويسخر منهم ويسخرون منه ويحل قدر الطاقة كثيراً من مشاكلهم وينقد أعمالهم ويستمع الى نقدهم لأعماله .. ، لم ينغلق عن معرفة نمط من الناس أو الأيدلوجيات والتيارات الفكرية .. ورغم انه من أكابر كتابنا إلا انه لم يتكالب على منصب صحفى أو رسمى فى الوقت الذى تبوأ تلاميذه أرفع المناصب الصحفية ..

وعودة لم يقتن سيارة فى يوم من الايام .. ويوم عرض عليه قريب له شراء سيارته .. إشترط عليه تجربة مثل هذا اللون من الحياة أولا ، فانقطع له هذا القريب كسائق وكان أستاذاً فى الجامعة ، بعد هذا الأسبوع عادت عبقرية الافلاس لعودة .. فحالت دون مواصلة هذا اللون من الحياة وقال : إن هذه الحياة لا تناسبنى ولن أشتر العربة .. لاننى لا استطيع أن أسير وسط اجساد ابناء بلدى أشعر بهم وبنبضهم ومجاهدتهم للزحام ومشقة المواصلات .. وهذا يفسر لماذا لا يستطيع عودة البقاء خارج مصر طويلا رغم العديد من العروض المغرية التى قدمت اليه للعمل فى مشارق الأرض ومغاربها .

سألته يوما عن الفترة التى عمل فيها مذيعاً فى إذاعة الهند العربية بعد أن ترك المحاماة وكيف عاشها .. فقال لقد اجتزت هذه الفترة كمدمن الدخان عندما يقلع عنه .. كنت خرمان مصر ، وأضاف «لم اكن أستطيع البقاء فى الهند لولا اننى احببتها ، لأنها بلد كمصر ذات حضارة عريقة وظروف متشابهة .»

ومحمد عودة كما يعرفه أصدقاؤه لا يستقر طويلا فى مصر وهو على حد دعابتهم حائز على إقامة فيها ..لأنه شديد المخاصمة مع واقعها القدرى وظروفها الصعبة ، سريع المصالحة إذا شعر بالحنين اليها وان لديه ما يعطيه لها من فكره وقلمه وتجاربه .

ومن ملامح الأصالة فى شخصية عودة .. انه مبادر للآخرين فى التهنئة بافراحهم .. ولوع بمواساتهم فى محنهم وازماتهم .

ولا شك ان القارىء بعد هذا كله يتساءل ومعه كل الحق أين يقع محمد عودة من كتاب الأدب والسياسة .. ونقول إنك إذا أردت أن تضع عودة بين أولئك وهؤلاء فارجع الى كتبه .. فستجده صاحب ملكه أدبيه من طراز رفيع كما تجلى فى كتابه (سبعة بشوات) .. وانه يصيب من تفكيره بالتحليل السياسى المحلق الذى لا يفتقر الى البديهة والشعور والالهام ، كما تبدى فى كتابيه «الصين الشعبية» ، «رحلة فى قلب نهرو» حيث عقد مقارنة بينهما ..فارجع نجاح الأولى الى التحام الشعور الوطنى والايدلوجية الوافدة .. لأن الكونفشيوسيه تعاليم خلقيه أو دين بغير إله «على عكس الهنود» حيث إرتطم الوطنيون الهنود بالايدلوجيات اللادينية .. لأن البوذية والهندوكية دين باله ..لذلك إصطدمت الأديان ذات الاله بالفلسفة المادية الجدلية ولم يتم الالتحام .. وبينما قضت الصين على الأفيون والذباب والمجاعات وحققت الطعام لكل فم .. لم تستطع الهند إلى الآن أن تقضى على الفقر والجهل والمرض .. وعودة من اشد انصار نهرو وحزب المؤتمر وهو يعتقد فى كتابه رحلة فى قلب نهرو .. أن الهند فى ظل انديرا غاندى سوف تقدم مثلا يحتذى للديمقراطية والتنمية والاستقلال الاقتصادى والسياسى بين كل دول العالم الثالث وعندما يأتى ذكر الهند يضم عودة كفيه الى صدره كانه يحتضن محبوبته ..

فمن ينشد محمد عودة فلينشده فناناً يكتب السياسة أو يجنح إلى الأدب .. فهو جدير بالاصغاء اليه والاقبال عليه فى هذين المجالين .. ولا تثبت هاتان الصفتان لمحمد عودة بدعواه أو دعوى ..بل الحكم العدل فى مثل ذلك هو الرأى العام لكتبه وشهدة جيله .. وقد توقفنا على شبه تأكيد على مكانته عندهم .. وبالمئات من جزئيات خصاله نجده محبوباً فى وسط المحافظين مرحبا به فى أوساط التقدميين .. وقد ترى الأجيال القادمة فيه أكثر مما رأى هذا الجيل .. فى نظرى فهو دائما فقير هندى أسطورى يرتدى لباس العصر .. زاهد فى كل زخرف وبهرج . يخرج بين التراث والمستحدث ، يعلم الناس . ويعطى المثل للآخرين .. حباً للحياة .. وايماناً بالمثل .. واخلاصاً لكل ما يراه نظيفاً وحقاً !

عايدة الشريف

حياتنا المعاصرة

إشراف: خديجة الصدر

الإنترفيرون وإمكانية استخدامه في علاج السرطان

بدأت المختبرات العلمية فى كل انحاء العالم تتسابق الى انتاج الانترفيرون ! وهى مادة بروتينية طبيعية مضادة للفيروسات ، ويمكن ان يتم استخدامها فى النهاية فى علاج السرطان .

اكثر المواد ندرة وتكلفـــة

وهى من اكثر المواد المنتجة تكلفة فى العالم ، إذ يبلغ تكلفة تصنيع الرطل الصافى من الانترفيرون بالوسائل المتوفرة حاليا ٢٢ بليونا من الدولارات وذلك وفقا لتقديرات الجمعية الامريكية لابحاث السرطان . ولم تكن هناك سوى شركة واحدة فى فنلندا هى التى تصنع كل انتاج الانترفيرون فى العالم ، والذى بلغ مداه ٠٤١ر اوقية استخلصت من ٩٠ الف زجاجة من دم الانسان .

ثورة العقاقير

وقد بدأ تسويق هذا العقار الطبيعى بالرغم من ان قدرته فى علاج السرطان لم يتم اثباتها بشكل قاطع . وكما يرى الدكتور فرانك راوشر، نائب رئيس الجمعية الأمريكية لابحاث السرطان ، لايمكن لمن يقوم بانتاج هذه المادة أن يخسر وحتى إذا ما قيض لها الفشل فى علاج السرطان فان الانترفيرون سيظل عقارا ممتازا فى مكافحة الفيروســـات ..

ويرى كثير من العلماء ان الانترفيرون سيحدث ثورة مماثلة لتلك التى احدثها نجاح تنقية وإنتاج البنسلين فى اواخر الاربعينات فى مجال صناعة العقاقير الطبية .

حياتنا المعاصرة

الانترفيرون وإمكانية استخدامه فى علاج السرطان

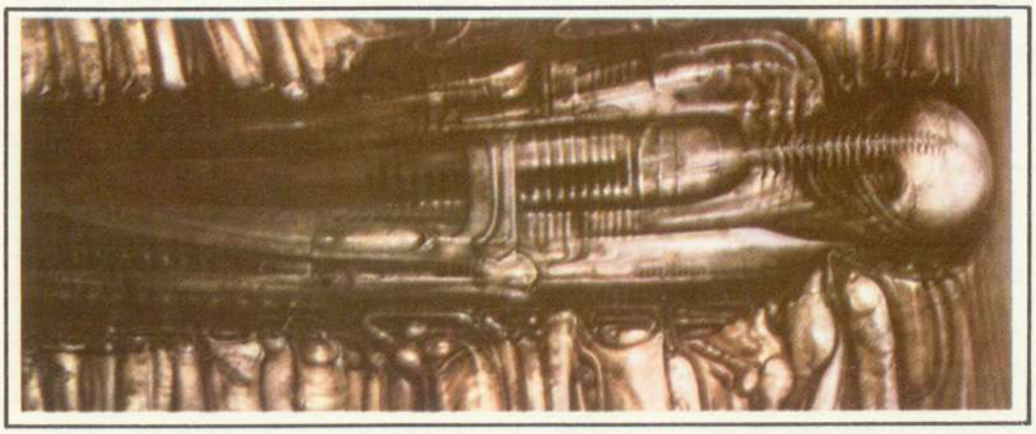

مازال الطريق أمام العلم طويلا لينتقل من مرحلة الأبحاث الأولى الحالية فى مجال السرطان إلى مرحلة تسويق الإنترفيرون كمضاد للسرطان

سوق عالمى

فى تحليل اعدته شركة للاستثمار لنشرة سوق الادوية والعقاقير لشهر مايو الماضى ، ورد ان حجم السوق المتوقع للانترفيرون سيبلغ فى عام ١٩٨٩ ما يقرب من ثلاثة بلايين من الدولارات ، وهو رقم مذهل بالنسبة لسلعة مازالت فى طور البحث ، ويعتقد محللون اخرون ان سوق الانترفيرون لن تنمو إلا بعد وقت ابعد من ذلك واطول .

ومنذ ان اكتشف الانترفيرون فى عام ١٩٥٧ بواسطة باحثين فى بريطانيا كانا يحاولان تعليل عدم اصابة الانسان بالعدوى باكثر من فيروس فى الوقت ذاته ، سيطر الانترفيرون على خيال العلماء والناس جميعا ، ورغم نجاحه فى مكافحة كل فيروس جرب عليه ، فان البحث العلمى لم يتواصل بشكل حثيث إلا بعد ان ظهرت قدرته المبشرة فى علاج السرطان ، وذلك لارتفاع تكلفته وندرته .

اعتمادات ومنح ضخمة

وفى اغسطس ١٩٧٨ اعلنت الجمعية الامريكية لابحاث السرطان عن تخصيصها لمبلغ مليونى دولار لشراء الانترفيرون لكى يتم تجربيه فى اربعة انواع من السرطان .. وكانت تلك اكبر منحة تقدمها الجمعية لموضوع واحد فقط . وقد رفعت الجمعية مساهمتها الى ٣ر٧ مليون دولار .. ولكنها مازالت بانتظار الحصول على كل ما يمكن شراؤه بذلك المبلغ ، نسبة لان هذا العقار المعجزة نادر . وكما صرح الدكتور راوشر بان الجمعية لم تصرف حتى الآن سوى ١ر٢ مليون دولار .

اما المعهد القومى للسرطان فقد رصد مبلغ ١٠ مليون دولار لابحاث الانترفيرون لهذا العام وحده . وبدا اثنان من رجال النفط فى هيوستون مؤسسة للانترفيرون بهدف جمع ٢٠ مليون دولار من صناعة النفط فى ظرف عامين .

وقد اعلنت شركة شل عن تقديم منحة مقدارها مليونى دولار لمؤسسة الانترفيرون ، ومليونا للجمعية الامريكية لابحاث السرطان كل ذلك مساهمة منها فى ابحاث الانترفيرون .

وكما ظهر من النتائج الأولى للانترفيرون فى الاختبارات التى نظمتها الجمعية الأمريكية للسرطان فان العلماء مازالوا بعيدين عن العثور على دواء لعلاج السرطان ، وان كانت هناك مجموعتان تتقدمان الاخريات ، وتعتمدان على وسائل خلق واعادة تنظيم الجينات لانتاج الانترفيرون بكميات اكبر واسعار اقل من تلك التى تمت فى فنلندا .

التجارب الأولى .. على الانسان

وفى يناير الماضى اعلنت شركة بيوجين س . ا . السويسرية ، التى تشترك فى ملكياتها شركة شيرينغ بلاو للادوية ، عن انتاجها لنوع من الانترفيرون من البكتريا يقارب الانترفيرون البشرى ، فارتفعت اسهم الشركة الأم بمعدل ثمان نقاط إثر ذلك الاعلان . ويتوقع ان يجرب ما انتجته شركة بيوجين على الانسان بنهاية هذا العام كما يعتقد المراقبون .

واعلنت شركة جينيتيك ، ومقرها سان فرانسيسكو ، بالاشتراك مع شركة هوفمان لاروش للادوية ، انها احرزت تقدما فى تصنيع الانترفيرون . وسيجرب انتاجها على الانسان فى مطلع العام القادم ، كما صرح بذلك روبرت بيرنيز ، نائب رئيس الشركة .

اهتمام بالغ وتحفظات

لقد اثارت المبالغ الهائلة التى يجرى انفاقها على البحث فى مجال الانترفيرون تغطية اعلامية واهتماما كبيرا بين الناس ، بمثل ما اثارت بعض الاتهامات بان مقدرة هذا العقار فى علاج السرطان قد بولغ فيها . وقد استقال بعض الاطباء من الجمعية الأمريكية لابحاث السرطان تعبيرا عن امتعاضهم من الدعم المتحمس الذى تقدمه الجمعية للانترفيرون ، كما اشار اطباء آخرون الى ان النتائج الأولية للاختبارات قد اظهرت ان الانترفيرون يقدم فى الغالب دليلا على التحسن اقل من عقاقير اخرى .

ولكن الدكتور راوشر يؤكد على ان المهم فى المسالة هو ان الانترفيرون قد اظهر فعلا انه ذو اثر ضد السرطان . وقد أورد مثالا مقارنا وهو ان البنسلين فى بدايته لم يكن نقيا ، وان الانترفيرون الموجود حاليا هو جزء واحد من ٩٩٩ جزءا من مادة اخرى . ولم يتم للبنسلين نجاح إلا بعد ان صار نقيا لدرجة يمكن حقنه على جرعات اكبر .. وحين تم ذلك احدث ثورته الهائلة فى العلاج .

وهناك انواع عديدة من الانترفيرون فى مختلف اطوار الانتاج فى المختبرات ، وربما برزت فى النهاية مادة اخرى ، ليست مانسميه الانترفيرون ، وهى التى تقوم بفاعلية بتعديل نظام المناعة فى جسم الانسان .

ومازال الطريق امام العلم طويلا لينتقل من مرحلة الابحاث الأولى الحالية فى مجال السرطان الى مرحلة تسويق الانترفيرون كمضاد للسرطان . نسبة لعامل التكلفة ــ رغم ان سعره قد انخفض الى النصف فى سنة واحدة ــ فان التوصل الى شكل لاستخدامه دون حقن فى علاج نزلات البرد وفيروسات اخرى مازال ايضا بعيدا ولكن امكانيات النجاح واحتمالاته كبيرة ، ولذلك يمضى البحث بشكل متواصل وسريع ، ويبشر بعطاء جزيل .

فى كل مراحل العمر الجميل

ماذا تأكلين ياسيدتى ؟

- المعروف أن الشابات يقللن بشكل حاد من تناول الوجبات المنتظمة
- العشرينات هى سنوات الإفلات من بعض المكونات الغذائية العالية

فى كل مراحل العمر الجميل ماذا تأكلين ياسيدتى ؟

يستوجب الأكل من اجل حياة عامرة بالصحة والجمال وعياً وإدراكاً كاملين بكل نواحى الضعف الغذائى لأى مرحلة من العمر وكيفية التغلب عليها بافضل صورة .

وبالرغم من قلة الأبحاث فى تقييم المتطلبات الغذائية المحددة لمراحل حياتنا بعد البلوغ – إن استثنينا تلك المتعلقة بالحمل والشيخوخة – فانه لمن المعروف أن بعض المشاكل المتصلة بالعمر تؤثر على وضعنا الغذائى ؛ وبالمثل ، فان ما ناكله يؤثر على صحتنا ، وعلى الكيفية التى نستجيب بها للتغييرات التى تقترن بالتقدم فى السن

فان فقر الغذاء يسبب أكثر من مجرد تساقط الشعر أو جفاف البشرة واصفرارها ، أو زيادة الوزن – وكلها مشاكل تجميلية . إن أمراضاً خطيرة مثل مرض القلب وارتفاع ضغط الدم واضطرابات المعدة والأمعاء ، ومرض السكر .. وانواع مختلفة من السرطان كلها تقترن بشكل وثيق بطبيعة أسلوبنا المعاصر فى التغذية .

ماقبل العشرين

ماكان الغذاء غير المتوازن صحياً فى اى وقت ، ويمكنه ان يصبح ضاراً فى هذه المرحلة من العمر التى تتسم بالنمو السريع ، مما يتطلب طاقة من الحراريات العالية .

وتبلغ حاجة الفتاة الى الحديد قمتها عندما تبدأ فى الحيض .. كما أن جسمها يحتاج الى كميات إضافية من الكالسيوم لبناء آخر بوصات للطول . ويحتاج النمو النهائى لخلايا الدماغ والأعضاء التناسلية والعضلات الى كميات كبيرة ومتزايدة من معظم الخمسين ونيف من مكونات الغذاء الاساسية «كما يقوم الجسم بتخزين رصيد صحى من الكالسيوم والحديد والأيودين للانتفاع به عندما تحين سنوات الحمل والولادة .

والمفارقة العجيبة هى أن الفتاة فى فترة المراهقة لا تاكل مايكفى من الأطعمة الغنية بالحديد وفيتامين (أ) وفيتامين (ج) . ويرجع ذلك الى ولع المراهقين بالاعتماد على الأطعمة السريعة والتقليعات الغذائية .

و المعروف أن الشابات يقللن بشكل حاد من تناول الوجبات المنتظمة .. وذلك بقصد التخفف من الوزن . وقد أصبح العيش على نوع من الرجيم القاس المحدود بمثابة مظهر من مظاهر التفاخر بين شباب المدارس العليا فى امريكا .

وربما كانت الأطعمة التى تقل بها الكاربوهايدرات هى اخطر انواع التغذية غير المتوازنة ، لأن النقص فى هذه المواد يجبر الجسم على احراق مخزونه من البروتينات والشحم كيما يوفر الطاقة اللازمة لحركته ، الأمر الذى يسبب ظهور مواد كيمائية فى الدم تعرف بالكيتونات . وحين تكثر هذه المواد بشكل غير طبيعى ، فانها تحدث اضراراً جانبية .

إن الفتاة فى سن ما قبل العشرين تحتاج الى ٢١٠٠ الى ٢٤٠٠ وحدة حَرارية – فى اليوم الواحد .

وتختلف هذه المقادير حسب الطول وتكوين العظام ودرجة نشاط الفتاة . فبينما تهبط احتياجات الفتاة الصغيرة التى لا نشاط لها الى الحد الادنى ، فان الشابة ذات العظام الغليظة والكثيرة الحركة والنشاط تحتاج الى ما يقارب ٣٠٠٠ وحدة حرارية فى اليوم الواحد لتحافظ على وزن جسمها العادى .

وللتاكد من أن الجسم قد حصل على مايلزمه من المواد الغذائية الضرورية يجب أن تتوفر له هذه الوحدات الحرارية من كل المواد الغذائية الأربع الاساسية وهى اللحوم ، بما فى ذلك الدجاج والسمك ، والخبز ، والغلال ، واللبن ومستخرجاته ، والخضر والفواكه

ولأهمية توازن الغذاء بالنسبة للصحة فان بعض الخبراء يعتقدون أن على الفتيات المراهقات اللاتى يقل الوزن الزائد لديهن عن ٢٠ رطلا ألا تحاولن بأى شكل خفض الوحدات الحرارية ، وينصحون بتناول غذاء متكامل لا تقل وحداته الحرارية عن ١٩٠٠ وحدة (أو ١٨٠٠ وحدة فيما لو كانت الفتاة اقل من ٥ اقدام و ٤ بوصات) كما ينصحون بمزاولة التريض لنصف ساعة كل يوم .

وهذا البرنامج التدريجى يوفر الغذاء الضرورى للنمو والتفتح ، كما يسمح للمراة بالنمو لتعادل الوزن الزائد .

الأطعمة السريعة والسندوتشات

لقد ابتدعت هذه الأطعمة أصلا

كبدائل وقتية للوجبات المنتظمة . ولكنها اصبحت مع الأسف هى الطعام الرئيسى لكثير من المراهقين ومن هم دون العشرين ، بينما صار الطعام المنتظم هو الاستثناء .

ويمكن ان تنشا بعض المشاكل ، وذلك وفقاً لأنواع هذه الأطعمة السريعة ، ومدى المداومة عليها . فقد يتم اختيار وجبة غنية بالسكريات والدهون والوحدات الحرارية والمضافات الغذائية والملح . ويمكن أن تكون قد جهزت بطريقة تفقدها الألياف وكثيرا من الفيتامينات والمعادن والأملاح . وحتى تلك التى تضاف اليها فيتامينات صناعية فاقدة لبعض المغذيات .

كل ذلك يؤدى بالطبع الى انخفاض مستوى التغذية الصحية بين الشباب الذين يتهالكون على الأطعمة الجاهزة والسريعة .

كيفية تجنب النقص فى المكونات الغذائية

● الحديد :

يبدا إزدياد حاجة المراة الى الحديد عندما تبدأ الحيض ، وينتهى عندما يتوقف الحيض نهائياً . ولصعوبة الحصول على كمية الحديد المطلوبة يومياً ، وهى ١٨مللیجرام ، فانه يجب اللجوء الى تناول مستحضرات الحديد .

إن النقص فى الحديد بالجسم يؤثر على خلايا الدم الحمراء التى تحمل الأوكسجين ، وبذلك يؤدى الى الفتور وفقدان القدرة على النشاط ، كما أنه يساهم فى زيادة وزن الجسم لأن المراة الشابة التى لا تحس بأنها فى مستواها الطبيعى من النشاط تعمد الى إحراق وحدات حرارية اقل ، وبذا يزيد وزنها .

● الفيتامينات :

فيتامين (ج) ضرورى لامتصاص الحديد ، ونقصه فى جسم المراة الشابة يخلف آثارا ضارة . وكما هو معروف فان الجسم لا يختزن هذا الفيتامين ، ولذا يجب تناول الاغذية التى تعتبر مصادر جيدة لهذا الفيتامين كالحمضيات (البرتقال ، الليمون ، الخ) والطماطم والفلفل الأخضر .. وكذلك بشكل يومى حتى يتوفر للجسم حاجته الكافية من فيتامين (ج) .

اما فيتامين (أ) فان انخفاض مستواه فى الجسم بالنسبة للشباب الذين يتناولون أطعمة سريعة خالية من الخضروات يمكن أن يسبب عدداً من المشاكل ، ويمكن أن تتفاقم المشكلة ان كانوا لا يشربون اللبن ، والذى يحوى الكثير من فيتامين (أ) و (د) .

ولأن الجسم يستطيع أن يختزن هذا الفيتامين فان تناوله اليومى امر غير ضرورى . ومع ذلك ينصح المراهقون بتناول الخضروات داكنة الصفرة أو الخضرة مرة واحدة على الأقل كل يوم .

سنوات العشرينات

تبلغ المراة قمتها جسديا فى هذه المرحلة من عمرها . ولأنها تكون فى افضل حالة ، فهى تتمتع بالجاذبية .. ويضحى جسدها كامل التهيئة للتجاوب مع الضغوط المستمرة التى يتعرض لها خلال هذه المرحلة الأولى من النضج . وهى فترة مليئة بالأحداث الحاسمة ، إذ يبدا فيها الاستعداد للاستقلال فى العيش بعيداً عن الأسرة .. وربما لأول مرة ، وبداية العمل .. والزواج .

والخطر الكامن فى أن المراة فى هذه السن معدة بشكل جيد هو الا تدرك مدى الضغط الذى فرض على جسدها أن يحتويه . وربما لن تلحظ أولى اشارات الانذار بان صحتها فى خطر – وأن غذاءها غير متكامل – إلا عندما يضطرها المرض أن تعيد تقييم عاداتها اليومية فى الأكل .

والعشرينات هى سنوات الافلات من بعض المكونات الغذائية العالية ، واحتياج الجسم المراهق للوحدات الحرارية . إن كمية الكالسيوم مثلا المقرر تناولها يوميا تنخفض الى الثلث ، كما تنخفض الوحدات الحرارية بمعدل ١٠٠ الى ٣٠٠ وحدة فى اليوم حسب حجم الجسم ودرجة نشاطه . وحتى لو لم تكن المراة مواجهة بمشكلة الوزن الزائد عند دخولها العشرينات ، فان أثر ما كانت تتناوله من طعام فى فترة المراهقة ، زائد انخفاض حاجتها الى الوحدات الحرارية الآن .. قد يكون فاتحة لازدياد وزنها فوق معدله . وهذا هو أوان تنمية وتطوير الوعى بضرورة

فى كل مراحل العمر الجميل
ماذا تأكلين ياسيدتى ؟

مراقبة الوزن ، وتناول الكميات اللازمة الكافية من المكونات الغذائية من كميات من الطعام اقل .

وإذا خرجت الفتاة من المراهقة دون أن تصحبها مشكلة الوزن الزائد ، فان بامكانها أن تبدأ فى تحديد تناول وجبات الوحدات الحرارية باطمئنان .. ولكن بمشورة واشراف الطبيب .

الحاجة الى التوازن

والغذاء فى هذه المرحلة من العمر أمر غير منضبط فى الغالب ، وقد لا تجد الكثيرات من الفتيات الوقت لتناول وجبات كاملة ، وقد لا تأكل الواحدة منهن سوى قطعة من الخبز مع القهوة للفطور ، وساندوتشا للغداء ، وجبنة وبسكوت للعشاء بالمنزل .. او وجبة فاخرة فى مطعم .

وقد يكون هذا النوع من الغذاء كافياً فى وحداته الحرارية للحد الذى لا يسبب سوء تغذية ، ولكنه لايمكن بحال أن يكون الغذاء المتوازن المثالى لأنه يفتقر الى الغلال والخضروات الطازجة والفواكه الطازجة ، وتكثر فيه ، دون مبرر ، الدهون والسكر والملح .

ولذا ــ يجب على الفتاة إن كانت لا تجد الوقت نسبة لانشغالها ، أن تخزن فى مطبخها أطعمة سريعة الاعداد ، ولكنها غنية بالمكونات الغذائية .. كخبز القمح ، والتفاح ، والطماطم ، والجبنة الطازجة ، والبيض .

حبوب منع الحمل والتغذية

يبدو أن حبوب منع الحمل ترفع احتياج الجسم لفيتامين (ب) وخاصة (ب٦) . وقد اظهرت الدراسات التى اجريت على نساء يتناولن الحبوب إرتفاعاً عالياً فى مستوى فيتامين (أ) والحديد والنحاس فى الدم وهذا الدليل لا يعنى أن على النساء أن يحاولن تعديل غذائهن أو أن يتناولن فيتامين (ب) دون الرجوع الى المشورة الطبية .

تراكم الماء بالجسم

تصاحب دورة الحيض تغييرات فى الهرمونات . وقبل الحيض مباشرة يرتفع البروجسترون والاستروجين الى أعلى مستواهما . كما أن الانتفاخ فى البطن الذى يصيب المراة فى فترة الحيض راجع الى أن الهرمونات تجعل الملح يتجمع .. وهو بدوره يجمع الماء . وبما أن ملعقة من الملح تستطيع أن تجمع

الثلاثينات هى الوقت الملائم للتطبع بعادات غذائية وقائية

الأمهات الشابات يتناولن كميات أكبر من الوحدات الحرارية

التغيرات الاجتماعية والبيئية تساهم فى مشكلة الوزن

مايعادل وزنها من الماء سبعين مرة ، فان تجنب اى ملح زائد اثناء فترة الحيض يساعد على التخفف من تراكم الماء بالجسم ، وبالتالى على التخلص من الشعور بانتفاخ البطن .

الثلاثينــات

فى هذه المرحلة من العمر تعانى معظم النساء من صعوبة التحكم فى الوزن . وتاخذ عملية التغيرات الكيمائية فى الخلايا الحية التى بها تؤمن الطاقة الضرورية للعمليات والنشاطات الحيوية والتى بها تمثل المواد الجديدة للتعويض عن المندثــر منها .. تاخذ فى التباطؤ .. وتقل احتياجاتها من الوحدات الحرارية بمعدل مائة وحدة فى اليوم بالمقارنة الى إحتياجاتها قبل عشر سنوات . وربما لا يبدو ذلك كبيرا ، ولكن الحقيقة أن ١٠٠ وحدة حرارية فى اليوم تستطيع ان تضيف عشرة أرطال للوزن فى السنة .

وتساهم التغيرات الاجتماعية والبيئية ايضاً فى مشكلة الوزن . فكثير من النساء قد اصبحن ذوات دخل طيب ، وتوفر لهن المال للأكل الجيد فى المطاعم والخروج فى اجازات مترفه . وفى ذات الوقت صارت الالتزامات العملية والعائلية تحرمهن من الوقت الضرورى لمزاولة الرياضة .

اما الأمهات الشابات فانهن يتناولن كميات أكبر من الوحدات الحرارية ، وذلك حين يجهزن على ما يتبقى من غذاء أطفالهن .

ويمكننا أن نعتبر الثلاثينات مفترق الطرق بالنسبة للتغذية .. فقد كانت الصحة الطبيعية وحيوية الشباب تخفيان آثار التغذية الرديئة ، ولكن المراة فى هذه الفترة تبدأ فى الشعور بنتائج التغذية غير المتزنة . وتراها فى نفسها .

إن تناول الوجبات ذات المكونات الغذائية المنخفضة يترك المراة متعبة ، ويجعل شعرها خاملا ، وبشرتها فاترة شاحبة ، ويحرمها من القدرة على مقاومة العدوى . ولكنها لو وضعت برنامجاً لتغذية متوازنة والتزمت به ، فانها ستشعر بعد أسبوعين فقط بأن جلدها قد ارتاح وشع وأن شعوراً بالصحة واللياقة قد دب فيها .

التغذية الوقائية

كانت لجنة مختارة قد شكلت فى الولايات المتحدة للنظر فى التغذية والاحتياجات البشرية . وقد اتضح لها ان ستة من كل عشرة أسباب رئيسية تؤدى الى الموت فى الولايات المتحدة تتصل بشكل وثيق بنوع الغذاء .

فالغذاء النموذجى فى أمريكا غنى جداً بالدهون والسكر والملح والوحدات الحرارية .

والثلاثينات هى الوقت الملائم للتطبع بعادات غذائية وقائية . وهى فى الحقيقة آخر فرصة للمراة للتخلص من العادات الضارة المعروف عنها مساهمتها فى امراض مثل امراض السكر والسرطان والقلب وارتفاع ضغط الدم .

إن أهمية اتباع التغذية المتوازنة الجيدة فى هذه المرحلة من العمر ليست فقط حاسمة بالنسبة لهذه السن وإنما لبقية ايام المراة فى الحياة .

الأربعينات

يقل احتياج المراة فى هذه السن مائة وحدة حرارية أخرى .. ويصبح متوسطه ١٩٠٠ وحدة فى اليوم . وبالرغم من كل يقظة فى تنظيم الأكل فان التغييرات فى الهرمونات التى تحدث فى الأربعينات تؤدى الى تراكم الشحم بكميات متفاوتة فى الردفين والخصر والظهر والبطن . وهذا الشحم ضرورى وصحى .. شريطة

ألا يضيف الى الوزن العادى أكثر من عشرة أرطال .

ويعتقد أن هذا الشحم هو مصدر لهرمونات الأوستروجين التى تؤجل ظروف وظهور أعراض انقطاع الحيض ، وتبقى العظام قوية ، وتحافظ على نضارة البشرة ، وتحسن دورة الدم فى الجسم ، وتحد من فرص مرض القلب . ولكن إذا زاد هذا الشحم بشكل بارز فان أخطار مرض القلب والسكر تكون أكثر من فوائد الأوستروجين الاضافى .

الكالسيوم

إن اللبن هو أغنى مصدر للكالسيوم . وهو مازال مهما للصحة . ولكن الناس ، مع الأسف ، كلما تقدم بهم العمر اصبحوا ذوى حساسية للسكر (اللاكتوز) الموجود فى اللبن ، والذى يسبب للبعض اضطرابات فى المعدة وتقلصات ونفاخ وأسهال . ويقدر حوالى ٧٥٪ الى ٨٠٪ من البالغين بأنهم لا يتحملون هذا اللاكتوز الموجود فى اللبن ويمكن للبعض أن يشرب القليل منه فى المرة الواحدة . ولذا يوصى بأن نشرب كوبين من اللبن مع الوجبات فى اليوم .

وإذا احست المرأة بأن اللبن الحليب يسبب لها متاعب ، يمكنها ان تلجأ الى تناول الكالسيوم من مصادر أخرى . إن كمية الكالسيوم المتوفرة فى ثمان أوقيات من الحليب هى تقريباً متوفرة فى حوالى فنجان وربع من السبانخ أو أوقيتان ونصف من سمك السردين . والكالسوم ضرورى جدا لحفظ صلابة العظام .

الخمسينات

هذه الفترة تعنى لكثير من النساء انخفاضا فى نشاطهن وحيويتهن ، وتنخفض حاجة وظائف الجسم للوحدات الحرارية الى حوالى ١٨٠٠ وحدة فى اليوم . وبالاضافة الى ذلك فان الجسم يمر بمرحلة تغييرات كبرى تؤثر على التغذية .. وأهمها انقطاع الحيض .

انقطاع الحيض

عندما تتوقف الدورة الشهرية للمرأة يتوقف احتياج الجسم الى اية كميات إضافية من الحديد ، والتى إن تنوولت أدت الى ألم فى المعدة والمصارين .

وتحدث أيضاً تغييرات فى الهرمونات تؤثر على العظام التى غالباً ما تصبح قابلة للكسر ومن اعراض تأثير هذه التغييرات فى الهرمونات وجع الظهر وتقوس الظهر والكتفين . وقد أظهرت الأبحاث أن النساء اللاتى يعانين من هذه المشكلة هن فى الواقع يفتقرن الى فيتامين (د) وإلى الكالسيوم . ويوصى بعض الأطباء بتناولهما للحد من تلك الأمراض .

الكولسترول

قبل أن ينقطع الحيض ، تقوم هرمونات الأنوثة بحماية طبيعية ضد الآثار المدمرة للكولستيرول على الأوعية الدموية . ويمكن للمرأة أن تتناول أطعمة غنية بالدهون أكثر من الرجل ، ودون الرجوع الى الطبيب . ولكن بعض انقطاع الحيض ، يجب على المرأة أن تلزم الحذر . إن الحد من الدهون ، بما فى ذلك الكولستيرول ، يقلل من مستواه فى الدم . وبدلا من تناول خمس بيضات فى الأسبوع ، ينبغى على المرأة فى هذه السن أن تأكل بيضتين أو ثلاث لا أكثر فى الأسبوع .

وبالرغم من أن البيض منخفض فى الوحدات الحرارية ، ويعتبر مصدرا رخيصاً وجيداً للبروتين ، فان البيضة الواحدة تحتوى على ٢٥٠ ملليجرام من

الكلوستيرول . وبما أن الحد الاقصى من الكلوستيرول ينبغى الا يزيد بالنسبة للبالغين عن ٣٠٠ ملليجرام فى اليوم ، يمكننا أن نرى خطر البيض إذا تناولناه دون حذر .

ومن الأهمية بمكان أن نبحث عن مصادر للدهن غير مركزة ، فاللحوم وأنواع كثيرة من الجبنة والشرائح الباردة والحلوى والفطائر .. كلها ترفع نسبة الكلوستيرول فى الدم . ولصعوبة تحديد نسبته فى اللحوم ، فان الجمعية الأمريكية لامراض القلب تنصح بأن تكون كمية البروتين الحيوانى ٩ أوقيات فى اليوم .. وهى كمية أكبر مما يحتاجه الجسم من البروتين ، ومع ذلك فهى أقل خطراً من تناول دهون إضافية مركزة ترفع نسبة الكولستيرول فى الجسم .

الأليـــاف

إن الاطعمة المكونة من الخبز الابيض واللحوم الثمينة والحلو المصنوع من الدقيق الابيض والسكر تفتقر الى الألياف . ومع أن الليف الغذائى لا يعتبر مكوناً غذائياً حيوياً ، إلا أنه يلعب دوراً مهماً فى أداء الجسم وخاصة فى حفظ انتظام الاحشاء .

وتكتسب الألياف أهمية خاصة وأكبر فى هذه المرحلة من العمر حيث يقل النشاط البدنى ويهبط مما يؤدى الى وهن وضعف الاحشاء ومشاكل فى المعدة . كالامساك .

وهى أيضا مهمة بالنسبة للأسنان واللثة .. لأن من يفتقر غذاؤهم الى الألياف يعانون عادة من التهابات اللثة ، وتساقط الاسنان أكثر ممن يأكلون أطعمة بها بعض الألياف الغذائية .. كل يوم .

ولتحسين نوعية وكمية الألياف فى الغذاء يجب تناول قبضتى يد من النخالة .. مع تحاشى أية زيادة حادة .. لأن ذلك يسبب غازات المعدة .

ويفضل أن يتم تناول الخبز المصنوع من القمح غير المنخول ، أو أن تضاف النخالة الى أى غذاء من الحبوب المفضلة . ويجدر الاستمرار فى أكل الفاكهة والخضروات الطازجة ثلاث

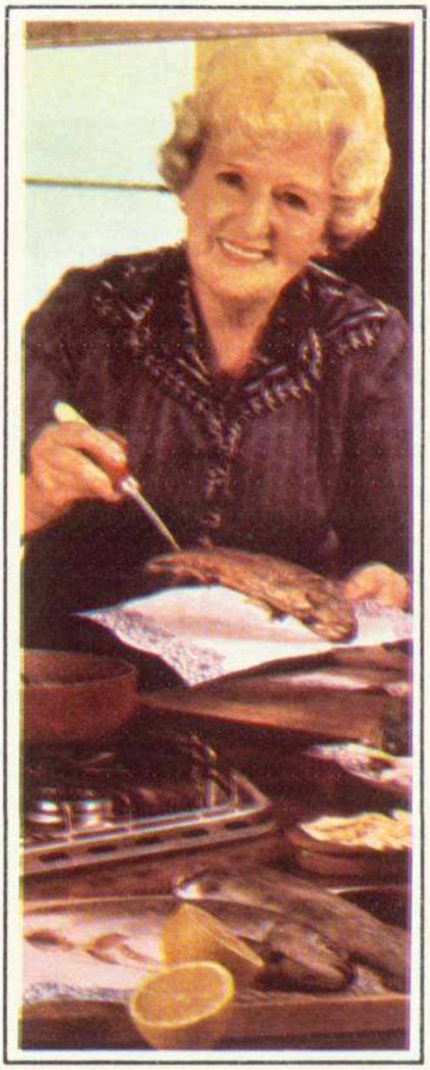

مرات يومياً . فهو مفيد . ويستحسن أكل تفاحة مرة فى اليوم لاحتوائها على عنصر ليفى .

غذاء لكل الأعمار

لنكن واقعيين ونحن نحاول أن نحسن غذاءنا . انه لمن الأفضل أن نعدل نظام تغذية يمكننا ان نعيش به بدلا من أن نبدأ نظاماً صارماً فى الأكل من المحتم أن نهجره بعد حين . فاذا كانت سيدة ما تشرب أربع زجاجات من الكولا كل يوم فان تقليل ذلك الى زجاجتـين هو فى حد ذاته تقدم كبير . وبالمثل فان الحد من كميات اللحوم التى تاكل يومياً أفضل من محاولة اتباع نظام نباتى لا يستمر أكثر من أسبوعين . إن الاعتدال هو مفتاح تنظيم التغذية . فالغذاء المتنوع خير وأسلم وأبعد أثرا .

وتذكرى ، سيدتى ، لا يمكن أن يكون أى طعام سماً مادمنا نتناوله فى اعتدال .

المرأة الحامل

يقدر ما يتطلبه الحمل من وحدات حرارية بحوالى ٧٥٠٠٠ وحدة . ولمقابلة ذلك على المرأة الحامل أن تضيف ٣٠٠٠ وحدة حرارية يومياً الى غذائها العادى ، وأن تستمد هذه الحراريات من أطعمة مغذية ، وخاصة تلك الغنية بالكالسيوم والبروتينات .

زيادة الوزن

كانت التغذية بالنسبة للحامل حتى زمن قريب تعنى زيادة فى الوزن بحوالى ١٥ الى ١٨ رطلا . وكان الأطباء يحذرون الحوامل من مغبة زيادة أكثر من ٢٠ رطلا لأنها فى اعتقادهم تسبب ارتفاعاً فى ضغط الدم وتسمماً فى الدم .

ولكن فترة الحمل ليست هى الفترة المناسبة لاتباع ريجيم فى الأكل .. لأن تناول الطعام الجيد الغنى بالمكونات الغذائية ضرورى لنمو الجنين ، ويجب أن تؤجل أية محاولة لاكتساب قوام نحيف الى مابعد الولادة.

إن الاطفال المولودين لأمهات لم يزدن وزناً كافياً معرضون لخطر أن يولدوا ناقصى الوزن . وقد تعلمنا فى الحقب القليلة الماضية حقيقة مرة وهى أن من يولد صغيرا فى حجمه وضامرا غالبا مايبقى هكذا دون نمو مكتمل ، والادهى من ذلك أن فرص التخلف الذهنى وصعوبة التعلم والفهم لديه أكبر منها لدى غيره من الأطفال .

واليوم نجد معظم أطباء الولادة وخبراء التغذية ، ينصحون المرأة — حتى وإن كانت ذات وزن أكثر مما يجب — أن تضيف الى وزنها مابين ٢٠ الى ٣٠ رطلا لتؤمن لنفسها وجنينها المكونات الغذائية اللازمة . وعلى المرأة ناقصة

في كل مراحل العمر الجميل ماذا تأكلين ياسيدتي؟

كلما تقدمت المرأة في الحمل تراكم شحم إضافي في جسمها وهذا أمر طبيعي

من الضروري أن تتناول المرضع غذاء تتوفر فيه المكونات الغذائية التي تساعد على غزارة اللبن

الوزن ان تحاول أن تجعل وزنها يعادل طولها في بداية الحمل ، لتتحاشى خطر الوقوع هي نفسها في تعقيدات .. وحتى لا تلد طفلا قليل الوزن .

ويجب أن تتراوح الزيادة في الثلاث أشهر الأولى من واحد ونصف الى ثلاثة ارطال ، ثم ثلاثة ارباع الرطل الى رطلا كل أسبوع في الستة أشهر الباقية .

واهمية التقيد بهذه الزيادة حيوية بالنسبة للطفل الذي ينمو أكبر جزء من دماغه في أخر ثلاثة اشهر له داخل الرحم .

وإذا ظهر للمراة انها تزداد وزناً بشكل سريع كل شهر وجب عليها ان تتريض لا ان تقلل من اكلها . لا تجوعي ياسيدتي ، بل تحركي ، فهذا رأي الطب .

وكلما تقدمت المراة في الحمل ، تراكم شحم أضافي في جسمها . وذلك أمر طبيعي ومرتبط بتطورات وتغيرات الجسم اثناء الحمل ، لأن الجسم يخزن بطريقة طبية وصحية طاقة لفترة الرضاع والعناية بالطفل .

الصوديوم ـ الملح

هناك تغيير ثوري في التوصيات المقدمة للنساء الحوامل عن التغذية ، وتتعلق بالصوديوم ، وخاصة الصوديوم كلورايد ـ أي ملح الطعام . وكان المعروف المتداول هو الحد من تناوله لأن الاطباء لاحظوا ارتباطه بارتفاع ضغط الدم ، وبتعقيدات أخرى يصاحبها تراكم الماء بالجسم .

وبما أن الصوديوم يزيد من نزوع الجسم الى الاحتفاظ بالماء ، ثم الاعتقاد بأن الحد منه يساعد في الحد من امكانيات هذه التعقيدات .

أما اليوم ، فان الاعتقاد السائد هو أن الصوديوم في الغذاء لا أثر له يذكر فيما يتعلق بارتفاع ضغط الدم أثناء الحمل ، وأن تراكم بعض الماء في الجسم الحامل أمر طبيعي . وهو ضروري بالنسبة للسائل الاموينى الذي يطفو فيه الجنين كما أنه ضروري لمد حجم الدم ، والذي يزداد اثناء الحمل ، بالسوائل .

ويرى الأطباء والخبراء من الكلية الأمريكية للولادة والأطفال أن المكونات الغذائية الحيوية كالصوديوم يجب ألا تحدد اثناء الحمل الطبيعي ، وعلى المراة أن تتناول المقادير التي تفضل من الصوديوم مالم ينصحها الطبيب بغير ذلك .

الحديد

يزيد حجم الدم اثناء الحمل بنسبة ٥٠٪ ، ويزداد انتاج كريات الدم الحمراء، وبذا يحتاج الجسم الى ٥٠٠ ملليجرام من الحديد اضافية خلال الأربعين أسبوعاً التي يستغرقها الحمل . وتحتاج المشيمة ـ غشاء الجنين الذي يخرج معه ـ ونمو الطفل الى ٢٥٠ ملليجرام أخرى ، مما يرفع احتياج الجسم الى ٧٥٠ ملليجرام إضافية من الحديد . وبما أنه يصعب توفير كل ذلك من الطعام العادي ، فان تناول حبوب الحديد ضروري لحماية جسم الحامل ومخزونه من الحديد .

رضاع ثدي الأم

إنتاج اللبن وظيفة طبيعية لثديي الأم ، وعدم الرضاع يعني أن الثديين عاجزان عن استخدام الدهن والغدد والسوائل بالطريقة التي خلقا ليقوما بذلك .

ويقوم الرضاع باثارة التقلصات في الرحم وبذلك يساعد اعضاء المراة التناسلية على العودة الى حجمها ووضعها الطبيعي . كما أنه يحرق حوالي ١٠٠٠ وحدة حرارية في اليوم الواحد ، معظمها من التسعة ارطال من الشحم التي يكتنزها الجسم اثناء الحمل ولكن ذلك لايعني أن جسم المرضع لا يحتاج الى الأغذية التي توفر له الحراريات . ولذلك ينصح بأن تزيد المراة المرضع حوالي ٥٠٠ وحدة حرارية الى احتياجها العادي من الوحدات الحرارية .. وأن يكون ذلك من اللبن الغني بالكالسيوم ، ومن البروتين ، وذلك بأن تشرب المرضع كوباً ونصف الى كوبين كبيرين يومياً من الحليب .

ومن الضروري أن تتناول المرضع غذاء تتوفر فيه المكونات الغذائية التي تساعد على غزارة اللبن .

إن صحتك ، سيدتي ، هي بالذات وفي الأساس السبب الذي يجعلنا ننصحك بأن تتناولي غذاء متوازنا .. لأن الحمل والرضاع يستهلكان جسدك ، ولا يمكن لغذاء فقير ، وخاصة في البروتينات والكالسيوم ، إلا أن يضاعف الاجهاد الذي غالباً ما يصاحب الأمومة .

مؤثرات غامضة عن حياتنا

معظمنا يجهل كم نحن حساسون. لأن الدماغ يلتقط ما يشد انتباهنا فماذا عن المعلومات الأخرى؟

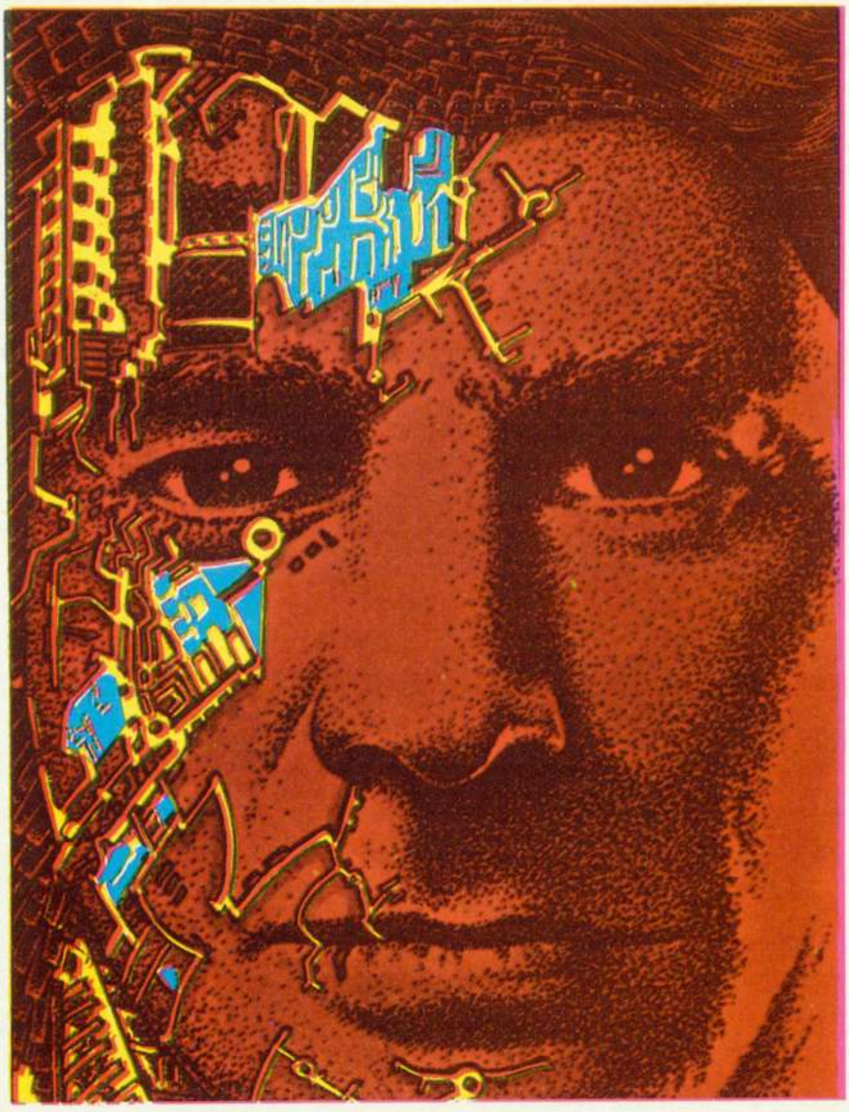

تقع الجزر اليابانية فى واحدة من المناطق الكبرى للهزات الارضية والزلازل ولذلك يهتم أهل اليابان اهتماما بالغا بالاسماك الذهبية .. التى تصبح قلقة للغاية فى الأيام التى تسبق وقوع الهزات الأرضية ، ويعكس اضطرابها درجة حدة الصدمة الزلزالية .

ويبدو أن هذه الأسماك التى يمكن اعتبارها ادوات قياس حية للاحساس ، تستطيع ان تلتقط الذبذبة المكتومة التى تتراوح بين سبع الى اربعة عشر دورة فى الثانية ، والتى تسبق الهزات الارضية العنيفة ، كما ان الانسان ايضاً حساس للغاية تجاه هذه الذبذبة .

قبل سنوات كان احد المهندسين الفرنسيين يفكر بشكل جدى فى تقديم استقالته من عمله لأن مكتبه كان بالفعل يسبب له الغثيان ، ولكنه لم يكن يدرك تلك الحقيقة بالطبع ، ولذا ظن ان موجات القىء المتكررة التى كانت تصيبه هى من جراء ضغط العمل عليه ، ثم خطر له ذات يوم أن هذه الحالات لاتصيبه الا أثناء عمله بمكتبه الذى كان فى قمة إحدى العمارات العالية ، وقد تم فحص

مؤثرات غامضة على حياتنا

الأوساط العلمية بدأت تنتبه إلى ذلك الكم الهائل من قوى الإنسان

الغرفة للتثبت من عدم تسرب الغاز بها ، وفحصت مكيفات الهواء ، وتم التاكد من عدم وجود اى نوع من الاشعة .. وعندماعاوده الشعور بالقىء جلس فى كرسيه ، واسند ظهره الى الحائط . وفجاة اكتشف حقيقة الامر : لقد كان شكل وموضع مكتبه يجعلانه يتاثر ويتجاوب مع ذبذبات مولد للكهرباء بسطح المبنى المجاور الذى يفصله شارع عن مكتبه ، مما جعل الغرفة كلها تهمهم بنغمة ترددها سبع ضربات فى الثانية .

ايقاعات أساسية

لقد اظهرت الأجهزة الحديثة المتطورة القادرة على قراءة الاشارات الكهربائية التى يبثها الدماغ وجود اربع ايقاعات اساسية ، واشد هذه الايقاعات بطئا هو ايقاع (دلتا) الذى ينبض مرة الى ثلاث مرات فى الثانية ، وهذا الايقاع يقترن عادة بالنوم الخالى من الاحلام ، ولكن الايقاعات الثلاث الاخرى حيوية جدا بالنسبة لحياتنا فى اليقظة .

ان تقلبات امزجتنا مرتبطة بايقاع (ثيتا) الذى يتراوح معدل نبضه بين اربع وسبع دورات فى الثانية ، اما ايقاع (الفا) الذى يتراوح بين ٨ الى ١٢ دورة فى الثانية فهو الدال على حالة الادراك المسترخى فى راحة ، اما اسرع هذه الايقاعات فهو ايقاع (بيتا) ويقترن بعمليات التفكير .

اننا نتعرض فى كل يوم يمر بنا لمؤثرات قادرة على التدخل فى ايقاعاتنا الطبيعية أو إربا كها ، وليس ثمة سبيل معروف لمراجعة نتائج ذلك التدخل ، وقد نبهت الجمعية البريطانية للاصوات منذ حين الى ان كثيرا من السيارات التى تجرى بسرعة ٦٠ ـ ٧٠ ميلا فى الساعة تحدث ذبذبات فى نطاق ١٠ الى ٢٠ دورة وان ذلك يساعد على احداث تنويم مغنطيسى فى الطريق على المدى البعيد

ولكن الاخطر من ذلك هو ان الضوء الذى يترجرج فى نطاق ايقاعات (الفا ـ بيتا) يمكن أن يحدث حالات من الصرع وفقدان الوعى أو الذاكرة مؤقتا .

قوى كامنة

إن معظمنا يجهل كم نحن حساسون ..وذلك لان الدماغ يختار وينتقى ما يرى ان يشد انتباهنا ، ولكن ذلك لا يلغى كوننا نستقبل معلومات اخرى فى كل لحظة من لحظات النهار دون أن نشعر بذلك أو نعيه .

ولقد بدات الأوساط العلمية تنتبه وتعترف بقدر من ذلك الكم الهائل من القوى والقدرات الكامنة فى الانسان ، والتى لم تكن تلحظ من قبل ، ويعود الفضل فى ذلك الى عالم الأحياء فرانك ا.براون من جامعة نورث وسترن .

تاثير القمر

وكان هذا العالم قد قام بنقل عائلة من المحار الذى يفتح صدفة وفقا لايقاع المد والجزر حين يريد الأكل ، من موطنه الطبيعى فى خليج نيو انجلند الى فنطاز للماء بمختبره بالقرب من مدينة شيكاغو وفى غضون اسبوعين اخذ المحار يفتح صدفه ويغلقه مثلما كان يفعل تجاوبا مع ايقاع المد والجزر ، ولما كان بعيدا عن الساحل ، اتضح ان الذى ينظم هذه العملية بالنسبة له ليس هو المد والجزر وإنما استجابة للمراحل القمرية المحلية

ويبدو ان الناس ايضا حساسون لهذه الدورة من المد والجزر ، فالشمس والقمر يقعـــان فى خط واحـــــد مـــع الارض مرتين فى الشهر القمرى ، وتحدث هذه الجذبة موجتين من المد والجزرفى البحار ، ويبدو أن موجات المد والجزر فى جسم الانسان تتبع هذا الايقاع نفسه .

وقد لاحظ احد الجراحين بفلوريدا ، هو الدكتور ، اندروز ، وجود علاقة بين حالات النزيف بعد العمليات الجراحية وبين وجوه القمر الأربعة .. واكتشف أن ٨٢ بالمئة من كل حالات النزيف الحاد تحدث فى الربع الأول والربع الأخير للقمر ، ولذا قرر ان يقوم بالعمليات الطارئة فقط فى نصف الشهر القمرى .

إن حالات القمة فى الدورة القمرية تؤثر علينا فيما يبدو لدرجة تبطىء قدرة الدم على تكوين التجلط الذى دونه لايتوقف النزيف ، كما ان الشمس بدورها تشد الأمور فى الاتجاه المضاد .

تأثير الشمس

إن الفرن النووى الجبار الذى تدور حوله الأرض يبلغ كل احد عشر عاما قمة من سوء الهضم الذري العسير ، يتمخض عنها مايعرف ببقع الشمس السوداء . وعندما تنفجر هذه البقع وهى مناطق نشاط عال فوق سطح الشمس ـ فانها تقذف فى الفضاء بتيار من الاجزاء النووية اقوى من المعتاد ، وتتاثر الأرض بذلك التيار ، وتحس وطاته . وقتها تضطرب اجهزة الاتصال بشكل مريع .

ومن المعروف ان البقع الشمسية السوداء تؤثر فى التكوينات المناخية التى تهيج البحار ، كما تتعرض الأرض

لاحظ أحد الجراحين بفلوريدا وجود علاقة بين حالات النزيف ووجوه القمر الأربعة

لفترات أطول من أشعة الشمس ، ولأن درجة حرارة المحيطات تكون منخفضة درجة أو درجتين ، فإن جبال الثلج تتحرك شوطا بعيداً نحو خط الاستواء قبل أن تفقد الكثير من حجمها ، وقد حدثت فاجعة غرق السفينة «تايتنيك» قبل بضعة أشهر من بلوغ بقع الشمس قمة نشاطها فى عام ١٩١٣ م .

وقد ثبت أن هناك علاقة مباشرة بين فترات النشاط الشمسى الكثيف والعوامل المرضية ، مثل حالات نوبات القلب واحتمال النزيف عند المصابين بمرض السل ، ونشرت الأكاديمية الطبية الفرنسية تقريراً أعده اثنان من جراحى القلب البارزين هما فيرات وبوماليو ، وقد لاحظا وجود علاقات وشيجة ومحددة بين أوقات ازدياد الاشعاع الشمسى وارتفاع حالات نوبات القلب التى تحدث بسبب تجلط الدم .. وذلك فى المرضى الذين بهم استعداد للاصابة بهذا المرض ويؤثر ذلك على كريات الدم البيضاء أيضا ، إذ أنها تعمد الى خفض تكاثرها وتنقص بنسبة تصل إلى ٣٠ بالمئة من عددها العادى .

ولا يجدى البقاء داخل البيوت كثيراً فى الأيام المشمسة ، فقد أثبتت اختبارات أجريت بعض مئات من الأقدام تحت الأرض أن الانسان هناك يتأثر بنفس القدر الذى يتأثر بالشمس فى المستشفى أو المختبر ، ولا يعود ذلك كله الى الأثر المباشر لأشعة الشمس ، بل الى ما يحدث من اضطراب فى الحقل المغنطيسى للارض من جراء موجات من تلك الزوابع الشمسية .

ولا يقتصر الأمر على الاضطرابات الجسدية فحسب ، فالتنسيق الذهنى وردود الأفعال كلها تتأثر ، ان التنسيق الذهنى فينا يعتمد على السرعة والكفاءة التى يتم بها انتقال الاشارات الكهربائية الدقيقة بين المخ والأجزاء المختلفة فى الجسم ، ومدى حسن استقبال ورد فعل تلك الأجزاء ، ولذا فان التدخل الكهرومغنطيسى يقلل من تلك الكفاءة ،

أو يحدث فوضى كاملة فى كل الجهاز .

وليست من قبيل الصدفة أن قمة الحوادث فى الحركة وكوارث المناجم كلها تحدث فى الأيام التالية لزيادة نشاط البقع الشمسية السوداء .

تأثير المجال المغنطيسى

إن معظم العلماء الذين تعودوا أن يكتشفوا معلومات محيرة للعقل ، يجدون أنفسهم وقد ألجمتهم الدهشة حين يواجهون بعامل من العوامل فى المعادلة الانسانية لم يشتبهوا فى وجوده من قبل ، فعندما عرضت نتائج اختبارات الدكتور زابوج هارفاليك على السيد ولهام دى بووير ، الذى كان قد أثبت المرة تلو الأخرى قدرته على التعرف على التغييرات فى المجال المغناطيسى لبيئته حتى ولو كان ضئيلا ..كواحد من مليون من الأمبير ، أى أقل بكثير من المجال المغنطيسى للارض ، لم يستطع رئيس شعبة الفسيولوجية العصبية فى الكلية الجامعية سوى طرح سؤال واحد هو : «كيف يحيا ذلك الرجل فوق هذه الأرض ؟ ».

ولمعرفة مدى صغر ودقة تلك الاشارات ، علينا أن نتذكر أن قطبى المغنطيس العادى المشكل فى هيئة حدوة حصان هما أقوى وأكثر من ألف مرة من المجال المغنطيسى للأرض ، ولا يشعر أكثرنا بأى شىء إن وضع اصبعا بينهما . ولكن .. لنحاول ذلك وبيدنا خاتم من الحديد أو النحاس ! إن تلك الاشارة ، وهى أقل قوة بحوالى ألفى مرة تمر بيننا وبين الأرض فى كل لحظة ، ونستجيب نحن لدورنا لها

المجال الكهرومغنطيسى

وقد نشرت (نشرة علوم الحياة وأبحاث الفضاء) مايثبت ذلك عندما أوردت الدراسات التى يجريها عالم الأحياء الألمانى فيفر ، وكان هذا العالم قد أبقى ٨٢ متطوعا فى غرفتين تحت الأرض صممتا خصيصا لتجربته ، حيث الظروف البيئية من حيث الضوء والحرارة قد ظلت فى احداهما دون تغيير ، أما الغرفة الأخرى فقد حققت تماما ضد تأثيرات المجال الكهرومغناطيسى الأرضى وغيره ، وكانت النتيجة أن المتطوعين فى الغرفة الأولى شعروا بأن الزمن قد تمدد ، وكان رد فعلهم كما لو كانوا يحيون يوما طوله ٢٥ ساعة . أما المجموعة الثانية فى الغرفة (٢) فقد أخذت فى غضون أيام معدودات تعانى من اضطرابات فى النوم واحساس بالاغماء والغثيان ، وقد اختفت كل هذه الأعراض فى ظرف يوم واحد عندما سمح بتمرير حقل مغنطيسى ضعيف يتراوح بين ١٠ دورات فى الثانية الى الغرفة .. وهو نفس المعدل الذى تنبض به الأرض ، كما أنه نفس المعدل الذى يستخدمه الدماغ فى بث اشارات بأنه فى حالة سكينة ويقظة . فهل ذلك مجرد صدفة ؟

لقد قارن اينشتاين مرة جهلنا بالعالم الذى نعيش فيه بجهل السمكة السابحة فى المحيط بالماء ، ولكن ربما كنا قد بدأنا فعلا أخيراً نتعلم شيئاً من التيارات التى تتجاذبنا .. وفوائد الحركة مع المد والجزر .

أسطورة المرأة النحيفة

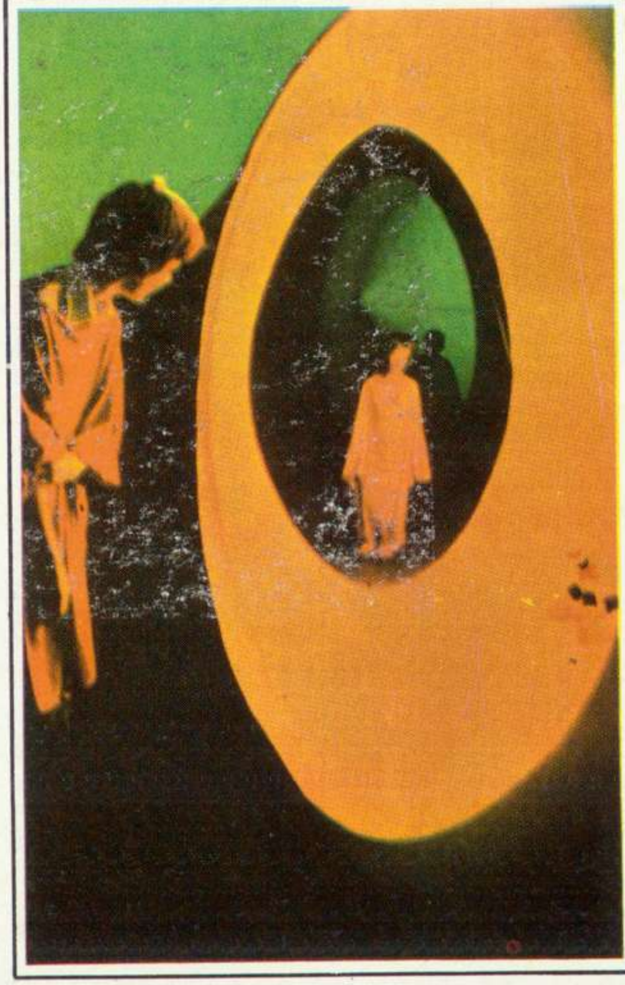

طغى يقين «فاسد» تحتفل به معظم النساء فى العالم .. وهو أن الحياة لاتطيب للمراة إلا إذا كانت نحيفة ؛ وقتها فقط ستحظى بحب من تهوى ، وبالوظيفة التى تشتهى ، وتحقق الحلم الوردى بلبس المايوه ذات القطعتين للسباحة ، والأزياء الآسرة للسهرات .

ومما يؤسف له أن مجتمعات كثيرة تشيد بهذه الأسطورة .. فتكافىء السيدة النحيفة وتفرض نوعاً من العقاب على البدينة .. فالأطباء وأصحاب العمل والأصدقاء والمعارف .. والمارة فى الطرقات ينظرون الى البدانة لا كدليل على أن صاحبتها تعانى مشكلة فى التغذية ، بل باعتبارها غير قادرة على التحكم والسيطرة على نفسها فى كل مجال آخر . والمؤسف أن معظم النساء يحتفين بهذا السخف ، ويقيمن انفسهن انطلاقاً منه . وينتهى بهن الأمر الى الشعور باليأس واحتقار النفس ، وتلك هى بداية ايمانهن بهذه الأسطورة .

تفكير محبط

إن هذا النوع من التفكير يمكنه ، فيما يرى الخبراء ، أن يكبت فى كثير من الناس القدرة على تخفيف أوزانهم . فعندما يضع المرء كل آماله فى السعادة فى انجاز شىء واحد فقط ، هو تخفيض الوزن فى هذه الحالة ، فانه يصبح صريع ضغوط حادة جدا . وتشير طبيبتان تخصصتا فى العلاج الطبيعى وعملتا مدة طويلة مع النساء اللائى يعانين من مشاكل طاغية فى الأكل الى حقيقة بسيطة ومعقدة فى آن واحد، وهى أننا حين نعتقد أن كل شىء كنا نسعى وراءه سيتحقق متى فقدنا الوزن الزائد ، فاننا نبدأ فى القلق باننا لن نستطيع انجاز ذلك على الاطلاق .. وهذا بدوره يفرز نوعاً من الخوف الذى يهزم ويبدد كل محاولاتنا للتقيد بنظام غذائى .

ومع ذلك .. فان كثيراً من النساء قد نجحن فى التخلص من الوزن الزائد ، وحافظن على ماحققن . فكيف افلحن حيث اخفقت الاخريات ؟

إن الفضل فى ذلك راجع الى انهن قد نبذن النظرية التى تحاول إغراءهن بان السعادة لا تتحقق إلا إذا اصبحن نحيفات ، ولانهن قد اقتنعن بان عليهن أن يتحكمن فى حياتهن بغض النظر عن اوزانهن ، ويسعدن .

الحرص على حياة إيجابية

وقد قالت إحدى السيدات ، وهى مصممة ديكور داخلى ، أنها عندما كانت فى الثانية عشر من عمرها كان طولها ٥ أقدام و٥ بوصات ، ووزنها ١٦٨ رطلا . وكانت أمها تجرها من طبيب لآخر فى محاولة للتخلص من وزنها الزائد . وتقول تلك السيدة أنها تعلمت شيئاً واحداً من كل ذلك .. وهو أنه مامن أحد يمكنه أن يجعلها تتبع رجيماً فى الأكل غير نفسها . فقد كانت منذ تلك السن الباكرة تحاول كل أنواع نظم التغذية المعروفة ، ولكنها اخفقت تماماً .

وقد كانت نقطة التحول بالنسبة لها عندما خشيت أن يقف وزنها الزائد حجر عثر فى طريق توظيفها ومهنتها . وكانت تعمل لمؤسسة للديكور الداخلى ، ولكنها كانت سجينة غرفة خلفية بعيداً عن الزبائن والنشاط الدائر . ولذا قررت تخفيف وزنها ، ونجحت فى ذلك ، وحافظت عليه .

وبعد حين غيرت مكان عملها ، حيث انتقلت للعمل بمحل للتصميم والديكور .. وفى المكتب الامامى ، حيث تقابل كل زبائن المحل . وتقول إنها تخلصت من الوزن الزائد عندما كفت عن الاعتقاد بانها تقوم بذلك من أجل الآخرين .

الاحساس بالمسئولية .

وفى حالة اخرى ، نجحت سيدة فى التخلص من أربعين رطلا .. وذلك لأنها شعرت بالمسئولية التى يلقيها عليها عملها كمديرة لاحدى الشركات الكبرى . وقد ساعدها ذلك فى القيام بنشاط اكبر حيث طفقت تسافر وتنتقل من فرع للشركة لآخر . وكان من بين مسئولياتها الوظيفية العناية بمظهرها .

الأمومــة ..

اما بالنسبة لسيدة كانت تقوم بالتدريس ، فان قرار التخلص من وزن زاد عليها لم يقترن باى تغيير فى مكان عملها ، بل لأنها حملت :

« لقد اصبحت ادرك أن الأمومة تعنى اننى ساكون مسئولة عن شخص آخر .. وبذا تغير كل اسلوب حياتى ، واضحت حريتى محدودة . لقد شعرت باضطراب ، واختلطت على الأمور فيما يتعلق بهويتى ومن اكون .. وافلت منى زمام التحكم فى نفسى . ولذا فان تنظيمى لأكلى كان بمثابة محاولة منى للتحكم فى حياتى . وقد نجحــت .. »

العناية بالنفس

والتجربة الرابعة لسيدة كانت مديرة لاحدى المدارس الريفية . لم يكن معها سوى امراة واحدة اخرى فى الادارة . وكانت تواجه قدراً كبيراً من عداء الرجال فى مجلس ادارة المدرسة .. فقد عارضوا بعض مقترحاتها وآرائها ومحاولاتها لجمع تبرعات للطلبة المحرومين . فامست تعيسة ، مما دفع بها الى زيادة وزنها ٤٠ رطلا فى عامها الأول بالوظيفة . ثم فجاة .. وفى غضون اشهر قليلة تخلصت من كل ذلك الوزن . ولم يزد وزنها بعد ذلك مطلقا .

وكانت تتحدث بمرارة عن تلك السنة ، حيث كانت تشعر باحتقار لنفسها ، وبانقباض نفسى مرضى .. لأنها رأت فى رفض المجلس لمقترحاتها وآرائها نوعا من الرفض لشخصها . وقد انطوت على نفسها بالبيت مشحونة بالأسى والحرقة .. وصارت تاكل .. وتاكل . ولم يفارقها الانقباض إلا بعد أن تخلصت من ذلك الوزن الهائل .. بفضل احساسها بضرورة الاعتناء بنفسها وتحقيق بعض الانجاز .

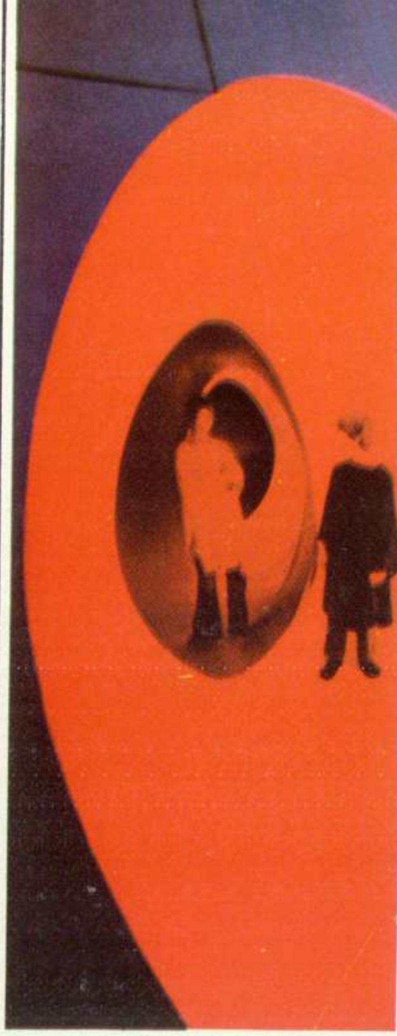

من المؤسـف أن مجتمعـات كثيرة تكافئ السـيدة النحيفـة وتعاقب السـيدة البديـنـة

الثقة بالذات

ثمة نمط واحد تبرزه قصص هؤلاء النسوة رغم اختلاف مشاكلهن مع الوزن الزائد ، ذلك هو مشاعرهن تجاه أنفسهن عندما قررن التخلص من زائد الوزن مرة والى الأبد . فقد شعرن باحساس غامر بقدرتهن وقوتهن ، وهو الشعور الذى زود كل واحدة منهن بالقوة والقدرة على معالجة المشكلة .

إن مجرد إزالة ما علق بهن من وزن زائد ماكان ليحل اشكالا .. ويسعدهن : كان ذلك واحداً من عدد من الخطوات والتدابير للتحكم فى حياتهن ومصيرهن .. بانفسهن .

النقطة الاخرى المهمة التى تتعلق بهؤلاء النسوة هى انهن تعلمن كيف يتعاملن مع الضغوط والاجهاد . فحين ادركن فى يقين أن الضغوط والاجهاد لا تعنى فقدان التحكم وإنما يمكن ايضاً أن تكون عاملا حافزا ، أستطعن أن يتخلصن من الوزن الزائد .

لقد كانت عملية العودة الى الوزن الطبيعى بالنسبة لهن جزءاً من عملية اكبر . وقد تحدثن عن القدرة على إنجاز اشياء اكثر مما كن يقمن به من قبل ، والقيام بما لم يجرؤن على الاتيان به أبداً مثل أن يجرين ويمارسن العابا كالاسكواش والسباحة ، والمشى لمسافات طويلة كن فيما سبق يقطعنها بالسيارة .

وقد اكتشفن أن ثقتهن واحترامهن لأنفسهن قد انعكسا على الآخرين ، وتقول احداهن أن زوجها كان دائم الحب لها ، ولكن احترامه لها زاد .. لانه لم يرها من قبل تركز بتلك الصورة الواعية على اى شىء .

ثمار الجهد الواعى

وخلاصة القول ان اؤلئك النسوة قد اصبحن اكثر سعادة من ذى قبل حين كن زائدات وزن . فهل يعنى ذلك أن اسطورة النحافة امر حقيقى ؟

لا ، بالطبع . فالحياة لم يسبغ عليهن كل اشيائها الجميلة الطيبة لمجرد انهن قد اصبحن نحيفات . إن كل واحدة منهن قد سعيت وراء كل تلك الأشياء الطيبة .. من وظيفة وعلاقات ونشاط ، مثلما سعت الى تخفيف وزنها . وادى كل نجاح الى نجاح آخر وكما قالت إحدى السيدات فان إدراكهن كلما تقدمن فى السن يزداد بان ما أردنه فى الحياة قد حققنه لأنفسهن بانفسهن ، ولم يكن منحة من احد لقد قررن أن الحياة التى تحلو لهن هى أن يكن نحيفات ..

بقلم : يحيى الطاهر عبد الله

حكاية على لسان كلب

(١)
أيامى فى الريـف

أنا ابن الصدفة العمياء

اسمى محظوظ ، ولاسمى حكاية تحكيها امى : « ولدت جروين وجروين وجروين .. وكنت انت احدهم . وقال صاحب الدار لأم اولاده : « اختارى يا أم اولادى من تلك الجراء جروا يحيا مع اولادنا» . اشارت زوجته إليك ــ وقالت : الذى نصفه ابيض ونصفه اسود . فقام صاحب الدار وحمل اخوتك ورماهم فى الخلاء البعيد ــ للجوع والبرد والريح والمطر والحيوان المفترس . وتقدم ابوك منك وشمك ولعقك ــ وقال : انت محظوظ . فقلت انا : ماراً يك لو نسميه محظوظ ؟ . رد ابوك : موافق يا أم محظوظ .

القاتل وانا فى بيت واحد

لما رايت صاحب الدار نبحت فى وجهه : انت رجل بلا قلب ، ونبحت فى وجه ابى ــ لما رايته يهز ذيله مرحبا بصاحب الدار : كيف ترحب بقاتل اخوتى؟! . رد ابى : لقد فعل الرجل ما فعله لأنه كامل العقل ياصغير العقل . قلت : مادام العقلاء قتلة .. فلنبحث عن بيت صاحبه مجنون . وتنهدت امى : حتى المجنون لا يقبل قبيلة من الكلاب فى بيته . وقال ابى : هل يطعم الفقير قبيلة من الكلاب ؟! .. هه .. ؟! الرجل غير قادر وعنده قبيلة من الأولاد . وتنهدت امى : نعم .. الفقر سبب كل بلاء .. الفقر هو القاتل ياولدى .

صاحب الدار وأبى واللصوص

ــ يا دنيا .. امورك غريبة «واحوالك عجيبة» !!

ابى وصاحب الدار ــ كلاهما يبيت خارج الدار ابى يحرس الدار بالليل من اللص ــ والدار مبنية من صفيح وطين وقش !! . وصاحب الدار يحرس بالليل بستان الغنى من اللص ــ والغنى نائم !! . ابى ينبح كل الليل ــ بسبب ومن غير سبب ــ حتى يخاف اللص فلا يقترب من دار ليس فيها ما يسرق !! . وصاحب الدار يقضى الليل كله ويتمخط ويبصق ــ بسبب ومن غير سبب ــ وقد يطلق رصاصة فى الهواء ثم يزعق «من هناك ؟» : هكذا يخاف اللص فلا يسرق البستان ! . وابى لا يملك الدار !! وصاحب الدار لا يملك البستان !! . اما اللصوص فيسهرون خارج الدور ــ لأنهم بغير دور ، وهم افقر من ابى ومن صاحب الدار .. ولذلك فهم يطمعون فى اشياء صاحب الدار القليلة ــ لولا ابى الصاحى اليقظ !! .. وهم طامعون فى بستان الغنى النائم ــ لولا حارس البستان الساهر والقابض بيديه على بندقية تخرج النار الحارقة من ماسورتها !! .

يوم لا انساه

جاء ضيوف من اهل المدينة ــ لقضاء يوم فى الريف . وقفز الأولاد والبنات ــ من العربة المكشوفة التى تشبه الأوزة ــ وعانقوا وقبلوا اولاد صاحب البستان وبنات صاحب البستان .

ونطت من العربة كلبة بيضاء .. قليلة الحجم .. نظيفة .. يكسوها شعر غزير ، وكان اسمها «لولو» ، وكان برقبة لولو طوق من الجلد تدلت منه اجراس تدق وتنشر النور ، وكانت لولو رشيقة الخطوة .. مشيها على الأرض يشبه الرقص .

أخاف ــ ياأبى ــ أن يطير عقلى من رأسى

قلت : ليت امى فى مثل جمال لولو .

رد ابى : الطبيعة هى التى اهدت لولو شكلها الجميل .. يا جاهل .

صححت كلامى : ليت الطبيعة اهدت امى مثل جمال لولــو .

رد ابى : لولو من عائلة اللولو .. ونحن من عائلة البلدى .. يا مغفل .

قلت : ولم ظلمت الطبيعة امى وانصفت لولو ؟

.. الطبيعة غير عادلة يا ابى .

نبح ابى فى وجهى : لا تنبح فى وجه الطبيعة ام الكائنات ايها الغبى .

وتركنى ابى ــ مع امى ــ ونط فوق سور البستان

ياأمى : أخاف أن يطير عقلى من رأسى

قالت امى : مالكة السيارة هى صاحبة لولو وهى التى اهدت لولو الطوق وهى التى علمت لولو كل لغات الأرض .

فقلت لأمى : وهكذا ظلمنا صاحب الدار ــ لأن الدنيا ظلمته .. يالها من دنيا ظالمة .

قالت امى : اقنع بنصيبك يا ولدى .. لا تعاند .. هيا بنا نلحق بابيك .. فهناك وليمة اقامها صاحب القصر ببستان القصر ــ حتى يرى الضيوف وهم ياكلون الخضرة والماء والمنظر الحســن .

عقلى سيطير من رأسى

من فوق سور البستان ــ نظرنا الى مكان الأكل . كانت لولو تاكل من دجاجة مشوية راقدة فى طبق .. وتلعق الخضار والمرق من طبقين .. وتشرب الماء ــ الذى رشوا عليه ماء الورد والسكر ــ من طبق ، وكان امام الضيوف واهل القصر مائدة فوقها البط المحشو والحمام المشوى والدجاج المقلى واللحم المسلوق ، وكان الضيوف يرمون البقايا من شحم وجلد وعظم فى اطباق ، وكان الخادم الذى يلبس الطرطور يرمى مافى الأطباق على الأرض ــ لتاكل كلاب صاحب البستان التى تشبه الذئاب ، وكان صاحب دارنا يقف كالناطور وبجواره خادم بيده دورق الماء الملون .

قلت لأبى : اتينا لناكل .. وها نحن نتفرج .

كشر ابى : لست وحدك الذى يتفرج ياعــرة الكلاب .

قلت : هاهى كلاب ارمنت تاكل .

زام ابى : هم اهل المكان ونحن غرباء .. هل فهمت يابلدى يابن البلدى ؟

وقالت امى : الأكل كثير يا محظوظ .. بعدما تشبع كلاب ارمنت وتعاف الطعام ــ سناكل انا وانت وابوك حتى نشبع .. سيبقى الكثير ياولدى

هممت بفتح فمى ــ فزعق ابى : اخرس .. لاتفسد علي متعة الشم فهى عندى كمتعة الأكل .

ونظر لأمى ــ وقال ساخرا : ابحثى عن ريشة وضعيها فوق راس ابنك فهو يظن انه الملك ..

قلت : لا يابى .. سابحث انا عن ريشة واضعها فوق راسى .

وقفزت من فوق السور ، وجريت الى الطعــام ، وامسكت بعظمة بها لحــم .

معركة غيرت مجرى حياتى

حاول الكلب الأرمنت الصغير نزع العظمة منى ــ فضربته بالعظمة على راسه ضربة جعلته يصرخ ، وتقدمت امه مكشرة فكشرت انا ولوحت بالعظمة مهددا ــ فوقفت فى مكانها تزوم . وقفز الأب ناحيتى فتراجعت خطوتين وملت شبرين ــ فوقع على الأرض ، ولما قام وواجهنى بعينين تشتعل فيهما النار ــ فضربته على عينه بالعظمة هكذا لم يعد يبصرنى فطاشت كل ضرباته ــ اما انا فقد اشبعته ضربا بالعظمة .

المحاكمة

جاء ابى يجرى ، وكان غاضبا ، وعضنى فى اذنى امام الجميع ، ووصفنى باًبشع الصفات . وهتف ولد من الضيوف : اتركوا الكلب الصغير يصارع الكلب الكبير .. اريد ان اتفرج . وصرخت بنت من الضيوف : لا .. لا .. لولو خائفة .. ابعدوا هذا الكلب الصغير المتوحش .

عند ذاك صوب حارس البستان بندقيته ناحيتى ــ فجريت واختفيت بين الأشجار .. وانا انبح واكيل له السباب : يا ناطور .. يا ناطور .. انت تتفرج وهم ياكلون .

الخطبة التى جعلتنى اهاجر

هاج ابى وملج ، وارتجل خطبة قال فيها كلاما له ثقل الأحجار ــ كان يتساقط فوق رأسى وانا منكمش تحت الاشجار :

« سيداتى سادتى .. انا احييكم براس محنية .. وانا اعتذر لكم ايضا براس محنية .. فى يوم اغبر ولدت شريكة حياتى هذا الكلب الفاسد .. فى هذا اليوم بكت السماء فسقط المطر وكفت العصافير عن التغريد وجف فى حلوقها النشيد . ومرت الأيام وكبر الفاسد فقل ماء النهر وقل حجم القمر فى السماء .. واليوم افسد الكلب الفاسد متعة الضيوف واهان كلاب الأرمنت ، وافزع المحترمة لولو .. ومن اليوم سارى انا الكلب الصالح النور ظلاما والظلام نورا .. هكذا تختلط الأمور ياسادة ــ حين يتطاول مخلوق من مرتبة سفلى على مخلوقات من طبقة عليا .. ومن اليوم ــ لاهو ابنى ولا انا ابوه .. ساطرده ليعيش عيشة الكلاب الضالة .. وسيعلم بعد فوات الأوان ــ لما تسقط على بدنه عصا الشحاذ ــ ان انتقام السماء عظيم .. وصدق الذى قال (لا تشترى العبد الا والعصا معه ــ إن العبيد لانجاس مناكيد) .. والسلام عليكم » صفق الضيوف وصفروا ، وهتف بعضهم بحياة ابى ، وهتف بعضهم بسقوطى .

الوداع

بحثت امى عنى ، ووجدتنى ، وقالت وهى تبكى : قلبى هدانى الى مكانك ياولدى قبل انفى ، وقالت : كبد امك يتمزق ياولدى .. وابوك تكلم بلسان الخوف ..

قلت : لا تحملى همك وهمى يا امى .. انا كرهت الحياة هنا .
فسالتنى : والى اين انت ذاهب ياولدى ؟
قلت : خلف العربة .. الى المدينة .. وراء لولو .. ساجرب حظى .

الرحيل من الريـف

جريت خلف العربة ، وناديت لولو المنكمشة فى حضن صاحبتها : لا تخافى يالولو .. ولا تصدقى كلام ابى عنى .. انا كلب طيب ومعجب بك .. والطريق الطويل يحتاج لانيس .. انا ذاهب الى المدينة وانت من سكانها .. انا لا اعرف المدينة وانت تعرفينها .. ساعدينى يالولو .
اخيرا تكلمت لولو ــ فابتسمت انا ، وقالت لولو : لقد افزعتنى بتصرفك المتوحش .. لكنى لا امتنع عن مساعدة من يريد المساعدة . قلت : عشت يالولو .. ودامت لك النعمة التى تعيشين فيها .

فقالت : اشكرك والآن كف عن الكلام حتى لا تغضب صاحبتى منى .. وتعال بالغد مع الشمس الى الفيلا التى ستقف امامها العربة .. ستجدنى وحدى العب فى الحديقة .. باى باى ..

(٢)

ايامى فى المدينـــة

ليلة فى شوارع المدينة

ليل المدينة بنهارين .. كل نهار بشمسين ، والناس فى المدينة يجرون على ارض الشوارع كماء السيل .. ملابسهم غريبة ــ وكانهم فى مولد او عيد .
رايت العجب ــ وانا اتسكع فى اسواق المدينة :
الطير الملون المحبوس ــ يغنى داخل القفــص .!؟ ، النور بكل لون ، الألوان تغمز وتتبادل الأماكن ، المخلوقات والأحذية والثياب وكرة الطفل ــ محبوسة داخل اقفاص من زجاج ، المراة المعلقة على الحائط تصرخ بغير صوت ــ وهى تغرق فى ماء البحر ــ ولا احد ينجدها !! .
الحوانيت اغلقت ابوابها ــ فقل النور واختفى الناس ، لولا وجود العربات واصحاب العربات لنبحت انا فى وجه المدينة : يامدينة هجرك سكانك .

تمكن التعب من بدنى ــ فوقفت افكر فى حالى ، وافقت من افكارى على قرصة فى اذنى ــ فهرشت اذنى . وهمس صوت فى اذنى : لا تهرش من فضلك فانا نملة . نبحت بغضب : ابتعدى . همست : ابتعد انت ايها الكلب عن هذا المكان .. وابحث عن مكان آمن يحميك من بندقية الصياد . قلت : انا غريب يانملة .. قادم من الريف .. لاصاحب لى هنا ولا بيت . همست النملة : مسكننا قريب .. تعال معى وقابل أمى الحكيمة .. امى ستساعدك ياكلب ــ فهى تفهم اكثر منى لأنها اكبر منى . قلت : انت خيرة يا نملة . فهمست فى اذنى : انا صابرة .. اسمى صابرة .. وساقدم لك خدمة مقابل خدمة . قلت : اطلبى يانملة . همست : سابقى هنا بجوار اذنك واتفرج على الدنيا .. لأن ما تراه انت فى ساعات ــ بفضل خطواتك الواسعة ــ اراه انا فى شهر وعامين . قلت : اتفقنا موافق يا نملة .
التصقت بساق الشجرة ــ فزحفت النملة الحكيمة وحطت فوق اذنى وهمست : لو كان بيتى يسعك لقلت لك « اهلا بك فى بيتى » ..
وانا لا انصحك بالبقاء فى المدينة ــ حتى لا تموت ميتة الكلاب على يد صائد الكلاب . قلت : لا اريد أن اغادر المدينة .. لى صاحبة تعيش بقصر وساقابلها فى الصباح .
همســت النملــة الحكيمــة فــى اذنــي : انت كلب طمـوح .. ولكن لا تدخل المدينة بالنهار . فسالتها : وهل تبغى لولو هلاكى ؟ .. ردت النملة : لا تفهم كلامى بالمقلوب ولا تظلم لولو .. لولو تعيش فى قصر ــ ولا يعرف عيشة الشوارع الا من عاش فى الشوارع .. ولولو قد تمشى فى الشارع ــ فهل كل من يمشى فى الشارع يعرف عيشة الشارع ؟ .الشارع بحرين مالحين يامحظوظ انا احذرك من السير بالنهار فى شوارع المدينة لأن صائد الكلاب يعمل بالنهار وينام بالليل وتلك خصلة محيرة من خصال اولاد ادم .
قلت انا بحزن وفرح معاً : ضاع لقاء لولو .. والمدينة مباحة بالليل .. ولا اعرف المكان الذى اختفى فيه بالنهار .

ردت النملة الحكيمة : لا .. إذهب الآن الى قصر لولو واترك ابنتى هناك .. وستقول لها لولو ماتود ان تقوله لك .. وعندما يحل الليل إذهب مرة اخرى الى القصر لتعرف ماقالته لولو لصابرة وقد تقابل لولو .. واقضى نهارك بالاحياء الشعبية ــ فصائد الكلاب يعيش هناك ولكنه يعمل بالمدينة ككل سكان الأحياء الشعبية .

نهار بشوارع الأحياء الشعبية

الناس اكوام ، والقمامة اكوام ، والبيوت خالية من الرجال ، عامرة بالنسوة الجالسات امام الأبواب يطبخن ويغسلن وياكلن ويرمين بالفضلات لنا نحن الكلاب ــ لكن الصبى المتشرد يطارد الكلب بالحجر وينزع العظمة من الكلب ، النهار ــ هنا ــ بشمس بلا عيون ، والحياة ــ هنا ــ عذاب مابعده عذاب .

ليلة أخرى بالمدينة

على باب فيلا لولو اسندت رأسى ــ فحدثتنى النملة صابرة بحديث لولو ، قالت صابرة ان لولو تقدر موقفى وتقبل اعتذارى عن موعدى معها «ولولو تعتبرنى من ابناء جنسها الحيوانات ــ مع إنى من عائلة بلدى » « ولولو تعتذر الليلة عن لقائى لانها تنام مبكرة » « ولولو تسهر ايام الخميس ــ ولكن خارج البيت » « وهى فى كل مرة مع صاحبتها .. فى زيارة للأصدقاء او لمشاهدة مسرحية او سيرك » « ولولو تقول ان اللقاء فى السيرك ممكن .. وعسير فى بيوت الصاحبات ولا يجوز فى السينما ولا يليق فى المسرح » .
وقالت لي النملة : لولو سترى العاب السيرك يوم الخميس المقبل ــ وهذا من حسن حظك ــ .. ولولو تركت لك قطعة لحم وفطيرة فوق قاعدة من الحجر يقف عليها تمثال من النحاس لأسد راقد يبخ الماس من فمه .. نط السور يامحظوظ وخذ قطعة اللحم وخذنى معك ــ لقد نلت مرادك من هنا . قلت : تعالى ياصابرة .. إن ضاقت عليك اذنى حملتك فى عينى .

من أقوال النملة الحكيمة

حكيت للنملتين ماجرى لي فى الريف ــ من الألف الى الياء . فقالت النملة الحكيمة : « انا لا احب الأنسان ولا اكرهه .. واعجب من ظلم الأنسان لأخيه الأنسان . حياتك مع النمل ستعلمك الصبر .. نحن جموع النمل ننال بالصبر كل ما نريد .

فى السيرك مع لولو

درت حول مبنى السيرك دورتين من بعيد ــ حتى لا يعاملنى انسان معاملة الكلب الشريد ، عرفت مداخل السيرك ومخارجه ــ لأضمن السلامة إذا ماحدثت المتاعب ، سادخل فى اعقاب لولو ــ فيظن الواقف على باب السيرك انى كلب صاحبة القصر ، وساجلس بجوار لولو فى أدب ووقار ــ حتى لاتشك صاحبة لولو فى امرى وتحسبنى كلب الأنسان الذى يجاورها . ضربت المروضة الفيل بالعصا وامرته ان ينام ورفع ارجله فى الهواء ، وصفقت لولو فصفقت انا ، ولما ضرب المروض الهواء بالسوط فرقع السوط وصفر الهواء وخاف الأسد فقعد على الأرض وقلد الفلاحة وهى تعجن العجين ، وقامت لولو وقعدت فقمت انا وقعدت ، ومشى الدب بالدراجة على السلك الرفيع المعلق فى الهواء ، وقالت لولو ايها الدب .. سنلتقى كل يوم خميس من أول كل شهر ، وقلت انا : ليتنى اراك كل يوم يادب مرتين

حديث القلب مع القلب

امامى شهر ثم التقى بلولو فى السيرك .. وبعد الشهر سنلتقى انا ولولو ـ ثم نفترق لنلتقى بعد شهر .. هكذا ستمر السنوات والسنوات يالولو ـ وانت بالقصر فى امان وانا بالشارع فى هوان .. الشهر زمان يالولو والشهر مسافة .. والمسافات تباعد بيننا والزمان يعادينى والسيرك احلى الامكنة يالولو.

أول هزيمة للزمان وهزيمة كاملة للمسافات

قالت لي النملة الحكيمة : لو عرفت الجماعة ماتريد لاقتربت المسافات البعيدة .. قل لى كل ماتريد ان تقوله للولو .. وسانقل انا كلامك لجارتى القريبة .. وجارتى ستنقل كلامى الى جارتها القريبة .. سيجرى كلامك من فم نملة إلى فم نملة حتى يصل الى إذن لولو .... وهكذا لا يتعرض النمل للتعب ولا تتعرض انت للمتاعب .

رسالة الى لولو

ساعمل بالسيرك يالولو .. لاتندهشى وخذى الحكمة من فم النمل .. بالصبر سانال كل ما اريد المروض فى السيرك مسلح بالمسدس والسوط ـ . لأنه يخاف من لسعة السوط وغدر المسدس .. اما انا فساعلم نفسى بنفسى ـ فلا تخافى يالولو .. لن احتاج الى من يجلدنى او يهددنى .. وانا الآن أبحث عن العاب جديدة تصلح للسيرك .. وحتى نلتقى ـ دمت لى يالولو .

القفص يتكسر

حذرتنى لولو : لن يكون موقفك اليوم افضل من موقفك يوم البستان قلت : حسبت حسابى يالولو ولن اضيع الفرصة .. الكل هنا يضحك على المهرج وعلى محاولاته الفاشلة فى تقليد الاخرين .. وانا ساشترك مع المهرج فى نمرته .. ان فشلت فسيضحك الكل على كما يضحكون على المهرج .. ولو نجحت فساخرج لسانى للزمان .

(٢)

وقفت على الارض بساقين ورميت ساقين فى الهواء .. ومشيت على الساقين الاماميتين مرة وعلى الساقين الخلفيتين مرة ووقفت على راسى .. وكما تتدحرج الكرة الحظ تدحرجت .. ودرت كما تدور الساقية .. وها انا فى الأرض مرة وها انا فى الهواء مرة اتفادى ضربات المهرج الطائشة .

(٣)

قال صاحب السيرك ـ وعقد العمل بين يديه : من سيركى نال الشهرة .. وليس من العدل ان تعمل مع صاحب سيرك غيرى .. وسادفع له كل ماتريد من مال .

وقالت رشا صاحبة لولو : برافو ميزو ... وقالت لولو : برافو .. رائع ياميزو .. صوت واحد لم أسمعه .. صوت صابرة .. وقعت صابرة وانا اصنع مجدى .

أيـــام الهنـــا كل يوم بسنة

(١)

صرنا نلتقى انا ولولو بالسيرك وبالفيلا ، وكان اهل الفيلا يرحبون بى ويفخرون بالرابطة التى تربطنى بلولو وبهم ، واليوم هش صاحب الفيلا فى وجهى وبش ـ وقال لضيوفه : ميدو فى سماء الفن نجم .. وارتباطه بالمجتمع الراقى طبيعى .. هذا حقه ، واشار الى الحائط «كنا داخل الاطار الذهبى نبتسم من وراء الزجاج ـ انا ولولو ورشا ابنته » ، وكانت الصورة الملونة معلقة فى المكان الذى يستقبل فيه اهل الفيلا ضيوفهم .

(٢)

اسمى ميزو اسكن فيلا ينام فى حديقتها الياسمين ، عندى عربة ليموزين وموتوسيكل اقوم بالعابى فى السيرك بقبعة ودراجة وعصا ، الطوق فى رقبتى والاجراس فى قدمى من الذهب الخالص ، الباعة ينادون على تماثيلى المصنوعة من الحجر والبلاستيك والشمع والسكر الملون فى القطارات والمقاهى وعربات الترولللي باس ، والدمى التى على شاكلتى محبوسة داخل فاترينات كل المحلات ، ولبن ميزو افضل هدية تقدمها الأم لطفلها ، وكلما سرت فى شوارع المدينة ـ سد على المعجبون المنافذ وطلبوا بصمتى على صورتى ، ويشق لى حارسى المسلح الفجوة التى انفذ منها ـ فيرمينى عشاقى بالورد واصابع الحلوى واللوز المقشور .

(٣)

أرسلت الرسول الى الريف ـ فجاء ابى وامى واستقر مقامهما فى حجرة تليق بهما بدار الرفق بالحيوان ، وحاول ابى تفسير مواقفه القديمة منى ـ فقلت له : لاعليك ياابى .. عندما كنت تقسو على بلسانك ـ كنت انظر فى عينيك وارى نفسى محاطة بكل حب ، وتركتهما ـ لأنى مرتبط باداء دورى فى فيلم «ميزو وعصابة المراة المقنعة»

ـ فـــور ـ

اشتريت نظارة لامى واسنان صناعية لابى ، وقلت لنفسى : لاباس من وجودهما بدار الرفق بالحيوان .. ولا مبرر للحزن فتلك دورة من دورات الزمان لاينالها الا المترف والمحظوظ .

ـ هبة الكلاب أبناء الكلاب ـ

تحت شمس الظهيرة ـ نصب العمال الصوان . دقوا اعمدة الخشب فى الأرض ولفوها بالقماش المنقوش .. وعلقوا الرايات واللمبات الملونة .. وصفوا الكراسى واكاليل الورد .

وتحت النور ـ جلست ولولو على كرسيين كبيرين .. نبتسم للراقصة التى تدق الصاجات وتتلوى كسمكة فى الماء .. ونتقبل التهانى من اكرم واعرق عائلات اللولو والوولف والرومى واللوقى ، وفجاة سمعنا النباح العالنى البغيض ودق الطبول ونفخ المزمار البلدى وافواه تغنى بصوت قبيح «الدنيا حظوظ .. واليوم يومك يامحظوظ» : انها وفود من الكلاب البلدى وكلاب ارمنت زحفت الى عاصمة البلاد فى مظاهرات صاخبة لتحضر فرحى .

بان الفزع فى وجه كل الحضور : صرخت إناث السلوقى واغمى على ذكور اللولو وتعالت صرخات عائلات الرومى تطلب من الحرس المسلح العون فى وقت الشدة .

نظرت الى حارسى وانا اهوهو غاضبا : يالهم من اغبياء .. لقد انقلب عرسى الى ماتم .. فاشار حارسى الى بقية الحراس ـ وصرخ : اطلقوا الرصاص .. دعوا الرصاص يلعلع .

ـ على النجوم مسايرة الموضة ـ

اشتريت سيارة رولز رويس صفراء ، ونزعت طوق الجلد وعلقت فى رقبتى سلسلة من الذهب تدلى منها تمثال لولو ربة الجمال وربة بيتى ، وعلى وسطى علقت الحزام المرصع بالخنافس المنحوتة من الحجر الكريم .

ـ الشهرة كثمرة الفاكهة: طعمها حلو وبذرها مر

وقتى وزع بين السيرك والسينما والتليفزيون والاذاعة والسهرات والمقابلات والاتفاقات ـ مع المنتجين والموزعين والمخرجين .. وعند الكوافير والمدلك ومقلم الاظافر ، لاارى امى وابى الا قليلا ـ ولكنى ارسل لهما الهدايا والتحيات مع سكرتيرتى ساتى وسائق عربتى فرج الله .

ـ الحرام والحلال ـ

طيبات الارض كثيرة امام عينى وفى متناول يدى ـ لكن اقل القليل منها مباح ، اطبائى فرضوا على النظام القاسى ـ حتى يحتفظ جسمى برشاقته ومرونته ، ومتعات لاأسمع فيها رأى الأطباء : تدخين البايب والفرجة على لعب الورق المسماة «كن كان » .

الماضى يطاردنى (أ) ـ

ابنى من لولو ـ له وجهى الكبير وجسم امه الصغير شكله المضحك ابكانى واصابنى بأرق جعلنى لاانام ـ الا اذا حضر الطبيب ورشق الابرة فى جسمى : ليجرى السائل الاصفر فى عروقى .

اسم ابنى «لوز» حرف اللام من لولو .. وحرف الواو من لولو وميزو .. وحرف «ز»من اسمى انا «ميزو» أبوه ، لكن الصغير الغبى ينطق اسمه هكذا «لوظ» .. كانه يريد ان يذكرنى باسمى القديم «محظوظ» .. ذلك الاسم الغليظ على السمع والقلب ..

الماضى يطاردنى (ب)ـ

بينما الكوافير يصفف شعرى ـ احسست بقرصة فى اذنى ، كتمت الألم ولم اهرش ، اجلت هذا الفعل الذى لايتفق مع الذوق الراقى ـ حتى اختلى بنفسى ، ولما اختليت بنفسى ـ سمعت الصوت يهمس فى اذنى : انا النملة الحكيمة الصابرة .. اتيت لأرى ابنتى يامحظوظ ، فنبحت فى غيظ : انا ميزو .. وصابرة هناك مع محظوظ ، وهرشت اذنى ـ وانا أعوى كذئب : والان الحقى بهما فى نار جهنم ايتها النملة الحكيمة .. وبلغى سلامى الى صابرة ومحظوظ .

الماضى يطاردنى (ج)ـ

لعقت الدورق الكبير الذى يطفح منه اللبن الدافىء ـ لتهدأ اعصابى الثائرة ، ونظرت الى المرآة ـ وانا أكلم خيالى : قل لى ياخيالى .. خيال من انت .. خيال ميزو ام خيال محظوظ !؟ ، وقبل أن يرد دخل الطبيب ورشق الابرة فى بدنى فجرى السائل الأصفر فى عروقى وتراجع الماضى ، ولما اقبل النوم ـ والبسنى نظارة رايت بها كل شىء يحترق .. كل شىء .. والنار تقترب منى وانا لااتحرك ولاافعل شيئا ..

يحيى الطاهر عبد الله

الغد الضائع

شعر: عبدالله جابر

يلاقيك كل شبابي قبيل اللقا
ويهفو اليك فؤادي لو مزقا
وعيني تهيم بطيفك ان أرقا
ونفسي تذوب بحبك ان أشرقا
وفكري ببحر هواك غدا غارقا
وانت كما انت لا تنثني مشفقا

● ● ●

أهانت عليك شجوني وكل عذابي
أهان عليك سهادي وطول انتحابي
أيحيا لحبي بغيرك أنت شبابي
وأغدو وحيدا بدنيا الهوى في اغترابي
وهبتك ما بي من العب حتى التصابي
ولم تدر عن لوعتي في ليالي اكتئابي

● ● ●

أحن اليك لأنك فجر حياتي
لأنك روحي وعمري ، لأنك ذاتي
لأجلك أبكي وتحرقني زفراتي
وينتابني ألم منك في غفواتي
تركت فؤادي يرجوك بالخفقات
أحلت هواي غدا ضاع في السنوات

أوراق بدون ترتيب

من أغنيات الضوء الأسود

أيها الشقيق الأبيض :
إنى أدعوك لتقف بجوارى أمام
الضوء
ثم أنظر إلى ظلينا على الحائط
ستراهما أسودين

الأبيات فى رأس المقال — من قصيدة لشاعر زنجى لايحضرنى إسمه ـ تصحو الآن فى الذاكرة ، وانا اتصفح ديوان شعر جديد يلتقى بداخله تسعة عشر شاعراً من طليعة الشعراء الأمريكيين الزنوج . الديوان مطبوع باللغتين الألمانية والانجليزية ، إذ هو صادر عن إحدى دور النشر الألمانية فى ليبزج ، بقصد التعريف بروح المعاناة التى يحترق بها المواطن الأمريكى الزنجى ، وهو يواجه أعتى الظروف غير الانسانية فى وطنه أمريكا ، بسبب سواد بشرته كما نعرف !!

والشعراء فى هذا الديوان ـباستثناء لانجستون هيوز ، وريتشارد رايت ـ يكادون أن يكونوا غير معروفين لجمهور القارئين باللغة العربية . ولعل المعروفين منهمليسوا معروفين بغير اسمائهم فقط . ربما لأن حركة الترجمة فى بلادنا يخفت صوتها يوماً بعد يوم . وربما لأن الكتاب ـ دونا عن سائر الضروريات والكماليات التى نستوردهاـ يتعرض الى نوع صارم من الاغفال والحجر لسبب من أسباب القصور فى العملــة ، والتقصير فى الهـــدف ، حتى أوشك المثقف العربى أن تتعطل لديه ذاكرة الاحاطة بمختلف الثقافات المتوالدة فى عصرنا،مثلما يقوقعنا كذلك ما يلقاه الكتاب العربى على أيدينا من إهمال النقل باللغات الأجنبية الحية إلى غير القارئين باللغة العربية!!

حقاً هناك جهود فردية تقوم بها بعض المؤسسات أو الأشخاص . لكنها جهود لاتفى بغرض إنهاض الجسور الثقافية المتبادلة بين الكتاب العربى والكتاب الغربى فى شتى فروع الثقافة والمعرفة . لأنها جهود لايساندها الدعم المالى من قبل الحكومات والهيئات المعنية . وهى بالتالى جهود قاصرة او عاجزة او مهددة بالتوقف . ولعلى هنا اذكر ما يلقاه عاشق انجليزى لأدبنا العربى اسمه «دينيس جونسون ديفز» ، ترك مهنة المحاماة فى وطنه ، وجاء الى بلادنا قارئاً ومتفحصاً وقائماً باختيار اجود النماذج من الأدب العربى القديم والحديث ، وأشدها نفاذاً الى عقل وقلب القارىء الأوروبى ، يترجمها او يكلف بترجمتها ، ويذلل لها فرص النشر فى «هاينمان» إحدى كبريات دور النشر فى لندن . اذكر هنا ما يلقاه الرجل من شظف الاهتمام او بالأصح عدم الاهتمام والالتفات إلى النتائج الهامة لتلك المهمة ، من جانب الجهات الاعلامية والثقافية المفترض أن تكون مسئولة عن تقديم وجهنا الفكرى إلى العالم . ولقد شكا لى الرجل ذات مرة من ان تلك الجهات ترفض ـ حتى ـ أن تشترى لمكتباتها بعض النسخ من تلك المطبوعات على سبيل الاحتفاظ بها ، ومساندة مهمته الصعبة فى آن واحد !

● ●

شجون الثقافة فى بلادنا كثيرة .. كثيرة ! لكنى لا أريد أن ابتعد عن شجون المأساة التى تضوى بهاقصائد الشعراء الزنوج فى هذا الديوان . انها احزان بسيطة وعميقة وهادرة . ولديها القدرة على السخرية ، والتحدى ، والأمل ، والاصرار ، والثقة فى غد افضل قادم لا محالة .

● أمريكا فى أشعارهم

لانجستون هيوز هو امير شعراء الزنوج.

الهذا يستاثر بالصفحات الكثيرة من هذا الديوان ؟

ان «هيوز» ليس شاعراً فقط . إنه كاتب قصصى وروائى ومسرحى . وهو باحث فى احوال الزنوج ، وموسيقى الجاز ، وتجارة الرقيق ، وافريقيا ، والنضال من اجل الحرية . وهو كذلك دارس ومحقق لأشعار غيره من الزنوج . مثلما ترجم عن الفرنسية والاسبانية روايات ودراسات وقصائد . وله فى كل ذلك مجلدات على أن الشعر كان خطوته الأولى فى رحلة التعبير .

وعمره تسعة عشر عاماً .. كتب أولى قصائده تحت عنوان «زنجى يتحدث عن الأنهار» . وفيها يعبر عن عالم فسيح تحلق فيه روحه بجناحين قادرين على احتواء العالم . ولأن الأنهار عميقة وقادرة على الخصب والنماء ، فان روحه كذلك عميقة كالأنهار ، ولديها القدرة على العطاء .

كانت تلك القصيدة أولى شرارات إثبات الذات الزنجية فى أشعاره فاذا تخطى حدود الرومانتيكية التى يبدأ بها الشعراء عادة ، وجدناه يخاطب الرجل الأبيض بصوت هادر وشديد اللهجة . إنه يعانى وضعه الاجتماعى فى قاع المجتمع ، لكنه يعى ابعاد قضيته .

من أغنيات الضوء الأسود

المواقف الصعبة فى حياة الزنوج الأمريكيين .. هى طابع حياتهم اليومية !

يقبض على الحقيقة،وهى أن امريكا وطن السود والبيض معاً ، فلما يغنى لوطنه امريكا ، لايتردد فى أن يفصح عن موقف الرجل الأبيض منه . يعلنه ساخراً وقوياً وواثقاً من صوته وغده :

انا ايضا اغنى امريكا
إننى الشقيق الأسود
يدفعون بى الى المطبخ كى آكل
حين ياتيهم صديق
لكنى اضحك
وآكل جيداً
وانمو قويا
غدا
سوف اجلس الى المائدة
حين ياتيهم صاحب
وعندئذ لن يجرؤ أحد
أن يقول لى:
تناول طعامك فى المطبخ
والى جانب هذا
سوف يرون كم انا جميل
وسوف يخجلون
فانا ايضا امريكا .

● الموت النبيل

الحلم والاصرار والثقة فى استعادة امريكا الام والوطن ، هى الأنشودة التى يتغنى بها الشعراء الزنوج . إنهم يدركون أن النضال والمقاومة هما الطريق الى تحقيق الحلم . وإذا كان الرجل الأبيض يفرش الموت فى طريقهم صباح مساء ، بقصد إهانتهم وإذلالهم والتخلص منهم وكسر شوكتهم ، فلماذا لايموتون فداء لقضيتهم ، وانتزاعاً لحقوقهم فى الوطن والحياة .

يقول «كلود ماكاى» فى قصيدة تحمل عنوان البيت الأول فيها :

إذا لم يكن مفر من الموت
فلا ينبغى ان نموت كالخنازير
تصاد وتحبس فى حظائر قذرة
بينما الكلاب المسعورة الجائعة
من حولنا تعوى
ساخرة من جموعنا الملعونة
إذا لم يكن من الموت مفر
فلنمت ميتة نبيلة

ان الوحوش فى قصيدة «ماكاى» هم الرجال البيض فى وطنه امريكا ، اولئك الذين ازروا به وبابناء جنسه ، منذ ان تاجروا به رقيقاً ، وحرموه من ابسط الحقوق الانسانية ، وجعلوه معادلا للماشية فى حقولهم ومزارعهم ، وفى كل الأعمال الحقيرة . إنه يريد أن يرغمهم على أن يحترموا آدميته وإنسانيته -حتى- وهو يلفظ انفاسه الأخيرة . وهو من اجل ذلك يستصرخ قومه وابناء جلدته كى يقاوموا عدواً مشتركاً ، مهما يكن الموت فى انتظارهم :

ماذا بقى لنا قبل أن نتمدد
فى قبر بلا ابواب ؟!
كالرجال .. علينا ان نواجه المجرمين
من اجل ان نشق لنا طريقاً افضل
مصرين على خلق عالم اجمل
يضم كل الناس .. كل الوجوه
كل آدم .. وكل حواء
واجيالا جديدة.

فلتنشا ارض جديدة
وليبرز جيل ثان مشحون بالشجاعة
ولينهض من عشاق الحرية قوم
ولينبض فى الدم وفى الأرواح بهاء
يفيض بالعافية
ولتكتب اغنيات الفرح
ولتصمت اغنيات المراثى
وليندفع الآن نوع من الرجال
يقبض على زمام الأمور

● معا أمام الله

إن الزنجى لايمل مواجهة الرجل الابيض والتصدى له . فهو اخوه شاء أم لم يشأ . إنها اخوة الوطن . واخوة الدين . واخوة الانسانية .

ولأن العدل فقد مجراه فى قوانين الرجل الابيض . ولأن الرجل الأبيض يصم أذنيه وقلبه عن كل هواتف الروح المعذبة التى تتلمس الحياة كريمة وانسانية .. فان الشاعر الزنجى «جوزيف سيمون كوتر» يدعو أخاه الأبيض لأن يحتكما معا الى «الله» . فهو العدل الحقيقى :

يا اخى . تعال
ولنذهب معاً الى الله
فاذا نحن واقفون أمامه
سوف اقول
يا إلهى : اننى لا احمل بداخلى بذور الكراهية .
لكنى مكروه !
إننى لا اجلد احداً
لكنى اجلد
إننى لا اشتهى ارضا ليست لى
لكن ارضى تشتهى
إننى لا احتقر الناس
لكن ناسى محتقرون
وانت يا اخى : ماذا ستقول ؟!

● فى مرايا النهر

لكن الشاعر «وارنج كنى» يقف امام فتاة زنجية بائسة ، فقدت كل إحساسها بالذات . تلاشت مشاعرها الانسانية بانوثتها تحت ضغط الازدراء المهين من جانب الرجل الأبيض .

يقف الشاعر امام هذه المشاعر الأليمة فى صدر الفتاة ، مدافعاً عن انسانيتها ،

الحلم والإصرار والثقة فى استعادة أمريكا الوطن والأم .. هى الأنشودة التى يتغنى بها الشعراء الزنوج

وجمالها الحقيقى . معلناً إدانته لصلف الرجل الأبيض ، الذى يحول دون أن تعبر الروح الزنجية عن ذاتها . بل هو يطمس الاحساس بهذه الذات لكى يبدو كل شىء دميماً فى عالم الزنوج :

هى لا تدرك أسرار جمالها
إنها تعتقد أن جسدها الأسمر
دون بريق
لو انها استطاعت أن ترقص عارية
تحت أشجار النخيل
وتأملت صورتها فى النهر
فانها سوف تعرف .
لكن ليس هناك أشجار نخيل فى الشوارع
وطبق الماء لايعكس الصور !

صباحه الأخير

المواقف الصعبة فى حياة الزنوج الأمريكيين هى طابع حياتهم اليومية .إنهم يتوقعونها ويواجهونها مثلما يتنفسون الهواء الفاسد فى كل مكان الظلم والكراهية والازدراء والموت .

لكنهم أبداً لا يتوقفون عن الاحلام . ولا ينفضون أيديهم من بناء الحياة .

عندما يقف الشاعر «روبرت هايدن» أمام حادث الموت رمياً بالرصاص لواحد من الزنوج .. فانه يحيل الموقف العادى الى مهرجان فى قمة المأساة . انه مهرجان الموت بأيدى الجلادين البيض . وهو مهرجان الحياة فى عروق الزنوج بالرغم من الموت :

وفى النهاية بكى كطفل
لم تكن هناك طبول ولا أعلام
كان صباحه الأخير والمجهول
لم يستطيعوا ذلك الصباح
أن يحولوا بين الجمهور
وبوابات القصر الكبير،
بحراسه ، وغرفاته السرية ،
وطرقاته المختفية
كانت الأوراق شاحبة
فوق الأشجار المتشابكة
عندما ساقوه الى حديقة الموت
وعندما بكى كطفل
صرخت البنادق
«جوتر داميرونج»
سقط بفمه مهشماً
داخل الأرض الرطبة
واخيراً نام بلا الم
تحت أوراق الشجر المتساقطة،
والضباب
ثم عادوا الى المدينة المدمرة
ليقيموا بناءها من جديد !!

● وبعد

فما قصدت فى هذه العجالة غير أن ارفع صوتى اثناء قراءة هذا الديوان ببعض النماذج التى بلغت مجموعها أربعاً وستين قصيدة ومقطوعة غنائية مصحوب بعضها بالنوتات الموسيقية .

وكلها تدور فى فلك الموضوع الذى تشير إليه النماذج فى هذا الالمام السريع ، وإن تمايزت أصوات الشعراء . وما يؤخذ على هذا الديوان هو أن دار النشر الألمانية التى قامت بجمعه وطبعه ، لم تضع فى اعتبارها تصديره بدراسة تضىء على حركة الشعر الزنجى وهو أمر له أهميته لمن يريد أن يتقصى علاقة الشاعر الزنجى فى امريكا بقضيته وبالخط البيانى لها منذ أن أصبح الزنوج مشكلة فى قلب العالم الجديد .

«عبد القادر حميدة»

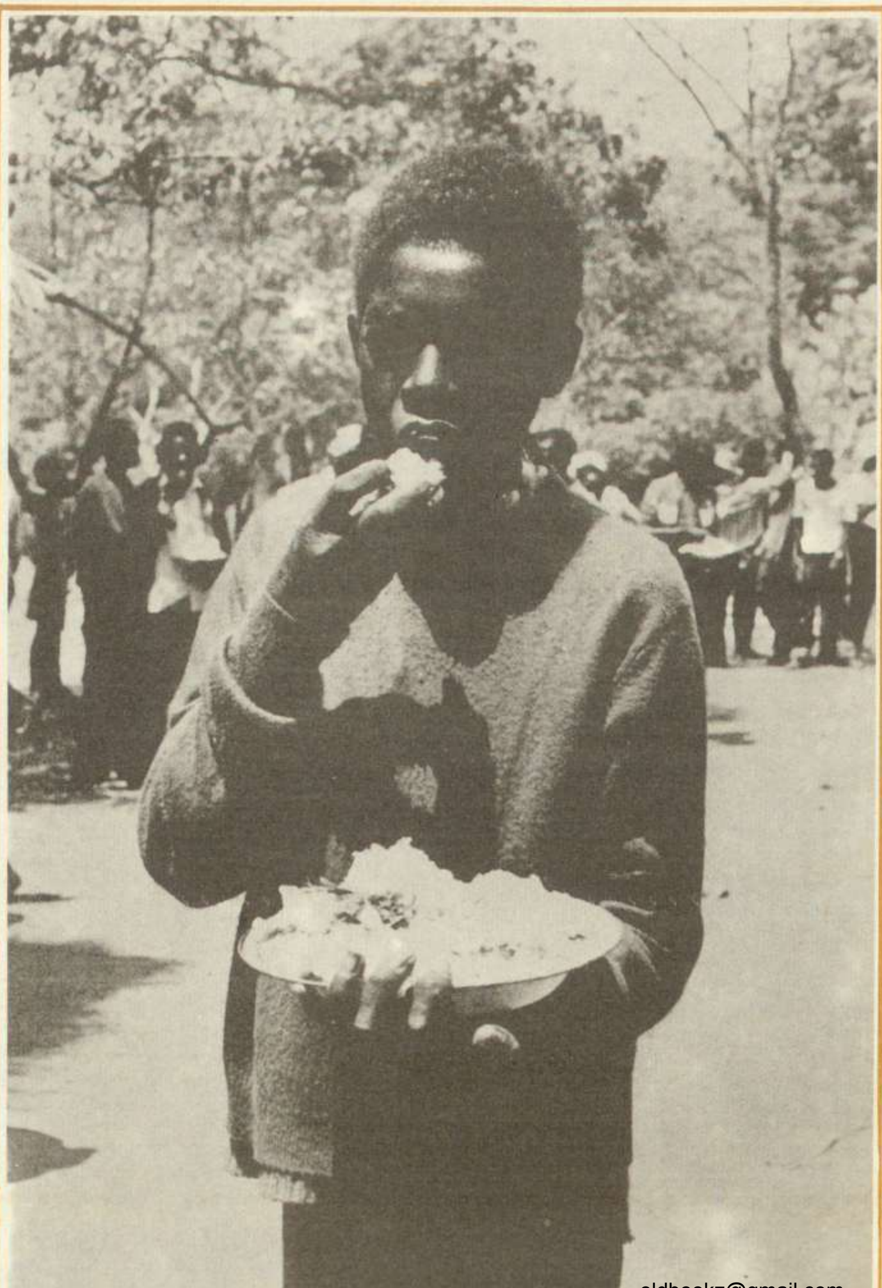

رسالة مهرجان كان السينمائي

أفلام اضطهاد اليهود من أمريكا.. إلى المجر وفرنسا ..والعرض مستمر!!

رءوف توفيق

انهم لايكفون عن صنع الأفلام التى تحكى عن اضطهاد اليهود (!!) .. ولا تكف اسرائيل عن الالحاح بانها جنة صناعة السينما فى الشرق الاوسط (!!)

.. ولا تكف السينما الاسرائيلية عن فتح اسواق لها فى كل انحاء العالم ، وتحت اسماء شركات مختلفة ، وبحملات دعاية مستمرة وباذخة التكاليف !!

ولا يكف أى متفرج مثلى عن الغيظ.. والألم .!

وفى كل عام داخل هذا الملتقى الفنى العالمى ، فى مهرجان «كان» السينمائى .. تستوقفنى هذه الظاهرة الصهيونية الاسرائيلية !

وفى كل عام افضفض عن بعض حسرتى ، فى هذه المقالات التى أكتبها للدوحة .. ربما يتحرك المال العربى ، ليدعم الفن العربى ، فى تاكيد الحق العربى !

وقد كتبت فى عدد سبتمبر ٧٩ عن السباق المحموم لمركز الفيلم الاسرائيلى من اجل عقد اتفاقيات الانتاج السينمائى المشترك مع دول العالم ، وتقديم الاغراءات الكثيرة لاجتذاب رءوس الاموال العالمية ، والنجوم المعروفين ،

المخرج الامريكى «صامويل فوللر» اثناء اخراج الفيلم

والشركات السينمائية الكبرى .. للتصوير داخل اسرائيل !
واشرت فى ذلك المقال الى آخر الافلام التى تم تصويرها داخل اسرائيل .. وهو الفيلم الذى يحمل عنوان (الاحمر الكبير) للمخرج الأمريكى (صامويل فوللر) ومن بطولة الممثل الامريكى المعروف (لى مارفن) .
وقد فوجئت بعرض هذا الفيلم داخل المسابقة الرسمية لمهرجان «كان» لهذا العام .. والفيلم احد الافلام الامريكية الاربعة التى تمثل الاشتراك الامريكى الرسمى فى مسابقة المهرجان .. وأول اشتراك للمخرج (صامويل فوللر) فى مهرجان كان !

● تجربة شخصية للمخرج

والفيلم يقدم بعض احداث الحرب العالمية الثانية ، كما عاشها بالفعل المخرج (فوللر) ـ ٦٦ عاما ـ الذى كتب ايضاسيناريو الفيلم .. أى أن الفيلم هو رؤية شخصية للمخرج حيث كان يشترك فى إحدى فرق المشاة الامريكية (عنوان الفيلم مستوحى من الشارة الخاصة الحمراء لفرقة المشاة الامريكية الأولى)
وقد كان المخرج يحلم بتحويل هذه التجربة الشخصية فى الحرب الى عمل سينمائى بعد ان انتهت الحرب .. ولكن لم يتحقق له هذا طوال ٣٥ عاما ، بسبب مشاكل التمويل ، واشتراطات الشركات السينمائية فى التدخل فى السيناريو ، والذى عبر عنه المخرج بقوله .. ان انقطاعه عن العمل فى السنوات الست الأخيرة ما هو الا مجرد اكاذيب ـ وقد كرر الكلمة اكثر من مرة ـ فهو لم ينقطع عن العمل ، ولكنه لم يرتض باسلوب العمل .. الذى حاول أن يفرض عليه تنازلات عديدة ومؤثرة .. حتى عثر أخيراً على التمويل اللازم من خلال احدى الشركات السينمائية ، والتى اتاحت له فرصة إخراج هذا الفيلم ، والذى تم تصويره داخل اسرائيل .
ومع كل احترامنا لتاريخ هذا المخرج الامريكى .. ولتجربته الشخصية فى الحرب .. إلا أن الفيلم لايمكن اعتباره عملا فنياً متميزاً .. فهو نسخة جديدة من حكاية قديمة ، شاهدناها من قبل فى عشرات الافلام التى تناولت موضوع الحرب .. حتى اصبح تكرار الموضوع لايشجع المتفرج على التعلق باحداث الفيلم ، أو حتى مجرد التاثر اللحظى ، وبالتالى لايتعلق منه شىء بعد النهاية !!
وهذا أسوأ ما يتركه الفيلم .. ألا يترك شيئاً فى الوجدان !
والفيلم يقدم هذا الملازم العسكرى القديم الذى يقود اربعة جنود شبان خلال عمليات حربية اشتركوا فيها على عدة جبهات من شمال افريقيا ، الى تشيكوسلوفاكيا .. خلال ثلاث سنوات من عام ٤٢ حتى يوم وقف اطلاق النار فى ٨ مايو ١٩٤٥ .

لقطة من فيلم «الاحمر الكبير» صورت داخل اسرائيل !

رسالة مهرجان كان السينمائى

وهذه المجموعة المقاتلة من المشاة الامريكى .. تمثل فى الواقع نفس المجموعة التى كان يشترك فيها المخرج «فوللر» اثناء الحرب .. فهذا الضابط العسكرى القديم اشترك فى الحرب العالمية الأولى وما زال يذكر تجارب تلك الفترة ، ويحاول أن يلقنها الى جنوده الأربعة .. وهؤلاء الجنود الاربعة يطلقون على انفسهم (الرجال الاحصنة الاربعة) حيث يجسد احدهم (الممثل الشاب روبرت كاردين) شخصية المخرج فى تلك الفترة ، وهوايته فى الكتابة ، والتى استغلها فى تسجيل بعض الوقائع التى حدثت لهم فى رواية قامت والدته ببيعها لاحدى دور النشر (وهى واقعة حدثت بالفعل للمخرج ، عندما كتب قصة بعنوان الصفحة السوداء)

والضابط قائد تلك المجموعة (يلعب الدور الممثل لى مارفن) .. شخصية مركبة .. يدخل فى صداقات حميمة معهم .. وفى نفس الوقت لايتردد فى اطلاق النار على احد جنوده ، عندما يبطىءفى تنفيذ التعليمات مما يخلق جواً من الجبن بين زملائه .. وهو نفس الضابط الذى يشرح لأحد جنوده ، الذى يناقشه فى اخلاقيات الحرب ، حيث يتحولون الى سفاحين مهمتهم القتل .فيصرخ فيه الضابط مؤكداً : (نحن لا نرتكب جريمة قتل .. اننا نقتل دفاعاً عن النفس)!! .. وهكذا يصبح عالم هؤلاء الجنود لا يتجاوز دائرة الخمسين ياردة المحيطة بهم .. فهم يتحركون من مكان الى مكان .. وعيونهم على الأهداف المتحركة ، واصابعهم على الزناد .. ويعلق احد الجنود عن هذه الحالة ، فيقول : (ان المجد الوحيد فى الحرب .. هو أن تظل على قيد الحياة) !

ومن خلال التفاصيل الانسانية للعلاقة بين هؤلاء الجنود الأربعة ، وقائدهم .. والمواقف التى يتعرضون لها على جبهات الحرب .. ينسج الفيلم مادته على مدى ساعتين !

والفيلم لا يتعرض للعمليات الحربية الكبيرة .. ولا يتورط فى استخدام المجاميع الهائلة (ربما بسبب ميزانية الفيلم) .. ولكن يحاول المخرج أن يعوض هذا بتاملاته وملاحظاته على الحرب ، التى يضعها على لسان أبطاله !

الممثل الامريكى «لى مارفن» فى لقطة من «الاحمر الكبير»

الفيلم لايتعرض للعمليات الحربية الكبيرة ولايتورط فى استخدام المجاميع الهائلة

● اليهود .. فى المشاهد الأخيرة

ولكن ما يهمنا فى هذا الفيلم .. تلك المشاهد الأخيرة ،حيث نرى هذا الضابط وهو يتقدم مجموعته فى احدى معسكرات الاعتقال النازى التى اقامها الالمان فى تشيكوسلوفاكيا .. لنواجه بافران تعذيب اليهود .. ويتقدم هذا الضابط بكل الألم ليلتقط صبياً بين الحياة والموت .. ويرفع هذا الصبى بين ذراعيه ليخرجه فى الهواء الطلق ويحاول إطعامه وإسعافه .. ويخفق قلبه مع حركة تنفس الصبى .. ويتفرغ تماماً لاعادة الحياة للصبى .. ولكن الصبى يموت بين ذراعيه .. فيحمله ويمضى به بين جنوده .. كانه يلعن الحرب .. واضطهاد اليهود .!

وينتهى الفيلم بنهاية الحرب فى المشهد التالى .. واحد الجنود يصرخ مهللا بقرار وقف اطلاق النار !

وتركيب المشاهد الأخيرة توحى بانها خلاصة الحرب .

والخلاصة .. انه بالرغم من كل الضحايا والتخريب والمآسى المروعة على طول العالم .. لم يبق شىء يستحق الألم والتكفير عنه سوى اضطهاد اليهود !!

● التصوير داخل اسرائيل

ثم ناتى الى ماوراء الفيلم .. و«المجد» الذى ناله جميع العاملين فى الفيلم من التصوير فى الاراضى الاسرائيلية !!

ومن يقرأ النشرة الصحفية التى وزعت للصحفيين والنقاد حول هذا الفيلم .. يفاجىء بصفحات كاملة تشرح بالتفصيل ما حدث اثناء التصوير فى اسرائيل .. والخدمات «الجليلة» التى قدمت من جهة المسئولين عن صناعة السينما فى اسرائيل .. !!

وهذا شىء غريب حقا .. ومريب جداً !

فمع طول خبرتى بالافلام .. والمهرجانات .. ومواد الدعاية والنشرات الصحفية التى توزع على الافلام .. لم اجد من قبل مثل هذا الاهتمام بمكان التصوير .. كالذى صاحب فيلم «الأحمر الكبير».. مما يجعلنى بلا أدنى شك او تردد .. نربط بين انتاج هذا الفيلم ، والمشاهد الاخيرة التى تدين اضطهاد اليهود .. وبين هذه الدعاية المكثفة للخدمات الاسرائيلية اثناء التصوير !!

انه اسلوب لايحتاج الى ذكاء وفطنة .. لكى نكتشف حلقات السلسلة المتصلة باحكام .!

« تقول النشرة الصحفية عن الفيلم : «ان هذا الفيلم هو فيلم هوليود الاول الذى تحرك وانتقل الى اسرائيل لكى يصور كل مشاهده الخارجية .. بالرغم من أن موضوع الفيلم لا يتعلق باسرائيل

واماكن التصوير فى إسرائيل جسدت كل الاماكن التى تدور فيها احداث الفيلم .. ففى إسرائيل تم تصوير اماكن على انها من شمال افريقيا ـ تونس ـ صقلية ـ فرنسا ـ بلجيكا ـ المانيا ـ تشيكوسلوفاكيا . (!!)

« وقد بدأ التصوير على الشاطىء الجنوبى لتل ابيب .. وتم الاستعانة بمئات من جنود الجيش الاسرائيلى لتصوير احد معارك الفيلم .. وانتقل التصوير داخل احد معسكرات الجيش بالقرب من تل ابيب حيث تم استخدام السيارات الروسية التى اسرها الجيش الاسرائيلى من الجيش المصرى ، وقد تم اعادة طلاء هذه السيارات لتبدو وكانها

المخرجة المجرية «ماريا ميساروس»

التفاصيل كثيرة والصياغة مريبة جداً .. ومستفزة جداً جداً !!

سيارات الجيش الالمانى فى الحرب

وتستطرد النشرة فى تفاصيل التصوير داخل اسرائيل لتقول ببجاحة شديدة :

وتم التصوير ايضا فى احدى المدن التى كانت فلسطينية .. واصبحت الآن مركزاً سياحياً هاماً يربط بين تل ابيب وحيفا (!!)

وايام عديدة استغرقها التصوير فى مدينة القدس ، واستخدمت مبانى وزارة التجارة والسياحة بالقرب من فندق الملك داود ، على انها مبانى المستشفى الألمانى فى تونس ايام الحرب (!!)

ولما كان الصيف حاراً جداً .. ومنعاً للاصابة بضربة الشمس .. فقد استفاد مجموع الفنيين العاملين فى الفيلم من تجربة الجيش الاسرائيلى فى حرب سيناء .. عندما كانوا يستخدمون اكياس البلاستيك المملوءة بالماء لحماية اجسادهم من حرارة الجو ..(!!)

«والأسابيع الأخيرة من التصوير فى اسرائيل .. انتقلت بعثة الفيلم الى القرى العربية فى الضفة الغربية» (!!)

والتفاصيل كثيرة .. والصياغة مريبة جداً .. ومستفزة جداً جداً .!!

● مدير التصوير من اسرائيل !!

ولاتنسى النشرة الصحفية ان تشكر المسئولين عن السينما فى اسرائيل .. الذين امدوا الفيلم بمعونات هائلة من الفنيين المدربين !

وليس غريباً بعد ذلك ان نعرف ان الجنود الاسرائيليين هم الذين لعبوا كل الادوار الثانوية والمجاميع .. وظهروا فى الفيلم على انهم جنود امريكيين والمان !

وفى النهاية نعرف أن مدير التصوير لهذا الفيلم .. هو المصور الاسرائيلى «آدام جرينبرج» .. وتستفيض النشرة فى تقديم هذا المصور وبراعته !!

هل هذه معلومات فنية .. أم صفقة إعلانات مدفوعة الثمن بالكامل .؟!

● «الوريثتان» وصدمة إخرى !

ولا نكاد نفيق من صدمة فيلم «الأحمر الكبير» حتى نفاجا بالفيلم المجرى «الوريثتان» للمخرجة المجرية اللامعة «مارتا ميساروس» ليعيد علينا اسطوانة اضطهاد اليهود ، من خلال قصة بين امراتين فى المجر فى زمن الحرب العالمية الثانية !

ومن الارهاق النفسى والعصبى .. ان نحاول البحث وراء الأسباب التى دعت هذه المخرجة الجيدة ، والتى حفرت اسمها فى السينما العالمية من خلال عدد بارز من الأفلام التى تناقش قضايا المرأة ما الذى جعلها تتورط اخيراً فى قضية اضطهاد اليهود ؟!

رسالة مهرجان كان السينمائي

الممثلة الفرنسية «ايزابيل هوبير» التى لعبت دور البطولة فى الفيلم المجرى «الوريثتان»

وهل هو تورط ..؟!.. أم اقتناع كامل ، وولاء للأصل اليهودى ..؟!

الفيلم أمامنا يحكى عن هذه المرأة الثرية (تلعب الدور الممثلة المجرية ليلى مونورى) المتزوجة من ضابط شاب فى الجيش المجرى ، وهما يحبان بعضهما .. ولكن فى داخل هذه المرأة مأساة تزعجها دائماً .. فهى غير قادرة على الانجاب .. وتريد أن يكون لها طفل من زوجها لكى تضمن ميراث أبيها الثرى .. ولهذا فهى تبحث عن امرأة تستطيع أن تحقق لها فكرة أن تنجب من زوجها .. فتعثر على هذه الفتاة الفقيرة (تلعب الدور الممثلة الفرنسية ايزابيل هوبير) التى تعرض عليها الفكرة .. وتحدث الصدمة المتوقعة .. كما تحدث نفس الصدمة لزوجها عندما تخبره بما فكرت ودبرت .. ولكن لأنها إمرأة ذكية وقوية فهى مستعدة ان تبذل كل ما تستطيع لكى تحقق فكرتها ،، فهى تحاول اقناع كلا الطرفين بالتنفيذ .. وفعلا يتم هذا !

وتحمل الفتاة الفقيرة .. وتعيش هى كل آلام الحمل كأنها هى التى حملت .. وتعيش ايضا لحظات الولادة كأنها هى التى تلد .. ويأتى الطفل الذكر لتسلمه أمه الى المرأة الثرية ، حسب الاتفاق .. وتعيش الأم لحظات قاسية ومريرة وتردد دائما «أريد أن أموت» . . ولكن الحب الذى نشأ بينها وبين زوج المرأة الثرية ، يعطيها بعض التعويض للاستمرار فى الحياة . !

وعندما تقع المجر فى قبضة هتلر عام ١٩٤٤ .. تأتى الفرصة السانحة للمرأة الثرية لكى تتخلص من غريمتها الأم الحقيقية للطفل ، والقريبة من قلب زوجها .. فهذه المرأة الفقيرة ، يهودية .. وقد اعلنت هذا منذ البداية .. ولكن دخول هتلر الى المجر معناه القضاء على اليهود تماماً .. ولهذا فهى تبلغ عنها .. ويقبض عليها .. ونراها فى صفوف اليهود المساقين الى معسكرات التعذيب .. وهم يضعون النجمة الصفراء على معاطفهم !

طوابير اليهود .. الى الموت ..
وهكذا ينتهى الفيلم .. وكأنه رسالة للعالم .. بأن اليهود هم الذين أعطوا الحياة .. وضحوا بكل عزيز لديهم .. والنتيجة هى الاضطهاد والموت .!

وبقية الرسالة معروفة .. أن نكفر ـ نحن جميعاً سكان الارض مشارقها ومغاربها ـ عن هذه الجريمة ، الى مدى الحياة !!!

فعلى لسان هذه المرأة الفقيرة .. تتردد أبيات من الشعر كتبتها الشاعرة اليهودية «آن لسيزناى» التى هاجرت من المجر مع أفواج اليهود الذين استشعروا الخطر عام ١٩٣٦
تقول بعض أبيات هذه القصيدة الموحية تماماً بقضية اليهود :

« الريح من أمامى ومن خلفى
« لقد ولدت من آلاف الطيور
« من أحشاء الرحم خلقت ابنة لالمانيا
« وأعطانى اليهود دماء الحياة ..
« ثم أصبحت مجرية ..
« لقد تشردت على أرضى
« من كل هذه الجذور نشأت
« الجريمة من خلفى
« والرغبة أمامى

وقد قدمت المخرجة المجرية «مارتا» هذه المشاعر بحساسية فائقة ، وباخلاص المؤمن بقضيته ..
ولا شك أن هذه المخرجة المجرية قدمت فيلما يفيض بالعذوبة ، لتؤكد به سلسلة أفلامها السابقة عن المرأة .. ولكن فى هذه المرة ، أفصحت عن مشاعرها الحقيقية عن اليهود .. وربما لهذا السبب أسرعت شركة التوزيع الفرنسية الشهيرة بالمشاركة فى حق توزيع الفيلم للعالم كله !!

● ●

انهم يعرفون كيف يخططون لكى تظل قضيتهم على قيد الحياة .. دائماً . !!
ولا يكفون عن تأنيب الضمير .. وتبكيته .. اذا شعروا للحظة أن هناك ضغوطاً عليهم ..
أما ماذا يفعلون داخل إسرائيل .؟ وكيف يفكرون حاليا لأفلامهم السينمائية ..فهذا موضوع رسالتنا القادمة

« رءوف توفيق »

مواقـــف
ثقافيـــة

روائي من العالم الثالث

يحتفى الاعلام الغربى هذه الأيام بكاتب من العالم الثالث ظل طيلة عقدين من الزمان يكتب الرواية ويبنى شهرته بين الكتاب وحدهم .. ولم يخرج الى القراء على نطاق واسع الا بعد أعماله الأخيرة مثل «عودة ايفا بيرون» ،وهى تصوير لما يجرى فى امريكا الجنوبية ، «ومنحنى فى النهر» ، التى تفضح أوضاع الكونغو ، و «رجال العصابات» التى تمس نضال المقاومة فى العالم الثالث .

وقد لاقت أعماله الأدبية الأخيرة نجاحاً طاغياً ، واعترافاً متزايداً به كواحد من أكثر الاصوات الخلاقة أصالة .. الأمر الذى انتزع له شهادة من واحد من أكبر النقاد فى بريطانيا وهو ف.س. بريتشارد تقر له بالموهبة والاقتدار فى صناعة الرواية ، وتصفه بانه «أعظم الكتاب الأحياء فى اللغة الانجليزية» . وهذا التقدير ليس جديداً على فيديا دهور سورا جبرازاد نيابول الذى حازت أعماله المبكرة على الجوائز الأدبية . والآن وقد بلغ السابعة والأربعين ، يقف ف.س . نيابول كاقوى المرشحين للفوز بجائزة نوبل للأدب للعام ١٩٨٠ . فهو كما قال المؤلف الأمريكى ايرفين هاو «روائى يتوفر فى أعماله كل ما نبحث عنه فى الروائى .. فهو يتمتع بقدرة تماثل موهبة جوزيف كونراد فى تقديم ما يقصه بشكل متوتر أخاذ .. وافضل من ذلك كله انه روائى لا يخشى إعمال فكره وذكائه .»

ويبدو ايضاً انه لا يخشى إثارة الجدل والنقاش والمواضيع التى لايمكن الا أن تكون مثار جدال . فهو كمواطن بالميلاد من العالم الثالث قد صار ناقداً صارماً للفقر المادى والأخلاقى فى المجتمعات النامية . فقد استقبلت أعماله التى حفلت بالتصوير الساخر للأخلاق والعادات والأعراف فى مجتمعات جزر الهند الغربية ، كما فى «المدلك المتصوف» و «شارع ميغويل» ، بموجة من الاحتجاج الغاضب من النقاد فى تلك المجتمعات ، ووصف بانه «نبى لا احساس به ، ساخر لا يحترم أهله» . وعندما وجه ذكاءه المحرق الى الهند وأفريقيا انفجر الأحرار فى وجهه فى الغرب والعالم الثالث .

الرجل منفى وبلا جذور . ولد فى ترينيداد من أصل هندى براهمى ، وتخرج من جامعة اكسفورد ، واختار العيش فى بريطانيا لأسباب تتعلق بسهولته لكنه لايستقر لمكان فى أسفاره وتجواله . ولذا فهو حقيقة رجل بلا وطن أو قضية . ولايمكن وصفه بانه عالمى . إن تخففه من الوطن والقضية قد رفع عنه حدة الانفعال للاحداث السياسية «مثلا ، التى يتسم بها المنتمون .ولكنه قيد نفسه الى الامانة كمبدأ سام وايديولوجية خاصة به ، بها يرفض الاتهامات التى تنصب عليه بانه «مدافع عن الاستعمار .. ومحشو بالمرارة» .

« إننى احاول النفاذ الى ما حدث .. لأدلى بشهادتى بما وقع .. فاضحاً عدم الأمانة والكذب .. والافكار المستعارة .. والكتبة الذين يخونون الشعوب ويغذونها بافكار تجعلها تتقبل مستويات من السلوك المتدنى .»

وكان نيابول قد حاول أن يجد جذوره فى الهند ، فقام بزيارتها فى الستينات ، وسجل ما وقعت عليه بصيرته بعد اقامة دامت ثلاثة عشر شهراً ، وذلك فى كتابه «منطقة الظلام» وفى آخر لاحق هو : «الهند .. الحضارة الجريحة» .وفى كلا العملين يبرز نيابول الصدمة التى احدثتها فيه مظاهر الحياة هناك ، وخاصة التعصب وانعدام التسامح ، والوثوق الزائف بالنفس ويصور بشكل مؤثر وبجراة وصراحة مالم يقدر على اخفائه واحتماله من فقر اهله وعجزهم .»

ولا يعنى هذا ان نيابول قد تقبل الحضارة الغربية ، فقد وصف اكسفورد التى درس بها بانها «جامعة اقليمية من الدرجة الثانية وجد متواضعة» ولم ير فى انجلترا نفسها سوى «بلد للساسةالمتبطلين ، والكتاب التافهين ، والارستقراطية المنحرفة .. وهى ليست ذلك البلد الذى قاد العالم فى مجال السياسة والحقوق فالناس فى بريطانيا فخورون بكونهم اغبياء .وتنفق اموال طائلة ثمناً لتكريس الغباء والتبطل . وقد اخذ ذلك يظهر فى المجال الفكرى .»

«إن الدول المتخلفة هى تلك ذات الآفاق الفكرية المحدودة »

لقد بلور نيابول لنفسه كمنفى ولا منتمى منظوراً الى الحضارة أسبغ على اعماله تنوعاً وشمولية لا نجدهما فى معظم الأعمال الروائية النابعة فى العالم الثالث . فهو يرى أن هناك حضارة عالمية كبرى فى وقتنا الحاضر يمكن أن تسمى الحضارة الغربية . وهى حضارة مؤلفة من عناصر مستمدة من مصادر مختلفة ، تغذت من مصادر لا تحصى ، حضارة انتقائية .. غزت العالم ، ومازالت .. لأنها جذابة للناس ، وتحمل لهم بشرى التحرر .. وهى فى ذلك كالحضارة العربية العظيمة التى سادت العالم فى الفترة من القرن السابع الميلادى الى القرن الثانى عشر ، والتى كانت ذات مصادر متعددة ، ولم تكن منغلقة على نفسها ، ولم تكن تصد عن أبوابها المؤثرات الخارجية ، اذ انها كانت تستوعب بلا حدود الفن الفارسى ، والرياضيات الهندية وما تبقى من فلسفة الأغريق .

وهو يرى أن الخطأ الذى ولده الغرور الغربى هو التفكير بأن الحضارة العالمية التى تظل الكون اليوم هى حضارة عرقية صافية ..

ومهما كان اختلافنا مع هذا المنظور فى كليته أو جزئياته ، فهو الذى يمنح العمل الابداعى النابع من العالم الثالث دعامة فكرية تؤهله لنيل الاهتمام العالمى .. الذى ظلت الرواية فى العالم الثالث تطمح إليه لتخرج من دوائرها المحلية والاقليمية المغلقة لتسهم فى حركة تشكيل الحساسية الأدبية والفكرية على مستوى عالمى .

رأيت سمعت قرأت

رأيت

هذا الإنسان المسكين

بينما كنت اسير ذات يوم فى احد الشوارع ، رأيت مجموعة من الأطفال تتراوح اعمارهم مابين الثانية عشر والخمسة عشر ، يسخرون من رجل كتب الله عليه ان يكون ضعيف العقل لايفقه شيئا مما يدور حوله .

ورايت احد هؤلاء الاطفال يجذبه من ثيابه محاولا اسقاطه على الارض بينما الآخرون يرشقونه بالحجارة ، والناس تسير فى طريقها وهى تبتسم مما تراه ، وكانها تشاهد مسرحية هزلية !

وقفت أفكر اين الأخلاق الفاضلة التى تكون شخصية الانسان منذ صغره ، وتعمل على علو نفسه وكرامته ؟وإذا بدأ هؤلاء الاطفال مسيرة حياتهم وهم يسخرون بمثل هذا الانسان المسكين ، فماذا يفعلون وكيف يتصرفون عندما يصبحون رجال الغد ؟!

عبد الكريم مقدادى
الأردن

أين منتجات الدول العربية

اثناء زيارتى لكندا ، شاهدت المعرض الدولى بمونتريال ، اكبر مدن كندا ، والذى يضم عددا لا باس به من المعارض لدول من مختلف الجنسيات .

وحسب نظام المعرض ، كل دولة لها جزء خاص من ارضية المعرض تعرض ما يخصها من أزياء شعبية ، ومنتجاتها الزراعية والصناعية ، كما تعطى الزائر فكرة عامة عن العادات والتقاليد السائدة لديها .

وللأسف .. اخذت اجوب المعرض بحثا عن جناح لدولة عربية واحدة فلم اجد ، وتعجبت لهذا الاهمال من الدول العربية جميعها ، فمثل هذه المعارض تعتبر وسيلة دعاية ممتازة بالمجان ، فضلا عن عرض منتجاتنا وفتح آفاق جديدة بالأسواق الخارجية للتصدير ، انها دعوة للمسئولين عن هذه الناحية ، ليعرف العالم حضارتنا العربية وتقدمنا فى كافة المجالات .

أديب فوزى
ج ٠ م ٠ ع

قرأت

الصّخرة والذهب فى ميزان

انه من طريف ما يروى من المقالب الادبية ما فعله احد السلاطين ببعض الشعراء وما فعله احد هؤلاء الشعراء به .. فقد اعلن السلطان عن تشجيعه الشعر والشعراء وابدى استعداده لمكافاة اى شاعر ياتيه بقصيدة جديدة ، مكافاة مجزية وذلك باعطائه ما يعادل زنة تلك القصيدة ذهبا .. ولكن القصيدة يجب أن تكون جديدة بالفعل .. فلا يحفظها غير صاحبها والا كان السلطان فى حل من تعهده بالمكافاة ..

ومضت الأيام ، وتوافد الشعراء على السلطان الا ان احدا منهم لم يظفر باى مكافاة بالرغم من ان القصائد التى جاؤوا بها اليه وتلوها على مسامعه كانت كلها جديدة .. ذلك أن السلطان كان ذا ذاكرة قوية للغاية يحفظ القصيدة لدى سماعهامرة واحدة ..مهما بلغ طولها .. وقل مثل ذلك فى وزيره وجاريته .. وقد كان الوزير يحفظ القصيدة لدى سماعها مرتين وكانت الجارية تحفظها لدى سماعها ثلاث مرات .. وهكذا سهل على السلطان اقامة الدليل على ان القصيدة التى تلاها صاحبها عليه وعلى مجلسه لم تكن جديدة .. فيقول : قصيدتك لطيفة .. ولكنها ليست جديدة فانا احفظها من زمن وكذلك وزيرى وحتى جاريتى .. ويمضى السلطان بعد ذلك فى تلاوة القصيدة التى حفظهاالتوه .. ثم يتبعه الوزير الذى يكون قد سمعها مرتين .. ثم تتبعهما الجارية التى تكون قد حفظت القصيدة وقد سمعتها ثلاث مرات .. وهكذا يسقط فى يد الشاعر ويشعر بالخزى ويزهد بالمكافاة ويخرج من مجلس السلطان مسرعا لا يطلب سوى انقاذ ماء الوجه ..

وسمع الأصمعى عالم اللغة المعروف بمسلك ذلك السلطان الخبيث ورثى لحال اولئك الشعراء الذين انطلت عليهم الحيلة .. وشعر بالرغبة فى الانتصار لاولئك المخدوعين والرد على السلطان وصحبه الماكرين .. وجاء رده فى قصيدة طويلة نظمها وتقعر فى اختيار الفاظها وسبك عباراتها حتى بات من الصعب جدا على المرء ان يتلوها .. ناهيك بحفظها .. لدى سماعها .. ولم يكتف بذلك بل نقش قصيدته على صخرة كبيرة بدلا من كتابتها على ورق ودخل الأصمعى على السلطان متخفيا .. وراح ينشد قصيدته حتى اذا فرغ من تلاوتها غلب السلطان على امره اذ لم يحفظ من تلك القصيدة شيئا فاضطر للاقرار بانها قصيدة جديدة ولا ريب .. ثم طلب القصيدة من صاحبها ليكافئه عليها بمثل زنتها ذهبا ..فقال الاصمعى ليس لدينا فى البادية ما نكتب عليه سوى الحجارة .. وقد نقشت قصيدتى على احدها .. ثم نهض الى ناقته وعاد بالصخرة التى نقش قصيدته عليها .. ووضعوا الصخرة فى كفة الميزان وراحو يضعون الذهب فى الكفة الاخرى حتى كان التعادل بين الكفتين وحمله الاصمعى من حيث اتى ...

سعد حسين على
بور سعيد

سمعت

فوائد البُكاء

البكاء قد يكون حزنا او فرحا ، وكما أن له مضار فان له فوائد ايضا قد تكون حيوية الى حد بعيد ، وقد تكشفت هذه الفوائد بعدما تبين للأطباء والباحثين أن البكاء احد وسائل التنفيس عن هموم الانسان وأحزانه ، وانه اذا ما حاول المرء كبت عواطفه وانفعالاته فسرعان ما يصبح فريسة للعلل والاسقام النفسية والجسمية كالصداع والقرح وامراض الجهاز الهضمى وارتفاع الدم والطفح الجلدى ..

فالدموع بحكم تركيبها المتوازن تقوم بدور هام نحو غشاء العين فهى تحفظ له ليونته ومرونته وسلامته وتمنع عنه العدوى الميكروبية المختلفة .

وكذلك تعمل الدموع على منع الاصابة بالبرد ، ذلك أن الانسان عندما يشعر بالرغبة فى البكاء تحتقن الشعيرات الموجودة بانفه فاذا ما ترك دموعه تسيل فانها تجرى فى القناة الدمعية الموجودة فى الأنف وتريحه ، لكن محاولة كبت هذه الدموع تضعف مقاومة الانف ضد الفيروسات المسببة للبرد فيتعرض الانسان للاصابة به .

ولذا فان الدموع فى رأى علماء النفس هى أفضل وسيلة للتعبير عن كثير من مشاعرنا مثل الحزن والحسرة وخيبة الأمل والفشل والخوف والشعور بالعجز ، كما تعبر فى احيان كثيرة عن الفرح والسعادة فى حين ان كبتها يسبب الكثير من المشاكل والامراض .

على عبد الجليل
بور سعيد

لـيـالى عـكاظ أوربـيـة

الـسـفـر عـلى جـواد الـشـعـر

فـتـحى سـعـيـد

● اختلفت الوجـوه وتعـددت اللغـات .. وتـألق بين الجـميـع وجـه الشعر

● لولا الشعـر مارأيت مقـدونـيـا والبحـيرات الجميـلة ذات الشهـرة العالمـيـة

إذا كان الجنون فنون كما يقولون .. فان اكثر الناس جنونا هم الشعراء .. يهيمون فى كل واد .. ويقولون ما لا يفعلون ! .

وإذا كان ذلك صحيحاً .. فلا غرابة لانه قدرهم ولهب النار يسرى على اطراف الأنامل ..

ولكن المستغرب والاعجب ان يجد الشعراء من يفوقهم جنونا وهياما .. ومن يعشق الشعر اكثر مما يعشقون وان يبلغ حبهم للشعر والشعراء ان يقيموا عيدا عالميا للأثنين كل عام وبلا انقطاع فى اجمل البقاع ..

سوق الكلام

هذه المرة يركب الشعراء الطائرات والبواخر والعربات الطائرة عبر أعالى الجبال .. وتذاع اشعارهم على موجات الأثير وشاشات التليفزيون والسينما .. لا فى قلب الصحراء والبيد وإنما غير بعيد عن شواطىء الدانوب وجبال الألب الخضراء .. وضفاف الادرياتيك .. وخليط من الشعراء يتكلمون بمختلف الرطانات واللغات لا بلغة تميم وطى ومن لف لفهما .. ويحملون اسماء شتى من كل جنس : جيليفيك وسنجور وجان بريير ولازار وداجلارزا بدلا من علقمة وبن العبد والذبيانى .. وجوه بيضاء وسمراء وحمراء ، جاءت من كل فج وصوب من اوروبا واسيا وافريقيا والامريكتين يمثلون قارات العالم ويعرضون بضـاعتهم فى سوق الكلام والأقوال ..

سوق عكاظ أوربية .. اختلفت فيها السحن والوجوه وتعددت اللغات والرطانات ولكن تالق بين الجميع وجـه وضىء هو وجـه الشعر .

وتوحدت بين الجميع لغة واحدة هى لغة الشعر .

وكان تلك الموسيقى الخفية الكامنة فى روح الشعر تسرى بين الأرواح وتتدفق على الألسن .. ويتحدث بها الجميع بطلاقة .. وكانها اكتشاف جديد للغة جديدة يتحدث بها الغرباء فى أى مكان وزمان ..

وقلت لنفسى .. إذا كان الشعراء وحدهم المجانين .

فهؤلاء وحدهم هم العقلاء ..

وفى زحام هذه الوجوه عبر الرحيل والطواف هنا وهناك ، كان وجه الشعر يتالق مثل الشمس فى كبد السماء ويشرق مثل القمر فى عتمة المساء ...

جواد الشعر

لولا الشعر ما حملنى جواده الأشهب العريق يسابق الريح ويجول فى بلاد الغربة والتجوال الى بعيد أو قريب .

لولا الشعر .. مارايت صحراء بلادى .. ونجوعها وقراها وثغورها واعماق مدنها الدفينة النائية .

لولا الشعر مارايت بساتين دمشق ولا ارز لبنان ولا دانوب أوربا .. وجبال مقدونيا والبحيرات ذات الشهرة والجمال .. وربوع الاغريق وضفاف السين وبوابات باريس ومتاحفها الكبرى

السفر على جواد الشعر

على شاطئ نهر صغير ينحدر من صلب البحر الأسود كان السوق بعنوان: ليالى الشعر العالمية

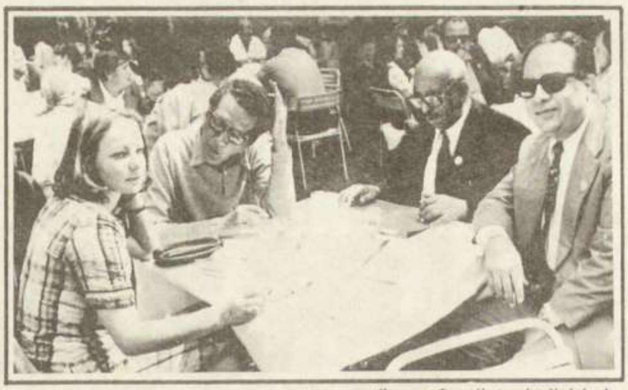

ماريانا الشاعرة التى كتبت بالدم

كان الشعر جواز السفر .. وتميمة العبور. فكل جديد ألقاه وكل درب تعبره خطاى إنما من اجله ومن اجل مزيد من القطرات والسقيا لشجرته السامقة إلى اعلا ..

كنت اؤمن ان السفر زاد يضاف الى رصيده وان الغربة تجربة تخصب ارضه وثراه .. تخلفت كثيرا عن مهرجانات العاصمة وغبت فى الزحام والقطارات وعربات الليل هنا وهناك فى الوقت الذى تزاحم فيه الواردون على حياضها الدافقة ..

كنت انزوى بعيداً فى ركن قطار او مقعد سيارة او على متن قارب او فوق دابة اقطع الاميال فى سفر واغتراب وتجريب وتجوال .. فى القيظ اللافح والبرد الواغل فى العظام .

ولم يكن ذلك إلا قدراً ..

مروج الحسن

اما هنا .. فى قلب الجبال الخضراء .. وعلى شواطىء البحيرات حيث لا تناحر ولا ثارات .. وإنما شعر وموسيقى وشاعرات يخطرن كانهن المها فرت من الخباء وانطلقت عبر المروج .. واختفى اسم الخنساء وهند بنت عتبة صاحبتا المراثى الشهيرة .. ليتردد اسم دارنكا وماريانا صاحبات القصائد العصرية القصيرة .

كانت السوق هنا بعنوان : ليالى الشعر العالمية ..

لافتة تحمل هذه الكلمات على بيت من القرميد الاحمر على شاطىء نهر صغير ينحدر من صلب البحر الأسود وبحار اخرى وكانه حفيد انساب تحت اقدام اجداده فى دروب هذه المدينة الساحرة «اشتروجا» وأمام هذا البيت الغريب الذى اسمه «بيت الشعر» فى مقدونيا عاصمة اليونان الأولى .. ومهد الاسكندر .

فى مهد الأغريق

وحطت الطائرة .. فى اثينا العاصمة .. وأسراب السحب الحبلى بالرذاذ المنهمر فى الضحى تغسل قمة «اثينوس» الرهيب .

وهبت نسمات اليونان وطار الخيال يعانق المنظر ويركب عربة «زيوس» الذهبية يطوف بها فوق قمم الجبال.

لم اشعر بالغربة للوهلة الأولى .. كان الشعر جواز المرور ..

وكانت اللغة العربية التى تسمعها فى كل مكان تشعرك بانك فى وطنك لم تبرحه ..

فى «البلاكا» حى الغورية اليونانى العتيق حيث يسهر طيلة الليل .. وتنتشر الحوانيت والمطاعم والملاهى من كل لون .. ويرتفع صوت الموسيقى فى كل مكان ..

فى «بيريه» الميناء النائى الشهير .. نخبة من الأيدى العربية تقف وراء أعقد الآلات فى اكبر المصانع والترسانات البحريـــة .

● فى ديفينى .. على بعد ساعة ونصف من قلب ميدان «أمونيا» باثينا العاصمة حيث يقام عيد الموسيقى والكروم .. كل عام ولمدة ثلاثة شهور صيفية وحيث يفد إليها الألوف من مختلف انحاء العالم .. يرقصون ويعزفون وينامون فى ظلال الأشجار الكبيرة التى تغطى مساحة المكان الرحيب .. مقابل دولار واحد رسم الدخول والمرح واللهو حتى الصباح .

كانت هذه الزيارة الأولى .. لأثينا .. حيث قضيت عدة ليال عابرة قبل أن أعود إليها مرة اخرى .. وقبل أن يحملنى قطار الشرق السريع الى «إسكوبيا» عاصمة مقدونيا حيث ليالى الشعر التى استمرت اسبوعاً بلا إنقطاع ..

وفى كرنفال الوجوه العديدة هناك .. كان هذان الوجهان الجميلان القريبان ..

● وجه من مقدونيا ..

● ووجه من امريكا ..

ماريا ياكو

● المكان .. مرج اخضر على شاطىء بحيرة زرقاء .. فى ظل دير عتيق شهير اسمه «سيتى دوم» .

حملتنا الباخرة فى الصباح الباكر عبر بحيرة «أوهريد» من امام الفندق البرتقالى اللون الذى يطل على شاطىء الادرياتيك ..

وحطت بنا بعد ساعة فى هذا المرج الجميل حيث امتدت الموائد وتناثرت فرق الموسيقى الشعبية بملابسها الزاهية .. وآلات القرب والنفخ ودائرة الرقص تتسع رويداً رويداً حتى تطوف بالمكان كل فى شكل دائرة متشابكة الأيدى .

ماريا .. شقراء فى الثانية والعشرين .. شعلة من الذكاء والجمال والشباب الدافق .. قلقة لا يقر لها قرار.

كانت تتصفح كتاب القصائد التى ستلقى فى المهرجان .. جرنا الحديث الى الشعر العربى .. انطلقت تتحدث بكل جوارحها بعينيها التى تتسع حتى تملأ جنبات وجهها .. وبجبينها الذى ينحسر عنه شعرها الذهبى كأنه سنبلات قمح ذهبية . وتنطلق تتحدث عن الحب والحياة والشعر والرسم والموسيقى .. وكانها مزودة بشحنة تفرغها دفعة واحدة .. وهات ما عندك ايتها الشاعرة الجميلة الرعناء ..

● إسمى ماريا ياكو .. اسم الشهرة .. ياكو . ابى كان يعشق الفن.

بدأت كتابة الشعر وعمرى اربعة عشر عاما من خلال عشق ابوى للفن .. احب «بايرون» اكثر من اى شاعر آخر

من رسوم زوجة الشاعر الأمريكى

احد رسوم القصائد

ميناء بيريه فى الليل

.. لأنه يعبر عن الورد والحب وأكاد احفظ أشعاره عن ظهر قلب .. إنه أكثر كلاسيكية وعشقاً للحياة ومغامرة وطموحاً ..

«إليوت» ليس تقدمياً فى نظرى .. ويأتى بعد بايرون إدجار آلن بــو ولوركا الأسبانى.

روح الشعر الحقيقية .. هى البحث عن الحياة . إن روحى من دم وأنا أكتب بالدم لا بالحبر .. حاولت ذلك أول مرة ..

صنعت وشماً على يدى اليسرى .. وغمست فى دمائى القلم وكتبت أول قصائدى .

انظر .. هو ذا الجرح غائر لم يزل .!

أعشق بودلير .. ولكنى أهيم بالشعر الانجليزى أكثر . الله صنع الليل والنهار .. الليل هو الظلام والنهار هو الروح .

فان جوخ .. هو محبوبى الأثير .. لقد صرخ صرخة الحياة وسكبها فى لوحاته وقطع أذنه هدية لحبيبته ..

لوتريك .. رسم المرأة كما رأتها الآف النساء ولكن من هى أمرأته ؟

بيكاسو .. وجد شيئاً يهتم به القرن العشرون .. حاول أن يكون مشهوراً .. وكان وحشياً مع النساء بعكس سلفادور دالى .

● شعركم العربى .. متورد ودفاق كأنه رعشة خريف ربيعية .. فيه روح الناس والحياة .. كأنه لوحات فان جوخ .. احسست به من خلال اصغائى له .. ومن قراءتى له مترجماً ..

● عن الحب .. هناك ناس يولدون ليحبوا آخرين .. هكذا الحب أن تخلق لى وأخلق لك .. لا أن نلتقى عابرا من أول نظرة .

● أعشق عمر الخيام جداً .. احفظه عن ظهر قلب وهو مترجم .. بودى لو قرأته بالعربية ..

● لى ديوان واحد والثانى على وشك

السفر على جواد الشعر

الوجه الآخر لشعراء الإلكترونات والصواريخ، مجرد صفر يتمنى أن يكون مسموعًا ومليونيرًا فى وقت واحد

الصدور .. وآخر قصيدة كتبتها .. صياغة شعرية لأغنية فولكلورية شائعة،

وتوارت الشمس خلف السحب وغامت السماء .. وتمايلت أشجار الحور والصنوبر تحت رذاذ المطر الخفيف ..

وانزلقت القطرات على جبين ماريا المتوهج كأنها حبات الندى فى الصباح .. دون أن تكف عن إلقاء شعرها بصوتها الدافىء الرخيم ..

وأوشك الركب على الرحيل ..

بيبى باركان

● قط ابيض قصير وسمين

ذكرنى مرآه فورا بقول « جيمس بالدوين» شاعرأمريكا الأسود :

« إننى قط أسود ..

ضامر .. صعلوك

طموح .. ذكى ..

إن القط الأسود يقول «ناو» أى الآن .!

ولكن باركر .. القط الأمريكى الأبيض المكتنز المتورد الوجنات كان على النقيض تماماً من صاحبه بالدوين الأسود الضامر الذى دافع عن قضيته وغنى لأبناء جلده السود .. بكلمات كانت طلقات الرصاص فى صدر العنصرية.ورفع شعار التمرد .. الآن .. وفورا .. !

أما صديقنا الأبيض فقد كان قطاً ثميناً نشيطا يثب من هنا الى هناك عبر ردهات المهرجان والندوات وفوق موائد العشاء وفى أى ركن يجمعه بالناس مادا يديه بعشرات القصائد المطبوعة الملونة وعشرات العقود والاتفاقيات صارخا مثل بالدوين تماما : ناو .. أى الآن .!

ولكنها ليست صرخة الثورة والتمرد .. وإنما صرخة عمل والتعاقد الفورى الآن وليس وقتاً آخر .. فهو رجل أعمال واوراقه جاهزة .. وهو ليس شاعراً فقط جاء يمثل بلاده بل هو ناشريمتلك دارا كبرى للنشر وتاجر يفرد أوراقه أمامك ويتحدث كالصاروخ ..

● قدم لى أشعارا عن مصر ودراسة لأنشرها فى أمريكا .. وانت قدم لى كتاباً عن مدريد أو النرويج أو عن فرنسا لأنشره .. فى نيويورك .

كل شاعر يلتقى به يدير له نفس الأسطوانه ويفرد له عينة من مطبوعاته الفاخرة الألوان والرسوم .. رسمتها زوجته ورفيقته فى الرحلة الأمريكية الجميلة السمراء .

زوجته الرسامة تلك .. دقيقة الحجم سوداء رقيقة كأنها باريسية .. شرقية الملامح كأنها حبشية تحترف الرسم التقيا وتحابا من أول مشروع .. ترسم هى ببراعة وتنتمى الى الموجة الجديدة السائدة .. الخطوط المستغربة بالأغراق من الأحجام والمسافات وتجسيد الملامح وإغداق الألوان المتناقضة الصارخة .. التى تشعرك أن وراء الرسوم واللوحات فنانة مقتدرة .. لا يفترقان اينما كانا .. يقدمها لك فى اعتزاز وتزكى هى أعماله فى إعتزاز ..

فى الصباح على مائدة الافطار تعطيه من حقيبتها ملفاً أنيقاً يفتحه باركان على الفور ويخرج منه عشرات النسخ من قصائده ويعرضها عليك .. وفى الغداء يفعل نفس الشىء وحين تذكره انك تسلمت هذه النسخ على مائدة العشاء أمس ..! لا يتوقف وإنما يدفع لك بحزمة ثالثة قائلا :

— لن تضر .. إنها مختلفة عن الأولى وزعها على اصدقائك .

الشاعر الصامت

هذا هو باركان ..

كالقط حاول أن يقتحم الشاعر التركى الكبير « داج لارزا »بصمته الرهيب وجسمه المهيب .. ولم يتمكن .. كان الشاعر الكبير ملتحفا بالصمت وباللغة التركية .. ولا لغة بين الاثنين ..

الشعر اليونانى المشهور بين ساحات المسرح الأغريقى القديم

الاكروبول فى لحظة الغروب

فن العزف الموسيقى عند الأغريق القدماء

حاول باركان أن يستعين بالشعراء عليه وعبثاً .. كان التركى كالقلعة المستديرة لا يمكن اقتحامها ..

ولم ييأس باركان .. استدار الى الشاعر السنغالى الكبير «جان جاك برمبير» الطويل القامة المحترق السواد المفتول القوام كأنه ملاكم قديم يبدو كالرمح العالى الرأس .. مهذب جداً قليل الكلام .. يتحدث بعدة لغات .. يقدمه «سنجور» الشاعر ورئيس جمهوريته باحترام وتقدير .. ينمان عن مكانته الشعرية .. أخذ باركان يدور حوله .. ويرطن بكل اللغات وأخرج أوراقه والرجل يبتسم ويدخن فقط ولا كلمة واحدة ..

حدثه عن الشعر السنغالى .. وعن سنجور وعن دافيد وعن آخرين كنواة لكتاب شعراء السنغال .. والعملاق الاسود لايتحرك .. يدخن ويرشف قدحه فى صمت وبدا باركان امامه مثل فأر أبيض وقع بين مخالب قط سنغالى ثمين وسألت جان بريير .. لماذا لا تحاور الأمريكى الابيض .. وابتسم ودعانى أن نشرب نخب الشعر فى ركن بعيد ..

لو كنت صفرا !

هذا هو باركان .. الوجه الأمريكى للشاعر والتاجر معاً .. أو الوجه الآخر لشعراء الالكترونات والصواريخ الشعرية الملونة فأمامه تشعر أنه نتاج أحد هذه العقول الآلية التى تستطيع أن تضغط على زر الشعر فيها فينطلق شعره مواتياً معبرا عن اللحظة .. ولكنه فاقد لجوهر الفن وهو الروح .. تلك المرآة التى ترى على صفحتها حقيقة الشاعر لا الأزرار والمحركات ..

هل هو الشاعر الملهم المطبوع بموهبة الشعر ؟

أم هو الشاعر الذكى المدرب المزود بموهبة ايقاع الأيام الآلية ؟

حتى ليلة السفر حين انتهت المرحلة الأولى من المهرجان لنبدأ رحلة ثانية الى مدن ثانية عبر الجبال الخيالية والقرى القديمة . والكنائس والأديرة ذات التاريخ العتيق ..

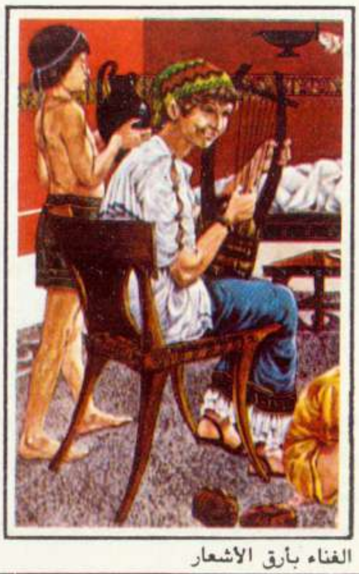

الغناء بأرق الأشعار

نقش زجاجى (٤٩٠ ق.م)

طار النوم من عينى تلك الليلة .. كان صوت باركان يخترق جدار حجرته المقابلة لحجرتى .. حسبته يعقد صفقة جديدة فى هذا الهزيع الأخير من الليل .. وطرقت باب حجرته وجدته غارقاً فى ركام هائل من المنشورات والمطبوعات والعقود وقد برزت أحشاء حقائبه وتناثرت من كل حجم ولون .

ماهذا يامستر باركان .. ولماذا تصرخ؟

ارتب الحقائب .. انظر كم هى مثيرة .. وكلها تكتظ بالمشروعات والأوراق أكثر من الملابس ..

كان الرجل يرطن ويتشاجر مع زوجته كأى زوجين يعدان الحقائب ليلة السفر .! وما أن انفض الشجار والصراخ حتى التفت الي وانطلق كالقذيفة ليحدثنى عن مشروعاته ويعرض علي الجديد منها .. وصرخت فيه : عندى الكثير منها يامستر باركان .. ولا داعى لفتح الحقائب مرة أخرى ..

قال دون يأس : فقط .. مجرد ديوانى الأخير ..

قلت له : اعطيتنى نسختين منه .. ألا تتذكر .. ؟

قال :إذن انظر هذه القصيدة الأخيرة .. القصيرة .. أرجوك .. ترجمها لي وأكتب الترجمة العربية تحتها ووقع باسمك ..

القصيدة إسمها الصفر .. وهى سطور قليلة تقول :

الصفر حلم بلا صوت
بلا وقت ولا مكان
أنا انتظر فوق طبق
وحولى الأفواه فاغرة
لتأخذنى فى أعماق سكونها
أنـــا صفـــر ..
مجـرد صفـر ..
دعنى أكون مسموعـــاً .!

هذا هو الوجه الثانى من المهرجان .. صفر يتمنى أن يكون مسموعاً ويتمنى من اعماقه لو أضيفت له عدة أرقام ليصبح مليونيرا ..

ولم ينقذنى منه .. إلا شخير زوجته الذى ارتفع ينذره بالكف عن الحديث ..

وتسللت بدورى على الفور الى غرفتى لاستقبل فى الصباح يوماً آخر من أيام المهرجان .

فتحى سعيد

الحلوانى

بائع العرقسوس

الجامع الأموى

يامال الشام

كمال سعد

- الحنين إلى البيوت القديمة التى حجبت ضوء الشمس من التسلل للزقاق !
- القائد الذى أعاد أمجاد الشام فى الأندلس على هوية الإنسان العربى !
- عطور الياسمين التى ظلت تملأ رئتى دمشق بأرق النسمات وأعذبها
- عندما تغنى البنات تحت دالية العنب وبين أحواض الزهور والورد !

عشقت مثلها دمشق القديمة ،وتمنيت ان اعود الى ايامها الخوالى لانام فى حضن الغوطة التى تتعانق اغصان اشجارها تحت جبل قاسيون ، فى هدوء وقناعة ..

وما من مرة ذهبت فيها الى دمشق الا ووجدت نفسى اتامل سورها الضخم بابراجه العديدة .. او ابحث عن ابوابها التسع التى ما زالت باقية على حالتها الاصلية ولم ينقص منها غير باب واحد هو باب النصر الذى كان عند مدخل سوق الحميدية وهدم منذ ١١٧ عاما ..

وكثيرا ما كنت اتساءل عن بانى هذه الابواب التى كانت تغلق ليلا إما فى الغروب او بعد العشاء خوفا من اى عدوان مباغت ، بينما كانت الزهور تباع امامها بكل الوانها الزاهية المبهجة فى وضح النهار ..

وكان الجواب ياتينى دائما مؤكدا ان كل الأبواب تركتها لنا العهود العربية ، فيما عدا الباب الشرقى فهو من العهد الرومانى ..

وانبهارى دائما كان يزداد كلمارايت من جديد المسجد الأموى بما فيه من آيات فن العمارة الاسلامية ، بمئذنته الجميلة التى يقال ان العالم الاسلامى لم يعرف المآذن الا من المسجد الأموى ، وتبعه بعد ذلك جامع عمرو بن العاص فى الفسطاط..

وكنت مثلها ـ ايضا ـ احن الى البيوت القديمة التى تلامست مع بعضها البعض فحجبت الشمس من التسلل الى الزقاق الضيق ..

وفى رحلة الذكريات فى دمشق القديمة امتعتنى تلك الدراسة الطويلة التى اعدتها سهام الترجمان عن المدينة التاريخية التى تستعد نساؤها لرحلة الحمام بسرور عظيم .. وتغنى بناتها تحت دالية العنب وبين احواض الزهور والورود ..ويلتف اطفالها حول المسحراتى وهو ينقر على طبلته فى ليالى رمضان شاكيا للزمن اولاده السبعة وزوجته التى لا تاكل غير الجوز والتين والزيتون !

وبروح الفنانة التى تبكى فى ضميرها على دمشق القديمة التى تتهدم كلها ، ليعمر مكانها دمشق جديدة من الاسمنت والحديد والزفت ،نراها مرة متعاطفة مع

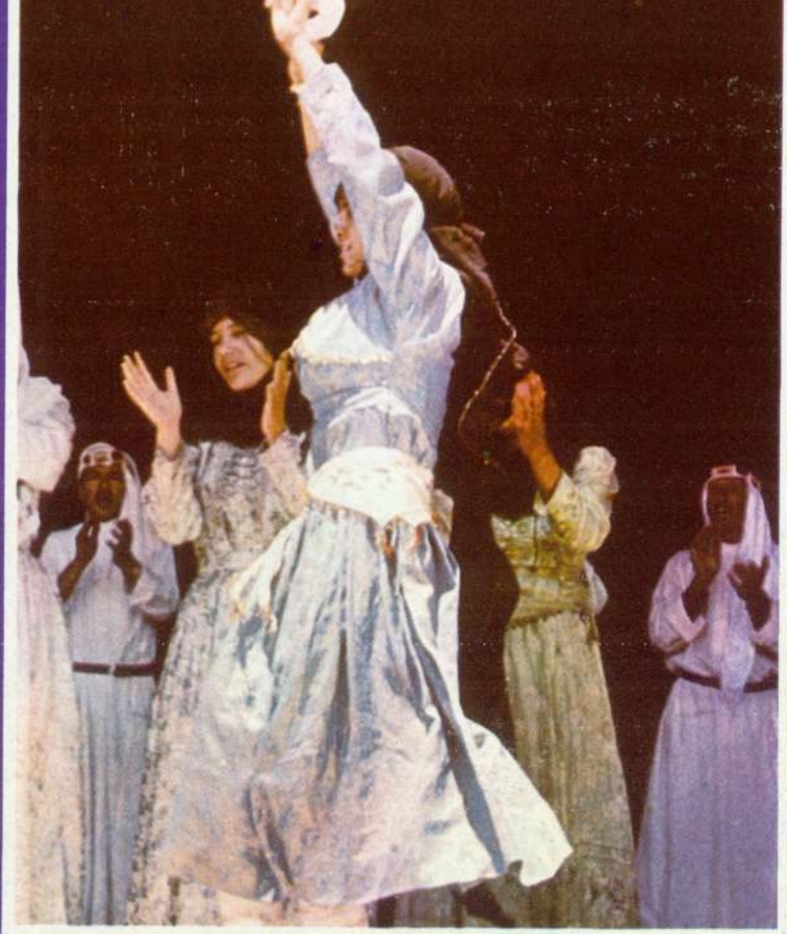

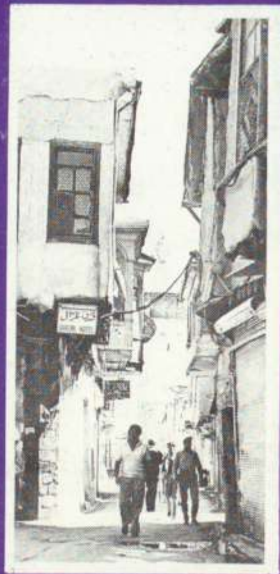

دموع فلاحى بساتين الشام وخاصة بساتين الربوة الشهيرة التى خلدها الشعراء باشعارهم لانهملا يريدون أن يتركوا بيوت الطين واحواض زهورهم واشجارهم الخضراء وانهار بردى السبعة .. ومرة اخرى تتحدث بلهجة اهل مدينتها الذين يحسون بانهم امتداد لصقر قريش الدمشقى الأموى عبد الرحمن الداخل بن معاوية الذى أعاد امجاد الشام والأمويين فى عمران الأندلس وحضارة الأندلس باسلوب العمارة الدمشقية العربية وعلى هوية الانسان العربى ، بعد أن كاد الحريق الكبير ياتى على ما تبقى من اصالتهاوروحها ومعالم حضارتها ..

ويخفق القلب لهذا النغم الذى تحمله اغنية دمشقية قديمة ، تهز الوجدان ، وتعيد للأذهان خلود دمشق ، وهمسات حب جدرانها القديمة التى اندثرت مع الزمن .. فالأغنية لفنان دمشقى أصيل هو ابو خليل القبانى ، ما زال لحنه شائعا لانه يهز الوجدان ويعيش فى الذاكرة كالخاطر الحلو الذى يستصرخ فينا الحنين الى نهر المحبة والبيت العربى العتيق وعطور الياسمين التى ظلت تملأ رئتى دمشق على مر العصور :

يامال الشـام ياالله يامالى
طـال المطال ياحلـوة تعالـى
طـال المطـال وجيتى عالبـال
مايبلـى الخال عالخـد العالـى

* * *

طال المطـال طـال وطـول
الحلوة تمشى وتمـشى وتتحـول
ياربـى يرجـع زمـن الأول
يوم يالطيـف مـا كـان علـى بالـى

* * *

طال المطـال وعيونى بتبـكى
وقلـبى مـلان ما بقـدر بحـكى
يارب يكـون حبيـبى ملكـى
يـوم يالطيـف ما كان على بالـى

* * *

طـال المطـال ومـا شفنـاهـم
يـوم الأسـود يـوم الـود عناهـم
يا ربـى تجمعـنى معـاهم
يـوم يالطيـف ماكـان علـى بالـى

يامال الشام

على ضوء مصباح الغاز كان "أبو علي" يروي حكاياته الشعبية من فوق التخت العالي

الرحلة المثيرة

واشعر وانا اتصفح اوراق سهام الترجمان ، انها فعلا ابنة دمشق العتيقة ، وان فى اعماقها ما زالت تعيش تلك الطفلة الصغيرة التى طالما جرت فى حارات المدينة القديمة التى تكاد بيوتها من شدةالقرب ان تقبل بعضها بعضا!

فهذا الحنين البالغ الى احياء الشام ذات الرائحة الخاصة .. وهذا العشق المفرط لبيوت حى « سوق ساروجه» الذى كانوا يسمونه « استنبول الصغيرة » لشدة عراقته وجماله واصالته .. وقبة السيار ..واهل الكاف ..وقبر الشيخ محى الدين بن عربى .. وكرسى الداية الذى طار بمدفع فرنسى .. والشوارع ذات الارض الحجرية النافرة .. والأسواق الكبيرة والصغيرة .. والحمامات الشعبية الشهيرة التى كانت ضحكات الاطفال تتردد فى مقاصيرها وتتصاعد مع البخار الذى يملأ ارجاء المكان .. كل ذلك وغيره يجعلنا نتوجع مثلها على ما اندثر وضاع قائلين :يا مال الشام ! .

ودعونا نتركها تروى لنا ما علق فى ذاكرتها عن حمام الورد وحمام الجوز وحمام الخانجى وحمام ملكة فى الدرويشية اجمل حمامات دمشق الذى حرمت من رؤيته لأنه مخصص للرجال ! .

ان صورة ما قبل الحمام ما زالت عالقة فى ذهنها ...كانت دائما تستعد للرحلة المغرية بسرور عظيم .. وتذهب الى الحمام ببقجة الملابس النظيفة وبقية الاغراض ..

وداخل الحمام كانت البلانة تساعد امها فى غسل الرؤوس وتفريك الاجسام التى تشبه تماثيل من الرمر الأبيض ملفوفة بفوط خمرية مقلمة بخيوط القصب الذهبية ..

اهلا وسهلا

وتكتمل الصورة داخل الحمام عندما نرى عروسا تلتف حولها النساء فى بهجة ومرح وهن يطلقن الزغاريد والكلمات الصريحة الواضحة .. وعجوزا تنفض الحنة من راسها فتسيل على ارض الحمام.. وخناقة بين عدة نسوة تكاد تنتهى بالضرب بطاسات المياه .. وطفلا يصرخ ويبكى فى حضن امه بعد ان دخلت رغوة الصابون فى عينيه .. وامراة بدينة تجرى وراء ابنتها الصغيرة الهاربة لتضربها وتشدها من شعرها وتعيدها الى المياه الساخنة .. وحاملا تسير متثاقلة .. وفتاتين ترش كل منهما الأخرى بالماء البارد ..

الأزياء الشعبية

المؤذن

وبعد نهاية كل حمام تشاجر اخواتها عندما تبدا مشكلة من سيحمل بقجة الملابس المتسخة بينما تحاسب امها المعلمة التى تجلس على المصطبة لتستقبل القادمات بكلمة « اهلا وسهلا » وتودع الرائحات بكلمة « حمام الهنا »! .

ابو على وعنترة

وتنتهى رحلة الحمام لتبدا رحلات اخرى مع الذكريات القديمة ..

القصاص الشعبى ابو على الذى كان يصعد الى تخته العالى فى القهوة ويلتف الناس حوله بعد العشاء ليستمعوا الى قصصه المضحكة التى كان يرويها على ضوء مصباح غاز ، وهو ينط ويحرك يديه والناس غارقة فى ضحك يصل الى درجة الدموع والشهيق والأمثلة الشامية العامية التى كان من الطفها : « جوزى بيحبنى قوية .. اهلى بيحبونى غنية .. جيرانى بيحبونى ايديه سخية » .. و «العروس بعقلها وقلة اكلها » .. و « الكلب اللى بيعوى معك احسن من اللى بيعوى عليك » ! .

ورائحة العطور والصابون والشموع والتوابل التى تشمها فى سوق « البزورية» وانت فى طريقك الى قصر العظم اجمل القصور العربية ، والذى جند له اسعد باشا والى دمشق اعظم الفنانين فى القرن الثانى عشر الهجرى ، وانتهى بناؤه بعد ثلاث سنوات فى وقت كان اهالى المدينة يعانون من الغلاء ، ورووا عن صاحبه انه كان كلما سمع بقطعة نادرة او تحفة من رخام او قيشانى ارسل جنوده لياتوا بها سواء رضى صاحبها او ابى ! .

ولايمكن مطلقا ان تتوه سيرة عنترة وسط طوفان الذكريات .. فلا توجد اسرة شامية لم تسمع القصة من الأب او الأم ..

السكون الكامل

ونعود الى البيت العربى الواسع الذى تقفز على سطحه قطط الشام

● هربت مع عائلتها إلى بيت حديث لا تدخله الحشرات.. فدخلت إلى بيت لا يسلم جيرانه على بعضهم البعض!

السمينة المدللة ، والذى كانت تلعب فيه تحت دالية العنب وبين احواض الورود والزهور ، وتغنى مع بنات الجيران وهن يرقصن فى حلقة « يا بنت الملوكى ..جايين يخطبوكى .. على شقفة طينة .. بتعمر مدينة .. حارتنا لولو ومرجان الخ»

واثناء اللعب كثيرا ما كان يقرصها الدبور الذى لم يكن له دواء فى البيت غير النوم ! .

وفى بيتها العربى القديم رات حشرات كثيرة مثل الحية والعقرب وام اربعة واربعين والحربائة والنملة .. فهربت مع عائلتها الى بيت حديث لاتدخله الحشرات .. وايضا لا يسلم جيرانهعلى بعضهم البعض ! .

وفى نفس البيت نرى تقاليد الشام الشعبية فى شهر رمضان المبارك .. فلا طفل فى الحارة يفطر .. وفى انتظار مدفع الافطار يلتقى افراد الأسرة حول مائدة الافطار العامرة بالطعام والخشاف وقمر الدين..اما فى الأسواق فان الزحام على اشده والاطباق تتصارع عند بائع الفول وحمصانى راس الحارة ..بينما الخباز يدفع بالارغفة الساخنة للايدى المتلهفة !

وعندما يطلق المدفع فان انوار المآذن تضىء .. ويؤذن المغرب .. ويصيح الاولاد فى كل مكان مهللين فرحين .. ويركضون بالقباقيب الصغيرة نحو البيوت لتصبح طرقات المدينة فى حالة من السكون الكامل ! .

الحلم بالعيد

وفى رمضان لابد ان يصلى الناس صلاة العشاء والتراويح فى المسجد الأموى .. ولابد ان يلتف الاطفال حول المسحراتى وهو ينقر على طبلته ويوقظ الناس قائلا :« ياناايم وحد الله .. يامؤمنين يللى تحبوا الله والنبى .. قوموا أعبدوا الله وصلوا على النبى .. يللى فاتك الصلاة والصوم .. قوم جدد عهدك مع الله والنبى » .

وكثيرا ما يطلب منه الاطفال ان يغنى لهم اغنية خاصة ، فيغنى لهم قائلا :

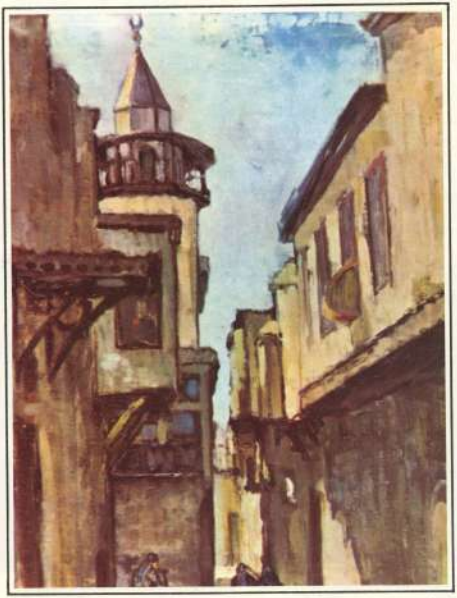

الحى القديم

«شرم برم حالى غلبان .. عالضراير والربة .. وربوا على قلبى دبلة .. ومن جورهن بعت الطبلة .. وصرت داير غلبان .. الله بلانى بالقرعة .. وسنانها سنان الضبعة .. حبلت وجابتلى سبعة .. تلت قطط واربع فيران .. شرم برم حالى غلبان .. اخذت واحدة من جسرين .. مابتاكل غير جوز وتين .. قالوالى روح يامسكين .. بكرة بتصفى بلا نسوان .. شرم برم حالى غلبان » !

وتتكرر صورة مسحراتى رمضان كل ليلة إلى ان تاتى وقفة العيد ، ويسمع الأطفال مدافع الوداع ، فيغنون فى مرح وبراءة : «شعل ضو .. انطفا ضو .. قال المدفع بويوبو » !

ويصعدون الى النوم مبكرين .. ويناموون وهم يحلمون بالحذاء الجديد .. والثوب الجديد .. والشريطة الحمراء ..

● هـذه الصور الحية النابضة بالحركة والصراحة والعفوية تعيد لأذهاننا البيت العربي العريق والديار المفتوحة.

سهام الترجمان

والعيدية .. وحرية اللعب .. والطعام الطيب .. والفرجة على السلاملك فى سوق الحميدية .. ودمشق المليئة بالزينات !

العودة للأصل

وعندما تنتهى ايام العيد الثلاثة تعود دمشق القديمة الى سيرتها الأولى .. والبيت العربى .. والديار المفتوحة .. والمرأة الجميلة التى تغسل الديار وفى يدها سطل ومقشة وقبقابها يرن على البلاط الحجرى وأسوارها الذهبية الرفيعة تخشخش فى معصمها ، وضحكاتها تلمس القلب ، وبياضها بياض الفل ، وعيناها بلون العسل ..

وكثيرا ما نشم رائحة البدنجان المقلى بالزيت تعبق البيت .. أو سيدة ماهرة تدق الكبة فى جرن الكبة .. أو رجل ينادى فى دكانه على بضاعته .. أو كرباج يحاول الوصول من مقدمة العربية الى ظهر صبى معلق خلف الحنطور .. أو اذان الظهر فى مأذنة قريبة .. أو صغار وصغيرات بالصدارى السود يتفتحون كأزرار الفل فى الشوارع .. أو ستارة مخملية تهبط فجأة .. أو ثائر يختفى خلف جذع شجرة من اشجار الغوطة فى يده بندقية ستصطاد مستعمرا فرنسيا .. أو شيخ فى الجامع الأموى يصلى ويدعو الله ان ينصر الاسلام والمسلمين .

وتتعدد الصور .. من نسوة بالملاءات السود يملأن سوق الحرير والقيشانى .. الى صوت خرير المياه فى النهر المسافر عبر البيوت يبعث على الراحة .

إلى عروس تغنى لها البنات « اسم الله اسم الله يازينة .. ياوردة جوة جنينة .. قومى العبى بحبل اللولو .. وافردى شعرك على طوله .. خليهن يحكو ويقولو .. آه ياحلاوة ياعسلية » ..

وتتوالى الصور حية نابضة بالحركة والصراحة والعفوية التى تكشف العواطف دون لف أو دوران .. وتطل الكلمات وكأنها قادمة من غوطة دمشق ، مصحوبة برائحة الفل والياسمين والأزهار ، لتردد دائما مع كل سطر ، ومع كل إحساس جميل : ياما الشـام !

كمال سعد

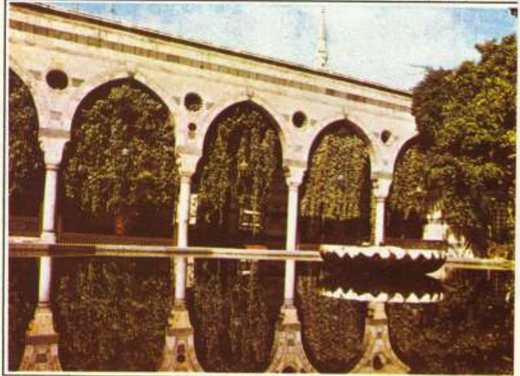
قصر العظم

عبله بنت مالك

ابو الفوارس

خيرية البشلاوى

مات أعظم ممثلى الكوميديا

فى الأسبوع الأخير من يوليو الماضى مات الممثل الانجليزى بيتر سيلرز فى مستشفى بلندن اثر ازمة قلبية حادة ..

وبيتر سيلرز هو احد اعظم ممثلى الكوميديا فى العالم .. وقد بدأ موته مفاجئاً لمن لا يعرفون أو يتابعون أخباره الخاصة ، خاصة وأن سيلرز الفنان كان موجودا ومنتشرا فى مهرجان كان السينمائى الأخير فى مايو الماضى .. وكان فى حالة من المرح الشديد ، ويبدو حيويا واقل من عمره الحقيقى (٥٤ سنة) .. وكانت ابتسامته الساحرة لا تفارق وجهه ، مثلما لا تفارقه زوجته الصغيرة الجميلة (ليد) التى جلست الى جواره فى المؤتمر الصحفى الذى تلا عرض آخر أفلامه بعنوان « أن تكون هناك » للمخرج الأمريكى «هال آشبى» . وكان جمالها ملفتاً للانظار !

ولكن ربما كان سيلرز يضع وقتها قناعاً من الاقنعة الكثيرة التى اعتاد أن يستخدمها فى أدواره .. أو ربما كان يتقمص إحدى الشخصيات التى ظل يمتع بها جماهير السينما فى العالم كله طوال اكثر من عشرين سنة فالأخبار والحكايات والتحليلات التى حملتها الصحف ووكالات الانباء على أثر وفاته تؤكد ان حياة هذا الفنان الخاصة قد تميزت بالزيجات الفاشلة والصحة العليلة !

البحث عن هوية

وكان سيلرز يقول لاصدقائه ، ليس لدى ما يدلنى على من هو بيتر سيلرز .. وكان ميالا فى السنوات الأخيرة الى الغرق فى فترات طويلة من الوحدة والكآبة ، وفى إحدى هذه الفترات قال :

مات أعظم ممثلى الكوميديا

«لست شخصاً مسلياً فى إي حفلة ، وإنما اجلس منزوياً فى احد الأركان»!

ولقد ولد بيتر ريتشارد هنرى سيلرز فى شاحنة لاحدى فرق المسرح المتجولة فى ٨ سبتمبر سنة ١٩٢٥ فى بلدة «سوث سى» الانجليزية حيث كان والداه العضوين فى الفرقة يشتركان فى إحدى جولاتها .

ونشا بيتر مع هذه الفرقة الى أن قامت الحرب العالمية الثانية فعمل لفترة مع فرقة العروض الموسيقية التابعة للسلاح الجوى الملكى ، ثم اصبح نجماً إذاعياً فى بريطانيا فى الخمسينات ، وكان يقدم سلسلة استعراضات تحت عنوان «جودن شو» ..

وكان دخول سيلرز الرئيسى الى عالم الافلام السينمائية فى الفيلم البريطانى «إننى على مايرام جاك» ، حيث لعب دور مسئول متلاعب فى إحدى النقابات ، ثم اصبح نجما عالمياً فى اوائل الستينات حينما اشترك مع صوفيا لورين فى بطولة «المليونيرة»

متاعب المخبر السرى

ومن بين جميع أدواره اشتهر سيلرز بدور «المفتش كلوزو» المخبر السرى الفرنسى غريب الأطوار فى الأفلام التى عرفت بأسم بنك بانتر .. وقبل وفاته بأيام قليلة كان قد بدأ العمل فى سيناريو الفيلم الخامس من افلام بنك بانتر بعد ان اشترك فى أربعين فيلماً طوال حياته

ولكن على الرغم من نجاحه الكبير على الشاشة فان حياة سيلرز شابتها المشاكل المنزلية . فقد تزوج أربع مرات . كان زواجه الأول واطول زيجاته عمرا هو زواجه من الممثلة الاسترالية «أن هاو» التى انجبت له طفلين .

وفى أوائل عام ١٩٦٤ تزوج من الممثلة السويدية «بريت اكلاند» وكانت فى الحادية والعشرين من عمرها ، فانجبا «فيكتوريا» التى تبلغ من العمر الآن ١٥ سنة . ثم انفصلا بعد خمس سنوات من الزواج .

وفى سنة ١٩٧٠ تزوج من « ميراندا كـدارى » ثم انفصلا .

ومنذ ثلاث سنوات فقط تزوج سيلرز من ممثلة ناشئة اخرى اسمها « لن

مع شيرلى ماكلين

فريدرى » وقد مات وهى زوجته .

وفى عام ١٩٦٤ اجريت لبيتر سيلرز جراحة خطيرة فى القلب ، حيث زرع له جهاز لتنظيم ضربات القلب بعد سلسلة من الأزمات القلبية ، ولكن فى عام ١٩٧٧ واجه سيلرز ازمة قلبية اخرى عندما اصاب العجز جهاز التنظيم المزروع فى قلبه .

وفى أوائل عام ١٩٨٠ هاجمته ازمة قلبية مفاجئة نقل على أثرها الى المستشفى ولكن الأزمة القاتلة الأخيرة هاجمته فى فندق « دور شستر » بلندن يوم الثلاثاء الموافق ٢٢ يوليو الماضى .

الخوف من المهرج

وقد اعترف بيتر سيلرز ذات مرة بان الأزمة التى كانت تعاوده كثيرا هى ازمة بحثه المستمر عن هويته الحقيقية وقدرته على تجسيد هذا الخليط الغريب من الشخصيات الفنية .

وقال : لن استطع أبداً أن اصبح نجماً حقيقيا لهذا السبب ، فانا ممثل شخصيات ، ومع ذلك لم استطع ابداً أن امثل شخصية بيتر سيلرز بالطريقة التى يمثل بها كارى جرانت شخصية كارى جرانت على سبيل المثال ، لاننى لا املك تصوراً محددا عن نفسى .

وقد كان سيلرز اول ممثل كوميدى يعترف بخوفه من القيام بدور المهرج فى حياته الخاصة . وقال « لا يوجد فى ملامحى اية سمة فكاهية».

وليس هناك ما اخشاه اكثر من ذلك الصمت البغيض الذى يخيم حينما تستقبلنى جماعة ما من الناس . فاعرف انهم يفكرون بينهم وبين انفسهم وسط الصمت المطبق قائلين هاهو قد وصل ، وفى اية لحظة فانه يمكن أن يقول أو يفعل شيئا يجعلنا ننفجر من الضحك ، ولكننى لا أفعل شيئاً من ذلك بالطبع .

وقد قالت زوجته « لن » ذات مرة : إن عقله فى حالة غليان مستمر بحثاً عن الغرض من وجوده فوق هذا الكوكب وما إذا كان وجوده يساوى شيئاً على الاطلاق .

فلسفة عدو النقود

وقد تجلى انشغال بيتر سيلرز بالبحث عن هويته الحقيقية وعن معنى حياته فى تصميمه على أن يلعب دور «تشانس» فى فيلم «أن تكون هناك» الذى رشح لاحدى جوائز الأوسكار فى وقت سابق هذا العام ، كما توقع جمهور مهرجان كان السينمائى الذى عقد فى مايو الماضى أن يفوز عن هذا الدور نفسه بجائزة التمثيل . وقد جسدت شخصية

كان يعتبر نفسه ممثل شخصيات وليس ممثلا كوميديا

«تشانس» بشكل واضح اصرار بيتر سيلرز المستمر على انه لا يملك شخصية متميزة وذلك لتقديمها شخصية رجل لا يعرف شيئاً عن العالم إلا من خلال التليفزيون .

ومن بين الشواهد القوية على قلقه فى حياته الخاصة كان رفضه القيام باى دور على المسرح متعللا بانه لا يستطيع ان يؤدى الدور نفسه بالكلمات والحركات نفسها ليلة بعد ليلة طوال شهور .

ويتجلى نفس المعنى اى القلق وعدم الاستقرار فى بعض عاداته كتغييره للسيارات مثل الجوارب . فقد اشترى سبعين سيارة فى سبع سنوات ، وقد كان مسرفاً اسرافاً غير عادى وكان يقول «انا لا أؤمن بان اكون اغنى اهل المقبرة» وقال ايضاً « النقود لا تجلب السعادة » هل رأيتم ابدا مليونيرا مبتهجا ؟؟ « .. او يفعل الاشياء التى يريد ان يفعلها ويعيش الحياة التى يعتقد انها الاكثر اهمية » .

وقد سئل ذات مرة عن اقصى طموحاته فاجاب « اظننى مازلت بحاجة الى ان اعثر على ذلك (العمل) الكبير الفريد الذى يجعل الناس تتذكرنى دائما ! وحينما سمع الخبر المخرج الامريكى «بلاك ادوارز» الذى قام باخراج افلام سيلرز الخمسة عن « المفتش كلوزو » قال « ... إن موت سيلرز ضربة مؤلمة فقد فقد العالم موهبة كبيرة » !

اما الكاتب الامريكى « جو هيامز » الذى اشترك مع سيلرز فى كتابة سيرة حياته تحت عنوان « سوق سيلرز » فقد قال « إن سيلرز كان رجلا شجاعا رفض ان يسمح لقلبه الضعيف بان يعطل عمله وكان يريد ان يشرع فى مراجعة مخطوط الكتاب فى اليوم التالى لموته وحينما قلت له إنه لا يستطيع ان يعمل وهو مريض قال لى « لا تهتم فان عليك ان تعيش قبل أن تموت وإلا فسوف تموت قبل ان تعيش»!

اما الممثلة «اليك سومرز» التى لمعت مع سيلرز فى فيلم "طلقة فى الظلام" فقالت انه كان ممثلا يسهل على زملائه الممثلين العمل معهم . وقالت : لقد كان رائعا فى ارتجاله اسلوب ادائه التمثيلى حينما تبدأ الكاميرات فى العمل . وشهدت بعكس ما كان سيلرز يقوله عن نفسه فقالت إنه شخصية دافئة للغاية وممثل كوميدى عظيم .

صاحب الألف صوت

اما بيتر سيلرز نفسه فكان يحب ان يصف نفسه بانه الرجل الذى لا كيان له ، لكنه الذى يملك الف صوت .

ورغم أن النقاد فى الغرب وصفوه بانه واحد من اعظم ممثلى الكوميديا السينمائية منذ شارلى شابلن ، وواحد من ألمع الشخصيات ، فقد كره سيلرز دائماً أن يمثل شخصيته الخاصة او ربما كان كرهه ناتجا من عجزه عن ادراكه لشخصيته فقد كان يقول إننى لاشىء على قدر علمى وليست لى شخصية اتميز بها من اى نوع . ليست عندى شخصية اقدمها للجمهور . وليس عندى ما اعرضه .

ممثل شخصيات

ورغم أن النقاد والمخرجين وصفوه بانه ممثل كوميدى ، فقد كان سيلرز نفسه يصر على انه ليس ممثلا كوميديا ، وإنما ممثل شخصيات ، وذلك ايضاً على الرغم من اصراره كما قلنا بانه لا يملك شخصية خاصة به .

وقد تكون الشخصية التى يمثلها شخصية عالم مجنون او ضابط مولع بالقتل او دوق ارستقراطى متعالى ، او مخبر سرى دائم الهذيان باسرار القضايا ، ولكنه لم يكن يستطيع ان يعثر على مكونات شخصية بيتر سيلرز نفسه ومن اكثر افلام سيلرز شهرة فيلم «الفار الذى زار» وفيلم « انا بخير ياجاك » و «لوليتا» و «الدكتور سترنج لوف » و «عالم هنرى أورينت» و «كازينو رويال» و «فتاة فى حسائى» و «ماالجديد يابوسى كات» و «ماك جوناجال العظيم» .

وقد مثل أول افلام المفتش كلوزو مع المجرم العتيد بنك بانتر عام ١٩٦٣ فى الفيلم الذى حمل عنوان « بنك بانتر » ، ثم قام بتمثيل نفس الشخصية — المفتش كلوزو — فى افلام «طلقة فى الظلام » و «عودة بنك بانتر» و «بنك بانتر يضرب من جديد» و «انتقام بنك بانتر» .

وكان سيلرز يعتزم ان يكتب بنفسه قصة وسيناريو الفيلم السادس من نفس السلسلة بعنوان « حكاية حب بنك بانتــر » لولا أن عاجله القدر فمنعه من أن يتحول الى كاتب لقصص وسيناريوهات افلامه ، وإن كان قد ترك بعض سطور من قصة حياته ..

خيرية البشلاوى

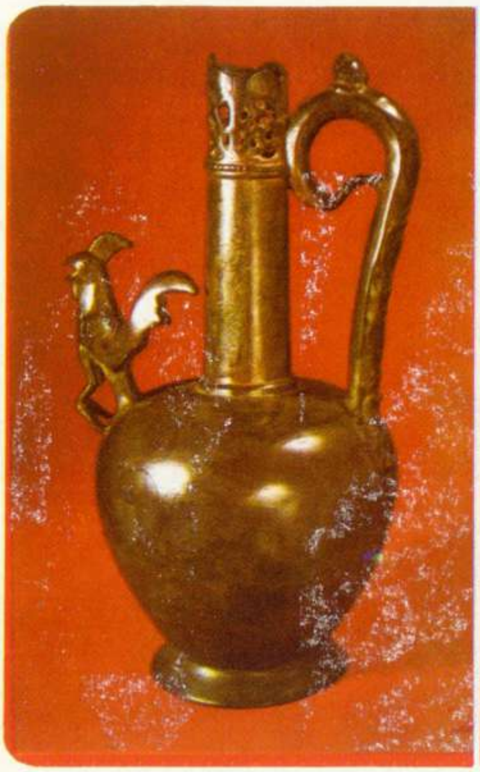

أقدم ابريق نحاسى من القرن الثانى الهجرى

جمال قطب

صياغة التحف المعدنية

● فى العصور الفاطمية صاغ الفنان نافورات القصور البرونزية التى تزينها السباع

● وحدات زخرفية جديدة فى مناظر الصيد ومجالس الطرب والموسيقى والبهلوانات

فلننقب سوياً تحت تراكمات السنين لنستعرض إحدى اللمسات العبقرية على لوحة الفن الاسلامى عبر عصوره المزدهرة ؛ ألا وهى صياغة التحف المعدنية . وفن تشكيل المعادن فى دول الاسلام هو واحد من أهتمامات شتى ضمن الهيكل العام للفن الاسلامى الذى واكب النهضة العامة للامبراطورية الاسلامية الظافرة منذ تألقها فى أواخر العصر الأموى وحتى أفول نجم الدولة العثمانية على مشارف العصر الحديث .

أول الغيث

وقد كانت أولى المحاولات الجادة لايجاد فن اسلامى ذى طابع خاص ، فى النصف الثانى من القرن الأول للهجرة أيام حكم بنى أمية . فالعصر الأموى هو الفترة التى ظهرت فيها أولى المدارس الفنية الاسلامية ، وهى التى عرفت « بالمدرسة الأموية » . ولم تتبلور شخصية الفن الاسلامى بكل ملامحها إلا بعد قرابة قرنين من الزمان ، ويسمى الباحثون والمؤرخون هذه الفترة بالمرحلة الانتقالية من فنون ما قبل الاسلام الى الفن الاسلامى بشخصيته المميزة .

وعلى ذلك ، فكان من الطبيعى أن يتأثر الفن فى هذه المرحلة بأسلوب وفنون الحضارات السابقة ، أهمها الفن الساسانى الذى إزدهر قبيل الاسلام على أرض فارس وبلاد مابين النهرين ..

وعلى ذكر الفن الساسانى وعلاقته بالفن الاسلامى ، فان كثيراً من المؤرخين والأثريين ـ ومعظمهم من المستشرقين ذوى النزعات المغرضة ـ يرجعون فنون الاسلام الى الفن الساسانى على أنه فن فارسى وعلى اعتبار أن الساسانيين كانوا فرساً كحقيقة لا تقبل المناقشة ، وأن دولتهم بناء على ذلك كانت فارسية . ومن هذا الزعم ، صدرت موسوعة الفن الفارسى .

تلك الموسوعة الضخمة التى تغطى جميع العصور من قبل التاريخ حتى أواخر العصر الاسلامى ، وفيها استعراض مسهب للفن الساسانى على

فانوس من البرونز

أنه فن فارسى صرف ـ وهم بذلك ـ ونقصد المستشرقين الذين وضعوا هذه الموسوعة من أمثال (إريك شرودر، وأرثر أوفام بوب ، ودونالد ويلبر) وغيرهم ـ قد أغمضوا أعينهم عن حقائق تاريخية لاتقبل الشك وهى أن الدولة الساسانية التى اتخذت عاصمة لها (المدائن) على أرض العراق قد اتخذت كذلك الطابع العراقى فى شتى مجالات الفنون ، بل أن العراق بكل عناصره العربية وموطن الغساسنة والمناذرة ، قد ظل مركز حكم القطرين (العراق وفارس) منذ أن قضى الاسكندر الأكبر على الدولة الأخامينية عام (٣١٢ق.م) وحتى نهاية الدولة الساسانية التى قضى عليها العرب المسلمون عام ٦٤١ م . وهناك نقطة هامة يجدر توضيحها وهى أن الحضارة الفارسية ذاتها ، بل وأسم فارس لم يبدأ فى الظهور بين اسماء الدول ذات الحضارات إلا مع تكوين الدولة الأخامينية فى حوالى منتصف القرن السادس قبيل الميلاد ، والتى انتهت سريعاً على يد الاسكندر المقدونى بعد ٢٢٠ سنة فحسب (٥٣٩ ـ ٣٣١ ق.م) .

وبعد هذه الفترة الوجيزة انتقل الثقل الحضارى الى العراق حيث العنصر العربى الفعال فى بناء الحضارة ، وحيث كان الساسانيون يعتمدون على الغساسنة والمناذرة وغيرهم من القبائل

مبخرة من النحاس الأصفر

العربية الأخرى فى الأعمال اليدوية الماهرة ، كفنون التشييد والصياغة وشتى الفنون التطبيقية .. تلك التى عرفت بالفن الساسانى ..

ونخلص من هذا الأستعراض الى أن الفن الساسانى الذى يعتبره المستشرقون فناً فارسياً ، ويرجعون إليه اصول الفن العربى الاسلامى .. ماهو إلا فن ساهم العرب بالنصيب الأوفر فى بناء شخصيته بل فى بناء الحضارة الساسانية جمعاء ولكن المستشرقين ــ بسوء نية ــ قصدوا أن يرسخوا فى أذهان العالم أن دور العرب فى تلك الديار كان عسكرياً فحسب ، أما الفن والثقافة والحضارة .. فلابد وأن يكون لها مرجع غير عربى وأصول غير عربية ، لكى يكون الفضل فى النهاية لغير العرب ولغير المسلمين .. وهذا مانجحوا فى الوصول اليه إلى حد كبير .. وساعد فى ذلك فراغ الساحة من الباحثين والمؤلفين من العرب المسلمين .. واحتكار هؤلاء المستشرقين لمصادر البحث والمراجع العلمية واضعين بين صفحاتها ماطاب لهم وما يرضى أهواءهم الصليبية المغرضة .

إبريق من البرونز

وجدنا أن الاثار المعدنية لهذا العصر الأموى متأثرة بالفن الساسانى ، وهى أثار نادرة وموزعة الآن على متاحف العالم . وفى المتحف الاسلامى بالقاهرة نرى أثراً رائعاً بالغ الأهمية ، إذ أنه أقدم الاثار الاسلامية المعدنية فى العصر الأموى ، ويرجع الى القرن الثانى الهجرى وقد عثر عليه فى مصر فى منطقة الفيوم ، وهو عبارة عن إبريق من البرونز أبدع الفنان تشكيله فجعل صنبوره على هيئة ديك يصيح وغطى جسمه الكروى بالعديد من الزخارف النباتية ، وقد اصطلح على تسميته : إبريق مروان بن محمد ، أخر الخلفاء الأمويين . أما الحلى المعدنية ، فالبرغم من أن المصادر التاريخية قد ذكرت أن الخليفة وليد الثانى كان يقتنى عقوداً من المعادن النفيسة بعدد أيام السنة ، إلا أنه لم يعثر حتى الآن على أثر لها أو غيرها من الحلى التى يمكن نسبتها الى العصر الأموى .

العناصر السائدة

نلاحظ أن الايرانيين لم يتخلوا عن عناصر الزخارف الساسانية التى كانت سائدة قبل الاسلام ، حتى أن الآثار الموجودة حالياً فى متاحف العالم من المشغولات المعدنية وترجع الى الدولة البويهية (٣٢٠ ــ ٤٤٧ هـ) قد نسبها بعض الباحثين خطأ إلى العصر الساسانى ، ولكن الأبحاث الحالية أثبتت بصفة قاطعة نسبتها الى الحكام البويهيين ، وضمن هذه التحف ، ابريق من الذهب الخالص صنع للأمير (بختيار بن مغر الدولة) الذى حكم فى العراق من ٣٥٧ ــ ٣٦٧ هـ . وقد ظهرت ضمن الزخارف كتابات حددت هذه الفترة على وجه اليقين .

وإذا ما انتقلنا الى العهد الفاطمى (٣٥٨ ــ ٥٦٧هـ) وجدنا أن الفنان فى هذا العهد يعيش عصراً ذهبياً بين مظاهر البذخ الفاطمى الشهير .. فصاغ نافورات القصور البرونزية التى تزينها السباع ، كما ابدع العديد من الأوانى والحلى والتماثيل . وقد عثر بين آثار الفاطميين على كنوز ثمينة من الحلى الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة ، والموشاة بألوان وزخارف المنيا ؛ وهذا التلوين فى حد ذاته تطور كبير فى فن الصياغه ، ومن الجدير بالذكر أن الأقراط المشكلة على هيئة (الهلال) هى من ابتكار الفاطميين ، وقد اقتبسوا شكل الهلال من التاج الساسانى القديم .

فن الصياغة

أما عهد السلاجقة الاتراك وهم الذين استولوا على الحكم فى ايران فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى بل وسيطروا بعد ذلك على العالم الاسلامى كله باستثناء مصر . فقد ازدهرت فيه صياغة المعادن وتألقت خراسان ، وهراة كمركزين هامين فى الصياغة .. واستحدثوا أسلوباً جديداً ورائداً فى عالم صياغة المعادن ، مازال متبعاً فى جميع انحاء العالم حتى اليوم وهو عملية التكفيت أو تطعيم الزخارف الغائرة بالشرائط والاسلاك المعدنية ، فتحفر النقوش على الأسطح المعدنية ثم تغطى بالشرائط من المعادن النفيسة كالذهب والفضة أو بأسلاك النحاس الأحمر ، ويمكن التكفيت بها جميعاً فى وقت واحد .

وسيطر هذا الأسلوب المبتكر ابتداء من منتصف القرن السادس الهجرى ، وانتقل من ايران الى الموصل بشمال العراق ، حيث كونت الموصل بعد ذلك مركزا فنياً عالمياً كان نقطة الانطلاق الى سوريا ومصر كما سنرى بعد ذلك .

أما من ناحية الوحدات الزخرفية ، فنرى فى الفن السلجوقى أساليب جديدة كمناظر الصيد ومجالس الطرب والموسيقيين والبهلوانات.. كل ذلك فى موضوعات متكاملة وليست وحدات متفرقة .

خوذة مطعمة بالفضة

وكانت الكتابات العربية تتخللها بخطى الكوفى والنسخ فى تداخل وتوافق مع الصور الزخرفية ..

ولكن الغريب حقاً أن السلاجقة قد ابتكروا شيئا مثيراً : فقد جعلوا نهايات حروف الكتابة على هيئة رءوس آدمية وحيوانية .. وكانت هذه بدعة غريبة فى الفن الاسلامى جعلت من السهل التعرف على آثار الفن السلجوقى من بين الآثار الأخرى .

ويمكننا أن نقول أن الفن فى هذه الفترة الزاهرة تميز بالابتكارات المتتالية المثيرة ، فقد استحدثت كذلك الأشكال المضلعة فى الأوانى المعدنية لأول مرة .. ووصل فن التكفيت الى غاية رفيعة أضفت على تحف هذا العهد أصالة وجمالا رائعاً .

التسامح الفنى

وعندما حكم الأيوبيون مصر وسوريا (٥٦٧ـ٦٤٨هـ) شجعوا الفنانين على الهجرة من (الموصل) الى مصر والشام ، ونتيجة لذلك ، إزدهرت مراكز الصياغة المطعمة بطريقة التكفيت وبنفس الاسلوب الذى ابتكره السلاجقة . ومن الملفت للنظر فى هذه الفترة أنه بالرغم من أن حكام الأيوبيين كانوا من السنيين المتشددين فى تطبيق الشريعة والسنة ، إلا أنهم قد تساهلوا وتسامحوا الى اقصى حد بالنسبة للفنانين من حيث رسم الاشخاص وصياغة التماثيل المعدنية . وقد استغل الفنان هذا التسامح الى أبعد الحدود ، وبالغ فى رسم الحياة الآدمية وتشكيل المجسمات ، وفى متحف (بروكسل) يوجد ضمن التحف الأيوبية ، إناء من النحاس المكفت بأسلاك الفضة ، وقد كتب عليه اسم السلطان الصالح ايوب حاكم مصر وسوريا . ومن الغريب أن النقوش على هذا الاناء تتناول موضوعات مسيحية برزت فيها صورة الرهبان ، ويرجح أنه صنع خصيصاً لاهدائه لبعض الحكام المسيحيين فى الفترة التى اصطلح فيها الأيوبيون مع الصليبيين فى دمشق .

التدهور الفنى

ولما ابتدأ الزحف المغولى عام ٦١٥هـ على البلاد الاسلامية ليلتهمها واحدة بعد الأخرى ، وحتى تصدى المماليك لجحافل المغول وهزموهم عام (٦٥٨هـ ـ ١٢٦٠م)، فى هذه الفترة ساد الفن بوجه عام كساد وتدهور ، وبدت المشغولات المعدنية فى أشكال وزخارف تعوزها الدقة والاتقان . وزاد التدهور فى ايران والعراق تحت وطأة الغزو المغولى الجديد وحكم الأسرة التيمورية (٧٧٢ـ٩٠٨هـ) ، ولم يترك لنا العصر التيمورى من آثار فنية ذات قيمة إلا ظاهرة كانت فريدة ومثيرة حقاً ، وهى صناعة الأوانى الدقيقة من الاحجار الكريمة التى كان من أهمها حجر نصف كريم يسمى (حجر الجشم الأخضر) ؛ فقد انتشرت الخواتم المرصعة بهذا الحجر بين الحكام التيموريين ، وكما نرى ، فهو أثر متواضع من بين النكسة الفنية العامة فى ذلك العهد .

عهود الازدهار

بينما نرى فى نفس الوقت أن صياغة التحف المعدنية قد أزدهرت وتألقت فى مصر وسوريا تحت حكم المماليك (٦٤٨ـ٩٢٣هـ) ، وبلغ من البذخ أن غطيت الأبواب الخشبية الضخمة فى المساجد والقصور بالمعادن المزخرفة بوحدات (الأرابيسك) الرائعة ، المطعمة بالشرائط من المعادن النفيسة ، وتطرقت يد الفنان المبدعة إلى مجالات شتى فى صياغة المعادن ، فنراه يصنع شمعدانات المساجد ، والمناضد والكراسى وعلب المصاحف الشريفة والمحابر والثريات ومختلف انواع الأسلحة . وصاغ كل ذلك بالبرونز وطعم زخارفها بطريقة التكفيت بالشرائط المعدنية . وبلغت فنون التكفيت ذروتها ، كما بلغ فن (الأرابيسك) اكتمال شخصيته .

وأعتد الفنان بقيمته وعطائه ، ووجدنا التحف ممهورة بتوقيعه .. ولكن ما بعد القمة إلا الانحدار ! فنرى أنه فى أواخر حكم المماليك ، هبط مستوى الصياغة ، وأكتفى الفنانون بالنقوش المحفورة على الأسطح دون تطعيم ، وبذلك تلاشى فن التكفيت تقريبا ، وانشغل الناس فى أمور الحروب والأزمات المتلاحقة .. وخبت جذوة الابداع والابتكار ! .

صينية مزخرفة من سوريا

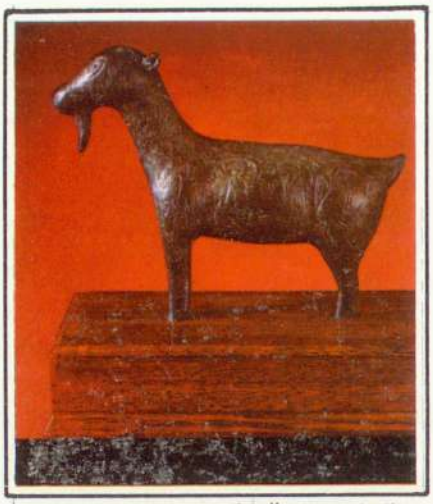

تمثال لعنزة من البرونز

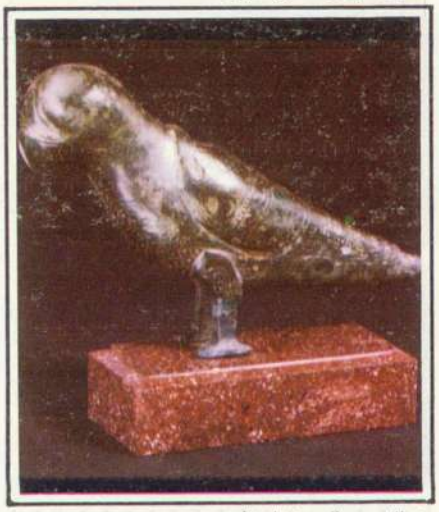

تمثال من البرونز لببغاء

الاسطرلاب المعدنى

وعودة الى إيران مرة أخرى فى العصر الصفوى (٩٠٧ـ١٣٣٥هـ) لنرى أن المذهب الشيعى يصبح الدين الرسمى للدولة الايرانيه ولأول مرة عام ٩١٦هـ (١٥١٠م) ويزدهر الفن إزدهارا لم تشهده إيران من قبل ، وتصبح المشغولات فى هذا العصر نموذجاً رفيعاً لعبقرية الفنان المسلم ، وتطور (الأرابيسك) وتحرر من القيود الهندسية الجامدة ، وتداخلت رؤى الفنان الذاتية بالأساليب التقليدية المتوارثة ، وبالتعبير العلمى : فقد اصبح الفن الصفوى وزخارف الأرابيسك فى ذلك العهد (تكاملا وجدانياً بين القيود الذهنية والمنطلقات الحسية) !

ونصل الى آخر تطور للفن الاسلامى فى العصر العثمانى (٦٨٠ـ١١٣٤هـ) ، فقد تمكن العثمانيون من إخضاع معظم بلاد العالم الاسلامى ، واتسعت الامبراطورية العثمانية فشملت جنوب شرق أوربا والعراق والشام ومصر ، وظفرت بالسلطة السياسية والسلطة الدينية فى وقت واحد .. ورأينا أن (محمد الفاتح) يغزو القسطنطينية مركز الاثار البيزنطية ، فيتأثر الفنان المسلم بالفن البيزنطى ، ويصبح الفن التركى العثمانى فناً يجمع بين المذاهب والتيارات الشرقية والغربية ، وازداد إقبال فنانو أوربا على مناهل الفن الاسلامى ، وامتزجت الاساليب عند كلا الطرفين ..

وترك هذا العصر من الآثار المعدنية الدقيقة ما يشهد على العظمة والاجادة الفنية التى وصل إليها الفنانون حينذاك وخصوصاً فى عهد السلطان مراد الثالث الذى أطلق عليه لقبه المعروف : راعى الفنون .

إبداع الفنان المسلم

وإذا استطلعنا سريعاً حركة الفن الاسلامى فى شبه القارة الهندية وما حولها ، وجدنا أن الصلة بين الهند والعالم الاسلامى قد ابتدأت منذ عهد الخلفاء الراشدين ، ثم إزدادت فى العصر الأموى ، وتوثقت فى العصر العباسى حيث أسس بعض الحكام الاتراك دولا إسلامية فى افغانستان والبنجاب منذ القرن العاشر الهجرى ، وباتساع الدولة الاسلامية فى الهند ، ظهرت الفنون الاسلامية وفن (الآرابيسك) بطابع فريد من منطلق تأثير الفن الهندى العريق . وبلغ الفن الاسلامى ذروته هناك فى القرن الحادى عشر الهجرى فى عهد السلطان «أكبر» وخلفائه «جيهان جير» و «شاه جاهان» . وتألق فن صناعة المعادن المرصعة بالأحجار الكريمة والمحلاة بنقوش يغلب عليها رسم الصور الشخصية ، حتى أننا نستطيع أن نؤرخ للحكام فى الدولة الاسلامية الهندية ، من واقع صورهم الشخصية على المسكوكات المعدنية . وكانت هذه الصور منفذة بأسلوب واقعى ذات طابع هندى خاص .

كما سجل الفنانون الغزوات والمعارك والعادات والأزياء بكل تفاصيلها ، وتحتفظ المتاحف فى الهند وفى عواصم العالم المختلفة ، بالمئات والآلاف من التحف ذات الطابع الهندى الاسلامى ، وقد امتزج فيها فن المشغولات المعدنية بالترصيع بالأحجار الكريمة ، بالتصوير الملون بألوان المينا ..

وهذه السمة البارزة هى أهم ما يميز الفن الاسلامى الهندى على باقى الفنون الاسلامية التقليدية ، ونلاحظ أن الفنان الهندى المسلم ، ظل يقتبس الوحدات الزخرفية المستمدة من العادات الهندوكية قبل الاسلام .. فقد كانت هذه التقاليد الراسخة فى أعماقه ، من القوة بحيث لم يستطع الفن الاسلامى بكل سيطرته الروحية أن يذيبها ويشكلها من جديد كما حدث فى بلاد الاسلام الأخرى ، ولكنها على أية حال ، إضافة حضارية إلى مناهل الفن الاسلامى .

وأخيراً .. يبقى السؤال الحائر المتـردد : أين نحن من هذا التراث العبقرى الرائد .. ذلك الابداع الملهم الذى يحتل أقدس الأماكن فى عقل البشرية ومتاحفها على إتساع رقعة العالم أجمع .. فعندما أضيئت بصائرنا بنور الرسالة ، انعكس هدى قلوبنا على إبداعاتنا ، فبهرنا الانسانية بفنوننا الاسلاميـــة الخالـــدة ! .

جمـال قطـب

وجه مدينة من فلسطين

نبيل خالد الأغا

بيت لحم ميلاد السلام

عندما أبديت رغبتى فى زيارة المسجد الأقصى المبارك ، أشار علي بعض الأخوة أن أحقق أمنيتى فى يوم الجمعة كي أحظى بالثواب العظيم الذى رصده الله سبحانه وتعالى لمن يصلى فى هذا المسجد العظيم حيث أن «الصلاة فيه كألف صلاة فى غيره» كما ورد عن الرسول الكريم . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « من صلى فى بيت المقدس غفرت ذنوبه كلها » .

وبعد فجر الجمعة الرمضانية الثانية غادرت بيتى برفقة صديقى منير الذى لقيته فى مدينتنا الأم «خان يونس» حيث لم أره منذ ماقبل نكسة حزيران بعامين حيث فرقتنا أعاصير الغربة العاتية .

هانحن نستقل السيارة ، والسيارة تطوى الأرض بسرعة ملحوظة ، والركاب يتبادلون نظرات الأستياء ، فتطوعت نيابة عنهم وأظهرت للسائق تخوفنا من شدة سرعته ، فأجابنى بلهجة تنم عن عدم الاكتراث : أمامى خمس «نقلات» قبل صلاة الجمعة يا« استاذ » (والكل عند السائقين استاذ !) وهذه هى المرة الأولى ولا يمكننى التباطؤ فيها كى لا أفقد الأخيرة ! فآلاف المصلين يزحفون الى القدس فى يوم الجمعة بالذات من كافة أرجاء فلسطين بما فى ذلك الأرجاء المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، وهذه فرصة كسب أتاحها الله لنا .

... إلى بيت لحم

أخيرا .. وصلنا القدس فى السابعة صباحاً ، فوجدنا أن الوقت مازال مبكراً على دخولنا المسجد الأقصى فأمامنا خمس ساعات ونصف قبل أداء الصلاة ، فاقترحت على منير أن نذهب لزيارة بيت لحم القريبة جدا من القدس ، فلقد كنت تواقاً أيضاً لزيارتها ، فوافقنى الرأى واقترح ألا نتأخر فيها عن العاشرة حتى نضمن لنا جلسة تحت قبة المسجد .

وبعد أقل من نصف ساعة وصلنا بيت لحم ، وهبطنا من سيارة الأجرة فى باحة متوسطة المساحة ، وإذ نحن وجهاً لوجه أمام كنيسة ضخمة لم أجد مشقة فى التعرف عليها . إنها كنيسة «المهد» التى طالما رأينا صورها ، وقرأنا تاريخها ، هيا بنا ندخلها ، تردد صاحبى قليلا ثم قال : إننى لم أدخل أية كنيسة فى حياتى ، قلت له : وأنا كذلك ، هيا بنا .. إنها فرصة نادرة ربما لا تتكرر !

واقتربنا قليلا .. لاحظنا جنوداً صهاينه يتبخترون جوار باب الكنيسة الضيق الواطىء جداً ، تهيبنا وترددنا وتخوفنا ، انتظرنا دخول بعض السائحين فدلفنا وراءهم ونحن نحملق

● مغارة المهد تجويف مستدير أرضه مرصوفة بالرخام

● تعتبر كنيسة المهد من أشهر معالم بيت لحم قديماً وحديثاً

صناعة الصدف من اهم الصناعات التقليدية

سوق الخضار الرئيسى فى بيت لحم

فى الجنود المسلحين.

الكنيسة .. والرهبة

لا أكتمكم بأننى شعرت برهبة ، ولم أدر ما أقول ، واحتار دليلى كما يقولون ، لقد كنت احفظ عبارة واحدة من الانجيل فأردت أن أقولها فى تلك البرهة ، ولكن الذاكرة لم تسعفنى حتى فى استحضارها !

لقد دلفت الى الكنيسة بقدمى اليمنى كما افعل فى مساجدنا المباركة ، ورددت دعاء الرسول الحبيب فى الولوج : باسم الله ولجت ، اللهم إنى أسألك خير المولج والمخرج .

أخذت اتنقل بين أرجاء الكنيسة الفسيحة ، ولا أكف عن ترديد بعض أيات القرآن الكريم وبخاصة من سورة «مريم» التى احفظها عن ظهر قلب منذ نعومة أظفارى ، عندما كنت اتلوها على مسمع من جدى الضرير فيكافئنى على إجادة تلاوتها !

وفى مغارة المهد لم أجد تقديرا وإعظاما لابن مريم عليه السلام اعظم من أن اقرأ «الفاتحة» على روحه الطاهرة ثم اترحم عليه.إنها فطرة حب الانبياء جميعاً التى فطرنا عليها ديننا الاسلامى الحنيف وتلوت قوله تعالى : «والمؤمنون كل آمن باللـه وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» .

وفى المغارة شاهدنا المكان الذى اصطلح على أن السيد المسيح قد ولد فيه . وهو عبارة عن تجويف مستدير بالحائط ، أرضه مرصوفة بالرخام ، وتتوسطه نجمة فضية لامعة وضعت فيه منذ عام ١٧١٧م ، وعليها هذه العبارة باللاتينية: « هنا ولد يسوع المسيح من العذراء مريم » .

ويقال: إنه بعد ولادته عليه السلام نقلته أمه مباشرة على بعد ثلاث خطوات ووضعته فى «المذود» (وهو المعلق الخاص بطعام البقر) حيث سجد الرعاة له بأمر من الملائكة .

بيت الخبز

تقع مدينة بيت لحم على بعد ١٠كم الى الجنوب من القدس ، وتقوم على عدة تلال ترتفع بمقدار ٧٧٧ مترا عن سطح البحر ، وتعلو بمقدار ١٢٦٧ مترا عن سطح البحر الميت . والمدينة محاطة بأشجار الزيتون والعنب والفواكه المختلفة .

أسمها الأصلى « أفرانه » بمعنى ثمر ، ثم دعيت بأسمها الحالى نسبة الى الاله «لخمو» وهو الـه الخبز والخير عند الكنعانيين .

اشتهر اسمها بعد ولادة النبى «داود» فيها . وطغت شهرتها فى كل آفاق الأرض بسبب ولادة السيد المسيح فيها . وورد فى قاموس الكتاب المقدس (١٨٩٤) مايلى : « بيت لحم بمعنى بيت الخبز ، ولد فيها المسيح لأن مريم التى ولدت فى الناصرة كانت من نسل داود فأتت الى بيت لحم للاكتتاب ، فحان فيها وقت ولادتها فولدت يسوع المسيح » .

البشرى لمريم العذراء

ولقد كانت بيت لحم كذلك موطن زكريا ويحيى وغيرهم من الانبياء رضوان الله عليهم جميعاً . واختار الله مريم البتول من بين نسائها فطهرها واصطفاها على نساء العالمين ، ونفخ فيها من روحه وارتفع الوحي منادياً :« يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيـح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ، قال كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون ، ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم باية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ».

هذا وقد ورد ذكر السيد المسيح فى ١٣ سورة فى القرآن الكريم ضمن ٣٣ آية كريمة . ومنذ القرن الرابع الميلادى اخذ المسيحيون يحجون الى بيت لحم ، كما أصبح المسلمون يحترمونها بوصفها مسقط رأس المسيح .

وتعتبر كنيسة «المهـد» من أشهر معالم بيت لحم قديماً وحديثاً ومستقبلا أيضاً . وهى اليوم أقدم كنيسة مسيحية فى العالم بأسره ، ويدلنا تاريخها أنها تأسست عام ٣٢٦م بأمر الملكة هيلانه ، وقد أضاف ابنها قسطنطين بعض الأبنية اليها ، وزينت واجهتها بالفسيفساء المزركشة بعروق الذهب وببعض الرسوم التى ترمز الى بعض الأحداث الدينية المهمة . ويبلغ طول الكنيسة ٤٠ قدماً من الشرق الى الغرب ، وعرضها ١٢ قدماً ، وعلوها ١٠ أقدام ، وهى مرصعة بالرخام وفيها عشرات المصابيح المضاءة .

النجمة والحرب

وجدير بالذكر أن طائفة اللاتين المسيحية وضعت نجماً فضيا فى مكان ولادة السيد المسيح . وقد كان هذا النجم سبباً من اسباب قيام حرب القرم بين روسيا وتركيا !

وفى الأساس حدثت منازعات ومشاحنات شديدة بين الروم الارثوذكس واللاتين حول ملكية الأماكن المقدسة فى القدس وبيت لحم . وكان أخطر هذه الخصومات ماحدث عام ١٧٥٧م بين الطائفتين المذكورتين ،

بيت لحم

بقيت بيت لحم تحت الاحتلال الصليبي حتى عام ١٢٣٩ م .

كنيسة المهد حيث ولد السيد المسيح

فاضطرت السلطات العثمانية لاصدار قانون يحدد حقوق كل طائفة على حدة ، فاستأثرت الطائفة الارثوذكسية بمعظم تلك الأماكن . وفي ظروف غامضة أختفت النجمة الفضية المثبتة في مغارة المهد عام ١٨٥٢م فاتهمت الطائفة اللاتينية طائفة الروم بسرقتها ، واضطر اللاتين الى وضع نجمة جديدة بدلا منها ، وازداد لهيب الفتنة ، فكان سبباً في قيام حرب القرم لأن روسيا كانت تعتبر نفسها حامية الأرثوذكس في الامبراطورية العثمانية التي اعتبرت ذلك تدخلا غير مشروع في شئون سلطتها لأن الاراضي المقدسة في ذلك الوقت كانت ضمن نطاق نفوذها .

وبالرغم من أن الحرب انتهت بانتصار الدولة العثمانية عام ١٨٥٦م وبالسماح للاتين بوضع يدهم على قسم من كنيسة المهد إلا أن الخلاف ظل مستفحلا بين الطائفتين حتى عام ١٨٧٣ عندما هاجم الروم الارثوذكس الكنيسة واستولوا على كثير من نفائسها وجرحوا عشرة من الآباء الفرنسسكان . ومنذ تلك السنة وحتى اليوم السادس من حرب حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ كان يقوم بعض أفراد الشرطة من المسلمين بحراسة الكنيسة وفض الخلافات التي قد تنشب بين الطوائف المتنازعة ، وبعد سقوط الديار الفلسطينية المقدسة في أيدي الصهاينة إنتصبت حرابهم على مدخل كنيسة المهد .

والكنيسة اليوم مشتركة بين الروم واللاتين والأرمن ، والقناديل موزعة بينهم ، ولهم أديرة بجانب الكنيسة .

بيت لحم والصليبيين

يقول استاذنا مصطفى مراد الدباغ في «ديارنا فلسطين» : لما اجتازت جيوش الفرنجة الساحل الفلسطيني ، واصبحت على باب القدس استقبلهم يوم الأثنين ٦ حزيران (يونيو) ١٠٩٩م وفد من مسيحيي بيت لحم مرحبين بمجيئهم ، ملتمسين منهم الاسراع في الاستيلاء على بلدهم . فأرسل غودفرى فرقة من الفرسان بقيادة (تانكرد) فاجتازت التلال الى بيت لحم فبلغوها في منتصف الليل ، جزع السكان في أول الأمر لاعتقادهم أن هؤلاء ليسوا إلا شطراً من الجيش المصري قدموا مدداً للمدافعين عن القدس . ولما بزغ الفجر تبين لهم أن هؤلاء من الفرنجه خرج مسيحيو المدينة في موكب حافل يحملون المخلفات الدينية من كنيسة المهد مرحبين مهللين بالقادمين .

وما أن دخل الفاتحون المدينة حتى نشبت فيها الحرائق فدمرتها باستثناء كنيسة المهد ، وفي يوم عيد الميلاد من عام ١١٠٠م توج بلدوين فيها ملكاً على بيت المقدس .

بقيت بيت لحم تحت الاحتلال الصليبي حتى عام ١٢٣٩م حيث تمكن الأيوبيون من تحرير المدينة من الغزاة غير أن فرحة التحرير لم تستمر لأكثر من عام واحد ، إذ سرعان ما انتصرت الانانية وشهوة الذات على الايثار وحب الوطن ، ونتيجة للخلاف الذي استشرى بين أفراد الأسرة الأيوبية قام « الصالح اسماعيل» بعقد اتفاق ذليل مع الصليبيين . ومن أهم بنود هذا الاتفاق قيام الصالح بتسليم القدس وبيت لحم وطبريا وعسقلان للصليبيين مقابل وقوفهم الى جانبه ضد أبناء عمومته الأيوبيين !

وتم ذلك فعلا ، لكن الفرحة لم تدم طويلا للصالح اسماعيل ولا لأسياده الغزاة ، وما لبثت العناية الالهية أن ادركت المسلمين بعد أربع سنوات فقط ، إذ تمكن الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل من إعادة بيت المقدس وبيت لحم الى الحظيرة الاسلامية عام ١٢٤٤م . «ولم يقدر لجيش غربي أن يقترب منهما بعد ذلك حتى الحرب العالمية الأولى» .

صناعة الصدف

تعتمد المدينة اعتماداً كلياً على السياح الذين يفدون اليها من كل أرجاء العالم ويبيع تجار المدينة لهؤلاء السياح ما يصنعونه بأنفسهم من التحف والأدوات التذكارية والسبح والصلبان والصور والتماثيل والنقوش المختلفة التي تمثل بعض الحوادث الدينية .

وأكثر هذه المصنوعات الدقيقة من خشب الزيتون أو الأصداف الجميلة التي يستوردونها من بعض الدول المجاورة .

وإضافة لكل ما سبق فان بيت لحم تتمتع بشهرة واسعة في اشغال الأبرة والتطريز والكنافاه . كما أن لأهلها زياً «تلحمياً تقليدياً يمتاز بألوانه الزاهية وتطريزه الدقيق .»

يقول الاستاذ يعقوب حنظل معللا مهارة أهل بيت لحم في مصنوعاتهم : أن القوة الذهنية في الفنون والحرف الموجودة في أهل بيت لحم ترجع الى تأثير أفرنجي في الدم إذ أن الشرقي على الاجمال ميال الى العقليات بعكس الغربي الذي يتفوق في المحسوسات ، ولقد تقدمت هذه الملكة الفنية في بيت لحم ، وبلغت في الشهرة درجة رغبت الملوك والقواد في امتلاك شيء من ثمارها فلما جاء ابراهيم باشا الى سوريا أخذ من أهل هذه البلدة ومن بيت جالا أيضاً عدداً من أصحاب الحرف والمهن الحاذقين بقصد إنشاء تلك الحرف في القطر المصري الشقيق .

وكذلك دعا «منليك» نجاشي الحبشة

راع من عرب التعامرة شرقى بيت لحم

أبرع الحفارين والنحاتين والبنائين من أهل بيت لحم لتشييد قصر جديد له فى بلاده . ولقد بلغت هذه الدقة فى العمل أنهم صنعوا صورة من جامع عمر المشهور من الصدف ، ومثلوه فى كل اجزائه من أعمدة ونوافذ ونقوش قدموه للسلطان عبد الحميد فاستحسنه كثيرا .

● ● ●

يذهب كثيرون الى أن أهل بيت لحم يرجعون فى اصولهم الأولى الى الأمم اللاتينية ، يدلك على ذلك أسماء عائلاتهم التى لا تنطبق على اسماء عربية وملامحهم القريبة من ملامح الغربيين كما يرى مؤلفا تاريخ القدس .

ويثبت ذلك وجود أسماء بعض العائلات الموجودة حالياً فى بيت لحم مثل :

جقمان ، حزبون ، مكيل ، جبرية ، مدلينا وغيرها ، وأغلب افراد هذه العائلات حضروا كسياح لزيارة المدينة ، ثم طابت لهم الاقامة فيها ، واندمجوا مع سكانها ، وأسماؤهم تختلف عن الأسماء العربية النصرانية التى تعيش بالمدينة والتى منها عائلات : البندك ، فريج ، أبو جاروره ، أبو عطية ، الأعمى ، قطان ، وغيرها من كرام الأسر التلحمية العريقة

ويمتاز أهل بيت لحم بشكل عام بالحيوية والجد والنشاط والاقدام ، وقد كانوا فى طليعة المهاجرين الفلسطينيين الذين ركبوا البحار وأموا ديار المهجر فى الأمريكتين مثلهم فى ذلك كمثل أهل بيت جالا ورام الله . وقد اصابوا فيها نجاحات متعددة فى شتى مجالات الحياة وبوجه خاص فى المجال الأقتصادى ، فلهم نصيب وافر فى كثير من الشركات والمحلات التجارية الضخمة والمصارف والمؤسسات الاقتصادية المختلفة .

الأماكن الأثرية

● مغارة الحليب : من الآثار التاريخية فى بيت لحم «مغارة الحليب» وتبعد مسافة ٣٠٠ متر الى الشرق الجنوبى من كنيسة المهد .

ويروى أن السيدة مريم العذراء أقامت فى هذه المغارة برهة من الزمن ، ولذلك فهى تدعى ايضاً مغارة «ستى مريم» بسبب اقامتها فيها .

اما سبب تسميتها «بمغارة الحليب» فسببها راجع الى تقليد مسيحى بأن السيد المسيح عليه السلام بينما كان يرضع ثدى أمه فى تلك البقعة سالت بعض نقاط من حليبها على الأرض فسميت باسمها لهذا السبب .

● قبر راحيل : هذا القبر يجله أصحاب الديانات السماوية الثلاث : المسلمون والمسيحيون واليهود . وراحيل هذه هى ام سيدنا يوسف عليه السلام ، وأم أخيه بنيامين وهما ابنا سيدنا يعقوب رضى الله عنه .

ولقد ماتت «راحيل» ودفنت فى هذه البقعة التى تبعد حوالى ثلاثة كيلو مترات شمالى بيت لحم ، وذلك أثناء ولادتها «لبنيامين» وهو آخر أولادها الاثنى عشر .

● برك سليمان : تقع برك سليمان الأثرية على مسافة قصيرة فى واد ضيق جنوبى غربى بيت لحم وهى ثلاث برك واسعة فى مكان منبسط واقع بين جبلين وكل واحدة تقع على مسافة خمسين متراً عن الاخرى لكنها تنخفض عنها قليلا ، وقد كانت هذه البرك فى يوم من الأيام مصدراً أساسياً تستقى منه القدس عبر قناة حفرت خصيصاً لهذا الغرض .

وتستمد هذه البرك ماءها من انصباب ينابيع بعض الاودية ، ومياه الأمطار ، وتتميز هذه البرك عموماً بروعة مناظرها الآخاذة بما يحيط بها من الأشجار المختلفة التى تكاد تحجبها عن أعين المشاهدين ، وتجعل منها منتزها جميلا يؤمه الناس للمتعة والاستجمام .

ان العرب المسلمين هم الذين سموها ببرك سليمان ، لكن الدعاية الصهيونية سممت هذه الحقيقة ، وتاجرت بها عالمياً بدعوى أنها من انجازات سليمان الحقيقية !

بطولة شاب فلسطينى

فى طريق عودتنا الى القدس ذكرنى منير بالفدائى البطل انطوان داود احد ابناء بيت لحم المخلصين .

كان هذا الشاب فى عام ١٩٤٨ مستخدماً لدى القنصلية الامريكية بالقدس ، يقوم بقيادة السيارة الخاصة بالقنصل العام الامريكى بفلسطين ، سيارة «فورد» حديثة وفارهة تحمل لوحة «هيئة سياسية» وعليها يرفرف العلم الامريكى ، مائتان وخمسون كيلو جراماً من المواد الناسفة تم وضعها فى الصندوق الخلفى للسيارة بناء على أوامر قائد «جيش الجهاد المقدس» عبد القادر الحسينى .

وفى ضحى اليوم الموعود انطلق الشاب متجها الى المقر العام للوكالة اليهودية بالقدس وفتحت البوابة الفولاذية المغلقة أمام رفرفة العلم الامريكى !

لقد كانت الوكالة اليهودية أشبه بقلعة مغلقة تضم اقبيتها وثائق نصف قرن من النشاط الصهيونى ، وقد احيطت بسور فولاذى وحراسة دقيقة مستمرة

استقرت السيارة فى مرآب الوكالة ، وتسلل انطوان داود ببطء وحذر ، وغادر المنطقة المستهدفة ، وحدث كل شىء فى فترة وجيزة ، وادى انفجارها الى تدمير العمارة ومقتل ٣٦ وجرح ما يقرب من المائة من بينهم بعض كبار الشخصيات الصهيونية ، ونجا انطوان داود وظل مطارداً من أعداء الله حتى توفى فى بداية عام ١٩٦٧ .

● ● ●

فى نهاية القصة تذكرت اننى على مشارف القدس الأسيرة ، وتذكرت اننى غريب فى وطنى ودارى ، واننى لابد أن اغادر هذا الوطن حينما ينتهى موعد التصريح الصهيونى الذى دخلت بموجبه لزيارة وطنى وأهلى ، ثم اخذت أردد بعض أبيات أحفظها لصديقى الشاعر سعيد تيم من ديوانه «المرافىء البعيدة» يقول فيها :

كم بت أحبس دمعتى وأدارى
يا موطنى يا ملعب التذكار
يا زفرة فى خاطرى مخنوقة
سالت مؤججة على أوتارى
لولا على شفة الخلود بقية
من يوم حطين تبل أوارى
لتراقصت فى شطى المهجور
أمواج القنوط وضحكة الأقدار

نبيل خالد الآغا

كمال عمّار

المقامة البرجيّة

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

قال عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور : دق جرس التليفون ، فسألت من يكون ؟ ، فقال يتظرف ، المعرف لا يعرف ورغم ضيقى ابتسمت ، حين عرفت صاحب الصوت ، وقلت كيفك ياعبد العال ؟ ، فقال عال ، وسألت كيف نلتقى ، فأثنى على منطقى ، فهدف اتصاله بي ، هو الأنس بجانبى ، وإننى الليلة ألقاه ، فى العنوان إياه ، عند الحاج عبد الكريم ، وسيكون معنا فاهم وفهيم ، وياليتنى أشرفهم بحضورى ، ولا أحرمهم من نورى ، فشكرته على هذا الحب ، وأخبرته بمجيئى لا ريب ، وانتهت المكالمة ، وسبحت فى خواطر باسمة ، فالثلاثة الذين سألقاهم ، يجتذبونك حين تراهم ، فهم بلهاء ، وواحد منهم ينطق السين هاء ، ويكثر من هاهآة السين ، حتى أصبح أضحوكة السامعين ، والثانى يلبس الصوف فى الهجير والحرير فى الزمهرير ، مؤمناً أن قوة الشخصية ، تجعله فوق التقلبات الجوية ومع هذا فاسمهما فاهم وفهيم ، وياما فى الأسماء مظاليم ، أخوان فى الغفلة والحمق ، وسيان فى ضحالة العمق ، وإن شفع لهما خفة دم ، تزيل الهم ، وجاذبية حضور تنفتح لها الصدور .

أما ثالث الباقة ، فيفوقهما غفلة وحماقة ، عرفته منذ شهرين ، وخالطته مرتين ، فى الأولى أنكرت خطبه وفى الثانية أحببت قربه ، فالمسكين كان ضحية الصحافة ، وما تذيعه من حديث خرافة ، زاعمة أنه حظ القراء ، من الصباح للمساء ، وأول ما يفعله حين يصحو من النوم ، انقضاضه على جريدة اليوم ، والاهتمام يسيطر عليه ، فى شدة وجهه وانتباه عينيه ، يقرأ برجه وهو يرتجف ، ثم الى بقية الابراج ينعطف ، فاذا انتهى ، أعادها ، وكان من يراه وهو فى حالته الكرب ، يظنه يطالع نبأ إعلان الحرب ، بين الصين وموسكو ، أو أحمد عدوية واليونسكو ، والى هنا والغرابة مقبولة ، لولا أنها موصوله ، فما يقرأه يحدد مساره ، ويملك عليه نهاره ، فاذا قرأ عن حادث فى محيط الأسرة ، زار اقاربه من الجيزة الى شبرا ، يطمئن عليهم ، وعلى من حواليهم ، وإذا قرأ عن مشاكل فى العمل ، انقطع واعتزل ، ولم يخرج من الدار ، طيلة النهار ، دفعاً لسوء العاقبة ، وابتعاداً عن الجيرونـد واليعاقبة ، وإذا كان حل مشكلة مالية ، انتابته فرحة صبيانية وراح يقفز من فوق الى تحت ، وهو يفترض بضمان البخت ، مقتنعاً أن الشيك ، وشيك ، وإذا قرأ عن توديع حياة العزوبية راح يفكر فى سعاد وفوزية ، ناسياً أنه متزوج من عشرين سنه ، وأب لسعاد وسيد ومنى ، وإذا كان البخت توعكاً فى الصحة ، راح يشكو الضغط والكحة ، وقد تمكن منه هذا الاعتقاد ، فى الصحوة والرقاد ، وإذا اعترض عليه أحد ، أقسم بالزوجة والبنت والولد ، أن ما يقرأه يتحقق ، كضوء الصبح الأبلق ، وأنه لو كان كفراً وجريمة ، لحرمته الحكومة ، ولكنه مصباح كشاف ، فى الوفاق والخلاف ، وعبد العال هو هذا المجذوب ، لكل بخت مكتوب ، وهو الذى كلمنى منذ دقائق ، وبشرنى بمساء رائق .

وحين دقت الساعة تسعا ، كنت إليهم أسعى واستقبلنى عبد الكريم ، بالترحيب والتعظيم ، ولمحنى فاهم فقال هلامات ، واقلب الهاء سيناً تفهم فقه اللغات ، ورآنى فهيم ورآنى ، فقال تعال فى أحضانى ، مرتدياً قميص رقيق الحاشية ، والريح فى الخارج عاوية ، وحيانى عبد العال باليد واللسان ، وقال لم يخطىء بختى ياجدعان ، فقد قرأت فى الجورنان ، تقابل شخصاً من العظماء ، وهاقد تحقق الظن والرجاء ، وقال له فاهم « أهمع » ولا تشغلنا فيما لا ينفع ، فرد عليه إسكت ، فجهلك ينقط !

وتضاحكنا لهذه البادرة ، التى بشرت بليلة مثمرة ، فعبد العال وفاهم ، كانا كالصقور ، والحمائم ، يسفه كل كلام أخيه ، ويصفه بما فيه وليس فيه ، أما فهيم فينتظر ، لتسفيه كلام المنتصر ، وتشويه رأى المنكسر ، يعارض ويتطرف ، وشعاره خالف تعرف ، بينما الحاج عبد الكريم ، يلزم الحياد المستقيم ولا يتدخل إلا عند الضرورة ، حين تسوء الصورة ، وتتعطل لغة الكلام ، تمهيداً للغة الحسام ، وكان اسلوبه فى هذا ، قوله خذوا أجازة ، فتهدأ الأصوات ، وتبدأ التحايا والسلامات .

وتعمدت الجلوس بجانب عبد العال ، فقد أعددت له ما يقال ، ورحب هو بجوارى ، وراح يسألنى عن أخبارى ، فرحت استدرجه ، وألاعبه وأمازجه ، وقلت البخت ليس على مايرام ، فقال يعدلها من لا ينام ، واليوم شأن وغداً شأن ، وليس كل اللحم ضان ، وسألنى بصوت وقور ، ماذا كان بختك ياأستاذ عبد الشكور ؟ ، فقلت فى الأهرام ، تكسب اليوم ما تكسبه فى عام ، وفى الجمهورية ضائقة اقتصادية ، وفى الأخبار ، دع القلق وابدأ المشوار ، بخوت متناقضة ، وخطوط مُتعارضة .

ولو كان بختا واحداً لاحتملته
ولكنه بخت وثان وثالث
إذا أنا صدقت الثلاثة لم أكن
سوى لعبة يسعى إليها المعابث

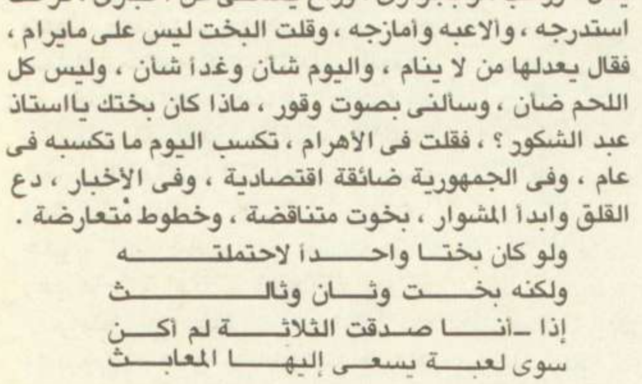

وإن أنا كذبت الجميع فما الذى
يقوم مقام الحظ إن جد حادث ؟

فابتلع عبد العال الشرك ، ونزل بقدميه الى المعترك ، ملتمع العينين ، ومؤكداً باليدين ، وقائلا بلسانه ، الجواب يقرأ من عنوانه ، وأنت جاوزت الحد الأمين ، حين قرأت الثلاث عناوين ، فبختك المقدر عليك ، فى أول جريدة تمسكها بيديك ، هذا هو بخت يومك ، وما عداه فمن حظ غيرك ، قلت ولكنهم من نفس البرج ، فقال نعم ياحاج ، ولكنه اتفاق فى الصورة ، وليس فى التنفيذ بالضرورة ، فقلت أوضح ياعبد العال ، فقال :

إذا أشترك اثنان فى قراءة كتاب ، هل حتم أن ينفذ الى اللباب ؟ ، واحد قد يعيه ، والثانى قد يجد صعوبة فى تعاطيه ، قد .. وقد ، وهذه حكمة الأبد ، وكذلك حديث النجوم ، كل يأخذ منه بقدر معلوم ، واتفاق الأبراج ، لا يعنى حرفية المهبط والمعراج ، وإلا انتفت حكمة الغيب ، وانكشف مافى الغيب ، فقلت ولكنه معلن منشور ، فقال بختك هو مابين السطور ، ومن يأخذ الكلام على علاته ، فلا يلومن غير ذاته ، لأنه ظن الأمر فى متناوله ، وصادر الطريق من أوله ، ناسياً أن بحر الغيب واسع ، يحير العيون والآذان والمسامع ، ورأيته يخرج الى التعميمات ، مستعينا بالمأثور من الكلمات ، فأعدته الى أرض الواقع ، بهذا السؤال الفاقع ، إذا قرأ البخت طفل صغير ، هل تجرى عليه المقادير ؟ ثم ماذا عن الطفل الرضيع ، الذى لم يجاوز الأسابيع ؟ فقال عبد العال ، ومنذ متى يوضع القانون للأطفال ؟ ، وحتى الغلام ، إن قتل فلا يلام ، وكان فى حجته بريق ، رغم ما فيها من تلفيق ، فرحت افكر فى اعتراض دامغ ، وانقضاض سابغ ، ولكن فاهم اللملح ، علا صوته وصلح ، ولم يبال بالعاهة ، وقال امرأتى طالق . بالهلاهه ، إن كنت فهمت منك ، ما تذيعه من إفك ، بل أراهن أنك أنت ، لا تفهم ما قلت ، فأجابه عذرتك ياعم ، فى عدم الفهم ، والسبب ياأصدقائى ، الاكتفاء بالتعليم الابتدائى ، فعلا صوت فهيم ، وقال كلاكما فى الجهل قديم ، فقاطعه فاهم ، « إهقنا » من بحرك ياعالم ، فاخذ فهيم هيئة الحكيم ، وقال الغيب غيب لأنه غائب ، إلا أن غيابه درجات ومراتب ، وأنت وطبيعة تكوينك ، منذ قديم سنينك ، وكلما كنت شفافاً كالزجاج ، كشفت لك النقاب عن الأبراج ، فحدثت عن امرها ، بما لايعتبر انتهاكا لسرها ، وهذا شأن المنجم ، أما غيره فالشفافيه ألزم ، حتى لايصير عكس المطلوب ، فى حالة انخلاع الوجوب ، فصلح صاحب البيت مرحى ، أحسنت يافهيم شرحا ، ومارأى سادتى ومولاى ، فى كوب من الشاى ، فباركنا الاقتراح ، والشاى منشط للأرواح ، هكذا أعلن فهيم ، لكن الحاج عبد الكريم ، لم يتحرك من مقعده ، وأشار لعبد العال بيده ، قل لنا لو سمحت ، من أى الأبراج أنت؟ ، وصلح الآخران هيا قل الآن فأجاب عبد العال لايهمكم برجى واحكموا على منطقى وحججى ، ولكنهم أصروا ، وكروا وفروا ، فامتلأ وجهه بالدماء ، وقال برج العذراء ، وضحكنا على الفور ، فقد كان قوياً كالثور ، ليس بينه وبين العذراء صلة ، ولكن هكذا كانت المسألة ، ولو أن المنطق يتحكم فى البخوت ، لكان عبد العال من برج الحوت !

جحــويـّات

جحــا والفقيــه والإوزة

رأى جحا فى سعيه أوزه
مكتظة الأنحاء مكتنزه
وليس من يسأل عنها أحد
فاحتازها وقد عرته هزه
وأسرع الخطوة نحو منزله
يحثه الشوق الى ماكله
يا طيبها عائمة فى طبق
فى مرق يختال فى توابله
وإذ به يصادف الفقيها
فقال ما تلك التى تطويها
أوزة فيما أرى ولكن
تبيعها أم كنت تشتريها ؟
أجابه رأيتها شريده
غارقة فى دمعها وحيده
فقلت أدعوها الى منزلى
أرد عنها الغربة الشديده
قال له الفقيه قم ونادى
ثلاث أيام بالاضطراد
فان اتاك ربها وإلا
فأنت فى حل من السداد
من الضحا مضى جحا صائحاً
من ضاع منه - بعدها هامساً -
« أوزة » .. فليأتنى إننى
حفظتها لعله أو عسى
والناس يسمعونه يجلجل
فيضحكون قائلين يهزل
أو لوثة فهكذا عودهم
من يومه يقول مالا يعقل
وهكذا الى انقضاء المده
نادى كما أفتى الفقيه العقده
وبعدها قام لها ذابحاً
وصائحاً : تفضلى للمعده

قصيـــدة تبحـــث عن ملحـــن

يا أسر القلب رفقـــا
أصبت فاكفف سهامك
ويا كثيــر التجنـــى
منعت عنـــى سلامك
ومن رأى ســوء حالـى
بكـى علـى ولامـك
بمـن احلك قلبـــى
إرفــع قليـلا لثامـك
وابسم لعلــى احيا
إذا رايـت ابتسـامك
بكيـت دالا وميمـــا
لما تاملــت لامـــك

ولام الخد هو الجزء المستدير منه سمى كذلك لشبهه ببطن حرف اللام .

والقصيدة – بتصرف وانتقاء – للشاعر القاهرى شهاب الدين العزازى ٦٢٧ – ٧١٠ هـ .. قال فى الألوان وبرع فى نظم الموشحات ومن أشهرها ، وقد تناوله الملحنون والمغنون منذ قاله الى يومنا هذا وآخرهم سيد مكاوى وبدايته :

هل يلام ؟ – من غلب الحب عليه فهام مستهام – بفاتر اللحظ رشيق القوام

ونعتقد أن القصيدة الميمية الواردة فى أول الكلام لو اجيد صياغتها لحناً شرقياً معبراً مصوراً ، واقتدر عليها صوت يجمع حلاوة البهجة وقساوة الشجن .. لو اتيح للقصيدة هذان العاملان .. لكانت إضافة متكاملة لتراثنا النغمى .

البحـــر واحـــد والسمك ألـــوان

فى القصة المتواترة ان عمر بن عبد العزيز قال لغلام تقدم وتكلم نائبا عن عشيرته .. قال له عمر الم يجد أهلك من هو اسن منك ليبعثوا به ؟ .. فقال الغلام قولته التاريخية (لو كان الامر بالسن لوجد المسلمون من هو احق بالخلافة من امير المؤمنين !)

وصارت مثلا لأنها كلمة حق تردد صداها فى الغرب والشرق وذاع معناها مؤكداً ان المسالة ليست بالسن ولا الطول ولا العرض .. وهى قاعدة انسجمت مع كل ظواهر الطبيعة وليس الانسان فحسب .. هناك سمكة تعيش فى المحيطات الدافئة اسمها «مولا مولا» وهى بسم الله ما شاء الله هائلة الحجم ضخمة الجسد يبلغ وزنها نحو طن ، والطن من باب التذكير الف كيلو جرام .. إذا انت رايت «مولا» وليت منها فرارا وملئت منها رعبا .. ومع ذلك فهى «غلبانة» رغم الضخامة والجسامة ، فى حالها لا تهش ولا تنش رغم الهيل والهيلمان ..

قام العلماء بتشريح راسها فوجدوا مخها صغيراً جداً جداً لا يتناسب بحال مع جسمها الكبير جداً جداً .. وزنوه وجدوه ٢٥٠ جراماً !

وفى المقابل فى نهر الأمازون يعيش نوع من الأسماك ويتالف فى مجموعات بالآلاف .. والسمكة اسمها «برانها» عادية الطول فى حدود ١٠ سم وعادية الحجم فى حدود ١٠٠ جرام .. صغيرة لكنها خطيرة والخطورة فى فمها المنشارى ، فما أن تقع على ضحية – مهما كان حجمها – اندفعت إليها بالآلاف فاتحة فمها المنشارى المهول وهات يا نشر وقطع ومضغ وبلع وهى دقائق لا اكثر وتصبح الضحية مجرد هيكل عظمى ابيض .. نظيف لامع .. مغسول بماء البحر .. سمكة هايفة إذا رايتها بمفردها اعرضت عنها استهزاء وسخرية ولكن العباس بن المرداس يقول :

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفى اثوابه أسد جسور

وإذا كانت الحياة قد بدات فى البحر طبقا لقاعدة «وجعلنا من الماء كل شئ حى» ، فاى الصورتين هى الأصل .. ما يسعى على اليابسة أو ما يسبح فى الماء ؟

افيدونا افادكم الله .

عـــزيـــز قـــوم وعـــزيـــزة قـــوم

عزيز قومه هو محمد بن عبد الله ، وعزيزة قومها هى خديجة بنت خويلد ..حين أعرب العزيز لعمه عن رغبته فى الزواج من العزيزة ، ذهب ابو طالب عمه الى بيت خديجة واعتمد عصاته وقال :

إن محمداً ممن لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا ، وإن كان فى المال قل .. فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك فماذا قلتم ؟

اجابوه : إنا لنعرف عن ابن اخيك ما قلت وقد اجبناه .

وتزوج محمد خديجة وانجب منها كل أولاده ما عدا ابراهيم الذى كان من مارية المصرية وكان مقوقس مصر قد بعثها له ضمن هدية شملت طبيبا وبغلة .. فقال الرسول : اما الجارية فنتزوجها .. والبغلة نركبها واما الطبيب فلا حاجة لنا به ، نحن قوم لا ناكل حتى نجوع وإذا اكلنا لا نشبع .

لســـــان البغبغـــــان

من قديم الزمان عرف الانسان إمكانية البغبغان فى محاكاة وتقليد اللسان واستغل هذه الامكانية فقام بصيد صغار هذه الطيور ورباها فى بيته معتنياً بها ومكافئا لها على نجاحها فى ترديد كلمة يوالى نطقها امامها .. ثم يتدرج معها الى نطق الجمل وترديدها .. ولكن .. هل فى إمكان البغبغان – أو الببغاء – ان يقوم بتكوين جملة جديدة من المفردات التى يرددها بطلاقه ؟ .. بالطبع لا وسيظل الانسان مخلوقا فى احسن تقويم .

لقاء

محمد البساطى

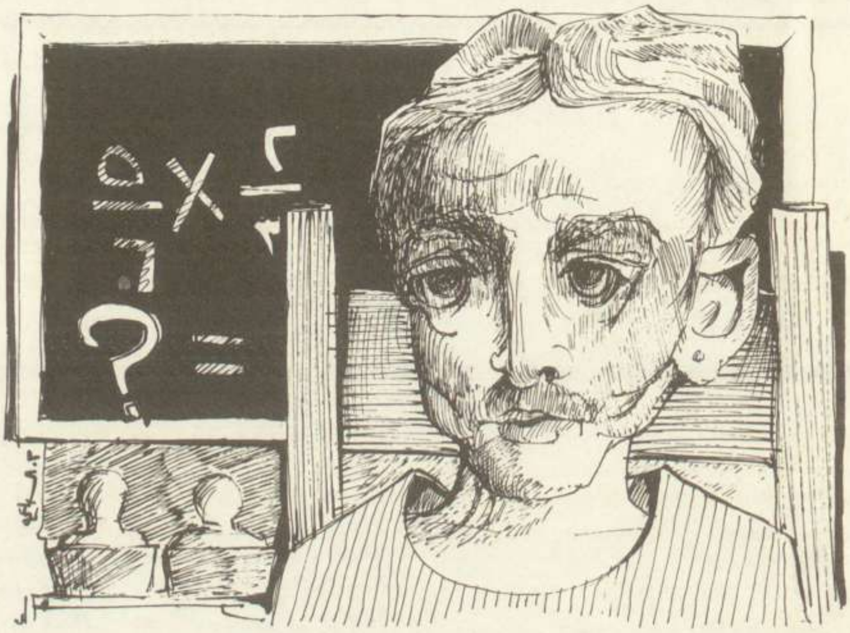

عاصرت هذه القصة ..

قالت له العجوز .. أن رجلا ينتظره .

كان الوقت ليلا . وضوء خافت فى حوش البيت حيث ترقد العجوز . صعد السلم . واحس وهو يعبر السطح الى حجرته بالهواء البارد يلسع وجهه .

رآه هناك فى الركن امام حجرته على مقعد واطىء لابد أن العجوز احضرته من عندها . كان ملتفا فى معطف ورأسه للسور .

فتح باب الحجرة ، وأضاء النور ، ثم خرج وايقظ الرجل . تحسس الرجل حقيبة من القماش بجواره وصاح مهللا :

ـ اخيرا .. الاستاذ خليل .

ونهض فى بطء ، وتبعه الى الداخل . كانت الحجرة ضيقة بلا نوافذ ، وسرير صغير ، ومقعد ومنضدة فوقها بعض الكتب يكسوها الغبار .

جذب خليل المقعد ، وجلس على حافة السرير . ظل الرجل واقفا ينظر حوله . وبدا المعطف فى الضوء بلا لون ، ناحلا عند المرفقين . وجفف عينيه الدامعتين . وانكمش مرة اخرى داخل المعطف .

ـ انتظرتك خمس ساعات . قالت لى الحاجة انك تأتى فى التاسعة . وانتظرت . ألا تذكرنى ؟

ـ الاستاذ بشير .

تهلل وجه الرجل : « سألت فى البلدة عن عنوانك . اعطاه لى الحاج احمد فى مكتب البريد . وقال انك تعمل فى محل الطائر الأزرق . وقلت انتظرتك هنا . لك سنوات لم تنزل البلدة . »

جلس على المقعد ، ونظر الى الكتب ، ثم اخرج نظارة من جيب المعطف يلتف حول ذراعها ورق لاصق :

ـ آه . سنوات طويلة . اذكرك وانت فى البنطلون القصير . كلكم اتذكركم دائما فى البنطلون القصير . والواحد منكم تزوج وله اولاد فى المدارس . آه . أيام . كنت من احسن التلاميذ فى فصلى وكنت اقول دائما أن مستقبلا طيبا ينتظرك . اتذكر يوم جعلتك تقرأ موضوع الانشاء فى الطابور ؟ .. وكان بعنوان ..

جفف فمه وانفه . ووضع خليل يديه بين ساقيه . كان الهواء البارد يندفع على الأرض الى تحت السرير .

ـ وكان الناظر يومها فى الطابور . وصفق لك . كان أول من صفق . رحمه الله . كان رجلا طيبا . سألنى يومها .. أهو فى فصلك ؟ وقال .. فكرة طيبة أن نقرأ الموضوعات الممتازة فى الطابور . كنت انا صاحب الفكرة .

وثبت طقم الاسنان فى فمه بطرف اصبعه الصغير :

ـ وتسكن هنا ؟

وتلفت لحظة :

ـ وذلك اليوم حين ناديتك من الفصل الثالث . كان الأولاد فى الفصل الرابع لايعرفون حل مسألة حساب . هذه اذكرها مسألة ضرب كسور اعتيادية . قلت سأنادى من يحلها لكم من الفصل الثالث . وناديتك . لو أنك لم تحلها !!. ارسلت الفراش . وحين دخلت الفصل قلت للأولاد .. صفقوا له . وارتبكت . رأيتك تقف بالباب مرتبكا . قلت تعال ياخليل . وأوقفتك بجوارى قليلا ثم اعطيتك قطعة من الطباشير الملون . اعطيتك ظهرى ، آه لو انك اخطأت فى حلها . كنت متكئا بيدى على المكتب انظر إلى الأولاد . ورأيت فى وجوههم أنك انتهيت . وسألت دون أن التفت .. كم النتيجة ؟ . وقلت انت .. قلت ..

وهمس خليل : ثمانية ونصف ..

ـ ثمانية ونصف . وقلت دون ان استدير .. صح .. وقلت للأولاد صفقوا له . وأردت أن اعطيك شيئا . ماذا ؟ واحترت . ثم رأيت الطباشير الملون . احمر وازرق . وتقدمتك الى الباب . نشكرك يا خليل عد الى فصلك .

استرخى للوراء . وكان يهز ساقيه المتعانقتين :

ـ لو انك اخطأت فى حلها !!

وضحك . ونظر الى خليل . كان لا يزال بملابس العمل . السترة الرمادية ، وعلى الصدر دائرة من القماش الأبيض وسطها طائر صغير باللون الازرق باسط جناحيه .

ـ وتسكن هنا إذن ؟

ونظر حوله . كانت الجدران فى لون وردى باهت . وقد انتفخ الجزء السفلى منها وتساقط الطلاء . وفى منتصف الجدار المواجه للباب ثبت فرخ من اللون الأزرق السميك بدا انه يخفى فى الجدار . وخلف الباب علقت بيجامة وفوطة وبنطلون .

ـ المرة الثانية التى احضر فيها الى القاهرة . كانت الأولى منذ عشر سنوات وعدت فى نفس اليوم .

وضحك : « هذه المرة لن اعود إلا بعد سنوات . حصلت على عقد عمل بالخارج »

وضم طرفى المعطف فوق ركبتيه :

ـ بقيت لى ثلاث سنوات عن المعاش . قلت اذهب . سأسافر غدا . الطائرة تقوم فى ..

ومد يده واخرج أوراقا من جيبه :

ـ لا استطيع أن أقرأ تلك الارقام التى يكتبونها فى تذاكرهم . انظر . التاسعة صباحاً . أليس كذلك ؟

رفع خليل رأسه . وبدا وكأنما ينصت لصوت فى الخارج . كانت الريح تعبث بعلب الصفيح الفارغة فوق السطح . كان وجهه هزيلا شديد الشحوب ، وتجعدات خفيفة حول فمه . قال فى صوت خافت ..

ـ المكان هنا لا يسع ..

اعاد الاستاذ بشير الاوراق الى جيبه . وضحك :

ـ لن اضايقك .. سأظل هنا على المقعد .

تبادلا النظرات فى صمت .. وقال الاستاذ بشير :

ـ إذا لم أكن أضايقك ..

بدا خليل وكأنما لا يزال ينصت لصوت الريح فى الخارج . وكانت عيناه مرتخيتين . ومد الاستاذ بشير يده متحسسا الحقيبة . ووضعها على ركبتيه . وفتح السوستة ثم اغلقها . وتمتم :

ـ ربما أكون فعلت شيئا ؟

ظل خليل صامتا .

ونهض الاستاذ بشير متجها الى الباب . واستدار ، وتبادلا النظرات مرة أخرى فى صمت . وكان خليل لا يزال جالساً على حافة السرير ويداه بين ساقيه . وخرج الاستاذ بشير واغلق الباب .

محمد البساطى

مهرجان

محمد بركات

تحليل لظاهرة المهرجانات المسرحية فى تونس

المتتبعون للنشاط المسرحى ، والثقافى والفنى بشكل عام لا يعرفون فى تونس إلا مهرجانين لاثالث لهما . الأول : هو مهرجان قرطاج الدولى الذى سلخ من عمره سبعة عشر عاما حتى الآن ويحتفل هذه الايام بعيده الثامن عشر . والثانى : هو مهرجان الحمامات ، وهو احدث قليلا إذ يحتفل هذا العام بعيده الخامس عشر .

ولكن أحداً لايعرف - حتى من المهتمين بشئون المسرح - أن فى تونس أكثر من خمسة عشر مهرجانا مسرحيا وفنيا ، تقام فى نفس الوقت ، ولجميع الفنون من الشرق والغرب على السواء . وهذه المهرجانات كلها تغطى شهور الصيف من أول يوليو (تموز) حتى نهاية سبتمبر (أيلول) من كل عام . وليست هناك مدينة فى تونس ، بل لا أغالى إذا قلت أنه ليست هناك قرية لاتقيم مهرجانا فنيا خلال شهور الصيف .

وقد كان كل من مهرجان قرطاج والحمامات البداية الطبيعية لكل هذه المهرجانات ، التى خرجت بالضرورة من معطف هذين المهرجانين الكبيرين .

وفى الفترة التى ذهبت فيها الى تونس لمتابعة مهرجان قرطاج ، كانت البلاد من أقصاها الى اقصاها تغطى بكل هذه المهرجانات فى نفس الوقت وهى :

مهرجان الحمامات . مهرجان بنزرت . مهرجان دقة . مهرجان تستور . مهرجان طبرقة . مهرجان سوسة . مهرجان صفاقص . مهرجان جربة . مهرجان جرجيس . مهرجان جابس . مهرجان سليانة . مهرجان سيدى بوسعيد . مهرجان الزهراء . مهرجان حمام الأنف .

جميع الفنون

وتقدم هذه المهرجانات كلها جميع الفنون من مختلف البلاد ومختلف التيارات . إنها تتنوع تنوعا مذهلا إبتداء من موسيقى الجاز ، وانتهاء بالعروض المسرحية الكلاسيكية ومرورا بالرقص والغناء والتمثيل ، ومسرح العرائس ، والفنون الشعبية ، وكل ماهو مستحدث وقديم من فنون المنصة .

وخلال السنوات الماضية اصبحت «ظاهرة المهرجانات المسرحية » ظاهرة حية بالغة القوة و التاثير على المستوى الثقافى والشعبى معا . وقد طرحت الظاهرة بكل مالها من الايجابيات ، وما عليها من السلبيات للنقاش الواسع والعميق . ولكن المحقق ان ايجابياتها أكثر أهمية وقيمة بالتاكيد . وقد انقسم الرأى فى تونس حول هذا التوسع الشديد فى إقامة المهرجانات . فبعضهم يدافع عن هذا التوسع ويرى فيه رواجا فنيا وتجاريا وسياحيا . وبعضهم يرى ان اقامة مايقرب من عشرين مهرجانا كل

فيلم «العرس» عن مسرحية لفرقة المسرح الجديد

عام فى بلد صغير مثل تونس هو شىء فيه كثير من الاسراف والمبالغة . ولكن الاتجاه السائد الآن على المستوى الرسمى و الشعبى هو مع الظاهرة بالتاكيد . ونحن - أيضا - لابد أن نكون معها . لانها أعطت لتونس أكثر مما اخذت منها . فضلا عن انها تجربة تحتذى فى جميع الأحوال فقد ساهمت فى زرع «الفكرة المسرحية» فى تربة الأرض التونسية على نحو بالغ الاصالة والعمق . والذين شاهدوا فرقة «المسرح الجديد» - مثلا - وهى تقدم عروضها المسرحية المذهلة فى انحاء العالم ، وبالعامية التونسية ، لابد أن يدركوا أن فرقة بهذا المستوى - وهى بالمناسبة تتكون من أربعة أفراد فقط يقومون بالتأليف والاخراج والتمثيل ومهام العمال - لايمكن أن تنشا من فراغ . فلابد أن يكون وراء هذا الفن المتحضر العظيم الذى تقدمه الفرقة ، رصيداً أعظم من الدراسة والموهبة والاستيعاب والاستلهام وهضم فنون المنصة قديمها وحديثها فى الشرق والغرب على السواء وقد حدث هذا كله من خلال إستقدام فنون المنصة بانواعها على إمتداد سنوات طويلة ، ومن كل بلاد العالم ، وتقديم هذا كله للشعب التونسى .

الشعب وراء الظاهرة

ومن ناحية اخرى ، فان الشعب التونسى نفسه هو فى ظنى السبب الاول فى نجاح ظاهرة المهرجانات المسرحية فى تونس على هذا النحو . ولو لم تنجح التجربة جماهيريا لما استمرت ، ولما كتب لها الاتساع والانتشار بهذه الدرجة

وقد اتيح لي أن أشاهد عروضا مسرحية مختلفة فى أكثر من مدينة على

KARTHAGO

- عشرون مهرجانا مسرحيا تقام فى تونس كل عام
- لماذا انقسم الجمهور فى الرأى حول هذه الظاهرة الفريدة؟
- الرصيد العظيم الذى يقف وراء هذا الفن المتحضر فى فرقة المسرح الجديد

مسرحية «فرحات ولد الكاهية»

طول وعرض تونس الخضراء . ففى قرطاج شاهدت جمهور الصفوة الارستقراطية من سكان العاصمة . وفى صفاقس كان الجمهور من متفرجى المدن الصغيرة ، أى من الموظفين والطلبة وجمهور الطبقة الوسطى . وفى قرية المهدية الساحلية ، كان الجمهور من الصيادين وعمال الميناء . أعنى من الطبقات الدنيا . وفى كل هذه المواقع لم تختلف إستجابة المتفرجين ، فقد كان الجميع يتعاملون مع العروض بنفس الحماس برغم أنتماءاتهم الطبقية المختلفة . ورغم أن النقاد يزعمون أن الفن بشكل عام طبقى بالضرورة ، وان المسرح على نحو خاص اكثر تميزاً بالصفات الطبقية ، بمعنى انه يستلزم متفرجا يملك حداً أدنى من الوعى والمعرفة والقدرة على التذوق ، إلا أن الجمهور التونسى يكسر هذه القاعدة او يكاد . فالجميع يقبلون على المسرح ، وعلى فنون المنصة ، بشكل لا يدعو الى الاعجاب فقط ، ولكنه يدعو الى الدراسة والبحث .

فى خدمة السياحة

هذه هى طبيعة الجمهور الذى ساهم فى إنجاح ظاهرة «المهرجانات المسرحية» فى تونس . ولكن هذا لايعنى أن هذه المهرجانات قد نشات وتكاثرت من أجل هذا الجمهور وحده . فالمهرجانات هناك ليست فناً أو ثقافة فقط ، ولكنها سياحة وتجارة أيضاً .

وقيمة أى مهرجان تتحدد قبل كل شىء من خلال طبيعته الخاصة ، أو شخصيته الفنية المميزة . وقد حاولت تونس – بذكائها السياحى على الأقل – أن تجعل لكل مهرجان شخصية متفردة . فهناك مهرجانات جامعة لكل الفنون مثل مهرجان قرطاج . وهناك مهرجانات ذات طابع ثقافى بحت مثل مهرجان الحمامات . وهناك مهرجانات للفنون الشعبية والبيئية مثل مهرجان تستور . وهناك مهرجانات للغناء ، وأخرى للرقص ، وثالثة للموسيقى ، ورابعة للفنون الخفيفة ، وخامسة تجمع بين الثقافة والتسلية مثل مهرجان طبرقة أو مهرجان «اللقاء» كما يسمى هناك . بل ان فى تونس بعض المهرجانات الفنية الرياضية كان يحتوى المهرجان جرعة من الفن وأخرى من الرياضة ، وخصوصا الرياضات الخفيفة ، كسباقات الدراجات ، واليخوت وكرة الطاولة والغطس واليوجا وغيرها . والهدف واضح بالطبع وهو أن يستمتع السائح برياضته نهاراً ، وبنوع الفن الذى يحبه ليلا .

ولما كان من المستحيل الحديث عما يقرب من عشرين مهرجانا مسرحيا فى تونس على سبيل الحصر ، فسنكتفى هنا بالحديث عن أكثرها أهمية وشهرة .

مهرجان قرطاج

وأول مهرجانات تونس واشهرها هو مهرجان قرطاج الدولى . وهذا المهرجان يقام سنويا منذ سبعة عشر عاما . وهو يستمر يوميا طوال شهرين على الاقل . هما يوليو (تموز) واغسطس (اب) . ويصدر المهرجان جريدة اسبوعية باللغتين العربية والفرنسية . وفى هذه الجريدة تعريف بالعروض والفنانين الذين يقدمون أعمالهم فى المهرجان . وهو فى كلمة مهرجان جامع تقدم فيه المسرحية الدرامية من الدول العربية وأوروبا وأمريكا وأفريقيا وآسيا وهو يحتوى على فرق موسيقية وغنائية ، وفرق راقصة وأخرى للباليه ، والرقص الشعبى ، والأوبرا الحديثة ، ويشترك فيه مطربون وعازفون للموسيقى الكلاسيك وموسيقى الجاز ، وهم يشتركون بصفتهم الشخصية اى كفنانين أفرادا ذوى اسماء ضخمة . وهذا كله فضلا عن معارض الفنون التشكيلية ، ومعارض الكتب والمجلات ، ومعارض الأسطوانات .

والمهرجان – كما يقول التونسيون – يرمى الى تحقيق هدفين اساسيين . الأول : هو المساهمة فى التعريف بالجهد الثقافى والفنى الصريح بشكل عام والتونسى على نحو خاص . والثانى : هو تحقيق نوع من الانفتاح على الثقافات الرائدة والمتقدمة فى مختلف البلدان الشرقية والغربية وبلدان العالم الثالث بصفة خاصة . ثم هناك بعد هذا هدف أخير هو توفير الغذاء الثقافى والمتعة الفنية للمواطن التونسى باستقباله لكل هذه الثقافات والفنون .

لقد حقق المهرجان هدفه الأول وهو التعريف بالجهد الثقافى العربى باستحضار أكثر الفرق العربية الى تونس . ولم يكن اغلبها معروفا للجمهور التونسى من قبل ، بل انها لم تكن معروفة بالدرجة الكافية للفنانين انفسهم كما قال لى مدير مهرجان قرطاج نفسه . وقد ساهم هذا فى تحقيق نتيجتين على أكبر جانب من الاهمية . الأولى : هى دفع حركة الابتكار والخلق الفنى فى تونس عن طريق التأثير والتأثر المتبادل بين هذه الفنون والثقافات وبين الفن والثقافة التونسية . وتلك مساهمة مباشرة حققها المهرجان . والثانية : هى مساهمة غير مباشرة وتتمثل فى قيام المهرجان بانتاج أعمال فنية جديدة تقدم فى بداية ونهاية المهرجان . وقد كانت

البعد الثقافي في مهرجان الحمامات الدولي لايعزله عن الجمهور

ادارة المهرجان تنتج _ مثلا _ عملا واحدا فى كل موسم ، واصبحت تنتج الآن خمسة اعمال فى المتوسط .

على ان اهم ما تحقق فى رأيى هو انفتاح المواطن التونسي على ثقافات وفنون العالم العربى أولا ، والعالم الخارجى بعد ذلك . فلقد تم استحضار كل الألوان ومن كل البلاد ، وشاهد المواطن التونسى هذا كله . ولكن ثمة مشكلة تواجههم هناك وهى : جعل هذا المتفرج يقف موقفا نقديا من كل مايراه . انهم يريدون منه _ المواطن _ أن يختزن فى وجدانه هذا كله ويتمثله فى شخصية وسلوكه وابداعه ايضا بعبارة اخرى . هم يبحثون عن «صيغة» يتم من خلالها تقديم هذه الثقافات فى اطار لايجعل من هذا المواطن متفرجا سلبيا أو مجرد مستهلك ثقافى . بل يريدون منه أن يستفيد من هذه الفنون والثقافات بأن يأخذ منها موقفا لاان يذوب فيها . وتلك

هى المشكلة التنظيمية فى المهرجان ، فوزارة الشئون الثقافية هناك لا تريد ان تقدم العروض للجمهور كما يقدمها منظم الحفلات ، ولكنها تقدمها بعد تقطيرها بالكتابة عنها ونقدها واصدار النشرات بشأنها واستضافة الصحفيين والكتاب . اى بوضع كل عمل فى اطاره الحقيقى والصحيح حتى لا يصبح المواطن متفرجا سلبيا

مهرجان الحمامات

اما المهرجان الثانى الذى لايقل شهرة وإن كان اكثر اهمية فى رايى فهو المهرجان الدولى للحمامات . انه مهرجان ثقافى بحت يمتد على مسافة شهرى يوليو (تموز) واغسطس (اب) . وهو يكمل مهرجان قرطاج ويتممه . فهذا للجمهور العريض ، وهذا للمتخصصين . ويقدم المهرجان عروضا مسرحية جديدة من الانتاج التونسى . ويشترط ان تقدم للمرة الأولى فى المهرجان . كما يشترط ان تنطوى هذه العروض على نوع من الابتكار والتجديد والتجريب . والى جانب العروض المسرحية ، فهناك افلام سينمائية ، ومعارض للرسم ، وعروض فنية للرقص والموسيقى والغناء . اما اهم ما فى المهرجان فهو «حلقة البحث» السنوية التى تحددها إدارة المهرجان سلفا وتدعولها عددا من اعمق المفكرين والمثقفين للمشاركة فيها . إن وجبة المحاضرات والندوات فى مهرجان الحمامات وجبة دسمة . ولست اعرف لماذا لا تطبع هذه المحاضرات فى كتاب شامل كل عام ، باعتبارها دراسات متعددة حول موضوع واحد . ومن اجمل الأشياء فى هذا المهرجان ان القائمين عليه يوفقون دائما فى اختيار موضوع البحث الذى يطرح للحوار ، والذى يدور غالبا حول موقف الانسان والفن من قضايا الاصالة والمعاصرة وفى كلمة فان مهرجان الحمامات ، مهرجان للفن والفكر والثقافة ، وهو يبحث عن التجديد والتجريب ، ويشجع على الابتكار والابحاث المعملية الى حد انه يقدم منحا للباحثين الجادين فى أمور الثقافة العربية .

والمعيار الذى تقدم من خلاله العروض فى مهرجان الحمامات هو معيار واحد . انه الجودة . فلا بد ان يصل العرض المقدم الى درجة ما من درجات الامتياز الفنى . ثم لابد ان ينطوى العرض على شىء من الجدة وان يمثل شيئا رائدا فى البلد الذى استقدم منه . وقد سألت الكاتب المسرحى التونسى الكبير عز الدين المدنى ، وهو مدير مهرجان الحمامات فى نفس الوقت ، عن الفرق بين مهرجان ثقافى وفنى لايقل شهرة وأهمية هو مهرجان دمشق ، وبين مهرجان له نفس الطابع الثقافى الفنى وهو مهرجان الحمامات ؟

قال : الفرق كبير . فمهرجان دمشق مهرجان متخصص فى لون واحد من الوان التعبير الفنى هو المسرح . ولهذا فهو يقوم بوظيفة مختلفة تماما . انه يحقق فرصة للقاء المسرحيين العرب من مختلف البلدان ويساهم فى تعريف الجمهور السورى بالمسرح العربى بشكل عام . وهذا يعنى أن مهرجان دمشق هو مهرجان للمسرحيين بالدرجة الأولى . اما مهرجان الحمامات فهو مهرجان لفنون متعددة ، من ناحية ، وهو مهرجان للبحوث المعملية والتجريبية من ناحيه اخرى . وهذا البعد الثقافى المتخصص للمهرجان لايعزله عن الجمهور ، فللمهرجان جانبه الجماهيرى ايضا .

مهرجان اللقـــاء

امـا عن المهرجان الثالث _ من حيث الأهمية _ فى رأيي فهو مهرجان طبرقة ، او «مهرجان اللقاء» ، وهو يمتد فى نفس شهور الصيف . واهم ما يتميز به انه يقيم معادلة بين الترفيه والثقافة .

اما اهم مافى مهرجان طبرقة فهو العروض العفوية التى تتم إرتجالا ومن وحى اللحظة وبدون اى إعداد مسبق .

مشهد من مسرحية التحقيق ٧٧ _ ١٩٧٨

الغناء الشعبى القديم

اما المهرجان الرابع من مهرجانات تونس العديدة فهو مهرجان تستور . وتنبع اهميته من زاويتين ؛ الاولى : انه مهرجان قديم إذ يبلغ عمره الآن خمسة عشر عاماً . والثانية : أنه مهرجان متخصص فى نوع من فن الغناء والموسيقى هو فن « المالوف » .. وهو الغناء الشعبى القديم بكل مافيه من تنوع وخصوبة وجمال . ويعنى هذا المهرجان بالبعد الثقافى عناية فائقة ، فهو يخصص موضوعا للبحث كل عام يدور حوله الحوار فى ندوة علمية واسعة . وقد حضرت إحدى هذه الندوات وكانت عن «دور الطرق الصوفية فى المحافظة على التراث الموسيقى » . ولنا ان نتصور أهمية الأبحاث التى يمكن ان تهم المتخصصين ، او المهتمين بالفن والثقافة فى ندوة حول هذا الموضوع النادر . انه مهرجان هام ، ولكن المؤسف أن الدول العربية لا تشترك فيه باستثناء دولتين أو ثلاث ، اما لأنها تجهل المهرجان ، وإما لأنها لا تدعى إليه . ومن المدهش ان تحرص بلد مثل اسبانيا _ بكل مافيها من أبعاد عربية _ على الاشتراك فى هذا المهرجان ، ثم لاتحرص البلاد العربية بنفس الدرجة على أن تفعل نفس الشىء .

وليست تلك كل المهرجانات ، فهناك مايقرب من عشرين مهرجانا مسرحيا فى تونس كما نعلم .

محمد بركات

كلمات لها معنى

● ما هى الفلسفة ؟
انها إجابات غير معقولة على اسئلة غير مفهومة.
«اديسون»

«هوميروس»
● الانسان هو تجسيد للكلمة التى نقولها ..فحياته وموته على لسانه .. وبلسانه .
«كارليل»

● انا ملزم بنقل كل ما عرفته ، ولكننى غير ملزم بتصديقه
«هيرودوت»

● عليك ان تختار بين القراءة ... وبين الزواج .
«فولتير»

● اذا اردت ان تتخذ فتاة من الفتيات زوجة لك ، فكن لها اباً واما واخا ، فان التى تترك اباها وامها وإخوتها لكى تتبعك ، يكون من حقها عليك ان ترى فيك رافة الأب وحنان الام ورفقة الأخ

● إن اعظم مستوى يبلغه الانسان فى ايمانه بالقيم الأخلاقية عندما يدرك ان من الضرورى ان يتحكم ويناقش اعز الافكار لديه .
«داروين»

احمد خضير
فوه — ج.م.ع

قسمة عادلة

كتب المنصور الى زياد بن عبد الله الحارثى ،ليقسم بين القواعد والعميان والأيتام مالا ،فدخل عليه ابو زياد التميمى وكان مغفلا ، فقال : اصلحك الله اكتبنى فى القواعد فقال له : عافاك الله ، القواعد هن النساء اللائى قعدن عن ازواجهن . فقال اكتبوه من العميان .. قال اكتبوه منهم ، فان الله تعالى يقول «فانها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور». فقال ابو زياد ، واكتب ابنى فى الأيتام ، قال الحارثى : نعم ، فان من كنت اباه فهو يتيم !

فاروق عقل
ادارة التصحيح بدار الشعب — القاهرة

كانوا البداية

اول من تحدث بلعربية هو «يعرب بن قحطان» من عرب اليمن العاربة..

● واول من اتى بعبادة الأوثان الى مكة كان عمرو بن لحى الخزاعى عندما كان فى بلاد الشام مريضا ووجد جماعة يتعبدون الحجارة فاستعان بهم لهم فاعجبه ذلك وادخل عبادة الأوثان الى مكة ..

● واول دم اريق فى الاسلام كان «سعد بن ابى وقاص»

● واول راية حملت فى الاسلام كانت بيد «حمزة بن عبد المطلب »

● واول مدينة فى التاريخ دمشق الشام ..

● واول برج فى العالم برج بابل ..

● واول شاعر عند العرب كان «امرؤ القيس» .

● واول من استعمل الورق والحبر والقلم هم الصينيون القدماء .

● واول طبيب يونانى «ابقراط» .

● واول مؤرخ يونانى «هيرودوت »

● واول مؤرخ اسلامى «كعب الاخبار».. ثم وهب بن منبه ..

زياد دياب
حمص — سورية

لقطة الشهر

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال القارىء : رأفت حسن — ج٠م٠ع

حل مسابقة من . أين . ما

العدد (٥٥)

من : بســام الشكعــة .

أين : نابلــس

مــا : زيتونــه .

الجواب الصحيح

١) نابلس – طولكرم – جنين

٢) الطويـــل

٣) النخيل – الزيتون – العنب – البرتقال .

٤) مصرى

٥) الباذنجانية .

٦) اليونان

٧) كليمانجارو .

٨) عام ١٨٤٠

٩) غير صحيحة علميا ، لأن الرصاص عنصر مستقل بذاته . خلقه اللــه هكذا .

١٠) الخفافيش – الحيتان – الأسود .

من . أين . ما

مــن :

شاعر فيلسوف مسلم ، ارتفع الى مستوى جائزة نوبل ولكنه لم يمنحها لأن آراءه مبنية على أن الانقاذ الوحيد للبشرية من محنتها المعاصرة هو الاسلام أسمه من كلمتين وتسعة أحرف .. :

٥–٩–٦–٩–١ أداة علم أقسم الله بها فى القرآن الكريم .

٨–٤–٣ أبو الانسان

٢–٧ ضد الكرة .

أيــن :

بلد اسلامى لعبت مدنه دورا خالداً فى تاريخ الدولة الاسلامية الكبرى ، مصاب اليوم بكارثة تضاف الى كوارث المسلمين فى فلسطين والقرن الأفريقى والفيليبين وغيرها . أسمه من تسعة أحرف :

١–٥–٤–٩–٨–٦ فاكهة استوائية آسيوية

٣–٦–١–٩ أسم عربى

٢–٧–٤–٧ كسر الخبز

مــا :

أهم وسائل انتشار العلم والمعرفة ، تفنن المسلمون فى تنويعه واستخدامه قبل أن يأفل نجم دولتهم . اسمه من خمسة أحرف :

٣–١–٤ فعل ماضى للكلام

٢–٥ حرف جازم ناف

الجــواب الصّحــيح

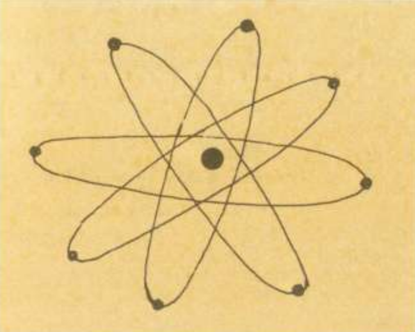

١– « النيترون جسيم من مكونات الذرة السالب الشحنة »

هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟

٢– إذا كانت كل الأمور معاتبا ..

أكمل البيت وانسبه الى قائله

٣– ثلاثة من الفلزات الآتية لايجذبها المغناطيس :

الذهب – النحاس – الخارصين – النيكل الكروم – الحديد .

٤– توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ميلاد السيد المسيح عليه السلام فى القرن :

الثالث – السابع – التاسـع .

٥– وقعت معركة ذات الصوارى غرب الاسكندرية وانهزم فيها الرومان أمام المسلمين فى عهد الخليفة الراشد :

أبو بكر الصديق – عمر بن الخطاب – عثمان بن عفان – على بن ابى طالب .

٦– المادة السوداء فى البطارية الكهربائية الجافة تتكون من خليط من الجرافيت مع :

ثانى أكسيد المنجنيز – الكبريت – ملح الطعام .

٧– اكتشف نبات الدخان فى القرن السادس عشر فى :

أمريكا – استراليا – جنوب أفريقيا – اليابان .

٨– قتل الأرهابيون الصهيونيون الوسيط الدولى الكونت برنادوت فى عام :

١٩٤٨ – ١٩٥٦ – ١٩٦٧ .

٩ – يبلغ طول سواحل شبه جزيرة قطر :

٤٠٠ – ٩٠٠ – ١٠٣٧ كيلومترا .

١٠– تولى أمانة جامعة الدول العربية ، التى لم تحقق حتى الآن أية خطوة لتوحيد الأمة العربية ، على التوالى :

عبد الخالق حسونة – عبد الرحمن عزام – محمود رياض – الشاذلى القليبى .

نتيجة مسابقة شهر يوليو ١٩٨٠ عدد ٥٥

● الجائزة الأولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة أشهر القارىء محمود آدم بشير – حلفا الجديدة السودان .

● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة أشهر القارىء : فتحى عواض الزواهرى – حمص مخيم الفلسطينيين .

● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى وأشتراك لمدة ستة أشهر القارىء خلدون أحمد هولدى – الجامعة الأردنية – الأردن .

الفائزون باشتراك لمدة عام :

١– فؤاد أمين الشلبى .. الشارقــة

٢– عمر عبد الحافظ العاقورى .. عدن

٣– محمود محمد حمدان حمد .. الكويت

٤– أسماء يوسف حسن محمد .. سوريا

٥– محمد لفته البازى .. كربلاء – العراق

٦– محمود توفيق جرادات .. دبـى

٧– محمد عبد العزيز نور .. السـوادن

٨– أحمد رشاد حسانين.. بورسعيد مصر

٩ – موسى احمد عـزام .. حمص– سوريا

١٠– محمد جميل زقوت .. الدوحة – قطر

١١– شيريـن جلال فتاح .. بغداد

١٢– عطيات عباس حسن .. قنـا – مصر

هذا الشاعـــــــــر

شاعر ألمانى كان حلمه الدائم هو الحق و العدل والخير .. لمع اسمه فى باريس اثناء عمله بها كمراسل لصحيفة . وفى عام ١٨٣٧ طبع مجموعته الشعرية المشهورة كتاب الأغانى .. ترى من هـــو ؟

حـــاولـــــ أنـــــ تعرفـــــ

ماهو اسم المدينة ؟

مدينة افريقية عقد فيها منذ شهور مؤتمر القمة الاقتصادى فى أفريقيا ، وأطلق على يوم إنعقاد المؤتمر يوم أفريقيا .. هل يمكنك التعرف على المدينة خاصة وأنها عاصمة الدولـــــة ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف عدد ٥٥

● اسم المسجد الشهير هو الأزهر

ـ أسماء الفائزين عن الصورة الأولى :

* رجائى حبيب عويضة ـ مصر
* رائد عبد الفتاح عناسوه ـ الأردن

● الفنان الفرنسى هو إدوارد مانيـــه

ـ أسماء الفائزين عن الصورة الثانية :

احمد عارف الفانى بيروت

ابراهيم بن تميمة تونس

كاريكاتير و تعليـــق

ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال

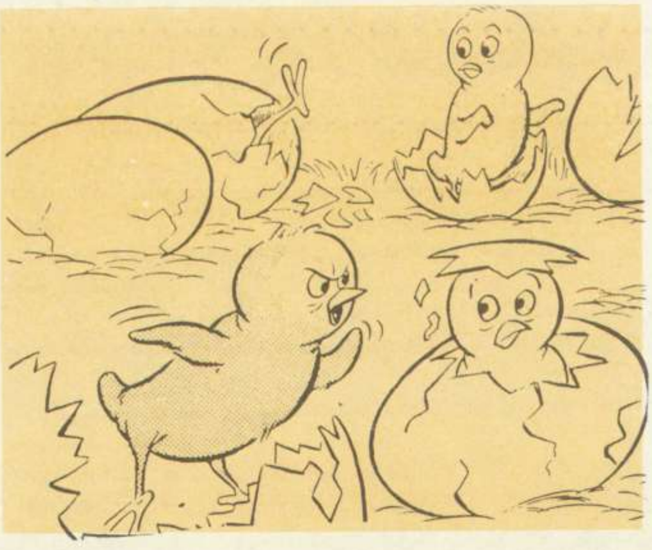

حـــل مســابقـة كاريكاتير وتعليق عدد ٥٥

● الكائن الفضائى : هل لكم ان تدلونى على مكان إدارة الجوازات للحصول على تاشيرة .

صلاح عمر ج . م . ع

●رجل الفضاء : هل أستطيع ان اجد عندكم شقة خالية ؟

هالة شوقى الاسكندرية

● رجل الفضاء : اتريدون تاكسى للقمر ؟

مهندس / محمد عقلان عـدن

●ـ اننى قادم من القمر ، هل اجد لديكم طبقا اخر ،لان طبقى تعطل ؟

حسن كاشف جنيف

إسماعيل مصطفى تامر

الببغاء والشجرة .. والغابة !

فجاة خيمت الكابة على الشجرة الشابة ، وباتت اغصانها تنفر من حمل الطيور ، وتنزعج من تغريدهم ، حتى انها لم تعد تطيق التحدث للريح عن شجونها ، فسكن الحفيف فى اوراقها ، وذهبت الطيور تتحدث للطيور وراح النهر يجرى بالخبر ... اما جاراتها الاشجار ، فقد هالها الأمر .. وكيف لا ؟! فالكابة مرض لم تعرفه الأشجار بين امراضها !!

ومر الببغاء الجميل .. صديق الشجرة .. فاحب كعادته ان يستطلع الأمر :

– عزيزتى الشجرة ، لماذا انت على هذه الحال ؟

– هكذا انا .. فاتركنى لحالى !!

– لا .. هذا الجواب غير محسوب على صداقتنا .

– (بسخرية) صداقتك .. من يصادق ببغاء .. لا يحصل فى النهاية الا على عضة لئيمة !!

– إن لدى مبرراتى ، ولكن دعيك منى الآن ، وهات اخبارك ؟!

– اننى مكتئبة .. يا صديقى الببغاء !

– اعرف ذلك ، إنما جئت اسالك ... لماذا هذا الامر ، فى الوقت الذى تلبس فيه الأشجار من حولك ازهى واجمل زينة لديها .. لقد تناقلت اخبارك الطيور ، وذهب النهر يحكى القصة لكل الضفاف !

– لا ادرى كيف ابدا لك القصة .. احس وكاننى اصبحت دائرة مقفلة من الاسى .. لا تحدثنى عن الأشجار .. لقد سئمت ما يلبسن وصار لونها الاخضر علامة للنفاق والرضى .. يا ليت لى جناحيك لأبتعد بهما الى حيث يتعبان !

– وما حاجتك الى هذين الجناحين ، ولديك الجذور التى تضرب فى اعماق الأرض .

– هكذا انت .. كل ما يهمك ان تجد ما تاكله .. الا ترى لهذين الجناحين من فائدة سوى انهما ينفعانك فى جلب الطعام ! يا لتعاستى ! كيف احتمل الكلام مع ساذج مثلك .. لست ادرى ؟!

– اسمعى لقد تحملت اكثر مما ينبغى من الاهانات ! ولكننى مع ذلك سوف استمع لقصتك .

– (بسخرية) لم يعد لى بعد اليوم من قصة !!

– بل لابد منها .. فالحكاية تتخلل كل الأحداث !

– اتذكر ايها الببغاء ... يوم جئت تحدثنى عن حدود الغابة التى طرت اليها فى يوم عاصف .

– نعم ا ذكر ... كم كانت دهشتك يومها كبيرة !

– لم تكن دهشة ... بل بداية سؤال كبير .. كبير جداً !

– وما هو هذا السؤال ؟

– إنك لن تحصل عليه بهذه الطريقة ، فانا نفسى لا استطيع ان المه فى حدود الكلمات ، الم اقل لك إنه كبير جداً !

– بصراحة ، لقد تغيرت ، وصرت لا افهمك من يوم ان حدثتك عن حدود الغابة البعيدة !

– قل لى كيف لا يعتصرك الأسى ، وانت ترى ذلك البعيد لا يقترب منك ابدا ، حيث يصبح الزمن مستحيلا والمكان صنما ... هذا انا فى مكانى ثابتة بقوة جذورى ... انتظر كل شىء .. دون ان اتحرك ولو خطوة واحدة انا احسد كل الاجنحة .. لانها تملك ان تطير ... تملك ان تحمل الشوق وتسافر .. قل لى كيف اكون إبنة الغابة ولا املك ان اعرفها أو ارى حدودها بالأمس .. ضربت صاعقة جارتى المسكينة فهشمتها فى مكانها ، دون ان تملك الهرب من مصيرها ولو خطوة واحدة !

– ولذلك كله انت مكتئبة ؟!

– ما اراه حولى ليس غابة اتوق إليها بل غابة اريد الهرب منها ومن إسارها .

– ولكن حياتك هكذا .. قدرها ان تكون بلا الام ... إذ لا عدالة للالم مع السكون ... بل مع الحركة !

– إننى ابادل هذا السكون الذى اعيش بكل الامكم !

– ساذهب واخبر طيور الغابة عن ذلك وربما اتفقنا جميعاً من اجلك !

وطار الببغاء الجميل .. ليلتقى بطيور الغابة وحدثهم عن الشجرة التى تود ان تبادلهم الامهم بسكونها .. ورات الطيور انها تجربة جديدة .. فكم تاقت الطيور إلى جذور تضرب فى اعماق الأرض .... وتمت الصفقة واستطاعت اجنحة الطيور جميعا ان تكفى الشجرة للتحليق بعيداً عن مكانها الى حيث يبدأ الزمن ويكبر الشوق والقلق ... ورات الشجرة نفسها لأول مرة بعيداً عن لونها الأخضر الساذج .. ولأول مرة احست ان لها قلباً يخفق بقوة الأجنحة التى تحملها ... وخلال طيرانها للبعيد لم ينقطع اللون الأخضر عن ناظرها وباتت تتساءل : هل هذه الغابة بلا حدود ..؟! كيف كان الببغاء بجناحه الصغير يصل إليها إذن ؟!!

ومرت الأجيال وراء الأجيال والشجرة تحاول ان تصل الى حدود الغابة ... وصار الشوق حريقا ، ورغم ذلك لم تستطع ان تفلت من لون الغابة الأخضر !! ولكن كيف ؟! اين تلك النسائم الرقيقة التى كانت تصلها من حدود الغابة فتزهر وتنمو .. لقد كانت جذورها من قبل تلامس عالما بعيداً ولكنه اقرب على كل حال مما تحاول ان تسعى إليه الآن !

اين النهر الذى كانت تشغل مكانا على ضفته ... واين ضحكات مياهه التى كانت تتسلل إلى جذورها تحت جنح الظلام !

وعندها .. احسست ان عالما جديداً من الحنين يكبر ويكبر .. وبقيت اجنحة الطيور التى تحملها من الطيران وراح الألم يعتصر قلبها .. وادركت انها كانت ضحية مقلب من الطيور .. ورجعت الى حيث تجد الطيور ولكن كيف ؟! كيف تجد الطيور وقد صار لونها بلون الغابة الأخضر .. وصار لها جذور تضرب فى اعماق الأرض !! كيف ترجع ... وهناك من يدفعها لكى تكبر وتتعب ، لقد نسيت انها تحمل الزمن الآن وتكبر به وتتعب ... !

ولم تستطع ان تقاوم التعب .. بعد ان ارهقها فتراخت الأجنحة التى تحملها لتقع الى عمق الغابة الأخضر .. دون ان تدرك انها كانت خلال طيرانها تبتعد عن حدود الغابة بقدر لهفتها للوصول ... وعندما استرخت لتنام جاء اليها فى الحلم طيف صديقها الببغاء الجميل ... !!

– هل تعبت الآن يا صديقتى الشجرة ؟!

– كنت تكذب على فى حكاياتك إذن ايها الببغاء ؟

– ابداً ما كذبت عليك ... ولكنك لم تنتظر حتى اخبرك بان حدود الغابة لا تصل إليها الأشجار !!

وهنا لم يعد لديها كلمات ... بل رات فى حلمها انها تصغر حتى اصبحت بذرة قادرة على ان تنمو وتضرب جذورها فى اعماق الأرض !!

طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha

بيبسي

مشروب الجيل الصاعد

سفينة صيد

للفنان القطري علي شريف

السنة الخامسة ـ العدد ٥٨ ـ ذو الحجة ١٤٠٠هـ ـ اكتوبر ١٩٨٠

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

MIRINDA
ميرندا
بطعم البرتقال الطبيعي

قطـــــر ٤ ريالات
البحريـــــن ٢٥٠ فلسا
الامارات العربيـــة ٤ دراهم
عمـــــان ٢٠٠ بيسة
الكويـــــت ٢٥ فلسا
السعوديـــــة ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العـــــراق ٢٥٠ فلسا
الاردن ٢٠٠ فلـــــس
ســـــوريا ٢٠٠ قرش
لبنـــــان ٢٠٠ قرش
مصـــــر ١٥٠ مليما
الســـــودان ٢٠٠ مليما
ليبيـــــا ٣٠٠ درهم
تونـــــس ٣٠٠ مليم
الجزائـــــر ٣ دنانير
المغـــــرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين اميركيين

الاشتراكات :
للافـــــراد :
داخـل قطـــــر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربيـــة ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائـــــر الحكوميـــــة
والمؤسســـات والشركـــــات :
داخـل قطـــــر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربيـــة ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا
الاعلانـــــات :
يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الاعلام بدولـــة قطـــر

الدوحة

رئيس التحرير

الدكتور محمد إبراهيم الشوش

المواد لا تعاد الى مرسليها نشرت او لم تنشر ● ما ينشر في المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأي الوزارة او المجلة

اكتوبر ٨٠

العدد ٥٨

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقى : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
القسم الاداري والمالي : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

اسلاميات

شئون عامة

ادب وادباء

صفحات الرأي

حياتنا المعاصرة

استطلاعات

ابواب ثابتة

قصص وشعر

الثقافة الفنية

فنــون

هــذا العــدد

الأصدقاء الأعزاء قراء هذه المجلة :

تحية طيبة .. وبعد : فاننا نبادر بان نطمئنكم على أن رسائلكم جميعها تصل إلينا . وبدورنا نقرؤها ، ونعيش فيها ، ونتبض معكم من خلالها بكل الاحلام الجميلة التى تتراءى لكم فى اليقظة من اجل «الدوحة» . وإذا كنا ايها الأعزاء نمسك عن نشر الكثير منها ، فلاننا ـ كما قلنا من قبل فى اعدادنا الأولى ـ نحب ان يبقى فى علاقتنا بقرائنا جانب خاص من جوانب الحوار بيننا ، يضاف الى اصوات العاملين فى هذه المجلة حيث يكون الحديث متصلا بتلك الأحلام النبيلة التى نضمرها لها وللقراء معا . وكذلك لاننا قررنا ان ناخذ كلمات الاطراء بكثير من حذر الزاهدين ـ عن وعى ـ فيما يسلمنا الى القناعة بالحد «الراهن» من النجاح . فالنجاح لايكون إلا إذا ظل متدفقا فى عروق النمو، مثلما الأشياء فى تغير مستمر ، على أن يكون ذلك نحو الأفضل والأرقى .. دائما .

ها نحن ذا أعزاءنا القراء من هذا المنطلق نبدأ ربيعا جديدا فى علاقتنا بكم وبالدوحة . ولسنا نريد أن نعقب على تجربة التجديد الماثلة بين ايديكم ، فنقع فى هوى الحديث عن النفس . لكننا كذلك نترقب ان نسمع منكم ، وان ننصت إلى آرائكم ، وأن تضيفوا الى احلامنا احلامكم . فليس اروع واجدى من منبر تتحقق له ديموقراطية إبداء الرأى فيه .. وله .

وإلى لقاء دائم ومتجدد بيننا .

الدوحة

ابواب القراء

اشراف نادية محمد رزق

مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبية والروحية بين « الدوحة » واصدقائها المساهمين فى تحرير ابواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافآت رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية ١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

رايت . سمعت . قرات ٦٠ ريالا

دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحرير ابواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجي ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية .

الشهر الذى مضى

● **حسن أبو طالب**
مستشار اقتصادى
الرياض ــ المملكة العربية السعودية

لفت نظرى ، واسترعى اهتمامى المقال القيم الذى كتبه الدكتور محمد ابراهيم الشوش فى عدد شوال ١٤٠٠ .. ولسبب ما فلم استطع التعليق عليه فى حينه .. واظن ان ذلك كان لخير لم ادرك كنهه إلا بعد حين .. وأهم ما فى مقالكم الذى كان بعنوان «المال العربى .. والخيارات الصعبة» .. هو هذه اللغة البارعة بان المال ليس كل شىء .. وبالرغم من انه نعمة ظاهرة ، فانه لا يستبعد ان تنطوى فى ثناياه نقمة باطنة ..

وأريد هــنــا أن أضع صوتى الى صوتك ، واضم رأيى الى رأيك بان المال العربى بشكله «التراكمى» الراهن ، واعتماد العرب حتى الآن على استيراد كل شىء من الخيط حتى السيارة .. من أمم أخرى .. لهو شىء يحتاج الى التدبر للخروج من هذا المازق ، الذى جعل علماء الاقتصاد المتاخرين ، والذين كانوا حتى وقت قريب ، يقسمون دول العالم الى : العالم الأول ، الذى يشمل دول أوروبا الغربية وأمريكا ، والعالم الثانى ، الذى يشمل دول أوربا الشرقية والصين .. ثم العالم الثالث الذى يضم الأكثرية المتبقية ، هذا المازق جعلهم يعيدون النظر فى تقسيماتهم تلك . وهذا هو الرأى الذى أثاره أول من أثاره علنا المفكر الروسى المنشق «الاكساندر سولجنتين» ، وهو يتلخص فى تقسيم دول العالم لأكثر من الدرجة الثالثة ، بمعنى أن هناك دولا فى الرابعة ، والخامسة ، والسادسة وهلم جرا ...

فالعالم العربى يشترك مع العالم الأول فى أن الدول التى حباها الله بالنفط منه ، يكون دخل الفرد فيها أعلى من دول كثيرة فى العالم الأول . وهذه احدى المؤشرات التى تعتمد فى تصنيف الدول ..

ولكن اذا نظرنا الى المؤشرات الأخرى .. لانجد ذلك .. فمثلا نسبة الأمية مرتفعة جداً (فى حدود ثمانية بالمائة) .. ثم ان نسبة المتعلمين من الجنسين تعانى من فروق عالية قد تصل واحداً الى ستة بالنسبة للنساء والرجال ..

هذا بالاضافة الى وجود الأمية التكنولوجية ، وعدم وجود القنوات التى يمكن أن تستوعب الفائض من البشر الذى يجد نفسه فى خضم الحياة الزاخر دونما موقع ليحتله .. وذلك لانعدام التخطيط فى الحياة العربية بصفة عامة ، ابتداء من الأسرة وحتى الدولة !!

ولذلك على الأمة العربية ، أن تنهض الآن من مرحلة الاستهلاك وهى الآن تتمتع فى أكثر من أى وقت مضى بالمقومات الاقتصادية الاساسية فى البيئة الاساسية ، من طاقة إلى طرق .. الى تكنولوجيا يمكن ان تحول بشقيها (المعتمد على العمالة البشرية ، أو الآلة) ، ولا يهم إذا تعرضت هذه الخطط من البدء الى تعثرات مفاجاة ، لأنه فى هذه الحال لا يمكن ان تنظر الى الخسارة المادية فحسب ، لأننا نكون قد استفدنا انئذ من فكرة ادخال التكنولوجيا نفسها ، ومن تدريب العنصر البشرى العربى وكذلك الاستفادة من الاخطاء الحالية ، التى لا يوجد سبب منطقى لتكرارها فى التجربة الثابتة .. واظن أن الدارسين فى مجال اقتصاديات التخطيط والتنمية يعلمون أن هناك طرقا كثيرة يمكن ان يتخطى بها العرب الفترة الحرجة الحالية .

حسن أبو طالب

● **حسين ميرغنى محمد عالــــــــم**
السودان ــ كوستى

قرات مقال الدكتور محمد ابراهيم الشوش تحت عنوان «المال العربى والخيارات الصعبة» وكان لى بعض الكلمات حول ما تضمنه المقال ومنها ان البلايين من المال العربى توجد فى بنوك اجنبية والسبب فى ذلك يرجع أولا وأخيراً الى فقد الثقة بالنسبة لرجال الأعمال العرب والبنوك العربية وسبب آخر هو نوع الخدمة التى تقدمها تلك البنوك العربية فانها تنظر الى الربح قبل أن تقدم الخدمات المصرفية والحديثة .

وعليه أتمنى من الله أن تعمل البنوك العربية الى مسايرة ركب الحضارة ، وأن تغطى الخدمات المصرفية بالسرعة المطلوبة فى كل الظروف .

ومن الأشياء المؤثرة فى عمل البنوك العربية هو أن تعيين موظفى البنوك العربية تتم من خلال الواسطة ولذلك لا تتوافر فى موظفيها كل الشروط المطلوبة للعمل .

ومن البشائر الجميلة التى هلت على ربوع وطننا السودان هو افتتاح أكثر من أربعة فروع لبنك فيصل الاسلامى الذى سوف يتعامل بالشريعة الاسلامية ، وإن كنت أتمنى أن لا يقع بنك فيصل فيما وقعت فيه البنوك العربية الأخرى .

حسن ميرغنى

● **صلاح حسن موسى**
الخرطوم ــ السودان

أعجبنى مقال الخيارات الصعبة التى تواجه الواقع العربى ، فقد كتبه الدكتور محمد ابراهيم الشوش فى اسلوب واقعى اظهر حقيقة ما يعترى الثروات العربية من معوقات وهيمنة عالمية .

وأرى أن يستمر الدكتور الشوش فى لفت انظارنا الى كافة المعوقات التى تواجهنا فى العالم العربى ، حتى نستطيع أن ننهض بأمتنا ونضعها فى مقدمة دول العالم .

صلاح حسن

● **ميرفت حمدى أبو طايل**
دمياط ــ ج . م . ع

الشىء الذى يجدر الاشادة به هو هذا التنوع المدهش داخل المجلة ابتداء من «الشهر الذى مضى» هذا الباب الذى يلقى الضوء على خفايا كنا نجهلها وينير بصيرتنا ويقودنا الى طريق الفكر المستنير ويعرفنا على موقفنا الحالى من تلك الدعوات التى تحملها تيارات وافدة

ميرفت حمــدى

إسلاميات

● طه حسين محمود
شبراخيت – ج.م.ع

عندما قرأت مقال الدكتور يوسف القرضاوى (المجتمع المسلم بين الثبات والتطور) وجدت أن الكاتب استعرض التطور من حيث الوجود الانسانى على هذا الكوكب وعلاقة المجتمع المسلم بهذا التطور وكان يجب التنويه فى افتتاحية المقال الى الفرق بين التطور من حيث الوجود الانسانى والتطور من حيث الوجود الكونى من الناحية الجيولوجية . وللخروج عن شبح المتشابهات كان من المفضل أن يكون عنوان المقال (المجتمع المسلم بين الثبات والتغير البشرى)..

وكذلك كان يجب اضافة لكلمة متعصب الى عنوان (حوار مع امريكى مناهض للصهيونية) ليصبح (حوار مع امريكى متعصب مناهض للصهيونية) ومقولتى هذه يدلل عليها هذا الجزء من المقال (وينصح بضرورة الاستعانة باصدقائهم الامريكيين للدعوة الى قضيتهم) قولوا لهذا المتعصب أن العرب فى غنى عنك وعن امثالك وهم اولى من المستعمر للدعوة الى قضيتهم الحقة .

واخيرا ورد فى تحقيق (بئر السبع زهرة النقب) هذه الجملة السيئة : « وتعتبر اسرائيل ثالث دولة فى العالم فى انتاج البروم بعد الولايات المتحدة وبريطانيا) هل اسرائيل الشتات .. دولة .. أسفا لهذا الواقع الذى اخترته أيها العربى !

طه حسين محمود

● حمدى فؤاد
بنها – مصر

إن امتنا الاسلامية متميزة باستعدادها العقلى والنفسى ، لتولى قيادة العالم وطرق أبواب المرحلة الحضارية المقبلة . وإن التراث الاسلامى العظيم والارث الكبير من الايمان لكفيل بتهيئة كل عناصر القيادة للأمة الاسلامية ، فمتى نبدأ ؟

إن الشيوعيين شغلوا بشيوعيتهم والغرب شغل برأسماله وآلته فانسته الله ، فمتى نتقدم نحن أصحاب الايمان والاسلام لقيادة هذا العالم وتنقيته ؟!

حمدى فؤاد

علوم وتكنولوجيا

● ف . م . ع
عدن – اليمن الديمقراطية

انا عاشقة خاصة للموضوعات التى تكتبها خديجة الصدر وباب من تجاربى الشخصية الذى اتمنى ان ينشر المآسى الدامية فى حياة الأرامل والمطلقات ، لعل وعسى تتغير نظرة شبابنا إليهم ويشعرون بمدى الآلام التى تعتصرهم ، ويحسون بان مشاكل إنسان لايجب أن تكون عائقا دون رغبته فى الحياة العادية .

ف . م . ع

(● مصطفى مريد
المغـــــرب

هذه الرؤيا المستقبلية التى قدمها لنا الدكتور محمد كامل فى مقاله بعنوان « العلم والتكنولوجيا بين الحاضر والمستقبل » أمتعتنا ، فى نفس الوقت الذى كنا نود فيه أن يتحدث لنا عن كل موضوع ذكره على انفراد ، فبحوث علوم البحار المستقبلية تحتاج لمجلدات ، وكذلك بحوث المناخ ، والدراسات المتعلقة بالوراثة الجزئية ، وغير ذلك ..

إن الأجيال الجديدة فى حاجة الى التعرف على مستقبلها الذى ستسيطر عليه العلوم والاختراعات سيطرة كاملة خلال السنوات القادمة

ولذا فاننى اطالب الدكتور محمد كامل بان يحدثنا باسهاب عن الرؤيا المستقبلية فى نطاق العلوم ، وخاصة عن تلك الدراسات المثيرة التى تجرى للكشف عن اسرار المخ البشرى والخلايا العصبية وبحوث الرحلات الفضائية واستخدام التكنولوجيا الحديثة للحفر فى اعماق البحار وبحوث الزلازل والبراكين ، فكل ذلك مرتبط بالانسان ارتباطا وثيقا ، ولذا فان أية معلومات فى ذلك المجال تجد صدى عند كل انسان لانها متعلقة بمستقبله وعالمه الرحيب القادم .

» مصطفى مريد «

العلم والتكنولوجيا
● احمد حسين حماد أدم
السودان

قرأت فى العدد ٥٥ من المجلة مقالا للدكتور محمد كامل تحدث فيه عن العلم والتكنولوجيا بين الحاضر والمستقبل .. ولقد كان مقالا شيقا نال إعجابى شخصياً ومشجعاً لكل ابناء الأمة العربية فى أن ينهضوا ويستغلوا عقولهم فى مجال العلم والتكنولوجيا وترك الخمول وبعث الحيوية والرشاقة فى الجيل الناهض والصحو من النوم العميق

لقد تمركزت التكنولوجيا وجميع العلوم الحديثة اليوم فى أيدى الدول الشرقية والغربية غير العربية الاسلامية رغم انهم لم يسبقونا فى مجال الطب والفضاء ولا علم البحار والارض ، فهذه العلوم التى يمتلكونها اليوم ما هى الا تطورات لما نقله علماؤنا العرب المسلمون الى بلاد الأندلس فى الوقت الذى كانت فيه اوروبا تغط فى نوم عميق استيقظت منه لتستغل هذه العلوم بعدأن غفل اصحابها . فالعلم ليس شىء ملموس ولابشىء حسى ولكنه شىء يتسرب كما تتسرب جزئيات المادة الغازية الحرة الحركة .. ولذا فاتمنى أن ارى اليوم الذى نتفوق فيه على الغربيين ، ونسترد الوعى العلمى الذى اضاء النور للبشرية جمعاء .

حمد حسين حماد

شئون عربية

● علي حسن بغدادي
البلينا ـ سوهاج ـ ج.م.ع

يزداد سروري مع مطلع كل شهر جديد لانني اعتدت ان اجد في كل عدد من اعداد الدوحة جديداً . ومما زاد سروري سروراً ان تخصص الدوحة ـ المجلة ـ ابتداء من عدد سبتمبر الماضي باباً لدراسة وتحليل ومناقشة واحدة من اهم القضايا التي تشغل غالبية مفكري هذا العصر وهي قضية الاعلام العربي باعتبارها واجهة لمستوانا الفكري والثقافي والحضاري ، وهذا الباب هو «تاملات اعلامية» .

أرى ان المقالات الثلاث التي تضمنها عدد سبتمبر يكمل كل منهما الآخر ، بدأها الدكتور حافظ الجمالي بالمقارنة بين الوفرة والجدوى ، فلوفرة شيء والجدوى شيء آخر ، فقد كثرت وسائل الاعلام وتعددت انواعها من مجلات دورية ونشرات من كل نوع وسينما وإذاعة مسموعة ومرئية وصحف نصدرها باللغة العربية لتخاطب العرب ونصدرها باللغات الاجنبية لتخاطب الغربيين ومن حولهم . ثم تناول الدكتور فاروق ابو زيد أزمة الدراسات العربية الاعلامية ومظاهرها من نقص الاساتذة وقلة البحوث والدراسات وتعدد المناهج والحلول التي يراها لتلك الازمة . ثم تناول الاستاذ / محمد فتحي حقيقة الخواء الفكري الذي يزداد في عالمنا المعاصر حدة وخاصة في الدول الغربية التي اشهرت إفلاسها مؤذنة بالمغيب .

ولكنني أرى ان الدكتور الجمالي كان متحاملا على الاعلام الغربي في النقاط الثلاث التالية :

أولا) : حقيقة ان للاعلام العربي مضار ، ولكني أرى ان مضار الاعلام العربي لا تتغلب على منافعه لا كما يرى كاتب المقال وإن كان محقاً في أن نفقات الاعلام العربي تكاد تكون باهظة إذا ما قورنت بالمعايير الغربية إذ ما قيست بنتائجها .

ثانياً) : الصورة التي نقلها الدكتور الجمالي على أن الغرب ينظر الينا على اننا من دول العالم الثالث المتخلفة التي يهون فيها شان القانون وتضيع فيها قيمة الانسان ويفقد كرامته وانها بلاد لا يحكم فيها إلا بالسوط حيث يغلب عليها حكم اللاعقل مع تفاقم الفقر فيها .. كل هذه صور مبالغ فيها .

ثالثا) : يرى د. الجمالي ان الاعلام الخارجي يجب أن نهتم به اكثر من غيره باعتباره الصورة الخارجية التي تخاطب العقل الغربي ، واستدل من مقاله باراء «رينان» الفرنسي ومجلة «الأوربيو» الايطالية وآراء «توئبي» ، في حين انه يجب أن يسير الاعلام الداخلي جنباً الى جنب مع الاعلام الخارجي . والسؤال هنا كيف يستطيع الاعلام ـ سواء الداخلي أو الخارجي ـ أن يجمل صور حياتنا ؟ هذا ما نتعشم ان نقراه في احاديث د. الجمالي القادمة .

علي حسن بغدادي

● محمد غازي ابو هاشم
كلية الآداب ـ جامعة الكويت

منذ حوالي العام وانا اتابع بشغف استطلاعات نبيل خالد الآغا عن مدن فلسطين المحتلة تحت عنوان « وجه مدينة من فلسطين » ، والتي كتبها على اثر زيارته الى وطنه المحتل في العام الماضي .

انني كعربي فلسطيني أدرس في جامعة الكويت اشكر لمجلة الدوحة اهتمامها بقضيتنا العادلة ونشرها لهذه السلسلة . انني اقترح ان تتبنى مجلتكم طباعة هذه الاستطلاعات في كتاب او تقوم بطبعه اية وزارة اعلام عربية .

● ابراهيم الكاظمي
بغداد ـ العراق

ماقاله الدكتور الفريد لينينتال اليهودي الأمريكي الذي يجاهر بعدائه للصهيونية ، يستحق من اجهزة الاعلام العربية أن تهتم به وتحاول الاستفادة من آرائه ، وإلا كنا كمن يحرث في البحر .

فقد قال المفكر اليهودي في حديثه مع درويش مصطفى الفار ونبيل خالد الآغا أن الاعلام العربي في أمريكا بالذات غير موفق ، وان المسالة ليست مسالة مال ولكنها مسالة تكنولوجيا اعلامية ، وان العرب لو صرفوا كل اموال العالم بطريقتهم الحالية لن يكسبوا شيئا ، فلابد من الاستعانة بأصدقائهم من الأمريكيين للدعوة لقضيتهم ، أو على الأقل توظيف قوم يفهمون عن علم سيكولوجية وعقلية الأمريكان ، لانه لا معنى أن تشرح القضية العربية في نيويورك أو لندن أو باريس أو استكهولم بنفس الاسلوب الذي تشرحه بها القاهرة أو بغداد أو الدوحة أو صنعاء .

فهل يمكننا بعد ذلك أن نعيد حساباتنا ودراساتنا عن واقعنا الاعلامي في الخارج ؟ .

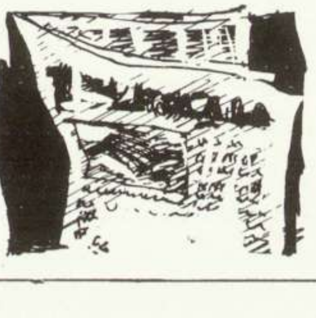

تعقيبــــات

● ماجد شكري
المنامة / البحرين

اتابع بشغف حلقات الكاتبة عايدة الشريف «مذكرات شاهدة ربع قرن» وكذلك كتابات الشاعر الكبير صلاح عبد الصبور في «مشارف الخمسين» وهذا حقيقة ما يحتاج له القراء الشباب من استذكار في حوادث واحداث سبقتهم فضلا عن انها تجارب ذاتية باحداثها وشخوصها وسياحة فكرية وثقافية واقعية .

واسال بدوري هل في نية المجلة استكتاب كبار الكتاب العرب عن تجاربهم وذكرياتهم ويومياتهم التي سجلوها ؟ ففي ذلك تاريخ ومنفعة لنا نحن الذين لم نعاصر ما كان في عصرهم أيام شبابهم .

ماجد شكري

● هشام خالد
الاسكندرية / مصر

تعقيباً على مقال الكاتبة «عايدة الشريف» في العدد ٥٦ من مجلة الدوحة ، اقول ان السيدة الفضلى «عايدة» وقعت في عدة اخطاء بحسبانها «شاهدة على ربع قرن» واجمل رأيي في أن توقيت نشر المقال جانبه الصواب ، حيث أن «سارتر» مضى ، ولن يكون في مقدوره دفع ما «الصقته» السيدة الكاتبة به من تهم . وكان حرياً بها نشر المقال الذي مضى على احداثه اكثر من عشر سنوات في توقيت سابق .

وثانيا أرى أن عدم الموضوعية لازم الكاتبة في آرائها حول توفيق الحكيم ، وكان تاثير أستاذها الدكتور محمد مندور واضح فيما طرحته من آراء حول توفيق الحكيم . وكذلك كان حظ الدكتور لويس عوض الذي أصابته سهام عدم الموضوعية من الكاتبة الموقرة .

وملاحظة اخيرة ، فقد ركزت الكاتبة على علاقة «سيمون دي بوفوار وسارتر» وهي علاقة مبررة من مجتمعهم ، ولا تستحق كل هذا العناء للتقصي والمطاردة وإعمال فكر القارىء العربي فيه بحثاً ومناقشة . ولقد ظلا يزوران الدول ولم تقم القيامة لكونهما يعيشان ماارتضياه وما برره المجتمع الفرنسي لهما ؟ فلماذا ؟!

هشام خالد

استطـــــلاعات

● محمد أحمد النور
مدنى / السودان

اشيد بمجهود الأستاذ كمال سعد فى تحقيقاته واستطلاعاته التى نشرها عن العديد من بلدان الوطن العربى ومدنه . واطلب أن تتوسع المجلة فى مجال التحقيقات والاستطلاعات فتشمل الجوانب الاجتماعية لحياة المواطن العربى ، والفنون والفلكلور والتراث . وكذلك العناية الدقيقة بعكس واقع الحياة الجديدة فى الوطن العربى .

ونحن هنا فى السودان اكثر حاجة لمعرفة الحياة الجديدة فى الخليج وموريتانيا وغير ذلك من الدول .

وان مجلة الدوحة تسد لنا فراغاً كبيراً إذ هى نقلتنا عبر هذه الجولات الثقافية الى أرجاء الوطن العربى .

محمد النور

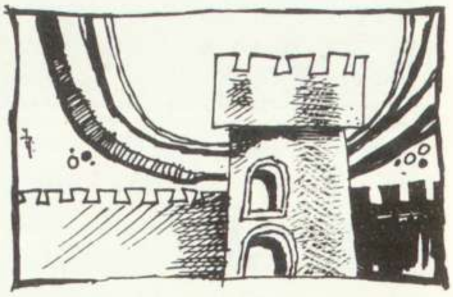

● التجانى محمد حامد
الدويم / السودان

لقد قرات باهتمام بالغ ما كتب عن مدينة سامراء التاريخية وآثارها . وكنت اتمنى لو كتبتم عن توأم سودانى لها وهى مدينة «سواكن» . فقد كانت احدى كبريات مدن العالم العربى وآثارها تمثل حقبة تاريخية هامة من تاريخ السودان .

التجانى حامد

● محمد البشير
صنعاء ـ اليمن

جعلنى كمال سعد اعود الى غرناطة واشبيليه وقرطبة واتذكر امجادها الغابرة التى اضعناها عندما هجرنا كتاب التاريخ العربى القديم..وكم كان حزنى بالغا عندما رايت ان ما بناه اجدادى وما اعطوه من تراث وعقل وعلم ، قداضاعه بعض الذين تهاونوا فى حق الامة الاسلامية ..

ولا أدرى لماذا لا نتوسع فى مدارسنا فى تاريخ الأندلس وخاصة اننا ندرس هذا التاريخ بصورة عابرة وبدون تركيز ؟..فما احوجنا الى ادراك هذه الظروف حتى لا تتكرر، وحتى نسلح اجيالنا القادمة بادوات تمنع ارتكاب الجرائم باسمهم وتحميهم من الضياع الذى اخمد فى نفوسنا شعلة الفكر واصاب عقولنا بالطلاسم والشعوذة والخرافات التى جعلتنا عاجزين

فنـــــون

● حيدر محمد على
الخرطوم ـ السودان

اصبحت فى كل عدد اقف مبهوراً أمام لوحات الفنان جمال قطب ، وكم من مرة وجدت لوحة جميلة وحاولت عمل برواز لها ولكن اقف محتاراً امام الامر الواقع لأنه لا يمكن الاحتفاظ باللوحة إلا على حساب صورة المجلة التى ستفقد صفحة منها مما يضر بالموضوع الذى كانت اللوحة احد اركانه فيا ليتنى ، اجد لوحاته دون ان اضطر لتمزيق الدوحة

حيدر على

بين المجلة وقرائها

● نور على أحمد
قفط / قنا ـ مصر

لقد تعرفت الى «الدوحة» كمجلة من زملاء الدراسة فى الجامعة ، ولقد كان اجماعهم على انها فى صدارة المجلات الفكرية والأدبية دافعاً الى قراءتها ، وبعد مسيرة مع أعدادها أحسست أن المجلة اكثر اعتماداً على الكتاب الكبار من ذوى الأسماء المعروفة فى الوطن العربى ، وهذا محمدة لها ، ولكن أرجو الا يتم على نصيب الشباب والأقلام التى تتلمس الطريق .

كذلك من رأيى أن تلتفت المجلة الى التراث الشعرى القديم فى الوطن العربى ، إنارة لمعرفة الشباب بتاريخ آدابهم .

نور على أحمد

● ياسر عمر بشير
القضارف / السودان

افتقدنا باب شخصيات من الاغانى ، فهو من الأبواب التى تعنى بالتراث ونقله فى قالب محبب للقراء . أرجو أن تعملوا على إعادته ، فهو متابع من عدد كبير من القراء .

ياسر عمر

● سامر جلعوط
دمشق ـ سوريا

.. تخرج من مخبئها الذكرى
تستدرجنى
تدخل بى فى عاصمة الحزن ..
أهرب منها ..
للصبح ..
الليل ..
الشمس .. الطل ..
اللون
مجتراً كل حكايا الكون ..
لا المس منها .. غير فراغ مطلق
وحكايات ... دليلة ..
والزيبق ...
فلماذا قاسية .. انت ؟
ولماذا ماكرة .. انت ؟
ولماذا ساحرة انت ؟
ولماذا ... رغم احاسيسى ..
بالكره .. تجاهك .. اشعر انى
انـت ؟!

سامر جلعوط

د . حسن عيسى عبد الظاهر

الاعلام الإسلامى
فى ميثاق جاكرتا

رجال الاعلام الاسلامى الذين حضروا مؤتمر جاكارتا

استهل العالم الاسلامى احتفالاته بمرور اربعة عشر قرناً ، واستقبال القرن الخامس عشر الهجرى بالمؤتمر العالمى الثالث للسيرة ، والسنة النبوية المطهرة الذى انعقد فى مطلع العام الهجرى ١٤٠٠ هـ بدولة قطر ، فكان نقطة البدء على طريق وعى يقظ بحاجات المجتمع الاسلامى وقضاياه المعاصرة ، وكان من ثمراته المبكرة إنشاء مركز بحوث السيرة والسنة النبوية بجامعة قطر ، تم تلاه هذا المؤتمر الأول للاعلام الاسلامى العلمى ، والذى انعقد فى مدينة (جاكرتا) عاصمة اكبر دولة اسلامية من حيث الكثافة السكانية وهى (اندونيسيا) فى الفترة من يوم الاثنين الحادى والعشرين من شهر شوال عام ١٤٠٠ هـ ــ الموافق الأول من سبتمبر ١٩٨٠ م ، الى يوم الاربعاء الثالث والعشرين من شوال ١٤٠٠ هـ ــ الموافق الثالث من سبتمبر ١٩٨٠ م ، وقامت على التمهيد ، والاعداد ، والتنظيم له كل من رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ، وجمهورية اندونيسيا .

ويأتى هذا المؤتمر استجابة لضرورات هامة واولية فى سلم القضايا الاسلامية المعاصرة ، فالانسان المعاصر بعامة والمسلم بخاصة بقدر ما يعايش الآن عصر الفضاء يعايش بالمثل وبالضرورة عصر الاعلام ، وبقدر ما لانجازات عصر الفضاء من تاثير على الحياة بعامة بقدر ما للاعلام ، وأجهزته ، وإنجازاته ، من تاثير على الانسان بخاصة : فكره ، وسلوكه ، وحضارته ، وحياته .

ومن المقرر أن الاعلام بمفهومه ، ومضمونه ــ وان تغيرت اسماؤه ومصطلحاته ــ قديم قدم الحياة الانسانية ، صاحبها على ظهر هذه الأرض حتى يومنا هذا ، وسيظل الى ان يرث الله الأرض ومن عليها ، والنظرة

- أهمية الاعلام ودوره الخطير فى توجيه السياسات والعقائد
- شدة تزاحم وسائل الاعلام جعلت عامة الناس لا يميزون بين الصدق والتضليل
- أين موقع الاعلام الاسلامي في واقعنا المعاصر ؟
- دعوة الجامعات الاسلامية للعمل على إنشاء أقسام للصحافة الاسلامية
- مطلوب مركز للمعلومات ، وصحيفة يومية ، ومنع النشرات المعادية للاسلام

اليه دراسة ، وتقييماً ، لابد وان يتسع مداها لتستوعب الماضى ، والحاضر والمستقبل .

ومن واقع عصرنا لا يخفى مدى ما وصلت اليه اهمية الاعلام ، بل وخطره منذ اخذ دوراً خطيراً فى توجيه السياسات ، والعقائد ، والمذاهب ، والآراء ، والشعوب وبخاصة بعد ان عرفت البشرية فى هذا القرن الحروب العالمية ، وشبه العالمية ، الساخنة منها والباردة ، حتى سمى البعض أوراق الدعاية والاعلام (القنابل الورقية) بل وذهب فى تقييم دورها ان جعلها اخطر من (القنابل الذرية) .

وكان من مقتضى هذه الأهمية للاعلام ان قامت له وحوله الدراسات ، والمعاهد والجامعات ، ومراكز البحث والتخصص والندوات ، والمؤتمرات ، وجهدت فى التقنين له ، وتوضيح معالم اصوله ، وفروعه ، وتطوير وسائله المتنوعة ، والتى بلغت حداً كبيراً وخطيراً من القدرة ، والتاثير على الانسان فى كل مجالات حياته وتفكيره ، فى مختلف بيئاته ، وثقافاته ، وسنى حياته .

وقد بلغ من شدة تزاحم وسائله الآن وكثرتها وتنوعها ان اصبح من العسير لدى عامة الناس توافر وسائل التحقق السريع من صدقها ، وفحصها ، وقد كان ذلك من أسباب تهيئة سبل انحرافها وتضليلها مما دعا الى تدخل كثير من الدول فيها بالتوجيه ، أو الرقابة ، أو التاميم الخ.....

وبالتالى كان لهذا التدخل ـ من بعض الدول ـ مخاطره ايضاً ، إذ وجدت بعض الحكومات فى هذا التدخل فرصة لاستغلال وسائله لأغراضها السياسية ، أو العقائدية ، أو الحزبية ، وعلى سبيل

المثال بينما تضاعف (الديمقراطية الحديثة من اهمية الاعلام وخطره تضيــق (النظم الدكتاتورية) وما سبجها عليه الخناق ، وتحد من اهميته حتى لتكاد تعدمه حريته ، وتجعله موجهاً متاثراً اكثر منه موجهاً مؤثراً ، كما عمدت بعض الدول الى كفالة ضمانات الاستقلال له بصورة او باخرى .

وسط هذا الزحام

من المقرر أن الاعلام الاسلامى واضح القسمات محدد الأهداف والوسائل .

ونظرة فى كتاب الله عز وجل تبين لنا طرف الهدف ، وشرف الوسيلة بما تضمنه هذا الكتاب لصالح الانسانية كلها (كتاب انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد) .

ونظرة الى (الآذان) الذى يتردد على سمع الدنيا كلها كل يوم خمس مرات بشعار الاسلام ملخصاً الهدف ، والوسيلة ، والثمرة ، والجانب النظرى ، والجانب العملى ، لهذه الرسالة الخاتمة نجد انه اول واقوى صيغة إعلامية عرفها الانسان حتى الآن فى مضمونه وادائه .

وعلى ضوء هذه اللمحة العابرة نتساءل : اين موقع الاعلام الاسلامى المعاصر ؟ ولعل جواب هذا يكمن فى محاولة الاجابة عن هذين السؤالين : ـ

الأول : ما هو واقع الاعلام الاسلامى المعاصر ؟ .

الثانى : ماذا يجب ان يكون عليه الاعلام الاسلامى المعاصر ؟ .

ولعل هذا المؤتمر الأول العالمى بما تمخض عنه من مقررات وتوصيات وميثاق يوضح معالم الاجابة عن هذا كله

أهداف المؤتمر

كان هذا المؤتمر على كثرة عدد المؤتمرين وتنوعهم وقصر مدته محدد الهدف ، وهذا ما تميز به ، فلم يتسع وقته لدراسات وبحوث علمية مجالهــا قاعات البحث والجامعات ، وإنما كان نصب عينيه موضوعان اساسيان :

الموضوع الأول : شخصية رجل الاعلام الاسلامى المعاصر : وكيف تكون ؟ وكيف تعمل ؟

الموضوع الثانى : الاعلام الاسلامى المعاصر : وماذا يجب أن يكون عليه ؟ وما يجب أن ينهض به من تبعات ؟ .
وقد طرح هذا الموضوعان على المؤتمر فى نقاط تضمنتها كل من ورقة العمل التى صاغتها (الأمانة العامة للصحافة الاسلامية) ، وجدول أعمال المؤتمر وهى :
١ ـ مشروع ميثاق الاعلام الاسلامى .
٢ ـ مشروع ميثاق شرف للصحافة الاسلامية .
٣ ـ مشروع لتطوير وسائل الاعلام الاسلامى .
٤ ـ الحملات الاعلامية ضد الاسلام وطرق التصدى لها .
٥ ـ الفكر الاسلامى والتحديات التى تواجهه فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى .
٦ ـ ورقة عمل حول المقدسات والقضايا الاسلامية ، وطرق مناصرتها .
٧ ـ نص قرارات وتوصيات المؤتمر التمهيدى للصحافة الاسلامية الذى عقد فى قبرص عام ١٩٧٩ م .

برنامج عمل المؤتمر

وفى الجلسة الأولى شكلت أربع لجان وزعت عليها هذه الموضوعات فكانت

كالآتى :
١ ـ لجنة اعداد الميثاق ، والبطاقة الصحفية الاسلامية .
٢ ـ لجنة تطوير وسائل الاعلام .
٣ ـ لجنة المشروعات الاعلامية .
٤ ـ لجنة التحديات الفكرية والقضايا الاسلامية .
وفى الجلسة الثانية تمت مناقشة أوراق عمل المؤتمر .
وكانت أولى هذه الأوراق (ورقة عمل) قدمها الوفد العراقى وهى كالآتى : ـ

١ ـ تأييد (البيان العراقى ـ السعودى) حول المقاطعة السياسية ، والاقتصادية لكل دولة تفتح سفارتها فى القدس .
٢ ـ فضح الكيان الصهيونى الذى تحدى مشاعر المسلمين بقرار جعل القدس عاصمة دائمة له .
٣ ـ مقاومة ورفض اى عمل فنى أو اعلامى يعادى الاسلام .
٤ ـ دعوة الدول الاسلامية الى تعزيز التعاون فيما بينها للدفاع عن مبادىء الدين الحنيف .
٥ ـ دعوة الدول الاسلامية ـ ومن خلال اجهزتها الاعلامية والثقافية الى الوقوف بوجه الحملات الاعلامية ضد امتلاك الدول الاسلامية للتكنولوجيا النووية للأغراض السلمية .
وقد ايد المؤتمرون هذه الورقة بعد مناقشات جادة .
ثم كان اليوم الثانى : وفيه باشرت اللجان اعمالها كل منها حسبما حدد لها ، وتم استخلاص المقترحات ، وتلخيصها فى صورة شبه نهائية.
وفى اليوم الثالث والأخير : طرح على المؤتمرين مشروع القرارات ، وعدلت بعض الفقرات ، ثم اقرها المؤتمرون فى

هنا انعقد المؤتمر

تتكون اندونيسيا من (ارخبيل) تتناثر جزره الخضراء على مد خط الاستواء ما بين المحيط الهندى غربا ، والمحيط الهادى ـ الباسفيك ـ شرقا وما بين قارة آسيا شمالا واستراليا جنوبا .
وتبلغ مساحتها ٧٣٥٫٠٠٠ ميل مربع ، ويبلغ عدد جزرها ١٣٠٠٠ جزيرة منها ٦٠٠ جزيرة ماهولة بالسكان ، وكبريات جزرها هى : سومطرة ، وجاوا ، وكاليمنتان ، وسولا ، وإيريان الغربية ، أما سائر الجزر فصغيرة مثل جزيرة بالى الشهيرة وتيمور ، ويبلغ عدد سكانها الآن ١٤٠ مليون منهم ٩٠ فى المائة مسلمون .
والمدينة التى انعقد فيها المؤتمر هى جاكرتا وهى عاصمة أندونيسيا ، عرفت أيام الاستعمار الهولندى باسم (بتافيا) ، وكان قد فتحها الشريف هداية الله باسم سلطان (ديماك) سنة ١٥٢٧ م بعد ان دوخ مملكة باجاجارات البوذية ، وقد تطورت مدينة جاكرتا خلال خمسة قرون لتصبح مساحتها الآن ٥٩٢ كم ويصبح سكانها اكثر من ستة ملايين ونصف المليون نسمة وتقوم بها دواوين الحكومة المركزية ومقار البعثات الدبلوماسية كما توجد بها مختلف المصانع ومطاران للرحلات الدولية والداخلية .
وقد اشترك فى هذا المؤتمر التاريخى ما يقرب من (٤٥٠) شخصية اعلامية اسلامية من مختلف انحاء العالم يمثلون كافة أشكال وسائل الاعلام الاسلامى ، ونقلت وقائعه عبر الأقمار الصناعية وتوجهت تركيا ـ بدعوة (من رئيس الحكومة «السابقة») لعقد الاجتماع القادم فيها .

صورتها النهائية .

نظرة الى المقررات

اولا : بالاضافة الى إقرار (ورقة العمل) العراقية ـ السعودية ، فان المؤتمر لم يبدأ عمله من فراغ ، وإنما سبقه مؤتمر تحضيرى فى قبرص عام ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م اسفرعن توصيات هامة .

وقد راى المؤتمر العالمى فى اول مقرراته ضرورة إعادة إقرار وتاكيد ابرز التوصيات التى اقرها المؤتمر التحضيرى فى قبرص بشان الاعلام الاسلامى ، وتتلخص فى :

١ ـ دعوة الجامعات الاسلامية للعمل على انشاء اقسام للصحافة الاسلامية بها ، اضافة الى انشاء معهد لتخريج الكوادر العليا .

٢ ـ تتبنى رابطة العالم الاسلامى إنشاء مركز للمعلومات لامداد الحقل الاعلامى ، وحث منظمة المؤتمر الاسلامى على تنشيط دور وكالة الأنباء الاسلامية

٣ ـ الاستعانة بالطاقات الاسلامية فى مختلف مجالات العمل الاعلامى ودعوة وكالات الأنباء فى العالم الاسلامى الى ابراز اخبار العالم الاسلامى والعناية بها لكسر طوق العزلة الذى تفرضه وسائل الاعلام المعادية للاسلام .

٤ ـ دراسة امكانية إنشاء صحيفة يومية ، ومجلات أسبوعية وشهرية بعدة لغات ، وانشاء شركات اعلانات اسلامية حماية للصحف الاسلامية من ضغوط شركات الاعلانات الاجنبية .

ومناشدة البلدان ، والمنظمات الاسلامية منع دخول ، او طبع الصحف والنشرات والكتب التى تعادى الاسلام ، او تؤثر فى شبابه .

رجل الاعلام المسلم

ثانيا : ـ ميثاق جاكرتا الاسلامى : ـ لعل هذا الميثاق ياتى فى الطليعة من إنجازات هذا المؤتمر العالمى ، فهو فى ابتكاره وجديته يبرز جانبا هاما وخطيراً من اهداف المؤتمر وهو العمل على ايجاد رجل الاعلام المسلم الملتزم ، ذلك ان الاعمال بالرجال وما لم يكن هناك رجل الاعلام المسلم الذى يؤمن بشرف رسالته مستوحاة من إسلامه فان كل بناء فى هذا الميدان لا اساس له .

ومن هنا جاء إقرار المؤتمر لهذا الميثاق استلهامـاً لكتاب الله وسنة رسوله ، وعملا بالاسلام وعطائه ، ووعياً بما يحدق بهذه الأمة من اخطار ، ووعياً بدور الاسلام فى حمايتها ، وانبعاثها ، وتقديراً لأهمية الدور الذى تقوم به وسائل الاعلام وحفاظاً على واجبها الاعلامى ، وسمو أهدافه ، وشرف المهنة وتقاليدها ، وانطلاقاً من الأهداف التى تمثل آمال الأمة الاسلامية .

من اجل هذا كله اقر الاعلاميون المسلمون ميثاق الشرف الاعلامى الاسلامى الذى يلتزمون به ، ويجعلونه نبراس اعمالهم ، ومصدر التقنين لواجباتهم .

ويتلخص هذا الميثاق فى ضرورة العمل على : ـ

١ ـ بناء ودعم شخصية رجل الاعلام المسلم بترسيخ قيم الايمان ، ومبادئه الخلقية وتكامل شخصيته .

كما اقر المؤتمر اصدار بطاقة إعلامية يحملها كل منتسب من رجال الاعلام المسلمين للأمانة العامة للاعلام الاسلامى .

٢ ـ ان يعمل الاعلاميون على جمع كلمة المسلمين ، والتحلى بالاخوة الاسلامية فى حل مشكلاتهم ، وتعريف الشعوب الاسلامية بعضها ببعض ، وتثبيت فكرة الأمة الاسلامية المنزهة عن الاقليمية الضيقة ، والتعصب العنصرى والقبلى ، وان يتعهدوا بالمجاهدة من اجل تحرير فلسطين ، وفى مقدمتها القدس ، وكافة الأقطار الاسلامية المضطهدة .

٣ ـ مجاهدة الاستعمار ، والصهيونية ، والأفكار ، والتيارات المعادية للاسلام .

٤ ـ تحرى الحق فيما يذاع وينشر ويعرض مع اداء الرسالة فى اسلوب ملتزم بالآداب الاسلامية .

٥ ـ الالتزام بنشر الدعوة الاسلامية ، والتعريف بالقضايا الاسلامية ، والدفاع عنها ، والاهتمام باحلال الشريعة الاسلامية محل القوانين الوضعية ، والاهتمام بالتراث الاسلامى ، والتاريخ والحضارة الاسلامية ، ومزيد العنايـة باللغة العربية ، واستنهاض الهمم لمقاومة التخلف فى جميع مظاهره ، وتحقيق التنمية الشاملة التى تضمن للامة الازدهار والمناعة .

التعليم الدينى للنساء

تثبيت الأهداف

ثالثاً : ـ ومن اجل العمل على تثبيت اهداف المؤتمر ، وبقاء قوة الدفع ، والنمو والاستمرار له ، اقر المؤتمرون انشاء (أمانة عامة دائمة) للاعلام الاسلامى مقرها (مكة المكرمة) تقوم على تنظيم ،

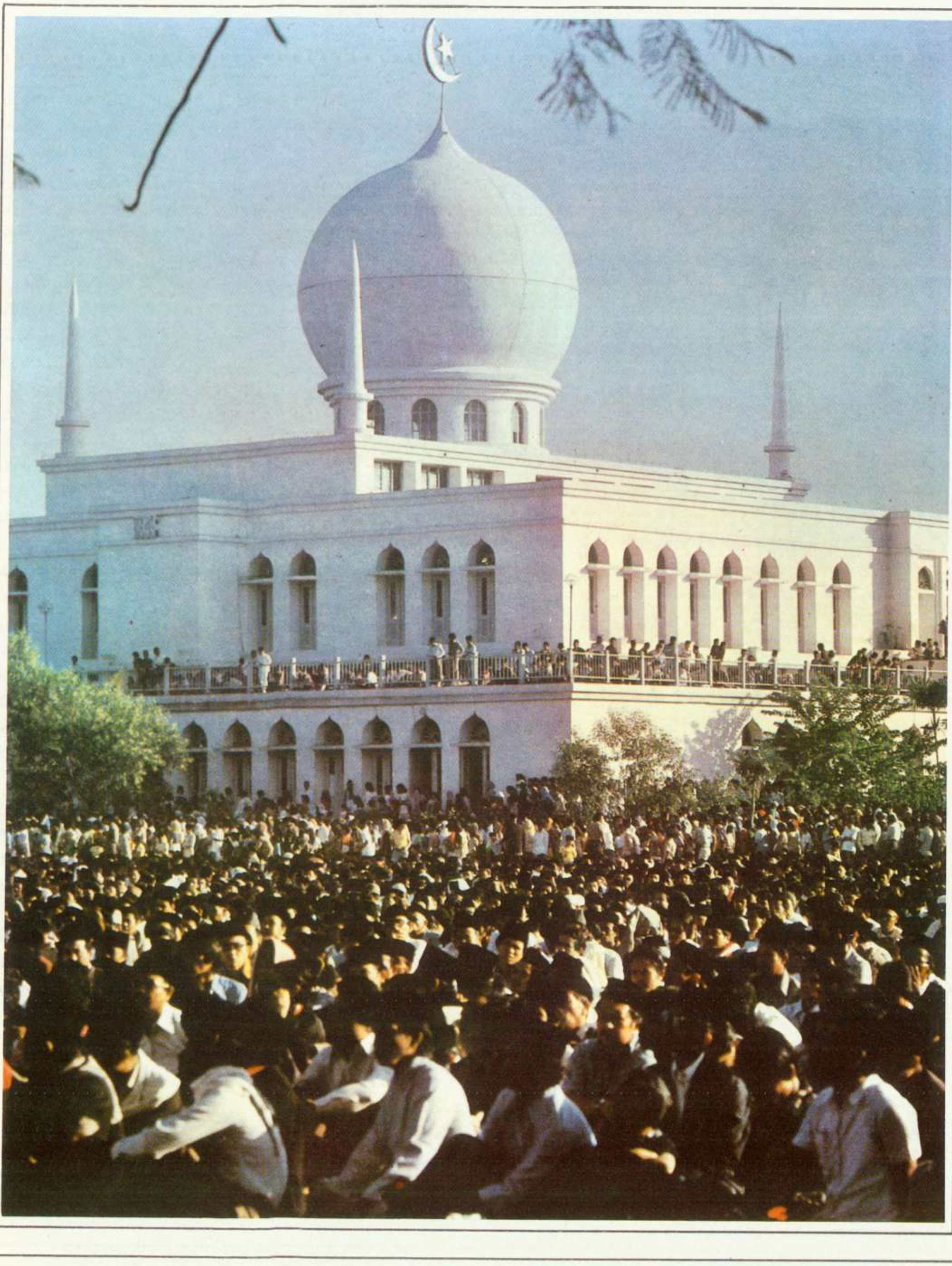

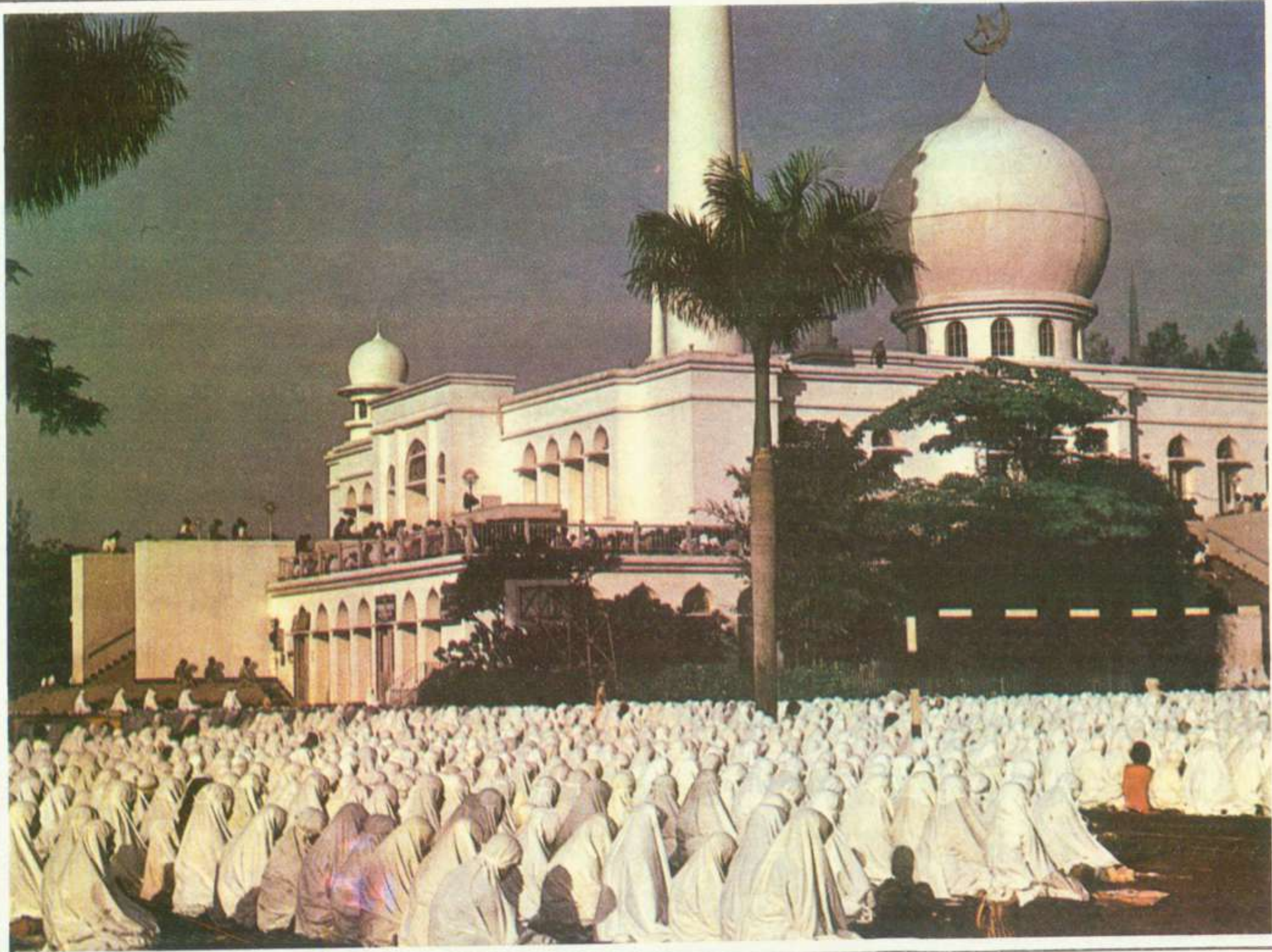

وتنسيق شئون الاعلام ، والاعلاميين الاسلاميين فى العالم ، وانشاء (المجلس الأعلى العالمى) للاعلام الاسلامى ، ويتكون من اربعة وعشرين عضواً من رجال الفكر والاختصاص يمثلون مختلف مناطق العالم ويكون مقره مكة المكرمة . وتكون مهمة هذا المجلس وضع السياسة العامة للاعلام الاسلامى فى العالم وتنبثق عنه اجهزة للتخطيط والتنفيذ ، كما يقوم بانشاء مراكز فرعية له ، ودراسة إنشاء شركة مساهمة عالمية إسلامية مستقلة للتوزيع على اسس اقتصادية وفقاً للأبحاث المقدمة للمؤتمر بهذا الشان ، والعمل على انتاج ما يخدم الدين الاسلامى وقضاياه من الأفلام السينمائية ، والتلفزيونية ، والأشرطة الاذاعية والنشرات ، وكتب الجيب ، بغرض شرح وجهة النظر الاسلامية من كثير من الموضوعات والقضايا الهامة ، ودراسة إنشاء اتحاد للناشرين المسلمين وإقامة معارض للكتاب الاسلامى ، ومسابقات للبرامج الدينية .

رابعاً : وفى سبيل تحسين الواقع الاسلامى يقرر المؤتمر التاكيد على اهمية الدور الملقى على عاتق كل من وكالة الأنباء الاسلامية ، واتحاد الاذاعات الاسلامية ، ويدعو لتطويرهما للقيام بمسئوليتهما كاملة تجاه الأمة الاسلامية كما يرجو المؤتمر تقوية ودعم اذاعة نداء الاسلام من مكة المكرمة ، ويهيب بدعم وتطوير الاذاعات الاسلامية فى كافة الدول الاسلامية .

خامساً : ونظراً لما يعانيه العالم الاسلامى من بعد عن تحقيق تقدم فعلى فى مجال العمل الاسلامى المنشود وبخاصة فى مجال الاعلام ، فان على الاعلام الاسلامى أن يواجه النمو الهائل الذى حققه العالم فى مجال وسائل الاعلام والاتصال ، ومن اجل تحقيق هذا فان الاعلام الاسلامى يحتاج الى (فلسفة

المسجد الكبير فى جاكرتا

ومنهاج) متطور يواكب هموم الجماهير وقضاياها المعاصرة ، ويحقق التواجد والتواصل الاعلامى الشامل واستخدام أرقى الوسائل الفنية المتاحة .

إن الاعلام الاسلامى يفتقر إلى ربط القول بالعمل ، والى مواكبة فهم العصر وإفهامه كما يفتقر الى التنسيق بين المؤسسات الاعلامية من اجل زيادة فاعليتها وتاثيرها ، ومن اجل المساعدة على تحقيق بعض هذه الافكار فان المؤتمر يامل من (الأمانة العامة) للاعلام الاسلامى ـ بعد قيامها ـ العمل على : ـ

انشاء مؤسسة اعلامية غير حكومية تتعهد الدول ، والمنظمات الاسلامية باحترام حريتها واستقلالها ، وانشاء معهد للاعلام الاسلامى تكون مهمته التدريب السريع للاعلاميين الحاليين ، وانشاء مؤسسة لانتاج الوسائل ، والأدوات الاعلانية ، والتاثير فى وسائل الاعلام العالمية ، والتزام الاذاعات الاسلامية بتبادل الانتاج فيما بينها .

مواجهة الغزو

سادساً : ـ وإزاء ما يعانيه العالم الاسلامى من تحديات تواجه فيه : الانسان والعقيدة ، بل والاسلام كله بعقائده ، وشرائعه واخلاقه ، ولغة كتابه وما يعانيه المجتمع الاسلامى من غزو الحضارة الغربية لشتى جوانبه ، والنشاط التبشيرى وما يتصل بقضية المراة ، واللغة ، والحضارة ، فان المؤتمر قدم لمواجهة كل هذا تصوراً اسلامياكلياً يجعل من الالتزام به حصانة للأمة والمجتمع الاسلامى إذا قام الاعلام الاسلامى بدوره كاملا فى إطار التصور الاسلامى لمواجهته لهذه التحديات وغيرها الكثير .

تعقيب

هذا ولعل المؤتمر وهو ينتهى بقراراته الى هذا الحد يضع امام الاعلام الاسلامى معالم على طريق جاد ملتزم ينتصف به من ضغوط خارجية تؤثر فيه تاثيراً خطيراً وتصرفه عن وجهته ، وضغوط داخلية تضعه فى كثير من الاحيان والمواقف فى مواضع الريب والتهم .

ثم إن هذا المؤتمر على تميزه وحداثة موضوعه واهميته هو ـ على اى حال ـ واحد من المؤتمرات التى كثرت فى الآونة الأخيرة فى العلم الاسلامى ، وتمثل ظاهرة تثير بعض الاسئلة على السنة كثير من المهتمين والمتابعين : منها : هل الجانب التطبيقى لما تسفر عنه هذه المؤتمرات من مقررات وتوصيات يوازى حجمها وكثرتها ؟ أم ان تخلف كثير من الجوانب التطبيقية يكاد يؤثر على مدى فاعلية هذه المؤتمرات ؟

وفى الواقع السؤال وارد وقد الح إليه سماحة رئيس المؤتمر معالى الشيخ (محمد على الحركان) فى كلمته فى الجلسة الختامية بقوله :

(إننا مطالبون جميعاً ان نحمل هذه الأمانة على الكتوف والأعناق والسواعد والأيدى لنوصلها معاً إلى ساحة التنفيذ والعمل الايجابى .....

إن إدراكنا ايها الاخوة لدورنا فى مرحلة التنفيذ اخطر واثقل حملا لما وضعناه هنا من قرارات وتوصيات سوف تفقد كل معانيها وقيمها إذا ما تركت حبراً على ورق وستكون ـ لا قدر الله ـ مجالا لسخرية الأعداء فى كل مكان وزمان)

وتبقى بعد هذه المشكلة وهى أن هذه المؤتمرات لا تتمتع باية سلطة تنفيذية تسلك بمقرراتها وتوصياتها مسالك التنفيذ والايجاب .

وحتى تتوفر لها هذه السلطة فانها تؤدى دوراً خطيراً فى جوانب الدراسة ، والبحث ، واستخلاص النتائج فى صورة جماعية من اللقاء والاخاء الاسلامى يفتح الأبواب الى (الاجتهاد) الجماعى وإحيائه ، ويضعنا على ابواب ومسالك (الاجماع) الذى هو من مصادر تشريعنا الاسلامى العظيم .

تحية إلى المؤتمر وتمنيات طيبة لمقرراته القوية والجادة أن تجد سبيلها للتحقيق والتنفيذ حتى تصل بالاعلام الاسلامى إلى المكانة المرجوة منه وله ، والله ولى التوفيق .

د. حسن عيسى عبد الظاهر

كلمات من المؤتمر

الملك خالد بن عبد العزيز

لقد سرني جداً ان يعقد هذا المؤتمر الاعلامي الاسلامي الذي يعد المؤتمر الأول من نوعه في بلادكم الشقيقة وفي ظل رئاستكم وتاييدكم ، وان تحتضنه اندونيسيا الشقيقة وهي البلد الاسلامي المتحمس لعقيدته فلقد عرف الشعب الأندونيسي المسلم عبر تاريخه الاسلامي الطويل بصدق نصرته للاسلام والعمل على نشره.

خالد بن عبد العزيز
ملك المملكة العربية السعودية

سوهارتو

ثقتنا بمستقبلنا يجب ان نبثها في أوساطنا نحن انفسنا وان نقنع بها العالم اجمع ، وإن وسائل الاعلام هي إحدى الأسلحة الفعالة لتحقيق هذا الغرض ، واذا كنا لانزال نشعر بوجود جور عالمي ووجود سوء التفاهم المتبادل بين الشعوب فيما بيننا نحن المسلمين فان ذلك يعود فيما يعود الى عدم التوازن في نشر اخبار العالم ويجب ان نعترف كرهنا ام ابينا ان وسائل الاعلام العالمية مازالت تحت سيطرة الدول المتقدمة واننا - اردنا ام لم نرد - تفيض علينا الأخبار والراي العام العالمي مصطبغة بمصالح الدول المتقدمة ....

لا نكتفي بالشكوى وعلينا ان نقوم بعمل شيء لصالحنا ولذلك فاني ارى ان مؤتمر الاعلام الاسلامي العالمي هذا هو امر في غاية الاهمية .

سوهارتـــو
رئيس جمهورية اندونيسيا

الشيخ محمد على الحركان

إن العالم الاسلام لم يخسر المعارك عبر تاريخه الطويل لقلة عطائه الفكري ولا لنضب في طاقاته ورجاله ، ولكن هذا العالم خسر هذه المعارك لفقدان الجدية المختلفة في ميادين العمل الصادق والمبذول في سبيل الله.

محمد على الحركان
رئيس المؤتمر والأمين العام
لرابطة العالم الاسلامي

الإسلام في اندونيسيا

دخل الاسلام اندونيسيا في القرن الأول الهجري من شواطىء سومطرة الشمالية وقامت بها مملكة أتشيه اول مملكة اسلامية ، وكان التجار العرب هم أول من حمل الاسلام الى اندونيسيا مباشرة من شبه الجزيرة العربية .

وكان المسلمون الأندونيسيون هم المقاومون لكل أشكال الاستعمار وخاصة الصليبي منه على مدى تاريخ اندونيسيا الاسلامي ، ويبلغ عدد المسلمين بها الآن ١٠٤ مليون مسلم وتعد بذلك اكبر دولة اسلامية من حيث كثافة السكان وبها ٤٠٤٣٩٧ مسجد ومصلى .

الاعلام في اندونيسيا

تصدر فيها عدة صحف منها صحيفة (بليتا) الاسلامية ، ومن المجلات مجلة (نانجي مشاركات) اسبوعية ، ومجلة (قبلة) نصف شهرية ومجلة (سوارا مسجد) - اى صوت المساجد - ومجلة (رسالة اسلامية) وغيرها .

ومن الاذاعات الشهيرة في جاكرتا اذاعة جامعة الشافعية واذاعة الطاهرية ، واذاعة جامعة دار المؤمنين ، واذاعة جامعة المحمدية واذاعة المعهد العالي للدعوة الاسلامية .

ومنذ سنة ١٩٦٨ يجرى العمل كل عام باقامة مهرجان لمسابقة تلاوة القرآن الكريم وحفظه ويلاقى الترحيب الحار من الجماهير الاندونيسية .

الأمّة

مَجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الأول يصدر في مطلع

القرن الخامس عشر الهجري

أول محرَّم ١٤٠١

● العلم لا ينقطع بانقطاع الحياة ، ولايموت بموت اصحابه

● عندما قال الرشيد : هذا خير منى ، فالعلماء باقون ما بقى الدهر

● العبادة إذا أديت على غير علم فهى كبنيان على غير أساس

الاسلام يقدم العلم على العبادة والجهاد

د . يوسف القرضاوى

الاسلام فيما نعلم - أول دين يفضل الاشتغال بالعلم وطلبه والتبحر فيه على التعبد بالشعائر المعروفة ، مع أن القرآن يعلن فى صراحة وجلاء أن الله تعالى لم يخلق الثقلين إلا ليعبدوه «وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون»

ولكن العبادة اذا أديت على غير علم فهى كبنيان على غير أساس ، فالعلم هو الذى يوضح أركان العبادة وشروطها وآدابها الظاهرة ، وأسرارها الباطنة ، كما يبين ما يصححها وما يبطلها ، وما يكملها أو ينقصها .

والعلم يعرف صاحبه بمنازل الأشياء ومراتب الأعمال ، حتى يميز بين النفل والفرض ، وبين المهم وغير المهم ، وبين الأصول والفروع ، فلا يقدم نافلة على فريضة ، ولا يقدم غير المهم على المهم ، ولا يضيع أصلا من أجل فرع .

وفى مثل هذا قال السلف : «ان الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة» .

وقالوا : من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور .

ومن فضل العلم على العبادة أن معظم العبادات قاصرة النفع لا تتجاوز صاحبها ، فالمصلى والصائم والحاج والمعتمر ، والذاكر والمسبح وتالى القرآن ونحوهم يتعبدون لله بما يزكى أنفسهم ، وينمى ايمانهم ، ويزيد من حسناتهم ، ويرفع من درجاتهم .. ولكن المجتمع من ورائهم لا ينال من جراء عبادتهم شيئاً مباشراً . يحقق له منفعة ، أو يدفع عنه مضرة .

أما العلم فنفعه متعـدد ، لا يقتصر على صاحبه ، بل يتجاوزه الى غيره من الناس ، من كل من يسمعه ، أو يقرأ له ، وقد يكون بينه وبينهم جبال ووهاد ، أو بحار وقفار .

الأثر الباقى

فالعلم لا يعرف القيود ، ولا يعترف بالحواجز والسدود ، وخاصة فى عصرنا الذى ينتشر فيه العلم المسموع بالاذاعة والمرئى بالتلفاز فى ثوان معدودة الى المستمعين والمشاهدين فمن مساحات شاسعة ، وينتشر العلم المكتوب بوساطة الطباعة الحديثة الى آفاق المعمورة فى أيام معدودات .

ولا عجب أن روى أبو أمامة - رضى الله عنه - قال : ذكر للنبى - ص - رجلان ، أحدهما عالم ، والآخر عابد ، فقال عليه الصلاة والسلام «فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم»

وروى حذيفة بن النعمان : «فضل العلم خير من فضل العبادة»

وفى حديث أبى الدرداء : «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»

ومن فضل العلم على العبادة : أنه لا ينقطع بانقطاع الحياة ، ولا يموت بموت أصحابه .

فمن صلى أو صام أو حج أو اعتمر أو سبح وهلل وكبر ، فان هذه الأعمال لها مثوبتها الجزيلة عند الله تعالى ، ولكنها تنتهى بانتهاء أدائها والفراغ منها .

أما العلم فان أثره يظل باقياً ممتداً ، مادام من الناس من ينتفع به ، مهما تطاولت السنون ، وتعاقبت القرون .

فعن أبى هريرة قال . قال رسول الله - ص - « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له»

وبهذا يعيش العالم عمراً طويلا بعد عمره المحدود ، وبخاصة من كتب وصنف فان عمر المكتوب أطول وأثره أبقى .

الحاكم والحارس

الا ترى اننا اليوم ننتفع بتراث علمائنا السابقين ، وندعو لهم ، ونترحم عليهم ، وبيننا وبينهم أزمان وقرون تندق فيها أعناق المطى .

قال يحيى بن أكثم : قال الرشيد يوماً : ما أنبل المراتب ؟

قلت : يا أمير المؤمنين ما أنت فيه .

قال : فتعرف من هو خير منى ؟ قلت : لا .

قال : لكنى أعرفه : رجل يقول : حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله - ص - قال

قلت يا أمير المؤمنين : أهذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله - ص - وولى عهد المؤمنين .

قال : نعم ، ويلك ! هذا خير منى ، لأن اسمه مقترن باسم رسول الله - ص - لا

الاسلام يقدم العلم على العبادة والجهاد

يموت أبداً . ونحن نموت ونفنى والعلماء باقون ما بقى الدهر .

وما أبلغ ما قال الامام على – رضى الله عنه – لكميل بن زياد : «العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال ، والعلم يزكو على الانفاق ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه

العلم يكسب العالم الطمانينة فى حياته ، وجميل الأحدوثة بعد وفاته ، وصنيعة المال تزول بزواله ، مات خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون مابقى الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة »

الاشتغال بالعلم

وهذه الأحاديث وما جاء فى معناها ، وما جاء فى فضل العلم عامة – هى التى جعلت كثيراً من السلف يعتبرون العلم أفضل ما يتطوعون به متقربين الى الله تعالى ..

فعن ابن مسعود قال : الدراسة صلاة.

وعن أبى الدرداء قال : مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة .

عن ابن عباس : تذاكر العلم بعض ليلة أحب الى من احيائها .

وقال قتادة : باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه ، وصلاح من بعده ، أفضل من عبادة حول .

وقال الثورى : ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم .

وعنه أيضاً : ما أعلم اليوم شيئاً أفضل من طلب العلم . قيل له : ليس لهم فيه نية ! قال طلبهم له نية .

وقال ابن وهب : كنت عند مالك قاعداً أساله ، فجمعت كتبى لأقوم . قال مالك : أين تريد ؟ قال : قلت : أبادر الى الصلاة . قال : ليس هذا الذى انت فيه دون ما تذهب اليه .. اذا صح فيه النية .

وقال الزهرى : ما عبد الله بمثل الفقه

وقال : مطرف بن عبد الله بن الشخير حظ من علم احب على من حظ من عبادة

وقال الشافعى : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة .

وقد نقل عن أبى حنيفة ما نقل عن الشافعى ومالك وسفيان من تفضيل العلم على سائر النوافل .

هؤلاء هم أئمة الفقه وأصحاب المذاهب المتبوعة .

وبهذا يتضح ان المفاضلة بين العلم والعبادة لا تعنى المفاضلة بين العلم المفروض والعبادة المفروضة ، ولا بين نقل العلم وفرض العبادة ، ولا العكس ، فانه لا مفاضلة بين نافلة وفريضة ، ولا بين فريضتين لازمتين .

فلا يجوز أن يشغل شىء عن العبادة المفروضة كالصلاة فى وقتها ، ولو كان هو طلب العلم .

ولا يتصور من ذى علم ان يجيز لنفسه أو غيره الاشتغال بالعلم عن اداء الفرائض المفروضة .

ولهذا لما نقل المحقق ابن القيم حديث عائشة ، فضل العلم خير من نفل العمل ، قال : وهذا الكلام هو فصل الخطاب فى المسالة .

فانه اذا كان كل من العلم والعمل فرضاً ، فلابد منها كالصوم والصلاة ، فاذا كانا فضلين – وهما النفلان المتطوع بهما ، ففضل العلم ونفله خير من فضل العبادة ونفلها ، لأن العلم يعم نفعه صاحبه والناس معه ، والعبادة يختص

نفعها لصاحبها – ولأن العلم تبقى فائدته .. ولما مر من الوجوه السابقة .

العلم والجهاد

ويندرج فى فضل العلم على العبادة فضله على الجهاد الذى هو ذروة سنام الاسلام ، والذى استفاضت فى بيان فضيلته آيات القرآن وأحاديث الرسول .

يقول الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود احد أوعية العلم ، ومصابيح الهدى ، والذى نفسى بيده ، ليودن رجال تعلموا فى سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء ، لما يرون من كرامتهم ويقول الفقيه الداعية المربى الحسن البصرى : يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء ، فيرجح مداد العلماء !

ذلك أن الجهاد لا يعرف فضله الا بالعلم .

ولا تتضح شروطه وحدوده الا بالعلم

ولا يتبين الجهاد المشروع من القتال غير المشروع الا بالعلم .

ولا يتميز النفل فيه عن الفرض الا بالعلم .

ولا يعرف فرض الكفاية فيه من فرض العين الا بالعلم .

وكم رد النبى – ص – من مسلم جاءه يجاهد معه ، لأنه رأى انه ترك واجباً يخصه ألزم من الجهاد . فعن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل الى النبى – ص – فاستأذنه فى الجهاد ، فقال : أحـي والداك ؟

قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد .

وفى رواية : أن الرجل قال : يا رسول الله ، جئت أريـد الجهاد معك ، ولقد أتيت وان والداى يبكيان . قال : فارجع اليهما فاضحكهما كما أبكيتهما .

وعن أبى سعيد : أن رجلا هاجر الى النبى – ص – من اليمن ، فقال هل لك أحد باليمن ؟ فقال : أبواى ، فقال أذنا لك ، فقال : لا . قال : ارجع اليهما فاستأذنهما ، فان أذنا لك فجاهد ، والا فبرهما

وفى حديث آخر أنه – ص – قال لمن جاء يستشيره فى الغزو معه : هل لك من أم ؟ قال : نعم . فقال : الزمها فان الجنة تحت رجليها .

وبهذه الأحاديث استدل العلماء على وجوب استئذان الأبوين فى الجهاد وبذلك قال الجمهور ، وجزموا بتحريم الجهاد اذا منع منه الأبوان أو احدهما ، لأن برهما فرض عين ، والجهاد فرض

كفاية ، فاذا صار الجهاد فرض عين فلا اذن ، لأن تركه معصية ، ولا طاعة لبشر فى معصية الله تعالى .

وهذا بشرط أن يكون الأبوان مسلمين لأن الكافرين لا يرضيان يوماً بالجهاد لنصرة الاسلام وخذلان دينهما .

طلب العلم

وكل هذه الحدود والفوارق الدقيقة انما تعرف بالعلم ، فمن أعرض عن العلم واشتغل بالجهاد كان حرياً أن يقع فى الخطأ ، أو ينحرف عن سواء الصراط وهو لا يدرى .

وكم من أناس فى الماضى حملوا سيوفهم على عواتقهم يقاتلون من عصم الله دماءهم وأموالهم ، يزعمون أنهم بذلك مجاهدون ، فيقتلون أهل الاسلام ، ويدعون أهل الأوثان . أولئك هم الخوارج الذين صح الحديث فى ذمهم من عشرة أوجه .

وما ذلك الا لأنهم تعبدوا قبل أن يتعلموا ، وجاهدوا قبل أن يتفقهوا ، وتعجلوا العمل قبل العلم ، فضل سعيهم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

وكم من شباب اليوم دفعهم الحماس الكثير فى صدورهم ، مع العلم القليل فى رؤوسهم ، والاعجاب المزهو برأيهم ، الى رفض أمتهم ، وتكفير جماهيرها ، واعتبار أوطانها ديار كفر لا دار اسلام . فاستحلوا بذلك ما حرم الله ، وأسقطوا ما أوجب الله ، اتباعاً لمتشابه النصوص ، وابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله .

ولو تعلموا وفقهوا ، وتلقوا العلم من أهله ، وعرفوه من مناهله ، لوقف بهم العلم عند صدورهم ، وعرفهم حقيقة الجهاد كيف يكون ؟ ومتى يكون ؟ ولمن يكون ؟

وهذا ما جعل الامام الحسن البصرى – رضى الله عنه – يقول : العامل على غير علم كالسالك على غير طريق ، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح . فاطلبوا العلم طلباً لا يضر بالعبادة ، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بالعلم ، فان قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد – ص – ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا .

● كثير من السلف

يعتبرن العلم

أفضل ما يتطوعون بـه

متقربـين إلى اللـه

السيف والحجة

على أن الجهاد الذى جاء به الاسلام ليس كله جهاداً بالسيف ، فهناك جهاد بالقلم واللسان ، وبالحجة والبيان ، أى جهاد بالعلم . وهو المذكور فى قوله تعالى «فلا تطع الكافرين وجاهدهم به (أى القرآن) جهاداً كبيراً »

فلم يكتف القرآن بتسميته جهاداً ، بل سماه جهاداً كبيراً وهذا فى مكة قبل أن يشرع القتال .

وهو جهاد المنافقين فى قوله سبحانه «يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم» سورة التوبة .

فجهاد الكفار أخص باليد . وجهاد المنافقين أخص باللسان ولا تعجب اذا جاء فى الحديث «من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع»

قال الامام ابن القيم : «انما جعل طلب العلم من سبيل الله لأن به قوام الاسلام ، كما أن قوامه بالجهاد . فقوام الدين بالعلم والجهاد . ولهذا كان الجهاد نوعين : جهاد باليد واللسان . وهذا المشارك فيه كثير . والثانى الجهاد بالحجة والبيان . وهذا جهاد الخاصة من اتباع الرسل ، وهو جهاد الأئمة ، وهو أفضل الجهادين ، لعظم منفعته وشدة مؤنته ، وكثرة أعدائه . قال تعالى فى سورة الفرقان ، وهى مكية «ولو شئنا بعثنا فى كل قرية نذيرا . فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً» فهذا جهاد لهم بالقرآن ، وهو أكبر الجهادين . وهو جهاد المنافقين أيضاً ، فان المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين . بل كانوا معهم فى الظاهر ، وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم . ومع هذا فقد قال تعالى :

الاسلام يقدم العلم على العبادة والجهاد

«يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم» التحريم : ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن . قال :

«والمقصود أن «سبيل الله» هى الجهاد وطلب العلم ودعوة الخلق به الى الله ، ولهذا قال معاذ رضى الله عنه : عليكم بطلب العلم ، فان تعلمه لله خشية ، ومدارسته عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد .. ولهذا قرن ـ سبحانه ـ بين الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، ان الله قوى عزيز«الحديد» فذكر الكتاب والحديد ، إذ بهما قوام الدين . كما قيل :

فما هوالا الوحى أوحد مرهف
تميل ظباه أخدعن كل مائل
فهذا شفاء الداء من كل عاقل
وهذا دواء الداء من كل جاهل

والمقصود أن كلا من الجهاد بالسيف والحجة يسمى «سبيل الله» وفسر الصحابة رضى الله عنهم قوله تعالى «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» بالامراء والعلماء فانهم المجاهدون فى سبيل الله : هؤلاء بأيديهم وهؤلاء بالسنتهم .

فطلب العلم وتعلمه من أعظم سبل الله عز وجل .

قال كعب الاحبار : طالب العلم كالغادى الرائح فى سبيل الله عز وجل .

وقال أبو الدرداء : من رأى الغدو والرواح الى العلم ليس بجهاد ، فقد نقص فى عقله ورأيه .

د. يوسف القرضاوى

لا يولد الناس على فطرة . لكنهم يولدون في مجتمع تختلف فيه العادات

كل أولئك مشاكل متأخرة من طراز اليوم في آراء بعض ذوي الآراء

اللغة العربية الفصحى ... واللهجة العامية من لغتنا العربية

مقال لم ينشر من قبل

الجديد القديم

عباس محمود العقاد

من أنفع مافى الذكريات الماضية انها تذكرنا بالحاضر الذى ننسى حقيقته، وهو بين ايدينا .

إنها تذكرنا بالحاضر لأنها تعرفنا بالجديد ، الجديد منه حقاً وواقعاً ، كما تعرفنا بالقديم الذى يتكرر فى عصرنا ، ولم يزل يتكرر على الأقل مرة فى كل عصر ثم يقال عنه فى كل مرة إنه جديد ، ويخطر فى الظن كل مرة أنه بدعة لم يسبق له مثيل .

عادت بنا الذكرى الى سيرة عبد الله النديم ، وعادت بنا سيرة هذا الرجل ـ الكثير السير ـ الى آثار قلمه المحفوظة بين الأيدى فى هذا العصر ، فاذا بنا نفاجأ اليوم تلك المفاجاة المألوفة المتكررة عما يسمى كثيرا بالجديد ، وعما ننسى جانب القدم فيه ، فلا نعرف أنه قديم إلا بعد فوات الأوان .

مشكلة التبرج فى الأزياء .

مشكلة الشباب المدلل المضلل ، وفى طليعته شراذم الأحداث الذين اشتهروا باسم فتاهم المفتون جيمس دين !

مشكلة المسرح العربى بين الشرق والغرب .

مشكلة اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية من لغتنا العربية فى المسرح والصحافة ، وفى كل كتابة تعرض على القراء الذين تختلف بينهم درجات التثقيف والقدرة على الاطلاع ، وعلى الانتفاع بالكلم المكتوب ، أو الكلم المطبوع ، أو الكلم المسموع .

كل أولئك مشاكل متأخرة ، من طراز اليوم فى آراء بعض ذوى الآراء ، وفى آراء الذين لا يعرفون من الرأى إلا الحدث المعاد من رواجع الاصداء .

وكل مشكلة من هذه المشكلات قيل فيها إنها بنت يومها ، وبالغ بعضهم فى

ربط النسب بينها وبين العصر فنسبوها الى الحرب العالمية الثانية بتحديدها وتوكيدها ، وبالغ آخرون فربطوا النسب بينها وبين أزمات الصناعة الكبرى ، أو بينها وبين العلل التى كشفتها بحوث فرويد وأصحابه ، ولم يكن لها وجود فى ظنهم قبل هذه الكشوف ، ولا سيما كشوف الجنس او كشوف الأدب المكشوف .

وراق فى خواطر الكبار والصغار أن يحسبوا انهم بدعة بين العالمين وراق فى خواطر الصغار خاصة أن يحسبوا أنهم «خلقة وحدها» بين خلائق الله ، وان «الموديل» أو النمط الذى نشأوا عليه من مبتكراتهم هم دون آبائهم وأجدادهم ، لأنهم لا يسمحون لآبائهم بفضل الابتكار مثلهم ، وإن كانوا هم من مواليد هؤلاء الآباء .

ونعود الى صفحات «الأستاذ» من صحف عبد الله النديم .. نعود اليها حتى نرى مثيلاً لتلك الصور التى قيل انها لم يسبق لها مثيل .

ربات البيوت

كانت مشكلة التبرج ومشكلة الشباب المدلل المضلل ـ إحدى مشكلات الزمن قبل نيف وسبعين سنة وكان أهل الزمان يقولون عن يقين إنهم فى آخر الزمان ، وإن مايرونه من البدع شىء لم يبدأ من قبل ، وشىء لن يعاد .

وفى حديث من أحاديث رمضان كان النديم يقول باللهجة العامية على لسان سيدة من ربات البيوت : هى السيدة التى سماها «الست صلوحة» وهى تحاور جارتها التى سماها «الست تقية» وجمع لهما بين سمة التقوى وسمة الصلاح .

قالت الست صلوحة : « الست تحفة قالت لي نبقى نطلع فى رمضان ونروح نتفسح فى شبرا والا فى سكة الجزيرة . وبالليل نزور الستات معارفنا» . !

قالت الست تقية :«أنا يابنتى عمرى لا طلعت ، ولا أعرف الخبص ولا اللبص .. الست منا لما تطلع وتمشى فى السكة وإلا تركب عربية .. تتطلع للجدعان والرجال وهم ينظرون اليها ، وربما يكلموها بكلام قلة حيا ... خصوصاً جدعان اليوم ، ولكونهم عرفوا ان بعض النسوان يطلعوا ويمشوا فى السكة صاروا يحطوا فى وجوههم الأحمر والأبيض مثل النسوان ، والواحد منهم يسبسب شعره ويصلح حواجبه ويطلى

عبد الله النديم

جيمس دين

وجهه ويحط على صدره من البودرة ، ويمشى كأنه بنت ... فأنا عندى ان الواحدة اللى تطلع من بيتها للمشى فى السكك قليلة الحيا وطالعة للفرجة على الرجال والشبان . وإلا ماذا يجرى لها إذا قعدت فى بيتها تضحك و تلعب مع عائلتها والنساء الزائرات لها ... نحن صرنا فى آخر الزمن ،فان المتقدمين قالوا فى آخر الزمن تطلع النسوان فى السكك وتروح الغيرة من الرجال ... ربنا يكفينا شر فضيحة العرض ... ربنا يكفيك شر ولاد الحرام يابنتي ! » .

وفى مساجلة رمضانية اخرى يجرى الحوار بين دميانة المسيحية وفرحانة المسلمة ، وتسأل فرحانة صاحبتها متعجبة : هو انتم عندكم ناس يفطروا فى صومكم مثل الناس الفاطرين عندنا ؟ فتجيبها دميانة :«كل ملة وفيها كفوها ، وان نظرنا لنخلة جوز بنتى نلاقيه اخف من غيره ، لانه بيجى ياكل فى بيته ... شوفى انت الجدعان وقعودهم فى اللوكاندات عينى عينك ، ياكلوا اللحم والسمك والسمن وكل ماحرمته الديانة ولا يخافوا من الله ولا يستحوا من الناس .. حتى اليهود بعد ماكان الواحد منهم يفرط فى روحه ولا يفرط فى دينه أصبح فيهم ناس ياكلوا من ذبيحتنا وذبيحتكم وتركوا عوايدهم وعملوا الأفرانكه ... انا عارفه ياأختى الاالافرانكا دى كانت فين وكنا فين ... لما دخلت علينا بالحنجل والمنجل وقلبت عقول أولادنا ، وخسرت علينا الدنيا والدين .. »

ورحم الله النديم ورحم معه «استاذه» الذى جعله فى مدرسة الصحافة معلماً بين المعلمين . فهذه هى دروسه باللهجة العامية للأمهات ، يوم كان الآباء فى كثرتهم الغالبة من الأميين ، وكان الدرس الواحد من دروسه البدائية ـ حلا لمشكلة البيت ومشكلة المدرسة والتدريس ، أو حلا لمشكلة التعليم بما يفهمه المتعلمون والمتعلمات ؛ يكلمهم فى هذه الصفحة كما يتكلمون ثم يقلب الصفحة على كلام آخر لا ينبغى أن يقال بغير الفصحى التى لا يلغيها جهل الأمهات والآباء ، ولا جهل الأبناء .

التشخيص العربى

ويمر بالقارىء الحديث عنوان بين الصفحات يوشك أن يتخطاه ، ولكنه يعلم بعد سطرين أن «التشخيص العربى عنوان يدل على فننا الذى نسميه الآن بالتمثيل ولعله يقف حائراً بين الكلمتين : أيهما أصح دلالة على رسالة المسرح بين الفنون : إن المسرح يعطينا «شخوصاً أو شخصيات » ... فهو كذلك اقرب الى الدلالة عليه بكلمة التشخيص ، ولولا أن تصريف كلمة التمثيل للممثل والممثلة والرواية التمثيلية أيسر على اللسان وأطيب موقعاً فى الآذان ، ولولا أن لقب الممثل أحب الى الفنان من لقب «المشخصاتى» لبقيت كلمة التشخيص عنواناً على هذا الفن إلى الآن ...

ومن توافق الخواطر أن نرى فى أخبار التمثيل قبل سبعين سنة انهم كانوا يهتمون يومئذ بالذى نهتم به اليوم ، ويقيسون درجة التقدم فيه بالمقياس الذى نعول عليه اليوم : مقارنته بالتمثيل الغربى وإحصاء عدد المقبلين عليه .

ويقول النديم فى العدد الرابع من ابريل سنة ١٨٨٣ :

« سرنا تقدم هذا الفن الجليل فى هذه الأيام وارتقاؤه الى درجة لا تنحط عن درجة «التشخيص» الغربى ، وسرنا ايضا مارايناه من اقبال الجمهور عليه وارتياحهم الى تقدمه ونجاحه »

ثم يقول أن مؤلف الرواية دعى بين الفصول لشرح روايته « فقام وارتجل خطاباً فى فضل التشخيص وتقدمه ثم مدح هذا الجوق بما هو أهله » .

ولاريب أنها عادة حسنة فقدناها فى برامجنا العصرية ، لأنها تحفظ للمؤلف مكانه على المسرح بين ممثلى روايته وتهيىء للنظارة فرصة الالتقاء بمؤلفهم كما تهيىء للمؤلف فرصة الالتقاء بجمهوره والافضاء اليهم بما يحبون أن يعرفوه عن شخصه ، وعن عمله ، وعن تلك الحواشى والهوامش التى يبحث عنها جمهور اليوم فى مكان بعيد عن المسرح : وهو مكانها فى الأحاديث الصحفية .

الجديد القديم

اما قضية اللغة ، ومعها قضية التاليف بين الفصحى والعامية فهى اليوم قصة معادة ، وهى بالأمس احرى أن تسمى بالقضية الجديدة فى الصحافة على الأقل ، إن لم تكن جديدة كل الجدة فى مباحث الكتاب والنقاد .

وكما راينا فى الحوار بين «صلوحة» و «تقية» يبدو لنا أن الحل الذى وصلوا اليه قد بلغ عندهم مرحلة النهاية التى لامزيد عليها . فنحن اليوم ـ مهما نبذل من جهد ـ لا نطمع فى الوصول الى حل أوفق لحياتنا الحاضرة وتراثنا من الحل الذى وصلوا إليه : وهو خطاب العامة بالعامية وتحرير الكتابة فى موضوعات الأدب والعلم والثقافة وسائر شئون الامة المشتركة بلغة الاعراب : لغة البقاء ، ولغة الجماعة العربية فى مختلف الأقطار ، ولغة التعليم والكتاب .

وبالأمس كان لهم مجمعهم العربى الذى دعا اليه عبد الله فكرى باشا واشترك فيه السادة البكرى ، والهلباوى ، واحمد سمير ، وأميل الشميل وغيرهم من فضلاء سورية ولبنان ، ومما قرروه فى مجمعهم بعض الآراء والمقترحات التى يتلاقى فيها القديم والجديد أمس ، واليوم وغداً الى غير أجل معلوم ، ومنه تفضيل الكلمة العربية كلما وجدت سائغة قابلة للشيوع والتعميم . وإن لم توجد فالترجمة أو التعريب .

ومنه إدخال الكلمة المولدة فى أساليب اللغة الفصحى ، وإحياء القديم المهجور إلا إذا كان الخطأ الشائع مغنياً عن الصواب الذى طال عليه الترك والاهمال .

ولكنهم كانوا بالأمس اشدّ منا «تطرفاً» فى خطة الالزام والاملاء على المتعلمين وذوى الأقلام ، ومنهم من اقترح أن تعرض القرارات على العلماء والقراء فترة من الزمن للمناقشة فيها . فاذا استقر عليها الرأى وجب تنفيذها بحكم الاجماع .

قال النديم :« ولا تعم فوائد هذه الجمعية إلا إذا تقرر فى مجلس النظار اعتبارها جمعية لغوية والزام مدرسى العربية وغيرها بالنقل عنها وتعليم الطلبة ماتقرره من الفوائد اللغوية ، ويصدر الأمر العالى بالتنفيذ » .

وبعد ، فالى أين يذهب بنا اليوم تجديد هذا القديم ؟ .

إنه يذهب بنا الى المستقبل البعيد ، ليقول لنا إن هذا المستقبل سيرى كثيرا من القديم معاداً متكرراً باسم الجديد ، وسيعلمنا مدى الدهر أن الأجيال تتجدد أبداً كما يتجدد الأفراد : كل طفل يعيد فى حياته عملية الرضاع والتسنين والحبو والمشى والمراهقة والرشد والتمام ، وكل جيل يعيد مراحل الأجيال على هذا المثال وإنما تتغير العادات والعلاقات ولا تتغير طبائع الفطرة ووظائف الأجسام ومدارك العقول .

لا يولد الناس على فطرة جديدة فى كل زمن ، ولكنهم يولدون فى مجتمع جديد تختلف فيه العادات والعلاقات ، وتختلف فيه المطالب والأشكال ، وفى هذا الاختلاف تتقدم الجماعات الانسانية فى طريق القديم الذى يسمى جديدا وطريق الجديد الذى لم يسبق له مثيل .

عباس محمود العقاد

اليهود مبثوثون في مراكز الإعلام الغربية وغيرها من مراكز التأثير !

الإعلام وجه من وجوه المعركة القومية كنظام الحكم أو الاقتصاد أو بناء المصانع

مسوغات التقصير الاعلامى فى القضية العربية

د. حافظ الجمالى

لو أن إسرائيل لم توجد فى حياتنا ، ولم تسبب لنا كل ما نعانيه منها الآن ، لكان لدينا من متاعب الحياة ما يكفينا ، بدءاً من طبيعة الأرض الصحراوية ، وجفاف المناخ ، وقلة الأمطار ، ومخازى التخلف ، فضلا عن متاعب أخرى نشأت يوماً ما فى ظلام التاريخ ، وظلت منذ نشوئها ، وهى تستفحل أكثر فأكثر ، كالطائفية ، والفرقة المذهبية ، والعصبية القبلية والعائلية والاقليمية ، كما لو اننا لا نعيش حاضرنا وحده ، ولا الحاضر مضافاً إلى الماضى ، بل الحاضر مضافاً

اليه بصورة خاصة ، ماسى الماضى دون مسراته ، وآلامه دون أفراحه . أما وقد وجدت اسرائيل ، فان القضية العربية كلها أصبحت «مشكلة إسرائيل» .

وطبيعى ولا ريب أن نجند كل طاقاتنا الصغيرة والكبيرة معاً لمجابهة هذه القضية . ولم يعد يعنينا الفقر لأنه فقر ، ولا الجهل لأنه جهل ، ولا المرض لأنه مرض ، ولا الثروة من حيث هى ثروة ، بل ما من شىء بذاته يعنينا بصورة أو باخرى إلا بمقدار ما يطل على حل مشكلة اسرائيل ، ولئن كان الفلاسفة اليونانيون يقولون : الانسان مقياس كل شىء ، فعلينا ان نقول نحن : إسرائيل مقياس كل شىء . بل حتى الحلال والحرام ، مقياسهما هو إسرائيل : فكل ما يعود بالخير من جانبنا نحن ، على إسرائيل ، هو الحرام ، وكل ما يؤذيها ويفسد عليها حياتها هو الحلال ، سواء أكان ذلك بوعى أم بغير وعى . فاللاوعى هنا خيانة موضوعية ، والوعى خيانة موضوعية ونفسية معاً . وهكذا فان على كل انسان أن يتساءل عن معنى كل عمل من أعماله ، وعلى كل حكومة أو قيادة أن تطرح نفس السؤال . ومتى لاح لهما أن فى أى عمل من أعمالهما ، شيئاً يطل بالخير على إسرائيل ، فان عليهما أن يحرماه تحريماً مطلقاً ، يستوى فى ذلك ما يقصران به من عمل ، أو ما يضيعانه عبثاً من الوقت ، أو ما يقصران به فى الكفاءة ، والعكس بالعكس . وأنا أعلم أن ذلك مثل أعلى قد لا يطيقه البشر ، ولكن ما لا يبلغ كله لا يترك جله .

التساؤل الاعلامى

والاعلام وجه من وجوه المعركة القومية ، كنظام الحكم ، أو الاقتصاد ، أو بناء المصانع ، أو صورة استغلال الثروات القومية . وعلينا فى كل لحظة أن نلاحظ ماذا يقدم لنا إعلامنا من خير ، وما يدفع عنا من شر . وأنا أعرف ، ككل عربى آخر ، أن إعلامنا فى مواجهة إسرائيل قليل الجدوى ، ضئيل الخطر ، حتى ليفقدنا التعاطف الطبيعى مع الضحية ، ويقلب حقنا الى باطل ، ويجعل الحقيقة الموضوعية ، الظاهرة ، الواضحة ، وكأنها خطأ مبين . ترى ما هى مسوغات هذا التقصير ؟ وهل يصح أن نعتبرها مسوغات معقولة ، لا مجال

لتجاوزها ، أو أنها أو قل ان فيها شيئاً غير معقول ، ولا مقبول ، ويمكن تجاوزه ؟ فاذا وجدت الأعذار والمسوغات ، فذلك مما يجعلنا نغفر للاعلام زلاته ونقلل عليه من الاتهام ، ونقدر أو نقتنع انه باق رغماً عنه حيث هو من الهبوط والتفاهة واللاجدوى ، أو الجدوى المعادية لا الصديقة ، إلا ان بقاءه كذلك أمر قسرى ، لا حيلة له فيه ولا هو عنه بالمسؤول . ولكن الا يجب فى هذه الحال أن نعدم الاعلام ، وندسه فى قبره ؟

ومن جهة أخرى ، أليست القضية أوسع من الاعلام وأكبر ، باعتباره جزءاً من كل يصلح بصلاحه أو يفسد بفساده ؟ أو لا يقال ، من حيث المبدأ مثلا ، إن العرب لا يملكون أصلا أدوات الاعلام ، بل القدرة على التخطيط له ؟ أو صحيح أن الاعلام نفسه شىء لا يقوم بذاته ، وأنه محصلة لصورة الحياة الاجتماعية كلها، وما يسودها من مبادىء ، وما يوضع فيها من نظم ، وما يسن لها من قوانين ، فاذا كانت الدولة سليمة كان إعلامها سليماً ، واذا كانت مريضة تجلى مرضها فى الاعلام أيضاً ، كما يتجلى فى أى مجال آخر ؟ أوليس بالحق أن الاعلام ثمرة بمقدار ما هو دالة ، أى ثمرة لصورة الحياة العامة ، ودليل على نوعيتها ؟

لكن هذا يمضى بنا إلى بحث طويل ، فلنبق منه عند السطوح وحدها ، ولو أنها ستمضى بنا هى نفسها الى الاعماق ، حتى من غير بيان أو تحليل .

مبررات التقصير

● وأول مبرر نجده هو اننا لا نملك فى العالم أدوات الاعلام المناسبة ، أو قل إن عدونا هو الذى يملكها لا نحن . والحق اننا نجد يهوداً مواطنين فى أكثر الدول الأجنبية ، ولا سيما فى أرقاها ، أو فى صاحبة الشان والقوة منها ، فهم يعرفون لغة البلاد التى ولدوا فيها ، كما انها لغة الأم تماماً ويتقنون علومها ، وآدابها ، ويعرفون عاداتها وتقاليدها احسن المعرفة .

ولا اظن انها محض مصادفة ان نجد عدداً كافياً منهم يتسربون إلى مراكز الاعلام فيها ، وغيرها من مراكز التاثير (المصارف ، البيوت المالية ، تجارة الاستيراد والتصدير ، مخازن البيع بالسعر الأرخص ...) . وما دمنا نتكلم عن الاعلام ، فاظن انه ليس بيننا من يجهل أن فيهم عدداً غير قليل فى الصحافة والاذاعة والتلفزيون ، والسينما ، ودور النشر ، ودور التوزيع مؤيدين فى ذلك كله بمنظمة أو جملة منظمات تتبادل العون ، وتعرف كيف تفكر ، وتخطط ، لاشاعة رأى عام مؤيد لأهدافها ، مناهض لأعدائها . وليس الأمر كذلك فيما يتصل بالعرب ، فهؤلاء غرباء عن كل البلاد الأجنبية ، ولا يتقنون لغاتها ، الا فى القليل النادر ، حتى ولو حصلوا منها على أعلى الشهادات وأرقاها . ولا تعرف دور الاعلام لأى منهم وزناً فيها ، وليس وراءهم من يخطط ، ويحسن التفكير، ويدعم بالمال ، ويوضح الأهداف الاعلامية ، ولهذا حكم علينا نحن العرب أن نكون دون الصهاينة رغماً عنا ، فى هذا المجال ، كما فى المجالات الأخرى . أو لا نذكر هنا قول القائل : إن وراء كل كتاب ينشر أو يشتهر فى العالم ، واحداً يهودياً على الأقل ، من ثلاثة هم المؤلف أو الناشر أو الموزع .

ويخطر بالبال ولا شك حالة مهاجرينا الكثر الى البلاد الأجنبية ، لكن مهاجرينا

مسوغات التقصير الاعلامي

فى الغالب يمضون الى بلاد متخلفة اكثر منا ، أو مثلنا تخلفاً ، كامريكا اللاتينية ، ومتى عاشوا زمناً ما فيها ، وانقضى جيلهم الأول ، رأيت أبناءهم يجهلون لغة آبائهم ، ويقطعون كل صلة لهم بالوطن الأم (باستثناء بعض المهاجرين اللبنانيين) . وقد تجد منهم من يتنكر للوطن الأم ، ويتجاهلونه ، ويضعون على عيونهم عصابة أهل البلاد التى يعيشون فيها ، ويتبنون وجهات نظرهم ، كما هى ، حتى ولو كانت معادية لأهل آبائهم وامهاتهم .

أوليس من الملفت للنظر أن اليهود يعيشون فى بلاد الشتات منذ الفى سنة ، ولا تجد منهم من ينحل فى وطنه الجديد على قدم عهده فيه ، وحياة أجداده لأجيال وأجيال فيه ، وأن العكس تماماً هو الذى يلاحظ لدى العرب . إن العرب مادة سريعة الذوبان فى أية مادة أخرى تلامسها ، أما اليهود فقد حرم عليهم أى تفاعل مع من يعايشونهم ، وهم يستعصون على أى انحلال فيه ، ما عدا ذاك الذى يساعدهم فيه على بلوغ ماربهم الخاصة .

ترى هل هذا العائق من النوع الذى لايمكن تجاوزه ؟ إننا نعرف أن مثقفى لبنان والمغرب يملكون الفرنسية كابنائها ويكتبون بها ، ويؤلفون فيها كتبهم ، وينظمون بها شعرهم ، وينشئون بطريقها أدبهم ، وبحوثهم ، فاذا كانت الفرنسية لغة شائعة بين الناس ، أو عالمية ، كما يقال ، أو ذائعة جــداً على الأقل ، فلا شك أن أدوات الاعلام العربية فى هذه اللغة ، موفورة جداً .

أما الإنجليزية ، وهى اللغة العالمية حقاً ، والشائعة فى كل أرجاء العالم ، بمقدار ما هى لغة اميركا صديقة إسرائيل وسندها وأصلها وفصلها ، فلا شك أن بين الفلسطينيين ، والسودانيين ، والمصريين ، والاردنيين ، والعراقيين ، وبعض أبناء الجزيرة العربية ، من يحسن هذه اللغة كابنائها ، أو كأفضل أبنائها ، وبالتالى فان أدوات الاعلام البشرية موفورة جداً هنا أيضاً .

يضاف الى ذلك أن لدينا عشرات الألوف ممن يتابعون الدراسة العالية فى مختلف بلدان العالم ، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، وإنك لتجد العرب فى باريس كما تجدهم فى بودابست وبراغ ، وفرسوفيا ، وكل العواصم الشرقية الأخرى كما تجدهم فى ايطاليا واسبانيا . وبجهد رسمى منظم بعض الشىء نستطيع أن نوفر لنخبة من طلابنا فى ايطاليا واسبانيا معرفة بقية اللغات العالمية ، بحيث تصبح كل أدوات الاعلام اللازمة موفورة بين الأيدى ، وقابلة للاستخدام فوراً .

والآن هل تتوفر الاقامة الدائمة فى البلدان الأجنبية لهذه العناصر ؟ ان الدكتور الياس زين الذى يتناول موضوع هجرة الأدمغة العربية إلى الخارج ، اى أصحاب الكفاءات العليا يلاحظ أن نسبة المهاجرين السنوية من خريجى الجامعات فى الاقطار العربية كانت بين عامى ١٩٦٢ ـ ١٩٦٦ تعادل ٥ر٥٦ من المهندسين ، و٢ر٩ من الأطباء و ٧ر١١ من علمــاء الطبيعــة و ٨ر٠ ٪ مــــن علماء الاجتماع . وهذا كله فى سوريا ، لكن اللبنانيين لا يقلون عنا هجرة ، والأرقام أو النسب السابقة ، تبلغ هنا ٥ر٣٥ ٪ و ٩ر٢٤ ٪ و ٥ر١٠ ٪ ،وقل مايشبه ذلك عن العراق ، ومصر ، وتونس والاردن . ويضيف الباحث قائلا انه جاء فى تقرير ختامى لمؤتمر وزراء التربية العرب فى (أبو ظبى) ١٩٧٧ أن ٢٥ ٪ من الأطباء العرب يهاجرون و ٢٠ ٪ من المهندسين ، و ١٥ ٪ من الحاصلين على شهادات علمية اخرى .

وكذلك فقد بلغ عدد المهاجرين فى العام ١٩٧٢ـ١٩٧٣ من خمسة أقطار عربية هى مصر والاردن ولبنان وسورية والعراق ٣١٣٢ مهاجراً من المهنيين والفنيين ، أى ما يعادل ١٧ ٪ من مجموع المهاجرين ، الذى يبلغ ١٨٦٢٣ مهاجراً . وهكذا نجد بغض النظر عن أسباب الهجرة التى لا نحب الخوض فيها ، أنه لا تنقصنا بحمد الله ، نعمة هجرة المواطنين ، وهى على ما نرى ، هجرة «مبروكة» . أما وجهتها الدائمة وخاصة بالنسبة للأدمغة الثقيلة فهى البلاد المتقدمة .

وصحيح ولا ريب أن المهاجر لا يهاجر وهو راض عن نفسه . . . إلا أن الوشائج مع الوطن أكبر بكثير مما يظن الناس ، وحتى المهاجر نفسه ، ومتى وجدت الظروف المناسبة ، فان أكثرية المهاجرين ستلبى نداء الوطن ، وستقوم بكل الخدمات التى تدعى إليها ، وهذه طاقة وطنية «نستثمرها» عادة كما نستثمر كل ثرواتنا الوطنية

والفرق كبير ولا شك بين حسن استثمار هذه الطاقة ، وسوء استثمارها ، ومع أن هجرة الأدمغة عامل سلبى فى ذاته ، وخسارة وطنية مؤكدة ، فان مما لا ريب فيه أن فى وسعنا جعلها هجرة رابحة لا خاسرة . إذ لن يعجزنا أن نجند من نحتاج إلى كفاءته من بين هؤلاء ، لحساب منظمة عربية ما ، أو مؤتمر عربى ما ، على طريقة الصهاينة ، أو أية طريقة أخرى نبتكرها لدواعى الحاجة الحيوية

وعلى ذلك ، فان جهل اللغة ليس هو العائق ، ولا عدد المهاجرين ، وإقامتهم الدائمة فى الخارج ، بالشىء الذى نفتقد وجوده ، وهذا شىء هام ، ولكن هل نملك مؤسسات صحفية ، أو إعلامية ، أو دور نشر ، أو دور سينما ، أو مخرجين سينمائيين ، أو ما يشبه ذلك من وسائل الاعلام ، لتكون بين أيدى الرجال الذين نكلفهم بواجب ما من الواجبات الاعلامية وفى هذه المرة نتساءل : ماذا تنفق كل دولة عربية على الاعلام جملة ، وما هى نسبة ما يخص الاعلام الخارجى من هذا الانفاق ؟ ولئن كان هنالك ما نسميه بالاعلام الخارجى ، فما هى خطته ؟ وما هى أدواته ؟ ومن ألقى عليه يوماً نظرة تقويم أو تقييم ؟ وحتى الاعلام الداخلى

هل نحن حقاً بحاجة الى ذلك ؟ وهو يحرص على الاشادة بمنجزاتنا الداخلية ، وروائع ما نفعله، ولكن هل فطن الاعلام الى مدى التوازى بين الاعلام الرسمى والاعلام الشعبى ، وايهما هو المصدق لدى الناس ؟ ولئن كان الاعلام الداخلى مخفقاً فى ناحية أو اخرى ، كما لو انه يخدم بصورة عكسية جملة الأهداف الموضوعة له ، فهل قام اى انسان بقياس مدى هذا الاخفاق . ؟ وبالتالى ايمكن ان يخفق الاعلام الداخلى ، وينجح الاعلام الخارجى ؟

مقترحات للمستقبل

وفى هذا الاطار يمكن التساؤل : لماذا لا يقدم المفكرون اية صورة رائعة عن منجزاتنا العربية المشهود لها فى الاعلام الرسمى ، بالعظمة والتفوق ؟ أو لماذا لا يقدمون إلا صوراً سلبية ، غاية فى السلبية ، لا عن قطاع الاعلام وحده ، بل عن كل قطاع ؟

ولندع هذا الآن ، ولنتساءل : هل بين مسئولين العرب من يتمنى انتصار إسرائيل ، وهزيمة العرب ؟ واقول لاريب أن كلا منهم يتمنى لو صوره التاريخ بصورة صلاح الدين ، وسجل له نصراً فى معركة كمعركة حطين .

ومع ذلك فان الاعلام العربى الخارجى فيما يتصل باسرائيل ، يمكن أن يكون واحداً ، وإن مؤسسات كثيرة كدور النشر أو التوزيع ، أو المسارح ، أو الاعلان ، يمكن أن تشترى ، وإن إعداد الاعلاميين ، وتيسير السبل أمامهم للتسرب إلى دوائر الاعلام الأجنبية ، أمران ممكنان بصورة أو باخرى .. لكن المشكلة هى اننا نريد أن يتحقق كل شىء بمعجزة خارجية بلا خطة منا ، ولا جهد يبذل ...!

ترى أليس الوقت مناسباً – بعد كل معاركنا مع اسرائيل التى نقدر أنها لن تنتهى بسهولة – لفتح ملف الاعلام العربى ، وغيره من الملفات أيضاً ، ولا سيما تلك التى يستند اليها هذا الاعلام ، ويصورها ، ويعبر عنها . ؟

د. حافظ الجمالى

القرآن الكريم يضعنا فى قلب الطبيعة على مستوى الكون والعالم

ليس هناك مبرر فى الرؤية الاسلامية لأى توقف أو رجوع إلى الوراء

المسلم الجاد يرفض وصاية أحد من الوضعيين ويرفض تصنيفهم للناس

الاسلام يستقبل قرنه الخامس عشر

الانسان المسلم هو التقدمى

د عماد الدين خليل

يمثل الاسلام موقفاً فى قمة (حركة) التاريخ لانه دعوة لاكتشاف قوانين الحركة والتوافق معها .. ليس مع حركة التاريخ فحسب ، ولكن مع نواميس الكون والعالم كله : (أولم ينظروا الى ملكوت السماوات والأرض ؟) (أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا اكثر منهم قوة ..) (فلينظر الانسان مم خلق ؟) (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ؟) (فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ؟) .

ولو شعر المسلم الجاد انه يقف فى موقع ساكن ، أو رجعى ، لغادره مباشرة بمجرد أن يملك ذرة من ذكاء فى التعامل مع معطيات دينه ، لكن قناعته تنبثق من كونه ينتمى الى العقيدة التى تجعله الارادة الفاعلة فى العودة بذاته وبمجتمعه وبالبشرية عموماً ، الى طريق (التوافق) ، والتقدم – من ثم – بزخم عظيم يتولد – بالضرورة – من التقاء الطاقات الانسانية والمادية فى إطار التوافق وليس تصادمها وتقاطعها وتفتتها .. التقدم إلى كشف أعظم ، وخطوات أوسع ، وبناء حضارى اكثر ديمومة ورسوخاً يقام على هذه الكشوف

ولو تمعنا قليلا فى كتاب الله فاننا سنجده يؤكد ، فى موقفه من العمل الحضارى ، على الجوانب الأخلاقية ، الروحية والمادية على السواء .. وسنجد انفسنا بازاء آيات عديدة تضع الجماعة البشرية المؤمنة فى قلب العالم والطبيعة وتدفعها الى ان تبذل جهدها من اجل

الانسان المسلم هو التقدمى

التنقيب عن السنن والنواميس فى اعماق التربة وفى صميم العلاقات المادية بين الجزئيات والذرات .. اننا بازاء حركة حضارية تقدمية شاملة تربط وهى تطلب من الانسان ان ينظر فى بنية السماوات والأرض ، بين مسالة الايمان ومسالة الابداع ، بين التلقى عن الله والتوغل قدماً فى مسالك الطبيعة ومنحنياتها وغوامضها ، بين تحقيق مستوى روحى عال للانسان على الأرض وبين تسخير قوانين الكيمياء والفيزياء والرياضيات لتحقيق نفس الدرجة من التقدم والعلو الحضارى على المستوى المادى (المدنى) .

ولم يفصل القرآن يوماً بين هذا وذاك ، إنه – كعادته – يقف دائماً موقفاً شمولياً مترابطاً ، ويرفض الفصل والتقطيع والتجزيىء فى تقييم الموقف (الحيوى) او الدعوة اليه ..

التوازن المبدع

لقد انعكس هذا (التوحد) بين قيم الروح والمادة بوضوح كامل عبر مسيرة الحضارة الاسلامية التى قطعت القرون الطويلة وهى تحتفظ بتوازنها المبدع بين الطرفين ، وانجزت وابتكرت وكشفت ونفذت الكثير الكثير من المعطيات الحضارية التى لم تهمل جانباً من الجوانب المرتبطة جميعاً ارتباطاً متيناً بخلافة الانسان على الأرض ودوره الحضارى فى العالم . وليس من داع لأن نشير هنا الى ان ما حققه ابناء هذه (الحضارة) التى استمدت منهجها من القرآن الكريم نفسه ، فى مجالات الطبيعة والفلك والرياضة والطب والعلوم التطبيقية وغيرها لايقل فى مستواه – كما ونوعا – عما انجزوه فى ساحات العلوم والدراسات الانسانية ..

وعما تحققوا به فى مجال الروح والتعبد .. وما كان لها إلا ان تكون كذلك وهى تعمل فى ظلال مناخ حضارى متوازن غير ساكن نتلمسه بوضوح من خلال آيات عديدة عرضنا لبعض منها وهذا بعضها الآخر ، على سبيل المثال لا الحصر : (فلينظر الانسان الى طعامه . انا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فانبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبة . وفاكهة وأبا) (أولم ينظروا إلى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شىء ؟) (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ؟ والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ؟ والى السماء كيف رفعت ؟ والى الجبال كيف نصبت ؟ والى الأرض كيف سطحت ؟) (وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما) (فلينظر الانسان مم خلق ؟ خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب) (قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض) .

إن القرآن من خلال هذه الآيات وغيرها كثير – يريد أن يضعنا فى قلب الطبيعة ، على مستوى الكون والعالم ، وان يختار لنا موقعاً (تجريبياً) يعتمد النظر الحسى والتمعن والفحص والتجريب من اجل الكشف والابتكار والابداع ، والتقدم من ثم ، ومن اجل الا نفقد توازننا الحضارى فنجنح باتجاه الروح أو الأخلاق ونهمل التكييف والتطوير الماديين الملازمين لأية حضارة متوازنة .. إن هنالك بداهة من أشد بداهات الايمان أهمية (رغم شدة الظهور تقود أحياناً الى الخفاء !!) ، تلك هى أن الله سبحانه ما دام قد (عبر) عن ابداعه وقدرته الكلية على مستوى الروح والمادة ، الانسان والطبيعة ، فليست ثمة معنى ابداً لأى موقف بشرى من المادة أو الطبيعة يتميز بالهروب أو الاحتقار أو السلبية أو الاستعلاء ، إن هذا (الموقف) مهما كانت درجته ، غير مبرر فى بداهات الايمان ولا فى مقتضيات استخلاف الانسان فى الأرض ، ليس هذا فحسب ، بل إنه يقف نقيضاً لهذه البداهات والمقتضيات ، ومن ثم فهو مرفوض فى القرآن ابتداء ..

حركة فى قلب العالم

إن القرآن يوجه انظارنا فى الآيات السالفة إلى أشد الأمور مادية وثقلا : الطعام ، النطفة الأولى ، الأرض والسماء والجبال ، والى دنيا النبات والحيوان ... ويدعونا لأن نسير بحثاً عن سنن هذه العوالم ، وادراكاً لأبعاد خلقها المعجزة التى لا تتحقق الا بارادة كلية نافذة لا يعجزها شىء .. إن القرآن يدعو الى (حضارة) (تنمو) و(تتقدم) على كل المستويات الروحية والاخلاقية

والطبيعية .. وهو يخصص المقاطع والآيات الطوال للمسالة الحضارية فى مستواها الطبيعى ، المادى ، ولكن شرط أن تضبطها القيم والمقاييس الدينية الآتية من عند الله .

إن كل آية تتناول مسالة طبيعية أو حيوية أو مادية تنتهى بافعال التقوى والايمان وبالدعوة الى ربط أية فاعلية بالله .. وهذا التاكيد المتكرر له مغزاه الواضح .. إن منطق (التوازن الحركى) الذى يرفض الانحراف أو السكون ، هو القاعدة التى نتلمسها فى القرآن الكريم بوضوح من خلال عدد كبير من آياته ، والتى تكفل نمواً سليماً لأية حضارة تستطيع أن تحافظ على نقطة التوازن بين تجربتى الروح والمادة ولا تنحرف باتجاه احداهما ، مهملة الأخرى ، أو ضاغطة عليها ، مستخدمة إزاءها أساليب القمع والكبت والتجديد .. التوازن الذى يمكن الحضارة من الحركة لأن الأهداف التى يضعها امامها تاخذ مستويات صاعدة لا يحدها أفق ولا يقف فى طريقها تحديد صارم إنها تبدأ بتأمين متطلبات الحياة اليومية المباشرة .. وتتقدم ، بعد هذا ، صوب إعمال الفكر فى قلب العالم للكشف عن نواميسه ، أو فى آماد الكون لادراك سره المعجز ، هذه الفاعلية الفكرية التى ما لها من حدود تقف عندها ، حيث تشتعل دوماً فتيلة الايمان التى ما لها من نفاد ..

لا تناقض مع العقيدة

لو أن المسلم الجاد يشعر لحظة بأنه يقف فى موقع رجعى أو ساكن لتخلى عنه تواً لأنه لا يريد أن يناقض نفسه وعقيدته ، ولكنه يحس انه يتحرك فى قمة المسيرة التاريخية دائماً .. لأنه ملب لكلمة الله التى تقوده وتحدوه .. وكلمة الله ترفض ، أشد ما ترفض ، نزوع بعض الزعامات والقيادات والجماعات الى الوراء ، ومواقفهم الرجعية التى ترفض أية دعوة تسعى لكى يحتلوا مواقع فى الأمام :(أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟) (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ؟) (واذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا) (قالوا : أجئتنا لنعبدالله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا؟) (قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) (إن هذا إلا خلق الاولين) (وانهم الفوا آباءهم ضالين . فهم على آثارهم يهرعون . ولقد ضل أكثر الاولين) (بل قالوا : انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على امة وإنا على آثارهم مقتدون . قل : أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ قالوا : إنا بما أرسلتم به كافرون !)

لقد تحدث عشرات الوضعيين عن مفاهيم الحركة واتخذ كل منهم موقفا إزاءهـا

من الذى يصنف الناس ؟

ومن غير الله سبحانه يقــدر على تحديد مواقع الرجعية ، والسكون ، والتقدمية ، .. الله الذى يعلو على مواضعات الزمان والمكان النسبية ، ويستشرف بعلمه المحيط صيرورة الكون .. والتاريخ .. والطبيعة .. والحضارات ؟

لقد تحدث عشرات الوضعيين ، بل مئاتهم ، منذ عهد أرسطو وسقراط وأفلاطون .. وحتى عصر برغسون ، وديوى ، وتوينبى ، وسارتر .. تحدثوا عن مفاهيم الحركة ..وكل اتخذ موقفاً إزاءها وحدد على ضوء موقفه ما هو رجعى ، وما هو ساكن (ستاتيكى) ، وما هو حركى تقدمى (دايناميكى) .. موقفاً يختلف بدرجة أو أخرى عن مواقف الآخرين .. فمن منهم يا ترى يكون مصيباً ؟ ولماذا يكون إدعاء العلمية والصواب المطلق حكراً على هذا المفكر أو الفيلسوف .. أو ذاك .. ما داموا أنهم جميعاً أعملوا عقولهم ، من خلال قدرات نسبية ومعرفة غير كاملة بالحقائق .. ثم أصدروا حكمهم بعد هذا !

ليس ثمة قول فصل فى هذا المجال .. كما هو الحال فى أى من مجالات الفكر الوضعى فيما يسمى بدائرة العلوم الانسانية والتى يحلو لرجالاتها ادعاء العلم المطلق ، وأن ما يطرحونه من فلسفات هو بمثابة كشف نهائى لسنن العالم والحياة .. على العكس من رجال العلم المختبرى الذين علمتهم مناهج بحثهم (العلمية) حقاً أن يتواضعوا فلا يقعوا فى مظنة الادعاء .. ونظرة فى كتاب الكسيس كاريل (الانسان ذلك المجهول) وكتاب سوليفان (حدود العلم) تمنحنا حشداً من الشواهد على ما نقول

والمسلم الجاد يرفض وصاية احد من الوضاعين ، ويرفض تصنيفهم للناس الى رجعيين وسكونيين وتقدميين ، كما يرفض تصنيفهم للحقائق والسنن والنواميس ، لأنهم كما يصفهم القرآن (إن يتبعون الا الظن .. وما تهوى الأنفس) .

والمسلم الجاد ، الذكى ، مقتنع حتى آخر قطرة من دمه ، وأعمق خلية فى دماغه ، أنه يختار باسلامه اكثر المواقع حركية وتقدمية فى مسيرة التاريخ ونواميس الكون وخرائطه .. وأن جهاده ، الذى هو بمثابة ثورة دائمة ، انما هو ستراتيجية الحفاظ على هذا الموقع ، ودعوة الانسان فى مشارق الأرض ومغاربها الى اختياره ..

الجهاد .. حركة صوب الأمام

والجهاد هو حركة المسلمين التقدمية الدائمة فى العالم لاسقاط القيادات الجاهلية الضالة واتاحة حرية الاعتقاد للانسان حيثما كان هذا الانسان ، بغض النظر عن الزمن والمكان والجنس واللون واللغة والثقافة والانتماء .. إنه ــ فى الحقيقة ــ مبرر وجود الجماعة الاسلامية فى كل زمان ومكان ، ومفتاح دورها فى الأرض ، وهدفها العقيدى ، ومعامل توحدها ، وضامن ديمومتها وتطورها .. وبدون هذه الحركة الجهادية يسقط المبرر ويضيع المفتاح ، وتفقد الجماعة المسلمة قدرتها على الوحدة والتماسك والاستمرارية والبقاء .. إن الجهاد ، كهدف إيمانى حركى دائم ، أشبه بمعامل عقائدى ــ اجتماعى يشد أفراد المجتمع الواحد بعضهم الى بعض ويوجههم صوب بؤرة واحدة ، ويدفعهم الى تجاوز السكون والتحرك الدائم الى

الانسان المسلم هو التقدمى

أهداف أبعد فأبعد ، وهذا ــ بطبيعة الحال ــ يجيىء بمثابة ضمان أكبر لوحدة الجماعة المسلمة وتماسكها واستمرارها وصيرورتها التحريرية المبدعة ..

وعلى العكس ، ما إن تفتر روح الجهاد فى نفوس المسلمين ، أفراداً وجماعات ، قيادات وقواعد ، حتى تتفكك عرى وحدتهم ، وتتعدد أهدافهم ، وتميل تجربتهم الاجتماعية الى التباطؤ فالسكون ، وتتساقط مواقعهم الأمامية ، بدلا من أن يسددوا ضرباتهم الى القوى الجاهلية ، ويمتلكوا زمام المبادرة الاستراتيجية فى العالم ، اذا بهم يتلقون الضربات من هذه القوى ويتراجعون صوب المواقع الدفاعية فى الخطوط الخلفية .. وإن تاريخنا ليقدم لنا عشرات الأمثلة التطبيقية على صدق هذه المعادلة ..

التقدم الى آخر لحظة

إن الجهاد ، يقول الرسول المعلم عليه السلام (ماض الى يوم القيامة) .. فليس ثمة مبرر فى الرؤية الاسلامية لأى توقف أو رجوع الى الوراء .. وإن الابداع ماض هو الآخر الى يوم القيامة .. فاذا قامت الساعة ، يقول الرسول ــ أيضاً ــ عليه السلام (وفى يد أحدكم فسيلة فاستطاع أن يغرسها ، فليغرسها فله بذلك أجر) !! فليس ثمة توقف ، أو استسلام ، أو رجوع .. إنما هو الانطلاق ابداً الى الأمام .. والى آخر لحظة ..

و مادام المسلم يلتزم طريق الله ، وقد ألممنا ببعض أبعاده ، فليس ثمة (رجعية) فى الحسبان .. وإنها لكلمة باطلة هم قائلوها ليدفعوا المسلم الى التشكك بسلامة الاتجاه حيث تنعدم الرؤية وتتفرق السبل ..

وصدق الله العظيم (.. انك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض) .

د. عماد الدين خليل

- المرونة ، والاتزان العاطفى ، والقدرة على اتخاذ القرارت . اهم مكونات القيادة
- متطلبات الحياة تقتضى إعادة النظر فى القديم وتشكيله من جديد بصورة معاصرة
- تنمية جانب الثقافة العامة تدفع القياددة التنفيذية إلى ملاحقة مايجد من دراسات

الخبرات الادارية ؟ كيف تقتلع الهياكل الجامدة

د. حسن أبشر الطيب

لقد تعاظم دور الدولة فى مجتمعنا الحديث بالقدر الذى جعلها السلطة المهيمنة والمنسقة لكافة وسائل الانتاج وكيانات الخدمات ، وهو دور تؤديه من خلال الأجهزة الفنية فى الوزارات والمصالح ، وعبر الكيانات التنظيمية فى الأقاليم والادارات المحلية .

إن بناء الدولة الحديثة وتحقيق سبل النمو والتطور فيها قد أصبح رهيناً بفاعلية مؤسساتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

لهذا كله فان السمة اللازمة والمميزة للدولة الحديثة هى أنها دولة مؤسسات .

إن تنوع أساليب الحياة فى مجتمعاتنا الحديثة وما استوجبه من تعدد أساليب الانتاج والخدمات ، اضافة الى معطيات التقدم التقنى ، قد انعكس بطبيعة الحال على تكوين المؤسسات ، سواء أكانت انتاجية أو خدمية ، فنجد لذلك أن فروع العمل فيها قد تشعبت وتعددت أساليبه وأصبحت فى كثير من الحالات تكوينا مركباومعقداً من المناشط وعمليات الاتصال . يضاف الى ذلك حقيقة أن جميع هذه المؤسسات تعمل فى ظروف متغيرات عديده فى البيئة ، وهو تغيير دائم ومستمر لأن متطلبات الحياة تقتضى دوما إعادة النظر فى القديم وتشكيله من جديد لكى يتواءم مع مقتضيات النمو والتطور .

القيادة الموهوبة

إن أهمية المؤسسات فى الدولة الحديثة والضرورة اللازمة لتحقيق فعاليتها فى اطار ظروف التغيير المستمر تقودنا منطقيا الى القول بان أهم القدرات والكفاءات التى نحتاج اليها فى مجتمعنا الحديث هى قدرات القيادات التنفيذية ذات الكفاءات العالية التى تستطيع أن تحقق لهذه المؤسسات فعاليتها وتمكن من تأمين الأهداف المحددة لكل منها .

لقد بينا قبلا أن السمات الأساسية الواجبة فى القيادات التنفيذية لادارة المؤسسات فى الدولة الحديثة تختلف فى جوهرها عن طبيعة القيادات التقليدية . بينما يعنى مفهوم القيادة فى المعنى التقليدى المهارات الشخصية ـ الموروثة والمكتسبة ـ المبنية على الموهبة وحسن تدبير المقالب وانتهاز الفرص ، فان القيادة فى معناها العلمى المحدث تنبنى على حقيقة أن العملية الادارية علم له أصول وقواعد ومبادىء . لهذا يصبح القائد التنفيذى شخصاً لابد أن تتوافر فيه مؤهلات يكتسبها بالعلم والدراسة ومهارات يصقلها بالتدريب والمتابعة المتانية للتجارب المتجددة . واتجاهات ينميها بالانفتاح على كل النظم والاساليب التى أثبتت جدواها فى تجارب مماثلة .

من هنا تنبع أهمية تنمية القيادات الادارية كعملية لها قواعدها وأصولها وأهدافها فى اثراء وتوجيه نمو القيادات سواء أكان ذلك عن طريق برامج المدى القصير التى تفتح آفاقاً للقيادات الحالية لمواكبة التطور فى النظم والعلوم الادارية والسلوكية وتعينهم على التعرف والافادة من الوسائل والأساليب المتجددة ، أو عن طريق برامج المدى الطويل للتنمية الادارية التى تركز على إعداد وتأهيل بعض أفراد الادارة الوسطى للقيادة فى اطار الظروف المرتقبة والمتوقعة بحكم ما تستوجبه مراحل التغيير والنمو والتطور .

التنمية الادارية

إن التنمية الادارية فى مفهومها المتكامل لا تقتصر على مجرد التدريب النظامى ، فهى عملية مستمرة ومتصلة تتكون من جوانب ثلاثة :

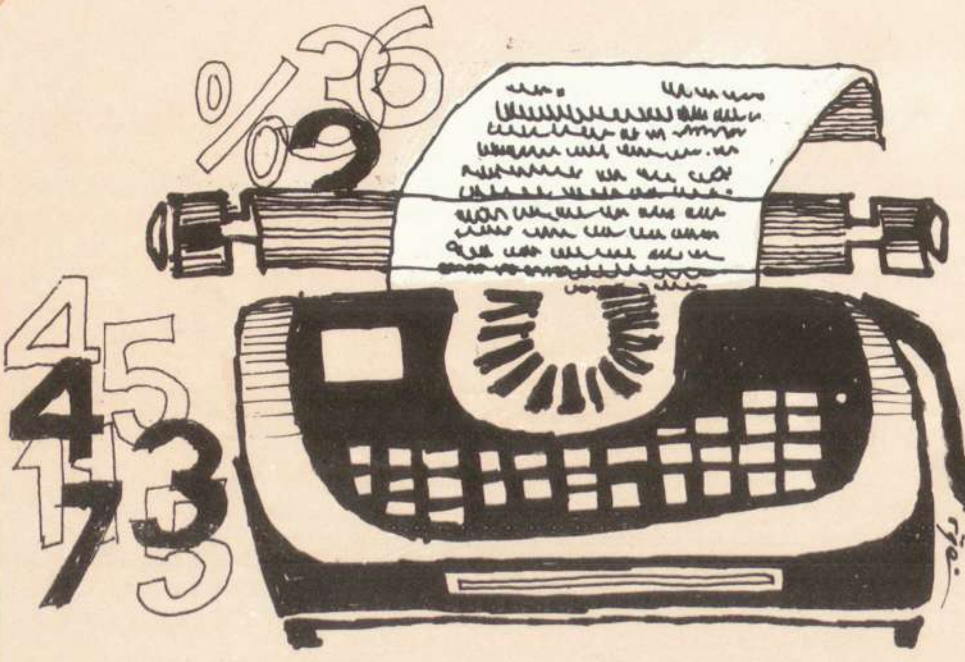

أولها : انتقاء الافراد الذين تتوفر فيهم بعض من الصفات والقدرات اللازمة للقيادة .

وثانيها : التدريب العملى الذى يثرى المعرفة ، يكسب مهارات وخبرات جديدة ويهدف لتطوير السلوك وتنمية الاتجاهات .

وثالثها : التثقيف الذاتى الذى يحقق التغذية المستمرة بالنظم والتجارب والنظريات والاساليب المحدثة فى العلوم الادارية وما يتصل بها من معارف

ترتبط هذه العناصر الثلاثة المكونة للتنمية الادارية ارتباطاً عضوياً بالقدر الذى يجعل إغفال عنصر من العناصر الثلاثة عاملاً مقوضاً للنتائج الكلية المرتقبة من التنمية الادارية .

القدرات العقلية

وينبغى أن يهدف جانب الانتقاء او الاختيار للأفراد الى المقارنة والمفاضلة بينهم على ضوء المقومات النفسية والقدرات العقلية الواجبة فى القيادة التنفيذية، وهى عملية أساسية لابد أن تؤخذ بالدقة والحيطة اللازمة اذ ان أى خطأ يتم فيها لايمكن تلافيه مستقبلا مهما تنوعت مناهج التدريب وتعددت أساليب التثقيف . إن من أهم المقومات النفسية والقدرات العقلية ، التى اتفقت حولها الدراسات النفسية والاجتماعية ، والتى يمكن أن نفيد منها كمؤشر لتوفر بعض المكونات الاساسية للقيادة السمات التالية :

- الاتزان العاطفى ونضج المشاعر النفسية .
- القدرة على التاثير الايجابى فى الآخرين .
- المرونة فى تقبل آراء الآخرين والاستعداد للاقتناع بالرأى الموضوعى .
- القدرة على التصور الكلى دون ضياع فى الجزئيات .
- القدرة على تحليل الظواهر ، والتعرف على العوامل المكونة لها وتحديد البدائل لحلها .
- القدرة على اتخاذ القرارات .
- القدرة على الابتكار واخصاب مناخ الابداع .

الاختيار بالترقية

وعادة ما تمثل المستويات الوسيطة فى المنشأة المصدر الأساسى لتغذية المناصب الادارية العليا بحكم أن كل المؤسسات تميل الى اختيار القيادات العليا من الداخل من خلال الترقية .

إن من أبرز مزالق هذا الاتجاه التى ينبغى التحوط منها هو أن الترقية فى كثير من الأحيان تتم على أساس الأقدمية ، فاذا أخذنا هذا الاسلوب بحرفيته فاننا نجد أن كل من اكمل عدداً معلوماً من السنوات يصبح صاحب حق فى الوصول الى المناصب القيادية العليا دون أن يثبت جدارة مبنية على بعض خصائص القيادة .

يضاف الى ذلك حقيقة أن مبدأ الترقية عادة ما ينبنى على أساس كفاءة

الخبرات الادارية

الشخص فى عمله الحالى وقد يكون عملا فنياً بحتاً لا يمكن من اختبار مقدرات الشخص الأساسية فى القيادة ، فتكون نتيجة الترقية فى بعض هذه الحالات أن يوضع الموظف فى موضع حرج حيث ينقل من وظيفة أثبت فيها كفاءة الى وظيفة لايملك من متطلباتها الأساسية شيئاً ، الأمر الذى يقود الى احباطه وينتهى به الى العجز والفشل .

تحسباً لمثل هذه المزالق ينبغى أن تكون القيادة الاساسية فى الترقية للمناصب الادارية العليا مبنية على الخصائص والمقومات الواجبة فى تلك المناصب ، وليس على الكفاءة فيما دونها من وظائف ، وهو أمر يستوجب بالضرورة نظرة فاحصة متانية ومفاضلة بين الأفراد على ضوء الخصائص النفسية والاجتماعية والفكرية وما يتصل بها من قدرات ومهارات واجبة فى القيادة العليا.

تنمية القيم والاتجاهات

وكثيراً ما يتخذ بعض الدارسين من مصطلح «التدريب» ، معنى مرادفاً لمصطلح «التنمية الادارية» ، وما حقيقة الأمر كذلك ، إلا أن هذا الفهم يثبت من جانب آخر الأهمية القصوى «للتدريب» كجهد نظامى مكثف يهدف الى تنمية وتطوير كفاءة ومقدرات القيادات العليا . ينبغى أن يكون الهدف دائماً من برامج التدريب للقيادات العليا هو تهيئة المناخ المناسب لهم للافادة من المبادىء والنظريات الحديثة فى علم الاداره ، وتمكينهم من ممارسة الاساليب والنظم المتجددة فى العمل على أساس تجريبى يعينهم على الانتقاء منها لما هو أمثل لمواقف العمل المختلفة .

إضافة الى عونهم فى استكشاف جوانب النقص والقصور فى اتجاهاتهم وميولهم الحالية بالقدر الذى يحفزهم لتنمية قيم واتجاهات ايجابية . تحقيقاً لهذه المكونات الأساسية فى برامج التدريب للقيادات العليا فان التخطيط لها يستوجب العنايـة الكاملة بالعناصر الثلاثة التالية :ــ

● تنمية المعرفة واثراء المعلومات بفتح آفاق تمكن المتدرب من التعرف على النظريات والمبادىء العلمية المحدثة فى علم الادارة والعلوم الاقتصادية والاجتماعية المكملة لها . اضافة الى المعلومات المتصلة بالعوامل البيئية (سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية) بالقدر الذى يعينه على الادراك المتكامل والتحليل الموضوعى للتغيير والتطور الذى يحدث فى المجتمع ويزيد من قدرته فى التفاعل معه تفاعلا ايجابياً هادفاً .

● تنمية المهارات الواجبة فى الوظائف القيادية وهى فى جملتها تتبلور فى القدرة على تحليل المشاكل واتخاذ القرارات المناسبة بشانها .اضافة الى اكتساب مهارات ادارية متخصصة فى أساليب التخطيط ، طرق التنظيم وتبسيط الاجراءات ، كيفية تحديد معدلات الاداء ، وغيرهامن الاساليب والوسائل المحدثة التى تزيد من قدرته فى ممارسة مهام القيادة .

● تنمية الاتجاهات الايجابية بمنح المتدرب فرصة التعرف على مزايا اتجاهات مغايرة للاتجاهات التى عرفها وتعود عليها . مثال ذلك أن يهدف التدريب الى تغيير اتجاه القيادى من تركيز السلطات فى شخصه الى الاقتناع والممارسة الفعلية لمبادىء التفويض الادارى واساليب مشاركة العاملين فى اتخاذ القرارات .

الثقافة العامة

إن مزايا التنمية الادارية لاتكتمل ولاتتحقق الفائدة الكاملة منها الا بتحقيق جهد مستمر ومنظم لتوسيع دائرة اهتمام القائد الادارى بأكثر مما تستوجب مقتضيات العمل الماثلة .

من هنا تنبع أهمية الركن الثالث فى عملية التنمية الادارية وهو جانب الثقافة العامة التى تحفز القيادة التنفيذية على متابعة ما يجرى حولها من أحداث داخلية وخارجية وتدفعها للتزود من المعارف الانسانية على اختلافها وتنمى رغبتها فى ملاحقة ما يجد من دراسات وبحوث وتجارب فى مجال العلوم الادارية وما يتصل بها من معارف

وبالرغم من أن جانب الثقافة العامة يعتمد على دوافع الفرد ورغبته الذاتية إلا أن المنشاة يمكن أن تسهم فى هذا الجانب اسهاماً فعالا بتوفيرها لأدوات الثقافة وتشجيعها لكل ضرب من مناشط الثقافة الهادفة ومنها على سبيل المثال انشاء المكتبات العلمية ، عقد المؤتمرات الدورية والندوات العلمية ، ايفاد القادة لزيارة مؤسسات مماثلة ، تكليف مجموعات عمل من القياديين لاجراء دراسات وبحوث تستوجب فى طبيعتها مشاركة تخصصات متعددة .

علم وفن

ويمكننا أن نخلص من دراستنا هذه الى القول بان القيادة الادارية علم وفن .

علم فى مناهجها المتكاملة المبنية على توظيف المبادىء والقواعد والنظم المحدثة فى علوم الادارة وروافدها لبناء الاطر التنظيمية المتجددة التى تنمى وتعمق التناسق الداخلى والتعاون الطوعى بين الفروع الفنية ، وتحقق التفاعل الايجابى والتوازن الديناميكى مع البيئة ، وتجعل من كل العمليات والمناشط جهداً هادفاً لتأمين الاهداف .

والقيادة فن فى ممارستها واسلوبها الذى يبث الحياة فى الهياكل الجامدة بابتداع سبل التأثير وابتكار نظم المشاركة الايجابية التى تجعل الافراد والجماعات فى المنشاة كلا موحداً ، معتزاً بحاضره ، منتمياً اليه ، متطلعاً للزيادة فيه بكل ما توفر له من امكانات .

إن القيادة الادارية هى قطب الرحى فى الفعالية الادارية وبدونها تصبح كل اجتهاداتنا فى وضع الهياكل التنظيمية، وتوفير الامكانات واستقطاب الوسائل التقنية جهداً مبدداً وكماً زائلا لا طائل منه.

ايماناً بهذا الدور الأساسى للقيادة فانه لمن الواجب الملزم أن تكون الاسبقية الأولى فى كل مشروعاتنا الانمائية موجهة لانتقاء الكوادر القادرة من القادة الاداريين، وأن نوفر لهم من أساليب التنمية الادارية ما يصقل مهاراتهم ويعمق اتجاهاتهم الايجابية وينمى فيهم الرغبة المتصلة لمواكبة الجديد من المبادىء والتجارب فى العلوم الادارية وما يتصل بها من روافد.

حسن ابشر الطيب

● هل تؤثر المنتجات المحتوية على الفلور فى طبقة الأوزان المحيطة بالأرض ؟

● الروابط بين العلماء على المستوى العالمى تخطت كل الحواجز

● مازالت الخبرة التكنولوجية غير موزعة توزيعاً عادلا بين دول العالم

العلم و التكنولوجيا بين الحاضر والمستقبل «٣»

نحو قدرات علمية عالية فى عالمنا العربى

د. محمد كامل

استعرضنا فى المقالين السابقين أهم التطورات العلمية والتكنولوجية المعاصرة والمتوقعة فى السنوات القليلة القادمة ونواصل فى هذا المقال الحديث عن ثلاث موضوعات هى :ــ

أولا : زيادة الروابط بين العلماء على المستوى العالمى.

ثانيا : أهم المشكلات التى يواجهها العلم والتكنولوجيا فى عالمنا المعاصر.

ثالثا : دعم القدرات العلمية والتكنولوجية فى بلدان العالم الثالث وخاصة فى بلدان العالم العربى.

وبالنسبة للموضوع الأول يمكننا أن نقول ان الروابط تزداد بسرعة كبيرة بين العلماء فى جميع أنحاء العالم متخطية جميع الحواجز الجغرافية والسياسية وغيرها ويظهر ذلك بوضوح فى انتشار المجلات والنشرات العلمية العالمية المتخصصة التى ينشر فيها العلماء من جميع انحاء العالم ابحاثهم، كما يظهر ذلك جلياً أيضاً فى آلاف المؤتمرات الدولية التى تعقد سنوياً فى مختلف انحاء العالم ويحضرها المتخصصون من جميع الجنسيات، ولعل اكبر دليل على تحرك المجتمع العلمى العالمى نحو الترابط هو انشاء الجمعيات والمجالس العلمية العالمية التى من أهمها المجلس العالمى للاتحادات العلمية وهو عبارة عن هيئة يتبعها ١٨ اتحاداً عالمياً واكثر من ٦٠ اكاديمية ومجلس بحوث، ويتبع هذه الأخيرة عديد من الجمعيات العلمية الوطنية. ومن أهم أهداف المجلس العالمى للاتحادات العلمية هو تشجيع النشاط العلمى العالمى لخدمة البشرية جمعاء. وتقوم اللجان التى تتبع الاتحاد بتبنى عديد من المشروعات العلمية العالمية مثل البرنامج العالمى للبيولوجيا والبرنامج العالمى للبيئة وهكذا.

ويزداد عدد الهيئات والبرامج العلمية العالمية يوماً بعد يوم.

المشاكل والتحديات

اما عن المشاكل التى يواجهها العلم والتكنولوجيا، ففى الوقت الحاضر يواجه جميع البشر وبينهم العلماء مجموعة معقدة من المشاكل والتحديات يمكن تقسيمها الى قسمين رئيسيين :

أولا : المشاكل التى حدثت فى بيئة الانسان نتيجة التقدم.

ثانيا : تقسيم العالم الى دول صناعية متقدمة ودول نامية أو ما يسمى بالتناقض بين الشمال والجنوب.

وفيما يتصل بمجموعة المشاكل التى حدثت فى بيئة الانسان نتيجة للتقدم ربما كانت مشكلة سرعة استنزاف الموارد الطبيعية ومشاكل تلوث البيئة هى اخطر هذه المشاكل.

ولعل من أهم القضايا الحاحاً أمام العلم والتكنولوجيا فى الوقت الحاضر وفى المستقبل القريب وخاصة فى بلاد العالم النامى هى قضية توفير الغذاء

نحو قدرات علمية عالية

المناسب للاعداد المتزايدة من البشر مع عدم استنزاف الأرض الزراعية ومصادر المياه فى نفس الوقت . فمن المعروف أن مساحة اليابسة تبلغ ٤ر٣٠ بليون فدان ربعها فقط اراضى قابلة للزراعة وربع آخر اراضى قابلة للرعى والنصف الآخر لا يصلح لا لهذا الغرض او ذاك .

ومن الارض القابلة للزراعة يستغل النصف حالياً اما النصف الآخر فهو لا يزال إما على شكل غابات او اراضى جرداء او صحارى تحتلج أساساً الى وجود مياه لريها .

اما بالنسبة لمشكلة المياه فكما هو معروف يخضع رصيد الماء لحصيلة الأمطار وتتناقص كميته مع زيادة الاستهلاك وسوف يواجه العالم فى المستقبل القريب نقصاً فى الغذاء والمياه ان لم يبادر المجتمع العالمى الى دراسة هذه الأمور وايجاد الحلول العلمية لها .

وقد ظهرت فعلا فى الوقت الحاضر بوادر النقص الشديد فى الغذاء الذى يكاد يصل الى حد المجاعة فى عدد من بلدان آسيا وافريقيا ، إذ ان هناك حوالى ٥٠٠ مليون شخص يعانون من نقص التغذية كما ان هناك ثلاثة ارباع المليون يموتون كل شهر نتيجة الأمراض الناشئة عن شرب المياه الملوثة فى بعض بلدان العالم الثالث .

كما أن من اخطر القضايا التى يواجهها العالم ايضاً هو النقص الشديد فى الطاقة المتمثلة فى احتياطات البترول والغازات الطبيعية والفحم ومساقط المياه واحتياطات الوقود النووى كما سبق أن ذكرنا ويتضاعف الطلب على البترول والغازات الطبيعية مرة كل عشر سنوات ، اى بمعدل يزيد ثلاث مرات عن معدل النمو السكانى العالمى وعلى المجتمع العلمى والتكنولوجى أن يجابه هذه المشكلة وان يجد الحلول المناسبة لها قبل نهاية هذا القرن .

الأرض فى خطر

إن النمو المطرد فى معدلات استخدامات المعادن والخامات الأخرى يمثل هو الآخر قضية أساسية مطروحة على العلماء والتكنولوجيين لايجاد بدائل للخامات التى ينضب معينها واستنباط مواد مصنعة جديدة .

إن تغيير معالم البيئة بل والاعتداء عليها احياناً هى ظاهرة صاحبت النمو العمرانى فتحويل الغابات والأراضى الزراعية الى مدن ومبان ومنشئات وشوارع هى اعتداء صارخ على البيئة يحدث كل يوم فى اجزاء كثيرة من العالم وللأسف يمر دون انتباه كبير .

إن تلوث البيئة بمخلفات المدن والصناعة من غازات وسوائل ومواد صلبة اصبح حقيقة واقعة فى عديد من بلدان العالم الصناعى وبعض بلدان العالم النامى .

إن الانسان ظل مدة طويلة يعتقد ان الاراضى الفضاء والأنهار والبحار والمحيطات هى سلة المهملات التى يلقى فيها بنفايات المدن والصناعة مستغلا فى ذلك نظرية التخفيف وقدرة البيئة على تمثيل ما هو قابل للتحلل والاستهلاك بواسطة الميكروبات والأحياء المائية وقد حان الوقت لكى يغير البشر مفاهيمهم كما حان الوقت لفرض الرقابة فى جميع انحاء العالم على مصادر التلوث سواء فى اليابسة أو فى البحار والمحيطات .

إن الزيادة التى تحدث فى نسبة ثانى اكسيد الكربون فى الجو نتيجة حرق الكميات الهائلة من الوقود فى جميع انحاء العالم فى الوقت الذى تقطع فيه الغابات التى تمثل المصادر الأساسية لتمثيل هذا الغاز وما سوف يترتب على ذلك من تغيرات فى جو الأرض مثل احتمال زيادة الحرارة بضع درجات مئوية وما قد يسببه ذلك من تغير كمية الأمطار اصبح خطراً حقيقياً وموضع اهتمام العلماء وهناك فى الوقت الحاضر برنامجاً علمياً عالمياً لرصد هذه الظاهرة

ومن المشاكل المقلقة ايضاً هو زيادة نسبة الغازات المسماة بالهيدروكربونات المحتوية على الفلور المستعملة فى جميع انواع المنتجات المستعملة بالرش إما للتجميل أو للقضاء على الحشرات أو غير ذلك وتؤثر هذه الغازات تأثيراً ضاراً على طبقة الأوزون المحيطة بالأرض .

البحث عن حلول

وعلى الرغم من ضخامة المشاكل والتحديات السابقة التى تجابه البشرية جميعا ، فان هناك تفاؤلا عالمياً بقدرة العلم والتكنولوجيا على حل هذه المشكلات . ويكفينا أن نذكر الجهود التى تبذل فى الوقت الحاضر فى البحوث الزراعية لزيادة الانتاجية وتقليل الخسائر فى المحصولات الزراعية وبحوث ترشيد استغلال الأراضى والمياه وحماية النبات والحيوان واستنباط اصناف جديدة ذات صفات ممتازة ، ولعل من البحوث العلمية الرائدة التى تجرى فى الوقت الحاضر لزيادة الغذاء هى البحوث التى سبق الاشارة اليها وتهدف الى زيادة تثبيت النتروجين الجوى بالطرق البيولوجية وزيادة قدرة النباتات على التمثيل الضوئى واستنباط وسائل جديدة للتحكم فى الصفات الوراثية للنباتات .

وفى مجال مجابهة مشاكل المياه ونقصها يقوم العلماء والتكنولوجيون فى الوقت الحاضر بتحسين الوسائل المعروفة لتحلية المياه المالحة بطرق اكثر بساطة واقتصادية كطريقة التقطير والازموز العكسى كما يقومون بتطوير تكنولوجيات الرى بالرش والتنقيط ومحاولة استخدام المياه المالحة فى الزراعة .

وللتغلب على مشاكل نقص المعادن سبق أن نوهنا الى الجهود التى تبذل حالياً بالبحث عن أنواع جديدة من المواد تحل وقت اللزوم محل المواد التى سوف تنضب مصادرها وهكذا .

أما فى مجال المحافظة على البيئة فالعمل قائم على قدم وساق وخاصة فى الدول المتقدمة فى اصدار التشريعات واجراء البحوث للمحافظة على التوازنات الطبيعية بين الانسان وبيئته وقد انشات الهيئات العالمية والوطنية المختلفة للمحافظة على البيئة .

الفجوة الهائلة

على أن اخطر ما يجابه البشرية فى الوقت الحاضر هو الفجوة التكنولوجية الهائلة الموجودة بين الدول الصناعية الكبرى والدول النامية ، فالخبرة العلمية والتكنولوجية ليست موزعة توزيعاً عادلا بين دول العالم المختلفة ، فاكثر من ٩٥ بالمئة من ميزانيات البحوث والتطوير واكثر من ٩٠ بللئة من علماء العالم موجودون فى الدول الصناعية الكبرى وهى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى واليابان والمانيا الغربية وفرنسا والمملكة المتحدة . وليت الأمر اقتصر على هذا بل أن هناك اتجاهاً متزايداً لتركيز القدرة التكنولوجية فى عدد محدود من المؤسسات والشركات فى هذه البلاد نفسها ، ويكفى على سبيل المثال أن نذكر أن حوالى ٥٠ مؤسسة عملاقة وبعض مؤسسات البحث العلمى الحكومية التى تعمل فى مجالات الدفاع والفضاء والصحة تنفق وحدها حوالى ثلاثة ارباع ميزانية البحوث والتطوير فى الولايات المتحدة الامريكية التى بلغت فى عام ١٩٧٦ حوالى ٣٨٫٠٠٠ مليون دولار .

وقد أدى هذا الوضع غير المتكافىء الى أن عدة مئات من الأفراد فى الدول الصناعية الكبرى أصبحوا يملكون القرار فيما يتعلق بحصول هذا البلد أو ذاك على هذه التكنولوجيا أو غيرها وباى شروط .

إن معظم الجهود العلمية والتكنولوجية فى الدول الصناعية الكبرى موجهة فى الوقت الحاضر إما الى انتاج الأسلحة أو انتاج السلع الترفيهية غير الضرورية دون النظر الى المشاكل الحقيقية التى يجابهها العالم النامى .

فحوالى ٥٠ بالمئة من الجهد العلمى فى العالم موجه لانتاج الاسلحة التى يصدر معظمها الى بلاد العالم الثالث ، وحوالى ثلثى الباقى موجه لزيادة استهلاك سلع غير ضرورية .

وفى حين تنفق فى كل دقيقة حوالى ثلثى مليون دولار على الأسلحة هناك ٥٠٠ مليون شخص يعانون من نقص التغذية ، ٨٠٠ مليون أمى ، ١٥٠٠ مليون انسان محروم من الخدمات الصحية والطبية ، ٢٥٠ مليون طفل تحت سن ١٤ بلا مدارس فى بلدان العالم الثالث فى أفريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية .

تدعيم القدرات

إن بلدان العالم الثالث محتاجة الى التكنولوجيا لتنمية مجتمعاتها ، والتكنولوجيا موجودة عند الدول الصناعية الكبرى ، وقد أدى ذلك الى تحكم هذه الدول فى الطاقة الانتاجية لدول العالم الثالث والحصول على المواد الخام منها بالشروط التى تفرضها وقد أدى هذا الوضع الى سيطرة الدول الصناعية على أسواق البلاد النامية واغراقها بمنتجات استهلاكية غير ضرورية .

إن العلاقات بين الدول الصناعية الكبرى والبلاد النامية أو ما يسمى بمشكلة الشمال والجنوب أصبحت من أهم الموضوعات التى يدور حولها الحوار فى الأمم المتحدة وكافة المستويات الدولية فى الوقت الحاضر ، ومحور هذه المشكلة هو مشكلة انتقال التكنولوجيا والمعرفة التى اصبحت المصدر الوحيد للقوة بعد أن تمكنت بعض بلاد العالم الثالث وهى البلاد المنتجة للنفط من التحكم فى رؤوس الأموال ، التى كانت الى عهد قريب وسيلة الضغط التى تستخدمها الدول المتقدمة للسيطرة على أسواق العالم الثالث .

وقد انعقد فى فيينا فى أغسطس من العام الماضى مؤتمر الأمم المتحدة للعلم والتكنولوجيا من أجل التنمية ، وكان من أهدافه الرئيسية مناقشة تدعيم القدرات العلمية والتكنولوجية لدول العالم الثالث .

وقد أجمع المجتمع العلمى والتكنولوجى الذى حضر المؤتمر انه لا بديل عن أن تقوم الدول النامية نفسها بتطوير قدراتها العلمية والتكنولوجية الذاتية بأن تضع لنفسها سياسة وطنية للعلم والتكنولوجيا تحدد فيها الموضوعات حسب أهداف خطة التنمية لهذه الدولة . كما رأى الحاضرون فى المؤتمر أن تقوم حكومات الدول النامية بتنشيط التعاون العلمى والتكنولوجى على المستويين الاقليمى والعالمى .

وقد أوصى المؤتمر بمجموعة من الاجراءات اللازمة لتعزيز القدرات العلمية والتكنولوجية . مثل ضرورة أن يقوم كل بلد نام بانشاء هيئة وطنية أو أكثر تقرر السياسة العلمية وتنفذها على أن تتمتع هذه الهيئة بأعلى مستوى من الدعم الأدبى والمالى وأن تضم ممثلين لمختلف قطاعات المجتمع .

وفيما يتعلق بحرية انتقال التكنولوجيا رأى المؤتمر أن تقوم الدول المتقدمة بتشجيع مصدرى التكنولوجيا فيها على الامتناع عن الممارسات التجارية المقيدة والمستغلة وأن تساند منشآت وصناعة البلدان النامية للحصول على مزيد من المعلومات التكنولوجية والاطلاع على وثائق تسجيل الاختراعات .

وعلى المنظمات الدولية مساعدة ودعم هذه الأنشطة واتخاذ التدابير المؤدية الى زيادة قدرة البلدان النامية فى مجالات العلم والتكنولوجيا والى احتفاظها بالعقول القادرة والقوى العاملة الماهرة .

كما اتخذ المؤتمر مجموعة من التوصيات فيما يتعلق باعادة صياغة العلاقات العلمية والتكنولوجية الدولية وخاصة فيما يتعلق بحيازة التكنولوجيا ونقلها واعادة تنظيم الاعلام العلمى والتكنولوجى الدولى والاجراءات اللازمة لاعادة تنسيق العلاقات الدولية .

كما أوصى المجتمع العالمى بتعزيز دور منظمات الامم المتحدة فى ميدان العلم والتكنولوجيا وتوفير موارد مالية متزايدة .

نحو قدرات علمية عالية

ولعل أخطر ما اتفق عليه هو :ـ

١ـ انشاء اللجنة الحكومية للعلم والتكنولوجيا من أجل التنمية تكون تابعة للجمعية العامة للامم المتحدة وترفع تقاريرها اليها من خلال المجلس الاقتصادى والاجتماعى بالامم المتحدة .

٢ـ انشاء جهاز دولى لتمويل انشطة العلم والتكنولوجيا تنفذاً لبرنامج العمل الحالى وقد تم الاتفاق على أن جملة الاسهامات التى تقدمها الدول المتقدمة خلال المرحلة ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ لن تقل عن ٢٥٠ مليون دولار كل عام .

مازلنا فى المهد

وفيما يتعلق بعالمنا العربى تمثل مشكلة نقل التكنولوجيا أحد أهم المشاكل التى تعوق انطلاق التنمية وتعتبر المنطقة العربية من أكبر المناطق فى العالم استيراداً للتكنولوجيا والسلع والخدمات ، ويبلغ اجمالى استيراد المنطقة للسلع (أسلحة ـ مواد غذائية ـ مواد خام ـ وسائل نقل ـ سلع هندسية ـ وماكينات وغيرها) حوالى ٦٠٫٠٠٠ ـ ٨٠٫٠٠٠ مليون دولار سنوياً وتتوسع السوق العربية عاماً بعد عام .

فالدول العربية التى تمتد على مساحة شاسعة من المحيط الى الخليج يسكنها حوالى ١٥٠ مليوناً من البشر يتزايدون بمعدلات تبلغ حوالى ٣ بالمئة وتعتبر الزراعة الحرفة الأولى بها أذ يعمل فيها نحو ٥٠ بالمئة من القوى العاملة العربية رغم أنها لاتسد سوى ٥٠ بالمئة من الاستهلاك من الغذاء .

والصناعة فى دول العالم العربى لازالت فى مهدها ومعظم السلع الهندسية والصناعية تستورد رغم وجود عدد من الصناعات كالصناعات النسيجية ، وصناعة الأسمدة والحديد والصلب والبتروكيماويات وغيرها فى عدد من البلاد العربية والطريقة السائدة لنقل التكنولوجيا فى العالم العربى هى طريقة «ادارة المفتاح باليد» .

وفى رأينا أنه قد آن الأوان لان تولى حكومات الدول العربية المختلفة الموضوعات المتصلة بالعلم والتكنولوجيا عناية خاصة حتى تستطيع أن تلحق بالركب العالمى فى هذا المضمار

د. محمد كامل

متى ظهرت فنون وعلوم ومناهج الأدب العربى ؟

لايجوز محاكمة الأدب العربى بقوانين المذاهب الغربية

هناك خلاف عميق بين الأدبين : العربى والغربى

الأدب العربى ومقاييس المذاهب الغربية

أنور الجندى

لاريب أن الأدب هو واحد من عناصر الفكر ، يستمد منه وجوده ويتحرك فى دائرته ويختص بالتعبير عن النفس الانسانية فى تركيبها القائم على عقيدة الأمة التى يمثلها وثقافتها .

وأدب أى أمة هو نتاج عواطفها ومشاعرها وعقولها ، وهو عصارة مزاجها النفسى وطابع روحها ، وهو فى نفس الوقت مرتبط بهذه الأمة : أرضها وسماءها وقيمها وتقاليدها وأحداثها ومجتمعها . فهو عصارة وجهة نظرها الى الحياة مستمدة من داخلها ومن هنا كان الاختلاف بين أدب أمة وأدب أمة أخرى ولاريب أن الأدب هو نتاج الفكر الاسلامى وعنصر من عناصره التى لا تنفك عنه ،

تمثل المزاج النفسى للعرب الذى شكل الاسلام ثقافتهم وعواطفهم ومشاعرهم وعقولهم وكون طابعهم الروحى والنفسى

والأدب العربى : أدب أمة عريقة وأدب لغة عريقة تشكل فى صورة كاملة بعد ظهور الاسلام الذى جمع العرب فى الجزيرة العربية فكان عاملا فى تحويل القبائل العربية الى أمة تامة ، وبذلك يمكن القول بأن الأدب العربى قد تشكل فى صورته الحقيقية بالاسلام، ولايمنع هذا من وجود (ديوان الشعر القديم) وما يتصل به من أسجاع الكهان وهى فى مجموعها لاتشكل صورة الأدب بمفهومه الفنى ولابمعالمه الأصيلة ، التى وضحت بعد نزول القران : الذى كان هوالعامل فى بناء الأدب العربى الاسلامى وظهور فنونه وعلومه ومناهجه

اساليب النقد

واللغة العربية سابقة على الاسلام ، وهى عماد وجود الأمة العربية ، وهى لغة تطورت ونمت خلال مئات السنين حتى وصلت الى صورتها التى عرفت بها قبيل الاسلام وإن ظلت لها لهجاتها المتعددة فلما نزل القرآن الكريم انصهرت اللغة العربية فى لهجة واحدة ثم كان أن أعطاها القرآن ـ كما أعطى الأدب العربى ـ هذا البيان المعجز الفائق الذى فهمه العرب واعجبوا به وعجزوا فى نفس الوقت عن الاتيان بمثله .

وفى مجال أدب اللغة العربية نجد الأمة العربية كانت مجموعة من القبائل التى لم تجتمع تحت أى لواء سوى الاسلام ولكنها كانت ذات قيم وتقاليد ولها طابعها الذى أورثه اياها مكانها فى هذه الجزيرة شبه المنعزلة عن حضارتى عالمها:حضارتى الفرس والرومان : هذا الطابع البدوى الخالص الذى أهلها لتلقى رسالة انسانية كبرى كالاسلام فقد عماها وجودها المنعزل عن أن تذوب فى مقارف الحضارات وانحلالهاومكن لها من تنمية قيمها .

كل هذه العوامل أعطت أدب اللغة العربية ذاتية خاصة وطبعتة على نحو خاص يختلف به عن آداب الأمم الأخرى فظهرت فنون لم توجد فى الآداب الأخرى واختفت فنون وجدت فى الآداب الأخرى ، وظهور هذه الفنون فيه واختفاء تلك الأخرى منه لاينقص من قدره ما دام يصدر من أعماق روحه الطبيعية ومقوماته الخاصة .

ارسطو

ومن هنا فان هذا الأدب لا يدرس على ضوء مناهج وضعت لآداب أخرى ، ذلك أن اساليب النقد والبحث إنما توضع للآداب بعد ظهور هذه الآداب ، ولذلك فهى مستمدة منها ولا يمكن العكس .

ومن هنا فان مذاهب الأدب التى يحاول النقاد محاكمة الأدب العربى عليها هى فى جملتها مذاهب غربية وضعت مسمياتها ومناهجها بعد قيام ظواهرها فى الآداب الأوربية وهى فى الحقيقة ليست مذاهب وانما هى أسماء عصور : كالكلاسيكية والرومانتيكية وغيرها ، وهى تتصل فى مجموعها بتاريخ الأمم التى وضعت هذه المذاهب فلماذا تنقل لتكون قوانين يخضع لها أدبنا الذى يختلف من حيث تكوينه وطابعه وتاريخه وبيئته ومظاهر حياته عن هذه الآداب ؟!

اختلاف المفاهيم

هذا من ناحية النقد ، أما من ناحية أصول الأدب نفسه : أصول الشعر والنثر والقصص والتراجم ، فلماذا يخضع الأدب العربى لقواعد مستمدة من آداب تختلف عن الأدب العربى : مزاجاً وشكلا وطابعا .

وهل يمكن أن يقال أن هناك أصولا يضعها الأوربيون لتخضع لها الآداب فى العالم كله ؟ وإذا قالوا هم ذلك فهل نقبل نحن ذلك ، والأدب العربى عريق الجذور وسابق لهذه الآداب كلها فى النشأة والتكوين ؟ هل نقبل أن يخضع أدبنا لقواعد غريبة عنه ، بينما يشكل أدبنا بوجوده أربع عشر قرنا قواعد وقيماً مستمدة من جوهره وطوابعه ؟

إن اختلاف المصادر والمنابع بين الأدب العربى والآداب الغربية تجعل من العسير خضوع الأدبين لمقاييس واحدة أو لقوانين واحدة ، والمعروف أن الآداب الغربية جميعاً تستمد مصادرها من الأدب الهيلينى والفلسفة اليونانية والحضارة الرومانية ، فقد اتجه الأدب الاوربى الحديث منذ أول ظهوره فى عصر النهضة الى هذه المنابع وربط نفسه بها وجعلها أساساً ثابتا لمختلف وجهات نظره ومفاهيمه وقيمه .. واتخذ من النظرات التى قدمها ارسطو فى الأدب والنقد والشعر وغيره اساساً له ، ولا ريب أن هذه الحصيلة التاريخية الضخمة وهذا التراث الأغريقى الرومانى يقوم على اساس يختلف اختلافا واضحا عن الاساس الذى يقوم عليه الأدب العربى الذى استمد مصدره أساساً من القرآن الكريم والاسلام والقيم العربية الاصيلة التى تلاقت مع مفاهيم الاسلام وانصهرت معها ، ومن هنا كان ذلك الخلاف الواضح والتباين الكبير بين المشاعر والعواطف والاحاسيس فى كلا الأدبين .

ولا شك أن هذا الاختلاف البعيد المدى فى طبيعة البيئة وفى طبيعة النفس الانسانية وانعكاس هذه البيئة عليها يجعل من المستحيل التقاء أدبي العرب والغرب فى وجهة واحدة ، أو مشاعر واحدة ومن ثم فانه من المستحيل أن يخضع كلا الأدبين الى قوانين واحدة ومناهج فى الصياغة والنقد والبيان والمضمون واحدة .

العلماء الخمسة

هذا هو أهم أوجه الخلاف بين الادبين العربى والغربى وهو خلاف عميق أشد العمق ، متصل بالنفس الانسانية باعثة الأدب ومنشئته ، ومن ثم فان خضوع الأدب العربى لقوانين وقواعد ونظم قامت اساساً فى ضوء حصيلة الأدب الاوربى وفنونه أمر بالغ الخطر وبعيد الاثر .

الأدب العربى

هذا هو « التحدى الأول » الذى يواجه الأدب العربى فى مطالع القرن الخامس عشر من حيث نرى تلك المحاولة الخطيرة لإخضاع الأدب العربى الى مذاهب سانت بيض وثين وبرودنير مع أن هذه المذاهب قد صيغت لتقويم الأدب الغربى واستمدت مفاهيمها من الفلسفة المادية ونظريات فرويد للتحليل النفسى ونظريات دوركايم فى علم الاجتماع .

وقد أشار ستانلى هايمن فى كتابه (النقد الأدبى ومدارسه الحديثة) الى أن النقد الأدبى الحديث قد اعتمد على مناهج خمسة من العلماء هم : داروِن وماركس وفريزر وفرويد ورلوي . أما داروِن فقد جاءت منه الفكرة بأن الانسان جزء من النظام الطبيعى (أى أن داروِن قد نظر الى الانسان على أنه حيوان وطبق عليه علمياً كل ما يطبق على الحيوان والحشرات) .

أما ماركس فهو الذى ذهب الى أن الأدب هو الذى يعكس ولو بطريقة ملتوية أحياناً العلاقات الاجتماعية والانتاجية لهذا العصر أو ذاك . أما (فرويد) فهو الذى يرى أن الأدب تعبير مقنع ، وأنه تحقيق لرغبات مكبوته قياساً على الاحلام ، وأن هذه المعتقدات لتعمل حسب مبادىء معروفة وفكرته أن هناك مستويات ومدارج عقلية تقع وراء الوعى وأن بين الرقيب والرغبة فى التعبير صراعاً مستمراً .

أما (فريزر) فهو صاحب الأفكار عن السحر البدائى والأسطورة البدائية وأن هذه كلها تكمن فى أساس أعلى النماذج والموارد الأدبية .

أما (ديوى) فهو يرى أن قراءة الأدب وكتابته ليست الا صورا انفعالية انسانية يمكن أن تقاس بأى فعالية أخرى وانها خاضعة للقوانين نفسها .

هذه المفاهيم التى قامت عليها نظرية نقد الأدب تكشف فى وضوح عن الاساس المادى المغرق فى المادة الذى تعتمد عليه والذى يتعارض تعارضاً كاملا مع مختلف قيم الأدب العربى ومفاهيمه وأسسه حتى حين يتصل هذا الأدب بأخطر إنحرافاته فى مجال الغزل والكشف . وأخطر ما تحمله هذه المناهج هى إزدراء (أخلاقية) الأدب واحتقارها والتخلى عنها .

مراحل وليست مذاهب

والمنهج الاجتماعى الذى كان أبرز المناهج فى مجال النقد الادبى انما يقوم على مفاهيم الفيلسوف دوركايم اليهودى الاصل والمادى النزعة . وقد استمدت نظريات ثين وسانت بيف وبرودنير التى أغرقت نقد الأدب العربى مفاهيمها من الفلسفة المادية الداروِنية التى ترى (أن الانسان بمواهبه ومعنوياته . إن هو إلا أثر من آثار البيئة بمعناها الاجتماعى الواسع ولايكاد يفترق عن الحيوان والنبات فى انتقاء الحول وانعدام الاراده) .

فضلا عما اثبته (ثين) : من أن الفضيلة والرذيلة ليستا الى حد كبير الانتاجا لعملية تلقائية مثل الاحماض والقلويات وانهما منتوجات مثل الزواج والسكر . هذا بالاضافة الى أثر نظرية النشوء والتطور الواضح الأثر فى هذه المذاهب الأدبية والتى تنكر انسانية الانسان وارادته وقيمه الوجدانية والروحية وتشبيهه بالحيوان الذى لا حول له ولا قوة والتى تنظر إليه على أنه شيء تافه جدا فى الكون وانه تحت رحمة القوى المحيطة به ومن ثم فان الانسانية ـ عندها ـ ليست إلا نتاجاً عارضا للوراثة والبيئة .

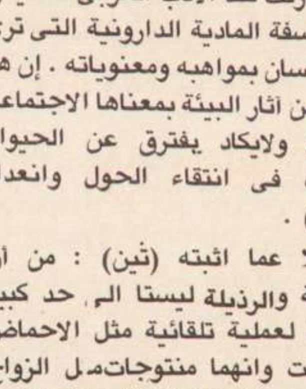
فرويد

ويرى أكثر الباحثين أن (ثين) قد إشتط فى اتجاهه المادى فى مفهوم النقد الادبى الى أن اصبح من موارد الحتمية التاريخية أو الجبر التاريخى وهذا هو المذهب الذى قدمه فى الجامعة المصرية القديمة نلينو وكارنوفا ، ولاريب أن هذه المذاهب فى النقد الأدبى تبدو معارضة لمفاهيم الأدب العربى وقيمه معارضة كاملة ولا تصلح لأن تكون منهجا يطبق على الأدب العربى القديم أو الحديث ، ومن ثم فان كثيرا من الأحكام التى صدرت على هذا الأدب لم تكن صحيحة لأنها اعتمدت فى الاصل على مذهب لا يصلح تطبيقه على الأدب العربى .

وكشف كثير من الأدباء عن الخطأ البالغ فى التماس مفهوم (الكلاسيكية) أو (الرومانتيكية) أو (الواقعية) كمذاهب يحاكم على اساسها الأدب العربى ، ذلك أن هذه الاسماء ليست فى الحقيقة مذاهب بقدر ما هى مراحل تاريخية ظهرت فى عصور متوالية وفقدت مكانها واحدة بعد الأخرى ، وأفسحت لمراحل أخرى جاءت بعدها نتيجة للتطور السياسى والاجتماعى فى بلادها ، فلماذا تظل تحتل مكان الصدارة فى الحكم على أدبنا العربى بينما يمكن للأدب العربى أن يشكل مراحل أدبية ترتبط بتاريخه وتطوره السياسى والاجتماعى .

الأدب ودائرة الفكر

ومن القضايا الأساسية التى هى بمثابة التحدى مسألة حرية الأدب واستقلاليته أو تقرير مكانه من دائرة الفكر .

ولقد كان من أخطر المفاهيم الوافدة : الدعوة الى فصل الأدب عن دائرة الفكر ، واعطائه الحرية المطلقة فى التعبير دون الالتفات الى مسؤولية الأدب فى المجتمع والأسرة وعلاقته بالدين والقومية ، فاستطال الأدب واندفع يشق طريقه الى مختلف قطاعات الفكر دون دليل واضح أو دراسة عميقة ، فقد تطرق الأدباء ـ وهم غير متخصصين ـ الى مجالات التاريخ والفلسفة والعقائد والاخلاق ليصدروا فيها أحكاماً جريئة مستمدة من نظرتهم الأدبية الوجدانية

المتأثرة بمذاهب الغرب فى الحرية والكشف والانطلاق .

وقد واجه هذا الاتجاه معارضة ورداً فى سبيل تحديد دائرة الأدب ودفع خطر التدخل بين دوائر النشاط العقلى المختلفة وكف عدوان بعضها عن بعض وأشار كثير من الباحثين ومنهم فريد وجدي الى هذه المحاذير التى جاءت نتيجة تدخل الادباء فيما ليس من اختصاصهم من المباحث الدينية .

الأدب المكشوف

لاريب أن ابرز ما يواجه الأدب العربى من تحديات هو مذهب «الفن للفن» .

هذا المذهب الوافد الذى حمل لواءه المستشرقون ودعاة التغريب والشعوبية ، وهو يهدف الى تحرير الأدب من طابع الأخلاق ودفعه الى تصوير الغرائز والأهواء فى غير ما قيد وذلك باسم حرية الأدب ، ولقد بدا هذا الاتجاه بظواهر ثلاث :

(١) الافاضة فى الحديث عن حياة بشار وابى نواس والضحال وغيرهم من شعراء الاباحة فى العصر العباسى ونشر الجوانب الشاذة من أحاديثهم واسماءهم.

(٢) ترجمة القصة الفرنسية الاباحية والكشف عن جوانب الصراع الحسى فى العلاقات الشاذة بين الرجل والمرأة وترجمة أشعار بودلير وغيره من شعراء الأدب المكشوف .

(٣) الاذاعة بمذهب حرية الأدب والدعوة اليه والدفاع عنه وفق منهج علمى زائف بدعوة أنه منطلق انسانى أصيل .

وقد لقيت نظرية حرية الأدب ومعارضة الاخلاق نقدا ودحضا شديدين مصدره تعارضها مع طابع الأدب العربى أصلا . وكشف الباحثون المنصفون عن أن حرية أبى نواس وبشار وغيرهم لم يكن مصدرها الأدب العربى أو مفاهيم الاسلام الاجتماعية وانما كان مصدرها تطلعاتهم الحسية واهدافهم الشعوبية التى ارادوا أذاعتها والجهر بها لهدم مقومات الأدب العربى الأصيلة واعلاء مفاهيم المجوسية والاباحية التى كان الأدب العربى قد تحرر منها بعد الاسلام .

وقد استغل بعض الكتاب فى العصر الحديث هذه الأطروحات فى سبيل

مذهب الفن للفن يهدف إلى تحرير الأدب من طابع الأخلاق تحت شعار: حرية الأدب!

توهين القيم الاسلامية والقضاء على الأخلاق والتقاليد والاعراف الاسلامية حين يرون أنها تعوق الفن وتحول دون ترقى الأدب . وقد دحض هذا المفهوم كثير من الباحثين وفى مقدمتهم الدكتور محمد احمد الغمراوى حين قال : إن الفطـرة كلها منشئها واحد ، هو الله سبحانه وتعالى ، والعلم والدين كلاهما قد اجمعا على استحالة التناقض فى الفطرة فاذا كانت هذه الفنون من روح الفطرة كما يزعم أهلها وجب الا تخالف أو تناقض دين الفطرة : دين الاسلام فى شيء . فاذا خالفته فى اصوله ودعت صراحة وضمنا الى رذيلة من أمهات الرذائل التى جاء الدين لا يجابها على الانسان حتى يبلغ ماقدر له من الرقى فى النفس والروح ، إذا خالفت الفنون الدين فى شيء من هذا أو فى شيء غير هذا ، فهى بالصورة التى تخالف بها الدين فنون باطلة ، فنون جانبت الحق ، ودابرت الخير وأخطأت الفطرة التى فطر الله عليها والتى تريد الفنون أن تكون منها فى الصميم ، فاذا كان من شان بعض من يعمل أو يكتب باسم الفن والأدب أن يتجاوز فى تأثيره مما سبق فيحول بين الانسان وبين ربه ويدخل عليه الشك فى دينه بأى صورة من الصور ولأى حد من الحدود ، كان ذلك البعض المعمول أو المكتوب باسم الفن. أو باسم الأدب زوراً وافكا فى الفن والأدب والفطرة والدين على السواء . فالمسالة فى الأدب ليست مسالة لفظ ومعنى فقط ، ولكنها فى صميمها مسالة روح : فريق يريد أن يجعل روح الأدب روحا شهوانيا بحتـا يتمتـع صاحبـه بما حرم الله وما أحل ، لا يفرق بين معروف ومنكر ، ثم يصف ما لقي من ذلك من لذة أو ألم أو غيرهما من ألوان الشعور ، ويخرج ذلك للناس على أنه هو الأدب . وفريق يريد أن يحيا الحياة الفاضلة فى حدودها الواسعة التى حدها الله وبمظاهرها المختلفة فى الفطرة كما طهرها الله لا كما دنسها ويريد أن يدنسها الانسان ، والمقياس الذى انتهينا إليه فى الفن والأدب ليس من البعيد عن الفن والأدب بل هو من روح الفن والادب فى الصميم ، اليس روح الفن والأدب «الجمال» اليس الجمال الفنى : روح الجمال الانسانى .

المصادر الزائفـة

ولا يزال من اشد التحديات التى تواجه الأدب العربى خطرا مسالة المصادر والرأى فى كتب المحاضرات والنوادر وما سجله الرواة والقصاصين من اخبار وهل تصلح كمصادر علمية يمكن الحكم عن طريقها على الامم والمجتمعات حكماً صادقاً لا شبهة فيه .

ومن اليقين الذى لا شك فيه أن كتب المحاضرات وروايات القصاصين ليست مصادر علمية صحيحة وإنما هى مراجع زائفة اعتمد عليها خصوم الأدب العربى والفكر الاسلامى من أجل ترويج آراء كاذبة مضللة . ذلك أن هذه المؤلفات لم يكتبها علماء موثوق بهم ولم تكتب حسب أصول العلم والبحث وإنما كتبت للتسلية والترويح وقصد بها جمع الفكاهات والنكات والاحاجى والقصص الصادق والكاذب لاغراق المجتمعات بالأوهام والاباطيل .

من هذه ما كتب اسحق بن ابراهيم الموصلى وابن خرداذبة والمروزى وابن المرزبان وكذلك ما كتبه ابو بكر الصولى الذى مات مستترا بالبصرة لانه روى خبرا زائفاً عن علي عليه السلام فطلبته الخاصة والعامة لقتله وله من الكتاب كتاب الأوراق فى أخبار الخلفاء والشعراء . ومن هذه الكتب ثمار القلوب للثعالبى فالثعالبى مهما علت منزلته فى الأدب فليست له منزلة ما فى فن الحديث ونقد رجال الرواية وهو أديب يحبب

الأدب العربى

الفكاهة ويروى النكتة . ومن هؤلاء الاصفهانى صاحب الأغانى الذى قال عنه النوبتجى أنه اكذب الناس لأنه يدخل سوق الوراقين فيشترى منها كثيرا من الصحف ثم يحملها الى بيته ثم تكون رواياته كلها منها .

وقد ظلت هذه المؤلفات مجهولة ضائعة حتى جاء المستشرقون والمبشرون فى العصور الأخيرة فكشفوا عنها واعادوا طبعها واذاعوها فى العالم الاسلامى كله وأخرجوا أغلبها فى طبعات فاخرة وأوغروا الى تابعيهم من دعاة التغريب الاشادة بها والنقل عنها واعتمادها مصدراً من مصادر التأليف .

وكان كتاب الأغانى من أخطر هذه الكتب التى حاول بعض الباحثين أن يجعلها من المصادر الأساسية للبحث الأدبى بالرغم من أن العلماء الصادقين يرون بأن هذه الكتب تقصد الى الفكاهة والتسلية فكيف تكون ميزاناً يوزن به رجال التاريخ وتؤخذ منه تراجم العظماء

واعتمادا على كتاب الأغانى اصدر الدكتور طه حسين رأيه الذى قال أن القرن الثانى للهجرة كان عصر شك ومجون اعتماداً على شعر ابى نواس وبشار والضحاك وحماد عجرد بالرغم من ان هذا العصر كان حافلا بعشرات العلماء والباحثين والفقهاء ولا يمكن ان يحكم على عصر عن طريق قلة من هؤلاء المجان الذين كانوا معزولين عن مجتمعهم مكروهون فى مجتمع حافل باليقين والورع والزهد والاحتشام ، وكيف يمكن أن يكون هؤلاء هم نموذج العصر حيثما يعيش فى هذا المجتمع «حسن البصرى ومحمد بن ادريس الشافعى ومالك بن انس وابو حنيفة النعمان ومالك بن دينار وعبد الله بن المبارك وربيعة الراى ورابعة العدوية وابن شيرين وعمرو بن عبيد والشعبى .. والاعتماد على كتاب الأغانى فى استخلاص هذا الرأى باطل : ذلك أن صاحب الأغانى يحدثنا فى مقدمته بأنه قصد من كتابه الى اللهو والتسلية قبل أن يقصد العلم والتاريخ ، أما شعر الماجنين وحياتهم فلا ينهضان دليلا على فساد عقيدة عصر واخلاقه .

●●●

هذا جانب من التحدى الذى يواجه الأدب العربى فى دراساته ونقده ومناهجه .

أما الأدب العربى الحديث فان هناك تحديات اخرى تحتاج الى بحث خاص فالى اللقاء .

انور الجندى

النص استوعب ثروة لغوية هائلة

مجموعة من الحيوانات تتحاور أبرزها فرس وبغل معصوب العينين ؟!

بعد رسالة الغفران
رسالة الصاهل والشاحج للمعرى أيضا

يوسف الشاروني

ترك لنا أبو العلاء المعرى ثروة أدبية عظيمةتوصلنا بعضها ولم يصل الينا بعضها الآخر . وهى ثروة متنوعة تبرهن على عبقرية هذا الأديب المفكر العربى وتتراوح بين الشعر الغنائى والشعر الملحمى تتخلله فقرات نثرية والرسائل التى يغلب فيها الأسلوب التصويرى على الاسلوب الوصفى التقريرى .

ومن حسن حظ ادبنا العربى المعاصر أن توفرت اديبة كبيرة مثل الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) على آثار أبى العلاء لتحققها وتنشرها وترفقها بدراسات عنها . ومن آخر ما أصدرته محققا من آثار أبى العلاء رسالته المعروفة باسم (الصاهل والشاحج) وهى موجهة من أديبنا الكبير الى (عزيز الدولة فاتك) والى حلب من قبل المصريين من سنة ٤٠٧ هـ حتى مقتله بقلعتها سنة ٤١٣ هـ وذلك فى أيام الحاكم بأمر الله ، وبعض أيام خلفه الظاهر .

وقد أملى أبو العلاء المعرى هذه الرسالة تحت ضغط الحاح من بنى أخيه لكى يرفع

مظلمتهم الى الوالى بشأن ارض قاحلة لهم (لو أن البغل الذى يكدح فيها انطقه الله تعالى بقدرته لجأر مما يكابد فيها من عناء ونصب). غير ان الجباةرفعوا الى العزيز أن عليها مالا ينبغى إيداعه بيت المال . وقد اعلن ابو العلاء فى مقدمة رسالته أنه تحرج من مكاتبة السيد (عزيز الدولة وتاج الملة) فى هذا الموضوع الهين ، وسأل بنى اخيه أن يعفوه من تجشم عناء هذا الحرج . ولكنهم مازالوا به حتى استجاب لهم ، وفاء بما يجب لهم عليه من حق القربى والرحم ، واستحياء من تفانيهم فى خدمته ورعايته .

لهذا ، ولأن أبا العلاء لايريد لرسالته أن تكون رسالة مما يكتب مثله الافراد العاديون ، فانه يتحين هذه الفرصة ـ كما فعل فى معظم رسائله لا سيما رسالة الغفران التى كتبها بعد هذه الرسالة بخمسة عشر عاما ـ ليجعل منها عملا فنيا يقوم على أساس حوار بين مجموعة من الحيوانات ابرزها بغل الشاحج معصوب العينين وفرس (الصاهل) يترجل عنه فارسه ليرد الماء ويأخذ بعض الراحة قبل مواصلة السفر . ويتدخل فى الحوار الحيوانى الحمامة (الفاختة) والجمل (أبو ايوب) والثعلب (ثعالة) والضبع (أم عامر) . ومن حوار هذه الحيوانات نفهم أن سكان حلب ليسوا فى حالة عادية . فقد وقع خلاف بين الحاكم بأمر الله السلطان الفاطمى بالقاهرة وعزيز الدولة واليه فى حلب الذى ضرب الدينار والدرهم باسمه ودعا لنفسه على المنبر . فأعد له الحاكم الجيوش لطرده من حلب عام ٤١١ هـ . فما كان من عزيز الدولة الا أن اتفق مع باسيل ملك الروم ليسلم اليه حلب . فلبى باسيل الدعوة حتى اذا وصل الى موضع يعرف بمرج الديباج ، كان قد بلغ عزيز الدولة مقتل الحاكم ، فأرسل الى باسيل يخبره أنه نقض ما بينهما من شروط ، فعدل باسيل عما هم به .

وكان الناس قد أجفلوا من خروج ملك الروم الى حلب . فكانت هذه الجفلة تسمى (جفلة عزيز الدولة) لأنها بسببه . ومما يدور بين الحيوانات من حوار نفهم ما كان يدور بين الناس من مخاوف ومن أنباء متضاربه .

أما بقية القصة كما يرويها المؤرخون فان عزيز الدولة اطمأن بموت الحاكم وضاعف من طمأنينته ما أظهره له خلفه الظاهر من رضى . غير أنه سرعان ما تبين أن كل ذلك كان مجرد خدعة حتى لا يسلم عزيز الدولة حلب الى الروم . فقد حرضت ست الملك أخت الحاكم عمة الظاهر غلاما هنديا يدعى

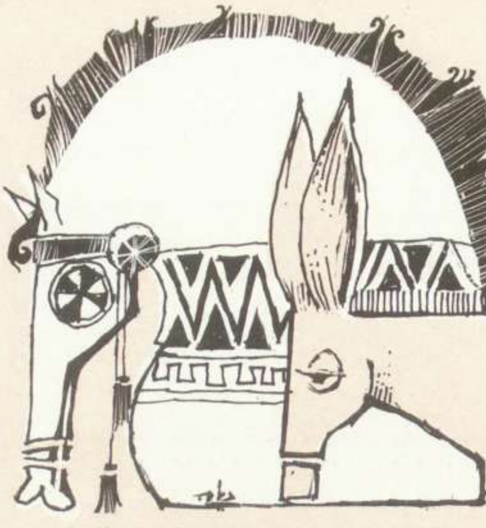

(ثيزون) دخل على عزيز الدولة وهو نائم فى أول الليل بقلعة حلب ، وفى يده سيف مجرد مستور فى كمه ، ضرب به عزيز الدولة فقتله عام ٤١٣هـ .

تلك هى الخلفية التاريخية لرسالة الصاهل والشاحج . أما الرسالة نفسها فان الدكتوره عائشة عبد الرحمن تعلن فى مقدمتها أنها قصة مترابطة الفصول والمشاهد . وهى لا تؤدى بطريق الحكاية والسمر لسوق العبرة ومضرب المثل ، بل صيغ الحوار فيها على طريق التشخيص والاخراج التمثيلى الزاخر بالحركة والحيوية وكاننا نشهد تمثيلية يؤديها شخوص من البهائم .

والواقع ان الدكتوره عائشة عبد الرحمن تعيد النظر مشكورة فى تراثنا على ضوء مفاهيمنا المعاصرة ، فتحاول أن تبرز العناصر المسرحية فى هذا التراث من حوار وتشخيص وان لم يكن مسرحا بالمعنى المعاصر . والواقع ان العنصر القصصى والمسرحى موجود فى كثير من رسائل أبى العلاء المعرى ، لكنه يتسرب فى باطن الرسائل كأنما فى خفية ، وقد يطفو لحظات من حين لآخر ، لكنه يعود ويختفى تحت ركام الشعر والمساجلات والالغاز اللغوية .

الخيط القصصى فى الرسالة

فرسالة الصاهل والشاحج تبدأ بتحية أبى العلاء الى السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء أعز الله نصره . ثم يعتذر عن مكاتبته فى شكوى بنى أخيه . وينسحب أبو العلاء بعد هذا المشهد ، ويسمع الشاحج المعصوب العينين (البغل) صهيل فرس يترجل عنه فارسه ليرد الماء قبل متابعة السفر ويبدأ الحوار بقدرة الله تعالى بين الصاهل والشاحج الذى لا يكاد يسمع أن الصاهل فى طريقه من مصر الى حلب حتى يلتمس من خاله أن يرفع له شكوى منظومة الى الحضرة العاليه بحلب . ويستنكر الصاهل خؤولته للشاحج قائلا له : أغرك أن جاهلا من القوم كان يدعو أمك فرسا ؟ ثم يذكر إذلال بنى آدم للبغال والبهائم كالابل والبقر والثيران وذوات الجناح والضب واليربوع وبنات اللجة (أى الحيتان) والنحل . مما يذكرنا على الفور بشكوى الحيوان من جور الانسان فى رسالة الحيوان لاخوان الصفا التى كتبت فى القرن الرابع الهجرى نفسه الذى أملى فيه أبو العلاء رسالته . مما يدل على أن انطاق الحيوان لغة الانسان وان كان لونا أدبيا معروفا من قبل ، الا أن انطاقه بالشكوى من ظلم الانسان كان هو الجديد الشائع ـ فيما يبدو ـ فى أدب هذا القرن . ويدافع الشاحج عن خئولته وامكان نظمه الشعر ، فيطلب الصاهل حكما بينهما ويقترح لذلك الحمامه (الفاخته) . غير أن الشاحج يرفض تحكيم الفاخته التى يضرب بها المثل فى الكذب ويقترح أن يكون الحكم ابلا وردت الماء . وينتصر الصاهل للفاخته بينما ينتصر الشاحج للبعير .

وتسمع الفاخته الحوار فتوقع بين الجمل والشاحج وتثيره حتى يتهجم على الشاحج ويتوعد ، فلا يكون من الشاحج الا أن يسفهه ويدعو عليه ويكشف له عن وقيعة الفاخته ويقترح التكفير عن ذنبه اليه بحمل رسالة نثرية الى عزيز الدولة . ويرحب أبو أيوب (الجمل) بهذه المهمة ، فيلقى اليه الشاحج نص الرسالة منبها الى ما فيها من ألغاز وتورية قصد اليها ، غير أن أبا أيوب لا يفهم الرسالة ويستحمق الشاحج ، فلا يكون من الشاحج الا أن يحل ألغاز رسالته ، فيعلق أبو أيوب على ما سمع من شرح باستبعاده أن يفهم عزيز الدولة منطق البهائم ! فييأس الشاحج من أبى أيوب ويتفنن فى الدعاء عليه بالتورية والالغاز ، ثم يحل ألغاز دعواته على أبى أيوب .

وترد أم عامر (الضبع) فثعالة (الثعلب) الماء وبينما يهزأ الشاحج بأم عامر فانه يثنى على ثعالة ، واذا بضجة تقطع الحوار ، فيطلب الشاحج المقيد المعصوب العينين من الثعلب أن يستكشف جلية الأمر ويعود الثعلب من جولاته ليعلن أن العامة يرددون أن زعيم الروم فى طريقه الى أرض المسلمين ، وان عزيز الدولة أرسل الى الطاغية الرومى يطلب منه الكف عن الغزو ولكنه لم يتلق الجواب ، وانه أرسل اليه هدية رأفة بالرعية وحقنا للدماء . ثم يروى الثعلب

الصاهل والشاحج

جفلة الناس وما يحتمل أن يحدث أثناء هجرتهم ديارهم خوف الغزو : كيف يكون تصرف المرضى وأصحاب العاهات والنساء والتجار وأصحاب الحرف والأمهات وأطفالهن والأتباع .. الخ ويصف ارتباك الشركاء فى المتاجر والأملاك وتشاجرهم ، كما يردد أراجيف العدو بأن عزيز الدولة قليل العدد وقلعة حلب معقل المسلمين . وان العدو شيمته الغدر وان ملكهم باسيل مريض مصاب بالشيخوخة فاسق فاجر .

ويفترق ثعالة والشاحج ويلتقيان بعد شهرين فيصف الشاحج لثعالة ما يتصوره من حالة المهاجرين عن البلد فى العودة الى ديارهم باستخدام النكت ... بينما يقص ثعاله ما جد من أخبار استعداد العدو للحرب فاحتمال الغزو قائم ، مع التنبؤ بهزيمته ، كل ذلك بنكت عروضية وتوقع النصر عليه بالفأل والطيره باسماء بلدان الشام ورياحينا وثماره واسماء أصحاب الطاغيه . ثم تروى مختلف الاشاعات ومنها خروج المتطوعين للقتال ، خروج قائد رومى خطير على الطاغيه ، الطاغيه يصرح بعزمه على الاستيلاء على ديار المسلمين بالشام ، هدية من الغلمان الروم الى عزيز الدولة رغبة فى المسالمة ، عزيز الدولة يأمر بحفر خندق حول حلب ، غضب عزيز الدولة على القائد مضىء الدولة لكلام هذى به بعض ولده فى مجلس شراب ، وثعالة يقسم على براءة مضىء الدولة من تهمة الخيانه .

ثم يتحدث عن فروسية السلطان بل وعن نظره فى العروض للخليل (وهذه قريبة من الأولى فى العجب : الملوك وقد شغلوا عن الفروض ، فما بال النظر فى العروض .

ويختتم أبو العلاء رسالته بقوله أن أخاه غرق من احسان الحضرة العالية فأراد أن يعينه فأعداه بالغرق ، فاستعان أخواه الحيوان ، ليدوم شكرها فى كل أوان .

وقصص الحيوان عند أبو العلاء نجدها فى كثير من مؤلفاته مثل (رسالة الهناء) و(الفصول والغايات) و(القائف) الذى لم يصل الينا ولكن وصلتنا نماذج منه فى كتاب (احكام صنعة الكلام) للكلاعى . وقصص الحيوان هنا مستقل بعضها عن بعض يرويها الانسان عن الحيوان على نحو ما نجد فى كليلة ودمنة حيث يروى بيديا الفيلسوف قصص هذه المجموعة ، أما رسالة (الصاهل والشاحج) فهى رسالة واحدة متصلة يرويها الحيوان عن الانسان .

الجانب اللغوى فى الرسالة

والجانب اللغوى فى الرسالة يوازن الجانب القصصى (أو المسرحى طبقا لوجهة نظر الدكتوره عائشه عبد الرحمن) بل لعله يغلب عليه فى كثير من الأحيان فيطول حوار احدى الشخصيات عشرات الصفحات حتى نكاد ننسى الخيط القصصى أو الدرامى ، ويبدو كأنما أهم ما فى الرسالة هو الألغاز اللغوية والتورية والنكت العروضية ، وهو أسلوب مألوف لدى أبى العلاء المعرى فى معظم رسائله يستعرض فيها عبقريته وذاكرته الفذة . وقد قابلت فى جامعة امستردام بهولندا المستشرق بيتر سيمور الذى يعد رسالته للدكتوراه عن الألغاز فى رسالة الصاهل والشاحج . والواقع أنه لو استطاع أن يستوعب هذه الألغاز فسيفهم من لغتنا مالا يفهمه كثير من الناطقين بها .

ذلك لأن هذه الرسالة القيمة قد استوعبت ثروة لغوية هائلة ، وقد قامت بنت الشاطىء بمجهود — ليس غريبا عليها فى تحقيقاتها السابقة — فى تشكيل الألفاظ وشرح كثير منها والتأريخ للاعلام .

ونحن نأمل مع الدكتوره عائشه عبد الرحمن من ناحية أن تتاح الفرصة لتجريد النص مما يتخلله من ألغاز مجهده ونكت عروضية بالغة الدقة ، لتقدم منه نسخة ميسرة لجمهور القراء فى الوطن العربى . لكننا من ناحية أخرى يمكن أن نستفيد من رسالة مثل رسالة الصاهل والشاحج عند تأليف قواميسنا اللغوية ، بل نستخرج قاموسا خاصا بما أورده أبو العلاء المعرى من الفاظ على لسان حيوانه وشروحها وما استشهد به تأييدا لهذا الشرح ، سواء فى هذه الرساله والرسائل العلائية الأخرى .

يوسف الشارونى

ضغوط الحياة الزوجية على المرأة العاملة

ربما كانت المرأة فى بلدان العالم الصناعى قد حققت بعض المساواة التى ظلت تنادى وتطالب بها .. أمام القانون ، ولكن ليس بالضرورة فى نظر زوجها أو أصدقائها من الرجال .

ففى الاجتماع السنوى للاتحاد الكندى للأطباء النفسانيين ، قالت الدكتورة جوديت جولد أستاذة الطب النفسانى بجامعة دالهوس بهاليفاكس إن الرجال مازالوا يواصلون تقليلهم من شأن وجهود زوجاتهم .. وما حققنه ، مما أورث الزوجات العاملات شعوراً بالجرم

والشك فى أنفسهن ، وبالتالى صار التردد ديدنهن وخاصة بالنسبة للمطالبة بالمزيد من الاستقلال . فإذا كانت إحداهن قوية فى عزمها على فرض نفسها وسبيلها ، فان غضبها وشعورها بالاحباط والشلل قد يؤدى بها الى الامتلاء بعقد نفسية تدفع بها الى البحث عن العلاج المهنى النفسانى .

وتقترح الدكتورة جوديت أن بداية الحل لهذه المشكلة هو أن تكون العائلة متفهمة لظروف المرأة العاملة ، ومقدرة بشكل أكبر للمساواة بين الجنسين . واعترفت بأن المساواة لايمكن فرضها بقوة القانون ، لأن كثيراً من القناعات والمواقف الراسخة فى الاذهان والسلوك لا يمكن تغييرها بمجرد سن قانون جديد

(مقطوعة من ملحمة القسام التى يعدها الشاعر للنشر)

يا وطنـــى
يا وطنـــى

شعــر : ناهــض الريــس

يا أقصى ·· يا قبلتنا الأولى
يا قبلة رب الكون على جبهة أرض باركها
جبــلا ·· ســهلا
امرأة ·· رجــلا
يا معراج رسول الله الى الملأ الأعلى
أعطيــك دمــى
فى مصباحك للســاهر فوق صحائفه
يتـلو آيـــات النـــور
بيانا كالصبح وبشرى كالفتح
يا أقصى ·· يا علمي
أفسح لي فى صدرك يوم الجمعة موطيء قدم
هــا أنــا جئت اليــك
تسابق روحى قدمي
ويسابق سيفى قلمي
ها أنــا جئت اليــك
فجاج الأرض دروب نحوك
كل العــالم يدفعنى

يــا وطنـــي
افسح لى فى صدرك مأوى يدفئني
أو مثــوى يدفنني
يا ثــديا أرضــعني
ورفيقــا لاعبني
وحبيبــا عانقني
يــا روحي ·· يا بــدني
يــا وطنــي ·· يــا وطنــي

• • •

دع من أزهارك زهرا مياسا
يتخلل وجهي
فى لحظــات الخطــر
حتى أضحك بحنان من هذا الطفل اللاهى
دع من بحرك موجا وشواشا
ينشد أهزوجته الأبـديه
في ســاعة نومــي !
حتى أحلم أنى والشمس أنام على مهد
يــا وطنـــي :

ما شمسك كالشمس
ولا نجمك كالنجم
ولا قمحك كالقمح
ولا صبحك كالصبح

ولا بحرك كالبحر
ولا زهرك كالزهر

أناديك بصوتي وبصمتي
بحيــاتي وبمــوتي
يــا وطنــي ·· يــا وطنــي

نعمــان عاشــور

محمود حسن إسماعيل

وشـاعرية الشموخ

تميزت الفترة التي اعقبت وفاة سعد زغلول عام ١٩٢٧ وقيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ بصراع سياسي عنيف داخل مصر ٠٠٠ خاصة بعد وقوع الازمة الاقتصادية الطاحنة في اوائل الثلاثينات وكان الصراع يتمثل اساسا في ارتكان الاحزاب السياسية على الطلبة ٠ وكان صراع مظاهرات وهتافات طلابية دخلت السراي الملكية الى ساحته بدعم من سيطرة الاحتلال الانجليزي مرتكنة على العديد من المحترفين السياسيين في تكوين احزاب سياسية متتابعة تسعى جميعها الى دحر حزب الوفد وهو حزب الاغلبية الذي قامت على اكتافه ثورة ١٩١٩ ٠ فتبلورت حصيلة هذا الصراع بعد محاولات الغاء الدستور واهدار الحياة النيابية من جانب احزاب الاقلية التي تشكلها السراي وتحميها السلطة الانجليزية المهيمنة على شئون الامن الداخلي والدفاع الخارجي ٠٠ تبلورت فيما عرف بالفورة الطلابية عام ١٩٣٦ والتي أدت الى سقوط الآخرين الكثيرين شهداء من طلبة الجامعة والمعاهد وكانت هناك جامعة واحدة هي جامعة القاهرة الحالية وكان اسمها جامعة فؤاد الاول ٠٠

في هذا العام بالذات كان شاعرنا محمود حسن اسماعيل قد تخرج من مدرسة دار العلوم (حاليا كلية دار العلوم) وكانت تقع في حي المنيرة حيث تقوم معظم دور الاحزاب السياسية وجرائدها ٠٠ وقد برز محمود حسن اسماعيل اول ما برز كشاعر سياسي فتجلت مقدرته وسطع نجمه في هذه الساحة ٠٠ ساحة « الدراعمة » كما

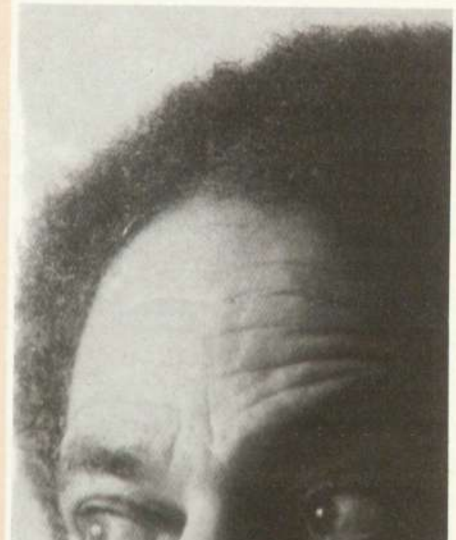

كان يسميهم طه حسين ٠٠ فكان صوته أقوى صوت معبر عن هذه الفورة وشهدائها من الطلاب ٠٠ بعدها مباشرة احتضنه حزب الاحرار الدستوريين وكان من احزاب الاقلية يمثل كبار ملاك الاراضى ويعمل لحساب السراي ويرأسه محمد محمود باشا الذي اعجب بشاعريته فاجتذبه الى صفوف الحزب وفرض حمايته عليه ورعايته له على الاسلوب الارستقراطي الذي اتبعه امراء أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر في احتضانهم النوابغ من الادباء والموسيقيين والمفكرين ٠٠

موهبة الالقاء

كانت الميزة الكبرى لمحمود حسن اسماعيل الى جانب موهبته الشاعرية هي قدرته الفائقة على القاء الشعر ٠٠ استمعت اليه وانا طالب في الثانوية يلقي احدى قصائده في حفل كبير داخل خيمة اقيمت في فناء مدرسة دار العلوم وكانت هذه القصيدة بمناسبة الاحتفال بذكرى الشهداء وفي مرحلة غلبت عليها الخطابة اذ لم تكن هناك ميكروفونات ولا مسجلات ٠٠ ليلتها خرج الناس جميعا أمام براعته في الالقاء وجمال الابيات التي القاها من شعره يؤكدون ميلاد شاعر جديد سيخلف شوقي ان لم يفقه ٠ وبعدها الحقوه باحدى الوظائف وظل موضع اعجاب هؤلاء السياسيين الذين ضموه الى صفوفهم حتى اصبح بمثابة شاعرهم الخاص ٠٠ فلما خفت حدة الصراع الحزبي انزوى في الوظيفة أو بالأحرى كما فسرها لى بنفسه بعد ذلك ٠٠ هرب

كان يفخر دائماً بأنه فلاح وصعيدي .. أي رجل محافظ وعنيد

منذ البداية أدرك أنه ينبغي أن يكون صاحب شخصية أدبية متميزة

كان متقدماً في تفكيره متحرراً في نظرته واسع الأفق في تطلعاته السياسية

ولد فقيرا ومات بعيداً عن أهله وناسه خوفا من الحاجة

طفرة بارزة في شعرنا الحديث وتمهيد لكافة فروع الشعر من بعده

من الاضواء السياسية لانه لم يكن له طاقة عليها وعاد الى حيث الارض والطين والقرية الصعيدية التي نشأ فيها ليخرج لنا اروع دواوينه من الشعر .. «اغاني الكوخ» ثم «هكذا اغني» ومن هنا كانت البداية الحقيقية لمحمود حسن اسماعيل .

شخصية مستقلة

كان محمود حسن اسماعيل يفخر دائما بانه فلاح وصعيدي اي رجل محافظ وعنيد . وكان في تلك الفترة يهيم بحب الارض ويعشق اهل قريته ويتدله في اعزازه لهم .. ولهذا كانت تصرفاته تتسم بالحذر والدقة في معاملته لاهل المدينة التي فرضت عليه ظروف حياته ان يعيش بينهم .. ولهذا ايضا لم يكن يصطفي من الاصدقاء الا من يطمئن الى انهم مثله اميل الى التحلل من التزمت المدني واقرب الى التصرف التلقائي الطبيعي الذي يتسم به اهل الريف . وقد كان كثير المعارف ولكنه قليل الاصدقاء وهذه الطباع الشخصية التي كان يغلف بها نفسه لم يكن مصدرها فقط نشاته والبيئة التي عاش فيها .. وانما كان مصدرها ايضا شاعريته ذاتها .. لانه منذ البداية كان شديد الاعتداد بموهبته ويدرك ادراكا تاما بحكم مكوناته النفسية والثقافية بل وبحكم التجربة القاسية والممارسة الحية انه صاحب شخصية او يجب ان يكون صاحب شخصية ادبية مستقلة .. ولعل بروزه المفاجىء من مبدأ شبابه كشاعر كبير واصيل كان هو الذي غرس في داخليته هذه الاستقلالية ..

ربطتنا صداقة متصلة في سني حياته الاخيرة وبحكم جيرتنا في السكن فكان يشوقني دائما ان انبش في داخليته على مدار جلساتنا التي كانت تمتد احيانا حتى الصباح ونحن جلوس على حافة النهر الخالد . كان يسبح طويلا وهو يحدثني عن نظرته الى الحياة ورايه في السياسة وفهمه لمسار العالم بالقياس الى ماضينا الحضاري . والحق انني كثيرا ما كنت اذهل أمام اغلب آرائه ونظراته .. فالرجل على عكس ما كان يبدو منه في لقاءاته مع الناس . كان متقدما في تفكيره متحررا في نظرته واسع الافق في تطلعاته السياسية والاجتماعية فلما اظهر له بعض التعجب مما كنت احاوره فيه وخاصة ديوانه «الملك» الذي جمع فيه قصائده أو على الاصح مدائحه لفاروق .. كان يردني دائما الى شعره .. «لا يهم ما قد ادخلته من تجديدات وقوالب شعرية جديدة ولكن موضوع اشعاري دائما كان مناطه الحرية .. انا رجل ثائر انتصر دائما للضعفاء والمقهورين» .

والحق اننا اذا رجعنا الى ديوانه الاول «اغاني الكوخ» او حتى ديوانه السادس «لابد» لما عجزنا عن تبين نفس النظرة كامنة في اشعاره وانا ما تغنيت الا بنصفة الضعفاء .. خذ عندك ما قلته عن الفلاح في اغاني الكوخ .. وفي صدر شبابي .

شهدته يزرو دخان الأسى
والوجد في كانونه ساعر
تبكي سواقي الحقل اشجانه
وما بكاه مرة شاعر
شالت بزرع النيل اكتافه
وما رعاه البلد الغادر

الحافظة القوية

كان محمود حسن اسماعيل من اكثر الشعراء حفظا لاشعارهم ولهذا لم يكن اسهل عنده من استحضار قصائده كاملة ليعيد تلاوتها في جلسة واحدة .. ولذلك لم يستعص عليه ان يلاحقني «وليس في صدر شبابي فقط .. بل وفي اوج كهولتي» وراح يتلو علي الكثير من قصائده في احدث دواوينه وفيها يتغنى بالمطحونين .. ولم يتردد في ان يسمي القصيدة بقصيدة الفقراء ويقول في مطلع ابياتها :

من هؤلاء ...
هم الذين تبرجت اعراض كل منعم بعذابهم
من هؤلاء ...
هم الذين تكلمت
للظلم شاهقة بذل رقابهم ...

والحق انه كان شديد الحساسية من هذه الناحية لانه ولد فقيرا .. ومات بعيدا عن أهله وناسه خوفا من الحاجة .

في اسر الوظيفة

نشاة محمود حسن اسماعيل لعبت دورا كبيرا في تكوينه لانه عاش دائما يحن الى منبته الريفي .. ولذلك كان الطابع الريفي الصعيدي يغلب على

محمود حسن إسماعيل

طريقته في الكلام ولهجته في النطق مع انه أمضى طوال عمره في المدينة وداخل المكاتب والدواوين الحكومية !!

كان أول احتكاكي به وهو في الاذاعة يرأس قسم الاحاديث ثم الادارة الدينية وقد عرف بالتصلب والتشدد في تعامله مع الآخرين .. ولكنه سرعان ما اندمج في الجو الوظيفي وانطوى في أسر الروتين اليومي .. وتلك كانت من أسوأ فترات حياته .. فالرجل لم يكن من مصدر يعيش منه غير مرتبه ولهذا سد عليه الاهتمام بالوظيفة الكثير من مسالك انطلاقاته الادبية

كان يرفض حتى لا يتهم باستغلال وظيفته أن تقدم له الاذاعة شيئا من شعره .. وهذه النظرة الضيقة جاءته من أثر ما كان يداخله من شعور بالضآلة لانه موظف . على ان هذا لم يكن يمنع ابدا اذا طلبت اليه مجلة او جريدة ان يقدم لها شيئا من شعره ان يسارع بتقديمه .. ولهذا فكثيرا ما كان ينشر بعض قصائده التي يكتبها في المناسبات الوطنية والقومية العديدة في جريدة الاهرام بتشجيع من رئيس تحريرها أنطون الجميل .. وكان بدوره يتمسك بالتقاليد الصحفية القديمة التي تحتفي بالادب والشعر وتفرد له اوسع الصفحات كذلك كان ينشر بعض قصائده في مجلتي الثقافة والرسالة .

حياة العزلة

تعودت أن ألقاه صباحا ونحن في طريقنا الى العمل . كان هو في الاذاعة .. وكنت أنا اعمل مترجما في بنك مجاور لمبناها بشارع الشريفين. وأتردد على الاذاعة بما كنت اكتبه من تمثيليات وبرامج مختلفة .. كنا نركب الاوتوبيس معا اذ كان يسكن في الجيزة مثلي ، بل انه كان يقطن في المنزل المجاور لمنزلي .. ولكنني لم اعرف ذلك الا بعدها باعوام .. ولم يحاول هو ان يخبرني حتى اكتشفت بنفسي انه جاري وهذا يدل على طبيعة ونوعية حياة العزلة التي اختارها وهي حياة تساعده على الانزواء والابتعاد عن الناس طالما هو خارج العمل . مع ان شخصيته رغم ما كان يخيم عليه في تلك الايام من محاولة واضحة للتماسك والانكماش على نفسه .. كانت شخصية متفتحة وطلقة ومن الصعب اخفاؤها خلف وجه جامد .. قال لي ذات مرة انه لا يدري لماذا يفتح لي قلبه فلا يخفي عني الكثير مما كان يؤرقه ويضنيه .. وكانت المناسبة انني كنت أوالي معاتبته على عدم الاهتمام بنشر اشعاره او جمعها في دواوين .. وتلك المشكلة كانت تؤرقه على الدوام لانه كان يعتقد ان من حقه على الناشرين ان يسعوا اليه لانه لا يستطيع بل يابى ان يعرض على احد ان ينشر له شعره .

هيئته الشاعرية

ولعل من اطرف الصور التي اذكرها عنه في تلك الايام ، انه كان يسير دائما وهو يحمل العديد من الدوسيهات والاوراق والملفات على طريقة الموظفين الحكوميين .. فاذا لم يكن فانه يضع تحت ابطه الجرائد اليومية ليتقي بها حرارة الشمس مع ان رأسه كان مغطى بشعر طويل مشعث لا يحاول ان يصففه ابدا .. اذ كان يكره الحلاقة كراهية التحريم .. ولهذا فغالبا ما كنت تراه وقد اغفل حلاقة ذقنه لفترات طويلة . وكان محمود حسن اسماعيل فارع الطول يمشي بحذر ولا يكاد يتوقف أو يحاول متابعة شيء مما يجري حوله ويلتزم دائما بالرصيف . يمرق في سرعة وكانه يريد ان يهرب من شيء ليلحق بشيء آخر يكفل له الراحة .

بداية كل جديد

لكن شخصيته لم تكن كذلك على الدوام .. فبعد نشر اكثر من ثلاثة دواوين وبعد ان ارتدت اليه الشهرة التي صاحبت بداية ظهوره أيام الشباب .. بدأ يلبس شخصية جديدة .. وهي شخصية اطلقته من عقال الكثير من الوان التزمت الذي كان يأخذ به نفسه في مواجهة الناس .. ومن خلال هذه الشخصية الجديدة اخذت أتلمس الطريق الى ادراك قيمة موهبته واصالة فكره وابعاد رؤياه ذلك انني على كثرة قراءتي لشعره وسماعي للعديد منه على لسانه، كنت استغرب من واقع شخصيته التي عرفتها وحللتها من قبل ، ان يصدر عنه مثل هذا الشعر الغريب الذي لا سابقة له عند من جاءوا قبله من الشعراء .. ولعلي لا اكون مبالغا اذا قلت ان محمود حسن اسماعيل يعتبر بعد شوقي طفرة بارزة في شعرنا الحديث وهو التمهيد الاكيد والرافد الاصلي لكافة فروع الشعر الحديث التي امتدت عندنا من بعده .. سواء كان ذلك في مبنى قصائده واسلوبه التصوري واخيلته الرائعة ورصانته وتجديداته المتطورة. لانه كان من اكثر الشعراء تجديدا في الشكل ومن اقدرهم على تركيب الصورة الشعرية واحكام الموسيقى في كافة قصائده وقد تجلت في شعره معظم التيارات التي عاصرته وربما جاءت بعده فشعره لم يخل من السريالية والانطباعية والرمزية .. وهو يجمع بين الشعر التقليدي والشعر الحر في قوة واقتدار .. وهو نفسه دائما ما كان يعتز بذلك فاذا انت طالبته بمثال لم يصعب عليه ان يلاحقك بقصيدة لانه كما قلت كان من اكثر الشعراء حفظا لاشعاره .. وكان يعتقد دائما انه يقف على مفترق الطرق بين القديم والجديد ، وانه اول من طرق بالشعر مسالك الواقعية ، وأول من مهد للشعر الحر ، ويرى انه في شاعريته انما يشكل الركيزة الاساسية لشعر المستقبل بكل الوانه شكلا ومضمونا .. لكن ماذا عن الشعر الدرامي .. هذا ما كان يجحده بكل عنف .. ومرجع ذلك طبيعته ثقافته الاصيلة الخالية من أي مفهوم للدراما .. ثم عزلته الدائمة عن الحياة الثقافية عامة ..

عاشق النيل

ورغم هذا القصور فقد كنت دائما شديد الاعجاب بشعره .. ولكني لم اكن احتفي بما فيه من تجديدات في الاشكال والقوالب .. وانما كان يجتذبني فيه موضوعات أشعاره .. قضينا سنوات عديدة معه في صحبة يومية وصحبة ليلية ايضا .. فقد

تعود ان ينام ظهرا لساعات طويلة ثم ينهض الى سمار الليل في قهوة عبدالله بالجيزة ٠٠ احيانا ما يمر علي لنبدأ السهر هناك ٠٠ واحيانا ما يلح لاصحبه الى جلسة منفردة على النيل ٠٠ كان يهيم مثلي بحب النيل ويقطع الليل شاخصا في مياهه ٠٠ خاصة في الليالي القمرية ٠٠ وهنا تلزمنا وقفة ساتخطى فيها لقاءاتي معه بين عديد الادباء في قهوة عبد الله ٠ او انفرادنا معا فيما كان يسميه «امسيات المجد على شاطىء الخلود» ساتخطى كل ذلك لاحاول التعمق في الوصول الى غور فكره بما فيه نظرته الكونية ومفهومه السياسى

مكوناته الثقافية

كان محمود حسن اسماعيل شديد التدين راسخ الايمان كما يتوقع بالنسبة لكل ريفي مصري بل لكل مصري على الاطلاق ٠٠ وكان كثير الفخر باسلامه وعروبته ٠ ولم يكن يفصل بين الاسلام والعروبة فما دمت مسلما فانت عربي٠ هكذا كان يقول دائما ولكنه لم يكن متعصبا لا في تدينه ولا في عروبته رغم نشاته ودراسته الدينية والبيئية التى تعلم فيها ٠٠ وكان يحفظ الكثير من الآيات القرآنية ويرددها على الدوام في ميل واضح الى طلاوتها وحلاوتها في معناها ومبناها ٠٠ يتذوقها بفن وحس لغوي مرهف ٠٠ وكان دائما يركز في اسلامه وعروبته على التغني بحياة الرسول وخلفائه الراشدين ويعتبر ان هذا هو العهد الذهبي والوجه الحقيقي للاسلام والعروبة ٠ وفيما عدا ذلك فلم يكن يرجع للمفاخر العربية الا من خلال أمجاد التراث في مراحل الحضارة العربية ابان ازدهارها ٠ وكان جوهر الدين عنده يتمثل في العلاقة المباشرة بين العبد وخالقه وهي علاقة لا يجب ان يداخلها وسيط من الاولياء ٠٠ ويؤكد دائما ان جوهر الاسلام هو حرية الفرد ٠٠ ومن هنا كان ارتباطه الدائم بالدعوات العصرية المتحررة ٠ كالديمقراطية وحرية الفكر ٠٠ ولم يكن يعارض تحرير المرأة ولكنه كان يرفض الانحياز

زكريا الحجاوى

محمد عبد الوهاب

للجماعات الدينية التي تتجه نحو السياسة وهي ظاهرة مميزة لعصره ٠٠ ولعل الارستقراطية الوحيدة التي كان يؤمن بها هي ارستقراطية الفكر ٠٠ وكان يتمثلها دائما في نفسه ويعبر عنها بانها «الشموخ الروحي» ٠

الشموخ الروحي

ومن مظاهر هذا الشموخ انه كان ذات مرة في ضائقة مالية يواجه مصاريف اضافية ينوء بها مرتبه لمعالجة ابنته ٠٠ وكنا نجلس في قهوة عبد الله بميدان الجيزة وهو في كمد وضيق على غير عادته معنا في مثل هذه الجلسات ٠ وحدث ان الراديو كان يذيع اثناءها قصيدته «النهر الخالد» التى يغنيها عبد الوهاب ومعنا صديق محام له مكتبه المعروف في الجيزة وهو من أخلص اصفيائه ويبدو انه كان على علم بما يؤرقه من متاعب مالية ٠٠ وحين سماع القصيدة ساله المحامي مباشرة عما تقاضاه ثمنا لها ٠ فاذا هو اجر بسيط لا يتناسب مع قيمة القصيدة وذيوعها بما وزع من الاغنية مسجلا على اسطوانات تعدت المائة الف ٠٠ وحاول ان يقنعه مستعينا بعلاقتنا الفنية به انا والصديق الراحل زكريا الحجاوى ان يقبل مطالبته للشركة التي سجلت الاغنية والتي يملكها عبدالوهاب ٠٠ بان تدفع له حق أداء علني عن الاغنية ٠ ولكنه رفض باصرار واعتبر ذلك نوعا من التسول الذي لا يمكن ان تقبله شاعريته والظاهر ان صديقنا المحامي استطاع ان يسوي المسألة مع الشركة ويحصل له على مبلغ اضافي ٠٠ لانه حدثني عن ذلك وهو غير مصدق ان له حقا على احد فيما يكتبه من الشعر ٠

عالمه هو شعر

عاش محمود حسن اسماعيل طوال عمره محدود الدخل من اسر الوظيفة ولم يكن شعره يدر عليه شيئا تقريبا ٠٠ فلقد نشر معظم دواوينه متاخرا وهو على اعتاب الشيخوخة ٠٠ وباعها بثمن بخس ٠٠ دراهم معدودات كما كان يقول ٠٠ ولانه لم يتعود ان يجمع قصائده فقد كان نشره لدواوينه من الاحداث المثيرة ٠ كان يستحث أصدقاءه ومعارفه بان يمدوه بما يمكن ان يكونوا قد وقعوا عليه منها منشورا في المجلات والصحف ٠٠ ولكنه اعتمد في اغلب الاحوال على ذاكرته الحافظة لانه كما اسلفت كان من امهر الشعراء الذين يمكنهم حفظ واستيعاب اشعارهم ٠٠ رغم ما عرف عنه دائما من نسيان كلي لكثير من صغائر الحياة المادية بل والاسماء والاشخاص والاماكن ٠٠ ذلك انه كان يعيش في شعره ومع كل بيت من ابيات قصائده اذا أبدعه فانه لا يخرج من ذاكرته ابدا ٠

نعمان عاشور

من تجاربى الشخصية

الـــدرس

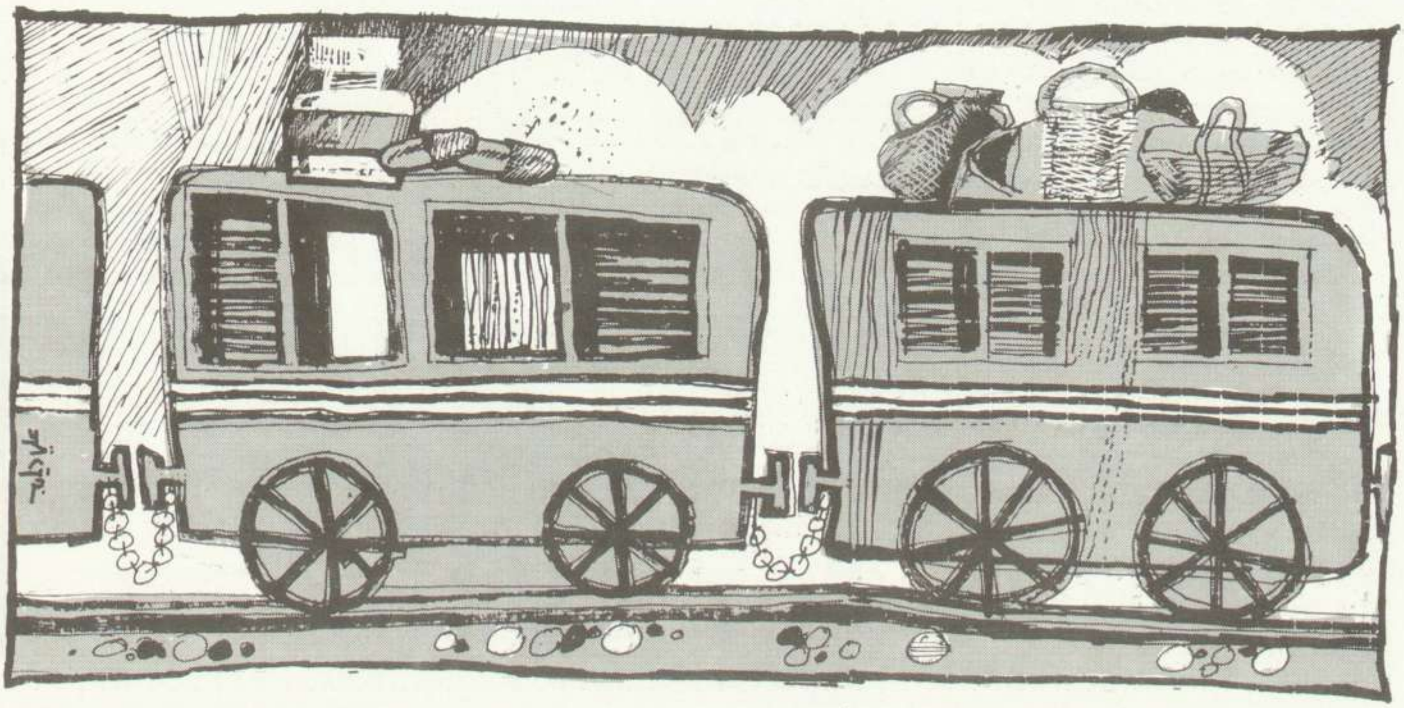

عندما أعددت نفسى للسفر فى ذلك اليوم لم اكن أدرى اننى أعد نفسى لتجربة لن أنساها .

كانت محطة القاهرة تموج كعادتها بالحركة ، وأنا أقف على الرصيف المخصص لقطار الصعيد ، وأنا أحمل حقيبتى بعد أن انهيت عامى الدراسى الجامعى واستعددت لقضاء اجازة الصيف مع أسرتى .

ربت أحدهم على كتفى برفق .. التفت اليه .. كان أحد زملائى بالجامعة ، وإن لم تكن لى به علاقة قوية سألنى والخجل يغلف كلماته «هل أنت مسافر الى سوهاج ؟» . فلما أومأت مجيبا قال لى فى حرج :

«إن معى حقيبة صغيرة بها أدوية لوالدى المريض بالقلب ، لابد وأن تصل اليه فى سوهاج .. وإن لم تصل اليوم ، فلا يعلم الا الله ماذا ستكون النتيجة ؟»

ولما كنت ميالا للخير بطبعى ، فقد وافقت على الفور ان احملها الى والده إذا وافق وكتب لى العنوان على ظهر الحقيبة . وفعلا .. أخذت منه حقيبة الأدوية ، وركبت القطار ، وأنا أشعر بالسعادة الغامرة لأنى سأستطيع نجدة إنسان فى وقت محنة ، وتخيلت الرجل المريض وهو يتألم ، وأهله من حوله لا حول لهم ولا قوة ، ثم دخولى عليهم – كملاك هبط من السماء – أحمل بين يدى حقيبة الأدوية التى أرسلوا فى طلبها من القاهرة .

وهبط على الليل وانا فى القطار .. فنمت بعض الوقت ثم استيقظت على صفيره ، وهو يدخل محطة سوهاج ، وحملت حقيبتى على عجل ، وقفزت من القطار ، ثم حملتنى إحدى العربات الى منزلى ، قضيت أكثر من ساعة مع والدى أحكى لهما عن رحلتى من القاهرة ، ثم تناولت عشائى ، وارتميت على فراشى بعد عناء السفر الطويل .

وفجأة .. استيقظت من نومى فزعـا ، وكأن كابوساً ألم بى .. لقد تذكرت انى نسيت حقيبة الأدوية بالقطار .. أخذت أهمهم بكلمات ليس لها معنى .. كيف نسيتها ؟ .. وماذا سأفعل ؟ كنت أتمنى لو أنى مازلت نائماً ، وإن ما حدث فعلا ليس الا كابوساً من عمل الشيطان .. ولكن رويداً بدأت تتضح المأساة أمام عينى .. لقد نسيت الحقيبة .. وخنت الأمانة .. وقتلت مريضاً لا ذنب له إلا أن ابنه وثق بى يوماً ما .. وبدأت دموع الندم تنساب على خدى .

مرت شهور الاجازة الثلاثة على هذه الواقعة ، ولم يكف ضميرى عن تأنيبى يوماً واحداً ، حتى كان يوماً لا أنساه ، وأنا بالكلية وجدت زميلى الذى كلفنى بتوصيل الحقيبة يحيينى مرحباً نظرت اليه مستعطفاً وفى عينى أسف شديد .. لكنى فوجئت به يقول لى : لست أدرى ماذا كنت سأفعل يومها بدونك ؟ .. لولا انك أوصلت الأدوية فى موعدها لهلك والدى .. انك شهم !

لا تسألونى كيف حدث هذا ؟ .. أنا أيضاً لا أدرى .. ربما وجد أحدهم الحقيبة وحملها الى العنوان المكتوب عليها .. كل ما أدريه اننى ذقت فى هذا اليوم طعم النوم الذى هجرنى منذ ثلاثة شهور .. استغرقت فى النوم ، وأنا أتمتم بكلمات الشكر لله الذى شاءت رحمته أن تصل الحقيبة فى موعدها رغم إهمالى ، وأن أنال – أنا – درساً لا أنساه !

حماده محمد محمود
مصر – سوهاج

مواقف ثقافية

دعوة لانتماء حميم

كل منا يبحث عن نفسه ، عن آخر فيه أكبر من حياته وسعيه اليوميين .. آخر لا يقذف به خارج إطار المجموعة الثقافية والانسانية والحضارية التى ولد ، نشأ ، ويعانى هذا البحث فيها .. نحاول اذن أن ننتمى وبشكل حميم وفعال ومقدر انسانياً .

فى العمل والصداقة والحياة الترفيهية العامة ووسائط الثقافة والاعلام جرعة عالية من المعطيات التىتشكل خطانا نحو ذاك الانتماء الحميم ... أو هكذا كان ينبغى أن يكون الحال . ولكن ما نتبلغه من كل هذه المجالات فى حياتنا العربية المعاصرة يغربنا اكثر واكثر عن حلمنا البهيج .. لأن هذه المجالات كلها تتعامل مع الواحد منا وكانه لا سبيل له لمعرفة ما يجرى فى العالم .. وكان هذا العصر لا يفاخر ما سبقه من تاريخ فى الابداع الانسانى والاتصال العالمى بأنه أكثر العصور ازدحاماً بالمعارف ، واحفلها بوسائط الانتقال الثقافى وأرفعها قدرة ودراية بتبليغ الرسائل : علمية كانت أم سلوكية أو خبرية أو ترفيهية أو دعائية ..

هل كان هذا من قبيل الصدفة او الاتفاق التلقائى ان جاءت أحداث بولونيا وتحولات الأوضاع فى الصين مكشوفة دقيقة فى تفاصيلها ودواعيها ونتائجها ؟ أم أن السرية فى التوجه والتحوط أصبحا أمراً محالا فى عصر الاقمار والعيون التى ترصد كل شىء فى المعمورة ؟

ان ساحة الاختيار لم تكن يوماً مثل ما هى عليه الآن تنوعاً واتساعاً ، فان الاختيار تحت مظلة الدمار النووى يكاد أن يضحى عسيراً بشكل لا انسانى .. أما الانحياز فهو مستحيل ، لأن الحقيقة ـ كما تشاع ـ لم تعد تتمتع بذلك القبس اليقينى والوثوق .

بلغاء السياسة بيننا يبشرون بتوحيد الاستراتيجية والتضامن .. ويكثرون النفخ فى بعض القرب العجفاء المثقوبة ، كل وفق هواه الذى يعتقده .. ولا نقول مصالح افق محلى لا يحق لها أن تفرض ذاتها على رحابة اطار المجموعة الثقافية والانسانية والحضارية التى أورثها الله من من عليهم بنعمة ضوء وقدرة الدين الحنيف فى قلب معطيات الحياة فى ديار العرب والعجم على السواء .

والمتربص بنا ـ وان تبدى الصديق الأرفع علاقة معنا ـ يرسم عنا لوحة يستعير ألوانها من تفرقنا واساءاتنا لبعضنا الآخر ولارثنا الانسانى وواقع المسافة بين فعلنا وهوانا وقدرنا وحالنا الحقيقى . ولذا كان الواحد منا يتمنى أن يقل التطوع والحرص بين كتابنا وحملة الاقلام منا على التوكيد الذى يتيحه بتباين القناعات السياسية والفكريات المستعارة أو تلك المحتفرة خصيصاً لتبييض فضائل قومها وتبخيس جواهر غيرهم ، والذى تيسره الاعفاءات والتسهيلات فى بلاد قوامها الاتجار والربحية العالية .

لأهل السودان تقليد ورثه الفقراء عن أول تجربة وحدت تلك البلاد الشاسعة لتصبح سنارية متوجهة نحو كعبة الهداية ورفعة الانسان .. ذلك هو حرصهم على العالم الفقيه العامل الفقير المجاهد فى شان الله ومصلحة الأمة ، طاهر اليد واللسان ، شجاع الرأى والبيان ، فارس الملمات وطلاع المواقف الصعبة .

وكانوا يوفون بما يشير به ، ويحتكمون الى الضوء الذى يحصله لنفسه المنذورة لاعلاء شان الحق والخلق .. ما كان يهجر قومه إلا لحجة يطلب فيها زكاء النفس وزاد المعرفة ..أو لينشر نور الهداية فى بقاع لم يتيسر لها ان تشهده .

وحين أغوى العدو الصليبى سادة العثمانيين فغزو تلك الديار طمعاً فى خيرها واستعباداً لانسانها الطاهر المزكى ، جاءوا بعلماء سوء ، أفرخوا علماء غرض حاولوا طمس الاطار الحضارى الثقافى الانسانى فى البلاد . ولكن الحرص فى وجدان أهليها على الانتماء لانسانية مؤمنة موحدة فاعلة قذف بهم الى ساحة الجهاد ، فشرفوا سادة فى بلادهم ، وكتيبة نصرة للحق فى أرض الله الطيبة .

للغة أثرها الذى يمتد خلف قيامها بمهمة البيان والاتصال .. فعبر اللغة يتم اكتشاف للحياة والنفس وأثر التجربة العامة والخاصة على المخيلة والذاكرة والمزاج . وعبرها نكتشف الآخر فى أنفسنا وفى اللغة . وحياة اللغة هى محاولتهاالتعبير عن كيان يبحث عن وجود عبر الذات والآخر والعالم . فإذا تشددت الحياة اليومية فى حرصها على الانصات لطرق الفاظ مكرورة تواكب معطياتها ، فان اللغة تفرغ من محتواها الأكثر نقاء واتصالا بينبوع القدرة والخلق فى الانسان .. ويتم بذلك استلاب لقدرة الوعى على التميز .

لقد استقر فى يقيننا بفضل أدوات تحرير المعلومات والأفكار والتوجهات أننا نعانى من التخلف وعدم القدرة على مخاطبة التفوق الغربى ، وأننا غير عقلانيين ، وأننا نعانى ازدواجاً فى الشخصية ونحن نتعامل مع العصر ، وانه لن تقوم لنا قائمة لأننا ندمن الاحتجاج بالماضى .

بعض هذه الاهانات والتهم يقدمه مخلصون لوجه التغيير والارادة الجديدة فى العالم العربى والاسلامى . ولكن الأثر الذى يتركه كل ذلك أفظع كثيراً من ظلم الانسان لأخيه الانسان فى عالمنا .. فالظلم يظل فى الاطار النفسى والحضارى الذى ننتمى إليه ، ويمكن تصحيحه .. ولكن هذا الآخر تحطيم للاطار الشامل ، ونسف لمجال حيويتنا وصراعنا وفاعليتنا فى التغيير لاستعادة السمات والقسمات الأفضل فينا ، والملامح الأعمق والأرسخ لأصالتنا وتفردنا .

وفى ظنى أن الوعى بضرورة تغيير الأمور لأفضلها ينبغى ألا يسقط فى متاه سب الأخضر والمصفر واليابس فى أوطاننا ، لأن ذلك لا يؤدى إلا إلى زيادة الشعور بالنقص فى عصر التكنولوجيا ، والاحباط فى أيام الجهاد المعلن ..

رأيت
سمعت
قرأت

رأيت

ماذا سيفعل بأمه

رأيت امراة ممزقة الثياب متسخة البدن منفوشة الشعر تقدم طفلها للطبيب وهى صامتة تملأ الدموع محاجر عينيها ، وقد ادرك الطبيب بحسه الانسانى ما يعتلج فى صدرها وما يموج بخاطرها فمس جبين وليدها وتفحص جسمه وشخص مرضه واعطاها تذكرة الدواء وثمنه فتلقفت ذلك ببسمة شاحبة والدموع لا تزال تفيض بعينيها ...

رايت ذلك فعجبت له وعجبت اكثر لحديث الناس ، فقد زعموا انها مجنونة لا تهتم بامر نفسها ولكنها تقدس طفلها وتمنحه من العناية والرعاية ما يتجاوز الحدود ، تجوع ولا تنسى أن تمد ثديها لرضيعها .. تلهبها الشمس ولا تغفل ان تسدل ثوبها عليه .. يمزقها البؤس ولا يفوتها ان تدغدغ صغيرها وتهزه حتى يفرح ويضحك ويلوح بيديه .. تتمزق وتتوجع وتتعذب لكى تصنع من التمزق والتوجع والعذاب بسمة على ثغر ذلك الصغير .

وتمنيت لو اننى عشت لكى ارى هذا الطفل وهو يكبر ويقوى ويشتد ساعده ماذا سيفعل بامه وقد وهن العظم منها واشتعل الراس شيباً ، وكيف سيرد لها بعض ما منحته من حنان وعطف وحب ، وكيف سيرعاها ويتعهدها ويعتنى بها كما رعته وتعهدته واعتنت به ؟

أحمد الطيب عبد الرحمن
الأبيض ـ السودان

سمعت

انهم يرعون الأغنام

سمعت ان استراليا تتميز باتساع مساحات اراضيها مع قلة السكان ، ولهذا فانهم يبتكرون الأساليب العلمية التى تمكنهم من التغلب على تلك المشاكل . واخر هذه الابتكارات هى ابتكارهم لطائرة جديدة للقيام بعملية الرعى ومراقبة قطعان الماشية حتى لاتخرج عن المنطقة المخصصة لها ، وذلك نظراً لاتساع مساحات المراعى وكثرة قطعان الماشية ، والطائرة المستخدمة تطير على ارتفاع ٩٠ متراً بسرعة ٢١٥ كيلو متراً فى الساعة وتحتاج لمساحة ٥٥ متراً فقط للاقلاع ، ٤٦ متراً للهبوط ، كما انها مزودة بموتور قوته ٧٠ حصاناً وتستهلك ٩ لترات من البنزين كل ساعة ونصف وتصدر صوتا يعيد الماشية الهاربة الى قطعانها ... وهكذا تثبت الأحداث ان الحاجة ام الاختراع .

نبيل عبد العليم كفافى
مصر الجديدة ـ القاهرة

اسطورة ذات مغزى

سمعت من أساطير السابقين ان رجلا صادق ملك الموت فكان اذا جاءه يساله الرجل ازائراً جئت ام قابضاً ؟ فيقول الملك : جئت زائراً ؟

وفى يوم قال الرجل للملاك :ـ أسالك بحق الصداقة ان ترسل لى رسولا حين يحين اجلى يخبرنى بقدومك لقبض روحى فقال عزرائيل : ـ لك ذلك .

ثم هبط الملك على الرجل يوماً فقال له : ـ لعلك جئت زائراً فقال عزرائيل : ـ بل قابضاً . فقال الرجل أما سالتك أن ترسل لى رسولا يخبرنى بذلك ؟ فاجاب عزرائيل : قد فعلت .

فقال الرجل : ـ لم ياتنى رسولك هذا .

قال : بل اتاك ... تقوس ظهرك بعد استقامته .. وابيضاض شعرك بعد سواده .. وارتعاش صوتك بعد ثباته .. وضعفك بعد قوتك ... طلبت رسولا واحداً .. فارسلت لك عدة رسل ... فما بالك تلومنى ؟

منال عبد الحميد الضمور
مأدبا ـ الأردن

قرأت

حديث النباتات

كان من بين ما قراته ان قليلا من العلماء يؤمنون بان الانسان يستطيع ان يتحدث الى النباتات ، ولكن هنك مهندساً يعتقد بان الانسان يستطيع أن يلتقط اشارات كهربائية تعطى معلومات مفيدة عن بعض المحاصيل مثل الطماطم والقطن

وقد بدأ وليام جنسلر تجاربه فى جامعة اريزونا منذ سنوات عن طريق وضع اسلاك داخل الطماطم ، وهو لا يؤمن بامكانية ان يكون للنباتات مشاعر واحاسيس مثلما يؤمن أصحاب المدرسة التى تطالب بان يتحدث الانسان الى نباتاته لكنه يعتقد بامكانية التوصل الى بعض الاشارات التى تتولد خلال مراحل نمو النباتات وقد توسع جنسلر وهو مهندس كهربائى فى تجاربه فوضع اسلاكاً داخل الأشجار ونباتات القطن مما ينمو فى ولاية اريزونا . وتتصل هذه الأسلاك فى النهاية بصندوق مركزى يتم داخله قراءة الاشارات الآتية من النباتات كل ١٥ دقيقة كما تسجل ايضاً بعض الظروف الخارجية مثل درجة حرارة الجو ، ثم يتم بعد ذلك نقل هذه المعلومات عبر جهاز ارسال مكتب جنسلر .

ويقول جنسلر بانه توصل الى معلومات ستكون مفيدة للغاية للمزارعين حيث وجد مثلا ان نبات القطن يبدى استجابة واضحة بالنسبة لموعد ريه كما انه عن طريق هذه الاشارات يمكن تحديد افضل وقت للحصاد .

ومازالت تجارب جنسلر فى بدايتها لكنها تحمل امكانيات عظيمة لدرجة ان حصل على معونات مادية للاستمرار فى تجاربه ليس فقط من المزارعين المحليين ولكن ايضاً من وزارة الداخلية الأمريكية . ومن يدرى فقد يقف النبات فى المستقبل أمام شاشة الكترونية ليحدد احتياجاته من الرى والوقت الذى يجب فيه حصاده .

رضا ابراهيم محمد سيد
ج . م . ع

قصيدة فى بيت

يمتاز الشعر العربى بانه يحوى ابياتاً كثيرة ، كل بيت فيها يعادل قصيدة .. ابياتاً تجرى مجرى الحكمة ، وتصلح لضرب المثل او للتعريض او للنصيحة الخفيفة ، ويود كل عربى مثقف ان يحفظها ليزيد بها ثقافته . واخترت هذه من القصائد الشهيرة :

فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالباً
فانك لا تدرى متى انت راغب
(ابو الأسود الدؤلى)

ولاتجلس الى اهل الدنايا
فان خلائق السفهاء تعدى
(ابو العلاء)

ولا ذكرت جميلا من صنائعها
إلا بكيت ولا ود بلا سبب
(المتنبى)

عبد القادر ديرى
سورية ـ حلب ص.ب ١٥٧

الحب في زماننا

للشاعرة: وفاء وجدى

(١)

ابحث فيك عن حقيقتى
لكنك السراب
اعيش فيك رحلة اغتراب
وحين ابتغى الرجوع
لا أملك الرجوع
من رحلة العذاب

(٢)

لم تعرف الحب كما عرفته
لم تعرف الحياة
لم تلتقط سوى قشورها
ما اسقطته الريح فى يديك
لكن جوهر الحياة لم يمت
والحب لم يمت
ما مات إلا قلبك الذى
لم يعرف الحب كما عرفته
لم يعرف الحياة

(٣)

رحلت ما خلفت فى طريقك الوهمى
إلا نعيق البوم والغراب
يحجل فى حديقة الأحزان
ينعى إلى الزمان
ما كنت قلته فى الحب والحنان

(٤)

رويت لى وكم رويت من احاديث الهوى
سهرت كم سهرت ترضع الأسى
وتلعق الجراح
وحينما جمعت من حديقتى
زهر الهوى الفواح
اغسل من رحيقه جراحك المريرة
رحلت بعد أن شفيت فى وقت الظهيرة

(٥)

هل قلت لن تعود يا حبيب ؟ لا
ما قلت غير معسول الكلام
صدقت كل ما رويتــه
لأننى لم أعرف الكذب
لم اعرف الهوان

(٦)

احجل كما تشاء يا صديق الذكريات والهوى
بالأمس كان ها هنا حبيب
واليوم غاب
فاحجل كما شئت هنا
فاننــــــا
انا وانت ها هنا
صرنا صديقين فلا
لوم علينا يا غراب
امسح ريشك الحزين ليس لى
سوى حكايــة كتبتها بادمعى
ـ وكنت انت شاهدى ـ
فى لوحة يباب .

(٧)

اعرف فيك كل ما مضى من السنين
يومى وما اعيشه ـ لو عشت ـ فى غدى
اعرف فيك كل ما احببت من جمال
اعرف فيك نضج موسمى
خلاصة الحياة فى دمى
اعرف فيك جوهرى ..
ومسكنى
ونبع إلهامى الذى تطمسه
عواصف الرحيل .

(٨)

كذبت حين قلت يا حبيب أن ما مضى سراب
كان السراب انت بيننا
الهث خلف قطرة
لا ارتوى إلا من العذاب
إن كنت من خيالاتى التى رسمتها
بريشة الحب على السحاب
فما تكون يا ترى حقيقتى
من بعد ما افيق من غيابة الضباب

(٩)

الحب فى زماننا مسافر غريب
تلفظه الأوطان ..
تطحنه الدروب
وتصفق الأبواب حينما تراه
مستجدياً للأمن فى مجاهل القلوب
قلبى عليك يا غريب
تسير تلعق الذنوب
تهان كم تهان فى زماننا
وتطلب الأمان فى ديارنا
ولا مجيب .. لا مجيب

(١٠)

الحب فى زماننا غريب
رحلته إلى قلوبنا اغتراب
كما يطوف الأنبياء طاف فى زماننا
ومنذ اوليناه عهدنا
سرنا كما يسير فى طريق الاغتراب
حقيقة تبحث عن حقيقة
وربما سراب
يبحث عن سراب

وفاء وجدى

عبد المنعم الجداوى

الصياد يحاصر الغزالة

لماذا العنف ، والقسوة ، والوحشية فى أيام المماليك ؟!

هل هو الخوف الذى يلف كل شىء ؟ هل هو عدم الاستقرار ؟ هل هو الفشل فى ادراك أسرار المرحلة ، ودهاليزها ، ومزالقها ؟ هل هو ضغط القمة ، التى تضغط كالآلة العمياء ، ذات الألف ذراع ، ولكل ذراع الف أصبع ؟ هل غياب القمة كعقل ، وحضورها كبطش ممثل فى أصغر الأصابع ، هو الذى جعل العنف الأسلوب الأمثل للحياة ، يضغط الكبير على الصغير حتى يسحقه ، ويتحين الصغير الفرصة للوثوب على الكبير ليطحنه ؟..

ربما كان كل ذلك وراء تصرفات المماليك المجنونة ، فلا أمان ولا أمن ، ولا قواعد مكتوبة أو حتى متعارف عليها للحكم ، إنها القوة وحدها ، والقدرة على استقطاب أكبر عدد من الأتباع والفرسان الذين لا تساندهم حكمة تحد من شراستهم ، وتعتقل جموحهم ، وتصحح مسارهم حتى لايصبحوا مجرد قوة بطش وجبروت !

ورغم هذه المنابع الموحدة للبطش ، إلا أن الأساليب كانت تتميز باختلاف الأشخاص ، تمشياً مع سير حياتهم ، وما تعرضوا له من ازمات ، ومعاناة ، والطريقة التى جيء بهم بها الى القاهرة ، والذكريات المبعثرة فى ضمائرهم عن حياتهم الأولى ، قبل أن يخطفوا ويباعوا

● هل كانت الذكريات المبعثرة فى أعماق المماليك هى سر العنف والقسوة والوحشية ؟

أطفالا ليدربوا على أعمال الفروسية ، والقتال ، ويحال بينهم وبين ماضيهم ، فى تعسف لاقصائهم إقصاء كاملا عن المنبع الذى جاءوا منه عاطفياً ووجدانياً ومادياً ، فيكبرون على الولاء لسيدهم أو أستاذهم كما كانوا يطلقون على صاحب المماليك ، الذى هو فى ذات الوقت واحد منهم لكنه تدرج فى الوظائف ، أو وثب الى الصدارة !
والغريب أنه عندما كان يموت الاستاذ يرثه تلميذه الأول فى كل ما ترك حتى فى زوجاته ، دون أولاده ، الا اذا كان قد أوصى لاحدهم ببعض الأبناء . فقد كانوا يرون أن صلة المملوك باستاذه المملوك أوثق وأقرب من صلة المملوك بابنه !

عدم الانتماء

قد يكون من هنا تمركز فيهم العنف والقسوة ، انعكاساً للأهوال التى لاقوها أطفالا ، حين الخطف ، وحين القيود ،

● **كيف ماتت فاطمة هانم .. وما سر انتحارها بعد رحلة من العذاب الدامى ؟ !**

الصياد يحاصر الغزالة

وحين السجن ، والبيع .. ثم الشعور عند الكبر انهم بلا جذور .. وبلا أهل حقيقيين .. حتى انجابهم للأولاد والبنات لم يكن يعوضهم عن ذلك .. أو يزرع فى صدورهم الشعور بالانتماء !

وما كان استكثارهم من المماليك ، والجوارى الا دفاعاً من أعماقهم ضد الضياع الذى يشعرون به .. وما كانت المظاهر الفخمة ، والتظاهر بالاستعلاء إلا غطاء لما يقبع فى جوانحهم من هوان !

وكان ذلك النقص المستتر ، يدفعهم الى المبالغة فى حب مصر ، وتملك مصر .. المبالغة التى تصل الى ضدها ، فقد كان بعضهم يكره الشعب المصرى من كل قلبه ، ويرى انه لايستحق ان يكون فوق هذه الأرض التى يشقها النيل ، وكانوا يطلقون على انفسهم المماليك المصرية تمييزاً لهم عن المماليك الاتراك أو الشوام

ومن خلال قصة «فاطمة هانم بنت رضوان بك» .. استطيع ان اضع أصبع القارىء على بعض خصال المماليك الغريبة التى أراد بها الجبرتى أن يفسر لنا ظاهرة العنف والقسوة عند المماليك ..

الأذن الصماء

... ألقت نظرة على ما حولها .. حاولت أن تكون شامخة .. لا يجب أن يرى الناس منها الا قوتها .. سطوتها .. عزة ابنة رضوان كتخدا الأستاذ لمئات المماليك .. الذين يجرون حول حصانه اذا ركب فى احتفال .. أو ذهب الى القلعة ..

ألف طعنة وطعنة وجهتها لها الأيام .. لكن لابد أن تصمد .. صبرت طويلا .. حتى اذهلت كل من حولها ..

كانت تحاول أن تصمد وتصمت فى وقت واحد .. أن تجعل من آلامها بسمات وأن تذيب احزانها فى اللامبالاة .. وتشغل جروحها بالذكرى وتخلطها بهموم الآخرين .. تحتضن محنتها .. تدفعها عن جبهتها .. حتى يظل جبينها موطن اشراق .. فقد كان أكثر ما تخشاه نظرة اشفاق ، قد تطوى شماتة مستترة !

أرسلت آهة من الأعماق .. هبت جاريتها التى تجلس عند قدميها تحت الأريكة : سلمت من الآهات والأنين ياسيدتى .

أرخت فاطمة أهدابها الطويلة على عينيها الواسعتين ، وتركت بصرها يتسلل الى غزالة «محنطة» تقف فى أقصى القاعة .. فوق قاعدة من الفضة .. حملقت فى عينى «الغزالة» كأنها تراها لأول مرة !

ليتها تستعير هذه النظرة الميتة .. الساكنة .. التى ماتت الأسئلة فيها على الحدقتين .. ورغم الموات التى هى فيه ، إلا أن البعث يرقد بارزاً ، الى جانب الموت .. هى فى حاجة الى مثل هذه النظرة ، حتى لاتشى بها الأحزان التى تشوى أعماقها !

زوبعة الخلاف

لقد شهدت هذه القاعة أحلى أيامها ولياليها ، وها هى تشهد احلكها وأقساها .. شهدت عقد قرانها على «على أغا» الذى عينه والدها «رضوان بك» فى وظيفة «سنجق» وامتلأت يومها الدار بالمماليك وعلية القوم !

كان والدها فى صدر السلطة ، ولذا حضر الحفل «على بك الكبير» و «محمد بك أبو الدهب» ، ونثرت الدنانير الذهبية على الرؤوس ، وضاقت الدار بالهدايا التى جاد بها التجار ، والأعيان .. وحمل اليها تجار الصاغة طربوشاً من رقائق الذهب !

وقبل أن يتم الزفاف بأيام وقعت الواقعة .. هبت زوبعة الخلاف بين «على بك» و «أبو الدهب» ، وانقض هذا على ذاك ، وبطش المماليك ببعضهم البعض ، وفر «رضوان بك» والدها ، ومعه «على أغا» سنجقه الى بغداد ، تاركاً خلفه كل حريمه ، وأهله ، وحوصر القصر بجاويشية «أبو الدهب» ، وهموا بنهبه أسوة ببقية القصور التى فر أصحابها ، لكنها تصدت لهم ، وواجهت كبيرهم ، وهددته بأنه قد يدفع رأسه ثمنا لأى خطأ يقع من رجاله ، فقد حصلت على الأمان من «محمد أبو الدهب» ، ولم تكن رأته أو تحدثت اليه ، الا فى حفل عقد قرانها .. وتراجع كبير الباشجاويشية ، وظل يحرس القصر من موجات الفوضويين .. حتى أقبل الليل .. فلما دخل يستأذنها فى الانصراف .. أمرت لهم بالعشاء ،

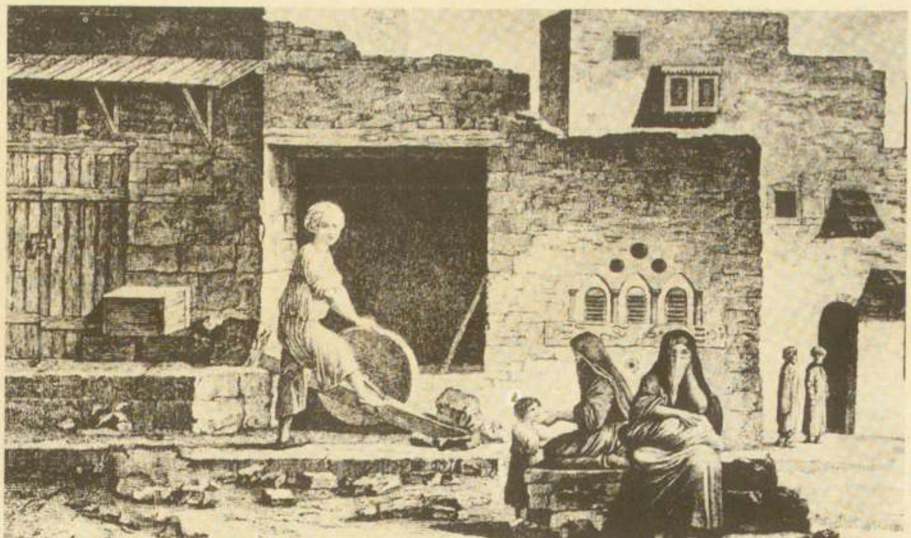

● لم تكن تلك الأحاسيس التى تعتصر قلبه بخافية على ذكاء مثل ذكائها الوقاد !

وبعشرة أكياس من الدنانير له ولرجاله ، فظل فى الحراسة حتى الصباح ..
وحينما علم «أبو الدهب» بالقصة ، أعجب بذكائها ، وصدق على روايتها .. الا أن هموم الحكم شغلته .. فقد خلا له الجو ، وأصبح شيخ البلد بلا منازع ، فنسي القصة وصاحبتها ، الى أن برز بين يديه من مماليكه «اسماعيل آغا» الذى راح يتتبع أعداء استاذه ، ويوقع بهم الواحد بعد الآخر ، الى أن انتهى به الأمر الى اكبر منصب فى البلد بعد المشيخة ، فنودى به «كتخدا» اى الوزير الذى يحرك العسكر من كل الاجناس ، وتدين له جاويشية البلد ، وقادة الجنود

عاشق الذكاء

وفوجىء أبو الدهب يوما برسول قادم من «بغداد» .. من عند «رضوان بك» ، و «على آغا» يحمل عشرة آلاف دينار ، وعدة قناطير من البن ، والسكر ، والاقمشة كمهر «لفاطمة هانم» ، حتى يسمح لها بالسفر الى بغداد ، لتزف الى عريسها !

هنا فقط تذكر «أبو الدهب» القصة ، واسترجع فى خياله . ذكاء وفطنة هذه الانسانة التى لايجب ان تخرج من مصر فاجتمع بالمشايخ الذين حضروا عقدها ، وقال لهم إنه لا يريد أن يرسلها الى بغداد ، لأن الزوج الذى تركها وفر لايليق بها ، ولا يستحقها .. ولوانه جاء يطلبها بنفسه لما حجبها عنه ، لكن أن يظل هناك ، ويرسل فى طلبها وهى على هذا الجمال والذكاء ، فانه يرى أن فى ذلك إهانة ما بعدها إهانة .. وأفتى مفتى المالكية ان من حق ولى الأمر أن يفسخ عقد القران لعدم التكافؤ ، فعاد الرسول الى بغداد ، ليقول لمن ارسله إن فاطمة هانم طلقت منه !

وذهب اليها «محمد أبو الدهب» .. جاء الى هذه القاعة ، وبرزت اليه من خلف التل «الدانتيلا» الأبيض ، فلما أبلغها انه فعل كذا وكذا من اجلها فما قولها؟ اجابت بجنان ثابت : لقد صدقت على قولى الذى قلته عنك .. وهو ضد مصلحتك ـ افلا أصدق على قولك فى ـ وهو فى مصلحتى ؟!

وأردفت قائلة :
● لو أن الرسول جاءنى ما قلت له غير الذى قلته ، وإنى لأشكر لك اهتمامك بى ، وحرصك على كرامتى .. وإذا لم يرع الوالى الكرامات فمن يرعاها ؟!

أذهل الرد «أبو الدهب» ، ولولا ان له اربع زوجات لتزوجها ، فهو لا يرضى لها أن تكون محظية أو من السرارى ، وتمنى لو أنه استطاع أن يقول لها ذلك ، غير انه خشي ان يجرحها او يخدش مشاعرها !

فجاة وهو يبحث عن كلام يختم به حديثه .. تذكر أن وزيره «اسماعيل بك الصغير» وكتخداه غير متزوج .. فقال لها .. إنه يخطبها اذا قبلت لوزير مصر وتلميذه ، وله عنده منزلة الابن !

فقالت انها تسال الله ان يطيل عمره .. حتى تنتهى ايام خروجها من القصر القديم .. ثم هى بعدها واحدة من رعاياه .. يرى فيها ما يراه .. !!

لم تكن تلك الأحاسيس التى تعتصر قلبه .. لتخفى على ذكاء مثل ذكائها ، وكان بوسعها لو أرادت ، أن ترفع رموشها فترميه فى أعماقه .. ثم تسحبها فاذا بدماء قلبه تسيل حتى تصبغ ملابسه ، فيجثو على ركبتيه ويسالها أن تتزوجه هو .. لا وزيره .. لكنها لحظتها لن تكون «فاطمة هانم رضوان» التى عاشتها .. «فاطمة» التى رقصت القاهرة يوم عقد قرانها ، ولن تكون جديرة بأن تصدر أوامرها الى كبير الباشجاويشية .. فيصدع به ، ويخالف أمر «أبو الدهب» .. إن فعلتها فما كان يمكن ان تكون جديرة بذاتها !!

هى فوق الجميع

هى تعرف أنه لا يعبا فى تحقيق أهدافه باى شىء .. لكنه نشأ مدللا .. أعطاه «على بك الكبير» كل شىء ، وهيا له كل أمر . دون مماليك مصر .. كان لايحمل فى جيبه الا الذهب .. تجرى وراءه كل الدنيا .. ولا يجرى هو خلف اى شىء .. اعتاد ان تاتيه الدنيا طائعة .. فكيف يسعى اليها وهو يطلبها ..؟ أليس فى طلبها لوزيره رمزية يختفى خلفها ، حتى اذا رفضت تكون قد رفضت وزيره ، واذا قبلت كان له معها شأن آخر !

وهرع يخرج كانه يفر من خطر .. خطواته الثابتة لم تعد هى .. لو بقى ليراها من خلف «التل» الأبيض .. ذلك القوام الرائع ، والتكوين البديع . ولو انها رفعت وجهها وعاجلته بنظرة من عينيها ، وزحفت عليه بشخصيتها .. لسقطت مشيخة البلد التى كان لا يجرؤ على أن يحلم بها «رضوان بك» لعبة فى يد ابنته !

هنيئا لك بها يا اسماعيل بك .. همس بها لنفسه .. عند باب القصر ، وهو يهم بركوب حصانه الذى امسك به الخدم .. كان يتكلم مع نفسه .. لو انها ابدت نحونا عطفا .. لأوليناها عطفنا .. اما نحن فلا يجب أن نبدأ .. قال ذلك فى شىء أشبه بالهمسات .. ومضى !

ظلت ساعات تفكر .. فى النهاية اقتنعت بما فعلت .. فهى عنيدة شامخة .. ترى أنها فوق الجميع .. وأبو الدهب له نفس الأخلاق .. لهذا لم يلتقيا .. من المؤكد أن وزيره يختلف عنه .. لو كان مثله ما استوزره .. لهذا تشعر انها سوف تكون سعيدة .. لأن كلمتها سوف تكون العليا !

وبدأت تصلها اخبار «اسماعيل بك» .. انه قرة عين «أبو الدهب» .. دموى .. قاتل ..مثله فى ذلك مثل بقية المماليك .. لكنه رائع الطلعة .. جميل التقاطيع .. باهى اللحية ..لبق الحديث .. كان أبو الدهب يختاره ليكون رسوله الى الآخرين .. واسع الحيلة .. داهية فى التفكير .. لو سارت الأمور فى مجراها الطبيعى ، لتولى مشيخة البلد بعد استاذه .. إن لم يكن بالحيلة فبالقوة !

الصياد يحاصر الغزالة

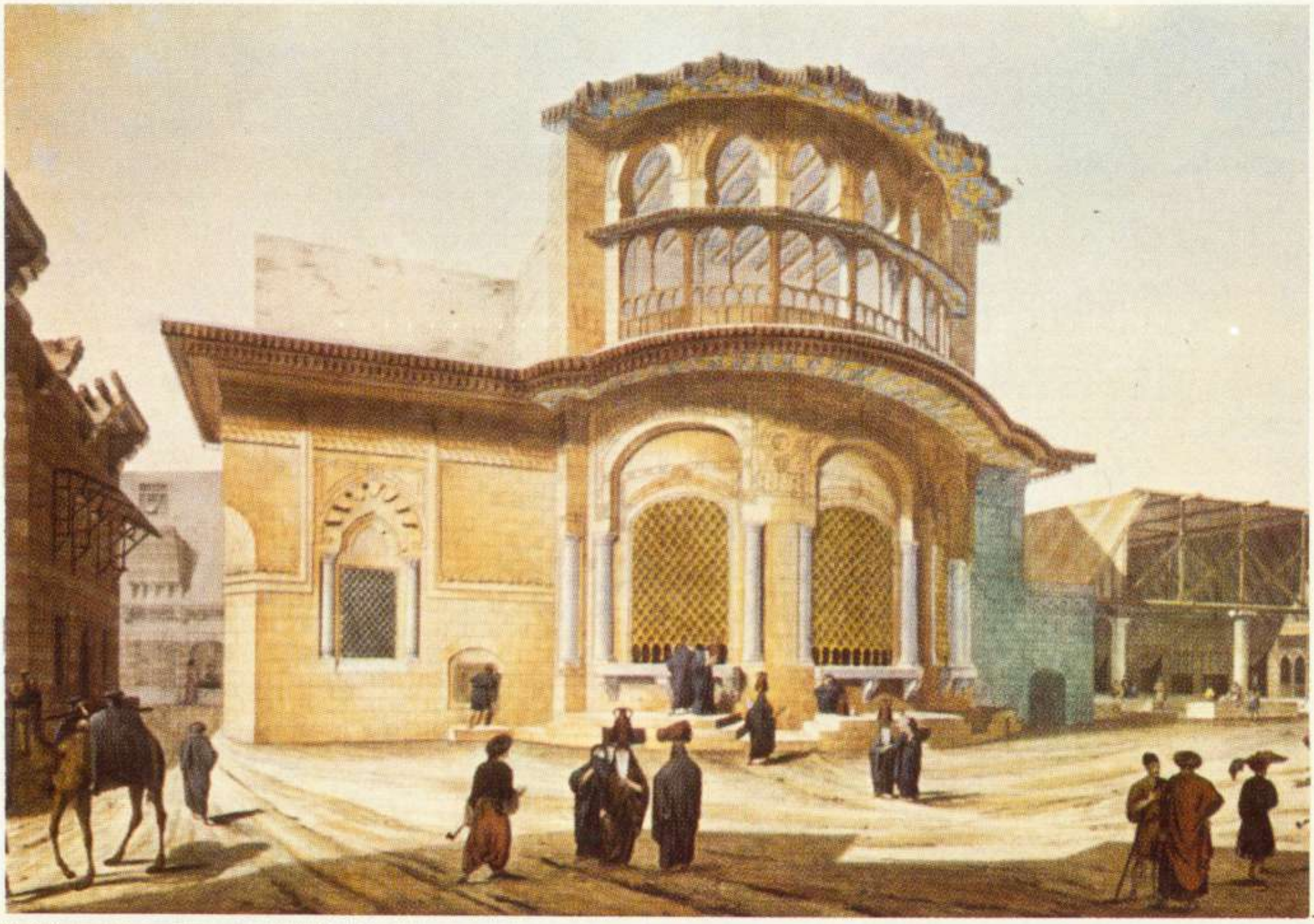

أنا لا أبكى

وانتهت أيام العدة ، وكان ابو الدهب قد حدث «اسماعيل بك» عنها ، فجن جنونه ، وارسل اليها فلم ترده ، واقيم الحفل بعد تنفيذ شرطها الوحيد بان تظل فى قصر والدها .

وشهدت القاعة للمرة الثانية اعظم فرح اقيم فى القاهرة !

ظل «المشاعلية» يحملون الشعلات حول القصر حتى اذن الفجر .. ووزع على الفقراء مائة قنطار من الحنة ، والف قنطار سكر ، ونبح ثلاثمائة عجل ، وثمانمائة خروف ، وعاشت منطقة «الأزبكية» ثلاث ليال من ليالى الف ليلة وليلة !

وعلا ذكر «اسماعيل بك» ، وجرى اسمه على كل لسان ، واحست «فاطمة هانم» انها تشترى سعادتها بايام التعاسة ، وليالى الخوف الطويلة التى عاشتها بعد فرار والدها .. عملت على دعم مركز زوجها، وتوطيد اسمه ، فقد كانت ذات نشاط ضخم .. تهدى عظيم الهدايا فى المناسبات والأعياد ، وتكسو مئات الفقراء إذا اقبل رمضان ، وتطعم الألاف فى عيد الأضحى .. باسم «اسماعيل بك الصغير» كتخدا مصر !

جعلت من ايامها معه الحانا ، تعزفها من ذاتها لذاتها ، تنشده حبا صباح مساء .. لو انه لم يكن اصم العواطف .. لتحول الى شاعر رقيق الأحاسيس .. يرى فى النجوم معزوفه ، ويرى فى الوردة عين الشمس .. لكنه تشغله امور الحكم ، وتاخذه من نفسه محاذير المؤامرات .. لا يلتفت الى شذى الزهرة الفواح التى حبست نفسها من اجله !

أرسلت تنهيدة عميقة .. وشقت عينها دمعة .. مضت وهى لاهية عنها .. حتى سقطت على يد الجارية .. ففزعت مرة اخرى المأ .. قالت الجارية .. فداك روحى يا سيدتى .. اتبكين .. ؟

اجفلت «فاطمة» كانها ضبطت فى عار .. صاحت فى لهفة .. عينى توجعنى فتدمع .. انالا ابكى .. انا لا أبكى .. !

تركتها الجارية ، وانصرفت .. كانت تعرف انها تانف أن يرى الآخرون دموعها .. لكنها كانت تبكى ، وداخلها كان يبكى اضعاف خارجها ..!

فرغم انه لم يمض على زواجها منه اكثر من عامين ، الا انه يفكر منذ أسابيع فى الزواج من ارملة اخيه الذى مات عنها .. وقد كانت قبل زواجها من شقيقه محظية «لرضوان بك» والد «فاطمة» ..

وعلمت أن «محمد أبو الدهب» حاول أن يثنيه عن ذلك ، وقال له ان ذلك قد يؤذى مشاعر «فاطمة هانم» ، الا انه لم يصدع بالأمر ، واصر على بلوغ اهدافه ، وخطب الأرملة فوافقت .. فلما اقبل ينقل الخبر اليها ، تلقته ببرود كلفها كل اعصابها .. قالت له :

ـ تسالنى إن كان ذلك يغضبنى أم لا .. يجب ان تعلم اننى تزوجتك صدقة عن نفسى ، وزكاة عن حماتى .. والمتصدق لايندم .. اذهب فتزوج كما تريد .. بمن تريد .. لكن لاتدخل بها قصرى .. فقد كانت هنا «محظية» مكانها مع الجوارى !

أزمة الغزالة

وبدأت الحرب بينهما فى صمت .. هى ترى أنه لا معركة ، وانه اتفه من أن يكون خصما لها .. تقتله باحتقارها له .. تلقاه بازدراء يقض مضجعه ، وتشبعه باشمئزاز يربكه فى طوال يومه !

وذات يوم فوجئت بجاريتها .. تدخل عليها باكية ، وتطلب منها ان تحمى عنقها من الذبح ، فلما سالتها عن السبب اخرجت الجارية من صدرها ورقة بها مسحوق ابيض .. قالت ان سيدها «اسماعيل بك» ، وعدها ان يعتقها إذا دست هذا لها فى الطعام ، لكنها لاتستطيع أن تقدم على هذا الجرم .. وإذا علم سيدها أنها أبلغتها بالمؤامرة فلن يتردد فى قتلها !

مدت يدها فى هدوء واخذت السم من الجارية .. قالت لها .. قولى له انك اديت المهمة ، وطالبيه بالثمن !

وبعد أيام .. ماتت «فاطمة هانم رضوان» .. ولم يعرف احد كيف ماتت ! الذى كشف سر انتحارها .. جاريتها الخاصة .. قالت إنها سالتها يوما ما .. ماذا تفعل الغزالة حينما يحاصرها اكثر من صياد ، وتدرك انها مقتولة لا محالة ؟ قالت لها : تموت انتحاراً .. تقفز من على الصخور .. أو تموت من الجرى !

قالت الجارية .. ان سيدتها لمعت اساريرها وومض بريق فى عينيها عندما قلت ذلك .. وهتفت : هذا هو الحل !

وعانقت إحباطها لا عجزاً ولا قهراً ، وإنما اعتزازاً بنبل محاولاتها فى اجتيازه حتى لا يذهب اسمى أيام نضالها بلا مقابل .. خاصة بعد ان وجدت أن الحياة لا تستحق أن تقدم من اجلها أدنى التنازلات حتى لا نضعف ولا نتنازل عن هذا الكنز الثمين الذى نقتنيه فى أعماقنا والذى نسميه فى أغلب الأحوال : الكرامة !

عبد المنعم الجداوى

حافظ أحمد أمين

مسرح العبث واللامعقول لا يناسب العرب

المسرح الجاد ، في عصر ما ، وفي وطن ما ، يصور الازمات الحادة التي يحس بها المواطنون في ذلك العصر احساسا قويا عميقا . كان المسرح العربي الجاد – مثلا – يهاجم الاستعمار عندما كان احساس العرب به احساسا جماعيا عنيفا . وقد كانت أول مسرحية لتوفيق الحكيم عام ١٩١٩ (الضيف الثقيل) تعريضا بالاستعمار مثل (العشرة الطيبة) و (شهرزاد) .... الخ .

فلما أخفى الاستعمار نفسه وراء حكام من أهل البلاد يأتمرون بأمره ، انتقلت الازمة من أزمة احساس بالمستعمر الى أزمة احساس بالظلم الاجتماعي ، فلما قامت الثورات في الوطن العربي ، وسمحت للمسرح أن يعبر عن هذا الظلم ، تركز الصراع في المسرحيات الجادة حول الصراع الطبقي . فلما انتقلت الازمة مرة ثانية من أزمة احساس بالظلم الاجتماعي ، الى أزمة فساد سياسي ، انتقل توفيق الحكيم من (الصفقة) الى (السلطان الحائر) وانتقل يوسف ادريس من (ملك القطن) الى (المخططين) .. وهكذا .

ومؤلفو المسرح الجاد هم – عادة – أشد الناس احساسا بالازمات الحادة لدى مواطنيهم وأقدر الناس على التعبير عنها بعمق وصدق كبيرين ، ولهذا نرى بعض المؤلفين المسرحيين الناجحين يتوقفون تماما عن الكتابة اذا ما تغيرت الازمات الحادة الى أزمات من نوع آخر ، وذلك لعدم احساسهم بالازمات الجديدة بنفس العمق والقوة .

الغضب والاحتجاج

ومسرح العبث واللامعقول – لا شك – مسرح المثقفين الاوروبيين في العصر الحديث ، لانه هو المسرح الذي يعبر عن أزمتهم الجديدة الحادة ، وهي أزمة بدأت مظاهرها بعد الحرب العالمية الاولى ، الحرب التي فجرت في نفس الاوروبي مشاعر الغضب والاحتجاج ، ورفض النظم والقيم السائدة في ذلك الوقت ، حتى ظهرت فنون السريالية والدادية ومسرح الاحتجاج .

بلغت مصائب الحرب العالمية الاولى حدا جعل الانسان الاوروبي المثقف يكفر بالدين والكنيسة ويثور على القيم والمبادىء السائدة ، ولكن سرعان ما حل الايمان الشديد بالعلم وتطبيقاته محل الكفر بالدين ، وحلت الآمال العريضة بالتكنولوجيا محل الغضب والاحتجاج ، وتوقع الناس أن يبلغوا السعادة الكاملة اذا ما نجح العلم في القضاء على الفقر والجهل والمرض ، أسباب البؤس والشقاء في ذلك الوقت .

ولم يمض وقت طويل حتى نشبت الحرب العالمية الثانية ، كانت آلامها ومصائبها فوق درجة التصور ، فضاع الايمان بالعلم والتكنولوجيا كما ضاع من قبله الايمان بالاله وبالقدر ، وساد الكفر بالمنطق والتفكير بعد أن كان الكفر فقط بالانظمة والقوانين ، وانتشرت مشاعر اليأس والمرارة بعد أن سادت مشاعر السخط والغضب ، وجاء مؤلفون للمسرح تمتلىء نفوسهم بأحاسيس الخيبة والضياع ، ونعرف عن حياتهم أنها كانت حياة يسودها الغربة والوحدة والانطواء ، جاءوا ليكتبوا كلاما يتقطر عذابا وشقاء ، وليعبروا عن قسوة الحياة وفظاعتها ، هذه الحياة التي أصبحت بلا معنى ولا غرض ، وعرضوا مسرحياتهم فاقبل عليها جمهور المثقفين اقبالا كبيرا ، اذ وجدوا فيها تصورا صادقا لمشاعرهم .

لا تفكير ولا منطق

والانسان – عادة – يميل الى وصف الحياة كلها بالصفة التي تصبغ حياته هو ، وينسى أن الحياة لها امتدادات في المكان والزمان . فان قاسى – مثلا – من أمه أو زوجته ، فالمرأة عنده جنس منحط ، وان شعر بالعزلة والوحدة ، فالحياة كلها قاسية ظالمة وان شعر بالضجر أو القلق ، فالحياة – على وجه العموم – رتيبة مملة ، وان شعر باليأس والخيبة ، فالحياة كلها عبث لا معنى لها ، وهذه كلها

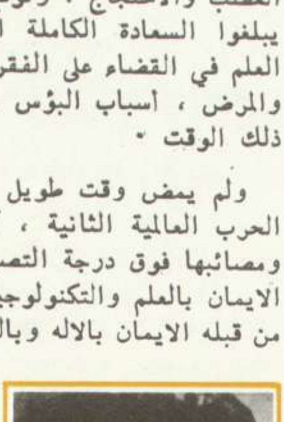

سيد درويش

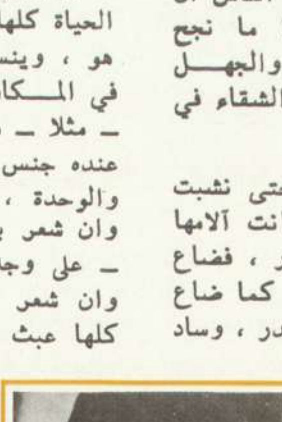

توفيق الحكيم

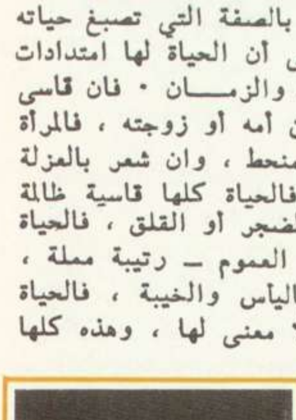

يوسف ادريس

- كُتّاب المسرح الجاد هم أشد الناس إحساساً بالأزمات الحادة لمواطنيهم.
- الإنسان يميل إلى وصف الحياة كلها بالصفة التى تصبغ حياته هُوَ.
- مَسرح العبث يطالب جمهوره بعدم إعمال العقل لكى يمكن السَيطرة عليهم.

أفكار ومشاعر قد تربح صاحبها بعض الوقت ، لانها تساعده على الهرب من التفكير في مراجعة الماضي ومن النظر الى المستقبل ، ولانها تعفيه من البحث عن حقيقة الحيـــاة في قيم وأوطان أخرى ، ولكن هذا الهــرب والوهم ، وهذه الراحة الوقتية ، أمور خطيرة مفسدة ، تعطل أية محاولـــة للاصلاح والبناء .

ان مسرح العبث يطالب جمهوره بعدم أعمال العقل ، حتى يستطيع ان يسيطر عــلى المتفرجين كما يسيطر المنوم المغناطيسي على جمهوره حــين يطلب منه الاستسلام التام وعدم بذل أية مقاومة ، ولعــل سبب اقبــال الجمهور عــلى هــذا المسرح هو أنه جمهور مجهد منهك ، لا يريد أعمال عقله ، فــلا يطلب من العــروض المسرحية الا كما يطلب من طقــوس الرقي والتعزيم والذكر والسحر .

لهذا فان الترجمة الامينة لمسرح العبث الى اللغة العربية - والى أية لغة أخرى - عملية محكوم عليهــا بالفشل ، لأن الترجمة الأمينة تعني تفكيرا منطقيا ، ومسرح اللامعقــول يرفض أصلا التفكير والمنطق . كذلك فان التأليف على منواله محكوم عليه أيضا بالفشل ، لأن المتفــرج العربي لم يبلغ به الكفر بالحياة بعد الدرجة التي بلغها الانسان الغربي .

الضحك الاسود !

لقد كان لطول الفترة التي أمضاها الانسان الغربي الحــديث في كفر بالله ، وايمــان شــديد بالعــلم والتكنولوجيا ، أثرهــا في تقبــل العلاقات الجـــديدة بين الناس ، تلك العلاقات التي صنعتها الآلة وحيــاة المدن الكبيرة بين أفراد الاسرة وبين مجموعات العمل ، وهي علاقات - وان زاد عددها واتسعت مجالاتها - لا عمق فيهــا ولا مشاركة ، فكانت وراء احساس الانسان بالوحدة القاتلة ، والغربة المميتـــة ، ومن هنا جاءت مسرحيات العبث لتصور أبطالها غير قادرين على التوافق مع من حولهم من الناس ، لا يستمعون الى من يتحدثون اليهم ، ولا يفهمون ما يقال لهم ، وذلك لفقدان الاهتمام والتعاطف .

اننا نحيا - في حقيقة الامر - بمقدار ما نحيا في عقــول ونفوس الآخرين ، فان عشنا لا نحس بالناس ولا يحسون بنا ، ولا نفكر فيهم ولا يفكرون فينا ، فقد حكمنا عــلى أنفسنا بالموت .

وهذا ما فعلته - فعلا - الحيــاة الجديدة بعلاقة الفرد بأسرته وبزملائه في العمل ، فقد حكمت التكنولوجيا على الانسان الحديث بأن يعيش منطويا على نفسه ، مستغرقا في ذاته ، علاقته بمن حــوله علاقة سطحية هزيلة ، واتصـــالاته بهم اتصالات سريعـــة خاطفة ، ، وقـــد بالغت مسرحيات اللامعقـــول في تصوير مثل هـــذه العــلاقات ، فجعلت الزوج لا يعرف زوجتـــه ، وجعلت الحـــديث بين الصـــديقين لا يربطــه منطق أو معنى ... الخ . فجاءت المسرحيات أقرب الى الكوميديات الضاحكة ، ولكن الضحك فيها ضحك أسود ، لانه يعبر عن سخرية انسان متوتر ، يريـــد المؤلف أن يزيــل التوتر عن طريق اقناع المتفــرج بأن كل شيء زائف زائل ، حتى الثقافة والحضارة والكلام والمنطق ، كلها أمور باطلة ، عديمة النفع والجدوى .

لقد أدى الايقاع الشرس لحيـــاة الغربيين في المدن الكبيرة ، والسيطرة الكاملة للحكومات على هذه الحياة ، الى احساس الناس بضآلة شأنهم ، ولقد فهم المثقف الغـــربي أن التكنولوجيا المتقدمة هي التي تقف وراء كل هذا، وأنه لا يستطيع التراجع عن هـــذه التكنولوجيا بعد أن تذوق ثمارهـــا ، كما لا تستطيع المومس أن ترجـــع عذراء طاهرة .

ورغم الاوهـــام التـــي تدخلهـــا الحكومات والمؤسسات الكبيرة في عقل الانسان الغربي ، بأنه حر ، له كل حقوق التعبير والاختيار ، فقد اكتشف المثقف الغـــربي أن هـــذه الحكومات والمؤسسات تسيطر عــلى كل كبيــرة وصغيرة في حياته ، وأنه لا أمل في تنازلها عن هذه السيطرة ، ومن هنا سادت مشاعر اليأس والاحباط ، وجاء مسرح العبث ليكسر الاوهـــام التي تزعم بأن الانسان ما زال حرا أو غير وحيد ، ولقد استخدم هذا المسرح ، أسلوب المبالغة والتهويل ليصدم الناس بالحقيقة المرة ، وهي أنهم غير أحرار وغير أحياء .

لقـــد أدت ســيطرة التكنولوجيا والحكومات والمؤسسات الكبيرة عــلى حياة الانسان الغـــربي ، الى الكفر بالمعتقدات ، والعزلة القاتلة ، فكان مسرح العبث واللامعقول تصـــريرا صادقا لهـــذه الحياة ، وهـــو مسرح لا يمكن أن يقبله وجـــدان المثقف العربي - وان فهم سببه ودوافعه - ذلك لأن العربي - بطبيعته - انسان مؤمن : مؤمن بالله وبرحمته وعدالته، مؤمن بالحياة وعظمتها وخـــيراتها ، مؤمن بقيم التعاطف والتمـــاسك بين الناس ، تنحصر آماله وأحـــلامه في الانتفاع بالعـــلم دون تقديســـه ، واستخدام الآلة دون عبادتها .

حافظ أحمد أمين

محمد ابو طالب

ماكبث

«بيتر أوتول» بين اللعنة والغرور

● رغم أن أوتول لم يمثل ماكبث من قبل، إلا أنه ليس غريباً على مسرح شكسبير

– بيتر أوتول

في الأسبوع الأول من سبتمبر الماضي أفتتح مسرح «أولدفيك» موسمه الأول برائعة شكسبير «ماكبث» حيث قام بالبطولة الممثل العالمي «بيتر أوتول» وأخرجها «بريان فوربس» صديقه القديم

والمعروف أن مسرح «أولدفيك» من أحب المسارح الى قلوب المشاهدين في لندن نظراً لتاريخه القديم وارتباطه في الأذهان بالأعمال الجادة وعلى وجه الخصوص أعمال ويليام شكسبير، رغم أنه مرت به عدة تغيرات منذ أن أفتتح عام ١٨١٨ تحت اسم «مسرح كوبرج الملكي» حيث لم تمض عدة سنوات حتى تغير اسمه الى «مسرح فيكتوريا» الذي صار فيما بعد «أولدفيك».

وقد غلبت الميلودراما على انتاجه خلال الخمسين سنة الأولى وان كان يقدم بين الحين والآخر أعمالا لشكسبير لكن الطابع الخشن كان مسيطراً على وجه العموم مما جعل النقاد يصفون انتاجه في ذلك الحين بأنه مناسب لجمهور يتميز بالصلافة والفجر.

في عام ١٨٨٠ انتشلت «ايماكونز» هذا المسرح من مستواه المتدني لتحوله الى مقهى وقاعة للموسيقى حيث كان يقدم المنوعات و «الكونشرتات»، استمر ذلك حتى آلت الادارة الى «ليليان بايلس» بعد موت «ايما» عام ١٩١٢.

تحت ادارة «ليليان بايلس» اكتسب المسرح شهرة عظيمة تخطت حدوده المحلية وبدأ انتاج الدراما وبشكل رئيسي أعمال شكسبير.

وجدير بالذكر أن المسرح تعرض للقصف عام ١٩٤٠ مما اضطر الفرقة للعمل على مسارح أخرى الى أن افتتح من جديد عام ١٩٥٠.

افتتحت المسرحية لتواجه بعاصفة من ضحكات الجمهور وازدراء النقاد.

بيتر اوتول

منذ عامين بدأ المسئولون عن مسرح «اولدفيك» التفاوض مع المثل العالمى المعروف «بيتر أوتول» وكان الاعتقاد أن اسم النجم وشهرته قد يزيد من اقبال الجمهور ويضفى مذاقاً جديداً على انتاج المسرح .

ورغم أن «أوتول» لم يمثل «ماكبث» من قبل الا أنه ليس غريباً على مسرح شكسبير فقد مثل «شايلوك» منذ عشرين عاماً كما أدى دور «هاملت» فى أول انتاج للمسرح الوطنى ، وارتبط عام ١٩٦٣ بمسرح «اولدفيك» بعد أن مثل «لورانس العرب» وقبل أن يقوم بتمثيل عدة أفلام منها «كيف تسرق مليون دولار» تلك التى رشحته لأن يكون خليفة «كارى جرانت» بما كان يتسم به من الأناقة الشديدة والمكانة العظيمة فى قلوب المشاهدين .

والمعروف أن «أوتول» كان ناجحاً ولامعاً فى أدواره التاريخية التى مثلها فى السينما مثل دور «هنرى الثانى» فى «بيكيت» على سبيل المثال .

«ماكبث» و «أوتول»

منذ ثلاث سنوات عندما أعجب «أوتول» بالممثل الانجليزى «مايك جويلايم» وهو يمثل «ماكبث» فى بريستول تولدت لديه الرغبة فى تمثيل الدور رغم الهواجس الكثيرة التى تدور حول المسرحية ، حيث ينظر اليها الممثلون نظرة تكاد تخلو من التفاؤل لكثرة المصادفات غير السعيدة التى تصاحب عرضها ، حتى أن «سير جون جيلجود» قرر أن هناك شيئاً ما عندما مات ثلاثة أشخاص أثناء تمثيله

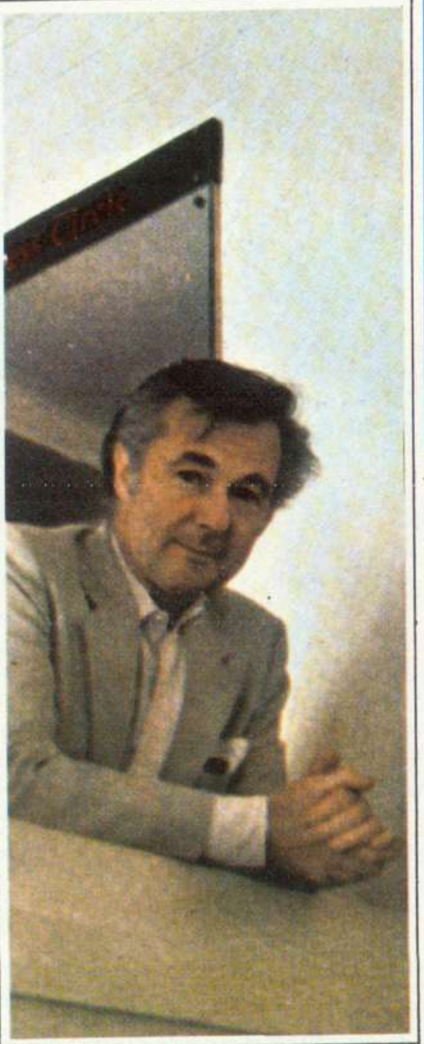

– بريان فوربس مخرج المسرحية

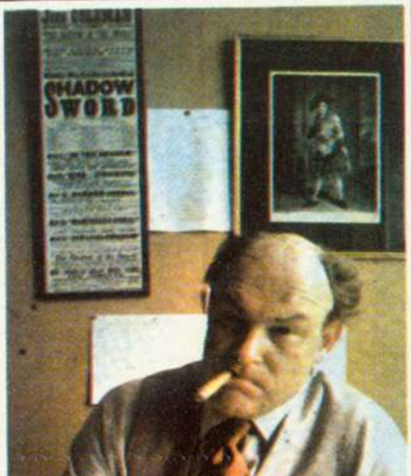

– تيموزى ويست المدير الفنى لمسرح اولدفيك

المسرحية عام ١٩٤٢ ، و «بيتر أوتول» نفسه فشلت زيجته من «سيان فيليبس» واصطدمت سيارته بجرف صخرى بمجرد بدء التفاوض بخصوص المسرحية .

الجمهور والنقاد

يبدو كما قال «سير جون جيلجود» أن هناك شيئاً ما غير معروف بخصوص هذه المسرحية فبالرغم من الدعايات المكثفة والتحقيقات الصحفية وأحاديث التليفزيون والاذاعة التى سبقت العرض ورغم الأمل الكبير الذى احتشد به محبو «أوتول» وعشاق شكسبير ، جاءت الليلة الأولى لعرض المسرحية بما لا تشتهى السفن .

افتتحت الستارةالوردية مساء الثالث من سبتمبر الماضى لتواجه بعاصفة من ضحكات الجمهوروازدراء النقاد ، ورغم أن الاطراء الوحيد كان فى جريدة «ديلى تلجراف» إلا أنه جاء ضعيفاً وتحت عنوان «أوتول وفقدان الذوق السليم» ، أما فى «الجارديان» فقد كان الهجوم عنيفاً حيث وصف «مايكل بلنجتون» العرض بأنه مغامرة مخجلة ، وأخذ على «أوتول» عدم مقدرته على التنويع فى درجات صوته مما جعل القاء المقاطع جميعاً بصوت عال وعلى وتيرة واحدة كمالو كان المشاهدون من صم الاسكيمو الذين لم يسمعوا أبداً بشكسبير على حد تعبيره ، كما أخذ عليه أيضاً عدم التفريق فى الاداء بين مناجاة النفس والكلام الواضح الصريح ، مضافاً الى ذلك فشل «اوتول» فى التمييز بين اشارات التهكم البسيطة وبين الضحك وبين التفكير الجاد .

ماكبث

« بيتر اوتول » بين اللعنـــة والغـــرور

كان من رأي مدير مسرح أولدفيك أن أوتول
رجل موهوب جلب لنفسه الغم والأسى بسبب الغرور

بيتر أوتول مع ثلاث ممثلات

وفى جريدة الفايننشال تايمز انتقده ناقدها الفنى لعدم قدرته على ابراز أى فارق بين «ماكبث» الشاب الطموح فى الفصل الاول و «ماكبث» منهك القوى فى نهاية المسرحية

اما «بيتر اوتول» عندما سئل عقب العرض كان كل ما استطاع قوله هو أن المسرحية كانت مناسبة للجمهور وانه سيكون احسن فيما بعد ، وعندما طلب منه تفسير لضحكات الجمهور أفاد بان الجمهور لم يضحك بما فيه الكفاية حيث لم يستوعب النكات لأن المسرحية حسب رؤيته غاية فى الطرافة وتحوى كماً هائلا من التهكم .

ومن ناحية اخرى كان المدير الفنى لمسرح «اولدفيك» «تيموزى ويست» يحاول بقدر ما يستطيع أن يبعد نفسه عن تلك النهاية المحزنة ، وكان من رأيه أن «أوتول» رجل موهوب ، جلب لنفسه الغم والأسى بسبب الغرور حيث أصر على ان تكون له السيطرة الكلية على المسرحية متجاهلا النصيحة فى كيفية العرض وتمثيل الدور ، وقد عبر من خلال الاذاعة البريطانية عن اعتقاده بأن «أوتول» لم يخلق علاقة جيدة بينه وبين الممثلين على خشبة المسرح مما أدى الى تعثر طاقم المسرحية بالكامل .

ووافق «ويست» النقاد فى آرائهم وارجع سبب الفشل الى أن «أوتول» و «بريان فوربس» مخرج المسرحية غير المتطور اثنان عملا معظم الوقت فى وسط آخر ولم يخطيا خطوة تامة فى الطريق الذى يتحرك عليه المسرح الكلاسيكى ، فكانا بعيدين كل البعد عن التطور الذى وصل اليه فى الوقت الحاضر مما حدا باحد النقاد إلى أن يصف العمل بانه أعاد الجمهور مئات السنين الى الخلف .

محمد أبو طالب

مرور ثلاثة قرون على انشاء الكوميدى فرانسيز

«بيت موليير» أو الكوميدى فرانسيز أقدم مسرح معاصر فى العالم مر على تاسيسه ثلاثة قرون منذ ان اصدر لويس الرابع عشر امراً ملكياً بذلك فى ٢٥ اغسطس عام ١٦٨٠ .

عندما كان «لويس الرابع عشر» فى زيارة لحصنه بالشمال علم بموت الممثل المشهور «لاتوريلييه» قائد الفرقة الملكية المتخصصة فى تمثيل تراجيديات راسين والتى كانت المنافس الأعظم لفرقة الملك الكوميدية بقيادة «موليير» المتوفى قبل ذلك بسبع سنوات .

تولدت الرغبة عند الملك فى أن يجتمع كل الممثلين الذين تحت رعايته فى مسرح واحد ليمثلوا الأعمال المسرحية الفرنسية ، فاصدر امره المشهور والذى مازال محفوظاً فى أرشيف الكوميدى فرانسيز فى باريس .

نابليون

راسين

ويحتل الكوميدى فرانسيز الجناح الجنوبى الغربى من القصر الملكى «صالة ريشيليو» منذ عام ١٨٠٣ بعد أن اعيد تكوين الفرقة مرة اخرى بعد أن تفرقت أثناء الثورة الفرنسية وتكونت من عدد من الممثلين برئاسة «تالما» حيث أعانتها الدولة بالدعم المالى ونظمت بمقتضى «مرسوم موسكو» الذى أصدره نابليون عام ١٨١٢ .

ومن الطبيعى خلال تلك القرون الطويلة أن تمر بالمسرح ظروف وأحداث كثيرة ومتباينة ، ففى عام ١٩٠٠ تعرض المسرح للحريق مما أدى إلى تدمير جزء كبير منه ، ورغم أن الفرقة تتكون من ٢٧ ممثلا إلا انه فى منتصف هذا القرن تضاعف هذا العدد ثلاث مرات بالاضافة الى طاقم الفنيين والاداريين .

ولكن رغم مرور ثلاثمائة عام وخمسة ملوك وامبراطورين وسبعة عشر رئيساً وخمس جمهوريات إلا أن الكوميدى فرانسيز ظل محتفظاً بكيانه وبريقه وإشعاعه ومكانته لدى محبى المسرح للمقدرة الفائقة على التغيير والتطور بما يواكب الزمن .

والحب له وجه ثالث

شعر: عبدالمنعم عواد يوسف

لا ، لم تكن أنت ..
أقسمت أنك لم تكونيها ..
لا لا ، ولم يك ملمح منك ..
أو لمسة فيها ..
الوجه غير الوجه ، كان الوجه بستانا ،
وهذا الوجه مسخ كالح ، افعى يطل السم من فيها ..
لا ، لم تكن أنت ..
لا ، لم تكونيها

••

لا ، لم تكن أنت
لا ، لم تكونيها ..
تلك التي قد أغلقت في وجهي البابا ، .
هذا الصباح ، وأدبرت عني ..
لا ، لم تكونيها ..
ان التي بالامس صافحني طيب الشذا فيها ..
كانت سحابة رحمة وندى ، كان الغمام رضى يوافيها ..
كانت رحيق منى يباركنا ..
كف النمو تطوف بالمنبت ..
كانت ، فهل يتغير الانسان ؟ ،
قولي ، هل تغيرت ؟ ..
لا ، لم تكن أنت ..
لا ، لم تكونيها ..

••

اني أسائل وجهك الامسى ،
وجها لم يزل في خاطري يحيا ..
في خاطري ، كالامس ، وجها رائقا نضرا ..
وجها يبث مشاعرا خضرا ..
أترى ضللت الدرب ،
يا من كنت حتى الامس
لي الازهار والعطرا ..
أوليس هذا الباب بابك ؟ ،

أم ترى
ضل الطريق اليك احساسي ؟ ..
العطر كان الامس يرشدني ،
يقود خطاي ،
كان العطر نبراسي ..
واليوم لا عطر يقود خطاي ،
جف العطر بالكاس ..
لا ، لم تكن أنت ..
لا ، لم تكونيها
اني ضللت الدرب ،
كان العطر منساتي ،
اجل كان الاريج اليك عكازي ..
من يرشد الاعمى سوى عكازه ،
ودبيب انفاسي ؟ ..
اترى ضللت الدرب ،
ام ضل الطريق اليك احساسي ؟ ..

● حواجز فى لمح البصر ، تلخص كل الخلل الذى أصاب حياة المواطن العادى

● المدينة تواصل دورها فى طبع الكتاب العربى رغم كل ما تعانيه من ظروف صعبة

● امتدادات الشوارع تتوقف فجأة .. ويصبح الانسان معرضا لرصاص القنص

مشاهد بيروتية فى مدينة محصورة بين الجبل والبحر والبارود

جمال الغيطانى

وصلت الى مطار بيروت الواقع بين الجبل والبحر ، الخضرة تكسو الجبل الذى تتسلل مرتفعاته حتى تحد الأفق ، عدد الطائرات فوق أرض المطار قليل ، بعكس ما رأيت عام ١٩٧٣ ، عندما جئت لأول مرة الى بيروت .

فى صالة المطار تبدو أولى ملامح الوضع الخاص ، المسدسات تبرز واضحة حول خصور رجال الأمن ، أولئك الذين يرتدون الملابس الرسمية ، أو المدنية ، أحدهم مديد القامة ، يطوف فى القاعة ، قاسى العينين ، فى نظراته حدة شرسة سوف أرصدهما كثيراً فيما بعد ، خاصة فى عيون المسلحين الذين يقفون عند النواصى ، وداخل الأكشاك المؤقتة ، وعند الحواجز ، انها النظرات التى تصلبت واكتست بقسوة من أتون الحرب ، عندما يواجه الانسان الانسان ، وتتفجر الكراهية الى أقصى مدى ، كراهية لحظة الاشتباك لحظة أن يركز الانسان كل كيانه من أجل افناء الآخروابادته واذا ما استقر السلم زمنا فان هذه النظرة الحادة تشحب من العيون ، لكن بقائها حتى الآن يعنى أن الظروف لاتزال ملتهبة ، وان الحرب لم تتوار ..

فى الطريق من المطار الى المدينة عدة حواجز ، كلمة حاجز من الكلمات المرتبطة بالحرب الأهلية اللبنانية ، والتى ترددت كثيراً فى الأخبار والكتب والحكايات ، الحاجز الذى يقيمه المسلحون ، حواجز ثابتة للتأكد من شخصيات المارة ، وحواجز مفاجئة تقام فى لمح البصر لاحتجاز عدد من الرهائن ، أو لاختطاف عدد ما ، إما كعمل انتقامى ، أو للرد على طرف آخر ، فى أى مكان يمكن أن تقام الحواجز الطيارة ، وفى كل مكان ترى الحواجز الثابتة ، فى الحاجز يتلخص كل الخلل الذى اعترض الحياة العادية .

ملامح المدينة

.. من يعرف بيروت الماضى ، بيروت ماقبل الحرب ، يمكنه أن يدرك بسهولة التغيير ، البثور التى طفت فوق الوجه الجميل ، القروح التى أصابت الملامح ، عند زوايا الطرقات ، والنواحى ، تتجمع أكوام القمامة شىء عادى مع ضعف أجهزة الخدمات ، فوق واجهات المبانى الأنيقة ، تبدو أحيانا نقر أحدثتها الشظايا ، تتزايد هذه الحفر وآثار القذائف كلما اقتربنا من المنطقة التى تفصل بيروت الشرقية عن بيروت الغربية ، فى منطقة الأسواق ، جاليرى سمعان ، وهذه الاسماء ترددت كثيراً فى الاذاعات خلال حرب السنتين ..

المشهد الحزين

انقسمت بيروت بالفعل ، وما أصعب أن تنقسم مدينة ، مدينة كانت تمثل وحدة واحدة ، يؤدى كل شارع منها الى الشارع الآخر ، الآن اصبحت الشوارع تنتهى فجاة ، امتداداتها تتوقف فجاة ، يصبح التقدم فيها مخاطرة ، يصبح الانسان معرضاً لرصاص القنص ، يوجد كوبرى علوى يخترق بيروت من أقصى نقطة فى الغرب ،وحتى الشرق ، انه غير مستخدم الآن ، الاستمرار فيه يعنى الاندفاع الى المخاطرة ، لكن هذا لايعنى أن الحركة قد توقفت تماماً ، إن أهالى الطرفين ينتقلون بين هذا القسم وذاك ، ولكن وفقاً لظروف معينة ، أما منطقة الأسواق فلم تهدأ بعد ، فى الليل جرى اشتباك استخدمت فيه المدفعية الثقيلة ،

مشاهد بيروتية

في مدينة محصورة بين الجبل والبحر والبارود

- إرادة الحياة الفذة
تثير اعجاب أى انسان يعايش الحياة اللبنانية
- عندما يواجه الانسان
انسانا وتتفجر كراهية لحظة الاشتباك
- صديقى الذى التحق بصفوف المقاومة
عقب نكسة حزيران وقابلته بالصدفة !

من غرفتى فى الفندق الذى يقع فى منطقة الحمراء كنت أصغى الى الانفجارات .

إرادة الحياة

الموت هنا «بينما» ..

تسمع ان فلانا مات «بينما» كان يعبر الطريق ..أو شخص مات «بينما» كان يقف الى جوار سيارة ملغومة ..

ونترك كلمة «بينما» لنجد ان المتاجر مزدانة باحدث انواع البضائع ، باعة الخضر عند النواصى ، الكرز يتصدر سلال الفاكهة ، الملاهى الليلية تغرق فى الأضواء ، دور السينما تعمل وفقاً للنظام العادى ، تنتهى آخر حفلاتها فى الثانية عشرة عند منتصف الليل ، السيارات تمرق عبر الطرقات طوال الليل ، السهر داخل البيوت وخارجها ، الحياة لم تتوقف أبداً ، تمضى فى شكلها العادى بل وتنمو تحت ظلال الخطر ، الحياة الثقافية تشهد الجديد ، مسرحيات جديدة ، دور نشر جديدة ، سيل من الكتب لاتزال المطابع تخرجه كل يوم ، بيروت تواصل دورها فى طبع الكتاب العربى ، مجلات جديدة تظهر فى منطقة الحمراء خمسة دور سينما جديدة ، فى شارع كورنيش المزرعة خلاطات ضخمة تصب الاسمنت ، تخلطه بالزلط ، مبانى جديدة متعددة الطوابق ، فى منطقة الروشة كازينو ضخم ملاصق للبحر ،

حدث هذا كله بعد الحرب ، ارتفعت الجدران واضيفت الزخارف ، وانفقت ملايين الليرات ، مع أن أصحابها يعلمون جيداً أن هذا من الممكن أن يتبدد فى لحظة لو انفجرت سيارة ملغومة أو لو سقطت قذيفة ، أو دارت معركة لأى سبب من الأسباب . إن ارادة الحياة الفذة التى تتجلى لدى هذا الشعب العربى الصغير تثير اعجاب اى انسان يعايش الحياة اللبنانية ولو لأيام معدودة .

التصفيق على الطلقات

دفعات من طلقات الكلاشنكوف .

دفعات لاتتوقف طوال الليل أو النهار تبدو أكثر وضوحاً فى الليل ، أصبحت شيئاً عادياً ، اكتسبت الآذان خبرة ، وقدرة على معرفة المصدر والاتجاه والهدف .

فى شرفة منزل الصديق الفنان حلمى التونى الليل يتقدم يوغل ، الجلسة تضم عدداً من الأصدقاء اللبنانيين والمصريين، طلال سلمان الصحفى اللبنانى البارز ، سليمان صبح المثقف السورى وصاحب دار «ابن رشد» للنشر ، والناقد الأدبى الفلسطينى «فيصل دراج» ، ومحمود احمد الصحفى المصرى ، الدكتور على مختار ، وعدد من الأصدقاء ، يتشعب الحديث ، وتسود حميمية ربما لا ألقاها الا فى السفر ، فى المنزل المقابل تلمع الأضواء فى احدى الشقق ، يبدو أن ثمة احتفالا عائليا ، ثمة تصفيق ، وغناء قديم للمطربة «لور دكاش» آمنت بالله . ثم ينتظم ايقاع التصفيق وتبدو امراة طويلة الشعر ترقص .

تحت فى الشارع تدوى طلقات مدفع سريع الطلقات ، تستمر دقائق ثم تتوقف فجاة .

على الطريقة اللبنانية

طلقات متتابعة ، مكثفة ، أبواق سيارات ، رتل متتابع ، احدى السيارات محاطة بالورود ، تدوى الطلقات ، طلقات مدافع ، ومسدسات ..

إنه عرس على الطريقة اللبنانية الآن ...

الصديق القديم

بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ اتخذ قراره غادر القاهرة ، والتحق بصفوف المقاومة الفلسطينية ، مناضل مصرى قديم ، كلما تذكرته استعنت بما إعرفه عنه على مواجهة الأيام الصعاب ، فى سنة ١٩٧٣ كان همى أن اراه فى بيروت ، وفشلت تماماً فى اللقاء به ، حتى قابلته صدفة فى احدى عربات التاكسى السرفيس ، وفى هذه المرة سعيت اليه ، اتجهت الى مكان ما فى بيروت الغربية ، عند إحدى النواصى لمحت رجلا فى الاربعين ، يرتدى قميصا وبنطلونا مدنياً ، يحمل رشاشاً ، قوامه قوام أب ولديه

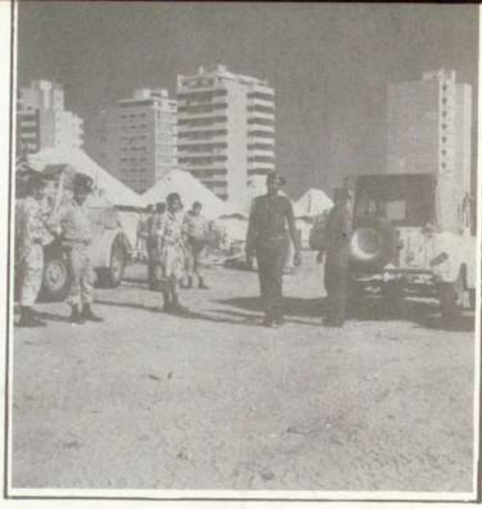

أطفال ،انها تلك المرحلة من العمر التى ينعطف فيها العمر ، مثله كان يجب أن يكون لديه بيت ، ومنزل ، وعمل ، لكن مثل هذه العناصر لايمكن أن تتوفر الا فى وطن ، والوطن مغتصب ، عندئذ تصبح الحياة الشخصية مبددة ، والمصير مجهول ، عند ناحية الشارع كان هناك شاب يرتدى الزى العسكرى ينظم المرور ، إنه فى مقتبل العمر ، لم يتجاوز العشرين سعيت الى صديقى ، فى إحدى الحجرات المتواضعة التقيت به ، كان يجلس الى مكتب قديم ، وخلفه لوح خشبى فوقه بطانيتين ينام فوقهما ، كان لقاء حاراً ، دوت طلقات متتابعة ، هنا منطقة مستهدفة ليس من قوى محلية فقط ، انما من قوى عديدة لها وزنها فى هذا العالم ..

الخلفية الكئيبة

دمرت أسواق بيروت ، سوق سرسق ، باب ادريس ، سوق الصاغة ، ومع حركة الهجرة التى شهدتها بيروت ، هجرة الاهالى ، خاصة من الشرق الى الغرب ، ونشوء مناطق سكنية جديدة زحفت حتى أحاطت بالمطار ، انتقلت الأسواق أيضاً ، استقرت فى منطقة الروشة ، صف طويل من الأكشاك الخشبية تضم المتاجر والدكاكين ، سوق ضخمة تمتد عدة كيلومترات محاذية للشاطىء .

بحمدون ، الجبل اللبنانى ، متوالية من المرتفعات ، البيوت المبنية من الحجارة ، المقاهى المطلة على الجرف ، شرفات جميلة يتجاور فيها مدخنو النرجيلة ، للطبيعة هنا سحر خاص ، الجبل الصخرى تكسوه الخضرة ، الطريق العريض تعبره سيارات قادمة من أوروبا أو متجهة اليها ، الطرقات ضيقة مرتفعة ومنحدرة ، من شرفة منزل الصديق فؤاد عيتانى رحت أرقب نزول الليل ، مع الغروب أصبح الضوء شفافاً ، والكائنات محددة ، واضحة ، أرق غروب رأيته ، أكثر اللحظات شفافية ورقة ، فى الليل تناثرت الأضواء المنبعثة من البيوت التى لا تتجاور على خط واحد ، دموع الليل الصامتة ، مع تقدم الليل بدأت أضواء عديدة تخبو ، وعند منتصفه سمع دوى بعيد ، انها المدفعية الثقيلة فى الجنوب ، كانت الانفجارات البعيدة تشكل الخلفية الكئيبة لهذا الليل الجبلى الشفاف .

الهروب من الزلزال

يوغل تاريخ بيروت فى الزمن ، وهو تاريخ حافل بالكوارث ، بالزلازل ، قال ميخائيل الكبير يصف زلزالا وقع سنة ٥٥١ ميلادية :

«لما حدث الزلزال فى بيروت ومدن فينيقية اندحرت المياه باذن الله الى مسافة ميلين فانكشفت أعماق البحر وظهرت فيه سفن مشحونة بالبضائع ومال كثير فحمل الطمع الأهلين ولم يردهم الخوف فتقاطروا ليحرزوا تلك

الكنوز فحملوها راجعين بسرعة الى دورهم واذا بالمياه عادت بغتة فأغرقتهم جميعاً ، أما الذين كانوا على الساحل فهربوا لينجوا بأنفسهم من الغرق الا أن جدران الأبنية المتساقطة بفعل الزلزال قتلتهم فماتوا تحت الردم ، وانتشر الحريق فى المدينة بعد خرابها لمدة شهرين فحول مبانيها الى رماد وحجارتها الى كلس» .

ونزل حريق ببيروت بعد ذلك بفترة وجيزة ، وراح احد المعاصرين يتكلم باسمها :

«ويلاه ، أنا اشأم المدن حظاً واسوأها
حالا ، رات عينى جثث ابنائى متراكمة
فى ساحاتى دفعتين فى ظرف تسع
سنوات ، رمانى (فولكان) اله النار
بسهامه المتقدة بعد أن صدمنى (نيتون)
اله البحر بتياره الهائل ، وا أسفى على
بهائى السابق ، طمسه الدهر فاحالنى
الى رماد ، فيا عابرى الطريق ابكوا لسوء
طالعى ، واندبوا بيروت المضمحلة»

هل تعود ؟

أقلعت الطائرة ، حلقت مباشرة فوق البحر ، لم تمر فوق بيروت ، خلفت المدينة ورائى بكل ما فيها ، محصورة بين الجبل والبحر ، لها زمنها الخاص ، ثمة احساس حزين ، وتساؤل ، هل تعود بيروت الى زمانها القديم ؟

جمال الغيطانى

أوجـــــاع الظـــــهر

ذات يوم مشرق منذ عشرة ملايين سنة كان السيد راما بيتيكس وزوجته واطفالهما يبحثون عن الطعام فى احدى الغابات الافريقية ، ومثل ابناء عمومتهم من الحيوانات العليا ، كانوا يتقافزون فى رشاقة من مكان لآخر بحثاً عن الفاكهة وثمر العليق .ولكن ذاك اليوم كان مختلفاً عن غيره من الأيام . فقد هبت عاصفة رعدية اسقطت كل الثمار من غصونها .. مما فرض على عائلة راما ان تهبط عن الاشجار لتؤمن لنفسها شيئا يطعم .

وكان منظرهم وهم يتحركون على اربع شيئاً مزعجا ، ويعرضهم لأخطار هجوم الحيوانات الخرافية ، ولم يكن طولهم ليزيد عن ثلاثة اقدام ، وما كانوا فى انكبابهم على الأرض قادرين على ابصار ما يعلو عن الحشائش الطويلة . ولذا وجد راما واهله انفسهم فجأة مواجهين بنمر خرافى من ذلك النوع الذى تشبه اسنانه الأسياف الحادة القاطعة .

وكانت الغابة بعيدة المنال لمن يريد الهرب اليها بحثاً عن مكمن وسلامة . وفى لحظة من التجلى الذى يمليه الخوف ، تناول راما صخرة بكلتا قدميه الأماميتين ، وتراجع واقفاً على رجليه الخلفيتين وقذف النمر بالحجر ، وهالت المفاجأة النمر المزمجر الذى اعتاد ان يرى هذه الضحية تمشى على أربع فتراجع وانسحب فى حذر شديد ، ولكن انتصار الانسان القرد كان مكلفا ، اذ ان عدم تعوده على هذه الوقفة المباغتة المعتدلة قد اورثه ألما حاداً وموجعاً فى الجزء الأسفل من ظهره !

الحقيقة المرة

ربما كان ما اوردناه خرافة يروج لها علم الأجناس . ولكن الثابت والمؤكد هو أن الانسان قد ظل يعانى منذ اول اجياله من آلام الظهر واوجاعه واليوم ازدادت الملايين التى يحرمها وجع الظهر طعم الراحة ، وهو يأتى فى المرتبة الثانية بعد وجع الراس ـ الصداع ـ كاكثر واشد ما يشكو منه الناس ، وخاصة تلك الآلم الطاعن فى مؤخرة الظهر ، كما انه اضحى موضوع أبحاث طبية مكثفة تحاول إيجاد العلاج لهذا الداء القديم .

إن كل ثمانية من عشرة اشخاص على أرضنا سيعانون ذات لحظة فى حياتهم من هذا الألم . وفى الولايات المتحدة وحدها يعانى ٧٥ مليون شخصاً من مشاكل الظهر ، ويقعد سبعة ملايين شخصاً كل عام ، منهم مليونان يعجزون عن العمل تماماً .

أوجاع عشوائية

ويمكن لأوجاع الظهر ان تداهم اى واحد منا ، شاباً كان ام كهلا ، إمراة او رجلا ، من كل الطبقات

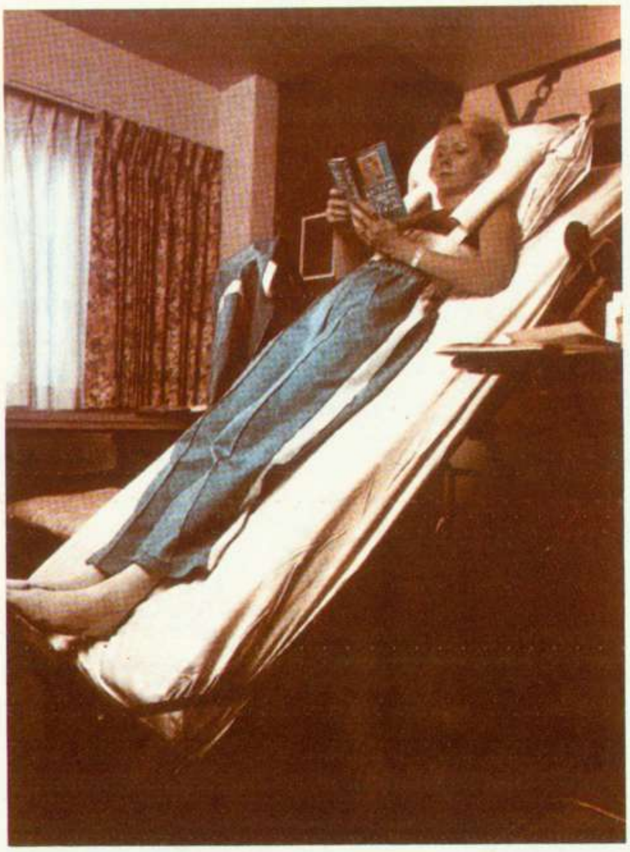

كل ثمانيـــة من عشـرة أشخـــاص معرضــون يوما مـــا لأوجـــاع الظهـــر

وجـــع الظهـــر هو بعض مـــايدفعـــه الانســـان ثمنـــا لوقوفـــه منتصبـــا

وجميع المهن .

ومن مشاهير الامريكان الذين تعذبوا بهذه اللعنة اليومية توماس جيفرسون ، الذى سقط صريعاً بها حين تهور واراد أن يرى عبيده كيف يستخدم المحراث ، فلازمه وجع الظهر بقية ايامه على الأرض . ومنهم الروائى الشهير «إيرنست همنغواى» الذى كان يضطر من شدة تألمه من ظهره أن يكتب واقفا ،وكان الرئيس كيندى يقضى الساعات فوق كرسى متارجح بالبيت الأبيض ليخفف من آلام ظهره .

ومن المشاهير الأحياء وزير خارجية امريكا الحالى ادموند ماسكى ، ووزيرها السابق سايروس فانس ، والممثلة اليزابيث تايلور ، وغيرهم . ومن الرياضيين الذين يعانون من هذه التركة الباهظة لاعب الجولف الشهير لى تريفينو ، ولاعب كرة القدم الامريكى طونى كوبك .

فظاعة الألم

ولا يمكن لاحد لم يعان تجربة هذا الألم المريع أن يدرك مدى الياس الحقيقى والضعف الذى ينال من انسان كان قبل أن يقع صريع هذا الألم الفتاك نشطاً ومنطلقاً . إن العالم لينكمش فجاة بالنسبة لمن يعانى هذا الألم ، وغالباً ما يصبح هذا العالم مجرد استلقاء فوق سرير او كنبة لا غير .. ناسيا ومهملا كل عمل ، وتصبح كل حركة بالنسبة له امراً خطراً . وحتى ارتداء الملابس يصبح نوعاً من العذاب الأليم . اما قضاء الحاجة فهو كالخروج لحملة عسكرية . ولا مجال لمعاشرة الأهل . ولا يمكن الجلوس فوق كرسى للقراءة او لتناول الطعام إلا أن يعنى ذلك هولا من الآلام ، وحتى بعد أن يزول الم الظهر ويعافى الشخص ، فانه لايكاد يصدق أن الالتفاتة التالية او الحركة المقدم عليها لن تعيده الى حظيرة ذاك الألم المبرح .

لماذا يوجعنا الظهر ؟

ان وجع الظهر هو بعض ما يدفعه الانسان لاصراره دون سائر الحيوانات على الوقوف منتصباً على رجليه . واذا نظرنا إليه من باب التعرف على الثمن الذى يدفعه الانسان من أجل التمدن والحضارة المترفة لوجدنا أن وجع الظهر افة معاصرة ، فكلما تطورت الحياة واستقرت

واصبح كل شىء آلياً بفضل ما اخترعه الانسان من اجهزة خادمة ، وصار هو نفسه الى الجلوس والدعة ، يقضى كل شىء من مكتبه الأنيق ، ويضيف شحماً ووزناً ، يصبح الظهر أكثر عرضة للاصابة ، ويذكرنا بوجوده فى طعنات حادة موجعة .

مشكلة اجتماعية

ويرى الدكتور كينث كيسى ، اخصائى الأوجاع بجامعة ميتشيجان الامريكية أن وجع الظهر الذى نحسه فى أسفل السلسلة الفقرية هو الى حد كبير مشكلة اجتماعية تنشا عن اسلوب حياتنا .

ان الظهر حساس للغاية ، ويمكن لأى شىء أن يربكه ، فيبث الآلام حادة موجعة ، فقد تنطلق أوجاع الظهر من توقف السيارة بشكل مفاجىء ، أو من بذل مجهود كبير اثناء المنافسات الرياضية ، أو من لبس الأحذية ذات الكعب العالى ، أو من الانحناء لكى الملابس ، وحتى النشاط الروتينى كتنظيف الاسنان بالفرشاة ، أو الأفعال المنعكسة مثل العطس ، والحكة بامكانها أن تفجر أوجاع الظهر .

وهناك قصص كثيرة تشبه قصص أفلام الرعب عن بداية هذا الوجع ، فهذه أم لثلاثة أطفال لم تتجاوز السابعة والثلاثين من عمرها يفجؤهاوجع الظهر وهى تنحنى لترتيب ملاءات الأسرة ، تقول : «مرت دقائق ، ولكننى كنت مذعورة اخشى أن اعتدل فى وقفتى أو أن اسحب يدى من الملاءات ، واخيراً جاءت أمى وساعدتنى على الوقوف معتدلة ، والألم يسرى فى ظهرى ويتزايد ثم ارقدتنى على السرير» .

وقبل عامين كان احد المديرين التنفيذيين بشركة للاثاثات يبلغ السابعة والخمسين من عمره ، يساعد مستخدميه على رفع دولاب مكتبه ثم اتفق أن تعطلت سيارة امام منزله فساعد فى دفعها ، ثم جرف الجليد بعيداً عن ممر سيارته ، وقد اصبح ظهره متيبساً بعد كل هذه المجهودات ومع ذلك قرر أن يفى بوعد قطعه لصديق له ليلعبا التنس ، وبعد الضربة الأولى مباشرة إنهار ظهره ، ولم يقو حتى على الخروج من الملعب الا بعد أن ساعده آخرون .

وفى سان فرانسيسكو انهارت سيدة فى الاربعين من عمرها بينما كانت تقوم بتخزين كتب فى سقف منزلها . وظلت عاجزة عن الحراك لمدة ثمان ساعات حتى اكتشفت وتم نقلها الى حجرتها .

تحفة معمارية رائعة

وبالرغم من خذلانه المفاجىء لنا فى لحظات غير مواتية وغير متوقعة ،فان الظهر اعجوبة من الهندسة البيولوجية ، فهو الهيكل الأساسى للجسم والذى تعتمد عليه عظام الضلوع والكتفين والحوض ، كما أنه الأنبوب الواقى لاكثر من حزمة من الأعصاب والحبل الشوكى الذى يوصل المخ ببقية اجزاء الجسم ، وعندما يتحدث الاطباء عن الظهر فانما يعنون العمود الفقرى ، وتتكون هذه التحفة المعمارية التى تمتد فى رشاقة وقوة من الجمجمة الى الحوض ، من ٣٣ كتلة بنائية تسمى الفقرات ، وقد صممت بشكل فنى رائع يجعل كل واحدة منها تقترن بالأخرى فى مواءمة تامة ، ويسند هذا الهيكل الفريد من الانهيار نظام معقد متشابك من العضلات والأوتار والروابط ، والجزء الاسفل من العمود الفقرى هو موضع الألم الذى يصيب معظم الناس ، ومع ذلك فان العمود الفقرى باكمله يختص بمرونة تمكنه من الانحناء ليشكل ثلثى دائرة . ويستطيع الراقصون ولاعبو الجمباز القيام بهذه المسافة كلها لتبدو على طبيعتها .

توازن حساس

ومع أن العمود الفقرى مرن بهذا الشكل ، فان

أوجـاع الظهـــر

اجزاءه الدقيقة فى توازنها الحساس . ويمكن لأية إصابة ان تشل وتربك كل هذا البناء المعقد . وتبدأ الآلام فى الصغر احيانا ، فاذا كانت إحدى الساقين مثلا اطول من الاخرى بنصف بوصة فى نموها ، وهو أمر يحدث كثيراً ، فان الضغط لا يتوزع بشكل متوازن على العمود الفقرى ، واذا لم يتم تكوين إحدى الفقرات بشكل سليم فان النتيجة هى تقوس جانبى يسبب نوعاً من العجز وكثيراً من الألم ، ويمكن ان تنمو الأورام الخبيثة فى المناطق المغلقة بالعمود الفقرى ، فتضغط الأعصاب او تخزها . وفى حالة التهاب المفاصل الذى تسببه الرطوبة ، فان الغضاريف التى تقوم مقام الحشايا وتمتص الصدمات قبل ان تصيب الفقرات تتآكل قبل الأوان ، وتفقد طبيعتها الاسفنجية وتزول تماما آخر الامر .

أعراض متزامنة

إن أسباب وجع الظهر متعددة كثيرة لايمكن حصرها ، ويمكن ان تكون اى شىء ابتداء من الوقفة او الجلسة الخطأ وانتهاء بالسرطان ، كما يرى الدكتور ادوين فيوز فى مستشفى هنرى فورد

ورغم كل ذلك الكم غير المحدود من أسباب آلام الظهر ، فان ٨٠ بالمئة من الذين يعانون منها يقعون فى واحدة من ثلاثة أعراض متزامنة ، اكثرها شيوعاً هو الاجهاد العضلى ، فالجسم فى حركته العادية يسمح للعضلات بالارتداد والاسترخاء فى تتابع سريع ، ولكن هذه العضلات تتمرد اذا ما شدت فوق طاقتها وحدودها ، وتتقلص او تصبح مشدودة فجاة وتظل على ذلك الحال ، وتصبح كتلة متحجرة .. الأمر الذى يغلق الأنسجة الدموية الدقيقة التى تحمل الأوكسجين والغذاء ، وتتخلص من الفضلات ، وتموت بعض الخلايا فى العضلة المصابة ، فيبعث الجسد إشارات استغاثة تاخذ طابع الألم الحاد .

انزلاق الغضروف

ومهما كانت حدة هذا الألم فهى لا تقارن على الاطلاق بما يصاحب مصدراً آخراً وأساسياً من مسببات آلام الظهر ، والذى يعرف خطا بانه انزلاق الغضروف ... وفى الواقع لا ينزلق الغضروف ، بل يصيبه فتاق ، فيبرز الجزء الأوسط الهلامى الشفاف متكوراً ، وقد ينكسر احياناً ويحطم بذلك غشاءه الساتر الذى به الروابط والغضاريف التى يصيبها الفتاق أكثر من غيرها هى تلك التى تفصل بين الفقرات القطنية الأخيرة والعجز ، وهى ثانى اسفل منطقة فى العمود الفقرى ، وتقوم المادة المتكسرة بالضغط على أعصاب العمود الفقرى ، وهى غاية فى الحساسية تجاه اى ضغط ، وفى هذه حال تفجر ادنى حركة حتى ولو كانت ضحكة موجة عارمة من الألم .

مشكلة البحث عن عـلاج أكثـر إيلامـــا من الوجـع نفســـه

انفراط حزوز الفقرات

وفى السبعينات اعتقد بعض الأطباء انهم قد وضعوا أيديهم على مصدر آخر لآلام الظهر يضارع الغضروف المفتوق فى حدة ما يطلقه من آلام . ذاك هو الألم المنبعث من النتوءات التى تفصل بين حزوز العمود الفقرى ، وهى فى الظهر الطبيعى تنتظم فى خط واحد فى ربطها للفقرات ..ولكن يحدث فى بعض الاحيان ان تنفرط واحدة منها عن مكانـها ، ولا يحتاج ذلك لأكثر من مجرد انحناءة او التفاتة مباغتة ، وربما اخذ العظم بعدها فى الضغط على الأعصاب الدقيقة التى تصل بينه وبين العمود الفقرى .. وذاك منتهى الايلام .

وجع البحث عن علاج

ان الألم الذى يزامل ضحايا وجع الظهر فى بحثهم عن من يعينهم ويريحهم منه لايقل بحال عن وجع الظهر نفسه ، وغالبا ما يكون لكل أخصائى يزوره المنكوب بهذه العلة رأى خاص فيما يتعلق بسبب الداء ، مغاير ومنغص اكثر من رأى سابقيه . وفى رأى السيد موراى كولدشتاين نائب مدير معهد الدراسات العصبية واضطرابات الاتصال أن كل أنواع العلاج مثار جدل ، وذلك لانعدام التجارب المضبوطة فى العيادات ، ولأنها تعتمد على الأفكار الخاصة لكل طبيب من أطباء العظام .

واذا كان هناك ثمة افكار خاصة منحازة فاطباء العظام هم المسئولون عنها إذ انهم اكثر المراجع الطبية معرفة بهذا الألم ، فهم حين يزورهم المصاب يقومون مثل كل اخصاء آلام الظهر بطرح أسئلة صارمة عليهم عن متى وكيف بدأ الوجع ، واين يحسه المصاب وقتها ، وعما اذا كان أفراد آخرون من الأسرة يعانون منه ، كما أنهم يدققون فى موقف المصاب صحياً ، وتاريخه الطبى ، وعمله ونشاطه فى أوقات فراغه ، وعاداته الجنسية .

ويزعم جراح العظام ج وليم فيلدينج من مستشفى سنت لوقا بنيويورك انه يستطيع تحديد مشكلة المصاب بكل دقة بمجرد الحصول على هذه المعلومات ، كما يشير الى ان النمط الذى يتخذه الالم يفيد كوسيلة تشخيصية ، لأن المسالك العصبية المتفرعة عن الأجزاء المختلفة للحبل الشوكى قد رصدت فى شكل خريطة بشكل جيد يمكن من تتبع اى الم وإرجاعه الى موضع الاصابة فى العمود الفقرى .

بحثاً عن مصدر الألم

ان الفحص الطبى الجسمانى بالنسبة للمصاب بوجع الظهر يبدأ فى واقع الأمر قبل أن يزحف ليرقد فوق أريكة الكشف ، ويخبرنا الدكتور كايم من كولومبيا أنه يتمعن فى ما يفعله المصاب وهو يخلع ملابسه ، وكيفية جلوسه وحركته ووقفته ، وقد يطلب الطبيب من المصاب القيام ببعض الحركات كان يمشى على امشاط قدميه او كعبه ، او ينحنى من الظهر ، او يتلوى ، ويحاول أن يبلغ بيديه الأرض وهو منحنى ، وقد يطلب منه أن يستمر فى هذه الحركات الجمبازية بعد أن يرقد وذلك بان يحرك ساقيه ووسطه ، ويقوم الطبيب بتحسس مكان الألم وما حوله بحثا عن اى تورم قد يكون هو سبب المشكلة كما يتحرى اى الم حول الكليتين ويجس العجز ليرى ان كانت الفقرات الاربع الأخيرة بخير ، وهى بقايا ما يعتقد بعضهم انه كان ذنباً ، واخيراً يجرى كشف على ردود أفعال المصاب وذلك بالطرق على ركبتيه وكاحليه ، وتقاس عضلاته ويتحرى مدى احساسه وذلك بوخزة بالدبابيس .

بعد ذلك كله يصور العمود الفقرى بالاشعة السينية ، فاذا ما اخفق كل ذلك فى تحديد الموضع الحقيقى للألم واصل المشكلة ، يجرى على المصاب كشف بالاشعة اكثر تعقيداً ، حيث يحقن الجزء الأسفل من الحبل الشوكى بصبغة تشد الاشعاع ، وتجرى فى ممر الحبل الشوكى ، فاذا ما اتفق ان وجد غضروف منزلق أو ورم خبيث بارز فى مجرى الحبل الشوكى فانه يظهر كفراغ صغير فى الصورة .

ولكن الأطباء يفضلون استخدام الجهاز الحديث الذى يعرف «بالكات الماسح» الذى يستخدم العقل الالكترونى ، لأنه لا يعرض الحبل الشوكى لخطر التلوث كما فى حال استخدام الصبغة ، بمقدوره أن يعطى تفاصيل دقيقة تبرز الأجزاء الصلبة وتلك اللينة فى العمود الفقرى . .هذا الجهاز الغالى هو الذى مكن الأطباء من اكتشاف نتوءات المفاصل وما تسببه من أوجاع حادة فى الظهر .

اختيار العلاج مشكلة

وحتى بعد أن يضع الأطباء يدهم على مصدر المتاعب فان المصاب بوجع الظهر لا يستريح ، اذ

يجد نفسه مواجهاً بعدد لايحصى من انواع العلاج .

فاطباء تقويم العظام الذين ينتمون للتقليد الطبي الذي يرون أن كثيراً من الأوجاع متصلة باضطرابات فى النظام العضلى العظمى يحبذون طرائقهم العنيفة ، وقد يشاركهم هذا الرأى اطباء يعتقدون بأن الأمراض مصدرها عادة اعوجاج فى العمود الفقرى ، وقد ينصح كلاهما باستعمال التقويم بالضغط بالأصابع والايدى بشدة لاعادة العظام المنزلقة الى مواضعها . وليس هناك اى دليل على أن هذه الطريقة فى العلاج ذات فائدة للمريض الذى يشكو من وجع الظهر الحاد ، كما يقول قولدشتيان .

الراحة وحدها..

أما الاطباء عامة فيتفقون على أن لزوم السرير والراحة بالنسبة لألم الظهر الحاد على الأقل ، بالاضافة الى تناول اسبرين او مسكن لتوتر العضلات هو ما يمكن وصفه للمصاب ، ويضيف آخرون استخدام اللبادة الساخنة او الثلج .. ولكن هذه أيضا ذات قيمة مشكوك فى جدواها .

إن افضل علاج هو الزمن ، كما يرى الدكتور جورج هبيات ، رئيس جراحى العظام بجامعة جورج تاون فى واشنطون : «ان معظم مشاكل الظهر تحل نفسها بعد ثلاثة اسابيع مهما فعلنا ، ولذا فان الهدف الذى يجدر بنا أن نضعه صوب أعيننا هو إتاحة اكبر قدر من الراحة الممكنة للمصاب »

إنتبه للانذار الأول

ومع ذلك يمكن أن تحدث مضاعفات فى المستقبل ، فان الظهر متى أصيب ، فلا علاج له .. كما يقول جراح العظام بمستشفى نيويورك للجراحة الخاصة .. الدكتور ليون رووث : «إن الوجع الذى نستشعره فى الجزء الأسفل من الظهر هو بمثابة انذار لنا بأن شيئاً ما لايعمل بطريقة سليمة ، ومتى تكرر ، فان ضربته الثانية ستكون افظع ، فيجب الانتباه للانذار واتخاذ خطوات لمنع تكرار حدوث ذلك مرة أخرى .» فما هى تلك الخطوات ؟

أنفض الكسل

استخدم مرتبة متينة أو سريراً خشبياً للنوم وتخلص من الوزن الزائد ، وقم بتمارين خفيفة للظهر كل يوم .

ولكن المؤسف ان غالبية المصابين لا يحسنون سوى تغيير ما ينامون عليه ، كما يقول (كايم) الذى يجرى تمرينات يومية : «ان معظمنا يريد حبة الدواء والعقاقير ، ويريدون العملية الجراحية ، ويتهربون من أداء التمارين لكسلهم وما تصيبهم به من ملالة .»

ضغط الوزن الزائد

إن عدم التمرين يضر بالعضلات لأنه يفقدها لياقتها ، أما البطن المتدلى ، فانها تضع ضغوطاً اضافية على العمود الفقرى .. وكما يقول الدكتور رونالد تيلر من مستشفى ديترويت ، فان ١٠ ارطال من الوزن الزائد فى البطن تساوى ١٠٠ رطلا من الثقل على الغضروف ، وذلك لأن البطن تبرز للأمام الأمر الذى يجعل التقوس الطبيعى للعمود الفقرى يضطرب ، ويشكل ذلك مشكلة اكبر بالنسبة للنساء فى الأشهر الأخيرة للحمل ، فيعانين ألماً حاداً فى الظهر .

ضرورة الاعتدال

وعلى العموم ، فان اخصائى الظهر فرحون بالهوس الجديد فى انحاء كثيرة من العالم بضرورة اللياقة والوزن الصحيح والتغذية المتوازنة ، ولكنهم يحذرون من مغبة الافراط ، لأنه يؤدى الى اصابات الظهر ، ويحذرون خاصة اولئك الذين ينكبون على ممارسة كل نشاطاتهم الرياضية فى أوقات مفاجئة ، لأنهم لم يوفروا لها الوقت المنتظم . ويروى الدكتور ريتشارد بشتاوفر من عيادة آلام الظهر بروكستر قصة ذلك المحامى الذى يجلس لعمله طيلة الأسبوع ثم ينغمس فى لعب التنس او كرة اليد فى نهاية الأسبوع ، وفى صباح الاثنين لايستطيع أن يتحرك من سريره !

وخلاصة القول ان التمرين ضرورى إن أردت ، ولكن يجب أن يمارس بحذر وانتظام وتمهيد . ولكن اكثرنا لا يتقيدون بما يستلزمه التمرين ، وكثيراً ما يهجرون أى برنامج للتدريب أو التمرين حالما يشعرون بتحسن ، وهذا الكسل عن المواصلة هو الباب الواسع الذى تدخل منه المصائب ▪

جراحة الظهر

والعمليات الجراحية سبيل آخر شائع اليوم لعلاج أوجاع الظهر ، وخاصة تلك الناتجة عن فتاق الغضروف ، وقد بدأت عمليات إزالة الغضروف فى الثلاثينات ، وتجرى فيها حوالى ٢٠٠ الف عملية فى العام فى الولايات المتحدة ، وتعاد العملية مرة ثانية لتثبيت العمود الفقرى لحوالى الثلث من هذا العدد المذكور . ذلك بأن توضع شرائح من عظم الحوض بين الفقرتين المجاورتين للغضروف المنزوع ، وبمرور الزمن تصبح هذه الشرائح جزءاً رابطاً للعظام ، ويصبح ذلك الجزء من العمود الفقرى متصلباً ، فاقداً لمرونة الحركة .

حقن الغضروف

اما طريقة حقن الغضروف المفتوق او المنزلق كما نسميه خطأ ، فهى اكثر مثاراً للجدل والخلاف بين الاطباء ، وتقوم هذه الطريقة على حقن انزيم مستخلص من البباى ، وهو من الفاكهة الاستوائية المعروفة ، فى الغضروف ، وقد تطورت فى الستينات على يد جراح العظام ليمان سميث ، وبها تتم إذابة المادة اللزجة الهلامية بالغضروف ، وبذا يستغنى عن إجراء عملية جراحية لازالته ، ولكن ادارة مراقبة العقاقير والاطعمة بامريكا منعت استخدام هذه المادة الكيمائية بعد أن اظهرت دراسة فى عام ١٩٧٥ عدم جدواه وذلك بأن مارست ضغوطاً على صانعيه ليسحبوه من التداول . ومع ذلك استمر استخدامه بكندا ، ومازال كثير من الامريكان يلجأون اليه فى كندا ، وبموافقة اطبائهم فى بعض الأحايين ، ويقول الدكتور مارك براون من جامعة ميامى أن ٩٠ بالمئة من المرضى الذين يبعث بهم الى كندا ليحقنوا بهذا الانزيم يعودون فى أتم صحة ولا يحتاجون لشىء آخر فيما بعد .

مدى نجاحه

ويقرر الجراح إيان مكناب من تورونتو نفس النتائج ، فقد استخدم هذا الانزيم فى العشر سنوات الماضية فى ٢٠٠٠ حالة من حالات وجع الظهر فى منطقة تورونتو ، وشفى ٨٠ بالمئة منهم وفى دراسة صدرت مؤخراً يقول الدكتور مانوشر يافيد من جامعة ويسكونسون بماديسون انه وجد أن ٨٣ بالمئة من ١١٤ حالة ممن حقنوا بهذا الانزيم المستخرج من البباى بسبب فتاق الغضروف لم يعاودهم الوجع لمدة ثلاث الى ست سنوات بعد العلاج ومع ذلك مازال عدد كبير من جراحى العظام يشكون فى فعاليته ، لأنهم يخشون من آثار جانبية يمكن أن تسببها مادة غريبة ، منها الحساسية أو حتى الصدمة .

وقد يستقر الرأى على شىء نهائى بعد اكتمال دراسة حول هذا الانزيم يقوم بها عدد من المراكز الطبيعة بامريكا .

الاحتكاك الالتصاقى

اما آخر ما أضيف الى قائمة العلاج الطويلة لآلام الظهر فهو ما يعرف بالاحتكاك الالتصاقى

أوجاع الظهر

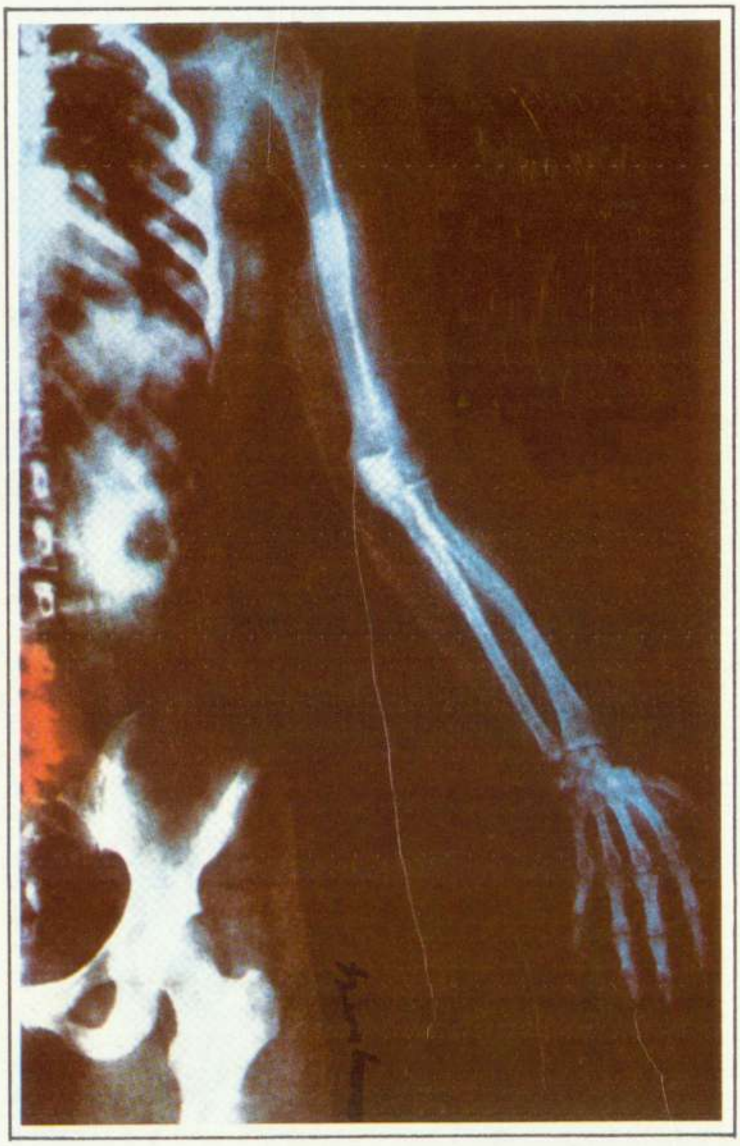

للجانبية .. وهو لايعدو ان يكون تحديثاً بطريقة ترجع الى ايام ابوقراط ، حيث كان من يعانى من وجع الظهر يربط الى سلم ورأسه الى الارض ثم يدلى شيئاً فشيئاً ، وبهذه الطريقة يتم تخفيف المشكلة بفتح المسافات الدقيقة بين الفقرات .

وفى معهد سيشر كينى بمدينة مينيابوليس حيث تستخدم هذه الطريقة يتم ربط المصاب الى سرير مائل ، ثم يدار السرير حتى يتخذ المريض وضعا واقفا ، ورأسه الى اعلى .

ويبدو ان هذا التكنيك الذى يعتمد على ما ظل الناس يرددونه من انهم يجدون التخفيف عن آلامهم حين يتعلقون ويتدلون من اذرعهم ، وقد تساعد كثيراً من المصابين ، وذلك لأنه كما يقول منتقدوه يبعد المصاب من الضغوط اليومية ويفرض عليه الراحة فرضاً .

معرفتنا ناقصة..

وفى كثير من حالات الم الظهر لايجدى اى شىء فتيــلا ، ويفشل التمرين والراحة والجراحة والسحل باستخدام قوة الاحتكاك الالتصاقى فى جلب الراحة ، والسر فيما يبدو كامن فى ان الأطباء بعد كل هذه السنوات الطويلة من الكشوفات والتشريح مازالوا يجهلون الكثير عن جوانب كثيرة من العمود الفقرى . والأخطر من ذلك انهم قد اكتشفوا مؤخراً ان قدراً كبيراً من وجع الظهر يعود فيما يبدو الى حالات نفسية . ففى اكثر من ٨٠ بالمئة من حالات الوجع تمكن المشكلة فى كونها ناشئة عن عوامل غير عضوية مثل الاجهاد والقلق وعوامل ذهنية اخرى ، ويضع الدكتور جون باسميان من جامعة ماكماستر الكندية اللوم كله تقريباً على الجوانب النفسية من هذا الألم الممض .

وفى الواقع ، فان بعض الناس يستثمرون استمرار الوجع من ناحية عاطفية ، حتى اذا كان منشا الألم عضوياً فى اساسه ، ويشير الدكتور جون بونيكا من جامعة واشنطون بسياتيل الى حالة سيدة فى متوسط العمر ظلت متزوجة لعشرين عاما ، وكبر ابناؤها وتفرقوا ، فهى بحاجة الى الحب والاهتمام ، لكن زوجها دائم الانشعال ولا يتوفر له الوقت ليمنحها هذه الكفاية العاطفية ، وذات يوم تسقط فى الجليد ، وتشكو الما فى الظهر وفجاة ابدى زوجها اهتماماً بالغا عليها ، فتحس لا شعورياً بانها قد كوفئت على مرضها وآلامها .. ولذا تستمر فى الشكوى من الألم حتى بعد ان تبرا من الاصابة لتستدر وتحتفظ بتلك العناية وذلك الاهتمام .

أهو مرض نفسانى ؟

ويمكن لوجع الظهر ان يكون ناتجاً جانبياً للمشاكل التى يعانى منها الشخص فى عمله ، أو المشاكل فى العلاقات الشخصية ، او الحزن على موت شخص عزيز . وهذا النوع من «الانقباض المستتر» كما يلاحظ الطبيب النفسانى توماس

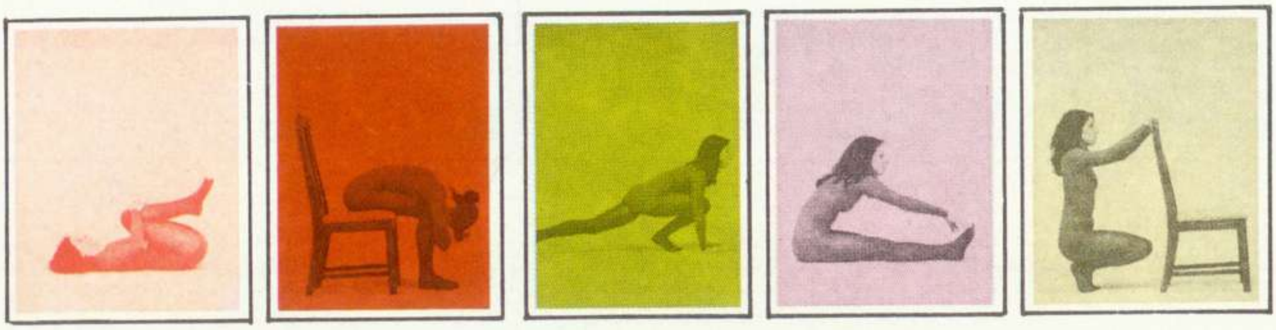

هاكيت من المستشفى العمومى ببوسطن ، يمكن ان يستمر عدة سنوات ، ويمكن ان يكون للسام نفس الآثار كما يرى جراح العظام ريتشارد باخراش من نيويورك . «فهناك كثير من النسوة اللائى يعانين من وجع الظهر والسام وفقدان الهدف فى حياتهن ، وهن يستثمرن وجع الظهر كعذر لتصرفاتهن ، فاذا ما ساءت العلاقة بينهن وازواجهن تعللن بوجع الظهر للابتعاد عن المعاشرة الجنسية ، ويجدن فى وجع الظهر سبباً اقوى من الشكوى من الصداع ، لانهن وان لم يكن مصابات به ، يقدمن الخوف من التعرض له للابتعاد عن معاشرة الزوج ، ومن سخرية الحال ان ما يتجنبنه هو علاج وقائى لوجع الظهر ، إذ أن الحركات التى يقوم بها الزوجان اثناء الجماع تقى الجزء الأسفل من الظهر ، لانها بمثابة تمرين للحوض »

صداع فى الظهر ؟

ويعتقد بعض اطباء النفس بوجود ما يمكن ان نسميه «الشخصية المعانية من وجع الظهر» ويتميز هذا النوع من الناس بانه جاد فى مساعيه ولكنه فاقد للثقة بالنفس ، وهم مثل ضحايا الصداع المزمن والقرحة يميلون الى كبت غضبهم ويتحاشون الدخول فى اى صراع ، ومن ثمة يمكن القول بان وجع الظهر ليس سوى صداع وتوتر نزلا باسفل الظهر .

وفى يأسهم وحرصهم على التخلص من هذا العذاب ، اخذت اعداد هؤلاء المرضى تتدافع فى ازدياد الى العيادات فى البلاد ، والتى تضم اطباء نفسانيين واخصائيين فى المشاكل الاجتماعية وكل ذلك لوجود عنصر المرض النفسانى والمشاكل الشخصية فى هذا المرض ، وتقوم هذه العيادات بتدريب مرضاها على كيفية التعامل والعيش مع وجع الظهر اذا كان مستعصياً على العلاج .

وليس ذلك بالأمر اليسير ، لان كثيرين من المرضى ظلوا يعانون من هذا الوجع سنوات طويلة واخضع بعضهم للعمليات الجراحية ثلاث او اربع مرات ، وهم فى الغالب قد توقفوا عن العمل ، وعن ممارسة اية التزامات عائلية ، كما ان بعضهم صار أسير الحبوب المهدئة ، او مدمنا للمخدرات المسكنة للالم .

تسكين الألم

وكثير من هذه العيادات يستخدم طرقاً غير تقليدية فى العلاج .. منها التنويم المغناطيسى ، والسيطرة الواعية على الجسم والعلاج بالأبر واستئصال اعصاب الروابط الفاصلة بين الفقرات ، او حقنها بالكحول ، كما استحدث جهاز صغير يمكن وضعه فى الجيب ، وهو ان وضع فى مكان الألم بث صدمة كهربائية خافتة تكبت الالم لبعض الوقت .

وفى حالات الوجع الحاد المزمن يمكن زرع مثل هذا الجهاز فى الجسم نفسه ، وقد ظل هذا التكنيك يستعمل منذ عام ١٩٧٤ بواسطة جراح الأعصاب يوشيو هوسوبوشى بجامعة كاليفورنيا بسان فرانسيسكو فهويزرع سلكا او سلكين او ثلاثة اسلاك بحجم الشعرة فى المخ او الحبل الشوكى ، وهى بمثابة الكترودات كهربية ، وتمتد الى مصدر كهربى يغذى بالراديو ويوضع تحت جلدة الصدر ، فاذا ما اراد المريض تخفيف آلامه ، ضغط براديو ترانسزتر صغير على صدره ، فتحرك اشارات هذا الراديو المصدر الكهربى الدقيق ، فيبعث فوراً تياراً كهربيا دقيقا الى المخ او الحبل الشوكى ، وبذا يشعل الخلايا العصبية والغرض من كل ذلك هو اطلاق دفقة من مادة تشبه المورفين ، تعرف باسم «بيتا اندروفين» تنتجها الخلايا العصبية ويوظفها الجسم فى قتل الألم ، وفى مدى ١٥ دقيقة يستشعر المريض انفراجا يدوم ساعات او عدة ايام ، ولكن المشكلة هى أن المريض قد يتعود على هذه الصدمات الكهربية الدقيقة ، فتصبح غير ذات اثر .

وباستخدام كل هذه الأساليب العلاجية استطاعت بعض العيادات اعادة حوالى ٦٥ بالمئة من المرضى الى الحياة المنتجة المثمرة ، وان لم يتخلصوا من الالم تماما .

المتاجرة بالمرض

وفى بعض الحالات التى لايجدى العلاج يستغل المريض وضعه فيطالب بتعويض عن الاصابة اثناء العمل وبفوائد الضمان الاجتماعى والتامين كعجزه عن العمل ، وليست المشكلة وقفاً على الولايات المتحدة ، بل ان ٢٥ بالمئة من العمال فى السويد يتقاعدون قبل الأوان بسبب وجع الظهر ، ويرفعون دعاوى جلها باطل .

وقد تمكن الأطباء من فضح كثير من بطلان هذه الدعاوى ، وذلك باختيار بسيط ، وهو ان يطلبوا من مدعى العجز عن العمل بسبب وجع الظهر ان يركع فوق مقعد ، وينحنى ويحاول أن يلمس الأرض بيديه ، ويمكن حتى لمن يعانى من فتاق الغضروف ان يقوم بذلك ... ولكن مدعى العجز بسبب الظهر يرفضون فى الغالب القيام به بحجة حدة الوجع .

اتقاء وجع الظهر

ان اتقاء ومنع حدوث وجع الظهر هو فيما يعتقد كثير من الأطباء العلاج الوحيد والأفضل . ولقد كانت معرفة الناس بالعناية الصحيحة بالظهر شبه منعدمة ، ولكن الاهتمام الآن قد تكثف ، وقد انشئت وحدات لتعليم العناية بالظهر والتوعية بها ، ففى تورنتو بكندا تقدم هذه الوحدات التعليمية حلقات للتوعية ، كل منها يدوم ساعة ونصف تقدم فيها المحاضرات حول مواضيع تشمل التشريح والوقفة والجلسة والعوامل العاطفية المتصلة بوجع الظهر ، والاسترخاء وأساليبه ، وتمرينات الجزء الأسفل من الظهر والبطن ، والطرق الصحيحة لرفع الاشياء .

وفى نيويورك يقدم الدكتور باخراش ندوات عملية منتظمة كل يوم أربعاء لمرضاه ، ومعظمهم من الراقصين .

وفى اتلانتا ايضا يقدم الاعضاء العاملون فى عيادة الظهر محاضرات وشروحا لموظفى المؤسسات والشركات هناك ، ويجرى اعداد فيلم يمكن للمؤسسات الكبرى أن تعرضه على العاملين بها لتوعيتهم بمشاكل الظهر وكيفية إتقائها .. وقد لاقت كل هذه البرامج نجاحاً ، واصاب الناس فائدتها .

أصبحت جراحة نقل القلب
شيئا روتينيا لكن المشكلة هى العناية الرفيعة المسئولة بعد العملية

الجديد فى .. جراحة نقل القلب

ولد لويس بونيزيو قبل ٤٦ عاماً ، ولكنه يعتبر يوم ١١ مايو ١٩٧٤ يوم ميلاد حقيقى له ، حيث زرع له قلب جديد فى ذلك التاريخ فى المركز الطبى التابع لجامعة ستانفورد .

وكان لويس قد عانى نوبتى قلب حادتين قبل اجراء العملية .. وتدهورت صحته بدرجة فظيعة ، وأصيب بعدد من الأمراض المعدية الخطيرة ، وصار عاجزاً عن المشى إلا لخطوات قلائل . وما أن نقل له القلب الجديد حتى استرد عافيته وقوته ومعنوياته .. وبشكل درامى .

وقد صرح مؤخراً للصحافة بينما هو يقوم بقطع الاخشاب وتجهيزها لأغراض التدفئة :

«إننى فى صدر قائمة الاثنى عشر الذين زرعت لهم قلوب جديدة»

وكان تسعة منهم قد اجريت لهم عمليات نقل القلب فى مستشفى ستانفورد حيث طور الدكتور نورمان شومواى طريقة صارت قياسية فى عمليات نقل وزراعة القلب فى العالم . وقد حفز معدل نجاح هذا المستشفى المراكز الصحية الأخرى على تطوير برامج مثيلة .

ومنذ عام ١٩٦٨ اجرى الأطباء بمستشفى ستانفورد ١٨١ عملية نقل وزراعة القلب ، ومازال ٧٢ ممن تلقوا قلوباً جديدة على قيد الحياة . كما أن معدل الحياة لسنة واحدة قد ارتفع بالنسبة للمرضى من ٢٢٪ الى ٦٩٪ أما معدل الحياة لخمسة اعوام بعد العملية فقد كان ٥٠٪ وقد احتفل احد الذين تلقوا قلباً جديداً بعيده العاشر بعد العملية .

وكانت أول عملية لنقل وزراعة القلب قد تمت على يد الدكتور كريستيان بارنارد قبل ١٢ عاماً فى جنوب أفريقيا . وفى عام ١٩٦٨ تم نقل وزراعة ١٠١ قلباً على ايدى ٦٤ فريقاً طبياً فى ٢٢ دولة . ولكن اكثر الأطباء كانوا يفتقرون الى التدريب السليم الذى يؤهلهم لاختيار

الحالات المناسبة لنقل وزراعة القلب ، ولم يكن استعدادهم طبياً لمعالجة مشكلة رفض الجسم للاعضاء المنقولة إليه حيث يقوم جهاز المناعة الطبيعية فى الجسم بالهجوم على الأنسجة الدخيلة .

ونتيجة لذلك فان معظم الذين تلقوا قلوباً جديدة أول أمر هذا النوع من الجراحة ماتوا بعد أسابيع قليلة بعدها وكما يقول الدكتور شومواى : «لقد طغت حمى نقل القلب آنذاك .. وكان يقوم بها اناس يجهلون ما كانوا يفعلون .. مما أثر على هذا المجال لمدة لا تقل عن خمس سنوات ...

وكانت معظم المستشفيات قد توقفت عن اجراء جراحة نقل القلب بعد أن ادركت الارتفاع الفظيع فى معدل الوفيات . ولكن مستشفى ستانفورد واصل عمله ، مطوراً أساليبه ، مما أهله للقيام بعمليات تعتبر أكثر عمليات نقل وزراعة القلب نجاحاً . وصارت العملية نفسها شيئاً روتينياً .. إذ أن العناية اللازمة بعدها هى الأمر الشاق الذى يتطلب إخلاصاً وجهداً جماعياً من اخصائى المناعة واطباء وجراحى القلب واخصائى علم الأمراض .

إن المسالة الكبرى بالنسبة لهذا الفريق من الأطباء والأخصائيين هو جهاز المناعة فى جسم الانسان . وقد طور فريق الباحثين فى مستشفى ستانفورد بقيادة الدكتورادوارد ستيفنصون طريقتين ، احداهما لتشخيص وجود امكانية رفض العضو المنقول ودرجة الرفض ،والأخرى استخلاص مادة لمعالجة الرفض . ومازال الفريق يواصل ابحاثه لايجاد افضل السبل لمكافحة رفض الجسم للانسجة الدخيلة .

اما المسالة الأخرى التى مازالت مثار بحث واخذ ورد بين الجراحين فهى مسالة تحديد المرضى الذين يمكن أن يستفيدوا من عمليات نقل القلب ، وبالتالى هم الأولى بها .

ويعتقد الدكتور شومواى أن نقل القلب هو آخر ملاذ .. ولا يجب اللجوء اليه إلا عندما يكون البديل هو الموت .. وهو ينتقد بعض الممارسات التى تقوم بها بعض المراكز ، إذ تجرى عمليات نقل وزراعة القلب لحالات انسداد صمامات القلب .. والتى يمكن علاجها بوضع قنطرة (كبرى) .

ومن بين الثلاثمائة المرشحين لجراحة نقل القلب بستانفورد لا يتم الا اختيار ١٥٪ منهم كحالات يناسبها نقل القلب .. ثم يخضعون لفترة من الانتظار الطويل المؤلم .. ويموت واحد من بين كل ثلاثة مرشحين لنقل القلب وذلك قبل الحصول على قلب جديد .. نسبة لصعوبة ايجاد متبرعين بقلوبهم .

ولكن هذه المشكلة آخذة فى التحسن وخاصة بعد ان اخذ عدد الأطباء الذين يتقبلون فكرة ان الموت هو قانون حين يموت الدماغ حتى ولو كان القلب نابضاً كما أن امكانيات المحافظة على القلب المتبرع به قبل نقله الى المريض قد تحسنت جداً .. وأصبح من الميسور أن يظل القلب ثلاث ساعات ونصف قبل نقله مما مكن مستشفى ستانفورد من الحصول على قلوب متبرع بها من مسافة ٤٥٠ ميلا .

حكومـــات الدول الغربيـــة
تدعـم مقايضة الموت بالأربــاح

إنحــار استهـــلاك التبـــغ فى أوربــا
الغربيـــة وارتفاعه فى العـــالم الثـــالث

الـغـرب يـصـدر أخـبـث الأوبـئـة إلى الـدول الـنـامـيـة

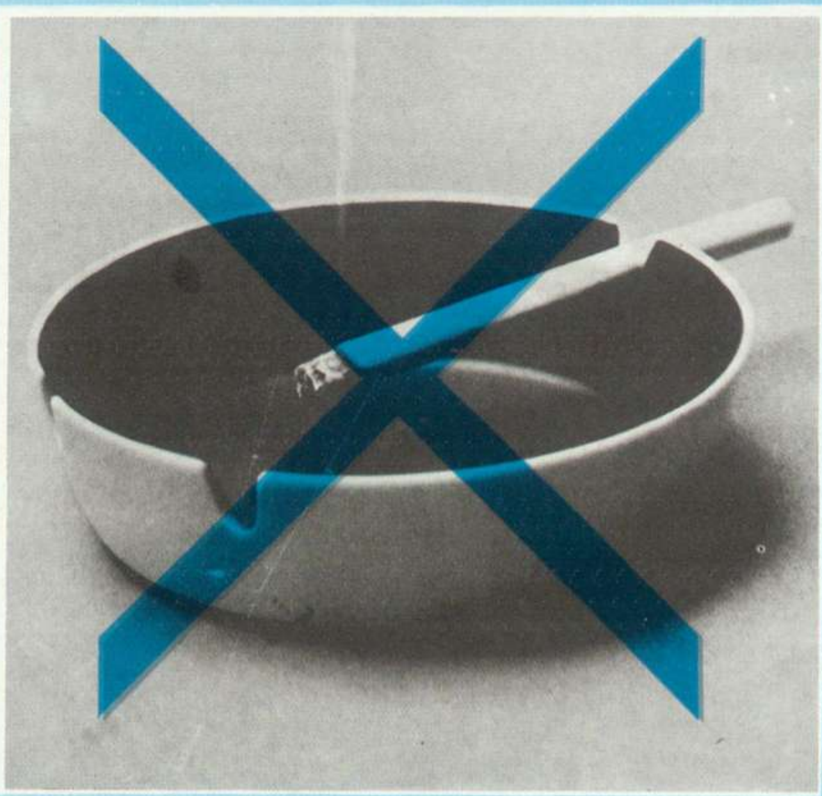

تقوم شركات التبغ العالمية بدعم من حكومات الدول الغربية باغراق اسواق العالم الثالث بسلعة قاتلة وذلك فى عمليات مقايضة مريعة هى اجتناء الربح الفاحش من وراء اتلاف صحة الانسان وتبديد العمالة .

وفى الوقت الذى يشهد العالم الغربى انحساراً فى تدخين السجائر حتى اصبح سلوكاً اجتماعياً يتراوح قبول الناس له بين مجرد التسامح الى الشجب والمؤاخذة عليه .. تشير احصائيات مبيع السجائر فى العام الماضى الى ارتفاع استهلاك الناس له اكثر من اى وقت مضى .

فما الذى حدث ؟

عندما فزع الناس الى الدول الاوروبية والولايات المتحدة وكندا من اضرار التدخين بالصحة ، وذلك قبل خمسة عشر عاماً ، وجدت شركات التبغ والسجائر العالمية نفسها مواجهة بانكماش حاد فى توزيع منتجاتها ، وارتفاع تكلفة الانتاج . فوجهت اسلحتها فى بساطة متناهية الى اهداف جديدة .. فى العالم الثالث .. حيث اكثر من ثلثى سكان العالم . جدير بالذكر ان هذه الشركات مختلطة الجنسيات ، مقر اربع منها الولايات المتحدة ، واثنين ببريطانيا وواحدة فى جنوب افريقيا العنصرية . لقد وصفت الكلية الملكية للأطباء ببريطانيا التدخين بانه «سبب للموت لا يقل خطراً عن الأمراض الوبائية الكبرى ، كالتيفود والكوليرا والسل» ، وحذرت المجلة الطبية البريطانية من وجود خطر فى تصدير هذه المادة المميتة الى الدول الفتية فى افريقيا وآسيا ونبهت وناشدت العالم الغربى الحر الى الاضطلاع بمسئولية الحيلولة دون ذلك . ولكن حكومتى الولايات المتحدة وبريطانيا ، بدلا من الالتزام بتلك المسئولية ، قامتا بدعم ومساعدة تصدير وباء التدخين الى العالم الثالث .

وفى الواقع تعانى كل الحكومات من ازدواج الشخصية فيما يتعلق بمسالة التدخين ، وذلك لضخامة الاستثمار المتصل به . فالحكومة البريطانية ، مثلا ، تعلم تمام العلم أن ٥٠ الف بريطانى على الأقل سيلاقون موتاً مبكراً نتيجة للأمراض المتصلة بالتدخين ، ولكنها ، من جهة اخرى ، فى حاجة شديدة الى المبالغ التى تحصلها من الضريبة على التبغ والتى تبلغ ٢٤٩٩ مليون جنيه استرلينى سنوياً . ولقد ساهمت الحكومة البريطانية خلال العشر سنوات الماضية باكثر من ٣٠ مليون جنيه استرلينى لبناء مصانع للتبغ فى المناطق التى تعانى من ارتفاع البطالة ، وكدعم منها لصناعة التبغ . وواصلت الحكومة الحالية تقديم المساعدات ليس فقط لصناعة التبغ التى تصدر ما قيمته ٣٤١ مليون جنيه استرلينى سنوياً ، بل أيضاً لمزارعى التبغ فى العالم الثالث .

الغرب يصدر أخبث الأوبئة

ويضاف الى تلك المبالغ ما دفعه دافع الضرائب البريطانى لمشاريع فى ملاوى وزامبيا وذلك عن طريق هيئة التنمية التابعة للكمونولث .

وقد دافعت الحكومة البريطانية عن هذا الموقف أمام البرلمان فى ديسمبر الماضى بقولها : «إننا نقدم المساعدات لمحاصيل التبغ اذا كان التبغ هو افضل المحاصيل فى البلد المعنى» فى العالم الثالث .

اما الولايات المتحدة ، فقد اعتمدت التبغ ضمن برنامجها الرسمى الخاص بالغذاء من أجل السلام والذى وضع لتطوير وتوسيع الأسواق الخارجية للمنتجات الزراعية الامريكية . وبهذه الطريقة قامت الولايات المتحدة فى عام ١٩٧٩ بتصدير ما قيمته ٣٫٤ مليون جنيه استرلينى من التبغ غير المصنع . ولا يمثل هذا بالطبع سوى جزء قليل من جملة صادرات التبغ الأمريكية .. كما تم تصدير ما قيمته ٩٥٠ مليون جنيه استرلينى من التبغ المحلى الامريكى .

معيار مزدوج

والسجائرالمصنعةفى الخارج برخصة من الشركات الأمريكية والبريطانية هى فى أكثر الأحايين أشد خطراً وفتكاً من مثيلتها بالأسواق البريطانية والامريكية

وقد أظهرت اختبارات أجريت مؤخراً أن كمية القطران فى سجائر امريكان اكسبريس ٥٥٥ التى تباع فى بريطانيا هى ١٨ ملليجرام ، ولكنها ٣١ ملليجراماً فى السجائر المباعة فى كينيا .

أما سجائر «كنت» فان كمية القطران بها ١٣ ملليجراماً فى بريطانيا

نتائج وخيمة

وقد بدأت النتائج الوخيمة تظهر فى دول العالم الثالث . ومع أن المشاكل الصحية التى يسببها التدخين لا تتضح تماماً إلا بعد أن يتكاثر عدد المدخنين فى بلد ما .. وبعد مرور أكثر من عشرين عاماً .. الا أن منظمة الصحة العالمية قد رفعت تقريراً فى العام الماضى يقول :

زراعة التبغ

«فى بعض الدول النامية وصل حجم وباء الأمراض المتصلة بالتدخين درجة تجعلها منافسة حتى للأمراض المعدية أو سوء التغذية»

لقد كانت أمراض مثل أمراض القلب والدم وسرطان الرئة نادرة فى أقطار العالم الثالث ، ولكن الحال الآن تغير تغيراً تاماً ، ففى البرازيل حيث التدخين مرتفع (١٣٥٠٠٠ مليون سيجارة فى العام يستهلكها حوالى ٢٥ مليون مدخناً) أصبح سرطان الرئة أكبر مسببات الموت للرجال فى عام ١٩٧٤ ، وارتفعت نسبة الموتى بأمراض تتصل بالتدخين بحوالى ٥٪ منذ عام ١٩٧٠ .

وفى كل دول أمريكا اللاتينية ، وهى منطقة نفوذ أمريكى غربى ، ارتفع عدد المدخنين بنسبة ٢٤٪ ، وواكب هذا الارتفاع فى عدد المدخنين ارتفاع فى النوبات القلبية والأمراض المتصلة بالتدخين .

مناطق نفوذ مغلقة

ويشهد الدكتور أميل وينين ، وهو هولندى كان استاذاً جامعياً بجامعة دار السلام بتنزانيا بأن العالم الثالث قد أصبح «مختبراً كبيراً يثبت مرة أخرى أن التدخين يقتل !»

ولقد اقتطعت شركات التبغ الكبرى السبع مناطق نفوذ العالم لنفسها . فالشركة البريطانية الأمريكية – ومقرها ببريطانيا – وتعتبر أكبر شركة منتجة للسجائر ، وتقوم بطرح ٣٠٠ نوع من أنواع السجائر فى ١٨٠ قطراً عن طريق اكثر من ٥٠ شركة فرعية أو وسيطة . وتقوم شركة فيليب موريس وحدها بتوزيع أكثر من ١٧٥ نوعاً من السجائر عبر ٤٠ وسيطاً أو ترخيصاً فى حوالى ١٦٠ قطراً . أما شركة رينولدز للتبغ فهى توزع ٦٥ نوعاً فى حوالى ٢٠ من هذه الأقطار عبر وسائطها .

وفى بعض البلدان يتم توزيع السجائر بشكل أوسع فى اية سلعة اخرى «ولا يمكن حتى للاند روفر أن يغطى كل المتاجر الصغيرة والحوانيت البالغ عددها ٣٣ الفاً التى تزودها بالسجائر الشركة البريطانية الامريكية فى كينيا ، إذأن كثيراً من تلك المتاجر لايمكن الوصول اليها الا بالدراجات أو الحمير أو الجمال .

وتتم تغطية التوزيع بالاعلانات والراديو والتلفزيون والسينما المتحركة ، حيث الدخول مجاناً .. ولكن الجمهور يدفع مقابل ذلك مشاهدته لاعلانات السجائر . ونجد أن نصف الاعلانات التجارية فى كل الوسائل الاعلامية فى ماليزيا هو السجائر .

وفى مسح يعود الى عام ١٩٧٤ ، قامت به مجلة (التبغ فى العالم) ، وهى مجلة محترمة جداً فى الأوساط التجارية اتضح أن ٩٥٪ من الدول المتقدمة لها قوانين للحد من توزيع السجائر ، بما فى ذلك التحذيرات الصحية ، بينما لم تضع سوى ٢٤٪ فقط من دول العالم الثالث

● موقف الحكومات الغربية من أخطار التدخين يتسم بالنفاق
● الأمراض المتصلة بالتدخين فى الدول النامية تنافس الأمراض الأخرى

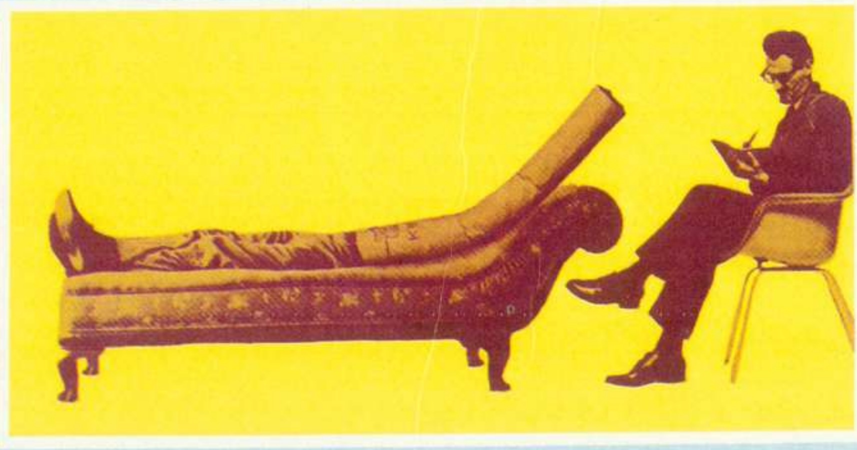

تشريعات بهذا الخصوص ، كما أن الاعلان عن السجائر بها لا حد له يتورع للوقوف عنده . ففى الأحياء الافريقية الفقيرة ترتفع اللوحات الاعلانية الزاهية مدعية أن «قولد ليف» هو للأشخاص البارزين جداً .. ولكن الحفاة العراة الذين يخاطبهم هذا الاعلان لا يملكون قوت يومهم ، ولا قدرة لهم على شراء علبة سجائر كاملة .. ومع ذلك يشترون السجائر بالقطعة .. وهذا الأسلوب عادى فى توزيع السجائر فى الدول النامية .

مساعدات لنشر الوباء

وقد استطاعت شركات التبغ ذات الجنسيات المتعددة أن تقنع الحكومات المفتقرة الى العملات الصعبة ، والتى تعانى من شح الايرادات المحلية ، أن تخطط لزراعة التبغ باعتبارها مصدر رزق جديد لمزارعيها ، يزيد من دخل الحكومة عبر الضرائب المفروضة على التبغ ، ويكون مصدراً للعملات الصعبة عبر تصديره .

وبهذا الاغراء الذى لا يقاوم فى بلاد فقيرة تقوم الحكومات فى الدول التى توصف بأنها نامية بتقديم العون والدعم للمزارعين لتجهيز الأراضى (١٩٠٥ جنيه لكل فدانين ونصف فى زامبيا) ، وتعيرهم المال لشراء تقاوى التبغ والسماد والمبيدات الحشرية . وغالباً ما يكون رأس المال من مصادر العون الخارجى . فقد قدم البنك الدولى ، الذى يتم معظم تمويله من الولايات المتحدة وبريطانيا ، ما جملته ٨ مليون جنيه استرلينى لتنزانيا لمشروعين لتشجيع زراعة وانتاج التبغ . ولا يظنن احد أن المزارعين يحصلون على اى نقد من شركات التبغ أو المؤسسات الحكومية مقابل محصولهم .. فالشركات الوطنية للتبغ هى فى الغالب أيدى للشركات العالمية وهى المورد الوحيد للآليات والخدمات التى يحصل عليها المزارعون .. وبيدها أيضاً التوزيع ووسائله ، ولذلك تصبح تلك الشركات متحكمة تماماً فى دخل المزارع .

ولو أخذنا ملاوى كمثال لوجدنا أن صغار المزارعين مضطرون الى قبول أسعار متدنية تفرضها عليهم مؤسسة الزراعة والتنمية والتسويق .

أما العائد من العملات الصعبة من مبيعات التبغ فهو مجرد وهم كذوب فى الغالب ، لأن الجزء الأكبر من الأرباح تمتصه رسوم الترخيص التى تدفع للشركات العالمية للتبغ ، ولمقابلة تكلفة ورق السجائر المستورد ، والتعبئة والتغليف .. والآلات . ولذا يندر أن يستفيد الميزان التجارى فى الدول النامية من تجارة التبغ . وربما كانت زامبيا خير مثال .

تبديد العمالة

ولا تتوقف سلبيات ونواقص إنتاج التبغ عند هذا الحد فحسب ، بل تؤثر بشكل خطير على موقف العمالة بالنسبة للمحاصيل الأخرى . فالتبغ كمحصول يعتمد على العمالة بشكل كثيف ، ويتطلب عدداً كبيراً من العمال اليدويين فى مواسم القمة ، وخاصة فى الوقت الذى تحتاج المحاصيل الأخرى للايدى العاملة .. للزراعة أو التحضير أو الحصاد ؛ وبذا يسرق انتاج التبغ العمالة الزراعية والأراضى الزراعية الخصبة التى كان يمكن أن تخصص لانتاج المحاصيل الغذائية .

إتلاف البيئة

ولكى يتم إنتاج التبغ الفرجينى المفضل ، يعالج مزارعو العالم الثالث أوراق التبغ بالتبخير ، ويستخدمون الخشب المحلى كمصدر أساسى للطاقة . وتحتاج هذه العملية الى حرق فدان من الأشجار لكل فدان من التبغ .. مما يستنزف الأراضى المشجرة بشكل خطير ويضيف سبباً رئيسياً الى مشكلة الزحف الصحراوى التى تعانى منها أفريقيا بشكل خاص .. لأن معظم مزارع التبغ واقعة فى المناطق المتعرضة لامتداد الصحراء . وهذا هو فعلا ما يحدث فى ملاوى وشرقى كينيا .. كما جاء فى مجلة .. الصحة العالمية ..

وهكذا .. فان الرغبة فى العائد النقدى السريع من وراء زراعة التبغ لا تضر بالصحة فحسب وانما بالبيئة أيضاً . وسيفلت الذين خططوا لحل مشاكلهم فى العالم الحر بتصدير ودعم هذا الوباء الى الدول النامية من دفع الحساب لكل هذه الخسائر .. إذ انها ستقع على مجموع السكان فى كل قطر نام .. ومادام التبغ سلعة قانونية ، فان الشركات العالمية لن تتوقف عن محاولة مضاعفة أرباحها منه .

وراثة الخصائص المكتسبة

فى عام ١٨٠٩ ، قدم عالم التاريخ الطبيعى الفرنسى الجنسية جان بابتيست لامارك نظرية فى النشوء والارتقاء تقول بان الأبناء يرثون الخصائص المفيدة التى يكتسبها الآباء فى حياتهم . وفى عام ١٨٥٩ جاء شارلز داروين لينقض هذه النظرية بفكرته عن «اصل الأنواع» والتى سادت منذ ذاك التاريخ . وترى الداروينية الحديثة أن عملية النشوء والارتقاء تتم عبر الانتقاء الذى يمكن البقاء للأصلح .

وعلى أيامنا هذه قام عالمان شابان، احدهما استرالى والآخر بريطانى ، بتصميم تجربة تشكل تحدياً للداروينية واحياء لنظرية لامارك ويتوقع لعملهما أن يشكل ثورة فكرية ومعلماً هاماً فى تاريخ العلوم اذا ثبت انهما محقان فيما ذهبا إليه .

ولأهمية هذه المسالة ، واستكمالا لمسائل عدة متصلة بها ظلت «حياتنا المعاصرة» تقدمها متابعة وتغطية لحركة العلوم الحديثة المرتبطة بالوراثة وهندسة الجينات وعلاج الأدواء المستعصية ، نقدم هذا الموضوع الحيوى .

ذات يوم من يونيو ١٩٧٨ استقل عالم استرالى الطائرة من نيويورك الى لندن فى جولة لزيارة عدد من المختبرات الأوروبية . وكان معه آخر كتاب ألفه آرثر كوستلر ، وهو كتاب «يانوس» الذى حشد المؤلف فيه جملة من الآراء حول النشوء والارتقاء والابداع والخلق وباثولوجية الدماغ البشرى .

كان تيلد ستيل فى التاسعة والعشرين من عمره آنذاك .. يجيش بالاهتمام بالأفكار العلمية أكثر من اهتمامه بمجال تخصصه وهو المناعة الطبيعية . وكان مأخوذاً بالطريقة التى زاوج بها كوستلر بين العلم والحس الفلسفى . لكن اكثر ما أثاره هو هجوم كوستلر الموجه ضد النواقص والسلبيات فى النظريات التقليدية المتصلة بالنشوء والارتقاء .

وراثة الخصائص المكتسبة

بدأ ستيل عمله من قاعدته بكندا ، بمعهد اونتاريو لابحاث السرطان ، وهناك التقى بشريكه فى العمل الدكتور غروكزينسكى ، من تورنتو .. والرجل من بليموث بانجلترا ، ويصغر ستيل بعامين لكنه يشاركه حماسه الفكرى .

وبعد مناقشات وحوار طويل بينهما ، شارك فيه بريطانى آخر هو د. جيفرى بولارد ، صدر كتاب لهم صغير بعنوان : «الانتقاء الجذارى والارتقاء التكيفى» .. وفيه وضع ستيل فرضية تجمع بين الداروينية التقليدية ، وتعديلا لفكرة ترفضها الداروينية تماماً ، وهى اعتقاد لامارك فى توريث الخصائص المكتسبة للأجيال التالية .

معلم هام فى تاريخ علم الأحيـــــاء

إن قيمة اية فرضية علمية فيما يرى بوبر يمكن الحكم عليها بمعيارين : جراتها ، ومدى امكانية اختبارها بالتجارب المعملية . ولقد كانت أفكار ستيل جريئة حقاً .. ولكن ما هو اهم من ذلك هو انه يمكن اجراء الاختبارات المعملية عليها . وكان زميله غروكزينسكى قد توصل الى أول طريقة لاختبارها . وقد ظهرت نتائجها فى مداولات الأكاديمية القومية للعلوم بالولايات المتحدة الامريكية .

وفى رأى السير بيتر ميداوار ، الحائز على جائزة نوبل للعلوم .. انه اذا اجيزت هذه الافكار بعد التثبت منها ، فانها تشكل أحد المعالم الهامة فى تاريخ علم الأحياء .

واذا كان ستيل وزميله على حق ، فان الاختبار يثبت أن ثمة خطأ هناك فى واحدة من أكثر النظريات التى تتمسك بها العلوم المعاصرة .. وهى الداروينية الجديدة .

كيف يتم الانتخاب الطبيعى ؟

عندما قدم داروين فى كتابه «أصل الأنواع» نظريته عن التطور بالانتخاب الطبيعى ، لم يكن لديه تفسير شاف للمتغيرات التى يقوم عليها الانتخاب الطبيعى . وقد قال بالبقاء للأصلح ولكنه لم يستطع أن يبين كيف تم للأصلح أن يوجد فى المقام الأول .

لكن علم الجينات الحديث استطاع ان يسد تلك الفجوة ، وأوضح أن المتغيرات تتم عن طريق ما يسمى بالتغيرات الأساسية المفاجئة فى الجينات .. وفى التعليمات التى تحملها الشفرات الكيميائية لخلق فرد جديد .. والتى تنتقل من الأب الى الوليد .

وتقوم الداروينية الجديدة على الجمع بين الانتخاب الطبيعى وعلم الجينات المعاصر . وهى حساسة للغاية تجاه اية آراء جديدة ، مثلها فى ذلك مثل الكنيسة فى القرون الوسطى . ولكن ذلك لم يوقف الآراء الجديدة عن الظهور والانتشار وكان أولها سابقاً لكتاب داروين فى «أصل الأنواع» بنصف قرن من الزمان ، وذلك حين قدم العالم الفرنسى جان بابتيست لامارك عام ١٨٠٩ نظريته حول توريث الخصائص المكتسبة ، وقال ان التغيرات فى الشكل والمهارة والعادات التى يكتسبها المرء فى حياته يمكن أن تصير الى ولده .. أى أن الفائدة والحاجة هما اللذان يؤديان الى التحول التطورى .

موقف الداروينية الجديدة

وكانت لداروين نفسه بعض النظرات اللاماركية ، لكن موقف الداروينية

الجديدة يصر على أن الخصائص لا يمكن انتقالها بالوراثة ، إذ أن التغيرات فى عملية الارتقاء إنما تنبع من الانتقاء الطبيعى الذى يتم عن طريق الصدفة فى الجينات فى خلايا الانجاب والتكاثر ، والتى نسميها «الخط الجرثومى» ويمكن أن تظهر التغيرات الأساسية المفاجئة فى جينات خلايا اجزاء أخرى من الجسم ، ولكن هذه لا تنتقل بالوراثة الى الجيل التالى .

وقد نسفت التجربة التى قام بها ستيل وزميله هذه الآراء ، وأظهرت أن العكس هو فيما يبدو الصحيح .

أين أتباع لامارك ؟

ومنذ أن اتخذت الداروينية الجديدة موقفها الجديد فان الاقلية المتمسكة بأفكار لامارك قد وجدت نفسها مواجهة بثلاث مشكلات :

أولها .. أن الداروينية الجديدة قد قامت بالفعل بتفسير أمور كثيرة .. وثانيها أن اتباع لامارك قد ظلوا خارج التيار العلمى الاساسى ، أو صاروا مجرد هواة مثل أرثر كوستلر ، وثالثها أن انتقادات اللاماركية للداروينية الجديدة كانت عامة غائمة ..

ذلك هو الموقف قبل أن تظهر الورقة العلمية التى قدمها ستيل وزميله بعنوان «وراثة القدرة على جنيات العدوى فى الفئران» .. وقد وجدت اللاماركية فى هذا العمل سلاحاً ماضياً تشهره فى وجه الداروينية الجديدة . ومتى تثبت الأفكار الواردة فيه ، كما يرى ميداوار ، فانها ستؤسس مبدأ ذا أهمية قصوى فى مسالة التطور .

وكان ميداوار قد عبر عن تقديره الكبير لهذين الباحثين وردد آراءهما وعملهما فى مركز البحوث الاكلينيكية شمالى لندن . وقد أقنع ستيل بالقدوم والعمل بالمركز .. لأنه يهيىء له جواً ومحيطاً حميمين ، ونقداً رفيعاً .

والسبب الذى جعل ستيل وزميله يقبلان هذه الدعوة هو أن البداية الاساسية لاختيار عملهما هى موضوع اكتساب الاحتمال الوقائى ، والذى نال به ميداوار جائزة نوبل للعلوم عام ١٩٦٠ م

الداروينية الجديدة قائمة على الجمع بين الانتخاب الطبيعى وعلم الجينات

ستيل : التعليم بالصدفة

اكتساب الاحتمال الوقائى

لقد اتضح من عمليات نقل وزراعة الأعضاء ان الجسم لا يقبل كل عضو يزرع فيه ، بل يلفظه ، ودلت التجارب التى أجريت على الفئران أنها بالمثل ترفض الأعضاء المزروعة . والسبب هو ما يعرف برد فعل المناعة . ولايقاف عمل ومفعول رد الفعل هذا لابد من اتخاذ اجراءات كيميائية صارمة .

وهناك طرق كثيرة متوفرة الآن للتغلب على هذه المشكلة ، وتعرف كلها بظاهرة «اكتساب الاحتمال الوقائى» . وكان ميداوار وزملاؤه قد شقوا هذا الدرب فى الخمسينات ويتم اكتساب الاحتمال الوقائى بحقن المستقبل للعضو الغريب وهو فى صغره بخلايا من الجسم المتبرع به . وبالنسبة للحيوان فى صغره ، كما فى حالة فئران المختبر ، فان جهاز المناعة الطبيعية فى الجسم لا يكون قد اكتمل ليرفض العضو المنقول .. وبذا يكبر الحيوان ، ويعامل هذه الخلايا المزروعة فيه كما لو كانت خلاياه هو نفسه .. ومن ثمة فانه يقبل أى عضو ينقل اليه من ذلك الجسم الذى به خلاياه منذ صغره .

وهذا النوع من الاحتمال الذى يتم صناعياً هو بالطبع خاصية مكتسبة ، ولذا ترى الداروينية الجديدة أنه لايمكن لهذا السبب أن يورث للأجيال التالية . ولكن ستيل وزميله برهنا على امكانية توريثه للأجيال التالية .

وقد شرعا فى اختبارهما بأن جعلا الفئران الذكور من المجموعة (أ) تتقبل خلايا مزروعة منقولة من فئران من المجموعة (ب) بنفس الطريقة التى شرحنا آنفاً .. ثم جعلا هذه الفئران تتناسل مع أناث لم تزرع فيها خلايا غريبة .. هى من نفس الفصيلة (أ) .

وعندما فحصا المواليد الجديدة التى كانت كلها من الفصيلة (أ) ، وجدا أن حوالى نصف عددها كان متسامحاً بالنسبة لنقل الخلايا إليه من المجموعة (ب) . ويمكن نقل هذا التسامح أو الاحتمال الوقائى الى الجيل الثانى أيضاً من المواليد .

وبالطبع لايمكن قبول هذه النتائج إلا بعد اختبارها من قبل جهة محايدة وطرف مستقل . فان صحت فان ذلك يعنى أن الداروينية الجديدة قدمت بعض الحقيقة ، لا الحقيقة كلها .

بديل للداروينية

إن البديل الذى قدمه ستيل للداروينية الجديدة يمكن أن يكون امتداداً لاماركياً لها .. وله اتجاهان : الأول هو تفسير السير ماكفارلين الذى أصبح واسع الانتشار والقبول وهو يتصل بواحد من أبرز الخصائص فى الجهاز الدفاعى للجسم ضد الأعضاء الغريبة .

ومن بين اجزاء ذلك الجهاز جزء ينتج مضادات الأجسام .. وهى مواد كيميائية فصلت بشكل دقيق ومضبوط لتقترن بأى دخيل محدد وليس بأى شىء سواه .

وراثة الخصائص المكتسبة

والغريب أن الجسم قادر على انتاج مضادات لأجسام لم يلتق بها من قبل ليس تلك الطبيعية كالبكتريا والفيروسات فحسب بل الكيميائيات المركبة فى المعامل . ولهذا لا يمكن أن تكون هذه المقدرة المحددة شيئاً يتم تعلمه عبر الارتقاء والتطور

أما تفسير بارنيت ، والذى توسع فيه أخرون فيقوم على أن الجينات فى الخلايا التى تنتج مضادات الأجسام منطقة دائمة التغير ، وأن كل تغير وتحول يقود الى انتاج نوع أخر من المضادات . ولا توجد عادة خلايا لانتاج نوع محدد من هذه المضادات ، إلا فيما ندر ، ولكن اذا ما وجد المضاد الذى انتجته هدفاً يرميه ، فانها تولد المضادات بشكل سريع تحت ضغط تلك الحاجة .

وهكذا فان الخلايا المنتجة للمضادات تمر بعملية انتقاء طبيعى داخل الجسم ، فتتكاثر الأنواع المفيدة بشكل سريع ، ويتم تصنيفها وحفظها لاستخدامها مستقبلا . أما تلك التى لا تفى بحاجة فانها تنقرض .

ومن الأهمية أن نتذكر أن التحولات عن طريق الصدفة التى تتم فى الخلايا المنتجة للمضادات لا صلة لها بالتغيرات الاساسية المفاجئة التى تحدث فى خط التكاثر الجرثومى . ووفقا للافكار التقليدية ، فان تلك التحولات لايتم ادراجها فى هذا الخط ، ولكنها تفنى مع الشخص الذى نتجت فيه ، وهنا ياتى الشق الثانى من النظرية التى يطرحها ستيل ، ويدخل فيها نوع متميز من انواع الفيروسات اكتشفه هوارد تامين من جامعة ويزكونصون قبل عشرة أعوام ونال على ذلك جائزة نوبل .

مجمل ما فعله ستيل

هناك بعض الفيروسات التى تستطيع أن تاسر مادة جينية خارجها . ولكن الفيروسات التى اكتشفها تامين ذات ميكانيزم تستطيع به أن توحد تلك المادة بالجينات فى ذوات الثدى . وقد جمع ستيل فى كتابه هذين الشقين .

فهناك ، من جهة ، عملية يتم بها الانتقاء الطبيعى للتحولات المفيدة من خارج خط التكاثر الجرثومى ، وهناك من جهة ثانية ميكانيزم يتم بها احتواء المعلومات الجينية الخارجية فى خط التكاثر الجرثومى . فاذا ما اجتمعتا للعمل سوياً فان النتيجة هى التطور وفق ما قال به لامارك .

فرضية علمية جديدة

تنتقد الداروينية

وتعيد الاعتبار

لأفكار لامارك فى التطور

داروين : التطور بالصدفة

لامارك : التطور بالتعليم

ولكن هذه الافكار اللاماركية تختلف عن الفكرة القديمة الساذجة القائلة بأن ابن الحداد يولد بعضلات متينة . ان التحولات مازال لها الدور الاساسى الذى تلعبه . ولكن يمكن لها أن تحدث خارج دائرة الخط الجرثومى ، وبذا تسمح بتوريث الصفات والخصائص المكتسبة .

وهذه اللاماركية الجديدة لا تلغى الداروينية بقدر ما تقوم بتمديدها فى اتجاه مفاجىء تماماً . ومع ذلك فان هذا النوع من التوريث سيظل ذا فائدة قليلة ان بقى فقط فى دائرة جهاز المناعة الطبيعية بالجسم . ولكن ما يقترحه ستيل هو أن فعاليته أوسع مدى من ذلك . إن خلايا الدم . وخلايا الكبد وخلايا جدار المصارين ، وربما الجهاز العصبى ، كلها يمكن أن تمر بهذا النوع من التطور ، ثم تدخل فى الخط الجرثومى . فاذا ما تم التثبت من هذه النظرية بالتجربة ، كما يرى د. ميداوار ، فانها ستكون مفتاحاً لتغير جوانب أخرى فى مجال الوراثة .

رد الفعل ...

كان ستيل يتوقع رد فعل عنيف من الداروينية الجديدة عندما نشر كتابه . ولكن رد الفعل جاء ناعماً . والحق أن الداروينية الجديدة قد ظلت تعانى لبعض الوقت جملة من المشاكل . هناك مثلا مشكلة عضو معقد كالعين التى تتكون من عدد لا يحصى من الاجزاء المتداخلة وأكثرها لا طائل تحته دون غيره . ولا يمكن أن تكون العين وليدة الصدفة على الاطلاق . ولابد أن لوجودها أن تتم تحولات عديدة ضرورية فى الخط الجرثومى وفى نفس الوقت . ومما عرف عن معدل التحولات لايبدو أن شيئاً كهذا يمكن تصديقه .

والمشكلة الأخرى التى كثرت الاشارة اليها هى تاريخية فى المقام الأول .. هناك فجوات كبيرة فى السجل الذى يعتمد على المخلفات المتحجرة لخطوات أساسية فى عملية التطور .. مثلا خروج الطير من الزواحف .. أو المراحل الأولى من تطور الفقريات .

وليس بمستغرب أن يكون السجل المعتمد على المتحجرات حافلا بالفجوات ولكن اذا كان التطور قد حدث فعلا بالبطء الذى قال به داروين فاننا نستغرب عدم وجود أى دليل عن المراحل الوسيطة لبعض الخطوات المهمة للغاية فى عملية التطور .

وبجانب هذه الشكوك ذات الطابع العام فان الأدب العلمى الذى كثيراً ما يغيب عن البال ، وما تم جمعه من التجارب يصعب تفسيره على ضوء

الداروينية الجديدة . ولكن خط التفسير اللاماركى يسهم فى ذلك كثيراً .

ويقدم لنا عالم النبات عجائبه الخاصة أيضاً . فالكتان مثلا يظهر لنا ما يدعم آراء لامارك فى الوراثة . فقد وجد د. آلان دورانت لسنوات خلت ــ وهو من جامعة ويلز ــ أن اختلافات الطول والوزن فى الكتان الناتجة عن اختلاف فى ظروف زراعته ، يمكن توريثها .

فاذا ثبتت نتائج تجارب ستيل وزميله فانها ستؤكد أن بعض ما قال به لامارك فى الوراثة حقيقى بالنسبة لكثير من المسائل .

إن كثيراً من أتباع الداروينية الجديدة اليوم يرون أنه ما دام الانسان قد تحكم فى كثير من ضغوط البيئة عليه فانه ليس من باب الاحتمال أن يستمر فى التطور بيولوجياً . ولكن هذه النظرة لا تفترض أى توريث للخصائص المكتسبة . فاذا بطل هذا الافتراض فان كثيراً من الأمور سيبدو على صورة مغايرة . وفى كتابه يتوقع ستيل أن الانماط السلوكية المكتسبة ربما تم استيعابها فى الخط الجرثومى . وان صح ذلك فان التغيرات الاجتماعية والبيئات الجديدة التى خلقتها التكنولوجيا الحديثة ستؤدى الى تطور سريع للانسان .

بانتظار الحكم ...

وبينما ينتظر الجميع صدور الحكم على هذه التجارب يصور السير بيتر ميداوار الحالة الذهنية الغالبة أفضل تصوير حين يقول :

«لقد حفل الماضى بأمور كثيرة مخيبة للآمال ، مما جعل الناس يتوجسون ويبقون على حذر . وربما صرف الكثيرون آراء ستيل دفعة واحدة ..

ولكننى لا أعتقد فى عدم الاكتراث لمثل هذه الافكار مهما بدت غريبة ، إذ يجب أن تمنح فرصة عادلة للتجريب .. لأن شيئاً شديد الغرابة يجرى .. فيما يبدو .

ويقول عن كتاب ستيل :

«لا أدرى على الاطلاق ما ستتمخض عنه الأمور .. ولكننى آمل مخلصاً أن يكون (ستيل) على حق .»

جديد فى دنيا العلوم

الصداع النصفى والأطفال

●● اتضح ان الصداع النصفى يمكن أن يصيب الأطفال كالكبار تماماً . ومن رأى الدكتور جون تيبلز اخصائى أمراض الأطفال والأمراض العصبية بمستشفى أيزاك دالتون كيلام للاطفال بهاليفاكس أن ٨٠٪ من أمهات الاطفال الذين يعانون من الصداع النصفى و ٦٠٪ من آبائهم هم أيضاً يعانون من هذا المرض .

وفى أغلب الأحيان يصعب اكتشاف الصداع النصفى عند الاطفال لأن الصداع العادى ، هو سمة مميزة للصداع النصفى عند الكبار ، ليس من بين الأعراض العامة عند الاطفال ، ففى سن الثانية أو الثالثة قد يبدأ الصداع النصفى بنوبة مفاجئة وحادة من الدوار .. وفى سن الخامسة يصاحبه قيء من وقت لآخر ، وحمى وآلام فى البطن . وفى الثامنة يظهر الضعف فى الجزء الأسفل من أحد شقى الجسم ، وفترات من عدم القدرة على الكلام المتصل المبين ، وشعور بالفتور والنعاس .

وقد يتخذ الصداع النصفى أعراض الزائدة الدودية ، والصرع ، وصرعة التسمم أو الثمل بالعقاقير ، والمرض النفسى أو التهاب الجهاز العصبى المركزى .

وتختفى الأعراض عادة فى ظرف ١٢ الى ٢٤ ساعة اذا تم العلاج الصحيح ، والذى يمكن أن يشمل الاسبيرين والمسكنات والراحة أو الغذاء الخاص ، وباستطاعة الأطفال الصغار أن يتجاوزوا الصداع النصفى وهم يكبرون ، ولكن من الممكن أن يعاودهم فى الكبر ، حيث الصداع العادى هو السمة المميزة له .

علاج جديد لحب الشباب

●● مازال الطب يجهل أسباب حدوث (الأكنى) ، ولا يوجد دواء واحد محدد لعلاجه . ولكن أكثر أنواع العلاج فعالية هو حامض فيتامين (أ) كما يرى الدكتور سيدنى هورفيتز . الاستاذ المساعد لطب الأطفال والأمراض الجلدية بكلية طب جامعة ييل .

ويمكن استخدام حامض فيتامين (أ) فى الكريم أوالجلى، وهو مادة تستخرج من محلول غروائى ، ويساعد ذلك فى تقليل تهيج الجلد وتقشره ، فتصبح الطبقة الخشنة من الجلد طرية ، وتزول رؤوس الحبوب السوداء . أما فى الحالات الحادة فيمكن استخدام خلطة من حامض فيتامين (أ) والبنزويل بيروكسيد .

وينصح الدكتور هورفيتز المصابين بالأكنى بالابتعاد عن استخدام المطهرات

جديد في دنيا العلوم

والمواد الكاشطة ، والأنواع الأخرى من أدوية الجلد ، وذلك لعدم وجود دليل واضح على فوائدها ، كما يوصى باستعمال الصابون الخفيف ، والانتظار حتى يجف الجلد تماماً قبل استعمال هذا المستحضر الجديد . واذا ما كان الشخص يتعرض للشمس بصفة دائمة ، عليه أن يستعمل دهاناً يقيه من أشعتها

البنكرياس الصناعي

●● اخترع الطبيبان تيل كراقين ودون شولم بمستشفى سنت فنست بسيدني باستراليا بنكرياساً صناعياً بحجم علبة الثقاب ، يلبسه المريض حول خصره ، فاذا ما ضغط على زر خرجت منه الكمية المطلوبة بالضبط من الانسولين من خلال القسطر الى مجرى الدم .

ويقول الطبيبان انه يمكن توفير هذا البنكرياس الصناعي في الاسواق في غضون عامين اذا ما استمر نجاح البحث والتجارب .

الموسيقى الصاخبة توقف التأتأة

●● اكتشف الدكتور فرانسيس فريمان ، الاستاذ المعاون في طب الكلام بجامعة نورثويستيرن بالينوى ، أن صالة موسيقى الديسكو الصاخبة هي المكان المثالي الذي يستطيع فيه المصابون بالتاتاة أو الفافاة أو التمتمة الحديث بانشراح وانطلاق .. وأن أكثرهم يتوقفون عن التاتاة اذا ما انسجموا في الغناء أو الحديث في ايقاع منتظم ، أو اذا ما اضطروا الى التخاطب في محيط صخاب .

وقد ساعدت ابحاث الدكتور فريمان ، والتي دامت عشر سنوات حول التغيرات السيكولوجية التي تحدث أثناء التاتاة ، في تطوير طرق علاجية جديدة للتاتاة .

السكتة القلبية والمرأة العاملة

●● تعتقد الدكتورة سوزان هيز ، عضوة المعهد القومي لامراض القلب والرئة والدم بميريلاند ، أن تعرض المرأة العاملة لاخطار السكتة القلبية وأمراض القلب لا يزيد في معدله عن النساء اللائي لا يخرجن للعمل .

وقد بنت هذا الرأي على بحث دام سنوات لحالات وتاريخ المرض لدى ٣٥٠ ربة منزل و ٣٨٧ امرأة عاملة و ٥٨٠ رجلا .. تتراوح اعمارهم بين ٤٥ و ٦٤ عاماً .

والحالة الاستثنائية الوحيدة التي وجدتها د. هيز هي أن النسوة اللائي يقمن بأعمال مكتبية ، ولهن اطفال قبل سن المدارس ، وازواج من الطبقة العاملة يرتفع معدل خطر الاصابة لديهن بنسبة ٢١٪ أكثر من غيرهن ، وذلك يعني أربعة اضعاف أعلى مما هو بين اللائي لا يخرجن للعمل ، وثلاثة أضعاف أعلى من المعدل عند العاملات اللائي لسن في وضعهن ، وضعف المعدل عند الرجال .

وتقول د. سوزان هيز ان هؤلاء النسوة يشعرن بفقدان السيطرة على النفس ، وعدم الاعتراف بهن ، وأن قدراتهن ومهاراتهن لا تستغل على الوجه الأمثل .. وأنهن يكبتن مشاعر عدائية تجاه رؤساء لا يتعاطفون معهن .. وأنهن مثقلات بعبء الأمومة والأزواج ذوي الدخل المنخفض .

أما النساء غير المتزوجات واللائي عملن لفترات أطول فانهن الأقل تعرضاً لمرض القلب ، إذ انه بنسبة ٤٫٢٪ عندهن بالمقارنة الى ٧٫٢٪ عند كل النساء العاملات ، و ٨٫٢٪ عند المتزوجات العاملات ، و ٨٫٥٪ عند المطلقات أو المنفصلات عن أزواجهن أو الأرامل ، و ١٢٫٨٪ عند الرجال .

أما درجة التوتر العاطفي عند النساء العاملات فهي مرتفعة بشكل ملحوظ عما هي بين الرجال ، كما أن الاجهاد العاطفي بين الرجال والنساء العاملات أعلى مما هو بين اللائي لا يخرجن الى العمل .

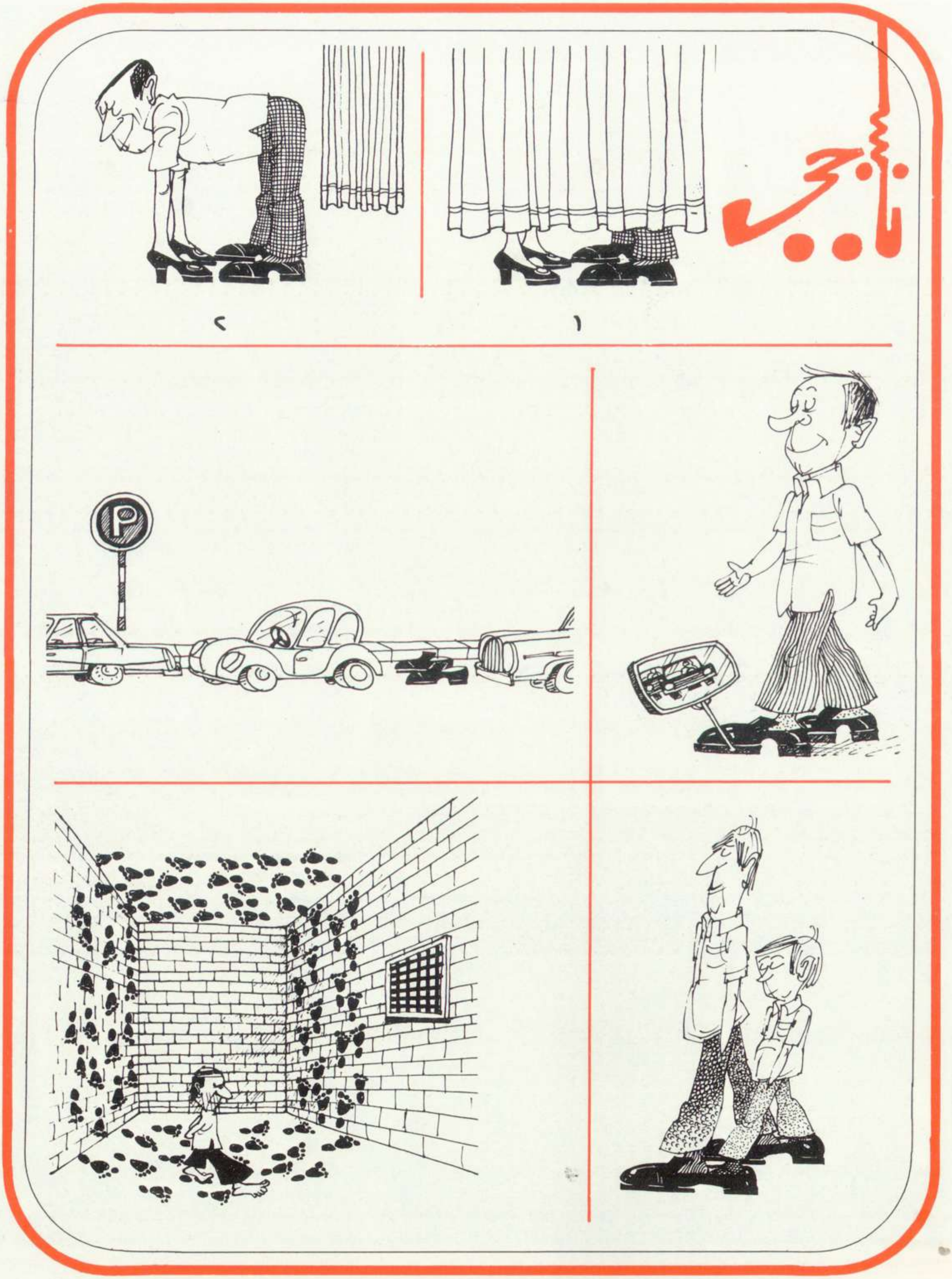
١
٢

وجه من لوحة للفنان مايكل انجلو

الفـــن و الفـوضـى

كمال سعد

لم تستطع مدينة روما ان تعقد إتفاق « جنتلمان » بين القوى السياسية المتصارعة داخل كيانها .. رغم أنها استطاعت أن تصل لهذا الاتفاق منذ اربعين عاماً وفى سنوات دامية ذاق مرارتها العالم كله .

ففى سنوات الحرب العالمية الثانية اتفق الطرفان المتحاربان على اعتبار روما مدينة مفتوحة حتى يحافظوا على كل مابها من حضارة انسانية .. وانتهت الحرب .. وهزمت الفاشية .. وظلت المدينة ملتقى للفن والثقافة وكافة العلوم الانسانية ..

وفى سنوات الحرب الاخيرة ظهرت الفاشية من جديد لتزرع الرعب فى كل انحاء إيطاليا ، ولتجعل روما مدينة مفتوحة للفوضى ، كل مافيها مهدد بالضياع تحت أقدام جحافل الارهاب الأسود ، ممن يقيمون المذابح الجماعية لاثارة الفزع والهلع وإصابة البلاد بشلل سياسى يعطل جهازها البيروقراطى ويصرعها فى الوقت المناسب بالضربة القاضية ، التى تؤدى الى إرتمائها فى احضان دكتاتورية أشد قسوة من دكتاتورية موسولينى ، فوقتها يستولي على الحكم ذئاب الفاشية الجدد ـ كما يسمونهم هنا ـ لتصبح ايطاليا فى ظلهم كما كانت من قبل ، على كف عفريت !

أحلام الخائفين

ولعل ادق من صور روما فى محنتها السابقة والحالية ، هو المخرج الايطالي فللينى ، الذى صورها دائماً فى أفلامه ، بمدينة تفتح زراعيها للجميع : المثقفين وأصحاب الملايين والمهربين والنصابين وجعلها فى كل الأحوال تمد يدها لانقاذ حتى الذين أرادوا تشويهها وتمزيقها سواء كانوا من الفاشيين أو الارهابيين !

●هكذا يجلسون في تلقائية امام المباني القديمة

● رغم موجة الغلاء مازال التاجر فى روما ينتزع نقودك ويودعك بابتسامة مسرحية !

● مازالت روما صبية متواضعة ، تأخذك فى حنان وشوق ، لتذوب فى أزقتها النابضة بالفن و الحياة !

أما المخرج الايطالى «فرانشيسكو روزى» فقد أدى قلقه وتوتره وحيرته من الأوضاع السائدة فى العاصمة ، الى اختيار قصة الكاتب الايطالي «ليوناردو سكياسكيا» ليوجه بها فى السبعينات اتهاماً مباشراً للمسئولين عن هذه الفوضى الضاربة فى الأعماق فى نخاع المدينة ، واختار لفيلمه اسماً يجعلك تستنكره منذ أول وهلة : جثث لذيذة .. أراد به أن يحتج على مصرع العدل ، أو قضية اغتيال القضاة الذين مازالوا يتعرضون للرصاصات الارهابية التى تريد أن تقضى على الأمن والجمال والحضارة ، لتقيم الكيان الجديد فوق انقاض الكراهية والعنف والابتزاز ، ولتعيد عجلة التاريخ لذلك اليوم الذى سقطت فيه الجماهير تحت «بنج» الوعود ، وظل كل ساكن فى المدينة مسلوب_الارادة ، يعيش فوق جبل من الاحلام ، لم يحقق منه غير العار والضياع والسقوط الدامى الى الهاوية !

الخروج من الأزمة

من يدخل روما اليوم سيراها غير الامس ..

رجل الشارع هنا يستنكر بشدة حوادث العنف التى ارتكبها الفاشيون وآخرها إنفجارقنبلة محطة سكة حديد بولونيا التى أودت بحياة ٧٩ إنساناً .. وهو يدين بنفس القوة أعضاء منظمة الألوية الحمراء الذين يوجهون ضرباتهم للسياسيين والقضاة ورجال الأعمال ..

ورغم مضى عامين على حكم «ساندرو بترينى» أو الرئيس السابع لايطاليا ، فمازالت الدولة عاجزة عن قمع الارهاب ، ومازالت الجهود تبذل لتحقيق الوحدة الوطنية وسط ظروف بالغة التعقيد لجمع الأحزاب الستة الرئيسية حول اتفاق سياسى ينقذ البلاد من الفوضى السياسية ، والركود الاقتصادى ، وزيادة القروض ، والعنف ، وجيش العاطلين البالغ عدده مليون و ٧٠٠ ألف مواطن ، وعمق الفجوة بين الشمال الصناعى والجنوب الزراعى والتى تجعل أهل الجنوب يتندرون فى جلساتهم بالقول : «نحن نعمل وأهل روما يلتهمون طعامنا»!

والمعروف أن الرئيس الايطالى بسنوات عمره الثلاث والثمانين ، وغليونه المميز ، كان قد رشح نفسه من منطلق التركيز على الوحدة الوطنية ، ووجد هذا المنطلق حماساً لدى الناخبين الذين أعطوه أصواتاً لم يحصل عليها اى رئيس جمهورية فى تاريخ البلاد .. ولم يكن برنامجه ــ وحده ــ هو السبب فى هذا التأييد العارم ، فقد دعمه ماضيه الحافل بالأحداث والمتمثل فى مقاومة الفاشية والسجن بسبب ذلك سبع سنوات ، وكرهه للنازية الذى أدى الى صدور الحكم عليه بالموت وهروبه من

عندما يجتمعون من كل صوب

انهم يتكلمون بالأيدى

السجن لينظم حركة المقاومة فى وسط وشمال ايطاليا ضد الألمان ، وأحداث أخرى مشرفة جعلت الجماهير تعقد الآمال على قدرة رجل له مثل هذا السجل على حل كافة التناقضات وعلاج الأمراض التى يعانى منها المجتمع الايطالي .

موجة الغــلاء

إن مجرد قضاء بضعة أيام فى العاصمة روما ، تجعلك تتأكد من أن إيطاليا مازالت رجل أوربا المريض منذ الحرب العالمية الثانية ، وان ازمة العالم الاقتصادية هى السبب فى التفكك الاجتماعى والأخلاقى والموقف المتفجر فى طول البلاد وعرضها الذى يقوده ذلك السباق المجنون بين اليمين الفاشي واليسار المتطرف !

فظاهرة احتجاب الصحف فجأة أصبحت من الامور المألوفة فى الفترة الأخيرة ، وكثيراً مايضرب العمال والصحفيون المطلبون بصدور قانون الصحافة الاصلاحى الذى مازال نائماً فى أدراج البرلمان الايطالى رغم مضى عامين على مناقشته ! .

وبارتفاع أسعار الصحف فى الأيام القادمة ـ كما هو متوقع ـ سيضاف عبء جديد على المواطن الذى يصرخ من ارتفاع الأسعار فى كل شىء بشكل جنوني وفى اندفاع غير معقول !

ووسط موجة الغلاء البالغة ، ستجد التاجر الايطالى ـ كما هو ـ الابتسامة العريضة على شفتيه ، وكلمات الترحيب المسرحية تتبعك منذ دخول المكان وانتزاع مافى جيبك من نقود ، حتى لحظة الوداع التى تخرج فيها من الباب محملا بالبضائـــع .!

وإذا كانت محنـــة الطلبة الجامعيين أنهم لا يجدون عملا بعد تخرجهم فيضطرون لاستكمال الدراسة ، فان المرأة الايطالية تشكو من شيئين : عدم قدرتها على تحقيق احلامها ، وإرهاق العمل الذى يجعلها غير قادرة على الأهتمام بشئون بيتها . !

وفى أماكن كثيرة هنا يمكنك ملاحظة الفتيات ، الصغيرات وهن يدخن فى شراهة .. وكثيرا ماترى مناقشتهن الحامية حول قانون الأحوال المدنية والشخصية الذى حرم النساء من المساواة مع الرجال فى شتى مجالات العمل !

وفى نفس الوقت الذى تجد فيه المرأة المهتمة بأناقتها والتى تجيد أطباق المكرونة بأنواعها وتفضل مهنة التدريس والآلة الكاتبة ، فانه قد تصادفك المرأة التى تحمل سلاحاً ، والتى وصفها متحدث من وزارة الخارجية بأنها تقتل ببرود شديد وبابتسامة على الشفتين ، ولعلنا نعرف أن الفتاة «فلورابيرى» اشتركت فى اختطاف رئيس الوزراء السابق «ألدو مورو» ، كما أن «ريناتو كورسيلا» وزوجته هما اللذان أسسا منظمة الكتائب الحمراء ، وعند اعتقالهما منذ خمس سنوات حررتهما امرأة هى « مرجريت كاجول » التى قتلها البوليس عقب معركة عنيفة استخدمت فيها الرشاشات . !

مازالت صبية

ورغم كل هذه الظروف والأحداث التى أصبحت الشغل الشاغل لرجل الشارع فى روما ، فان وجه المدينة الثقافى المتألق ، مازال له بريق خاص ، يضرب بعروقه الاصيلة فى أعماق التاريخ الى قرون خلت ، ليظل نفوذها الساحر كواحدة من أجمل عواصم الدنيا

فروما هى الاشعاع الدافىء الذى يسرى فى القلوب عندما ترى ميادينها ونافوراتهاوحدائقها وحواريها وتلالها السبعة التى يتعايش فيها القديم مع الجديد ..

وهى مازالت متواضعة ، لا تعرف الكبرياء ، تأخذك فى حنان وشوق لتذوب

عشقاً فى حواريها وازقتها النابضة بالفن والحياة ، بنفس القدر الذى تنهل فيه من قصورها وتماثيلها العديدة المتناثرة فى حدائق بورجيزى ذات الأشجار المتشابكة والتى يتربع فى أحد أركانها تمثال للشاعر العربى الكبير : أحمد شوقى !

وهى مدينة النافورات التى تجاوزت الثلاثمائة بأشكالها وأحجامها المختلفة ، وجمعت بين عظمة الفن المعمارى واعجاز فن النحت .. فلكم توقفت عند اشهر نافوراتها «فونتانادى تريفى» التى جسم تماثيلها «سالفى المثال العظيم فى القرن السادس عشر ، واستعان ببعض الفنانين لزخرفة ما حولها من تماثيل ، ووضع فى وسطها تمثال «أجريبا» التى صورتها الأسطورة بأنها أول من جعلت

الأمبراطور اوجستوس

تعبيرات وجوه تفصيلية من لوحات الفنان مايكل انجلو

الكوليزيوم الذى رأى مجد روما

الماء يجرى فى عروق المدينة !

وفى آخر مرة ودعت فيها النافورة أدرت لها ظهرى وألقيت ثلاث قطع معدنية مثل كل الذين قالوا لهم بأن من يفعل ذلك يعود مرة أخرى لينهل من فنها وفيضها الذى لا ينضب .. غير أننى فى المساء جلست مع أحد الأصدقاء لأعبر له عن دهشتى وذهولى مما رأيته فى هذا العمل الفذ ، ورويت له قصة القائى بالقطع المعدنية فى البحيرة الصغيرة ، فضحك ملء شدقيه وهو يقول : لقد ساهمت بهذا العمل فى ملء جيوب الصبية الصغار الذين يعرفون أن أمثالك يملأون النافورة بالنقود فى النهار ، ليستيقظوا قبل الفجر ويأخذوا كل ما بها من عملات دون التعرض لعقوبات الحراس الغارقين فى النوم !

شوف الموث

وفى مدينة روما التى بلغت من العمر ٢٧٣٣ عاماً ، وكانت فى الماضى عاصمة للعالم ، استطاعت بانتصاراتها أن تبنى امبراطورية من أكبر الامبراطوريات ..

حارسان فى الفاتيكان

ميدان سان بيتر

روما بالليل

● جنســـية ســـكان الفاتيـــكان مؤقتة وهى

أصغــر و أغنى دولــة فى العـــــالم !

● الشاعر الذى بكى على حريته المفقودة وتغنـــى

بالأصدقاء والفن وأحلام الليل ورغبات النهار !

كان أول شىء يطالعنى هو «الكوليزيوم» الذى ظل العمل فيه ثمانين عاماً منذ عام ٧٢ ميلادية .. وكانت تجرى على مسرحه الاحتفالات والمهرجانات والمذابح الدموية ، التى شاركت فيها الوحوش الكاسرة والأسلحة الفتاكة فى قتل ألوف العبيد الأرقاء الذين كانوا يواجهون شرف الموت تحت أقدام السادة الجدد من الأباطرة الرومانيين الذين أخضعوا العالم بالحديد والنار !

وحول الكوليزيوم قالوا ان حكيماً فى روما القديمة قال عقب بنائه : سادام قائماً ، فستبقى روما ، واذا ما انهار فسوف تنهار ، واذا ما انهارت روما انهار معها العالم !

والغريب أن هذا الأثر تعرض للأنهيار

قلعة الفاتيكان

وفى المدينة الصغيرة الواقعة فى وسط ايطاليا على نهر التيبر ، يمكنك أن تدرك منذ الوهلة الأولى بأنها متحف كبير ، فى قلبها ترى قصر «بالاتزوفينيتسيا» الذى أقامه «باولو الثانى» فى القرن الخامس عشر ، وهو عبارة عن تحفة معمارية خالدة ، اتخذه موسوليني مقراً رسمياً يلقى من شرفته التى تطل على ميدان فسيح خطبه الملتهبة لترتفع هتافات الجماهير !

وهناك قلعة «سانت أنجلو» من القرن السادس وهى التى خلدها الموسيقار «جياكومو بوتشينى» فى أوبرا توسكا ، وغيرها يمكنك أن ترى حدائق البنشو الساحرة ، ومخلفات قصور أندرست التى كانت قائمة منذ أكثر من ٢٣ قرناً ومازالت بعض آثارها باقية !

أما أهم أثر فى روما ، بل وفى أوربا كلها ، فهو الفاتيكان ، بما يحوى من

مدينة روما الصغيرة التي حكمت العالم في يوم من الايام ، والتي يمكنك ان تدخل الى قلبها من الجنوب الى الشمال

• من هو الروائى

الذى رفض المجتمع الذى يضع أخلاقياته تحت رحمة التغيرات السياسية ؟

أعمال فنانى عصر النهضة الخالدين أمثال ليوناردو دافنشى ورفائيللو ومايكل انجلو .. وبمناسبة ذكر الأخير سيقفز الى الأذهان على الفور ، سقف كنيسة «سكستين» الذى يبلغ سطحه الف متر مربع والذى أبدع لوحاته مستلقياً على ظهره اكثر من ثلاث سنوات !

وعندما زرت الفاتيكان وجدت أنها ضاحية من ضواحى العاصمة ، تصل مساحتها الى ١٠٨ فدان ، وبها سكة حديد وقصر بابوى وحدائق وعدة مبان وبريد مستقل واذاعة خاصة ومتحف يضم أعمالا فنية للحضارات المصرية واليونانية والرومانية ولوحات لكبار الفنانين ..

أما سكانها فلا يتجاوز عددهم الألف نسمة ، وهم من الكرادلة والموظفين والاداريين والقائمين بمختلف الخدمات والذين يمثلون الفاتيكان فى الخارج !

وبالطبع فان المدينة لها نظام خاص ، فسكانها تبطل جنسيتهم بانتهاء الوظيفة والبابا هو رئيس دولة الفاتيكان منذ معاهدة لاتيران (١٩٢٩) مع الحكومة الايطالية ، التى أخذ بمقتضاها سلطات مطلقة !

الطيف الجميل

ولأننى كنت مفتونا بروما قبل أن أراها فان كل ما جرى بها من أحداث جسام ، كان لا يأخذ من نفسى الا مكانا منزوياً ، لتبرز ذكرياتى عما قرأته عن شاعر ايطاليا الأول «دانتى الجيرى» الذى تسللت الى قلبه من صباه صورة الصبية الجميلة «الابيتشى» التى اتخذها فى كل قصائده رمزاً للسعادة والغبطة .. كما ظلت فى أعماقى صورة أعذب الشعراء فى العصر الوسيط «فرانشيسكو بتراركا» الذى تغنى بالأصدقاء وحب روما والفن والطبيعة وأحلام الليل ورغبات النهار ، وبكى على حريته المفقودة وعلى طيفه الجميل «لاورا» التى كان يسمعها عندما يسمع فروع الشجر والنسيم والأغصان وشدو العصافير والمياه تنساب فى رقة بين الحشائش الخضراء ..

وكنت لا أستطيع أن أنسى الروائى «سيزار بافيرى» الذى مات فى الخمسينات منتحراً لأنه رفض أن يكون اداة تخذل الجمهور المتعطش الى الحقيقة .. أو أنسى الروائى «فابريزيو أوتوفيرى» الذى قال لنا فى روايته «روما ديسمبر ٣١» انه يرفض المجتمع الذى يضع أخلاقياته تحت رحمة التغيرات السياسية .. فهؤلاء وغيرهم من الروائيين أمثال ألبرتو مورافيا وايليو فيتورينى وبراتولينى ، عاشت أعمالهم فى وجدانى ووجدان العالم كله ، لأنها ارتكزت على الصدق الفنى والبناء الدرامى المتماسك والشكل الجميل البالغ الاتقان !

وكنت أبحث دائماً عن سر هذا العطاء الفياض فى المدينة .. العطاء الفياض فى كل شىء .. فى القوة التى جعلت من تاريخها قبل الميلاد سجلا للفتوحات والانتصارات خارج الحدود .. وفى اللمسة الفنية التى جعلت منها مدينة عصر النهضة الخالدة .. وفى الروح الأدبية المتمردة الخصبة التى أعطتنا قمة فى الشعراء وقمة فى الرواية .. وكنت أجد الجواب دائماً فى أفلام مخرج ايطاليا العظيم فللينى الذى جعلنى فى أعماله السينمائية أحس بها شابة حانية تفتح ذراعيها للجميع .. وتجدد خلاياها باستمرار لادراكها بأن الحياة لا تعرف التوقف أو الجمود !

كمال سعد

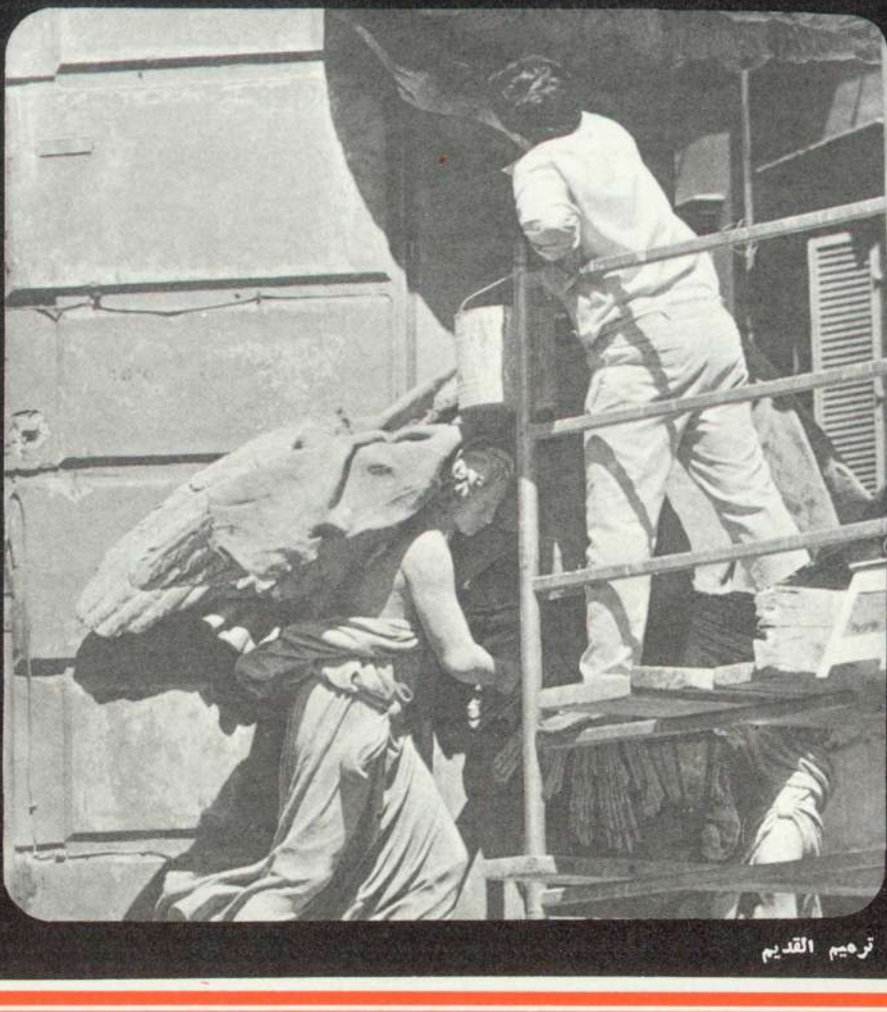

ترميم القديم

التنين

وحش الخيال الشعبى

فاروق خورشيد

لم يقف الخيال الشعبى عندما وجد من مخلوقات الله فى عالم الحيوان أو الطير أو فى عالم البحر أو عالم النبات ، بل راح يعطى بعض هذه المخلوقات من السمات والوظائف ماليس لها فى دنيا الواقع ، ثم امتد به الجنوح فخلق من العدم مخلوقات أخرى لا تعرفها هذه العوالم المتعددة لابراز تجسيده بعض المعانى أو الرموز ، ذلك التجسيد الذى لم تكن تفى به الحيوانات والمخلوقات التى تقع تحت إدراكه وبصره فى عالم الواقع ودنيـــاه ...

من وحوش الطير التى أبدعها الخيال الشعبى الرخ والعنقاء .

أما الرخ فهو ذلك الطائر الأسطورى الذى ربط السندباد نفسه بساقه فنقله من جبل الحيات محملا باللؤلؤ والجوهر

أما العنقاء فهو وحش من نسيج الخيال الشعبى تماماً ، وفى المثل العربى السائر أن المستحيلات ثلاثة وهى العنقاء والغول والخل الوفى .

أهوال البحـر

إلا أن أهم عالم حظى بالقدر الأكبر من إبداعات الخيال الشعبى كان بلا شك عالم البحار ... فقد ترك البحارة والرحالة لخيالهم العنان فى تأويل ظواهر البحر ، وما يلقونـه فى دنياه العجيب من مشاهد ومخاطر وأهوال .. والى جوار بحار النار وجبال المغناطيس ، والجزر المتحركة ، والحيات اللاتى يسحرن البحارة بغنائهن ، ظهرت الحكايات حول عروس البحر وحول الهابشـة ثم حول التنـين ... وقد خلط الخيال الشعبى كثيرا بين التنين والأخطبوط ، إلا أنهما فى الحقيقة ، وفى الكثير من

الخيـال الشعـبي يخلق من العـدم مخلوقـات لم نعرفهـا في الواقـع

النصوص شيئان منفصلان لا يجمع بينهما فى خيال الراوى الشعبى إلا وجود الاذرع المتعددة عند كليهمـــا ...

أما الاخطبوط فهو حيوان رخوى يصنفه علماء الحيوان تحت النــوع (الراس قدمى) ... وهو يوجد بالبحار الدافئة . وجسمه كروى الشكل أو كالكيس ذى الفتحة ... وله ثمانية اذرع . وهو عند الخطر يفرز مادة فى لون الحبر تخفيه عن الانظار الا انها مادة سامة ... والنوع الموجود منه بكثرة صغير الحجم ولا يشكل خطرا الا فيما يفرزه من لعابه من سموم . الا أن هناك بعض الانواع التى وجدت فى البحار العميقة يبلغ مد الذراع فيها حوالى سبعة امتار ، وهو يشكل خطورة حقيقية فى هذه البحار ، وهو يخدر فريسته قبل التهامها وتمزيقها بأذرعه .

ولعل هذا الاخطبوط هو الاصل فى انتشار أسطورة التنين الذى لايوجد فى عالم الحقيقة على الاطلاق ، وان وجد بكثرة فى الحكايات والأساطير الشعبية العالمية والعربية على السواء . ونحن نرجع لنقطة البدء فى تحرك الخيال الشعبى الى ما شاهده الرحالة والبحارة فى البحار العميقة من أخطبوطات ذات الاذرع الطويلة ، والقوة المدمرة ... الا ان صورة التنين تجمع فى الخيال الشعبى بين أكثر من عالم من عوالم الحيوان ، وبين أكثر من صفة جمعت من أكثر من حيوان ، فهو اقرب عند الخيال الشعبى الى هذه المخلوقات التى ركب لها هذا الخيال اكثر من جزء من عوالم مختلفة ليبدع مخلوقا غريبا قائما بذاته ، ولا ينتمى الى حيوان بعينه ، فهو حيوان يجمع بين عالم الحيوان وعالم الزواحف وعالم الطيور ، فالتنين له مخالب أسد ، واجنحة نسر ، وذنب افعى ...واقدم صورة لهذا الحيوان الأسطورى ترجع الى العصر البابلى ، ثم انتشرت أسطورته فى آداب كثيرة ، وظهرت عند أمم متعددة ... بل لقد اتخذ التنين رمزا قوميا لشعوب جنوب شرقى اسيا ، وظهر كرمز للصين فى كثير من الآداب العالمية التى تعتبر الصين رمزا للخطر الأصفر ، أو للزحف الأسيوى على الحضارة الاوربية أو حضارة الرجل الأبيض ...

عجائب المخلوقات

وقد شغل أمر التنين الرحالة العرب ، وأصحاب المؤلفات التى اهتمت بتتبع أخبار هؤلاء الرحالة وما يصادفون من عجائب المخلوقات . ونحن نجد الحديث عن التنين فى كثير من هذه الكتب ، فيقول عمر بن الوردى الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى فى كتابه «فريدة العجائب» ويظهر فى بحر الروم تنين عظيم يشبه السحاب الأسود ، ينظر اليه الناس ، وهو دابة عظيمة فى البحر تؤذى دوابه ، ليبعث الله سحابة من سحب قدرته فيحملها ويخرج بها من البحر ، هياه حية سوداء لا يمر ذنبها بشىء من الابنية العظام الا سحقته ودمرته ، ولا من الاشجار الا هدتها وربما تنفست فاحرقت الاشجار والنباتات ، ويلقيها السحاب فى الجزر التى بها يأجوج ومأجوج ، فتكون لهم غذاء ، ونحن فى هذا النص نلمح أثرا من اثار رؤيةالأخطبوط فى الحديث عن هيئة التنين التى تشبه هيئة الحية ، وفى الحديث عن ذنبه الذى لايمر بشىء الا دمره ...وان كنا نرى تداخلا بين صورة الاخطبوط وصورة الاعصار البحرى الذى يسمى (تيفون) والذى يكثر فى بحرالهند أو فى المحيط الهندى ويسمى العلماء هذا الاعصار باسم النافورة البحرية وهو ينشا علميا من تفاعل ريحين متضادتين تدوران حول نطاق جوى منخفض الضغط أو منخفض الحرارة ويتكاثف بخار الماء فى هذا النطاق فيظهر على هيئة عامود هائل يصل بين البحر والسحاب فكانهعند الرائى يصل بين البحر والسماء .. وتبلغ فى هذه الحالة سرعة الريح مدى هائلا يعرض كل الأشياء القائمة فى مجاله للدمار الأكيد ... ويقول العلماء انه كثيرا ما يظهر من نطاق السحب المحيطة بالمنطقة المتعرضة للاعصار بروز كالذئب الطويل يتجه نحو الشاطىء ويدمر المنازل القريبة ويقتلع الأشجار والأعمدة المنصوبة ، وتصحب ظاهرة النافورة البحرية هذه أوالتيفون ظواهر اعصارية معروفة كالبرق والرعد . ويقولون أيضا أن حركة التخلخل الفجائية فى الضغط الجوى تولد انفجارا داخليا فى الأقسام القريبة من النافورة والاعصار ، وهذا التخلخل نفسه من الممكن لو كانت النافورة قريبة من الشاطىء أن يهدم المنازل ويدمر النوافذ ويقتلع الأشجار ويقذف بها فى الفضاء .

اسطورة التنين

فهناك هذه الظاهرة التى تكثر فى البحار الدافئة ، وما يمكن أن يرى منها بالعين من اندفاع لذيل طويل الى الشاطىء ، ومن برق ورعد ونافورة تصل بين البحر والسماء تساعد كلها على رسم المنابع التى اعتمدت عليها أسطورة التنين . وقد جاء وصف التنين فى كتاب رحلات سليمان وهو مخطوط ، نشره وترجمه بالفرنسية الراهب الفرنسى جان رينــود عام ١٧١٨ . والكتاب عبارة عن مشاهدات رحالة اسمه سليمان فى رحلاته عبر البحار وقد وصف سليمان التنين وصفا مليئا بالخيال ، ومجموعة من المعلومات الناقصة المتداولة بين رجال بحر العرب ، فعند العودة من رحلته الى الصين وخلال اجتيازه لبحر الهند اصطفت الرياح اصطفافا شديدا ذات يوم ، ثم استمرت هذه الرياح مصحوبة بدوى شديد فى قاع البحر عدة أيام وليال . ويقدم البحارة تفسيرا غريبا لهذه الظاهرة اذ هى عندهم أن فى القاع شيئا يفزع دواب البحر فهى تطلب من الله تعالى أن يبعث اليها ما يحمل هذا الشىء الى السماء ليلقيه فى بلاد ياجوج وماجوج ، وان هذا الشىء الذى تضج منه دواب البحر وتفزع بهذه الأصوات الى الله سبحانه وتعالى لينقذها منه هو التنين ، يعربد فى جوف الماء فيفزع الاسماك والحيتان . ثم يصفه لنا وصفا أسطوريا فيقول انه أضخم ما خلق الله تعالى من دواب ، فهو هائل المنظر ، طويل الجثة عريضها كبير الرأس ، براق العينين واسع الفم والشدقين .. ويضيف ان كل ما على الأرض أو فى البحر يخافه ويخشاه . ثم يصف

النافورة بانها ارتفاع التنين من الماء فى اندفاعة مخيفة لها صوت كالرعد ، بينما تخرج نار من ذيله تحرق كل شىء ، ويحمد الله ان السفينة كانت بعيدة ، والا لو طالتها هذه النار لاحترقت بمن فيها ، ويكمل روايته بان السحاب يرفع التنين من الماء ليلقيه فى بلاد ياجوج وماجوج .

ويبدو أن هذه الصورة للتنين كانت منتشرة عند عامة المؤلفين الذين يهتمون بهذا النوع من المعرفة ، فيقول القزوينى فى كتابه « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » : زعم احد المعمرين ممن عرفت أنه راى التنين ، وكان طوله فرسخين ، ولونه مثل لون النمر ، وله فلوس كفلوس السمك ، وله جناحان عظيمان على هيئة جناح السمك ، وراس مثل راس الفيل العظيم كراس الانسان ، واذنان طويلتان وعينان مدورتان كبيرتان ويتشعب من عنقه ستة اعناق طوال ، كل عنق نحو عشرين ذراعا وعلى كل عنق راس كراس الحية .. وهذه المشاهدات التى يدونها المؤرخون القدماء تقترب الى حد كبير من صورة أفعوان البحر الكبير الذى حكى عنه الملاحون المحدثون وذكره بعض علماء البحار . ولكن هؤلاء لم يقدموا له وصفا كاملا ، فلم يره احدهم بكامل هيئته ، وانما راى بعضهم رأسه تطل من الماء ، كما راى بعضهم ذيله وراى آخرون أذرعه ، وسجلوا عنه فى مذكراتهم بعض الرسوم المقتضبة ، وحين جمعت هذه الصور بعضها الى بعضا ، كونت شكلا متخيلا لهذا الحيوان . وجاء شيئا غريبا لا يشبه الحوت أو أسماك القرش ، ولكنه جسم ضخم طويل تبرز من مقدمته عدة بروزات طويلة كانها الانرع .. واسموا هذا الكائن باسم أفعوان البحر الكبير .. ولكن العلماء ينكرون وجود مثل هذا الافعوان ، ويذهبون الى أن ما رآه البحارة المحدثون هو راس حوت يطل من الماء ، وجسم قرش ينساب فيه .واذرع أخطبوط بحرى ضخم ، وان كل هذا ادى الى تلفيق حكاية الافعوان أو التنين فى خيال الهبت من مخيلتهم حكايات

البحارة القدماء ، وكتب الاساطير والحكايات ..

شاهد رؤيا

ونحن نلاحظ ان معظم الروايات جاءت نقلا عمن يزعمون انهم رأوا هذا الحيوان ، أو سمعوا عنه ممن راوه ولكن لدينا نصا فريدا فى المكتبة العربية لمؤرخ ثقة ، مشهور بالامانة هو ياقوت الحموى الذى يقول انه راى التنين بنفسه .. ويصف رؤية التنين فيقول : اقبلت سحابة بعد اصطفاق الموج طويلا ، حتى غابت فى البحر ثم تلتها سحابة وسحابة حتى صرن سبع سحابات ثم ارتفعت السحابات ، وهى تحمل شيئا يقولون انه التنين .. حتى غاب عنا ونحن ننظر اليه يضطرب فيها ، وربما وقع منها فى البحر ، فتعود السحابة الى البحر بالرعد الهائل الشديد ، والبرق العظيم حتى تغوص فى البحر ، وتستخرجه ثانية ، ثم تحمله وقد اجتاز وهو فى السحاب وذنبه خارج منها بضعة عشر برجا من ابراج سور انطاكية ، فربها فى البخر . « ونحن نلاحظ ان ياقوت لم يكذب فى وصف ظاهرة اعصار البحر ، وانما هو مزجها بالتاويل الاسطورى لها ، فجمع بين صدقه فى الوصف ، ايمانه بالاسطورة التى نقلها البحارة ، ولو انه احترز بقوله « تحمل شيئا يقولون انه التنين » .. فكأنه هنا يقدم شكه فى زعم البحارة وان كان يثبت وصفه لما راى ..

وقد لعبت صورة التنين هذه بخيال الادباء وخاصة أصحاب الادب الشعبى ، فظهر اكثر من بطل ملحمه وهو يصارع التنين وينتصر عليه ، ونحن فى الألياذة نجد الشاعر فرجيل يجعل من التنين حارسا للمطلسمة الذهبية حتى لايحصل عليها ايناس بطله الملحمى .. كما لعبت صورة التنين بخيال الموسيقى فاجنر ، فصور صراع بطله سيجفريد للتنين ، صراعا داميا ينتهى بانتصار البطل ومصرع التنين . ونحن نعرف فى عالمنا العربى تلك الصورة الشعبية التى ترسم الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه وهو يصارع التنين فيلقيه صريعا تحت جواده ، وقد اغمد سيفه ذى الفقار فى صدره وبين أذرعه . كما نعرف الصورة القبطية المشهورة للقديس مارجرجس وهو يركب جواده ملقيا بالتنين تحت حوافرالجواد ورمحه ينفذ فى جسد التنين الصريع . وقد تكون صورة البطل الاسلامى وليدة ما تجمع لدى المؤرخين العرب ، والملاحين العرب من تخيل للتنين كرمز لأقوى المخلوقات الضارة فى الأرض أو البحر ، ولكن صورة مارجرجس بعيدة بيئيا الى حد كبير – عن هذه المصادر التى توفرت للملاحين العرب . الا اننا نجد فى أسطورة ايزيس واوزوريس الرسوم الموجودة على المعابد الفرعونية ، رسوما لحورس الابن المنتقم ، وهو يصرع « ست » أو « تيفون » اله الشر .. وهو طقس معبدى كان يمارس رمزيا عند تولى كل فرعون جديد .. ويبدو فيه الفرعون ، أو حورس الجديد وهو يضرب برمحه فوق قاربه الملكى حيوانا بحريا ضخما هو ست أو تيفون ليقتله رمزا لانتصاره الدائم على الشر ورمزا

الذين رأوا التنــين على صــورة حيّة سوداء .. والذين تصوروه ريحـا سوداء في قاع البحر !

لاحقيته بتولى العرش ، عرش حورس المنتقم . ويبدو ست فى هذه الرسوم على هيئة حيوان بحرى ضخم قريب الملامح جدا من فرس البحر الذى كانت تعرفه مياه النيل حتى الصعيد فى العصور القديمة .. ونحن نشهد حيوانا مائيا ضخما هوالهايشه فى سيرة سيف بن ذى يزن التى يعلو ظهرها فى حذر وهى نائمة وعند الفجر تتحول بجسدها الى ناحية الشمس فتنقله بهذا من شاطىء الى شاطىء عابرة به عرض البحر الممتد الكبير ... وهذه القصة الواردة فى سيف بن ذى يزن شبيهة بحكاية عمران الذى عبر البحر متعلقا بظهر دابة بحرية ضخمة ، يوردها المسعودى فى الجزء الاول من مروج الذهب فيقول : « منها خبر عمران الذى صعد فى النيل ، فادرك غايته وعبر البحر على ظهر دابة فعلق بشعرها ، وهى دابة ينجر منها على الارض شبر من قوائمها تغادى قرن الشمس من بين بدء طلوعها الى حال غروبها ، فعبر على ما وصفناه من تعلقه بشعرها ــ البحر ، ودار بدورانها طلبا لعين الشمس ، حتى صار الى ذلك الجانب ، فرأى النيل منحدرا من قصور الذهب من الجنة » الا أن المسعودى يحترز فيما يحكى فيعقب قائلا . « الى غير ذلك من خرافات حشوية عن أصحاب الحديث ».. وللمسعودى نفسه رواية عن التنين فيقول فى حديثه عن بحر الاعاجم .« .. وهذا البحر الذى هو بحر الاعاجم كثير التنانين ، وكذلك بحر الروم ، فالتنانين فيها كثيرة ، وكثيرا ما تكون بما يلى بلاد طرابلس واللاذقية والجبل الأقرع من جبال انطاكية ، وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر وأكثره ..

وعلى هذه الرواية وللمسعودى يصبح تعرف بحارة البلاد والمطلة على البحر الابيض للتنانين أمرا واردا وتصبح التنانين لا ظاهرة خاصة بالمحيط الهندى ولكنها ظاهرة ممتدة حتى بحر الروم وسواحله . ويسهل التعليل فى هذا لظهور التنين فى أشعار فرجيل أو فى الرسوم المصرية حول مارجرجس أو الرسوم العربية حول الامام على بن أبى طالب ، ويستمر المسعودى محددا أماكن ظهور التنين فيقول : « وليس تعرف التنانين فى البحر الحبشى ولا فى شىء من خلجانه من حيث وصفنا فى نهاياته ، وأكثرها ما يظهر مما يلى بحر اقيانوس .

حقيقة التنين

وفى الوقت الذى انساق فيه المؤرخون فجمعوا بين الأسطورة التى هى من نسج الخيال ، وبين الواقع الذى هو من المشاهد والعاين ، لكان المسعودى حذرا ومدققا حين علل للتنانين فاجاد التعليل ، فذكر الحقيقة الى جوار الخيال .. وأورد الامرين معا ، تاركا للعقل أن يقبل ما يلائمه ، وللخيال ان ياخذ ما يروقه ٠٠ فيقول: « وقد اختلف الناس فى التنين . فمنهم من رأى أنه ريح سوداء تكون فى قعر البحر فتظهر الى النسيم وهو الخلو ، فتلحق السحب كالزوبعة . فاذا ثارت ,الارض واستدارت ، واثارت معها الغبار ، ثم استطالت فى الهواء ذاهبة الصعداء وتوهم الناس أنها حيات سوداء ، وهذا كما ترى هو الرأى المتفق مع العلم الى حد كبير . فالدكتور سيد حسن شرف الدين يقول فى كتابه البحر والناس فى تعريفه التيارات البحرية بأنها عبارة عن حركة كتلة من الماء فى اتجاه معين فينشأ عن ذلك وجود أنواع كثيرة من التيارات البحرية موجودة فى البحر نتيجة وجود العوامل المتعددة المؤثرة على حركة المياه. فالرياح والأمواج والمد والجزر وتغير الكثافة فى الطبقات المختلفة للبحار والمحيطات والضغط الجوى والقوى الداخلة بين جزئيات المياه ، كلها عوامل تؤثر فى حركة المياه ثم يقسم هذه التيارات الى (١١) نوعا من أنواع التيارات البحرية ويقـــول « ومن جهة أخرى فان التيارات البحرية تنقسم الى تيارات أفقية (سواء كانت تسير على السطح أو تحته فى مستوى أفقى) وتيارات رأسية (سواء كانت صاعدة أو هابطة) ، ومن حيث الحرارة فان التيارات تنقسم الى تيارات دافئة واخرى باردة .

فالمسعودى لم يجانبه الصواب فى هذا الرأى الى حد كبير ، الا انه ينقل لنا الى جواره حديث الخيال الشعبى فيقول « ومنهم من رأى انها ــ اى التنانين ــ تتكون فى قعر البحر ، فتعظم وتؤذى دواب البحر ، فيبعث الله عليها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها ، وانها على صورة الحيه السوداء لها بريق وبصيص ، لا تمر بمدينة الا اتت على مالا يقدر عليه من بناء عظيم أو شجر أصيل ، وربما تتنفس فتحرق الشجر الكبير فيلقونها فى سد يأجوج وماجوج ، ويمطر السحابة عليهم ، فيقتل ذلك التنين . فمنه يتغذى يأجوج وماجوج ، وهذا القول يعزى الى ابن عباس .. وهذه العبارة الأخيرة تبرىء ذمة المسعودى مماحكى من أسطورة التنين .

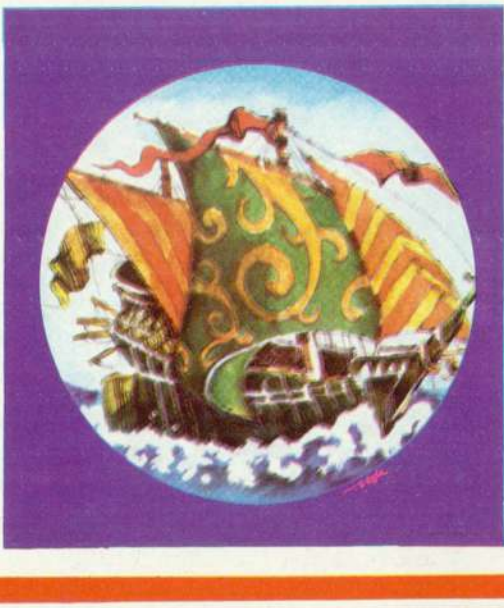

أعظم من الفيل

وواضح أن الخيال الشعبى رصد هذه الظواهر البحرية ثم علل لها بطريقة التجسيمية بوجود هذا الوحش الخرافى المخيف . ثم وصفه بما رآه جديرا من صفات مهولة ينكرها العقل والمنطق . وقد رصد كاتبنا العربى الكبير أبو عثمان عمر بن الجاحظ فى كتابه «الحيوان» حركة العقل الشعبى حول التنين فقال فى الجزء الرابع من هذا الكتاب : «ولم يزل أهل اليقاع يتدافعون أمر التنين . ومن العجب أنك تكون فى مجلس وفيه عشرون رجلا ، فيجرى ذكر التنين فينكره

التنيــن

بعضهم ، وأصحاب التثبيت يدعون العيان . والوضع القريب ، ومن يعايشه كثيرا ، وهذا اختلاف شديد .. «ويؤكد الجاحظ احساسه بان التنين من نسج الخيال ، وان اسراع الناس الى تاكيد وجوده ضرب من الخلط الشعبى واحاديث المجالس فى قوله فى موضع اخر : «ومثل شان التنين مثل أمر فرانق الاسد ، فان ذكره يجرى فى المجلس فيقول بعضهم ، انا رايته وسمعته » وفرانق الاسد ضرب من الوحش ابتدعه الخيال الشعبى ايضا ، وزعم انه يتقدم الاسد ويرشده الى فريسته . الا ان الجاحظ يذكر تنين انطاكية او اعصار انطاكية الذى نكره ياقوت الحموى وأوردناه من قبل ، وهو يرى أن ما حدث فى انطاكية ثبت اسطورة التنين فى الخيال الشعبى فيقول : «ومما عظمها وزاد فى فزع النلس منها . الذى يرويه أهل الشام وأهل البحرين وأهل انطاكية وذلك انى رأيت الثلث الأعلى من منارة مسجد انطاكية اظهر جدة فى الثلثين الاسفلين ، فقلت لهم : ما بال هذا الثلث الأعلى اجد واطرى ؟ قالوا : لأن تنينا ترفع من بحرنا هذا ، فكان لا يمر بشىء الا اهلكه ، فمر على المدينة فى الهواء ، محاذيا لراس هذه المنارة ، وكان اعلى مما هى عليه ، فضربه بذنبه ضربة حذفت من الجميع اكثر من هذا المقدار ، فاعادوه بعد ذلك ، ولذلك اختلف فى المنظر ويضيف لنا الفيروز بادى فى القاموس المحيط الى الصورة الشعبية اضافات جديدة حيث يقول «والتنين كسكيت حية عظمية وبياض خفى فى السماء يكون جسده فى سته بروج وذنبه فى البرج السابع دقيق اسود فيه التواء ، وهو يتنقل تنقل الكواكب الجوارى وفارسـيته هشتنبـر . وقول الجوهرى موضع فى السماء وهم» . فهو يتفق مع الجاحظ فى اعتبار التنين من الحيات وينقل عن الجوهرى انه نجم فى السماء ولكنه ينكره عليه . والجاحظ يرى أن التنين من اعظم الحيات حتى ليحاج اعداء الفيل به من يزعمون ان الفيل هو اعظم الحيوانات قاطبة فيقول فى الجزء السابع من الحيوان على لسان هؤلاء الاعداء : «قد اجمعوا على أن اعظم الحيوان خلقا السمكة والسرطان ، وحكوا عن عظم بعض الحيات ، حتى الحقوه بهما ، واكثروا فى تعظيم شان التنين ، فليس لكم أن تدعوا للفيل ما ادعيتم ».. فالتنين اذن اعظم من الفيل واضخم جسدا ..ويرد صاحب الهند المدافع عن الفيل فينكر وجود السرطان ثم يقول «واما التنين فانما سبيل الايمان به سبيل الايمان بعنقاء مغرب . وما رأيت مجلسا قط جرى فيه ذكر التنين الا وهم ينكرونه ، ويكذبون المخبر عنه ، الا أنا فى الفرط ربما رأينا بعض الشاميين يزعم ان التنين اعصار فيه نار يخرج من قبل البحر فى بعض الزمان ، فلا يمر بشىء الا احرقه ، فسمى ذلك ناس (التنين) ، ثم جعلوه فى صورة حية . فالجاحظ هنا ينكر تماما وجود التنين الحيوان أو الثعبان ، وان كان لاينكر وجود التنين الظاهرة ، ولعله يقترب من الحقيقة كثيرا حين يؤكد ان الخيال الشعبى ذهب الى تصور التنين فى صورة حية ، وان كانت المسالة لا تزيد عن خلق الخيال ، وابداع للتصور الشعبى .. وقد ذهب بعض الدارسين الى افتراض أن يكون البحاره القدماء قد راوا وحشا من وحوش اعماق البحار عاش فى هذه المنطقة قبل أن ينقرض نهائيا . وانهم وصفوا من شكله ما تبقى فى ذاكرتهم من رؤيتهم له ، الا ان هذا الرأى بعيد الاحتمال . اذ تقول باحثة الأحياء المائية الامريكية «بى . م . هخت».. فى كتابها «الثعابين» من ترجمة الدكتور عبد الحليم كامل : «انها لحقيقة أن هناك مخلوقات بحرية كبيرة لا يعرفها الكثيرون منا ، فهناك (حبارى) عظيم ينمو الى خمسة عشر مترا . الا انه من المشكوك فى أن يكون هناك مخلوق ما يظهر على السطح ويراه الناس وغير معروف للعلم ولكنك قد تقول أن المحيط كبير جدا وعميق جدا . وقد يكون هناك بعض من وحوش ما قبل التاريخ تعيش فى القاع . وقد يصعد واحد منها الى السطح مرة فى فترات بعيدة جدا فيراه البحاره مصادفة وهذا بعيد الاحتمال تماما ، لان كثيرا من المخلوقات العجيبة الكبيرة والصغيرة قد اخرجت من الأعماق المظلمة للمحيطات الى السطح ، وقد وجد أن كل هذه المخلوقات مهياة للضغط المروع التى تسببه المياه التى ترتفع الافا من الكيلو مترات فوقها . وعندما يصعد حيوان من الأعماق السحيقة الى السطح فانه ينفجر ، لأن الضغط على السطح اقل كثيرا حتى اذا كان هناك وحش من وحوش ما قبل التاريخ مختبئا بين حافات الجبال العظيمة الموجودة تحت الماء فانه لا يستطيع الصعود الى السطح ولو لمدة دقيقة واحدة .»

تجسيد الظاهرة

فهذا الافتراض اذن مرفوض ولا يبقى الا تعليل الجاحظ والمسعودى ، وهو الذى يرجع اسطورة التنين الى رصد البحارة للاعصار الراسى أو التيفون ، ثم اضافة الخيال الشعبى للظاهرة تفسيرها التجسيدى .. ويضيف تقرير الجاحظ أن هذا الخيال جسد الظاهرة على صورة حية أو ثعبان تفسيرا لما وصف فى التنين من رؤوس متعددة اذ تقول نفس الباحثة الامريكية عن الثعابين : «وليس لثعابين البحر خياشيم ولهذا فهى لابد أن تصعد للسطح للتنفس ، ولهذا يراها الناس وهم فى البواخر غالبا فى مجموعات من اعداد كثيرة احيانا ، كما أن اضواء المركب تجذب هذه الثعابين فى أليل » .

الى هنا تكون كل الاحتمالات لتعليل الظواهر التى اعتمد عليها الخيال الشعبى قد اكتملت ولكن يظل دائما هذا الخيال دائما فوق كل تعليل واحتمال الامر انه كان محتاجا الى هذا الوحش البحرى الضخم ليرمز به الى القوى المخيفة والمجهولة التى يصارعها البطل ليؤكد تفوقه الدائم على كل صور الشر وان عظمت ، وان فاقت كل ما هو مخلوق بالفعل من صور البطش والقوة ، وكل ما هو موجود بالفعل من صور العسف والشر المقيـم . فالانسان دائما هو الاقوى وهو الاقدر ، وهو هازم الشر وصانع الحياة.

فاروق خورشيد

محاورات بين الحمامة والانسان
تذكرنا بالحكيم وحماره .
وكليلة ودمنة

أفيروف ... أديب من اليونان
مغامرات حمامة تطير كالسهم

د. نعيم عطية

يحتل ايفانجلوس افيروف مكانة مرموقة فى الأدب اليونانى المعاصر كقصاص وروائى . وقد ولد افيروف عام ١٩١٠ ودرس القانون والاقتصاد بجامعة لوزان بسويسرا . وشغل فى بلاده عدة مناصب وزارية هامة منها منصب وزير الخارجية ثم منصب وزير الدفاع فى الحكومة الحالية . ولم يعقه اشتغاله بالسياسة عن مواصلة عطائه الادبى . فاصدر اعمالا روائية ومجموعات قصصية ترجم عدد منها الى لغات اجنبية . وفى مقدمة اعماله الروائية روايته بعنوان «صوت الارض» التى صدرت باثينا عام ١٩٦٤ وترجمت الى الفرنسية عام ١٩٦٨ اما من اعماله القصصية فيبرز كتابه «مغامرات حمامة تطير كالسهم» الذى صدر عام ١٩٦٨ وترجم الى الفرنسية عام ١٩٧٨ وقد منحت الاكاديمية الفرنسية ميداليتها الذهبية الى افيروف تقديراً له عن هذا الكتاب .

مغامرات حمامة

و «مغامرات حمامة تطير كالسهم» متابعة قصصية تدور على محاورات طلية بين الحمامة والانسان ، مما يذكرنا بالحوار الذى يدور فى ادبنا العربى بين توفيق الحكيم وحماره . ويبين من المودة التى تنضح بها صفحات الكتاب والمعرفة الغريزية باحوال الحمام لان المؤلف من هواة تربيته . وهو يربى تلك السلالة اليونانية من الحمام المسمى «الحمام السهم» فى أبراج بلدته «يانينا» بشمال اليونان . ولا يتردد القارىء ان يقرر لنفسه ان السيد ايكار الذى يمتلك فيلوس الحمامة بطلة اقاصيص الكتاب هو ذاته افيروف الذى زاره الكاتب الفرنسى الشهير موريس دريون مؤلف «مذكرات زيوس» فى بلدته . وعرف فيه رجلا جبلياً يعتز بطباع القروى الشهم وليست تربية الحمام الا دليلا على التمسك برياضة شعبية محببة الى اهل الشمال فى اليونان ، وهى سباق الحمام .

وقد اتخذ افيروف من هذا التقليد الشعبى ، ومن المامه بحياة الحمام ، تكاة ليكتب اقاصيص تذكرنا ضمن ما تذكرنا بصفحات من كتاب «كليلة ودمنة» من خلال مقارنته بين حمام بلدته هذا والحمام السياحى الارستقراطى الذى يحيا مترهلا مسترخيا فى ميادين فينيسيا ولندن استطاع افيروف بطريقة غير مباشرة ولكنها نفاذة ان يمجد الانسان المكافح الفقير الذى يرنو الى التفوق ويصنع نجاحه رغم الصعاب ، وقلة موارده .

رؤية الشاعر للوجود

واذا كان افيروف رجل حكم وسياسة ، ويضمن عمله فلسفة وحكمة ، الا انه بالأخص يعطينا رؤية الشاعر الى هذا الوجود . ويشبه افيروف دموع الشعراء بحبات الماس . ماذا يفعل فيلوس ليواسى الشاعر الشاب الذى تركته حبيبته على اريكة فى حديقة يذرف دموعه ؟ راح يقضم بمنقاره من على الأرض الحشائش التى علقت بها دموع العاشق المهان . وفى حوار موح بين الشاعر والحمامة ، وقد تأثر بلفتتها الرقيقة ، يقول الشاعر ان كل احزان الانسانية تجىء من تجاهلها ذلك الكنز الذى لا ينضب داخل قلب

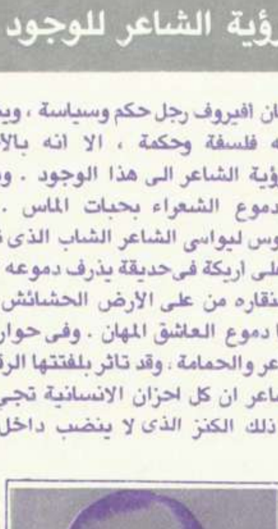

الانسان . انه كنز الطيبة والحب .
ويدعونا افيروف الا ننسى او نتجاهل هذا الكنز حتى فى اللحظات التى يبدو لنا انه غير موجود . ويؤكد لنا افيروف الشاعر الذى يكتب قصائده نثراً وباسلوب رمزى هذه الحقيقة فى اكثر من مناسبة . وفى فقرة اخرى من مغامرات فيلوس يلتقى الطائر بشاعر استغرقته كتابة قصيدته فلم يشعر بالبرد ولا بالجوع والتعب ، وراح يتطلع الى الخلود على جناحى كلماته . ويوجه اليه فيلوس من اجل ذلك تحية تقدير واكبار . اما الفقرة التى تترجم عن حقيقة افيروف الاديب الذى نزل الى معترك السياسة فهى تلك الفقرة التى يقول فيها فيلوس لسيده ايكار ان تجاربه فى الحياة واسفاره العديدة والبعيدة قد علمته ان اهم ما على ذوى النفوس الأبية هو ان ياخذوا على عاتقهم تحقيق الرسالة التى امنوا بها . وما هذه الرسالة على وجه التحديد ؟ انها تحويل الافكار والقيم الى انظمة اجتماعية تحقق للبشر ما تاق اليه الشعراء الاصلاء على مر العصور من خير وجمال وعدالة .

الحياة السهلة

واذا مضينا نقلب صفحات كتاب افيروف بعنوان «مغامرات حمامة تطير كالسهم» نلتقى فى الفصل الثانى منه بواحد من حمام فينيسيا المدلل يخاطب فيلوس بطل تلك المغامرات فيقول «على وجه العموم ، اننا لا نفعل سوى ان ناكل ونغوط وننام . وما الذى نحتاجه فى الحياة غير ذلك ؟ اننا كى نطير ننزل من ماوينا ، وكى نحط على الارض ونأكل . كما اننا نطير ايضاً كى نعود لنستريح وننام . ولكننا لا نصعد ابداً الى ما هو ابعد من اعشاشنا . وما الذى يدعوناان نذهب لنعرض انفسنا للرياح ؟ ولماذا نرهق انفسنا بالطيران بعيداً الى هذا الحد ؟»
هذه هى الحياة السهلة ، التى توصل اصحابها الى البلادة ، رغم امارات الغطرسة

مغامرات حمامة تطير كالسهم

البشر حمقى ، دمويون ولكن الحب والجمال ينتصران وفيهما خلاص الانسانية

البادية . «ما الذى نحتاجه فى الحياة سوى ان ناكل ونغوط وننام» فكر فيلوس لحظة . بطبيعة الحال ، مادام ان هذه طريقتهم فى تبسيط الامور والتهوين من شانها ، فمن الصعب ان يقال لهؤلاء المتبلدين الذين أعماهم الغرور الكاذب عما هم بحاجة اليه فى هذا الوجود حقا .

رمق فيلوس بازدراء الحمام المحيط به فى ميدان سان مارك بفينيسيا ، وفتح جناحيه وطار بحمية . وعندما التقى بالحمامة سالها «اسباسيا» وزوجها «بيريكليس» فى كورفو ، قالا له «انك التقيت فى فينيسيا باولئك الذين يعتصمون بامجاد اسلافهم ، ويؤسسون ادعاءاتهم على هذه الامجاد الماضية فحسب ، دون ان يؤدوا هم شيئا يمجدهم . وعندئذ ، فهؤلاء لانهم لا يعتمدون فى وجودهم على انفسهم فسرعان ما يفسدون وينحلون» .

الدرس الأول

وعندما حط فيلوس على كتف تمثال الاميرال نيلسون فى احد ميادين لندن ، وتبادل معه الحديث تلقى الدرس الأول من الاسفار التى خرج اليها بغية التعلم وجنى الحكمة . وهذا الدرس هو ما عبر عنه فيلوس فى قوله الى سيده ايكار «عندما لا يعرف المرء قيمة ما لديه ، يضرب هنا وهناك ، جريا وراء شىء مثير . أما الآن ، فانى اعرف ماذا لدى . هيا ، فلنعجل بالعودة الى بلدنا» .

وفى رحلته الثانية يتلقى فيلوس درسه الثانى ، ويكتشف بعضا من اخطر مثالب الوضع الانسانى : ان البشر تحركهم شهوة القتل . فهم فيلوس لماذا تنشب الحروب . انها تقوم لا لمسائل تتعلق بالحدود والمستعمرات والاقليات ، بل لان الانسان ــ ربما دون ان ينتبه الى ذلك ــ مخلوق دموى يتلذذ بمغامرات القتل . منذ ما يزيد على ثلاثة آلاف عام ، لا يكف البشر عن القتال،انهم يتثقفون ، يبنون حضارات ، يشيدون امبراطوريات . ولكن على الرغم من كل شىء فانهم يشنون الحروب على الدوام ، ويقتتلون .

ولكن التعميم فى الاحكام مجاف بدوره للحقيقة فليس كل البشر قتلة بلا ضمائر . ويصوب فيلوس نظرته الى الامور عندما يلتقى براعى الاغنام الشاب الذى راح يجوس ببطء وسط اغنامه يربت على ظهر شاة ، ويغرس قبضته فى الجزة الكثيفة لشاة اخرى ، ويطعم الخراف من يده ما يسيل له لعابها فترفع بعضها رؤوسها نحوه وتجيب على حدائه بثغاء ينم عن الفرحة . كل شىء حول هذا الشاب يبعث الامان الى القلوب ، وينشر السلام فى ارجاء الوادى .

حماقة البشر

ويخرج فيلوس فى رحلته الثالثة . وكانت رحلة بعيدة واجبارية فقد سحبته قوة خفية ، ربما بفعل صاروخ او قمر صناعى ، والقت به الى كوكب اخر غريب . وفى رحلته هذه يعرف فيلوس المزيد عن اهل الكرة الارضية . انهم منقسمون الى آلاف المعسكرات المتعادية . لم يكفوا طوال عصور عديدة عن الحروب والتناحر . واليوم يعانى مئات الآلاف منهم البؤس الشديد ، حتى ان كثيرين منهم يموتون جوعا . ليس على الكرة الارضية اى تقدم علمى ، او ان شئنا الدقة ، هناك القليل جدا من ذلك التقدم . على الارض مرض يفترس اهلها ــ يطلقون عليه السرطان وكان الأجدر بهم ان يعرفوا طبيعته . وكل شتاء منذ قرون ، تسبب الانفلونزا للناس اضرارا جسيمة ، ومع ذلك فهم عاجزون عن القضاء عليها لو ان أهل الارض كرسوا كل مواردهم المعنوية والمالية لحل هذه المشاكل لوجدوا السعادة ، ولكنهم عنها بعيدون . مواردهم يستخدمونها فى بناء الصواريخ . ينفقون عليها مبالغ فاضحة ، ربما كفت لتخليص البشر من اوجاعهم .

ولكن اذا كانت الحماقة هى الصفة الغالبة على أهل الارض . الا ان هؤلاء لا يخلون من بعض الذين يتمتعون بتصور نبيل للوجود . ومن ثم ليس من المستحيل ان تنجح الكرة الارضية يوما ما شيئا خيرا وجميلا ، وان يتوصل هؤلاء ذوو التصورات النبيلة الى فرض رأيهم فى النهاية ، فالغلبة للخير مهما طال الأمد .

ولنر الآن بعض نواحى الخير الذى يرجى للبشر . عندما يلتقى فيلوس بالمعلم الرومانى فى رحلته السابعة يعرف ان خلاص البشر فى ان يعرفوا ان الجمال والحب وحدهما هما الخلاص ، ومهما ادلهمت الخطوب سينتصر الحب فى النهاية ، وستزول الكراهية والحروب ، وذلك متى انغرس فى النفوس الايمان بالخير والجمال . ودعاة الحروب هم الأقلية ، وسوف يوجد فى كل مكان معلمون يعلمون الحب على تلقين الكتابة . ففى المدارس ، وعلى الاخص رياض الاطفال ، تزرع بذرة الحب فى النفوس . وعندما يشب النشء الذى احسن تربيته فسيقف سدا منيعا فى وجه حروب جديدة .

ويذهب فيلوس الى كورفو حيث كانت تقوم مكتبة من اكبر المكتبات العامة ، ولكن قنابل الحرب العالمية الثانية دمرتها وخلفتها اطلالا . وهناك يتعلم فيلوس كيف تحيا رصانة الفكر على الرغم من ويلات الحروب . ويعود الى سيده ايكار ليناديه معه بضرورة حث المسئولين على اعادة بناء وتزيين تلك المكتبة القديمة الشهيرة . ويتاكد فيلوس أن الاهداف النبيلة بحاجة الى عمل من اجل تحقيقها وجهد يبذل لادخالها الى حيز التنفيذ . على أن الفرحة والامل هما وحدهما القادران على ان يسارعا باللقاء والتضافر بين الفكرة الموجهة والحركة من اجلها .

السعادة بالحب

ويرق اسلوب افيروف عندما يتطرق الى حديث الحب . ويعرض لنا تحت عنوان «فى الطريق الى السعادة الحقة» حبا رمزيا بين زهرة زنبق وشجرة ورد على سفح جبل عال . فتقول شجرة الورد فى مشرق الصباح لزهرة الزنبق :

ــ يوم صاف يبدأ . ما طلع النهار الا كى اتدله بحبك .

ويجيبها الزنبق :

ــ فلنحمد الله الذى منحنا مثل هذه الليلة الجميلة . وهو يعدنا الآن بنهار لا يقل عنه جمالا .

ويستطرد الزنبق قائلا :

ــ عندما يشرق يوم جديد يلوح لى اننى سوف احبك فيه اكثر مما احببتك اليوم السابق .

ويصف افيروف الطبيعة الجبلية بحب شديد فيقول فى فقرة من كتابه «رويدا رويدا ، امتدت الظلال وعتمت ، واصبحت زرقة النهار فى لون الرماد . هبت نسمات خفيفة نقية ومعبقة بالأريج

رؤيــة شاعريــة للوجــود

تمجـد الانسان المكـافح

المتطلع إلى التفوق

وبدلا من ان يبدو الليل الصخرى اكثر جهامة مع مقدم الليل ، اضحى على العكس رقيقا ، كما لو كان قد استسلم للنوم بدوره ، ولكنه قبل ان يروح فى النوم تصاعدت من اخمص الجبل وسفوحه آلاف الاصوات الخفيضة ، بدت كما لو كانت هذه الهمهمات العديدة تتماوج مع الريح . او ربما تهدهد حشائش الجبل الهزيلة وزهوره القليلة ، او ربما تسبح بحمد الخالق على جمال اليوم المنصرم ، أو ترجوه ان يكون الغد صافياً وذهبياً ومعطاء مثل سابقه . من الذى بامكانه ان يدرى ؟ ولكن ما كان واضحا ان ثمة احساسا بلغز الأبدية وايضا بالهدوء والسكينة اللذين يسودان المنظر الطبيعى كله . بدا الجبل كما لو كان لا ينتمى الى ارض البشر ، بل الى كوكب اخر ، كوكب للجمال والسلام»

هذه هى الارض التى لا يرضى فيلوس عنها بديلا . ورفض ان يحيا منعماً مبجلا على كوكب اخر يفوق الكرة الارضية حضارة وتقدماً . ويقول رؤساء ذلك الكوكب « ابق هنا . ستحاط اينما حللت بمراسم الترحيب . ستكون اشبه بملك هناك» فيجيب فيلوس بتواضع :

ـ معذرة ، لكننى ايضاً فى بلدتى اشبه بملك . والملك لا يغير مملكته ابداً .

وعندما يقولون له ان الجنة هنا على كوكبنا ، يجيب بان الجنة على الأرض ايضاً .

طغيان المادية

وعلى نقيض الحب الصافى الذى تتبادله زهرتا الزنبق والورد على سفح الجبل المقفر ، يقدم لنا افيروف صورة لحب متصدع فى المدينة همس الشاب قائلا لفتاته :

ـ احبك

اجابت الفتاة :

ـ انا ايضاً احبك ، لكنك فقير !

ـ من قال انى فقير ؟ إنى امتلك على العكس ثروات كثيرة .

ـ وما ثرواتك هذه ؟

ـ الشمس ، القمر ، الزهد ، احلامى .

ـ طائلة هى ثروتك الى الحد الذى لا يمكنك ان تشترى ولا حتى زهرة واحدة .

قطف الشاب وردة حمراء ، ومد اليها يده بها وقال

ـ عيناك ، شفتاك ، يداك ، هى زهورى انا ..

ـ لا اتحدث عن هذه ، ولكن عن تلك التى يبيعونها فى السوق .

ـ ولكن تلك زهور مصطنعة وبلا عبير .

ـ بالعكس انها لا تذبل ، مثل زهورك . ثم انها (موضة) الآن . على الأخص تلك التى من حرير او

رسالة النفس الأبية هي تحويل الأفكار والقيم إلى أنظمة اجتماعية تحقق الخير والجمال والعدالة للبشر

قطيفة . تشبكها الفتيات فى شعرهن او على (البلوزة) فيبدن انيقات جداً . هل تستطيع ان تشترى لى زهوراً من هذه ؟

ـ لو كنت تعلمين كم احبك . وددت ان انتزع قلبى واضعه عند قدميك .

سالت ببرود :

ـ وهل سيجد قلبك مشتر ؟

ـ ذهب الدنيا كله لا يكفى لشرائه .

ـ انه لا يساوى فلساً واحداً ، لو اراد احد ان يشتريه .

ـ اننى لم اشر الى ذهب الدنيا اعتباطاً يا كنزى العزيز : فالقلب لا يتاجر به . انه لا يباع ولا يشترى .

نهضت الفتاة فجاة . دقت الارض بقدميها ، وقالت :

ـ فاض بى الكيل منك ! قلبى انا للبيع . واليوم عقدت الصفقة ، وغداً ساخطب لاغنى تاجر فى بلدتنا .

استدارت بحركة عصبية ، ومضت بخطوات سريعة مبتعدة .

الحب الانسانى

ثم ينقلنا افيروف فى كتابه «مغامرات حمامة تطير كالسهم» الى صورة مغايرة من الحب : «فى كرسى مشقق رث ، جلست امراة شابة ، تتشح بشال يلتف حول كتفيها . لم تكن قسماتها جميلة بل عادية . ضمت المراة الشابة بين ذراعيها صبياً صغيراً راحت تهدهده بحركة خفيفة ، بينما احتواها الصغير بنظرة مفعمة بالثقة والسعادة . كانت تهمس فى اذنه مبتسمة بينما راح هو يتاملها معجبا ، متعلقا بشفتيها وعينيها . ما الذى كانت تهمس به اذن ؟ لابد انها حكاية حب ، الحب الذى لا يشترى بالمال ، مهما كان مبلغه ، ومهما كان ثراء من يملكه . الحب الذى يحتوى من الحرارة قدر ما فى الشمس ، ويبثه مثلما تبثه ، بسخاء وبلا حساب .» انه حب الأم .

ولنر الآن حبا اخر ، حبا نبيلا مثل حب الزنبق والوردة . انه حب الحداد لزوجته وطفله . يريد ان تكون مدفاة بيته كبيرة ومليئة بالاخشاب . تقول له زوجته :

ـ لكنك بذلك تستهلك خمسة اضعاف ، بل عشرة اضعاف كمية الخشب .

ـ ونحصل على متعة ازيد خمسين ضعفا .

ـ ولكنك مضطر ان تضاعف عملك من اجل ذلك .

بل من اجل ازيد من سعادتى ، وانا ارى وجنتيك تكتسيان بلون اللهب ، وراحتك تكبر مع كل قطعة خشب القى بها .

نهضت المراة الشابة ، وطوقت عنق زوجها بذراعيها ومنحته قبله .

قال لها :

ـ ارايت يا زوجتى . لست اديبا لكننى ازعم ان فى هذا العالم لا يكفى ان يكون بيتك دافئاً ، بل يجب ايضاً ان تكون النار فى المدفاة جميلة ومواتية للاستغراق فى الأحلام ، حتى لو احتاجت هذه الأحلام جهداً مضاعفا من العمل .

ـ هذا حق ، هاتان اليدان تعطيانا الكفاية ، ولكن الأحلام لها الأولوية . اذ لو افتقدناها لفقد كل شىء رونقه .

هذه بعض النواحى الانسانية فى كتاب الاديب اليونانى المعاصر المانجيلوس افيروف بعنوان «مغامرات حمامة تطير كالسهم» .

د . نعيم عطية

الثقافة هناك

رسالة روما

محمد سعيد

الروائي العالمي البرتو مورافيا يتحدث الى العربي

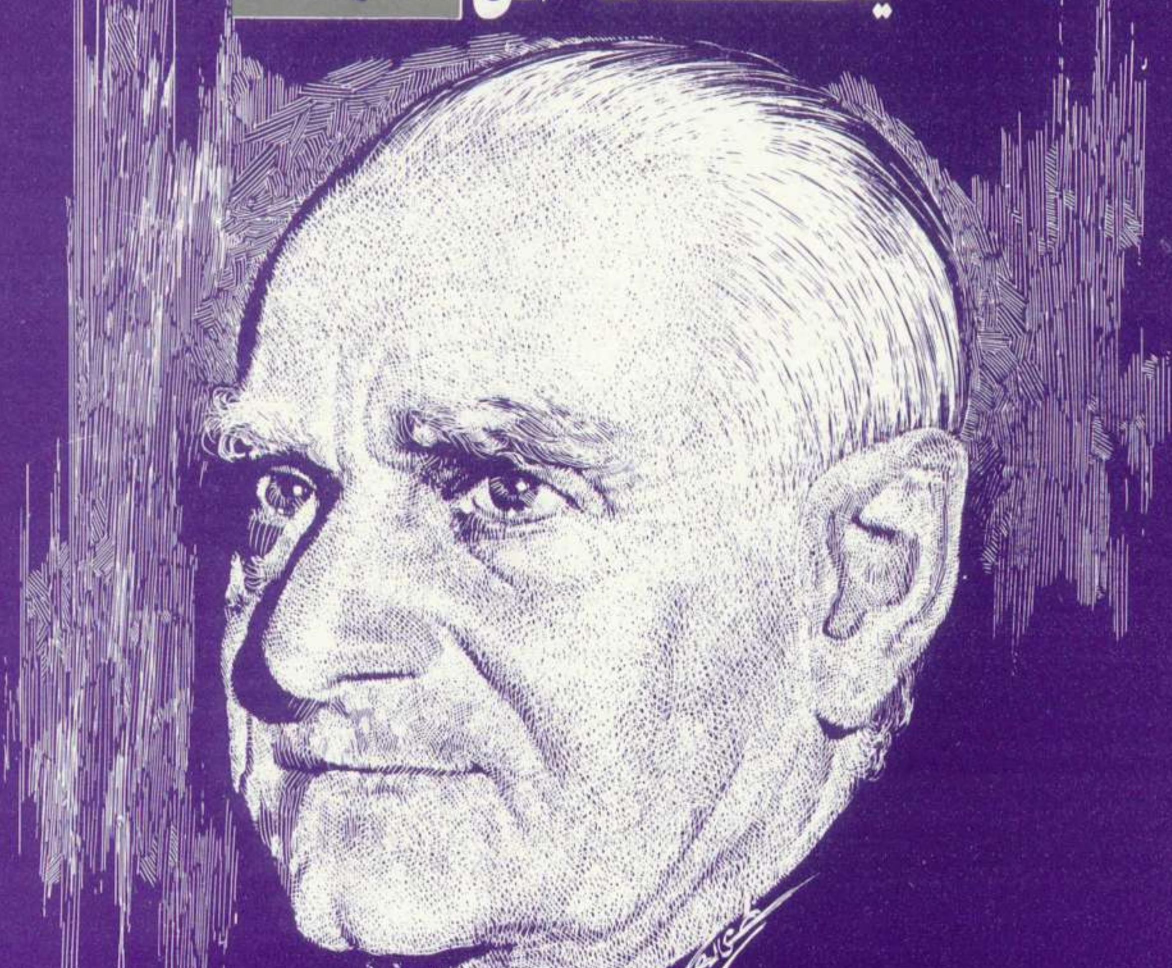

● التعامل مع الفكر الاسلامي في حياد يجعلك تدرك قيمته الحضارية

●أبطال رواياتي هم نماذج من البشر يطاردونني بإلحاح !

لم يتح للأدباء العرب أن يتعرف عليهم الغرب لفقر الترجمة

إن زرت ايطاليا ولم تلتق بالروائى العالمى البرتو مورافيا فهذا يعنى انك حضرت الى ايطاليا دون أن تتعرف على اهم ملامحها المعاصرة ، خاصة إذا كانت الثقافة إحدى محاور اهتماماتك .. واللقاء مع الكاتب الايطالي العالمى تحاصره بعض الصعوبات .. لاترجع إليه ؛ فهو رجل بسيط متواضع برغم مايبدو فى عباراته من حدة ساخرة تجاه بعض الأمور .. ولكن الصعوبة هى كيفية الوصول الى مورافيا . فهو يفضل الاقامة فى مدينة فينسيا ، لكنه يرحل كثيرا الى العاصمة روما بحكم نشاطاته الثقافية والشخصية ، يتردد أيضا على ميلانو بحكم ارتباطه ببعض دور النشر التى يتعامل معها .. ولايضعك فى الطريق الصحيح فى خريطة الوصول الى البرتو مورافيا سوى أن تجد هادياً لك ممن يعملون فى الكتابة والنقد الأدبى فى الصحف والمجلات الايطالية خاصة تلك التى يكتب فيها مثل صحيفة «كوردى دى لاسيرا » .

● بدأت الحوار مع الروائى الايطالى فى حضور زوجته الشابة .. كان خيط الحوار الأول مستمداً من عباراته فى بداية ترحيبه بي وتحديد الزمن اللازم لاجراء الحوار .. سألته عن مستقبل الانسان العربى فى ظل متغيرات العصر السياسية والاقتصادية والثقافية ؟

– يقول مورافيا : « من يتابع كتاباتى الصحفية فى الفترة الأخيرة ومن يتذكر آرائى التى أوضحتها فى رحلاتى الى العواصم العربية المختلفة خلال العامين الأخيرين يعرف انني اكره التحيز لفكر على حساب فكر آخر دون أن تكون هناك دوافع واعتبارات قاطعة .. وانا اكره التحيز وأرفض التعصب بصوره المريضة .. لكن الأمر ليس دائماً مسألة تعصب .. والتعصب الأسود لايمكن تحمله .. والتعصب هو الشعور بالنقص وأنا مع الراى القائل ان التعصب هو أسوأ أشكال الانحطاط الدينى لأن فكر الأديان فى الاساس لايعرف التعصب . والمسيحية فى بدايتها عرفت هذا .. والاسلام ايضاً تميز بهذا السلوك الفكرى . وقراءاتى المتنوعة عن الفتوحات الاسلامية خاصة فى الشمال الأفريقى من مصر الى المغرب كانت مطبوعة بصور التسامح وسلوكيات الفروسية . وتميزت بنوع من المشاعر الحضارية . ولذلك لعب العرب من خلال نهضتهم الاسلامية دوراً اساسياً فى استمرار الحضارة الانسانية . وقد حمل العرب التقدم الى الكثير من مناطق العالم فى اتجاهاته المعروفة .

●● قلت للروائى العالمى البرتو مورافيا .. برغم تعاملك المحايد مع الحضارة العربية .. لكنك لم تشارك فى صنع جسر يربط ثقافتنا العربية بالثقافة الغربية ، خاصة وانت مفكر وروائى رائد تجيد اللغات الايطالية والفرنسية والانجليزية ؟

– يرد مورافيا : لكننى لا اجيد اللغة العربية ولم اجد فى حركة الترجمة من اللغة العربية الى اللغات الاوربية ما يجعلنى احدد هذا الدور الذى يمكن القيام به . ولكننى اكتفى بالقراءة باللغات التى اعرفها عن الحضارة والثقافة العربية . اما دور نقل الفكر والثقافة العربية الى اللغات العالمية فهو دور مؤسسات النشر فى بلادكم وفى بلادنا .. ولا اعرف لماذا تقاعست حركة الترجمة فى المنطقة العربية ، والعرب هم أول من حافظ على التراث الاغريقى والرومانى والفارسى بتدوين وتسجيل ثمراته الى اللغة العربية . بل إنهم ساهموا فى نقل تراث حضارة الى واقع حضارة اخرى وهكذا ، اما عن الفكر الاوربى ووصوله الى القارىء العربى فاعتقد انه عبر المدخل الصحيح واستمر من خلاله، من خلال اصحاب الترجمات الفاهمة ممن قدموا من ادباء ايطاليا – مثلا – جوزيبر تشزار ابا وبانتسينى وبيراندلو ومورافيا وسيلفرى .. كما ساهم عدد من المستعربين فى تقريب هذه المسافة الثقافية ، ومنهم عاشق الدراسات الشرقية والعربية الدكتور امبرتو ريتسيانو العميد السابق لمعهد الدراسات الشرقية فى ايطاليا والذى توفى خلال شهر ابريل من عام ١٩٨٠ .

●● قلت للروائى الايطالى العالمى .. الأدب الذاتى والتراجم الشخصية وادب الاعترافات لون هام من ألوان التناول الروائى عند كتاب اوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين .. اين مورافيا من هذه الاعمال ؟ وما هى الملامح العامة لتناول مورافيا لحياته الذاتية فى كتاب ؟

– يطول الوقت وانتظر ان استمع الى اجابة البرتو مورافيا .. لكنه يكتفى بتعليق مقتضب .. لم يحن الوقت بعد .. وتتحرك عيناه فى اتجاه تلميذته وزوجته الأديبة «داتشا مارينى» التى تكمل مستلهمة منه بداية الحوار بعد تبادل عبارات قصيرة منغمة بالايطالية .

تقول داتشا مارينى : «مورافيا كتاب مفتوح حسب التعبير الشائع . عمره الآن ثلاثة وسبعون عاماً .. مورافيا هو اسم شهرته وله اسم حقيقى هو البرتو بنكيرلى من مواليد العاصمة روما فى عام ١٩٠٧ .. بدأ مورافيا الكتابة عام ١٩٢٩ وكانت روايته الأولى «اللامبالون» التى يعتبرها اهم اعماله للآن ، وكانت نقداً عنيفاً للبرجوازية الايطالية عندما كانت ايطاليا فى ظل الحكم الفاشستى ورقابته الشديدة »

وظهر صداع التيار الفاشى فى الفكر فى مواجهة مورافيا الذى اختار لنفسه اسلوباً أدبياً يطرح فيه وجود الانسان من خلال شخصيات يهتم بتقديمها فى اعماله الأدبية ، ويجنح الى التحليل النفسى فى توصيفها، ومن خلال رسم الشخصيات حرص مورافيا على الاهتمام بالمواقف الجديدة التى تعطى الانعكاس الصريح لما يدور فى الحياة .. فى البداية تعلق مورافيا باهم أساتذته فى عالم الرواية ، ديستوفيسكى ، كان يميل الى شخصياته الغامضة . لكنه كان يختلف عنه فى وضوح شخصياته وعدم هروبها الى الغيبيات والفلسفيات وما وراء الميتافيزيقا بينما وضحت شخصيات مورافيا من خلال بحثها عن الخلاص وميلها الى السلوك اللامبالى

وفى حياته الخاصة يميل البرتو مورافيا الى البعد عن صخب الحياة العامة . وقد تزوج مرتين الأولى كانت الأديبة الايطالية الكبيرة «إلز مورافى» والزوجة الثانية – والحديث لا يزال على لسان زوجته – تلميذته المعجبة به الصحفية المخرجة السينمائية داتشا مارينى»

●● قلت للكاتب العالمى البرتو مورافيا .. لا جديد فى ان نقول انك روائى عملاق من أشهر من عرفتهم الرواية العالمية .. لكنك تعمل ايضاً بالفكر والسياسة والثقافة والفلسفة .. فاى الصفات ترى انها انسب لنسمى بها البرتو مورافيا ؟

– من خلال التعامل مع الأدب والصحافة اعتز بان يصفنى النقاد باننى من المفكرين ، لكننى ارفض أن يصنفنى البعض مع الفلاسفة لأن موضوعاتى ومنذ بدأت فى كتابة «اللامبالون» هى الواقعية ، لكن فى أوضاع غير معقولة .. واضرب لك مثلا ببطل روايتى «الملل» فهو يقول إن اللوحة التى يرسم عليها خالية .. والفتاة التى يحبها تهرب منه .. لهذا كان الواقع يهرب منه .. والفراغ يحيط به .

●● هذه تساؤلات وليست إيضاحات .. وقارىء رواياتك يحس انك لاتضع اية إجابات عن التساؤلات التى تضعها فى رواياتك ؟

– بعد اكثر من خمسين عاماً على ممارستى لكتابة الرواية استطيع ان اقول لك ان هذه هى شخصيتى .. وحتى شخصيات رواياتى ايضاً لم تتغير ، وهى لا تتغير لأنى «نمطى» وأنا آخذ بالتغيير ولكن من خلال قدر ضئيل يبدو من الناحية السيكولوجية . وإذا كان الكاتب يدور حول القليل من الموضوعات فى نشاطه الكتابى لذلك تجدنى ادور حول مفاهيم وافكار التمرد .. العلاقة بين الانسان والحياة اليومية .. وفى افكارى استمد بعض آرائى من ديستوفيسكى وسيجموند فرويد وكارل ماركس والبرت إينشتاين فى اندماج غير محدد .

وانا اضع تساؤلات مفتوحة كما تقول وكما

الروائى العالمى البرتو مورافيا مع زوجته الزا مارينى

سبق ان واجهنى نقاد ادبى اعرف انه لا توجد ردود ولا توجد إجابة للسؤال عن معنى الحياة .. ولماذا الاستمرار . ولماذا الموت . وهى تساؤلات ميتافيزيقية كشخصيات ديستوفسكى يصعب التكهن بنتيجتها برغم استمرار طرحها للمناقشة .. وموهبة الكاتب ان يعرض الحياة مع كل تناقضاتها ويعطى او لا يعطى رد تساؤلاتها . هذه هى وجهة نظره .. وانا لست فيلسوفاً وهناك من يتعاملون بالفلسفة ولهم تصورات واضحة تعوزنى .

●● قلت للروائى الكبير البرتو مورافيا .. قبل ان احضر اليك شاهدت فى دار السينما فيلماً خطيراً هو (كاليجولا) الذى كان الجنس والعنف محور حياته والذى ادى بدورانه فى دائرة الجنس الى انهيار حكمه ومصرعه .. معنى هذا أن الفكر السينمائى يندد بالجنس الذى يهدد الحضارة الحديثة .. والقارىء المتابع لك يلحظ استمرار اهتمامك بالجنس فى كتاباتك وعلى ان الجنس هو الموضوع الذى يطغى على اعمالك وانه الرابطة الاسلسية بين انسان واخر فى فكرك .. ما موقفك من هذا الموضوع ؟

ـ يرد مورافيا بعد ان يعرف رايى فى تكنيك فيلم (كاليجولا) .. «لا يغيب على احد أن الجنس امر اساسى فى حياتنا ولهذا كان من بين اواخر اعمالى كتاب «انا وهو» وهو عبارة عن العلاقة بين الرجل وجنسه .. الآن انوى الكتابة عن «الرجل المنفصل» وقد تناولت حالة شاذة لدراستها لاكتشف ان الجنس هو الانقسام بين الرجل ونوعه .. والجنس لا يتبع إرادة الرجل .. لكنه امر تلقائى واحيانا يطيع الرجل الأمر وفى احيان اخرى يعصى هذا الأمر .

●● وفى علاقة الرجل بالجنس الآخر .. كيف كانت صورة المراة فى واقع مورافيا بعيداً عن صورتها فى عالمه الروائى ؟

ـ تزوجت مرتين وعرفت من خلالها ان للمراة تاثيراً من طراز غير محسوس ، ومن الصعب ان يشرح الانسان حقيقة شعوره بالنسبة الى نفسه او بالنسبة للآخرين .. لكنى فى تعاملى مع الفكر استطيع إدراك المؤثرات ولهذا اجد نفسى اكثر وضوحاً ، فليس من الحكمة ان تدخل الناس فى متاهات هم فى غنى عنها ولهذا اكتفى بالتبسيط وانا اقول لك إن المراة لها فى افكارى تاثير واضح فى نمو وتطور مفاهيمى ، وفى ايجاد التوازن النفسى مع ذاتى ومع المجتمع من حولى .

●● لم اضف جديداً الى معلومات البرتو مورافيا عندما ذكرت له انه يتمتع برصيد ضخم من معرفة الناس به واهتمامهم بادبه فى المنطقة العربية ، لكنى قصدت من ذكر هذا أن اعرف من وجهة نظره تفسيراً لذلك .

ـ رد مورافيا قائلا : «لعلها السينما التى حولت رواياتى الى اعمال فنية .. ولعلها جودة الترجمة من الفرنسية او الايطالية الى العربية .. بل لعل مرجعها حماس بعض نقاد الأدب فى العواصم العربية لكتاباتى . وقد يكون هذا أيضاً نتيجة اننى اقول رايى بوضوح واحرص على تعميق الموضوع دون الاخلال بشرط الوضوح .. إنها الموهبة التى يحصل عليها الكاتب ثم تصقلها الظروف .. وانا فى صراحة بسيط احب الناس ، اعشق الاقتراب منهم .. ولى زيارات كثيرة لعواصمكم العربية عندما زرت الرياض وقتما كلفت بوضع سيناريو فيلم «البترول والحياة الجديدة» لحساب التليفزيون الايطالى وهو من اخراج برتشيلونى ، وموضوعه يدور حول التغيير الكبير الذى احدثه ظهور البترول فى الجزيرة العربية والخليج العربى .. كما زرت مصر اكثر من مرة كان اخرها فى صيف مهرجانها السينمائى الذى عشت بعض لياليه بين الاسكندرية والقاهرة وانا اعشق الناس ومؤشر هذا عشقى لتعلم اللغات فانا اجيد الفرنسية والالمانية والانجليزية وبعض الاسبانية بجانب لغتى الايطالية وعندى الرغبة لتعلم اللغة العربية .

●● ختمت حوارى مع الكاتب الايطالى العالمى البرتو مورافيا بمعرفة إنطباعاته عن رحيل صديقه المفكر الفرنسى الكبير جان بول سارتر الذى وصف مورافيا فى مقالاته فى مجلة «الأزمنة الحديثة» بانه احد كتاب الوجودية .

.. يسرح البرتو مورافيا فى شمس ايطاليا المشرقة صيفاً والساعة تقترب من التاسعة مساء ولا تزال الأشعة الذهبية واضحة المعالم من سماء النافذة ثم يقول : «انا اميل الى كتابات سارتر وكان من اكثر الكتاب وصولا الى نفسى . وميلى الى الكتابات الوجودية ينبع من فكرة اعتقد فيها وهى أن الكاتب الروسى العملاق ديستوفيسكى من رواد الوجودية منذ تعلمت على يديه كقارىء فن الرواية فى «الجريمة والعقاب» .. وعظمة سارتر فى القرن العشرين مثل عظمة ديستوفيسكى فى القرن الماضى فكلاهما لديه القدرة الخلاقة على كشف مداركنا غير الواعية وما يبدو فى ظلال واغوار نفوس الآخرين» .

«محمد سعيد»

مع رواد
الفكر العـــــالمي

جان جيتون
والزمن والخلود

د. رشدي فكار

لقد ساد تيار الفكر المادى وسيطر بمدارسه على حضارة الغرب متحفظاً فى البداية على العصور الوسيطة بميتافيزيقياتها وتجريدها لينتهى بتفنيدها ورفضها . ولكن رغم هذه السيطرة للاتجاه المادى فى الفكر الغربى ، بقى تيار روحى متواضع تمثله قلة نخبوية من قادة الفكر الفلسفى ، تصارع باصرار امواج اغراقها ، مدافعة عن مشروعية بقائها من «بسكال الى برجسن وما تلاهما» على سبيل المثال ، متمسكة بخيطها الروحى الرقيق تزكية بعقلانية واعية محاولة النجاة من يم اعصار المادية العاتية ، ومحيط عواصفها المتسلطة والتى عمت سماء الغرب بسحبها وضبابها كما غطته بانجازاتها التكنولوجية المتطورة التى دعمت طغيانها ليبرالية كانت ام ماركسية ، يمينية ام يسارية . فان كانت اليسارية المتمركزة حول الماركسية تبنت المادية كشعار ايديولوجى فكراً واسلوباً ، فالليبرالية الراسمالية تعيشها حياتياً فعلا وممارسة ، دون ما حاجة لشعار او غطاء ايديولوجى يبرر سلوكها واحتكارها .

فى خضم هذا التسلط العارم للمادية فى الغرب يرتفع صوت شيخ وقور مازال ممسكاً بالخيط الروحى وبلستماته ، محاولا مده الى القرن الحادى والعشرين انه «جان جيتون» رائد من رواد الفكر الروحى المعاصر فى اوربا ، والذى ما انفك منذ الخمسينات يدافع بقناعة معقلنة عن انتمائه واختياراته سواء فى السربون كاستاذ او فى جل مؤلفاته ، حتى يومنا هذا فى مقعده بالاكاديمية الفرنسية (مجمع الخالدين) بفرنسا وهو على ابواب الثمانين رغم ثقل الشيخوخة وهمومها . ولقد ساعده اسلوبه «النرمالى» (نسبة لمدرسة المعلمين العليا الشهيرة بباريس) التعليمى ، وقدرته فى التكوين المعمق عبر الفلسفة الاغريقية وفلسفة الزمن والخلود على شرح اطروحته بوضوح مسانداً لما تبقى فى ضمير العصر من قيم ومثل خالدة . يمكن بفضلها تجاوز شهوة الاشباع المؤقت وتكتيك الرغبات الزائلة واستراتيجية الاستهلاك المفتعل ...

كثيراً ما شدنا اليه هذا الشيخ الطيب الوقور وهو يجتاز بهدوء وتامل حديقة «لكسمبورج» الشهيرة فى الحى اللاتينى بباريس وبخطوات مترددة لكنها مستمرة ، تجسد خطوات معاناة الانسان فى حديقة الزمن ، وفى درب الخلود .

لقد حصل جان جيتون بعد الاجازة فى الفلسفة سنة ١٩٢٣ على دكتوراه الدولة سنة ١٩٣٣ عن «الزمن والخلود» وعمل فى التدريس بجامعة منبليه بفرنسا . وسجن عام ١٩٤٠ كمقاوم فرنسى لم يقبل الهزيمة امام طغيان النازية وتسلطها ، وعرف آلام السجن والتعذيب لمدة خمسة اعوام . وعين بعد استعادته لصحته استاذاً بجامعة ديجون ، وفى عام ١٩٥٤ دخل السربون كاستاذ «الفلسفة الاساسية وتاريخها» ثم انتخب عضواً مقيماً فى الاكاديمية الفرنسية ، بعد ان حصل على جائزتها ، وكان انتخابه عام ١٩٦١ فى المقعد الذى خلا بوفاة المفكر الكبير «ليون بيرار» ، ومازال يشغل هذا المقعد حتى يومنا هذا .

لقد انطلق جان جيتون من ارضية عقلانية ليطرح فلسفيا الاشكاليات الأساسية للانسان محاولا اعطاء اجابات موضوعية لهذه الاشكاليات مستنيراً بحوار السماء وبالكتب المقدسة ، ولقد اهله تخصصه فى الزمن والخلود عند فلاسفة الاغريق وعند «سنت اوجستينوس» فى مطلع العصور الوسيطة ومن خلال فلسفة «نيومان» ان يتجاوز الغموض الكنسى ، منقيا للميتافيزيقيامما علق بها من ضباب الالتباس ، مركزاً على مصير الانسان امام صعوبة الاعتقاد فى هذا العصر . ولعل مقارنته فى هذا الموضوع بين رينان ونيومان وموقفهما من الكنيسة ومن تعاليمها ، ومدى التغير الذى يقع فى العرض لا فى الجوهر ، وقدرة تحرك الايمان فى اطار الزمن سلبيا او ايجابيا تعتبر من التفاسير القيمة والجديرة بالدرس او التامل ...

ولقد وقف «جيتون» المفكر الروحى موقفا مرناً مـما اسماه «مشكل للسيح» عليه السلام . ولقد ارتكز على الحكمة (المجلد الثالث من انتاجه) ليقوم بعرض بناء للحب الانسانى كاسمى درجات التسامى بمصيره . هذا المصير المتازم فى الضمير المعاصر بين فورية عطاء التكنولوجيا كمعرفة والعلم كاساس . وبين اشباع غرائزى وتطلع غير موضوعى جعل من الرفاهية غاية لا وسيلة ، بينما الغاية هى تاصيل انسانية الانسان لا تدميرها باسم الترفيه والرخاء . فهل يمكن الرقى للانسان بنفاقه وريائه ، وارتقائه بغشه وزيفه وافترائه ، وتحقيق مصيره بفنائه ؟ ان المجلد الرابع من انتاج «جان جيتون» عن لقاء الاديان وحوار مع الرواد يحاول الاجابة على هذه التساؤلات فى اطار تكثيف المناقشة لا الهروب منها ، وتوضيح كل الابعاد دون خلفيات او مغمضات ومضمرات ، وهذا ما يجعلنا نطرح عقلانية «جيتون» بعد تنقيتها من شوائب التهميش الاغريقى فى تجريده ، والوسيطى المسيحى فى تغميضه ، لتحتفظ بلبها وجوهرها المتحرر من كل التباس ، لتسهم الى جانب العقلانية المسلمة الواعية فى العادة الى صفاء الانسان فى كل مكان ، ليرى حقيقة مصيره امام الزمن المتطلع فى موكب الخلود ، منذ مسيرة الوحدانية الحنفية لابراهيم (عليه السلام) ومعاناة وآلام المسيح (عليه السلام) ليتمركز هذا المصير فى اجل واكمل واتم صورة عقلنته الممثلة فى الاسلام كعقيدة شاملة متكاملة لانقاذه عبر كل الأزمنة فى مسار الوجود بما تضمن استمرار اشراق حوار السماء مع الأرض ، برضاء من الخالق وارتضاء من المخلوق ، دون قهر واكراه او زلفى وتغميض .

اننا لنتفهم معاناة «جيتون» كمفكر غربى يتحدث عن «صعوبة الاعتقاد» لديهم فى القرن العشرين بل وفى اهم مؤلف له يحمل هذا العنوان ، ونعى مقدار العزلة التى يعيشها كتيار فكرى روحى بين التيارات الغالبة المتسلطة فكراً وشبابا قولا وفعلا باسم المادية فى الغرب ، ونقدر اصراره على الاستمرار فى موقعه والثبات امام كل الاعاصير ، التى تهب من ذات اليمين او ذات اليسار باسم الرفض والاعتراض تارة،واخرى باسم الفوضوية او الانشقاقية او العنصرية او العبثية الواعية ، او البعد الواحد ، او الردة والارتداد ... الى غير ذلك من المسميات الرائجة

جان جيتون

في حلبة الصراع والتفنيد ، وكلها تيارات جاءت كافرازات موضوعية لحركة تاريخ تمرد على هيكليته المتحجرة فانفجر وتفجر بعد أن ازاح عن عاتقه سلاسل القهر والتقوقع والمعاناة فى فترة تجاوزت الألف عام من عصورهم الوسيطة المظلمة وحينما اشع العقل العربى المسلم بنوره الى الغرب ليسهم فى نهاية الفكر الوسيط القاصر لديهم بتجريده وتجرده ومدرسيته وميتافيزيقيته واغترابه بالتالى عن اشكاليات الانسان والواقع ، فحرك امثال توماس الكوينى كما حرك خصومه من غفلتهم ، وبدات رياح اليقظة والنهضة تهب على النسق الكنسى السكونى متحفظة باسم عقلانية مترددة واجفة فى مواجهاتها لتتحول الى بشائر لصحوة ناقدة بمدارسها الفلسفية ، مؤهلة بذلك لعصر الانوار والمعارفين والمنهجين للفكر حول الانسان والطبيعة على حد سواء ، محاولين التساؤل والتعليل بدلا من المسلمات والقياس والتدليل ، والملاحظة والتجريب بدلا من الاستدلال والتجريد ، وبذرت بالتالى ارضية لجذور الرفض وفروعا واغصانا للتمرد ، وضعية او تطورية او داروينية او ماركسية اووجودية وطرحت نفسها كبدائل فى حركة التاريخ وجسدت الخطيئة مرة اخرى فى المسيحية وما حولها ، بعد المسيح (عليه السلام) واضعة حداً ، وبصفة تحكمية ، لكل حوار تم فى غيبة وعى الانسان ، ولكن الغلاة ولكل موقع ولكل عصر غلاته ، اقتنصوها فرصة سانحة ، لتصفية الحسابات مع التاريخ نفسه باسم علمنة وفلسفة التاريخ كل يثار بطريقته وحسب انتمائه وأهوائه وتذوقاته أو آلامه ومعاناته .... وهكذا عزل او انعزل موكب الروحية فى الغرب عن الحركة العامة للفكر المؤثر ليصبح موضعاً للثارية وطعناتها فكانت اثات «جيتون» فى مؤلفه القيم بعنوان «صعوبة الاعتقاد فى هذا العصر . ولكن صعوبة منهم واليهم ...

أما نحن فحركة التاريخ وموكب الفكر لدينا لم يعرفا التحفظ بعد الجمود ليؤول الى مسلسل النقد والرفض والتفنيد وطرح البدائل ، كما حدث لديهم ، فالعقل بالنسبة لنا لم يات بعد قديم ووسيط وانما عاصر وصاحب الوحى من الصيحة الأولى «اقرأ باسم ربك الذى خلق» اقرأ وتدبر ، ولكن لا تطغى ... وصار موازيا له ومكملا على درب المعرفة والوجود فى الاقناع والاقتناع والبرهنة . فان كانوا قد عرفوا فى الغرب حوالى الألف عام من الظلمات الوسيطة لتحجر التاريخ وتجمد العقل فقد عرفنا الألف عام أو ما يقرب من الانوار : المشرقية والمغربية الاندلسية وبالتالى يصعب التكلم عن صعوبة الاعتقاد فى امتنا عبر هذا العصر وانما يصعب العكس ... فعقيدتنا ، ولله الحمد ، اعطتنا قناعة الايمان الواضح والاعتزاز بذاتية التاريخ المشرق فى حضور الانسان وفى كل زمان ومكان ، كما اعطتنا نهجاً ووسائل موضوعية فى التطبيق بما يضمن استمرارها فى بناء صرح الأمة المتكافلة وصيانة مكتسباتها ، بتكتل وتلاحم طبقاتها وجمعاتها ، دون ميز او استغلال ويحقق بالتالى توازن وسعادة النفس ، واشراق الذات ، وانقاذ مصير الانسان .

د. رشدى فكار

رسالة لندن

نابوكوف

عبد القدوس الخاتم

ناباكوف

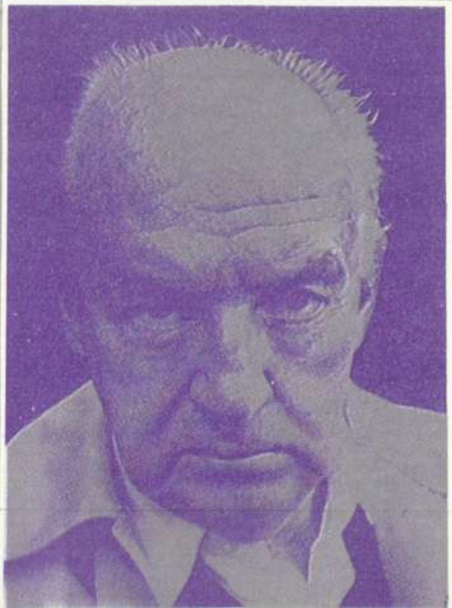

يقول الناقد الامريكى فرانك اوكنور فى كتابه الصوت المنفرد متحدثا عن أدب الجنس «إن الخطورة فى الموضوع تتبدى فى ان القصص التى كتبت احتجاجا على ابتذال الجنس قد تصبح نفسها ابتذالا له ..» . ذلك لأن الخيط الرفيع الذى يفصل بين الأدب الفاضح ـ البورنوغرافيا ـ وادب الجنس لايزال غير مرئى . ولا زلنا فى الرواية العربية نعانى نفس المشكلة . فمن الصعب على كثير من القراء التفرقة بين الاستخدامات المختلفة للجنس عند كتاب كنجيب محفوظ ويوسف ادريس والطيب صالح واحسان عبد القدوس وحاتم خورى أى بين البراعة والتدنى الفنيين . وفلاديمير نابوكوف معروف للقراء العرب من خلال الترجمات المتعددة لروايته الشهيرة (لوليتا) التى طارت بصيته فى الآفاق وجعلته كاتبا مرموقا بين عشية وضحاها . وميزة الرواية أن الجنس جزء من النسيج الفنى فيها ، وهى وثيقة تشريحية بارعة لنفسية مريض .

وقد صدر اخيراً كتاب للبروفيسور اندرو فيلد بعنوان جزء من حياة نابوكوف . والاستاذ فيلد من المتخصصين فى ادب نابوكوف . ورغم أن كتابه لايتجاوز كثيرا المعلومات والانطباعات التى وردت فى السيرة الذاتية للروائى ، والتى كان قد اخرجها عام ١٩٧١ «تحدثى ايتها الذاكرة» إلا انه يحفل بالمؤثرات التى ساهمت فى تكوين ناباكوف فكريا وعاطفيا : عالمه البورجوازى فى روسيا القديمة ، طفولته السعيدة فى الريف الخلاب ، حبه الأول ، معلموه حنينه الدافق لمسقط رأسه بعد هجرته ، حتى التفاصيل الصغيرة فى حياته ـ كحديث المؤلف عن سكرتيرة الكاتب وخدمه وحمامه اليومى تبدو مرصودة بدأب أكاديمى عتيد .

ومن أهم فصول الكتاب حديثه عن تأثير الناقد العظيم ادمون ويلسون على نابوكوف رغم خلافهما حول موضوع الروائى الأثير «الجنس» فقد كان ويلسون على اعترافه بمواهب نابوكوف يرى أن الأخير يقحم الجنس ليجتذب القراء ويتملق غرائزهم .

ومن ناحية اخرى فان كتاب البروفسير فيلد مفيد ايضا للذين يريدون أن يتاملوا غربة الكاتب عن اللغة ـ رغم تفوقه فيها ـ فقد كان نابوكوف روسيا ذا مزاج سلافى شاعرى يكتب بالانجليزية

الكيلانى

اندرسون

رسالة لندن
ستيفي سميث

هل تستطيع المراة ان تكون شاعرة عظيمة ؟ يزعم الكثيرون ان لا . لماذا ؟ لأن المراة بطبعها العاطفى السريع الانفعال لا تتمكن فقط من تصفية التجربة العنيفة من الزوائد لصبها فى قالب التركيز الهادىء الذى بدونه لا يمكن ان يكون الشعر عظيماً ، فهى تعيش فى انفعال مستمر دون توقف موضوعى عاقل يشكم الجموح ويكون اساساً صلباً للمعمار الشعرى . ويدللون باننا لا نملك طوال تاريخنا شاعرات لهن مقدرة او موهبة المتنبى او المعرى او دانتى او شكسبير او شوقى . وبالرغم من ذلك فمن الممكن ان تكون المراة شاعرة مجيدة بشرط الا تخرج عن طبيعتها

إن بعض الشواعر كتبن قصائد جميلة عن تجربة الحب والأمومة والتصوف ايضاً (انظر اديث مستويل وفدوى طوقان وعزيزة هارون مثلا). فالمراة بطبعها على استعداد للتضحية الدائمة فى سبيل من تحب وتتميز تجربتها هنا بالصدق والحرارة . والشاعرة استيفى سميث استطاعت ان تتجاوز ذلك الاطار لتكتب قصائد عليها مسحة من الفلسفة تصل احياناً الى حدود التجريد مع نفور المراة منه . وقد فازت من قبل بجائزة كوموندلى للشعر ومنحت عام ١٩٦٩ مدالية الملكة الذهبية .

وشعرها على السطح يبدو كالنزوة الطارئة الا ان من يحاول سبر غوره يجده غاية فى العمق . انظر الجو العادى الذى يحيط بقصيدتها «من الذى قتل لويس لين ؟» ورغم ذلك يفصح عن معان بعيدة المدى «الببغاء تاكل الجزر، فى قفصها المعلق ، كلماتها تثير الحنق ، فى الاسفل يرقد رب العائلة فى فراشه ميتاً والأخوة اجتمعوا ، همهموا ... يريدون أن ينسوا الكلمات التى غمغمتها الببغاء .. فى قفصها المتارجح العالى صاحت الببغاء : من الذى قتل لويس لين؟ لم يكن ذلك مناسباً ابداً . وهكذا اعطوا الببغاء جزراً لكى تغلق فمها ــ يجب ان تحمد الله انهم لم يكسروا رقبتها .» من الواضح أن الاتهام بقتل لويس لين موجه للجميع .. وليست الببغاء إلا رمزاً للارتشاء والفساد الانسانى .

رسالة لندن
الكتابة للأطفال

لايختلف عاقلان فى اهمية الكتابة للأطفال فهم مصانع المستقبل وحدائقه . واذا ذكرنا ادب الطفل فلابد أن يتبادر الى الذهن رائدان سباقان فى هذا المجال هانز اندرسون وكامل كيلانى . أما كيلانى فقد كان هدفه مزدوجاً : تبسيط وتقريب اللغة العربية للأطفال ثم تنشيط اخيلتهم فى اطار من الموعظة الحسنة . اما اندرسون فكان همه الأول خلق عالم سحرى براق مليء بالحيوانات الأليفة والغريبة يستطيع من خلاله تلقين الناشئة مفاهيمه عن الخير والجمال والحق والعدل . ومن المؤسف أن جهود كيلانى الرائعة لم تجد المتابعة الواعية المتانية فعدا صدور مجلات للأطفال كالسندباد وسمير وغيرها فى البلدان العربية تكاد أن تكون مكتبات الأطفال خالية من شىء له قيمة حقيقية . ومن ناحية اخرى ادى الغزو الثقافى الوافد مع الاستعمار الجديد الى تنشيط حركة المجلات المترجمة كالسوبرمان ، وهى برغم ما يبدو فى ظاهرها من تمجيد للعلم والخيال الخلاق تكمن خطورتها فى تمجيدها للقيم الفردية المنقرضة . نقول هذا بمناسبة اسبوع كتاب الطفل فى لندن والذى اختتم بالقاعة الملكية للاحتفالات بسمنار تحت عنوان «كتب الأطفال .. الماضى والحاضر» وشارك فيه ناشرون من العالم الثالث واستمرت الاحتفالات بالمناسبة طيلة الشهر الماضى فى شتى انحاء بريطانيا ونظمت ضروب المسابقات للاطفال للكتابة لانفسهم بانفسهم . والقيت عشرات المحاضرات بواسطة المؤلفين والمقتبسين والمترجمين وابرزت المكتبات فى واجهاتها الملصقات التى تعلن عن النتاج المستحدث فى هذا الحقل ، وكان عبداً حقاً للاطفال اصعب بكثير من مخاطبة الكبار الراشدين ــ فهى تحتاج الى دقة ومهارة لما تحمله فى طياتها من مسئولية خطيرة نحو وجدانات غضة سريعة الالتقاط لكل ما يلقى اليها فهنا يبدو النطاق اكثر ضيقاً ومحفوفاً بالمحاذير .

رسالة لندن

مود جون

برناردشو

ييتس

مود جون المراة التى عشقها الشاعر العظيم ويليام بتلريتس وكانت له مثلما كانت الآنسة مى بالنسبة للعقاد : خليطاً من الرغبة والخوف من الاخفاق على ارضية قاتمة من عقد النقص والتحدى الغامض والمراهقة العقلية . والتى اعادت لشعره الحرارة التى افتقدها زمناً وكانت تجربته معها ساحقة محزنة . ومود جون تذكر فى تاريخ ايرلندا السياسى مع انها لم تكن ايرلندية تماماً . وقد عادت الى الحياة فجاة فى السيرة التى اصدرها عنها صموئيل ليفنسون .

ففى ما يقرب من خمسمائة صفحة يحاول ليفنسون – من خلال تحليل دؤوب ممل احياناً – ان يرى عصراً باكمله منعكساً على هذه الفتاة العجيبة . وهنا تكمن خطورة هذا النمط من كتابة السيرة،فالمؤلف يجهد نفسه ومصادره فى تتبع الجانب الشخصى من الموضوع مما يوقعه فى شرك التعسير اللاموضوعى للاقوال والمواقف . فقد يكون لمود جون تاثير على عصرها – لا احد ينكر ذلك – ولكن الخلاف ياتى عند قياس مدى ذلك التاثير . وقد فرض هذا المنهج على المؤلف التردى مراراً فى الاحكام الغامضة اللامبررة «ويبدو ان مود لم تكن باردة الطباع وإلا فان مليو فولى لم يكن ليبقى معها طيلة ذلك الزمن» . مثل هذا التسبب فى التعبير يكفى قليل منه للقضاء على السيرة برمتها .

ونأتى الى حيز ما فى الكتاب . اذا استثنينا علاقتها بييتس – وهى قلنا علاقة مؤلمة محيرة – اعطاها المؤلف حقها من البحث والتنقير – فما سطره المؤلف عن ايامها الاخيرة وكيف اصبحت بعد ذلك فى اربعينات القرن شعاراً ورمزاً مقدساً للحركة الوطنية الايرلندية – هو افضل ما يمكن العثور عليه فى الموضوع . اختفت الاحكام الفطيرة وتخلص الاسلوب من الحشو والتهويل . هنا تعود «ابنة الكولونيل» على حد تعبير اوكيس – تعود انسانة كالآخرين «تعيش فى منزل ابنها فى ضواحى دبلن قبلة الزوار ، تدخن بشراهة وتكتب الرسائل لمعارفها واصفيائها باسلوبها الايرلندى النابض بالحيوية ، وتطلق الاحكام السياسية يمنة ويساراً » .

رسالة لندن

برنارد شو

هذه سلسلة ممتعة تصدرها دار بيلنج . تعتمد الحوار فى رسم صورة جلية واضحة الخطوط للشخصية . والحوار يدور بين الحاكى (المؤلف) والشخصية (شو) وبعض خاصة اصدقاء هذا الاخير وابطال مسرحياته وكاتبى سيرته . والحوار هنا مجتز – بقدر الامكان – من الوقائع التاريخية الثابتة الممحصة دون تزيد مسرحى او روائى . والغرض منه تمكين القارىء من الالمام بالموضوع بعيداً عن الجمود الاكاديمى وحذلقة كتاب السيرة ومعاظلاتهم .

ويدور الحوار بين الحاكى وشو وفرانك هاريس (كاتب سيرته) وشسترتون صديقه اللدود وبعض الشخوص المسرحية . ويلقى الحوار على الرجل العظيم اضواء باهرة فيتبدى واضحاً للعيان تحت الشمس بلحمه ودمه .

ولد شو عام ١٨٥٦ فى دبلن وقدم لانجلترا فى العشرين من عمره . وبعد تقلبه فى عدة وظائف احترف كتابة الروايات الفاشلة فمن جملة سبع لم يقبل اى من الناشرين ولو واحدة منها . وانغمس صاحبنا فى السياسة الى اذنيه وانضم للجمعية الفابية واصبح خطيباً مفوهاً على اتصال بالفكر الجديد فى زمنه ومن جانب اخر اكتسب شهرة طيبة بالنقد الموسيقى الذى كان يكتبه فى مجلتى النجمة والعالم . وقاده الفنان ورجل الدعاوة الكامنان فى حناياه الى خشبة المسرح خاصة بعد اكتشافه لابسن ، او على حد تعبيره «أن استعيض عن المنصة بالخشبة» .

وتعود بداياته المسرحية الى عام ١٨٩٢ «بيوت الأرامل» التى كشفت عن بذور خصبة رغم الاستقبال الخامد الذى لقيته من النقاد والجمهور ولم تزدهر سيرورته المسرحية الا أوائل القرن حين اهتم به جرانفيل باركر بالرويال كورت . وفى نيويورك قدم له ريتشارد مانسفيلد «تلميذ الشيطان» فاصبح على جانب من الثراء وطار اسمه فى الآفاق . وفى عام ١٩٠٥ احترف المسرح

وتتناول معظم مسرحيات شو المسائل الاجتماعية والسياسية حتى ليبدو الديالوغ جدالا حاراً بين الشخوص وفى البداية راى معاصروه فى ذلك منهجاً غاية فى الاملال ، «الجميع يتحدثون ولا احد يفعل شيئاً» اى ان المسرحيات خالية من الحدث . وكتب ناقد التايمز بعد ان شاهد «اندروكليس والليث» «بالطبع .. انها امسية الأسد . هل نال وحش خطأ مثل هذا من قبل ؟ لا نقصد خلع اندروكليس للشوكة من قدمه . ولكننا نقصد انه الشخصية الوحيدة فى كافة مسرحيات شو التى لا قدرة لها على الكلام !»

ولكن مع مرور الزمن بدأ الناس يحكمون ويفكرون بطريقة مختلفة ـ فان درامات شو كانت ولاتزال على جانب كبير من الجودة . ومن جانبه فان شو كان دائم التاكيد على أن مسرحه لا يحتوى ـ تكنيكيا ـ على شىء مستطرف ووصف مسرحيته عربة التفاح بانها «حقيبة خفية من جبل مسرحية قديمة » . وكرس شو نفسه لمسرح الافكار الذى ـ فى زعمه ـ هو الدراما بقضها وقضيضها . لقد راى فى الخشبة منصة تتحرك فوقها افكاره وفى الدراما قوة اجتماعية دافعة . وكان يقول ان ابسن كان كاتبا عظيما لانه كتب «بيت الدمية» وان شكسبير مجرد متامل يسجل ملاحظاته .

وقد تناول شو العديد من القضايا . ففى «بيوت الارامل» عالج استغلال الملاك الاثرياء للسكان المدقعين . وفى «الرجل والسلاح» سخر من الروح العسكرية والامجاد الحربية الزائفة . «وقيصر وكليوباترا» دراسة فى الاستراتيجية السياسية . وفى «الميجور برباره» تناول مشكلة الفقر وجيش الخلاص . اما «مهزلة الأطباء» فهى دعوة غير مباشرة لنظام التامين الصحى . وعالج قضايا الزواج فى مسرحية «العرس» . ومن كافة مسرحياته يمكن استنباط ايمانه الوثيق بمساواة الجنسين . لذلك فشخوصه النسوية من اكثر شخصيته تحررا وتفززا وحيوية منذ العهد الشكسبيرى . ولا يعنى ذلك ان شو كان يسطر مناقشات مجردة لا يبدو فيها شخوصه اناسا حقيقيين فهم حقا كذلك . انهم يجرجرون خلفهم القضية المثارة فى جميع الامكنة حتى ليشعر المتفرج أن القضية جزء من وجدانه البشرى . وفى الحوار فان الشخصية التى تبدو وكانها ربحت الموقف ليست بالضرورة المدافعة عن وجهة النظر المثارة فى المقدمة . فهى قد تكون اكثر عافية ونضارة فنية من الشخصية التى تملك الافكار الصحيحة . وهنا يتضح ان شو الفنان كثيرا ما يدير ظهره لشو السياسى .

ويبدو ان شو كان يتجه نحو الدين رغم تجديفه فقد كان مثاليا بما يكفى لكى يرفض المسلومات ، وكان اهتمامه بالبشر ذا مسحة رومانطيقية . ومن المقطوع به انه كان يفهم البواعث الدينية بالخبرة والغريزة وليست مصادفة ان تعالج مسرحياته الناجحة المسائل الدينية (الميجور برباره ، القديسة جان) .

ومن العدل ان نسمى شو رجلا متدينا اكثر منه اشتراكيا . وقد اشار ونستون تشيرشل فى كتابه «عظماء معاصرون» الى أن ممارسة شو لحياته كثيرا ما كانت تصطدم بمعتقداته الاشتراكية . وكان طيلة حياته يبشر بالسعادة المثالية ويرى فى الغابية وسيلة لا غاية فبتمكين كل انسان من العمل والدخل الكافى والمسكن اللائق تحرر الاشتراكية الانسان وتجعله يركز فى قيم اهم . قيم روحية . واسوا مافى الحياة ـ يقول شو ـ أن تكون مستغلا بواسطة رجال ذوى عقول انانية لاغراض تعلم انها وضيعة . ومن الناحية المقابلة فان خير ما فى الحياة ان تحفزنا افكار اخلاقية . ولا يستطيعن احد هذا إلا اذا سدت حاجاته الحيوانية الأولية . ولايمان شو بمسئولية الانسان شن هجومه على نظرية الانتخاب الطبيعى الداروينية : البقاء للاقوى . وهى نظرية نبذت الأخلاق وبررت لكل افعاله مهما تكن .

ويفسر شو الحرب الكونية فى هذا الاطار فباسم الوطنية البريطانية مزقت المانيا إربا بعد تركيعها على ركبتيها . ولقد كانت الداروينية هدف شو فى حملته على النهضة العلمية . فالتقدم التكنولوجى بدون ثبات خلقى من شانه أن يهدد الحضارة برمتها . وهذه الخصوبة الاخلاقية هى التى تحفظ مكانة شو كناقد . إن نقده الموسيقى والمسرحى يتالف بالعاطفة ، متدفق ومتوحش الفكاهة . والاستشهادات الواردة عن نقده فى هذا الكتاب تدين عدم الاخلاص فى الفن اى اعطاء المتلقى ما يوده لا ما يود أن يعطيه الكاتب للمتلقى . وقد اثار نقده الأنف للحرب العالمية ثائرة الكثيرين ولكن من المستحيل أن نكبح فى صدورنا الاعجاب المستفيض برجل متوحد صمد فى خندقه المنعزل ولم يتخل عن سلاحه .

ومفتاح شخصية شو انه كان بالميلاد والطبيعة لا منتميا . كان ايرلنديا بين الانجليز وبروتستانيا بين الكاثوليك وزوده ذلك بنظرة شاملة لما حوله . واهم من ذلك كان مزاجه . كانت عنده المقدرة على نقد الذات وكان تواضعه مصدرا لقوة هائلة . واحاط نفسه بقشرة من البرودة . كانت حاجاته العاطفية والجسدية قليلة او مكبوحة : كان نباتيا ، لا يدخن ، يمقت المسكرات ومحصنا من غوايات النساء . ولم يكن فيه اثر للغيرة او الحقد او للمزاج المنحرف او العواطف المتناقضة . وعلى الرغم من شقاوته الطفولية وبهلوانيته فقد كان مفكرا جادا ، ويمكن ان يعزى نجاحه الى طاقاته العقلية والاخلاقية .

ولعل خير تلخيص له قول بنتلى «ليس فى شو تبريرات او اعتذارت ، ولا مراوغة ولا نزاع . لقد قال اشياء عديدة واخطا فيها اذا اخذناها كما هى . ومع ذلك فهو اقل خداعا من الكتاب الآخرين . انه يعلم أن التمايز ليس بين الحقيقة واللاحقيقة وانما بين الحقيقة الجزئية والدوافع الشخصية» .

رسالة لندن

الخدمة الاعتيادية

جون بيرن كاتب مسرحى موهوب نال جائزة الايفنغ ستاندرد مناصفة مع رصيفه بريان كلارك كاكثر كاتبين وعدا بالعطاء فى العام الماضى . ولم يكن الطريق الى النجاح لهذا الرجل النحيف ذى الشارب البوهيمى الكث ـ الا سراطا من العذاب والكفاح المرير .

لقد كابد طفولته فى بيزلى باسكتلندا ـ اكثر مناطق اوروبا فقرا كما كان يطلق عليها إبان الحرب الكونية الثانية واشتغل فى صباه وشبابه الأول بعدة اعمال ابعد ما تناسب موهبته الكامنة ـ من ضمنها مصنع للسجاد كانت وظيفته فيه القيام بمزج الألوان والبويات فى البدرون العطن برائحة الكيماويات . وإثر معاناة فظيعة انتقل الى مدرسة الفنون بجلاسغو وتخرج منها وبعث الى ايطاليا حيث تخصص فى تصميم الغرافيك وعاد ليلتحق بالتلفزيون الاسكتلندى وقد استطاع بيرن ان يرعش الأجواء المسرحية فى لندن عام ١٩٧٧ حين عرضت له على خشبة البوش مسرحية «تشنج الكاتب» وهى تدور حول الاساطير والمعتقدات المتداولة فى الاوساط البورجوازية الاسكتلندية المثقفة . وقد استخدم فيها تيمة محلية توحى بالتفرد . ورسخت اقدامه اكثر فى العام الماضى بعد أن عرض مسرح الرويال كورت مسرحيته «البلاطون» استوحى فيها عمله فى مصنع السجاد فى اواخر الخمسينات .

والحق أن كلا المسرحيتين تستلهمان سيرته الذاتية كما تستلهمها مسرحيته الاخيرة «الخدمة الاعتيادية» التى تعرض بنجاح على خشبة الهامستيد فهى اتوبيوغرافيا مباشرة حتى اسماء الشخصيات هى هى فى الواقع . «لا اعتقد ان هناك شيئا يقال على الخشبة تفوه به احد فى حقيقة الحياة . اننى اتذكر نغمة حديث الناس ، ولكنى احاول اعادة صياغتها واتوق الى الامساك بتلابيب شخصياتهم من خلال ما يقولونه والطريقة التى يقولون بها ، إن ذلك يشبه رسم الوجوه بالفرشاة . إن الصورة الفوتوغرافية تعطيك شكل الشخص من منحى شبه مستاتيكى ولكن الرسم يعكس الملامح الخفية » .

ومسرحية «الخدمة الاعتيادية» تدور حوادثها فى شعبة التصميم الايضاحى بالتلفزيون الكالدونى إبان يومين مليئين بالهستريا والتوتر عند اعداد برامج احتفالية بالذكرى العاشرة لبدء البث بالمحطة التلفزيونية ... والعمود الفقرى للحدث هو الاعداد للعرض على الهواء والمنتجون يبدون متفائلين بنجاح البرامج على مستوى الأمة ولكن الأحداث المفاجئة تترى

رسالة لندن
الخدمة الاعتيادية

منظر من مسرحية الخدمة الاعتيادية

لتتامر عليهم : تختفى بعض الآلات المهمة ، يصاب احد الفنيين بمرض يمنعه من المجىء، وآخر يزمع الهجرة الى كندا ولا يعنيه الأمر فى كثير او قليل ، والسكرتيرة ايزابيل اقعدها الحمل عن العمل وتنشغل بتطريز ملابس الطفل القادم . ويشتبك احد المصممين فى خلاف حاد مع المخرجة ذات الأصل الهولندى حول مسألة شكلية تافهة فى حد ذاتها . وهكذا تبدو مشاكل الأفراد الخاصة وكأنها اهم من انجاز العمل المطروح .

وكما يبدو للمشاهد فان المسرحية تنسج نفسها خيوطاً من العقد الصغيرة المتشابكة التى تجعلها الحوادث المتواترة نسيجاً محيراً من التراجيكوميديا ، مع ان المقصود اصلا بالمسرحية هو وجه الكوميديا الخفيفة ذات الطعم اللاسع .

ومهما يكن فان بيرن على عكس كتاب الكوميديا المعاصرين يتجنب الاستغراق العاطفى . فهو يتفكه ببساطة شديدة وهذه المسرحية اذا نظرنا اليها نظرة عامة تتميز بالفكاهة الصافية النقية . وطريقة بيرن فى خلق العقدة المسرحية كوميدية اذا صح التعبير فهو يمحقها ويهدمها ـ اى العقدة ـ ومن خلال ذلك تتخلق عقدة قد تكون هلامية اول وهلة ولكنها تظهر ببطء وتتضح ملامحها . وليس هناك قصة محددة يود بيرن أن يلقنها اذاننا وعيوننا . ففى الفصل الأول نجد انفسنا فى شعبة التصميم الايضاحى بالمحطة التلفزيونية وفى الفصل الثانى نحن فى اليوم الثانى وفى نفس المكان.

وبما ان الشخصيات مرسومة بعناية بالغة وبضربات فرشاة خشنة يمسك بها فنان كاريكاتور مقتدر فيجب ـ بالطبع ـ ان تكون هناك حوادث ما . وما من مفر للشخوص ان تحتك وتتصادم اذا بقيت معاً لمدى يومين وفى قاعة واحدة ـ خصوصاً هذه الشخوص الانانية التى برع بيرن فى تصويرها والتى لا هم لها الا الدوران حول محاور ذواتها ، والمرتبطة بعمل معين أوكل اليها . ومع ان المؤلف تجنب التدرج المسرحى المعروف فى خلق العقدة وحلها إلا انه من خلال الصراع بين الشخوص وفق فى رفد الحركة بنوع غامض من التوتر الذى لا غنى للمسرح عنه . وبالرغم من انتقاء الشكل التقليدى للكوميديا إلا أن بيرن بلمساته الخشنة الساخرة استطاع ان يكسو الشخوص بلحم الحقيقة . فابطال المسرحية الثمانية يقتربون بدرجات متفاوتة من واقع الحياة والشخصية الضبابية الوحيدة هى ويلف العجوز الأعشى الاصم الذى يعكف طيلة الوقت على إصلاح الملكينة القابعة بالمكتب مستخدماً كل ما يعثر عليه من ادوات . ومع أن ويلف مشحو بالمبالغات المستحيلة إلا ان وجوده اضفى على الخشبة نوعاً من الابهام الملون . وقد قصد المؤلف ان يكون نصف اعمى واصم ليتمكن من اعتصار اخر قطرات الفكاهة التى تنبع من سوء التفاهم الناتج عن ذلك .

والهدف من المسرحية اخر الامر هو الاضحاك الراقى ـ حتى وان كانت الشخصيات الأخرى مرسومة بدقة فوق عناية الفنان الكاريكاتورى وتمتلك دوافعها الدرامية للفعل كتوقع الطفل الأول او رهبة الوقوع فى الحب او الدفاع عن التقاليد الوطنية . وقد يصل التوتر بينها الى تبادل الاساءات أو التلويح بالقبضات ولكن الانفراج يتحقق بنكته . فالنكته عند بيرن تنقذ الشخصيات اكثر مما تنقذها التبريرات الملفوفة التى يبثها المؤلف احياناً اثناء الحوار العادى . والذى تفتقر اليه هذه المسرحية الممتعة ليس جدية الهدف ولكن العقدة الواضحة ما دام المؤلف ارتقى فيها بالمسرح الواقعى الكوميدى فحتى الفارص يجب ان نستخلص منها شيئا غير ان ما يغفر لبيرن هو مقدرته الساطعة على استخلاص النوادر والفكاهات البارعة إذا كان ذلك هدفاً فى حد ذاته .

رسالة لندن
كتب جديدة
ماثيو أرنولد

ارنولد المعلم الناقد الفكتورى هل بقى مما قاله لنا شىء ؟ ام ان الخلود وهم الواهمين وتقادم العهد وتجدد تيارات الفكر اعداء لا يرحمون .

كان ارنولد من اكثر كتاب العصر الفكتورى خصوبة ـ ناثراً على الأخص وشاعراً بدرجة أقل لأنه لم يكن كرصيفيه براوننج وتنسون معنياً بالشعر وانما كان الشعر بالنسبة له خطرات الهامية تعن فى النادر من الاحيان . وفى عام ١٨٦٧ حين اخرج مجموعته «أشعار جديدة» جف معينه وهجرته ربة الشعر . وبين ١٨٦٥ حتى وفاته كتب كثيراً فى الدين والسياسة والتربية والادب بما كفى لكظ احد عشر مجلداً سمان الأوداج . وقد نعى الكثيرون موهبته الشعرية واشاروا الى ان الفترة منذ ١٨٦٧ هى مجرد ضياع وعقم اوكما قال سنتسبرى «تجوال فى القفر» بينما فضل اخرون نثره الغنى المشع

ماثيو ارنولد

بالحكمة والثقافة الرفيعة .

والحق ان هذا الكتاب محاولة جادة لتقييم آرنولد دون النظر اليه منقسماً بين الناثر والشاعر — بالنسبة لعصره وعصرنا . وهل مازال تعميماته عن الأدب والسياسة والفلسفة نافعة باقية مع ربط ذلك بحياته الخاصة ؟ لقد ولد آرنولد مع بداية للغامرة الفكتورية وشب فى وقت كان فيه العالم الجديد الشجاع على حد تعبيرهكسلى — يتعثر فى الهوة الفاغرة بين القلة المحفوظة والاغلبية المسحوقة . ذلك العالم الذى وصفه كارليل «حيث تطعم الجياد جيداً والفعلة يهلكون جوعاً» . كانت تلك السنوات هى الخلفية لروايات «الاربعينات الجائعة» بما فيها روايات السادة دزرائيلى ودكنز وجاسكل — واثرت فى التكوين الراديكالى لتوماس آرنولد — والد ماثيو — ناظر مدرسة رجبى الشهيرة .

وحين انتقل آرنولد لاكسفورد عام ١٨٤٢ بدأ يتدفق بالقصيد . وفى عام ١٨٤٩ اصدر مجموعة «الضليل وقصائد اخرى» ونال عدة جوائز على شعره . وبدأ حينئذ تأثره الشديد ببيرون . يقول فى قصيدته «الأريك» «وفى سنة من السنوات الصغيرة فان الروح للقلقة ستخلد الى الراحة .. وذلك الاطار الراعش بالحيوية سيصبح طيناً مهدماً ..» وفى قصيدته «كرومويل» يبدو اكثر معرفة لطريقه وان كان بيرون لا يزال كالشبح يظهر ويختفى مع تنويعات خفيفة لوردزورث وفى المجموعة المشار اليها تتضح آثار مطالعته لكارلايل . صاحب فكرة البطل فى التاريخ .

ومع ذلك فقد كان آرنولد كابيه راديكالياً عاطفياً . فسونيتته «إلى صديق» المؤرخة عام ١٨٤٨ مباشرة وصريحة «الله يعلم اننى معك» وفيها يعتذر بمحدودية قدرة الانسان على تغيير أوضاعه . «هذه الأرض التى نراها ونحلم فيها محاطة بجبال الضرورة الشاهقة تاركة لنا حيزاً أضيق مما نظن » .

ويمكن القول كما قيل فيما بعد عن اليوت — ان آرنولد فى شعره المبكر كان رجلا فى منتصف العمر شبه كهل ففيه حكمة وياس الكهول . وفى عام ١٨٥٣ عندما أصبح آرنولد شاعراً معترفاً به وجد أن المناسب أن يطرح آراءه فى الشعر أو على الأصح نظريته الشعرية . ومن الغريب انها لو طبقت على شعره لسقط معظمه ومن هنا خرج الناقد من جلد الشاعر وهو دور مزدوج افقد الشاعر الكثير من اهميته — وإن لم يفقده مكانه كشاعر ناقد وقد لعب هذا الدور قبله سيدنى ودرايدن وكوليردج وشيللى . اخرج آرنولد مقدمته عام ١٨٥٣ وهى تشبه مقدمة وردزورث ومقالات اليوت فى ضحى العشرينات من قرننا هذا . ولكن اذا كان وردزورث يتوق الى الثورة على موضوعية القرن الثامن عشر بكلاسيتها الجاسية فان آرنولد ينتقد بشدة تهالك الذاتية الرومانسية . وفى ايمانه بان الشعر الحق يتاتى باخضاع الشاعر شخصيته للحياد الموضوعى فانه يمت بصلات اوثق الى اليوت اكثر مما يمت الى معاصريه . ويهاجم آرنولد التوجهات الذاتية "إن الموضوع الخارجى للشعر هو الفعل .. الفعل الانسانى» ، والشعر العظيم هو ما انفك من اسر الزمن والمكان . ولا يصمد — فى عرفه — الابطال المعاصرون كتشايلد هارولد للمقارنة مع الالياذة والاوديسة فهنا «الفعل عظيم والشخصيات انبل واكثر امتلاء . والمعاصرون لاضطراب زمنهم لايوجد لديهم درب واضح يتبعونه فلا مندحة من ان ينظروا الى الماضى ونماذجه المضيئة على ان يكونوا حذرين . فشكسبير نفسه كثيراً ما كان يقع فى شراك عبقريته المتدفقة فيتعثر فى الابهام . انه نموذج خطر الاحتذاء فعلينا ان نتعلم من فضائل القدماء واهمها بساطة الاسلوب وبراعة اختيار المعانى ،اهمية البناء المنضبط » .

وقد تشوف آرنولد الى تطبيق نظريته فى قصائده امثال «سهراب ورستم» و «ميروب» . وفى مقاله «العناصر الحديثة فى الأدب» حاول ان يضيق الهوة بين افكاره النقدية وزمنه الذى يعيش فيه ويعمل . فى هذا المقال يؤكد على جودة المعالجة فى اعمال ارستوفانز وسوفوكليس اللذين — رغم ارتباطهما بعصرهما — «اضفيا على الشعر سحر الهدوء النبيل الذى هو توام الرؤيا الحقة» . وفوق ذلك — وباعتبار الحاجة لعلاقة حميمة بين الأدب والمجتمع — فان آرنولد يتساءل فى حديثه عن لوكريتش «كيف يستطيع الانسان تفسير وفهم نشاطات عصره اذا لم يكن يتعاطف معها ؟» . وفى مقاله «وظيفة النقد فى هذا العصر» نجده مهتماً بتعريف خصائص الناقد ووظيفته . فينظر للنقد بحسبانه «النشاط الحر للعقل» والمحاولة لفهم واذاعة خير ما فى العالم . وليس الغرض فقط تحسين وتهذيب المعايير الأدبية ولكن ايضاً الثقافة بمعناها الشمولى . فمهمة الناقد هى خلق تربة خصبة للافكار تسمق منها اشجار الابداع المعافاة . ودعا آرنولد الى وحدة الثقافة والابتعاد عن تجزئتها الى قطاعات متنافرة دينية وسياسية وطبقية . وعنده أن الأدب الحقيقى هو «نقد الحياة» لذا تصعب التفرقة بين النقد الأدبى والاجتماعى . ويبدو هنا متفقاً مع سنت بوق فى مقولته «إن الاقطار الأدبية تحتل حيزاً صغيراً فى فكرى ، والذى يهمنى هو الحياة ذاتها وغاياتها» . وفى مقاله «وظيفة النقد» دمغ آرنولد الرومانتكيين بجهل الحياة . واثنى على الكتاب الاغريق لحيازتهم على «قوة الفكر والاحساس الدينى» على السواء . ويعود الى هذا كثيراً فى تعليقاته على دانتى وملتون فى فردوسه المفقود .

ويكشف المؤلف تاثير آرنولد على عصرنا من خلال البصمات التى خلفها على الكثيرين من كبار النقاد كريتشاردز وليفيز وترلنج . ويبرهن ان مؤلفاته «الثقافة والفوضى» و «الأدب والدقمائية» لا تزال تتفاعل مع الفكر النقدى فى القرن العشرين .. والكتاب لم يلم إلماماً طيباً باحد الأصوات النقدية الفذة فى تاريخ النقد الأدبى والثقافى العالمى .

رسالة لندن
مارتن ويبر

وهذا المعرض — غرافيك مارتن ويبر — يعطى انطباعاً أولياً بالغرابة والخطر المحدق بعالمنا هذا . ويبر من القلة البارعة فى فن التصوير الطباعى واسلوبه يتسم بالسيريالية الهادئة الخلابة ... لقد درس فى كامبرويل وكرويدون وتخرج فى الكلية الملكية للفنون وعمل فترة بالتدريس واقام العديد من المعارض منذ عام ١٩٧٠ . وفى عام ١٩٧٧ عندما اصدر الناشر فكتور قولانز كتاب «خرافات شارلز بيرو» كلف ويبر بتصميم العديد من الرسومات للكتاب ، ستة منها ضمنها هذه المجموعة المعروضة بالبوهن غاليرى وتتميز اعمال ويبر بانفلاتها من قبضة الزمن فليس فى الامكان معرفة اذا كنا نتجول فى الماضى الأسطورى البعيد ام المستقبل المرّنق فى كوكب مجهول أم ان الزمن قد توقف عن الدوران . ومع أن الجمود الحركى للاشكال يوحى بذلك الانفلات فى عامل الزمن إلا ان ويبر يؤكد ذلك من خلال الغشاوة الضبابية فى أعلى اللوحة .

ويبدو انه يستخدم اكليشيهين — الأول مشحون بالتفاصيل التى تبرز من خلال التخطيط الخيطى الذى يذكر بالحفر على الخشب ، أو من خلال نقاط دقيقة . وفى كلتا الحالتين يحفر فسحات منمنة ... وهذا الاكليشيه مطبوع بحبر السبيدج البنى الداكن . والاكليشيه الثانى عبارة عن اضافة لمقدمة اللوحة عبارة عن ستارة من الحفر المائية تقل دكانتها كلما اتجهنا نحو الخلفية .. وهى مطبوعة فى لون رمادى اشيب . وقد تضاف كميات لونية صغيرة للاكليشيهين ، على أن التأثير الغالب هو تأثير اللون البنى والرمادى الشاحب كما يبدو بجلاء تكثيف الطباعة وخلق المسافة الضبابية .

من كل نبع قطرة

كمال عمار

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

المقامة الشاعرية

قال عبد الشكور المشهور بمعرفة الانام والدور :

اعلنت رابطة الأدب العصرية ، عن ندوة شعرية ، يديرها الشاعر اللامع ، خالد الجامع ، وطالعت أسماء المشتركين وتوقفت عند أصيلة نور الدين ، وشدني الفضول لسماعها ، والوقوف على مستوى إبداعها ، فانا عديم الثقة بمواهب النساء ، باستثناء الخنساء ، والتى لولا المصيبة ، ماكتبت هذه القصائد المهيبة ، وكذلك ولادة بنت المستكفى ، ولولا ابن زيدون لاخفاها الزمان فيما يخفى ، وجاء يوم الثلاثاء فخرجت فى المساء ، وذهبت الى مقر الرابطة ، بلا دليل ولا واسطة ، فأنا اعرفها منذ الخمسينات ، وازورها فى بعض الأمسيات ، وصعدت للطابق السابع وانا الهث ، ودخلت والأستاذ خالد يتحدث ، كان كهلا انيقاً ، وأصلعاً رشيقاً ، وهو يحكى عن الشياطين ، الذين يوحون للمبدعين ، ولكل شاعر شيطان ، والعياذ بالرحمن ، إلا ان شياطين الشعراء ، أرق من الهواء ، يوحون بالجميل ، ويلهمون المعنى الأصيل

ولكننا لا نعرف بالتحقيق ، هوية شيطانها الأنيق ، فلتسمعوها انتم ، واحكموا ماشئتم .. ، والآن مع النغم الحائر ، والشعاع الطائر ، شاعرة الشعراء ، وعاطرة الاصداء ، مع انغام عليين ، والشاعرة أصيلة نور الدين :

وبحركة مسرحية بارعة ، احنى رأسه اللامعة ، وتراجع الى الخلف ، لتخرج اصيلة من أول صف ، وتذهب الى المنصة وتلمحها العيون المتراصة ، ويبدأ التصفيق بحرارة ، بينما يشعل الأستاذ سيجاره ، لها رائحة الشياط ، ومع ذلك يمتصها بانبساط ، كانت أصيلة شاهقة البياض ، وفستانها غامق السواد ، وأكد هذا « الكونتراست » ، بياضها بلا قيد أو شرط ، هذا الى عيون مكحولة ، وخدود مصقولة ، وشفتين مرسومتين كالوردتين وصوت أقرب للهمس ، يخاطب الحواس الخمس ، أما عن المنطوق ، فغير مسبوق جديد معناه ، مشيد مبناه

وقالت بعد أن مالت :

إيـاك ياحبيـبى
إيـاك ألف مرة
تدس فى جيوبـــى
أنفـك إنى حـــره

وكانت تقول «يا» وتنتظر ثوانيا ، ثم تنطق « ياحبيبى بايقاع ملاعيبى ، والاكف تصفق ، والاعجاب يتدفق بالشعر والشاعرة ، حتى استعيدت للمـرة العاشرة ، ولما انتهت دوى التصفيق ، وعلا الزعيق ، ودارت بحركة مائسة ، وهنا حدثت الكارثة ، فقد تكعبلت حضرتها ، وانتثرت شنطتها ، وظهرت فى لحظة واحدة ، الشهامة الزائدة ، واندفع اليها المساعدون ، يقيمون ويعدلون ، وأعلن خالد بفرح زائد أن أصيلة بخير ، وقد أصابتها الخضة لاغير ، ثم تظرف وقال ، لأنها تحدت الرجال وطلبت النزال ، وسيظل الرجل هو الرجل ، وإن طال الأجل ، وحواء حواء وإن تغيرت الأسماء ، ثم قدم شاعراً على قد الحال ، اسمه مجاهد عبد العال ، فاصابنا البرود ، وهو يتحدث عن فردوسه المفقود ، وحينما انتهى ، شرع فى اختها ، فانصرف البعض ، وأوشك المجلس أن ينفض ، والشاعر مازال يهيم فى حوارى الخيال ، لايبالى بانفضاض الحماس ، وامتعاض الناس ، وزاد الطين بله ، أن ذلك الأبله ، خلع ثوب الخليل ، واستبدله باخر هزيل ، تحت ستار التجديد ، فى بنيان القصيد ، فبدد وماجدد ، وصار من الثلج أبرد ، وهذه آفة غير المجيدين ، فى كافة الميادين ، وحاول خالد تدارك الأمور ، فوقف يصلح ماافسده الشعرور ، ولكن هيهات ، فالوقت قد فات ، وانصرف ثلاثة أرباع الحاضرين ، وهم غير ملومين ، ولعنة الله على هادم اللذات ومفرق الجماعات وانتهى الأمر بمجموعة صغيرة تحلقت حول الشاعرة النضيرة التى قالت ، لعب عيال ، تقصد عبد العال فاجابها خالد ، باهتمام زائد ، شعارنا الذى أطلقناه ، مع

كل فكرة وكل اتجاه ، فقالت : وهل ترحبون بالسذج ، الذين يعبثون فى المنهج ؟ فقال : نستدرجهم من حيث لا يشعرون ، ونكشفهم للعيون ، ثم أننا لو منعناهم شقشقوا بدعواهم ، وأنت رأيت الجمهور ، يرفض الزور :

وكان أول المنصرفين أصيله

وإذا بالفراش فرج ، يصيح يابيه يابيه ، فقلت له «إيه» . فقال إنه التقى خطاباً مغلقاً ، كان تحت مقعدى ، ولعله وقع من يدى ، وأعطانى الخطاب واخذته بارتياب ، فهو لا يخصنى ، ولكن الشيطان وزنى ، لمعرفة خوافيه ، والاطلاع على مافيه ، وكانت الصدمة الثقلة : فالخطاب لاصيلة

الفاضلة الفضيلة أصيلة ، وجدتك تاكلين مع الملائكة ، أرزا باللبن والمستكى ، فكتبت لك هذا ياأستاذه .

نجحت فى شراء هذه القصيدة ، من الشيخ صميده وهو شاعر مناكف ، جعل ريقى كالحطب الناشف ، لم يرض بالجنيه ، وأصر على ضعفيه ، وفعلا اخذ الأربعة ، ونجح فيما سعى ، و قد جعلته يقوم بالتشكيل منعاً للغلط والتضليل ، وهذه هى القصيدة التى اتوقع لها نتائج سعيدة ولابد من ذهابك الى صفاء ، لمعاونتك فى الالقاء ، وقد ذهبت اليها المرة الماضية ، بيد فاضية ، فخذى لها معك ما تيسر ، وابتعدى عن الشائع والذائع المظهر ، فقيمة الهدية فى ندرتها قبل قيمتها ، وبذلك نأمن لسانها ونضمن كتمانها ، لأن لسان الممثلات ، كثير النزوات ، وكلى ثقة أنك موفقة ، سيسقفون ويعجبون ، ويستعيدونك ويهتفون ، فكونى لبقة ، فاردة منطلقة ، وانشدى القصيدة السينية ، التى اشتريناها من على عطيه ، وقد قابلت خالد الجامع ، واعطيته القلم السابع ، وكان هذه المرة «باركر» ، رآه فصاح الله أكبر ، فاطمئنى من ناحيته ، لأنك نجمة امسيته ، وسابحث بهمة شديدة عن شاعر غير صميده ، فهو يطمع فينا ، ويقص حواشينا ويبيع الشعر ، بأعلى سعر . وفى الختام ــ عليك السلام .

كان هذا ياأولي الألباب ، هو الخطـــاب . !

جحويات

الجزاء من جنس العمل

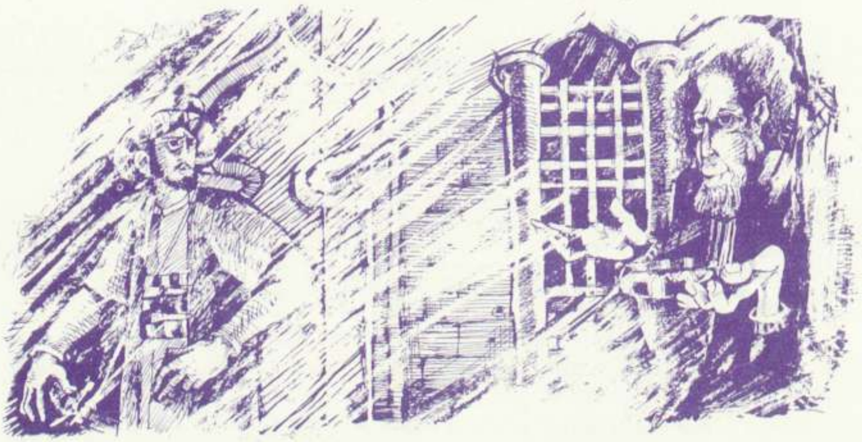

راح جحا ليمدح السلطانا
بشعره ليجزه الاحسانا
وكان قد أعد للمناسبة
قصيدة فريدة مذهبة
وحينما اراد باب القصر
قال له الحاجب قف بالأمر
ماذا تريد ؟ قال جئت مادحا
مؤملا مرتلا مسبحا
الحال حال زادت العيال
والمال قل والزمان مال
لأجل هذا جئت ياابن امى
ليطفىء السلطان نار همى
داخلت الحاجب آفة الطمع
وذاك داء ماله شبع
وقال خذ بالك ياجحانا
أنت لكي تقابل السلطانا
هناك شرط واحد محتم
عطاؤه إليك سوف يقسم
مابيننا ، رضيت ؟ قال طبعاً
وألف أهلا ياأخى وسهلن
وبعدها مضى الى السلطان
يهزه من رائع المعانى
قال تمن ياجحا تجب
ولو طلبت آقة من الذهب
قال له : مولاى مر بضربى
خمسين جلدة وهذا طلبى
تعجب السلطان بل والحاشية
ظنوه يلقى نكتة جحاوية
قهقهوا وصاح فيهم جحا
إنى أقول الحق لست مازحا

مولاى أنت قلت لي تمنى
وقد تمنيت فلا تضنا
إن الملوك حلهم والعقد
كلامهم كالسيف لا يرد
فلم يجد سلطانه مفرا
من جلده مادام قد أصرا
وفرقع الصوت وراح يغدو
عليه وهو صابر يعد
وصاح فى الخامس والعشرين
جحا بأعلى صوته : يكفينى
والباقيات من نصيب الحاجب
لأنه الشريك فى المواهب
سد علي الباب فى دخولى
إلا إذا قاسمته دخولى
فلم اجد من الدخول بدا
لأجل هذا قد رضيت الجلدا
حتى أرد الكيد للحجاب
الزارعين الشوك فى الأعتاب
فاعلن السلطان : بل سيجلد
ضعف الذى جلدته وأزيد
فانما الحاجب للسلطان
بمنزل العين من الانسان
وكل مايأتى من المفاعل
دلالة على الذى فى الداخل
أما جحا فيستحق منا
رعاية ونجدة وعونا
مروا له بصرة من الذهب
لعله يذيع عنا إن ذهب
باننا نحكم بين الناس
بالعدل والميزان والقسطاس

من كل نبع قطرة

هؤلاء علموه

● فى مايو ١٩١٤ ركب طه حسين البحر فى طريقه الى فرنسا بعد حصوله على الدكتوراه من الجامعة المصرية فى نفس العام .

وفى السوربون كان أساتذته : دور كايم ـ جلوتز ـ لانسون ـ بيير جانيه . هؤلاء هم معلموه فى باريس .. ومن قبلهم جميعاً كان معلمه الأول والأكبر «القرآن» الذى حفظه صغيرا ودرسه كبيرا مما شحذ طاقته واستخرج موهبته حتى أنه وهو فى فرنسا درس عامين مايتعلمه الشاب الفرنسى فى ست سنوات .

الحصان : أدهم .. وأبلق

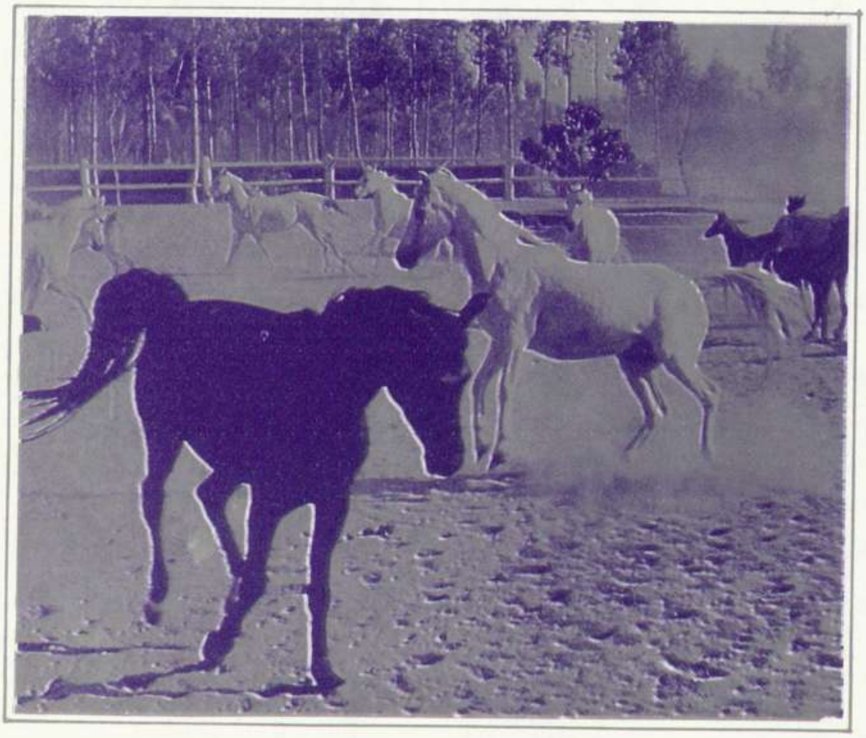

● الأدهم هو الحصان الشديد السواد والأبلق شديد البياض .. ومنذ قديم الزمان والعلاقة حميمة بين العربى والحصان ، يربيه وينتخب من سلالته اجود مافيه .. وهى علاقة صورها عنتره وهو يخوض المعارك بحصانه ومع حصانه .

١١ فعلا .. وبيت واحد

● والبيت قاله المتنبى إجابة لمن سأله نظم بيت يتضمن أكبر عدد من الأفعال .. فقال :

عش ابق اسم سد جد قد

مر انه اسر فه تسل

وهو يتضمن ١١ من أفعال الأمر .. أما عدد حروفها فمتروك للقراء الذين يستهويهم هذا من الاحصاء .. وكان طبيعياً والدافع كثرة الأفعال .. أن يكون وزن البيت من بحر الطويل وإيقاعاته : فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ! .

الميكرو .. والماكرو

ولن نتحدث عن أزياء النساء وإنما عن الفلسفة فقديما كانوا يفرقون بين «الميكروكوزمزس» ـالعالم الأصغرـ و «الماكروكوزموس» ـ العالم الأكبر ـ ولكن الشاعر العربى اعتبرهما وجهتين لعملة واحدة :

دواؤك فيك وما تشعر

وداؤك منك وما تبصر

وتزعم أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

أضغاث أحلام

نحن وابن سينا

كان العلامة العبقرى أبو الريحان البيرونى أول من لاحظ أن حبات الرمل ليست على شاكلة واحدة اذا نظرت اليها (بزجاجة) مكبرة وأن قطعة من (البللور) كحد السكين تحلل ضوء الشمس الى ألوان قوس قزح ، وذلك قبل نيوتن بقرون ، ثم لاحظ الدنمركى (ستينو) بعد البيرونى بزهاء سبعة قرون أن (البللورات) تحتفظ بين اوجهها (المتشابهة) بمقادير من الزوايا ثابتة لا تختلف مهما كبر حجم البللورة أو صغر ... ثم توالى العلماء على دراسة البللورات بمختلف الوسائل والأجهزة حتى وضعوا أساساً لعلم سموه (علم البللورات) وهو من العلوم التى لا غناء عنها لكل مشتغل بالفيزياء أو الكيمياء أو الجيولوجيا على وجه التحديد ... وقد استنبط العلماء بوسائل الدرس والاستقصاء أن الله سبحانه قد وهب (الجماد) من مادة الكون القدرة على (التبلر) طبقاً لقوانين ثابتة فى علم (الهندسة الفراغية) فى اثنتين وثلاثين صورة ، يحكمها مقدار (العلاقة الزاوية) بين محاور النظم البللورية الرئيسية الستة ... وقد وجد العلماء أن مكونات كل مادة لكى تصير الى بللورات ذات بريق وجمال وميزة عن غيرها من بللورات المواد الأخرى المختلفة عنها فى تركيبها الكيميائى وكيانها الفيزيائى لابد وأن تكون خلواً من (الشوائب) ، ووجدوا أن الشوائب قد تكون (مواد) كيماوية فعلية تؤثر فى مسيرة تكون البللورة (وانتمائها) إلى أسرتها البللورية الصحيحة أو على الأقل قد تغير لونها أو تبطىء بها فى زمن الوصول إلى ما تصبو إليه ، وأن الشوائب قد تكون (معنوية) كأن يترك الوعاء الذى به المادة المطلوب (بلورتها) معرضاً (للهزات) أو انعدام الفرصة للانخفاض التدريجى (الطبيعى) فى درجة الحرارة .... وكذلك الأمم والشعوب والمجموعات البشرية ، لا تستطيع أن (تتبلور) لتصبح ذات (كيان) أراده الله لها لتتميز به عن غيرها من خلق الله ، وتتسابق معهم فى الفضل والأداء ، والتفاعلات الحياتية ، إذا لم تستطع أن تنقى (الغالبية) من مادتها من الشوائب والأدران ، المادية والمعنوية ... ولعل من الدلائل على وجود شوائب وأدران (مادية ومعنوية) فى أمة من الأمم هو عدم قدرتها على (الوفاء) لمن ترى أنهم ينتمون اليها ممن يشرفون تاريخها وسيرتها بين الأمم والشعوب ونضرب لذلك مثلا ، رددناه خلال هذا العام (١٩٨٠) فى أكثر من مكان غير صفحات الدوحة الغراء ، بمناسبة مرور (ألف عام ميلادى) على مولد العالم المسلم (ابن سينا) ولسنا هنا بصدد تعداد أفضال ابن سينا العظمى على الحضارة الانسانية ، ولكن بصدد التذكير أن وسائل الاعلام فى مختلف بقاع الأرض قد سارت مع تيار عالمى كاسح هائل هاج خلال سنة ١٩٧٩ م الفائتة (بمناسبة مرور قرن كامل على

سنة ١٨٧٩) لاحصاء (مناقب وعبقريات ومواهب) عالم (يهودى الديانة) ألمانى النشاة والتربية والتعليم ، أمريكى الجنسية والممات هو (البرت اينشتاين) الذى كان عالماً عظيماً لا شك ولكنه لم يكن الوحيد بين خلق الله من العلماء القدامى والمعاصرين ، الذى يستحق (فقط) كل هذا الاطراء والتمجيد والتسبيح والتحميد ، ولكن (القوم) الذين يتنازعون انتماءه ، ويتشدقون ويتلذذون بنسبته اليهم ، أرادوا إحياء ذكراه بتلك الصورة العالمية ... وتمر علينا نحن (واحسرتاه واحسرتاه) ذكرى مرور ألف عام (عشرة قرون كاملة) على مولد ابن سينا الذى أؤكد تماماً أنه سيخلد على التاريخ أكثر من علماء كثيرين، دون أن نابه لاشهار أنفسنا بانتمائه الينا ، ولا نحيى بذكراه بعض موات أنفسنا ... لا أنادى من هذا المنبر باحتفال (أكاديمى) يعقد من أجله (مؤتمر) وتوزع فيه حقائب (السمسونايت) و (بدلات السفر) ، ثم تودع نتائج أبحاث (اللجان) فى الأضابير و (الملفات) كأن لم تكن ، شأن ما يعلم به كل من ولد منا قبل الحرب العالمية الثانية فى هذا الوطن الذى لم يتبلور بعد ، (ولن يتبلور) مادام يقيم لما به من (الشوائب والأوساخ) وزناً ويخشى (الرأى العام العالمى !!) بل نريد احياء ذكرى مرور ألف عام على مولد ابن سينا (العالم العبقرى المسلم) بصورة نشعر بها (الشعوب والعامة) ان هذا العقل الكبير منا من خلال الصحف والمجلات والتلفاز والاذاعات والفنانين والفنانات والمطربين والمطربات ..... إن أمة منها ابن سينا ولا تابه لذكراه لا شك أنها بعيدة عن سمت التبلور الذى يدل على الحيوية والنماء وإثبات الوجود ، فهل آن الأوان لأن نحترم هذا الناموس الكونى العجيب فى نظام التبلور بالاهتمام بكيفيات احياء ذكرى مرور ألف عام على مولد ابن سينا ؟

درويش مصطفى الفار

سينما

رسالة مهرجان «كان» السينمائى

رءوف توفيق

الزواج على طريقة تل أبيب !

من يتصفح كتيب مركز الفيلم الاسرائيلى ، لعام ٨٠ ... سيجد هذا البيان ، الذى أنقل نصه كاملا .. لكى نعرف كيف يفكرون ويخططون للانتشار السينمائى .. واستخدام هذا السلاح الفنى الجذاب للتأثير فى الرأى العام العالمى ..

يقول البيان :

«فى هذه الأيام .. يتزايد عدد الأفلام الأجنبية التى تصور فى إسرائيل .. ذلك لأن صناع السينما العالمية يجدون هذه المزايا فى اسرائيل :

اسرائيل دولة صغيرة ، تستطيع أن تقطعها بالسيارة فى خلال ٩٠ دقيقة .. وطولها يمكن أن تعبره فى سبع أو ثمان ساعات على الأكثر .. وخلالها تجد العديد من الأماكن الصالحة للتصوير : جبال ــ سهول ــ صحراء ــ غابات ــ بحار ــ أنهار ــ مساقط مياه ــ مدن وقرى على مختلف الطرز المعمارية من الطراز القبطى الى أحدث طراز عالمى .. ولهذا فاسرائيل تتمتع بمناخ يصلح للتصوير الخارجى فى كل وقت ، وتتشابه مع مناخ كاليفورنيا حيث يتوافر الجو الملائم للتصوير طوال العام .

واسرائيل ملتقى ثقافات متعددة .. وعادات وتقاليد أيضاً متعددة .. ولهذا فستجد تنوعاً فى الوجوه واللغات .. ومن الممكن أن تختار بينها بسهولة سواء فى التمثيل أو فى المجاميع الكبيرة .

وبجانب كل هذا .. فهناك الفنيون المهرة ، والاستوديوهات المجهزة على أحدث الأساليب .

وفى كل أنحاء العالم تتزايد تكاليف الانتاج السينمائى عاماً بعد عام .. ولكن فى اسرائيل تقل التكاليف بنسبة ٢٥٪ الى ٣٠٪ عن أوربا الغربية .. والحكومة الاسرائيلية ترعى بعين الاهتمام والحب صناعة السينما .. وتقدم تسهيلات مغرية فى الاقتراض والمشاركة» (ويستعرض البيان نماذج التسهيلات المالية) !!

لقطات من فيلم «التفاحة»

وهكذا .. ندرك أن هذا البيان موجه الى صناع السينما العالمية لكى يتجهوا الى اسرائيل (جنة صناعة السينما فى الشرق الأوسط) كما يطلقون على أنفسهم وهم لا يكتفون بتأجير الأرض والشمس والهواء لمن يريد من صناع السينما .. ولكنهم يتحركون فى نشاط محموم لانتاج الافلام الاسرائيلية داخل استوديوهاتهم ...وعقد اتفاقيات الانتاج المشترك مع دول أوربا الغربية وكذا

بعد كل الذى نعرف ..
نتساءل عن ذكاء
المال اليهودى وخطته للانتشار !

خطتهم
أن أمريكا هى نصف العالم
وعليهم أن يتعاملوا على هذا الأساس

الممثل الالمانى «كلاوس كينسكى» فى فيلم اسرائيلى

وأمريكا .

شركة أفلام .. داخل أمريكا

وفى هذا العلم .. ومن خلال سوق الأفلام الضخم داخل اطار مهرجان كان السينمائى .. عرض أول انتاج للشركة السينمائية التى أسسها المنتج والمخرج الاسرائيلى «مناحم جولان» وشريكه الاسرائيلى «جلوباس».. والشركة تحمل اسم «كانون» ومقرها هوليود بالولايات المتحدة الامريكية .!

وقد كان ظهور أول انتاج سينمائى لهذه الشركة بمثابة هجوم مقصود ، لاحداث «فرقعة» إعلامية مثيرة .!

وفوجئت ــ دائماً نفاجأ !! ــ بأن هذه الشركة قامت بشراء صفحات متعددة من كل المجلات السينمائية التى تصدر خلال مهرجان كان ، وأيضاً مجلات السينما الامريكية الذائعة الانتشار .. لتعلق على انتاجها الغزير من الافلام .. وهو انتاج ليس على الورق .. وإنما انتاج حقيقى ، تم تصويره وإعداده للعرض .. وعرض بالفعل فى احدى دور السينما الأنيقة التى اشترت الشركة حق العرض فيها ، خلال مدة المهرجان بأكمله !!

وقد طاردتنى هذه الاعلانات طويلا ... (كل يوم نصف صفحة من كل المجلات السينمائية .. بالاضافة الى اعلان ست صفحات كاملة بالألوان من كل مجلة خلال فترة المهرجان) !! وهذه الاعلانات لا تشير اطلاقاً الى اسم إسرائيل .. وانما تكتفى بأسم الشركة الامريكية وعنوانها فى هوليود !! .. ولكن من يدقق قليلا يكتشف الخدعة .. فصاحب الشركة اسرائيلى .. ورأس المال يهودى .. والمخرج الأشهر فى هذه الشركة هو «مناحم جولان» نفسه .!!

وفى حوار مع المخرج الاسرائيلى ، أجرته مجلة «الفيلم الفرنسى» قال بتواضع شديد (!!) ان شركته الصغيرة «كانون» قد أنتجت فى أول عام لها ثمان أفلام (وهى التى عرضت فى سوق مهرجان كان السينمائى) .. وان هذه الأفلام الثمانية تكلفت ميزانية قدرها عشرون مليون دولار (!!) .. وانه ينوى فى خطة عمل الشركة للعام القادم أن ينتج عشرة أفلام بميزانية تتراوح من عشرين الى ثلاثين مليون دولار (!!)

وصرح أيضاً المخرج الاسرائيلى أنه سيبدأ فى شهر أكتوبر (أى هذا الشهر) اخراج فيلم من بطولة «أنتونى كوين» والممثلة الايطالية «أورنيلا ميوتى» ..

الـزواج عـلى طـريقة تـل أبيب !

والفيلم كوميدى عن حلم فتاة ايطالية بالذهاب الى أمريكا للعمل فى السينما .. وتذهب بالفعل .. وتحاول .. ولكنها تنتهى الى بائعة ساندويتشات !

وصرح أيضاً المخرج الاسرائيلى-(أن شركته اتفقت أيضاً مع الممثلة «سارة ميلز» والممثل أوليفر ريد» على بطولة فيلم بعنوان «عشاق ليدى شاترلى») ! وهكذا يتضح أن الشركة تسعى لاجتذاب عدد كبير من نجوم السينما العالميين ، لتطعم بها أفلامها ، وتغزو الأسواق !

هل بعد هذا .. نتساءل عن ذكاء المال اليهودى .. وخطتهم للانتشار .. وتاكيد أفكارهم ؟!

وربما يتسنى للقارىء ان يعود الى مقالة كتبتها فى الدوحة بعدد سبتمبر ٧٩ ... انبه فيها الى ظاهرة الانتشار الاسرائيلى فى السينما العالمية والذى يتخفى تحت الستار الامريكى .. وفى هذا المقال أوردت تصريحاً صحفياً كان قد ادلى به المنتج المخرج الاسرائيلى «مناحم جولان» يتحدث فيه عن ظروف تكوين شركته السينمائية فى أمريكا .. ومن المهم لنا حتى نستكمل تفاصيل الصورة أن نعود الى قراءة ما قد قاله هذا المخرج الاسرائيلى فى ذلك الوقت ..

قال : «ان أمريكا هى نصف العالم .. وعلينا أن نتعامل على هذا الأساس ولقد انشانا شركة توزيع تحمل اسم كانون (ملحوظة : هذه الشركة أصبحت الآن

من فيلم «جريمة قتل بالبريد»

لقطة من فيلم «المبعوث»

لقطات من فيلم «الزواج على طريقة تل ابيب»

الممثل «اوليفر ريد» فى فيلم «دكتور هيكل ومستر هايد»

لابأس أن يعرضوا عيوبهم الشخصية لاستدرار الضحك عليهم !

شركة إنتاج وتوزيع !) .. اننا نعرف الآن كيف نصنع سينما جيدة، وهذه السينما تحتاج للانتشار .. ومن هنا اخترنا ان يكون المركز الرئيسى لشركتنا فى نيويورك .. ثم افتتحنا فرعاً فى لوس انجلوس .. وفى خطتنا افتتاح ١٧ فرعاً داخل المدن الرئيسية فى أمريكا .. ولقد اثبتنا مكاننا فى السوق العالمى .. ومن حقنا ان نقول اننا الآن فى الموقف الأحسن، بعد أن أصبح يحمينا البنك الألمانى .. ومصادر اخرى كثيرة تدفعنا للانتاج والتوزيع) !!

هذا ما قاله المخرج الاسرائيلى .. وما نشرته فى مقال الدوحة فى العام الماضى الآن .. أصبح كل شىء واضحاً ..

لقطات من فيلم «مهرجان الاطفال»

وواقعاً قائماً بالفعل !!

● من الرعب .. الى كل شىء

واستكمالا لهذا البحث، شاهدت بعض افلام هذه الشركة فى سوق مهرجان «كان» السينمائى .. واكتشفت من خلال هذه الافلام، انهم يتجنبون الخوض فى دعاية مباشرة او غير مباشرة لاسرائيل .. انهم يحاولون إبعاد اى شبهة عن «هوية» هذه الشركة السينمائية .. ولهذا فهم يتحركون فى كل الاتجاهات التجارية المضمونة .. افلام للتسلية والضحك .. وأفلام الجنس والعرى .. وافلام الاثارة والرعب .. وأفلام غنائية موسيقية .. !!

إنها افلام ـ كما نقول فى لهجتنا العامية ـ «جر رجل» لجذب المتفرجين إلى اسم الشركة، ونوعية افلامها الخفيفة.

ولكن هل سيواصلون هذا الطريق ؟ ..

استطيع ان أؤكد بناء على فهم العقلية اليهودية ـ انهم بعد أن يضمنوا الانتشار والرواج لاسم الشركة .. وبعد ان يحققوا العائد التجارى .. سيبدأون فى الاعلان عن «هويتهم» الحقيقية .. ويسربون فيلماً وراء الآخر يتضمن بعض افكارهم .. ووجهة نظرهم فى القضايا العالمية وبالذات قضية وجودهم .. وحق اسرائيل .. وامن اسرائيل .. وحلم اسرائيل .. و .. و ..

والمخطط معروف ..

فالمال اليهودى لا ينفق هباء .. !!

● «التفاحة»

وأهم افلام تلك الشركة فى أول انتاج لها .. لابد وأن يكون من نصيب صاحبها، المخرج الاسرائيلى «مناحم جولان» .. فهو يقدم فيلماً بعنوان «التفاحة» متصوراً فيه الموسيقى والغناء والرقص عام ١٩٩٤ .. وقد عرض هذا الفيلم فى أول عرض له داخل سوق مهرجان «كان»، محاطاً بدعاية ضخمة. وقصة الفيلم كما كتبها المخرج بنفسه .. تحكى عن هذه المؤسسة الفنية الهائلة التى يديرها رجل يملك من القوة ليرفع نجوم الغناء الى قمة الشهرة .. بشرط أن يوقع عقد احتكار

نحن العرب ماذا نفعل إزاء هذه المواجهة الشرسة

شامل، ليس فى الغناء فقط، ولكن فى أن يضع حياته كلها تحت تصرف هذه المؤسسة .. ومن يرفض هذا الشرط عليه أن يتحمل عقاب ومطاردة افراد المؤسسة!

وفى حدود هذه الفكرة نرى شاباً وفتاة يهويان الغناء، ويرتبطان ببعضهما بقصة حب .. ويواجهان هذه المؤسسة .. الفتاة تبهرها الاغراءات والشهرة .. وتوقع على الفور عقد الاحتكار .. أما الشاب فهو يرفض هارباً من القيود .. وتستمر الاحداث داخل إطار من الموسيقى والغناء وتشكيلات الرقص .. وفى جو من الابهار الفنى .. فالصوت مجسم .. والديكورات مثيرة وغريبة كما تصورها الفيلم لنهاية القرن العشرين .. وتصميمات الأزياء أكثر غرابة .!

فكل شىء فى الفيلم مصنوع لخطف الابصار !!

وقد تكلف الفيلم ثمانية ملايين دولار ـ كما أعلن المخرج صاحب شركة الانتاج ـ !!

اما بقية الأفلام .. فلم تتجاوز اقصى ميزانية لفيلم عن ثلاثة ملايين دولار .. وهو ما تكلفه فيلم «دكتور هيكل ومستر هايب» .. والعنوان محور عن «دكتور جيكل ومستر هايد» .. والقصة تتناول نفس الفكرة .. ويلعبها الممثل «أوليفر ريد» حيث يؤدى الشخصيتين، القبيحة، والوسيمة !

ومن بين الافلام .. نجد الممثل الألمانى الشهير «كلاوس كينسكى» يلعب بطولة فيلم «جريمة قتل بالبريد» وهو تقليد لنوعية أفلام الاثارة التى برع فيها هيتشكوك .

وبلغ من ذكاء الشركة، والرغبة فى الانتشار، واجتذاب الفنانين للعمل معها .. انها أوكلت مهمة إخراج أحد افلامها .. الى مخرجة تليفزيون فى لندن «جابريل بيومونت» وأعطتها الفرصة لتخرج أول فيلم سينمائى فى حياتها .. وهكذا قدموا فيلم «المبعوث» الذى صور باكمله فى انجلترا .. وهو من نوعية أفلام الرعب .. وقد ذكرت الارقام أن هذا الفيلم حقق ايرادات بلغت خمسة ملايين دولار خلال ١٢ أسبوعاً فى الولايات المتحدة فقط !

سينما

الزواج على طريقة تل أبيب !

لقطات من فيلم «البحر الأخير»

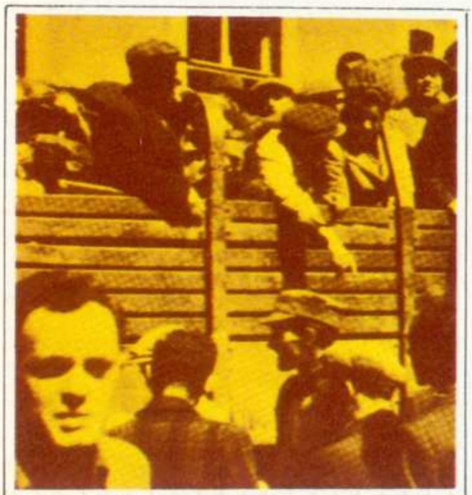

وهكذا يتحركون خارج اسرائيل.

أما فى داخل اسرائيل .. فمركز الفيلم الاسرائيلى يواصل انتاج الافلام بايقاع لا يهدأ .. ولكن نوعية الأفلام هذا العام أقل مستوى من الأعوام الماضية .. ربما لغياب العقل المدبر «المخرج مناحم جولان» فى مهمة خارج البلاد !!

البحر الأخير ..

ومن أبرز الأفلام التى أعلن مركز الفيلم الاسرائيلى عن انتاجها فيلم «البحر الأخير» وهو فيلم تسجيلى طويل يقدم قصة معاناة اليهود الذين تركوا أوربا بعد الحرب العالمية الثانية .. وأخذوا طريقهم إلى أرض اسرائيل .. والفيلم تجميع لأفلام تسجيلية قصيرة صورت فى حينها لهروب اليهود من معسكرات النازى وكيف تخطوا الحواجز الكثيرة وأبحروا فى قوارب صغيرة عبر البحر الأبيض المتوسط حتى وصلوا الى شواطىء (أرض الميعاد) !!

واستخدم الفيلم تسجيلات صوتية لأحاديث مع ١٣٠ شخصاً من الذين مروا بهذه المرحلة !

ومن ذكريات الاضطهاد .. الى اسرائيل المستقبل .. من خلال فيلم تسجيلى آخر عن «مهرجان الأطفال» .. وهو نفس عنوان الفيلم حيث يقدم أطفال اسرائيل وهم يستعدون للمهرجان السنوى لأغانى الاطفال والذى يقام فى تل أبيب ، وتستعد له كل بيوت اسرائيل فيما يشبه العيد السنوى حيث تجرى المسابقات لاختيار الأطفال الذين سيظهرون فى الحفل الختامى للمهرجان .. ويسجل الفيلم رحلة الاعداد لهذا المهرجان خلال العام .. ثم مشاهد حية من المسرح الضخم الذى يستقبل الأطفال .. ولحظات الاثارة والموسيقى والمرح .. وأيضاً لحظات الاحباط وخيبة الأمل . !

ولكن الفيلم فى النهاية .. اعلان كبير عن الجيل القادم فى اسرائيل !!

على طريقة تل أبيب

أما أغرب الأفلام الاسرائيلية الحديثة ، فهو تلك الفيلم المأخوذ عن مسرحية البخيل لموليير .. والذى أعطوه اسم «الزواج على طريقة تل أبيب» وغرابة الفيلم لا تأتى من مستواه الفنى .. فالمستوى ضعيف جداً .. ولكن الغرابة من تقديمهم لشخصية اليهودى البخيل .. فهم يختارون لقصة الفيلم .. هذا الأب التاجر الذى يجمع القرش فوق القرش ويخبىء نقوده داخل احد الأرفف فى دكانه .. ومتعته الكبرى أن يخرج النقود ويتأملها بفرح ويغنى لها ويعدها كل يوم .. ثم يعيدها مرة أخرى الى مكانها وهو يتلفت حوله فى ذعر خوفاً من أن يراه أحد .. ولكن عين صانع القهوة والشاى الذى يأخذ مكانه بجوار دكانه ، تلتقط ذات مرة هذا المشهد .. ولا ينساه . !

فكيف ينسى اليهودى الأصيل منظر النقود ؟!

وهذا التاجر شارف الخمسين من عمره .. أرمل .. وله ابنة وابن .. الابنة لها عشيق تستقبله فى البيت .. والابن عاطل يقضى كل نهاره وليله داخل صالة لعب القمار وبجواره فتاته اللعوب التى وعدها كثيراً بالزواج ..

وهكذا يعيش كل واحد فى عالمه الخاص .. ويفكر الأب التاجر فى الزواج من جديد .. ويتصل بالخاطبة ليطلب منها عروساً تقبل الزواج به ويشترط أن تكون غير طامعة فى نقوده .!

ويعلم صانع القهوة برغبة جاره التاجر ، ويحكى لابنه عن مساعى أبيه مع الخاطبة .. فيفكر الابن للحصول على ثروة أبيه أن يدفع صديقته الفتاة اللعوب لكى تغير من ملابسها وشكلها وأن تبدو كتلميذة المدارس ، خجولة ، ورقيقة .. ثم تعرض نفسها على الخاطبة وتبدى رغبتها فى الزواج من رجل كبير

حتى الممثل الكبير «لورانس أوليفيه» ألبسوه ملابسهم فى الفيلم الجديد «مغنى الجاز»

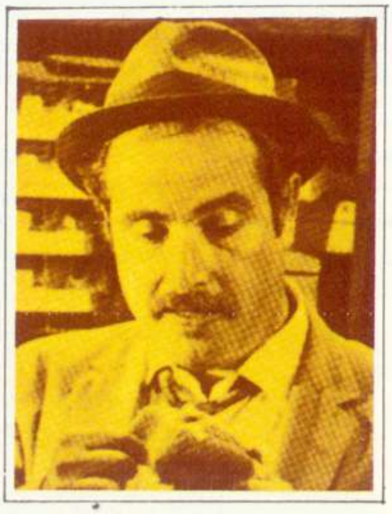

فى السن يضمن لها الاستقرار !

وتتم الخطة .. وتسرع الخاطبة بالاتصال بالأب التاجر الذى يطلب مشاهدة العروس فى إحدى الحدائق ، حتى لا يتورط فى دعوتهم الى مطعم أو مقهى .. !! .. وعندما تعجبه العروس يدعوها مع الخاطبة الى منزله .. ويستعد التاجر لاستقبالهما .. فيسرق الزهور من حديقة جاره .. ويوصى ابنته ألا تبالغ فى الكرم مع ضيوفه .. حتى لا تتعود العروس على هذا .!!

وتأتى العروس مع الخاطبة .. ويسألها التاجر اذا كانت تريد أن تشرب شيئاً .. فترد العروس بخجلها المصطنع أنها لا تريد شيئاً .. وهنا يتهلل وجه التاجر فرحاً ويؤكد أن الحياة ليست طعاماً أو شراباً .. وأنه سيكون سعيداً جداً لو وافقته على هذا المبدأ (!!) وبالطبع تبدى العروس المزيفة موافقتها حتى تتم اللعبة .. وتتكرر اللقاءات الجافة والتى يؤكد فيها التاجر حرصه الشديد على المال .. حتى تورطه الخاطبة أن يقدم لها شيئاً .. فيخرج من جيبه خاتماً من الماس .. وتطير العروس فرحاً من هذه المفاجأة ، وتسرع للقاء صديقها ابن التاجر الذى ما أن يلمح الخاتم حتى يخطفه من أصبعها .. فى نفس اللحظة التى يراقب فيها التاجر خطى عروسه المقبلة .. ويكتشف علاقة ابنه بها .. فيثور فى هياج .. بينما الابن يعرض الخاتم للبيع .. فيفاجأ بأنه خاتم زجاجى لا يساوى شيئاً . !!

وتتأزم الأمور بالنسبة للتاجر عندما تبلغه ابنته انها حامل من صديقها وتريد معونته المالية لكى يتزوجا .. ويرفض الأب بشدة .. فنقوده لا تخرج من مكانها .. ولتذهب ابنته وابنه الى الجحيم !

ويلجأ الابن فى النهاية الى سرقة نقود أبيه .

وما إن يعلم الأب بضياع النقود حتى ينهار ويكاد يموت كمداً .. ويحاول جاره صانع القهوة أن يهدئه فالصحة أهم من النقود .. ولكن الأب يبكى ويلطم وهو يردد بحسرة ان النقود عنده أهم من الصحة !! .. ويعلن فى حالة يأس أنه مستعد أن يفعل أى شىء فى مقابل اعادة نقوده إليه .. وأمام هذا الاعلان يتقدم الابن بشروطه .. زواجه من صديقته .. وزواج أخته من صديقها .. فى مقابل إعادة النقود .. ويوافق الأب التاجر على الفور .. ويسترد انفاسه مع عودة النقود إليه .. ولا يجد بجواره الا الخاطبة التى يعرض عليها الزواج .. فتوافق على الفور ! فمن يفهمه أكثر منها ؟!!

وهكذا ينتهى الفيلم بالزواج الجماعى

واذا كان الفيلم قد عرض لبعض صور التمزق فى البيوت الاسرائيلية .. وانحرافات الشباب .. الا أنه كان صريحاً جداً فى عرض حالة الأب البخيل .. وكأنما يؤكد على الصفة العالمية لبخل اليهود وحرصهم القاتل على النقود .. واستعدادهم أن يفقدوا أى شىء ولا يفقدون مليماً واحداً من ثروتهم !!

والذكاء اليهودى .. بل الخبث والدهاء .. انهم يعرضون عيوبهم الشخصية ولا يستنكرون أن نضحك منها .. أو نضحك عليهم .. بل يروجون للنكتة .. ويدعوننا للضحك كما شئنا .!

وليضحك العالم كما يشاء على بخل اليهود ..

أما اليهود أنفسهم .. فهم يستثمرون هذا لصالحهم .. ليتفرغوا لما هو أهم من مسائل البخل !!

وهكذا يعملون

وهكذا يواجهون العالم ..

امتد تأثيرهم على الصحافة الأوربية والأمريكية .. ثم سيطروا على شركات التليفزيون .. وتدخلوا فى رءوس أموال شركات السينما الكبرى .. والآن يشاركون في الأفلام مع دول كثيرة من العالم .. وينتجون الأفلام داخل اسرائيل .. وداخل أمريكا .

وبالله .. أيها السادة الكرام اصحاب الثروات العربية .. ماذا أنتم فاعلون فى هذه المواجهة الشرسة ؟!

هل ننتظر أكثر ؟!

هل نواصل دهشتنا وحسرتنا ؟!

إن الأمر يبدو هكذا .. للأسف !!

رءوف توفيق

الملاحظ والمهندس

مسرحية جديدة

من فصل واحد

تأليف على سالم

المكان : استراحة العزاب بالقرب من احد المصانع الكبيرة فى صحراء نجع حمادى .
الوقت : بعد الغروب بقليل ..

الغرفة اثاثها بسيط ، سريران صغيران ، قطعة موبيليا تشبه البوفيه ، دولاب صغير ، مائدة صغيرة عليها صينية صغيرة بهـا قلة مـاء ، على الحائط مثبت حوض صغير فوقه صنبور صغير ... مقعدان صغيران .

يدخل المهندس وهو رجل تجاوز الاربعين بقليل . ويتامل الغرفة . من نظراته نعرف انه يدخل الغرفة للمرة الاولى فى حياته .

يحمل حقيبة كبيرة ويضع لفائف ... يخرج من الغرفة ثم يعود ومعه عدة كارتونات وحقيبة اخرى ... يختار احد السريرين ويضع حاجياته فوقه وحوله وبالقرب منه .. يخلع جاكتته ويتكىء على السرير متاملا الغرفة . ينهض ، يمسك القلة ويقترب بها من فمه ... يتردد . يعيدها لمكانها ، يفتح الصنبور .. يتامل المياه . يغلق الصنبور . يخرج « الترمس » من بين حاجياته ويصب لنفسه كوباً يشربه .. ثم يعود لوضعه على السرير .. يشعل سيجارة ويعود لتامل الغرفة .

يدخل الملاحظ ، وهو من النوع الذى لايمكن تحديد عمره بالضبط . اشيب الشعر ، خفيف الحركة من ذلك النوع المبتسم ابتسامة ترحيب دائمة .. يدخل الغرفة مندفعاً ...

الملاحـظ: اهلا.. اهلا.. اهلا وسهلا.. البلد نورت (يقترب من المهندس كانه يريد ان يعانقـه ، المهندس يصافحه بترحيب خفيف)

المهندس : اهلا وسهلا .

الملاحـظ :حمد الله على السلامة .. انا اسف جدا .. الأشارة وصلت لنا متاخرة .. مدير العلاقات كان روح .. فرحت بنفسى المحطة .. للأسف حضرتك كنت مشيت .

المهندس : واحد وصلنى بعربيته .. واحد من ركاب القطر ، كانت بتستناه عربيته اصر يوصلنى .

الملاحـظ: الناس هنا طيبين جداً .. اى مهندس جديد يوصل المصنع .بنطلع نستقبله على المحطة .. كل العمال اللى موش فى الوردية بتطلع تستقبله .. ماتقلقش .. مش هاتحس ابداً إنك غريب ..

المهندس : واضح إنك هنا من مدة طويلة ..

الملاحـظ: من ايام ماكانت المنطقة دى جبل .

المهندس : مهندس قديم ؟ ..

الملاحـظ: ملاحظ .. ملاحظ المكينات .. دبلوم صنايع قديم .. تقدر تعتبرنى خبير فى المكينات اللى هنا .. اعرفها زى ما اعرف نفسى .. اشتركت فى تركيبها فى مصنعين فى افريقيا . وثلاثة فى البلاد العربية .. انا ممكن احضر لك عشاء فى خمس دقايق .. اربع بيضات فى السمن وحتة جبنة بيضا .. عندى كمـــــان زيتون اسود .

المهندس : شكراً .. متشكر قوى .. انا كلت فى القطر (لحظة صمت) .. وجودى معك يزعجك ؟ ..

الملاحـظ: اعوذ بالله . ارجوك .. انا احب الناس قوى .. ياباشمهندس الاوضة اوضتك .. وانا تحت امرك .. انا وام ابراهيم .

المهندس : (ينظر متسائلا) .. ام ابراهيم .. ؟

الملاحـظ: الست المسئوله عن استراحة العزاب هى بتنام بدرى .. بس ست طيبة وخدومة جداً .. إذا ماحبتش تتغدى فى المطعم بتاع المصنع .. مع إنهم بيعملوا اكل كويس قوى .. ممكن ام ابراهيم تعمل لنا اللى عاوزينه .. إفرد واتصرف كانك فى بيتك .

المهندس : متشكر قوى .. انا كمان احب الناس قوى .. واحب العشرة ، وإن كان شكلى مايوحيش بكده .. انا اسف إذا كنت سلمت عليك بفتور شويـة .

الملاحـظ: اعوذ بالله .. السفر طويل متعب .. والانسان لما بيروح مكان جديد بيبقى متخوف ومن الناس اللى فيه .. اطمن .. اطمن قـوى .

(يبدأ الحماس يدب فى اوصال المهندس)

المهندس : الأوضة دى ممكن نعملها روعة .

الملاحـظ: يالله ياخويا .. إيدى على كتفك .. انا نفسى اعملها من زمان (يضحك) ... بس بصراحة ماعرفش تبقى روعة إزاى

المهندس : انا اعـــرف ..

الملاحـظ: إزاى .. ؟

المهندس : الحيطان تتلزق ورق .. تاخد وش زيت وبعدين تتلزق ورق .. الأرض تتفرش موكيت .. الحوض ده يتغير .. يبقى ستانلى ستيل .. بتشرب من الحنفية دى ؟

الملاحـظ: لا .. من القلـة دى ..

المهندس : لكن المية بتجيبها من الحنفية دى ؟

الملاحـظ: طبعـــــاً ..

(المهندس يخرج من حقيبة صغيرة ، جهازاً صغيراً يقوم بتركيبه على الصنبور ثم يفتحه قليلا ويراقب المياه التى تنزل منـه

المهندس : ده فلتر .. ميكرونايت .. بينقى الميه .. هاتشوف الشوائب دلوقت ..

(بعد لحظات يخلع الفلتر ثم يدقه على قطعة ورق بيضاء فوق المائدة) .

الملاحـظ: يانهار اسود .. كل الطين ده فى شوية المايه دول ؟

المهندس : اديك شفت بنفسك ..

الملاحـظ: يعنى انا فى السنين اللى فاتت شربت كمية طين تعمل بيت فى بلدنا. هاهاها

(المهندس لا يستجيب للدعابة .. ووجهه جاد تماماً ، ويعيد تركيب الفلتر ويملأ كوب ماء ويناوله للملاحـــظ)

الملاحـظ: (باستياء) .. ملهاش طعم .. عندى اقتراح تشرب بالفلتر .. وانا اشرب من القلة عادى .. خلاص .. جسمى تعود .. بقيت مدمن لو شربت مايه نقيه ممكن يحصل لي حاجة .. ها ها ..

(يتناول القلة ويشرب منها بتلذذ واضح) (المهندس يقترب بحذر شديد من النافذة وكان شخصاً ما يترصده من خارجها ، الملاحظ يراقبه بدهشـة شديدة)

الملاحـظ: المنظر جميل .. إيه رايك ؟

المهندس : المنطقة دى بتزرع قصب ؟

الملاحـــظ: ايوه ..

المهندس : يبقى حانركب هنا ستارة ثقيلـــة ..

الملاحـــظ: نركب ستارة .. بس ليه تقيلـــة ؟

المهندس : اى حد يستخبى فى القصب ، ممكن يصطاد حد فينا .

(الملاحظ تستولى عليه دهشة مفاجئة)

الملاحـــظ: ماحصلتش قبل كده ...

المهندس : اللى محصلش قبل كده ، ممكن يحصل بعد كده ..

الملاحـــظ: حضرتك ولا مؤاخذة .. عليك دم ،، ؟ .. قصدى مطلوب تار ؟

المهندس : لا ...

الملاحـــظ: ولا انا .. إيه اللي يخليك تفكر إن حد يرقد لنا فى القصب ويصطادنا ،،؟

المهندس : المبنى فيه ناس كتير .. واحد فيهم يكون وراءه تار .. ييجى حد يصطاده ، تيجي طلقة فينا على سبيل الخطا

الملاحـــظ: ده احتمال بعيد قوى .

المهندس : برافو عليك .. احتمال بعيد .. بس قائم

الملاحـــظ: لو ركبنا ستارة تقيلة ، حايبقى الجو حار جداً .

المهندس : ليها حل تانى .. انا عامل حسابى لكل الاحتمالات .

(يخرج جهاز تكييف صغير متنقل ، يوصلـــه بفيشـــة الكهربـــــاء)

المهندس : انا عامل حساب كل حاجـــه .. كل الاحتمالات .

(يخرج مسدسا)

الملاحـــظ: (يتوتر) .. إيه ده ؟

المهندس : ده مسدس بتاعى .. مرخص .. بتعرف تضرب نار ؟ .

الملاحـــظ: لا ...

المهندس : ابقى امرنك .. تسليح شخصى .. اهم حاجة بالنسبة للانسان ، هى امنه الشخصى .. بين المصنع وبين المساكن اثنين كيلو .. ممكن حد يطلع علي .

الملاحـــظ: ماعندناش حد يطلع على حد .. الكلام ده كان زمان قوى .. قبل المصنع مايتبنى والاتنين كيلو اللي بتقول عليهم ، دائماً مليانين ناس .

المهندس : (جاداً وهادئا) .. جايز اتاخر فى المصنع ، وارجع بالليل لوحدى .. فيما يتعلق بامنى الشخصى .. ماافدرش اسيب المسائل سداح مداح .. لابد اعمل حساب كل الاحتمالات .

الملاحـــظ: (يجامله محاولا إخفاء اضطرابه) .. عندك حق ..

(المهندس يخرج رشاشاً صغيراً من حقيبة اخرى وياخذ فى فحصه ، ويستولي فزع شديد على الملاحـــظ)

المهندس : ماقلتليش .. تحب نعمل الارضية موكيت والا سجاد عادى .. ولا مشمع ارضية . فيه مشمعات للارضية شكلها جميل جداً ، والترابيزة ديه تتغير .. نجيب واحده اشيك ونحط عليها زهرية .. ونحط فيها ورد طبيعى

الملاحـــظ: (صامت .. صوته لايكاد يخرج) .. ده ... ده رشـــاش ؟

المهندس : أيوه .. انا اللى عامله .

الملاحـــظ: بحق وحقيق ،، ؟

المهندس : طبعاً ..

الملاحـــظ: يعنى بيرش ،،؟ قصدى .. بيضرب .. ويطلع رصاص ويمو ت،؟

المهندس : طبعاً .. مرخص (لحظات صمت ثم يتساءل برقة) .. فيه جنبنا مشاتل زهور ، ؟ اصل ماحبش الورد الصناعى (يشم هواء الغرفة) .. إيه رايك .. الجو فى الاوضة بقى الطف .. هو صحيح جهاز التكييف صغير .. بس فعـــــال .

(المهندس يسعل ثم يتنحنح بشدة كما لو أن هناك شيئاً يسد زوره) .

الملاحـــظ: حضرتك هاتروح المصنع ومعك الرشاش والمسدس ؟ .

المهندس : طبعاً لا .. هايبقى منظرى بايخ قوى .. هاكتفى بالمسدس.

الملاحـــظ: امال الرشاش هاتعمل بيه إيه ؟ ..

المهندس : لو طلع علي ..

الملاحـــظ: (يقاطعه بعصبية) .. ماانت معاك المسدس .. احنا اتفقنا ، لوطلع عليك حد ، هاتستخدم المسدس .

المهندس : ده لو طلع علي واحد او اثنين .. لو طلع اكثر من كده .. مااقدرش اواجههم بالمسدس.

الملاحـــظ: .. اه .. عصابة يعنى .. والعصابة دى هاتطلع عليك فين ،، ؟

المهندس : الاسبوع اللى فات عصابة هاجمت قطر الصعيد .

(الملاحـــظ لايدرى ماذا يقول)

الملاحـــظ: يعنى الرشاش ده هاتستخدمه فى حالة السفر ..

المهندس : أو الحالات المشابهة .. لما اكون بعيد عن هنا .. فى رحلة صيد مثلا .. قلت لك فيما يتعلق بامنى الشخصى ... مااقدرش اسيب حاجة للظروف .. انا ما احبش المفاجات .

(يخرج لفافة طويلة)

الملاحـــظ: وده ايه كمان .. مدفع مضاد للطيارات ولا غواصة

المهندس : لا .. دى بندقية خرطوش عشان الصيد ..

الملاحـــظ: الحمد لله .. اخيرا لقينا حاجة مالهاش علاقة بامنك الشخصى ..

المهندس : بس ليها استخدام ثانى .. بحركة صغيرة ممكن يتركب لها تليسكوب وتضرب رصاص عليه .

الملاحـــظ: الله يطمنك .. وطبعاً تلاقيك عامل حسابك على الاحتمالات الثانية ..

المهندس : زى إيـــه ،، ؟

الملاحـــظ: (وكانه يريد إفزاعه) .. يعنى .. فيه احتمالات كتير قوى .

المهندس : زى إيـــه ؟

الملاحـــظ: هاتكتشفها بنفسك ..

المهندس : (وقد بدا يضطرب .. ارجوك اتكلم قل لي انت .. بقى لك هنا كتير وعارف كل

الملاحظ والمهندس

حاجة .. إيه الاحتمالات الثانية ؟ .. ملتخبيش عنى حاجة .. إحنا أصدقاء ودلوقت إحنا اهل .

الملاحـــظ: هو احتمال بعيد شوية .. يعنى ممكن وانت راجع بالليل من المصنع ..

المهندس : أيوه ..

الملاحـــظ: يطلع عليك الأسطول السادس ، الفرقة الامريكية المحمولة جواً .. الجندى الروسى يدخل عليك بالمدرعات .

المهندس : لا انت بتهزر .. دى فرضيات خاطئة .. قل لي إنت متصور إنى بيالغ شوية ؟ .

الملاحـــظ: بتبالغ كثير.. كثير قوى .

المهندس : إنت شخص مهمل .. سايب امنك الشخصى ..

الملاحـــظ: انا سايبها على ربنا سبحانه وتعالى .. وربك هو الستار .

المهندس : هو ده اللي انا باعمله بالضبط .. احصن نفسى ضد كل الاحتمالات .. وأسيب الباقى على ربنا .. كلمنى عن المصنـــع .

الملاحـــظ: كويس ..

(المهندس يتحسس المرتبة القطن)

المهندس : بتستريح على المراتب القطن دى ..

الملاحـــظ: ايوة ..

المهندس : فيه مراتب شيك قوى .. متنجده جاهزة .

(يفتح الدولاب ، يلقى عليه نظرات سريعة .. يفتح ادراج البوفيه ، الملاحظ يراقبه وقد بدأ يستشعر انه مقبل على متاعب غامضة)

الملاحـــظ: (محاولا الاحتفاظ برقة الترهيب فى صوته) .. ممكن نقسم الأدراج .. حضرتك تاخد درجين .. وانا درجين .. او خُد ثلاثة وانا واحد ..أو خدهم كلهم

(المهندس يخرج شوكة وسكين وملعقة)

المهندس : بتاكل بالشوكة والسكينة .. ؟

الملاحـــظ: احيانا ..

المهندس : إنت إنسان متحضر ..

الملاحـــظ: متشكر ..

المهندس : عاوزين نرتب كل حاجة .. الشوك والسكاكين تتحط فى الدرج الأولانى .

الملاحـــظ: موافق .. مش حانختلف ياباشمهندس

المهندس : بس حانركب كالون زيادة .. يبقى فيه مفتاحين .. مفتاح معاك ومفتاح معايا أى حد يحتاج السكينة .. يبقى لازم الاثنين نفتح الدرج سوا ..

(لحظات صمت طويلة)

الملاحـــظ: مافيش داعى .. فى حل اسهل .. اهو ..

(يمسك بالسكاكين والشوك والملاعق ويلقى بها من النافـذة)

الملاحـــظ: إرتحت دلوقت .. ؟

المهندس : زعلـت ؟

الملاحـــظ: هازعل من إيه .. حضرتك متصور إنى ممكن اقوم عليك بالليل ادبحك بالسكينة ولا بالشوكة .

المهندس : حصلت قبل كده ..

الملاحـــظ: فين ؟

المهندس : فى قرية صغيرة فى فيلادليفيا .. فى سبتمبر سنة ١٩٣٣ (يخرج كتابا) والمرجع اهو .. اقراه بنفسك ..

الملاحـــظ: وأموتك ليه ..؟ فيه بينى وبينك حاجة؟

المهندس : ممكن تستاء منى وبعدين يتزايد

استياءك .. ويتحول لحقد .. حقد يعمى قلبك .. ويشل عقلك .

الملاحـظ: (باستياء شديد) .. هاستاء منك ليه ..؟

المهندس : بذمتك .. انت موش مستاء منى دلوقت

الملاحـظ: بصراحة .. انا مستاء فعلا . بس استياء خفيف .. خفيف جداً ؟

المهندس : الحقد اللى بيدفع للقتل .. بيبقى فى الأول استياء خفيف جداً .

(يخرج كتابا آخر)

المهندس : اقرا صفحة ٤٥ ، السطر العاشر .

الملاحـظ: انا أسف جداً .. فقدت اعصابى بدون مبرر .. ننسى كل اللى فات .. نبتدى من جديد .. كل إنسان حر فى الطريقة اللى عاوز يعيش بيها .. حضرتك حر ..

المهندس : تكره إنى أحمى نفسى ..؟

الملاحـظ: لا طبعاً ..

المهندس : خلاص ماتضايقش .

الملاحـظ: (يحاول استعادة مرحه) .. صدقنى موش متضايق .. انا عندى كوتشينة .. كوتشينة ورق .. يعنى ماينفعش يتعمل بيها حاجه غير انه يتلعب بيها هيـه .. هانعمل فى الأوضة إيه كمان .. ؟ ..

المهندس : موش فاهم .

الملاحـظ: لا انا باهزر .

المهندس : ماحبش الهزار ..

الملاحـظ: انا أسف .. مش باهزر ، بانكت ..

المهندس : الموقف مايحتملش نكت ..

الملاحـظ: هي مش نكت قوى يعنى .. هى مزح .. يعنى قصدى أقول إن الأوضة ناقصها شوية حاجات .

المهندس : فعلا .. هانعمل على الحيطـة دى مكتبة بسيطة .. مجرد رفوف .

الملاحـظ: جميـل .

المهندس : بتقرا بالليل ؟

الملاحـظ: طبعـاً .

المهندس : معايا اباجورات صغيرة .. هاحط لك واحدة جنب السرير بتاعك وواحدة جنب السرير بتاعى .. مافيش حـد هايزعج الثانى .

الملاحـظ: جميل .. حانبتدى نتفق ...

(المهندس يخرج بضعة اطباق صغيرة من أحـد الأدراج ..)

المهندس : الأطباق دى بتاعتك ؟

الملاحـظ: انا لي طبق واحد .. الباقى بتوع أم ابراهيم عهدة الاستراحـة .

المهندس : أطباق رديئة .. واخده مكان على الفاضى .

(الملاحظ يستبعد منها طبقاً واحداً ويحملها

الملاحظ والمهندس

ويخرج بها من الغرفة ثم يعود على الفور)

الملاحـظ: حطيتهم بره فى الصالة .. الصبح تاخدهم .

(المهندس يمسك بالقلة مسكة معينة كما لو كان يجرب انها من الممكن ان تصلح كسلاح .. والملاحظ ياخذها على الفور)

الملاحـظ: انا شايف كمان إن القلة شكلها مش حلو.. يعنى ماتنفعش على شكل الأوضة .

(يخرجها خارج الغرفة ثم يعود)

المهندس : فيه ثلاجة صغيرة وشيك قوى .. شحنتها .. هاتوصلنا بكره .. مش ها تحتاج للقلة .

(يخرج الطبق الذى سبق ان اخفاه) الملاحـــظ .)

المهندس : الطبق ده إيـــه ؟

الملاحـظ: ده بتاعى ..

المهندس : محتاجه قوى ..؟

الملاحـظ: مش محتاجه قوى ... بس معتز به قـــوى .

المهندس : بتستعملـــه ..؟

الملاحـظ: احيانا ..

المهندس : فيه اطباق ميلامين اجمل بكتير .. منقوشة .. وشكلها حلو .. وتعيش سنين مايجرلهاش حاجة ... ده ممكن يقع ينكسر ..

(يخطف منه الطبق فى رقة بعد ان شك فى نوايـــــاه)

الملاحـظ: ارجوك .. الطبق ده عزيز علي قوى.

المهندس : طبق عـــادى .. مش تحفة يعـــنى .

(يحاول صرفه عن التفكير فى الطبق)

الملاحـظ: ذكريات .. (يضع الطبق تحت السرير) ... ذكريات .. من عشر سنين رحت البيت لقيت مراتى خدت العفش كله وسابت لي الطبق ده .. هاها .. احتفظت بيه ارجوك .. سيبهولى .. انا وافقتك على كل طلباتك علشان امنك الشخصى .. الطبق ده مضايقك فى إيـــه ..؟ (يحاول صرفه عن التفكير فى الطبق) .. جهاز التكييف ده خرافه ... الأودة تحولت الى مصيف (يشم هـــواء الغرفـــة منتعشـــــا) .. الله بالطريقة دى الواحد لازم يتغطى بالليل وهو نايم .. بس ارجوك اوعى تقول لحد من زمايلنا ... كلهم هاييجوا يسهروا عندنا هنا ..

(المهندس ينظر له طويلا .. نظرة جامدة)

الملاحـظ: إيـــه ..؟

المهندس : حطيت الطبق تحت السرير ليـــه ..

الملاحـظ: ممكن تحطه فى اى حته تانيـــة .. مش هايقول لا ...

المهندس : (بشك) .. حطيته تحت السرير علشان يبقى فى متناول إيـدك .

الملاحـظ: (وقد فقد اعصابه تماما) .. مش ممكن ... مستحيل .. ده زى مايكون بيقول موتنى من فضلك .. ودلوقت انا بدأت افهم بعض الناس بيتحولوا قتلة إزاى .. آلة حادة .. ده ممكن ؟ .. ده طبق .. ده طبق .. طبق مسكين .. طبق برىء .

المهندس : أهو الطبق البرىء ده ، ممكن فى لحظة يتحول لسلاح قاتل .

الملاحـظ: (مهتاجا) .. إزاى بس .. فهمنى .. افهم إزاى ..

(قبل ان يتنبه الملاحظ ، المهندس بسرعة شديدة يسحب الطبق من تحت السرير ويكسره ويحتفظ بقطعة منه فى يده)

المهندس : ده مايرعبش .. (يخرج كتابا) .. اتفضل اقرا .. صفحة ٧٨ واحد يوم اثنين فى سان فرانسيسكو .. فـــى يونيو ١٩٠٤ .

الملاحـظ: (هامسا فى تعاسة شديدة) .. كـــان ممكن افهم من غير ماتكسره .

المهندس : انا آسف ..

(الملاحظ يجلس راسه بين كفيه وقد استولت عليه حالة شديدة من التعاسة)

المهندس : (محاولا التودد إليه) .. تحب نعمـــل فى الأوضة إيه كمان .. ماقلتـــش الأرضية حتى موكيت ولا شمع ؟

(الملاحظ لايرد .. يمسك ببقايا الطبق .. يحاول ان يضمها الى بعضها البعض)

الملاحـظ: (رنة غريبة فى صوتة ، يهمس فـــى حزن) ... سعدت جداً لما عرفت إنك هاتشتغل معانا .. وسعدت اكتر لمـــا قالوا إنك هاتعيش معانا .. قلت يمكن اتعلم منك حاجة . حاولت اعرف عنك كل حاجة .. فيه بعض الناس هـــنا تعرفك . سالت مدير شئون العامليـــن إدانى الملف بتاعك اللى وصل قبلك .. قريته .. متفوق .. واتضح إنك متفوق .. جاد .. حريص .. عندك شعور قوى جداً بالأهمية ... لكن الظاهر الآن إن المشاعر مالهاش اى اهمية عندك .

المهندس : بدأت تكرهنى ..

الملاحـظ: .. طبعاً لازم تفهم نفسك كده .. علشان ضميرك يستريح ... إحساس مريـــح جداً إن الآخرين بيكرهوك .. علشان تكرههم وانت مستريح .. وبعدين تدى لنفسك الحق انك تعتدى عليهم .. انت واقف تنادى فى الشارع ... ! يااستاذ ... إنت ياافندى ياللى واقف فى البلكونة .. بتكرهنى ؟ .. أوعـــى تكرهنى . متهيالي إنك بتكرهنى .. .. هه .. بتقول إيه ؟ .. بتحبنى ؟.. كدب .. غير حقيقى دانت بتكرهنى لدرجة الحب .. اسمح لي ياباشمهندس اضايقك شوية .. أنـــا باكرهك .

(الملاحظ يمد يده تحت المخدة ليحضر شيئا ، والمهندس هو الآخر يسحب مسدسه من تحت المخـــدة)

الملاحـظ: تاخد سيجارة ..؟ ..

المهندس : شكـراً .

(يعيد المسدس تحت المخدة)

المهندس : إذا كنت قريت الملف بتاعى ... يبقى لازم تغفرلي ... طول عمرى وانا باقابل متاعب ...

الملاحـظ: الظاهر انك سعيد بها جدا .. كل البنى آدمين قابلت وهاتقابل نفس المتاعب .. بس حضرتك حاطط نفسك فوق البشر .. وهى دى ماساتك .. عن إذنك .

المهندس : هاتروح فين ؟ ..

الملاحـظ: هاخرج اتمشى اشم شوية هوا ..

المهندس : اخـرج معـــاك ..

الملاحـظ: لا ...

المهندس : ليـــه ؟ ..

الملاحـظ: لانك مش عاوز تتمشى .. إنت متصور إنى هاخرج اتامر عليك ..

المهندس : احتمـــال ..

الملاحـظ: يعنى إيه ..؟ مش من حقى اخرج لوحدى ..؟ انا محبوس هنا ..؟ .

المهندس : لا .. بس ابقى عارف إنت رايح فين .. ده حقى وحقك ... من حقك إنت كمان تعرف انا رايح فين وباعمل إيه .. إحنا عايشين فى سكن واحد ... يعنى أهل .. شوف كل حقوقى ، وحتبقى هى نفسها كل حقوقك .. انا غلطان ..؟ ..

الملاحـظ: لا طبعا .. فيه حد يبقى مسلح التسليح ده كله ويبقى غلطان ..؟ ..

(يقترب من النافذة ويفتحها ثم يصرخ بأعلى صوته ..)

الملاحظ: ام ابراهيم ...

(لا احد يرد)

المهندس : الظاهر نوءها تقيل قوى .. عاوز منها حاجة ..؟

الملاحظ: كنت عاوزها تحضر لنا حاجات معينة على الفطار .

المهندس : ممكن نبقى نركب عندها جرس بزرارين .. زرار عندك وزرار عندى ... لما نحتاج لها نضرب لها جرس .

(الملاحظ ياخذ فى خلع ملابسه وارتداء البيجاما)

الملاحظ: تحب نركب فى الأوضة ستارة فى النص عشان تحس بحريتك فى النص بتاعك .

(المهندس هو الآخر يبدأ فى خلع حذائه)

المهندس : لا طبعاً .. مش عاوزين نحس بالانفصال عن بعض .. الشعور بالغربة والانفصال خطر .

الملاحظ: انا باقول يعنى علشان تاخد حريتك .

المهندس : انت لما هتفهمنى حتحبنى قوى ..

الملاحظ: إن شاء الله .. تصبح على خير ..

المهندس : وانت من أهله ..

(الملاحظ يلتفت لشىء ما فى آخر الغرفة ، بهدوء ينحنى ويتناول شبشباً ثم يقفز قفزة طويلة ويضرب شيئا .. فى نفس اللحظة يكون المهندس قد اختطف مسدسه وشهره فى اتجاه الملاحظ وهو يطلق صيحة عالية .)

المهندس : إيه ده ..؟

الملاحظ: عقربه ..

(المهندس يقترب منها بحذر ومعه مسدسه)

المهندس : سامة ..؟

الملاحظ: قوى .. سامة جداً ..

المهندس : يعنى ، لو قرصت حد .. تموته ..؟

الملاحظ: فى دقايق .. بس مش اى حد .. اهل المنطقة هنا واخدين عليها .. انا شخصياً اتلدعت منها كتير ...

(لحظة صمت بينما المهندس يحدق فى جثة العقربة فى رعب) .. حاجة غريبة .. اخر مرة ظهرت من خمس سنين .. جت إزاى دى ؟ .. (لحظة) .. آه جهاز التكييف ..

المهندس : جهاز التكييف ؟

الملاحظ : ده التفسير الوحيد .. رطب الأودة قوى .. جت على الرطوبة ..

(المهندس يخلع فيشة جهاز التكييف على الفور)

الملاحظ: هانضطر نفتح الشباك .. ماتخافش .. لما الحتة اللى قدامنا تتزرع قصب .. نبقى نقفله ..

(يفتح النافذة ، يشعل عود ثقاب ثم يحرق به جثة العقربة ، ويتناولها بورقة ثم يلقى بها من النافذه

المهندس : والواحد يدافع عن نفسه إزاى ..؟

الملاحظ: زى ماحضرتك شفت .. بالشبشب .

المهندس : بالشبشب ..؟

الملاحظ: أو بالجزمة .. أو بالقبقاب دى الأسلحة الفعالة ..

المهندس : الكلام ده لو شفتها .. ممكن ماشوفهاش .. واتلدع ..

الملاحظ: احتمال .. نرجع بقى لعلم الاحتمالات اللى كنت بتتكلم عنه ..

المهندس : أيوه ..

الملاحظ: خليك حريص .. قبل ماتلبس الجزمة لازم تفحصها .. قبل ماتنام وتفحص الملاية وتشوف تحت السرير وتحت المخدة..والصبح تفتش الحوض كويس وحوالين الحنفية .. وربك هو الستار .

المهندس : مفيش فى مكتبة المصنع مراجع ودراسات عن كيفية مقاومتها ؟ .

الملاحظ: المصل موجود فى الوحدة العلاجية .. على بعد سته كيلو ..

المهندس : وعلى ما الواحد يروح الوحدة الطبية يكون خلص ..

الملاحظ: (وهو يتثاءب) .. احتمال .. بس زى ما قلت لحضرتك .. ربك هو الستار .

المهندس : لازم نعمل هنا اجزاخانة .. ونحط فيها مصل ..

الملاحظ: (وقد بدأ يستولى عليه النوم فعلا) ... مش شايف انها هاتبقى غريبة شوية ... أصل الأوضة دى هاتبقى روعة ... هايبقى شكلها وحش لما نحط فيها اجزاخانة ... على العموم مش مشكلة .. نبقى نغطيها بشوية ورد وشوية ورق شجر ... (يتثاءب) .. تصبح على خير .. لو احتجت حاجة صحينى .. (ينام ، تمر لحظات ، يفتح عينيه مرة اخرى) .. انا من رايي نعمل الأرضية مشمع . (يغمض عينيه وينام) .

المهندس يجلس على سريره ، يرفع المخدة بحذر ويلاحظ ملاحتها ، ينقل بصره بين الجدران .. ينحنى تحت السرير ويراقب أسفله ، يعود بسرعة لأمتعته ويخرج مصباحاً كهربائياً صغيراً يمسكه بيده اليسرى ، وباليمنى يمسك المسدس .. يتذكر شيئا ، يترك المسدس ويمسك فردة شبشب بدلا منه ، يبحث جيداً تحت السرير .. يجلس ليلاحق انفاسه .. ينظر حوله ببطء فى دائرة كاملة .. يقفز فجاة واقفا .. يراقب مقعداً صغيرا .. يمسك بمسدسه فى يد والرشاش فى اليد الأخرى . يصعد على المقعد ويلتقط فردة الشبشب . الآن هو يقف على المقعد ، والمسدس فى يد ، والشبشب والرشاش فى اليد الأخرى ، عيناه تمسحان كل ركن فى الغرفة فى حذر وقلق وجد .. الملاحظ الذى استغرق فى النوم تماماً يعلو شخيره .. طويلا .. منتظما ... متقطعاً ... الى أن تنزل الستار ..

على سالم

صـــلاح احمد حسن

رسوم : علـى ديـــاب

مواقــــف

● جاء شحاذ ضرير الى حيث وقف القطار ولانه كان لا يرى ، وقف أمام القاطرة والح في السؤال •

ولانه كان لا يرى، دهسته القاطرة•

أحس ألما فجائيا وعارما ظن انه الجوع •

ضرب بعصاه الحديد بقوة •• عل احدا يسمعه •• يضع في آنيته شيئا يسد رمقه •

● كنا نعيش بقرية نائية وكنت صغيرا آنذاك •

وعدني أبي قطارا صغيرا •

عندما ذهبت الى محطة السكة الحديدية لاول مرة ، كانت القاطرات تقف بلا عدد •

اخترت اصغرها •

أخـذت فيهـا مقعـد السـائق ، وبعـد قليـل كنت أقودهـا كـان ذلك شيئا سهلا ، فقد كان لها خطان حديديان لا تخرج عنهما أبدا •

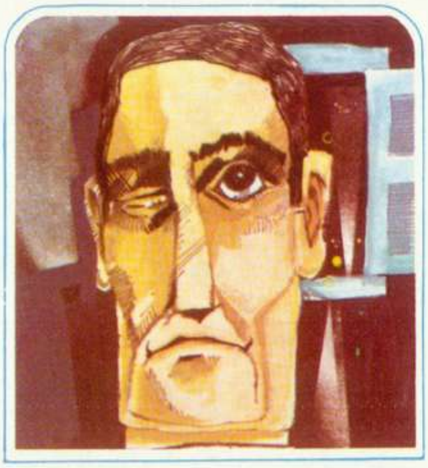

● كان غريبا في هذه البلدة النائية وكان متعبا • قرر ــ لضجره بالمكان ــ ان يرحل سريعا •

(القطار كان هو الوسيلة الوحيدة لذلك •)

نظر فاذا الخطان الحديديان يلتقيان في نقطة عند الافق • اخذ مقعده بين المسافرين وعندمـا تحـرك القطار ، اغمض عينا •• وظلت عينه الاخرى مشبوحة •

● كان الوقت أصيلا وكنت اتنزه في الخلاء عندما ابصرت جدارا عملاقا وبعرض الأفق •

كان للجدار باب وحارس •

ــ «هل تسمح لي بالدخول والخروج متى شئت ؟»

ــ «الامر كله متوقف عليك • »

ما ان دخلت حتى اختفى البـاب والحارس وبقي الجدار •

لم يكن هناك أمامي سوى الافق ، والشمس التي ظلت تغوص فيـه باصرار •

● أرسل مبارك الذي كان يدرس الحقوق بجامعة كيمبردج الى ابيه خطابا جاء فيه : «لقد قررت الزواج من ابنة عمي سعاد • ارجو اجـراء اللازم وارسالها بأول طائرة» •

وارسلت له سعاد المندهشة تسبقها برقية لم يستلمها لانشغاله بالامتحانات•

عندما لم تجده سعاد بالمطار ، كان عليها ان تستقل المترو حتى ليفربول ستريت ومن هناك استقلت القطار حتى كيمبردج •

دوى ــ دون مناسبة ظاهرة ــ صوت عجلات القطار في اذنيها بعد عام عندما كانت تضع مولودها الاول •

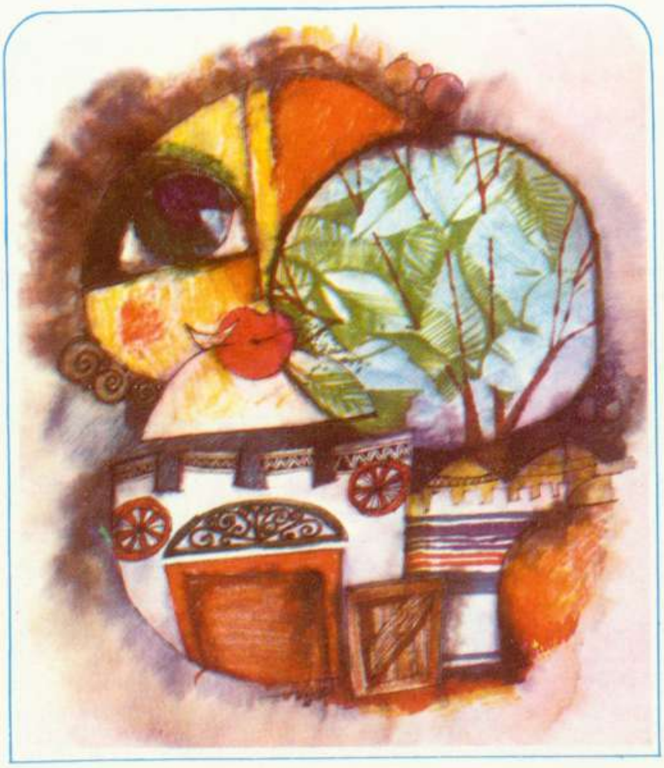

● قال الاول :

«زرع أبي قمحا • وتعهده بالسقيا على مدار العام •كثرة السقيا قتلت ابي ، وما نبت القمح •

«في العام الذي يليه نبشنا الارض فاذا الذي زرع أبي لم يكن قمحا • كان قلبه ••• زرع أبي قلبه • »

قال الثاني :

«زرعت حبيبتي قلبها •

انبت قلب حبيبتي قمحا • »

● هذا أسبوعه الاول بموسكو • كان غريبا ، تائها وخجلا •

وعندما قادته قدماه الى حانة اكتظت بالعواجيز ، جلس قصيا • من حيث لايدري جلست اليه عجوز وظلت تتحدث اليه ثم انتزعته من مكانه وبرغمه جعلت تراقصه •

ما مر يومان حتى التقاها بمتجر احذية • تهللت أساريره ، أسرع اليها الخطى وهتف : « كاكديلا •• » « كاكديلا •• » أجابته بأدب ••

وراحت تجرب حذاء جديدا •

● كان يافعا وكان محبا نبيلا •

قرر ان يهدي حبيبته تذكارا •

وقف أمامها بخشوع الحب كما ينبغي اخرج خنجرا شق به صدره وانتزع بذات يده قلبه وقدمه لها •

سقطت مغشيا عليها ••

● عندما وقف بباب السجن ، ملأ رئيته بهواء الحرية التي حرم منها عشرين سنة •

ولدهشته ، شعر بالخوف قليلا أو كثيرا أسند رأسه الى الحائط الحجري المنيع واحس ببعض الاطمئنان •

● يوماً احاول ـ كلما وقفت بحضرة حبيبتي ـ ان اقلد الآخرين اذا ما وقفوا بحضرات حبيباتهم •

تعلمت بعد جهد كيف امامها اسبل جفني واخفض صوتي الى حد الهمس فلا أنا اراها ولا هي تسمعني •

ذياك هو الحب العظيم •

قالت يوما : « اني لا أسمعك • »

قلت : « وانا لا اراك • »

لسبب لم افهمه كان علينا الاثنين ان ننحني •• فعلنا ذلك •

وصفق الجمهور طويلا •

● ضرب في الصحراء تائها وكان عطشا • مرتان خدعه السراب •

وعندما بلغ نبعماء حقيقي ، اشاح بوجههوابتعد مسرعا •

● عندما قال الحجاج بن يوسف فيالبتراء : «اني ارىرؤوسا قد أينعت وحان قطافها واني لصاحبها • » تمتم احد المستمعين لنفسه : «عنب ؟» •

صلاح حسن احمد

أزمــة الفـــن التشـــكيـــلى فـــى العـــالم العـــربى

الفنان والجمهور

جمـــال قطـــب

لاشك أن هناك ازمة حقيقية تعانى منها الفنون التشكيلية فى وطننا العربى والتغاضى عن هذه الهوة التى تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم بين الفنان والجمهور ، يعتبر مساهمة ايجابية فى انفصام عرى التفاعل بين الفنان ورسالته من جهة ، وبين استيعاب الاجيال الناشئة لهذا الفن الرفيع من جهة اخرى .

ورغم النشاطات الفردية والتنظيمات المحدودة العاملة فى هذا الميدان ، الا ان شيئاً ما ليس فى موضعه ، ويتطلب منا المزيد من الجهد والمثابرة لاعادته الى مكانه الصحيح . والمشاهد لجمهور معارضنا الفنية النادرة ، يمكنه على الفور أن يحصر القلة الضئيلة التى تهتم بالفن التشكيلى عندنا ، واذا استثنينا الفنانين انفسهم ، وبعض النقاد والمثقفين ثقافة خاصة ، لأصبح باقى رواد هذه المعارض مجرد مجموعة من المتفرجين على صور ومجسمات لا يدركون ابعادها الحسية ولا فحواها ومرماها !

وقد يقال ان الفن التشكيلى بطبيعته ذو شعبية ضعيفة اذا ما قو ن بباقى فروع الفنون الأخرى كالأدب والسينما والمسرح وغيرها ، ولكن هناك حقيقة واقعة ، وهى أن الفنون بشتى تخصصاتها لا تعدو أن تكون أكثر من روافد لمنهل واحد تغذى بعضها البعض وان اختلفت فى شعبيتها ومدى تأثيرها والتقائها بالجماهير وأسس ووسائل هذا الالتقاء ، والدليل على ذلك ما نراه فى البلاد المتقدمة من تلاحم الفنون التشكيلية بالجماهير وبالقنوات الثقافية الأخرى .. هذا التلاحم الذى يرتفع بمستواها ويدعمها يوماً بعد يوم ، مما جعل الفنان قائداً يتربع على عرش الريادة الفكرية فى مسيرة الحضارة المعاصرة .

ولعل هذه الهوة بين الفنان والجمهور فى بلادنا ، تعتبر المحور الرئيسى للازمة الراهنة ، وتتفرع منها مختلف المظاهر الأخرى من تقوقع الفنان وانغلاقه على ذاته ، ومن هبوط مستواه المادى .. وشعوره بالمرارة لعدم وجود المشجع لفنه كمستهلك منظم لانتاجه ، مما أسفر عنه تباعد الفن التشكيلى عن باقى الفنون ، وبالتالى لم تكترث الجهات المسئولة برصد الامكانيات الملائمة للنهوض به ، وهم يحسون بمدى انصراف الجماهير عن هذا الابداع العريق .

واخطر نتيجة لهذه العزلة عن الجمهور ومسيرته الحضارية ، تتصل بالفنان ذاته وبقدرته على الابتكار والتطور ، لأن المنطق ، والبديهية التى لاتقبل جدلا ، هو أن الفنان — أى فنان — ينتج فنه لجمهور ما . ومهما اختلفت الطرز والمذاهب الفنية ، وتناقضت النظريات الجمالية والفلسفية ، وتفاوتت المقدرة على الرؤية والاستيعاب ، فستظل هذه البديهية هى القاعدة التى تحكم الابداع فى كل زمان ومكان . فالفنان الذى يعبر بصدق عن احاسيسه وانفعالاته وافكاره ، يصل الى قمة سعادته عندما يحظى بالاستجابة الجماهيرية الواسعة لفنه ، وتتردد أصداء إبداعه فى بصائر مواطنيه الذين يتفاعل معهم ويستلهم منهم افكاره الواعية !

أى أن الفن ، والفنان ، والجمهور ، مراكز ثلاثة تنتظم على محيط دائرة واحدة ، واختفاء أو نقص واحد من هذه المراكز يعنى انقطاع التيار الفنى .

وقد يشير البعض الى عباقرة التاريخ الذين سبقت اشعاعاتهم الملهمة ازمانهم التى يعيشون فيها ، ولم يلاقوا فى حياتهم الاستجابة الكاملة من جمهور معاصريهم ، بل ربما جابهوا معارضة وإعراضاً وهجوماً ، وربما مرت سنوات على رحيلهم قبل أن تتم الاستجابة الحقيقية لأعمالهم !

ونحن لا ننكر هذه الظاهرة .. ليس فى مجال الفن التشكيلى وحده بل فى كل نواحى الحياة الفكرية الأخرى .. وهؤلاء كانوا قلة من الرواد الذين وهبوا حياتهم لخدمة ما آمنوا به من الأفكار المستقبلية السامية ، ووجدوا العزاء فى اعتقادهم الراسخ بالسبق والخلود ، وكانت تحركهم عوامل نفسية معينة لا يقدر عليها إلا الأفذاذ .. وهم الذين أضاءوا لنا طـرق البحث الفنى وأرسوا قواعد الحياة الفكرية المعاصرة . كما حدث لقادة المدرسة التأثيرية فى منتصف القرن الماضى ، والمدرسة الوحشية فى أواخره ، والدادية والسيريالية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

وأعتقد انه مما لا يقبله عقل ، أن نعتبر كافة العاملين فى مجال الفنون التشكيلية عندنا فى عداد هؤلاء القادة العظام !

العزلة والفنان

ولعل اقسى ما يشعر به الفنان هو إحساسه بالعزلة فى عالم اليوم الزاخر بالحركة والجموع الحاشدة فى شتى مجالات المعرفة ! ومن المؤسف ان هذا

فنوننا فقدت ـ أو كادت ـ

أهم مقوماتها وهى التعبير عن آلامنا وآمالنا

وتعميق شعورنا بالانتماء والأصالة

الفنان بطبيعته يستمد وجوده كمبدع من تأثره بمواطنيه وبمدى تأثيره عليهم

الوضع يزداد حدة عاماً بعد عام ، ويرسب فى وعى الفنان احساس مرير بكونه عضواً لا يحظى بالمكانة الملائمة فى كيان مجتمعه ، ويحدث هذا فى عالمنا العربى فى وقت نعيش فيه عالة على نتاج غيرنا فى كل متطلبات الحياة تقريباً ، واخطر ما فى الأمر اننا نستورد كذلك ثقافتنا وأذواقنا حتى وجدنا انفسنا منساقين طواعية الى أن نرى ببصر الأجنبى ونحس ببصيرته ! وفقدت فنوننا ـ أو كادت ـ اهم مقوماتها وهى التعبير عن آلامنا وآمالنا وتعميق شعورنا بالانتماء والأصالة والتراث !

وكانت النتيجة الحتمية لهذه الاستكانة للسيطرة الأجنبية الجارفة ، أن فسدت الأذواق وضلت طريقها فى متاهات الخلط بين الغث والثمين ، ولم نكن مسلحين بالثقافة الفنية الواعية ، ولم ندرب بصيرتنا على التمييز بين القيم الجمالية الفنية ، والابهار الشكلى الرخيص . وبين هذا وذاك ، انطمس الفنان العربى تحت وطأة العفوية والسطحية ومظاهر التحضر الجوفاء ، وازداد انعزالا فى مرسمه ، اتقاء من سطوة أعاصير الغرب العاتية !

يحدث هذا رغم تضاعف عدد الأفواج التى تخرجها معاهدنا الفنية عاماً بعد عام ، وكذلك بالرغم من وصول الفن التشكيلى الى كثير من مجالات الانتاج التى لم يطرقها من قبل كالصحافة والكتاب والتليفزيون والسينما ، وكلها وسائل جماهيرية كان من المفترض ان تساعد الفنان على اجتياز هذه الهوة بينه وبين الجمهور ..

وان النجاحات الفردية فى تلك المجالات ليست محل اعتبارنا إزاء التقييم الشامل لوضع يزداد تدهوراً على اتساع عالمنا العربى الكبير .

عندما يذوب الجليد

كانت هذه هى القاعدة العامة فى فنوننا التشكيلية وعلاقتها بالجمهور ، وقد لاتكون باقى الأنشطة الفكرية بهذا القدر من الحساسية ، لأن الفنان بطبيعته ـ فكرياً ووجدانياً ـ يستمد وجوده ككيان إبداعى من تاثره بمواطنيه وبمدى تاثيره عليهم .. ونستطيع أن نؤكد أن الفنان العربى ـ بحكم أصالته الضاربة فى أعماق التاريخ ـ ذو معدن نقى أصيل .. سرعان ما يتناسى واقعه وآلامه ، إذا ما تحركت فى نفسه بواعث الذود عن بلده أو الدفاع عن كرامته الوطنية أو القومية ، فعندما تستعر العواطف والمشاعر ، تتلاشى هذه الهوة الفاصلة بينه وبين مواطنيه ، وتتداعى كل الحوائل والسدود ، وتنطلق الصحوة بغريزة تلقائية نابضة ، ليصبح فكره وابداعه واقعاً ملموساً كاثر موجه فى مجتمعه ، ولعلنا نتذكر أحداثنا العربية الكبرى أثناء معاركنا المجيدة سواء كانت مكللة بالنصر أو رازحة تحت وطأة الهزيمة .. نجد أن الفنان ـ وقد ذاب حائط الجليد ـ قد اندفع فى حماس وكأنه يغمس فرشاته فى دمه يعبر باعماله الصادقة عن خلجات وآمال شعبه .. مؤثرة كأروع ما يكون التأثير .. وهنا تتألق رسالة الفن كما يجب أن تكون دائماً وأبداً !

ولكن هذه الظاهرة المتفائلة ـ كأى حدث مؤقت ـ لا تلبث أن تخبو جذوتها .. ويعود الفنان إلى عالمه الذاتى المغلق .. وينصرف الجمهور كما كان ، فى معزل عن عطاء الفنان ، وكان الأمر لا يعنيه فى شىء !

واجبنا الحضارى

إننا مطالبون اليوم ـ وبعد أن نستعرض جذور المشكلة ـ بان يحدث هذا التقارب بين الفنان والجمهور ، لابشكل انفعالى طارىء ، ولكن بصورة طبيعية ودائمة .. هذا هو واجبنا الحضارى الانسانى نحو امتنا وشعوبنا

ويجب أن نضع أيدينا على الأسباب التى تؤدى الى هذا الانفصال ، ونعمل باصرار لا يعرف الملل على فرض أوضاع جديدة تعيد لفنوننا التشكيلية تلك المكانة المرموقة التى حظيت بها على مدى آلاف السنين .. ولا نقول هذا من باب المجاز ، ولكن الدارس لحضارة المنطقة العربية وحضارة الاسلام ، يجد أن أهم مظاهر تلك الحضارة هو التراث الفنى .

وهذا رأى معروف اقر به كثير من المؤرخين المعاصرين ، كان من أبرزهم واكثرهم اهتماماً بالفنون الاسلامية ، برنارد لويس ، رئيس الدراسات العليا بجامعة برنستون الامريكية ، حيث استهل مؤلفه الضخم عن حضارة منطقتنا العربية بقوله : «إن أعظم منجزات الحضارة الاسلامية هو الفن» .

وليس من العسير ولا المستحيل أن نتدارك مواقفنا ونعيد حساباتنا لنعرف الطريق الصحيح نحو خلق فن عربى معاصر يكمل المسيرة الخالدة ..

وليس هناك شعب توقفت مسيرته الفنية بشكل مباغت يدعو الى التساؤل كما حدث لنا منذ اكثر من ثلاثة قرون . فاذا تخطينا ركام الأطلال ، وعبرنا عصور

التالق الفنى للحضارات الإقليمية العريقة فيما قبل الاسلام ، وجدنا أن الفتح الاسلامى قد جمع بين شعوبنا فى أمة واحدة ، كما جمع القلوب حول شعار الاسلام الخالد : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . وبكل أصالة هذه الشعوب الضاربة فى أعمق التاريخ الانسانى ، انصهرت فى بوتقة واحدة ، وأفرزت فناً ذهنياً رفيعاً ، تسيد حركة الابداع العالمى قرابة الف عام . وبانتهاء العصر

لوحة للفنان السورى لؤى كيالي .. كان الفنان مثلا لتنكر جمهوره لأعماله المتقدمه

• . النجاحات الفردية ليست محل اعتبار
إزاء التقييم الشامل لوضع يزداد تدهورا

العثمانى التركى عام ١١٣٤ هـ ، والعصر الصفوى فى ايران عام ١١٣٥ هـ وعصر الهند الاسلامية تحت حكم السلطان (اكبر) و (جيهان جير) و (شاه جاهان) حتى عام ١٠٦٩ هـ ، نجد أن الطابع الاسلامى المميز قد اندثر بعد ذلك كحبات اللؤلؤ التى انفرط عقدها لتتلقفها اليد الأجنبية المتحفزة وتصيغها حسب أهوائها من جديد !

وانتهى منذ ذلك العصر عهد الوحدة الفنية الاسلامية .. وفى عالمنا العربى كان آخر عهود الازدهار الفنى فى منطقتنا هو عهد المماليك حيث تالق الفن العربى الاسلامى ليغمر العالم كله بابداعاته المعجزة .. وكانت هذه هى القمة التى ليس بعدها إلا الانحدار !

وتوالت على عالمنا العربى أحداث جسام .. ليس هذا مجال بحثها .. ولكننا نصل فى استعراضنا للمسيرة الفنية العربية إلى إطلالة العصور الحديثة .. وحركة الفن المعاصر منذ أوائل هذا القرن .. إلى ان نصل إلى فنوننا وفنانينا فى عالم اليوم .. فنتناول بالتحليل شتى الظروف والوسائل التى أدت إلى هذا التباعد بين الفنان والجمهور ..

ولن نستطيع ان نحيط بدقائق هذا الموضوع إلا إذا تدارسنا الحركة الفنية العربية الحديثة منذ نشاتها وحتى اليوم .

جمال قطب

جوجان .. سبق عصره وعاش فى عزلة عن مواطنيه .

هل أعد جمهورنا لفهم هذه الأساليب

دراسة وجه امراة لبيكاسو .. انطلقت الى عوالم غامضة كانت بداية التكعيبية

نـادية محمد رزق

الحركة المسرحية في قطر

- إبتعاد بعض النصوص عن القضايا التى تهم الناس
- أثر « الفيديو » ومحطات التليفزيون على المسرح

بحماس الشباب وطموحه ، اتجهوا الى هذا الفن الجديد ، برغم قصر عمر التجربة التى بلغت عشر سنوات فقط ، فقد قدموا أعمالا مسرحية عديدة ، أبرزت مجموعة من العناصر الفنية الشابة التى أخذت على عاتقها مسئولية المضى بالحركة المسرحية للامام ، رغم الصعاب والمشاكل التى تواجههم وهم يسعون لخلق مسرح قطرى يساير كل جديد فى عالم التطور الفنى ..

بداية الميلاد

وإذا أردنا الحديث عن آمال وطموح المسرح فى دولة قطر ، لوجدنا أن البداية ظهرت فى المدارس ، والنوادى ، حيث كانت تتكون بعض الفرق الصغيرة ، وتقدم عروضها أمام عدد ضئيل من المتفرجين ، حتى ظهور أول مسرح قطرى بمعناه الصحيح فى عام ١٩٧٠ ، وكانت أول عروضه تحت اسم «عانس» .

وتحمس الشباب بعد عرض هذه المسرحية ، وأدى طموحهم الى بداية اكتساب الخبرة ، والى تأسيس مسارح أخرى مثل مسرح الأضواء ، ومسرح السد بالاضافة للمسرح القطرى ..

الكتاب المحليين

ونتيجة لهذه الطفرة المسرحية ، بدأت تظهر لأول مرة نصوص مسرحية لكتاب محليين ، يعرضونها على الفرق المسرحية أو يعطونها لقسم المسرح التابع لادارة الثقافة والفنون ، الذى يختار النصوص الصالحة ويشتريها لتشجيع التاليف المسرحى وللحصول على أفضل الأفكار التى تصلح للعرض فوق خشبة المسرح ..

ومن هذا المنطلق كانت البداية الحقيقية للمسرح القطرى ، حيث ظهر بعض الأفراد المهتمون بالكتابة للمسرح أمثال غانم السليطى وحمد الرميحى وعبد الرحمن المناعى الذى كتب حتى الآن مايقرب من عشر مسرحيات هى : أم الزين ، باقى الوصية ، هوبيل يالمال ، الجريمة ، المغنى والأميرة ، ياليل ياعين

وعندما سألت عبد الرحمن المناعى عن سر قلة الكتاب المسرحيين فى قطر ، قال ان الشباب مازال فى حالة استيعاب للطفرة الحضارية السريعة ، وحتماً عندما يتم نضجه فى استيعاب هذه المتغيرات، سيعبر عن ذاته ، ويعطى للمسرح وغيره أفكاراً متعددة ، خاصة وأن الجيل الحالى متاح له كل فرص الحياة السهلة التى كان يصعب على أجدادنا الحصول على مثلها .

ذكريات الماضى على خشبة المسرح

الترجمة والاقتباس

وقد بدأ المسرح فى كثير من البلدان العربية بالاقتباس أو بترجمة النصوص الأجنبية التى تناسب ظروف كل بلد ، ولكن الفنان عبد الرحمن المناعى يعترض على هذه الفكرة ، فمن رأيه أنه فى الوقت الحاضر لابد من الالمام بالشكل العام للحياة ، وتقديم الأعمال المحلية الصرفة حتى يتعود الجمهور على الحضور للمسرح لمشاهدة ما يهمه من مشاكل بيئته المحلية ، وبعدها يمكن الاتجاه الى الترجمة لمعالجة نصوص أكثر عالمية .

أين الجمهور

وحتى الآن لا يوجد جمهور ثابت قطرى ، وفى بداية المسرح فى قطر كان اقبال الجمهور أكثر من الوقت الحاضر ، وسبب ذلك ابتعاد بعض النصوص عن القضايا التى تهم الناس ، فلماذا يتعب المتفرج نفسه ويأتى ليشاهد مسرحية لا تتحدث عنه وعن حياته اليومية .. ففى الماضى كانت المسرحيات تتطرق لتلك القضايا وتعالجها بكل الأدوات التعبيرية مثال الأغانى والأمثلة الشعبية .

سعادة وزير الاعلام عيسى الكوارى مع فنانى المسرح

وقد قال الفنان « ابو جسوم » بان إقبال الجمهور على المسرح يجعله يستطيع أن يؤدى رسالته ، ليصل الى الافضل ، والمسرحيون محتاجون الى جمهور يفكر معهم ، فى الاعمال الفنية التى تقدم له .

وقال انه فى محاولة لتشجيع الاقبال على المسرح ، تذهب الفرق المسرحية احياناً الى الجمهور ، فمثلا مسرح الأضواء ذهب عدة مرات لتقديم مسرحياته فى الخور ودخان ، وكذلك مسرح السد .

ومن الأسباب الاخرى لانصراف الجمهور عن المسرح ، نقص الدعاية والاعلان عن المسرحيات المقدمة ، وعدم اهتمام وسائل الاعلام بقضايا المسرح .

المنافس الخطير

وهناك منافسة شديدة بين المسرح وبعض وسائل التسلية والاعلام الأخرى مثل التليفزيون والفيديو ، فالمتفرج الذى يستطيع أن يشاهد مايريده من خلال سبع أو ثمانى قنوات بالتليفزيون ، أو من خلال مايسجله فى الفيديو الذى اصبح الآن منافساً خطيراً للمسرح ، بل وحتى للتليفزيون والاذاعة ، لا يرغب أن يتعب نفسه بالذهاب الى المسرح لمشاهدة عمل ما قد يعجبه وقد لا يعجبه ، ولهذا فالفيديو الآن يجذب هذا الجمهور ، فضلا عن أن الجمهور فى دول الخليج غير معتاد على التوجه من تلقاء نفسه للمسرح لأنه ليس من تراث منطقته .

نقص الفنانين

وعندما بدات فرقة الأضواء عام ١٩٦٤ كان الفنان حسن على ، وعبد العزيز ناصر ، وعبد الرحمن المناعى وغيرهم ممن شاركوا فى بداية الفرقة ، لايجدون مقاعد يجلسون عليها اثناء إجراء البروفات ، وكلما كان يتجمع معهم مبلغ من المال كانوا يشترون به قطع اثاث للفرقة مثل المقاعد ، والطاولات وغيرها .. وإننى اسوق هذا المثال لأبين حماس الشباب فى بداية تكوين الفرقة المسرحية حين كان الحب يجمع بين الفنانين .. والآن .. وبعد أن خصصت الدولة مكاناً خاصاً لكل فرقة ، وسهلت عليهم كثيراً من التعقيدات ، تكثر الشكوى ! وهذا يؤكد الحقيقة القائلة بأن المعاناة جزء من تكوين الفنان حتى ينتج ، اما الراحة ، وتوفير كل سبل الحياة السهلة فانها تجعل الفنانين غير مقبلين على العمل ، وبالتالى تطفو على السطح مشكلة نقص العناصر الفنية الحقيقية .

وهذا لا ينفى الحقيقة القائلة بأن هناك العديد من الأسماء التى اثبتت وجودها فى الحركة المسرحية مثل على ميرزا ، وسيار الكوارى ، ومحمد البلم ، وحمد الرميحى ، وخالد زيارة ، ومن الممثلات سلوى عبد الله ، ومريم راشد ، وسعاد دهام ، ووداد الكوارى ، وغيرهم .

وهذا على الرغم من أن الفرق المسرحية تعتمد على الهواة فى جميع التخصصات ، ولا يستثنى من ذلك إلا الممثلات اللاتى يتقاضين معاشات شهرية من الدولة ، تشجيعاً لهن على خوض هذا المجال الجديد .

النقد المسرحى

ومن خلال دراسة مشاكل المسرح فى قطر ، يظهر بوضوح غياب الصحافة الفنية التى تهتم بالنقد السليم ، بالرغم من أهميتها فى دفع الحركة المسرحية الفنية الى الأمام ، وإن وجد فهو بشكل غير متخصص ، وقد حدث أن كتب بعضهم نقداً لبعض المسرحيات نتيجة سماعها من بعض أصدقائه ، ولذلك لابد لمن يهتم بالنقد أن يدرك معطيات الحركة الفنية بقطر ، ولا يجب أن يقتصر دور الناقد المسرحى على انتظار عرض مسرحية جديدة ، ثم نقدها ، بل عليه أن يوجه خيال المؤلفين والمهتمين بالحركة المسرحية الى أفكار جديدة يمكن الاستفادة منها .

دور الخبرات العربية

ومن المؤكد أن دخول بعض الخبرات العربية أدى الى مساهمة فعالة فى الحياة المسرحية بقطر ، وأفاد بصورة غير مباشرة الفنيين العاملين بهذا المجال ، مما أدى الى ايجاد الطريق السليم للعمل المسرحى الذى يعتمد على

الحركة المسرحية فى قطر

مشهد مسرحى بين سارة حمد ، وسعد بورشيد ، ومحمد يوسف .

القدرات العلمية الدارسة ، خصوصاً بعد عودة طلاب المعاهد الفنية المتخصصة .

وفى خلال السنتين الماضيتين أصبح معظم الفنيين من العناصر القطرية .

المشاركة فى المهرجانات

ونتيجة للاحتكاك بخبرات الآخرين ، يستفيد المسرح فى قطر بالاطلاع على أفكار ومدارس ومناهج مختلفة تؤدى الى خلق نوع من التوجيه السليم الذى يناسب إمكانيات وواقع المجتمع .

وقد شاركت فرقة مسرح قطر الأهلى وهى تنتخب للمشاركة فى المهرجانات من كل الفرق ، فى العديد من المهرجانات ، كما بادلتها الفرق الأخرى العربية هذه الزيارات ، فمثلا شاركت الفرقة فى مهرجان الحمامات بتونس بمسرحية «المغنى والأميرة» كما شاركت فى مهرجان دمشق ١٩٧٨ ، وزارت الكويت .

ومما لاشك فيه أن هذه الزيارات تتيح الفرصة لتبادل الرأى والمشورة ومشاهدة تجارب الآخرين .

ومن المألوف أن تستضيف الفرق القطرية العديد من المحاضرين فى مجال المسرح للاستفادة من خبراتهم ، مثل المنصف السويسى الذى أخرج لمسرح قطر الأهلى مسرحية «رحلة ححا مع النزهاء» .

نقل التراث

إن المسرح فن شامل ، يمكن من خلاله أن تثار قضايا كثيرة تهم الجمهور ، وعندما انتقلت « ياليل ياليل » الى جمهور دخان – وهى تحكى قصة حدثت عام ١٩٢٠ أى قبل ظهور البترول – أحس الفنانون العاملون بالمسرحية أن الجمهور كان منسجماً تماماً مع المسرحية وكأنه يمثل معهم من شدة الانفعال ، ومعايشة التراث الحقيقى ، وهذا يدل على أن أننا لو استطعنا نقل التراث وتوصيله بصورة جيدة الى الجمهور ، لكان ذلك كسباً حقيقياً سواء عن طريق الأغانى أو الرقصات الشعبية أو النصوص المسرحية ..

وقد عرضت فرقة مسرح السد مؤخرا أول مسرحية للأطفال يعتمد نصها على التراث القطرى وذلك بعد تجميع قصص الأطفال القديمة التى كانت تقصها الجدات ..

والقصة المأخوذة عنها المسرحية تسمى باسم «الفسيكرة» وهى سمكة صغيرة تشبه قصة «سندريلا» ، ولكن ترتبط بالبيئة ، فتعتمد على البحر والصيد ، وستستخدم المسرحية كل الأدوات الموجودة باللغتين العربية الفصحى والعامية ، وتعتمد على الأغانى ، والرقص ، والتمثيل الصامت ، وهذه المسرحية موجهة أساساً للطفل القطرى بألحان مثيرة وأصوات جميلة ولغة مفهومة للجميع .

مكانة المسرح القطرى

والمسرح فى قطر يجمع بين الجدية والترفيه .. وبالرغم من حداثة المسرح فى قطر فان ماقدم على خشبته حتى الآن يبشر بمستقبل مشرق ، لو استطاع العاملون به أن يمسكوا بمفاتيح العمل السليمة .

والتجارب هى التى تثبت هذا القول ، فمن خلال عدة تجارب مسرحية يستطيع المسرح فى قطر أن ينتقى لنفسه الأسلوب الذى سيسير عليه ، وإن كان حتى الآن يجمع بين عدة مدارس ، فهو تارة يقدم مسرحياته بالعربية الفصحى مثل قيس ولبنى ، وتارة يقدم مسرحية تجمع بين التمثيل والرقص والغناء مثل «ياليل ياليل» و «المغنى والأميرة» ، و مسرحية «هوبيل يالمال» وهى جادة وموجهة للمثقفين فقط ..

التراث العربى كما رأيناه على مسرح قطر

لقطة مسرحية تجمع محمد عواد ، وعبد الله يوسف ، وسارة محمد ، وعبد العزيز جاسم ، وسعد بورشيد

الثقافة والفنون

وقد انشأت وزارة الاعلام قسماً خاصاً بالمسرح داخل إدارة الثقافة والفنون ، الذى يعد كما يقول الفنان محمد عواد المشرف على هذا القسم ـ هو المسئول الأول عن الفرق المسرحية ـ وذلك تجاه تخطيط الأنشطة والأشراف عليها بتوفير المتطلبات ، والتسهيلات ، وتنظيم الدورات واللقاءات ، للمساعدة على خلق توجيه مسرحى مناسب ، وخلق الكوادر الفنية ، وإتاحة الفرصة لهذه الفرق على شكل مشاركة جماعية عن طريق مسرح موحد هو مسرح قطر الأهلى ليمثل قطر فى الخارج .. وهناك لجنة معينة لرقابة النص والتصريح بعرضه .

المخصصات السنوية

وزيادة فى تشجيع فرق المسرح الأهلية ، خصصت الدولة لكل فرقة مايقرب من مائتى الف ريال سنوياً ، يدفع منها حوالى ستون ألف ريال إيجارا لمقر الفرقة سنوياً ، وموازنات كل عرض من ملابس وديكور وخلافه ، وما يتبقى يوزع على أعضاء الفرقة وأحياناً المؤلف .

والغرض من انشاء «قسم المسرح» ليس التدخل فى شئون المسارح الخاصة فهو يمثل جهة متخصصة لتقديم الخدمات حتى لا تصبح هذه الفرق فى معزل وحتى يكون هو حلقة الوصل بينها وبين المسئولين .

وتبنى الدولة الآن مسرحاً كبيرا سيتم الانتهاء منه بعد حوالى ستة شهور ، وهو يقام بتوجيه من سمو أمير البلاد المفـــدى ..

ولا يتبقى فى النهاية سوى الأمنيات التى تملأ صدور هؤلاء الشبان ، وتتمثل فى أن يصبح المسرح القطرى على مستوى المسارح العربية الراسخة من حيث تقديم الأعمال الجيدة التى ترضى الجمهور والمتخصصين على السواء .

نادية رزق

سامى خشبة

زينب والعرش والرجال

أراد فتحى غانم – مع استمتاعنا بالرواية – أن نفهم الظواهر والأحداث والأفكار !

لم يعد غريبا ان يكتسب عمل ادبى منشور (رواية ، او قصة ، او دراما مسرحية) انتشاراً وذيوعا جماهيريا بين الناس ،عندما يتحول الى فيلم سينمائى او دراما تلفزيونية . بل لم يعد غريبا ، القول بان كاتبا ادبيا كبيرا مثل نجيب محفوظ نفسه لم يصبح اديبا «جماهيريا» إلا بعد ان اكتشفه السينمائيون ، فحولوا العديد من اعماله الادبية إلى افلام للسينما .. وهذا هو ما فعله التليفزيون اخيراً فى رواية فتحى غانم «زينب والعرش» التى نشرت على حلقات فى مجلة «صباح الخير» المصرية بين اغسطس ١٩٧٢ ويوليو ١٩٧٣ . ولكن احداً لم ينتبه الى (خطورتها) – واهميتها الفنية – إلا حينما تحولت الى دراما تليفزيونية .

ولا شك ان الاحكام الفنى الشديد دراميا ومن الناحية النظرية بالاضافة إلى اتقان الأداء التمثيلى إلى حد التقمص الكامل من جانب معظم الممثلين الذين شاركوا فى المسلسل – لا شك أن هذه العوامل الفنية هى التى دفعت كل من شاهد الحلقات إلى التساؤل عن احداث وعن شخصيات الدراما التليفزيونية ، وكانها احداث وشخصيات حقيقية وقعت وعاشت بالفعل

من هو «عبد الهادى النجار الحقيقى» ؟ ومن يكون اصل عبد السلام دياب او يوسف منصور او حسن زيدان او زينب الاورفللى ؟ .. وما هو الاسم الحقيقى لجريدة «العصر الجديد» ؟

وليسمح لى القارىء العزيز بان احاول الاجابة ، ولكنها لن تكون إجابة من النوع الذى يتوقعه بشكل كامل . لاننا لو ربما سرنا وذكرنا «تخمينا» واحداً عمن يكون هذا أو ذاك من شخصيات الرواية لكانت هذه مغامرة لا يصح ان يتحمل عواقبها واحد بمفرده .. فالكل يتحدثون ! ولكن ستكون إجابتنا محاولة لفهم الشخصيات والأحداث ، وللتعرف على ما تدل عليه حسن فهمنا للرؤية التى قدمها المؤلف .. فالعمل الفنى والأدبى حتى وإن اعتمد على كثير من تفاصيل الواقع الحقيقية فانه ليس تسجيلا للتاريخ ، وهو يقدم «رؤية» ولا يقدم نظرية ولا تحليلا «اجتماعياً – سياسياً» رغم استثناء رؤيته فى فهم الحقيقة الاجتماعية التى يتعامل معها . وهو يريدنا مع استمتاعنا بالحكاية ومواقفها الدرامية وتطوراتها – ان نفهم الظواهر والأحداث والافعال والافكار التى يعيشها وينتجها ويصفها اناس عرفنا من يماثلهم او سمعنا بهم .. لا ان نضع لهم وثيقة اتهام او صك غفران ولا أن نصدر بشانهم احكاما بالامانة ، او البراءة .

العصر الجديد

وليسمح لى القارىء بان اعود إلى الكتاب (الرواية) فهو الاصل الذى اعتمدت عليه واستخلصت منه الدراما التليفزيونية . ورغم اختلافات طفيفة بينهما وغير مؤثرة فى اعتقادى – فى المضمون التفصيلى للرواية ، فاننى افضل العودة الى الرواية لأنها اكثر امتلاء بالتفصيلات والأكثر توضيحا للتاريخ الخاص لكل شخصية . ومع هذا فاننى اعترف بان الدراما التليفزيونية رغم اختزالها الضرورى لتلك التفصيلات ، اوضحت لى جوانب هامة عن هندسة بناء الرواية وخاصة فيما يتعلق بالتقابل بين بعض الشخصيات ، والتشابه بين شخصيات اخرى .

والواضح أن هناك أسبابا عديدة تدفع الى الاعتقاد بان عبارة «العصر الجديد» كانت تصلح عنوانا مناسباً لرواية فتحى غانم التى منحها عنوانا اخر ، ليس له معنى مباشر واضح : «زينب والعرش» .

ولا يدفعنا الى ذلك الاعتقاد ، مجرد ان «العصر الجديد» هو الاسم الذى اختاره احد ابطال الرواية المهمين (عبد الهادى النجار) للصحيفة التى اسسها باموال باشا مفتون بالطريقة الامريكية والعقلية الأمريكية ، ثم اشتراها عبد الهادى بعد ان راس تحريرها .. ثم اصبحت مكان التقاء اهم ابطال الرواية والمكان الذى تحددت فيه مصائرهم ، ومكان وقوع أهم احداث الرواية واكثر الصراعات بين ابطالها خطورة وإثارة .

ولكن يدفعنا الى ذلك الاعتقاد ، ان فتحى غانم ، إنما اراد فى الحقيقة ، ان يقدم من خلال هذه الرواية شهادته عن العصر الجديد الذى يمتد في اقوال لها وزنها على طول الزمن الذى تغطيه أحداث الرواية . وهى شهادة رجل لم يكن متفرجا ابداً على ذلك العصر ، ولكنه كان فيما تثبته الرواية نفسها – يتفرج ويجمع اجزاء الصور المترابطة المبعثرة ويحللها ثم يعيد التركيب ، بينما هو يشارك فيما حدث وكان فى «عصرنا» الجديد .

اختيار البداية

والسؤال الذى يفرض نفسه علينا هو : إذا كان «العصر الجديد» هو موضوع الرواية ، فلماذا إذاً كان العنوان : «زينب والعرش» ؟

لقد ولدت زينب عام ١٩٣٦ تقريبا او بعده مباشرة ففى احد الفصول يقول المؤلف إن زينب كانت تتفرج على موكب الجيش العائد من فلسطين عام ١٩٤٩ وانها كانت يوم ذاك فى الثانية عشرة من عمرها . وقد كان عام ١٩٣٦ وما تلاه مباشرة . عاما حاسما فى تاريخ وتطور مصر الحديثة .

كما كانت عودة الجيش المصرى من حرب فلسطين . العامل الحاسم الذى قرر مصير النظام الذى اقامته معاهدة ١٩٣٦ بين حكومة يتزعمها حزب الوفد وبين الانجليز ، كما تقررت بتلك العودة ملامح النظام الذى شرعت القيادات الوطنية فى الجيش فى الاعداد لاقامته منذ عودتها .

شىء ما فى تاريخ ميلاد زينب ، يربط بينها كشخصية فنية ، وكمعنى عام فى نفس الوقت ، وبين مصر الحديثة او الرواية .

وقد ولدت زينب مدحت الأيوبى (الأورفللى فى المسلسل التليفزيونى) باسم السيدة زينب تيمنا باسمها ، ولكى تصبح فى الرواية معادلة للرمز الذى اكتسبته سميتها فى صميم إعتقاد شعب مصر وفى صلب ومحور ثقافته ، فالسيدة زينب ومسجدها يمثلان رمزاً للقاهرة نفسها فى ضمير الشعب

عرش الحب

فما هو إذن ذلك «العرش» الذى لم يرد له ذكر فى الرواية مطلقا ؟

الاجابة المباشرة التى تلح على ذهنى ولا تريد ان تفارقه هى أن «العرش» الذى اقترن باسم «السيدة زينب» الجديدة هذه فى عنوان روايتها هو : قلوب الرجال ، حبهم وشهواتهم .

انجبها مدحت بك الأيوبى . آخر رجل من سلالة الأيوبيين فكانما انجب رمزاً جميلا احبه فى سره ولم ينقطع عن تامله والغرق فى عينيه . والاستئثار لنفسه بهاحتى من دون امها الفلاحة (خديجة السبع) إلى ان مات .. وفى لحظة موته

فتحى غانم

صلاح حافظ

إذا كان « العصر الجديد » هو الرواية ، فلماذا كـــان العنوان « زينب والعــرش » ؟

اوصى بها رجلا لا يمت إليه بصلة دم او نسب ، هو «عم صالح الأخرس» الفلاح المهاجر إلى القاهرة ، والمتحول إلى عامل او شبه عامل . الفلاح المتخلص من الذل والذى لقنه ذات مرة درساً فى المساواة والعدالة وعزة النفس .

فى اتجاه الحرية

وصالح الاخرس اعتبرها ابنته وعلمها اشياء كثيرة : علمها الا تشارك الحياة قسوتها على الاحياء والناس ، وعلمها ان تحفظ براءتها وقدرتها على امتصاص اية تجربة واحتوائها بالبراءة وعلمها الا تخاف الشيطان ، وان تحب الله وتثق فيه ، وعلمها ان تصدق ما يدلها ضميرها إليه وعلمها ان تفخر باصلها (كسليلة للأيوبيين والفلاحين معاً) لا ان تتردد بين كره هذا الاصل والخوف منه والزهو به وإزدرائه معاً مثل امها . وعلمها ان تحتفظ بالكبرياء الذى ورثته من الأيوبيين (رمز مصر الاسلامية المجاهدة بالسيف لصيانة حريتها وحرية امتها) والا تستمر فى المذلة والضعف والخوف من الحياة ــ الصفات التى ورثتها من امها الفلاحة ، منزوعة الجذور (خديجة السبع) ــ

وقد تولى صالح الاخرس حماية زينب ومساعدتها على تبين حقائق الحياة العملية وعلى ان تخطو الخطوات الصحيحة فى اتجاه استخلاص حريتها الفعلية من أسر هذه الحياة ، حينما ساعدها على التخلص من زوجها الأول ــ ــ نور الدين بهنس ــ والاقتران بزوجها الجديد وحبيبها الأول يوسف منصور .

المالك والمملوك

ونور الدين بهنس هو زوجها الأول ، تزوجها عام ١٩٥٣ (بعد اربع سنوات من فرجتها على موكب الجيش العائد من فلسطين) .

ومن كان قادراً على ان يملك «زينب» ذلك الحين ، غير مثل هذا الموظف البيروقراطى ، سليل محدثى النعمة من أثرياء الحرب ، نصف المتعلم ، المحروم من اى قيمة اخلاقية ، الساعى إلى اكتناز المال من اى سبيل ، حتى ولو على حساب امراته وشرفها : النموذج الكامل للبيروقراطية المصرية الفاسدة التى ازدهرت فى سوق «ما بعد التخطيط» السوداء . وفى ظل غياب اية رقابة على الساعين إلى نفس الفوائد

وفى النهاية لا يتنازل بهنس عن ملكيته لزينب إلا تحت ضغط التهديد بانتزاع ما ادخره من منهوباته التى جمعها من الاختلاسات والرشاوى ومن المتاجرة بالعملات والتهريب ، إلى اخر هذه النشاطات التى تميزت بها «فئته الاجتماعية» طوال الحقبة الأولى من «العصر الجديد» .

... ويتنازل بهنس عن ملكيته لجسد زينب مقابل تامين حبه الكبير : نقوده !

الحب الكذاب

ثم احبها عبد الهادى النجار ، ولكنه لم يقدر على دفع ثمن حبها . ذلك انه لم يحبها حقا وإنما اشتهاها ، واشتهى ان يمتلكها بعد ان ياسرها بحاجتها إليه . وكان ثمن حبها ان يحميها وان يشاركها الحياة وان يكون رجلا وان يصونها . ذلك ان حبه لها ، كان له معنى اخر غير الحماية والمشاركة والصون . كان حبه لها معناه ان يشتهيها وان يستمتع بها استمتاع المالك بما يملكه . لا ان يربط مصيره بمصيرها ، وان يسعى معها إلى مصير إنسانى وجميل مشترك لها وله .

لم يقدر عبد الهادى على ذلك . وكان اول ما يتجلى فى الرواية عجزه عن حمل العبء الذى كانت تطلبه «زينب» الجديدة من مريديها : عجزه الناشىء مما تعلمه من ابيه ، وعدم الالتزام بوطن او بمبدأ وعدم السعى إلا لمصلحته او النظر حتى الى العلم نفسه إلا كوسيلة للرزق والتسلط على الآخرين ، واعتبار الوطن ذاته سوقا للاتجار باى شىء والكسب من اى شىء : الاتجار بالحقائق كما بالأكاذيب ، والكسب من الباشا الوفدى والباشا الدستورى ومن الباشا الامريكانى ومن دولة ٢٣ يوليو ، بنفس المهارة !

لكل هذا لم يكن عبد الهادى النجار مهيا لان يكون رجل زينب ولا حاميها ، رغم انه رغب بارادة خائرة ان يكون هو هذا الرجل والحامى بان يمتلكها دون ان يتحمل مسئولية تحريرها وتعليمها ، ثم خانته طبيعته او طبيعة الفئة التى ينتمى اليها من سلالات «المثقفين» المصريين

المغتصب المهزوم

اما حسن زيدان ، نائب عبد الهادى النجار . وتلميذه فى احقر جوانبه واكثرها إنحطاطا ، والامتداد الطبيعى لما فى استاذه من مهارات الانتهازية والرياء والكذب واللعب على الحبال .. فكان احقر شانا من ان «يعترض» طريق حياة زينب مباشرة وإنما حاول ان يعترض طريق الذى احبته واحبها حقا ، لمجرد ان هذا الرجل كان القادر الوحيد على تحريرها .

ولم يعترض حسن زيدان حياة زينب ولكنه قابلها واشتهاها . واستخدم اشتهاء استاذه عبد الهادى النجار لها . لكى يحاول تحطيم عبد الهادى ، ثم استخدم حب زميله النائب الثانى لعبد الهادى (يوسف منصور) لها ، لكى يلوث سمعته ويقضى عليه .. ولكنه فى المرة الوحيدة التى لقيها بمفردها (فى مصعد مغلق) حاول اغتصابها ولكنها هزمته بسهولة وفى نفس اللحظة ، ثم لم تسنح له فرصة اخرى للالتقاء بها

لقد جاء حسن زيدان الريفى الفقير المتعلم من مدرسة عبادة الفرد المتفوق وتمجيد القوة المجردة من الاخلاق وادعاء العلم ، واعتبار العلم مجرد حرفة لا وطن بها ، يمارسها صاحبها باتقان ، وبلا وازع اخلاقى ، حيثما سنحت له فرصة الكسب .. وإذا تطلب الارتزاق ، يتنازل حسن عن ذاته المزهوة وعن العلم ، ويتحول الى افاق بلا مهارة غير اللعب على كل حبل . ووصولى مستعد لان يدوس اية قيمة او إنسان لكى يصل لهدفه.

تشابه الأضواء

اما احمد عبد السلام دياب ، فان بصره لم يقع على زينب ابداً ، مع انه كان اجدر الجميع ــ عدا يوسف منصور . بان يراها . وبوصفه احد صانعى ثورة يوليو ١٩٥٢ ، فانه كان احد الذين تفرجت زينب على موكبهم فى عودتهم الغاضبة والحاسمة من حرب فلسطين . وبوصفه احد صانعى هذه الثورة ايضا فانه كان جديرا بان يشارك عم صالح الاخرس فى ابوته الروحية لزينب كما كان ابا لصديقتها وشبيهتها المسكينة الضريرة : سوسن : ابنته التى لم يرها ابداً هى الأخرى لانه هجر امها «خوفا» من ان يتحمل مسئولية ماضيها المشين وهنا يجب ان نعترف بان الدراما التليفزيونية وليس الرواية . هى التى كشفت ذلك التقابل بين شخصية حبيبة دياب القديمة (الراقصة زهرة التى اصبحت خياطة شهيرة وسمسارة صفقات كبيرة بين

ازواج زبوناتها الأثرياء من رجال الأعمال فى مجتمع مصر السرى الحقيقى ، فى العصر الجديد) .. وبين زينب : كلتاهما ـ زهرة وزينب ـ كان حبها مسئولية وطريقاً يتحرر فيه الحبيب من انانيته وسلبيته وجبنه واحتمائه من انسانيته ومن (الانسانية) وراء جمود الكلمات الطنانة .

وهكذا اصبح حبيب زينب ـ يوسف منصور ـ البديل الايجابى لدياب الذى عجز عن الوفاء بمسئولية حب زهرة . واصبحت زهرة صورة قديمة ماساوية من زينب فى ظروف الماضى حينما لم تستطع ان تجد حبيباً يصونها ويتحمل معها مسئولية تحريرها وتحرير نفسه كما اصبحت زهرة ـ حين تحولت من راقصة تبحث عن الحب والحرية الى سمسارة تبحث عن الكسب والسلطة .

صورة اخرى من خديجة السبع ـ أم زينب ـ كلتاهما تستخدمان تجربة الذل مبررا لاذلال «البنت» التى ولدتها كل منهما ، وتستخدمان البنت سلعة فى سوق شراء الامن او السلطة الكاذبين .

وهكذا ايضا اصبحت سوسن (ابنة زهرة من دياب) صورة ثانية واكثر ماساوية لزينب لأنها لم تجد اباها الحقيقى ولا الأب الروحى مثلما كان لزينب والد حقيقى ترث منه «التاريخ» والكبرياء وجنون رفض الواقع الفقير ، ووالد روحى (صالح الأخرس) ترث منه البراءة والايمان والقدرة على الصبر واحتواء التجربة ، فاختارت سوسن الانتحار الذى نجت منه زينب بفضل ماتعلمته من عم صالح ، حتى أصبحت مؤمنة : « تحب الحياة والدنيا » : هبة اللـه الثمينة لها .

وهكذا يكتشف احمد عبد السلام دياب الضابط الثورى الذى شارك فى صنع بداية جميلة لـ « العصر الجديد » ثم افلت منه الزمام بسبب سطحيته وجموده وتعاليه على حقائق الحياة وإنسانية الواقع ، يكتشف التشابه بينه وبين يوسف منصور .

إن يوسف منصور صورة جديدة متطورة له هو : اخلاقى وبرىء ومباشر ومشغول بالعمل وبالحرية ، ولكن الفارق بينه وبين يوسف أن دياب لم يكن قادرا على ان يستكمل مسئولية حب أو يتحمل التجربة . كما لم يكن قادرا على أن يفكر لنفسه فى إطار التزامه بحرية ، وإنما كان يردد مايقال له دون تفكير ، يتلقى الأوامر والمواعظ بالتليفون ويخاطب الآخرين بلهجة الواعظ أو الأمر العسكرى دون محاولة للتعرف على حقائق الحياة والناس والأشياء والعلاقات .

لقد اشرف على تجربة الحب الحقيقى والثورة الحقيقية . ولكنه لم يستطع دخول التجربة لأنه لم يتحمل عبئها ولأنه تعامل مع عناصرها كما لو

زينب والعرش والرجال

كان يتعامل مع عبارات مجردة أو مع أشياء جامدة أو فى أفضل تقدير مع قطع شطرنج يظنها جنودا ليس عليها إلا الطاعة فى ميدان القتال ، ولذلك وأنا أعود هنا الى الرواية ـ فشل فى حبه لنزهة وعجز عن أن يشارك عم صالح الأخرس فى أبوته لزينب بأن يكون راشداً ليوسف منصور ، وفشل فى تحقيق حلمه بأن يحول « العصر الجديد » الى جريدة تشارك فى إقامة حكم الحقيقة والحرية والعدل ، وفشل فى أن يجعل «العصر الجديد» عصراً لمبادئه هو ... وإنما انهزم فى كل مواجهة مع عبد الهادى النجار ـ الذى هزمه يوسف ـ كما انهزم حتى أمام حسن زيدان الذى استطاع يوسف أن يصمد أمامه

حينما «دخل التجربة» وتعامل مع حقائق الأشياء لا مع الكلمات .

الحب والحرية

أما يوسف منصور فكان الوحيد الذى أحب زينب تلقائيا ، وأحبها لذاتها وأحبها لذاته هو كذلك . إنه مولود لكى يحبها ويرتبط بها ويعلمها ويتعلم منها ويصونها ويكتشف أنها تملك القدرة على صيانته ويأخذها لنفسه وسلمها نفسه لكى تأخذه . يبدو من البداية كأنه وعدها ، وتبدو هى كأنها أصله ومصيره . وحتى بعد الزواج تتحول علاقتهما الى «امتحان» للحب وللوعى ، يلتقى فيه ميراث الأيوبيين الممتزج بميراث «الفلاحين» فى دم زينب وروحها بميراث يوسف ، أفضل ميراث خلفته تجربة مصر الحديثة حتى

الآن .

إنه ابن أسرة « مستقرة » من الطبقة المتوسطة القاهرية التى تلقت العلم دون أن تنفصل عن جذورها . وهو ابن « مستشار » ـ أى قاضى مصرى ـ حيث يعلمنا تاريخ مصر الحديث أن القضاة كانوا من علامات الاستنارة العقلية والديمقراطية .

تعلم القرآن والأخلاق والالتزام والتفكير بحرية وصمت فى جانب خفى من جوانب عالم مصر ماقبل «العصر الجديد» وحينما جاء ذلك العصر بمتناقضاته لم يغرق فيه ، وإنما آمن بوعوده إيماناً رصيناً دون إدعاء ، ورفض مافيه من زيف رفضاً دون ضوضاء ولا عصبية . امتزجت فى عقله أفضل عناصر ثقافة الأسلاف

ومنجزات جيل الليبرالية الأول المتوارى دون أن يحقق أحلامه حتى التقى بوعود التغيير والتقدم يحمل «فضائل» الطبقة المتوسطة فى ضميره كأنها من بديهات الحياة : العلم والاجتهاد والعمل وجمع خبرات التجربة والمباشرة فى التعامل والالتزام بمؤسسات المجتمع الرئيسية كالدين والأسرة . إنه تلقائى الذكاء ولكن لايهاب التجربة : كأنما ذكاؤه غريزة وتلقائيته براءة ولكنها براءة لا تتهيب أمام «المعرفة» ولا تضيع إذا دخلت التجربة أو أكلت من الشجرة المحرمة . ولذلك فإنه قد يخطىء أحيانا وقد يغلب على أمره

ولكنه لا يمكن أن تستقر الهزيمة فى داخله . إنه ليس من النوع الذى « لايسمح » لنفسه بالهزيمة (فهؤلاء عادة يهزمون فى النهاية) . بل أنه قد ينهزم فى معركة ويضطر الى طلب العون ولكنه لا «يشعر» أبداً بأنه مهزوم ولا يطلب العون إلا من حيث يشعر أن له جذورا حية ، لأنه قادر على الاحساس بأنه يملك شيئاً أكبر من جزئيات الحياة كلها ، ولأنه واثق أن قضيته هى التى « من حقها » أن تنتصر لأنها هى (الحق) .

وقضيته هى حريته التى اكتشف أنها حرية مهددة بالضياع حينما أصبح مطالباً بأن يسلم قياده لمؤامرات عبد الهادى وزيدان ، أو لتنظيم دياب . وفى نفس الوقت ، أصبحت قضية حريته هى قضية حرية زينب التى هددها بالضياع الى الأبد . بامتلاك نور الدين بهنس لجسدها ومحاولة حسن زيدان اغتصابها ومحاولة عبد الهادى امتلاك روحها ومحاولة نزهة (الهام كمال باسمها الجديد بعد أن تحولت الى سمسارة) الاتجار بها أو اتخاذها ابنة بدلا من ابنتها التى دفعتها الى الانتحار .

وهكذا اكتشفت زينب قبل يوسف أن مصيرهما واحد ، وراح يوسف يتصرف بغريزته قبل وعيه ـ على أساس أن حريتهما واحدة ، وأن حصول كل منهما على حريته مشروط بحصول الآخر على حريته ، ربما ببركات ـ وإرشاد ـ صالح الأخرس ، ولكن ضد محاولة كل واحد من الآخرين جميعاً لأن يمتلكهما ، أو يغتصبهما ، أو يتاجر بهما أو يحقق من خلالهما أحلاماً عاجزة وبائرة .

سامى خشبة

المسابقة

حل مسابقة من . أين . ما
العدد « ٥٦ »

مـن : ابراهيم عليه السلام
اين : الفيلبين
ما : جليسرين

١ ـ الريان ـ الراية ـ الصقر
٢ ـ امن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم
الامام البوصيرى ـ قصيدة : البرده
٣ ـ ١٨٨٢ الخديوى توفيق
٤ ـ عمر بن عبد العزيز
٥ ـ لا ليست صحيحة علمياً . لان ملح الطعام هو كلوريد الصوديوم
٦ ـ مصر
٧ ـ النحيليه
٨ ـ شكسبير
٩ ـ ابن سينا
١٠ ـ سيدنا المسيح عليه السلام

من . أين . ما

● مـن .. ؟
احد رجلين ارسلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وقال لهما (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا) اسمه من ثلاث كلمات وتسعة احرف :
٣ ـ ٩ ـ ٧ ـ ٤ ـ ٨ مايفعله المغناطيس
١ ـ ٦ ـ ٥ ـ ٢ اصل نهر

● اين .. ؟
مكان منعزل بدات فيه شريعة مدنت الناس وارست قواعد الحضارة ومكارم الاخلاق . اسمه من كلمتين وسبعة احرف : ـ
٣ ـ ١ ـ ٦ ـ ٧ صوت البعير
٤ ـ ٢ ـ ٥ لم يهتد

● مـا .. ؟
قانون ساد به العرب ، وذلوا بعد اهماله وترك تعاليمه ولا يعود لهم مجدهم الا به اسمه من ستة احرف : ـ
٥ ـ ٢ ـ ٦ ـ ١ ـ ٤ من اول الاختراعات التى وفق الله الانسان لاكتشافها .
ـ ٣ ـ فعل أمر للحماية .

الجواب الصحيح

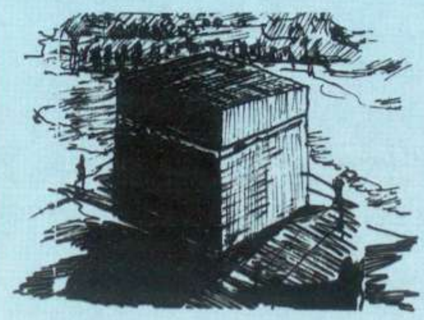

١ ـ يقع الحجر الأسود من الكعبة المشرفة فى الركن :ـ الشمالى الشرقى ـ الجنوبى الغربى ـ الجنوبى الشرقى

٢ ـ كان عام الرمادة وطاعون عمواس على عهد الخليفة : عمر بن الخطاب ـ على بن ابى طالب ـ عمر بن عبد العزيز

٣ ـ تقع جزيرة شدوان فى البحر المتوسط ـ الادرياتيك ـ الاحمر

٤ ـ وثيقة الماجنا كارتا التى هى أساس الديموقراطية فى بلاد البريطان كانت سنة :
١٢١٥ ـ ١٣١٥ ـ ١٤١٥

٥ ـ كانت المقصلة التى استخدمتها الثورة الفرنسية لاعدام اعدائها تسمى : الجيلوتين ـ الفلقة ـ المنجنيق

٦ ـ «الحمار من الحيوانات المجترة» هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟

٧ ـ ليت هنداً انجزتنا ما تعد :
اكمل البيت وأنسبه الى قائله .

٨ ـ أى المسافتين أطول : من القاهرة الى بغداد أم من القاهرة الى دمشق ؟وما مقدار كل من المسافتين ؟

٩ ـ مجموع زوايا المستطيل :
٢٠٠ درجة ـ ٣٦٠ درجة ـ ٥٠٠ درجة

١٠ ـ مؤسس جماعة الاخوان المسلمين هو :
جمال الدين الأفغانى ـ الشيخ محمد عبده ـ الامام الشهيد حسن البنا

نتيجة مسابقة شهر يوليو ١٩٨٠ العدد « ٥٦ »

● فاز بالجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة . القارئة : ناجية احمد حسين : ٣٣ شارع عمر بن الخطاب ـ خلف نادى الصيد الدقى القاهرة .

● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة : القارىء : عادل عيد محمد ابراهيم . قطر الدوحة : ص . ب ٣٠٥٧

● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك نصف سنة : القارىء : نجم الدين محمد أحمد محمود السودان ـ كوستى ـ بواسطة السيد / خضر محمد أحمد محمود ـ مخازن النقل

الفائزون باشتراك لمدة سنة :

١ـ مازن غصون خميس :الدوحة/قطر
٢ـ أمانى مصطفى حمودة: الدوحة/قطر
٣ـ يسرى السيد السرى:الدوحة/قطر
٤ـ عبد الرحمن حسن عبد الرحمن /قطر
٥ـ سهيلة العناسوة : السلط /الأردن
٦ـ عاطف المعايعة : مادبا / الأردن
٧ـ مراد عبد الغنى محمود:عمان/الأردن
٨ـ خالد ناصيف : دمشق / سوريا
٩ـ محمود عوض عزايزة : سوريا
١٠ـ الصادق محمد عبد الله /السودان
١١ـ محمد العربى صالح : دنين/تونس
١٢ـ محمود محمد حمدان حمد / الكويت

اعتـــــــذار بالبريـــــد

ارسل احد اليابانيين مقالا الى ادارة إحدى الصحف لتنشره ، وبعد يومين تلقى مرسل المقال الخطاب التالى من رئيس التحرير :
« سيدى العزيز .. يا اخا الشمس وابن الأصل العريق اسمح للعبد المكبل بالخطايا ان يتوجه الى ذاتك المحترمة بالحديث ، وصلنا مقالك القيم الذى تفضلتم وتكرمتم وخصصتم به الصحيفة التى يشرف عليها الضعيف الذى يكتب لكم وقد قرانا المقال فبهرتنا بلاغته وراعنا ما حوت سطوره من معلومات نفسية وما تضمنه من فوائد قيمة هى ولا شك من هدى الآلهة اختصت به ذاتكم المبجلة ولقد اعددنا المقال للنشر فى صدر هذه الصحيفة ولكننى يا سيدى قلت لنفسى فى اللحظة الأخيرة لو اننا نشرنا مقالكم النفيس لأصبح كل ماينشر بعده غثا سخيفا لا يستحق القرأءة حتى تجود علينا بمقال اخر وقد يؤثر هذا فى رواج الصحيفة ولهذا ارجو يا سيدى أن تسمح للعبد ان ينحنى خاشعا ويرد لك المقال شاكرا ..»

كامل جسرى
سورية

أول مـرة

اوقفت إحدى الطالبات بجامعة تورونتو سيارتها داخل الحرم الجامعى ، ولما عادت وجدت عليها مذكرة « مارسيل مالكين ، لقد استخدمت منطقة وقوفى ، ابحثى عن مكان اخر لسيارتك » .. امضاء .. «استاذ الفلسفة» .

وفى اليوم التالى تركت له ورقة على سيارته كتبت عليها : «سيدى الاستاذ .. كما ترى لقد حولت مكان وقوف سيارتى ، وانى عظيمة الامتنان لان مذكرتك ، هى اول ما فهمته من كتاباتك» .

محمد أيوب
الاسكندرية

كلمات لها معنى

● تذكر ان الحب محطة تستريح فيها لحظات لتبدأ من جديد ، وتعبىء جهدك لرحلة طويلة شاقة .

● إعلم ان الحياة ليست خطيئة وانما الخطيئة هى ان تقول مثل هذا الكلام وان تصدقه

● ليس كل كتاب تتناوله محاولة بريئة لتعليمك فقد يكون هذا الكتاب اقتل لروحك من الزرنيخ .

● لا تنفر من شىء لأنهم قالوا لك انه خطأ .. وإنما احتكم الى عقلك وجرب نفسك .. سر فى الطين .. وتعلم كيف تحفظ توازنك .

● فى الحياة رذيلتان اثنتان فقط .. أن تكذب على نفسك .. وان تخاف من انسان يمرض مثلك ويموت مثلك .. فتخلص منهما .. وكن جرىء القلب تكن رجلا فاضلا .

● العقل الكبير عقل كالمصفاة .. كالمنخل .. يسمح للدسم بالمرور من خلاله ويحتجز السمّ .. ولا يرفض شيئا .. انما يختبر كل جديد بعينه الفاحصة

محمد احمد برمو
محافظة البحيرة ــ ج.م.ع .

من طرائـف برنـارد شـــو

عثر برناردشو ذات يوم ، وهو يقلب كتبا فى احدى المكتبات التى تتعاطى بيع الكتب المستعملة على مؤلف من مؤلفاته كان قد اهداه الى صديق له وصدره بالعبارة التالية «مع اطيب التمنيات» فاشتراه وعزم على اهدائه الى الصديق نفسه بعد ان كتب تحت العبارة الأولى «اكرر اطيب التمنيات»

واتفق له ان زار مرة اخرى تلك المكتبة ، فوقع نظره على مسرحية «بيجماليون» وكان قد اهداها الى احدهم وصدرها بكلمة اهداء طويلة نظرا لعلاقته الوثيقة بالمهدى اليه ، فتقدم من صاحب المكتبة وساله عن ثمن النسخة فاجاب : «إن ثمنها الأصلى ١٢ شلنا ، ولكن الحمار الذى سود صفحتها الأولى بكتابته هذه يضطرنى لبيعها بثلاثة شلنات»

ياسين صويلح
الحسكة ــ سوريا

السؤال الصحيح

قال رجل لهشام القرطبى : كم تعد ؟ .. قال من واحد الى الف الف واكثر .

قال : لم أرد هذا .. كم تعد من السنين ؟ قال اثنين وثلاثين سنا ، ستة عشر فى الفك العلوى ، وستة عشر فى الفك السفلى .

قال : لم ارد هذا ، كم لك من السنين ؟ .. قال هشام : ليس لى فيها شىء والسنون كلها لله .

فقال الرجل : يا هذا ... ما سنك ؟ .. قال هشام : من العظم .

قال الرجل : ابن كم انت ؟ .
قال هشام .. ابن اثنين .. رجل وإمراة ..

قال الرجل : قل لى بالله عليك كيف اقول ..

فقال هشام : كم مضى من عمرك ؟ .

اوسام فرج ابراهيم
ج . م . ع

الخـروج من المـــــأزق

اراد الرشيد ان يفاجىء ابا نواس بزيارته فى داره ، ولكن قبل وصول موكبه لمحه ابو نواس فوقف خلف الباب حتى اذا دنا الجواد الذى يمتطيه الرشيد من الباب فتحه ابو نواس بسرعة ليفسد على الزائر العظيم مفاجاته له . فجفل الجواد ، وسقطت عمامة الرشيد فتطير من هذا الحادث تطيرا شديدا وامر بالنطع والسيف . فضحك ابو نواس فاستغرب الرشيد وصاح به :

ويحك ... اتضحك وانت على ابواب الآخرة ؟؟ ..

فقال ابو نواس : اضحك يا مولاى لانك تقتلنى بغير سبب

ق الرشيد : انما اقتلك لأنك شؤوم الطالع فقد «اصطبحت» بوجهك فسقطت عمامتى !!

فقال ابو نواس : وانا اصطبحت بوجهك ففقدت حياتى فاينا اكثر شؤما ؟؟

فضحك الرشيد وقال احسنت .

رجائى معتوق
سوريا

حـــــاول أن تمـــــرف ● ● ●

لعبـة الخيالـة

هذه اللعبة اسمها الخيالة .. وهى من الألعاب الشعبية فى بلد عربى يقع على المحيط الأطلسى .. هل يمكنك التعرف على اسم البلد الشقيق .

هذا الفنان

لوحة لفنان ولد عام ١٨٨١ ، ومات فى عام ١٩٧٣ ، تميزت أعماله بالتطور الدائم واصبح من أشهر فنانى العصر الحديث .. من هو ؟

حل مسابقة حـاول أن تعـــرف العـــدد « ٥٦ »

البلد : سوريا

الفنان الايطالى : مودليانى

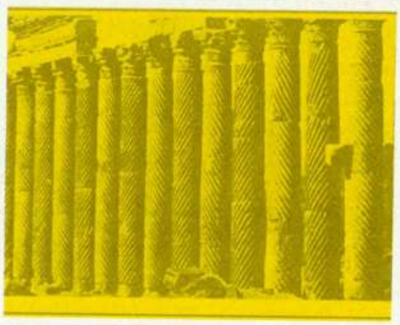

الصورة الاولى

١ ـ مصطفى عبد الله : ج . م . ع

٢ ـ أحمد عبد العزيز النجار ـ ٣٠ شارع بورسعيد ـ أسيوط

الصورة الثانية :

١ ـ الشاذلى محمد مهداوى ـ تونس

٢ ـ سعدون الحلبى ـ سوريا

هل توافقهم الـرأى ؟

● يكره الناس من يضطرونهم الى الكذب عليهم .

«فيكتور هوجو»

● العارى من الفضيلة لاشىء يستره .

«بنيامين فرنكلين»

● انا لا ابدل احزان قلبى بافراح الناس ، ولا ارضى ان تنقلب الدموع التى تستدرها الكآبة من جوارحى وتصير ضحكة . اتمنى ان تبقى حياتى دمعة وابتسامة .

«جبران خليل جبران»

● لاتقل انك تعرف انسانا معرفة تامة قبل ان تقتسم معه ميراثا .

«يوهان كاسبر»

حبيب رزق الله

مصر الجديدة ـ القاهرة

ثلاث قفشات

هل استطيع ان انتزع ابتسامة ـ ولو بسيطة ـ منكم بهذه القفشات الثلاث .. اتمنى ذلك :

● لاحظ صاحب إحدى المجلات ان رئيس التحرير قد ترك صحيفة بيضاء دون ان يكتب فيها شيئاً فساله :
ـ لماذا تركت هذه الصحيفة فارغة ؟
ـ فاجابه : من اجل الذين لا يعرفون القراءة ، وبذلك يكثر حزفاؤنا ...

● اصطاد صياد سمكة كبيرة وما لبث ان رماها فى البحر .. ثم اصطاد سمكة كبيرة اخرى ورماها ايضاً فى البحر وفى المرة الثالثة اصطاد سمكة صغيرة ففرح بها كثيراً ووضعها فى كيس . فساله شخص كان يراقبه : لماذا رميت السمكتين الكبيرتين وابقيت الصغيرة ؟ فاجاب الصياد : لأن المقلاة التى عندى صغيرة لا تتسع للكبير من السمك .

● سرق لص حماراً من السوق وعاد به الى زوجته ، وفى الاسبوع الثانى ذهب لبيعه ولكنه نام فى الطريق ، وحين استيقظ لم يجد الحمار . فعاد الى البيت، فسالته زوجته عن الثمن فقال : بعته باصل الثمن !

فوزى المصموسى
تونس

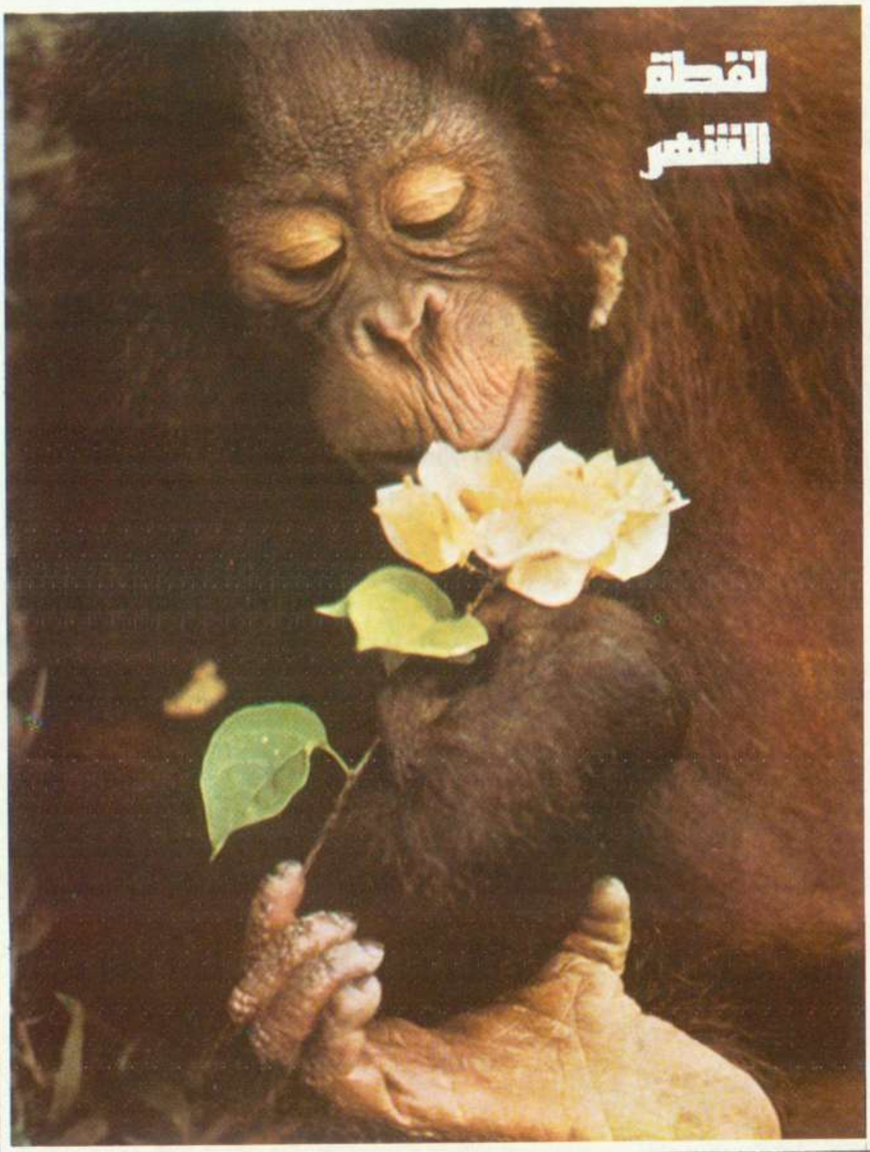

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال القارىء شوكت بهجت ـ لبنان

كاريكاتير و تعليق

ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال

كاريكاتير وتعليق العدد « ٥٦ »

ـ الخياط : ياه ! لم اتخيل أن الصوم سيجعلك تضعف بهذا الشكل .

حواء ناصر سالم
سلطنة عمان

ـ الخياط : يبدو أن الصابونة التى استحممت بها اليوم ، أخذت الكثير من جسمك لأن المقاسات كانت ماخوذة بدقة

محمد رحمة الله
السودان

الورقة الأخيرة

حسن احمد السوس

أطفالنا : من يكتب لهم ؟

اطلعت في العدد (٤٥) من مجلة الدوحة الغراء على مقال بعنوان « الكبار ٠٠ هل يستطيعون الكتابة للصغار؟ » بقلم الاستاذ احمد عبد السلام البقالي ٠٠

قرأت الموضوع مرتين ٠٠ واعدت قراءته ثالثة ٠٠ واحسب انني قد عرفت الاستاذ صاحب المقال ٠٠ في احدى حلقات الجامعة الامريكية ببيروت سنة ١٩٦٣ فان لم اكن مخطئا ٠٠ فاني احييه ثلاثا ٠٠ اولا لهذه الصلة القديمة وتذكيري بتلك الفترة من حياتنا ٠٠ واذكر ان من زملائه المغاربة في تلك السنة المرحوم الاستاذ عبد القادر الغلادي الذي واصلني بالمكاتبة بعد عودته الى المغرب ، والاستاذ الهلالي والسيدة بوقالي ٠٠ والسيدة أو الآنسة آمنة ٠ وغيرهم أقول ٠٠ان كان هو من عرفت فانني احييه مرة للذكرى والزمالة ٠٠ ومرة لكونه من المغرب الذي احمل له اجمل وانقى صورة ٠٠ واعتز بكل من ربطتني بهم صداقة من ادبائه ٠٠ والثالثة وهي اطيب التحايا لاثارته هذا الموضوع باحساسه المرهف وذوقه الرفيع وبعباراته الرقيقة التي تنم عن عاطفة جياشة وحب مخلص للطفولة ولمحاولته سد فراغ نشعر به نحوها ٠ أقول ان الفكرة في ذاتها جيدة خصوصا وقد اقترنت بالطفل الجدير منا بكل اهتمام ورعاية ٠٠ سيما في تربية نفسه وعقله وذوقه ، وانماء احساساته الجمالية ومواهبه الذوقية ، ومهاراته الفنية ٠

وهذا الموضوع اعتقد انه شغل بال المربين كثيرا فالفوا فيه التآليف وحبروا الرسائل ، ودونوا المذكرات ٠

وموضوع ادب الطفل جدير بالمناقشة وجدير بالاهتمام ولكن كما ذكر الاستاذ بقالي ٠٠ هو من العسر بحيث لا يستطيع الغوص فيه الا اصحاب المواهب الخاصة ممن يستطيعون تقمص شخصية الطفل ، وتلبس احساسه وانفعالاته ، والغوص الى ما يعتمل في ذاته وهذا لا يتأتى الا لأولئك الذين « ما يزال بريق الطفولة في عيونهم » كما قال الاستاذ بقالي وقد احسن التعبير وكأني به يعني بذلك الشعراء مرهفي الحس مشبوبي العواطف ٠٠ فهم احسن من يمكن ان يكتب هذا الادب ٠٠واذا قلنا : «أدب» فاننا نعني شمولية الكلمة فنعني القصة ، الشعر ، التمثيلية وما الى ذلك وبالطبع لابد وان يكون لكل فن منها متخصصون واعتقد ان احسن من يمكن ان يكتب ذلك هو المرأة الشاعرة ٠٠ الام ٠

كانت هناك محاولات سابقة من كثير من الادباء في كل هذه الفنون ولكني مع الاستاذ في كونها ما تزال قاصرة ٠٠

اذا قلنا : «طفولة »فاننا نعنى مرحلة معينة ٠٠ وهي اخطر مراحل العمر الانساني لانها مرحلة التشكل والتقولب والطفل فيها يكون في غاية الحساسية والتاثر اذن فلابد من ملامسته برفق وحذر ٠٠ والا نلقي اليه الا بما هو مضمون المناسبة – على الاقل في اعتقادنا – ٠

وهو في سن الطفولة اما ان يكون في الروضة او في المرحلة الابتدائية ، والمرحلة الاولى هي مرحلة سماعية بالنسبة للقصة والاناشيد والاغاني حيث لم يتمكن الطفل – بعد – من مبادىء القراءة المنفردة فهي مرحلة تلقين ٠٠ والتلقين – في ذاته – فن ناهيك عن حسن اختيار الموضوع ٠٠ والمادة ٠والمفردات والصياغة ٠٠ الخ

فنحن اذن محتاجون الى متخصصين وهم في بلادنا العربية اقل من القليل ان لم يكونوا مفقودين فنحن بحاجة الى الفنان الذي يفهم الطفل حتى يضع له المناسب من الشعر٠٠ الاغنية ٠٠ القصة ٠٠ التمثيلية ٠ واذا استطعنا ان نجد النص المناسب والمعلم الذي يستطيع ان يعرض هذا النص ببراعة ٠٠ فاننا نكون قد خدمنا اطفالنا خدمة جليلة ٠ احسبني اطلعت على مجموعة شعرية للشاعر الكبير الاستاذ سليمان العيسى تتعلق بهذا المجال – وهو مشكور على اهتماماته الجيدة – ٠

بقيت النماذج الثلاثة التي عرضها الاستاذ بقالي وبصفتي معلما ٠ وامارس نظم الشعر ، واتذوقه احب اولا ان اسأل الاستاذ لمن اعد هذه النماذج اعني لأية مرحلة من مراحل التعلم او التعليم ٠٠

فان كانت – ولابد وان تكون – للمرحلتين اللتين ذكرتهما آنفا ٠٠ فاعتقد انها أعلا – من حيث الصياغة ومن حيث الكثير من المفردات ، ومن حيث الطول – أعلا من مستوى هاتين المرحلتين ٠

النموذج الثالث اخشى ان يعترض عليه المربون – لا كاعتراضي الفني – يعترضون عليه من الوجهة التربوية فانت تريد ان تغرس «عادة» «الرحمة» في نفس الطفل ٠٠ ولكنك سوف تثير «غريزة» الخوف، ونخشى انتعقد «عقدة» بنفسه تحتاج الى «حلال» ٠٠ وحينئذ نكون قد أسأنا من حيث اردنا الاحسان وعالجنا داء بداء أخطر ٠

اكبر في الأخ الاستاذ بقالي اهتمامه بالطفل ومحاولة الاسهام في بناء ذوقه وحسه ونفسه ، وحسبه ان يكون الاخلاص رائده ٠٠ ولكل امرىء ما نوى ٠٠

حسن احمد السوس

PEPSI

مسجد
للفنان القطرى
يوسف الشريف

السنة الخامسة ـ العدد ٥٩ ـ محرم ١٤٠١ هـ ـ نوفمبر ١٩٨٠ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

الرأس والحل والنظام
د . يوسف إدريس

أغرب من الخيال فى شرق السودان
كمال سعد

د . محمد إبراهيم الشوش

ثقوب في خيط دخان
حوار الشمال والجنوب

MIRINDA

العدد ٥٩ نوفمبر ١٩٨٠

الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الاعلام بدولة قطر

الدوحة

رئيس التحرير

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

هيئة التحرير

مدير التحرير
عبد القادر حميدة

المدير الفنى
محمد أبو طالب

المحرر العام
كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج
مرزوق بشير

التحرير العام
النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
نادية رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير
نبيل خالد الأغا

البحوث والمعلومات
مبارك عثمان العشى

الإشراف الفنى
محمد نبيل الحداد
نائلة فتحى

سكرتير التحرير الفنيان
احمد عبد الله
على دياب

نوفمبر ٨٠

العدد ٥٩

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقى : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
القسم الادارى والمالى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

النهر الذى مضى

شئون عامة

إسلاميات

صفحات الرأى

حياتنا المعاصرة

أدب و أدباء

Ali Bin Ali Printing Press - Doha
طبعت بمطابع على بن على

تــــراث

اســـتطلاعـــات

الثقـــافة هنـــاك

هـــذا العـــدد

عندما صدر العدد الماضى مرموقاً بعدد من الاضافات الجمالية فى الشكل والخامات ، كنا نتوجس خيفة من بعض ردود الفعل الانعكاسى لدى بعض القراء ، ممن يتصورون أن الأخذ بأسباب الأناقة ، إنما هو تعبير عن بذخ ، وإسراف ، وترفع . وما كنا لنقدم على هذه الخطوة ، لو لم نكن نؤمن بأن كل سلعة جديدة ، إنما هى فى حاجة الى طريقة فى العرض جيدة ولافتة للأحاسيس التلقائية بالجمال . فالعين تقع على الشىء أولا .. تسيغه أو لا تسيغه .. ثم تعكسه على العقل . وكنا نتوجس خيفة من كوننا لم نعلن عن هذا التغيير أو التمهيد له ، لأننا ندرك أن حاسة النقد واللوم عند الآخرين ، أنشط من حاسة الاطراء ، أو الوقوف فى المنتصف تماماً ، إزاء الأمور التى يبذل فيها الجهد والسعى الى الأفضل والأرقى ، دون تنويه مسبق ! ونحن قبل ذلك ، وبعد ذلك نوقن أن قارىء الصحيفة الشهرية هذه الأيام عملة صعبة تتجاذبها أسواق الاعلام المتعددة ، والسهلة . وما كنا لنفرط فى قرائنـــا الذين صحبونا خمس سنوات ، وترتفع أعدادهم مع كل عدد يصدر من الدوحة ، لو أننا تغاضينا عن هموم العلاقة الحقيقية القائمة بيننا وبينهم . وهى أننا نسعى إليهم بكل جديد ومعاصر فى نتاج العقل العربى المفكر ، مثلما نفتح النوافذ على ما يجدى من تيارات الثقافة العالمية . وكلها روافد تؤدى الى إثراء القارىء فى زمن تتخبط فيه الرؤى ، ويزدحم بالغث والرخيص من القول والفعل وفقدان الطريق الى الهدف الصحيح .

الدوحة

فنـــــون

ابواب القراء

مـكافـآت القـراء

تدعيما للعلاقة الادبيـــة والروحيـة بين « الدوحـــة » واصدقائها المساهمين فى تحـرير أبواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافآت رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية
١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

رأيت • سمعت • قرأت
٦٠ ريالا

دوحـة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحـرير أبواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مـع ذكر اسم الباب عـلى المظروف الخارجي ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية •

من كل نبـــع قطرة

رسائل إلى المحـــرر

الشهر الذى مضى

● خليل محمد
عطبرة ـ السودان

تناول الدكتور محمد ابراهيم الشوش فى افتتاحية سابقة للمجلة موضوع النفط ، واورد فى عرضه الصورة التى يعرضها العالم الغربى وإعلامه تجاه بلدان النفط . وفى رأيى ان هذا الموضوع لحساسيته واهميته يحتاج الى اكثر من افتتاحية وندوة ، خاصة وقد طرحت منظمة البلدان المصدرة للنفط مشروعا لقيام إعلام خاص بها ، يحاول تصحيح هذه الصور .

خليل محمد

● اسماعيل عمر محمد
القضارف ـ السودان

صارت «الدوحة» ، المنبر الحر الذى نتحدث من خلاله بكل صدق وصراحة ولا يسعنى إلا ان ابدى إعجابى بمواضيعها الشيقة والمفيدة وكذلك بكتابها البارعين المبدعين واخص بالذكر هنا الدكتور / محمد ابراهيم الشوش الذى ظل يطالعنا ويظللنا بالعديد من المقالات الحيوية التى تعالج مشاكل وقضايا الأمة العربية المصيرية والمستقبلية ، واشير هنا واشاطره الراى فى مقاله الحيوى الهادف «المال العربى والخيارات الصعبة» فى العدد «٥٦» ـ شوال ـ / الذى يعالج مشكلة من اكبر مشكلات الوطن العربى الذى ننشد لاجياله الحالية واللاحقة التقدم والرفاهية فى عصر تتسابق فيه الأمم نحو التنمية والرقي.

اسماعيل عمر

إسلاميـــات

● محمد ضحية محمد على
الخرطـوم ـ الســودان

طرح محمد فتحى فى العدد ٥٧ من المجلة ضرورة التوجه الى العالم الغربى لنشر الاسلام فيه بدلا عن الخواء الروحى الذى يسوده ويزداد حدة كل يوم وارى قبل طرح هذه الدعوة الخيرة الجليلة ، ان ننظر ونتدبر امر الدول الاسلامية ، وما يسودها من تعصب وتفكك . وان نعالج كذلك الشوائب التى زرعها الاستعمار واعداء الاسلام للحد من قوته وانتشاره .

محمـــد ضحيـــة

● صالح محمود
بورسعيد ـ ج . م . ع

هذه الأسئلة حول الموت والخلود حركت شجونى وانا اقرا مقال عماد الدين خليل بعنوان «شيء عن الموت» .. فحقا نحن ندرك أن الموت هو الوسيط الذى لابد من مجيئه إذا ما اريد لقيم الحق والعدل ان تتحقق فى صفحة الكون كله .. فلولا وقعة الموت لوجدنا الظالمين يزدادون ظلما .. فالموت تذكرة وهو اشبه بجرس الانذار الذى يحذرنا من المعنى فى ظلم الآخرين .. فالموت ـ فعلا ـ لا يستثنى احدا ، فكل نفس ذائقة الموت كما قال سبحانه وتعالى .

صالح محمود

● نـاديـة حمدى الرفاعى
القاهرة ـ مصر

اقترح أن تفرد المجلة بابا دينيا ثابتا كل شهر ، يحوى مسابقات دينية وشروحاً للقرآن الكريم ، وعرض حياة كبار المسلمين واعمالهم .
واشير الى خلو المجلة من اى اهتمام بالطفل فيما يكتب . فهل تركت المجلة هذا الباب للمجلات المختصة ؟

نـاديـة حمـدى

دراسات إعلامية

● محمد احمد الحفناوى
امين مكتبة محكمة جنوب القاهرة ـ بكالوريوس فى الاعلام الاذاعى

قرات باهتمام ما كتبه الدكتور فاروق ابو زيد فى عدد «سبتمبر» عن قصور الدراسات الاعلامية فى الوطن العربى .. وإننى اود أن الفت النظر إلى أن سيادته قد ركز فى مقاله على المعاهد الدراسية فقط بالجامعات .
وفى الحقيقة ان هناك عديدا من المؤسسات الاعلامية التى تقوم بدور فعال فى خدمة الاعلام بالعالم العربى ، ومن هذه المؤسسات «اتحاد اذاعات الدول العربية» التى تقوم بدور كبير منذ عام ١٩٧٠ فى خدمة الاعلام العربى ، حيث ان الاتحاد يقوم بعقد الحلقات الدراسية حول الاعلام فى الدول العربية ، وكثيرا ما يقيم تلك الحلقات بالاشتراك مع منظمة (اليونسكو) ، ومن الأمثلة على ذلك بحث «نوادى الاستماع والمشاهدة الجماعية» والتى عقدت فى القاهرة فى الفترة من ٩ ـ ١٦ ديسمبر علم ١٩٧٢ ، وتناولت تجربة استخدام الراديو والتليفزيون كوسيلة تعليمية فى مصر وتونس والسودان .

محمد الحفناوى

استطـــلاعات

● موقس عبد الحق
مراكش ـ المغرب

بعد قراءتى لما كتبه جمال الغيطانى فى «العدد ٥٥» من المجلة عن مشاهداته فى المغرب فى كل من الرباط ومراكش اقول انه لا شيء اخطر من السياحة ، فاضافة الى انها تشوه بعض حقائق التاريخ والحقائق الاجتماعية لبلد ما تذهب فى تعاملها مع الشعوب المتخلفة الى تغيير القيم الانسانية العفوية وتكريس قيم جديدة دخيلة .

موقس عبد الحق

● اليوسف بن محمود
حمص ـ سوريـا

تناول كمال سعد فى غير مرة الحديث عن بلاد الأندلس ، تلك البلاد التى ارتبطنا بها تاريخيا فترة من الزمان . وهنالك بلدان اخرى مثل تركيا وافغانستان وباكستان ارتبط بها العرب تاريخيا واسلاميا فهلا نرى كتابات عن واقعها وحضاراتها فى المجلة .

اليوسف بن محمود

دولــــة قطــــر

وزارة التـــربيـــة والتعليم

إعلان المنظمـة العـربيـة للتربيـة و الثقـافـة و العـلوم

جائـــزة المســـرح العـــربى
لأحســـن مســـرحيـــة عربيـــة

تعلن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ جامعة الدول العربية ـ عن تخصيص جائزة للمسرح العربى قدرها ٢٠٠٠ دولار أمريكى أو ما يعادلها تقدم لأحسن مسرحية عربية تتوفر فيها الشروط التالية : ـ

- أن تكون باللغة العربية الفصحى .
- أن تؤدى على المسرح فيما لا يقل عن ٩٠ دقيقة .
- ألا يكون قد سبق عرضها أو اذاعتها أو نشرها بأية وسيلة من وسائل الاذاعة والنشر .
- أن تعالج جانباً من جوانب القضية الفلسطينية .
- يرسل من المسرحية خمس نسخ مرقومة على الآلة الكاتبة الى مقر المنظمة (ص . ب /١١٢٠/ ـ تونس) فى موعد أقصاه آخر آذار / مارس ١٩٨١

علماً بأن الفوز بالجائزة لا يخل بحق صاحب المسرحية فى ملكيتها والتصرف بها الى أية جهة يختارها ، كما ستقوم المنظمة من جانبها بترشيح المسرحية للعرض على المسرح فى مختلف الأقطار العربية .

الشهر الذى مضى

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

ثقوب فى خيط دخان

حوار الشمال والجنوب

حين تتحدد المواقف وتتعرى النوايا

وتبرز الأنياب بين

عالمين يقتسمان الحياة قسمة غير عادلة

جوهر الصراع : اختلال عجيب وخطير فى توزيع موارد العالم وخيراته

- دول العالم الثالث أو دول عدم الانحياز .. لا تعرف أبدا فى القاموس الاقتصادى بأنها فقيرة
- من الطبيعى أن يميل ميزان الغلبة والسيطرة لصالح الدول المتقدمة فى النظام الاقتصادى العالمى
- لماذا تصدت الدول المصدرة للنفط لحماية مواردها من التضخم وتقلب العملات ... ؟
- الأمر ليس مجرد تصرف إنسانى لانقاذ مجموعة من التعساء من مستقبل مظلم

المناقشات التى دارت ساخنة عنيفة وامتد دخانها عبر الأسابيع الأولى من الشهر الذى مضى متخذة إطاراً اقتصادياً خلال الدورة الخاصة للأمم المتحدة فى نيويورك ، والاجتماع السنوى المشترك للبنك الدولى وصندوق النقد الدولى فى واشنطن ، وإطاراً ثقافياً اعلامياً حاداً فى دورة اليونسكو فى بلغراد ، وفى العديد من المؤتمرات واللقاءات الدولية ، تكشفت عن صراع تحددت فيه المواقف وتعرت فيه النوايا وبرزت فيه الأنياب بين عالمين مختلفين يقتسمان الحياة قسمة غير عادلة ولا متكافئة على ظهر هذا الكوكب .

ولقد كانت اللغة السائدة بينهما ـ قبل أن يفرض الواقع المؤلم منطقه ، وتنهار النظم المتاكلة الخربة فوق رؤوس المستفيدين منها والمسحوقين تحتها ـ لغة المراوغة والدبلوماسية المهذبة التى تخفى الحقائق وراء تراكمات لفظية ناعمة الملمس ، يمارسها ممثلون متأنقون يتحدثون ـ ـ حين ياتى دورهم ـ حديثاً مكرراً معاداً لمقاعد خالية ، يرسلون نسخاً مسجلة منه الى اذاعاتهم وصحفهم بالبريد وعبر الأقمار الصناعية ، ويتبادلون الأنخاب حين ياتى المساء مع نفر من المحظوظين الآخرين ويتقبلون ابتسامات الكبار الأبوية ، ويتركون القرارات الرئيسية ، التى تتحكم فى مصائر من يمثلونهم من مستضعفى الأرض ، تمر فوق رؤوسهم من داخل حجرات مغلقة على الكبار ، قدراً محتوماً وقانوناً أزلياً من قوانين الكون والطبيعة لا يستطيعون له دفعاً ولا هم به معنيون .

لكن حديث المحافل الدولية هذه المرة كان جاداً ، وكان ساخناً غاضباً يريد تقويض هذه الحجرات المغلقة على الكبار لا يريد ترميماً يذر الرماد فى العيون . جاء الحديث هذه المرة بعد أن طفح الكيل وما عاد فى جراب المقهورين ما ينهب ، ليكون استكمالا لاستقلال سياسى ظل عبر عقدين من الزمان أجوف عديم المعنى والقيمة ، نالته بعد جهد أمم تعدى رقمها ـ ما شاء الله ـ المائة فى مقاعد منظمة الأمم المتحدة ، وما نعمت فيه بخير ولا سعدت بحرية . خيراتها فى يد الغير كما كانت ، ومصيرها ومواردها رهن اشارة من بحت الأصوات باسقاطهم . والذين استشهدوا صرعى فى الشوارع ، والذين صرخوا فرحة ومعاناة وألماً ، والذين تظاهروا والذين جرت دموعهم دمعاً ودماً والذين هللوا وبكوا يوم ارتفعت أعلام بلادهم ما وجدوا غير الجوع والفاقة والتخبط واستبدال صفوة بصفوة ، يقفون فى شوارع مدن العالم الثالث وفى حقوله وفى صحرائه لا يفقهون شيئاً من نصر لم يحمل لهم خبزاً ولم يحقق لهم عافية ولم يكرم انسانيتهم من فاقة وسغب .

• • •

وجوهر الصراع الذى برز الى السطح فى هذه المناقشات اختلال عجيب وخطير فى توزيع موارد العالم وخيراته ، ومصادر ثرواته ، ومكامن نفوذه وسلطاته ، ومنابر أصواته المسموعة وقراراته النافذة ، بين مجموعتين من الدول . احداهما مجموعة الدول المتقدمة ـ أو التى تسمى نفسها كذلك فهى التى تحدد وتطبق المقاييس التى تحكم التطور والتقدم ـ وهى تمثل قلة من الدول تبلغ أربعاً وعشرين دولة يتمركز أغلبها فى شمال العالم وتمثل ١٨ ٪ فقط من سكان العالم ومع ذلك تملك ٦٥ ٪ من مجمل الناتج المحلى للعالم ويعيش أفرادها فى بحبوحة إذ يبلغ متوسط دخل الفرد فيها أكثر من ٥٠٠٠ دولار سنوياً . وهى مجموعة متماسكة مترابطة تتحدث فى الغالب بصوت واحد يتمثل فى (منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية) ، حين تضع سياساتها وتنسق خططها وتحدد أهدافها ، (وفى مجلس المساعدات الاقتصادية) حين تتعامل مع الآخرين . والثانية مجموعة ضخمة من دول العالم المستضعفة المغلوبة على أمرها والتى لا وزن لها حين تتخذ القرارات ، وهى مجموعة عجز العالم أن يجد لها فى قاموس الدبلوماسية العالمية وصفاً يعبر عن حقيقتها وقلة بختها ولا يثير حساسيتها ، فهى قد تكون مجموعة دول العالم الثالث أو دول عدم الانحياز ، ولكنها لا تعرّف أبداً فى القاموس الاقتصادى بانها فقيرة ، برغم أن الفقر سمتها الرئيسية وبرغم أن الفقر ليس عيباً ـ كما يقول أهلنا الطيبون ـ فقد كانت توصف فى البداية بانها متخلفة حين لم تكن الحساسية واردة ، وحين كان التخلف سمة محببة للمتوحش النبيل تثير حب الاستطلاع لدى علماء الانثربولوجيا فى الغرب المتقدم ، ثم عدل هذا الوصف الى غير نامية ، ثم ترقت الى قاصرة النمو ، ثم تحسن حالها الى أقل نمواً ، وأخيراً الى نامية ، أكانت كذلك أم لم تكن . ويبلغ تعدادها حتى كتابة هذه السطور ١٢١ دولة بالتمام والكمال ، هذا اذا لم تتفتت الى دويلات أخرى أو يبتلع بعضها بعضاً أو يرتفع متفائلا علم استقلال جديد . وتمثل هذه المجموعة ٧٠ ٪ من سكان العالم ينتظر أن تصل الى ٨٠ ٪ فى نهاية القرن الحالى بفضل تناسلها المتزايد وغير المنضبط . وعلى كبر حجمها وغزارة ناسها ، لا تملك من مجمل الناتج المحلى للعالم سوى ٢٠ ٪

فقط ، وأغلب مواطنيها يعيشون فى الأرياف فى حالة يائسة من الجوع والفقر والمرض لا تليق بالكرامة الانسانية . وينحط متوسط دخل الفرد فيها الى أقل من ٣٠٠ دولار سنوياً . وبعض دول هذه المنطقة ويبلغ عددها ٤٥ دولة تعيش على الكفاف وقد صنفت حديثاً على أنها البلاد الأكثر فقراً وتضم الجزر والبلاد الحبيسة عن البحار ، وتلك التى أهلكها التضخم العالمى وارتفاع أسعار وارداتها وأفقدها قدراً كبيراً من قدرتها الشرائية الضعيفة التى كانت لها من قبل ، وعطل معدل نموها وحول مساره الى التراجع . وهى التى يمكن تسميتها البلاد المتراجعة النمو إن صح ذلك لغوياً . وهذه المجموعة بخلاف مجموعة الدول المتقدمة غير متماسكة ولا تتحدث بصوت واحد وتعج بالتناقضات فى داخلها وفيما بينها . وهنالك بؤر عديدة فى داخلها تتفجر صراعاً وحروباً وانقلابات وعدم استقرار واهتزاز فى كياناتها الاجتماعية والسياسية .

ونستثنى من هذا التقسيم لأسباب لا مجال للخوض فيها الآن مجموعة دول ما يسمى بالمعسكر الاشتراكى وتعد ـ فى حسابات العارفين ـ من الدول المتقدمة ، ويبلغ تعدادها تسع دول تتقاسم فيما بينها ١٥ ٪ من مجموع الناتج المحلى للعالم بينما تمثل ٩ ٪ فقط من سكان العالم .

• • •

ومظاهر التفاوت الاقتصادى والسياسى والثقافى بين المجموعتين المتقدمة والنامية عديدة متنوعة تنتشر فى كل الاتجاهات ، وتتضح فى كل منابر اتخاذ القرارات ورسم السياسات وفرض الهيمنة وتحقيق المصالح الحيوية .

ففى عالم يعتبر التكنولوجيا والرفاهية وتحقيق الربح المادى حتى ولو على حساب الآخرين من معايير التقدم والتحضر والذكاء والهدف الأسمى والأكبر لكل جهود البشرية واختراعاتها عبر التاريخ ، يعيش ٩٠ ٪ من علماء العالم فى الدول المتقدمة ويمثلون الركيزة الأساسية لثرائها الحقيقى وبسط نفوذها على العالم . وهى التى تبتدع النظم والتقاليد التعليمية التى تعتبر نبراساً للعالم كله ، وهى التى تحدد المقاييس العلمية وهى التى تمنح بركتها واعترافها بالعلماء والجامعات والمناهج والدرجات الأكاديمية والاجازات العلمية والجوائز التقديرية العالمية .

وفى المجال المالى هى التى تتحكم وتسيّر على هواها ولمصلحتها ووفق مزاجها الأنظمة المالية والنقدية والمصرفية فى العالم برمته ،فهى مقر المصارف الكبرى الأمينة ـ بأرقامها العلنية والسرية ـ على أموال الجميع أمماً وأفراداً من أى نبع غرفوا أموالهم ، وبقية مصارف العالم فروع تصب فى الأصل، وهى التى تملك وحدها ـ لا تبغى شريكاً من خارجها ـ حق اتخاذ القرار والنقض فى قمة أجهزة العالم الاقتصادية والمصرفية التى تتحكم فى النظام المالى والنقدى فى العالم والذى نشأ أساساً فى حضنها كالبنك الدولى وصندوق النقد الدولى . وصوتها فى هذه المنابر ـ بغض النظر عن مساهمتها المالية أو مساهمة الآخرين ـ هو الصوت الطاغى لا يرتفع صوت نشاز الى جانبه . وعملتها النقدية هى التى تشكل الاحتياطى للعالم إذ يتم التعامل بها عملة صعبة لا حدود ولا قيود على حركتها فى مجال التعامل التجارى فى العالم ، وعملات الآخرين سهلة رخوة لتسهيل التعامل الداخلى لا تتعداه أو تخرج عن نطاقه .

ومجموعة الدول المتقدمة هى التى تتحكم فى حركة الأفكار والناس والأشياء عبر الأثير وعبر الهواء وعبر البحار وعبر الأراضى وعبر الفضاء ، فى يدها تتمركز أهم وسائل الاتصال الجماهيرية ، وفى أرضها تعمل وكالات الأنباء العالمية الرئيسية ذات الأثر ، ومراسلوها ينتشرون فى كل أنحاء العالم فى أجواء السلم والحرب ، يصغى الناس اليهم حين تعييهم أكاذيب أجهزتهم : تخاف أن تخبرهم بالذى هو واقع فعلا . وليس قول الحق بممكن فى وضع غير مستقر . والدول المتقدمة تتحكم فى كافة شبكات المواصلات السلكية واللاسلكية وحركة النقل والطيران والملاحة البحرية والتأمين

ويلي برانت

إدموند ماسكى (مريكا) وهانز جينسر (المانيا الاتحادية)

○ المصروفات العسكرية فى نصف يوم تكفى للقضاء نهائيا على وباء الملاريا فى العالم

وفى مجال التجارة الدولية تتحكم الدول المتقدمة عن طريق شركاتها الصناعية والتجارية العملاقة التى تبسط هيمنتها ونفوذها واحتكاراتها الخانقة عبر القارات والمحيطات ... وهى التى تحدد الطلب وهى التى ترفع وتخفض الأسعار ، أمام أبوابها تقف صفوف الدول النامية تحمل مواردها من قطن وتبغ وكاكاو ومطاط وسكر تبيعه بخساً لقاء مقايضة خاسرة ، لأن منطق الاختلال لا يقيس قيمة المزارع الكادح فى مزارع الجنوب بقيمة الانسان المرفه فى مصانع الشمال .

وهناك عاملان رئيسيان أديا الى هذا التفاوت المخل وغير العادل ، أولهما أن دول الشمال المتقدمة كانت لظروف تاريخية هى الأرضية التى ولدت ونمت فيها النهضة العلمية التكنولوجية الحديثة ، والتى أفرزت بدورها الثورة الصناعية فكان من الطبيعى أن تكون فى وضع متميز بالنسبة لبقية دول العالم ، وأن تستغل الامكانات الهائلة التى وفرتها الثورة الصناعية لتحقيق رفاهيتها ونموها وأن تحولها لمصلحتها .

والعامل الثانى والذى يعتبر امتداداً طبيعياً للأول هو الاستعمار ، أو استغلال القوى المادية الهائلة التى فجرتها الثورة الصناعية للسيطرة على العالم واستغلال أراضيه الواسعة مركزاً لجلب السلع واستنزاف المواد الخام الرخيصة الثمن لمصانعه الجبارة والاستفادة من تعداد سكان الدول النامية الضخم سوقاً واسعة لمنتجاته الصناعية .

• • •

وكان طبيعياً أن يميل ميزان الغلبة والسيطرة والتميز كلية لصالح الدول المتقدمة فى النظام الاقتصادى العالمى الحالى ، وما تمخض عنه ويتمخض عنه من مؤسسات دولية تتحكم فى مصائر العالم وموارده وبخاصة البنك الدولى ، وصندوق النقد الدولى . فقد ولد هذا النظام فى أعقاب الحرب العالمية الثانية قبل خمسة وثلاثين عاماً فى ظروف كانت «الغالبية» العظمى من دول العالم الثالث ترزح تحت نير الاستعمار ، بعيدة كل البعد عن مسرح الأحداث العالمية . ولكن ليس من طبيعة الأشياء أن يستمر وضع ولد ونمى تحت ظل ظروف تاريخية واجتماعية وسياسية مضى عليها الزمن فتبدلت ولم يعد لأكثرها وجود .

لقد كان من أبرز التطورات التى حدثت مخلفة هذا النظام وراءها مهلهلا عديم الفعالية ، ذلك التفاوت الذى طرأ فى النمو الاقتصادى للدول المتقدمة نفسها . ففى الوقت الذى انطلق فيه الاقتصاد الالمانى واليابانى والفرنسى ، أصيب بالعقم والركود الاقتصاد البريطانى والأمريكى وهما الدولتان اللتان تتحكمان فى النظام النقدى العالمى وتمثل عملتهما الاحتياطى الرئيسى للعالم كله . ومنها أيضاً تقلص الهيمنة الأمريكية الاقتصادية التى كان انشاء البنك الدولى وصندوق النقد الدولى أصلا من أميز مظاهرها . ومنها ـ وقد يكون أهمها ـ خروج دول العالم الثالث من قبضة الاستعمار والسيطرة السياسية ، ورغبتها تأكيد ذلك بتحقيق استقلالها الاقتصادى والثقافى والخروج من فلك التبعية ، والسيطرة على مواردها لتحقيق رفاهية شعوبها ، والمساهمة الفعالة والعادلة فى الانتاج الدولى للسلع والتجارة العالمية بغرض تحقيق التنمية ورفع حالة شعوبها من درك الفقر والحاجة . ومن هذه التطورات الهامة أيضاً ظهور الدول المصدرة للنفط بامكاناتها المالية وقدرتها الخارقة على خنق اقتصاد الدول الصناعية ووضعه تحت رحمتها ، واصرارها أن تكون القيادة فى يدها لا فى يد غيرها ..

وقد أحدثت هذه التطورات شرخاً خطيراً فى النظام الاقتصادى العالمى أخذ يتسع بصورة واضحة . وبرغم كل الأصوات المستغيثة فى الجنوب والأصوات الواعية والمنزعجة على مصيرها فى الشمال ، ظلت دول العالم المتقدم تعيش فى وهم الماضى مغمضة عينيها دافنة رأسها فى الرمال، تحاول أن تصد المحتوم بالمسكنات المؤقتة والترميمات السطحية والجدار يتقوض حتى انهار تماماً ..

السفير الهندى براجيش ميشرا رئيس مجموعة الدول النامية

مجموعة الدول المتقدمة

(استراليا ، النمسا ، بلجيكا ، كندا ، الدنمارك ، فنلندا ، فرنسا ، جمهورية المانيا الاتحادية ، اليونان ، ايسلندة ، ايرلندة ايطاليا ، اليابان ، لوكسمبورج ، هولندا ، نيوزيلنده ، النرويج ، البرتغال ، أسبانيا ، السويد ، سويسرا ، تركيا ، المملكة المتحدة الولايات المتحدة) .

(المعسكر الاشتراكى)

(ألبانيا ، بلغاريا ، تشيكوسلوفاكيا ، جمهوريا المانيا الديمقراطية ، المجر ، منغوليا ، بولندا ، رومانيا ، الاتحاد السوفيتى) .

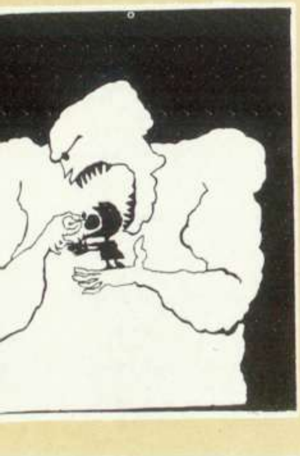

الاهمال من جانب الدول الصناعية أدى إلى تكتل بلدان أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية

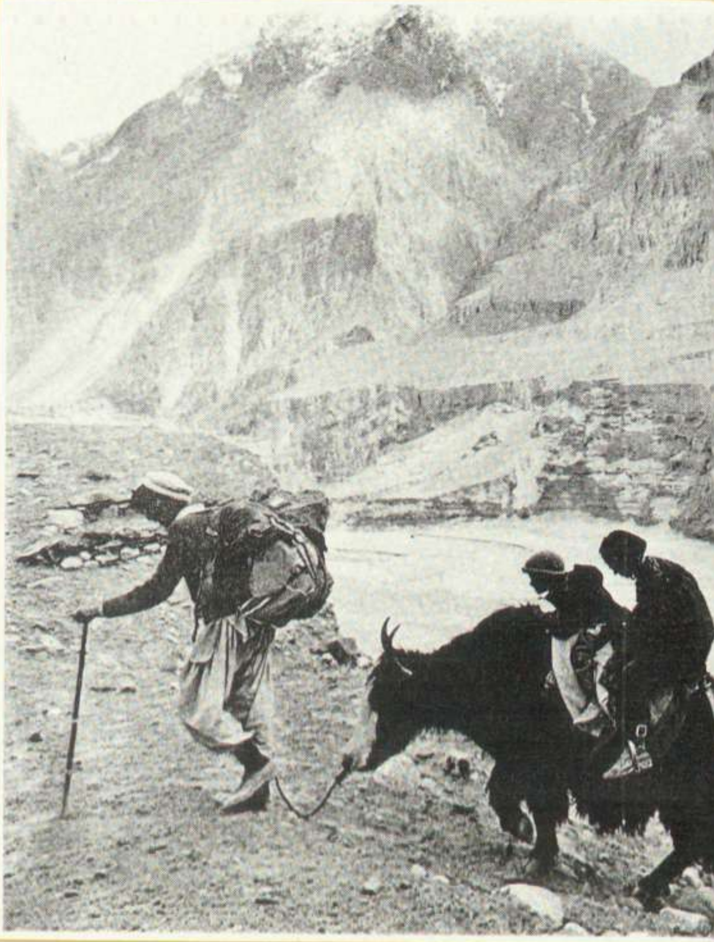

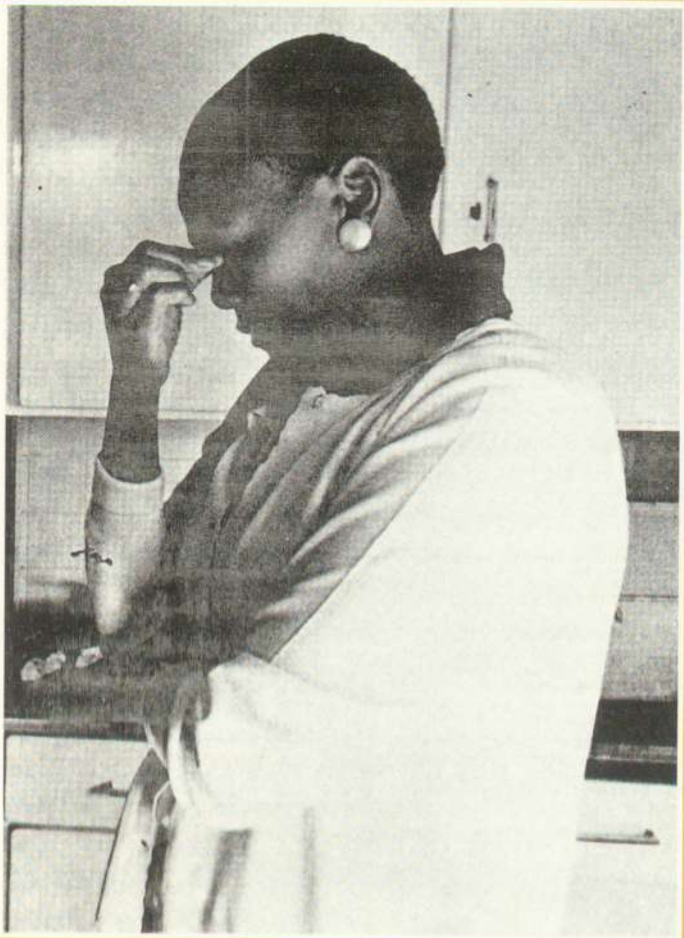

وكانت بداية الهزة التى اقتلعت النظام الاقتصادى من أساسه انهيار النظام النقدى العالمى فى عام ١٩٧١ وهو الذى كان ينظم الشئون النقدية العالمية ، ويعرف بنظام (برتون وودز) وهو اسم لقرية فى الولايات المتحدة شهدت مولد صندوق النقد الدولى عام ١٩٤٥ . ويحدد مجموعة القواعد النقدية على قيم ثابتة يعبر عنها بالذهب والدولار . وحتى عام ١٩٧١ وبمقتضى ذلك النظام كان على الدول أن تدعم قيمة عملتها بما تملك من أرصدة أو تخفضها . وقد احتل مكانه حالياً نظام واه متقلب يعرف باسم (معدلات الصرف العائمة) ويقوم على اساس علاقات معدلات الصرف بين العملات التى تتقرر يومياً فى الأسواق حسب قانون العرض والطلب . وقد ادى هذا الى عدم استقرار أسعار العملات مما دفع بالتجارة الدولية الى حالة بعيدة من الارتباك والفوضى وأدى الى مزيد من الفقر فى الدول النامية .

وفى اطار هذا الوضع المرتبك وغير المستقر كان لابد أن تتصدى الدول المصدرة للنفط لحماية مواردها الناضبة من التضخم العالمى الذى أدى الى تآكل أرصدتها ، ومن مخاطر تقلب العملات الذى أضر بالعائد الحقيقى لمبيعاتها . ولقد كان ارتفاع أسعار النفط بازدياد منذ عام ١٩٧٣ بمثابة القشة التى قصمت ظهر النظام الاقتصادى العالمى المائل لصالح الدول الصناعية المتقدمة . وكان ان اختلت الأسس الاقتصادية القائمة على اعتبار النفط سلعة متوفرة رخيصة الثمن على الدوام . وانقلب ميزان المدفوعات فى الدول المتقدمة رأساً على عقب ، وبلغ العجز التجارى فيها الوف الملايين من الدولارات ، وعم الكساد وافلس عديد من المؤسسات التجارية ، وركض التضخم الى ابعاد لم تكن فى حساب احد ، وارتفعت العطالة الى أرقام مزعجة افرزت تخريباً وارهاباً سادياً عشوائياً أصبح يهدد الأمن الداخلى والأسس الدستورية التى يقوم عليها نظام الحكم نفسه .

وكما هو متوقع كانت الدول النامية ـ وبخاصة المستوردة للنفط منها ـ أكثرها تعرضاً للضرر والخطر . فقد زاد اجمالى الديون المعلقة على هذه البلدان الى مئات البلايين من الدولارات وأصبح بعضها غارقاً فى الديون الى حد ان كل صادراتها فى أحسن أحوال الحصاد لا تفى بتسديد الفوائد وحدها . وقد أصبح هذا العجز يهدد النظام المصرفى العالمى بالانهيار بعد أن شلت قدرته على منح مزيد من القروض للدول التى تحتاج اليها فعلا .

ومع توقف النمو واطلاق شيطان التكنولوجيا يلوث الأرض والبحر والجو ويهدد الزرع والضرع فى العالم ، يقل المزروع وتزحف الصحارى ويحصد الجوع ملايين البشر فى آسيا

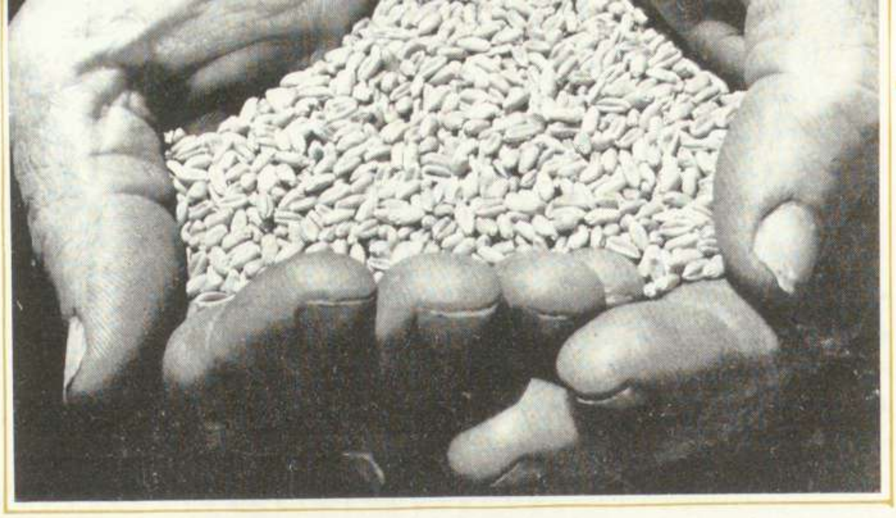

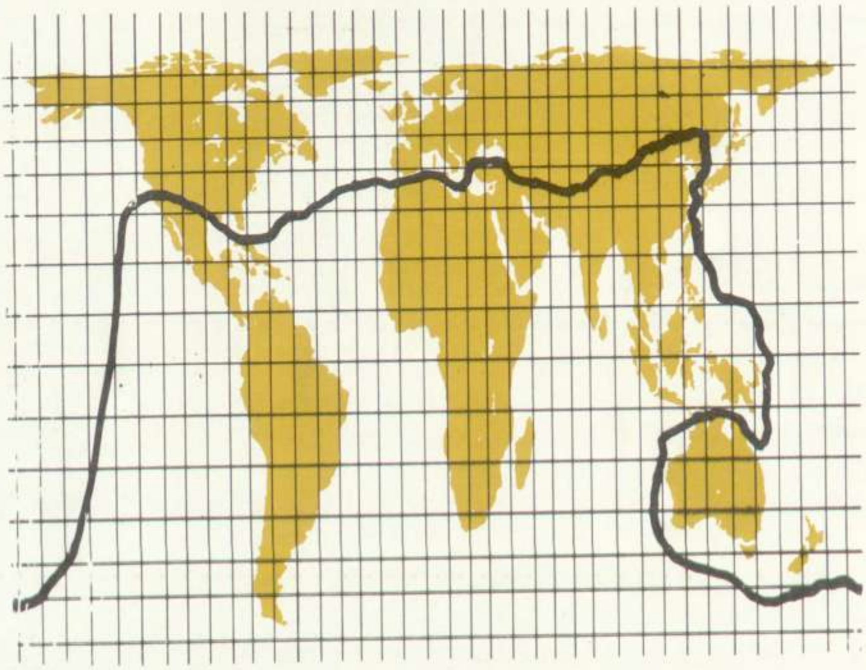

وافريقيا . ففى عام ١٩٧٩ الذى اطلق عليه عام الطفل مات اكثر من ١٧ مليون طفل حسب الاحصاءات المعروفة .

• • •

فى هذا الوضع لم يبق من حل مطلقاً سوى توفير رأس مال ضخم يمنح للدول الفقيرة ، كمساعدات مباشرة صريحة ، اذا ما أريد لها الحياة والنمو ، وكذلك التخلى عن هذا النظام الأنانى الجائر الذى كان من نتائجه دفع العالم الى هذا الطريق المسدود . والأمر ليس مجرد تصرف انسانى لانقاذ مجموعة من التعساء من مستقبل شديد الاظلام ، بل لأن منطق الحال يؤكد انه ما من مجتمع يمكن أن يعيش منعماً فى عالم يعانى ويلات الفقر والجوع . فتوقف النمو فى البلدان الفقيرة سيؤدى فى أحسن احواله الى انخفاض مريع فى حركة التجارة والاستثمار والأداء الاقتصادى العالمى بصورة لن تكون أبداً فى صالح أية دولة أو مجموعة فى العالم . وفى أسوأ احواله سيؤدى الى تعطيل امكانيات الملايين من البشر وتحويل طاقاتهم من الانتاج المشروع الى التخريب وإشاعة الفوضى والارهاب الذى يدفع بالعالم الى أتون حرب لن تبقى على ظهر الأرض غنياً أو فقيراً .

هذه هى حقيقة بديهية لا تريد أن تواجهها الدول المتقدمة وبدلا عن استخدام امكاناتها لدرء الخطر عن العالم تعمد الى تقليص معوناتها الاقتصادية للدول النامية عما كانت عليه فى السابق بحجة ما تعانيه من ضائقة اقتصادية ، متجاهلة أن تدهور مستوى الحياة فى الدول الفقيرة سيجر اقتصادها — وهو الذى يعتمد على استقرار الدول النامية وموادها الخام واسواقها — الى الحضيض .

وبالرغم من كل الوعود التى قطعتها الدول المتقدمة على نفسها فى كافة المحافل الدولية بان تخصص نصيباً معيناً من ناتج دخلها القومى لمساعدة الدول الفقيرة فانها لم تبلغ من ذلك شيئاً . وتبرر الدول المتقدمة هذا الشح من جانبها بالقاء مسئولية معاناة الدول النامية على معوقات داخلية . إذ يقول وزير خارجية الولايات المتحدة فى الدورة الاستثنائية للامم المتحدة : «مهما بلغ مستوى المساعدات الخارجية ستظل عاملا ثانوياً ، فالعوامل الرئيسية كلها داخلية كالقدرة على استغلال المصادر بصورة فعالة ، وتشجيع الابداع وروح الاختراع والمبادرة وتوزيع ثروات البلاد بصورة عادلة على قطاعات واسعة من المجتمع . وعليه فان هنالك مسئوليات يتحتم على الدول النامية نفسها أن تتحملها للقضاء على

○ دخل الموضوع فى اللحم الحى وارتفعت قرون الاستشعار: كله إلا هذا..!!

الفقر والجوع الذى يحصد أرواح الملايين من مواطنيها» وأحياناً القاء المسئولية على أسلوب الحياة الاجتماعية لكثير من هذه الدول التى تعطل طاقات نسائها بحرمانهن من التعليم والعمل ، وتعجز عن تحديد نسلها بصورة لا يمكن معها لأية معونة أن تكون فعالة أو تترك فئرانها تقضى على ما تحصل عليه من غذاء .

ولا تكتفى الدول المتقدمة بتقليص معوناتها للدول النامية فى أشد حاجتها ولكنها تذهب الى حد التضييق على هذه الدول وقفل منافذ التجارة فى وجهها بحجة حماية صناعاتها فى وجه ما تواجهه من كساد وبطالة .

• • •

ودول المعسكر الاشتراكى المتقدمة ، برغم احتمائها بالشعارات التى أبداً ما أطعمت جائعاً أو أنقذت معدماً ، ليست بأحسن حال من الديمقراطيات الغربية المتقدمة ، بل أدت سياستها الرعناء فى عدد من مناطق بلدان العالم الثالث الذى يدور فى فلكها الى هجرات جماعية لأناس تعساء أضافوا الرعب والخوف الى الحاجة والجوع ، يدورون لاجئين فى عرض البحار يضيفون جديداً على معاناة العالم النامى ..

ومن ناحية أخرى ظلت دول المعسكر الاشتراكى تتهرب من أية مساهمة فى تحمل أعباء المساعدات الخارجية للعالم الثالث بحجة أن ما تعانيه هذه الدول إن هو إلا تركة استعمارية وعلى الذين تسببوا فيها أن يتحملوا وزرها وهى حجة تثير الضحك لو كان فى الأمر ما يضحك . وتفسير أحد

مجموعة الدول النامية

● افغانستان ، الجزائر ، انجولا الأرجنتين ، جزر بهاما ، البحرين بنجلاديش ، بربادوس ، بنين ، بوتان ، بوليفيا ، بوتسوانا ، البرازيل ، بورما ، بوروندى ، كسيب فيردى (جزر الرأس الأخضر) ، جمهورية أفريقيا الوسطى ، تشاد ، شيلى ، كولومبيا ، جزر القمر ، الكونغو ، كوستاريكا ، كوبا ، قبرص ، كمبوتشيا الديمقراطية ، جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية ، اليمن الديمقراطية ، جيبوتى ، دومنيكا ، جمهورية الدومنيكان ، اكوادور ، مصر السلفادور ، غينيا الاستوائية ، أثيوبيا ، فيجى ، جابون ، جامبيا ، غانا ، جرينادا ، جواتيمالا ، غينيا ، غينيا ـ بيساو ، جويانا هايتى ، هندوراس ، الهند ، اندونيسيا ، ايران ، العراق ، ساحل العاج ، جامايكا ، الأردن ، كينيا ، الكويت ، جمهورية لاوس الديمقراطية الشعبية ، لبنان ،

○ عناصر التفاؤل كلها متوفرة .. وإدراك الهدف هو أول مرأقى تحقيقه

ممثلى دول المعسكر الاشتراكى المتقدمة بأنهم يمنحون معوناتهم وفق اتفاقات ثنائية للدول التى تحتاجها ولا يضعونها تحت تصرف المؤسسات المالية العالمية حتى لا تتسرب الى أيدى الأنظمة الفاشية وجيوب المرتشين والفاسدين ، تفسير قد يثير الرضى لأنه يحمل بعض الحقيقة ، ولكنه تفسير غوغائى غير مقنع . غير مقنع لأنه يتخذ ثوباً انسانياً طهوراً وسجل تعامل الدول الاشتراكية مع دول العالم الثالث ليس ناصع البياض . فهى تفرض فى بعض الأحايين شروطاً غير مقبولة على الدول النامية ، كما تبين فى بعض أحوال انها تعيد طرح منتجات دول العالم الثالث التى تحصل عليها عن طريق المقايضة فى الأسواق العالمية بأسعار منخفضة لتحصل على عملات صعبة غير مكترثة لما يسببه ذلك من كساد وتخريب لاقتصاديات هذه الدول وتبخيس لسلعها .

• • •

وفقدان الواعز الاخلاقى فى النظام الاقتصادى العالمى الذى تتحكم فيه الدول المتقدمة ، وتوجهه نحو غايات الربح المادى دون التفات لأى موقف انسانى أو اخلاقى يبرزهما هذا الاهتمام الضخم الذى تمنحه لصناعة الأسلحة الفتاكة والتى تعتبر من أكبر صادراتها واكثرها تقدماً تكنولوجيا للدول الفقيرة التى لا تجد القوت ، واستغلال ما تعانيه هذه الدول من تفكك وعدم استقرار بجعلها ساحة لصراعها الايدلوجى والسلطوى ، وبذر بذور الفتنة لتشغيل مصانعها وتجربة اسلحتها . ففى الوقت الذى تبلغ فيه المخصصات العسكرية السنوية فى العالم ٤٥٠ بليون دولار سنوى لا تبلغ معونات التنمية ٥ ٪ من هذا المبلغ المخصص للدمار .. وكما أشار ويلى برانت المستشار الألمانى السابق فى تقريره عن حوار الشمال والجنوب ، فان المصروفات العسكرية فى نصف يوم تكفى للقضاء نهائياً على وباء الملاريا فى العالم ، وثمن عربة مدرعة واحدة والذى يبلغ مليون دولار ، يوفر ألف فصل دراسى لثلاثين ألف طفل . وثمن طائرة نفاثة واحدة ويبلغ ٢٠ مليون دولار ، يوفر ما يكفى لانشاء ٤٠٫٠٠٠ مستوصف طبى لمعالجة المرضى فى القرى .

• • •

لقد كان جلياً وبخاصة على أثر نيل عدد كبير من الدول المتضررة استقلالها فى ظل هذا النظام المجحف ، أن الوضع لا يمكن ان يستمر ، وأن الطريق الذى يؤدى اليه ، هو طريق مسدود تماماً ، ليس فى وجه دول العالم الثالث النامية وحدها ، وانما فى وجه الفقراء والاغنياء على حد سواء . لكن الدول النامية لم تكن تملك الأداة أو القدرة على الضغط المؤثر الذى يجعل لرايها وزنا . ولهذا لم يكن قرعها للأجراس فى الخمسينات واوائل الستينات فى نظر الدول المتقدمة ، إلا نداءات سائل ملحاح كسول متخلف عقلياً واجتماعياً يريد منحة لا تكلفه عناءاً ، وليس هو من الشاكرين .

هذا الاهمال من جانب الدول الصناعية أدى الى تكتل بلدان افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية فى دورة الأمم المتحدة الخاصة بالتجارة والتنمية عام ١٩٦٤ . وهو التكتل الذى عرف فيما بعد بمجموعة الـ ٧٧ . وحين ازداد الامر سوءاً فى مجال التعاون الاقتصادى العالمى وبدأت بوادر انهيار النظام الاقتصادى العالمى وتمسك الدول المتقدمة واخلالها بما وعدت فى برامج مساعداتها فى أوائل السبعينات ، وانهار النظام النقدى العالمى ، وبدأ التضخم يبتلع المدخرات ويوقف عجلة التنمية ، بدأ التساؤل عما اذا كانت الاصلاحات فى مجال المواد الخام والطاقة والتمويل والتنمية والتجارة وتقنين المعونات مجدية .. وما اذا كان الداء الرئيسى يكمن فى هيكل الاقتصاد العالمى نفسه وينخر فى عظامه . وكنتيجة لذلك ظهرت الدعوة لاقامة نظام اقتصادى دولى جديد ..

ولما كانت الدعوة معممة غير محددة ولما كانت الدول المتقدمة قد إعتادت هذه الدعوات الخطابية التى لا تحمل فى طياتها الكثير ، فقد وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى عام ١٩٧٤ بالاجماع على هذه الدعوة والتى تتضمن اشارات غير محددة عن دعم التنمية وإزالة المعوقات عنها وزيادة نصيب الدول النامية من الانتاج المصنع، وضمان القيمة الحقيقية للأرصدة المالية للدول النامية بعيداً عن التلاعب فى أسواق النقد . وتعويض الدول النامية عن تأثير التضخم الذى أفرزته اقتصاديات الدول المتقدمة واتخاذ الخطوات بواسطة المجتمع الدولى للتخفيف من الأعباء المالية الواقعة على كاهل الدول النامية بسبب ارتفاع

ليسوتو ، ليبيريا ، الجماهيرية العربية الليبية ، مدغشقر ، مالاوى ، مالطة ، موريتانيا ، موريشيوس ، المكسيك، المغرب ، موزمبيق ، نيبال ، نيكاراجوا ، النيجر ، نيجيريا ، عمان ، باكستان ، بناما ، بابوا غينيا الجديدة ، بارجواى ، بيرو ، الفلبين ، قطر ، جمهورية كوريا ، رومانيا ، رواندا ، سانت لوشيا ، ساموا ، ساو تومى وبرنيسيب ، السعودية ، السنغال ، سيشل ، سيراليون ، سنغافورة ، جزر سليمان ، الصومال ، سرى لانكا ، السودان ، سورينام ، سوازيلاند الجمهورية العربية السورية ، تايلاند ، توجو ، ترينداد وتوباجو ، تونس ، اوغندا ، اتحاد الامارات العربية ، جمهورية الكاميرون المتحدة ، جمهورية تنزانيا المتحدة ، فولتا العليا ، اوروجواى ، فنزويلا ، فيتنام ، اليمن ، يوغوسلافيا ، زائير ، زامبيا ، زمبابوى . ماليزيا ، المالديف ، مالى ●

وأخيرا : لن يتحقق للعالم النامى استقلال مالم يواكبه إصلاح داخلى حقيقى

وارداتها من المواد المصنعة والمواد الأولية والطاقة والغذاء والخدمات والتكنولوجيا .

• • •

ولو وقف الأمر عند هذا لما حدث الاشكال ذلك لأنها مطالب عامة ومكررة أصبحت الدول المتقدمة ماهرة ـ من خلال خبرائها ـ فى الجدل حولها الى الأبد اذا استدعى الأمر ... ولكن الدول النامية تعدت ذلك الى التقدم بمقترحات عملية محددة ليست من جنس ما تعودت أن تتقدم به فى السابق . أهمها اقتراحان ينفذان كالسهم الى قلب سيطرة الدول المتقدمة ، وهما أولا : تعديل بنود اتفاقية صندوق النقد الدولى والبنك الدولى بما يتلاءم ومصالح واحتياجات الدول الفقيرة ، والثانى : ضمان مساهمة الدول النامية مساهمة فعالة ومتساوية مع الدول المتقدمة فى اتخاذ القرارات . وهكذا

دخل الموضوع فى اللحم الحى ... وارتفعت قرون الاستشعار كله إلا هذا !

أن يكون الحديث عن النظام المصرفى ، وسياسة التبادل النقدى ، وسياسة الذهب ، وسياسة الدولار وزيادة المعونات ، وازالة المعوقات امام تجارة الدول النامية ، وتطوير مصادر الطاقة وأسلوب زيادة الانتاج الزراعى ، والخطوات الواجب اتخاذها لاستثمار فوائض المال .. كل هذا مقبول وقابل للنقاش ولا اعتراض لأحد عليه . وليكن منبرها مفاوضات كونية تمتد من يناير ٨١ الى ما شاء الله . لكن أن تاتى دول العالم الثالث بقضها وقضيضها حافية القدمين من كل فج بأغلبيتها الميكانيكية ، وعقليتها اللااقتصادية واللاعلمية والتى أوصلتها الى ما هى عليه ، الى داخل حجرات البنك الدولى وصندوق النقد الدولى وتتطاول بالجلوس على مقاعده الوثيرة وتكتسح العارفين بأصواتها .. فلا وألف لا ! .. واذا لم يعجبهم الحال فلينشئوا صندوقاً خاصاً بهم فلن يوافق الكونغرس وكافة الأجهزة التشريعية فى العالم المتقدم ، على

ادخال فلس واحد فى خزينة صندوق أو بنك عالمى لا تتحكم فيه ، ولن يتقدم بنك تجارى واحد فى البلاد المتقدمة (وكل البنوك فى البلدان المتقدمة على كل حال) بالمساعدة أو التمويل

وكان هذا باختصار شديد ودون الدخول فى التفاصيل هو سدى ولحمة مناقشات الدورة الختامية للأمم المتحدة التى استمرت لمدة ثلاثة أسابيع ، والدول المتقدمة وعلى رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الاتحادية ترفض أى حل يتناول من قريب أو بعيد موضوع تكوين هذه المؤسسات المالية أو يخفف من قبضة الدول المتقدمة عليها . وبريطانيا معذورة فى موقفها ، فوضعها فى هذه المؤسسات لا يعكس وزنها الحالى وانما جبروتها أيام كانت الشمس لا تغرب عن امبراطوريتها . ورحم الله أيام زمان .

وهكذا انتهت الدورة بالفشل الكامل ... وأصبحت المفاوضات الكونية فى العام القادم فى مهب الريح وإن هى قامت أصلا ستكون مجرد اضاعة الوقت فى عالم يموت فيه أطفال من الجوع وآخرون من التخمة ، ويتعارك فيه الجوعى حتى الموت وتدور مصانع تمدهم بالسلاح .

• • •

لكن عناصر التفاؤل كلها متوفرة . واذا كان الصراع لنيل الاستقلال السياسى قد استغرق وقتاً طويلا فلا ينتظر أن يكون تحقيق الاستقلال الاقتصادى أو اقناع الدول المتقدمة بالتخلى عن سلطانها وهيمنتها سهلا ميسوراً . وإدراك الهدف هو أول مراقى تحقيقه . ولقد تكشفت الرؤية للعالم النامى ... واذا كانت فى السابق لا تملك عوامل ضغط فعال وتفتقد الى الترابط ، ووحدة الهدف بينها ، فقد تحقق لها الآن بعض ذلك .. كما أنها أصبحت تملك الآن من خلال النفط والامكانات المالية الجبارة التى جلبها ، قدرة لا حدود لها على الضغط ، وفرض المنطق فى عالم لا يؤمن بمنطق لا تسنده قوة . وقد أعلنت دول النفط موقفها الواضح الى جانب دول العالم النامى متضامنة معه رافضة كل المحاولات المغرية لجرها لاتفاقات ثنائية تبادل النفط بالتكنولوجيا والتصنيع ، مصرة فى كل المواقف الا تتقدم بأى دعم مالى أو تستغل فائضها المالى من خلال المؤسسات المالية العالمية اذا لم يكن لها فيما يصرف رأى مسموع ، وألا تفاوض فى أى تنازلات حول أسعار النفط وامداداته بمعزل عن وجود نظام نقدى مستقر ، وتنازلات موازية من الدول المتقدمة تجاه الدول النامية من حيث المعونات والتسهيلات التجارية ...

وقبل ذلك وبعد ذلك كله لن يتحقق للعالم النامى استقلال أو تنمية حقيقية ما لم يتحقق اصلاح داخلى حقيقى يزيل الفساد والعفن ويخلق جواً نقياً حراً عادلا لانطلاق الشعوب الماردة بأعدادها الضخمة الى الاعتماد على النفس والشعور بالكرامة الانسانية .

د. محمد ابراهيم الشوش

الدوحة

العدد القادم والأعداد القادمة

دولة قطر
وزارة الإعلام
إدارة الثقافة والفنون

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ إدارة الثقافة والفنون بوزارة الإعلام أن تقدم للجمهور الكريم نتاجها الأدبي والثقافي للموسم الثقافي ٧٩/٨٠ م :

١ - المؤسسات السياسية في دولة قطر — تأليف الأستاذ يوسف عبيدان
٢ - تراث قطر وثقافتها المعاصرة — تأليف الدكتور محمد جابر الأنصاري
٣ - ديوان بن فرحان — للشاعر القطري المرحوم حسن الفرحان
٤ - ديوان زمان أول — للشاعر الأستاذ عبد الرحمن رفيع
٥ - الموسم الثقافي :
ويضم مجموعة من الأمسيات الشعرية والمحاضرات والندوات التي أقيمت خلال الموسم الثقافي للإدارة سنة ١٩٧٧-١٩٧٨ م

كما قامت الإدارة بإصدار ٤ قصص للأطفال لاقت نجاحًا كبيرًا وهي :

١ - قصة الغيمة السوداء .
٢ - » ثعلوب يتعرف على الأرنب
٣ - قصة الاتفاق ٤ - قصة أجمل من قوس قزح

مع تحيات

إدارة الثقافة والفنون
وزارة الإعلام

أصبحت الحرب النووية تمثل أكبر تهديد لحياة الانسان وبيئته

الأبعاد الخطيرة للحروب ظهرت بعد استخدام التكنولوجيا الحديثة

العلم وقضايا السلام والتنمية

د . محمد كامل

وصلت البلاد الصناعية الكبرى الى ما وصلت اليه من تقدم وارتفاع فى مستويات المعيشة بفضل التقدم الكبير فى فروع العلم والتكنولوجيا المختلفة. وفى الوقت الحالى بعد أن تخطت هذه البلاد مرحلة الثورة الصناعية ودخلت مرحلة الثورة فوق الصناعية أصبح للعلم وللمنهج العلمى وظائف جديدة تتصل بخدمة شتى شئون الحياة. ونظراً لهذه المكانة الكبيرة التى أصبحت للعلم فى المجتمع ، يتعين ان تحظى قضايا ترشيد استخدام العلم والتكنولوجيا ودراسة الآثار الناجمة عن استخدامهما فى الأغراض المختلفة بالاهتمام المتزايد

العلم وقضايا السلام

كان من أبرز نتائج تطبيق العلم والتكنولوجيا فى الأغراض العسكرية وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ان تطورت صناعة الأسلحة تطوراً كبيراً مما أدى الى نشوء أوضاع بالغة الخطورة فى العالم من أهمها :

ـ التسابق الرهيب بين الدول الكبرى على انتاج مختلف انواع الأسلحة وخاصة اسلحة الدمار الشامل ، وتضاعف ميزانيات التسليح وزيادة تصدير السلاح الى دول العالم الثالث .

ـ أصبحت الحرب النووية تمثل أكبر تهديد لحياة الانسان وبيئته وقد زادت القوة التدميرية للأسلحة النووية المخزونة لدى الدول الكبرى ملايين المرات فى السنوات الثلاثين الأخيرة .

ـ تزايد السباق على استخدام الفضاء الخارجى والمحيطات للأغراض العسكرية .

وفى ضوء هذه الحقائق يصبح موضوع قصر استخدام العلم على اغراض السلم ورفاهية البشر دون الحروب والتدمير موضوعاً حيوياً . وعلى الرغم من ان الحروب هى ظاهرة صاحبت المجتمعات الانسانية منذ قديم الأزل ، الا أن اضرارها على البشرية لم تاخذ هذه الأبعاد الخطيرة الا بعد استخدام التكنولوجيا الحديثة . ولا يقتصر اثر الحروب الحديثة كما هو معروف على القضاء على الأرواح البشرية وتدمير ميادين القتال بل يتعداه الى اهدار الموارد الاجتماعية والمالية والثروات الطبيعية للدول المشتركة فى القتال .

وللوصول الى قصر استخدام العلم على الأغراض السلمية لابد من بذل الجهود المضنية بواسطة الحكومات والمؤسسات الشعبية والعالمية والعلماء انفسهم . ويعود اهتمام العلماء بهذه القضية الهامة الى الثلاثينات من هذا القرن عندما تاسست فى جامعة كمبردج بالمملكة المتحدة وفى فرنسا جماعتان من العلماء للدعوة الى هذه القضية والى نبذ الحروب ودراسة أسبابها والخطوات التى يتعين على العلماء اتخاذها لحفظ السلام . وبعد الحرب العالمية الثانية وما شهده العالم خلالها من دمار وخراب قويت هذه الدعوة وانتقلت الى معظم بلاد العالم المتقدم .

ومن الضرورى ان تزداد مساندة العلماء لهذه القضية الهامة ، كما ان عليهم ان يفكروا فى النتائج المترتبة على بحوثهم وان يضعوا لأنفسهم من الضوابط والمعايير التى تمنع استغلال العلم فى الأغراض التى تتعارض مع مصلحة الانسانية . ولعل ما حدث منذ سنوات قليلة من قيام بعض علماء البيولوجيا الجزيئية من وضع قواعد سلوكية لاستغلال هذا الفرع الخطير من العلم لخدمة البشرية هو علامة مضيئة فى تاريخ العلم .

ان الجهود التى تقوم بها منظمات الأمم المتحدة والدول الكبرى لتحريم استخدام الأسلحة النووية والحد من انتاج الأسلحة الاستراتيجية هى خطوات هامة على هذا الطريق يجب ان تتلوها خطوات اكثر فاعلية .

إن سياسات شراء احدث الأسلحة وأشدها فتكا التى تتبعها عديد من دول العالم الثالث والتى تستنزف ميزانياتها المرهقة تحتاج بلا شك الى اعادة نظر . وجدير بهذه الدول ان توجه الأموال الطائلة التى تنفقها على التسليح الى المشروعات الانمائية المختلفة والى بناء المؤسسات العلمية والتكنولوجية التى تساعدها على التقدم العلمى

العلم وقضايا السلام والتنمية

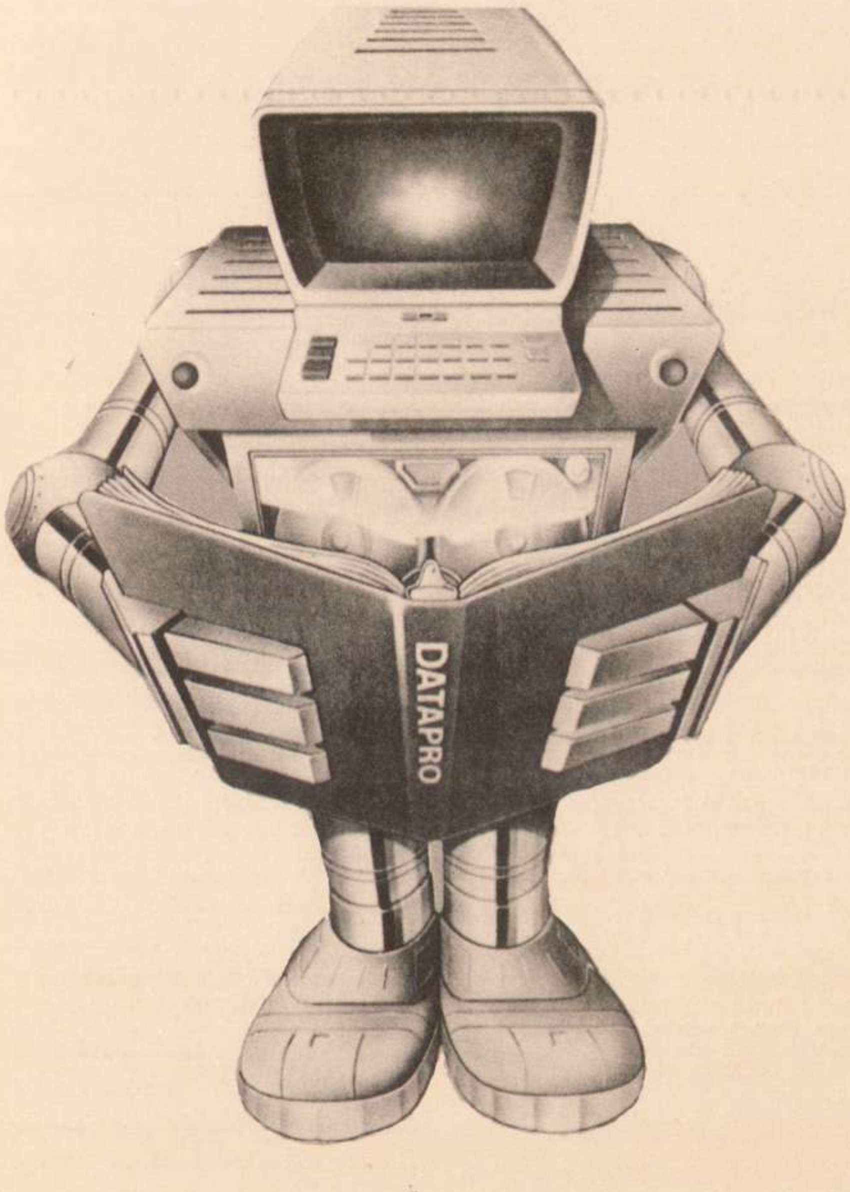

والتكنولوجى بما يضمن الرفاهية لشعوبها . ان ركود تجارة السلاح سوف يساعد على تقليل استثمار جهود العلماء والتكنولوجيين فى البحوث العلمية والتكنولوجية الخاصة بالأسلحة وخاصة فى الدول الكبرى .

العلم وقضايا التنمية

إن تقوية الهياكل والانشطة الاقتصادية فى الدول النامية عن طريق نقل التكنولوجيا اصبح ضرورة ملحة للقضاء على الظروف السيئة التى تعيشها شعوب العالم الثالث . ومن الضرورى ان يكون نقل التكنولوجيا الى هذه الدول موجهاً فى المقام الأول لمزيد من التنمية الاقتصادية والاجتماعية بهدف :

- ايجاد مساواة اكبر فى توزيع العائد على أفراد المجتمع .
- القضاء على جميع اشكال الفقر والتخلف .
- خلق مزيد من فرص العمل .
- تمكين هذه الدول من الاعتماد التدريجى على الذات .

إن الدول النامية عليها ان تتجه الى استيراد التكنولوجيات المناسبة لها وخاصة تلك التى تحتاج الى وفرة الأيدى العاملة وان تبتعد ما أمكن عن استيراد التكنولوجيات الباهظة الثمن التى يحتاج تشغيلها الى قلة من الفنيين ذوى المهارات العالية . كما ان عليها ان تهتم بتطوير الصناعات الصغيرة وخاصة الصناعات الريفية لايجاد مصادر اضافية للرزق فى المناطق الزراعية المتخلفة مما يساعد على وقف هجرة سكان هذه المناطق الى المدن والعواصم وما يسببه ذلك من مشاكل ومآسى اجتماعية .

ومن أهم الأمور التى يجدر بحكومات الدول النامية الاضطلاع بها هو تشجيع الصناعات الوطنية وتدعيمها فى وجه المنافسة الأجنبية وانتاج سلع ذات مواصفات ومعايير تتناسب مع كافة الدخول والاحتياجات مع التركيز على مواجهة الاحتياجات الضرورية لأصحاب الدخول الضعيفة . كما يجدر بها ايضاً ان تتبنى سياسات طويلة المدى للاعتماد على النفس .

إن الانتفاع باهم منجزات العلم والتكنولوجيا فى تحسين ظروف حياة البشر فى الدول النامية يقتضى بذل جهود ضخمة كما يتطلب اتخاذ عديد من التدابير العملية التى يجب على حكومات هذه الدول ان تسارع بتطبيقها ومن هذه التدابير :

- انشاء الأجهزة الوطنية للسياسات العلمية والتكنولوجية ومؤسسات البحث والتنمية ودعمها .
- توثيق الصلة بين السياسات التعليمية والعلمية والتكنولوجية لتعزيز تدريس العلوم والتكنولوجيا ولضمان تنمية علمية ذاتية متلائمة مع الأوضاع والاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية .
- تحقيق اتزان مناسب بين التنمية الذاتية للتكنولوجيا المحلية وبين استيراد الخبرات الفنية وفقاً

لاستراتيجية واضحة توفق بين تنفيذ المشروعات العاجلة وبناء القدرة العلمية والتكنولوجية للمستقبل .

– نشر الثقافة العلمية واشراك عدد متزايد من المواطنين فى تقدير أهمية العلم وضرورته الاقتصادية والحضارية بما يمكن ضمان التأييد والدعم اللازمين للتنمية العلمية والتكنولوجية الذاتية .

المشاكل الخطيرة

كما أن ترشيد استخدام العلم والتكنولوجيا فى الدول النامية جميعاً يقتضى ان تؤخذ قضايا البيئة فى الاعتبار عند تنفيذ المشروعات الانمائية . ومن المعروف ان هذه القضايا تتصل بمسالتين : الأولى مسالة الموارد الطبيعية وتنميتها وحسن ادارتها والثانية : مسالة نوعية الظروف البيئية التى يعيش فيها الانسان ويعبر عنها بصحة البيئة وابرز مشاكلها التلوث البيئى .

ولا يتسع المقام هنا لايراد المشاكل الخطيرة التى تنجم عن عدم مراعاة الاعتبارات البيئية عند تنفيذ المشروعات الانمائية فالأمثلة ماثلة فى جميع انحاء العالم . ويقتضى حسن ادارة الموارد الطبيعية والمحافظة على صحة البيئة : ضرورة اشراك العلماء المتخصصين فى البيئة فى تخطيط المشروعات الانمائية واهتمامهم بانتاج تكنولوجيات ومواد غير ملوثة او مدمرة للبيئة ودراسة المشاكل البيئية المختلفة وخاصة مشاكل التلوث البيئى الناتج عن تاثير الكيماويات وغيرها والمسار الذى تسلكه هذه المواد فى المحيط الحيوى حول الانسان وكذا داخل اجسام البشر .

ويجب العمل على الحفاظ على المستوى الحالى للمراكز الحضرية والريفية والاقلال ما أمكن من الاسراف فى التكثيف الراسمالى للبنية الأساسية مثل بناء الطرق الرئيسية والخدمية على حساب المناطق الخضراء ، واجراء البحوث العاجلة لتحديد الكثافة السكانية المرغوبة فى حالتها الأدنى والقصوى ، مع الأخذ فى الاعتبار الاماكن التعويضية والتصميم المعمارى والتحكم فى التلوث الناتج من وسائل النقل العام والتقليل من استخدام السيارات الخاصة كلما أمكن ، وكذا التحكم فى التلوث الناتج من الأنشطة الانسانية الاخرى .

الحياة الحضارية

تعتبر التكنولوجيا الحديثة احدى منجزات ما يسمى بالحضارة الغربية التى تركت بصماتها على انحاء كثيرة فى العالم وخاصة من النواحى المادية ، بل والى حد ما من الناحية الفكرية أيضاً . ويعتقد كثير من المفكرين انه اذا كانت حضارة الغرب متقدمة من الوجهة المادية فانها ليست كذلك من النواحى الروحية والمعنوية . وعلى البلاد النامية ذات الحضارة العريقة عند اجراء عمليات التحديث بها الافادة من التقدم العلمى والتكنولوجى بما لا يؤدى الى تغيرات اجتماعية مفاجئة فى حياة الأفراد أو هزات فى الأوضاع الثقافية بها . ولهذا السبب يجدر بهذه الدول دراسة الآثار الاجتماعية لكل الابتكارات التكنولوجية التى تستوردها بعناية بما يخدم تقدم شعوبها .

إن ترشيد استخدام وسائل الاعلام الحديثة من راديو وتليفزيون وكاسيت وفيديو ذات الأثر الخطير على الرأى العام وخاصة بين اوساط الشباب يعتبر أمراً جوهرياً للحفاظ على تراث وقيم المجتمعات ويجب استخدام هذه الوسائل لنشر الافكار التى تتفق مع القيم الروحية والحضارات المحلية للمجتمعات المختلفة .

كما يجب على القائمين على استيراد التكنولوجيا فى الدول النامية استيراد التكنولوجيات التى تساعد على الانتاج الضرورى والبعد عن استيراد تكنولوجيات وسلع الاستهلاك الترفى التى تساعد على انتشار روح الاسراف والتبذير فيما لا طائل منه . ومن المؤسف حقاً ان نرى مثل هذه السلع تغرق اسواق كثير من الدول النامية الفقيرة فى وقت تحتاج مثل هذه الدول الى استيراد ابسط الضروريات .

العلم وزيادة الانتاج

يواجه العالم فى الوقت الحاضر نقصاً متزايداً فى موارد الغذاء والمواد الخام والطاقة ومن الضرورى ان تتجه جهود العلماء والباحثين وخاصة فى الدول المتقدمة الى اعطاء مزيد من الاهتمام الى البحوث الزراعية التى تؤدى الى زيادة انتاج الغذاء وخاصة فى دول العالم الثالث الفقيرة ، والى استنباط طرق مبسطة لتقليل الخسائر فى الغذاء المنتج سواء بعد الحصاد أو أثناء النقل والتخزين اذ أنه من المعروف ان نسباً كبيرة من المحاصيل الزراعية وغيرها تفسد اثناء هذه العمليات أو نتيجة لمهاجمة الحشرات والقوارض والطيور .ان تطوير طرق الزراعة والآلات الزراعية التقليدية المنتشرة فى دول العالم الثالث أصبح هو الآخر امراً هاماً يستلزم اعطاءه مزيداً من الاهتمام بواسطة العلماء والتكنولوجيين فى الدول الصناعية الكبرى إذ أن الدول النامية ليس لديها القدرات العلمية والتكنولوجية لانتاج هذه التكنولوجيات المبسطة بمفردها .

إن من أهم المشاكل التى تواجه العلماء فى الفترة القادمة هو اكتشاف بدائل جديدة للخامات التى تنفذ مواردها والاسراع فى انتاج آلات وماكينات جديدة تكون أكثر اقتصاداً فى استهلاك الطاقة ، وكذلك تحسين تكنولوجيات الطاقات المتجددة كالطاقة الشمسية وطاقة الرياح وغيرها للاقلال من استهلاك البترول والفحم .

كما تزداد الحاجة الى الاهتمام ايضاً باكتشاف طرق رخيصة لاعادة استخدام المواد المختلفة التى تدخل فى تركيب السلع التى يستغنى عنها كالزجاجات

العلم وقضايا السلام والتنمية

والعلب الفارغة والسيارات والثلاجات والملابس القديمة وغيرها من السلع .

العادات الاستهلاكية

على أن من أهم الأمور ان تحاول جماهير المستهلكين وخاصة فى الدول الصناعية الكبرى تغيير عاداتها الاستهلاكية ، ويقتضى ذلك بالطبع عمل حملات اعلامية ضخمة فى هذه الدول لتبصير الجماهير باهمية ترشيد الاستهلاك . أما جماهير المستهلكين فى الدول النامية فانه يجدر بها ان تقتصد وتبتعد عن شراء سلع الاستهلاك الترفى التى لا تتفق والقدرات الاقتصادية والاجتماعية لهذه الدول .

وتتطلب مجابهة كل القضايا السابقة زيادة الوعى بها بين أوساط العلماء والتكنولوجيين وفى المستويات المسئولة فى الحكومات وكذا بين اوساط الرأى العام فى الدول المختلفة . ان تقدم البشرية مرتبط الى حد بعيد بقدرة المجتمعات الانسانية على الاستفادة من منجزات العلم والتكنولوجيا الحديثة كما يعتمد على ترشيد وتعظيم هذه الاستفادة لخدمة قضايا الانسانية الملحة .

د. محمد كامل

الاسباب التى تفسر نمو الحضارات وانهيارها

القرآن وضح لنا علاقة الانسان بالحاجات المادية

حوار حول الروح والجسد فى التصور الاسلامى

د . عماد الدين خليل

التقيت به فى المؤتمر الدولى الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) الذى انعقد فى عمان فى نيسان الماضى .. كان يتكلم العربية بطلاقة ممزوجة برطانة فرنسية حيث الأحرف تريد أن تتدافع من الأنف بدلا من الفم !!

وشعرت كما لو أننى أعرفه منذ زمن بعيد .. ولست ادرى ما الذى جرنا الى موضوع (الدين) .. كان متفقاً معى على ضرورة الدين القصوى لمجابهة طغيان المادية الحديثة وموازنته .. ولكنه كان يختلف فى إلحاحه على فكرة (روحانية) الدين وتطهره عن كل ما هو مادى جسدى عابر موقوت .. إن الدين ــ أكد الرجل أكثر من مرة ــ هو تجربة روحية صرفة .. وأية محاولة لادماجه فى تيار المعطيات المادية إنما هى تشويه له وطمس على جوهره الأصيل ..

قلت له : ولكن ، كيف يتم اتصاله بالعالم ؟ كيف يتحقق الوفاق المرتجى بين النزوع المادى الأكيد فى كيان الحضارة وبين وضع ضوابط ومؤشرات وأهداف روحية لها كى لا تجنح وتضل الطريق ؟

أجاب : يعمل من فوق !!

قلت : دونما أى تماس ؟

قال : إذن بمثابة شحنات كهربسية هائلة وانه لقدير ، وهو يعمل من فوق ، على تغيير العالم .. تغيير الانسان بالأحرى .. وأية محاولة لادماجه فى البنية المادية للوجود سوف تقود الى إحدى اثنتين . احتراق العالم أو تسرب الطاقة الروحية وضياعها ..

قلت : ولكن لابد من الاتصال اذا ما أردنا التحقق بالخلاص المنشود ..

أجاب : كيف ؟

قلت : فى التصور الاسلامى ليس ثمة ثنائية على الاطلاق .. ليس ثمة فوقية وتحتية بالمفهوم المكانى .. إن الروح تعمل فى قلب الجسد ، تغير وتبدل من خلال قوانين المادة نفسها .. والمادة أو الجسد ، ليسا فى نهاية الأمر قطبين

متناظرين أو خصمين لدودين .. على العكس ، انهما صديقان ودودان يمكن ، بازالة الحواجز التى يصطنعها سوء الفهم ، أو التجربة الخاطئة ، ان ننطلق بهما على خط متواز لتحقيق اعظم الأهداف ..

معطيات القرآن

واذ رايت انصاته المحبب ، سالته : الم تقرا القران الكريم ؟

قال وهو يبتسم : مراراً !!

قلت : لا .. ليس هذا قصدى .. وإنما اردت أن أعرف اذا كنت قد تمعنت فى معطيات القران الفريدة ، المتميزة ، الواقعية ، فى موضوعنا هذا .. مسالة الروح والجسد .

اجاب : رغم اننى لست مقتنعا باية محاولة تسعى لقسر الروح على أن تخضع للجسد فاننى احب أن أعرف ..

قلت : أبداً .. ليس فى الأمر اى قسر وإنما هو التوازن والتداخل والتكامل لتمكين الانسان من التحقق بالفاعلية على الأرض ، ومن ضبط هذه الفاعلية كى لا تجنح أو تميل أو ينحرف بها الهوى ..إن القران الكريم مادام قد قدم لنا – من خلال تسبيح آياته جميعاً – صيغة للنشاط البشرى على الأرض تتميز بالتوازن والتداخل والتكامل بين قيم الروح والمادة ، انطلاقا من تكويننا الأدبى المنبثق عن نفخة الروح فى قبضة التراب ، وحدثنا ، من خلال حشود سوره ومقاطعه عن تجربة المسلم ، فرداً وجماعة ، تلك التى لن تاخذ مسارها الصحيح المنسجم مع موقف الاستخلاف فى الأرض ، الا بموازنة متطلباتها الروحية والمادية على السواء .. وعن القيمة الكبيرة التى اولاها القرآن للمسالة الجسدية والمادية مما لا نلمح عشر معشاره فى معظم التجارب الدينية التى جنحت باتجاه الروح ونظرت الى الجسد أو المادة نظرة احتقار واستعلاء .. فان معنى هذا أن اى خلل فى هذا التوازن الذى يؤكده القرآن سيؤول بالضرورة الى تفكك وانحلال الفرد والجماعة وتمزقهما وتشتتهما بهذا الاتجاه أو ذاك .. الأمر الذى يقود ولا ريب إلى تازم فى الفاعلية البشرية وبالتالى فى تدفق معطياتها الحضارية ، مما يعرض (الجماعة) لانتكاسة قاسية قد تاتى عليها من القواعد ..

الحصاد المر

واصلت حديثى قائلا : فى مقابل (حالة التوازن) هذه التى يرسمها القرآن ويدعو المؤمنين الى التشبث بها ؛ والتحرك وفق مقاييسها الموضوعية العادلة .. تبدو اية تجربة بشرية تجنح باتجاه المادية ، مهملة الروح ، أو تتشبث بالروحية مهملة المتطلبات المادية ، شذوذاً وانحرافاً لأنها تزوير وتزييف للموقف البشرى ، وقسر لتجربة الانسان الفردية والجماعية على التشكل فيما ياباه تكوينها الأساسى القائم على التداخل والتكامل والتوازن بين قيم الروح وقيم المادة على السواء .. ولن تكون نتيجة هذا الانحراف الذى ياخذ فى الحالة الأولى اتجاها ماديا صرفا ، أو علمانيا مزدوجا يفصل بين شؤون الدين والدنيا ، وياخذ فى الحالة الثانية اتجاهاً رهبانياً هروبياً يرفض الدخول فى قلب العالم لتغييره بما ينسجم ومهمة الانسان فى الأرض .. لن تكون نتيجة هذا الانحراف إلا تمزيق الذات الانسانية على المستوى الفردى والنفسى الأمر الذى ينعكس على طبيعة النشاط الاجتماعى فيصيبيه هر الآخر بالتمزق والتشتت والازدواج وفقدان الهدف ، وانتشار الاحساس السالب بالعبثية واللاجدوى وتحطم الامل بالمصير وسيادة نزعة التشاؤم والانشقاق واللاانتماء .. وهى مسائل تبلغ ، بتصاعدها الدورى المستمر ، درجة من الحدة يغدو معها النشاط الجماعى الحضارى الموحد مستحيلا أو فى حكم المستحيل .. ثم ما تلبث الجماعة ان تجد نفسها عاجزة عن مواصلة الابداع والانجاز ، ويؤول أمرها الى التدهور والسقوط .. وهذا يقدم لنا ، على المستوى التاريخى ، احد الاسباب الكبرى التى تفسر نشوء الحضارات ونموها من جهة ، وتوقفها وتحللها وانهيارها من جهة اخرى ..

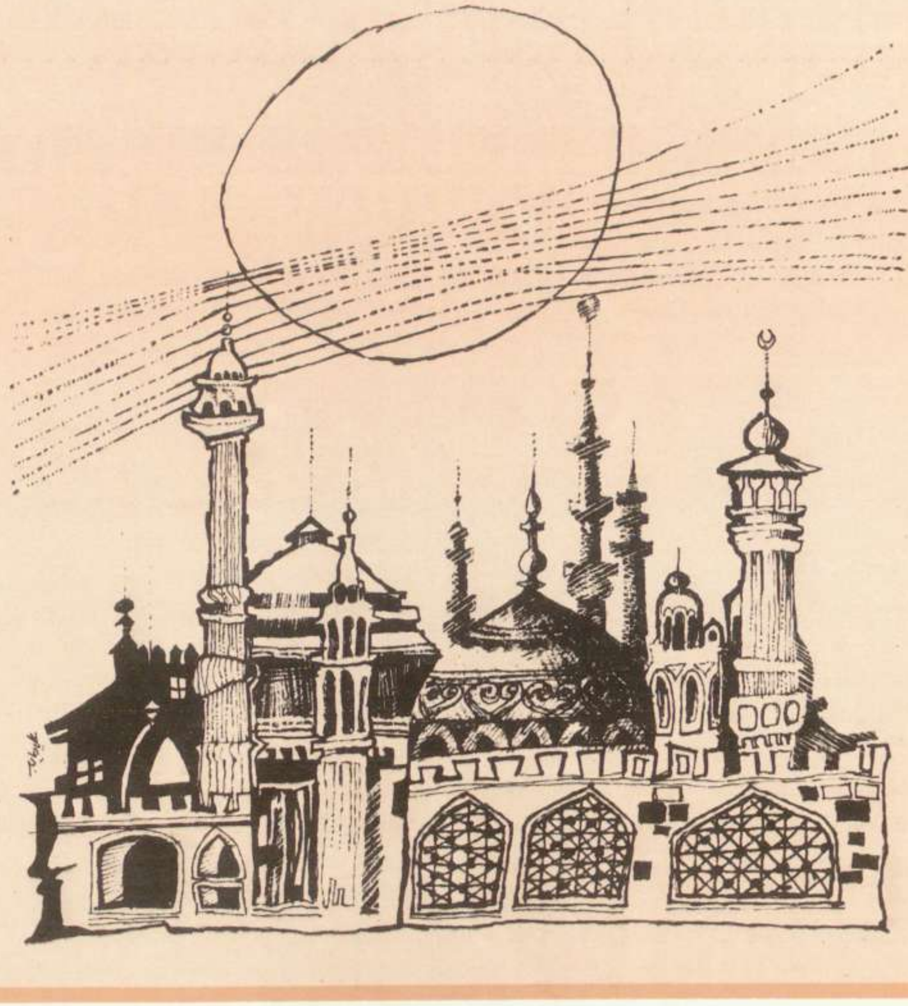

حوار حول الروح و الجسد في التصور الاسلامي

الصراع .. نعم .. ولكن

واذ يتشبث كل من هيغل وماركس بمسالة التناقض والصراع فى عالمى الفكر أو المادة، كمفتاح لتفسير النشوء أو السقوط الحضارى، وبينما يبلغ تاكيد أرنولد توينبي على مسالة التحدى والاستجابة حدا يصل به الى التزام موقف الصراع والتناقض بين الانسان والبيئة، نجد القرآن الكريم على اهتمامه بمسالة التناقض والصراع كمحرك للنشاط الحضارى، وتخصيصه لها المساحات الواسعة - يقف هذه المرة موقفا متميزا مستقلا مغايرا تماما للموقف الغربى عموما والذى ينعكس هناك حتى على المستوى اليومى والصحفى، فتجيء محاولات الصعود الى القمر والكشف عن الفضاء باسم (غزو) القمر أو الفضاء، الأمر الذى يفسره بعض المفكرين بانه امتداد للصراع القديم الذى شهدته قارة أوروبا الضيقة بين الاقوام المتصارعة وبين الأرض الشحيحة !!

غزو الفضاء

سالنى وهو يرتشف كوبا من الشاى ناولته اياه: ماذا نسمى المحاولة اذن ؟
قلت: إن القرآن هنا يرسم خطا جديدا فى تصويره للعلاقة بين الانسان والعالم .. خطا يقوم على الوئام والانسجام والتكامل والوفاق والتجانس والالتحام بين الروح والمادة بين العقل والقلب، بين الأرض والسماء، بين الفعل والتامل بين الغريزة والوجدان، بين الحضور والغياب، وبين الطبيعة وما وراءها .. وما دامت قوى الطبيعة وطاقاتها قد سخرت اساسا لخدمة الانسان ومساعدته على الرقى الحضارى فان العلاقة بينهما ليست بالضرورة علاقة قتال وصراع وغزو وبغضاء .. انما علاقة انسجام وتقابل وتواصل وتعاون وتكامل وكشف وتنقيب .. انها علاقة الخادم المطيع بالسيد القدير .. إنه فى هذه الحالة لايصطرع مع خادمه أو يستفزه أو يرفع السلاح بوجهه- .. انما (يستخدمه) بحصافة وذكاء لتادية واجباته جميعا فى اجواء تسودها علائق الطاعة والمحبة والابداع ..

ان الصراع بين الانسان والعالم نظرة غربية منفعية صرفة مهما وضعت فى أطر فلسفات شاملة تبدو للوهلة الأولى منطقية ومبررة، ولكننا بمجرد التوغل فى دقائقها ومنحنياتها فاننا سنعثر على مفهوم الصراع الذى تبنى عليه معطياتها ..

ويحل لهم الطيبات

مالبث أن قاطعنى قائلا: انك تتحدث منذ دقائق عن موقف القرآن ولكنك لم تات بشاهد واحد عن مسالة التوزان هذه
قلت: انها عميقة فى نسيج القرآن بحيث اننا نراها تاخذ أكثر من اتجاه وتتلبس باكثر من شكل .. خذ مثلا تلك الآية التى تتحدث بصراحة عن (الزينة) أمرة بنى آدم أن يمارسوها، واين ؟ عند كل مسجد، حيث يؤدى الانسان غاية تجربته فى التجرد والانسلاخ عن زخرف الحياة الدنيا (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) تعقب ذلك دعوة صريحة - ايضا - الى الأكل والشرب شرط الا يبلغ ذلك حد الاسراف (كلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين)، ثم ما تلبث الآية التى تليها أن تتساءل بصيغة استنكارية واضحة (قل: من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) .. ان المحرم والمرفوض فى الاسلام هو الفاحشة، أيا كان مصدرها، الجسد أم الروح، وليس ثمة رفض أو تحريم أو احتقار موجه الى الجسد بما انه جسد، والى غرائزه وحاجاته بما انها غرائز وحاجات تقف فى طريق الروح .. اننا نقرأ فى الآية الكريمة التى تلى ذلك - الارتباط بين الآيات الثلاث يحمل مغزاه الواضح - نقرأ (قل: انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) ..

هناك ايات كثيرة تستنكر على بعض اتباع الديانات المنحرفة السابقة تحريمهم الكثير من الطيبات التى احلها الله، وما أكثر الآيات التى تدعو الانسان الى استغلال الطيبات دون افراط أو تفريط .. وإلا لم كان خلق الله سبحانه لها وتفجير خيراتها وتنويعها فى انماء الأرض ؟ (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل، الا ماحرم اسرائيل على نفسه) (قل: هل شهداؤكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا) (قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا، قل الله اذن لكم ؟) (كلوا من ثمره -اذا اثمر- واتوا حقه يوم حصاده ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين) (لو شاء الله ما اشركنا ولاأباؤنا، ولاحرمنا من شيء)

ويتضح من الآيتين الاخيرتين انهما تضعان التحريم الاعتباطى جنبا الى جنب مع الشرك بالله، وتنعى على أولئك الذين يمارسون هذا التحريف بشأن الحقائق الكونية وبحق انفسهم على السواء، قائلين ان هذا قدر لامفر منه .. إن كبت الغرائز هو تزوير للموقف الانسانى فى الأرض، والشرك بالله هو اخطر تزوير، ومن ثم كانت الممارسة البشرية التى تعتمد التزوير مرفوضة فى القرآن مهما صغر حجمها أو كبر ..

الاهداف الروحية

وإذ وجدت اهتمامه يتزايد واصلت طرح المزيد من الشواهد قائلا: اننا نجد فى الآية التى تقول (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم) ان كبت بعض جوانب الغريزة أو المد فى اشباعها، القائم على ضرورة التنويع، يجيء بمثابة (عقاب) وليس - كما قد يتصور البعض - قاعدة من قواعد الدين .. على العكس، إن احدى كبريات البداهات الدينية التى نتعلمها من القرآن الكريم، أن الحلال هو القاعدة العريضة فى ميادين الاشباع الغريزى جميعا: طعاما وشرابا وجنسا، وان التحريم مسألة (استثنائية) محدودة

المساحة ، ضيقتها ، حتى أن القرآن ليعتبر توسيعها بشكل اعتباطى كفرا وافتراء على الله (وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله ..) (ولاتقولوا لما تصف السنتكم الكذب : هذا حلال وهذا حرام) ..ويحذر المؤمنين من هذا السلوك المنحرف المعارض لطبيعة التركيب البشرى الذى صاغه وهو أدرى به (ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم) (ياأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ؟) .. ويبين لهم أن احدى مهام الانبياء الأساسية أن يجيئوا – دائماً – لكى يعيدوا الأمور الى نصابها ويقفوا بمواجهة التزوير .. وهنا فى مجال التجربة الغريزية يجيئون لكى يفتحوا الطريق العريض امام متطلباتها مرة أخرى لكى يمضى الانسان المؤمن الى اهدافه الروحية دون أن تعيقه الضرورات أو تفرض على لاوعيه الباطن الف تصور مدمر وخيال منهوم لايعرف شبعا ولاارتواء (ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ..) (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ..)

ليست الأديان

وثمة بديهة اخرى نواجهها ونحن نقرأ فى كتاب الله أكثر من مرة نداءه الواضح (كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً) .. بديهة كثيرا ما غفلنا عنها لشدة ظهورها ووضوحها .. ان الله سبحانه قد (سخر) لنا الأرض بما ينسجم وتركيبنا الآدمى من أجل أن نواصل مسيرتنا لاعمار العالم وعبادة الله وحده ، وذلك التسخير الذى يتحدث عنه القرآن فى عشرات المواضع وانه لمن التناقض الفاضح ، المرفوض فى القرآن قطعاً ، أن يركب الانسان – من قبل الله – تركيباً معيناً ، وأن تسخر الأرض – بارادة الله – لتلبية متطلبات هذا التركيب ثم تجيء الاديان ، من عند الله ايضا ، لكى تنصب الحواجز وتضع الاسلاك الشائكة بين متطلبات التركيب الآدمى وبين خيرات الأرض ومنافعها المسخرة !! .. إن هذا التناقض يجيء – حينما يجيء – على أيدى طبقات رجال الدين التى يقوم دورها التاريخى على التزييف ووضع الحواجز ونصب العراقيل فى دروب المؤمنين من أجل أن تضطرهم اضطرارا للجوء اليها وطلب معونتها قبل السماح

لها بالذهاب الى الله .. وهناك يبدأ الاستغلال والاستنزاف والأكل بآيات الله لقاء ثمن قليل..

ولأول مرة اجده يهز رأسه بنوع من الارتياح والاقرار .. وسألنى وهو يمتص من غليونه المزخرف نفسا عميقاً يعرف كيف يثير شهية المدخنين !! اذا كانت هذه (الواقعية) مما يميز الاسلام عن الكثير من الاديان الاخرى فما هى (المثل) التى تميزه عن المذاهب الوضعية ؟

الواقع والآفاق

قلت : إن القرآن الكريم يبين لنا –كما رأينا– أن علاقة الانسان بالحاجات المادية –الجسدية هذه علاقة صميمة ، وأن حبه لاشباعها مركوز فى جبلته التى يـشكلها الجسد تماما كما تحركها الروح والارادة والقدرات العقلية (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة . والخيل المسومة والانعام والحرث) .. الا أن الخطوة الحاسمة التى يخطوها القرآن متميزا بها عن سائر المذاهب والنظريات ، أنه يضع اهدافا أعلى ، وقيما أوسع وأكثر شمولا من مجرد تضييق نطاق الحياةالبشرية فى البحث عن اشباع الحاجات الجسدية ، على ثقلها وأخصيتها وضرورتها ، لأن تركيز الهدف النهائى للانسان فى الاشباع وحده يشده الى الأرض ويلصقه بترابها ويبعده عن مواقع الاستشراف الايمانى الشاملة الرحيبة (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام) ولأن توسيع نطاق المناشط والاهداف البشرية ، وتنويعها ، وربطها بآفاق ارقى واشرف وأكثر سموا يعطى الحياة قيمتها الحقيقية ، ويمكن الانسان من تأدية مهمة الاستخلاف الأرضي بحالة من التوزان الفذ الذى يحميها من الالتصاق بالارض ويمنعها –كذلك– من التهويم الاتكالى السالب فى سماوات الروح (ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب).

قل : أأنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد . الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار . الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار)..

دائماً فى الصميم

إننا نستطيع أن نتلمس بوضوح موقف القرآن الكريم ازاء (المسألة المادية) عموما ، من خلال حشد كبير من سوره ومقاطعه وآياته .. إن أى حديث عن الكون والطبيعة والعالم ، وتسخير السماوات والأرض .. ومسائل الرزق والكسب والسعى وأمور الغرائز والدوافع الجسدية ، والدعوات المستمرة للتنقيب عن اسرار الطبيعة .. ونداءات التسلح واعتماد القوة المادية – الى جانب القوى الروحية – لصد العدوان أو تنفيذ متطلبات حركة الجهاد الدائمة .. وتنظيمات الحياة اليومية المتشعبة .. وغيره كثير .. تأكيد واضح تماما للأهمية التى يوليها القرآن للمسألة المادية ..إلا انه يضع دائماً فى صميم هذه العلاقات والممارسات ، ولانقول بمواجهتها اذ أن القرآن يرفض الثنائية والازدواج ، يضع قضايا الروح والقيم والاهداف البشرية العليا التى تحفظ توازن الموقف البشرى فى الأرض وتمكنه من اداء مهمته فى العالم ..

أراد أن يبادرنى بسؤال آخر ، ولكن جاءنا من ينبهنا الى أنه قد حان وقت الدخول ثانية الى قاعة المناقشات لمتابعة البحوث عن تاريخ فلسطين ..

وتذكرت ، حيث بدأ الصراع مناوشاته لقد أنسانى الرجل شرب الشاى !

د. عماد الدين خليل

الشواهد تدل على عمق روح الدين فى المجتمعات الأوربية

دور الدين فى توجيه الحياة السياسية والفكرية

الدين فى العالم الغربى

د . عون الشريف

يظن كثير من الناس أن أوروبا التى قامت حضارتها الراهنة على مبدأ العلمانية ، بمعنى فصل الدين عن الدولة وعن حياة المجتمع ، بحيث يصبح امراً شخصياً ، قد تخلت بذلك عن دينها ، وانتهجت فى حياتها العامة والخاصة منهجاً مادياً إلحادياً ، لا يشغل الناس فيه سوى تحسين مستواهم المادى فى هذه الدنيا ، دون التفات لدين ، أو انتظار لأخرة . وهو ظن واهم ، يحكم على الأمور بمظهرها ، دون التعمق فى مخبرها . إذ اننا لو تجاهلنا للحظة المعنى الفعلى للدين فى حياة الغربيين عامة ، وقسنا الأمور بظواهرها ، لاكتشفنا من الشواهد الماثلة ما يدل على عمق روح الدين فى المجتمعات الأوربية . ونظرة سريعة الى الرمز القومى لكثير من الدول الغربية ، وهو العلم ، ترينا أن الصليب هو الرمز الذى يتكرر فيه بشكل أو باخر ، كما هو الحال مثلا فى العلم اليونانى والكندى والاسترالى والنيوزيلندى والسويسرى والدنماركى والسويدى والبريطانى والنرويجى والايسلندى .

وليس هناك من ديانة فى العصور الحديثة نشط مبشروها ودعاتها فى أرجاء العالم مثلما نشطت المسيحية ، ديانة الغرب . وقد انتشرت المسيحية فى القرون الأخيرة انتشاراً فاق أضعافاً مضاعفة كل ما أحرزته من نجاح منذ قرنها الأول . وكل هذا قد تم فى نفس الفترة التى انتصرت فيها العلمانية على الكنيسة منذ حوالى أربعة قرون .

الدين والحياة العامة

والدين مايزال يلعب دوراً كبيراً فى توجيه الحياة السياسية فى كثير من الأقطار الغربية . ويكفي على ذلك شاهداً نفوذ الأحزاب المسيحية فى بعض هذه الأقطار ، مثل المانيا وهولندا وسويسرا والنرويج وفرنسا وايطاليا والنمسا وغيرها .

وقد اجاز الكونغرس الأمريكى قبل فترة قراراً يجعل من الشعار (بالله نثق) شعاراً وطنياً .. واقترحت احدى لجان الكونغرس أن يكون الايمان بالله من شروط الالتحاق بالخدمة العامة . ورغم أن التعليم الرسمى لا يدخل فى حسابه بمقتضى الدستور إلا أن الاتجاه العام فى السنوات الأخيرة يميل الى العناية بالدين ، كما برز فى توصيات لجنة التعليم لمدينة نيويورك عام ١٩٥٥ م ، التى تحث المدارس العامة الحكومية (لتشجيع الايمان بالله معترفين بالحقيقة البسيطة أن امتنا متدينة) . ورغم أن الدستور الأمريكى فى جوهره كان ممثلا للاتجاه البروتستانتى فى فصل الدين عن الدولة ، لأن معظم المهاجرين الى امريكا كانوا من المضطهدين دينياً ، بسبب خلافاتهم الدينية البروتستانية ، إلا أن روح التدين فى أوساطهم من ناحية عملية ، كانت وماتزال عالية ، بسبب هذا الإلتزام القديم . ومن الملاحظ أن الجمعيات الكنسية والتبشيرية فى طول العالم الغربى وعرضه ، تشكل جهازاً من أقوى أجهزة التاثير الفكرى والسياسى بما تملكه من أموال ، وبما يقوم به العلماء والباحثون فيها من جهود .

ويكفى مثلا على ذلك جريدة الكرستيان سينس مونيتور الأمريكية الواسعة الانتشار على نطاق العالم . وهى جريدة دينية تنشرها جماعة تتخذ من العلم الطبيعى سبيلا الى تدعيم المسيحية ، وتذهب الى أن المسيحية ذاتها علم وطب قائم بذاته .

باب الاجتهاد

ومن الواضح أن النهضة الأوروبية قد سبقتها ثورة دينية أعادت الى الدين فعاليته فى نفوس عامة الناس . وقد كان الانقسام الكبير الذى شطر الكنيسة الى فئتين : كاثوليكية متمسكة بالمسيحية التقليدية ، التى تمثلها سلطة البابا الروحية ، وبروتستانتية رافضة لسلطته فاتحة لباب الاجتهاد فيما يتعلق بالمسلك الدينى ، كان هذا الانقسام فى جوهره بداية وعى جديد ، استعادت به أوروبا قدرتها على الحركة فى كل الميادين بعد

أن أزالت القيود الفكرية والسياسية التى كبلتها بها الكنيسة منذ أواخر الدولة الرومانية . وقد كانت سلطة الكنيسة طاغية مهيمنة على كل حياة المجتمع . فهى التى تضع للناس المعايير الفكرية والاجتماعية ، وما عليهم إلا الطاعة والانصياع ، وقد كانت للكنيسة فى هذا المجال آراء محددة مثل رأيها فى طبيعة الكون الفلكية ، الذى جاءت الكشوف العلمية مخالفة له ، فوجد العلماء مثل كوبرنكس ، وجاليليو ، الاضطهاد ، واحرق بعضهم فى محاكم التفتيش التى نصبت لمحاكمة المفكرين والعلماء . ومن أجل ذلك اتسم الخلاف الكنسى فى مجال الطبيعيات وغيره من المجالات الاجتماعية ، التى سعت الكنيسة بواسطتها للتحكم فى حياة الناس ، مثل شهادات صكوك الغفران ، التى كانت تباع للعامة باغلى الأثمان ، وهى قريبة من فكرة (ورد العتق) عند بعض المسلمين ، وان كانت تدار على أساس رسمى فى الدوائر الكنسية .

وقد كان فى نشاط الكنيسة الاقطاعى وسيطرتها على كثير من أوجه الحياة الاقتصادية ، ما يحول بين الطبقات الجديدة والتوسع فى مجال التجارة والصناعة . ولا عجب من ثم ان رأينا الدوائر البروتستانتية ترفض كثيراً من التعاليم الاقتصادية التى كانت تنادى بها الكنيسة ، وعلى رأس ذلك تحريم الربا . فقد كان سعر الفائدة هو عصب الاقتصاد التجارى الجديد واتباع ما تنادى به الكنيسة فى هذا المجال حكم على الحركة المالية التى يسيطر عليها اليهود بالتوقف والبوار ، ومن ثم ارتبطت الحركة الرأسمالية فى العالم الغربى بما يسمى بالأخلاقية البروتستانتية ، التى تشجع على جمع المال ، ومواصلة العمل لتحسين مستوى الحياة المادى مع التمسك بروح الدين . وهى أخلاقية مخالفة فى جوهرها لروح الزهد والتنسك والبعد عن الدنيا ، التى تدعو لها المسيحية فى أسلسها .

رفض الشكليات

ورغم أن الانقلاب الدينى الذى تم فى أوروبا ، كمقدمة للانقلاب الاجتماعى والفكرى فى القرن الخامس عشر

الميلادى ، قد رد المسيحية الى وضعها العام فى حياة المجتمع كما فهمه أهل الغرب ، بان تكون ديناً يصل بين الفرد وربه ، ولا يتدخل فى حياة الناس العامة إلا بما يحفظ هذه الصلة بين الفرد وربه . إلا ان حدة الخلاف بين الجانبين قد دفعت كثيراً من المجموعات المثقفة الى الثورة ، لا على الكنيسة فحسب ، وانما على الدين ايضاً ، كما هو واضح من منحى الحركة العلمية الغربية التى تقوم فى كثير من جوانبها على رفض فكرة الدين ، وإنكار وجود الله .

ولكن جوهر الموضوع ليس هو هذا الخلاف الجانبى بين العلماء ورجال الدين ، وإنما هو كما قال المصلح الدينى أرازمس (جعل المبادىء الأخلاقية المسيحية ، كما تمثلها كلمات المسيح وحياته ذات أثر فى الحياة اليومية لدى القسيس والرجل العادى على السواء . إذ ينبغى أن يحيا الناس فلسفة ، لا أن يضعوها موضع جدل) .

ومن المؤكد انه رغم النظرة الالحادية التى تتجلى فى جوانب الحضارة الغربية ، فان الاتجاه الجماهيرى العام كان يميل الى رفض الشكليات الدينية ، التى قتلت بها الكنيسة التقليدية روح الدين فى حياة الناس العامة ، ويسعى الى تأكيد الفضائل الفردية التى جاءت بها المسيحية ، وعلى رأسها البر والاحسان والمحبة .

وهذا الاتجاه الجديد فى النظر الى الدين ، باعتباره ممارسة وسلوكاً شخصياً يلتزم المرء فيه باخلاقيات محددة ، بدل النظرة الرسمية التى تجعل من الدين جهازاً أو مؤسسة ذات طقوس وقوانين وجيوش من الوسطاء بين الله وعباده ، هذا الاتجاه هو الذى فتح المجال امام الشخصية الأوروبية لتحيا من جديد ، مكتشفة بذلك ذاتها الضائعة فى متاهات القرون .

وقد استطاعت بهذه الأخلاقية أن تعيد تشكيل حياتها الاجتماعية والسياسية ، بعد أن أعادت ترتيب حياتها الروحية والفكرية والوجدانية ، وخرجت على العالم وهى مرتكزة على دعامة قوية من الايمان بتراثها وحضارتها . ولذلك لا عجب ان كان رجال الدين الأوربيون هم طلائع الزحف الأوروبى فى كل مكان ، ولا بأس هنا من ان نقتبس مقالة جومو كنياتا رئيس كينيا الراحل فى كتابه (فى مواجهة جبل كينيا) (لقد جاءوا والانجيل فى أيديهم والأرض فى أيدينا فاصبح الانجيل فى أيدينا والأرض فى أيديهم) .

وقد يقول الناس ان حركة نشر المسيحية فى العالم على أيدى الأوروبيين ليست فى حقيقتها إلا جزءاً من الحركة الاستعمارية ، ولا يراد بها وجه الدين .

وقد يكون الأمر كذلك ، ولكن الحقيقة تبقى انه لو لم يكن للدين مكانة فى حياتهم ، لما بذلوا كل هذه الجهود فى سبيل نشره كجزء من ثقافتهم ، أو كأداة من أدوات سيطرتهم .

الديــــن في العالم الغـــربي

خطر التقليد

صحيح أن التطور المادى المذهل الذى قاد به الغرب العالم لابد أن يترك آثاره القوية على الفكر الدينى ، ولكن أليس ذلك هو الوضع فى العالم أجمع ؟ ألا نشكو نحن ، مع اختلاف نظرتنا الى الدين ، من المشاكل التى تبعد الناس عن دينهم كل يوم ، كما يشكو علماء الدين فى الغرب ؟ ولكنهم هناك يجيلون النظر فى كل ما يجرى فى حياتهم من تطور ،

ويعملون اذهانهم مجتهدين فى تطوير فكرهم بما يتلاءم وتطور الحياة من حولهم ، ولذلك نشهد فى هذه السنوات الأخيرة بعثاً دينياً جديداً فى كثير من الأقطار الأوروبية والغربية عامة . وما اتجاههم نحو الديانات الشرقية عامة ، إلا محاولة لادخال عنصر التصوف والروحانية التى افتقدوها بسبب زحمة الحياة المادية .

والقول بأن أهل أوروبا والغرب عامة تخلوا عن دينهم ، فلنفعل مثلهم ، قول فيه من الخطر أكثر مما فيه من الجهل . فان نهضة أوروبا الحديثة نهضة قائمة فى جوهرها على ثورة دينية سعت الى السيطرة على العالم ، لا بالآلات والأسلحة فحسب ، وإنما بالفكر والارتكاز على المقومات الروحية للشخصية الأوروبية .

د. عون الشريف قاسم

الحركة الوجــدانيــة هى أهم حـركة تجديــد فى الشعــر العــربى

حركة الاتجــاه العــاطفى ذات النــزعة الحسية المتــرفة

بواكيــر الواقعيــة جاءت مع انشغــال الانســان بالقضـايا الفــردية

حــول جائــزة الملك فيصــل

ما أقرب الماضى إلى الكذب !

مجيــد طوبيــا

كان التقاء الحضارة العربية بالحضارة الأوربية الحديثة اعنف هزة أصابت الوجدان العربى ، وذلك منذ ابتلاه الجمود والركود إبان القرون المظلمة من الحكم العثمانى .. وحين التقى المماليك فى مصر على صهوات خيولهم المطهمة بجنود نابليون فى عدتهم ونظامهم المتطور ـ أواخر القرن التاسع عشر ـ ادركوا وادرك العرب فى مصر والشام أنهم يعيشون عهداً قد انقضى ، ويجابهون حضارة جديدة عليهم أن يواجهوها .. كانوا كاهل الكهف ، أجبروا على الانغلاق والسبات ، وعندما صحوا وجدوا الدنيا من حولهم وقد تبدلت !! .. تلك الفكرة التى بنى عليها «المويلحى» كتابه المعروف «حديث عيسى بن هشام» حيث يبعث احد باشاوات القرن التاسع عشر ويهبط الى القاهرة الجديدة عليه ويشاهد مذهولا ما طرأ من تغير على حياة الناس !!

فبرحيل الحملة الفرنسية وقيام دولة محمد على ، وكنتيجة للصدمة الحضارية ، بدات فى وقت واحد حركة إحياء لبعض الوان التراث العربى ، وحركة اقتباس لبعض ثمار الحضارة الأوربية فى كافة المجالات ، فى الاجتماع والتربية والسياسة والأدب والفن .. وظهرت طبقة من المثقفين واجهت منذ البداية مرحلة الانتقال الجسيمة ، بما فيها من صراع وتناقض بين القديم الساكن والجديد المتحرك ، زاد من حدة هذا الصراع ما وقع من تسلط أجنبى ، الانجليز فى مصر والعراق ، الفرنسيون

فى الشام والمغرب العربى ، والايطاليون فى ليبيا !!

فى ظل ذلك الصراع المركب وذلك التطور سريع التغير ما كانت الواقعية لتصلح تعبيراً عن الوجدان المبلبل ، فالواقعية كمذهب إنما تاتى وليدة لمجتمع قد تجاوز مرحلة الانتقال إلى حياة شبه مستقرة .. لهذا نشات مع بشائر القرن الحالى طائفة من الأدباء بلغت حداً طيباً من الثقافة والوعى ، وتفتح وجدانها على هذا العالم الجديد بكل ما اتاحه للفرد من شعور بذاته مفقوداً امداً طويلا إبان قهر الحكم التركى .. فالتفت الكاتب والفنان الى وجدانه ، يرقب من خلاله عالمه المتقلب ، ويعبر عن تجاربه الفردية ومشاعره الذاتية باساليب متاججة بالخيال الجامح والحدة العاطفية والصور المستحدثة ..وعدل الأديب عن رصد واقع العالم الخارجى الى التعبير عن وقع هذا العالم على وجدانه هو ، مستبدلا بالنظرة العقلية المتزنة فى الأدب «الكلاسيكى» ذلك الجيشان العاطفى الذى يزخر به وجدانه ، متجاوزاً بالضرورة منطق العقل ، ومقيماً علاقات مغايرة عن طريق الخيال ، ومبتدعاً لنفسه معجماً شعرياً خاصاً فيه استخدام جديد لألفاظ اللغة وأساليبها يرتبط بايحاءات نفسية ودلالات رمزية بعيدة بشكل أو آخر عن الرد الموضوعى للواقع الحادث ..

هذا الاتجاه هو ما عرف عند معظم الدارسين لشعرنا العربى الحديث باسم «الحركة الرومانسية» مستعيرين هذا المصطلح الأوربى ..

د. عبد القادر القط

اكتشاف الذات

لكن الحركة الرومانسية فى الأدب الغربى جاءت تعبيراً عن مرحلة حضارية انتقل فيها المجتمع الأوربى من أنماط الحياة الى نمط مناقض يكاد يضع حداً حاسماً بين عاملين مختلفين قبل وبعد الانقلاب الصناعى وحروب نابليون .. بينما ظل التغير الذى طرأ على مجتمعنا العربى وقتذاك محصوراً الى حد كبير فى أبناء الطبقة المتوسطة وبخاصة المثقفين منهم ، وظل ارتباط هؤلاء بالتراث ومصادر الدين ينزع بهم الى شىء من المحافظة يحد من استجابتهم التلقائية لدواعى التحول الكبير .. فتعايشت كثير من الاتجاهات الادبية المتعارضة ، كل منها يمثل مرحلة حضارية بعينها ، وهى نفس الظاهرة التى مازلنا نلاحظها حتى يومنا هذا !! ..

ولهذا يقترح الاستاذ الدكتور عبد القادر القط تسمية اخرى لهذه الحركة هى «الاتجاه الوجدانى» .. حيث نجد الشاعر فى ظل هذا الاتجاه يرقب بوجدانه مجتمعاً مشدوداً بين أطراف القديم ومشارف الجديد ، وتتنازعه احاسيس متضاربة بين الرغبة والمثل الأعلى ، الارادة والقدرة ، الانجذاب نحو الماضى والاندفاع نحو المستقبل .. الأمر الذى دفعه الى المراوحة بين إطارى القصيدة القديمة والقصيدة القائمة على نظام القطوع ، فاستفادت القصيدة التقليدية واكتسبت مسحة عصرية ..

ولم يكن هذا ليعنى أن الحركة الوجدانية حركة سلبية ، بل هى فى معظمها إيجابية ،تقوم فى جوهرها على رفض الفرد لما لم يستطع أن يتكيف معه من أوضاع لم تستقر بعد ، وعلى فرحة هذا الفرد باكتشاف ذاته ، تلك الذات التى ظلت ضائعة مقهورة فى ظل عهود من الجهل والتخلف والظلم ..

والحركة الوجدانية بهذا تكون فى مجال الشعر أكبر حركة تجديد شهدها الشعر العربى فى تاريخه الطويل ، لا يمكن أن يقاس اليها تجديد العذريين ولا أصحاب الموشحات ..

الشاعرية الأولى

ليس المقصود بالذاتية أن يقتصر الشاعر على التعبير عن ذاته وعواطفه وتجاربه الخاصة وحدها ـ وإن كان هذا من أهم مظاهرها ـ بل أن يكون للشاعر كيان مستقل ونظرة متميزة للحياة والناس ، ووجدان يقظ يرصد المجتمع والطبيعة والنفس البشرية ..

وقد اتيحت للشعر حينذاك موهبة كبيرة وضعته على أول الطريق الى النهضة الحديثة ، وهى موهبة محمود سامى البارودى .. وإن سبقه بعض الشعراء الذين مهدوا له السبيل ، وعاصره آخرون فى بعض أرجاء الوطن العربى لعل ابرزهم إبراهيم اليازجى (١٨٤٧ ـ ١٩٠٦) ومحمود سعيد حبوبى (١٨٥٠ ـ ١٩١٥) .

حفلت حياة البارودى منذ صباه بالاحداث والتجارب ، فخاض وهو شاب حرب كريت ، ثم حرب البلقان ، ثم قام بدوره المعروف فى الثورة العرابية والذى أدى الى نفيه سبعة عشر عاماً فقد أثناءه زوجه وبعض ولده وكثيراً من أصدقائه فى ارض الوطن !! ... وقد فرضت هذه التجارب والمحن على الشاعر فيه أن يرتد إلى ذاته ، فينبعث فى شعره من الحرارة والعواطف الممتزجة بالبصيرة الصادقة ما لا ينبع الا من التجربة والملاحظة الذاتية للنفس والحياة والناس .. وهكذا اجتمع فى شعر البارودى أسلوب جديد بالنسبة الى عصره ، وتجربة صادقة افتقدها الشعر العربى فى عصور التخلف ..

يقول الدكتور محمد حسين هيكل : «شعر البارودى حياته ، فكل قصيدة صورة لحالة نفسية من حالاته .. وديوانه فى مجموعه صورة للعصر الذى عاشه وللبيئة التى أحاطت به ، وللنهضة المتوثبة فى الحياة من حوله وللثورة التى تمخضت عنها تلك النهضة ، وللنكسة التى أصابت النهضة والثورة وكلتيهما..»

والثورة المقصودة هنا هى بالطبع ثورة عرابى ..

وحتى العقاد الذى دأب فى مطلع شبابه على مهاجمة التقليد ، يقول عن البارودى : «لا ترى فى ديوان البارودى كله بيتاً واحداً إلا وهو يدل على البارودى كما عرفناه فى حياته العامة والخاصة ، وهذه آية الشاعرية الأولى» .

لقد رد البارودى الى الشعر العربى عنصر الذاتية ، بعد أن كان قد فقده

ما أقرب الماضى إلى الكذب

قرونا طويلة .. لذلك يقول الدكتور القط «إن البارودى – رغم نزعته التقليدية الغالبة – يعد إرهاصا للحركة الرومانسية التى قدر لها أن تقوم بعده بسنين على أساس من الذاتية والتجربة الشخصية ... على أن ذاتيته ما كان يمكن أن تكفى فى صورتها السابقة لكى تمثل طبيعة التطور الحضارى الجسيم فى عصره .. وكان لابد من أن تمتد حركة الاحياء عند شعراء آخرين لتصبح أكثر حداثة» ..

أما التطور فى العالم العربى فلم يجر على مستوى واحد ، فقد سبق الى التجديد بعض الشعراء ممن اتصلوا مبكراً بالثقافة الغربية والعصرية ، فى حين كان شعراء آخرون فى مراحل حياتهم الفنية الباكرة لايزالون يجتازون مرحلة الأحياء الأولى ، منهم فى العراق الزهاوى والرصافى (الذى نشر ديوانه الأول عام ١٩١٠) .. وأيضاً الكاظمى وإن كان قد قضى شطراً كبيراً من حياته فى مصر ..

الفرق الواضح

فى أواخر أيام البارودى وبعده بقليل ظهرت فى أرجاء الوطن العربى كله – كما أسلفنا – طائفتان من الشعراء على طرفى نقيض .. الأولى تطلع أصحابها الى التعبير عن قضايا عصرهم بأسلوب يجمع بين الأصالة والمعاصرة ، وأصبحوا – على اختلاف فى الدرجة والموهبة – يماثلون فحول الشعراء فى العصور القديمة ، إذ كان عليهم أن يصوروا وقائع مجتمعهم متجاهلين – فى الأغلب – تجاربهم الذاتية .. ومن بين هؤلاء أتيح للشاعر أحمد شوقى أن يصبح مرموقاً على مستوى الوطن العربى كله .

وقد أسرف شوقى فى تجاهل وجدانه ، واوغل فى شعر السياسة والأحداث والمناسبات حتى ارتد بوضع الشاعر الحديث الى ما كان عليه فى العصر العباسى ، متطلعاً إلى مكانة الفحول من شعراء ذلك العصر !! ..

وكان شوقى يعيش فى منزله على شاطىء النيل ، ويشهد غدو الناس ورواحهم على ذلك الشاطىء ، ويرى الأشرعة البيضاء وهى تخفق .. وفى امسيات الصيف كان يرى تالق القمر على مياهه .. ومع هذا فقد تجاهل ذلك كله فى قصيدة من خير قصائده وابعدها عن المناسبات وهى «النيل» ..وعلى عكس احساس المصريين المحدثين الذين لا يرون فى النيل كائناً سحرياً بل نهراً وديعاً جميلا ، نجد شوقى قد التفت الى الصورة التقليدية التى تصور النهر كائناً جباراً غامضاً ، فيقول :

من اى واد فـى القـرى تتدفـق
وباى كـف فـى المدائـن تغـدق ؟؟
ومـن السـماء نزلـت ، أم فجرت من
عليـا الجنـان جـداولا تترقـرق ؟؟

بينما نجد أن نفس النهر يستحيل عند الشاعر الرومانسى الى رمز صوفى يشيع فيما حوله من طيور وزوارق وأشجار ورياح جواً خيالياً حالماً ، مثال ذلك قصيدة الشاعر محمود حسن اسماعيل بعنوان النهر :

سكونه حياة .. ونطقه حياة
والموج فوق صدره صلاه
حين تنام الريح .. والموج يستريح
تخاله نشوان ، فى أفقه النعسان
أقداحه وضوء ، للصمت والهدوء
يمر بالحياة ، وموجه مرآة
أمواجه سجادة ، للطهر والعبادة
تجثو بها الطيور ، وتمرح العطور
وتصبح الزوارق ، كأنها حدائق
مسحورة الأغصان ، فى ربوة النسيـــان ...

والفرق واضح بين ما استدعته هنا التجربة الوجدانية من معجم شعرى خاص وتصوير وإيقاع ، وما اتسمت به قصيدة شوقى من بيان كلاسيكى اقتضته طبيعة النظرة الموضوعية الى التجربة .

نتصافح نظما

وقد كان الشباب من دعاة التجديد يتوقعون من شوقى أن يتجاوز البارودى ، وأن يجدوا فى شعره من التجارب الذاتية ما يعكس حياة الانسان فى مطلع القرن العشرين .. لكنهم وجدوه – وقد بلغ ما بلغ من مكانة مرموقة بين شعراء الوطن العربى – وجدوه لا يهجر الأنماط الشعرية القديمة ، بل راح يتابع احداث السياسة ومناسبات المجتمع ، فيمدح ويرثى ويخوض فى الو.ن من السياسة لعلها لا تمثل اهتمامه الحق ، ويتجاوز احداث مصر والعالم العربى الى ما يترامى اليه من كوارث العالم وصروفه !!.. لهذا كله ولغيره اتخذوه هدفاً لحملتهم ضد القديم ، وجعلوا هدمه غاية لبناء الشعر على أساس جديد ... وهكذا قامت حول ادبه تلك الحركة النقدية التى قصد بها أصحابها أن يهاجموا القديم فى أكبر ممثل له ، وأن يلفتوا الأنظار الى ما يدعون اليه من جديد وتجديد !

يقول العقاد فى تقديمه لديوان المازنى مروجاً للاتجاه الوجدانى : «.. حسب الأدب العصرى من روح الاستقلال فى شعرائه انهم رفعوه من مراغة الامتهان التى عفرت جبينه زمناً ، فلن تجد اليوم شاعراً حديثاً يهنىء بمولود وما نفض يده من تراب ميت .. ولن تراه يطرى من

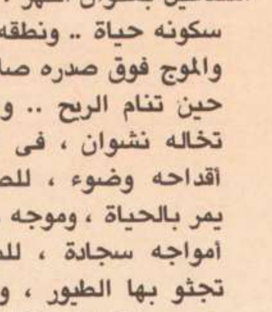

محمد على

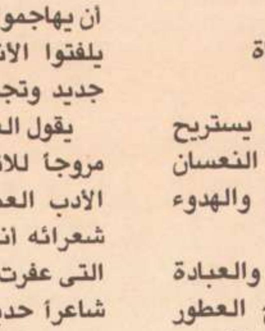

رشيد سليم الخورى

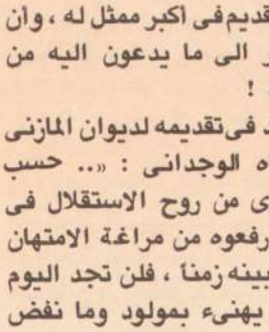

ميخائيل نعيمة

هو أول ذاميه فى خلواته .. ولا واقفاً على المرافىء يودع الذاهب ويستقبل الآيب ، ولا متعرضاً للعطاء يبيع شعره كما يبيع التاجر من بضاعته»..

ولم يكن ذلك من العقاد استجابة محلية خاصة بمصر وحدها ، إذ نجد «ميخائيل نعيمة» وهو فى بيئة أخرى بعيدة عن بيئة العقاد يشاركه الرأى ، ويقول ساخراً من شعر المناسبات : «... وأصبحنا نتراسل نظما ونتصافح نظما ، ونستقبل أصدقاءنا نظما ونودعهم نظما ، ونهنئهم بعيد أو مولود نظما ، إلى أن لم يبق فى حياتنا ما ليس منظوماً سوى عواطفنا وأفكارنا !!»

الألم الممتع

غير أن الدكتور «شوقى ضيف» يدافع عن أحمد شوقى قائلا : «العقاد محق حين يزعم أن شوقى لا تتضح شخصيته فى شعره .. وشوقى ليس من الشعراء الذاتيين الأنانيين ، وهو لم يتقدم بهذه الدعوى ولم يفكر فيها أبداً ، وانما هو شاعر غيرى ، ولست أدرى لماذا نحجر عليه ولا نجعل له هذا الاتجاه مذهباً اتخذه فى فنه ؟! .. إن من الظلم للشاعر أن نقيسه بمقياس لم يفكر فيه !!»

والحق فان القضية عن شوقى لم تكن قضية اختيار شخصى بين الغيرية والذاتية ، بل كانت انتماء الى تيار فنى خاص يجدد بالقدر الذى يحقق توازناً بين التراث والمعاصرة ..

وموهبة عظيمة كموهبة شوقى لم تكن لتقنع بما فرضته عليها الظروف من اتجاه موضوعى ، إذ وجدت لها متنفساً فى إطار المسرحية ، فالمسرحية تفرض على الشاعر أن يتمثل عواطف شخصياته وأزماتها النفسية .. وقد اختار شوقى من موضوعات التاريخ ما تنتهى فيه مصائر الأبطال إلى فواجع تثير المشاعر ، كما اختار من المآسى الفردية ما هو خالص لعواطف الحب وأشواق الانسان .. ففى مسرحية «مجنون ليلى » يلمس وتراً شجياً من أوتار الرومانسية عندما يذكر «قيس» الألم الممتع .. والحق فاننا قلما نظفر بين المراثى الكثيرة قصيدة فى جمال وشجن الأبيات القليلة التى قالها الشاعر على لسان المجنون وقد وقف على قبر ليلى :

إيليا أبو ماضى

جبران

هنا جسم ليلى ، هنا رسمها
هنا رمقى فى الثرى المودع
هنا فم ليلى الزكى الضحوك
يكاد وراء البلى يلمع !

شكوى هند

وقد عاصر شوقى شعراء فى الوطن العربى ، وإن تأخروا عنه فى المولد ، جروا مثله على النهج الكلاسيكى فى أشعارهم الوطنية ، لكنهم التفتوا الى كثير من التجارب الذاتية ، واقتربوا من طبيعة الاتجاه الوجدانى ، مثل الشاعر السورى «خليل مردم» الذى بدأ يتخلى عن التحفظ المعهود عند شوقى ونظرائه والذى استخدم نظام المقطوعة وأكثر من القوافى المتغيرة والألفاظ الدالة على المشاعر والعواطف .. أيضاً «خير الدين الزركلى» .. وكذلك الشاعر اللبنانى وديع عقل .

وقد نما الاتجاه العاطفى ذو النزعة الحسية المترفة على يد شاعر أصبح فيما بعد ممثلا بارزاً لها وهو «بشارة الخورى» أو الأخطل الصغير ، وله قصيدة «هند وأمها» تعد نموذجاً مبكراً لهذا الاتجاه الذى برع فيه ، أحال فيها عن طريق الحركة والتجسيم وبناء العبارة الشعرية تشبيه المقل والوجه بالليل الى صور بديعة جديدة .. وذلك عندما اتت هند تشكو الى أمها :

فقالت لها : إن هذا الضحى
اتانى وقبلنى قبلتين
وفر ، فلما رآنى الدجى
حبانى من شعره خصلتين
وما خاف يا أم ، بل ضمنى
وألقى على مبسمى نجمتين
وذوب من لونه سائلا
وكحلنى منه فى المقلتين

لكل العصور

وفى كتابه الرائع «الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر» يوضح لنا الأستاذ الدكتور عبد القادر القط أن هذه المحاولات المختلفة لم تكن إلا البداية لتجديد أبعد مدى وأكثر إزدهاراً ونضجاً قام به أعمدة الشعر الوجدانى البارزون ، من أمثال خليل مطران وعبد الرحمن شكرى والعقاد والمازنى ، وأحمد زكى أبو شادى تلميذ مطران والذى قدر له أن يجمع شتات الحركة الرومانسية فى «جماعة أبولو» ... وكذلك الملاح التائه على محمود طه ومحمود حسن اسماعيل .. وأيضاً عند شعر الشام بالمهجر الأمريكى ، الذى جاء استجابة تلقائية لبيئاتهم الجديدة مثل إيليا أبو ماضى والشاعر القروى رشيد سليم الخورى وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة

لكن مع نهاية الحرب العالمية الثانية ، بكوارثها وشك الانسان فى الحضارة والعلم وفى قدرته على الحب والخير .. ومع حركات الاستقلال فى الوطن العربى والأوطان المحيطة به فى آسيا وأفريقيا ،

بدأ كثير من الشعراء ينفرون من الذاتية والوجدانية المسرفة فى انشغالها بقضايا فردية فظهرت بواكير الواقعية فى الشعر والقصة والرواية ، وظهر الشعر الحر لرغبة الشعراء فى الاقتراب من واقع الحياة اليومى .. وإزاء كل هذا انحسرت موجة الاتجاه الوجدانى .. فهل انتهت تماماً ؟؟

يعود الدكتور القط ليؤكد فى نهاية كتابه بأن ما نشهده من عودة فى بعض فنون الأدب الى التجارب العاطفية الخالصة يوحى بأن الانسان فى ايامنا هذه قد ضاق بتعقد الحضارة ، واشتاق الى استقبال الحياة من جديد بعواطفه وخياله وذاتيته .. وعلى هذا يمكننا القول بأن موجة الوجدانية قد عادت — كما كانت من قبل — تعبيراً فردياً عن العواطف الانسانية فى الأدب والفن ، وفى كل العصور .

مجيد طوبيا

صلاح عبد الصبور

كتابان تعلمت منهما

مشارف الخمسين

أول الكتب انزلقت على أجنحته السحرية مفتونا بجمال اللفظ وسحر الايقاع

كثيرا ما أعود إلى أبى العلاء عندما ينتابنى الحنين إلى صوته الوادع الكسير

أسف أنا ، بل وحزين ، لاغتراب كتابين وذهاب زمانهما، إذا افتقدهما بين أيدى ناشئة أدبائنا ، فلا أكاد أجد لهما ظلا أو صدى . أحد الكتابين عربى والآخر انجليزى وكلاهما يجمع بين دفتيه ذخيرة صالحة من أدب الأمتين .

أول الكتابين وأحقهما بالتقديم ، هو الكتاب المنتخب من أدب العرب .. كانت فيه جملة صالحة من شعر العربية ونثرها على امتداد عصورها . وقد جمعه وشرحه طائفة من أساتذة الأدب على رأسهم طه حسين العظيم . ومن هذا الكتاب وعلى صفحاته المشرقة عرفنا فى سنوات الصبا الأولى أسماء امرىء القيس والنابغة والأعشى وطرفة ، ثم اكتملت سياحتنا المباركة حتى وصلنا الى ساحة الشعراء فى القرنين الرابع والخامس الهجريين من أمثال السرى الرفاء وكشاجم والبستى والطغرائى وغيرهم ، ثم أطلعنا على بعض النابهين من شعراء عصور التخلف كالبهاء زهير وابن نباته ، وقادنا بعد ذلك حتى طالعت عيوننا وجه الشعر العربى القديم المتجدد عند البارودى واسماعيل صبرى وشوقى .

كان الكتاب منجماً مجزءاً ، وكانوا يوزعونه مفرقاً على طلبة المدارس عاماً بعام ، فى المرحلة الثانوية ، اذ لم تكن المرحلة الاعدادية قد استحدثت بعد لتكون أشبه بالجهل منها بالعلم .. وكان منقطعو الصلة بالأدب من الطلاب يخلون بين الكتاب ومثواه فى خزائنهم الصغيرة ، أما الهواة الضالون الذين يفتنهم سحر اللفظ والايقاع فقد كانوا يقلبون أوراقه ، ويقرأون فصوله ، ومن هذا الكتاب ، وعلى أجنحته السحرية كانوا ينزلقون الى عوالم هؤلاء الشعراء

الانسان والحزن

أذكر الآن بعد ما يزيد عن ثلث قرن أنه كان فيه للمتنبى ، سيد القلب فى ذلك الزمان ، بضعة قصائد ، تعي ذاكرتى منها قصيدتان ، إحداهما من شعر صباه فى مدح صعلوك أو سيد اسمه شجاع بن محمد الأزدى ..... من شجاع ؟ ومن محمد الأزدى ؟ لولا المتنبى العظيم ..؟ فى القصيدة لهجة وعظ وارشاد تذكرنا بخطبة قس بن ساعدة الشهيرة ...

وهى أشبه بحديث صبى نابغة الى صبيان أغرار .

أبنى أبينا ، نحن أهل منازل
أبداً غراب البين فيها ينعق
نبكي على الدنيا ، وما من معشر
جمعتهم الدنيا ، فلم يتفرقوا
أين الأكاسرة الجبابرة الألى
جمعوا الكنوز فما بقين ، ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه
حتى ثوى فحواه لحد ضيق
خرس إذا نودوا كأن لم يعلموا
أن الكلام لهم حلال مطلق
فالموت آت والنفوس نفائس
والمستعز بما لديه الأحمق
والمرء يأمل والحياة شهية
والشيب أوقر والشبيبة أنزق

انى لأنظر الى القصيدة الآن ، فأرى لهجتها تلك هى لهجة الشباب فى كل عصر وأوان ، إذ يرتعدون بين أمل الحياة ويقين الموت ، وقد علمنى العيش أن الانسان أقرب ما يكون الى الحزن فى ساعة الفرح العميق .

الحياة العظيمة

وأذكر أيضاً أن الكتاب قد حوى ميميته الجليلة فى مدح سيف الدولة حين بنى ثغر الحدث مسجلا انتصاره على الروم ، والمتنبى العظيم يبدأ القصيدة بحكمة تقريرية هى أعظم شعراً من كل شعر ، ودعك مما يقولونه عن الخيال والصور ، فهنا صياغة مجردة كالحقيقة ، سامية مجلوة مثل جلاء السموات والأرض :

على قدر أهل العزم تاتى العزائم
وتاتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها
وتصغر فى عين الصغير العظائم

ترى .. أعرفت يا سيدنا أبا الطيب أن الناس معادن ، وأن الحياة العظيمة هى إرث الرجل العظيم وامتحانه .

المتنبى

شيللى

ماذا علمنا ؟

أما أبو العلاء المعرى ، ففى ذاكرتى مما حواه ذلك الكتاب قصيدتان ، أولاهما داليته الشجية فى رثاء فقيه حنفى ، يبدؤها بهذا المقطع الباتر كالسيف «غير مجد فى ملتى واعتقادى» ، ولقد علمنا فيها أبو العلاء العظيم كيف نمشى فى الأرض رويداً حتى لا تدوس أقدامنا الجافية رؤوس أجدادنا المهشمة ، ولنذكر عندئذ مع شكسبير مشهد الحفار فى مسرحية هاملت ، ولنقل أن جمجمة قيصر قد أصبحت سدادة لبرميل جعة .

وترد فى الكتاب أيضاً قصيدته الباذخة التى مطلعها :

علانى فان بيض الأمانى
فنيت ، والزمان ليس بفانى
أليس هذا مطلع يخلع القلب خلعاً ؟ .

أول مسرحياتى

قادتنى هذه المجموعة على امتداد صباى الى قراءة بعض شعراء العربية الكبار الذين كانت دواوينهم فى طوق اليد والجيب . ولقد فتنت بالمتنبى حتى حفظت معظم شعره ، بل لقد كنت كثيراً ما أجسده فى خيالى رجلا يعيش بين ظهرانينا ، بشر من التراب يعود الينا من عالمه الروحانى ، فأحادثه عندئذ ويحادثنى ، ولقد كانت صورته عندى هى صورة الشيخ المتابى الكريم على نفسه وعلى الكون ، فلقد كنت قرأت من أمور كبريائه ما ملأ قلبى إكباراً له ، كان المتنبى يبدو لى خلياً من شئون الحياة العابرة الا التوق الى مثلها العليا ، منصرفاً عن سفاسف الحياة الى عليائها وأذكر أن أول محاولاتى المسرحية كانت قطعه حواريه فى بلاط سيف الدولة ، أبطالها المتنبى وابو فراس وابن خالويه وسيف الدولة ، يخرج فى أثنائها الشاعر مغاضباً لتلقى به أرض تنكره الى أرض ينكرها ، وقلبه الثقيل معلق بقلعة حلب وأميرها الشجاع الغادر . وتمضى السنون حتى ينقذه الموت من أشواقه المبرحة .

ولكن أنى لى فى ذلك الوقت أن أكتب مسرحية أو شبه مسرحية ، وأنا لم أشهد مسرحاً فى حياتى ، فلم يك فى مدينتنا الصغيرة من مجالى التشخيص إلا داران شديدتا الرثاثة للسينما ، تعرضان بعض الأفلام العربية التى لم تشهد صناعة السينما فى تاريخها الطويل فى جميع بلاد العالم ما يماثلها سوءاً ، فهى أفلام موجة الحرب العلمية الثانية وما بعدها ، حين نما جمهور عمال وموظفى معسكرات جيش الاحتلال ، وبسط سلطانه على أدوات الفن والتسلية ، إذ كان هو أكبر مستهلكيها .

كانت هاتان الداران تقدمان لأفلامهما السخيفة ببعض الحلقات الأمريكية التى شاعت فى ذلك الزمان ، مثل حلقات «زورو» و «عودة زورو» ، ـو بأفلام مسلسل طرزان وقردته العجيبة شيتا التى تسللت الى عقولنا كتباً مقروءة قبل أن تغزوهما أشرطة مصورة .

الحنين الى صوته

تلك كانت علاقتى بالمسرح كمبنى ، أما علاقتى به كمعنى ، فلم تزد عن قراءة بعض مسرح شوقى وتوفيق الحكيم . وكلاهما ـ فيما أظن ـ لا يقودان الى فهم المسرح حق الفهم ، بل لابد من تجاوزهما الى المنابع الأولى لكى نقترب من سر الكيمياء المسرحية ، أو سر خلط عناصر الحكاية والشخصيات والحوار ، وصهرها فى بوتقة واحدة .

وقد قادنى المنتخب من أدب العرب ، أيضاً ، الى قراءة أبى العلاء المعرى فى لزومياته .

ومن الغريب أن الطبعة التى قرأتها حينئذ هى ذاتها الطبعة التى أقتنيها الآن وأعود اليها حين ينتابنى الحنين الى صوت أبى العلاء الوادع الكسير . فلم أعرف فيما صدر بعد ذلك طبعة أدق منها وأوثق . وهى مطبوعة فى عام ١٩٣٣ هجرية ، بمعونة أحد محبى العربية ، بالمطبعة الجمالية بمصر ، على ورق بين الأصفر والأبيض ، ودون أن يحتال عليها اسم محقق يزعم لنفسه سبقاً الى فهم النص ، ويثبت اسمه بأحرف أكبر من أحرف اسم صاحب الكتاب ، كما جرت العادة فى هذه الأيام الغبراء .

يد العبث

ولعله مما يفتنك ويملأ نفسك اكباراً ، كما حدث لى فى تلك الأيام البعيدة ، افتتاح أبى العلاء لمقدمة لزومياته بقوله:

كان من سوالف الأقضية أنى انشأت أبنية أوراق توخيت فيها صدق الكلمة ، ونزهتها عن الكذب والميط (الظلم) ...

فلنذكر عندئذ أن هذه الكلمة المحدثة (الصدق) التى طالما تشدق بها كتابنا المحدثون كان أبو العلاء هو مبتدعها ، ولكن بحق ويقين ..

وحين قرأت أبا العلاء محا من فؤادى كل ما عداه ، فكأنه ختم عليه ألا يحل به

المعرى

محمود سامى البارودى

بيرون

سواه ، وأدركت أنى لو عشت فى زمانه لحرصت على أن أكون أحد تلاميذه أو خدامه ، أقرب اليه طعامه ، وأقوده فى مشيته ، وأميط الأذى عن ثوبه ، ولعلى أجنى لقاء ذلك علماً أو أدباً أو خلقاً .

وتمر الأيام من بعد ، وندرك أن الطريق الذى اختاره أبو العلاء شاعراً وانساناً أكبر من قامتنا التى حناها الزمان ، وأنظف من عصرنا الذى لطخه الكذب الشائع فى الأبواق . فلنقنع إذن بمحبته دون أن نكلف أنفسنا التأسى به .

ومجمل القول هو انه لو لم يكن لهذا الكتاب النفيس من فضل سوى أنه قاد شداة الشعر الى عالم الأسلاف العظيم لكان هذا سبباً كافياً لبقائه بين أيدى طلاب المدارس ، ولكن يد العبث التى عبثت بالتعليم كله محت من المدارس هذا الكتاب فيما محت من علم وخلق ، ووضعت بين أيدى التلاميذ أسوأ النماذج من شعر معلمى المدارس ومفتشيها ، وأكثر النماذج ركاكة من نثر متصدرى الساسة وأشباه الساسة .. ولله الأمر من قبل ومن بعد .

الذخيرة الذهبية

ولقد كنا فى ذلك الزمن القديم نلمح بعض الشعر المترجم عن الانجليزية والفرنسية يتناثر فى أعمدة الصحف والمجلات . فمن ذلك ترجمة قصيدة «مرثية فى مقبرة ريفية» لتوماس جراى ، وقصيدة «الى الوقواق» لوردزورث وقصيدة «الى وعاء اغريقى» لكيتس ، وقصيدة «أغنية الى الرياح الغربية» ، وقصيدة «الى قبرة» لشللى العظيم ، فضلا عن بعض قصائد للامارتين وفاليرى من الفرنسيين .

وكان بعض الأبناء النوابغ الأول للجامعة يعكفون أحياناً على ترجمة كاملة لبعض الأعمال الشعرية ، اذ ترجم لويس عوض «بروميثوس طليقاً» لشيللى ، وألحق بها قصيدته الطويلة «أدونيس» التى كتبها فى رثاء جون كيتس ، كما ترجم عبد الرحمن بدوى «تشايلد هارولد» لبيرون .

ولقد انبعث لدى الناشئة الأدبية أو بعضها عندئذ الشوق الى مطالعة ما يزيد عن ذلك القدر الضئيل من شعر سوانا من الأقوام ، ووجدنا بين أيدينا كتاباً من مختارات شعر اللغة الانجليزية كانوا يوزعونه فى الجيل الذى سبقنا على طلاب المدارس ، فأدركنا نسخاً مستعملة منه على سور الأزبكية حيث تباع الكتب القديمة ، واشتريناها بقروشنا الضئيلة .

كان ذلك الكتاب هو كتاب «الذخيرة الذهبية» الذى جمعه ف . ت بالجريف فى أواخر القرن التاسع عشر ، عصر غلبة الذوق الرومانتيكى ، قبل أن يثور الشعر الانجليزى على نفسه ، وتمتد اليه مغامرات التصويريين أو تجريب «اليوت» ، وكان آخر الأصوات العظيمة فيه هو صوت اليزابيث وروبرت براوننج

الحساسية الشعرية

كنت أقرأ مستعيناً بالقاموس ، ومازالت نسختى القديمة من قاموس «الياس» تصاحبنى منذ خمسة وثلاثين عاماً ، أمد اليها يدى بكل الحب القديم رغم جوارها فى مكتبتى لمورد البعلبكى وقاموس النهضة لاسماعيل مظهر ،

عرفت من قراءتى فى ذلك الزمان للمنتخب من شعر الانجليز ، أو الذخيرة الذهبية ، صورة الشعر الانجليزى منذ بدايته فى عصر تشوسر حتى القرن التاسع عشر ، ولا أزعم أننى عرفت الصورة بدقائقها وتفاصيلها ، فما الى ذلك من سبيل ، وأنا لا أدعى لنفسى معرفة وثيقة إلا بأدب العربية ، ولكنى عرفت الصورة التى قد تصلح لشاعر أجنبى عن هذه اللغة ، يريد أن يدرك أبعاد الحساسية الشعرية فى هذا الأدب ، فقرأت بعض سونيتات شكسبير لأعرف منها الشكل الفنى للسونيتة ، وعالمها الأثير ، وأحببت عالم كولردج الذى تمتزج فيه الفلسفة والشعر والوهم ، وأظن أن قصيدته «الملاح القديم» .. ستظل من أحب قصائد الشعر الى نفسى ، كما أحببت شللى ، شجرة الورد الحساسة النقية . أما بليك فقد اكتشفته فيما بعد ، إذ أن بالجريف لم يقدمه بكل شاعريته الجموح .

الزمن المفقود

هذا أنا بعد ثلاثين من السنين أجدنى شتيت القلب بين عالمين ، يدركنى الملال فى بعض الليالى ، فأمد يدى الى ديوان من دواوين شعرنا القديم ، أتأمل الصنعة الذكية عند بعضهم ، أو الالهام العميق عند آخرين ، أو أمد يدى الى مجموعة من شعر سوانا من الشعراء ، الانجليز أو غيرهم من أمم الأرض مترجماً الى لغة أعرفها ، فأتأمل عندئذ امتزاج الصنعة والالهام كما تمتزج الكأس الشفافة برحيقها .

وأذكر عندئذ أن كتابين عظيمين قد فتحا لى هذه الكوة المضيئة «المنتخب من أدب العرب» لطه حسين وزملائه ، و «المنتخب من شعر الانجليز» المشهور بالذخيرة الذهبية لبالجريف .... أذكرهما وتنهمر ذكريات الزمن المفقود أمام عينى الكليلتين .

صلاح عبد الصبور

بعض .. هذا .. العقيق .. !

شعر : فتحى سعيد

«بئس الليالى سهرت من طربى
شوقاً إلى من يبيت يرقدها ..»
«المتنبى»

بئس تلك الحديقة
لوحة ليس إلا .. من خيال مهيض
عوسج يتدلى من فوق سور المدينة
تحت قبو السكينة ..
والرياح العتيقة
عازف نازف فى فضاء عريض
والنجوم الرقيقة
دمعة أجهشت فى عيون القريض
لقطة حشرجت فى صدور الخليقة .!

● ● ●

بئس تلك الحديقة
مات فيها الشجر
غاب وجه الحقيقه
وتوارى القمر ..
عن سمائى وهاجر
لبلاد سحيقه
أن لى أن أسافر ..
رحلة لا تراها غير كف غريقه . !

● ● ●

رغم طول السنين
كلما ضمنا منحنى فى الطريق
أو مكان سحيق ..
ضاق بى بعد حين . !
كان نعم الرفيق
لم نعد نلتقى مرة أو نريق ..
علنى أرتوى ليلة
أو أفيق . !

● ● ●

من دمى .. فاشربوا
بعض هذا الرحيق ..
واشهدوا .. من دمى
كان هذا العقيق !

فتحى سعيد

شهيات

د. يوسف إدريس

الرأس والحل والنظام

اكتب لأنى اريد فعلا ان اكتب . مرة اخرى احتشد وينتقل ما بالرأس الى الأصابع والأنامل وتستحيل (النغمشات) الى أشياء مجسدة لها معنى . أهى لعنة؟ أهى نقمة ؟ أهى نعمة ؟ أهو قدر يحيط عنقى بطوق من حديد لا يعرف حداد فى العالم كيف يحطمه ؟ قائد انا ام مقود مغمض العينين غير مطلق السراح الى ابد محدد لم يستشرنى احد أبداً فى نوعه او اتجاهه او تحديده .

وقف فى المنتصف رافضاً أن يتحرك خطوة حتى يعرف الى اين ، حتى يعرف لماذا ؟ حتى يرى ان كان هناك مجال للرؤيا حتى يبصر ، ولو بالبصيرة يبعده .

اكتب .

قال : ما انا بكاتب .

اكتب .

قال : ما انا بكاتب .

لا تتمرد .

قال ما أنا بمتمرد ، ان هو إلا سؤال . السؤال أيضاً تمرد .

قال : حين يصبح السؤال تمرداً تصبح الكتابة معصية وخطأ لا يغفر .

سم واكتب .

قال : «بسم الله الرحمن الرحيم . تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير» . وسكت .

إقرأ .

قال : ما انا بقارىء .

إقرأ .

قال : ما انا بقارىء .

«إقرأ بسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم» .

قال : صدق الله العظيم . الكتابة أمانة . وقد عرضت الأمانة على الأرض والسماء فابين أن يحملنها وحملها الانسان . ما اتعسه ، وما اخطرها من امانة .

••

ولكننى فعلا مشتاق ان اكتب ، مثلما انت تشتاق ان تأكل أو تشرب أو تهفو بجنون الى اخذ النفس اذا غطست فى الماء وعاندت نفسك وأردت أن تظل أطول الوقت مكتوم الانفاس تحت الماء . ما احلى ان ترفع الراس المختنق فجاة وتدخل صدرك أول شهقة هواء .

شهور ثلاثة والقارىء الكاتب مشتاق للقارىء القارىء ، وكل شىء يحول بينهما الى حد ان لا شىء يحول بينهما . الثانى ما عليه إلا ان يقرأ . الأول مشكلته ان عليه أولا ان يكتب ، وان يكتب لا ليرى للناس صورته الباسمة المنقوشة ، أو

يقول للعالم : انا هنا . أو من اجل ان يطالع القارىء كل يوم ، كل يوم — يا الهى — بكلام ، أى كلام . لا . لابد أن يكتب ليضىء شمعة . ليسوق للناس كلمة طيبة ، ليضع شيئاً يستحق عناء أن يمسك المواطن بالصحيفة ليفتش فيها عن شىء نافع أو دواء ناجع .

الحقيقة ان أسهل شىء فى الدنيا .. كما ترون .. أن يكتب الانسان .

واصعب شىء فى الدنيا كما لابد تعرفون ، أن يكتب الانسان .

وبلادنا ووطننا الصغير والكبير ، ومواطننا كبر أم صغر يمر بمرحلة تدور لها الرؤوس ولو كانت مصنوعة من حديد .

وانت ككاتب ليس مفروضاً ان تكتب لتشكو مما يشكو منه الناس ويعرفونه ربما أعمق منك .

وليس مفروضاً أن تكتب لتحاصر العينين بانتقاداتك بحيث لا يعود الانسان يعرف من أين والى أين ؟ .

أنت لا تكتب لأنك تفكر . وليس أى فكر أو أى تفكير ، لكنه ذلك النوع الذى يسمونه الفكر المضىء أو الفكر القائد .

الفكر الذى وجد الحل ويراه ، واضحاً وضوح الشمس ، بحيث ما عليه إلا ان يقنع الناس به .

فاذا لم يكن الحل هناك ..

واذا كانت الأمور قد إستغلقت وتعقدت ، بحيث ، حتى لو كنت تملك ذلك المفتاح الواحد السحرى الفعال — كلمتك — لم تعد قادرة على فتح ما استغلق ، أو فقدت ما بها من سحر .

الحل إذن أن تسكت .. !

ولكن الكارثة أن السكوت ليس هو الحل ، فلابد شئت أم أبيت أن تظل تفكر ، فانت عضو تفكير ، اذا تعطل أضر ، واذا توقف استحق البتر .

••

أسهل شيء فى الدنيا - كما ترون - أن يكتب الانسان !
لماذا فرطنا فى أشياء عزيزة وغالية كنا نسميها قيما ؟

ايكفى هذا ليعذرنى القارىء فى الشارع فى العمل فى البحر والبر وكل مكان ، الذى يسأل : لماذا لا تكتب . واين انت . وهل انت ممنوع أو مصادر ؟

ايكفى ما سبق وذكرته إجابة تشفى الغليل ..!

لا أعتقد .

فانا شخصياً غير مقتنع .

لابد أن هناك شيئاً أكبر واخطر واشمل هو الذى يخيم علينا جميعاً ولا يكفى قلم واحد ، بل لا تكفى كل الأقلام مجتمعة أن تقنعنا بوجوده أو بعدم وجوده ، فحنانيكم ارجوكم . اذا لم أكن عند كل حسن ظنكم فلا تسيئوا بى الظن ، واذا كنت عند بعض حسن ظنكم فلا تعتقدوا أن هذا ـ فى وقتنا ذاك ـ شيء مهين .

يا صديقى المواطن . بطل والله أنت ، وأى بطل .

ليست البطولة أن تجيد التصويب وتذهب الى ساحة الوغى أو عند الكمين وتقتل أول عدو تصادفه .

هذا فى رأيى هى البطولة الصغرى .

البطولة الكبرى حتى ليس أن تعبر المانش أو تجيد سباحة المسافات الطويلة . البطولة الكبرى أن تغرق أنت البحر .

وبلادنا فى مرحلتنا هذه بحر عالى الأمواج صاخبها .

بحر وكأنما يريد أن يبتلع الناس والزرع والأشياء وكل ما على سطح الأرض .

ولكنا ، بوجودنا هذا الذى يبدو فوضوياً وبلا معنى وشديد البشاعة ، نصنع المعجزة نغرق البحر فعلا .

لا ... نحن لا نغرق .

نحن نغرق (بضم النون) .

تجرح اجسادنا وتمزق ثيابنا ويصيب الرشاش كرامتنا ، ونفرط فى أشياء عزيزة وغالية كنا نسميها قيماً .

ولكنه كفاح (البطل) ، ليعيش ، ليغرق الحفر والبرك والمستنقعات والبحور .

بطل أنت يا مواطنى العزيز . وأنت تخرب ما أصلحه الدهر بطل ، وأنت تصلح ما خربه الدهر بطل ، وأنت على أى الحالين لازلت تعيش بطلا .

ولا أقول هذا نفاقاً لك أو تعزية .. فأنت فى غنى عن النفاق لأنك فى لحظة تحدد الحياة والموت ، وفى غنى عن التعازى لأنك تعرف أن المعزين هم المنافقون السائرون أو الذين يريدون السير وراء نعشك .

متأكد أنا تماماً أنك تفهمنى ، برغم أنى أتكلم ، وكأنما (باللاوندى) ولكنى متأكد أنك تفهمنى .

فأنا ، بفوضاك ، أفهمك .

بكل منا وقد راح يخترع لنفسه قانون وجود ، أفهمك ، بل وينتج عن ملايين القوانين ، ويا للغرابة ، قانون واحد يحكمنى ويحكمك وكلانا عليه نتفق .

وأنا مثلك لم أمت .

وأنت مثلى لا تعيش كما تريد وكما يجب .

وأنا وأنت البطل .

● ●

يخيل إلي أن ما من شعب عاش على سطح الأرض ومر بما مررنا به من تجارب وأزمات .

خذ عصر المماليك أو عصر البطالسه .

خذ أى عصر ...

واقرأ كيف جاوزناه واجتزناه ولازلنا باقين وسنظل الى ما شاء الله نبقى .

أنا هذه المرة لا أكتب لأشرح وضعاً سياسياً استعصى علي أو علينا فهمه .

ولا لأثير مشكلة أو أثور على مشكلة .

أنا فى الحقيقة أكتب لأونس نفسى .

وأونس من يريد الونسة معى .

أكتب كما أريد أن يكتب لى وأحس به طبطبة حنان صادقة ، تخفف عنى ، تشجعنى ، تطمئننى ، تنشقنى جرعة اكسجين أرى بها المستقبل لى أو على الأقل انفتحت أبوابه أمامى .

ومادامت العبرة بالنوايا ، فليحاسبنى الله سبحانه على نيتى ، أو فليغفرها لى فما أكثر ما تكون النوايا الحسنة ذنوباً على الطريق .

● ●

بالأمس سألنى ابنى الأكبر (إيه) النظام ؟ والتعبير أحد نتاجات المرحلة ويعنى شيئاً أكثر دقة من قولك : ماذا سيحدث ؟

وكأنما فوجئت بالسؤال ، فقد اضطربت .

وكان السؤال ليس همى صباح ومساء

قلت : أن يكون هناك نظام .

ولكنى أيضاً وأنا أقولها كنت أفعل وكأنى أعتذر أو أقول : يا بنى لست أدرى

وأمس ، سألت ابنتى ذات السنوات الخمس : ما هو الحل يا نسمة ؟

قالت الشقية وهى تحاورنى : حل (إيه) .

قلت : يعنى الحل . أى حل ..؟

قالت بتأنيب : الحل بيبقى حل مسألة فأنت (مش) عارف المسألة (وعايز) تعرف الحل (ايه اللخبطة دى) ... !

شكراً يا نسمة . فعلا لكى نعرف ما هو الحل لابد أن نعرف ماذا نريد حله .

أو بالتعبير الرياضى يا نسمة لابد أن نعرف (رأس) المسألة ، لكى يا عزيزتى وحبيبتى نحلها .

فإذا لم نكن نعرف الرأس ولا المسألة ومع هذا فنحن نحلها وماضون فى حلها ، وببطولة نفعل ، ونوجد ، ونكتب ، ألا يعد هذا ما يشبه المعجزة ؟!

بل المعجزة الأكبر والتى لم تحدث أبداً فى التاريخ ولكنا لابد أن نحدثها هى أن نعرف من خلال حلنا حلا لمسألة لا نعرفها، رأس المسألة .

أجل يا بنى ويا ابنتى حينذاك فقط نعرف ما هو النظام وما هو الأصل .

قد لا تفهمانى ، ولا تفهمونى ولكن ، يكفى احساسكم بى واحساسى بكم .

د. يوسف ادريس

عايــدة الشــريف

من مذكــرات شاهــدة ربــع قــرن

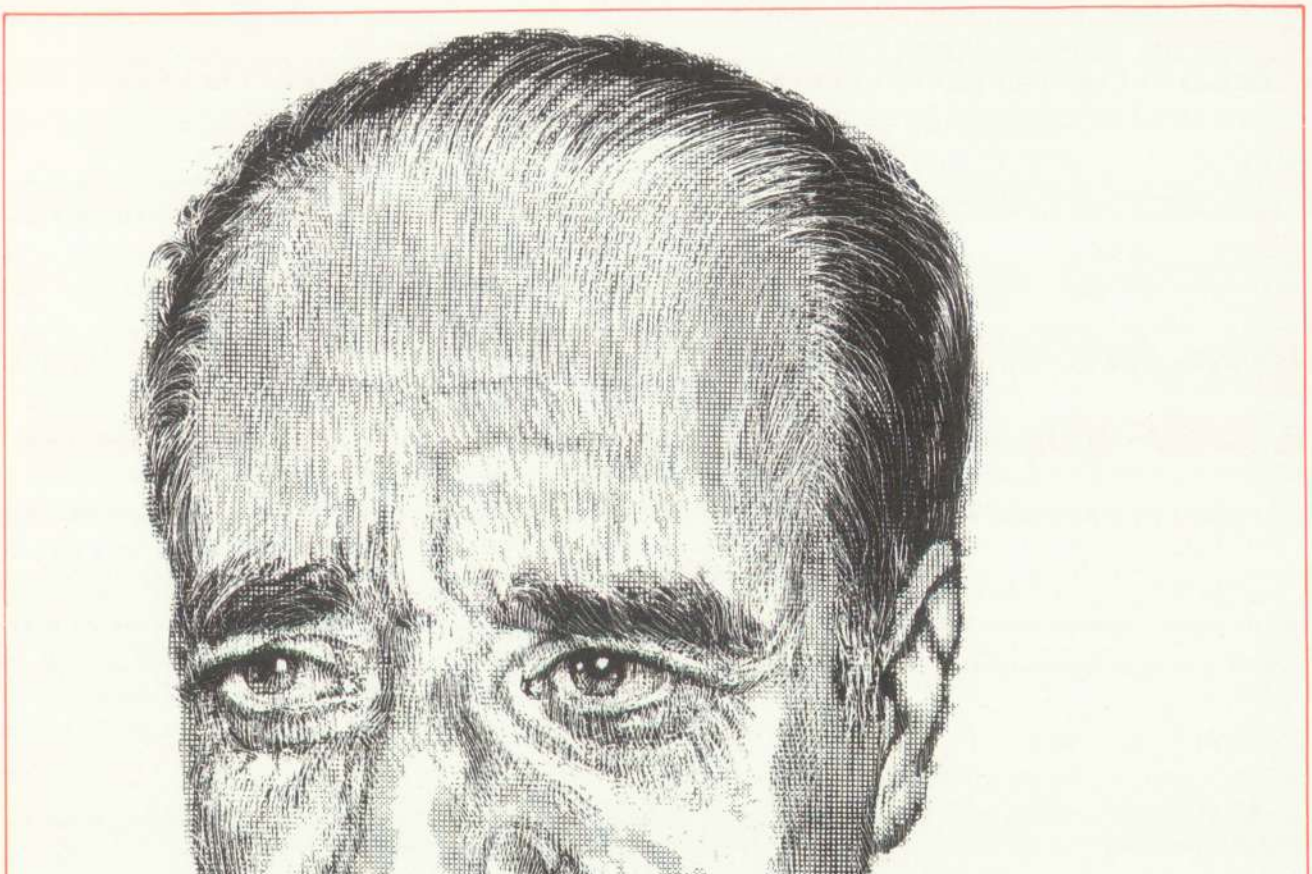

الشاعر عبد الرحمن صدقى
عاشق الحياة الأول

أحس بالحياة تهتز فى فؤاده ، فتغنى بها فى شعره

عندما أضحتُ نافذته التى يطل بها على العالم بعد المعاش

عشق الحياة فتاملها .. رآها فى أرجاء الدنيا تموج وتتحرك فرحل وراءها .. قرأ عنها فادركها .. وكتب عنها فاجاد .. واحس بها تهتز فى فؤاده وتترنم فتغنى بها فى شعره .. ولكنه رغم ذلك لم ينس الموت منذ وفاة والده ... منذ ذلك اليوم، لا يطمئن إلى الحياة .. ولا يثق فى الرجاء .. لم يتمن الموت ، ولكنه لم يفزع منه .. بل إن الموت بعد ذلك كان محركه الأول لعشق الحياة وقول الشعر أيضاً .

هذا هو الشاعر عبد الرحمن صدقى .. الذى من معرفتى به تاكدت أنه من شدة حبه للحياة .. قبلها بنهايتها .. قبلها باقتناع خفى بان الموت بعد حياة .. فرغب لنفسه أن تكون الحياة المعاشة استمراراً للحياة المتوقعة .. فأسلم نفسه لشيطان الحب فاتصل فيه النهائى باللانهائى فى نشوة العشق الالهى .. وصارت حياته عشقاً فى عشق .

وقبل أن أرسم شخصية صاحب هذه الفلسفة ـ بين قطبى الحياة والموت ـ أعود إلى بداية معرفتى بها ، والتى تحولت من الطفولة والمراقبة الى الاكتمال والتعرف المباشر ..فقد كان واغلب أفراد أسرته وفيهم الدكتور عبدالرزاق صدقى وزير الزراعة السابق ، جيراناً لنا منذ طفولتى بجزيرة الروضة .. عندما وعيت كنت أرى صوره فى المجلات والجرائد وعندما أراقبه من شرفة منزلى المطل على منزلهم بشارع الاخشيد .. كنت ارسم له فى خيالى الف صورة وصورة .. ومرت الأيام والسنون فاذا بى أراه ماثلا امام عينى كاستاذ محاضر فى معهد الفنون المسرحية ، وكان قد ترك مسكنه فى الروضة من زمن ليمتلك مع زوجته الايطالية الثانية بيتاً صغيراً بحى مصر الجديدة ..

وكنا بين المحاضرات نتجاذب اطراف الحديث احكى له عن ذكرياتى عنه واستفسر ويحكى لى .. فتنشا الصداقة .. ولكنها تتوطد حين اتخرج واعمل بالتليفزيون وهو مستشاره الفنى .. ويحال الى المعاش فيدعونى لزيارته .. فأصبح نافذته على العالم التى يطل من خلالها على العالم .

من خلال هذه المراحل المتعاقبة .. أزعم أننى أستطيع تصوير هذه الشخصية الأدبية التى قالت عن نفسها لقد عشت أديباً ومت أديباً . وقال عنها العقاد : «إنه من أسلم نفسه الى شيطان الذوق اللماح غير مدافع .. وأنه هو الشيطان الذى يلمح مسارب الفطنة الخبيئة بين المعانى والألفاظ ، ولا ينتظر عليها حتى تفيض باليدين وتمتلىء بالشعاع الثاقب من كلتا العينين . فهذه الفطنة الخفية هى الصوفية الفنية التى انتهت إلى عبادة الجمال ورياضة القلب على جوار قريب من رياضة الروح»

أروع عمل

واذا كانت معرفتى بالرجل منذ الطفولة الى الاكتمال قد عرفتنى كثيراً من جوانب شخصيته تجاه الحياة .. إلا أن زيارتى له فى بيته وهو محال على المعاش قد جلت هذه الشخصية واضاءتها اكثر مما عرفتها من قبل .. فقد انفض عنه الصحب ـ فى هذه الأوقات ـ الذين كانوا فى الواقع يصاحبون مقعده وليس منزلته .. فتبدى امامى على حقيقته الجميلة دون مواربة او قيد .. فعرفت فيه الوحيد المتوحد بغير سخط أو تمرد .. فها هو يهش لكل زائر .. محتفياً بكل عابر يرجع ذلك الى أن إيمان هذا الرجل متوافق مع فلسفته الهادئة .. لذلك يمتد له العزاء بألف جسر وجسر .. تتوارد على ذهنه رجع صفحات من الماضى البعيد والقريب ، من غير توقيت ولا ترتيب .. إنها صفحات عامرة لقد أحب كثيراً وبلى الحب العاطفى العميق على مختلف ألوانه وشتى طعومه فيذكر لى حبائبه الواحدة بعد الواحدة .. ثم يشرح لى كيف تتعاطف الانجليزية واليابانية والأمريكية والأفريقية .. ثم يستطرد وهل فى الحياة أمتع من الحب المتعة فى أن تكون محباً ، والمتعة فى أن تكون محبوباً .. والمتعة فى الحب نفسه بفكرته ومعناه وجوه .. هذا هو الحب

جوته

بودلير

العقاد

المثلث الرحمات .

وكثيراً ما كان يسالنى هل تعرفين يا عايدة ما هو اروع عمل قمت به فى حياتى واستفهم فيقول : إنه عدم الانجاب .. اننى الآن حر طليق استيقظ فى الوقت الذى يحلو لى .. ادور حول «فيلتى» الصغيرة صباحاً .. استنشق الهواء الذى لم يشمه احد من قبلى ، ارنو الى البراعم وهى تتفتح .. اداعب كلابى .. اقرا .. إتثاءب .. دون انشغال على ولد نجح او رسب .. سافر ام بقى .. تزوج ام طلق .. إنها الجنة على الارض حقاً .

والحق أن هذه التيجان الفارهة ، التى كان يصنعها من الذهب الخالص ليتوج به عدم الانجاب .. كانت فى الواقع محض تعزيه .. تتناقض عما كان يحس به فى أعماقه .. ذلك انه عندما عقد صداقتى معه بمكتبته التى صحبته رحلة حياته الغنية بالفن والابداع يوماً بيوم . «من الشرق والاسلام فى شعر جوته» ، «بودلير . الشاعر الرجيم» ، «أبو نواس» ، «الحان الحان» ، «الوان من الحب فى الأساطير والحب العالمى» ، «من اعلام الأدب الأوربى» ، «عصر القوميات» ترجم .. ، «من وحى المراة» ديوان «حواء والشاعر» ديوان . ها هو يطوف بى فى ارجاء هذه المكتبة ركنا بعد ركن يفضى إلى بخلاصة تجاربه فى لحظات .. فعند ركن ترجمات القرآن الكريم بكل اللغات .. اسمعه يقول : إن احسن ترجمة وضعت للكتاب المنزل على خاتم الانبياء هى ترجمة مولانا محمد على الباكستانى ..

وكثيراً ما وقف بى وسط المعاجم .. مئات من المعاجم بالانجليزية والفرنسية والايطالية .. كان يقلبها الواحد بعد الآخر ليرينى ملاحظاته الهامشية عليها .. وهو يقول بصوت الفنان الهادىء المتحسر الأجش .. وهذه الملاحظات ، لقد افنيت عمرى ونور عيونى فيها بما يفيد المترجمين إلى العربية ، إنها عمرى وجهدى ، فهل تضيع دون ان يفيد منها احد .

واضيعتاه .. !

وكلمة واضيعتاه التى انطلقت منه عفوياً ولكن بعبرة وتحمحم على مكتبته وكتاباته المبعثرة هنا وهناك .. وأمنيته فى كتابه مجلد ضخم عن ذلك الشاعر الرجيم بودلير ليحل فى المكتبات محل الكتيب الصغير الذى نشره فى ترجمة حياته واسفاره .. هذه العبرات التى التى جعلته يكسر وهو «على اعتاب الموت» وهى مقالة تتوسط ديوانه حواء والشاعر كتبها عندما مرت به أزمة قلبية مماثلة للازمة التى توفى بها الشاعر فعلا .. فى هذه المقالة نجده يكسر تلك التيجان الفارهة التى طالما توج بها عدم انجابه .. فيقول فيها : هذه المكتبة لو كان لى ولد يرثها عنى .. إذن لصانها من الضياع وقام عليها فانتفع ونفع .

ثم اما كنت اموت أطيب نفساً ، لو رايت إلى جانب فراشى ذلك الولد الذى هو استمرار لحياتى وبقائى ، بما يجرى فى عروقه من دمائى ، وما هو مركوز فيه من شمائلى وطباعى .. «عندما قرات هذا المقطع تذكرت كلمات تروجنيف أديب روسيا العظيم الذى عاش طوال حياته مقرظاً لعدم الزواج ونادى الشباب بضرورته قبل وفاته»

لا تحسبن أن كل ما قلته عن الرجل ورد طى حديث دائر ، لا .. إن اكثره قضايا وكلمات يلفنى بها فور استقبالى .. إنه يشركنى بما قد فكر به أو قراه طوال اسبوعه أو نهاره دفعة واحدة ــ وهذه على ما اعلم صفة من صفات الوحيد المتوحد ــ فكانه يشعر او يتخيل اننى اشعر ، ان ما يفكر فيه افكر انا فيه مع بقية الدنيا .. أو كانه يريد أن يتاكد من أن صداقتى معه تقرب أو تتشابه مع صداقة العقاد للمازنى .. ولكننا عندما نقطع الصمت اجدنا دون اتفاق نتكلم فى موضوع واحد .

ومن المعروف ان عبد الرحمن صدقى كان من تلامذة العقاد واصدقائه المقربين .. وقد كتب له العقاد مقدمة ديوانه «حواء والشاعر» وتوقف كثيراً عند احاسن مزاياه الشخصية وشعره .. وكان صدقى يؤكد مدافعاً عند ورود ذكر الحديث عن تلامذة العقاد : بانه حقاً من تلامذته ولكن ليس من تلاميذ يوم الجمعة» حيث تروقه وباقى تلامذته المحبين والمتشددين به إلى حد التطرف .

يؤكد ذلك وتلك .. ما ياتى به صدقى من أحكام حول العقاد فانه يقول لى مثلا : إن العقاد كتب العبقريات بحسه الدينى وليس العقلى ، أو أن العقاد كان يقتبس فى أشعاره ممن سبقوه عرباً كانوا أم أوربيين كالمازنى تماماً .. وإذا كان المازنى قد ووجه بذلك وانفلت منه العقاد ، فمرجع ذلك أن المازنى كفنان كان يشفق على البيت فيبقى عليه ورحمة به لايقطع أوصاله .. أما العقاد بحسه النقدى كان يقوم بتشريح البيت وإذابة معالمه فى شخصيته الشعرية الفذة .. ولكن هذا لا يخفى على الذكى الفطن ؟ أو عندما أعظمه فى غنى مكتبته بالمؤلفات .. فيقول إنها اكبر من مكتبة العقاد .. ذلك أن العقاد كان فى أخريات أيامه قد اتفق مع مكتبة «الانجلو» على أن يقرا الكتاب ويعيده إليها .. كما أن العقاد كان يقرأ

افتقد الناقد المنصف فاصبح مادحا ومنصفا لشعره

فردى

اللغة الانجليزية فقط أما انا فاقرأ الفرنسية والايطالية ايضاً .

الثناء على النفس

وعبد الرحمن صدقى .. من أكثر الأدباء الذين يثنون على انفسهم طى الحديث .. وفى كل مناشط حياته الأخرى .. وربما كان مرجع ذلك أنه يفتقد المادح والناقد المنصف .. فاصبح مادحها ومنصفها .. وتجد ترجمته عن ذلك حتى داخل شعره .. أتذكره مثلا يقرأ لى قصيدة فى أخريات أيامه ، ولم تنشر بعد .. تحت عنوان «عائدة» بين الموسيقار الايطالى والشاعر المصرى يقول فيها :

سمراء يا خمرية اللون
فردى ، هنا حياك فى اللحن
«عائدة» انت ولا أعنى
إنى رواميس لدى الطعن
«عائدتى» عودى مجددة
هيهات طيف عابر يغنى
عودى إلى مصر كما رجعت
حوائم الطير الى الوكن
انظم لك الشعر رخيم الصدى
جزل القوافى مطرب الوزن
شاعرك العاشق جاز الصبا
كالنيل قد ترعن وهن
«عائدة» مازلت حلماً ، فما
تاتين حتى ترحلى عنى
قرى جوارى حره سمحه
حسبى الذى أسلفت من ضنى
حسبك بعد العقل عند اللقا
نجنى ثمار الروح والذهن
من باع عقلا بجنون الهوى
زفت له عرائس الفن

فهو هنا يقول لبطلة القصيدة انه سينظم لها الشعر – اى شعره هو رخيم الصدى ، جزل القوافى مطرب الوزن – ثم يصف لها ما خفى من مظهره الشيخ ، بانه وإن كان إجتاز الصبا .. إلا انه فتى فى حسه وقلبه مهما علت سنه .

وتحمل هذه القصيدة بجانب استحسانه لشعره وترجمة ذاته خصيصة من أهم ملامحه الا وهى .. عدم حبه للتصريح .. فانه هنا قد وارى كنية البطلة بين الموسيقار الايطالى فردى . والشاعر المصرى عبد الرحمن صدقى نفسه .. لأن بطلتها سمية لبطلة أوبرا فردى «عايدة» .

كما تتبدى فى هذه القصيدة سمة من سمات شعر صدقى .. وهى عدم الاحتفاء بالوزن أحياناً .. فبجانب أن أبيات هذه القصيدة قد تارجحت بين البحرين البسيط والكامل .. إلا ان بعض شطرها مثل «أنظم لك الشعر رخيم الصدى» فيه تطويل لا يتمشى مع متفاعلن متفاعلن فعلن وهو الكامل – أو مستفعلن مستفعلن فعلن وهو البسيط ... وهذا يؤكد قول العقاد بانه فى سبيل الصوفية الفنية يقدم الشاعر قرابينه على المذبح الخالد إذا وجب القربان على حساب كلمة أو قافية ، أو على حساب فكرة أو عاطفة .. ولكن الحساب الذى لا يحسه قيد شعره ولا مقدار ذرة هو حساب الجمال الملموح فى محراب تلك الصوفية فلا هوادة هنا ولا نقص ولا زيادة ، فى مواسم هذه التقوى وشعائر هذه العبادة والصوفية الفنية كما قومها العقاد .. هى التى تتلقى الحب انواعاً فتخلص منه برحيق كرحيق النحلة من شتى ومختلف الرياض .

فتاتى احبك حب الأب
وحب الصديق بلا مارب
كذاك احبك حب الرجال
ولكنه ليس بالقلب
عواطف شتان ما بينها
فان اخف واحداً اكذب
توحد ما بينها فى هواك
ولا شىء فيه بمستغرب
ففيك انوثة كل الاناث
وفيك براءة كل صبى

ويذهب العقاد ويلتقط من شعر صدقى الكثير بنهيه وفى الحق ان شاعرنا الذواقة هو خير من يمتحن فن الشعر العربى فى مزيته الكبرى ، وهى مزية «السليقة الغنائية» التى سلمها له أصحاب الدعاوى الفنية منذ مولده على نغمات الحداء .. ثم عادوا يكابرونه فيها كلما وازنوا بينه وبين فنون العرائس من ربات الملاحم ، أو ربات المسارح ، أو ربات الحكمة والبيان ، على إختلاف الأوزان ، أو بلا أوزان – ألا تعتبر كلمة بلا أوزان اعترافاً من العقاد بالشعر الحر الذى طالما احاله على لجنة النثر للاختصاص .. ألا يكون بذلك ذبح الأوزان فى محراب صديقه وتلميذه عبد الرحمن صدقى ، ويردف .. فان عروضنا العربية لتتسع لكل نغمة من انغام الشعر إذا هى اتسعت على شروط شاعرنا الذواقة لخوالج النفس ، وخواطر الذهن ، ولطائف الذوق ، وقد حمل الشاعر أوزاننا نغمات «الباليه» الراقصة فحملتها وخفت بها أطراف أصابعها .. فاذا حسبنا ثروة الشعر العربى بما يزيد عليها من نفائس هذا الديوان «حواء والشاعر» فلنحسب بينها انه آية من أصدق الآيات على أن الشعر العربى حداء خالد .. لانه يؤدى رسالة الحداء على اجملها فى قوافل هذا القرن العشرين .

أثر الأوبرا

وكان العقاد هنا يردد كلمات صدقى عن نفسه بنصها .. فانه كان عندما ينشد لى قصيدة .. يتوقف عند بعض المقاطع والأبيات .. ويقول انتبهى إلى أثر الأوبرا والأوبريت ، والسيمفونى فى شعرى .. وكيف تهبط الكلمات من عل وترتفع إلى الهامات .. كصوت الاوبرالى الفذ والباليرينه الرشيقة .

وإذا كان عبد الرحمن صدقى شغوفاً برواء نفسه من بحر الثناء والتقويم الذى وافته منه بعض الدفقات سواء من صديقه العقاد او صديقه الذى كان قد

رحل سليمان نجيب .. أو صديقه الأوحد «على أدهم» الذى بقى له .. وكان يزوره فى مكمنه كل يوم خميس .. فانه كان دائم الثناء والتقويم الجميل لكل إنتاج وأفعال من هم حوله أو رحلوا عنه ، حتى شمل استحسانه للتمايز .. إلا انه لم يبلغ قول الشاعر العربى :

قلبى وثاب الى ذا ، وذا
ليس يرى شيئاً فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغى
ويرحم القبح فيهواه

فيقول لى مثلا .. إن قراءة «على أدهم» واسعة ومتشعبة تماماً كقراءاتى ولكنها جد مختلفة المنحى .. وإذا التفت إلى زوجته «نازلى» عندما أسلمت و «إلتى» الايطالية قبل ذلك .. فيقول لى : أنظرى إلى قوامها وحيويتها .. إنها لا تفوت يوماً إلا ولعبت فيه الرياضة .. لاحظى أرديتها المتناغم الوانها .. بمثل هذا التناغم نظمت بيتى .. ها هى الكتب المتراصة تتجاذب اطراف الحديث مع الصور المعلقة ، واكثرها لجارهم الفنان محمد صبرى .

ويستمر استحسانه لزوجته فى كل ما تعمل .. ترتفع هذه النبرة عندما تدخل لتناول الطعام .. فانه يلقى أولا بنظرة شاملة على الطاولة ويلفت نظرى إلى تنسيقها .. ثم ينعطف على كل جزء يثنيه .. يتوقف عند السلاطة مثلا فيقول .. لاحظى أن الخضروات فيها لم تغادرها الحياة حتى بعد التقطيع والتقشير .. ذلك أن «إلتى» على حزمها فى كل الأمور رقيقة اليد على الخضروات .. وتغمز لى هى بعينها بان صدقى كبير القلب شديد الحدب على كل شىء .. ويسرد لى هو كيف تعرف بالتى فى ميناء جنوه ، بعد وفاة زوجته الأولى وعروس ديوانه الأول «من وحى المرأة» وكانت هى أيضاً بغريب الصدف إيطالية أيضاً .. وقبل أن أتناول هاتين الايطاليتن فى حياة شاعرنا .. توارد قراءاتى وتتداعى.. فأجد أن عبد الرحمن صدقى فى ذكرياته هذه مصداقاً لقول ابن حزم فى ترجمته عن نفسه بكتابه طوق الحمامة .. حيث نجده فى أثناء حديثه عن المحب وأنه إذا أحب صفة فى محبوب له لم يتحسس بعدها الى غيرها مما يخالفها ، ويقول دعنى أخبرك أنى أحببت فى صباى جارية لى شقراء الشعر فما استحسنت من ذلك الوقت سواد الشعر ، ولو أنه على الشمس أو صورة الحسن نفسه ، وانى لأجد هذا فى أصل تركيبى من ذلك الوقت لا تؤاتينى نفسى على سواه ولا تحب غيره البتة .

ذلك أن حياة صدقى .. كما عرفناها .. لم يتزوج إلا إيطاليتين كاللائى خفق قلبه البرىء اليهن فى المرة الأولى .. وإن بعد ذلك يجد فى صحبة الشابات عزاء فى كهولته وشيخوخته إلهاماً لفنه ، وشيئاً غير قليل من إرضاء لرغبته فى أن يظل شاباً دائماً .. فهو كما عشق فى طفولته بعد الايطاليات .. الأمريكيات والانجليزيات وغيرهن .. فانه بعد فقد عروس ديوانه الأول وزواجه الثانى .. لم يسلم من امتحان الحياة له بالفتنة بعد الفتنة .. وكلها فتنة الأنوثة الخالدة .. تتراءى متجسدة فى بنات حواء .. على اختلاف الانماط فى الحسن والشمائل .. فنجده فى ديوانه «حواء والشاعر» ينشد القصيدة تلو القصيدة فى حواء الفخمة البيضاء فى حريم الشرق القديم ، وحواء الوديعة السمراء على ضفاف النيل ، وحواء الرشيقة الشقراء بين حلب ودمشق .. وحواء المتقلبة الأطوار والأهواء ، وحواء فى البادية العربية ، وحواء فى مصايف الاسكندرية .. وأخيراً وليس آخراً حواء الفقيدة فى ذكرياتها الجديدة حيث نراه لايزال هائماً يبحث عنها فى الظلام ، حتى اذا حل به الاعياء وجد نفسه عند باب السماء .. وهنا يطلع الفجر الروحى .. فاذا بالشاعر غائب الحس فى غمرة الوجد الصوفى .. وقد أفضت به الرحلة .. رحلة العشاق فى الأعماق — الى غايتها .

بين الهمس والتجاسر

وإذا عدت لوصف صدقى لزوجته الأولى .. ومعايشتى أنا لزوجته الثانية .. أجد التمايز الصارخ بينهما .. فبينما كانت الأولى كما يحكى .. هامسة فى مشاعرها وتمعنها للثقافة .. رأيت الثانية عملية متجاسرة فى كل تصرفاتها وكلماتها .. يحكى لى مثلا عن الأولى انها كانت عندما تقرأ وتقع عيناها على مقطع شف فيه المعنى وأجاد الكاتب ، ويكون هو يقرأ أو يكتب .. فانها لا تقاطعه لتقرأ عليه ما أعجبها .. باستعراضية فجة .. وإنما تؤجل ذلك لمناسبة مواتية أخرى أما الثانية فقد قرأت أنا لها مرة رداً على كلام نشره أنيس منصور فى أخبار اليوم حول الزوجات الأجنبيات كزوجة عبد الرحمن صدقى .. وكيف أنهن قد يحببن كلابهن أكثر من أزواجهن .. فردت عليه «إلتى» فى نفس المكان قائلة : إذا كان كل الرجال

صلاح عبد الصبور

محى الدين صابر

سليمان نجيب

فى غمـــرة الوجـد الصـوفى أفضت به الرحـــلة إلى غايتهـــا

مثلك .. فان لى الحق بالفعل أن أحب الكلاب أكثر من الرجال .. وعندما سألتها يومها .. الم تكونى قاسية على أنيس منصور الذى نشر ردك على سبيل الطرافة .. قالت .. ذلك أن أنيس منصور ينحو دائماً نحو التعميم .. إنه شاهدنى أسأل صدقى فى نهاية طعامه .. هل ستأكل هذه القطعة من اللحم ؟ فقال لا .. فرفعتها من أمامه لأعطيها للكلب .. فهل هذا يدل على اننى أحب الكلاب أكثر مما أحب زوجى ..

قالت هى ذلك مع أن عبد الرحمن صدقى نفسه .. كان يردد على مسمعى دائما .. أن اغلب الأجنبيات .. لسن غيريات كالشرقيات .. فالشرقية تخص زوجها باحسن الأشياء واطعمها والأجنبية تبقيها لنفسها وإن لم تصل إلى حد تفضيل الكلاب على كل حال .

ورغم ان زوجة صدقى الأولى لم تعتنق الاسلام .. فانها على فراش الموت قد رجت ذويها ان يرثها صدقى فى استحقاقها من مال ابيها وقد بروا بوعدهم .. اما الثانية .. فعندما استقر بها المقام فى مصر كان أول شىء فعلته هو دراسة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين .. فقررت ان تعتنق الاسلام .. ويوم ذهبت لشهر اسلامها .. تهلل شيخ الأزهر فرحا وسألها عن سبب اسلامها .؟ وهو يتوقع ان تقول شعراً فى حسنات الاسلام وهباته على المراة .. ولكنها ردت عليه بواقعية صارمة .. إننى اسلم كى ارث زوجى .. فقد عرفت من دراستى للشريعة الاسلامية ان الميراث يكون فقط مع اتحاد دين الزوجين فى الاسلام .. من خلال هذه السيدة الأريبـة عرفت شيئاً آخر غاب عنى .. وانا دارسة للقانون وابنة مأذون ايضاً .. وهو اننى عندما جلست أسالها بعد وفاة صدقى عن نصيبها فى «الفيلا» قالت لى إن لى فى الفيلا بادىء ذى بدء النصف ذلك اننى بعت مصوغاتى واشتركت فى شرائها مع صدقى .. أضيفى إليه الثمن وهو نصيب المراة فى تركة زوجها .. ومؤخر الصداق .. يصبح لى أكثر من الثلاثة أرباع .. واستفهم .. ما الذى جاء بمؤخر الصداق فى كلامها ؟ فتجيب .. ذلك انه يقتضى عند اقرب الأجلين .. فما دمت لم آخذه لاننا لم نطلق .. ومات هو عن تركة .. ولا تركة إلا بعد سداد الديون .. فان مؤخر الصداق كدين شرعى أول اثقال التركة المتوجب استحقاقها .

وبالرغم من اختلاف الزوجتين فى الطباع إلا انهما كانتا المبادرتين بالايقاع بصدقى فى شباك الزواج .. وهذا يدل على انه كان إنساناً يشفق من المبادرة ويحب فى كل أعماله أن يبادر من الخارج .. يقول لى هو ان الأولى رغم رقتها الهامسة .. هى التى بادرته وقبلته يوماً عند سفره .. وتقول لى الثانية .. انها وهى عائدة من امريكا اللاتينية على ظهر باخرة .. وقفت بها عند جنوه لترى والدتها واخيها وتكمل مشوارها الى بيروت .. وعندما صعد هو بقامته المديدة وتقاطيعه الوسيمة وسمرته الجذابة .. شد انتباهها فاسرت لذويها .. انها ستوقع بهذا الرجل فى شباك زواجها .. ولما وجدته منكباً طوال الرحلة على قراءة الكتب .. فقد عرفت المنفذ إليه .. ذهبت واشترت كتاباً .. واستلقت فى الشمس ممسكة به بالمقلـــوب .. وعندئذ اقترب هو منها .. فاطلقت عليه كل سهامها .. ثم نزلت ميناء بيروت بعد أن تركت له عنوانها .. وسهامها .

وعاد عبد الرحمن صدقى إلى القاهرة ليحكى لصديقه سليمان نجيب وينشد :

هويتـك مـذ رايتـك تخطرينـــا
علـى مـرح كانـك ترقصينـــا
علـى شطئـان بحـر الروم تلهـو
غواربــه وترتحـل اللحونـــا
فمـا حملقـت فـى عينيـك حتـى
عدانـى سحـر عينيـك الجنونـا
وان الحـظ يكمـن فيـه حتفـى
وفـى عينيـك لاقيـت الكمينـا

طلب الزيارة

فاشار عليه سليمان أن يرسل فى طلب زيارتها إلى القاهرة .. وتقول هى انها لكى تحيك شباكها .. وتدللها .. وتظاهرها بانها غير عازمة على الزواج .. فقد حضرت بحقيبة صغيرة .. ويسألها سليمان نجيب بالنيابة عن عبد الرحمن صدقى عن بقية امتعتها .. فتجيب بأن الرسالة طلبت منى الحضور للزيارة فيؤكد لها سليمان نجيب بأن صدقى أرسل لها بغية الزواج .. فتمثل هى دور المترددة ثم تقبل الذى كانت تطمح إليه وكأنه رجاء موجه لاستعطافها

وإذا كان قد خيل لنا ظاهرياً أن صدقى احب الاثنتين بتمايزهن بدرجة واحدة .. فان شعر الرجل ليفصح العكس .. وأن لهذا التباين أثراً غائراً فى نفس الرجل .. جلاه شعره أو رد فعل التباين .. ذلك انه كتب الشعر لأول مرة أثر وفاة الأولى .. «من وحى المراة» بينما لم يوجه للثانية إلا بعض القصائد المتفرقة من ديوانه الثانى «حواء والشاعر» بل انه فيه لم ينس عروس ديوانه الأول فى قصيدته «الذكرى العشرون» الذى يستهلها وينهيها بهذه الابيات الآسفة على ذكراها .. ثم زواجه الثانى .

شقيقة روحــى حل عيــد زواجنــا
وقــد حــال عيــداً للأسى والترحــم
اتــى فهجــرت الدار انيسهــــا
وجئت علــى اعتــاب قبــرك ارتمى
شقيقة روحــى ، لا تخالــى شريكة
تشــارك فى قدس المكان المعظــم
لاقسمت : حبــى ما يــزال كعهــده
وقلبــى وان اعرست غير مقســم

وهذا يشى بان صدقى كان متوافقاً بدرجة اشد مع الأولى .. ومن المؤكد أن الثانية كانت تشعر بذلك .. وقد تجسد ذلك فى احلامها الفظيعة يوم مرض صدقى .. فقد روت له عن رؤيتها فى المنام طيف زوجته الأولى الفقيدة .. جالسة عند طرف الوسادة على رأسه .. وأنها حين انزعجت وارتفع عويلها فى النوم ، طمانتها الفقيدة أن لا غرض من زيارتها إلا عيادته ودعتها الى الجلوس على رأسه عند طرف الوسادة المقابل ..

ومن عبث الأقدار ، أن تموت الأولى الرقيقة أثر نوبة ألمت به وخافت عليه منها ، بينما مات هو اثر نوبة قلبية خوفاً من مرض على الثانية .

وإذا كان سليمان نجيب هو من دفع بالايجابية فى أوصال صدقى .. حتى يعاود الحياة الزوجية من جديد .. فان رجلنا قد اخلى مكاناً رحباً فى قلبه ليحتفظ فيه بكل التذكارات واللفتات

الرائعة التى تلقاها فى حياته من سليمان نجيب .. فقد كان رجلنا عندما يكلمنى عن صديقه سليمان .. يصفه بالشهامة والدربه على صقل الانسان حتى الخام .. وعندما استفسر .. يحكى لى انه عندما عين ــ رجلنا ــ وكيلا لدار الأوبرا .. وكان سليمان رئيساً لها .. وحان موسم العرض .. وتوجب السفر لاستقدام الفرق .. بعث سليمان نجيب للمسئولين يطلب السفر وانا معه .. ولكنهم ردوا .. بان سفر واحد منكما يكفى .. فكتب سليمان من جديد .. فليكن السفر للوكيل لأنه الرئيس المقبل فجاء ردهم هكذا « وامام شهامة الرئيس نوافق على سفره مع وكيله» وسافرنا معاً .. وهنا تبدت عبقريته فى تشكيل الخرساء .. فلأن بدل سفرنا الضئيل كان لا يسمح لنا إلا بالنزول فى فنادق متواضعة .. فانه كان يوم ابرام العقود مع الفرق الكبيرة .. يجعلنا نترك حقائبنا فى الفندق المتواضع للنزل فى فندق غاية فى الفخامة .. ويقول لى إن ذلك شرف لنا أمام الفرق اولا .. ويجعلنا ثانياً نتذوق ما هو الترف ولو لليلة واحدة .

عبد الرحمن صدقى وفي لكل من بادره بادرة حلوة فى حياته .. حتى وهو على أعتاب الموت يقول : كانت تخيم على غرفة رقادى ، بل فى البيت كله سكينة حزينة ، مثل سكينة المقابر ، ولكننى كنت لا أستشعر السآمة .. فالسكينة حبيبة إلى نفسى .

وفى وسط هذه السكينة احسست بحركة غير اعتيادية وبعض اللغط فى البهو ، ثم خطوات عارمة فتية فى اتجاه غرفتى ، ثم طلعة سمراء تنكب على رأسى وتترك على جبهتى الشاحبة قبلة مشفقة رحيمة .. فادرت رأسى فى تؤدة من الضعف والوهن متطلعاً ، فاذا صاحب هذه الأريحية العاطفية احد وزراء الدولة ، إنه على راس الوزارة التى اعمل بها .. وقد لقيته على هذه الصفة مرات معدودات .. ولا احسب التوفيق كان حليفاً لى فى تلك اللحظات .

وهذا هو يذكرنى فى مرضى ، ويابى إلا أن يعودنى على كثرة الشواغل والمهام الرسمية .. وقد اخذ مجلسه إلى جانب فراشى برهة وهو ساهم متاثر ... وقد تركتنى هذه العاطفة الكريمة فى حيرة عظيمة .. ثم زاد من حيرتى خفاء هذه المكرمة عن الزملاء والناس اجمعين .. فى بلد لا تخفى عن الناس فيه خافية وكان من هذا جميعه أن تضاعف ثقل الدين فى عنقى .. ولكننى لا أجد اليوم بدأ من احترام إرادته على الرغم مما أحس به من حاجتى الى التخفيف من دينى والخروج من حيرتى باعلان فضله وشكره .

عندما الححت أنا فى سؤاله عن هذه الشخصية فى أخريات أيامه .. قال لى هامساً .. إنه الدكتور طه حسين .. وكان وزيراً للمعارف وكنت ــ أى صدقى ــ موظفاً مبتدئاً فى مكتبه .

تداعي الذكريات

ذكريات وذكريات .. كانت تتداعى فى خواطر الرجل وتشرق على حياته الهادئة وهو بمكمنه فى آخر أيامه وزواره ندرة .. أذكر يوماً زرته يوم جمعة لأنى لم اكن قد زرته يوم الأحد كعادتى .. فتهلل وهو يستقبلنى قائلا : والله لقد انقذت حياتى من الموت يا عايدة ، قالها وقد شرخ صوته نبرة حزن حزينة .. تنبى بتحرقه فى وحدته .. رغم التعزى بالقراءة . تاسفت له عن عدم حضورى الأحد الفائت لاستحكام أزمة المواصلات فى مصر وعدم وجود التاكسيات .. ولما كان يوم الجمعة هو ميعاد زيارتى للأستاذ العلامة محمود محمد شاكر وهو بمصر الجديدة أيضاً .. فقد عرضت أن أصحبه إليه .. فقال بتردد .. ولكن ليس قبل أن تعلميه بذلك .. أو تبقى معى . فاتصلت بالأستاذ شاكر أعتذر له بحجة أنى ساقضى النهار مع صدقى .. فرد هو ولماذا لا يتفضل هو لزيارتى .. فتهلل وجهه فصحبته .. وبهذه الطريقة اختصرت يومين فى يوم واحد .. كنت يوم الجمعة أستقل تاكسى من الروضة أمر على منزل عبد الرحمن صدقى .. ثم الى الأستاذ شاكر .

ومن الغريب انى بهذه الفعلة أيضاً أخرجت صدقى عن حرصه المعهود حيث كان يدفع أجر التاكسى منذ أن انطلق من الروضة .. مع أنه كان فى الأيام الخوالى يقتضى منى أثمان كتبه .. عندما فعلها بالنسبة لديوان «حواء والشاعر» رغم انه كتب لى عليه إهداء .. واستفسرت عن هذا التناقض دفع بوجهى بحجة أن بالديوان قصائد مهداة إلى ومن ثم توجب بذل عبء الشراء ... وقد يرجع حرص صدقى السابق إلى أنه لم يدرب على إعطاء المصروف كأى أب .. أو أنه كان يدخر لزمن أصبح لا يثق ببقائه فيه وربما لأنه كان لا يمتلك إلا مرتبه .. وأجوراً قد تأتى ولا تأتى .. ذلك أنه كان قد بدأ اعترافاته ومذكراته ثلاث مرات .. ولم تتم احداها .. ففى سنة ٧١ .. بدأ يكتب إعترافاته فى مجلة الهلال وعندما تفرع فى الحلقة الثالثة الى أصله التركى وما إلى ذلك .. توقفت .. باكثر من حجة ..

ودرجة درجة .. تناقصت كتابات الرجل فى الصحف والمجلات .. وأصبح لا يغشى المجتمعات على حبه لها .. لأنه لم يدع .. وكان النهر الذى يشرب منه أدباء قومنا هو نهر النسيان فى أساطير اليونان » وهكذا افتقد الصديق والصاحب فى آخر أيامه .. إلا من الاستاذ على أدهم الذى كان بدوره يغيب عنه لزيارة أولاده فى اسبانيا وغيرها ..

سبعة أعوام تمر ، وما زالت كتبه الثمينة حبيسة الصناديق

ويتركه وحيداً إلا من زياراتى .. واصطحابى له إلى بيت الأستاذ شاكر ..

وكان من الممكن أن يفضى به هذا الموقف الجاحد من جيله الى طريق اللعنة .. فيحرق مكتبته كما فعل «أبو حيان التوحيدى» عندما مر بمثل هذا الموقف .. ولكن صدقى الانسان الذى كان كسولا حتى على الحقد .. ونشيطا فى نسيان الاساءة .. كان وهو على أعتاب الموت .. شديد الحفاوة بهذه المكتبة . فيقول : لم يكن خاطر الموت يفزعنى ، وإنما كان يحز فى نفسى انى أموت قبل أن أشفى غلتى من القراءة .. إن خزائن كتبى زاخرة بعشرات المئات من المؤلفات المختارة فى أكثر من لغة .. ولم تترك لى الوظيفة فسحة من الوقت لدراسة الجزء الأكبر منها .. وهنا ـ على ذكر خزائن كتبى ، ذكرت أنى اقتنيت معظمها بالشراء من مخلفات من سبقونى الى دار البقاء ـ وسرح بى خيالى فتخيلت كتبى ـ بعد موتى ـ مبعثرة فى أسواق الوراقين تتناقلها أيدى الباعة من انصاف المتعلمين ، وتطرح فى كل مكان مطارح الهوان .. اما كان الأولى لو أوصيت بها لدار الكتب حين كان فى العمر متسع .

وعندما توفى صدقى فى مارس ٧٣ .. ولم أكن قد أعددت مقالا عنه فقد نشرت فى مجلة الاذاعة مقتطفات من مقاله على أعتاب الموت .. وما يتعلق منها بامنية إهداء مكتبته .. وذلك تحت عنوان «عبد الرحمن صدقى .. عاشق الحياة يفارقها إلى لقاء وصفه فى رثاء نفسه» . ومن الغريب أن يتصل بى الورثة يسالونى هل ترك الرجل وصيته لديك .. فقلت لا وإنما هو نشرها فى ديوانه «حواء والشاعر» .

ورغم أن القانون .. لا يعتبر مثل هذه الأمنية وصية ملزمة لأحد . فالمدهش حقاً هو إلتزام زوجته وباقى الورثة بتنفيذ هذه الأمنية الوصية .

وبالنيابة عن كل أبناء مصر الذين سيفيدون من هذه الثروة .. التى تشهد بأن صاحبها كان واحداً من جيل الموسوعين على ندرتهم .. بعثت دار الكتب والوثائق القومية .. برسالة شكر

محمود شاكر

الى السيدة نازلى حرم الفقيد .. أردفتها بعد الأربعين بلجنة فرز وتعبئة .

عندما ذهبت لأسجل هذه اللحظات .. تنبهت لوقوع شىء غريب فى نفسى ذلك أن هذه الزيارة قد تكون زيارة المائة أو تزيد .. إلا أننى قبلها لم الاحظ أن للمقاعد أرجلا أو للفرش والستائر أحرفاً .. وهكذا افتقدت الأشياء قلبها وروحها بغياب الشعاع الهادىء الذى كان يحتضن كل شىء .. فتناثر كل شىء .. وبانت أطرافه .

شارع عبد الرحمن صدقى

أرفف الكتب التى أخليت من محتوياتها تبدو كتوابيت غادرتها «الموميات» الكتب هنا وهناك تبدو كبقايا الحفريات .. هذا كتاب بلا غلاف .. جنبته اللجنة الى حين . ، فانكمش على نفسه محاولا التوارى عن الأنظار .. كثيراً ما رايت الرجل الذى فقدناه يقلب صفحاته ولكن فى حرص شديد .. ويحمله باهتمام كوليد .. لقد أشعرنى كل ذلك يومها على خيبة الأمل على رحيل هذا الرجل الذى ترك كتبه يتيمة من بعده .. ومازالت منذ مايو ٧٣ حبيسة الصناديق .. رغم أن الدكتور محى الدين صابر كان قد عرض عليه أيام كان صابر وزيراً للتربية أن يشتريها للسودان بخمسين ألف جنيه .. ويتسلمها بعد وفاته ..

سبعة أعوام تمر .. ولا تخرج الكتب من الصناديق لتحتل قاعة «عبد الرحمن صدقى» كما هو متوجب .. أو تكوين لجنة .. لحصر الهوامش والملاحظات حول قواميسه وكتبه واستخلاصها .. للاستفادة بها من قبل الدارسين والمترجمين .

لقد كتبت مع كل المعترفين بفضل الرجل .. بعد انتقال هذه المكتبة الثمينة للثقافة .. الا يستحق عبد الرحمن صدقى الشاعر الفنان جائزة الدولة التقديرية . لقد كان الفقيد أديباً فناناً غزير العطاء .. قدم لمصر التى احبها صفحات ثرية من الفن .. خلال خمسة وأربعين عاماً خصبة .. أبدع فيها شعراً حساساً .. وكتب فيها مقالات جادة .. وتفرع منها لابحاث أضافت لمكتبتنا الكثير ولم يقف عطاؤه لمصر عند الخلق والابداع والكتابة ، ولكنه ساهم بمجهوده الكبير أستاذاً بالمعهد العالى للفنون المسرحية ومديراً للأوبرا .. ومستشاراً فنياً للتلفزيون .. وعضواً بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

يوم سلمت هذا الترشيح عن تلامذة الرجل بمعهد الفنون المسرحية إلى مدير مكتبه (حسين ..) انتفض عند قراءتها .. وتسلمه مستفزاً لم أعرف سره .. إلا بعد نيل يوسف السباعى لهذه الجائزة فى نفس العام .. ثم اضطر للتنازل عنها لأنه كان مديراً للمجلس الأعلى الذى يمنح هذه الجائزة ..

ألم يكن الأولى أن تتشرف به الجائزة .. لا سيما وقد انتقل عبد الرحمن صدقى إلى رحاب الخالدين ..

لقد خابت دعوتى هنا كما خابت فى صيحتى بأن يحمل شارع «منيس» الذى كان يسكن فيه بمصر الجديدة .. اسم عبد الرحمن صدقى .. ولم أنجح إلا فى أن يكون لزوجته معاش استثنائى.. وهذا قليل .. من كثير كان يستحقه الرجل وعن جدارة أيضاً ..

والصيحة المعلقة الآن هى إلى الأستاذ الشاعر صلاح عبد الصبور .. وفى إلحاح السرعة بتهيئة قاعة عبد الرحمن صدقى .. للقراء والمستفيدين .

عايدة الشريف

نعمــــان عاشــور

جـــــورج أبيـــــض

ساقتنى قدماى ذات صباح الى زيارة المخرج الراحل فتوح نشاطى فى المسرح القومى بحديقة الأزبكية .. كان قد احتل لنفسه غرفة فى الدور الثانى بالمبنى العتيد بعيداً عن صالة العرض والكواليس وخصصها لكى تكون مكتباً له ... نحن على نهاية عام ١٩٥٨ وفتوح نشاطى يشغل هذه الغرفة من سنوات بعيدة فى احدى الوزارات او المصالح والدواوين الحكومية .. كنت على موعد معه لقراءة نص مسرحية اكتبها ليخرجها هى مسرحيتى «صنف الحريم» ولم يكن لى سابق علم بوجود مثل هذه الغرفة السرية فلما سالته عنها اخبرنى انه يحتفظ لنفسه بها ليحتمى فيها من التقلبات التى تطرأ على الحياة المسرحية وليشعر دائما انه مرتبط بعمل يومى فى المسرح .. لكنى ما كدت اجلس لأحتسى معه القهوة كالعادة المتبعة فى مكاتب العمل حتى فوجئت بالفراش يخطرنا بوصول الأستاذ جورج ابيض . والحق انها كانت مفاجاة مذهلة بالنسبة لى لم استطع ان اخفى معها ما اثارته الواقعة فى نفسى من اثارة واهتزاز .. جورج ابيض .. بشحمه ولحمه وشخصه ؟ بعدها مباشرة دخل علينا العملاق وهو يبتسم محيياً .. كانوا ايامها قد عينوه للاشراف على إحدى شعب المسرح القومى .. ولكنه لم يكن يتردد على المسرح بانتظام .. الشىء المذهل انه حين رآنى لم يكتف بتحيتى سلاماً باليد ... وانما فرد ذراعيه كما لو كان فى إحدى مشاهد تراجيدياته الرائعة واخذنى بالحضن .. ثم اردف ..

– انا جى مخصوص يا ابنى علشان اقابلك ... قالولى تحت انك عند فتوح قلت لازم اشوفه ...

إلى هذا الحد كانت حفاوة الرجل بوجودى !!! ومن يكون هذا الرجل !!!

جورج ابيض

جورج ابيض !!! اضخم واثبت شخصية عرفها تاريخ مسرحنا الجاد منذ بداية القرن ...

لويس الحادى عشر

زايلنى القلق بعد لحظات حين طلب إلينا الجلوس .. ورفض ان يتناول القهوة ... وراح يعاتب فتوح نشاطى لأنه كان قد طلب منه ان يرانى !!! يرانى أنا !!! ومن اكون بالنسبة له !!! لم يكن إحساساً بالضالة او الصغر ... ولكنه كان من جانبى اعتزازاً منهلا أن يحاول جورج ابيض بجلالة قدره مقابلتى والتعرف بى غير معقول !!! وابتسم فتوح نشاطى وهو يعتذر له ... لانه كان ينوى القيام بذلك بعد ان يتكرر لقاؤنا .. ووضع جورج ابيض كفيه وهى مشبوكة الاصابع على أسفل بطنه ثم تنحنح فاستلفتنى فى صوته شبه بحة مثيرة ... فلما اخذ الحديث مداره بيننا بدات اذنى تتنبه إلى صوته ورخامته وعذوبة انطلاقه ودقة مقاطعه ... لم اكن شاهدت جورج ابيض الا فى الصغر حين كان يطوف بفرقته فى الاقاليم وصحبت عمى لمشاهدته فى المنصورة وهو يعرض تحفته الرائعة التى اشتهر بها على الدوام ... «لويس الحادى عشر» ثم بعد ذلك اختفى الرجل من افق حياتى لسنوات طويلة ..ولم تكن تذكرنى به الا بعض قراءاتى عنه وعن نشاط مسرحه فى عديد من الرسائل والمقالات التى تنشر ... واحيانا فى بعض ما يروى من ذكريات ...

اكتشاف سيد درويش

كانت ابرز الصور التى تشغل واعيتى به ... حكاية مستفيضة حدثنى عنها المطرب الفنان حامد مرسى ... اشهر من عرفهم تاريخ الاوبريت الغنائى فى مسرحنا الحديث ... وبطل فرقة الكسار واكثر من يعى التراث الغنائى القديم ... كان فى ذات ليلة يروى لى ذكرياته عن سيد درويش اذ كنت اعد عنه برنامجاً للتليفزيون اواخر عام ١٩٦٣ ... واستعنت بحامد مرسى فى محاولة تتبع بعض دقائق حياة سيد درويش ومناسبات الحانه ... وروى لى واقعة مجسمة عن جورج أبيض زادتنى معرفة به وبقيمته وجهوده . حدث ذلك على وجه التحديد علم ١٩١٨ وكان حامد مرسى لا يزال صبياً يجيد الغناء وتستعين به الفرق على تقديم فقرات طرب بين فصول مسرحياته كسباً للجمهور . مثلما كان يحدث مع عبد الوهاب فى مبدا ظهوره ... وكانت فرقة جورج ابيض المسرحية أيامها تعانى من الركود نتيجة لانتشار وسيطرة جوقات ومسارح الهزليات وعلى رأسها فرقة الريحانى فارتحل جورج بفرقته الى

فـرد ذراعيـه كمـا لو كـان فى أحـد مشـاهد تراجيـديـاته الرائعـة

إنه أهـم شخصيــة فنيــة عرفهـا تاريـــخ مســرحنا الجـاد

مسـارح الهـزليـات جعلت مسـرحه يعـانى من الركـود

منعنى من تسجيـل الحـديث لأن ما سيقـوله لا يحتـاج إلى كتـابة

الاسكندرية واصطحب معه الشاب او بالاحرى الصبى المطرب حامد مرسى ليغنى بين الفصول كما جرت العادة ...

زورونى كل سنة مرة

ذات ليلة كما روى لى الفنان حامد مرسى ... كان يغنى احد ادوار عبده الحامولى بين فقرات الفصل الثانى والثالث لمسرحية عطيل التى يمثلها جورج أبيض ... ففوجىء بمقاطعة حادة من مجموعة بين المتفرجين راحت تصفق فى صخب ... فلما انتهت الفقرة فى سلام اسرع اليه احدهم يطالبه باصطحابه لمقابلة الشيخ سيد .... يقول الفنان حامد مرسى ... لم اكن أعرف من هو الشيخ سيد هذا ولكنى لم أتردد فى تلبية رغبتهم وذهبت مع الرسول الموفد الذى اصطحبنى اليه وكان واقفاً على باب مسرح الهمبرا بمحطة الرمل محاطاً بمجموعة من الاسكندرانية ... كان ضخم الجسم مشعث الشعر اقرب الى السمرة والبدانة اشبه ما يكون بالفتوات وبادرنى فى الحال ..

ـ اسمع ... إزاى عرفت تغنى لحن الأسطى بالشكل ده ؟

وكان يقصد بالأسطى «عبده الحامولى» ... رأس المطربين وسيد الملحنين على أواخر القرن التاسع عشر ... ويتم حامد مرسى روايته ... أمسك سيد درويش بيدى وطلب عربة حنطور واجلسنى بجواره واتجهنا جميعاً الى مقهى على ترعة المحمودية جنوب الاسكندرية واحضروا للشيخ سيد العود بعد أن اجلسنى أمامه وطلب الى ان اتابعه ليحفظنى اللحن الجديد الذى لا يمكن أن يغنيه صوت غير صوتى ... وكان هذا اللحن هو الأغنية الشهيرة لسيد درويش والتى تغنيها فيروز . اغنية «زورونى كل سنة مرة» .. ولم يتركنى الا بعد ان كنت قد حفظت اللحن وغنيته له عدة ساعات ..

وفى الليلة التالية حضر الشيخ سيد الى المسرح وطلب الى أن اغنى اللحن بين الفصول ... واخبرنى انه سيجلس فى الصالة ليستمع ويرقب وقعه من وراء الكواليس وهو غير مصدق اذنيه ... فلما انتهى التمثيل سألنى عن صاحب اللحن فقدمت له الشيخ سيد درويش ولم يكد جورج أبيض يعود الى القاهرة حتى أرسل فى طلب سيد دوريش من الاسكندرية وكان لديه نص مسرحية غنائية يعدها للموسم المقبل وهى مسرحية «شهرزاد» فعهد الى سيد درويش بوضع الحانها لتكون الخطوة الاولى والباكورة الناضجة لما ابدعه سيد درويش من الحان واوبريتات غنائية بعد ذلك .. وكانت هى الأصل فى نهضة المسرح الغنائى ..

مصر القديمة ... ومصر الجديـدة

اعود بكم بعد ذلك الى غرفة مكتب فتوح نشاطى فى المسرح القومى عام ١٩٥٨ وانا جالس معه فى حضرة العملاق جورج أبيض ... كان طبيعياً ان اساله وانا فى غاية الاعتداد والسرور عن سبب رغبته فى لقائى ... فاذا به يروى لنا نفس ما رويته لكم من قبل على لسان الفنان حامد مرسى كان بوده أن يكتشفنى كما اكتشف سيد درويش ... فلما اعترضت عليه فى ذلك واننى او غيرى لا يمكن ان نقارن بسيد درويش ... فمن اكون حتى يساوينى به وأين انا وغيرى من هذا العملاق الخالد !!! أجاب وهو يهز راسه فى هدوء وتمعن ...

ـ يا ابنى انت عملت نفس ما عمله سيد درويش ... انا شفت لك وقريت لك كمان .. «الناس اللى تحت» و «الناس اللى فوق» ... انت عملت حاجة غريبة كنا محتاجين لها من زمان .. المؤلف اللى يكتب مسرحية خالصة وتتمثل على المسرح طوالى من غير اعداد او تغيير او تبديل ... لا من مخرج ولا من ممثل دى مش شويه ... فرح انطون هو الوحيد اللى حاول يعملها فى مصر القديمة ومصر الجديدة .. لكنه للأسف ما اقدرشى ...

ولاحقته فى زهو ما انا كنت مسمى الناس اللى تحت فى الاول مصر الجديدة بدون ان ادرى شيئاً عن فرح انطون ومسرحيته وضرب جورج أبيض كفاً على كف وهو يردد ...

ـ عارف ... انا نفسى قلت عليك انك ولا فرح انطون .. واسال فتوح ..

وهز فتوح راسه ...

ـ حقيقه ... جورج بك قالها لى اكثر من مرة ...

الصحافة والمسرح

وطالت الجلسة بيننا لاكثر من ساعتين ... اخذت نفسى خلالها بكثير من الصمت وانا فى ذهول مما أسبغه على هذا المارد العملاق .. وراح جورج أبيض العظيم يحدثنا عن حياته فى المسرح والمشاكل والمصاعب التى واجهها ونظرته الى المسرح الجديد ورايه فيه وما ينتظره من تقدم حين رآنى اطالب الاستاذ فتوح نشاطى ببعض الاوراق واخرج قلماً من جيبى قال ...

ـ عاوز تعمل ايه ؟

فاخبرته باننى ساحاول تسجيل ما يقوله لانه تاريخ . غير انه نهانى لان ما سيقوله شىء معروف لا يحتاج الى كتابة ... ورغم ذلك فقد سجلت من حديثه هذه الصفحات التى لم تكتمل الا بعد ان وعدنى بلقاء آخر يجيب فيه على ما

جورج أبيض

ساقوم بوضعه من اسئلة .. وعلق ضاحكاً :

ـ انا عارف انك بتشتغل صحفى ... لكن انا بكلمك كمسرحى ... سيبك من الصحافة ومن الكلام اللى بيكتبوه فيها

واضاف فتوح نشاطى ... خلونا فى المسرح ...

وكانت جلسة ممتعة اطلقت لسان جورج ابيض بالكثير الذى سجلته وشاركنى فتوح نشاطى رحمه الله فى ايضاح الكثير من جوانبه ....

بماذا حدثنى جورج أبيض ؟

بعد أن اخرج جورج ابيض منديله ليجفف به العرق وتململ من ضيق المكان قال مع ذلك انه انسب مكان لنكون فى شبه عزلة ... ثم شرد بباصريه إلى سقف الغرفة فاذا بها تقع على بعض زخارفها العربية ... وتاثر وهو يتامل الزخارف مترحماً على طلعت حرب زعيم اقتصادنا الوطنى والرجل الذى انشا مسرح الأزبكية عام ١٩١٩ وراح يقول ...

كان زمان اهون تضحية هيه التضحية بالفلوس ... وكان اللى يحب فن من الفنون مستعد أنه يقدم فى سبيله أى شىء حتى عمره خد مثلا المسرح اللى احنا قاعدين فيه النهار ده .. يقصد مسرح الأزبكية اتبنى نتيجة هواية ... حب كبير لفن التمثيل ... والا ايه اللى يخلى واحد زى طلعت حرب كان يبنى مسرح الأزبكية ... تعرفوا باى هدف .. مش تعصب لأولاد عكاشة ... زكى وعبد الله ... هما قالوا عليه كده أياميها

ابداً مسرح الأزبكية اتبنى لخدمة اللغة العربية ... تصوروا .. دا كان الهدف الأساسى لطلعت حرب ... تتقدم عليه المسرحيات اللى باللغة العربية بس ..

مسرح أوائل القرن

وهنا حلت لى المقاطعة ... «نفس اتجاهك الدائم يا جورج بك» ... فاستطرد ... هو دا كان الأصل ... من حسن الحظ

حسين رياض

نجيب الريحانى

انا رجعت من بعثة فرنسا سنة ١٩٠٤ والحركة الوطنية بتاعت مصطفى كامل عمالها تحمى وتشتد .. وكان مصطفى كامل نفسه بيكتب مسرحيات ويمثلها ... تصوروا .. كان المسرح له قيمه كبيرة وكل المتعلمين ملفوفين حوالين المسرح ... كان شيئاً أساسياً فى حياة الناس ... وواخد اهتمام كل المتعلمين .. وماحدش كان له فضل عن غيره ... يعنى انا مثلا كنت باغطى ناحية فى اتجاه واحد مع خليل مطران وعبد الرحمن رشدى .. وعزيز عيد كان له ناحية ... وسلامة حجازى واخد ركن كبير .... الكلام ده قبل الحرب العظمى ... الحرب الأولانية ... وكانت الناس واخداها جد ... ويوم بعد يوم الدنيا بتتفتح قدامهم والاهتمام فى المسرح فى ازدياد ... والمسرح ده ياما كان له فى الايام دى ضحايا ... عارفين ... فى سنة من السنين .. سنة ١٩٠٩ انا فاكر تمام ... كانت المسرحيات بالميات ... وكلها ماشية مع بعض ... مسرحيات تراجيدية ومسرحيات كوميدية غنائية . وفرق تفتح وفرق تقفل وناس تفلس وناس تيجى غيرها ... ونظر الى فتوح نشاطى .. لازم تكون فاكر الأيام دى يا فتوح .. أنت برضه ما كنتش صغير فاجابه ... ايامها انا كنت لسه تلميذ فى ابتدائى لكن احنا عاوزينك تكلمنا عن مسرحك انت يا جورج بك .....

ونظرا لى نظرة ذات معنى ...

المسرح لا يفقد جديته أبداً

وطلب جورج أبيض فنجاناً من القهوة وكوباً مثلجاً من الماء وعاد يجفف عرقه ... ثم استرسل فى حديثه.. انا مش جاى علشان اتكلم على مسرحى دى فترة راحت وانتهت ...وسارعت اقاطعه ... يا جورج بك .. سعادتك تاريخ وأنت الأصل والأساس ولولا وجودك وثباتك لفقد المسرح جديته فلاحقنى ... ابداً ... المسرح لايمكن ان يفقد جديته ... خد عندك الريحانى .. ابتدا هلس فى هلس ... وانتهى وكله جد ... الريحانى على الآخر كان قرب بالكوميديا بتاعته من التراجيديا ... ودى هيه بداية الخيط اللى انقطع بموت الريحانى ... وانت بقى يا ابنى اللى مسكته بايدك ... واجتاحتنى رعشة ووجدتنى أهب واقفاً وانا هلع وغير مصدق لما يقول ... انا !!! انا يا جورج بك !!! وابتسم الرجل فى هدوء لحركتى المباغته وأردف فتوح نشاطى ... ما هو علشان كده ... جورج بك اهتم انه ضرورى يقابلك .. ؟

ليس أهم من النص

وجاء كوب الماء المثلج والقهوة ... وكان يرتشفها بصوت مسموع وانا جالس على مقعد امامه .. وكانى نملة أزداد ضالة كلما تطلعت له وهو جالس كالفيل ... وعاد ليجفف عرقه قائلا «المهم يا ابنى تكون عنك مثابرة وتكون عندك

قبل الحرب العظمى كان المسرح شيئاً أساسياً فى حياة الناس

لماذا قال لى : إن كلامك لا يفسره إلا ناقد أو مؤرخ ؟

حاجات كتير .. أكتر من كده علشان تقولها .. وده كله متوقف على الاستمرار ... أصل دور المؤلف غير الممثل ... وعصرنا أحنا اللى فات كان عصر التمثيل ... ما حدش عارف ايامكم اللى جاية حقيقى ايه ... انما من هنا ورايح مش حيكون فى المسرح اهم من النص ... ودا هو الخطر . » وقال الأستاذ فتوح رحمه الله مقاطعاً .. ماتخافش يا جورج بك .. دا احنا بقى عندنا مؤلفين جداد كتير ... وانا معاك ان المسرح اساسه الكلمة ...

وعلشان كده انشاء الله حا أخرج رواية جديدة للأستاذ نعمان ... كتبها خلاص وبنقرى نصها ... واطلعه على ماكنا قد طبعناه من نص المسرحية ... وهنا أوصاه جورج ابيض «خليك معاه يا فتوح انا متفائل ان المسرح عندنا بدا يشد حيله وعلى صورة جديدة خالص ... ما كانش عندنا النوعيات دى زمان » ..

صاحب أضخم التجارب

كان قد صمت ... فسارعت لأرده الى سابق حديثنا «سيادتك يا جورج بك ما كلمتناش عن مسرحك ؟ .»وشهق فى ملال .. «كلها حاجات قديمة المهم فى الجديد ... ومع ذلك ... انا اصلى ذاكرتى على قدى ... يعنى ... وقاطعته وقد ادركت انه يهم بالوقوف .. طب ممكن يا جورج بك تدينى وعد اقابلك تانى ... وحا احضر شوية أسئلة . «فضحك ساخراً» الصحافة دى غريزة . ؟ وحاولت أن أوضح له اننى لا اقصد ان آخذ منه حديثاً لأنشره ولكننى انشد الاستفادة منه كصاحب اكبر تجربة فى مسرحنا المعاصر ووعدنى الرجل بأن يلاقينى بعد يومين هنا فى المسرح القومى .. اذ انه يحضر يوماً ويغيب يوماً وامسك بيدى وانا أسلم عليه وراح يربت على كتفى «شد حيلك واتوصى بفتوح بكلمتين حلوين زى اللى كتبتهم قبل كده» وتركنا وانصرف بعد ان ودعنا حتى الباب الخارجى لحديقة الازبكية ...

عبده الحامولى

الوثائق المسجلة

استفسرنى فتوح نشاطى بعدها ونحن نعود الى الغرفة عن الأسئلة التى كنت انوى توجيهها اليه فاخبرته بحقيقة ما كان يراودنى وشرحت له فكرتى الطموحة ... لم تكن مجرد خاطر عابر انبتته مناسبة هذا اللقاء المباغت مع جورج أبيض ...وانما كانت فكرة خامرتنى من سنوات ... اثر جلسات ولقاءات متعددة مع أكثر من عملاق فنى عتيد ... حسين رياض وفؤاد شفيق وفاطمة رشدى وبديع خيرى وغيرهم ... لماذا لا نحاول ان نسعى للحصول منهم على تسجيلات بذكرياتهم وتاريخهم ونضالهم من اجل المسرح وتكون هذه التسجيلات بمثابة وثائق باصواتهم انفسهم نؤرخ بها لحياتنا المسرحية فى كل مراحلها .. من المؤسف ان احداً لم يفعل ذلك او ربما حاوله بعضهم ... لكن الفكرة ذاتها كانت تشغلنى من قبلها بسنين وكنت أعجز عن ان اقوم بتنفيذها ... وكذلك لم استطع تنفيذها بعد لقائى الثانى مع جورج ابيض ... ربما لأننى عدو لدود للآلات التسجيلية من اى نوع كان ....

النهضات والانتكاسات

انصرم اسبوع لم يحضر جورج ابيض خلاله الى الازبكية ... ولكننى فى ذات صباح وانا أصعد درجات السلم الى حجرة الاستاذ فتوح نشاطى ... إذا بى وجهاً لوجه امام جورج ابيض ... استوقفنى ممسكاً بذراعى وهو يعتذر لأنه لم يحقق لى رغبتى فى لقائه .. «اصل انا يا ابنى باتحرك بصعوبة .. انت لسه برضــه مصمم على اسئلتك إياها ؟ .. فاخبرته باننى طوع أمره .. واخذنى من يدى لنجلس فى الشرفة الخارجية لمسرح الازبكية ... وبعد ان جلسنا بدأ هو الحديث ....

ــ بدى افهم ... انت عاوز تسالنى عن ايه ؟

ومن واقع معرفتى بتاريخه ... جاءتنى فكرة ترسبت طويلا فى تاملى لطبيعة الحياة المسرحية عندنا .. فاسرعت بطرحها عليه .

ــ ما السبب فى أن المسرح عندنا لا يتطور باضطراد ... بمعنى انه يتعرض فى بعض المراحل لنكسات ساحقة ... وفى مراحل اخرى ينتفض ازدهاراً ؟ ما سر هذا التارجح الذى تجنى فيه مراحل الهبوط على فترات الازدهار ؟ كان الرجل ينصت الى محاولتى لتفسير فكرتى مستشفاً ما وراءها ... وكان يهز رأسه بين لحظة وأخرى ليشجعنى على متابعة الحديث ... وفى النهاية وبعد ان شرد بذهنه لحظات قال فى هدوء ....

ــ الحقيقة كلامك لا يمكن ان يفسره إلا ناقد أو مؤرخ ..

جورج أبيض

فالحفت ملاحقاً ...

ـ تجربتك يا جورج بك أهم مما يمكن ان يكتبه أى ناقد أو مؤرخ ...فانت اصلب واثبت من تمسكوا بالمسرح الجاد ... ولا أعنى بذلك التراجيديا وحدها ... أو استعمال اللغة العربية الفصحى ....

ونظر الى الرجل وكانه غير مصدق ...

ـ فى «الديكيه» الأولانى ـ وكان يقصد العشر سنوات الأولى من القرن العشرين ـ انتعش المسرح نتيجة الجدية التى صاحبت الحركة الوطنية لمصطفى كامل ومحمد فريد ... وفى العشرينات انتكس لسرح الجاد وسادت الكوميديا والغناء خاصة فى سنوات الحرب العالمية الأولى ... واضطررت لأن انضم بفرقتى لسلامة حجازى .. ثم مقاومة الريحانى بمساندة محمد تيمور رحمه الله ... ولكن قيام ثورة ١٩١٩ اعاد للمسرح الجاد ازدهاره .

نوعية الجمهور وحقيقة المسرح

وبعد أن صمت لحظات ... عاد الى الكلام وهو يتطلع الى السماء .. كان يستلهم ذكرياته ...وفجاة انطلق يقول ..

ـ الحقيقة ان الحياة العامة نفسها أو ما تسميه انت (يقصدنى) الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية

سيد درويش

تؤثر كثيراً على نشاط المسرح .. ولكن هناك عامل رئيسى وهام .. هو نوعية الجمهور المسرحى .. فالمسرح خاضع للجمهور مثلما هو خاضع لهذه الأوضاع التى ذكرتها .....

وهذا يزيد من صعوبة الدور الذى يجب ان يقوم به رجالات المسرح ... فعليهم مراعاة الجمهور ... وفى الوقت نفسه يجب ألا يخضعوا له ... وانا شخصياً حاولت كثيراً ان أفعل ذلك ولكن طبيعتى وطاقتى الفنية وزمانى كانت تفرض على ألا اتراجع عن ان يكون لمسرحى رسالة .

ولا انساق وراء نزوات الجمهور ... وبسبب ذلك تقطعت صلتى بالمسرح خلال سنوات عديدة ...

وطالبته ببعض الايضاح فتابع حديثه «كل وقت له ناسه» .. لكن بالنسبة للمسرح بالذات .. زى ما درسناه ومارسناه ... وزى ما يجب انه يكون ... اكبر كتير من أنه دار للتسلية من حيث انه بيجمع كل الفنون وبيجمع كل الأذواق ... المسرح فن كبير ولابد أن يكون له رسالة ..

الصرح الكبير

وهنا تنبه جورج أبيض الى اننى كنت أكتب كل ما يقول فسألنى :

ـ احنا مش اتفقنا انك مش حتكتب حاجه ؟

فأكدت له أن ما أكتبه ساحتفظ به لنفسى ولن أنشره فى الجرائد وجاء احد السعاة من داخل مبنى المسرح ليطلب جورج بك لمكالمة تليفونية فاستأذن مهرولا ...«دا لازم الدكتور» ...

ومن بعدها لم أر جورج أبيض ... ولكنى لم يفتنى حين وفاته ان أؤبنه بكلمة قلت فيها ...«ان وفاة جورج ابيض تعنى انهيار اكبر صرح فى بناء مسرحنا المعاصر» ....

نعمان عاشور

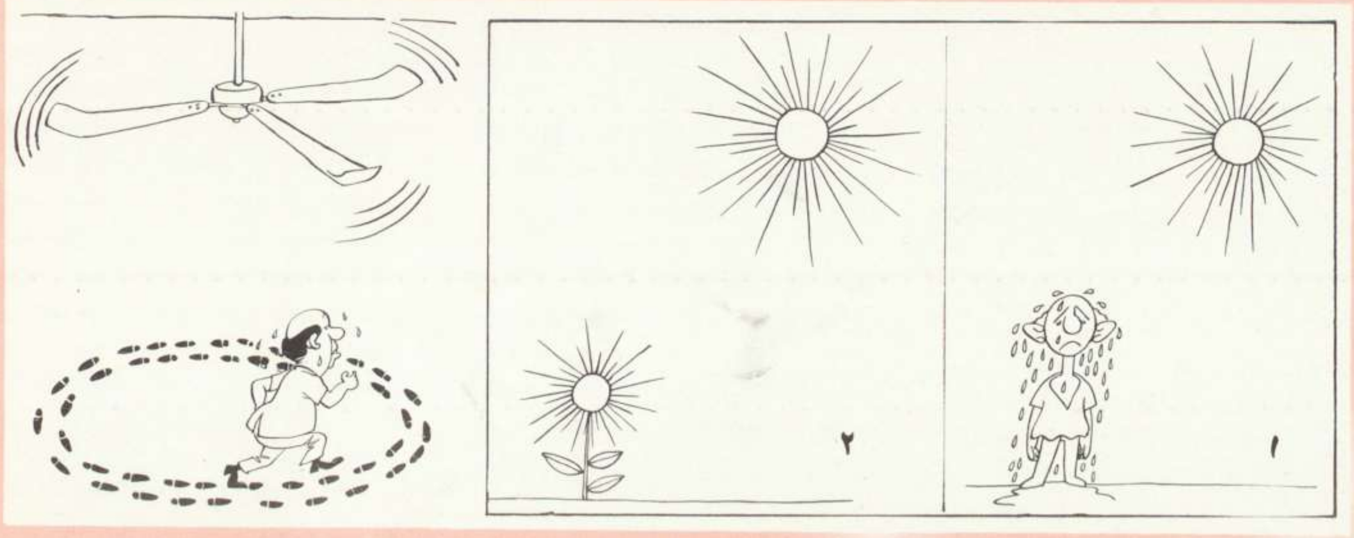

أغرب من الخيال في شرق السودان

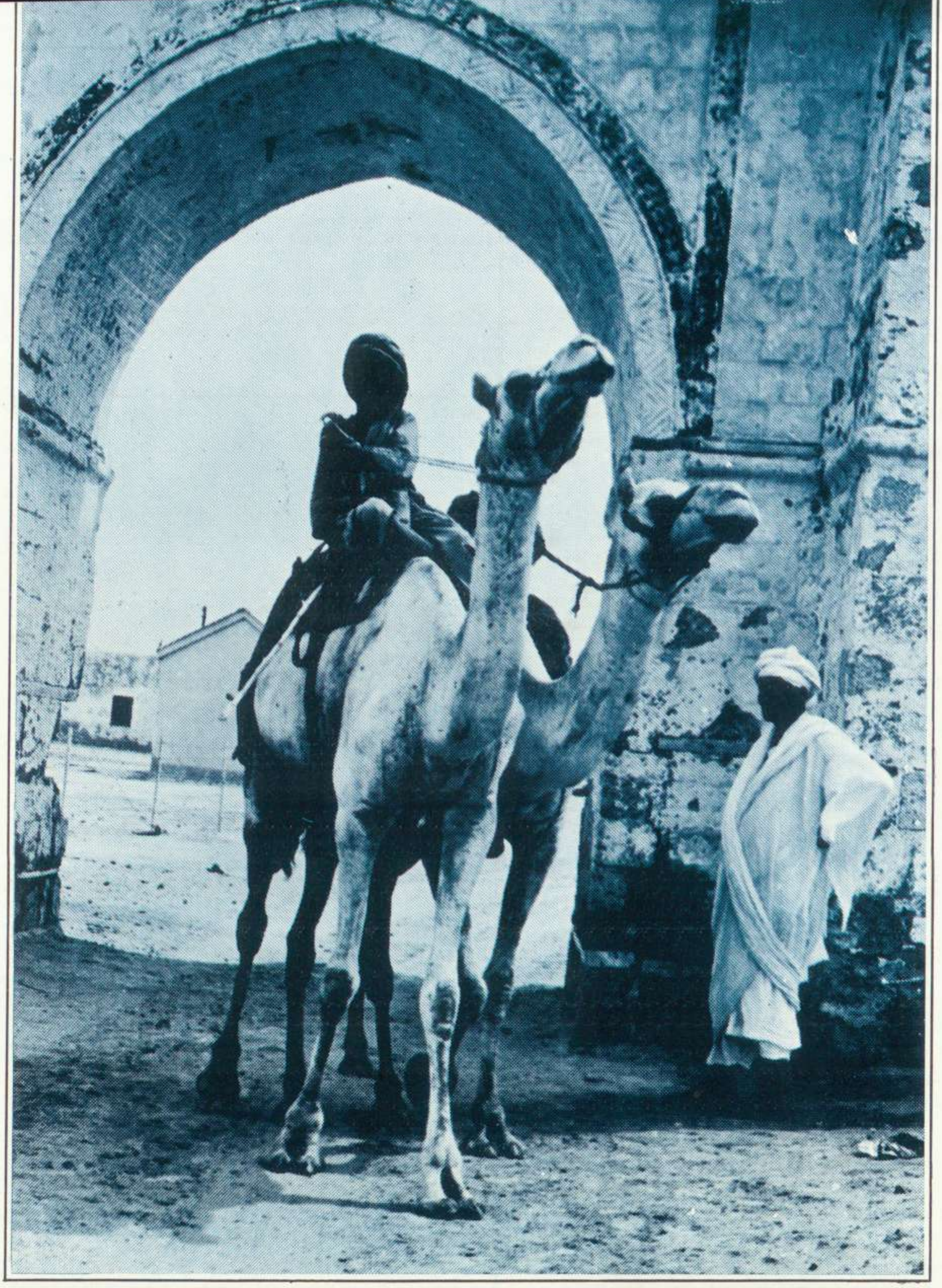

كمال سعد

لأن السودانْ ـ كما يقولون ـ قارة متنوعة الثقافات ، فان رحلتى الى الجنوب بما فيه من قبائل ولغات مختلفة وغابات وجبال ومحاولات مستمرة للتحديث ، جعلتنى أقوم برحلة أخرى الى الشرق لعلنى أتعرف على منطقة قالوا عن طبيعتها أنها أغرب من الخيال، وقالوا أن كل شبر فيها لا يتعامل إلا مع الذين يتذوقون الجمال ويملكون موهبة الافصاح عن شىء من نبض الشعور ، وتتدفق الدماء حارة من قلوبهم كلما أقبلوا على الحركة أو تعمقوا بلا حدود فى روافد الحياة التى تثير فى وجداننا الدهشة والاستغراب !

البطولة النادرة

وبداية فان شرق السودان هو ذلك المكان الذى دفع ثمن ميزته

الاستراتيجية التى جعلت منه جزءاً من مناطق الصراع الأوربى فى الشرق الأوسط وخاصة على البحر الأحمر خلال القرن التاسع عشر ..

ولعل ابرز ادواره فى نضال الأمة السودانية عندما رفع راية الكفاح ضد المستعمر بقيادة الأمير عثمان أبو بكر دقنـه الذى كان يتولى إدارة تلك الامارة الممتدة من مدينة سواكن على البحر الأحمر الى نهر عطبرة ومن ميناء حلايب حتى مصوع شمالا ..

وكان عثمان دقنـه زعيماً لا ينازعه احد على شرق السودان ، ولذلك قام فى هذا الاقليم بدور بارز فى نشر الدعوة المهدية وقاد ــ وهو لا يتجاوز الأربعين عاماً ــ حرب العصابات ضد القوات البريطانية باستبسال لا مثيل له «اشار إليه» «ونستون تشرشل» فى مذكراته التى قال فيها انه عندما كان ضابطاً فى الجيش برتبة ملازم اول ، واجه هذا الرجل فى موقعة «كررى» التى جرت فى نهاية القرن التاسع عشر ، وانهم وجدوا انفسهم فى تلك المعركة كحبات الأرز فى حقل زيت مغلى ، فما كان منه إلا أن عبر الكمين فى أحد أطرافه وأفلت بحصانه !

وقد كان عثمان من مواليد مدينة سواكن .. وكانت أسرته ذات حظ كبير فى التجارة ما بين المنطقة ومدينة جدة السعودية ، إلى أن وضعتها الادارة التركية تحت المراقبة ، ثم صادرت تجارتها واستولت على كل أموالها ، ليشب الفتى فقيراً ، كارهاً للاستعمار بكل أشكاله ، وعندما يصبح رجلا يافعاً يسلمه المهدى إدارة شرق السودان ، ويقسم أن يحافظ عليها بحياته ، وينفذ وعده ، فلا يقبل التخاذل او المساومة ، ويدافع عن أرضه فى بطولة نادرة ، ولا يستطيعون كسر شوكته إلا عندما يشترك جيشان فى نزاله وهما الجيش البريطانى والجيش الايطالى ، حيث يامرون باعتقاله مدى الحياة لخطورته وقوة تاثيره على اتباعه ، فيظل فى معتقل البحر الأحمر منذ عام ١٩٠٠ميلادية إلى أن ينقل الى سجن مصر ثم سجن حلفا فى عام ١٩٠٨ ، ليموت فى عام ١٩٢٦ بعد أن ضعف جسده وأصبح طاعناً فى السن ، ولتظل قصته حية فى نفوس كل أبناء السودان .

كارثة الجفاف

وشرق السودان الذى رأى ميلاد وكفاح وموت هذا البطل الأسطورى ، لا يزيد تعداده على مليونى نسمة .. فرغم

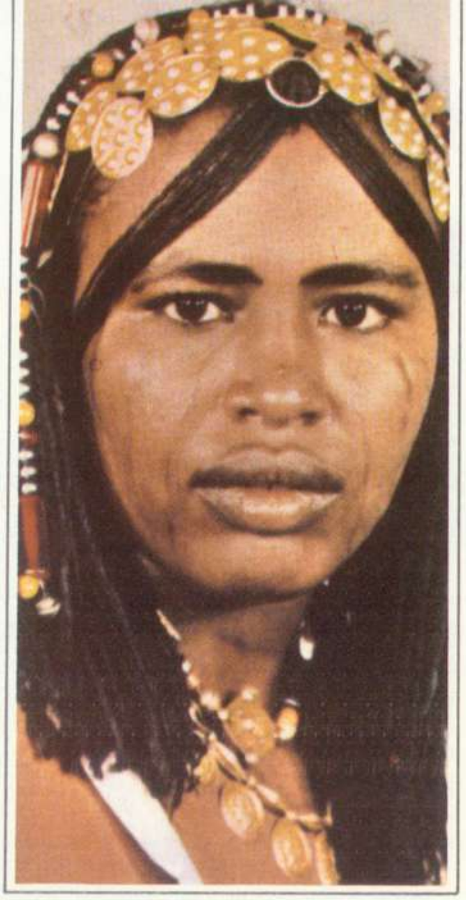

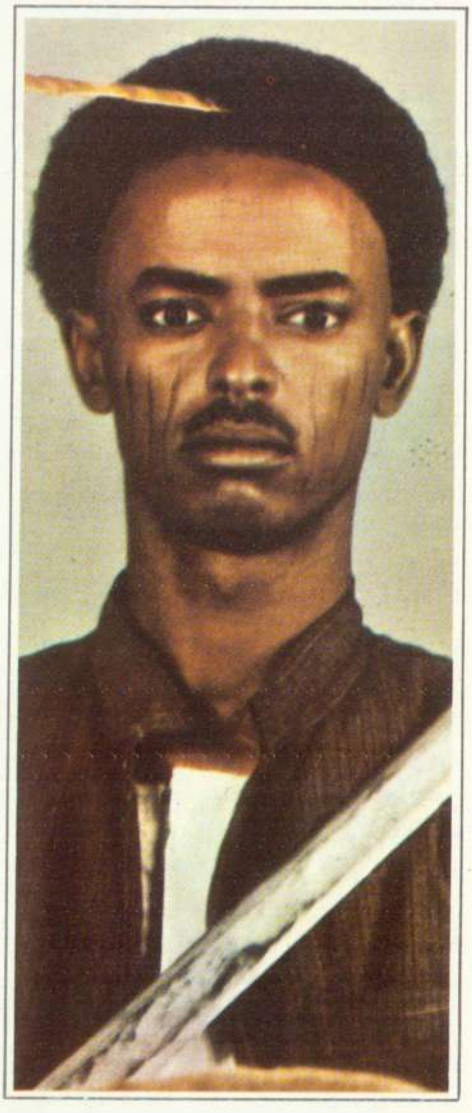

كل مساحته الهائلة فان المنطقة الحيوية الفعالة الآهلة بالسكان ، هى تلك التى تمتد على طول الحدود الأثيوبية الأرترية وتنتهى عند الجهة البحرية فى الشمال الشرقى ، حيث نافذة السودان الوحيدة المطلة على البحر الأحمر بطول ساحلى لا يتجاوز ٧٢٥ كيلو متراً ،والتى تربط البلاد مباشرة بالملاحة العالمية وبالجزيرة العربية ..

اما لماذا يتزاحم السكان فى هذه المنطقة ، بينما نجد مناطق اخرى شبه خالية من السكان ؟ .. فالسبب فى ذلك يتلخص ببساطة فى كلمة واحدة : الماء !

فلولا وجود الدلتا الداخلية التى يحملها خور القاش وخور بركة ، ولولا الآبار ، لكانت المنطقة كلها ـ وليس قطاعات منها ـ يصعب العيش فوق أرضها !

وقد روى لي الأهالى كيف أن هبوط مناسيب المياه فى الآبار أدى منذ حوالى ثلاثين عاماً الى حدوث أكبر كارثة فى تاريخ شرق السودان ، حيث أدت ندرة المياه الى مجاعة هائلة سببها النقص الشديد فى المراعى وهلاك الماشية من العطش ، ووقتها سقطت الأمطار فجاة ، وتصور الأهالى انها ستنقذ بقية القطعان من الهلاك ، وكانت صدمتهم قوية عندما حدث العكس ، لأن الأمطار جاءت فى فترة كانت فيها القطعان مرهقة وضعيفة ، فأدى ذلك الى هلاك مجموعات أخرى منها ، بحيث لم ينقذ من الكارثة غير عشرين فى المائة فقط من الثروة الحيوانية ، ونتيجة لذلك انهارت التجارة وعم الكساد كل الأقليم ، وكانت أكثر القبائل تضرراً هى قبيلة الرشايدة الذين لم يعرفوا فى حياتهم غير حرفة

● شعراء «البجاة» يتحدثون عن العطش وحرارة الشمس والأسفار البعيدة !

واحدة هى الرعى، ووجدوا انفسهم بعد أيام طويلة من المعاناة مضطرين الى العمل كاجراء فى الحقول لأول مرة فى حياتهم !

فالمأساة هنا تكمن دائماً فى الظما الذى يقضى على كل شىء ، بما فى ذلك العيس أو كرائم الابل وخاصة فى موسم الجفاف الذى يأتى مع شهر يناير ..

إلا أن الرعاة الذين يتجولون دائماً بين السهل والجبل حسب وفرة المياه والمرعى ، استطاعوا أن يتغلبوا على العطش بحفر أعداد كبيرة من الآبار التى جعلتهم يستفيدون استفادة بالغة من المياه الجوفية التى لا تنضب فى المنطقة إلا فى النادر !

مشاكل الترحال

ورغم هذه الظروف فان مصادر المياه القادمة من مرتفعات أثيوبيا ، شكلت حالة من الاستقرار فى المنطقة لقبائل عديدة ذات جذور عربية استوطنتها منذ القدم محترفة الرعى والزراعة ، ناقلة معها الثقافات العربية والاسلامية التى توارثها الأحفاد عن الأجداد ..

وقد ساعد على تطوير المنطقة هذا الطريق البرى الذى أعد مؤخراً ليبدأ من بورتسودان مروراً بمدينة كسلا لينتهى فى قلب عاصمة الجزيرة وهى واد مدنى ، ثم ينتقل إلى الخرطوم ..

إن هذا الطريق أصبح يمثل شرياناً اقتصادياً حيوياً يمر بالعديد من مشروعات التنمية الاقتصادية ، وييسر سهولة انسياب واردات السودان برياً ، جنباً الى جنب مع خط السكك الحديدية وخط أنابيب البترول الذى يمتد من بورتسودان الى الخرطوم ..

وإذا كان خبراء الاقتصاد يؤكدون أن عمليات التنقيب المستمرة عن البترول والغاز الطبيعى والذهب والنحاس ستؤدى الى تغيير نمط الحياة السائدة فى شرق السودان ، فان وجود الميناء وتطويره قد استلب أعداداً كبيرة من الرعويين فى العمالة اليدوية ، مشكلين بدايات المدن فى الشرق ..

وقد عانت الحكومات السودانية كثيراً فى سبيل استقرار الرعويين الرحل .. وكان مبعث هذه المعاناة ضرورة إيصال الخدمات التعليمية والاجتماعية والصحية الى مناطق تجمعاتهم ، التى كان يحول من وصولها طبيعة ترحالهم الدائم ..

إلا أنه مؤخراً لجأت الدولة الى توزيع الخدمات الصحية فى نقاط تقرب من مناطق التجوال .. ومازالت الجهود تبذل لتوفير الخدمات التعليمية عن طريق المدارس المتنقلة التى تصحب هؤلاء الرحل لتعليم أبنائهم .. أما الخدمات البريدية التى كان يعتمد فيها على الجمال فقط ، فهى الآن مركزة فى قاطرات السكك الحديدية التى تمر بانتظام فى المنطقة ، والتى تقدم الخدمات لكافة السكان المنتشرين فى مناطق متعددة !

فنون القبيلة

وأهم سكان شرق السودان هم «البجة» الذين ينضوى تحت لوائهم عشر قبائل رئيسية من أهمها الأمارار والهدندوة والأرتيقة والبنى عامر والحباب .. ومعظم أبناء هذه القبائل لهم لغة خاصة هى اللغة البجاوية وهى لغة حامية دخلها كثير من الألفاظ العربية ..

والرعاة فى هذه القبائل يعنون بالأوسام التى يرسمونها على الحيوانات بالكي ، وتعد بمثابة علامات للتعرف على ثروة كل قبيلة ..

وقبائل البجة لا تتقاتل إلا بسبب الخلافات على الأراضى الزراعية والآبار والحيوانات والنساء .. ومن أغرب عاداتهم انهم إذا اخرجوا سيفاً من غمده لا يعيدونه إلا إذا ضربوا به أى شىء .. كما انهم يفضلون الزواج المبكر بحجة ستر الأعراض ويشجعون زواج الأقارب لأنهم خير لبعضهم البعض !

وهم يعشقون الموسيقى ، وتشكل الربابة أهم آلاتهم الموسيقية ، ثم يليها الناى ، وتستعمل نساؤهم «الدلوكة» فى الايقاع ، وإذا أردت أن تثير أى واحد منهم فاقطع وتر ربابته وهو يعزف ، إن رد فعل هذا العمل قد يكلفك حياتك !

أما الشعر فله مكانة خاصة فى قلوبهم ولكل قبيلة شعراؤها الذين يفخرون بالآباء والديار ويتحدثون عن الأسفار البعيدة والدروب الصعبة الوعرة وحرارة الشمس والعطش والمرض والجوع وسهر الليالى .. وعندما يتحدثون عن فنون القتال تلمح فرسانهم يصولون ويجولون دون أدنى خوف من الموت ، وترى أسلحتهم البيضاء وسيوفهم وحرابهم التى لا تخيب ضرباتها !

وفى هذه الأشعار تلاحظ عادة الثأر قوية ، متأصلة فى النفوس ، ولعل

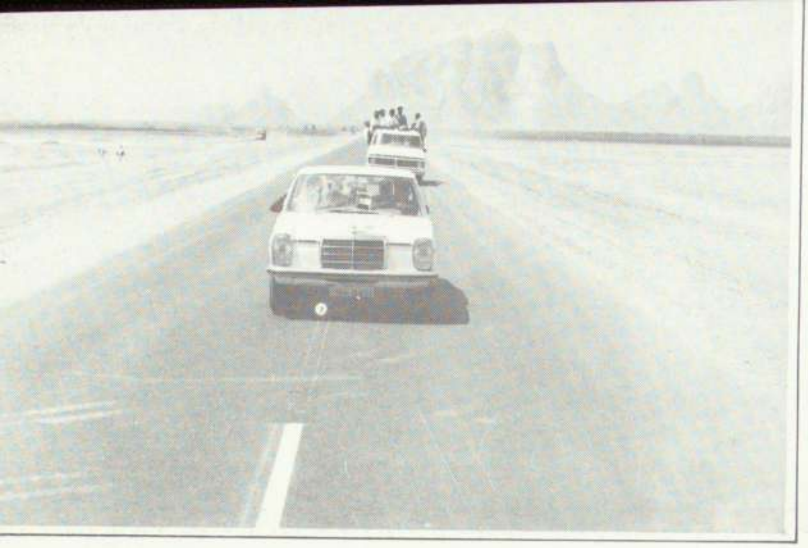

● « تاجوج » الفتاة العربية المفرطة الجمال التى أحبها أشجع الفرسان !

شاعرهم «البجابرى» قد لخص العادة فى شعره عندما قال :

ـ اذا حاربنا فاننا لا نجزع لما يصيبنا ونعيد الكرة على الأعداء لنشفى صدورنا !

أشجع الفرسان

ولكل قبيلة من قبائل البجة صفات تميزهم عن غيرهم فقبيلة الامارار هى ابرعهم فى القتال وقوة التحمل .. والهدندوة اكثرهم تملكاً للأرض الزراعية والثروة الحيوانية ، وهم جادون ، سريعو الغضب ، لا يحبون المزاح .. بينما ترى قبائل البنى عامر مسالمة ، تنزع الى الحياة الوادعة المستقرة ولا يحلبون ابقارهم بانفسهم لأن ذلك فى نظرهم لا يليق بهم كاسياد .. أما قبائل الحلنقة فهم يعشقون الخيول ، ورغم أنك ترى اكثرهم والسوط فى يده ، إلا انهم متسامحون متساهلون كرماء مع الضيف يقدمون له اللبن والحبوب واللحوم والقهوة !

وعموماً فكل قبائل البجة تشترك فى رشاقة الأجسام والشعر المجعد المسترسل ، والمبالغة فى احترام النساء ، وكلما زادت أعداد الابل فى قبيلتهم كلما كان ذلك يعنى ارتفاع مكانة القبيلة وزيادة نفوذها .

وغير البجة ، يعيش بالقرب من مدينة كسلا قبيلة الرشايدة وهى من القبائل العربية التى نزحت الى السودان ، وافرادها يميلون الى الترحال الدائم ، واغلبهم يعملون فى تجارة الابل ونساؤهم لا يكشفن عن وجوههن ، وشجاعة رجالهم تجعل لهم مهابة فى كل المنطقة رغم قلة التعداد !

وإذا كنت قد سمعت عن قصة «تاجوج» الفتاة العربية المفرطة الجمال ، التى احبها أشجع الفرسان «المحلق» واصبح سكان المنطقة يتناقلون قصتها فى موروثاتهم الشعبية ، فهى من ضمن قبيلة تسكن ـ ايضا ـ منطقة شرق السودان واسمها «الحمران» ..

وقد ذاعت شهرة جمال نساء هذه القبيلة ، وكان رجالهم فى الماضى يحملون سيوفهم ويخرجون بجيادهم ليطاردوا الأسود والأفيال ويعودون بجلودها بعد كل رحلة صيد !

وبالمناسبة فان قصة «المحلق» وفتاته «تاجوج» سيقدمها السينمائيون السودانيون فى فيلم سودانى طويل لا يكتفى فيه فقط بسرد الحدوتة ، ولكنه سيلقى الأضواء على حياة قبيلتها الصغيرة التى تسكن منطقة نهر ستيت عند الحدود السودانية الأثيوبية !

الحياة الجديدة

وقد رأى شرق السودان فى السنوات الأخيرة عدة مشروعات صناعية فى نطاق خطة التنمية ، خاصة فى مدينة بورتسودان وكسلا .. هذا الى جانب المشروعات الزراعية فى دلتا القاش وخور بركة حيث ينتج اجود انواع القطن ، مع العلم بان مدينة كسلا هى مصدر الخضروات والفاكهة على نطاق القطر ، وهى تضم مزارع لأجود انواع الموز .

وفى البحر الأحمر المليء بالصخور البللورية ذات الأشكال الرائعة والتى ترتفع بعض قممها الى اكثر من ألفى متر ، قامت الموانىء البحرية التى لم تزد طوال تاريخها على ميناء واحد .. ففى أثناء الحروب الصليبية كان هناك ميناء «عيذاب» .. ثم اختفى هذا الميناء ليحل محله منذ القرن العاشر الميلادى ميناء سواكن بسحنة عربية اسلامية وبزخرفة معمارية فى مبانى المدينة متعددة الطوابق ، تستمد طرزها من العنصرين العربى والافريقى ..

واصبح ميناء سواكن فى القرن السادس عشر منافساً خطيراً لميناء لشبونة الأسبانى ، نتيجة لموقعه الفريد الذى حماه من قراصنة البحر وغارات البر !

وكان يفد على المدينة النابضة بالحياة والثروة تجار من كل صوب ، حتى من الصين والبرتغال ، وكانت كل افريقيا تتخذ منها نقطة تجمع للابحار الى رحلة الحج ..

غير أن النعيم لا يدوم ـ كما نصحنا اجدادنا في الماضى ـ فسرعان ما طوى المدينة الزمن ، واصبحت شعبها المرجانية على الساحل تعوق السفن .. ووقتها ذهب الكولونيل «دالستون كيندى» بتكليف من وزارة الأشغال العامة لاعداد تقرير عن الميناء .. وعاد الخبير الانجليزى ليقدم أوراقه التى كانت تحمل حكماً بالاعدام لا رجعة فيه

واخذوا برايه ، ونقلوا الميناء الى خليج واسع عميق أمام مرسى الشيخ برغوث الواقع شمال سواكن بنحو ٤٠ ميلا .. وببداية ظهور الميناء الجديد فى عام ١٩٠٥ أطلقوا عليه اسم بورتسودان

.. وفى عام ١٩٢٢ صدرت الأوامر بعدم استقبال أى سفينة على ساحل سواكن .. وعندئذ أصبحت المدينة ذات المنازل البيضاء والنوافذ الخشبية الملونة ، أشبه بمدن الأشباح ، صامتة ميتة ، لا تسمع فيها إلا صفير الريح ومواء القطط !

إحياء سواكن

وتحولت مدينة بورتسودان بسرعة هائلة الى مدينة كبرى ، وأصبحت المدينة الثانية فى السودان من ناحية تعداد السكان والمدينة الأولى من ناحية استيعاب أكبر عدد من الأجانب ..

غير أن مدينة بورتسودان بطرزها العصرية وحركتها التى لا تهدأ لم تستطع أن تعوض جمال مدينة سواكن التى مازالت قبلة لعشاق الفنون ، الذين يقفون الساعات أمام أشهر المبانى الدالة على عظمة المدينة الغابرة خاصة المساجد الاسلامية ذات الزخرفة البديعة وقصر الشناوى الذى جعلت غرفه بعدد أيام السنة ..

ولعل هذا الجمال دفع الكثيرين من أبناء السودان المثقفين إلى المطالبة بضرورة إعادة تعمير مدينة سواكن مع المحافظة على مبانيها القديمة .. خاصة وأن هذا التعمير لن يكلف الدولة الكثير ، فالمطلوب هو مجرد اعتماد ميزانية محدودة لصيانة المبانى الحالية وترميمها !

ووقف الى جوار هؤلاء بعض الفنيين الذين لا يطالبون باعادة ترميم المبانى فقط ، بل يطالبون باعادة فتح الميناء لأن الاعتماد على ميناء واحد فى الاستيراد والتصدير مسالة غير عملية بالنسبة للدولة ، وانه مع قليل من الرعاية يمكن اعادة ساحل سواكن لاستقبال السفن الصغيرة ، خاصة وانه مازال حتى يومنا هذا مقرأ لرسو السفن التى تاتيه – فقط – فى موسم الحج لنقل الحجاج الى جدة !

خلاوى القرآن

ومن مدن البحر الأحمر النابضة بالحياة فى الشرق .. المصيف الجبلى الشهير فى مدينة أركويت الواقعة على تلال مرتفعة فى قلب الصحراء على بعد ٤٥ كيلو متراً جنوب غرب سواكن ، وهو مصيف السودان الأول ، تغطى جباله الأشجار وتملأ سهوله الخضرة الدائمة وتشكيلة من النباتات النادرة ، وتصله بالقطار ، لتتسلق الجبال إذا كنت من محبى هذه

الهواية ، أو تمتطى جمال قبيلة الهدندوة أو تشاهد زرقة البحر الأحمر من جبل الست ، أو تزور قبر البطل السودانى عثمان دقنه !

وياتي بعد هذه المدينة من ناحية الأهمية مدينتان : سنكات التى تتمتع بمركز استراتيجى على أسهل طريق من النيل الى البحر ومدينة جبيت التى كانت منجماً مشهوراً للذهب !

أما فى جنوب الشرق أو بعيداً عن خط البحر الأحمر ، فاننا نقابل عدة مدن من بينها أروما وطوكر وترنكيتات ، إلا أن أكثرها أهمية وحيوية هى مدينة كسلا التى تبدو أمامنا تحت جبالها التى ترتفع نحو ٨٥١ متراً .. وهى مدينة ترى فيها التمازج الفريد بين العلاقات العربية والأفريقية .. وهى تشكل مفتاح السودان عند ارتيريا . وقد بدأت أهمية المدينة منذ ظهرت تحت سفح جبلها قرية الختمية .. وزادت أهميتها عندما سكنها منذ القدم ، عائلة المراغنة وهم أهل دين وصلاح ، ومن تجمع المريدين حولهم بدأوا فى العمل على نشر الدين والمعرفة وتحفيظ القرآن ، جنباً الى جنب مع بعض رجال القبائل أمثال الشيخ على بيتاى وآل ترك وآل دقنه الذين أسهموا فى نشر الدين والتعليم والمعرفة ، فعرفت تلك المناطق فى غياب المدارس النظامية الحكومية فى السابق ، خلاوى القرآن وما يتبعها من كتاتيب .. ومازالت هذه الخلاوى تقوم بدورها فى تعليم القرآن ولها أثر كبير على حياة الناس وترابطهم الدينى والاجتماعى ..

إلا أنه بظهور الحركة المهدية تحولت المدينة الى ترسانة عسكرية ، وتعرضت للتدمير من المستعمر فى بعض أجزائها ، واحتلها الايطاليون فى عام ١٨٩٤ بالاتفاق مع الانجليز الذين زحفوا إليها عقب ذلك بثلاث سنوات واستولوا عليها عقب انسحاب القوات الايطالية .. والغريب فى الأمر أن الايطاليين احتلوها مرة ثانية فى عام ١٩٤٠ وظلوا بها عاماً واحداً !

وهكذا نرى أن شرق السودان الذى كان جسراً للاتصال بالعالم القديم ومعبراً للهجرات العربية القديمة ، مازال يحمل فى طبيعته أسراراً أغرب من الخيال ، ومازال كل شبر فيه لا يتعامل إلا مع الذين يتذوقون الجمال ويعشقون روافد الحياة التى تثير فى وجداننا الدهشة والاستغراب !

كمال سعد

عبد المنعم الجداوى

زوجة المشنوق تحمل صندوق الهدايا

تمنى لو مات قبل أن يفقد إيمانه بالذين أحبهم

أوثقوه بالقيود الحديدية و سرقوا كل شىء .. حتى زجاج النوافذ !

●●● قاطع طريق .. فاجر .. مؤذ لجاره .. تهم ثلاث رموه بها .. أحاطت به لا لشىء إلا لأنه أصر على الدفاع عن اهله .. وماله .. وعرضه .. فعندما أقبلت عسكر المماليك تريد السلب والنهب .. تصدى لهم .. قاتلهم .. طاردهم .. استنهض ابناء حيه ضدهم .. تصارع ابناء الحارات .. خرجوا بالخناجر ، والعصى ، والبلط ، والسواطير .. هرب العسكر .. ذهبوا الى الكاشف .. حملوا اليه رشوة .. قالوا له «ابن البسطى» رفض أن يدفع .. مع انه من اغنى التجار .. جرد المملوك «حسين الشفت» تجريدة توجهت إلى «باب الشعرية» ، وجعلتها غزوة ضد الآمنين !

لم يحزنه امر المماليك ، فهو لا يرجو منهم عدلا .. الذى احزنه انهم جاءوا بشهود اربعة ، من اشباه الرجال .. اربعة من ابناء الحى .. تمنى لو مات قبل أن يفقد إيمانه بالذين احبهم .. فالذى جعله يموت الف مرة شهود الزور الذين يشنق من اجلهم .. هؤلاء الجوعى المعلقون من أجفانهم .. المنافقون الذين يقبلون حبال المشانق ، ويغنون للكرابيج تلهب ظهورهم ، ويرتلون أهازيج الذل فى رحاب العبودية !

غضب الحارة

حقيقة الأمر انه احس بالمهانة ، اذا ترك الجندى ياخذ البضاعة بلا ثمن .. فهو يحمى الحى كله .. فكيف يرضى لنفسه الظلم ؟ . لهذا طلب ثمن «الصينى» الذى اشتراه الجندى .. فاثار حفيظته ، وجن جنونه ، والقى بالصينى على الأرض فحطمه ، وأصر على ان يؤدبه ، حتى يكون عبرة لغيره ، والا كلما اشترى الجندى شيئا دفع ثمنه !

وثارت اعماق «ابن البسطى» ، واعماقه مشحونة .. مملوءة بالحقد المخزون .. إنهال على الجندى ضربا .. انضم الى الجندى زملاؤه .. وانضم الى التاجر أهله .. انفجر المرجل .. تنادى ابناء «باب الشعرية» .. خرجوا من الحارات يقودهم الغضب .. تدفعهم «هستيريا» جماعية .. تماسك خفى .. يظهر فجاة عند الناس البسطاء ، كلما

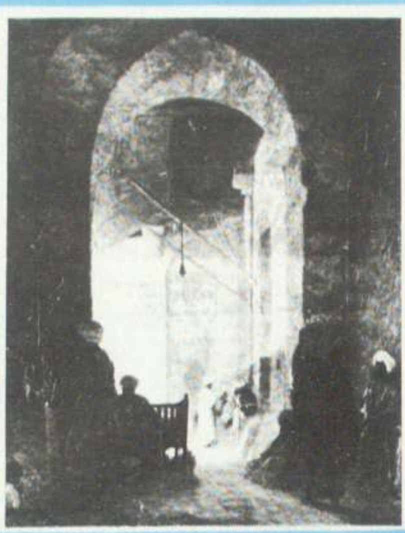

الم بهم الخطر !

ضربوا العسكر حتى فرقوهم .. اجلوهم عن الحى .. طاردوهم فى الحارات والأزقة ..

ارفعوا المشانق

هرب الجنود من الموت .. يركضون نحو بيت القاضى .. اجتازوه الى قصر الكاشف .. قدموا الشكوى مع الرشوة ..فتزلزل زلزال الكاشف .. انتفض غضبان .. ملأ مكانه صخبا .. صاح يا «كتخدا» الأمة فى خطر .. يا « اغا» الحكم يتزعزع .. ماذا بعد ضرب العسكر ..؟ ضاعت هيبتنا .. تطاول علينا الرعاع .. فليخرج اهل «الوجاقات» ـ الخيالة وحملة المزاريق ـ والمشاة والصناديد .. لابد من سحق التمرد ، وشنق «ابن البسطى» فى نافذة بيته .. علقوا كل الذين عاونوه على المشانق .. اجمعوا اهل الحى ، ليتعلم الجميع ويروا بعيونهم عاقبة من يعصى امرى .. أو يعتدى على عساكرى !

انهالت على الحى قعقعة سنابك الخيل .. ارتفع صهيل الخيول .. سرت فى الحارات صلصلة السيوف ، وهى تصطدم بركابات الخيل .. توقف كل شىء فى «باب الشعرية» .. قبع الجميع خلف الأبواب ينتظرون المصائب .. تزاحمت العيون المشرفة بالدموع خلف المشربيات .. عربدت فرقعة السياط فى الشوارع الخالية .. حوصرت الطرق المؤدية الى بيت «ابن البسطى» .. تحولت الحارة الى ثكنة للجنود .. ترجل فرسان مرد .. حطموا الأبواب .. اقتحموا الدار .. نهبوا كل ما كان فى البيت ، حتى زجاج النوافذ خلعوه .. أوثقوا التاجر بالقيود الحديدية .. جروه فى السلاسل .. انطلقت الف شهقة من الف صدر فى وقت

زوجة المشنوق
تحمل صندوق الهدايا

• هوت عليها السياط تمزق ملابسها

• تحولت الحياة فى الحارة إلى وليمة شهية للدود والحشرات والهوام !

واحد .. عجز النهر عن الوقوف فى وجه الدموع .. ندت صرخة من مشربية فى أول الحارة .. قالت المرأة الملتاعة فى صوت حزين .. حاد كطرق زجاجة مكسورة .. «يا ألف حسرة على شبابك» !

كانت الأم تقف .. ملفوفة بالسواد .. كعمود من الليل .. ترنو الى كل ما يدور فى صبر جليل .. وسكون رهيب .. تتسلل دموعها .. تسيل فى أخاديد وجهها .. لكن بلا فزع .. تقدم على الحزن بيقين قدرى .. لا مفر من وقوع المكتوب .

الجلادون يعدون الحبال .. يصنعون المشنقة لفلذة كبدها .. وهى واقفة تتجه اليها كل العيون .. حتى عيون الجلادين .. ويأتى صوت امرأة من الداخل .. تحطم أغلالا .. تمزق قيوداً من الحبال .. تندفع وفى قدميها بقاياها .. ممزقة الثياب .. خرجت من الدار كفلقة القمر .. ألقت بنفسها على الشاب الموثق .. صرخت فى جنون .. خذونى بدلا منه .. اشنقونى معه .. لكن الفرسان انقضوا على المرأة .. حملوها .. ألقوا بها بعيداً .. ارتطمت عظامها بالأرض .. لكنها قاومت فى جنون .. اندفعت مرة أخرى تريد أن تحتضنه .. خيل لها انها قادرة على حمايته .. وهوت عليها السياط تمزق بقية هلاهيلها .. عوت صارخة .. لكنها استمرت فى محاولتها .. تكاثروا عليها .. أقصوها .. تململ البطل فى قيوده .. صاح فيها بصوت رجل على وشك أن يلقى ربه : فاطمة .. اهدئى ، واطلبى لى الرحمة من خالقى .

صرخ كبير الجنود فى جنده .. يستعجلهم صنع المشنقة .. كانوا قد أعدوا كل شىء .. جربوا الحبال التى علقوها فى نافذة المنزل التى طالما أطل منها البطل ، وألقى بالاحسان على الفقراء فى المواسم والأعياد ..

وصرخ رئيس الجند فى الشهود الأربعة .. هل هذا هو «ابن البسطى» .. قاطع الطريق .المؤذى لجيرانه .. الفاجر وأجابوه فى صوت مكروب ، منقطع الأنفاس ، مهدود من الحزن : نعم !

أغلقت بيتها ورفضت تلقى التعازى

نخوة النساء

ولم يفزع لكنه حزن .. لم يجزع لكنه تألم .. هام بصره يبحث بين الوجوه الواجمة عن وجه يمكن أن يقول كلمة حق .. ظلام سود نهار الشمس ، وظلم تسانده تربة صعف ..رجال سلبهم الخوف معنى الحياة .. فباتوا يحسدون الموتى .. ولا يلحقون بالأحياء ..

عقله يتبدد شيئاً فشيئاً .. فقد أصبح الاحساس فجوراً ، والوقوف فى وجه الظلم قطع طريق ، وحماية الجار اعتداء وأذى على الجيران !

وبكت الجدران والنوافذ بصوت مسموع .. وضجت الحارة بالأنين والشهيق ، والزفير .. وسقط ضوء النهار على أرض الحارة مغمى عليه .. ومات كل شىء إلا العدم .. تحولت الكتلة التى كانت تضج بالحياة الى وليمة شهية للدود والحشرات ، والهوام .. وتهاوت الأم جالسة .. أما فاطمة زوجته ، فقد لطمت خديها ثم سقطت صريعة غيبوبة قاسية .

وعندما أفاقت فاطمة .. كان كل شىء قد انتهى .. لم يعد زوجها الا فى قلبها .. نهبوا حانوته .. أخذوا الجثة معهم .. دفنوها فى مكان مجهول ، وكأنهم يمحون آثاره دون أن يفطنوا الى انهم يخلدونه

أغلقت فاطمة البيت ولم تعد جنازة .. لم تتلق تعزية .. قامت تدق البيوت .. تقتحمها على أهلها .. كلهم يعرفونه .. كانوا يفتحون لها قلوبهم .. يطأطئون رؤوسهم .. شعروا بالذنب نحوها .. ينحنون من الداخل والخارج .. يودون أن يستغفروا بالاستماع .. تصرخ فى الجميع .. يا رجال الحى .. أنا لا أخاطبكم فقد نفضت يدى منكم .. لكنى مازلت أطمع فى نخوة النساء .. يا نساء الحى الى متى تصمتن ؟ .. افتحن آذانكن .. افتحن قلوبكن .. المصير الذى لاقاه زوجى ينتظر أزواجكن .. غداً تصبحن أرامل .. من لا تصبح أرملة ، سوف تصبح ثكلى .. الرجال رجالنا .. علينا أن ندافع عنهم .. «ابن البسطى» ابن «باب الشعرية» كلها .. كلكن أمهات ، وكلكن زوجات .. الرجال أطفالكن فلماذا لاتحرضونهم على أخذ الثأر ؟!

المظاهرة بالطبول

طافت بالحارات والأزقة .. دخلت كل بيت .. استقبلت بالدموع فى كل مكان .. وأفلحت المرأة فيما فشل فيه الرجال .. ماكادت شمس اليوم التالى تشرق .. حتى كان «باب الشعرية» يغلى .. صعد المؤذنون على المآذن ، فأذنوا للجهاد .. أغلق التجار حوانيتهم ، خرجوا يحملون البيارق والأعلام .. وخلفهم آلاف النسوة يندبن .. يصرخن .. ينعين «ابن البسطى» ، ويطلبن الانصاف من عسكر المماليك .. واخترقت المظاهرة التى تتقدمها الطبول ..شارع أمير الجيوش .. فالغورية ، واتجهت الى الأزهر .. فهرع المشايخ لاستقبال كبارها .. فشرحوا للمشايخ ما كان بالأمس .. وركب شيخ الأزهر بغلته فى مقدمة المظاهرة ..

أطلقوا عليه « الشفت » لشدة ولعه بالذهب !

اتجهوا الى القلعة .. يرفعون بلواهم الى «الباشا» .. وحمل النسوة «فاطمة» فى هودج .. تنوح من فوقه .. وهن يرددن خلفها ما تقوله عن مآثر زوجها .. وشهدت القاهرة يوماً عانق فيه الحزن الغضب .. وأعلن فيه المغلوب عن قهره .. !!

وقفوا فى ميدان القلعة .. حتى عاد اليهم شيخ الأزهر من مقابلة «الباشا» .. قال لهم انه وعد باجراء تحقيق مع «الكاشف» ، ومعاقبة المسئول .. وعادت المظاهرة ، وتفرق الجميع ..

وحينما كانت «فاطمة» عائدة مع النساء .. أشاروا لها فى «باب الخلق» .. على قصر «حسين الشفت» .. وملأت عينيها من قصر الكاشف الذى أمر بشنق زوجها ..

فى مواجهة الكاشف

وكانت القاهرة كلها تعرف ولع الكاشف «حسين» بالهدايا ، والرشاوى ، والذهب .. وقد أطلقوا عليه «الشفت» ومعناها اليهودى لشدة ولعه بالذهب . !

وفى نفس الاسبوع كانت «فاطمة» ترتدى أفخر الثياب ، وحملت صندوقاً من النحاس المطلى بالذهب .. المليء بالزخارف .. حملته تحت أبطها ، ومضت الى بيته .. تقدمت الى الحراس .. قالت انها تحمل هدية الى الكاشف .. أسرعوا يدخلونها .. التقى بها .. أبرزت الصندوق .. كانها تقدم مولوداً على يديها .. فلما وضعته بين يديه .. ملأت البسمة وجهه .. سألها عن حاجتها .. قالت انها تريد انصافها من جار لها اعتدى عليها واخذ جزءاً من بيتها .. فجاءت بهذا الصندوق ، وما فيه هدية خالصة «للكاشف البك» .. !

وازدادت اقتراباً منه وهى تفتح الصندوق .. ونظر الى الحراس نظرة .. فتراجعوا حتى لا يروا قدر ما فى الصندوق .. وازدادت اقتراباً منه .. وفتحته فى تأن .. ثم خطفت منه خنجراً .. لمع وهجه فى عيون الجميع .. رفعت يدها به فى الهواء ، وهوت به على المملوك الجشع .. فاستدار هارباً صارخاً .. لكن الخنجر كان قد انغرس فى كتفه .. فمزق ملابسه ، وفجر الدم عليها .. وانقض عليها الحراس بالسيوف ، وفى لحظة كانت جثة هامدة !

وكتم المماليك عن الجميع قصة «فاطمة» التى انتقمت لزوجها .. وظل «حسين الشفت» يعالج من جرحه عدة أيام .. ولم تخرج جثة فاطمة من بيته .. فقد ألقوا بها فى بئر للمذنبين .. لكن القاهرة كلها عرفت الخبر .. لأن فاطمة قالت لجاراتها وهى تحمل صندوق الهدايا وتلف جسدها بالرداء الاسود :

أنا ذاهبة للأخذ بثار زوجى .. وإما أعود .. أو الحق بزوجى بعد أن أرفع رأسه الذى سقط على حبل المشنقة أمام جلاديه وامام كل أهل الحى !

عبد المنعم الجداوى

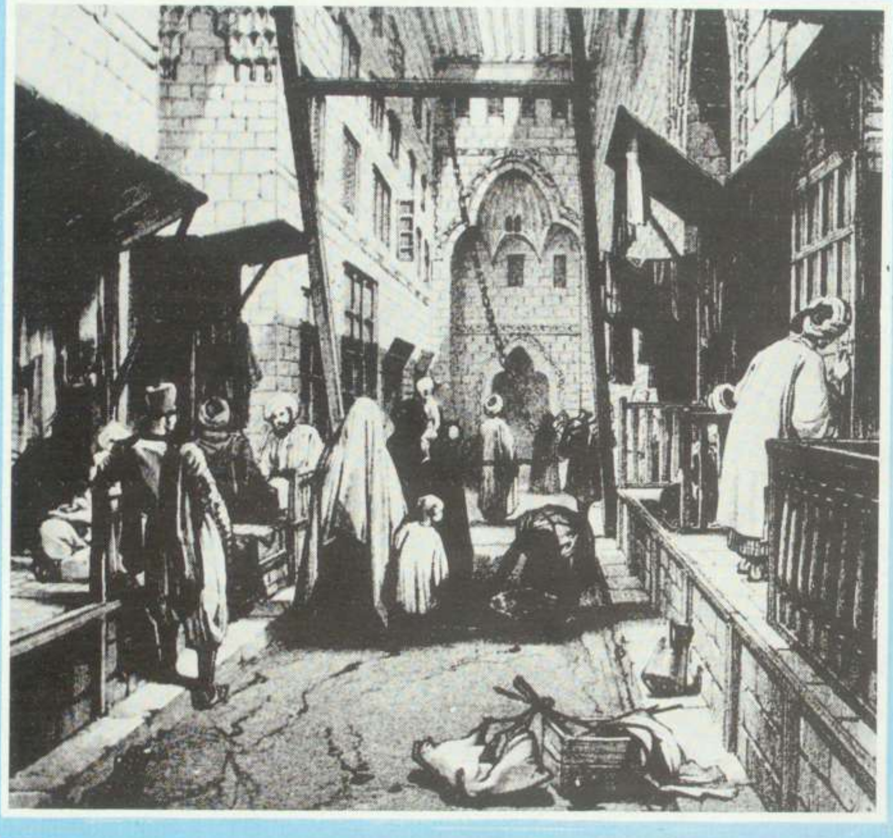

دمشق

والعصر الذى أدمنته

جمال الغيطانى

...لدمشق عطر باق فى القلب ، دمشق لا تزال تحتفظ بزمانها العربى القديم ، بقدر ما تحوى من رقة وطل وندى ، بقدر ما يحفل ماضيها القصى ، والقريب ، والآنى بتحد عربى ، يخفق القلب منها وتتردد ضرباته فى جنبات التاريخ والعصر ، عندما يسرى الصمت ، وتتوقف قلوب أخرى الى حين ، عندئذ تمتشق الحسام ، يضوى نصله هادياً ، ومذكرا ، ومنشدا ، حتى يلحق به الأصل وينطوى الفرع ، كانت أولى المدن التى رحلت اليها خارج وطنى ، نزلتها زمن الحرب ، ودخان الحرائق ما تزال ، ومدافعها مشرعة ، وصواريخها ترسم خطوطاً بيضاء تطارد كائنات الشر المحومة التى جاءت تبغى الأمان ، والصلابة ، والتاريخ ، ثم عدت اليها مرة ثم مرة ، وقاسيون شامخاً كما هو ، ولانني فى هجرة دائمة الى الزمان البعيد فقد رحلت مع دمشق الى العصر الذى أدمنته وعرفته ، وتمنيت لو عشت فيه ، العصر المملوكى ، لعلى أكتشف سر هواها الدفين!

الاسطورة الدمشقية

..لكل مدينة أساطيرها ، والأساطير لدمشقية تعود بها الى بداية الخليقة ، بعد طرد آدم وحواء من الجنة استقرا فى دمشق، لأن دمشق أقرب الأماكن فى عالمنا الأرضى شبهاً بالجنة ، هكذا رآها العرب الذين كانوا يعيشون فى صحراء قاحلة ، كان لآدم ولدين ، أحدهما راعى ، والآخر يعمل بالزراعة ، وعندما اقبلا على تقديم القرابين الى الرب ، قبل الله ثمار الأرض التى زرعها هابيل ، ولم يقبل قربان قابيل الراعى ، عندئذ امتلأ قلب قابيل حقدا ، أقدم على قتل شقيقه ، الى دمشق تنسب هذه الاسطورة ، حيث الغوطة تمثل الخصب والزرع ، والسهول المحيطة بها تزدحم بالمراعى الفقيرة ، أما قاسيون المرتفع ، فهو أعلى الذرى ، الذى قدمت من فوقه القرابين ، غير أن قاسيون لم يحتمل الجريمة البشعة أطلق صرخة موجعة انبعثت من مغارة لا تزال قائمة حتى يومنا هذا ، وحتى القرن السادس الهجرى كانت دماء هابيل البرىء ترى بوضوح فى نفس المكان

واجهة قصر الحير

دمشق
والعصر الذى أدمنته

الذى شهد الجريمة ، وعندما حزن الملائكة ، نزل جبريل ليقدم التعازى الى أبونا آدم ، وكان المكان الذى تم فيه اللقاء كهف جبريل .

يشير القرآن الكريم الى أن السيد المسيح ، وأمه العذراء استقرا فى ربوة ذات قرار معين ، يقول المفسرون انها دمشق

يؤكد الواقع ان النبى لم يدخل دمشق لكن الاسطورة تقول بغير ذلك ، اذ تذكر زيارته لدمشق .

أسماؤها عديدة ، الشام أقدمها

ويرجعه البعض الى لفظ سام ، ومنها، « عين الشرق كله» اطلقه يوليانوس الرومانى و« دمشق الشام » و « ذات العماد » و « باب الكعبة » و « فسطاط المسلمين » و « العذراء » ، ومن ألقابها «الفيحاء » و « الغناء » وجنة الأرض و«قرية المسرة » واللقب الأخير أطلقه عليها النبى أرميا ،

يقول ياقوت فى معجمه : إن دمشق سميت باسم دماشق بن قانى بن مالك بن ارفخشـذ بن سام بن نوح » ، ويقول فى رواية أخرى « أن العازر غلام ابراهيم بنى دمشق وكان حبشياً وهبه له نمرود بن كنعان حين خرج من النار ، وكان الغلام يسمى دمشق فسماها باسمه » ، ثم يعود فيعطيها تفسيرا لغوياً « قيل سميت بذلك لأنهم دمشقوا فى بنائها أى أسرعوا ، وناقة « دمشق أى سريعة » .

ستيفانوس البيزنطى : الذى عاش فى القرن السادس قبل الميلاد يقول : ان اسمها يرجع الى أن البطل دمسكوس ابن الاله هرمس جاء من اليونان الى سوريةوبنى مدينة باسمه .

فى النقوش المصرية القديمة نجد اسمها (خيطا) وتعنى تقريبا (الفضة)

اما المؤرخ استرابون فقد ذكر مغاورها .

الباحثون يردون الاسم الى أصول كلدانية وسريانية ، ويقولون أن الاسم ورد فى الهيلوغريقية القديمة ، فى آثار تل العمارنة والكرنك بلفظ (تمسقو) و (تيرامسكى) و (دمشقا) ومعناها الأرض الزاهرة ، أو الحديقة الغناء .

لكن ماذا يقول التاريخ المكتوب ؟

كانت المواكب تتجه الى المسجد الكبير فى احتفالات مهيبة .

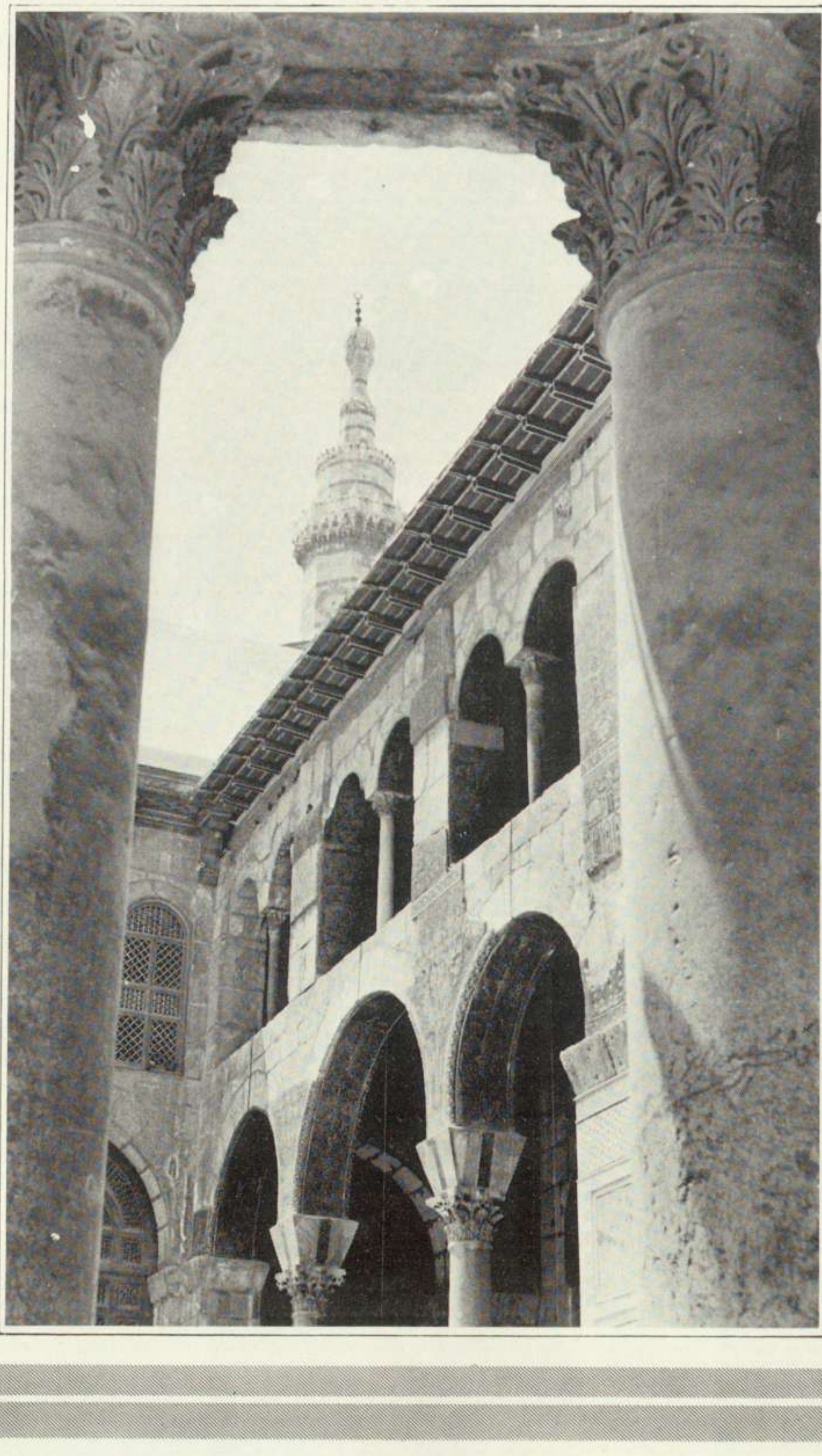

المدينة الثانية

تلوح دمشق فى منطقة الشرق القديم كعاصمة للشعب الآرامى منذ بداية الألف الأول ق . م فى سنة ٧٣٢ ق . م تسقط فى أيدى الآشوريين ثم تنتقل الى أيدى البابليين ، ثم تخضع الى الفرس فى القرن السادس ، وفى سنة ٣٣٢ ق . م يحتلها الاسكندر الأكبر ، ومن هنا يرتبط مصيرها لمدة عشرين قرنا بالغرب ، السلوقيين أولا ، ثم الرومان ، ثم البيزنطيين ، وفى سنة ٦١٢ للميلاد سقطت فى أيدى الفرس الساسانيين ، وتمكن هرقل من اخراجهم فى عام ٦٢٧ ميلادية ، ولم تمض سنوات قلائل حتى وقع أهم حدث فى تاريخ دمشق ، أقصد الفتح العربى سنة ١٤ هجرية (٦٣٥ م) وبعد ثلاثين عاما أصبحت عاصمة للأمويين ، ثم تعود مدينة تابعة للعباسيين الذين اتخذوا بغداد قاعدة لهم ، ثم تحولت الى مصر فى عصر الطولونيين ، والاخشيديين ، ثم تتبع الفاطميين ، ثم تسقط بيد الأمير (تومس) السلجوقى وتصبح تابعة لبغداد ، فى

دمشق والعصر الذي أدمنته

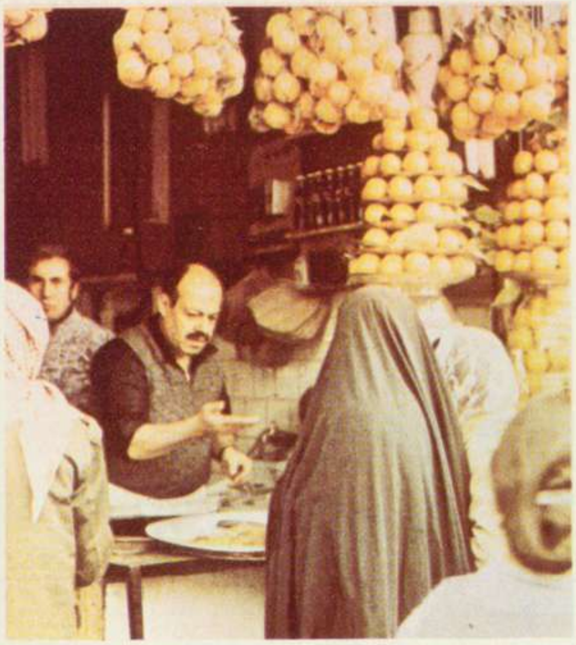

الحياة اليومية في دمشق

صانع السجاد

البيوت القديمة

هذه المرحلة ظهر الخطر الصليبى ، وفى سنة ١١٣٢ م حاصرها ملك الالمان كونراد الثالث ، واتحدت دمشق مع ملك حلب نور الدين زنكى الذى دخلها فى ١١٥٤ م وجاء بعده صلاح الدين الايوبى ، واستعادت الأمجاد الدمشقية زهاءها ورونقها ، حتى جاء هولاكو ، وتحرك المماليك من القاهرة لانقاذ الشام ، واصبحت دمشق هى المدينة الثانية بعد القاهرة طوال العصر المملوكى وحتى الغزو العثمانى سنة ١٥١٧ م .

فى مواجهة الخطر

دمشق فى عصرها المملوكى ، جنة المشرق ، عروس المدن ، ظل ظليل وماء سلسبيل ، تنساب مذانبه انسياب الاراقم بكل سبيل ، رياضها تحيى النفوس بنسيمها العليل ، المدينة ليست مفرطة الكبر ، تميل الى الطول ، معظم مبانيها من طين وقصب ، طبقات بعضها فوق بعض ، أسواقها من أحفل أسواق الدنيا وأحسنها انتظاما وابدعها وضعا ، وطبيعي اننى لم أر دمشق فى زمانها المملوكى ، لكن ثمة اجزاء متبقية فى المدينة حتى يومنا هذا تصون هذا الزمن النائى الآفل ، يمكننا استعادته اذا عزلنا مؤثرات عصرنا من الذهن وبعض آثاره من دائرة النظر كاجهزة المذياع ، أو أسلاك الكهرباء ، من هذه المواضع ما تبقى من سور دمشق الذى لا زال يحيط بها ، لم تختف منه الا اجزاء بسيطة ، قسم هام منه بقى على حالته يقع بين باب السلام وباب توما ، هناك بوابات درست تماما ، مثل بوابة (الصالحية) التى كانت تؤدى الى طريق بغداد ، وبوابة الله أو باب مصر ، وباب المصلى وباب الصغير ، وباب الجابية وباب البريد ، أما ما تبقى من أبواب فهى ، باب شرقى ، باب توما ، باب السلام ، باب المناخ ، يمكننا أن نرى برجين احدهما مستدير يحمل اسم نور الدين زنكى (القرن الثاني عشر الميلادى) والثانى مربع يقع الى الشرق من باب توما يحمل اسم . . . (الصالح أيوب) ، فى زمان دمشق المملوكى كان يوجد خندق عميق ملىء بالماء ، ظل موجود حتى القرن التاسع عشر ، وكان عليه جسر أمام كل باب من أبواب دمشق التسعة . ان المدينة محصنة جيدا ، لا عجب ، فهى الموقع الامامى فى امبراطورية المماليك الشاسعة ، انها موقع الصدام الأمامي ، وعندما عاد المغول بعد انكسارهم فى عين جالوت تحملت دمشق الاذى كله ، حدث ذلك خلال حملة قازان المغولى

دمشق

والعصر الذى أدمنته

(٦٩٨ هـ ـ ١٢٩٩ م) استباح المدينة ، وفعل فيها الفظائع ، حتى لتذكر كتب التاريخ ان القتلى بلغوا مائة الف ، وخرج السلطان بنفسه من القاهرة لصد خطر قازان ، يقول ابن كثير :

اجتمعت الجيوش الشامية والمصرية وفيها طلب الدعاء من الناس والأمر بحفظ القلعة والتحرز على الأسوار فدعا الناس فى المآذن والبلد ، وانقضى النهار وكان يوما مزعجا هائلا ، وأصبح الناس يوم الأحد يتحدثون بكسرة التتار ، وخرج الناس الى ناحية الكسوة فرجعوا ومعهم شىء من المكاسب ، ومعهم رؤوس من رؤوس التتار ، وصارت كسرة التتار تقوى وتزداد قليلا قليلا حتى اتضحت جملة ، ولكن الناس لما عندهم من شدة الخوف وكثرة الخوف لا يصدقون

القلعة المنصورة

وفى سنة ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م ، جاء تيمور لنك الى دمشق ،حاصر القلعة المنيعة ، وعندما عجز عنها أمر أن ينقب تحتها وتقطع الأشجار وتعلق بها حتى اذا انتهى تعليقها أطلق النار فيما تحتها من الأخشاب ... ، الا أن تيمور لنك انسحب من دمشق بسبب الخطر العثمانى فى الشمال ، ثم مات فى سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م ، وكان قد بعث الى سمرقند بخيرة أهالى دمشق من الصناع والفنانين ، والى هؤلاء يرجع ازدهار الفن الاسلامى فى آسيا .

اننا نلمح القلعة ، التى كانت العمود الفقرى لهذا الموقع الأمامى .

تقع القلعة فى الزاوية الشمالية الغربية من المدينة القديمة ، تحتل مساحة تقدر بثلاثة وثلاثين الف متر مربع ، تمتد من باب الفرج فى السور الشمالى الى باب النصر فى السور الغربى

واحتوت على مساجد وحمامات ومدارس حتى أصبحت تشكل مدينة موازية ، فى سنة ٥٩٩ هـ ـ ١٢٠٢ م ، هدمها الملك العادل ابو بكر وشيد قلعة أخرى أقوى ، وأكثر حداثة ، وظهرت الى الوجود القلعة المنصورة كما سماها قدامى المؤرخين ،بعد تشييدها بخمسين سنة مرت باول اختبار عندما جاء التتار من أتباع هولاكو سنة ١٢٩٥ م .

سقطت المدينة بأيديهم ، وصمدت القلعة طويلا حتى أخضعها التتار ، ويرممها الظاهر بيبرس بعد أن هزم التتار فى عين جالوت ، وبعد أربعين عاما يعود التتار وتصمد القلعة ، تصدهم ، وبعد قرن كامل يجىء تيمور لنك وتمتنع عليه القلعة ، فيضرب الحصار حولها ويضربها لمدة شهر كامل قبل أن تستسلم

قلعة دمشق لا تزال تقوم حتى الآن ، محتفظة بكثير من أبراجها ، ومساحات من أسوارها

فى هذه المنطقة أيضاً يمكن استعادة الزمن المملوكى لدمشق ، الظلال القائمة والحوارى المسقوفة ، ولون الحجارة العتيقة ، وتلك الدكاكين الضيقة

سوق الخيل

كثيرا ما اضطر الدمشقيون الى الدفاع عن مدينتهم ، وأدى ذلك الى التجمع فى طوائف حرفية ، والسكن فى حوارى ، وكانت كل حارة تغلق ليلا واذا ما حوم الخطر فان هذه الطوائف كانت تنظم الأهالى فى الدفاع عن مدينتهم ، وفى السلم كانت ترعى مصالحهم وتقاليد الحرفة وأسرارها ، لكن هذا الوضع لم يكن يسود الا فى فترات الانحلال العابرة وطوال العصر المملوكى لم يتغير شكل المدينة ، اذ ظلت الحارات هى أساس الحياة ، كان المماليك يدركون أهميتها كموقع أمامى ، ومصد للخطر ، لهذا اعتبروها أهم مدينة فى سلطنتهم بعد القاهرة ، وسعوا من ضواحيها ، خاصة فى المنطقة المحيطة بالقلعة ، حيث كان يوجد سوق الخيل والسروج

العمارة الاسلامية

المدارس والمبانى

احتوت دمشق على أربع وثمانين مدرسة دينية فى العصر المملوكى ، وكان لكل مدرسة وقف ، يزود المدرسة بحاجتها من المدرسين وما يكفل صيانتها والانفاق عليها ، وكانت مبانى المدارس جميلة رائعة ، وبناء المدرسة يتالف من صحن تتوسطه نافورة محفورة من الرخام تحيطه أربعة أروقة ، وفى الوسط يقوم قبر صاحب المدرسة وبانيها ومن أشهر مدارس دمشق ، مدرسة الريحانية ، التى كان ينفق عليها من وقف يتكون من بساتين ، وجزء من مزرعة واسطبل ، وكان بها خمسة وعشرين مدرساً ، يتقاضى كل منهم ١٣٠ درهماً شهريا ، بالاضافة الى كيل كبير من القمح وكيل من الشعير لدابة المدرس ، وخصص ٨٠٠ درهم لتنفق على الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، أما ناظر المدرسة فكان يتقاضى عشر مدخول المدرسة ، وفى الضواحى كانت المدارس فسيحة متسعة ، مثل مدارس الصالحية ، والضيائية ، والاتابكية وكانت مدرسة العمرية من أكثر المدارس بالصالحية ثراء ، انشاها العالم ابو عمر ابن قدامة لتدريس المذهب الحنبلي ثم أصبحت فيما بعد مدرسة للمذاهب السنية كلها ، اتسعت مبانيها ، وضمت غرفا صغيرة كى يعيش فيها الطلاب ، وكان الناظر يوزع على الطلاب ألف رغيف يوميا ، بخلاف الخبز اللازم لهيئة التدريس ، وفى رمضان تفتح مطابخها للناس حيث

يتناول المئات طعام الافطار المكون من اللحم والحبوب والحلوى ، وكانت مكتباتها عامرة ، واستخدامهامباحاً للجميع

عرفت دمشق نوعا اخر من المنشات الخيرية اهتم المماليك ببنائه ، وهو البيمارستانات ، وخلال الفترة الواقعة بين سنتى ٥٤٥هـ ـ ١١٥٠م ، و ٩٠٦هـ ـ ١٥٠٠م ، تم بناء تسعة بيمارستانات ،ثم بنى عدد آخر فيما بعد ، كان البيمارستان يقسم الى جزئين واحد للنساء ، والثانى للرجال ، وكل جزء مقسم الى مقاصير ، للجراحة ، ولطب العيون ، والأمراض الباطنية ، والأمراض العقلية ، ويذكر الدكتور نيقولا زيادة فى كتابه « دمشق » وصفاًدقيقاً لاحد هذه البيمارستانات نقله عن المصادر التاريخية ، وهو البيمارستان القيمرى ، الذى انشاه الأمير سيف الدين الكردى الأصل ، كان يقع على سفح الجبل ، يشرف على دمشق ، يتكون من قاعة كبيرة ترتكز على أعمدة يحيط بهامن جهتين مقاصير للمرضى ، وثمة مقصورة اخرى تستخدم كمخزن للأدوية ، وكان للبيمارستان عيادة خارجية تفتح للجمهور يومى الاثنين والخميس من كل اسبوع ، وكانت الأدوية تصرف مجاناً للمرضى ، وكان بعض البيمارستانات يضم مدرسة للطب مثل البيمارستان النورى ، وقد الف المدرسون فى هذا البيمارستان ستة وثلاثون كتاباً فى الطب ، وكان لابد من توافر شروط معينة فى الأطباء ، منها أن يكونوا على خلق وذكاء ، وسلامة أعضاء الجسم وحسن ملبس وطيب رائحة ، وقدرة على كتمان أسرار المرضى وأن يكونواراغبين فى شفاء مرضاهم لا الحصول على ثروة منهم ، والحرص على التعليم ومنفعة الناس .

جماعة الزوايا

لازلنا فى دمشق المملوكية ، هنا منشآت دينية اخرى تستحق الرؤية انهاالزوايا ، أو الخانقوات ، مكان المتصوفةنجد فى دمشق ثمان وسبعين زاوية ، للرجال ، وزاويتين للنساء ، الزوايا أماكن للعبادة ، وللتعليم ، لنر إحدى هذه الزوايا من خلال عين ابن جبير ..

«ومن أعظم ما شاهدناه لهم موضع يعرف بالقصر ، وهو صرح عظيم مستقل فى الهواء ، فى أعلاه مساكن لم ير أجمل اشراقاً منها

ولكل زاوية شيخ يرجع اليه فى أمور جماعته ، وشيوخ الزوايا كلهم يتبعون شيخ الشيوخ الذى هو بدوره حلقة اتصال بينهم وبين أصحاب السلطان ، ان مشايخ الزوايا قادرون على إثارة المتاعب أمام السلطنة ، ولكن لا يسجل لنا التاريخ انهم فعلوا ذلك ، ويؤكد الواقع أن هذه الزوايا كانت تحت سيطرة الدولة تماماً .

عرفت المدينـــة قسوة

المجـــاعات والأوبئـــة ..

لكنهـــا لم تنطـــفئ أبداً ..

الرحالة والموقع

أثرت أهمية دمشق فى انتعاش أحوالها الاقتصادية ، نجد بها العديد من الصناعات العسكرية ، كذلك كانت دمشق مركزا حيويا هاما فى الطريق الى الحج ، كانت نقطة انطلاق الى مكة المكرمة ، ومنها تزود الحجاج بالمؤن، خاصة وان الطريق طويل كانت الابل تقطعه فى ثلاثة شهور ، وفى هذه العصور كان الحجاز بلداً فقيرا لا يفى باحتياجات الحجاج الذين يترددون عليه ولأن دمشق نقطة هامة على الطريق ، فقد قصدها عدد كبير من الرحالة الأوروبيين زارها نيكولو البوغيبوصنى ، وجورجو غوتش ، وبرتراندون دولا بروكييه ، ولودفيكو دى فارتما البولونى ، وقد وصفوا المدينة ، خاصة القلعة ، وقصر بيبرس ، ودار العدل والميدان الاخضر ، وميدان الحصى ، ومواكب نائب السلطنة والاستعراضات العسكرية ، ومغادرة الحجاج لدمشق من نقطة تقع جنوب المدينة ، وأسواق دمشق ، ووصفوا تنظيم الأسواق ، والصناعات ، ولا زال سوق الحميدية يحتفظ بهذا التنظيم المدهش اذ تتوالى فيه أقسام السوق ، خصص كل قسم لسلعة معينة ، فى عصور المماليك اشتهرت دمشق بصناعة المنسوجات ولا تزال حتى الآن ، خاصة المنسوجات الحريرية ، والزجاج ، والخزف ، والفخار ، والشموع والاحذية وقد وصف الرحالة الأوربيون هذه الصناعات بدقة ، وأهم ما يلفت النظر فيها حتى اليوم النمنمة الدمشقية والدقة البالغة

الموكب المهيب

الفخامة من سمات دمشق المملوكية اذا ما جاء السلطان من القاهرة ، تزين المدينة ، وعندما يتجه الى المسجد الأموى درة المساجد فانه يمشى فى موكب حافل ، يتفقد المقصورة بنفسه ويتاكد من زينتها ، فوق رأسه ترفع المظلة الصفراء ، بينما ترفع أمامه العلامات والبيارق ، بينما تدق الطبول والكوسات ، نائب السلطنة فى الشام يحذو ايضاً حذو سلطانه ، إن مواكبه فخمة ، اذا خرج للنزهة أو اللعب بالصوالجة يحف به الأمراء يرتدون معاطفهم الحمراء ، يجلس فوق كرس مغطى بالحرير ، يتوسط رجال الدولة ، وكثيرا ما كان يمد اسمطة حافلة ، فى سنة ٧٠٨هـ ـ ١٣٠٨ م ، احتفل المظفر بعيد المولد النبوى ، ذبح خمسة آلاف خروف ، وعشرة آلاف من الطيور المحمرة ومئة الف زبدية من الخضار المطبوخة ، وثلاثون الف صحن من الحلوى .

ولا يعنى هذا السماط الحافل ان أيام دمشق المملوكية كانت تمضى على وتيرة واحدة ، فقد عرفت المدينة قسوة المجاعات والأوبئة ، ونوبات ارتفاع الأسعار ، ايام قاسية عديدة مرت بدمشق لكنها لم تنطفىء أبدا ، كانت تعود أكثر حيوية ، حتى لا يبدو لنا الآن من زمانها المملوكى الا التألق والنمنمة ، والصفاء الدمشقى الجميل ! .

جمال الغيطانى

الأسطورة

معجزة الفن التاسع

خيرية البشلاوي

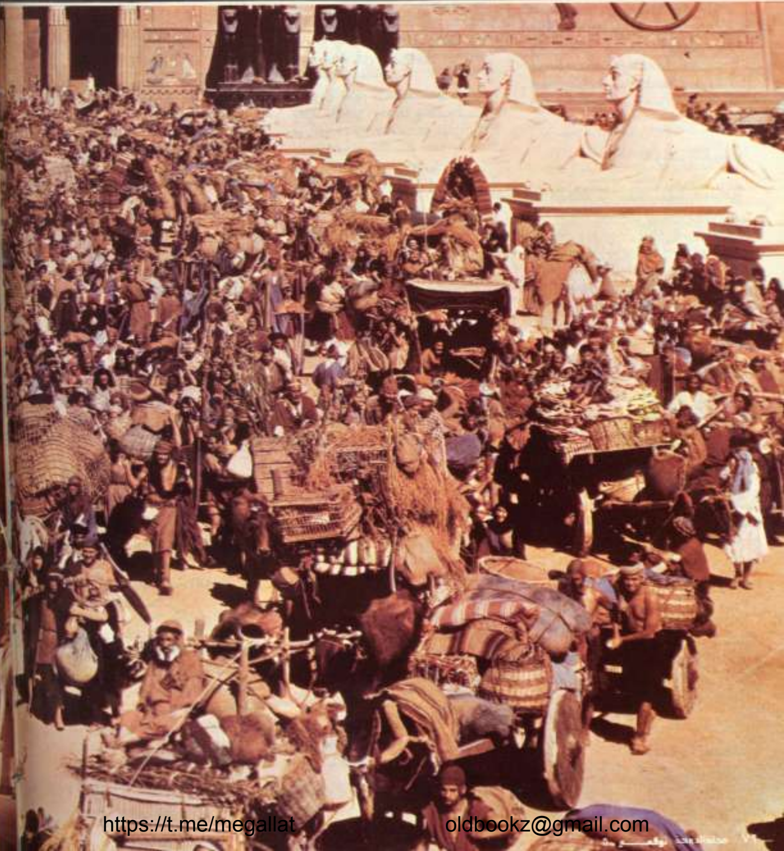

ربما كان «الزواج» الذى تم بين واحد من اقدم اشكال الادب فى التاريخ الثقافى للعالم ـ الملحمة ـ وبين اخر فن من الفنون التى ابتكرها الانسان ـ السينما ـ هو اكثر الزيجات توفيقا ..

واذا كان الفن السابع هو الفن الذى جمع فى اطاره كل اشكال الفنون الاخرى (التمثيل والرسم والنحت والرقص والموسيقى والمعمار) إلا انه مثله مثل الدراما المسرحية ومثل الادب الروائى لم يصبح مفعما بشاعرية الصراعات الاساسية ـ الروحية والجسدية والسياسية ـ من تاريخ البشر ، إلا حينما التفت الى الموضوعات الملحمية الكبرى التى تقوم على مضمون تجربة سعى الانسان الى فهم معنى لوجوده فى الكون والى اكتساب القيمة الجديرة به فى الأرض .

ومن الممكن ايضا ان نقول ان التحام السينما للموضوعات الملحمية ساعدها على اكتشاف وتطوير لغتها الفنية الخاصة بها ، لغة الصورة المتحركة التى تضم كل الفنون الاخرى .

وهكذا اضاف اكتشاف تلك

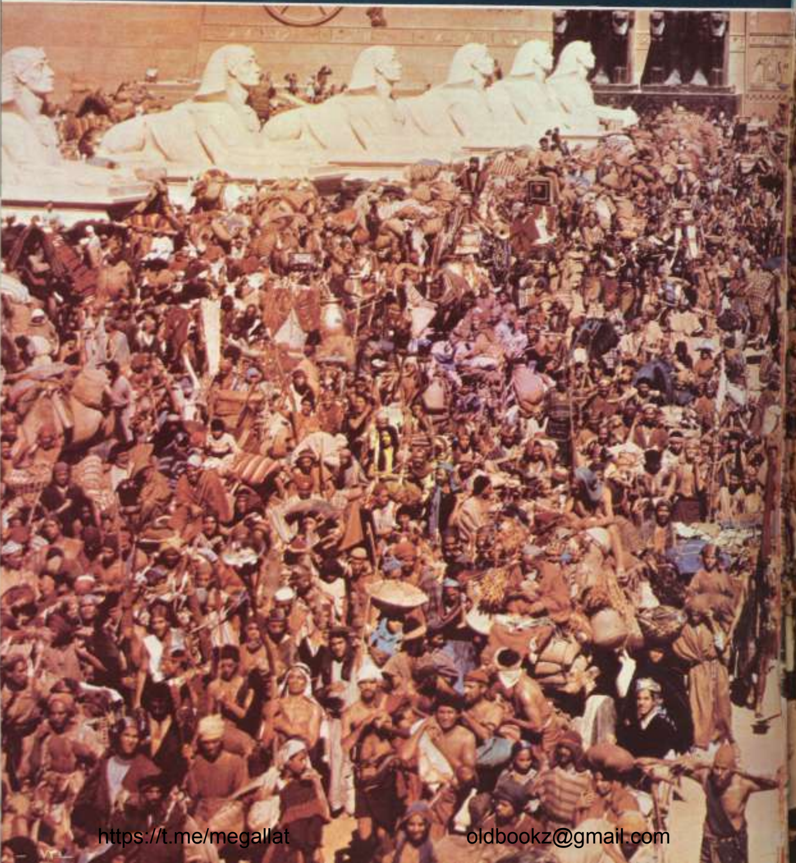

اقتحام السينما للموضوعات الملحمية ساعدها على اكتشاف وتطوير لغتها الفنية

الموضوعات الى اللغة السينمائية بلاغة واتساعا وعمقا لم تكن لتعرفه لولا أساطير وآثار التاريخ القديم ، وتلك المناظر الضخمة والحشود الهائلة من الممثلين والممثلات والأحداث المثيرة والبطولات الانسانية وجهاد الأنبياء وقصص المرسلين وفتوحات أبطال التاريخ وغيرهم ..

المعجزات والخوارق

وقد اكتشف الرواد من صناع الفيلم الامكانيات البصرية والمنظرية التى تتيحها الملحمة ، واتجه لويس لوميير وجورج مليبيه الى الموضوعات القومية والى إعادة بناء التاريخ القديم كانوا ببساطة يستعيرون الكثير من أساليب ووسائل فنون الأوبرا والسيرك واحتفالات الطقوس والشعائر الدينية القديمة ومسرحيات الخوارق والمعجزات الساذجة التى كانت غذاء روحيا وفنيا هاما لجماهير الناس فى القرون الوسطى

ولقد ظلت الملحمة بما تحمله من امكانيات قوية ومؤثرة وهائلة تعانى من تجاهل «الصور المتحركة» لمدة ١٥ عاما بعد ظهور هذا الفن وخروجه الى الناس عام ١٨٩٥ .

إلا أنه بعد عرض الفيلم الملحمى (سقوط روما) عام ١٩٠٨ ، وهو عمل ايطالى بدائى للغاية ، كتب ناقد يقول : إن الظلال تسير الآن حيث يخطو التاريخ

ورغم ذلك فان الملحمة لم تبدأ تأثيرها الا حينما قرر الايطاليون أن يتولوا بأنفسهم اخراج تاريخهم وموضوعاتهم القومية على الشاشة ، وقد شجعهم على ذلك تلك الآثار التاريخية العظيمة التى مازالت قائمة ومنتشرة فى بلادهم .

وكانت المحاولات الأولى فى هذا المجال محاولات بسيطة تعتمد على الحكايات السطحية التى تضعها الكتب المدرسية ، ومع ذلك استطاعت هذه الحكايات أن تبهر الناس على بساطتها ،

ظلت الملحمــــة مهمـلة لمدة ١٥ عاما بعد ظهـــور فن الـــــــسينما

إنها نافذة تعطى الحيــــاة من الماضى إحســاسا مليئا بالمغــزى والهدف

ذلك لان المتفرجين وجدوا انفسهم قادرين على ان يعيشوا بانفسهم تجارب اسلافهم العظيمة القديمة ، حيث يروا «اجدادهم» وهم يحاربون البرابرة ويواجهون الضوارى فى حلبات السيرك الرومانى دفاعا عن دينهم الجديد ، ويخوضون البحار المجهولة ويكتشفون العوالم التى لم تكن قد وقعت عليها عيون بشر من قبل .

وكانت هذه النافذة السحرية نفسها تتيح للمتفرج العادى ان يعيش ولو لساعات قليلة تجارب الملوك والابطال والشهداء العظام التى تعطى للحياة من الماضى طعما قويا واحساسا عظيما بالمغزى والهدف .

قمة الابهار

ولقد قادت عملية البحث عن الابهار البصرى ، وعن المناظر الكبيرة ، والمشاهد الثرية بما تحمله من ايحاءات .. قادت هذه العملية صناع الفيلم الاوائل الى «تحريك» كاميراتهم بحثا عن اكبر مساحة ممكنة يمكن ان يضمها الاطار المحدد للصورة ، اى ان البحث عن «روح الملحمة» هو الذى اكسب الكاميرا قدرا كبيرا من مرونتها وحيويتها ، واكسب الفيلم تلقائيته وحركته الديناميكية .

إن الملحمة فى اعظم وانبل صورها هى فى الحقيقة معركة من اجل «المساحة» فوق الشاشة وخارجها ، وفى عمقها وارتفاعها ، ومن اجل الحصول على اكثر الامكانيات التى تتيح اكبر قدر ممكن من الاتساع والعمق ... ولهذا لجأ «جريفيث» الى تغيير شكل الشاشة من ما يشبه المربع الى المستطيل حتى تبدو جدران معبد بابل فى فيلمه التعصب (١٩١٦) اكثر ارتفاعا امام المتفرج .. وكذلك لجأ «ابيل جانس» الى تحقيق طموحه بان لحم ثلاث شاشات إحداها الى جوار الاخرى ، حتى يسمح لجيوش

الأسطورة

الأفلام الملحمية تستمد
خلودها من مقدرة الفنان
الملاحم التى أتاحت للمشاهد
رؤية الزلازل والبراكين

نابليون فى فيلمه الذى اخرجه تحت نفس الاسم عام ١٩٢٧ ،بالحركة وحتى يتيح لعين المتفرج رؤية فاتنة لصور زاهية شديدة الكثافة تمتلىء بالعناصر المرئية الحية .

فن الملاحم

لقد اثرت الملحمة العمل السينمائى السردى ورفعته من مستوى الحدوتة الضحلة إلى شىء اعظم واكثر بهاء واعلى صوتا من الحياة اليومية العادية وقصصها الهادئة ، لكن علينا ان نميز بين الفيلم الملحمى وبين الفيلم المنظرى رغم ان التعريفين لايمكن فصل احدهما عن الآخر ، فالفيلم الملحمى هو فيلم «منظرى» بالضرورة ، اى انه يعتمد على المناظر الضخمة ، وعلى الثراء البصرى للصورة ، وعلى تجميع العناصر المرئية وحشدها داخل اطار الصورة ، ولكن ليس فى إمكان الفيلم «المنظرى» ان يكون بالضرورة فيلما ملحميا ...

والملحمة هى الموضوع الكبير الذى يتجاوز عنصر السرد القصصى الى اشياء اخرى ارقى واعظم وتمتلىء بالايحاءات وبالمعانى والدلالات التى تتجاوز الحدوتة او العملية السردية .. اما العمل «المنظرى» او المشهدى فهو يعتمد على شكل المشهد اكثر من مضمونه .. وحينما يفشل هذا الشكل يتحول الفيلم الى عمل مصطنع ملىء بالادعاء والافتعال .

وفى السينما تستمد الأفلام الملحمية خلودها وندرتها من مقدرة الفنان التعبيرية وقدرته على تحويل المضمون الى شىء مرئى كاسح وجامح التأثير . ومن هنا يكون الفنان السينمائى نفسه

الاستيلاء على انتباه الجمهور بالديكورات الفخمة عندما تحول الفيلم الملحمي إلى شيء ضحل مفتعل

هو المبدع الحقيقى للفيلم الملحمى وليس المصدر الذى استخرج منه موضوع ملحمته .

وقد كان من الممكن ان تصبح رواية «كلانزمان» وتعتنى احد افراد العشيرة الى عمل مجهول اذا لم تتحول على ايدى «جريفيث» الى فيلم «مولد امة» وبالمثل لم تكن حادثة «المدرعة بوتمكيـن» اكثر من خبر فى جريدة مصورة او واقعة تاريخية لولا فيلم «ايزنشتين» الشهير الذى يحمل هذا العنوان والذى اخرجه عام ١٩٢٥ ..

ابطال التاريخ

ومن ناحية اخرى .. اوحت شخصيات مثل «نابليون» بالكثير من المعانى التى مهدت لصنع روائع سينمائية عظيمة ، لكن تظل الشخصية فوق الشاشة هى المصدر الرئيسى لجلال الفيلم الملحمى الذى يقوم عليها وليس الشخصية كما كتب عنها فى المصدر الذى استلهم منه الفنان مادة فيلمه .

فالفيلم الملحمى هو اساسا لغة سينمائية وليس مجرد نزوع دينى او قومى او ثقافى ..

لقد ابتكر فنانون مثل جريفيث وايزنشتين وجانس وانتونى مان لغتهم الخاصة والشكل الفنى الاصيل الذى يتجاوز النزعة العنصرية (فى مولد امة) والنزعة السياسية (المدرعة بوتمكيـن) والنزعة القومية فى فيلم «السيد» .

بداية الاكتساح

وقد ظل فيلم «كوفاديس» هو النموذج السائد للفيلم «المنظرى» لاكثر من

خمسين عاما . وقد تم اخراجه فى اثواب متعددة ومتنوعة .

ولم يكن «كوفاديس» هو اكثر الملاحم نجاحا أو خلودا ، لكنه كان فى عصره حدثا فنيا ضخما ، فقد امتلاء الشاشة باشياء حقيقية .. بالأسود من لسيرك ، وبالجياد التى استعارها المخرج من الجيش والجلادين وبالممثلين المحترفين لاداء الأدوار الكبيرة .. ليظل كوفاديس هو النموذج الاكثر شيوعا للفيلم الملحمى حيث تعتمد الملحمة بشكل عام على شخصية أو حدث تاريخى له جلالـه ومكانته العظيمة ، ففى الفيلمتجمعت كل عناصر الفيلم الملحمى ، المعارك وعمليات التمثيل بالبشر ، والدمار والموت ، وقدرة البطل الفرد على الانتصار وتخطى العقبات الرهيبة التى ينسحق امامها الناس العاديون ـ وهناك الانتصار على الشهوة وعبادة اللذات والذهب والشياطين والوحوش والعبادات الوثنية وغير ذلك من الانحرافات الاخلاقية ..

وعندما راى لأول مرة الجمهور فى امريكا النسخة الأولى من الفيلم للمخرج الايطالى «انريكو جوازدنى» عام ١٩١٢ ، انفعل على طول امتداد ساعتين بالمناظر وبمشاهد الولائم وحشود الجماهير واللقطات المذهلة لعملية حرق روما ، وقد روعتهم مشاعر القسوة التى يشيعها الاسلوب الذى تم به تنفيذ هذه المشاهد وبالذات عملية القاء المسيحيين فى مواجهة الاسود الجائعة التى تنقض عليهم وتفترسهم بلا رحمة !

وقد أوحى هذا الفيلم الايطالى الى المخرج الامريكى «جريفيث» بعمل فيلم على غرار كوفاديس ، وكانت نتيجة هذا عمل فيلم «جوديث بتوليا» (١٩١٣) وبعده خرج فيلمه الشهير «مولد امة» عام ١٩١٥ الذى يعتبر اول ملحمة امريكية فى تاريخ السينما .

وفى عام ١٩١٥ ايضا اخرج جريفيث فيلم «التعصب» الذى يعتبر حتى الآن احد اهم الأعمال السينمائية الطموحة التى انتجتها .

ويعتبر هذان الفيلمان الامريكيان من اكثر الأعمال تاثيرا على وسيلة الفيلم وعلى مدى قدرتها التعبيرية ، فقد ساهما على دفع عجلة تطورها ، ورفعها من مجرد وسيلة ترفيهية رخيصة الى وسيلة تعبيرية وفنية باهرة .

الميزانيات الضخمة

ورغم الفشل التجارى الفظيع الذى منى به فيلم التعصب ، تحمس

قصة الابن الضال فى فيلم «المتجولون» عام ١٩٢٥ .

لماذا قال « سيسيل دى ميل »
سوف يعثر المشاهد على قطعة من « جريفث » فى كل فيلم ملحمى ؟

المخرجون للاعمال السينمائية الضخمة التى تعتمد على المشاهد الكبيرة والميزانيات الباهظة . وكان تفسيرهم للفشل التجارى الذى منى به «جريفيث» يعود الى كونه فنانا يعرف كيف يسيطر على وسيلته الفنية ، لكنه لا يعرف كيفية السيطرة على ميزانية الفيلم .

وبدا بحث المنتجين عن ملاحم غنية بالامكانيات التى تتيح الفرصة للمشاهد أن يعيش الزلازل الارضية ، ويرقب امواج المد والجزر ، ويروع بالبراكين والانفجارات الارضية ويشهد الانهيارات الجليدية ويتعلق بصره بالسنة اللهب والحرائق المدمرة ، وعلى ذلك زادت ميزانية الافلام واجتهد اصحاب الصناعة السينمائية فى بناء دور العرض الضخمة وارتفعت اسعار تذاكر الدخول .

واثناء البحث عن هذه الموضوعات المناسبة اكتشف كتاب السينما الامكانيات الهائلة التى يوفرها «الانجيل» فخرجت افلام مثل ملكة سبا (١٩٢١) للمخرج الامريكي جوردون ادواردز وحقق نجاحاً تجارياً كبيراً .. ثم فيلم «سادوم وجومارا» (١٩٢٢) و«شمشون ودليلة» (١٩٢٣) وانتج موريس تورينر فيلماً بعنوان «المسيحى» عام ١٩٢٣ وروى المخرج راؤول والشى

أفلام للتجارة

وظهر المخرج الامريكى سيسيل دى ميل (١٨٨١ ـ ١٩٥٩) ابن رجل الدين المسيحى كاحد اكبر المنافسين لجريفيث، وبدا بافلامه «العذراء جان» (١٩١٧) «والمراة التى نسيها الله» الى سلسلة الاعمال السينمائية التى تعتمد على موضوعات دينية وتضم فى الوقت نفسه عناصر الابهار الى جانب عنصر الدراما الذى كان يضمن تاثيره بفضل حساسية الموضوعات التى يعالجها .

ومع ذلك بدا واضحا مدى تاثر

سيسيل دى ميل بزميله الامريكى جريفيث وقد اعترف بقوله «سوف يعثر المشاهد على قطعة من جريفيث فى كل فيلم ملحمى تنتجه امريكا» .

وبعد نجاح فيلم «مذبحة الرجال» ١٩٢٢ كلفت شركة بارامونت المخرج سيسيل دى ميل بعمل فيلم «الوصايا العشر» (١٩٢٣) الذى بلغت تكاليفه وقتها ١ر٦ مليون دولار .

وبعد النجاح الكاسح لدى ميل اتخذ هذا الفنان من الانجيل واجهة يخفى وراءها كل عناصر الجذب التجارية التى يشحن بها اعماله ، فتحت شعار الدين وقصص الانجيل امتلات اعماله بمشاهد الجنس والمجون والخطيئة والعنف وجو التآمر والرعب والنزعات السادية .. واستولى على انتباه الجمهور بالديكورات الفخمة والمشاهد المذهلة وبالمؤثرات الخاصة .

وتمادى فى هذا الاتجاه عندما اخرج فيلم «ملك الملوك» (١٩٢٧) الذى حقق نجاحا طيبا .

وقد تاكد لدى المتفرج أن صناع الفيلم يتمسحون فى رداء المسيح من اجل الكسب المادى ، ومن خلال افلام تجارية تاتى لهم بالربح رغم تكاليف الانتاج المرتفعة التى وصلت الى ٥ر٢ مليون دولار (اى ما يوازى نحو ٣٥ مليون الآن)

وسادت النزعة المنظرية على النزعة الملحمية فى هذا النوع من الأفلام .

واصبح الفيلم الملحمى برغم التصوير الجيد والمؤثرات الخاصة المثيرة والصنعة الفنية الجيدة فيلما ضحلا ومفتعلا لا يخلو من البذاءة .

الملاحم الأدبية

لكن الفيلم الملحمى لم يتوقف عند الموضوعات المستمدة من الانجيل والتوراة ، وانما اتجه من ناحية الى الملاحم الأدبية القديمة ، ومن ناحية اخرى اتجه الى التاريخ ، والى التراث المسرحى والتراجيدى الضخم لكى يحول المسرحية الى عمل ملحمى سينمائى .. وفى جميع هذه المجالات حققت السينما انجازات كبيرة ارجو ان نتمكن من التعرض لها فى موضوعات لاحقة ..

م . كجـــراى

بطـــاقة حب لأســـمرا

وحين يدق على باب دارى ساعى البريد
أرى الجرح ينزف ،
أرشف فى غربة الليل قطرة همى الجديد
فانك يا أسمرا شهقة الفجر فى وطن الأغنيات ،
واجنحة للعصافير تخفق فوق سماء المطار البعيد
سئمت مراوغة الزمن المتحجر اقبع فى باحة الانتظار
فجئت إليك أدك مع الغاضبين الجدار
وأكتب تذكار حبى على كل عطفة درب ودار
وأحكم حول الظلام الحصار
ليختنق الليل فى غرف الانتحار
أودع كل حدود الأمارات ،
أعبر بين خطوط المطارات ،
أفتح باباً على ساحة الانفجارات ،
لى لغتى فهى قصف ونار

وملحمة سوف تبدأ من حيث يبدأ خيط النهار
كتبت مقاطعها فى اغترابى بكل الحواس
ومزقت أقنعة اللامبالاة ،
حين تدفق مثل السديم دخان النعاس
وهانذا فى اخضرار المسافات أعشق كل تراب الوطن
وأقسم أنى سأغسل عن وجهك العار ،
أحرق فى ساحة النور كل جذور المحن
أطلى فانك يا غادة الفجر ترنيمة الغاضبين
وأنشودة فى فم الغائبين
ومقبرة للظلام الرهيب على برزخ الذل والانكسار
وتوقاً يقود الخطى لذرى المجد والانتصار
فمدى يديك فهذا السكوت نذير بقرب سقوط الجدار .

م . كجراى

الذاكرة

أو القدرة على تذكر الأشياء

كيف يستطيع البعض أن يكونوا أقوياء ذاكرة فى بعض الأمور ؟

طاقة العقل التخزينية هى ألف جزء من المعلومات الجديدة فى كل ثانية من حياتنا

الذاكرة ، أو القدرة على تذكر الأحداث والتجارب التى مرت بنا ، هى جزء حيوى للغاية فى حياتنا . فهى التى، بوعى منا أو دون وعى ، تهدينا فى العودة الى ديارنا ، وتأخذنا الى مكان عملنا صباحاً ، وتمكننا من قضاء وانجاز أعمالنا ، وعلى إقامة علاقات مع أصدقائنا وأسرتنا وزملائنا فى العمل . وحتى المهارات العادية كالمشى والكلام هى نتيجة لقدرتنا على تذكر الأشياء التى تعلمنا فى سن مبكرة .

كيف تعمل الذاكرة

ولكن كيف نتذكر الأشياء ؟ وما مدى حجم ما يمكننا أن نتذكره ؟ ولماذا ننسى ؟

بالرغم من أن الذاكرة قد ظلت موضوعاً للبحث المكثف سنوات طويلة ، فان ما نعرفه عنها قليل جداً بالنسبة لما بذل من جهود لمعرفتها . وقليل هو ما نعرفه عن كيفية قيام الذهن بتذكر الأمور ، وأسباب النسيان الذى نظن أنه يمارسه . ولكن الثابت هو أنه ما من لحظة تمر بنا دون أن نكون قد استخدمنا الذاكرة لأمر أو آخر . وغالباً ما نقوم بفرز المخزون الهائل من الأمور فى الذهن بسرعة مذهلة ، ونخرج بالحقيقة أو الفكرة أو العلاقة التى نريد .

أنواع الذاكرة

إن الأنواع المختلفة للذاكرة كافية لأن تجعل الأمور تختلط علينا . هناك الذاكرة التى تسترجع الأحداث ، كأن يتذكر أحدنا مثلا حادثة ماضية جرت يوم زواجه ، وهناك الذاكرة اللغوية التى نستعيد بها نظاماً معقداً من المعلومات .. كاللغة ..وهناك الذاكرة التى تحشد الحقائق التى لا تتصل مباشرة بحياة الفرد ، كالحقائق التاريخية .. أما الذاكرة الحسية التى تتداول الصور فهى الأقوى فى كل الناس .. وهى قائمة على المشاهدات والأصوات والتذوق واللمس والشم . وهناك الذاكرة الغريزية التى تمكننا من القيام بأفعال غريزية كالتنفس والنوم والهضم .

ولكن السر الذى لايزال مغلقاً هو كيف يستطيع البعض أن يكونوا أقوياء ذاكرة فى بعض الأمور — بعض أجزاء الذاكرة — ولكنهم يفشلون تماماً فى تذكر أشياء أخرى .

طاقات عاطلة

لقد ثبت لنا أن الذهن وقدراته فى تخزين المعلومات يفوقان كل ما يمكننا تصوره . إننا عادة لا نستخدم إلا ١٠٪ من قدراتنا الذهنية . وحتى هذه النسبة مبالغ فيها كما يرى بعض الباحثين ، إذ عندهم أننا لا نستخدم أكثر من واحد بالمائة من طاقاتنا الذهنية ، وترى تقديرات طاقة العقل التخزينية أن بالدماغ محال لحفظ ألف جزء من المعلومات الجديدة فى كل ثانية من حياتنا من الميلاد الى الشيخوخة . وعلى ضوء التجارب التى أجريت حديثاً ، يعتقد بعض الباحثين أننا نستطيع فى الواقع أن نتذكر كل شىء وقع لنا . وقد يحتج أحدنا بأنه يعجز عن تذكر أى شىء لأن ذاكرته مثل الغربال . ولكن فى الواقع أن ذلك ليس صحيحاً .. وليس على ذاكرة مثل ذلك الشخص أى غبار . كل ما هناك هو أنه تعود أن يقلل من قدرتها .

خدمة متواصلة

«إن الناس يستهينون بذاكرتهم للغاية» كما يقول بيتر راسل ، مؤلف كتاب

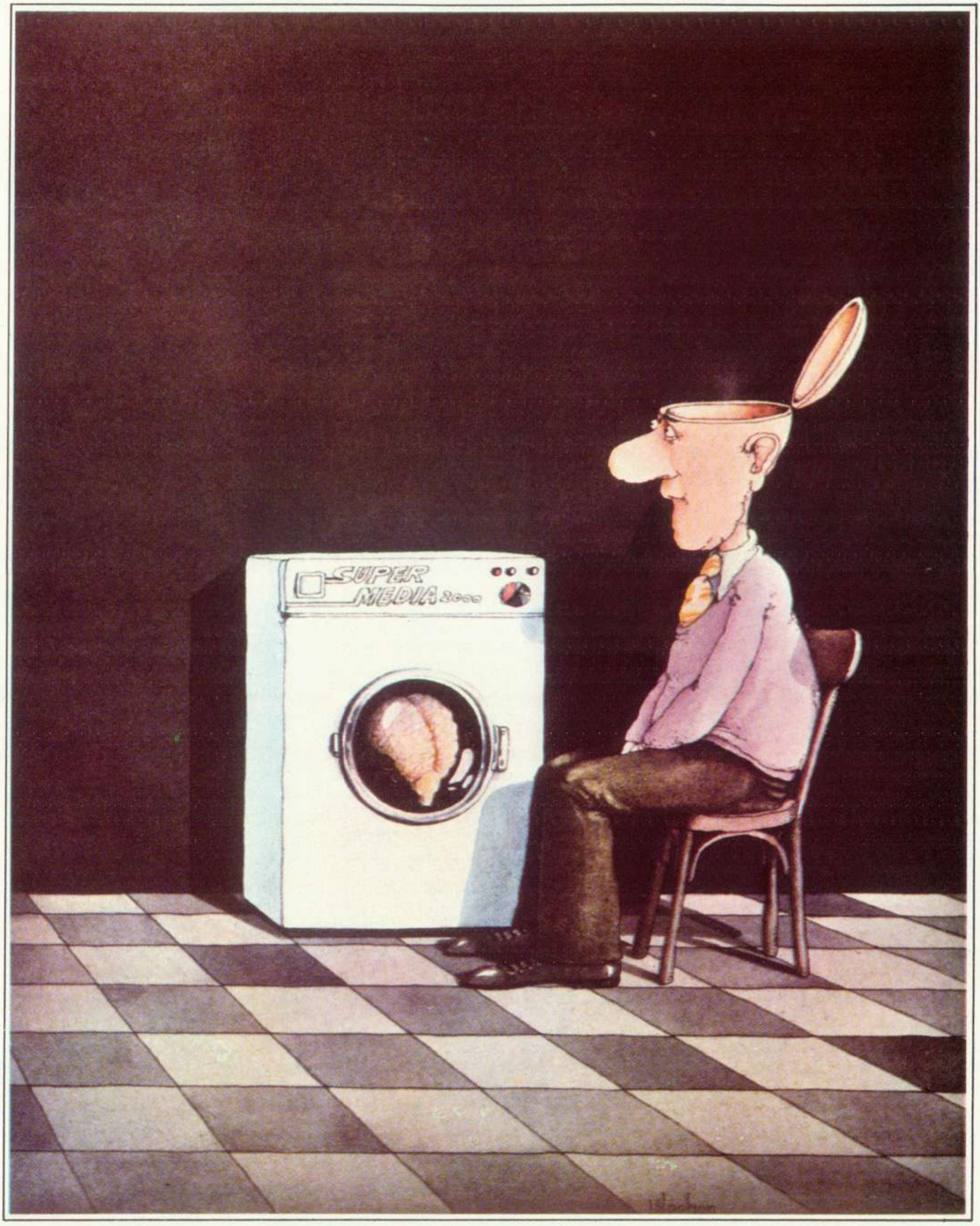
SUPER
MEDIA 2000

«الذهن» وهو عالم نفسانى أمريكى «فالذاكرة مستخدمة طيلة الوقت تقريباً ، ومع ذلك نظن أن الأمور اليومية المعتادة التى نتذكرها لا أهمية لها أو لا تتمتع بأى شىء خاص .. ونحن بذلك إنما نميل الى تناسى أن هذه الأشياء هى فى واقع الأمر ذكريات ..»

سوء الاستخدام

إن معظم الناس يظهرون أعراض سوء الذاكرة ، فاذا قدم لنا عشرون شخصاً فى حفل عام فاننا لا نتوقع أن نتذكر منهم أكثر من خمسة أشخاص ، وذلك ما يحدث فعلا ، لأننا لا نحاول أن نتذكر أكثر . فالمسألة مسألة موقف . فاذا أمن الواحد منا بأنه يستطيع أن يقوم بشىء ما فانه سيفعله . إننا فى هذه الحالة نحيا وفقاً لتوقعاتنا أو انعدام التوقعات لدينا . أما اذا فهم المرء المبادىء الأساسية للذاكرة ، وأمن بأنه يستطيع أن يتذكر أكثر ، فالراجح أنه سيجد ذاكرته وقد أخذت تتحسن .

لا مكان للنسيان

وهناك أدلة وافرة تثبت أننا فى الواقع لا ننسى أى شىء . فالذهن يتذكر ويستعيد كل شىء حدث لنا .. وهذا ما يظهره التنويم المغناطيسى وإثارة المخ . فاذا كنا لا نستطيع استعادة معلومة ما على الفور ، فذلك لا يعنى أنها قد فقدت ، ولكنها فقط لا سبيل الى استعادتها فى الوقت ذاك ، ويمكن أن تستثار فى وقت لاحق بالسمع أو البصر أو الرائحة أو أى مثير آخر .

لماذا – إذن – لا نستطيع الوصول بشكل دائم الى المعلومات التى يختزنها بالنا ؟

نظرية راسل

هناك عدد من النظريات لتفسير ما يبدو علينا من نسيان . أننا فى بعض الأحيان نكبت دون أن نعى تلك الذكرى غير السعيدة أو المؤلمة ، أو تلك التى تثير الكدر أو القلق ، فنقوم باحتجازها لكيلا تعكر صفونا مرة أخرى . وقد نفقد الاتصال ببعض المعلومات لأننا لا ندعمها . وقد تقوم الذكريات الأكثر حداثة باغراق ذكريات قديمة ، كما أننا نقصى بعض المسائل التى لا تبدو لنا ذات فائدة أو قيمة . وبعض الذكريات يتلاشى بمرور الزمن .

وهناك بالطبع مسألة الموقف الذى يهيئه الذهن ، والذى يفسر كثيراً من تلك الأمور التى يتبدى لنا أننا قد نسيناها .. لأن النسيان هنا هو نتيجة لتغير الاستعداد الذهنى .

وفى أغلب الأحيان نجد أننا إن وضعنا شخصاً ما فى موقف كان فيه ذات يوم ، فان ذلك يثير فيه ذكريات كثيرة منسية بالنسبة له . وهذا ما يفيد به بيتر راسل .

إثارة التعلم

أما الدكتور جيمس ماكقوه ، عالم الأحياء النفسانى ، والمدير التنفيذى لجامعة كليفورنيا ، فانه يطرح نظرية أخرى . وكان أثناء عمله مع الدكتور بول قولد من جامعة فرجينيا ، قد قام بتجارب عديدة فى العقاقير المنشطة للذاكرة كالأستركنين والميترازول والامفيتامين والكافيين .

وفى تلك التجارب تم تعليم حيوانات المختبر على كيفية الجرى السريع فى ممر ، وأعطيت جرعات من العقاقير فيما بعد ، ثم تم قياس ما احتفظت به هذه الحيوانات مما تعلمته ، وذلك على فترات

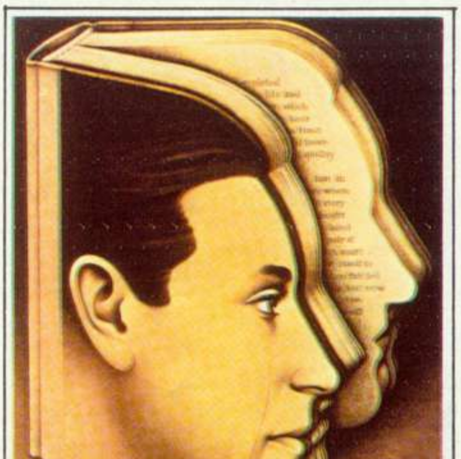

يوم وأسبوع وشهر . فوجد العلماء ان تجربة التعليم قد أظهرت تحسناً كبيراً وملحوظاً فى القدرة على الاحتفاظ بالمعلومات (التذكر) إذ أن تلك الحيوانات قد استطاعت تذكر أمور ما كان هناك سبب لتذكرها .

وكانت تلك التجارب لتحسين الخبرات وتقوية الذكريات المتزامنة .. ووضح معملياً أن الهرمونات فى الجسم تقوم بنفس ما تقوم به مثيرات الجهاز العصبى التى استخدمها العلماء فى تجاربهم على الحيوان .

دور الهرمونات

ويقول الدكتور ماكقوه : «ان التجربة المثيرة أو المخيفة تطلق الهرمونات فى الجسم ، كهرمون الادرالين ، ولها نفس الأثر كالعقاقير فى اثارة ما ينتج عنه تحسين للذاكرة فيما يخص تلك التجربة فاذا سألنا عابر سبيل عن الوقت فاننا لا نعير تلك التجربة أى انتباه . أما اذا شهر فى وجهنا سلاحاً وسألنا عن الوقت فان الأمر يختلف تماماً : اننا حين نمر بتجربة مثيرة ، تنطلق الهرمونات فى أجسامنا وتقوم مباشرة أو بطريقة غير مباشرة بتقوية تلك التجربة فى أذهاننا»

وهكذا نجد أن تصعيد الدرجة العاطفية لتجربة ما يمكن أن يفجر ما يبعث من هرمونات معينة تقوى أو تحسن الذكرى الناتجة عن تلك التجربة

لماذا نرى فى بعض الأحداث أهمية ، ونهمل أخرى ؟ ذاك راجع فيما يقول الدكتور ماكقوه الى أنها تترك فينا أثراً طيباً أو انطباعاً قوياً . وفى العادة .. اذا وجد الواحد منا ما يحفزه جيداً فى اتجاه معين ، فان ذلك الحافز يساعد فى عملية التعلم فى ذلك المجال . فالحافز الدافع يؤدى الى افراز طبيعى للكميات الصحيحة من الهرمونات التى تسرى فى الجسم وتزيد القدر الذى نتعلمه ، وتدعم الذاكرة .

ويرى الدكتور ماكقوه أنه يمكن بالمثل عكس اتجاه عملية التذكر : فالعقاقير المذكورة آنفاً يمكن أن تستخدم فى اضعاف الذاكرة ، ويعتمد ذلك على مقدار الجرعة المتناولة منه . وبالمثل يمكن للضغوط أو التوتر الشديد فى موقف

معين أن يؤديا الى كبت الذاكرة بالنسبة لتلك التجربة .

الذاكرة وتقدم العمر

أما أثر السن وتقدم العمر على الذاكرة فهو مجال آخر شغل الباحثين طويلا . وقد ظل الدكتور بيرنارد اجرانوف من جامعة متشجان يعمل منذ عام ١٩٦٥ فى مسألة التركيب البروتينى فى المخ . وقد علم السمك الذهبى عبور بوابة حوضه عند إضاءة النور ، وبذلك يتجنب السمك الصدمة الكهربائية . بعد ذلك مباشرة يقوم بحقن السمك بمضادات حيوية توقف تكوين البروتين الجديد فى أدمغتها .. ونتج عن ذلك أن السمك ينسى ما كان قد تعلمه . وهكذا قرن الدكتور اجرانوف بين تكوين البروتين فى الدماغ وبين الذاكرة – على الأقل فى حالة السمك الذهبى .

دور التركيب البروتينى

ويعترف معظم العلماء بنوعين من الذاكرة : الذاكرة القصيرة المدى ، كأن نتذكر رقم هاتف حتى نجرى المكالمة ، والذاكرة لمدى طويل ، التى ترتكز الى حد كبير على تغيرات كيمائية دقيقة داخل المخ .

ونحن لا نحتاج الى تركيب بروتينى لنتعلم أو من أجل الذاكرة قصيرة المدى ، كما يقول الدكتور اجرانوف .. ولكننا ، فيما ـ يبدو ، نحتاج الى التركيب البروتينى فى عملية تحويل التعليم الى ذاكرة طويلة المدى ، وفى تخزين المعلومات .

وبعد أن أجريت التجارب على السمك الذهبى والفئران ، يتوقع أن يتم اجراؤها على دماغ الانسان ، وبواسطة استخدام ٨ أساليب لا تضر بالانسان . ويأمل الدكتور اجرانوف فى الأعوام القادمة أن يدرس التكوين البروتينى فى الأجزاء المختلفة من المخ ، وأن يكتشف ان كان ثمة جزء من أجزاء الدماغ لا يقوم بوظائفه فى الناس الذين يعانون من ضعف الذاكرة :

«إننا سننظر فى الطرق التى يمكن بها منع تباطؤ أو توقف التركيب البروتينى فى المخ .. ولكن ، وكما فى مجالات أخرى من الطب ، فان مسألة اصلاح انسجة سبق أن أصابها التلف هى الأكثر صعوبة ، وتكاد أن تكون مستحيلة .»

خطر شحذ الذاكرة

ويحذر الدكتور اجرانوف أيضاً من التشبث بأمل شحذ الذاكرة بشكل حاد فى الشباب ، لأن تحسين الذاكرة فى الناس العاديين يمكن أن يبعث مشاكل عقلية حادة .. فنحن نقوم فى الواقع بكبح وكبت أمور كثيرة ، ونظن أننا نسيناها . ويمكن أن نقول ان الكبت هذا هو نوع آخر من أنواع التعلم ، ويمكن أن يكون مساعداً لنا على مواكبة الحياة ومجاراتها .

أثر الانقباض النفسى

أما الدكتور مارشال فولشتاين ، وهو طبيب نفسانى واخصائى فى الأمراض العصبية ، فقد ظل يدرس آثار فقدان الذاكرة والتقدم فى العمر ردحاً من الزمن وهو مدير المستشفى العام للخدمات النفسانية وعيادة طب الأعصاب بجون هوبكنز بالولايات المتحدة . وقد ظل يستكشف الرابطة بين الانقباض النفسى وفقدان الذاكرة عند المسنين . وهو يرى أنه :

«عندما يكون هؤلاء الناس فى حالات انقباض شديد ، فانهم يفقدون ذاكرتهم وقد وجدنا أنه بمعالجة الانقباض النفسى تعود الذاكرة أيضاً .»

ويرى د. فولشتاين أن المرضى يتراوحون بين أولئك الذين رغم صغر سنهم يدعون أنهم يعانون اذا حاولوا التفكير ، ومع ذلك يؤدون الاختبارات بنجاح ، والمسنين الذين يشكون من فقدان الذاكرة ، ويظهرون عند الاختبار خللا موضعياً .

مثل هؤلاء الناس يعانون من بعض أوجه الانقباض النفسى ، أو من حالات مزاجية ينعدم فيها التجاوب مع الأحداث الجارية ، كما يعانون من تغير فى المواقف وتقدير الذات والأرق وفقدان الشهية للأكل ونقصان فى الوزن .. بالاضافة الى فقدان الذاكرة .

«وهؤلاء المرضى عادة ما يكون الواحد منهم قد مر بنوبات من المس (المانيا) ، وحدثت بداية الخلل فى ذاكرته بسرعة فى مدى أسابيع فقط .. وليس فى مدى شهور أو سنين كما فى حالة الأمراض الأخرى ..»

«وعندما يعالج هؤلاء المرضى

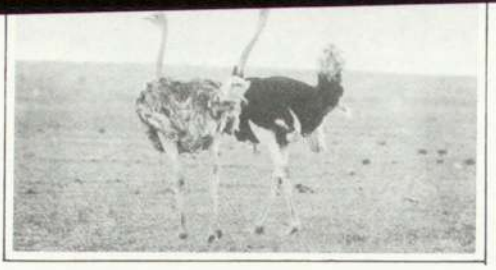

بالعقاقير المضادة للانقباض النفسى ، أو بالصدمة الكهربية ، فان ذاكرتهم تتحسن مع تحسن حالتهم العقلية .»

الشيخوخة وفقدان الذاكرة

إن زحف الشيخوخة وتدهور الذاكرة الذى يصحبه يشكل مخاوف تسيطر على ألبابنا جميعاً ، ولكن الأدلة تتواتر لتثبت أن العلاقة بين فقدان الذاكرة والشيخوخة أضعف كثيراً مما كنا نتصور . وفى الواقع فان عدداً كبيراً من الأبحاث قد أثبتت أن طاقاتنا الذهنية تواصل ازديادها بشكل منتظم حتى سن الستين .

كيف ، اذن ، يمكننا أن نفسر ظاهرة خيانة الذاكرة لصاحبها كلما تقدم فى العمر ؟

إن بيتر راسل يعتقد أن كل هذه المشاكل ذات اتصال مباشر بموقفنا الذهنى ، إننا نتوقع من ذاكرتنا أن تخوننا ، ولذا فهى تلبى لنا هذا التوقع . فاذا نظرنا الى غلام فقد شيئاً ما لوجدنا أنه لا يعطى ذلك اية أهمية خاصة ، بل يصرف الأمر كله كشىء حدث وكفى . أما الكبار منا فانهم يربطون الحادثة ببداية افلاس الذاكرة ، والخرف . اننا جميعاً ننسى بعض الأشياء ، ولكن كلما تقدم بنا العمر ربطنا بين هذا السهو وبين تقدمنا فى العمر ، ونستمر فى تقوية هذا الظن عند كل مناسبة .

أهمية استخدام الذهن

إننا يجب أن نستخدم أذهاننا ، ونقوم بتمرينات عقلية مثلما نقوم بتمرين عضلاتنا . فالذاكرة تتحسن بالاثارة ، ومن يحيا حياة فكرية نشطة لا يظهر اية علامات للشيخوخة . والأمثلة على ذلك كثيرة .. بيكاسو .. بيرنارد شو ، الساسة والقادة فى الشرق والغرب .. كلهم قد تجاوزوا السبعين وبلغ بعضهم التسعين بذاكرة طيبة .

إننا نعانى من مشاكل الذاكرة حين نكف عن استخدامها ، ولذا فان مران الذاكرة له نفس أهمية مران الجسم .. فكلاهما لابد له أن يكون فى افضل هيئة لكى يؤدى وظائفه .

هل يدفن النعام رأسه فى الرمال ؟!

من الأقوال التى يستشهد بها عامة الناس لوصف من يتهرب من مواجهة الواقع أن فلاناً مثل النعامة التى تدفن رأسها فى الرمل تاركة بقية جسمها فى العراء .

ولكن هذا الطائر الضخم لا يدفن رأسه فى الرمل فى واقع الأمر ، وانما يدس رأسه وسط الحشائش أثناء تناول طعامه . وحتى لدفن رأسه وسط الحشائش قصة :

فالنعام يخشى الأسد ، لأنه من المعروف فى عالم الحيوان أن ألذ وأشهى وجبة يفضلها ملك الحيوان هى طائر النعام ، ولأن النعام يحاول جهد استطاعته أن يتفادى السباع الجائعة فهو يظل يقظاً ومتنبهاً لها أثناء تناوله الطعام ، وذلك برفع رأسه وتدقيق النظر طولا وعرضاً فى الأرض التى تقع فى مدى بصره ، ويتوقف حتى عن المضغ كما يراقب تحركات الأسود .

طائر غير اجتماعى

ان عملية رفع وخفض الرأس من وقت لآخر تشكل مشكلة رئيسية لهذا الطائر ، خاصة وهو لا يستطيع أن يشعر بوجود أسد قريب منه إلا اذا رفع رأسه ، واذا رفع رأسه توقف عن الأكل .

ولحل هذه المشكلة قرر النعام ، فيما يبدو ، أن يعمل على التوفيق فى الوقت بين الخفض والرفـــع واليقظـــة والحذر . وقد وجد علماء سلوك الحيوان منذ حين ان هذا الطائر قد اهتدى بذكائه الى ضرورة أن يتناول غذاءه وهو فى قطيع . وليس منفرداً كما كان الحال من قبل .

الرقابة الجماعية

وقد لوحظ بعد اجراء تجارب وزيارات للحظائر الحيوانية أن النعامة الواحدة تكون أقل حذراً وأكثر شعوراً بالأمان أثناء وجودها فى قطيع ، وخاصة لأنها لا ترفع رأسها كثيراً للمراقبة .

فالرقابة هنا أصبحت من كل أفراد القطيع وهى مستمرة ، وضد عدو مشترك ويعنى ذلك أن هناك تطبيقاً لنظرية تقسيم العمل .

وقد ظهر عند البحث أن ذكر النعام (الظليم) هو الذى يقوم بالقدر الأكبر من المراقبة . أى أن الظليم يرفع رأسه ويخفضه أكثر من أنثى النعام (القلوص)

جدير بالذكر أن بعض علماء سلوك الحيوان قد أوضحوا أن رفع الرأس للمراقبة تقوم به مجموعة من النعام فى وقت واحد وبحركة لا شعورية ، فاذا كان القطيع مكوناً من خمسين طائراً ، فان الملاحظ هو أن عشرة أو اثنى عشر طائراً يكونون فى حالة مراقبة ، ترفع رؤوسها معاً ثم تعود تخفضها وتدسها وسط الحشائش ، لتتناوب الحراسة مجموعة أخرى .

لا فرصة للأسد

وقد حاول أحد علماء سلوك الحيوان أن يقف على امكانية قيام الأسد بمتابعة احدى هذه القطعان من النعام لكى يحدد وقت انقضاضه على واحد منها .. أى لكى يحدد متى ينزل ويخفض النعام كله الرأس وسط الحشائش . ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، وقد باءت كل محاولات السباع بالفشل نظراً لدقة المراقبة وتنبيه بقية القطيع الى الخطر المحدق بهم ، والهرب فى الوقت المناسب . كما لوحظ أيضاً أن النعام لكى يتحاشى مراقبة الأسود أصبح يختار أوقاتاً غير منتظمة للذهاب لأماكن الكلأ . وكل ذلك لكى يقلل من فرص مراقبة الأسود له .

خطر الزبدة والدهون المشبعة على صحة القلب

انخفض استهلاك الناس للزبدة فى أمريكا الشمالية بمعدل الثلث ، وذلك ضمن موجة من انخفاض استهلاك مستخرجات الألبان . فما السبب ؟

لقد أظهر كل مسح أجري أن نمط الغذاء فى تلك البلاد لم يتغير كثيراً فى الفترة من عام ١٩٠٠م الى عام ١٩٦٥ م . وكانت لجنة الغذاء التابعة للجنة الأميركية لأمراض القلب قد لاحظت فى عام ١٩٦٤ وجود دليل يشير الى أن الأغذية الغنية بالدهون المركزة والكلوستيرول ذات علاقة بتزايد اخطار نوبات القلب ، فأعلنت عن ضرورة تخفيض الكميات المستهلكة يومياً من الأطعمة الغنية بهذه المواد .

وبعد أن تم الاعتراف الطبى بالموت الذى يحدث بسبب انسداد أو تصلب الشرايين التى تحمل الدم الى المخ والقلب ، زاد احجام الناس عن هذه المواد . وكانت النتيجة أن انخفض استهلاك البيض بنسبة ١٠٪ ، واللبن والقشدة بنسبة ٢٠٪ ، وبات استهلاك الدهون الحيوانية والزيت بشكل عام نصف ما كان عليه قبل خمسة عشر عاماً ، وارتفع استهلاك السمن النباتى وزيت الطعام المستخرج من الخضروات .

فهل هذه المواد الجديدة أكثر فائدة للصحة ؟

الدهن المشبع

لابد من تقديم بعض التعريفات قبل أن نخوض فى هذه المناقشة .

التشبع هو العملية التى تتم بها اضافة ذرات الهيدروجين الى الدهون . وهذه العملية ، تجعل الدهون المستخرجة من الخضروات تجمد ، وهى التى تكون سائلة فى درجة حرارة الغرفة العادية .

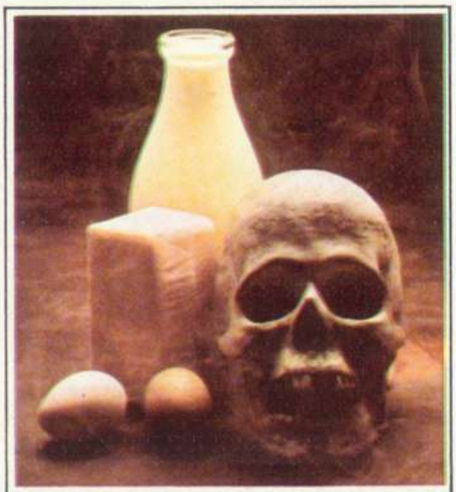

فان كانت الزبدة مشبعة بالدهون ، فان بعض أنواع السمن المستخرج من الخضروات هى أيضاً مشبعة . ولقد اتضح أن الاكثار من أكل الدهون المشبعة يزيد من مستوى الكلوستيرول فى الدم بنسبة ٢٠٪ ، ويصاحب هذه الزيادة ارتفاع فى تصلب الشرايين أو انسدادها

ولكن التجارب التى أجريت على الحيوان أظهرت أن هذه العملية يمكن عكسها اذا تمت العودة الى نظام غذائى أفضل . غير أن تراكم الدهن فى جدران الشرايين يؤدى الى ضيقها بمرور الزمن . فاذا كانت تلك الشرايين هى حاملة الدم الى المخ أو القلب فان الخطر يبدو واضحاً .

الاعتدال ضرورى

واذا كنا نعرف ان الدهون المشبعة تشكل خطراً على الصحة ، فهل تلك غير المشبعة أفضل حالا ؟ والاجابة هى نعم .. اذا أخذت بكميات محدودة . وهى فى واقع الأمر يمكن أن تساعد فى خفض نسبة الكلوستيرول فى الدم . وكما فى كل شىء اخر ، ينبغى تجنب الافراط فيها .

فاذا كان الاكثار من تناول الزيت والسمن الحيوانى ينذر بخطر الموت بالسكتة فان خطر الاكثار من السمن النباتى والزيوت المستخرجة من الخضروات يتمثل فى زيادة الحصوات فى الصفراء ، وفى الاصابة ببعض أنواع السرطان .

ماذا نأكل ؟

ان القاعدة الأساسية هى ألا نأكل كثيراً . ان مجرد زيادة الوزن بنسبة ٢٠٪ أكثر من الوزن المثالى تزيد من احتمالات السكتة القلبية . وينصح بشكل خاص من أكل اللحم ، ولحم الضأن خاصة ، لأنه أكثرها تشبعاً بالدهن . ولكن ذلك لا يعنى أن لحم البقر أفضل حالا . ان أقل أنواع اللحم تشبعاً بالدهن هو لحم السمك .

إزالة الشحم

إن محاولة بعضنا إزالة الشحم من اللحم لا تغنى شيئاً ، لأن شريحة الاستيك التى تبدو خالية من الشحم تماماً ، يشكل الدهن ٥٠٪ منها . وتنصح بعض الجهات بأن أكل اللحم مرة واحدة فى اليوم هو أكثر مما ينبغى .

وتجدر الاشارة إلى أن النباتيين ـ اذا كانوا لا يدخنون ـ تخلو شرايينهم من مسببات الضيق والتصلب أكثر من الذين يأكلون المقادير العادية من اللحم .

الزيوت النباتية

واذا كان من الضرورى أن نقلل من استهلاكنا لمستخرجات الألبان بما فى ذلك الزبدة ، فان ذلك لا يعنى أن نستبدل الزبدة بأى نوع من السمن النباتى أو الزيت . فالأفضل أن نستخدم الزيوت النباتية غير المشبعة ، أو قليلة التشبع .

أما فى حالة الطبخ فيجب أن نتجنب السمن الحيوانى . وأفضل زيت للطبخ هو ذاك المستخرج من زهرة عباد الشمس أو العصفر ، ويليهما زيت البذرة ثم زيت الصويا والذرة الشامية . ومع أن زيت الزيتون أعلى تشبعاً من كل ما ذكرنا من الزيوت النباتية ، الا انه أفضل من السمن المستخرج من الحيوان .

جراحة السعادة

هيلين فى الواحدة والأربعين من عمرها ، وأم لأربعة أطفال . ولكنها اليوم حين خلت الى نفسها أمام المرآة فى غرفة نومها ، أبصرت شابة بسامة جذابة ذات محاسن آسرة ، وقوام رشيق . وقد ذهلت بما لم تتعود رؤيته منذ أعوام .. فتذكرت أنها لعامين مضيا كانت مترهلة وكأنها حبلى فى شهرها السادس وكانت معاناتها النفسية قاسية بشكل لا يوصف . أما اليوم كما تقول فهى تتوق الى الخروج أمام الجميع لولا الحشمة وبقية من حياء .

وهى تتحدث فى حماس عن جراحة التجميل ، ذلك الشىء المدهش ، وتحس أن وجهها سيحتفظ برونقه الجديد لعشر سنوات مقبلة .

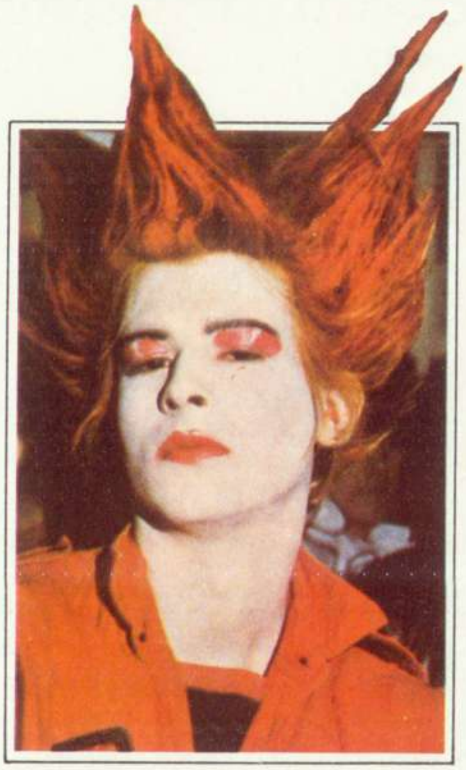

كلهن يردن الجمال

وهيلين فيشر ليست وحدها التى تستشعر نعمة هذا السحر الجديد . فهناك نساء كثيرات من بين المتزوجات وغير المتزوجات من ربات البيوت أو العاملات قد أجريت لهن جراحة تجميلية ولسن جميعاً من ذوات الثراء الخيالى .. وبهن جميعاً استعداد للتحدث طويلا عن تجاربهن .

وليست العمليات الأربع التى خضعت لها هيلين فيشر بالشىء الكثير . ففى ريودى جانيرو التى تعتبر كعبة جراحة التجميل يقوم الجراح الساحر الدكتور ايفو بيتانجاى بتجميل ممثلات السينما المسنات ، ونساء الأسر المالكة فى أوروبا .

وعادة ما تقنع النساء بما هو أقل من ذلك .. بتجميل الوجه أو رفع الأنف أو تضخيم الثدى أو ازالة الترهل الذى يصيب الذراع .. أو تقوية بعض العضلات وشدها كما حدث بالنسبة لاحدى ضحايا شلل الأطفال وقد كانت مقعدة منذ طفولتها ، فأصبحت الآن قادرة على المشى بفضل هذه الجراحة ...

ليست للجميع

ولكن جراحة التجميل ليست صالحة من ناحية جسدية ونفسانية لكل من يطلبها ، ولا يتحمس لها كل من تجرى لها . فقد قامت سيدة أمريكية من نيويورك برفع دعوى للحصول على تعويض بعد أن أجريت لها عملية لوضع سرة البطن ، فجاءت السرة بمقدار بوصتين بعيداً عن منتصف البطن . واقتنع القاضى بأنها عانت صدمة عاطفية وآلاماً نفسية ، فحكم لها بتعويض زاد عن ٨٥ الف دولار .

مضاعفات محتملة

ومثل كل العمليات الجراحية الأخرى لا تخلو جراحة التجميل من التعقيدات والآثار الجانبية المحتملة . وحتى اذا لم تحدث أية مضاعفات فان بعض الناس يشعرون بخيبة أمل بعد أن يروا أنفسهم بعد التجميل .. خاصة ، وقد كانوا يتوقعون أكثر دفقاً من الشباب وينبوعه بعد أن صرفوا كل تلك المبالغ . ومع ذلك فان كل امرأة حادثتها فى هذا الموضوع كانت راضية عن النتائج ، ومتشوقة لبث المزيد من الترويج لهذه الجراحة .

تجارة رابحة

وقد أخذ عدد جراحى التجميل يزداد بشكل كبير فى كندا والولايات المتحدة وبعض بلدان أمريكا الجنوبية . وهم يشيرون الى أنفسهم بجراحى السعادة .. لأن أسعد مرضاهم هم الذين تجرى لهم الجراحة التجميلية ، اذ أنهم يشعرون بتحسن ايجابى ويبدون فى شكل أفضل ، ويعرفون كيف يقدرون ما يفعله لهم الطبيب الجراح .

ويشار أيضاً الى هذه الجراحة بالجراحة التجميلية أو الذوقية . فالذين يقومون بها يمكن اعتبارهم بمثابة فنانى

جراحة السعادة

نحت فى جسم الانسان ، وأفضلهم من له معرفة تامة بنفس وروح الانسان وجراح التجميل الأمثل هو ذاك الذى يتمتع بالمعرفة العلمية والعملية فى هذا المجال تماماً مثلما يتمتع بروح الفنان الموهوب .

دعاية بالمجان

ويؤكد جراحو التجميل أن خمسة عشر بالمائة فقط من زوار عياداتهم هم الذين يجيئون بتوصية من اطباء الأسرة ، اما البقية فياتون لأنهم سمعوا من اصدقاء لهم أو معارف اجريت لهم جراحة تجميلية ، وخرجوا منها بنفوس راضية .. كما أن البعض ياتى بعد أن عثر على اسماء الجراحين فى دليل الأطباء فى دليل الهاتف .

انعدام الضوابط

وبما انه ليس هناك من يقوم بالرقابة على مهنة الطب سوى الأطباء أنفسهم ، فانه لمن الممكن نظرياً أن يدعى أى طبيب له رخصة بمزاولة المهنة انه جراح تجميل ويستمر فى ذلك دون خوف حتى تفشل عملية ما فيقاضيه المريض . ولهذا السبب فان جراحى التجميل المسئولين ينصحون المريض الذى يفكر فى اجراء هذه العمليات أن يتقصى بدقة عن المؤهلات التى تثبت هوية جراح التجميل .. فالأمر فى النهاية يتعلق بجسم الانسان الذى يريد هذه الجراحة.

المرأة أقدر

وقد اتضح ان الناس تفضل النساء الجراحات أكثر من الرجال .. لأن المرأة فى العموم لا تود الخوض فى أمور بعينها مع الطبيب الرجل وخاصة تلك التى تخص الجسم والوجه ، كما أن الطبيبات قد أثبتن انهن يختلفن بشكل ايجابى عن الرجل فى هذا المجال .. وخاصة فى الموقف الذى يتخذنه من المريض الذى يبغى تجميل نفسه .

ضرورة العافية

ويؤكد كل اطباء التجميل على ضرورة أن يكون المتقدم لهذه الجراحة متمتعاً بصحة جيدة ويحرصون على الحصول على كشف طبى حديث التاريخ كما انهم ينصحون مرضاهم بتخفيف الوزن وتخفيض ضغط الدم ، وان يتحاشوا تناول فيتامين (اي) والأسبيرين أو أى دواء به اسبرين ، وذلك لمدة اسبوعين قبل اجراء العملية .. فى محاولة لتفادى احتمال أى نزيف ، كما يطالبون بعض مرضاهم بالكف عن تناول أى كحول لمدة عشرة أيام قبل العملية .

نعمة مكلفة

وعمليات التجميل ليست زهيدة التكلفة ولا يقبل فيها الدفع المؤجل . فهى ليست مرضاً وانما هى اختيار شخصى . ومع ذلك فهى رائجة .

وقد يضطر ذوو الدخل المحدود من الرجال والنساء أن يقترضوا المال لها ، أو أن يحرموا انفسهم من اشياء أخرى كانوا يريدونها .

وكانت هذه الجراحة وقفاً على قلة من النساء الموسرات ممن هن فوق الخامسة والخمسين من العمر ، وبعض الممثلين والحلاقين وعارضى الأزياء من الرجال . أما اليوم فان النساء ممن لم يتجاوزن الأربعين أو حتى الثلاثين يخضعن انفسهن لهذه الجراحة أو يرغبن فيها على اقل تقدير ..

عصر صناعة المظهر

فما الذى حدث ؟

يقول علماء الاجتماع فى محاولة لتقليل هذه الظاهرة باننا نعيش فى عصر (صناع الصورة) الذين يؤكدون فى كل مناسبة ودون مناسبة أن الشباب خير من التقدم فى العمر ، وأن الجمال خير من الدمامة ، وانه خير للمرء أن يبدو ذا حيوية جنسية .. ورسالتهم الاعلامية دائمة الترويج هى : «انظر الى نفسك فى المرآة . فاذا لم يعجبك ما ترى ، ابحث عن من يجرى لك بعض التغييرات ..»

فأى النساء يعجبها ما تعكسه المرآة كلما تقدم بها العمر ؟ وهل يجب أن تقوم بعملية تجميل ؟ إن جراحى التجميل لا يحاولون تقديم إجابة لهذا السؤال . كل ما يقولونه هو أنه إذا لم يكن هناك ما يضايقنا ، فان داعى الجراحة يسقط .

فمن منا لا يجد ثمة ما يضايقه ؟ انفعل شيئاً أم نصرف المسالة كلها كفكرة لا طائل تحتها .. سخيفة .. ومشبعة بالغرور ؟

الانقباض النفسى عند المرأة

فى عصر مهووس بتحرير المرأة والمساواة بين الجنسين ، ما من شىء يمكن أن يثير الداعين الى تلك المساواة ويغيظهم من أن تبرز حجة قوية ومدعمة ببحث جاد وعلمى تصر على أن الاختلاف النفسى بين المرأة والرجل هو شىء اساسى مثل الاختلاف الجسمانى بينهما . ولقد طرحت الكاتبة العلمية ماغى سكارف هذه المسالة باعتبارها الشىء الوحيد الذى يفسر بعض الاحصائيات التى عثرت فيها على أن هناك مقابل كل رجل يشكو من الانقباض النفسى امرأتان الى ست نساء يعانين من هذا المرض .

المرأة أكثر تعرضا للانقباض

وكانت السيدة سكارف قد قامت بدراسة تاريخ المرض . وراقبت النساء فى العيادات النفسية وهن تحت العلاج ، واجرت مقابلات مع عدد كبير من النساء بغية الوصول الى اجابة ، فخرجت من كل ذلك بكتاب صدر مؤخرا اعلنت فيه ما يغضب عددا من المنتصفين لمساواة المرأة بالرجل والداعين الى تحررها انطلاقا من تلك المساواة . ويتوقع أن يصدم كثيرا من النساء ليعترفن بما جاء فيه .

والمسالة المثيرة التى توصلت اليها السيدة سكارف هى أن النساء عرضة للانقباض النفسى لان الارتباطات العاطفية بالنسبة للمرأة هى اكثر اهمية مما هى عليه بالنسبة للرجل . وفى حالات كثيرة تعرف المرأة نفسها وتتمرد وبشكل تام على ضوء علاقاتها بالاخرين . وعندما تنفصم عرى تلك الروابط بالموت أو الطلاق او عندما يكبر الاطفال وينفصلون مستقلين بحياتهم ، فان المرأة فى الغالب تصبح نهبا للانقباض

النفسى .. وتقول بعض النساء انهن يفضلن الانتحار على العيش بمفردهن .

حاجة المرأة الى الارتباط

وترجع السيدة سكارف حاجة المرأة الى الارتباط الى تاريخنا البدائى ، وبذلك فهى تتفق مع المنظرين الذين يعتقدون أن أنماط السلوك البدائى قد مرت بعملية التطور والارتقاء مثل تركيب أجسامنا وعقولنا تماما .

وهى تعتمد على نظرية الارتباط التى طورها المحلل النفسانى البريطانى جون باولى لتقول ان الرابطة العاطفية هى طبيعة الية سلوكية طورها ولدان الحيوانات العليا لابقاء الامهات قريبا منهم ، وأن هذه الخاصية قد تطورت بشكل أقوى لدى الاناث أكثر مما هى عليه فى الذكور ، ومن ثم اندرجت فى شفرة الوراثة لدى المرأة . وهذه بالذات هى النقطة التى تثير الغيظ والجدل كله من جانب المنادين بحرية المرأة ومساواتها بالرجل .

ولكن الابحاث الجديدة فى مسألة الاستجابة لدى الاطفال تنحو الى توكيد هذا الزعم . فهى تظهر أن الاناث بين الاطفال يستجيبون باستعداد أكبر من الذكور للصور الفوتغرافية لوجوه الناس وأن الذكور لا يستطيعون التمييز بين الصور الفوتغرافية والخطوط المرسومة والاناث يفضلن الصور الفوتغرافية .

إمكانية مقلقة

وهذه الاختلافات الظاهرية تفتح مجالا لامكانية مقلقة ، وهى أن الرابطة العاطفية التى كانت مفتاحا للبقاء واستمرار النوع البشرى فيما مضى قد جعلت حياة المرأة فى عصر المناداة بالمساواة بينها وبين الرجل أكثر صعوبة ومشقة .

بين دوافع الوراثة والمجتمع

ان ما تقوله الكاتبة سكارف هو ان المرأة قد وقعت بين مطالب عوامل الوراثة فيها (الجينات) التى تحفزها على الزواج وتكوين الأسرة ، ومطالب المجتمعات العصرية التى تحثها بشدة على أن تستقل بنفسها .

ولايعنى ذلك أن الكاتبة تعفى الرجال من الانقباض النفسى ، ولكنها ترد الى احساسهم بالفشل فى المهنة لافى العلاقات الشخصية . ولايعنى هذا أن النساء اللائى يدخلن سوق العمالة أقل تعرضا للانقباض النفسى . فالنساء العاملات اللائى أجرت عليهن دراستها كن يعانين من الانقباض النفسى مثل اخواتهن غير العاملات . وهذه الحقيقة تدعم اعتقادها المثير بأن حالة الانقباض النفسى لدى المرأة هى حالة بيولوجية .

نقد شديد

وقد ووجه الكاتب بنقد شديد يتهم الكاتبة بأنها تنطلق من وجهة نظر نسوية شوفينية ترى فى الانقباض النفسى مزية فى المرأة لأنه نتيجة لالتزام المرأة وتفانيها فى العلاقات ، ولطاقتها فى التربية والرعاية ، ولانها أكثر حساسية من الرجل .

وتدافع المؤلفة عن عملها ، وهى الصحافية المحترمة ، بأنها وبكل بساطة قطفت النتائج التى اسفر عنها بحثها .

وكانت قد بدأت عملها بأنها ارتبطت بعيادة نفسية بمركز دارتموت هيتشكوك للصحة النفسية ، حيث قضت أربع سنوات تقابل أكثر من ١٥٠ أمرأة بينهن مرضى من عيادة الاحوال النفسية بجامعة بنسلفانيا ، وفى مركز ابحاث الانقباض النفسى بجامعة (بيل) الامريكية .

«أننى لم أضطر الى البحث عن الناس : لقد كانوا هناك دائماً» .

وتقول المؤلفة أن جذور الانقباض النفسى فى النساء فى كل حالة درستها كانت بسبب انقطاع علاقة وطيدة وحيوية . وهى ترى أن الانقباض عند المرأة يتصل بمراحل محددة فى حياتها ، وفى نقاط اساسية ، تجد المرأة أنها تقيم وتبنى وتحطم سلسلة من الارتباطات العاطفية . فاذا فشلت فى ذلك ، فان هذا العمل المبتور يقود حتما الى الانقباض النفسى .

بين المراهقة ومنتصف العمر

وقد كانت الفتيات فى طور المراهقة اللائى اجرت معهن المؤلفة مقابلاتها يشغلهن موضوع الانفصال عن الاسرة . أما النساء فى العشرين من العمر فقد تركز اهتمامهن فى مسألة بناء التوازن بين الرغبة فى تكوين أسرة خاصة بكل واحدة منهن ، وبين مطالب العمر فان نقطة المواجهة هى احتمال فقدان دارها كزوجة وأم .

وقد اكتشفت السيدة سكارف أن انقطاع الحيض عند المرأة يشكل قضية عاطفية أكثر مما يشكل انقباضا نفسيا .

إن كتاب السيدة سكارف وبحثها يشكلان دعوة للنساء من كل الأعمار للاقبال على العلاج النفسى من الانقباض .. خاصة فى زمن أصبحت المرأة مضطرة أكثر فأكثر الى العيش وحيدة نسبة لعدم دوام الحياة الزوجية بسبب ارتفاع حالات الطلاق ، وانخفاض حالات الزواج ، وحيث الأزواج يموتون قبل الزوجات بعشر سنوات أو أكثر

جريمة المستقبل

قامت احدى شركات النفط الأمريكية الكبرى باعداد مسح جيوفزيائى فى سرية وكتمان شديدين وبثت تعليماتها الى وكلائها باستئجار الأرض المعنية فى السابعة من صباح اثنين محدد . ولكن الوكلاء اكتشفوا أن شخصاً ما قد سبقهم الى الحصول على الجزء الأكبر من تلك الأرض فى يوم الجمعة السابق للموعد الذى ضربته لهم الشركة .

وكانت الشركة قد استوفت كل الاستعدادات المعهودة للمحافظة على سرية المعلومات الخاصة بالمسح ، ولكنها فشلت فى منع الوصول الى تلك المعلومات فى العقل الالكترونى للشركة .

وبذا صارت ضحية لما يطلق عليه (جريمة المستقبل) ، أى سرقة المعلومات من الكمبيوتر . ويبدو أن السارق لم يطأ أرض الشركة ، نسبة لدقة الاجراءات الأمنية ، وربما تم كل شيء بواسطة مكالمة هاتفية مع أحد العاملين البارزين بالشركة .

سرقة مستورة

والاعلان عن سرقة المعلومات أقل بشكل لا يقبل المقارنة مع الاعلان عن الجرائم الأخرى . ولذا قامت صناعة جديدة هى تصنيع أنواع معقدة من الشيفرة أعدت خصيصاً لحماية المعلومات فى الكمبيوتر .

ولكن ذلك لم يوقف هذه الجريمة .. فاذا تخيلنا رجلا مثل العميل جيمس بوند وقد وهب ذكاء رياضياً خارقاً ، يمكننا أن نكون فكرة عن الألاعيب التى تحدث فى الغرف الضخمة المكيفة التى تحفظ فيها العقول الالكترونية .

الخوف من العلنية

ان قلة الاعلان عن عمليات التجسس

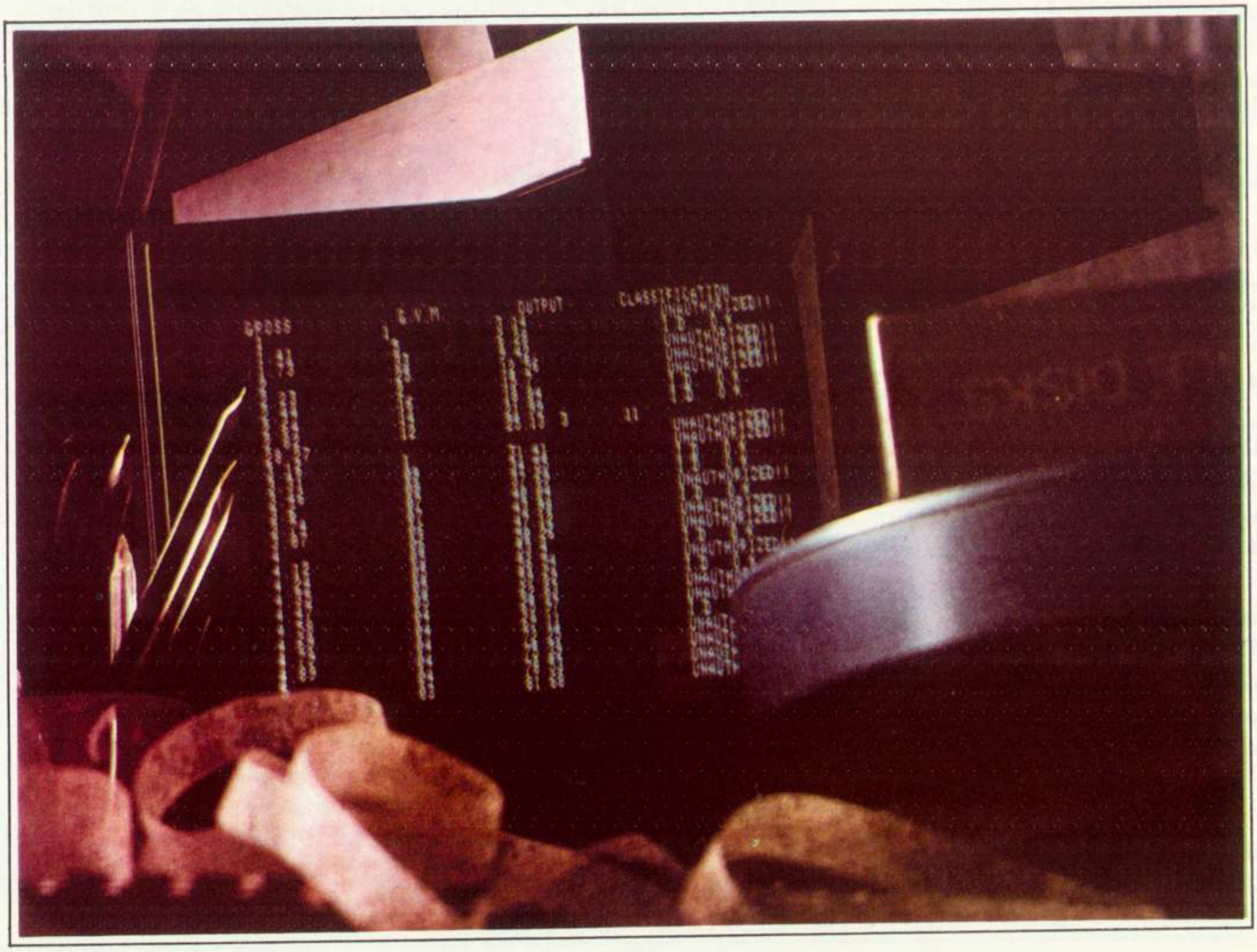

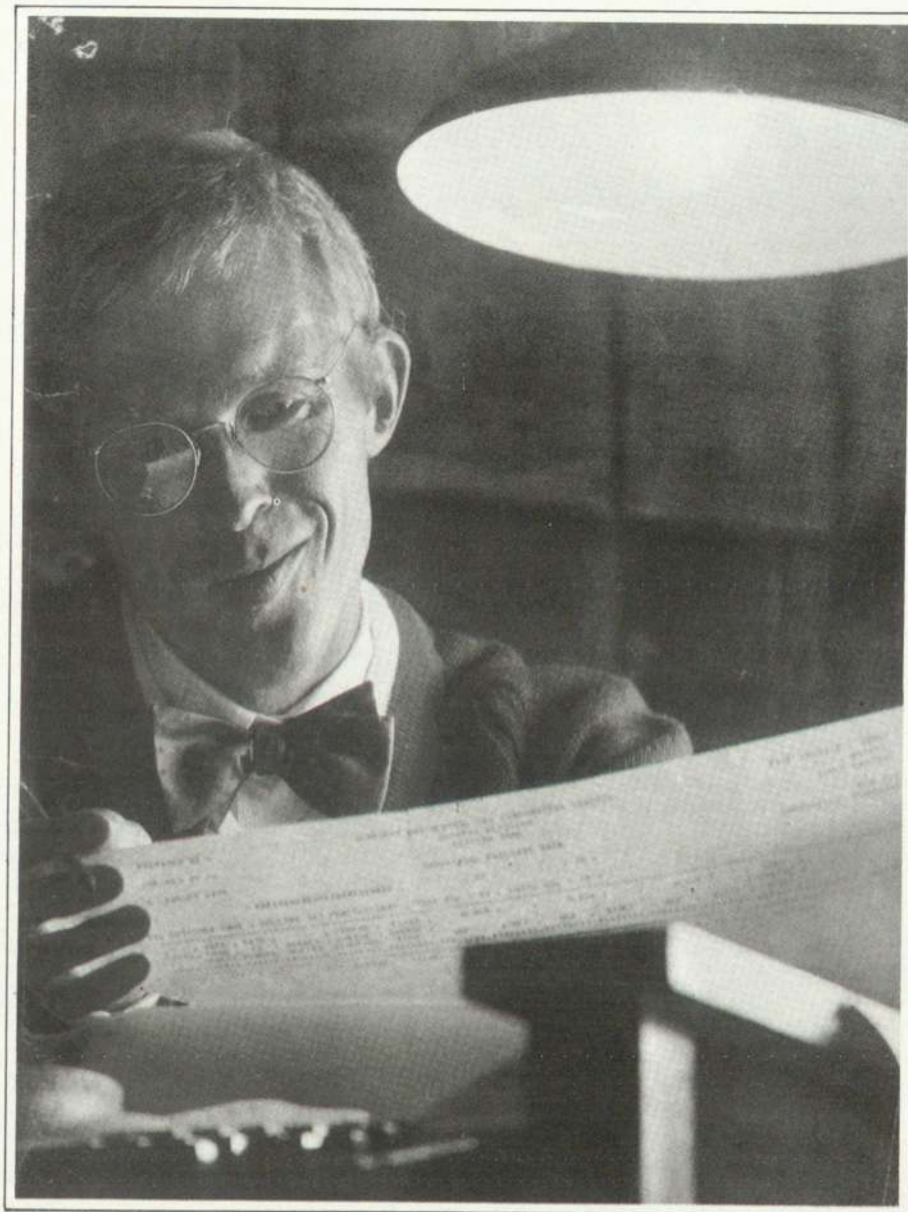

في العالم التجاري والصناعي هي نتيجة لتردد الشركات والمؤسسات عن اقحام الشرطة أو الصحافة وحرصها على كتمان ما عندها من معلومات . ولم تخرج هذه الجريمة الى دائرة العلنية وفي اضيق نطاق إلا في السنوات العشر الاخيرة .

وربما وجد المرء تفسيراً لاحجام وتحفظ الشركات والمؤسسات عن التبليغ والاعلان عن سرقة المعلومات من الكمبيوتر إذا قام بزيارة للقسم الخاص بالجرائم المتصلة بالمجال التجاري والصناعي في دولة كبرى كالولايات المتحدة .

صعوبة الاثبات

فهناك اولا صعوبة بالغة في اثبات ان المعلومات قد نسخت ، كما انه يصعب اثبات سرقة شيء هو مازال في يد صاحبه وحتى اذا تم اثبات ذلك ، فان صاحب المعلومات لا يرغب في التشهير بنفسه واتهام نظامه في حفظ المعلومات بانه غير مؤمن ، وعرضة للسرقة والعبث به .. بسهولة .

والواقع أن كثيراً من المنظمات الكبرى التي تستخدم تكنولوجية العقل الالكتروني بشكل واسع تحجم عن مجرد الخوض في النقاش حول امكانية سرقة المعلومات ، وكأنما تخشى من أن يكون مجرد الاعلان عن كون هذه السرقات قد تمت في الحقيقة ، هو في حد ذاته تشجيع لآخرين لمحاولة القيام بها .

الاغراء والمنافسة

وتتعرض العقول الالكترونية لسرقة المعلومات منها بواحدة من سبيلين : إما بالوصول مباشرة الى الكمبيوتر نفسه ، كما في حادثة شركة النفط التي ذكرت في صدر هذا المقال ، وإما باعتراض المعلومات وهي تبث من محطة لأخرى عبر الكيبلات والخطوط .

اما الوصول مباشرة الى الكمبيوتر فيمكن حصره وتضييق فرصه بواسطة اجهزة امن واجراءات امنية ، وجوازات مرور الكترونية وشفرات ، وان لم تكن هذه كلها ضمانات نهائية ضد السرقة . ولكن الأمر الاكثر صعوبة هو حماية رسائل المعلومات المبثوثة .

فمثلا .. يمكن لشركة للادوية ان تنفق ملايين الدولارات في ابحاث لتطوير عقار جديد ، ثم تقوم بتخزين طريقة تحضيره واستراتيجية تسويقه في بنك للعقول الالكترونية ، بينما تجري خطوات تسجيل براءة الاختراع . وقد يتم ارسال الاختراع من فرع للشركة الى فرع اخر . وهنا فرصة مغرية لأي منافس !

وقد يرسل احد البنوك الى وكلائه في بلد آخر اشارة للقيام بعملية نقدية كبيرة للحد الذي قد يؤثر على قيمة عملة ذاك البلد . وهذه ايضا معلومات لا تقدر بثمن بالنسبة لأي مضارب قد يرتب الأمور ليسترق الانصات لهذه المعلومات المرسلة .

وقد يحتفظ المضاربون في الأرصدة بسجلات عن عمليات المضاربة في الكمبيوتر . فاذا قام شخص ما بتتبع النمط والنسق اليوميين في البيع والشراء عند نفر من زبائن احد المضاربين ، فانه يستطيع بذلك أن يتحكم بسوق الأرصدة كله .

وبالطبع تظل كل هذه الجرائم التي ذكرنا مجرد جرائم افتراضية ، ولكن

أسلوب سرقة المعلومات فيها ليس افتراضاً . وفى احدى القضايا القليلة التى وصلت الى المحكمة فى الولايات المتحدة اتهمت شركة الكمبيوتر بأنها حصلت على برنامج بالغ السرية من كمبيوتر احدى الشركات المنافسة لها ، وذلك بقصد مزاحمتهم فى التقديم لمناقصة كانت ستعلن بعد حين .

الخطر الماثل

وهناك أيضاً قضية الطلبة الذين استطاعوا وهم يقومون بتجربة علمية صرفة وفى سبيل العلم وحده أن يصلوا الى معلومات مصنفة وعلى درجة عالية من السرية تخص القيادة الاستراتيجية الجوية فى الولايات المتحدة . كما أن مجموعة من خبراء البنتاغون قد تمكنت من اجتياز سلسلة معقدة من كلمات السر والشفرات والأقفال الالكترونية فى مدة ساعتين ، ودلفت الى حرم يمثل قمة القدسية فى عالم صناعة العقول الالكترونية . وهو العقل الالكترونى المركزى لآى أم بى .

وهناك أيضاً حادثة فريق البحرية الامريكية الذى تسلل الى شبكة (نوراد) الدفاعية . الأمر الذى جعل البعض يقولون انه من الممكن أن تشتعل الحرب العالمية الثالثة بكل شرورها وفظاعة دمارها بواسطة مكالمة هاتفية على البعد .

صناعة جديدة

وحتى وقت قريب كان المديرون التنفيذيون فى عالم الصناعة يهتمون فقط بالمظهر الأمنى المادى واجراءاته .. من خفراء واقفال ومفاتيح وخزائن .. وذلك لحماية المعلومات فى العقول الالكترونية . ولكنهم الآن أخذوا يتجهون الى البحث عن حماية ودفاع ضد جرائم سرقة المعلومات هذه فى الكتابة بالشيفرة .. وهى فن قديم جداً فى ارسال المعلومات فى الحرب والسلم ، وقد اخترعه قدماء المصريين . وكانت مسألة اخفاء المعلومات هذه ذات قدسية دينية عندهم .. يضفون عليها قيمة سحرية وقوة ضارة ان كان استخدامها فى غير ما قصدت به ، ولذا فان الشيفرة مرتبطة فى أذهان البعض بالسحر الأسود .

وكان أول استخدام للشيفرة فى الحرب على يد أهل اسبارتا ، ثم دخلت عالم السياسة فى أوروبا الغربية فى القرون الوسطى . أما أول من استخدمها فى عالم التجارة فهو الكنيسة الكاثوليكية التى حفظت المعاملات التجارية فى شيفرة بالحروف الأغريقية. وعندما اخترع التلغراف فى منتصف القرن التاسع عشر ، وتم أول اتصال بعيد عبر اللاسلكى ، دخلت الشيفرة عصرها الحديث .

الشيفرة والشفرة

والشيفرة ليست مماثلة لنظام الكتابة بالشفرة ، حيث يتوفر لكل من الراسل والمستقبل للرسالة بالشفرة نفس كتاب النظام الشفرى ، الذى يحوى قوائم من المعانى المتفق عليها لكل كلمة ، حيث يمكن أن تعنى كلمة (أسود) (الحرب) وكلمة (فاكهة) (على وشك الوقوع) .. وهكذا ...

فالشيفرة تقوم على نوع من اللوغريتمات أو الحساب العشرى ــ معد بطريقة تحال بها الرسالة المبعوثة الى شفرة ولها مفتاح لفكها فى الطرف المستقبل لها .

نظام معقد

وهناك طريقتان بسيطتان .. احداهما تعتمد على اعادة ترتيب الكلمات أفقياً أو رأسياً أو بأى شكل يتفق عليه ، والأخرى عن طريق الاستبدال . ومهما عقدت سبل الترتيب أو الاستبدال ، فان امكانية فك الشيفرة متاحة فى نهاية الأمر . وكل ما يمكن الاستفادة منه فى حال ترداد الأحرف أو الكلمات هو إطالة الزمن الذى يستغرقه فك الشيفرة بالنسبة للمتطفل أو الذى يحاول سرقة معلوماتها .

ومع تقدم التكنولوجية أصبحت الشيفرة أكثر تعقيداً وذلك باختراع أجهزة لوضع جداولها العشوائية ، وقد تعقدت سبل فكها أيضاً . وقد اتضح مؤخراً أن الفضل فى هزيمة ألمانيا فى معركة بريطانيا ومعركة فرنسا ومعركة العلمين يعود الى العقل الالكترونى الانجليزى «كلوساس» الذى صنع بفك شيفرة آلة (انيجما) النازية الضخمة ، التى كانت بها المعلومات العسكرية ، فقبل العلمين لم تنتصر بريطانيا فى أى معركة ضد النازية ، أما بعدها فهى لم تخسر أية معركة .

لا مجال للتسلية

وقد غيرت تكنولوجية الكمبيوتر الحديثة كل أصول لعبة الشيفرة . ولم يعد هناك مجال لفك الشيفرة لرجال موهوبين كالشاعر أدجار آلان بو والرئيس الامريكى توماس جيفرسون اللذين كانا بارعين فى حل الشيفرة كافضل ما يكون خبراؤها . وأصبحت الشيفرة وقفاً على علماء الكمبيوتر وخبراء علم الرياضيات . ولأن الكمبيوتر يستطيع أن يقدم آلاف الاختيارات فى سرعة لا يمكن لسرعة الذهن البشرى أن تجاريها أو أن للقلم أن يسطرها بيد الانسان على الورق ، فانه يمكن للعقل الالكترونى وحده أن ينتج شيفرة يستغرق حلها زمناً وجهداً من عقل الكترونى لآخر . وبذا أصبح استخدام الشيفرة المبرمجة بالكمبيوتر يتزايد فى ارسال المعلومات من مكان لآخر .. وبين الكمبيوترات وحدها .

مفارقة مؤلمة

فهل يعنى كل ذلك النهاية لسرقة المعلومات ؟

إن علماء الشيفرة يستطيعون باستخدام العقل الالكترونى أن يطوروا شيفرة غير قابلة للحل . ولكن سيل المعلومات وضرورة توفرها بالنسبة لمن يدير بها أعماله لا يحتمل ذلك كله لعنصر الوقت الذى يطول حتى تفك الشيفرة ، وللتكلفة العالية لأى كمبيوتر أكثر قدرة وكفاءة .. وبذا فان المشكلة ستظل قائمة ، لأن حلها الجذرى يعنى دفن المعلومات مرة والى الأبد .

وتلك هى المفارقة المؤلمة فى عصر التكنولوجية الحديثة .

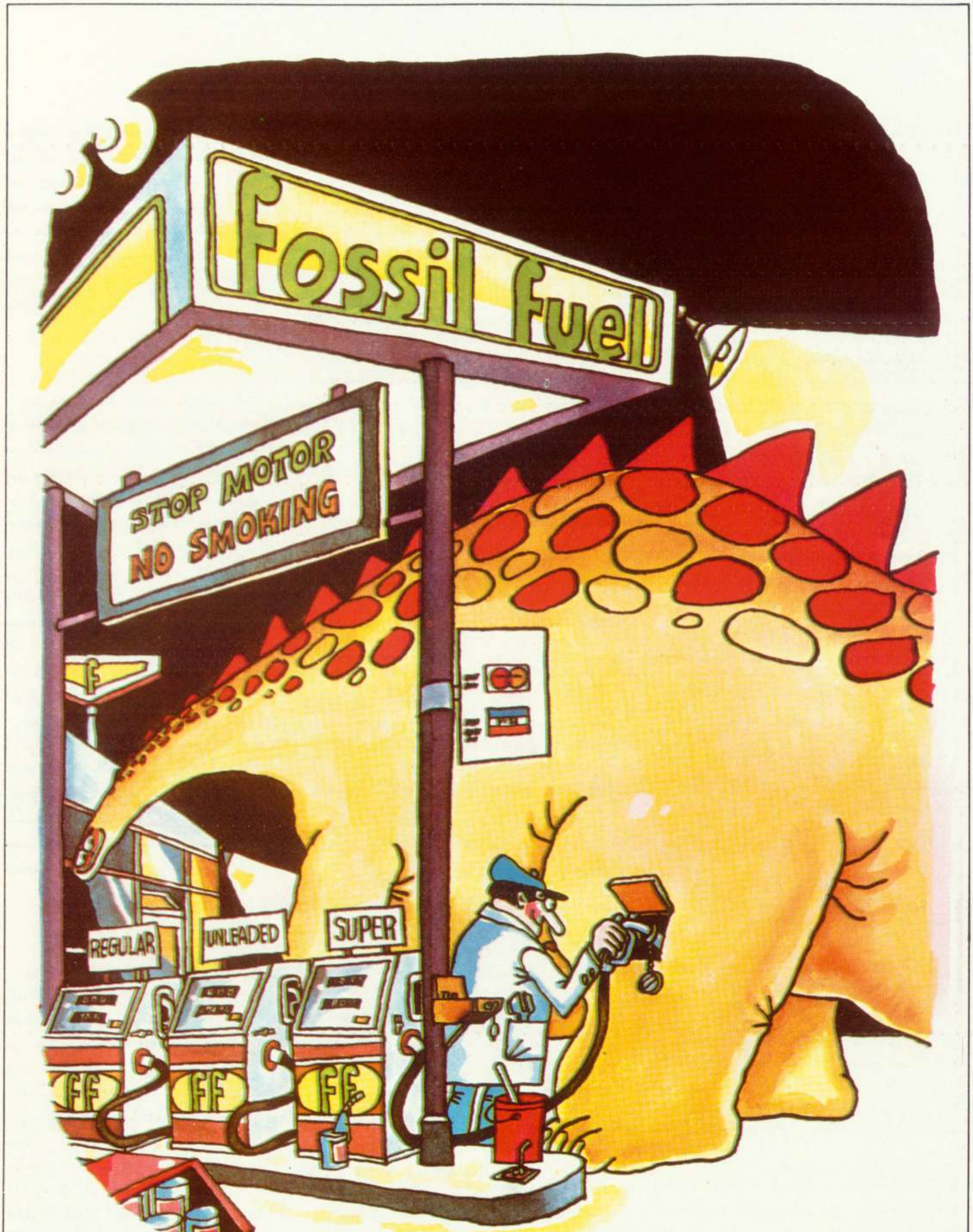
Fossil fuel
STOP MOTOR
NO SMOKING
REGULAR
UNLEADED
SUPER
FF

مجلة « الأمة »

عدد ممتاز بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري

اقرأ في هذا العدد

مع العديد من الأبواب والتحقيقات المصورة

الأمة مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر من قطر

أضغاث
أحلام

عندما يسخر القاضى

قال صديقى الفيزيائى (الماليزى) ، بعد أن صلينا المغرب ، فى جماعة ، خلف إمام فاضل يجيد القراءة : إننى ـ حيثما كنت ـ فى بلادى أو حيث اتعلم فى بلاد الانجليز ، لا أطرب لنغم بقدر طربى لسماع قارىء قرآن مجود ، أو مؤذن يحسن الأداء ... ولقد تعلمت من قراآتى فى تراث الاسلام ، وخاصة عن (المعلم الثانى) الفيلسوف أبى نصر الفارابى ، انه يمكن أن نقسم الألحان الموسيقية الى فئات ثلاث : ـ

● موسيقى تخاطب الروح والعقل معاً ، فهى موجهة نحو الرأس ، قمة جسم الانسان ، ومنها تجويد القرآن والآذان بلسان عربى مبين .

● وموسيقى تتجه نحو القسم الأوسط من جسم الانسان مابين السرة والعنق ، فهى تطرق أبواب القلب ، وتتردد أصداؤها فى داخل الصدر ، فتهز الوجدان ، وتمنح المرء نشوة توقظ مشاعره ، ومن ذلك موشحات وانغام المتصوفة فى وجدانياتهم الالهية الراقية ، وكل جزل ، عميق ، نظيف ، من السيمفونيات والأوبرات والسيريناذات ، والفالسات ، والمقامات ، وما إليها ...

● وموسيقى تتعامل مع جسم الانسان ، وهى احط انواع الموسيقى ، حيثما عمت وانتشرت كانت (علامة مسجلة) على الانحدار الأخلاقى ، وفساد الذوق ، وفقدان التقييم الجمالى الحقيقى للحياة ، وذلك من مثل الموسيقى الصاخبة ، وما يشبهها من موسيقات الأدغال ، كتلك المنعوتة باسم (الروك ـ أند ـ رول) وكذلك صنجات وصيحات (الكودية) فى حفلات (الزار) وما الى ذلك من الألحان التى يأبى صانعوها (بدافع التهافت على الرزق) ، إلا أن يجعلوا من الانسان حيواناً منحطاً .. ومن تصنيف الموسيقى ، انتقل الحديث الى شعاب علم (الصوت) وأوديته بمعطياتها الهائلة ، التى توصل بها علماء (الفيزياء) منذ عهد قريب جداً ، الى إستخدام (الترددات الصوتية العالية) ـ التى لا تسمعها أذن الانسان ـ فى صناعة (مجهر) نرى به من تفاصيل الأشياء ، ودقائق صنع الله فيها ، ما لا تبينه لنا (الميكروسكوبات) الضوئية أو الالكترونية .. وكان العلماء قد عرفوا خلال قرون من الجهاد الشاق ، والاجتهاد المضنى أن الصوت ما هو إلا (ترددات) أو اهتزازات ، تنتقل عبر اى وسط (مادى) من غاز ، أو سائل ، أو جماد ، بسرعة تتوقف على (طبيعة ذلك الوسط الناقل ، وحالته ، من حرارة ، أو ضغط او كثافة ، على هيئة (موجات) لها اطوالها ، وحساباتها ، لدى الفيزيائيين ، ومهندسى الصوت ، الذين يتمكنون من تسجيل الأصوات ، إما بطريقة (ميكانيكية) مباشرة كما فعل (اديسون) حين اخترع الحاكى او (الجراموفون) أو بعد تحويلها الى طاقة ضوئية كما فى (أفلام السينما) الناطقة ، أو الى (قوى) مغناطيسية تختلف شدة وضعفاً ، حسب (طبيعة الصوت) كما فى شرائط (الكاسيت) وما اليها ... كما تمكنوا طبقاً لما عرفوا من أسرار (الصوت) أن يصنعوا للسيارات (أبواقا) مختلفة النغم والرنين ، وان يبتدعوا اجهزة (السونار) التى تعتمد على موجات الصوت ،وصداها الراجع ، لمعرفة ما تحت سطح الماء من تجمعات الأسماك ، أو الغواصات ، أو الألغام ... ووصل بنا الحديث عن فيزياء علم الصوت الى موضوع (الشخير) الذى يصدر عن بعض (النوام) من بنى البشر ،ويستهجن إحداثه (عمداً) من المتيقظين ... وتبين ان هنالك ضرباً من الشخير (صامتا) لا يسمع ، وذلك لأن تذبذبات أو اهتزازات أو ترددات الحواجز الأنفية واللهاة تبلغ فيه (عدداً فى الثانية) لا تستطيع الأذن لو أعصاب السمع أن تدركه ، فهو غير مزعج كالشخير العادى المسموع الذى اشتهر به ـ ربما منذ عهد دولة البطالمة ـ كل من سكان (غزة) و (الاسكندرية) ـ الذين هم ابناء شاطىء بحر واحد منذ مئات القرون ، والذين يستهجنون (بالشخير) اى فعل يستنكرونه فى الحياة العادية كذلك القاضى الذى تروى الأساطير انه كان يعمل فى مدينة باعالى الصعيد فى مصر ، وكان يشخر علنا بلا حياء للمتقاضين ، عندما يعرضون عليه بعض قضاياهم الغريبة ... فلما بلغ أمر هذا القاضى الى وزارة العدل ، التى كانت تدعى فى سالف العصر والأوان (وزارة الحقانية) ، كلفت أحد (المستشارين) للقيام بالتحقق من هذا الأمر ... وكان صاحبنا القاضى رجلا ذكيا ، فادرك الغرض من زيارة المستشار ، وأصر على أن يحضر بنفسه الى قاعة المحكمة ... فكانت اول قضية تعرض ، موضوع نزاع بين رجلين احدهما دائن (صاحب حق) والثانى مدين مماطل ... واعترف المدين بما عليه ولكن قال للقاضى : يا سيدى حيث اننى كلما رزقنى الله بمال وبحثت عن دائنى هذا فلا اجده ، فارجوك أن تامر (أطال الله عمرك وجعلك موئل الباحثين عن العدل) بوضعه فى السجن ، ريثما يرزقنى الله ، فابادر بالسداد (إن شاء الله) لأنى ساكون عارفاً بمقر صاحبى .. فنظر (القاضى) الى (المستشار) نظرة ذات مغزى .. وقال له فى هدوء : هل تسمح لى يا سعادة المستشار ان (أشخر) أم اترك هذه النغمة اليك لتتفضل باحداثها على رؤوس الاشهاد ؟؟ واننى اداوم تذكر هذه القصة عندما يقول القائل : إن (ما يحدث اليوم) من اقصى (مغربها) الى أقصى (مشرقها) ما هو إلا مجرد وسيلة (علمية عالمية) لاستخدام (أصوات) الصواريخ والقنابل الفاتكة ، بقواعد علم الصوت ، لتحقيق مقدار المسافات ـ بصرف النظر عن الخراب ، والدمار وأنات الثكالى والأيتام والمشوهين ـ بين مختلف بلداننا وحسابها بدقة ، باعتبار أن (سرعة الصوت) فى الهواء (الشرقاوسطى) معروفة تماماً ....

درويش مصطفى الفار

مواقـــف ثقافيـــة

نحو استراتيجية فكرية

فى زحمة الاتصال والتبادل الثقافى بيننا والآخرين ، والعالم الغربى بوجه خاص ، يجدر بنا أن نتمسك باستراتيجية فى النظر الى الأعمال الفكرية والأدبية تنطلق من ذات النقطة التى تحرك نشاطنا الثقافى وتوجهنا الفكرى بغية ترفيع مشاركتنا فى صنع الحضارة ومستقبل العالم .

ولا جدال فى أن الوقوف على تجارب الآخرين يفتحنا على عالم من الامكانيات التى تسهم فى تفجير طاقات الابداع فينا ، ويغذى قدراتنا على استكمال اللوحة التى نأمل فى الافصاح عبرها عن انسانيتنا الأكثر نبلا وفعالية .

لقد شهدت العقود الثلاثة الماضية نشاطاً واسعاً وكبيراً فى مجال الترجمة والنقل الى اللغة العربية ، لعل ذروته كانت فى الستينات ، قدمت فيه أعمال فكرية وأدبية أثرت فى الحساسية الفكرية والفنية ، وربما الى حد لا نود الاعتراف به فى تدبير واقعنا السياسى وقتئذ .

واتسمت حركة الترجمة تلك بأنها صبت اهتمامها على نقل الأنظمة الكاملة ولم تحفل كثيراً بترجمة الأعمال الممهدة لسبيل وقيام تلك الأنظمة الفكرية والعلمية ، وهى فى ذلك لا تختلف كثيراً عن حركة الترجمة فى عصورها الزاهية التى وجهت اهتمامها بعد الفلسفة الى العلوم المفيدة عملياً ، واهملت العلوم التاريخية ... ولكن الاختلاف الجوهرى كان فى مسألتين : فالترجمة المعاصرة نقلت الينا انتاجاً أدبياً أوروبياً احتج به النقاد فى نظرتهم الى الأدب العربى قديمه وحديثه ، بينما اسقطت ترجمة الأولين أدب الاغريق ، وفسر ذلك بغزارة انتاج الأدب العربى ، وخاصة الشعر ، آنذاك . والمسألة الأخرى هى اختلاف فى النظرة . فالمترجمون الأوائل كانوا محكومين بتقديس السلطة العلمية ومفهوم أن مؤلفات الأقدمين تتضمن كل ما يمكن نيله من المعرفة . أما الترجمة فى عصرنا فقد احتجت بالحداثة وبالعقلانية والخروج على الموروث .

إن الخطر فى هذا الاختلاف الجوهرى هو مدلوله : فالمترجم القديم كان ينطلق من استدعاء فكرى لاستكشاف جوانب مجملة فى العقيدة الاسلامية . وهذا الدافع أهله ليكون ذا تبصر ذاتى حريص ـ فالمباح بين والحرام بين ـ والثقاة كثر اذا اشتبهت المسائل . وكان ما ينقله يخضع لعملية نقد حصيفة على ضوء الفكر الاسلامى الفاعل ، ولحوار فكرى شاق ومكلف لأهله إن ارتبك بعيداً عن جادة العقيدة والايمان ، ولتحكيم فى نهاية الأمر لآيات محكمة وسنة رشيدة واجماع عارف .

اما حركة الترجمة المعاصرة فقد تمت فى ظروف وقوع العالم العربى الاسلامى فى أسر المستعمر وأغراضه ومصالحه ، وقام بها فى البداية أهل كتاب ليس هو كتاب العرب المقدس ، وشابها دس مؤسسات همها الأساسى استلاب العرب المسلمين مادياً وثقافياً ، وتعطيل دورهم الحضارى الفاعل . ومهما رفعنا من شأن مدرسة الألسن وجامعات الشرق ، فان المحصلة النهائية لما نقل وترجم ـ ولم يعرب إلا أقله ـ لا يمكن وصفها بأنها رافد بناء فى كيان فكرى عربى اسلامى .

لقد توقف نشاط الترجمة والنقل الذى كان منتظماً ومنظماً من قبل المؤسسات الثقافية الخاصة .. ولكن سيل المعلومات الذى تنقله الصحافة العربية وبعض دور النشر التجارية عن وكالات بث المعلومات والرسائل الثقافية لم يتوقف . ولم يتوقف احتفاؤنا بكل جديد فى عصر التكنولوجيا دون تبصر ذاتى حريص على النظر فى التجربة العربية الاسلامية وفى أمور حيوية تتصل بالدوافع التاريخية لتطورنا وتقدم الوطن وتنميته وتنمية أهله البسطاء ..لخيرهم ومستقبلهم .

وربما اتفقت كل الندوات والمؤتمرات ذات الصلة بالاعلام ووسائط بث الدعاية والدعاية المناهضة والتى عقدت على الصعيدين العربى والاسلامى وبالاشتراك مع دول العالم الثالث على ضرورة ايجاد مراصد للاحداث والمعلومات والتوجيه تنطق باهتمامات ومشاغل وقضايا هذا المثلث المتحد فى نوع من التباين الطفيف فى بعض المظاهر الثقافية.

جزء من العالم نحن ، ودورنا التاريخى فى صنع الحضارة مشهود له من قبل العدو قبل الصديق الغافل والمواطن المستلب . ولكن الذى يغيب عنا كثيراً هو أن هذا الدور متصل.

إن البصمات والتأثيرات الاسلامية الشرقية على الآداب والفكر وحركة الثقافة العالمية وفيرة ، غرس معظمها وبشكل قوى فى العصر الوسيط لتلك الآداب وتلك الحركة الفكرية والثقافية . وأصبحت جزءاً من فكرها بعد أن تم تقليدها وتمثلها تمثلا كاملا حتى لا يكاد المرء يتنبه اليها اليوم . وواجبنا اليوم فى حوارنا وصراعنا مع العالم الحديث الذى تغلب عليه السمة الأوروبية هو أن ننتبه الى آثارنا وتأثيرنا فى مضامين الأعمال الفكرية والأدبية الأوروبية عند المبدعين فى الغرب ، وأن نفتح أعين وآذان الشعوب الأوروبية على وجودنا الضمنى فى أعمال مبدعيهم وفى القلب النابض من عملية الابداع والكشف الفكرى والعلمى عندهم .

إن إظهار مثل تلك الوشائج والحرص على التدقيق فى جذورها يخدم همنا مرتين : مرة ونحن نبلغ أرضية مشتركة ثقافيا وفى التبادل الثقافى والحضارى ، ومرة ونحن ننظر فى مسألة أخذنا فى العصر الحديث من فنون وأفكار الغرب وثقافته .

واذا تساندت توجهاتنا الفكرية المعاصرة ورسمت استراتيجية لسعينا الثقافى والفكرى فان ذلك منقذنا من تهلكة التكالب الغرير على ثمار نتاج الفكر العالمى بحجة المعاصرة أو التراجع والتصلب فى وجه ذلك الفكر بحجة الأصالة والحفاظ على الموروث .

قضية فلسطين في سيرة بطل

د . حسن عيسى عبد الظاهر

صدر مؤخراً للزميل الاديب نبيل خالد الاغا كتابه الجديد عن الشهيد الحى عبد القادر الحسينى .

وفى الصفحة الأولى كانت براعة الاستهلال للكتاب بالآية القرآنية الكريمة (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون) !!

ثم يصحبك المؤلف معه وعلى مدى مائتى صفحة ضمنها احد عشر بابا فى رحلة مركزة عبر مرحلة من مراحل تاريخ امتنا الحديث فى اخطر قضية شغلت العالم الاسلامى - ومازالت - فى هذا القرن بعد سقوط الخلافة الاسلامية ، الا وهى قضية فلسطين .

ويطل بك الكتاب خلال هذه المرحلة من نافذتين :

إحداهما تطل على مرحلة حاسمة ، ودامية ، ومليئة بالجهاد والبطولات من جانب ، وبالمؤامرات والمخططات الاستعمارية العاتيـــة لاغتصاب هذا الجزء الهام من الوطن الاسلامى الكبير ، وتوطين عصابات يهودية فيه تقوم رأس حربة فى قلب العالم الاسلامى تدميه من جانب اخر ..

وثانيتهما تطل بك على صفحات مشرقة من جهاد أبناء هذه الأمة ممثلين فى صورة مجاهد هو الشهيد عبد القادر الحسينى الذى عاش ومات فى سبيل الدفاع عن حقها والذود عن حياضها جهاد الأبطال الذين يعيدون الى الأذهان صورة سلفنا الصالح الذين اغبرت اقدامهم بتراب هذه الأرض فى اكرم واشرف ساحات الجهاد حتى خلصوها من براثن الاستعمار القديم وأذنابه ..

وبلا مقدمات يبدأ مؤلف الكتاب نبيل خالد الأغا الباب الأول بالتعريف بالمترجم له بادئا - كالمعتاد - ببيان مولده ونشاته ، وباسلوب أدبى وفى عبارة رقيقة يقول : امسية الثامن من ابريل ١٩٠٨ امسية هادئة فى اسطنبول ، وأمسية الثامن من ابريل ١٩٤٨ امسية ملتهبة فى القدس ، الامسية الأولى شهدت ميلاد عبد القادر موسى الحسينى ، وآذنت بميلاد قائد فذ وهب حياته فى سبيل وطنه ، والأمسية الثانية شهدت مصرع هذا القائد ، فاذن مصرعه بالشؤم على الوطن ومواطنيه ، ولد فى صمت ، وعاش فى صخب ، واستشهد فى اجلال ، اربعون ربيعاً أهداها وطنه ...

ولكن هل صحيح أن مصرعه آذن بالشؤم على الوطن ومواطنيه كما يقول المؤلف ؟ أم أن تلك نظرة خاصة للمؤلف من واقع أليم يعيشه جيله ؟؟ ..

إن دم الشهداء لا يضيع هدراً ، ولا تؤذن مصارعهم بالشؤم ، ولكنها جذوة من نور تضيء الطريق الطويل .

• • •

ينتقل بنا الكتاب فى الباب الثانى الى الحديث عن النشاة العلمية للمجاهد عبد القادر ويقف عند حادثة لها مغزاها فى حياة هذا البطل وذلك يوم وقف فى حفل التخرج من كلية العلوم فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٣٣ يمزق الحجاب عن الغزو الثقافى فى امتنا بقوله حق لم يخش فيها لومة لائم وكشفت عن شخصية البطل

وكانت أولى المعارك الهامة التى شارك فيها هى معركة (قرية الخضر) ودارت رحاها ضد قوات الاحتلال والانتداب البريطانى آنذاك .. وكذلك اشتراكه الفعال فى معركة «بني نعيم الكبرى» .

وفى الباب الثالث نصحب المجاهد الى العراق حيث قضى مرحلة جهاد وصبر وابلى هناك فى قتال الانجليز عام ١٩٤١ فى معارك (صدر ابى غريب) التى ذكرت عنها فى حينها مجلة الحرب البريطانية لانهـا اخرت احتلال بغداد من قبل قواتهم لمدة أسبوعين .

ونمضى مع المجاهد عبد القادر الحسينى بعد هذه المرحلة فى رحلته الى مصر ، وفيها جعل من بيته الصغير المتواضع مختبراً لصنع المتفجرات التى كان يتقن فنها اتقانا كبيراً ، وقام بتدريب العديد من الشبان على هذه الصناعة الدقيقة ، ومن ناحية اخرى تعاون مع حزب مصر الفتاة الذى كان يرأسه الأستاذ أحمد حسين وتعاون مع جماعة الاخوان المسلمين أيام مرشدها الامام الشهيد حسن البنا ، وتعاون كذلك مع كافة الاحرار من أنصار القضية الفلسطينية

• • •

ثم ينتقل بنا - فى الباب الخامس - مع المجاهد عبد القادر الى ساحات الجهاد على أرض فلسطين (ولقد كان عبد القادر أول من دخل فلسطين ليقود أبناءها فى نضالهم ضد الأعداء ، وقد خاض كل المعارك التى وقعت قبل دخول الجيوش العربية تقريباً ، والتى انتهت جميعها بالنصر والفوز ، إلى أن كانت معركة القسطل) ..

وفى الصفحات الخالدة لهذه المرحلة نقرأ كيف أدار المعارك حول القدس ، ونتعرف على ملاحم الجهاد والأمجاد فى معركة : بيت سوريك ، ونسف دار الصحافة اليهودية ، وتدمير شارع هاسوليل ، ونسف شارع ابن يهوذا ، ونسف مقر الوكالة اليهودية ، حتى صارت المنطقة جحيماً

• • •

ويقف بنا طويلا فى الباب السابع مع المجاهد ومع أحداث خطيرة عاد بعدها من دمشق فى أوائل ابريل ١٩٤٨ وفى نفسه مرارة وهو يقول : (سنرجع الى فلسطيننا لنحقق أملنا فى الفوز باحدى الحسنيين النصر أو الشهادة ولنتذكر قول الله تعالى (فليقاتل فى سبيل الله الذى يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجراً عظيماً) ، وقد كان ، وفاز عبد القادر الحسينى بالشهادة فى معركة من أروع معارك الشرف هى معركة القسطل فى الثامن من ابريل ١٩٤٨ ولقى ربه مجاهداً ولم يلق السلاح من يده ، وكان لاستشهاده صدى كبيراً على المستوى العربى والاسلامى والعالمى ومازال ، وتحس بهذا الصدى فى الصفحات الأخيرة من الكتاب ..

وهكذا كان عبد القادر الحسينى وهكذا صار أو كما يقول عنه القائد عبد الله التل : كان ظاهرة وطنية عظيمة لابد أن تكون خاتمتها الاستشهاد فى سبيل الله ، ولقد كان يتحلى بمزايا نبيلة جعلته رمزاً لشباب العرب ، فكان صادقاً فى زمن استشرى فيه داء الكذب ، وكريماً فى زمن اشتد فيه البخل ، وشجاعاً فى زمن عم فيه الجبن .

• • •

والكتاب صفحات جادة تحس فيها بالجهد والدأب فى جمع مادتها من مراجع ومصادر مدونة ومتناثرة فى الكتب والصحف والتقارير ، وشفاها من أفواه الذين شاركوا فى هذه الأحداث وعلى مدى سنين دأب فيها المؤلف فى صبر وأناة على جمعها وتركيزها ثم عرضها فى صورة حية مشوقة وأسلوب جيد يشد القارىء معه من أول الكتاب الى آخره ، ولا غرو فالمؤلف من بقية السيف - وبقية السيف أغزر - وابن الأحداث يحس بالقضية بكل مشاعره ويعيش فيها ..

ويأتى الكتاب ليملأ بموضوعه فراغاً نحس به فى المكتبة العربية نحو شهدائنا وابطالنا على دروب طويلة من العناء والجهد والجهاد . إن عبد القادر الحسينى وغيره من المجاهدين والشهداء الذين أبلوا فى سبيل الله فى جهاد دائم وما سطروه على أرض فلسطين من بطولات فى الثلاثينات والأربعينات لجدير بالتسجيل للأجيال والتاريخ ، وحياتهم وشهادتهم صفحات مضيئة يجب أن تظل منشورة ولا تطوى .

د. حسن عيسى عبد الظاهر

جوائز نوبل لعام ١٩٨٠

النور عثمان أبكر

اختلاف في التقدير

ما قدمت جائزتا نوبل للسلام والأدب إلا وأثارتا جدلا فكرياً وعقائدياً واقليمياً ، واتهامات للجهات القائمة بأمر ترشيح واختيار الفائزين ، واحتجاجاً من الانسانية المغلوبة على أمرها فى العالم الثالث ، وانخفاضاً فى درجة البرودة فى علاقات الشرق والغرب .

إن مجال النشاط الأدبى هو الانسان فى المجتمع والعلم ، ومجال النضال فى سبيل السلام هو الانسان وقضايا المجتمع والعالم . وما أكثر ما يفرقنا فى النظرة الى الحق الانسانى واساس المجتمع ومصلحة العالم . ولذلك فان تقويمنا للابداع والنضال لابد أن يعكس قناعاتنا وأفكارنا المختلفة والمصطرعة دينياً وحضارياً ولغوياً وفي سبيل فرض كل ذلك على التوجه الانسانى عالمياً .

التعاون العلمي والصناعة

لقد فرضت التكنولوجية والصناعة على العلم أن يكون فى متناول الجميع ، وعلى بحوثه أن تدور فى فلك ما يمكن فى نهاية المطاف تسويقه . وصارت الجامعات ومراكز البحث العلمى التى تعتمد فى ميزانياتها على ما تدفع به الصناعة من أموال حريصة على اكتشاف ما يغذى نهم الانتاج الكبير من المعارف والأفكار . وبذا انتهت عهود البحث العلمى المجرد ، والنبوغ العلمى المتوحد . وقد عكست جوائز هذا العام وسابقه اتجاه العلماء الى التعاون وتقسيم البحث الى أجزاء وقيام علماء من جنسيات مختلفة ـ فى الغرب غالباً ـ باجراء الدراسات والبحوث والتجارب فى جوانبه .

ويلاحظ فى الجوائز الممنوحة هذا العام فى مجال الطب والكيمياء ، والفيزياء اشتراك أكثر من عالم فى الفوز بها ، فقد تقاسم جائزة الطب أمريكيان وفرنسى ، وجائزة الكيمياء بريطانى وأمريكيان ، وجائزة الفيزياء امريكيان . وبحسبان ما جرى فى العام الماضى يتوقع أن يتقاسم جائزة الاقتصاد والعلوم السياسية أكثر من عالم .. ربما كان أحدهم من العالم الثالث .

غلبة الامريكيين

وتشير غلبة الامريكيين فى هذه الجوائز الى الامكانيات الضخمة التى توفرها مراكز البحث العلمى فى أمريكا الشمالية ، خاصة وأن معظم التجارب والأبحاث الراهنة فى المجال العلمى تدور فى عالم ما تحت المجهريات ، وعوامل الوراثة (الجينات) ودقائق النظام الشمسى ، وكلها تعتمد على أجهزة للرصد والتجريب غالية التكلفة وغاية فى التعقيد والتطور .. مما يعكس تفوق الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا على الدول الغربية الأخرى وعلى دول المعسكر الشرقى مجتمعة .. ومما يبرر ما انفق من وقت ومال فى أبحاث الفضاء التى يمكن اعتبارها الدافع الى تطوير التكنولوجية التى استدعت بناء أجهزة رصد دقيقة ولتجارب معقدة .

أسئلة مفتوحة

ولكن ما هو المرشد الذى هدى لجنتى جائزة السلام والأدب الى مغمورين كالشاعر الروائى البولندى المولد ، الأمريكى الجنسية تشسلاف ليموش ، والنحات والمعمارى الأرجنتينى ادولفو بيريز اسكويفل رئيس جمعية قوامها عدد قليل من المتطوعين لخدمة السلام والعدل مقرها مكتب من حجرتين فى موقع متواضع فى بوينس آيريس ؟

أهو الغرض السياسى والدينى ، أم أن ما قدمه الرجلان يرفعهما فعلا لنيل جائزتى الأدب والسلام ؟

ادولفو بيريز اسكويفل الحائز على جائزة السلام

ضرب عدد المرشحين لهذه الجائزة لعام ١٩٨٠ رقماً قياسيا ، إذ بلغ ٧١ مرشحاً . وباختيارها للنحات والمهندس المعمارى الارجنتينى البالغ من العمر ثمانية وأربعين عاماً لنيل جائزة نوبل للسلام فان اللجنة قد صرفت النظر عن مرشحين مرموقين كالرئيس الأمريكى جيمى كارتر ، والبابا جون بول الثانى ، واللورد كارينغتون ، وزير خارجية بريطانيا ، وروبرت موجابى ، رئيس وزراء زمبابوى حديثة الاستقلال ، وحرصت على هذا الارجنتينى الذى سلط ضوءاً على ظلام الحكم العسكرى فى الأرجنتين .

الثقافة هناك

جوائز نوبل لعام ١٩٨٠

● فوز النحات المغمور يفضح الحكم العسكرى فى الأرجنتين ويدعم حركة الدفاع عن حقوق الانسان

حقوق الأنسان

وقد قام بترشيحه للجائزة فائزان لها سابقان هما قائدتا حركة السلام الشعبية فى ايرلندا الشمالية ، بتى وليامز وماريد كوريغان ، وقالتا عنه انه «أبرز المناضلين السلميين الأحياء» .. وقالت لجنة الجائزة ان غرض حركة خدمة السلام والعدل التى ظل بيريز اسكويفل يتزعمها منذ عام ١٩٧٤ هو العمل لترقية الحقوق الأساسية للانسان ، وبالطرق السلمية .. وانها ضمن شبكة تغطى كل أمريكا الجنوبية .

وقد شبهت اللجنة آراء وأهداف بيريز اسكويفل بتلك التى ناضل فى سبيلها المنشق السوفييتى زاخاروف الذى نفي الى مدينة سوفييتية مغمورة .

فهل يعنى كل ذلك أن اختيار بيريز اسكويفل يجيء ضمن الاتجاه الذى ظهر مؤخراً والذى ينحو الى منح جائزة نوبل للسلام للمدافعين عن حقوق الانسان ؟ .

رجل وديع متواضع

لم يكن بيريز اسكويفل قائد حركة شعبية ذات اتباع كثر ونشاط متصل كبير . وهو ليس مارتن لوثر كنج ، ولم يسطع له نجم فى بلاده . وقد كان يركز همه على ايقاظ الضمير الفردى فى الأرجنتين . وما حركته سوى نقطة صغيرة فى خضم الحركات العاملة فى أمريكا اللاتينية ، وخاصة تلك التى ترتبط بالمنظمات الكنيسية وتعرف بحركات التحرر عبر الدين ، والتى تقوم على أن المسيحية يجب أن يعاد النظر فيها على ضوء رسالة السيد المسيح الى الفقراء .. وليس اسكويفل بالاسم الكبير فى هذه الحركة ، بل أن دعوته الى عدم استخدام العنف قائمة على أفكار المهاتما غاندى ، والذى تملأ آثاره الكاملة حجرتى مكتب المنظمة التى يقودها اسكويفل . فاذا كانت الحركة الدينية فى امريكا اللاتينية تقوم بما يوازى حركة الاصلاح الدينى فى أوروبا فى العصر الوسيط فان رجلا مثل دوم هلدر كامارارا فى الارجنتين هو الذى كان يمكن أن يكون المقدم فيها والمرشح لجائزة السلام .

حرج دبلوماسى

إن الحرج الذى سببه فوز اسكويفل بجائزة السلام لحكومة الارجنتين يمكن أن يكون بحد ذاته مبرراً كافياً لمنحه الجائزة . لقد ظلت السلطة العسكرية التى استولت على الحكم فى عام ١٩٧٦ تستخدم أبشع أساليب القمع والارهاب لاجتثاث كل أشكل المعارضة السياسية .. فاختفى آلاف الناس دون أثر ، وفى حالات كثيرة كان المعتقلون دون تهمة يواجهون بصنوف مريعة من عمليات التعذيب ثم يقتلون . وظلت الحكومة الارجنتينية تنكر أية اتهامات ضدها أو تصفها بالمبالغة .

وفى الوقت الذى كان العمل السلمى يكاد ان يكون مستحيلا ، قرر اسكويفل ان ينذر حياته له . فطرد من منصبه كأستاذ للمعمار بمدرسة الفنون الأولى فى بلاده .. ثم اعتقل . وقضى أربعة عشر شهراً دون محاكمة ودون أن توجه اليه أية تهمة ، أو حتى أن يخطر بسبب استبقائه فى السجن . ويرى أصدقاؤه انه كان محظوظاً نوعاً ما ، إذ أن اعتقاله تم عندما ذهب بنفسه الى مركز الشرطة الرئيسى فى بوينس آيريس لتجديد جواز سفره .. وجاء هذا الاعتقال فى زمن كان آلاف الناس يختفون ولا يعرف لأكثرهم أثر .

ادولفو بيريز اسكويفل

وقد مرض فى السجن .. وحجز مرة فى الحبس الانفرادى لأنه تبادل نادرة وضحكة مع مسجون آخر . وكان الحرس يطلقون عليهم نعت (اولئك الذين سجنوا لأنهم اغبياء) وقد تم الضغط من الخارج لاطلاق سراحه ، وخاصة من قبل منظمة امنستى العالمية .

ولم تذكر كبريات الصحف فى الارجنتين خبره ، كما أن الاذاعة والتلفزيون أهملا ذكره . أما الآن ، فسيذكر اسمه لأول مرة ضمن الاعلان عن جوائز نوبل . ولا يدرى أحد كيف تعالج وسائل الاعلام الارجنتينية هذا الموقف المحرج .

بشرى للمناضلين

إن اختياره للفوز بالجائزة سيثلج صدور حركات كثيرة تعمل من أجل حقوق الانسان .. وخاصة تلك التى مازالت نشطة رغم الارهاب فى الارجنتين .. وخاصة النسوة اللائى اختفى أقاربهن وذويهن وابناؤهن واللائى درجن على الخروج فى تظاهرة صباح كل ثلاثاء أمام رئاسة الحكومة فى العاصمة الارجنتينية وقد اختفى عدد كبير منهن دون أن يعرف لهن مصير .

وكانت مجموعتهن مرشحة لنيل الجائزة .

إن الآراء التى يمثلها بيريز اسكويفل ، والموقف الذى صمم عليه فى مقاومة السلطة الغاشمة ليحملان رسالة ذات أهمية بالغة لدول أخرى كثيرة وليس فقط فى امريكا اللاتينية حيث المشاكل الاجتماعية التى ظلت دون حلول قد تمخضت عن تصعيد لاستخدام العنف .

جائزة نوبل للأدب لعام ١٩٨٠

يبدو أن بولندا لن تكف عن اثارة الدهشة والجدل فى الربع الأخير من عام ١٩٨٠ ، إذ ما كادت أجهزة الاعلام تحول انتباهها الشديد عن حركة التمرد النقابى الذى تمخض عن تنازل أول نظام شيوعى عن فرض سيطرته التامة على النقابات العمالية ، وتسليمه بمبدأ تكوين نقابات حرة ، والرضوخ لمطالب العمال الأخرى ، حتى فاجأتها لجنة جائزة نوبل للأدب باعلان الشاعر الروائى البولندى تشسلاف ليموش فائزاً بجائزة الأدب لعام ١٩٨٠ .. وذلك فى الوقت الذى كانت الدوائر الأدبية الغربية تتوقع فوز الروائى العالمى ف . س . نيابول أو البريطانى جراهام جرين أو الألمانى جونتر جراس ..

كاتب غير معروف

وقد اعترف ليموش نفسه بانه استغرب أن تكون الجائزة من نصيبه .. فهو بعد أن اختار المنفى لنفسه منذ عام ١٩٥١ ، وأصبح مواطناً امريكياً منذ أواخر الستينات لا يعرفه خارج بولندا كما أجمعت الصحافة الغربية سوى قلة من المهتمين بدراسة الشعر ، ومن لهم صلة بشعبة اللغة السلافية بجامعة كاليفورنيا فى بيركلى .

وأعماله — كما وصفها هو نفسه — تفتقر الى الشعبية والى ما يشد الناس اليها ، لأنه يكتب بلغة غير مألوفة ، ويواصل ترجمة أعمال من الاغريقية واللغة اليهودية البولندية والعبرية ، وهى بالطبع ليست بالأعمال التى يمكن أن تحظى باقبال شديد من جمهرة القراء

.. وغير سياسى

وهو ليس بالكاتب السياسى ، وان كان يصعب استبعاد السياسة تماماً من

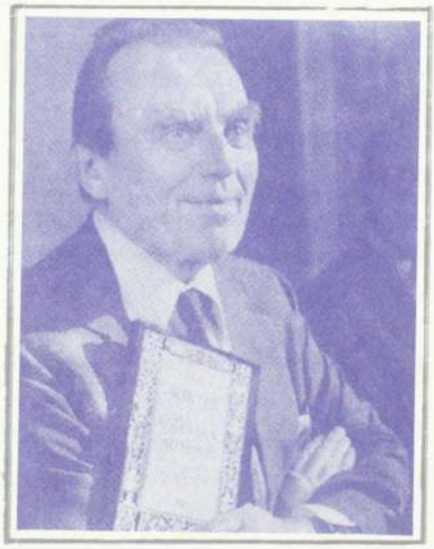

تشسلاف ليموش

مؤلفات منشق بولندى كان قد أدان الستالينية وفارق موطنه انقاذاً لضميره كما يقول ، وروجت لكتاباته داخل بولندا حركة نشر المنشقين البولنديين ولأشعاره ممثلة بولندية موقوفة .. وكان اول رد فعل لحركة المنشقين البولنديين بعد اعلان فوزه بالجائزة أن هذا الفوز نفسه سيزيد من دفع حركة المطالبة بحرية التعبير فى بولندا ، ويحفز المثقفين البولنديين على المطالبة برفع أو تخفيف الرقابة على المطبوعات .

وكان التلفزيون البولندى قد عرض فيلماً عن المؤتمر الصحفى الذى عقده ليموش بعد اعلان فوزه فى استوكهولم ، ثم قدم برنامجاً خاصاً فى وقت لاحق من نفس الأمسية قال فيه رئيس مجلة أدبية محترمة انه لا يستطيع أن يفهم عدم نشر أعمال ميلوش فى بولندا ، وأن الخلاف الوحيد بينهم وبين ميلوش يتعلق بأمور لا صلة لها بالأدب .

اتهام قائم

وإن كان يحلو لميلوش أن يضع نفسه مع الشعراء ، فانه فى واقع الأمر كاتب مقالات وروائى وناقد ومترجم ولن ينفض الغبار الذى أثاره فوزه بالجائزة التى تكافىء الابداع المؤثر أدبياً وانسانياً وعلى أوسع مدى غير أن يتجه النقاد الى التعريف بأعماله — هذا بعد نشرها بالطبع — وحتى يتم ذلك فان جهات عديدة ستظل رافعة الاتهام للجنة نوبل بأنها أثرت ان تضفى الشرعية العالمية على حركة المنشقين البولنديين ، وتنتصف للقومية البولندية فى وجه الأممية الاشتراكية ، وتناصر اللوبى البولندى فى أوروبا الغربية وأمريكا — — وهو وثيق صلة باللوبى اليهودى — فى محاولاته خلخلة النظام البولندى ، وبالتالى تعميم التمرد فى المعسكر الاشتراكى .

طرف من حياته

وقد ولد تشسلاف ميلوش فى ليثوانيا وقضى جزءاً من طفولته فى روسيا قبل وبعد الثورة .. والتى وصفها فى احدى رواياته (١٩٥٦) وفى سيرته الذاتية (١٩٥٨) بانها وطن له .

وقد درس الحقوق فى جامعة (فيلنا) ، حيث أسس جريدة فصلية عام ١٩٣١ ، وصف الشباب القائمين عليها بأنهم ماركسيون غير متقيدين بالعقيدة الصارمة . وكان أول عمل شعرى له بمثابة عمل تجريبى متأثر بالسريالية (١٩٣٢) .. وقد فاز بجائزة المؤلفين فى مدينة (فيلنا) .

ثم قضى الفترة من عام ١٩٣٤ الى ١٩٣٥ م بمدينة باريس للدراسة .. وتأثر كثيراً بعمه الدبلوماسى والعلامة والفيلسوف الذى عاش بباريس وكتب بالفرنسية .

وكان فى وارسو أثناء الغزو النازى (١٩٤٥) .. ثم عين ملحقاً ثقافياً فى واشنطون ثم باريس . وحين استدعى للعودة الى بولندا عام ١٩٥١ اتخذ قراره بالبقاء فى العالم الحر ، وقطع ارتباطه بالحكومة البولندية ، مضحياً بذلك بوظيفة ومرتبة كانت يمكن أن تكون عالية فى قمة هرم الحزب الشيوعى البولندى وفى «العقل الأسير» ، أفضل مؤلفاته ، يقدم نوعاً من الاعتذار عن الفرار من مجتمع ممزق بين الضرورة السياسية وسلطة عقيدتين متعارضتين هما الماركسية والكاثوليكية الرومانية .. ويمكن اعتبار ذلك المؤلف بمثابة نقد صارم للستالينية وللمفكرين فى شرق أوروبا .

جوائز نوبل لعام ١٩٨٠

وفى عام ١٩٥٥ صدرت روايته «غاصبو السلطة» التى تقوم على تجاربه فى وارسو فى الفترة ما بين انتفاضة وارسو فى وجه النازية والاحتلال السوفيتى . وقد فازت بالجائزة الأولى للأدب الأوروبى .. لنثرها الهادىء المدروس الذى يضفي على احداث موسم الخداع والخيانة عالمية وغرابة لا منطقية لذلك الكابوس .

وعاش فى فرنسا حتى عام ١٩٦٠ ، مع زوجته وابنيه ، ثم هجرها الى الولايات المتحدة للعمل استاذاً للغة والأدب السلافيين بجامعة كاليفورنيا فى بيركلى وفى عام ١٩٧٧ أصدرت له دار نشر جامعة كلفورنيا مجلداً من الأعمال النقدية والمقالات تحت عنوان «امبراطور الأرض .. وأنواع من الرؤى الشاذة» . وقد وصفت هذه المقالات بأنها تندرج تحت نوع من الكتابة شبه منقرض ، حيث يجمع الكاتب فيها بين المفكر والناقد الأدبى والايدولوجى والمعلق السياسى .. وذلك فى تداخل وغير ما اعتماد على أى موقف فكرى ميتافيزيقى .

أعمالــــه

وقد قام بترجمة أعمال ت . س . أليوت و والت ويتمان وكارل ساندبيرج الشعرية الى اللغة البولندية .. وربما ترجم لشكسبير أيضاً .

وتشمل أعماله النثرية المتوفرة لقراء الانجليزية بجانب «العقل الأسير» رواية «الاستيلاء على السلطة» وهى عن الشباب الراديكالى البولندى فى زمن الحرب ، و «الوطن» وهى نوع من السيرة الذاتية ، و «تاريخ الأدب البولندى» ومجموعة المقالات التى يضمها مجلد «امبراطور الأرض وأنواع من الرؤى الشاذة» .

هل يستحق .. ؟

لقد حاولت الصحافة الغربية ، بعد أن وصفت ميلوش بالتوحد والعزلة ، أن ترسم عنه صورة المناضل الذى شارك فى شبابه فى المقاومة البولندية ضد النازية والفاشية ، ووقف فى وجه الواقعية الاشتراكية كمذهب فنى مفروض على الكتاب بعد احتلال بولندا وتحويلها الى الشيوعية .. وانه كان جم النشاط الأدبى والفكرى فى دار نشر المنشقين البولنديين فى باريس . ولكن لجنة جائزة نوبل للأدب قد اختارته لأنه شاعر ذو رؤية واضحة لا تقبل المساومة فى عالم يعج بالنزاع والصراع الفكرى والأخلاقى .

ولا يفيدنا ما قاله عنه النقاد فى الغرب بعد أن فوجئوا بفوزه .. من انه شاعر ذو تأثير على الشبيبة فى بولندا ، وانه رغم استفادته من النظرة البراغماتية الغربية مازال فى أشعاره سلافى النظرة والعاطفة ، صعب اللغة والصورة ، ورومانتيكى فى اختياره لمواضيع لا تستسيغها الحساسية الشعرية الأوروبية مثل تساؤله عن معنى الحياة ، وجدوى وجودنا فيها ، ودورنا ... وانه يدعو الى نوع من التجرد الذى لا يغفل حقائق الواقع رغم قسوة منفاه السياسى والروحى .

فهل تفى بعض أبيات له مترجمة عن ترجمة انجليزية بغرض التعريف به : أشك ، وأرجو :

كنا نعبر حقولا متجمدة فى عربة
فى الفجـــــر
فارتفع جناح أحمر فى الظلماء
وفجأة قفزت أرنبة برية عبر الطريق
وأشار واحد منا إليها باصبعه .
لقد مضى زمن طويل منذئذ
ولم يبق أي منهم على قيد الحياة
لا الأرنبة البريـــــة
ولا ذاك الذي اليها أشار .
فيا حبى .. أين همو ؟ أين يمضون
ومضة اليد .. جذوة الحركة
وحفيف الحصى
انني لا أتساءل فى حزن
ولكن فى استغراب .

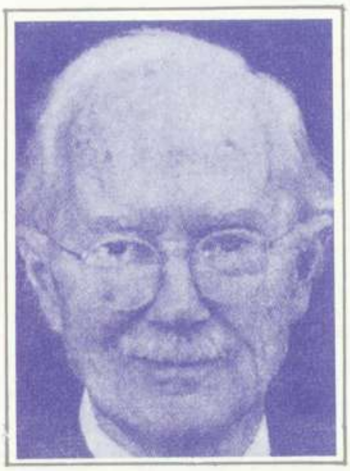

جورج سنل

فى الطب

فى فترة لا تتعدى العقد من الزمان طور العلماء ميداناً جديداً فى الطب مداره ما توصلوا إليه من تفهم لنظام المناعة فى جسم الانسان وللطريقة التى يرفض بها ويهاجم الأنسجة الغريبة وبذلك يحمى الجسم من غزو الأجسام الغريبة ، وإن كان بذلك يعرقل ويقلل من فرص نقل وزراعة أجهزة حيوية مثل الكلى وغيرها .

وقد توصل الباحثون الى أسلوب تصنيف الأنسجة لأغراض نقلها وزراعتها ، مثلما كانوا من قبل قد توصلوا الى تصنيف أنواع الدم وفصائله . وبذا زادت فرص نجاح عمليات نقل الأعضاء والأجهزة من جسم لآخر .

تصنيف أنسجة الجسم

وقد منحت جائزة نوبل فى الطب لعام ١٩٨٠ لعالمين امريكيين وثالث فرنسى لعملهم الذى جعل مسألة تصنيف الأنسجة ممكناً ، وألقى ضوءاً جديداً على نظام المناعة بجسم الانسان ، كما ساعد على جعل عمليات نقل الأعضاء والأجهزة وزراعتها أكثر نجاحاً وسلامة ، وعمق الفهم لسلوك خلايا السرطان .

وقال معهد كارولينسكا الذى منحهم الجائزة البالغة ٢١٥ ألف دولار أنهم بعملهم باستقلال تام عن بعضهم البعض ــ وان كانوا قد تعاونوا فى توزيع أجزاء البحث ــ قد ساعدوا فى توضيح العوامل الجينية التى تحدد تركيب خلايا الجسم ، وبذا سلطوا ضوءاً

● معظم الجوائز العلمية

من نصيب أمريكا بفضل

إمكانيات البحث الهائلة فيها

جديداً لتفسير قدرة بعض الناس على مكافحة العدوى اكثر من غيرهم .. كما فسر عملهم السبب في أن بعض الخلايا السرطانية فى الجسم يتم ابعادها فى بعض الحالات ، ولكنها تتطور الى أورام سرطانية خبيثة فى حالات أخرى .

الجينات والمناعة

وكانت أبحاث العلماء الثلاثة تدور حول قيام الجينات بتنظيم ردود فعل المناعة فى جسم الانسان ، فتوصلوا الى ان الانتيجينات التى يشار اليها بحرف (هـ) هى التى تتحكم فى التفاعل بين عدد كبير من الخلايا المختلفة المسئولة عن ردود فعل المناعة فى الجسم ، بما فى ذلك مكافحة العدوى ورفض الأجسام الغريبة

والانتيجين انزيم أو توكسين أو مادة اخرى ، يستجيب له الجسم بان يفرز مضادات للاجسام هى بروتينات تحيد الانتيجينات وتعطيها مناعة .

الانتيجينات (هـ)

إن معرفة الأنتيجينات من فصيلة (هـ) ذات أهمية بالغة فى نقل وزراعة الأنسجة ، ولمعرفة وفهم العلاقة بين التركيب الجينى والمرض - فقد اتضح أن نوعاً معيناً من الانتيجينات (هـ) يمنح اناساً بعينهم استعداداً لأنواع معينة من الأمراض ، كما جاء فى حيثيات معهد كارولينسكا الملكى الذى منح الجائزة لباروج بناكراف - ٦٠ سنة - الفنزويلى الأصل ، امريكى الجنسية ، وأستاذ الباثولوجى بجامعة هارفارد منذ عام ١٩٧٠ ، ومواطنه الأمريكى جورج سنل - ٧٧ عاماً - من معمل مختبر جاكسون فى بار هاربر بماين ، وجان دوسيه - ٦٤ عاماً - الفرنسى الجنسية ، من مختبر المناعة بمستشفى سنت لويس بجامعة باريس .

كل جسم فريد

إن سطح خلايا الجسم فى كل منا فريد وتحدد هذا التفرد الجينات المنظمة لتكوين مركبات معينة من الكاربوهايدرات البروتينية الموجودة فى غلاف الخلية - أى فى الانتيجينات (هـ) فى اقامة اتصال حميم مع أنسجة أخرى والجينات المهمة فى هذه الرابطة موجودة فى كل الفقريات ، وان كانت الدراسات والأبحاث على الفئران والانسان هى التى اظهرتها فى الأساس .

باروج بناكراف

جان دوسيه

والتر جلبرت

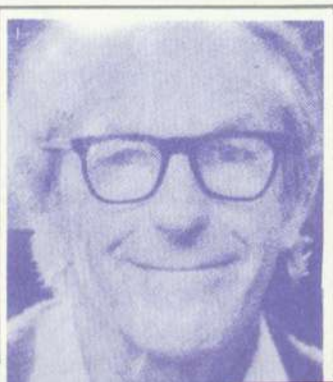

د. فريدريك سانجر

مساهمة كل من الفائزين

وقد اكتشف المستر سنل العوامل الجينية التى تحدد امكانيات نقل الأنسجة من فرد لآخر . وهو الذى قدم فكرة الانتيجينات (هـ) كما وضح المعهد المانح للجائزة ...

إلا أن جان دوسيه هو الذى دلل على وجود الانتيجينات (هـ) فى الانسان، وشرح العوامل الجينية المنظمة لتكوينها

أما باروج بناكراف فقد بين أن العوامل الجينية ذات صلة حميمة بالجينات التى تحدد البناء المتفرد للانتيجينات (هـ) فى الفرد ، والتى تقوم بالفعل بتنظيم التداخل والتفاعل بين الخلايا المختلفة الخاصة بنظام المناعة .

وهذا ما يجعلها خالصة الأهمية بالنسبة لقوة رد الفعل بالنسبة للمناعة ، كما جاء فى حيثيات اللجنة .. التى قضت عاماً كاملا فى غربلة ما وصلها من اكثر من مائة مرشح للجائزة .

فى الكيمياء

فاز العالم البريطانى د. فريدريك سانجر بجائزة نوبل للمرة الثانية ، واصبح بذلك أول عالم بريطانى يفوز بالجائزة مرتين . وكانت مدام كورى قد فازت بجائزتى نوبل للكيمياء والفيزياء ، كما أن البروفسور جون باردين ، من جامعة الينوى الأمريكية قد فاز بجائزة نوبل للفيزياء مرتين .

التركيب الكيميائى للجينات

والدكتور سانجر عالم كيمياء الأحياء من جامعة كمبردج بانجلترا ، وعضو فى مجلس الأبحاث الطبية . وكان قد فاز بنفس الجائزة قبل ٢٢ عاماً .. لبحوثه فى تركيب الأنسولين .. وقد تركز اهتمامه بعد ذلك فى دراسة التركيب الكيميائى للجينات ، وكيفية فك شفرة ال دى ان آى - الحامض النووى - الذى يعتبر بمثابة المرشد لبناء المادة الحية ، والذى ان تم فهمه يمكن العلماء من فهم ما يحدث من خلل عند المرض .. ويامل الدكتور سانجر أن يساهم عملهم فى البحوث الطبية خاصة .. لأن هناك امراضاً كثيرة ربما كانت بسبب اخطاء فى الجينات .

جوائز نوبل لعام ١٩٨٠

• لا يمكن اعتبار القوانين العلمية نهائية إلا بعد إخضاعها لتجارب علمية محدودة

اما العالمان الامريكيان اللذان شاركاه الجائزة فهما الأستاذ بول بيرج من جامعة استانفور والأستاذ والتر جيلبرت من جامعة هارفارد . وقد منحوا الجائزة البالغة ٨٨ الف جنيه استرليني لمساهمتهم فى تحديد «المتتابعات الأساسية للاحماض النووية» ، وهى مواد البناء للاجهزة الحية ، وتوجد فى نواة كل خلية .

أب هندسة الجينات

اما الأستاذ بيرج ـ ٥٤ عاما ـ الذى منح نصف الجائزة ، فيما تقاسم الأستاذ جيلبرت والدكتور سانجر النصف الآخر فهو الأب لفرع جديد فى كيمياء الاحياء يعرف بهندسة الجينات . وكان أول انسان ينتج هرمونا بشريا من فيروس ركبه مع جينات كروموزومات البكتريا .

وقد تمخضت تجربته الرائدة عن تطوير تكنولوجية جديدة تعرف فى الغالب باسم هندسة الجينات .. كما جاء فى حيثيات اكاديمية العلوم ..

رائد انتاج الانترفيرون

وكان الفائز الثالث الأستاذ جيلبرت ، عضو الجمعية الامريكية لأمراض السرطان واستاذ الأحياء النووية بجامعة هارفارد ، قد برز قبل عامين عندما قاد فريقا للبحث قام بصناعة الانسولين من البكتريا . وقد فتح ذلك الانجاز الذى كان الأول من نوعه المجال لاعمال اخرى لهندسة ما تحت المجهريات لاستخدام البكتريا فى صناعة هرمونات مهمة .

وفى يناير الماضى اعلن الاستاذ جيلبرت ـ ٤٨ ـ عاما ان هندسة الوراثة قد استخدمت مرة اخرى لانتاج الانترفيرون ، وهو عقار مضاد للفيروسات يبشر بامكانيات واسعة فى علاج السرطان وأمراض خبيثة اخرى .

فى الفيزياء

اما جائزة نوبل فى الفيزياء لعام ١٩٨٠ فقد كانت من نصيب الاستاذ فال فيتش من جامعة برنستون ، والاستاذ جيمس كرونين من جامعة شيكاغو .. لبحثهما فى الفيزياء النووية فى نظرية «الانفجار الكبير» الخاصة ببداية النظام الشمسى ... والذى وصفته اكاديمية العلوم بانه «ذو أهمية كبرى فى فهم المادة الأولية والحياة على الأرض» ..

وقد اكتشفا خرقا للمبادىء السيمترية الأسلسية فى تاكل وفناء الميسونات (ك) .. وهى جزئيات غير مستقرة لوحظت أول ما لوحظت فى الأشعة الكونية . وقد تم لهما ذلك الاكتشاف عن خرق القوانين الأساسية للسيمترية فى الطبيعة بواسطة دراسات لنوع جديد من الجزئيات الأولية وذلك باستخدام مسارع بروتونى فى مختبر بروكلين القومى بجزيرة لونج أيلند بنيويورك ، حيث كانا يقودان فريقا للبحث . وكانت دراساتهما منصبة على سلامة ثلاثة مبادىء سيمترية ذات علاقات متصلة فى الفيزياء .

وقد اصبحت الحقيقة التى توصلا اليها باكتشاف هذا الخرق لقوانين السيمترية فى الطبيعة جزءا هاما فى النظريات الخاصة بالكون ومستقبله .

كما ان الاكتشاف نفسه يؤكد مجددا انه لا يمكن اعتبار القوانين العلمية التى تبدو غير قابلة للنقض لتوفر الأدلة عليها لا يمكن اعتبارها نهائية ما لم يتم اخضاعها لتجارب علمية مضبوطة ومحددة .

وجاء فى حيثيات الأكاديمية المانحة للجائزة ان ما قام به فيتش وكرونين ، وان كان بحثا اساسيا خالصا لا تطبيق له ، فهو فى غاية الأهمية بالنسبة لفهم المادة الأولية والحياة على الأرض .. كما انه يجعل من الممكن الوصول الى وضع الفرق بين المادة واللامادة بشكل مطلق وليس على أساس نسبى فقط .

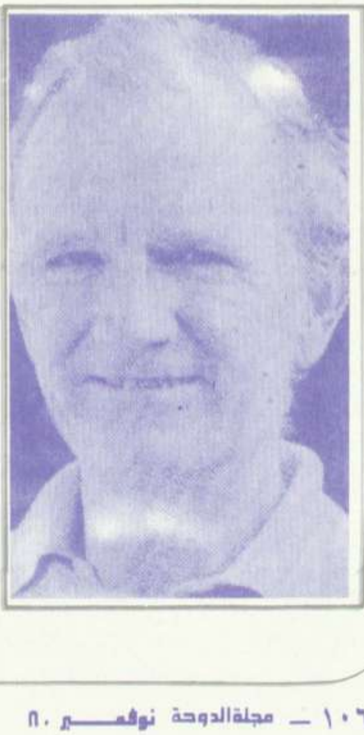

فال فيتش

جيمس كرونين

- أصبح العالم بعد الحرب العالمية الثانية سيمفونية من الرعب
- استلهم أعماله من السلخانات ورسوم الكتب الطبية !
- لا تندهش إذا عرفت أنه يخلط ألوانه فى الأطباق وينظف يديه فى الستائر !

فنون من الغرب

فرانسيس باكون
لحظة الرعب فى زمن الخوف

محمد أبو طالب

الذعر رفيق الانسان منذ البداية ، تارة يبدو عملاقاً دائم التواجد وتارة اخرى يختفى نهائياً ليظهر بشكل مختلف ، وعرفنا العلاقة بين الانسان والذعر عبر التاريخ منذ كان الانسان عارياً يبحث عن الدفء والأمان بين الكهوف الموحشة ، يومذاك كان الذعر مارداً ضخماً يخفى وراءه كل شىء ، وظل الانسان يقاوم بالعلم والحضارة الى أن تضاءل الذعر وكاد أن يختفى بنمو الانسان وتطوره وازدهار حضاراته على مر العصور لكنه ساعد على ظهوره مرة اخرى وبشكل أعنف وأضخم مما كان يوم الكهوف ، وأصبح يواجه الذعر والرعب فى كل لحظة حتى فى النوم لأنه يسرى فى عروقه ويعشعش فى خلاياه ، وتعددت صوره وتفاوتت درجاته وتناغمت مع الظروف فبدا العالم بعد الحرب العالمية الأخيرة كما لو كان سيمفونية من الرعب .

تناول الأدب هذا الموضوع وعالجه كثير من الأدباء مثلما تم التعبير عنه من خلال أعمال كثيرة فى المسرح ، واعتمدت السينما عليه لفترة طويلة كمادة حية ومؤثرة عبر العديد من الأفلام ، ولم يتخلف الفن التشكيلى عن الركب فظهر ذلك فى أعمال عدة لبعض الفنانين القدامى والمحدثين ، ولكن لم يصل أى من الفنانين الى تلك الدرجة من التعبير عن الرعب مثلما عبر الفنان الانجليزى المعاصر «فرانسيس باكون» .

و «فرانسيس باكون» فنان انجليزى معاصر نال حظه من الشهرة الكبيرة فى

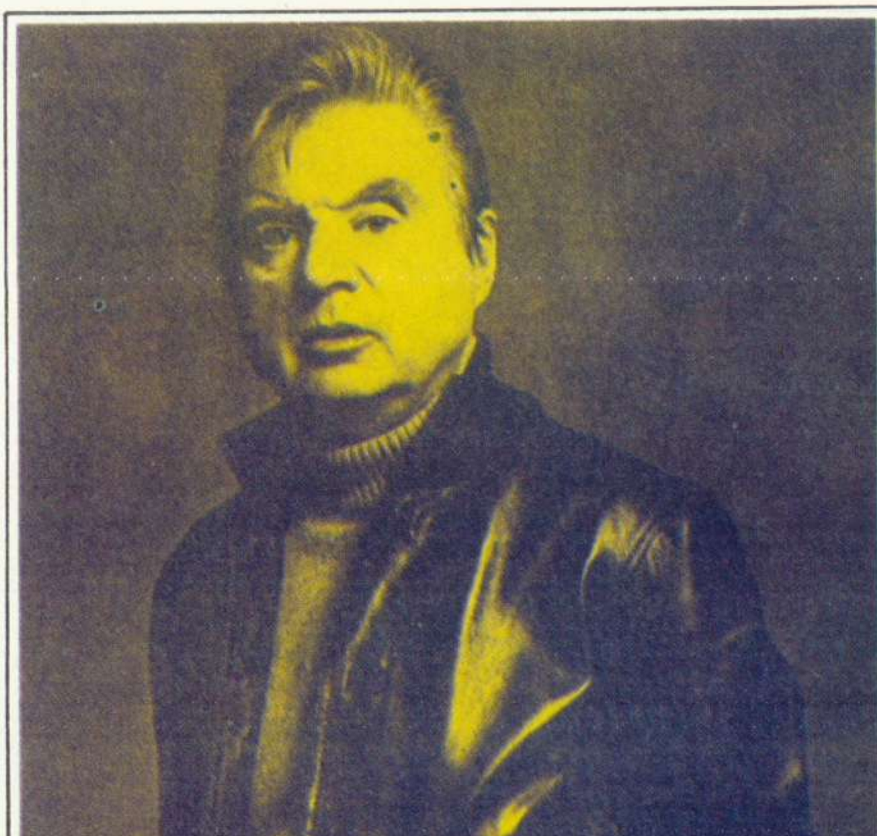

فرانسيس باكون يبدو فى الخمسين رغم انه تجاوز السبعين

فرانسيس باكون
لحظة الرعب فى زمن الخوف

• كيف عبر الفنان عن هلع الناس من الدمار ؟

انجلترا والولايات المتحدة وأوربا وإن كان صدى أعماله فى الوطن العربى ضعيفاً وشهرته فى بلادنا تكاد تكون منعدمه .

لمع اسمه عام ١٩٤٤ بعد أن عرض فى لندن ثلاث دراسات لأشكال عن الصلب والتعذيب ، كانت مرآة صادقة وصريحة رأى الناس فيها أنفسهم والرعب مازال يطحنهم غداة الحرب الثانية .

وباكون شخص يتسم بغرابة الأطوار والأفكار بل والمظهر أيضاً ، فيبدو متسكعاً فى الشوارع الضيقة خلف البيكاديللى بلندن ، مرتدياً بنطالا رمادى اللون من ذلك النوع الضيق تعلوه فانلة زرقاء ذات رقبة عالية فوقها رداء جلدى مرفوع الياقة كشباب العصر راكبى الدراجات البخارية ، ورغم أن هيئته العامة بشعره المصفف بعناية تعطى انطباعاً بأنه فى الخمسين إلا أن عمره الحقيقى بدأ فى تجاوز السبعين .

ولد فى «دبلن» بايرلندا عام ١٩١٠ لأب عمل فى تدريب الخيول وحاول كأى أب أن يدفع بابنه الى المدارس لتلقى العلم وقوانين الحياة ، إلا أن ذلك على ما يبدو كان على غير قبول من الابن الذى استمر حتى سن السادسة عشرة وتوقف تماماً متمرداً على المدرسة والتعليم بل وعلى كل القوانين التى تعارف عليها البشر .

وبدأ يرسم دون أن يتلقى أى تدريب فنى فى معهد أو على يد فنان وعرض وهو فى الثالثة والعشرين فى «مايور جاليرى» فى لندن ثم عرض عام ١٩٣٤ فى «ترانزيشن جاليرى» وفي عام ١٩٣٧ اشترك فى معرض المصورين الشبان الانجليز فى «اجينو جاليرى» ، واختفى بعد ذلك تماماً عن الأنظار الى أن ظهر مرة أخرى عام ١٩٤٤ .

كان ظهوره عام ١٩٤٤ هو مولده الفنى الحقيقى حيث خلق تحولا جديداً فى التصوير الزيتى بعيداً عن تقليد أو اتباع مذهب أو مدرسة فنية معروفة ، وجاءت أعماله كالصاعقة معبرة فى صراحة بالغة وقوة عن لحظة الرعب فى الحياة المعاصرة .

وأعماله على وجه العموم تدور حول الدمار والخوف والألم يقدمها من خلال نظرة بالغة اليأس مستخدماً مسوخاً آدمية وحيوانية فى مساحات مغلقة غاية فى الكآبة ، وشخوصه تبدو دائماً فى جلال ورهبة وبملامح تحمل تعبيرات غاية فى القسوة والوحشية والغريب أن «باكون» يستلهم أعماله من السلخانات ورسوم الكتب الطبية والصور المطبوعة

لوحة البابا للفنان فيلا سكويز .

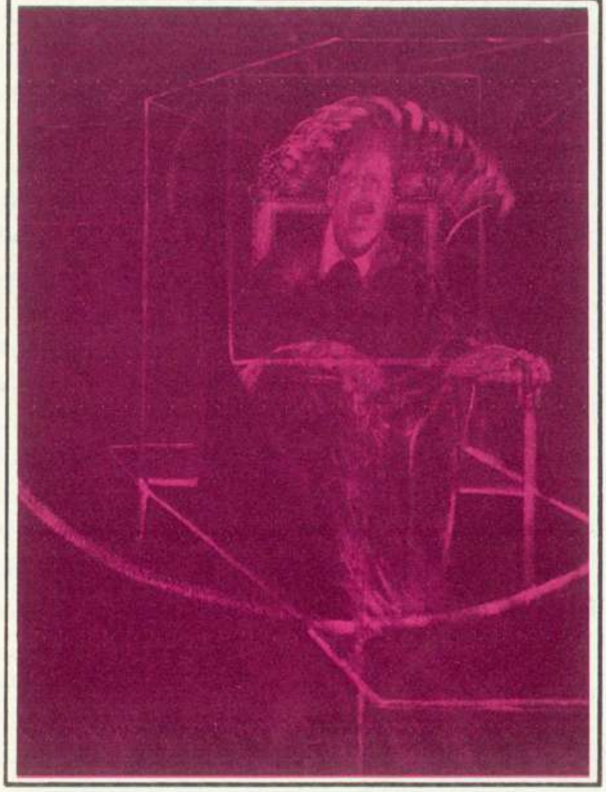
البابا لفرانسيس باكون .

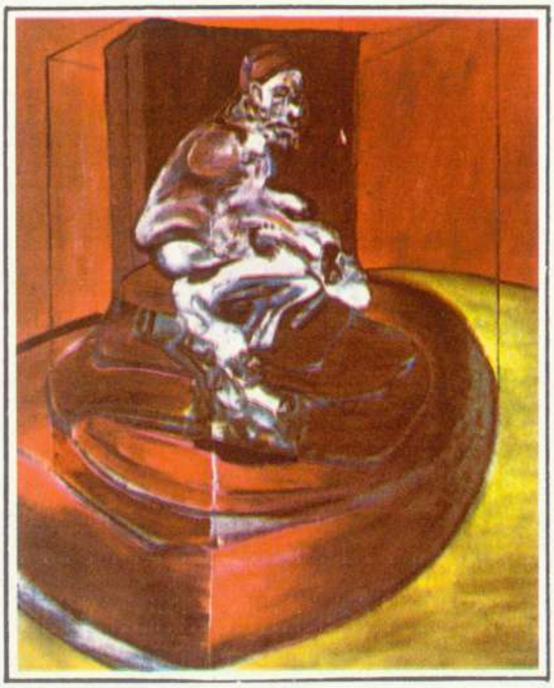

● تمـــــرد عـــــلى
المدرســة و التعليـــم
وكـل قــوانيـــن البشـر

مثلما يفعل ذلك مع رسوم الفنان «فيلا سكويز» .

وليس هناك فنان آخر لديه تلك المقدرة الهائلة لابراز ذلك الشعور المريع الذى يسرى القشعريرة فى البدن مثلما فعل عندما حور لوحة «البابا البرىء» للفنان «فيلا سكويز» حيث أبرز تناقضاً عنيفاً بين الوقار والسكون فى الرجل الجالس وبين التعبير المريع من خلال ملامحه الجزعة المرتجفة .

ويتميز «باكون» بألوان قوية وغنية تتفاعل مع بعضها فى درجات قاتمة تساعد على ابراز الشعور الكئيب لمن يرسمهم ، وهو لا يسعى نحو ارضاء موضة فنية أو مذهب معين ويظل متفرداً بقدرته على ابراز الوحشية والهمجية رغم بعض المحاولات لمنافسته وتقليد أسلوبه .

● إنـــــه فنـــان
يعتـــــمد عـــى
الصـــــدفــة فــى
أعمـــاله وفى حيـاتـه

ولو اقتربنا من الفنان أكثر لنراقب سلوكه ونلقى نظرة على صومعته التى يرسم فيها ويعيش أيضاً لوجدناها عبارة عن استوديو تراكمت فيه الأشياء القديمة لتكون أكواماً من القدور والأوانى والملابس والعدد والكتب والجرائد والمجلات مع أدوات الرسم ، كل ذلك الخليط فى تراكم همجى بلا ترتيب منذ عشرين عاماً ، بعد ذلك لن نندهش عندما نعلم ان «باكون» يخلط الوانه على الأطباق ويستخدم الستائر فى تنظيف يديه من آثار الألوان .

ورغم الكآبة الشديدة البادية فى أعماله إلا أنه على المستوى الشخصى سريع الابتهاج يتمتع بذكاء حاد يمكنه من التعبير عن نفسه فى صراحة بالغة حيث لا يعتبر نفسه فناناً موهوباً بل ولا يرى نفسه كمصور وإنما يعتقد أنه يمتلك

شخص جالس من أعمال باكون عام ١٩٦١ .

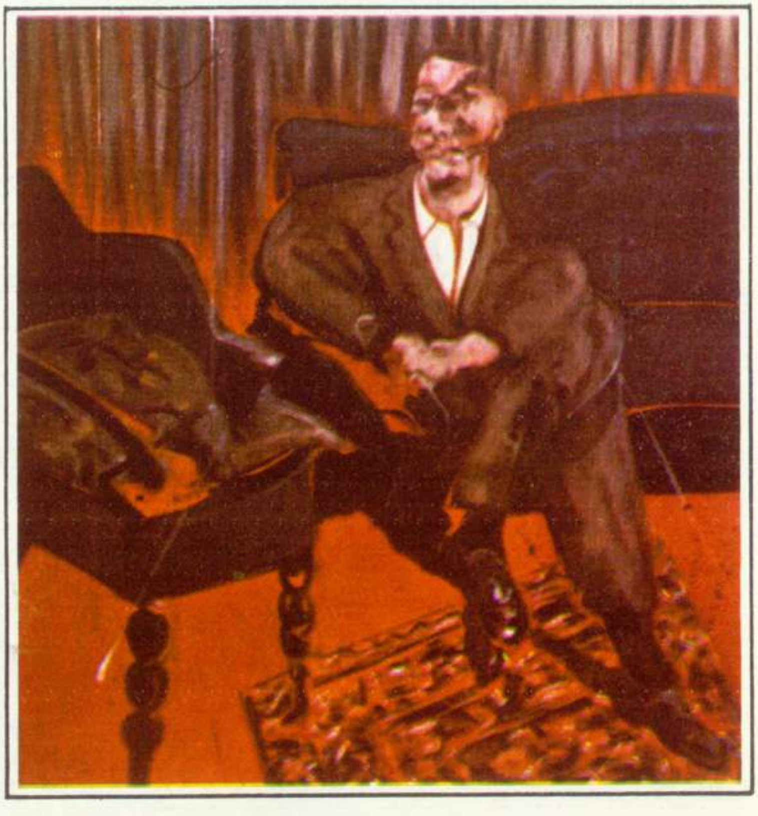

بورتريه شخص يتحدث .

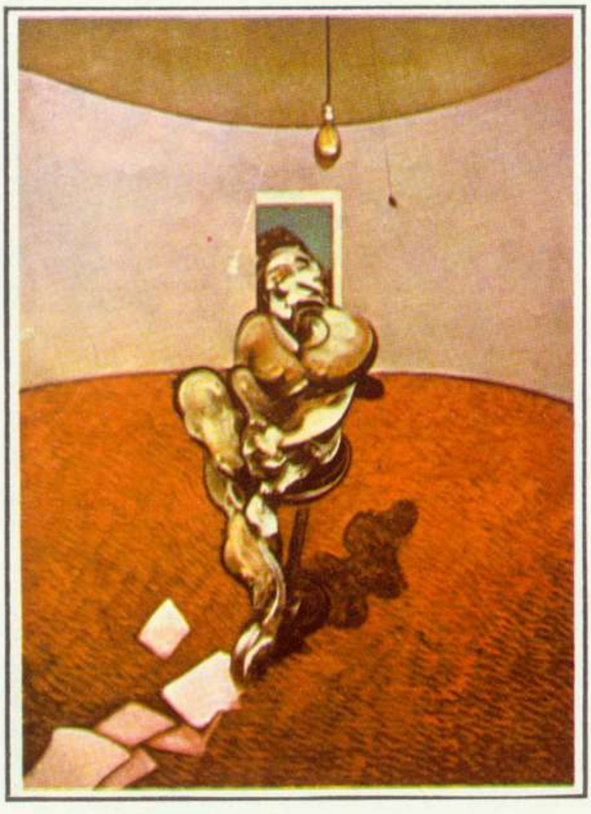

فرانسيس باكون
لحظة الرعب في زمن الخوف

● مائة ألف جنيه دخلت جيبه من معرضه الأخير في نيويورك

نوعاً خاصاً من الحساسية يدفعه للتعبير بالرسم محاولا أن يقترب العمل من احساسه ، كما أنه يرسم ليحمس ذاته ، ويقول انه لايرسم أبداً اذا عرف ما سوف يفعله وإنما يبدأ بالتعامل مع الألوان مباشرة دون رسم مسبق أو تحضير أو حتى تفكير حتى لحظة البداية .

ومثلما يعتمد على الصدفة في أعماله أيضاً يعتمد عليها في حياته ، وجدير بالذكر أنه عرض في نيويورك منذ وقت قريب وباع أعمالا بحوالي ١٠٠ الف جنيه استرليني كما بيعت له لوحة «دراسة للبابا» بمبلغ ٦٥ الف جنيه عام ١٩٧٥ في لندن وعام ١٩٧٦ بيعت له لوحة «رجل متكىء على تمثال» في نيويورك بمبلغ ٨٩٨٩٠ جنيه .

ورغم النجاح الكبير الذي حققه من خلال لوحته المشهورة عن البابا إلا أنه يعتبرها عملا فاشلا يتمنى تدميره لولا انها ليست ملك يديه .

ومن المتوقع أن يحظى فرانسيس باكون باهتمام كبير هذا الشهر بعد أن تنشر الطبعة الجديدة لمقابلاته وحواره مع الناقد الفني «دافيد سيلفستر» خلال الفترة من عام ١٩٦٢ الى عام ١٩٧٩ والتي عبر من خلالها عن طموحاته كفنان له أسلوبه الخاص في الفن والحياة .

ملك إسبانيا يكرم الفنان جوان ميرو

ملك اسبانيا يقلد «ميرو» الميدالية الذهبية .

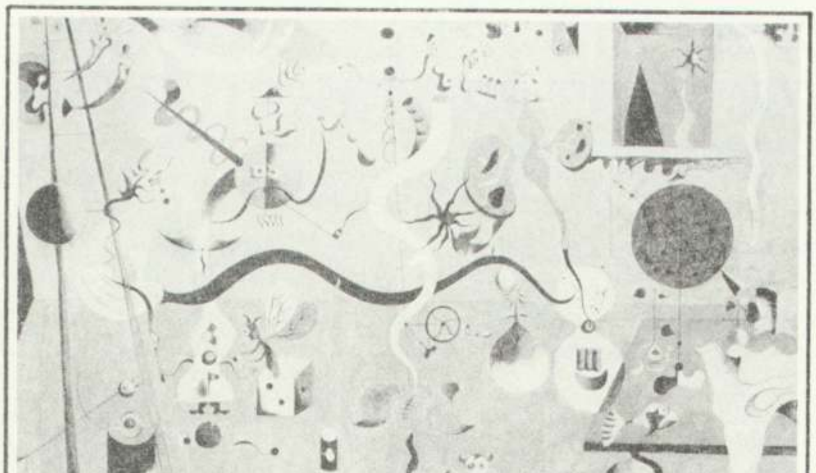

في منتصف شهر أكتوبر الماضي خلال الاحتفالات الملكية في اسبانيا قدم «خوان كارلوس» ملك اسبانيا ميدالية اسبانيا الذهبية للفنون الجميلة الى الفنان «جوان ميرو» البالغ من العمر ٨٧ عاماً تقديراً لتاريخه الفني الحافل .

و «ميرو» فنان اسباني يتبع مدرسة باريس الفنية ، تلقى تدريبه الفني في برشلونة وكانت أعماله الأولى تعكس تأثره بالفنان «فان جوخ» إلى أن ذهب الى باريس عام ١٩١٩ واشترك مع بيكاسو خلال المرحلة التكعيبية ثم تحول عام ١٩٢٣ ليصبح ضمن البارزين في الحركة السوريالية حتى أن «أندريه بريتون» كتب عام ١٩٢٨ واصفاً إياه بأنه أكثرهم سوريالية . وبمرور الوقت تطور أسلوبه ليصبح له طابعاً خاصاً مميزاً يجمع بين خيال السوريالية وبناء التجريدية وزخرفة فن الارابيسك . أنجز العديد من الرسوم الحائطية في اسبانيا والولايات المتحدة وفرنسا منها حائط مبنى اليونسكو في باريس .

محمد أبو طالب

من كل نبع قطرة

كمال عمار

جحويات

«دجاجتنا» ردت إلينا

صحا جحا من نومه لم يجد
دجاجة من خير طير *اليمن
كانت له هبة ساقها
إليه بعض الفاعلين الحسن
ملآنة الجنبين بياضة
فياضة بالخير من غير من
فى كل صبح بيضة قد صفا
«صفارها» يشفى اعتلال البدن
وريشها الزائد عن جسمها
فوائد شتى ونفع وفن
وسائد ريانة المتكى
تغنيه عن قطن سريع العطن
مروحة فى الصيف هفهافة
كأنه فى صحبة « الكوندشن »
و «زبلها» يبيعه إن مضى
للسوق بالدرهم والدرهمين
لكنها ضاعت فمن يا ترى
أغار فى الليل عليه وأين
مضى بها تبت يداه ولا
متعه الله بصفو الزمن
وغاص فى التفكير (هل ، بل ، نعم
وجدتها) صاح جحا واطمأن
وراح للمسجد مستخفياً
فى زى شيخ دب فيه الوهن
ثم ارتقى منبره صائحاً
يا قوم .. فانشدت له كل عين
ما قولكم فى أن لصاً سطا
على جدار الجار والظن أن
بأنه إما يلاقى ذهبا
أو فضة ، وثالث الحسنين
جواهر مخبوءة حملها
يخف وهى الغاليات الثمن
وفتش الأركان فى لهفة
وعينه تدور فى المحجرين
لكنه من حظه لم يجد
ظلا لما أمل فيه وظن
لم يلق فى البيت جميعاً سوى
دجاجة يتيمة الوالدين
فشالها والغيظ يسرى به
ومقلتاه فى لظى الجمرتين
وبعد أن أودعها بيته
أتى إلى المسجد يقضى السنن
نعم . هنا يا قومنا سارق
لكنه أعمى عديم الفطن
أتى إلى المسجد فى رأسه
ريشتها تصيح هذا من
قيدنى وسار بى خفية
لكنه ذاق انفضاح العلن
وكان لص السوء ما بينهم
ودون أن يدرى رمي باليدين
بسرعة ما ظنه ريشها
فصاح كل الناس : هذا إذن
وأمسكوه ثم نادى جحا
دجاجتى عادت ويحيا الوطن

الذكرى العاشرة لعميد الأدب الفرنسي

● فى سبتمبر مرت عشر سنوات على رحيل «فرانسوا مورياك» الذى أسماه مواطنوه عميد الأدب الفرنسى وأسماه ديجول « أعظم كتاب فرنسا » .

روايتاه « قبلة الأبرص» و «جنيتى يكس» كانتا السبب فى لفت الأنظار إليه كروائى موهوب . وفى عام ١٩٣٣ أصبح عضوا فى الأكاديمية الفرنسية وفاز بجائزة نوبل فى عام ١٩٥٢ . ومنذ الخمسينات الى وفاته كان أحد الأركان الأساسية فى جريدة «الفيجارو» و «المجلة الجديدة» «والأكسبريس» .

واشترك فى الحرب العالمية الأولى واشتهر بدفاعه الانسانى عن قضايا الشعوب فعارض الحرب الفرنسية فى الهند الصينيه وأيد الثورة الجزائرية وهاجم بشدة نفى المرحوم محمد الخامس ملك المغرب .

من أفواه المجاهيل

● فلان سعيد لأنه غنى بالمال .
– وفلان أسعد لأنه غنى عن المال .

● ●

● كيف نختبر الرجل ؟
– بالمرأة
● والمرأة ؟
– بالذهب
● والذهب ؟
– بالنار !!

من كل نبع قطرة

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

المقامة التراثية

قال عبد الشكور المشهور ، بمعرفة الأنام والدور :

قدموه لى باسم سعد عبد الرءوف ، الكاتب المعروف ، ولم اكن سمعت بهذا السعد عبد ، من قبل أو بعد ، ففطنت لرنة التهكم ، فى صوت المقدم ، الذى قدمنى له على انى ناقد ذواقه ، له فى الجمل والناقه ، فحيانى بحرارة ، وتدفقت ترحيباته بغزارة ، معلناً شرفه بلقائى ، ثم إنه من قرائى ، ومعجب بموضوعيتى ، وحياد نظرتى ، ولما لم أكن تعاطيت النقد ، فقد اخذت «سعد» على القد ، وسالته عن آخر ما قرأ للعبد لله ، فقال الكتاب إياه ، وكم هو مثير ، وكان واضحاً انه يكذب ، فهو لم يقرأ وانا لم أكتب ، ورايتنى أمام حالة ، تستحق الاطلالة ، فاظهرت اقتناعى ، وسالته عن آخر المساعى ، فقال بصوت ثاقب ، كتاب عودة الغائب ، فعدت اجاريه ، لأستجلى خوافيه ، من هو الغائب الذى عاد ؟ فاجاب باعتداد ، تراثنا الضائع ، وميراثنا الرائع ، كنزنا المنهوب ، وعزنا المسلوب .

وتحلق حولنا الجالسون ، وهم يتغامزون ، بينما تابع المذكور ، بصوت جهور ، لقد اثبت أن لنا الحجة ، على سائر الفرنجة ، فقد اخذوا منا ، ولكن بضاعتنا ردت إلينا ، فانا بعد طول التقصى ، وإدمان مطالعتى ودرسىّ ، وضعت يدى على المسروق ، واتبعت اللاحق بالملحوق ، بعد أن بلوت نباه ، وجلوت صداه ، ذلك أن اللص إذا سرق حماراً ، باعه فى السوق جهاراً نهاراً ، لا يخشى انفضاح أمره ، وانديلاح سره ، ذلك انه بالطلاء ، يغير جلده كما يشاء ، بل ويقطع اذنه أو ذيله مبالغة فى التمويه والخيله ، حتى إن صاحبه إذا رآه ، عميت عنه مقلتاه ، بل وربما اشتراه ، ممن جنت يداه ، وهكذا تنجح الحيلة ، وتفلح الدخيلة ، ومثل هذا فعل الغربيون ، وسرقوا كحلنا من العيون ، وبعد التحوير والتغيير ، باعوه لنا فى قوارير ، هل تعلمون أن «شكسبير» ، هو الشيخ زبير ، شاعر البدو والحضر ، فى القرن السابع عشر ، انتحلوا شخصيته ، وافتعلوا بضاعته ، ولأنهم فى حروف الهجاء لا يعرفون الخاء ، فقد حولوها إلى كاف ، ساكتة الأعطاف ، وحولوا «الزاى» إلى سين ، وكان الله يحب المحسنين ، وصار شيخ زبير ، مستر شكسبير ، فصفق الجميع له بعد هذه القنبله ، وسالته وماذا عن روميو وجوليت ، الذائعة الصيت ، فقال قديمه ، لأنها قصة حسن ونعيمة ، وقس على ذلك ما ترجمناه ، للشكسبير إياه ، فتاجر البندقية ، بخيل «إمام العربية» ، وعطيل الأسود اللون ، هو الشاعر ديك الجن ، أما هاملت المتردد ، فهو الأمير همام بن مسعد ، وهذا ما أثبته فى الكتاب ، ومن الله الأجر والثواب !

وساله احد الملاعين ، بصوت رزين ، على هذا فاللورد «النبى» ، هو الشاعر المتنبى ؟! ، فقال أى نعم ، وإليك ما هو اهم ، هل تعلم أن «شلى» هو الشيخ على ؟ صاحب القصيدة اليتيمة والدرة الكريمة ، يا ليل الصب ، التى غناها الشرق والغرب ، فهللنا وزاد التهليل ، وتجاهلنا ما فيه من اباطيل

.. ويونسكو : ساله سائل ، فقال ، هو «ابن سودون القائل» :

الأرض ارض والهواء هواء
والبحر بحر والسماء سماء !

وكانت بديهته حاضرة ، وحجته مبهرة ، مع بطلانها ، وهذا سر لمعانها ، فالحجة المكينة ، عادة ما تكون رزينة ، لا يخطفك لونها ، أو يعطفك فستانها ، ولكن والحق يقال ، ان ذلك الخبال ، شدنى إليه ، وإن لم يمنعنى من الضحك عليه ، خاصة وقد اشتدت حماسته ، وقال ما فى خلاصته :

إنه لم يكتف باسترجاع ما نهبوه ، بل القى بالقفاز فى الوجوه ، وحاربهم بنفس السلاح ، وشعاره حى على الكفاح ، فاشرأبت إليه النظرات ، وتابع هو غاية فى الثبات ، ألم يموهوا علينا ، ويشوهوا ما بيدينا ؟ فلماذا لا ناخذ بالثار ، من الفرنجة الأشرار ، فصحنا نعم .. نعم ، تكلم السيف فاسكت يا قلم ، فقال لا .. لا عنف ، والعقل هو السيف ، فقلنا نعم الرأى الحصيف ، لنحرضه على مواصلة التخريف ، فاستطالت رقبته ، وتوالت فصاحته ، وقال نزلت لهم الميدان ، وهذا ما كان :

تحت ظلال «النخلفون» ، بدلا من «الزيزفون» ، فعندنا النخل كما تعلمون ، والنخوة والفداء ، بدلا من الاخوة

الأعداء ، وهذه اخلاق الكرماء ، وشوربة الاوزة ، لا عربة اللذة ، ومرسى ابو العز ، هو تينسى ويليامز ، وممنون يا اخت ، بدلا من دون كيشوت ، والارض المحراب ، عوضاً عن الأرض الخراب ، ولنا فى المحراب عبادة وثواب ، فتصايحنا عجباً وتمايل هو طرباً ، وقال لقد فتحتم نفسى

وانفجرنا بضحكة فجائية ، وشاركنا فيها بروح رياضية ، ولعله ظنها من باب البله ، تكريماً له ، وتوالت التعليقات ، الفخيمة العبارات ، فتح مبين وجهد ثمين ، إعجاز يا استاذ ، لا قبل ولا بعد ، لك يا سعد ، جديد غير مسبوق ، فنبلة ستهز السوق ، وانتهزت انا الفرصة ، لأكمل القصة ، فسالته ومتى نقرا الكتاب فرد باكتئاب ، هذا هو العام العاشر ، وانا أبحث عن ناشر ، فقلت وما اكثرهم ، فقال ولكن الزمان غيرهم ، فصاروا مغرضين

وسالته عن السبب ، فقال لا عجب ، فقد القمت الفرنجة الحجر ، وجعلتهم عبرة لمن اعتبر ، فكيف يذيعون ما يحرمهم ، ويطلعون ما يحرمهم ، من وهم الصدارة ، وزعم الجدارة ، فحضاراتهم مزيفة ، وإن كانت داراتهم مكيفة ، وسبقهم وهم ، وإن ادعوا الفهم ، فعابثه واحد ، وقال الم تشاهد ، كيف خطفوا البصر ، بنزولهم على القمر ؟ ، فقال وهل صدقت الهراء ، وعانقت الافتراء ؟ ، مثل هذا لو حدث لقامت القيامة ، ويلا السلامة !

وغير خبيث مجرى الحديث ، حين ساله عن الشعر القديم والحديث ، فقال على الفور ، بصوت عميق الغور :

الشعر إن لم يكن معنى وعاطفة
وحكمة فهو تقطيع بلا داعى
يا من زعمتم لنا التجديد ليس لكم
والله فى الشعر او فى النثر من باع
اين الحطيئة او شوقى وحافظ من
عبد الصبور وعمار بن زنباع
واى شعر بلا وزن وقافية
كمثل قبر بلا سقف ولا قاع

فضحكنا وقلنا عرفنا الاولين ، فماذا عن الآخرين ؟ ، فقال «عبده» اول الموجه ، التى هى هوجه ، يعجب بشعره المثقفون الذين هم عن التراث غافلون ، اجسامهم فى القاهرة ، وقلوبهم فى باريس ولندره ، اما الثانى فاضحوكة الاضاحيك ، وبعكوكة البعاكيك ، إن قراته مللته ، او رايته ازدريته ، فاسنانه بارزة ، ونواظره عاجزة ، يرمى ،لا يصيب ، وليس له من اسمه نصيب ، فهوخادع مخدوع ، فضلا عن إدمانه الدخان الممنوع !

فحمدنا غيرته التراثية ، وغضبته العنترية ، وقلت قلبى يحدثنى بانك تنظم ، فهل انا محق أم ازعم ؟ ، فقال بل صدقت وبالحق نطقت ، فاستنشده الجماعة ، فقال سمعاً وطاعة

وقبل ان يدخل فى الثالثة ، عاجلته الألسنة المتخابثة ، قل لنا إذن ، هجوت من ؟ ، فاجاب إنسان حاقد ، يدعى انه ناقد ، وعدنى بالكتابة عنى ، منوهاً بادبى وفنى ، ومرت الأيام ولم يفعل ، وكنت اكثر من مغفل ، فصاحبنا كان من الطراز السائد ، نقاد الموائد ، ممن يفهمون النقد ، على انه وسيلة إلى «النقد» .. ثم هذه قصيدة علمية ، عن الجاذبية الأرضية :

ارى طبقات الجو شتى فبعضها
دفء وأما بعضها فجليد
على انها فى ذا وهذا تضمها
جواذب لا تناى بها وتحيد
يحطن بخصر الارض حتى كانها
حبال خفيات الرؤى وقيود
فمن رام منها منفذاً خاب سعيه
ومن حام من حول الحمى إسيبيد

وكان واقفاً فجلس ، وقد بدا عليه انبهار النفس ، بعد انفعاله التحتى والفوقى ، وكانه حافظ او شوقى ، فطلب كوب ليمونادة ، شربه جرعة واحدة ، وانتفض وقام وقال ، والآن نواصل الارسال ....

يقول عبد الشكور :

وانقضت الليله ، ونحن متحلقون حوله ، ومستعيدون قوله ، وآذنت السهرة بالختام ، فانصرفت وفى نفسى كلام ، حول سعد المذكور ، وهل هو شاعر ام مشعور ، وهل هو باحث ، أم هازل عابث ، فقد خلط الجد بالهزل ، وصعب فيه القول الفصل ، فهو رغم التياثه ، فى عشقه لتراثه ، واضطراب آرائه ، فى جميع انحائه ، كان واثق النبره ، متمالكاً امره ، وبين العقل وضده شعره ، من عبرها فهو من الواصلين ، .. وخذوا الحكمة من افواه المجانين !

لماذا .. إذن ؟

انا اعترف
والقت بمعطفها فى فتور
على المقعد الخشبى الذى
راى كيف ينهار صرح الغرور
وكيف تهاوت على ساعدى
كموج يشق طريق العبور
انا اعترف
قراتك احببت فيك الأسى
واحسست انك مثلى تدور
وتبحث عن مستحيل اكاد
أعانقه فى غموض السطور
ورحت أسائل من ياترى
بنيت لها من الخيال القصور
واقسمت لابد من أن اراك
ولما رايتك ...
● ماذا حدث ؟ !
– رايتك غير الذى ابصرته عيون
الخيال الجموح الجسور .
● دميمة ؟
– انا لم اقل !
● عجوزا ؟
– ولا هذه ..
● جهولا إذن بفنون الغرام
وهمس الخدور ؟
رايتك .. احسست .. ماذا اقول
كان الكلام بحلقى صخور
رايتك انك لست الذى تمنيت
رؤيته من شهور
وانا الذى كان فى داخلى مجرد وهم
عميق الجذور !

من كل نبع قطرة

إعجاز الكناية

اللغة العربية تلجا للكناية توسعا واقتدارا واختصارا وثقة بفهم المستمع . هكذا قال الثعالبى فى كتابه «فقه اللغة» ونقدم نحن نماذج لهذه الاستخدامات الثلاثة التى جعلها الثعالبى سببا فى اللجوء اليها .

● كناية التوسع :كل من عليها فان ..أى على «الأرض» وهى كناية توسع باعتبار ما تضمه الارض من إنسان ونبات وحيوان وماء واشجار .

● كناية الاقتدار -حتى إذا توارت بالحجاب اى - الشمس - والاقتدار ياتى من مشاكلة الحجاب الغامض المتوارى بالكناية الخفية والظاهرة فى السياق .

● وكناية الاختصار -حتى إذا بلغت التراقى - اى «الروح» وكانت الكناية هنا إختصارا باعتبار الروح من امر ربى اما نحن فما اوتينا من العلم إلا اقل القليل .

وهذا فى عمومه يؤكد غرضا بليغا من اغراض الكناية وهو كما اشار الثعالبى الثقة فى فهم المستمع حتى لا يتكرر حادث الرجل الذى قال لخطيب : لم لا تقول ما يفهم ؟ فاجابه : ولم لا تفهم ما يقال ؟!

من غيــــر أمل

ملحمة دانتى «الكوميديا الالهية» أشهر أثر أدبى فى العصور الوسطى .. وقد اختلفوا حول علاقتها «برسالة الغفران» وحدود تاثر دانتى «بأبى العلاء» .. ولكنهم اتفقوا على أن أشهر أبياتها البالغ عددها (٢٧٦٤٠ بيتا) هو ذلك البيت الذى جاء على لسان «فرانشيسكا» والتى سيقت إلى الجحيم بسبب علاقتها غير المشروعة مع «باولو» أخى زوجها .. البيت هو :

- الأمل .. كل الأمل يتخلى عنكم يا من تدخلون هنا !

أبو الكيمياء يكتشف الماء الملكى

بالقطع ليس هو «لافوازيه» ولا كورى الفرنسى ليس احدهما او غيرهما من جهابذة الغرب و..الغرب !

إنه العربى المسلم جابر بن حيان الذى نادى بالمنهج التجريبى من قبل بيكون وطالب ولاول مرة بالتحديد الدقيق للتسميات والتعاريف والاصطلاحات العلمية فى كتابه «الحدود»

هو ابو الكيميا بحق .. يكفى انه اول من قام بتحضير الاحماض فى المعمل وباسلوب علمى شرحه فى كتابه «صندوق الحكمة» وقال إن إضافة ملح النوشادر الى كلورو الامونيا إلى ماء النار (حامض النتريك) ينتج عن هذا الخليط «حامض سائل» اسمه «الماء الملكى»

الاحماض اساس علم الكيمياء
جابر بن حيان اول من قام بتحضيرها
هل نبالغ اذا قلنا إنه ابو الكيميا ؟

المتنبى ناثــــرا

كلنا نعرف المتنبى على انه شاعر .. ولكن ماذا عنه حين ينثر ؟ .. إقراوا هذه الرسالة التى بعثها الى احد مياسير القوم وكان هذا الميسور قد سمع بمرض المتنبى فظل يسال عنه ويصله ، ولما شفى المتنبى لم يعد يسال عنه

.. كتب المتنبى يقول :

وصلتنى - وصلك الله - معتلا، وقطعتنى مبلا - بضم الميم وكسر الباء - معافى فان رايت ان تحبب العلة الى او لا تكدر الصحة على ..فعلت إن شاء الله .

ارايتم ؟ .. بصريح العبارة يقول له لا تجعلنى احب علتى لانها كانت سببا فى وجودك ولا تجعلنى اكره شفائى لانه ابعدك عنى يا منية المتمنى .

يقولون عن هذه الرسالة انها من بدائع الانشاء الذى اعتمد على التركيز فاجاد والقول الوجيز فافاد .

كـــــلام عن الالهـــــام

● الالهام ليس وقفا على الشعراء والأدباء والفنانين .. إنه يمتد للعلماء .. بل لانبالغ إذا قلنا إن «العالم» لابد ان يكون شاعرا واديبا وفنانا .

اسمع مايقوله الدكتور مصطفى مشرفه أول عالم عربى متخصص فى مجال «الذرة» :

« وقدرة الباحث على الابتكار تدل على مدى قدرته على تلقى الالهام . فالباحث العلمى كثيرا ما يلهم نتائج ابحاثه والسيكلوجيون يفسرون الالهام على أنه إضاءة من العقل الباطن . ولكنى افضل أن أسميــه الالهام » .

بالمناسبة .. «اينشتاين» ابو الذرة .. وصف موت مشرفه (١٨٩٨-١٩٥٠) بانه «خسارة جسيمــة » .

محمد بركات

مطلوب مركز عالمي للحضارة العربية

لا يهدف هذا الموضوع الى مجرد التعريف بمركز جورج بومبيدو الثقافى بباريس ، المعروف باسم «بوبور» ، ولكنه يستهدف أولا استثارة حماس المثقفين العرب ، والمسئولين عن العلم والمعرفة فى الوطن العربى لانشاء مركز مشابه ، يصبح معلماً حضارياً للثقافة العربية ، ويضم بين جوانحه ذخائر هذه الثقافة ، وأهم معالمها فى الماضى والحاضر على السواء .

المكان لا يهم

ونحن بالطبع لا نحلم بمركز عربى على نفس المستوى المذهل الذى أقيم على غراره المركز الثقافى الفرنسى لأن هذا الأخير يعتبر أضخم مجمع ثقافى فى العالم ، وهو أكبر حدث من نوعه جرى فى أوربا خلال القرن العشرين كله . ولكننا نحلم بمركز عربى فى حدود ما هو ممكن أو متاح ، وليس مهماً فى أى عاصمة عربية يقام هذا المركز المنشود ، فى دمشق أو بغداد ، أو الرياض ، أو القاهرة ، أو الرباط . المهم أن يوجد مثل هذا المجمع العربى الشامل لأسباب متعددة قد نذكر منها ما يلى :

–أولا : أن للعرب منظماتهم الاقتصادية والسياسية الجامعة التى تعبر عنهم وعن مصالحهم فى المحافل الدولية ، ومع هذا فليس للعرب منظمة ثقافية جامعة ومتخصصة تعكس حقيقة الحضارة العربية والثقافة الاسلامية قديمها وحديثها ، فالمطلوب هو مركز متخصص بعلمائه ومراجعه وفنونه وعلومه على السواء .

صورة العربى

ثانياً : لقد أصبح العرب اليوم هم القوة السادسة فى العالم كما يقال . وقد حدث هذا لأسباب متعددة ليس الآن مجال الحديث عنها ، ولكن أولها وأهمها بالطبع هو امتلاكهم لمصدر الطاقة ولمخزونها الى نهاية القرن على الأقل . لقد أصبحت أهمية العرب متزايدة . والعالم الغربى والشرقى على السواء يريد أن يعرف على وجه التحقيق من هم هؤلاء العرب . وما هى حضارتهم ، وما هى ثقافتهم ، وما هو اسلامهم ؟

● مطلوب واجهة حضارية تقدم صورة الانسان العربى إلى العالم

● لغة العالم اليوم هى لغة الفن والعلم والثقافة الانسانية

وليس العلماء أو المثقفون وحدهم هم الذين يريدون أن يعرفوا من هم العرب ، ولكنه المواطن العادى فى اليابان أو فى أمريكا هو الذى يريد أن يعرف .

ومن الحكمة أن نعترف بأن «صورة العربى» فى تصور المواطن الغربى والشرقى على السواء صورة مشوهة ، رسمتها الأجهزة الصهيونية من ناحية ، ورسمها بعض المستشرقين من ناحية أخرى ، ورسمها تراث عريض من أوهام وأحلام ألف ليلة وليلة ، وجوارى هارون الرشيد فى ليالى بغداد الساحرة . ومن المطلوب تصحيح هذا كله ، حيث يجب أن يعرف المواطن فى أى مكان فى العالم ، ما هو الاسلام على حقيقته ، وما هى الحضارة العربية القديمة ، وما هى الثقافة العربية الحديثة ، ومن هم المفكرون العرب ، وما هى ابداعاتهم ، وما هو الفن العربى وما هى روائعه . ثم ما هى اللغة العربية العظيمة التى يكاد يعترف علماء اللغات – لولا أن فى قلوبهم مرض – بأنها أعظم لغة يعرفها الانسان ، وأكثرها غنى وجمالا وثراء .

إن مركزاً عالمياً للحضارة الاسلامية ، والثقافة العربية على غرار المركز الفرنسى الذى سنعرض له فى هذا المقال كنموذج يجب أن يحتذى ، يجب أن يقوم على الفور ، ويجب أن تتكاتف الدول العربية كلها ، وخصوصاً الدول المنتجة للبترول ، من أجل اقامته . وهذا المركز سوف يكون هو «الواجهة الحضارية» التى تقدم صورة الانسان العربى الى العالم كما هى على حقيقتها وكما ينبغى أن تكون .

لغة الحضارة

ثالثاً : ان عصوراً طويلة من التخلف والاستعمار قد ألمت بالعالم العربى ، وعملت على تأخره وانهياره . وها هو العالم العربى يكاد يعيش فى قلب العصر مرة أخرى ، بعد أن تخلص من كل عقد النقص والتبعية الناتجة عن الاستعمار الطويل ، وخصوصاً الاستعمار التركى ، الذى وقف بالمسيرة العربية عند العصور الوسطى وساهم فى تأخر العرب عن ركب الحضارة بما يقرب من خمسة قرون .

ولغة العالم اليوم هى لغة الحضارة .

لغة الفن والفكر والمعرفة والثقافة والعلم وتلك هى اللغة التى يجب أن نخاطب بها العالم المتحضر فى نهاية القرن العشرين والوسيلة الوحيدة لاحداث هذا «التواصل» مع العالم من حولنا هى انشاء مثل هذا المركز العالمى للثقافة

مطلوب مركز عالمى للحضارة العربية

العربية . على الأقل لكى نرد حضارياً وبشكل عملى على دعاوى الصهيونية الكاذبة التى تقول ان الحضارة الوحيدة ذات القيمة ، والمعترف بها عالمياً فى منطقة الشرق الأوسط ، هى الحضارة العبرية بكل ما يحمله التراث اليهودى من اكاذيب واوهام .

فاذا كان من المسلم به أن معركتنا مع اسرائيل ، لم تكن ولن تكون أبداً ، مجرد معركة سياسية أو عسكرية ، ولكنها معركة حضارية اساساً ، فمن الضرورى إذن أن نخوض هذه المعركة الحضارية مع اسرائيل بكل رصيدنا من الثقافة العربية .

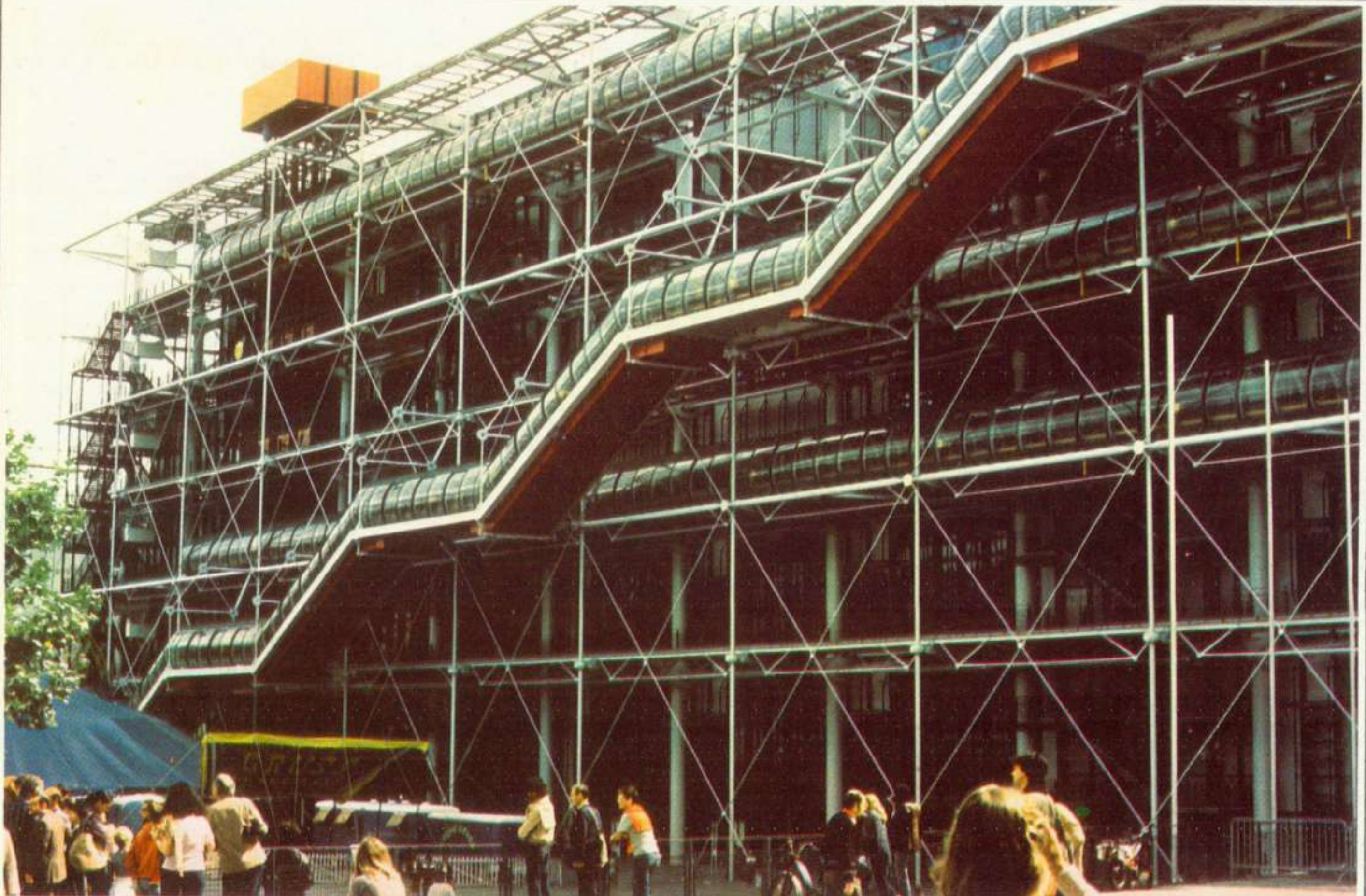

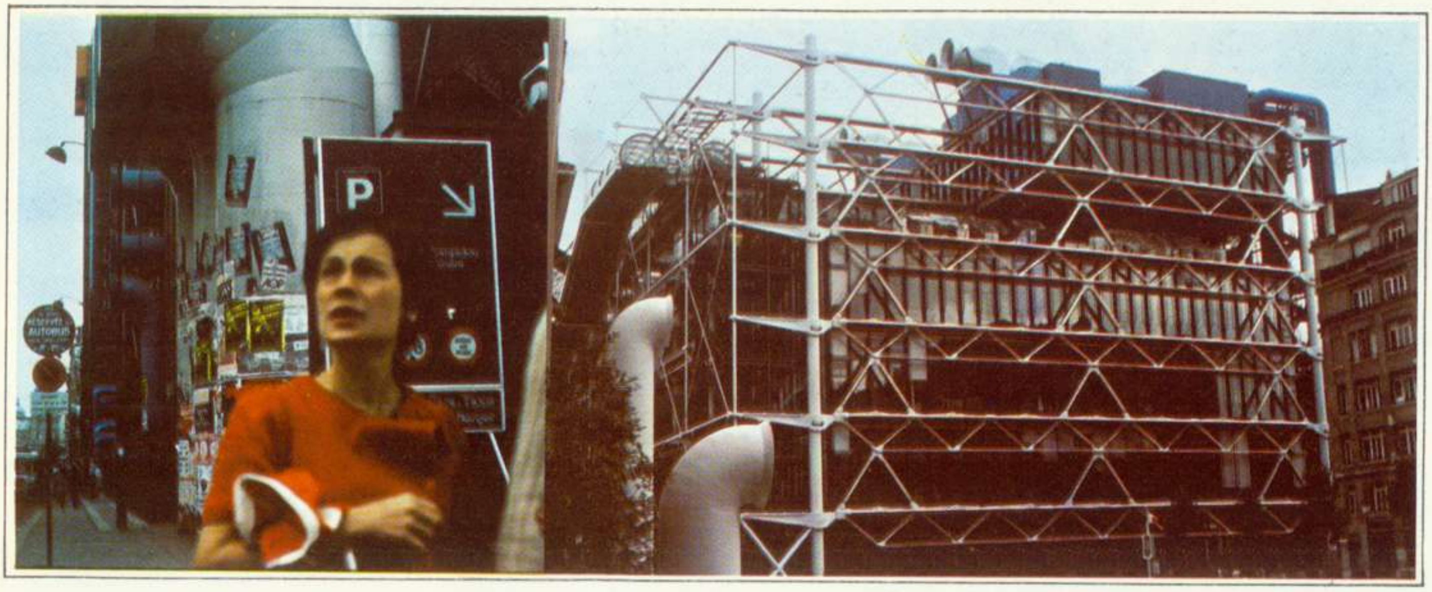

والثقافة فى التعريف الأخير هى الصناعة الثقيلة للمعرفة . والمطلوب اذن هو الاسراع بانشاء هذا المجمع الثقافى الشامل للمعرفة العربية ، ليكون هو الرد الحضارى على كثير من الأكاذيب الباطلة ، وليكون القلعة التى تنطلق منها «الحقيقة العربية» كما يجب أن تكون .

الحدث الثقافى

هذه هى الأسباب الرئيسية التى تدعونا الى التفكير «كعرب» فى انشاء مركز ثقافى عالمى على مثال «مركز جورج بومبيدو الثقافى» فى باريس . ولكن .. ما هو هذا المركز ، ما قصته ، ومتى انشىء ، وماذا يحوى بين جوانحه ، الى حد أن وصف بأنه أكبر حدث ثقافى شهدته أوربا كلها فى القرن العشرين ؟

بدأ التفكير فى انشاء مركز «بوبور» ـ وهى كلمة فرنسية تعنى الضاحية

تقدمة : محمد أبو طالب

الجميلة – فى شهر ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٦٩ ، حين قرر جورج بومبيدو رئيس جمهورية فرنسا الراحل بناء ما أسماه المركز الثقافى الوطنى . وكان الرجل يحلم بمركز ضخم يجمع بين جوانحه أكبر قدر من الفن والمعرفة والثقافة . مركز جامع . تتجاور فيه الفنون وتتفاعل ويؤثر بعضها فى الآخر ويتاثر به . وأهم من كل هذا أن تصل هذه الثقافة الى الناس أو أن يصل الناس اليها . كان الحلم هو إحداث تفاعل يومى بين الفن والمتلقى ، تحقيقاً لديموقراطية الثقافة أو تطبيقاً لشعار أن الناس إذا لم يذهبوا الى الفن فيجب أن يذهب الفن اليهم . وهو بالمناسبة تعبير فرنسى أيضاً قاله أندريه مالرو . وارتفع شعار المركز .. وكان يقول ان مهمته الرسمية هى .. «حفظ التراث ، وتنشيط عمليات الخلق والأبداع الفنى والفكرى ، وإعادة صياغة الجمهور على نحو يمكنه من التعامل مع فنون العصر . ثم التفاعل الخلاق بين مختلف ميادين الفن والمعرفة لتحقيق هدف نهائى هو وحدة الثقافة» .

مطلوب مركز عالمى للحضارة العربية

وفى عام ١٩٧٠ أعلنت الحكومة الفرنسية عن المسابقة الكبرى لبناء المركز الثقافى الضخم ، وفى العام التالى كانت شركة ايطالية انجليزية قد فازت ببناء المشروع من بين سبعمائة بيت هندسى عالمى تقدموا جميعاً للمسابقة ، الأمر الذى يعطى القارىء فكرة عن حجم المشروع ، وعن مدى الاهتمام العالمى به .

وفى عام ١٩٧٢ بدأت أعمال التنفيذ . واستغرق البناء خمس سنوات كاملة من العمل المتصل الدءوب . وفى فبراير (شباط) عام ١٩٧٧ اجتمعت فى باريس أكبر نخبة من المفكرين والفنانين والملوك والرؤساء لأفتتاح اكبر مجمع ثقافى فى أوربا ، ولحضور أضخم حدث من هذا النوع يشهده العالم منذ قرن كامل .

ومنذ هذه اللحظة أصبح «بوبور» واحداً من أشهر معالم باريس . تماماً مثل متحف اللوفر ودار الأوبرا ، والمكتبة الوطنية ، وبرج إيفل والسوربون وغيرها

وقد اقيم المركز العظيم فى شارع «رامبوتو» فى قلب باريس ، وفى حى قديم من أحيائها . وربما قيل انه يقوم فى معدة باريس .. فهكذا يسمى الفرنسيون أسواق الهال الشعبية فى مدينتهم العريقة .

وقد أقيم المركز فى هذا المكان الشعبى عن قصد ، وبفعل عمدى مسبق . فالهدف هو أن تكون الثقافة فى متناول الناس .

وقد لخص كلود مولار سكرتير عام المركز هذا المعنى فى عبارة دالة يقول فيها .. «لقد قام مركز بوبور لكى يضع الخاتمة النهائية لعهد المعابد الثقافية» .

غرابة البناء

ولتحقيق هذا الهدف جاء شكل المركز من الناحية الهندسية والمعمارية شكلا بالغ الغرابة ، بقدر ما هو بالغ الصدق فى نفس الوقت . فالذين شاهدوا المركز من سكان باريس أنفسهم يوم الافتتاح لم يصدق أحدهم أبداً أن هذا المبنى الضخم الزجاجى الحديدى الذى تخرج منه الأنابيب الضخمة ، وتمتد على جوانبه الأسلاك المعقدة يمكن أن يكون مركزاً للفن والفكر والثقافة . انه أشبه ما يكون بمعمل لتكرير البترول ، أو مصنع للألومينوم أو الصلب . ولكنه أبداً لا يمكن أن يكون قلعة فن . ولكن كانت تلك هى الحقيقة . فالبناء رغم غرابته قصد منه أن يكشف عما بداخله . لكى يرى الناس – كل الناس – ذخائر الثقافة والفن .

فالمعنى البسيط الكامن هنا من وراء بناء المركز بهذا الشكل الزجاجى الشفاف يعنى أن الثقافة ملك للجميع . يجب أن يراها ويتعامل معها الكل ، لا أن تظل حبيسة خلف الجدران السميكة التى لا تنفذ منها إلا الصفوة .

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فقد كان لابد للبناء أن يكون متفقاً مع ذوق العصر . ذوق حضارة فى نهاية القرن العشرين ، وفى بلد مثل فرنسا . ولم يكن معقولا أن يكون المبنى فى فخامة الأوبرا الذهبية الكلاسيكية ، ولكن المعقول الوحيد ، هو أن يكون المبنى عملياً ، ومؤدياً للغرض الذى انشىء لأجله ، ومحققاً لغاياته ، ومتسقاً مع فلسفة العصر فى الروح والبناء . فلم يكن الهدف أبداً هو المعمار ، ولكن بناء «قلعة للذكاء» على حد تعبير قديم لفيكتور هوجو . أن المركز فى كله يعبر عن «حضارة مجتمع صناعى» بالغ التقدم .

حماية الثروة

وإذا ما تركنا «شكل» المركز ودلالاته ، راعنا أنه يحتوى فى داخله على ما لا يمكن تصوره فى مكان واحد .فالمركز من ناحية قد صمم بحيث يتسع لأكثر من خمسة وعشرين ألفاً من الزوار والمتعاملين فى نفس الوقت . إنه مدينة صغيرة بزواره ومقتضياته . ويكفى أن نعلم أنه يقوم على مساحة تمتد الى مائة ألف متر مربع ، وأنه يرتفع الى تسعة طوابق فوق الأرض وطابقين أسفلها . وقد بلغت تكاليفه – بأسعار السبعينات – ألف مليون فرنك فرنسى ، فى حين تجاوزت أعمال البناء وحدها أربعمائة مليون فرنك . أما ما بداخله من تحف ومقتنيات فلا تقدر بثمن ، وان كان هواة الأرقام يقولون انه يحتوى على أشياء يزيد ثمنها على ألفى مليون فرنك فرنسى !!

والسؤال البسيط بعد هذا هو : كيف يمكن حماية هذه الثروات الفنية الموضوعة فى متناول خمسة ملايين زائر هم متوسط الذين يتعاملون مع المركز سنوياً ؟!!

والاجابة بالأرقام قد تعطينا فكرة عن حجم المركز وتكوينه . فالطوابق الموجودة أسفل المبنى ، تحت الأرض ، صممت كلها لأعمال الادارة والمراقبة باحدث أساليب العصر . وهناك جهاز بالغ التعقيد يشتمل على أحدث النظم العصرية فى هذا المجال . ابتداء من كاميرات التليفزيون المثبتة في كل مكان ، وانتهاء باجهزة الرادار التى تلتقط أقل حركة فى المبنى الكبير ، فضلا عن أشعة

● **اضغط أمامك**

على زر صغير

لتجد أحدث

لوحات بيكاسو

ليزر ، وأجهزة انذار مغناطيسية ، وقاذفات للدخان .. وأجهزة أخرى لم يشأ المسؤولون عن المركز أن يفصحوا عنها .

اما نقط المراقبة فتبلغ ست آلاف نقطة بينها أربع آلاف إشارة تنبيه . ويتم تجميع المعلومات فى مركز للادارة الألكترونية بواسطة العقول الصناعية .

وهذا النظام هو اكمل نظام للأمن والمراقبة أمكن صناعته فى العالم كله حتى الآن لحماية الآثار الفنية . وتبلغ درجة الحرص على الآثار والعناية بها الى حد أن بعضها متصل مباشرة بالعقول الألكترونية .. وبعد هذا كله فهناك اكثر من الف رجل وامرأة يقومون بعمل المراقبة البشرية ابتداء من المضيفات والحراس حتى رجال الأمن !! .

المجموعات الفنية

ولكن ما هى تلك المحتويات التى لا تقدر بثمن ، والتى قال بعضهم انها تساوى الفى مليون فرنك ، والذى انشىء من اجلها هذا المركز ، وهذا الجهاز المعقد للمراقبة والأمن ؟

يحتوى «بوبور» باريس على اربعة اقسام رئيسيـــة :

ـ القسم الأول : وهو اكبرها وهو «متحف الفن الحديث» وهو يشغل الطابق الرابع على مساحة قدرها سبعة عشر الف متر مربع . ويضم هذا المتحف مجموعات فنية كاملة من اللوحات والرسوم وأعمال النحت والتصوير الفوتوغرافى منذ بداية القرن العشرين وحتى الآن . ويعمل هذا القسم على تجميع الأعمال الفنيةمن هذا اللون ، وعرضها ،وتقديم كل المعلومات عنها . ويزيد عدد اللوحات المحفوظة لكبار فنانى القرن العشرين عن الفى لوحة . ويكفى الزائر لهذا القسم ان يضغط على زر صغير حتى يجد أمامه أحدث لوحات بيكاسو أو أندرها . وهى متعة لم تكن أبداً فى متناول الناس . ولكنها كانت حكراً على طبقة الأثرياء . ويتبع هذا القسم مركز للتوثيق ، يهتم بجمع المعلومات والدراسات والأبحاث التى تساعد على فهم واستيعاب تاريخ الفن فى القرن العشرين وتطوراته عبر مراحله المعاصرة . كما أنه يضم مكتبةفنية متخصصة ، غنية بالكتب والمجلات والمخطوطات وهو يوفر هذه الأشياء كلها للدارسين ومتذوقى الفن . كما يتبع هذا القسم مركزاً خاصاً مهمته تنظيم المعارض ، واقامة الندوات ، والمهرجانات

ـ القسم الثانى : وهو الذى يلى القسم الأول فى المساحة والأهمية وهو «المكتبة العامة» وهى تقوم على مساحة قدرها ستة عشر الف متر مربع . وتسع هذه المكتبة ١٥٠٠ قارىء فى نفس الوقت وبها مجموعات من الكتب تغطى كافة ميادين العلم والفن والمعرفة . والدخول اليها حر تماماً وبلا اى مقابل . وتحتوى هذه المكتبة على ثلاثة مراكز أساسية هى المكتبة ، وصالة الأحداث الجارية ، ومكتبةالأطفال .

الفكر الحديث

اما المكتبة فتضم خلاصة ما هو حديث فى الفكر الانسانى ، وفى جميع الوان المعرفة وهى المكان الأول الذى يحظى باهتمام الزوار ، وفى هذه المكتبة قسم خاص لتعلم اللغات حيث يستطيع الزائر من خلال أدوات سمعية خاصة ، أن يعلم نفسه ، وبمفرده ، أية لغة يريدها من لغات العالم الحية بما فيها اللغة العربية !!

أما صالة الأحداث الجارية فتضم قاعات فسيحة للندوات والاجتماعات والدراسة والعروض ، وبها أشمل مجموعة من الصحف والدوريات والمجلات القادمة من جميع أنحاء العالم . وفى هذه الصالة المجهزة باحدث الآلات السمعية والبصرية يمكن للزائر أن يسمع أو يرى ما يشاء من تسجيلات أو أفلام أو حتى معارض نادرة .

وأما مكتبة الأطفال فتضم ثلاثة اجنحة ، أولها للقراءة ، وثانيها عن الوثائق والمراجع الخاصة بأدب الأطفال وثالثها للوسائل السمعية والبصرية .

ـ القسم الثالث : ويسمى «بمركز الخلق الصناعى» وهو يمتد على مساحة أربعة آلاف متر .. ومهمته دراسة كل ما يتعلق بالابداع ، وبتطور الظروف والأساليب الخاصة بحياتنا الراهنة ، مثل بناء المدن ، وثورة الاتصالات ، وأساليب الفن المعمارى ، والمعالم الصناعية .. ويضم هذا القسم جانباً خاصاً يسترجع فيه الزائر بمساعدة الصور والأفلام كل تاريخ التطور الصناعى فى العالم . وقد كان المركز موفقاً حين استهل نشاطه بمعرض عن علم آثار المدن ، ثم أتبعه بمعارض عن جغرافية اللون ، وتشريح البيت .

ـ القسم الرابع : ويسمى «بقسم الأبحاث السمعية والموسيقية» .. وهو يهتم بتتبع كل جديد فى عالم الصوت والموسيقى للمؤلفين والعازفين والمطربين ، وهو يحفظ انتاجهم وينشره على أوسع مساحة من الجمهور . ويقوم هذا القسم بتنظيم العروض المختلفة والمعارض المتنوعة وخصوصا العروض السينمائية والمسرحية . وقد ألحق به فرع للسينماتيــك الفرنسية ، أطلق عليه اسم هنرى لاجلو مؤسس السينماتيــك الذى رحل عام ١٩٧٧ .

النبوغ المبكر

وهناك بعد هذه الاقسام الرئيسية قسمان الأول : هو «مشغل الأطفال» وهو مخصص للكشف عن النبوغ المبكر عند الأطفال باستثارة حاسة الابداع لديهم من خلال مدربين مؤهلين علميا على هذا العمل . والثانى : قسم يضم فروعاً للطباعة والتوزيع والتبادل الثقافى ، واعادة احياء العروض القديمة ، فضلا عن اقسام للاستماع وأخرى للمشاهدة .

وبعد .. فهذا هو باختصار شديد «مركز جورج بومبيدو الوطنى للفن والثقافة» المعروف باسم «بوبور» . ونحن هنا لم نتعرض لانجازات هذه القلعة الثقافية خلال السنوات الأربع الماضية التى زاره فيها ما يزيد على عشرين مليوناً من رواد الفن والثقافة والمعرفة .

.. أما الهدف من هذا التعريف فهو طرح السؤال الصغير التالى : متى يكون لنا نحن العرب مركز عالمى على هذا النحو . مركز يمثل الواجهة الحضاريةاللائقة بنا فى دنيا القرن العشرين ؟!

محمد بركات

جمـــال قطـب

أزمـــة الفـــن التشـــكيـــلى فـــى العـــالم العـــربى

الـمذاهب الـحديثة وبـوادر الـعزلـة

فى العصور الحديثة .. وفى عصر السيطرة الغربية الجارفة على شتى نواحى الحياة المعاصرة .. نادراً ما يتردد اسم فنان عربى فى المحافل الدولية .. وكأن دورنا قد انتهى فى حركة الابداع العالمى فى ميدان الفنون التشكيلية ، بانتهاء عصور الدولة الاسلامية الزاهرة فى الشرق الأوسط منذ نحو ثلاثمائة عام !

ولنتأمل فى نظرة خاطفة إلى أمجاد الفن العربى الاسلامى حتى توقفت مسيرته على مشارف العصر الحديث :

كانت «المدائن» عاصمة الساسانيين على أرض العراق تضع اللبنات الأولى للفن الساسانى الذى أرجعه الباحثون كأساس ومنطلق للفن الاسلامى قبل الفتح وحتى قضى المسلمون على دولتهم عام (٦٤١م) ، وقد أثبتنا فى مقالات سابقة أن العرب من الغساسنة والمناذرة وغيرهم قد أسهموا بالنصيب الآخر فى بناء الحضارة والفن الساسانى قبل الاسلام ، ولم يكن العرب فى بلاد ما بين النهرين محاربين فقط بل غطت إبداعاتهم كل مرافق الحياة .

الفنان المسلم

وفى الدولة الاسلامية فى العصر الأموى ، كان الرواد الأوائل يجدون فى

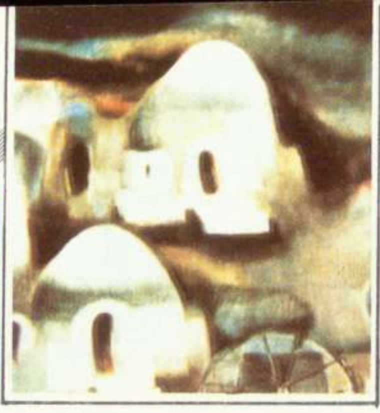

هل توقف دورنا فى حـــركة الابداع العـــالمى منذ ثلاثـــة قرون ؟

البحث عن هوية فنية مميزة .. ونجحوا فى إيجاد الفن الاسلامى الذى تبلورت ملامحه فى العصر العباسى . حيث تألقت مدرسة بغداد كمركز إشعاعى للفنون ، وكونت الموصل بعد ذلك مقراً عالمياً للمبتكرات الفنية التطبيقية كان نقطة وثوب وانطلاق إلى مصر وسوريا فى عهد الأيوبيين فى القرن السادس الهجرى وتطلع العالم أجمع إلى المستحدثات الفنية فى زخارف «الأرابيسك» وفن التكفيت بالمعادن الثمينة وصياغة الحلى والكريستال والأحجار الكريمة ، وشهد العصر الفاطمى الذهبى أمجاداً فنية رائعة غطت بابداعاتها الرفيعة منطقة البحر الأبيض المتوسط كلها وجنوب أوروبا .. وازدهر فن النحت والعمارة بزخارفها ونافوراتها البرونزية وغير ذلك من مظاهر البذخ الفاطمى الشهير . وفى غرب جنوب أوروبا ، سيطرت الفنون العربية الاسلامية فى الأندلس على اسبانيا ، وبهرت أوروبا كلها باشعاعاتها .. وامتزج الفن القوطى الغربى بفن الأرابيسك ونهل فنانو الغرب من مبتكرات الفن الاسلامى ، وأصبح الفنان المسلم فى تلك العصور يتربع على عرش الابداع العالمى .

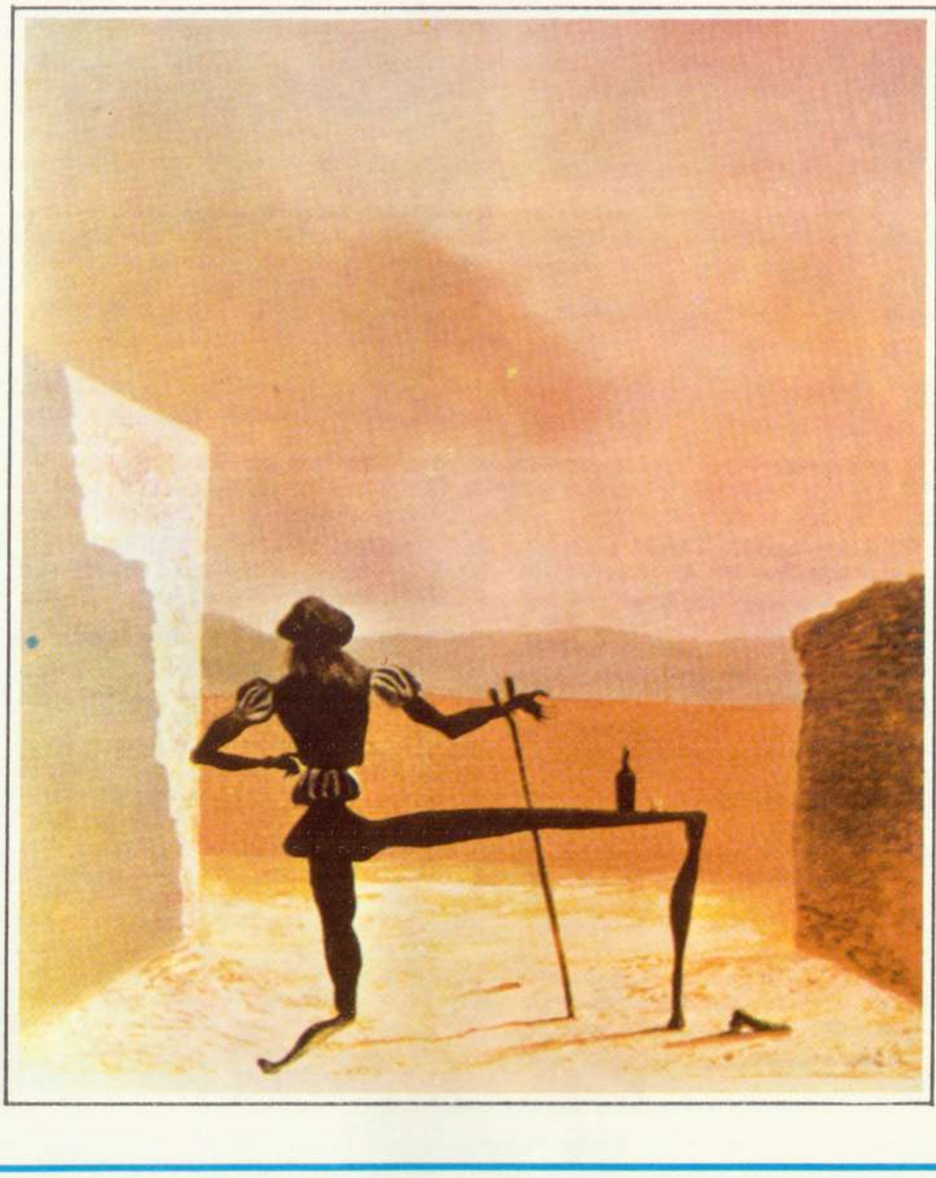

وفى العصر العثمانى الذى عم نفوذه شرق أوروبا والعراق والشام ومصر ، تم غزو القسطنطينية مركز الفنون والآثار البيزنطية ، وامتزجت الفنون الاسلامية والبيزنطية فكانت إثراء وإضافة حضارية لمسيرتنا الفنية العريقة . وكان عام ١١٣٤ هـ .. نهاية لهذا التألق والسيطرة لفنوننا فى الامبراطورية الاسلامية .

وفى أثناء الحكم العثمانى التركى أفرغ الأتراك قلب العالم العربى (القاهرة) من الفنانين .. وبعثوا بهم الى الآستانة ! وفرض علينا بعدها أن تندثر حركة الابداع العربى .. إلا من نشاطات فردية متعثرة !

وكانت بداية لغفوة طويلة .. حتى صحونا على هدير المعارك الصاخبة بين فنانى أوروبا .. وبعد أن صارت بلادنا نهباً للأطماع الاستعمارية الأوربية .. وتطلعنا الى هذه الاشعاعات الفنية المتألقة وهى تتابع فى تسابق لاهث بين الفرقاء .. ولم نستطع أن نغفو مرة ثانية وقد امتلأ العالم أجمع بالضجيج والحركة والحياة !

الطريق الوحيد

وبدأنا مع مطلع هذا القرن نتلمس الطريق .. وأى طريق !

لم يكن أمامنا غير طريق أوحد لنكسر الجمود والتوقف الذى فرض علينا فى تلك القرون الأخيرة .. إنه طريق الغرب

المؤدى الى بلاد أوروبا عبر البحر الأبيض المتوسط ..

وكانت فرنسا ـ ومازالت ـ ملتقى التيارات الفنية ومسرح المعارك الابدأعية المتطورة . وهذه ايطاليا كمتحف يحوى أسرار عصر النهضة وأساطين الفن الخالدين . واسبانيا .. حيث تعبق أجواؤها بفنون الأندلس وروائع الفن الأيبيرى العريق .

وبدأ زحف رتيب إلى هذه المناهل السائغة ولكن العيون والبصائر شاخصة الى مدينة النور على نهر السين حيث تستعر المعارك الابداعية التى تقود العالم الى متاهات الفن الحديث ...

وكان ذلك بداية حركة الفن المعاصر فى وطننا العربى .

وقبل أن نصل الى النتائج الحالية التى نحن بصدد استعراضها عن ظاهرة عزلة الفنان عن جماهيرنا العريضة ، وعدم تفاعلهم مع انتاجه ، لابد لنا من تناول الأسباب التى أدت الى قطع الصلة بين جهازى الارسال والاستقبال .

ولعل التجربة المصرية التى بدأت مع مطلع هذا القرن أوضح مثال ، لما فيها من تاثير مباشر على حركة الفن العربى المعاصر عامة ، ولما للقاهرة من خلفية حضارية وفنية اتاحت فرصة الريادة فى العصر الحديث .

وتبدأ هذه التجربة بافتتاح «مدرسة الفنون الجميلة» فى القاهرة عام ١٩٠٨ . ولكن ظروف انشائها قد قطع الصلة بين حركة الفن المعاصر ، وتراثنا العربى الذى لم يزل آنذاك يترك بصماته على معظم مرافق حياتنا وتقاليدنا . ولم تكن بطبيعتها بعثاً عربياً فرضته الوطنية المتاججة فى نفوس المصريين فى تلك الفترة التى تجلت فيها روح النضال والكفاح ضد الاستعمار البريطانى ، وكل صنوف القهر السياسى والاجتماعى فى مطلع هذا القرن . ولكنها جاءت وفق إرادة ذاتية من احد الفنانين المستشرقين الفرنسيين يدعى «لابلان» ، استطاع أن يقنع احد افراد الأسرة المالكة وهو الأمير «يوسف كمال» باحتضان فكرة انشاء هذه المدرسة ، وكان هذا الأمير شغوفاً بالفن وجمع التحف ، حتى أن قصوره فى مصر كانت بمثابة متاحف صغيرة . ومن الطبيعى ، أن يختار لابلان مجموعة من الاساتذة الأجانب للتدريس ، مثل فورشيلا ، وكولون وبيرون وغيرهم ..

وتبعاً لذلك ، فقد كانت أساليب الدراسة والممارسة الفنية تجرى على النسق الأوروبى الخالص ، فلم يهتم هؤلاء الأساتذة الأوربيون بوضع منهج يرتبط بالواقع المصرى يعمل على وصل النشاط القائم بالنهضة الفنية العربية القديمة . ومن الطبيعى أن يكون الامتداد المنطقى للدراسة هو أن يسافر الخريجون فى بعثات الى أوروبا .

وقد ضاعفت هذه البعثات من انقطاع الصلة بين الفنان وواقعه ، وأعارته جذوراً ومناهل مصطنعة تمتد الى أوروبا وتمتص من عصارتها .

وكانت النتيجة الحتمية لهذا الاتجاه ، أن بدأت أولى بوادر الانفصال والعزلة بين الفنان والمواطن البسيط الذى تشده أوثق الروابط بواقعه العربى والاسلامى ولذلك ، فقد جاءت ثمار هذا الوضع غريبة المذاق على الجمهور لا يستطيع أن يستسيغها .

المدارس الغربية

ولننظر الى حركة الفنون التشكيلية

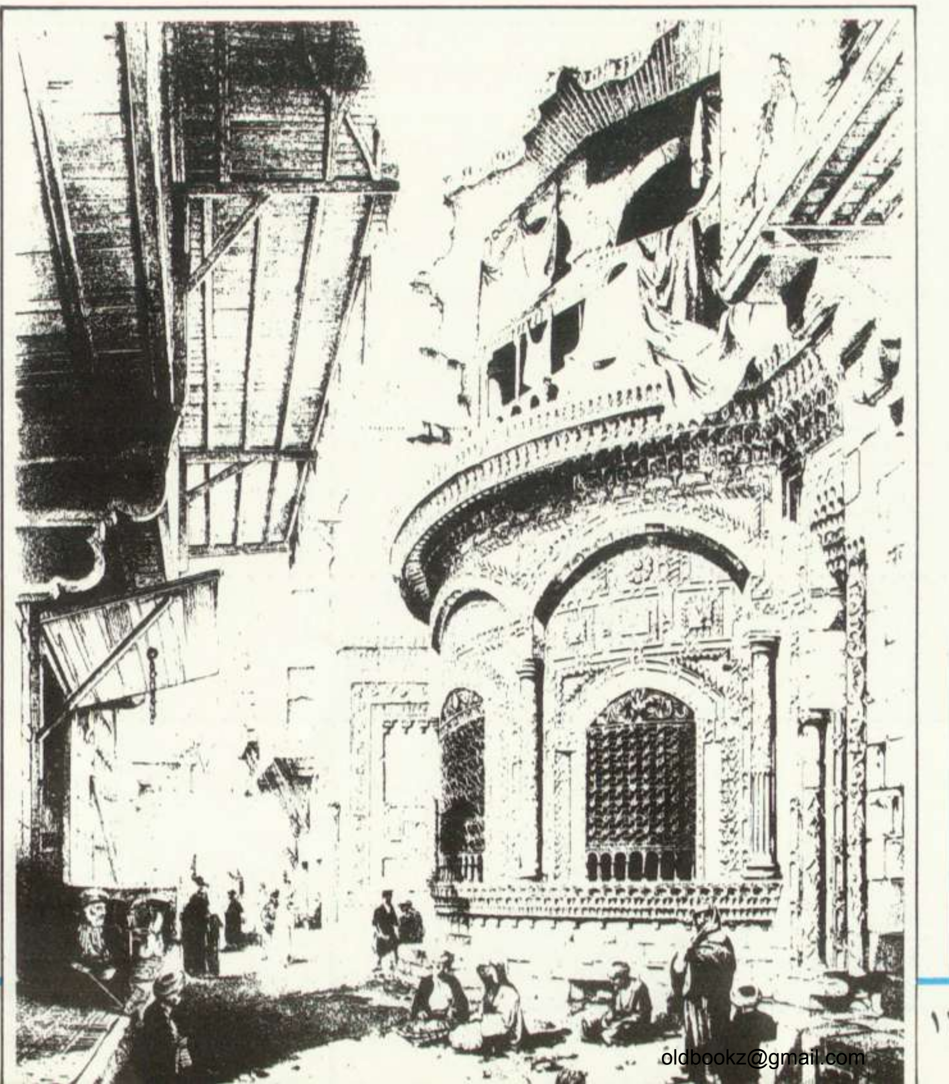

هكذا اندفع فنانونا وسط النزعات الفنية المتضاربة
أولى فجوات العزلة كانت فى تدريب البصائر على فن لا علاقة له بالمجتمع

فى ذلك الوقت أى فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن :

منذ منتصف القرن التاسع عشر ، بدأت ثورة جامحة فى مدارس الفنون الأوروبية الحديثة .. فتدافعت فى صراع أشبه بالمبارزات العنيفة بين الفنانين التشكيليين ، وكانت فى معظمها تنشأ مواكبة للثورة العلمية التى تجتاح العالم الصناعى فى دول أوروبا . فاكتشاف النظريات الحديثة فى علم الضوء وتحليل ألوان الطيف ، قد فرض استحداث المدرسة التأثيرية التى تستمد أصولها من ضوء الشمس وألوان الطيف ، وخاصة التأثيريون معركة حامية لفرض أبحاثهم الجديدة .. وظهرت على أثرها مذاهب شتى كالتنقيطية والبوهيمية والتعبيرية والتأليفية والرمزية .. وتغالى الفنانون فى عنف أساليبهم وجسارتهم فى التعبير الصارخ حتى أطلق عليهم «الوحوش» وعلى فنهم بالمذهب الوحشى .. الذى تزعمه (هنرى ماتيس) ..

وعقب الوحشية التى سادت فى السنوات الخمس الأولى من هذا القرن ، ظهرت التكعيبية ، حيث بدأها (بيكاسو) عام ١٩٠٧ ، وتفرعت الى تكعيبية تحليلية وتكعيبية تركيبية ، ثم استحدثت أساليب «خداع البصر» و «الكلاج» أى التلصيق ، ثم ظهرت الحركة المستقبلية ، المتمردة على التراث والأصالة والقيم الجمالية الثابتة وقد قام بها بعض الشباب الأوروبى الذى يريد أن يحطم كل شىء ! .. ولننظر بعضاً من شعاراتهم :

«سوف نتغنى بحب الخطر وروح التمرد وفن الفوضى الهدام والأفكار التى تقتل فهلموا يا مضرمى الحرائق»

«إن جميع الحقائق التى تلقن فى المدارس والمراسم ، لم يعد لها وجود بالنسبة إلينا .

وقد سقت هذا المثال من الشعارات التى رفعها فنانو أوروبا عام ١٩١٠ لندرك سوياً هذا الجو الذى كان يسود الغرب فى وقت معاصر لبدء النشاط الفنى فى مصر بافتتاح مدرسة الفنون الجميلة لأول مرة فى المنطقة العربية .. ولتوضيح الاختلاف بين أجوائنا وأجوائهم .. فالشرق شرق والغرب غرب كما يقولون !

العالم الغريب

وفى نفس التاريخ (عام ١٩١٠) ظهرت أولى لوحات المذاهب التجريدية فتجاهلت الموضوع كلية وعنيت بالشكل وانقسمت الى فرعين : تعبيرية وهندسية .. وفى عام ١٩١٦ ظهرت الدادائية التى كانت بمثابة انفجار تلقائى لحالة نفسية مبعثها الدمار والعنف والخراب وفى عام ١٩٢٤ ظهرت السيريالية .. واستنت قوانينها من الجمع بين تمرد الدادائية على حدود المنطق والاهتمام بأسرار العقل الباطن ، مستلهمة أساليبها من نظريات «سيجموندفرويد» فى التحليل النفسى . أى أنها تعبير عن خواطر النفس بعيداً عن كل رقابة يفرضها العقل ، ثم الايمان بسلطان الأحلام المطلق ! ولعل أشهر السيرياليين وأذيعهم صيتاً هو الفنان المعاصر (سلفادور دالى) .

ومن السيريالية اشتقت مذاهب (البارانويا) أو الهلوسة ، وأسلوب (التغريب) أى نقل الكائنات من وسطها المعهود إلى وسط غريب ، كعمل شاذ ذى رؤية ذاتية لأفكار الفنان وأحلامه .

وهكذا تعددت الأسماء والمسميات فى عالم غريب .. غريب .. عن مفاهيمنا وثقافتنا وبيئتنا الساكنة الوادعة البعيدة كل البعد عن هذا الهوس الفنى الصاخب !

وإلى هذا العالم الغريب .. أوفدنا مبعوثينا ليشاركوا فى تلك الحركات الهستيرية تحت شعارات مجنونة قلقة متصارعة ..

ووجد فنانونا أنفسهم يدورون فى دواماتها ، مندفعين فى تيارها الجارف دون أن يكون لديهم من الثقافة القومية أو التراثية ما يحفظ لهم توازنهم الوجدانى

الانتماء والأصالة

عادت هذه الكفاءات الغضة من الطلائع الفنية وهم يدينون بالولاء الكامل دونما وعى لهذه المذاهب الأوروبية ، يرددون صدى الصراع المستعر هناك وكأنهم يبشرون بدين سماوى جديد ! وأخذوا يتبارون بدورهم فى إبراز كفاءاتهم داخل تلك الدائرة الأجنبية الغريبة . وكان الناس من حولهم بين خيارين : إما أن يغيروا جلودهم ويدخلوا فى معارك وهمية لنصرة هذه النزعات الوافدة متظاهرين باستساغتها وتذوقها ولو من قبيل التحضر المزيف .. وأن يدربوا بصائرهم وبصيرتهم على تقبل فن لا ينبض بأى تفاعل لبيئتهم ومجتمعهم . وإما أن ينصرفوا كلية عن هذه البدع الدخيلة ويتخذوا منها موقف الرفض لهذا النشاط الأنانى الذى لا يعنيهم فى شىء .. وكان الفنانين ينتمون الى عالم آخر مجهول !.. وهكذا انبثقت أولى فجوات العزلة بين الفنان والجمهور .

وكانت هذه نتيجة حتمية لشعب يتلمس خطاه نحو مناهل المعرفة المتواضعة .

ولم يبلغ من الثقافة الحديثة ، أو الوعى الفنى المعاصر مبلغاً يؤهله لاستيعاب مثل هذه النظريات والمذاهب المستحدثة . بل إن نظرة جموع الشعب من البسطاء وهم يمثلون الغالبية العظمى لدولنا العربية ـ كانت توصم هؤلاء الفنانين بانسلاخهم عن أوطانهم وأصالتهم وتقاليدهم العربية العريقة .

وأحس الفنان أن جمهوره الحقيقى ليس فى القاهرة أو بغداد أو دمشق أو عمان .. بل هو فى باريس وروما ولندن ومدريد ، فضاعف هذا من انعزاله .. وبدأ يبحث له عن جمهور صناعى يعوضه على الجمهور الطبيعى .. فماذا فعل وقد وجد أن الحلقة تضيق من حوله لتحد من انطلاقه وتبدد أحلامه فى التألق والريادة ؟!

جمال قطب

حوريات الغابة

أسطورة من الصين نقلها من الفرنسية : فاضل السباعى

فى الجنوب الغربى من قريتنا يقع جبل «لو ـ شان» . وثمة ، فى سفحه ، ينبوع يدعى «عين الجنيات» . ويحكى أنه كان يعيش قديماً ، على قمته ، غزال صغير من حجر اليشب الكريم . وعندما كان الناس ينزلون من الجبل عائدين إلى بيوتهم ، كانت تتناهى إلى أسماعهم أحياناً أصوات مثل : فليك فلاك فلوك ، فليك فلاك فلوك ... يخيل اليهم معها أن الافاً من الجلاجل الصغيرة تقرع . إنه الغزال الصغير ، الشادن اليشبى ، الذى يعدو مكردحاً بقوائمه القصيرة ، محدثاً هذه الجلبة . ولكن أحداً من الناس لم يكن يشاهده . يقولون إنه لا يظهر إلا لمن يملك قلباً أصفى من الألماس !

وفى سفح جبل لو ـ شان هذا ، كانت تقوم قرية صغيرة ، يعيش فيها صاحب مزرعة بدين الجسم أكرش ، وبخيل شحيح حتى أنه لا يتخلى عن الماء الذى يسلق فيه بيضة ، ويستغل خدمه وأجراءه إلى أبعد حد . ولقد جرى الناس على تسميته بـ «السلاخ» ، لأن الرحمة لم تكن تعرف إلى قلبه سبيلا .

وكان يعمل فى مزرعته أجير شاب اسمه «تشانغ ـ تشو» ، وهو فتى طيب أمين دؤوب ، قل أن نجد نظيراً له فى هذا العالم . يعمل من الصباح حتى ساعة المغيب ، ويأكل غالباً ما لا يسد رمقه ، زد على ذلك أنه كان يتعرض للضرب من سيده . وكان يصعد ، كل يوم إلى الجبل بحثاً عن العيدان اليابسة ، ويعود مساء وحزمة منها على كتفه .

ذات يوم ، لم يتمكن من العودة إلا وقد حل المساء . فوقعت عينه ، وهو قرب عين الجنيات على شىء ما صغير ، ملقى على الأرض ، يلتمع . تلفت حوله ، فلم ير أحداً . ولم يكن ذلك الشىء اللماع ، إلا دبوس شعر من الفضة ! لمن هذا الدبوس ؟ كانت الغابة ساكنة ، والطبيعة فى سبات عميق ، والنجوم وحدها ساهرة فى السماء ، عالياً جداً فوق الأشجار .

حدث تشانغ ـ تشو نفسه ، وهو ينحنى لالتقاط الدبوس : سآخذه وأحتفظ به ، لعلنى أجد صاحبه غداً !

وفى اليوم التالى ، انصرف ، كسابق عادته ، والشمس ماتزال فوق الأفق . ولكنه توقف عند الينبوع ، وأخذ ينتظر وينتظر .

أرخى الليل سدوله ، وطلع القمر ، ولكن لم يبد له أحد . فما كان منه إلا أن تناول حزمة الحطب ، وهم برفعها إلى كتفه استعداداً للمسير . ولكنه تسمر فى موضعه ، وهو ينهض بحمله ، مأخوذاً من فرط الاعجاب : ثمة ، فوق صخرة إزاء عينيه ، صبية تبتسم له ... كانت عيناها أشبه بنجمتين ، وهى ترتدى غلالة ناعمة ، وردية اللون ، شفافة !

سألته بصوت ندى مثل نسمات الربيع :

«قل لى ، أرجوك : ألم تجد ، بالمصادفة دبوسى الفضى ؟» .

لم تمكنه دهشته البالغة من أن يجيب

مد تشانغ ـ يده إليها بالدبوس ، دون أن ينبس ببنت شفة .

وما إن شكرته الحسناء ، بمودة ، حتى كانت هفهفة ثوبها قد سمعت فى الفضاء ، ثم هبت ريح صغيرة ، واختفى طيفها اللطيف .

لم يقدر الفتى ، طوال الساعات التالية أن يفكر إلا بهذا الذى وقع له . وما لم يستطع أن ينساه كان ، على وجه التحديد ، جمال الحورية الرائعة ، وقد ظلت صورتها مطبوعة فى قلب عينيه لا تفارقه أبداً . وعبثاً راح يتمنى ، فى الأيام التالية ، رؤيتها ... فالغابة فى سكونها ، وليس للحورية فيها من أثر .

ولكن حادثة غريبة أخرى وقعت للفتى ، وهو فى الجبل . كان قد أتم جمع أعواده وعساليجه ذات مساء ، وربط حزمته ، وجلس ليتناول عشاءه البسيط . مد يده إلى صرة أكله ، التى كان قد أودع فيها عدداً من كعكاته المتواضعة ... ولكن يا للخيبة ! كانت الصرة خاوية ، ولا أثر للكعكات فيها !

حدث نفسه : يا للغرابة ! لا شك أن حيواناً غاشماً قد أكل عشائى !

إلا أن الحادثة تكررت فى اليوم التالى ... ثم إن الأمر ذاته أخذ يقع كل مساء .

فكر الفتى ، مخاطباً السارق المجهول : انتظر قليلا . لسوف ألقى القبض عليك ، يوماً ما ، أيها النشال الحقير ! وتسلق شجرة صنوبر ، واندس بين أغصانها مترقباً .

غابت الشمس ، وحل الظلام ... وما لبث البدر أن أطلع ، فملأ السماء نوراً .

هنا ترامت إلى مسمع الفتى أصوات تلك الجلاجل الصغيرة : فليك فلاك فلوك بينما اعتراه الذهول مما ترى عيناه من مشهد غريب : كانت تتدحرج نحوه ، من الجانب الآخر من المكان ، كرة فضية اللون وذات لمعان شديد . وكلما اقتربت

حوريات الغابة

منه ، اضطر إلى أن يطبق جفنيه أكثر فاكثر ، ذلك أن النور الذى ينبعث من هذه الكرة ، كان يسطع سطوعاً باهراً . فلما فتح عينيه أبصر ، تحت الشجرة المتخفى بين أغصانها ، غزالا صغيراً بدا له أنه من حجر اليشب الأبيض ، يتوهج فروه توهج الأحجار الكريمة الثمينة ... ولكنه كان ، بما لا يدع مجالا للشك ، يتم أكل الكعكة الأخيرة !

صرخ الفتى وهو يسرع بالنزول من على شجرته :

«واخيراً ، ضبطتك متلبساً ! فانت إذن من ياتى كل يوم وياكل كعكاتى ؟ (واضاف مؤنباً) الا تخجل ، يا هذا ؟! لو أن عندى مزيداً من الكعك لما عاتبتك ... ولكن ، هل تعلم انى أبيت ، كل ليلة ، خاوى البطن بسببك ؟!» .

اجاب الشادن اليشبى :

«انا لم آكل كعكاتك هذه دون مقابل . لسوف اوفيك حقك بان أزودك بخطيبة حسناء ! »

هتف تشانغ - تشو ، وهو يطلق تنهدة :

«أواه ، أيها الشادن الصغير ! انت لطيف حقاً . ولكن ، الا ترى انى لا أكاد أقدر على تامين الغذاء لنفسى ، فكيف أستطيع أن أقوم باطعام زوجة ؟!»

فطمانه الشادن اليشبى الصغير .

«لا تقلق ! لن تكون زوجتك المقبلة عبئاً عليك . إنها ، على العكس من ذلك تماماً ، ستكفى نفسها بنفسها ، فضلا عن انها ستكون عوناً لك فى حياتك . اذهب إلى عين الجنيات ساعة طلوع القمر ، وانتظر هناك . ستاتى تسع حوريات للاستحمام فى الينبوع . انظر أيهن تعجبك اكثر من غيرها ، فاختطف ملابسها ، وانطلق باقصى ما تستطيع من سرعة . فانها دون ثيابها ، لن تتمكن من العودة إلى السماء ... وعندئذ تصبح زوجتك !» .

ما إن قال الشادن اليشبى الصغير ذلك ، حتى اخذ يبتعد ، مكردحاً ، بجسمه الكروى الباهر النور ، واختفى فى الأدغال .

وهنا تذكر تشانغ - تشو الحسناء المجهولة التى كانت قد اضاعت دبوسها الفضى قرب عين الجنيات . آه ، ليتها تكون إحدى الحوريات التسع !

وفى اليوم التالى ، وقبل طلوع القمر ، كان متخذاً مكانه حيث ينبغى ، مختبئاً قرب الينبوع .

طلع القمر . وبدا سطح الماء هادئاً ، اشبه بمرآة . وفجاة ، تحرك الهواء ، فاشرق نور من جميع الجهات فى آن واحد ، وظهرت ، على ضفة الينبوع ، فتاة حسناء فى ثوب احمر ! ثم أومض نور آخر ، بدا وكانه يشق الفضاء ، فظهر طيف لحورية ثانية قرب الينبوع ، ترتدى الأخضر هذه المرة ... وهكذا كانت حوريات الغابة ينزلن إلى الأرض ، واحدة بعد اخرى ، ليستحممن .

كتم تشانغ - تشو انفاسه . يا للسماء ! إنه لم ير ، فى حياته كلها ، هذا العدد من الحسناوات مجتمعات ! ولكن كانت فى نفسه غصة : إن الفتاة ، التى امضى الليالى وهو يطلق التنهدات الحارة حباً لها ، تلك الحسناء المجهولة ذات الدبوس الفضى ، ليست بين هؤلاء الماثلات امامه .

فى تلك اللحظة ، خفق فوق رأسه صوت مثل هينمة ، أو نسمة عليلة ، ثم حطت الحورية الأخيرة على الأرض ،

الحورية التاسعة ... فكانت إياها : الحسناء ذات الغلالة الوردية بدبوسها الفضى المغروز فى صدرها !

هتف تشانغ - تشو فى ذات نفسه : تلك هى التى أريدها ، ولا أريد سواها .

وانتظر حتى تجردت الحوريات .. ثم تسلل إلى حيث ملابسهن وهن يستحممن واختطف غلالتها الوردية الشفافة ، واطلق ساقيه للريح .

لم يكن قد بعد كثيراً ، لحظة خيل إليه أن هناك من يناديه . التفت ، فرأى حسناءه ترنو إليه بعينيها الباسمتين . سالته :

«لماذا هربت منى هكذا ، مع أن كلا منا يعرف الآخر جيداً ؟ اعتقد اننا صديقان ... الا ترغب فى زوجة ؟» .

جن تشانغ - تشو فرحاً . وما كان منه إلا أن اصطحب زوجته الشابة إلى بيته . فكانا سعيدين جداً فى حياتهما المشتركة .

منذ ذلك اليوم هرب الفقر والشقاء من البيت . فقد كانت الزوجة تقعد امام دولاب مغزلها وتروح تغزل خيوطاً تضاهى بنعومتها ما تغزله العذراوات من خيوط ... ثم يقوم تشانغ - تشو بحمل نتاجها الى المدينة ، حيث يبيعه فيجنى الزوجان من ذلك أرباحاً وفيرة .

وكان من البدهى الا يرضى ذلك صاحب المزرعة ، السلاخ المشؤوم . لقد استدعى إليه تشانغ - تشو ، ووبخه ، وارغى وازبد ... وانتهى الأمر بالأجير إلى أن يروى لسيده حكاية الشادن اليشبى : كيف سطا هذا الشادن على كعكاته ، وكيف فاجاه هو ، وانه تعلم منه الطريقة التى مكنته من أن يحظى باحدى حوريات الغابة !

فكر المزارع لدى سماعه ذلك : كعكات !! كعكات تافهة ، عجينتها من الشيلم أو الزؤان ! إنى اذا ما قدمت للشادن فطائر ممتازة ، مصنوعة من الدقيق الأبيض الناعم المبثوث بالزبدة والبيض ارشدنى لا شك إلى الوسيلة التى احصل بها على فتيات أروع جمالا !

مساء اليوم التالى ، كان المزارع قد اعد صرة فيها ما لذ وطاب من الفطائر

المغشاة بالقشدة ، وأخذ طريقه نحو الجبل . هناك وضع فطائره على صخرة ، وتسلق شجرة ، وراح يرقب من فوقها .

لدى طلوع القمر ، ظهرت فعلا ، فى الجانب الآخر من المكان كرة فضية ! كانت تسرع نحوه ، وهى تزداد توهجاً ولمعاناً ... إلى أن تجلى الشادن اليشبى فى ظل الشجرة ، وارتمى على الفطائر ارتماء .

صرخ المزارع ، وهو يهبط من مكمنه : «قد ضبطتك متلبساً وأنت تأكل فطائرى ! كيف تسمح لك نفسك بأن تأكل عشاء رجل مسكين مثلى ؟ لو كان عندى من الفطائر ما يكفى ، لما عاتبتك . إن على الآن ، أن أنام دون عشاء» .

نطق الشادن قائلا :

«أنا لست سارقاً ! أنا لا آكل شيئاً دون مقابل ! سأردها إليك بأن أدلك على الوسيلة التى تستطيع أن تحصل بها على امرأة رائعة الجمال !» .

سأل المزارع نافذ الصبر :

«وأين يمكننى أن أعثر عليها؟» .

قال الشادن اليشبى :

«اذهب إلى عين الجنيات ساعة طلوع القمر ، وانتظر هناك . ستأتى تسع حوريات للاستحمام فى الينبوع . اختر منهن من تستأثر باعجابك ، واختطف ملابسها ، واركض . إنها لن تستطيع العودة الى السماء دون ثياب . وعندئذ تصبح زوجتك !» .

لم يكد الشادن ينهى كلامه ، حتى كان المزارع يسرع نحو الينبوع ، دون أن يعنى حتى بتقديم الشكر الى الغزال الصغير .

لم يلبث هناك إلا هنيهة ، حتى طلع القمر . وكما وقع ، قبل فترة قريبة ، على مرأى من تشانغ ــ تشو ، فان الحوريات أخذن ينزلن إلى الأرض واحدة بعد أخرى . كانت ضفاف الينبوع تشع بوميض الهى . أى ألوان قزحية ! أى نور واشراق ! لقد جحظت عينا المزارع حتى خرجتا من محجريهما !

قرر بينه وبين نفسه : أريدهن جميعاً زوجات لى ! إن كلا منهن تفوق الأخرى جمالا . وقام يختطف الملابس ، المتناثرة حول الينبوع كلها ، ويعدو بما أوتى من سرعة .

فى عدوه ، ترامى الى سمعه وقع خطى تتعقبه ... هى خطوات لأكثر من قدمين ، ولكنها كانت خفيفة ورشيقة .

لحقت به الحوريات . أدركنه . تحلقن حوله فى دائرة ، وقد أمسكت كل منهن بيد الأخرى ، وشرعن فى الرقص . اتخذت الحورية الأولى من المزارع «مراقصاً» لها ، وراحت «ترقصه» ، وتدور به حول نفسها ، وتحوم . ولحظة أدركها التعب ، «سلمته» إلى الحورية الثانية ، فراقصته هذه قبل أن تتخلى عنه إلى الثالثة ، وهكذا ... ذلك لم يعد رقصاً ، بل «مهرجان رقص» مرهقاً إلى حد لا يطاق .

انبهرت أنفاس المزارع البدين ، ووهنت ساقاه ، وسح منه العرق ، وأخذ قلبه يخفق خفقاناً مريعاً ، وأذناه تدويان ... وعبثاً كان يتوسل اليهن ، ويتأوه ، ويحاول أن يتملص من بين أذرعهن ، ولكن هيهات !

كان عليه أن يرقص ويرقص ... حتى فقد القدرة على التنفس ، وهوى إلى الأرض .

وههنا ، التقطت حوريات الغابة غلائلهن ، وارتفعن إلى السماء .

ثم إن الفجر لاح .

وفى ذلك الموضع القريب من عين الجنيات ، لم يعد المزارع ، الجشع التعيس إلا جثة هامدة ، ممددة فوق العشب .

لقد رقص حتى الموت !

فاضل السباعى

معلقـــة ومشعلقـــة

قال طرفه بن العبد فى معلقته الشهيرة :

لخولة اطلال ببرقـــة ثهمـد
تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

ولانها معلقة على أستار الكعبة ومنمقة بماء الذهب فقد عورضت واحتذيت .. وكلها معارضات جادة واحتذاءات رصينة تعاملت مع «الأصل» حسب الأصول الجارية والقواعد المرعية .. ولكن هل هذا كل شىء .. هل اكتملت أشكال المعارضة وتجمدت عند هذا الحد ؟ .. الأيام تدخر مفاجآتها فبعد ما يقرب من الف عام على معلقة طرفه يأتى ابن دانيال الكحال ويتعامل معها بأسلوب «تعاليلى يابطة» ويكتب على نسقها قصيدة ، وبما انه يعارض «معلقة» فهو يسمى ما كتبه «مشعلقة» .. ويتحدث عن حاله بلسان مقاله :

امسيت افقر من يروح ويغتدى
ما فى يدى من فاقتى إلا يـدى!
فى منزلى لم يبق غيرى قاعدا
فاذا رقدت .. رقدت غير ممـدد
لم يبق فيه سوى رسوم حصيرة
ومخدة كانـــت لأم المهتــدى

ثم يتحدث عن الحشرات السائرة من صراصير وعناكب وعقارب ، والطائرة من البعوض والزنابير .. والقافزة من البرغوث ..ويحق له أن يقول عنها :

حشرات بيت لو تلقت عســـكرا
ولى على الأعقــاب غيــر مـردد
هذا ولى ثوب تراه مقطعـــــــا
من كل لون مثل ريش الهدهــــد
لولا الشقاوة ما ولدت فليتنـــى
إذا كان حظـــى هكذا لم اولـــد
إذ كيف ارضى بالحياة وهمتـــى
تسمو وحظى فى الحضيض الأوهد

الذين عارضوا «طرفة» بجدية جعلونا نتامل ونفكر ونعيد .. وابن دانيال جعلنا نضحك ونقول هل من مزيد .. وهل الجدية والضحك إلا وجهان لعملة واحدة هى «الحياة» ؟!

وجدان الانسان العربى
فى الفن الشعبى

فاروق خورشيد

الأدب الشعبى العربى ليس ابن الجزيرة العربية وحدها ، وان كانت اصلا رئيسياً فيه ، ولكنه ابن المنطقة الاسلامية الدين العربية اللغة ، وانها كلها بموروثها القديم قد شاركت فى صنعه ، وحملت اليه كل معطياتها القديمة مع ما حملت اليه من وجودها البشرى ، وكيانها الجغرافى ، ومعطياتها الثقافية والعلمية والاجتماعية الأخرى .

ومن هنا امتلأ الأدب الشعبى العربى بالكثير من مخلفات العقائد والفلسفات والثقافات التى عرفها العالم القديم كله بعامة ، والتى عرفتها الشعوب السامية بخاصة ، والتى استطاعت هذه الشعوب ان تتزود بها من الأمم التى جاورتها فى مراحل حياتها البدائية الأولى ، والتى اتصلت بها عن طريق التجارة أو الرحلة، وعن طريق الحرب والغزو ، وعن طريق التزاوج والمعاشرة ...

وقد تبدو بعض هذه المخلفات الموجودة فى الأدب الشعبى العربى غريبة عن الحس العربى لأهل الجزيرة فى كثيرة من الأحيان ، كما قد تبدو غريبة عن العقيدة الاسلامية ، وروح الفلسفة الاسلامية فى أحيان كثيرة ... ولكن هذه الغربة لا تدعونا الى نفى أصالتها فى الحس العربى الشعبى ، ولا الى ادعاء انها مجرد نقل وترجمة عن ثقافات أخرى غريبة ، وانما نحن نضعها فى مكانها الطبيعى من التراكم الثقافى عبر مراحل التاريخ المختلفة ، ذلك التراكم الذى كون الصورة المتطورة والمتحركة للثقافة الشعبية العربية ، التى وان تغيرت من عصر الى عصر ، إلا أنها ظلت تحمل سمات رئيسية من عصورها الاسطورية والبدائية الأولى على طول العصور .

فكر الشعب

وفى الأدب الشعبى نحن لا نبحث عن

● **ما يكتبه الأدباء المتميزون يتسرب إلى شرايين المجتمع بطريقة تلقائية**

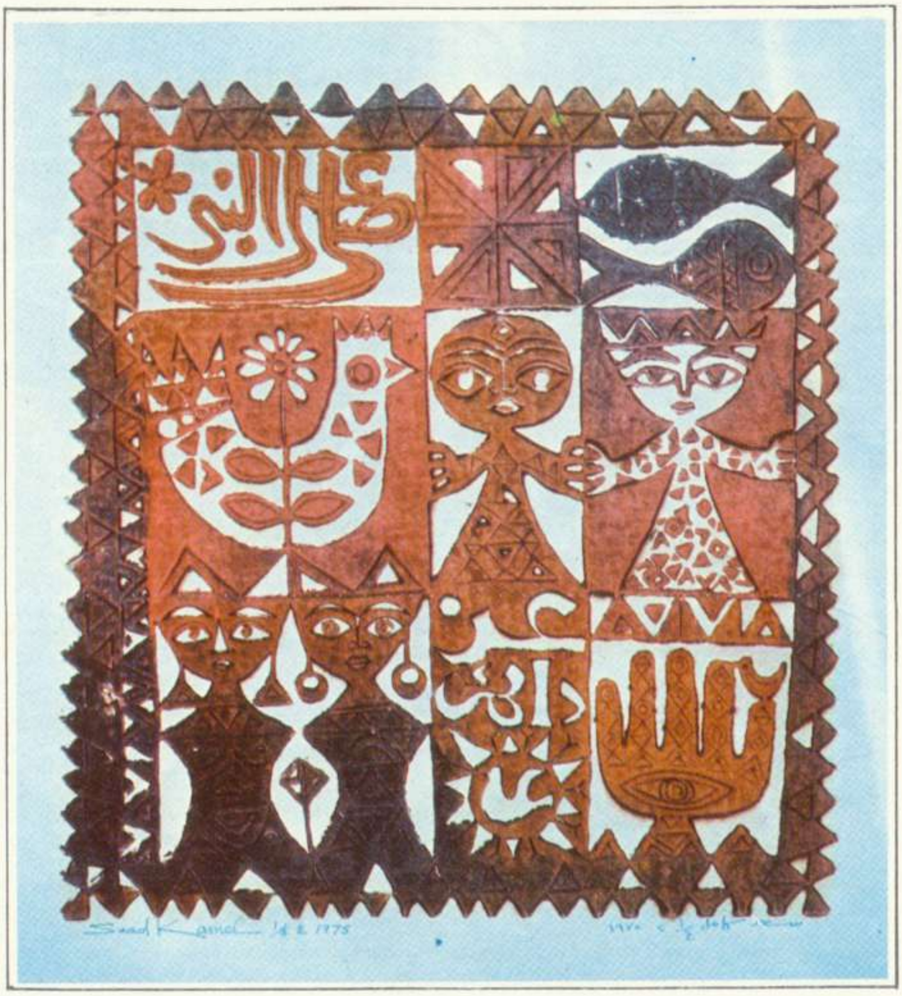

فكر فلسفى واضح السمات ، ظاهر التماسك ، وانما نحن نبحث عن المعطيات الفنية المترسبة عن هذا الفكر ، ونحن نحاول ان نردها الى اصولها ، دون عناء البحث فى هذه الفلسفات نفسها ... وهذه المعطيات تظهر لنا بصور الحكى المختلفة ، وهى نفس الصور التى تظهر بها المتبقيات الاسطورية القديمة التى ملأت فكر الشعب العربى فى بداياته الأولى ، وهى تختلط بها وتتحد معها ، وهى فى جريانها داخل الوجدان الشعبى قد تمزج بين معطياتها الأسطورية القديمة وبين أكثر من فلسفة وعقيدة ، مرت فى ضمير الشعب عبر مسيرته الثقافية الطويلة . فالحكى أو القص فى الأعمال الشعبية ليس مجرد ادوات لتسلية الناس والهائهم . كما هو الحال فى تصور الكثيرين من أصحاب الفكر السطحى الذين ينظرون الى كل ما هو «شعبى» باعتباره اقل أهمية ، واقل قيمة ، واقل جدوى ، من الأعمال التى تصدر عن الأفراد الذين أثبتوا وجودهم واسماءهم فى سجلات وكتب الأدب والتاريخ ... ولسنا هنا بصدد مناقشة هذه القضية ، فهى قضية تحتاج الى جدول طويل ... ولكننا هنا بصدد التحرك من نتيجتها التى تفترضها ، ولا نحب ان نناقشها وهى أن الافراد الافذاذ دائماً ينبغون من مجتمع انسانى يمهد لظهورهم بنموه الثقافى الفذ ، وأن نتاج ما يقدمه هؤلاء الأفراد الأفذاذ من فكر وثقافة انما يعود مرة أخرى ليتسرب الى شرايين هذا المجتمع بطريقة تلقائية وغير منظورة ، ليصبح تدريجياً جزءاً من نسيج ثقافةشعب هذا المجتمع ، وليصبح جزءاً رئيسياً من مكونات فكر الشعب وأدب الشعب ...

والكثيرون من الدارسين للأدب قد افاقوا منذ فترة طويلة الى هذه الحقيقة

الهامة ، فمضوا يربطون الانتاج الأدبى الذى يبدعه الأفراد المتميزون القادرون على التعبير باللغة الأدبية المتفوقة بانتاج الشعب ، او بالأدب الشعبى ، القريب الى حس العامة ولغتهم ، وأيضاً بالأدب الشعبى الذى هو موروث عام للشعب صاحب اللغة التى يكتب بها هؤلاء الأدباء المتميزون ....

الرمز الأدبى

وحين كانت تعوز النقاد القدرة على تفسير نص من النصوص الأدبية كان ربط هذا النص بالمعطى الأسطورى ، والمعطى الشعبى ، هو الباب الرئيسى لتفسير ما يغمض من هذه النصوص . بل لقد قام الرمز فى الأدب أساساً على العودة الى هذه المعطيات الشعبية ، والاحالة اليها والى ما تحمل من قصص تعود ، بأصولها ، الى الرموز الأولى التى أسقطها الانسان فى بدايات وجوده ، على القوى الموجودة فى الكون وما تخيله من صراع دائم بينها لا ينتهى ولا يتوقف وعلى ما يمثله الوجود البشرى من صراع مستمر ضد قوى الشر فيها ، واستجلابها لقوى الخير منها ..

والأدب الرمزى فى محاولته التغلغل فى أعماق الانسان الفرد ، انما هو يستعين بموروث هذا الانسان الفرد ، باعتباره عضواً فى جماعة ، للكشف عن طوايا نفسه المختبئة وراء عقله الواعى المتحكم فى سلوكه وفكره وتعبيره ، أى ان هذا الأدب يحاول أن ينهى الفردية المتميزة بدمج وجدان الفرد صاحب الابداع ، بوجدان الجماعة ككل ، والبحث عن مدلولات الرمز ، لا من خلال وجدان الفرد المبدع للرمز وحده ، وانما من خلال وجدان الجماعة التى ينتمى اليها هذا الفرد ، ويندمج اندماجاً كلياً لحظة الابداع الفنى بها ... ولجوء أديب الرمز الى الموروث العالمى من المعطيات الشعبية لا يساوى ـ من ناحية تحقيق العمق الانسانى لابداعه ـ ما يمكن أن يساويه ويحققه اللجوء الى المعطيات الشعبية الحميمة الخاصة بشعبه الذى يصدر أدبه للتعبير عنه أولا وقبل كل شىء ...

وينطبق هذا بالطبع على استعمال الرمز فى غير الأدب الرمزى الخالص من ألوان التعبير الأدبى المختلفة ، كما ينطبق أيضاً على الاحالات التاريخية فى كل عمل من الأعمال الأدبية ، وعلى الأعمال التى تتجه أصلا الى اتخاذ موضوعها مرحلة ما من مراحل التاريخ ، وتتجه أيضاً الى استخراج شخصيات من الشخصيات ذات البروز المعين فى مرحلة ما من مراحل التاريخ ...

المفاتيح الحقيقية

والذى لاشك فيه أن الاهتمام بالأسطورة ، وبالمعطى الأدبى الشعبى ، كان يكمن وراء العودة الجادة الى الموروث الاغريقى ، وخاصة المجمعات الأسطورية كالألياذة والأوديسة ، فمن خلال هذه العودة استطاع الأدب الانسانى ان يربط نفسه بجذور عميقة فى الوجود الانسانى ، لا الوجود التاريخى المرتبط بالاحداث وحده ، وانما الوجود النفسى الملتحم بالوجدان الانسانى ومراحل تكونه ، عبر صراعه الأول فى سبيل البقاء ، ثم صراعه الثانى فى سبيل الاكتشاف والمعرفة ، ثم صراعه الثالث والدائم فى سبيل التقدم والتطور المستمرين ... قدمت الميثولوجيا الاغريقية لانسان الغرب المفاتيح الحقيقية لماضى وجدانه الانسانى ، واستطاعت أن تجيبه عن أسئلة كثيرة شغلته وحيرته ... وان كانت الفلسفة الاغريقية قد قدمت له التفسير العقلى لنموه ومعنى وجوده ، واذا كان العلم الاغريقى قد فتح أمامه معنى البحث والاستنباط والمعرفة ، فان الميثولوجيا الاغريقية لاشك كانت المعين الحقيقى الذى استمد منه التفسير الوجدانى لمعنى وجود الانسان ، وصراعه من أجل هذا الوجود ... ونحن نستطيع ان نقول ان الارتباط بالميثولوجيا الأغريقية كان الأساس الذى قام عليه الوجدان الجمعى لأمم الغرب ، كما أنه كان الأساس لمحاولات الافراد الافذاذ فى دنيا الانتاج الفنى بعلمه ، والأدبى على وجه الخصوص ...

انتماء الأديب

وقد ظل ابتعادنا عن المجمعات الشعبية العربية الكبيرة كمصدر أساسى من مصادر العطاء الفنى ، صاحب تأثير حقيقى على فهمنا لما أعطاه الأدباء من انتاج أدبى منذ عصور الأدب العربى الأولى وحتى الآن ... وقد لون هذا الابتعاد احكامنا النقدية على الأدب والأدباء ، بحيث سطح هذه الأحكام وربطها بظروفها الضيقة من بيئة وأحداث تاريخية وواقع معاش ، دون ان يعمقها العمق الانسانى الكافى ، ودون ان يربطها ربطاً عضوياً وحقيقياً بالضمير الشعبى العربى منذ لحظات تكونه الأولى ، وعلى مدى التطور والتفاعل والتغير الذى تعرض له هذا الضمير من عصر الى عصر ، ومن بيئة الى بيئة ، ومن مرحلة الى مرحلة معاشة الى مرحلة اخرى معاشة ... ولعل انتهاج نقادنا للمنهج السياسى فى تقسيم عصور الأدب أكبر شاهد على غياب فكرة العمق الانسانى من ناحية ، وعلى مقدار ما فى احكامنا على العطاء الأدبى من سطحية واكتفاء بالظواهر الخارجية للأشياء من ناحية أخرى ، وقد أثر هذا على مفهومنا للأديب نفسه ، إذ ربطنا الانتاج الأدبى بالتغير السياسى ، وكان معنى هذا أن يستجيب هذا الأدب استجابة مباشرة لكل تغير سياسى يطرأ على حياتنا ... وكان معنى هذا أيضاً اننا نطلب من الأديب أن يكون فى خدمة التحرك السياسى ، فهو منتم سياسياً شاء أم لم يشأ ، يسقط بسقوط الدولة التى ينتمى اليها ، ويرتفع بارتفاعها ... وهوفى كل حال من الأحوال يوجه أدبه للدفاع عن كل ما تمثله هذه الدولة . وهو ان لم يوجه هذا الأدب باختياره فهو ـ على كل حال ـ مطالب بهذا ، لكى تتاح له فرصة الحياة داخل هذه الدولة ...

الحياة لن تقهر

وهذه النظرة لا تربط الأدب بوجدان الانسان ، ولا تعتبره سياحة ذات هدف انسانى داخل أعماق الوجود الانسانى نفسه .

انتهاج نقادنا للمنهج السياسى فى الأدب أكبر شاهد على غياب فكرة العمق الانسانى

ارتبط الأدب الشعبى بكل الموروثات العربية القديمة التى حملتها الشعوب الوافدة

وهذه النظرة لا تنظر للأدب كوسيلة رئيسية من وسائل الكشف عن مكونات هذه النفس ، وأغوارها المظلمة البعيدة عن مجال الرؤية السطحية الظاهرية للأشياء ، وهذه النظرة ايضاً لا تعتبره وسيلة تربية الانسان الانسان ، لا الانسان المرتبط برأى سياسى أو موقف سياسى معين ... بمعنى أنها الوسيلة الى الوجود الصحى المتطور للانسان بشكل عام فى كل عصر ، وتحت كل الظروف ، وهى التى تجعل استمرار حمل المشعل الحضارى من يد الى يد امراً حتمياً ، وهى التى تجعل انتقال هذا المشعل اضافة جديدة باستمرار الى الضوء الذى يتغلغل فى قلب الانسان ، ويزيد حياته نوراً ومعنى ، ويزيد وجوده فوق الأرض جدوى وصلاحية ... بل إن هذه النظرة لا تستطيع ان تبعد بتطلعها الى أبعد من واقع حياة معينة تعيشها لفترة زمانية لا شىء وراءها ... الانسان فيها مجرد اداة للبقاء والقوة فى هذه الحياة المعينة القصيرة البقاء والقاصرة النظرة ... واى تطلع الى أمام انما هو مرسوم بمدى حياة دولة أو قوة ، وأى تطلع الى خلف فانما للقضاء على كل ما يذكر الناس بالحياة التى سبقت ، أو الدولة التى سلفت ، أو القوة التى تم القضاء عليها ... فهناك عداء دائم لكل ما

مضى ، وهناك خوف دائم من كل ما سياتى ، وهناك باستمرار محاولة لكى تكون هذه القوة الحاكمة هى البدء وهى المنتهى ايضاً ... وليس هكذا الانسان ، ولا هو خلق لكى يكون محصوراً بارادة فرد أو أفراد منه ، وانما هو تيار لا يتوقف ونهر دائم الجريان ، ودائم التجديد ، يتمرد على كل سد ، ويكره كل محاولة لوقف تسلسله وجريانه . وهو يتمرد على هذه المحاولة ويهزمها ، ويطيح بها ان اخرت مسيرته ، وإلا توقف وجف ماؤه ، وانتهى مجرد حفرة ممتدة تملؤها الرمال وتحكى عن قصة حياة غبرت وانتهت ... ومع هذا فان الماء الكامن فى بطن الأرض لا يموت بموت النهر ، وانما هو يصارع حتى يجد له مخرجاً جديداً الى سطحها ، ليشق لنفسه مجرى جديداً فوق أرضها ، يؤكد أن صانع الحياة لا يريد لها أن تقهر ، ولا ان تجف ، ولا ان تتحول الى موات وبقايا وجود ..

الانسان المشارك

وفى الوقت الذى اتجه فيه أدب الشعب الى الابداع ــ فى عصور ما بعد الاسلام ــ معبراً عن الانسان العربى الجديد ، فى تطوره الذى امتزجت فيه أجناس وراء أجناس ، وشعوب وراء شعوب ، فى هذا المزيج المتجدد ، الدائم التجدد ، الذى نسميه الشعب العربى أو الشعب الاسلامى أى تسمية تشاء وهو استطاع أن يفلت من هذا الحصار المضروب عليه ، وأن يصل نفسه بالنهر المتجدد دوماً ، وأن يكون جزءاً من تجدد هذا النهر واستمراره ، وجزءاً من الاضافة الدائمة التى تجعل من مائه تدفقا لا ركوداً ، وحيوية لا سكوناً آسناً .. وبهذا ارتبط هذا الأدب الشعبى بكل الموروثات القديمة التى حملتها هذه الشعوب الوافدة الى النهر العربى ، كما ارتبط بكل الموروثات العربية القديمة التى استطاع ان يقفز اليها ، وان يرتبط بها ، بما استجد فى أعماقه من معطياتها وآدابها وقيمها ..وكون من الاثنين وجوداً حياً متصلا يرتبط بالانسان الانسان ، لا انسان عصر أو عنصر ، ولا انسان حزب أو دولة ، ولكن الانسان العربى من حيث هو انسان مشارك فى اكتشاف الوجود الانسانى بالبحث الدائم عن أعماق الوجدان الانسانى ، وكشفه والتعبير عنه ، واثرائه بعامة على وجه الخصوص .

أين واقع البيئة ؟

وفى نفس الوقت تسللت الكثير من هذه المترسبات الى فن الأفراد الأفذاذ من أصحاب التعبير الرسمى ، أو من أصحاب الأدب المعترف بهم ، رغم كل الحواجز والمحظورات ... وظهرت فى اشعارهم ورسائلهم وفصولهم هذه الاحالات الواضحة ، وهذه الرموز الغامضة الى المأثور الشعبى المتوارث القديم ، واختلطت فى هذه الاحالات الموروثات السامية بالموروثات الآرية الحامية ، وامتزجت فى هذه الاحالات والرموز والاشارات متبقيات العقائد ، وأساطير الأماكن ، وأساطير الحيوان ، وبقايا الحكايات عن القوى المجهولة ، ومحاولة التعرف عليها ، والتلاؤم بينها وبين قدرات الانسان المحدودة ... ولكن اذا كان الأفراد الأفذاذ من أبناء الأدب العربى قد وجدوا أنفسهم بحكم طبائع الأشياء جزءاً من تيار الانسانية المتدفق ، يستعينون فى تفسير وجدانهم بالاحالة على ما ترمز اليه حالات هذا الوجدان من

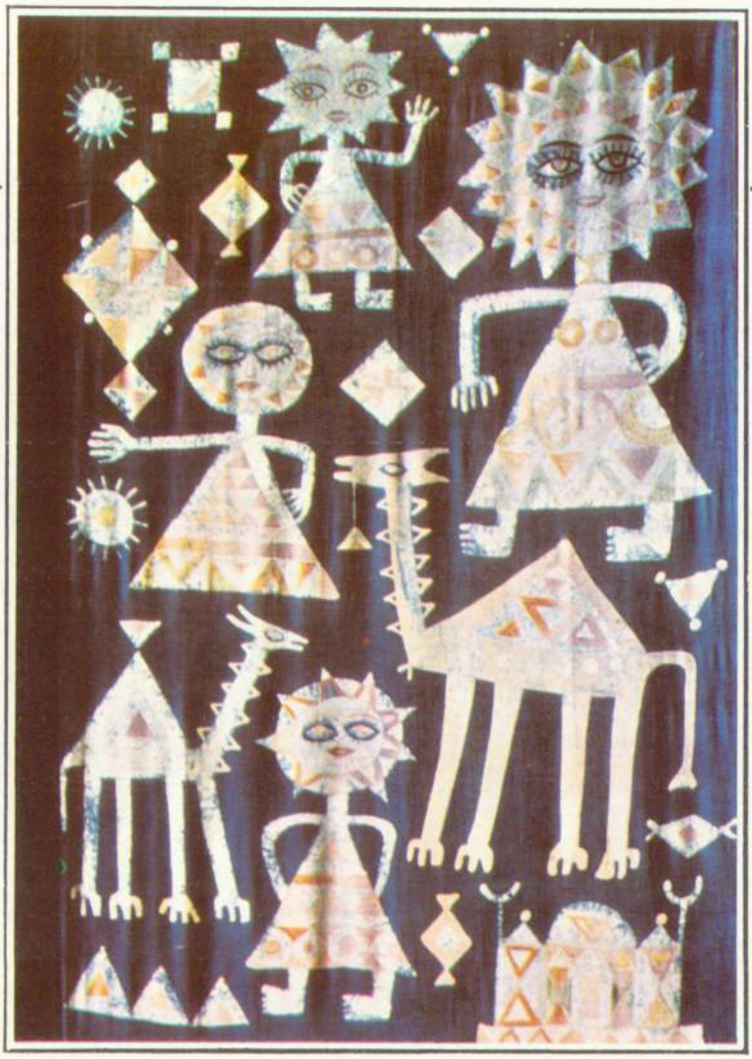

موروث شعبى يفسره ويعمقه ويثريه ، فان النقاد والدارسين ، ورجال البلاغة ودارسى الأدب ، لم يلتفتوا الى هذه الظواهر الالتفات الكامل المثمر ، بل لعلهم فى العصور المتتالية الكثيرة ــ لم يلتفتوا اليه على الاطلاق . وظلت الاحالات الكثيرة الموجودة فى الشعر الذى أطلقوا عليه اسم الشعر الجاهلى دون تفسير الى الآن . وظلت اسماء الأماكن التى اختار الشعراء ان يذكروها فى شعرهم لا يعقب عليها دارسو هذا الشعر إلا بأنها أسماء أماكن ، أما لماذا اختارها الشاعر بالذات ، وفى هذا الموقع بالذات ، فسؤال لم يخطر على اذهانهم . بل لقد ذهب بعضهم الى اخراج أبيات كاملة من قصيدة لشاعر لأنه لم يستطع أن يفسر بيتاً فيه مثل هذه الاحالات ، كأبيات امرىء القيس حول ناقف الحنظل مثلا ... واختفاء هذا النوع من الدراسة قد جعل من شعر هؤلاء مجرد عطاءات مسطحة لا نفهم منها إلا المعنى السطحى الواضح الذى يرضاه أصحاب اللغة لا أصحاب الفن ... وأمكن بهذا ان يتحدث نقاد الشعر عن أغراض الشعر من مدح وفخر وهجاء ، كمسلمات ثابتة لا نكران لها ، ولا مناقشة فيها ، وكأن الشاعر لا يجد ما يريد ان يعبر عنه ، وإنما كأنه يوظف شعره لخدمة هذه الأغراض المسطحة التى توظف الشعر توظيفاً سياسياً أو اجتماعياً ، دون أن تتعمق أهدافه الحقيقية كأداة لكشف وجدان الانسان وتعمقه ، وربطه بجذور الانسان الذى اتخذ الكلمة وسيلة للتعبير عن أشواقه وأحلامه ، لا مجرد أغراضه الحياتية الآتية المعاشة من فترة الى فترة ... ونحن نادراً ما نسمع عن شاعر التشاؤم ، أو شاعر السخرية ، أو شاعر القتامه ، ولكننا دائماً نسمع عن شاعر المدح أو شاعر الفخر أو شاعر الحماسة ... وفرق كبير فى الواقع بين النظرتين

أثر الوراثة

وكان خطأنا الثانى أننا حاولنا أن نعزل الموروث العربى عن الموروث الحقيقى للشعب الاسلامى المتكلم بالعربية ..... كما اننا قصرنا هذا الموروث على المنطقة الاسلامية من تاريخه ، أو ما قبلها بقليل ، رغم أن هذه المنطقة لا تمثل إلا جزءاً واحداً من الأجزاء التاريخية التى كونت موروثه الثقافى منذ لحظة استشعاره لنفسه فوق الأرض .

ونحن نستطيع أن نلمح آثار كل هذه المناطق الجغرافية والتاريخية فى الكم الهائل من المتبقيات الأسطورية التى تسللت الى كتب التفاسير والتاريخ ، وهى بقايا أسطورية لا تنسحب الى الماضى الأسطورى العربى الجزيرى وحده ، وانما هى تنسجب على الماضى الاسطورى لأبناء المنطقة جميعاً .. كما أننا نلمح نفس الموقف بالنسبة للمتبقيات من الحكايات الخرافية والملاحم والسير ، فهى لا تمت الى التحرك التاريخى لأبناء المنطقة جميعاً أيضاً .. ففعل الوراثة ، وفعل التزاوج وفعل الاحتكاك ، مع وجود

- نحن نادرا ما نسمع عن شاعر التشاؤم أو شاعر السخرية
- الانسان العربى عاش حياته متفتح الوجدان .. صافى العقل والقلب

التراكم الفولكلورى المستمر اسهم فى تكوين هذه الحصيلة الهائلة من الأدب الشعبى على مختلف فنونه

كما أننا نعثر أيضاً على هذا المزيج من الموروث القولى الفولكلورى المرتبط بالعادات والتقاليد التى يفرزها مجتمع الصحراء ، ومجتمع الزراعة ومجتمع الرعى ، ومجتمع المدينة ومجتمع النهر ، ومجتمع البحر ، حول كل ما يمس الانسان ، وحول كل ما يرتبط بحياة الانسان من مظاهر

الشخصية العربية

ولا عجب اذن ان كان لكل جبل فى الأرض ، ولكل ثنية شاطىء متاخم للبحر ، من الحكايات والتفسيرات والتعليلات ، ما يملأ ، الموروث العربى بثراء لا مثيل له . ونحن نعثر على الحكايات حول الأماكن والمدن ، بل وحول النباتات والحيوانات ، وحول النجوم والكواكب ، وحول الظواهر والتغيرات ، ما يرتبط بكل هذه الموروثات جميعاً ... ونحن بالتالى نحس ان الانسان العربى لم يعش حياته فى عزلة عن الكون وعن البيئة ، وعن معطيات الكون والبيئة ، بل عاش حياته مفتوح العينين ، متفتح الوجدان ، صافى العقل والقلب ، يلتحم مع الحياة ومظاهرها التحام المعايش ، والتحام المشارك ، والتحام الفاعل المغير والتحام المتمرد الذى ينشد الأفضل دائماً، والمفكر الذى يبحث عن المعنى دائماً ، وصاحب الشوق الذى يتجه الى مصدر شوقه دائماً ...

ان هذا الثراء الفذ يعكس بلا شك ثراء الشخصية العربية ، ويرسم أهمية دورها الحضارى فى بناء الانسان ، ويهدم كل ما قيل على ألسنة المغرضين من المستشرقين ... حول الشخصية العربية ، وحول فكرها ، وحول دورها الحضارى ... فهذه المساهمة فى إثراء الوجدان الانسانى بكل هذا المعطى الشعبى الثرى والمتنوع والعجيب ، صبه بدون شك فى شخصية الانسان كانسان على مراحل تاريخه منذ لحظة وجوده البدائى الأول وحتى اليوم . والكشف عن هذا العالم الذى يقدمه لنا الأدب الشعبى العربى ، كشف عن الدور البارز الذى قام به الانسان العربى فى بناء الوجود الانسانى المتطور والمتحرر من اسار المعوقات التى حاولت أن تعوق تطوره عبر التاريخ ...

ويوم ننجح فى الكشف عن حقيقة وجدان الانسان العربى بالدراسة المتأنية لجزئيات أدبه الشعبى ، سننجح فى اعادة قراءة أدبه قراءة صحيحة ، لنفهم الاضافات التى يحققها هذا الأدب ، ولنفهم حقيقة معاناة الشعراء والأدباء الذين اخفت الدراسات اللغوية والبلاغية المسطحة ، حقيقة أعماقهم الثرية الحافلة .

وسننجح أيضاً فى فهم حقيقة الإنسان العربى ، وحقيقة دوره كأحد بناة الحضارة الانسانية .

فاروق خورشيد

د . حسين مؤنس

أبو بكر بن عمار
الشاعر الملعون

الشعر نفحة من نفحات الجمال والصفاء ، والشعر الصادق لا يصدر إلا عن نفس صافية وروح فياضة بالخير والجمال . والشاعر قد يزل ويخطىء وقد يرتكب ما يشين ، ولكنه لا يؤذى إلا نفسه ، فقد يسرف على نفسه فى شراب أو لهو ، وقد يدمن على مكروه ، ولكنه لا يجنى بذلك إلا على نفسه ، ونادراً ما يؤذى غيره .

والشاعر يحقد ويذم ويحمل على غيره ، ولكنه اذ يفعل ذلك إنما يدفع عن نفسه أو قبيلة ، فالشاعر بطبعه انسان ضعيف أو رقيق ، وقد تغرى هذه الرقة غيره بالعدوان عليه فيضطر الى الدفاع عن نفسه ، ولكنه يظل دائماً شاعراً وانساناً رقيقاً مرهف الحس ، وهذا ما تحس به وانت تقرأ شعر الهجاء أو النقائض ، فقد يفحش الشاعر فيها ولكن دفاعاً عن النفس أو عن غير قصد

رغم موهبته النادرة

ولكن عندنا فى العربية ، ومن بين شعراء الأندلس شاعر حقت عليه اللعنة فعلا . لقد رزقه الله شاعرية قل أن نجد لها مثالا حتى قال فيه ابن بسام الشنتريني صاحب كتاب «الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة» إنه شاعر الأندلس دون مدافع ، وهو بالفعل كان كذلك . كان كما يقول الفرنسيون عن لامرتين : يتنفس الشعر ، وكان لا يتكلف قوله وإنما يصدر عنه فيض الخاطر كما يتدفق الماء من نبع صاف فى الجبل .

ومن عجائب خلق الله أنه أودع قلبه الى جانب هذه الشاعرية نفس شيطان ، فهو انسان شرير فاسد حقاً ، وانت مهما تقلب فى نفسه ، فان يدك لا تخرج إلا بما يسوءك ، فهو جشع طماع حسود منافق وكذاب وخوان ، وهو مع ذلك «خليع العذار مهتوك الستر .. كما يقول عنه ابن خاقان ، ولهذا ، وعلى رغم موهبته النادرة التى رفعته مرة الى مراتب الوزارة بل الامارة ، إلا أنه ظل رغم ذلك فقير النفس متسول الروح ، ظل عمره كله قميئاً مستهجناً تقتحمه العيون وتطول عليه الألسنة ، ونظر إليه الناس جميعاً حتى كونت برشلونة وملك قشتالة النصرانيين - نظروا إليه على انه انسان زرى غير محترم غير أهل للثقة .

ومن هنا ، وعلى رغم ما رأى من العز والرفعة رأى من الهوان والتعذيب اضعاف ما رأى غيره وحمل مرة على ظهر حمار من مرسية الى قرطبة مسافة ثلاثمائة كيلو متر ورجلاه فى جانب وصدره ورأسه متدليان على الجنب الآخر ومع ذلك ، وهو فى هذا الوضع المستحيل نظم شعراً جميلا فى الاستعطاف ، وسناتيك بطرف منه بعد قليل ، وانتهت حياته على أسوأ صورة : قتله صاحبه القديم محمد بن ابى عماد الملقب بالمعتمد صاحب اشبيلية ، وكان شاعراً أيضاً - قتله بالفريزين وهى آلة تشبه الفأس ذات حدين قاتلين ، قتله فى سجن مظلم ومازال يضربه حتى برد ، ثم حمل فى غراره «كأنه عدل تبن» كما يقولون ، والقى به حيث تلقى القمامات ، ومع هذا فما حزن عليه أحد ولا أسف عليه انسان فمضى كما يقول ابو محمد بن قاسم الشلبى الذى أرخ له «من لعنة الدنيا الى جحيم الآخرة» .

عصر الأشجان

ذلك هو ابو بكر بن عمار شاعر الأندلس فى عصره وهو عصر الطوائف ، وكان العصر كله عصراً لا يصدق ، فقد بدأ القرن الحادى عشر الميلادى والأندلس فى ذروة مجده وقوته ، وعلى رأسه جبار من جبابرة الأرض هو محمد بن أبى عامر الملقب بالمنصور الذى والى الغزوات على ممالك الأعداء فى شبه الجزيرة حتى ذلت بين يديه ، وأصبحت قرطبة فى أيامه عاصمة أوروبا ودرتها وزادت عمراناً واتساعاً وموارد خير مما كانت عليه أيام فخر خلفاء الاسلام عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م) فقد كانت جيوش المنصور تغزو مرتين فى العام وتعود الى قرطبة محملة بالسلب والمغانم ، ولكن المنصور محمد بن أبى عامر لم يذل الأعداء فحسب بل أذل الأهل وقسا عليهم، فقد نشأ فى ضعة وظل يدفع الناس بالمناكب حتى قبض على دفة الحكم فى الأندلس ، وملكه الخوف على ما بيده فمازال بالاحرار وأصحاب الحق من أهل البيت المروانى حتى لم يبق فى الأندلس سواه ، وملأ القلوب أحقاداً ، والقى البغضاء فى قلوب الناس وقسم جيش الدولة قسمين متعادين ، فما ان توفاه الله سنة ١٠٠٣ ميلادية حتى قامت الفتنة ولم تقعد قط ، ودخلنا فى عصر الطوائف الاسيف ، وانفرط عقد الوحدة وانتثر النظام وصارت الأندلس قطعاً وشظايا وحطاماً تسمى ممالك ، وتربع على حكومتها رجال ممن تربوا فى مدرسة ابن ابى عامر ، فلم يعرفوا إلا الأنانية والبغضاء ، وانتهز الفرصة ملوك النصارى فى الشمال فاقبلوا يأخذون بثأرهم ، وجعلوا يسقون الأندلسيين من نفس الكأس التى سقاهم منها المنصور .

وفى يوم اسود من أيام سنة ١٠٨٥ م استولى الفونسو السادس ملك قشتالة وليون على طليطلة دون ان يسل سيفاً ، بل اخذها أخذاً وأهلها ينظرون لأن أميرها المسلم وهو المأمون بن ذى النون مهد الطريق لضياعها ، وكانت ولاية طليطلة ربع مساحة الأندلس الاسلامى وكانت تمتد من وادى تاجه الى مشارف الوادى الكبير وهو نهر قرطبة واشبيلية . وفتح ملوك الطوائف عيونهم فاذا بمملكة

كان يتنفس الشعر ،
ولكنه فقير النفس متسول الروح !

قتلوه فى سجن مظلم ،
وألقوا به
حيث تلقى القمامات !

قشتالة التى كانت بالأمس لا شىء اصبحت اليوم كل شىء ، فضمتهم جميعاً واطلت عليهم بفرسانها تطالبهم أن يؤدوا لها الجزية صاغرين . وصاغرين أدوا لها الجزية . وملك الناس الورع واشتد بهم الفزع وتحولت مأساة الأندلس إلى داء عضال لا شفاء له قط .

فى بلاط المعتمد

فى ذلك العصر الحافل بالاشجان والمآسى عاش أبو بكربن عمار فى بلاط ملك صغير من ملوك الطوائف هو المعتمد ابن عباد ، واقول صغيراًلانه كان بالفعل اميراً صغيراً لا يملك من الجند إلا بضع مئات من الفرسان يضرب بهم على جيرانه من المسلمين ، ولا يجرؤ على أن يواجه ملك قشتالة فى معركة ، إنما كان يبعث اليه بالجزية صاغراً . ولهذا المعتمد صوت بعيد فى التاريخ الأندلسى لأنه على خصاصة حاله وقلة ماله كان يظهر بمظهر الملوك ويتحالى امام الناس بظاهر من الترف كاذب مسروق ، وكان شاعراً على علاته ، يصيب مرة ويخيب مرات ،ولم يجد شعره إلا بعد ان خلعه المرابطون عن ملكه التعيس ونفوه الى اخمات جنوبى مراكش ، فمضى يبكى نفسه ويرثى حاله فى شعر صادق حقاً حتى وافته المنية .

من الفقر الى العبث

عرف أبو بكر بن عمار واسمه الكامل محمد بن عمار بن الحسين بن عمار المهرى محمد بن عياد فى مطالع شبابه ، واصله من قرية من قرى شلب فى البرتغال الحالية تسمى شنبوس ، ونشأ كما يقول مترجمه ابو محمد بن قاسم الشلبى «خاملا ينتجع بشعره ، ويطوف على ملوك الطوائف فى عصره» ، وكان يقصدهم على سبيل الكدية والتسول فربما عهدوا اليه فى تعليم أولادهم ، ومن بين من قصدهم عبد الرحمن بن طاهر صاحب مرسية ، فكان يجلسه فى دهليز داره ويرسل إليه الغلمان ليقرئهم لقاء دريهمات .

وبعد أن طوف ابن عمار بنواحى الأندلس عاد الى شلب خاوى الوفاض خائب المسعى ، وعاش فى خمول غير مدرك ان حظه فى سبيله اليه ، فما هو إلا قليل حتى أرسل المعتضد بن عباد ابنه وولى عهده محمد المعتمد الى شلب فى بعض شانه ، فلم يكذب ابن عمار ان سارع اليه ، وخف على نفسه لأول لقائه إياه ، ووجد محمد بن عباد فى هذا الشاب الفقير انيساً فى ذلك البلد ، ثم تنبه الى شاعريته ، ومضى الفتيان يتقارضان الشعر حتى أصبحا تربين حميمين . وتحسنت حال ابن عمار ولبس الثياب الطيبة وجرى المال فى يده . وكان فى المعتمد ميل الى العبث فوجد فى ابن عمار خير معين على ما طلبه ، وصار ابن عمار تسليته ونديمه حتى لقد غاب عنه ليلة فكتب اليه :

قد زارنا النرجس الذكى
وحان من يومنا العشى
ونحن فى مجلس أنيق
وقد عطشنا ، وثم ري
ولى خليل غدا سميى
يا ليته ساعد ، السمى

فاسرع اليه ابن عمار وقال على نفس الروى :

لبيك ، لبيك من مناد
له الندى الرحب والندى
ها انا بالباب عبد قن
قبلته وجهك السنى
شرفه والداه باسم
شرفته انت والنبى

الصعود للقمة

ثم توفى المعتضد بن عباد سنة ٤٦١ هـ . وخلفه ابنه محمد وتلقب بالمعتمد ، فاخذ معه صاحبه ابن عمار وجعله وزيره ثم ثنى له الوزارة فاصبح المؤدب الفقير يلقب بذى الوزارتين ، وغدا صاحب رايه لا يصدر شىء منه إلا عن أمره .

ولكن ابن عمار كان كافراً بالنعمة لا يعرف شكر الجميل ، وهو من يوم صار صاحبه اميراً اصبح يفكر فى أن يكون هو اميراً أيضاً على اى بلد من بلاد صاحبه ، وكانت الامارة قد هانت فى ذلك العصر حتى تقلدها فى ذلك الأندلس القاعس صعاليك حقاً ، وكان ابن عمار يستطيع أن يصل الى ما يريد دون حاجة الى غدر ولكن الله خلقه خلياً من كل خلق ، عارياً من كل خلة طيبة . فكان يجالس صاحبه وينادمه وهو يتحين الفرصة ليسلبه شيئاً ، وكانه كان يحس أن صاحبه يطلع على ذات نفسه ، فقال ذات مرة انه عارف انه سيموت على يديه .

وجعل ابن عمار يزين للمعتمد أمر الاستيلاء على مرسية من يد صاحبها ابى عبد الرحمن بن طاهر ، وكان مترسلا بليغاً ، وكان ابن عمار قد عرفه وأدب ولده واطلع على حاله ، فما زال يزين للمعتمد أمر الاستيلاء على مرسية حتى استجاب لرايه وارسله على رأس قوة من الفرسان استولت على البلد بمداخلة نفر من أهلها ، وأصبح ابن عمار نائباً عن المعتمد .

وما كاد ابن عمار يصل الى هذه الامارة حتى بدأ يدبر الأمر للانفصال عن صاحبه وسيده ، واتخذ هياة الأمراء ، وصار يخاطب المعتمد مخاطبة الند للند ولبس ملابس الأمراء واتخذ الفرسان يستعين بهم على حاله من بينهم رجل يسمى عبد الرحمن بن رشيق . فاستوزره وفوض له أمره .

الهروب للصديق

وكان الذى يسر أمر مرسية لابن عمار هو صاحبه هذا عبد الرحمن بن رشيق ، وكان فى الخيانة صنو ابن عمار ، فمازال يعزل رجال ابن عمار عن الحصون واحداً فى اثر واحد حتى جاء يوم اكتشف ابن عمار ان الرجل قد أحاط به واستولى على البلد من يده ، لأن رجال الحصون كلهم ورؤساء الجند جميعاً كانوا قد أصبحوا

الشاعر الملعون

من رجال ابن رشيق . وكان المعتمد يرى خيانة ابن عمار ويحاول أن يستعيد صدقه واخلاصه فكتب إليه مرة :

تغير لى فيمن تغير حارث
ورب خليل غيرته الحوادث
أحارث إن شوركت فيك فطالما
نعمنا وما بينى وبينك ثالث

فيكتب اليه ابن عمار وهو يعلم انه كاذب فى كل ما كتبه :

لك المثل الأعلى ، وما أنا حارث
ولا أنا ممن غيرته الحوادث
ولا شاركتك الشمس فى وإنه
لبنائى يحظى منك ثان وثالث
فديتك ، ما للبشر لم يسر برقه
ولا فتحت تلك السجايا الدمائث
أظن الذى بينى وبينك أذهبت
حلاوته عنى الرجال الأخابث
ولكن ظنون ساعدتها تمائم
كما ساعدت صوت المثانى المثالث

وختم قصيدته يقول :

ستذكرنى إن بان حبلى واصبحت
تئن بكفيك الحبال الدثائث
وتطلبنى إن غاب للرأى حاضر
وقد غاب منى للخواطر باعث
أعود بعهد نطقه، بك أن ترى
تحل عراه العاقدات النوافث

وعندما أحس ابن عمار انه اصبح بلا سند فى مرسية وان ابن رشيق غدره خرج منها هارباً ، ومر فى طريقه ببلنسية وفيها صاحبه أبو بكر بن عبد العزيز أميراً ، وكان ابن عمار قد تنكر له أيام امارته على مرسية ، فلم يحفل له ابن عبد العزيز وأخرج للقائه رجلا استجهله ، فكتب اليه :

تفاهيتم فى ترنا لو سمحتم
بوجه صديق فى اللقاء وسيم
وسلسلتم راح البشاشة بيننا
لو انكم ساعدتم بنديم

ثمن الشاعر

سألتمس العذر الجميل عن العلا
واحتال للفضل احتيال كريم

وذهب ابن عمار الى ابن اذفونش ـ أى الفونسو السادس صاحب قشتاله يطلب منه عوناً على ابن رشيق ، فسخر منه الفونسو وقال له : يا ابن عمار ! مثلك مثل السارق ، سرق السرقة فضيعها حتى سرقت منه ! ..

فتركه ومضى الى لارده من مدن شمال غرب الأندلس يطلب عون صاحبها المظفر حسام الدولة بن سليمان المستعين بن هود، فلم يطق منه اقبالا ، فخرج منها وبكى نفسه بقصيدة مطلعها

على ، وإلا ما بكاء الغمائم
وفى ، وإلا ما نياح الحمائم

واقام الى جواره فى خمول . وكان المعتمد ابن عباد قد طلب ابن عمار ووعد من يأتيه به بمكافأة سخية .

واتفق أن ثار على المؤتمن بن هود بعض رجاله ، وانتزى باحد حصونه ، فضمن له ابن عمار استنزاله ووفق فى ذلك ، فرضى عنه المؤتمن وخاطب فى امره المعتمد فرضى عنه بعض الشىء ، أو لعله تظاهر بذلك .

وحدث أن اقبال الدولة على بن مجاهد صاحب بلنسية استعمل ابنه سراج الدولة على معقل شقورة سنة ٤٦٨ هـ . فاناب عن نفسه عبدين من عبيده ، وكانت الخيانة قد غلبت على رؤساء الأندلس جميعاً ، فسعى هذان العبدان فى بيع الحصن لمن يدفع أغلى ثمن من رؤساء الأندلس ،فسارع ابن عمار ووعد المؤتمن بن هود بأن يخدع العبدين ويأخذ الحصن له .

وسار بالفعل مع نفر من الفرسان . وكان مصعد الحصن ضيقاً ، فصعد ابن عمار ومد أحد العبدين يده فرفعه ، ثم أغلق الباب وصرف الفرسان ، وأرسل للمعتمد ابن عباد يُبلغه خبر حصول ابن عمار فى يده ، وسأله ان يرسل له الثمن ليسلم إليه الشاعر التعيس .

رحلة السقوط

وأرسل المعتمد ابنه الراضى مع الفدية الى شقورة فقبض العبدان الفدية وسلما ابن عمار ، فحمل على بغل أو حمار ، ومضى به الراضى إلى اشبيلية والمسكين مدلى على البغل ورأسه الى أسفل ورجلاه فى الناحية الأخرى !

وعلى هذه الحالة استطاع هذا الشاعر الموهوب الملعون أن يقول شعراً جميلا :

قالوا : أتى الراضى ، فقلت لعلها
خلعت عليه من صفات أبيه
فأل جرى ، فعسى المؤيد واهباً
لى من رضاه ومن أمانى أخيه

قالوا : نعم ، فوضعت خدى فى الثرى
شكراً له ، وتيمنا ببنيه
يا أيها الراضى ، وإن لم تلقنى
من صفحة الراضى بما أدريه
هبك احتجبت لوجه عذر بين
بذل الشفاعة أى عذر فيه ؟
سهل على يدك الكريمة أحرفاً
فى من أسرت فتنثنى تفديه

وقال يخاطب ولداً اخر من أولاد المعتمد يسمى فتح يستشفع به :

بيد من المأمون أوثق عصمة
لو أن أمرى فى يد المأمون
أمرى الى ملك إليه أمره
وكفاه من فوق ، كفاه ، ودون
يا فتح جردها عناية فارس
درب على نصر الولى أمين

وكتب الى ابن ثالث من أبناء المعتمد يسمى الرشيد :

قل لبرق الغمام : ظاهر بريدى
قاصداً بالسلام قصر الرشيد
فتقلب فى جوه كفؤادى
وتفاتر فى صحنه كالغريد
وانتحب فى سلاسل الرعد تحكى
صحبتى فى سلاسلى وقيودى
فاذا ، ما اجتلاك أو قال : ماذا
قلت إنى رسول بعض العبيد
بعض من أبعدته عنك الليالى
فاجتنى طاعة المحب البعيد

وعندما اقترب من اشبيلية وأحس قرب منيته كتب الى المعتمد يستعطفه :

سجاياك ـ ان عافيت ـ أندى وأسمح
وعذرك ـ إن عاقبت ـ أجلى وأوضح
وان كان بين الخطتين مزية
فانت الى الأدنى من الله اجنح
حنانيك فى أخذى برايك لا تطع
وشاتى ، ولو تغوا على وافصحوا

وهى طويلة ختمها بقوله :

نعم ، لى ذنب ، غير ان لحلمه
صفاة يزل الذنب عنها . فيصفح
سلام عليه كيف دار به الهوى

• مضوا به إلى إشبيلية فوق بغل ورأسه مدلى إلى أسفل

إلي فيدنو ، أو علي فينـــــــزح
ويهنيــه ان مــت الســلو فانني
أموت وبــى شــوق إليه مبــــرح

نهاية الموهوب الملعون

وقرأ المعتمد ذلك كله وعرف أن صاحبه فى ذلك كذاب فأودعه السجن وفكر فى أمره أياما ، ثم بدا له أن يطلق سراحه ، وبلغ الأمر ابن عمار فى سجنه ، فما أسرع ما تحركت الخيانة فى نفسه ، فطلب ورقتين ، وكتب بالخبر الى بعض أصحابه . وبلغ الأمر المعتمد ، فعرف ان ابن عمار لازال يلعب بذيله ، فظل ليلة واجماً والغضب ملء جوانحه ، حتى اذا انتصف الليل قام من فوره فأخذ طبرزيناً ودخل عليه ، ففزع -كما كان فى قيوده- إلى تقبيل رجليه ، فضربه به ، ثم أمر به فأجهز عليه !

وهكذا انتهت حياة ذلك الشاعر الموهوب الملعون !

د. حسين مؤنس

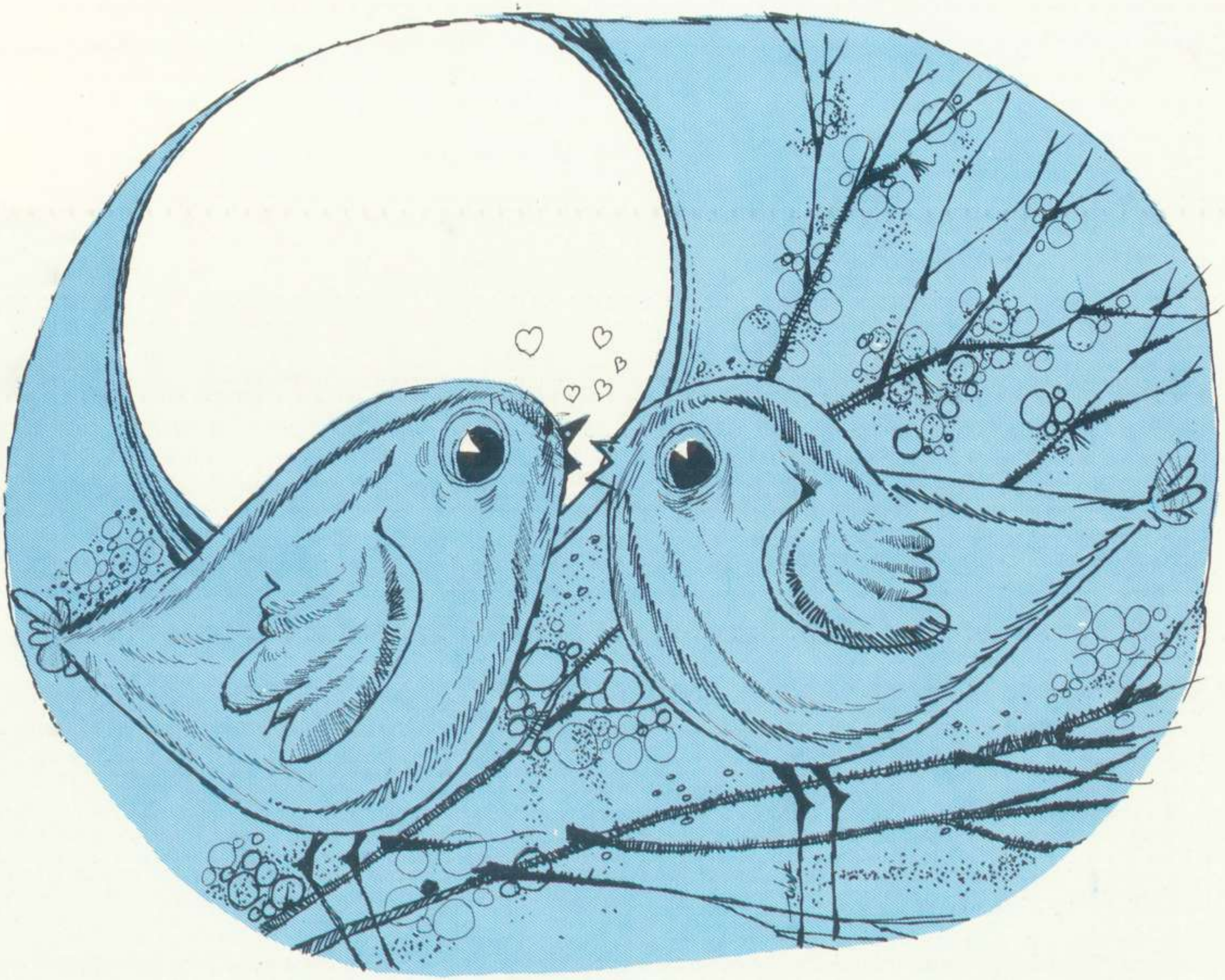

شـــــتات الأوهــــــام

شعر : عبد الله جابر

جنيتك من دمى وحنين ذاتي   سقيتك من هوى ملء الحياة
وهامت فى سناك ظنون فكري   وما قربت الى شط النجاة
اتفنى كل احشائي عذابا   وتحرق فى شجون الذكريات
اعذني لم اسرف فى وصالي   فاني قد سئمت من الاناة

• • •

بك الايام كانت فى حياتي   تمر على ثوان باسمات
وتحبو فوق احلام سراع   نسجت بها خيال الامنيات
كانك فى صدى الاوهام همس   اعاد إلي بعضا من شتاتي
بحبك قد ملكت شباب عمرى   وما ابقيت شيئا من حياتي

• • •

جنيتك من دموعي فى المآقي   وحبك فى الفؤاد لظاه باقي
فهل ابكي وانت تبيح هجري   والقى بين نيران احتراقي
وإنى لست اطلب منك عمراً   فقلبي مات من يوم الفراق
فلا الاحلام تسكن نار حري   ولا الآلام تهدا باشتياقي
وبعدك فجر ايامي ليال   يضيء ظلامها نور التلاقي

سيد على شعبان

قبرص
جزيرة الأحلام والأحزان

إنهم يشعرون بحب عميق للعرب
والسائح العربى لا يشعر بأدنى غربة هناك

مطار لارناكا .. يستقبل زواره بمبناه المتواضع وساحته الصغيرة ، ووجوه رجال المطار يستقبلون زواره بابتسامة عريضة ترحب بكل قادم ، أياً كانت جنسيته ، يسهلون لهم المرور .. ومكتب صغير يقوم بحجز الفنادق لطلابها ، وفنادق قبرص دائماً مشغولة ،فمنذ أن احترقت لبنان بنار الطوائف ، واحترقت جبال الزيتون بنار الحقد والانتقام رحل عنها روادها من العرب والأجانب وهجرها محبوها ، ويمموا وجهة قبرص عسى أن يجدوا فيها الروشه الضائعة ، أو ليالى بيروت الساهرة أو سواحلها الزاخره بمصطافين من شتي البلاد ، وعلى شواطىء قبرص يلقون بانفسهم فى المياه الدافئة ، تدغدغ حواسهم ، وتلعب بعواطفهم ، وتنسيهم مشقة حياتهم !

وتحرص السلطات القبرصية على ان يرى السائح فى جزيرة قبرص جزيرة حب واحلام ، تغريه بالقاء نفسه فى احضان البحر ، وعلى شواطىء لارناكا وليماسول وفاويولوس ترى سحر الطبيعة ومرح الشباب .. وبالرغم من تواضع شواطىء قبرص اذا ما قورنت بشواطىء الاسكندرية أو اليونان أو فرنسا الا أن القبارصة اليونانيين يحاولون أن يقدموا كل التسهيلات الممكنة للسائح ، وبأسعار تقل كثيرا عن مثيلاتها فى أوربا .

والانسان العربى لا يشعر بالغربة كثيرا فى قبرص ، فكثير من اللبنانيين

قبرص
جزيرة الأحلام والأحزان

اللغـــة العـــربيـــة على ألســـنة القبـــارصـــة

اتخذوا من قبرص وطنا ثانيا لهم ، ويسمع اللغة العربية طوال تجواله وترحاله لا من العرب السواح فحسب بل من القبارصة انفسهم ، فكثير منهم ولدوا وعاشوا فى الاسكندرية ومازالوا يشعرون بالحنين إلى العودة لبلاد النيل والسواح العرب لاينشدون فى قبرص إلا البعد عن متاعب الحياة .

جنة شكسبير

شرقيون وليس فيهم خجل الشرق ، اوربيون وليس فيهم إباحية الغرب المطلقة ، وعلى شواطىء قبرص يشعر الانسان وكانه على شواطىء لبنان أو الاسكندرية او المغرب ، فالشواطىء مزدحمة بباعة اللب والفول السودانى وباعة الآيس كريم ، والذين يشوون الذرة !

وقبرص التى اتحدث عنها هى الجانب اليونانى من الجزيرة . فالشواطىء غاصة بروادها والأجانب فى قبرص اكثر من اليونانيين القبارصة ، والجزيرة تعد نفسها لاستقبال حركة السياحة التى تضاعفت فى الاعوام الأخيرة فتشهد موانىء قبرص التى سحرت شكسبير حين زارها وتغنى بها طوال حياته .. كلها تشهد حركة عمرانية ضخمة وكانها تسحب البساط من لبنان ، حتى اذا استعاد لبنان اتزانه السياسى والعقلى ، واسترد وجهه الجميل الضائع وجد رواده قد هجروه ونبذوه الى قبرص.

يشعر المرء ببساطة اليونانيين القبارصة وحبهم للأجانب وكرمهم البالغ وحسن استقبالهم لضيوفهم .

ولقد اكتسب القبارصة اليونانيون كثيرا من العادات المصرية فلقد ظلت بلادهم تابعة لمصر طوال الحكم الفرعونى ، ثم إبان حكم المقدونيين للاسكندرية واستولى عليها الرومان ، واصبحت تحت السيطرة البحرية العربية ،ثم أصبحت جزءا من ممتلكات الامبراطورية العثمانية حتى سقطت تحت الاحتلال البريطانى ، ولم تهنا قبرص بحريتها قط منذ أن عرفت الجزيرة طريقها إلى التاريخ .

وهم يشعرون بحب عميق للعرب ، ويعشقون زعيمهم الراحل الأسقف مكاريوس والذى تحول بعد وفاته الى شبه اسطورة ، ترى صورته فى الميادين ، وفى الشوارع على صدور كل الناس ، وإذا ما ذكر اسمه جاشت نفوسهم بعلامات الحب والوفاء ..

ويبدو الموقف الآن وكانه استقر نهائيا ، وبدات الحياة تطمر احزان الماضى ، واتسعت المبانى فى الجزيرة واستغلت اراضيها الشاسعة بالنسبة لعدد سكانها الذى لا يتجاوز ستمائة الف مواطن منهم تسعون الف تركى على حد قولهم .

اللغة العربية

وليس من السهل أن يندمج القطاع التركى من جديد إلى القطاع اليونانى حتى لا يفقد الأتراك حكم انفسهم بانفسهم !

والجزيرة وإن لم تقسم رسمياً الا انها مقسمة فعلياً ويفصل بين الجانبين خط اخضر تحرسه قوات الأمم المتحدة وعلى طول الطرق السريعة بين مدن قبرص والتى يمكن للانسان ان يسافر من اقصاها الى ادناها فى ثلاث ساعات بالسيارة ترى لافتات تشير الى الحدود التركية ويعسكر رجال الحرس الوطنى اليونانى ورجال الأمم المتحدة بالقرب منها ..

● الحياة فى المرتفعات تحوطها خضرة الغابات ولفحات الهواء البارد

● الفلاح يعيش فى مستوى مرتفع بالرغم من موجة التضخم الحادة !

وحياة القبارصة اليونانيين تعتمد على الزراعة التى تعتمد بدورها على الأمطار والمياه المندفعة من الجبال .. وهم يقومون أيضاً بالرعى ويتقنون الأعمال الخشبية والجلدية ..

وقد فوجئنا بالسائق الذى حملنا إلى جبال ترودوس ، وهويتحدث اللغة العربية بطلاقة ، وحين تساءلنا اين تعلم العربية ، قال انه ولد فى الاسكندرية وانه مازال يحلم بالعودة إليها !

عادات شرقية

سرقت الطبيعة الخلابة انتباهى من حديث السائق ، فقد جادت الطبيعة بخيراتها ، ويرى المرء أشجار الفاكهة والتفاح والعنب والتين قد تفجرت بثمراتها ، والفلاحات يقفن على رأس الطريق يعرضن فلكهة لم تجف بعد مياه التربة منها ، ويحملن معهن أوعية مملوءة بالعسل الأبيض ، بمختلف الوانه !

والحياة فى المرتفعات تغفلها خضرة الغابات ، وتنعش روادها لفحة الهواء البارد ، ولقد عرفت كثير من الاسر القطرية والخليجية الطريق الى جبال تروتوس فى قبرص ، فالقبارصة يتميزون بطيبة يفتقر لها ابناء اوربا ، والهدوء البعيد عن ضوضاء المدينة يعطى الانسان فرصة نادرة لتسترخى اعصابه .. ويستطيع الانسان بسهولة ان ينفذ الى قلوب الاسر القبارصة ويجاذبهم الحديث ويتبادل الزيارات الودية معهم

وفى احدى قرى جبال تروتوس فى قرية « بلاتريس » اجمل قرى قبرص على الاطلاق ، تعرض النسوة مشغولات أيديهن ، فاعمال التطريز مشهورة فى قبرص ، ويجد السائح متعة كبيرة فى أن يستاثر باحداها ..

ولا يقطع هدوء القرية الراقدة فى احضان الغابة إلا ضحكات السواح وصرخاتهم المرحة فى مداعبات بريئة مع سكان القرية ..

وعلى المنحدرات الجبلية ترقد مطاعم صغيرة واماكن للاستجمام تماما كما فى جبال لبنان او فى بلودان بسوريا وتجتمع الاسرة مرة كل اسبوع فى احد هذه المطاعم ، وقد رايت اسرة باجيالها الثلاثة احضروا معهم أنواعا متعددة من الطعام ، ويشوى الرجل اللحم فى أسياخ ضخمة ، ولا تشعر ان هناك فرقاً كبيرا بين العرب وبينهم فهم يدخنون النرجيل ، ويتلذذون بالقهوة ، ويلعبون الطاولة بنفس اسمها المعروف فى مقاهى مصر وسوريا ، ومازالت حمية الشرف والدفاع عنه تتصدر عاداتهم ، والاخذ بالثار شىء مالوف فى القرى القبرصية !

بطل الالياذة

ويحاول القبارصة اليونانيون ان يستغلوا المساحات الخالية ويستصلحوها للزراع ويقيمون فيها المسلكن الحديثة

ومستوى الفلاح القبرصى مستوى لا يطمح له كثير من مستوى مزارعى الدول النامية ، فالفلاح فى قبرص غالباً ما يملك سيارة وجرارا زراعيا ، ومستواه المعيشى مستوى مرتفع بالرغم من موجة التضخم الحادة التى تشمل البلاد النامية ..

اما الصناعة القبرصية وإن كانت محدودة الا انها بدات تخرج من النطاق المحلى إلى النطاق العالمى ، وخاصة صناعة الاسمنت القبرصى الذى اثبت جودة عالية ويصدر جزء كبير منه إلى سوريا والعراق وليبيا ومصر .

والمنسوجات القطنية والصوفية وأعمال التطريز بدات تظهر فى الاسواق العالمية وعليها كتب « صنع فى قبرص » بالاضافة الى اشتهارهم باعمال الاثاثات الخشبية والمشغولات اليدوية ، ويقال أن درع « اجا ممنون » بطل الالياذه كان مصنوعا فى قبرص . وأن السيف الذى كان يتمنطق به الاسكندر الاكبر كان صناعة قبرصية .

ولم تنس قبرص ان تقيم متحفا لفنونها الشعبية فى التطريز يشهد بمدى مهارة اليد الفنية القبرصية ومدى تمتعها بخيال خصب مشوب بروح مرحة .

والحكومة القبرصية كما يبدو تضع أمالها فى تطوير السياحة ببلادها فتقدم كل التسهيلات الممكنة للسائح ، وربطت شبكة اتصالاتها الهاتفية مباشرة بشبكة أوربا مما يسهل لأصحاب العمل انجاز أعمالهم وللسائح إخطار أهله وأسرته بمكانه او الاستنجاد بهم إن اغرته طبيعة قبرص بانفاق كل ما يملك !

وقد حاولت الدخول الى القطاع التركى من الجانب اليونانى فلم افلح ، ورفضت القوات الدولية ان تستاذن الجانب التركى ، وكان هناك حصارا على القطاع التركى حتى لا يدخله السواح واستدرت خائباً للقطاع اليونانى اقضى بقية ايامى ، لأحاول فى المرة القادمة أن اتوجه مباشرة إلى القطاع التركى فى جزيرة قبرص ، لاستكمل كل جوانب الحياة فى جزيرة الاحلام والاحزان !

سيد على شعبان

المسابقة

حل مسابقة من . أين . ما
العدد «٥٧»

من : الشاعر محمد اقبال
أين : افغانستان
ما : القلم

١ ـ لا .. لأن النيترون متعادل الشحنة .
٢ ـ إن كنت فى كل الأمور معاتبـاً
صديقك لم تلق الذى لا تعاتبـه
بشار بن برد
٣ ـ الذهب ـ النحاس ـ الخارصين .
٤ ـ فى القرن السابع الميلادى .
٥ ـ عثمان بن عفان .
٦ ـ ثانى أكسيد المنجنيز .
٧ ـ أمريكا
٨ ـ ١٩٤٨
٩ ـ ٤٠٠ كيلو متر .
١٠ ـ عبد الرحمن عزام ـ عبد الخالق حسونة ـ محمود رياض ـ الشاذلى القليبى .

من . أين . ما

● مـن : ـ
صحابى جليل وصفه الرسول الأعظم بأنه من أهل البيت اثباتاً لأن الاسلام هو الرباط الحقيقى فوق أربطة العرق أو اللغة أو اللون أو البلد وان بنى آدم فى هذا الدين سواء لا فضل بينهم إلا بالتقوى : اسمه من كلمتين واثنى عشر حرفاً :
٤ ـ ٢ ـ ٨ ـ ١٠ ـ ١ ـ ٩ ـ ٥ ركاب الخيل .
٦ ـ ٢ ـ ١١ ـ ٧ ـ ١٢ ـ ٣ الذى لدغته الأفعى .

● أين : ـ
البلد الذى ولد فيه مؤذن الرسول الأعظم وكان عبداً لأحد كبار قريش فاشتراه أبو بكر الصديق فقال للناس سيدنا اشترى واعتق سيدنا : اسم البلد من ستة احرف :
٥ ـ ٤ ـ ٣ صورة مفزعة .
١ ـ ٦ ـ ٢ عشيرة وقربى .

● مـا : ـ
الايديولوجية أو المذهبية المعاصرة لتفتيت وحدة الأمة الاسلامية وتشتيتها فى شعوبيات متنافرة : اسمها من سبعة أحرف :
١ ـ ٢ ـ ٧ ـ ٦ منسوب للذات العلية .
٣ ـ ١ ـ ٤ ـ ٥ لا تستسلم .

الجواب الصحيح

١ ـ عمر الخيام الشاعر العالم الفلكى المسلم صاحب الرباعيات المشهورة مولود فى :
مصر ـ فارس ـ افغانستان ـ العراق ـ الهند .
٢ ـ بحر مرمرة يقع بين بحرين من البحار الآتية ، ما هما :
البحر الأحمر ـ البحر الأبيض ـ البحر الأسود ـ بحر الغرب ـ البحر الميت ـ بحر عمان .
٣ ـ أول من الغى نظام الخلافة الاسلامية فى العصر الحديث بتحريض من أعداء الاسلام هو :
فيروز المجوسى ـ كمال اتاتورك ـ فرديناند زوج ايزابيلا
٤ ـ ثلاثة من الثمار الآتية تنتمى لعائلة نباتية واحدة ، ما هى تلك العائلة :
المشمش ـ اللوز ـ البرقوق ـ المانجو ـ الفلفل ـ البصل .
٥ ـ وفى ارضى مناى للكريم عن الأذى : أكل البيت واذكر اسم قائله .
٦ ـ أديسون مخترع المصباح الكهربائى من أصل :
أمريكى ـ روسى ـ المانى ـ يمنى .
٧ ـ كانت قطر عند ظهور الاسلام جزءاً من منطقة المشرق العربى يحكمها زعيم من تميم يسمى :
المنذر بن النعمان ـ المنذر بن ساوى ـ المنذر بن ماء السماء .
٨ ـ وقعت حادثة دنشواى فى مصر والتى فيها قتل جنود الاحتلال البريطانيون جمعاً من النساء والشيوخ والأطفال ظلماً وعدواناً فى سنة :
١٩٠٨ ـ ١٩٠٩ ـ ١٩١٠
٩ ـ الضابط الفرنسى الذى وقف على قبر صلاح الدين الأيوبى فى دمشق بعد الحرب العالمية الأولى وقال ها قد عدنا يا صلاح الدين كان اسمه :
اللنبى ـ غورو ـ كلارك ـ ويفل .
١٠ ـ «يصنع الأبنوس من مشتقات تقطير البترول» .
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟؟

نتيجة مسابقة شهر سبتمبر ١٩٨٠ العدد ٥٧

الفائزون فى مسابقة شهر سبتمبر ١٩٨٠

● الجائزة الأولى مقدارها ٣٠٠ ريال واشتراك لمدة ستة شهور : شعراوى حسن ـ السعودية .
● الجائزة الثانية مقدارها ٢٠٠ ريال واشتراك لمدة ستة أشهر : نبيل احمد حسن العلبى ـ سوريا .
● الجائزة الثالثة مقدارها ١٠٠ ريال واشتراك لمدة ستة شهور : موسى مروان موسى ـ الامارات العربية .

الفائزون باشتراك لمدة عام :

١ـ محمد العباس الحسين : السودان
٢ـ السيد عبد اللطيف محمد : ج . م . ع
٣ـ محمد طـه : لبنان
٤ـ منى وحيد : الكويت
٥ـ عماد زهير الجيرودى : سوريا
٦ـ حسين عبد الله صيام : السودان
٧ـ عبد الغنى محمود : الأردن
٨ ـ اسلام نبيه البدراوى : ج . م . ع
٩ـ عبدالعزيز ابراهيم : الامارات العربية
١٠ ـ محمد معن مروان : الكويت
١١ ـ سماح حمدى العقاد : سوريا
١٢ ـ سمير عواد عطية : ج . م . ع

كلمات لها معنى

– الدنيا ملأى بما يكفى حاجاتنا لا بما يكفى جشعنا .

«المهاتما غاندى»

– ان تعرف الأشياء على حقيقتها أفضل من أن يخدعك مظهرها .

– العمل يمنع عنك أشياء ثلاثة : الملل ، والعادات السيئة ، والحاجة .

«فولتير»

– أنت تتعلم من أبويك الحب والضحك والمشي ولكن حين تبدأ القراءة تشعر وكأنك تعلمت الطيران .

«هلن هيز»

– ليس هناك قول يتصف بالمبالغة أكثر من القول الذى يعتمد على الحقيقة المجردة

– لماذا أسترحم ؟ إن كنت محكوماً بحق فأنا ارتضي حكم الحق ، وإن كنت محكوما بباطل ، فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل .

«سيد قطب»

– الخبرة ليست فيما يحدث لك وإنما فيما تفعله وتجد نفسك فيه .

عبد القادر ديرى
حلب – سورية

العقول الفــارغة

● قال لقمان الحكيم : وقفت يوماً أمام حقل من حقول القمح فاسترعى نظرى سنابل تطاولت فى خيلاء ، وسنابل أحنت رأسها فى تواضع وحياء ..

ولكم عجبت حين تلمستها ، إذ رأيت الأولى فارغة وأبصرت الثانية ملأى بحبات القمح فقلت : كم فى حقول الحياة من «سنابل» رفيعة الرأس فارغة .. !!!

محمد الخلف
حلب – سوريا

من هو الضــرير ؟

كان متسول جالساً فى زاوية أحد الشوارع وكلبه العجوز قابع الى جانبه ، وبالقرب منهما لافتة تحمل هذه الكلمات «أشفقوا على ضرير بائس» .

ومر به عابر سبيل فألقى فى قبعته قطعة نقد ثم انحنى قائلا :

– ألقيت قطعة ذات الخمسة فرنكات وها أنذا أسترجع ٤ فرنكات ... فقال المتسول :

–عفواً سيدى إنك تغش .. إن ما ألقيته فى القبعة قطعة ذات الفرنك الواحد .. فرد الرجل :

– أنت هو الغشاش . أتقول إنك أعمى ، فكيف عرفت ؟

– من قال لك ذلك ؟ الأعمى هو كلبى !!

رجب كافندة جادين
كادوقلى السـودان

كلام الحكمـاء

● سأل رجل أحد الحكماء قائلا : متى أتكلم ؟ قال الحكيم : إذا اشتهيت الصمت . فقال : ومتى أصمت ؟ .. فرد الحكيم : إذا اشتهيت الكلام .

● سئل أحد الحكماء : ممن تعلمت الحكمة . فقال الحكيم : من الأعمى .. قالوا كيف ؟ . قال : لأنه لا يضع قدمه على الأرض حتى يختبر الطريق بعصاه .

● وقيل : اذا طرح أمر للمناقشة .. فالأحمق من يتكلم بدون تفكير .. والعاقل من يفكر ثم يتكلم .. والحكيم من يفكر ولا يتكلم .

● وسئل حكيم عن سبب صمته ؟ فقال : أسمع فأعلم . وأسكت فأسلم .

● وقيل : اذا ندمت على السكوت مرة .. ندمت على الكلام مرات .

● قال أحد الحكماء لابنه : يا بنى خذ العلم من أفواه الرجال فانهم يكتبون أحسن ما يسمعون .. ويحفظون أحسن ما يكتبون .. ليقولوا أحسن ما يحفظون .

● أجمع الحكماء على قول : رأس الحكمة الصمت .

تفانـى محمد عبد الله
مكـة المكرمـــة

أضخم تلسكوب

يعتبر تلسكوب هيل الموجود فى مرصد «مونت بالمار» بولاية كاليفورنيا أضخم تلسكوب انعكاس فى العالم . حيث يبلغ قطر مرآة هذا التلسكوب مائتى بوصة ، اى حوالى سبعة عشر قدماً . وسمكها ٢٤ بوصة والمرآة مصنوعة من زجاج البايركس وقد غطي بطبقة من الألمنيوم ويبلغ وزن المرآة ١٤٫٥ طناً . وقد واجهت بناء التلسكوب صعوبات عدة ، فقد ظل الزجاج المصهور بعد صبه عاماً كاملا ليبرد داخل القالب ، كما تطلب العمل فى صقل المرآة أحد عشر عاماً ونصف عام . ثم ظهرت مشكلة نقل المرآة من مكان الصنع فى مدينة كورتنج – بولاية نيويورك الى كاليفورنيا . نظراً لحجمها وثقلها . فاستعين على ذلك بصناعة عربة حديدية خاصة . ويبلغ ارتفاع القبة التى يوجد بها التلسكوب ١٣٥ قدماً ، وقطرها ١٣٧ قدماً – .

هذا وقد كلف التلسكوب ثمانية ملايين دولار واستغرق صنعه عشرين عام .

هشام عبد الحميد الضمور
الأردن

حاول أن تعرف ...

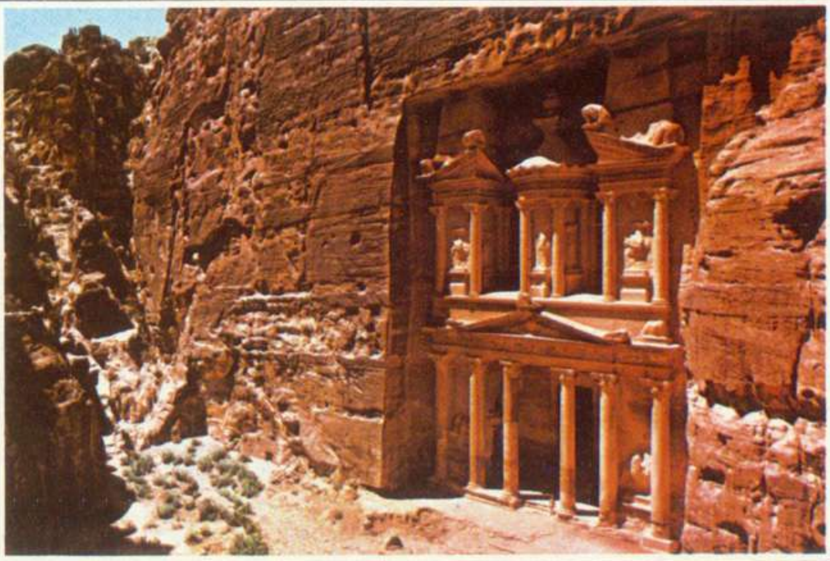

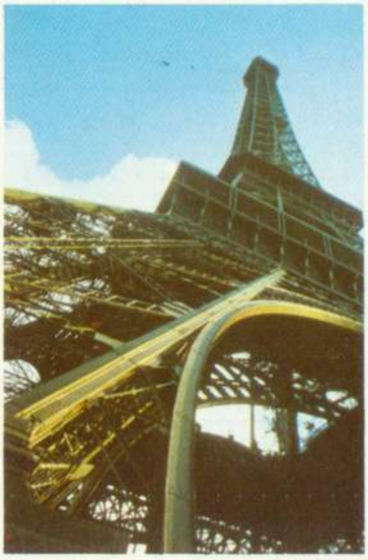

المدينة الوردية

مدينة صغيرة منحوته فى الصخر الوردى اللون تقع فى احدى الدول العربية ـ وصفها شاعر انجليزى بقوله «المدينة الوردية الحمراء التى عمرها بنصف عمر الزمن» ، وكانت فى الأصل معقلا للأنباط ـ المدخل الوحيد لها ممر ضيق متعرج يعرف باسم «السيق» يبلغ ارتفاع صخوره فى بعض المواضع ٩١ متراً .

ما اسم هذه المدينة المنحوتة ؟ وفى أى الدول تقع ؟

• • •

برج إيفل فى باريس هو أعلى برج حديدى فى العلم ـ استغرق بناؤه حوالى عامين

فى أى عام بنى برج إيفل ؟ وما الأسم الكامل للمهندس الذى بناه ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف العدد «٥٧»

● أسم المدينة لاجوس عاصمة نيجيريا . ● أسم الشاعر هلينريش هانية .

الصورة الاولى

ـ أسماء الفائزين :

ولاء عبد الله أحمد ـ عدن

الصورة الثانية :

المنذر خليفة ـ تونس

علي عبد السلام أيوب دمنهور

الأيام الخمسة

عدد الأيام فى حياتنا خمسة وليست سبعة :

● يوم مفقود : ـ هو أمسك الذى فاتك مع ما فرطت فيه .

● يوم مشهود : ـ هو يومك الذى أنت فيه . فتزود فيه من الطاعات .

● يوم مورود : ـ هو غدك . لا تدرى هل هو من أيامك أم لا ؟

● يوم موعود : ـ هو آخر أيامك من الدنيا . فاجعله نصب عينك .

● يوم محدود : ـ هو آخرتك . وهو يوم بلا انقضاء .

سوزان غصوب خميس
الدوحة ـ قطر

جزاء الشهامة

حكى أن اعرابياً كان يسير فى البادية فمر برجل جالس تحت شجرة يئن ويتوجع فترجل الاعرابى عن ظهر جواده ليستفسر عن أمر الرجل .. فتوسل اليه أن يركبه مكانه لأقرب قبيلة ، فرق قلب الاعرابى ورفعه على ظهر الجواد وسار وراءه . وما هى إلا برهة حتى أطلق الرجل للجواد العنان وراح يسابق به الريح ، فناداه الاعرابى بأعلى صوته : أيها الرجل ، اذا وصلت الى القبيلة فلا تذكر ما حدث لي معك لكى لا تقل الشهامة بين العرب .

سامية محمد على محمود
عدن – جمهورية اليمن الديموقراطية

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال القارىء عبد الله على – دولة قطر

كاريكاتير وتعليق
العدد «٧٥»

– الكتكوت لزميله «يالله أخرج بسرعة نلقط الحب قبل ما يخرج الباقى ويعمل أزمة غذاء» .
جوهرة صالح – الرياض – السعودية
– الكتكوت لزميله «لاتخرج فالعالم يعانى من أزمة غذاء» .
حامد يوسف على – أم درمان – السودان
الفرخ الأول للثانى «شو هالجو .. تعالى نرجع..»
هيثم سالم سعيد – الدوحة – قطر

كاريكاتير و تعليق

ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال

الورقة الأخيرة

عبد الله الشيتي

وماذا عن الخيارات السهلة ؟

قرأت فى عدد مضى من (الدوحة) الغراء ، المقال الشهرى للأخ الدكتور محمد ابراهيم الشوش ، عن (المال العربى والخيارات الصعبة) وقد أعطى هذا الموضوع المهم والخطير حقه من الدرس والتحليل والمقارنات والمعالجة الموضوعية ، اقتصاداً وفكراً ووجوداً وقضية وتحديات ، فى مواجهة القوى الشريرة المعادية لأمانى أمتنا العربية وقضاياها المصيرية العادلة ، وما يتوجب علينا فى هذه المرحلة اتخاذه وفعله ، حيال هذه الثروات الطائلة التى نمتلكها كدول وقوى اقتصادية ومالية مؤثرة أو يجب أن تؤثر وتفعل ولا يكفى أن تحاول وتنفعل ، فالمراد اعطاء نتيجة ايجابية تحقق توازناً مع أعدائنا المتربصين بنا الدوائر ، وبالتالى – وهذا الأهم – ان المال العربى كثروة ونمو وسيطرة ، يمكن أن يكون فى قوة السلاح وأمضى ، للدفاع عن قضايانا ولبلوغ اهدافنا المثلى بين الأمم والشعوب الواعية .

وهنا ، أريد ان اتحدث عن (الخيارات السهلة) بالنسبة للافراد . الأثرياء منهم وغير الأثرياء . هؤلاء الذين ينفقون ذات اليمين وذات الشمال فى أوروبا ودول الغرب ، كلما قصدوه سياحة واصطيافاً أو إشتاء ، فأراهم فى عواصم الغرب المختلفة ، يتبارون فى التبذير بـ (سهولة) الاختيار أو سهولة الاغراء أو محاولة اثبات (الوجود) المالى عن طريق هذا الاسراف فى ما يلزم وما لا يلزم . وبذلك تتدفق أموال العرب – عن طريق الأفراد وهم كثر – الى جيوب الغرب فيأخذ ما يعطينا إياه باليمين ثمن النفط فارضاً الاسعار الخيالية على الحاجيات الاستهلاكية والكمالية وما أكثرها فى التعداد وبذلك يكون هذا الغرب الظالم سبب التضخم المباشر ، مدعياً فى الوقت نفسه ان حكوماتنا النفطية هى التى تسبب التضخم بسبب رفع أسعار النفط فى حين – كما قال وزير المالية والبترول القطرى – تكون الشركات النفطية الاحتكارية فى أمريكا والدول الغربية بعامة هى سبب الارتفاع المباشر والمضاعف عندما تشترى الشركة المستوردة مثلا ، البرميل بثلاثين دولاراً أو أكثر قليلا وتبيعه بخمسين أو ستين دولاراً فتقوم قيامة الغرب وصحافة الغرب وأجهزة اعلام الغرب . تقوم كلها لتعلن أن العرب وبخاصة الدول المصدرة والمنتجة للنفط هى المسؤولة عن التضخم وعن الغلاء العالمى ، فاذا بالاسعار الاستهلاكية تضرب رقمها القياسى فى محاولة سريعة من تلك الدول الصناعية الكبرى المستوردة للنفط لاستعادة ما دفعته ثمناً للنفط أثماناً للحاجيات الاستهلاكية والبضائع المختلفة ، ناهيك عن الانفاق العربى المذهل بـ (سهولة الاختيار) لا صعوبته ، فى العواصم الأجنبية ، وناهيك أيضاً عما ينفقه المنفقون بجنون على موائد القمار وفى علب الليل وأماكن اللهو والتبارى الشنيع بين كبار الأغنياء العرب فى مشتريات القصور والمقتنيات والآثار ، بحيث لو أنفق هذا المال العربى – الفردى لشكل ثروات ضخمة يمكن أن تقدم اجل الخدمات والمشاريع وانشاء المصانع والمعامل ومختلف حقول العمل والانتاج الجماعى بما يمكن أن يحقق مجداً معنوياً ومادياً أيضاً لصاحب الثروة المهدورة فى غير معنى ، عندما تأخذ طريقها الصحيح فى الاستثمار والاستغلال الجماعى ، فى ظل وعى قومى وإرادة حازمة ومحاكاة الأعداء باسلوبهم حيث نرى كيف أنهم يوظفون أموالهم – وهى مسلوبة من أموالنا – فى بنوك ومصارف الغرب المودعة فيها ، بطريقة أو بأخرى .. ويرتد ذلك سلاحاً فى ظهورنا .

من تبذيرنا يصبح اقتصادهم قوياً . ومن اسرافنا تجد أنهم يحسبون ألف حساب لكل قرش وكل فلس ينفقونه فى أمر من الأمور سواء على صعيد (الدولة) أو الأفراد . مما يجعلنا نتمنى على أنفسنا كأفراد أن نوازن حقيقة ، بين ما يلزم للانفاق وما يلزم للتوفير . وأن نوظف أموالنا فى ما يجدى وليس فى ما لا يجدى . فى الخدمات والانجازات الجماعية . فى أن نكون ظهيراً للدولة اقتصاداً وقوة مادية مؤازرة . فى أن نكف عن هذا البذخ والاسراف الظالمين . والحديث الشريف يقول : (اخشوشنوا . اخشوشنوا فان النعم لا تدوم) .

لقد تحدث الدكتور الشوش عن الخيارات الصعبة وها نحن هنا ندعو الى ممارسة الخيارات السهلة ، فى أن نعرف كيف نصون وننفق ونستغل ما يسمى بـ (العملة الصعبة) التى تتبخر من أيدينا بلا معنى ولا جدوى بمنتهى السهولة والعقوق بالواجب والتلذذ بمتع الحياة الصغيرة فى عواصم العالم . بينما مصائبنا كبيرة ومأساتنا فى خسارة أوطاننا وأراضينا ونفوسنا كعرب نواجه التحدى الصهيونى – الاستعمارى أكبر وأكبر .

فهل نعقل ؟ هل نصحو ؟ هل نتعظ ؟

عبد الله الشيتي

Ali Bin Ali Printing Press - Doha طبعت بمطابع علي بن علي

PEPSI
بيبسى
مشروب الجيل الصاعد

للفنان القطري: محمد علي

السنة الخامسة ـ العدد ٦٠ ـ صفر ١٤٠١ ـ ديسمبر ١٩٨٠ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

الحبوبة غروب شمس مؤسسة ثقافية

عبد الله علي إبراهيم

القرن الهجري الجديد بين آلام الأمس وآمال الغد

د يوسف القرضاوي

أصدقاء الضحك القديم

صلاح عبد الصبور

اللورد مونتباتن يتذكر أحداث السويس

MIRINDA

العدد ٦٠ ديسمبر ١٩٨٠

قطـــــر ٤ ريالات
البحريـــن ٢٥٠ فلسا
الامارات العربيـــة ٤ دراهم
عمـــان ٢٠٠ بيسة
الكويـــت ٢٥ فلسا
السعوديـــة ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العـــراق ٢٥٠ فلسا
الاردن ٢٠٠ فلـــس
ســـوريا ٢٠٠ قرش
لبنـــان ٢٠٠ قرش
مصـــر ١٥٠ مليما
الســـودان ٢٠٠ مليما
ليبيـــا ٣٠٠ درهم
تونـــس ٣٠٠ مليم
الجزائـــر ٣ دنانير
المغـــرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولاريـن اميركيين

الاشتراكات :
للافـــراد :
داخـل قطـــر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربيـــة ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائـــر الحكوميـــة
والمؤسســـات والشركـــات :
داخـل قطـــر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربيـــة ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا
الاعلانـــات :
يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الاعلام بدولـــة قطـــر

الدوحة

رئيس التحرير

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

ديسمبر ٨٠

العدد ٦٠

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقى : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
القسم الادارى والمالى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات : ترسل باسم رئيس التحرير

شئون عامة

صفحات الرأى

حياتنا المعاصرة

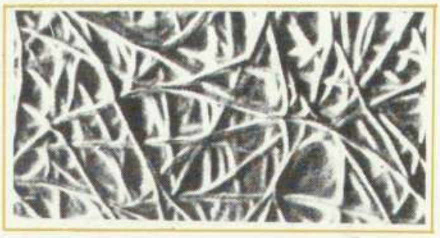

أدب و أدباء

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

استطلاعات

الثقافة هناك

هذا العدد

كان الموعد المحدد اول يناير ..

وكانت البداية في مثل هذا الوقت منذ خمس سنوات . وإذا كانت البدايات عادة ودائما تبدو صعبة ، فانها حين تصبح في إطار الذكريات ، يلوح الأرق سهداً من اجل صباح جديد . والعرق بذلا من اجل هدف نبيل . والتوتر شحذاً للأوتار كي تعطى ادق الأصوات واصفاها بلا نشاز .

منذ خمس سنوات أعددنا العدد الأول من «الدوحة» للطبع من منازلنا . كنا نعمل طيلة النهار والليل بالتنسيق المتفق عليه في فجر اليوم الماضي . ثم نلتقي في فجر اليوم التالي في بيت واحد منا ، نراجع معاً ما تم إنجازه ، ونتفق او نختلف . لكننا نلتقي في النهاية على الصيغة المثلى لما نتفق عليه من احلام اليقظة لهذه المجلة التي قررنا لها ان تولد بقامة رجل ، وصوت مغن من طراز المغنين الشعبيين ، يلتقي في حلقته جمهور الخاصة والعامة . مغن ذو صوت عربي متدفق بوجدان هذه الأمة العريقة في مرحلة تواجه فيها اخطر مؤامرات التجزئة والتفرقة ، والحيلولة دون وحدتها ، وترابطها !

فلما صدر العدد الأول في يناير ١٩٧٦ تحقق لنا بعض الذي نحلم . ومع كل عدد يصدر ، تضاف الى الحلم سمات ورؤى جديدة . وها نحن ذا نصل الى العدد الستين في إطار من حماس الدولة ، لأن تكون «الدوحة» وهجا ثقافيا عربيا ، وموردآ ريق النبع والأصالة .

خمس سنوات صرنا خلالها الى عائلة كبيرة من المحررين ، والكتاب ، والقراء ، وعشرات الأفكار التي تولد بمشيمة الاحساس البكر بمسئولية هذه المجلة ورسالتها . فهل يحق لنا بعد ذلك أن نقول لقرائنا وكتابنا وبوحتنا : كل خمس سنوات وهم طيبون .

الدوحة

فنون

أبواب القراء

مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبية والروحية بين «الدوحة» وأصدقائها المساهمين في تحرير أبواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافآت رمزية على النحو التالي :

من تجاربي الشخصية ١٢٠ ريالا
افكار جديدة ١٠٠ ريال
رأيت • سمعت • قرأت ٦٠ ريالا
دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون في تحرير أبواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجي ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية .

من كل نبع قطرة

إشراف : كمال عمار

شئون عامة

● محمد المبارك خالد
ميلانو ــ ايطاليا

يسعدنى ان ازف لكم تهانى الصادقة واعجابى الكبير بمجلتكم الغراء والحافلة بكل مفيد فى شتى ميادين العلم والمعرفة ، كما واخص القائمين على تحريرها واعدادها وطبعها بجزيل التقدير والتمنيات الطيبة لهم بمزيد من النجاح والتوفيق فى عملهم الدؤوب .

لقد لمست والحق اقول تكاملا وجهداً عظيما بين صفحاتها مما اكد لي انها بلا شك فى طليعة رائدات الثقافة والفكر والادب فى وطننا العربى الكبير .

انها وقفة قصيرة قصدت بها تسجيل صوت تقدير لكم جميعاً كيف لا وقد تم لي بحمد الله زيارة المجلة فى عقر دارها بالدوحة الشهر المنصرم ، وكان لي شرف اللقاء بمحرريها وعلى رأسهم الدكتور محمد ابراهيم الشوش رئيس التحرير .

محمد المبارك خالد

● عبد الله حسين القبارى
المملكة العربية السعودية

إننى من قراء المجلة ، واطلبها بصورة منتظمة ، لكننى احصل عليها بعد عنت ومشقة إذ هى لا تصل الى منطقة نجران فهل تداركتم امر وصولها لنا معشر قرائها مع الشكر والتقدير للمجهود الذى يبذل فى اخراجها ومستوى موضوعاتها .

عبد الله حسين

● محمد مازن بندق
دمشق ــ سوريا

لا جدال فى ان الدوحة لا تطرح نفسها بغية المكسب والربح ، وإنما جلي وواضح تبنيها لرسالة المعرفة ونشر الثقافة . وكم اتمنى أن تقوم كل عاصمة عربية باصدار مطبوعة تحمل اسمها ، وتسهم كمجلة الدوحة فى سد الفراغ الثقافى الذى يعانى منه الشباب والمثقفون فى الوطن العربى .

محمد مازن

● وفاء سعدون
ميت غمر ــ دقهلية ــ مصر

عدد المجلة الصادر فى اكتوبر «برقم ٥٨» صورة نموذجية للمكتوب الذى يتلهف القارىء العربى لمطالعته .. ولوجه تحية خاصة للدكتور الكاتب رشدى فكار عن تناوله لحياة الفيلسوف الفرنسى «جان جيتون» ، واود ان تتبنى المجلة تعريفا بالشعر والشعراء فى أوربا والعالم غير العربى .

وفــاء ســـعدون

شئون إسلامية

● أزهرى محمد محجوب
الاسكندرية ــ مصر

كان مقال الدكتور القرضاوى عن الاسلام والعلم شيقا جاء حاويا لكافة الادلة القرانية . وكذلك الاحاديث النبوية الصحيحة . وقد كان فى كل الذى اورده من ايات واحاديث اعظم الدلالة على اهمية العلم ، وكفى بالعلم جهداً وكفى به دفاعاً عن الاسلام ، وعلى المسلمين التصدى به للدفاع عن الدين والعقيدة والرد على الذين يجادلونهم .

أزهرى محمد محجوب

● عبد العزيز الطيب قرشى
الشكينيبة / السودان

كان مقال الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر «الاعلام الاسلامى فى ميثاق جلكرتا» الذى نشر فى العدد الثامن والخمسين من المجلة ، جهداً مقدراً فى سبيل تلمس الأدواء التى يعانى منها الاعلام بصفة عامة والاعلام الاسلامى بصفة خاصة .

والمطلوب ان تتحرك الدول الاسلامية قاطبة فى اتجاه النشر الاسلامى والتعريف بالاسلام من خلال كافة اجهزة الاعلام مع التركيز على الأجهزة المسموعة والكتاب .

عبد العزيز الطيب قرشى

استطــــلاعات

● صالح هبيهب سعيد
عدن ــ اليمن الديمقراطية

كل ما اعرفه عن جيبوتى انها بلد عربى ، وعضو فى جامعة الدول العربية . فهل تحملنا مجلة الدوحة ضمن استطلاعاتها الرائعة والمفيدة الى هناك ؟!

اتمنى ان يتم التعريف بجيبوتى من خلال مجلة الدوحة التى تتبنى التواصل وتحمله الى كل ابناء امتنا العربية .

صالح هبيهب سعيد

● يقوت عبد الله
تزنيت ــ المملكة المغربية

نشكركم على الاهتمام الذى اوليتموه للثقافة العربيـــــة ، من اجل اعلاء كلمتها وبناء صرح مجدها بما فى ذلك الأبواب الثابتة التى يستفيد منها القارىء العربى ويتخذها كمرآة للنظر فى مستقبل الثقافة العربية واقترح عليكم ان تقوموا بالاستطلاعات لكل الدول العربية ، ليس فقط شبه الجزيرة العربية ، فمثلا بلدان شمال افريقيا خاصة المغرب الغنى بجماله الفتان ومآثره التاريخية . ارجو ان لا يقتصر استطلاعكم عن شبه الجزيرة العربية .

يقوت عبد الله

● محمد حسن محمد كوكو
الجزيرة ــ السودان

افتقد فى المجلة اقلاما عربية مثل الشاعرة «فدوى طوقان» وحبذا لو استضافتها المجلة مع نشر بعض اشعارها الحديثة ..

واود ان اشكر للكتاب كمال سعد ونبيل خالد الآغا ، اسهامهم فى اسعاد قراء الدوحة من خلال الاستطلاعات والكتابة فى واقع المدن قديمها وحديثها .

محمد حسن

● علي حسن بغدادى
سوهاج ــ مصر

افلحت الكاتبة نادية رزق فى إلقاء الضوء على نشاط المسرح القطرى فى استطلاعها المنشور فى عدد اكتوبر من مجلة الدوحة وارجو ان تسهم الكاتبة فى الملاحقة المستمرة لنشاط المسرح فى هذه البقعة من ارض الخليج لحاجة الناس المستقبلية فى التاريخ والكتابة عن هذا النشاط

علي حسن بغدادى

يوسف إدريس

● محمد حسن الحصر
تلا ـ المنوفية ـ مصر

قرات مقال الدكتور يوسف ادريس «اين كنا ولماذا اصبحنا» فى العدد السادس والخمسين من مجلة الدوحة .

وارى ان الدكتور يوسف ادريس قد غالى فى سخريته من مظهرنا وطعامنا كمسلمين . ولقد اقسم الدكتور يوسف ، أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما كان ليناقش مسائل كهذه لو كان موجوداً . واتساءل بدورى هل كان سيدنا عمر يرضى عن ممارستنا الكثيرة التى تغضب الله ؟! وهل كان سيناقشها أم كان سيعالجها على هدى كتاب الله وسنة رسوله ؟!

محمد حسن

● مصطفى بلوزه
الاسكندرية ـ مصر

وصل الدكتور يوسف ادريس فى قصته «الرجل والنملة» التى نشرتها الدوحة فى عدد فائت الى اعجاز فكرى وابداعى . ولقد لجا الى استخدام شكل واقعى جديد فى كتابة القصة ، على غير استخدامه السابق «للفانتازيا» فى معالجته لمسرحية «الجنس الثالث» التى نشرها منذ سنوات .

مصطفى بلوزه

ألبرتو مورافيا

● علي حسن بغدادى
سوهاج ـ مصر

فجاة وعلى غير العادة وطوال الأيام الأولى من شهر اكتوبر الماضى اصبح الاديب والمفكر والسياسى والفيلسوف العالمى الكبير البرتو مورافيا حديث الأوساط الادبية كلها ، وذلك بسبب حديثه الشيق الذى خص به الدوحة وقراءها ونقله لنا من الايطالية الأستاذ / محمد سعيد مراسل المجلة هناك .

فعلى الرغم من ان الحديث المنشور بعدد اكتوبر ليس أول حديث صحفى للروائى الكبير فقد سبق لنا قراءة احاديث سابقة له ، إلا انه لم يتطرق فيها للحديث عن الفكر الاسلامى حيث أبدى اعجابه بذلك السلوك الفكرى المتحضر الذى لا يعرف التحيز لفكر على حساب فكر اخر دون أن تكون هناك دوافع واعتبارات قاطعة ، ولا يعرف التعصب لأن التعصب شعور بالنقص . ولقد قرا مورافيا الكثير عن الفتوحات الاسلامية خاصة فى الشمال الافريقى من مصر الى المغرب ، واعترف مورافيا بان الفتوحات الاسلامية كانت مطبوعة ومتميزة بسلوكيات الفروسية وشتى صور التسامح الذى حمل به العرب حضارتهم ونهضتهم .

علي حسن بغدادى

الأمة Al Ummah
إسلامية
شهرية
جامعة

ميلاد مجلة الأمة

مع مطلع القرن الخامس عشر الهجرى ، صدرت مجلة الأمة فى ثوب جديد ، لتعبر عن أملها فى أن تستانف الأمة الاسلامية دورها فى قيادة البشرية بما تمتلك من رسالة انسانية وتجربة حضارية ..

وفى العدد الأول من المجلة الشهرية الاسلامية الجامعة ، حددت المجلة اهدافها منطلقة من حرصها على القيام بدور ايجابى بناء تجاه الأمة والعقيدة والانسانية ، فاتحة صفحاتها لجميع المسلمين فى كل بلاد العالم فالأمة بعقيدتها ومقوماتها الفكرية وليست بعروقها والوانها وحدودها الجغرافية ..

وقد دعت مجلة الأمة فى عددها الأول كافة المسلمين الى جمع الكلمة وتوحيد الصفوف ونبذ التفرقة والتنازع والتنابز ، حتى لا تضعف قواهم وحتى لا يشغلوا انفسهم بالفروع دون الأصول ...

وفى نفس الوقت طالبتنا بالابتعاد عن طرح المشكلات التاريخية التى اشبعت درسا وبحثا وان لا نستبقى منها غير القيمة التاريخية فقط .. فهى مجلة لمعالجة مشاكل المسلمين وتحدياتهم الثقافية والحضارية ، كما انها تعطى التفسير الاسلامى للحياة ..

وقد زخر العدد الأول من مجلة الأمة بالعديد من المقالات التى كتبها كبار الكتاب والمفكرين فى العالم الاسلامى ، ومن بينهم الدكتور عماد الدين خليل ، والدكتور يوسف القرضاوى ، والدكتور محمد البهى ، والدكتور حسن عيسى عبد الظاهر ، والاساتذة عمر عبيد حسنة واحمد محمد الصديق واحمد ديدات وانور الجندى وبدر محمد بدر وعدنان السبيعى ..

وكانت معظم مقالات العدد تدور حول عدة موضوعات تهم المسلمين فى كل مكان ، من بينها المكان الصحيح للقيم الاسلامية ونحن نستقبل القرن الخامس عشر الهجرى ، ووجهة العالم الاسلامى فى القرن الجديد ، والخصائص المتفردة للأمة الاسلامية ، والمد الاسلامى ، وما يواجهه المسلمون من تحديات فى جنوب افريقيا ، وتطبيق العلمانية فى الاسلام ، ومستقبل القدرة العسكرية فى العالم الاسلامى ... وهذا بخلاف ما تضمن من اخبار واستطلاعات من بينها : استطلاع ملون عن مكة المكرمة باعتبارها منزل الوحى ورمز الوحدة الاسلامية .. واستطلاع عن جامعة قطر كمنارة للفكر العربى الاسلامى وصرح علمى متطور .. كما تضمن العدد الأول عدة مقالات علمية من بينها مقال عن عالم الطير ومقال عن ايات الله فى الحياة والكون ...

ومجلة الأمة بكل ما فيها من زخم مليىء بالحيوية والحركة والنشاط ، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية فى قطر ، ويراس تحريرها فضيلة الشيخ عبد الرحمن آل محمود وكيل رئاسة المحاكم ، وهو شاب قطرى طموح ، يتحلى بالقدرة على المثابرة والبحث والاستزادة بالعلوم الاسلامية ...ولذا فان المجلة فى ميلادها الجديد إنما هى اضافة الى الاعلام الاسلامى ورسالة سامية تسعى الى مستقبل افضل لأمتنا الاسلامية الخالدة ..

ومع ميلاد مجلة الأمة فى صورتها المتالقة ، نتمنى لها ولأسرة تحريرها ولجميع العاملين فيها كل التقدم والازدهار فى سبيل إعلاء كلمة الدين والحق .

مؤتمر القمة الحادى عشر فى عمّـــان

جاءت القمة العربية التى عقدت فى عمان هذا الشهر فى وقت حاسم ، لتضع نصب أعينها كل ما يواجهها من تحديات اثناء مسيرتها لبناء قوتها العربية ورسم طريقها نحو الغد المشرق من منطلقات تهدف الى توحيدها والقضاء على كافة العوامل التى تؤدى الى تفككها وتمزقها .

وفى هذا اللقاء الكبير جاءت مشاركة سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، لتؤكد حرص دولة قطر وشعبها على دعم البناء العربى وترسيخه ، وإيماناً منها بوحدة المصير العربى وقدرة الأمة العربية على تحقيق اهدافها المنشودة مادامت مسلحة بروح التضامن والتكاتف الأخوى ..

وقد جاء البيان الختامى لمؤتمر القمة العربى الحادى عشر منطلقاً من الوضع العربى الراهن والتطورات السياسية والعسكرية والاقتصادية التى طرأت على الساحتين العربية والدولية منذ إنعقاد مؤتمر القمة العربى العاشر فى تونس .. ولذا كان لابد أن يتدارس القادة العرب النزاع العربى الصهيونى واستعراض تطوراته واتخاذ القرارات التى تهدف الى تعزيز القدرة العربية وبناء القوة الذاتية فى كافة المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية ..

واكد أعضاء المؤتمر التزامهم جميعاً بالعمل والنضال من اجل التصدى للخطر الصهيونى الذى يهدد وجود هذه الامة. وجاءت كل موضوعات وقرارات المؤتمر لتؤكد الحرص على وحدة الشعوب العربية ، والقناعة بان الأمن القومى يستلزم وجود قاعدة اقتصادية صلبة لا توفرها سوى التنمية القومية الشاملة ، والتمسك بالذاتية الثقافية والحضارية للوطن العربى ..

وخرج المؤتمرون – بفضل روح التعاون العربى الصادق الصريح – وهم اكثر إصراراً على الحفاظ على الرسالة العربية والمسئولية القومية التى تتطلب ضرورة مواصلة العمل العربى المشترك الجاد ، الذى يواجه – فى قوة – كافة الأخطار والتحديات التى تستهدف الأمة العربية .

عدسة : كمال راشد

القرن الهجرى الجديد

بين آلام الأمس وآمال الغد

د . يوسف القرضاوى

ودعت الأمة الاسلامية قرناً حافلا بالكفاح والصراع ضد الاستعمار بانواعه من ناحية ، وضد التخلف بالوانه من ناحية أخرى ، وضد التفرق والتمزق من ناحية ثالثة ، وضد التيارات الدخيلة ، والحركات العميلة، من ناحية رابعة .. وحققت بعض الانتصارات حيناً ، كما خسرت بعض المعارك حيناً آخر ، وحالفها النجاح فى بعض المجالات واصابها الاخفاق فى أخرى .

انتصرت على الاستعمار العسكرى والسياسى ، ولكنها لم تتحرر تماما من الاستعمار الثقافى والتشريعى والاجتماعى ، كما لم تزل تعانى من الشوكة الدامية التى غرست فى جنبها ، وفى قلب ارضها وهى اسرائيل .

وسعت قاعدة التعليم ، فانتشرت المدارس والجامعات ، ولكن الأمية لاتزال غالبة على بلاد المسلمين ، ولازلنا عالة على غيرنا فى كثير من فنون العلم والتكنولوجيا .

واجتهدت امتنا فى تطوير الزراعة والصناعة ، ولكن ما برحنا نعتمد ـ بصفة اساسية ـ على الاستيراد فى سد حاجتنا من القوت اليومى (الخبز) وحاجة جيوشنا من السلاح الذى ندافع به عن انفسنا .

ونادى المنادون باقامة «جامعة اسلامية» أو «كتلة اسلامية» فى مواجهة الكتل العالمية الأخرى ، وتعويضاً عن القلعة الاسلامية التى كادت لها القوى المعادية للاسلام حتى أتت عليها من القواعد ، وهى الخلافة ، فباءت بالفشل ، واكتفوا فى النهاية باقامة «جامعة عربية» و «تضامن اسلامى» انتهى بهما الأمر الى ما نرى ونلمس من تصدع داخل الجبهة العربية ، وتمزق داخل الجبهة الاسلامية ، الى حد الاقتتال الضارى ، بأحدث أسلحة الدمار فى البر والبحر والجو ، حتى غدا أقرب وصف لهم بانهم «أشداء على أنفسهم ، رحماء مع غيرهم ...» وصدق فيهم ما ذم القرآن به اليهود من قبل «بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، ذلك بانهم قوم لا يعقلون» .

منطق الايمان

وتجاوبت الصيحات الاسلامية فى شتى الأقطار بوجوب تطبيق الشريعة الاسلامية ، وإحلالها محل القوانين الوضعية ، والمناداة بالحل الاسلامى ، بديلا للحلول المستوردة من الشرق والغرب ، ولا تكاد المسيرة تقترب من غايتها ، حتى تعود القهقرى ، بكيد القوى العميلة ، والحركات الدخيلة ، وتذهب تلك النداءات المخلصة المعبرة عن روح الأمة صيحة فى واد ، ونفخة فى رماد ، كما يقولون . ترى ، هل يكون هذا الختام الأليم لقصة الجهاد والكفاح لامتنا فى نهاية القرن المنصرم ، داعياً الى اليأس من مطلع الفجر ، وهي تستقبل القرن الجديد ؟

قد يروج ذلك المثبطون والمخذلون ، وقد يسمع لهم اليائسون والمتشائمون ، الذين يرون الأمور من خلال منظار اسود ، والذين يضخمون السلبيات ، ويصغرون الايجابيات ، أو يسقطونها من الحساب .

والذى نؤكده هنا أن منطق الايمان لا يعرف اليأس والقنوط أبداً «فانه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون» .. ولا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون .

وسنة الله مداولة الأيام بين الناس ، والدور الآن لنا ، والريح فى صالحنا ، وقد علمتنا كلمات الله المقروءة والمرئية أن بعد الليل فجراً ، وأن مع العسر يسراً ، وأن احلك ساعات الليل سواداً وظلاماً هى التى تسبق انبثاق الفجر ..

والمريض الذى يتحول من مرحلة الغيبوبة المطبقة ، والشلل الكلى ، الى شىء من الحركة والكلام ، يقول الناس : قد زال عنه الخطر ، ورجي له الشفاء ، فكيف اذا قام من سريره وغدا وراح ؟ وكيف اذا تحول صوته الى هدير وزئير ، وحركته الى عمل دائب وكفاح مرير ؟؟

يقظة الأمة

لقد خرجت امتنا من الكهف ، ونفضت عنها غبار النوم ، وسرت فيها يقظة شاملة وصحوة حقيقية ، كان وراءها رجال مصلحون صادقون ، فى أول القرن ووسطه وآخره ، قام كل منهم بجهد مشكور ، وجهاد مقدور ، آتى أكله فى حياته أو بعد مماته ، وفقاً لسنة الله التى لا تتبدل .

هذه اليقظة التى شملت العالم الاسلامى كله من المحيط الى المحيط ، بل شملت المسلمين خارج العالم الاسلامى ، لم تعد مجرد يقظة شعورية عارضة ، أو ثورة شعبية طارئة ، حركها زعماء غاضبون أو قادة ثائرون ، فى مواجهة الهجمة الاستعمارية ، والغزوة الصليبية الحديثة .

لقد تحولت اليقظة الى دعوة ، والدعوة الى حركة عالمية ، هزت الأمة من الأعماق ، وغيرت الرأى العام الى صف

● إن منطق الايمان لا يعرف اليأس « فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

● لقد علمتنا كلمات الله أن أحلك ساعات الليل سواداً هى التى تسبق انبثاق الفجر

● لم يعد مفهوم الجهاد مقصورا على تحرير الأرض بل تجاوزه إلى تحقيق « الذات الاسلامية »

الاسلام ، وأنشأت جيلا بل أجيالا مسلمة الفكر والعاطفة والسلوك ، تعمل بالاسلام ، وتعمل للاسلام ، وتجاهد فى سبيل بقائه بالنفس والنفيس ، وتلقى الغزو الفكرى على يديها ضربات ، جعلته يقف مذعوراً ، أو يرجع مذءوماً مدحوراً ، وعاد كثير من دعاة «التعريب» يتملقون الجماهير المسلمة ، وبدأ كثير من المستشرقين يراجعون انفسهم فيما يكتبون ، وطفق الشعور بالهزيمة أمام الغرب يتضاءل يوماً بعد يوم ، نتيجة شعور الاستعلاء الاسلامي الأصيل .

ولما يعد مفهوم الجهاد ــ كما كان أول الأمر ــ مقصوراً على تحرير «الأرض الاسلامية» بل تجاوزه الى «تحقيق الذات الاسلامية» وذلك بتحقيق الرسالة الاسلامية : ديناً ودولة ، عقيدة وشريعة خلقاً وجهاداً ، عبادة ومعاملة ونظام حياة .

الفراغ الفكرى

قد تظهر هذه الحركة للعيان ، وقد تكمن كمون النار فى البركان ، حتى تاتى لحظة الانفجار ، فاذا هى إعصار فيه نار ، تدمر كل شىء بأمر ربها . وهى اللحظة التى تخشاها أجهزة الرصد ، وتحسب لوقوعها المفاجىء الف حساب .

ومن دواعى الأمل :
أن الحضارة الغربية التى غلبت على العالم زمناً غير قصير ، أفلست فى منح انسانها السعادة التى ينشدها . إنها هيات للانسان الرفاهية والمتعة ، ولكنها

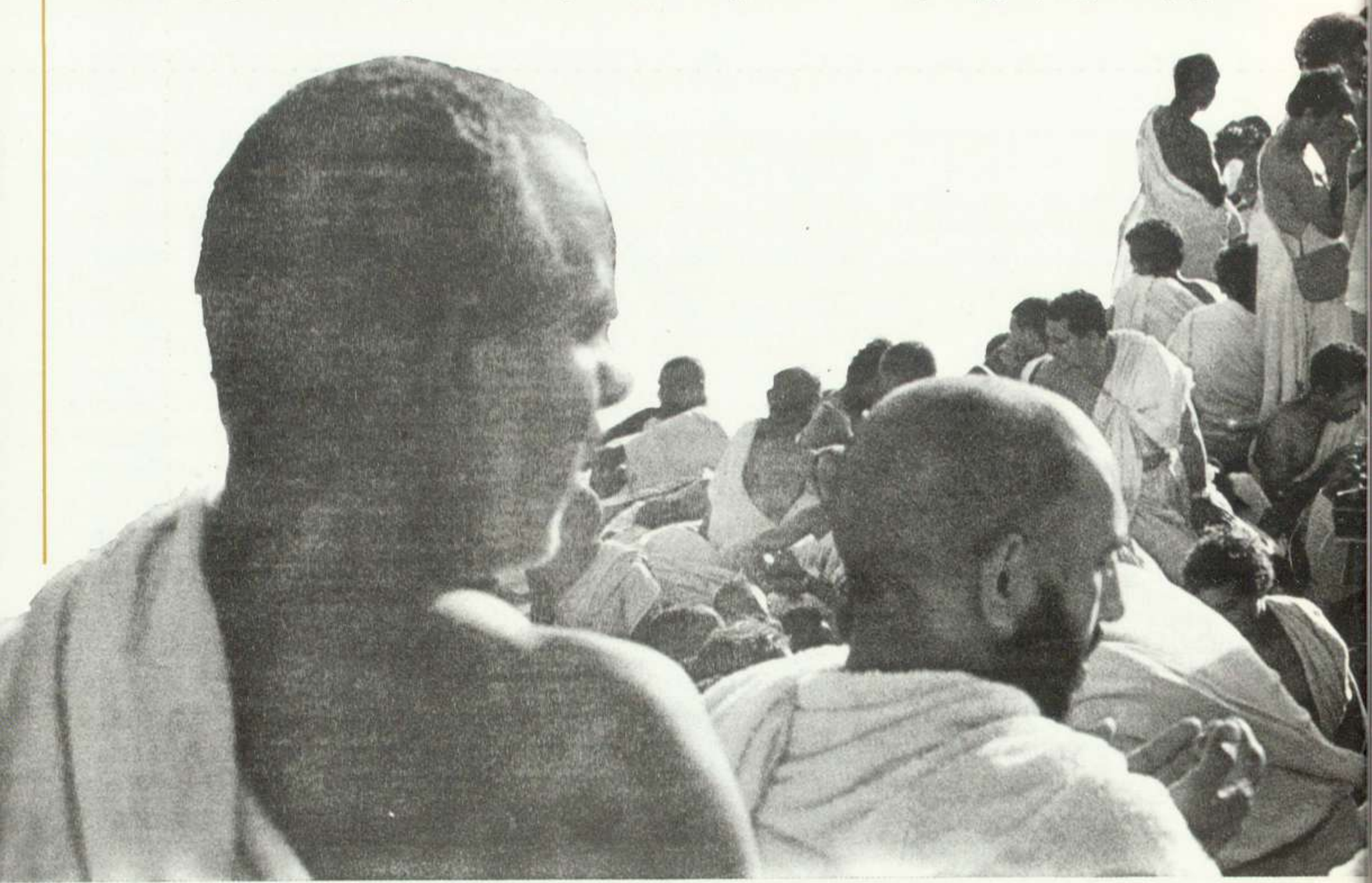

• الحضارة الغربية هيأت للانسان الرفاهية والمتعة ولكنها لم تحقق له السكينة والطمأنينة

القرن الهجرى الجديد بين آلام الأمس وآمال اليوم

لم تحقق له الامن والسكينة . إنها متعت جسده ، ولكنها عذبت روحه . أعطته أشياء كثيرة يعيش بها ، ولم تعطه شيئاً ذا بال يعيش له . أعطته الوسائل والآلات ، ولم تعطه المقاصد والغايات . اكتشفت «قوانين المادة» فسخرتها وفقاً لما تمليه المنفعة القومية ، لا طبقاً لما يفرضه الواجب الانسانى ، لأنها لم تكتشف بجوارها قوانين النفس الانسانية ، وكيف يفلح من زكاها ، وكيف يخيب من دساها . فبقي الانسان فى تلك الحضارة ـ رغم تقدم العلوم المختلفة ـ «ذلك المجهول» كما يقول «ألكيس كاريل» .

إن الانسان هناك يعانى القلق النفسى الجمود العاطفى ، التحلل الخلقى ، التخبط الفكرى ، التفسخ الأسرى ، والتناقض الاجتماعى .

وهذه الظاهرات التى نراها بادية للعيان فى أبناء هذه الحضارة مثل من يسمونهم «الهيبيز» إنما هى أحد إفرازات هذه الحضارة ، وبعض ثمارها .

إن هؤلاء يمثلون التمرد على مادية

● اللحظة التى تخشاها أجهزة الرصد المعادية ، وتحسب لوقوعها ألف حساب
● نحن أصحاب الحضارة التى ربطت الأرض بالسماء وجمعت بين المثالية والواقعية

هذه الحضارة وآليتها .

إن حياة الرفاهية ، والأزرار الأتوماتيكية ، لم تشبع نهمهم الروحى ، ولم تملأ فراغهم الفكرى والنفسى ، فانتفضوا عليها ، وهرعوا الى حياة بدائية ، أشبه بحياة انسان الصحراء .

أخلاقيات الحضارة

على أننا حين نبدأ مسيرتنا اليوم نحو الغد المرجو ، لا نبدأ من الصفر ، ولا ننطلق من فراغ ، فلسنا غرباء عن الحضارة ، ولا دخلاء على التاريخ . إننا أصحاب مواريث ثقافية وحضارية ، ممتدة الأصول ، باسقة الفروع .

إننا أصحاب الحضارة التى تميزت بغايتها الربانية ، ووجهتها الانسانية ، ونزعتها العالمية ، وفكرتها الوسطية ، ونظرتها الشمولية ، وصبغتها الأخلاقية .

إنها الحضارة العربية الاسلامية ، التى ربطت الأرض بالسماء ، ووصلت الدنيا بالآخرة ، وجمعت بين المثالية والواقعية ، ومزجت المادة بالروح ، ووازنت بين الحقوق والواجبات ، وآخت بين العقل والقلب ، ووفقت بين مطالب الفرد ، ومصلحة المجموع ، فى غير طغيان ولا إخسار ، استجابة لنداء الله «ألا تطغوا فى الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان» .

إنها الحضارة التى سادت الدنيا عدة قرون ، وأضاءتها بنور العلم والايمان ، يوم كانت أوربا لا ترى الضوء إلا من سم الخياط .. وكانت اللغة العربية هى لغة العلم الوحيدة فى العالم ، والتى كتبت بها المؤلفات العلمية التى كانت مَراجع العلماء فى جميع أقطار الأرض ، وكانت أسماء علمائنا أشهر الأسماء والمعها فى دنيا العلم ، وكانت جامعاتنا قبلة الطلاب فى كل مكان .

الأمة والريادة

ثم إننا ـ بغض النظر عن تاريخنا ومواريثنا ـ نملك فى حاضرنا من أسباب القوة والعزة ومقومات السيادة والريادة ما يؤهلنا للقيام ـ خلال القرن القادم ـ بدور مرموق فى هداية البشر ، وقيادة سفينتها المضطربة بين الأمواج الى بر الأمان والطمانينة .

ولقد أشار الى ذلك سمو أمير قطر فى خطابه الجزل الذى افتتح به «المؤتمر العالمى الثالث للسيرة النبوية» الذى انعقد تحت رعايته بالدوحة فى المحرم سنة ١٤٠٠ هـ . حين قال :

«إن أمتنا الاسلامية ، تملك من وسائل التفوق ، وأسباب الريادة ما يجعل منها القوة العالمية الثالثة ، التى تقيم موازين القسط بين الشرق والغرب ، وتكون كما أراد الله لها أمة وسطا .

تملك أمتنا أولا : الثروة البشرية .. فنحن المسلمين نبلغ حوالى ربع سكان العالم ، وللثروة البشرية دورها فى بناء الحضارة الانسانية .

وتملك أمتنا ثانيا : القوة المادية ، بموقعها الجغرافى ، ومساحتها الشاسعة الممتدة وثرواتها الهائلة ، وتكاملها الاقتصادى .

وتملك ثالثا : القوة الروحية ، بعقيدتها الصافية ، ورسالتها التى ختمت بها النبوات ، وبكتابها الخالد ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وبتراثها الأصيل وتاريخها المجيد .

وكل هذا جدير أن يمد أمتنا بمقومات العزة والسيادة ، وحوافز الخير والهدى إذا هى تمسكت بعروتها الوثقى «ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم» وهو جدير أن يمدها كذلك بمضاء العزيمة لاستخلاص الحق ، وبوحدة الكلمة فى مواجهة الباطل ،حتى تتبوأ أمتنا مكانتها ، وتملى إرادتها وتحرر أرضها ، وتستعيد مقدساتها ، وعلى رأسها القدس الشريف ، والمسجد الأقصى ، الذى بارك الله حوله . «ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله» .

د. يوسف القرضاوى

عالـــم الادهـــاش

حـــافظ الجمـــالى

تمنيت ، مرات كثيرة ، لو أن الصحافة والمجلات الدورية ، كانت معروفة منذ زمن طويل ، ولم أتمن ذلك عبثاً ، بل كثيراً ما تساءلت على ضوء أحداث التاريخ العربى ، ماذا كان فى وسع القوم الذين عاصروا تلك الأحداث أن يقولوا فيها ، أو تعليقاً عليها ؟ وعلى سبيل المثال ، ماذا كان يقوله كتاب العصر ، حول حرب الأمين والمأمون ، أو حول قتل المتوكل ، أو حول الجيش العربى أيام المعتصم ، لاحلال الجيش التركى مكانه ؟ أتراهم كانوا يقولون فى ذلك ما نقوله نحن اليوم منقسمين بين مؤيد ومعارض ، أو بين لائم ومحبذ ، باكثرية تميل الى هذا الطرف أو ذاك ، أم أنهم سيختلفون جذرياً عنا فى تعليقاتهم ؟ لست أدرى ولكنى أجد نفسى لا معاصراً لجزء من التاريخ العربى وحده ، بل لكل التاريخ العربى ، ولو أنى لا أعيش إلا بعضه . ذلك أن التاريخ المكتوب نفسه يعود بى الى الوراء ويجعلنى أعاصر كل ما حدث فى الماضى ، من العهد الجاهلى حتى هذا العهد الذى أنا فيه .

ويبدو أنه لابد للانسان من تلخيص

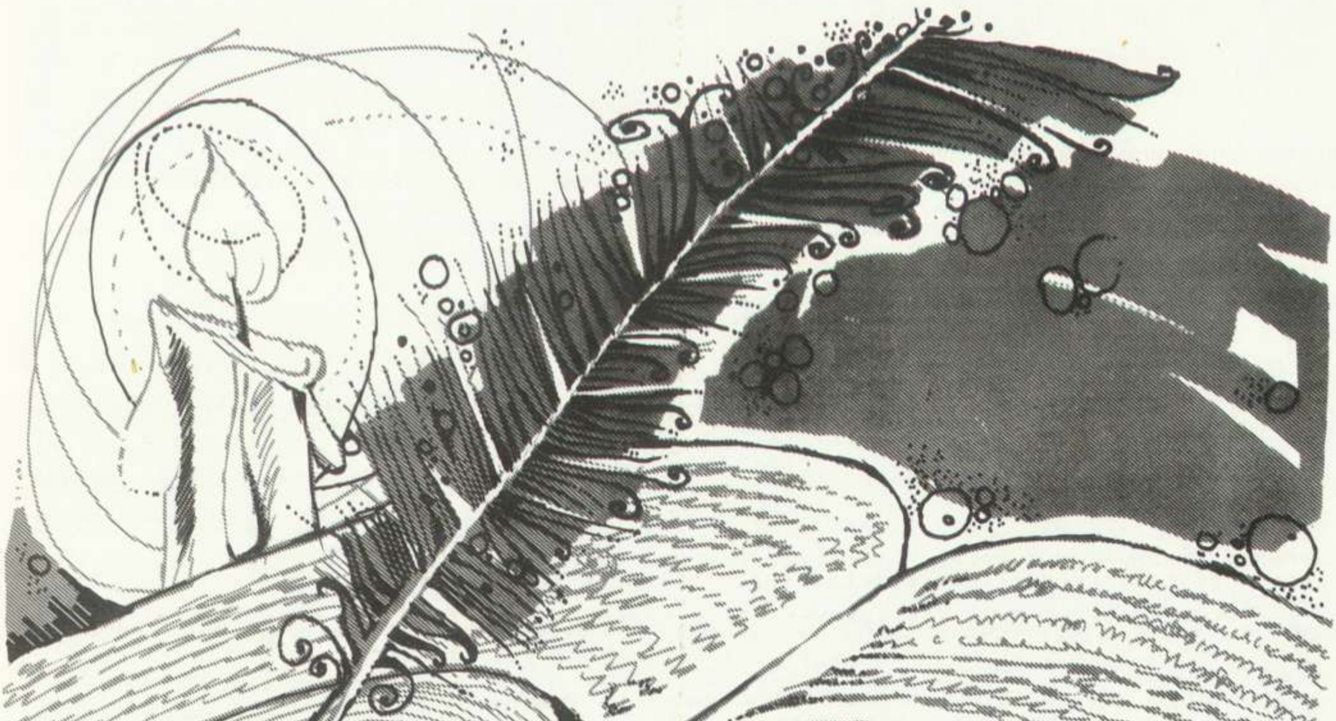

نحن شعب يحب الادهاش إما بصورة ذاتية .. وإما بصورة موضوعية

ومن ذاق من الأقدار ما ذاقه العرب ، وظل حيا من شعوب الأرض كلها ؟!

كل ما يعرف من تاريخ أمته ، أو تاريخ أمة أخرى في بعض الانطباعات . ولئن سئلت عن هذه فيما يتصل بتاريخنا نحن أى التاريخ العربى لقلت بسهولة : إن أبرز أو من أبرز هذه الانطباعات ، هو أننا شعب يحب الادهاش ، إما بصورة ذاتية وعن سابق تصور وتعمد ، وإما بصورة موضوعية ، وبلا تعمد سابق .

ولكى أوضح فكرتى هذه الساخرة ، أذكر أن أحد كتابنا أثار الكثير من الاعجاب فى تعليقاته الساخرة ، الذكية على ما يقع من أحداث . وحدث ذات مرة أن استضيف فى قطر عربى آخر ، وتجمع حوله الصحفيون ليسألوه عن انتاجه ، وأفكاره واتجاهاته ، وما يحب أو يكره كعادة الصحفيين . وصادف أن طرحت عليه إحدى الصحفيات ، السؤال التالى:

– من أين ، يا أستاذ ، تستمد أفكارك ؟ أمن نفسك مباشرة ، أم تستند إلى ... الى شىء ما ؟ .

ويجيب الكاتب قائلا :

– طبعاً ، إنى أستند الى شىء ما .

– وما هو ؟

– إنى أستند الى الطاولة .

لا ريب أن كاتبنا هنا ، لم يرد إلا إدهاش السامعين ، بخفة دمه ، وحدة ذكائه . لكن المقصود من السؤال ، ليس هو الذى أريد الجواب . وبالتالى فان حب الادهاش غلب على حب الاخبار بالحقيقة .

والآن أتساءل : هل هذا النوع من حب الادهاش أمر يخص شخصاً بعينه ، فينا أو أن للمسألة وجهاً آخر ، يصح معه القول : إن هذا الحب ، حب الادهاش ، سمة عامة لشعبنا كله ، فى الماضى ، كما فى الحاضر ، لا تخلو منها أية فترة من فترات حياتنا ، وهى تتجلى بصورة أو بأخرى فى أكثر صور حياتنا ؟

من خلال التاريخ

وأعود فاكرر القول إنه لا ينبغى أن نحسب أن حب الادهاش مقصود دوماً ، أو مصمم عليه بالضرورة . ذلك أن سمات الطبع تتجلى فى حياتنا ، أردنا ذلك أم أبيناه . وكما يقول الشاعر :

ومهما يكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس ، تعلم

ولقد قرأت فيما قرأت قصة الفتوحات العربية الكبرى لغلوب باشا ، قائد الجيش الأردنى سابقاً . وأذكر هنا أن الكتاب ، كما بدا لي ، جيد ، وأنه مليء بالاطراء للشعب العربى ، لكن الذى أدهشنى فعلا ، هو أن المترجم «خيرى حماد» يحاسبه حساباً عسيراً على الصغيرة والوسطى والكبيرة ،كما لو أنه مسلم لا مسيحى ، وكما لو أن عليه أن يؤمن بديننا كما نؤمن نحن به ، دون أى فرق ، فاذا خرج عن هذا الاطار اتهم بالدس ، والغرض ، والتحريف ، والتشويه . أوليس مما يدهشنا أن نرى مسلماً يطالب من ليس على دينه أن يكون مسلماً مثله ، دون أن يكلف نفسه ، هو ، مهمة التبشير ؟

وعلى كل حال ، فان غلوب باشا ينهى كل فصل من فصول كتابه ، بخلاصة قصيرة ، يوجز فيها الأحداث التى روى قصتها . وعلى سبيل المثال ، أذكر بعض الخلاصات لثلاثة فصول متتابعة نقرأ فيها ما يلى :

- وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وولاية أبى بكر : حزيران ٦٣٢
- حملة أسامة : تموز ــ أيلول ٦٣٢
- هزيمة المرتدين فى ذى القصة آب ٦٣٢ .
- موقعة بزاخة وهزيمة طليحة : تشرين الأول والثانى ٦٣٢ .
- معركة اليمامة وهزيمة مسيلمة : كانون الأول والثانى ٦٣٣ .
- اخضاع عمان : شباط ــ آذار ٦٣٣ .
- اخضاع اليمن ونهاية حروب الردة : أيار ــ حزيران ٦٣٣ .
- خضوع الحيرة : أيار ٦٣٣ .
- الاستيلاء على الأنبار وعين التمر : خريف ٦٣٣ .
- ثلاثة أرتال عربية تغزو فلسطين والأردن : شتاء ٦٣٣ ــ ٦٣٤ .
- خالد بن الوليد يجتاز البادية : كانون الثانى ــ آذار عام ٦٣٤ .
- اشتباكات خالد مع الروم فى مرج راهط ، خارج دمشق : نيسان ٦٣٤ .
- توقف الأرتال العربية عند اليرموك أيار ٦٣٤ .
- اليرموك الثانية : ٢٠ آب ٦٣٦ .
- استسلام القدس : أيلول ٦٣٧ .
- زيارة عمر بن الخطاب للقدس : ٦٣٨ .
- احتلال المدائن عاصمة كسرى : نيسان ٦٣٨ .
- فتح الاهواز : بين ٦٣٨ ــ ٦٣٩ .
- بناء الكوفة : ٦٣٩ .
- اجتياز عمرو بن العاص حدود مصر : كانون الأول ٦٣٩ .
- احتلال الاسكندرية : أيلول ٦٤٢

والخلاصة : إن أكبر وأعظم الفتوحات العربية تمت خلال إثنى عشر عاماً . وكذلك فان أكبر دولتين فى ذلك الزمان ، أى الدولتين العظميين التاريخيتين ، الفرس والروم قد سحقتا سحقاً ، على يد جيش عربى صغير ، لم يزد عدده فى أحسن الأحوال ، على ستين ألف جندى . أما مصر ، فيقال إن عمرو بن العاص دخلها بثلاثة آلاف جندى . فلما طال على عمر بن الخطاب أمر فتحها ، أنجد قائده بألفين آخرين ، وكتب اليه أنه ليس عليه بعد الآن أن

يشكو من قلة من معه !!

ولقد ألفنا رواية هذه الفتوحات ، إلفة أزالت منا النكهة الأولى للاحساس بها ، ولاسيما لمعاصريها العرب ، وغير العرب ويكفى أن نتخيل الآن أن دولة صغيرة كالأردن ، مثلا ، تهاجم الدولتين العظميين فى هذه الأيام ، وتتغلب عليهما ، وتحتل أكثر أراضيهما . أفيمكن أن يوجـد عندئـذ ما هـو أبعـث على الدهشة ؟ والحقيقة أن نسبة الأردن الى هاتين القوتين كنسبة العرب الفاتحين الى دولتى الروم والفرس فى ذلك الحين .

وهنالك قصة تروى عن الخليفة عمر ابن الخطاب ، خلاصتها أنه تساءل عما يجب أن يفتح من البلاد ، بعد فتح فارس ومصر ، فلم يجد فى ذلك الحين ، ما يستحق عناء الحرب . ولست أدرى أصحيحة هذه الرواية ، أم هى غير صحيحة . ولكنها على كل حال ، ذات دلالة . أن لدى عمر شعباً متفجراً ، يهدر كالسيل ، ويطيح بكل ما أو من يعترض طريقه . وما هو إلا أمر يصدر منه ، حتى يكون الأمر الخطير مقضياً . فلم لا يتساءل إذن عن البلاد الأخرى الجديرة بالفتح ؟

العرب والاسكندر المقدونى

ولا يمكن القول : إن هذه الانتصارات الرائعة ، كانت مجرد مصادفة ، لأنها تتابعت باستمرار حتى عهد الوليد بن عبد الملك آب عام ٧١٤ م . بعد أن احتلت اسبانيا وجنوب فرنسا ، وتتابعت بدرجة أدنى طبعاً ، بعد الوليد بزمن طويل نسبياً . لاريب إذن أن الشعب العربى قد شحن نفسياً بقوى نووية ، ما إن تتفجر واحدة منها وتخمد ، حتى تتبعها الأخرى بنفس القوة ، ومما لا يكثر حدوثه فى التاريخ .

ومع ذلك فان بالامكان تشبيه الفتوحات العربية بفتوحات الاسكندر المقدونى ، الذى نجح أبوه فيليب فى توحيد دويلات اليونان كلها ، بدءاً من مدينة صغيرة لا يزيد عدد سكانها على الثلاثين ألفاً ، فضلا عما كانوا فيه من تخلف بالنسبة الى حضارة أثينا وطيبة وغيرها من المدن الاغريقية . فلما جاء الاسكندر تابع مشروعات أبيه فى فتح آسيا الصغرى ، وسورية ، ومصر ، وفارس ، وأجزاء أخرى من الهند ، أطل منها على المحيط الهندى . ولا يدرى أحد اين كان سيستقر به المطاف لو أن جنده لم يرهقوا بمسيراته الكبرى ، وكل ذلك خـلال ثلاثـة عشر عامـاً (من عـام ٣٣٦ ـ ٣٢٣ ق.م) ، مقابل اثنى عشر عاماً للعرب . إلا أن هناك فوارق عظيمة بين الفتح العربى ، وفتوحات الاسكندر :

١ ـ أولها أن الفتح العربى عرب الشعوب المغلوبة لغة وديناً . وحيث زالت اللغة بقى الدين . على حين أن كل جهود الاسكندر فى «أغرقة» البلاد المفتوحة ، لم تثمر شيئاً ، بحيث استطاع توينبى أن يلاحظ أن ألف سنة من تاريخ الأغرقة ، ظلت وكأنها لم توجد ، أو كغريبة عن الديار . فلما جاء العرب ، اتصل ما انقطع منذ عشرة قرون ، ليتابع مسيرته القديمة .

٢ ـ إن العهد الهيلينستى ، لم يوصف كحضارة منبعثة من جديد ، بل كحضارة مقلدة لما سبقها ، وأدنى منها ، على حين أن الفتح العربى ، رافقه انبعاث حضارة جديدة ، كل الجدة ، على ما استمدته من عناصر الحضارات السابقة . وخلافاً لما يمكن أن يفكر به الانسان ، من أن الحضارة العربية ، كانت تتجلى فى التقدم العلمى أو التقنى أو الصناعى بالدرجة الأولى ، فان المضمون الأساسى لحضارتنا ، كان جملة قيم انسانية تلغى (أو تحض على إلغاء) العبودية ، وتوحد بين الناس ، وتجعلهم سواسية ، لا فرق بين عربى وأعجمى إلا بالتقوى ، على حين أن عقولا كأفلاطون وأرسطو ، كانت تقسم الناس الى قسمين متمايزين ، كل التمايز ، بفوارق نوعية ، كاليونان والبرابرة ، والأحرار والعبيد . فكأن الاعتراف بالقيمة المقدسة للانسان وبتساوى هذه القيمة بين كل الناس ، هو المضمون الأول للقيم الاسلامية ـ العربية ، بغض النظر عن التزام أو عدم التزام السلطة القائمة ، بهذه المبادىء .

٣ ـ لم توحد الدولة العربية فى الجزيرة الأصل وحدها ، بل إن ما فتح من البلاد ، كله تقريباً ، باستثناء بلاد فارس أصبح مع الفتح العربى أمة واحدة ، ووطناً واحداً ، ولو أن التجزئة قد أصابته منذ عهد بعيد . ذلك أن الطموح فى كل البلاد العربية هو طموح وحدوى ، لا يجد سبيله الى التحقيق ، بحكم رغبات الأنظمة القائمة . على حين أن التوحيد الاغريقى مع الاسكندر لم يتجاوز إطار اليونان . وما من أمة غير اليونان تأغرقت ، وأصبحت تنتسب الى الأمة الفاتحة .

وهكذا نجد أن «الادهاش العربى» حادثة فريدة فى التاريخ ، ما نظن أنها ستتكرر مرة أخرى . وبطبيعة الحال فان هذا الادهاش ظل قائماً بعد عصر التألق كما قبله . أو ليست مقاومة العرب لغزاتهم وفاتحى أرضهم ، وناهبى خيراتهم ، وسالبى السلطة منهم ، وبقاؤهم أحياء ، عنيفى الحياة ، حتى الآن ، حادثة فريدة ومدهشة أيضاً ؟ ومن ذاق من الأقدار ، ما ذاقه العرب ، وظل حياً من شعوب الأرض كلها ؟

مسكينة هى أجيالنا القادمة التى ستتساءل دوماً : متى نتقدم ؟!

الادهاش الجديد

ولكن هل انتهى عهد الادهاش العربى عهد البطولات المتألقة فى السراء والضراء ، فى الهجوم أو المقاومة ، فى النصر أو الهزيمة ، وفى تصدر التاريخ ، أو الاختباء وراءه ؟ والجواب أنى لا أرى لأية أمة مصيراً شبيها بالمصير العربى . وليس هذا مدحاً ولا قدحاً ذلك أن المصير مصير ، سواء أكان مفرحاً أم محزناً ، ولكن أن يبقى تاريخ أمة مدهشاً باستمرار ، فى الخير والشر ، فذلك من لا عهد لي به فى تاريخ الأمم الأخرى . وهل هنالك أمم كثيرة تعانى من الداخل والخارج مثل ما عانينا ، ومانزال نعانى حتى فى اللحظات التى نكون فيها أمام مشكلة الوجود أو اللاوجود ، مشكلة الحياة أو الموت ، وتظل مع ذلك على ما هى فيه من فرقة وتناثر ، وصراع ، وفوضى ؟

إنى أعود ، وكثيراً ما أعود ، الى الماضى العربى ، وأتساءل : ترى ماذا كان سيكون حال العرب لو أن فتنة عثمان لم تحدث ، ولو أن علياً لم يخاصمه معاوية، ولو أن الأمويين لم يكونوا عتاة على الطالبيين ، ولو أن العباسيين لم يسيروا فى ذلك على غرار الأمويين ؟ ــ ماذا كان يمكن أن يكونوا ؟ . لو أن الاندلسيين لم ينقسموا الى أكثر من عشرين إمارة بعد دولة الأمويين فى قرطبة ، ولم يحاربوا بعضهم بعضاً ، أكثر مما حاربوا الاسبانيين ؟ وماذا لو أن الفرنجة والمغول لم يهاجموا بلادنا ، ولم يحرقوا فيها الأخضر واليابس ، ولم يقلبوا نهارها الى ليل ؟ ثم هل من أمة غالبة كالعرب ، تعود بعد قرن ونصف القرن ، كما لو أنها هى المغلوبة ، فينتزع منها السلطة مماليكها وعبيدها ، وينقلب الحاكم محكوماً ، والمحكوم حاكماً ، ويصبح عزيزها هو الأذل ، والأذل فيها هو العزيز ؟ لكن هذه التساؤلات عبث محض . إذ لا مجال لجعل الأمانى وقائع ، وقلب صورة التاريخ بحيث تطابق الأمانى . غير أن ما أتساءل عنه الآن ، هو الادهاش العربى ... ترى هل انتهى أوانه وزال الى الأبد ، ولم يعد إلا قصة للتاريخ ؟

أما أنا ، فاظن أن الأمر مايزال موضع بحث . فمن ظلمة الليل العربى ينبثق فجر جديد . ويصحو العالم ليرى الوطن العربى أرضاً طافية فوق بحيرة هائلة من النفط . فان غاب النفط ، حل محله الفوسفات ، وإن غاب هذا حله محله الحديد . ويصبح العرب قوة مالية عظمى ، تدهش العالم بعملقتها المالية ، وقزميتها السياسية . وكما كانت الجزيرة العربية موطن الادهاش الأول ، تعود الآن ، مرة أخرى ، لتكون أعجوبة مدهشة أخرى . ترى أيفرط العرب بهذا التميز ، كما أفرطوا فى الماضى بانتصاراتهم فوق العادية ؟

الحقيقة أننا لا ندهش العالم بثرواتنا ، فيما تحت الأرض ، فحسب ، بل ندهشه بصراعاتنا وتفرق كلمتنا أمام الخطر القاتل ، والمجابهة الفاصلة بين الموت والحياة ، وبالمحافظة على حدود لم يرسمها لنا إلا الاستعمار الذى نقول : إننا نكرهه . وندهشه بالترف والبذخ وتبديد المال سدى ، والكرم على البلاد المتقدمة لنزيد من تقدمها ، وبالبخل على أنفسنا ، لنظل أبداً فى وضع البلاد المتخلفة . ولكن ألسنا ممن يؤثرون على أنفسهم ، ولو كانت بهم خصاصة .

وكذلك فنحن ندهش العالم بسعينا الدائب الى التقدم وبقائنا دوماً حيث نحن متخلفون ممعنون فى التخلف ، ونظل أمناء على تراثنا لا نحسن شيئاً قدر ما نحسن الصراع بيننا ، كأن كل تراثنا لا يتجاوز هذه المقولة ، مقولة الصراع القبلى ، وقد اتخذ صورة الدول ، بدلا من القبائل ، لنجعل دهشة العالم أكبر وعجبه أشد ، كأن القرآن الكريم قد أوصانا بأن نكون أشداء بيننا ، رحماء على الكفار ، لا العكس أبداً .

ومسكينة هى أجيالنا القادمة التى ستتساءل دوماً متى نتقدم ؟ ونحن نتساءل هل من هاوية لا نحب الوقوع فيها ؟ ومنذ ألف سنة وأكثر تتالى الأجيال بعد الأجيال ، يروى كل منها قصة حياته ، فيبكى ويبكى الآخرين معه . ترى أى يوم سيأتى ، ونذوق فيه الفرح ؟

حافظ الجمالى

نحو النور

● كل منا يتمنى لنفسه أشياء كثيرة ، ولكن القليلين جداً هم الذين يخططون لبلوغها ، والأقل منهم هم الذين يحسنون التخطيط ، والأقل من هذا القليل هم الذين يبلغونها فعلا .. الكثرة تتمنى ، والتمنى لا يزيد على أن يكون احلاماً او ما يقرب منها .. ليس فيه شيء محسوس إلا مجرد التمنى لا يقدم ولا يؤخر ، بل لعله يؤخر لأنه نوع من احلام اليقظة .. وقد يقنع بها الانسان ويراها بديلا عن السعى والتخطيط لبلوغ ما يتمناه .. ومجرد التمنى ليس عملا على الاطلاق فهو والركود سواء .. وهو موقف سلبى من الحياة والموقف السلبى معناه التخلف . لأن الدنيا تدور وتتحرك وصاحب الموقف السلبى جامد لا يدور ولا يتحرك ، فالتمنى بضاعة العاجزين .

● وفريق آخر من الناس يقرنون التمنى بالعمل والجد والمثابرة وهذا الفريق قسمان قسم يكتفى ببذل الغاية والجهد كالثور فى الساقية يدور جاهداً وهو فى مكانه حظه فى الدنيا ان يتقى شر صاحبه ، فلا يسرف فى ضربه وايذائه ويقدم له من الطعام ما يقيته بلا زيادة أو نقصان . وثانيهما يخطط فى فكر وذكاء وتقييم صحيح لامكاناته ومواهبه .

د . محمد البهي

دور الأزهر

في تكوين الكتلة الثالثة

الاسلام فوق أنه هداية روحية .. هو رابطة اجتماعية سياسية

هناك في العالم اليوم كتلتان : إحداهما شرقية والأخرى غربية

الكتلة الاسلامية هي الكتلة الثالثة . وهي لا شرقية ولا غربية

هناك في العالم اليوم كتلتان ، احداهما شرقية ، والاخرى غربية • ولكل كتلة منهما مثالية ونظام فكري (أيديولوجية) خاص • فأيديولوجية الكتلة الشرقية هي الاشتراكية الدولية التي تقوم على التفسير المادي للتاريخ، بينما أيديولوجية الكتلة الغربية هي النظام الديمقراطي الرأسمالي • وبهذا وذاك تفترق الكتلتان بعضهما عن بعض • وليس للتقدم العلمي ، ولا للتطور الصناعي دخل في تحديد الفرق بين هاتين الكتلتين • واذن الفرق بينهما محصور في النظام الفكري الايديولوجي الخاص بهما •

وهناك بين هاتين الكتلتين رقعة فسيحة في العالم ، لها ثراؤها الاقتصادي وامكانياتها العديدة للوجود البشري • ويجتمع سكانها على أيديولوجية خاصة أي : نظام فكري اجتماعي روحي خاص • لا هو شرقي •• ولا هو غربي ، وهو النظام الاسلامي ، وتسمى هذه الرقعة بـ « دار الاسلام » • وقد جاء في مجلة نور الاسلام تحديدا لدار الاسلام ، ما يلي :

« ان دار الاسلام هي التي تجري فيها أحكام الحنفية السمحة ، وتعتبر بالنسبة لسائر المسلمين بلدا واحدا ، وبعبارة أخرى : دار الاسلام هي الاقليم الواقع تحت ولاية رئيس مسلم تجري فيه أحكام الاسلام •• فكل مملكة من الممالك العالمية جرى فيها الامر على الوصف الذي قدمناه تعتبر: دار اسلام ، وان اختلفت هذه الممالك باختلاف الملك والمنعة • اذ لا عبرة باختلاف الدار في حق المسلمين بعضهم مع بعض ، لان حكم الاسلام يجمعهم فالممالك الاسلامية كلها في حكم المملكة الواحدة •• والدين الذي يوجب القصاص فيقتل المسلم بالذمي والحر بالعبد ــ حقنا للدماء وصيانة للأنفس ــ لا يبيح لأهله أن يتفرقوا شيعا مهما اختلفت الدار ، ولا يجيز لأهله أن يعامل بعضهم بعضا معاملة غير جائزة • فليس من الجائز في الدين أن يعامل مسلمو أفريقية مسلمي آسيا معاملة لا يرضونها لأنفسهم ، متذرعين بأنها ليست موطنا لهم • فان ذلك من حمية الجاهلية التي نعاها الله على مشركي العرب ، ولأن المسلم من أية قبيلة أو أية قارة أخ للمسلم في الدين ، ولأن الايمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاحق ما أن لم يفضل الاخوة النسبية لم ينقص عنها ، وأخوة المؤمن للمؤمن معناها أن كلا منهما انتسب لأصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الأبدية ، والذي هو جماع الفضل ومكارم الاخلاق ومنشأ المجد والسؤدد » •

ايديولوجيه الكتلة الثالثة

وبهذا نرى أن الاسلام هو الذي يحدد الكتلة الثالثة ويحدد الروابط بينها • وسيظل العامل الفاصل في تحديدها ، مستقلا بها عما عداها من الكتل القائمة • اذ الاسلام فوق انه هداية روحية هو رابطة اجتماعية سياسية • ويمكن أن تدرك هذه الجوانب فيه من مثل قوله تعالى :

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون • ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون • وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ••

ومثل قوله : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم » .. ومثل قوله أيضا : « يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » . ومثل : قوله أيضا : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم ، وأنتم لا تظلمون . وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » . ومثل قوله أيضا :

«ان شر الدواب عند اللهالذين كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون . فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ، واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » .. « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

فمثل هذه الآيات تحدد العلاقات بين أفراد هذه الكتلة الاسلامية وهي الكتلة الثالثة ، في معاملة بعضهم لبعض ، وفي سلوكهم الاخلاقي . كما تحدد مبادىء السلم والحرب من أجل هذه الكتلة ، وفي سبيل بقائها ، والكتلة الاسلامية اذن هي كتلة لها هدف في الحياة ، ولها رباط هو الاخاء ، ولها علاقة بالآخرين هي : الرغبة في السلام أن أمنوا على أنفسهم واستقلالهم .. واللجوء الى الحرب والدفاع ان خافوا على أمتهم وجماعتهم . وايمانهم بالله الواحد هو شعار جماعتهم ، ومحبة بعضهم لبعض هي قواعد تعاملهم ، وعدم ايذاء الآخرين هو مسلكهم مع من يتصلون بهم من الجماعات الاخرى .

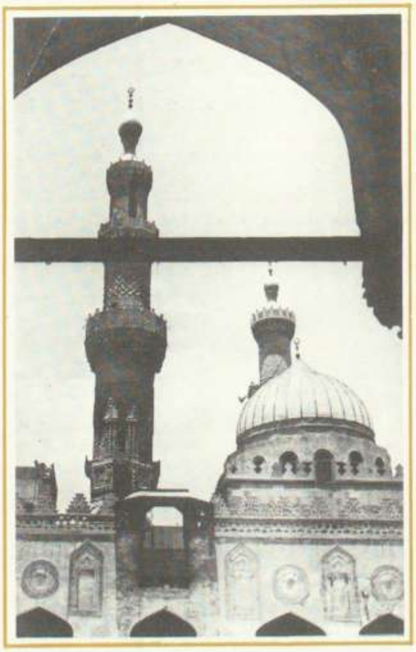

هذا هو الاسلام في تصوير مبادئه وغاياته بالنسبة لمجموعة الشعوب الاسلامية التي تكون الكتلة الثالثة . ولكن هذه الكتلة الثالثة قد أصابها الاستعمار فمزق وحدتها الاقتصادية ، وشتت توجيهها في تفكيرها السياسي والاجتماعي ، وألبس عليها غاية الحياة وأهدافها ، مما جعلها فريسة للمستعمر ونهبا لأطماعه . ولم يزل يوحي بعوامل الفرقة بينها واثارة بعضها ضد بعض ، حتى كادت تفقد علاقاتها الاسلامية ، وتفقد المبادىء التي قامت عليها وحدتها في العقيدة والايمان ، وأخذت تلتمس من الحيرة: التوجيه والقيادة . ولذا هي في حاجة من جديد الى اشاعة الوعي الاسلامي بينها ..

أدرك الاستعمار قيمة هذه الرقعة ، التي هي موطن الكتلة الثالثة ، وما فيها من ثروة طبيعية وبشرية وامكانيات اقتصادية ، وأدرك بالتالي حاجته الملحة الاستراتيجية والاقتصادية معا ، الى هذه المنطقة ، ثم أدرك بعد قرون مضت على استعماره اياها ، ان سكانها قد تيقظوا وتمسكوا بمبدأ تقرير المصير . أدرك كل هذا فعمل على تقسيمها الى مجموعات ووحدات مستقلة : مستقلة بعضها عن بعض ومنفصل بعضها عن بعض ، ولكنها غير مستقلة عن نفوذه ولا منفصلة عن أطماعه وتحقيق أهدافه فيها . ضرب بعضها ببعض ، ولم يزل يضرب بعضها ببعض حتى هذه اللحظة . وأنشأ فيها مدارس وخلق فيها اتجاهات تسانده وتؤيده . ولذا هي في أشد الحاجة لأن تبصر من جديد بعوامل الوحدة بينها ، وعلائق القربى التي يجب ألا تنفصم بينها . يجب أن يوقظ فيها الوعي الاسلامي من جديد .

اشاعة الوعى الاسلامى

واذا كان الاسلام هو مصدر ايديولوجية الكتلة الثالثة بين الكتلتين القائمتين اليوم ، فقوة هذه الكتلة تتوقف على قوة الوعي بالمبادىء الاسلامية والايمان بها كما أن ضعفها يتوقف على تفشي الجهل بهذه المبادىء بين أفرادها وضعف الايمان برسالة الاسلام في نفوسها .

الاسلام ـ كما يقول عنه المستشرق الانجليزي جب : « قد انتشر انتشارا سريعا في فترة لا تتجاوز قرنين ونصف قرن . وقد كان من أبرز آثار هذا الانتشار السريع الذي تكونت خلاله الحضارة الاسلامية الكاملة أنها أنشأت حضارة موحدة . اذ لم تكن هناك فرصة لتأثير العناصر الاقليمية المختلفة والثقافية المتباينة . فلما انتشر الاسلام بعد ذلك لم يكن دينا ساذجا ، ولكنه كان نظاما كاملا شاملا للحياة . ولذلك ترى أن اتساع رقعة العالم الاسلامي من المحيط الهادي الى المحيط الاطلسي لم تؤثر في وحدة الحضارة الاسلامية على غير ما تقضي به العادة .

الازهر يقوم بالمهمة

واذا كانت قوة الكتلة الثالثة تتوقف على اشاعة الوعي الاسلامي بين أفراد هذه الكتلة من المحيط الاطلنطي الى المحيط الهادي ، وعلى قوة الايمان برسالة الاسلام ـ فلابد أن يكون هناك مركز ما لتوزيع هذا الوعي ودفعه ، وتأكيد الايمان بالاسلام في نفوس المسلمين . ونحن اذا اتجهنا للتفتيش عن مركز يقوم بهذه الرسالة لا نجد سوى الازهر في رقعة العالم الاسلامي

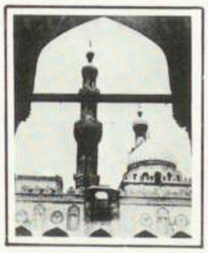

ما يجب أن يؤديه الأزهر ليس فقط حفظ التراث الاسلامي وحده ، وإنما العمل قبل ذلك على أن يواجه به احتياجات الكتلة الثالثة

كله ، أو في موطن الكتلة الثالثة • اذ الجامعات الحديثة في هذا العالم الاسلامي ، هي جامعات لا تعني بالايديولوجية ولا بالنظام الفكري لأصحاب هذه الكتلة الثالثة • وانما عنايتها بما لا يصور أيديولوجية ونظاما فكريا خاصا ، وهي العلوم والرياضة وفروع الدراسات الهندسية المختلفة أو اذا عنيت بأيديولوجية ما فانما تعني بفكر منثورة لا تكون نظاما فكريا متكاملا يكون شرقيا أو غربيا ، أو اسلاميا •

الازهر وحده — وليست الجامعات الحديثة — هو مركز هذا الاشعاع • الازهر فريد بهذه الرسالة ، لا يوجد له مشارك قديم أو حديث في اطار الكتلة الثالثة •

ومنذ أن قام الى اليوم وهو مركز الرسالة الاسلامية ، سواء ما يتعلق بدراسة تعاليمه المباشرة ، أو ما يتعلق بدراسة الوسائل التي تصحح فهمها وتصورها ، وهي اللغة العربية وما يتصل بها من دراسات •

ما يجب أن يؤديه الازهر

ولكن ما يجب أن يؤديه الازهر ليس هو حفظ التراث الاسلامي وحده، وانما العمل قبل ذلك على أن يواجه به احتياجات هذه الكتلة في التوجيه، فيما يتصل ببقاء الترابط بينها وفي دفعه نحو القوة والتماسك •

والكتلة الاسلامية لا تعيش وحدها، بل تعيش في مواجهة الكتلتين الشرقية والغربية • كما أن المسلمين في داخل هذه الكتلة قد فعل بهم الزمن والاستعمار — كما ذكرنا — فعله ، ففرق بينهم ، وأحيا عصبيات قبلية أو شعوبية فيهم • واذن احتياجاتهم من الازهر ، كي يعيشوا قوة متماسكة، احتياجات مزدوجة •

● أولا احتياجاتهم لدفع الايديولوجيتين : الغربية والشرقية عن أن تنال منهم ، حتى يبقى الترابط بينهم على أساس الايديولوجية الاسلامية والنظام الاسلامي وحده •

● وثانيا احتياجهم لدفع عوامل الفرقة بينهم ، وهي العوامل المذهبية أو العصبية التي أحياها الاستعمار ، وساعد على تطورها ضعف صلات المسلمين بالاسلام وانحطاط فهمهم اياه •

وما يجب على الازهر أن يؤديه اذن ليس هو الدفاع عن الاسلام • وانما عرض الاسلام كمجموعة من المبادىء والتعاليم صالحة لاسعاد الكتلة الثالثة، ولبقائها قوية مستقلة في مواجهة ايديولوجيتي الغرب والشرق •

وما يجب على الازهر أن يقوم به كذلك هو : العمل على صهر مجموعة شعوب هذه الكتلة في الرباط الاخوي الاسلامي ، باضعاف الفرقة المذهبية والعصبية الشعوبية •

واذن على الازهر أن يعرض الاسلام — لا أن يضيف الى هذا العرض جديدا — في الصورة التي عرض بها أول قيامه • وهي الصورة النقية البعيدة عن التحزب ، وعن الامعان في التقليد والتبعية • وهي صورة يستطيع أن يدركها كل مسلم من كتاب الله وكلام رسوله ، ان حصل — قبل ذلك — من الوسائل ما يؤهله لفهمه ، كما يقول الشيخ محمد عبده في كتابه « الاسلام والنصرانية » : « لكل مسلم أن يفهم عن كتاب الله من كتاب الله، وعن رسوله من كلام رسوله ، بدون توسيط أحد من سلف ولا خلف • وانما يجب عليه قبل ذلك أن يحصل من وسائله ما يؤهله للفهم • فان لم تسمح له حاله بالوصول الى ما بعده لفهم الصواب من السنة والكتاب فليس عليه أن يسأل العارفين بهما » •

واذا عرض الازهر الاسلام على هذا النحو أبعد شبح الفرقة المذهبية والشعوبية بين المسلمين من جهة ، كما يبعد خطر اندفاع المسلمين الى تقبل أيديولوجية أخرى ، غير التي جاءت بها رسالة الاسلام ، من جهة أخرى •

ويوم يعرض الازهر للتراث الاسلامي كله على هذا النحو ، فلا يفرق بين مذاهب هذا التراث في الدراسة • لا يفرق بين ما هو سني أو شيعي • ولا يقف في عرض هذا التراث عند الحد الذي وقف عليه المتأخرون من فقهاء المسلمين ، بل يصل الماضي بالحاضر — عندئذ يقوم الازهر بواجبه نحو الكتلة الثالثة ، في تماسكها وصيانة بقائها ، والمحافظة على استقلالها •

الازهر والاستعمار في مصر

هذا ما كان يجب على الازهر أن يفعله • ولكن الازهر — مع تقديرنا لجهوده في حفظ التراث الاسلامي لم يفعل كل ما كان يجب أن يفعله الازهر ، لم يشأ ولم يختر أن يتخلف عن هذا الدور ، ولكن حيل بينه وبين أن يقوم به الازهر عوق وقهر قهرا على ألا يؤدي كل ما يجب عليه أن يؤديه في صيانة الكتلة الثالثة وقوتها وتماسكها • كان هنا : الاستعمار الغربي منذ قرون لبلاد هذه الكتلة • وكانت غاية الاستعمار هي تفتيت هذه الكتلة • ومعول هذا التفتيت هو اضعاف الازهر وتعويقه عن أن يكون ذا رسالة ايجابية في الحياة الاسلامية• لنقرأ هذه العبارة الآتية من تقرير اللورد لويد — المندوب السامي البريطاني السابق في مصر — في كتابه : « مصر منذ كرومر » •

« ان أهمية الازهر بوصفه مركزا من مراكز الدعاية المعادية لبريطانيا كبيرة متعددة الامكانيات • وقد أدرك الوطنيون ذلك فحاولوا استغلاله لتأييد مآربهم • وترتب على ذلك نمو روح

المعارضة الشديدة لسيطرة الانجليز على التعليم » .

هذا ما يصف به الازهر أحد دعاة الاستعمار . فكان لابد للاستعمار أن ينال منه وكان لابد أن يعوقه عن تأدية رسالته ، ولابد أن يحاول هدمه . ولكن في أية صورة ؟ لندع اللورد لويد نفسه يقص علينا الاسلوب الذي يجب أن يتخذ لتعويق الازهر أو لهدمه . يقول : « ان التعليم الوطني عندما قدم الانجليز الى مصر كان في قبضة الجامعة الازهرية الشديدة التمسك بالدين والتي كانت أساليبها الجافة القديمة تقف حاجزا في طريق أي اصلاح تعليمي ، وكان الطلبة الذين يتخرجون في هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور التعصب الديني ، ولا يصيبون الا قدرا ضئيلا جدا من مرونة التفكير والتقدير .

فلو أمكن تطوير الازهر عن طريق حركة تنبعث من داخله هو ، لكانت هذه خطوة جليلة الخطر ، فليس من اليسير أن تتصور أي تقدم طالما ظل الازهر متمسكا بأساليبه الجامدة » .

ولكن اذا بدا مثل هذا الامل غير متيسر تحقيقه فحينئذ يصبح الامل محصورا في اصلاح التعليم المدني الذي ينافس الازهر ، حتى يتاح له الانتشار والنجاح . وعند ذلك سوف يجد الازهر نفسه أمام احد أمرين : فاما أن يتطور ، واما أن يموت ويختفي .

« على أن الخطة الاولى ــ التي تقوم على اصلاح الازهر من داخله ــ لها نتيجة عظيمة الاهمية والفائدة . وان لم تكن نتيجة مباشرة (في اللقاء مع المستعمر الغربي) ، وهي أنها تؤدي بالتدريج الى اختفاء التعصب الديني الذي أخر تقدم مصر زمنا طويلا !! أما الخطة الثانية ــ وهي اصلاح التعليم المدني ــ فان تأثيرها المباشر (في اللقاء مع الاستعمار) أقوى في ايجاد ما نحن في أشد الحاجة اليه من اقامة العلائق الانجليزية المصرية على

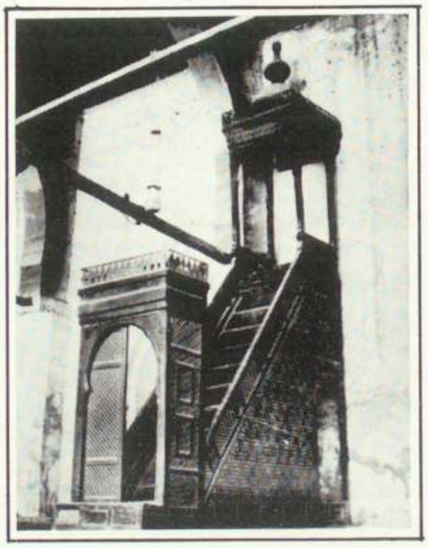

أساس من التفاهم والتعاطف المتبادل » .

والازهر اذن أمام هذه النظرة الاستعمارية اما أن يفقد قيمته كحريص على التراث الاسلامي ، وصيانة استقلال الجماعة الاسلامية في التفكير والتوجيه ، وذلك عن طريق ما سماه الاستعمار التقدم والتطوير الداخلي . واما أن يموت . وذلك بالعمل من جانب المستعمر على أن يسود التعليم المدني في مصر التعليم الازهري .

الازهر في نظر الاستعمار مركز التعصب الديني ، ومركز العداوة للغرب والاستعمار الغربي . فاما أن يتسامح فلا يتعصب للاسلام والقيم الاسلامية ويلتقي بذلك مع الغرب ويتبعه ، واما أن يقضي عليه بالفناء. وليس هناك من وسيلة لافنائه الا سيطرة التعليم المدني اللاديني ، الذي سيؤدي في نظر الاستعمار الى اقامة العلائق الانجليزية المصرية على أساس من التفاهم والتعاطف المتبادل .

واللورد لويد لم يتحدث عن مستقبل الازهر منذ سنة ١٩٢٨ ، أي منذ أن كان مندوبا ساميا في مصر ، وانما هو يعلق على سياسة كرومر منذ نهاية القرن التاسع عشر . واذن الخطة التي خطها الاحتلال البريطاني هي : اضعاف الازهر على أي حال في تأدية رسالته كمركز لاشعاع قوي واضح للايديولوجية الاسلامية . وتقوية التعليم المدني أو اللاديني كان من أسباب ذلك في نظر السياسة الاستعمارية . ورمى الازهر بالجمود والتعصب وبالرجعية كان وسيلة أخرى من وسائل اضعافه .

وتقوية الاستعمار للتعليم المدني واللاديني ــ حتى يسود التعليم الازهري ويفنى التعليم في الازهر ــ تمثلت في معيار الوظائف ، واختلاف التقييم المادي للمتخرجين في النوعين من التعليم حتى اهتز الشعور النفسي عند المتخرجين في الازهر اهتزازا عنيفا ، وحتى وقر في نفوسهم أو كاد ــ من بعد الهوة في التقدير المادي بينهم وبين الآخرين المتخرجين في التعليم المدني ــ أنهم أقل قيمة أدبية وأقل منزلة . وما كان لهم أن يمكنوا هذا الشعور النفسي ويدعوه يقلق رضاهم بالحياة وهم أصحاب الثقافة الخاصة ، الثقافة القومية الاصيلة ، الثقافة الاسلامية . ولكن ضرورات الحياة ودفع الانسان الى البقاء أثار فيهم الاحساس بالتفرقة ثم الرغبة في المساواة مع الآخرين .

وكلما تمكن الاستعمار في مصر كلما اتسعت الهوة في تقدير النوعين من المتخرجين ، وكلما شعر أبناء الازهر بأنهم أقل منزلة ، وكلما دفعوا الى طلب المساواة ، حتى تصورهم الناس أصحاب دنيا ، لا أصحاب رسالة دينية اسلامية فخفت منزلتهم رويدا رويدا في نفوسهم . ويعلم الله أنهم لم يكونوا أصحاب دنيا وانما أرادوا أن يعيشوا فقط من أجل رسالة أزهرهم ، وهي رسالة احياء الكتلة الثالثة ، والعمل على تقويتها وتماسكها وهي في الواقع رسالة مقاومة الاستعمار .

وبتلك الصورة التي وصل اليها أمر المتخرجين فى الازهر فى نفوس المواطنين بلغ المستعمر غاية له : وهي اضعاف المنزلة الادبية للازهر والمتخرجين فيه في الرأي العام المصري . ثم في الرأي العام الاسلامي العالمي . واذا ضعفت هذه المنزلة

دور الأزهـــــر

فى تكــوين الكتــــلة الثــــالثـــة

الادبية له وللمتخرجين فيه كان انهياره وفناؤه ·

السياسة الاستعمارية في التعليم المصري عملت اذن على « التمييز » الواضح بين المتخرجين في الازهر « بوصفه مركزا من مراكز الدعاية المعادية لبريطانيا » والمتخرجين الآخرين في المدارس المدنية اللادينية باعتبارها مراكز « لاقامة العلائق الانجليزية المصرية على أساس من التفاهم والتعاطف المتبادل » عملت على هذا التمييز في الوقت الذي نزعت فيه كل امكانيات الازهر المادية الخاصة به ، كمؤسسة اسلامية عالمية كبرى ، وهي امكانيات الاوقاف الكثيرة التي حبسها الخيرون من المسلمين على صيانته وبقاء التعليم الاسلامي فيه مزدهرا لا تمسه عادية سلطان ولا تتحكم فيه شهوات القوامين على الانفاق في مصر ، وهم من بيدهم السلطة المالية في الحكومة ·

الواقعية ومحاربة الازهر

عمل الانجليز اذن ـ وهم أصحاب التوجيه للسياسة التعليمية في مصر عن طريق القس المبشر « دانلوب » ـ على تقوية التعليم المدني واللاديني ، وعلى أن يكون ذا سيادة على الازهر · ثم استعانوا بعد ذلك بالصحافة الدخيلة في مصر أن تقاوم ما سموه بالرجعية والتعصب · والذي سمي بالرجعية والتعصب اذ ذاك هو الازهر، والذي سماه هم الانجليز أنفسهم · وتبنت مجلة « الهلال » الدعوة ضد الرجعية والتعصب نيابة عن الاستعمار الانجليزي · ومن يقرأ في بعض أعدادها يدرك جيدا هذه الغاية · فمثلا نقرأ في عدد نوفمبر سنة ١٩٢٤ ما يلي :

« الحضارات الشرقية تقدس الشريعة على انها ارادة واحد قهار ، لا على انها عدل ، ولا على انها لا تتغير الا بمشيئة السيد · وما مشيئته الا حاجة في نفسه ان كان أرضيا ، أو أحجية لا تفسر ان كان سماويا ·

كما نقرأ في عدد يونية سنة ١٩٣١ ، تحت عنوان : « العلم والايمان وديانات انسانية » ما يأتي :

« ان هذه الديانة الجديدة قد انتشرت في أمريكا ، وأن أصحابها يقولون ان مسألة وجود الله أو عدم وجوده ليست من المسائل الجوهرية · لانه اذا عمل الانسان ما هو صالح في هذا العالم فقد فعل ما هو مطلوب منه · سواء أكانت له روح خالدة أم لم تكن ·· وأن أصحاب هذه الديانة يقولون أيضا : لو كان جميع الناس يعتقدون كما اعتقدنا أن هذا العالم هو الفردوس الوحيد الذي ليس بعده فردوس آخر ، لوجهوا كل قواهم الى تحسينه ليصبح فردوسا حقيقيا بكل معنى الكلمة · أما وهم يؤمنون بوجود فردوس آخر أفضل ، وان الانسان نزيل فان على هذه الارض فهم يحرضون كل واحد على احتقار الحياة، وعلى تصورها بأشنع صورها حتى تصبح جحيما لا يطاق » ·

وهذا الذي تدعو اليه مجلة الهلال هو ما يعرف بواقعية «أوجست كومت» الفيلسوف الفرنسي في القرن التاسع عشر · وأوجست كومت وضع فلسفته الواقعية لمحاربة الكنيسة الكاثوليكية في تصويرها للحياة الدنيا والآخرة · وأصبحت هذه الواقعية بهذا الاسلوب تقال هناك في مقابل المسيحية الكاثوليكية · ولكنها بعد أن انتقلت الى الشرق ، أصبحت تقال في مقابل الدين السائد فيه · وهو الاسلام · وأصبحت الواقعية تساوي : لا اسلام والاسلام يساوي : لا واقعية ··

وصاحب كتاب : « على هامش السيرة » يقول في مقدمة هذا الكتاب :

« وأنا أعلم أن قوما سيضيقون بهذا الكتاب لأنهم محدثون يكبرون العقل ولا يثقون الا به ، ولا يطمئنون الا اليه ، وهم لذلك يضيقون بكثير من الاخبار والاحاديث التي لا يسيغها العقل ولا يرضاها · وهم يشكون ويلحون في الشكوى حين يرون كلف الشعب بهذه الاخبار ، وجده في طلبها ، وحرصه على قراءتها والاستماع لها · وهم يجاهدون في صرف الشعب عن هذه الاخبار والاحاديث واستنقاذه من سلطانها الخطر المفسد للعقول · وهؤلاء سيضيقون بهذا الكتاب بعض الشيء · لانهم سيقرءون فيه طائفة من هذه الاخبار والاحاديث التي تصبو أنفسهم لحربها ومحوها من نفوس الناس ·

واحب ان يعلم هؤلاء : أن العقل ليس كل شيء ، وأن للناس ملكات أخرى ليست أقل حاجة الى الغذاء والرضا من العقل ، وأن هذه الاخبار والاحاديث اذا هي لم يطمئن اليها العقل ، ولم يرضها المنطق ، ولم تستقم لها أساليب التفكير العلمي ، فان في قلوب الناس وشعورهم وعواطفهم وخيالهم وميلهم الى السذاجة واستراحتهم اليها من جهد الحياة وعنائها ـ ما يحبب اليهم هذه الاخبار ويرغبهم فيها ويدفعهم الى أن يلتمسوا عندها الترفيه عن النفس ، حين تشق عليهم الحياة · وفرق عظيم بين من يتحدث بهذه الاخبار الى العقل ـ على انها حقائق يقرها العلم ، وتستقيم لها مناهج البحث ـ ومن يقدمها الى القلب والشعور على انها مثيرة لعواطف الخير ، صارفة عن بواعث الشر ، معينة على انفاق الوقت ، واحتمال أثقال الحياة وتكاليف العيش » ·

واذن أخبار السيرة النبوية وأحاديثها ـ في نظره ـ لا تستقيم لها مناهج البحث وليست حقائق يقرها العلم ، أي لا تتصل بالواقعية· هي مثيرة فقط لعواطف الخير ، صارفة عن بواعث الشر ، معينة على انفاق

الوقت واحتمال أثقال الحياة وتكاليف العيش ٠

والـــدين ــ وهو مصـــدر اثارة العواطف الخيرة ، والابعاد من بواعث الشر ــ ليس حقائق يقرها العلم ، وتستقيم لهـا مناهج البحث ، أي ليس واقعيا !!٠٠

وكتاب : « على هامش السيرة » ــ كما يصــور ما فيــه من أخبار وأحاديث لصاحب الدعوة الاسلاميــة عليه الصلاة والسلام ــ يصور مبادىء الاسلام نفسه ٠

وهناك اذن اتجاه العقلاء واتجاه الواقعـــين في البحث ، وكلاهمـــا لا يعترف بالدين ، كمصدر للمعـــرفة والعلم ٠

الواقعية واتباع ديوي

واذا وجـــدنا في الامس القريب بعض أتباع « ديوي » في مصر يصفون مناهج الدراسة في الازهر بأنهـــا لا تتصل بالحياة الواقعية (على نحو ما جاء بالاهرام في ١٩٥٨/٣/١) ــ فهم يعنون واقعية « كومت » التي رددتها : « مجلة الهلال » في وصف الازهر بالرجعية والتأخـــر ، والتي حاربته من أجل الاستعمار ٠ فقد جاء فيما طلعت به الاهـــرام في التاريخ المشار اليه : « ان اتجاه المناهج ــ في الازهر » يبعده (أي الطالب) عن الحياة العامة ، فضلا عن انه يرهقــه بمسائل كثـــيرة في مختلف المواد ، وبتفصيلات لا نفع فيها « كما جاء ــ كتوصية ــ » وأن تتصـــل مناهج الدراسة بالحياة الواقعية وتتخلص من كل ما أصبح لا يمت الى الحيـــاة بصلة » ٠

أية حياة واقعية للمجتمع المصري والمجتمع الاسلامي ؟ ما هو المجتمـــع المصري ؟٠

المجتمع المصري ليس شيئا يحس ، وليس أمرا يلمس ويدرك بالبصر ، انما هو مجموعة من المعاني والقيم العامـــة التي تمثـــل روح الشعب وعقليته ، وهي تلك المعـــاني التي

التربية السليمة

هى ارتفاع بالمستوى عن النقائص الواقعة والعيوب السائدة

تتمثل في اللغـــة والدين كمبادىء وعادات ، وفي تاريخه وفي الجـــوانب الاخرى التي ترتبط ارتباطا أساسيا بمقومات الشعب المصري كشعب لـــه خصائصه ، وله صـــلاته العـــديدة بمجموعة الشعوب الاخرى ، العربية والاسلامية

ولكن الواقعية التي تنشد هنـــا ، عندما يتحدث أتباع ديوي في مصر ــ ومن قبلهم دعاة الاستعمار باسم الثقافة والتربية ــ هي ابعاد الاسلام عن مجال الحياة ومن مناهج التربية ٠ هي الغض من الازهر والنيـــل من كرامته والتصدي والتحدي لمـــا يعكف عليه من تراث ، وما تميز به في تاريخ مصر ، وفي تاريخ العـــالم الاســـلامي من توفر عـــلى دراســـة الاسلام ٠

ذكرت صحيفة الشعب في ١٢/٢ ١٩٥٧ تحت عنـــوان : « الشـــباب السوفييتي يجهـــل سياسة العـــالم ، ومقتضيات السلوك السليم » :

قال راديو موسكو : « ان الشباب السوفييتي يعـــود من المدرســـة الى البيت ، وهم يجهلون شئون العالم ، وتنقصهم مقتضيات المسلك السليم »٠

ومع أن الشباب السوفييتي يجهل شئون العالم ، وينقصه مقتضـــيات المسلك السليم ــ وهذا مما يتنافى والواقعية ــ فأتباع ديوي في التربية لا ينعت توجيههم في التربية بعـــدم الواقعية ٠ لان الدين لا يعد مصدرا من مصادر التوجيه ٠

اذن الاتحاد السوفييتي قام عـــلى أيديولوجية الواقعية الماركسية ، التي تأثر فيها بأوجست كومت ٠

وذكرت الصحيفة نفسها في ٢/٢٥ ١٩٥٨ ما يلي :

« ان أول تقرير يضعه معهـــد الابحاث الجنسية بجامعة « انديانا » منذ وفاة مؤسسه الدكتور الفريد شارلز كنج صاحب : « السلوك الجنسي لدى الرجل » و « السلوك الجنسي لـــدى المرأة » ٠ جاء فيه : أن واحدة من كل عشر سيدات أمريكيات تحمـــل قبل الزواج ، وان حالات الحمل هذه ــ ما لم تؤد الى زواج سريع تنتهي الى الاجهاض الصناعي بنسبة ٨٩٪ والى الولادة غير الشرعية بنسبة ٦٪ والى الاجهاض الطبيعي بنســبة ٥٪ ٠ وأضاف التقرير أن من بين جميـــع النساء الامريكيات اللاتي على قيـــد الحياة الآن ، وتقـــع أعمارهن في الفترة الصالحة للحمل من بينهن جميعا واحـــدة في كل ســـبع تعرضت أو ستتعرض لاجهاض صـــناعي قبـــل الزواج ، وأن معظم السيدات غير المتزوجات اللاتي يعرضن للاجهـــاض يباشرن العلاقات الجنسية بعد ذلك ، ولا يتوقف منهن عن ممارستها سوى ٣٪ كما أضاف التقرير أن ١٩٪ فقط من الســـيدات اللاتي يحملن قبـــل الزواج يتزوجن أثناء الحمل ، ولكن نصف هذه الزيجات يمنى بالفشل ، ثم أضاف التقرير انه كلما كانت المرأة متدينة كلما صارت أقل تعرضا للحمل قبل الزواج » ٠

فأي لون من الـــوان الحيـــاة يريده دعاة الواقعية ؟ أيريدون أن تكون الدعوة الى الجنس أمرا شروعا في الحياة ، وبذا تصـــبح الحيـــاة واقعية ؟٠ ان هذا التقرير للباحث الامريكي كشف عن ايجابية التربيـــة الدينية في أية صورة ، وعن ســـلبية دعوة الواقعية في الحياة الامريكية ٠ والتربية الدينية هي « تربية للمثل ، تريد أن ترفع الناس من عادات سيئة الى عادات حسنة ، ومن تفكير سيء وتصور بدائي الى تفكير غير سليم ، جدير بمعنى الانسانية ٠ وذلك أمر مطلوب في الحيـــاة ، ولكنـــه ليس منتزعا من الحياة » ٠

الأزهـر عقبة فى طريق الاستعمار . وسيبقى الحماية لصيانة الكتلة الثـالثة وتضامنهـا

على رجال الأزهر أن يدركوا قيمة أزهرهم فى صلات الكتـلة الثـالثـة وروابطها

متى يكون الظفر لنا جميعا .. والقوة لكتلتنـا الثـالثـة ؟

أيريد دعاة الواقعية في التربية والتعليم في مصر أن يبقى الشعب وتبقى الناشئة في مستوى ما عليه واقع أمرها من عادات وتصور ، مع أن التربية السليمة هي ارتفاع بهذا المستوى عن النقائص الواقعة والعيوب الخلقية السائدة ؟•

الازهـر والحيـاة

الازهر ليس واقعيا حقا ، على نحو ما تدعو الواقعية الديوية وينشده أتباعها في مصر • الازهر يقوم على عرض القيم الاسلامية ، لتبنى عليها حياة المسلمين ، يريد بتوفره على الدراسات الاسلامية أن يصور استقلال الجماعة الاسلامية • ويحول دون انصهارها في جماعات المستعمرين الشرقيين والغربيين • الازهر يريد مقاومة الاستعمار في أية صورة من صوره •

هذه هي الجزائر في كفاحها ونضالها ، لم تكافح وتناضل الا لان هناك بقية من ايمان بدينها • ولو أن شعب الجزائر اعتنق الواقعية اللادينية ، وعاش منعما في الاذلال والامتهان الذي فرضه الاستعمار الفرنسي عليه ، ولم يتطلع الى المثل العليا والاستشهاد في سبيلها ، لما قام اليوم يكافح ويناضل ، ولوجد في المذلة والمهانة ما يسعده ، اذ أنه عندئذ سيكون واقعيا ، أي معبرا عن واقع حياته •

ان نداء أتباع ديوي في مصر بالواقعية في المناهج الازهرية هو استرسال في حملة الاستعمار على الازهر وعلى الاسلام • الازهر عقبة الاستعمار وسيبقى عقبة لهؤلاء الذين ينادون بالواقعية الديوية ، سيعمر الازهر ، وسيثمر ما توفر عليه من دراسة التراث الاسلامي في صيانة الكتلة الثالثة وتضامنها •

الكعبة في مكة قبلة المسلمين في عبادتهم ، والازهر في مصر كعبة المسلمين في ثقافتهم • ومهما دعا أتباع ديوي للواقعية فستبقى دعوتهم بمنأى عن أن تنال من قبلة المسلمين في عبادتهم وكعبتهم في ثقافتهم •

والذي ندعو اليه ، أتباع ديوي في مصر ان يكونوا أنفسهم واقعيين يعيشون في المجتمع المصري قبل أن يعيشوا في أي مجتمع انساني آخر بعيد عن مصر ، وبعيد عن مقومات الطابع المصري • نريد لهم أن يستقلوا في التفكير ، وأن يقطعوا تبعيتهم للمجتمع الغربي • عندئذ سيدركون أن الازهر واقعي لانه يعني بالاسلام وبتراثه ويعني بالربط بين هذه المجموعة التي تكون اليوم الكتلة الثالثة •

انهم ـ ساعة ينادون بواقعية أوجست كومت في مصر ـ انفصاليون، أي يحاولون فصل مصر وعزلها عن مجموعة الشعوب الاسلامية الاخرى ، ويحاولون بالتالي عزل مصر عن قيادة العالم الاسلامي قيادة ثقافية •

فقد نريد من شيخ الازهر ما أراده علي أمين في « الاخبار الجديدة » في العدد الصادر في ٨ يناير سنة ١٩٥٤ وهو اليوم التالي لوصول الشيخ تاج ـ شيخ القسم العام ـ الى مشيخة الازهر • وقد عبر عما أراده في قوله تحت عنوان (فكرة) : « وأنا أريد من الشيخ أن يعيد لمقعد شيخ الازهر هيبته وكرامته ، فيحافظ على اللب لا على القشور ، ويدعو الى الأيمان لا الى اطلاق الذقون ••

أريد من الشيخ أن ينشر الاسلام في بلاد العالم ، لا في الصحف المحلية وأن يهتم بالمسائل الكبرى لا بالمسائل التافهة •

نريد من الشيخ أن يقول : « لا » للحكام •• فاذا سرق الحاكم زوجة شاب قال له : « لا » •• واذا أخطأ الحاكم فعليه أن يقول له : « لا » ويقولها قوية ويضغط على حروفها ويعلنها للناس • فلا قيمة لشيخ أزهر تنقصه الشجاعة أو يعقد لسانه الخوف •

نريد من شيخ الازهر أن يكتب استقالته ويضعها في جيبه ، كلما قابل حاكما من الحكام أو ملكا من الملوك •• فالرجل هو الذي يصنع المنصب ، وليس المقعد هو الذي يصنع شيخ الازهر » ••

ان مصر التي أوجب عليها وضعها التاريخي والجغرافي أن تقود هذه الكتلة الثالثة قيادة ثقافية ، تدرك لا محالة قيمة الازهر في قيادتها الثقافية •

وعلى رجال الازهر أن يدركوا أيضا قيمة أزهرهم في صلات هذه الكتلة الثالثة وروابطها ، فلا يطيعوا وصية دخيل عليهم في تعديل مناهج أزهرهم • وعليهم فقط أن يؤدوا واجب الازهر على نحو ما أثرنا من قبل ، وهو : صيانة المجتمع الاسلامي عن الفرقة الداخلية ، وأبعاده عن التأثر بالايديولجيتين معا : الغربية والشرقية •• عندئذ يكونون قد أدوا رسالتهم في سبيل بقاء هذه الكتلة قوية متماسكة • ويومئذ يكون الظفر لنا جميعا ، والقوة لكتلتنا الثالثة •

هوامش على مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر

د . عيسى الناعورى

متى تعرف كل فئة منا وظيفتها لكى تتقنها ، وتفهم دورها لكى تبدع فيه ؟!

من المؤسف أن يجهل الشعراء كيف يموت الشعر فى زحام التصفيق !

ما بين صباح السبت الرابع والعشرين من تشرين الثانى ١٩٧٩ ، ومساء الجمعة الثلاثين منه ، استضافت دمشق الفيحاء وفود الكتاب والشعراء العرب العديدة للمشاركة فى مؤتمر الأدباء والكتاب العرب الثانى عشر ، ومهرجان الشعر الرابع عشر .

فى المؤتمر قدمت بحوث ، وألقيت خطب ، ودارت مناقشات فى ثلاث لجان انقسم اليها المؤتمر ، هى : لجنة الأدب العام ، ولجنة القصة والمسرح ، ولجنة أدب الأطفال . والى جانب البحوث والخطب والمناقشات أقيمت مآدب عامرة فاخرة : كل ليلة مأدبة على شرف الوفود ، تجلى فيها الكرم الدمشقى العريق ، ورافقت المأدبة الأخيرة ، فى نادى الضباط ، حفلة فنية استمرت الى ما بعد منتصف الليل .

حفلة افتتاح المؤتمر كانت مناسبة لعرض العضلات اللسانية والحنجرية تبارى فيها الخطباء فى المط والشقشقة ، حتى بلغ الأمر بالبعض أن يحسبوا أنفسهم فى مجال المحاضرة ، لا المشاركة فى كلمة افتتاح . ومع المط والشقشقة كان لابد ــ كالعادة دائماً ــ من الصراخ والتهريج ، والتلويح بالأذرع والقبضات فى الهواء من أجل استثارة ما يمكن من التصفيق . وما نفع الخطابة ان لم تلهب الأكف بالتصفيق ؟ ولماذا توجد «الجماهير» ... ان لم يكن وجودها للتصفيق للخطباء ؟! ــ

أما ما نفهمه نحن من كلمات الافتتاح فهو أنها كلمات قصار خاطفات ــ دقيقتان ــ و ثلاث دقائق فقط ــ ترحيباً بالمؤتمر ووفوده ، وتحية للبلد المضيف ، وتمنياً لنجاح المؤتمر فى أداء رسالته . وما زاد عن ذلك فهو لغو ورغبة فى الظهور على حساب المناسبة ، وعلى حساب أعصاب المستمعين .

ولم يكن تصفيق الجمهور ، طبعاً ، لأن المؤتمرين قدموا (أدباً) ، أو اجتمعوا ليناقشوا شؤون الأدب ، أوجاءوا متفقين على مفهوم أدبى ... هذه الأمور لا شأن لها فى (مؤتمرات الأدباء) ... الذى له كل الشأن هو السياسة ، لأن السياسة هى وحدها الأدب ، ولأن الأدب اذا لم يكن سياسة وحديثاً فلن يصفق له أحد . والتصفيق ضرورة لازمة من ضرورات الأدب اليوم ، ومن دونه لا أدب ولا أدباء . ولأجل هذا ينبغى أن تكون مؤتمرات الأدباء (مؤتمرات قمة سياسية !) ، وأن تكون خطب الأدباء وبحوثهم خطباً سياسية حماسية ، لكى تلهب أكف الجماهير بالتصفيق ...

نفس الألفاظ

ولم يكن المؤتمر الثانى عشر للأدباء بدعاً فى هذا بين المؤتمرات ، بل كان مجرد استمرار ، وأقول «مجرد استمرار» لأن مؤتمرات الأدباء العرب ، من بعد المؤتمر الثانى الذى عقد فى بلودان سنة ١٩٥٦ ، تحولت الى مؤتمرات سياسية ، لحمتها الهتاف والتصفيق وبح الحناجر وسداها التسقيط والتعييش واتهامات الخيانة ، أو ما اليها ، بحيث لا يخجل مندوب بلد عربى من التهجم على بلد آخر فى مجال السياسة ــ لا الأدب ، طبعاً ــ . وقد استمرت مؤتمرات الأدباء كذلك الى اليوم ، وستظل كذلك الى يوم يدرك الأدباء (أن الأدب أدب وفن صادقان نابعان من النفس) وأن (السياسة سياسة مداورة وتقلب وتلون مع الظروف) .

ومتى يجىء هذا اليوم ؟ علم ذلك عند علام الغيوم !

ومن سخف الأقدار أن يجىء مؤتمر الأدباء العرب هذا بعد شهر واحد من مؤتمر آخر شاركت فيه فى جامعة أوربينو ــ فى وسط ايطاليا الشرقى ــ مع أكثر من مئتى أديب وشاعر وناقد من الايطاليين ومن المستطلنين القادمين من بلدان عديدة ــ وكنت الأديب العربى الوحيد فيه ــ فلم يخرج واحد منهم عن موضوع المؤتمر الى غير حديث الأدب والشعر ، والبحث الأدبى الجاد الرصين . وكان جمهور هذا المؤتمر مئات

من طلبة الجامعة ومن سكان المدينة .

وشتان ما بين المؤتمر والمؤتمر! وشتان ما بين المفهوم الأدبى والمفهوم الأدبى !

ومع ذلك اقول ان هذه المؤتمرات يجب ان تستمر ولو لم يكن لها غير غاية واحدة ـ وهى فى الواقع ليس لها غير غاية واحدة ـ هى تلاقى الأدباء وتعارفهم ، وتبادل الأفكار بينهم . وقد ثبت لي من المؤتمرات العربية التى شهدتها وشاركت فيها ، أن ما يدور من حوار فى الجلسات الخاصة بين الأصدقاء غالباً مايكون أهم مما يدور فى الجلسات العامة من بحوث ومناقشات ، وأهم مما تسفر عنه المؤتمرات من توصيات ومقررات علماً بان مؤتمرات الأدباء لا تلزم احداً ، وتنسى بعد تلاوتها فى الجلسة الختامية ، لتعود فتتكرر فى مؤتمرات اخرى بالفاظها وعباراتها ...

ولقد حزنت فعلا ، وحزنت بمرارة فى الجلسة الوحيدة التى شهدتها من جلسات لجنة أدب الأطفال ، وأنا أسمع احد الخطباء يريد أن يقدم للاطفال (أدباً حزبياً) ، وأن يكون كل الاطفال حزبيين ، بل من حزب معين ، هو الحزب الذى ينتمى هو اليه ... يا حرام !!! حتى الاطفال لا منجاة لهم من المذهبيات التفريقية فى الوطنية والقومية ؟!

أهون التحديات

كان العنوان العام الذى انعقد تحته المؤتمر هو : «الأدب العربى المعاصر فى مواجهة التحديات» .

فماذا كانت التحديات التى عرض لها المؤتمر فى بحوثه ومناقشاته ؟

لقد وددت ان ارى بحثاً واحداً تعرض لتفصيل التحديات التى على الأدب العربى المعاصر أن يتصدى لها ، أو يشرح للمؤتمرين ولجمهور المؤتمر معنى التحدى ، وكيف يكون التحدى ، ومعنى المواجهة ، وكيف تكون المواجهة ... لم يكن ثمة شىء من ذلك على الاطلاق ، وظلت القضية فى مجال الضبابيات التى يفسرها من يشاء كما يشاء ، ككل شىء فى عالمنا العربى .. التعريف والتخطيط والتحديد ليست من الأمور المهمة فى حياتنا ، وإنما الارتجال وحده هو المهم ، وبالعواطف الهائجة وحدها يهون كل صعب ...

التحديات التى استطعنا أن ندركها من خلال البحوث والمناقشات والمقررات هى :

١ ـ مقارعة اسرائيل والصهيونية .

٢ ـ محاربة اميركا والاستعمار والراسمالية .

ولكن كيف ، وبأى الأسلحة ؟ ليس هذا مهماً ...

الأدب ـ حسبما استطعنا ان نفهم من الجو العام ـ عليه أن يخوض الحرب مع اسرائيل بدلا من الجيوش العسكرية ، ويخوضها مع اميركا بدلا من السياسيين والدبلوماسيين ... ذلك لأن المؤتمر ظل من بدايته الى ختامه يقول ويكرر ويردد ان (القلم بندقية) وان (الكلمة رصاصة) وان حاجة العرب اليوم هى الى (القلم البندقية) والى (الكلمة الرصاصة) ...

ومسكين القلم ، ومسكينة الكلمة !

لم يدر بخلد احد ممن رددوا هذا الشعار بحماسة وبحناجر واسعة صارخة ان الرصاصة بعد أن تنطلق من البندقية ، تصبح قطعة معدنية باردة ، يلتقطها الأطفال ليلعبوا بها ، أو تراهم يلقون بها بعيداً لأنها لم تعد تصلح حتى للعب ...

ولم يدر بخلد احد منهم ان البندقية تخدم فى يد المقاتل فترة معينة ، ثم تصبح غير صالحة للاستعمال .

فما اتفه القلم لو تحول الى بندقية ، وما اتفه الكلمة حين تصبح رصاصة !

سلاح الحضارة

اما التحديات ... فهل حقاً أنه ليس امامنا غير التحديات السياسية والعسكرية ؟ هذه ـ لو علم الأدباء ـ أهون التحديات وأقلها شاناً .

لو استطاع العرب ـ بمفكريهم ، وسياسييهم ، وشعرائهم ، وكتابهم ، وكل فئاتهم الأخرى ـ أن يجابهوا التحديات الحضارية الأقل شاناً ، لما عجزوا عن هذه التحديات السياسية والعسكرية .

الحضارة المعاصرة كلها تتحدانا ، باصغر ما فيها وباكبر ما فيها : من ابرة الخياطة الصغيرة التافهة ، الى الصاروخ والدبابة والطائرة ، ولا نعرف كيف نصنعها ، ولا نفكر ـ حتى مجرد تفكير ـ فى أن نصنعها بايدينا ، وعلى ارضنا ، لنستغنى بها عن الآخرين ، ولنقول اننا نشارك فى صنع حضارة الانسان المعاصر .

نحارب اسرائيل ، فنشترى حتى الرصاصة من الشرق أو من الغرب ، والشرق والغرب لا يعطياننا من السلاح ما يعرفان أن فيه تفوقاً على اسرائيل ، أو خطراً عليها . ثم حين تنفد الذخيرة الحربية من أيدى جنودنا المقاتلين فى قلب الميدان ، ويمتنع الشرق والغرب عن اعطائنا مزيداً من السلاح ـ كما حصل فعلا سنة ١٩٤٩ ، بعد الهدنة الأولى ـ لا نجد سبيلا للنجاة غير الفرار . ومن هنا تلاحقت هزائمنا أمام اسرائيل ، وامام العالم كله .

اما العدو الذى نحاربه فانه يجد اكثر من حاجته من السلاح المتفوق من جميع الجهات التى نشترى منها نحن ايضاً السلاح . ولكن العدو لا يكتفى بما ينال ـ وهو اكثر من الكثير ـ بل يصنع سلاحه بنفسه ، وفى مصانعه ، ويطوره : يصنع الرشاش ، والدبابة ، والطائرة ، ويصنع معها ذخيرتها . ويزيد سلاحه عن حاجاته الحربية ، فيبيعه حتى الى الدول المنتجة للسلاح فى الغرب . حتى اليورانيوم ـ مادة الأسلحة الذرية ـ يسرقه من اقوى دولة فى العالم ـ أو هو على الأصح يحصل عليه بالتواطؤ ، لا بالسرقة ـ ليصنع منه أسلحة ذرية يحاربنا بها .

مهرجانات الشعر عندنا مثل غيرها من فنون القول
إنها مواسم لعرض عضلات الحناجر .. وليست مناسبات للابداع الانسانى !

وحين نحاربه فى ميادين القتال ، نجده يعرف كل دقيقة عن جميع قواتنا ، وعن استعداداتنا ، وعن اسلحتنا ، حتى عن خططنا ، وطرق اتصالاتنا ، وكلمات السر بيننا ، فيستخدم كل ذلك بذكاء ومقدرة ضدنا .

وندخل نحن المعركة ، لا نعرف شيئاً عن قوة عدونا ، ولا عن خططه ، ولا عن استعداداته واسلحته . ونقع فى الخطأ القاتل الموصل الى الهزيمة مرة بعد مرة ، فلا تستطيع عقليتنا أن تعلمنا الحذر حتى من الجحر الذى لدغنا منه من قبل اكثر من مرة . ثم نصرخ بعد الهزيمة دون حياء بأن العدو متفوق علينا (تكنولوجيا) ...

عقليات حضارية كثيرة تتحدانا ، ونحن نواجهها بعقلية بعيدة عن الحضارة . فهل فكر فى هذا الذين اختاروا لمؤتمر الأدباء الثانى عشر شعار (مواجهة التحديات) ؟

وظيفة الابداع

من المؤسف ان الذين وضعوا هذا الشعار لم يفكروا فى تعريف التحديات فى البداية ، ولا فى ثنايا البحوث ، ولا فى المناقشات ، واخيراً لم يفكروا فى تعريفها فى التوصيات والقرارات . ذلك ان المخططين كانوا من الكتاب والشعراء ولكنهم لم يعرفوا دورهم الحقيقى ، بل شاءوا أن ينتحلوا لأنفسهم صفة المخططين السياسيين ، والخبراء الاقتصاديين ، والعلماء الاجتماعيين ، فكان لذلك من الطبيعى ان يضيعوا مشية الحجل ومشية الغراب معاً . وهكذا خرجوا بقرارات سياسية اشبه بقرارات مؤتمرات القمة ، ولكن دون تحديد ولا تعريف ، ولم يبحثوا فى شؤون الأدب والفكر .

وصفق المصفقون ، وهتف الهاتفون ، وانتهى المؤتمر سياسياً عواطفياً مثلما ابتدا .

واود أن اتساءل :

متى تعرف كل فئة منا وظيفتها لكى تتقنها ، وتفهم دورها لكى تبدع فيه ، وتساهم عن طريقه فى معركة الحضارة التى تتحدانا ؟

لو عرف كل منا وظيفته ودوره ، وعرف كيف يتقنهما ويبدع فيهما ، لاستطاعت كل فئة أن تتكامل مع الفئات الاخرى ، وعند ذاك فقط نبنى النهضة ، ونشارك فى الحضارة ، ونصبح قادرين على مواجهة التحديات ، والانتصار عليها ، بوعى وادراك ومقدرة .

صراخ الشعر

ونجيء الى الشعر ، ومهرجان الشعر مهرجانات الشعر عندنا – مثل غيرها من فنون القول – هى مواسم لعرض عضلات الحناجر ، وليست مناسبات للابداع الذى يدخل الى قلوب الناس والى نفوسهم ، والى احاسيس الانسان فيهم .

والشاعر الذى يتلو فى مثل هذه المواسم قصيدة عاطفية أو انسانية ، يتلوها بخجل ، وهو واثق من ان المصفقين لن يصفقوا لها ، ولن يستعيدوا ابياتها . ولذلك قل بين «شعراء المواسم» من لا يعمد الى الشعر السياسى ، لكى يضمن التصفيق . وهو عندما يلقي قصيدته السياسية يفتح فمه بأوسع ما يسمح به شدقاه ، ويفهق حنجرته بكل ابعادها ، ويطلق صوته على أعلى مداه ، لأنه ان لم يفعل ذلك ، لم ينجح فى استثارة الاعجاب ، وما يتبع الاعجاب من بح الأكف بالتصفيق .

ومن المؤسف أن الجو العام قد قتل الشعر ، حين جعل الشاعر يكتب قصيدته وفى خياله جمهور وتصفيق ، ويجهل أن الشعر يموت بين ضربات الأكف المصفقة .

ويقولون لك : هذا ما يريده الشعب ، والشاعر يعطى الشعب ما يريد .

ويجهلون أن الشاعر يرفع الذوق العام اليه ، ولا ينزل هو الى تملق الذوق العام . الشعر الذى يتملق الجماهير ، تدوسه اقدام الجماهير وهى لا تدرى .

منذ عشرات السنين والانقلابات السياسية والثورات الوطنية تشتعل وتتلاحق فى البلدان العربية ، ومنذ عشرات السنين والشعر العربى يشتعل ويتلاحق معها . وامتلأت بالشعر الصارخ اطنان واطنان من الورق وصفقت له الأكف فى كل بلد عربى ، وبحت له الحناجر .

فكم من هذا الشعر عاش فى الصدور والقلوب ؟

وكم من هذا الشعر جاء بمعنى جديد وصورة جديدة ، ولفظ جديد ، واحساس جديد ؟

شعرنا السياسى كله صرخات معادة ، ومعان ممضوغة حتى القرف .

وشعرنا السياسى كله ليس فيه الانسان ، ولكن فيه استجداء التصفيق .

ولذلك مات ، ولذلك يموت شعرنا الصارخ المستجدى التصفيق .

واكثر الشعر الذى القي فى مهرجان الشعر الرابع عشر ، فى دمشق ، والذى كان قد القي من قبل فى مثل هذا الموسم من مواسم التصفيق ، كان من هذا القبيل وصرخت به حناجر ، وبحت به اصوات الناظمين ، ولكن التاريخ الأدبى سيمر فوقه وينساه ، لأنه لم يكتب فى الأصل ليكون شعراً ، وليكون احساساً ، ولكنه كتب لكى يلقى فى (الموسم المعهود) ...

عيسى الناعورى

من مذكرات شاهدة ربع قرن

عايدة الشريف

محمود شاكر
فى ساحة الدفاع عن الأصالة

حركات ثلاث .. تلك التى يسلكها الانسان اذا حالت دون رؤيته افق الشمس الساطعة جبال شماء .. فهو إما أن يدور حولها دون أن يجابهها حتى يحقق مطلبه ، أو ينصهر ليصبح جزءا من هذا الجبل فيرى بعينيه مايراه .. أو يستجمع قواه مرة تلو الاخرى ليقذف بنفسه من هذا الجبل فيجد له منفذا.

والحركة الاخيرة هى التى اختارها رجلنا الذى نكتب عنه ، العلامة الشاعر المحقق الكاتب محمود محمد شاكر . ذلك أن عبقريته كما عبقرية أقرانه من على أدهم الى عبد الرحمن صدقى وغيرهم كثير قد ولدت وساحة الفكر قد افترشتها أعمدة سامقةمن العقاد والمازنى الى طه حسين والرافعى مستهدية بشمس زعيم فذ مثل سعد زغلول .. فكان أن يمم أدهم ليتخطاهم ، وذاب صدقى فى العقاد وصولا .. أما شاكر فقد تكثف وتكثف حتى رمى أكبر اعمدتها د طه حسين بحجر نافذ .

هذا هو العالم الذى صورته ، ورسمت لى فى البداية ملامحه وخطوطه العريضة الكتب ، وبالذات تلك التى حفلت بمعارك لم أعاصرها ، ككتاب (معارك ادبية) لانور الجندى ، كما قرات له مقدمات كتب مثل (حياة الرافعى) لمحمد سعيد العريان ، (والظاهرة القرآنية) لمالك بن نبى .

ومن خلال هذا عرفت أن محمود محمد شاكر كاتب وشاعر ومحقق ، ثم عرفته مؤرخا ، من خلال سلسلة مقالاته فى الرسالة عن وحدة مصر والسودان ، لكن ما اعتبرته مفاجأة لى بحق هو جانبه السياسى .. وذلك عندما نشرت مجلة الطليعة المصرية .. وثائق برنامج «الحزب الوطنى الجديد» لفتحى رضوان بتوقيع محمود محمد شاكر ..

وقبل ذلك وبعده .. فقد تأكد لى أننى أمام شخصية فذة ، وان كانت الكلمات ، التى تتردد على شفاه شعراء وأدباء .. وعلى السنة علماء كثيرين هنا وفى العالم العربى والاسلامى .. تلقى فى النفس شيئا من الرهبة المبهمة ، عن عالم مغترب حاد التوهج ، لاذع النبرة ، قوى الحجة دائما .. يقف عملاقا .. مدافعا عن العرب والاسلام .

إرث العدالة الاسلامية

كل هذا جعلنى اشفق على نفسى من لقائه .. فقد قال لى المفكر الاسلامى الجزائرى مالك بن نبى : أنه لو وجد الجاحظ الآن .. لترك مكانه عن طيب خاطر لمحمود محمد شاكر .. ولخص لى مفكر عربى رأيه فى ثلاث كلمات : إنه متحيز لعروبة مصر .. وأكد لى العالم السعودى عبد الله عسيلان : أنه إرث العدالة الاسلامية المعاصرة .

ولما كنت أيام شغفى بمعرفة هذه الشخصية موظفة لدى نجيب محفوظ فقد سألته ذات يوم : هل التقيت بمحمود شاكر ؟ فقال انه – أى شاكر – كان فى زيارة زميلى الاستاذ يحيى حقى أيام كنا نعمل معا فى مؤسسة دعم السينما ، وعندما رحت اصافحه .. استقبلنى متهللا وهو يقول ، نجيب بقيت لك خطوتان وتكتب العربية الفصحى .. ثم دعانى لزيارته .. ولكن ظروفى لم تسمح لى بذلك .

عشت أتخيل هذا العالم .. لسنوات طويلة ، وكان اختيارى لهذا الاسلوب ، أو ركونى اليه .. يرجع الى أن (شاكر) كان فى هذه الفترة من اهتمامى قد اعتزل الكتابة من ٥٢ الى ١٩٦٤ ، وكان قبلها قد اعتزل المجتمع ، وقد عثرت فى أحد كتبه على وصف لأسباب اعتزاله المجتمع يقول :

عشت أكثر من أربعين سنة ، وأنا أجاهد هذه الحياة التى أحاطت بى منذ ولدت

● حجتـــه قويـــة . . عمـــلاق فى دفاعـــه عن العـــروبة والاســلام

وأبيت أن أقبلها على علاتها ، لأنى منذ بدأت أعقل ما أنا فيه.رأيتنى أنشأ فى قطيع يساق الى المجزرة وهو فرح بها نشوان ! رأيت مجتمعا يتمزق وهو ينشق عن كل تاريخه الماضى .. بخطاطيف قد علقت بلحمه .. تجذبه من هنا وهنا وهناك ، لاتكاد تدركها الابصار ، ولكنها على ذلك خطاطيف كنت أجد مغرزها فى لحمى ، وأحس بجذبها فى وجدانى ، يومئذ فزعت فزعا لايطيق العلم أن يصوره فى اسطر وكأنه يردد :

إذا كان علم الناس ليس بنافع ..ولا دافع ، فالخسر للعلماء !

ثم تجىء فترة اعتكافه واعتزاله الكتابة ايضا .. فيقول بعد ذلك : ليس حسنا أن يعزل كاتب قلمه ، ولكن هذا قدر الله على أن افعل ، فنحيته عن انامل لكى افرغ للقراءة والتفكير ..

لكنه امسك بالقلم من جديد .. يشق به شرنقة الاعتكاف ، ويرد على مقالات الدكتور لويس عوض «على هامش الغفران ـ شىء من التاريخ» التى نشرت فى الاهرام عام ١٩٦٤.

خلال هذه الفترة .. جلست لاستاذى الكبير المرحوم محمد مندور ليملى على مقالة يناشد فيها الاستاذ محمود شاكر .. أن يخفف من وطأته وحدته فيما يكتب عن لويس عوض ، ويذكره بزمالتهما ، وهنا استأذنت استاذى مندور فى وقفة .. لاعرف شيئا عن هذه الزمالة . فاخبرنى بانهما محمود شاكر ومندور كانا زميلين فى كلية الاداب ، ولكن «شاكر» تركها بعد استحكام الخلاف بينه وبين الدكتور طه حسين حول منهج دراسة الأدب العربى ، والشعر الجاهلى خاصة .. كان رأى الدكتور طه هو تعميم الشك فى الشعر الجاهلى وكل ما قيل عن الحياة العربية قبل الاسلام ، وكان رأى شاكر الطالب فى ذلك الوقت هو البدء فى دراسة النصوص ذاتها ، ومحاولة إدراك صحتها أو بطلانها من خلال فحص النصوص من الداخل ، وذلك قبل طرح قضية الشك فيها

وهنا سألت مرة أخرى ، كيف يتصدى التلميذ لاستاذه بهذا المنطق العلمى وبهذه الغيرة المحمودة على العرب ؟ قال كلمة لم أعرف صداها إلا بعد ذلك ، انه أصغر أولاد الشيخ محمد شاكر .. ثم سكت ..

رحت بعد ذلك أقرأ فى «الموسوعة العربية الميسرة» محمد شاكر عالم دينى وقاض مصرى ، ولد بجرجا ، وتعلم بالأزهر .. شغل منصب قاضى قضاة السودان أربعة أعوام . ثم عين شيخا لعلماء الاسكندرية .. فوكيلا للأزهر . كان من هيئة كبار العلماء ، ومن اعضاء الجمعية التشريعية ١٩١٣ ناصر الحركة الوطنية فى أيام سعد زغلول . له مولفات وبحوث كثيرة.

صراع في كل الميادين

وقد وصف شاكر نشاته فى احد كتبه فقال «قدر الله أن افتح عينى على ثورة مصر عام ١٩١٩ ، وعلى دار تموج بالثوار ، فعقلت من الأمر يومئذ ما عقلت ، ورأيت بعينى رجالا ، وسمعت باذنى آراء ، ورضيت بقلبى او سخطت ، واعانتنى فطرتى بضرب من التمييز، كان يرج نفسى رجا شديدا وأنا بعد فى نشوة الصبا ولم اكد حتى انطلقت اجوب مجتمعا يفور بالمتناقضات ويتشقق بالصراع المر فى ميادين مختلفة ، من الدين الى العلم الى الأدب الى الفن الى السياسة .. الى السنن الموروثة ، فخضت محنة زمانى فى أول نشاتى بنفس غضة مجرحة بالتجارب .. وهلك رجال ونشا رجال ، فرأيت وسمعت ورضيت وسخطت ، وعلمت من أسرار الصراع مالم اكن أعلم»

وعندما التحق باول دور التعليم .. كان جيل «دنلوب» وزير معارف مصر أيام الاحتلال قد انتشر واستوى على سوقه ، وتولى هذا الجيل تعليمهم ، وصار له رأى فى سياسة بلاده ، فلما انفجر الامر إنفجارا ووقع النزاع بين الفطرة السليمة التى تسكن فى قلوب الشعوب وبين الثقافة المجتلبة التى تضرب على الأعين غشاوة وعلى القلوب سدا منيعا من الجهل والغطرسة ، قامت ثورة عام

١٩١٩ . بيد أن هذا الصراع فهم على غير وجهه الصحيح ، لأن مهارة المستعمر ودسائسه الخفية ومكره البعيد الغور جعل ظاهر الأمر صراعا بين أحزاب تريد أن تتولى الحكم ، تحت سلطان هذا المستعمر ، مع أن هذا الصراع فى الحقيقة ، كان صراعا بين حضارتين ، طال بينهما الصراع دهورا . وكان صراعا بين العرب ودينهم وآدابهم وثقافتهم وبين أعاجم أوربا ودينهم وثقافتهم .

هكذا نشأ الفتى فى تلك البيئة العلمية الأصيلة ، يشده ويقربه منها استعداد شخصى يتبلور فى الشغف والنهم فى كل ما يتعلق بالقراءة والتحصيل ، وقدرة على الاستيعاب .. حتى انه كان يتوجه الى دروس بعد الفراغ من دروس «المدرسة الأميرية» الملتحق بها .. وكان بالقسم العلمى ولكن الدكتور طه حسين تمكن باقتداره من اقناع احمد لطفى السيد مدير الجامعة بالحاقة بكلية الآداب .. فهو مدرك بعبقرية اللغة .. بعد قراءة «لسان العرب» وإعادة قراءة كتاب الاغانى مرات ومرات .. بجانب قراءته الواسعة الاخرى فى الفقه، والتفسير والحديث والتاريخ .. مما أهله لأن يعرف طريق النشر ، ويصبح اسما معروفا قبل التحاقه بالجامعة من خلال بحوثه وتحقيقاته وقصائده .

عندما دخل الفتى إذن الى الجامعة .. دخلها ومعه ثورة الشباب وأحلامه .. دخلها ومعه كل ما قراه وسمعه من آداب امته وتاريخها واخلاق علمائها وعظمة رجالها .. دخلها ومعه ايضا كل ما كتبه المستشرقون من مرجليوث الى نيلينو الى جويدى فى الشعر الجاهلى .. ولكنه عندما سمع مصغيا الى استاذه الدكتور طه حسين .. وهيبة الاستاذية تملأ قلبه وهو يردد كلماته التى تشكك فى الشعر الجاهلى .. لم تاسره هذه الكلمات .. بل انقبض قلبه وانبسط .. وطفا متن مرجليوث كتابا مفتوحا يقرأ المتن بعينه ويسمع الحاشية على المتن باذنه .. ولكنها حاشية من نوع مبتكر مبتدع جديد مباين للحواشى التى كانت مألوفة يومئذ عند طلبة الازهر .. وتعجب الطالب لو مرة واحدة ذكر الدكتور طه اسم مرجليوث لينجى من هذا القول الذي

● ذهب إلى الأراضى الحجازية ليدرس عن قرب طريق النجاة لأمته

أصبح جاره كلما تكلم الدكتور طه فى هذا الموضوع.لقد أخذته الحيرة حتى لم تدع له ولقلبه سكينة ، فسار على الجمر حافيا .. فهو فى السابعة عشرة من عمره وطالب أيضا .. والدكتور طه حسين فى السابعة والثلاثين من عمره وله أبهته وهيمنته .. فماذا يفعل !! ودارت الايام وهو يغدو ويروح الى الجامعة يسمع يوما بعد يوم قعقعة معنى الجامعة فى نفسه وهو يتحفز يريد أن ينقض .. وفى خلال ذلك وجد نفسه يقف يجادل الدكتور طه فى (المنهج) والشك ، وضرورة فحص النص الجاهلى قبل الحكم بأنه منحول موضوع أو أنه شعر إسلامى صاغه الرواة فى الاسلام .. وبينما انتهره الدكتور طه .. ثم استدعاه فعاقبه .. كان جميع الطلبة قد انفضوا عنه إلا طالبا من قسم الفلسفة .. وعند ذلك عرفت لم كانت تنويهات الدكتور منذور يوم سألته عنه ..

البحث عن الحقيقة

ودارت الأيام وصليل المعاول وهى تضرب فى معنى الجامعة يتردد فى نفسه .. ويسمع هدة انهيارها .. وبغتة تهاوى كل شىء وهلكت قدرته على الصبر فانقطع عن الدراسة ، واستحضر عزيمته على أن يهجر مصر كلها لاالجامعة وحدها .. غير مبال باتمام دراسته الجامعية .. وعزم أن يسافر الى مكة والمدينة طلبا للعزلة .. وتلمسا للحقيقة .. ولم يفلح فى عودته اليه استاذه المستشرق نيلينو .. الذى كان يعرف كم هو على حق ولكنه رد عليه : نعم أنا مقتنع بكل ما تقوله عنى وعن تسرعى وتهورى ومخاطرتى بمستقبلى ، ولكنى لم أكن كما وصفت إلا لشىء واحد ، هو أن معنى (الجامعة) فى نفسى قد أصبح أنقاضا وركاما ، فان استطعت أن تعيد لى البناء كما كان ، فأنا أول ساكن يدخله لايفارقه . قال : ما هذا ؟ ماذا تعنى ؟ وجم نيلينو ، واحس الفتى بنظرات العيون تنفذ كالسهام فى جميع أعضائه.وبغتة قال له الشيخ عبد الوهاب النجار رحمه الله «مؤلف كتاب قصص الانبياء» الذى استغله جميع كتاب العربية قال «ان هذا الفتى كان فى رأسه أربعة وعشرون برجا

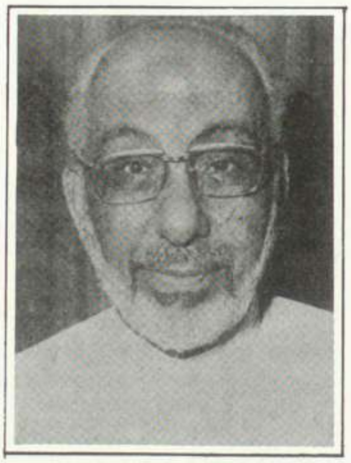

محمود شاكر بعد اداء فريضة الحج

فطارت ولم يبق إلا برج واحد ، عسى أن ينتفع به يوما ما ، فيسترد الأبراج التى طارت» !

بعد يومين كان على ظهر الباخرة التى أقلته الى مدينة جدة ، فنزلها ، وشد الرحال الى بيت الله الحرام ، فأدى العمرة ، ثم عاد الى جدة بعد أيام ، فوجد أول رسالة تلقاها من أبيه وفى آخرها يقول «زارنى فى عصر اليوم الذى سافرت فيه الى السويس الاستاذ نيلينو والدكتور طه حسين» ، ولم يزد على ذلك شيئا وختم الرسالة .

لقد كانت احدى دوافعه عندما ولى وجهه شطر الأراضى الحجازية أن يعيش هذا الجو العربى الاسلامى على الطبيعة وأن يدرس عن قرب طريق النجاة لأمته .. وعاش هناك سنوات كأول ناظر لمدرسة جدة الابتدائية وهو فى التاسعة عشرة من عمره !

وهكذا نجد أن رجلنا لم يستسلم لظروفه ودرجته العلمية .. بل جعلته جرأته يقفز السنين ويتخطى عمره .. وكأن لسان حاله يقول : اذا كان العمالقة ينظرون الى الابعد فان التحليق فوق هاماتهم ، سيجعل الرؤية أثقب والتحديق أشد وأنفذ !

واذا كان قد شارك فى صنع سعد زغلول كزعيم وكعملاق تجارب انسانية وثورة شعبية كثورة ١٩ فانه قد شارك فى صنع بعض أعمدتها الفكرية كطه حسين .. ملامح شخصية سلطت عليها أضواء وألوان وأصباغ ومؤثرات فانحصر همهم فى خلق انطباعات وليس توليد قناعات

ولكن هاهو رجلنا يحزم حقائبه ويعود الى أرض الوطن عندما ظهرت قضية تتعلق بمستقبل الثقافة العربية كلها متمثلة فى دعوة «عبد العزيز باشا فهمى لكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية - كما حدث فى تركيا كمال أتاتورك - فخاض شاكر معركة من أعنف معاركه وأشدها ضراوة ضد أنصار هذه الدعوة ودفاعا عن اللغة العربية حتى وئدت هذه الدعوة وأسكت أصحابها والمتحمسين لها .

واندمج صاحب هذا العالم .. فى الوسط الأدبى ، وخالط أدباء وشعراء ذلك الجيل ابتداء من شوقى الذى كان يلازمه أياما وليال طويلة ، الى ابناء جيله ، يحيى حقى .. ومحمود حسن اسماعيل وصديقه (العقاد) وزكى نجيب محمود وغيرهم .. وغيرهم كثير ، وتفرغ (صاحبنا) للكتابة فى الصحف والمجلات الأدبية .. مثل الرسالة ، والثقافة ، والمقتطف .. والبلاغ والزمان ، ولم تصرفه المقالات المتتابعة عن مواصلة العمل فى أهم جوانب حياته .. وهو نشر روائع التراث بتحقيق علمى ومنهجى مستقل ، معروف عنه ، ويحظى بالتقدير فى أوساط العلماء .

مع المتنبى

ولكن هل تسير الأمور هادئة ؟ لا ، فكلما أوغلنا فى عالم (شاكر) سوف نكتشف أن حياة هذا المفكر .. ما هى إلا سلسلة متصلة من المعارك الصاخبة .. فعندما أفردت «المقتطف» عدداً خاصاً بمناسبة مرور ألف عام على وفاة «المتنبى» ، كتب أول دراسة لشخصية الشاعر من خلال آثاره الشعرية ، واعتبرت فيما بعد مرجعاً أساسياً لدراسة شعر المتنبى .. كما وقد رأينا فى جميع الكتب التى ظهرت بعد ذلك لاسيما كتاب الاستاذ الشاعر ابراهيم العريض . غير أن هذه الدراسة أثارت معركة جديدة بينه وبين طه حسين ، وكان من آثارها أن أصدر الدكتور طه كتابه (مع المتنبى) بعد عام واحد .. ليرتفع الجدل والنقاش بين الاثنين مرة أخرى ، حول شخصية الشاعر العباسى العظيم ، وقضية الشعر العربى بوجه عام .. وكان شاكر ، آنذاك فى السادسة عشرة .. ومنذ أربع سنوات فقط .. أعاد طبع هذا الكتاب مصحوباً بكل معاركه ومناقشاته

مع طه حسين .. وكان سبباً فى فتح ملف هذا الجدل .. مما جعله ينشر فى مجلة الثقافة .. مقالا يرد فيه على رئيس تحريرها الدكتور عبد العزيز الدسوقى .. تحت عنوان «المتنبى ليتنى ما عرفته» ذلك ان الدكتور دسوقى قد علق على الطبعة الجديدة : «بأنه لشىء محزن أن يصل (اللدد فى الخصومة) حدا يجعلنا نسلب طه حسين أخص خصائصه ، ونتجاهل أجمل قدراته ، ونصفه بأنه «رجل جاهل» ، وليس له بصر يتذوق الشعر» ! .. مما أحزن شاكراً .. فرد بقوله: «أما عن مسألتى مع طه حسين فى الجامعة فغير قادرة على أن تنشىء بينى وبين الدكتور طه «خصومة» وأيضاً ، لم يكن لها ، لا بالفعل ولا بالقوة ، فى نفسى أو فى قلبى ، أو فى أى شىء مما أكتب ، أثر يمكن أن يحرك (خصومة) ، واذا كنت ممن يخاصم الناس على آرائهم ، وممن يخاصم الآراء نفسها ، فأولى الناس كان بخصومتى هو مرجليوث نفسه صاحب المسألة .. وصاحب المتن ، أما الدكتور فلم يكن سوى ناقل لهذه المسألة .. وصاحب (حاشية) على هذا المتن ، لا أكثر ولا أقل ، ولكن القضية التى نشأت عندى أنا ، وكانت محاضرات الدكتور سبباً فى نشأتها يوم كنت طالباً عنده فى الجامعة ، فهى (قضية السطو) على أقوال الناس وآرائهم وأعمالهم .. ثم إدعاء تملكها تملك عزيز مقتدر ، ثم الاستعلاء بهذا الملك المغصوب والاستطالة به على الناس .. وأبشع من ذلك : أن ينكشف أمر هذا الغصب والسطو .. ويتسامح به الناس ويدل الكتاب والعلماء على الأصل المغصوب كتابة موثقة منشورة ، فلا يبالى الساطى بشىء من ذلك كله بل يزداد جراة وتيهاً عن سطو لم يقل ، وكان ظهور سطوه فضيلة ترفع من قدره وتتوه به فى المجامع ، أما أنا ، مع أسفى واعتذارى .. فلم أزل أعد هذا المسلك احتقاراً للناس أى احتقار وإزدراء بهم وبعقولهم أى ازدراء وانزالهم منزلة من لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل ولا يحس» .

ثم أنهى المقال بالرد على الاتهام الثانى : نعم أنا قلت مراراً لا أحصيها فى كتابى وفى مقالاتى عن كتاب الدكتور طه «مع المتنبى» أن الدكتور (لا بصر له بالشعر) ، فى المعنى . حتى تغنى بالشعر) ، ولكنى لم أقل قط أنه «لا بصر له بتذوق الشعر» . والجملتان غير متكافئتين فى المعنى . حتى تغنى احداهما عن الأخرى أو تقوم مقامها .. وأنا أعلم أن أهل زماننا يتساهلون فى كل شىء ، ويتساهلون خاصة فى التعبير ، بلا تحديد ولا تحليل لألفاظ اللغة .. وكنت أحب لك ألا تتابعهم على هذا التساهل . ولكنى أعلم أيضاً أن هذه هى أيضاً احدى السنن التى سنها «الأساتذة الكبار» ، فغلبت على الناس وعلى ألسنتهم ، فأصابت منهم موقعاً أغفلهم عن حقيقة الفساد الذى يجره التساهل ..

ولا شك أن هذه اللمحات فى صورة هذا الرجل ، تؤكد لنا أنه يعيش منذ شبابه صراعاً يكاد يمزقه ، كلما رأى الأمة العربية تنشق عن كل تاريخها الماضى .. وتساق الى مجزرة نصبها لها الغرب وهو فرح بها نشوان !

لقد ملأت هذه الحقيقة عالم هذا الرجل قلقاً متصلا . فوهب حياته وجهده كتبه ومعاركه وان تشعبت اليه الطرق ، للدفاع عن أمته العربية الاسلامية وجعل طريقه الى هتك الأستار المسدلة التى تحمل من ورائها رجالا فيما خلا من الزمان ، ورجالا آخرين قد ورثوهم فى زماننا وهمهم جميعاً كان ــ أن يحققوا للثقافة الغربية الوثنية كل الغلبة على عقولنا ، وعلى مجتمعنا وعلى حياتنا ، وعلى ثقافتنا ، وبهذه الغلبة يتم انهيار الكيان العظيم الذى بناه آباؤنا فى قرون متطاولة ، وصحoriginally به فساد الحياة البشرية فى نواحيها الانسانية والأدبية والأخلاقية والعملية والعلمية والفكرية ، وردها الى طريق مستقيم علمه ذلك من علمه وجهله من جهله .

فكتب وأنشد وحقق وعارك فى كل جبهات ومنافذ تسلل الشعائب، وسد ثغرات لا يستهان بها من كتبه «طبقات فحول الشعراء» ، «الوحشيات» ، «شرح ومراجعة أشعار الهزليين» ، «المكافأة وحسن العقبى» ، لأحمد بن يوسف الكاتب ، «إمتاع الأسماع للمقريزى» ، «جمهرة نسب قريش وأخبارها» للزبير ابن بكار ، «تفسير الطبرى» فى خمسة عشر مجلداً ، ولا يزال مثلها تحت الطبع .. كما صحح وضبط وشرح مع أحمد أمين وعلى الجارم كتباً كثيرة مثل المكافأة .. وغيره .. الى جانب اشرافه ضبطاً وتحقيقاً على أعداد المقتطف وريدرز دايجست التى كان يقوم بترجمتها كبار الأدباء من العقاد والمازنى الى د. محمد عوض محمد وألف كتاب المتنبى (جزءان) وأباطيل وأسمار .. وقصيدته الملحمية القوس العذراء .. كما عرفنا .

نقطة ضوء !

كل هذا يدلنا أن عالم محمد شاكر ليس من النوع المألوف .. الذى نقرأ عنه فى مجالاتنا المعاصرة .. إنه صورة .. لا بل هو جزء من مجالس العلم القديمة التى يصلنا شذاها من خلال صفحات أمهات الكتب العربية ، تلك المجالس التى أضاءت بمصابيح العبقرية العربية أبهاء الفكر متمثلة فى علمائها ورواتها وشعرائها وفقهائها .. وكل من انتظم فى ذلك العقد الفريد ، من هؤلاء الرجال العظام . الذين مكنوا لكل ما هو عربى أصيل فى هذه الأرض .

وهذا كله وإن أرهبنى فترة طويلة عن لقائه إلا اننى لمحت وسطه على قطة ضوء أضاءت لى طريقة فى الولوج الى هذا العالم .. وهى أنه إذا كان جيل العمالقة قد حال دون وصول الضوء الى من بعده فغيم عليهم .. إلا أن هذه الغيمة كانت واحة هادئة للذين أتوا معهم أو من بعدهم على اختلاف مشاربهم .. وقد تجلى كل ذلك فى اعترافاتهم الصادقة .. فانت عندما تقرأ السيرة الذاتية ليحيى حقى التى تصدرت أعماله الكاملة تجده يقول : «وأثناء عملى بديوان وزارة الخارجية .. كانت الكتابة بالنسبة لى خاطراً غير تام الأدوات ، ولكن عندما توثقت صلتى بالمحقق البحاثة الأستاذ محمود شاكر ، وقرأت معه عدداً من أمهات كتب الأدب العربى القديم ودواوين شعره .. انفتح الطريق أمامى .. ومنذ ذلك الحين وأنا شديد الاهتمام باللغة العربية وأسرارها وبيانها وسحرها .» .

وقال لى الأستاذ الشاعر محمود حسن اسماعيل «رحمه الله» يوم سألته عن تاثير شاكر عليه : لا أستطيع تحديد أبعاد ما حزته من صداقتى لمحمود شاكر

● ظلمــه الدكتور لويس عوض عندما اتهمــه بالوقــوف ضد كــل جديد

منذ عام ٣٦ .. لقد زج بى الى الشعر الجاهلى وأمالنى مع الشعر الأموى وطوح بى مع الشعر العباسى فأحاط بى لحم سداه بالشعر كافة وأستطيع القول انه من غير شاكر كان شعرى هو النبع الهادى فجعله كالبحر المتلاطم .

وهاتان الحقيقتان .. إن دلتا على أن هذا الرجل كان كالنور على كل ما هو صالح وأصيل .. إلا أنهما تتباينان مع حقيقتين اخريين .. لم يكن الرجل فيهما الدفء على كل وارد أو معارض كما حدث فى رده على لويس عوض بكتاب «أباطيل وأسحار» أو أخيراً كتابه «برنامج طبقات فحول الشعراء» الذى كان أصله رسالة موجهة الى مجلة المورد التى تصدرها وزارة الثقافة العراقية ، تعقيباً على مقال نشر فى نقد كتاب شاكر «طبقات فحول الشعراء» كتبه الدكتور على جواد الطاهر .

وهذا كله يدل أن هذا الرجل لم يغمره فى حياته إلا البحث والاستكشاف فاذا حدث ووقعت عيناه على شائبة اندفع باعصار الى استلالها من بحر الرواق .. وفى الوقت نفسه أغنى المكتبة العربية كما قال الدكتور عبد العزيز كامل .. بكتابين نادرين ..

ولعله من الاحاطة بمكان أن نذكر أن لويس عوض عندما جمع مقالاته المنقودة من شاكر فى كتاب «على هامش الغفران شىء من التاريخ» اعترف فى مقدمته .. بانه كان من الممكن أن يستفيد من ملاحظات شاكر لو أنه كان أهدأ نبرة وأخف وطأة .. ولكنه عاد عام ٦٧ ووجد أن هذه الكلمات لم تشف غله من شاكر ورؤيته فى أمور الحياة المعاصرة .. فصوره فى كتابه (المحاورات الجديدة) على أنه مجاهد بن الشماخ ـ وهو اسم استلهمه الدكتور وليس من قصيدة شاكر الملحمية القوس العذراء ـ وجعله العربى التقليدى الذى يهش فى وجه كل جديد متهماً إياه بالسذاجة .. ويصيح فى وجه كل وارد .. بانه من أفعال المبشرين أو أنه مؤامرة صليبية : تذكروا بيزنطة ، هؤلاء هم أعداؤنا التقليديون قولوا معى فلتسقط صولون وأهل صولون ، أو : إننى سلفى وأفخر بأننى سلفى .

محمود شاكر وكاتبة المقال اثناء فريضة الحج .

وبذلك يكون الدكتور لويس قد فشل لأنه حنط فى تصوير شاكر بين الأصالة التى يدعو اليها رجلنا وبين التقليد الذى يتصوره لويس عوض تجديداً ولا نعرف بعد رد فعل الدكتور على جواد طاهر .. لأن كتاب شاكر معه قد ظهر أخيراً .. وإن كنا نعرف اننا بتتبعه قد مللنا عن الموضوع الذى بدأناه عن معرفتى بشاكر ولقائى الأول معه ..

.. فى الطريق اليه

لقد استمر بى الحال طويلا .. أتهيبه من خلال تقدير لا حد له ، وأحاول أن أعرف المزيد عنه ، لايمانى بأن ذلك .. هو الخطوة الصحيحة المؤدية الى اللقاء الذى أحلم به .. فعشت تحديه ومراجعته للدكتور عبد الغفار مكاوى على صفحات مجلة «المجلة» حول مفهوم (جوته) للأدب العربى بوجل شديد ..

وأخيراً وجدتنى .. بكل الاعجاب والتهيب ، فى الطريق اليه .. حيث بيته أو مدرسته الفكرية على الأصح (شارع حسين المرصفى) بمصر الجديدة .. وكان اللقاء . ورغم أن الصديقين محمد عودة والدكتور محمد يوسف قد صوبا لى ما رسمه الخيال ، عندما تصورته معهما ، وأنه يوماً ما كان يطيل لحيته ـ وهو هكذا الآن ـ إلا هيئته لم تلفت نظرى ، بقدر ما استحوذ علي بالفعل وللوهلة الأولى بساطته الواضعة وتواضعه الأصيل ..

وأخذ هو .. يزيح عنى الخجل والدهشة ببشاشته .. وطفولته الكبيرة ، حيث حاولت اخفاءها .. بالتجوال بالنظر .. فى تلك الكتب المتراصة التى تغطى جدران البيت كله ، والتى تضم كل ما يخطر أو لا يخطر على البال من كتب الثقافة ..

وسألنى عن لقبى «الشريف» فأعدت على مسامعه متلعثمة ما كان يقصه علي والدى من هذه الشجرة العائلية العربية واستوضحنى عن البلدة التى أتينا منها فقلت «جرجا» وهنا تهلل وجهه .. يقول : قطعاً نحن أقرباء ـ فأنا أيضاً من جرجا ، واخذ يشرح للضيوف وجلساء الندوة .. أنساب العائلات العربية التى تشعبت فى مصر ، فى تمكن واقتدار ..

وعرفت .. بعد توالى الزيارات ، أن وداعته الأولى معى .. كانت من باب حسن الاستقبال والضيافة العربية .. ، فبعد أن أصبحت جزءاً من مجلس «الجمعة» حيث يفد الأصدقاء القدامى ، والأصدقاء الذين كانوا تلامذة له ، عرفت عادة من أشهر عاداته ، إذ كان يصوب حتى السؤال الذى يطرح .. قبل أن يجيب عليه .. يوماً سألته عن التراث العربى .. فقال لي : ليس هناك شىء بهذا الاسم .. لأن للتراث يقال إذا كانت هناك حضارة اندثرت .. ونتكلم عنها الآن .. أما الحضارة العربية فهى متسلسلة وليست تراثاً .. ثم تتعاظم نبرته وهو يشرح أدق التفاصيل ، ولا يرجع الى هدوئه بالانتهاء من التصويب ، وبيان أوجه الخطأ .. ورأي العرب فى ذلك .. ويصبح أكثر وداعة ورقة .. عندما تظهر ابنته

(زلفى) .. وهى دقيقة التركيب وحادة الذكاء أيضاً أو ابنه (فهر) .. ولا شك أن هذا الطبع يدل على ملمح فى شخصيته ألا وهو أنه أخذه الفكر شوطاً أنساه حتى الزواج إلا أخيراً .. ففهر فى الخامسة عشرة من عمره وزلفى فى الحادية عشرة من عمرها ..

و (زلفى) تعيدنى دائماً الى مقدمات كتبه التى يستهلها دوماً بقوله «الحمد لله وحده لا شريك له .. حمداً يقربنا الى رضوانه ، وصلاة الله على نبيه المصطفى من أبناء الرسولين الكريمين .. ابراهيم واسماعيل ، صلاة تزلفنا الى جنته».

وعندما رددت اسم (فهر) بشفتى بينى وبين نفسى ، أحاول تذكر مكانه بين اسماء العرب ، قطع والده علي تفكيرى .. وكأنه كان يقرأ ما يدور بخلدى : «هو قرشى جد محمد صلى الله عليه وسلم» وهنا أيقنت أنه فضلا عن علمه الواسع الغزير .. يتمتع بفراسة قوية ! .

وعبثاً أحاول أن أستأثر به ولو بعض الوقت ، من قصاده ومريديه لأستزيد من تلك الحياة العميقة ، لا سيما وقد قدمت بغية اجراء حديث معه .. ويشعر صديقه الدكتور ناصر بموقفى .. فيسارع لانقاذى .. والدكتور ناصر الأسد .. هو الوزير المفوض بالجامعة العربية .. يومها .. ومؤسس الجامعة الأردنية وأول مدير لها . بدأ معى . بأنه تعرف على الأستاذ محمود شاكر عام ١٩٥١ .. بعد انتهائه من اعداد رسالة الماجستير .. وبداية تحضيره للدكتوراه .. وكنت أعرف عنه الكثير – الكلام للدكتور ناصر – من خلال قراءة مجلة الرسالة ، ومن كتابه الذى أصدره عن المتنبى ، وكان بيته منذ زمن بعيد ، كعبة للقصاد من العلماء والأدباء وطلبة العلم والمتادبين ، والعجيب اننى من أول زيارة له ، شعرنا معاً بهذه الرابطة الخفية التى تجمع النفوس والعقول ، حتى أننى قبيل مغادرتى لداره ، ردد فى مسمعى رغبته أن (تنشب) المودة بيننا .وبالفعل فقد قامت بيننا صداقة استمرت كأعمق ما تكون الصداقة بين اثنين ، وقد أفدت من هذه المجالس .. ما لم أفده من مجلس علم آخر فى جميع مراحل حياتى ، لا استثنى من ذلك مرحلة دراستى فى الجامعة ، ولقد مرت على هذه الدار أوقات كانت تمتلىء فيها بطلاب العلم الذين يفدون الى القاهرة من مختلف البلاد العربية والاسلامية .

وأذكر أننا فى بعض تلك المجالس كنا نقرأ على الأستاذ شاكر كتباً من أمهات روائع أمتنا ، ولن أنسى طريقته الفذة فى شرح (الأصمعيات) وهو مختارات من الشعر العربى ، واننى أستعمل كلمة شرح مجازاً هنا ، لأنه لم يكن شرحاً بالمعنى المتعارف عليه ، بل كان إحياء حقيقياً لهذه المختارات ، وكان محمود شاكر هو الشاعر الذى انبثقت منه القصيدة ، فكان يغوص فى أعماق وجدان الشعر ويستخرج كرامته ، ويعيد تركيب أبيات القصيدة .. بحيث نحس نبض كل كلمة فيها وبالاطار العام للصورة الفنية والوجدانية التى كانت تختلج فى نفس الشاعر .. ومازلت أحتفظ بالكراسات التى دونت فيها بعض ما كان يقوله فى تلك المجالس . وهذه الكراسات أعود اليها من حين الى آخر .. فاجد فيها ثروة لا تنفد ولا تنضب من علم وعمق فهم لأمهات روائعنا الخالدة .

العطاء الأكبر

وقد تحققت من كلمات الدكتور ناصر .. عندما وفدت الى الكويت حيث أعاد على مسمعى الدكاترة الاخوة يعقوب عبد الله ومرزوق الغنيم .. والأستاذ صالح العثمان مدير ادارة تعليم الكبار .. وجمعة ياسين أحد رجال التعليم الذى تحول الى السياسة والأستاذ جاسم المطوع – رئيس تحرير جريدة الوطن – نفس كلمات الدكتور ناصر وبنفس ترتيب الكلمات أيضاً .. وإن كانوا أضافوا أن الأستاذ شاكر لم يكن ينجلى إلا بعد فترة من المداعبات الطويلة .

ولكل هذا نستطيع القول ان العطاء الفكرى الأكبر لهذا الرجل ، لم يكن من خلال الكتابة ، بقدر ما كان من خلال تلاميذه المنتشرين على الأرض العربية ، وأصدقائه .. وعارفى فضله ومكانته .

وتجرنى الذكريات الى صداقته العميقة (للرافعى) وتقديمه فيما بعد لكتاب (سعيد العريان) عنه .. ثم دفاعه عن الرافعى ضد أحد تلاميذ العقاد ، مما جعل العقاد يظل لمدة طويلة يعتقد فى تعصبه للرافعى ، حيث اكتشف فيه بعد صداقتهما .. حرية الرأى وموضوعيته العارمة التى جعلته أكثر إنصافاً للعقاد من بعض تلاميذه . وتوطدت صداقتهما واستمرت حتى غادر العقاد عالم الأحياء ..

وقد تأكدت لدي موضوعية شاكر .. عندما أخذت أتصفح كتبه وأعرف طريقى اليها ببساطة .. فلمحت يوماً إهداء المرحوم اسماعيل مظهر له .. فكشفت مدى المودة التى تربط بين رجلين أحدهما – محمد شاكر – متدين والآخر – اسماعيل مظهر – متحرر فى فكره .. وليس ذلك بغريب عليه فهو يأنس الى الناس من مختلف الاتجاهات الفكرية ، ولا يخلط بين العلاقات الشخصية وتعارض الآراء ، ويحتفظ بتقديره الكامل للآخرين .. مهما كان خلافهم معه فى الرأى .

قلت يوماً للأستاذ شاكر : فى طريق حضورى اليك صادفت الدكتور عبد الغفار مكاوى .. وعرضت عليه أن يحضر معى فقال : أأذهب لزيارة من جعلنى أعاف الامساك بالقلم لمدة سنتين ، ؟ قال شاكر : كان يجب أن يحضر معك فلا يفل الحديد إلا الحديد ! عندئذ لاح فى خيالى صورة شرارة متناثرة من ارتطام محمود شاكر بالأستاذ عبد الله القصيمى الذى كتب كتاب «العرب ظاهرة صوتية» ، فهمست بها لتلميذ شاكر الشاعر الحسانى حسن عبد الله .. فنهانى عن إحداث مثل هذا اللقاء الذى لن يتم أصلا .. ولكنى عندما أوضحت بهذه الرغبة للأستاذ شاكر قال: ولماذا لا تصحبيه معك .. إنه رجل فاضل .. كتب أعظم كتاب عن الشيعة .

واذا كنت انا لم أحقق هذا المطلب لنفسى .. فقد حققت مطلباً آخر أكثر منه جدوى .. فقد اصطحبت له يوماً أقرانه .. عبد الرحمن صدقى .. وعلى أدهم .. فكان هذا المشهد ..

تكلمنا فى موضوعات شتى .. ثلاثة أطراف متناقضة ، الثقافة والطبع والاهتمام .. وفجأة وعلى غير ميعاد ، توقف الحديث عند جمال الدين الأفغانى .. وجدت ثلاثتهم يتساءلون فى نفس واحد : إن دراسة شخصية هذا الرجل

غريبة .. واندفع شاكر يلقى بعض الغيوم على هويته ودوافعه مضيفاً الى هذه الغيوم : إن مذكرات ابن أخيه عنه ذكرت أن هناك شهرين من السنة كان يغيب فيهما الأفغانى عن خريطة الوجود للمعروف لدى عارفيه والمتحلقين حوله . وينوه على أدهم : إن السلطان عبد الحميد ــ وكان شقاقه مع اليهود وهيرتزل على أشده ــ قد قتله بعد معرفته شخصيته !!

ودعانى ذلك الحديث الى استرجاع ما قرأته عنه وعن ميلاده غير المعروف .. قالوا مرة انه ولد فى ايران ، ومرة أخرى فى العراق ولكن من اين أتى اسم الأفغانى .. مع أنه ليس منها .. أى من أفغان ؟

قادتنى الصدفة بعد أيام الى زيارة الأستاذ محمد المويلحى حفيد المويلحى مؤلف (عيسى بن هشام) فى حلوان .. فلفت انتباهى أحد جدران الغرفة حيث بدا ان هناك صورة قد نزعت منه . وعندما سألته قال لي انها صورة جمال الدين الأفغانى .. ذلك الرجل الذى لجأ يوماً الى بيتنا بينما كان يتعقبه بعضهم بالحجارة وأويناه انذاك .. وبعد اطلاعى على أسرار الأفغانى .. وتكشف أمره من خلال ما كتبه «جوى» قبل موته ندمت على ما قدمناه من معروف لذلك الرجل الذى لا يستحق .. فقمت بنزع صورته من على الجدران وقذفت بها بعيداً !

واذا بعدت أنا عن الحقيقة الشائكة لشخصية الأفغانى .. فانى قد فزت أخيراً .. بأن قوة الحركات للانسان اذا حالت دون رؤيته أفق الشمس الساطعة جبال شماء .. تستطيع لا أن تقذف الجبال أمامها .. بل الشمس المشعة نفسها .. أى أن اجتماع شاكر وصدقى وأدهم لم يصل لقذف الجبال العملاقة من العقاد والمازنى الى طه حسين والرافعى . بل رمت أستاذهم المشع أيضا جمال الدين الأفغانى .

.. معاً الى بيت الله

واذا استللت محمود شاكر من بين هذه الرقعة وهذه القضايا .. لأكمل موضوعى عنه .. فانى أذكر أن ما حظيت برفقتى به ، يقومه كل ما ذكر وعرف عنه

محمود شاكر

ليس من زاوية العلم .. ولكن من ناحية ايمانه .. فقد صاحبته فى رحلة الحج الى بيت الله ، فرأيت كيف يتحول العملاق الى طفل يرتجف من لقاء الله عز وجل .. لقد كان بكاؤه الطفلى يخرجنى من انغمارى بالجو الأثيرى الذى رسمته المناسك .. وخرجت منه بالفعل .. عندما جمع الأستاذ شاكر وهو فى شدة بكائه الوجل ، أوراق التلبيه من بين أصابعنا ليخرج من حقيبته غير المخيطة قلماً يشطب به كل تلبية زائدة ، عن المتوجب ، فدل ذلك على أن الانفجار الروحى لم يبعده عن الحقيقة لحظة . وكان هذا الرجل يحس بقلب المؤمن .. ويتصرف بعقل المفكر فى أى موقف ..

وعرفت الجانب الآخر .. عندما وصلنا الكويت .. وكيف كان يتالق وسط خلصائه واحبائه ومريديه .. وتصادف وجودنا مع وجود صديقه الشاعر العربى الكبير «محمود حسن اسماعيل» الذى تقدم يحيى صديقه العلامة الكبير .. ويستحلفه الا يترك موقعه .. متصدياً كعادته لأعداء ثقافتنا وعروبتنا واسلامنا .. قال فيها ..

واراك انت بكل لـج موجهــا
والهـادر المشبوب فى شلالهـا
واراك انت عليمهــا وكليمهــا
والجاذر الشبهات فـى استدلالهـا

والشاعر هنا .. استطاع أن يرسم باقتدار الملامح الأساسية فى صورة صاحب عالمنا هذا .. محمود محمد شاكر .. الذى يعيش منذ شبابه صراعاً لايزال يحتدم فى نفسه ويملأ عالمه قلقا متصلا وكأنه بسبب علمه الواسع الغزير وتوهج فكره ، يشقى بهذا العلم ، وبغيرته التى حولها ، على انتمائه للأمة العربية وتاريخها .. ويتمزق على طريقة لا يكاد يعطى الأمل فى الخروج من هذا التمزق الفكرى ، ولعله لم يجد مخرجاً من ذلك كله ، وقد عجز أن يشد بمفرده الازدهار القديم الى الحاضر ، أو يدفع بالحاضر

الى مستقبل يحلم به ويتمناه .. إلا أن يحيا على بينة من الأمر وحده .. وليس من سبيل أمامه سوى أن يفيض عطاءه الفكرى فوق كتبه فيشحن بروحه روح تلامذته وأصدقائه المنتشرين على الأرض العربية والاسلامية ..

وهذا هو ما قاله فى مقدمة قصيدته الملحمية «القوس العذراء» «وقد بلغنا رسول الله عن ربه بلاغاً يضيء لكل حى نهج حياته ، ويمسك عليه هدى فطرته ، إذ قال : إن الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ، وقال : إن الله كتب الاحسان على كل شيء .. فاذا قتلتم فاحسنوا القتله ، وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته» .

فانظر الى اين كتب الله علينا أن نبلغ اتقان ما نصنع واحسان ما نعمل ..

كل هذا يؤكد لنا أن محمود شاكر ليس شخصاً عادياً .. وإنما هو طراز من المفكرين لا يرى إلا الاحسان فى كل شيء .. والحقيقة الخالصة فى كل مكان وهذا يدعونا الى القول ان العلامة والشاعر المحقق محمود محمد شاكر .. كان صنوه سيكون أسطع لو انه ولد فى غير عصره.

وإذا قال قائل : إنما يقاس الانسان بعصره .. لأن لكل عصر ظروفه الخاصة .. فلو وجد أديب ما كان لامعاً فى عصر من العصور السابقة فى عصر آخر بعده .. لم يصادف النجاح الذى صادفه سابقه .. لأن الحياة فى تطورها وجدليتها منطقاً آخر قد لا يحقق فيه مكانا كالذى حققه فى السابق .. فنحن نوافقه على هذه الحقيقة المبدئية .. ولكن نضيف اليها .. بظهور ما يخالفها .. لأن هناك عوامل تلعب دوراً خطيراً فى حياة الشهرة .. والوصول اليها مثل وسائل النشر والاعلام والتحيز والانتساب الى حزب من الأحزاب .

واذا كان ــ كما قلنا ــ قد شارك فى صنع سعد كعملاق تجارب انسانية .. فانه قد شارك فى صنع بعض أعمدتها ملامح شخصية سلطت عليها أضواء وألوان وأصباغ ومؤثرات صوتية وضوئية .. فانحصر همهم فى خلق انطباعات وليس فى توليد قناعات .

عايدة الشريف

د . حسن عيسى عبد الظاهر

الهوسا

أكبر تجمع إسلامى فى غرب أفريقيا

خليط من الأزياء والآلات الموسيقية

الناظر الى الخريطة الطبيعية لافريقية لايخطئه أن يرى بها حزاما مستعرضا من غرب الى شرق شمالى خط الاستواء ، وهذا الحزام يشمل نطاقا شاسعا من القارة ويمتد من ساحل المحيط الأطلسى غربا الى ساحل البحر الأحمر شرقا ووسط زحام من أسماء كثيرة أطلقت عليه قديما ، وحديثا ، كانت أول معرفة باسم أطلق عليه فى عصوره الاسلامية ، وفى كتابات علمائنا المسلمين من جغرافيين ومؤرخين هو اسم (السودان) هكذا باطلاقة .

ثم أخذ يتحدد هذا الاطلاق بقصر دلالة أسم (السودان) على تلك المنطقة شبه الصحراوية والتى تغلغل فيها الاسلام وتعرف الآن باسم (غرب إفريقية) وبقى هذا الاسم (السودان) سائدا حتى القرن الماضى ، وكان يشمل مناطق النفوذ السياسى والاقتصادى لقبائل (الهوسا) وغيرها من (الفولانى والماندنجو) .

بلاد التكرور

وقد عرفت هذه المنطقة أيضا باسم آخر هام ومشهور هو (بلاد التكرور) ، ومعاجمنا اللغوية ، وموسوعاتنا التاريخية ـ وهى تعرض لهذه المنطقة تطلق عليها اسم (بلاد التكرور) بالاضافة الى اسم (بلاد السودان) ، وقد يجعلونه أخص من اسم (السودان) ، وقد يذكرونه علما على مدينة ، ثم يعممونه على المنطقة ، أو على أهلها ، أو بعضهم .

فالقاموس يقول : التكرور بلد بالمغرب ورأينا لبعضهم أنه عبر عن (كانو وكاشنا) وما والاهما ببلاد السودان ، وعبر عن (تنبكتو) وماوالاها ببلاد التكرور ومعجم البلدان ـ مادة تكرور ـ يذكر انها بلاد تنسب الى قبيل من السودان فى أقصى جنوب المغرب ، وأهلها أشبه الناس بالزنوج ، ويذكر (العمرى) ـ فى مسالك الابصار ـ أن (التكرور) كانت جزءا من (مملكة مالى) التى عرفت واشتهرت (بمملكة التكرور) وكانت حدودها من الأطلسى غربا الى برنو ـ تشاد حاليا ـ شرقا ، وصاحب هذه المملكة هو المعروف عند أهل مصر بملك التكرور .

هذا ولازالت (بولاق التكرور) من أهم وأقدم ضواحى القاهرة ومعروفة حتى الآن ، ويذكر (بوركهارت) فى رحلاته : أن أهل السودان يطلقون اسم (التكارنة) على مسلمى غرب إفريقية .

وقد زار هذه المنطقة بعض الرحالة منهم (ابن بطوطة ـ القرن الثامن هـ ـ الرابع عشر م) ، ومنهم (الحسن الوزان ـ القرن العاشر هـ ـ السادس عشر م) ضمن زيارته لممالك وبلاد السودان ، وعد من ممالكها : أغاديس ، غوبر ، كانو ، كاتسنا ، زجزج ، زنفرا) وهذه الممالك هى قلب بلاد (الهوسا) .

● زار الرحالة العرب هذه المنطقة قبل انتشار قبائلها فى حدود شاسعة

ممالك الهوسا السبع وما لها من تاريخ ملىء بالغرائب والعجائب

راعى يعزف على المزمار

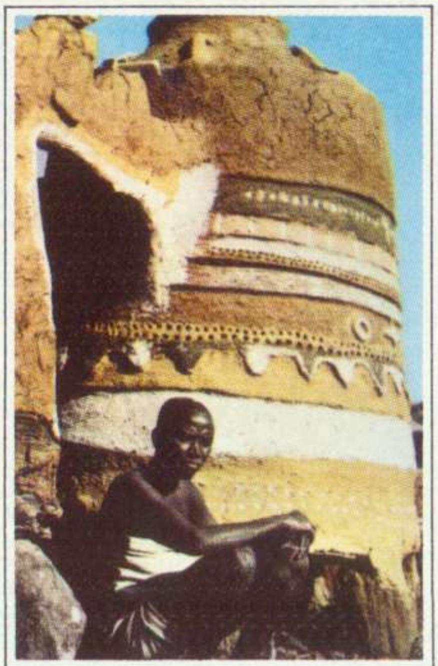

أمام البيت المزخرف

الرخاء الأقتصادى

لقد ظلت هذه المنطقة خلال تاريخها تشتهر برخائها الاقتصادى نظرا لموقعها الجغرافى كمركز تجارى ، ومحط للقوافل وبخاصة فيما بين القرن الخامس عشر م والقرن التاسع عشر م .

وقد تحدث عنها أحد أبنائها وأمرائها ومؤرخيها وهو الامير (محمد بل) ـ القرن الثالث عشر هـ ـ التاسع عشر م ـ وأشار الى بلاد الهوسا بأقاليمها (انظر انفاق الميسور لمحمد بل)وعلى هذه الرقعة انتشرت وعاشت ولا زالت قبائل الهوسا المسلمة فى تجمع انسانى كبير بل من أكبر التجمعات فى افريقية .

ممالك الهوسا

وفى هذا المواطن من غرب إفريقية مابين حوض السنغال ، وحوض النيجر ، وحوض تشاد ، وحتى حوض النيل قامت للهوسا ـ فى العصور الوسطى ـ سلسلة من الدول والامارات والممالك الصغيرة بدأت من القرن الثامن هـ ـ الرابع عشر م وانقسمت الى مجموعتين :

المجموعة الأولى : مجموعة أصلية : وقد عرفت باسم (هوسا باكواى) أى ممالك الهوسا السبع وهى :

١ ـ غوبر : وهى أجدبها لتطرفها فى الشمال من اطراف الصحراء .

٢ ـ زكزك وتسمى الآن (زاريا) وهى أوسعها وتقع فى الجنوب منها .

٣ ـ دورا وكانت تعتبر المملكة الرئيسية ، واعتبرتها الاخريات دائما أكثر أماكنهم أهمية .

٤ ـ كانو : وهى ابركها .

٥ ـ كاشنا أوكتسنا وهى أوسطها ، وكانت هى وسابقتها (كانو) أكثر بلاد الهوسا حضارة وأهمية .

٦ ـ جاران جايا أو بيرام .

٧ ـ رانو .

وهذه الممالك السبع كما يقول الأمير (محمد بل) فى انفاق الميسور ! لها تاريخ فيه من العجايب والغرائب أمور كثيرة .

وتغطى كلها مساحة تقرب من مائتى ميل مربع . ورغم أن بلاد الهوسا قد وسعت حدودها كثيرا وانتشرت قبائلها ـ فى غرب إفريقية كله ـ إلا أن هذه الممالك السبع كانت بمثابة القلب منها .

المجموعة الثانية : مجموعة فرعية وهى فى الجنوب من المجموعة الأصلية وأقرب الى مجرى (نهر النيجر) ومندرجة فى السبع الأصلية ، وكانت تعرف باسم (بانزا باكواى) أى السبع الفرعية ، وهى مجموعة غير متجانسة ، وتضم بعض الشعوب التى تتميز الآن عن الهوسا الأصليين وهذه المجموعة هى :

١ ـ زنفر ، وهى فى الغرب من بلاد الهوسا ، وكانت تعد من المجموعة الفرعية لكنها فيما بعد عدت من البلاد

الهوسا

• مدلول كلمة الهوسا.. وهل هم عنصر واحد رغم شعوبهم المختلفة ؟

أثناء خطبة الجمعة

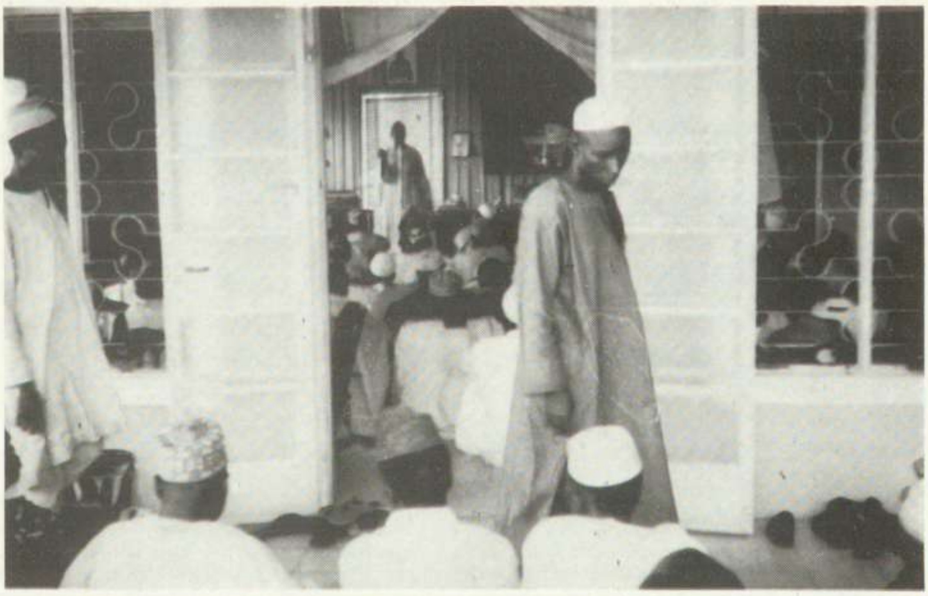

فى المسجد

مركز كانو بنيجيريا الاسلامى

الهوسوية الأصلية .
٢ ـ كب .
٣ ـ ياور ، وقد اصبحت أكثر تطابقا وانسجاما مع الهوسا .

٤ ـ نفى ، أو نوب .
٥ ـ يوب ، أو إيلورين .
٦ ـ يرغ .
٧ ـ غرم .
وقد كان على كل مملكة من هاتين المجموعتين امير نظير للآخر .

من هم الهوسا ؟

اصل الكلمة : ـ تكتب الهوسا هكذا بالسين كما تكتب ايضا (هوصا) (هوصة) وفى المراجع العربية تكتب (حوصة) ، وقيل ان أصل الكلمة غير معروف .

مدلول الكلمة

شعوب الهوسا يطلقون هذا الاسم (الهوسا على بلادهم فيقولون : (هوسا باكواى) وينتسبون اليه فيقولون (الهوساوا ـ أو الهوساس ، أو الهوسا) ، ويطلقونه كذلك اسما للغتهم ، وإن كانت الوحدة اللغوية لم تتم بينهم الا فى القرن الخامس عشر م .

فهو اسم يطلق ويراد به : كافة شعوب السودان الأوسط والغربى التى تتكلم لغة (الهوسا) باعتبارها لغة قومية ، وعلى هذا فكلمة الهوسا تعطى مدلولا على :

أ ـ اللغة
ب ـ الناس المتحدثين بها .
ج ـ الولايات التى يتركز فيها الشطر الاكبر من الشعوب الناطقة بتلك اللغة .

● وصلوا بهجراتهم إلى الجنوب واندمجوا مع السكان فى إمارات صغيرة

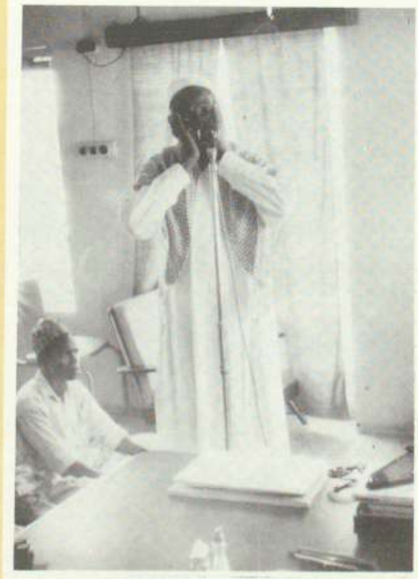

المؤذن فى المركز الثقافى العربى

● رأى يؤكد انحدارهم من العرب الذين دخلوا السودان وأواسط أفريقية

٢ ـ وهناك رأى يذهب الى أن مدلولها الأصلى جغرافى ، وأنها اسم للضفة اليسرى لنهر النيجر ، فهى اسم للمكان ثم صار ذا دلالة لغوية أكثر منها عنصرية

٣ ـ وفى لغة جيرانهم الطوارق تطلق كلمة الهوسا ويراد بها الناس المستقرون فى البلاد شمالى وشرق نهر النيجر .

وقد كان يظن الى عهد قريب أن شعوب الهوسا تمثل جنسا قائما بذاته ، ولكن تبين أن (الهوسا) اصطلاح يعنى (اللغة ، والمكان ، والسكان) ، وليس ثمة جنس يمكن أن يسمى (جنس الهوسا) .

كما أنه ليس من الصواب عدهم عنصرا واحدا ، أو مجموعة واحدة ، أو شعبا واحدا ، فهم يمثلون خليطا من شعوب تنتمى الى اصول مختلفة ، وإن جمعتهم لغة واحدة ، واجتمعوا فى صعيد واحد فهم يتمثلون قبائل تختلف اختلافا كبيرا فى مميزاتها الجنسية ، وأن تقاربت دينا ، وثقافة ، بحيث يشكلون بتقاربهم هذا أكبر مجموعة لغوية وحضارية فى تلك المنطقة ، بل من الناحية الاجتماعية ، والاقتصادية يسودون تلك المنطقة .

الاصل والتطور

وقد تعددت آراء علماء الاجناس ، والاجتماع ، والتاريخ ، حول اصول الهوسا ، وانتمائهم الجنسى ، ويمكن تلخيصها فيما يلى : ـ

١ ـ رأى يذهب الى انهم ينتمون ـ أصلا ـ الى الجنس الزنجى ، ويعدون من مجموع زنوج (غرب افريقية) استنادا الى بعض الخصائص الجسمية مثل غلبة السمرة على بشرتهم ، لكنهم مع ذلك يتكلمون لغة (حامية) ، وموقعهم الجغرافى ملتقى أجناس مختلفة ، ويوصفون بأن الانف أكثر اعتدالا ، وأن بروز الفك فيهم اقل مما لدى الزنوج الصرحاء ، وملامح وجوههم أدق مما يدل على انهم لم يسلموا من اختلاط كبير بالحاميين نتيجة قرب موقعهم من الصحراء ، ونتج عن ذلك شعبهم ولغتهم

٢ ـ ورأى يذهب الى أن شعوب الهوسا ـ اصلا ـ تمثل هجرة من هجرات (البربر) الذين كانوا لايكفون عن الهجرة صوب الجنوب ، وبخاصة بعد دخول (الهلاليين ، وبنى سليم) من الشمال وضغوطهم ، وانهم وصلوا بهجراتهم الى هضبة (أهير) وبخاصة الطوارق ، وعاشوا بها حتى ضاقت بهم فنزحوا الى مهاجر جديدة صوب الجنوب ، وكونوا لأنفسهم ـ بعد اندماجهم بالسكان ـ إمارات صغيرة بلغ عددها سبعا ، وعاشوا مع السكان ونتج عن هذا التعايش شعب الهوسا .

ويمكن أن تحدد فترة القرن الخامس هـ ـ الحادى عشر م ـ لهذا التلاحم الجنسى ، ويقوى هذا ما كان شائعا من (النظام الأموى) بين البربر والزنوج ، وانه بينما كانت اللغة (الحامية) تنتشر وتتطور وتعمل على توحيدهم تحت رايتها بدأت مدن ولايات الهوسا فى الظهور كقوة مستقلة وتطورت الى (ممالك الهوسا) السبع الأصلية التى تشكل قلب بلادهم ثم توسعت فى المناطق المجاورة التى تكلمت لغتهم وتاثرت بطرقهم فى الحياة ، ونتج عن ذلك الممالك السبع الفرعية .

٣ ـ ورأى ثالث يذهب الى أن الاعتقاد السائد بين الهوسا أنهم منحدرون من العرب الذين دخلوا السودان وأواسط إفريقية ، وأن الممعن فى صفاتهم الجسمية يراها لاتمت بصلة كلية الى الزنجية ، وأن لغتهم مزيج من الزنجية والسامية ، وفيها الكثير جدا من الألفاظ العربية الظاهرة ، ومنها الضمائر التى يتخاطبون بها ، والاعداد ، وبعد تصريفات الأفعال ، وفى هذا نظر إذ أن فى الهوسا من يتكلم العربية تعلما ودينا وإن كانت لغتهم تضم فعلا كثيرا من الالفاظ العربية بحكم اسلامهم .

والراى الذى يمكن أن يطمان اليه ـ بناء على ما سبق ـ أن شعب الهوسا ليس قبيلة بالمعنى القبلى بل هو شعب تكون فى آماد طويلة نتيجة امتزاج متواصل بين جماعات قبلية وجنسية كثيرة ومختلفة أبرزها الزنوج والبربر وانها أخذت تنصهر فى شكل ما أقرب ما يكون الى شكل ولايات ، ثم ممالك ، وتتجمع بفضل ما كان لهم من لغة مشتركة واعتزازهم جميعا بحضارة واحدة مشتركة .

لغة الهوسا

تبين مما سبق أن اسم (الهوسا) له دلالة لغوية ، وأنه يطلق على جميع الشعوب التى تتكلم بهذه اللغة بعامة ، وانها تسود اساسا اقاليم الهوسا وتوحدهم ثقافيا بالرغم من عدم توحدهم سياسيا الا على يد دولة الفولانى الاسلامية فى القرن التاسع عشر م وهى بذلك تنتشر على نطاق واسع فى غرب إفريقية وبخاصة بعد انهيار (امبراطورية الصنغى) فى نهاية القرن

الهوسا

• لماذا أصبحت لغة الهوسا هى لغة المعاملات التجارية ؟

• كانت لغة الهوسا تكتب بأحرف عربية فى مرحلة ما قبل الاستعمار

سوق القماش

وجه من الشمال

السادس عشر م ، وتحول المجرى الرئيسى للحركة التجارية مع شمالى إفريقية شرقا الى بلاد الهوسا ، إذ سرعان ما اصبح التجار الهوسويون يسيطرون على النشاط الاقتصادى فى جميع انحاء السودان الأوسط ، فاصبحت بذلك اللغة الهوسوية لغة المعاملات التجارية وتضخمت جالياتهم فى كل المراكز التجارية الهامة وانتشرت من (أم درمان) حتى (تنبكتو) ، ومن (طرابلس) الى (خليج غانه) ، فانتشرت لغتهم فى التخاطب فهم بذلك يعدون أكبر مجموعة لغوية ، وحضارية ، فى المنطقة .

ولغتهم وإن سادت المنطقة فان هذا لا يمنع من وجود ما يقرب من (٢٥٠) جماعة أو سلالة مختلفة تتكلم كل منها بلغتها أو بلهجتها الخاصة بها ، وهى موزعة فى أركان المنطقة ويقسم هذا العدد الضخم الى عدة مجموعات تنتسب الى العائلات اللغوية الرئيسية .

ويرجع علماء اللغات اصل لغة الهوسا الى (الحامية) ، فمنهم من ينسبها الى عائلة (تشاد) الحامية ، وهذه العائلة جزء من مجموعة اللغات الحامية، ويعدون الهوسا أهم ممثل لها ومنهم من وصل الى انها أقرب لغة الى (البربر) من أى لغة اخرى من لغات غرب افريقية ، ويرى فريق آخر أنها خليط من (الزغاوة) وغيرها ، وانها مخففة ومشوبة بالعربية ، ويفضل (جرينبرج) جعلها فرعا من اللغات التى أطلق عليها اسم (إفريقية آسيوية) .

وكانت تكتب وتدون باحرف عربية قبل عهد الاستعمار ، إذ دونت بها مخطوطات كثيرة باحرف عربية ، كما لاتزال تنشر بها بعض الكتب والصحف ، وهى تشتمل على الفاظ عربية كثيرة

● كيف أصبحوا أكبر مجموعة حضارية في المنطقة ؟

الصيادون

اغرب الأدوات الموسيقية

الهوسا

● رغم شجاعتهم النادرة خضعوا لسيطرة بعض القرى المجاورة

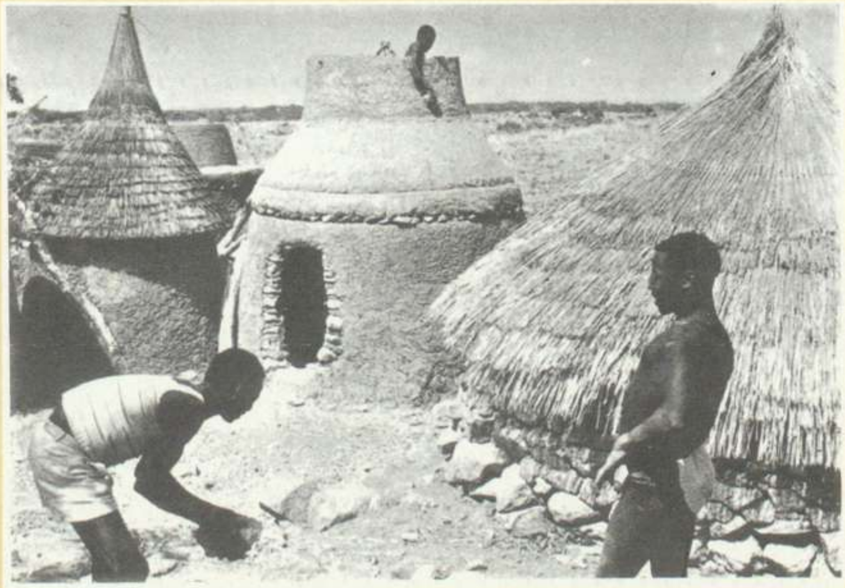

القرى الشماليه

الحصاد

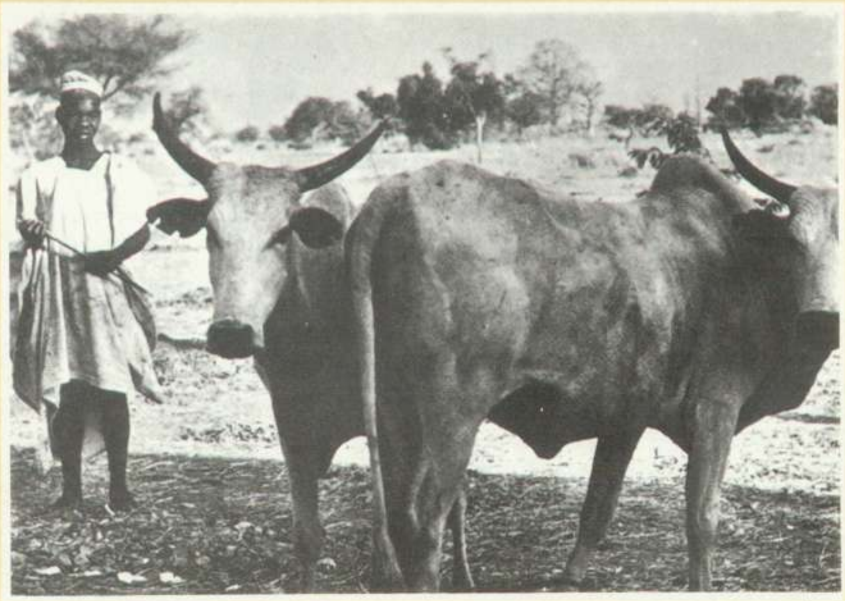

مزارع

صارت جزءا لايتجزأ منها ، وقد قام المبشرون – فى عهد الاستعمار – بتدوينها – ضمن ما دونوا من اللغات الافريقية – بالأحرف اللاتينية بدلا من الحروف العربية ، وحذفوا منها الألفاظ العربية فى كثير من الاحيان ، ووضعوا مكانها الفاظا انجليزية أو فرنسية للقضاء على المؤثرات الثقافية العربية هناك بل وفى افريقية كلها وقد ترتب على ذلك أن حكومة (شمال نيجيريا) لم تعترف بمعاجم (الهوسا) التى وضعها هؤلاء المبشرون لهذه اللغة .

من خصائص الهوسا

رغم أن الهوسا شعوب مختلطة جنسيا إلا أن هناك خصائص تميزهم فمن الناحية الجسمية : – يتميز الهوسوى ببشرة سوداء شأنه فى ذلك شأن أهل السودان الأوسط ، وبضرورة البيئة التى يعيش فيها ، كما يتميز باستطالة الرأس وبفك اقل بروزا وأنف أقل فطسا ، وقامة أكثر طولا ، وجسم أقل تكوينا فى عضلاته ، إلا أن الحمالين منهم لهم طاقة هائلة من القوة والاحتمال ومن الناحية النفسية : – يعدون أكثر صرامة وأقل شكا من جيرانهم (الفولانى) كما أنهم أكثر مرحا ، واقوى بديهة فى الفكاهة من جيرانهم (اليوربا) ، وجانب الشجاعة فيهم موفور ورغم الهدوء الذى يسود مظهرهم بعامة فقد اثبتوا فى المعارك التى يخوضونها أنهم محاربون أشداء ، ومع هذا فقد خضعوا فى تاريخهم – بعامة – الى سيطرة بعض القوى المجاورة لهم ويبدو أن من اسباب هذا أن ولاياتهم كانت متساوية الحجم والقوة تقريبا ، ولهذا لم تستطع واحدة منها أن تفرض سيطرتها على الاخريات وأيضا فان طبيعة الشعب نفسه طيبة

● الـــزراعـــة هى عملهـــم العـــادى وهـــم تجـــار إلى حـــد المغـــامرة

● أغـــرب عـــاداتهـــم هى تلك الـــتى تدفعهـــم للتعـــاون الســـلمى مـــع أعـــدائهـــم

● عرفـــوا نظـــام الضـــرائب فى تاريـــخ مبكـــر .. وانغمـــسوا فى تجـــارة الرقيـــق

فرقة الغناء الشعبى

طيعة مع قدرتهم على الحروب إذا استنفروا لها ، أو أجبروا عليها ومع ذلك فليسوا طموحين للقوة .

ومن الناحية الاقتصادية : ــ فيكمن اهتمامهم فى الزراعة والتجارة والصناعة أكثر مما يكمن فى الحرب فهم بعامة من مهرة الزراع ، ورعاة الماشية ، ومحترفى التجارة التى يبنون عليها توسعهم ، كما أن لهم اسهاما فى الصناعات المحلية ، فالزراعة هى العمل العادى لمعظم افراد الهوسا لدرجة تفوقهم فيها على جيرانهم من (الماندنجو) ، والتجارة هم فيها نشطون الى حد المغامرة ، وذلك بحكم موقعهم على طريق القوافل والحج ، وقد اخترقت قوافلهم الصحراء فى اتجاه الشمال والشرق ، وامتدوا بمراكزهم التجارية تجاه الجنوب حتى لايكاد يخلو منهم مكان فيه ، وعرفت لهم أحياء وقرى باسمهم ، كما ارتبطو بجهة الغرب منهم بالنشاط التجارى الواسع حتى امتدت رحلاتهم من ساحل غانة الى القاهرة ، وسادت نظمهم الاقتصادية والاجتماعية فى المنطقة ، وبرزت بعض مدنهم كمراكز تجارية واسواق كبيرة فى السودان كله مثل (كانو وكاتسنا) ، ويتميزون فى تجارتهم بالهدوء والأناة ، وقد ساعدهم ذلك على التعاون السلمى مع القوى المعادية لهم ، واحتفاظهم بشخصيتهم ومدنهم كمراكز تجارية وثقافيه ، ولم يسلم التوسع فى النشاط التجارى من الانغماس فى تجارة الرقيق الذى كان يجلب بالاغارة من الجهات المجاورة وبخاصة فى الجنوب كما كان فى (زاريا) ، وقد عرفوا نظام (الضرائب) فى تاريخ مبكر مثلما كان مفروضا فى (كانو) من ضريبة الأرض فى القرن الثالث عشر م ، وضريبة البقرة من القرن السابع عشر م .

وفى الناحية الصناعية : ــ لهم مهارة

الهوسا

مهرجان الصيد

الصناعات اليدوية

• هكذا دخل الاسلام إلى المنطقة وقضى على الوثنية

سوق الطحين

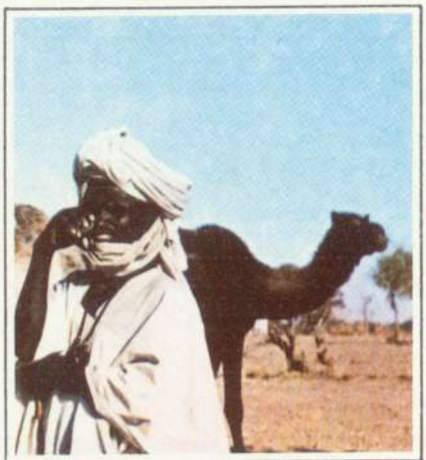

راعى الجمال

وفن فى الصناعات المحلية مثل صناعة الجلود ، والحدادة ، والحصر ، والنسيج ، وقد حملوا مصنوعاتهم الى البلاد المجاورة كما جذبوا التجار اليهم ، ورغم عدم وجود عملة سائدة فيهم قديما فقد بدأوا التعامل بالأصداف فى بداية القرن الثامن عشر م وصارت هى العملة السائدة فترة حتى تطورت أخيرا الى ما هى عليه اليوم كنظائرها فى بقية دول العالم .

المجتمع الهوسوى

تقوم الوحدة الاجتماعية فى بلاد الهوسا على الاساس الاقليمى أكثر من قيامها على الاساس القبلى ، والخلية الاساسية للحياة الاجتماعية هى (القرية وترتبط كل مجموعة من القرى وفق نظام اجتماعى يحكمهم كبير الاسرة ويدينون بالولاء المشترك لرئيس عام ، وهذه المجموعة من القرى قد تمثل قبيلة أو جزءا من قبيلة ، والراجح أنه اذا وجد فى مثل هذا النوع من المجتمعات حافز يدعو الى وحدة مشتركة فانما ينبعث فى العادة من شعور افرادها بصلة القرابة وما يتبع ذلك من اتخاذ ديانة مشتركة ، ويزيد تلك الروابط تماسكا وجود الخطر المشترك ومع ما تعرض لهم مجتمعهم من سيادة أجنبية فانه يظل يباشر حياته فى الزراعة والتجارة ، ويدير بنفسه شئونه المحلية ، الأمر الذى مكنه من تطوير نظامه الاجتماعى متأثرا الى حد بعيد بالثقافة الاسلامية ، كما حسن الى حد كبير نظم حكومته عن طريق توارث الموظفين الذين ما زالوا يحتفظون بألقابهم .

مدن الهوسا

وقد عرف (الهوسا) باقامة المدن ذات الاسوار ، وغالبا ما تكون هذه الاسوار مكونة من أجزاء متضامة ، وسور (كانو) على سبيل المثال كان قطره لايقل عن ثلاثة عشر ميلا .

ويمكن تصور طبيعة مجتمعهم الذى ظهر وتطور فى بلادهم بان الولايات كانت تحكم بواسطة رؤساء من قديم الزمان ، وكل رئيس نظير للآخر ، وله سلطة مطلقة كثيرا ما تكون بعيدة عن التسلط الغاشم ، وطوال سيطرته فهو قوى ، واذا فقدت الثقة به فكثيرا ما يتعرض للعزل وبسهولة .

وفى القرن الرابع عشر بدأ النمط الذى تشكل على أساسه مستقبل ولاياتهم فظهرت (كانو وكتسنا) كمحور لبلادهم ، وغلبت على الأولى شهرتها التجارية ، وعلى الثانية شهرتها الثقافية ثم وجدت فى الشمال (غوبر) التى اشتهرت بمحاربيها الأشداء ، وفى الجنوب (زاريا) التى كانت تعد مصدرا رئيسا للرقيق وتوالت بقية ولاياتهم الأصلية والفرعية ، ويمثل القرنان (الرابع عشر ، والخامس عشر م) مرحلة ذات أهمية بالنسبة لتاريخ بلادهم ، وانفتاحها على العالم الخارجى وإنشاء صلات متعددة ، دينية ، وتعليمية ، وتجارية ، وقد أحاطها الاسلام من شرق وغرب واعتنق بعض حكامهم وشعبهم الاسلام فى حين ظل البعض ولفترة طويلة على الوثنية حتى أظلتهم راية الاسلام بجهاد دولة الفولانى فى مطلع القرن الثانى عشر هـ ، التاسع عشر م .

وبامتلاك كل ولاية لجيشها الاقليمى الخاص فان الحروب المحلية كانت كثيرة بين الولايات بعضها مع بعض ، وبعضها مع جيرانها ، وكان جزاء النصر الغنائم والاسرى ، وكان مصير هؤلاء الاسرى الرق غالبا . وكانت خسارة الحرب تعنى خسارة الحياة والحرية والممتلكات .

وللحماية من هذه الاخطار والآثار بنيت الأسوار الطينية العالية حول المدن وحفرت الخنادق كما حصنت القرى بالاسوار الخشبية المدببة .

تلك صفحة من الماضى لشعب الهوسا الذى يعد من أكبر الكتل الاسلامية فى أفريقية بعامة وفى غربها بخاصة .

د. حسن عيسى عبد الظاهر

د . عماد الدين خليل

شىء عن الأخـــلاق والحضـــارة

قاطعنى بعصبية وهو يقول : ولكن أية أخلاق هذه التى ترفع وتضع فى ساحات الصراع الحضارى ؟ ألا ترى أن الغربيين ، وقد تخلوا عن كل قيمة خلقية ، بلغوا القمة فى سلم الحضارة ، والشرقيين الذين لايزالون يتشبثون بالأخلاق قد انحدروا الى الحضيض ؟ أية أخلاق هذه التى تتحدث عن ضرورة تواجدها فى قلب التجارب الاجتماعية ؟

أجبته وأنا أحاول أن أهدىء من انفعاله الذى سعى الى امتصاص جانب منه بالقيام ببعض الحركات الجسدية دون جدوى : على رسلك يا هذا ، ولنتمعن قليلا فى الأمر فلعل فيه جانباً من الصواب ، وهو مهما هان وضؤل فلابد أن فى العثور عليه ثمة فائدة ما ..

شبح التدهور

قال وهو ينتزع ابتسامة مبتسرة اكتسحت شيئاً من ملامح الغضب على وجهه .. هيا ، وأرنى جانب الصواب فى المسأله ، فلا أعتقد أن المنطق بقادر على قلب الحقائق .. فان الغرب اللا أخلاقى يكاد يكتسحنا بحضارته ، نحن الشرقيين ذوى الأخلاق الحميدة ، من الجذور ..

قلت لا يخفى عليك أن الاسلام يرمى الى تكوين أخلاقية خاصة بالجماعة المؤمنة تنبثق فى أعماق الفرد لكى ما تلبث أن تعطى لونها للعلاقات الاجتماعية كلها ، وقد أكد مراراً على أخلاقية التغيير الذاتى ، وهى جهد نفسى ارادى دائم لحماية قيم المجتمع المسلم وتنميتها (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ..) (ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ..) .. تلك القيم التى تمثل مراكز الثقل فى حضارات الأمم وشحنات الدفع فى مسيراتها ، وتكاد علاقتها الضرورية للنمو الحضارى تبدو طردية باستمرار على مستويين الكيف والكم ، وهو ما اختلفت معك بصدده .. فكلما التزمت جماعة ما بمزيد من القيم الأخلاقية ، وكلما سعت الى صقل هذه القيم وتأصيلها فى أعماق البنية الاجتماعية ، كلما تمكنت من حماية وحدتها ومن مد عمرها الحضارى وإبعاد شبح التدهور والسقوط بالتالى .. وكلما بدأت جماعة ما بالتخلى عن هذه الالتزامات ، واطراحها جانباً ، وعدم السعى لبلورتها وتعميقها فى الممارسة الجماعية ، كلما عرضت وحدتها للتفتت ، وآذنت نشاطها ومعطياتها الحضارية الشاملة بمصير سيء قريب أو بعيد ..

القيم الأخلاقية

سألنى وملامح عدم الاقتناع بادية على وجهه : كيف ؟

أجبت : إننا نرى اليوم بأم أعيننا كيف أن بقايا القيم الأخلاقية التى يتميز بها رجل (العالم المتقدم) ومجتمعاته ، من صدق وأمانة وتحمل للمسئولية وشجاعة واخلاص وصبر وتضحية .. ومن رفض للكذب والغش والخيانة والتهرب والجبن والجزع والأثرة ، هى التى تلعب دورها الواضح على المستوى الذرائعى (البراغماتى) – الى جانب عوامل أخرى – فى تفوق هذا الرجل وذلك المجتمع ، فى عالم لم يعد يعترف – على المستوى النظرى – بالأخلاقيات ، مما يشير الى مدى الثقل الواقعى لهذه القيم وارتباطها العضوى بأية ممارسة حضارية .

إن القرآن الكريم يطرح سلماً من القيم الأخلاقية ، كثير الدرجات ، بعيد الامتداد من خلال مئات الآيات المنبثة هنا وهناك ، والتى تجيء فى معظم الأحيان ملامسة لواقعة تاريخية قريبة أو بعيدة ، معلقة عليها ، مستمدة منها قيماً جديدة .. وذلك من أجل أن ترتبط (القيمة الخلقية) ارتباطاً شرطياً فى ذهن المسلم ونفسه وتزداد توغلا فى أعماقه وتأصلا فى علاقاته مع المجتمع الذى

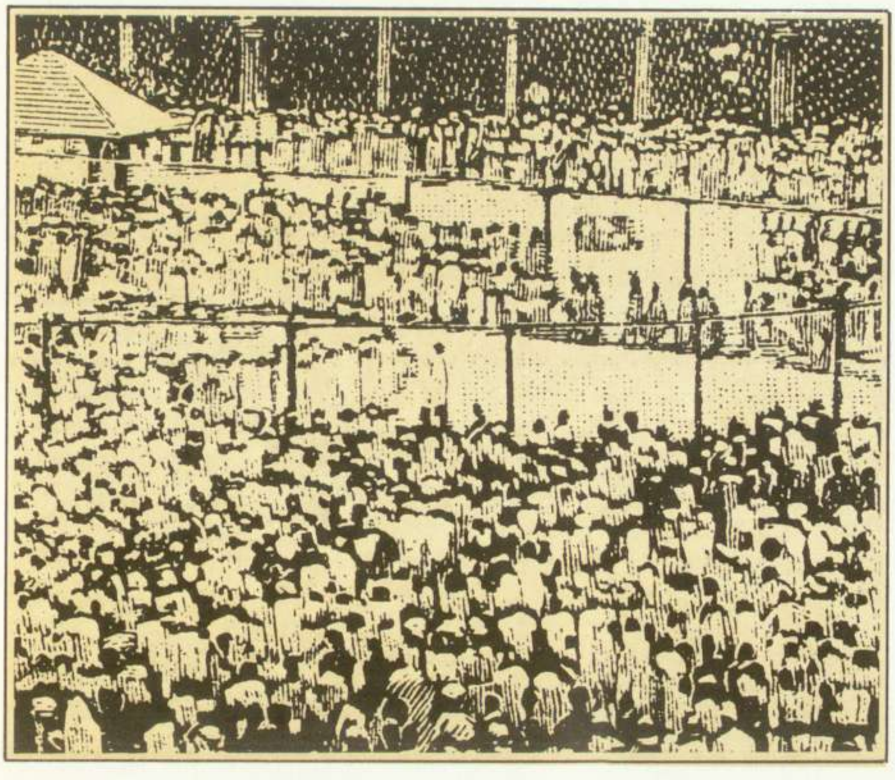

● لماذا نرى فى العالم المتقدم : الصدق والأمانة وتحمل المسئولية ؟

● الحضارة الاسلامية وما تطرحه من شعارات منبثقة عن قيم الحق والعدل

● روح الالتزام هى التى تحمى وجود المجتمع المسلم وتعزز وحدته

يتحرك فيه ..

سألنى : وما الذى يفرق الأخلاق الاسلامية عن غيرها ..

أجبته : لا جدال فى أن القيم الخلقية المنبثقة عن الرؤية الايمانية والحس الدينى ، تكتسب موضوعية فى ميدان العلاقات وعمقاً فى ميدان الذات لا نجد عشر معشارها فى الأخلاقيات الوضعية المبنية على الموقف المصلحى والتبرير البراغماتى (الذرائعى) .. انها آنذاك سوف تفقد موضوعيتها وشموليتها وتقع فى اسر التحيز والنسبية ، فتحور وتزيف حيناً ، من اجل ان تلائم مصلحة ما او منفعة معينة ، وتلغى او تستبعد ، حيناً آخر ، لأنها لا تنسجم اساسا ومتطلبات الموقف النسبى .. هذا الى أن هذه القيم ستفقد بعدها العمقى ، وتغدو اكثر قلقاً واهتزازاً ، الأمرالذى يفقدها قوتها الالزامية وثباتها وديمومتها .. واننا بمجرد القاء نظرة عجلى على التاريخ البشرى ، سنتبين بوضوح هذا الفرق الحاسم بين قيم اخلاقية دينية موضوعية شاملة متأصلة ، وبين قيم اخلاقية وضعية نسبية محدودة سطحية قلقة .. ولشد ما لعب هذا التقابل الأخلاقى دوره فى التاريخ وغطى مساحات واسعة لا تبررها باية حال النظرة المادية الضيقة أو المثالية الفضفاضة ..

الشعارات الانسانية

واذا رايته ينصت بنوع من الاهتمام واصلت حديثى قائلا : ان مقياس التفوق الحضارى لا يكمن فى حجم الانتاج الكمى بقدر ما يكمن فى مدى (اخلاقية) الجماعة المتحضرة وسعيها لخدمة الأهداف الانسانية الشاملة .. واننا بمجرد أن نلقى نظرة سريعة على حضارتنا الاسلامية فى عصور تالقها ، ونقارن ذلك بمعطيات الحضارة المعاصرة ، على المستوى الانسانى ، سنضع ايدينا على قيمة هذا (المقياس) وأهميته القصوى .. إن الحضارة المعاصرة لا تتجاوز ، حتى على مستوى الفكر والفلسفة ، حدود الموضوعية الشاملة ، وتهبط كثيراً عن أخلاقية الانسان ، بما هو انسان ، فتحصر أهدافها ومعطياتها فى نطاق دولة أو عرق معين كما هو الحال عند هيغل ، أو طبقة معينة ، كما هو الحال عند ماركس وانجلز ورفاقهما ، أو ـ على احسن تقدير ـ فى نطاق حضارة معينة ، كما هو الحال عند توينبى ، هذا بينما تطرح الحضارة الاسلامية وحدها شعاراتها الانسانية الشاملة الرحيبة المنبثقة عن قيم الحق والعدل التى صاغها القرآن (ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى) (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) (وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون) ..

الرصيد الأكبر

قال : أود ان اعرف بعضا من القيم التى اكدها الاسلام ودعا اليها ..

قلت : الصدق ، الأمانة ، تحمل المسئولية ، الشجاعة ، الصبر ، الاخلاص ، التضحية ، الايثار ، مقاومة اغراءات الشهوة ، التجرد ، الصمود ، التزام الحق والعدل بمقاييسهما الموضوعية لا المنفعية .. *الى آخره* .. ويطرح القرآن والسنة ـ بالمقابل ـ النقائض السالبة لهذه الأخلاقيات كالكذب والغش والتزوير والتهرب والجبن والجزع والأثرة والانسياق وراء اغراءات الشهوة ، والمنفعة .. الى آخره .. ويدعوان المسلمين ، افراداً وجماعات ، الى مكافحتها دون هوادة ، والى استئصالها من اعماق نفوسهم وامداء علاقاتهم الاجتماعية ويربطانها بمسالة الصراع الدائم الذى لا يكف بين الانسان والشيطان .. بين الخير والشر .. من اجل ان يمنحا الانسان المسلم قاعدة واسعة لتصور الموقف ، وايمانا عميقا بضرورة المقاومة ، واستجاشة لكل طاقاته من اجل الانتصار ، الذى مهما كان جزئياً ، فانه فى النهاية سيضيف قوة الى الرصيد الأكبر فى صراع الخير ضد الشر ، والانسان ضد الشيطان .

خطوات على الطريق

إن القضية فى المجتمع المسلم ، أو فى اى مجتمع تكاد تبدو اشبه بمعادلة رياضية واضحة : كلما تجاوز الانسان والمجتمع فى حضارة ما درجة اكثر فى سلم القيم الخلقية ، كلما تقدم خطوات الى الأمام وامتلك مزيداً من ضمانات الديمومة والتطور .. وبالعكس يجىء الرجوع أو السكون ، أو التفتت والانهيار بالاشاحة عن هذه القيم واسقاطها فى ميادين الذات والمجتمع واحدة بعد اخرى .. لقد كان خليفة المسلمين الأول ، ابو بكر الصديق رضى الله عنه ، واضح الرؤية عندما خاطب منتخبيه فى كلمته الأولى لهم «إنه ما شاعت الفاحشة فى قوم قط إلا ضربهم الله بالذل ...» ..

أننا لننظر الى تاريخنا نحن فنرى فى الموقف من الالتزام الأخلاقى مصداق تلك المعادلة ، فحيثما سادت روح الالتزام مجتمعا اسلامياً ما ، تمكن من حماية وجوده وتعزيز وحدته وضمان ديمومته العقائدية وابداعه الحضارى واتساع ميادين نشاطه فى العالم ..وحيثما افتقد الالتزام الأخلاقى فى مجتمع اخر حيثما تمزقت وحدته وتباطأت اندفاعيته واضمحلت منجزاته الحضارية وتقلص دوره فى العالم وال أمره الى التدهور والسقوط .. وان تاريخنا المعاصر ليقدم لنا عشرات الأمثلة التطبيقية على صدق هذه المعادلة ..

لم يجبنى بشىء ، ولم أستطع ان اعرف إن كان قد اقتنع بكلامى أم لا .. ولكنى كنت اشعر بانه قد اخذ يشك فى مسلمته السابقة وبدا يفكر .. فقلت فى نفسى : ها قد وضع خطواته على الطريق ..

د. عماد الدين خليل

قصة مصرية

من أين يأتي الخوف؟

بقلم : أم أكثم

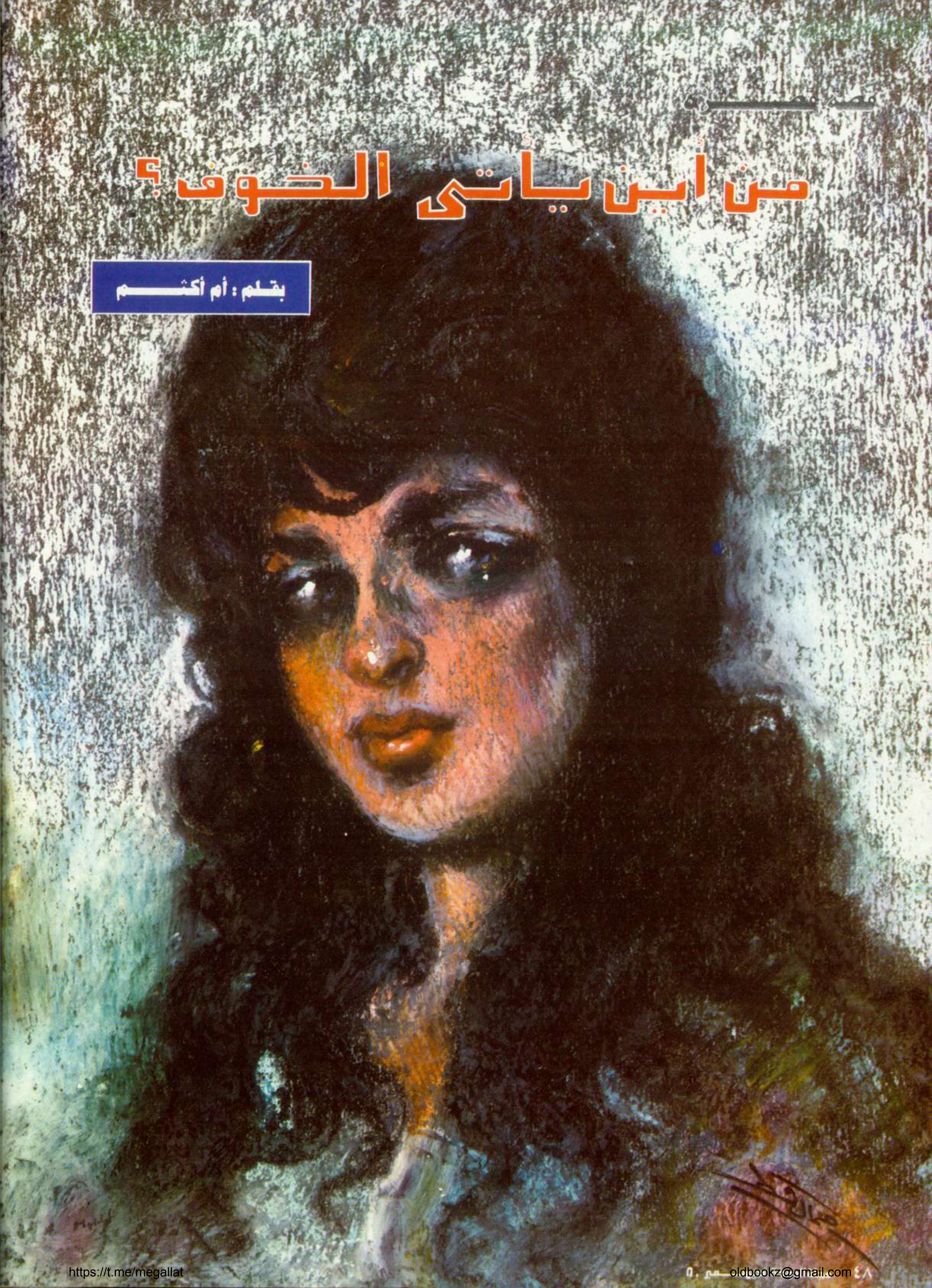

نسيت أن أحمل مظلتى معى .. كان
الجو ممطرا .. رذاذه يصافح وجهى
كلثمة حانية .. نسيت أن أخفى جسدى
الناحل فى معطفى الصوفى .. كان الجو
بارداً .. آه نسيت .. نسيت .. بقايا شتاء
.. بقايا مطر .. وعيناى غيمتا حزن
أجهضت أمطارها .. هواء بارد يصفع
وجهى .. وعنقى يتدثر بشعرى المهمل
...آه .. خصلاتك جداول انتشاء ..
ويداى تحتميان بجيب البنطال الداكن
بلون حبات الزيتون كحمامة بيضاء تلوذ
بعشها .. الزمن ما بعد السادسة ..
العربات تهرول .. الوجوه أيضاً تهرول ..
تحتمى بمظلات الواجهات .. الأنوار
الخافتة ترتعش على جسد الرصيف
الندي .. وهواجسى تستل بهجة المساء ..
«كلما داهمنى الحزن أتكىء على كتفك ..
أشعر بذراعك قوية تضمنى إليك ..
فأبكى كالصغار» .. أواصل تشردى ..
المطر يهمى .. الطريق نفسها .. وستائر
الدانتيلا البيضاء تتخايل من خلف
النوافذ نفسها .. أحصى الزهور ..
والوجوه الأليفة نفسها .. جوانا بائعة
الزهور .. الرجل الضخم الملتحى الواقف
خلف باره .. وابتسامته الطيبة التى
يبادرنى بها كلما مررت به فى طريقى الى
منزلى .. الاسيوى المتأنق بائع الحلوى
..و .. صاحب المقهى .. نعم يا سيدى أنا
بحاجة لفنجان قهوة دافىء .. أرجوك ..
لا تحملق فى بعينيك الزرقاوين .. إنهما
سماء وطنى .. وأنا أرغب أن أنسى .. لا ..
لا أحتاج حساءك الدافىء .. هذا المساء
.. لا أحتاجه .. أرجوك .. سيدى .. ابعد
لون عينيك عنى .. إنه البحر الذى
يحتضن مدينتى بصدره الواسع .. وأنا
أرغب أن أنسى .. أرجوك .. نعم ..

من أين يأتى الخوف ؟

فنجانُ قهوة دافىء فقط .. «مبروك نجاحك .. إبن عمك أيضاً عاد من أمريكا بعد أن أنهى دراسته .. نحن جميعاً فى انتظارك ليتم زواجكما .. التوقيع .. والدك المحب والعائلة .»

المطر يهمى على نافذة المقهى الزجاجية .. الأشجار العملاقة المبللة .. جليلة فى صمتها .. ودوائر المطر الصغيرة على اسفلت الشارع تستحيل الى بركة عميقة ..رهيبة تدعونى إليها .. فاجفل .. «وانا بجوارك فى إحدى دور السينما حبست صرخة كادت تقفز من صدرى كعصفور فزع وانا ارقب قسوة وجه العراب وبروده وهو ينظر مبتسماً الى ضحاياه جثثا ممزقة شوهاء .. احتضنت يدى. انذاك وانت تهمس .. متى ستكبرين تعلمى الا تخافى .» .. بعد لم اتعلم كيف لا اخاف .. آه .. المطر يهمى يا صديقى .. بقايا شتاء .. بقايا مطر .. هنا .. عرفت كيف اخلق الألوان .. انطقها .. كيف اخلق من الشجر شواهد حزن او فرح .. آه .. ما يدرينى من اين ياتى الخوف .. حقيبتى مبللة .. قطعة نقود معدنية .. اضعها مكانها .. ابتاع جريدة المساء .. ما يهمنى من المساء .. ما يهمنى من اخباره .. ودربى قفر .. ينبت القتاد .. المقعد شاغر .. وارفف الكتب قضبان من حديد .. امين المكتبة عجوز اشقر استهلكت الكتب عينيه .. ترى ما ثمن ضوء عينيه .. ما فائدة سنوات عمرى التى نزفتها على هذا المقعد الشاغر .. ما قيمتها وانا بعد لم اتعلم كيف امزق الصمت فى صراخى .. بعد لا اعرف من اين ياتى الخوف .. كتب .. كتب .. عشرات الكتب تخرج السنتها لي .. تسخر منى ((ظهر كل خميس فى مدينتى التى تغفو على ذراع البحر .. انتظر بلهفة وعطش بائع الصحف ياتينى على دراجته محملا باكوام من الصحف والمجلات وبعض الكتب .. ابعثرها .. ابحث عن عزيز مفقود .. لا شىء .. سوى ليلى والذئب .. سندريلا والأقزام السبعة .))

لوحة كبيرة .. عشرات الأوراق ثبتت عليها .. مطلوب مربية .. غرفة للايجار .. مطلوب شقة .. زهور طازجة للبيع .. مطلوب سكرتيرة .. بيانو أثرى للبيع .. اه .. مزقت ورقة من مفكرتى الصغيرة .. الصقتها .. مطلوب من يعرف مسارب الخوف الى نفسى .

عفوك يا صديقى .. فانا متعبة .. والقمر فى مدينتى طفل يرقبنا بفضول كل ليلة .. وانا اريدك فضوليا هذا المساء .. لعلك تدلنى على منبع الخوف فى نفسى .. لم انس موعدى معك .. لكننى ضعيفة هذا المساء .. وعيناك مشعلا انتظار وقوة .. مازلت تعبث بالبرقية المشئومة بين يديك .. ماذا .. ؟ اتنتظر منها أن تلد كلمات أكثر وضوحاً من سطورها .. وجهك شاحب .. احبه هكذا .. ما أقساك .. تقول لا أحد يمنحنى القوة على الصراخ سوى نفسى .. لا أحد يحمينى من ترددى سوى نفسى .. آه .. يا صديقى .. لو كنت أملك ذلك كله ما أتيت إليك لترطب حزني .. ما أغرب عينيك هذه الليلة «متى ستكبرين .. تعلمى ألا تخافى .» كيف يكبر الصغار يا صديقى .. ما أعظم حزنى .. تركت باب منزلك خلفى مفتوحاً .. لعلك تاتى .. تاخذنى إلى صدرك .. وتدعنى ابكي كالصغار حتى يزول خوفى .. لكنك لم تفعل .. المرة الاولى التى تتركنى فيها وحيدة .. تريدنى كبيرة .. كيف يكبر الصغار .. اواصل تشردى .. السماء تمطر .. يصرخ الباب خلفى .. اطوح بحقيبتى النازفة مطراً على الاريكة .. أشعل المدفاة .. ارتمي على الأرض والوسائد الصغيرة مبعثرة عليها .. احتضن إحداها .. وانفجر باكية .. ما اشد وحدتى .. اعود او لا اعود .. وينبت الحزن شوكا فى صدرى ..

كيف يكبر الصغار .. كيف يكبر الصغار .. ؟

امامى حقيبة السفر ... تفتح فمها .. واسعا .. عميقا .. كفوهة بركان .. اقذف بالملابس فى جوفها .. دموعى تهطل .. وخزانة الثياب فاتحة صدرها .. على الرف الثانى .. لا بل الرابع .. بل الأول .. قطعة قماش سوداء .. منزوية .. ممدودة ..الغبار يسكنها .. مددت يدى بحذر .. ما ادرانى ربما تختبىء فيها حشرة .. «تعلمى الا تخافى» .. اه من اين ياتى الخوف .. بحذر مددت يدى .. سحبتها القيت بها ارضا .. عباءتى السوداء .. وضعتها على الرف الأول منذ سنوات .. يوم حضورى لهذه المدينة .. كيف يكبر الصغار يا صديقى .. ما أعظم حزنى .. اعود او لا اعود .. وبقسوة وحدتى القيت بالحقيبة أرضا .. تدفقت الثياب منها جثثا هامدة .. التحفت بالعباءة .. كان الجو بارداً .. تكومت أمام المدفاة .. كان وجهى مبللا .. وكانت النافذة مبللة .. والسماء تنزف .

ام اكثم

أضغاث أحلام

الهجرة وحركة الزمان

من النظريات التى يكاد أن يجمع عليها علماء الفلك ، مع اختلافات فى بعض التفصيلات ، أن أصل الأجرام السماوية ، كتلة من مادة ثقيلة جداً ، أتاها أمر الله منذ بلايين الأعوام ، فانفجرت وتمزقت أشلاء بدداً .. ومن تلك الأشلاء والمزق ، تكونت النجوم بأنواعها والتى منها شمسنا . تلك (الدنيا) التى تبعد عن كوكب الأرض بنحو ثلاثة وتسعين مليون ميل ، ويستغرق ضوؤها زهاء ثمانى دقائق للوصول الينا عبر الفضاء ، بسرعة تزيد على (١٨٦) ألف ميل فى الثانية الواحدة !! وحول النجوم (الشموس) خلق الله الكواكب ، وحول الكواكب أقمارها ... ومن مجموعات النظر الشمسية تكونت ، بأمر الله ، المجرات ، وتبلغ المجرة من الاتساع بحيث أنك لو أرسلت برقية (بسرعة الضوء) من طرف الى طرف لجاءك الرد بعد مائة وخمسين ألف سنة من سنين الأرض ، بالكمال والتمام .. ومن المجرات كان الكون ، الذى لا يدرك أبعاده إلا الله وحده ، اذا علمنا أن ما تحصيه أجهزتنا اليوم يتجاوز مائتى بليون (بالباء المنقوطة من أسفلها) مجموعة شمسية فى المجرة الواحدة ، وان ما نعرفه بأحدث أجهزة الرصد (البصرية واللاسلكية) يزيد اليوم عن بليونى (بالباء أيضاً) مجرة وما خفى لا شك أعظم ، فسبحان من أقسم بمواقع النجوم ... ومن حركة المجرات ، ومعها السدم والمذنبات ، والمنافذ السوداء والمادة المضادة ، وحركة النجوم والكواكب والأقمار ، كان الزمان ، فلا زمان بلا حركة ، ولا معنى للمكان بلا زمان ، فالحركة هى الناموس الخالد فى خلق الله ، الكهيربات الصغيرة الدقيقة فى حركة دائبة سرمدية حول نويات الذرات والذرات فى الجزيئات الكيماوية ، ما عظم منها وما صغر ، فى حركة ، والجينات والكروموزمات فى الخلية الحية تعبر عن الحياة بالحركة ، والأقمار فى حركة حول محاورها وحول كواكبها ، والكواكب فى حركة حول شموسها والمجموعات الشمسية فى حركة حول مراكز مجراتها ، والمجرات فى حركة دائمة ، كل يجرى لأجل مسمى ، بتقدير العزيز العليم ، الذى جعل للحركة نواميس ، وقوانين ، وقواعد ، ومعادلات وتقديرات منضبطة ، لولاها لكانت أى حركة نوعاً من الفوضى والجموح والانفلات ، نحو الاضطراب ، والتصادم ، والفناء ولولا الحركة ، لدب فى الكون الجمود ، والتحجر ، والانغلاق ، ولأصبح تاريخ الانسان على هذه الأرض بلا معنى .. ومن مراقبة (حركة الكواكب والنجوم ، هدى الله الانسان ، عبر القرون ، لمعرفة الثوانى والدقائق والساعات والأيام والشهور والأعوام والقرون ، بعد صراع طويل مرير مع الخرافات ، والأباطيل ، والأوهام ، والجاهليات ، التى بعث الله أنبياءه ورسله ، عليهم جميعاً السلام ، على فترات قدرها بعلمه ، لانتشال الناس منها ، واخراجهم من ظلماتها الى أنوار المعرفة واليقين ... ولئن تساوت وتشابهت ، مقادير الزمان المعبرة عن الحركة فى كل مكونات هذا الكون ، من حيث (الكم) فانها فى تاريخ الانسان تتمايز وتختلف من حيث (الكيف) قرب (يوم) فى تاريخ أمة من الأمم يكون مقداره المعنوى وقدره الكيفى فوق القرون والأحقاب ... ومن تلك الأيام باعتراف كل (العقلاء) من مختلف الملل والنحل ، يوم هجرة الرسول الأعظم من مكة الى المدينة منذ أربعة عشر قرناً خلت ... فبه تعلمت هذه الأمة معنى الحركة فى المكان لتصنع زماناً فى التاريخ تمدن به الناس وترفع لواءها على المعمور من الأرض فى أقل من قرن ثم تظلله بالهداية والمعرفة زهاء قرون ثمانية أو تزيد ، حتى اذا ما نسيت معنى (الحركة) فى الطاقة الفكرية والمكان المادى انصرم القرن الرابع عشر من تاريخها ، وهى فى أسوار الجمود ، لابتعادها عن الناموس المنظم الخالى من (الفوضى والارتجال والدروشة) الذى بنيت عليه (حركة الهجرة) معنوياً وحسياً ، واستكانتها الى الدعة والخمول والاستسلام ، حتى تكالبت عليها حثالات أمم الأرض ، على الرغم من أن تعدادها يصل الى ألف مليون مسلم !!!

فهل سنتخذ من مطلع قرننا هذا الخامس عشر الهجرى ، منطلق عزم جديد (متحرك) نتدارس به ، بعلم صحيح وعقلانية وإيمان صادق (لنهاجر) من واقعنا المرير المحزن ، من الكسل الى النشاط ، ومن التبعية الى الاستقلال الحقيقى ، ومن الجهالات الى العلم ، ومن التنابذ الى الأخوة ، ومن الفرقة المزرية الى الوحدة الشريفة ، ومن الهزل الى الجد ، ومن الكذب على أنفسنا الى الصدق الطاهر معها ، ومن الأنانيات بمختلف صورها وأشكالها ومشتقاتها الى الايثار والتضحية ، ومن مجاملة الظلمة والقتلة واللصوص الى إعلان كلمة الحق بيضاء ناصعة ، وبالجملة نهاجر من كل حال سيئة تخيم علينا الى نقيضها ؟؟ هذا ممكن اذا قررنا أن نصدق مع الله ومع أنفسنا فى العودة الى (محبة) صاحب الهجرة الأعظم الذى عانى ما عاناه وتجشم من المشقة والمتاعب ، وبذل من الجهد والفكر والتخطيط كل ما أفاءه الله عليه ، لكى تصلنا عبر أربعة عشر قرناً ، شهادة ألا إله إلا الله وحده ، له كل الحاكمية فى شتى (حركات) هذا الكون ، لعلنا فى هذه الحقبة من تاريخ الناس ، كل الناس ، أن نعيد (حركة) الهجرة لتأخذ من جديد بيد خلق الله بمختلف أقطارهم وألوانهم ومعتقداتهم ، نحو عالم أفضل يشيع فيه العلم ، والعدل والمحبة ، والسلام ، ويصل فيه الحق لصاحبه أينما كان ، وتقمع فيه كل الضلالات والأوهام وصور الغش والنفاق؟ لعل الله أن يهدينا سواء السبيل ...

درويش مصطفى الفار

صلاح عبد الصبور

جماعة الضحك القديم

مشارف الخمسين

أول من قدمني إلى عالم الضحك العقلي الصافي هو : إبراهيم السروجي

لعلي لم أضحك ضحكة صافية منذ أن وهن الحبل بيني وبين مدينة «الزقازيق» مسقط رأسي ، ومغدى صباي ، فلقد عرفت في حياتي بعدها عديداً من لحظات السعادة وفي ظني أن السعادة بمعناها المأثور من حيث احتوائه على هدوء البال وسكون النفس ، ليست إلا رهينة بلحظة ما تلبث أن تنقضي ، وأن هذه اللحظات السعيدة شأنها مثل لحظات الوحي أو العشق تظل تلمع كالجواهر في ملاءة النفس الكابية ، ولكنها جواهر ما تلبث أن تنطفيء ، ويستحيل على الانسان بعدئذ استرجاعها أو استعادة ذكراها بكل ما كان فيها من نار ونور .

لو غبطت نفسي على شيء لغبطتها على بعض لحظات من السعادة كانت هي عزائي عن زمن مغموم ، ولكني في أيامي الأولى كنت أعرف الضحك الصافي الذي لا نسأل الله بعده خيراً ، ، توجساً لحزن قادم ما يلبث أن يفد ليسترد هدية الزمان ، وندماً على أننا انسقنا نكركر وقد نسينا أن الهم لنا بالمرصاد .

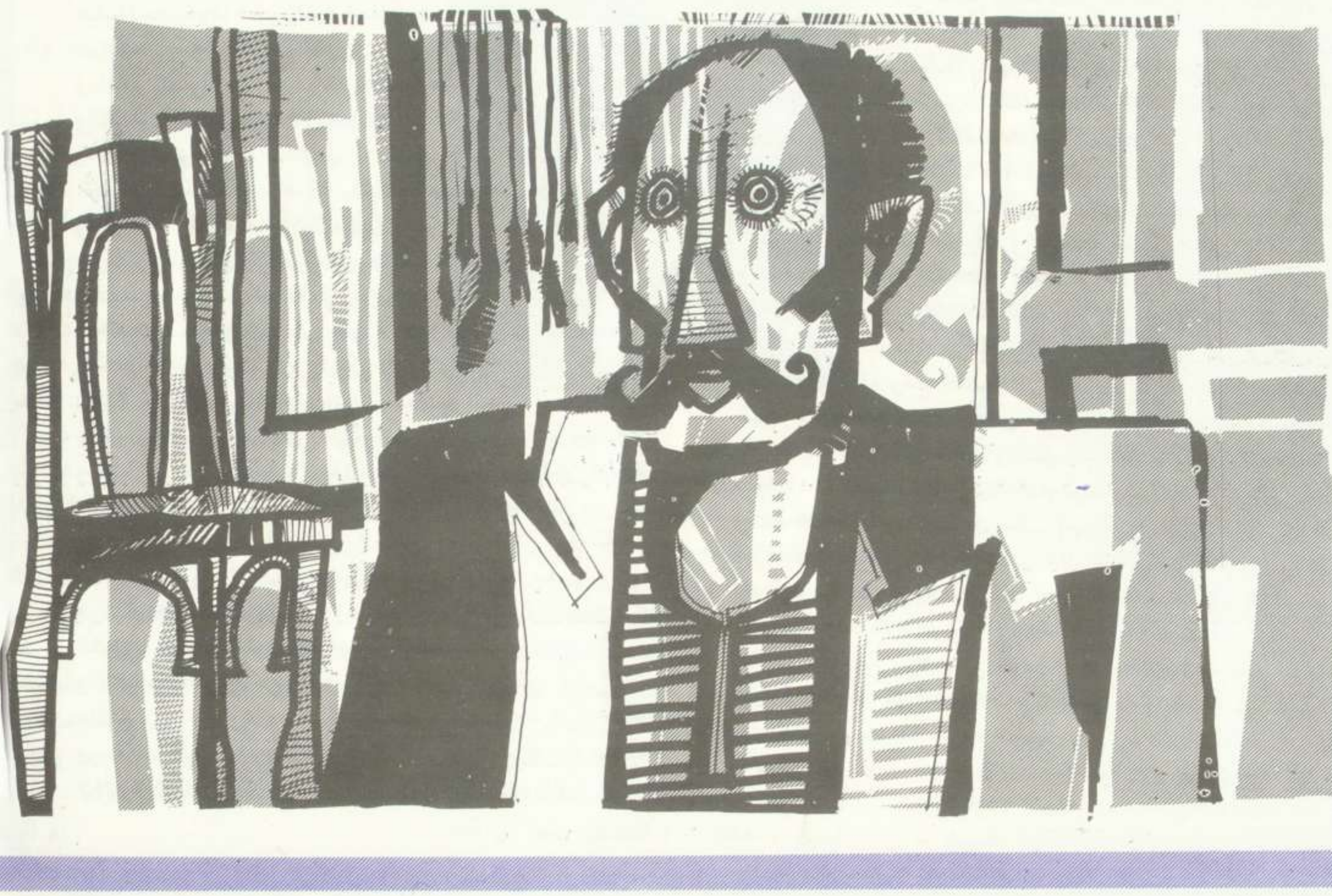

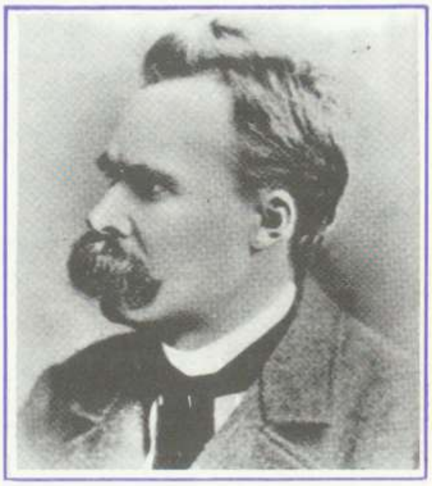

نيتشه

شوبنهاور

مرسى جميل عزيز

ولم يكن هذا الضحك ضحكاً ساذجاً أبله ، بل كان ضحكاً عميقاً ينبع من إدراك مفارقات الوجود والاطلال عليها بالعين الساخرة والقلب الدافىء ، وأنا الآن أذكر صحاب الصبا فينهمر علي من شذاهم عطراً يملأ أرجاء الغرفة ، وقد فصلت بينى وبينهم بيداء لا يسرى بها نجم ولا يشقها ضوء ، بيداء شاطئاها الحياة والموت .

السعى لدكانه

كان أول من قدمنى الى عالم الضحك العقلى الصافى هو ابراهيم السروجى عليه ألف رحمة وسلام ، وربما كان لا يعرف السروجى حق المعرفة إلا أنا ، وعديد من الموتى ، وقليل من الأحياء ، كان ابراهيم السروجى أحد أعلام المدينة ، بخفة ظله ، وحياته التى تختلط هزلها بجدها ، أما نحن فقد عرفناه كما كان ينبغى له أن يعرف .

كنت فى الخامسة عشرة من عمرى وكان مسعاى اليه فى دكانه حيث كان يعمل فى صناعة السروج لحمير سادة الريف وأحصنة عربات الحنطور التى كانت هى «تاكسيات» ذلك الزمان ، وكانت النكتة الأثيرة لابراهيم حين يهل عليه أحدنا هى أن يقول له ..

«قم لأخذ مقاسك وأصنع لك جاكـتة»

كان ابراهيم السروجى لا يعمل فى دكانه إلا ساعة أو بعض ساعة ثم ما يلبث أن يدركه الملل ، فيمد يده الى كتاب مطوى تحت أداة صناعته من الجلد والخيش ، ويقرأ فيه حتى يهل عليه واحد من أتباعه ، وفى دكان ابراهيم السروجى سمعت لأول مرة أسماء نيتشه وشوبنهار وجون ستيورات ميل ، وفى دكان السروجى ، وعلى مائدته فى مقهاه الأثير عرفت أصدقائى .. وأصدقاء الضحك .

أحزان ما بعد اللقاء

ذهبت أول مرة الى دكان السروجى متعالياً ، فأنا طالب فى نهاية المرحلة الثانوية ، ونحن نعلم انه لم يحصل من الشهادات إلا شهادتى الميلاد والتوحيد ولكنى ما لبثت أن فتنت بهذا السقراط الريفى ، ووجدتنى أناديه بيا أستاذ ، وقد كان حريصاً على هذا اللقب لا يدرى أن الزمان سيجعله أهون على الناس من القش والحصى ، وحين توثقت صداقتنا كنت أغيظه بأن أناديه بأوسطى أو معلم (بكسر الميم) ،فكان يغضب ، وينهال على بنكتة يتألق فيها الذكاء والمرح .

كانت كلمة «أستاذ» حين تطلق فى مجتمعنا الضاحك لا تنصرف إلا اليه ، وكان كتابه الذى كتبه فى شبابه الأول عنوانه «ضياء الفجر» على ما أذكر . يتأسى فيه بكتاب نيتشه العظيم «هكذا تكلم زارادشت» ومن السخرية أن ابراهيم حين شرع فى طبعه تخيل أن المصريين بما لديهم من عادة التغريب أو الاستغراب لن يقرأوا إلا لمؤلف أوروبى فطبعه لا تحت اسمه ، بل تحت اسم مستعار هو «جون برانشمل» .

كان ابراهيم قارىء فلسفة ، سبيله اليها ترجمات عبد الرحمن البدوى المبكرة ، وقد جال بذهنه أن يكون «عقاداً» جديداً ، وكان له ما يؤهله لذلك ، فقد كان طويل القامة شان العقاد ، جهر الصوت مثله ، وأظنه سعى يوماً الى العقاد فى بيته ليناقشه نقاش الأستاذ للأستاذ ، ولكن العقاد جبهه بالرد الغليظ ، فعاد الى مدينتنا الصغيرة ،كاتماً ما كان فى هذا اللقاء إلا عن الأصحاب الخلص ، وذلك حين يطول الليل ويحلو السمر وتنكشف النفوس عن مكنونها .

البقعة المهملة

وأنا أشهد الله الآن ، أن عقل ابراهيم كان فى لماحية عقل العقاد ، ولكن العقاد قد وهب التنظيم والصرامة فى القراءة والانتاج ، بينما كانت حياة ابراهيم فوضى تختلط بالفوضى ، كان يمشى وقامته الطويلة تتارجح كشراع مركب تدفعها الريح ، وهو موزع بين الدكان والمقهى وسمر الليل ، لا تحتوى يمينه المال إلا ريثما تحرقه دخاناً أزرق .

ما ذكرت ابراهيم الآن إلا وطافت فى ذهنى أبيات توماس جراى المشهورة فى قصيدته «مرثية فى مقبرة ريفية» .

ربما يرقد فى هذه البقعة المهملة .
قلب تأججت فيه النار السماوية ذات يوم .
أو أياد كانت تستطيع التلويح بصولجان الملك .
أو بعث النشوة فى أوتار القيثارة الحية .
ولكن المعرفة لم تبسط لهم أبداً .
صفحتها العريضة ، الثرية بما غنمت من الزمن .
فالعسر المدقع قد كبت حمية نبلهم .
وجمد مجرى العبقرية فى نفوسهم .

واذكر عندئذ منذ ما يزيد عن عشر سنوات ، حين حدثنى احد أصحاب الضحك تليفونياً فى بيتى بالقاهرة قائلا إن ابراهيم يرقد الآن فى أحد المستشفيات مريضاً بمرض عضال ، وزرته لأجد أن المرض قد التهم حنجرته ، وأسكت صوته وهو أعظم ما فيه ، ثم ما لبث أن مات ابراهيم ، لقد سكت صوته الذى صدح بالحكمة والفكاهة ، فما جدوى النبض إذن ؟

نفس المرض

زرت ابراهيم أول مرة مع صديقى احمد هيكل ... الدكتور احمد هيكل عميد كلية دار العلوم الآن ، أطال الله عمره ، فهو بعض القليل الباقى من الكثير الذاهب ، وقادتنا جلسة القهوة معه لمعرفة مرسى جميل عزيز ، رحمه الله .

كان مرسى عندئذ جملة رجال فى رجل فهو يتجر فى بعض مخلفات الجيش الانجليزى ،وفى الفاكهة ، وعنده هواية تستهلك وقته وبعض ماله وهى التصوير فوتوجرافى ، ثم هو الى ذلك أول من شق منا طريقاً الى القاهرة بأغانيه التى كان يغنيها مطربو ذلك الزمان .

كان مرسى شديد القلق طموحا ، ذكيا ذكاء لايحاول أن يخفيه ، بل هو يستعرضه حين تسنح له الفرصة ، أو يخلقها هو ، ومرت السنوات وأنا أعود الى الزقازيق فى كل أجازة صيف ، وأحيانا فى عطلة نهاية الاسبوع ، فاسمع من مرسى ماكتب من أغان لأعلام المطربين ، واسمعه ما كتبت من شعر سينشر فى مجموعة أو يتفرق فى المجلات الأدبية ،فلا إنا راضٍ عن أغانيه كل الرضا ، ولاهو راض عن شعرى كل الرضا وذكاء مرسى مشحوذ دائما لكى يفتش عما لايعجبه ، وملكته الجدلية ناهضة عنه بما يعوزه من حجة ، ولكننا رغم ذلك نضحك حتى التعب مع رفاق الضحك .

وتمر سنوات أخرى ، وإذا «مرسى» فى القاهرة أكثر مما هو فى الزقازيق فلقد غنت له أم كلثوم كما غنى له كبار المطربين ، واذا مرسى يعود الى الشعر الفصيح بين حين وآخر ، واذا بآرائنا تتقارب ، أو يكون لقاؤنا على الاعجاب أكثر من افتراقنا ،ثم يهجر مرسى القاهرة والزقازيق معا الى الاسكندرية ، ومازلت أذكر ليلة منذ سنوات أربع أو خمس ذهبت فيها الى الاسكندرية لأحاضر فى كلية آدابها ، وفى المساء سعيت الى «مرسى» والتقينا فى أحد مقاهى الشاطىء ، وكان معى المحامى المعروف الذى هو قطعة من تاريخنا ابراهيم طلعت والشاعر السكندرى عبد المنعم الأنصارى ، واقنعنا فى تلك الليلة صاحب المقهى أن يترك لنا المقهى فى اخريات المساء ،ويأتى لاستلامه منا فى أول الصباح .

وأصاب نفس المرض الذى صرع ابراهيم أخى واخاه مرسى ، فى حنجرته وصدره هذه المرة ، وسافر الى امريكا للعلاج ، فعاد وقد استشرى المرض ، ومالبث أن القى تحية الوداع .

لون من العبث

وأحمد مخيمر العظيم النقى النفس ، أحد أبناء مدرسة أبوللو المحلقين ، ما ذكرته إلا ذكرت ثورة الافلاك بالمصائر لقيته أول مرة عام ١٩٤٦ ، وكنت عندئذ طالباً بالثانوى ، وكان هو شاعراً معروفا ، فلقد وفدت الى الزقازيق ثلة من جمعية أدباء العروبة التى كان يرعاها الدسوقى باشا اباظة لكى تلقى شعرا فى حفل لها ،

ميل جوات ستيورات

وكان من بين هؤلاء الوافدين ابراهيم ناجى ومحمود غنيم وطاهر ابو فاشا والعوضى الوكيل واحمد مخيمر .

سرى نبأ هذا الحفل فى أوساطنا نحن الطلاب من سداة الشعر ومحاوليه . ثم قيل لنا ان رعاة الحفل سيختارون طالبا أو طالبين لكى يلقوا بقصائدهم فتقدمنا بقصائدنا ، ثم ما لبث رعاة الحفل أن عدلوا عن ذلك كله ، واختاروا من المدينة قصيدة لأحد مدرسى اللغة العربية بها .

وحضرنا الحفل ، وكان من أجمل مافيه قصيدتا مخيمر وأبو فاشا ، وبعد الحفل سعيت أنا وأحد زملائى الطلاب للقاء مخيمر ، فوجدناه على محطة القطار يستعد للسفر الى القاهرة .

كان فى مخيمر لون من العبث الحبيب فهو اذا سألته عن شىء ما يقول لك ما يخطر فى باله ، وقد حلا له عندئذ حين رأى صبيين غريرين يسألانه بلهجة هى أقرب الى الاجلال أن يعبث بهما ... سألناه عن أولاده فقال لنا لديه خمسة وثلاثين ولداً من تسع نساء ، وعن عمله فى القاهرة فقال لنا إنه طيار مدنى ، وكان وجهه حين يلقى بهذه المعابثات ساكناً نقياً كأنه ينطق بالصدق الصادق وحرنا فى أمره ، فتركناه على رصيف المحطة ، ونحن لا ندرى مقطع الجد فى أمره .

وتمضى ستة وبعض شهور وإذا بمخيمر قعيد مجلسنا فى المقهى وسمرنا الليلى الضاحك بعد ذلك ، واذا بى آلفت عبثه وشاهدت منه فنونا ، تبهج القلب الحزين ، ثم تمضى سنوات أخرى ،

هـــــذا شـــاعر لو أنصـــف الزمـــان لتـــألـــق كالجـــوهـــــرة اليتـــيمة

ويشق كل منا طريقه فاذا انا أعمل فى الصحافة ، لأنتقل منها هابطاً فوق الرءوس الى عمل سياسى فى وزارة الثقافة ، واذا بمخيمر احد معاونى ، هذا الشاعر الفحل الذى يكبرنى بعشرين عاماً ، والذى تقدمت اليه منذ بضع سنوات ضارعاً ان يحدثنى بشىء من امره وشعره .. الم اقل إنها دورة الأفلاك !!

لكم ضحكنا عندئذ ، وكان اشد ضحكنا حين ارى مخيمر يتلطف فى الحديث إلي أمام الزملاء ، ثم ما يلبث ان يعتذر لي عن احترامه اذا خلا لنا المجلس .

وداهم مرض القلب مخيمر ، ومات وهو حول الستين .. سنة قبلها أو بعدها ... لا اذكر ، وبقيت لنا ذكرى لا تموت وشعر سيتالق وميضه يوماً ما حين تعتدل الموازين .

عندما بكيت

اخذت ذات مرة يد صديق عرفته على مقهى الطلبة بالزقازيق وكان يكبرنى بعامين ، وقد اتم دراسته فى معهد موسيقى ، واقام ينتظر تعيينه مدرساً للموسيقى ، اخذته من مقهى الطلبة بعد ان توثقت بيننا صلة الصداقة لأقدمه الى مرسى جميل عزيز فى مقهى جماعة الأدباء الضاحكة .

وهكذا عقدت الصلة بين عبد الحليم شبانة الذى سمى نفسه فيما بعد بعبد الحليم حافظ ، وبين مرسى جميل عزيز ، ولكن مرسى تباطا فى الكتابة لعبد الحليم ، وفى دفعه الى ساحة الشهرة ، ودخل عبد الحليم الغناء معتمداً على كلماتى التى لم اكرر مثلها ، وعلى الحان كمال الطويل ، صيغنا فى ذلك الزمان فى الصعلكة القاهرية .

لا اريد فى هذا المقام ان اتطفل على ذكرى مطرب احبه الملايين ، ونادم الملوك والأمراء ، وتسنم اوج الشهرة ، ولكنى اذكر اننى فوجئت بنعى عبد الحليم وانا فى الهند فلم املك إلا ان ابكى ولم يفد لخاطرى ان العشرين عاماً الأخيرة باعدت بينى وبينه إلا حين نلتقى مصادفة فنتبادل السلام والمجاملة ، ولكن ما وفد لخاطرى كان اننا اتفقنا سنوات ثلاثاً او اربعاً لا نكاد نفترق إلا على موعد ونشق طريقنا فى الحياة جاهدين مجهدين .

الجوهرة اليتيمة

ماذا ذكرنى برفاق الضحك القديم ... لعله الحنين الى زمن لا يستعاد ، ولعله أن احدهم ، واحبهم الى نفسى قد أعطانى ديوانه بالأمس لأقرأ فيه ، وأرى فيه رأياً أو أدفع به الى المطبعة ... حصاد عمر باكمله ، لم ينشر أو يعن بنشر شىء منه .

هذا هو الصديق الحبيب ابراهيم شاهين ، اسم لا يعرفه إلا انا ، وشاعر لو انصف الزمان وانصف هو نفسه من الزمان لتالق كالجوهرة اليتيمة ... سقطت الآن اسنان ابراهيم وتقاعد ... يقول لي احياناً ضاحكاً .

سارثيك رثاء حاراً كما رثيت مرسى ، فاقول له :

يا ابراهيم .. نحن نمشى بالدور والترتيب .. لقد مضى ابراهيم السروجى اكبرنا سناً وتبعه احمد مخيمر الذى يليه فى العمر وتبعه مرسى الذى كان اكبر منك بشهور ثم عليك الدور ، وبينى وبينك عشر سنوات . !!

الم اقل لك اننا جماعة الضحك القديم ... نضحك حتى فى الموت !!

صلاح عبد الصبور

المسلمون وصناعة الورق

كان المسلمون حتى أوائل القرن الثالث للهجرة يكتبون على الورق أو البردى ، وقد روى أن بعض الطروس التى نهبت أثناء الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون محيت الكتابة عنها ، وبيعت ثانية لتستعمل من جديد .

وبعد القرن الثالث أخذ الورق الصينى يرد الى العراق ، الا أن صناعة الورق ما لبثت أن أتقنها أهل البلاد أنفسهم ، ولقد أدخل الأسرى الصينيون الى البلاد الاسلامية سنة ٧٥١م فن صناعة الورق من القنب والكتان والياف الحشائش ، ولعل اسم الورق العربى القديم «كاغد» هو لفظ صيني الأصل جاء عن طريق الفارسية .

ومن سمرقند دخلت هذه الصناعة الى العراق ، وكان أول من أدخل صناعة الورق الى بغداد الفضل بن يحي البرمكى الذى كان عامل خراسان سنة ٧٩٤م ثم قام اخوه جعفر فاستعمل الورق بدل الرقاق فى دواوين الحكومة .

وسلكت مدن أخرى سبيل بغداد فأنشأت مصانع الورق على الأصول المتبعة فى سمرقند ، ونشأ معمل فى تهامة لصنع الورق من الياف الحشائش وكان ورق سمرقند فى زمن المقدسى أفخر مايصنع ، ولكن فى القرن التالى ــ الحادى عشر للميلاد ــ ظهرت انواع من الورق الفاخر كانت تصنعها مدن سورية كطرابلس مثلا .

وقد انتقلت هذه الصناعة فى أواخر القرن التاسع من غربى اسيا الى الدلتا فى مصر ، حيث كان بعض مدنها تصدر البردى الى البلدان اليونانية ويستعمل للكتابة باسم «قراطيس». ولم يأت آخر القرن العاشر حتى حل الورق محل البردى والرقوق فى جميع انحاء العالم الاسلامى .

نظمية حورانى
سوريا

عبد العزيـــز ناصر

اتهامات ظالمة لهذا الفن الجميل!

هؤلاء العلماء المسلمون .. واهتمامهم بالموسيقى

لماذا انحدرت الموسيقى فى زماننا إلى هذا الحد ؟

لكل علم من العلوم سلاح ذو حدين

كانت الموسيقى ، عند علماء المسلمين منذ اكثر من ستة قرون ، علماً من العلوم يجرون عليها أبحاثهم وتتناولها اقلامهم وأفكارهم بالدراسة والتحليل ويعقدون علاقة بينها وبين العلوم الأخرى كعلم الرياضيات والطب وعلم الفلك ، فاذا بها فى القرن العشرين ، وهذا هو مثار دهشتى ، تصبح عاراً على دارسها والمشتغلين بها .

ستة قرون أو تزيد ومع ذلك فنحن مازلنا متخلفين عن القرن السابع للهجرة تخلفاً لا مبرر له سوى جهلنا بحقيقة الأمة الاسلامية ..

ولنلقى نظرة سريعة حول بعض علماء المسلمين الذين تناولوا الموسيقى كعلم فى كتاباتهم وأبحاثهم من القرن السابع الى العاشر الهجرى !

● الخليل بن احمد (٧١٨ ــ ٧٩١ هـ) :

وهو غنى عن التعريف خاصة عند المهتمين بشئون اللغة العربية فهو أول من استخرخ مسائل النحو العربية وأول من وضع علم العروض ، ولقد اهتم فى أبحاثه بالموسيقى فكتب كتابين فيها هما «كتاب النغم» و «كتاب الايقاع» .

● الكندى :

وهو أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندى ولد فى البصرة (٧٩٠ ــ ٨٧٤ هـ) نال حظوة أيام المامون والمعتصم ، وفى عهد المتوكل الذى اتسم بطابع العودة الى التمسك بمظاهر الدين وتطبيق الشريعة وحدودها . لقب بفيلسوف العرب لأنه أعار اهتماماً كبيراً لمباحث الظواهر الطبيعية ، ومن بين كتبه فى الموسيقى :

– كتاب رسالة الخبر فى التاليف .
– وكتاب رسالة فى المدخل الى صناعة الموسيقى .
– ورسالة فى ترتيب النغم .
– ورسالة فى الايقاع
– ومختصر الموسيقى فى تاليف النغم وصناعة العود

● الفارابى :

– وهو أبو نصر بن طرخان (٨٧٠ – ٩٥٠ هـ) .

ولد بفاراب من أعمال تركستان ــ أجاد العزف على آلة العود وكان له أكبر الأثر على الحضارة الأوروبية وسمي فى الغرب الفارابيوس ، وقد كتب الفارابى فى المنطق وفى الأخلاق وفى السياسة وفى الرياضيات والكيمياء والفلسفة وكذلك الموسيقى .. ومن كتبه فى الموسيقى : «الموسيقي الكبير» و «كلام فى الموسيقى» و «كتاب فى احصاء الايقاع» .

● الرازى :

– وهو أبو بكر محمد بن زكريا الرازى (توفى سنة ٩٢٣ هـ) .

درس العلوم ــ وكان يعزف على العود فى صباه ، أصبح كبيراً لأطباء مارستان ــ بغداد ، وتعتبر كتبه فى الطب مرجعاً لأطباء أوروبا لقرون عدة ... ينسب اليه كتاب فى جمل الموسيقى .

● ابن الهيثم : وهو أبو العلي الحسن ابن الهيثم (٩٦٥ ــ ١٠٣٩ هـ) ولد فى البصرة وهو من ألمع الرياضيين والأطباء ومن كتبه فى الموسيقى : «رسالة فى تاثيرات اللحوية الموسيقية فى النفوس الحيوانية» .

● ابن سينا :

– وهو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٩٨٠ ــ ١٠٣٧ هـ) ولد فى افشنا قرب بخارى نبغ فى الطب فالف كتابه الشهير «القانون فى الطب» ويعتبر هذا الكتاب مرجعاً لكل العالم المتمدين . كان مطرباً فى صباه . ومن كتبه «الشفاء» ويحتوى على فصل فى علم الموسيقى ، وكذلك كتاب «النجاة» الذى أشار فى مقدمته عن وجود قسم خاص بالموسيقى داخله .. ورغم ذلك اتضح انه غير موجود فى داخل الكتاب ، ونجده مخطوطاً قائماً بذاته فى رسالتين بالمكتبة البودلية .

ويقول ابن أصيبعه بأن لابن سينا أيضاً كتاب فى الموسيقى بعنوان «المدخل الى صناعة الموسيقى» .

هذه نظرة سريعة على بعض علماء المسلمين فى القرن السابع الهجرى الى العاشر الهجرى الذين أولوا الموسيقى اهتماماً بالغاً فى دراساتهم وأبحاثهم وتناولوها كعلم من العلوم بعيداً عن نظرة البعض اليوم للموسيقى على انها مفسدة للأخلاق والقيم .

فما الذى حدث فى عجلة الزمن لتعود بنا الى ما وراء القرن الأول للهجرة حينما كان الناس فى العصر الجاهلى يتخذون من الموسيقى وسيلة للهو والترفيه فقط لا وسيلة للتعبير والتهذيب والتأثير والتغيير ، ومهما التمست العذر للعلماء اليوم كان أقول أن سبب الانحدار هذا يرجع الى المهتمين بشئون الموسيقى والقائمين عليها الذين استخدموها فى غير موضعها وأهانوها بعد أن كانت كريمة ، وفى هذا الكثير من الصح ، أقول مهما كانت الأسباب إلا انها لا تبيح للبعض لعن الموسيقى وإبعادها عن العلوم الأخرى فى التناول والبحث واعتبارها عاهرة تستحق الرجم والقتل .. مع أن لكل علم من العلوم سلاحاً ذا حدين ، سوء استخدام علم الطب من قبل بعض الأطباء فى الاضرار بالناس مثلا لا يبيح لنا منع الناس من تعلم الطب ولا يجعلنا نصب جميع اللعنات على هذا العلم .. بل الأولى بنا أن ننقذ هذا العلم مما بلي به على يد بعض مستخدميه ..

وهنا تبرز أهمية إدخال مادة التربية الموسيقية فى المراحل الدراسية حيث التوجه السليم لطريقة استخدام هذا السلاح الخطير وحيث الارشاد والموعظة والعلم .

● وتزداد دهشتى حينما أجد التردد من رجال العلم والمعرفة ، ونحن فى القرن العشرين ، فى ادخال مادة التربية الموسيقية كمادة دراسية فى المراحل الدراسية العامة .. إذاً لقد ساهم الرجال القائمون على شئون التعليم فى فصل الموسيقى عن بقية العلوم مما ساعد على ظهور الموسيقى بصورة غير مشرفة استغلها المنتفعون بجذب النفوس الانسانية ، الضعيفة والمتعطشة لهذا الفن الجميل الى أماكن الرذيلة ليتعلم الموسيقى هناك من يريد وحيث يقضى الانسان وقته ويقضى على حياته بين الكأس وموائد القمار وما الى ذلك من امور الفساد .

إن من يضع مسئولية استخدام هذا السلاح الخطير فى الشر على عاتق الفنانين الموسيقيين وحدهم مخطىء كالذى يلقى بالمسئولية على عاتق وزارة واحدة دون بقية الوزارات ...

إنها فى اعتقادى مسئولية مشتركة ولا يمكن اصلاح حال الموسيقى إلا عن طريق أن يتحمل كل مسئول تبعات مسئوليته كاملة . إن التشكك فى أهمية مادة التربية الموسيقية فى المراحل الدراسية والتشكيك فى أمرها ، خطأ نرتكبه فى حق اجيال لا تعلم الآن عن الموسيقى إلا انها أداة للتسلية والترفيه ناهيك عما يتصوره البعض بانها فى عداد المحرمات ..

أقول هذه الكلمات ومازالت فى ذهنى صورة للفارابى وابن سينا والرازى والكندى وابن الهيثم والخليل بن احمد وغيرهم من الذين الذين آمنوا بالموسيقى كعلم له ارتباط وثيق بالعلوم الاخرى كعلم الرياضيات والطب الخ ... وبحثوا فى تأثيرها على النفوس وقدرتها على التعبير عما يعجز اللسان التعبير عنه ، وما لها من قدرة على تهذيب الوجدان والارتقاء به نحو السمو الانسانى وشعروا واحسوا بسيطرة النغم والايقاع على حياة الانسان وعلى الكون كله فانبهروا بابداع المبدع .. فاذا بهم ينقادون الى عالم فسيح له أسراره الغريبة وتأثيره السحرى العجيب .. الى عالم الجمال الذى يدعو الى التأمل والتفكر والتدبر فلم يجدوا انفسهم إلا وتردد :

سبحان الله ، سبحان الله .

عبد العزيز ناصر

اللورد مونتباتن
يتذكــر أحداث السويس .. ولكن !

إعداد : بشير محمد صالح

اخفاء الحقائق عن الشعوب وفرض الرقابة بغرض إعطاء صورة وردية زاهية تخفى وراءها الحقائق المرة واستغلال اجهزة الاعلام لاخفاء الحقائق لا لنشرها ، ممارسات عرفت فيها انظمة الحكم فى اغلب بلدان العالم الثالث مستغلة مختلف الشعارات ولكن الشيء الذى لا يعرفه الناس كلهم ان الديموقراطيات الغربية لا تستنكف من اللجوء الى هذا الأسلوب اذا ما تعلق الأمر بالعالم الثالث او خدم مصالح بعض جهات الضغط وبخاصة اجهزة الضغط الصهيونى .

ولعل أبرز مثال لذلك ما كشف عنه النقاب كاتب صحيفة التايمز المعروف برنارد ليفن «كاتب يهودى» فى تعليقه على المسلسل الأسبوعى الذى يعرضه هذه الأيام تلفزيون هيئة الاذاعة البريطانية بعنوان «مونتباتن يتذكر» وهو برنامج يحكى سيرة حياته كما سجلها عنه المستر جون ترين بعد أن جلس اليه الساعات الطوال، ثم أعاد تركيبها وصياغتها فى فيلم وثائقى مقسم الى حلقات يمثل دور الراوية فيه المستر لودفيك كندى .

وكان اللورد مونتباتن قد اشترط ألا تعرض مادة الفيلم على الجمهور إلا بعد وفاته، ربما لأنه احس انه كان صريحاً غاية الصراحة وهو يروى الأحداث ويعلق على الشخصيات ، وما كان يريد وهو الرجل المهذب أن تتسبب بعض تعليقاته فى حرج من عرف من السياسيين والزملاء من الضباط ، أو أن

ما حذف من الفيلم هو الجزء الخاص بالعدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلى الفاشل على قناة السويس وفيه معارضة اللورد لهذا الاعتداء

تعتبر قدحا فى ذاتهم أوإساءة فى حقهم.

ولقد بدأ عرض الحلقة الأولى من الفيلم فى الأسبوع الأخير من شهر اكتوبر الماضى . وبالرغم من إصرار اللورد مونتباتن على منتجى الفيلم على الا تطمس الحقائق باية حجة وتبرير كما تقول مجلة «راديو تايمز» إلا أن هذه الرغبة لم تحقق له بكل اسف . وقد حاول منتجو الفيلم أن يظهروا للصحافة واجهزة الاعلام ان خمسة برامج فقط مدة كل واحد منها ثلاثون دقيقة هو كل ما امكن استخلاصه من المادة المتوفرة لديهم وليس هذا صحيحا ، بل إن هنالك فى الواقع ستة برامج اعدت فعلا ولكن رؤي طمس واحد منها ،. وعندما اتضحت هذه الحقيقة اخذ المشرفون على الفيلم يبدون اسبابا واهية ومتناقضة .

فقد ذكر المستر كندى لمجلة «المستمع» أن سبب إلغاء الحلقة يعود الى اعتراض مجلس الوزراء بسبب الاشارة الى بعض الشخصيات السياسية . وكان أصحاب الفيلم قد قبلوا شرطا مسبقا من هيئة أمناء «محفوظات برودلاندز» بألا يتم عرض الفيلم إلا بعد موافقة مجلس الوزراء . ولفائدة القارىء العربى لابد أن نوضح هنا أن الجزء الذى حذف هو المتعلق بالاعتداء البريطانى الفرنسى الاسرائيلى الفاشل على قناة السويس فى سنة ١٩٥٦ وفيه يتحدث اللورد منتباتن وقد كان شديد المعارضة لهذا الاعتداء ..

يتحدث عن سلوك بعض السياسيين والعسكريين تجاه تلك العملية الاجرامية . والغريب فى الأمر أن السيد روبرت ارمسترونج سكرتير مجلس الوزراء الذى طلب تاجيل عرض هذا الجزء قد أعطى سببا غير منطقى وغير معقول،فقد احتج بان الموقف فى العالم العربى حرج جداً وهى حجة مرفوضة لأن اللورد مونتباتن فى البرنامج المرفوض قد سجل معارضته الشديدة لحملة السويس التآمرية الفاشلة وهو أمر يسر العرب ولا يغضبهم .

وعندما وضحت تفاهة هذا الاعتراض جاء السير روبرت باعتراض آخر مؤداه أن تعليقات اللورد مونتباتن فى هذا البرنامج تعتبر من قبيل «خرق العلاقات السرية» معتمداً فى ذلك على التقرير الذى أعده مجلس شورى الملك حول السيرة الذاتية للشخصيات الوزارية . وهى حجة مرفوضة أيضا لأن كل الاشارات الشخصية التى اعترض عليها السير روبرت قد ألغيت فعلا . ومن ناحية اخرى فان التقرير المشار اليه يسقط الحذر من تناول سيرة الأفراد الأحياء بتقادم الزمن وقد حدد لذلك خمسة عشر عاما . وقد كانت تعليقات مونتباتن تنصب فى الغالب على مستر ايدن وكلاهما ـ مونتباتن وإيدن ـ قد توفيا . اما تعليقاته عن ماكميلان وهيلشام فقد اسقط معظمها . وعليه تسقط كل الأسباب التى اعتمد عليها ممثل مجلس الوزراء فى رفض عرض هذا الجزء الهام من الفيلم .

● ●

وربما كان على هيئة الاذاعة البريطانية أن ترفض عرض الفيلم كله اذا استثنى منه هذا الجزء ، لكن هذا القرار كان عسيراً عليها بعد أن صرفت على الفيلم مبالغ طائلة فى وقت تعانى منه ضائقة مالية .

وقد أورد الكاتب برنارد ليفن فى تعليقه الرائع على هذا الموقف بعض الفقرات المأخوذة من الجزء المحذوف من الفيلم .

يقول اللورد مونتباتن عن إيدن :

«لقد انتظر المسكين سنوات وسنوات لكى يخلف الرجل العجوز ونستون تشرشل ولكن الرجل ظل متشبثا بالحياة. ولقد أصابته هذه الرغبة المحمومة بالهوس ، حتى لقد تغير الرجل فى اخلاقه فاصبح حاد المزاج ميالا الى العنف والسطوة وفرض آرائه بصورة مخيفة لزملائه .»

وفى موضع آخر يحكى مونتباتن قصة الاجتماع الذى عقد فى مقر مجلس الوزراء فى داوننج ستريت فى ليلة السادس والعشرين من يوليو عام ١٩٥٦ حيث استدعى إيدن الوزراء ورؤساء الأركان ليحدثهم فى عصبية وانفعال عن تاميم عبد الناصر للقنال ...

يروى مونتباتن :

لقد قال إيدن : هذه هى النهاية ! لا استطيع ان اتحمل اكثر من ذلك، اذا استمر على هذه الوتيرة فسيكون فى وضع يمكنه من تهديدنا وابتزازنا ، يستطيع ان يرفع رسوم عبور القناة ويديرها بصورة رديئة للغاية تؤدى بتجارتنا الى الاختناق الشديد .. وهذا وضع يستحيل قبوله . إن الموقف يتطلب منا عملا حاسما وقويا .. أريد أن استولى على القنال بالقوة واعيده كما كان تحت سيطرتنا .»

وفى ذلك الاجتماع تمت مناقشة الجوانب العسكرية للحملة المزمعة ويواصل اللورد مونتباتن سرد الحكاية :

«اذكر ان احد المستشارين القانونيين للدولة قد واجه إيدن معترضا بقوله : «يا رئيس الوزراء : انت تعلم بان عبد الناصر لم يرتكب اى عمل غير شرعى بتاميمه للقنال» . فكان رد إيدن «انا لا يهمنى اذا كان عمله شرعيا أم لا . لن اسمح له بتاميم القنال ولابد من معاقبته على هذه الفعلة .»

ويصف مونتباتن كيف أن إيدن قد تحول الى انسان شرس جداً مصدراً اوامره لرؤساء الأركان ليواصلوا إجتماعاتهم طول الليل لوضع خطة عسكرية للاستيلاء على قناة السويس . وقد حدد الساعة الحادية عشرة من اليوم التالى لمواصلة النقاش . ويحدثنا مونتباتن كيف انه التقى باللورد هيلشام فى اليوم الثالث من سبتمبر وكان الأخير قد اصبح لتوه اللورد الأول للبحرية . يقول مونتباتن :

«لقد كان مونكتون قد حذرنى من قبل

اللورد مونتباتن

يتذكر أحداث السويس .. ولكن ؟

بأن اللورد هيلشام من أولئك الصقور المتطرفين الداعين لاستعمال العنف وتنبأ بأنني ساجد عنتاً فى التعامل معه . ولكنني بعد أن تعرفت عليه وجدت على النقيض من ذلك انه من الرجال الذين يسهل التعامل معهم . وقد قلت له فى ذلك اللقاء هل تعلم ما تنطوى عليه هذه الخطة ؟ الا تعلم بأن سلاح البحرية سوف يستخدم لضرب الأبرياء من النساء والأطفال وسفك دمائهم فى عملية خاسرة ؟ اهذا شىء تستهل به عملك كرئيس للبحرية ؟» وقد ازعجه كلامى هذا واصبح يتمتم فى قلق وذهول :

«يا إلهى .. يا إلهى لم اكن ادرك اننا وضعنا انفسنا فى هذا الوضع» .

ويذكر مونتباتن كيف انه وضح فى الاجتماع المشترك مع رئيس الوزراء «أن النزول على الأرض سيتم فى أرض آهلة بالمبانى والسكان وانه لكى يتم ذلك فى سلام لحماية المهاجمين لابد أن يسبقه قصف مسبق مركز بواسطة مدفعية السفن الثقيلة التى ستنفجر بحكم مداها وسط المدينة . فكروا فى الفوضى والدمار الذى سوف تحدثه هذه القذائف القوية المندفعة من مدفعية السفن والبوارج الفرنسية ، فكروا فى الضحايا والمآسى . سوف يلتقط المصريون صور ضحاياهم وينشرونها فى العالم كله دليلا باننا سفاكون وقتلة للأطفال والنساء . انها فكرة بشعة » .

• •

ويصف اللورد مونتباتن لقاءه بلورد مونكتون الذى كان وزيراً للدفاع :

«تحدثنا وحثثته على الاستقالة وتوضيح موقفه للأمة . وقد ذهب بعد ذلك وقابل رئيس الوزراء وقدم استقالته ثم عاد واخبرنى بذلك . فسألته إذا كان سيتحدث الى الشعب موضحاً أسباب استقالته فقال : «لا أستطيع لأنه أجبرنى على قبول منصب المراقب العام للمالية» فقلت له «لماذا قبلت بحق السماء ؟» فقال :

«إنه لا يريدنى أن أترك الوزارة ، لقد أخبرنى باننى اذا استقلت الآن فسوف تتصدع الحكومة وتسقط .. إنها حكومة صالحة فيما عدا هذا العبث الذى يدور الآن . وانا لا أرغب في أن أكون السبب فى انهيارها . اننى أشعر أننى ببقائى فى الحكومة استطيع كبح جماح الرؤوس الساخنة» . فقلت له «أى رؤوس ساخنة وانت تعلم تماماً انه ما من رأس ساخن مثل رئيس الوزراء نفسه ولن تستطيع إيقافه إلا اذا توجهت الى الأمة ووضحت موقفك بصراحة ووضوح» ، فرد عليَّ بقوله : «لقد قررت وانتهيت، ولقد كان الاختيار صعباً بما فيه الكفاية ، فلا تجعله أكثر صعوبة» .

ويكشف اللورد مونتباتن عن قصة خطاب هام وصله من الأدميرال بور الذى كان مرؤوسه حين كان مونتباتن قائداً لقوات البحر الأبيض المتوسط . يقول مونتباتن : لقد كان واحداً من أعظم ضباط الغواصات شهامة وجسارة . إنه رجل شجاع بمعنى الكلمة، ومحارب عظيم، وقد كتب فى رسالته : «لقد دُرب ملاحونا للحرب وليس للقتل الجماعى العشوائى . إنهم بالطبع سوف يمتثلون للأوامر ويقومون بما يطلب منهم مهما كان ذلك بغيضاً الى انفسهم . لكنى أود أن أقرر بقوة ووضوح بأننى لا اعتقد انه من الصواب أو العدل أن يُستغلوا بهذه الطريقة التى لن تجلب لهم سوى كراهية شعبنا واحتقار العالم بأسره .

• •

تتابعت الأحداث بعد ذلك بسرعة فائقة . وحيكت المؤامرة بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل واصبح قرار غزو السويس نافذاً بعد أسابيع قليلة . حينئذ بدا لمونتباتن أن الوقت قد حان لمواجهة ايدن بصراحة :

«قلت له : ما هى الحكمة فى الشروع فى عمل لن تستطيع اكماله ؟ اننى أشير لما تفعله الآن بالتضامن مع اسرائيل . أن العالم كله سيعرف الحقيقة ويدرك التآمر . إن العالم كله يشاهدك وأنت تجمع الأساطيل وتستعد للغزو باعداد قوة حربية عظيمة، ولن يصدقك حين تاتى بعد أيام حين يهجم الاسرائيليون لتدعى بانك إنما تدخل لفصل المتحاربين . إنها خدعة لن تنطلى على أحد . فارجوك اكراماً لنفسك وللوطن أن تكف عن هذه الخطة المحكوم عليها بالفشل» .

وحين انتهيت شكرنى إيدن بحرارة وقال إنه سعيد أن يكون له صديق ناصح مثلى يبدى وجهة نظره بصراحة .

● لماذا تتابعت الاحداث بسرعة فائقة ، حيث حيكت المؤامرة بين بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ليصبح قرار غزو السويس نافذاً بعد أسبوع ؟

ومع ذلك تمت العملية العسكرية كما هو معروف،وانفجر العالم محتجاً على الدول المتآمرة ، وأوقف الغزو بطريقة مهينة . وهنا يتساءل اللورد مونتباتن ما اذا كان الضغط الأمريكى ، أو احتجاج الأمم المتحدة أو انهيار الجنيه الاسترلينى هو الذى كبح جماح إيدن ؟ ويخلص مونتباتن الى أن إنهيار الجنيه الاسترلينى هو العامل الفعال فى إيقاف الغزو .

ويصف لنا الحوار الذى دار بينه وبين ماكميلان فى الحفل الدبلوماسى السنوى للملكة :

ماكميلان : هل صحيح أنهم سدوا القناة ؟

مونتباتن : نعم هذا صحيح .

ماكميلان : يا إلهى إنه أمر فظيع . كيف يفعلون شيئاً كهذا ؟ إننا لن نتحمل أن تظل القناة مغلقة فى وجه تجارتنا ... ولماذا لم يخبرونى بذلك ؟

مونتباتن : لماذا لم يخبروك ؟ منذ الثلاثين من يوليو وقد بح صوتى وأنا اتحدث فى كل مناسبة ممكنة بأن هذا بالضبط ما سيفعلونه فلا يمكن أن تتظاهر بأنك لا تعلم .

ماكميلان : ولماذا لم تتخذ اية خطوات ؟

مونتباتن : لم يطلب إلىّ إتخاذ اية خطوات ، ولكن اتخذتها بنفسى،فقد قمت منذ أن رايتكم سادرين فى تنفيذ العملية بوضع موارد الانقاذ فى البحرية فى حالة استعداد . وهم جاهزون الآن للابحار فى البحر الأبيض المتوسط ومستعدون لفتح القناة .

ماكميلان : آه .. شكراً لله !

مونتباتن : لا تقلق بالك ! إنهم لن يسمحوا لنا بدخول القناة .

ماكميلان : ماذا تقصد ؟

مونتباتن : إن الأمم المتحدة لن تسمح لنا بدخول القناة بحجة تنظيفها خاصة وقد تسببنا نحن فى ذلك . إنهم سيصرون على القيام بذلك بأنفسهم وهذا سيعطل الأمور .

حادث إخفاء هذا الجزء الهام من الفيلم يؤكد أن قدرة بعض الجهات على إخفاء الحقائق لا حدود لها !

ماكميلان : إننا لن نستطيع تحمل أى تعطيل ولا يمكن أن تظل القناة مغلقة .

مونتباتن : كان عليكم أن تفكروا فى ذلك قبل أن تقدموا على خطتكم . لقد كنت أنت بالذات من الأوائل الذين علموا بالخطة منذ البداية وساندت رئيس الوزراء . ولهذا فانت مذنب مثله . لقد جلبتم هذه المصيبة على انفسكم ولا دخل لرؤساء الأركان بها .

وفيما يتعلق بحقيقة التآمر بين الدول الثلاث المشتركة فى الغزو والتى لا تحتاج الى برهان ، يورد مونتباتن حادثة تؤكدها . يقول :

فى اليوم السابع من شهر يناير عام ١٩٥٧ طلب منى الجنرال كيجتلى أن اطلع على التقرير الذى قدمه الأدميرال ونفورد سليتر . وقد لاحظت أن التواريخ التى أمر فيها بالتحرك متقدمة على التاريخ الذى كان من المفروض أن تقوم فيه اسرائيل بهجومها مما يؤكد حقيقة التآمر . لهذا فقد حملت هذه الصفحات لرئيس البحرية لورد سلكرك وطلبت منه توجيهاً سياسياً بما يجب عمله تجاهها . وبعد التشاور مع زملائه قال لي إن هذه الصفحات يجب أن تعاد صياغتها بحيث تخفى وجود تآمر وأن يحرق الأصل . وهذا ما فعلناه .

وبعد : إن حادث إخفاء هذا الجزء الهام من الفيلم يؤكد حقيقة خطيرة للغاية وهى أن قدرة بعض الجهات على اخفاء الحقائق هى قدرة لا حدود لها . فالشخص المعنى ليس رجلا سهلا عادياً من عامة الناس يمكن الوقوف بينه وبين الحقيقة،ولكنه كان من أميز الموظفين والقادة العسكريين الذين انجبتهم بريطانيا.والى جانب إنتمائه الى الأسرة الحاكمة البريطانية ، فقد كان رجلا محبوباً لدى عامة الناس . ومع ذلك تملك قوى الضغط فى بريطانيا قوة حجر آرائه فى أخطر أحداث عصره . واذا كان الأمر كذلك فاية حماية للرجل العادى الذى يقال إن الدولة تتحدث باسمه وتوجد من أجله ؟!   إعداد : بشير محمد صالح

الأمة
Al Ummah

إسلامية
شهرية
جامعة

صدر العدد الأول
في غرة المحرم
١٤٠١
مطلع القرن
الخامس عشر
الهجري

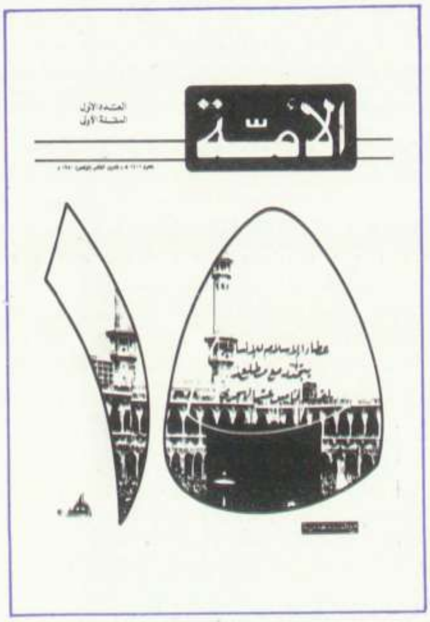

إقرأها
في مطلع
كل شهر عربي

- مجلة المسلمين في جميع أنحاء العالم
- قراءة إسلامية للمشكلات الحضارية والثقافية المعاصرة
- تحقيقات عِلميَّة ، واستطلاعات مصوّرة
- رصد مظاهِر النشاط الإسلامي في العالم
- كشف الحركات المعادية ، والنشاطات التنصيرية
- إلقاء الأضواء على أهداف اليهوديّة ومخططاتها
- إلى جانب العديد من الأبواب الثابتة التي تتناول قضايا الشباب والمرأة ، وشؤون المسلمين ، والقصص الهادفة.

عاصرت حربين ..
وتزوجت مرتين ..
واختفت بطريقة بوليسية

أجاثا كريستى
السيدة الأولى للجريمة

جمال الكنانى

فى أعقاب الاضراب العام الذى اجتاح انجلترا ، ظهر فى يوم ٢٧ مايو ١٩٢٦ كتاب لأجاثا كريستى بعنوان «مقتل روجر آكرويد» هللت له الصحف وكبرت وأشاد به النقاد ، وأطلق الناس على صاحبته لقب «ملكة الجريمة» أو «السيدة الأولى للجريمة» ... وكان فى الغموض الذى لفت فيه هذه القصة والمهارة التى تمكن بها رجل البوليس السرى «هركيل بوارو» من حل ألغازها ما أمتع القراء والنقاد وأهل الأدب جميعاً ، لأن أجاثا كريستى تمكنت من وضع «الغموض» فى أكفان سوداء فزاد الغموض أثراً وإبهاماً وزادت الألغاز تعقيداً .

وفى هذه الموجة الكاسحة اختفت أجاثا كريستى ، فاذا بربة الغموض تصبح موضوع الغموض ومادته ، واذا بصاحبة الألغاز تصبح هى اللغز الذى حير الشرطة وشغل الصحافة

كان الكولونيل كريستى ، زوج أجاثا الأول ، قد اتخذ لنفسه خليلة ، وقرر أن يقضى معها عطلة نهاية أسبوع .. وضاقت أجاثا صدراً وبرمت بهذا الموقف فركبت سيارتها وتركت دارها .. ولاكت الألسن موضوع اختفائها واكتنفه الغموض لما عثر بعضهم على سيارتها مقلوبة فى مكان مهجور .. وأعلنت الصحف عن جائزة ١٠٠ جنيه لمن يعثر عليها وعرض زوجها ٥٠٠ جنيه لمن يدل على مكانها ... وبدأ العرافون ينشرون على الناس نبوءاتهم عنها وأدلى أحد الصيادلة للبوليس بأقواله مؤكداً أن أجاثا كثيراً ما ناقشته فى موضوع السموم ووسائل الانتحار وطرقه وانتهى الأمر بأن صرح الكولونيل كريستى للبوليس بأن زوجته كثيراً ما أكدت له أنها اذا قررت أن تختفى فان الشرطة تعجز تماماً عن العثور عليها .

وانتهت القصة وهدأت العاصفة فجاة بأن أعلن موظفو أحد الفنادق أن أجاثا كريستى واحدة من نزلاء فندقهم ، تنشد الهدوء والراحة ، فلا اختفاء ولا غموض ... الصحف هى التى هولت وجسمت الموضوع وأثارت زوبعة فى فنجان فضللت الشرطة .. فاستحالت الحبة الى قبة ..

أجاثا كريستى

واخذ دعاة السوء والحاقدون ينادون بأن أجاثا لجات الى الاختفاء كحيلة ووسيلة للدعاية عن كتبها ولو علموا أن العدد الذى بيع من كتب أجاثا يزيد عما بيع من كتب أى مؤلف آخر فيما عدا شكسبير والكتاب المقدس ، ولو علموا أن مؤلفاتها ترجمت الى عدد من اللغات يزيد عما ترجمت اليه أعمال شكسبير ، لما تطاولوا على ربة الجريمة بمثل هذا اللغو .

حياة عامرة بالاثارة

يقال عادة إن كتاب المؤلفات المثيرة قل أن ينعموا بحياة مثيرة .. ولكن يصعب تطبيق هذا القول على كاتبة مثل أجاثا كريستى ، عاشت خمسة وثمانين عاماً ، تخللها حربان عالميتان ، وزيجتان ورحلات الى أقطار الشرق الأوسط وصحاريها .. وحملات تنقيب عن الآثار .. مثل هذه الحياة لابد لها من نصيب من المآسى والكوميديا والرومانس .

ولدت أجاثامارى كلاريسا ميللر ، التى نعرفها باسم أجاثا كريستى ، فى ١٥ سبتمبر ١٨٩٠ ، بالقرب من مدينة «توركى» بمقاطعة ديفون ، فى جنوب انجلترا ، لأب أمريكى موسر وأم انجليزية مثقفة قامت على أمر تعليم ابنتها أجاثا ، يساعدها فى ذلك عدد من المربيات ومعلمة موسيقى ... فشبت أجاثا مرهفة الحس فى جو يشجع على القراءة والبحث ثم الكتابة ...

ولم يقبل الناشرون على كتب أجاثا كريستى أول الأمر ، وبعد أربع سنوات

أجاثا كريستى

وستة من الناشرين ، ظهرت في ١٩٢٠ أولى رؤاياتها البوليسية بعنوان «مشكلة غامضة فى ستايلز» .. ولقيت القصة عند القراء قبولا ولم يتردد الناس فى شرائها .. واحمرت وجوه ستة من الناشرين وعضوا أصابع الندم لأن صيدا ثميناً مثل أجاثا أفلت من فخاخهم .

تطوعت أجاثا كريستى أثناء الحرب الكونية الأولى للعمل كممرضة فى أحد المراكز الطبية وعيادة من عيّادات الصليب الأحمر وفيها درست وعرفت الكثير عن استعمالات السموم وآثارها واهتمت فى تلك الفترة كذلك بدراسة النواحى النفسية من الطبيعة البشرية والدوافع الى الجريمة ونفسية الاجرام والمجرمين .

قوة خارقة على الملاحظة

وتقول أجاثا فى معرض الحديث عن عملها إن أفكار المشاكل التى تنسج منها عقد رواياتها تطوف بخاطرها عادة وهى تقرش التفاح أثناء الاستحمام .. على أن المنبع الأصلى لهذه الأفكار هو ما تملك الكاتبة من قوة خارقة على الملاحظة تبلغ من الحدة درجة غير عادية .

عقد روايات أجاثا . أساسها فى أغلب الأحيان ، حقيقة أو مناسبة بسيطة ، تتولى هى تطويرها ولفها فى نسيج من الغموض ... فعقدة أولى رواياتها «ستايلز» مثلا تقوم على فكرة أن القانون البريطانى يقضى بأنه اذا حكمت المحكمة بعدم إدانة متهم بارتكاب جريمة معينة ، فانه لا تجوز محاكمته على نفس التهمة مرة ثانية اذا ثبت بعد حكم المحكمة أنه مذنب . وفى استغلال هذه الحقيقة البسيطة ، كما استغلتها أجاثا فى «ستايلز» ، ما يمكن مجرماً بالذات من ارتكاب جريمة معينة اذا استطاع أن يرتب لنفسه دليلا مؤقتاً على براءته .. فاذا أخلت المحكمة سبيله وظهرت إدانته بعد ذلك عجزت النيابة عن تقديمه للمحاكمة مرة أخرى .

ولعلنا نذكر فى هذا الصدد أن مجرماً مشهوراً ارتكب فى انجلترا جريمة على غرار ما شرحت أجاثا فى إحدى رواياتها البوليسية ، وذلك بعد نشر الرواية بعشر سنوات .. وحز ذلك فى نفس الكاتبة ولكن الذى خفف من ألمها أن البوليس وجد فى بيت المجرم كتباً عديدة تعالج استعمالات السم الذى استعمله المجرم فى ارتكاب جريمته وبذا عرفت أن روايتها لم تكن المصدر الوحيد الذى استمد المجرم منه معرفته بالسم .

وقلما تستعين أجاثا كريستى بنفس العقدة أو الفكرة فى أكثر من رواية من رواياتها فمؤلفاتها كثيرة التنوع ، تستعين فيها بما تعلمت من زوجها الثانى ، «ماكس مالووان» عالم الآثار ، الذى كان يهتم بصفة خاصة بآثار الآشوريين والمصريين القدماء ، وينقب عنها فى أرض ما بين النهرين ووادى النيل .

مهارة فى ابتكار المواقف

وتعتمد مكانة أجاثا كريستى كمؤلفة فى طليعة كتاب الرواية البوليسية فى العالم ، على أصالة بنائها للعقد والألغاز والظروف الغامضة ، ففى ذلك تكمن مهارتها الفائقة التى تتجلى فى «مقتل روجر أكرويد» ، «أبجدية جرائم القتل» و «عشرة زنوج صغار» .. ويمكن أن نضيف الى هذه فى غير استحياء «جريمة قتل على إكسبريس الشرق» .

وعلى الرغم من هذه المهارة الفائقة فى ابتكار المعضلات والمواقف الغامضة والألغاز وتعقيد كل ذلك بحيث يستعصى على القارىء حلها ، فاننا نجد أن أسلوب الكتابة نفسه ، رغم جمال واتقان ما فيه من حوار ، لا يعتبر أسلوباً من النوع الرصين ، فمفتاح نجاحها هو بساطة أسلوبها فعلى الرغم مما فى عقد الروايات من صعوبة وتعقيد إلا أن طريقة عرضها على القارىء طريقة بسيطة غاية البساطة ، سهلة كل السهولة .. لا تستعمل فيها إلا المألوف من الكلمات تصوغها فى جمل قصيرة تكون منها فقرات غير طويلة .. وفى هذه البساطة ما يسر مهمة ترجمة كتبها الى أكثر لغات العالم .. فكتبها من النوع الذى يقرأه أستاذ المنطق وهو فى طريقه الى الجامعة ، ويسلى المريض فى فراشه ، ويمتع التلميذ فى مدرسته . واذا نحن تصورنا مثلا أن فى مستشفيات أمريكا ٢ مليون مريض فى لحظة معينة وأن فى أمريكا من كبار السن المتقاعدين ٢٠ مليون مثلا ، فيمكن أن نقطع بأن مليوناً من المرضى وعشرة ملايين من كبار السن يصرفون جل وقتهم فى قراءة ما كتبت أجاثا كريستى ، فاذا أتم أحدهم قراءة الثمانين رواية التى كتبتها ، أخذ يعيد قراءة ما أعجبه منها .. والذى يعجب القارىء من كتابات أجاثا كثير وكثير .

صورة المجتمع فى أعمالها

لقد خلقت أجاثا كريستى بأسلوبها السهل فناً شعبياً يتميز بالقدرة على اداء المعانى التى تريد التعبير عنها فى سهولة ويسر وإيناس .. وهى تؤلف كتباً تمتعك قراءتها ، وتحتفظ بهذا الامتاع عاماً بعد عام وفى هذا ما يفسر العدد الضخم الذى يباع من كتبها فى أنحاء العالم .. فالناس على اختلاف نحلهم ومشاربهم يحبون القصص .. وأجاثا كريستى قصاصة بارعة ممتعة بالفطرة والسليقة ... هى ملكة الألغاز وسيدة حلولها .. وكل حل تقدمه لأحد ألغازها رائعة من الروائع ... واذا كانت أجاثا تستعين فى رواياتها بخلفيات انجليزية، فان الدعابة التى تقدمها من النوع الدولى الذى يستسيغه الناس جميعاً .. ولسنا نعنى بذلك أنها كاتبة مضحكة ... فالدعابة التى تستعين بها دعابة هدفها التخفيف من حدة موقف أو شد فى الأعصاب .

أهم من ذلك أنها كاتبة تؤرخ دون تاريخ ، وتعلم دون تعمد الاعلام ... فالذى يحصله القارىء من كتبها من معلومات عن الأحوال الاجتماعية والظروف الاقتصادية فى انجلترا بعد

الحرب العالمية الأولى يزيد كثيراً عن كل ما نشرته جريدة « التايمز» الانجليزية فى هذا الموضوع ، وما تقدم أجاثا للناس من تفاصيل عن الأحوال المحلية يفضل ما يرد فى مجلدات كتبت عن التاريخ الاجتماعى لتلك الحقبة من الزمن .

بوليس سرى فريد

والحديث عن شخصيات أجاثا كريستى لا يكتمل بغير إشارة الى الشخصية الممتعة التى خلقتها لتكون وسيلتها فى حل المعضلات والكشف عن الجرائم ، ونعنى بذلك شخصية البوليس السرى «هركيل بوارو» ... ولن يدهشنا اذا كتب لهذه الشخصية من الخلود ما كتب لشخصيات لير وهاملت وشيلوك وميكوبر وغيرها من الشخصيات الخالدة ... ففى حسابنا أن شخصية «بوارو» ليست كما يقال شخصية بلجيكية أو فرنسية ، ولكنها مخلوق انجليزى تتمثل فيه فكرة الانجليز عن الأوروبيين ، ولذا كان من السهل على القراء أن يتعرفوا عليه ، وأن يحظى عندهم بالقبول فوراً .

وبوارو ، بوصفه شرطياً أو بوليساً سرياً ، يكرس حياته لمقاومة الجريمة وحماية الحقوق والدفاع عن كيان المجتمع .. ولقد راق القراء وسرهم أن رجل البوليس «الجديد» ليس على شاكلة من سبقوه أو عاصروه من رجال الشرطة الذين يتميزون بضخامة الجثة والشدة والصرامة .. فهو فى حجمه الصغير ، ورأسه التى على شكل بيضة الدجاجة ، أشبه ما يكون بالعلماء والفلاسفة ... وتشارك أجاثا جماهيرها فى لهوهم ودعابتهم فتقول ان العلاقات كثيراً ما تفتر بينها وبين بوارو ، ولهذا خلقت له منافساً «المس ماربل» وهى شخصية امرأة عجوز يتراوح عمرها بين الثمانين والمائة .. تعتبر فى مجال الأعمال البوليسية أقل ألمعية من «بوارو» وأقل منه غموضاً وهى على نقيضه تماماً أو تكاد ، فهى جمة التواضع ، تثق فى قدراتهاثقة هادئة ، وهى مثل بوارو تحتفظ بسر حلول المشاكل حتى النهاية ولكنها تختلف عنه فى أنها تتعاون أحياناً مع رجال الشرطة ولا تجد حرجاً ، فى بعض الأحيان ، فى كتابة اسم المجرم على قصاصة من ورق تدسها فى يد «مفتش البوليس ...

وفى كتاب أجاثا كريستى بعنوان

«ستار» الذى نشر فى عام ١٩٧٥ مات بوارو ولكنه نجح بموته نجاحاً منقطع النظير إذ نعته الصحف البريطانية والصحف الأمريكية فنشرت عدداً من المراثى الصورية تعدد فيها مناقب تلك الشخصية الخيالية الفذة وتمتدح خالقتها أجاثة كريستى .

من هى مارى وستماكوت ؟

هناك لغز آخر ، وسر غامض ، يعتبر أهلا بملكة الألغاز وسيدة الغامض ، والسر الذى نقصد هو أجاثا كريستى نفسها إذ تتقمص شخصية «مارى وستماكوت » وهو الاسم المستعار الذى اتخذته أجاثا فى عام ١٩٣٠ ، لما أرادت أن تكتب قصة طويلة من نوع لا تكتبه «أجاثا كريستى» ، لأنه نوع عادى غير بوليسى ، لا غموض فيه ولا ألغاز ... وكانت القصة بعنوان «خبز العمالقة» ... فلما نشرت القصة لم تحرك فى الناس ساكناً .. وحاولت «مارى وستماكوت» ثانية بعد أربعة أعوام فكتبت قصة طويلة ثابتة بعنوان «صورة لم تكتمل» كان نصيبها من الفشل نصيب الأولى .

واختفت «مارى وستماكوت» من عالم الكتابة والأدب لمدة عشر سنوات بعد ذلك حتى عام ١٩٤٤ ، واضطرت الى الظهور ثانية لأن قصة كانت تجيش فى صدرها ، تطالب بمن يقصها على الناس ، وكانت من النوع الذى لا تستطيع أجاثا كريستى أن تقصه .. عنوانها «غاب فى الربيع» ، وكانت زبدة هذه المجموعة الصغيرة من الروايات ،، ولكن كان كل ما فى القصة من جمال وعاطفة ، كحليب رائق صب على أرض قاحلة جرداء ، فاتبعت القصة بقصة أخرى بعنوان «الوردة وشجرة الطقسوس» ... وكان نصيبها نصيب ما سبقها .

مضت خمس سنوات أخرى قبل أن تحاول مارى وستماكوت أن تكتب شيئاً ..

وفى عام ١٩٥٢ كتبت رواية طويلة بعنوان «الابنة هى الابنة» ونشرت فى عام ١٩٥٦ رواية أخرى بعنوان «الحمل» لم تستقبل بأية حماسة .. وانتهت بذلك حياة مارى وستماكوت الأدبية ، ودفنت فى طيات التاريخ لم يسمع بها إلا قلة من الناس .

ومن حق القارىء أن يسأل عن السبب فى فشل هذه الكتب الستة .. والجواب الذى نرتضيه هو أنها لم تقدم للقراء بطريقة مجدية .. أهمل الناشر واجبه فأهدرت جهود الكاتبة وراحت هباء ولو أن الذى تولى نشرها كان يفهم مهمة الناشر لكان لمارى وستماكوت شأن آخر فى عالم الأدب .

«مصيدة الفئران»

لم تقتصر كتابات أجاثا كريستى على الروايات البوليسية فقط بل تعدتها الى غيرها من مختلف أنواع النثر والشعر .. ولكن الذى يتسع له المقام هنا ، هو كلمة عابرة عن مسرحياتها الرائعة ونشير بالذات الى مسرحيتها «مصيدة الفيران» فلها قصة لا تخلو من طرافة .

كانت الملكة مارى ملكة انجلترا من أشد المعجبات باجاثا كريستى ، فاستدعتها ذات يوم فى عام ١٩٤٧ وطلبت منها أن تكتب تمثيلية إذاعية .. وطلبات الملوك أوامر مطاعة .. وأعدت أجاثا تمثيلية إذاعية طولها ٤٥ دقيقة ، تم اخراجها واذاعتها وأعجبت بها الملكة .. وقررت أجاثا أن تحيل التمثيلية الاذاعية الى تمثيلية مسرحية .. ونجحت فى ذلك وأسمت المسرحية «مصيدة الفيران» ، وظهرت على المسرح لأول مرة فى عام ١٩٥٢ ، ولعل القارىء يصدق أنها مازالت تعرض على المسرح باستمرار من ذلك التاريخ حتى يومنا هذا .. —

واستمرت حياة أجاثا رتيبة خصبة تنتج فيها كتاباً جديداً يصدر قبيل عيد الميلاد من كل عام وتزوجت ابنتها «روزالند» ورزقت غلاماً وأصبحت أجاثا جدة .. وتزوج الغلام وأعقب خلفاً فكان لها أولاد حفيد .. ووافتها المنية يوم ١٢ يناير ١٩٧٦ .. وماتت بموتها سيدة انجليزية أصيلة .. والسيدة الأولى لأدب الجريمة وملكة تبوأت عرش القصة البوليسية .

جمال الكنانى

كاميل بيسارو الفنان والأب

محمد أبو طالب

● .. أما حين تتوقف حياة الفنان العربى .. فإنه يسقط من ذاكرة الحياة والأحياء !

● البحث الدائم عن الموضوع الجديد والأسلوب الحديث المبتكر

● الفلاحون الشاحبون .. تعبيراً عن ضياع الوقار الانسانى بين الطبقات

يجب علينا ان نعترف بأن الفنان العربى محاصر بالسدود الكثيرة التى تلازمه طوال رحلة حياته فى محاولة غير مفهومة للقضاء عليه . لكن الله سبحانه وتعالى وهب الفنان قدرات قد لا تتوفر لغيره من الناس ، تؤهله لأداء رسالته السامية ، مثلما تمكنه من مقاومة تلك السدود ، كي يظل قادراً على التعبير ، واستشراف المستقبل ، فى إطار رسالته ، وطالما بقى به شريان ينبض . أما حين تتوقف حياة الفنان العربى .. حين تموت معه مقاومته .. فان السدود تنجح فى الاجهاز عليه وعلى أعماله وتاريخه وكأنه حكم عليه بالزوال . فلا معرض يقام له تكريماً . ولا كتاب يصدر عنه تعريفاً . وهكذا يسقط من ذاكرة الحياة والأحياء !!

ليس هذا هو موضوع حديثنا هذا الشهر ، ولكنها الحقيقة المؤلمة التى لم أستطع تجاهلها أثناء متابعتى للمعارض المتوالية التى تقام فى الغرب لفنانيه الذين رحلوا منذ عشرات السنين تتكرر المعارض وتتجدد الرؤيا مع اكتشافات جديدة وتحليلات مستحدثة فى إطار دراسات جادة ومستمرة لحياة وأعمال هؤلاء الفنانين العظام الذين يزيد من عظمتهم اهتمام أممهم وشعوبهم بتراثهم لانه جزء حى من نبض الأمة

العرض الحالى

من أبرز هذه المعارض الكثيرة معرض الفنان الفرنسى «كاميل بيسارو» (١٨٣٠ ـ ١٩٠٣) المقام حالياً وحتى ١١ يناير القادم فى بريطانيا .

ورغم مرور أكثر من ثلاثة أرباع القرن على وفاة الفنان إلا أن النقاد كتبوا الكثير بخصوص هذا المعرض واحتل حيزاً كبيراً فى الصحافة الفنية خلال الشهر الماضى . وقد كان هذا المعرض مناسبة طيبة استغلها النقاد فى تحليل أعمال «بيسارو» فى ضوء علاقته غير المنتهية برواد المدرسة التأثيرية فى القرن الماضى ، موضحين نقاط التشابه والاختلاف بين أعماله وأعمال هؤلاء الفنانين وعلى وجه الخصوص ، سيزان، جوجان ، رينوار ، سواره وسيناك ، مما أعطى هذا المعرض أهمية خاصة وإهتماماً بالغاً لمعرفة من أخذ ومن أعطى خلال تلك المرحلة الهامة ذات الانعطافة الهائلة فى مسيرة الفن التشكيلى التى مازال تأثيرها واضحاً ومستمراً حتى اليوم .

ومن الواضح إهتمام المسئولين عن هذا المعرض حيث إحتوى أعمالا مثلت معظم مراحله الفنية المتعددة وأساليبه المختلفة ، فلم يكن «بيسارو» من ذلك النوع القانع الساكن بل اتخذ لنفسه طريقاً فنياً طويلا من أجل البحث عن الخلود ، ولم يكن مكتفياً بأسلوب معين ، بل كانت تحركه طاقته الهائلة للعمل والبحث الدائم عن الموضوع الجديد والأسلوب الحديث المبتكر فكان انتاجه غزيراً متنوع الأساليب .

أعماله والآخرين

وفضلا عن رهافة الحس التى يدركها المشاهد لأعماله ، فانه يلمس بوضوح وجه التقارب الشديد فى بعض الأعمال بينه وبين «كورو» الذى وقع تحت تأثيره لفترة طويلة فى بداية حياته الفنية واعتبر نفسه فى تلك المرحلة تلميذاً مخلصاً لذلك الفنان الفرنسى الذى اعتمد فى أسلوبه على الملاحظة الدقيقة للاشكال والنظر اليها بعين محددة لمساحات الظل والنور مستخدماً ألواناً سميكة تتراوح درجاتها بين الفاتح والداكن من خلال الضوء ، يتضح ذلك جلياً فى منظر «بونتواز» حيث استخدم «بيسارو» مجموعة الأخضر الفضى مثلما كان يفعل كورو .

أما سقوف القرية فهى التى نجدها فى

أعلى منظر من «بونتواز» رسمه «بيسارو» بجانب «سيزان» الذى رسم اللوحة على اليسار ، لاحظ التشابه والاختلاف بين اللوحتين .

فلاحة رسمها «بيسارو» عام ١٨٨١ .

كاميل بيسارو

الفنان والأب

أعمال سيزان . وهذا طبيعي حيث أصبح سيزان تلميذاً لبيسارو عندما بدأ الرسم فى «بونتواز» ولم ينكر ذلك بل وقع فى آخر عام من حياته «بول سيزان تلميذ بيسارو» .

ومن خلال مجموعة التأثيريين كان «بيسارو» هو الشخص الوحيد الذى شعر «سيزان» بانه يستطيع أن يكون أميناً مخلصاً فى مساعدته للبحث عن طريق يرشده الى رسم المناظر الطبيعية. ولم يكن «بيسارو» فقط أكبر منه سناً بحوالى ٩ سنوات وأكثر خبرة ، وإنما ولد مدرساً ذا حاسة نقدية ثاقبة ، كل ذلك جعل «سيزان» يعتبره بمثابة الأب كما جاء على لسانه فى الحديث عنه .

عمل «سيزان» مع «بيسارو» منذ عام ١٨٧٢ ولمدة عامين ونصف محاولا الاستفادة من «بيسارو» بقدر ما يستطيع كما حاول «بيسارو» أن يساعده بكل طاقاته الانسانية والفنية . وقد رسم سيزان في هذه الفترة بالألوان الزيتية والمائية والباستيل كما نسخ رسوماً لبيسارو ليتعرف ويفهم جيداً أسلوب وألوان ذلك الفنان الذى يكبره ولديه الخبرة التى كان يفتقدها «سيزان» ذاك الحين .

وحول العلاقة بين أعماله وأعمال «سيزان» قال «بيسارو» :

«لقد كنا دوماً متلازمين وكنا نختار نفس المنظر ولكن كل منا يرسم باحساسه الشخصى .» ، ويبدو ذلك واضحاً بمقارنة لوحتين لسيزان وبيسارو لنفس المنظر فى «بونتواز» ، فبينما نجد الجاذبية فى لوحة بيسارو نجد القوة عند سيزان . أما أوجه التشابه والاختلاف بين العملين فتتضح بالمقارنة حيث نجد فى كلا اللوحتين اللمسات اللونية القوية تبرز فى جرأة أوضح من الخطوط المحددة لأشكال الأشجار والزهور وشبابيك المنازل ، كما أن الظلال المختلفة على أسطح وحوائط المنازل استخدم فى إبرازها اللون الأزرق الصريح .

ادوار مانيه .

كلود مونيه .

بيراوجست رينوآر .

هذا من ناحية التشابه أما الاختلاف فيبدو بوضوح فى اهتمام سيزان بالعناصر المعمارية فى المنظر أكثر من بيسارو حيث أعاد صياغة الطبيعة فى كتل معمارية محددة بخطوط قوية .

● الشخوص والمناظر

وعند مقارنة قطار بيسارو من خلال محطة «لورد شب» عام ١٨٧١ مع لوحة الفنان الانجليزى «تيرنر» أو مع لوحة «محطة سانت لازار» للفنان الفرنسى «كلود مونيه» نجد أن «بيسارو» قد تجنب هيبة وغموض «تيرنر» كما تجنب أيضاً الأجواء الخاصة بمونيه وجاء قطاره ليشق طريقه بين منحدرين ، ويبدو كما لو كان لن يكمل أبداً رحلته الى مقدمة اللوحة . وتجدر بنا الاشارة الى تأثر بيسارو بفنانى المناظر الانجليز وعلى وجه الخصوص «كونستابل» و «تيرنر» وذلك عندما لجأ الى انجلترا هو و «كلود مونيه» أثناء الحرب الفرنسية البروسية عام ١٨٧٠ .

أما رسومه الأولى التى عرضت فى هذا المعرض فقد أوضحت للنقاد السبب فى أن شخوصه لم تصل أبداً الى مستوى مناظره ، فرغم أن شخوصه بها حيوية المناظر إلا أن الفنان عندما وجد نفسه بين أذرع الراقصين الطويلة فى فنزويلا حيث عمل فى كاراكاس لم يتمكن من متابعة حركات أقدامهم فجاءت خطوطه عنيفة فاشلة فى تحديد الحركة بينما ظهرت الوجوه وعليها ذلك العبوس الذى يستخدمه كثيراً لابراز التعبير .

وفى محاولة لاعطاء شخوصه ثقلا أو تعبيراً مثيراً للمشاعر تنقل بيسارو من كوربيه الى رينوار ، ومن سواره الى ميليه.

وبالنظرة الأولى للفلاحين الشاحبين أثناء العمل ، أولئك الذين ظل يرسمهم حتى نهاية الثمانينات من القرن الماضى ،

● شخصيــات كــالأرض والحجــارة والمــاء والمبــانى .. صلبــة وجامــدة

● فى عــــام ١٨٩٢ : مــائـــة لــوحـــة ومعــرض لرجــل واحــد !

نجد فيهم ذلك الخلود الذى كان يبحث عنه الفنان ذاته . وكان ذلك صدى لتأثره بالفنان «ميليه» الذى شاركه عميق الحب للأرض والاقتناع بضياع الوقار الانسانى بين الطبقات الاجتماعية ولولا حبه وايمانه بهذا الموضوع لما ظل متمسكاً برسم هؤلاء الفلاحين رغم الصعوبات التى كانت تواجهه أثناء محاولة التعبير عن الاجهاد والتى لاحظ النقاد أنه كان يبذل جهوداً مضنية للوصول الى الحركة المعبرة عن الموضوع . ولكن النقاد من خلال هذا العرض أيضاً عادوا الى مناظرة حيث أنها أساس تميزه ، ومن خلالها تتضح قدراته على العطاء والتعبير لأن شخوصه بأى مقياس تظل دون مستوى مناظره شأنه فى ذلك شأن «كورو» الذى تأثر به فى بداية حياته الفنية حيث أنه أيضاً أثناء بحثه عن أسلوب جديد تحول الى رسم الأشخاص وعالجها بنفس الطريقة التى كان يرسم بها الأرض والحجارة والماء والمبانى فجاءت شخوصه صلبة جامدة .

«بيسارو» الأب

ويتزامن هذا العرض مع صدور الطبعة الجديدة من رسائل «بيسارو» الى ابنه «لوشيان» وهو فنان أيضاً استقر فى انجلترا حتى مات عام ١٩٤٤ .

وأهمية هذه الرسائل تأتى من كونها مرآة حقيقية تعكس صورة فاتنة لذلك الأب الحكيم الذى احتل عن جدارة مكانة الأب فى الفن الفرنسى وكان انساناً الى أبعد الحدود ، ومعلماً حنوناً لكل فنانى المرحلة التأثيرية مما جعل له تأثيراً غير متوقع عادة حتى بالنسبة للفنانين الذين امتلكوا مقدرة أكبر منه .

وعندما يقول سيزان انه كان بمثابة أب له فهو محق لما لاقاه من أبوة ورعاية خالية من الأنانية والأحقاد تصل الى الدرجة التى يوبخ فيها بيسارو الناقد

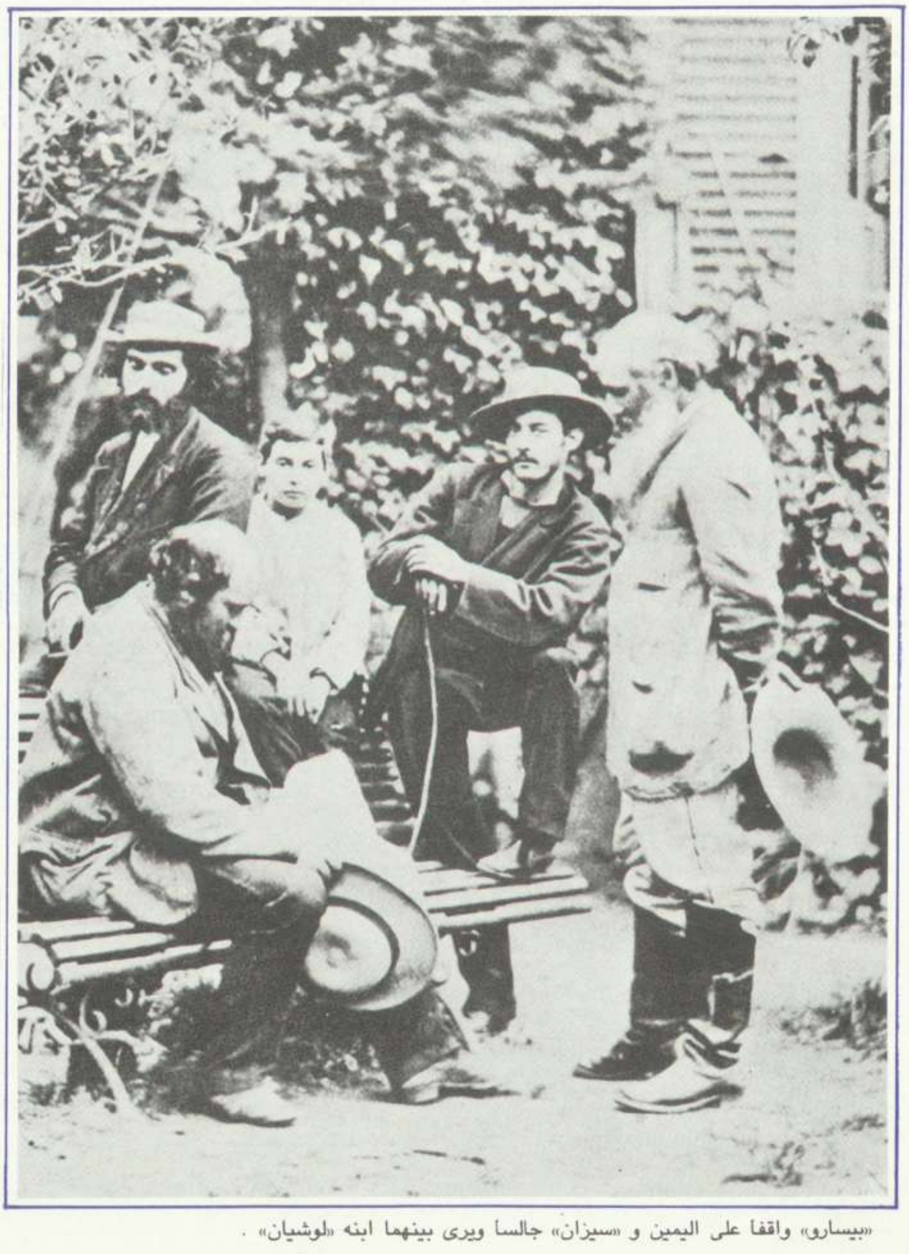

«بيسارو» واقفا على اليمين و «سيزان» جالساً ويرى بينهما ابنه «لوشيان» .

الفنى «هويسمانز» عندما أعد كتابه عن الفنانين المعاصرين عام ١٨٨٣ لأنه كان مقصراً فى ذكر «سيزان» الذى اعتبره «بيسارو» ذا تأثير عظيم على الفن الحديث .

لقد قال «جوجان» فى نهاية حياته انه كان واحداً من أساتذته ولايستطيع انكاره

وهذا حق فقد كان صديقاً له كما أنه هو الذى قدمه الى الجماعة التأثيرية .

أما الفنانة الأمريكية «مارى كاسات» تلميذة «ديجا» فقالت انه كان بمثابة المدرس لدرجة أنه كان يستطيع أن يعلم الحجر الرسم السليم .

وبالتعرف على حياته نجد أن هذا

المصور الفرنسى ولد عام ١٨٣٠ فى جزيرة «سان توماس» من جزر الهند الغربية ، ودخل مدرسة الفنون الجميلة فى باريس عام ١٨٥٥ حيث وقع تحت تأثير «كورو» ، ثم التقى فى الأكاديمية السويسرية بالفنان «كلود مونيه» الذى صحبه حينذاك الى مقهى «جيربوا» حيث كان يتجمع عدد كبير من الفنانين المتمردين تحت قيادة «مانيه» رغم أن «بيسارو» كان أكبر منه بعامين لكنه لم يبدأ الرسم بجدية حتى العشرينات من عمره . وأصبح عضواً فى جماعة التأثيريين وعرض فى معارضهم الثمانية من عام ١٨٧٤ حتى عام ١٨٨٦ .

وقبلت له أول لوحة فى صالون باريس عام ١٨٥٩ حيث واظب على العرض بعد ذلك سنوياً ما عدا عام ١٨٦٧ ، كما عرض ثلاث مناظر فى صالون المرفوضين عام ١٨٦٣ .

عندما أعلنت فرنسا الحرب على بروسيا عام ١٨٧٠ لجأ الى انجلترا مع «كلود مونيه» حيث وجدا الهاماً فى ضباب وأمطار شمال أوربا كما تعرفا على مدرسة المناظر الانجليزية وخصوصاً أعمال «كونستابل» «وتيرنر» .

عاد عام ١٨٧٢ الى فرنسا ليستقر فى «بونتواز» حيث عمل مع «سيزان» .

ومنذ عام ١٨٨٤ عاش فى «إرانى» حيث قابل «سيناك» وتعرف على «سواره» وأعجب بأسلوبه المعتمد على النقط اللونية واتبع هذا الاتجاه لعدة سنوات خلال الثمانينات ولكنه عاد الى أسلوبه الأصلى بعد ذلك عندما شعر برغبة فى التجديد ، وكتب « .. اننى أحاول دائماً البحث عن وسيلة أخرى للرسم بغير تلك النقط .» ولقد كان ارتباطه بالفنان «سواره» أكثر من أى فنان آخر من المدرسة التنقيطية حيث شارك الفنان الأصغر طموحه فى الوصول الى وسيلة لاحتواء وتثبيت السطح التأثيرى .

لوحة لماري كاسات ١٨٨٥ .

عرض عام ١٨٩٢ مائة لوحة من أعماله من خلال معرض نظمه تاجر اللوحات «ديوراند رول» تحت اسم «معرض رجل واحد» كان واحداً من أحسن عرضين خلال ذاك العام .

مثل بثمانية لوحات فى المعرض العالمى الكبير عام ١٩٠٠ .

وعندما بدأ بصره فى الزوال عام ١٨٩٦ أصبح مجبراً على الرسم داخل جدران منزله ، حتى أن آخر أعماله ، كانت لوحة رسمها من خلال النظر الى الطريق عبر النافذة عام ١٩٠٣ .

محمد أبو طالب

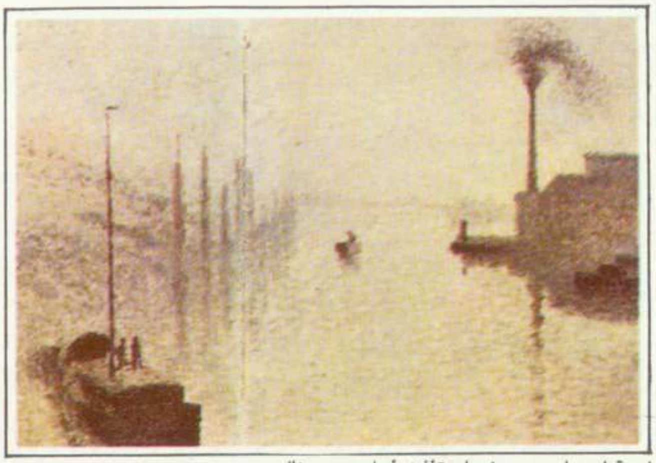

لوحة لبيسارو يبدو فيها متأثرا بأسلوب «سيناك» .

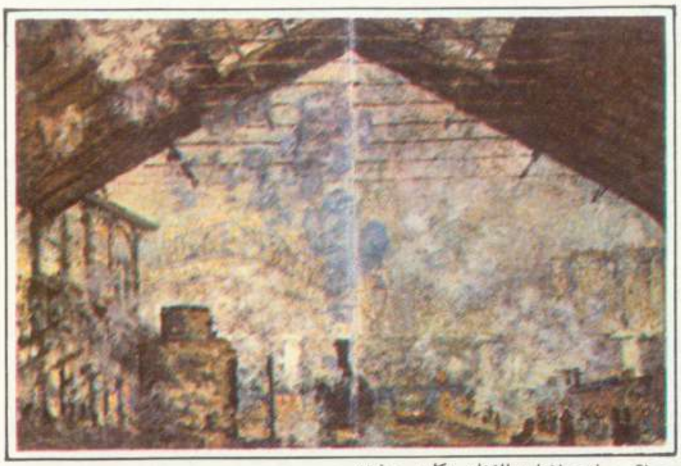

محطة «سانت لازار» للفنان «كلود مونيه» .

منظر للفنان «بول سيناك»

«المطر والبخار والسرعة» للفنان تيرنر .

منظر من أعمال بيسارو .

«بعد ظهر يوم الأحد» من أعمال «جورج سواره»

حسنى شحادة

أبو سلمى

الجذع الذى نبتت عليه أغانينا

مع مأساة فلسطين ، انسكبت شكوى الانسان العربى ، ونزف جرحه باستمرار مأساوى مرعب ، سيولا من الكلمات المتمردة ، وكان ماضيه الذى يمتزج بشبح الأرض العذراء ، بموسق أغنية للأرض الأم ، لينسج ملحمة ، يتفتح من خلالها ، إيقاع التشكل المصيرى العربى.

فى هذا الجو انطلق الشاعر عبد الكريم الكرمى «أبو سلمى» ـ كظمآن تجذبه ظلال الشوق ، فى البيد سراب ، والصمت والأشباح والقلق ، يطاردونه فى مفاوز السهوب ، انطلق «أبو سلمى» كشراع يرف عرض اليموم ، يحكى لنا حكاية الضياع فى بحر العدم ، فاختار لنفسه شعار : «شاعر الأمة المشرد» ، ومنذ هتف بالشعر ، اتخذ القافية المجنحة اداة للنضال الحر ، ووسيلة للتحرير والعودة ، فنادى بالكفاح المسلح طريقاً للعودة ، يقول فى أول ديوان له «المشرد» المطبوع سنة ١٩٤٩ :

هل تسالين النجم عن دارى
وأين أحبابى وسمارى
جار عليها مدع بالهوى
جور عدو فى الحمى ضارى
فان فى الكون شظايا ، على
هام الذرى ، تدعو الى الثار
كيف يلوح الفجر بعد الدجى
إن تلح رايات ثوار

مغنى فلسطين فى كل مناخ

زادت كارثة انشاء اسرائيل ، واقتلاع الجذور الأصيلة من التربة العربية فى فلسطين ، أبا سلمى مضاء ، وتصميما على شجب العدوان والتشهير بالطغيان وشرح قضية شعبه العادلة فاقبل على الشعر فواحا بزفرات الأنين ، وسرحات الحنين ، يصور هول المأساة ، ويروى ما

صب المغتصب الغشوم ، من صنوف الترويع والتفجيع ، فغلى مرجل حقده وفاضت شاعريته حمما ، يقول :

يا اخى انت معى فى كل درب
فاحمل الجرح وسر جنبا الى جنب
الوشاحات تعرى زهرها
بعد ما كانت موشاة بسحب
وشيوخ حملوا أعوامهم
مثقلات بشظايا كل خطب
هم ضحايا الظلم ، هل تعرفهم
إنهم أهلى على الدهر وصحبى
نحن إن لم نحترق ، كيف السنى ؟
يملأ الدنيا ، ويهدى كل ركب ؟

أغنيات من بلادى

لم يتجه ايقاع الغربة فى هذا الديوان نحو الحنين المنكمش كالحنين الى حقول البرتقال الكئيبة ومزارع البنفسج الباكى وأطلال القدس ، ولكنه اتجه الى تحد ، وصيرورة فعالية ايجابية شاملة ، الى دعوة جديدة للوقوف من خلال التمزق والضياع .

لنسمعه وهو ينشد :

فلسطين الحبيبة كيف أغفو
وفى عينى أطياف العذاب
ويسألنى الصحاب ألا لقاء ؟
وهل من عودة بعد الغياب
اجل ستعود آلاف الضحايا
ضحايا الظلم ، تفتح كل باب
ونحن الثائرون بكل أرض
سنصهر باللظى نير الرقاب

من فلسطين ريشتى

كتب مقدمة هذا الديوان الشاعر «بدوى الجبل» بكلمة منها :

«لا أريد أن أتحدث عن شعرك ، إن شعرك كالعطر ، أرجه يثنى عليه ، ويهدى اليه ، ولكنى أريد أن أتحدث عن حزن شعرك على فلسطين ، إنه حزن هادىء ووجيع ، فجمال شعرك فى حزنه ، إنه لا يلطم الصدور ، ولا يبالغ فى الصراخ ، بل هو حزن هادىء ، لأنه نابع من ضمير .. سلمت العبقرية التى ينبع منها شعرك ، ولا أقول سلمت الأحزان التى يعبق فيها سحرك» .

ويعتبر أبو سلمى من أقدر شعراء فلسطين على إثارة القوة فى عزائم الناس ، بشعر رقيق عذب ، سلس ناعم . تمتلىء به القلوب ، وتستجيب له النفوس ، يمثل الطموح الوطنى ، وفى ديوانه هذا تعبير عن هذه المعانى ببناء تصويرى رائع فيقول :

من فلسطين ريشتى وبيانى
فعلى الخلد والهوى يدرجان

ريشتى فى مدادهـــا الدم والدمـــع
وراء الســـــطور يمتزجـــــان

شاعر ذو تلاوين

ابو سلمى شاعر ذو تلاوين ، نضعه فى مصاف أبرز المجددين وتجد فى كل لون من تلاوينه ، أنك أمام صنيع فنى بديع،ولئن كانت ريشة أبى سلمى من فلسطين ، فمن فلسطين أحب ، وعشق وغنى ، ولئن سموه الشاعر المشرد فانى اسميه العاشق المشرد كما سماه الشاعر «محمود درويش» ، لأن العشق أولا والشعر ثانياً ومن لا يعشق لا يحسن الغناء ، ومن لا يعشق لا يحسن القتال ، إن للشاعر قصائد غنائية ، ذات ألفاظ موسيقية منتقاه ، فقد غنت له «فيروز» قصيدة «ابنة بلادى» التى منها :

أين الشذى والحلـم المزهـــر
اهكـــذا حبـــك يا أســـــمر

• • •

وتظهر لأبى سلمى شخصية فنية اخرى فى قصائده الغزلية ، التى تضم باقة متناسقة من الألوان والظلال ، والطيب والعطور ، والأزهار والورود ، يديرها فى شعره ، ويوشى بها ابيات قصائده ، فيحلق القارىء أو السامع مع الشاعر فى اجواء بيانه .

فهذه الكلمات الراقصة : الضياء والسنى والشعاع ، والشذى والطيب والعبق والعبير ، والزنبق والياسمين والسوسن والأقاحى ، والنسيم والفجر والغسق ، والشاطىء والسفح والوهاد والتلال والمروج .. وغيرها .. وغيرها ... يرددها الشاعر بموسيقى لفظية خلابة ، تضفى على القصيدة أجواء جمالية بديعة .

• • •

أغانى الأطفال

المكتبة العربية فى حاجة ماسة الى اغانى الأطفال ، تكون عذبة الالفاظ ، خفيفة الأوزان ، موسيقية الأداء ، تحمل الأفكار الوطنية ، وتخدم الأهداف التربوية ، فخاض الشاعر هذا الميدان ، لتكون الرؤية الشعرية باعثة لهم ، مثيرة أشواقهم الى اكتناه الحقائق ، ومنمية فى صميم ذواتهم عاطفة الحب الكبير ، الذى يمتد عبر الحياة وما فى الكون ليبلغوا الرقى الانسانى الذى تطمح اليه النفوس ، وتسعى سعياً دءوباً لنيل سعادة الظفر به . لتغرس حب الوطن .

العندليـــب ينـــــادى
هـــذا ربيـــع بـــــلادى
يا مرحبـــــــاً بالربيـــــع
على طريــــق الشــــهدا
ترفـــــرف البنــــــــود
نسمعهـــا علــى المـــدى
أنشـــــودة الخلـــــــود

• • •

المسرح الشعرى

نظم أبو سلمى إبان الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ ، مسرحية شعرية بعنوان «الثورة» ، وقد بعث بها الى صديقه الاستاذ الأديب ابراهيم المازنى ، ليتبين رأيه فيها ، فارسل اليه المازنى رسالة مؤرخة بتاريخ ٢٧ ــ ٦ ــ ١٩٣٧ م أشار فيها الى بعض آرائه النقدية فى شعر أبى سلمى عامة والمسرحية خاصة ، وقد نشر الدكتور ناصر الدين الأسد فى كتابه «محاضرات فى الشعر الحديث فى فلسطين والأردن» أجزاء من الرسالة ، نورد بعضها :

«لا أطيل عليك ، فما ينقصك الثناء ، ولا العلم ، بأنك شاعر هذه البلاد العربية غير مدافع» .

.. «لقد شكرت لك أنك امتعت اخاك بهذه النفحة الطيبة ، وسرنى وغرنى ــ ايضا والله ــ أنك جعلتنى احد اثنين اختصصتهما بذلك ــ والثانى هو الأستاذ خير الدين الزركلى» .

إن هذا يدل على أمرين :

أولهما : ما كان بين أبى سلمى وكبار الأدباء من علاقات الود ، وصلات الأدب .
وثانيهما : شهرة الشاعر ورأى كبار الأدباء فى شعره وشاعريته .

من آثار الشاعر

شارك أبو سلمى فى حركة النقد الأدبى ، فكتب عن شعر احمد شوقى وعرض لناحية الحياة الطبيعية والمرأة .

كما أصدر كتاب «كفاح عرب فلسطين» الذى طبع عام ١٩٦٤ ، تعرض فيه لتاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية كشاهد وممارس .

كما كتب سيرة والده الشيخ سعيد الكرمى الذى كان معتمداً لحزب اللامركزية فى قضاء بنى صعب ، وحكم عليه الأتراك بالسجن المؤبد ، وعند انتهاء الحرب عاد الى بلده طولكرم ، وعين سنة ١٩٢٢ قاضياً للقضاة ووكيلا للشئون الشرعية فى شرق الأردن .

كما أرخ سيرة أخيه أحمد شاكر سعيد الكرمى الأديب الناقد ونشر كتابه هذا عام ١٩٦٤ .

مكانته الأدبية

أبو سلمى شاعر فلسطين ، ورفيق جرحها القديم ، لم يكف عن التغريد ، فهو مرة يحن ، ومرة يحرض ، ومرة يؤرخ وأبداً تمطر غمائم شعره الدافىء جسد أرضنا المغتربة ، حتى أمطر البياض رأسه ، وقضى شهيداً فى سبيل الله .

وكان يوم العاشر من كانون الأول ١٩٧٨ قد شهد مهرجاناً أدبياً فى قاعة جمال عبد الناصر بجامعة بيروت العربية ، بناء على دعوة الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين لتكريم أبى سلمى ، وكان التكريم رائعاً ومؤثراً عندما وقف رئيس منظمة التحرير الفلسطينية والقائد العام يلقى كلمته متوجهاً الى أبى سلمى يقول له :

«اخى وأستاذى ومعلمى : ... لقد تزاوجت فى الثورة الفلسطينية الكلمة والبندقية لأننا ندرك أن البندقية بلا كلمة وفكر هى قاطعة طريق .. وانت يا أبا سلمى الكلمة والفكر» .

وكانت بادرة التكريم الثانية عندما انتخب أبو سلمى رئيساً عاماً لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بالاجماع .

لقد كرمت أبا سلمى عدد من الدول العربية ، وحصل اخيراً على جائزة اللوتس لاتحاد كتاب آسيا وافريقيا ، التى عبر بها أحرار العالم عن تقديرهم للشاعر الفلسطينى الراحل .

حسنى شحادة

عبد الله على إبراهيم
رسوم : جمــال قطب

الحبّـــــوبة

غروب شـــمس مؤســـسة ثقـــافيـــة

لا مناص من التقدم . وهذه حقيقة مزعجة نوعا ما . وربما كان افتتان الناس بالطيب صالح راجعاً الى تجويده بناء شخوصه الروائية اجادة تجعلهم بمثابة التحفظات المتماسكة على مطلق التقدم .

كنا نحضر حفل ختان ، وتشعب الحديث لينتهى عند مبلغ استهانة اللصوص بالأمن والناس بدليل اعتداء احدهم على امرأة عند أول الحى أول المساء . وتساءل أحدهم : كان يمكن أن تصرخ . فقال الطهار :

– من يغيث وأهل المروءة فى شغل بالمسلسلات . صيحة فى واد !

استرجعت بكلمات «الطهار» بعض ما ترتب على صدور كتاب ومسلسل «الجذور» للأمريكى أليكس هيلى . فقد قيل وقتئذ ان «الجذور» تذكرة بمركز الحبوبة فى حياتنا بعامة وحياة النشء خاصة . فقد بدأ مبحثه الفذ عن منشأ أسرته بنذر أخبار سمعها عن حبوبته . ولم يكد «هيلى» يبدأ المبحث حتى اخرجت مستودعات التاريخ ذخائرها .. جداول حركة السفن .. مانفيستات الشحن .. مكتبة الكونغرس .. لتقود «كونتا كنتى» على قدمى حفيده المؤلف الى مرابع الصبا وحمى الأسلاف فى أفريقيا وقد تأخر عن الموعد المضروب قرابة القرنين . وكأن تلك الذخائر كانت بانتظار دفع «هيلى» وشغفه لتنتظم أوراقها المتكادسة فى معنى قديم تشتاقه . ربما لم تأت «جذور» هيلى بجديد فى قصة الصبا الافريقى الرائق

بين الطقوس الحفيلة . ومؤكد انه لم يضف جديداً الى قصة شقاء الزنوج الامريكيين .

مأثرة «هيلى» أنه ألحم شجرة نسب عائلته بين قارتين وعبر قرنين فأفرج بضربة واحدة عن احتمالات التاريخ المثيرة .

ولا يخفى على الناظر تضعضع مركز الحبوبة فى الاسرة السودانية الدينية وفى طبقاتها المتوسطة والمتعلمة . فقد تضافرت «الدادات» «والتلفزيون» على

الحبّوبة

اقتسام مساهمتها المخصوصة ليبقى لها - ويتسع تبعا لذلك - دور التسخط والازعاج .

وهذا الدور هو بعض مادة الكوميديين عندنا . فالحبوبة فى فكاهات جعفر عز الدين وفى ثياب «بت قضيم» للفاضل سعيد مخزفة خرفا هو مزيج من الشره والبلة والتطفل والادعاء .

والتخلص بالهزء من الحبوبة قرين بالتخلص بالفعل . فالاصل فى خطتنا الاسكانية وتوزيع منازل الحكومة والمؤسسات هو الأسرة الحديثة (فى مقابل التقليدية) وهى المكونة من الأب والأم وذريتهما . فالخطة الاسكانية تعطى خمس درجات لكل من الأم والطفل الاول بينما تعطى الكفالات -وهى خانة الحبوبة - درجة واحدة . وليس ينظر فى توزيع منازل الحكومة والمؤسسات فى الذى أعرف عن جامعة الخرطوم الى كفالة الأم أو غيرها-خططنا الاسكانية - بما فى ذلك التصور المعمارى - تنظر الى العائلة الاوربية بوصفها الكلمة النهائية فى الذى ستكون عليه العائلة باطلاق . والمعلوم أن العائلة الاوربية بنت ظروف وملابسات لا يصح علمياً تعميمها ، علاوة على أن كارثة تلك العائلة الآن موضوع مباحث مختلفة تحاول استدراك العناصر التى فقدتها فى صراع البقاء فى شرط الرأسمالية القح . والحال كهذا فنحن فى الامم الاخرى بحاجة الى قدر صحيح من ريبة العباسى فى حضارة الغرب التى «لم تك يوما والحوادث جمة حمى لضعيف» والحبوبات قبيل فى الضعفاء .

راج اعتقاد بأن أحاجى الحبوبات خرافات . وترافق هذا الاعتقاد مع استعادتنا لارادتنا الوطنية بالاستقلال الشيء الذى جعل لمانعتقده خطرا .

قال القائل إن سعالى الأحاجى وغولها وسحاحيرها مما ينشىء النشء على الخوف ويطبعهم عليه . وأصبح الانقطاع عن أحاجى الحبوبات دليلا على التربية الحديثة. وأصابت الاطفال مسغبة روحية . فمكتبة الطفل العربى والسودانى معا لم تزهر على ركامها المتراكم كلمة مسلية منذ كامل كيلانى ودار النشر التربوى فى طورها الاول . وأصبح الطفل السودانى والعربى غرضا يرمى وصيداً لصائد . فهو يقرأ ويتفرج على أشياء أيسر ما يقال فى رداءتها انها تخطتنا كلنا - آباء ومربين ووطنا - وخاطبت طفلنا مباشرة . وخرج على اطفالنا جبابرة مثل «استيف أوستن» وعالم غرائبه الذى يقعد به التقعر دون بلوغ.عالم غرائب الاحاجى ، الذى تكون الرغبة فيه صنوا للفعل . كما خرجت على اطفالنا حيوانات مثل «كنج كونج» التى شيدتها خبرة طويلة فى الرعب المحض .

لقد أردنا باطراحنا الأحاجى التحضر . وأملنا أن يزين التحضر عقل أطفالنا باستنارته ويطبعهم بعقلانيته . ولم يكن العالم المتحضر عند حسن الظن كما رأينا . ووجدنا بضاعتنا (موضوعات احاجينا) ترد الينا وقد اعادت انتاجها مؤسسات غربية انتاجا لا يخلو من الميل والزيغ . وصح القول اننا باستعجالنا التحضر بلا هدى اسقطنا الفن العالمى المؤكد الذى بيدنا .. الأحاجى . فاحاجى العالم قاطبة تقوم فى تجريدها على موضوعات مرصودة مثل «الذئب والصغار» و «الحصان المعاون» و «قاتل الاخطبوط» و «الأكول» . وهى موضوعات تتفرع بها القوميات والجماعات وتطلق فيها خصوصية خيالها وتبتكر فيها ما شاءت وقد اذاع الدكتور سيد حامد حريز فى كتابه «قصص الجعليين الشعبى» فرضية حسنة التاسيس فى علم

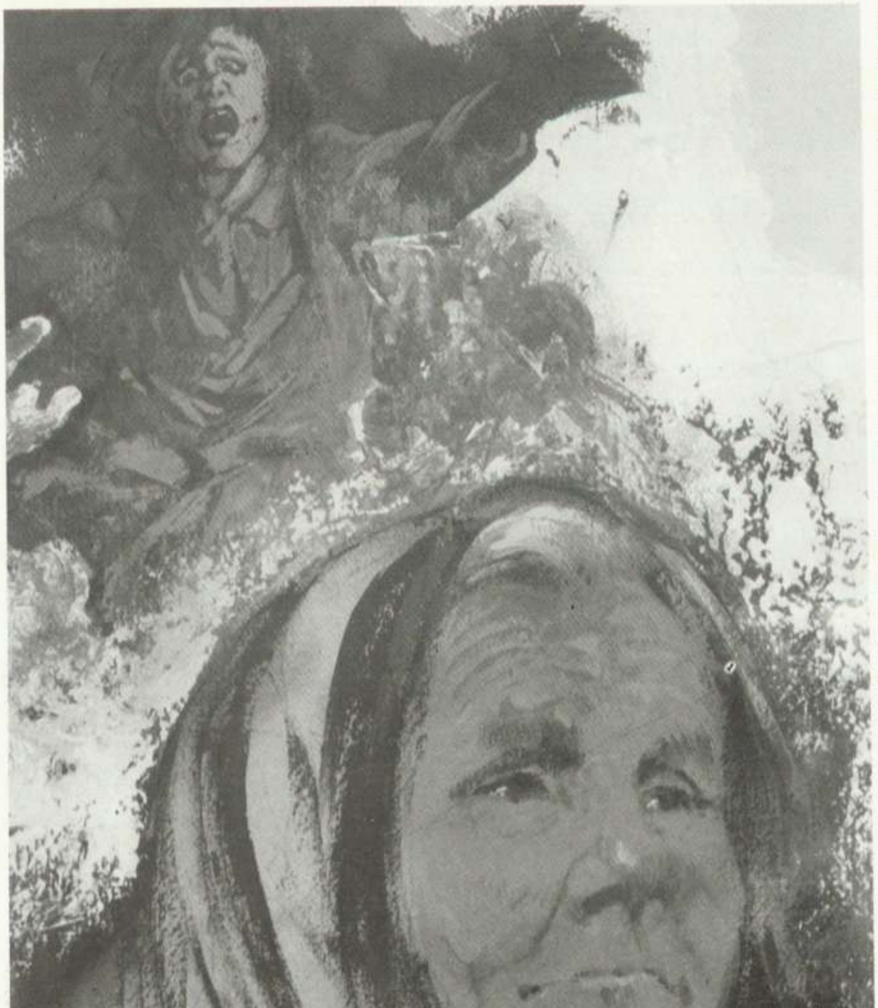

الفولكلور مؤداها أن الحكاية الشعبية عند الجعليين ابداع بلغ الغاية فى التوفيق بين عناصر قصصية عربية وإسلامية وعناصر قصصية افريقية وهذه ابداعية منضبطة فى استجابتها للمعطيات من حولها وحرفيتها متقنة . وهى مما يعتد به فى أهلية أية جماعة للتطور السديد .

وهكذا فتخلينا عن الأحاجى شاهد آخر على بؤس مسعانا الراهن للتحضر الذى نلهث فيه للحاق العالم ونقدس «سنة التطور» ونخلع ذاتنا على عتباتها المقدسة .

ليس يخفى التشرد الروحى المخيم على شبابنا . انظر اليهم عند دسكو أركان العمارات الركينة يظهرون طرباً كالادمان . يستحثهم الطلب والاستهلاك لبضاعة الاشرطة لا التذوق المدروس . يعلنون على قمصانهم عن أشياء مذهلة مثل أساطير البحار الأمريكية المنوط بها تاديب كل منا فى الوقت المناسب . إن حاجتنا الى عجائز المنعطفات فى الأحاجى ماسة . أعطت العجوز للشاب شوكة سدر وشوكة طلح ودرابة وطينة . وقالت له اذا انتزعت فتاتك من الغول .. لاحقك . فارم بهذه الأشياء واحدة اثر واحدة . وفعل . رمى شوكة السدر . فانشقت الأرض عن غابة السدر . رمى شوكة الطلح . فانشقت الأرض عن غابة طلح . واستحالت الدرابة غابة جدران . واستحالت الطينة بحراً . وما يكاد الغول يجتاز عقبة حتى تنهض بوجهه عقبة . فاذا بلغ البحر شرب ليجففه فانقد . وهذا من أمن العناصر . وهو تحديداً ما نحتاجه لدرء الأشباح التى تمسك بخناقنا .

قال محمد المهدى مجذوب ظن جوهر شعره انعقد من مرويات جدتيه ، الحافظة المعلمة السيدة الحاجة مريم والسيدة البرة ام الأضياف الوهابية بنت وهب والحال ، فانت لن تجد مبحثاً عميقاً فى الروح فى مقام شعر المجذوب خلواً من بصمة الحبوبة : خازنة الغور ومستودع سفرة المعارف الأساسية . وامتنان المجذوب لجدتيه مما يرد الاعتبار للحبوبة فى زمن كاد أن يلغيها بمزاعم شتى .

عبد الله على ابراهيم

رسالة غيـــر عادية

إلى قنبلة النيوتـــــرون

بقلم : معـــروف رفيق

سيدتى .. بل سيدة الموقف .. وكم اود الا انطق باسمك يا قنبلة النيوترون .. فاننى أذوب خجلا وأتلاشى ألماً .. لأننى أناديك بلقب السيدة .. ولكن اصطلاح السيادة الحقيقى .. لا ياتى فى هذا المجال من اعتبارات المجاملة والتادب .. لأنه مفروض على الكاتب ، من اعتبار السيادة والقهر .. وهل فى أدوات الدمار ، ما هو أشد منك فتكاً وتدميراً ؟ ...

لماذا يا سيدتى هذا التسلط اللاانسانى ضد الانسانية ؟ لماذا يا سيدتى تحملين الف الف جناح للموت القسرى ، لمئات الآلاف من البشر الأبرياء ؟ .

ولكن مهلا يا سيدتى .. فلابد ان اشكر لك هذا اللطف المتناهى فى ترك عجلات المصانع تدور ، وثمرات الأشجار بلا ويل ولا ثبور ...

اشكر لك انك تمنعين الأذى والدمار ، عن الآلات والعمارات والأشجار ... وفقط .. تقتلين الانسان .

لماذا هذه الرحمة الزائدة ؟ .. لماذا تقتلين البشر .. وتبقين على العمائر والشجر ؟ .. افلست اكبر لص عرفته البشرية .. تقبضين الأرواح ، وتثخنين الجراح ، وتقيمين مادب الاتراح أيتها الوقاح ..

من هو ذلك العالم الذى تفنن فى صناعتك ؟ لماذا نسى اخلاق العلماء وتلبس باطمار المجرمين والأشقياء ؟

مداد العلماء .. يعد عند الله دماء الشهداء .. اجل .. فهم علماء الأخلاق والانسانية .. لا أشقياء الجهالة والانانية ..

افلا يتذكر ذلك العالم .. انه قوى بالله ضعيف بدون الله ؟ .. أوليس عندما تتخلى عنه العناية الالهية ، أوهن من خيوط العنكبوت .. واضعف من جناح البعوضة .. والموت اقرب من حبل الوريد ومع ذلك ، يصنع أدوات الموت .. يصنع قنبلة النيوترون .. ولا يدرى هل سيكون من ضمن ضحاياها .. هو ، أو زوجته .. او ولده او اقرباؤه ؟ ..

من قبل اليوم ، عجب المتنبى من الانسان فقال :

كلمــــا انبت الزمـــان قنـــاة
ركــــب المــرء فى القناة سنانـــا

سيدتى ...

انت ظالمة .. وصانعوك ظلمة .. وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ...

معروف رفيق

الحزن والضباب

أقصوصة بقلم : لولوة المسند

لم أكن أتوقع أن أشعر بالبرد .. فى الدوحة ! .. فى سبتمبر ؟!

صحيح أن الغرفة خالية من أى شىء سوى هذا الصندوق الذى تبرعت أمى بلم حاجاتى ورميها فى جوفه .. ولكن خلو الغرفة لا يبرر هذا الصقيع الذى يدب في أطرافى . إنها قشعريرة خوف .. بل جوع .. لا بل مزيج من هذا وذاك .. ترى بعد كل ما حدث هل وجدت ذاتى التى أبحث عنها إن كان لي بقايا من ذات فقد جمدت وأصبحت كهذا الجدار المتآكل .. أنا اليوم انسانة أخرى .. زوجة هذا الرجل .. بل أم لطفله الذى سيرى النور بعد أشهر .

ويدخل وهو يحمل رغيفين من الخبز ، وكيساً بني اللون شفت زواياه بسبب الزيت المتقاطر منه ويضع تحت إبطه زجاجة مياه غازية ـ هذا هو زوجى .. غريب كل ما حدث كان كالحلم .. كان خاطفاً كالحلم .. وكان غريباً كالحلم .. فى عصر ذات يوم أفتح باب غرفتى فى بيتنا الكبير وأسير عبر الحوش واتسلل عبر كوة الباب ، وأشير لهذا الرجل الذى يبيع فى دكان مقابل .. ثم أدخل هذه الغرفة وأفرغ رغباتى كلها بين هذه الجدران . شىء غريب فعلاً أن يزوجنى أهلى هذا الرجل متناسين بذلك شروط العرف .. توقعت أن أقتل بعدها وينتهى كل شىء بسعادة بعد ذلك . فتاة تجلب العار لأسرتها فتقتل ويحفظ شرف العائلة وأحصل أنا على النهاية السريعة التى كنت أتمناها دوماً ، ولكن لا أجرؤ على تنفيذها . أما أن يزوجونى هذا الرجل فهذه هى المشكلة التى لا حل لها .. ماذا أفعل الآن ؟

ـ هه ماذا تريد ؟ .. لا أريد أن آكل شيئاً أرجوك .. مسكين أنت لقد كنت بطل مخططى .. قلت لك لا أريد .. كل أنت .. والآن ماذا سنفعل يا هذا ؟؟ ... ماذا تقول زوجتك فى بلادك ؟ ستنحرك بالسكين لو عرفت أنك تزوجت .. أيها المعتوه وهل تحسب أنك سترى بلادك ثانية ؟ لقد أخذ أبى جواز سفرك وجواز سفرى حيث سنظل دائماً تحت رقابة هؤلاء الناس وسنظل دائماً لا ننتمى اليهم سنظل نكرة ، كنت دائماً أقول عن نفسى نكرة . أما اليوم فليس لى فى هذا المجتمع محل من الاعراب ... لو أن الآخرين تركونى لحالى لو أنهم لم يقولوا نعم أو لا فى حياتى لو أن سلطة القرار كانت لي وحدى ..

لأحببت كل الناس لتمنيت أن أرشق الورد فى وجه كل انسان وأرسل قبلة لكل وليد ولما فكرت أن أخنق حياتى وهى سجينة الآخرين .

عندما أنهيت دراستى الابتدائية كان على أبى أن يقول نعم لاكمال دراستى وأن تقول أمى نعم وخالى وعمى وأخى .. قال أخى عندها : «عندما تتعلم الفتاة تصبح إنساناً والفتاة هنا أنثى وأنثى فقط ... »

قال يومها : «هذا جهاز تلفاز وفيديو سأجلب لك كل يوم المزيد من الأفلام .. تستطيعين بهذا أن تشغلى فراغك مادمت تشكين الفراغ» . ولكنك تحمل لي مخدراً جديداً ينعش غرائزى ويوقظ الأنثى فى داخلى كل يوم . وأخرجت زفيراً حاراً ثم أغمضت عينيها .. تقفز فى الهواء تجرى .. تجرى والهواء يصفق خديها .. كم تحب اندفاعتها في الهواء . إنه يزيل الحزن الضبابى فى داخلها ويلقيه خلفها .. هذا الحلم .. إنه يأتيها لحظات الانقباض ثم يختفى ثم يأتى حتى لتحس أنه نفحة ربانية تخمد كل ضجيج الواقع .

فتحت عينيها على الرجل الجالس أمامها .. يفرك عينيه المحمرتين ويسوى ربطة إزاره ويشير لها كالأبكم مغادراً المكان

فتيات ... ! من أنتن .. «إنهن جاراتك جئن يزرنك» تقول العجوز المصاحبة لهن .

– «جارات أنا لا أعرفكن .. اخرجن من هنا هل جئتن للفرجة يا أيتها الدمى .. أنا أفضل كثيراً لقد أصبحت لي سلطة القرار أخيراً لقد بادرت أخيراً بالفعل وكان على الآخرين أن يقوموا بردود الأفعال هل تملك أيكن أن تفعل هذا ؟»

«أنت» .. «زوجة المسئول الكبير سئمت تملقك .. وأنت تصبحين كالبالون يكاد ينفجر كلما رأيتك» وأدارت ظهرها تسحب دراعتها الواسعة وتشير بيديها تكلم نفسها بهدوء «أمى دائماً تصر على أن الآخرين شىء كبير . تصر على أن يكون كلامى معهم على نحو آخر ، وجلستى معهم على نحو آخر ، لم تكن أمى تخاف على إحساسى بقدر ما خافت على أحاسيس الآخرين أو خافت منهم» ...

والتفتت بصرخة نحو أخرى تقول :

«وأنت أتيتنا من آخر الدنيا بشهادتك ترددين لنا انتصاراتك فى آخر الدنيا وكيف أن للمرأة حقوقاً هناك وما كان منك إلا أن تجترى الذكريات .. وكيف أن للمرأة حقوقاً هناك وكيف أنك قلت فى أحد المحافل لابد أن تقوم المرأة بدور طليعى لتحرير العالم الثالث .هه إن شهادتك لا تساوى شيئاً . أنت لم تحركى ساكناً من أجل إنقاذ المرأة بل لم تحركى ساكناً من أجل إنقاذى ، واضطربت بعد كل المعارك الكلامية التى خضتيها أن تكونى أنثى خوفاً من أن تكونى شيئاً آخر يلفظه المجتمع وتسحب منه كل حقوق العضوية ..»

«وأنت ... وأنت .. اخرجن أيتها الدمى» .

كن يتراكضن مندفعات نحو الباب خوفاً من حقيقة تغافلنها .. وصفقت الباب خلفهن عادت تجر دراعتها الواسعة .. نحو البلاط .. تقفز فى الهواء كفرس هائج تجرى .. تجرى والهواء يصفق خديها .. كم تحب اندفاعتها فى الهواء انه يزيل الحزن الضبابى من داخلها ويلقيه خلفها .

ثلاثية الاستفهام

شعر : تيراب الشريف أحمد

(١)

مابال هذى اللغة القديمة
تسقط مفرداتها
واحدة فواحدة ؟
ماذا – ترى – يلزمها
كى تستعيد القاعدة ؟

(٢)

أى طيف تراءى لنا فنحار ؟
غسق فى انحسار ،
أم بقايا نهار ؟
هل ترى غيمة مدبرة ،
أم ترى نجمة تتأهب للانفجار ؟
صخرة تتشبث بالقمة
تأبى التدحرج والانحدار ؟
علة . ربما حزمة من شعاع
تفضل الموت على الانكسار .

(٣)

أو ما تزال تبحر فى
محاريب الخطر
أو ما تزال ،
عينك البرق
وفوداك المطر ؟

النور عثمان أبكر

مواقف ثقافية

رينيه ماريا ريلكه

«١٨٧٥-١٩٢٦»

شاعر غربى صنعه الشرق

فى الرابع من هذا الشهر ولد ، وفى الرابع والعشرين من هذا الشهر مات . فليكن ما نقوله عنه هنا مقدمة تذكير بشاعر كونى عظيم غنى الحب والموت والفقر والوجود الأبقى للسر اليقينى الأكبر ، وصور الأشياء ومكنونات النفس فى عذوبة وعمق لم يبلغهما فى الشعر الرومانتيكى سوى قلة .

لم يحدث فى تاريخ الأدب الالمانى ان استقبل شاعر بمثل ما استقبل به ريلكه من تهليل وعدم فهم فى ذات الوقت . فقد اتهم ، ومازال ، بانه منعزل جمالياً ، وغريب فى اشاراته وخلقه الشعرى . وفسر ذلك لكونه ولد فى عزلة ثقافية ألمانية فى مدينة براغ .

ولم يتخلص سوى عدد قليل من النقاد من حرج الاشارة الى أنه وهو الكاثوليكى قد تأثر بعمق بالمفاهيم والصور الشرقية وهو يبنى عالمه الشعرى الأكثر نضجاً ، وان محركه الفكرى الأكبر هو الاسلام وشخصية وحيوية عالمه ورسوله

لقد حرص النقد الغربى ـ وشايعه العربى فى ذلك ـ على ابراز أشعار جوته الشرقية الغربية ، واشاراته الى الاسلام ، كما حرص على تأثر كثيرين غير جوته بأجواء الخيال الشرقى كما تعرف عليه الغرب فى «ألف ليلة وليلة» . ولكن ريلكه انتقل من عتبة ولوج عالم الشرق بالنسبة للغرب ـ ألف ليلة وليلة ـ التى كان قد قرأها عام ١٩٠٦ ـ الى الاهتمام العميق بالفكرة الاسلامية فى جذورها . ويرجع ذلك الاهتمام الى واحدة من أروع قصائده وهى «رسالة محمد» التى كتبها عام ١٩٠٧ .. معبراً فيها عن اعجابه بالأسلوب البسيط المباشر الذى تميز به مفهوم الدعوة الاسلامية ـ وهو يؤكد ذلك فى رسائله التى بعث بها من قرطبة فيما بعد .

من ثمة يمكننا القول أن عمق اهتمام ريلكه بالعالم العربى ، عالم محمد الرسول الكريم ، هو الذى شده أكثر الى عالم ألف ليلة وليلة وسحر فارس بكل رتوش صورته المثالية فى المانيا ، والذى انعكس فى مجموعة سوناتات الى اورفيوس ..

تميزت حياة ريلكه القصيرة بكثرة أسفاره ورحلاته . ولعل رحلته الى روسيا فى نهاية القرن التاسع عشر ، حيث التقى بتولستوى وعدد كبير من خيرة أدباء وفنانى ذلك البلد ، هى أعمق تجربة مر بها ، إذ تركت عنده شعوراً قوياً بأنها أرض الصابرين القانتين المتواضعين ، لأن شعارها لم يكن مثل شعار الألمان (الموت أفضل من العبودية) ، وإنما (العبودية خير من الخطيئة) .. وبذا كانت تجربة عمقت فيه أفكار الأخاء والورع الشرقى ، ودفعته الى محاولة تقمص راهب شرقى تدور أفكاره وأغانيه وصلواته حول الله . وقد سجل كل ذلك فى «كتاب الساعات» (١٨٩٩ ـ ١٩٠٣) . ويحس المرء فى تلك الأشعار بأنه أمام صوفى استشعر وخبر الوجود المطلق لله . وهذا التوحيد ـ والاحساس بوحدة الوجود ـ هو الذى جعله يفطن الى التفكير المحمدى لهكن هذا التفكير الاسلامى ضمنى فى هذه الأشعار ، وليس واضحاً كما فى أشعاره بعد عام ١٩٢٠ حيث صار عنده بمثابة شعور أصيل وخصوصى تبلورت به نزعته الدينية .

بعد هذه التجربة الشرقية القوية والغائمة فى نفس الوقت مر ريلكه بتجارب غربية مختلفة ، لعل أهمها وأقواها إقامته فى باريس واتصاله العميق بالمثال الفرنسى رودان ، واطلاعه على وجودية كير كجارد وفكرة الموت عنده . وكان ريلكه قبل علاقته برودان يحلم بلحظات الالهام حيث يهبط عليه الوحى فيخلق . ولكنه بعد رودان صار ينحت الأشياء يستلهمها الجمال والحركة .

ولئن كان ريلكه فى «كتاب الساعات» قد عرف السكينة وصفاء النفس العابدة بانسحاب شبه كامل عن الحياة فى أديرة الرهبان فى روسيا ، وتشبع بأفكار كير كجارد عن الموت فهو قد استيقظ على تنوع الحياة وروعة التاريخ حين زار شمال افريقيا المسلم ومصر واسبانيا ـ الأندلس

وفى مدينة قيروان تكشفت له عظمة الاسلام وعصريته فى أن واحد .. فقال : «ان المرء يحس هنا بروعة ما فى هذا الدين من بساطة وحيوية وكأنما النبى (ص) كان هنا بالأمس .. وهذه المدينة مملكته . أما زيارته لجامع قرطبة بالأندلس فقد باتت واحدة من أكبر انطباعاته ، كما تدل رسالة ضافية بعث بها عام ١٩١٢ الى أحد أصدقائه . وقد ثارت نفسه واشتد غضبه لمرأى هذا الجامع العظيم بعد أن حول بناؤه الى كنيسة . ومرة أخرى فتنه فى الاسلام استقامته واتجاهه المباشر ، كما كان قد افتتن به فى قيروان .. وذلك على العكس من الورع السطحى الذى رآه فى اسبانيا وظل ينفره ـ وهو الكاثوليكى ـ من المسيحية . وفى ذلك يقول : «منذ قرطبة غمرنى شعور حاد ضد المسيحية . وإنى لأقرأ القرآن ، فيصبح صوتى فى بعض مقاطعه حين يتملك على كافة أحاسيسى وقواى كالريح فى الأرغل . وقد كان محمد (ص) فى كل الظروف أقرب الناس الي .. كنهر عبر جبالا وعرة بتخذ طريقه الى الله الواحد الأحد ..

إن الاشارات المتكررة فى رسائل ريلكه الى أصدقائه الى الاسلام ، ورسوله ، والى ما أحرزه من تقدم سريع فى قراءة العربية ، والشعر العربى ، ومحاولاته ترجمة بعض المقطوعات ونقده لما ترجم من مقطوعات ، كل ذلك لا يمكن إلا استثماره كدليل على حرصه على توجيه خلصائه الى أخذ تجربته الشرقية بعين الاعتبار الكامل فيما هم ينظرون فى أعماله الشعرية .. وخاصة تلك التى كتبها بعد ١٩١٢ كمراثى دوينو وسوناتات الى أورفيوس .. وربما استطاع النقاد ، إن جعلوا هذا مدخلهم الى نقد وتقويم أشعاره ، أن يتفهموا المعنى العميق لعزلته الثقافية وأغراب اشاراته ومعانيه فى إطار المألوف الغربى .

الصدق والبساطة والأصالة

فى معرض الفنان محمد على عبدالله

إنه أحد البراعم المتفتحة فى خمائل الفن التشكيلى القطرى الحديث ...

محمد علي عبد الله .. فنان يترك بصماته الابداعية على الطابع المحلى والتراث والقيم البيئية بصدق وانفعال !

يستحث الخطى نحو أسلوب مميز يحاول اكتسابه من منطلق واقعه الخليجى ، ويجاهد لصقل موهبته واستعدادته بالعلم والدراسة الأكاديمية الواعية ، لم تبهره أضواء (التحديث) تمسحاً فى أساليب المذاهب والمتاهات المعاصرة التى تعبث باسم الفن فى عالم اليوم ، وتجعل من هياكل البناء الشكلى – دون الغايات والأهداف – جوهر قضية الابداع المعاصر .

عرف الشاب الفنان قدر نفسه ، وقيمة إشعاعاته التراثية ، وغاص فى أعماق واقعه البيئى الأصيل ، وجسد المنظورات فى غير شطط أو تعالي ، وبغير (تطاول) على عقلية مواطنيه الذين يربطه وإياهم هذا الواقع المحلى بكل تقاليده وعاداته الضاربة فى أعماق التاريخ ، فبينما يرى أقرانه من ذوى المواهب يتطلعون بأقصى سرعة الى الشهرة والتألق ، غير عابئين بالتريث والجدية فى بناء شخصيتهم الفنية وترسيخ القيم التراثية فى وجدانهم ، يرنو فناننا الى واقع أمته مستلهماً من أصالتها ملامح رسالته الفنية بوجه عام ، لذلك فقد حدد منهجه ليخوض التجربة مؤهلا بالعلم والممارسة بوعى وتمهل دون خشية الزلل فى خضم التيارات والمتاهات الفنية الحديثة . تلك التيارات اللاهثة المتصارعة التى سادت مجتمع الغرب الصناعى منذ أواخر القرن الماضى وازدادت حدة فى الثلث الأول من هذا القرن العشرين بما يشبه المعارك المحتدمة فى نفوس مجتمع يهرب من واقعه بدافع العقد النفسية والتراكمات المأساوية التى خلقتها له الحروب والويلات وإشاعة (الايدلوجيات) والنظريات الفلسفية الجامحة !

التعبير الهادىء

لذلك رأينا محمد علي – وهو فى مطلع حياته الفنية – ينفعل دون افتعال ويخرج فنه كتعبير تلقائى من خلال نظرته الصادقة للمحسوسات البيئية من حوله ، ويجسدها بأساليب واقعية فى مجملها تحركها العاطفة والتلقائية دون أن يخضع لسيطرة العقل الباطن أو الأحلام المعلقة فى عالم التعالي والخيال أو أجواء الذاتية والأنانية ! ولذلك كان أسلوب الفنان هادئاً ومنطقياً مع سلوكه ومنهجه .

ومما لا شك فيه أن هذا النوع من النتاج الابداعى يعتمد على المهارة فى الصياغة والتجسيد من هذه المرئيات المباشرة ، كما هو مرحلى بكل المقاييس ، فلكل مرحلة طابعها الادراكى ، ولكل تجربة يعيشها الفنان عطاؤها ومذاقها الخاص ، وقد يصل – تبعاً لاستمرارية الدراسة والثقافة والممارسة ومناهل المعرفة – الى مراحل أخرى بمزيد من النضوج ، ولكنها رهن بتحول ذاتى من داخل أعماقه دون افتعال أو محاكاة للآخرين . وهنا يكون العطاء صادقاً مهما كانت صورته ، ومهما تعددت طرق الأداء والمعالجة ... وتلك هى قضية الفن فى كل زمان ومكان !

الحديث والقديم

ويخطىء من يتصور أن أسلوب الأداء أو (التكنيك) هو الذى يحدد قيمة العمل الفنى وانتمائه الى المذاهب الحديثة أو القديمة : فالحداثة فى الفن تنطلق من رؤية الفنان ذاته الى ما هو كائن ، والمطلوب منه أن يعبر عن المرئيات والمحسوسات من خلال بصيرته لا من خلال بصره المجرد ، وأن يكون هذا التعبير عن الأشياء صادقاً وتلقائياً وكأنه يراها لأول مرة فى حياته . ومن هذا المنطلق تتوقف قيمة عمله على نظرته ومدى تفاعله وانفعاله بمدى ما يحس من خلالها .

ولسنا بحاجة الى أن نذكر أن الرسوم التى نقشها الانسان البدائى منذ أكثر من عشرين ألف سنة على جدران كهوف (لاسكو) بجنوب فرنسا مثلا تعتبر فناً حديثاً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى وفى نفس الوقت ، فان الآلاف من شباب الفنون المعاصرين من الذين يجرون وراء الأساليب التجريدية والسيريالية ، ويقلدونها تقليداً أعمى تمسحاً فى ركب المعاصرة والحداثة ، دون اقتناع أو ثقافة عميقة أو إضافة ذاتية ، لا شك أن عملهم فى هذه الحالة يعتبر فناً (قديماً) ولا يمت للحداثة بصلة !

وعلى ذلك ، فعامل الزمن فى القدم أو الحداثة لا ينطبق على حركة الابداع . وهذه قضية تشغل بال شباب الفنون اليوم ، ونجد أنهم ضائعون بين (التخلف) أو الجرى وراء ما يسمى بالفن الحديث ! ومن الغريب أن كثيراً من الأفكار الساذجة تسيطر على الكثيرين منهم ، بحيث صارت متاهات التجريد المعاصر هى الفن ... ولا شىء غيرها !

ولذلك ، نستطيع بكل تجرد أن نضع فناننا القطرى محمد علي فى مكان الفنان الصادق

في معرضه الخاص الذى أقيم فى الدوحة (من ٧ ـ ١٤ نوفمبر ١٩٨٠) نقرأ فى تقدمته لهذا المعرض كلماته التى تتسم بالواقعية والبساطة :

«إن نافذتى على العالم هى عينى ، ومن خلالهما تنعكس البيئة والتراث على عواطفى وجوارحى ، ولأن لكل فعل رد فعل فلابد لهذا الانعكاس من رد فعل ، يراه المشاهد فى هذه اللوحات ، واننا فى حاجة الى بعض التأمل فيها حتى نستشف من هذا الكل المعقد بعض القيم الانسانية التى ظلت تتوارث قرونا طويلة ... لتكرر فى حياة الانسان مع تعاقب الأجيال ... وحتى اليوم !»

لم (يتفلسف) الفنان ويقودنا الى سفسطة لفظية ليقول مثلا : (إننى أعبر عن عالم الحس اللامنظور ذى الأبعاد الغيبية) ، أو (أجسد واقع المفاهيم العقلانية فيما وراء الطبيعة أو ما وراء الحياة اللانهائية) أو (أسبح بفنى فى أطياف الذاتية واللاشعورية ...) الى آخر هذه الكلمات المبتذلة التى مللناها ومججناها ، وأصبحت لا تعنى إلا مزايدات ساذجة فيها من الاستخفاف بعقول الناس أكثر مما فيها من الصدق والجدية ، بل إن بعضها أو كثيراً منها ليس فيه جدية على الاطلاق !

وندخل المعرض لنرى أنه مرآة مصقولة تعكس اجتهادات الفنان الشاب كما تعكس خلقه كذلك . وأقول للذين لا يعرفون محمد علي عن قرب ، إنه شاب وسيم مهذب دمث الأخلاق ، يكاد يذوب رقة وأدباً وتواضعاً !

وجاءت لوحاته تحمل كل هذه الصفات .

لقد احتضن سعادة الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام هذه المواهب المتفتحة وتعهدها بالعناية والرعاية ، وكان فناننا محمد علي ضمن هذه البراعم الصاعدة . وأخلص ناصر العثمان ـ مديرادارة الثقافة والفنون ـ فى تكوين شخصيته الفنية وأغدق عليه فى التوجيه والتشجيع سواء فى الدوحة أو فى العاصمة البريطانية حيث يتلقى الفنان دراسته الأكاديمية ، وهنا يأتى دور القائد ذى الوعى الفكرى الثاقب من موقع المسئولية الفنية ، وهذا ما يتمتع به ناصر العثمان من سعة فى الأفق الثقافى وإدراك فى الاحساس بالتذوق الفنى بوجه خاص ، وهذا ما جعل من الفنون التشكيلية أبرز سمات النهضة الفكرية القطرية ، ولذلك ـ وعرفاناً منه بالجميل نحو ادارة الثقافة والفنون ـ أقام محمد علي هذا المعرض ، وهو بصدد سفره لأستئناف دراسته الفنية العالية . والأمل معقود عليه وعلى زملائه من الذين سبقوه فى الخارج ، لأن يكونوا رعيل الرواد للمسيرة الفنية القطرية الحديثة .

عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام .

ناصر العثمان مدير ادارة الثقافة .

الفنان محمد علي .

الطابع والمعالجة

تفاوتت معالجة الفنان (التكنيكية) بين الألوان الزيتية والمائية وألوان الباستيل ، واتسم أسلوبه بالواقعية المتحررة التى هى خلط بين الطبيعية والتأثيرية فى بعض جوانبها ، والرمزية فى تأكيد الوحدات فى بعض أجزاء لوحاته الأخرى . ولم يلجأ الى (التنعيم) أو التسطيح الأملس ، ولكن لمساته كانت حرة جريئة كتعبير مباشر دون تكلف ، أو افتعال أو الوقوع فى شرك الابهارات الشكلية للمرئيات الجمالية .

والتجريد اللونى هنا فى بعض الجزئيات ضرورة لجأ اليها الفنان لابراز الكتل وتأكيد الموضوع الشعبى الذى يرمى اليه . وبجنوحه الى هذه المعالجات الحديثة داخل إطار الشكل العام ، نأى بلوحاته عن (الفوتغرافية) أو الحرفية التقليدية التى لا تعنى إلا بالبصريات الشكلية دون المضمون .

ونراه فى بعض المناظر البيئية يلجأ الى التعبير السريع (الاسكتش) ليحتوى مضموناتها مباشرة وبأقل رتابة ممكنة ولذلك جاءت فى معظمها ساخنة ذات تأثير عاطفى فورى ، وهذه علامة مميزة لأسلوبه الدافىء الحى .

وإن كانت قيود النسب والمنظور قد أفلتت فى بعض أجزاء نادرة ، إلا أن هذا لا يعنى شيئاً ذا أثر بالنسبة الى تعبيراته الحركية النابضة .

ومن المعروف أن الألوان المائية هى أصعب أدوات التعبير وأكثرها حساسية وفورية فى مجال الرسم . ولكن محمد على ، طرق هذا المجال بشكل جيد ، ولا شك أن دراساته القادمة ستصقل أسلوبه الى درجة أكثر كفاءة واقتداراً .

أما أعمال الفنان بألوان الباستيل - وهو فن له أصوله وقواعده وجمعياته المزدهرة فى عالم الابداع - فقد عرض منها ثلاث لوحات هى : طبيعة صامتة - بائس - الافطار . وهى فى مجملها ذات تأثير تلقائى مباشر من الطبيعة ، نفذت بتحرر وحيوية جعلتها فى مصاف أحسن لوحاته المعروضة .

واذا كانت ست وثلاثون لوحة هى مكونات المعرض (ثلاث منها بالباستيل وسبع بالألوان المائية وباقى اللوحات بالألوان الزيتية) فانها تمثل خواطره وانفعالاته دون أى مغالاة أو افتعال ..

وهى فى الوقت نفسه تعبير عن صدق الفنان مع نفسه ومع بيئته ومع مواطنيه ، فقد خاطبهم بلغتهم الشعبية البسيطة ... العميقة الأصيلة .. وهى سمات التقليد العربية ذاتها فى بساطتها وعمقها وأصالتها !

جمال قطب

كيف تنعم ببهجة الحياة ؟

يبدو أن أسلوب الحياة العصرية ليس هو أفضل ما يوفر لنا عافية الذهن والبدن ، لأن أنماط الحياة المعاصرة حافلة بما يورث النفس كدراً ، ويسبب لنا الاجهاد الحاد .. ويحفزنا على الاكثار من الأطعمة التى أفقدت عناصرها الغذائية بفضل طرق اعدادها ، كما أننا نميل بحكم بيئة العمل والمهن الى عدم مزاولة الرياضة بشكل كاف .

وبالرغم من أن الحياة قد أصبحت أكثر سهولة وإمتاعاً من أى وقت مضى ، فان ذلك لا يعنى تلقائياً إطالة العمر ، بل ان الملاحظ أن أجسامنا آخذة فى التدهور السريع بفضل هذه الفوائد نفسها .. مما يفرض على كل واحد منا أن يراجع أسلوب حياته .

ولقد قصدنا بهذه المقالات التى سنوالى نشرها بانتظام أن نساعد على تحسين نوعية حياة كل فرد منا لينعم بعافية النفس والجسم . وهى موجهة لمن يعانى من مرض مزمن مثلما هى لخدمة الانسان العادى أو الرياضى الممتاز ، أو ذاك الذى تقدم به العمر .

وهى لم تقتصر على التغذية أو اللياقة البدنية فحسب ، بل انها تبصرنا بالكيفية التى يعمل بها جسمنا ، وأجهزته المختلفة ، وذهننا وأغواره القصية ، وما يمكن أن ينتفع به الجسم والعقل ، وما يصيبهما من أضرار إن جانبنا التوفيق فى حسن استخدامهما .

أخطار الحياة العصرية

قلنا إن أسلوب الحياة فى هذا العصر غير صحى لأنه يسبب الاجهاد النفسى والذهنى ، ولأننا نميل الى الاكثار من الأكل ، وخاصة الأطعمة التى تتم تنقيتها قبل أو أثناء عملية تجهيزها، وتفقد بذلك كثيراً من موادها الغذائية ، كما اننا نقعد عن الرياضة .

ولهذه العوامل الثلاثة فان ثلث الوفيات فى الولايات المتحدة هو بسبب التجلط وانسداد الشرايين . ولم يعد ذلك وقفاً على أمريكا وحدها ، إذ أن العالم يسرع فى اللحاق بها .

إن طول العمر يتبع كنتيجة حتمية لحسن العيش ، ولذا فان هذه المقالات تعنى بنوعية الحياة وأسلوبها. ولأن الاحصائيات تطالع الناس بأنهم أصبحوا يتمتعون بالعمر الطويل ، فان بعضنا قد يعتبر أمراض المدنية أسطورة لا مادة لها . ولكن الحقيقة هى أن تلك الأمراض العصرية المدنية هى واقع .. وآخذة فى الازدياد . وكان من الممكن لنا أن نعيش أطول لولا الأكل غير الصحى وركوننا الى المهن التى لا تستوجب الحركة ، وعدم خروجنا للتريض بانتظام .

لقد تمكن الانسان من التخلص من أمراض كثيرة كانت تفتك بنا قبل عشرين عاماً . وبفضل براعة الجراحة الحديثة والعقاقير الطبية وغيرها يستطيع الطب اليوم أن يعالج كل الأمراض المعروفة تقريباً . وقد تطور الطب بشكل رائع يبشر بامكانية توقع العيش لعمر طويل بالرغم من عاداتنا غير الصحية .

إن همنا الأساسى هو نوعية الحياة . فالمدنية لن تزول .. ومن ثمة لابد من معالجة أخطارها على صحتنا الذهنية والنفسية والجسدية فى عصر ورثنا فيه الصواريخ الموجهة والغواصات الذرية والكونكورد والتضخم العالمى ..

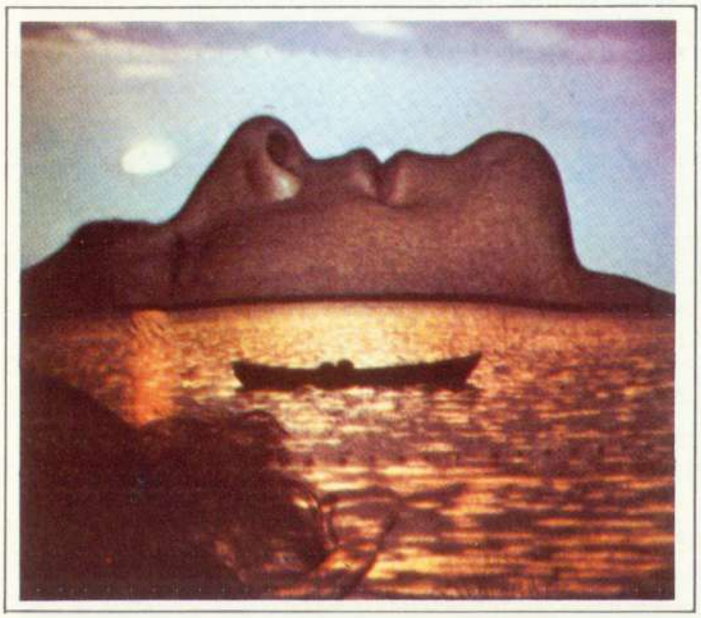

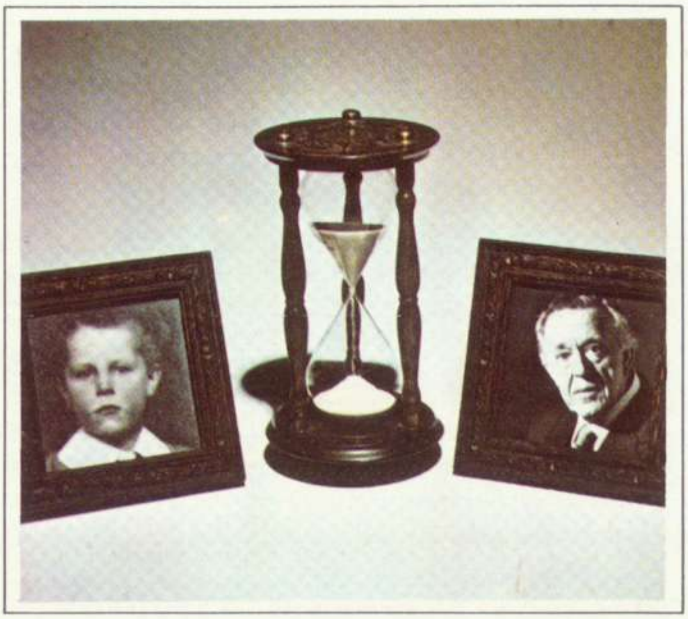

والبطالة والضوضاء وتلوث البيئة ، وإزدحام الشوارع بالحركة ، وناطحات السحاب والارهاب الدولى المتطرف .

ولا فرار لنا مما تحقق إنجازه فى عالم اليوم . فهل نطلب المزيد من المدنية ؟ ربما وجب علينا أن نحسن الاستماع الى دعاة المحافظة على البيئة .. فالفوائد التى نجنيها من المدنية قد تلازمها سلبيات ترجح الخسران على الفائدة .

لقد أصبح ساسة الدول أكثر برغماتية فى تعاملهم مع الأمور ، وهم يهتمون عادة بما هو قصير أجل . لذا يقع علينا كأفراد واجب الانتباه لما يمكن أن يكون ضاراً من مستحدثات المدنية .. وأن نرفع صوت الاحتجاج .. كل حسب ما

لا غبار على الأشياء
التى تجعل حياتنا المنزلية أكثر راحة
وتبعد بعض الملل من حياتنا

يمليه ضميره .

إن حياة الدعة ليست شراً فى ذاتها . فاذاتوفرت لنا فرصة استخدام التكنولوجيا الحديثة فالأجدر بنا ألا نحجم عن ذلك . هناك مثلا زراعة الشعر لمن يعيبه صلعه . ولا ضير فى الاستفادة من قدرات جراح قدير . وهناك طب الأسنان الحديث لمن يريد تغيير شكل وجهه . لكن ذلك ينبغى ألا يعمينا عن البحث عن سبب المرض .. وهو سوء التغذية . ليقم جراح الأسنان باصلاح التلف ، ولكن علينا أن نوفر مالنا ووقتنا بالابتعاد عن تناول السكر .

وهناك جراحة التجميل لتنقذنا من أذنى الخفاش أو تعيرنا وجهاً أنضر ، أو

تشد ما ترهل منا .

كل هذه الأساليب المبتدعة قيمة وذات فائدة لمن يعانون فعلا من مشكلة أو أخرى . ولكنها ليست ولا يمكن أن تكون الحل النهائى الكامل . بها نستطيع أن نعالج اعوجاجاً ما ، ولكن اللياقة المتكاملة شىء ينطق به الوجه والحركة النشطة للجسم والذهن . وهذا هو الأهم.

إن سبل المواصلات الحديثة تضع فى متناول يدنا خضروات وفاكهة طازجة من أى مكان فى العالم .. وفى ذلك فائدة لنا ، ويحسن بنا أن نقترفها . ولا غبار على الأشياء التى تجعل حياتنا المنزلية أكثر راحة ، وتبعد بعض ملل العيش .

ويفيدنا كثيراً أن نسافر ونحيا بعض الوقت فى وسط حضارى ثقافى مغاير .. لأن ذلك يوسع آفاقنا الفكرية ويزيد تفهمنا وفهمنا للعالم والانسان .

ويعنى اقتناء أسباب الراحة المنزلية الحديثة والقدرة على مشاهدة العالم النجاح المادى . فكم يكلفنا ذلك ؟ هناك اتجاه هذه الأيام بين الشباب من ذوى المهن يضع الحياة بأكملها ونوعيتها موضع تساؤل ، وينتهون الى إدارة ظهورهم للطموح ، والاكتفاء بمستوى متوسط من المسئوليات .. وبهم إحساس بأن الحياة أفضل من العمل . ولكن بالانسان غريزة تدفعنا الى طلب النجاح من أجل النجاح نفسه . ولذا فان ربط الطموح بتحقيق ما ينشده المرء لنفسه أمر متروك للاختيار الشخصى ، والذى يعتمد على عوامل كثيرة . ولكن مهما تفانينا فى بلوغ قمة المهنة ، يجب علينا أن نجد الوقت لممارسة ضرب من الرياضة ، وأن نطعم الغذاء الصحيح ، ونأخذ حظنا من الراحة ، لأننا دون ذلك لن نستطيع أن نحقق كل قدراتنا مهما تفانينا فى العمل ، ومهما كنا أذكياء .

كما يجب أن نتذكر دائماً أننا نختلف فى تكويننا من ناحية جينية وراثية ، وبنا إمكانيات متغايرة ، وان كل واحد منا يستطيع أن ينمى خصلة أو أخرى تبرز

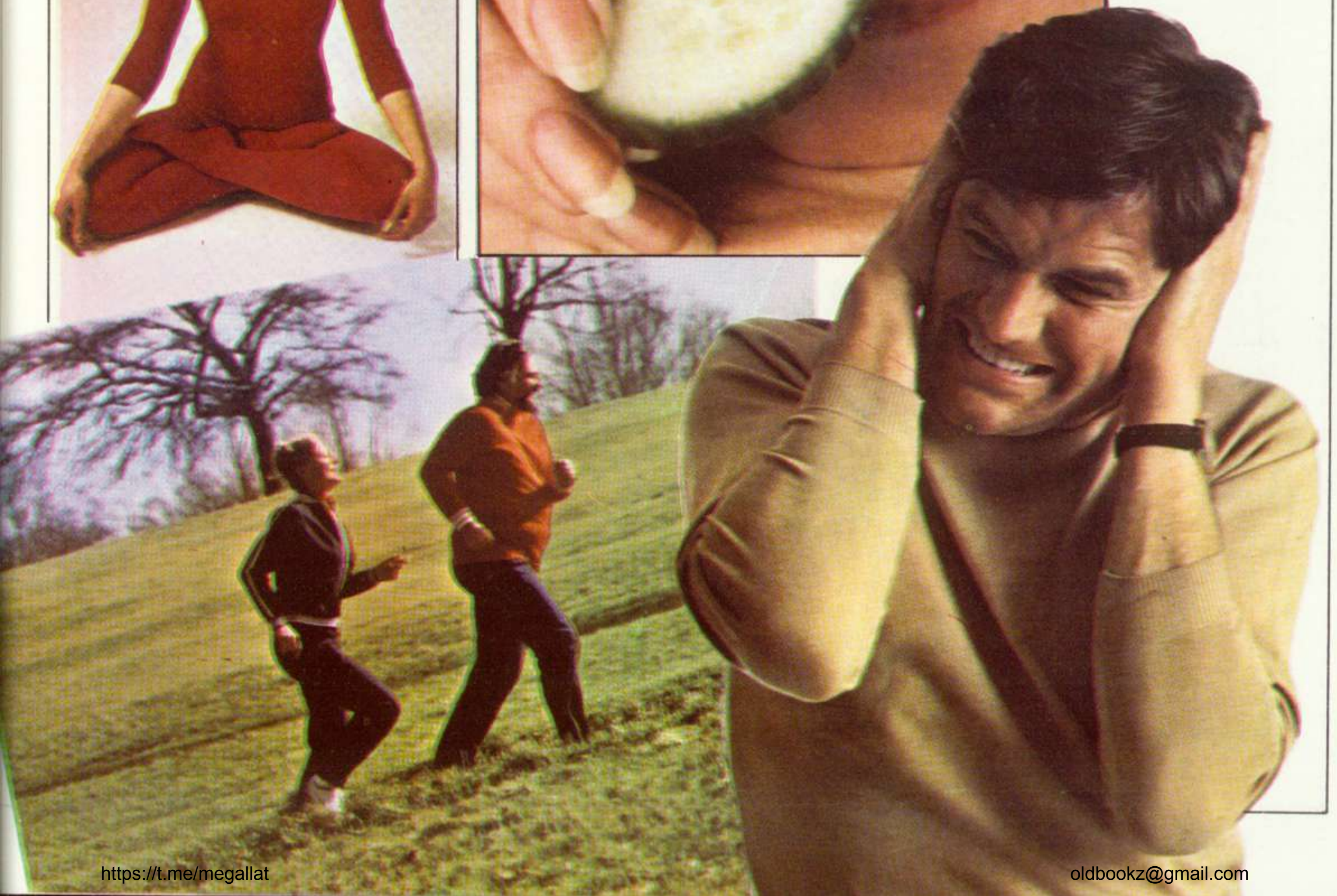

شخصيته ، وأن يتخلص من عيب به .
إن الدعوة الأساسية لهذه المقالات هى : أن نحقق امكانياتنا .

لياقتك البدنية

يفتحنا القسم الأول من هذه المقالات على الوعى بقدراتنا الجسمانية . وسترى أنه من الممكن أن تكون عالى اللياقة ان أردت ذلك . والنصح الذى نقدمه قائم على حقيقة علمية واسعة القبول ، رغم أن المعرفة البشرية لا تخلو بطبيعة الحال ، من فجوات .
لقد حقق الطب معرفة شاملة للأمراض ، وفهم تلك التى قد تصيب وتؤثر على ٥٪ منا فى نفس الوقت . وهناك أيضاً ثروة هائلة من المعرفة المتعلقة باللياقة ، وبتطوير وتنمية الرياضى الخارق ، البطل .. الذى يقف فى جملة الـ ٥٪ على الطرف الآخر من الصورة . ولكننا نهتم فى الأساس بالـ ٩٠٪ .

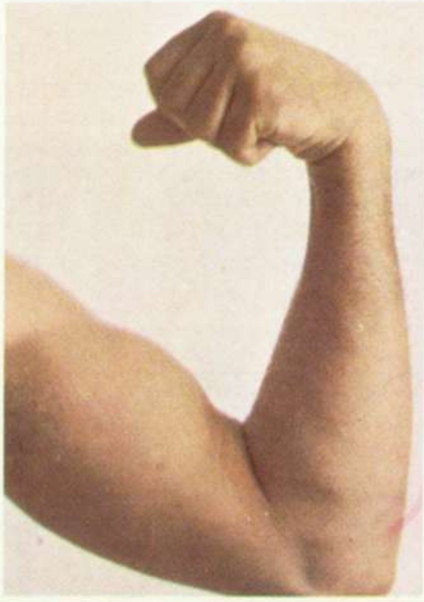

وقد شق الطب الوقائى لنفسه مكاناً فى الوعى العام ، وباستحقاق كامل . إننا نريد أن نعزل أكبر قدر من الأمراض نستطيع عزله قبل أن تصيبنا ليتمكن الرجل العادى والمرأة العادية أن يتحركا الى مدارج اللياقة الخارقة اذا شعرا بميل لذلك .
هناك مجال واسع لضروب مختلفة من الرياضة تجعل من الممكن لأى واحد منا أن يبرز فى واحد منها .. والمسألة كلها متعلقة بالدافع والارادة الراغبة فى النجاح . ولسنا جميعاً تتملكنا غريزة التنافس التى تغلب على رياضيى الطراز الأول أو الميل لقضاء الساعات الطويلة كل يوم فى التمارين والتدريب . وربما كنا نفضل أن نقضى أوقاتنا فى مباهج أخرى تتيحها الحياة . ولم لا ؟ ومع ذلك فان مجرد الشعور بأننا نريد ذلك هو فى حد ذاته مما يسر ويبهج .

مظهرك

إن خروجنا بمظهر جيد يمنحنا شعوراً طيباً ، ولذا فاننا نفسح حيزاً فى هذه المقالات للبشرة والجلد والعناية بهما .. وما يمكن أن يصيبهما من أدواء .
ويذكرنا الدكتور د. جون وايت الذى أعد تلك المادة أن الجلد والبشرة خليقان بالعناية لأنهما أول ما تقع العين عليه منا .
إن المستحضرات الغالية للعناية بالبشرة ليست بالضرورة أفضل ما نوفره لها . فالأهم هو اتباع الارشادات الأساسية للعناية بالجلد . وهى ليست صعبة التطبيق .
ولنتذكر دائماً أن الجلد يعكس الحالة الصحية العامة ، نفسياً وبدنياً ، فاذا اعتنينا بالصحة عامة ، فان البشرة تحافظ على جمالها وصحتها .
والأسنان السليمة المعافاة مظهر آخر له أهميته الكبرى ، بل هى أكثر أهمية من

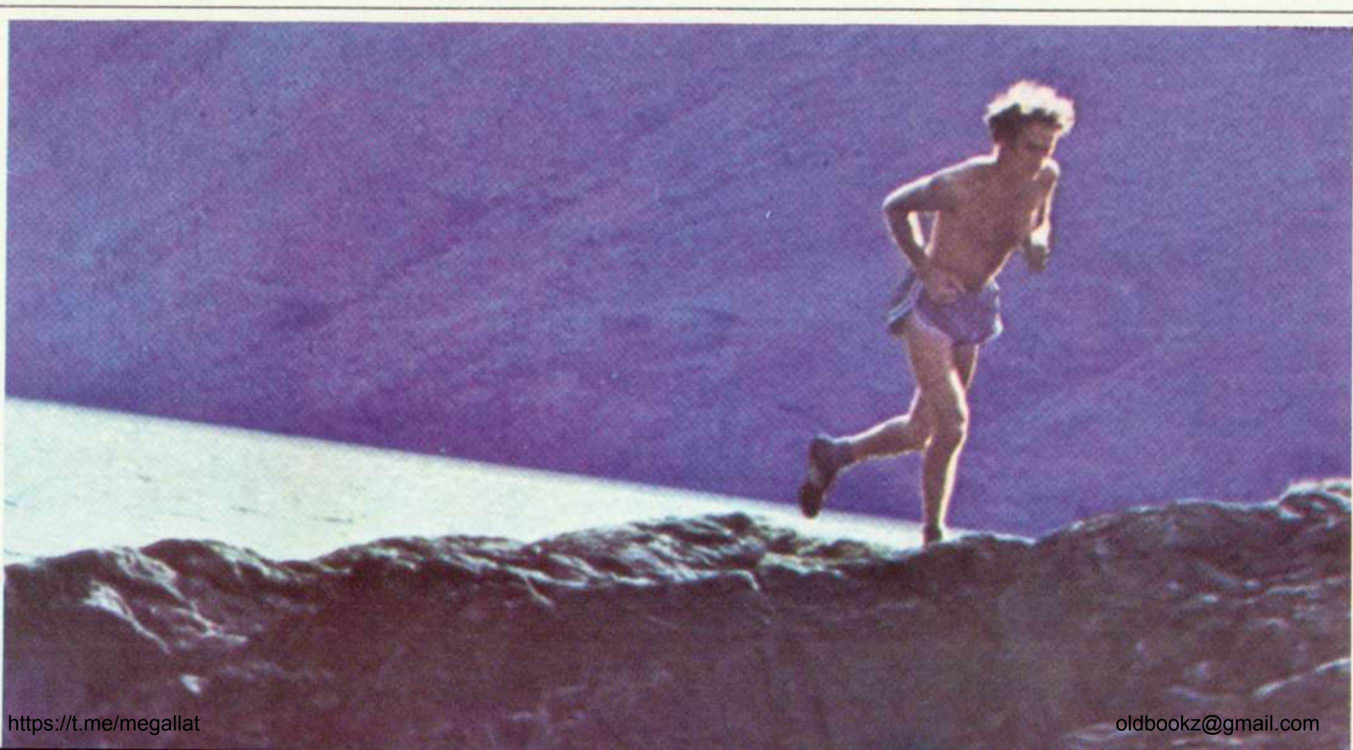

البذلة أو آخر صيحة فى الفساتين . وكما بالنسبةللبشرة ، فان الطبيب قد يساعد أحياناً فى علاج المشاكل التى تحدث رغم العناية الصحية الفائقة . ولذا تشمل هذه المقالات جزءاً خاصاً بالأسنان .. وكيفية العناية بها .. وما يمكن لطب وجراحة الأسنان أن يقوما به بسبيل تذليل مشاكلهما مهما استعصت .

لياقتك النفسية

هناك قسم خصصناه لمعالجة مشكلة العصر النفسية الأولى .. وهى الاجهاد .. والذى يمكن تعريفه ببساطة بانه أثر سيكولوجى لسرعة الحياة ، وبذا فهو يؤثر على صحتك العامة .

ولقد كان الاجهاد على مر العصور جزءاً من حياة البشر ، لكنه اليوم يتخذ أشكالا مختلفة فاصبح مثلا ناتجاً عن الضوضاء والهموم المالية بعد أن كان قديماً مرتبطاً بالهم بالدفاع عن النفس أمام الحيوانا ت الأخرى . ولكن الأثر السيكولوجى ظل كما هو . فالشحم أو الدهن يصب فى مجرى الدم لكى يوفر مصدراً للطاقة للقلب والعضلات . ويشار الى هذه العملية بميكانيزم الهروب أو القتال . فاذا لم يستخدم ذلك الدهن بواسطة عضلات الجسم فانه يترسب فى الشرايين ، ويعوق قدرتها على حمل خلايا الدم الحمراء التى تحمل الأوكسجين . وغالباً ما يقع هذا التاثير الضار على شرايين التاج ، ومن ثمة يؤدى الى التجلط .. وهو مميت فى الغالب لأن جزءاً من القلب والعضلات يكون قد حرم من الأوكسجين نتيجة لقلة الدم السارى .

وهنا ياتى دور الرياضة .. وهى المعادل الحديث للقتال أو الهروب إذ أن الدهون الموجودة فى الدم تتحول الى طاقة ، وبذا تحول دون ترسبها فى مجرى الدم .

ماذا تأكل ؟

إن القول بأن المرء هو ما يأكله .. يطرح المسألة فى شىء من المبالغة . ولكن لا يمكننا أن ننكر أن الغذاء الصحى هو حجر الزاوية للحياة الصحية والكاملة التحقق . وسنشرح فى مكان آخر التكوين

الكيميائى البيولوجى للغذاء .

ويجب أن يكون همنا الأساسى دائماً هو الابتعاد عن الأطعمة التى تمت تنقيتها بشدة . فقد اتضح أن الأطعمة المنقحة عامل مساهم فى مرض القلب ، وذلك من دراسات حضارات أخرى . ويعود الفضل فى ذلك الى ما قام به رجلان هما دنيس بيركيث وكابتن كليف وقد لاحظا أن أمراض المدنية غير موجودة فى أجزاء كبيرة من أفريقيا البدائية .. فهى خالية من أمراض توسع الأوردة والنزيف الداخلى والزائدة الدودية وسرطان المعدة .. والقرحة . ولكن الأفارقة الذين هاجروا الى امريكا وأوروبا قد بدأوا يلتقطون هذه الأمراض

والواضح أن الغذاء هو المسئو ل الأول عن كل ذلك . فالغذاء الأفريقى هو أساساً من الغلال والحبوب غير المقشورة ، وهذه الملاحظة قد أكدتها أبحاث علمية كثيرة .

ويبدو أن الغذاء المنقى المنقح يبطىء الزمن الذى يستغرقه مرور الطعام من الفم الى أن يتم افراز بقاياه . فهو أقل من ٣٠ ساعة بالنسبة للأفريقى ، بينما هو حوالى ٨٠ ساعة بالنسبة لمن يأكل طعاماً منقحاً . وكلما كان الزمن الذى يستغرقه الطعام فى المعدة قصيراً كلما قل الامتصاص وبالتالى تقل فرص البدانة .

ويبدو أن بعض المنتجات النهاية فى عملية الهضم هى مواد محدثة للسرطان . وكلما كان الزمن الذى تلامس فيه هذه الفضلات جدران المعدة قصيراً كلما قلت فرص الاصابة بسرطان المعدة . كما أن بطء مرور الطعام يعنى زيادة الضغط فى المصارين .. مما يعوق حركة الدم فى الأوردة الدموية ويسبب توسيعها .. كما يسبب النزيف .

إن الكاربوهايدرات المنقاة ـ السكر والدقيق الطحين ـ سريعة الامتصاص . وهى تستهلك بكميات تفوق حاجتنا اليها لاستخدامها طاقة للجسم . ولذا فهى تختزن فى الجسم فى شكل شحم . أما الكاربوهايدرات غير المنقاة وفى شكل ألياف فان امتصاصها أقل ، وبالتالى تخرج بسرعة عبر الأمعاء .

وهناك عوامل غذائية أخرى مهمة . فالحيوانات العليا غير الانسان نباتية فى معظمها . وهناك دليل على أن حامض الاسكوربيك (فيتامين ج) الموجود بمقادير كبيرة فى الخضروات الطازجة والفاكهة يوفر حماية ضد البرد ونزلاته وضد الانفلونزا . لا نريدك أن تصبح نباتياً ، ولكن يجب زيادة الكميات المستهلكة من الفاكهة والخضروات ، وتقليل مدة طبخ الخضروات ، ففى ذلك فائدة غذائية ونكهة أفضل .

إن تناول الوجبات الصغيرة على دفعات كثيرة متباعدة يقلل من فرص اكتناز الجسم بالشحم والسمنة . فنحن عادة نأكل وجبة واحدة كبرى فى اليوم ، وهى عادة غير صحية ، وخاصة اذا كانت فى المساء . فالتمشى بعد الأكل ، وهو عادة غريزية عند البعض ، مفيد للغاية .

إن عادة الأكل مرة واحدة فى اليوم تفرض على الجسم أن يختزن الطعام ليستخدمه كطاقة فى وقت لاحق . ولا يمكن اختزانه إلا فى شكل شحم .. واذا رسخت هذه العادة ، فان عملية التغيير والتبديل الطبيعية تبرمج نفسها على ذلك ، مما يزيد من اكتناز الجسم بالشحم وبدانته .

وما قلناه هنا مهم جداً بالنسبة للأطفال تحت الخامسة .. وإن كانوا لا يقرأون . ولذا فان على الآباء والأمهات أن يفكروا بمستقبل أبنائهم الصحى ، وأن يعرفوا أن الطفل البدين ينمو ويبلغ ويظل محتفظاً ببدانته . فالطفل البدين الذى يزداد سمنة قبل بلوغ سن الخامسة يزيد من خلايا الشحم فى جسمه ، ويبقى العدد الكلى لخلايا الشحم فى جسمه ثابتاً بعد ذلك . وبالرغم من امكانية تقليل كمية الشحم فى كل خلية ، فان عدد خلايا الشحم نفسها لا يمكن تخفيضه .. الأمر الذى يجعل مسألة التخلص من الوزن الزائد معقدة للغاية .

الغذاء الصحى

يجب أن يشتمل الغذاء الصحيح على قمح غير مقشور وغلال وخبز وفاكهة طازجة وخضروات .. وأن يخلو من الدقيق الأبيض الصافى ، ومن منتجات السكر .

إننا لكى نحصل على ملعقة شاى واحدة من السكر نحتاج الى رطلين من البنجر . والبنجر فى حد ذاته لذيذ ومغذى ، ويعطى المعدتحاجتها من السكر الذى تقدر على معالجته . ولذا ينبغى أن نحاول الكف عن تناول السكر . واذا شق ذلك علينا فلنأكل الخبز الكامل والغلال حتى يتم تحليل السكر وتخفيفه .

إن تناول السكر نوع من الادمان ، وقد درجنا على تقديمه للاطفال كرشوة ، وبذلك فاننا نغرس فيهم هذه العادة التى يصعب التخلص منها .

وهناك من يستعمل بدائل للسكر ، ولا نشجع على ذلك . فالولايات المتحدة مثلا قد حظرت استعمال بدائل السكر لأنه يخشى أن تكون محدثة لسرطان المثانة . وأهم من ذلك كله علينا أن نحاول

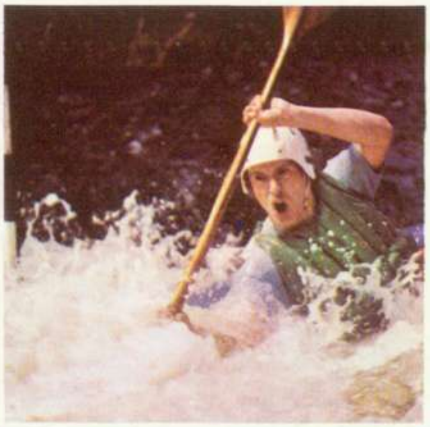

الابتعاد عن الحلوى والكعك . ان علينا أن نعيد تعليم أنفسنا لتتقبل أنواعاً من الطعام صحية بشكل أفضل ، ومغذية ، وفى مصلحتنا .

هناك من يحرصون بشعور غريزى على تناول وجبة ساخنة مرة فى اليوم . ولا ضرورة لذلك ، لأن الخضروات الطازجة غير المطبوخة أفضل .

وبالاضافة الى مشكلة نوعية الغذاء فان على زائدى الوزن أن يهتموا بكمية الأكل أيضاً . وفى أغلب الأحوال يكون الكف عن تناول السكر كافياً . فاذا لم يساعدك ذلك ، تخلص من الأطعمة ذات الحراريات العالية كالبطاطا مثلا .

وتذكر إن كان وزنك زائداً أن اتباع نظام فى الأكل لأسابيع قليلة لا يكفى ، إذ يجب أن تحدث تعديلا دائماً فى عاداتك الغذائية .

ونقترح عليك تناول الفاكهة الطازجة والصلطة ، والخبز الكامل ـ أى ذلك المصنوع من قمح غير مقشور ـ والزبادى وذلك فى الفطور ، والصلطة والخبز الكامل فى الغداء . أما العشاء فيمكن أن يكون لحماً وخضروات وصلطة إن أمكن .

ويمكن أن تكون هذه الوجبات الأساسية متنوعة بشكل كبير ، كما يمكن أن تبتدع نظاماً لغذائك على ضوء هذه النصيحة البسيطة ، مستعيناً بجدول يبين قيم المواد الحرارية .

وهناك بعض المواد التى يحجم عنها بعضنا لاعتبارات اجتماعية ، أو بسبب أوهام نسجت حولها ، نعالج منها ما يلى:

أولا : الثوم

إنه مفيد للصحة لأنه يخفض من ضغط الدم . فاذا كنت تعانى من فرط ضغط الدم ، تجاهل مسألة الرائحة ، وكل وجبات بها ثوم .. كما يفعل أهالى البحر الأبيض المتوسط . وللبصل أيضاً نفس الفائدة ، وإن كان ذلك بدرجة أقل . وكما تفيدك أية صورة لسكان البحر الأبيض المتوسط فان العافية وافرة لديهم ، وأمراض المدنية بينهم أقل مما هى عليه فى أوروبا . ولذا فان الطعام المغذى لا يعنى بالضرورة أن يكون بلا طعم .

ثانياً : إن ما يضاف الى الأطعمة المحفوظة من مواد لا تجعلها قاتلة . ورغم ما يدور من جدل حولها ، فان الأدلة على ضررها ليست مقنعة . والشك قائم .. وبالطبع ننصح بأكل المواد الطبيعية .

ثالثاً : القهوة

يقال ان القهوة تسبب أمراض الشرايين ولكن الدليل لا يقنع أحداً . فتناول فنجان قهوتك بعد الأكل إن كنت

ممن يحبون ذلك .

وأخيراً .. مسألة الكولستيرول التى أصبحت مثار جدل واسع فى الدوائر الطبية . إن الأدلة على ارتباطه بمسببات أمراض شرايين القلب ليست مقنعة وسنناقش هذا الموضوع لاحقاً .

كيف تسترخى ؟

بعد التمرين العنيف ، يأتى الاسترخاء ولكنه ليس مهماً فى ذاته ، وإنما كموقف نتخذه . ولا يعنى ذلك بالضرورة ان عليك أن تعمد الى اللعب أو الجرى كلما ثقل عليك ضغط العمل أو مشاكل العلاقات الشخصية . وبعضنا يسترخى بمجرد أن يستلقى . ولكن آخرين يمارسون ضروباً مختلفة من رياضات التأمل .. أو يذهبون الى العيادات النفسية .

إن اهمية الاسترخاء هى فى كونه أثر سلبى وكنقيض للاجهاد . ولكنه ليس ايجابياً كالتمرين . وسنخصه بقسم خاص من هذه المقالات .

وعلى العموم .. فان كل ما يجعلك سعيداً وهادىء النفس هو مفيد بالنسبة للاسترخاء . فالمجتمعات الحديثة التى خلقت الاجهاد قد وفرت له الكثير من الأمور التى تلغيه أو تخففه .. ومنها التلفزيون . وعلينا ألا نحيل ما جعل لتخليصنا من الاجهاد فى حياتنا مصدر اجهاد لنا . وتجنب اغراء الهرولة الاجتماعية وراء المكانة والصيت . كن نفسك .. وافعل كل ما يدخل عليك البهجة

الرياضة

وبعد ان حددنا نوع الغذاء الكامل وبينا قيمة الاسترخاء ، بقى لنا أن نقوم بالتريض . ومع اننا نستخدم طاقة الحراريات فى التريض ، فانه يصعب التخلص من الوزن الزائد بشكل ملحوظ بالتريض وحده . ولكن برنامجاً جيداً للتريض يساهم كثيراً فى اعادة توزيع ذلك الوزن .. ويجعلنا نحس ونشعر بشكل أفضل . وسنخص هذا الموضوع بمقالين .

إن التمارين المعقدة التى لا تغيير فيها قد تصيبنا بالملل ، وبذا نقعد عن التريض . ولهذا علينا أن نختار لعبة أو رياضة تدخل البهجة فى النفس ، وتعطى اكتفاء شخصياً واجتماعياً . فالرياضة يجب أن تكون تسلية ومتعة .

ويفضل أن تدعم رياضتك أو لعبتك المفضلة بنوع أو آخر من التمرين كالجرى أو الركض . وبعد أن تبنى هذه العادة للتريض بانتظام ، يحسن بك أن تخرج من المدينة فى الأوقات التى يصحو الجو فيها

وقد يستدعى ذلك نوعاً من الانضباط النفسى وخاصة بعد يوم عمل شاق . ولكن الفائدة تربو كلما التزمنا . فالشعور بالاسترخاء بعد الحمام بعد التريض سحرى المتعة ، وكأن هموم اليوم كله قد غسلت .

وعليك أن تلزم الحذر اذا كنت فى بداية برنامج للياقة . لا تغالى . ابدأ فى بطء وتدرج . وان كنت ممن يعانون من مرض فى القلب ، ينبغى أن تراجع طبيبك لاجراء فحص طبى كامل قبل أن تشرع فى برنامج للياقة .

إن التمرين ضرورى جداً لمرضى القلب أنفسهم .. ولكنه يتم تحت الاشراف الطبى . وقد أصبح شيئاً روتينياً أن يقوم مرضى القلب بتمارين رياضية .. طبعاً بعد تخفيف الوزن ، وضمن رقابة طبية ونصح طبى .

العقـــل الالكتـــرونى فنـــانا

تذكرنا هذه اللوحات باعمال الفنانين السورياليين وتبدو وكانها تصوير للعالم والأشياء . ولكن ما هو اكثر سوريالية فى هذه اللوحات المرسامة لأشياء ساكنة هو ان الفنان الذى قام برسمها وتلوينها هو العقل الالكترونى .

إن برمجة العقل الالكترونى لرسم اللوحات ليس بالامر اليسير ، إذ يبدو ان هذه العقول الجبارة تميل الى الارقام وتفضيلها على ريشة وظلال الوان بيكاسو . ويحتاج تطويعها للرسم الى ذهن رياضى خارق وعين فنان بصير .

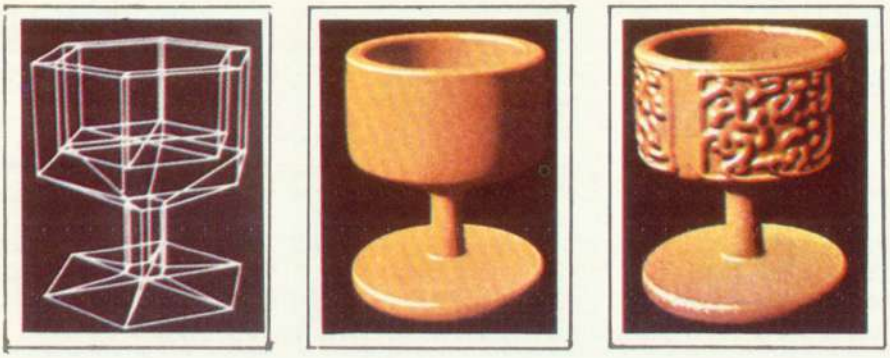

تبين هذه الصور تطور رسم الكاس بالعقل الالكترونى . رسم أولا فى عام ١٩٦٢ (١٠٠) شكلا مضلعاً فى عدد من النظائر ، ثم أزال الخطوط الخلفية فى عام ١٩٦٧ . وفى عام ١٩٦٩ قام بتلوين كل شكل مضلع حسب الضوء الذى يعكسه . ثم قام فى عام ١٩٧٥ وعلى ضوء لوغريتمات جديدة برسم الكاس سطحا مستديراً . وبعد التامل فى تصميم رسم على لوحة الكترونية ، قام الكمبيوتر باضفاء ملمس الخزف الذى نراه فى صورة الكاس الخامسة ، والتى رسمها فى عام ١٩٨٠ .

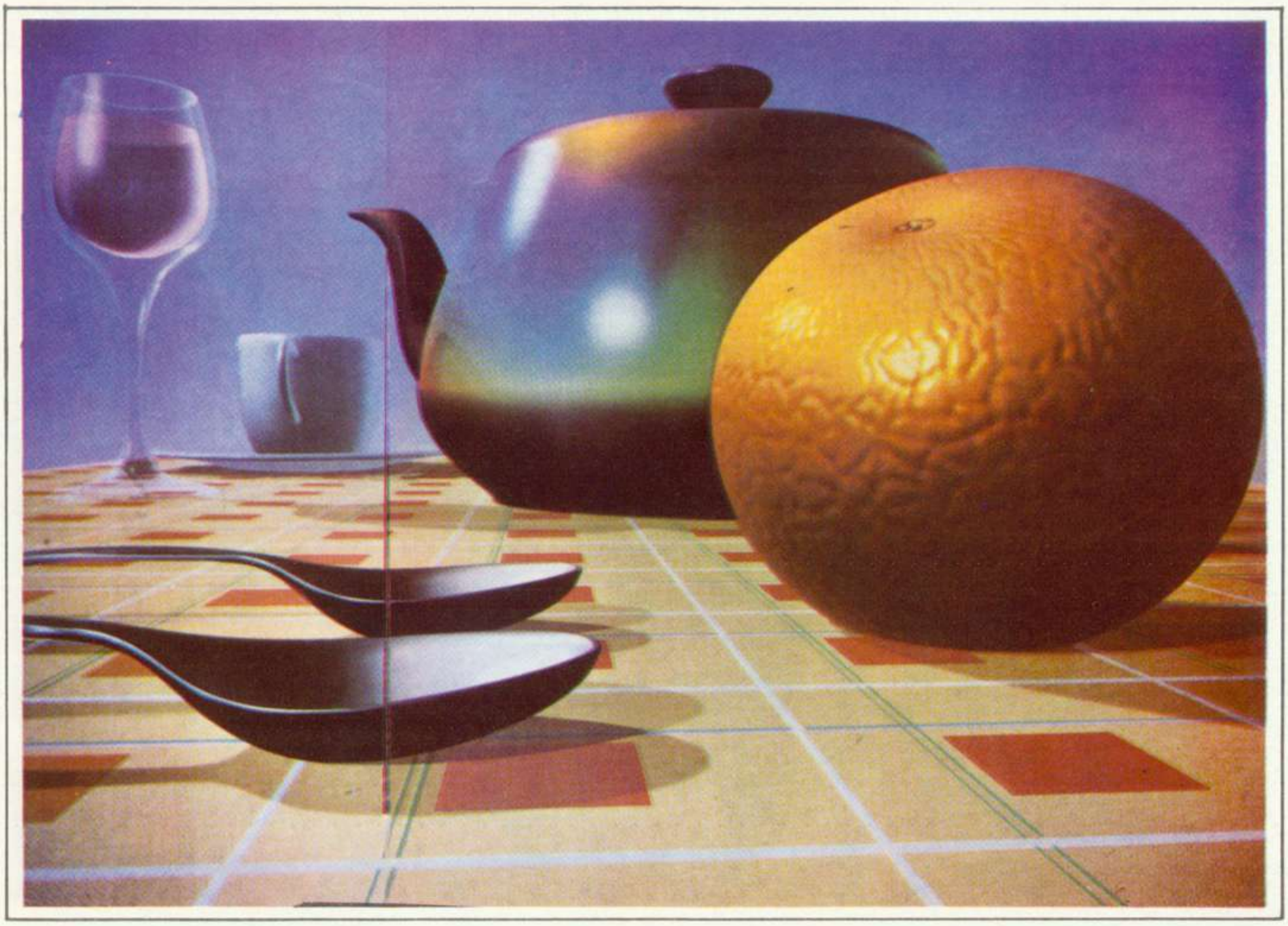

ويطلق على رجال النهضة الفنية هذه فى دنيا العقول الالكترونية اسم التشكيليين ويقع عليهم عبء تحويل الصفات التى تجعل موضوع الرسم يبدو طبيعياً وواقعياً الى معادلات جبرية وهندسية يستطيع العقل الالكترونى أن يفهمها ويترجمها الى صور . ولا يحتاج الأمر بعد ذلك إلا الى تحديد الاطار الخارجى لتلك الصور ، والنقطة الأفضل لزاوية النظر اليها .. ومصدراً خيالياً للاضاءة .. ثم يقوم العقل الالكترونى بكل شىء ، فيحسب درجة الكثافة ، وقيمة الألوان بالنسبة لكل واحدة من النقاط التى تملأ الشاشة والتى تربو عن مليون نقطة .

ومع ذلك .. يبقى أمام هؤلاء العلماء الفنانين الكثير مما يجب تعلمه واحالته الى معادلات . لقد علموا العقول الالكترونية كيفية تقليد صفحات مواد كالخزف والمعادن . ومازالوا يحاولون تذليل مشاكل سطح مواد اخرى كالشعر والفراء والدخان لادخالها فى معادلات منتظمة .

وبالرغم من الدقة الرياضية فى الاضاءة والتظليل فى اللوحات التى ترسمها العقول الالكترونية ، فان الجزء الأكبر من فن الكمبيوتر لا يعتبر فى مجال التصوير الفوتغرافى ذا نوعية مثالية فى جودته ، وربما كان ذلك لأن الكمبيوتر دقيق للغاية وحرفى أكثر مما ينبغى .

ولحل هذه المشاكل اخذ تشكيليو العقول الالكترونية يغوصون فى علم النفس وفيزيولوجية الرؤية وذلك فى محاولة للتعرف على تلك الصفات والعوامل التى تجعل الفنان المبدع عظيماً ، حتى يمكن اضفاؤها على العقل الالكترونى .

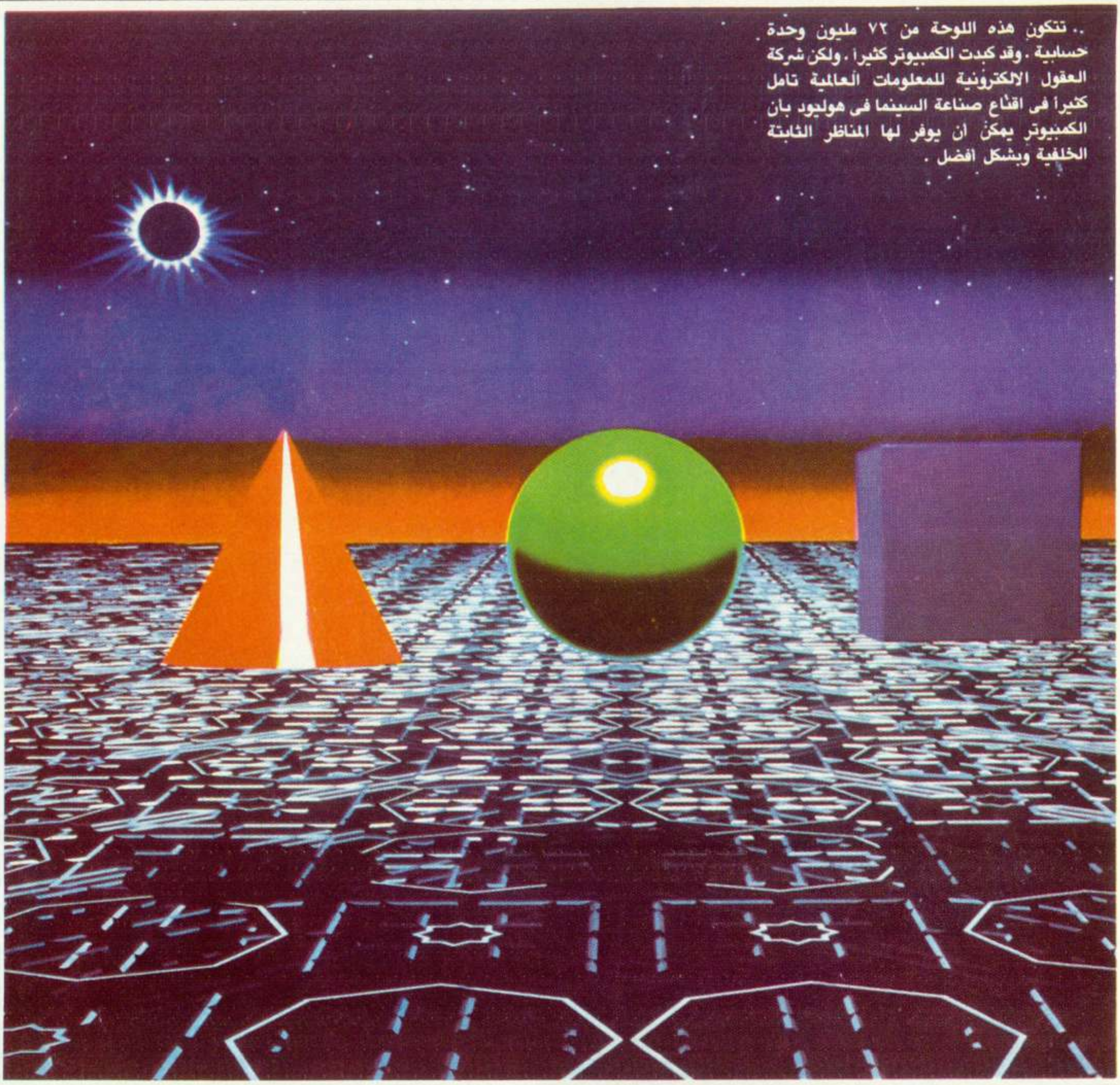

.. تتكون هذه اللوحة من ٧٢ مليون وحدة حسابية . وقد كبدت الكمبيوتر كثيراً . ولكن شركة العقول الالكترونية للمعلومات العالمية تامل كثيراً فى اقناع صناعة السينما فى هوليود بان الكمبيوتر يمكن أن يوفر لها المناظر الثابتة الخلفية وبشكل افضل .

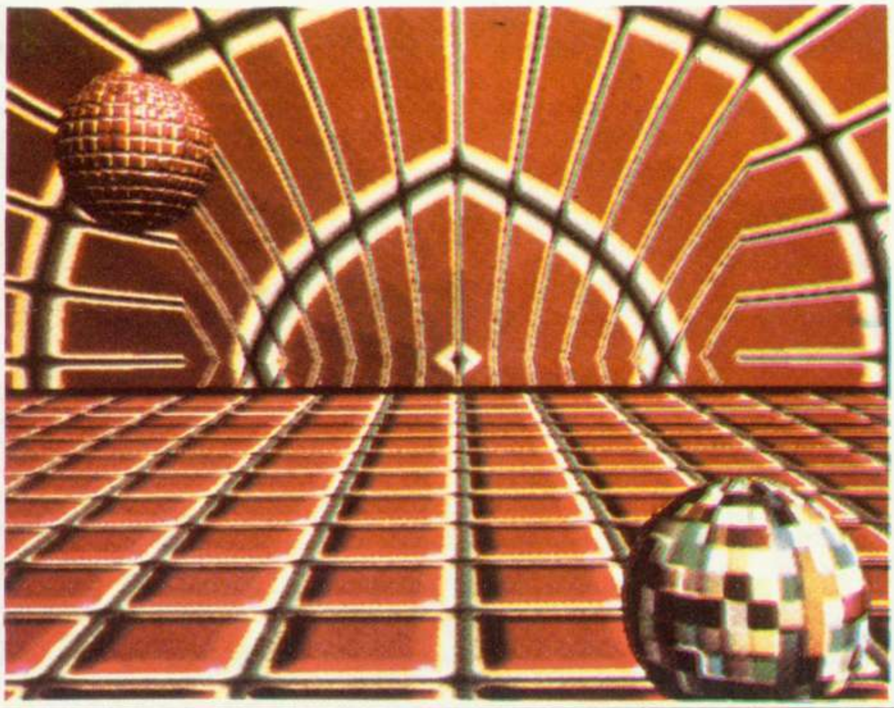

هذه اللوحة من رسم فنان من لحم ودم ، وقد تعاون مع العالم جيم بلين لانتاج أشكال كروية ذات أوجه متعددة فى خلفية تذكرنا بتاج محل .

يبقى أمام العلماء الفنانين الكثير مما يجب تعلمه وإحالته إلى معادلات فى العلم والفن

أما هذا المنظر فقد صممه فرانك كراو من جامعة أوهايو ، وقصد أن يكون معقداً وهو حانق على العقل الالكترونى لأنه استغرق عشرين دقيقة فى رسمه ، ويرى أن ذلك الوقت أطول مما يشرف الكمبيوتر !

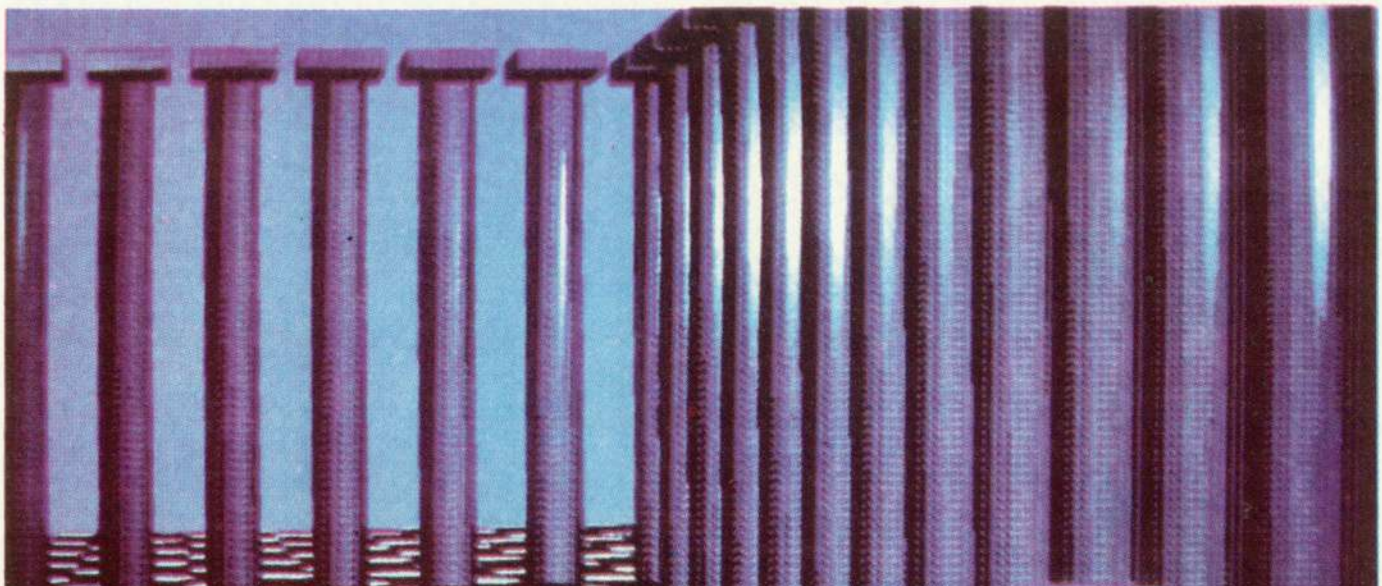

هذه اللوحة عمل مشترك بين فنان كاريكاتيرى وعقل الكترونى . فالفنان هو الذى رسم المرأة المسجاة ، ثم قام العقل الالكترونى باضافة هذا الجبار الآلي الذى يحملها بين ذراعيه .. كما انه اضاف العينين الجاحظتين فى الخلفية .

الجزء الأكبر من فن الكمبيوتر لا يعتبر فى مجال التصوير الفوتوغرافى ذا نوعية مثالية فى جودته نظراً لحرفيته

هذا تقليد لما يعرف بالمناظر الرقمية قام به العقل الالكترونى لمركز المعلومات العالمى ... وهو يصور منظراً للقمر فوق مدينة منهاتن كما يرى من قاع مجارى تصريف المياه بالمدينة .

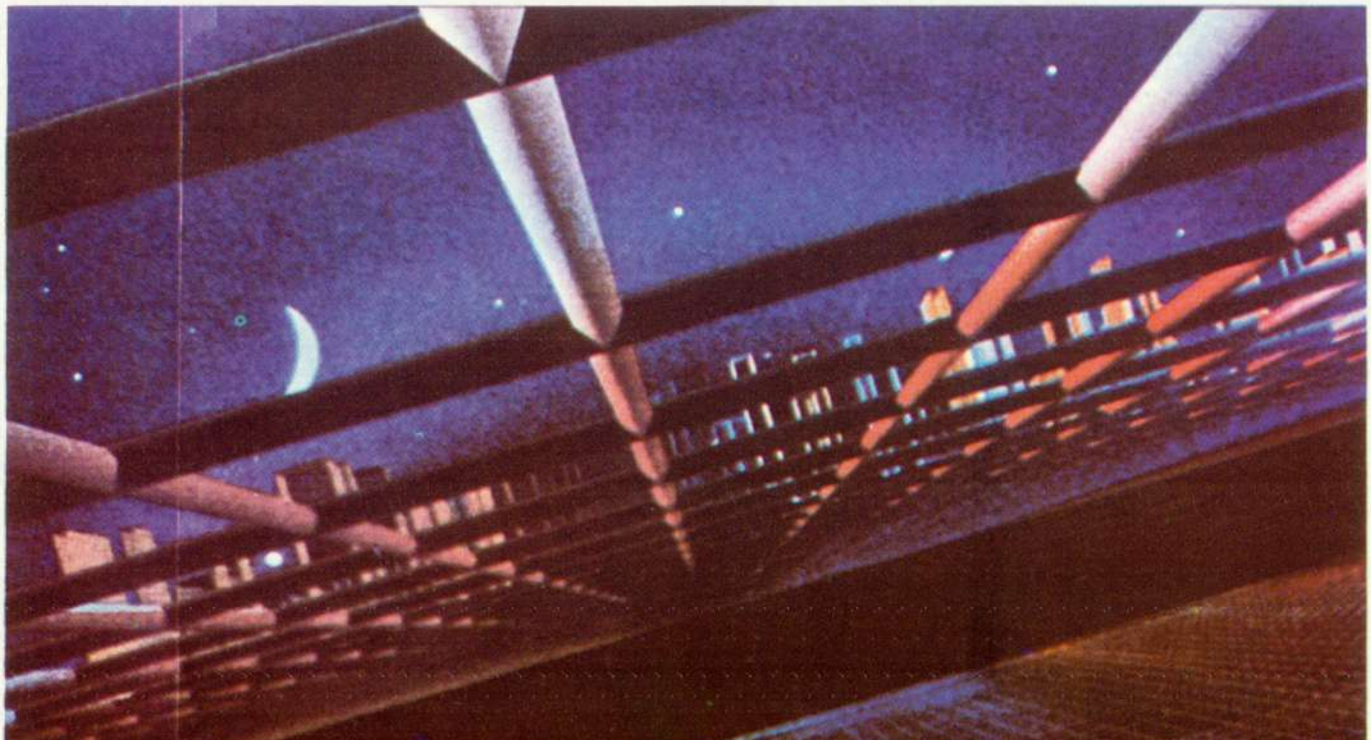

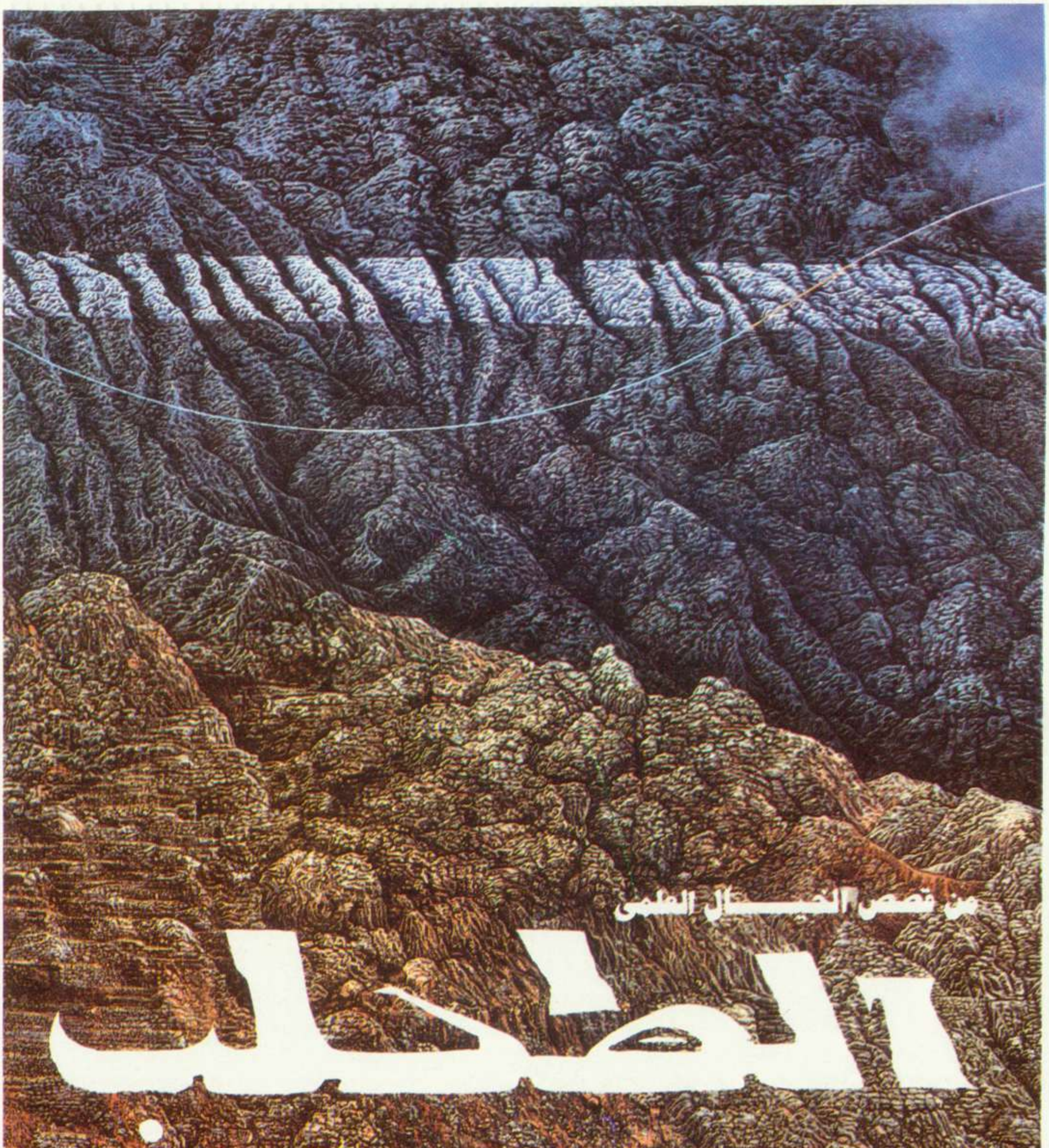

من قصص الخيال العلمي

الصلب

كتبها للدوحة الكاتب البريطاني : إدريان هنريكس

ترجمها : النور عثمان أبكر

كان ديزموند ممتلئاً بغبطة نفسه ، سعيداً بوظيفته رغم الملل الطفيف الذى يشوبها . فكر وهو يريح قدميه فوق الكونصول أمامه بأنه لم يبق سوى ثلاثة أرباع الساعة ويخرج لتناول غدائه .. وأن الحياة سهلة ، مطواعة .. وأن المكان كان سيزدحم بالناس لولا ايقاف برنامج الفضاء . لكن احساساً خفياً بالوحدة والوحشة لم يفارقه .

ولقد أوقف برنامج الفضاء لأن أحداً لم يعد يرغب فى رحلاته . وأضحت الرحلات المحدودة داخل النظام الشمسى تفرضها ضرورة صيانة المصانع الهائلة التى اقيمت فى كوكبى الزهرة والمريخ . وهى ذاتية التسيير .. لأن البشر آثروا البقاء فى الأرض . ولم يبرحونها ؟ فالكواكب الأخرى عديمة الهواء ، أو قارصة البرد ، أو ذات تضاريس خطرة على الانسان . أما السفر بين النجوم فقد اعتبر فكرة غير مجدية وعبثاً لا طائل تحته منذ أيام أينشتين .. خاصة لأنه يستغرق مئات السنوات الضوئية ، ولا قدرة لأحد للسفر بتلك السرعة .

وقد أصبح كل ما يتذكره الناس فى القرن الثانى والعشرين هو السلام . فقد عم الاستقرار الاجتماعى والاقتصادى ودام مئات السنين . وصرف أهل الأرض النظر عن إشباع ذلك النهم العجيب للنمو والتوسع ، والذى كان يبهظهم بتكلف وتكبد المزيد من النمو والتوسع الذى يجرف العالم الى الفوضى . فاذا كان استكشاف الفضاء قد توقف فان ذلك قد أتاح لديزموند أن يفكر بعمله فى برنامج الفضاء كمثال يظهر حكمة الوضع القائم . وهكذا أحس براحة نفسية .. وأغفى ذهنه .

هب ديزموند من اغفاءته وفتح عينيه على الضوء الأخضر الذى أغشاهما وهو ينبعث فى تقطع . بليب !

وسارع الى مكتب رئيسه .

إنه لم يضىء مرة واحدة فى عامين قضاهما ديزموند فى وظيفته هذه . وهو لم ينبعث فى واقع الأمر مرة واحدة فى المائة عام منذ انشاء تلك الوظيفة . يا لله : هل راجع أجهزة التسجيل الاوتوماتيكية قبل ان يخرج الى مكتب لوك ، رئيسه ؟ لم يكن واثقاً .. لذا كر مندفعاً الى حجرة الكونصول . وضغط زراً .. ثم أسرع الى مكتب لوك الذى استغرب مجيئه ، ولم يجد ثمة ما يقوله

ولوك هو منسق البرنامج ، والمشرف على عشرين شخصاً يعملون تحته ، ومنهم ديزموند وهو مفعم بالاحساس بعدم كفاية ذلك العدد فحتى لو كان الفضاء غير ذى أهمية ، فذلك لا يعنى بالضرورة أنه غير مهم . وعندما دخل عليه ديزموند ، كان لوك منهمكاً فى مسائل ادارية تخص المركز . وهو يستعذب ذلك العمل لأنه يذكره بما يقع تحت سيطرته ، ويؤكدها .

أراك تستعجل الخروج لفترة الغداء قال لوك دون أن يرفع بصره عن الشاشة الصغيرة التى استعيض بها عن كل الدفاتر والملفات والأوراق فى المكتب .

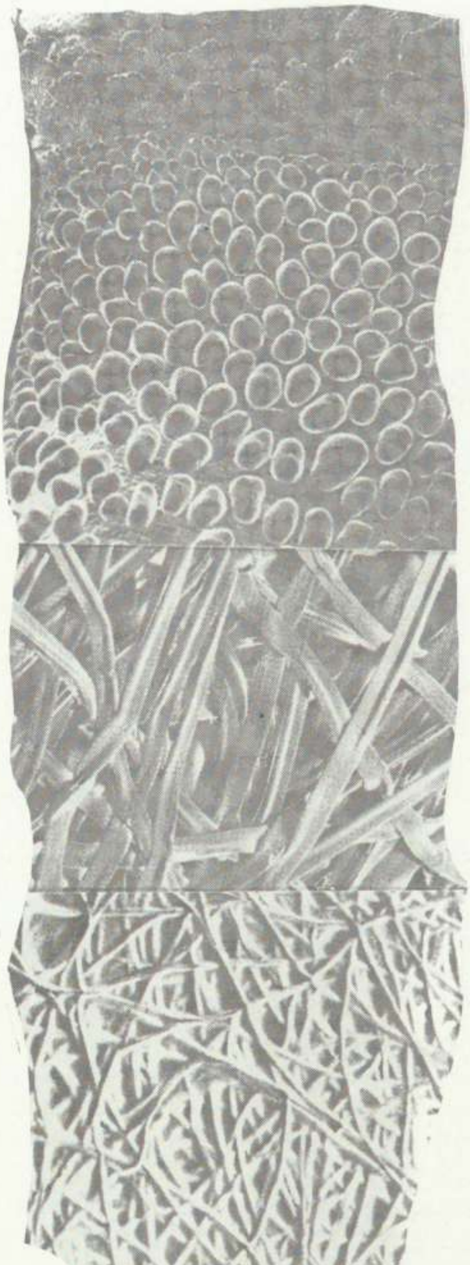

لقد وقع .. لقد وقع ما كنا ننتظره قال ديزموند فى ما يشبه الهمس وهو يغالب نفسه ليحتفظ بهدوئه .

إن عمله كرئيس للعاملين فى قسم الاشارات هو أن ينظم ويراجع الأجهزة التى ترصد الفضاء لالتقاط واستقبال الاشارات التى تحمل معلومات وقد أعدت عقول الكترونية جبارة لتقوم بفرز الأصوات العشوائية من متتاليات غير عشوائية من الطاقة . وقد عثرت الآن على اشارة .

نهض لوك ، وخطا نحو الجدار مباشرة . وقبل أن يرتطم به تحول من كتلة صماء عازلة للصوت الى فجوة وباب .. وكانت حجرة الكونصول فى الجانب الآخر . والضوء الأخضر مازال يشع ، وسيل من الورق يتدفق من الآلة الطابعة بالعقل الالكترونى . فانقض لوك عليها ، ودقق النظر فيها بينما ظل ديزموند يتقافز محاولا أن يسترق النظر اليها من فوق كتف رئيسه .

ـ يبدو أنها رسالة مزدوجة . هل يمكنك البقاء لفكها ؟.

ـ طبعاً .. حالا ..

وكان الجانب الآخر من وظيفة ديزموند هو فك الشفرات . وهى عملية تتم بمساعدة العقل الالكترونى . وقد برع فيها ديزموند منذ أيام الدراسة بالكلية ، وقبل أن يحصل على وظيفته هذه .

نسى مسألة الغداء تماماً وهو يعمل على قراءة شىء من الرسالة التى تخرج من الآلات .. كان يصنف ويجمع ويعيد تصنيف المادة .. والتى لم يتوقف سيلها لحظة . وحاول أن يستشف أى معنى ، لكنه فشل تماماً . وأزعجه أنه لم تكن بها أية متتالية رياضية أو حقيقة حسابية بسيطة . ماذا يحاولون ؟ ماذا يحاول أولئك الغرباء الأغبياء الذين بثوا تلك الرسالة ؟ لم كل هذا الهراء ؟

تصاعد غضبه ، فانحسر تركيزه ودون شعور منه لم يعد ملله طفيفاً .

كان لوك قد عاد من فترة الغداء ، فسأله عن سير المسألة ، فلم يخف ديزموند اخفاقه :

ـ لم أصب شيئاً .. لا فائدة .

فقال لوك :

ـ ربما كانت هذه الاشارة قادمة من أبيسيس .

فهمهم ديزموند ، وقال :

ـ على أية ذبذبة إذن ؟

ـ على موجة ضوئية مرئية .. ضوء أخضر فى الواقع .. كاشارات المرور .

ـ ماذا ؟

وبهذا التعليق الشاذ عاد ديزموند بانتباه شديد الى رئيسه .

ـ أجل .. ربما تصبح هذه الاشارة فاتحة عهد لمجهود فضائى كبير .. الى النجوم .

أبصر ديزموند بريقاً خاصاً فى عينى لوك فابتسم . الفضاء ؟ وابتسم لوك بدوره .. مسروراً بالتفكير بأن عدد العاملين تحته سيرتفع الى الاف ، وليس مجرد العشرين العاملين معه فى الوقت الحاضر .

فى غرفة الكونصول ظلت الأمور سيئة وطفق ديزموند يردد فى مؤخرة ذهنه «أبيسيس» .. ماذا نسى عن ذلك ؟ فقرر أن يستعين بالعقل الالكترونى ليسترد ما علمه . ضغط زراً ، فانهالت المعلومات الفنية : أبيسيس ـ نجم مزدوج أخضر باهت وأزرق ـ .. تأكد وجود نظام كوكبى له فى عام ٢٢٩٦ ..

ثم .. كفكرة ثانوية .. خطرت له أسطورة أول بعثة فضائية .. والتى يعرفها كل تلميذ ، والتى كانت قد أبرزت لهم كمثال على مدى جنون رحلات الفضاء .. وقيل أن ثمة اشارات قد تم استقبالها من أبيسيس فى بداية القرن الحادى

الطحلب

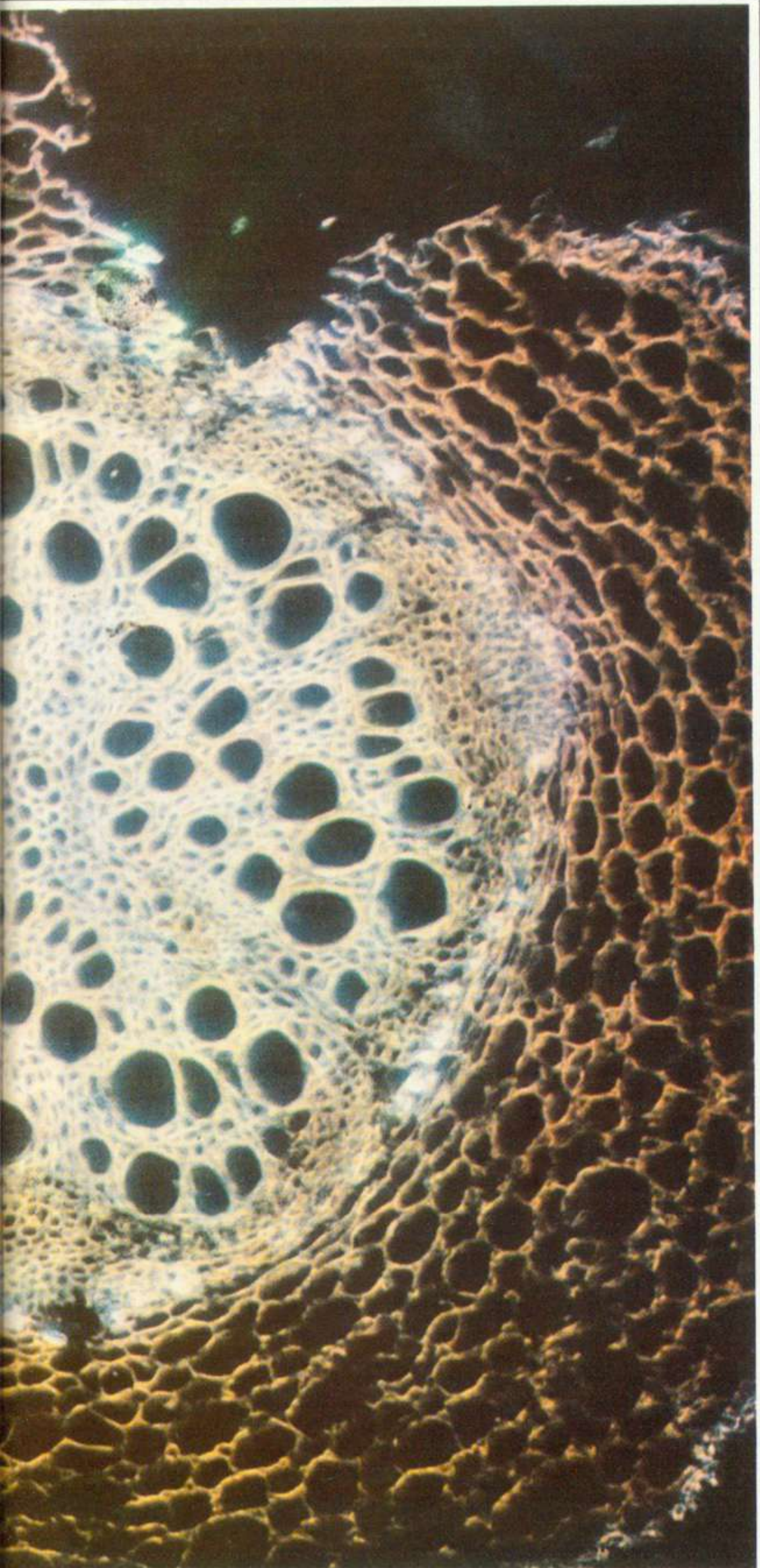

والعشرين ، وأنه تم ارسال شخص ما الى أبيسيس .. بعد أن جمد تماماً ، ورتب سفره ليكون تحت سرعة الضوء .. وقد رفع أقاربه دعوى ضد مدير برنامج الفضاء بتهمة قتل نفس بشرية .. فكانت تلك بداية تدهور ثم نهاية البرنامج . ثم توقفت الاشارات بعد سنوات ، ولم يسمع أى شيء بعدها من ذلك الجزء من السماء .. أو كذا تمضى الأسطورة .. ربما .. وكاد ديزموند أن يصرخ وهو يفكر بأن هذه الاشارة ربما كانت من بعثة أبيسيس الفضائية ..

أخذ يجرى نحو مكتب لوك .. الذى كان يستعد للذهاب الى بيته ، ولكنه توقف ، ومعطفه فوق رأسه ، وأخذ يفكر فى ما قاله ديزموند . ومثل كل الآخرين ، كان يعرف تلك الأسطورة ، كما يفترض أن يعرف ان كل السجلات والوثائق المتعلقة بتلك المحاولة للوصول الى النجوم قد دمرت فى الانفجار الذى وقع لآخر مركبة فضاء نووية ، وكانت تلك نهاية البعثات الفضائية بين الكواكب والأجرام .

– أريد مخلصاً أن أراك محقاً فيما ترى .. ولكن رسالة من هناك ما كانت لتصعب عليك إن كانت فعلا من أبيسيس ..

وبهذه الكلمات ، وهزة لمعطفه ، خرج لوك . وفكر ديزموند بأن رئيسه يحتاج الى المزيد من الخيال . فهو يعرف أنه قادر على فك الاشارة وخاصة اذا كانت من بعثة أبيسيس . وكان من الممكن أن تكون باللغة الانجليزية . ما يفتقر اليه هو عقول الكترونية لغوية الى جانب العقول الرياضية . وربما استطاع أن يستخدم الأجهزة التى بمكتب رئيسه لوك ، وأن يتصل بمترجمى المركز القومى ..

وبهذا التفكير المنعش مضى ديزموند فى محاولة جديدة .. وبعد ساعات ثلاث أحس بفرح كبير . لقد كان على حق أن الرسالة فعلا بلغة .. وهى بسيطة الى حد مفجع . فهى مبثوثة بشفرة مورس التى اختيرت لبساطتها واطنابها والذى يجعلها أفضل وسيلة لاختراق صحارى الأصوات الفضائية ، ويجعل كتابتها بالشفرة وفكها ممكنين دون استعانة بأى جهاز آلي . ولكن أفكاره كان يبددها موج الكلمات التى بدأت تتدافع من الآلة الطابعة وكان الوقت متأخراً . فأخذ ذهنه يسبح فى الكلمات :

هذا تقرير فيليو جونز .. من مركبة النجوم رقم (١) .

لقد بلغت أبيسيس . لا أدرى متى أو فى أى تاريخ .. كما أجهل تماماً كم قضيت مسافراً . البرد .. البرد اللانهائى هو ما أوقفه . البرد والوحشة .. وكلاهما يعجز الفكر عن تصويرهما . وليس ثمة دفء لتكون الحركة ممكنة . إنه سبات شتائى أبدى .

لا حيلة لي إن بدا هذا التقرير غريباً ولا مفر . وربما اتضح شيء لكم مما سأسرده .

لقد وجدتنى أنهض الى ما يشبه وضع الجالس بعد خمسين عاماً بعد تنويمى . أحسست برعب وشلل . وغمرنى قيء شديد بعد

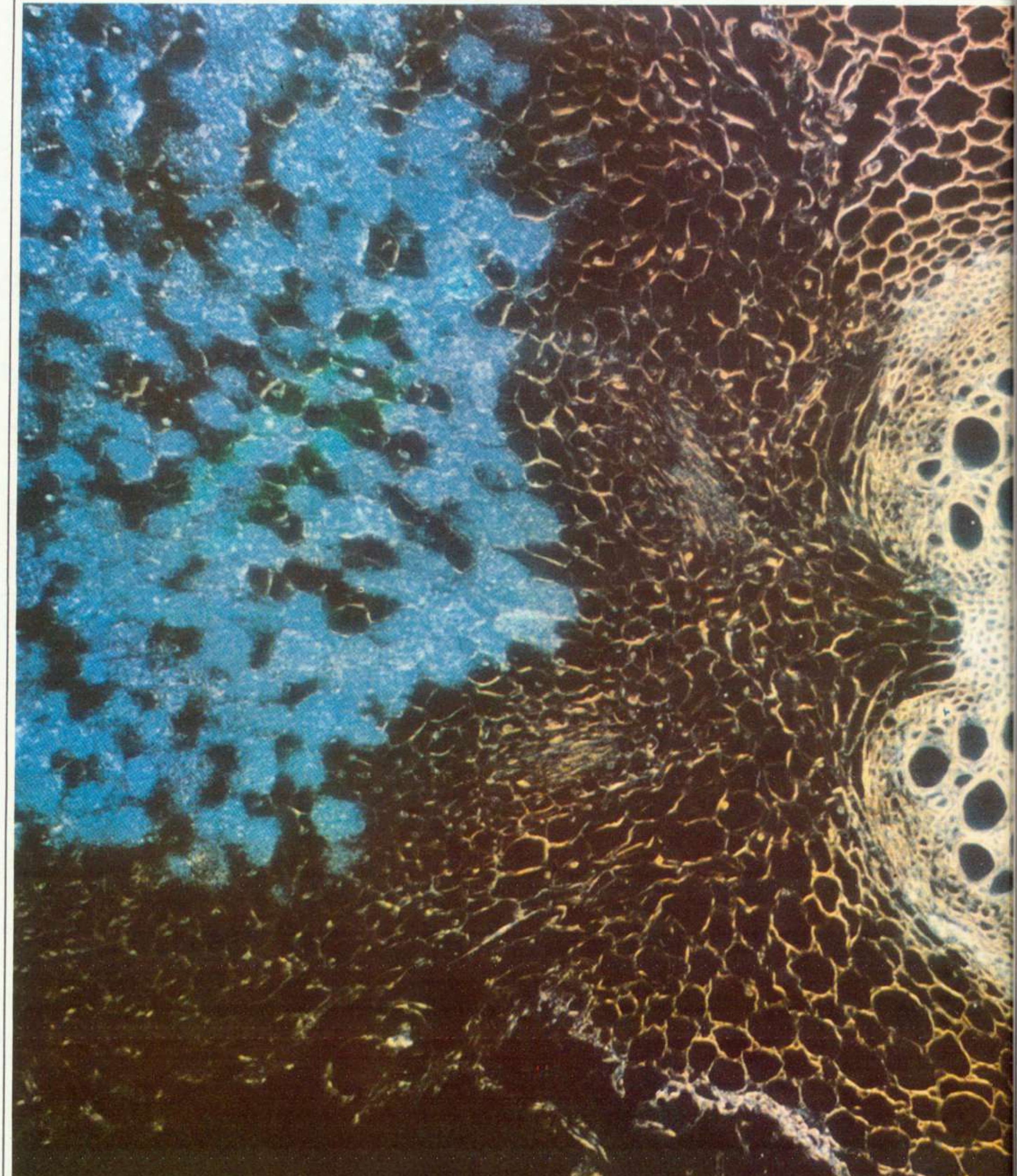

الطحلب

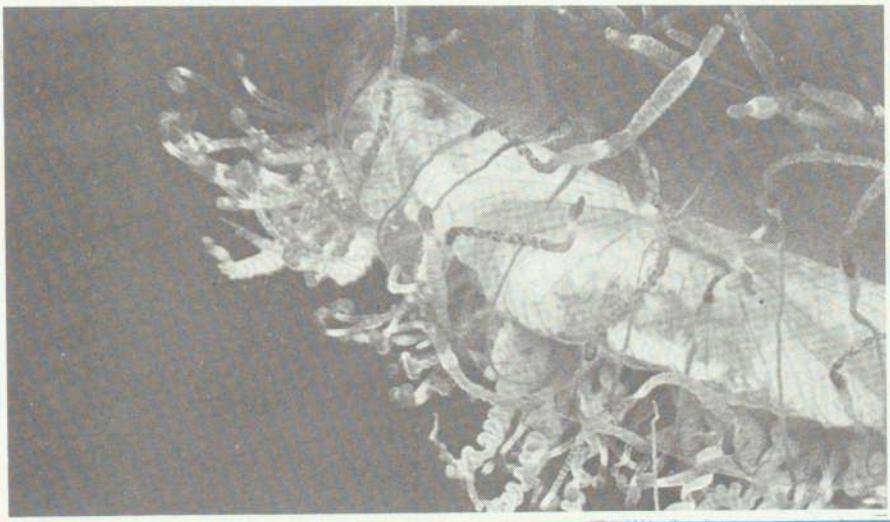

حقنة الادرالين ، فضربت رأسى بغطاء مرقدى الشتوى . أيقظنى ذلك على حقيقة المكان الذى يحتوينى ، وعلى وعيى بنفسى . وفظاعة وحدتى المطلقة . وكانت مركبة الفضاء هى الشىء الوحيد الذى يدل على وجود حياة عاقلة فى ما وراء الأرض . فكيف لى أن أدرك أن المسار قد أمسى بارداً قبل ثلاثين عاماً ؟

لابد أن المركبة قد هبطت ، فالعقول الالكترونية كانت مبرمجة لايقاظى عندما نقترب من مصدر الاشارات . وكنت متلهفاً لمعرفة تلك المخلوقات التى كانت تحاول الاتصال بنا ، بالآخرين . فرفعت غطاء مرقدى ، وحاولت أن أجلس ولكننى سقطت . لم تقو رجلاى على حملى ما أفظع ما تألمت .. وكان آلاف الأبر والدبابيس تغرز فى رأسى . تصوروا أثر الجلوس خمسين عاماً فى وضع غير مريح .

بينما أنا راقد هناك أحاول أن أستجمع شيئاً من قواى ، خطر لى أننى محظوظ فى واقع الأمر ، فقد كان من الممكن أن أصاب بالغرغرينا أو أموت أثناء الرحلة .. خاصة انه لم يكن ممكناً تجريب انعاشى بعد سبات عميق قبل سفرى . من له الوقت ؟ من كان سيستطوع لسبات يدوم خمسين عاماً ليتم تجريب انعاشه .. ؟

عندما استطعت الحركة ، نبهتنى رسالة مسجلة أن أبدأ تمرينات خفيفة ، كما أعادت علي كيفية تشغيل المركبة . أذهلنى وأنا استمع الى التفاصيل أننى أتذكر الكثير .. فالذاكرة المجمدة جيدة الحفظ . فقمت الى الحمام لأزيل العرق البارد العالق بى أثر مائة عام من السفر . كدت ابتسم لفكرة أننى أكثر بنى الانسان سفراً .. لكننى عدلت عن ذلك عندما داخلتها لحظة شك فى انسانيتى بعد أن فارقت الأرض . وأخيراً وجدتنى مستعداً لفحص البيئة المحيطة بالمركبة وعرفت من التحليل البيئى الآلى أنه لا خطر فى الخارج لكننى كنت محتاجاً من ناحية سيكولوجية لمعرفة ما سأجده .

كانت الجاذبية أقل نوعاً ما عن جاذبية الأرض والهواء يمكن استنشاقه بالرغم من أن نسبة ثانى أوكسيد الكربون والنيتروجين كانت معكوسة . ولم تكن هناك حياة حيوانية تستحق الذكر . ثمة أشكال شبه حشرية .. لا غير . وقد سرنى ذلك لأننى على الأقل لن أنازل ، مضطراً ، حيوانات خرافية . هكذا قدرت فى ضحكة مكبوتة ولكننى توقفت خائفاً من الذى بعث الرسالة ؟

خرجت من المركبةبعد مشقة طفيفة لأننى لم أكن قد تعودت بذل أى مجهود . وخرجت الى التل الذى رست فوقه .. وهو مغطى بالطحالب . وكانت السفينة قد غاصت فى أرضه ، وكأنما الكوكب نفسه حرص على احتضانها فى رفق . وبعد أن استجمعت أنفاسى بعد هذا الصعود أخذت أبسم لنفسى ، ثم انطلقت مغنياً ، وصرخت : لقد نجحنا .. لقد نجحنا .. نجم آخر . كوكب آخر به حياة عاقلة . ولكن .. أين كنا ؟ أين لجنة الاستقبال للاحتفاء بنا ؟ أين مظاهر الحفاوة أو الخوف من مخلوقات غريبة من عالم آخر ؟ ألم أتكبد مشواراً طويلا .. فلماذا يتم تجاهلى ؟

تذكرت المعلومات التى نعرفها عن هذا الكوكب .. إنه خال من الحيوان . ملكتنى الحيرة أترانى هبطت بى المركبة فوق كوكب آخر بالخطأ ؟ ربما ماتوا منذ أمد بعيد ، ربما أفنت حرب نووية أهل الأرض الآن . هل كنت أتبع اشارة من الماضى السحيق للموت فى المستقبل القريب ؟

اعتليت المركبة ، ولم يكن ذلك صعباً لأنها كانت غائصة فى أرضية الكوكب . وكنت أؤمل أن أرى شيئاً من ذلك العلو .. مدينة أو أية علامة تدل على الحياة . لكن أملى خاب . كانت الجهات كلها تلالا ووهاداً تبعد خمسة عشر متراً من بطن الوادى ، وموزعة على مسافات متساوية .. ولكنها بلا نهاية . فعدت الى المركبة يثقلنى الارهاق وتشلنى خيبة الأمل . فقررت أن أطعم شيئاً مما جئت به من الأرض ، والذى ربما كان الطعام الوحيد فى هذا الجزء من العالم .

وكانت تجربة باهظة .. أن يطعم المرء بعد مائة عام . وقد بدأت الأكل بوقت قليل من الميقات الذى كان ينبغى أن أبدأ بتكليف أجهزتى بمجهود الهضم . ولكن تلك الأمور لم تعد ذات أهمية وقد راودنى الأمل فى العثور على حبوب السيانيد ، ذلك السم القاتل ..

خرجت بعد الأكل لاستكشف المساحات البعيدة عن المركبة علنى أجد ما فاتنى أن أراه وتأكد لي فعلا أننى لم ألحظ أحد التلال أكثر دكنة وحجماً من الآخرين . ولما لم يكن لي شيء آخر أقوم به ، رأيت أن أسير اليه . كنت أمشى فى بطء فى البداية لأننى كنت أوهن مما تصورت . وكانت دهشتى مفرحة عندما وجدت المشى والصعود والهبوط من تلك التلال أمراً مبهجاً . وكان الهواء نقياً صافياً ، وان كانت رطوبته أكثر مما أحب واشتهى . وكانت هناك شمسان .. احداهما زرقاء ، والأخرى خضراء .. كلتاهما تغربان فى سماء عميقة الزرقة . وكان الظلام شديداً مما أشعرنى بالعرى والعجز تحت شمسين . ولكن ذلك كان مجرد خدعة لصفاء ونقاء الهواء ، إذ أن غياب الغبار فى الجو جعلها تبدو سماء سوداء ، وجعلنى أحس بأن النجوم ترمقنى من فوق كتفى .. تماماً مثلما يحيل الغبار فى جو الأرض السماء الى لون أزرق خفيف ، ويضفى على الفضاء تلك الروعة التى تصرفنا عن التفكير بالغبار .

أخذت أفكر فى مصيرى .. وأنا اسير متمهلا . لقد تلقيت تدريباً عالياً فى فك الشفرات وفى علم النفس . ولذا تم اختيارى لهذه المهمة . ولكن عملى لا يبدأ إلا عندما يتم اللقاء بينى وبين مخلوقات غريبة . وكان العامل الأساسى فى اختيارى هو الاخلاص للمهمة ، والتى تفرض علي أن أقيم اتصالا مع أشكال أخرى من الحياة .. ولا أفكر فى العودة الى الأرض .. لأن ذلك غير ممكن لأنه لا يمكن لمخلوق أن يعيش تجربة الانعاش مرتين . وقد تبينت مدى جسامة التجربة كيف لي ألا أعود وكل لحظة من كيانى تشغلها أفكار أرضية .. والصداقات التى لم أسمح لنفسى بحياتها منذ أن أبلغت بمهمتى هذه . إننى من ناحية سيكولوجية لم أفارق الأرض حتى هذه اللحظة . ومع ذلك فأنا هنا مبعوث وسفير لعالم لم يظهر بعد أنه يريدنى .

وكان الطحلب يعطى كل خطوة منى إحساساً طريفاً ، وكأننى أقفز فى خفة . فرحت أفكر فيه وأتفحصه . وجلست ، يغلبنى التعب ، كما حب الاستطلاع . وأخذت بعض الطحلب بين يدى . وكان أغرب ما به أنه كان أزرق اللون وأخضره فى نفس الوقت . فاذا ركزت على الأخضر ظاناً أنه نبات أرضى فان الأزرق يندس من طرف خفى فى وعيك . وان كنت تتأمل الأزرق وتتملاه ، فان الأخضر ينبت فيك وكأنه كان دائماً هناك . وفى ضوء الشمسين بدا الطحلب وله بريق وحفيف كأجنحة حشرات صغيرة .

ويتكون هذا الطحلب من أوراق تغلف أوراقاً أصغر ، تغلف هى بدورها أخرى أكثر دقة .. وهكذا .. وكأنما هو منظار تلسكوب لا يمكن للعين

أن ترى عدسته النهائية .. لدقتها . وكان جميلا جداً . فعجبت إن كان يغطي الكوكب كله . تنفست متنهداً وقمت .. وأنا أعرف أن لي مكاناً يجب أن أبلغه . ولكنني تمنيت لو عرفت أين هو

وكان المنظر من المرتفع التالي يظهر التل الكبير الذي أقصده بوضوح وجلاء . فامتلأت نفسي بالأمل لما رأيت . كان يبدو وكأنه مبنى أو نوع من البناء . وبه فتحات وكوى عديدة . غلبني الأمل فاندفعت مضاعفاً جهدي لأبلغه .. ولابد أن منظري وأنا أخطو مسرعاً كان مما يبعث على الضحك .

ولكن البناء كان مطلق السكون ، وهو من نفس الطحلب الذي يغطي التلال .. وإن كان هذا أعمق قليلا ، وأصلب مظهراً . وكانت الفتحات والكوى ذات أحجام مختلفة ، بعضها بحجم مداخل مأوى الأرنب ، والآخر أكبر من حجم الانسان . وكان التل كله حوالي مائة متر طولا ، وربما عشرين متراً في ارتفاعه . وكان مهجوراً .. وربما أسدل النسيان على أية أعاجيب من الابداع التكنولوجي العضوي الذي كان قد تحقق ، وظل أملي الوحيد هو ألا يكون الجنس الذي بنى كل ذلك قد اندثر .. وألا أكون وحدي .

لم يتغير شيء وأنا أدور حول التل . وعندما أبصرت مركبتي تشع في البعد تحت الشمس الغريبة ، تبددت كل آمالي .

وبينما كنت أتدبر الصعود الى قمة هذا البناء لاحظت أن واحدة من تلك الفتحات قد أخذت تشع وتلمع . ترددت نصف ثانية في الدخول ، وعندما وصلت الى قرار كنت قد دخلت فعلا . وكان الضوء رائعاً ، ويشع من الطحلب نفسه ، ولا يختلف عن البريق المتعدد الألوان الذي أبصرته في التلال . وأخذت أتوغل في النفق بشعور جارف من الفرح بأن هذا الكوكب غير مهجور ، وانني سأبلغ قلبه . وقادني النفق عبر عدد من العتبات ، ثم انفسح أمامي بهو بحجم كابينة مركبتي . وكان كل جزء به مصنوع من مادة الطحلب الذي يجلل كل صفحة مرئية من هذا الكوكب .

هل وصلت ؟ لا أدري . ولماذا لا يوجد أحد هناك ؟ وعندما كدت أبدأ البحث عن غرفات أخرى ، سمعت صوتاً خافتاً :

ـ مرحباً بك في إينلو .

ولكن لم يكن هناك أحد . ففزعت أن يكون عقلي قد ذهب . هل يمكن لقوة الايحاء الذاتي أن تحقق مثل هذا الخداع المؤسف للنفس ؟

كان علي أن أرد التحية .. ولكن ماذا أقول :

ـ هللو ..

وجدتني أقول في استجابة كسيحة . وسرني أن أسمع الصوت القديم يقول :

ـ حسبتك لن تجيء ، فقد انقطعت الاشارات عن الوصول الينا منذ أعوام عديدة .

قلت وأنا أحس بسخفي :

ـ إنني هنا .. ولكن .. أين أنت ؟

خيم صمت ، ثم أتاني الصوت من جديد :

ـ لقد كنت معك منذ أن هبطت مركبتك . مشيت فوقي ، وقطفتني .. وها أنت بداخلي . أنا الطحلب .

ـ نبات ؟

صحت في عدم تصديق مؤلم ، ناسياً بذلك كل تلك العبارات اللائقة التي قضيت أعواماً في التدرب عليها لهذه المناسبة .

ـ كيف يمكنك أن تخاطبني ؟ كيف نستطيع أن نقيم تفاهماً بيننا ؟ كيف لنبات أن يكون عاقلا ؟

فقال الطحلب :

ـ كثيرة هي أسئلتك . إنني لا أتحدث اليك ، انني حساس للذبذبات الكهربية الموجودة بدماغك والتي تدعوها أنت أفكاراً .. والتي أستطيع أن أختار منها ، ثم أوجه انتباهك اليها . وبهذه الطريقة أحضرتك الى هذا المكان .. والآن أقيم معك هذا الاتصال . ان اضطراب ذهنك يجعل الاتصال معك يسيراً .

أمسكت دماغي بيدي عندما سمعت هذا القول .. محاولا أن .. أن أفعل ماذا ؟ أحفظ ماذا ؟ وارتج علي . لا يمكنني أن ألوم غير نفسي .. وبمعنى الكلمة .. إن كانت الهلوسة قد أصابتني بكل هذا وقلت :

ـ إنني أسف .. كل ما في الأمر أن الأرض ليس بها نبات عاقل .

فأجابني الطحلب في نوع من الاحتقار أحسست به في حفيفه :

ـ ليس هناك حيوانات عاقلة في اينلو . ومع ذلك فان عقلي قد تطور في احدى مراحله بواسطة تنبيه الأشكال البدائية لحياة الحشرات في إينلو .. هذا بالاضافة الى الكوارث الطبيعية . ومثل أنواع الميموزا الحساسة في أرضكم فان الحاجة قد وهبتني قوى محدودة على الحركة .. كما وهبني لطف التطور نظاماً متحركاً كهربائياً وديناميكياً .. مثل جهازك العصبي . ولكن عقلي كان بفضل توحيد نفسي كنبات متكامل من شواطىء بحر الى شواطىء بحر . إنني أحتل هذا الكوكب كله .

قلت :

ـ إذن ليس هناك أحد سواك انت .

قال لي :

ـ ليس هناك واحد أو كثيرون . لقد مررت بمرحلة من التطور عرفت فيها بداية تخصيص الوظائف مثل تلك التي كان يمكن أن تقود الى ما تسمونه انتم الحضارة . ولكنني لم اكن أرغب في ذلك . ويسرني ان عقلك ينطوي على بقايا تجارب كثيرة غير سارة .. والتي هي نتاج لانقسام نوعكم على نفسه .

لقد كان هدفي على العكس من ذلك أن أوحد كل جزء مني ليخضع لغرض وتوجه مشترك . وعندما تحققت الوحدة التي كنت اسعى لها عبر بلايين السنين ، اكتشفت أن الفناء قد أخذ يدب في .. إن المجهود الذي بذلته للتنسيق بين أجزاء نفسي كان أكبر من أن يحتمل . وكان هدفي النهائي أن أقيم اتصالا مع نبات اخر عاقل . وفي ذلك فشلت .

وقع بيننا صمت : وكان جلياً أن مجال الاتصال بيننا ضيق جداً . لقد كنت مثل ذرة من الغبار بالنسبة لهذا النبات ـ إن جازت تسميته هكذا ـ لم تكن ثمة امكانية لتبادل الثقافة أو المعرفة بين الأرض وإينلو .. فأي ثقافة يمكن أن تكون للنبات ؟

ـ هل تريد أن تتصل بالأرض ؟ سألني الطحلب .

ـ بلى .. وبشدة . ولكن كيف لك ان تقوم بذلك؟ ألم يكن المجهود شاقاً ؟

فقال لي الطحلب :

ـ في فتوتي كنت أستطيع تنسيق كل سطح هذا الكوكب ـ الذي هو أنا نفسي ـ وذلك كيما أثير انبعاث الضوء الأخضر الذي يمكنك أن تعتبره نوعاً من أشعة الليزر الخضراء . أما الآن فانني أستطيع تنسيق نصفي فقط .. ذلك النصف المواجه لأرضكم . وستستغرق اقامة الاتصال بعض الوقت .

جلست .. وأخذت أبكي . لقد نجحت بعثتي ولكنها لن تثمر شيئاً . وعجبت إن كان هناك نبات اخر يمكن أن يساعد هذا المخلوق القديم الضخم على البقاء حياً . أم تراه قد اتصل بشيء مختلف تماماً عنه وعني ؟ ماذا أقول للأرض ان كانوا قد ظلوا يتسمعون بانتظار اشارة مني تصلهم بعد خمس وعشرين سنة من هذه اللحظة ؟ وماذا يفيدون من عذابي في الفضاء ؟ ولكن .. ربما .. ربما استطعت أن أحذر الناس من السفر في الفضاء .. إذ لا فائدة .. لا أمل ..)

●●●

دخل لوك وهز ديزموند من كتفيه :

ـ ديز .. ديزموند . أأنت على ما يرام : لقد قضيت الليل كله هنا .. نائماً . هل كانت الرسالة مملة الى ذلك الحد ؟

ـ أووه .. بلى .. بلى .. الرسالة .. الرسالة .. هل .. الرسالة .

ترجمة : النور عثمان أبكر

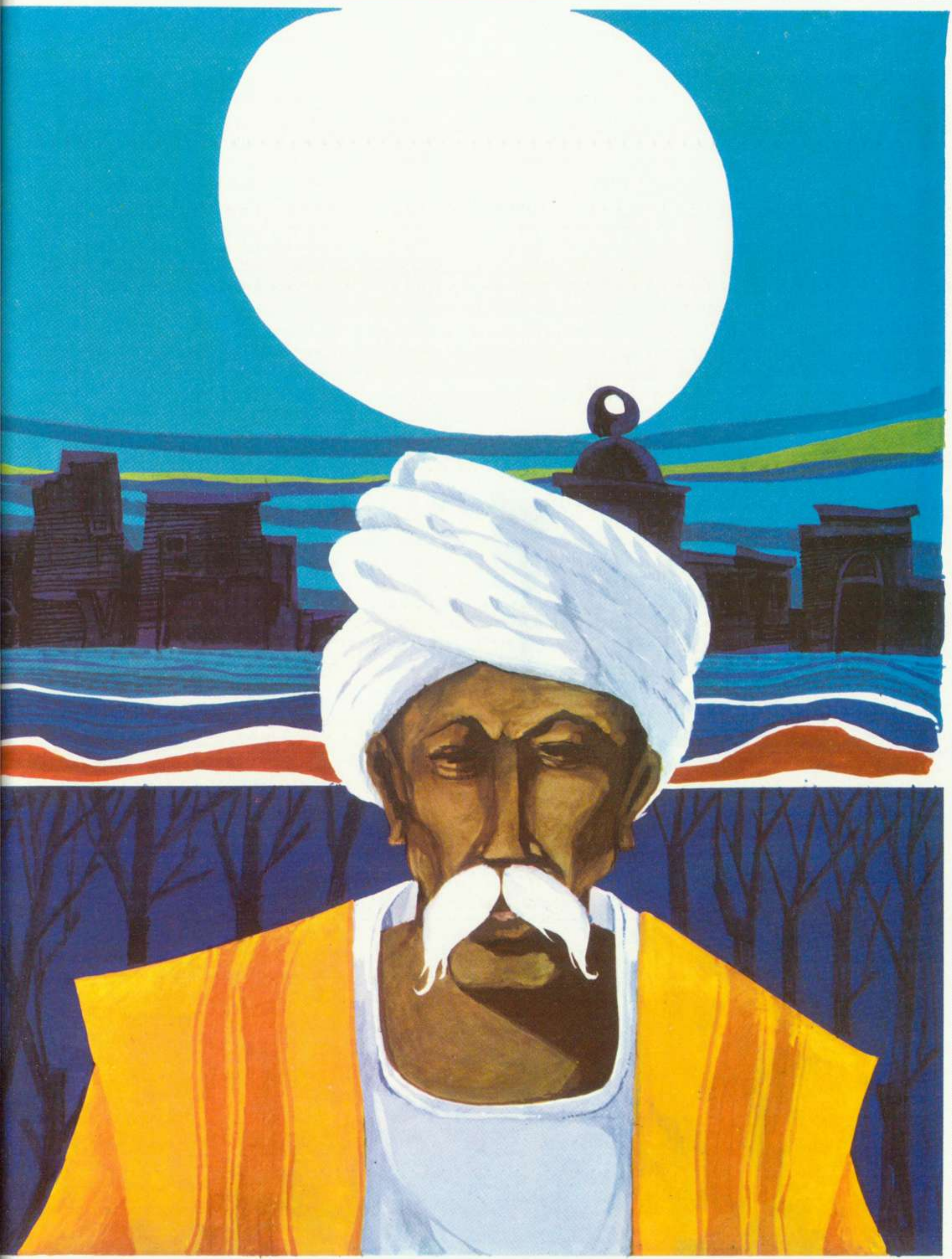

بوابة حمد النيل

يحيى العوض

رسوم : على دياب

عند الفجر كان قد أكمل كل الترتيبات الضرورية لإعلان النبأ الهام ، فهو يعرف منذ ثلاث سنوات أن موعده صباح اليوم .. وكعادته كان مستيقظاً منذ الهزيع الأول من الليل ، لأنه يصلى الصبح بوضوء العشاء ...

انعشته نسيمات الصباح التى مازالت تتعطر بالندى الممزوج بحمرة الشفق .. أطربه زقاء الديوك فى وداعها لفلق الصباح ، الذى بدا ينساب عائداً ، يحث الخطى ليلحق بموكب الليل ويمسك بأطراف عباءته ، مفسحاً الطريق لأشعة الشمس ، التى تتعمد كل صباح إطالة وقفتها عند الغيوم ، حتى لا تحرمه نشوة الفرح التى تعرفها جيداً ، عندما تلامس مشارف الأفق لتشهد ميلاد يوم جديد ...

كان يقف منتصب القامة متهلل الأسارير منشرح النفس ، واثقاً بانه سينجز اليوم مهمته ويزيل عبئاً كبيراً ، سيمكنه من التفرغ لمواصلة سياحته . جال ببصره فى أرجاء المكان .. اطمان إلى أنه أعد كل شىء بعناية وأن اللقاء سيتم وفقاً للصورة التى رسمها جيداً فى ذهنه ..

سيدهشون عند رؤيتهم الكوخ الصغير الذى شيده بعد منتصف الليل من سعف النخل وأعواد القصب عند طرف اللسان الرملى الممتد من داخل النهر ، والذى من اليسير الوصول إليه ، فالمياه فى ذلك المكان ضحلة لا تصل خاصرة صبى فى العاشرة .. لكن المفاجاة التى ستروعهم ستكون فى الوقت المناسب ، عندما يخرج السكين الحاد النصل من جيبه ... وتحسس براحة يده نصل السكين ، واطمأن بأن ضربة واحدة منه تكفى لتدفق شلالات من الدماء .. ووضع مسبحته (الألفية) المصنوعة من ثمار شجر الهجليج (اللالوب) حول عنقه .. كان يطل على القرية من الربوة العالية التى تفصل المنازل عن الأرض الزراعية الصغيرة عند شاطىء النهر ، وبأعلى صوته صاح .. وتدفقت الكلمات مدوية فى وقار وجلال .. اكسبها سكون الصباح قوة اندفاع خارقة تجاوبت معها العصافير والدواب بالصمت واللهفة ... وسمعها كل رجل وامراة وطفل .. جميعهم كانوا يعرفون صوته فانطلقوا فى حماس يتسابقون لتلبية ندائه .. وتجمعوا حوله ، لاحظوا الكوخ عند طرف اللسان الرملى داخل النهر ، لكنهم لم يجرؤوا على سؤاله ، ولم يمهلهم ، قال بصوته القوى النبرات :

أيها الناس

اليوم موعدنا

لن يتكرر هذا اللقاء أبداً ..

الأول .

ـ لن يذبحه

ـ لا أظنه يرتكب جريمة قتل فى وضح النهار !

اليوم ساقدم لكم ما يبدد خوف ظنونكم ...

ستجدون أغلى ما تنشدونه «أمن اليقين» !

أيها الناس :

بوابة حمد النيل

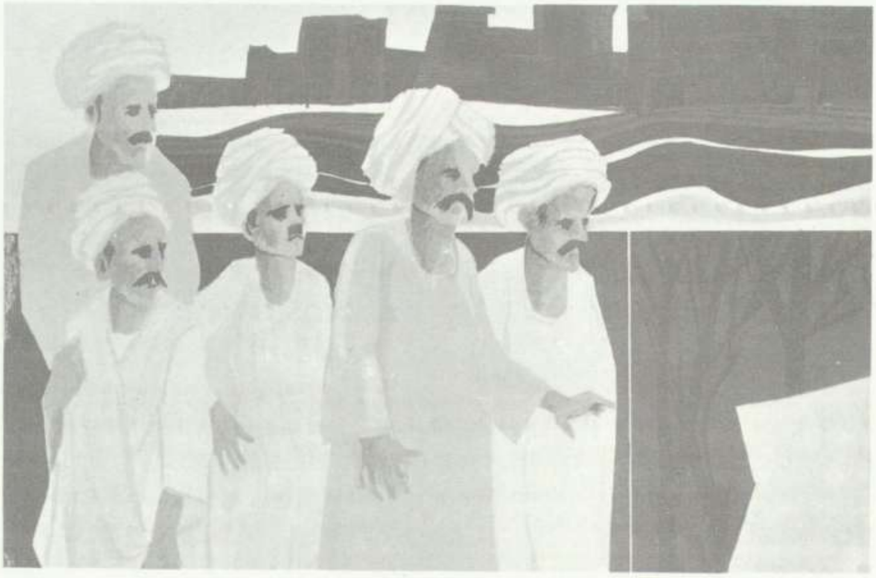

من يرد منكم السير فى طريقنا فليتقدم ... وتاكدوا أن الطريق لاتجاه واحد .. من أراد منكم الطريق فليتقدم .. هيا .. تقدموا .. !

سرى حديثه بينهم مريحاً مشجعاً .. إنهم يصدقونه فقد وعدهم دائماً بأن أقواله أفعال .. وتعالت الصيحات :

ـ نريد الطريق ..

ـ نريد الطريق ..

ـ إننا مستعدون

ـ نحن رهن إشارتك ..

أشار إليهم بالهدوء .. أرهفوا السمع .. قال لهم :

ـ هناك شرط واحد ..

من اراد منكم الطريق عليه الوفاء بالشرط ، ولن نسمح له بالتراجع ... فى لهفة صاح الحاضرون :

ـ نقبل كل شروطك ..

ـ أمرك مطاع .

ـ لن نتراجع ..

ـ كلنا مستعدون ..

وعندما أخرج السكين من جيبه ولمع نصله الحاد مع انعكاسات الصباح ، صمت الجمع وساد سكون شامل .. العيون تتطلع فى دهشة .. وقال لهم :

ـ من أراد الطريق فليتقدم .. شرطنا الوحيد هو الذبح ! ذبح من يوافق للسير فى طريقنا .. وهو لاتجاه واحد ! هيا تقدموا .. الذى يقبل الشرط عليه الدخول فى هذا الكوخ ، وأشار إليه بأصبعه ... تقدموا .. صمت ... صمت ... صمت ... وفجاة قفز شاب فى الخامسة والعشرين من عمره وانفلت من وسط الجمع وباقصى سرعته اندفع داخل الكوخ .. ودخل الرجل فى أعقابه والسكين يلمع فى يده ..

ـ لقد جن الرجل (هتف احدهم)

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. لقد كان أعقلنا ..

ـ هل تعرفون من هو الشاب ؟

ـ نعم إنه عريس لم يكمل أسبوعه

واطل الرجل من الكوخ وحده وسكينته تقطر دما ، ولوح بها فى وجوههم ، بينما نزيف من الدماء يسيل خارج الكوخ مختلطاً بمياه النهر ...

الذعر يسود المكان .. أغمى على عدد من النسوة ... صراخ ... عويل ... هيستريا من البكاء والنحيب .. ويتقدم الرجل ليقف فى مكانه ويصيح مجدداً :

ـ ايها الناس .. من أراد منكم الطريق فليتقدم .. الطريق لاتجاه واحد ...

ويتعالى صياح الناس :

ـ إنه مجنون .

ـ أمسكوه لن تذهب دماء العريس هدراً .

ـ أهجموا عليه .

ويفاجئهم شيخ وقور تجاوز الستين من عمره يعرفونه جميعاً .. يتجه نحو الكوخ ، بينما تحاول مجموعة من الواقفين منعه .. يقاومهم زاجراً :

ـ مكانكم لا يلمسنى احد .. انا أدرى بمصلحتى ، اذا كان العريس الذى لم يتجاوز الثلاثين قد ذبح ، فأنا فى الستين .. واندفع داخل الكوخ وخلفه الرجل شاهراً سكينه .

انحبست الأنفاس واحتقنت الوجوه بمزيج غريب من الغضب والخوف والألم والضجر .. ثم أطل الرجل والدماء تقطر من سكينه ويديه ، فانحنى يغتسل بينما تجمعت بركة قانية اللون حول الكوخ ..

لم يتكلم احد .. كانوا ينظرون اليه فى ذهول وهو يتقدم نحوهم بخطواته الثابتة وسكينه الطويل النصل .. وكرر النداء :

ـ ايها الناس ... من أراد منكم الطريق فليتقدم .. الطريق لاتجاه واحد .. !

صمت ... صمت ... صمت الجمع مطرق ينظر تحت أقدامه .. امتد الصمت .. بدات نظراتهم تتجه نحو واحد منهم يقف فى الصف الأمامى ، فهو من وجهاء القوم ، معروف بقوته وبأسه .. أحرجته العيون المتسائلة المستنجدة ... تنحنح .. ضغط على أسنانه فى غيظ شديد وتقدم فى خطوات وئيدة وهو يردد فى صوت خافت ... «ساذبحه قبل أن ينال منى ..» ودخل الكوخ والرجل من خلفه شاهراً سكينه ..

مضت الدقائق متثاقلة .. لم يظهر الرجل على باب الكوخ .. طال الانتظار .. لا صوت .. لا حركة من ناحية الكوخ .. قال أحدهم :

ـ الآن نهاية الرجل مؤكدة .

ـ لن نأسف عليه .

ـ لا أصدق ما حدث ..

ـ امتحان رهيب .

وخرست الأصوات .. جحظت العيون .. كان الرجل يقف أمام باب الكوخ ممسكاً بسكينه العتيد يقطر دماء طازجة .. وبهدوء خاطبهم ..

ـ يا قوم .. طريقنا صعب ..

واحمد الله فقد خرج من بين صفوفكم ثلاثة رجال يستطيعون حمل الأمانة ، انهم مؤهلون للسير بكم فى الطريق ، سأغادر دياركم اليوم بعد أن أعاننى الله على اكمال مهمتى .. وخرج من داخل الكوخ العريس الشاب ، والشيخ الذى تجاوز الستين ووجيه القوم .. كل واحد منهم ممسك بجلد «الذبيحة» التى فداه بها الرجل وأوصاهم بأن يجعلوا منها مصلى لهم .. وعندئذ تدافع الناس بالمناكب يهتفون .. : نريد الطريق .. نريد الطريق .. وكان الرجل قد اختفى بينهم

يحيى العوض

رأيت سمعت قرأت

رأيت

المهانة فى الأرض المحتلة

أثناء اقامتى بفلسطين المحتلة فى الاجازة الصيفية كنت أركب السيارة فى طريقى الى المنزل حوالى التاسعة ليلا رأيت ثلاثة فتيان تتراوح اعمارهم ما بين الثانية عشرة والسابعة عشرة وكانوا فى حالة يرثى لها ، تغطى اجسامهم الدماء ويتجمع حولهم بعض المارة وبينهم الأم تبكى وتحاول انقاذ أولادها ، فسألت عما حدث لهم ، فقال لى أحد المارة ان بيتهم يبعد عن هذا المكان حوالى عشرين مترا وأن الأولاد خرجوا فى ملابس نومهم الى البقالة ليشتروا بعض السندويشات للعشاء ، وبينما هم فى طريقهم أوقفتهم دورية بها بعض الجنود الاسرائيليين وسألوا أكبرهم عن هويته فأخبرهم أنها فى المنزل وأنه لم يحضرها لأنه يرتدى ملابس النوم وأشار لهم الى المنزل القريب منهم ليعودوا معه الى هناك ويريهم اياها ولكنهم لم يستمعوا الى كلامه وضربوه هو واخوته حتى اسالوا منهم الدماء وتركوهم على ما رأيتهم عليه ، وعدت الى منزلى لأخبر أهلى بما رأيت من أساليب غادرة يمارسها هؤلاء الذين اغتصبوا بلادنا

مها ناجح البسطامى
الدوحة ــ قطر

سمعت

سيمفونية نابليون

ان الموسيقار العالمى بيتهوفن كان يقدر النبوغ حق قدره .

وسمع بنابليون وطفراته الواحدة بعد الأخرى ، فأعجب به أيما اعجاب ، فقد كان يراه محرر شعب مهضوم الحقوق ، ومنقذه من الويلات التى حاقت به ، فوضع بيتهوفن سمفونيته الثالثة «الرجل العظيم» وأهداها الى نابليون .

وجاء يوم نصب فيه نابليون نفسه امبراطورا على فرنسا ، وإذ ذاك تغيرت نظرة بيتهوفن الى ذلك الرجل ، فقد أدرك أن هذا الرجل الذى اعجب به كان يسعى لمجده قبل أن يسعى لمجد بلاده ، فبادر الى تمزيق الاهداء واستبدله بعنوان جديد : «فى ذكرى رجل عظيم» .

سعيد بيدو
المغرب

• •

زيادة المحصولات الزراعية

فى جامعة كاليفورنيا فى أمريكا أنهى فريق من العلماء دراسة أكدت نتائجها أن سلالة معينة من البكتيريا تؤدى الى تحسين بعض المحصولات الزراعية اذا ما اضيفت الى التربة فى الحقل .

وتؤكد نتائج هذه الدراسة ما أعلن عنه العلماء فى روسيا قبل فترة من الزمن من انه باضافة البكتيريا التى تعيش عادة فى جذور النباتات الى التربة استطاعوا أن يزيدوا من كمية المحصولات الزراعية بنسبة تتراوح بين ١٠ ــ ١٣٪

أما البكتيريا التى وجد العلماء الأميركيون أنها تحسن نمو النبات فهى من فصيلة تعرف علميا بأسم «بى . جى . بى . آر» وحصل عليها العلماء بعدما عزلوا بضع مئات من سلالات البكتيريا التى تعيش فى جذور النبات حتى تمكنوا من اختيار أفضلها من حيث قدرتها على اعاقة نمو الفطريات والبكتيريا التى تسبب الأمراض النباتية .

وجرب علماء جامعة كاليفورنيا سلالة البكتيريا التى اختاروها فى زراعة البطاطس وشمندر السكر والفجل وكانت النتيجة أن المحصولات الزراعية فى هذه التجربة قد ارتفعت بنسبة تصل الى ثلاثين بالمائة .

طارق ابراهيم عبدالرحمن
الخرطوم

قرأت

غرائب الاشجار

فى مختلف انحاء العالم توجد اشجار كبيرة يمتد عمرها الى بضع آلاف من السنين .

ففى الهند تنمو أشجار تسمى «جاذيان» مشهورة بحجمها الكبير وعمرها المديد . توجد بينها شجرة يقدر عمرها بثلاث آلاف سنة ، وإذا قدر لك أن تراها لأصابتك دهشة .. عظيمة وظننت انها ليست شجرة واحدة ، إذ انها تشتمل على مايقرب من ثلاثة .. آلاف جذع سميك وثلاثة آلاف جذع رفيع ، ويستطيع أكثر من سبعة آلاف شخص أن يتظللوا تحتها .

وفى أذربيجان توجد شجرة من فصيلة «الدلب» يبلغ محيطها ١٢ مترا تحتوى على فجوة فى جذعها ، يمكن أن تستوعب عشرين شخصاً ، وقد استخدم فراغ هذه الفجوة كصالة للشاى ذات منضدتين وعشرة مقاعد

وفى لبنان بالقرب من بلدة «بشرى» تقع الغابة «المقدسة» ، غابة أرز الرب ، وتتألف هذه الغابة من ٤٠٠ شجرة تقريباً من أشجار الأرز ، يبلغ قطر اكبرها ١٥ مترا . وهذه الغابة هى من بقايا غابات الأرز الكثيفة التى كانت تغطى لبنان كله فى قديم الزمان ، ومن بين هذه الاشجار توجد ١٤ شجرة يزيد عمرها على ١٥٠٠ سنة .

والمعروف عن شجرة الأرز أن خشبها لايتعرض للفساد والعفن

فوزى المصمودى
تونس

مسجد الأشرفية ، شيده الحاج أبو درويش تقربا الى الله سبحانه وتعالى .

عمّان

عباءة الحب والأشواق

نبيل خالد الأغا

على البعد أحببتها ، وعلى القرب عشقتها ، قضيت بها زمناً رمادياً يوم تدثرت بعباءة النكسة ، وقضيت بها زمناً اقحوانياً وهى تنضو عنها تلك العباءة بهمة لا تعرف الكلل ، وبعزيمة تنكر كل خنوع واستسلام .

حنت على نزلائها ، فاحتضنتهم فى مهجتها وصهرتهم فى قلبها الكبير ، لم تفرق يوماً بين شركسى مسلم أو عربى مؤمن . أغدقت عليهم الحب فأخلصوا لها العطاء ، استمدوا من جبالها الشم الانفة والشمم والكبرياء . بعناقيد العرق المتصبب من جباههم نحتوا الصخور وأحالوها الى مبان وفلل وعمارات ، بسواعدهم المفتولة ، وباصرارهم الأكيد حفروا بطون الجبال وسفوح الوديان فأحالوها الى شوارع منظمة ، وحدائق منسقة لا تملك وأنت تتجول بين أرجائها إلا أن تبدي دهشتك وتقديرك لهذا الجهد الكبير الذى شاركت فيه الدولة بامكاناتها المحدودة . والمواطن بطاقاته غير المحدودة ولسان حالك يقول : كيف حدث هذا ؟

...إنها مدينة الأشواق ، لا تكاد تغادرها حتى تحن اليها ، واذا حننت اليها فلن يطفىء جذوة حنينك هذا سوى شىء واحد : أن تتوجه اليها بلا تردد لأن التردد يزيد من اصرارك للرحيل اليها !!

● ● ●

من مطار الدوحة الدولى انطلقت بنا

جبل عمان ، أحد الأحياء الراقية فى العاصمة الأردنية .

● لاحت لنا عمان تتلألأ فى ليل تموز كأنها عروس فى ليلة الزفاف
● عندما اضطهد الفرنسيون رجالات الحكومة السورية لجأ أكثرهم إلى عمان

● كان الأمير عبد الله يعيش فى خيمة كبيرة تتميز بالبساطة المتناهية

طائرة «البوينج» التابعة لشركة الخطوط الجوية الملكية الأردنية «عالية» فى موعدها المحدد . احدى المضيفات بالطائرة تبالغ فى الترحيب بنا ، أنبأتنا بأن الرحلة الى عمان ستستغرق ساعتين وعشر دقائق وبمعدل ٩٠٠ كم فى الساعة .

أخذت الطائرة مسارها الطبيعى فى الأجواء العربية السعودية على ارتفاع خمسة وثلاثين الف قدم . ولم نشعر بالضجر الذى كثيراً ما يعترى المسافرين ويرهق أعصابهم ، لقد كان شوقنا الى عمان يطفىء كل شعور بالملل ، وقرأت أثناء الرحلة كل صفحات الجرائد الأردنية اليومية الثلاث : الرأى ، الدستور ، الأخبار والتى تحمل نفس تاريخ الرحلة .

وقبيل انتهاء الفترة الزمنية المحددة للوصول أعلن أحد المضيفين بأنه يتوجب علينا ربط الأحزمة والامتناع عن التدخين استعداداً للهبوط فى مطار عمان الدولى بعد ربع ساعة .

من النافذة الضيقة مددت بصرى نحوها أتفرس فى قسمات وجهها الصبوح الذى غابت عنى طلعته ، ولاحت عمان تتلألأ فى ليل تموز الرقراق وكأنها عروس مزينة بأبهى حلل الجمال فى ليلة الزفاف ، وعناقيد النور الهامس تطوق جيدها الفاتن فتزيدها سحراً وروعة وجاذبية ...

رجال الهجانا الأشداء

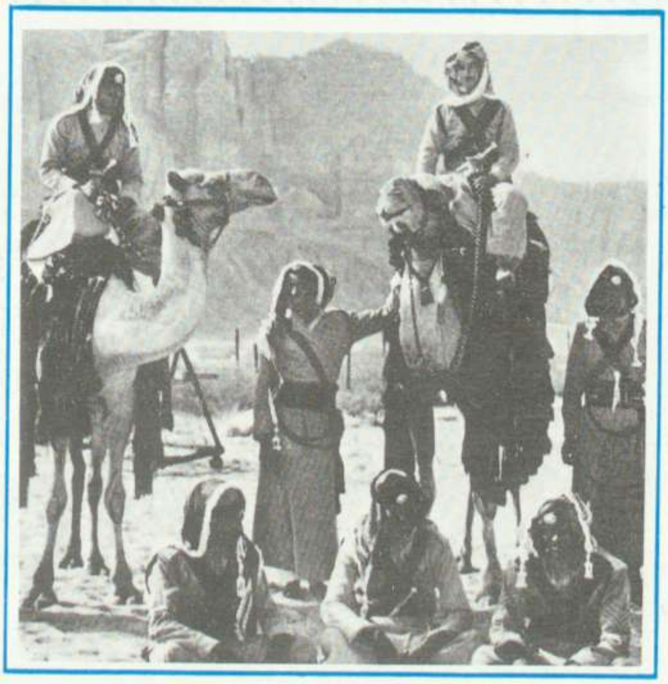

منظر عام للجامعة الأردنية .

وبدأت الطائرة فى الهبوط ... وقلوبنا معها تقبل ارض الأشواق والبطولات ... لقد كان مطار عمان يموج بحركة طيران دائبة نشطة لكنها عادية فى مثل هذا الوقت من كل عام حيث موعد عودة المغتربين الأردنيين القادمين من كل الجهات الأصلية الأربع .

وقبيل أن نتخطى أعتاب المدينة البيضاء تعالوا بنا نقرأ بعض الصفحات من حياة عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية .

الجذور

أطلق عليها التاريخ اكثر من خمسة أسماء اكتسبت اسمها الأول من مؤسسها «عمان ابن لوط» ، ثم صارت عمون ، ربة عمون ، ربة بنى عمون ، فيلادلفيا ، عمان البلقاء ، وبعد مسيرة طويلة فى التاريخ عادت الى اسمها الأول «عمان» بفتح وتشديد.

وقد اتخذها العمونيون العرب عاصمة لملكتهم الزاهرة وأسموها «ربة عمون» أى عاصمة عمون ، وفى القرن الثالث قبل الميلاد أطلق عليها الرومان اسم «فيلادلفيا» بمعنى «المحبة الأخوية» ولما ازداد انتشار المسيحية فى القرن الثالث الميلادى صارت عمان «أبرشية» للامبراطورية البيزنطية .

وخلال مسيرتها التاريخية الطويلة خضعت عمان للآشوريين والكلدانيين والهكسوس والفرس ، واليونان والرومان .. وقد خلفوا وراءهم الكثير من الآثار التى تدل على ازدهار المنطقة فى العهود المختلفة ،ومن ابرز هذه الآثار «المدرج الرومانى الكبير» الذى يتسع لستة آلاف متفرج . وقد بنيت مقاعده فى جوف الجبل ، لكن المسرح اختفى مع مرور الزمن ولم تبق إلا أصوله ، وبعض الأعمدة التى كانت مقامة ، ومازالت الساحة حتى يومنا هذا تشهد الكثير من الحفلات والمناسبات المختلفة .

ومن الآثار البارزة أيضاً «قلعة عمان» وتقع على جبل القلعة الذى يطل على المدينة من الشمال والشرق وقد أنشىء عليه فيما بعد «متحف الآثار الأردنى» .

وتحيط الأودية بجبل القلعة من كافة جوانبه عدا الجانب الذى حفر فيه خندق كبير ليقوم بعزل القلعة اضافة الى سور ضخم أقيم حول القلعة المحصنة بالأبراج الضخمة ، ويوجد فى القلعة آثار معبد «زيوس» والذى يعتقد بأن بناءه يعود الى القرن الثالث الميلادى . أما بقية الآثار الموجودة على جبل القلعة فتعود بتاريخها الى العهود الرومانية والبيزنطية والعربية وتشتمل على معبد هرقل وبقايا «القصر» . أما ما تبقى من آثار فى الجانب الشرقى فهو يشكل جزءاً من العصر الحديدى .

ويعتقد خبراء «دائرة الآثار الأردنية» بوجود آثار مهمة أخرى فى القلعة ، ولذلك فان الدائرة تبذل جهوداً واضحة فى الحفر والبحث والترميم .

عمان فى التاريخ العربى الاسلامى

كانت عمان معروفة لدى العرب قبيل الفتوح الاسلامية . وقد ورد اسمها فى الشعر العربى ، وورد فى حديث نبوى شريف أورده ابن عساكر عن مكحول أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : «لتمخزن الروم الشام أربعين صباحاً ، لا يمتنع منها إلا دمشق وعمان» .

وفى عهد الفتوحات الاسلامية فى صدر الاسلام .. وبالتحديد فى الربع الأول من القرن السابع للميلاد استقبلت عمان سرايا المسلمين بقيادة يزيد بن أبى سفيان فى خلافة أبى بكر الصديق ودخلت فى حوزتهم ضمن بلاد سوريا الجغرافية التى كانت حدودها تمتد من البحر الأبيض المتوسط غرباً الى نهر الفرات شرقاً ، ومن الحدود الرومية شمالا الى صحراء سيناء جنوباً .

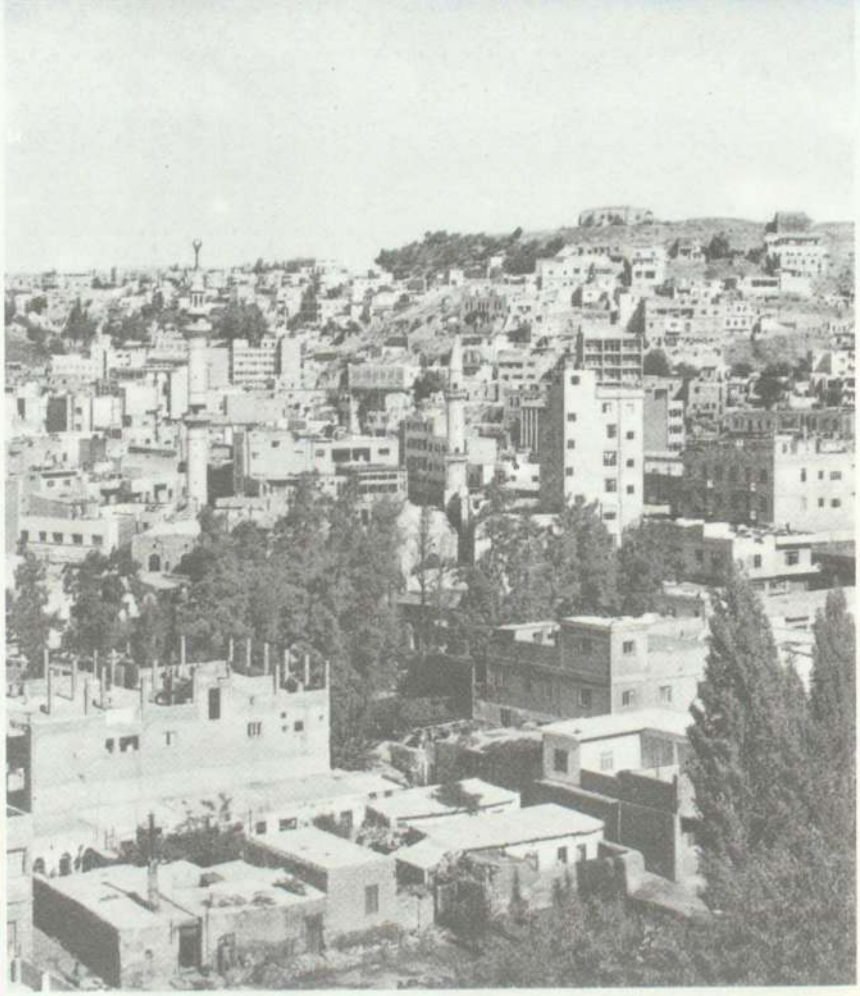

منظر عام لأحد الأحياء الشعبية

وقد قسم بر الشام فى ذلك الوقت الى خمس مناطق ادارية ، كل منطقة تدعى «جند» بمعنى «محافظة» وهى : جند الأردن ، جند حمص ، جند دمشق ، جند قنسرين ، وكانت عمان ضمن جند فلسطين الممتدة من رفح الى اللجون ، ومن يافا الى عمان ، وعاصمتها مدينة الرملة . أما جند الأردن فكانت عاصمتها مدينة طبرية ، ومن ضمن مدنها صور وبيسان وعكا ودرعا واربد .

وضمن من دخلها من قادة الاسلام العظام فى ذلك الحين خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ، وأبو عبيدة بن الجراح وهو أول عامل عينته القيادة الاسلامية على سوريا بعد دخولها الاسلام ، ثم توالى على زيارتها كثير من أئمة المسلمين ووجهائهم سواء للاقامة فيها أو للمرور بها فى طريقهم الى الشام والعراق .

ولم يكن ذلك التحول الكبير فى مكانة عمان إلا بسبب فتحها ، حيث أصبحت ملتقى لمواكب الحجيج وقوافل التجارة العربية ومنطلقاً للفتوحات الاسلامية التى قهرت الروم وحطمت غرورهم .

نزل عمان الوليد بن عبد الملك وسليمان بن الوليد وكثير من أمراء بنى أمية وشادوا بها الصروح والقصور الباذخة مثل : قصر جالوت ، وقصر المشتى ، وقصر الحلابات ، وقصر عمرة ، وقصر القسطل .

وفى زمن خلافة عبد الملك بن مروان صارت تضرب فى عمان النقود الاسلامية المختلفة ، كما شهدت الكثير من الأنشطة الاسلامية .

بيد أن ازدهار عمان الذى عرفته منذ أقدم العصور أصابه بعض التخلف بعد قيام الدولة العباسية ، فقد غرقت عمان فى عزلتها ، وتخطتها الأحداث ، وقاست بسبب الثورات المتعددة التى قام بها مؤيدو الأمويين كما يقول أستاذنا الدكتور فواز احمد طوقان .

ويعتبر «جامع عمان الكبير» من أهم الآثار الاسلامية التى شيدت فى العصر العباسى ، وقد وصفه المقدسى بانه «جامع ظريف بطرف السوق ، مفسفس الصحن شبه مكة» . كما وصف المدينة بقوله : «عمان على سيف البادية ذات قرى ومزارع ، ورستاقها البلقاء ، معدن الحبوب والأغنام ، بها عدة أنهار وأرحية يديرها الماء ، رخيصة الأسعار ، كثيرة الفواكه ، غير أن الطرق اليها صعبة» .

والى عمان ينسب الفقيه أسلم بن محمد الكنانى العمانى المتوفى عام ٣٢٥ هـ ، والمحدث الفقيه ابو الفتح بن مسرور العمانى .

واضافة الى المقدسي فقد ذكر عمان كثير من المؤرخين فى طليعتهم ابن الأثير وياقوت الحموى ، وابن عساكر ، وأبى الفداء . كما زارها كثير من الرحالة الأجانب من أبرزهم الجوال السويسرى «بير كهارت» .

● ● ●

لقد أدرك البطل المسلم صلاح الدين الأيوبى قيمة عمان السوقية (الاستراتيجية) ، فجدد تحصينها وتسليحها ، واتخذها مركزاً ضمن ثلاثة مراكز لتجمع جيوشه التى انطلقت الى فلسطين ، وخاضت ببطولة متناهية معركة حطين الشهيرة عام ١١٨٧ ميلادية ، حيث حلت الهزيمة بالصليبيين كما هو معروف .

ثم دخلت عمان ضمن الاطار العثمانى مثل بقية المدائن العربية ، فلم يعد لها كبير شان ولم تزد عن كونها مجرد محطة لمواكب الحجيج ، وقوافل التجار وأفواج السياح الذاهبين الى البتراء والآيبين منها .

الشراكسة فى عمان

فى أيام روسيا القيصرية تعرض الشراكسة فى القفقاس الى اضطهاد دينى وعنصرى بشع لم يتحملوا قسوته ، فهاجروا بعقيدتهم الاسلامية لاجئين فى حمى الامبراطورية . فأصدر السلطان عبد الحميد أوامره بتوزيعهم على المناطق التى يتوفر فيها الماء . وفى أوائل عام ١٨٨٠ ميلادية وصلت أول مجموعة منهم ونزلت فى "خرائب عمان" ووادى السير .

وفى مطلع هذا القرن وفدت جماعات اخرى فانشات قرية ناعور ، وهناك مجموعات أخرى استوطنت الرصيفة وجرش وصويلح .

ومن ضمن الأسر الاسلامية العريقة التى هاجرت من قفقاسيا الى شرقى الأردن قبيلة «الشيشان» التى وصلت عام ١٩٠٦ واستقر افرادها فى الزرقاء وصويلح والسخنة والرصيفة .

فصل دراسى فى أحد معسكرات اللاجئين .

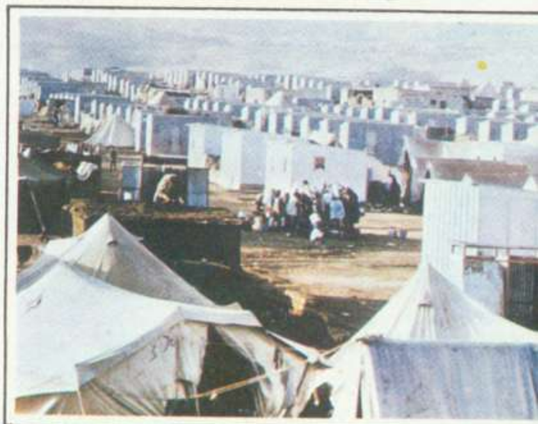

جانب من معسكر فلسطيني .

ولما استتب للشراكسة الأمن ، وطاب لهم المقام فى شرقى الأردن تشجع كثيرون من أهل الطموح فى فلسطين وسوريا والعراق والحجاز فتقاطروا الى عمان واستوطنوا فيها .

يقول عبد الكريم غرايبه واصفاً عمان فى القرن التاسع عشر : « .. لم تكن عمان مسكونة فى ذلك الوقت ، بل بقيت مجرد ماء يرده العربان الى أن استقر فيها الشراكسة بعد عام ١٨٧٨ ميلادية وعمروها ، كما عمروا جرش والزرقاء ووادى السير» .

وفى عام ١٩٠٠ ميلادية وصفتها السيدة «فرنسيس املي نيوتن» فى كتابها «خمسون عاماً فى فلسطين» فقالت «وما كانت عمان اذ جئناها إلا خربة شرقية قذرة مذرة بشارع واحد بمخازنه وحوانيته شراكسة اشتهروا بالبأس وشدة المراس ، وكانت هجرتهم الى هذه البقعة ليعمروها ارادة سنية عنت للسلطان عبد الحميد ، وقد ارادهم أن يقفوا فى وجه البدو الرحل فيسلم الحضر» .

وفى عام ١٩٢١ زارها خير الدين الزركلى فذكرها بقوله : «عمان عبارة عن قرية قليلة السكن ، ضئيلة المبانى ، مظلمة السبل لا يصل بينها وبين تاريخ مجدها إلا ما شخص من آثارها ، ولا يدل على امكان الحياة فيها غير توسطها بين قبائل بنى صخر وبنى حسن وعباد والعدوان . يردون عليها بين الفترة والفترة فيبيعون فيها بعض ما تنتجه ماشيتهم ، ويبتاعون منها ما يكتسبون ولولا ذلك لانفرد بسكناها جماعات من الشراكسة نزحوا اليها» .

عمان .. دار الهناء

قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى ببضعة أعوام اكتسبت عمان بعداً جديداً فى موقعها حيث بدأ العمل بمد خط السكة الحديد بين دمشق والمدينة المنورة ، وتم انشاء الخط بين دمشق وعمان ثم وصل الى معان .. وأخيراً وصل الخط الى المدينة المنورة قاطعاً نحو ١٣٠٠ كم .

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ اتخذ الأتراك من عمان مقراً

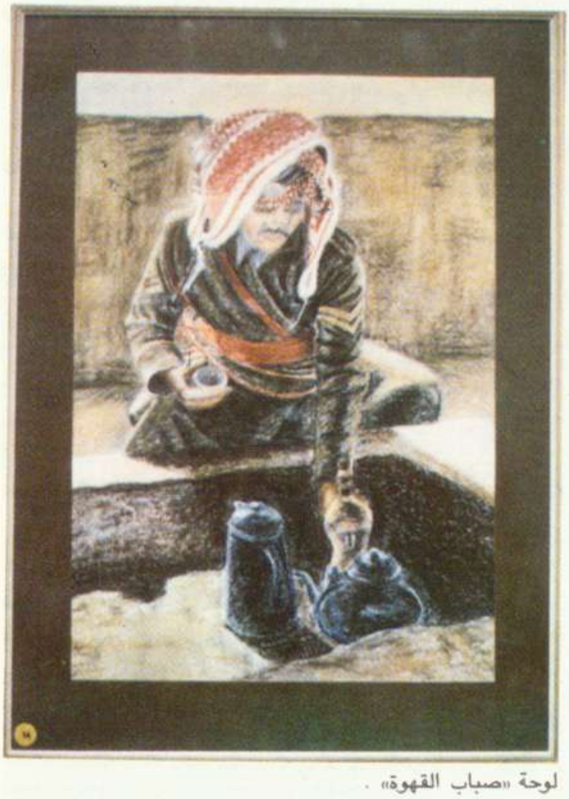

لوحة «صباب القهوة» .

فنانة أجنبية فى عمان ترسم لوحة «قطاف العنب» .

لتجمع قواتهم العسكرية بسبب وقوعها على خط السكة الحديد . وصارت مركزاً لـ «ناحية» يعرف حاكمها باسم مدير الناحية تابعة لقضاء السلط .

وفى حزيران عام ١٩١٦ قاد الشريف حسين بن على ثورة العرب الكبرى ضد الأتراك . ونتيجة لتعاون الجيش البريطانى ـ بقيادة الجنرال اللنبي ـ مع جيش الثورة العربية ـ بقيادة الأمير فيصل ـ تمت هزيمة الأتراك وانتهى التسلط العثمانى على الديار العربية الذى استمر أربعة قرون كاملة (١٥١٧ ـ ١٩١٨ م) .

وأثناء الحكم الفيصلى غدت عمان مركزاً للواء العسكرى المرابط فى الأردن . وعندما اعتدى الاستعمار الفرنسى على الحكومة السورية المستقلة ، واضطهد رجالاتها ١٩٢٠ ـ ١٩٢٤ لجا الكثيرون منهم الى عمان فوجدوا فيها دار هناء وسلام فاقاموا فيها وعمل الكثيرون منهم فى التجارة وبدأت عمان فى الانتعاش فى كثير من أوجه الحياة بها .

غير أن الخطوة الحاسمة فى تاريخ عمان هى وصول الشريف عبد الله بن الحسين «الملك عبد الله فيما بعد» اليها قادماً من مكة المكرمة فى الثانى من مارس عام ١٩٢١ ، حيث بايعه أهلها ، وأسس إمارة شرقى الأردن.

ولم تلبث بريطانيا ـ الدولة المنتدبة ـ أن اعترفت عام ١٩٢٣ باستقلال الامارة الاردنية مع استثنائها من أحكام وعد بلفور . وبقيت الامارة تحت الانتداب حتى انتهت الحرب العالمية الثانية ، فنالت استقلالها عام ١٩٤٦ وأصبحت تعرف باسم المملكة الأردنية الهاشمية ، ونودى بالملك عبد الله ملكاً دستورياً لها .

•••

بعد تشكيل أول حكومة فى تاريخ الاردن قام الرحالة المسلم «محمد أسد» بزيارة عمان ، فقال عنها : «تعرفت فى القدس الى الأمير عبد الله أمير شرقى الأردن الذى دعانى لأن أزور بلاده ، وهناك رأيت لأول مرة بلاداً بدوية حقيقية كانت عمان المبنية على اطلال فيلادلفيا فى ذلك الوقت مدينة مغمورة لا يتجاوز عدد سكانها ستة آلاف نسمة ، كانت شوارعها مليئة بالبدو ، واذا لم يكن بالمدينة أبنية مناسبة فقد كان الأمير عبد الله يعيش فى تلك الأيام فى مخيم على رابية تشرف على عمان (ماركا حالياً) . وكانت خيمته أكبر نوعاً من سائر الخيام ومؤلفة من عدة غرف تفصل بينها قواطع من القماش وتتميز بالبساطة المتناهية» .

أما المؤرخ البريطانى «لانكستر هاردنج» فقال عنها «عندما زرت عمان للمرة الأولى عام ١٩٣٢ لم تكن أكثر من قرية كبيرة لأن السلط كانت أكبر بلدة فى شرقى الاردن خلال العهد التركى ، ولم تكن عمان سوى قرية صغيرة أخرى من قرى الشركس . وفى إبان الحرب العالمية الثانية جلبت الحرب رفاء عظيماً للبلدة وبدأت مناطق السكن تنتشر وتتسع فوق التلال ، وعندما أصبحت الحرب على نهايتها أصبح اتساع العمران سريعاً وملحوظاً» .

التطور الحقيقى

أما التطور الحقيقى للعاصمة الأردنية فقد تم على مرحلتين :

الأولى عام ١٩٤٨ وهو عام النكبة

عازف الربابة .

فى الطريق الى العين .

الفلسطينية حين هاجر اليها عدد كبير من أبناء فلسطين «حيث تيسر لهم العيش الكريم ، وعملوا بأموالهم وعلومهم وخبراتهم على دفعها لتحتل محلها اللائق بين زميلاتها عواصم الدول العربية» . ومما ساعد على ازدهارها كذلك اعلان وحدة الضفتين الغربية والشرقية (١١ – ٤ – ١٩٥٠) ، وهو الأمر الذى ضاعف الثقة فى المستقبل وأدى الى تدفق رؤوس الأموال عليها باعتبارها العاصمة ومركز المملكة التجارى والصناعى .

الثانية عام ١٩٦٧ وهو عام نكسة حزيران حيث استولت «اسرائيل» على الضفة الغربية وقطاع غزة مما اضطر آلاف السكان العرب للنزوح الى الضفة الشرقية حيث تدفقت رؤوس الأموال ونشطت حركة البناء والعمران . فزحف الاعمار على الجبال والمرتفعات ومناطق زراعية واسعة ، وهاتان المرحلتان لهما أكبر الأثر كذلك فى زيادة عدد السكان . وتدلنا الاحصائيات بأن عدد سكان عمان فى عام ١٩٢٢ لم يتجاوز الألفى نسمة . وصل فى عام ١٩٥٠ الى مائة ألف نسمة وعددهم اليوم يربو على ٨٥٠ ألف نسمة.

وبسبب احداث لبنان عام ١٩٧٥ انتقل الى عمان كثير من التجار والموسرين فنشطت الحركة التجارية والعمرانية ، إضافة الى أن الاستقرار السياسى والاقتصادى فى الأردن شجع الغالبية العظمى من المغتربين الأردنيين على استثمار أموالهم داخل الأردن .

وأدى التنافس فى هندسة البناء الى ظهور نهضة عمرانية ذات ذوق وجمال تتمثل بصورة واضحة فى الفلل الرائعة البديعة المنتشرة فى جميع الأحياء الراقية بالعاصمة . وقد أدى تدفق الرساميل الى ارتفاع هائل فى مستوى المعيشة تمثل فى غلاء فاحش فى تكاليف الحياة المختلفة ، الأمر الذى وضع الأردن ضمن اكثر دول منطقة الشرق الأوسط ارتفاعاً فى الأسعار .
ورافق التقدم العمرانى نمو مطرد فى ميدان الصناعة التى من أهمها : صناعة الرخام والمرمر ، والسجاير ، والبطاريات،

الجامع الحسينى الكبير فى قلب مدينة عمان .

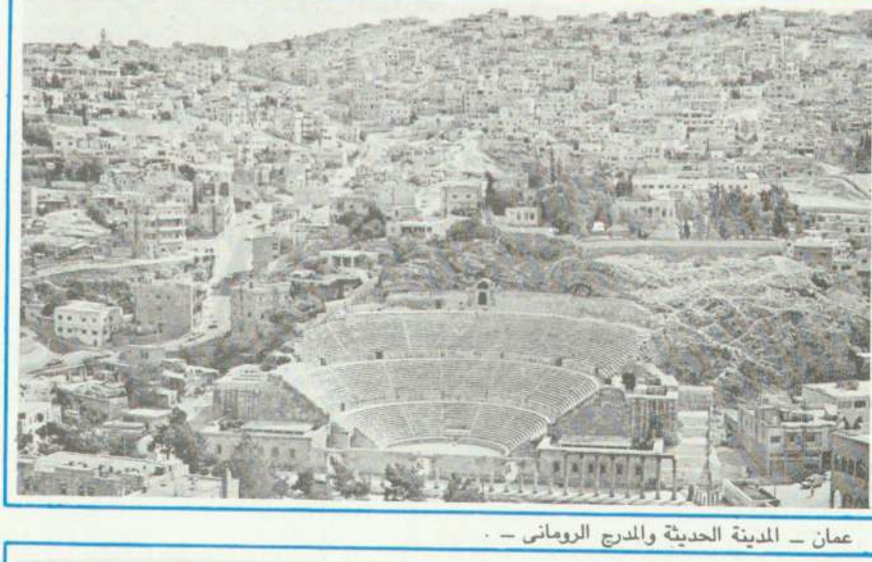

عمان – المدينة الحديثة والمدرج الرومانى – .

جانب من المدينة الرياضية .

خريجو الجامعة الأردنية يتمتعون بكفاءة عالية ومستوى علمي رفيع

والبسط » والاكلمة « والالمنيوم ، والشيكولاته ، ومعلبات الخضار والفواكه ، والأدوات المنزلية والبلاستيكية ، والورقية ، والزجاج .الخ

إن الصناعة الأردنية صناعة جيدة ومتقدمة الى حد ما ، غير أنها تعانى من صغر السوق المحلى ومن صعوبة اختراق الأسواق الأخرى لما يتطلبه ذلك من قدرة تنافسية عالية .

مخيمات العائدين

تعاونت الحكومة الأردنية مع وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهم وتمت اقامة عدد من المخيمات لسيول اللاجئين التى أخذت تتدفق على عمان عام ١٩٤٨ و ١٩٦٧ . وأهم هذه المخيمات وأكبرها حجماً : الوحدات ، الحسين ، البقعة ، ماركا ، ويزيد عدد سكانها عن ثلاثمائة ألف نسمة ، وتتوفر فيها الحوانيت والمدارس والنوادى ، ويشارك جميع سكانها فى الحياة الاقتصادية الاردنية كمواطنين عاديين ويحملون الجنسية الأردنية ويتمتعون بكافة حقوق المواطنية الأردنية وتبعاتها ، وهم فى هذه النقطة بالذات يتميزون عن بقية اخوانهم من الفلسطينيين الذين نزحوا الى أقطار عربية أخرى حيث يحملون «وثيقة سفر اللاجئين الفلسطينيين» .ويتيح الدستور الأردنى لكل الأردنيين الذين هم من أصل فلسطينى حرية الانتخاب والترشيح وشغل أعلا المناصب فى الدولة ، وحق التملك والعمل ، وهذه ميزات خاصة لا تتوفر فى دستور أية دولة عربية أخرى سوى الأردن .

جغرافية عمان

تقع عمان وسط المملكة تقريباً جنوبى دمشق وشرقى القدس ، ترتفع بمقدار ٧٩٠ متراً عن سطح البحر ، تبعد عن العاصمة السورية مسافة ١٧٠ كم ، وعن الحدود العراقية ٣٤٣ كم ، وعن البحر الميت ٥٨ كم ، وعن البحر الأحمر ٣٣٥ كم وعن بيروت ٢١٣ كم ، وعن القدس ١٠٧ كم ، وعن الدوحة ١٨٦٥ كم .

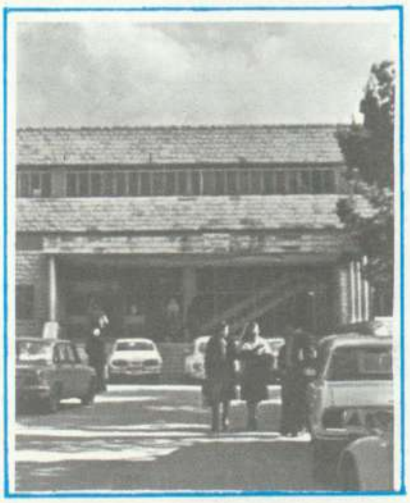

● واجهة كلية التربية بالجامعة الأردنية .

وهى مبنية على سلسلة من الجبال الشهيرة ومن أهمها : جبل الحسين ، واسمه التاريخى جبل الطهطور . جبل عمان واسمه التاريخى جبل الملفوف . جبل اللويبدة وهو منسوب الى عشبة برية اسمها لويبدة . جبل الشميسانى نسبة لشروق الشمس . جبل الأشرفية . جبل التاج وكان يسمى جبل خريطة الذى اخترقته سكة الحديد . جبل الجوفة وهو مجوف بمحاجره . جبل القصور . جبل الهاشمى واسمه التاريخى جبل خنيفسة جبل النصر واسمه القديم وادى الرمم . جبل النظيف نسبة الى المهندس المقدسى نظيف الخالدى الذى كان مساعداً للمهندس المستر مايستر الألمانى الذى نفذ مشروع سكة حديد الحجاز . ربوة ماركا .. وهى طريق قديم مده الرومان من العقبة الى الرقة .. وهى اليوم تمثل قلب عمان الصناعى .

الجامعة الاردنية

تقع الى الشمال الغربى من عمان وسط غابة كثيفة من الأشجار تضفى عليها الوقار والهدوء والجمال ، وهى قريبة من عمان قرباً غير متصل ، وبعيدة عنها بعداً غير منفصل .. وهى مؤسسة علمية وطنية لها استقلالها الذاتى التى نص عليه القانون ، وهى جامعة الدولة فى نفس الوقت ، تخدم المجتمع الاردنى وأبناء -الأمة العربية حيثما كان ذلك ممكناً .

وقد تاسست الجامعة عام ١٩٦٢ ، وتضم اليوم تجمعين رئيسيين :

أ) العلوم الانسانية وتشمل كليات : الآداب ، الاقتصاد ، التجارة ، الشريعة ، التربية ، القانون ، والفنون الجميلة والحقوق .

ب) العلوم التطبيقية وتشمل كليات : العلوم ، الطب ، التمريض ، الزراعة ، الهندسة .

وهناك محور اجتماعى يشكل نقطة الاتصال بين الجامعة والمجتمع ويشمل : المستشفى الجامعى الذى يعد من أحدث المستشفيات فى المنطقة ، والملاعب الرياضية والاستاد ، ومبنى النشاط الجامعى والمكتبة والادارة والمسجد ، وفى الخلف تتركز منازل الطلبة والاسكان الجامعى .

كان عدد الطلبة الذين التحقوا فى العام الأول من عمر الجامعة ١٦٧ طالباً وطالبة وفى هذا العام بلغ عددهم ١٠٫٥٠٠ (عشرة آلاف وخمسمائة) طالب وطالبة !

هذا وتمنح الجامعة الاردنية حالياً درجة البكالوريوس فى ثلاثين تخصصاً ودرجة الماجستير فى أحد عشر تخصصاً

وتتمتع الجامعة وهيئة التدريس وخريجوها باحترام وتقدير على كافة المستويات والأصعدة العلمية والاجتماعية فى الوطن العربى نظراً للكفاءة العالية والمستوى الرفيع الذى تتميز به .

هذه هى الجامعة الاردنية فى إيماءة موجزة ، صرح علمى ناشىء فى بلد علمى نام تكافح فى سبيل تحقيق أهدافها بسعة من طموح ورافد من ارادة.

• • •

أثناء عودتى الى الدوحة أخذت أردد أبياتاً للشاعر أنور العطار يقول فيها :

عَمَّـــان حلـم تُناجيـه قوافينــا
فتستفيقُ على النجــوى ليالينــا
ماذا على القلب إنْ هاجت هوائجه
فــراح ينشد أشعار ابن زيدونــا
لكنمــا العينُ مازالت مؤرقــةً
تبكـي الأحبةَ فى دنيا فلسطينــا

نبيل خالد الآغا

احدى لوحات «رينوار» التأثيرية .. كانت تطوراً طبيعياً مواكباً لاستحداث نظريات الضوء .

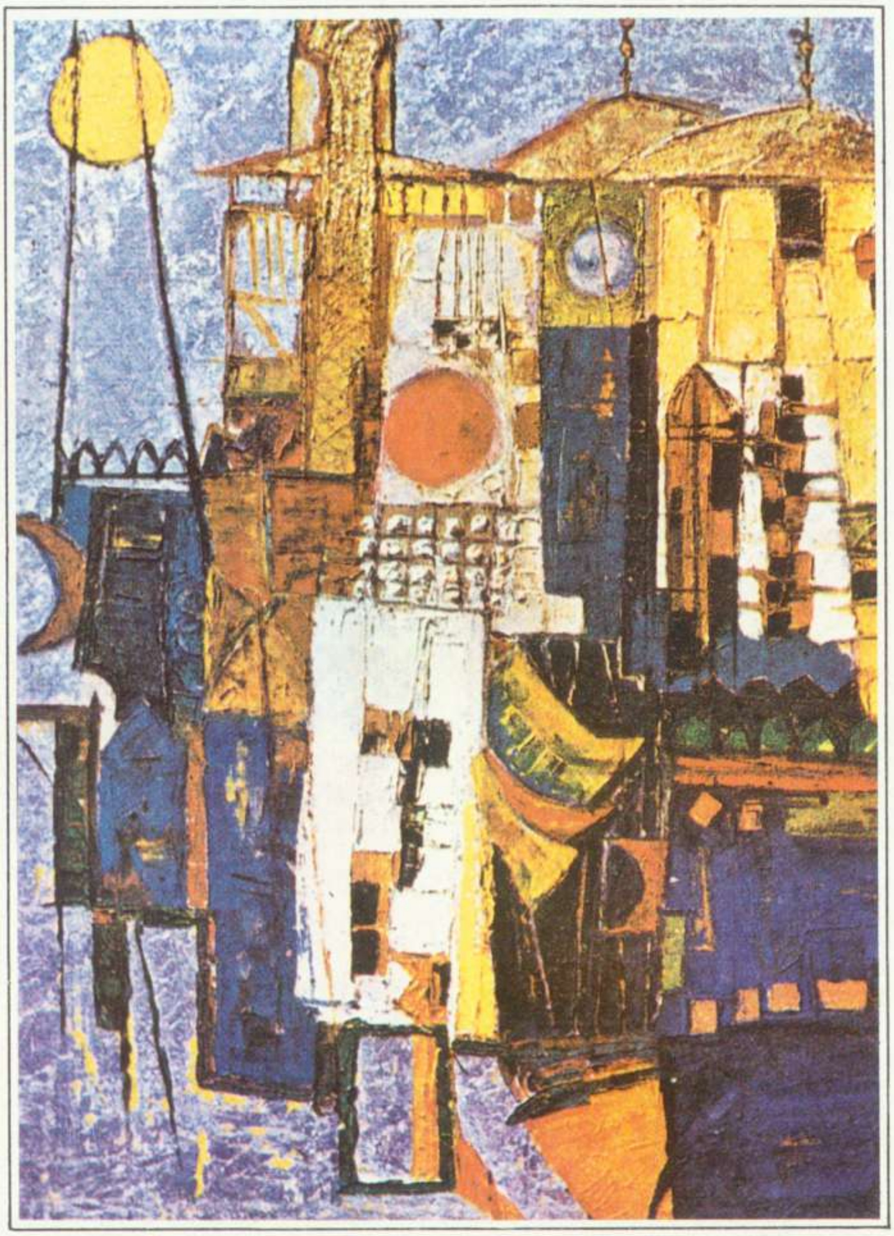

جزء من لوحة المنائر الذهبية للفنان العراقى غازى السعودى .. رغم دراسته الأكاديمية فى روما إلا أننا نلاحظ الطابع التراثى بين تجريداته اللونية الصارخة .

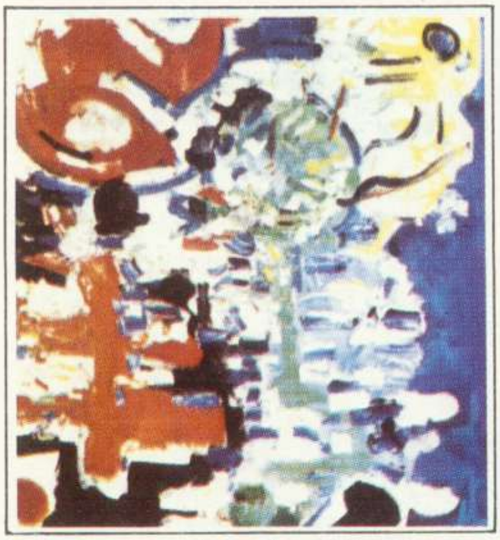

تجريد لونى للفنان «هانز هوفمان» .. هل يتفاعل المشاهد عندنا مع هذا النوع من الفن ؟

أزمة الفنون التشكيلية فى العالم العربى

الأصالة وعناصر التذوق الفنى

جمال قطب

استعرضت – من قبل – جانباً من الوقائع والمسببات لعزلة الفنان عن الجماهير وانفصاله عن حركة التيار الابداعى المعاصر لأمتنا العربية .. وألقيت الضوء على الحشد الزاخر من النزعات المتضاربة فى مدارس الفنون الحديثة فى أوروبا ، وتأثير تلك التيارات على شبابنا الموفدين الى العواصم الأوروبية كطلائع الرواد الذين انعقدت عليهم الآمال الكبار ليقودوا المسيرة الابداعية فى بلادنا ..

ولكن فاقد الشىء لا يعطيه ، فقد

وانغمسوا فيها ، وما أن عادوا الى أرض الوطن ، حتى اكتشفوا أن فنهم قاصر كل القصور فى أن يحقق أمل مواطنيهم فى التعبير عن بيئتهم وتقاليدهم العريقة ..

وساعد على تأكيد شرعية هذه الحلقة بما فيها من تقوقع وانعزال ، وجود جماعة من النقاد الأجانب ، شجعت هذه النزعات وباركتها ودافعت عنها فى استماتة مشبوهة .. وعملت على خلق جو وهمى حول الفنان ، كان بمثابة الغشاوة التى طمست بصره وبصيرته وحالت بينه وبين متطلبات مواطنيه القومية والوطنية وهم جمهوره الطبيعى أو المفترض أن يكونوا كذلك !

التراث والفنان

واحب فى هذا المجال ان اعقد مقارنة بين تأثير هذه المدارس على الفنان العربى وتأثيرها على الفنان الصينى أو الهندى أو اليابانى .. حتى أؤكد حقيقة هامة وهى حيوية التراث واتصاله ورسوخه فى وجدان الفنان ، وكذلك احترام التقاليد البيئية فى حماية الفنان من التأثر السطحى بالاتجاهات والنزعات التى يحتك بها أو يفرض عليه أن يعايشها فترة من الزمن ، فالفنان فى الصين تأثر بالحركة الفنية الحديثة فى أوروبا ، ولكن تأثره بها كان الى حد معلوم وبقدر محدود .. ذلك لأن التراث التشكيلى الصينى كان ومايزال حياً نابضاً فى كيان الفنان وأقوى من أن تطمسه إبهارات الأفكار الواردة الطارئة ، وكانت تقاليد الفنان الصينى المحلية وتأصلها فى الحركة الفنية بمثابة الحصانة ضد الانحرافات الفنية مهما كان مصدرها وتأثيرها .

وكذلك الفنان الهندى ، فقد استفاد من كل الفنون الوافدة والمستحدثة ولكنه لم يستسلم أبداً ويضحى بتقاليده الفنية وطابعه الخاص المميز ، وكان حريصاً على ألا يفقد معالم اللغة الأساسية التى يخاطب بها جمهوره ، بل عمد إلى إثراء هذه اللغة بالتنغيمات العالمية التى أضافها الى طابعه العريق .

وعندما كنت أتناول الفن الاسلامى فى سلسلة من المقالات التى نشرت تباعاً .. توقفت كثيراً عند أصالة الطابع الهندى عبر التاريخ .. فلم يستطع الفن الاسلامى بكل إشعاعاته الروحية وسيطرته الوجدانية أن يذيب الطابع الهندى .. بالرغم من دخول الاسلام شبه

لوحة للفنان «سلفادور دالى» .. أشهر السيرياليين الذين هربوا من المواقع ونزعوا الى الأحلام .

لماذا شجع النقاد الأجانب النزعات الوافدة ، ودافعوا عنها فى استماتة مشبوهة ؟!

تخرجوا فى معاهد أجنبية كل أساتذتها من الأجانب ، لذلك رأينا كيف انساقوا فى فلك المعارك الفنية المستعرة هناك .. غير مسلحين بتقاليد التراث والأصالة التى تحميهم من الاستسلام لهذه المذاهب الغربية .

وقد عايش مبعوثونا هذه التيارات اللاهثة المكدودة هناك ، وتفاعلوا معها

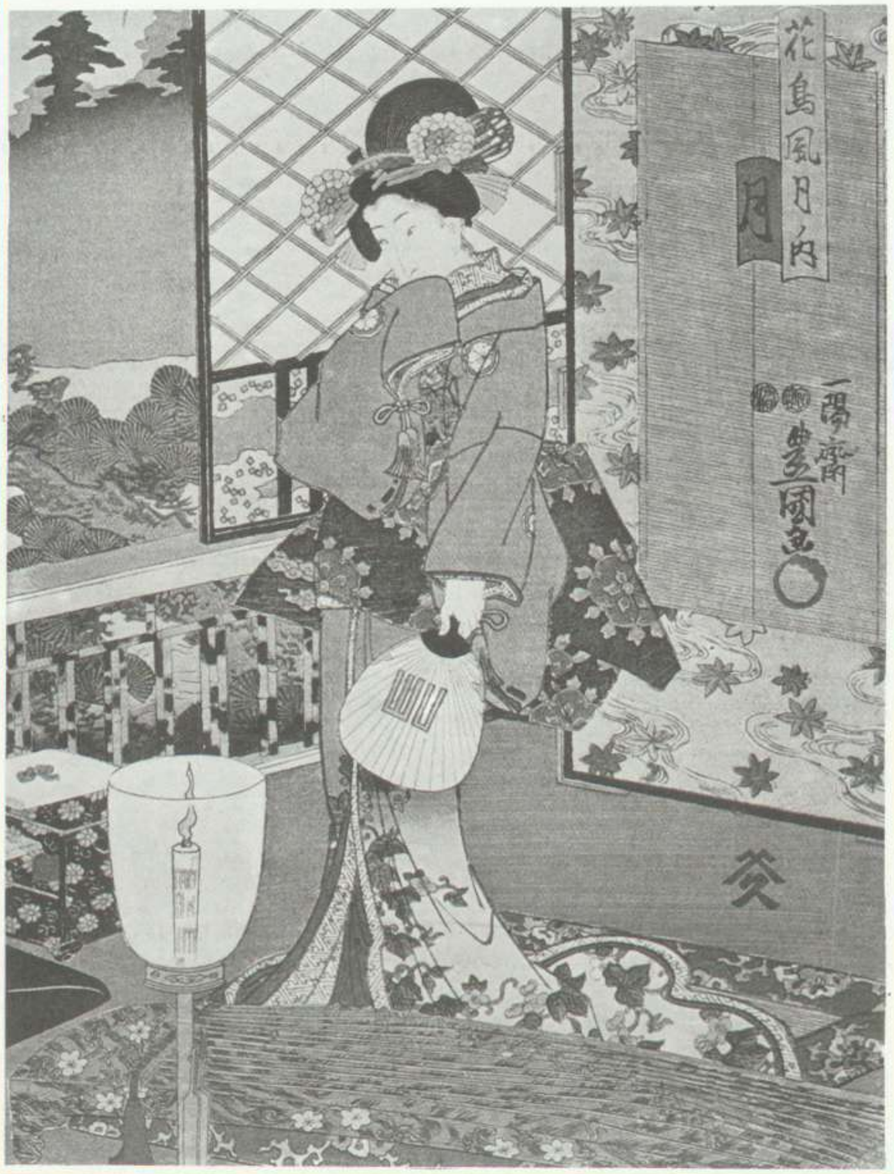

● الطابع اليابانى .. لم تستطع المدارس الحديثة أن تؤثر فى أصالته وطابعه المميز !

الأصالة وعناصر التذوق الفنى

الجزيرة الهندية منذ عهد الخلفاء الراشدين عام ٦٦١ م ، وازداد توثقاً منذ القرن الثامن الميلادى فى فترة الحكم الأموى ..إلا أن الفنان الهندى قد احتفظ بالكثير من أساليبه التى استمدها من التقاليد الفنية الهندوكية التى كانت من الرسوخ بحيث بقيت تضفى على الفن الهندى أصالة وطابعاً مميزاً .. ولم تتشكل فى قوالب من فن (الأرابيسك) الذى عم بلاد الاسلام الأخرى .

أما الفن اليابانى ، فبالرغم من ظروف استسلام اليابان فى الحرب العالمية الأخيرة .. وفرض كثير من مظاهر الحضارة الحديثة ذات الطابع الغربى .. إلا أن الفن اليابانى مازال محتفظاً بطابعه العريق مع أن الآلاف من الشباب اليابانى يتلقون دراساتهم الفنية العالية بشتى معاهد وأكاديميات الفنون الجميلة فى مختلف العواصم الغربية .. ولكنهم لم ينفصلوا أبداً عن طابعهم التراثى المميز .

هذه هى العراقة والأصالة .. واستمرارية الوعى والثقافة التراثية !

مصادر الجمال

وليست دراسة التراث وتأصيل الشعور بالانتماء الوطنى وحدهما كفيلين بخلق الوعى الفنى عند الفنان .. بل يجب أن يشمل التخطيط الثقافى مناهج خاصة بالتذوق الفنى والاحساس بالجمال فى كل جنبات الحياة .. وأن نبدأ فى تدريب بصرنا وبصيرتنا على تلمس مصادر الجمال الفنى إذا أردنا أن نستكمل حلقات الحضارة المعاصرة ، وبذلك نهيىء الجمهور ونصقل بصيرُته ليستطيع ان يستمتع بالفنون ويتذوقها ويتفاعل معها .

وهذا جانب آخر من علاج مشكلة تلك الفجوة التى تفصل بين الفنان والجماهير العريضة ، إذ أنه من الظلم أن يتحمل الفنان وحده المسئولية فى هذه الأزمة .. لأن لها جذوراً تبدأ مع أولى مراحل التعليم بالمدرسة !

عناصر التذوق

وكما هو معروف : فالحضارة كل لا يتجزأ .. ولنتصور معاً طفلاً سعيداً ينشأ فى بيئة متقدمة مستنيرة تزين اللمسات الفنية كل مظاهر الحياة فيها : فى حجرته الخاصة .. فى أرجاء بيت الأسرة .. فى كتابه المدرسى ، فى وسائل الاعلام كافة ، فى حدائق الأطفال والمتنزهات العامة ، فى مدرسته .. ناهيك عن المتاحف والمعارض التى تبهره وتلهب خياله وتعمق معنى الجمال فى نفسه منذ صغره ...

ولننظر الى واقعنا العربى الذى لا تعوزه الامكانات المادية .. ولكن مسألة الوعى والتخطيط والتبصر .. هى ما نشير اليه باصبع التساؤل والاستغراب! ولست أدرى لماذا نقنع من الحضارة بقشورها دون كنهها فنعوم على السطح عالقين بركاب الغير كالنباتات الطفيلية الخاملة ... وليست ظاهرة الفنان وانفصاله عن الجمهور إلا أحد مظاهر الحياة العامة فى واقعنا المعاصر . ولكننا لسنا بصدد دراسة كل هذه المظاهر .. فما نعنى به هو هذا الجانب الفنى المحدود ، ولنبدأ مع الطفل فى أولى مراحل دراسته لنرى كيف أعددناه نفسياً وتربوياً ليتذوق الفن .

فلا شك أن انقطاع الصلة بالتراث القديم ، وتوالى فترات اضمحلال طويلة

على امتنا ومعاناة القهر والاستعمار والتمزق .. كل هذا قد حد من أهمية الفنون الجميلة كوسيلة استمتاع فنى لدى الجمهور ، ثم جاءت الصدمة ممثلة فى الانتاج الغريب للفنان المعاصر ومعقمة لغربة الجمهور وعدم استساغته لهذا النوع من الانتاج . ولننظر كيف أعددنا أبناءنا لتتفتح أذهانهم على التذوق والاحساس بالجمال ، فبالرغم من التطور الذى مرت به مناهج هذه المادة وطرق تدريسها ، فقد اعتمدت فى المقام الأول على جانب رئيسى هو التأدية والتلقين ، ولم تعط أية فرصة للتدريب على التذوق وتهذيب الوجدان واكتساب التعود على التمتع بالصورة أو التمثال كنهج وسلوك عام . وانصب الاهتمام على تجويد رسم المفردات المادية والوحدات الزخرفية والتدرب على نقلها وتكرارها .. كواجب سمج ثقيل ، غرس الشعور بالنفور عند معظم التلاميذ ، وأصبح درس الفن وكأنه تأدية أوتوماتيكية مقررة لا يشترك فيها الحس والذوق والوجدان التى هى أدوات التذوق الفنى .. أو هكذا يجب أن تكون .

وساعد فى ترسيخ هذه الجفوة ، الكتاب المدرسى نفسه ، فى وقت نرى فيه أن دول العالم المتقدم تتبارى فى اخراج الكتب المدرسية على أساس مستوى من الأناقة والذوق الرفيع .. وتحشد لها أكبر الرسامين وأمهر المخرجين ليوزعوا لمساتهم الفنية على صفحاتها بوعى واقتدار .. وبخطة علمية وتربوية ، تورد بين صفحاتها كثيراً من اللوحات الفنية العالمية منوهين عن العصر الذى رسمت فيه وعن اسم الفنان والمتحف الذى تعرض فيه حالياً .. والغرض من ذلك ترسيخ القيم الفنية فى ذهن التلميذ وتفتح قدراته ومواهبه .. وتعويده على استيعاب اللوحة الفنية وتذكر أسماء الفنانين والمتاحف .. وخلق جو رائع لهذه العوالم الابداعية الرفيعة .

ومن هنا تولد معانى الاعتزاز بالانتاج الفنى والتطلع لاشباع الهواية وحب الفن كظاهرة حضارية سامية .

أما من ينظر شكلا ومضمونا الى كتبنا المدرسية فى مجملها ، أو الى قصص الأطفال التى تطبع محلياً ، فلا شك أنه يصدم بواقعها وحالتها الراهنة ! وبالرغم من هذا التغيير الشكلى فى تسمية (مادة الرسم) واستبدالها بتسمية جديدة هى (مادة التربية الفنية)

● شروق القمر للفنان «هانز هوفمان» .. ماذا تعنى هذه اللوحة للمشاهد العربى بدون تدريب بصيرته ؟

إلا أن شيئاً جذرياً لم يتغير .. وبقى الأساس فيها هو التأدية والتلقين وليس تدريب الحس على التذوق الفنى !

الأساس هو المدرس

وكما ذكرنا فان فاقد الشىء لا يعطيه ! فكيف لنا أن نغير دروس التربية الفنية الى منهج للتذوق الفنى بشكله الواسع .. ونحن نجابه هذا الخليط العجيب من المدرسين القائمين على تدريس المادة ؟ يبدأ بخريجى كليات الفنون الجميلة أو التطبيقية ، وينحدر من حيث التخصص الى خريجى المدارس الصناعية والصناعات الميكانيكية .. ولابد ان نتقبل الحقيقة المرة وهى أن معظم مدرسى التربية الفنية غالباً ما يكونون أنفسهم غير قادرين على تذوق العمل الفنى ، وغير مؤهلين لهذه المسئولية الكبيرة ! لذلك ، فان دروس التربية الفنية لا تمثل بالنسبة للتلميذ اكثر من واجب ثقيل لا يبتغى من ورائه إلا الحد الأدنى لدرجة النجاح .

والذى لا شك فيه .. كحقيقة لا تقبل الجدل ، أن بداية الطريق الى وعى فنى متكامل يكمن فى تهيئة المناخ المناسب لهذه الغاية فى المدرسة أولا ، ويعتمد فى المقام الأول على مدرس التربية الفنية . ولكن الطريق الى الاعداد المدروس لهذه الغاية تحتاج منا الى خطوات متتابعة تبدأ من ايجاد المناهج الفنية المثلى وتطوير أساليبها .. الى تهيئة المدرس المسلح بدراسات فنية خاصة بجانب الدراسات التربوية .. الى اعتماد الامكانيات اللازمة للمدارس لكى تسمح بممارسة هذه التجارب والخبرات والمناهج ... الى الانفتاح على مجمعات التراث والمتاحف وشرح معروضاتها ومقتنياتها ..

كما يجب أن توضع البرامج على مدار العام لزيارة الآثار والتعريف بها ، ومشاهدة المعارض ومراسم الفنانين ولقاء المفكرين والمبدعين واجراء الحوار معهم .. فقد كان بيكاسو ـ أسطورة الفن فى العصر الحديث ـ يفتح أبوابه لطلبة المدارس .. ويقضى الساعات فى مناقشتهم بالكثير من الحب والتعاطف ..

من هذا المنطلق .. تتكون ملكة التذوق الفنى ، بل نقوم السلوك ونهذب الوجدان ، لتتكامل رسالة الفن الخالدة !

أما كيفية تحديث المناهج ، ودور المتاحف فى عالم الفكر وبناء الشخصية الفنية ، وقيمة التراث وكيف نحافظ عليه بما يستحقه من الاجلال والاحترام .. ؟ كل هذا ، سنتناول الحديث عنه فى لقاءات قادمة باذن الله .

جمال قطب

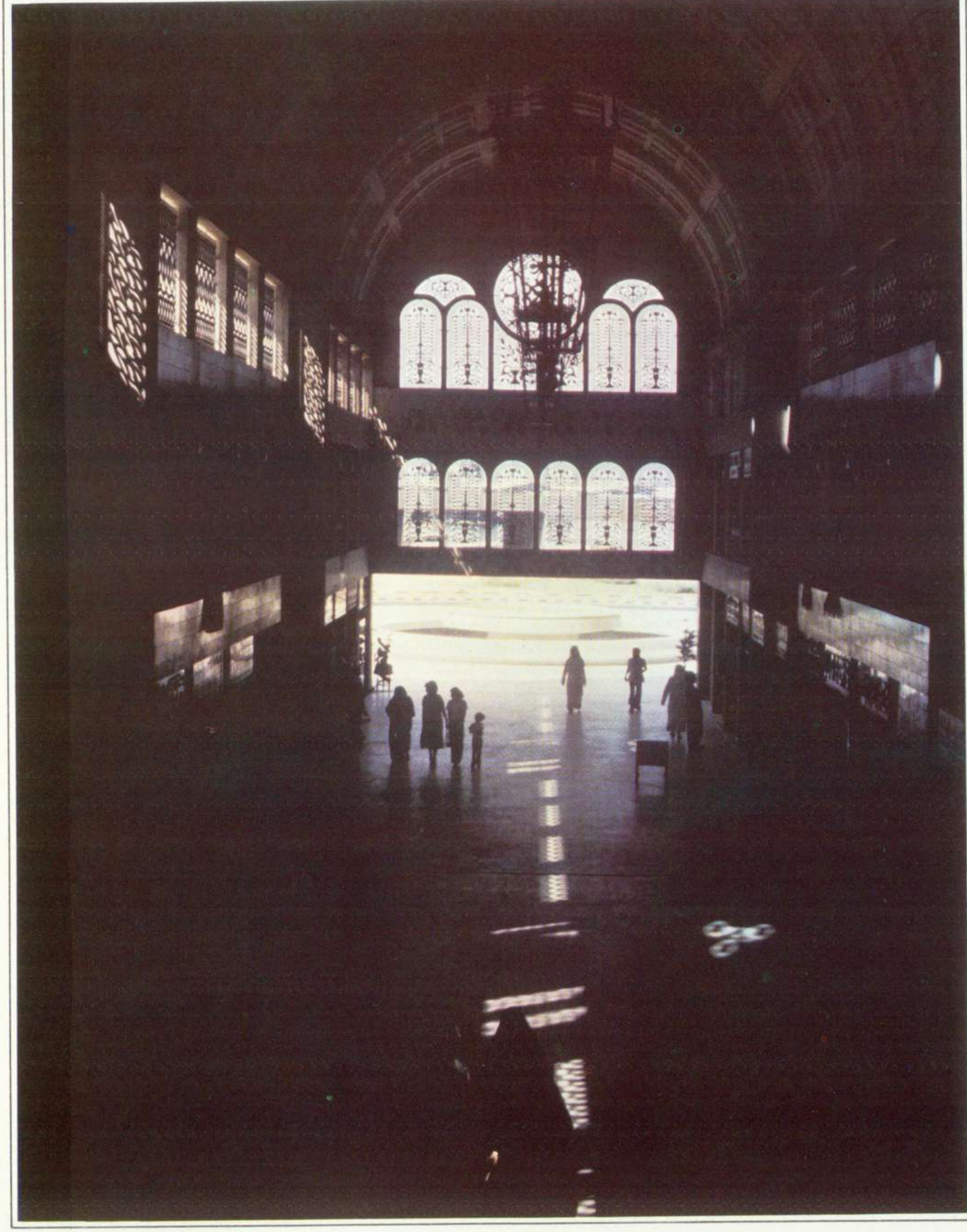

محمد علي عبد الله

ملاحظات على

سوق الشارقة

إن من أروع المعالم المعمارية فى الشارقة هى سوقها الذى بنى على نمط محلى ، وقد استخدمت المفردات الزخرفية والمعمارية الخليجية بشكل رائع فيها ،وإنه من سخريات القدر أن هذا السوق بني بواسطة مهندسين غربيين وليس معماريين محليين ، ولهذا السبب شاهدت بعض الملاحظات التى وجب التنويه عنها ، وذلك لخطورة تفسير التراث الخليجى بعقول غربية وما ننج عن ذلك من تشويه فى الأصالة . كما أنه من المناسب أن نتذكر على صفحات الدوحة ، بعضا من تراثنا الغنى بالتفاصيل البالغة الروعة ..

النمط الثقافى

إن الصفات الجيولوجية والمناخية فى المنطقة الجغرافية أرضاً وانساناً ، هى العامل المؤثر فى تكوين ثقافة منطقة ما ، وإعطائها الميزة أو النمط الثقافى المتميز ، فمثلا الظروف الجيولوجية والمناخية فى مصر القديمة اختلفت عما هوكائن فى بلاد ما بين النهرين ، فبينما نجد أن المهندس المعمارى فى عصر الفراعنة اعتمد فى بناء القصور والمعابد على الصخور التى كانت متوفرة نجد المهندس فى بلاد ما بين النهرين بعدت عنه الجبال ليجلب الصخور منها ولذا اعتمد على الآجر فى بنائه المعمارى ومن هنا نجد أن التصميمات التى كان يضعها المصرى القديم فى المعابد تختلف عن تصميم البناء المبني من الآجر لعدة اعتبارات أحدها يكمن فى أن مميزات الصخر تختلف تماماً عما عليه قطع الآجر .

الانسان والتحدى

وبالنسبة للمهندس المعمارى فى الخليج فان المشكلة ذاتها تبرز ، وهى

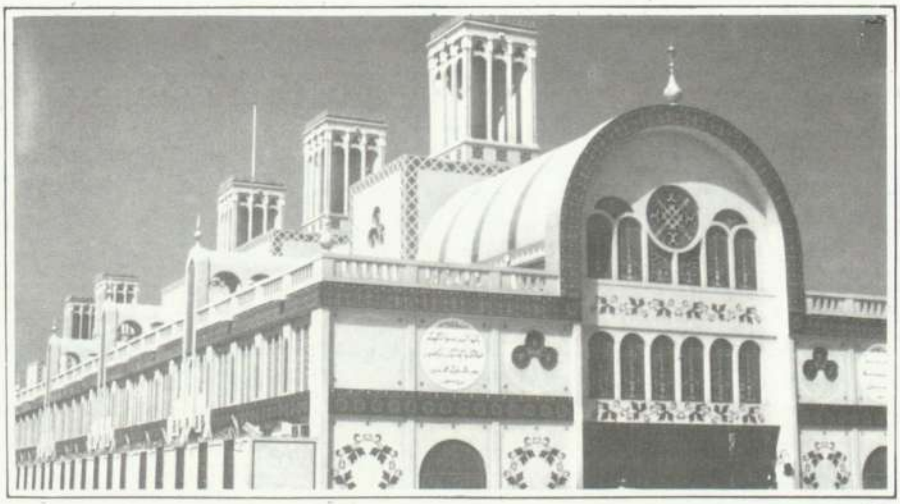

عدم وجود جبال لاحضار الصخور ، كما لا توجد انهار حتى تجلب له الطين لصنع الآجر ..

إلا أن المشكلة لم تدم طويلا فى وجه التحدى الذى واجهه الانسان فى وجه المتغيرات المناخية للمنطقة ، فقد اتضح أن الهضاب فى معظم المناطق المطلة على الخليج العربى هى تكوينات طباشيرية .

وغير معروف متى بالضبط بدأ الانسان فى استعمال التكوينات الطباشيرية بعد حرقها لاستخدامها فى البناء .. ولذا فاننا نجد – حتى يومنا هذا – شواهد من المعمار الخليجى القديم تتكون صخورها من الصخور الطباشيرية وخاصة قطر ، والملاط من الجص .

مصائد الهواء

ولكن الظروف المناخية للمنطقة لم تدم كما كانت عليه فى الألف الثانى والثالث قبل الميلاد ، بل دخلت المنطقة فى دورات مناخية حارة ، بنى الانسان فى الخليج خلالها (مصائد الهواء) وهى برج مربع له أربع فتحات موجهة الى الجهات الأربع ، فاذا ما هبت الرياح من الشمال دخلت من الفتحة الموجهة الى الشمال ، بينما الفتحة الجنوبية وهى الفتحة المعاكسة لحركة الهواء ، تساعد فى اخراج الهواء الحار من الحجرة ، تلقائياً .

وقد انتشرت مثل هذه البروج على طول ساحل الخليج العربى من البصرة ، حتى عمان .

السقف المقوس

وسوق الشارقة ، هو سوق حديث ، لم يمض على بنائه السنتان ، وقد استخدم مصمم السوق مصائد الهواء ، ليؤدى بها غرضين ، الأول وهو الغرض الوظيفى منه ويقوم بمهمة تبريد السوق .. والغرض الثانى يكمن فى الغرض الجمالى البحت

ويتكـون السوق من ممرين طويلين ، كل ممر مقسوم إلى أربعة أجزاء ، وكل جزء يتكون من مجموعة من المحلات التجارية المتقابلة ، وكل جزء يتكون من طابقين ، يصعد الناس إلى الطابق العلوى بواسطة سلالم جانبية ..

وقد غطى المهندس السوق بسقف مقوس وهذا السقف يتكون من نصف دائرة ، وهى فى قمة التشويه التراثى ، فان هذا النوع من السقوف والتى تحوى على فجوات مربعة هى إحدى ميزات المعمار الرومانى ، والذى ورثه الأوربيون فى عصر النهضة ، أما خارج هذا السقف ، فقد تركوه معرى دون أى مساس ، وهنا أيضاً خروج مشوه عن مميزات العمارة الاسلامية والتى كانت تعتبر السقف المقوس مرحلة بدائية من مراحل البناء ، ثم كانت تغطى هذا السقف حتى يستقيم أفقياً وذلك للوصول إلى الغرض الجمالى بالاضافة إلى تقوية دعائم القوس ..

أما بالنسبة لأمور الأعمال النهائية فى البناء . وهى أمور الزخرفة والتزيين ، فقد استخدم المصمم مفردات زخرفية هندية فى زخرفة الشبابيك والفتحات ،

وأعتقد أن المصمم قام باعداد دراسة عن النقوش الخليجية ولكنه لم يقع على نماذج نقية فانه معلوم لدى المؤرخين بأن المنطقة فى القرن التاسع عشر عاشت عصراً ذهبياً ، وهو عصر اللؤلؤ ، وقد انفتحت المنطقة على كثير من التجار والحرفيين الذين أتوا على وجه الخصوص من الهند ، فبدأوا يمارسون حرفهم ومن ضمنهم المزخرفون . فأدخلوا المفردات الزخرفية الهندية الى المنطقة ، علماً بأن منطقة الخليج تتميز بخاصية متميزة فى زخارفها الجصية والتى بنيت على أسس رياضية صارمة ، وأداؤهم فى ذلك هو الفرجار والمسطرة فقط ، ولم يكن أى مصمم يخرج عن هاتين الأداتين ، ولم يكن يجرأ فى زخرفة أى مكان برسم من ذهنه فهو يعلم أن سمعته كنقاش كانت كسمعة الطبيب فى هذه الأيام ، فكان كثير القلق فى مسالة الخروج عن المألوف ..

أما مصممنا فقد وضع فى فتحات السوق زخارف تم صبها بالألمونيوم ، وهى زخارف لمزهريات ونباتات لا تعتمد بأى شكل من الأشكال على الأداتين المذكورتين .. ولكننى – وكلمة الحق تقال – لاأنكر أن مثل هذه الزخرفة، موجودة على البيوت فى دبى فى (فريق البستكية) .

المفردات الزخرفية

كما أن استخدام المصمم للزخرفة الاسلامية على السراميك هى ظاهرة نادرة لم تعرف المنطقة لها مثيلا .

إننى لم أقصد من خلال هذه الدراسة التقليل من أهمية هذا السوق الرائع فهو بحق أحد المعالم المعمارية التى تستحق المشاهدة ، بل وأقول انه سيظل علامة تشرف دولة الامارات بهذا الانجاز الذى يظهر فيه التعلق بالتراث ومحاولة احيائه ، مرة فى السوق ومرة أخرى فى مطار الشارقة الذى يحمل طابعاً معمارياً خليقاً بأن ينسب إلى جهد وعلوم أجدادنا .. فانا أنظر إلى محاولتى فى هذا البحث أن أرتبط بتراثنا الذى درسناه بأنفسنا ، والذى أومن بأننا لو سرنا على دربه لقدمنا شيئاً أكثر أصالة وأروع فناً ..

محمد على عبد الله

قصة قصيرة

الهدنة

بقلم : د . حازم سعد الطيبى

استلقى الشيخ على ظهره سجين فراشه منذ اللحظة التى قررت فيها أن يتم شده بالفراش لمدة شهرين لعلاج الكسر الذى أصاب عظمة الفخذ . كان الشيخ كثير الشكوى من الألم الذى تخفف من حدته المسكنات الكثيرة ، كما كان دائم الشكوى من المرضى المجاورين له لكثرة ضوضائهم ومن العنبر القذر الذى كانت تجوبه الصراصير ليل نهار وتتقاسم القطط اسرته . الا ان ذلك لم يمنع وجود صداقة نشأت بيننا بمرور الأيام .

ـ الصراصير كثرت هذه الايام ويبدو أن المبيدات تزيدها تخمه ... والقطط تتقاسم فراشى وتؤرق نومى بمعاركها الضارية طوال الليل ... ثم أن المرضى دائموالشغب ولا يحترمون كبر سنى وحاجتى للراحة .

ـ الصبر يا عم الشيخ مصيلحى ... سوف نفرج عنك قريباً .

ومرت الأيام ولم يعد الشيخ يلاقينى سوى بابتسامة . ولم يعد للشكوى مكان فى الحديث الطويل . وأصبح الشيخ مهتماً بالقطط يناديها باسماء اطلقها عليها كما اصبحت تتقاسم معه مائدة الغذاء حتى أن غياب احدى قططه كان يؤرقه فيسأل عنها جميع المرضى الذين أصبحوا يحجون الى فراشه كثيراً ليتجاذبوا معه أطراف الحديث فى بساطه لم يألفوها فيه من قبل .

وأعلن الشيخ الهدنة ، فلم يعد يهتم بفلول الصراصير التى كانت تجوب الفراش من حوله . ويبدو ان الصراصير فطنت الى إنهاء حالة الحرب الضارية التى أعلنها الشيخ يوم جاء ضيفاً عليهم فكثر بذلك تجوالهم كما كثرت ضيوفهم من الحشرات الأخرى .

وضجت الممرضات بالشكوى من هذه الحديقة الحشرية ، الا أن الشيخ لم يأبه لوعيدهم وكان يحاول دائماً الا تعكر تلك الدسائس العلاقة الطيبه التى نشأت بيننا فكان ينظف المكان من حوله حين يعلم بقدومى .

تعجبت لما طرأ على الشيخ من تغيرات وكلما حاولت أن اقنعه بأن ما يفعله ضار به وبمن حوله من مرضى كان يتغلب على بابتسامته البشوشه ويربت على يدى ويقول : ارجوك لا تغضب منى يا دكتور ، اننى لا استطيع ان اتحمل فقد احد من أصدقائى ، وهؤلاء جميعاً أصدقائى .. كلنا سجناء اليس كذلك ؟ ويجب أن نجد مأوى لهم جميعاً .. بل وطعاماً جيداً ايضاً .. لماذا نحاول دائماً ان نستحوذ على كل شىء ونقتل هؤلاء المساكين .؟

كثر الهمس بين المرضى .. الشيخ اصابته لوثه .. تنتابه لحظات من الذهول تطول كلما طالت فترة رقاده بالفراش . إنه يحصى الداخلين والخارجين من العنبر . ولا يفوته ان يلقى ببعض الملاحظات العجيبه عن كل تافه . إنه لم يعد ذلك الشيخ الوقور الصامت المتأفف من كل شىء حوله .

وقد كان المرضى على حق . فكلما طالت فترة رقاده بالفراش بدون حركة أصابه الملل فكثرت بذلك تعليقاته وملاحظاته

التى لا تنتهى . الا أن الشيخ أصابته حالة صمت وتأمل فى الأيام الأخيرة وأصبح يهتم بسقف العنبر . وتعلقت عيناه به طول الوقت وهو يتابع صرصوراً يجوب فى السقف فى محاولات مستميته ليجد له طريقاً الى الارض . ويبدو ان محنة الصرصور هزته كثيراً ، فطالما توسل الى الكثيرين ممن حوله ان ينقذوا ذلك المسكين : حرام عليكم ... ماذا تنتظرون ؟ يومان وهو يقطع السقف جيئة وذهاباً .. سوف يموت .

لم يعد الشيخ ينام ليله وأصر أن يضاء نور العنبر طوال الليل ليتمكن من متابعة البائس فى أعلى الغرفة . وخرج الشيخ عن وقاره فلم يجد حرجاً فى طلبى بحجة أنه يعانى من بعض الالام فى موضع الكسر . وحين حضرت ، اشار باصبعه الى سقف الغرفة واختنقت الكلمات فى حنجرته .. دمعت عيناه فى توسل واخيراً قال :

«انقذه .. أرجوك .. انهم يعتقدون اننى جننت ، لكن اليس من حق هذا البائس أن يحيا .. لقد فشلت جميع محاولاته طوال يومين .. لماذا نبخل بالمساعدة لمخلوق ضعيف كهذا» .

واستطعت ان اطمئن الشيخ واكدت له اننى ساهتم بأمر صديقه فى الصباح الباكر . واستشرت زميلى اخصائى الأمراض العصبية فنصحنى باعطائه بعض المهدئات الا ان ذلك لم يحد من توتر الشيخ .

وفى مساء اليوم التالى سقط الصرصور بعد معركة مستميتة من اجل البقاء شاركه فيها شيخ مكبل بالفراش على الجانب الآخر من الغرفة . سقط الصرصور واسرع احد المرضى على صراخ الشيخ .. وبين ضحكات المرضى دهمه بحذائه ،هنا تعالى صراخ الشيخ واجهش بالبكاء وهو يصب جام لعناته على الجميع . وتصادف مرورى بجوار العنبر فى تلك اللحظة فتناهى الى سمعى صراخ الشيخ ، اسرعت الى العنبر لأجده جالساً بالفراش وهو يحاول أن يرفع آلات الشدة من حول ساقه وقد أصر أن ينتقم من القاتل .

وحتى ساعة متأخرة من الليل لم تفلح المهدئات فى السيطرة على ثورته العارمة حتى لاحظ المرضى أن الشيخ قد سكن أخيراً واستغرق فى سبات عميق .

دكتور حازم سعد الطيبى

١٠ شارع الملكة

قصة بقلم : أحمد عبد السلام البقالى

مقدمة

فى خريف سنة ١٩٥٤ ، واغلال الحماية الفرنسية والاسبانية والدولية ماتزال مطبقة على عنق المغرب ، وحرب الاستقلال دائرة رحاها ضد الجيش الفرنسى الجبار . خرج هذا الغلام المغربى من بلاده لأول مرة فريداً خائفاً فى طريقه الى مصر لاتمام دراسته .

واستطاع الافلات من قبضة بوليس الحدود الاسبانى بجوازه المزور ، بلطف إلهى محض !

وصحبته الألطاف الخفية طول طريقه فوجد من يأويه أسبوعاً كاملا فى ايطاليا حتى أركبه الباخرة المتوجهة الى الاسكندرية .

وفى اليونان رفض القنصل المصرى إعطاءه تأشيرة الدخول الى مصر ، وقد اوشكت نقوده على الانتهاء ، ويصبح عرضة للتيه ، والغربة ، والضياع ، فى بلد لا يعرف أهله ولا تربطه بهم صلة دين او لغة !

ولكن الألطاف الخفية تدخلت مرة أخرى ، فغيرت قلب القنصل المصرى فارسل من يبحث عنه ، ويعيده الى القنصلية ، ليصدر له تأشيرة الدخول الى مصر ، ويزوده بما يأكله أثناء بقية الطريق الى مصر ..

اما اهم العنايات الربانية التى تجلت له اثناء طريقه ، فاخذت بيده الى نهاية مطافه ، فهى التى ستقراها فيما يلى :

حكاية واقعية

كيف نسيت هذا الحدث ؟ لا أدرى ! أنا الذى كتبت ما يملأ مجلداً من الأحداث والقصص الواقعية التى رويتها عن العائدين من منطقة الغسق .. تلك المنطقة الغامضة العامرة بالأسرار التى يلتقى فيها العالمان : الظاهر والباطن ، عالما الغيب والشهادة ..

قال لى صديقى محمد عيسى وهو يثقب سيجاره ، ويشمه وينصت اليه !

ـ كيف نسيت هذه الواقعة وقد كدت تكون احد أطرافها ؟

قلت وانا أراقبه يشعل السيجار بعناية ، ثم يدخل الجزء المشتعل فى فمه وينفخ فيه فيخرج كنافورة من الثقب ، ومعه غبار التبغ :

ـ لا أدرى .. ولكننى لم أكن بعد بدأت أهتم بعالم الغيبيات والأرواح .. اهتمامى بهذا الميدان ، بدأ فى الستينات بعد استقرارى بالولايات المتحدة

وأعاد السيجار الى فمه ، وأخذ يمص دخانه ونحن ننتظر القصة بشوق كبير وأخيراً بدأ :

«حدث ذلك فى خريف سنة ١٩٥٤ ، أى بعد سنة بالضبط من سفركم الى مصر .. وغادرت أنا المغرب للالتحاق بكم هناك .

نزلت من الباخرة فى الاسكندرية ، وفى جيبى رسالتك الأخيرة إلي قبل أن أغادر المغرب ، كانت عامرة بالتفاصيل والارشادات التى يجب أن اتبعها أثناء سفرى .. حتى أرقام الحافلات والترام ، والعناوين بالتدقيق ..

ولكن الذى كان يملأ رأسى فى تلك اللحظة التى نزلت فيها من الباخرة بميناء الاسكندرية هو تحذيراتك المتكررة من ذئاب الميناء ، وكلاب الجمارك ، والسماسرة والشيالين .. فمازلت أذكر ما قلته لي عن المبلغ الذى أخذه السماسرة منكم بالميناء ليخرجوكم من الجمرك وقسم الجوازات ! خمسة جنيهات ! رأسمال كامل ! أما أنا فلم يكن فى جيبى ساعة نزولى على أرض النيل غير أربعة جنيهات فقط !

وحرصت على ألا أدفع أى شىء لأحد .. واستطعت اجتياز الجمرك والشرطة بدون دفع قرش واحد ! ربما لأننى كنت أبدو لهم صغير السن ، وعديم المال .. فقد كنت أحمل حقيبة ملفوفة فى لحاف مربوط حولها بشريط ، فلم يطمع في أحد ..

وفى المحطة سألت عن أول قطار الى القاهرة فقيل لي سيقوم بعد ساعة .

وجلست على أحد الأرائك الخشبية الكبيرة انتظر .. وأصبحت هدفاً سهلا لسماسرة المحطة ، كلهم يريد أن يبيعنى سلعته ، أو يمسح حذائى ، أو يشترى لى تذكرة سفر .. وأنا أحرك رأسى رافضاً ومشيحاً عنهم بوجهى .

ولم أشعر كيف جلس بجانبى رجل .. التفت فوجدته هناك .. كان فى حوالى الثلاثين أو الأربعين ، نحيفاً شاحب الوجه ، هادىء الملامح ..

ولسبب ما لم يزعجنى وجوده المفاجىء بجانبى رغم تحذيراتك الصارخة التى أكاد أسمعها من داخل رسالتك فى جيبى !

وجاء أحد سماسرة المحطة وسألنى :

ـ هل معك تذكرة ؟

فقلت : لا ..

وحين عرض علي أن يشتريها لي رفضت ، وأشحت عنه بوجهى اشارة له بالانصراف ، ولكنه أصر على خدمتى رغم أنفى .. فأشار الى شارة نحاسية على صدره ، وقال :

ـ أنا شغال رسمى هنا ـ فلا تخف .. سأشترى لك التذكرة ، الى أى بلد تريد دون حاجة منك للوقوف فى الصف .. أنا أعرف البيه الذى وراء شباك التذاكر !

وحين لم أقتنع خلع شارته النحاسية ووضعها فى حجرى ..

والتفت الى الرجل الجالس بجانبى ألتمس مساعدته على تخليصى من هذا المساعد الثقيل ، فحرك لي رأسه وقال :

ـ لا تخش شيئاً ـ أعطه خمسين قرشاً ليشترى لك التذكرة .

ودون أن أراجع تحذيراتك ، مددت للرجل الخمسين قرشاً ، وقلت له :

ـ درجة ثالثة من فضلك .

وفعلا عاد الرجل بعد بضع دقائق بالتذكرة والرد ، فأعطيته خمسة قروش بقشيشاً ، وشارته النحاسية ، انصرف شاكراً .

والتفت الى الرجل ممتناً فابتسم ظل ابتسامة ، وسألنى :

ـ من أين حضرتك ؟

ـ من المغرب .

ثم صححت :

ـ من مراكش ..

فحرك رأسه فاهماً :

ـ محمد بن يوسف ! والجلاوى وبن عرفة ـ علال بن عبد الله ـ الى غير ذلك من أسماء الأشخاص والأماكن التى اقترنت بمعركة استقلال المغرب .

وفى القطار وجدت نفسى مرة أخرى فى نفس الغرفة مع ذلك الرجل النحيل الشاحب . فابتسم لي وحيانى تحية من يعرفنى ـ وظل صامتاً طول الطريق ، لا يتكلم: إلا إذا خاطبته . ورغم صمته ، فقد أخرج لي من جيبه بطاقة وقال :

١٠ شـــارع المـلكـــة

ـ خذ هذه ، اذا احتجت الى أى شىء اتصل بى بهذا العنوان . ووضعت أنا البطاقة فى محفظتى متأكداً من أننى لن أحتاج اليها ..

وحين وصلنا محطة باب الحديد بالقاهرة سألنى :

ـ الى أين أنت ذاهب ؟ هل تعرف أحداً بالقاهرة .

وحين أجبت بالايجاب سألنى :

ـ هل تعرف كيف تصل ؟

فأخرجت الرسالة ، وقرأت له العنوان :

ـ بيت المغرب ـ شارع السلولى رقم ١٢ ـ قبالة (كلية البنات) ترام (١٥) أو أوتوبيس (٦)

فقال :

ـ اتبعنى اذن .. ذلك هو اتجاهى .

وركبنا الترام الى (الدقى) .. وظهرت لي المسافة بعيدة جداً ، فلم أكن عشت قبل ذلك فى مدينة فى ضخامة القاهرة واتساعها ، وبدأت أشك فى اتجاه الترام، رغم أن رقمه (١٥) ، وفى المحطة التى ينبغى أن أنزل فيها .

وبعد ما يقرب أو يزيد عن العشر كيلو مترات نزلنا . وساعدنى الرجل النحيف فى حمل حقيبتى الى شارع السلولى ، ولم أسترح وتذهب وساوسى حتى قرأت اسم الشارع على الحائط ، ورأيت لوحة كلية البنات ، ومقابلها (بيت المغرب) بحديقته الجرداء ونوافذه المكسرة الزجاج ..

وكنت أنت جالساً فى البلكونة فنزلت مع صاحبنا أحمد الرياحى وقباقبكما تطقطق على الرخام كاللقالق حتى تعانقنا على الباب .. وخرج عدد من الطلبة الذين كانوا يعرفوننى فاجتمعوا حولى وهم يلبسون البيجامات والشباشب والقباقب ، كما يجتمع المعتقلون على الأسير الجديد .

والتفت حولى بحثاً عن الرجل الذى جاء بى الى هنا لأشكره ، وأقدمكم له ، ولكنه اختفى ، وكأن الأرض بلعته ... وجريت لألحقه قبل أن يلوى الشارع فلم أجده ..

وسألنى الرياحى عما أبحث فقلت له عن الرجل المصرى الذى تطوع لمرافقتى ، فقال آسفاً :

ـ خسارة ! كان لابد أن نشكره حقيقة! هل تعرف اسمه ؟

فقلت :

ـ لقد ترك لي اسمه وعنوانه .

وأخرجت من محفظتى بطاقة كان أعطانى اياها فى القطار للاتصال به فى القاهرة اذا احتجت لشىء .

وقرأها الرياحى ، وقال :

ـ ١٠ شارع الملكة .. ، أعرف هذا العنوان ـ ليس بعيداً من الاسعاف .. غداً لابد أن نذهب اليه ، ونشكره ، فامثال هذا الرجل قليلون !

ودخلنا بيت المغرب ، وسهرنا تلك الليلة على أخبار المغرب ، والفدائية ، ورسائل العائلة التى حملتها اليكم .

وفى الغد لم ينس الرياحى وعده ، وهو كما تعرفه ، حريص على أصول اللياقة ، والآداب الاجتماعية .. وكنت أنت مشغولا بعمل ما ، فلم تذهب معنا .

وركبنا الترام الى شارع الملكة ، ونزلنا عند المحطة القريبة من عنوان صاحبى ، وبحثنا عنه فعثرنا عليه بسهولة .. كان دكان حانوتى ـ دافن أموات ـ ! وسألنا عن اسم صاحبنا ، فسألنا صاحب المحل بدوره بنوع من الفضول الممزوج بالاستغراب .

ـ كيف عرفتموه ؟

فأخرجت له بطاقته ، فنظر الى البطاقة ، وسألنا :

ـ من أعطاكم هذه ؟

ـ صاحبها بنفسه .

ـ متى ؟

ـ بالأمس وأنا قادم معه بالقطار من الاسكندرية ..

ـ مستحيل !

ـ لماذا ؟

ـ هذا الرجل كان صاحب هذا المحل فعلا قبل أن آخذه أنا .. ولكنه مات منذ سنة ! أنا الذى جهزته للدفن بنفسى ..

فلما وصفته له فتح الرجل فمه عجباً ، وغرق فى تأمل عميق !

وأخذت أنا البطاقة من بين أنامله وتركته لتأملاته ..»

أحمد عبد السلام البقالى

عبد المنعم الجداوى

« جواهر »

صريعة خيول الفرسان

... كل شيء حوله أكثر من سيء .. سقطت المثل والقيم صريعة المصالح والنفعية .. وخرت متخنة بجراح الخسة والدناءة .. استلقت الحياة كحيوان كبير ميت .. تحول الوجهاء الى دود حقير .. يتصارع على نهشها ، ومطوب منه أن يتحول هو الآخر الى دودة من هذا الدود فقد فاتحه اليوم «علي بك» الذى يطمع فى «مشيخة القاهرة» ، فى أن يشترك فى المؤامرة ضد «صالح بك» الذى جاء من «استامبول» مندوباً للباب العالى ، ثم خرج اميراً لرحلة الحج ، فلما عاد طابت له الاقامة بالمحروسة ، وبقي تنحني له كل الرؤوس ، وفى مقدمتهم راس «علي بك» ، ورأس «باشا القلعة» ذاته !

فلما فرغ من العرض ، الذى انخلع له قلبه ، وهو يقول لعلي بك ، إن «صالح بك» له فى عنقه أكثر من يد بيضاء ، فهو الذى تلقفه حينما جاء الى مصر كواحد من المماليك الروم .. وكان يمكن أن يظل سنوات ملقى فى مدرسة المماليك دون أن يفوز بمركز مرموق ، لولا أن صالح بك اختاره رئيساً لحرسه ، ثم قائداً للعسكر الذين رافقوه فى رحلة الحج ، فلما عاد أصدر أمره بتعيينه «كتخدا» على كل باشجاويشية المحروسة .. منتزعاً له المنصب .. من أنياب الكثير من المحاسيب !

امتحان الاخلاص

ومن اجل كل هذه الأيادى ، ولانه يؤثر

● رفض خيانة ولي نعمته ، رغم إغراءات التلويح بالمناصب

الجميل فهو لا يستطيع ، ولا يرضى لنفسه أن يشترك في الاضرار بصالح بك مهما كان الثمن !

كان علي بك يستمع اليه وهو يتفرس في ملامحه .. كلاهما يراقب الآخر .. علي بك يبحث وينقب في نبرة صوته ، وخلجات وجهه عن الذي يريده .. يود ان يعرف إذا كان هذا الكلام يصدر عن صدق ، أم انها حفرة يختبىء فيها لكي يتضاعف الثمن ؟!

فقال له :

ـ حتى لو كان الثمن ان تكون النائب العسكري للوالي وأن يتغير اسمك من «أحمد بشناق» الى «أحمد بك» ، وربما «أحمد باشا» .!؟

تساقطت كل هذه الاغراءات عند قدميه .. تدحرجت بعيداً عنه .. قال وهو يدب الأرض بقدميه منهياً للحديث ، انه لولا بقية من أدب تفرضه الوظيفة ، وفارق السن ، لكان رده غير ذلك تماماً !

وانه لو أعطى فرماناً بولاية المحروسة مقابل الغدر بصالح بك لرفض ، لانه يرفض أن يكون خائناً لمن أنعم عليه !

ونسي نفسه في انفعاله ، فقد أدرك أن صوته ارتفع أكثر مما يجب .. لم يكن في القاعة غيرهما .. وكان علي بك قد أوصى الحاجب بالا يدخل عليهما أحد .. وفي براعة مفتعلة . أغرق في الضحك حتى استلقى على قفاه ، مما أدهش احمد بشناق وظن أنه سيرسله الى السجن أو إلى حيث يلقى حتفه ، فوقف مذهولا ، لا يدري بماذا سينطق بعد القهقهة !

عاد علي بك الى وقاره .. وأعاد عمامته الى مكانها بعد أن تزحزحت .. قال انه الآن صدق ما يقال عن شجاعته ، وإخلاصه ، وأنه أراد أن يمتحن إخلاصه فقط .. وقد اطمأن الآن الى ثقة صالح بك فيه وانه كان يمتحن إخلاصه لأنه سوف يولى مركزاً خطيراً في الأيام المقبلة !

الاجتماعات المغلقة

انصرف من القصر .. لكن هموم الموقف لم تنصرف عنه .. كان وجدانه مضطرباً وعقله يعمل بسرعة مخيفة .. فهو منذ أيام لاحظ أن علي بك يعقد مع رجاله الاجتماعات المغلقة التي لا يحضرها غيرهم .. لكنه لا يستطيع أن يخمن أن هذه المظاهر يمكن أن تكون خيانة من علي بك لصالح بك .. فهو الذي ثبته في مشيخة البلد ، واقنع الباب العالي باستمراره في الولاية .. ليس ذلك فحسب بل ساعده في طرد خصومه الذين كانوا ينازعونه ، ونفاهم الى الصعيد .. وأمر بعضهم بالخروج الى الشام !

لكن لماذا لا يدعى صالح بك الى هذه الاجتماعات ، وهو رسول السلطان ، وصاحب الكلمة الأولى من «علي باشا» القلعة .. ؟ في ذات الوقت الذي تضم فيه أيوب بك ، ورضوان بك ، ومحمد بك أبو الدهب ، وعلي بك الطنطاوي ، وحسن بك الجداوي .. وهم الذين يكونون سلطة الحكم .. التي لا تترك لباشا القلعة سوى التوقيع ، والظهور في الحفلات الرسمية!

خداع القوة

وتصاعد الشك داخله فقرر أن ينقل الى صالح بك كل ما دار بينه وبين علي

● شعرَت أنه مكروب ، فطلبت منه أن يحدثها عن همومه ومتاعبه

بك .. لكن كيف يقوله ؟

استأذن صالح بك فأذن له فى لقائه على انفراد .. فلما مثل بين يديه قال له إنه لا يدرى من أين يبدأ ؟ ومازال به صالح بك يطمئنه .. حتى أفضى اليه بما كان بينه وبين علي بك .. فأذهله أن الآخر استلقى على قفاه ضاحكاً .. وأكمل له القصة .. فقد روى له علي بك ما كان بينهما .. ثم وضح له فى كبرياء أن علي بك أسير أفضاله ، وأن المواثيق ، والعهود التى بينهما تحول بينه ، وبين التآمر عليه .. وأنه كان يمتحن إخلاصه .. وأعجب بنزاهته ، واخلاصه لسيده ..!

وحاول أحمد أن يتكلم .. أن يثير شكوكه .. أن يتحدث عن الهواجس ، والارهاصات التى يشعر بها .. إلا أن صالح بك منعه من الاسترسال باشارة من كفه .. فقد كان مزهواً بقوته .. مخدوعاً بسلطانه .. فهو وحده الذى يدرك أن فى وسعه أن يلقى بعلي بك بركلة من قدمه ، وأن يجيء بغيره .. وأن يحصل من السلطان على الموافقة .. !!

ما هو سر أحزانه ؟

تراجع أحمد مطعوناً فى ولاء أعطاه كل اخلاصه .. فليس أقسى على النفس من أن يصبح اخلاصها مشكوكاً فيه ، ويصبح عليها أن تأتي على حبها بدليل !

إنه يرى ببصيرته رجلين مختلفين تماماً .. أحدهما يعيش بروح ذئب ، أينما تلوح له الفريسة يذهب ليقتنصها ، أو يخطفها من على أية مائدة .. والآخر يعيش بروح أسد ، يعف عن الميتة ، ويترفع عن خطف الفرائس من أفواه الآخرين .. !

وحينما عاد أحمد الى بيته .. خلا الى محظيته جواهر .. فراعها وهى تخلع عنه ملابسه أن ملامحه ليست هى التى تعرفها .. أحست أنه مكروب ، وأن جوانحه تغلى .. فربتت على كتفيه فى حنان ، وحشدت فى صوتها رقة أنوثتها كلها تقول له ان الحمام جاهز ، والأكل معد .. فأيهما يختار ؟

ومضى الى الحمام دون أن يناقشها ، وسرحت هى فى خواطرها .. سنوات ثلاث وهى محظيته الخاصة .. لم يغيرها ولم ينصرف الى أخرى من جواريه .. حتى ظنت أنها سوف تصبح زوجة .. لكنها رغم هذا الطموح الذى لم تكن تملك أن تبديه .. حلمت به زوجاً ، خاصة وأنه كان بلا زوجة فقد كان ينتظر حتى يصل الى المنصب الذى يتيح له أن يتزوج بفتاة من أعرق البيوت .. تشد من أزره ، وتناصره بما لدى اسرتها من جاه .. لكنه منذ العام الماضى ، وبعد أن صار «كتخدا» صالح بك ، لمح له بانه حتى الآن لا يجد من يستحق مصاهرته .. وأنه لا يرى امرأة أفضل منها تجيء الى بيته لكى تحولها الى جارية .. وقد أسعدها هذا الحوار ومالت على يديه تقبلهما .. وازدادت تعلقاً به .. فماذا يشغله اليوم .. إنه لم يعتد أن يتكلم عن متاعبه فى العمل .. لكنه اليوم فى أزمة حقيقية .. ليتها تعرف كيف تخفف عنه أحزانه وهمومه البالغة !

مضاعفة الحراسة

فلما خرج من الحمام ، وجلس ليأكل قامت الى العود ، وابتسمت تحاول أن

● أحس بالمؤامـــرة من حـــوله عندما أحاطوه بكوكبة من الحـــرس

صـــريعـــة خيـــول الفـــرســـــان

تذهب عنه الاكتئاب الذى يغشاه ، وسألته إن كان يفضل غناءها أم عزفها .. فقد كان كثيراً ما يطلب منها أن تغنى له وهو يتناول الطعام ، لكنه أشار عليها أن تدع العود وأن تجلس لتأكل معه .. وكان قليلا ما يفعل ذلك ، فأدركت الى أى حد هو ضحية أزمته ..

وما كاد ينتهى من الطعام ، حتى أمسكت بالعود ، وراحت تعزف له ، وأمرت إحدى الجوارى باعداد «النارجيلة» .. وراح يدخن ، وهو يحاول أن يستغرق فى ألحان «جواهر» وكلماتها ، واشاراتها ، وإيماءاتها .. لينتزع نفسه من الهم الذى يسيطر عليه !

وفى اليوم التالى وجه على بك دعوة للغذاء الى صالح بك ، وعدد كبير من كبار المماليك ، وتصدى أحمد يحاول أن يقنع صالح بك بأن يرفض هذه الدعوة .. لكن الرجل الواثق من مواثيق علي بك .. ارغم أحمد على ابتلاع هواجسه ، وأصر على حضور الدعوة .. فلم يجد أحمد بحكم وظيفته إلا أن يضاعف من جنود فرسان حراسة صالح بك ، ورجال المزاريق الذين يحيطون بموكبه .. وأضاف بعض الباشجاويشية الراجلين بعد استئذان البك ، فأذن له ، وهو يبتسم معجباً باخلاصه !

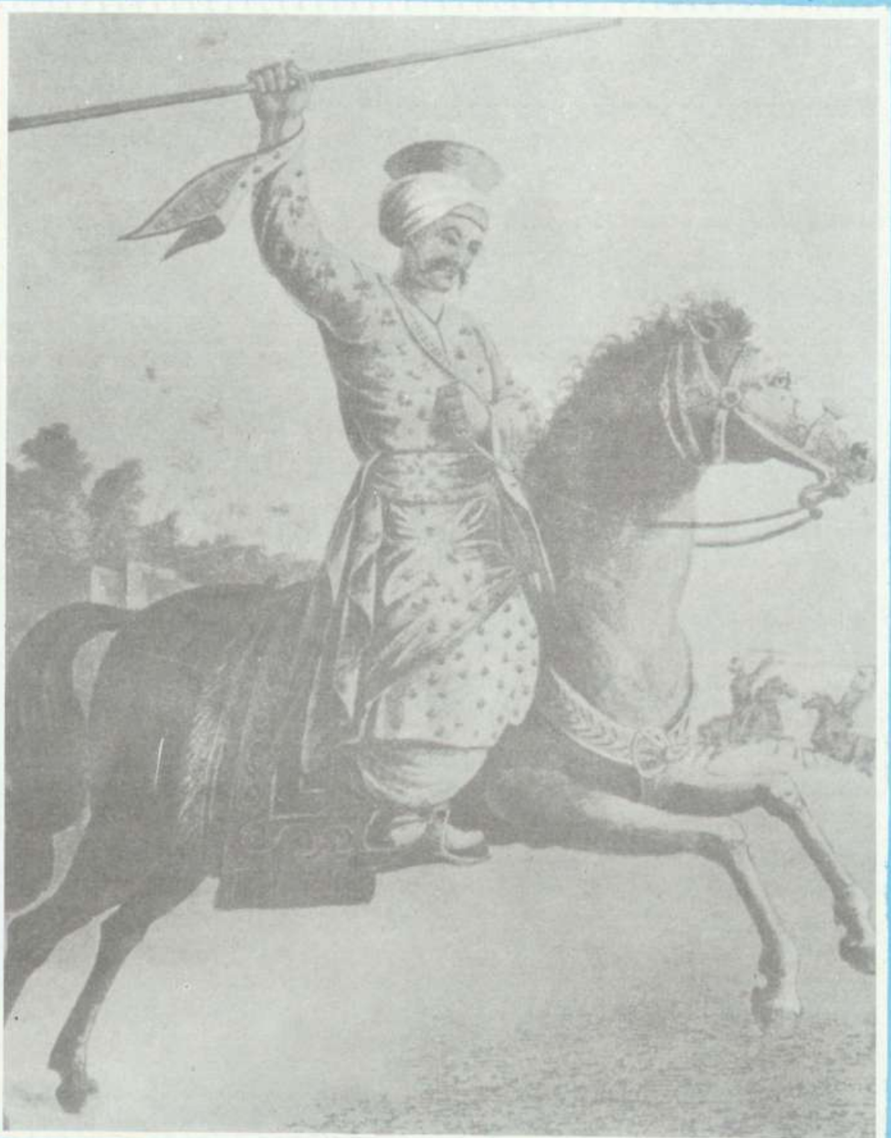

تنفيذ المؤامرة

وعلى مأدبة الغذاء جلس أحمد الى جوار سيده ، وكلما جاءت الأطباق تعمد أن يبدلها ، وأن يقدم أطباق علي بك لصالح بك محاولا ألا يفطن أحد الى ما يفعل .. وبدأ السمر بعد الغذاء دون حادث يذكر .. وقبل صلاة العصر .. تهيأ المدعون للانصراف ، واصر كبار المماليك على أن يصحبوا صالح بك لوداعه ، فأحاطوا به فى حلقة قبل كوكبة حرسه .. وتأخر أحمد ليقود رجاله ، فلما حاول اختراق الحلقة لتادية وظيفته .. لم يمكنه المماليك من ذلك .. وكان أقربهم الى صالح بك «محمد أبو الدهب» الذى كان يسير على يمينه .. وقبل أن يصل الركب الى مفترق الطرق .. عند «سويقة عصفور» ، افتعل ابو الدهب الغضب على «سايس » حصانه ، واستل السيف ليضرب به عنقه ، وإذا به يتحول الى الشمال ليهوى به على صالح بك .. الذى هوت الضربة الأولى على ذراعه ففصلته ثم القت الثانية بعنقه قبل أن يتبين ما حدث .. فهو من على حصانه جثة تتخبط فى الدماء .. واضطرب الركب وانهال المماليك على بقية حرسه الذين فروا جميعاً ، بعد أن شاهدوا عنق سيدهم يتدحرج بعيداً عنه !

الغضب والتحدى

وفى نفس الليلة دعى على بك الى اجتماع عاجل .. ضم كبار المماليك ، والصناجقة ، والكتخدية ، واضطر أحمد بشناق الى الذهاب .. وهناك التقى بالمملوك رضوان والمملوك أبو الدهب والمملوك على طنطاوى ، والمملوك حسن الجداوى .. وأحس أنه دعى الى هذا الاجتماع ليحاكم .. لا ليشارك فى حفل الخلاص من صالح بك ، ووجه اليه احدهم أمام علي بك تهمة أنه تقاعس عن الاغتيال ، والاشتراك فى المذبحة .. فلما نفى ذلك .. صاح أحدهم .. اذا كان صادقاً .. فليجرد سيفه من غمده ليشاهدوه .. وبعدها سوف يحكمون اذا كان اشترك أو لم يشترك .. ؟

على الفور شعر أنهم يورطونه .. فامتلأ غضباً .. ووضع يده على قبضة سيفه وصاح قائلا إن سيفه لا يغادر

● هرب في زي مغربي، فقطعوا لسانها حتى تتكلم!!

غمده ليتفرج القوم عليه .. إن سيفه يعرف مهمته جيداً اذا خرج من غمده .. !

رنت كلماته الغاضبة فى القاعة ، فساد الصمت ، وتلاقت العيون ، والداهية علي بك أكثرهم علماً بما يغلي به صدر أحمد ، وخشي اذا أثير أكثر من ذلك ، أن يعمل فيهم سيفه بجنون ، فاصطنع الابتسام ، وخفف الأمر متظاهراً بأن كل ذلك ليس أكثر من مزاح !

وانتهى الاجتماع ، وبدأ الجميع يعودون الى بيوتهم .. لكن أحمد أدرك أن عليه ألا يكون فى غباء سيده فيدفع عنقه ثمناً لغروره .. لم يذهب الى قصره .. لجأ الى بيت أحد رجاله المخلصين .. وأرسله برسالة الى جواهر لكى تسلم عشرة أكياس من الدنانير لحامله ، لأنه مسافر فى مهمة رسمية .. وحصل على زى مغربى ، وعباءة مغربية وخرج وحده على فرسه الى الجيزة دون أن يذكر لأحد وجهة سفره !

وصح ما توقعه .. ففى منتصف الليل .. هاجم رجال على بك الكبير قصر أحمد بشناق فلما لم يجدوه .. نهبوا كل ما فيه .. وساقوا الحريم والجوارى الى السجن .. فقد أنكر الجميع الجهة التى سافر اليها أو المكان الذى اختفى فيه أحمد بشناق !

وساقوا جواهر الى السجن ، وجاء علي بك بنفسه ليستجوبها عن مكان سيدها .. لكنها أقسمت أنها لا تعرف ، وأمر أن يجتذب لسانها ، ويقطع إن لم تتكلم .. وجيء بالحلاق ، والزيت المغلي يتصاعد منه البخار ، وسالها «علي بك» للمرة الأخيرة .. لكنها لم تتكلم ، ونفت أنها تعرف مكانه .. كانت موثوقة اليدين .. ورغم ذلك تقدم منها أربعة رجال .. أطبقوا عليها .. فتحوا فمها .. قبض الحلاق على لسانها بكماشة نجار ، ثم أسرع بالموسى فقطع طرف لسانها .. وأدركتها رحمة الله .. فأغمى عليها ، وهى ترى «الكماشة» تتجه داخل فمها .. فلم تشعر بما فعلوه بها !

دموع القائد

ظهر أحمد بشناق بعد ذلك بأيام فى الاسكندرية .. لجأ الى أميرها مستجيراً .. وأعجب به الأمير فألحقه بالبحرية ، وحتى يأمن جواسيس علي بك غير اسمه الى أحمد الجزار وأبدى فى الاسطول كفاءة عالية ،جعلته يتبوأ مراكز قيادية .

وذاع صيته ووصل اسمه الى الآستانة .. على أنه أحمد الجزار ، ومنح البكوية .. ثم الباشوية .. الى أن جاء محمد علي باشا ، وكان أن توجه «أحمد الجزار» لفتح عكا بعد حصارها فترة طويلة .. واستتب له الأمر فيها .. وحينما كان يعبر أحد الشوارع فى موكبه .. كانت امرأة رثة الثياب .. تبدو عليها سيماء البلاهة .. خرساء .. تشير وتصرخ .. وما كاد الموكب يسير بحذائها .. حتى اندفعت تحاول اختراق الفرسان .. لكى تقترب من القائد .. فضربها أحدهم بقدمه من على حصانه .. فسقطت على الأرض ، وهى تصرخ فى جنون لتدوسها بقية الخيول التى أجفلت .. وتوقف الموكب ، الذى ساده الهرج والمرج لعدة دقائق !

وحينما علم القائد بما حدث ، شق الصفوف بجواده ، ليلقى نظرة على المرأة التى صارت كتلة من العظام ، مخضبة بالدماء ، ضاعت ملامحها لكنها غمست أصبعها فى دمها ، وكتبت على الأرض ، وعينيها من تحت الدماء ترسل بريقاً ينطفىء : جواهر !

وقال الذين شاهدوا الموقف .. أن دموع القائد لم تتوقف على المرأة التى دهستها خيول موكبه !

عبد المنعم الجداوى

سينما

فيلم من تونس يثير قضية هامة

رءوف توفيق

عزيزة

وأنشودة للمرأة الحرة

إلى متى تظل الأسواق العربية لاتسمح بعرض الأفلام العربية ؟

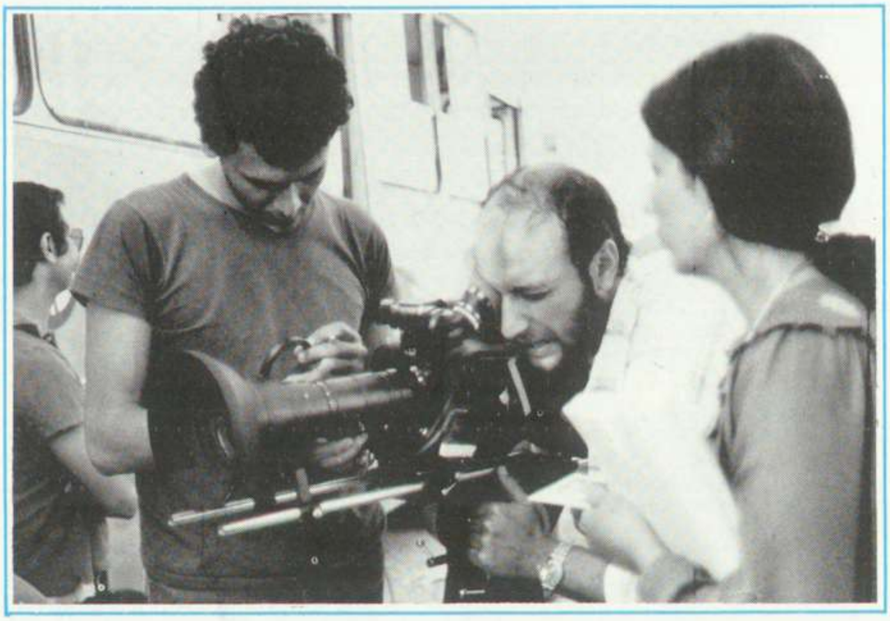

● عبد اللطيف بن عمار .. أثناء اخراجه فيلم «عزيزة»

لو كان السوق العربى يسمح بعرض الأفلام العربية .. مثلما يسمح ـ بل ويسعى بلهفة ـ لعرض الأفلام الأمريكية والهندية والايطالية .. لحققت صناعة السينما العربية نجاحاً وتقدماً فنياً ملحوظاً .. ولكن للأسف مازالت الأسواق العربية لا تتعرف على فنون بعضها البعض . !!

ومازالت أفلام جزائرية وتونسية ومغربية وعراقية وسورية ولبنانية .. مجهولة عند المتفرج العربى .. ومازالت اسماء فنانيها ومخرجيها غير معروفة إلا عند القلة المتخصصة فى فن السينما ، والمتتبعين للنشاط السينمائى العربى .. ولا تتاح فرصة للتعريف بها إلا من خلال بعض الأخبار الصحفية القليلة ، أو من خلال مقالات بعض النقاد التى أتيحت لهم مشاهدة بعض هذا الانتاج السينمائى فى جولاتهم الفنية فى البلاد العربية .. أو حينما يعرض أحد هذه الأفلام فى مهرجان سينمائى عالمى !!

أليس غريباً ومحزناً .. أن يصل بنا الأمر الى هذه الدرجة ؟! .. غرباء عن بعضنا البعض الى هذا الحد ؟!

والحجة المتداولة عند موزعى الأفلام المسيطرين على أسواق العرض .. ان تباين اللهجات المحلية العربية فى تلك الأفلام ، تمثل صعوبة بالغة بالنسبة للمتفرجين فى مناطق أخرى من الوطن العربى .. مما يجعلهم لا يفهمون الحوار المنطوق ، ولا يستطيعون بالتالى متابعة الأحداث .. والنتيجة انخفاض الاقبال ، وخسارة الموزعين ! ولهذا السبب أحجم هؤلاء الموزعون عن التعامل مع أفلام كثير من الدول العربية !

وهذا الوضع بقدر ما يدعو للمرارة والألم .. بقدر ما يطرح تساؤلا قديماً ومتجدداً .. الى متى تظل مشكلة تباين اللهجات المحلية العربية ـ وهى مشكلة حقيقية ـ حجر عثرة ، وقيداً رهيباً أمام حركة تداول الأفلام العربية فى الأسواق العربية ؟!

وهل عجزت مؤسسات السينما العربية ، ومنظمات الثقافة والفنون فى الجامعة العربية ، واتحادات السينمائيين .. عن ايجاد وسيلة للوصول بمشكلة تباين اللهجات الفنية ، الى صيغة مقبولة لا تؤثر على العمل الفنى ، ولا تسلبه مذاقه المحلى .. وفى نفس الوقت تضمن وصول العمل الى الجماهير المختلفة دون ارهاق فى تفسير وفهم معانى كلمات الحوار المحلية ؟

عزيزة .. من تونس

لقد هاجمتنى هذه التساؤلات .. وأنا أتابع أحداث فيلم «عزيزة» .. أحد أهم الأفلام العربية التى ظهرت أخيراً .. والذى تم انتاجه مشاركة بين تونس والجزائر .. وأخرجه المخرج التونسى «عبد اللطيف بن عمار» .

وترجع أهمية الفيلم للموضوع الذى يتناوله .. وللاسلوب الفنى الذى تم التنفيذ به .. ولكنى أعترف أن بعض كلمات حوار الفيلم ، تحدتنى أن أفهمها .. واضطرتنى أن ألجأ الى الترجمة الفرنسية على شريط الفيلم ـ رغم معرفتى المتواضعة باللغة الفرنسية ـ .. وكنت كمن يلهث مفتوناً أمام سحر خاص ، أحاول ألا يفوتنى منه شىء !

وقد استقبل الفيلم ، استقبالا طيباً فى المهرجانات الدولية .. حينما عرض فى مهرجان «كان» السينمائى داخل قسم «نصف شهر المخرجين» .. وفى مهرجان «كارلو فيفارى» السينمائى وفاز بأحد جوائزه .. ومن المتوقع أن يكون أحد الأفلام البارزة فى مهرجان «قرطاج» السينمائى .

وكم تمنيت أن تتاح فرصة العرض

نموذج جيد للسينما المحلية التى يمكن أن نخاطب بها العالم

محاولة جريئة للتعبير عن واقع بعض المجتمعات العربية

إنتاج أفلام ترتبط بالواقع المعاش أمر معقد جداً

المطلوب خلق وعى بضرورة استقلال السينما ماديا ومعنويا

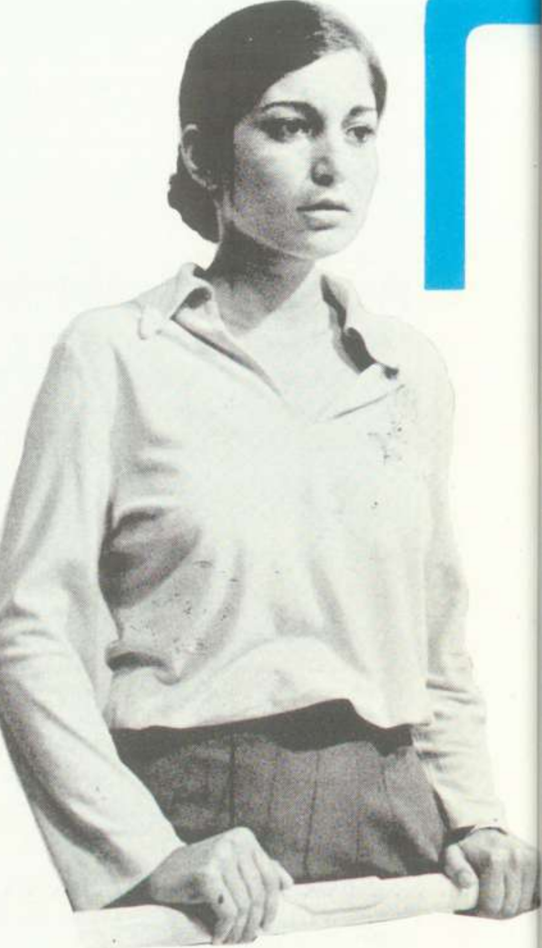

● عزيزة داخل المستشفى .. والمفاجأة الأليمة .

الجماهيرى الواسع أمام هذا الفيلم .. فهو نموذج جيد للسينما المحلية التى يمكن أن نخاطب بها العالم .. وهو أيضاً محاولة جريئة للتعبير عن واقع بعض المجتمعات العربية التى بدأت تغزوها قيم الصراع المادى وشهوة الاستهلاك !

شخصيات محددة

و «عزيزة» هو اسم الفتاة ..
والمجتمع .. هو تونس ..
والزمن .. هذا الزمان ..

ويبدأ الفيلم بانتقال هذه الأسرة من أحد الأحياء الشعبية بتونس الى حى جديد أكثرقياً .. ويبدو أن هذا الانتقال بما فيه من نفقات وأعباء إضافية وإرهاق لعائل الأسرة العجوز .. إنما هو نتيجة ضغط الابن الشاب الذى يسعى جاهداً أن ينتقل الى طبقة أعلى ، ولهذا خطط وأصر على انتقال الأسرة من الحى الشعبى الى حى راق كأول خطوة نحو تحقيق حلمه بالثراء .

وفى الدقائق الأولى من الفيلم ، نتعرف على ملامح الشخصيات .

فعائل الأسرة العم بشير (يلعب الدور الممثل الجزائرى محمد زبنة) رجل مرتبط بجذوره الأصيلة ، طيب ، وحنون ، لا أطماع له فى الحياة سوى إسعاد من حوله ، حتى ولو كان هذا على حساب راحته الشخصية ، ولهذا ارتضى أن ينتقل من الحى الشعبى الذى ارتبط به ، وعاش فيه ، وكون صداقاته .. وارتحل الى هذا الحى الجديد ، البعيد عن عمله، والمرهق له تماماً فى المواصلات .. وتحمل كل هذه المشاق لتلبية رغبة ابنه واسعاده .

والابن (يلعب الدور الممثل التونسى رءوف بن عمر) على النقيض تماماً من والده .. فهو انتهازى ، وأطماعه بلا حدود ومستعد أن يضحى بكل من حوله ليحقق أطماعه ، وهو يريد أن يعيش حياة الترف والثراء ، ومؤهلاته الخفة والفهلوة .. وهو يحلم بأن يكون لديه سيارة ، وأن يفتتح مكتباً تجارياً وأن يعقد الصفقات ويكسب فى أسرع وقت .

أما «عزيزة» فهى ابنة العم التى توفى والدها وعمرها خمس سنوات ، وأصبح العم بشير هو عائلها .. تقيم معه فى البيت ترعى شئونهما ، وتتحمل نزوات الابن ، فى مقابل التخفيف عن هموم العم الذى يرى الأمور من حوله تسير الى حيث لا يشتهى بسبب تصرفات الابن .. ولكنه يصبر ويتحمل ربما يصلح حال ابنه .. وعزيزة هى النسمة الرقيقة ، الصافية ، والتى تشيع فى البيت جواً من التوازن بحكمتها وإخلاصها (لعبت دور عزيزة الممثلة اللبنانية ياسمين خلاط) .

ويركز الفيلم على شخصيتين ثانويتين من جيران الحى الجديد .. فهناك الجارة الفضولية التى لا يسلم أحد من لسانها ، والتى تتباهى دائماً بالأجهزة الكهربائية الحديثة التى تمتلكها .. (لعبت الدور الممثلة التونسية منى نور الدين) .

ثم الجارة الوحيدة ، التى تسكن بمفردها وبالطبع لا تسلم من الشائعات الكثيرة التى تروجها جارتها الفضولية .. وهى كما يبدو تأخرت فى زواجها .. وان كانت لم تفقد حلمها بالارتباط بزوج يوفر لها الأمان والاستقرار .. فهى تكسب رزقها من التمثيل فى أدوار ثانوية بالتليفزيون، لا تحقق لها الاشباع النفسى بقدر ما تحقق بعض العائد المادى البسيط الذى يعينها على الحياة ! (لعبت الدور الممثلة الجزائرية دليلة رامز) .

ومن هذه الشخصيات الواضحة ، المحددة ، ينسج الفيلم أحداثه البسيطة .. العميقة !

السائح والاستثمار

فالفيلم يضع شخصية السائح فى طريق الابن الباحث عن أية فرصة للثراء .. ومن هذا اللقاء الذى يدبره سيناريو الفيلم فى مشهد ساخر .. تبدأ عناصر الصراع بين الشخصيات فى التفجر . !

والسائح بالنسبة للدول المعتمدة فى دخلها على السياحة .. مادة غنية بالتناول ..

وفى تونس .. مناقشات كثيرة حول السياحة وأثرها فى القيم الاجتماعية والثقافية الأصيلة .. وربما نذكر للسينما التونسية ، موقف مخرجها الشاب «رضا الباهى» فى فيلمه القصير «عتبات ممنوعة» .. ثم فى فيلمه الطويل الأول «الشمس والضباع» الذى أخرجه بعيداً عن تونس ، وبتمويل فرنسى ــ هولندى مشترك .. ليؤكد فيه وجهة نظره التى

سينما

عزيـــزة وأنشودة للمرأة الحـــرة

● في انتظار الضيف العربى الثرى .. !

أعلنها فى فيلمه القصير ، من خطورة فتح الباب للسياحة على حساب مصالح المواطن وتكوينه الأخلاقى !

وها هو المخرج التونسى «عبد اللطيف بن عمار» فى فيلم «عزيزة» يناقش نفس القضية من زاوية مختلفة ..

فالسائح الثرى الذى يقدمه فى الفيلم ، يعلن بوضوح أنه جاء لتونس بغرض استكشاف وسائل استثمار أمواله فى «شوية مشاريع» ! .. وكما يقول انه رأى أن أحسن شىء هو الاستثمار فى السياحة .. إنما اقامة مصانع فهى مسألة مزعجة : «المصانع فيها اضرابات .. ومشاكل» !

ومعنى الكلام .. ان هذا المستثمر لا يبحث إلا عن مصلحته الشخصية وأى مشروع يحقق له العائد المجزى السريع !

من يصطاد الآخر ؟!

وهكذا يضع الفيلم .. هذا النموذج من الأثرياء فى مقابل النموذج الآخر .. الشاب الذى يريد اصطياد أية فرصة للثراء السريع .. وتحقيق «خبطة العمر» !

وتصبح المباراة .. من يصطاد الآخر؟! والمباراة ساخرة ومريرة !!

فالشباب يسعى لعقد صداقة مع هذا الثرى .. وأول خطوة لتأكيد الصداقة أن يفتح له باب بيته .. وأن يدعوه للطعام المنزلى المخصوص .. ويوافق الثرى على هذه الدعوة .

ويسرع الشاب الى بيته يزف النبأ السعيد الى والده والى «عزيزة» ابنة عمه .. ويطلب منهما أقصى الاستعدادات وبذل كل ما فى الطاقة للترحيب بهذا الضيف الذى سيكون شريكه فى العمل بعد ذلك !

وعلى مائدة الطعام المزدحمة بكل الأنواع .. يجلس الضيف محاطاً بأفراد الأسرة .. ومعهم أيضاً الجارة الممثلة التليفزيونية .. ويتفنن الشاب فى الاحتفاء بضيفه .. أو بمعنى أدق .. بثروته . !!

فرضاء الضيف .. معناه فتح أبواب السعادة له !

والأب يقدر الموقف ، ويحاول أن يمرر الفرصة لابنه .. حتى ولو كان فى أعماقه غير موافق على الأسلوب والغاية !!

ولكن «عزيزة» لا تستطيع أن تكتم مشاعرها .. انها تدرك كل تفاصيل اللعبة .. ولا توافق عليها .. فتضحك هذا الضحك الهستيرى .. وتشاركها الضحك جارتها الممثلة !

ويحاول الابن السيطرة على الموقف قبل أن يتدهور فى غير صالحه .. ويسرع بأن يسحب عزيزة بعيداً عن صالة الطعام .. وينفجر فيها حانقاً .. وتستمر عزيزة فى الضحك ثم تجهش بالبكاء . !

إن ما يحدث حولها .. فوق طاقة تحملها !

إنها ترفض تماماً تصرفات ابن العم .. وأحلامه المدمرة .. وأنانيته البشعة .. وفى نفس الوقت تشعر بمدى تضحيات عمها ، وحزنه المكتوم الذى يهرى جسده .. حتى تدهورت صحته .. الى الدرجة التى يسقط فيها مريضاً .. وينقل الى المستشفى !

ولا تستطيع عزيزة أن تستمر صامتة .. وتواجه ابن عمها ، بكل الصراحة والصدق .. وتحمله مسئولية كل ما جرى لأبيه ، وما جرى لهما .

ويفاجأ ابن العم بكل هذا التأنيب .. ولا يجد ما يدافع به عن نفسه .. سوى أن يصفع «عزيزة» بقسوة .. ويطردها خارج البيت ليلا .. ويلقى بحقيبة ملابسها وراءها !

لحظات التنوير

وتشعر «عزيزة» بتعاسة بالغة .. ولكنها التعاسة التى تضىء لها الطريق .. إن عليها أن تواجه حياتها ، وترتفع فوق الأحزان والآلام . !

إنها لحظات التنوير التى تولد من مخاض المعاناة .

تقيم مؤقتاً فى منزل جارتها الممثلة ، وتتقاسمان معاً تكاليف الاقامة .. تستمع الى أحاديث جارتها ولكن ما فى أعماقها شىء مختلف .. تكتب خطابات كثيرة الى حبيبها المهاجر فى الخارج .. وتمزق ما كتبته .. ثم تكتب له كلمة واحدة .. «وحشتنى» .. انها كمن يبحث عن الرفيق الذى يمكن أن يقف بجوارها .. ولكن أين هو هذا الانسان . ؟!

وحيدة تماماً بأفكارها واصرارها على الحق والعدل والحب النظيف .. وتقرر أن تنقذ نفسها بالعمل ..

تتقدم للعمل فى أحد مصانع النسيج وتواجه صرامة صاحب العمل ، ومحاولاته لمغازلتها .. ولكنها صارمة فى هدفها .. ولا تنازلات اطلاقاً . !

وتبدأ العمل فى أحد الأقسام الصغيرة بالمصنع .. انها أول خطوة فى الطريق .. ولا اعتراض .. !

وتوالى زياراتها لعمها الراقد فى المستشفى .. انه يسعد تماماً بلقائها .. فهى الوحيدة التى تزوره وتهتم به .. أما ابنه فهو مشغول بنفسه .. ولم يفكر حتى فى تحمل نفقات علاج أبيه . !!

إن قضية الابن تتركز فى صفقة العمر مع هذا الثرى !

ولكن هذا الثرى .. مشغول بمسألة أخرى .. إننا نراه يدخل الشارع بسيارته المرسيدس الفارهة ليأخذ الممثلة التليفزيونية بحقائبها .. ليعود بها الى بلده .. لقد قرر أن يتزوجها .. وهكذا انتهت مشاريعه لاستثمار نقوده فى تونس !!

والممثلة سعيدة جداً .. وهى تجد أخيراً الزوج الذى يحقق لها الأمان .. وتقول لعزيزة وهى تودعها .. «لقد أراد ابن عمك أن يشاركه فى ثروته .. ولكن رأيت أن أشاركه أنا» !

● عزيزة .. عاملة في المصنع .. وبداية التحرر

مشهد من فيلم عزيزة .

ويودع سكان الشارع ، جارتهم بالقبلات والهمسات .. همسات الفضول والغيرة . !!

إن أحلامهم تتوقف عند أى تلويح بالثروة !

أما هذا الشاب ابن العم .. فقد انهار تماماً .. لقد تحطمت كل أحلامه ومشاريعه .. ويتكوم على باب بيت عزيزة ، يهذى ويبكى .. ويردد اسمها فى استغاثة .. فتخرج لتاخذه بين ذراعيها .. وتسنده الى داخل البيت .. وتربت عليه فى حنان وشفقة .. وتنسحب من جواره عندما يبدأ يروح فى اغماءة النوم !

إنها تشعر بمصيبته .. ولا تعرف الشماتة !

فقضيتها من نوع مختلف !

ولكن حزناً عظيماً يحتويها فى ذلك الصباح ، عندما ذهبت لزيارة عمها فى المستشفى .. فوجدت سريره خالياً .. ويأتيها النبأ أنه قد مات ! .. لقد مات وحيداً .. دون أن يشاركه أحد لحظاته الأخيرة .. مات وهو يحمل قلقه وهمومه على ابنه .

وفى آخر النهار تعود الى بيتها .. لتقع عينها صدفة على أحد العابرين يقف بجوار نافذة جارتها الفضولية التى لم يسلم أحد من لسانها واتهاماتها .. ها هى الجارة تتفق على موعد غرامى فى الظلام !!

إن كل ما حولها يتساقط ..

وفى تلك الليلة من ليالى رمضان .. يعتلى سكان المنازل أسطح البيوت .. يواجهون السماء بعيون تقاوم النوم .. يرقبون أن تتحقق لهم المعجزات .. وها هى الجارة الفضولية تسحب أولادها الصغار الى سطح البيت تحكى لهم أساطير الفرسان القادمين بجيادهم المحملة بالهدايا والنقود .

وتشرق شمس الصباح على السهارى والنائمين فوق الأسطح مع أحلامهم المستحيلة ..

بينما عزيزة تشق طريقها بين آلات المصنع .. لتقف أمام آلة ضخمة ، تهدر بصوت قوى .. وكأنها تعزف نشيد الحياة ..

وعزيزة شامخة .. مرفوعة الرأس .. وعلى وجهها كل الثقة والاعتزاز ..

لقد وجدت نفسها فى العمل .. انه الطريق الوحيد للأمان .. وتحقيق الذات إنها الآن .. امرأة حرة تقود نفسها بنفسها .. وتقف على أرض صلبة .. حيث لا مجال للتهاويم المخدرة ، والتعلق بأوهام كاذبة .. أو الاستسلام للضغوط ، وانتظار المجهول !

المخرج والقضية

وهكذا كانت «عزيزة» كما قدمها المخرج التونسى «عبد اللطيف بن عمار» .. أنشودة للمرأة فى المجتمعات الشرقية أن تنفض عن نفسها أستار العجز والحزن ، وأن تخرج للحياة .. تشارك فى صنعها بارادتها الحرة .

والفيلم يقول هذا المعنى العظيم .. بلا خطابة أو تشنج .. انه يسترسل فى نعومة شديدة ، ورشاقة آسرة .. ليصل الى القلب والعقل ..

وسيناريو الفيلم كتبه المخرج «بن عمار» بالاشتراك مع الفنان توفيق جبالى (الممثل الذى أدى دور الثرى العربى)

وتبدو مهارة المخرج «بن عمار» فى قيادته للعناصر الفنية المجتمعة من تونس والجزائر .. بالاضافة الى الممثلة اللبنانية القديرة «ياسمين خلاط» التى لعبت دور عزيزة بحس مرهف وبدون افتعال أو مبالغة ..

وبنفس النجاح لعبت الممثلة الجزائرية «دليلة رامز» دورها المعبر ..

قام بتصوير الفيلم المصور الجزائرى «يوسف صحراوى» .. وقدم ايقاعاً منسجماً مع روح العمل .. وطبيعته السلسة .

والمخرج عبد اللطيف بن عمار يؤكد بهذا الفيلم موقعه فى السينما التونسية .. كواحد من أهم مخرجيها وأكثرهم ارتباطاً بالواقع .. وفهماً لمشاكله .

ويأتى هذا الفيلم بعد ست سنوات من آخر فيلم أخرجه .. وهو فيلم «سجنان» الذى حصل به على الجائزة الفضية لمهرجان قرطاج ٧٤ وجائزة لجنة التحكيم فى مهرجان كارلو فيفارى ٧٥ .. أما فيلمه الأول فقد كان يحمل عنوان «قصة بسيطة كهذه» وعرض عام ٦٩ وأختير ضمن المسابقة الرسمية لمهرجان كان ٧٠

عزيـــزة وأنشودة للمرأة الحـــرة

● ياسمين خلاط بطلة فيلم «عزيزة»

وقبل أن يتجه «بن عمار» للافلام الطويلة كان قد اخرج عدداً من الأفلام التسجيلية والقصيرة.

وقد درس السينما فى معهد الادبك بباريس .. ولا يتجاوز عمره الآن ٣٧ عاماً (من مواليد تونس ١٩٤٣)

السينما التونسية

و «عبد اللطيف بن عمار» .. عندما يتحدث عن وضع السينما التونسية، وهموم ومشاكل المخرج السينمائى فى تونس .. فهو يقول: «ان انتاج أفلام مرتبطة بالواقع المعاش أمر معقد جداً أكثر مما نظن .. يقول البعض لماذا لا ننتج أفلاماً تعالج مشاكل الشعب التونسى؟ .. إن من المحتمل وجود سيناريوهات عرضت على السلطات المختصة لكنها لم تتحصل الى الوسائل الكفيلة بتحقيقها .. وبالعكس هناك أفلام لا تهم الجمهور التونسى بتاتاً ويجرى انتاجها لأسباب مختلفة .. ونجد أفلاماً تبرز للوجود بسرعة بينما تبقى أفلام أخرى أربع سنوات أو أكثر لترى النور .. إن مشاكلنا كثيرة ..»

هكذا اجاب عبد اللطيف بن عمار فى الندوة التى نظمتها الجامعة التونسية لنوادى السينما حول النقد السينمائى .. وكان هذا فى صيف عام ١٩٧٧ بمدينة سوسة التونسية ..

وانا انقل هنا بعض فقرات من حديث عبد اللطيف بن عمار الذى رد به على تساؤلات أعضاء جمعية السينمائيين التونسيين وممثلى الجامعة التونسية لهواة السينما .. وبعض النقاد .. وقد نشر نص الندوة فى مجلة السينما العربية التى تصدر فى باريس.

يقول عبد اللطيف بن عمار فى تحديده لأزمة السينما التونسية:

«إن الثقة منعدمة فى السينمائى التونسى عند جمهور السينما .. فهو يعتقد انه بامكاننا أن نخرج افلاماً جيدة غير أننا لا نقوم بذلك واننا نجهل مشاكل الجمهور .. فى حين أن الواقع عكس ذلك تماماً .. إذ أننا لا نملك إلا الوسائل التى توفرها لنا الدولة ونحن نحاول بهذه الوسائل أن نخرج أفلاماً تتمشى حسب اعتقادنا مع ما يريده الجمهور .. ولعل أكبر مشكلة من مشاكل السينمائيين التونسيين هو هذا الجمهور .. فأى نوع من السينما يريد؟! .. أما نحن فرغم أننا مازلنا فى البداية فموقفنا من السينما معروف وواضح وموجود فى عدة وثائق .. نريد السينما التى تربطنا بالجمهور هذا على المستوى الجماعى .. أما على المستوى الفردى فاننا نسعى الى خلق وعى بضرورة استقلال السينما مادياً ومعنوياً .. وأنا شخصياً لا أريد أن أكون خاضعاً لأى هيكل .. فأنا أريد أن أخرج أفلاماً بصفة مستقلة تربطنى مباشرة بالجمهور .. غير أن هذا لا يتأتى لى من الناحية المادية .. ورغم ذلك .. فأنا أطالب الآن بحقى فى اخراج فيلم مستقل بامكانياتى الخاصة .. ولكن المصالح المختصة ترفض ذلك، لكى تتمكن من مراقبة الفيلم واخضاعى لشروطها .. فنحن فى وضعية حرجة جداً ومن المعلوم ان جميع البلدان تواجه صعوبات فى البداية .. غير اننا جمعنا صعوبات كل البلدان» !!

ويكرر «عبد اللطيف بن عمار» تأكيده على أهمية مساندة الجمهور للسينما الوطنية .. فيقول:

«عندما يطلب الجمهور الواسع (وليس الجمهور بمعنى محبى السينما فقط) نوعاً معيناً من السينما لا يمكن لأى قوة أن تمنع عنه ذلك .. فمن خلال تكوين جمهور يتعاطف مع الانتاج التونسى يمكن لهذا الأخير أن يزدهر. وذلك اذا وفرنا له جزءاً من الوسائل والاحتياجات الأولية .. فاذا طالب الجمهور يوماً أن يرى نفسه على الشاشة .. فى ذلك الوقت تتحقق السينما الوطنية ..».

«إن أكبر دعم للسينمائى التونسى الملتزم .. هو الجمهور الواسع».

حتى لا تختنق

وما يقوله المخرج «عبد اللطيف بن عمار» .. صحيح تماماً ..

وأضيف هنا .. ما ذكرته فى بداية مقالى عن ضرورة ايجاد وسيلة لتداول الأفلام العربية فى الأسواق العربية !

فمن غير المعقول .. أن تظل مشكلة تباين اللهجات المحلية فى الأفلام العربية .. قيداً رهيباً على حركة تداول الأفلام .. وبالتالى حكماً بالاختناق والضعف على السينما الوطنية !

«رءوف توفيق»

من تجاربى الشخصية

شجاعة الأمل ...

ذات ليلة من ليالى الصيف الجميلة ، استأجرت قاربا ، وأخذت أجذف بعيدا عن الشاطىء الحافل بالضجيج ، طلبا للهدوء والتماسا للراحة من عناء العمل طوال النهار ، كانت يداى تحركان المجاديف التى كانت محاورها الصدئة تئن تحت وطأة مياه النهر الثقيلة .

تضافرت عوامل عديدة جعلتنى أشعر بالجمال من حولى ، فأضواء الاعلانات الملونة كانت تنعكس على صفحة الماء ، فى منظر يبعث على الانشراح والسرور ، والنسائم الرطبة المشبعة برائحة الخضرة تخلع على الهدوء والانتعاش ، وكانت من حولى مجموعة من القوارب بها العديد من الفتيان والفتيات سرعان ما ابتعدت ، وبقيت ضحكاتهم يتردد صداها فى ذلك الجو الهادىء .

وفى غمرة سعادتى اكتشفت اننى ابتعدت كثيرا عن الشاطىء ، واننى لاأجدف ، ولكن القارب يسير بقوة دفع التيار .

احسست بالخوف لطول المسافة بين المكان الذى وصلت اليه وبين الشاطىء ، ورأيت الظلام من حولى يكتنف المكان ، ولايؤنس وحدتى سوى انعكاسات الأضواء البرتقالية للكوبرى الذى كنت أمر من تحته ، وبدأ الصمت الذى اطبق فجأة يوتر اعصابى ، فأخذت أجدف بكل قوتى ، بدأ القارب فى التحرك بسرعة ، وهنا دبت الثقة فى نفسى وتنفست ملء رئتى بقوة ..

ولكن ظل الصمت يحيطنى بالرهبة فتذكرت كلمات قرأتها ولم أدر وقتها أين ، أو من قائلها وفحواها انه اذا ساد الصمت واطبق فيجب التغلب عليه بافتعال الضوضاء ، وأخذت احدث صفيرا عاليا بشفتى ، بينما كنت مشغولا بحصر المسافة الباقية للوصول الى الشاطىء خوفا من أن تتعب يداى ، سرت موازيا لدعامات الكوبرى ، وازدادت ضربات المجاديف بسرعة وقوة ، وعلا صفيرى معبرا عن الأمل .

فجأة .. سمعت صوتا متحشرجا انخلع له قلبى ، نظرت حولى لأكذب أذنى ، فما وجدت شيئا ، ولكن وزن المجداف فى قبضتى ، وطرفه المبتور يعلنان صراحة أن المجداف قد انكسر .

وأرجعت أعمدة الكوبرى العتيق الذى كنت أمر من تحته ، صدى الصوت الحاد الذى مزق السكون ، وكأنما يسخر الكوبرى منى ويتحدانى فى صلف ، وتخيلت الكوبرى يضحك ملء شدقيه ، وأحسست أن الصمت تمتد أصابعه القاتلة حتى لتكاد تزهق روحى .. وانعكاس أضواء الكوبرى بدت لى وكأنها شموع سوداء على جانبى درب يؤدى الى مكان ما موحش سوف أحاسب فيه على ما اقترفته فى حياتى .

وتنبهت فجأة على صوت نبضات قلبى عالياً فى ايقاع سريع متلاحق الانفاس .. واحسست بالفرح لأن الصوت جاء فى اللحظة المناسبة ليعلن الحقيقة وهى اننى مازلت حيا وبامكانى عمل أى شىء .

وبتلقائية عجبت منها فيما بعد ، انتزعت المجداف السليم من محوره المثبت فى القارب ، وأخذت أجذف به يمينا ويساراً متحملا وزن المجداف الثقيل ، فتحرك القارب .. وعلا صفيرى من جديد يحمل بين انغامه احساساً بالانتصار والنجاح ، فقد اقتربت الأضواء المبهرة ، ولاحت وجوه الناس من جديد .. لقد وصلت الى الشاطىء وفى ثقة قفزت الى الأرض ، ومن بعيد لاح لى الكوبرى ذليلا منكسراً !

سباعى السيد
القاهـرة

من كل نبع قطرة

كمال عمار

المقامة البخلوية

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

سألونى هل تريد أن ترى البخل فى رجل ، فقلت أجل ، قالوا عليك بكرم ، فشهرته جاوزت الهرم ، فأعلنت أنى لم اسمع عنه ، قالوا وهذا غاية البخل منه ، فهو لا يذيع أسراره ، ولا يمكن منه جاراً أو جاره ، حتى إنه لم يتزوج ، متابعة للمنهج ، قلت وكيف السبيل اليه ، قالوا هدية تشفع لك بين يديه ، ثم أطلب لقاءه فسيبسط لك رداءه ، ففعلت ما قالوه ، وحملت دستة من الجاتوه ، جعلتها بطاقة الدخول ، والتقينا وكلى فضول .

كان ضئيل الجسد ، نحيل الوتد ، معدوم العافية ، ملضوم بلا النافية ، وكأنه المقصود ، بذلك البيت الشرود .

إن فى بردى جسماً ناحلا
لو توكأت عليه لانهدم

سألنى هل لك فى كوب من التمر ؟ فقلت لا بأس بالأمر ، ونسى أنه سألنى ، أو تناسى ولكننى ،لم أعلق على نسيانه ، مكتفياً بحل عقدة لسانه ، وبدأت أحوم حول هدفى ، أملا فى كسبه لصفى ، فسألته عن الأحوال ، فقال عال ، والصحة ؟ فأكد أنها منشرحة ، حتى سألته لماذا لم يتأهل ؟ ، مع أن مثله لا يجهل فوائد الزواج ، وكيف أنه علاج الانبعاج ؟ ، فقال حاولت كثيراً ، ورأيت مثيراً ، هل أحكى لك حالى ؟ فقلت هذا سؤالى ..

قال الزواج المبكر نعمة ، وهو فى النهاية نصيب وقسمة ، وهو دائما يحب التبكير ، فى الهين والخطير ، واسترسل فى البيان ، وأنا كلى آذان .

وقد تعودت أصحو فى ساعة مبكرة ، مهما قل نوم الليلة الغابرة ، وهى عادة ورثتها عن جدى الثالث والثلاثين ، الحاج عمر نجم الدين،الذى ينام خمس ساعات لاغير ، ويصحو قبل صحيان الطير ، ثم يقوم كالحصان ، الى طبق بالفول ملآن ، وطاسة بيض مقلو، يفوح شذى سمنه فى الجو ، وطبقين آخرين متحدين مختلفين ، فهذا جبن «قريش» والثانى من أيام السلطان درويش ، يتوسطهما صحن غويط ، يبرق فيه الخيار والقرنبيط ، يتربع قمته الليمون المعصفر ، والزيتون الاخضر ، وبين اللام والزاى ، يرقد الباذنجان يامولاى ، مزهوا بالثوم والكرفس ومجلوا كالزنجية ليلة العرس ، وقبل كل هذا الأدام الشهى ، كوم من الخبز الطرى ، فيه حرارة الفرن ، ونضارة اللون ، وطعامة المذاق كأنه رقاق ، معجون بالحلبة ، وهو اختراع نقلته عنا أوروبة ، فاضافوا الفواكه والفيتامين ، الى العجين ، وكان كل هذا الخصم ، وذلك الجبل الأشم ، كان جدى ياتى عليه ، بضربة من يديه ، ويتثاءب ويتطمع ، ويشرب الشاى المنعنع ، ويتبعه بالقهوة السادة ، يحسوها وهو فى قمة السعادة ، ثم يقرقر بالارجيلة ، انفاسا متانية طويلة !

وهكذا ورثت عنه الصحو المبكر وكوب الشاى لااكثر ، الذى هو كل افطارى وطعامى فى أول نهارى ، فاذا جاء

وقت الغذاء ، انفتحت شهيتى الغراء ، حيث التهم طبق فول ، لاغيره بتغير الأيام والفصول ، لاأسام التكرار ، لأنه جديد باستمرار ، فى الشكل واللون ، فهو مرة بالزيت وثانية بالسمن وثالثا بالطماطم المعصورة ، ورابعا ببصلة مبشورة وخامسا بالفلفل والليمون ، وسادسا بالملح والليمون ، ولعلمك لااتعاطى اللحوم،ما يسعى منها أو يطير أو يعوم ، فأنا من فترة بعيدة نباتى العقيدة ، لااطيق رؤية أى ذى روح وهو مذبوح ، رغبة فى التعفف ، وليس من باب خالف تعرف ، أو البخل الشديد ، كما اتهمنى بذلك بعض المناكيد ، وليس تقليدا لبرناردشو ، ولاغيره ممن سبقوه فابو العلاء المعرى ، قد ملك أمرى ، منذ درست سيرته فى الكلية ، وانجذبت الى فلسفته النباتية ، ونعود لفول الغداء ، الذى أظل أجتره حتى المساء ، ثم .. لاعشاء ، وكيف ساكل وأنا سأنام ، وفى هذا مضرة العقول والاجسام ؟! ناهيك عن الكوابيس والزلازل ، وصدق الشاعر القائل «نم خفيفا ترى الوجود خفيفا» !

ولما تقدم بى العمر ، تفكرت فى الامر أنا الان فى الخامسة والثلاثين ، ولم أدخل دنيا بنصف الدين ، صرفنى الغدو والرواح ، عن الفاتنات الملاح ، وشغلتنى العلياء ، عن دنيا النساء،وقد أن الاوان وصح منى العزم والاستيقان ، على ضرورة الدخول بحسناء عطبول تقاسمنى طبق الفول ، ومع ذلك مازلت حتى اللحظة ، أعزبا بكل ماتعنيه اللفظة لاعن قصد ورغبة بل ، مكره أخاك لابطل ، وحتى لاتسيء فهم كلماتى وتنسبنى لأهل القصور الذاتى ، أحكى لك ما كان ، والله المستعان :

بعد تخرجى من كلية الاداب ، ملما بالنحو والاعراب ، وجدتنى استاذا للعربية بمدرسة العباسية الثانوية ، وبعد عشرة أعوام من توظفى ، ذهبت أبحث فى جيوب معارفى ، عن زوجة تليق باشراقة أسرتى ، وعراقة منبتى

ودرجتى العلمية التى خرجت بها من الكلية ، وكنت أستقبل باحترام وترحاب ، ألست من خريجى الاداب ؟!

حلم سعيد قصير ، أصحو بعده على الواقع المرير ، فمجرد إعلان مبادرتى ، يعتذرون عن شرف مصاهرتى ، فالبنت صغيرة ، أو تريد استكمال دراستها الكبيرة ، أو إن فاتحتها قرئت ، على ابن عمها نشأت !، الى آخر تلك الاعذار ، التى اصابتنى بالدوار ، فالصغيرة تتزوج بعد اسبوع ، من أى جربوع ، وعاشقة التعليم ، تدخل دائرة الحريم ، والمقروء فاتحتها على ابن العم ، تظل بلا زواج حتى اليوم !

وكنت أعجب فمستواى الاقتصادى ، كان غير عادى فبالاضافة لراتب الوزارة هناك ايراد بيت أقمت جداره ، من عائد أرض زراعية ، بمحافظة المنوفية ، هذا الى نقود سائلة فى البنك ، تحسبا لأى ضنك ، أى اننى كنت وبكل المقاييس ، نعم العريس ، ورغم ثقتى بمن أكون ، إلا أنه انتابتنى الظنون ، لسقوط حجتهم ، والتواء نيتهم ، .. لعلهم يطمعون فى الأغنى منى ؟ ولكن بنت ابراهيم حسنى تزوجها ميكانيكى غلبان ، لايزال أجيرا حتى الان ، أو لعل كبر سنى ، هو الذى أبعدهم عنى ، ولكن البنت ياسمين تزوجت من كهل فى الخمسين ، أم لعلهم يطمعون فى نسب أرقى ، ودم انقى ، وبنت الزمخشرى عتريس ، تزوجت من عسكرى بوليس ، ورحت أضرب أخماسا فى أخماس ، بحثا عن العلة والاساس ، وقلت لعل ملابسى ، هى سبب تقاعسى ؟ ، فقد طالت سنينها ، وحالت الوانها ، والناس ينتظرون من الخطيب . أن يكون ذا ثوب قشيب ، وأنا شغلتنى المعالى الجوهرية ، عن هذه السفاسف المظهرية وسايرت القوم ، وأنا ألعن ذلك اليوم الذى خضعت فيه للعامة ، فخسرت نقودا جمة ، ذلك انى اشتريت رباط عنق لونه مؤتلق ، وجوربا راعيت فيه ، ملاءمته لكل ما أرتديه ، تجديدان مهولان لم يحدثا لى قبل الان ، ولما رضيت عن منسوب الاناقة ، عاودت الانطلاقة ، ورحت أبحث فى البيوت ، وأخرج وأنا مبهوت ، فقد تكرر الرفض العجيب ، وإن تغيرت الاساليب .

وقلت لعل حجتهم غير البالغة ، فى دخولى عليهم بيد فارغة ، وإن كان كذلك فما أيسر المسالك . بدأت التجوال ، وفى يدى كيس برتقال ، تعمدت اختياره ، ليشى بالفطنة والجداره ، ففيتامينه الجيم ، علاج للمزاكيم ، أى انه دواء ومزاج ، واحتواء واتحاد ، وما جدوى تعليم الكلية ، إن لم يساعدنى فى اختيار الهدية ، ثم هو فاكهة كل الأعمار ، ومصابيح تضيء بالنهار ، كما أن لقشره فوائد مذكوره ، وغير منكورة ، فهو يرب ربا ، حتى يصير مربى ، وينقع ويقبل ، حتى يصبح «مخلل» كما أن تجفيفه ، علاج لنزلات البرد الخفيفة ، ولكن كل هذه المزايا ، لم تشفع لى عند آباء الصبايا ، فعدلت عنه إلى عنب الصيف ، ودخلت عليهم بكيلو ونصف ، كيس قد انتفخ جانباه ، وعريس قد سمحت يداه ، فراح يهب ، عناقيد الذهب ولكنهم عاودوا الانتحال ، وأصبح العنب كالبرتقال ، رفضنى الأنذال دون سبب ، وأكلوا البرتقال والعنب ، استحلوه لأنفسهم ، وضموه إلى نفائسهم ، وخرجت أنا من المولد ، خالى اليد ، طمع وأنانية ، وخداع وسوء نيه ، وإذا انتشر الطمع فى جماعة ، فانتظر الساعة ، هكذا حدثنا مذعور بن منصور ، فى كتابه ، «الدر المنثور» .

ولما كنت جامعيا فطنا ، وواقعيا مرنا ، فقد يئس اليأس منى ، وأعرضت عنه فأعرض عنى ، وكما يقول المثل الوهاج ، لا معنى لليأس مع الزواج ، فخففت شروطى المجحفة ، وأولها أن تكون مثقفه وعدلت عنها إلى مجرد شرط ، فك الخط ، وهن بحمد الله كثيرات ، وعاودت السؤال والزيارات ، ولكن كلا ، فحتى هؤلاء رفضننى بعلا ، وغيرت المجال ، بحثا عن متوسطات الجمال ، فكان الحال هو الحال ، بل إن «سميرة» ، أعرضت عنى بأنفها الكبيرة ، ولم يعد أمامى من الاختيارات ، إلا صاحبات العاهات ، فازورت العرجاء ، وأعرضت الحولاء ، ورفضتنى الطويلة البلهاء ، وانصرفت إلى غيرى القصيرة الأنحاء ، وهكذا رضيت بالهم ولم يرض بى ، وخذلنى قريبى وصاحبى ، وكل دفعتى تزوجت ، ومن دنيا العزوبية تخرجت ، أما أنا

فابتر بلا عنقود ، وعود غير ممدود ، لا أسرة ولا أهل ، ولا خضرة ولا ظل ، وقد جاوزت الخمسين من عمرى المديد ، وأنا وحيد فريد .

وشكوت لخالى حالى ، فقال لا تبالى واشكر الله ، فقد نجوت من متاعب الحياة ، فالزواج يحتاج لمصاريف وتكاليف ، حتى لو تزوجت ليلى بنت الريف ، ثم بعد هذا الموال ، تأتى ، أغنية العيال ، إطعام وإلباس ، وشراء كتاب وكراس ، واليوم أصحاء ، وغدا تدفع ثمن الدواء ، «فسعيد مرتفع الحرارة ، وسعيده أضاعت حذاءها فى الحارة ، وعبد الحميد يريد ، درسا خصوصيا لأنه بليد ، وبعد كل هذا من يدرك ، لعلهم يصبحون صعاليك ، فهذا يطارده البوليس ، وتلك ضحك على عقلها إبليس ، والثالث المتخلف العقل ، تدوسه عربة نقل ، وهكذا ليس وراء العيال ، إلا ضياع المال وانذهال الحال ، فحمدت رب العالمين ، الذى أنقذنى من الزواج والبنين ، وشكرت خالى ، الذى أنقذنى من ضلالى ، فقد نصحنى بصدق وكبحنى برفق ، فهو للآن لم يتزوج ، ولهذا طال عمره وتوهج ، ما رأيك فى كوب من الخروب ؟ ، فقلت مطلوب ، فوقف وقال سعدنا برؤياك ، ونعمنا بعطاياك ، فلا تحرمنا أيها المفضال ، كريم السؤال .

وكانت هذه العبارة ، إيذانا بانتهاء الزيارة ، وغادرت كرم المذكور ، وقد قرأت ما بين السطور ، وعلمت أن البخيل محروم منكوب ، وقد قالوا الكفن ليس له جيوب ، إشارة إلى أنه سيترك ما جمعه بيديه ، وتعب فيه وسهر عليه ، إلى من سيجعله بددا ، إن لم يكن اليوم فغدا ، لقد ضيق على نفسه فى الحياة ، ولم ينعم بما كسبت يداه ، فلماذا يجمع ويجمع ، مادام لا يتمتع ؟ ، على أنهم يقولون ، ويؤكدون ، أن فى البخل لذة ، لا يعرفها إلا أصحاب الأيدى الكزة ، فمجرد الملكية ، يعطيهم بطريقة لا شعورية ، إحساسا بالراحة وهم يملأون الصندوق ويخفون مفتاحه ، وحتى لو صح ما يقولون ، فنحن بالانفاق والصرف راضون ، وكل ميسر لما خلق له ، وهذا يجمع وذاك يطرح عنه ، والدنيا كالساقية تدور ، وإلى الله ترجع الأمور .

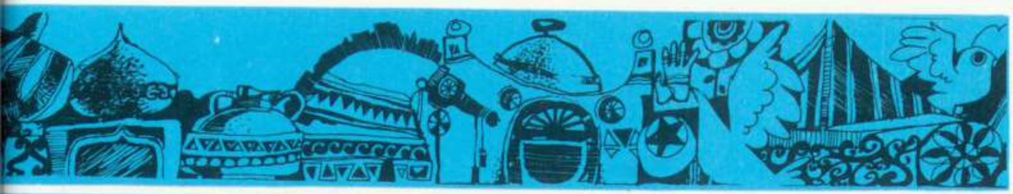

من كل نبع قطرة

رحلة مع
ألف ليلة وليلة

هذا الكتاب الواضح .. الغامض !!

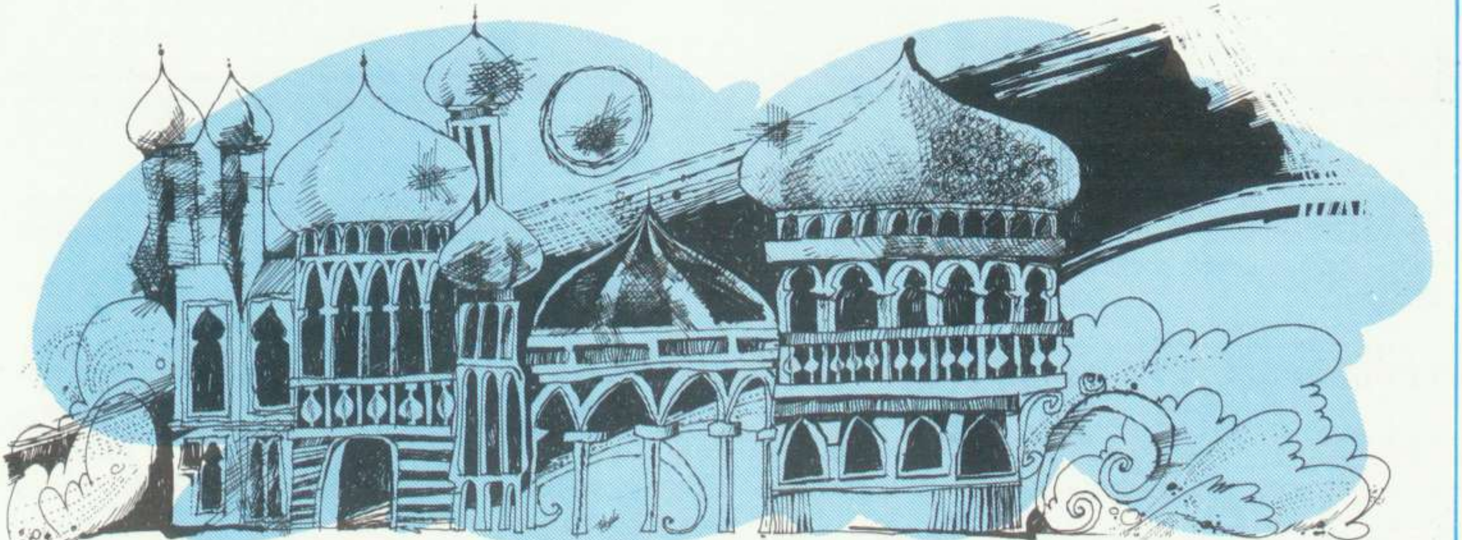

فى الأعمال الأدبية لم يجتمع الذيوع والسطوع والجهل المشروع وغير المشروع كما اجتمعا فى هذا الكتاب مدار اللقاء وقصد الحديث .. صفتان متعارضتان - أو يبدوان كذلك - ولكن يبدو أن المبالغة فى شهرة الظاهرة تنشر أعلاماً وتطوى أخرى .. ونأخذ «جحا» مثالا لهذين المجالين المتعارضين فالكل يحكى طرفه ونوادره ولكن كم منهم يعرف حقيقة هذا «الجحا» ؟ .. هل هو العربى «دجين أبو الغصن بن ثابت اليربوعى البصرى» .. أو التركى «نصر الدين خوجه» .. أو المالطى «جاهان» ؟؟ .. أو هو لا هذا ولا ذاك ولا ذلك وإنما شخصية اخترعت اختراعاً وتمكنت من الوجدان ونسب الناس اليها كل ما يليق ويناسب ما عرفوه عنها !

ومع هذا فان اسمه أصبح فى حد ذاته علماً على اجتماع الحكمة والحماقة فى ثوب واحد .. والكتاب مدار اللقاء وقصد الحديث هو «ألف ليلة وليلة» وكلنا سمع بها .. حكيت لنا صغاراً وقرأناها كباراً .. وصافحتها الآذان والعيون حين بثتها الاذاعة المرئية والسمعية فى أعمال أبرزت من عباءة «ألف ليلة» مناخاً شرقياً استلفت المقلدين والمترجمين والناشرين والمسرحيين والموسيقيين والسينمائيين .. وجعلت مفكراً مثل «فولتير» يقرأها ١٤ مرة وشاعراً مبدعاً مثل «بوشكين» يضعها الى جوار سريره لتكون فى متناول يده «وروائياً عظيماً مثل «استندال» يتمنى بعد أن قرأها لو أنها محيت من ذاكرته ليستمتع بلذة تلاوتها من جديد ! »

هذا هو الذيوع والسطوع .. فماذا عن الجهل المشروع وغير المشروع ؟!.

وهل هناك مشروعية فى الجهل .. ؟ .. نعم من باب غض الطرف ومراعاة الظرف فلا يحق لك أولى أن تلوم مواطننا العربى العادى لأنه لا يعلم أن «ألف ليلة» ظهرت فى اللغة الهندية ثم الفارسيةفالعربية وأن أجدادنا حين ترجموها من اللغة «البهلوية» - الفارسية - أضافوا إليها لونين من الحكايات البغدادية والمصرية .. إذا نحن فعلنا ولماذا نكون قد ظلمنا عقولنا وظلمناه وحاولنا إلزامه بما يخرج عن طوقه ويدخل فى دائرة الدارسين والمتابعين والمختصين .. هذا هو الجهل المشروع والمغتفر ، أما غير المشروع فهو جهل أوساط المثقفين أو ما اعتدنا النظر إليهم باعتبارهم مثقفين (بفتح وكسرة القاف !) .. نعم .. وقوف على حد علمهم بألف ليلة عند نفس مستوى المواطن العربى العادى والذى لا يزعم لنفسه ثقافة أو تثقيفاً .

هو إذن جهل غير مشروع وغير مغتفر ترتب عليه أن نبغ علماء الغرب فى استجلاء كل هينة ودقيقة فى مادة ألف ليلة تاريخياً وفنياً ونقدياً مستخرجين منها ومتأثرين بها من سيمفونية «شهرزاد» إلى فيلم «لص بغداد» وما بين هذين المستويين من محاكاة واستلهام ونقل واستشراق «الديكاميرون» - بوكاشيو ١٣٥٣ ميلادية «جارجانتوا وبانتا جرول» - رابليه ١٥٣٠ - «أقاصيص كانتر برى» - تشوسر ١٣٩٠ - كل العالم استفاد وعرف كيف يستفيد من «ألف ليلة» إلا نحن .. قنعنا بمتابعة السطح أملا فى أن يفتح «سمسم» بابه ونركب البساط السحرى ونعثر على التفاحة الشافية من العلل والأمراض .

بل وحتى هذه الخوارق لم نتوقف عندها كما ينبغى ، بل تعاملنا معها على أنها نوع من الطرفة والتسلية أما أن تكون استشرافاً وإرهاصاً ورغبة فى تخطى المنجزات التقليدية لهذه الفترة .. فهذا كله لا شأن لنا به ! تركناه للغرب ليكتشف أن «البرميل» الذى كان يرفع بالحبال إسحق الموصلى من الشارع إلى القصر يمكن أن يتحقق ويصبح المصعد الكهربائى وأن الخاتم الذى يخرج منه المارد بلمسة واحدة هو حلم إنسانى بعصر التكنولوجيا ومنجزات العلم التى

يقال لها كن فتكون .. والمغارة التى تنفتح تلقائياً بمجرد كلمة سحرية هى أبواب اليوم التى تنفتح وتنغلق بمجرد الوقوف أمامها والمرور منها وجبل المغناطيس الذى يجذب مسامير المراكب فتنخلع وتتحطم أليس هو «الأنغام المغنطة» التى تتجه إلى هدفها فلا تبقى ولا تذر .. وطائر الرخ الذى يحمل الصخرة الكبيرة ويلقيها على السفينة ماذا ينقصه إلا ألف عام ليكون قاذفة قنابل طائرة .. وجراب الكردى الذى زعم صاحبه انه يضم الحصون والقلاع والحيوانات والأسلحة والجنود والقضاة والكروم والبساتين .. وهل صندوق التليفزيون غير ذلك ؟!

والحديث ما يزال عن الف ليلة ..

وأول ما نجد انفسنا مضطرين للوقوف عنده هو اسمها .. لماذا ألف ليلة وليلة وليست «ألف» فقط ؟ .. الواقع أن هذا كان اسمها «ألف ليلة» كما نص المسعودى فى «مروج الذهب» ـ ٣١٥ هـ ـ حيث يقول «وكتاب (هزار أفسانة) ومعناه بالفارسية ألف خرافة والناس يسمون هذا الكتاب «ألف ليلة» .. ولم يخرج «ابن النديم» فى الفهرست عما ذكره المسعودى .

ثم أشار «المقريزى» فى «الخطط» والمقرى فى «نفح الطيب» إلى الكتاب على أنه «ألف ليلة وليلة» ونسبا هذه الليلة الزائدة إلى مؤرخ مصرى عاش اسمه وضاع كتابه .. هو «القرطى» وكان معاصراً للخليفة الفاطمى «العاضد» آخر خلفاء الفاطميين ١١٥٠ م .. ولكن لماذا زاد «القرطى» ليلة بعد أن كانت ألفاً فقط ؟ مؤرخ اسمه «جيلد مائيستر» قال إن العرب تتشاءم من الرقم الشفع «المزدوج» وتتفاءل بالمفرد ولهذا قالوا و «ليلة» ! ولو سألنا «جيلد» من أين له هذا اليقين لما وجد نقلا يؤيده أو عقلا يساعده .

وقال آخرون إن سبب الزيادة الرغبة فى أن تكون التسمية ألطف إيقاعاً وأكثر نغمية .. وهؤلاء مثل «جيلد» طافوا وما أضافوا .. وصادوا وما زادوا وإن جاز لنا أن نتصور سبباً للزيادة فليس معنى هذا أننا نضيف أو نزيد لأن العرب ببساطة اعتادوا فى فصحاهم وعاميتهم زيادة الواحد بعد المائة والألف .. نوع من المبالغة اللطيفة وكأنهم يقولون «وليس بعد هذا زيادة لمستزيد» .

ولكن ما هى هذه الليلة الزائدة والأخيرة .. ماذا تقول وتحكى ؟ .. بطلها مصرى اسمه معروف الاسكافى وله زوجة سيئة الخلق والخلقة وباطنها كظاهرها قبيح .. فهرب منها وتركها فى مصر وتقلبت به الأحوال والأوطان حتى صار هو السلطان وعلمت زوجته واسمها «فاطمة العرة» ـ بكسر العين وتشديد الراء ، لقب يوحى بالتحقير والازدراء ـ علمت بما آل إليه حال زوجها معروف فاحتالت حتى ذهبت إليه ودخلت واستغفرته من سابق إساءتها فصدق توبتها وأبقاها فى القصر تاكل وتشرب ابتغاء مرضاة الله .. ولكن «فاطمة العرة» أكل قلبها الحسد فقد تزوجت معروف وهو فقير ولم تنجب منه وها هو الآن «سلطان» يحكم ويأمر وقد تزوج وأنجب غلاماً من ضرتها فاحتالت حتى سرقت منه خاتم سليمان وكان قصدها إهلاكه بواسطة خادم الخاتم إلا أن ابن ضرتها لمحها وهى تسرق فعاجلها بضربة سيف قطعت رأسها المشاغب الحقود .. ويقول معروف لولده «أراحك الله فى الدنيا والآخرة كما أرحتنى من هذه الخبيثة ولم يكن سعيها إلا لهلاكها» .. تقول شهرزاد «وصفت لمعروف الأوقات وطابت المسرات إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الديار العامرات وميتم البنين والبنات فسبحان الحى الذى لايموت وبيده مقاليد الملك والملكوت» مجلد ٤ طبعة بولاق صفحة ٣١٧ .. ولاحظ ختام هذه الليلة .. وكيف أنه رثاء مطلق .. ولاحظ أيضاً أنها وضعت فى آخر أيام العاضد آخر الخلفاء الفاطميين وكأنها إشارة إلى ملك يتضعضع وبنيان يتقوض .

ولعل حكاية السندباد أن تكون أشهر قصص هذا الكتاب وتتضمن سبع رحلات قام بها «سندباد» فى مياه الهند والصين فى عهد ازدهار بغداد والبصرة .. مما جعل الرواة والقصاصين يوشونها بزخرف المبالغة وغرائب التخيلات وعجائب الشطحات .. ومع ذلك فلو جردناها من عنصر اللامعقول لرأيناها تتحد فى التفاصيل مع ما كتبه الرحالة العرب حول ذات الموضوع مثل وصف جزر المهراجا واصطياد الماس فى سيلان بواسطة النسور .. ودفن الزوجة وهى على قيد الحياة إذا مات عنها الزوج فى الهند .

وليس صدفة أن تثير هذه الرحلات السندبادية خيال المستشرقين فتكون اول ما يترجمونه من كتاب «الف ليلة وليلة» فعل هذا «جالان» المعاصر لعهد لويس الرابع عشر والذى كان يعد فى طليعة جيل المستشرقين الاول .. ثم تابع «جالان» ترجمة ما عثر عليه من مخطوطات ألف ليلة واتم طبعها فى اثنى عشر جزءاً فى الفترة من عام ١٧٠٤ ـ ١٧١٧ م .. وظلت هذه الترجمة اكثر من مائة عام هى النافذة الوحيدة التى يطل منها قراء الغرب على كتاب الف ليلة وبعدها ترجمت من الفرنسية الى العديد من اللغات بدءاً بالانجليزية عام ١٧٠٧ ولا نعرف اسم المترجم الذى قدمها باسم مستعار حتى عنوان الكتاب .. تحولت ألف ليلة وليلة فى الترجمة الانجليزية إلى «سمر الليالى العربية» .

ولا تزال حتى الآن تترجم إلى كل اللغات وتطبع فى كل بلدان العالم .. الرأسمالى الذى رأى فيها «البهرج الشرقى» من خلال لوحة بالالوان الطبيعية لذلك الشرق البعيد المجهول .. والاشتراكى الذى يرى فيها ثمرة الابداع الشعبى التى تعكس امال وتطلعات الجماهير الكادحة ! «ساليه الروسى ١٩٥٦» .

وإذن فها هو الغرب يقرأها بكل اللغات وعلى كل الموجات فما اكثر ما انفعل بها ولها اكثر من باحث ودخلت ألف ليلة دائرة الشهادات الجامعية من ليسانس وماجستير ودكتوراة .. فماذا عنا نحن باستثناء دراسة الدكتورة «سهير القلماوى» التى نالت بها درجة الدكتوراة .. ثم صمت عميق وعقيم حتى انعقد فى بغداد منذ اكثر من عام «المؤتمر العربى للفولكلور» الذى جعلها ضمن جدول أعماله .. ثم أيضاً صمت عميق عقيم .. ولا تزال ألف ليلة يجتمع لها الذيوع والسطوع والجهل المشروع وغير المشروع !

وإلى لقاء ثان .

المسابقة

حل مسابقة :
مَن . أين . ما ؟
العدد ٥٨

من : معاذ بن جبل .
أين : غار حراء .
ما : القرآن .

١ ـ الشمالى الشرقى .
٢ ـ عمر بن الخطاب .
٣ ـ البحر الأحمر .
٤ ـ ١٢١٥ .
٥ ـ الجيلوتين .
٦ ـ لا ليست هذه العبارة صحيحة علمياً .
٧ ـ ليت هنداً انجزتنا ما تعد
وشفت أنفسنا مما تجد
قائله : عمر بن أبى ربيعة .
٨ ـ المسافة بين القاهرة وبغداد أطول من المسافة بين القاهرة ودمشق .
المسافة بين القاهرة وبغداد ٧٥٠ ميل .
والمسافة بين القاهرة ودمشق ٤٥٠ ميل .
٩ ـ ٣٦٠ درجة .
١٠ ـ الامام الشهيد حسن البنا .

مَن . أين . ما ؟

● مـن : ـ
بطل شجاع لقبه سيد الشهداء وأسد الله ، من بنى هاشم ، اسمه من أربع كلمات فى خمسة عشر حرفاً :
١٠ ـ ١٤ ـ ٧ ـ ٦ ـ ١٥ ثمرة الكرم
٣ ـ ٥ ـ ٩ ـ ٤ دهن من اللبن .
١ ـ ١٣ ـ ٢ كسر بعنف .
١٢ ـ ١١ ـ ٧ ـ ٨ مكان للعب .

● أيـن : ـ
موقع فى عاصمة الاسلام الأولى استشهد فيه ذلك البطل . اسمه من كلمتين فى ستة حروف :
٥ ـ ٤ ـ ١ ـ ٢ من يدخل الناس الى الحاكم .
٤ ـ ٣ ـ ٣ ـ ٦ بلدة أستولى عليها اليهود بدون قتال سنة ١٩٤٨

● مـا : ـ
الحيوان الذى اشتهر فى أشعار العرب والذى يمكن أن يكون مصدراً للحوم لو اهتدى العرب فى استغلال مناطق كثيرة فى الصحارى لتربيته وتنظيم صيده بعقل وعلم . اسمه من خمسة أحرف :
١ ـ ٤ ـ ٢ عشيرة أو أقارب .
١ ـ ٣ قرينة الأب .

الجواب الصحيح

١ ـ مؤلف تاجر البندقية هو الشاعر الشهير :
أبو العلاء المعرى ـ شكسبير ـ جوته .
٢ ـ عام الرمادة وطاعون عمواس سنة ١٨ للهجرة كان على عهد أمير المؤمنين :
عمر بن الخطاب ـ عمر بن عبد العزيز ـ على بن أبى طالب .
٣ ـ «يتبلور الماس طبقاً لهندسة النظام المكعبى» .
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟
٤ ـ واضع الأساس الأول لعلم الضوء والبصريات هو العالم العربى المسلم :
جابر بن حيان ـ الحسن بن الهيثم ـ الخليل بن أحمد .
٥ ـ يقطع عقرب الثوانى فى الساعة بين كل علامة من علامات الثوانى والتى تليها مقداراً من قوس الدائرة يساوى :
٥ درجات ـ ٦ درجات ـ ٧ درجات بالمقياس الستينى .
٦ ـ كانت كنيته الشاعر العربى الأشهر الذى هجا كافور الأخشيدى :
أبو العباس ـ أبو الحسن ـ أبو الطيب أبو زيد .
٧ ـ تبدأ منابع النيل فى قلب أفريقيا فى دولة :
بوسوتو ـ أوغندا ـ تنجانيقا .
٨ ـ تقع جزيرة حالول فى المياه الاقليمية لدولة :
موريتانيا ـ قطر ـ اليمن .
٩ ـ كتاب (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) تأليف العلامة :
الشريف الادريسى ـ الشريف الرضى ـ الشريف البرغوثى .
١٠ ـ من أسماء الأسد فى اللغة العربية ثلاثة مما يلى استخرجها وشكراً :
السفاح ـ القسورة ـ الشنفرى ـ الليث السبع ـ القاتل .

نتيجة مسابقة شهر أكتوبر ١٩٨٠ العدد ٥٨

● فاز بالجائزة الأولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .
القارىء : محمد بوسفه ـ المعهد الفنى بمدنين ـ ١٠٠ ع مدنين ـ تونس .
● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .
القارئة : أمنة محمود القطامى . الرصيفة ـ ص . ب ٣٧٧ ـ الأردن .
● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .
القارىء : شكيب محمد باجرى ص . ب ٤٠٤٧ ـ ١٠١ كريتر ـ عدن ـ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

الفائزون باشتراك لمدة سنة :

١ ـ هجرس عبد الرحمن ـ الجزائر
٢ ـ علي عثمان العوضي ـ السودان
٣ ـ مراد محمد رفعت ـ ج . م . ع .
٤ ـ جابر محمد حسن خليل ـ ج . م . ع .
٥ ـ صالح ابراهيم صالح ـ قطر
٦ ـ صبرى محمد جلبوط ـ سوريا
٧ ـ صالح محمد جمعة جدايل ـ لبنان
٨ ـ جمال محمد أبو هاشم ـ لبنان
٩ ـ محمود يوسف ـ السعودية
١٠ ـ مرح مروان جميل مراد ـ الكويت
١١ ـ ابتسام أحمد الجودر ـ البحرين
١٢ ـ أحمد الخروبى : أثينا ـ اليونان

كلمات عاشت

● جميل أن تبدأ الصداقة بابتسامة والأجمل من ذلك أن تنتهى بابتسامة .

أوسكار وايلد

● ثمرة التفريط الندامة وثمرة الحزم السلامة .

على بن أبى طالب

● العربة الفارغة أكثر جلبة من العربة الممتلئة .

برناردشو

● إن الاربعين عاماً الأولى من حياتنا هى محك الاختبار لقدرتنا ، أما الثلاثون التى تليها فهى مرحلة تفسير وتأويل لما مضى .

شو بنهار

● ساعة ضحك فى اليوم أكثر منفعة من زجاجة دواء .

مثل لاتينى

ريمون دريزى
سوريا

بحكم المهنة

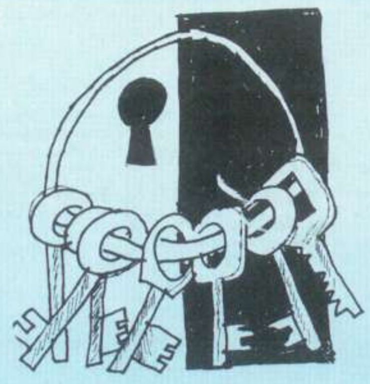

تزوج نشال محترف من نشالة محترفة . ولما وضعت الزوجة مولودها الأول كان به عيب إذ أن يده كانت مقبوضة ، فأسرعت الممرضات إلى تدليكها ، وبعد وقت غير قصير . أمكن فتحها ، فاذا فيها ساعة يد الطبيب الذى قام بتوليد الأم .

أحمد ورد
حلب ـ سوريا

ذكاء عرّاف

تنبأ عراف بموت صديق للملك لويس الحادى عشر فى يوم معين وصدقت نبوءته .

وكان يؤمن بالخرافات والسحر فشك فى أن العراف قد فعل ذلك بقوة ما يعرف من سحر فبيت قتله واستدعاه إليه وسأله :

يبدو لي أنك على جانب كبير من الذكاء فهل تستطيع أن تخبرنى بما يخبئه لك المستقبل ؟

فأدرك العراف ما بنفس الملك وقال له : ينبئنى المستقبل يا مولاى بأننى سأموت قبل موتك بثلاثة أيام .

ومنذ ذلك اليوم أخذ الملك لا يتحرك إلا وبرفقته ذلك العراف للمحافظة على حياته !!

حسين محمد عقبة
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

كلمات لها معنى !

● لا تقاوم الشر بالشر وإلا اشتركت مع الشرير فى شره فماتت الفضيلة بينكما !

«تولستوى»

● النزاع الطويل يعنى أن كلا من الطرفين على خطأ ..

«فولتير»

● لا تستح من اعطاء القليل .. فالحرمان أقل منه .

«على بن أبى طالب»

● كن فناناً فى الكلام لتكون قوياً .. فان قوة الرجل فى لسانه وإن الكلام لأقوى من القتال .

«ملك مصرى قديم يوصى ابنه»

● الصديق المزيف .. كالظل .. يمشى ورائى عندما أكون فى الشمس .. ويختفى عندما أكون فى الظلام .

«جبران خليل جبران»

جمال محمد كمال الدين صابر
كلية العلوم بقنا ـ ج . م . ع

الياقوت الذرّى !

فى ١٣ سبتمبر عام ١٩٥٧ فجرت فى الولايات المتحدة الأمريكية قنبلة ذرية فى صحراء نيفادا ، وجعلت القنبلة عند نهاية سرداب حلزونى تحت الأرض طوله ٦٠٠ متر وعلى عمق ٢٥٠ متر .

وفى سنة ١٩٦٠ لاحظ العلماء جيمس أولسن ، وكورتس كلنجر ، ووليام جانجس ، أن بعض الصخور تحولت الى كريستال متهشم .

أما الشىء المذهل فى ذلك فهو أن بعض الصخور قد تحولت الى ماس وياقوت .

محمد عبد الرحمن سيدين
الدقهلية ـ مصر

أيام الرّاحة

هذه الأيام كانت أيام راحتهم الأسبوعية :

الأحد : وكان يوم الراحة لدى الرومان .
الاثنين : وكان يوم الراحة عند قدماء اليونان .
الثلاثاء : وكان يوم الراحة عند الفرس .
الأربعاء : وكان يوم الراحة عند الآشوريين .
الخميس : وكان يوم الراحة عند قدماء المصريين .
الجمعة : وهو يوم الراحة عند المسلمين .
السبت : وهو يوم الراحة عند اليهود .

خالد رستم
دمشق ـ سوريا

حــــاول أن تعــــرف ●●●

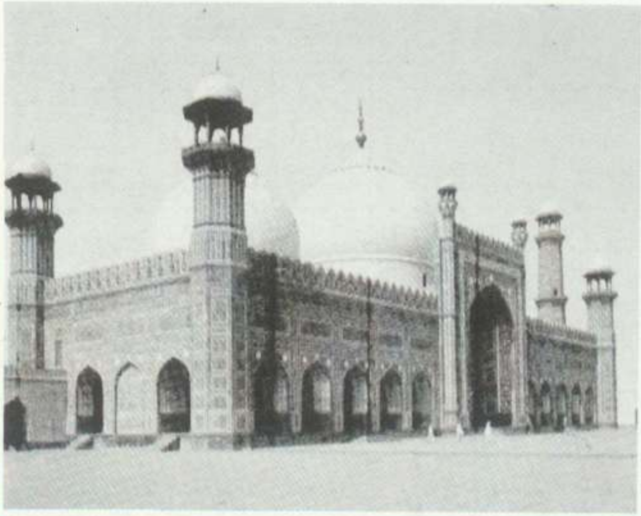

▲ مسجد من أكبر مساجد العالم ــ يقع فى دولة اسلامية آسيوية ــ بنى منذ أكثر من ثلاثمائة عام .
ما اسم هذا المسجد وفى أى مدن تلك الدولة يقع ؟

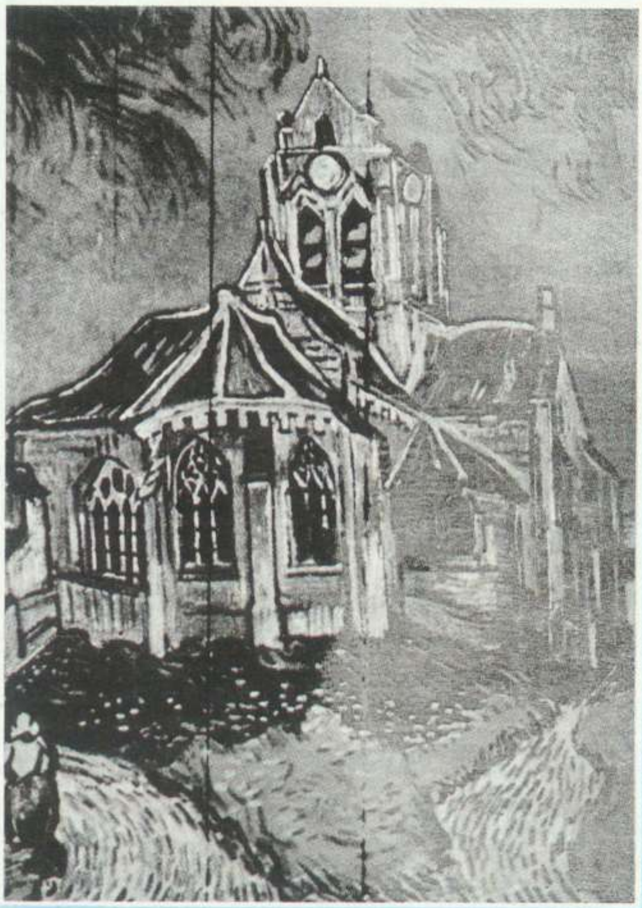

◀ فنان شهير ولد فى هولندا عام ١٨٥٣ ــ عمل مدرساً لمدة عام واحد فى انجلترا ثم عاد الى هولندا ــ بدأ الرسم عندما كان عمره ٢٧ سنة ــ استمر يرسم لمدة عشر سنوات ثم مات بعد أن أصبح اسمه ضمن رواد المدرسة التأثيرية .

حــل مسابقــة حاول أن تعــرف العـــدد ٥٨

● الصورة الأولى ــ البلد : المغرب ● الصورة الثانية : ــ الفنان : بابلو بيكاسو .

● الصورة الأولى :
١ ــ عبد الله على التعزى ــ السعودية
٢ ــ هند ابراهيم زاهر ــ ج . م . ع .

● الصورة الثانية :
١ ــ أحمد عارف الفانى ــ لبنـــان .
٢ ــ نجيب عبد القادر عبد الله .
جمهورية اليمن الديمقراطية .

قــــالـــوا ...

● لست آسفاً إلا على أنى لا أملك سوى حياة واحدة أضحى بها فى سبيل وطنى .
«نيلسون»

● قد تكبر الصداقة وتقوى فتصير حباً .. ولكن الحب لا يمكن أن يصغر ويضعف فيعود صداقة ..
«بيرون»

●لو كان الرجال لا يتزوجون إلا ممن يحبون .. لمات أكثرهم عذاباً !
«ستيفنسون»

● من هى الزوجة ؟ هى المرأة التى تصنع من الرجل طفلا .. ثم تعود فتصنع من الطفل رجلا !

عبد الواحد عثمانى
تلمسان ــ الجزائر

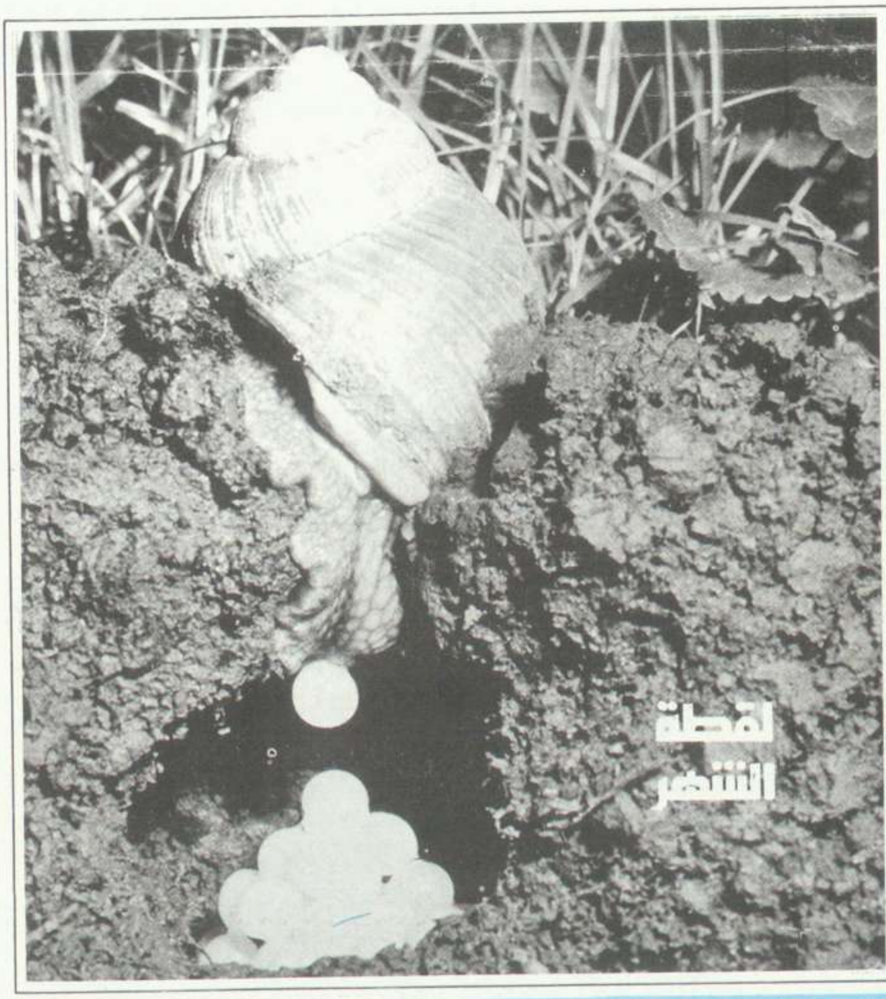

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى القارىء : فيصل حريتانى . ــ سوريا .

كاريكاتير وتعليق

ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال .

من عجائب المخلوقات

ــ تستطيع سمكة (البيرانها) المتوحشة أن تشم رائحة الدم على بعد ١٥ ميلا .

ــ سمكة الصندوق يمكنها أن تخرق بطن أى سمكة أخرى تبتلعها وتعود ثانية للحرية .

ــ لسمك «الايوى» الذى يعيش فى مياه جزر تاهيتى شفاه بلون الياقوت الأحمر

ــ سمكة البحار الطويلة الأنف تبدو كما لو كانت قطعة من خشب تجرفها المياه ولكنها لا تخشى أى عدو سوى الصيادين من البشر.

ــ البجعة الصامتة لا يصدر منها أى صوت إلا فى موسم الزواج .

ــ الخفاش مصاص الدماء الذى يعيش فى المكسيك وأمريكا الجنوبية يشرب من الدماء فى ليلة واحدة ما يزيد عن وزنه .

محمد حلمى محمد الامام
منيل الروضة ــ القاهرة

كاريكاتير وتعليق العدد « ٥٨ »

١ ــ الخادمة للسيدة : وماذا أفعل لو انقطع التيار الكهربائى ؟
غسان جعفر عبد الرحيم
واد مدنى ــ السودان

٢ ــ الخادمة : تأكدى يا سيدتى أن التيار ــ بهذه الطريقة ــ لن ينقطع أبداً .
عصام حيدر حسين ــ اليمن الديمقراطية

الورقة الأخيرة

درويش مصطفى الفار

القرن الخامس عشر

غابَ قرنٌ أم هلّ قرنٌ جديدُ   ليتَ شِعْرِى هَلّ يا جديدُ تجودُ
جئتَ يا قرنُ إثْرَ قرنٍ أرَقْنَا   فيه ما حَازَ بالدّماءِ الجُدودُ
إذ طوتْنا الأهواء حتى غَدَوْنا   زُمَراً مزَّقتْ حمانا الحدودُ
نَبذلُ الوُدَّ فى أكُفِّ عِدانا   بأسُنا بيننا قويٌّ شديدُ
أتُرَى فيكَ ريحُ بدرٍ وحِطّين ، وروحُ اليرموكِ عَجْلَى تَعُودُ
أم تَرانا نَبْقَى لآخرِ الدهرِ ، غُثَاءٌ كما يُريدُ اليهودُ
ما لدينا من عينِ جالوتَ إلا   ذكرياتٌ ، سَرابُ قاعٍ شَرُودُ
كلُّ فتحٍ الى زوالٍ إذا لم   يَحْمِهِ أن يَضِيعَ عزمٌ رشيدُ
ضَاعَ منا ما ضَاعَ حِينَ استَهَنّا   بالذى خطّطَ العزيزُ الحميدُ
ربِّ يا مُنْزِلَ الكتاب أغِثْنَا   من مالٍ صارت إليهِ ثمودُ
يا مُنجّي الخليلَ فى أورَ من لَهَبِ النارِ التى قد أوقدَ النّمرودُ
يا مجيباً دعاءَ ايوب لما   مسّهُ الضُّرُّ والشّفاءُ بعيدُ
قد دعاكَ الذى استَقَفَّهُ الحوتُ فَفَرّجْتَ كَرْبَهُ يا ودودُ
قال موسى يا ربِّ انتَ مُجيرِى   فاسْتَقِ فرعونَ كيدَهُ إذ يَكِيدُ
كنتَ لابنِ البَتُولِ خيرَ نصيرٍ   فى رُبَا القُدْسِ إذ طَغَى هَيْرُودُ
انتَ يا ربِّ دونَ ايِّ شريكٍ   وحدَكَ القادرُ العلىُّ المجيدُ
انت فى الذرة الدقيقة سر   لا تَرَاهُ الابصَارُ وهْىَ شُهُودُ
انتَ مُنشِى السَّدِيم مُزْجِى سحابٍ   بالرَّوى ولولاكَ ما اخْضَرَّ عودُ
انتَ أصلُ الكمالِ لا يُدْرِكُ الحسُّ مَدَاهُ وَمَا حَدَّكَ التَّحديدُ
انتَ بانِى الجبالِ شُمّاً ضِخَاماً   راسياتٍ إذا تشاءُ تَميدُ
انت سِرُّ الزمانِ كلِّ مكانٍ   انتَ أوجَدْتَهُ فمِنكَ الوجودُ
انتَ اللّهُ ذو الجلالِ لكَ الامرُ وإنْ ضَلّ كافرٌ او كَنُودُ
ثالثُ اثنينِ كنتَ فى غارِ ثورٍ   يوم أن عَمَّ فى قريش الجحودُ
بعدَ عَشْرٍ مِنَ الضّنَى كالِحاتٍ   وثلاثٍ منها الجبالُ تَنُودُ
هَاجَرَ المُصطفى لِيثربَ لمّا   اذِنَ اللهُ للأُولى أن يَسُودُوا
فَبَنَى الدولةَ التى مدّنتِ النّاسَ جميعاً شِعارُها التوحيدُ
كان فى خَلْقِهِ سَوِيَّ المُحَيّا   وهْوَ فى الخُلْقِ احمدٌ محمودُ
زَانَهُ اللهُ مِن لَدُنْهِ بِعِلْمٍ   فهو فى عِلْمِهِ وحيدٌ فريدُ
سيّدِى المصطفى عليكَ صلاةٌ   والسلامُ المباركُ المَنْضُودُ
عَدَدَ الرمْلِ والحَصَى والمجَرَّاتِ وما يَحتَوِيهِ وجودُ
كُلّمَا هَبّتِ الريحُ أو هَطَلَ الغيثُ ودوّتْ بِذاتِ بَرْقٍ رُعُودُ
جئتُ عبرَ القرونِ أهْدِى نَشِيدِى   لرحابِ المُختارِ كانَ النشيدُ
قد تجاوزتُ إذ اسُوقُ قصيدى   انتَ فوقَ الذى حَوَاهُ القصيدُ
إنه الوجدُ يا شفيعَ البَرَايا   ليسَ تَثنيهِ عن حماكَ قيودُ

PEPSI